نور الإسلام

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر غرة كل شهر عربي

السنة السادسة	المحرم سنة ١٣٥٤	المجلد السادس

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدي

الإدارة

شارع محمد مظلوم باشا رقم ١

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراك — ص

داخل القطر المصرى ٣٠

خارج القطر المصرى ٤٠

للعلماء غير المدرسين وأئمة المساجد والمأذونين ومعلمى المدارس الاولية والطلاب ومصالح الحكومة ومجالس المديريات ... ... داخل القطر ٢٠

للطلاب وائمة المساجد ... ... خارج القطر ٣٠

ثمن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية

١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فاتحة السنة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

نفتتح سنتنا الجديدة بحمد الله على ما وفقنا اليه من خدمة دينه الحنيف ، مستمدين منه العون على متابعة خطواتنا فى هذا السبيل ، ومستلهمين حكمته الأزلية فى كشف آياته ، وتجلية بيناته ، والدفاع عن أصول دينه القويم ، والذياد عن حماه ، على أكمل الأساليب وأجدرها بجلاله .

ولما كان مما ندب اليه الدين التحدث بفضل الله ، فإننا نذكر أن ما قمنا به فى سنتنا الماضية قد لقى ارتياحا عاما من قراء هذه المجلة ، فكان هذا الارتياح مشجعا لنا على المضى فى خطتنا ، وممدا لنا بقوى معنوية ذللت لنا العقبات فى طريقنا ، وحافزا لنا على زيادة البذل من جهودنا ، والإنفاق من أوقاتنا . وإنا لنمدهم فى هذه الفرصة بمضاعفة الجهد فى العمل ، وموالاة التحرى لاختيار الأصلح من البحوث ، والأفضل من الموضوعات ، حتى نبلغ بعون الله الى المثل الأعلى الذى يرجونه لنا ونرجوه لهذه المجلة التى هى معقد الأمل فى نشر فضائل الاسلام وحججه الدامغة .

فإن الجامع الأزهر الذى قدر الله له أن يرفع علم الاسلام عاليا منذ نحو ألف سنة ، قد قصد من نشر هذه المجلة أن يتيح لمن لم يسعده الحظ بالانخراط فى سلك طلبته ، أن يطلع وهو فى عقر داره على أفضل ما تثمره قرائح أعلامه من شروح قيمة لكتاب الله وسنة رسوله ، وبحوث ممتعة فى شريعته ، وحجج ساطعة فى الدفاع عن أصوله ، والمنافحة عن حقائقه . ولقد أصبح الاتصال الروحى بواسطة هذه المجلة بين الأزهر وبين المسلمين فى كثير من البلاد النائية على وجه يبشر بقرب الوصول الى الغاية التى اليها قصدنا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإننا لنعلم أن كل ما نبذله من طيبات نفوسنا وعقولنا ، فهو قليل فى جانب ما نتوخاه من إحسان الدفاع فى أكرم موقف من مواقف الحقيقة الاسلامية .

ولما كان العمل على نشر فضائل الاسلام بين المسلمين وغيرهم يقتضى أن يطلع من لا يعرف اللغة العربية على شىء من بحوث هذه المجلة ، فقد عنيت إدارة المعاهد بذلك وجعلت طائفة صالحة من مقالات المجلة والأحاديث النبوية تصدر فيها باللغة الانجليزية التى هى أكثر شيوعا بين المسلمين وغيرهم .

ومجلة نور الاسلام ترحب بكل بحث يرد اليها فى الموضوعات المقررة لها من علماء الأقطار النائية ، توثيقا للترابط الأخوى بين المسلمين كافة على اختلاف أجناسهم وبيئاتهم ، وتحقيقا لوحدة الوجهة والغاية بين أبناء الحنيفية السمحة .

ومتى ذكرنا الأزهر ومجلة الأزهر ، وجب علينا أن نذكر من له اليد البيضاء على الأزهر ومجلته ، ذلكم هو حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك « فؤاد الأول » ملك مصر ، حامى حمى الدين ورافع لوائه ، فهو صاحب الفضل فى هذه النهضة العظيمة ، فقد أغدق على هذا المعهد من فيض يديه ما جعله يقوم بالأعباء الملقاة على عاتقه بهذا النحو من السداد والكفاية . سدد الله خطاه وأيده بروح من عنده وحفظه ذخرا للعلم يرعاه بحمايته ، ويحوطه بعنايته ، قرير العين بولى عهده أمير الصعيد حضرة صاحب السمو الملكى « الأمير فاروق » ، بفضل الله وكرمه ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرى الهجرة النبوية

إن فاتحة كل عام من أعوام السنة القمرية تثير فى نفوسنا ذكرى الهجرة المحمدية من مكة الى المدينة المنورة ، وتثير معها ذكريات أخرى لآيات وعبر تزداد على مر الأحقاب عظمة ، وتكسب على نسبة تقدم العلوم وتتابع الحوادث جلالا وروعة .

لما شرف الله محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى الناس كافة ، أخذ يدعو الى الاسلام سرًّا ، فاتخذ دار الأرقم بن أبي الأرقم مقرا للاجتماع فيه بمن يؤمن به ، فكان يوافيه السابقون الى قبول دعوته ، فيبلغهم ما ينزله الله عليه من الوحى . لبث على تلك الحال مدة ، ثم أمره الله أن يدعو الى دينه عشيرته الأقربين ، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس ، فدعاهم اليه وبشرهم وأنذرهم . فرد عليه جمهورهم بكلام لين إلا عمه أبا لهب ، فإنه قال : خذوا على يديه قبل أن يجتمع عليه العرب ، فإن أسلمتموه ذللتم ، وإن منعتموه قتلتم . فقال عمه أبو طالب : والله لنمنعنه ما بقينا ، وانصرف الجمع .

ثم أمر الله رسوله بأن يدعو الناس كافة واعداً إياه بأن يحفظه من كيد الكائدين فأنزل عليه قوله تعالى : « يأيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين » وقوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون » ، فاضطلع صلى الله عليه وسلم بما حمله ربه من أعباء الرسالة أحسن اضطلاع ، فلم يدع وسيلة إلا قام بها ، فأغضب ذلك قريشا وهى قبيلته التى يعتزى إليها ، فشرعت فى صده عما هو فيه من طريق المحاسنة أولا ، ثم بالإغراء بالمال والجاه ثانيا ، فلما لم يرفع بسؤلاتها رأسا ، ولم يقم لها وزنا ، عمدت الى الاستهزاء به ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والتشنيع عليه ، ثم الى اضطهاده واضطهاد الذين اتبعوه ، واستمرت فى ذلك بما أملته عليها جاهليتها .

فلما اشتد على المسلمين الأمر ، وضاق عليهم الخناق ، أذن الله لهم فى التفرق فى الأرض هربا بدينهم ، وأشار عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة ، فخرجوا ولم يبق مع رسول الله إلا القليل .

فى هذه الأثناء أسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلا شديدا مهيبا ، فكسب المسلمون بإسلامه قوة .

فخاف المشركون أن يفلت الأمر من أيديهم ، فأجمعوا أمرهم على أن يعتمدوا على أقسى الوسائل فى قمع حركتهم ، فرأوا أن يطلبوا الى عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم من ذكرنا آنفا ، أن يسلموه لهم ، فلما أبوا عليهم ذلك قرروا مقاطعتهم ، واجتمع قادتهم وكتبوا عهدا بذلك ووضعوه فى جوف الكعبة ، فرأى عشيرته أن ينتقلوا الى شعب أبي طالب ، فدخلوه جميعا ، وبقوا فيه ثلاث سنين حتى نفدت أقواتهم وأكلوا ورق الشجر ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما حل بأصحابه وعشيرته أمرهم بأن يهاجروا الى الحبشة ثانية ، فهاجر منهم اليها ثلاثة وثمانون رجلا وثماني عشرة امرأة ، فأرسلت قريش وراءهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ليكيدوا لهم كيدا عند النجاشي ، فلم يرفع بسعايتهم رأسا .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب مع عشيرته ، وصل الى مكة وفد من نصارى نجران باليمن ، فلما رأوا أمارات النبوة عليه وما يتحمله من الشدة فى سبيل الدعوة الى دينه ، أدركوا أنه رسول الله حقا فآمنوا به ، وكان عددهم عشرين رجلا ، ورجعوا الى قومهم .

فلما نمى الى قريش أن رجالا من أهل المدينة اتصلوا سرا بالنبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا على يده وأخذوا يدعون قومهم للإيمان به ، وأن المسلمين شرعوا يهاجرون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اليهم زرافات ووحدانا ، سرا وعلانية ، أدرك القرشيون أن الساعة قد أزفت لتنفيذ ما أضمروه من قتل رسول الله وتفريق دمه فى قبائلهم ، فأوحى الله اليه بما يبيتون له من الشر ، وأمره أن يهاجر الى المدينة . فصدع النبي صلى الله عليه وسلم بأمر ربه ، وخرج اليها هو وأبو بكر ليلا ، فلما أدركهما الصبح اختفيا بغار موحش فى الطريق ، موقنين أن المشركين سيتعقبونهما ، ولما أمنا الطلب خرجا منه وتابعا طريقهما حتى وصلا الى المدينة ، فاستقبلهما أهلها باحتفاء عظيم ، وكان الاسلام قد استبحر فيها ، فاتخذها صلى الله عليه وسلم مقرا لدعوته ، وجعل أهلها أنصارا له ، وقبلوا ثم أن يدافعوا عنه بأموالهم وأرواحهم من يقصده بسوء ولو تألب عليه العالم كله .

هذه حوادث فذة فى تاريخ الانسانية لا يجوز إغفال النظر فيها ، وبخاصة تحت ضوء العلوم الاجتماعية ، فقد أبانت نواحى إذا جليت تجلت منها آيات بينات تستصغر بجانبها أكبر حوادث التاريخ ، وتصبح من أقوى الأدلة على صحة الرسالة المحمدية . ونحن نبينها فى ثلاثة فصول :

(أولها) ظهور دعوة عامة للأمم كافة ، من بيئة لم تنضج بعد حتى لدعوة خاصة .

(ثانيها) تطوع طائفة لا يزيد عددها على بضعة ألوف للدفاع عنها حيال العالم كله ونجاحها فى ذلك .

(ثالثها) تحقق ما وعد به الكتاب الكريم هذه الطائفة من النصر ومن تبوؤ خلافة الله فى الأرض .

فيحسن بنا أن نتولى النظر فى هذه الآيات الثلاث ، فنقول :

نجاح دعوة عامة فى بيئة لم تنضج لدعوة خاصة :

قرر العلم الاجتماعى أن المجتمعات أول ما تنشأ تكون على حالة قبائل ، متعددة متباينة فى الأخلاق والعادات ، فتبقى على ما هى عليه قرونا حتى يحدث لها بفعل عوامل التطور

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما يدفعها الى التوحد، فتنشأ منها أمة ساذجة، فلا تزال تعركها الحوادث، وتقوّم من أودها، وتقوى من روابطها، قرونا أخرى حتى تصير أمة مستحصدة المرى، قوية البنية، تصلح للكفاح والغلب. وعلى هذا الترتيب التدريجي تظهر فيها المبادئ والأصول الأدبية، فلم يشاهد قط أمة تتكون تكونا فجائيا على أكمل ما تكون قوة وصلابة، ولا أمة كانت مجردة من المبادئ والأصول، تنهض بغتة لتملى على العالم أرفع الأصول وأكمل المبادئ، وتنجح فى ذلك نجاحا لا مرمى بعده فى سنين معدودة.

العالم كله يعلم أن العرب كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم على مثل ما كانوا عليه منذ أجيال كثيرة: قبائل متفرقة، وأوزاع متنافرة، لا يوحد كلمهم دين، ولا تضم نشرهم جامعة، وكانت بينهم حروب متوارثة، وإحن وثارات قائمة على اعتبارات جاهلية موبقة، عاشوا كل تلك الأجيال على هذه الحال معتبرين ما كانوا فيه من مفاخرهم. لم يقم فيهم من يدعوهم لتوحيد كلمتهم، ولا لتحديد وجهتهم، وتعيين غايتهم، ولم يكن فى طبيعة بلادهم، وقحولة بيئتهم، ما يضطرهم الى حياة مشتركة تعم جنسهم كله. ولم يكونوا وهم فى أمية مطبقة ليتأثروا بحاجات عقلية تدعوهم للنظر، وتجبرهم على التفكير، ثم تحفزهم الى تغيير ما هم فيه من الجمود على عقائد باطلة، وتقاليد ضارة.

فلما أرسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، أنكروه ولكن أى إنكار، وثاروا عليه ولكن أية ثورة، فرموا رسول الله بالافتراء والاختلاق، وبالسحر وقول الشعر، بل بالجنون. وقد حكى الله بعض ما واجهوا به الدعوة الاسلامية فقال تعالى: «وعجبوا أن جاءهم منذر منهم، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب. أجعل الآلهة إلها واحدا، إنّ هذا لشىء عُجاب. وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشىء يراد. ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إنْ هذا إلا اختلاق».

وقال تعالى: «وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين. وما آتيناهم من كتب يدرسونها، وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير». وقال تعالى: «ويقولون:

oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون » وقال تعالى : « وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ؟ أفترى على الله كذبا أم به جنة ، بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد » وقال تعالى : « وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا ، أهذا الذي بعث الله رسولا ؟ إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ، وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا » . وقال تعالى : « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقى اليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا » .

فكان الحق جل وعلا وهم في موقفهم هذا يداول لهم بين الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، ويضرب لهم الأمثال ، ويدعوهم للنظر والاعتبار ؛ فلم يزدادوا إلا عتوا واستكبارا ، ونفورا من الحق وإنكارا ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم تكاد تذهب نفسه حسرات عليهم ، فيمده الله بالآيات تهدئة لقلبه ، وتأسية له بالرسل من قبله ، من مثل قوله تعالى : « ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك » وقوله تعالى : « فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير » . وقوله تعالى : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين . وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين » .

هذه كانت حال البيئة التي أرسل فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، من الاستعصاء عن قبول دعوته ، والتمادي في مناوأته ، حتى قررت قتله والتخلص منه ، فأطلعه الله على ما يبيتونه له من الشر ، وأمره بالهجرة الى المدينة بعد أن لبث فيهم ثلاث عشرة سنة لا يألوهم نصحا ، وليس بعد هذا دليل على أن تلك البيئة لم تكن مستعدة لإحداث

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أى انقلاب فى حالتها الاجتماعية والأدبية . وفى هذا الاستعصاء أكبر رد على الذين يقولون إن العرب كانوا على وشك تغيير ما هم عليه من الحالة النفسية ، فلما قام محمد صلى الله عليه وسلم بالدعوة فيهم اتبعوه وأيدوه .

تطوع طائفة للدفاع عن الدعوة الاسلامية :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عمد بعد أن يئس من قومه أن يعرض نفسه على القبائل التى كانت تأتى الى مكة للحج أيام الموسم ، فكانوا لا يأبهون لدعوته ، فاتفق أن قابل فيمن قابلهم رجالا من الأوس والخزرج سكان المدينة ، فاستحسنوا دعوته ووعدوه بعرض أمره على قومهم ، فحضر خصيصا لهذه الدعوة فى العام التالى نحو سبعين رجلا منهم ، فاجتمعوا فى جنح الظلام فى شعب من شعاب مكة ، وقبلوا أن يدخلوا فى الاسلام ، وأن يدافعوا عنه ولو أداهم ذلك الى مكافحة العالم أجمع ، وجر ذلك الى فنائهم جميعا . ثم قالوا وما لنا على هذا كله ؟ فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : لكم الجنة ، قالوا رضينا ، وانصرفوا على أن يهاجر اليهم هو ومن بقى بمكة معه من أصحابه ، وأن يستدعى من ذهب الى الحبشة منهم ليوافوا إخوانهم بالمدينة ، ثم انفضوا على ذلك .

هنا أربع آيات من أكبر ما استجلاه الناس من آيات الله فى خلقه :

(أولها) قبول قبيلتين من قبائل العرب اليمانية دعوة يقوم بها رجل من قبيلة عدنانية ، على ما كان بين هاتين الفئتين من التنافس والتنافر فى تاريخهما كله ، ومعنى قبولهما دعوته خضوعهما لسلطانه ، وهذا ما كان ليحدث بين قبيلتين تمت إحداها للأخرى بصلة القرابة ، فكيف به بين فريقين متنافسين ؟

(ثانيها) اضطلاع طائفة من الناس لا يزيد عدد آحادها على بضعة آلاف بعبء خطير يعرضها لمعاداة جميع قبائل العرب ، بله شعوب الأرض كافة .

(ثالثها) اطمئنان هذه الطائفة الى الاسلام الى حد معاداة العالم كله فى سبيله ، ولم تمض عليهم فيه حقبة من الدهر تكفى لأن تطبع نفسياتهم بطابعه ، وتحبب اليهم بذل أرواحهم فى نصرته . هذه طفرة لم يشاهد لها مثيل فى تاريخ النفسية الانسانية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(رابعها) رضاء هذه الطائفة بالجنة جزاء على هذه التضحية، فلا الملك ولا سلطانه، ولا الدنيا ولا ملذاتها كانت لديهم شيئا يمكن أن يعوقهم من إجابتهم دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

لا مشاحة فى أن هذه آيات يجب أن يراها الناس ويتأملون فيها، فإنها من أدل الدلائل على التأييد الإلهى لرسوله، ومن أقوى الشواهد على أن النبوة أمر تخرق له سنن الكون، وتخضع له قواه ونواميسه.

تحقق ما وعد الله به رسوله من النصر:

إن شئت أن تشهد آية هى أكبر وأجل آيات الله فى عباده، فاشهد أن قام رجل فى جماعات أمية، فى أحط دركات الجاهلية، يدعوها لأن تجتمع على دين لا عهد لها بمثله، يخلعها عن أكثر عاداتها، ويمتلخها عن أثبت موروثاتها، ويقيمها على نهج جديد لم تعهده فى جميع أدوار تاريخها، فينجح فى ذلك نجاحا لم يقدر مثله لمصلح كان قبله أو جاء بعده.

تقول دائرة معارف لاروس فى عرض كلامها عن الاصلاحات الاجتماعية: « إن المبادئ الجديدة والأصول الطريفة، لا يمكن أن تسرى فى نفسية أمة من الأمم بمجرد بثها فيها، ولكن لا بد من مرور أجيال متعاقبة عليها قبل أن ترسخ فى نفسيتها وتصبح حالا لها، وتصدر أعمالها عنها ».

نقول: هذا ما قرره العلم، ودلت عليه التجارب الإصلاحية فى الأمم، ولكن الدعوة الاسلامية، على سمو أصولها عن كل الأصول المعروفة الى اليوم، قد قبلتها الطائفة التى انتدبت لحمايتها، وقامت على سنتها طفرة، فتأدت بها الى السيادة على الأرض، وهذا وحده من أكبر المعجزات فى نظر العلم الاجتماعى، لأنه ينقض أكبر ناموس فيه، وهو ناموس التطورات التدريجية.

وقد أشار الكتاب نفسه الى جلالة هذا الأمر، فأضافه الى محض قدرة العزيز العليم إكبارا لشأنه، وإعظاما لخطره، فقال تعالى: « واذكروا إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ».

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال تعالى : « لو أنفقتَ ما فى الأرض جميعا ما ألّفتَ بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم » .

إننا نذكر كل هذه الحوادث الكبر ، كلما عنت فرصة لذكرها ، لأن الأمر أكبر من أن تكفى فيه البحوث المستفيضة والتحليلات الدقيقة ، فغرابته وإعجازه يتجددان بزيادة مادة العلم ، وتوالى العبر العالمية . وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

محمد فريد وجدى

سحر البيان يقضى الحاجات

قال العتبى : قدم عبد الله بن زرارة الكلابى على معاوية وهو أمير المؤمنين فقال : إنى لم أزل أهز ذوائب الرحال اليك ، فلم أجد معولا إلا عليك ، أمتطى الليل بعد النهار ، وأسم المجاهل بالآثار ، يقودنى اليك أمل ، وتسوقنى بلوى ، والمجتهد يعذر ، وإذ بلغتك فقطنى (أى حسبى) .

فقال له معاوية : احطط عن راحلتك .

ودخل كريز بن زفر بن الحرث على يزيد بن المهلب فقال : أصلح الله الأمير ! أنت أعظم من أن يستعان بك ويستعان عليك ، ولست تفعل من الخير شيئا إلا ويصغر عنك وأنت أكبر منه ، ولا العجب أن تفعل ولكن العجب أن لا تفعل .

فقال له يزيد بن المهلب : سل حاجتك .

قال كريز : حملت عن عشيرتى عشر ديات .

قال يزيد : قد أمرت لك بها وشفعتها بمثلها .

وأتى رجل الى حاتم الطائى فقال : إنها وقعت بينى وبين قوم ديات فاحتملتها فى مالى وأملى ، فقدمت مالى وكنت أنت أملى ، فان تحملها عنى فرب هم قد فرجته ، وغم كفيته ، ودين قضيته . وإن حال دون ذلك حائل لم أذم يومك ، ولم أيأس من غدك .

فحملها حاتم عنه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مهمة الدين الاسلامى فى العالم

— ١٧ —

أغراضه الاجتماعية — نظرة تمهيدية فى مقومات الاجتماع

الاجتماع كالبناء ، وإنما الفرق بينهما أن الأول مؤلف من آحاد أحياء ، والثانى من مواد جامدة ، وكلاهما بحاجة الى ما يربط وحداته بعضها ببعض ، ويجعل منها جسما واحدا . فالبناء بحاجة الى مادة ماسكة هى الملاط ، والثانى يستدعى وجود روابط أدبية بين الأفراد .

فكل مجتمع لا يصلح للحياة المشتركة ، إلا إذا وُجدت بين آحاده روابط من ضروب شتى ، تجمع بينهم وتوجههم الى غرض واحد .

وقد وجدت هذه الروابط فى أول أدوار الاجتماع ، وكانت من السذاجة على قدر ما كان عليه الأجيال الأولى من البساطة . ولما كان الانسان لا يستطيع أن يعيش إلا مجتمعا بأفراد من نوعه ، كانت أولى تلك الروابط الحاجة المعاشية . فكان الأفراد يترابطون على القيام بها تحصيلا للقوت ، ودفاعا عن الحوزة ضد الحيوانات الضارية ، وضد المغيرين عليهم من الجماعات المجاورة لهم . وكانوا كلما ارتقوا فى الأسباب ، زادت الروابط التى بينهم تركّباً ، وما زالت تتركّب حتى بلغ الانسان شأوا بعيدا من المدنية ، فبلغت الروابط بينهم من التعقد بحيث يعوزها خبرة عظيمة بما يناسب الجيل من القيود والروابط . من هنا صارت الحاجة ماسة الى وجود علماء للاجتماع ليتعرفوا هذه الروابط ، ويقفوا على أسباب توثقها ، وعلل تفككها ، ووسائل معالجتها ، حرصا على بنية الاجتماع من الانحلال .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جاء الاسلام فوجد أمما قوية قد ترابطت فيما بينها على الحياة والفتح وتسخير الأمم ؛ وكانت على عقائد خرافية تتفانى فى الذب عنها ، فأتى بأرقى ما يمكن تصوره من روابط الاجتماع القائمة على أحكم الأصول الأدبية .

ولقد أثبت العلم أن روابط الاجتماع نفسها تتنازع الحياة كما تتنازعها الأحياء ، فلا يقدر النصر والبقاء إلا للأكمل منها ، ويتلاشى الضعيف الملتاث منها بالأدواء ، حتى لا يبقى إلا الأصلح المحقق لناموس الارتقاء : « فأما الزَّبَدُ فيذهب جُفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

لقد أدهش الناس كلهم أن تقوم الأمة الاسلامية فى أبعد بقاع المعمورة عن العمران ، فتلقى بنفسها فى معمعان المزاحمات الاجتماعية ، وتجول فى الأرض جولات ترث بها سيادة العالم كله ، وتحتك بالأمم العريقة فى الاجتماع فتنتزع منها السؤدد والسلطان ؛ أدهش الناس هذا فطفقوا يعللونه بضروب من العلل ، فمنهم من زعم أن أسباب هذا الفوز تنحصر فى أن الاسلام دفع ذويه للجهاد ، ووعدهم عليه الجنة ، ومنهم من تخيل أن علته تفكك روابط الأمم التى كانت معاصرة للمسلمين الأولين ، ويغيب عنهم كلهم أن هذا التبسط الاسلامى كان يصحبه ارتقاء يناسبه فى جميع المعارف البشرية ، ومختلف الصنائع والفنون ، ويسايره توسع فى العمران ، واستبحار فى المدنية الفاضلة ، وكل هذا يبين أن ليست الأسباب المتقدمة هى وحدها التى جعلت الاسلام ينتشر فى بقاع الأرض ، ويعم هذه الأمم القوية الروابط ، ويحتل من نفوسها تلك المكانة السامية التى لم تصل اليها أية عقيدة أخرى .

إذ لو كان الدافع لهذه النهضة العظيمة هو حب الجهاد وحده ، لكان قصارى أمر المجتمع الاسلامى الأول أن يبلغ مداه ثم يتراجع ويَمَّحى أثره ، ككل نهضة حربية فى الأرض ، وليس تاريخ التوسع الحربى لبختنصر والاسكندر المقدونى وجنكيزخان وتيمورلنك وغيرهم مما يعزب عن الأذهان .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نعم إن الرومانيين قاموا بما يقرب من الفتوح الاسلامية حتى دانت لهم الأرض، ولكن كان ذلك فى خلال ثمانية قرون لا فى ثمانين سنة كما حدث للمسلمين بواسطة الاسلام، مع هذا الفارق العظيم، وهو أن الفتوح الرومانية كانت تمثل العسف بجميع مظاهره، فكانت الشعوب والأمم تحت نيرها لا تملك لنفسها صرفا ولا عدلا، وكانت تعامل معاملة الأرقاء، ولكن الفتوح الاسلامية كانت خيرا وبركة على المقهورين، وكان مبدأ المساواة مطبقا بين الكافة فى أقصى حدوده، وأخص معانيه، حتى كان المقهور يخاصم قاهره مهما كان عظيما الى القاضى فيقتص له منه، غير معتد بجنسيته ولا كرم أرومته.

وأما ماتخيله معللو توسع المسلمين من أن السبب فيه كان تفكك روابط الأمم على عهده فغير معقول، فإن الدولتين اللتين اصطدم بهما الاسلام فى أول عهده، وهما الدولة الرومانية والدولة الفارسية، كانتا حاصلتين على مقوماتهما الاجتماعية، وكثيرا ما دخلتا فى حروب طاحنة إحداهما ضد الأخرى، ولم يؤثر ذلك فى كيانيهما. فلما ظهرت الدولة الاسلامية وأدتها التقلبات الاجتماعية الى الدخول معهما فى حرب، قامت كل منهما بالدفاع عن نفسها على أكمل وجه.

لم يبق أمامنا إلا تعليل علمى واحد يمكن أن تفسر به مناعة المجتمع الاسلامى واستعصاؤه على جميع المحللات التى صادفها فى اصطدامه بالمجتمعات العالمية، وتغلبه عليها، وهذا التعليل هو أن الروابط الاسلامية بين الآحاد كانت أرق وأقوى من جميع روابط الجماعات التى نازعتها الحياة، وأن تلك الروابط كانت تستمد وجودها من أعلى المبادىء الاجتماعية، التى جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة.

هذا التعليل وحده هو الذى يفسر ثبات طائفة إسلامية صغيرة أمام جماعات تفوقها عددا أضعافا مضاعفة.

فالتنازع بين هذه الطائفة وبين تلك الجماعات كان فى حقيقته تنازعا بين القوى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأدبية لكل منهما ، تحقيقاً لناموس الانتخاب الإلهى الذى نتيجته أن يكون الفوز للأصلح ، كما قال تعالى : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعدِ الذِّكر أن الأرض يرثها عبادىَ الصالحون » :

بقى علينا أن نستعرض الروابط الاجتماعية لتلك الجماعات ، وأن نقابلها بالروابط الاجتماعية للمسلمين ، لنرى رأى العين مصداق هذا الناموس الإلهى ، وشهادة الحوادث على أنه الحق الجدير بالاستمساك به ، فنقول :

كانت الروابط الاجتماعية للأمم الى عهد الاسلام تنحصر فى التعاون على تحصيل مقومات الحياة المادية بإثارة الحروب على المجاورين وشن الغارات عليهم ، فإذا كتب لجماعة منها النصر جعلت همها تجريد المقهورين من أموالهم ، واستعباد رجالهم ونسائهم ، والأخذ بسنة العسف فى معاملتهم ، وكان أساس هذه الروابط الجنس واللون واللغة ، وغايتها تسويد الجنس الغالب على جميع الأجناس البشرية ، ولكن الروابط الاسلامية كانت أصولا أدبية هى أرفع ما يصل اليه العقل من معنى العدل الإلهى ، فهى تقوم على هذه المبادئ :

(أولها) المساواة بين جميع الخلق لأن كلهم لآدم وآدم من تراب .

(ثانيها) أن التفاضل بينهم لا يبتنى على الفوارق من جنس ولون ولغة ، ولكن على الكمالات النفسية « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

(ثالثها) أن القبائل والشعوب خلقت لتتعارف وتتعاون على الاضطلاع بأعباء الحياة ، لا لتتناكر وتتناحر : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

(رابعها) تسويد الحق فى جميع المواقف على القوة : « فماذا بعد الحق إلا الضلال » .

(خامسها) العمل على إعلاء كلمة الله فى الأرض ، وهى العدل المطلق لا المصلحة المادية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هـذه روابط جامعة تصلح أن تضم النـاس أجمعين ، وتمحو ما بينهم من أحقاد جاهلية ، وثارات قومية ، وتجعل العالم كله أمة واحدة فى ظل أكمل الأصول الأدبية ، ورعاية أكرم المبادئ العلوية .

فالفارق بين هذين النوعين من الروابط بعيد جدا ، أحـدهما قائم على المصالح المادية ، والاعتبارات القومية ، والآخر مستمد من المبادئ الخالدة والأصول العامة . فالفرق بينهما كالفرق بين الأرض والسماء .

إذ الداخل فى الرابطة الاسـلامية يشعر بجلال الأصول التى يمثلها ويدافع عنها ، ويستلذ الاضطلاع بها والفناء فيها ، ويحس بروعة الحق الذى يتجلى عليه منها ، فهو لا يتكافل وأخاه طلبا لحطام الدنيا ورتوعا فى دماء الناس وأموالهم وأعراضهم ، ولـكن مدفوعا لتحقيق أكمل المرامى الاجتماعية ، والوصول لأرفع المكانات الوجودية .

ولست فى حاجة بعد هذا أن أذكر لك أن الاجتماع الذى تـكون روابطه من هذا الضرب يكون أفراده كأعضاء الجسد الواحد تتحرك بروح واحدة ، وتتأثر بشعور واحد ، ولايجوز عليها ما يجوز على سواها من تنابذ آحادها وتناكرهم .

هـذا هو التعليل العلمى المعقول لنشوء المجتمع الاسـلامى ، وظهوره على جميع المجتمعات التى نازعته الوجود ، وحلوله محلها فى الزعامة العامة فى الأرض .

وهذا المجتمع الاسلامى بهذه المميزات يعتبر أول مجتمع بنى على المبادئ الأدبية الخالدة ، والأصول العالمية العامة ، فيصلح أن ترث روابطه جميع الروابط الاجتماعية التى فرقت بين الشعوب وجعلتها شيعا يتربص بعضها الدوائر ببعض .

نعم إن الأمم لم تنضج كلها بعد لإحلال هذه الروابط الروحية محل الروابط المادية فى بنية مجتمعاتها ، ولـكن المتأمل فى حركاتها الحاضرة يرى أنها تحاول أن تصل اليها ، فإن مساعى رجالها الأعلين فى استبدال تحكيم الحـديد والنار بتحكيم الحق والعدل ، وفى إحداث تـكافل عام بين الشعوب يقوم مقام التزاحم الحيوانى بينها ، كل هذه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المحاولات منها وإن كانت بطيئة تعتبر تمشيا نحو المبادئ الاسلامية ، ولا بد من وصولها اليها بعد قطع أدوار كثيرة ، والدخول فى تطورات عديدة ، وإذ ذاك تكون الفاسفة والعلوم قد كشفت عن القلوب والعقول حجبا كان أسدلها عليها التعصب للموروثات ، فتشهد من جمال الاسلام ما كانت لا تتخيله فيه ، فيتم بذلك موعود الله فى قوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أوَلم يكْفِ بربك أنه على كل شىء شهيد » .

فالأمة العالمية التى أسسها الاسلام فى الصدر الأول من قوميات شتى ، ومحق ما بينها من الفوارق التى كانت تدعوها للتناحر والتفانى ، هذه الأمة كانت وستكون الى أن تقوم الساعة مثالا حيا لما يجب أن يكون عليه العالم البشرى فى تأسيس بنيانه ، وتشييد عمرانه ، ومتى تم له ذلك تكون الانسانية قد قامت على السنة التى تناسب كرامتها ، وتلائم مكانتها . ولا يزال الاسلام يدعو الأمم الى القيام على هذه السنة ، ولا مناص لها من القيام عليها ، مدفوعة بعوامل التطور كما دفعتها الى الأخذ بأصول إسلامية كثيرة من قبل ؟

محمد فريد وجدى

العناية بطلب العلم

روى أن داود قال لابنه سليمان عليهما السلام : لف العلم حول عنقك ، واكتبه فى ألواح قلبك .

وروى أنه قال له أيضا : اجعل العلم مالك والأدب حليتك .

وقيل لأبى عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟ قال إن كان يحسن به أن يعيش فانه يحسن به أن يتعلم .

وقال عروة بن الزبير لبنيه : يا بنى اطلبوا العلم فان تكونوا صغارا لا يحتاج اليكم ، فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم .

وروى عن أحد ملوك الهند أنه قال لولده وكان له أربعون ولدا : يابنى أكثروا من النظر فى الكتب وازدادوا فى كل يوم حرفا فان ثلاثة لا يستوحشون فى غربة : الفقيه العالم ، والبطل الشجاع ، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأى .

وقال المهلب بن أبى صفرة لبنيه : إياكم أن تجلسوا فى الأسواق إلا عند زراد أو

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ . وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) .

لقد تقدم فى الآيات السابقة ذكر قصة موسى وقومه مستوفاة مفصلة ، ونعلم أن القصص فى القرآن الكريم ليس المقصود منه التسلية بذكر أخبار مضت أو مجرد العلم بالتاريخ ، وإنما يقصد منه عبرة المخاطبين ليهتدوا الى ما أراد الله منهم وأمرهم به .

فاذا جاء فى تضاعيف القصة حين ذكر جل شأنه عن موسى عليه السلام أنه اختار من قومه سبعين رجلا لميقات ، وأنهم تطوحت نفوسهم الى ما ليس من حقهم : فطلبوا الى موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة ، فأخذتهم الرجفة حتى كانوا على شرف الموت ، فلجأ عليه السلام الى ربه يستغيثه ويسترحمه قائلا : « رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا » وقال فى دعائه : فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ، فأجابه عز وجل بأنه مالك الأمر كله وبيده العذاب والرحمة يضعهما حيث شاء ، ووعده بأن سيكتب رحمته لمن يتقى الله ويعطف على عباده بالزكاة ويعمر قلبه بالايمان بالله ، الايمان بالله إيمانا صادقا بحيث يتبع ما أمر الله باتباعه ، وأقام الآيات أنه من عنده لا فرق عنده بين أن يأتيه أمر الله عن طريق هذا أو ذاك ، فإن هذا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هو المؤمن حقا ، وهو الذى صدق إيمانه وجعل هواه تبعا لأمر ربه ؛ ومرضاته تعالى هى منتهى قصده لا كمن يؤمن ببعض ويكفر ببعض ، أو كمن يقول : « إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا » فمثل هذا لا يسمى مؤمنا بالله ولا مسلما نفسه لله ، وكيف يكون مسلما ومؤمنا وقد حكم هواه فى أمر مولاه ؟ فلا جرم قال فى سياق تلك القصة : « فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتّبعون الرسول النبي الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة » الخ الآية . أى فأما من يأبى أن يذعن للحق إلا إن طابق هواه فلا يكون مؤمنا بالله . فمن الحق أن يختم تلك الآية بما يفيد حصر الفلاح فيمن اتبعه بقوله تعالى : « فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى أُنزل معه أولئك هم المفلحون » فإن هذا الأسلوب مفيد للحصر على ما هو معلوم لأهل البلاغة .

فحسن إذ انتهى الى هذا البيان أن يردفه بأمره تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يبلغهم أنه رسول الله الى الناس جميعا : لا فرق بين من كان على دين سابق كاليهود والنصارى ، ومن كان قد انحرف عن دين الأنبياء بالكلية كالمشركين ، فقال عز وجل مخاطبا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى ثنايا القصة : « قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

ثم عاد الى قصة موسى عليه الصلاة والسلام يكملها حتى وصل الى حادثة رفع الجبل فوق رءوس قومه بنى إسرائيل وظنهم أنه واقع بهم ، فأُمروا فى هذه الحالة أن يأخذوا ما آتاهم الله إياه من تكاليف وأحكام بقوة وإقبال ، وأن يذكروا ما فيه من تكاليف وتعاليم ، فيعملوا بما أُمروا لعلهم ينجون من غضب ربهم ويتقون عذابه .

وحينما وصل الى هذه الحالة من أخذ بنى إسرائيل بالآيات المحسوسة ، ومن الرغب والرهب ، وأنه قد وصل الأمر بهم الى أن سد عليهم باب المكابرة بتلك الآيات الظاهرة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الباهرة ، أقول حينما وصل الى هذا الحد لا يبعد أن نفسا تقول : « نعم هنا وضح الأمر واستبان ، ولم يبق طريق للشك فى صحة هذا البرهان ، فمن أين لنا أن نؤتى آية بينة من جنس هذه الآيات ؟ إذاً لاستقمنا وقمنا بما طلب منا . أما ونحن لم يتجل لنا الأمر كما تجلى لهم فلا حرج علينا إذا لم نتبع الرسل » . أقول : لا يبعد أن تتحرك نفوس للشغب ، وتتلمس أن تؤتى من الآيات ما به تهتدى الى الايمان بربها والإذعان لرسله الذين أيدهم بحججه .

فجاءت هذه الآية الكريمة التى سقنا الكلام اليوم لتفسيرها ، لقطع معاذيرهم ، ودحض حججهم وإبطال شبههم ، مبينة أن آيات الله تعالى قد شملت جميع بنى آدم من أصل خلقهم وبدء تكوينهم ، فلم يغب عن أحد منهم آيات الله فى نفسه وفى تكوينه وأصل خلقته وأطوار وجوده وحالات تقلبه ، فما من امرئ منهم إلا وقد بث الله فى نفسه آيات ناطقة ودلائل شاهدة على أنه مربوب للرب العلى القدير ، ومشمول فى كل لحظة بإحسانه المتوالى وتربيته المستمرة من ساعة أن انفصل من ظهر أبيه الى أن يحل به الموت وينزل القبر الذى يواريه ، وإنه على نفسه لشاهد ، ولو التفت أية التفاتة لشهد ونطق بلسان مقاله فوق نطقه بلسان حاله أن ربه هو الله الواحد .

قال تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » :

للمفسرين فى تفسير هذه الآية طريقان : طريق المتأخرين من أصحاب النظر ، وطريق السلف المتبعين للأثر . وسنعرض لكلتا الطريقتين ونبين أنهما لا تنافى بينهما ، وأن كلا منهما صحيح فى نظر العقل ، لا ينافيه النقل ، وأن الآية قابلة لأفهام كلا المعنيين ، والله المستعان :

الطريق الأول ، وهو ما بنينا المقدمة السابقة على اعتباره ، أن هذا إرشاد الى ما وضعه جل وعز فى نفوس بنى آدم من الدلائل الدالة على ربوبيته تعالى ، والتى أشير

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اليها فى قوله تعالى : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » وفصلت على عدة وجوه فى عدة آيات كقوله تعالى : « فلينظر الإنسانُ مم خلق ؟ خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب » وكقوله عز وجل : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة عَلَقة فخلقنا العلقة مُضْغَة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين » وكذلك فى قوله جل وجهه : « أفرأيتم ما تُمْنُون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » ثم امتنانه عليهم فى تيسير غذائهم : طعامهم وشرابهم ، كما فى قوله تعالى : « أفرأيتم ما تحرُثون ؟ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » « أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزْن أم نحن المنزلون » وكقوله تعالى : « فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضباً وزيتونا ونخلا وحدائق غُلْباً وفاكهة وأباً متاعا لكم ولأنعامكم » .

فهل بعد هذه الآيات التى بثها عز وجل فى نفوس بنى آدم من أصل تكوينهم وحالة استمرار وجودهم ، مما فصله تعالى فى كتابه لهم ، ومما تركه لمجال أنظارهم بعد ما حثهم على التأمل فى مجارى أحوالهم ، يبقى واحد بلا آية دالة على أن ربه الذى خلقه يجب أن يذعن له بالطاعة ويسلمه جميع أمره ؟ من ذا الذى يمده بالأنفاس التى لا غنى له عنها لحظة من اللحظات ؟ من ذا الذى يبقى دقات قلبه منتظمات متواليات ترسل عنصر الحياة الى جميع أعضائه على نظام لا يدرى كنهه ، ولا يعرف وجهه ؟ من ذا الذى يسعفه كل لحظة بغدد تفرز له مادة لا بد منها فى صلاحية غذائه للاغتذاء بدل أن يبقى كتلة فى معدته فلا تمتص أعضاؤه منه ما يصلح له ؟ من ذا الذى ركب فيه أجهزة متقنة يقوم كل جهاز منها بما هيىء له من الإحساس والحركة والتنفس وغير ذلك ؟ من ذا الذى وهبه العقل الغريزى يدرك به ما ينفعه وما يضره ، ويميز الحسن من القبيح

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والخبيث من الطيب ؟ من ذا الذى سخر له هـذا العالم ومكنه من الانتفاع بكنوزه ودفعه لاستغلال خيراته فى مصلحته ؟

أما إنه قـد وضع فى الانسان من جلىّ الآيات ما يربو على آيات قـوم موسى من نتق الجبل وفلق البحر وغيرها ، ولا يتوقف على إجالة النظر وتنبيه الفكر . وإن الانسان ليلمح هذا من نفسه ويعترف به طوعا أو كرها ؛ ومن تعاصى على النظر فى حال الرخاء فهو البتة شاعر به حال الشدة . وأى مخلوق يسلم فى هـذه الحياة من تداول حالى الشدة والرخاء ، والسعادة والشقاء ، والصحة والمرض ، والإقامة والسفر ؟ فهو إن لم يلجأ الى ربه الذى يشعر بربوبيته من أعماق قلبه ويجده فى قرارة نفسه ، إن لم يلجأ اليه اختيارا فهو لا بد لاجىء اليه اضطرارا « وإذا مس الإنسان الضرُّ دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما » .

ففى الحق إن الانسان شاهد على نفسه بما فطر عليه وما أودع فيه أن ربه الله ، فقد أشهده الله على نفسه من يوم أن أخذ ذرية من ظهر أبيه وأشعره بوجود نفسه ألست بربك الله ؟ قال : بلى . وقوله تعالى : « شهدنا » من تتمة كلام الذرية ، أى شهدنا على أنفسنا ، أو شهدنا هـذه الحالة فى أنفسنا وقلنا بلسان حالنا بحسب ما شهدنا ورأيناه رأى الشهود والمعاينة . وقوله تعالى : «أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين» فى موضع التعليل لأشهدهم على أنفسهم ، أى أشهدهم حالتهم واستخلص منهم شهادتهم على أنفسهم لكيلا يقولوا يوم القيامة قد أخذنا على غرة وكنا فى غفلة من هذا .

ولقد اقتضت رحمته وهو أرحم الراحمين أن لا يدعهم ومجرد عقولهم ويؤاخذهم بمجرد ما ركب فى فطرهم ، بل رحمهم بإرسال الرسل اليهم منبهين ، مبشرين ومنذرين ، معلمين وهادين ، مرشدين ومربين ، لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وقال عز وجل : « وما كنا معذِّبين حتى نبعث رسولا » ، ولو شاء أن يأخذهم بمجرد ما أودع فى فطرهم ، وأن يطالبهم بالعمل بما تقضى به بصيرتهم وسليم عقولهم ، ما كان فى ذلك ظالما ولا قامت عليه حجة ، فكيف وقد قوى العقل ، وأرشده بالآيات

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

البينات على أيدى الرسل عليهم الصلاة والسلام فدعوهم الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ؟

وكما قطع عليهم طريق الاحتجاج بالغفلة فى الدنيا سدّ عليهم طريق التمسح بالآباء واعتلالهم بأنهم كانوا ذرية ضعفاء نشأوا فى حجر آباء مشركين جهلاء ، فلهم العذر إذ سرى الشرك من آبائهم اليهم . أجل : سد فى وجوههم هذا الطريق أيضا بما بيّن من أن آية كل امرئ منهم فى نفسه ، لا يحتاج الى أن يستمدها من أبيه أو جده ، فكل امرئ على نفسه بصيرة ، وقد وهب من العقل والتمييز ما يستطيع التأمل به والتفكير ، كما أنه يرى ويسمع ويحس بدون وساطة أحد من آبائه ، فلا عذر لأحد فى تقليد أحد لا أب ولا جد « أوَلو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ؟ » فهذا هو قوله تعالى : « أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » . أى جعل الله فى كل امرئ من ذرية بنى آدم آية فى نفسه وأشهده على نفسه بما فطره عليه أن ربه الله فشهد واعترف حتى تقوم عليه الحجة ، فلا سبيل له أن يقول: لقد كنت فى غفلة من هذا ، فقد كشف الله غطاءه بما نبهه به على لسان رسله ، ولا سبيل له أن يقول : « لم يكن الشرك منى وإنما كان من أبى وجدى ، فهم الذين أشركوا ، ولقد نبتّ بين أيديهم ذرية ضعيفة فلقنوا ما درجوا عليه ، فهم المبطلون ولا ذنب لى » . نعم ليس له أن يعتل بهم ، فإنه قد أوتى من البصر والبصيرة ، ومن بث الآيات فى نفسه وفى الآفاق حوله ، ما يستغنى به عن اللجأ الى أحد ، فقد ترك الطريق السوى الذى بُصِّر به ، واتبع طريق الغى الذى حذر منه ، فحقت عليه كلمة العذاب التى استوجبها لنفسه بنفسه ، كما حقت على آبائه من قبله ؛ فالنهج واضح ، والأعلام قائمة ، والآيات بينة ، وقد تبين الرشد من الغى .

فكلمة إنما للحصر ، ومعناها أن الذين أشركوا إنما هم الآباء ، وأما نحن فقد قالوا إنا ولنا العذر فى أننا كنا ذرية ضعفاء أمامهم ، فلعبوا بعقولنا وأضلونا السبيل . فقولهم :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أفتهلكنا بما فعل المبطلون ، حجة لهم داحضة ، فقد أهلكوا بما فعلوا ، وأغمضوا عيون عقولهم عن النور الذى وُهبوا ، فاستحقوا جزاء ما كسبوا .

وأما الطريق الثانى فى تفسير هذه الآية الكريمة ،وهوما عليه المتقدمون من المفسرين وأهل الأثر ، فقد روى ابن جرير وغيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أول ما أهبط الله آدم مسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو بارئها الى أن تقوم الساعة ، ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى . وكذلك روى عنه أنه قال : لما خلق الله آدم أخذ ذريته من ظهره مثل الذر فقبض قبضتين فقال لأصحاب اليمين : ادخلوا الجنة بسلام ، وقال للآخرين: ادخلوا النار ولا أبالى . وفى رواية عنه : لما خلق آدم أخذ ميثاقه أنه ربه ، وكتب أجله ومصائبه ، واستخرج ذريته كالذر ، وأخذ ميثاقهم ، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم . وكذلك روى الطبرى عن الضحاك ابن مزاحم أنه مات له ابن لستة أيام من ولادته فقال: ياجابر: إذا أنت وضعت ابنى فى لحده فأبرز وجهه وحل عنه عقده فإن ابنى مجلس ومسئول ، ففعلت الذى أمرنى ، فلما فرغت قلت : يرحمك الله عم يسأل ابنك ؟ قال : يسأل عن الميثاق الذى أقرّ به فى صلب آدم عليه السلام . فقلت: وما هذا الميثاق الذى أقر به فى صلب آدم ؟ قال : حدثنى ابن عباس أن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة ، وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الميثاق الأول ، ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن هذه الآية «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم» فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أهل النار يعملون » فقال رجل : يارسول الله ففيم العمل ؟ قال : إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار .

وروى عن أبيّ بن كعب قال : جمعهم يوم القيامة جميعا ما هو كائن الى يوم القيامة ثم استنطقهم وأخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ، قال : فإنى أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا ، اعلموا أنه لا إله غيرى ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيئا ، وسأرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى ، وسأنزل عليكم كتبى ، قالوا : شهدنا أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك ، فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع عليهم أباهم آدم فنظر إليهم فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال : رب لولا سويت بينهم ، قال : فانى أحب أن أشكر . قال : وفيهم الأنبياء عليهم السلام يومئذ مثل السرج . وخص الأنبياء بميثاق آخر : قال الله : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » . وهو الذى يقول تعالى ذكره : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » . وفى ذلك قال : « هذا نذير من النذر الأولى » يقول : أخذنا ميثاقه مع النذر الأولى . ومن ذلك قوله : « وما وجدنا لأكثرهم من عهدٍ وإنْ وجدنا أكثرَهم لفاسقين . ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها » قال كان فى علمه يوم أقروا به من يصدق ومن يكذب . الى غير ذلك من روايات أطال فيها ابن جرير وغيره . ولقد سقنا منها طائفة كبيرة لنطلعك على كثرة الروايات فى هذا المعنى ، وفى كثرتها ما يشهد بقوتها .

وهذا يعطى أن الآية تشير الى قصة سابقة على وجودنا هذا المشاهد ، وأن المقصود منها تذكيرنا بعهد أقررنا به حتى يكون حجة علينا فى دار التكليف ، وليكون باعثا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لنفوسنا على الانقياد الى ما شرع الله لنا ، ولا سيما أنا قد سبق منا الإقرار بمقتضاه وعلمنا هذا الإقرار من أخبار رسل الله المصدقين من الله .

وقد اعترض المتأخرون على هذا الطريق ، وهم الذين سلكوا الطريق الأول ، بعدة وجوه ، منها قوى وجيه ، ومنها ضعيف سخيف ، وهى كلها ضعيفها وقويها لا تبطل الطريق الثانى كما سيظهر لك من سردها مع الجواب عنها وردها . وإن كان الطريق الأول واضح المحجة بيّن الحجة كما رأيت فيما سبق . لكن هذا لا يدل على بطلان غيره . كيف وقد درج عليه أكثر متقدمى المفسرين . ولا يمتنع أن تدل الآية على عدة معان كلها سائغ صحيح .

(١) قالوا : إن نص الآية «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم» ولم يقل من آدم من ظهره ، فلو كان المعنى كما قلتم لكان الظاهر فى التعبير من آدم من ظهره . وجوابه أن أخذ الذرية من آدم منه ما هو مباشرة وهو أخذ ذريته لصلبه ، ومنه ما هو بواسطة بعضهم وهو أخذ أبناء ذريته . والآية لما سيقت لبيان قيام الحجة على الحاضرين وقت نزولها وهم من ذرية الأبناء عبر بما ينطبق عليهم انطباقاً أولياً ، والحديث لما كان لتفصيل واقعة تشير اليها الآية غير معلومة لهم تعرض لبيان الحالة بتمامها . وعلى ذلك يكون الأخذ قد حصل من ظهر آدم لأبنائه ثم تسلسل منهم الى أبنائهم وأبناء أبنائهم وهلم جرا .

ومن هذا تأخذ جواب اعتراض آخر ، وهو أنهم قالوا فى اعتذارهم : إنما أشرك آباؤنا من قبل . وهذا القول لا ينطبق على آدم عليه السلام فلم يكن منه شرك وحاشاه ، ولم يكن آباء بل أب واحد . فإن هذا معلوم الدفع مما سبق ، إذ الآية واردة أصالة حجة على المتأخرين من أبناء الذرية ، وقد سبق من آبائهم الشرك ؛ وهذا لا ينفى إشارتها الى قصة تامة فصلها الحديث المروى ؛ وليس بلازم أن يصدر هذا القول من جميع المخاطبين ، وإنما صدوره ممن كان منهم الغفلة والشرك . وإنك إذا عرفت أن طبيعة الشرك قد تنشأ من عدم فهم المتأخرين مقاصد آبائهم المتقدمين كما روى أن بعض من عبده المتأخرون كانوا قوما

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

صالحين قام من شاهدوهم لهم بحق التعظيم فحسبه من تأخر من أبنائهم عبادة ، فهمت أن قولهم : إنما أشرك آباؤنا من قبل ، قد يكون من ظنهم هذا فى آبائهم ، إذ حملوا ما صدر من آبائهم على العبادة مع أنه لم يكن سوى تعظيم ودعاء لهم .

(٢) وقالوا إن هذا الميثاق لا نعلمه من أنفسنا اليوم ولا نشعر به فكيف يؤخذ حجة علينا فى هذه الدار دار التكليف ؟ وأيضا لو كان قد حصل لكان منا من يذكره ولا أحد يجد من نفسه ما يشهد بهذا ، وقد أبطلنا التناسخ بمثل هذا الدليل ، إذ قلنا : لو كانت الأرواح سبق لها وجود فى أبدان أخر ثم تناسخت وحلت فى هذه الأبدان لذكرنا ما كان منا فى تلك الدورات الماضية ، فلو كانت هذه القصة صحيحة للزم صحة القول بالتناسخ قياسا عليها . وأيضا فالمقصود من ذلك الميثاق إن كان إقامة الحجة عليهم فى ذلك اليوم ، لزم أن تكون تلك الحال السابقة حال تكليف ولا قائل به ؛ وإن كان إقامة الحجة عليهم فى هذه الدار ، فمحل ذلك لو كانوا يشهدونها ولا شهود لهم بها . على أن لهم أن يعتذروا بأن الله منحنا شهودا علمنا به يومئذ وسلب منا ذلك الشهود فى هذه الدار فلم نستطع الإقرار .

وجوابه أن المقصود من هذا الميثاق أن يكون حجة عليهم فى هذه الدار ؛ وقولهم إنا لم نشهده من أنفسنا حتى تقوم علينا به الحجة ، ساقط ، فإنهم قد ركب فيهم من الأدلة الناصعة والآيات الساطعة مالو تفكروا أقل تفكير خال عن الغواية والعماية لشهدوا اليوم بما شهدوا به يومئذ . ولقد زادهم على ذلك أن أرسل اليهم رسلا ينبئونهم بما كان منهم ويرشدونهم الى طريق التفكير الصحيح والاستدلال المنتج ، ولكنهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ، فتكون حجتهم على ربهم داحضة ، ومعذرتهم ساقطة ، ولله الحجة البالغة . وأما أنهم لو كانوا قد أخذ عليهم ذلك الميثاق لذكروه وأن هذا الدليل هو الذى يبطل القول بالتناسخ فساقط أيضا ، لأنه لا يلزم أن كل ما حصل للمرء فى حياته يكون مذكورا له . وها نحن أولاء يجرى لنا فى عهد الطفولة الأولى مالا يحصى من الحوادث الجسام ولا نذكر منها شيئا مع

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

اتصال الحياة وقرب الزمان ، فكيف بهذا الحادث القديم الزمان ؛ وبطلان التناسخ ليس موقوفا على هذا الدليل . وخلاصة ذلك أن هذا حصل و بقى منه ما فى فطرة الانسان من كمال التدبير والصنع العجيب الذى يلجئه الى الاعتراف بربه ، وقد تقوى بإرشاد الأنبياء والرسل الى طريق استعمال الفكر ، ثم بأخبارهم وهم مصدقون من ربهم بوقوع هذه الحادثة ليكون الانسان من نفسه على نفسه شاهد .

(٣) وأما قولهم إن الذر لو أخذ فى وقت واحد لضاق به الفضاء ، فمن الاعتراضات الواهية ، فإن ملكه لا يضيق بخلقه . وكذلك قولهم إن العقل لا يكون إلا بحياة ولا حياة إلا ببنية فكيف وسع ظهر آدم هذه الذرارى كلها ، فهو أوهى مما سبقه ، فإن العقل والفهم يعطيه الله لأصغر الأشياء أو لأكبرها وهو القادر المختار . والعجيب أن يحكم مثل هذا على عقول بعض القاصرين وهم يصدقون أن فى النطفة التى يكون منها التخليق حيوانا صغيرا قد يحمل معه مكروب مرض وراثى ينتقل من الآباء الى الأبناء ، وربما كان انتقاله من الأجداد الى الأحفاد ولا تظهر له أعراض فى الوسائط من الآباء ! فتبارك الله يخلق ما يشاء ! .

والخلاصة أن الآية دالة صريحا على ما أودعه الله فى فطرة الناس من آيات تدل على أنهم مربوبون لرب عليم حكيم ، قادر قاهر ، يجب عليهم أن يخضعوا له ، وأن يدينوا بدينه الذى أرسل اليهم به الرسل مبشرين ومنذرين ، وأيدهم بما يدل على تصديقه لهم ، فعليهم أن يطيعوهم فيما بلغوهم عن ربهم « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

وهى مع ذلك تشير الى ما كان من قصة أخذ الميثاق المعروف فى ألسنة المحدثين (بيوم ألست بربكم) . ودلالتها على المعنى الأول لا تنفى إشارتها الى المعنى الثانى . وحيث جاز وكثرت الطرق فى روايته فلا وجه لرده .

نسأل الله أن ينقى قلوبنا من الزيغ ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ؛ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

ابراهيم الجبالى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المحبة وأنواعها وبعض آثارها الجليلة

« لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا » .

المحبة : ينبئك عنها قلبك أكثر مما تنبئك عنها الحدود والرسوم ؛ والشيء إنما يحد لخفائه واستتاره كي يظهر ويتبين ؛ فإذا كان الشيء ظاهرا جليا يعرفه جميع العقلاء لم يحتج الى حد . المحبة : سر الله المخزون الذى تشفى به جميع الأدواء القومية ، والترياق الذى تذهب به سموم الأمراض الاجتماعية . المحبة هى أنجع وسيلة لاقتلاع الشرور من النفوس ، وإبادة أنواع التفنن فيها من العالم البشرى . وإذا تأكدت بين قوم أحلتهم محل الصفاء ، وسارت بهم أسرع ما يكون فى طريق الارتقاء ، ونقلتهم الى دائرة الأسرة الواحدة ، فكانوا كالجسم الواحد إذا تألم منه عضو تألم له سائر الجسد .

لو تمّت المحبة بين الناس لما رأيت دما يسفك ، ولا عرضا يهتك ، ولا مالاً يسرق ؛ ولما رأيت المحاكم الأهلية كالأسواق مزدحمة بكل أنواع القضايا ، ولا وجدت المحاكم الشرعية مكتظة بدعاوى الأقارب لميراثهم والزوجات لنفقاتهن .

لو تمت المحبة بين الناس لبات كل إنسان بين أسرته على أتم ما يكون من الصفاء وأكبر ما يتصور من النعيم ؛ ولكان عيش الناس فى الدنيا أشبه شيء بعيش أهل الجنة فى الجنة . وأظنك كثيرا ما تحركت منك الغبطة عند ما ترى ما بين الأسرة الفقيرة من المحبة التى جعلتهم يتقلبون فى الهناء[1] ولا يحسون بالشقاء .

---

(١) اشتهر فى هذه الأيام التى كثر فيها الاجتهاد وشغف الناس فيها بالانتقاد أن الواجب أن يقال هناءة لا هناء . وهذا من قصور الاطلاع . ففى كتاب الهمز لأبى زيد الأنصارى المطبوع ببيروت صفحة ٢٥ ما يفيد صحة ذلك وروده . وكذلك فى كتاب الفلك المشحون ليونس المكى المتوفى فى القرن الثامن صفحة ١٦٣ ما يفيد ذلك ايضا . ومثل هذا قول الأديب الكبير ابن نباته :

هناء محا ذاك العزاء المقدما   فما عبس المحزون حتى تبسما

وقول إمام العربية محمد بن مالك فى حروف الزيادة ذلك البيت المشهور :

هناء وتسليم تلا يوم انسه   نهاية مسئول امان وتسهيل

وهو الذى قال إنى قرأت صحاح الجوهرى كله فلم أستفد منه غير كلمتين فقط . فانظر الى هذا والى ذلك التشدق الذى يكثر منه أولئك المتفيهقون !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لو تمت المحبة بين الناس لتمت بينهم الرحمة : فانتفع الضعيف بالقوى ، والفقير بالغنى ، والصغير بالكبير ، والصعلوك بالأمير ، وامتلأت الأرض خيرا وبركة .

وإجمال القول فى المحبة بعد ذلك كله أنه لولا الحب لم يتم نعيم لمتنعم . وكيف ينعم الانسان بغير ما يحب . ولهذا ترى المغنين لا يكادون يغنون إلا بما يكون فيه ذكر الحب والمحبين ، ولا يجد الانسان سلوة لنفسه ولا نعيما بقلبه إلا بتلك الذكريات اللذيذة والأوقات السالفة التى قضاها فيما يحب ومع من يحب .

وبالجملة فراحة الانسان وسرور نفسه وبهجة روحه لا تكون إلا لذكر الحب ، وشرح الكامن فى الفؤاد المثير للعواطف ، مما له سلطان فوق العقل وسرٌّ يدق عن التعبير .

لهذا كله لم يرد فى الكتاب والسنة من الحث على شىء مثل ما ورد فى المحبة ، علما منه صلى الله عليه وسلم بأنها أساس الخير وجماع الفضائل حتى جعلها شرطا فى الإيمان ، فقال : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا » . رواه مسلم .

فانظر كيف جعلها شرطا فى الايمان ولم يكتف بذلك حتى أقسم عليه صلى الله عليه وسلم .

وقد ورد فى الحث على المحبة والتحذير من التشاحن والتفرق ما لا يكاد يحصى . (وستسمع شيئا من ذلك) . وكأنه مرمى الدين الذى لا يريد غيره .

وقد جاء فى الصحيح : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » .

وقال تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » . وقال : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفَرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » . وقال مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم مذكرا إياه تلك المنة الكبرى : « فإنّ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » .

وقد أثنى على قوم بقوله عز وجل : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم » وقال : « لا خيرَ فى كثيرٍ من نجْواهم إلا من أمَر بصدقة أومعروفٍ أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » . وقد أُمِرْنا بلين الكلام وإفشاء السلام ، ونهينا عن الخصام فوق ثلاثة أيام .

وقد جاء كل ذلك طلبا للمحبة ومحافظة على مباديها ، رجاء أن تنتهى بالناس الى غايتها فيزول عنهم الشقاء وتتم لهم السعادة . فإن استطعت أن تبيت وليس فى قلبك بغض لأحد فافعل . أزل ما فى قلبك من الحقد للناس كافة ، وتودد إليهم ليصفو عيشك وتطيب حياتك .

تحبب الى جيرانك وأقاربك بقدر ما يمكنك ، وابذل الوسع فى ذلك . (وأصل الحب التحابب) . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . أخرجه البخارى ومسلم . « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن : قيل : من يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه » . رواه البخارى ومسلم . وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره ؛ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ؛ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت» . رواه مسلم .

صالح أعداءك ، وأرح نفسك من عناء الفكر ، وقلبك من تدبير السوء ، واربأ بعمرك العزيز أن تصرفه فى طرق العناد وأسباب الفساد .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « أربعٌ مَن كنّ فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » رواه البخارى ومسلم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اسباب المحبة

المحبة : مركوزة فى النفوس ، ولا نعيم للقلوب إلا بها ، حتى إن من ليس له محبوب مخصوص تراه عند سماع النغمات أو هبوب النسيم يئن أنينا ويحن حنينا ، وربما بكى تلهفا أو سرورا إذا كان رفيع الاستعداد رقيق الفؤاد .

وهذا النعيم الذى يجده ، وتلك اللذة التى يشعر بها ، ليس منشؤها التذاذاً بالأصوات واستحسانا للنغمات ، بل من أجل أن ذلك حرك من نفسه ساكنا وهيج كامنا ، وإن كان لا يدرى الى أى شىء يحن أو لماذا يئن ؛ ولكنه مقتضى الغريزة الانسانية والحكمة الربانية . وليس بلازم أن نأتى على كل ما فى الأمر من سر . فيمكنك أن تهيج تلك الغريزة من نفسك ، فإن أصل الحب التحابب . ولهذا نَدَبنا الدين الحنيف لكل ما عسى أن يكون وسيلة لذلك من زيارة بعضنا بعضا ، ومودة بعضنا بعضا ، وإهداء بعضنا بعضا ، ومصافحة بعضنا بعضا ، الى غير ذلك مما جاء فى السنة .

وقد قالوا : إن العشق فى أول أمره يكون اختياريا ثم يصير اضطراريا ؛ فهو بمنزلة الشراب تستطيع أن تشرب وألا تشرب ، ولكن لا تستطيع بعدُ ألا تسكر . ولعلك عاينت من الأسباب التى استعملتها لتحبيب بعض القلوب إليك شيئا كثيرا .

وأما الأسباب الطبيعية للمحبة ، فأقواها التناسب بين الأرواح ، فإنها جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف . كما فى الحديث . وعلى قدر ذلك التناسب يكون الحب ، وما حُشر المرء مع من أحب إلا لكونهما من واد واحد . ولهذا السبب قد تتعجب من محبة بعض الناس لبعض على غير معنى فيه ، غافلا عن هذا التشاكل الروحانى الذى هو أقوى الأسباب وإن كان أخفاها ، وهو السبب الذى لا يلحقه زوال ولا يعتريه اضمحلال ؛ وصاحبه هو المحبوب لذاته لا لعلة ولا غرض .

وأما من أحبك لإحسانك إليه — والاحسان من أسباب المحبة — فقد تتغير محبته

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إذا انقطع إحسانك عنه. وربما عاداك وأضرك إذا وجد فى ذلك فائدة أكبر وثمرة أعظم متى كان خبيث الطبع لئيم النفس، لأنه ما أحبك إلا لغرضه، فهو مع الغرض حيث كان. ومحبة الأزواج والأصحاب تارة تكون من قبيل المحبة التى للأغراض وقضاء المآرب وتبادل المنافع وكثرة الفوائد، وهى المحبة التى لا تدوم؛ وتارة تكون المناسبة بين النفوس، فلا تزداد على مر الأيام وكثرة الحوادث إلا قوة ومتانة. وهذا مما ينبغى الالتفات إليه جدا فيما بين الزوجين حتى تكون بينهما ألفة طبيعية ومحبة ذاتية، فلا يتطرق إليها انصداع ولا يلحقها انقطاع، وإلا تعاملوا معاملة التجار اللئام، وذهبوا الى المحاكم بعد قليل من الأيام.

ومما يلتحق بسبب التشاكل الذى شرحناه ما تراه من ميل الصانع الى الصانع، والزارع الى الزارع، حتى إن السارق يرتاح للسارق، والفاسق يرتاح الى الفاسق، لما بينهما من الصفات المشتركة. (شبيه الشىء منجذب إليه)، بل ذلك فى غير أفراد الانسان.

وقد قالوا: «إن الطيور على أشكالها تقع» وإن كان كثيرا ما يفرّق بينهم تنازع البقاء، فيوقعهم فى الشحناء والبغضاء. وأكثر الأسباب الواقعة بين الناس ما دعا اليه الغرض واقتضته الحاجة، حتى قال أبو حيان النحوى:

لا ترجونّ دوام الخير من أحد فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظن امرأً أسدى اليك يدا من أجل ذاتك بل أسداه للغرض

ولهذا لا تكاد ترى محبة صادقة، غاية الأمر أن صاحب النفس الشريفة لا ينسى ودًّا، ولا ينقض عهدا، ولكنه كثيرا ما يفعل ذلك بمقتضى إحساسه الشريف، ومروءته الفاضلة، لا بمقتضى الألفة والمحبة.

وأهل تلك المحبة التى غايتها المنفعة الشخصية أكثر المحبين توددا اليك، وترددا عليك، ومسارعة الى امتثال أوامرك، ولو كلفتهم نقل الصخور أو نطل البحور، ما دامت اليك حاجاتهم ولديك غاياتهم، حتى يخيل لك فى تلك الأيام أنك ظفرت بأعظم الناس نفعا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأرقهم طبعا ، فإذا ظفروا بما أرادوه منك ولم يتوهموا لديك شيئا يعود عليهم ، طاروا من حولك طيران الذباب الى من يبتغون عنده حاجتهم ، حتى إذا نالوا منه بغيتهم فعلوا فعلتهم . فعلى من يريد اتخاذ الأصدقاء أن يبحث عن جوهر النفوس وما لها من الصفات الذاتية والاستعدادات الطبيعية ، ولا يغتر بتلك الألوان البراقة التى يظهر بها الانسان على حسب الحاجة ، فإنه فى ذلك أبرع من الحرباء وأروغ من الثعلب (والانسان مجمع العجائب والغرائب ، ومظهر المتضادات والمتناقضات) .

هذا ومن أسباب المحبة الجمال الظاهرى أو الباطنى ، وبهذا السبب قد أحببنا الأزهار والأطيار ، والصور الجميلة والنقوش البديعة ، فإن الجمال لا يختص بنوع الانسان أو جنس الحيوان ، بل جمال كل شىء فى أن يصل الى كماله الذى يراد منه ، وغايته الممكنة له ، والجمال محبوب بالطبع لذاته ، ولهذا السبب بعينه قد أحببنا الكرماء والفضلاء والعلماء . وإياك أن تكون ممن يقصر الحب على الجمال الحسى والحسن الظاهرى ، فتنكر محبة الله تعالى حبا وجدانيا ذوقيا ، فتكون من العامة لا من الخاصة الذين فهموا قوله تعالى : « يُحِبُّهم ويحبونه » حق الفهم فلم يحتاجوا فيه الى تجوز ولا تأويل .

على أن ذلك غريزة فى الإنسان وإن كانت تحتاج الى التهييج فى بعض الناس الذين لم تفسد إنسانيتهم بالكلية . وإن الذى تجده من محبة العامة لعنترة وغيره من الشجعان ، وتفانى بعض الناس فى محبة بعض العلماء والعظماء ، وارتياح النفس والتذاذها بسماع أخبار سيدنا عمر بن الخطاب فى عدله ، أو سيدنا على بن أبى طالب فى شجاعته وعلمه وسرعة بديهته وقوة حجته ، أو أخبار السموءل فى وفائه ، أو حاتم الطائى فى سخائه ، ليس إلا بمقتضى تلك الغريزة التى تُفضِّل الجمال المعنوى على الجمال الحسى .

هذا وقد رأينا أن نسمعك بعض ما جاء فى السنة مما يناسب هذا الموضوع ، فنقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يرحم الناس لا يرحمه الله » . رواه البخارى ومسلم . وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منّا من لم يوقر الكبير ، ويرحم الصغير ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويأمر بالمعروف ، وينه عن المنكر » . رواه أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه .
وقال صلى الله عليه وسلم : « طوبى لمن تواضع فى غير منقصة ، وذل فى نفسه من غير مسألة ، وأنفق مالاً جمعه فى غير معصية ، ورحم أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة » . رواه الطبرانى .

« لا تنزع الرحمة إلا من شقى » . رواه أبو داود واللفظ له ، والترمذى وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى : حديث حسن .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك ، سره الله عز وجل يوم القيامة » رواه الطبرانى فى الصغير بإسناد حسن .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم تقبّلون الصبيان وما نقبّلهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك » . رواه البخارى ومسلم .

« دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض » رواه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دنا رجل الى بئر فنزل فشرب منها وعلى البئر كلب يلهث ، فرحمه : فنزع أحد خفيه فسقاه ، فشكر الله له فأدخله الجنة » . رواه ابن حبان فى صحيحه .

« من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » رواه مسلم .

« لا يستر عبد عبدا فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » . رواه مسلم .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بصوت رفيع فقال : « يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان الى قلبه : لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله » :

ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال : « ما أعظمك وما أعظم حرمتك : والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك » . رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليعمر بالقوم الديار ويثمر لهم الأموال ، وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضاً لهم . قيل وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : بصلتهم أرحامهم » رواه الحاكم والطبرانى بإسناد حسن .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : « أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير : أوصانى ألا أنظر الى من هو فوقى وأن أنظر الى من هو دونى ؛ وأوصانى بحب المساكين والدنو منهم ؛ وأوصانى أن أصل رحمى وإن أدبرت ؛ وأوصانى ألا أخاف فى الله لومة لائم ؛ وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مرا ؛ وأوصانى أن أكثر من « لا حول ولا قوة إلا بالله » فإنها كنز من كنوز الجنة » . رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه واللفظ له .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكونوا إمعة : تقولون : إن أحسنَ الناس أحسنّا وإن أساء الناس أسأنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا ألا تظلموا » رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

وعن أبى بكرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة : من البغى وقطيعة الرحم » . رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، رفعه ، قال : « الطابع معلق بقائمة العرش ، فإذا

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

اشتكت الرحم ، وعمل بالمعاصى ، واجترئ على الله ، بعث الله الطابع فيطبع على القلب فلا يعقل بعد ذلك شيئا » . رواه البيهقى والبزار واللفظ له .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تبارك وتعالى : « وجبت محبتى للمتحابّين فىّ وللمتجالسين فىّ وللمتزاورين فىّ والمتباذلين فىّ » . رواه مالك بإسناد صحيح . وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايزال الله فى حاجة العبد ما دام فى حاجة أخيه » . رواه الطبرانى ورواته ثقات .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ؛ ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » . رواه مالك والبخارى وأبو داود والترمذى والنسائى .

وعن أبى موسى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « على كل مسلم صدقة . قيل : أرأيت إن لم يجد . قال : يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق . قال : أرأيت إن لم يستطع . قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قال: قيل له: أرأيت إن لم يستطع . قال : يأمر بالمعروف ، أو الخير . قال : أرأيت إن لم يفعل . قال : يمسك عن الشر فإنه له صدقة » . رواه البخارى ومسلم .

وسنعود للموضوع مرة أخرى ، إن شاء الله ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

حسن البديهة

دخل المأمون يوما ديوان الانشاء فلقى غلاما صبيح الوجه مليح الطلعة قد وضع قلمه فوق أذنه فقال : من أنت ؟ فقال : أنا الناشئ فى دولتك ، المتقلب فى نعمتك ، المؤمل فى خدمتك : الحسن بن رجاء .

فقال المأمون : بحسن البديهة تتفاضل العقول ، ارفعوا هذا فوق مقامه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حكم العلم على الفلسفة المادية

كتبنا مرارا فى سقوط المذهب المادى وتدهوره الى الحضيض ، وصورنا بعض المعارك التى حدثت بينه وبين أركان العلم فى العالم الغربى ، ونرى أن الواجب يدعونا الى متابعة الكشف والإيضاح عن هذه المعارك الفلسفية ، فإن الدين فى العصر الحاضر لا يخدم بأحسن من دحض هذا المذهب الذى كان له يوما ما رواج لدى بعض العقول فتخيلوه من العلم وما هو منه فى كثير ولا قليل .

راج المذهب المادى فى الثلاثة القرون السابقة على القرن العشرين رواجا عظيما ، وبلغ أوج سلطانه فى القرن التاسع عشر بعد ظهور مذهب لامارك ومذهب دارون فى تعليل وجود الأنواع الحية . ولما دالت دولة هذين المذهبين بتوالى النقد العلمى عليهما ، كما بينا ذلك فى مقالات عديدة هنا ، أصيب المذهب المادى فى أحصن معاقله ، فانكشف لخصومه وجها لوجه ، فلم يثبت أمامهم . فإن صادفت له اليوم شيعة ، فإنما هى فلول تفرقت هنا وهناك ، ولم تبق لها دولة فى أية بيئة من بيئات العلم .

واليوم نأتى على أقوال فى مكافحة المذهب المادى منقولة من كتاب (قواعد الفلسفة الطبيعية) Les bases de la philosophie naturaliote للأستاذ (أندريه كريسون) André Cresson مدرس الفلسفة بجامعة ليون بفرنسا . قال تحت عنوان (الحياة والعلم) :

« لنتأمل فى كائن حى سواء أكان نباتا أم حيوانا يكون تركيبه على شىء من الدقة : فهل يدل مظهره على أنه من عمل طبيعة آلية غير مدركة ؟ إن تركيبه ليدل على غير هذا ، بل يدل على أنه إبداع صانع حكيم فكر فيه وأوجده : : كذلك كل ظواهر الحياة تلوح لرائيها من أول وهلة أنها ظواهر قصدت منها غايات معينة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« فتأمل فى الأعضاء المختلفة التى تعمل فى هضم الأغذية لدى أحد الحيوانات الثديية من الرتب العالية ، ترها قد ركبت بتناسب دقيق ، وحساب مقدر ، بحيث تتكافل كلها فى إنتاج عملها الخاص بها .

« وإذا نظرنا الى أسنان الحيوانات المجترة ظهر لنا جليا أنها وضعت ملائمة لهرس الأعشاب ، وقد جعلت لها ألسنة صالحة لالتقاطها . وإذا استجلينا معداتها وجدنا أنها قد جهزت بالأجربة الضرورية التى يستطيع الحيوان أن يملأها بالأغذية التى تكفيه ، وأن يجترها منها ثانية ليعيد مضغها فى وقت فراغه . وقد صُنعت لها الأمعاء طويلة لتتمكن من امتصاص المتحصلات الغذائية المستخلصة من المواد النباتية . وعلى هذا النحو من التناسب والتلاؤم تقوم جميع أجزاء هذا الحيوان بحيث إذا أُتينا بضرس من أضراسها أمكننا وصف سائر ما يتبعه من الأعضاء الهضمية . فهل هذا التدبير مما يعقل أن يكون إذا لم تكن قد دعت اليه الغاية التى وجدت هذه الأعضاء لأدائها ؟

« وهذا القصد الظاهر فى تكوين الكائنات يمتد الى أبعد مما ذكرنا ، فإن أعضاء أى كائن لم يخلق بعضها مناسبا للبعض الآخر فحسب ، ولكن قصد منها أيضا أن تحقق حفظ الأفراد وأنواعها فى بيئة معينة أُريد أن تكون على حالة مقصودة .

« تأمل فى تركيب طائر جارح : أفلا تجد تركيبه قائما على الحالة التى يتخيلها فنان عالى الكعب فى الصناعة ؟ إذ تجد أنه قد أوتى عظاما خفيفة وعلى جانب عظيم من الصلابة فى وقت معا ، وترى له أجنحة واسعة وريشا قويا تسمح له بالطيران والسبح فى الهواء بسرعة ، ومنقارا يصلح لتمزيق اللحم ، وباصرتين ثاقبتين تكتشف الفريسة من بعد شاسع ، أفلم تجعل كل هذه الأعضاء بقصد أن تسمح لهذا الطائر أن يعيش على النحو الذى يعيش عليه منذ وُجد ؟ إننا لنشاهد هذه الأمور عينها لو عنينا بدراسة سمكة مفلطحة من جنس (السول) أو حيوانا يعيش فى الماء واليابسة كالفقمة أو نباتا متسلقا كاللبلاب .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« وقصد المبدع الحكيم يظهر فى الكائنات على أجلى ما يكون إذا درست الأعضاء التناسلية . فإن كل كائن حى مجهز بالأعضاء الضرورية التى تمكنه من إكثار آحاد نوعه ، ومن هذه الأعضاء ما هى فى أعلى درجات الإبداع الفنى . فترى اللبن الصالح لتغذية الصغار يتولد فى الوقت المناسب فى أثداء الأنثى من الحيوانات الثديية ، ويكون فى أول أمره خفيفا ، ثم يغلظ تدريجيا على نسبة تقدم الصغار فى السن ونسبة حاجتها لزيادة المواد المغذية .

« كذلك ترى بعض الحبوب محوطا بزوائد قطنية بحيث تصلح لأن يحملها الهواء ويدفع بها الى ناحية بعيدة لتنبت فيها .

« وهناك نباتات لا يمكن إخصابها إلا بواسطة الحشرات ، لذلك أبدع فى تركيب زهورها بحيث إن الفراشة أو النحلة التى تسقط على زهرة منها لا يمكنها أن تدلى بخرطومها الى باطنها دون أن تتحمل بشىء من طلع أعضاء ذكورتها ، فإذا انتقلت منها الى زهرة أخرى من التى تحتوى على أعضاء الأنوثة ، سقط ما على خرطومها على تلك الأعضاء فلقحتها . وقد أودعت هذه الأزهار مادة عسلية تستلذها الحشرات وتتطلبها بنهم شديد ، أفلا يعتبر هذا التدبير برهانا قاطعا على أنه لم يوجد أى عضو من هذه الأعضاء إلا لحكمة سامية ؟

« أيستطيع عاقل بعد أن يقف على كل هذه المشاهد أن يزعم بأن الكائنات الحية مخلوقات آلية لطبيعة لا تعى ولا تبصر ؟

« فلأجل أن تتجنب الفلسفة الطبيعية أن تتهم بحق بأنها خيالية ساذجة ، يجب عليها ، بشرط أن لا تلجأ لغير أصولها الأولية ، أن تفسر لنا ثلاثة أمور :

أولها — كيف تحفظ الحياة وجودها وتسرى من كل فرد الى أمثاله فى الأنواع المختلفة ؟

ثانيها — كيف تكونت هذه المجاميع العضوية متناسبة ومترابطة لغاية مقصودة ، حتى لقد دعيت هذه المجاميع بالمميزات النوعية ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ثالثها — كيف تولدت الحياة نفسها فى الطبيعة الجامدة ، وهـل يمكن تعليل تولدها بعلة معقولة ؟ »

نقول نحن : إن إجابة الماديين على هذه المسائل غير منتظرة ، وقد سئلوها من قبل فكانت إجابتهم مفككة الأوصال ، متغلغلة فى الخيال ، وليسوا هم اليوم بأحسن حالا مما كانوا عليه بالأمس . وقد سألهم الأستاذ (أندريه كريسون) عن علة تناسب الأعضاء وتكافلها فى الحيوانات ، وعن العامل فى وجودها على مقتضى أصولهم المقررة ، وبين عجزهم عن التعليل العلمى كما رأيت . فلم يبق علينا إلا أن نذكر مناقشته لهم فى مسألة نشوء الحياة ، فإليك ما قال :

« كان الفلاسفة الأقدمون لا يرون فى مسألة الحياة شيئا من الإعضال ، فقد كان كثير منهم يقبل نظرية التولد الذاتى للأحياء الدنيا بدون تحفظ ، فكان الفيلسوف اليونانى القديم (أمبيدوكل) يزعم أن الكائنات الحية تولدت من الأرض تولدا ذاتيا . وفى رأيه أن الذى تولد أولا كائنات مشوهة وأعضاء منعزلة ولم تتولد الأنواع المعروفة الآن إلا بعد هذا العهد . وكان الفيلسوف (لوكريس) اليونانى يقول إن الديدان تتولد من الوحل . وكان الرأى الشائع أن الفيران كبيرها وصغيرها تتولد فى مخازن الأطعمة تولدا ذاتيا ، وأن القمل والبراغيث تتولد على هذه القاعدة فى التراب . وهذا الرأى عينه هو الذى كان سائدا فى القرن السابع عشر .

« ولكن حدث فى القرن السابع عشر نفسه أن اعتراضا وجه الى نظرية التولد الذاتى ، فقد أثبت العالم (ريدى) بأن اللحوم التى تحمى من الذباب بواسطة قماش خفيف يوضع عليها لا تتولد عليها ديدان قط ، ولكن اللحوم التى يقع عليها الذباب ويضع عليها بويضاته تكون مرتعا لتلك الديدان . قال ريدى : وهذا يثبت أن نظرية التولد الذاتى ليست بصحيحة ، فإن الحيوانات لا تتولد إلا حيث تكون البويضات التى تتولد منها قد وضعت فيها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« فى هذا العهد ظهر (باستور) فقرر أن الحى لا يمكن أن يتولد إلا من حى وقال : إن ذرات لا تحصى من التراب تسبح على وجه الاستمرار فى الهواء ، على كل ذرة منها عدد كبير من بويضات الميكروبات . ومتى وجدت هـذه البويضات البيئة الملائمة لها فقست وتولدت منها تلك الأحياء فتأخـذ فى التكاثر على النظام المعتاد . وقـد برهن على صحة هـذا الرأى بالتجارب البالغة حـد الإتقان ، فكان يأتى بالأوانى فيطهرها على أتم ما يكون ، ثم يضع فيها مواد مختلفة معقمة أبلغ تعقيم ، وكان يعرضها للهواء غير المعقم فتتولد فيها الميكروبات ، ولكنه متى كان يعقم الأوانى ويقفلها بإحكام حتى لا يتسرب اليها الهواء ، كانت تلك المواد تمكث ما شاء الله أن تمكث دون أن تتولد فيها ميكروبات ، فإذا عاد فعرضها للهواء المشوب بالغبار تولدت فيها ميكروبات على نسبة مقادير ذلك الغبار . فظهر من هنا بالتجربة أن نظرية (بوشيه) غير صحيحة ، وأن الميكروبات لا تتولد تولدا ذاتيا ، ولكن من بويضات ميكروبات كانت عالقة بذرات ذلك الغبار . والمسألة باقية عند هـذا الحد ، ولم يشاهد قط للآن حدوث حى إلا من حى » انتهى .

ونحن نسوق هذا كله للقضاء على شبهة من أغرب شبهات الملحدين ، وهى زعمهم أن جميع الكائنات حدثت بغير قصد .

إذ ليس أبعد فى الضلال من أن يفترض مفترض أن العين على دقة آلاتها وتناسب أجزائها ، لم تخلق فى الكائنات الحية لغرض مقصود ، ولكنها لما وجدت اتفاقا بدون قصد أمكن النظر بها والاستفادة منها فى شئون الحياة . وهكذا يقولون فى سائر الجوارح وأعضاء الهضم والإفراز والتناسل . فمثل هذا الهذر لا يمكن أن يعد فى باب الافتراضات العلمية ، ولكن يجب أن يقذف به الى حضيض الانحرافات العقلية .

قال الفيلسوف الألمانى المشهور (أدورد هارتمان) خليفة (شوبنهور) فى كتابه (المذهب الداروني) : « إن الرأى الذى مقتضاه عدم وجود القصد فى الكون عند الداروئيين لا يقوم عليه دليل ، وهو من الأوهام التى لا أساس لها من العلم » .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال الأستاذ (فون باير) الألمانى فى كتابه (دحض مذهب دارون) :

« إذا كانوا يعلنون الآن بصوت جهورى بأنه لايوجد قصد فى الطبيعة وأن الكون لا تقوده إلا ضرورات عمياء ، فأنا أعتقد أن من واجباتى أن أعلن عقيدتى فى ذلك ، وهى أنى على العكس أرى جميع هذه الضرورات تكشف عن أغراض سامية » .

هذا ولو شئنا الاستئناس بمئات من أقطاب العلم والفلسفة على فساد رأى عدم وجود القصد فى الخليقة لما كلفنا ذلك أكثر من النقل . ومتى ثبت وجود القصد فى الكون فقد ثبت وجود المدبر الحكيم جل وعلا من طريق محسوس لا سبيل للجدل فيه مصداقا لقوله تعالى : « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » .

محمد فريد وجدى



الشجاعة فى قول الحق

روى طاوس أن الحجاج سمع رجلا من اليمن رافعا صوته بالتلبية فى الحرم المكى ، فطلبه ، فلما مثل فى حضرته قال له : أنت من اليمن ؟ فقال : نعم . فقال له الحجاج : كيف خلفت محمد ابن يوسف ؟ (يعنى أخاه وكان عامله على اليمن) فقال : خلفته عظيما جسيما خراجا ولاجا . قال : ليس عن هذا سألتك ، كيف خلفت سيرته فى الناس ؟ قال : خلفته ظلوما غشوما ، عاصيا للخالق مطيعا للمخلوق . فازور الحجاج من ذلك وقال : ما حملك على هذا وأنت تعلم مكانته منى ؟ فقال له الأعرابى : أفتراه بمكانته منك أعز منى بمكانتى من الله تبارك وتعالى وأنا وافد بيته ، وقاض دينه ، ومصدق نبيه (صلى الله عليه وسلم) ؟! فوجم الحجاج ولم يحر جوابا حتى خرج الرجل بلا إذن .

قال طاوس : فتبعته حتى أتى فتعلق بأستار الكعبة فقال : بك أعوذ وإليك ألوذ ، فاجعل لى فى اللهف الى جوارك والرضا بضمانك مندوحة عن منع الباخلين ، وغنى عما فى أيدى المستأثرين . اللهم فرجك القريب ، ومعروفك القديم وعادتك الحسنة !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

الإذن فى النكاح

ورد الى إدارة المجلة ما ملخصه :

يستفتى حضرة الأستاذ الشيخ أحمد الروز بهانى الفرقانى المدرس الحسبى فى قرية فرقان « العراق » عن حكم حادثة وقعت ، وحاصلها ما يأتى :

جرى عقد نكاح بين اثنين شافعيين أحدهما وهو الزوج عن نفسه والثانى عن أخته البالغة وكان المتعاقدان قلدا مذهب أبى حنيفة فى هذا العقد ولم يستأذن الأخ أخته قبل العقد ولم تحضر هى العقد ولكن لما بلغها الخبر سكتت .

وقد قال أحد العلماء للأخ إن هذا النكاح لم ينعقد ، فزوجها هذا الأخ رجلا آخر بإذنها ، فأى العقدين صح : أهو الأول أم الثانى ؟

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجواب

مذهب الشافعية أن من نكح نكاحا مختلفا فيه بين الأئمة ، فإن قلد القائل بصحته منهم كان العقد صحيحا . وبما أن اللذين توليا صيغة العقد الأول كانا قد قلدا الإمام أبا حنيفة فى هذا العقد فينبغى أن يحكم فى هذا النكاح مذهب أبى حنيفة رحمه الله .

ومعلوم أن مثل هذا العقد عند الحنفية موقوف على إجازة الزوجة : فإن أجازته نفذ ، وإلا لم ينفذ . وقد قال الحنفية : إذا زوج أخته البالغة بغير إذنها ثم بلغها الخبر فسكتت ، فإن كانت بكرا فسكوتها إجازة للعقد ، وإن كانت ثيبا فلا يعتبر سكوتها إجازة .

فإن كانت الزوجة فى هذه الحادثة بكرا نفذ العقد الأول وكان العقد الثانى باطلا ، وإن كانت ثيبا لم ينفذ العقد الأول وكان العقد الثانى صحيحا . والله الموفق للصواب ؟

عبد السلام العسكرى ، حسين البيومى   يوسف المرصفى ، الحسينى سلطان
الحنفى   الحنفى   الشافعى   الشافعى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحصة العشرية — والسماد الكيماوى

وورد الى إدارة المجلة ما يأتى :

١ — كنت فى أحد المجالس فطرح على بساط البحث مسألة الحصة العشرية التى تتقاضاها الحكومة الانكليزية عندنا هل تحسب من الزكاة الواجبة فيما أخرجت الأرض أم لا وما وجه ذلك ؟ مع العلم أنها تتقاضى ضريبة أخرى على رقبة الأرض تسمى (ويركو) .

٢ — لقد استعمل الناس الآن السماد الكيماوى وهذا يكلف أصحاب الأراضى نفقات وافرة ، فهل هذه الكلفة ترد نصاب الزكاة فيما سقت السماء الى نصاب ما سقى بالنواضح وما ماثلها أعنى نصف العشر بجامع الكلفة فى كل ؟ أرجو أن تحيلوا هذين السؤالين الى لجنة الفتاوى فى مجلتكم راجيا الإجابة عنهما . والسلام .

توضيح السؤال الأول أن أصحاب الأراضى عندنا يزرعونها من مختلف الحبوب من حنطة وشعير الخ وخضار وما شاكلها من بطيخ وبندورة . والحكومة الأجنبية الإنكليزية أو ما شاكلها من الحكومات الاستعمارية ترسل مقدرين أو مخمنين فيقدرون الناتج ويأخذون منه العشر . ولا يخفى أن الحكومة الإنكليزية ليست من أصحاب الزكاة الثمانية .

وقد أراد البعض أن يقول يمكن اعتبارهم من المؤلفة قلوبهم . ولكن شتان بين هؤلاء وهؤلاء كما لا يخفى على فضيلتكم . وميزانية الحكومة — كما هو معروف — تصرف على الموظفين وفى سبيل الطرق الخ . وعلى الجملة فقد اختلفت الأنظار فى ذلك . وأرجو أن تلاحظوا أن ضريبة الرقبة المعروفة فى كتب الفقه بالخراج أو فى اصطلاح اليوم (بالويركو) تستوفيها الحكومة علاوة على العشر المذكور ؛ وقد سئلت عن ذلك أثناء تجوالى فى القرى للوعظ والإرشاد فلم أقطع برأى فى الموضوع حتى أقف على رأى أساتذتى فى الأزهر المعمور .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

توضيح السؤال الثانى — لقد ارتقى الناس فى شئونهم الزراعية كثيرا . وطبعا يتبع ذلك كثرة النفقات عليها . فمثلا مسألتنا هذه — السماد الكيماوى — تكلف الفلاح نفقات وافرة نظراً لأسعاره الغالية غير أنه يأتى بحصول طيب ، وبما أن الشارع الحكيم فرض العشر فيما سقت السماء لقلة الكلفة ونصف العشر فيما سقى بالنواضح والنواعير وغيرها من الآلات الحديثة للكلفة ، فهل يجوز أن تعتبر الكلفة علة ونأخذ نصف العشر من الحبوب وإن سقيت بماء السماء ؟ سعيد عبد الله صبرى

قلقيلة — فلسطين

الجواب

١ — مذهب الحنفية أن أرض مصر والشام خراجية وليست عشرية ، وأنه لا يجب فيها إلا الخراج ، فما يؤخذ منها خراج لا عشر سواء كان بعض الخارج منها أو غيره ؛ وأن ما يؤخذ منها بتقدير الحكام على ما جاء فى الشق الأول من الاستفتاء إنما هو خراج مقاسمة ، إذ الخراج قسمان : خراج وظيفة ويكون بما يثبت فى الذمة من الدنانير والدراهم وغيرهما من المكيلات والموزونات التى يقدرها الحاكم على الأرض فى كل عام ؛ وخراج مقاسمة وهو ما كان ببعض الخارج كالخمس والسدس والعشر ونحو ذلك .

وإذاً يكون ما يأخذه الحكام من عشر الخارج على ما جاء فى السؤال أو (الويركو) هو كل الواجب فى تلك الأرض ، وليس فيها واجب آخر لا عشر ولا غيره ، لأنه لا يجتمع عشر وخراج ، وليس فى الأرض وظيفة إلا العشر والخراج .

٢ — مذهب الحنفية أن المدار فى وجوب العشر أو نصف العشر فى الأرض العشرية إنما هو على السقى وحده : فإن كانت الأرض العشرية تسقى بماء السماء أو سيحا بلا آلة وجب فيها العشر ، وإن كانت تسقى بالآلة ففيها نصف العشر بلا رفع مؤن الزرع وكلفه ، وبلا إخراج البذر ، لتصريحهم بوجوب العشر أو نصفه فى كل الخارج ، فثمن الأسمدة الكيماوية لا يغير شيئا من الواجب . والله الهادى الى سواء السبيل ؟

عبد السلام العسكرى الحنفى ، حسين البيومى الحنفى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حكم الصرف من أموال الزكاة

على المستشفيات ونحوها

حضرات الأفاضل كبار هيئة العلماء بالأزهر الشريف حرسهم الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فإنا نرفع إليكم بحقائق واقعة نرجوكم الإفتاء فيها ، لا زلتم للمسترشدين أهلا ، وهى :

١ — إن فى عدن مستشفى كبيرا هو المستشفى الأهلى تعالج فيه جميع المرضى على اختلاف لغاتهم وأديانهم والمسلمون فيه هم الأكثرية الساحقة . والواقع أن مرضى اليهود والمجوس والهندوس لا يعتمدون فى أقواتهم وأسباب راحتهم على المستشفى ، بل إن جمعياتهم الخاصة تواسيهم وتوفر لهم القوت اللازم والملابس وغير ذلك من أسباب الراحة ، وتشترى لهم حتى الأدوية التى لا توجد فى المستشفى ، مع أن المسلمين لا يواسيهم أحد لا بالقوت ولا الثياب ولا شىء غيره ، بل لا مفر لهم من استعمال ما يقدمه المستشفى وهو قوت لا يسمن ولا يغنى . وهكذا يذهب أكثر مرضى المسلمين ضحية الإهمال .

ومع هذا فالمستشفى يقوم بتكفين الموتى وغسلهم ودفنهم بصورة غير مرضية ؛ والكفن مثلا الذى يعطيه المستشفى يكون دائما غير كاف لستر الميت . وهكذا فضلا عن الغسل والدفن .

٢ — النساء من أرباب العائلات الفقيرة يفضلن الموت على المعالجة أو التطبيب فى المستشفى الأهلى بحجة أن الرواقات المعدة فى المستشفى لا تضمن لهن الراحة وحفظ التقاليد والحجاب اللازم ، حيث يحشر سرير كل مريض بجانب الآخر . ولهذا ولما سنعرضه على فضيلتكم يمكن تطبيب النساء وأرباب العائلات على أيدى الأطباء والممرضات الماهرات بدلا عن تحمل الآلام ، والبقاء من دون علاج فى بيوتهن ، وقد أودى بأرواح كثيرة وجعل النساء عرضة لدجل الدجالين والمشعوذين .

جزوب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٣ — لا يوجد فى عدن مدرسة عربية إسلامية لبنات المسلمين . ولهذا انتهزت الفرصة جمعية التبشير الدينماركية وفتحت لبنات المسلمين مدرسة يتعلمن فيها القراءة والتطريز والخياطة ، وهناك يتشربن المبادئ المسيحية ويخرجن عن تعاليم الاسلام . ولهذا ترانا بحاجة ماسة الى تأسيس مدرسة للبنات فى عدن نجلب لهن المعلمات الصالحات المسلمات من الخارج ، وننقذ أمهات المستقبل من حالة إذا استمرت تقضى على العقائد الاسلامية قضاء مبرما .

مما ذكر يظهر لكم سادتى أن مسلمى عدن بحاجة الى مالية يصرفون أو يواسون منها المرضى من الفقراء فى المستشفى الأهلى ، ويعمرون منها بيوتا خاصة للنساء وأرباب العائلات حول المستشفى ، تضمن لهم الراحة والسكينة ، وتحفظ لهم تقاليدهم الاسلامية ، وأيضا يقومون بتأسيس مدرسة عربية إسلامية لبنات المسلمين اللاتى هن الآن تحت تأثير المبشرات المسيحيات .

المالية المنشودة غير متيسرة ، والأغنياء وأهل الثراء لا يتبرعون بالمال لهذه المشروعات الحيوية المهمة .

وهكذا أصبح المسلمون والمسلمات بحالة تعسة محتقرين فى أعين الأجانب ، مع أن الطوائف الأخرى تقوم بكل هذه المشروعات والأعمال نحو أبناء وبنات ملتهم كالإفرنج واليهود والمجوس والهندوس . بل لكل طائفة مستشفاها ومدرستها وملاجئها الخاصة . أما نحن ونحن أهالى البلدة فلسنا إلا كالمتشردين ومرضانا فى الأزقة والمستشفيات بلا راع ولا ذى مروءة يواسيهم ، حالة والله تدمى الفؤاد وتفتت الأكباد !

لما وصلت الحالة الى هذه الدرجة من الخذلان فكر جماعة من أهل الخير فى تعيين لجنة إسلامية تؤلف من أغنيائها ووجهائها ، وقصد اللجنة هذه أن تأخذ قسطا من أموال الزكاة المفروضة على المقتدرين من المسلمين حتى تجمع المال ليصرف فى مصالح الفقراء والمساكين فى هذه البلاد فى حدود المشروعات الثلاثة المذكورة آنفا ولو تدريجيا .

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فالرجاء من هيئة العلماء الأعلام فى الأزهر الشريف أن يفتونا فى المسألة . وهل يجوز أخذ الزكاة أو قسط منها لهذه الأغراض المهمة ؟

أرجو أن تنشروا السؤال مع الجواب على صفحات مجلة (نور الاسلام) التى كساها الله نورا على نور ، لما تنشرونه فيها من الدرر الغاليات ، والجواهر المثمنات ، والحكم البالغات ، وقد طهرتموها من الحشو واللغو والهذيان . جزاكم الله خير الجزاء ، ونفع بكم العباد ، آمين ؟

أحمد محمد المدنى

الجواب

إن حال المسلمين اليوم يذيب الفؤاد ويفتت الأكباد على ما شرحه السائل : تخاذل وانحلال ، وتأخر واضمحلال ، واختلال واعتلال ، وهبوط وسقوط ، وجمود وخمود الخ .

ولا غرو فقد اشتغل كل منهم بنفسه ، فلا يعنيه إلا منفعته الذاتية ، ومصلحته الشخصية ، فلا يهتم بأمر أخيه المسلم ، ولا يفكر فى مصلحة أمته ولا منفعة مواطنيه ولا مجد بلاده . ضاقت الأنظار ، واختلت الأفكار ، وذهبت الرحمة من النفوس ، وأقفرت القلوب من الإخلاص والرءوس من التفكير . وما كان ينبغى ذلك لقوم أمروا أن يكونوا كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تألم له سائر الجسد . وقد كنا أرفع الأمم على الإطلاق وأعزها ، وكان الناس يدخلون فى دين الله أفواجا لما يرون فيه من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، وما يتجلى فيه من ارتباط القلوب وتآلف النفوس ، فقد أورثهم الإيمان المحبة التى جعلتهم إخوة يتراحمون عند الشدائد ، ويتعاطفون لدى الكوارث .

و« لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقى » كما فى الحديث الصحيح ، فأصبحنا وقد اشتغل كل بنفسه وصار لا يعنيه إلا شخصه ، فتقطعت الروابط بينه وبين إخوانه المسلمين ، فلم يشاركهم فى أية مصلحة يعود نفعها على الأمة . وقد غلبت عليه محبة الذات ، فتفتحت له

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

طرق الاحتيال فيما يعود على شخصه بما يحب من الشهوات مما يظنه سعادة وفلاحة، وخيل له أن ذلك استقلال ونهضة ورقى وتقدم، فأضاع بذلك مصلحته ومصلحة أمته، وقضى على مجده ومجد بنى جلدته. أو نقول: كانت النتيجة كهذه النزعة الحمقاء استقلال الأفراد واستعباد الأمم. وإنها لنفثة مصدور، فلنتكلم فيما يريد السائل، فنقول:

لا يسع العارف بروح الشريعة ونظرها البعيد وحكمتها السامية إلا أن يفتى بجواز صرف الزكاة فى تلك المشروعات الخيرية التى ذكرها السائل، فإن الشارع قد راعى فى مصارف الزكاة مصلحة الدين، ومصلحة العباد، وحاجة الفقراء والمضطرين والمحتاجين.

ولم يفت ذلك علماء الأمة وأئمتهم من السلف والخلف رضى الله عنهم، فقد ذهب كثير الى أنه يجوز أن يصرف سهم سبيل الله الى الحج وإعانة الحجاج من المسلمين.

يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن. واليه ذهب أحمد بن حنبل واسحق ابن راهويه، لأن الأمر على ما قال بعضهم من أن اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط. وقد أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك، لأن قوله: «وفى سبيل الله» عام فى الكل، فلا يختص بصنف دون غيره.

على أن من ذكرهم السائل فى سؤاله داخلون فى الفقراء والمساكين، فإن أولئك المرضى الذين بيّن سوء حالهم وتلك السيدات اللاتى يلحقهن من الضرر ما ذكر المستفتى هم من جملة الفقراء بلا شك. والجماعة التى تأخذ الزكاة لتقوم بتلك المصالح وتنظمها وتجعلها على قاعدة ثابتة نافعة وترسم لها خطة تضمن لها البقاء والمنفعة، هذه الجماعة كأنها وكيلة عن أولئك الفقراء تقوم برعايتهم وإصلاح شئونهم نيابة عنهم حيث تعذر قيامهم بذلك لأنفسهم. ولو فرضنا أن هناك فقيرا تعذر تسليمه الزكاة لجنونه مثلا أو لغير ذلك لم نتوقف فى جواز إعطاء الزكاة لوليه والقائم على أمره. فهكذا هنا. والعبرة فى الأمور كلها بمقاصدها وغاياتها.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هـذا ما تقتضيه روح الشريعة وترشدنا اليه مراميها التي محورها الذى تدور عليه إنما هو الحقائق والمصالح . ولا يمكنني أن أفتى بغير هذا . غير أنى قبل إلقاء القلم لابد أن أوصى بانتقاء تلك الجماعة من المخلصين الأتقياء الذين يخافون الله ويراقبونه فى السر والعلانية مع النظر البعيد والتدبير الحكيم . وليكن القانون فى ذلك واضحا جليا غير قابل لتأويل المؤولين ولا احتيال المحتالين . والله يتولى هدى الجميع بمنه وكرمه .

« حكم أكل الكلب على مذهب المالكية »

وورد إدارة المجلة سؤال يقول فيه مرسله : إنه جاء بمجلة نور الاسلام صفحة (٧٣٣) أن علماء المالكية رضى الله عنهم لهم قولان فى أكل لحم الكلب : قول بالكراهة وقول بالحرمة ، وأن قاضى جبل عجلون الشرعى الشيخ عثمان الشنقيطى قال : إن القائلين بالكراهة ليس لهم وجود بالمذهب . فهل القول بالكراهة موجود بالمذهب ، وهل له اعتبار بين علمائه ؟

أفيدونا الجواب . أرجو أن يكون الجواب من حضرة الفاضل الشيخ يوسف الدجوى حسب طلب فضيلة قاضى شرع عجلون .

شريف محمد
نائب بالجيش العربى . عجلون

الجواب

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد فالقولان المذكوران مذكوران بالمذهب بلا شك ، بل القول بالكراهة عند المالكية فى كتب المتأخرين أشهر من القول بالحرمة . وقد اقتصر عليه العلامة الأمير فى متن المجموع الذى هو من أعظم الكتب المعتبرة عندنا ، وصاحبه هو أمير العلماء الذى قال فيه قائلهم :

وإن يك ضاهاك فى العلم قوم ... فأنعم بكل وأنت الأمير

وإن كان شمس الدين اللقانى وأشياخه يفتون بالحرمة لا بالكراهة . وأى غرابة فى القول بالكراهة غير ما رسخ فى النفوس من استقذار الكلب أو اعتقاد نجاسته ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولكن مذهب مالك يقرر أن كل حى طاهر ، فالكلب عنده طاهر حتى فمه ، ما لم يكن متلوثا بالنجاسة ، فنجاسته عرضية لا ذاتية .

أما القائلون بنجاسة الكلب فقد فهموا من النهى عن سؤره نجاسة عينه . وليس ذلك بلازم ، لأن النهى له أسباب كثيرة . والنهى عن سؤره محمول على الكراهة عند المالكية . وكيف نستغرب القول بالكراهة بعد ما قرر بعض الأصوليين أن كل ما لم يرد تحريمه فى الكتاب والسنة فهو غير محرم لأن الأصل فى الأشياء الإباحة ؟ ونحن نستصحب الأصل حتى يرد النص . وقد قال تعالى : « قل لا أجد فيما أوحى إلى مُحرّما على طاعم يَطْعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير » الخ .

ولعل الشافعى رضى الله عنه قد فهم من الأمر بقتل الكلب فى الحل والحرم مع النهى عن قتل الحيوانات المباحة الأكل أن العلة فى ذلك هو كونه محرما .

أما مالك رضى الله عنه فقد فهم أن علة الأمر بقتل الكلاب إنما هى التعدى والإيذاء لا التحريم ولا النجاسة .

وللمجتهدين فى المسائل الشرعية أنظار دقيقة ومدارك كثيرة . والأمر فى الفروع هين والظن فيها كاف كما بيناه فى مقالاتنا العديدة التى نشرتها المجلة . وماذا نريد بعد أن جعل الله لكل مجتهد أجرا أخطأ أم أصاب ، و« لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » ؟ ولا معنى للجزم فى مسألة الكلب بنفى أحد القولين .

وأكبر ظنى أن المستنكر إنما يستمد استنكاره من النفور الطبيعى الذى نشأ عليه ، والعقيدة التى رسخت فى نفسه بمقتضى البيئة التى وجد فيها .

وقد بلغنى أن فريقا من الأوربيين يستطيبون لحم الكلب غاية الاستطابة . وهو عندهم بمنزلة الضأن عندنا . هذا ما تيسر فى الوقت ، وهو كاف إن شاء الله ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

المدنية الفاضلة فى الاسلام

إن من أخص صفات المدنية السامية أن يكون بين الناس فى علاقات بعضهم ببعض، آداب عالية وعادات حسنة يتواضعون عليها فيما بينهم، ويراعونها أدق المراعاة، فى تعاملهم وتخاطبهم. هذه الصفات هى التى تميز الأمم المتحضرة عن القبائل المتبدية. والاسلام الذى استوفى جميع مقومات الأجساد والأرواح والاجتماع لم يغفل هذه الناحية من الأدب المدنى، فوفاه حقه، فجاء أكمل ما عرف فى تاريخ المدنيات الى اليوم.

ومن أعجب ما يعرف عن الاسلام أنه كما عنى بإحداث أكبر انقلاب شهدته البشرية فى الدين والاجتماع والعلوم والصنائع، عنى كذلك بهذه الناحية من المظاهر المدنية التى تشف عن كمال الذوق، ورقة العواطف. فقد رغب فى تحسين المظهر: من إجادة الملبس والتعطر، وقص الشعر والأظافر، ومراعاة قواعد النظافة، والتظرف فى التعبير، والبشر والهشاشة، ودعوة الناس بأحسن ألقابهم، وعدم مجابهتهم بما يكرهون، وبدئهم بالسلام وحسن الإصغاء اليهم. وإنا لباسطون هنا بعض ما سنه الاسلام من هذه السمات المدنية، موردين ما جاء فى حقها من الأحاديث والآثار النبوية، وما نقل عن الصحابة والتابعين فى الجرى عليها، فإنها معالم للمدنية الفاضلة، وأعلام للآداب الكاملة فنقول:

السلام والمصافحة: قال النبى صلى الله عليه وسلم: « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام ». وفى هذا إشارة الى أن الكلام قبل السلام سوء أدب يستحق فاعله أن يجازى عليه بإغفال شأنه. وقد سن النبى صلى الله عليه وسلم هذه السنة بعمله، فقد قال بعضهم: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن، فقال رسول الله: ارجع وقل السلام عليكم وادخل.

وقد ندب النبى صلى الله عليه وسلم الى العمل بهذا الأدب حتى مع الأهل، فقد روى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جابر عنه أنه قال : « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته » . وهذا ظاهر ، فإن الانسان إذا دخل بيته مسلما فجدير أن يكون ذلك أوجب للوئام والألفة بينه وبين أهله ، فماذا عسى أن يجد الشيطان ما ينزغ به بين أهل بيت هذا شأنهم من الصفاء ومراعاة الكرامة ؟

وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الحكمة فى التوصية بإفشاء السلام بين المؤمنين هى تمكين أواصر التحاب بين آحادهم ، والتحاب بين الآحاد أساس الاجتماع الوثيق العرى ، المحقق لفائدة المجتمعين ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : أفشوا السلام بينكم » .

وقد أذاع النبى صلى الله عليه وسلم : عادة المصافحة بين العرب وكانوا يعدونها من عادات الأعاجم . روى البراء بن عازب رضى الله عنه أنه دخل على النبى وهو يتوضأ فسلم فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ، فرد عليه ومد يده اليه فصافحه ، فقال البراء : يارسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم ، فقال له : إن المسلمين إذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما .

وعن أنس قال صلى الله عليه وسلم : « إذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة : تسع وستون لأحسنهما بشرا » . فانظر كيف ندب الى البشر عند المصافحة ، والبشر علامة الصفاء النفسى والإقبال القلبى . فيعسر على المتصافحين بعد هذا البشر وهذا الإقبال أن يتنازعا على تافه من الأمور ، فإن كان بينهما أمر ذو بال عمدا الى المياسرة والمحاسنة ، وحسما ما بينهما من خلاف على صفاء ومحبة .

وكان أنس رضى الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم . ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعل ذلك .

وسن النبى تحية الانصراف أيضا فقال : « إذا انتهى أحدكم الى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ، ثم إذا قام فليسلم ، فليست الأولى بأحق من الأخيرة » .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وقد عنى النبي صلى الله عليه وسلم بأمر السلام حتى سن له نظاما على حسب ما يكون فيه الانسان من حال ، فقال : « يسلم الراكب على الماشى ، والماشى على القاعد ، والقليل على الكثير ، والصغير على الكبير » .

قد ذكر البشر عرضا فى أمر السلام ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أفرده بالتنويه ، فقد روى أبو هريرة أنه قال : « إن الله يحب السهل الطلق الوجه » وقال : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » . وقال معاذ بن جبل قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح » . فانظر كيف وضع لين الكلام وخفض الجناح فى صف تلك الخصال العالية وجعله علما من أعلام الطريقة المثلى .

وقد زاد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الخصلة تنويها فروى أنه قال : « أتدرون على من حرمت النار ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : على الهين اللين السهل القريب » ، فإذا علم الناس أن النار حرمت على من هذه صفته فكيف لا يتنافسون فى التخلق بها ، وكيف تروج فى بيئتهم صفات أهل الجاهلية من الغشمرة والغطرسة والجَبَرية .

ومن خلال المدنية الفاضلة التى سنها الاسلام توقير الشيوخ والعطف على الأطفال ، فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » . قال العلماء ومن تمام توقير الشيوخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن . قال جابر رضى الله عنه : قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم ، فقال رسول الله : « فأين الكبير » ؟

أما خصلة العطف على الصغير فمأخوذة من الحديث المتقدم . وكان من عادته صلى الله عليه وسلم التلطف بالأطفال والعطف عليهم . جاء فى سيرته الشريفة أنه كان يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ، ثم يأمر بهم فيرفعون اليه ، فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ، ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم ، فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بعضهم لبعض : حملنى رسول الله بين يديه وحملك أنت وراءه ، ويقول بعضهم : أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم .

وروى عنه أنه كان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه فى حجره فربما بال الصبي ، فيصيح به بعض من يراه ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تزرموا الصبي بوله » فيدعه حتى يقضى بوله . ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ، لئلا يروا أنه تأذى ببوله . فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعد .

انظر الى هذا العطف البالغ أقصى غاياته حتى فى حالة بول الصبي عليه ، فلا يريد أن يرفعه حتى لا يزعجه وينغص على أهله . هذا والله مثل أعلى فى هذا الباب ليس وراءه مذهب .

وقد استن أصحابه بسنته ، فأقبلوا على الصبية بوجوههم وقلوبهم وغمروهم فى عطفهم وبرهم . روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب استدعى رجلا ليوليه بعض عمله ، فبينما هو يعد له كتاب الولاية إذ أقبل غلام له فأخذه عمر فقبله ، فقال له الرجل: أتقبل الصغار يا أمير المؤمنين ، فإنى لم أقبل صغيراً قط . فالتفت إليه عمر وقال له : اذهب فلا حاجة لنا بك فإن من لم يرحم الصغير لا يرحم الكبير ، وأحجم عن توليته .

وقد سن النبي صلى الله عليه وسلم توقير الزائر ، وهو من سمات أهل المدنية الفاضلة ، خلافا لأهل البداوة أو القريبي عهد بالحضارة ، فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ربما يزوره زائر وهو جالس على وسادة ولا يكون فيها سعة يجلس معه عليها ، فينزعها ويضعها تحت الذى يجلس اليه ، فإن أبى عزم عليه حتى يفعل . وقد أمر أصحابه أن يستنوا بسنته . وروى أنه دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه حتى اكتظ بهم المكان ، فجاء جرير بن عبد الله البجلى فلم يجد محلا فجلس عند الباب ، فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فألقاه اليه ، وقال له : اجلس على هذا . فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ثم لفه ورمى به الى النبي وقال : ما كنت لأجلس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتنى !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فنظر النبي يمينا وشمالا ثم قال : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما زاره وفد من النصارى فرش لهم عباءته ليجلسوا عليها

وقد اعتاد أهل المدنية اليوم أن يسموا تواضع الكبار للفقراء والمساكين ديموقراطية ، فترى وزراءهم وكبراءهم يختلطون بهم فى الحفلات ويشاركونهم فى الجلوس معهم فى الدرجة الثالثة بالترامورايات . وقد سبقهم الاسلام فجعل التواضع لأهله شرعة ، تحقيقا لمبدأ المساواة الذى كان هو أول من رفع علمه فى الأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تواضع لله رفعه . وقال : « لو كان المتواضع فى قعر بئر لبعث الله اليه من يرفعه » وقال : « إن الله تعالى أوحى الىّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد » . وعن ابن أبي أوفى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته .

وقد سن الاسلام الاستئذان ، وهو اليوم من الخلال التى تعد من مميزات أهل المدنية ، فتراهم يحرصون عليها ولا يتسامحون فيها ، وأنت ترى أن الاسلام قد سنها لأهله منذ أجيال كثيرة ، قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم »

هذا غيض من فيض مما سنه الاسلام لأهله من سمات المدنية الفاضلة . وجملة ما ورد عنها وعمل به منها يفوق ما عليه المتمدنون اليوم رقة ، ويبزه لطفا . وفى ذلك دليل على أن الاسلام شرع ليكون دينا عاما يصلح لجميع العصور ، ويلائم أرقى الحالات العقلية والنفسية ، وليس بعد هذه السنن النبوية والعادات الاسلامية مذهب لمن يتطلب أقصى غايات المدنية . فإذا كانت نفوس لا تزال على صفات أهل الجاهلية من الكبر والجبرية ، والصلف والعُنجهية ، فإن الزمان كفيل بردهم الى الصواب ، وإذ ذاك لا يجدون وراء هذا الدين مطلبا ، ولا عن طريقته المثلى متنكبا ؟

محمد فريد وجدي

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مهمة الدين الاسلامى فى العالم

١٨

تطور الأمم فى فهم خير الروابط الاجتماعية

كما أتى الاسلام على أقصى حدود المُثل العليا للخصال التى تتعلق بالأفراد فلم يدع بعدها مرمى لرام، كذلك فعل بالقواعد التى يقوم عليها صرح الاجتماع، فوضعها على أكمل ما يصل اليه العقل من سمو الأغراض وشرف الغايات. وهـذا أمر لابد منه لدين هو آخر ما تتلقاه الانسانية من الوحى الإلهى.

وقد بدأنا من أول هذه السنة نكتب فى القسم الاجتماعى من مقاصد الاسلام، فذكرنا فى مقدمتنا روابط الاجتماع المختلفة، وأبنّا أن أساسها الحاجات المادية، فاستبدل بها الاسلام روابط روحانية قائمة على المبادئ الأدبية الراقية، والأصول العلوية الخالدة، فكانت الأمة الاسلامية أول أمة قامت على هذا السمت الإلهى القيم، وهو سمو اجتماعى لم تصل اليه أمة الى اليوم، بل هو المثل الأعلى لاجتماع عالمى يضم تحت ظلاله الجماعات البشرية بأسرها، فتنعم فى بحبوحته بالأمن والسلام العام، وتعيش مطمئنة عاملة على ترقية مواهبها، وتنمية مواردها، فإن اختلفت على شىء ردّته الى أصول العدل المطلق، والحق الصراح.

هذا مبدأ فى أعلى درجات السمو، وفيه شفاء الانسانية المعذبة من منازعاتها المتوارثة، فبم تذرّع الاسلام لتحقيقه، وهل يمكن أن يتفق الناس عليه فى يوم من الأيام؟

دعا الاسلام الى هـذه المبادئ، وأكد فى المطالبة بها، وقام المسلمون بها خير قيام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

محفوزين بالروح العالى الذى بثته شخصية النبى صلى الله عليه وسلم وسمو التعاليم التى أتى بها.

وهذا فى ذاته يعتبر من أكبر معجزات الاسلام فى نظر علم الاجتماع ، فإن تأسيس رابطة اجتماعية من هذا الطراز فى بيئة لا تقوم روابط جماعاتها إلا على الأغراض المادية المستمدة من أحط الاعتبارات الجاهلية ، لا يمكن أن يسيغه العلم لولا أنه من الحوادث الواقعة . فالواجب على الباحث الاسلامى أن يعطى هذا الموطن حقه من البيان والتحقيق ، ليكون راميا بذلك الى غرضين (أولهما) ما هو بسبيله من أن الروابط الاجتماعية التى أتى بها الاسلام هى المثل الأعلى الذى ستنتهى اليه الجماعات عند ما تبلغ غاية كمالها . (وثانيهما) التنويه بمعجزة علمية للاسلام يقدرها العلم كل التقدير ، ويقف أمامها حائرا لا يستطيع تعليلها من طريق الأسباب العادية .

والذى دعا الاسلام اليه وأقام جماعته عليه هو جملة ما فى الكتاب والسنة الصحيحة : من وجوب الاسلام لله ، وترك ما عليه الناس من العقائد الباطلة ، والعادات العاطلة ، وتحكيم العقل فى التفرقة بين ما هو حق وما هو باطل ، وتجريد النفس لإدراك الكمال المطلق ، وترويضها على القيام على سنة العدل حتى حيال أعدائها ، والعمل بمكارم الأخلاق حتى فى منازعة خصومها ، وعلى ترك التعصب للنفس والأهل والأقربين فى تقدير التبعات ، وتقرير الواجبات ، وعلى البر والإحسان والتعاون ، وعلى محو الامتيازات ، وتساوى الطبقات ، والتوحد فى الوجهة والغاية ، الى آخر ما جاء به من ضروب الكمالات العالية .

تألفت أمة فى صدر الاسلام على هذه الأصول العلوية ، فكانت فذة فى كل وجه : فذة فى تركيبها ، فذة فى وجهتها ، فذة فى غايتها ، فذة فى جلالة آثارها . فإن شئت أن تحيط بكنه الفارق بين ثمرات روابطها الاجتماعية ، وثمرات الروابط العادية التى تقوم عليها الجماعات البشرية ، فقارن بين الشأو الذى بلغته هذه الأمة وبين الشأو الذى انتهت اليه الأمم الأخرى من أول ما دُوِّن فى التاريخ من التطورات الاجتماعية الى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اليوم، تجد بونا لا يمكن تقدير مداه بحال . فهذه أمة بلغت فى سنين معدودة من طيبات الوجود، وميزات الحياة ، وحقيقة السؤدد ، ما لم تبلغه أمة قبلها ولا بعدها فى القرون الطوال ، فقطعت أدوارا من حياتها كانت كلها خيرا وبركة عليها وعلى العالم كله ، وتركت آثارا لا يزال العالم يذكرها بها الى اليوم .

ولا عجب فإن أمة تتألف على هذه الأصول من الحقائق الإلهية لهى أمة مختارة لإحداث أكبر الحوادث الأدبية والاجتماعية فى الأرض ، تصلح أن ينتدبها الحق لرفع الآصار عن كواهل الأمم ، وكسر المقاطر التى فى أعناقها ، والأغلال التى فى أرجلها ، وقد أدت ما طُلب اليها القيام به من هذا العمل العالى ، فكانت مصدر حياة للجماعات البشرية ، ومقتبس نور لعقولها وقلوبها ، فلاذت بها تستهدى بهديها ، وتستمد من حياتها ، أجيالا طوالا ، وهى الى اليوم تشيد بذكرها ، وتعترف بفضلها ، وقد صرح بعض كبار رجالاتها بأن لا نجاة للعالم مما هو فيه اليوم من العلل الموبقة إلا بالأخذ بأصول الاسلام والقيام على سنته الإلهية .

هنا قد يعترض معترض فيقول : إن هذه الروابط التى تذكرها دينية محضة إن قبلت القيام عليها أمة فى دور من أدوار حماستها الاعتقادية ، فلا يعقل أن تقوم عليها الأمم كافة وهى متجردة للعناية بأمورها المادية ، وماضية فى تطوراتها العلمية والمدنية ، وقد أصبح بينها وبين الشئون الروحية بعد المشرقين .

فنجيب هذا المعترض بأن الذى يريد أن يحكم على مستقبل الأحوال البشرية لا يجوز له أن يعتمد بما هى عليه فى عهدها الراهن ، فيحكم من ذلك أنها لن تبرحه قيد أنملة ، فإن فى ذلك إنكارا لناموس التطور الاجتماعى ، وحكما على الانسانية بعدم الترقى .

وقد مهد الاسلام لإقامة دولته بإصلاح العقلية الإنسانية ، وتقويم نفسيتها ، وتخلية الطريق للحق ، بهدم كل حائل يقف فى وجهها من عقائد مبطلة ، وعادات معطلة ، وتقاليد بالية ، وشهوات حيوانية متغلبة ، فساغ له أن يجعل دولته أمرا واقعا بواسطة المدد الإلهى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المباشر فى سنين معدودة . والمتأمل فى تطورات الانسانية الآن برمتها يجدها تترسم هذه السبيل الإصلاحية عينها مدفوعة بناموس التطور الاجتماعى ، وعوامل الارتقاء الانسانى ، فقد قام (بيكون) فى القرن السابع عشر بوضع الأسلوب العلمى فى المباحث العلمية ، ففرق بين المقررات التى تؤيدها المشاهدة والتجربة ، وبين الظنون والآراء العلمية ، فعدّ الأولى من لباب العلم الصحيح ، واعتبر الثانية افتراضات وقتية قد يقوم على بعضها الدليل من الواقع فيضم للأولى ، وقد يتضح من هذا الواقع نفسه مايدل على فساده فيلفظ به الى عالم الخرافات الوهمية . ولم يهمل (بيكون) الى جانب هـذا أن ينهج طريقة البحث ، ويبين حدود النظر ، ويحـدد وجهات التفكير المنتج ، فكان لعمله هذا أكبر أثر فى تقويم العقلية الانسانية بتحريرها من سلطان المسلّمات التقليدية .

وقام على طريقة بيكون رجال فنظروا فى المذاهب الإلحادية التى كانت تعتبر من مميزات الألمعية . فلما أجروا عليها أسـلوب التمحيص العلمى اتضح لهم أنها مبنية على تحكمات نظرية لا تستند الى عـلم مقرر ، ولا الى رأى مرجح ، فأعلنوا أنها أدخل فى عالم الظنون والأوهام من الخزعبلات الجاهلية التى يدعون أنهم تجردوا منها وترفعوا عنها . وانتدب رجال آخرون للبحث فى خصائص الروح الانسانية محفوزين بما كشفه عالم فى القرن الثامن عشر من وجود تيار حيوى فى الانسان يؤثر به على غيره فيحدث له نوما صناعيا تتجلى بواسطته صفات للروح البشرية تستتر وراء الحـالة الاعتيادية ، وتدل دلالة قاطعة بما تأتيه من الخوارق على استقلال الروح عن الجسد ، وعلى أن لها حياة بعد هذه الحياة الأرضية . وقد سمى هذا الضرب من البحث بعلم التنويم المغناطيسى . وكان من أثر ظهور هذا العلم أن استبحر البحث فى النفس وخصائصها حتى أصبح عدد المشتغلين به من العلماء يبلغ آلافا كثيرة فى العالم كله .

أضف الى هذا ما وقر فى صدر الناس أجمعين من أن الحروب بعد اختراع أسباب التدمير الحديثة أصبحت خطرا على المدنية . فألهم أهل البصر من كل أمة أن يعملوا

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

على تسويد الحق على القوة ، وأن يسعوا فى وضع نظام مقرر لحسم المنازعات الدولية يكون مبنيا على أصول العدل والنصفة ، لا على شهوات النفس البهيمية من التناحر وسفك الدماء البشرية .

هذا الانتقال العالمى العام فى مجالات العقل والعلم والبحث ومحاولة التفاهم على أصول العدل يعتبر تمشيا اضطراريا تدريجيا نحو تحقيق المثل الأعلى الذى نصبه الاسلام للناس فى سنين معدودة بفضل المدد الإلهى . وقد نوّه القرآن بهذا المهد المنتظر فى آية محكمة فقال تعالى : «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أوَ لم يكْفِ بربك أنه على كل شىء شهيد» .

هـذا أمر لا بد منه رضى قصار النظر من الماديين أم سخطوا ، وكيف يكون منه بد وكل ما فى الوجـود من حركات عقلية ونفسية يدل على وشك حصوله ؟ فهل يريد الماديون أن يتخيلوا أن هـذه المواهب السامية التى متع بها الانسان تعجز عن أن تصل به الى حال يتفق وحقائقها ، فيبقى جامدا فى عالم الحيوانية لا يبرحه وكل ما ركب فيه من عوامل يدفعه عنها ، ويهيب به للابتعاد منها ؟

نعم لقد عاش الانسان آمادا طويلة يخوض من شئونه فى حمأة الجاهلية ، ويحمل نيرها الثقيل على عاتقه ، وقـد اعتاد الخضوع له حتى صار يقاتل ذيادا عنه ، ولكن مما لا يستطيع أن ينكره منكر أن عوامل الارتقاء ما برحت تتولاه من يوم وجوده وتسوقه الى التلطيف من خشونته ، والتهذيب من وحشيته يسيراً يسيراً وبدون شعور منه حتى نقلته الى حالات بينها وبين ما كان عليه بون لا يستطاع تقدير مداه ، بل حتى خيل له هو نفسه أنه لم يكن على تلك الوحشية فى عهد من عهوده قط .

فأين هو اليوم من ذلك العهد الذى كان فيه لا يعرف للحق اسما ، ولا للعدل معنى ، فكان يجرى فى تصرفاته على ما تدفعه اليه الحاجة غير معتمد بعقل ولا عاطفة ؟

وأين هـو من ذلك العهد الذى كان يعلق الرجـل فيه جماجم قتلاه فى عنقه يحملها أين ذهب إدلالا على شجاعته وعظيم بلائه ؟ !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأين هـو من ذلك العهد الذى كان فيـه يحمل أبويه إذا طعنا فى السن الى مفازة لا ماء فيها ولا نبات ليموتا على أسوأ حال ، متحللا بذلك من أعباء إقاتتهما ؟ !

وأين هـو من ذلك العهد الذى كان يسفك دم أسراه قربانا للوثن الذى يدين له ، ويبالغ فى الاستكثار من ذلك ، حتى إن أهل مكسيكا الأصليين كانوا قد أقاموا لهم معبدا على عهد اكتشاف الأوربيين لأمريكا ، فنحروا سبعين ألفا من أسراهم قربانا لآلهتهم شكرا لها على ما منحتهم من القدرة على إتمام ذلك المعبد ؟ !

هذا كله كان ، ولم يزل حاصلا لدى القبائل المتوحشة فى القارات الخمس ، فأين منه الأمم المتمدنة وهى تبالغ فى تحـرى الحق والعـدل ، وتغرق فى التوفيق بين العاطفة والعقل ، وتتهالك على وجدان المثل العليا لغرائز النفس ، وتحاول أن تقرن العلم بالعمل فى كل مايهديها اليه البحث ؟ !

أليس المتأمل فى هذا الانتقال البعيد المدى يضطر أن يحكم بأن الانسانية واصلة لا محالة الى ما ترمى اليه من المثل العليا ، وإن بعدت عليها الشقة ، ونأت عنها الغايات ؟ فالمسألة إذن مسألة وقت « ولتعلمُنّ نبأه بعد حين » ؟ **محمد فريد وجدى**

بليغ العظات

قال بعض العظماء لحكيم من حكمائه : عظنى بعظة تنفى عنى الخيلاء ، وتزهدنى فى الدنيا ، قال : فكر فى خلقك ، واذكر مبدأك ومصيرك ، فاذا فعلت ذلك صغرت عندك نفسك ، وعظم بصغرها عندك عقلك ، فان العقل أنفعهما لك عظماً ، والنفس أزينهما لك صغرا .

قال ذلك العظيم : فان كان شىء يعين على الأخلاق المحمودة فصفنك هذه . قال : صفتى دليل ، وفهمك محجة ، والعـلم علية ، والعمل مطية ، والاخلاص زمامها . خـذ لعقلك ما يزينه من العلم ، وللعلم مايصونه من العمل ، وللعمل مايحققه من الاخلاص ، وأنت أنت . قال : صدقت .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة الرعد

— ١ —

بسم الله الرحمن الرحيم

(بسم الله الرحمن الرحيم الٓمٓرٓ تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ، وَالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ. ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى، يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ).

وجهت الىّ من عزيز عظيم رغبة فى التعرض لتفسير قوله جل شأنه: « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » إذ كان فيها تنبيه المسلمين على ما كانوا فيه وما آلوا اليه، مما يرجى أن يكون معه ذكرى نافعة لهم، والذكرى تنفع المؤمنين، بل لأنها تحوى من النواميس الاجتماعية ما يفيد كل أمة تزنها بمقدارها وتستضئ بنورها، فهى على وجازتها كوكب ساطع يشع النور الذى يهتدى به من فتح عينيه، ويسترشد بها من ألقى اليها السمع وهو شهيد.

ولما كانت الآية الكريمة فى أوائل سورة الرعد، وقد جمعت هذه السورة من دلائل عظمة الخالق جل وعلا ما يملأ القلوب نورا وإيمانا، ويثلج الصدور ببرد اليقين، رأيت أن أعرض لتفسير السورة من أولها مستمدا من الله المعونة والتوفيق، والله المستعان.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولنعرض لكلمة وجيزة جدا فى تفسير البسملة ، إذ كان الكلام فيها قد تناوله العلماء الأجلاء بالبسط والتطويل ، حتى أفردها بعضهم بمؤلفات قائمة بها واقفة عند حدها ، ولكن ليس مقامنا هذا مقام الإفاضة والإطالة ، وإنما هو مقام الاجتزاء بأقرب حدود الفائدة ، سهلها الله لنا ، ويسر لنا سبلها ، إنه سميع مجيب !

« بسم الله » الباء هنا للاستعانة ، وليست هى الباء التى تسمى باء الآلة مثل التى تذكر فى قوله : كتبت بالقلم أو قطعت بالسكين ، فإن معناها فى المثالين المذكورين مقصور على أن مدخولها كالمتمم أو الشرط لما تعلقت به من الأفعال . وإنما هى لتبيين المستمد الأول والمنشأ الحقيقى للفعل الذى تعلقت به ، فهى بمثابة الباء التى تسمعها فى الاستعمالات التى من هذا القبيل — تسمع مثلا بعض القضاة حين ينطق بالحكم يقول : « باسم الملك حكمت المحكمة بكذا » ومعناه أن القاضى كأنه يقول إنى بحسب شخصى لا أملك على هؤلاء الخصوم نفيا ولا إثباتا ، فإذا سلطت عليهم ومُكنت منهم فذلك إنما هو مستمد من صاحب السلطة العليا ، وإذا خضعوا لى فإنما هم قد خضعوا لها ، فالقوة التى مُكنت بها من إصدار هذا الحكم إنما هى هذه الجهة . ومثلها يقول بعض الحكام لمن رأى منه إجراما : « باسم القانون أقبض عليك » معناه : إنى فى سلطتى وهيمنتى عليك ووجوب خضوعك لى أستمد قوة من جهة لا قبل لك بمعارضتها والخروج عليها ، فهى الجهة التى لا تناوأ ، ومصدر الهيمنة التى يجب الخضوع أمامها وتسليم القياد لمن التجأ اليها .

على هذا النحو نفهم معنى الباء فى قول المبتدئ فى أمر من الأمور : « باسم الله » فمعناه : أشرع فى عملى مستمدا القوة والتأييد للنفوذ فيه وإتمامه حسبما أريد من مصدر جميع القوى وواهب كل القُدر ، ومسخر جميع العوالم ، ومدبر كل الأمور ، فأنا نافذ فى فعلى بقدرة لا قبل لأحد بمعارضتها ولا الوقوف فى وجهها . كيف وأنا أعمل عملى باسم الله واهب القوى والقدر ، ومسخر الشمس والقمر ، والمهيمن على جميع البشر ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أرأيت كيف تكون هذه البداءة شادّة من عزم صاحبها، مثبّتة من إرادته، مؤيدة لقوته؟ فهذا من حكمة طلب الشارع البدء بها فى كل أمر خطير ذى بال.

ولعلك ترى أن هـذا المعنى الذى شرحناه لا يكاد يتم باستعمال الباء إلا إذا قرنت بلفظ الاسم، وأننا إذا أتينا بالباء بدون ذكر الاسم عقبها لا تفيد هـذا المعنى الذى نشير اليه. واعتبر إن شئت أمثال هذه العبارات: «تجبى الأموال باسم فلان» «تجمع التبرعات باسم فقراء المدينـة» «تجمع الاكتتابات باسم الجمعية الخيرية» فإنك تجد المعنى فيها وفى أمثالها على ما شرحناه لك. ولا تتوهم أن معنى الباء هنا هـو معنى اللام فى قولك إنها تجمع للفقراء أو للجمعية، كلا، فإن اللام يشار بها الى الغاية التى يقصـد العمل من أجلها، وأما الباء فإنها تشير الى أنه يستمد القوة فى مطالبته، من تلك الجهة التى لها فى النفوس أثر خاص، ولولاها ما استطاع أن يدور جهارا على الناس يستجديهم ويستندى أكفهم، فقـد كان له من الحياء ما يمنعه أن يعرض وجهه على النـاس بهذه الصورة، إذ لولا أنه يجمع باسم الفقراء ويستمد القوة من الاستناد اليهم، وأنه بصدد معونتهم، ما كان له أن يتصدى للطلب من هؤلاء العظماء، وما كان ليؤبه له أو يلتفت الى طلبه.

أرأيت أن زيادة لفظ (اسم) تفيد معنى لا يستفاد إذا لم تكن هـذه الزيادة؟ وعلى ذلك لا يكون هنا محـل للقول إن الاستعانة بالذات لا بالاسم فكيف يقال: باسم الله؟ ولم لم يقل بالله؟ ولا حاجة أيضا الى البحث فى أن الاسم عين المسمى أو غيره، فـكل ذلك بمعزل عما يقصد فى مثل هذا التركيب، فإن الغرض من ذكر الاسم فى مثل هـذا هو الرجـوع بالذهن الى ما وقر فى نفوس السامعين من تمجيد واحترام وقوة ورهبة لصاحب هـذا الاسم، وكأن لفظ الاسم الغرض منه تحضير المسمى فى نفس السامع بكل ما يتصل به من معانى التبجيل والتعظيم.

ولفظ الجلالة اسم للذات الأقدس الجامع لـكل صفات الـكمال: من صفات تنزيه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وصفات تمجيد ، فهو مشعر بالعظمة والقدرة والسلطان ، والقوة العظمى التى لا تجاريها قوة ولا تعارضها قوة ، فلا غرو أن اختير من بين أسمائه الحسنى للبدء به استمدادا للقوة والتأييد .

واختيار اسمى الرحمن الرحيم بعدها لأن المستعين يطلب العون من القوى المتين استرحاماً لا استحقاقا ، فهو ينادى بلسان حاله : إنى أطلب العون وأستمد القوة من الحول والطول من باب الاسترحام ، وهو الرحمن الرحيم الذى لا يضن على من استرحمه برحمته .

وأما هاتان الصيغتان (رحمن) (رحيم) فقد كثر الكلام فى بيان الفرق بينهما ، واشتهر أن معنى الرحمن المنعم بالنعم الجليلة العظمى ، كنعمة الوجود والإيمان والتكريم وأمثال ذلك ؛ والرحيم المنعم بالنعم الدقيقة التى تعتبر كالتتميم للأولى ، كتيسير عمل جزئى وتتميم حالة فرعية مما يتساهل فى أمره . وعلى ذلك يكون ذكر الرحيم بعد ذكر الرحمن من باب التتميم ، ويكون البدء بالأهم ثم يكمل بما يفيد الاستغراق لكل النعم ، وأنه مصدر جميع النعم ما جل منها وما قل . وهو معنى حسن وإن كان يلوح أن أحسن منه أن يرجع فى تفسير هاتين الصيغتين الى ما كثرت إرادته والإشارة اليه فى استعمالاتهما .

إن هاتين الصيغتين (فعلان وفعيل) من صيغ الصفة المشبهة ، أى أنهما يدلان على الذات باعتبار ثبوت وصف لها وقيامه بها . وهذا معنى غير ما يفيده صيغة فاعل ، وهو إيجاد الفعل وإحداثه ، إلا أن بين الصيغتين فرقا يظهر من استعمالها ، فنجد لفظ فعلان يدل على ذات اتصفت بوصف يبدو عليها آثاره ، مثل قولك فرحان وغضبان وسكران وتعبان وأمثالها ؛ وصيغة فعيل تدل على الذات المتصفة بوصف قد تأصل فيها تأصل الملكات الراسخة ، مثل كلمة كريم وبخيل وشحيح وشريف ونبيل ، فإنك تعبر بكريم مشيرا الى تأصل صفة الكرم فيه ورسوخها فى نفسه بقطع النظر عن كونه يعطى أو لا يعطى ، ومثلها بخيل وشحيح ، حتى لقد يتبرع الشخص أمامك بشىء له خطر وتقول إنه رغما عن ذلك هو شحيح بخيل وإنما يتبرع لغرض فى النفس ظهر أو لم يظهر ، فى حين أن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

آخر لم يتبرع وتقول إنه مع هذا كريم وربما منعه مانع من التبرع كضيق ذات يده أواشمئزازه من الأسلوب الذى يستعطى به أو ما ماثل ذلك ، ولكنك لا تشير بكلمة فرحان أو غضبان الى شخص سجيته الفرح أو الغضب . ألا ترى الفرق بين قولك غضبان وغضوب مثلا ؟ ألا ترى أنك تقول إنه غضبان مع أنه ليس بغضوب أو إنه ليس بغضبان مع أنه غضوب ؟ فلا بد لذلك من سبب وما ماثل ذلك ، تريد أنه تبدو عليه آثار الغضب وليست ملكة الغضب متأصلة فيه ، وفعول وفعيل أخوان .

إذا عرفنا هذا استطعنا أن ننزل عليهما ما نفهمه من صيغتى رحمن ورحيم ، فيكون معنى رحمن مَن تتجلى آثار رحمته وتبدو للعالم مظاهرها فى كل أنحاء الوجود ، فهو الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، وهو رب العالمين ، يتعهد الجميع بآثار إحسانه وفضله . ومعنى رحيم مَن كانت الرحمة فيه متأصلة راسخة ، لا من تكون الرحمة فيه معتملة متكلفة ، ويكون البدء بالرحمن لأنه دال على مظاهر الرحمة التى تبدو فتعرفها النفوس ، ثم يستدل بها وبتكررها على أن الإحسان والرحمة ثابتة راسخة كثبوت الملكات الراسخة فى النفوس ، ولله المثل الأعلى ، وإلا فهو لا يشبه شيئا ولا يشبهه شىء ، ولكنه التقريب فى التمثيل للشرح والتوضيح ، ويكون تقديم الرحمن على الرحيم من باب تقديم الدليل على النتيجة ، فإن ظهور الآثار على كثرة واطراد دليل على تأصل الوصف عند صاحبه . ثم يكون اختيار وصفى الرحمة فى البداءة — على ما سبق تقريره — لتربية معنى التعلق النفسى بالمعونة الإلهية ، وأن يرجوها بمقدار ما يلاحظ رحمته عز وجل .

ولقد عرضنا لهذه الكلمة الموجزة فى تفسير البسملة مع أن الكلام عليها كان يحق أن يكون فى طالعة الكلام فى التفسير على الإطلاق ، لأنا رأينا أنا بحاجة الى الكلام على الحروف التى تذكر فى فواتح السور ، وكان أول ما عرض انما فى هذه الحروف ما نحن بصدده من تفسير سورة الرعد ، فرأينا أن يكون الكلام فيها مع نظيره ، إذ كل منهما مما أفرد عليه الكلام ، ونكتفى به مرة واحدة عن التكرار ، فنقول :

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

قال الله تعالى : « الـمـر » :

هذه الحروف الهجائية التي وقعت فى أوائل السور قد أطال المفسرون فيها الكلام ، وحكوا فيها خلافا متشعب الأقوال . ونحن لا يسعنا أن نجزم بأمر فى موضوع تشعبت الأقوال فيه ودعّم كل فريق قوله بما ظهر له من الأدلة والحجج . وكيف يستطاع الجزم فيما قامت فيه تلك المعارك قديما وحديثا ، ولو كان للجزم فى هذا سبيل لما نشبت تلك المعارك الخلافية ، ودامت بين العلماء تلك الحقب المديدة . إلا أن هذا لا يمنعنا أن نختار ما يظهر لنا اتضاح وجهه ، مع جواز أن يكون غير ما اخترناه أقرب الى القبول عند غيرنا ، ولكل وجهة هو موليها . ولذلك فإنا سنفرغ الوسع فى حكاية أصول المذاهب ومستنداتها بإيجاز ، ونردفها بما يعنّ لنا اختياره ، والله المستعان :

قد اختلف المفسرون أولاً على قولين : (الأول) أن المعنى المقصود منها سر استأثر الله بعلمه ، فلم يطلع عليه أحدا من خلقه . و(الثانى) أن المقصود منها معلوم . فأما أصحاب القول الأول فاستندوا الى أنها من المتشابه ، وأن الوقف على لفظ الجلالة فى آية آل عمران : وهى قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله » ، وقوله : « والراسخون فى العلم » كلام مستأنف ، فإنه لو كان « والراسخون فى العلم » عطفا على لفظ الجلالة لما كان هناك وجه لمدحهم بالإيمان به المحكى عنهم فى قوله تعالى : « يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا » ، إذ لو كان المتشابه معلوما لهم لكان إيمانهم به كإيمانهم بكل معلوم لهم فلم يكن فيه مزية خاصة توجب الثناء عليهم بالإيمان به ، بخلاف ما إذا آمنوا بكونه من عند الله وإن لم يفهموا معناه ، فإنه حينئذ يكون من باب الإيمان بالغيب الذى يعطى أنهم كملت ثقتهم بما أنزل عليهم حتى آمنوا بما فهموا وبما لم يفهموا . وهذا لا يكون إلا ممن رسخ الإيمان الكلى فى قلبه حتى صار يذعن لما لم يفهم استنادا الى امتلاء قلبه بالإيمان بما فهم . وهذا على قياس أن الله تعالى كلفنا بأشياء فهمنا حكمتها وسرها فقمنا بها وفعلناها ، كالصلاة المحققة للعبودية والاستعانة بالله ، وكالزكاة التى تعطف قلوب الأمة بعضها على بعض ، وكالصوم

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الذى يكسر شهوة النفس فيعين على تهذيبها ؛ ثم كلفنا مع هذا بأشياء لم نفهم سرها ولم نتبين حكمتها ، مثل رمى الجمرات والسعى والاضطباع (١) والهرولة فى بعض الأماكن.

والسر فى ذلك أن الامتثال فيما فهم معناه قد يكون منشؤه الاقتناع بحكمته والسعى لتحصيلها ، أما الامتثال فيما لم يفهم معناه فإنه يدل على الانقياد والامتثال للآمر من حيث إنه صادر عمن تجب طاعته ، سواء أفهم الغرض منه أم لم يفهم ، ثقة بأنه لا يأمر إلا بما فيه الخير كل الخير . ويشبه هذا قول بعضهم فى حسن الطاعة وقوة المناصرة :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم   للنائبات على ما قال برهانا

وقول بعضهم فى وصف رجل بطاعة قومه له طاعة عمياء : « هذا الذى إذا غضب غضب لغضبه ألف سيف لا يسألونه فيم غضب » . فكما أن الامتثال الصادق إنما يظهر حين الأمر بما لم يظهر وجه حكمته كذلك الإيمان الحقيقى إنما يظهر فى الإيمان بما خوطبوا به ولم يتبينوا صريح معناه ، فكان قصارى أمرهم أن يقولوا آمنا به كل من عند ربنا . وبه تظهر المقابلة بينهم وبين الذين فى قلوبهم زيغ ، فإنهم يتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، فلو كان ابتغاء تأويله من شأن الراسخين فى العلم ما نَعَى على مبتغيه بتسميته من أهل الزيغ .

وأيضا فإنهم استندوا الى أن الحكمة قد تقتضى اشتمال الكلام على ما لم يتجل معناه حتى تحس النفوس دائما بوجود ما خفى عنها فى طياته ، فلا تزال تبحث فى دقائقه وتتأمل فى أحنائه وتنظر فى أثنائه ، فكلما ازدادت نظرا ازدادت هدى وبصرا :

يزيدك وجهه حسنا   إذا ما زدته نظرا

وقد جاء فى وصف على كرم الله وجهه للقرآن قوله : « هو الذى لا تنقضى عجائبه » . ومعلوم أن وجود ما لم يفهم محرض للنفوس على الدأب فى الاستقصاء والكد فى التتبع

---

(١) اضطباع الطائف بالبيت : أن يدخل الرداء من تحت إبطه الايمن ويغطى به الايسر كالرجل يريد أن يعالج أمرا فيتهيا له .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

علما بأن أمامه سرا لا يزال خفيا، فهو يستطلع دائما ما حول ذلك السر. فهذه حكمة ثانية وهى الحث على إدامة التأمل والتفكر، وهى غير الحكمة الأولى التى هى اختبار الإذعان والإيمان بما لم يفهم، وأن ذلك من الإيمان بالغيب. وقد يقرب من هذا ما قاله بعضهم من أن المشركين كانوا يقول بعضهم لبعض: لا تسمعوا لهذا القرآن والْغَوْا فيه. فلما أنزلت السور مبدوءة بحروف لم يفهموا المراد منها ألجأهم ذلك الى الإصغاء، لحرص النفوس على تتبع ما لم تفهم، فهجم عليهم من البيان ما ملأ قلوبهم، وملك عليهم حواسهم فأسروا وبهروا من حيث لم يشعروا. وهذا حكمة للإتيان به، وهو غير كونه معنى مستعملا فيه، فلا يشتبه عليك هذا بذاك.

وأما أصحاب القول الثانى، وهو أن المقصود منها معلوم، فلهم مستند فى التزام أنه معلوم، ولهم خلاف فى تحديد المعنى المقصود. فأما مستندهم فهو أن القرآن جاء هدى وتبيانا ورحمة كما نطقت به الآيات المتعددة، وهذا لا يكون إلا فيما فهم معناه المقصود منه؛ وقد أمر بالتدبر فيه والاستنباط منه ولا يكون إلا إذا فهم معناه. وأيضا فهو بلسان عربى مبين ولا يظهر ذلك فى غير ما يفهم؛ وقد تُحدى به المشركون وكيف يُتحدى بغير مفهوم. وأيضا فالمقصود من الكلام الإفهام، فلو جيء بغير مفهوم لكان عبثا، ولكان كمخاطبة المرء بغير لغته ولا وجه له.

وقد دفعت هذه الوجوه بأن كون القرآن فى جملته هدى ورحمة وتبيانا وبلاغا وعربيا مبينا، الى غير ذلك من الصفات، مما لا إشكال فيه ولا نزاع، ولا يقتضى هذا أن يكون كل لفظ منه جاء للدلالة على معنى وضع له، بل قد يكون فى الإتيان بما لم يفهم حكمة هى ما بينا فى أوجه القول الأول، وناهيك بها حكمة، بل هى مما تؤكد الهدى والنور والرحمة. وهل بعد ما يحمل المعاند على الإصغاء، والغافل على الانتباه، والمتأمل على الاستقصاء، هل بعد هذا من حكمة؟

أما المعنى الذى يقصد منها على هذا القول فقد اختلفوا فيه: فمنهم من قال إنها أسماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للسور المبدوءة بها، فطه اسم للسورة، ويس كذلك، وطس، ون، وهلم جرا، إلا أن بعض الأسماء مشترك بين عدة سور، كما وقعت تسمية أشخاص متعددين باسم محمد أوعبد الله مثلا، فتحتاج الى ما يميزها عن بقية السور المشاركة لها فى هذا الاسم، شأن الأشخاص المتعددين يسمون باسم واحد مشترك بينها.

وقد استند أصحاب هـذا القول الى أنها لو لم تكن أسماء للسور لكانت إما أسماء لمعانى خاصة وهوما لم تساعده أوضاع اللغة، إذ ليست دالة على شىء أصلا، وهوممايؤدى للعبث وبالتأمل فيماسبق تعرف أنه يجوز أنها لم يفهم عين المقصود منها، ولا يكون ذلك عبثا، بل أتى بها للحكمة السابقة، وهى الحمل على الإصغاء أوعلى مزيد التأمل والاستقصاء.

ومنهم من قال: بل هى اسم للحروف الهجائية التى وضعت بإزائها، ويكون الغرض إفهام المخاطبين أن ما سيتلى عليهم مما أعجزهم إنما هو من جنس حروفهم التى يتخاطبون بها ويتداولونها، فلم يداهموا بما هو بعيد عن متناول قدرهم، بل جيئوا بما ألفوا وبهتوا بما عرفوا. فهل أعجزهم إلا هذا التأليف الذى بنوا أعمارهم على مزاولته، وأحيوا مآثرهم بالتفاخر به؟ فكيف قعـدت بهم القـوة عن مجاراة هـذا الذى لم يتجاوز مألوفهم ومعروفهم؟ فيكون المقصود منه مزيد تقريعهم بالعجز، عساهم تثور حميتهم فيتحركوا لمحاكاته حتى يفتضحوا عجزا ويمتلئوا بهرا.

أو أن الغرض من الإتيان بها الدلالة على انقطاع كلام والشروع فى آخر، وقد كان من عادة العرب إذا انتهوا من كلام وأرادوا الشروع فى آخر أتوا بشىء جديد يجعلونه تنبيها للمخاطبين على انقطاع السابق والشروع فى الجديد. وقيل: بل الغرض القسم بهذه الحروف لإظهار شرفها وفضلها، إذ هى مبنى كتبه المنزلة وأساس الهدى والنور والرحمة المهداة، فمن حقها التنويه بقدرها.

وقيل: بل هذه الحروف إشارة الى أسمائه تعالى وصفاته، أو إشارة الى اسمه جل شأنه واسم رسله. فعلى الأول كأن الألف إشارة الى أحد، واللام إشارة الى لطيف،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والميم إشارة الى مجيد أو منان، والراء إشارة الى رحمن رحيم مثلا ؛ أو كأن معناها أنا الله أعلم وأرى . وعلى الثانى تكون الألف إشارة الى لفظ الجلالة (الله) واللام إشارة الى جبريل ، والميم إشارة الى محمد ، والراء إشارة الى الرحمة ، فكأن المعنى : الله أرسل جبريل الى محمد رحمة بالأمة .

وهكذا تجد هذه الأقوال كأنها استلهام إشارى لا يبنى على قاعدة ثابتة .

والذى نختاره إما القول الأول وهو أنها مما استأثر الله بعلمه ، وحكمة الإتيان بها ما شرحناه ؛ وإما أنها اسم للحروف الهجائية تنبيها على أن الإعجاز ماجاء إلا من جنس ماتتناوله قدركم ، فهيا عارضوه إذا تهيأ لكم ، وحاشا أن تصل الى ذلك قدركم . والله سبحانه وتعالى أعلم .

هذا ومن اللطائف أن عددها بعد حذف المكرر أربعة عشر ، وذلك نصف عدد حروف المعجم على قول عدم الاعتداد باللام ألف ؛ وأنها فى تسع وعشرين سورة عدد حروف المعجم على القول الآخر ، وأنها تشتمل على نصف أصناف الحروف ، ففيها نصف حروف الهمس المجموعة فى قوله : « فحثه شخص سكت » ونصف الحروف الشديدة المجموعة فى قولك : « أجد قط بكت » وكذا نصف حروف الاستعلاء والإطباق والجهر ، كما يعلم ذلك من فن التجويد .

قال تعالى : « تلك آيات الكتاب » :

اسم الإشارة واقع على آيات السورة الكريمة ومنها هذه الآية ، وذلك غير ممتنع ، ويجرى على نمطه ما يكون من بعض الشعراء ، إذ يضمن قصيدته أبياتا فى وصفها وهى جزء من القصيدة ، فكأنه يقال : إن مايتلى عليك من الآيات التى هى حاضرة أمام مسمعك وقد شرع فى بعضها وأنت بصدد سماع البعض الآخر ، هى آيات الكتاب ، أى هذه هى الآيات الحقيقة بأن تسمى آيات ، فكأنها استحوذت على الجنس كله بحيث منعت غيرها من أن يستحق التسمية بهذا الاسم ، على أسلوب قولهم : هذا هو الكلام ،

oldbookz@gmail.com
جروبا مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وأنت الرجل من بين الرجال ، يراد بذلك أنه استأثر بأن يكون هو الجنس لا غيره ، وذلك من أساليب المبالغة فى الوصف بالكمال .

والآيات جمع آية وهى فى الأصل العلامة والأمارة ، تقول لرسولك : قل لفلان بآية ما بينك وبينه من كذا يطلب اليك أن تصنع كيت وكيت ، فتشير بالآية الى علامة تعرفها أنت وهو فقط وتجعل ذلك دليلا على صدور الرسالة منك اليه ، وأن الرسول صادق فى التبليغ عنك . وإنما سميت آيات الكتاب العزيز آيات لأنها علامات على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإما كل آية منه وحدها علامة لإعجازها وذلك فى الآيات الطوال ، وإما كل آية انضمت الى آية أخرى أو آيتين أخريين معجزة ، فالحد المعجز فى القرآن هو الآية الطويلة ، أو الآيات الثلاث القصار التى تبلغ مقدار الآية الطويلة ، ومثلها الآيتان المتوسطتان فى الطول بحيث تبلغان مقدار آية طويلة أو ثلاث آيات قصار .

والكتاب فى الأصل بمعنى المكتوب كاللباس بمعنى الملبوس ، وأصله من كتب بمعنى جمع يقال : كتب الأديم أى جمع بعضه الى بعض ، اشتهر عرفا فى جمع الحروف بعضها الى بعض ، وأطلق هنا على القرآن الكريم ، ولو قبل أن يكتب باعتبار مايؤول اليه ، فإنه بصدد أن يكتب . وحاصل المعنى - والله أعلم - بعد أن قرع سمعهم بهذه الحروف التى توجب انتباههم وشدة تطلعهم بما تفجأ أسماعهم من الغريب عليهم ، أو بما تستفز قواهم من التحدى بجنس مايعرفون ويألفون ، قال لهم : إن هذا الذى يتلى عليكم هو آيات الكتاب ، وهو الذى يستحق أن يسمى بالآيات وبالكتاب الحق الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

قال تعالى : « والذى أنزل إليك من ربك الحقُّ » :

الاسم الموصول مبتدأ والحق خبر . والمعنى أن الذى أنزل اليك من ربك الذى خلقك وسواك وأدبك ورباك وأعانك على ما ندبك اليه هو الحق لا يعدوه ولا يحيد عنه . وهذه الآية من التى قبلها إما بمنزلة الاستدراك ، كأنه لما قيل فى الآية الأولى :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تلك آيات الكتاب وربما توهم منها نفى الكمال عما عداها من آيات الكتاب ، دفع هذا التوهم بأن الذى أنزل اليك من ربك كله الحق فلا مطعن فى شىء منه . ويشبه هذا مايروى عن أم البنين وقد سئلت أى بنيك أفضل؟ فقالت : «ربيع ، بل عمارة ، بل قيس ، بل أنس : ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل ، هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها»! لم ترد بذلك الحيرة وجهل حالهم ، وإنما أرادت من أول الأمر أن تفيد التنصيص على أن لكل منهم من الفضل ما لا يحيط به الوصف ، وتنص على استحقاقه فضلا عظيما ؛ ثم عادت فنفت نقص أحد منهم عن أخيه ، وأجملت ذلك فقالت : هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها . وهذا أسلوب من الأساليب البلاغية التى لا يخفى مغزاها . ويصح أن تكون الآية بمنزلة التأكيد المقرر لمضمون سابقتها ، ويكون المعنى : كيف لا تكون تلك هى آيات الكتاب البالغ من الكمال كل مبلغ مع أنها من المنزل عليك من ربك ولا ينزل عليك من ربك إلا الحق ؟ أو تكون الآية لوصفها بالكمال البلاغى والإعجاز فى الأسلوب ، والآية التالية لبيان كمالها فى الحق والصدق ، وهو نوع آخر من صفات الكمال وأى كمال ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

هذا وجملة « والذى أنزل اليك من ربك الحق » جملة معرفة الطرفين تفيد قصر الحقية على ما أنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولا يلزم من هذا نفى الحقية عما أنزل على غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، لأن الغرض من هذا القصر إفادة أنه عريق فى الحقية والمبالغة فى الكمال ، على حد قولهم : أنت الرجل ، على ما سبق تقريره . على أن حقيته مستلزمة لحقية ما أنزل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . كيف وقد وصف القرآن بكونه مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ؟

قال تعالى : « ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » :

هذا من باب الزجر والتهديد والنعى على الأكثر من الناس أنهم دائما مغلوبون لهواهم ، فترى حبهم للعاجلة وتركهم للآخرة وكراهيتهم لما يقيد من تصرفاتهم ويكبح

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من شهواتهم وميلهم الى الاسترسال فى الهوى والاندفاع فى بلوغ المآرب الخسيسة والشهوات الحيوانية ، كل أولئك يحملهم على الانصراف عن النظر الصحيح والتفكير الصادق الذى يتبينون به الرشد من الغى والهدى من الضلال . وطالما أفسد الهوى على الانسان تفكيره ، وكانت الميول مقربة للبعيد ومبعدة للقريب ، فلا غرو أن يتضح الحق ويظهر الكمال فى الآيات ، ثم تنصرف النفوس عن الإيمان به تفاديا مما يحد حريتها ويقيد تصرفاتها ويحول بينها وبين خسيس لذائذها . هذا أمر مرجعه نقص فى طبائعها لاخفاء فى طرق هدايتها . أى فلا يهولنك أيها المتأمل المدعو للاستبصار كثرة الضالين الغاوين ، بل نقّ نفسك من الحوائل التى تصرف نظرك عن إدراك الهدى ، تجد الأمر واضحا جليا ، والكتاب بينا والصراط سويا .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لإدراك الهدى ، والسير على الصراط المستقيم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ابراهيم الجبالى

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عهد المهدى لابنه موسى

لما أسند أمير المؤمنين المهدى ثالث خلفاء بنى العباس الى ابنه موسى ولاية خراسان ، قال له كلاما حسنا نجتزىء منه بما يأتى :

« أى بنى ! إنك قد أصبحت لسمت وجود العامة نصبا ، ولمثنى أعطاف الرعية غاية ، فحسنتك شاملة ، وإساءتك نائية ، وأمرك ظاهر . فعليك بتقوى الله وطاعته ، فاحتمل سخط الناس فيهما ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ، فان الله عز وجل كافيك من أسخطه عليك إيثارك رضاه ، وليس بكافيك من يسخطه عليك إيثارك رضا من سواه .

« ثم اعلم أن لله تعالى فى كل زمان فترة من رسله ، وبقايا من صفوة خلقه ، وخبايا لنصرة حقه ، يجدد حبل الاسلام بدعواهم ، ويشيد أركان الدين بنصرتهم ، وإن أهل خراسان أصبحوا أيدى دولتنا ، وسيوف دعوتنا ، فظاهر عليهم لباس كرامتك ، وأنزلهم فى حدائق نعمتك .

أى بنى ! ثم عليك العامة فاستدع رضاها بالعدل فيها ، واستجلب مودتها بالانصاف لها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المحبة وأنواعها

ذكرنا لك شيئا فى العدد السابق عن المحبة وآثارها وفوائدها وما جاء فيها . واليوم نذكر لك أنواع المحبة ونتغلغل بك فى حديثها (وأى حديث ألذ من حديث المحبة ؟) ولسنا نقول ما يقول ذلك القائل الذى يؤلمه أنه لا يجد من يطارحه حديث المحبة :

ما بالديار أخو شوق نطارحه حديث نجد ولا خل نصافيه

ولنعد الى الموضوع فنقول :

من أنواع المحبة محبة الوالد لولده . وهى تكاد تكون لا لغرض ولا علة ، لأنها من قبيل محبة الشخص لنفسه ، فإن فى بقاء ابنه نوع بقاء له . وقد ينضم الى ذلك توهم المنفعة من الولد ، فهى طبيعية لا يشذ عنها إلا من خرج عن مقتضيات الطبيعة .

ومنها محبة الولد لوالده . وهى تكاد تكون من قبيل محبة العلل والأغراض ، حتى إن من الأولاد من يفرح عند موت أبيه أو لا يتألم لما ترك وراءه من ثروة طائلة . ولعل ابن الفقير يحزن على أبيه أكثر من ابن الغنى . وأما ما تجده من احترام الأبناء للآباء والقيام بواجبهم فرجعه فى الغالب الى مزيد أدب ، أو حسن تربية ، أو دفع معرة وانتقاد ، أو توهم منفعة وحصول غاية ، لا الى مودة ومحبة . ولهذا ترى القرآن الشريف قد اعتنى بوصية الأبناء على الآباء شدة الاعتناء ، وترك الآباء ينساقون نحو الأبناء بسائق المحبة الطبيعية .

فيجب على الأولاد أن يقووا فى نفوسهم محبة آبائهم ، وأن يتفكروا فيما كان لهم من إحسان لا يسمح به غيرهم ، فيقابلوا المحبة بالمحبة والإحسان بالإحسان ، وأن يكرروا على مسامعهم ما جاءت به الآيات والأحاديث ، وما رسمته الأخلاق والآداب فى ذلك .

ويلزمنا أن نكتفى منهم بهذا الحب التكلفى ، حيث لم نظفر منهم بالحب الطبيعى ، وهو كافل الراحة وكاف فى الصفاء .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولنذكر هنا ما ذكره كثير من المفسرين عند تفسير قوله تعالى : « واخفض لهما جَناحَ الذُّل من الرحمة وقلْ رب ارحمهما كما ربّياني صغيراً » فنقول :

روى ابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رضا الله تعالى في رضا الوالدين ، وسخط الله تعالى في سخط الوالدين » . وقد صح أن رجلا جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد معه ، فقال : أحيٌّ والداك ؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد . وما أحسن ما قال بعضهم :

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَمُنْتُك يافِعاً ... تُعَلُّ بما أَجْني عليكَ وَتَنْهَلُ
إذا ليلةٍ ضافتك بالسقم لم أَبِتْ ... لسُقْمِكَ إلا ساهرًا أتململُ
كأني أنا المطروقُ دونكَ بالذي ... طُرِقْتَ به دُوني فعيني تَهمَلُ
تخافُ الرَّدى نفسي عليكَ وإنها ... لتعلمُ أن الموتَ وقتٌ مؤجلُ
فلما بلغتَ السِّنَّ والغايةَ التي ... إليها مدى ما كنتُ فيها أؤمِّلُ
جعلتَ جزائي غلظةً وفظاظةً ... كأنك أنتَ المنعمُ المتفضلُ
فليتك إذ لم ترعَ حق أبوتي ... فعلت كما الجارُ المجاورُ يَفْعَلُ
تراه معِدًّا للخلافِ كأنهُ ... برد على أهلِ الصوابِ موكَّلُ

وكان ذلك فيما يروى بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال للولد : « أنت ومالك لأبيك » . كذا رواه البيهقي في الدلائل ، والطبراني في الأوسط والصغير في قصة طويلة . وروى مسلم عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه » في قصة جرت له مع أعرابي كان أبوه يود عمر ابن الخطاب .

محبة الأصدقاء :

ومنها محبة الأصدقاء . ولا بد للإنسان من صديق يأنس به ، ويلقي عليه بعض همومه ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد خلق الانسان ضعيفا ، حتى إنه لا يستطيع أن يكتم ما فى صدره من فرح أو ترح ، وهو على نفسه أشق من الأثقال الحسية ، فإن هذه على جسمه وتلك على قلبه :

ولا بد من شكوى الى ذى صداقة ... يسليك أو ينسيك أو يتوجع

وقد قيل لبعض الحكماء : أخوك أحب اليك أم صديقك ؟ فقال : إنى لا أحب أخى إلا لكونه صديق .

وكثيرا ما تسمعهم يقولون : إن الصديق محال الوجود ، حتى إذا أردت أن تبالغ فى أمر قلت : هو من رابع المستحيلات ، وأما الثلاثة فهى مقررة معروفة لا نزاع فيها :

أيقنت أن المستحيل ثلاثة ... الغول والعنقاء والخل الوفى

ويقول غيره :

سمعنا بالصديق ولا نراه ... على التحقيق يوجد فى الأنام

وأحسبه محالا نمقوه ... على وجه المجاز من الكلام

وهاك شيئا مما قالوه فى هذا الموضوع ، نورده لك تفكهة أو تبصرة :

تغير إخوان هذا الزمان ... فكل خليل عراه الخلل

وكانوا قديما على صحة ... وقد داخلتهم صروف العلل

قضيت التعجب من أمرهم ... فصرت أطالع باب البدل

*
* *

خذ من دنا وتجاف من بعدا ... لا تكرهن على الهوى أحدا

قد أكثرت حواء ما ولدت ... فإذا جفا ولد خذ ولدا

*
* *

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم ... وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب

فلم ترنى الأيام خلا تسرنى ... مباديه إلا ساءنى فى العواقب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إنى لأفتح عينى حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

***

إذا ماضاع منك اليوم خِل فلا تحزن عليه الدهر وافرح
فإن الخل عبء أى عبء فمهما اسطعت أن تلقيه فاطرح

***

إذا قيل فى الدنيا خليل فقل نعم خليل اسم شخص لا خليل وفاء
وإن قيل فى الدنيا جواد فقل نعم جواد ركوب لا جواد عطاء

الى غير ذلك وهو كثير . وسر ذلك أن الانسان يطلب صديقا لا يتغير بحال ، ولا يتصف بعيب ، يقدمك على نفسه ، ويتحملك فى كل ما تأتى به ، كما قال قائلهم :

إن أخا الانسان من كان معه ومن يضر نفسه لينفعه
ومن إذا ريب الزمان صدعه شتّت فيه شمله ليجمعه

ومن الغريب أنه يوجب ذلك على صديقه له ولا يوجبه على نفسه لصديقه . ولكن إذا كانت الصداقة مبنية على تشاكل فى الأرواح ، وصادفت معهذا استعدادا حسنا ، كانت الأمنية المطلوبة ، والبغية المرغوبة . وإذا تكمل إيمان المرء وجدت فيه كل ما تحب من صفات الخير وسجايا الفضل ، حتى يقدمك على نفسه كما تحب ، فإنه إذا وصل الى درجة الكمال كان من الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ولا شيء يعلى الهمة ويعظم المروءة ويورث الرحمة ويغرس فى القلوب المحبة مثل الايمان الكامل . فإذا اشتاقت نفسك الى ذلك الصديق فاطلبه بين المؤمنين ، فعسى أن تجده فيهم ، فهم مظان وجوده .

على أنه يلزمك أن تكتفى من صديقك بفضيلة من الفضائل ، وتغتفر له فى جانب ذلك ما يكون منه ، فإن الحسنات يذهبن السيئات :

ولستَ بمستبْقٍ أخا لا تلمّه على شعَثٍ أىُّ الرجال المهذّب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا تطلب أن يكون جامعا لكل فضل، مبرأً من كل نقص (وإذا كان مَن هذه صفاته ممن يدخل فى عالم الوجود فاجتهد أن تكون أنت ذلك الانسان).

فالخلاصة أنه يلزمك أن تعرف الطبائع البشرية ومقتضياتها، ولا تطلب ما ليس فى طبع الانسان، وأن تكتفى ممن يكون صديقك بجهة من جهات الخير، ثم تقبله بعد ذلك على ما فيه من عيب، وتتحرز منه فى الجهة الأخرى (جهة الشر الذى فيه). فاذا ظفرت بمن يغلب خيره على شره، فقد ظفرت بالخير كله.

محبة الوطن:

حب الوطن يكاد يكون ألصق شيء بالنفوس، حتى إنه ليلتحق بغرائزها المجبولة عليها. وقد قرن الله الخروج من الأوطان بالقتل فقال: «ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم». فلولا أن حب الوطن متأصل فى النفوس ما جعل الخروج من الأوطان قرين القتل. وقال فى آية أخرى حكاية عن بنى إسرائيل: «وما لنا ألاّ نقاتلَ فى سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا». ولا شك أن كل إنسان يجد من نفسه حنينا الى وطنه الذى نشأ فيه، وشوقا الى تلك المعاهد التى ربى فيها، وميلا طبيعيا الى ذلك الصفاء الذى أخذ من قلبه محلا لا تعفيه الدهور:

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو عهودا مضت فيها فحنوا لذالكا

ومحبة بلادك التى غمرتك بخيراتها، ومحبة أمتك التى تسعد بسعادتها وتشقى بشقائها ليست فى الحقيقة إلا محبة لنفسك.

وإن الأمة لا تكون أمة تتمتع بحقوق الأمم الحية، وتأمن على نفسها من الانحلال والفناء فى الأمم الأخرى، إلا إذا رسخت فيها محبة الوطن.

وقد ندبك الدين الحنيف الى محبة الناس كلهم والرحمة بهم، ولكن على درجات مخصوصة وحدود محدودة. والانسان الكامل هو من لا تختلط عليه الأمور ولا تشتبه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لديه الخيرات بالشرور ، فيعرف مراتب المخلوقات ونسبتها اليه ، ومقدار قربها وبعدها من خالقها ، فيعطى كل مرتبة حقها ، وكل درجة قسطها ، ملاحظا معاملة الله لهم ورحمته بهم ، وأنهم مخلوقاته ، فلا يجهل نسبتهم ، ولا يظلم رتبتهم . ومن أحب الصانع واعتقد كماله ، أحب الصنعة لا محالة .

وللأشياء جهات وحيثيات يجب أن تراعى كلها فى نظر الحكيم . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « تخلقوا بأخلاق الله » فمن شاركك فى الانسانية كان له عليك حق واحد وهو حق الانسانية ؛ ومن شاركك فى الايمان أيضا فله عليك حق الانسانية وحق الايمان . فإن كان مع هذا أحدَ من ينتمى اليك بالقرابة ، كان له عليك حق القرابة أيضا . فإن انضم الى ذلك كونه جارا لك انضم الى تلك الحقوق حق رابع ، وهكذا .

وأهل تلك الدرجات متفاوتون أيضا ، فمن كان أقرب اليك كان أعظم حقا عليك ، ومن كان ألصق بك من جيرانك كان أوجب مراعاة من غيره ؛ ومن صنع معك خيرا من أولئك الأقارب أو الجيران كان حقه عليك آكد ممن سواه : « من صنع معكم معروفا فكافئوه » « هل جزاء الإحسانِ إلا الإحسانُ » . فاذاً أهل وطنك لهم عليك حقوق كثيرة ، وواجبات عديدة ، على حسب ما شرحنا . ولعلك من أوسع الناس علما بهذا الموضوع (موضوع محبة الوطن) فلنقتصر منه على هذا .

ولكن لا بأس بعد ما تقدم أن نسوق اليك فائدة أخرى : وهى أن الانسان إذا لم يكن بين من يميل اليهم من أشكاله فهو غريب وإن كان فى وطنه ، فإن معاشرة من ليس بينك وبينه مناسبة أثقل على الأرواح من كل شىء . وقد قالوا : إن حُمّى الروح مجالسة الثقيل الذى يباينك وتباينه ، وأنشدوا فى ذلك :

وما غُرْبة الانسان فى البعد والنوى ولكنها فى قرب من ليس من شكلى
وإنى غريب بين بست[1] وأهلها وإن كان فيها موطنى وبها أهلى

(١) بست بالفتح : واد بارض اربل ، وبالضم : بلد بسجستان . كذا فى القاموس .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

محبة الله عز وجل :

قد سبق لك أسباب المحبة ، وأن كل سبب منها يوجب المحبة على انفراده ، وإن كان بعضها أقوى من بعض . فإذا أمكن أن تجتمع هذه الأسباب كلها فى شىء واحد ، وجب أن تكون محبته أتم أنواع المحبة وآكدها وأشدها ، ولا يتصور ذلك على الحقيقة إلا فى الله تعالى ، كما ستعلم : « والذين آمنوا أشدُّ حباً لله » . فإذا نظرت بعين التحقيق وصادفك نور التوفيق ، وجدت كل سبب من الأسباب المتقدمة يقضى عليك بحب الله تعالى ، بل إذا دققت النظر وأمعنت الفكر ، ورقّت كثافة حجابك وعلوت عن أرض طبيعتك ، وترقيت عن درجة المحسوسات التى يشاركك فيها جميع الحيوانات ، الى أفق قلبك ، وأشرقت عليك شمس بصيرتك ، وجدت المستحق المحبة على الحقيقة إنما هو الله تعالى دون غيره .

فإذا كان الإحسان يقتضى محبة المحسن ، فلا إحسان كإحسانه تعالى : « وإن تَعُدُّوا نعمة الله لا تحصوها » فإحسانه عليك فى إفاضة وجودك ، وإعطائك ضرورياتك وحاجياتك وكمالياتك : من عقلك ، وسمعك ، وبصرك ، وذوقك ، وجميع حواسك ، وصفاتك الظاهرة والباطنة ، وأنواع النعم الخارجة عن ذاتك ، مما تندفع به ضرورتك ، أو تزول حاجتك ، أو تتم به لذتك — هذه الاحسانات الفائضة ، والمنن المتواترة ، لا تكاد تحصى أصنافها فضلا عن جزئياتها . ولو نظرت الى نعمه المودعة فى الهواء أو الماء ، أو نور الشمس والقمر ، وخلق الليل والنهار ، لا نقطعت أثناء سيرك ولم تفز إلا بقدر يسير منها ، بل لا إحسان فى الحقيقة إلا له تعالى ، فإن من أنعم عليك من الخلق بشىء فإنما يقصد نفع نفسه بارتفاع الصيت وجميل الثناء أو حسن الجزاء ، فهو فى الحقيقة بائع أخرج من يده شيئا ليعتاض عنه ما هو أعز منه عنده عاجلا أو آجلا . ولا يتصور الاحسان الحقيقى الذى لا يقصد به عوض إلا من الله تعالى . على أنه هو الذى سخر لك قلب ذلك المحسن ، وأودع فيه محبتك ، أو الشفقة عليك ، أو رجاء الخير

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من الله ، أو من الناس بمساعدته إياك . ولو شاء لعكس كل ذلك وصرف قلبه عنك ، وألقى فى روعه ما ينفرد منك (والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن) .

فإن كنت تحب أحدا لأجل إحسانه فاعرف المحسن الحقيقى ؛ ولا يكن نظرك كنظر الحيوان يحب سائسه الذى يقدم له العلف ، ولا يحب مالكه الذى أمر السائس وأعطاه على ذلك أجرا .

وإن كنت تحب وجود نفسك وبقاءها وكمالها ، فأحب من أعطاك ذلك كله من غير أن تسأله . بل كان فى تدبيرك من قبل وجودك ، وقد أعطاك من كمال الخلقة الظاهرية والباطنية ما لا يمكنك أن تهتدى اليه حتى تطلبه منه .

وإن كنت تحب أحدا من أجل صفاته الجليلة ونعوته الجميلة كما تحب الملوك العاملين أو الفضلاء الكاملين وإن لم ترج خيرهم والانتفاع بهم ، فأحب خالق الكمال والجمال الذى تنزه عن كل نقص ، واتصف بكل صفات الكمال ، التى لا يصل اليها العلم ، ولا يحيط بها العقل ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

وإن كل من تحبه لهذا السبب فإنما تحبه لصفات معدودة وكمالات محدودة . فلتكن واسع النظر ، نافذ البصيرة ، عالى الهمة ، عظيم العلم ، كبير الفهم ، حتى تحب من لا تعد صفاته ، ولا تنتهى كمالاته . ولا تكن كالصبيان لا يمكنهم أن يحبوا من طبقات الناس إلا أسفلها وأدناها ، دون أشرفها وأعلاها . وأنت مستعد لإدراك الجمال المعنوى والكمال الإلهى ، وهى خاصتك التى امتزت بها عن سائر الحيوان . وعلى قدر ذلك تلتحق بالملائكة ويتحقق فيك روح الانسانية .

وكل من بطلت فيه خاصة نوعه فليس فى الحقيقة من ذلك النوع ، لأن النوع لا يوجد بدون خاصته على الحقيقة ، فهيج من نفسك الشوق الى تلك المعارف التى هى ألذ من كل شىء ، ولا تُمت تلك الحاسة الباطنية التى هى أعلى حواسك وأشرف مزاياك .

فلذة العلم عند ذويها فوق اللذائذ كلها ، لأنها لا توجد إلا فى سماء الانسانية دون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أرض الحيوانية . واللذائذ مرتبة على حسب درجات العوالم ، ولذة العلم بعد ذلك على قدر ما تدرك من شرف المعلوم . فليس علمك بأسرار الملك وشئونه فى مملكته كعلمك بأحوال رجل من السوقة . فإذاً يكون العلم بأشرف المعلومات ألذ العلوم . وليس هناك أجل من الله تعالى الذى لا يثنى عليه حق ثنائه غيره ، ولا يحيط بكماله سواه .

فطهر قلبك من أدناس الرذائل كلها ، وهيئه لغرس تلك المحبة التى هى أتم اللذات وأكبر السعادات ؛ وهى مطلب قلبك لو كان باقيا على صحته ، ومأرب روحك لو لم تتشعب بها الطرق وتظلها الأهواء « قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . وإلا فأنت المخاطب بقول القائل :

لديك جمال الجامدات فهِمْتَ بها إذا كنت ميالا الى الصور الخرس

هـذا ويجمل بك ها هنا أن تعرف أن المحبة أنجع وسيلة الى تهذيب الأخلاق وتكميل النفوس ، بل إن شئت فقل إنها تقلب الطباع وتغير الحقائق : فتجعل الشحيح من أسخى الأسخياء ، والجبان من أشجع الشجعان . فإذا اتفق لك أنك وصلت الى حد الكمال فى محبة الله تعالى ومحبة رسوله ومحبة الكاملين من أمته ، سارعتْ اليك الكمالات ، وترادفت عليك الخيرات ، وانطبعت فى مرءاة قلبك صفاتهم ، فتبدلت منك الرذائل بالفضائل . وعلى قدر المحبة يكون انطباع صفات المحبوب فى نفس المحب . وقد عرّفوا المحبة بأنها استهلاك الصفات فى الصفات ، وفناء الإرادات فى الإرادات :

فلم تهونى ما لم تكن فىّ فانيا ولم تفن ما لم تجتلى فيك صورتى

وقد عُرّفت أيضا بأنها نار تحرق من قلب المحب الميل الى ما سوى المحبوب :

وحّـــدَ القلبُ حبه فالتفاتى لك شرك ولا أرى الاشراكا

وناهيك بمن وصل الى تلك الدرجة من محبة الله تعالى ومحبة رسوله : كيف تترادف عليه البركات ، وتغمره الفيوضات ، فيستحق من الكرامة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

واذكر هنا قوله صلى الله عليه وسلم : « المرء مع من أحب » . واعرف شرف تلك المعية وما لذويها من الدرجة العلية . فالحب أكبر وسيلة من وسائل الخير والكمال . كما أنه أعظم ذرائع الفساد إن تعلق بغير ذلك . فهو ترياق نافع ، وسم ناقع ، على حسب ما يتعلق به من المحبوبات . ويكفيك هذا التلميح . والله يتولى هداك ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

فى الحث على بذل المال

قال الله تعالى : « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اصطناع المعروف يقى مصارع السوء » وقال : « إن الله يحب الجود ومكارم الاخلاق ويبغض سفسافها » .

وقال اكثم بن صيفى حكيم العرب : « ذللوا أخلاقكم للمطالب ، وقودوها الى المحامد ، وعلموها المكارم ، ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم ، وصلوا من رغب اليكم ، وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة ، ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر » أخذ شاعر هذا المعنى فقال :

أمن خوف فقر تعجلته وأخرت إنفاق ما تجمع
فصرت الفقير وأنت الغنى وما كنت تعدو الذى تصنع

وكتب رجل من البخلاء الى رجل من الأسخياء يامره بالابقاء على نفسه ويخوفه بالفقر . فرد عليه يقول : « الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » . وإنى أكره أن أترك أمرا قد وقع ، لأمر لعله لا يقع » .

وكان خالد بن عبد الله القسرى يقول على المنبر : « أيها الناس عليكم بالمعروف فان الله لا يعدم فاعله جوازيه ، وما ضعفت الناس عن أدائه قوى الله على جزائه » .

وقد أحسن الحطيئة حيث قال وفيه معنى قول خالد المتقدم :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر : « من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه سرا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

خطبة

الأستاذ الأكبر في الجامع الأزهر

...

تفضل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى فزار العلماء وطلاب العلم فى الجامع الأزهر ردا لزيارتهم له بمناسبة تقلده منصب المشيخة الجليلة ، فكان يوما تاريخيا مشهودا ، حضره بضعة ألوف من أهل العلم والطلبة والأهلين ، ونهض فضيلته بجوار الأداة المكبرة للصوت فألقى خطبة لا نبالغ إذا قلنا إنها أجمع خطبة طرقت مسامع الناس فى بيان مكانة الأزهر من الجامعات الاسلامية ، ومحل أهله من حفظ الدين ، وفى تجلية أصول الاسلام الأولية ، وما اشتمل عليه القرآن من الحث على تناول جميع ما ثبت من الفتوحات العلمية ، وما يجب على العلماء من العمل على تطهير الدين مما ألصق به من البدع . ثم نبه فضيلته الى وجوب تغيير طريقة عرض المقررات الاسلامية بالباسها حلة عصرية شائقة لتنجذب النفوس اليها قائلا : إن فيها ما يعتبر اليوم أحدث النظريات عند رجال القانون ، حتى إنها إذا اعتبرت جملة أغنت عن الاجتهاد فى المسائل التى عرضت متى عمل أهل العلم على التخير منها .

ثم عرض فضيلة الأستاذ الأكبر لحرية الرأى ، وحذر من اتهام الخصوم بالكفر والزندقة ، مقررا أن تلك كانت سيرة سلف هذه الأمة ، إذ كانوا لا يكفرون إلا من ينكر نصا أو إجماعا . وقد رمى فضيلته بلفت الأنظار لهذا الأدب الى معالجة النفور الذى يظهر به دعاة الدين عند احتكاكهم بأصحاب الآراء الحديثة ، فيحدث من جراء ذلك تقاطع يعقبه تناكر نتيجته انقسام الأمة الى شطرين ، وليس هذا من مصلحة الاجتماع ولا مصلحة الأخلاق فى شىء .

ثم حض فضيلة الأستاذ الأكبر رجال الأزهر على القيام برسالة الاسلام للعالم أجمع قائلا : إنه لا يتسنى ذلك إلا بتعلم اللغات ، فان الله لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم . ووعد فضيلته بأنه سيعنى بهذه المسألة عنايته بتثقيف عقول الطلاب الأجانب .

ثم ختم فضيلته خطبته بالدعاء لجلالة الملك ، صاحب اليد البيضاء على الأزهر ، ولصاحب السمو أمير الصعيد ولى عهده المحبوب .

ولا يسع مجلة نور الاسلام وهى اللسان الرسمى للأزهر إلا أن تدون بين صفحاتها هذه الخطبة الجامعة التى وضع فيها فضيلة الأستاذ الأكبر أعلام الاصلاح الدينى الذى كان ينشده أولو البصر من المسلمين منذ قرون طويلة ، واشتد التعطش له منذ نحو خمسين سنة ، فقامت الحوائل فى وجوه الداعين اليه والعاملين عليه . واليوم قد قدر الحق سبحانه وتعالى لأقدر [illegible] فى مصر على تحقيق هذه الأمنية أن يتولى قيادة هذه الحركة المباركة ، فها هو ذا [illegible]

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بما ندب اليه فى وسط حشد ضخم من العلماء الأعلام والطلبة الأنجاب ، وتتلقف الصحف فى مشارق الأرض ومغاربها أقواله داعية له بطول البقاء ، ولبرنامجه الاصلاحى بالتوفيق والنجاح .

لا جرم أن هذا يعتبر فتحا جديدا من فتوح الاسلام ، ويوما تاريخيا من أيامه ، يفرح له رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم فى الرفيق الأعلى ، ويستبشر به كل مسلم فى الأرض . وفق الله مصلحنا العظيم لتنفيذ برنامجه كاملا ، ومهد له السبيل اليه ، إنه ولى الكفاية ، وهو المستعان .

ولا يسع مجلة نور الاسلام فى مفتتح هذا العهد الجديد إلا أن تبتهل الى الله بان يجعله حدا فاصلا بين دور الفتور الدينى الذى كنا فيه ودور النشاط الروحى الذى نصبو اليه .

والى القراء نص خطبة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، أطال الله أيامه ، وأمده بروح منه :

محمد فريد وجدى



له الحمد على نعمه ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه .

وبعد : فقد رأيت واجبا على أن أزور الأزهر قبل بدء الدراسة لأحيي علماء الأزهر والمعاهد ، وطلبة العلم فى الأزهر والمعاهد فى دارهم كما حيونى فى دارى . والأزهر دار خاصة لكل من ينتسب الى العلم ، ودار عامة المسلمين .

وقصدت أيضا إسداء النصيحة الى إخوانى العلماء وأبنائى الطلبة بنسيان ما قد يكون باقيا فى نفوسهم من ضغائن وإحن سببتها الحوادث الأخيرة التى تعرفونها ، لنستقبل الحياة العلمية فى صفاء ، ونقبل على العلم بقلوب مخلصة لله ورسوله ، نقية من دنس الغل والحقد ، عامرة بالايمان .

والأزهر مكان يستحق الاجلال ، فقد كان ولا يزال مصباحا تستضىء به جميع الأمم الاسلامية ، ومنبعا صافيا لعلوم الدين ، ومستودع فنون العربية وأسرارها ، وبعض العلوم العقلية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد اضطلع بحمل عبء المعارف الاسلامية وغيرها ، وخاصة بعد سقوط بغداد وضياع ذخائرها العلمية ، وصار المثابة الأخيرة ، والكعبة التى يؤمها طلاب العلم من جميع الأقطار . وما من بلد فى مصر ، بل وما من بلد فى أى قطر من الأقطار الاسلامية إلا وهو مدين للأزهر بما يعرفه أهله من الدين الاسلامى ، وبما بقى عندهم من علوم العربية .

حمل الأزهر هذا العبء وأدى الأمانة كاملة ، وله الفضل على المعاهد العلمية القائمة بجواره فى مصر ، فهو أستاذها ، وهو شيخ هذه المعاهد جميعها .

نعم : قد استقلت عنه بعض المعاهد أخيرا . ولكنه لا يزال له نصيب عظيم من التثقيف فى المعارف الاسلامية وفنون العربية فى أكثر هذه المعاهد . فلكم أن تفخروا بتاريخ طويل كله مجد وعظمة لهذا المعهد الذى تنتسبون اليه : تاريخ ظهر فيه من الأئمة والعلماء والمؤلفين من خريجى الأزهر من لا يحصيهم العد ، وقد كانوا سباقين للخيرات . وكلوا أمرهم الى الله جل شأنه ، فحفظهم ورعاهم ، وشرح صدورهم ، وأنار عقولهم ، فترسموا آثار الرسول الأكرم ، صلوات الله عليه ، وتخلقوا بأخلاقه ، واعتصموا بهديه ، وانتفع الناس بعلمهم وتأدبوا ، وحلت آثارهم فى البلاد جميعها كما يحل ضوء الشمس ونور القمر .

أولئك آباؤنا وأجدادنا فى سلسلة النسب العلمى ، رضى الله عنهم ونفعنا بهم .

يجب أن نذكر هذا المجد ونفاخر به ، ونحرص على الانتساب اليه كما يحرص الأشراف على أنسابهم ، وأن نحافظ على هذا المجد ، ونضيف اليه مجدا طارفا ، اقتداء بأولئك الآباء والأجداد .

قد يسأل بعض الناس : ما فائدة الأزهر؟ أو ما هى رسالة الأزهر كما يقال اليوم؟ فأقول لهؤلاء : رسالة الأزهر هى حمل رسالة الاسلام . ومتى عرفت رسالة الاسلام عرفت رسالة الأزهر .

الاسلام دين جاء لتهذيب البشر ، ورفع مستوى الانسانية ، والسمو بالنفوس ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الى أرفع درجات العز والكرامة . قد طوح بالوسطاء بين الناس وربهم ، ووصل بين العبد وربه ، ولم يجعل لأحد فضلا على أحد إلا بالتقوى ، وقدس العلم والعلماء ، وقرر فى غير لبس ما يليق بذات الخالق من الصفات . وما قرره فى ذلك هو منتهى ما سمت اليه الحكمة ، ووصل اليه العقل . وأتى بتعاليم كلها ترجع الى تهذيب النفس ، وتلطيف الوجدان ، وأبان أصول الأخلاق ، وشرع حل التمتع بالطيبات . ولم يحرم إلا الخبائث ، ووضع حدودا تحد من طغيان النفوس ونزوات الشهوات ، ورسم أصول النظم الاجتماعية وأصول القوانين . قواعد كلها لخير البشر وسعادة المجتمع الانسانى .

هذه صورة مصغرة جدا للدين الاسلامى . ورسالة الأزهر هى بيان الدين الاسلامى ، وشرح قواعده وأسراره . ومتى أدى هذه الرسالة على وجهها فقد أدى نصيبا عظيما من السعادة والخير للجمعية الانسانية .

فى القرآن الكريم حث شديد على العلم ، وعلى معرفة الله ، وعلى تدبر ما فى الكون ، وليس هناك علم يخرج موضوعه عن الخالق والمخلوق . فالدين الاسلامى يحث على تعلم جميع المعارف الحقة . وليس فى المعارف الحقة الصحيحة المستقرة شىء يمكن أن يناقض أصول الدين ويهدمها .

نعم : قد توجد معارف تناقض بعض ما وضعه العلماء فى شرح القرآن والحديث والفقه وغيرها ، ولكننا لا نهتم لهذا ، فلييسر العلم فى طريقه ، ولنصحح معارف الماضين ، لكن على شريطة أن يكون ما يخالف معارفنا ، من العلم البرهانى المستقر .

ولست أقصد بحديثى هذا أن يكون الأزهر مدرسة طب أو هندسة ، أو كلية للكيمياء أو ما يشبه هذا . ولكنى أعنى أن هناك علوما ومعارف لها صلة بالدين وثيقة ، تعين على فهمه ، وتبرهن على صحته ، ويدفع بها عنه الشبهات . هذه العلوم يجب أن يتعلمها العالم الدينى أو يتعلم منها القدر الضرورى لما يوجه اليه .

هذا وقد تغيرت فى العالم طرق عرض السلع التجارية ، وأصبح الإعلان عنها ضروريا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لنشرها وترغيب الناس فيها . ولديكم الحوانيت القديمة ومخازن التجارة الحديثة : وازنوا بينهما تدركوا ما فى طريقة العرض الحديثة من جمال يجذب النفوس اليها ، وما فى طريقة العرض القديمة من تشويه ينفر الناس عنها . وقد توجد فى الحوانيت القديمة سلع أحسن صنفا ، وأغلى قيمة ، وأمتن مادة ، ومع ذلك هى فى كساد .

وكما تغيرت طريقة عرض السلع تغيرت طريقة عرض العلم ، وأحدث العلماء طرائق تبعث الرغبة الملحة فى العلم ، وتنفى الملل والسأم .

حدثت هذه الطرق فى إلقاء الدروس والمحاضرات ؛ وحدثت فى تأليف الكتب أيضا . وهذا المثل ينطبق علينا : ففى جميع الكتب التى تدرس فى الأزهر ، وفى جميع العلوم التى تدرس فى الأزهر أعلاق نفيسة لا تحتاج إلا الى تغيير طريقة العرض فى الدرس والتأليف ، وفى الفقه الاسلامى نظريات تعد الآن أحدث النظريات عند رجال القانون . وفى الفقه الاسلامى آراء يمكن أن يسير عليها الناس الآن من غير حرج ، وتحقق العدالة فى أكمل صورها . ولكن هذه النظريات البالغة منتهى الجمال والحكمة يحجبها عن الناس أسلوب التأليف القديم .

على الأزهر أن يسهل فهم علومه على الناس ، وأن ييسر لهم هذه المعارف ، وأن يعرضها عرضا حديثا جذابا مشوقا .

ومسألة أخرى يجب أن يعنى الأزهر بها : تلك هى تطهير الدين الاسلامى من البدع وما أضيف اليه بسبب الجهل بأسراره ومقاصده . هنالك آراء منثورة فى كتب المذاهب وفى غير كتب المذاهب يحسن سترها ؛ ضنا بكرامة الفقه والدين .

ومن الواجب أن يعترف بأن المذاهب الاسلامية جملة تغنى عن الاجتهاد فى المسائل التى عرضت من قبل متى تخير العلماء منها .

وأذكر قصة طريفة تجدونها فى كتاب الولاة والقضاة للكندى :

« كان فى مصر قاض شافعى المذهب فى عصر الامام الطحاوى ؛ وكان يتخير لأحكامه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما يرى أنه محقق للعدل من آراء الأئمة ، ولا يتقيد بمذهب . وكان مرضىّ الأحكام لم يستطع أحد أن يطعن عليه فى دينه وخلقه . سأل ذلك القاضى الامامَ الطحاوى عن رأيه فى واقعة من الواقعات ، فقال الطحاوى : أتسألنى عن رأيي أوعن رأى أبى حنيفة ؟ فقال القاضى : ولم هذا السؤال ؟ قال الطحاوى : ظننتك تحسبنى مقلدا . فقال القاضى : ما يقلد إلا عصبي أو غبي ؟

فتخيرُ الأحكام نوع من الاجتهاد ، ولكنه الاجتهاد الذى لم يغلق الناس أبوابه .

إصلاح التعليم فى الأزهر واجب اجتماعى ، لإصلاح الأمم الاسلامية فى مختلف أقطارها وأجناسها ، وعلى كل مسلم أن يساهم فيه ما استطاع الى ذلك سبيلا .

وأنا أرجو الله سبحانه أن يوفق العلماء وطلاب العلم الى الاخلاص فى النهوض بالأزهر ، فإن الاخلاص فى ذلك إخلاص لله ولرسوله والمؤمنين ، والدين الحق الذى وعد الله أن يظهره على الدين كله ، وجعله هداية عامة لجميع البشر .

احترام حرية الرأى :

ونصيحة أقدمها للعلماء وطلاب العلم فى الأزهر راجيا تدبرها ، وهى احترام حرية الرأى ، والتحرج من الاتهام بالزندقة والكفر .

ولا أطالب بشىء يعد بدعة . ولا أحدث فى الدين حدثا بهذه النصيحة . فهى موافقة للقواعد التى وضعها سلف الأمة رضى الله عنهم ، وترونها مبسوطة واضحة فى كتب الأصول وفى جميع كتب الإمام الغزالى .

وحاصلها ـ على ما أذكر ـ أن المسائل الفقهية يكفر منكر الضرورى منها : كالصلاة ، والزكاة ، وحرمة الزنا ، وشرب الخمر ، وقتل النفس ، والربا .

أما إنكار أن الاجماع حجة ، وخبر الواحد حجة ، والقياس حجة ، فلا يوجب الكفر ، وما عدا ذلك من المسائل الفقهية لا إثم فى إنكاره مطلقا ، على شرط أن يكون الانكار غير مصادم لنص أو إجماع .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على هذا أجمع الصحابة رضى الله عنهم، وأجمع عليه الأئمة، ولم يعرف أن بعضهم أثّم بعضا.

وإجمال القول أنه ما دام المسلم فى دائرة القرآن لا يكذب شيئا منه، ولا يكذب ماصح عن رسوله صلى الله عليه وسلم بطرق قاطعة، فهو مسلم لا يحل لأحد أن يتهمه بالكفر.

عرضت لهذه النصيحة لأنها تسهل على أهل الأزهر معاشرة الناس، والعمل بها يمكن من نشر الدعوة ومن الجدل بطرقه المقبولة، والعمل على خلافها منفر يحدث الشقاق ويورث العداوة.

أسأل الله أن يهبنا رشدا، وأن يملأ قلوبنا خشية وهيبة من جلاله، ويملأها عطفا وشفقة ورحمة لعباده:

وإذا كانت مهمة الأزهر حمل رسالة الاسلام للعالم، فمن أول واجب على أهله أن يمدوا أنفسهم لتعلم اللغات: لغات الأمم الاسلامية وغير الأمم الاسلامية، والله لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم.

فليحقق الأزهر القدوة، وليرسل الى الناس رسلا يفقهونهم فى دينهم بلسانهم.
وسأعنى بهذه المسألة كما أعنى بتثقيف إخواننا الذين أسماهم القانون «أغرابا» فإن لهم من الحقوق والحرية فى هذا الوطن ما لكل فرد من أهل البلاد. وأرجو أن يفكروا طويلا فيما يفرضه عليهم دينهم من الهداية والإرشاد وإسعاد المجتمع.

وخليق بنا أن نذكر ما لحضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم من منن وأياد بيضاء على المعاهد الدينية؛ وأن نسأل الله جلت قدرته أن يسبغ عليه نعمة العافية، ويديم على هذه المعاهد خيره وبره؛ وأن يحفظ حضرة صاحب السمو الملكى أمير الصعيد ولى عهده المحبوب. والسلام عليكم ورحمة الله.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حقوق الجوار فى الاسلام

لقد وضع الاسلام نظاما للاجتماع يجعل من الأمة الاسلامية جمعاء أسرة واحدة مترابطة الآحاد ترابطا لا تنفصم له عروة ، ولا تنحل له لُحمة . فشرع شرعة التعاون فى الحياة لتذليل عقباتها ، وقطع مفازاتها . وجعل ذلك أساسا لمدنيته الفاضلة ، فقال تعالى : « وتَعَاونوا على البر والتقوى ولا تَعَاونوا على الإثم والعدوان » . ثم لم يدع فضيلة من الفضائل التى تحقق معنى هذا التعاون إلا دعا اليها وحث عليها . ولا مشاحة فى أن مراعاة حقوق الجوار من أمهات تلك الفضائل ، بل لو تحققت هى وحدها لجعلت الأمة كالبناء المرصوص يشد بعضه بعضا ، لا يجد التداعى سبيلا اليه بحال من الأحوال . لذلك جاء فى وجوب مراعاة هذه الحقوق من الأوامر ما يتفق وعظم خطره .

فأول حجر وضعه النبي صلى الله عليه وسلم فى بناء صرح حقوق الجوار قوله : « لايؤمن عبد حتى يأمن جارُه بَوائقَه » ومراده أنه لايتم له إيمان حتى يتحقق فيه هذا الشرط ، وهـذا أمر فى منتهى الخطورة . فإن الإيمان غاية كل متدين وعليه يتوقف استحقاقه للكرامة فى الدنيا والآخرة ، فاذا كان اكتمال هذا الإيمان يتوقف على أن يأمن جار المؤمن أذاه ، فإنه لاشك منصرف بكليته للقيام بهذا الشرط ضَناً بنفسه وطلبا لنجاتها .

قسم النبي صلى الله عليه وسلم الجيران الى ثلاثة أقسام فقال : « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق . فالجار الذى له ثلاثة حقوق : الجار المسلم ذو الرحم ، فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم . وأما الذى له حقان فالجار المسلم : له حق الجوار وحق الاسلام . وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك » .

حقا إن هـذا سمو فى الآداب الاجتماعية ليس وراءه مذهب ، فإن تسرية حقوق الجوار حتى على المشركين لم يقل به قبل الاسلام مصلح فى الأرض . ويفهم من هذا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن الاسلام إنما يراعى فى الآداب الاجتماعية ما يشمل الانسانية كلها ، وهذا غاية ما ترمى اليه المدنية . فالانسان لا يخلو وهو يعيش فى مدينة أن يكون له جيران من ذوى ملل مختلفة ، يبادلهم المعاملات ، فهل أبيحت المسلم معاملتهم وحرمت عليه مجاملتهم ؟ لا ، بل أوجب عليه الاسلام أن يسوى بينهم وبين إخوانه المسلمين فيها وقد حث النبي على مبادلة أهل الكتاب الزيارة وحضور أعراسهم ومآتمهم ، والأكل معهم حتى الإصهار اليهم . وقد وجد أصحاب الأديان من مجاورة المسلمين ما تلقاه القلة فى وسط كثرة قائمة على أحكم أصول المدنية ، وأقوم سبل الانسانية .

قال مجاهد: كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة ، فقال : يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى ، حتى قال ذلك مرارا . فقال الخادم : كم تقول هذا ؟ فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه .

فانظر كيف اعتبر ابن عمر اليهودى جارا ولم يفرق بينه وبين إخوانه فى الدين ، بل انظر كيف أمر خادمه أن يبدأ به قبلهم . لا شك فى أنه فعل ذلك حتى لا يسبق الى ذهن خادمه أن يستثنيه من حقوق الجوار ليهوديته ، فأمره أن يبدأ به ، ثم ذكر للخادم ما ورد عن النبي من التشديد فى وجوب مراعاة هذه الآداب الاجتماعية .

ومن أشد ما يلفت المسلمين الى العناية بحقوق الجيران أن جعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادتهم علامة على الإحسان والإساءة لمن أراد أن يعرف منزلته عند الله . روى عبد الله بن عمر فقال : « قال رجل : يا رسول الله كيف لى أن أعلم إذا أحسنت ، أو أسأت ؟ قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت ، وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت » .

فتأمل فى هذا وانظر هل يطيق رجل سمع هذا الحديث أن يسمع ذم جيرانه له دون أن يبلغ منه التأثر مبلغه ؟ وهل يتأثر منه ولا يحاول أن يحسن من سيرته حتى يستحق أن يمدحه جيرانه ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعنته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت عليه، وإن مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه، وإذا اشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها. ثم قال: أتدرون ما حق الجار؟ والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله»:

إن هذا حديث جامع فى حقوق الجوار لم يترك صغيرة ولا كبيرة منها إلا أحصاها، فلعل من الناس من يخيل اليه قياسا على حالة أهل المدنية اليوم أن هذه الحقوق لا تتفق والحياة الاجتماعية الراهنة، وهو وهم باطل، فإن هذه الحقوق طبيعية يؤدى اليها العقل لو ترك وشأنه، وتقضى بها الانسانية لو تجردت من شبح الحيوانية، وأثرة البهيمية. فإليك بيان ذلك خصلة خصلة:

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أمن علو الهمة التى يجب أن يتحلى بها كل رجل أن يستعين بك جار لك على أمر نزل به فتأبى عليه الإعانة، وأن يستنصرك على لص طرقه أوحيوان ضارٍ داهمه فتوليه ظهرك وتدعه فريسة لما نابه، وأن يستقرضك دريهمات يستعين بها على شأن من شئونه فتضن بها عليه، وأن يفتقر ويجوع أهله فلا تمده بمعونة، وأن يمرض ويحتاج المواساة فلا تعوده، وأن يموت فتبخل عليه بخطوات قليلة، وأن يناله ما يفرحه فلا تهنئه بكلمة، وأن يصاب بنازلة فتترفع عن تعزيته، وأن تستطيل عليه فى البناء لتحجب عنه الهواء والشمس، وأن تؤذيه فلا ترفع بتضرره وزنا، وأن تخص أهلك بالطيبات من الرزق ولا تبالى به وبأولاده الصغار فلا تشركهم معك؟ ثم لا يكفيك أن تعد هذا تقصيرا فتتلمس له حجة من مقتضيات الحياة العصرية؟ هل الحياة العصرية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا تستقيم إلا إذا كان قوامها التقاطع وغلظ الكبد ، والشح المطاع ، وجمود القلب وقلة الانسانية ؟

كان الأولى بك أن تقول : إن الحياة العصرية قد جهلت هذه الواجبات الأولية فوقعت فى شر ما تجنيه الجماعات على نفسها ، وهو حقد الفقراء على الأغنياء ، وحسد المحرومين الموهوبين ، وتوقع بعض الناس دوائر السوء ببعض ، واختمار الثورة فى نفوس أهل الفاقة على قلب النظام العام ، وهذه العلل كلها تشكو منها أوروبا المتمدنة جد الشكوى ، بل هى لم تهدد فى كيانها بشىء كما تهدد من هذه الناحية .

وكما بيّن الاسلام حقوق الجوار على أتم وجه كما رأيت ، حرم إيذاء الجيران أشد تحريم وأبلغه ، حتى جعل هذا الإيذاء مبطلا للأعمال الصالحة ، فقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها . فقال عليه السلام : هى فى النار .

ومن أبلغ ما يؤثر من الزجر عن إيذاء الجار قول النبى صلى الله عليه وسلم : « إن أنت رميت كلب جارك فقد آذيته » ، فأخذ المسلمون بهذا الأدب وجروا على سنته ، فكانوا يتحرجون حتى من مقابلة أذى جيرانهم بمثله . فيروى أن رجلا جاء الى ابن مسعود رضى الله عنه فقال له : إن لى جارا يؤذينى ويشتمنى ويضيق على . فقال له : اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه . ولم يشر عليه بالانتصاف لنفسه ، فإن التغابى عن أذى الجار ربما أداه للندم والرُّعوى ، مصداقا لقوله تعالى : « ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » ، ولكنه لو قابل جاره بالمثل كان ذلك صدعا فى بناء المجتمع لا يلبث أن يتوسع بانضمام بعض الجيران الى أحدهما والبعض الآخر الى الثانى ، فحسما لمادة هذا التصدع رأى ابن مسعود أن يحصر الشر فى أصغر دائرة فينصح المجنى عليه بالصبر . وقد اقتدى المسلمون فيه بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فقد روى أنه جاءه رجل فقال له النبى : اصبر ، فجاءه ثانية وثالثة ، فكان يأمره بالصبر ، فلما جاءه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الرابعة ، قال له : اطرح متاعك فى الطريق . ففعل الرجل ما أمره به ، فجعل الناس يمرون به ويسألونه عما نابه ، فيقال لهم : له جار يؤذيه ، فكانوا يقولون : لعنه الله : فأثر ذلك فى قلب جاره المشاكس ، فأتى صاحبه وقال له : رد متاعك فوالله لا أعود !

وروى الزهرى أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يشكو جاره ، فأمر النبى أن ينادى على باب المسجد : « ألا إن أربعين دارا جار » قال الزهرى : أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا ، وأومأ الى أربع جهات . وإنما جعل النبى صلى الله عليه وسلم هـذا النداء جوابا على شكوى الرجل لأن فيه إيذانا بخطورة حرمة الجوار حتى إنها لتمتد الى أربعين دارا ، ومن يكلف بمراعاة حق أربعين لا يجوز له أن يضيق ذرعا بحق واحـد . وهذا الضرب فى الزجر من أبلغ أساليب التأديب التى لا تؤثر إلا عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى تاريخ المسلمين أغرب الحوادث وأدعاها للاعتبار فى مراعاة حقوق الجوار ، فقد روى أنه بلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره فى دين ركبه ، وكان يجلس هو فى ظل داره ، فقال : ما قمت إذن بحرمة ظل داره إن باعها معدما ، ودفع اليه ابن المقفع ثمن الدار قائلا له : لا تبعها .

وشكا بعضهم كثرة الفأر فى داره ، فقيل له : لو اقتنيت هرا ! فقال : أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسى .

هذا بعض ما يقال فى حقوق الجوار فى الإسلام ، فألق عليه نظرة عامة ثم قابل بينه وبين ما تراه وما تسمعه اليوم من أحوال الجيران . فأما تناكرهم فحدث عنه ولا حرج ، فقد يسكن عشرة عمارة واحـدة فـلا يعرف بعضهم بعضا ، فما ظنك بمن يسكنون عمارات أخرى ؟

وأما ضروب الأذى فما لا يستطاع حصره ، فمن أصغره وأخفاه تربص الشبان خلف الشبابيك بالمنظارات المعظمة ليروا ما يدور خلال دور الجـيران مما لا يحبون كشفه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لأحد، حتى ليضطروهم الى إقفال شبابيكهم وحرمان أنفسهم من شعاع الشمس ونورها الضروريين لصحة الأبدان . ومن أظهر الأذى وأضره إلقاء القامات أمام أبواب الجيران ، وإطلاق العنان للأطفال وقت الهجير يقلقون راحة القائلين بضوضائهم ، ووقت الأصيل يثيرون التراب بكراتهم .

فإذا تركت المدن وانتقلت الى الأقاليم رأيت هذه الحال السيئة ، ولكن فى شكل آخر ، وأظهره تنابذ النسوة بسبب تناقش الأطفال ، وتداخل الرجال فى هذه المنازعات ، فتارة يقف الأمر عند التشاتم ، وطورا لا ينحسم الشر إلا بالتلاكم . أما فى الغيطان فإن حقوق المجاورة لا تراعى الى حد بعيد ، فيجور الجار على أرض جاره ، أو يترك ماشيته ترعى برسيمه فى غفلته ، أو يماكسه فى رى زرعه ، أويسد عليه طريق الصرف لا لعذر غير حب المشاكسة . فهؤلاء كلهم لو ذكروا بما ورد فى الإسلام من وجوب مراعاة حقوق الجيران ، ووقفوا على هذه الوصايا القيمة التى لم يترك النبى صلى الله عليه وسلم وجها من وجوه البيان إلا حلاها بها، قلنا لو ذكروا بهذا كله لأثر فيهم أبلغ تأثير ، وقد عملت إدارة المعاهد الدينية فى حدود ميزانيتها على تدارك هذا النقص ، فأرسلت بعشرات الوعاظ الى الأقاليم ، والآمال معقودة ، على إبلاغهم الى المئين الكثيرة ليعم الناس النور الذى يحملونه اليهم ، والله ولى المحسنين ؟

محمد فريد وجدى

استدراك :

سقطت عند طبع خطبة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر تعليقه عند التكلم فى احترام حرية الرأى وهى إحالة القارىء الى ما ورد فى كتاب التحرير للكمال بن الهمام صفحة ٣٠٣ من المجلد الثالث فى هذه المسئلة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

الطلاق - وكناياته

ورد الى ادارة المجلة هذا السؤال :

ما قول سادتنا علماء الشافعية فى رجل أمر زوجته أن تطالب أحد أقاربها فى دين لها فلم تجبه فقال لها : « علىّ اليمين لا بد أن تطالبيه » ثم طال بينهما النزاع فى هذا الموضوع وغيره فضربها فصاحت ، فدخل عليهما بعض النـاس فاشتد غضبه لذلك ، فقال لها : « أنت مطلقة » .

فهل يقع بمينه الأول طلاقا ويلحقه الثانى لأنها ذهبت فى الليلة الثـانية غاضبة ، أم لا يقع إلا الطلاق الأخير ، مع العـلم بأن اليمين الأول وما لحقه من الطلقة الثانية مسبوقان بطلقة رجعية ؟

عبد الله مسعود عثمان

الجواب

مذهب الشافعى أن قول الرجل لزوجته : يلزمنى اليمين أو علىّ اليمين ، لغو لا يلزم به شىء فى الطلاق . وعليه فقول السائل : « علىّ اليمين لا بد أن تطالبيه » لغو . وأما قوله : « أنت مطالقة » فصريح يقع به طلقة رجعية . وحيث كان مسبوقا بطلقة فلا يملك عليها بعد ذلك إلا طلقة واحدة ؟

يوسف المرصفى مصطفى الشربينى

وورد ايضا :

رجل كان يقرأ فى كتاب من كتب الفقه بحضرة زوجته هذه العبارة « والمعتدة قسمان متوفّى عنها وغير متوفّى عنها » فسألته زوجته بقولها : ما المراد بغير متوفى عنها ؟ فقال لها : « يعنى المعتدة عن طـلاق مثلك » ولم يقصد بقوله مثلك طلاقها وإنما قصد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن يمزح معها . فهل لفظة « مثلك » فى هذا المقام تعتبر صريحة فى الطلاق فلا تحتاج الى نية الإيقاع ، وعلى ذلك يكون قد وقع عليه الطلاق ، أم تعتبر كناية فتحتاج الى نية الإيقاع ؟

أحد القراء

الجواب

من كنايات الطلاق فى مذهب الشافعى قول الرجل لزوجته : « اعتدى أواستبرئى رحمك » لاحتماله الطلاق وغيره .

وعليه فقول السائل لزوجته جوابا لسؤالها له عن غير المتوفى عنها : « هى المعتدة عن طلاق مثلك » كناية طلاق لا صريح . وحيث كان قاصدا المزاح معها ولم يقصد الإيقاع فلا يقع به طلاق . وأما لفظ « مثلك » وحده فليس بصريح ولا كناية .

يوسف المرصفى
الشافعى

مصطفى الشربينى
الشافعى

الصلاة والصوم لسكان القطبين

وجاء أيضا :

إذا كان فى سكان القطبين التى فيها الليل ستة أشهر والنهار ستة أشهر من يعتنق الاسلام ، فكيف يؤدون الصلوات الخمس ، وكذا فريضة الصوم ؟

أحمد العارف قناوى
المدرس بمدرسة بخانس الالزامية

الجواب

مذهب الشافعى فى البلاد التى يستمر فيها الليل ستة أشهر والنهار ستة أشهر ، أن أهلها تجب عليهم الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج ، ويقدرون أوقاتها بأقرب البلاد اليهم من البلاد التى فيها ليل ونهار .

والأصل فى ذلك ماروى مسلم عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله صلى الله

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عليه وسلم الدجال ولبثه فى الأرض أربعين يوما : يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم ، قلنا فذلك اليوم الذى كسنة يكفينا فيه صلاة يوم ، قال : «لا ، اقدروا له قدره » . ولا شك أن الأيام فى تلك البلاد كأيام الدجال فيجرى عليها حكمها .

يوسف المرصفى مصطفى الشربينى
الشافعى الشافعى

زكاة الذهب والفضة

وورد السؤال الآتى :

لدىّ نصاب أحد النقدين ، وقبل حولان الحول بشهر أجريت بيع جزء من الغلال المخرج عنها الزكاة فى حينها وضممت ثمنه الى ما عندى من النقود ، وقد آن وقت إخراج زكاة المال فى النصاب الذى حال عليه الحول ، فهل أخرج الزكاة عن النصاب الأصلى الذى حال عليه الحول ، أم أخرج عن الجميع ، مع العلم بأن ما أضيف جديدا لم يمض عليه أكثر من شهر فقط ؟

عبد القادر عبد الرحمن مكاوى
بمدرسة الغرق الأولية

الجواب

تجب الزكاة فى الذهب والفضة إذا بلغ كل منهما نصابا ، وتجب فيما زاد على النصاب ولو يسيرا ، بحسابه ، بشرط الحول .

وعليه فمن كان مالكا لنصاب أحد النقدين ثم باع جزءا من الغلال أو غيرها ، ضم الثمن الى ما عنده من النصاب إن كان من جنسه ، ذهبا أو فضة ، وتجب فيه الزكاة بحسابه ولو كان أقل من نصاب ، لضمه الى النصاب الذى فى ملكه من قبل ، لكن لا يجب إخراج زكاة ثمن الغلال إلا بعد أن يحول عليه حول من وقت دخوله فى ملكه ، لا بحول النصاب الأول . وإخراج الزكاة عن الغلال وقت حصادها لا يمنع تعلق الزكاة بأثمانها إذا بيعت ، لأنها صارت جنسا آخر م

يوسف المرصفى مصطفى الشربينى
الشافعى الشافعى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى الميراث

وورد الى إدارة المجلة السؤال الآتى :

توفيت امرأة عن زوج وبنتين من ذلك الزوج وأخت شقيقة وعمين شقيقين . أملى الإجابة .

عيد حميده إدريس

الجواب

المسألة من اثنى عشر : للزوج الربع : ثلاثة ، وللبنتين الثلثان : ثمانية ، وللأخت الشقيقة الباقى تعصيبا ، لأنها عصبة مع البنت ؛ ولا شىء للأعمام .

يوسف المرصفى
الشافعى

حكم صلاة الجمعة فى البيوت

وفى المساجد المتعددة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وجاء إدارة المجلة سؤال يقول فيه مرسله :

يوجد ببلدتنا أسرتان لهما مسجد واحد تقام فيه صلاة الجمعة ، وقد حصل بين الأسرتين شقاق أدى الى منع إحداهما من أداء فريضة الجمعة فى المسجد المذكور .

فأدت الأسرة الممنوعة فريضة الجمعة فى دبوان لهم جعل للضيوف ، واتفقت كلمتهم على أن يؤدوا دائما فريضة الجمعة فى هذا المكان . فهل صلاتهم صحيحة أم باطلة ؟

محمد الليثى عيسى
الريس بالأقصر

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد : فمن شروط صحة الجمعة فى مذهب مالك رضى الله عنه المسجد ، فلا تصح عنده

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إقامتها فى البيوت ولا فى الفضاء، ولا تقام فى البلد الواحد إلا فى مسجد واحد. فلو تعددت المساجد لم تصح إلا فيما أقيمت فيه أولا وهو المسمى بالعتيق عند المالكية. وقد أجيز إقامتها فى مسجد آخر مع العتيق لأسباب مبسوطة فى كتب المذهب، منها خوف حدوث فتنة بين طائفتين من أهل البلد لو اجتمعوا فى المسجد العتيق، فاذاً يجوز لكل طائفة أن تصلى فى مسجد على حدة، وتصح الجمعة فى المسجدين مادامت العداوة قائمة.

والخلاصة أن الأسرة التى منعت من إقامة الجمعة فى مسجد البلد (فى صورة الاستفتاء) إذا أمكنهم رد العائلة المانعة بطريق الحاكم أو بأية طريقة ودية بحيث تكون الفتنة مأمونة، وجب عليهم سلوك هذا الطريق وصلّوا معهم الجمعة. فإن عجزوا ففى المسألة تفصيل: حاصله أنهم إذا قدروا على إنشاء مسجد آخر بالبلد وجب عليهم إنشاؤه وسقطت عنهم الجمعة حتى يتموا. فإن عجزوا عن ذلك أيضا سقطت عنهم الجمعة بتاتا، لأن من شروط وجوبها القدرة على المسجد.

هذا وقد علم مما قدمناه أن جمعتهم التى أدوها فى محل الضيوف باطلة؛ ويجب عليهم قضاؤها ظهرا، وألا يعودوا الى صلاتها فيه مرة أخرى، لأن الإقدام على العبادة الباطلة لا يجوز شرعا. والله يتولى هدى الجميع بمنه وكرمه.

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

استكمال العرف

كتب أبو تمام الطائى الى أحمد بن أبى دواد قاضى القضاة فى زمن المعتصم:

اعْلَمْ وأنتَ المرءُ غيرَ معلَّمٍ ... وافهمْ جُعِلْتُ فِداكَ غيرُ مفهمِ
إن اصطناعَ العُرْفِ ما لم توله ... مستكملاً كالثوبِ ما لم يعلمِ
والشكرُ ما لم يستترْ بصنيعةٍ ... كالخطِّ نقرأهُ وليسَ بمُعجمِ
ويفوتنى فى القولِ إكثارٌ وقد ... أسرجتَ فى كرمِ الفعالِ فالجمِ

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فتح المسلمين لاسبانيا

الفرق بين المسلمين وغيرهم فى استعمار الممالك

أجمع مؤرخو الفرنجة على أن أوروبا فيما بين القرن الرابع والقرن الخامس عشر للميلاد كانت قد وقعت فى حالة من الجهالة كادت تقلبها الى بربرية مطلقة، فإن العلوم التى أثمرتها الجهود اليونانية وورثها عنها الرومانيون فقاموا بحقها بضعة قرون، آل أمرها فى القرون الوسطى المذكورة آنفا الى الذبول، ولولا أنها كانت مدونة فى الأسفار ومودعة فى الخزائن، لزال رسمها من لوحة الوجود. فعاش الناس طوال ذلك العهد فى غيهبة من الجهل ما كان يتخيل أشد الناظرين تفاؤلا أنها تنجاب عنهم فى يوم من الأيام، وإن تخيلوا ذلك فما كانوا ليتوقعوا أن النور يأتيهم من قبل أمة ليس بينها وبينهم أدنى صلة، وهى الأمة العربية.

فلما قامت للاسلام دولة فى القرن السابع الميلاد، وشرعت هذه الدولة فى أداء ما عهد اليها من إعلاء كلمة الله فى الأرض، بدأت بما جاورها من سورية ومصر والعراق العربى والعجمى وآسيا الصغرى والتركستان وما وراء النهر الى حدود الصين. فلما تم لها فتح هذه الأبواب العالمية فى وجه الدعوة الاسلامية، وانبعث منها نور الاسلام الى هذه الأقطار القصية، بقى باب واحد الى قارة كانت من أنجب قارات الأرض وهى أوروبا، وهى وإن كانت قد انتهت الى حالة يرثى لها من القحولة العقلية كما قدمنا، إلا أنه كان فى خزائنها من علوم الأوائل ما ليس فى غيرها مما تقتضى حاجة العالم باستخراج دفائنه، والانتفاع بكنوزه. وقد تجلت سمو مبادئ الاسلام العلمية بعد الاستيلاء على تلك المذخورات العقلية تجليا باهرا، فإنها بعد أن استخرجتها من خزائنها أخذت فى ترجمتها والإكباب على تدارسها، فزادت فى مادتها، وضمت اليها ما هديت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اليه باجتهادها ، وكان ذلك كله بعثا للتراث العلمى العالمى من الموات الذى كان فيه ، وبث حياة جديدة اليه أمدها الاسلام بروح منه ، فأعادت للانسانية أنوار ثقافتها العقلية ، ورونق حياتها المدنية .

أجمع مؤرخو الفرنجة على أن علوم العرب وفنونهم التى كانت سببا فى قيام المدنية الحاضرة دخلت الى أوروبا من ناحيتين : من ناحية إسبانيا ، ومن ناحية ايطاليا . فلنذكر تاريخ فتح العرب لاسبانيا ، ثم نعقبه بفتوحهم فى جنوب ايطاليا وجميع جزر البحر الأبيض المتوسط ، فنقول :

فتح المسلمين لاسبانيا فى القرن الاول للهجرة :

أمر أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان عامله على شمال أفريقا موسى ابن نصير أن يفتتح مملكة إسبانيا ، وهى التى يسميها العرب بالأندلس ، سنة ٩٣ هجرية ، فكلف موسى مولاه طارق بن زياد أن يجتاز اليها البحر على رأس اثنى عشر ألفا من المقاتلة ، فسار بهم على السفن حتى وصل الى مضيق جبل سمى باسمه ، فاستقبله الكونت جوليان بالترحاب ، وكان له ممتلكات واسعة فى تلك الجهات ، وكان يحمل على ملك إسبانيا رودريك حقدا عظيما ، وسلم اليه قلعة الجبل الأخضر بدون قتال . فلما بلغ الملك رودريك ذلك استشاط غضبا وزحف بنفسه على جيش المسلمين فى مائة ألف مقاتل . أما طارق بن زياد فتأهب لملاقاة عدوه ، ولأجل أن يحمل جيشه على الاستبسال أحرق السفن التى أقلتهم الى تلك السواحل قائلا لجنوده : العدو أمامكم والبحر وراءكم فاختاروا لأنفسكم إحدى النهايتين . فلما وافاهم الملك رودريك بجنوده صمدوا على أن يقاتلوا حتى يفوزوا أو يموتوا ، لأنهم كانوا قد فقدوا الأمل فى اللجأ الى سفنهم . فدارت رحى المعركة فى سهل غواداليط سبعة أيام متوالية صبر فيها المسلمون صبر الكرام ، وأبلوا أشد البلاء حتى آتاهم الله النصر ، فاخترقوا جيش العدو ، وانضم اليهم (إياس) أسقف أشبيلية ، وكان من حزب الكونت جوليان ، ومن الواجدين على سياسة رودريك ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلم يسع الاسبانيين غير الهرب ، وحمل الغيظ قائدهم على أن يلقى بنفسه فى نهر الوادى الكبير ، فغرق ، واستولى العرب على أسلاب ذلك الجيش ، ولم يتوان طارق طرفة عين فى استغلال هذا النصر ، فأرسل كتائبه تترى للاستيلاء على أمهات المدن ، فاستولى قواده على غرناطة وقرطبة وويرة وملقة وأستجه ، وسارهو بنفسه على عجل الى طليطلة ، وبلغت أخباره موسى بن نصير ، وربما خشى أن يتشتت جيشه الصغير فى البلاد فيعطف عليه العدو فيبيده ، فكتب اليه يأمره بالوقوف حتى يلحق به ، فرأى طارق بثاقب نظره أنه لو أطاع رئيسه لضاعت من يده الفرصة السانحة ، إذ يسارع الاسبانيون الى انتخاب ملك جديد فيبعث فيهم أملا يحملهم على التألب عليه ، فرأى المصلحة فى عصيان هذا الأمر ، فسار حتى بلغ الى طليطلة ودخلها بلا قتال ، وترك بها حامية ، وتابع سيره الى الشمال ، فخضعت له جميع البلاد التى خلَّفها وراءه .

ولما وافاه مولاه موسى بن نصير بجيش جديد فتح به مدينتى كرمونة وأشبيلية ، وانتهى الى مريدة فحاصرها ، وكان بها فرسان من قبيلة الويزيغوط الذين كانوا متغلبين على إسبانيا ، فلم يقو موسى على فتحها إلا بعد أن وصل اليه مدد من ابنه عبد العزيز يقدر بسبعة آلاف مقاتل . فلما تم له تدويخها سار ابنه عبد العزيز المذكور الى مرسية وضرب الجزية على الأمير تيودومير الغوطى الذى كان مستقلا بالإمارة فيها . وسار توًّا الى طليطلة ، بينما كان طارق بن زياد ينساح بجيوشه فى إقليمى استريمادور ولوزيتانيا . فلما قابله الأمير عبد العزيز بن موسى ضربه بالدرة جزاء له على عصيانه أمر والده فى الوقوف عند حد ما وصل اليه ، ثم أمر بتجريده من رتبته فى القيادة وسجنه . فلما بلغ أمير المؤمنين الوليد ما وقع على طارق من الإهانة ، أمر بإطلاق سراحه وإعادته للقيادة كما كان ، فكان ذلك ترضية له على حسن بلائه وإخلاصه فى أداء مهمته .

لما وقف أمر هذا التنازع عند هذا الحد عاودت الجيوش الاسلامية إتمام فتح إسبانيا ، فاستولى موسى بن نصير على أقاليم أستورية ، واستولى طارق على البلاد التى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

خلف نهر إبرة . ثم تعاون الاثنان على فتح سراقسطه بسبب قوة حاميتها وحصانة معاقلها . فتم لهما بذلك فتح شبه جزيرة إسبانيا الى جبال البرانس .

ماذا كانت عليه اسبانيا قبل فتح المسلمين ؟

تقلبت إسبانيا فى أدوار شتى من الحكم ، وتغلبت عليها جماعات مختلفة ككل أمة فى مثل مكانها ، فندع كل هذا ونكتفى بما كانت عليه على عهد الفتح الاسلامى . ونرى أن ننقل ذلك عن مؤرخ أجنبى ليكون أبلغ فى دلالته على عظم الانقلاب الذى أحدثه الاسلام فيها فى سنين معدودة ، حتى صارت مشرق النور على أوروبا فى تلك الغياهب الحالكة :

قال المؤرخ الفرنسى الكبير (سديو) Sedeillot فى كتابه (خلاصة تاريخ العرب) ما تعريبه :

« غلب على شبه جزيرة إسبانيا قبل الهجرة المحمدية بمائتين واثنتين وعشرين سنة قبيلة تعرف بالويزيغوط Visigoths كان ملكهم يمتد الى طنجة وسبتة من مراكش ؛ وكانوا قد هزموا موسى بن نصير حين حاصر سبتة سنة (٦٤) للهجرة ، كما هزمه ثانية فيها الملك وزيتا الويزيغوطى سنة (٩١) حين دهمها مرة أخرى ؛ وكانت مملكة إسبانيا كثيرة الرجال واسعة الأقاليم ، ولكن الحكومة فيها كانت مختلة ، والأمة كانت تتألف من جماعات متعادية ؛ وكانوا واقعين جميعا تحت سلطان القسوس ، فكانوا يتقاضون منهم إتاوات باهظة ؛ وكانت الشريعة التى يحكمون بها مزيجا من القانون الرومانى وعوائد القبائل الجرمانية ، فكانت الأمة فى حالة من التأخر بحيث لا تستطيع إمداد المملكة بمقوماتها ، وكان الرعايا مستعبدين لمهنتهم الزراعية ، وهى حالة تنتزع من قلوبهم الوطنية والشمم ؛ وكان اضطهاد اليهود بالغا أشده مما ملأ قلوبهم بالأحقاد والسخائم على حكومة البلاد » الخ .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الى أى حال آلت اسبانيا تحت حكم المسلمين ؟

تلك كانت حال إسبانيا قبل أن يحتلها المسلمون . فإن شئت أن تعرف ما آلت اليه حالتها بعد أن احتلها المسلمون فإليك ذلك منقولا عن الأستاذ سديو المذكور آنفا من كتابه (خلاصة تاريخ العرب) قال ما ملخصه :

« كان عرب إسبانيا متفوقين على الفرنج فى العلوم والصنائع والأخلاق الكريمة ، مما حبب لملوك قسطيلة ونواره أن يقدموا الى قرطبة لاستشارة أطبائها الذين كانوا معروفين بتضلعهم فى هذه الصناعة .

« وكان هؤلاء العرب حيث وجدوا يبجلون الشيوخ ، ويتنافسون فى إقامة معالم العدل ويغارون على مراعاة تطبيقه ، ويدينون بالمساواة العامة لاميزة لغنيهم على فقيرهم ، فلا يمنع فقر أحدهم أن يبلغ الى أرقى المراتب مادامت تؤهله لها صفاته الخاصة ، لايعولون فى إنزال الناس منازلهم من الكرامة على أحسابهم وأنسابهم ، ولكن على مميزاتهم العقلية وفضائلهم النفسية ، لأنهم كانوا يترسمون خطوات القرآن الذى يحضهم على اكتساب الفضائل والتوسع فى الأعمال الصالحة ، وكان خلفاؤهم يحثونهم على العمل المنتج وعدم العدوان على الناس .

« والذى ساعد هؤلاء العرب على بلوغهم أبعد شأو من العظمة اتساع دائرة العلوم والفنون لديهم ، وانتشار المعارف الفلاحية والصناعية فيهم ، لهذا ذاق جميعهم لذة العلم ، وتنافسوا فى ابتكار ما يمتازون به من الأعمال النافعة .

« وكان من شروط القيام بمهمة القضاء فيهم أن يكون القضاة حاصلين على معارف واسعة ، وكانوا يكتبون على كل بناء اسم المهندس الذى شيده واسم الآمر بإقامته ، وقد عرف عنهم أنهم بلغوا رقيا عظيما فى فنون العمارة ، وكانوا يجزلون الثناء على كل ماهر فى صناعته ، ويشيدون بذكره تنشيطا لغيره ، وقد اقتفى الفرنج أثرهم فى أساليب أبنيتهم وزخرفها .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

« وقد علم العرب فى مدارسهم علوم الفلك والجغرافيا والمنطق والطب والنحو والهندسة والجبر والطبيعة والكيمياء الطبية والتاريخ الطبيعى ، وهو علم المواليد الأرضية الثلاثة ، وحشروا الى مكتباتهم كتبا نقلوها الى لغتهم من علوم قدماء اليونانيين وفلاسفة الاسكندرية ، حتى إن (جوبرت) الذى تولى البابوية فى آخر القرن العاشر كان قد أخذ بعض العلوم عن العرب فأظهرها لمعاصريه فأخذهم منها العجب واتهموه بالسحر من أجلها »

ارتقاء الفنون والصنائع فى اسبانيا تحت حكم المسلمين :

يقول المؤرخ المذكور فى هذا الصدد :

« وأما من ناحية الصنائع والفنون فإن عرب إسبانيا أخذوا ما عثروا عليه مما كان عند الرومانيين ، والفنيقيين فأمكنهم بواسطتها استخراج المعادن القابلة للطرق ، ومعدن الزئبق ، ولم يغفلوا حتى استخراج الياقوت من معادنه بقرب مدينتى ملقا وبجاديكاميريس وغاصوا فى البحر فاستخرجوا منه المرجان واللؤلؤ ؛ وأتقنوا صناعة الدباغة ونسج القطن والكتان والتيل ؛ وبلغوا أقصى الغايات فى صناعة الأقمشة الحريرية والصوف . وكانت صناعتهم فى عمل السيوف ونصال بقية الأسلحة مضرب الأمثال فى كل مكان . فاشتهرت مدن بإتقان هذه الصناعات ، فكان لا يعلى على سلاح طليطلة ، ولا يُنافَس حرير غرناطة ، ولا تزاحم السروج والجلود الواردة من قرطبة ، ولا تجارى الأقمشة الصوفية التى كانت تصنع فى قونسية . كما اشتهرت والنسة فى صادراتها من الأفاويه والسكر . واشتغل العرب غير ذلك باستخراج الزيوت ودودة الصباغة والعنبر الخام والبلور المعدنى وهو البلور المستخرج من الصخور ، والكبريت . ويظن أنهم استعملوا التحاويل فى تجاراتهم ، وهى التى تسمى الآن بالكمبيالات .

« ومما يؤثر عن عرب إسبانيا أنهم عنوا أشد العناية بالفلاحة ، فبلغت الى درجة رفيعة جدا ، وأبدعوا فى الرى أيما إبداع ، ويدل عليه ما فعلوه فى سهل (هوسطاه) الذى يقسمه نهر (طونة) الى قسمين ، فإنهم وقفوا تيار هذا النهر على بعد نحو فرسخين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من مصبه بواسطة سد، ثم اشتقوا منه سبعة جداول : ثلاثة فى ناحية، وأربعة فى الناحية الأخرى ؛ وجعلوا يفتحون كل فرع منها فى يوم من أيام الأسبوع بحيث يرتفع الماء فيه الى المستوى المطلوب، ليرووا ما يريدون ريه من الأراضى العالية . ثم عمدوا الى كل جدول من هذه الجداول السبعة فاشتقوا منه جداول ثانوية يفتح كل منها فى ساعة معينة بعد حصول الارتفاع فى الجدول الرئيسى ، قاصدين بذلك أن يصل الماء الى أصغر مربع من الأرض . فكان كل جدول بفروعه الثانوية يشبه مروحة تتجه جداولها الى كل اتجاه . ولعدم انحدار سطح ذلك السهل انحدارا هندسيا تدريجيا جعلوا له مساقى صغيرة وقناطر متصلا بها مجار المياه توزع على المزارع . ثم صنعوا لما لا يمكن سقيه بهذه الوسائل كلها سواقى حفظوا المياه الضرورية لها فى حياض تستمد منها عند الحاجة . وجملة القول أنهم أبدعوا فى هندسة الرى بهذا السهل إبداعا استحق معه أن يلقب ببستان إسبانيا .

« وقد توصل العرب بفنونهم الزراعية المتقنة الى استغلال الأرض ثلاث مرات فى السنة ؛ وأدخلوا الى إسبانيا زراعة الأرز والقطن والتوت وقصب السكر والنخل والفستق والموز ودوحة الكاميلياء الحمراء والبيضاء، وأزهارا وبقولا لا تحصى نقلت كلها فيما بعد الى جميع البلاد الأوربية » .

ارتقاء العمران فى اسبانيا تحت حكم المسلمين :

يقول المؤرخ المذكور أيضا فى هذا الموطن :

« أما من الناحية العمرانية فكان فى الجزء الذى يملكه المسلمون من إسبانيا ست عواصم، وثمانون مدينة كبيرة، وثلاثمائة مدينة متوسطة ، وما لا يحصى من القرى والكفور والضياع .

« أما المبانى فكان فى قرطبة وحدها ٢٠٠٠٠٠ بيت و ٦٠٠ مسجد و ٥٠ مستشفى و ٨٠ كلية و ٩٠٠ حمام . وكان يسكنها مليون نسمة . وبالمقابلة تعلم أنها اليوم ليست على

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما كانت عليه أيام المسلمين ، ولا محل للاستغراب فإن الخلفاء تنافسوا فى عمرانها وزخرفتها بما كانوا ينفقونه عليها من الأموال . ومع هذا فلا يزال محل الدهش من كثرة ما بذله العرب من الأموال على مبانيهم فى إسبانيا ، فإن مسجد قرطبة الباقى للآن يضاهى فى الفخامة المسجد الأموى بدمشق . طوله ٦٠٠ قدم وعرضه ٢٥٠ قدما ، وفى عرضه الأيمن ٣٨ صحنا ، وفى الأيسر ٢٩ صحنا وفيه ١٠٩٣ عمودا من المرمر ، وفيه من جهة الجنوب ١٩ بابا مبطنة بصفائح من نحاس التوج ، وهو النحاس الذى تصنع منه المدافع ، وأوسطها مرصع بصفائح الذهب ، وبأعلاه ثلاث أكر مذهبة فوقها رمانة من المسجد ، وله ٤٧٠٠ قنديل ، أحدها من الذهب الخالص وهو الموضوع فى المحراب . وكان يصرف على هذا المسجد فى كل عام ٢٤٠٠٠ رطل من الزيت و١٢٠ رطلا من العنبر والعود والقاقلى . وكانت هذه المدينة تضاء بالمصابيح الى الصباح ؛ وكانت شوارعها تطيب بروائح الزهور ؛ وكانت فى متنزهاتها وميادينها العامة جوقات موسيقية تطرب الجمهور بأنغامها .

« أما مدينة زهرة التى كانت قائمة على بعد فراسخ قليلة من قرطبة فقد اشتهرت بقصر الخليفة عبد الرحمن الثالث على شاطىء نهر الوادى الكبير ، فقد كانت قباب هذا القصر مرفوعة على ٤٣٠٠ عمود من الرخام المحلى بأبدع النقوش ، وكانت أرضه مبلطة بالرخام المختلف الألوان على شكل يستوقف الأنظار ؛ وكانت حوائطه مبطنة بالرخام أيضا على تلك الصورة ، وسقوفه منقوشة باللازورد والذهب الخالص ؛ وكانت فى غرفه فساقى مياه عذبة تنصب فى أحواض من الرخام الناصع البياض والبشم المتنوع الأشكال ؛ وكان يشاهد فى قاعة جلوس الخليفة فسقية يخرج من وسطها صورة بجعة من ذهب معلقة فوق رأسها لؤلؤة عظيمة ؛ وكانت تلك البجعة من صنع مدينة القسطنطينية ، وأما اللؤلؤة فكان قد أهداها الى الخليفة الملك ليون أحد ملوك شمال إسبانيا ؛ وكانت حول القصر بساتين واسعة فى وسطها قصر منفرد ليستريح فيه الخليفة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بعد رجوعه من القنص ؛ وكان هذا القصر الأخير مبنيا على أعمدة من الرخام ذوات تيجان محلاة بالذهب . وكانت تنبع فى وسطه عين ماء فى صفاء البلور وتنصب من فم النافورة على هيئة سنبلة القمح فى إناء مستدير مصنوع من الفرفيرى .

«ومع كل هذا فلم يستنفد خلفاء إسبانيا جميع أموال الدولة فى زخرفة المدن والقصور، بل أنفق بعضها أيضا فى عمارات نافعة ؛ فقد بنى الخليفة الحاكم قناطر وفتح طرقا أنشأ فيها محطات للسائحين ؛ وبنى فى قرطبة مسجدا . وبالتأمل فيما أسلفناه يعلم أن عرب إسبانيا كانوا فى مقدمة الأمم فى القرن الحادى عشر بعد الميلاد ، بل كانوا يفوقون فى مدنيتهم جميع أمم أوروبا على الإطلاق » انتهى .

هذا ما نقلناه عن الأستاذ (سدبو) العالم المؤرخ الفرنسى .

وبذلك فقد آتينا من يريد المقارنة بين حالتى إسبانيا تحت حكومتها الذاتية وحكومة الاسلام بمواد يستطيع الاعتماد عليها لبناء حكم صحيح على سمو الروح الاسلامية فى سياسة الأمم والبلدان . فإن كنت تعجب أن تتألف قبائل العرب الى أمة متحابة فى سنين معدودة ، فأعجب منه أن تنتدب هذه الأمة الفتية لتملى على الشعوب أصول الحكمة الإلهية مقترنة بمدنية فاضلة تتخذ مثالا أعلى لكل مدنية تقوم بعدها فى الأرض ؟

محمد فريد وجدى

فضل الافادة والاستفادة

دخل رجل على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فكان لا يسأله عن شىء إلا وجد عنده علما . فقال له : أنى لك هذا ؟

فقال الرجل : لم أمنع قط يا أمير المؤمنين علما أفيده ، ولم أحتقر علما أستفيده ، وكنت إذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته .

وقال عبد الله بن المبارك يصف عالما :

صموت إذا ما الصمت زين أهله ... وفتاق أبكار الكلام المختم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة ... وسيطت له الآداب باللحم والدم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تاريخ العلوم المدنية فى الأدب العربى (١)

ذكرنا فى مقالنا السابق عن مآثر العرب فى العلوم المدنية ما كان من أمر نشأة العلوم الفلسفية والرياضية وتطورها فى أول عصور الأدب العربى وأثر ذلك فى نهضة العلوم فى الشرق والغرب .

بقيت الفلسفة كسائر العلوم المدنية بعد ذلك زمنا طويلا محل اضطهاد بعض علماء الاسلام السنيين بالرغم من الجهود الجبارة التى بذلها أنصارها ومحبذوها ، لجعلها من العلوم المتداولة التى فى متناول أفراد الشعب ، ونشرها بينهم ، ووضعها فى مصاف العلوم العربية الأخرى ، ولم يستقر لها وجود إلا بفضل رعاية بعض الأمراء وحمايتهم للقائمين بأمرها من العلماء المسلمين وغيرهم . وهكذا كانت الحال أيضا فى ممالك الاسلام بالفرس وبالأندلس ، تخفق علمها وارتفع شأنها على رءوس أشهر كتّاب الأدب العربى فى هذا العصر على وجه الإطلاق ، فكان لهم أبعد أثر فى اتجاه الثقافة الفكرية فى أوروبا حيث انتشرت فيها التعاليم الفلسفية لأرسطو وغيره من علماء وفلاسفة الإغريق بفضل التراجم التى ظهرت على أيدى العرب فى هذا العصر وما تقدمه .

وأشهر المؤلفين المعروفين فى هذا المضمار بين علماء الاسلام المبرزين فى هذا التاريخ هو بلا شك أبو الحسن بن سينا ، ولد بالقرب من مدينة بخارى عام ٣٧٨ هـ وقضى حياته فى خدمة الأسرات الفارسية المالكة ، فدخل بلاط نوح بن منصور السامانى وهو فى السابعة عشرة من عمره بعد أن تم على يديه شفاؤه ، وفقد أباه بعد ذلك بخمس سنوات ، فبدأ رحلاته وأقام طويلا فى « جرجان » وبها وضع أشهر مؤلفاته « القانون

(١) مترجمة من الالمانية نقلا عن كتاب « تاريخ الادب العربى » للمستشرق الالمانى الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلمان » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى الطب » وتخرج عليه كثير من طلبة العلم ، ثم عين وزيرا لشمس الدولة فى همذان ، واضطهده خلفه وأمر بحبسه ، ففر هاربا الى غريمه علاء الدولة فى أصفهان ، وتوفى أثناء حملة أرسلت الى همذان عام ٤٢٨ هـ ، وكانت موهبته العبقرية متعددة النواحى ، فكتب فى الفلسفة رسائل كثيرة ، أهمها مؤلفاته فى المنطق والطبيعة وفيما وراء الطبيعة (العلل الأولية) ، واهتم فى أول نشأته بعلوم الفلك ، فتعرف بمواطنه البيرونى وتعاونا فى العمل على تقدم هذا الفن ، ووضع فيه رسائل هامة ، ونقح الماجسطى الذى وضعه بطليموس ، ولكن شهرته بلغت أوجها فى عالم الطب ، فكان كتابه فى الطب هو أكبر حجة فى العالم الاسلامى مدى قرون طويلة ، ولا يزال حتى الآن مرجعا عالميا خصوصا فى بلاد الفرس ، وترجم هذا الكتاب منذ زمن بعيد الى اللغة اللاتينية ، فكان أهم المراجع فى علم الطب فى العصور الوسطى فى جميع أنحاء القارة الأوربية .

لم تقتصر مواهب ابن سينا على التأليف فى العلوم البحتة ، بل تعددت الى نواح مختلفة كما أسلفنا ، فظهر تفوقه فى نظم الشعر ، وله مقطوعات رائعة بكلتا اللغتين العربية والفارسية .

ازدهرت الفلسفة فى هذا العصر ازدهارا منقطع النظير على أيدى علماء العرب فى بلاد الأندلس ، فظهر من مؤلفيهم عدد وافر بذوا إخوانهم فى اللغة والدين فى بلاد الشرق ، وقد يكون السبب الأول فى ذلك تزاحم أمراء الأندلس على تعضيد العلوم والآداب تزاحمهم فى المضمار السياسى .

وأقدمُ فلاسفة الأندلس المعروفين هو محمد بن باديه المولود فى «سرقوسة» وأقام فى بدء القرن السادس من الهجرة بمدينة إشبيلية ، ثم انتقل منها الى بلاط المرابطين بمدينة فاس حيث مات مسموما بإيعاز من الطبيب المشهور أبى العلاء بن زهر فى عام ٥٣٣ هـ . وله مؤلفات قيمة فى الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية ، كما اشتهر [illegible] فى نظم الشعر .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفى أثناء حكم المرابطين اشتهر محمد بن طفيل وذاع صيته ، وكان فى أول الأمر يشغل منصب كاتم السر لحاكم غرناطة الى أن عين طبيبا خاصا لأبى يعقوب يوسف ، وتوفى فى حاشيته بمراكش سنة ٥٨١ هـ . وأشهر مؤلفاته روايته التى أسماها « حى بن يقظان » وفيها يفسر نشأة القريحة البشرية تدريجيا فى طفل ولد بجزيرة نائية وترك بها فى عزلة تامة .

وأشهر فلاسفة الأندلس فى هذا العصر هو بلا شك محمد بن رشد ، ولد بقرطبة عام ٥٢٠ هـ ، وبدأ حياته الدراسية بها . وفى سنة ٥٤٨ هـ أدخله محمد بن طفيل فى بلاط حكام مراكش الذين عهدوا اليه بوضع أنظمة جديدة للتعليم العام . وفى سنة ٥٦٥ هـ عيّن قاضيا لمدينة إشبيلية ، ولكنه ما لبث أن ترك هذا المنصب مؤثرا العودة الى موطنه ومسقط رأسه بقرطبة . ولم يستقر به المقام طويلا حتى استدعاه أبو يعقوب يوسف الى مراكش وجعله طبيبا خاصا له ، ثم عيّن قاضيا لمدينة قرطبة الى أن وُلى الحكم يعقوب بن يوسف ، فأمر بنفيه بسبب آرائه الفلسفية التى رمته بالالحاد والزندقة ، ولكنه أفرج عنه بعد ذلك واستدعاه الى مراكش حيث وافته المنية فى ٩ صفر سنة ٥٩٥ هـ .

وأهم أعماله إحياء دراسات أرسطو ، ونشر ما وضع لها من تراجم قديمة مع تعليقات عليها وتفاسير قيمة لها ، ولقد عرفت أوروبا المسيحية كيف تنتفع من علم هذا الفيلسوف الكبير أكثر من انتفاع أهله ومواطنيه ، كما كانت الحال فى أغلب علماء وفلاسفة هذا العصر الذين اليهم يرجع الفضل فى إحياء العلوم ، ووضع أسس النهضة الفكرية التى ظهر أثرها بعد ذلك فى جميع أنحاء القارة الأوربية .

وآخر فلاسفة الاسلام فى بلاد الأندلس هو عبد الحق بن سبعين ، وهو سليل أسرة غوطية ولد بمدينة « مورسيا » باسبانيا ، وكانت تغلب على دراساته ومؤلفاته الفلسفية آثار العلوم الباطنية الخفية التى بلغ اهتمامه بها أن أسس طريقة خاصة .

وفى أثناء إقامته بمدينة «سبته» طلب اليه عبد الواحد زعيم الموحدين أن يتولى الرد على

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بعض الأسئلة الفلسفية التى وضعها الامبراطور فريدريك الصقلى ووجهها الى علماء بلاده ، فبذل مجهودا كبيرا فى وضع الرد معلقا عليه بمعلومات قيمة فى تاريخ الفلسفة ، فجاءت إجابته وافية ، وأحرزت إعجابا عاما واستحسانا كبيرا . وأخيرا رحل الى الشرق واهتم بأبحاثه فى العلوم الباطنية الخفية ، وكان كلما تعمق فى دراساته زادت هواجسه وعدم اطمئنانه ، الى أن توفى منتحرا بمكة المكرمة عام ٦٦٨ هـ .

ومن علماء هذا العصر المبرزين العالم المصرى جمال الدين محمد بن سالم ، وكان رسولا سياسيا لسلطان مصر « بيبرس » لدى بلاط « مانفريد » بن فريدريك الثانى وخليفته فى ملك صقلية . وضع جمال الدين مؤلفا قيما فى علم المنطق أسماه « الامبروريه » وأهداه الى ملك البلاد ، ثم أعاد نشره بعنوان آخر بعد عودته الى وطنه .

ومنذ القرن السابع من الهجرة بدأت الدراسات الفلسفية تهمل ، فلم تقم لها لذاتها قائمة تذكر بعد ذلك العصر ، ولو أن علم المنطق الشكلى وجد من العلماء من يأخذ بناصره للاستعانة به فى دراسة العلوم الدينية ، فظهر من العلماء أمثال على الكاتبى المتوفى سنة ٦٧٥ هـ وله فى علم المنطق مؤلف قيم ، ومحمد السمرقندى الذى وضع فى فن الجدل والمناقشة مؤلفا بقى متسيطرا على مدارس التعليم قرونا طويله ، فكان الحجة البالغة ، والمستند القوى ، والمرجع الأخير فى هذا المضمار .

وأما العلوم الرياضية البحتة والتطبيقية ، فاهتم بها من علماء هذا العصر نفر غير قليل من علماء المسلمين ، وظهرت لهم فيها مواهب عالية ، وأنتجت قرائحهم فى ضروبها المتعددة مآثر خالدة . وأول من اهتم بدراساتها فى أول القرن الخامس من الهجرة محمد بن الهيثم ، ويرجع أصله الى مدينة البصرة ، وما لبث أن ذاع صيته حتى استدعاه الخليفة الفاطمى الحَكَم الى مصر لتنظيم فيضان النيل طبقا لمشروع كان قد أعده لذلك ، ولكنه لم يستطع تنفيذه ، ثم أسندت اليه إحدى الوظائف الادارية ، ولكنه لم يبق بها طويلا لإثارته غضب الخليفة ضده ، واختفى زمنا طويلا حتى توفى الخليفة عام ٤١١ هـ ، فأعيدت اليه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أمواله المصادرة ، واشتغل بالأبحاث العلمية والتأليف بقية حياته ، وله مصنفات عديدة فى تصميم الآلات (علم الميخانيكا) والفلك وعلم الضوء والعدسات .

واشتهر كذلك فى ميدان العلوم المدنية الشاعر الفارسى المجيد عمر الخيام بأبحاثه فى العلوم الرياضية والطبيعية ، واشتغل بالعلوم الفلكية وهو فى خدمة ملك شاه السلطان السلجوقى ، وأدخل تعديلات هامة على التقويم الفارسى القديم لحساب السنين الشمسية ، ووضع مؤلفا قيما فى علم الجبر ، وتوفى سنة ٥١٥ ه .

وأشهر أعلام المؤلفين وعلماء هذا العصر على الإطلاق هو بلا جدال نصير الدين التوسى ، ولد بمدينة « توس » عام ٦٠٧ ه وبدأ حياته العلمية فى خدمة الأمير الاسماعيلى ركن الدين فى « قهستان » ثم لحق بهولاكو أمبراطور المغول سنة ٦٥٤ ه حيث أكرم وفادته وأعلى من شأنه ورافقه فى غزواته وشيد له مرصدا فى « مراغه » ، وتوفى عام ٦٧٢ ه بمدينة بغداد . ولقد كانت مؤلفاته تشمل مواضيع مختلفة عديدة ، وظهرت مواهبه فى ضروب شتى من العلوم المدنية والدينية . وأشهر مصنفاته وأوسعها ذيوعا كتابه الذى وضعه فى أصول العقائد ، وكتب فى الفلسفة عدة رسائل باللغة العربية ، كما وضع مؤلفا فى علم الأخلاق باللغة الفارسية ، واهتم كذلك بالرياضة والفلك ، فأخرج أهم المؤلفات القديمة بعد تعديلها وتنقيحها ، وهو أول من قام بدراسات واسعة فى علم حساب المثلثات ، واليه يرجع الفضل فى وضع أسس ثابتة له على أنه علم مستقل قائم بذاته ، ووضع نظاما خاصا لعلاج ابن سلطان قازان ، وأخيرا اهتم بالتنجيم كباقى علماء عصره ، فوضع كتابا فريدا فى نوعه فى قراءة المستقبل على الرمال .

وأما العلوم الطبية فبقيت فى أغلب الأحوال خلال هذا العصر مقصورة على علماء اليهود والمسيحيين ، الذين كانت جهودهم النظرية لم تخرج عما وضعه أبقراط وجالينوس ، ولكنهم قاموا بأبحاث عملية كانت سببا فى تقدم فن الطب تقدما محسوسا . وأول من اشتغل بدراسات الطب من علماء هذا العصر المعروفين هو المختار ابن بطلان ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فاشتهر بمدينة بغداد فى النصف الأول من القرن الخامس من الهجرة ، ثم غادرها فى رحلة علمية الى مصر لملاقاة ابن رضوان لمساجلة علمية قامت بينهما ، ثم رحل من مصر الى القسطنطينية ومنها الى أنطاكية حيث توفى عام ٤٥٥ هـ .

واشتهرت أسرة ابن زهر فى بلاد الأندلس ، وحملت لواء الطب ثلاثة أجيال متعاقبة أولهم أبو العلاء بن زهر ، وكان فى خدمة المرابطين ، وتوفى باشبيلية عام ٥٢٥ هـ ، وجاء بعده ابنه عبد الملك فبدأ حياته فى خدمة المرابطين أيضا ثم الموحدين ، وتوفى كذلك باشبيلية سنة ٥٥٧ هـ . ثم خلفه ابنه محمد وكان طبيبا خاصا ليعقوب المنصور ، وتوفى بمراكش سنة ٥٩٥ هـ .

وأما الأطباء غير المسلمين فإن أشهر علمائهم فى هذا العصر هو بلا شك الطبيب اليهودى موسى بن ميمون ، ولو أنه أحرز شهرته العالمية بما له من المآثر الخالدة على الديانة اليهودية ، ولد موسى بن ميمون بقرطبة عام ٥٣٤ هـ وطلب العلم على ابن طفيل وابن رشد ، ورحل الى مصر على أثر اضطهاد الأمير الموحد عبد المؤمن المسيحيين واليهود ، وأسس بها مدرسة لدراسة التلمود ، واتخذه بعد ذلك صلاح الدين طبيبا خاصا له ، وظل حائزا ثقته فى هذا المنصب الى أن وافته المنية عام ٦٠١ هـ .

ونشط العلماء كذلك فى هذا العصر بدراسات علم النبات للاستعانة به فى الأبحاث الطبية ، فاشتهر منهم عبد الله بن بيطار المولود بمدينة ملقا ، وقام برحلات علمية الى مصر وآسيا الصغرى و بلاد الإغريق لدراسة طبيعة النباتات وخواصها ، وأخيرا التحق بخدمة الملك الكامل بدمشق ، فلما توفى الملك فى عام ٦٣٥ هـ رحل الى القاهرة وأقام بها زمنا يسيرا ، ثم عاد الى دمشق حيث وافته المنية عام ٦٤٦ هـ .

واهتم كذلك العرب بالعلوم الزراعية ، فازدهرت بها بلاد الأندلس ، وبلغت من التقدم درجة لم تعرفها البلاد من قبل ، وأخصبت تربتها وزادت محاصيلها بفضل تكاتف العلم مع العمل ، وأشهر علماء العرب فى هذا المضمار من الناحية العلمية العملية يحيى بن العوّام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الذى ذاع صيته و بلغت شهرته أوجها فى النصف الأول من القرن السادس من الهجرة ، فوضع مؤلفا جليلا فى هذا العلم نقل بعد ذلك الى اللغة اللاتينية ، فكان حجة بالغة فى عصره ، ومرجع كبار علماء أوروبا سنين طويلة .

وإلحاقا للدراسات الزراعية وضع أحمد التيفاشى المتوفى سنة ٦٥١ ﻫ كتابا قيما فى علم الأحجار جاء فيه بمعلومات وافية عن معادن الأرض وعناصرها ؛ واشتهر هذا الكاتب أيضا بمؤلفه فى الحب والحياة التناسلية الذى نقل الى اللغة اللاتينية وذاع ذيوعا واسعا .

وانتشرت كذلك فى غضون هذا العصر مؤلفات عديدة فى السحر والشعوذة والتفاؤل والتشاؤم ، حتى كادت تكوّن لها ناحية مستقلة فى الأدب العربى ، الى أن وضع الكاتب الألمعى عبد الرحيم الجوبرى كتابا فى التنبيه على أضاليل هذه المسالك لتحذير العامة والخاصة من الوقوع فى حبائل من تصدوا للدفاع عنها ونصبوا أنفسهم للإيقاع بالناس والتغرير بعقولهم ؟

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مشكلة الاحاديث النبوية و بيانها

هذا كتاب وضعه الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الله بن على النجدى القصيمى ، وقد كتب تحت اسمه : « يحتوى هذا الكتاب على الاحاديث النبوية التى استشكلتها العلوم الحديثة من طبية وجغرافية وفلكية وحسية الخ . وفيه بيانها بنفس العلوم الحديثة . وسيجد القارئ فى الكتاب مقالا حيا للدفاع عن نصوص الدين المقدس ، ومثالا حيا للنقد الفلسفى العصرى » .

وقد وفى الأستاذ بما اشترط ، فأتى بأحاديث فى موضوعات شتى ، وتولى تفسير مؤداها والدفاع عنها والتوفيق بينها وبين العلوم الحديثة .

فنشكر لحضرة الأستاذ الفاضل غيرته على الدين ، وخفوفه للذياد عن بيضته بأحسن ما يملك من بيان ، راجين له التوفيق والسداد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حياة محمد

هـذا اسم أول كتاب تناول الكلام فى السيرة المحمدية على الأسلوب العصرى الحديث ، فكان لواضعه الدكتور محمد حسين هيكل بك فضل التجديد فى هذه الناحية من البحث الذى يمس الاسلام من مكان قريب .

أول ما يستوقف الناظر فى هذا الكتاب جمال مظهره ، وحسن تبويبه ، وتوفر فهرستاته ، بحيث يستطيع القارئ أن يقف على أى موضوع أو بلد أو قبيلة أو حادثة أو معركة فى الحين الذى يطلبه فيه ، دون أن ينفق فى ذلك وقتا أو يتكلف بحثا .

فإذا تصفح القارئ الكتاب رأى نفسه حيال بحوث مستفيضة تتجلى فيها ألمعية الدكتور هيكل تجليا باهرا ، تضطره بسحر بيانها أن يقتفى أثرها فى أدوار هذا التاريخ الحافل بالعظائم ، فتمر به على صفحات أملاها الايمان الراسخ ، والفهم الثاقب ، والغوص البعيد الغور ، مما لا نبالغ إذا قلنا إن هذه الصفحات من حسنات هذا العصر فى البيان والبحث العميق ، ولا نشط إذا حكمنا بأنها من الطرائف التى كتب لها الخلود .

ليس مؤدى هذا الإطراء أننا نوافق المؤلف على كل الآراء التى بسطها فى مقدمة كتابه ، كتعليله أسباب الخصومة بين المسيحيين والمسلمين ، أو تقريره بأن الأوربيين لما فقدوا الروحانية هبوا يتلمسونها من المذاهب الهندية ؛ كما لا نوافقه أيضا على كثير مما جاء فى صلب الكتاب من الأحكام الاجتماعية ، كقوله عن قريش إنها كانت أشبه بجمهورية حرة ، وكاعتداده فى دحض بعض الشبهات بقوله : « العظمة لا تخضع لقانون » ، فإن هذه الآراء والأحكام ، ولها أشباه فى الكتاب ، لا تمت الى العلم بصلة وبعضها بالخطابيات أشبه . بيد أن هذه الهنات لا تنقص من قيمة هذا الكتاب الممتع ، ولا نعرف أنه يخلو من أمثالها كتاب فى الأرض ، فهى لا تمنعنا أن نكيل الثناء للدكتور هيكل بغير حساب ، راجين أن يوفقه الله لإبراز ثمرات أخرى لألمعيته النيرة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى هذه الناحية من الدراسات الاسلامية ، فهى فى حاجة الى الكثير من أمثاله فى هذا العصر .

وبعد فلا يجوز لنا أن نختم هذه الكلمة دون أن ننوه بتلك المقدمة القيمة التى تفضل بكتابتها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، إشادة بذكر هذا الكتاب ، وقد اطلع على جزء منه قبل الطبع ، فإنها قد جلّت من أحوال النبوة والأنبياء ، ومن خصائص خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وكشفت من أسرار الاسلام وحكمة القرآن ، وبيّنت من مذهب أهل العلم فى البحث والنظر والاستقصاء ، ما يجب على كل متصد لهذه البحوث الاسلامية أن يتفهمه ، ويترسم طريقته . وأشد ما يأخذ بلب الإخصائى فى هذه البحوث تلك الدائرة الواسعة التى خطها فضيلته للبحث عن حقيقة الاسلام ، وهى دائرة شملت جميع المحاولات العلمية والفلسفية ، وأطلقت عقل الباحث من تلك المناطق الضيقة التى كان يتخبط فيها ولا يستطيع أن يحصّل ما يستطيع أن يقدمه للناس من غذاء روحى يكتفون به عن تلمس غذاء غيره . وهذه أكبر خدمة يمكن أن يؤديها مصلح للاسلام فى هذا العصر ، بل هى الخطوة التجديدية التى ستكون ، ولا محالة ، سببا لظهوره على الدين كله .

وإنا حرصا على هذا العهد العلمى الذى يعلنه إمامُ الدين اليوم ، رأينا أن ننشر هذه المقدمة ، لا خدمة لكتاب الدكتور هيكل ، فقد قامت الجرائد اليومية قبلنا بذلك ، ولكن تدوينا لهذا العهد العلمى الخطير فى مجلة الاسلام الرسمية ؟ **محمد فريد وجدى**

*
* *

والى القارئ مقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر :

«منذ وجد الانسان على الأرض وهو مشوق الى تعرُّف ما فى الكون المحيط به من سنن وخصائص ، وكلما أمعن فى المعرفة ظهرت له عظمة الكون أكثر من ذى قبل ، وظهر له ضعفه وتضاءل غروره ، ونبى الاسلام صلوات الله عليه شبيه بالوجود . فقد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلمسون نواحي العظمة الانسانية فيه ، ويتلمسون مظاهر أسماء الله جلت قدرته في عقله وخلقه وعلمه . ولو أنهم استطاعوا الوصول الى شيء من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة ، وأمامهم جهاد طويل ، وبعد شاسع ، وطريق لا نهاية له .

«والنبوة هبة الله لا تنال بالكسب ؛ لكن حكمة الله وعلمه قاضيان بأن تمنح المستعد لها ، والقادر على حملها ، الله أعلم حيث يجعل رسالته . ومحمد صلى الله عليه وسلم أُعِد لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه : أحمره وأسوده ، إنسه وجنه ؛ وأعد لأن يحمل أكمل رسالة وأكمل دين ؛ ولأن يختم به الأنبياء والرسل ؛ وليكون شمس الهداية وحده الى أن تنفطر السماء ، وتنكدر النجوم ، وتبدل الأرض غير الأرض والسموات .

«عصمة الأنبياء في التبليغ وأداء أمانة الوحي قضية فرغ العلماء منها ؛ فليس للأنبياء فضل الاختيار في التبليغ وأداء الأمانة بعد طبعهم بخاتم النبوة واختيارهم لها . وهذا التبليغ نتيجة حتمية للنبوة لا مرد لها . غير أن الوحي لا يلازم الأنبياء في كل عمل يصدر عنهم ، وفي كل قول يبدر منهم ؛ فهم عرضة للخطأ ، يمتازون عن سائر البشر بأن الله لا يقرهم على الخطأ بعد صدوره ، ويعاتبهم عليه أحيانا .

«أُمر محمد صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ عن ربه ، ولم تبين له الطرق التي يتبعها في التبليغ وفي حماية الدعوة ، وتُرك له أن يتصرف بعقله وعلمه وفطنته كما يتصرف غيره من العلماء والعقلاء . وجاء الوحي مفصلا قاطعا في كل ما يخص ذات الإله ووحدته ، وصفاته وكيفية عبادته ؛ ولم يكن كذلك فيما يخص النظم الاجتماعية للأسرة والقرية والمدينة والدولة منفردة ومرتبطة بغيرها من الدول . فهنالك مجال واسع للبحث عن عظمة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الوحي ؛ وهنالك مدى فسيح للبحث عن تلك العظمة بعد الوحي ؛ فقد صار مبلغا عن ربه داعيا اليه ، حاميا لتلك الدعوة ولحرية الداعين ، مدافعا عنهم ؛ وأصبح حاكم الأمة الاسلامية وقائد حربها ومفتيها وقاضيها ، ومنظ...

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الصلات والروابط فيها، وبينها وبين غيرها من الأمم. وقد أقام العدل فى ذلك كله، وألف بين أمم وطوائف ما كان العقل يسيغ إمكان التأليف بينها، وظهرت الحكمة والرصانة وبعد النظر، وكمال الفطنة وسرعة الخاطر وقوة الحزم فى كل ما صدر عنه من قول أوفعل، وتفجرت منه ينابيع العلم والمعرفة، وينابيع البلاغة التى يطأطئ البلغاء رءوسهم أمامها إجلالا وهيبة؛ وفارق الدنيا وهو راض عن عمله، مرضى عنه من الله ومن المسلمين.

«كل هذه النواحى تستحق الدرس والتخصص؛ وليس فى مقدور شخص واحد أن يفيها حقها، بل ليس فى مكنة شخص واحد أن يوفى على الغاية فى ناحية من هذه النواحى.

«وسيرة محمد صلوات الله عليه وعلى آله كسائر سير العظماء: أضيف إليها ما ليس منها، إما عن حب وهوى وحسن قصد، وإما عن سوء قصد وحقد. غير أنها تمتاز عن سير العظماء جميعهم بأن منها شيئا كثيرا ضمَّنه الوحى الإلهى، وضمن حفظه الكتاب المطهر؛ وشيئا كثيرا روى على لسان الحفاظ الثقات من المحدثين. وعلى هذه الأسس الصحيحة يجب أن تبنى السيرة، وأن يستنبط العلماء منها حِكمها وأسرارها ودقائقها، وأن تحلل التحليل العلمى الدقيق، ملاحظا فى ذلك ظروف الوسط وحال البيئة ونواحيها المختلفة من عقائد ونظم وعاد.

«وقد أخرج الدكتور هيكل للناس كتابه (حياة محمد) فى سيرة محمد صلى الله عليه وسلم، ويَسَّر لى أن أطلع على جزء منه قبل إتمام طبعه. والدكتور هيكل معروف لقراء اللغة العربية، غنى بآثاره فيها عن التعريف. وقد درس القانون واطلع على المنطق والفلسفة، ومكّنته ظروفه وطبيعة عمله من الاتصال بالثقافة القديمة والثقافة الحديثة، وأوفى منهما على حظ عظيم. وناظر وجادل، وهجم ودافع: فى المعتقدات والآراء وقواعد الاجتماع، وفى السياسة وغيرها، فنضج عقله وكمل علمه، واتسع اطلاعه وامتد أفقه، فأصبح ينافح عن آرائه بمنطق قوى وحجج باهرة، وأسلوب اختص به لا تخفى نسبته إليه.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بهذه الثقافة وهـذه القوة نسج الدكتور كتابه وقال فى مقدمته : « لست مع ذلك أحسب أنى أوفيت على الغاية من البحث فى حياة محمد ؛ بل لعلى أكون أدنى الى الحق إذا ذكرت بأنى بدأت هذا البحث فى العربية على الطريقة الحديثة . وقد تأخذ القارئ الدهشة إذا ذكرت مابين دعوة محمد والطريقة العلمية الحـديثة من شبه قوى . فهذه الطريقة العلمية تقتضيك إذا أردت بحثا أن تمحو من نفسك كل رأى وكل عقيدة سابقة فى هذا البحث ، وأن تبدأ بالملاحظة والتجربة ، ثم بالموازنة والترتيب ، ثم بالاستنباط القائم على هـذه المقدمات العلمية . فإذا وصلت الى نتيجة من ذلك كله كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص ، ولكنها تظل علمية مالم يثبت البحث العلمى تسرب الخطأ الى ناحية من نواحيها . وهذه الطريقة العلمية هى أسمى ما وصلت اليه الانسانية فى سبيل تحرير الفكر ، وهاهى ذى مع ذلك طريقة محمد وأساس دعوته » .

انتهى كلام الدكتور . ثم شرع فضيلة الأستاذ الأكبر يقول :

« أما أن هذه الطريقة طريقة القرآن فذلك حق لا ريب فيه ، فقد جعل العقل حكما والبرهان أساس العلم ، وعاب التقليد وذم المقلدين ، وأنب من يتبع الظن ، وقال : « إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » ، وعاب تقديس ما عليه الآباء ، وفرض الدعوة بالحكمة لمن يفقهها . ولم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم القاهرة إلا فى القرآن ، وهى معجزة عقلية . وما أبدع قول البوصيرى :

لم يمتحنا بما تعيا العقـول به حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

«وأما أن هذه الطريقة حديثة فهذا ما يعتذرعنه . وقدساير الدكتورغيره من العلماء فى هذا ، ذلك لأنها طريقة القرآن كما اعترف هو ، ولأنها طريقة علماء سلف المسلمين . انظر كتب الكلام تره يقررون أن أول واجب على المكلف معرفة الله ، فيقول آخرون : لا ، إن أول واجب هو الشك . ثم إنه لا طريق للمعرفة إلا البرهان . وهو وإن كان نوعا من أنواع القياس إلا أنه يجب أن تكون مقدماته قطعية حسية ،

جزوب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أو منتهية الى الحس، أو مدركة بالبداهة، أو معتمدة على التجربة الكاملة أو الاستقراء التام، على ما هو معروف فى المنطق. وكل خطأ يتسرب الى إحدى المقدمات أو الى شكل التأليف مفسد للبرهان.

« وقد جرى الامام الغزالى على الطريقة نفسها. وقد قرر فى أحد كتبه أنه جرد نفسه من جميع الآراء، ثم فكر وقدر، ورتب ووازن، وقرب وباعد، وعرض الأدلة وهذبها وحللها، ثم اهتدى بعد ذلك كله الى أن الاسلام حق، والى ما اهتدى اليه من الآراء. وقد فعل هذا ليجافى التقليد، وليكون إيمانه إيمان المستفيق المعتمد على الدليل والبرهان، ذلك الايمان الذى لا يختلف المسلمون فى صحته ونجاة صاحبه.

« أنت واجد فى كتب الكلام فى مواضع كثيرة حكاية تجريد النفس عما ألفته من العقائد، ثم البحث والنظر. فطريق التجريد طريق قديم، وطريق التجربة والاستقراء طريق قديم. والتجربة والاستقراء التام وليدا الملاحظة. فليس هناك جديد عندنا. ولكن هذه الطريقة القديمة بعد أن نسيت فى التطبيق العلمى والعملى فى الشرق، وبعد أن فشا التقليد وأهدر العقل، وبعد أن أبرزها الغربيون فى ثوب ناصع وأفادوا منها فى العلم والعمل، رجعنا نأخذها عنهم ونراها طريقة فى العلم جديدة.

« هذا القانون العلمى فى البحث معروف قديما وحديثا. والمعرفة سهلة ولكن العمل عسير. ولا يتفاوت الناس كثيرا فى معرفة القانون، ولكنهم يتفاوتون جد التفاوت فى تطبيق القانون.

« تجريد النفس والملاحظة والتجربة والموازنة والاستنباط كلمات سهلة؛ لكن الانسان الرازح تحت أحمال الوراثة فى دمه وعقله، وأحمال البيئة فى البيت والقرية والمدينة والدولة والمدرسة، وأحمال المعتقدات والمزاج والصحة والمرض والشهوات، كيف يسهل عليه تطبيق القانون:

« هذا موضع الداء قديما وحديثا، وهو سبب تعدد المذاهب والآراء، وسبب تبدلها

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وتنقلها من قطر الى قطر، ومن أمة الى أمة. والفلسفة والآداب تبدل ثيابها على تعاقب الأجيال كما تبدل النساء أزياءها، وقلّ أن تجد فيها شيئا يصونه حرز أو يقيه حصن، بل سرى التبدل الى قواعد العلم التى لم تكن طوال الأجيال الماضية موضعا للشك. ونظرية النسبية اضطرب لها العلماء وسرعان ماقام من يهدمها. والآراء فى الأمراض وأسبابها وطرق علاجها، وفى التغذية، لا تزال مطيعة للتبدل والتحول. وهكذا إذا أنعمنا النظر لا نجد أمانا لما أنتجه العقل وحده إلا ما كان البرهان بشروطه متوافرا فيه. ولكن ما نسبة هذه الأشياء التى يتوافر فيها البرهان الى غيرها مما تمليه الظنون وتسطره الأوهام، وتمجه الأذهان المريضة، وتفرضه السياسة، ويبدعه العلماء الذين يجدون كل اللذة فى مخالفة غيرهم وإحداث هذه المذاهب والآراء؟ ولعل هذه الحيرة ستخفف غلواء العلماء المعتزين بالعقل وحده، وتلويهم يوما من الأيام الى الدخول فى حمى الحق وحصن اليقين، وهو الوحى الصادق، وهو القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة.

« نعود بعد هذا الى الدكتور هيكل وكتابه :

« يقول بعض علماء الكلام : إن الاطلاع على علم تشريح الأفلاك وعلم تشريح الانسان يدل أوضح الدلالة على شمول العلم الإلهى لدقائق الوجود. وأنا أقرر أيضا أن العلم والكشف عن سنن الوجود وعجائبه سيكون نصير الدين، وسيقرب الى العقل الانسانى طريق فهم ما كان غامضا منهما، وما كان فوق طاقة العقل إدراكه من قبل، مصداقا لقوله تعالى : «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ». والكهرباء وما نشأ عنها من المخترعات قرّبت الى العقل فهم إمكان تحول المادة الى قوة وتحول القوة الى مادة. وعلم استحضار الأرواح فسر للناس شيئا كثيرا مما كانوا فيه يختلفون، وأعان على فهم تجرد الروح وإمكان انفصالها، وفهم ماتستطيعه من السرعة فى طى الأبعاد. وقد انتفع الدكتور هيكل بشىء من هذا فى تقريب قصة الإسراء فأتى بشىء طريف.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« ويطول بى القول إذا أنا عرضت لما فى كتاب الدكتور هيكل من حسنات . وحسبى أن أنبه الى تلك الحسنات إجمالا ، وسيدرك الناس جماله بأنفسهم ، ويستمتعون بلذة نتاج الفكر تهديه الأسانيد الصحيحة ، ويهديه المنطق الدقيق تسعده الفطرة الصادقة . وسيرون أن الدكتور كان مخلصا الإخلاص كله للحقيقة ، عامر القلب بما فى الوحى المحمدى من هدى ونور ، وبما فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم من جمال وجلال وعظمة وعبرة ، مطمئنا كل الاطمئنان الى أن هذا الدين المحمدى سينقذ البشر مما هم فيه من الحيرة ، وينتشلهم من ظلمة المادة ويبصرهم بنور الايمان ، ويوجههم الى النور الإلهى ، فيدركون به سعة رحمته التى وسعت كل شىء ، وعظمة مجده الذى تسبح به السموات والأرض وكل شىء فيهما ، وعزته التى تتضاءل أمامها الموجودات . ألا تراه يقول : « وأذهب أبعد مما تقدم فأقول : إن هذا البحث جدير بأن يهدى الانسانية طريقها الى الحياة الجديدة التى تلتمسها . وإذا كانت نصرانية الغرب تستكبر أن تجد النور الجديد فى الاسلام ورسوله ، وتلتمس هذا النور فى (تيوزوفية الهند) وفى مختلف مذاهب الشرق الأقصى ، فإن رجال هذا الشرق من المسلمين واليهود والنصارى خليقون بأن يقوموا بهذه البحوث الجليلة بالنزاهة والإنصاف اللذين يكفلان وحدهما الوصول الى الحق . والتفكر الاسلامى ، على أنه تفكير علمى على الطريقة الحديثة فى صلة الانسان بالحياة المحيطة به ، وهو من هذه الناحية واقعى بحت ، ينقلب تفكيرا ذاتيا حين يتصل الأمر بصلات الانسان بالكون وخالق الكون . ويقول : « لكن طلائع القضاء على الوثنية التى تتحكم فى عالمنا الحاضر وتوجه الحضارة الحاكمة فيه تبدو واضحة لكل من يتتبع سير العالم وأحداثه . فلعل هذه الطلائع تتواتر وتقوى دلالتها إذا انجلت أمام العالم تلك المسائل الروحية بالتخصص لدراسة حياة محمد وتعاليمه وعصره ، والثورة الروحية التى انتشرت فى العالم كله كأثر من آثاره » . انتهى كلام الدكتور .

ثم تابع فضيلة الأستاذ الأكبر ما هو بسبيله فقال :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« وهذا الاطمئنان يؤيده الواقع ، فإن ما يرى الآن من عناية الغرب ببحث آثار الشرق ، ومن عناية علمائه بدراسة الاسلام من نواحيه المختلفة ودراسة تاريخه وأممه قديما وحديثا ، ومن إنصاف بعضهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، وما أيدته التجارب من أن الحق لا محالة غالب ؛ كل ذلك يرشدنا الى أن الاسلام سينشر لواءه على العالم ، وسيكون أشد الناس عداوة له اليوم هم أشد الناس غيرة عليه ودفاعا عنه ، وسيكون هؤلاء الغرباء عنه هم أنصاره وأهله . وكما نصره أول أمره الغرباء من البيئة التي نشأ فيها ، فسينصره آخر الأمر الغرباء عن لغته ووطنه . وقد بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء .

« وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وليس للعالم بعده هاد ومرشد ، وكان دينه أكمل دين بنص الوحي القاطع ، فلا يمكن أن يقف أمره على ما هو عليه الآن ، ولا بد أن يمحو نوره نور غيره كما تمحو الشمس أضواء غيرها من الكواكب .

« وقد وفق الدكتور فى تنسيق الحوادث وربط بعضها ببعض ، فجاء كتابه عقدا منضدا ، وسلسلة متينة محكمة الحلقات . وقد أبدع فى بيان الأسباب والأغراض والحكم بيانا قويا واضحا يجعل القارئ مطمئن النفس رضى القلب ، يستمتع بما يقرأ ويثلج صدره ببرد اليقين ، فيملك عليه أمره ، ويجبره على متابعة القراءة حتى يوفى على آخر ما بيده من البحث .

« وفى الكتاب بحوث قيمة ليست من السيرة ، ولكنها اتصلت بها بسبب الإسهاب فى بيان أغراضها .

« وأختم كلمتى هذه بقول سيد الخلق صلوات الله عليه وعلى آله الأطهار ومن اتبعه :

« أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل عليّ غضبك أو تحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

١٥ فبراير سنة ١٩٣٥ — محمد مصطفى المراغى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com



مهمة الدين الاسلامى فى العالم

١٩

توجيه قوى الاجتماع الى الاصلاح لا الفساد

قامت قبل الاسلام أمم توافرت فيها جميع أسباب القوة ، فلم تلبث أن اضطرتها سنن الاجتماع الى التبسط فى الأرض ، فبدأت بمن جاورها من الجماعات فأخضعتهم لسلطانها ، ثم أخذت توالى الفتوح وتنساح فى البلاد الى كل جهة طلبا للتوسع فى الملك ، والتضخم فى الثروة ، فكانت الطريقة التى تتبعها هى ما تمليه عليها القوة الغاشمة ، لا أصول العدل ، ولا حدود الحق . فكانت تستولى على المدن فتدك عمرانها ، وتسلب أموالها ، وتستذل أهلها ، وتبيد خضراءها ، وتولى عليها من يسوم أصحابها الخسف .

لقد كانت هـذه سنة الفاتحين ، وقد أحسنت إيجازها ملكة سبأ إذ قالت حين أتاها كتاب سليمان كما حكاه الكتاب عنها فى قوله تعالى : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » أى أن عادة المسلطين إذا دخلوا قرية فاتحين أتوا على عمرانها ، وأذلوا أعز أبنائها ، هذا دأبهم فى كل حين .

فأما إقامة الدليل على ذلك من التاريخ فميسور ، وهل التاريخ شىء غير ذكر تفاصيل الحوادث المروعة التى كان يرتكبها القاهرون ضد المقهورين ؟

إن أقرب الأمم الينا دولة الرومان ، فقد عرف من تاريخها أنها كانت تغير على المدائن فتجعل عاليها سافلها ، وتستعبد أهلها ، وتنقل سادتها وكبراءها الى رومية فتشدهم بدل الخيول فى عربة ملكية يجلس فيها الأمبراطور ورجال دولته ، فتسير بهم على هـذا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

النحو أمام الشعب حتى تمر بهم تحت أقواس النصر . أما رعايا هـؤلاء القادة فـكانوا يعاملون أسوأ معاملة : تضرب عليهم الأتاوات الفادحة ، ويولى عليهم من يسومونهم سوء العذاب ، حتى بادت تحت نير هذه المظالم جماعات وأسر لاحصر لها .

وأقرب من الرومانيين جنـكيزخان ملك التتار ، فقد انساح بجنوده فى الممالك الأسيوية فأخربها وجعل عامرها يبابا ، واتخـذ أهلها خولا وعبيدا . وسار أولاده سيرته ، فـكان منهم هولاكو الذى زحف على بغداد ، فأتى على كل عامر فى طريقها ، وارتـكب من ضروب العسف بالناس ما يقشعر له جلد الانسان ، وتنقبض له نفسه . فلما وصل الى بغداد وحال بينه وبينها نهر دجلة ، ألقى بكـتب مكتبتها فى النهر ، وجعلها قنطرة اجتاز عليها جنوده ، ثم داهم الخليفة المستعصم بالله فى قصره ، فأمر بربطه فى ذيل حصانٍ فاره ، وألهبه بالسياط فركض ساحبا وراءه الخليفة على الدأماء ، فتحطمت عظامه ، وتمزقت أشلاؤه ، ومازال يطوف به على هذه الصورة حول قصره حتى صار جثة مشوهة هامدة ، ثم أمر بقتل خاصة الخليفة وجمع من أهل بيته ، ثم أوغل فى شيعته سلبا ونهبا ، وأباح بغداد أياما لجنوده يرتـكبون أشنع مايؤثر عن قسوة الانسان على الانسان .

هـذه كانت سيرة الجماعات البشرية عندما كانت تبلغ من القوة حدا تستطيع معه أن تغير على الأمم القريبة منها والبعيدة عنها ، ولم يعرف فى تاريخ العالم أمة كانت تتورع عن هذه المآثم فتعامل مقهوريها بالرحمة والعطف ، بل كان الإيغال فى الإثخان فى المغلوبين من المناقب التى تضاف الى مجد القادة والفاتحين .

فلما شرع الله الاسلام رفع هذا الإصر عن الخلق كما رفع عنهم جميع الآصار التى كانوا يرزحون تحتها تحقيقا لقوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمـة للعالمين » فـكان مما وصى الله به فى كتابه قوله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدارَ الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد كرر الله تعالى النهى عن الفساد فى الأرض فى آيات كثيرة ، وقد قرن تعالى هذه العادة الذميمة بخصال الفاسقين أى الخارجين عن حدود الشريعة بقوله : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون فى الأرض ، أولئك هم الخاسرون » ، حكم عليهم جل وعز بالخسران ، لأنهم إنما يبتغون من وراء نقضهم للعهود وقطعهم للصلات وفسادهم فى الأرض أن يربحوا ويثروا ، فقرر أن تلك الخصال تؤدى الى عكس ما يقصدون وهو الخسران المبين . فإن نقض العهد يصمهم بين الأمم بوصمة الخيانة فتتألب عليهم ، وقطع ذوى الرحم والمعاشرين يبعدهم عنهم فى أشد الأوقات حاجة اليهم ، والفساد فى الأرض يجر الى نضوب المعين الذى يستمدون ثروتهم منه ، فكيف لايساورهم الخسران من حيث يدرون ولا يدرون ؟

وذكر الله الظالم الغاشم من الناس الذى أعد له شر مآل وعد من أخص صفاته الفساد فى الأرض فقال تعالى : « وإذا تولّى سَعَى فى الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحَرْثَ والنَسْلَ (أى الزرع والولد) والله لا يحب الفساد » .

فكما لا يود الله لعباده الصالحين أن يسفكوا دماء الناس كذلك لا يود منهم أن يهلكوا الزروع لإجاعة الخصوم ، والمبالغة فى الانتقام منهم .

أين هذا التعليم الإلهى العالى من خيلاء (أتيلا) ملك (الهونيين) بما يرتكبه من المظالم ضد المقهورين ، حتى افتخر بأن العشب الأخضر لاينبت حيث يطأ جواده ؟ هذا الملك سُلط على دولتى الرومانيين الشرقية والغربية فأخرب مدنهما ، وانتهب ثرواتهما سنة (٤٣٤) ميلادية .

حذر الله المسلمين أن يستنوا بسنة أهل الظلم فى أخذ الشعوب بالقسوة والجبروت ، وتخريب العامر من مدنهم ، واضعاً لهم أصلا علميا يرجعون اليه ، وهو أن الفساد الذى يرتكبه المتغلبون فى البلاد التى تقع فى حوزتهم يفضى بهم الى عدم النجاح فى شئونهم الخاصة ، خلافا لما يتوهمه أولئك الفاتحون ، لأن الفساد يعدى كما تعدى الأمراض

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الوبائية ، فخير للأمم أن تجاور أمما صالحة للبقاء من أن تجاور أمما فى حالة تدهور وانحلال . وقد خلق الله الأمم لتتعارف وتتبادل مرافق الحياة ، لا لتتناكر ويتربص بعضها الدوائر ببعض .

ويعرف الذين درسوا تاريخ الأمم أن الأمم المتغلبة أكثر ما أتاها الانحلال من الشعوب التى كانت فى حوزتها وسامتها سوء العذاب . فسورية التى كان الرومانيون يعاملونها أسوأ معاملة ، سلم أهلها للمسلمين حين هاجموها ، وتركوا الدفاع للجيوش التى كانت تحتلها . ولما تصدى عمرو بن العاص لفتح مصر اتفق معه أهلها على التسليم مراغمة لإرادة قيصر الرومان . ولما نزل طارق بن زياد اسبانيا سلم له الكونت جوليان حصن الجزيرة الخضراء ، وحذا حذوه بعض القادة . كان كل هـذا لا يحصل لو كان الوزيغوطيون المتغلبون على البلاد لم يستنوا بسنة الإرهاق فى معاملة المقهورين .

وقد أوجز الله تعالى هذا الأصل فى قوله تعالى : « ولقد كتبنا فى الزبور من بَعدِ الذّكرِ أن الأرض يرثها عبادىَ الصالحون » ، أى الصالحون لكل خير ، ومنه الحكم وسياسة الشعوب .

من العجيب أن يكون هذا الأمر مجالا للشك ، أو يكون مما يخفى على العاقلين من الخلق : « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار » ؟ .

وقد أوجز الله كل هذه الأصول العمرانية العالية فى كلمتين فقال تعالى : « إن الله لا يصلح عمل المفسدين » .

ومما شدد الله فى التحذير منه على الخصوص إفساد ما تم إصلاحه فى العالم ، لأن إرادة الشر فيه أظهر من إفساد ما لم يتم إصلاحه بعد ، فقال تعالى : « ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ، وادعوه خوفا وطمعا ، إن رحمة الله قريب من المحسنين » .

وزاد تنبيهه بعدم الفساد فى الأرض قوة بأن جعل النجاة فى الآخرة وقفا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على المتأدبين بهذا الأدب الإلهى فى معاملة المدن وأهلها فقال تعالى : « تلك الدّارُ الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبةُ للمتقين » .

علم الله سبحانه وتعالى أن المسلمين ستئول اليهم خلافة الله فى الأرض مصداقا لقوله تعالى : « وَعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيستخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » فوجه إليهم الخطاب خاصة مع كل ما ورد فى هذا للناس عامة فقال تعالى : « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتُقطّعوا أرحامكم ؟ » جعل الله هذا التحذير فى قالب استفهام إنكارى ليكون أوقع فى النفس ، وأفعل فى القلب . ومعنى الآية فهل يتوقع منكم أيها المسلمون إن آتاكم الله الملك ، وكتب لكم التبسط فى الأرض ، أن تفسدوا فى الأرض وتمزقوا الروابط التى بينكم وبين ذوى قرباكم ومعاشريكم ؟

نزل هذا كله على المسلمين فتلقوه بقلوب صفت لقبول الحق ، فصار حالا لهم لا يستطيعون عنه حولا . فلما دعتهم ضرورات الاجتماع للانسياح فى الأرض جعلوا شعارهم الرحمة والعدل ، والإصلاح فى الأرض . دخلوا سورية وكان بهم حاجة ماسة الى المقومات المادية ، فلم يسلبوا المقهورين شيئا من أموالهم ولا عتادهم ، ولكن اكتفوا بما تكتفى به كل حكومة رشيدة من ضرب الأتاوات المناسبة لحالتهم ، وجبوها منهم بدون إرهاق ولا ظلم ، ونزحت الى تلك البلاد قبائل من العرب ، فسوّوا أهل البلاد بأنفسهم أمام القضاء ، تاركين لهم الحرية فى دياناتهم ، فلم يلبثوا أن قبلوا الاسلام دينا لهم لما أثر فيهم من عدالة أهله ، واستقامة حكومتهم .

ثم افتتحوا مصر ، فجروا على شاكلتهم فى معاملة أهلها بالإحسان والرفق ، فلم يطل مقامهم بينهم حتى دخل المصريون فى دينهم أفواجا يحدوهم اليه ما رأوه من سماحة المسلمين وسعة صدورهم ، ووقوفهم مع الحق .

ودخلوا بلاد الفرس فوجدوا أهلها شيعا ، ومرافقها معطلة ، فأسسوا فيها حكومة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وحّدت بينهم فى المعاملة ، وساوت بينهم فى الحقوق ، فما عتموا أن انتشر الإسلام فيهم ، حتى لم يمض عليهم بضع عشرات من السنين حتى انقلب جمهورهم مسلمين يدافعون عن حرم الحنيفية السمحة دفاعهم عن أنفسهم وأهليهم وأعز عزيز عندهم .

ودخلوا الأندلس فلم يجعلوا ديدنهم تجريد أهلها من أموالهم ، ونقل مذخوراتها الى بلادهم ، بل ساروا فيهم سيرةً لم يكونوا يعرفونها من قبل ، فأقبلوا عليهم بوجوههم وقلوبهم ، ومكنوا لهم فى الأرض .

واقتحموا بعد الفرس ممالك التركستان حتى وصلوا الى حدود الصين ، جارين على سمت أسلافهم ، فدانت لهم البلاد ، وانتشر فيها الإسلام ، ولم يقف عند حد .

أسس المسلمون فى كل هذه الممالك المدارس ومعاهد التربية ، وعكفوا على الدرس والبحث ، وبذلوا التعليم للكافة لا فرق بين مسلمهم وكافرهم ، حتى أصبحت مدنهم مراكز للعلم والفضل والفنون والصنائع ، وكانت لا تعرف شيئاً من ذلك من قبل . فاشتهرت دمشق والقيروان ونيسابور وإربل وسمرقند وإشبيلية وقرطبة ومصر الى عشرات من أمثالها فى جميع هذه الأمبراطورية التى لم يقم مايشبهها فى الأرض . فلم يحتكروا العلوم والصنائع لأنفسهم وبلادهم ، كما فعل الفاتحون قبلهم ، ولكنهم عمموا العلم فى كل قطر حلوا به ، وأشركوا أهله معهم ، حتى عُدّوا أصلح الأمم لسياسة الخلق .

هذا ما شهد به مؤرخو الفرنج ودونوه مجمعين عليه ، فكان كل هذا من آثار الروح العلوى الذى بثه الإسلام فى قلوب أهله . فإن كانت من أمة تفخر بعمل قامت به فى عقر دارها ولقومها خاصة ، فإن المسلمين يفخرون بأنهم محدثو أكبر انقلاب فى العالم أجمع ، فلم تنحصر همتهم فى بلادهم ، ولم تقتصر على ذويهم ، ولكنها عمت الدنيا بأسرها .

وإن كانت كل أمة تتمدح بغزوة أضافت بها ملكا الى ملكها ، أو بدفاع مجيد دافعت به العدو عن حوزتها ، أو بدستور أسسته لذويها ، أو بثورة سوّت بها بين جميع طبقاتها ، فإن المسلمين ليباهون بأنهم قاموا بكل ذلك مجتمعا ، لا لحسابهم خاصة ولكن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لمجموع النوع البشرى كافة . فما من علم يستهدى به الناس اليوم ، ولا صناعة ينتفعون بها ، ولا دستور يعيشون فى ظلاله ، ولا مدنية ينعمون بحسناتها ، إلا والمسلمين يد فى وضع أساسها أو بناء صرحها أو الدلالة على طريقها ، وهم يعتقدون أن الفضل فى ذلك كله ليس لهم ، ولكن للدين الذى جعله الله نورا للناس يهدى به من يشاء الى طريقته المثلى « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا ، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما » .

محمد فريد وجدى

من جوامع الكلم فى القرآن

قال الحارث الأعور : حدثنى على بن أبى طالب رضوان الله عليه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه . هو الذى من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ، والذكر العظيم ، والصراط المستقيم . خذها اليك يا أعور .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيكون فى أمتى قوم يقرءون القرءان لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، هم شر الخلق والخليقة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الزبانية لأسرع الى فساق حملة القرءان منهم الى عبدة الاوثان ، فيشكون الى ربهم فيقول : ليس من علم كمن لا يعلم » .

وقال الحسن : حملة القرءان ثلاثة نفر : رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر الى مصر يطلب به ما عند الناس ، ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده ، واستدر به الولاة ، واستطال به على أهل بلده ، وقد كثر هذا الضرب من حملة القرءان لا أكثرهم الله عزوجل ! ورجل قرأ القرءان فوضع دواءه على داء قلبه ، فسهر ليلته ، وهملت عيناه ، وتسربل الخشوع ، وارتدى الوقار ، واستشعر الحزن ، ووالله لهذا الضرب من حملة القرءان أقل من الكبريت الأحمر ، بهم يسقى الله الغيث ، وينزل النصر ، ويدفع البلاء .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

التفسير

سورة الرعد

— ٢ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ . وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ، وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ، يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) .

قد اشتملت الآية السابقة على التنويه بالآيات المنزلة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإبرازها فى صورة أنها الحقيقة وحدها بأن تسمى آيات الكتاب وكأن غيرها لا يستحق التسمية بهذا الاسم ، ثم على إثبات حقّية ما أنزل اليه صلى الله عليه وسلم من ربه الذى أرسله وكمّله ، ثم ذكر أن أكثر الناس لا يؤمنون بما ذكر من كمالها وحقيتها مع قيام البرهان على إثبات هذه الحقية بأتم جلاء وأكمل وضوح . فجميل أن يردف هذه الدعوى التى اجترأ أكثر الناس على الكفر بها ، بما يفيد حقّيتها ، ويثبت أن الارتياب فيها ما جاء من ناحيتها ولا لضعف فى دليلها أو هدايتها ، وإنما نشأ من عمى بصائر الذين كفروا بها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فقوله تعالى : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » من باب إرداف الدعوى بدليلها، وتدعيمها ببرهانها . ذلك أن ارتيابهم فى صدقها لا يمكن أن يكون ناشئا عن استحالتها فى ذاتها ، إذ إمكانها الذاتى لا يقبل الشك ولا يرتاب فيه ، فهى فى نفسها ممكن من الممكنات بلا جدل ولا ريب ، وإنما يكون الارتياب — لو فرض — ناشئا من توهم صعوبتها وعسر تحقيقها . وبعبارة أوضح يكون ناشئا من زعم تعاصيها على قدرة من نسب اليه تحقيقها ، وإذاً يقال لهم : وأين ما ارتبتم فى حصوله لزعمكم قصور القدرة عن تحقيقه مما ترونه بأعينكم وتلمسونه بحواسكم وترغمون على اعتقاده بما قام لديكم من أدلة لا تقبل النقض ولا يدخل عليها الريب ؟ ألم يكن هذا الذى زعمتم نقص قدرته عن تحقيق ما ذكرنا هو الذى قامت قدرته بما هو أكبر وأعظم مما ترتابون فيه ؟ ألم يكن هو الذى رفع السموات بغير عمد ترتكز عليه ؟ « إن الله يُمسك السمواتِ والأرضَ أن تزولا ولئن زالتا إنْ أمسكهما مِن أحدٍ مِن بَعده » « ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه » وإنكم لتجزمون بذلك ، فها أنتم أولاء ترونها رأى العين ، ويقوم على ذلك لديكم أوضح البراهين . فهل من كانت قدرته آتية على هذه المقدورات العظيمة يعجزه أن يقوم بما تنكرون من بعث وإعادة ؟ وذلك هو ما سيقت هذه الآيات المتتالية لإثباته .

تعرف ذلك من قوله عز وجل بعد سوق تلك الآيات وتفصيلها : « وإنْ تَعجبْ فعَجَبٌ قولُهم أإذا كنا ترابا أإنا لفى خلق جديد » . وعلى ذلك يكون نسق الكلام هكذا : التنويه بالآيات التى أنزلها رب العالمين عليه صلى الله عليه وسلم هداية ونورا ؛ ثم بيانُ أن كل ما أنزل اليه من ربه فهو الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن أول ذلك وأولاه بالتنبيه بعث الناس بعد موتهم ليلقوا جزاء ما قدموا ؛ ثم النعيُ على أكثر الناس بتقاعدهم عن اليقين فى دعوى قامت عليها البراهين ، ولا ينكرها إلا من غلب عليه الانخداع بالأوهام ، وقصور النظر عن الاهتداء بالبرهان ولو وضح له

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وضوح العيان ؛ ثم سردُ تلك الآيات الباهرة والدلائل الظاهرة ، مع الرجوع بها الى ما رأوه واستيقنته أنفسهم من مشاهدة أحوال السموات والأرض ، والتفكر فيها أقل فكر . هذا قوله تعالى : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » الآيات.

ولقد عرض فيها لثلاثة أنواع من الأدلة ، هى ما بين مشاهدات يدركها الحس وهو الغالب ، ومعلومات بدليل يكاد يلحقها بالمشاهدات — (الأول) الأدلة السماوية ، وذلك فى قوله تعالى : «الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها» . و(الثانى) الأدلة المبثوثة فى الأرض من ناحية تركيبها والظواهر المتجلية فيها المتواردة عليها ، كإرسائها بأوتاد الجبال ، وشقها بالأنهار ، وكتوارد الليل والنهار . و (الثالث) الأدلة المأخوذة مما أنتجته الأرض من نبات مختلف الألوان والطعوم ، مع اشتراكه فى التغذية وتجاوره فى الموقع ؛ ومما ظهر فى أجزائها من اختلاف فى طبائعها وألوانها ، مع تجاورها وتسلط ما يتوهم تأثيره فيها على جميع أجزائها بنسبة واحدة ، وأن ذلك لم يمنع من تفارقها واختلافها ، مما يدل على أن ذلك أثر صنع القادر المختار الحكيم العليم.

الدليل الأول السماوى وهو المذكور فى قوله تعالى : «الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها». ومعنى رفعها أوجدها مرتفعة ، لا أنها كانت منخفضة فرفعها ، وإنما خلقها من أول الأمر على هذه الرفعة . وأدل شىء على أن رفعها بقدرته تعالى أنكم ترونها مرتفعة بلا عمد . وهذا لا يدع عند أحد ريبا فى أن من رفعها كذلك قادر على ما هو أكبر من ذلك من إعادتكم بعد إفنائكم « أأنتم أشد خلقا أم السماء » ، فكيف ترتابون فى ذلك وتقولون : أإذا كنا ترابا أإنا لفى خلق جديد ؟ وعلى ذلك يكون الضمير فى ترونها عائدا الى السموات وأنهم يرونها مرتفعة بلا عمد . ومنهم من أرجع الضمير الى عَمَد باعتبار أنه جمع عماد أو عمود كما جاء أديم وأَدَم وقضيم وقضم . ومعلوم أن فعيل وفعول حكمهما واحد فى الغالب . ولكن الذى عليه الأكثر أنه اسم جمع لا جمع . وقد ذكر أصحاب هذا القول أن الكلام مبنى على أن المعنى نفى رؤية العمد أى رفعها بلا عمد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مرئية فلا ينافى أن لها عمدا غير مرئية . واستأنسوا لكلامهم بأنه قد قرئ بغير عمد ترونه ، وأن الضمير حينئذ يرجع الى العَمَد باعتبار أنه اسم جمع لا الى السموات لأنها مؤنثة ، فتكون القراءة بتذكير الضمير مفسرة للقراءة بتأنيثه . وزعموا أن عدم رؤية العمد مع رؤية ما ارتفع عليه دليل على سعة قدرة القادر ، إذ لكل من المرتفع والعمد حكم يخالف حكم الآخر مع اتحادهما فى الحقيقة الجسمية . وقد اختلف أصحاب هذا الرأى فى تفسير العَمَد : فمنهم من زعم أنها عمد حقيقية من أجسام حاملة ، ورووا فيها روايات لم تصح ولا يعول عليها . ومنهم من فسر العمد بقدرة الله تعالى . وهو بعيد عن ظاهر التعبير بعدا كبيرا ، ولا مقتضى للتعبير عن القدرة الإلهية بالعمد مجازا ، مع أن إضافة الرفع الى القدرة ونفى العمد بالمرة أبلغ فى تقرير القدرة .

فالظاهر أن النفى راجع الى العمد ، وأنه ليس لها عمد ، ولو كان لها لرأيتموه . أى رفعها بغير عمد ، ودليل ذلك أنكم ترونها كذلك . وأما ما ذكروه من أنه رويت القراءة بالتذكير ، فإن المعنى على هذه الرواية أنكم ترون الرفع بلا عمد ، فالضمير عليها عائد على الرفع لا الى العمد .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

والسموات عند أكثر العلماء الاسلاميين هى هذه الأجرام الفلكية المحيطة بنا المتحلية بلون الزرقة الصافية . وذلك ما يدل عليه ظواهر النصوص والأخبار الكثيرة . وبعضهم يرى أن هذا اللون ليس لون السموات ، فإنه يحدث من أسباب عدة : كأن يكون أجزاء بخارية جوية يسطع عليها شعاع ضوء الكواكب ويليها طبقة مظلمة ، فيحصل من امتزاج الضوء الكوكبى بالأجزاء المظلمة لون متوسط بين البياض والسواد وهو لون الزرقة ؛ أو من تعاقب ذرات ذات ألوان متعددة ، فيحصل من امتزاجها ذلك اللون المخصوص ، فلا يلزم أن يكون هذا المرئى هو لون السماء .

ويمكن الرد على هذا الوجه بأن حدوث لون الزرقة لهذا السبب الذى ذكروه لا يمنع أن يحدث لسبب آخر ويكون هو لون السماء حقيقة ، فيكون كلا الأمرين فى نظر العقل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

محتملا . وقد جاءت ظواهر النصوص مفيدة أن ما نراه هو السماء ، فلا موجب لصرفها عن ظاهرها .

وأصحاب هذا المذهب الثانى منهم من يفسر السموات بأنها الكواكب ، وكل ما ارتفع فهو سماء . ومنهم من يفسرها بأنها المناطق التى تسبح فيها الكواكب وهى أيضا مرتفعة . ولا يخفى عليك أن ظهور آثار القدرة إنما يكون فى رفع شىء ذى وجود ؛ أما المناطق الخالية التى لم تزد عن أنها فراغ تسبح فيه السموات فليس فى ارتفاعه وهو خلو أثر للقدرة ، ولا يقال إنا نراه مرتفعا .

وبعد : فالذى ينقدح فى الذهن وتطمئن اليه النفس ، هو أن هذا المرئى هو السماء ، وذلك ظاهر النصوص . فإذا قام الدليل العقلى على انتفاء ذلك ، وأثبت أنه ليس هناك سماء بالمعنى الجرمى المتعارف ، صح المصير الى التأويل ، وإلا كان التأويل والصرف عن الظاهر تشهيا بلا داع . ولتتنبه الى أنه فرق بين قيام الدليل العقلى على انتفاء السموات وبين عدم قيامه على وجودها ، فالأول يصلح صارفا للنصوص عن ظواهرها بخلاف الثانى . كما أن هناك فرقا بين الدليل الموجب للجزم والدليل المحصل للتخمين والظن ؛ فالأول يصلح لتأويل النصوص بخلاف الثانى .

قال تعالى : « ثم استوى على العرش » :

يقال كثيرا فى التعبير عن الأمور المعنوية : استقر الأمر فى نصابه ، واستقامت الأحوال ، واستوى على كرسى المملكة ؛ وليس للأمور المعنوية مقر جسمى وحيز ومكان ، كما أنه ليس للأحوال قامة وامتداد يستقيم أو يعوج ؛ وقد يكون الملك لم يتخذ كرسيا مخصوصا بالمملكة يجلس عليه وإنما يجلس حيث أراد . ولكن هذه التعبيرات الغرض منها مفهوم ، وهو أن القلاقل والاضطرابات المخلة بالأمن أو النظام قد زالت ، وأن الرياسة للمَلِك قد تحققت ولم يبق له معارض أو مشارك . يفهم هذا المعنى من له أدنى إلمام بمتعارف الناس فى مخاطباتهم ؛ فلا ينبغى أن يلتفت الى ما وقع فيه بعض

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قصار النظر من أهل الظاهر الذين أهملوا قضية العقل الصريح والمنطق الصحيح: فزعموا أن للإله استواء حسيا على عرشه كاستوائنا فى أمكنتنا. فلو كان الأمر كذلك لكان بحاجة الى ما يعتمد عليه ويستوى فيه، ولكان العرش سابقا على وجوده حتى يستوى عليه لأول وجوده، ولكان بحاجة فى وجوده الى العرش الذى هو من مصنوعاته، ولكان جسما يصح أن يجزأ وأن يركب، فهو محتاج الى من يضم أجزاءه بعضها الى بعض؛ وكل هذه محالات ظاهرة الاستحالة ولا تتفق ومعنى الإلهية واستغنائه عن كل ما سواه واحتياج كل ما عداه اليه. وهى مخلة بمعنى وجوب الوجود الذى قام عليه البرهان القاطع. وعلى ذلك فتفسير استوى على العرش بالاستواء الحسى باطل قطعا.

وقد اختلف علماء التوحيد فى مثل هذه التعبيرات: فمنهم من يقول: هذا من المتشابه نؤمن به وإن لم نفهم المعنى المراد منه على التعيين، فالله مستو على العرش استواء لا نعلم حقيقته، كما لا نعلم حقيقته تعالى وكنه ذاته. وأصحاب هذا المسلك هم السلف؛ وطريقتهم أسلم. ومنهم من يفسرها بأقرب المعانى اليها وأنسبها بها فى متعارف التخاطب، ويقول: إن معنى الاستواء الاستيلاء وكمال النفوذ والانفراد بالتدبير وما يماثل ذلك، ويقولون: إنها على طراز قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

فليس معناه جلس على العراق، وإنما معناه تم له أمر الحكم والنفوذ فيه. وهذه طريقة الخلف، وهى أحكم، لأنها تفسير بما يشبع شهوة العقول المتعاصية على التسليم بشىء دون أن تفهمه بجلاء، وموافقة للتعبير المتعارف فى مثل ذلك.

وغاية الأمر يبقى الكلام فى أمرين: (الأول) التعبير بصيغة استوى وقد تُوهم أنه لم يكن مستويا ثم استوى. و (الثانى) التعبير بكلمة ثم وقد تُوهم أن الاستواء متأخر على رفع السموات مع أن نفوذه جل شأنه فى تدبير ملكه ثابت أزلا وأبدا.

فأما الأول فمدفوع بأن صيغ الأفعال المسندة الى الحق جل جلاله ليس فى معناها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الزمان ، وإنما تدل على حصول مضمونها ، إذ ليس الحق تعالى زمانيا ولاخاضعا لأحكام الزمان ، وذلك كما تسمعه كثيرا فى كلامهم على قوله تعالى : « وكان الله على كل شيء مقتدرا » «وكان الله بكل شيء محيطا » وأمثالها . فليس المعنى أنه كان كذلك ثم زال عنه ، حاش لله :

وأما الثانى فليس الترتيب المستفاد من ثُمَّ منصباً على مضمون الأمرين المتعاطفين بها ، وإنما هو ترتيب بين الأدلة المتعاطفة . فكأنه استدل أولاً بإيجاد السموات مرتفعة ، ثم انتقل الى مرتبة تليها فى الاستدلال وهى الاستواء على عرش الملك وتمام نفوذ التدبير والحكم .

ووجه الترتيب بين هذين الدليلين أن الأول وهو رفع السموات بغير عمد أمر واضح جلى لا يحتاج الى أكثر من الالتفات الى ما يقع عليه الحس والتأمل فيه أقل تأمل . وأما الثانى وهو استواؤه على العرش فإنه محتاج الى فضل تأمل وإعمال فكر فى الظواهر العالمية ليعلم خضوعها للمهيمن عليها ونفوذ حكمه فيها .

ولقد فصلها فيما يلى تفصيلا ما ، ونبه على أشياء يعلم بها غيرها ، حيث قال : «وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى » . أى أفلا ترى من هذا التسخير الكامل لمخلوقين هما من أعظم ما تقع عليه العين أن فاعل ذلك هو من نفذ حكمه فى كل شيء ، ودان له كل شيء ، واستوى على عرش المملكة لا يشذ عليه شيء . وعلى ذلك يكون الدليل الأول من الوضوح بحيث يفتح كل عين مغلقة .

فإذا أخذ هذا الحكم على النفس مسالكها ، وأرغمها على الاعتراف بما عرض عليها ولم تجد مندوحة من الإقرار والإذعان ، دعيت الى التأمل العميق الذى يملؤها يقينا ، فقيل لها : وانتقلى الى ما هو أعمق أثرا وأكمل نظرا ، لترى أنه مالك الأمر كله صاحب الملك والملكوت ، وأنه استوى على العرش بلا منازع ولا مشارك . ألا ترين كيف سخر لحكمه بحكمته أعظم الكواكب التى تتجلى لك ، فلا يستطيع شيء منها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الخروج عن تدبيره وتسخيره ؟ ألا ترينه قد سخر الشمس والقمر كل يجرى بأمره في مستقره الى أجله الذى ضربه له ؟

وغير خاف أن الاستدلال الحكيم هو ما يبدأ فيه بالأمر الواضح ثم ينتقل الى ما هو أعمق منه وأدق ، وأن الدليل الدقيق قد يحتاج الى توضيح وتفصيل ، وهو ما ذكر في قوله عز شأنه : « وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى » .

بقى الكلام في نسبة الجرى الى الشمس والقمر مع قيام الدليل على أن المتحرك هو الأرض حول الشمس لا الشمس حول الأرض . ونقول فيه :

إنه بعد تسليم تمام الدليل في ذلك وخلوه من المنوع ووصوله الى درجة اليقين ، وذلك ما لم يزعمه القائلون به ، فإن غاية أمرهم أنهم يقولون : إن الظاهر المناسب للمألوف والأقرب الى التخمين هو أن الأصغر يدور حول الأكبر ، ولا شك أن الأرض أصغر مرات كثيرة من الشمس فهى الأحق بأن تكون هى المتحركة . كما أن تكرار حركة البندول في مسافة مرتفعة خالية من الهواء يعطى التخمين بأن الأرض هى المتحركة ، فقد ذكروا أن ذلك تخمين لا يقين .

ويمكن توجه المنع عليه بأن الله يفعل ما يشاء بقدرته لا يتقيد بالنواميس الظاهرة لنا ، فلا مانع عقلا من أن يتحرك الأكبر حول الأصغر أو الأصغر حول الأكبر ، وحركة البندول التى زعموها يجوز أن تنشأ عن سبب أثيرى أو غيره مما يحيط بالأرض وإن لم ينكشف لنا ناموسه تمام الانكشاف .

وعلى فرض تمام الدليل يقينا فليس في ذلك ما يعكر على المقصود من الآية الكريمة ، وذلك أن المقصود فيما تأتى به النبوات من توجيه النظر الى ما يجرى في هذا العالم إنما هو التنبيه لمواضع العبرة بحسب ما يدركه الانسان ببادئ النظر ، ليتم عليه الامتنان في آيات الامتنان ، أو ليحصل الإذعان في مقام الاستدلال وإقامة البرهان . ولا شك أن هذا يأتى برؤية الآثار الظاهرة مهما كان سببها والناموس الذى استتبعها ؛ وليس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المقصود شرح دقائق الصناعات والأسباب الخفية التى يتعاصى على جمهور المخاطبين فهم دقائقها ، وإلا كان الخطاب بالشرائع مقصورا على فئة تتحمل أذهانها فهم تلك الدقائق .

انظر الى قوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مَوَاقِيتُ للناس والحجّ » فقد كان سؤالهم : ما السبب فى أن القمر يبدو هلالا صغيرا ثم يتزايد حتى يصير بدرا كاملا ؟ فكان جوابهم أن ذلك لكى يضبط الناس به مواقيتهم فى مواعيدهم وأعمالهم الدنيوية والدينية ، ومن أهم ذلك مواقيت الحج . فانظر كيف سألوا عن السبب فلم يجابوا الى ما طلبوا من أن ذلك ناشئ عن كون القمر لا ضوء له فى ذاته وإنما يستفيده من مقابلة الشمس ، وللأرض حيلولة بينه وبينها تختلف أوضاعها باختلاف المنازل ، وأمثال ذلك مما لايسهل إدراكه إلا على من مارس شيئا من قواعد علم الهيئة . وما جاءت الشرائع لتعليم دقائق الصناعات وقواعد العلوم ، بل اكتفى فيها بالدعوة الى إجادة النظر والتفكير ، حتى يصلوا منها الى ما تسعه عقولهم ، وتتوقف عليه مصالحهم ، ويصح عليه دليلهم . وعلى طراز ذلك ما سيأتى فى الآية القريبة « يُسقَى بماء واحد ونُفَضِّل بعضها على بعض فى الأُكُل » فقد نبه الى مواضع العبرة ومثار المنة ، ولم يشرح السبب الطبيعى .

إذا تقرر هذا نقول : إن موضع العبرة والاستدلال على كمال القدرة هو فيما يرونه بأنفسهم من ضبط حركات الشمس والقمر مسخرين لأمر الله كل يجرى لأجل مسمى لا خلل فيه ولا اضطراب ، فبذلك يضبطون مواقيتهم وينظمون شئونهم ، وذلك بتسخير من ربهم ، فله المنة ، وهو كامل القدرة . وما زال الناس فى كل زمان وأوان يقولون : أشرقت الشمس أو غابت الشمس ، اكتفاء فى ذلك بظاهر ما يرون ، ولا يقول أحد فى مخاطباته العادية : دارت الأرض حول الشمس أو سامَتَ نصف الأرض الشرقى أو الغربى جرم الشمس . فعلى هذا تكون الآية موجِّهة نظر المكلفين الى ما يبدو لهم وتترتب عليه مصالحهم ، وهذا هو ما يليق بالهداية والاعتبار .

هذا ولا يفوتنا قبل أن ننتقل من الكلام فى هذه الآية أن ننبه على فساد الزعم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بأن حركة الأرض حول الشمس مذهب اهتدى إليه المتأخرون من علماء الهيئة بعد أن كان لا يعرفه أحد . فليس هذا الزعم من الصواب فى شىء ، بل الحقيقة أن هذا مذهب قديم ، بل كان هو السائد على أغلب علماء الهيئة فى زمن قديم ، ثم تغلب عليه رأى القائلين بأن الشمس هى الدائرة فى الفلك المحيط بالأرض ، فانغمر المذهب الأول والقائلون به ، ثم تجدد انتصار المذهب القديم القائل بأن الأرض هى المتحركة . وكلا الفريقين يكتفى بقوة التخمين ولا يدعى الجزم واليقين ، وإنما أتباع الفريقين من أنصاف العلماء هم الذين يتغالون فى نصرة متبوعيهم ، فيزعمون لهم أكثر مما يزعمون لأنفسهم ، فيجعلون ظنهم جزما وتخمينهم يقينا ، وذلك من ظلم العلم ، وهو شائع فى كل زمان ، وما أكثره فى زمننا هذا :

هذا ومما نلفت اليه نظر القارئ أنه قد جاء فى هـذه الآية « كلٌ يجرى لأجل مسمى » وجاء فى آية أخرى « كل يجرى إلى أجل مسمى » فقيل إن المعنى فى الآيتين واحد ، وإن اللام هنا بمعنى الى ، وهو مطابق لما روى عن مجاهد أن الأجل المسمى هو عمر الدنيا ، وأنه ينتهى بما ذكر فى قوله تعالى : « إذا الشمس كُوِّرت » وأمثاله . ولكن المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن معنى الأجل المسمى : المنازل المقدرة لهما ، والوقت المعين لسير كل منهما ، والدرجات الخاصة بهما ، وأن لكل منهما مداره حسبما اقتضته الحكمة الإلهية . ويلوح أن هذا أنسب بمعنى التسخير المذكور فى قوله : « وسخر الشمس والقمر » أى جعل لكل منهما درجات لا يعدوها ، ومنازل خاصة ، ومقدارا معينا يطابق الحكمة والمصلحة المرعية فى نظامهما ، فيكون معنى اللام هنا غير معنى الى . والمعنى كل يجرى ملتزما خطة معينة رسمت له لا يعدوها . وهذا هو الظاهر .

أردف هذا بقوله تعالى : « يدبِّر الأمرَ » أى هذا الذى تشاهدون من آثار صنعه وبديع حكمته ما تشاهدون ، هو الذى يدبر كل الأمور ، ويحكم التصريف فى جميع العالم علويّه وسفليّه ، فهو الذى استوى على العرش ونفذت قدرته فى الملك والملكوت . وبذلك يكون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قوله : « يدبر الأمر » بعد ذكر تسخير الشمس والقمر من باب قولهم : عود على بدء ، بالنسبة لقوله : « ثم استوى على العرش » فكأن استواءه على العرش دليل على سعة قدرته ، ويحتاج الى دليل يثبته هو ما تشاهدون من تسخير الشمس والقمر الذى تستفيدون منه أنه هو الذى يدبر الأمر ، فهو المستوى على العرش ، وهو صاحب التدبير والتصريف فى الأمر كله ، لا إله غيره .

أرأيت كيف ارتبطت الآيات بعضها ببعض حتى صارت كلاما واحدا فى حين أنها مفصلة تفصيلا حكيما لكل منها فائدته وجمال موقعه ؟ كذلك يفصل الله آياته ويبينها مفصلة واضحة ، تعطى فائدتها وتستكمل هدايتها ، وترشد العقول السليمة من الرين الى ما فيه هداها . فقوله تعالى : « يفصل الآيات » تنويه بكمال الفائدة وعظم الجمال الذى اشتملت عليه تلك الآيات . وعلى ذلك يكون المراد بالآيات آيات الكتاب السابق التنويه بفضلها فى أول الآية الكريمة « تلك آيات الكتاب » . وقيل إن المراد الآيات الكونية التى أوجدها تعالى فى العالم واضحة الدلالة على قدرته وأنه المتصرف فى العالم بإبداع حكمته . والحقيقة أنه فصل كُلاًّ من آيات الكتاب وآيات التكوين بما يهدى كل ناظر مسترشد . فالحمد لله حق حمده .

بقى معنى نحب أن نرشدك اليه ، وهو أن معنى التدبير فى اللغة النظر فى دُبُر الأمور وعواقبها ليختار منها أسلمها عاقبة بعد التفكر . وهذا المعنى مستحيل بالنسبة اليه تعالى ، إذ كل شىء معلوم له تعالى بالفعل بلا نظر ولا تفكير ، وإنما المراد لازمه وهو الإتقان والإحكام ، فإن شأن من يتأمل فى عواقب الأمور أن يجيد صنعها ، ولكنه تعالى غنى بعلمه الشامل عن التأمل والتفكر ، فذلك شأن من لم يحط علما بما يتناوله صنعه ، وحاشا له عز شأنه أن يعزب عن علمه مثقالُ ذرة فى الأرض ولا فى السماء .

وقوله تعالى : « لعلكم بلقاء ربكم توقنون » :

قد سبق لنا تفسير معنى « لعل » فى مثل هذا المقام ، ولكن لا نرى بأسا من إعادته

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بإيجاز فنقول : إن معنى لعل فى هذا ونحوه هو معنى اللام الغائية المفيدة للحكمة المترتبة على ما ذكرت لعل فى سياقه . وغاية الأمر أن بينهما فرقا فى مواضع الاستعمال : فاللام تذكر فى موضع التعليل المحتوم تأدية الفعل فيه للغاية . وأما لعل فتأتى فى التعليل الذى يدخل فيه إرادة المكلف فى اغتنام فرصته فتحصل الغاية ، أو تفويتها على نفسه فلا تحصل . فكأن التعليل فى لعل معناه : قد هيأنا لكم مالو اغتنمتموه لأخذتم فائدته فلعلكم تغنمون ، فهذا موكول الى حسن اختياركم . فهو يبرزهم فى صورة من يرجى منه . وإلا فمعنى الرجاء مستحيل على الله تعالى ، إذ بيده الأمر كله ، وهو الفعال لما يريد ، والعليم بما يكون .

هذا وترتيب الإيقان بلقاء الله على تفصيل الآيات صحيح ، سواء أفسرت الآيات بآيات الكتاب التى أرشدت الى ما فى الكون من عظائم آثار القدرة ، أم بالآيات الكونية التى يهدى تأملها الى جلال مبدعها . ولكن ردّ آخر الكلام الى أوله قد يرجح التفسير الأول .

نسأله تعالى أن يملأ قلوبنا يقينا وإيمانا ، إنه هو الكريم الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ابراهيم الجبالى

الفخر بقلة العدد مع الكرم

قال السموءل :

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

وقال شاعر فى تعليل قلة الكرام :

بغاث الطير أكثرها فراخا وأم الباز مقلات نزور

المرأة المقلات والنزور : القليلة الأولاد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الرحمـــة

أسمعناك فيما سبق شيئا عن المحبة وأنواعها . ونريد اليوم أن نذكر لك شيئا عن الرحمة كنتيجة للمحبة فنقول :

الرحمة من أشرف الخصال وأكرم الأخلاق ، وإن الله لا يحب شيئا مثل ما يحب الرحمة والتواضع ، ولا يكره شيئا مثل ما يكره القسوة والكبرياء .

وقد ورد فى الحديث الصحيح : « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » . وذِكْر مَن التى للعاقل هاهنا لتغليب الأشرف على غيره . وإياك أن تفهم من ذكرها أنك لست مأمورا إلا برحمة النوع الانسانى فقط ، فإنك مأمور بالرحمة لكل ذى روح .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « فى كبد كل رطبة صدقة » . وإذا كانت امرأة قد دخلت النار من أجل هرة حبستها كما فى الحديث الصحيح ، فلا غرو أن تدخل الجنة من أجل هرة ترحمها .

وقد ورد « إن الله رحيم ، وإنما يرحم من عباده الرحماء » ، ويقول الله تعالى فى الحديث القدسى : « سبقت رحمتى غضبى » .

وليس ذلك الحنان الذى تراه فى قلوب الآباء والأمهات فى أفراد النوع الانسانى وسائر أنواع الحيوان مما يسوقهم سوقا اضطراريا الى تعهد الولد ومراعاته فى كل ما يجب له ، ولا تلك الشفقة التى تجدها من نفسك إذا رأيت مظلوما ضعيفا أو فقيرا بائسا ، إلا أثرا من آثار تلك الرحمة الإلهية .

ومواساة الإخوان والجيران والشفقة على الفقراء والضعفاء من أفضل الأعمال التى حث عليها الدين وندبت اليها الشريعة . وكل ذلك من آثار الرحمة الإلهية التى قامت بها السموات والأرض . ولا محل هاهنا لتفصيل رحمته تعالى بك وفضله عليك بجرى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

البحار ، وتفجير الأنهار ، وتيسير الأنوار ، وخلق الليل والنهار ، وإنبات النبات ، وبقية الآيات ، وأنواع النعم المتواترات .

وقد قال تعالى : « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يُحيي الأرضَ بعد موتها » الخ .

وبالجملة ففيك من الانسانية على قدر ما فيك من الرحمة . وعلى قدر ما فيك من القسوة يكون بعدك من الله وانسلاخك من الانسانية ؛ فإنك لا تتكمل إلا إذا انفعلت نفسك بالكمالات ومكارم الأخلاق المرة بعد المرة ، وعلى قدر لين قلبك وسرعة تأثرك يكون قبولك لتلك الكمالات . وأما ذلك القلب القاسي الذي لا ينفعل ولا يتأثر ، فإنه بعيد من الكمال جداً ، حيث كان غير مستعد للانفعال ولا قابل للنقش فيه .

وإن من القلوب قلوباً كالحجارة أو أشد قسوة ؛ وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشّقّقُ فيخرج منه الماء . ومن كان بهذه الصفة فهو شقى فى الدنيا والآخرة ، ممقوت لدى الله والناس .

وقد قرر الفلاسفة أن الانسان قد ينحط الى دركات هى أسفل من كل المراتب التى فيها أنواع الحيوان ، وإذاً لا يكون إنساناً إلا فى صورته .

وقد قال بعض الحكماء : إن من الناس من تفسد إنسانيته فيصبح غير إنسان . وقد أشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله : « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » . ويقول : « والعصر إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .

ولا يمكنك أن تصل الى درجة الكمال إلا إذا لم تكن من ذوى القلوب القاسية والنفوس الجامحة .

والخلاصة أنه لو اتصف الناس بالرحمة لكانوا كاملين فى إنسانيتهم ، فلم يفعلوا فعل الوحوش الضارية بإخوانهم وبنى نوعهم .

لو تمّت الرحمة فى النفوس لما التهمت الأمم القوية الأمم الضعيفة ، ولما فعلت بهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما لا تفعله أقوى الحيوانات بأضعفها . على أن الحيوان لا يفترس أبناء نوعه مهما كانت وحشيته وشراهته .

لو تمّت الرحمة فى الأغنياء لما مقتهم الفقراء ؛ ولو تمت الرحمة فى القضاة لما تأخرت القضايا السنين الطوال ، ولا لحق أربابها شديد النكال وعظيم الوبال . ولو تمت فيك الرحمة لدعا لك جيرانك وأثنى عليك إخوانك . ولو تمت الرحمة فيك لبذلت النصح للعامة والخاصة إخلاصا لهم وإشفاقا عليهم (والدين النصيحة) . ولو تمت فيك الرحمة لأشفقت على القريب والبعيد ، ورحمت المبتلى والمعافى ، والانسان وغير الانسان . بل نقول : لو تمت فيك الرحمة لكنت من المرحومين الذين يشفقون على أنفسهم فلا يورطونها فى الهلكات ولا يجلبون عليها أعظم الآفات ، ويحرمونها من أفضل أنواع السعادات .

وإجمال القول أنه إذا استقام هذا الأصل للانسان فى الدين ، استقام له سائره ، ففاز بخير الدنيا والآخرة . فأزل — يرحمك الله — من نفسك القسوة ، وكن رقيق الفؤاد ، ولا تكن من غلاظ الأكباد ، فالراحمون يرحمهم الرحمن .

وما أحسن قول ابن حجر المكى فى هذا الموضوع :

ارحم عباد الله يرحمك الذى   عم الخلائق جوده ونواله
فالراحمون لهم نصيب وافر   من رحمة الرحمن جل جلاله

وقول الحافظ ابن عساكر :

بادر الى الخير ياذا اللب مغتنما   ولا تكن عن قليل الخير محتشما
واشكر لمولاك ما أولاك من نعم   فالشكر يستوجب الإقبال والكرما
وارحم بقلبك خلق الله وارعهم   فإنما يرحم الرحمن من رحما

وقال غيره :

من يرحم الخلق فالرحمن يرحمه   ويكشف الله عنه الضر والباسا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ففي صحيح البخاري جاء متصلا لا يرحم الله من لايرحم الناسا

ولا بأس أن نذكر لك كلمة وجيزة عما جاء في السنة من الحث على الرحمة ، فنقول :

روى البخاري في الأدب المفرد وأحمد وأبو داود والترمذي وآخرون عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » (لك أن تقرأ يرحمكم بالجزم جوابا للأمر ، والرفع على أنه جملة دعائية).

وروى الشيخان هـذا الحديث من أسامة بن زيد بلفظ « إنما يرحم الله من عباده الرحماء » . ومن ذلك ما روياه عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : « من لايرحم لايرحم » .

وروى أحمد عن جابر « من لايرحم لايرحم ، ومن لا يغفر لايغفر له » .

ومنها مارواه الشيخان عن جرير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من لايرحم الناس لا يرحمه الله » وروى الامام أحمد وعبد بن حميد في مسنديهما والطبراني وغيرهم بسند جيد عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا « ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم ، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون » . وأخرج أبوداود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتنزع الرحمة إلا من شقي » .

وعنه أيضا قال : قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبّلت أحدا منهم . فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « من لا يرحم لا يرحم » أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسك بفيه حتى رقي فسقى الكلب ، فشكر الله له تعالى فغفر له . قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا ؟ قال : في كل كبد رطبة أجر » . أخرجه الشيخان في الصحيحين ومالك في الموطأ . وعن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش(١) الأرض » أخرجه الشيخان . وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه » أخرجه مسلم وأبو داود . وعن جرير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » أخرجه مسلم وأبو داود . وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدا في بعض أمره قال : « بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا » . أخرجه أبو داود .

هذا وقد رأينا لأبي السعود عند قوله تعالى : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ، وما النعمة إلا أثر من آثار الرحمة ، عبارة جليلة تروق ذوي الأفهام ، فأحببنا أن نذكرها لك في هذا المقام ، لتعرف نعم الله عليك ورحمته بك ، فتجعل شكر تلك النعم التي لا تحصى رحمة عباد الله ، والشفقة على خلق الله ، فكما تدين تدان ؛ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ وهاك عبارة أبي السعود :

« وإن تعدوا نعمة الله » التي أنعم بها عليكم « لا تحصوها » لا تطيقوا حصرها ولو إجمالا فإنها غير متناهية ، كيف لا وما من فرد من أفراد الناس وإن كان في أقصى مراتب الفقر والإفلاس ، ممنواً بأصناف البلايا ، مبتلى بأنواع الرزايا ، فهو بحيث لو تأملته ألفيته متقلبا في نعم لا تحد ، ومنن لا تحصى ولا تعد ، كأنه قد أعطى كل ساعة وآن من النعماء ما حواه حيطة الإمكان . وإن كنت في ريب من ذلك فقدر أنه ملك ملك أقطار العالم ودانت له كافة الأمم ، وأذعنت لطاعته السراة ، وخضعت لهيبته رقاب

(١) خشاش الارض : هوامها وحشراتها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العتاه ، وفاز بكل مرام ، ونال كل منال ، وحاز جميع ما فى الدنيا من أصناف الأموال ، من غير ند يزاحمه ، ولا شريك يساهمه . بل قدّر أن جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر . قدر أنه قد وقع من فقد مشروب أو مطعوم ، فى حالة بلغت منها نفسه الحلقوم . فهل يشترى وهو فى تلك الحال بجميع ماله من الملك والمال لقمة تنجيه أو شربة ترويه ، أم يختار الهلاك فتذهب الأموال والأملاك بغير بدل يبقى عليه ، ولا نفع يعود اليه ؟ كلا ، بل يبذل لذلك كل ما تحويه اليدان كائنا ما كان ، وليس فى صفقته شائبة الخسران . فإذاً تلك اللقمة والشربة خير مما فى الدنيا بألف رتبة ، مع أنهما فى طرف الثمام ، ينالهما متى شاء من الليالى والأيام . أو قدر أنه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ، ولا خرج منه ما ولج ، والحين قد حان ، وأتاه الموت من كل مكان ، أما يعطى ذلك كله بمقابلة نفس واحد ؟ بل يعطيه وهو لرأيه حامد . فإذاً هو خير من أموال الدنيا بجملتها ومطالبها برمتها ، مع أنه قد أبيح له كل آن من آنات الليالى والأيام ، حال اليقظة والمنام . هـذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على أحد من العقلاء . وإن رمت العثور على حقيقة الحق ، والوقوف على كل ما جل من السر ودق ، فاعـلم أن الإنسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة والملكات الرائعة ، بحيث لو انقطع ما بينه وبين العنايات الإلهية من العلاقة لما استقر له القرار ، ولا اطمأنت به الدار ، إلا فى مطمورة العدم والبوار ، ومهاوى الهلاك والدمار . لـكن يفيض عليه من الجناب الأقدس ، تعالى شأنه وتقدس ، فى كل زمان يمضى ، وكل آن يمر وينقضى ، من أنواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ، ولا يعلم به إلا العليم الخبير . وتوضيحه أنه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء ، وإنما ذلك من جناب المبدأ الأول عز وجل . فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الأصلى ، لا يتصور بقاؤه على الوجود بعـد تحققه بعلته ما لم ينسد عليـه جميع أنحاء عدمه الطارىء ، لأن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي . وأنت خبير بأن مايتوقف عليه وجوده من الأمور الوجودية التى هى علله وشرائطه وإن وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود ، لـكن الأمور العدمية التى لهـا دخل فى وجوده ليست كذلك ، إذ لا استحالة فى أن يكون الشيء واحد موانع غير متناهية ، وإنما الاستحالة فى دخولها تحت الوجـود . فارتفاع تلك الموانع التى لا تتناهى أعنى بقاءها على العدم مع إمكان وجودها فى أنفسها فى كل آن من آنات وجـوده ، نِعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء ؛ وكذلك فى وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء ؛ وكـذلك فى كمـالاته التابعة لوجوده . فاتضح أنه يفيض عليه كل آن نعما لا تتناهى من وجوه شتى . فسبحانك سبحانك ما أعظم سلطانك ، لا تلاحظك العيون بأنظارها ، ولا تطالعك العقول بأفـكارها ، شأنك لا يضاهى وإحسانك لا يتناهى . ونحن فى معرفتك حائرون ، وفى إقامة مراسم شكرك قاصرون . نسألك الهداية الى مناهج معرفتك ، والتوفيق لأداء حقوق نعمتك ، لا نحصى ثناء عليك ، لا إله إلا أنت ، نستغفرك و نتوب اليك » . انتهى .

ولنقتصر على هذا ، ولعل فيه مقنعا وكفاية لمن أراد أن يسعد نفسه وتسعد به أمته . جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

الاجمال فى الطلب

قال العتابي : إن طلبت حاجة الى ذى سلطان فاجمل فى الطلب اليه ، وإياك والالحاح عليه ، فان الحاجة تكلم عرضك ، وتريق ماء وجهك ، فلا تاخذ منـه عوضا لمـا ياخذ منك ، ولعل الالحاح يجمع عليك إراقة ماء الوجه ، وحرمان النجاح ، فانه ربما مل المطلوب اليه حتى يستخف بالطالب . وقال شاعر :

إن كنت طالب حاجة فتجمـل ... فيها بأحسن ما طلبت وأجمـل
إن الـكريم اخا المروءة والنهى ... من ليس فى حاجاته بمثقل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

النظر الى الصور — الزنا بخالة الزوجة أو أمها

شرح آية — القصص الخيالية

ورد الى المجلة هذه الاسئلة :

١ — هل النظر الى الصور الفوتوغرافية الزيتية وصور الخيالة (السينماتوجرف) حرام أم مباح ؟

٢ — رجل تزوج بامرأة ثم زنى بخالتها أو أمها أو عمتها : هل تحرم عليه ؟ وما قولكم فى قول « ولا يحرم الحرام الحلال » ؟

٣ — عن شرح قول الله سبحانه وتعالى : « ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهانَ ربه » وشرح قوله تعالى : « أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غيرِ أولى الإِربَة من الرجال » .

٤ — هل القصص الخيالية ضرب من الكذب الممنوع شرعا ؟

الجواب

١ — النظر الى الصور :

النظر الى الصور المصورة بشكل مخل بالآداب ومؤد الى ارتكاب ما لا يليق شرعا ، حرام . وإذا كان مع هذا اختلاط الرجال بالنساء فهو أشد حرمة ، كالموجود فى دور الملاهى . أما الصور التى لا ظل لها من صور الانسان أو الحيوان مطلقا فلا شىء فى النظر اليها . وأما الصور التى لها ظل فتصويرها حرام إن كانت صوراً كاملة ، وإن كانت ناقصة فلا إن كانت لا تعيش مع ذلك النقص .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٢ — الزنا بخالة الزوجة أو أمها :

الزنا بغير الأم للزوجة وبنتها لا يحرّم المرأة ، وإنما الذى يحرّم عند الحنفية هو الزنا بأم المرأة وبنتها ، فعندهم وطء المرأة بالنكاح كوطئها زنا يوجب حرمة المصاهرة . يعنى أن من زنى بامرأة حرم عليه أصولها وفروعها ، وحرمت هى على أصوله وفروعه ، كوطء امرأته . واستدلوا على ذلك بالكتاب وهو قوله تعالى : «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء» قالوا : أى لا تطئوا ما وطئ آباؤكم ، لأن النكاح حقيقة فى الوطء مجاز فى العقد ، ولا وجه هنا للعدول عن الحقيقة الى المجاز بدون داع يدعو اليه ، فتقييد الوطء بالحلال زيادة على النص ، والزيادة نسخ ولا ينسخ الكتاب إلا بمكافئ له ، ولم يوجد .

واستدلوا أيضا بالقياس — قالوا : إن العلة فى ثبوت حرمة المصاهرة المتقدمة هى الوطء من حيث كونه سببا للولد الذى هو جزء من الواطئ ومن الموطوءة ؛ وأما وصف الحل فلا أثر له فى التحريم فهو ملغى . وبيان إلغائه أن وطء الأمة المشتركة والمجوسية ووطء الحائض والنفساء ووطء المحرم والصائم كل ذلك حرام وتثبت به حرمة المصاهرة ، فالوطء الحرام يشارك الوطء الحلال فى المعنى المناسب لثبوت حرمة المصاهرة وهو كونه سببا لجزئية الموطوءة للواطئ وجزئية الواطئ للموطوءة ، الذى يجعل أصول الواطئ وفروعه كأصول الموطوءة وفروعها ، ويجعل أصول الموطوءة وفروعها كأصول الواطئ وفروعه . وبيان ذلك أن الولد جزء الواطئ : أما بعضه فهو جزء له حقيقة ، والبعض الثانى جزء له حكما ، بدليل إرثه منه وغير ذلك من الأحكام المترتبة على نسبته اليه بتمامه . وما قيل فى جزئية الولد للواطئ يقال فى جزئية الولد للموطوءة .

ومتى ثبتت جزئية الولد من كل منهما ثبتت جزئية بين الرجل ونفس المرأة ، لأن الولد جزء منها وجزء منه ، فيكون جزء المرأة جزء الرجل وجزء الرجل جزء المرأة .

نشأ من هذا أن صارت أم الموطوءة كأم الواطئ ، وبناتها كبناته ، وأن صار أبو الواطئ كأب الموطوءة وابنه كابنها ، وهذا كله بواسطة الوطء الذى أتى بجزئية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الولد . وكان مقتضى هذا أن تحرم المرأة نفسها ، لأن الاستمتاع بالجزء حرام ولكن أبيحت للضرورة ، لئلا يفسد باب الزواج . ومذهب الحنفية مذهب كثير من الصحابة رضى الله عنهم .

وأما الشافعية رضى الله عنهم فقالوا : إن الزنا لا يوجب حرمة المصاهرة . ومذهبهم أيضا مذهب جماعة من الصحابة رضى الله عنهم . ومن أدلتهم قوله عليه الصلاة والسلام : «لايحرم الحرام الحلال» . وقد أجاب الحنفية عن هذا بأجوبة — منها أننا نقول بموجب هذا الحديث ونقول : لا يحرم الحرام الحلال من جهة كونه حراما ، وما أثبتنا التحريم بالزنا من جهة كونه حراما ، وإنما أثبتنا التحريم به من جهة كونه سببا فى الجزئية التى يترتب عليها التحريم فى الوطء الحلال .

شرح آية :

الهم يطلق ويراد به القصد والإرادة مطلقا ، ويطلق ويراد به القصد الجازم الذى معه عقد القلب على الفعل عقدا ثابتا . فالهم المنسوب الى يوسف عليه الصلاة والسلام هو بالمعنى الأول . دليله حاله : من الهرب ، والجرى الى الباب ، وقوله تعالى فى شأنه : « إنه من عبادنا المخلَصين » . والمراد المعنى الثانى من همها . ودليله أيضا حالها . فالهم من قبله هو الميل الطبيعى الذى ليس معه عقد القلب على الفعل . والهم من قبلها ما معه ذلك العقد القلبي على الفعل ، والأول لا يدخل تحت التكاليف .

وقال بعض المفسرين : الهم من قبله معناه الخاطر الذى يخطر على القلب وليس معه ميل طبيعى ، وأما من قبلها فهو القصد والعقد القلبي . وكل من المعنيين معنى للهم . والأدلة على إرادة المعنى الأول بالنسبة ليوسف عليه السلام حاله كما تقدم ، وعلى إرادة المعنى الثانى بالنسبة لها حالها .

وبناء على هذين الرأيين يكون جواب لولا محذوفا ، تقديره : لولا أن رأى برهان ربه لجرى على مقتضى ميله الطبيعى وخاطره .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال بعض آخر من المفسرين : إن الهم المنسوب الى يوسف عليه السلام هو بمعنى الهم المنسوب اليها، ولكن الهم المنسوب اليه منفي عنه بمقتضى قاعدة لولا، لأن جواب لولا قوله تعالى : « هم بها » والواو داخلة على لولا ، ولولا ينفي جوابها لوجود شرطها ، والمعنى : ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها . فيكون جواب لولا هو المتقدم على رأى الكوفيين المجيزين تقدم الجواب على الشرط ، وعلى رأى البصريين فالمتقدم دليل الجواب . وعلى كل تفسير متعلق الهم هو المخالطة ، لأن الهم لا يتعلق بالذوات .

ومعنى الآية الموجودة فى السؤال الثالث وهى قوله تعالى : « ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن » الى آخر الآية . المعنى — والله أعلم — أن الله سبحانه وتعالى نهى النساء عن إبداء محلات الزينة لكل شخص ، وعبر عن المحلات بالزينة للمبالغة فى النهى . والمراد المحلات المستورة فى العادة ، لأن الظاهرة تقدم حكمها من عدم النهى عن إبدائها ، مثل الكفين والقدمين والوجه .

والمحلات الخفية هى الرأس والرقبة والساق والزراع . هذه هى محلات الزينة الخفية . وقد استثنى الله سبحانه وتعالى أشخاصا لا تنهى المرأة عن إبداء تلك المحلات المذكورة لهم ، وهم البعولة أى الأزواج ، وآباء النساء ، وآباء البعولة ، وأبناء النساء ، وأبناء البعولة ، وأخوات النساء ، وبنو الإخوان ، وبنو الأخوات . واستثنى أيضا النساء اللواتى ينسبن اليهن بقوله تعالى : « أو نسائهن » والنسبة بالصداقة والخدمة . قال المفسرون : والمراد المؤمنات لأن الكافرة لا تمتنع من إبداء أوصافها للرجال الأجانب الذى يوقع فى الفتنة . واستثنى الله سبحانه وتعالى ما ملكت أيمانهن من الإماء بقوله : « أو ما ملكت أيمانهن » . قال بعض المفسرين : المراد « بما » الإماء فقط . وقال بذلك الحنفية وبعض الشافعية — قالوا : لأن الذكور من المماليك كالأجانب فالشهوة فيهم كاملة ، لأنهم ليسوا أزواجا ولا من المحارم ، ولا حرج فى عدم الإبداء لهم لأنهم يعملون خارج المنزل ، ومناط حل الإبداء لغير الزوج من المذكورات عدم الشهوة والضرورة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقيل المراد «بما» هم الذكور والإناث من المملوكين، لعموم ما، وهو مذهب جماعة من الصحابة. وظاهر كلام الألوسى فى روح المعانى اختيار هذا.

واستثنى سبحانه وتعالى التابعين الذين لا إربة لهم فى النساء. والتابعون هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم؛ وغير أولى الإربة هم الذين لا حاجة لهم بالنساء ولا يعرفون شيئا من أمورهن، بحيث لا تحدثهم أنفسهم بفاحشة، ولا تحدثهم بوصفهن للأجانب.

واستثنى سبحانه وتعالى الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء؛ ومعنى لم يظهروا على عورات النساء، المراد هنا — والله أعلم — لم يعرفوا منها العورة ولم يميزوا بينها وبين غيرها من أجزاء الجسم. وهذا معنى كنائى لأن المعنى الحقيقى لقوله تعالى: «لم يظهروا» لم يطلعوا، وهذا ليس مرادا.

والطفل الذى حاله ما ذكر يعرفه جميع الناس، فلا حاجة الى بيان سنه. وقد وصف الطفل وهو مفرد بالجمع وهو الذين، لأنه محلى بأل الجنسية فيعم.

٤ — القصص الخيالية:

القصص الخيالية التى لا حقيقة لها إن كانت قصصا لا تثير شهوة، وليست مما يخل بالآداب الشرعية، ولا تدعو الى ارتكاب محرم، بل منها عبر لمن يتلوها ويسمعها، ومنها مساعدة على تنمية العقل والفكر، ومنها مساعدة على الابتعاد عما يضر وعلى الاقتراب مما ينفع، ومنها تعليم كيف لا يخدع، وكيف يعمل العمل الذى لا يرد لإتقانه، هذه وإن كان ظاهرها الكذب لكن كذب لا يضر بل فيه تلك المصلحة التى سمعتها، ومنها إعانة على تعلم صناعة الكتابة والشعر، فهى جائزة كالمقامات للحريرى وللهمذانى، والموجودة فى كليلة ودمنة وغير ذلك مما لا فائدة فيه، أو يخل بالآداب الشرعية ومثير للشهوة، فهذه غير جائزة. قنديل قنديل، عبد السلام شرف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

صلاة الليل

وورد الى إدارة المجلة ما يأتى :

١ — يوجد شخص ببلدتنا صالحجر مركز كفر الزيات غربية يدعى العلم ، وسمعته يفتى الناس بقوله : إن المتنفل إذا زاد فى تنفله ليلا عن عشرين ركعة فإنه يأثم على هذه الزيادة وعمله مردود عليه لأنه زاد عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مستدلا على ذلك بأن النبي عليه الصلاة والسلام ورد عنه أنه صلى مرة ثمانى ركعات ، وفى رواية أخرى اثنتى عشرة ركعة ، ومجموع ذلك عشرون ركعة . فهل هـذه الدعوى توافق الشرع الشريف أم لا ؟ وإذا لم توافق الشرع فنطلب من فضيلتكم الاستدلال التام على بطلان ادعاء هذا الشخص مع البراهين الكافية .

٢ — وأيضا نطلب من فضيلتكم صحة لفظ حديث : « لا أخاف على أمتى من المسيخ الدجال ولكن أخاف عليها من دجالين » الخ

ابراهيم محمد حسن فايد
من صالحجر غربية

الجواب

١ — صلاة الليل :

إن صلاة الليل مندوبة ، والكثرة من غير تحديد مشروعة . وها هى ذى الأحاديث التى تفيد ذلك : عن أبى هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال : « الصلاة فى جوف الليل » . وفى الترمذى عن بلال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم » . وفى ابن ماجه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » . وفى الطبرانى عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا بد عن صلاة الليل ولو حلب شاة » . وفى ابن ماجة عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليضحك الى ثلاث : للصف فى الصلاة ، وللرجل يصلى فى جوف الليل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وللرجل يقابل الكتيبة » وفى أوسط الطبرانى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن شرف المؤمن قيام الليل » . وفى الترمذى عن عمرو بن عبسة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن » .

فهذه الأحاديث تدل على تأكيد استحباب قيام الليل ومشروعية الاستكثار من الصلاة فيه . واقتصار النبى صلى الله عليه وسلم على ثمان ركعات أو على اثنتى عشرة ركعة لا يقضى بأن ما فوقها ليس بمشروع ما دامت هذه الزيادة من نوع العبادة ، لأنها مأمور بها ندبا بالأدلة المتقدمة غير المقيدة بعدد .

لفظ الحديث :

والجواب عن لفظ الحديث فنقول: المذكور فى الجامع الصغير: «غير الدجال أخوف على أمتى من الدجال : الأئمة المضلون » .   قنديل قنديل ، عبد السلام شرف

النفقة على الزوجة والأولاد — خلف الوعد

القرض فى الطعام

وورد الى ادارة المجلة هذه الأسئلة :

١ — رجل تجرد لعبادة الله سبحانه وتعالى ومشى فى البلاد يعظ الناس ويرشدهم الى طاعة الله ويأخذ عليهم العهود على ذلك ، وترك زوجه وأولاده الإناث بلا نفقة ولا منفق ولا ملك لهم يعيشون منه ، بل تضطرهم الحالة لأن يشتغلوا عند الأجانب طلبا للمعيشة فضلا عن اشتياقهم اليه ليتمتعوا برؤيته ومؤانسته خصوصا زوجه ، وإن رزق شيئا أرسله اليهم وإلا فلا يهمه حالهم . فهل تقوى هذا الرجل تعتبر من أسباب طلب الرزق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويكون داخلا ضمن المتقين الذين قال الله فيهم: «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب» ولا حرج عليه، أم يكون مخالفا لما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من طلب السعي على المعاش والاكتساب والاحتراف، وما كان عليه السلف الصالح من الكد فى طلب المعاش، ووجوب الانفاق على الأولاد المعسرين والزوج؟

٢ — اتفق قوم على أمر ينفذونه وقرءوا الفاتحة على ذلك ثم لم ينفذوا ذلك الأمر. فهل يلزمهم عن قراءة الفاتحة شيء من المكفرات لاعتبارها — كما يقولون — بأربعة وأربعين يمينا، أم يكون عدم تنفيذهم للأمر الذى اتفقوا عليه عدم وفاء بالعقود المأمور بها شرعا، ويلزمهم التوبة والاستغفار فقط؟

٣ — بدا صلاح زراعة فدان ذرة بملكى فقطعناه وقشرناه ووجدت الناس فى حالة احتياج للقوت وليس معهم نقود، فأقرضتهم زراعة نصف الفدان الذرة حتى إذا قطعوا زراعة الذرة التى لهم يردون بدل ما اقترضوه منى كيلا بمثله كما اقترضوا. فهل يكون هذا القرض داخلا فى الربا حيث إنه من المطعومات والى أجل، أم يكون قرضا حسنا وأوجر على ذلك؟ وإذا كان الأول فما الحيلة فى الحل وقد صرفت زراعتى ناويا إعانة المحتاجين؟ أرجو الإفادة.

سيد محمد جاد
ماذون الشرع بكفر برى

الجواب

١ — النفقة على الزوجة والأولاد:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

نفقة الزوجة واجبة على زوجها، ونفقة الأولاد الذكور المعسرين واجبة على أبيهم الى بلوغهم قادرين على الكسب، ونفقة الإناث واجبة عليه أيضا الى أن يدخل الزوج بهن أو يدعى للدخول. والنفقة فى النوعين واجبة بالإجماع.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا يسقط وجوب النفقة غيبة من تجب عليه ، بل النفقة فى ماله إن كان له مال حاضر، وإلا أرسل اليهم من المال ما يكفى حوائجهم ويدفع عنهم الضرر ومذلة السؤال . فالذى يفارق بلده الى غيره ليعظ الناس ويأخذ عليهم العهد بالطاعة تاركا زوجته وأولاده بلا نفقة ولا منفق ، آثم ، لأنه ترك النفقة الواجبة عليه شرعا ، وهو مع تلك الحالة لا يعد من المتقين ، لأن الوعظ وأخذ العهد على الناس لا يرفع العصيان بترك النفقة عليهم مع قدرته عليها . والله أعلم .

٢ – **خلف الوعد :**

إذا اتفق جماعة على تنفيذ أمر وقرءوا الفاتحة على تنفيذه ولم ينفذوه ، فلا يلزمهم شيء من المكفرات عن قراءة الفاتحة ، وإنما يكون عدم تنفيذهم لذلك الأمر خلف وعد ، وخلف الوعد إن كان مقصودا حال الوعد كان محرما ، فيتوب منه ويستغفر ؛ وإن لم يكن مقصودا حال الوعد وحصل لغير عذر كان مكروها لا ينبغى ارتكابه ، وإن حصل لعذر فلا كراهة . والله أعلم .

٣ – **القرض فى الطعام :**

إذا أقرض شخص غيره مقدارا من الطعام ذرة أو غيرها لينتفع به المقترض ويرد للمقرض مثله كيلا أو وزنا عند يسره ، كان ذلك قرضا حسنا يثاب عليه المقرض حيث كان النفع للمقترض خاصة . والله أعلم .

حسن على مرزوق   على ادريس المالكى
بكلية الشريعة الاسلامية

عذاب القبر – شرح آيتين – أعلام المنبر وسيف الخطيب

الأذان وقت الدفن – وطء المرأة قبل الاغتسال من الحيض – ترك صلاة الجماعة

وردت هذه الاسئلة :

١ – هل يقع عذاب القبر على الروح فقط أم على الجسم أم عليهما ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٢ — ما معنى قول الله سبحانه وتعالى : « كل يوم هو فى شأن » ؟

٣ — ما معنى قوله سبحانه وتعالى : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » ؟

٤ — هل من الجائز رفع الأعلام حول المنبر وقت الخطبة ، وهل ورد شىء فى الامساك بالسيف الخشب وقت الخطبة ؟

٥ — هل الأذان وقت دفن الميت مشروع ؟

٦ — هل يصح للرجل أن يجامع امرأته بعد انقطاع دم الحيض قبل الغسل ؟

٧ — ما حكمكم فيمن رأى جماعة ولم يصل معها وصلى منفردا ؟

الجواب

١ — عذاب القبر :

عذاب القبر للروح والجسم . والأدلة السمعية ظاهرة فى ذلك ، منها قوله تعالى : «النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب » . وقال تعالى : « أُغرقوا فأُدخلوا نارا » وفى الصحيحين وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ (محمد) فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر الى مقعدك من النار قد بدّلك الله به مقعدا من الجنة — قال النبي صلى الله عليه وسلم : فيراهما جميعا . وأما الكافر والمنافق فيقول :لا أدرى كنت أقول مايقول الناس فيه ، فيقال له : لا دريت ولا تليت ، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين .

وفى الصحيحين أيضا أنه صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال : « إنهما ليعذّبان وما يعذبان فى كبير ، ثم قال : بلى : أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله» .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وفى الصحيحين أنه استعاذ من عذاب القبر . وقال عليه الصلاة والسلام وهو — فى الصحيحين — قوله تعالى : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » نزلت فى عذاب القبر ، إذ قيل له : من ربك ومادينك ومن نبيك ؟ فيقول : ربى الله ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم » وعنه صلى الله عليه وسلم « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » وكثير من الأحاديث الواردة فى هذا المعنى وكلها يدل على أن من فى القبر هو المعذب والموجود فى القبر الجسم والجسم لا يعذب بدون روح تدرك الألم واللذة .

ولا مانع من جهة العقل يمنع من أن يخلق الله فى الجسم حياة بقدر إدراك اللذة والألم ، وليس يلزم فى الحياة البرزخية ما هو لازم فى الحياة الدنيا من مشاهدة تحرك الجسم واضطرابه مثلا .

٢ — شرح آية :

معنى قول الله سبحانه وتعالى : « كلَّ يوم هو فى شأن » والله أعلم — أنه سبحانه وتعالى له فى كل لحظة شأن وحال من رَزق وخلق وإماتة ، وإنبات زرع ، وإنماء شجر ، وإبلاغ ثمر منتهاه ، وإجابة سؤال سائل ، وغير ذلك من الشئون التى تقتضيها حكمته وعلى مقتضى علمه ، أى له شئون كثيرة ، ومنها إجابة ما تسألونه ، ليرتبط بقوله تعالى : « يسأله من فى السموات والأرض » .

٣ — شرح آية :

معنى قوله سبحانه وتعالى : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » والله أعلم — سنشرع فى جزائكم فقط بعد انتهاء شئون الدنيا المشار اليها بقوله تعالى : « كلَّ يوم هو فى شأن » . وهذا المعنى وإن لم يكن هو المعنى الحقيقى للفراغ للشىء ، ولكن يجب المصير اليه على طريق المجاز ، لأن المعنى الحقيقى للفراغ للشىء يستحيل على الله سبحانه وتعالى ، لأن معناه التخلص من شىء ، من شاغل يشغل ، الى شىء آخر ، لأن الله لا يشغله شأن عن شأن ، وإنما اختير — والله أعلم — التعبير بالمجاز لما فيه من التهديد ما ليس فى التعبير

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالحقيقة ، لأن المخبر إذا أخبر بأنه شرع فى جزاء فقط يشبه ذلك الشروع الأخذ فى عمل بعد التخلص من عمل كان يشغله عن العمل الذى شرع فيه ، يكون مهددا لمن له ذلك الجزاء ، كأنه فرغ من كل شيء لأجل ذلك ، فإذا سمع هذا من يراد إخباره أقلع الطالح عن عمله وتمادى الصالح فى عمله .

٤ — أعلام المنبر وسيف الخطيب :

رفع الأعلام حول المنبر وقت الخطبة لم يرد به نص من الشارع ولا أثر من الصحابة ، ولكن إن كان هذا لا يؤدى الى اعتقاد أنه سنة فلا بأس به ، وأما الاتكاء على السيف وقت الخطبة فقد نص الحنفية فى كتبهم على أنه مندوب فى كل بلدة فتحت عنوة وغير مندوب فى بلدة فتحت صلحا .

٥ — الأذان وقت الدفن :

ليس الأذان وقت إدخال الميت القبر مشروعا ، فهو بدعة ، فإن أدى الى اعتقاد العوام سنيته أو ندبه فهو مكروه ، لأنه يكون وسيلة الى اعتقاد ما ليس بسنة سنة .

٦ — وطء المرأة قبل الاغتسال من الحيض :

إذا انقطع دم الحيض لأكثر مدة الحيض (عشرة أيام) حل الوطء بدون غسل ، ويكون تاركا للمندوب فقط .

وإن انقطع لأقل من العشرة ، فإن انقطع لعادتها لا يحل وطؤها حتى تغتسل ، أو يمضى عليها وقت صلاة تكون الصلاة دينا فى ذمتها .

وإن لأقل من العادة ينتظر مضى زمن العادة وتغتسل بعد ذلك أو تصير الصلاة دينا فى ذمتها بعد مضى زمن العادة .

٧ — ترك الجماعة الى الانفراد :

الجماعة سنة مؤكدة ، وقيل واجبة ؛ فمن ترك الجماعة بدون عذر مبيح للترك يأثم إثم ترك الواجب أو السنة المؤكدة . قالوا : وإذا تمادى على ذلك عزره الحاكم .

قنديل قنديل عبد السلام شرف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مسألة فى القراض

جاءنا من الكويت ما صورته بعد الديباجة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فما قول العلماء الأعلام ، هدى الله بهم الأنام ، فيمن دفع كمية من الدراهم باسم القراض لعامل يعمل فيها على طريق المضاربة ، فاستمر العامل يعمل فيها قدر أربع عشرة سنة ، وكل سنة يدفع العامل لرب القراض قسطا من الدراهم . وفى يوم من الأيام جاء رب القراض للعامل وطلب منه أن يدفع له مبلغا من رأس المال ، فقال العامل : ليس عندى شىء أدفعه لك الآن ، فقال رب المال : أين ذهب المال ؟ فقال : عندى مال ولى على الناس ديون وللناس علىّ أيضا ديون ، فطلب رب القراض من العامل أن يطلعه على الدفاتر ، فلبى العامل دعوته . فقاما من الدكان قاصدين البيت لأجل النظر فى الدفاتر ، فبينما رب القراض يمشى أمام العامل إذ وقع بصره على ابن العامل يحمل صرة من الدراهم ، فلما رآه أراد أن يتوارى عنه ، فأمسكه فى الحال وأخذ الصرة منه ، فقال الولد : هذه الدراهم أمانة لفلان وضعها عندنا وليست لنا ، فلما جاء العامل قال : هذه ٨٠٠ روبية لعمرو وضعها عندنا أمانة قبضت باسمه (عمرو) من خالد . فلما عُدّت وجدوها ٩٠٠ روبية ، فسألوا العامل عن المائة الزائدة فقال : وضعتها عليها من الصندوق حين أردت إخراجها منه . فلما كشفوا على الدفتر وجدوا مقيدا فيه عندى لعمرو ٨٠٠ روبية مقبوضة من خالد ، فكأن قبضها من خالد ثابت عن الجميع : رب القراض وغيره .

ومن الغد رفع الأمر للحاكم ، فحجر عليه . وبعد الحجر عليه أقر (العامل) أمام رجلين من التجار الذين لهم عليه بعض الطلب : إنما هى عندى لا أنتفع بها ، وهم من المعتبرين . مع أنه ينكر ذلك ويقول : إنما كنت أقول : ما قدرت أن أنتفع بها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا صورة الواقع . فهل تعيين العامل الأمانة قبل الفلس يقبل فيختص بها دون الغرماء ، أم لا يقبل فيكون أسوة الغرماء ، مع أن الذى وجد فى يد العامل بعد الحجر يزيد على الديون الخارجة عن القراض ، ويكون الباقى من القراض إذا أضيف الى الذى دفع لرب القراض باسم المصلحة خلال السنين الماضية يزيد على رأس المال بكثير ؟ وهل إقرار العامل بعد الحجر أمام الرجلين بقوله : هى عندى أنتفع بها ، يضر بالإقرار الأول أم لا ؟ أفتونا مأجورين ؟ أحمد بن محمد الغانم . الجبر الكويت — خليج فارس

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد : فقد نُص فى مذهب مالك رضى الله عنه فى باب القراض والفلس على ما يأتى :

أولاً — عامل القراض أمين فيما تحت يده من المال الذى يعمل فيه ولو لم يكن أمينا فى الواقع ، لأن رب المال ائتمنه عليه ، فيده يد أمانة ، فليست كيد الغاصب . ولذلك كان مصدقا بيمين إذا ادعى تلف رأس المال أو خسرانه ، إلا أن تشهد العادة بكذبه فلا يصدق .

ثانيا — من أقر بوديعة بعد تعيينها ، كأن قال : هذا المال وديعة بعد إفرازه ، فإنّ إقراره يقبل ويختص رب الوديعة بها فلا يحاصص فيها الغرماء . وإنما يقبل إقراره هذا إن شهدت بينة بأصلها : بأن قالت : نشهد أن فلانا عنده وديعة لفلان ، وإن لم تعينها . ولا فرق فى قبول الإقرار حينئذ بين أن يكون صادرا من المقر فى حال صحته أو مرضه . فإن لم تشهد بينة بأصلها ، فإن كان إقراره قبل الفلس قُبل ، سواء أكان فى حال الصحة أو المرض ؛ وإن كان بعد الفلس فلا يقبل ، فلا يختص بها المقر له .

ثالثا — يعمل فى مذهب مالك بالقرائن . ومن ذلك الاعتماد عليها فى حلف أولياء الدم أيمان القسامة . فإذا حلفوا استحقوا القصاص من القاتل . وقد مثلوا لذلك بما إذا وجد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

شخص يجرى فى زقاق ، ثم وجد بداخل هذا الزقاق شخص يتشحط فى دمه ويقول : دمى عند فلان (يعنى ذلك الهارب) . فإن قوله هـذا مع وجود الهارب بهـذه الحالة يعتبر لوثا (أى قرينة) على أن ضاربه هو هـذا الشخص . فإذا مات المضروب حلف أولياؤه أيمان القسامة ، معتمدين على هذه القرينة ، واستحقوا دم هذا المسمى .

ومن ذلك قولهم فى اليمين : «واعتمد البات على ظن قوى» . أى أن الشخص يجوز له أن يحلف على القطع معتمدا على ظن قوى . ومدار الظن القوى على القرائن المثيرة له .

ومن تتبع السياسة الشرعية وما فيها من الحوادث ، كما يعلم بالاطلاع على تبصرة الحكام لابن فرحون ، لا يتردد فى أن القرائن مبنى كثير من الأقضية الشرعية . ولابن القيم كتاب قيم جدا فى السياسة الشرعية أبان فيه صحة الحكم بالقرائن ، وأقام الدليل على ذلك من السنة .

ولا غرو فمدار الفروع على الظن الغالب ، والقرائن تفيده . والحكمة التى تقتضيها روح الشريعة توجب مراعاة القرائن وعدم إهمالها ، إذ لولا ذلك لضاع كثير من الحقوق واختل نظام المجتمع الانسانى .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

هذا ومنه يتضح أن عامل القراض فى الحادثة المسئول عنها مصدق فى إقراره بالوديعة التى لعمرو وقد قبضها من يد خالد ، لأن إقراره كان قبل الحجر عليه . هذا هو مقتضى كون يده يد أمانة على ما قررناه . غير أنه قد اكتنف ذلك الإقرار أمور تكاد تقضى عليه بالاتهام فيه . بل هذه الأمور لا تدع الفقيه يتردد فى أنه إقرار كاذب قصد به الإساءة الى رب القراض باختزال جزء من ماله لنفسه . تلك الأمور هى :

أولاً — مسارعة ولد العامل حينما أحس بأن رب القراض سيطلع على ما فى صندوق التجارة من النقود من مسارعته الى أخذ هذه الصرة قبل فتح الصندوق . ولو كانت هذه الصرة لمن أقر له العامل لم يدبر هذه الحيلة ، وكان يكفيه إن كان صادقا فى أنها وديعة أن ينبه عليها بعد فتح الصندوق ، لا سيما وهى مقيدة بدفاتر التجارة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ثانيا — محاولة الاختفاء والهرب بها حينما رآه رب المال .

ثالثا — قول العامل بعد : « إنما هى عندى لأنتفع بها » مع ثبوت ذلك بشهادة المعتبرين كما جاء فى الاستفتاء . وإنكاره صدور ذلك القول منه وتحريفه الى قوله : « إنما قلت وما قدرت أن أنتفع بها » لا يفيده بعد شهادة المعتبرين بالعبارة الأولى .

رابعا — وجود ما فى الصرة زائدا على ما أقر به العامل ودفاعه عن ذلك بقوله : « قد وضعت عليها مائة مما فى الصندوق » مما يقوى الشبهة نحوه ، لأنه ما وضع عليها ذلك إلا بقصد اختلاسه لنفسه إن كان صادقا فى أصل الوديعة .

لذلك نرى أنه إن شهدت بينة بأن هـذا العامل عنده وديعة لعمرو قبل إقراره واختص المقر له بها ؛ وإن لم تشهد بينة بهذا فلا يقبل إقراره وإن كان قبل الحجر عليه لقيام القرائن على كذبه ، وتكون كبقية المال : للغرماء غير المقر له أن يتحاصوا فيها . وقول المستفتى إن ما بيده يزيد على المطلوب منه ، وهو ما أشار إليه بقوله : «مع أن الذى وجد فى يد العامل بعد الحجر يزيد على الديون الخ » قوله هذا يفيد أن العامل لا يستحق الحجر عليه ، فإن مستحقه هو من أحاط الدين بماله بأن زاد على ماله أو ساواه . فهذا هو الذى يحجر عليه فى التصرف للمحافظة على حقوق الدائنين . ولا يؤثر هذا القول فى اتهام العامل فى هذا الإقرار حيث لم تشهد بينة بأصل الوديعة ؛ بل يقال إن هذه الوديعة إذا بطل الإقرار بها احتسبت من مال القراض ، وكان لربه أن يستكمل منها رأس ماله وما يخصه من الربح بعد أداء الديون التى لها علاقة بهذه التجارة .

وليعلم أنه لا عبرة بكتابة الوديعة فى دفاتر التجارة بعد هذا الاتهام ، لأنه والحالة هذه لا يبعد أن تكون الكتابة مصطنعة من العامل قصد بها الحيلة على صحة إقراره بعد هـذا .

نسأل الله أن يرزقنا الصدق فى القول والعمل ، وأن يجنبنا مواقع الزلل بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

زيارات فضيلة الاستاذ الاكبر

لأقسام الأزهر وكلياته

تفضل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر فزار أقسام الازهر وكلياته في شهر مايو الماضي متفقدا أحوال الطلبة وسير الدروس فيها، فكان في زياراته هذه أكبر الآثار في بث روح النشاط في أصحاب الفضيلة المدرسين، وبعث حياة جديدة في قلوب الطلبة الأنجاب. ومما يحسن أن ندونه في هذه المناسبة خطبة تكرم فضيلته بالقائها في القسم الثانوي بالمعهد الازهري حوت من عيون الحكم وشوارد النصائح ما يجب على كل طالب علم أن يجعله دستورا لما هو بصدده من التلقي والتحصيل، وقد قابلها جمهورهم بما هي جديرة به من القبول والاكبار. وترى مجلة نور الاسلام أن من أوجب واجباتها أن تدون هذه الكلمات القيمة بين صحفها لتكون نصب أعين الطلبة في كل آن.

قال فضيلته عند نهاية زيارته للقسم الثانوي بالازهر وهو في وسط الألوف من مودعيه من علماء وطلاب:

« أردت ألا أخرج من بينكم دون أن ألقي اليكم نصحا هو نصح أب أنتم جميعا له أبناء، لكم عليه حق الرعاية والحدب والايثار، وله عليكم حق الاجلال والمودة والاحترام. هذه الحقوق هي حقوق آبائكم عليكم، وآباؤكم هم هؤلاء الأساتذة الذين يربون نفوسكم، ويصيغون عقولكم صياغة نافعة لكم ولدينكم ووطنكم.

« للأساتذة حقوق على الطلبة، ولهؤلاء حقوق على أولئك، ولكم أنتم أيضا حقوق بعضكم لبعض، أما حقوقكم عند أساتذتكم فهم يعرفونها ويقومون بها جهدهم مخلصين مشكورين، وأما حقوقكم نحوهم وحقوق بعضكم نحو بعض فهي التي أوصيكم بها ليكون بعضكم لبعض سندا معينا، ورفيقا أمينا، وابنا عارفا حقوق أبيه ومعلمه، وحافظا يده عنده.

« وأوصيكم أيضا بالتمسك بالدين القويم والخلق المتين، فأنتم مهيئون لأن يكون منكم القاضي والمعلم، والذي يعظ الناس في دينهم ويرشدهم في دنياهم، وسلاح هذا كله هو العلم.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« والعلم علمان : علم نافع ، يوصلك الى ساحة الله ويصلك بأسباب رضاه ، وذلك هو الذى أدعوكم اليه ، وعلم شافع ، هو شافع لك فى أمر دنياك ، ينيلك ما تشتهى من زخرفها وعروض الربح فيها ، وذلك ما أدعوكم الى الحيد عنه .

«أحبوا الله يحببكم ، واعملوا فى رضاه ، واجعلوا كل ما وعيتم من علم وما سعيتم من عمل ، وما وسعتم من جهد ، وما هممتم من تفكير ، اجعلوا كل ذلك خالصا لله وحده ، وذلك هو العلم النافع الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم : « من أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم » .

« هذه وصيتى لكم . وسيحسن عملكم فيها كما حسن استماعكم لها ، وعندئذ فأنتم أبنائى وأنا لكم أب راض مغبوط بكم .

« ولى عندكم كلمة أخيرة : هى أن يحسن امتثالكم للقوانين التى تشمل معاهدكم ودروسكم وتنظيم أمركم ، مهما يكن اعتراضكم على هذه القوانين ، ومهما تكن شكواكم منها أو من بعضها .

« فهذه القوانين ما دامت قائمة ، يجب أن نعترف لها بحرمة هذه القانونية ، وأن ننزل عند حكمها ، ونوليها من الحفاظ والامتثال ما يجب أن يكون لقانون قائم » .

وقد قابل الطلبة كلمة فضيلته بالهتاف والدعاء . ثم ركب سيارته الى مكتب الرياسة . وجاء بعد ذلك الى الإدارة العامة وفد من علماء المعهد وأساتذته برياسة صاحب الفضيلة الشيخ الضرغامى لشكر فضيلته على هذه الزيارة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فضيلة الأستاذ الأكبر يشكر

أحدث تولى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى مشيخة الجامع الأزهر سرورا عم جميع الاقطار الاسلامية ، لما علمه الناس جميعا من نزوعه الى الاصلاح المرجو ، وكمال علمه بوجوه تحقيقه ، وبنائه على أقوم دعائمه . لذلك تجاوبت أصداء أصواتهم بتهنئة فضيلته من كل مكان ، وكان أهل الأقطار النائية من السابقين الى الاعراب عن شعورهم نحوه فى هذه المناسبة ، فجاءت رسائلهم تترى حاملة أبلغ العبارات ، وأطيب التمنيات ، وصدرت جرائدهم تنافس جرائدنا فى إطراء فضيلته وذكر مناقبه ، حتى ليمكن أن يقال إنه لم تحدث تولية كبير منصبا ما أحدثته تولية الأستاذ الأكبر الحالى منصبه من الاستبشار الشامل ، والفرح العالمى العظيم .

وقد كان يود فضيلته أن يشكر لكل مهنئ تفضله ، لولا أن ذلك لاسبيل اليه . لذلك كلفنا أن نعرب لحضراتهم عن تقدير فضيلته لشعورهم الطيب أكمل تقدير ، وعن شكره لهم ما تفضلوا به من التهنئة والثناء الجميل ، ضارعا الى الله أن يوفقه لخدمة الاسلام الخدمة التى يرجوها هوله ويرجوها المسلمون ، وأن يعيد للازهر مجده القديم تحت ضوء العلم الجديد .

وفضيلته يرجو أن يعتبر كل مهنئ له هذه الكلمة من الشكر كأنها موجهة اليه خاصة ، راجيا الله أن يوفقهم جميعا الى ما يحبه لهم من الخير العميم ، والوجود الكريم ، وأن يكافئهم على حسن ظنهم بما يكافئ به المخلصين من عباده ، والغيورين من أوليائه . إنه ولى المؤمنين .

فضيلة الشكر

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » وقال سليمان التيمى : « إن الله أنعم على عباده بقدر قدرته ، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم » وقال محمد بن صالح الواقدى : دخلت على يحيي بن خالد البرمكى فقلت : إن ها هنا قوما جاءوا يشكرون لك معروفا . فقال : يا محمد هؤلاء يشكرون معروفا فكيف لنا شكر شكرهم ؟

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ذكرى المولد النبوى

في مثل هذا الشهر من كل عام يحتفل المسلمون في جميع أقطار الأرض بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، قياما بحقه في هدايتهم، واعترافا بفضله في بناء جماعتهم، وتحقيق سعادتهم.

تقوم في العالم الانساني ذكريات كثيرة لرجالات يرى الناس أنهم مدينون لهم بعقيدة دينية، أو بقاعدة فلسفية، أو بحقيقة علمية، أو بخطة سياسية، أو برابطة اجتماعية، أو بإصلاح في مذهب، أو بتجديد في أمر من الأمور، وقلَّ أن تجد رجلا واحدا منهم جمع بين شأنين أو ثلاثة من هذه الشئون الانسانية، إلا محمدا صلى الله عليه وسلم، فقد جمع بينها جميعا، فهو مؤسس الديانة العامة التي تسع الخلق كافة، ومقوِّم الحكمة، وواضع أكمل أساليب العلم، وأعدل طرق السياسة، وأرقى ربط الاجتماع، ومصلح جميع المذاهب، ومجدد كل الأمور التي تهم الانسانية. فالأمة التي تحتفل بذكرى ميلاده اليوم مدينة له بوجودها، وبعقيدتها، وفلسفتها، وعلمها، وسياستها، وروابطها، ومذاهبها، وكل أمر من أمورها وعشر معشار هذه المزايا كلها في الأمم السابقة كانت تحملها على تأليه مصلحيها، ولكن لم يفت محمدا هذه النزعة البشرية، فاحتاط لها أيما احتياط بأقواله وأعماله، حتى حمى أمته من أن تلتاث بهذه الخرافة، فكان ذلك مما يضاف الى مناقبه، ويزاد على مآثره، ويستنزل التعجب من بُعد نظره، وثقوب فكره..

كان بعض من أُرسل محمد اليهم يطلبون اليه أن يحدث لهم الآيات، وقد غاب عنهم أنه هو نفسه أكبر آية لله في خلقه، فكل آية بعده قليلة الخطر، تخفى في جانبه كما تخفى الكواكب بجانب القمر.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لقد عاشت على سطح الأرض أمم، ونبغ فيها رجال من كل صنف، وحفظت عنهم ذكريات لا تزال الأمم تعترف بحقهم عليها، فهل تصادف واحدا منهم يمكن أن توازن مناقبه مناقب محمد، أو تقارن أعماله بأعماله؟ اللهم لا، ولا كرامة!

لندع الأنبياء والمرسلين، فقد أمرنا أن نؤمن بهم، وأن لا نفرق بينهم، وهات لى المصلحين المقدمين، والعباقرة المعدودين، ممن سبقوا محمداً وأتوا بعده الى يومنا هذا. واعرض أمثلهم طريقة، وأبعدهم صيتا، ووازن بين عمله وعمل خاتم النبيين لتدرك أنك لا تستطيع الى ذلك سبيلا. وهل يوازن الدرهم بالقنطار، أو البحر بالجدول؟

استعرض أولاً كبار الفلاسفة والمشترعين عند اليونانيين الأقدمين، واختر من انتهت اليهما الحكمة والزعامة منهم: أفلاطون وأرسطو، فأنا لا أريد أن أذكر لك سقوط فلسفتيهما، وأنهما أصبحتا من قبيل الأمور الأثرية فى تاريخ العقلية الانسانية، ولكنى أريد أن أذكرك بأن هذين العبقريين كانا يقرران فى شريعتيهما أن العمال والصناع والموالى يجب أن يحرموا من الحقوق المدنية، لانحطاط ما يمارسونه من الأعمال اليدوية، فقارن بين هذا الأصل المبنى على قاعدة بعيدة القرار فى الاجحاف، وبين الديموقراطية الاسلامية التى جعلت التمايز بالمزايا لا بالمال ولا بطبيعة الأعمال، وساوت بين الكافة فى الحقوق بصرف النظر عن الألوان والأجناس واللغات، حتى ارتفع تحت ظلها الى منصات الزعامة العبيد السود وأصحاب المهن من كل صنف، ومن كانوا لا يملكون بيت ليلة: «لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح» الحديث.

وهات من العباقرة القريبين منا ديكارت، فلا أود أن أحدثك عما صادفته فلسفته من النقد، وما أصابها من السقوط، ولكنى أذكر لك من مقرراته أنه كان يعد الحيوان آلة محضة، مقودا بالفطرة الطبيعية، وأنه مجرد من كل تعقل وإدراك. قابل هذا بما ورد فى الاسلام عن الحيوان، قال الله تعالى: «وما مِنْ دابّة فى الأرض ولا طائرٍ يطير بجناحيه إلا أُمم أمثالكم، ما فرّطنا فى الكتاب من شىء، ثم إلى ربهم يحشرون»

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفى الحديث الشريف : « عاتبوا الخيل فإنها تعتب » . فأين الحكم بأنها آلات لا تعقل من الحكم بأنها أمم أمثال الأمم الإنسانية ، وأن لها عقلا تعقل به العتاب وتتجنب بسببه ما أوجبه ؟

وأما ما بقى قائما الى اليوم من مذهب ديكارت ، وهو تقديم الشك أمام كل بحث ، فقد سبقه الاسلام اليه ، فإنه حرم التقليد وحث على البحث وتعقل الأمور ، وجعل عمادها الدليل ، وهذا كله لا يمكن أن يكون إلا بتقديم الشك قبل الحكم على شيء .

ومن العباقرة المحدثين (بيكون) واضع الأسلوب العلمى ، فقد اشتهر بتفرقته بين ما هو علم وما هو رأى ، وقرر بأن المعلوم لا يجوز رفعه الى درجة العلم الحق إلا إذا قام عليه دليل محسوس ، وما عدا ذلك فهو رأى . والرأى يتمسك به حتى يقوم الدليل المحسوس على صحته فيضاف الى المقررات ، أو على فساده فيقذف به الى عالم الأوهام والظنون . وقد سبقه الاسلام الى وضع هذا الأسلوب العلمى : فقرر أولاً أن أكثر ما عليه الناس أكاذيب وظنون ، فقال تعالى : « وإن تُطع أكثرَ مَن فى الأرض يُضلوك عن سبيل الله ، إن يتّبعون إلا الظن وإنْ هم إلا يَخْرُصون » وقال تعالى : « وما يتّبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » . فكل ظن لا يسمى فى الاسلام علما ، لأن العلم فى اصطلاحه هو ما يكون دليله الحس أو ما تتصل مقدماته بالحس .

ومن كبار المجددين فى العهد الحديث (أجوست كومت) مؤسس الفلسفة الوضعية ، وواضع علم الاجتماع . فأما الفلسفة الوضعية فقد سبقه الى أصولها علماء كثيرون تقدموه من أول أرسطو الى (بيكون) فليس له فيها من فضل إلا صبّها فى قالب مذهب . وأما علم الاجتماع فكسابقه أيضا دَرس موضوعاته علماء كثيرون وكان من أمثلهم ابن خلدون من مؤرخى المسلمين فى القرن السابع الهجرى حتى عد أنه واضع لهذا العلم . ولكن الواضع الأول لعلم الاجتماع البشرى الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم بوحى من ربه . وهذا العلم يقوم على أساس أن جميع الحوادث البشرية تابعة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لنواميس طبيعية مقررة لا تتخلف . وقد سبق الكتاب الكريم الناس كافة الى تقرير هذا الأساس الذى بنى عليه علم الاجتماع ، فقال تعالى : « سنّةَ من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا » وقال تعالى : « فهل يَنْظُرون إلا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا »

وقد عيب على (أجوست كومت) وضعه حدا لما يمكن أن يصل اليه الانسان من المعارف الكونية ، وعد مما لا يستطيع الانسان أن يبلغه إدراك نوع المادة التى تتألف منها الكواكب ، فلم يمض على وفاته خمس سنين حتى اخترعت آلة السبكترسكوت وهى آلة تحليل الأشعة التى تصل الينا من الأجسام المختلفة ، والاستدلال بها على المواد التى تنعكس علينا تلك الأشعة منها ، وبتطبيقها على الأشعة التى تصل الينا من الكواكب عرف أنها مؤلفة من مواد لا تختلف فى شىء عن المواد الأرضية ، ففيها حديد ونحاس وقصدير الخ الخ ، فكان فى هذا الاكتشاف دحض للأصل الذى وضعه (اجوست كومت) . ولكن الاسلام لم يضع المعلومات التى قد يكشفها الله للانسان حدا ، فإذا سئل مسلم عما يمكن أن يتأدى الى علم الانسان وما لا يمكن ، لم يستطع أن يضع لذلك حدا لقوله تعالى : « ويخلق مالا تعلمون » .

هذا قصور أكبر العباقرة حيال التعاليم غير المحدودة التى أفيضت على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، نسوق مقتضياته على سبيل المثال لا الحصر ، إذ لو عنينا بالأمر الثانى لما كفانا فيه مجلد ضخم .

ومن ناحية أخرى لو نظرنا الى الذكريات التى يحتفل بها لتمجيد كبار العقول وأصحاب العبقريات ، لوجدناها نشراً لصفحات مطوية من التاريخ ، لا دخل لها فى الحياة الراهنة . فهم أصحاب آراء ومذاهب اعتبرت فى زمانها طريفة ، وكانت مقدمة لآراء ومذاهب أرجح منها ، فعاشت هذه وذهبت تلك ، فينوّه بالأولى وبأصحابها باعتبار أنهم أول من أتى بمبادئها أو بمقدماتها ، لا على أنها حقائق مطلقة تبقى على الدهر ولا يبليها الزمان .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فمحمد هو الانسان الوحيد الذى يحتفل بذكراه على أن ما جاء به حق مطلق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن تعاليمه هى الروح المدبر الذى يجب أن يقود حركات الجماعات البشرية، ويكيف كيانها على النحو الذى كان يدعو اليه ويقرره. فإن فى الأرض أربعمائة مليون مسلم يرون حياتهم فى العود الى حظيرة التعاليم المحمدية، وليس فى العالم أمة ترى مثل هذا الرأى فى مصلح بينها وبينه أكثر من ثلاثة عشر قرنا.

ومن خصوصيات محمد صلى الله عليه وسلم أن يعتقد الناس أن الخير كل الخير فى أن تؤخذ تعاليمه بغير تعديل ولا تنقيح، ويرون أنها بالغة أقصى درجات الكمال الى حد أن كل إصلاح فيها يحط من قيمتها، ويطمس من لألائها. وهذه مكانة لم تسم اليها أية تعاليم فى الأرض. فكل فيلسوف أو مصلح تحفظ عليه سقطات قضت بها عليه الأحوال المحيطة به، ودرجة علمه فى العهد الذى كان عائشا فيه، مما يجعل تعاليمه تستدعى الاصلاح والتهذيب الى حدود بعيدة. لهذا السبب سقطت جميع الفلسفات القديمة والتعاليم الاصلاحية، واستبدل الناس بها فلسفات جديدة، وتعاليم من طراز حديث يلائم ما وصل اليه الكافة من الثقافة العلمية، إلا التعاليم المحمدية، فإنها لا تزال جديدة كأنها صيغت فى هذا العصر، بل يُرَى فيها ما لم تنضج العقول للعمل به، وإن كانت تدرك أنه سام السمو كله. فمن من الأمم المتمدنة اليوم تستطيع أن تسوى بين الأبيض والأسود، وبين المواطن الصميم والأجنبى الأعجم، وأن تبتعد عن العدوان فى الحرب على غير المحاربين، وأنت تراها تعد العدد لإهلاك النساء والولدان والهرمى والمرضى بالغازات السامة؟ إن كنت تعجب من الفرق بين هذين المذهبين فأزيدك عجبا فى هذا الموطن بأن الاسلام يحرّم على الغزاة أن يقتلوا خدمة أعدائهم فى ساحة الوغى. أترى أبعد من هذا مدى فى احترام الحياة الانسانية، وأرقى مذهبا فى حصر نار الحرب فى أضيق الحدود حتى لا ينقلب الأمر الى جاهلية جهلاء، تُنكر فيها المبادئ الأدبية، وتُهدر الكرامة البشرية؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن خصوصيات محمد صلى الله عليه وسلم أن يرى أجانب عن هذا الدين فى القرن العشرين وهم من الرجال الآخذين بأوفى حظ من العلوم الاجتماعية أن العالم كله لا ينتعش من كبوته إلا إذا أخذ بتعاليم الديانة الاسلامية ، وأنه لا بد منتهٍ الى هذه النتيجة فى نحو قرنين من الزمان . قال بذلك كثير ، منهم برناردشو الفيلسوف الانجليزى ، وقد دوناه فى مقالة سابقة هنا . فهل رأيت فى كل ما رأيت مثل هـذه الخصوصية لواحد من أصحاب المذاهب الإصلاحية ؟

هـذا عجيب كل العجب ، وأعجب منه أن يوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم وهو فى صحراوات بلاد العرب بأن التعاليم التى جاء بها ستزداد ظهورا على مر الأجيال ، بتـوالى الآيات الدالة على صلاحيتها لكل زمان ومكان ، وعلى بلوغها أقصى غايات الكمال ، فقال تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

أو ليس من العجب العاجب أن يطالب طالب بعد هـذه الآيات البينات كلها دليلا على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأى دليل يبلغ فى القوة والإقناع مبلغ هذا الدليل : رجـل نهض فى بقعة قاصية من الأرض لا عهد لأهلها بإصلاح اجتماعى ، ولا بكتاب سماوى ، فأخذ يدعوهم الى دين وصفه بأنه دين الانسانية كلها ، قائلا إنه يوحى اليه كتاب من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وإنه خاتم الأنبياء وما جاء به آخر ما يتفضل به الله على الناس من الوحى . فاستهزأ به قومه وسخروا منه ، فلم يرفع باستهزائهم رأسا ، فاشتدوا عليه واضطهدوه ، فلم يقم لاضطهادهم وزنا ، فهددوه بالقتل فلم تلن له قناة ، ولم تنثن لهم صريمة ، واتبعه نفر من قومه فلقوا من ممالأتهم له ما يلقى أهل الحق من شيمة الباطل ، ثم هاجر الى قوم آخرين وهاجر معه من آمن به ، فتألب عليه خصومه واستثاروا معهم من استثاروه من أحلافهم ، وتقصدوا القضاء عليه وعلى من معه دفعات متوالية «سيهزم الجمعُ ويُولُّون الدُّبرُ» ، فنصره الله عليهم ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ثم ما هى إلا سنون معدودة حتى عمت دعوته جزيرة العرب كلها ، فلم يستهوه التفرد بالسلطان ، ولم تستغوه فواتن الملك الى أن يغير من بساطته ، وطرز معيشته ، واستمر داعيا العالم كله الى دينه ، مبشرا قومه بأن الله سيعطيهم خلافة الأرض ، وزعامة الأمم ، ما داموا عاملين بكتاب الله وسنته : « وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَستخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكننّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » . فما هى إلا سنون معدودة حتى تحقق هذا الوعد ، وإذا بالعرب الذين كانوا بالأمس مضرب المثل فى الجاهلية والفرقة قد أصبحوا للعالم سادة ، ولشعوبه وأممه قادة ، فنظر الناس الى الدين الذى أبلغ أهله هذه المرتبة فإذا به مطمأن النفوس ، وسكن الأرواح ، وبلسم القلوب ، ونور العقول ، فدخلوا فيه أفواجا أفواجا ، بل ملايين ملايين ، فلم يمض عليه جيل واحد حتى كان المؤذن فى مسجد المدينة يقول : حى على الفلاح ، فيتابعه زميله عند أسوار الصين مثلها .

ثم تمادى الزمان ، وتطاولت الأيام ، وإذا بالأمم الاسلامية التى باءت بالفتور أجيالا ، تهب مذعورة على أبواق المدنية الأوربية وطبولها ، ففتحت أعينها فإذا هى حيال علوم عالية ، وفلسفات مغرية ، وآلات محيرة ، ومخترعات مدهشة ، فوجمت برهة ، ثم أخذت تلقى بنظرها على ما تركته وراء ظهرها من تراث الآباء ، فإذا ما حيرها الساعة وأضاع رشدها ، وليد ما خلفه أولئك الآباء وثمرة جهودهم ، فإن زيد عليه شىء فما اقتضاه الفرق بين العصرين ، والتباين بين العهدين ، فأصبحت لديهم العقيدة التى كادت تتزعزع ، يقينا لا يعتريه شك ، فى أن الفتور الذى كانوا فيه هو نتيجة لتعاميهم عن التعاليم التى أورثوها ، فأقبلوا عليها أيما إقبال ، ورأوا نجاتهم فى العود اليها على كل حال . وشجعهم الأجانب عنهم على هذه العقيدة بما كتبوه من تاريخ أسلافهم ، وما تبينوه من دراسة دياناتهم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أيريد الطالب دليلا أسطع من هذا على النبوة ؟

ألا سَقْياً ورَعْياً لكارلايل المؤرخ الفيلسوف الانجليزى الكبير ، لقد قال فى كتابه الأبطال وديانة الأبطال : « أتريد دليلا ممن يدعى لك أنه بناء أقوى من أن يبنى لك دارا تسع الملايين الكثيرة من الناس وتدوم قرونا طويلة ، لا يعتريها تصدع ، ولا يعتورها أقل تداع ؟ كذلك هل يطلب طالب الى مدعى النبوة دليلا أقوى من أن ينشر دينا بين ملايين من البشر يستمرون عليه قرونا طويلة ويتحمسون له تحمسا كبيرا ؟ فمحمد قال بأنه رسول من عند الله وبرهن على صدق قوله بدين نشره فى الناس أخذ به مئتان من الملايين ومضى عليهم فيه اثنا عشر قرنا ، وهم يحبون دينهم هذا ويتحمسون له أكبر تحمس ، فماذا يراد من الأدلة على نبوته بعد ذلك ؟

« ألا فليعلم الناس أن التعاليم كأوراق البنك نوت ، فالحقيقية منها تتداول بين الناس ولا تثير أقل شبهة ، والزائفة منها تخدع بعض الناس مرة أو مرتين ثم يفتضح أمرها وتعرف أنها زائفة فتمزق كل ممزق » . انتهى

هذا حق . وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ؟ **محمد فريد وجدى**

من أبلغ ما قيل فيمن لم يقبل النصح

من أحسن ما قيل فيمن أشير عليه فلم يقبل قول سبيع لأهل اليمامة بعد إيقاع خالد بن الوليد رضى الله عنه بهم :

« لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه ، كأنى أسمع جرسه ، وأبصر غبه ، ولكنكم أبيتم النصيحة ، فاجتنيتم الندامة ، وإنى لما رأيتكم تتهمون النصيح ، وتسفهون الحليم ، استشعرت بكم اليأس ، وخفت عليكم البلاء ، والله ما منعكم الله التوبة ، ولا أخذكم على غرة ، ولقد أمهلكم حتى مل الواعظ ، وهزئ الموعوظ ، وكنتم كأنما يعنى بما أنتم فيه غيركم » .

قوله : كأنى أسمع جرسه ، أى صوته . وأبصر غبه ، أى عاقبته .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أساطيل المسلمين وحروبهم البحرية

يعجب من لم يدرس تاريخ المسلمين كل العجب إذا قيل إن المسلمين اتخذوا الأساطيل ولم يمض على وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنون قليلة فتحوا بها مدنا هندية وجزائر كثيرة فى البحر الأبيض المتوسط . إن هذه النهضة محيرة للعقل لم يدون مثلها لأمة من أمم الأرض . فإن العرب عاشوا حياتهم كلها على اليابسة لم تتحرك لهم همة الى ركوب البحر ، والتطوح على السفن الى بلاد يجهلونها كل الجهل . ولكنهم لما دخلوا فى الاسلام سرت فيهم روح منه قوية لا ترى للتبسط فى الأرض حدا تقف عنده ، تحقيقا لمراد الله من إعلاء كلمة الحق فى كل مكان يمكن أن يصل اليه داع اليها ، أو ينمى اليه خبر عنها .

أول ما شرع المسلمون فى الغزو بحرا كان سنة ست عشرة هجرية ، فقد أرسل والى عمان أسطولا لفتح الهند ، فاستولى على جزيرة طناح القريبة من مدينة بومباى . وخرج من ناحية البحرين بجزيرة العرب أسطول آخر استولى فى جزيرة كامبي على مدينة بارودا . وخرج أسطول ثالث الى مصاب نهر السند واستولى عليها .

وكان فى الوقت نفسه يغزو عبد الله بن عامر سنة ثلاث وعشرين فى خلافة عثمان ابن عفان بلاد كرمان وسجستان فى شمال الهند . ثم حدثت بين جيوش كرمان والسند وقائع انتهت بفوز قائده عبد الرحمن بن سمرة عليها ، فاستولى على إقليم داور ومدينة بوست . وتغلب بعد ذلك المهلب بن أبي صفرة على ملك أفغانستان وألزمه دفع الجزية ، وكان ذلك سنة أربع وستين على عهد معاوية بن أبي سفيان . وأرسل الحجاج بن يوسف الثقفي سنة تسع وستين محمد بن قاسم بجيوش الى شاطئ نهر السند ، واستولى على مدائن ديبل وبيرون وبهمن آباد وألور ، واقترب من جبال حملايا القائمة فى شمال البلاد الهندية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولم يمض بعد ذلك غير قليل حتى كان قتيبة بن مسلم الذى ولاه الحجاج بن يوسف الثقفى فتح آسيا الوسطى قد دحر التركمان واستولى على خوارزم وما وراء نهر جيحون ومعظم المملكة التتارية ، وأحرق أصنام مدينة فرغانة ونخشب وبيكند وبخارى وسمرقند ومدينة كشغر وأقصو وخوطان . ولما انتهى الى حدود الأمبراطورية الصينية أرسل الى عاهلها وفدا مؤلفا من اثنى عشر رجلا ، وصالحهم على دفع الجزية . وبعد ذلك توجه قتيبة بأسطول على نهر السند الى داخل البلاد الهندية ، فلحق به جيش برى فى أرض مكران ، وانتشر فى سهول مدينة كشمير ، فثارت عليه مدن على شواطئ نهر السند فتغلب عليها . وما زالت الجيوش الاسلامية تجوس خلال الديار الهندية حتى وصلت الى نهر الكنج الذى يقدسه الهندوس ويحجون اليه فى كل عام .

وإنما استطردنا من ذكر الأساطيل الاسلامية التى بدأت تمخر عباب البحر من سنة ست عشرة هجرية للفتح ونشر كلمة الله فى العالم الى ذكر الفتوح التى تمت فى شمال الهند وفى داخلها ، ليرى القارئ صورة مصغرة لحركة التضافر بين جيوش المسلمين البرية وأساطيلهم البحرية لإدخال تلك الممالك الواسعة الأرجاء فى حظيرة الأمبراطورية الاسلامية التى لم يشهد تاريخ الممالك ما يقرب منها فى الاتساع والعظمة الدولية .

وأغرب ما فى هذا الأمر أن تتمكن دولة فتية كالدولة الاسلامية لا عهد لها بملك ولا حكومة من التبسط فى فتوحاتها الى هذا الحد ، وتستطيع أن تحتفظ بهذا الملك أجيالا لا بوسائل الإكراه والإعنات ، ولكن بروح العدل والإنصاف والمثل الأعلى فى الإحسان والمرحمة . فكان أثر هذه السيرة الفضلى أن انتشرت فى كل تلك البقاع اللغة العربية وآداب الاسلام ، فلم يمض عليها سنون معدودة حتى أصبحت أمنع معاقل الاسلام ، ومعشش حماته وأعلامه .

والله إن هذا من أعجب ما يتفق للانسان أن يقرأه فى تاريخ البشر : وهو بإجماله وتفصيله معجزة خالدة لمحمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأول من أمر بالغزو فى البحر الأبيض المتوسط معاوية بن أبى سفيان أيام كان واليا عليها، فأمر بإعداد أسطول فى سنة سبع وعشرين هجرية، ووجهه للفتح فى البحر الأبيض المتوسط. فكان أول ما صادفه من جزره جزيرة قبرص، فقاتل حاميتها، ومازال بها حتى هزمها واستولى عليها فضرب عليها الجزية. وفى سنة تسع وعشرين استولى على جزيرة قريطش (أى كريد) وجزيرة كوس وجزيرة رودس. كل هذا وهو وال على الشام. فلما آلت اليه الخلافة بعد وفاة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه، أرسل أساطيله تترى سنة ستة وثلاثين، لحارب الرومانيين الشرقيين الذين كانت قاعدة ملكهم القسطنطينية، فأباد جزءا من أسطول أمبراطورهم قنسطنطين الثانى بعد حصره فى خليج ايسالوق بسواحل إقليم ليسيا (Lycie) على سواحل الأناضول فى سفح جبل فينكس

ثم توجهت رغبته الى فتح القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية، وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين، فجهز لذلك أسطولا قويا، فاقتحم الدردنيل حتى وصل الى ساحل بحر مرمرة، فنزل جنوده غرب القسطنطينية ومكثوا يحاصرونها ست سنين. فاهتدى أمبراطورها الى وسيلة أحرق بها أساطيل المسلمين، فاضطرت جنودها أن تعود الى الشام، فسار يقتفى أثرهم جيش رومانى حتى أمن منهم على العاصمة والأناضول. فأغرت هذه الموقعة الأمبراطور يوستنيان الثانى على أن يستولى على الشام، وكان ذلك سنة سبع وستين، وكان ذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان، واتفق أنه كان مشتغلا بأمر الخلافات التى كان يثيرها مزاحموه، فرأى أن يرد الرومانيين بالحسنى، فعاهدهم على ترك العداء. فلما استتب له الأمر رأى أن يسترد ما كان قد استولى عليه الرومانيون من الشام، فقاتلهم وانتصر عليهم، ورد الى حظيرة الاسلام ما كان قد انفصل عنها من المدن والأقاليم.

ولما كانت سنة ثلاث وسبعين أرسل عبد الملك بن مروان بأساطيله لفتح جزيرة صقلية (سيسيليا) فانتصرت عدة مرات على المدافعين عنها.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولما تولى سليمان بن عبد الملك أخذ يرسل بالأساطيل لفتح القسطنطينية ، واقتفى أثره عمر بن عبد العزيز ، فكان الرومانيون يحتالون على إحراق تلك الأساطيل فتضطر الجيوش التي بها أن تعود برا ، ولكنها فى أثناء عودتها كانت تفتح مدنا وقلاعا ، فاستولوا على مدائن بسواحل بحر مرمرة ، وأثرت مسألة إحراق الأساطيل فى نفوس المسلمين ، ورأوا أن يعاملوا خصومهم بالمثل . فسار مسلمة بن عبد الملك على رأس جيش مغيرا به على آسيا الصغرى ، فاستولى على مدن كثيرة منها ، وما زال يتابع سيره حتى وصلت جنوده الى اسكودار وهى قرية حيال القسطنطينية ، فأحرقوا سفن الرومانيين التى كانت بها وعادوا الى معسكرهم .

وكانت ثمرة اتخاذ المسلمين للأساطيل أن فتحوا بها جميع جزر البحر الأبيض ، ومدنا كثيرة من البلاد اليونانية وسواحل ايطاليا .

ثمرة هذه الفتوحات على المسلمين وعلى العالم كله :

إن الأمر المحسوس الذى استدل منه المؤرخون على أن تبسُّط المسلمين فى الفتوحات لم يكن القصد منه اجتياح الأمم وسلب مذخوراتها . إنهم قد عفوا عما فى أيدى المقهورين ولم يتناولوا منهم سوى الجزية ، وإنهم اقتبسوا كل ما صادفوه من علم نافع ، وصناعة ذات فائدة عملية . فلو كان انسياحهم فى الأرض ملحوظا فيه استلاب ما بأيدى المقهورين من مال وعتاد ، لسلكوا طريقة الفاتحين قبلهم ، فأحرقوا المدن بعد تجريدها من خيراتها ، وقتلوا أهلها أو شردوهم فى البلاد ليهلكوهم على أسوأ حال .

قال العلامة (دريبر) فى كتابه (المنازعة بين العلم والدين) : « إن المسلمين ما كانوا يتقاضون من مقهوريهم إلا شيئا ضئيلا من المال لا يقارن بما كانت تتقاضاه منهم حكوماتهم الوطنية » .

وقال العلامة (سديو) Sédeillot المؤرخ الفرنسى الكبير فى كتابه (خلاصة تاريخ العرب) فيما يتعلق باقتباس المسلمين للعلوم ما مؤداه :

« من تأمل فى تاريخ غارة العرب على الشام ومصر تحقق أنهم كانوا ميالين الى كسب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العلوم وترقيتها . وقد تبين ذلك باقتباسهم لها واشتغالهم بها ، وائتلافهم بمن سكن سواحل جزيرتهم من جاليات الأمم التى لجأت هربا بدينها من الاضطهادات المذهبية ، وأشهرها جماعات النسطوريين النصرانية التى كانت على درجة عالية من العلم والمدنية . وهؤلاء كانوا قد أفادوا أهل الشام بعلومهم ومعارفهم ، ثم اضطروا تحت ضغط الاضطهاد الى الهرب منها الى السواحل العربية .

« وقد تبين ولع العرب بالعلوم أيضا من اقتباسهم أصول المعارف عند فتحهم لبلاد الفرس على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

« فلما تولى الخلافة أبو جعفر المنصور سنة (١٣٥ﻫ) أظهر ميلا عظيما للعلوم الكونية ، فكان يستدعى العلماء من البلاد التى انضمت الى الأمبراطورية الاسلامية ، ويطالبهم ترجمة الكتب اليونانية ، ويغدق عليهم الأموال الطائلة .

« وقد سار خلفاؤه سيرته فى نشر العلوم وترجمة كتبها عن اليونانية وغيرها ، وخاصة حفيديه المهدى وهرون الرشيد ، فقد أقبلوا على علماء النصرانية المنتشرين ببلاد من آسيا ، فاستقدموهم وأوعزوا اليهم بترجمة الكتب اليونانية والفارسية والسريانية الى العربية ، فاشتهر فى عصرهما العالم الفلكى المسمى « ما شاء الله » ، فوضع الاسطرلاب ودائرته النحاسية ، وأحمد بن محمد النهاوندى الفارسى ، فكانا أقدم علماء الأرصاد فى الدولة الاسلامية . وترجم حجازى بن يوسف كتاب إقليدس الى العربية فتقدمت فى هذا العصر العلوم الفلكية والميكانيكية ، وكفى بالساعة الدقاقة التى أهداها الرشيد الى ملك أوروبا شرلمان شاهدا على تقدم الفنون فى ذلك العصر .

« فلما جاء المأمون وهو يشبَّه بأغطوس لدى الرومانيين ، فأحاط نفسه بأعظم علماء الأرض ، وجعل بينه وبين ملوك القسطنطينية روابط حسنة بقصد تمكينه من عيون الكتب اليونانية ، فأنفق أموالا طائلة على ترجمة مؤلفات علماء الاسكندرية فى عهد البطالسة ، وترجمة غيرها مما كان مدخرا فى المكتبات الأجنبية حتى ما كان منها فى مدينة أثينا نفسها » .

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تاريخ الصوفية فى الادب العربى (١)

قامت الى جانب التعاليم الدينية وقواعد العبادات منذ بدء ظهور الاسلام وإبان نشأته الأولى طرق أخرى تعبدية لإظهار التقوى والصلاح والتقرب الى الله والإخلاص له والتفانى فى حبه بوسائل شخصية عديدة لا ترتبط بأية رابطة بقواعد الدين الأصلية أو تتقيد بتعاليمه الأساسية . وكانت الفكرة الأولية التى قامت عليها هذه الطرق وتطورت بمقتضاها تنحصر فى تخليص الروح الخالدة من العناصر الجسمانية البائدة والأغراض الدنيوية الزائلة التى لا قيمة لها ولا وزن بجانب الإخلاص لله والتفانى فى حبه وطاعته . وهذه الفكرة هى فى الحقيقة قديمة بقدر قدم الانسان على وجه الأرض ، وظهرت فى الأجيال المختلفة بصور متعددة وأشكال متباينة ، فى مبادئ فلسفية تعبدية عتيقة ، وفى عقائد دينية لا تقع تحت حصر أو بيان .

ولكن أظهر ما ظهرت به الصوفية (وسميت كذلك بالنسبة للباس أتباع هذه الطريقة المكون من الصوف مبالغة فى التقشف والتزهد) فى الاسلام ، وأهم ما امتاز به علماء الديانة الاسلامية المتصوفون هو ركونهم الى الناحية العملية من هذه الوجهة الفلسفية ، بوضع الثقة المطلقة فى الله تعالت قدرته ، وتوكلهم عليه فى حركاتهم وسكناتهم ، والإخلاص فى عبادته والتفانى فى تقديسه ، مع نبذ كل المطامع الدنيوية واحتقار الأغراض المعاشية .

ولقد برز بينهم كثير من المتأدبين الذين عالجوا هذا الموضوع وكتبوا فيه كتابات شتى فى الوعظ والإرشاد ، مما جعل الباحث فى تاريخ الأدب العربى لا يضن بأن يفرد له فصلا خاصا بين فصول العلوم العربية التى ظهرت فى بدء الحياة الفكرية

---

(١) مترجمة من الالمانية نقلا عن كتاب « تاريخ الادب العربى » للمستشرق الالمانى الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلمان »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلامية الرشيدة ، وتطورت تطورا ظاهرا بمرور الأعوام ، فكان لها أثر بالغ فى حضارات الأمم المتاخمة وثقافتها ، بل وكان لها فى أحيان عديدة نصيب كبير فى نهضة العالم الغربى العلمية .

وأول بدء ظهور هذه الطريقة التعبدية فى التاريخ المعروف ، فى الكنيسة الرسمية حيث تسربت اليها بطريق مسيحيي الشام ، الذين أخذوها عن الديانة الاغريقية ، بعد أن نشط تيارها الهادىء واجترف الكنيسة الشرقية . والفكرة فى جوهرها الأول ترجع الى الفلسفة الأفلاطونية الجديدة التى تدعو الى ضرورة إنكار الدنيا وأغراضها والسعى وراء التقرب الى الله والتفانى فى حبه بطريق الزهد والتصوف . وأول من ظهر من علماء الشام ناشراً لواء الدعوة الى هذه المبادىء والتعاليم الدينية هو (بارسودَيْلى) فى القرن السادس من الميلاد .

انتشرت هذه التعاليم من مهدها ببلاد الشام عن طريق الكنيسة الاغريقية الى الكنيسة الغربية فى العصور الوسطى ، كما تسربت كذلك الى الاسلام ، فأخذها عنهم علماء المسلمين الأولون ، فظهرت العلاقة القوية والرابطة الوثيقة فى حركات الذكر عند متصوفى الاسلام القدماء ، وتلك التى كان يقوم بها أنصار هذه الطريقة فى الشام .

وكما كانت الشام مهدا لنشأة هذه الطرق الدينية وتطورها ، فإنها كانت كذلك مهدا لأنصارها من العلماء والمتأدبين الذين كانوا أول من دافع عنها ، فعالجوا هذه الموضوعات الفلسفية بالبحث والتأليف .

وأول علماء الصوفيين الذين وصلتنا أخبارهم ومؤلفاتهم هو الحارث المحاسبي المتوفى سنة ٢١٣ هـ ، وهو وإن كان من أشد المتمسكين بقواعد الديانة الإسلامية والمحافظين على الروح السنّية الحقة فى جميع المسائل الأساسية إلا أنه كان يرى عدم ضرورة التقيد بالمراسيم التقليدية والاقتصار عليها كغيره من أعلام السنّيين ، بل كان يذهب الى أبعد من ذلك ويرى وجوب حكم النفس والتسيطر عليها والزهد فى أغراض الدنيا ومطامعها والتفانى فى حب الله وطاعته .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وعلى هذه الصورة نشأت النواة التى شُيّد عليها بناء الصوفية فى الاسلام فى مبدأ الأمر ، إلا أنه سرعان ما تطورت ونبتت حولها عناصر غريبة من جهات مختلفة كانت سببا فى تحولها تدريجيا عن الطريق المستقيم والعقيدة السليمة ، ومن ذلك ما قام به العالم المصرى « ذو النون » المتوفى سنة ٢٤٥ هـ من دعاية واسعة لعلم كيمياء الذهب وأحلامه اللذيذة مجتهدا فى إيجاد رابطة بينه وبين تعاليم الصوفية وقواعدها .

وأما فى شرق البلاد الاسلامية فقد صادفت الصوفية فى طريقها تيارات العقائد الهندية البوذية ، فتأثرت بها الى حد بعيد ، وكادت تودى بالصوفيين الى حد الإلحاد واعتناق المذاهب الإشراكية ، وظهرت هذه الأفكار بشكل واضح فى أشهر الصوفيين فى القرن الثالث من الهجرة (حسين الحلاج) وهو من أصل فارسى ، وكان أستاذه «الجنيد» المتوفى سنة ٢٩٧ هـ متمسكا بالتعاليم السنية ، ولو أنه كان يتجنب الجدل والحوار فى مسائل العقائد الأصلية ، ولكن الحلاج ارتأى أن لاداعى يدعو للتمسك بقواعد الاسلام الحقة ، وظن أنه يملك مزايا غير طبيعية ومستحوذا على قوى خارقة للعادة ، وتمكن من أن يجد من صغار العقول وضعاف العقيدة من يلتف حوله ويستمع لهذيانه ويؤمن بما زعمه من أراجيف ، ولكنه تمادى فى أوهامه ، فذهبت بلبه وصوابه ، وتوهم أن الله عز وجل قد حل فى جسمه ، فسرعان ما ثارت عليه البلاد وانقلبت ضده الحكام ولقى حتفه سنة ٣٠٩ هـ ببغداد ، وبإعدامه اختفت هذه الأفكار الاشراكية المتطرفة من تعاليم الصوفيين المجترئين الموجهة مباشرة الى الرأى العام ، فقبعوا فى عقر دارهم زمنا طويلا ، وكفوا بذلك الناس شر آرائهم المتطرفة ، ووفروا عليهم بلبلة أفكارهم ، ولم يظهر فى القرن الرابع من الهجرة من آثار لهم فى الأدب العربى إلا ما كان متفقا مع الصلاح والتقوى الحقيقية ، ولم يخل الشعر فى هذا العصر من أثر تعاليم تلك الطرق التى ترمى الى التفانى فى العقائد الدينية فحسب .

بقيت العقائد السُّنية منتصرة ضد الصوفية المتطرفة منذ أواخر القرن الثالث

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من الهجرة وطوال القرن الرابع ، فنُبذ من الآراء والتعاليم كل مالا يتفق مع كتاب الله والأحاديث النبوية فى غير لبس أو غموض ، وبقيت الصوفية سائرة بهدوء فى طريقها المسالم الى أن ظفرت فى العصر الثانى من تاريخ الأدب العربى (أى ابتداء من القرن الخامس الهجرى) ببغيتها فى النهضة الأدبية والدينية مما كان له من الأثر البعيد فى تطور الحياة الدينية والأدب العربى مالم يشهده غيرها من العلوم الدينية .

ففى أوائل القرن الخامس الهجرى نهض من علماء نيسابور عبد الكريم القشيرى فى عام ٤٣٧ هـ لإحياء العلوم الصوفية ، وبعث برسالة الى أنصار هذه الطريقة الدينية من العلماء المعاصرين يناشدهم لنصرة الطريقة وإحكام عرى التعارف بينهم وتبادل الآراء لتجديد التعاليم الصوفية التى كادت السنون تغير من معالمها وتذهب بأصولها الصحيحة ، ولم يكد القرن الخامس يوشك على الانتهاء حتى اهتم الغزالى بالاشتغال بأمور الصوفية ، ووجد فيها عوضا عما كان يصبو اليه فى مقتبل حياته من أبحاث علمية .

وفى القرن السادس من الهجرة انتشر علماء الصوفية بكثرة فى أنحاء العالم الاسلامى شرقا وغربا ، ووضعوا كثيرا من القواعد الجديدة والتعاليم المختلفة فى هذه الطريقة الدينية ، واشتغل كثير منهم بالتأليف ، فظهر فى هذا الباب من عالم الأدب العربى ما يكفل تعليم النشء الحديث ، وإرشاد الأجيال المتأخرة الى ضروب الصوفية المختلفة وفلسفتها العميقة .

وكانت الشام لا تزال حتى هذا العصر مهدا لهذه الطريقة ومنبتا لعلومها ، واشتهر من علمائها فى القرن السادس على الحكارى المتوفى سنة ٥٥٨ هـ بعد أن شيد خانقاه للمتصوفين على جبل حكار بجوار الموصل ، وقام برحلات واسعة للوعظ والارشاد ، وأسس طريقة العدوية التى بقيت نشيطة حتى القرن السابع الهجرى ، بفضل تعهد من خلفه من زعماء الصوفية فى تلك البلاد ، وله فى عالم الأدب كتاب يفصح فيه عن عقيدته ورسالة وصاية الى تلاميذه ، ولا زالت بعض الطرق الكردية المعروفة باسم « يزيدى » تحييه وتزيد فى تمجيده لإحيائه مذهبهم وتوثيق عقيدتهم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفى بغداد اشتهر من علماء الصوفيين فى هذا العصر عبد القادر الجيلى المتوفى سنة ٥٦١ هـ وهو مؤسس الطريقة الكبيرة المعروفة باسم القادرية ، ولقد عرف كيف يتسلط على عقول أتباعه ومريديه ، وحاز شهرة واسعة ، وله فى ميدان الأدب بضع مقدمات فى الحياة الدينية السعيدة ، وعدة رسائل أخرى فى الوعظ والأدعية .

وهكذا سار معظم علماء الصوفية على هذا المنوال : متمسكين بجوهر الاسلام ، محافظين على أصوله الأولية ، غير خارجين على تعاليمه الأساسية ، بل كان جل همهم وغاية أملهم توثيق الحياة الدينية وترسيخها فى عبادة الله والتفانى فيها ، الى أن ظهر شهاب الدين السهروردى ، وجاء بما تخطى به الحدود المباحة ، وخرج على كتاب الله وسنة نبيه ، وكان يحيي حياة درويش متجول ، فكان يظهر تارة فى بلاد الفرس وطورا فى العراق الى أن نزل أخيرا بمدينة حلب ضيفا على بلاط الملك الظاهر بن صلاح الدين ، وكان يجتهد فى الإذاعة عن نفسه بأنه قادر على الإتيان بالمعجزات الخوارق ، وكانت تظهر فى تعاليمه وأفكاره علاوة على آثار الفلسفة الأفلاطونية الجديدة ، التى نشأت عنها الصوفية القديمة فى الاسلام ، بعضُ الآراء الايرانية العتيقة والعقائد الفارسية الشيعية عن الإمام المختفى ، وكان يسمى طريقته بطريقة النور ، ولذا فإن الدراويش الذين جعلوه زعيما لجماعتهم كانوا يطلقون على طريقتهم « النور بخشية » أى الذين يعطون النور . ولقد تذمر السنيون كثيرا من تعاليمه الفاسدة وعقيدته السقيمة ، وتمكنوا أخيرا من حمل السلطان على اضطهاده والحكم باعدامه ، فأعدم سنة ٥٨٧ هـ . وله فى عالم الأدب بضع رسائل فلسفية علاوة على كتابه الذى يفسر فيه طريقته ويشرح تعاليمه الصوفية .

وأشهر علماء الصوفية فى هذا العصر فى البلاد الاسلامية الغربية هو أبو مدين الذى ظهر بمدينة تلمسان وتوفى بها عام ٥٩٨ هـ . ولا يزال كثير من الأهالى تحيي ذكراه وتمجد اسمه ، ولم يترك فى الأدب العربى سوى القليل من الشعر ، وبضع مجموعات فى الحكم والأمثال .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وجاء من بعده على الشاذلى فأسس طريقة صوفية خاصة، وتوفى سنة ٦٥٦ هـ، ولم يخلف للأدب العربى سوى رسالة فى واجبات الطاعة لله، وبضع جمل مأثورة فى الأدعية.

وأكبر علماء الاسلام المتصوفين على الاطلاق هو بلا شك محيي الدين محمد بن عربى، ولد بالمرسية سنة ٥٦٠ هـ وطلب العلم بمدينة اشبيلية ورحل الى بلاد الشرق عام ٥٩٨ هـ. وتنقل بين العراق وآسيا الصغرى الى أن استقر به المقام أخيراً بدمشق حيث توفى سنة ٦٣٨ هـ. ولقد ظهر تفوقه ونبوغه على زملائه من زعماء الصوفيين المتقدمين والمتأخرين بنوع خاص فى عالم التأليف، فأتى بمحصول وافر فى الأدب العربى، فقد وصلنا من مؤلفاته حوالى ١٥٠ كتابا مستقلا، وامتاز كتابه المسمى «الفتوحات المكية» بالأفكار العالية والفلسفة العميقة. وكثيرا ما كان يلجأ الى وضع تفاسير لإيضاح مايكتبه بسبب صعوبة الموضوعات وتعقيد المسائل الفلسفية والدينية التى كان يعالجها.

ولما كانت الصوفية، وهى مدار بحثه الأول، أقرب الى المسائل الحسية من الموضوعات الفكرية، فإنه كان يلتمس مخرجا للتعبير عن مشاعره بواسطة النظم، فكانت تفيض كتاباته بالأشعار، وله فى ذلك مقطوعات غاية فى الروعة والإحكام، وأهم قصائده هى تلك التى نظمها بمكة المكرمة عام ٥٩٨ هـ فى التغنى بحب الله، وكانت تشبه من حيث الأسلوب مقطوعات حافظ، يستمع بين أشطارها رنين شهوة الغزل، ولذا فانه رأى نفسه مضطرا لوضع تفسيرلها، ليدفع به لومة من يتهمه بالتغنى بالحب الدنيوى.

وله مؤلفات فلسفية عديدة تنم عن مبلغ تأثره بالتفكير الاغريقى والهندى، وتضامن مع أحد علماء الهنود فى تنقيح وإعادة نشر الكتاب الهندى الكبير المعروف باسم «أمرتا كندد» الذى يبحث فى ارتباط العالم الصغير بالعالم الكبير والعلاقة بينهما، وكان قد قام بنقل هذا الكتاب من اللغة الفارسية الى العربية محمد السمرقندى سنة ٦١٥ هـ.

وكان كثير الاعتقاد فى الخرافات بشكل ظاهر، وربما كان ذلك نتيجة لتعمقه

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فى أبحاثه الفلسفية ، فكتب فى القوة السحرية للحروف الهجائية ، كما كتب عن الطرق المختلفة فى التنبؤات والاستخارات القرآنية ، ووضع كتابا بتنبؤاته عن مستقبل مصر .

وكانت تعاليمه جريئة للغاية ، وفلسفته عميقة جدا ، بحيث إنه لم يقو على تأسيس مدرسة خاصة بها ، ولم يجد من يستأنف عمله الفكرى سوى تلميذه محمد القونوى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ولكن مؤلفاته بقيت موضع اهتمام العلماء المسلمين ودراساتهم لعدة قرون بعد وفاته ، حتى إننا نجد الحوار والجدل بينهم لم ينقطع حتى القرن الثانى عشر من الهجرة ، فمنهم من حكم بإلحاده ، ومنهم من اهتدى الى التوفيق بين تعاليمه والعقائد الدينية الصحيحة ؟

بعض ما قيل فى الحلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون المرء من غضب الله إذا غضب » .

وقال لقمان الحكيم : ثلاثة لا تعرفهم إلا عند ثلاثة : لا تعرف الحلم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا تعرف أخاك إلا إذا احتجت اليه .

وقال على كرم الله وجهه : حلمك على السفيه يكثر أنصارك عليه .

وقال الأحنف بن قيس : من لم يصبر على كلمة سمع كلمات . وقال : رب غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه .

وأسمع رجل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ما يكره ، فقال له : لا عليك ، إنما أردت أن يستفزنى الشيطان ، بعزة السلطان ، فأنال منك اليوم ما تناله منى غدا ، انصرف إذا شئت .

وقال شاعر :

لن يدرك المجد أقوام وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان كاسفة لا ذل عجز ولكن ذل أحلام

وقال كعب بن زهير :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليما أو أصابك جاهل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بيان من جمعية منع المسكرات

بالقطر المصرى

ورد الى إدارة هذه المجلة كتاب من بعض القراء يسألوننا فيه عن حقيقة الشراب الخالى من الكحول الذى استوردته جمعية منع المسكرات من أوربا ليحل محل الاشربة الروحية ولا تكون فيه حرمتها ولا ضراوتها . فلم نر بدا من توجيه سؤال لحضرة الاستاذ الفاضل أحمد افندى غلوش رئيس هذه الجمعية فورد الينا منه البيان التالى . فنشكره على مبادرته بالاجابة ، وهو :

قد تسلمت كتابكم وعلمت منه أن إدارة مجلة نور الاسلام الغراء ورد اليها سؤال عن حكم شرب الشراب الذى استحضرناه من أوربا وأسميناه بالرحيق ونشرنا عنه أنه من عصير العنب وأنه خال من الكحول ، وتطلبون معرفة حقيقته للنظر فى هذا السؤال . فنتشرف بأن نقدم اليكم البيان التالى فى شأن ذلك الشراب فنقول :

إن جمعية منع المسكرات وإن كانت فى أصل نشأتها وتكوين هيئتها تستمد تعاليمها فى نشر دعوتها من الكتاب والسنة وأصول الدين الحنيف ، فإنها لما رأت فى هذا الزمن من طغيان المادة وتسلطها على كثير من الأنفس أرادت أن تتوسل أيضا بالذرائع المادية والوسائل العلمية لبلوغ غايتها وإقامة الحجة على صدق ما تدعو اليه : من وجوب نبذ الخمر ، وضرورة سن قانون يقضى بتحريم تداولها فى البلاد أو اقتنائها ، لثبوت أضرارها وعدم فائدتها ، وإقامة البينات على فساد من يزعم أن فى النبيذ والسوائل الكحولية المتخذة من الأعناب والثمرات غذاء للجسم أو صحة وعافية للبدن ، مما أثبت الكشف العلمى الحديث بطلانه . ولذلك عنى رجال جمعية منع المسكرات وخطباؤها وكتابها بأن يضمنوا خطاباتهم ومحاضراتهم ومطبوعاتهم هذه الحقائق العلمية التى تؤيد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وجهة نظر الدين الاسلامى الحنيف فى تحريمه الخمر قليلها وكثيرها على السواء، وأيا كان نوعها أو نوع العناصر التى اتخذت فى الأصل منها، وإثبات صدق ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم: وهو أن الخمر داء لا دواء.

واتفق أن الحكومة المصرية ندبت فى عام ١٩٢٨ كاتب هذا البيان ليقوم بتمثيلها رسميا لدى المؤتمر الدولى التاسع عشر الذى عقد فى باجيكا لمكافحة المسكرات، فكان من بين المسائل التى عالجها ذلك المؤتمر مسألة الأعناب والفاكهة التى تنبت بكثرة عظيمة فى بلدان أوربا وأمريكا فوق حاجة أهليها فيضطرهم الحال الى عصر الزيادة وتحويلها خمورا وبيعها فى الأسواق، وكثير من الزراع والصناع هناك لا يعتمدون فى معيشتهم إلا على تحويل الأعناب والثمرات خمرا، فكان لا بد من النظر فى مستقبل هؤلاء القوم فيما إذا استجيبت دعوة المؤتمر وامتنع الناس عن تعاطى الخمور واجتنبوها. فانتهى المؤتمر الى أنه فى الوسع تحويل الفواكه والأعناب الى عصير سائغ الشراب لذيذ الطعم، مغذ للجسم، مفيد فى معالجة الكثير من الأسقام بحيث لا يقبل التخمر ولا التحول الى كحول مما يفسد خواص الفاكهة والأعناب كما يحدث ذلك عند تحويلها خمورا ومشروبات مسكرة، وبذلك يتم التوفيق بين الدعوة الى اجتناب الخمر وبين حاجة الزراع والصناع الذين يعيشون الآن ويرتزقون من وراء صنعها وبيعها.

ولكن نشأت مسألة أخرى، وهى أن الناس درجوا طويلا على تعاطى الخمر فى مجالس سمرهم وأنسهم وأعيادهم وأفراحهم ومواسمهم واجتماعاتهم وولائمهم، فكيف السبيل الى حملهم على إيثار العصير الطاهر الخالى من الكحول؟ فاستقر رأى المؤتمر حلا لهذه المسألة على أن تعنى الجماعات والجمعيات الممثلة فيه بترويج هذا العصير والإعلان عنه وبث الدعاية له فى الأقطار المختلفة التى يعمل فى دائرتها كل منها، فإنه على قدر ما يباع من العصير الغير المسكر تقل حاجة أولئك الزراع والصناع الى تحويل الأعناب والفاكهة خمرا، ومتى قلت كمية ما يصنع من الخمر تتلاشى المسكرات تدريجا، ويعم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

استعمال العصير الغير الكحولى بحكم أفضليته على الخمر، وبذلك يطمئن صانعوها والمنتفعون من ورائها الى مستقبل أمرهم، ويمتنع تصديهم لحركة منع المسكرات .

وإذ كنت أمثل لدى ذلك المؤتمر جمعية منع المسكرات المصرية فوق تمثيلى الحكومة المصرية لديه، فلما عدت الى مصر عقب انفضاض جلسات المؤتمر سعيت أنا وجمعيتى للقيام بنصيبنا فى التطوع لترويج الفكرة المتفق عليها، وتبيين فضل الشراب الخالى من الكحول على أى مسكر كان .

فلما كان عام ١٩٣٠ استحضرت الجمعية من فرنسا وسويسرا مقدارا من هذا العصير الصحى الطاهر الخالى من الكحول ؛ وقد أطلقنا عليه اسم « الرحيق » تيمنا بشراب أهل الجنة . وعلى الرغم من أن المعامل الكيماوية كانت قد أثبتت بتحليلها هذا الشرابَ خلوَّه من الكحول فقد أردنا أن نزداد وثوقا من هذه الحقيقة، فقبل أن نعرض الرحيق على الناس أرسلنا زجاجة منه الى المعمل الكيماوى الذى تديره مصلحة الصحة البلدية بالاسكندرية، وطلبنا اليه تحليله واستخراج إعلام رسمى بنتيجة ما يدل عليه التحليل، فأسفر هذا التحليل الرسمى عن خلو « الرحيق » من الكحول خلوا تاما وطهارته من المواد الضارة، وأنه « عصير عنب لا يخالطه كحول، وأنه فى حالة جيدة، وله طعم جيد ورائحة ذكية، ولا يوجد فيه مواد ضارة » (انظر صورة الكتاب الرسمى المرسل للجمعية من مدير الصحة البلدية فى ختام الكراسة الخاصة التى طبعتها الجمعية تبيانا لحقيقة الرحيق) .

واتفق أن كان المعرض الصناعى الزراعى قائما فى القاهرة حين ذاك، فكانت فرصة حسنة سانحة لدى الجمعية لترويج الرحيق وإظهار فضله على المشروبات الكحولية والخمور المسكرة، وإبطال حجة القائلين بأن فى شرب الخمر فوائد صحية، وأنهم لا يشربونها إلا ابتغاء وجه الصحة، مع أنه لا صحة فى الخمر ولا فائدة ترجى منها، فضلا عما فيها من الضرر البالغ والإثم الكبير . وأما الرحيق فهو حقا خلاصة الفاكهة والأعناب،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلا غول فيه ولا هم عنه ينزفون . فمن ابتغى بشرب الخمر صحة وعافية ظنا منه أنها تحتوى على خلاصة الفواكه والأعناب ، فهوواهم مخدوع ، إذ أثبتت الاستقراءات العلمية الحديثة أن هـذه الخلاصة قد ضاعت وتحولت أثناء عمليـة التخمر والتقطير الى كحول سام . وأما الرحيق فقد احتفظ بكل ما فى الفواكه والأعناب من فائدة صحية وعلاجية دون أن يكون فى شرابه أية حرمة ، لخلوه من الكحول المسكر .

ولما كانت جمعية منع المسكرات لا تقصد الى التجارة ولا تبغى ربحا ماديا من ترويجها الرحيق ، بل كان كل قصدها وهمها أن تعلن عن وجوده وفوائده وفضله على الخمر من كل ناحية من النواحى ، تضامنا منها فى ذلك مع المؤتمر الدولى لمكافحة الخمور انتصارا لقضية الزراع والصناع الذين يعيشون من تجارة الخمور وصنعها حتى لا يقوموا فى وجه المطالبين بتحريم الخمر إشفاقا على أرزاقهم أن تضيع ، فقد عهدت الجمعية الى بعض البيوت التجارية التى تبيع المأكولات المجهزة على أن تتولى هى بيع « الرحيق » . ولم يبق الآن لدى الجمعية من هذا الشراب للبيع شىء ما .

ونلاحظ لحضرات القراء أن بعض زجاجات « الرحيق » قد بقيت لدى كاتب هذه السطور ، ولدى بعض أصحابه من أعضاء الجمعية ممن ابتاعوه لأنفسهم ، أعواما ثلاثة دون أن يلحقها فساد أو يتطرق اليها رجس الكحول . وما دامت الزجاجة محكمة القفل فإن ما تحتوى عليه من العصير يبقى صالحا للاستعمال زمنا غير محدود . وأما إذا بقيت الزجاجة مفتوحة معرضا ما فيها للهواء فإن الشراب يفسد كما يفسد الطعام تماما ، بمعنى أنه لا يصير خمرا مسكرا بحال من الأحوال ، وإنما يصير طعاما فاسدا ليس غير .

ونحن نقدم الى فضيلتكم مع هـذا كراسة كانت الجمعية قد طبعتها ونشرتها تبيانا وتفصيلا لحقيقة الرحيق ، وفيها نص كتاب حضرة مدير الصحة البلدية بالاسكندرية الدال على نتيجة تحليل هذا الشراب الطهور فى المعمل الطبى ، وخلوه من الكحول كما أسلفنا ذكره بالإيجاز .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقصارى القول أن العلم الحديث قد أثبت حكمة الدين الحنيف ، وأيده أيما تأييد فى وجوب تحريم الخمر على الناس ، لما أنها شديدة الخطر كبيرة الضرر ، وأن ماينسب اليها من المنافع لا يعدو ما يعود على صانعيها ومروجيها ومن اليهم من الكسب المادى ، وأما شاربوها ومتعاطوها فلا يعود عليهم منها إلا الإثم الكبير والخسران المبين .

ولما كانت المناقشات العلمية التى دارت فى المؤتمر الدولى لمنع المسكرات والخطب التى ألقيت فيه حول الرحيق من النفاسة بمكان ، وجدير بنا معشر المسلمين المعتزين بأصول ديننا أن نقف على الآراء العلمية التى تؤيد هذه المبادئ السامية وتناصرها ، فحبذا لو أن رياسة تحرير نور الإسلام الغراء تسمح لنا أن نعرّب ما قيل فى هذا الموضوع عن أصله الانكليزى ، وتنشر خلاصته فى العدد القادم ، إن شاء الله .

والله نسأل أن ينفع بكم وبعلمكم الاسلام والمسلمين ؟

رئيس جمعية منع المسكرات بالقطر المصرى

احمد غلوش

الكرم الحاتمى

كان عدى بن حاتم الطائى جوادا كأبيه ، وقد أدرك الاسلام وأسلم . دخل عليه ابن دارة الشاعر يوما فقال له : إنى قد مدحتك . قال عدى : أمسك حتى آتيك بمالى ثم امدحنى على حسبه ، فانى أكره أن لا أعطيك ثمن ما تقول : لى ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاث إماء ، وفرسى هذا حبس فى سبيل الله ، فامدحنى على حسب ما أخبرتك ، فقال :

تحن قلوصى فى معد وإنما ... تلاقى الربيع فى ديار بنى ثعل
وأبقى الليالى من عدى بن حاتم ... حساما كنصل السيف سل من الخلل
أبوك جواد لا يشق غباره ... وأنت جواد ليس تعذر بالعلل
فان تفعلوا شرا فمثلكم اتقى ... وإن تفعلوا خيرا فمثلكم فعل

فلما انتهى الشاعر الى هذا البيت منعه حاتم أن يزيد عليه قائلا له : إن مالى لا يبلغ أكثر من هذا ، وأعطاه المال .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تأسيس مدرسة بالزيتون

جاءنا من جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالزيتون
هذا النداء فننشره معاونة على نشر التعليم .

النجدة أيها المحسنون !

نوجه نداءنا اليكم وأنتم أهل المروءة والبر والاحسان ، لتشدوا أزر الجمعية ، وتعاضدوا مدرستها التي قامت على تربية اليتامى والمساكين ، وتعليم مبادئ الدين الحنيف ، وتحفيظ القرآن الكريم ؛ والتي أضافت الى جانب هذا كثيرا من أعمال البر والاصلاح وفى مقدمتها قسم إلقاء المحاضرات الدينية الاجتماعية ، وقسم ليلى لتعليم العمال مبادئ القراءة والكتابة والدين ، وتخصيص شعبة من شعبها للمحافظة على أبناء المسلمين من الوقوع فى شراك أعداء الدين .

ولقد سعت الجمعية لدى حكومتنا الرشيدة حتى منحتها قطعة أرض مساحتها ١٦٤٢/٥ متراً بحامية الزيتون لتقيم عليها بناء دارها ، وقد تم تسلمها يوم الأربعاء ٣ إبريل سنة ١٩٣٥ والآن وقد اعتزمت الجمعية أن تمضى فى عملها وتشرع فى بنائها مستمدة من الله العون ومنكم النجدة . فإنا نهيب بكم أيها المحسنون أن تعاضدوا الجمعية فى هذا المشروع الدينى العظيم الذى يتحتم على كل مسلم غيور أن يساهم فيه ، فمن وضع فيه حجرا بنى الله له قصرا ، ومن ساهم فى تأسيسها ضاعف الله له ثوابا .

فهلموا الى باب من أبواب البر وعمل من أعمال الخير ، وأجيبوا داعى الله ورسوله « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا » « وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين » ؟

رئيس الجمعية
مصطفى ماهر باشا — مدير المنيا سابقا

التبرعات ترسل باسم رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالزيتون .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الانسان

تشريح — صحة — أدب — دين — لغة — أخلاق — اجتماع

هذا كتاب فذ لم يؤلف أحد على مثاله ، وفق الى وضعه الاستاذ النابه الفاضل على فكرى رئيس المغيرين بدار الكتب المصرية . ألم فيه بكل ما يتعلق بالانسان من تشريح وصحة وأدب ودين ولغة وأخلاق واجتماع ، فجاء مجموعة قيمة لمعارف وشوارد لا يتفق وجودها فى معرض واحد . مثال ذلك : يذكر الهضم فيلم بذكر أعضائه من الوجهة التشريحية مستعينا بالصور ، ثم من الناحية الفيزيولوجية ، ثم بحكمة الخالق فى خلق الأعضاء العاملة فيه ، ثم يشفع ذلك بالنصائح الدينية المناسبة للتغذى من القرآن والسنة ، ثم بالقواعد الصحية ، ثم بالنصائح الأدبية ، ثم بالكلمات اللغوية ، ثم بالأمثال الفصيحة ، ثم بالأمثال العامية ، ثم بصنوف الأطعمة وقيمتها الغذائية ، ثم بما يتعلق بالطعام والهضم من الناحية الصحية ، ثم بالألفاظ الكنابية ثم بالحكم الشعرية . فهذا الاستيعاب لما يخص الموضوع الواحد جعل هذا الكتاب جذابا نافعا الى أقصى حد .

وهو يقع فى أربعة أجزاء فى كل جزء أكثر من مائتى صفحة . فنهنىء حضرة المؤلف بهذا التوفيق . ونرجو أن يكافئه الله عليه بما هو أهله ، وأن يعينه على إبراز أمثال هذه الطرائف العلمية .

صفوة احياء علوم الدين

قام باستخراج هذه الصفوة من إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى حضرة الأستاذ الأصولى محمود افندى قراعة المحامى . وإنه لكتاب كريم يجمع زبدة كتاب الامام فى نحو ٣٦٠ صفحة من القطع الصغير . وقد وفى الأستاذ كل موضوع حقه بما يشكر عليه ، فسهل على القارئين الالمام بصفوة هذا المؤلف الضخم فى زمن قصير ؛ وإنها لخدمة دينية يذكرها له المسلمون بالثناء الجميل ، فقد كان يتردد ذكر هذا الكتاب الاسلامى المعظم ولا يجد الناس وقتا لقراءته والانتفاع بما فيه ، فجاء تلخيص الأستاذ قراعه له مسهلا عليهم الوصول الى بغيتهم من أقرب طريق . فجزاه الله عن الاسلام خيرا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مهمة الدين الاسلامى فى العالم

٢٠

مراعاة الحقوق الطبيعية فى الاشتراع ومعاملة الناس

الأمة الاسلامية بحكم المهمة التى عهد الله بها اليها ، وهى جعل كلمته هى العليا فى الأرض ، قُدِّر لها أن تتبسط فى البلاد ، وأن تخالط الأمم ، وأن تمد رواق سلطانها على شعوب كثيرة تخالفها أصلا ولغة ودينا وعادات . وهذه الشعوب كلها كان لها نظم مقررة وقوانين محترمة وتقاليد خاصة ، فإخضاعها جميعا لشريعة واحدة تطمئن اليها ، وتهدأ ثوائرها تحت ظلها ، لا يعقل أن يكون إلا إذا كانت تلك الشريعة بالغة أرق ما يدركه العقل من معنى العدل ، وما تطمح اليه النفس من نعمة المساواة ، وتتطلع اليه الطبيعة البشرية من الحرية الصحيحة ، وهذا ما لا سبيل اليه إلا إذا كان أساس تلك الشريعة الحقوق الطبيعية ، لا الحقوق التى تمليها المصالح المادية ، وتحدها الأثرة القومية ، وتتحيفها العوامل المحلية .

أجل : فإن تلك الشعوب لأجل أن تدخل فى الوحدة التى فُرضت عليها فرضا يجب أن لا تجد فى الحالة التى تدخل فيها ما يثير حميتها ، ويهيج أنفتها ، ويجرح كرامتها ، ويدفعها دفعا الى التخلص مما وقعت فيه ولو استنفدت فى سبيله قواها وثروتها . لأنه متى تأثر كل شعب بمثل هذه الروح من التمرد ، نتجت من ذلك فتوق يتعذر على قاهريها رتقها ، فيضطرون للإيغال فيها قتلا وسلبا ، ثم يلجأون الى أحد أمرين : إما الإمساك بمخنقها مهددبها بالحديد والنار ، وإما تركها وشأنها أشبه بجثة هامدة يؤول أمرها الى ما يؤول اليه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا كان شأن الأمم الضعيفة عند ما كانت تقع تحت براثن أمة فاتحة . وهذا نفسه كان حال الشعوب التى حملت نير استعمار الرومان ، وهى الأمة التى كانت لها الزعامة فى الأرض قبل المسلمين مباشرة . فقد كانت الشعوب تخضع لها رهبا لا رغبا ، وكانت كثيرا ما تثور عليها فتحدث بين الفريقين معارك تسيل الدماء فيها أنهارا . فلما أدرك الدولة الرومانية الوهن ، انفصلت تلك الشعوب عنها مُكِنّة فى أعماق قلبها أقسى ضروب الحقد عليها ، حتى إنه لما داهمتها القبائل المتوحشة التى كانت نازلة فى أطرافها من الهونيين والفنداليين والبلغار وغيرهم ، لم تمتد اليها يد بمعونته ، ولا أمدها قلب بعاطفة . وكان التاريخ أقسى عليها قلبا من الناس ، فقد جاء فى دائرة معارف لاروس الكبرى عند ذكرها نظم الرومانيين :

« ماذا كانت نظم الرومان على وجه الإجمال ؟ كانت الوحشية والقسوة بعينيهما مرتبتين فى صور قوانين . أما من جهة فضائل رومية مثل الشجاعة والمكر والتبصر والنظام والإخلاص المطلق للجماعة ، فهى بعينها فضائل قطاع الطرق واللصوص . أما وطنيتها فكانت مكتسية لباس الوحشية ، فقد كان لا يرى فيها إلا شره مفرط للمال ، وحقد على الأجنبى ، وتجرد من عاطفة لرحمة الانسانية . أما العظمة فى رومية والفضيلة فيها فكانتا مرادفتين لأعمال السوط والسيف فى العالم ، والحكم على أسرى الحروب بالتعذيب أو بالأسر ، وعلى الأطفال والشيوخ بجر عربات النصر » انتهى .

قارن هذا بحكم علم القرن العشرين فى المسلمين ، قال العالم الكبير جوستاف لوبون فى كتابه تاريخ العرب : « لم تر الأرض فاتحين أبر وأرحم من المسلمين » .

على أن لسان الحوادث فى هذا الشأن كان أبلغ من لسان التاريخ ، فإن هذه الشعوب التى خضعت لحكم المسلمين فضلا عن أنها لم تثر عليهم ، ولم تبطن نية النكاية بهم ، قد تهافتت على الدخول فى دينهم ، فأصبحت بلادها معاقل للاسلام ، ولم يمض عليها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

غير سنين معدودة حتى نبغ فيها حفظة للغته، وأئمة لشريعته، مما لم يحدث له مثيل فى أى عهد من عهود البشر. فهل عهد فى تاريخ أمة أن ينتدب لتحرير لسانها، وبناء قواعده وجمع شوارده أعاجم لا تجمعهم والعربية أقل صلة؟ ألم يكن إمام الحفاظ اللغويين أبو عبيدة فارسيا، وواضعا أصولها وقواعدها سيبويه والخليل بن احمد فارسيين أيضا، ومهذبى نثرها وشعرها عبد الحميد وابن العميد وبشار وأبو نواس ومروان بن أبى حفصة وغيرهم فُرسا ومن أجناس شتى؟ ولا أعد لك أصحاب الأقوال الفقهية، ومفسرى الكتاب الكريم، وحفظة السنة النبوية، فإن كثرتهم من أهل تلك الممالك التى فتحها الاسلام وضمها الى حوزته.

فما سبب هذا الأمر الجلل الذى لم تر البشرية ما يشبهه منذ تدوين التاريخ الى اليوم؟

سببه سمو الشريعة الاسلامية سموا أذهل الشعوب عن قومياتها وتقاليدها وموروثاتها، فألقت بنفسها بين يديها تستمدها روحا تحيا بها، وتنعم بالوجود تحت سلطانها. ولم يكسب هذه الشريعة هذا السمو إلا قيامها على أساس الحقوق الطبيعية المجردة عن كل صبغة قومية وجنسية: الرئيس والمرءوس فيها سيان، والقوى والضعيف عندها متكافئان، والسرى والصعلوك فيها صنوان.

لم يحدث فى تاريخ العالم الانسانى أن أمة توخت العدل المطلق فى سن شريعتها فنظرت الى الناس من حيث هم أمثال فى الانسانية لا فضل لواحد منهم على آخر لأى اعتبار من الاعتبارات حتى ولو كان أجنبيا عنها يخالفها أصلا ودينا ولونا ولغة. لم توجد أمة سلكت هذا المسلك فى وضع شريعتها حتى ولا بالنسبة لآحادها المؤلفين لمجموعها إلا فى أخريات القرن الثامن بعد الثورة الفرنسية وإعلانها حقوق الانسان، ومحوها الطبقات الاجتماعية.

فقد كانت الأمم تنقسم الى طبقات، لكل طبقة حقوق تمتاز بها على من دونها، حتى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ينتهى الأمر الى الدهماء وهم السواد الأعظم من الأمة فكانوا يعتبرون فى حكم العجماوات ، حتى كان أصحاب الأملاك يبيعون أراضيهم بمن عليها من العمال ، فيصبحون ملكا خالصا لمن اشترى الأرض التى هم عليها . وكان السيد يقتل الصعلوك فلا يعاقب على ما فعل ، فإذا تعقبته الحكومة لسبب من الأسباب تخلص مما فعل ببذل مال نزر لأسرة المقتول .

فلما أعلنت الثورة الفرنسية حقوق الإنسان ، وشاعت هذه المبادىء فى العالم المتمدن ، فسر كل منها الإنسان بأنه المعدود من جماعتها لا الإنسان أيا كان ، فأصبحت بذلك الحقوق الطبيعية مقيدة بالقومية فى كل مكان . فانفردت الشريعة الإسلامية بميزة التعميم ، فهى تعتبر الانسان من حيث هو إنسان لا من حيث هو خاضع لسلطانها أو داخل فى ملتها . وهذه من أدل الأدلة على أنها وحى إلهى لا وضع بشرى ، فقد دل الاستقراء على أن الارتقاء فى إقامة العدل لم يبلغ لدى البشر الى حد أن يعاملوا الأجانب عنهم معاملتهم لأنفسهم ، ولا أن يسروا عليهم أصول الحقوق الطبيعية التى أدركتها عقولهم . ولكن الاسلام سبق العالم أجمع الى تطبيق هذه الحقوق الطبيعية على الكافة ، ولم تستثن أحدا حتى الأرقاء والأجانب عنه وعن جماعته ، فكان المثل الإلهى الأعلى الذى سينتهى اليه الناس كافة حين يبلغون من معارج الرقى الى ذروتها العليا ، فقال الله تعالى يوصى المسلمين باتباع هذه الطريقة فى معاملة الناس أجمعين : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تَلْوُوا أو تُعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا » . ومعناها يأيها المؤمنون كونوا جادين فى القيام بتطبيق أصول العدل ، وأدوا شهاداتكم فيما تستشهدون فيه مراعين وجه الله ، ولو على أنفسكم أو والديكم أو أقاربكم ، وإن يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فلا تمتنعوا عن أداء الشهادة محاباة له لغناه ، ولا رحمة به لفقره ، فالله أولى بالنظر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الى حالى الغنى والفقير منكم ، فلا تتبعوا أهواءكم كراهة أن تعدلوا ، وإن تلووا ألسنتكم محاولين إخفاء معالم الحق ، أو تمتنعوا عن تأدية الشهادة فإن الله خبير بما تعملون ، يجازيكم عليه بما أنتم أهله .

وقد بيّن الله تعالى فى آية خاصة بأن مراعاة أصول هذا العدل المطلق تشمل الخلق كافة إلا الذين يقاتلون المسلمين من أجل دينهم ، ويعملون على إخراجهم من ديارهم اضطهادا لهم وعدوانا عليهم، فقال : «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تَوَلَّوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »

فهو فى هذه الآية لا يوصى بمعاملتهم بالعدل المطلق فحسب ، ولكن يوصى أيضا ببرهم والبر هو أوكد الصلات التى تربط الناس بعضهم ببعض ، وتوجد بينهم المحبة الصادقة والعطف ، وينتهى أمرها بالتوحيد بينهم فى الوجهة والغاية . وهذا أقصى ما يرمى اليه الفلاسفة والمصلحون من الأحلام الاجتماعية . وقد أصاب الاسلام هذا المرمى فكانت نتيجة ذلك أن انقلبت الأمم التى كانت تقاتله الى أمم صديقة له ، بل الى أمم مؤمنة به ، فشهد العالم لأول مرة فى تاريخه تطورا لم يحدث له شبيه فى نفسيات الشعوب المتباينة أصولا ولغات وتقاليد ، إذ تحولت كلها الى أمة واحدة مؤلفة أكبر أمبراطورية عالمية تجرى وراء غاية واحدة هى المثل الأعلى لوجودٍ إنسانىّ كريم يحقق خلافة الله فى الأرض . بدليل أن هذا الجثمان الاجتماعى الضخم لم يستخدم قواه الهائلة فى تجريد الأمم من طيباتها ، ولكنه استخدمها فى حمل أعباء العلم والمدنية فنشر لواءهما عاليا فى كل بقعة امتد سلطانه اليها ، فأدى رسالته التى ندبه الله لها على أكمل وجه . وقد شهد أعداؤه له بهذه الميزة ، فلم ينكر عليه واحد منهم أنه كان منقذ العالم من جهالة مطبقة ، وجاهلية متغلبة ، ومن حالة لو لم يتداركها الله به لا ستعصى داؤها وعز عليها الشفاء .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

كل هذا كان بفضل العدل المطلق الذى جعله الحق أساسا لشريعته العامة الخالدة .

فانظر كم كانت تنجو الأمم ، لوعممت تطبيق هذا العدل ، من ثورات أهلية ، ومن كوارث استعمارية ، وكم كانت تقتصد من أموال لا تصرفها اليوم إلا على التسلح خشية أن يبغى بعضها على بعض ؟

إذا أجدت الروية فى هـذا الأمر تبين لك أن الفيلسوف الانجليزى برناردشو لم يغل فى قوله : إن أوروبا لا تتماثل من عللها التى تكاد تودى بها إلا إذا أخذت بأصول الاسلام وعملت بها .

ومن أعجب العجائب أن يتخيل بعض متعصبة الكتاب الأوربيين أن الاسلام قام على ظبى السيوف ، هـذا زعم يكذبه الواقع المحسوس وسنن الوجود نفسها ، فإن كل ما قام على السيوف احتيج فى حفظه الى السيوف ثم آل أمره الى الانهيار ، ولكن الاسلام قام على أساس دعوة إصلاح عامة للأمم كافة ، وقد أثمر الثمرات التى تنتظر منها فأحدث انقلابا عالميا نقل به الانسانية من حال تحجر كانت فيه الى حال حياة وحركة تأدت بها الى ما تأدت اليه من الرقى والحضارة المتوثبة الى أبعد الغايات ، وأكمل النهايات .

ولست أنكر أن السيف قد لعب دورا فى إحداث هذا الانقلاب ، ولكنه لم يكن السبب الرئيسى فيه . وهـذه سنة كل انقلاب إصلاحى فى الأرض حتى بين الأمة الواحدة . فالأمة الانجليزية لم تصل الى ما وصلت اليه من التكمل الاجتماعى والدستورى ، والأمة الفرنسية لم تستطع أن تعلن حقوق الانسان بمجرد الدعوة دون الالجأ الى السيف ، فإذا كانت هـذه حالة الأمة الواحـدة فى الانتقال من حال لحال ، أفتريد أن يحدث الاسـلام انقلابا عالميا عاما دون أن يلجأ فيه الى السيف كأداة من الأدوات الضرورية لإحداثه معاصاة لسنن الوجود ونظامه ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهل يغيب عن أحد أن المسيحية نفسها ـ وهى التى تحرم استخدام السيف ـ لم يستتب لها السلطان الذى وصلت اليه إلا باستخدامه ؟

وإذا ذكرنا أن الانجليز والفرنسيين لجأوا الى السيف فى أدوار من تاريخهم فليس معناه أن هاتين الأمتين كانتا تتناحران تحت دوافع وحشية بحتة ، ولكن معناه أن أشياع التقدم فيهما اضطرت اليه لحماية كلمة الاصلاح من عبث العابثين بها . كذلك المسلمون لم يدفعهم الى الحرب أى غرض غير حماية الدعوة الاسلامية من كيد الكائدين لها ، وقد أمروا أن ينشروها فى مشارق الأرض ومغاربها ، لأنها رسالة عامة الى البشر كافة ، فى حين كانت الأمم فيه أحوج ما تكون اليها . وقد دلت الحوادث على أنها كانت خيرا وبركة على العالم كله ، واتفق أنصارها وخصومها على أنه لولاها لتأدت البشرية الى أسوأ منقلب .

الخلاصة أن الاسلام لم يمد رواق سيادته على الأمم التى تدين به اليوم إلا ببركة العدل المطلق الذى أوصى شيعته بالقيام عليه ، فوجدت تلك الأمم فيه ما تحلم به من حياة اجتماعية لا تشوبها شوائب الجنسيات المتنافرة ، والعصبيات المتناظرة ، والطبقات المتحاقدة ، بله ما آنسته فى أصوله من مطابقة العقل ، ومسايرة الدليل ، وفى آدابه من سمو ليس بعده غاية ، ولا وراءه مذهب ، فألقت بنفسها فى جماعته ، ورأت الخير كل الخير فى مناصرته ، والذود عن بيضته .

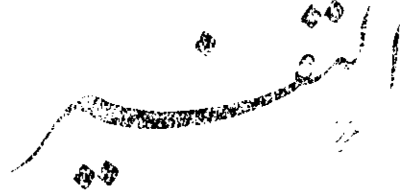
ولا تزال الدعوة الاسلامية باقية ما بقيت السموات والأرض ، ولا يزال ولن يزال الدليل قائما على أن قبولها هو الدواء الشافى لأدواء الأمم ؟ **محمد فريد وجدى**

كلمات بليغة

دخل خالد بن عبد الله القسرى على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة فقال : يا أمير المؤمنين : من تكون الخلافة قد زانته ، فانت قد زنتها ، ومن تكون قد شرفته ، فأنت قد شرفتها كما قال الشاعر :

وإذا الدر زان حسن وجوه　　كان للدر حسن وجهك زينا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com



سورة الرعد

— ٣ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ، وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ، يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَفِى الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِى الْأُكُلِ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) .

تقدم فى الآية السابقة ذكر الدلائل فى العالم العلوى فى قوله عز من قائل : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » . وسبق الكلام فى تفسير ما انطوت عليه من الدلائل الساطعة والبراهين القاطعة ، التى تملأ النفوس يقينا ، والقلوب إيمانا ، بعظم قدرة موجدها ، وباهر حكمة مبدعها ، وأنه على أن يعيد ما بدأ أقدر ، وبأن يتصرف فيكم بالجزاء على عملكم أجدر ، كما نشاهد ذلك فى ختمها بقوله تعالى : « لعلكم بلقاء ربكم توقنون » . فهى تغرس فى النفس اليقين بعظيم قدرته فلا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وجليل حكمته فلا يترك الأمر فوضى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بينهم : يأكل قويهم ضعيفهم ، ويخرج العبد على الحدود المحدودة له بدون أن يلقى على ذلك جزاءه .

وهذه الآية التالية لبيان الدلائل التى اشتمل عليها العالم السفلى ، أى عالمنا هذا الأرضى : ينبهنا على ما حوى من آثار القدرة الباهرة مما عسى أن نمر عليه غافلين فلا نتفكر فيه لطول مشاهدتنا وتكرر وقوع الأنظار . وقد جرت العادة بأن تعنى النفوس بما يفاجئها فتتأمل فيه أكثر من تأملها لما كثرت ملابستها له . يشهد بذلك ما تراه من هلع النفوس وشدة تيقظها عند حصول الحوادث النادرة كالخسوف والكسوف ولو جزئيين ، وغفلتها عما هو أعظم منهما أثرا وأكبر مظهرا مما يحصل دائما متكررا كسلطان الليل والنهار ، وما ذاك إلا لأن كثرة التكرار تهون من أمر التيقظ والانتباه ، ولا كذلك مفاجأة الأمر النادر الوقوع .

والحكمة فى تقديم الدلائل العلوية أنها أول ما تتجه إليها النفوس بالتأمل غالبا ، بما يسطع من ضوئها ، وما يتجلى من سناها وسنائها ، فإن مظاهر العظمة متجلية فيها أيما تجل ، والاعتراف بالقدرة لمبدعها لا تتعاصى عنه نفس مهما ملكها العناد والمكابرة . والمح إن شئت قوله تعالى : « أأنتم أشد خلقا أم السماء » ؟ وختمها بقوله عز وجل : « لعلكم بلقاء ربكم توقنون » لما أن إنكارهم للبعث أو ارتيابهم فيه كان مبنيا على استصعاب إعادة ما فنى وجمع ما بعثر وتفرق ، فكأنه يقال لهم : أى الأمرين أهون : الإيجاد من كم العدم ، أم الإعادة بعد سبق الإيجاد ؟ وأى المخلوقين أشد استنادا الى عظيم القدرة « أأنتم أشد خلقا أم السماء » ؟

ثم إن كل هذا باعتبار مايبدو لعقل العباد ، وإلا فالكل بالقياس الى قدرته جل شأنه فى السهولة واليسر على حد سواء ، فلا يتعاصى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء .

قال تعالى : «وهو الذى مد الأرض» :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قدمنا فى تفسير قوله تعالى : « الله الذى رفع السموات » أن معناه أوجدها مرفوعة لا أنها كانت مخفوضة ورفعها ، وكذلك القول هنا فى قوله تعالى : « وهو الذى مد الأرض » معناه أوجدها ممدودة مبسوطة متسعة الأكناف مترامية الأطراف . وهذا فى باب الامتنان يرشد الى ما فيها من سعة وبسط ، وذلك هو ما يخص المنتفع فى انتفاعه . أما أن شكلها كرى أو غير كرى ، فلا دخل له فى تقرير هذه المنة ، والكلام مسوق لبيان سعة ملكه وعظيم سلطانه ، وأنه خالق لكم ما خلق مما تشهدون بعظمته وأنه لا يكون إلا عن عظيم قدرة منشئه ، وليس مسوقا لشرح ماهيات الأكوان والبحث عن حقائقها وحقائق أشكالها ، فتلك أمور ترجع الى دقائق العلوم والصناعات ، وهى منوطة بالتفكير فى المخلوقات ، واستقصاء ما يمكن من البحوث العقلية .

وقد دعا الله سبحانه وتعالى العقلاء الى البحث والتفكير فى ملكوت السموات والأرض ، وجعل لهم من إيتاء المنافع جاذبا ، ومن شهوات العقول سائقا يستحثهم على الدأب فى التفكير حتى يصلوا الى ما تسعه عقولهم من أسرار هذا الكون وخفاياه ، سواء فى ذلك الأرضى والسماوى ، وسواء فى ذلك ما يحدث بالتجارب العملية ، وما هو ثابت لا يتغير من أشكال أرضية أو أوضاع فلكية . فالشارع يدعوكم الى التفكير ، والفكر يهديكم الى إدراك ما تبغون . وكلما ازددتم تفكيرا وتمحيصا واعتدلتم فى فكركم بلا تطوح ولا جرى وراء الخيال ، وصلتم الى علم ما أردتم ، وانكشف لكم من هذا النظام ما يزيدكم إيمانا ويقينا .

فقوله تعالى : « وهو الذى مد الأرض » أى وسع أرجاءها ، وسلك لكم فيها سبلا ، وبث لكم فيها منافع . وكل ذلك دال على عظمة مبدعها الحكيم ، جل شأنه ، وتعالى جده ، ولا إله غيره : وهذا المعنى لا ينافى أن شكلها العام كرى حيث أثبته دليل المشاهدة أو غيره ، أو حيث يلمح من قوله تعالى : « يكوّر الليل على النهار ويكور النهار على الليل » إذ يظهر منه أن التفاف كل منهما على الآخر وإخفاءه تحته يشبه لف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كور العمامة على كور آخر منها، وهو قريب فى الأجسام الكرية المستديرة. وأيا ما كان فليس المقصود هنا بيان الشكل، وإنما المقصود بيان عظمة ما أبدعه بقدرته، لنأخذ منه قدرته على تحقيق البعث الذى أنكروه، وهو أهون عليه.

قال تعالى: «وجعل فيها رواسى وأنهارا»:

الرواسى: الجبال، جمع راسٍ، أصله صفة من الرسو وهو الاستقرار، يقال رست السفينة أى استقرت بعد حركتها، وفاعل إذا كان اسما أو صفة لما لا يعقل جمع على فواعل. وقد جاء فى آية أخرى: «وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم». وهذا يعطى شيئا من فائدة الجبال، وهو منع الأرض من أن تميد. وعللوا ذلك بأن الأرض قابلة للاضطراب والارتجاج مما يجعل الإقامة على ظهرها مقلقة غير مريحة، فجعلت الجبال فيها لإرسائها ومنعها أن تميد بما حوت من ثقل، وبما ركزت فى محال الله أعلم بحكمتها. ولا يقال إن نسبة الجبال الى الأرض كلا شىء فكيف تثبتها؟ لأنا نقول إن هذا لا يتوقف على ضخامة ولا غيرها، ألا ترى الى حجر بسيط يوضع فى قعر السفينة فيمنعها أن تميد. وإذا رددت هذا الى قانون حفظ التوازن نقول: وهذا أيضا مردود الى قانون علمه مبدعه، سواء أعلمناه أم لم نعلمه، وإذا لم يعلم الآن فلا يبعد أن يعلم فيما بعد. وكم من حقائق علمية انكشفت بعد أن كانت خفية.

وربما يقال: ولم جعلت الأرض بأصل خلقتها مستعدة لأن تميد ثم ثبتت بالجبال، ولم لم تجعل من أول أمرها ثابتة بلا حاجة الى الجبال؟ وهذا مدفوع بأن حكمة المبدع الحكيم اقتضت أن يرتبط أجزاء العالم بعضها ببعض بالتسبب والاستناد، حتى كأنه كتلة واحدة أو جسم يحتاج بعضه الى بعض، زيادة فى كمال الترابط. ألا ترى أنه كان يمكن أن يخلق الانسان جسما كاملا لا يحتاج الى غذاء ولا الى دواء ولا كساء ولا غطاء، ولكنه خلقه بحاجة الى ذلك كله ليتم ارتباطه بالكون الذى هو جزء منه، بل خلق أجزاء الانسان بحيث يحتاج بعضها الى بعض. وانظر الى الحواس والجوارح، وانظر الى العضلات

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والدم والدهن فى الانسان ؛ وانظر الى المعدة وباقى الجسم ؛ وانظر الى المخ والأعصاب وهكذا : تجد كل جزء قائما بعمل فى الجسم الواحد ، فكذلك الانسان مع الكائنات المحيطة به ينتفع بها فى غـذائه ودوائه ، وتنتفع به فى عمرانها وتحليلها وتركيبها . وهكذا يجتمع العالم فى التفاعل مع تباعـده فى الوجود . وهـذا صنع الحكيم العليم .

ومن فوائد الجبال غير هـذا أنها مادة للعيون ، ومنشأ مدد للأنهار ، ولذلك تجد الجبال أكثر ماتذكر مقترنة بالأنهار ، كما فى هذه الآية ، وكما فى قوله تعالى : « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا » فى سورة النحل وفى سورة لقمان ، وكما فى قوله تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون . وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم » الى غير ذلك . وقـد علل ذلك الباحثون بأن مادة ماء العيون السحب ، وأكثر ماتهطل على رءوس الجبال ، فمنها مايسيل فى شعابها فيتخذ من ذلك مجارى وسبلا وأنهارا ، ومنها ما تتشقق لها الجبال فتختزن فيها ثم تسلك فجاجا تحت الأرض حتى تتفجر من ناحية أخرى علمها العليم ، واقتضتها حكمة الحكيم .

وأيضا ترى الجبال بسبب ارتفاعها أبرد جوا من الوهاد ، كما تدل عليه المشاهدة ، فيجتمع على سطحها من الثلوج والأبخرة المنحلة الى الماء ما يسيل منه الأنهار فضلا عن تقطع السحاب على ذراها ، فينحل الى مائيته الأولى ، وبذلك تشهد مناسبة ضم الأنهار الى الجبال .

ولعل من حكمة جعل الجبال فيها وجعل منابع الأنهار ومددها منها ، ماذكره بعض الباحثين من أن المياه النازحة منها تجرف مع انحدارها أجزاء طينية تصطدم فى صخور تلاقيها ، فتذوب وتسير مع الماء بانحداره العظيم ، حتى تصل الى ما شاء الله أن تصل اليه ، فترسب طميا صالحا للانبات مخصبا منميا ، وهذا كله من مظاهر الارتباط بين أجزاء هذا العالم ، فمنه ماعرفناه ، ومنه مالم نعرفه ، والله بكل شيء عليم .

هذا والأنهار جمع نهر ، وهو فى الأصل مجرى الماء العظيم ، وقد يطلق على الماء الجارى نفسه تجوزا ، وقلما يستعمل إلا فى مجرى الماء العذب .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا ونزول الأنهار من الجبال على ما قررنا لا يعارض قوله تعالى: «وأنزلنا من السماء ماء طهورا» ونحوه، لأن المراد من السماء جهة العلو، ولا شك أن الأمطار على ما قررنا هي المادة الأصلية للعيون والأنهار، وهي نازلة من جهة العلو. ونبع بعض العيون من الأرض بدون استمداد من الأنهار، كالعيون المجاورة للبحار لا يمنع ذلك، فلم يكن المراد الحصر.

قال تعالى: «ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين»:

هذا لبيان أثر آخر من آثار القدرة الباهرة، هو كالنتيجة لما قبله من جعل الرواسى والأنهار فيها: ذلك أن الثمرات ما جاءت إلا عن أرض خصبة تغذيها مياه عذبة، وقد عرفت أن الجبال تمد السهول فى الغالب بالمادة الطينية الخصبة، وأن الأنهار ترويها بالمياه العذبة، فيتولد منها الثمرات من كل زوجين اثنين. ومعنى الزوج: الشىء المنضم الى غيره ليكون من ازدواجهما وانضمامهما ثمرة مقصودة منهما. فليس الزوج اسما للاثنين، بل الاثنان زوجان.

فالمعنى جعل فى الأرض من كل أنواع الثمرات، وجعلها بحيث لا يتم الغرض المقصود منها إلا بانضمام زوج منها الى الآخر، حتى يتم التناسل والتساند بينها، ويظهر الارتباط الذى لابد منه فى بقاء نوعها. فالمراد بالزوجين عنصرا التذكير والتأنيث فى الثمرات.

وقد أثبت الباحثون أن النبات محتوعلى عنصرين أحدهما للتذكير والآخر للتأنيث، فالتوالد فيه كالتوالد فى فصائل الحيوانات يحتاج الى زوجين ذكر وأنثى. غاية الأمر أن بعض الأنواع قد تكون زهرته الواحدة بحيث يجتمع فيه الذكر والأنثى، وبعضها يكون فيه التذكير فى زهرة والتأنيث فى أخرى، أو التذكير فى شجرة والتأنيث فى أخرى كما فى النخيل. فقوله تعالى: «زوجين» إشارة الى قانون الارتباط والتماسك الذى بثه الله فى العالم مبنيا على احتياج كل الى كل، والله عليم حكيم.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أما قوله تعالى : « اثنين » بعد قوله : زوجين ، فلتأكيد المراد من كلمة زوجين ، وأنه ليس معنى الزوج فيه اثنين حتى يكون جعل من كل ثمرة أربعة ، بل المراد به الواحد المنضم الى ما يزاوجه . فأصل كل ثمرة اثنان ، كما أن أصل كل مولود من المولودات الأخرى اثنان . وزيادة مِن فى قوله : « من كل الثمرات » لبيان أن قدرة الله تعالى صالحة لإيجاد أنواع من الثمرات غير ما شاهدتم مما لا يدخل تحت الحصر . وها أنت ذا ترى التجدد لا ينقطع فى أنواعها حينا فحينا .

قال تعالى : « يغشى الليل النهار » :

أى يجعل الليل غاشيا للنهار أى ساترا له : وقرئ يغشّى بالتشديد وهو بمعناه ، إلا أنه قد يدل على التكرار ، والأول يدل على أصل الفعل . وهو كما يغشى الليل النهار كذلك يغشى النهار الليل أى يستره به ، إلا أن الستر بالليل أنسب ، فلذا اقتصر عليه ، واكتفى بأن عكسه معلوم منه .

ولا يخفى عليك أن فى تعاقب الليل والنهار على الثمار عونا على إنضاجها وإكمال صلاحها ، فلو جعل النهار والليل عليها سرمدا لما بدا صلاحها ، ولما تم إنضاجها . فتعلق الليل والنهار بهما تعلق المتمم بما يحتاج اليه فى تمامه ، وبذلك يظهر لك حسن الارتباط . ونظم الليل والنهار فى سلك الآيات الأرضية لما ذكر ، ولأن مظهرهما لنا فى عالمنا الأرضى وإن كان المنشأ لهما من العالم السماوى العلوى ، فهما يلابساننا ويحيطان بنا وننتفع بهما ، إذ يبعثنا النهار الى الحركة فى أعمالنا ومصالحنا ، ونسكن فى الليل حتى نسترد قوانا ، فهما لنا من الملابسات التامة .

هذه الآيات الأرضية يمر عليها الناس وهم عنها غافلون ، لا يدرك ما فيها من آثار العظمة إلا المفكرون . فلذا أردفت بقوله تعالى : « إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . وذلك لما سبق لك من أن كثرة تكرار النظر الى الشىء يضعف معنى التأمل فيه ، كما شرحنا ذلك بالمقارنة بين تأثر النفوس بظاهرة الكسوف والخسوف ولو جزئيين ، وعدم

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

اكترائها بدخول الليل أو طلوع النهار. فلا جرم قال هنا: «إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون». وأما العالم العلوى فإنك ترى أن الانسان لا يكاد يتطلع اليه ويملأ نظره فيه حتى يجد من نفسه اعترافا بعظمة مبدعه وباهر قدرته، فينطلق لسانه بالتسبيح والتقديس لأول وهلة، ولا يجد من نفسه فى ذلك مكابرة. فلذا أردفها بقوله فيما سبق: «لعلكم بلقاء ربكم توقنون». والتفكر إطالة النظر وإجالة البصيرة ودوام التأمل حتى يقف المرء على دقائق وأسرار لم تكن بادية له عند النظرة الأولى، وهو الذى يعبر عنه علماء المنطق بعبارة: ترتيب أمور معلومة للتوصل بالنظر فيها الى علم ما لم يكن معلوما.

وقد ذكر بعض المفسرين أن أكثر ما تذكر الآيات الأرضية تردف بالحث على التفكر، وذلك لأن بعض الناس يرد حدوثها الى اتصالها بالحركات الفلكية والأوضاع الكوكبية ويقتصر على ذلك، فإذا تفكر علم أن الأوضاع المذكورة لا يمكن أن تنتج هذا النظام المحكم الذى لا يكون إلا من عليم خبير قادر حكيم، فإن وضع الأفلاك أو الكواكب بالنسبة الى الجسم الواحد، واحد تقريبا، فكيف جعل فى الحيوان جزءا هو عظم فى منتهى الصلابة، وجزءا هو دم أو دهن فى منتهى الرقة، وجعل بينهما أجزاء مختلفة الطبائع من أعصاب وعضلات، وجزءا مغشيا للجميع ممسكا لها ضاما لأجزائها هو الجلد، وجعل الجميع على اختلاف طبائعه يسند بعضه بعضا، ويخدم بعضه بعضا. هل الفكر الصحيح يستريح إلا إذا رد ذلك الى القادر المختار؟

وقد هدى الله تعالى الى باب الرشاد الواضح فى ذلك حيث أردف هذا بالآية التالية، فقال تعالى: «وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون».

وهذه جملة أخرى مستأنفة لذكر نوع من أنواع الأدلة الأرضية، وهى ما يتجدد أمام أنظارنا من حوادث متعاقبة، بعد أن ذكر ما فيها من أمور ثابتة فى الآية السابقة،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فقال تعالى : « وفى الأرض قطع متجاورات » أى بقاع كثيرة مختلفة ، فمن خصب الى جدب ، ومن صالح للزرع دون الشجر وصالح للشجر دون الزرع وصالح لهما معا ، ومن حزن الى سهل ، ومن رخوة الى صلب ، ومن أحجار كريمة الى مواد تافهة ، ومن ومن الخ ، وكلها متجاورات . فمن الذى جعل فيها تلك المفارقات والمباينات : أجاء هذا من الأفلاك والكواكب ، أم جاء من طبيعة صالحة وأخرى فاسدة ؟ فمن الذى جعل هذه صالحة والأخرى فاسدة ، والمادة فى الجميع واحدة ، والعوامل المتسلطة عليها واحدة ؟ أفمع هذا التجاور مع اتحاد المادة الأصلية يجىء كل هذا التباعد ؟ وهب أن ذلك مرجعه الى عوامل تسلطت عليها ، فمن الذى سلط تلك العوامل حتى جاء هذا النظام البديع الذى حارت فيه العقول والألباب ؟ وهل يستقر للفكر قرار وتطمئن النفوس اليه تمام الاطمئنان إلا إذا أسندت ذلك الى مدبر عالم حكيم مريد ؟ سبحانك ما خلقت هذا عبثا ، وليس لغيرك أن يدرك كل الأسرار التى بثثها فى مصنوعاتك ، فضلا عن أن يشاركك فى ملكك ، سبحانك لا إله غيرك ، ولا شريك لك فى ملكك .

وقوله : « متجاورات » أى متلاصقات لم تختلف بها الأقاليم ولم تتباعد بها المناطق . وكما فيها قطع متجاورات اختلفت صفاتها ، تجد فيها قطعا غير متجاورة اتحدت صفاتها . واكتفى بالأول عن الثانى مع فهمه منه لأنه أوضح دلالة . ألا ترى أنك حين ترى زهرة اشتملت أوراقها على ألوان عدة فى ورقة صغيرة دقيقة ، أنطقك ذلك بالتسبيح للحى القيوم ، ودعاك الى الاعتراف بالقدرة أكثر مما إذا رأيت نباتا من نوع واحد فى منطقتين مختلفتين ؟

وقوله : « وجنات من أعناب » بدأ بها من بين ما تثمر الأرض لاحتواء العنب على دقيق الصنع الإلهى : إذ ترى فيه من الاختلاف فى الطعم واللون ، ومن الاحتواء على الثمرة التى قوامها ماء متجمع فى قشرة رقيقة قد يكون شفافا لا يحجب البصر عن إدراك ما فى باطنه ، يتوسطه بذرة يابسة ذات لب هو منشأ النبات ، وغلاف خشبى حمى الماء ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المقصود أن يتصل بذلك الباب ، الى غير ذلك مما فصله علماء النبات ، فيه من ذلك ما ينطق العقل قبل اللسان بالتحميد والتمجيد . ولذلك ورد فى بعض الأخبار القدسية : « أتكفرون بى وأنا خالق العنب » ؟

ثم أردفها بالزرع وهو النبات المقابل للأشجار ، كنبات الحبوب والأبازير ونحوها . وإفراد الزرع مع تنوعه مراعاة الى أن أصله بصيغة المصدر .

ولعل توسيط الزرع بين جنات الأعناب والنخيل لتوجيه النظر الى ما يجرى فى كثير من الجنات من أنها تفصل بالأعناب ويتخللها الزرع يحيط بها النخيل ، كما فى قوله تعالى : « وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا » كأن ذلك حين يجتمع على هذه الصفة تجد فيه من دلائل القدرة الباهرة ما فيه .

وقوله : « ونخيل صنوان وغير صنوان » النخيل معروف ، والصنوان جمع صنو ، وهو الفرع الذى يجمعه وآخر أصل واحد . وأصله بمعنى المثل . ومنه قولهم : العم صنو الأب ، أى مثله فيما ينبغى له من التكريم .

قال تعالى : « يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » :

هذا موضع الاعتبار الواضح فى الدلالة البينة : إذ كانت قطعها متجاورة وأصل مادة زرعها واحد ، وتسقى بماء واحد ، ثم تجىء متفاضلة فيما يؤكل منها : فمنها الحلو ، ومنها الحامض ، ومنها الحريف ، ومنها التافه ، ومنها الرطب ، ومنها اليابس ، ومنها ما يتخذ غذاء ، ومنها ما يتخذ دواء ، ومنها ما لا تحصر آثارها المتباينة ، ولا يحاط بفوائدها العامة ، أو مضارها التى قد تقصد فى بعض الأوقات . والإحاطة بذلك قلما تتفق ولا لعلماء النبات ، فلا تزال التجارب تكشف من غوامضها ما لا يحصى .

ولما كانت هذه الآثار جلية واضحة والاعتراف بها لا يحتاج الى طويل تفكير ، بل يكفى فيه نظرة من عقل البصير ، أردفها بقوله تعالى : « إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » كأنه يشير الى أن من رأى هذا ولم يبادر بالاعتراف بقدرة مبدعه ، ليس جديرا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن يسمى من العقلاء ، فقد أهمل عقله ، وأظهر جهله . وهذا فى الآيات المتجددة فى الثمار والزروع والنخيل والأعناب موقظ للتأمل وحده ، فكل جديد جدير بأن يسترعى النظر ، بخلاف ما فى الآية السابقة من الأمور الثابتة من الجبال والأنهار ، وتغشية الليل النهار ، فان ذلك محتاج الى التأمل والتفكير .

وأظنك تدرك من نفسك أن الثمرات ذكرت فى الآية الأولى من جهة ما فيها من قانون ثابت ، وهو قانون التزاوج المشترك فى جميعها ، وأنه من الخفاء بحيث يحتاج فى الاهتداء اليه الى البحث والتفكير ، فلذا أدرجه فى الآية المختومة بقوله : « إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . وذكرت فى هذه الآية من جهة ما يبدو فيها من الطعوم المختلفة والمراتب المتباينة والآثار المتفاضلة ، وهى لا تحتاج الى تفكير ، فحسن نظمها فى الآية المختومة بقوله تعالى : « إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

نسأل الله تعالى أن يهدى قلوبنا للإيمان واليقين من هذه الجهة ، وأن يشرح صدورنا للتفكير حتى تطمئن الى الايمان به كل الاطمئنان ، والله المستعان . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

ابراهيم الجبالى

مما قيل في الليل

وصف أحد الادباء الليل فقال :

فيه تجم الاذهان ، وتنقطع الاشغال ، ويصح النظر ، وتؤلف الحكمة ، وتدر الخواطر ويتسع القلب . والليل أضوأ فى مذاهب الفكر ، وأخفى لعمل البر ، وأعون على صدقة السر ، وتلاوة الذكر . ومدبرو الامور يختارون الليل على النهار فيما لم تصف فيه الاناة لرياضة التدبير ، وسياسة التقدير ، فى دفع الملم ، وإمضاء المهم ، وإنشاء الكتب ، وتصحيح المعاني ، وتقويم المباني ، وإظهار الحجج ، وإيضاح المنهج ، وإصابة نظم الكلام ، وتقريبه من الافهام .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشـــجاعة

مقدمة فى مكارم الأخلاق :

كتبنا فيما سبق شيئا عن المحبة وأنواعها ، وشيئا عن الرحمة وآثارها . ونريد اليوم أن نكتب لك شيئا عن الشجاعة وفوائدها التى لا يحصيها العد . ولنقدم بين يدى ذلك كلمة إجمالية عن مكارم الأخلاق عموما ، فنقول : مكارم الأخلاق أوساط بين الإفراط والتفريط ، فتى جاوزت نقطة الوسط فقد جاوزت الفضيلة . فالشجاعة مثلا وسط بين الجبن الذى هو تفريط ، والتهورِ الذى هو إفراط . والسخاء وسط بين البخل الذى هو تفريط ، والتبذيرِ الذى هو إفراط . فإياك والزيادة فيما تظنه فضيلة فتقع فى الرذيلة (كلا طرفى كل الأمور ذميم) .

حتى إن القوة الفكرية ، وهى أشرف القوى ومدار الانسانية ، إذا زادت عن حدها ، خرجت بك الى رذيلة الخبث والدهاء ، والمكر والحيلة . وليس الكفر والتهجم على مقام الألوهية واقتحام تلك المخاطر إلا رذيلة من رذائل القوة الفكرية . فرذائلها أقبح الرذائل ، كما أن فضائلها أشرف الفضائل . وهكذا الحال فى الفضائل والرذائل فى القوة الشهوية والقوة الغضبية : على قدر ما ترتفع بفضائلها تنحط برذائلها على نسبة واحدة . فأعظم القوى الثلاث فضائل ورذائل ، هى القوة الفكرية ، ثم القوة الغضبية ، ثم القوة الشهوية .

وكأن نقطة الوسط التى نوهنا عنها هى الصراط المستقيم الذى أمرنا تعالى بطلب الهداية على سبيل الوجوب سبع عشرة مرة فى كل يوم وليلة : « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم » .

ولا بد أن تكون قد سمعت أن الصراط أرق من الشعرة وأحد من السيف . ولعلك كنت تستغرب من ذلك وتصدق به تقليدا من غير أن تفهم له معنى ولا تذوق له سرا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فاعلم أن نقطة الوسط عسرة جدا ، ولا يمكنك أن تقف عندها إلا إذا رزقت المعونة ومنحت التأييد ، فلا يكاد يهتدى إليها ثم يصبر عليها إلا الأنبياء والمرسلون وكل الرجال من ورثتهم « وقليل ماهم » . فما هى أرق من الشعرة وأحد من السيف .

وأحب هناك الآن على عجل أن تصدق معى أن الصراط الأخروى على ما سمعت ، وتعلم أن كل شىء تراه فى الآخرة إنما يمثل ما كان من أحوالك وأعمالك وأوصافك فى الدنيا ، فإن الأرواح متى قوى سلطانها خفيت مقتضيات الأجسام ، فكان الحكم لها هو ما يكون فى الآخرة ، كما أن الأجسام متى قوى سلطانها ظهرت مقتضياتها وخفيت مقتضيات الأرواح كما فى الدنيا . فإذاً سيرك بسرعة أو بطء على ذلك الصراط هنالك يمثل سيرك هنا على صراط الوسط فى كل شىء ، الذى هو أرق من الشعرة وأحد من السيف ، وذاك الصراط يمثل هذا الصراط . ومتى قدرت على أن تسير عليه ها هنا أمكنك أن تسير عليه هناك ، والعكس بالعكس . وعلى قدر ما أنت عليه اليوم يكون حالك غدا ، حتى إذا كنت من المسارعين إلى الخيرات السابقين فى الفضائل والكمالات ، كنت هناك طائرا لا سائرا .

ولنرجع الى ما تصدينا له اليوم من الكلام على الشجاعة فنقول :

الشجاعة ماهى :

الشجاعة : ملكة فى النفوس يورثها الإقدام على الأمور الكبيرة ، والمخاوف الخطيرة ، للحصول على غاية سامية تنبعث من نفس شريفة . أو نقول بعبارة أخرى : الشجاعة هى الإقدام تحت إشراف الحكمة ، للدفاع عما يجب الدفاع عنه : من نفس ، أو دين ، أو وطن ، أو غير ذلك ، وهى فضيلة من أسمى الفضائل . وإن شئت فقل إنها حارسة الفضائل كلها ، وأس السعادة فى الدنيا والآخرة . وليس يخفى عليك مالها من الأثر فى رقى الأمم وتقدم الممالك فى هذه الحياة .

فكل أمة ضربت فيها بسهم وأخذت منها بأوفر نصيب ، أصبحت شامخة المجد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عالية القدر فسيحة الملك، لا يعوزها نشر العمران، ولا يعوقها عائق عن توسيع سلطانها وتوطيد دعائمها. وما من أمة أخلدت الى الجبن وأهملت واجبها وفرطت فى جنب ما تحتاجه من الوسائل القوية والمعدات الضرورية، إلا صارت الى الذل والهوان، وباءت بالخيبة والخسران، لا تستطيع دفع الطامع عنها، ولا تقوى على حفظ كيانها والذود عن حياضها، ولا تلبث إلا ريثما يتم اتفاق الدول القوية على التهامها ومحو صورتها من بين الأمم المستقلة.

كانت الشجاعة من المناقب التى امتاز بها العرب، وفاقوا غيرهم فى الأخذ بناصرها والتمدح بآثارها، والافتخار بمزاياها، والازدهاء بمحاسنها، حتى بلغ من ذلك أن حض عليها الأمراء، وتباهى بها الكبراء والوضعاء فى محاوراتهم وأشعارهم.

قال سيدنا أبو بكر لخالد بن الوليد: «احرص على الموت توهب لك الحياة».

وقال الشاعر:

محرمة أكفال خيلى على القنا ودامية لباتها ونحورها
حرام على أرماحنا طعن مدبر وتندق منها فى الصدور صدورها

ويقول الآخر:

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما

ولهم غير ذلك من الأخبار والشواهد، مما يدل على أنها كانت ألزم لهم من ظلهم، وأثبت عندهم من شخصهم.

ولا غرو فهى الفضيلة التى ليس بعدها فضيلة، والمزية التى ليس وراءها غاية. لذلك كانوا فى جاهليتهم ذوى شمم وحمية، وعزة وأنفة، يأبون الضيم، وينفرون من الذل، فلما سطع نور الاسلام فى بلادهم، وخفقت أعلامه على ديارهم، وأفاض عليهم من العلم والعرفان ما شاء الله أن يفيض، قاموا والشجاعة رائدهم، والاسلام قائدهم، ينشرون دين الله، ويعززون دعوة نبيه، فدانت لهم البلاد، وخضعت لهم أعناق الأكاسرة،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلم يمض عليهم قرن من الزمان حتى استولوا على صولجان الرياسة فى مملكتى الرومان والفرس ، ووطئت أقدامهم غالب آسيا وأفريقية ونحو نصف أوروبا ، وهناك نشروا علومهم التى جاء بها الاسلام ، ومعارفهم التى أتى بها القرءان ، وأصبحوا رؤساء العالم وقادة الأمم ، وأرقاهم مدنية وحضارة .

وهاك تاريخهم المجيد لا يزال ينبئ عما كان لهم من الملك الواسع والسلطان الشامخ بفضل علمهم وشجاعتهم . وقـد شهد لهم جـوستاف لوبون بذلك فى كتابه (حضارة العرب) وغيره من علماء الأوربيين وفلاسفتهم .

الأمة الى الشجاعة أحوج منها الى كثرة العدد ووفرة الأموال ، ذلك أن الأمم فى اعتداء مستمر ، وتغالب دائم ، وتنافس شديد ، كالأشخاص . فإذا لم يكن للأمة قسط وافر من الشجاعة وعامل قوى من الحمية والأنفة ، عرضت نفسها لالتهام الطامعين ، فسقطت فى هوة سحيقة من الذل والاستعباد .

هب أن أمة لم تأخذ من الشجاعة بقسط ، وقد جمعت القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، وكان لديها العدد العديد من أبنائها : أفيغنى ذلك شيئا عند مداهمة خطب مدلهم من جانب الأمم المغيرة والفرسان الفاتحين ؟ !

إن ما جمعته بلا شك يكون داعيا قويا وباعثا شديدا للتوارد على ذلك المنهل العذب الذى لم يقم عليه حارس الشجاعة .

حاجة الامة الى الشجاعة فى داخليتها :

إن الأمة كما تحتاج الى الشجاعة فى رد الغارات ودفع الغوائل ، تحتاج إليها كذلك فى إدارة شئونها واستقامة أمورها واعتدال نظامها وتنفيذ مصالحها . فالحاكم إن كان مقداما على تنفيذ ما يصدره من الأحكام وإقامة الحدود وما يسنه من القوانين ، خضعت الأمة لأوامره ، واطمأنت الى أحكامه ، وسارت معه فى طـريق الوفاق والوئام .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإن آنست منه جبنا أوظنت منه توانيا فى إقامة العدل ونصرة المظلومين وتشجيع العاملين ، ساء رأيها فيه وملئت سخطا عليه ، ففسدت الأحوال وعم الوبال .

الحاجة الى الشجاعة فى نصرة الحق والقيام بالواجب :

ليس يخفى عليك أن العالم لا ينتفع بعلمه ، ولا يستطيع دفع الشبهات والريب عن دينه بإقامة البراهين الساطعة والحجج الدامغة حتى يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ، إلا بالشجاعة والإقدام .

كذلك الطبيب لا يجرؤ على قطع الأعضاء الفاسدة ، وجبر العظام الكسيرة ، وتضميد الجروح الخطيرة ، وإجراء تلك الأعمال الجراحية كلها ، إلا إذا ساعده باعث الشجاعة . وقس على هؤلاء غيرهم ممن لا يقومون بمهنهم ، ولا يسرعون الى عمل ما يناط بهم ، إلا إذا كانت الشجاعة أول خلالهم ، وأجل أخلاقهم وأظهر سجاياهم . وعلى ذلك تكون الشجاعة أقوى الدعائم فى سعادة الأمم ورفعتها وحضارتها ونعيمها كما قلنا . وهو ميدان فسيح لا يأتى عليه البيان ، ولكنه لا يغيب عن الأذهان .

وبعد : فيحسن بنا أن نذكر لك شيئا من شجاعته صلى الله عليه وسلم حتى تقتدى به فتسعد سعادة لا شقاء بعدها : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .

ويكفيك من ذلك أنه قام وحيدا فريدا يدعو الى الله ، وقريش على بكرة أبيها تناوئه بصنوف المناوأة ، بل العالم كله إذ ذاك كان ضد هذه الدعوة ، فلم يفل ذلك من عزمه ولا فتر من همته ، فكان يسفه أحلامهم ، ويسب آلهتهم بكل ما استطاع من قوة . وقد ذهبوا الى عمه أبى طالب مهددين متوعدين ، فقال له عمه : « يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى ، فأبق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق » وليس يخفى عليك أن أبا طالب إذ ذاك كان نصيره الوحيد .

فانظر الى قوله له : فأبق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق ، فليس هناك أبلغ من هذا التهديد والتخويف من رجل لا ثقة له بغيره ، ولا تعويل على أحد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من الخلق سواه . فماذا قال له صلى الله عليه وسلم بعد هذا ؟ قال له : « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

ومما ورد في شجاعته صلى الله عليه وسلم الخارقة للعادة ، ما رواه جابر رضي الله عنه إذ يقول :

« كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل من المشركين وسيف النبي صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة ، فاخترطه فقال له : تخافني ؟ فقال له : لا . قال : من يمنعك مني ؟ قال : الله » رواه البخاري ومسلم . وفي بعض الروايات أن النبي لما قال له ذلك سقط السيف من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم ، فقال له الرجل : كن خير آخذ . فلما عفا عنه رجع الى قومه وهو يقول : جئتكم من عند خير الناس .

ولقد روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس ، وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا على فرس لأبي طلحة والسيف في عنقه وهو يقول : لم تراعوا .

ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم المشهورة الضخمة (وكل مواقفه صلى الله عليه وسلم ضخمة) موقفه يوم حنين :

روى البخاري ومسلم وحكاه القرءان أيضا أن أصحابه ولوا عنه يومئذ مدبرين .

واتفق الشيخان على أنه صلى الله عليه وسلم كان راكبا بغلة . ولفظ مسلم من رواية العباس رضي الله عنه : فلما التقى المسلمون والكفار ، ولى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار . قال العباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ألا تسرع .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولعمر الله إن ذلك لفوق مانعهده من شجاعة البشر ، فإن الإنسان مهما كانت شجاعته لا يقدم بنفسه على الألوف المؤلفة بعد مافر عنه أصحابه ، وخصوصا إذا كان على بغلة بين تلك الخيول المطهمة والفرسان المدربة . وقد كان يقول وهو على ذلك الحال :

أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب .

فكأنه كان يلفتهم اليه وينبههم على مكانه ، فأى شجاع نعرفه من البشر يستطيع ذلك أو قريبا منه ؟ : ولكن لا عجب : فقد امتلأ قلبه ثقة بالله وتوكلا عليه ، عالما أنه اليه يرجع الأمر كله ، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن : « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله » .

هذا ولتعلم أن أفضل أنواع الشجاعة ألا تجبن أمام شهوتك عند ما يشتد توقانها ، ولا أمام غضبك عند ما يحتد سلطانه ويتحكم شيطانه . ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » . رواه الشيخان .

وإنما كان هذا هو الشديد ، لأن جمرة الغضب التى تتقد فى قلبه لم تخرجه على شدتها عن حد اعتداله ووقاره ، بل كان سلطان عقله ودينه أكبر من سلطان شهوته وهواه ، فصارها حتى خمدت كل الخمود ، ولم يظهر عليه شىء من آثارها لأنه ملك زمام نفسه ، فلم تجمح به ، ولم تورطه فى المهلكات .

وقد روى البيهقى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد مر بناس يحملون صخرة ثقيلة يختبرون قوتهم ، فقال : « أتحسبون الشدة فى حمل الحجارة ؟ إنما الشدة أن يمتلىء الرجل غيظا ثم يغلبه » .

وانظر إن شئت الى ما كان منه صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقد كسر المشركون رباعيته وشجوا وجهه الشريف ، فكان يقول : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » .

وهذا شىء لا يكاد يصدقه العقل لو لا أن النبى من طراز آخر غير ما نعرف فى الناس ، فإنه صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت الذى حصلت فيه تلك الحادثة الفظيعة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لم يعف فقط ، بل زاد أن طلب لهم من الله الهداية ، وزاد على ذلك أن بين عذرهم فيما فعلوه ، وهو أنهم جاهلون لا يعلمون مقداره صلى الله عليه وسلم .

وروى البخارى ومسلم والبيهقى فى الأدب وأبو داود والقاضى عياض فى الشفاء واللفظ له ، عن أنس رضى الله عنه قال : « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية ، فجبذه أعرابى بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه ، ثم قال يا محمد : احمل لى على بعيرىَّ هذين من مال الله الذى عندك فإنك لا تحمل لى من مالك ولا من مال أبيك . فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : المال مال الله وأنا عبده . ثم قال : ويقاد منك يا أعرابى بمثل ما فعلت بى ؟ قال : لا . قال : لم ؟ قال : لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر . وهو فى هذه الحادثة أيضا لم يعف عن هذا الجاهل فقط ، بل حمل له بعيريه كما طلب . فكان فى ذلك ممتثلا قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » . وكم له من مثل ذلك صلى الله عليه وسلم .

وقد قالت السيدة عائشة فى بيان خلقه : « كان خلقه القرءان » ثم قرأت قوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون » . الى آخر ما لا يمكننا تفصيله فى هذه الكلمة المجملة .

أسأل الله أن يرزقنا اتباعه ، والاقتداء به ، صلى الله عليه وسلم ، بمنه وكرمه .

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

باب الأسئلة والفتاوى

من هو الذبيح

ورد الى المجلة هذا السؤال :

أرجو الإفادة عمن هو الذبيح من ولدى سيدنا ابراهيم الخليل : أهو إسماعيل أم اسحاق ؟

محمد يوسف محمد
دير البنات — مصر

الجواب

المشهور عند كثير من المحققين والمفسرين ، كالإمام الألوسي في تفسيره ، اختيار أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام ، وذلك بشهادة الظاهر من نصوص آيات قرءانية وأحاديث نبوية ونصوص من التوراة .

أما الآيات القرءانية فمنها قوله تعالى : « وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين » . وجه الاستدلال بهذه الآية أن إسماعيل وصف بأنه من الصابرين ، وقد حكى الله تعالى عن الذبيح الوعد بالصبر في قوله تعالى : « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين » . فكان الظاهر أن الذبيح هو اسماعيل . ومنها قوله تعالى : « فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » . بيان ذلك أن بشارتها بمولود هو إسحاق يكون له ولد هو يعقوب يبعد أن الذبيح هو إسحاق ، إذ البشرى بولد الولد فرع طول حياة الولد ، فلا يناسب الأمر بذبحه .

وأما الأحاديث فمنها قوله صلى الله عليه وسلم : « أنا ابن الذبيحين » . بيانه أنه صلى الله عليه وسلم معلوم أنه من نسل إسماعيل لا إسحاق كما هو معروف في سلسلة نسبه . ومنها أن أعرابيا قال له صلى الله عليه وسلم : يا ابن الذبيحين . فتبسم ولم ينكر عليه ذلك ، وإقراره

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

دليل على أن الذبيح إسماعيل . وأما التوراة ففيها أن الله تعالى امتحن ابراهيم فقال له : يا إبراهيم . فقال : لبيك ، فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه واحمله الى بلد العبادة ثم اجعله قربانا على أحد الجبال . وفى بعض روايات التوراة : بكرك الخ . بيانه أن الوحيد الذى يحبه والبكر هو إسماعيل كما تؤيده بقية نصوص التوراة ، إذ فيها أنه ولد له إسماعيل وهو ابن ست وثمانين سنة وولد له إسحاق وهو ابن مائة . فظهر من هذه الأدلة أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام . وقد روى هذا القول عن كثير من الصحابة كعلى وابن عباس وأبى هريرة والتابعين كابن المسيب ، وتابعى التابعين كاحمد بن حنبل ، رضى الله عنه .

محمد السيد أبو شوشه المالكى ـ عبد الله موسى المالكى
بكلية الشريعة الاسلامية



قضاء رمضان والنذر — الحلف كذبا للتخلص من الضرر

مصرف الصدقة

وورد ايضا :

١ — ما قولكم فيمن أفطر أياما من رمضان لعذر شرعى وقد نذر أن يصوم ستة أيام من شوال وأراد صيام ما ذكر بعد الإفطار : هل المطلوب أولاً صيام القضاء أو النذر ، مع العلم بأن وقتهما واسع لقضاء رمضان السنة كلها ، والستة الأيام سائر الشهر على ما هو مشهور ؟

٢ — ما قولكم فيمن يبيع الحشيشة والأفيون أو يتعاطاهما ، وقد أخبر أحد ضباط الحكومة فدخل عليه ليفتش منزله ويضبط ما عنده ، ثم أبدل هذا بأن حلّفه يمينا بالله أو طلاقا ثلاثا على أن لا يبيع ما ذكر ولا يتعاطاه : فهل إذا حلف ليدفع عن نفسه الحبس وغرامة المال لا يلزمه يمين لكونه مكرها قياسا على من أكره على الحلف على فعل طاعة أو على أن لا يشرب الخمر إذا عاد لما ذكر ، أو تلزمه اليمين ولا يعد إكراها فيحنث ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٣ — ما قولكم فيمن أراد أن يكفر عن يمين حنث فيها أو عن ظهار أو غيرها : هل يجوز له أن يعطى شخصا فقيرا معه ثمانية أولاد صغار فقراء يمونهم وهو وزوجه تمام العشرة كفارة يمينه ، أم لا يجوز إلا إعطاؤه هو فقط ، لأن نفقة ما ذكر واجبة عليه فهم أغنياء به ؟

محمد حسن رزق ناصر
من جزيرة شندويل

الجواب

١ — قضاء رمضان والنذر :

يصح للشخص أن يقدم أى الصيامين فى الفعل ، ولا يجب عليه تقديم واحد منهما بعينه .

نعم : الأفضل تقديم صيام النذر وتأخير قضاء رمضان لضيق وقت نذر ستة أيام من شوال بالنسبة لوقت رمضان ، إذ وقت الأول شوال ، ووقت الثانى الى شعبان ، والمضيق ولو بالإضافة الى غيره أولى بالتقديم . ويؤيد ذلك ما جاء فى نصوص المذهب : فقد قال خليل : وندب بدء بكتمتع . أى يندب تقديم صوم مثل تمتع على قضاء رمضان . ومعلوم أن صيام التمتع يتأخر أداء أكثره بعد رجوع الحاج الى بلده ، وقد يتأخر رجوع الحاج الى بلده شهرا أو أزيد ، قال تعالى : « فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم » .

٢ — الحلف الكذب للتخلص من الضرر :

إذا أكره على يمين فى طاعة إثباتا كليصلين الظهر فى وقته ، أو نفيا كلا يشرب خمرا أو لايغش المسلمين أو لا يتعاطى أفيونا أو حشيشا أو لا يبيعهما ، وقد فعل ما حلف على تركه ، أو ترك ما حلف على فعله ، فالنصوص فى مذهب المالكية قولان : قول بالحنث قياسا على الهازل ، ولأنه لايعدم أكثر من الرضا . وقد رد بأنه قياس مع الفارق : إذ الهازل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا يعدم الرضا بخلاف المكره . وقول بعدم الحنث وهو الظاهر لما يأتى من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث مسلم : « لا طلاق فى إغلاق » أى إكراه . أى طلاقه لغو لا تأثير له فى الحنث لأنه مذعور وهو لا يعتد بقوله ؛ ولقوله عليه السلام : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

٣ — مصرف الصدقة :

يجوز لمن يكفر عن يمينه أو عن ظهاره أو غيرهما أن يعطى هؤلاء الفقراء ووالدهم وأمهم من الكفارة أيا كان نوعها ، لأن المنصوص فى المذهب أنه يشترط فى الفقير الذى يعطى من الكفارة عدم وجود منفق ملىء ، وذلك يصدق بألا يكون له منفق أصلا ، أو له منفق فقير . إذا علم هذا يعلم جواز إعطاء المكفر هؤلاء الفقراء الذين يمونهم والدهم الفقير من الكفارة .

محمد السيد أبو شوشه المالكى — عبد الله موسى المالكى
بكلية الشريعة الاسلامية

البوظة

وورد ما ملخصه :

ما حكم البوظة : هل هى مسكرة فيحرم شرب قليلها وكثيرها ؟

عطية محمد عوض الله
الخادمة — قنا

الجواب

المنصوص فى مذهب المالكية أن عصير الشعير والحنطة إذا ترك زمنا حتى اشتدت حموضته اشتدادا يوجب لمتعاطيه نشوة وطربا ، فهو نجس يحرم تعاطى القليل منه والكثير لأنه خمر وإن لم يكن من عصير العنب . ويؤيد ذلك ما جاء فى صحيح البخارى فى كتاب الأشربة فى باب ما جاء فى أن الخمر ما خامر العقل ، قال حدثنى أحمد بن أبى رجاء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حدثنا يحيى عن أبي حيان التيمى عن الشعبي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : خطب عمر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قد نزل تحريم الخمر وهى من خمسة أشياء : العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل ؟

محمد السيد أبو شوشه المالكى ـ عبد الله موسى المالكى
بكلية الشريعة الاسلامية

مخازن الغلات

وورد أيضا :

ما تقولون حفظكم الله فى المخازن التى تمدها البنوك فى البلاد لوضع الأقطان فيها والحبوب على أن يضع صاحب الزرع زرعه فيها حتى ترتفع الأسعار ، ويأخذ عند وضع الزرع مقدارا من النقود ، وعند ما يبيع زرعه رد المبلغ الذى أخذه ، ويرد مع كل مائة قرش صاغ أربعة قروش صاغ زائدة على المبلغ المأخوذ ، وكل ذلك غير أجرة الأرضية والخفراء ؟

محمد متولى خليل
إمام وخطيب بمسجد جمجرة الجديدة — قليوبية

الجواب

مذهب الحنفية أن القرض ما تعطيه من مثلى لتتقاضاه . واستيفاؤه بأخذ مثل ما أخذ المستقرض . واشتراط الزيادة على ما أخذ باطل فيلغو الشرط ، ويجب الأصل فقط . ومنه يعلم حكم ما جاء فى الاستفتاء الرافق ، وهو أنه لا تجب الأربعة الزائدة على المائة ، لأنها فضل خال عن عوض يقابله ولم تكن فى نظير عمل ، فيلغو اشتراط دفعها ويحرم على المعطى أخذها ، فإن أخذها لا يملكها وعليه ردها ، والله أعلم .

عبد الحفيظ الدفتار الحنفى ـ حسين البيومى الحنفى
بكلية الشريعة الاسلامية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بيع الشجر

وورد :

هل يجوز بيع أشجار اللبان والمر والصمغ بأنواعه التي توجد بكثرة في بلاد الصومال ؟

لفيف من أعضاء
نادي الاصلاح الاسلامي العربي
في التواهي — عدن

الجواب

الشجر إن كان في أرض مملوكة لشخص يجوز بيعه وبيع ثمره، وكذا أرضه. وأما الأشجار الموجودة في الجبال فليست مملوكة لأحد، وثمارها وصمغها مباحة، وهي لمن سبقت يده إليها، كالكلأ والماء والنار. ونفس الأشجار لا يصح الاستيلاء عليها لأنها من المنافع العامة كالطريق والبحار والأنهار.

قنديل قنديل — عبد السلام شرف
بكلية الشريعة الاسلامية

الابراء مما في الذمة

وورد أيضا :

ما قولكم في رجل سرق حلي زوجته للتخلص منها وقال لها : لا أعطيك هذا المصاغ إلا بعد البراءة مما في ذمتي من معجل الصداق ومؤخره وما يترتب على ذلك، وعلى ذلك أبرأته مضطرة للحصول على حليها : فهل هذه البراءة تسقط مما في ذمته لها، أم لها الحق في مطالبته ؟

غزالي محمد عز الدين
أبو حماد — بحطيط

الجواب

مذهب الحنفية أن كل من له دين على آخر سواء كان حالا أو مؤجلا، وكان أهلا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للتصرف ، يصح إبراؤه إياه من دينه ، و حينئذ يسقط الدين وتبطل المطالبة به ، لا فرق فى ذلك بين أن يكون الإبراء عن اضطرار وعدمه « مع قبول المبرء »

ومنه يعلم حكم ما جاء فى الاستفتاء الرافق « رجل سرق حلى زوجته للتخلص منها وقال لها لا أعطيك هذا المصاغ إلا بعد البراءة مما فى ذمتى من معجل الصداق ومؤخره وما يترتب على ذلك وعلى ذلك أبرأته مضطرة للحصول على حليها » وهو أن الإبراء صحيح ويستدل حتما فى المطالبة بمعجل الصداق ومؤخره . والله أعلم .

عبد الحفيظ المختار الحنفى — حسين البيومى الحنفى
بكلية الشريعة الاسلامية

حكم صلاة الجمعة قبل الزوال

وورد أيضا :

ما قولكم دام فضلكم فى إمام مسجد أدى صلاة الجمعة بعد صلاة العيد صباحا قبل الزوال ، فحينما انتهى من صلاة العيد أمر بالأذان وخطب خطبة الجمعة وصلاها ، زعما منه أنه خشى من أهل قريته ترك صلاة الجمعة فى هذا اليوم بالنسبة لاشتغالهم باللهو واللعب : فما الحكم فى ذلك شرعا على المذاهب الأربعة حكما شاملا ومفصلا ، لأنه ربما يكون مطلعا على حكم فى مذهب خلاف مذهب الإمام مالك ، لأنى أعلم أنه فى مذهب الإمام مالك لا يجوز إلا بعد الزوال ، وكذا لا يوجد فى هذا المذهب فى صلاة جمع التقديم مثل ذلك ؟ هذا جد علمنا . والله أعلم .

على حسين حمودى لوفيه
عمدة قوه بانية بمحطة معمل القزاز

الجواب

نعم هناك مذهب آخر معتبر ، وهو مذهب الامام أحمد بن حنبل ، يقول بجواز صلاة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الجمعة قبل الزوال مطلقا، أي سواء أكان اليوم يوم عيد أم لا، وسواء أكان هناك ضرورة أم لا.

وتفصيل القول في ذلك أن مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وجماهير العلماء من الصحابة والتابعين أنه لاتجوز صلاة الجمعة إلا بعد الزوال، فمن صلاها قبله بطلت جمعته. ومذهب الإمام أحمد وإسحاق أن أول وقت صلاة الجمعة هو أول وقت صلاة العيد، بمعنى أنه يصح فعلها من أول وقت حل النافلة حينما ترتفع الشمس قدر رمح عن الأفق في نظر العين ولو لم يكن اليوم يوم عيد، ولكن الأفضل فعلها بعد الزوال خروجا من الخلاف. فإن كان اليوم يوم عيد فهناك مذهب ثالث، وهو جواز الترخص بترك الجمعة بتاتا اكتفاء بالعيد، وهذا المذهب لعطاء وجماعة.

الأدلة:

استدل الجمهور بما في البخاري عن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة حين تميل الشمس؛ وبما أخرجه مسلم عن سلمة بن الأكوع: كنا نجمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس؛ وبما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما بعث مصعب بن عمير الى المدينة (قبل الهجرة) قال له: إذا مالت الشمس فصل بالناس الجمعة. وقد جرى العمل على ذلك منذ السلف، حتى قال ابن العربي: الإجماع على أنها لاتجب حتى تزول الشمس إلا مانقل عن أحمد.

واستدل الامام أحمد بما روى عن عبد الله بن سيدان السلمي: شهدت الجمعة مع أبي بكر فكانت خطبته وصلاته قبل نصف النهار؛ ثم شهدتها مع عمر فكانت خطبته وصلاته الى أن أقول: قد انتصف النهار؛ ثم شهدتها مع عثمان فكانت خطبته وصلاته الى أن أقول: قد زال النهار، فما رأيت أحدا عاب ذلك ولا أنكره اه رواه الدارقطني وأحمد واحتج به. واحتج أيضا بما أخرج ابن أبي شيبة من طريق عبد الله بن سلمة قال: صلى بنا عبد الله بن مسعود الجمعة ضحى وقال: خشيت عليكم الحر. ومن طريق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

سعيد ابن سويد قال : صلى بنا معاوية الجمعة ضحى . وكذلك روى عن جابر وسعد ابن أبي وقاص وسعيد بن زيد ولم ينكر عليهم أحد فكان كالإجماع .

واستدل عطاء ومن معه بما أخرج النسائي عن وهب بن كيسان قال : اجتمع عيدان على عهد ابن الزبير ، فأخر الخروج حتى تعالى النهار ، ثم خرج فخطب ، ثم نزل فصلى ولم يصل للناس يوم الجمعة . فذكرت ذلك لابن عباس فقال : أصاب السنة .

وروى أبو داود عن عطاء : اجتمع يوم الجمعة ويوم الفطر على عهد ابن الزبير فقال : عيدان اجتمعا في يوم واحد ، فجمعهما جميعا فصلاهما ركعتين بكرة لم يزد عليهما حتى صلى العصر . وهذان الحديثان رجالهما رجال الصحيح .

وأخرج النسائي وأحمد والحاكم وأبو داود وابن ماجة عن زيد بن أرقم رضي الله عنه وسأله معاوية : هل شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيدين اجتمعا ؟ قال : نعم صلى العيد أول النهار ثم رخص في الجمعة فقال : من شاء أن يجمع فليجمع . وفي إسناده إياس بن أبي رملة وهو مجهول .

وروى أبو داود وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : قد اجتمع في يومكم هذا عيدان فمن شاء أجزأه من الجمعة وإنا مجمعون . وفي إسناده بقية بن الوليد وفيه مقال ، ولكن صحح أحمد والدرقطني إرساله .

مناقشة الأدلة :

أما ما استدل به الجمهور فنوقش بأنه لا يدل على مدعاهم وبطلان ما ذهب إليه الامام أحمد ، إذ الحديث الأول والثاني لا يدلان إلا على وقوع فعلها بعد الزوال ولا تعرض فيهما لعدم جوازها قبل الزوال . وأما حديث مصعب بن عمير فدلالته على ذلك موقوفة على ثبوت مفهوم المخالفة وهو غير مسلم به ، بل الحق عدمه كما حقق في الأصول ؛ وقد قال تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح » السورة ، ولم يقل أحد إن التسبيح غير مأمور به

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قبل ذلك . وأما قول ابن العربي : الإجماع على أنها لا تجب قبل الزوال ، فلا يخفى ما فيه ، إذ كيف يكون هناك إجماع ويخفى على أحمد ذلك الامام الجليل ، لأنه لو علم أن هناك إجماعا لما وسعه مخالفته . وقد علمت أنه قال بمثل قول أحمد إسحاق بن راهويه ومكانته لا تخفى . وقد نقل أيضا عن بعض الصحابة كما سبق .

ونوقش ما استدل به الامام أحمد : فقد قال البخارى : إن ابن سيدان لا يتابع على حديثه وقال فى الميزان : ابن سيدان مجهول لا حجية فى حديثه . نعم إن صح ما نقل عن ابن مسعود ومعاوية وجابر وسعد وسعيد كان كافيا فى إثبات ما ذهب اليه الامام أحمد ، ولكن قال القاضى : إن ما روى من هذا لم يصح منه شيء إلا ما عليه الجمهور .

وبالجملة فهذه المسألة اجتهادية ظنية فيها مجال واسع للبحث والنظر والترجيح ، ودين الاسلام دين يسر لا عسر فيه ، وليس اختلاف الأئمة إلا رحمة بالأمة وتوسعة على عباد الله حتى لا يقعوا فى الحرج بالتزام رأى واحد . وقد نص علماء الأصول على أنه يجوز لغير المجتهد أن يقلد أى إمام فى أى مسألة متى توفرت الشروط . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه بعد غزوة الخندق : لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة ، فأدركت صلاة العصر اثنين من الصحابة فى الطريق فقال أحدهما : إن المراد الأمر بالاسراع ، وحمل الثانى النهى على ظاهره فلم يصل إلا فى بنى قريظة . فلما أخبرا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لم يعب واحدا منهما . وقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما يفعله بأسرى بدر فأشار عمر بالشدة وأشار أبو بكر باللين ، فمدح النبي صلى الله عليه وسلم كلا منهما ، وشبه عمر بنوح عليه السلام حيث قال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا » . وشبه أبا بكر بإبراهيم عليه السلام حيث قال : « فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم » . والله أعلم .

محمد عبد الله يوسف
مدرس بكلية الشريعة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الزكاة

لا زكاة على من لم يملك نصابا ، ولا زكاة على مالك النصاب فيما لا يملك

وجاءنا هذا السؤال :

ما قولكم دام فضلكم في رجل استقرض مالا من إنسان وتاجر فيه ، وفي آخر الحول لم يتحصل غير ما صرفه على نفسه وعياله ورأس المال : فهل تجب عليه زكاة رأس المال والحال أن رأس المال للغير لا له ؟

وفيما إذا كان لديه رأس مال مائة جنيه واستقرض مائتين عليها ، وفي آخر الحول قوّم تجارته فوجدها ثلاثمائة : فهل تجب عليه زكاة الذي له ، أو الذي له والذي عليه ؟

عبد القادر رضوان



الجواب

أما في الصورة الأولى فلا زكاة عليه أصلا ، لأنه لا يملك شيئا ، ولا زكاة على شخص ما لم يملك نصابا .

وأما في الصورة الثانية فتجب عليه زكاة مائة جنيه فقط ، لأن هذا هو القدر الذي يملكه ، وأما المائتان فقد اقترضهما من الغير فلا زكاة عليه فيهما لأنه لا يملكهما ، ولا زكاة على شخص فيما لا يملك . والله أعلم ؟

محمد عبد الله يوسف
مدرس بكلية الشريعة

وجوب مصاحبة الاخيار

أحسن ما قيل في وجوب مصاحبة الاخيار ومقاطعة الأشرار :

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى فلسفة الاخلاق

صلة الأخلاق بالنفس الناطقة — أثرها فى المجتمع الانسانى العام

ليس بين ما يفتقر اليه الانسان فى توثيق صلاته بالخالق أولاً ثم بالمخلوق ثانيا، وفى تعرف طرفى الوجود وتلمس أعلى مراتبه مقرونا بمظهره الصادق جهد الطاقة، وفى بلوغه منازل المخلصين الداعين الى الله والدالين به عليه، ماله أوثق اتصال بالنفوس من صناعة الأخلاق. والأخلاق كما يقول علماء النفس: حلقة الاتصال بين الانسان ووجوده فى كل صورة من صور حياته. ولم تكن تلك الصناعة منذ عهد الخليقة بالتكاليف، ومنذ تناجت العقول بالحقائق، إلا حفاظا وثيقا للنفوس أن تعصف بها أعاصير الشهوات، وحجابا صفيقا للغرائز الطبيعية أن تستغويها أعراض المرئيات، بما يلابسها من غاشيات الطبيعة. والأخلاق فى كل ما تصدر عنه تستمد وجودها وقوتها من العادة أولا، ثم من المزاج ثانيا، ثم من ترويض النفوس وتدريبها على سلوك الطريق السوى ثالثا.

وعلى مقدار مسايرة الأخلاق للعادات والأمزجة ووسائل التهذيب، تكون قيمة الأفعال الصادرة عن الانسان. ووسائل التهذيب هى المناط فى واقع أمرها لإسعاد النفوس وتركيز الأخلاق الفاضلة. أما الأمزجة والعادات التى تصدر عنها الأفعال فى إحدى حالتيها فهى خاضعة لناموس بقاء الأصلح، وهذا الناموس قد ثبت أنه ساد الأنظمة الوضعية جميعا، لكن ليس على طريقة أصحاب مذهب النشوء والارتقاء، بل على معنى أن العقول والنفوس الناطقة مضطرة لأن تأخذ بالأجدى عليها من صور الحياة. وهذا مصداق قوله سبحانه عز من قائل: «فأمّا الزَّبَد فيذهب جُفَاءً وأما ماينفع النّاسَ فيمكث فى الأرض».

قد تواضع علماء الأخلاق، وخاصة المتقدمين منهم، على أن النفس الناطقة من حيث ما يصدر عنها من الأفعال مردها الى قوى ثلاث.

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فأولى هذه القوى هي التي يكون بها النظر في النتائج مرتبطة بمقدماتها من حيث صحتها وفسادها، واستخراج المجهولات من المعلومات .

(وثانيتها) القوة التي تصدر عنها الثورة الغضبية أو الحمية والنجدة، والكلف بالظفر والغلبة، والاحتياط بصنوف الكرامة للأسر والعشائر والجماعات والأفراد، والإمعان بكل الوسائل الممكنة في حب التسلط والقهر والإذعان لشهوة الانتقام .

(وثالثتها) القوة التي بها إثارة الشهوة في صنوفها المتنوعة في المآكل والمشارب وما اليها من ألوان استمتاع الجوارح . ويجب أن تبقى هذه القوى الثلاث متكافئة لتبقى متعادلة، وإلا لزم عن عدم تكافئها طغيان بعضها على بعض . على أن جمهرة من علماء النفس عقبوا على تلك النظرية الأخيرة بما يتفق وقاعدة (تنازع البقاء) حتى في الأمور المعنوية مما سنوفيه قسطا من البحث غير قليل في سوانح أخرى .

ومما لا سبيل الى إنكاره أن لقوام الأخلاق وملاكها في مجموعها قوى ثلاثا ، هذه القوى في حقيقتها نسبية، فتكون مقولة بالتشكيك قوة وضعفا وقلة وكثرة بالقياس الى ما ترجع اليه هذه القوى الثلاث من المزاج والعادة والتهذيب، على ما ذهب اليه الكثير من علماء النفس الأقدمين .

هذه القوة ذات آلات ثلاث يختلف بعضها عن بعض اختلافا قويا نظرا لما يترتب على كل واحدة منها من الآثار ، فمثلا نرى الدماغ والقلب والكبد في مجموعها الآلية أدوات مباشرة لتلك القوى الثلاث التي هي عماد الأخلاق وملاكها وعدتها وذخرها .

فالقوة الغضبية أو السبعية لها من البدن جند يطيعها ويستجيب دعاءها، وهي الجوارح. وللقوة الناطقة أداة تعينها على تحقيق مرادها، ويعبرون عنها بالقوة الملكية، تلك الأداة من الجسم هي الدماغ. كذلك للقوة الشهوية أو البهيمية آلة تدير شئونها وهي الكبد .

وغني عن البيان أن عدد الفضائل ينبغي أن يكون بحسب إعداد هذه القوى وتأثرها بها . فمتى كانت حركة النفس الناطقة في سيرها معتدلة رشيدة شيقة الى تعرف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

النظريات الصحيحة من أشكالها المنتجة ترود الأمور بوسائلها وتأخذ الأشياء بأسبابها ، نشأت عنها فضيلة العلم ، وتلزمها أيضا فضيلة الحكمة . ومتى كانت حركة النفس الشهوية معتدلة فى سيرها منقادة الى تدابير النفس العاقلة غير متعاصية عليها ولا ممعنة فى الإصغاء الى هواها ، نشأت عنها فضيلة العفة ، وتلزمها فضيلة السخاء .

وإذا كانت حركة النفس السبعية معتدلة مستقيمة لداعية النفس العاقلة ، فلا تتبرم ولا تتسخط ، ولا تشكو ولا تهيج فى غير حينها ، ولا تحمى أكثر مما ينبغى لها ، نشأت عنها فضيلة الحلم ، وتلزمها أيضا فضيلة الشجاعة . ولهذه الفضائل الثلاث اللازمة عن تلك الفضائل التى نشأت عن القوى الثلاث فضيلة هى فضلى الفضائل ، ومرمى كل نابل ، وهى المثل الأعلى للإنسان الكامل ، وأعنى بها فضيلة العدالة ـ لذلك لم يَبدُ عجبا أن يُطبق الحكماء على أن الفضائل أربع ، وهى الأجناس العالية لما عداها من الفضائل . وقد أكثر الأخلاقيون من الاشادة بخصائص هذه الأجناس الأربعة وما ينطوى تحتها من الأنواع ، ثم بسطوا ألسنتهم بحثا واستقصاء فى تعرف أنواع هذه الأجناس وامتدادها ، وأمراض النفوس وعلاجاتها ، حتى قال صاحب كتاب (الذريعة فى مكارم الشريعة) : إن النفس إذا استعصى عليها أن تجمع بين هذه الفضائل كان خليقا بصاحبها أن يكون كالشجرة الجرداء تعترض الناس فى غدواتهم وروحاتهم ، فلا هم يستمرءون ثمارها ، ولا هم يتفيئون وارف ظلها . وفى الحق أن تلك الأجناس العالية هى مميزات الانسان الكامل كما هو حال الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ثم من بعدهم خلفاؤهم من العلماء المخلصين والهداة المرشدين . ولعل هذا مصداق قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : « تخلقوا بأخلاق الله » . فمن التخلق بأخلاق الله العمل بمحاب الله ومراضيه فى الحياتين العاجلة والآجلة .

ومن هذه الناحية قالوا فى تعريف الحكمة : إنها فضيلة النفس الناطقة المميزة ، وهى أن تعلم الموجودات كلها من حيث هى موجودة ، وأن تعلم الأمور اللاهوتية والناسوتية ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأن تميز بها بعض المعقولات عن البعض الآخر : أيها يجب أن يفعل ، وأيها يجب أن يهمل . كذلك قالوا في تعريف العفة إنها فضيلة في الحس الشهواني . وأظهر مظاهر هذه الفضيلة في الانسان أن يستطيع بها الفل من غرب شهوته ، أو أن يصرفها على الأقل تصريفا مقترنا بالرأي الذي يصيب غالبا حتى يكون طليقا من أسر الشهوات غير متعبد لسلطانها ، وإلا كان كما قال قائلهم :

رب مستور سبته شهوته   قد عرى من ستره وانهتكا
صاحب الشهوة عبد فإذا   ملك الشهوة أضحى ملكا

وإذاً فيكون الحد الناقص للشجاعة أنها فضيلة النفس السبعية . وأظهر مظاهرها في الانسان أيضا انقيادها للنفس الناطقة ، على معنى أن تلقي تلك الفضيلة في نفسه حسن تصريف الأمور في عزم وحزم ، وأن يستبسل في جسام الخطوب في الليالي الحوالك في رأي يكون أقرب الى الصواب منه الى الخطأ ، مع البصر بحسن العاقبة وخير المنقلب ، وإذا تكون العدالة مجتمعة الى تلك الفضائل رابعة الأربع .

الخلق :

خير الحدود وأحسنها ضبطا وأدناها استقصاء : أن حال النفس داعية لها الى أفعالها من غير فكر ولا روية . وهذه الحال تشتمل ثلاثة أقسام ، خلافا لما ذهب اليه صاحب التهذيب (الامام احمد بن مسكويه) .

(أولها) ما هو طبيعي راجع الى الحالة التكوينية المزاج العصبي ، كالانسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ، ويهيجه أقل سبب . وكالانسان الذي يتأثر من أيسر شيء ، كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه ، وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من أدنى شيء يعجبه ، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يبدوله .

و (ثانيها) ما يكون مستفادا بالعادة والتدريب ، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(وثالثها) ما يكون بتلقين الملقن وإرشاد المرشد عن تبصر وحسن روية . وهذا هو المدد الأكبر فى رأى جمهرة الأخلاقيين ، لأن إصلاح النفوس وتقويمها فى حاجة أبدا الى الإرشاد ، حتى تبقى وظيفة الكتب السماوية جليلة الأثر جمة العبر ، وحتى تظل المواعظ الحسنة والحكم البالغة باقية على وجه الزمن .

أما اختلاف الأقدمين فى تعريف الخلق ، وذهاب طائفة من أهل التصوف الى بعض الآراء التى تفردوا بها ، والمقارنة بينها وبين الآراء الحديثة والتعقيب على الضعيف منها ، فموعدنا بتبيان كل ذلك والكشف عنه العدد التالى ، إن شاء الله ؟

عباس طه



التلطف فى الإلحاح

دخل دعبل على أمير فقال :

أصلح الله الأمير ! إنى لا أقول كما قال صاحب معن :

بأى الخلتين عليك أثنى ... فإنى عند منصرفى مسول
أبالحسنى وليس لها ضياء ... على فمن يصدق ما أقول
أم الأخرى ولست لها بأهل ... وأنت لكل مكرمة فعول

ولكننى أقول :

ماذا أقول إذا أتيت معاشرى ... صفرا يدى من عند أروع مجزل
إن قلت أعطانى كذبت وإن أقل ... ضن الأمير بماله لم يجمل
ولأنت أعلم بالمكارم والعلى ... من أن أقول فعلت ما لم تفعل
فاختر لنفسك ما أقول فإننى ... لابد مخبرهم وإن لم أسأل

فقال له الأمير : قاتلك الله ! وأمر له بعشرة آلاف درهم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام والعلوم الحديثة

الطب وصيام شهر رمضان

الأستاذ الدكتور الكبير عبد العزيز اسماعيل من الأطباء الذين عرفوا بسعة الاطلاع وثقوب البصر فى صناعة التطبيب ، حتى أصبح مرجعا يعول على رأيه فيما استعصى من العلل وأشكل من أعراضها ، وهو مع تخصصه فى هذا الفن النافع ينظر فى الدين ويتأمل فى أسراره ، ويعنى بالتوفيق بين قواعده ومقرراته والعلوم ، وبخاصة فيما يتصل منها بالصحة والوقاية من الأمراض . وقد كتب فى ذلك مقالات كثيرة ممتعة نرى من واجبنا أن ننقلها هنا تباعا ليطلع عليها القراء الذين يهمهم أن يتحققوا بالدليل أن القرءان الكريم لم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما ينفع الناس فى دينهم ودنياهم إلا أحصاها ، وأنه سبق العلوم الى تقرير حقائق اعتبر اكتشافها فتحا جديدا فى المعارف الانسانية .

ولم يقصر بحثه على ما يتعلق بالصحة والمرض فحسب ، ولكنه عرض لمواضيع أخرى مما يتصل بوجود الانسان وتقلبه فى أدوار التكون ، وغير ذلك مما يطمح الى معرفته القارئون . كل ذلك فى عبارات بينة ، ولغة صحيحة ، وتدليل متين .

فنشكر لحضرة الدكتور النطاسى خدمته للدين ، ونرجوه متابعتها بعلمه الواسع وتجاربه النيرة . والى القراء أولى مقالاته ، وهى تحت عنوان (الطب وصيام شهر رمضان) قال حفظه الله :

من الناس من يتوهم أن فى صيام رمضان ، وهو من أركان الإسلام ، مضرةً تلحق بالصائم ، لما يصيب الجهاز الهضمى خاصة وغيره عامة ، ولما يكون من بعض الصائمين من انفعال وغضب . وهذا خطأ ، لأن ما ذهبوا اليه ليس من الصيام فى شىء ، ولكنه من ترك الاعتدال فى طعام الإفطار والسحور ، ولأنهم لم يراعوا ما يتناسب مع خلو

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المعدة النهار كله وقت الإفطار ، ولأن السحور يجب أن يقتصر على بضع لقمات لأنه لا ضرر من الجوع فى حد ذاته .

وبما أن الصيام يستعمل طبيا فى حالات كثيرة ، ووقاية من حالات أكثر ، وأن كثيرا من الأوامر الدينية لم تظهر حكمتها ، وستظهر مع تقدم العلوم ، رأيت من الواجب علىّ أن أكتب عما ظهر طبيا الآن من فوائد هذه الأوامر ، وإيضاح آيات قرءانية لأبيّن معناها الذى لا يظهر إلا لمن بحث عنها فى نور الطب الحديث ، وسأبدأ بالصيام .

الصيام :

للصيام فوائد فى ثلاث جهات : (أولها) وأهمها الجهة الروحية ، وهذه أتركها لعلماء الدين والمتصوفة منهم . و (ثانيها) الجهة الأخلاقية ، وهذه أتركها لعلماء الأخلاق ، ومن السهل البرهنة على أن الصيام يعوّد الانسان النظام والقناعة ، وطاعة الرؤساء ، والصبر وكبح شهوات النفس ، وحب الخير والصدقة ، وغير ذلك من الفضائل . و (ثالثها) وأقلها أهمية الجهة المادية أو الصحية ، وهى محل بحثنا :

لقد ظهر أن الصيام يفيد فى حالات كثيرة ، وهو العلاج الوحيد فى أحوال أخرى ، وهو أهم علاج إن لم يكن العلاج الوحيد للوقاية من أمراض كثيرة .

فالعلاج يستعمل فى :

١ — اضطرابات الأمعاء المزمنة والمصحوبة بتخمر فى المواد الزلالية والنشوية . وهنا ينجح الصيام وخصوصا عدم شرب الماء بين الأكلتين ، وأن تكون بين الأكلة والأخرى مدة طويلة كما فى صيام رمضان . ويمكن أخذ الغذاء المناسب حسب حالة التخمر . وهذه الطريقة هى أنجع طريقة لتطهير الأمعاء .

٢ — زيادة الوزن الناشئ من كثرة الغذاء وقلة الحركة ، فالصيام هنا أنجع من كل علاج مع الاعتدال وقت الإفطار فى الطعام ، والاكتفاء بالماء فى السحور .

٣ — زيادة الضغط الذاتى ، وهو آخذ فى الانتشار بازدياد الترف والانفعالات

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

النفسية ، ففي هذه الحالة يكون شهر رمضان نعمة وبركة ، خصوصا إذا كان وزن الشخص أكثر من الوزن الطبيعي لمثله .

٤ — البول السكري ، وهو منتشر انتشار الضغط ، ويكون في مدته الأولى وقبل ظهوره مصحوبا غالبا بزيادة في الوزن ، فهنا يكون الصيام علاجا نافعا ، إذ أن السكر يهبط مع قلة السمن ، ويهبط السكر في الدم بعد الأكل بخمس ساعات الى أقل من الحد الطبيعي في حالات البول السكري الخفيف ، وبعد عشر ساعات في أقل من الحد الطبيعي بكثير . ولا يزال الصيام مع بعض ملاحظات في الغذاء أهم علاج في هذا المرض حتى بعد ظهور الأنسولين ، خصوصا إذا كان الشخص يزيد عن الوزن الطبيعي . ولم يكن هناك علاج لهذا المرض قبل الأنسولين غير الصيام .

٥ — التهاب الكلى الحاد والمزمن المصحوب بارتشاح وتورم .

٦ — أمراض القلب المصحوبة بتورم .

٧ — التهاب المفاصل المزمنة ، خصوصا إذا كانت مصحوبة بسمن ، كما يحصل عند السيدات غالبا بعد سن الأربعين . وقد شوهد حالات تتمشى في شهر رمضان بالصيام فقط أكثر مما تتمشى مع علاج حقنات بالكهرباء والحقن والأدوية وكل الطب الحديث .

ورب سائل يقول : ولكن الصيام في كل هذه الحالات يحتاج الى إرشاد طبيب في كل مرض على حدته ، والصيام الذي كُتب على المسلمين إنما كتب على الأصحاء . وهذا صحيح ، ولكن فائدة الصيام للأصحاء هي الوقاية من هذه الأمراض ، وخصوصا الأمراض التي مر ذكرها تحت أرقام ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٧ .

وهذه الأمراض كلها تبتدىء في الانسان تدريجا بحيث لا يمكن الجزم بأول المرض ، فلا الشخص ولا طبيبه يمكنهما أن يعرفا أول المرض ، لأن الطب لم يتقدم بعد الى الحد الذي يعرف فيه أسباب هذه الأمراض كلها . ولكن من المؤكد طبيا أن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الوقاية من كل هـذه الأمراض هى فى الصيام ، بل إن الوقاية فعالة جـدا قبل ظهور أعراض المرض بوضوح . وقد ظهر بإحصاءات لا تقبل الشك أن زيادة السمن يصحبها استعداد للبول السكرى ، وزيادة ضغط الدم الذاتى ، والتهاب المفاصل المزمن ، وغير ذلك . ومع قلة الوزن يقل الاستعداد لهذه الأمراض بالنسبة نفسها . وهذا هو السر فى أن شركات التأمين لا تقبل تأمينا على الأشخاص الذين يزيد وزنهم إلا بشروط تثقل كلما زاد الوزن . والصيام مدة شهر كل سنة هو خير وقاية من كل هذه الأمراض .

وهذه الأمراض تنتشر بزيادة الحضارة والترف ، فقد انتشرت فى أوربا أكثر من الأول . وفى مصر يكاد يكون البول السكرى وزيادة ضغط الدم مقتصرين على الطبقات الوسطى والعليا ، وقليل جدا فى الفقراء .

ويغلب على الظن أن ذلك هو السر فى أن الصيام فى الاسلام أشد منه فى الأديان السابقة ، لأن الاسلام ، وهو آخر الشرائع السماوية ، جاء فى زمن نحتاج فيه الى وقاية من أمراض تزداد كلما زاد الترف .

فائدة الجوع

قيل لبعض الحكماء : أى وقت الطعام فيه أفضل ؟ قال : أما لمن قدر فاذا جاع ، وأما لمن لم يقدر فاذا وجد .

وقال الشاعر :

وعادة الجوع فاعلم عصمة وغنى وقـد يزيدك جوعا عادة الشبع

وقال العتبى : قلت لرجل من أهـل البادية : يا أخى إنى لأعجب من أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا ، وعوامكم أظرف من عوامنا ، ومجانينكم أظرف من مجانيننا !

قال : وما تدرى لم ذاك ؟ قلت : لا ، قال : من الجوع ، ألا ترى أن العود إنما صفا صوته لخلو جوفه ؟

وأحسن من ذلك كله قوله صلى الله عليه وسلم : « حسب الانسان من الطعام لقيمات يقمن صلبه » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

بحث فى الطلاق

(ا) التشريع الجديد الذى جرى التطبيق عليه فى محاكم الاحوال الشخصية متأثرا بسنة التدرج والانتقال (ب) الطلاق وأسرار إباحته (ج) جعل الفراق بيد الرجل والحكمة فيه (د) ما فى حكم الطلاق مما به حل عقدة النكاح وأسرار ذلك (هـ) الكشف عن بعض المذاهب الاسلامية التى جرى عليها تطبيق بعض أحكام قانون الأحوال الشخصية من غير مذهب أبي حنيفة فى العهد الأخير.

الطلاق وأسباب اباحته :

هى (أولا) عدم تعطيل النسل المرغوب فيه، المندوب اليه على الرجل والمرأة، لأن المرأة قد تكون عقيما أو آيسا والرجل فقيرا لا قدرة له على الجمع بين اثنتين، فان لم يستبدل لم يكن مستعدا لأداء النسل؛ ولأن الرجل قد يكون هو العقيم أو به ما يمنع الخلوة بها كالعنّة؛ فإن لم يفارق المرأة ليختص بها سواه تعطل نسلها عليها وفات عليها استعدادها له.

و (ثانيا) رفع الحرج عن الزوجين، لأنه قد يتصف أحدهما بسوء فى خلقه وفساد فى تربيته أو ضعف فى دينه، أو يكون بينهما تخالف فى الطباع وتضاد فى المقاصد، فتتنافر القلوب وتكاف بالبغضاء، فينعدم التآلف وتنتفى المداراة. والزوجية إن لم تتآلف على المحبة أو تدعم بالموافقة، تداعت أركانها وانهار بناؤها، وانعكس المقصود منها، فصار الضرر - لولا الطلاق - محققا، والفساد أمرا واقعا، لأن العداوة تظهر فى أقبح مظاهرها فلا يأمن كلاهما الآخر على نفسه، ولا يعامله بلطف واحتشام، فيصير العيش ذميما، والحياة مريرة، وتقع ذراريهما وأعقابهما السيئة الحظ فى حيرة وارتباك، وبُعد عن أحد الجانبين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مع اقتراب من الآخر ، فتضطر الى المخادعة والنفاق ، والغش والتدليس ، فيصير ذلك خلقا وسجية مألوفة ، فتقبح نعوتها ويسوء منقلبها . ولقد رأينا من الأزواج من هجر وطنه وهو عزيز ، ومن فارق دينه وهو أعز ، ومن قتل نفسه ولا شىء يعدلها ، ومن أودى بصاحبه وهو جناية كبرى ، تخلصا من قرين السوء والحياة الذميمة .

تدبر معى ما هو واقع الآن من إيثار كثير من أبناء الديانات الأخرى الطلاق المدنى على الطلاق الشرعى إشفاقا من ترتب آثار الزوجية ، وحذرا من الوقوع فى أخطار يقدرها هؤلاء ، أقلها حدوث تنافر بين الزوجين ، ولا يجد كلاهما الى التخلص من ضرره سبيلا . ولهذا اضطرت دول الى الاعتراف بهذا الزواج المدنى ، وجعلته أصلا من أصول مدنيتها وإن خالف أصول دينها . على أن شركة روتر البرقية نقلت إلينا فى أول ديسمبر سنة ١٩١٩م أن الإحصاء الحكومى بالولايات المتحدة أبان أن المحاكم فى العشرين سنة الأخيرة قضت بإجراء ألف ألف طلاق (كذا) . فقارن بحقك بيننا وبين غيرنا ، وانظر الى آثار رحمة الله بنا ، واشكر مولاك على ما أولاك من هذه النعم الجزيلة والمنة الحقة .

(ثالثا) إن جعل الطلاق بيد الرجل وحده يقرب من بقاء الزوجية ، ويبعد من زوالها قدر الاستطاعة ، لأن الرجل فضلا على المرأة ، ولأنه كلف بالإنفاق وإيتاء الصداق ، فهو لذلك لا يقدم على الفراق ما وجد للتأخر عنه سبيلا ، بخلاف المرأة لأنها قليلة التثبت فى الأمور ، كثيرة الاضطراب فى الآراء ، سريعة السير مع الأهواء ، ضعيفة بطبيعتها عن احتمال المكاره ، تفرح وتحزن بأحقر الأسباب (وقد تقول ما نسمع من بعضهن : زوج بزوج والصداق فائدة) . فإذا جعل الطلاق بإرادتها انهار بناء الاجتماع متى وجد خصام وتلاح ، وإن جعل بيد كل من الرجل والمرأة كان الأمر أفظع والفراق أسرع ، لأن المرأة كما رأينا فى معزل عن الأمور التى بها بقاء الزوجية ، والرجل يعلم ذلك ويأنف أن يكون الفراق منها ، وقد تكون مثله فى تلك الأنفة ، فإذا ما وجد شقاق بينهما يسىء كلاهما الظن بصاحبه ، ويخشى أن يفارقه ، فيبادر هو بالفراق فرارا مما أنف منه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على أن جعل الفراق بيد الرجل خاصة إنما يكون إذا أراد الرجل أن يتنازل عن حقوقه قبل المرأة ويوفيها جميع حقها. أما إذا أراد كلاهما حل عقد النكاح، واستردت المرأة ما ملكه الرجل من اختصاصه بها، واسترد الرجل كل أو بعض ما جعل لها من المال فى مقابلة ذاك الاختصاص، فإن هذا يتوقف على رضاها كسائر العقود. وقد وضع بعض حماة الدين حق الفراق بيد المرأة أيضا إن اشترط ذاك فى عقد الزواج، وجرى عليه الآن كثير من العقود، فليس على من خافت من بعلها سوء العشرة، وتمسكت بهذا الشرط من بأس.

لكن حدث — ملاءمةً لسير التطورات، ومسايرة لشتى الاعتبارات المتولدة عن الوقائع والحادثات — أن تشريعا وضع سنة ١٩٢٠ بمرسوم قانون رقم ٢٥، هذا التشريع أخذ فى بعض مواده من آراء فقهاء ليسوا من فقهاء الحنفية، ولكنها مبادئ فقهية عميقة الأثر فى متابعة سير الحوادث ومماشاة الظروف القاهرة، فقد كثرت الشكوى من بقاء قيد النكاح فى أيدى الأزواج، يتلاعب بها شرارهم، ويجعل الزوجية فى نظر المستهترين متاعا يستمتع به ذوو الغايات، وسبيلا الى الانتقام بشتى الوسائل، فوضعت المادة التاسعة من القانون المذكور، وهى تبيح للزوجة أن تطلب التفريق إذا وجدت عيبا مستحكما لا يمكن البرء منه، أو يمكن بعد زمن طويل، ولا يمكنها المقام معه إلا بضرر، كالجنون والجذام، سواء أكان ذلك العيب بالزوج قبل العقد ولم تعلم به، أم حدث بعد العقد ولم ترض به. ثم جاء قانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ فأباح للزوجة أن تطلب الى القاضى التطليق على الزوج فى حالات بُينت من المادة السادسة الى المادة الحادية عشرة من هذا القانون فى حالة تعمد إضرار الزوج بها. ثم أباح لها أن تطلب الى القاضى التطليق على زوجها عند غيبته فى شرائطها المبينة من المادة الثانية عشرة الى الرابعة عشرة من هذا القانون. ذلك لأن الطلاق شرع فى الاسلام لتمكين الاثنين من التخلص من رابطة الزوجية اذا تحقق أن المعاشرة بالمعروف وأداء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حقوق الزوجية مستحيلة البقاء . والشقاق بين الزوجين مثار لأضرار كثيرة لا يقتصر ضررها على الزوجين فحسب ، بل يجاوزهما الى ماخلق الله بينهما من ذرية، والى كل من له بهما علاقة قرابة أومصاهرة . وليس فى أحكام مذهب أبى حنيفة ما يمكن الزوجة من التخلص ، ومايرجع الزوج عن غيه، فيحتال كل فى إيذاء الآخر قصد الانتقام، فتطالب الزوجة بالنفقة ولا غرض لها إلا إحراج الزوج وتغريمه المال ، ويطالب الزوج بالطاعة ولا غرض له إلا أن يتمكن من إسقاط نفقتها ، وأن تنالها يده فيوقع بها ما شاء من ضروب العسف والجور .

هذا فضلا عما يتولد عن ذلك من إشكال فى تنفيذ حكم الطاعة وتنفيذ بالحبس بحكم النفقة ، وما قد يؤدى الى استمرار الشقاق من الجرائم والآثام ، فرأت وزارة الحقانية من أجل ذلك أن المصلحة تدعو الى الأخذ بمذهب الامام مالك رضى الله عنه فى أحكام الشقاق بين الزوجين المنصوص عنه بسورة النساء .

التطليق لغيبة الزوج أو لحبسه :

كذلك قد يغيب الزوج عن زوجته مدة طويلة بلا عذر مقبول : لطلب العلم ، أو للتجارة ، أو لانقطاع المواصلات ، ثم هو لا يحمل زوجته اليه ولا هو يطلقها لتتخذ لها زوجا غيره . ومقام الزوجة على هذه الحال زمنا طويلا مع محافظتها على العفة والشرف أمر لا تتحمله الطبيعة فى الأعم الأغلب ، وإن ترك لها الزوج مالاً تستطيع الإنفاق منه . وقد يقترف الزوج من الجرائم ما يستحق عقوبة السجن الطويل ، فتقع زوجته فى مثل ما وقعت فيه زوجة الغائب . وليس فى أحكام مذهب أبى حنيفة ما تعالج به هذه الحالة ، ومعالجتها واجب اجتماعى محتم . ومذهب الامام مالك يجيز التطليق على الغائب الذى يترك لزوجته ماتنفق منه على نفسها إذا طالت غيبته سنة فأكثر وتضررت الزوجة من بعده عنها ، بعد أن يضرب القاضى له أجلا ويعذر اليه بأنه إما أن يعمل على الإقامة معها أو ينقلها اليه أو يطلقها وإلا طلقها عليه القاضى . هذا إذا أمكن وصول الرسائل اليه ، وإلا فيطلق القاضى عليه بلا ضرب أجل وإعذار .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من أجل ذلك شرعت المواد ١٢، ١٣، ١٤ من القانون المذكور إنهاء لذلك العذاب الذى كان فى يدى الزوج قِبَل زوجته يرهقها به أنى شاء .

أما أن الطلاق فى عدده الثلاثى لا يقع إلا طلقة واحدة ، وأن المنجز منه والمضاف والمعلق لا يقع ، فذلك ما نفرد له بحثا خاصا فى العدد التالى ، إن شاء الله .

ما يحل عقد الزواج غير الطلاق :

الذى يحل عقدة النكاح سوى الطلاق أربعة أشياء : الخلع ، والظهار ، واللعان ، والإيلاء .

أما الخلع فهو أن يخالع الرجل امرأته على شىء من المال ، وهو أمر تنفر منه المروءة ولا يحمده الشرع ، لأن ما أخذته من المال استحقته بتسليم نفسها اليه ، ولذا أنكر الله ذلك بقوله : « وكيف تأخذونه وقد أفضَى بعضُكم الى بعض وأَخَذْنَ منكم ميثاقا غليظا » . وإنما أجازته الشريعة دفعا للضرر ومنعا للخصومة ، لأنه قد يخشى الزوجان ألا يراعيا أحكام الزوجية ، فتسأل المرأة زوجها الطلاق فتسمح به نفسه لما يرى من عدم الألفة ولكنها تشح بما أعطى ، فإن لم تفتد نفسها بشىء من مالها ، وقع الضرر وحصل الشقاق ، ولذا قال تعالى : « فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها » .

وأما الظهار : فهو أن يقول الرجل لزوجته : أنت علىّ كظهر أمى مثلا . وكان حكمه فى الجاهلية تحريمها الأبدى مع إمساكها ، ولذا جعله الرءوف الرحيم منكرا وزورا ، قال تعالى : « الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هُنّ أمهاتِهم إنْ أُمهاتُهم إلا اللائى وَلَدْنَهم ، وإنّهم ليقولون مُنكراً من القول وزوراً » . وإيضاح هذين الوصفين أنه منكر لما فيه من التضييق والإساءة لمن أُمر بالإحسان إليها ، فإنها تحرم من التمتع بما تتمتع به الأزواج ولا تصير به أيِّماً تملك أمر نفسها ، وأنه زور لأنه إما أن يكون خبرا أو إنشاء ، فإن كان خبرا كان كذبا صراحا إذ لا تشابه بينها وبين أمه حتى يطلق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اسم إحداها على الأخرى ؛ وإن كان إنشاء كان عقدا ضارا لم تلاحظ فيه مصلحة ، ولم يقرره شارع ، ولا استنبطه حكيم .

لما تقدم رحم الله هذه الأمة وقضى بما أوضحه فى قوله تعالى : « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا . فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا » . وسر ذلك قسمان : سر المؤاخذة على هذا القول ، وسر جعل الكفارة ما علمت . أما سر المؤاخذة عليه فهو أن المظاهر ألزم نفسه بما لم يلزمه به أحد ، وصير ظهاره بمنزلة القسم ، فلم يتجاوز الله عن عمليه بالكلية ، ولكنه أحسن اليه فدفع عنه حرج الجاهلية . ولم يجعل التحريم عليه مؤبداً بل صيره مؤقتا يزول بالكفارة ، فإن الكفارات إنما شرعت لدفع الأئمة وتخليص المكلف لما يجده فى نفسه من التأثم . وأما السر فى جعل الكفارة ما علمت فى الآية فهو أن يلزم فيها أن تكون خالصة من الوقوع فيما جعلت حداً عنه ، تأمل قوله تعالى : « ذلكم توعظون به » . ولا يكون كذلك إلا إذا كانت طاعة شاقة تشح النفس بها إن كانت مالية ، وتعانى فيها آلاما إن كانت بدنية .

وأما اللعان فهو أن يقسم من قذف زوجته بالزنا ليدفع عن نفسه حد القذف ، وتقسم هى على كذبه لتدرأ عنها حد الزنا ، وقد كان شأن الجاهلية فى الرجوع الى الكهان ، فنفى الإسلام ذلك لأمرين : (أحدهما) أن من أصوله هجر الكهانة ونبذ الميل إليها . و(ثانيهما) أن الرجوع إليهم فيه ضرر عظيم لعدم القطع بصدقهم ؛ ومنع من أن يعامل الزوج معاملة الأجنبي فيكلف بأربعة شهداء أو يقام عليه الحد لسببين : (الأول) أن الزوج مجبول على الغيرة على ما فى عصمته من التزاحم عليها ، وأنه مكلف شرعا بالحفاظ على حرمه من العار ، وعلى نسبه من الاختلاط . و(الثانى) تعسر إثبات الزنا مع علمه بحال أهله وعدم قدرته على إسرار مثل هذا وكتمانه ، فإن الزنا إنما يكون فى خلوة ، ومعرفة الرجل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بأهله لا تضارعها معرفة أجنبي بأجنبية حتما ، وصبره على كتمان فجورها لا يطاق له ، قال الله تعالى فى كتابه العزيز « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسُهم فشهادة أحدهم أربعُ شهادات بالله إنه لمن الصادقين . والخامسةُ أنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين . ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين . والخامسةَ أنّ غضب الله عليها إن كان من الصادقين » وسر ذلك أن شهاداته أقسام مؤكدة لدفع حد القذف الذى كان يقع لو لم تكن الملاعنة ، وأن شهاداتها تدرأ عنها حد الزنا الذى كان يصيبها لو لم تأت بها ، وقد قضت السنة بالفراق المؤبد بين من حالتهما كذلك . وسر هذا شيئان :

(الأول) أن صدر كليهما من حال صاحبه وما حصل من التهمة والقذف وإشاعة الفاحشة والملاعنة امتلأ وحرا ووغرا يحيلان المودة والوفاق حراما يستوجب العقوبة الحادة ، ويقضيان على مصالحهما المشتركة التى كان من أجلها النكاح على هذا الوجه .

و (الثانى) زجر الزوجين وتحذيرهما من الوقوع فى مثل هذه المعاملة السيئة العاقبة .

وأما الإيلاء فهو أن يألو الرجل من امرأته أبدا أو مدة طويلة . وهذا عدوان بيّن وإجحاف جاهلى ، جعل الشرع له حدا محدودا ، قال تعالى : « للذين يؤلون من نسائهم تربُّصُ أربعةِ أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم . وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم » .

والسر فى تعيين أربعة أشهر أمران : أولهما أن النفوس تتوق فيها للمباشرة قطعا ولا تحتمل البعد عنها فوق هذه المدة ، والعفاف مدعو إليه مرغوب فيه . وثانيهما أن هذه المدة ثلث السنة ، وثلث الشيء يضبط به ماقل عن نصفه ، ونصف السنة كثير لا تحتمل النفوس الصبر فيه على ما ذكرنا .

عباس طه
المحامى الشرعى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تكريم فضيلة الاستاذ الاكبر

لم يشهد الأزهريون يوما أغر محجلا كاليوم الذى شهدوه بتعيين حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخا للأزهر. ولم يشعر المسلمون فى بقاع الأرض كافة، عند تقليد أى شيخ مشيخة الأزهر، بمثل ما شعروا به من الارتياح والتفاؤل عند تقليد فضيلة الأستاذ الامام الحالى مشيخته الجليلة. فكأن الناس قاطبة قد ألهموا أن هذا اليوم هو الحد الفاصل بين عهدين، وأنه فاتحة لحياة جديدة للاسلام تسرى فى جميع مظان الانتعاش من الأمم الآخذة به، فتدفعها فى طريقه السوى المعبد، وتأخذ بيدها الى الغايات البعيدة من خيرى الدنيا والدين معا، فتسترد مجدا تليدا، وتستقبل عهدا من النهوض جديدا.

وكأن الجوانح لم تطق حبس هذا الشعور الفياض فى سويداوات القلوب، فبرز يتطلب مظهرا ماديا، فتولدت فكرة الاحتفال بتكريم فضيلة الأستاذ الأكبر فى يوم مشهود، وما هى إلا فترة مضت فى اتخاذ الأهب لإقامته، حتى شهدنا منظرا يأخذ باللب جلالا وروعة، فشهدنا الناس فى مختلف طبقاتهم، لا الأزهريين وحدهم، يتدافعون ألوفا ألوفا بالمناكب مسرعين الى مكان الاحتفال قبل موعده بساعات. ولما اكتمل حشدهم، وانتظم عقدهم، بدأ الاحتفال بقراءة آيات من الكتاب الكريم، وما أتم القارىء قراءته حتى تحولت الأبصار الى منبر الخطابة، فتعاقب الخطباء والشعراء عليه، فلا أقول: فأخذت سيول اللسن والبيان تتدفق نثرا وشعرا، ولكنى أقول: فشرعت تيارات الشعور تنبجس من الصدور فتغمر الحاضرين، ثم تسرى فى عالم الأثير الى كل دار وناد، وتتخطى مصر الى العالم الاسلامى كله فى كل صقع، وكانت أصوات الهتاف بالدعاء لحضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول معيد مجد الأزهر، ثم لفضيلة الامام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المراغى ، ترن فى كل مكان . فلم يكن الاحتفال على هذا الوجه قاصرا على ألوف المجتمعين ، ولكنه شمل عشرات الملايين فى مصر وخارجها ، فشارك الماثلين فيه كل من يهتم بعظمة الاسلام فى كل مكان يسرى تيار اللاسلكى فيه .

فما رأينا احتفالا أخذ حظه منه الطفل الناعم فى مهده ، والغانية المخدرة فى عقر دارها ، والشيخ الفانى فى محرابه ، قبل هذا الاحتفال الذى نصفه اليوم .

على أننا نلحظ فى هذا الاحتفال التكريمى الذى اكتسب صبغة عالمية ، معنى أدق وأسمى مما يدل عليه اسمه . ذلك أن المسلمين قاطبة قد أدركوا مما كتبه بعض كبار العقول فى أوروبا ، وما قام به كثير من أهل الثقافة الحديثة فى مصر وغيرها ، أن الاسلام أسّس أكبر أمبراطورية فى العالم ، وأقام على أنقاض المدنيات التى كانت آخذة فى الانقراض مدنية فاضلة يتفق فيها العقل والعاطفة ، وتتآخى فيها مطالب الأرواح والأجساد ، وإنه لايزال على ما كان عليه : فيه شفاء للآحاد والجماعات ، وبين دفتى كتابه قوة معنوية لا حد لها يمكن توجيهها لإزالة الداء العضال ، واستعادة المجد المضاع ، قلنا : أدرك المسلمون هذا منذ عشرات من السنين على درجات متفاوتة من التفصيل ، فأحبوا أن يروا المنقطعين لدراسة هذا الدين فى طليعة الداعين لهذا العهد الذهبى للاسلام والمسلمين ، فى عبارات تتفق وما ألفه المعاصرون ، وبأدلة مستمدة من لباب العلوم الحديثة ، وصفوة بحوثه المستفيضة . وكانوا يجملون كل هذه المطالب فى عبارة وجوب إصلاح الأزهر ، وهم بطبيعة الحال لا يريدون من إصلاحه أن تنظم دروسه ، وأن ترتب حصصه ، ولا أن يشيد بنيانه ، ويوسع مكانه ، ولكنهم يريدون أن يدخل طلابه فى دور التطور العقلى الذى دخل فيه الناس كافة ، وأن يدرسوا مايدرسه أمثالهم من طلاب الجامعات الكبرى ، مادام الاسلام لا يضع للعلم حدا ، ولا يرسم لتطور العقل دائرة ، وما دام يدعو الآخذين به لأن يكونوا فى طليعة العالم كله تأثرا بناموس الارتقاء ، وتصيدا للأحسن من كل شىء .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذه كانت أمنية المسلمين فى الأزهر بمصر وغيرها من الأقطار الاسلامية منذ عشرات السنين ، وقد كتبت جرائدهم فيها ما لا يحصى من المقالات ، فحفظ الله فضل البدء فى الاصلاح المرجو للمصلح الكبير المرحوم الشيخ محمد عبده ، ولكن روح التجديد لم تكن قد تولدت فى البيئة الأزهرية ، فلم يسر إصلاحه بالسرعة المتمناة ، ولكنه لم يقف ، حتى انتهينا الى هذا العهد ، عهد اللاسلكى والأشعة الكونية والمستكشفات المحيرة للألباب ، فشعرت النفوس بحاجة ماجة للتجديد ، وخاصة فى معقد آمال المسلمين من الناحية الروحية وهو الأزهر ، فكانت الضرورة قاضية بأن يتولاه رجل جمع الى العلم الغزير روح التجديد المتوثبة التى تمثل الاسلام بمعناه الصحيح ، ويعرف مقتضيات الزمان والمكان ليتقى القواطع والعواثير ، وأشعرت النفوس أن هذه الصفات كلها تتوافر فى أخص تلاميذ الشيخ محمد عبده وهو الامام المراغى ، ورأى جلالة الملك حفظه الله ذلك ، فأسند اليه مشيخة الأزهر ، فانطلقت الألسن بالدعاء لجلالته ، واحتف الناس بزعيم التجديد يظهرون له ما تكننه قلوبهم من حب ، وما تجيش به صدورهم من سرور ، فكان هذا الاحتفال الذى لم يسبق له مثيل .

ووالله ما أجمع الناس على حب الإمام المراغى وأطبقوا على التوله به الى هذا الحد إلا وهو لذلك أهل وبه قمين ، فإن الله إذا أحب عبدا من عباده ألهم الناس حبه ، ثم لم يزل يؤيده ويحقق ظنون الناس فيه حتى يؤدى ما ندبه له من العمل العظيم .

ومجلة نور الاسلام تشارك الناس كافة فى تقديرهم لفضيلة الأستاذ الأكبر ، وترى من واجبها تدوين أكثر ما ألقى فى ذلك اليوم المشهود من خطب بليغة ممتعة ، وما أنشد من قصائد بديعة مونقة ، تخليدا لها على الدهر ، راجية الله أن يمد فى عمر الأستاذ الإمام لينعم بثمرة جهاده الكريم .

(ما قيل من الخطب والقصائد فى ذلك الاحتفال)

بعد ما أتم قارئ الكتاب الكريم قراءته ، وقف حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين ورئيس لجنة الاحتفال فقال :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حضرات اصحاب السمو ، حضرات اصحاب الدولة والمعالى ، حضرات السادة :

أحييكم أطيب تحية ، وأشكر لكم أصدق الشكر على تلبيتكم دعوتنا ، فبرهنتم بذلك على ما للأزهر من المنزلة الرفيعة فى نفوسكم ، والمكانة السامية فى قلوبكم ، وضاعفتم معنى التكريم الذى أراده الأزهريون لشيخهم من إقامة هذه الحفلة الكبرى ، إذ أعلنتم بهذا الاشتراك أن مقام المشيخة الاسلامية الذى يرقاه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى هو هو مقام الرياسة الدينية العظمى الذى يحيطه المصريون بمظاهر الاحترام والاجلال ، ويتوجه اليه المسلمون فى شئون دينهم بأسمى الآمال ، كما يدل اشتراككم على أن مصر ممثلةً فى صفوة أولى الرأى من رجالها ، تعرف ما للأستاذ المراغى من أياد بيضاء على التعليم الدينى ، وجهود بارزة فى سبيل إصلاح المعاهد الدينية وإعلاء شأنها . وإنى باسم الأزهر وباسم لجنة الاحتفال التى شرفتنى برياستها أرحب بكم ، وأحيي من قلبى تلك الرابطة الوثيقة التى تربط الأزهر بهذا الوطن العزيز ، وبالعالم الاسلامى أجمع ، وأحيي هذا الشعور النبيل الذى يتجلى نحو هذا المعهد الدينى الأكبر فى جميع المناسبات .

حضرات السادة :

أنشئ الجامع الأزهر من نحو ألف عام ، وتاريخه فى هذا الزمن الطويل يكاد يكون تاريخ الحياة العلمية والدينية والاجتماعية لمصر ولسائر بلاد العالم الاسلامى . إذ كان هو مصدرَ العلوم ومقر الدراسات لهذه البلاد جميعها ، ثم طرأت بعد ذلك طوارئ كان من أثرها هذا التحول فى الحياة العامة وفى أساليب التعليم واتجاهاته ، وزخر تيار هذه الاتجاهات الجديدة وزاحمت الأزهر بمالها من قوة الشيء الجديد ، وكاد الأزهر وسط هذا التطور العام ينفصل عن البيئة المصرية ، وتصبح تعاليمه السمحة مقصورة على رجاله ، وأوشك بفعل الزمن أن يصير وطنا مستقلا فى قلب هذا الوطن ، وكادت فائدته تخفى على بعض الناس ، وشعر الأزهريون أنفسهم أنهم يبتعدون عن شعب مهمتهم

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الكبرى إرشاده وهدايته ، وينفصلون عن مجتمع عملهم فى الحياة تهذيبه وتثقيفه ، وإذ ذاك لاحت بارقة أمل خلال جهود المصلحين فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن . ثم جاء عصر جلالة مولانا الملك المعظم ، فتوجهت عنايته السامية الى إصلاح الأزهر والمعاهد الدينية إصلاحا شاملا ، فوضعت له الأنظمة واللوائح الحالية ، وقسمت الدراسات العالية فيه على كليات تقوم كل واحدة منها بنوع من الدراسات الاسلامية والعربية ، على نمط جامعى خشى معه بعض الناس أن يتحول الازهر عن تقاليده ومميزاته الى نظام المدارس المدنية ، لكنهم ما لبثوا أن شهدوا معجزة الأزهر تبرز أمام العيون واضحة جلية ، فإذا العلوم والفنون الأزهرية التى استقرت فى كتبنا القديمة تتحول الى دراسات عصرية منظمة محتفظة ، بطابع الأزهر فى دقة البحث ، وعمق التحليل ، وإذا أساتذة العلوم المستحدثة فى النظام الجديد المنتدبون لذلك من الجامعة المصرية والمدارس العالية يلقون محاضراتهم المختلفة فى كلياته بجانب شيوخه ، وإذا عقول الطلاب تتسع للجديد الطريف وللقديم العتيد فى ثوبه الجديد ، وبهذا أخذ الأزهر يسترد زعامته الأدبية والعلمية بعد أن نافسته معاهد استمدت حياتها منه .

وللأستاذ المراغى فى تأسيس هذا النظام عظيم الفضل ، ولجهوده كبير الأثر فى تكوينه .

أيها السادة :

أترك لحضرات الخطباء والشعراء بعدى تفصيل الكلام على فضل الأستاذ الأكبر وجليل أعماله ، وأختم كلمتى بالتوجه الى الله تعالى بالحمد والثناء على توفيقه وجميل رعايته ، وأضرع اليه جل شأنه أن يهب الأستاذ الأكبر التوفيق فى عمله ، ويرزقه السداد والحزم فى رأيه ، ليحقق بالأزهر وفى الأزهر ما ينشده العالم الاسلامى من إصلاح ، بفضل ما يسديه جلالة الملك المفدى من رعاية ، ويخص به الأزهر من عطف وعناية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أدام الله جلالة الملك ذخرا الوطن العزيز ممتعا بالصحة الكاملة ، وأبقاه حاميا للعلم والدين ، وأقر عينه بسمو ولى عهده المحبوب أمير الصعيد ، آمين .

*
* *

جلال مشيخة الأزهر والأستاذ الأكبر

ثم عقبه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المبجل الشيخ على سرور الزنكلونى المدرس بكلية أصول الدين فقال :

سادتى :

الأزهر كما تحدث عنه التاريخ ، وكما تصورناه حين رحلنا اليه فى نعومة الأظفار ، وكما يعرفه المصريون وغير المصريين حين يخطر ببالهم ، ويحجون اليه لطلب العلم ، هو هذه الشخصية الكبرى البارزة فى العالم ، والتى ينعكس منها على طلابه ورواده نور العلم وجلال الدين ، والتى عاشت ألف سنة إلا قليلا وهى تصارع الأحداث والأحداث تصارعها بما لم يقو على احتماله أضخم بناء فى التاريخ ، ولولا سر الله الخفى لتلاشى ، فهو الذى حفظه ، ولا يزال يحفظه ويجدد مجده الى اليوم .

إن الأزهر كما تواضع عليه الناس هو الذى تحيا عليه علوم الاسلام والقرءان ، وهى أسمى ما تستكمل به النفس الانسانية قواها . والأزهر بمقتضى وضعه وطبيعته يجب أن يكون خالصا لله وحده . فإذا ألمت به الأحداث وسلطت عليه تيارات الأهواء الملتوية فلله فيه نصيب كبير : دينه ، وعلومه . وهذا الشباب الغض من الطلاب الذين يبعثون اليه بنية صادقة ليتفقهوا فى دين الله ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ، لله فيه النصيب الأوفر ، والله غيور على دينه ، وعلى وحيه ، وعلى هذا الشباب الغض الذى يحب الخير ولا يريد إلا الخير . ومن هنا تدركون سر بقاء الأزهر وثباته على كثرة ما نزل به من أحداث وغيره .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

سادتي :

ما هي مشيخة الأزهر؟ لا أريد أن أتعرض الى مشيخة الأزهر بالنظر الى ما ورثته عن العواصم الاسلامية من خلافة العلم والدين ، ولا الى ما قامت به من جلائل الأعمال في عصور مصر المختلفة ومواقفها المشرفة في وجوه الظالمين ، فذلك للتاريخ وحده ، ولكني أتحدث عنها الآن بالنظر الى طبيعتها، والى ما يفهمه الناس فيها قبل أن يحتكم الهوى وينتشر الفساد .

إن مشيخة الأزهر لهي القوة الدينية الكبرى ، التي تقوم بمعونة الأساتذة والطلاب على حراسة الدين وإحياء تعاليمه ، فإذا فكّر العقل تفكيرا مستقيما ولم يلتفت الى زخارف الحياة الكاذبة ، فلا يستطيع أن يدرك الجلال الحق إلا في كنف هذه الرعاية السامية ، لأن شرف الأشياء بشرف غاياتها ، ومشيخة الأزهر تقوم على حراسة ما به تؤدى وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ووظيفة الرسل إذا أديت على وجهها فكلها خير ، وكلها سعادة .

الى أن قال فضيلته :

أما الأستاذ الأكبر فيكفي تكريم الله له ، فقد عرفه الناس عزيزاً مكرما ، وتولى مشيخة الأزهر للمرة الأولى وفارقها وهو أعز وأكرم . واليوم تجيئه مشيخة الأزهر على قدر ، وهو يزداد عند الله وعند الناس وجاهة وجلالا . وإذا جاز في عرف الأمم التكريم على ما يكون منحة من الله وفضلا ، فإني أكرم أستاذنا المراغي مع المكرمين داعياً له وللأمة المصرية بالتوفيق والسداد .

وإني قبل أن أبارح مكاني هذا أبتهل الى الله تعالى ، وأرجو أن تبتهلوا معي بقلب خالص ، أن يحفظ لنا حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك ويؤيد ملكه ويتمم شفاءه ، وأن يجعل لنا من سمو ولي عهده الرجل الشعبي الموفق ، وأن يحقق الله بهما وبالشعب المصري لمصر الآمال ؟

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ثم نهض حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ سليمان نوار المفتش بالمعاهد الدينية وأنشد هذه القصيدة :

تولت صروف الدهر واعتذر الدهر ... وعادت الى الاسلام أيامه الغر
فمالك لا تشدو وشدوك ساحر ... وحولك ما يهنا به الطائر الحر
ومثلك صداح إذا انكشف الدجى ... ومثلك من غنى لصدحته الطير
أصداحة الدنيا الملحن صوتها ... مكانك فوق الدوح قد طلع الفجر
تنبه أمام العين غرمنا به ... تبارى شعاع الشمس آياتها الزهر
نعم سطعت فى الكون آى محمد ... وأعجزت الأقوام أعماله النضر
وسارت مع الأرواح شرقا ومغربا ... فما ردها بر وما عاقها بحر
وسارت بأمر الله والله عالم ... فقربها الاسلام وارتعد الكفر
مفاخر لم أحسد عليها محمدا ... فليس لمثلى ذلك الخلق النكر
ولكن وحب المجد ملء جوانحي ... وليس لنفسي عن تطلبه صبر
أحب لنفسي أن تكون كماجد ... تتيه به العليا ويحتفل الدهر
وما الفخر بالأموال والمال زائل ... وكم ناله وغد وكم حازه غمر
ألا إن أخلاقا أقامت منائرا ... تردد آيات المراغى هى الفخر
أمعجزة الأيام ما الشعر بالغ ... مداك وإن أوفى على الفلك الشعر
فحدث عن الأسرار فى فلك النهى ... وخفف فلن يقوى على فهمك الفكر
فأمرك غيب لا يزال محجبا ... وسرك أمر دونه السر والجهر
رويدك لم أبعد أنا ابن عقائد ... يجيش بها صدرى فيدفعها الصدر
لعمر الشعور الحى إن محمدا ... عجيبة عصر حار فى أمرها العصر
إذا كان فى أفق المعاهد طالعا ... سما شأنها والقدر يسمو به القدر
وكف جموح القول عن جمحاته ... وأثنى عليها راغما وله العذر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تسير به الأعمال سير كواكب أضاءت بها الآفاق وانتظم السير
إذا ما ظنون البر والفضل حومت عليه رأيت الظن يسبقه البر
إذا ما ظنون الشر أرجف أهلها فسرعان ما يمحو ظنونهم الخير
هو الروح يسرى فى المعاهد كلها فتسرى بمسراه النزاهة والطهر
فللعدل بعث ناشط فى ربوعها وللعلم والأخلاق فى ساحها نشر
يقولون قانون نظام إدارة لوائح ، ما هذا اللباب ، بل القشر
ألا إنما القانون دين وعفة وعزة نفس لا يوهنها قسر
وقانوننا والحمد لله محكم ولا يقبل التعديل من نصه سطر
وليس سوى رأى المراغى وحكمه وحكم المراغى العدل والرفق واليسر
دعوناك للجلى وأنت كفيلها فسر ورضاء الله ربى لك الأجر

***

رسالة الأزهر

ثم نهض حضرة الأستاذ الفضال صالح هاشم وكيل كلية اللغة العربية فألقى هذه الكلمة :

حضرات السادة :

إننا حين نتحدث عن رسالة الأزهر الى العالم نعتبرها بحق تفسيرا صادقا لما اشتملت عليه الدعوة الاسلامية التى فتح الوحى بأغراضها السامية تاريخ الاسلام . قد نهض بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وورثها الخلفاء من بعده ، وظهرت مع طلائع الغزاة من أبطال المسلمين على شواطئ البحار وفى أقاصى الأقاليم ، وحملها المصلحون من صدور السلف الى الناس بمثل ما ابتدأت به : من التذرع بالإقناع ، والتنزه عن الإكراه فى الدين ، وتهيئة الاستعدادات البشرية للانتفاع بما تضمنته تلك الثقافة العليا لتعاليم الإ...

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

من أدق أساليب الحكمة ، وأفضل أوزان النظام والعدل ، حتى أظل الناس رواق السلام ، واستقرت كلمة التوحيد فى أذن العالم .

وظلت هذه الدعوة الاسلامية تفتح أقفال القلوب وتغزو فلول الشبهات الباقية فى عقائد البشر ، حتى إذا استبحر العمران وتناءت أطراف الخلافة ، وتسرب إليها كثير من السلالات الدخيلة ، وتحكمت العناصر الأجنبية فى مقاليد الأمور ، بطلت النخوة ، ووهنت الحمية الدينية ، وتحللت الوثائق الواشجة فى الدولة ، وظهرت الفرق المختلفة ، وتراخت عزائم القائمين بالبلاغ من حملة هذه الرسالة .

وهنالك فى أواسط القرن الرابع الهجرى ، وفى مواجهة هذه المشاكل المهددة لكيان ذلك البنيان الضخم من مجد الإسلام ، دخل الفاطميون مصر ، وبنى الجامع الأزهر ، ووضع بذلك أساس أول جامعة دينية كبرى فى الشرق بأسره ، بل فى العالم أجمع ، وما هو إلا أن مضت طفولته مع الزمن حتى شخصت اليه الأبصار ، واستشرف المشفقون من أهل الملة نحوه بالرجاء ، وترامت بركبانهم الى رحابه مسالك الأمصار والبلدان ، وأقبل المسلمون ينفرون اليه من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون .

ويومئذ اضطلع الأزهر وحده بهذه الرسالة ، وانتهت اليه هذه الوصاية الدينية ، فاستقل ببلاغها ، وألبس الداعين اليها من رجاله وتلاميذه ثوبا سابغا من المهابة ، وملأ صدور العالمين من الثقة بهم والتوقير لمكانتهم الى ما لا مطاب بعده ولا مستزاد معه ، حتى صار الانتساب اليه عنوانا على الدين ، وطريقا الى الرضا ، ووسيلة الى المنزلة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وحج الى كعبته طلاب العلم من أقطار العالم ، وتولى قيادة النهضتين الدينية والعلمية فى المشرقين ، وحفته عناية الملوك والسلاطين ، ومضى ذكره مع مدار الشمس الى الآفاق ، والتمعت من جوانبه أشعة الهداية الربانية لمحاسن التأويل والتبصير

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بمخارج السنة ، والاحتفاظ بآثار الأوائل من أهل الفقه وحماة الملة ، وأخذ هداته من كبار العلماء مكانهم من تاريخ العمران الاسلامى .

ولقد كان من عجائب ما ذخره الله فى علمه القديم من الصون لهذه الرسالة الأزهرية أن جعل ما نزل بالأمة الاسلامية من الكوارث تجددا لشباب هذه الجامعة ، وفاتحا لأبواب أخرى من الحياة فيها ، فتلكم غارة التتار على بغداد وقد قطّعت أوصال البلاد ، وفتكت بكل مصون من ذخائر الأمة الاسلامية ، قد جعلت جموع العلماء من كل مكان تنساب الى الأزهر ، وهاجر كثير من كرائم العشائر الى القاهرة ، ولجأ أصحاب المواهب والصناعات العلمية الى البلاد المصرية ، فاحتفظت القاهرة بعد قليل بما كان متفرقا فى الحواضر الاسلامية من ثقافة ومدنية وعلم . والأزهر قائم يدافع عن أركان الملة تهجم الملاحدة والمغوين من دخلاء الأمم ، ويتجرد المصلحون من علمائه لتنقية جوانب الشريعة المحمدية من ابتداع أهل الزيغ وتدسيس الحشوة من المنافقين والمأجورين ، ويصون لغة القرءان أن تذهب بها رطانات الغالبين وتودى بها أحداث الزمن ، وأبلغ الأزهر فى أداء هذه الرسالة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم والتقرير لدقائق محاسنها والكشف عن أسرار مطابقتها لأرقى ما يتطلبه الاجتماع البشرى من الإصلاح الى حد جعل الفاتحين القاهرين من الكفار يعتنقون ديانة المقهورين ، كما فعل جماعات من الأتراك إبان دخولهم مصر . فكان ذلكم من أعظم مظاهر الانتصارات الخالدة للرسالة الاسلامية ، التى يتقلد الأزهر ولايتها ، ويحمل ما تعاظم طوائف المسلمين فى العالم من بلاغها .

والآن وهذه الجامعة الأزهرية تدخل فى دور جديد من التحول الإصلاحى ، وتتهيأ لمسايرة النشاط الحديث من المدنيات العصرية ، وتتأهب لإبلاغ رسالتها الى العالم بأسره لا الى المسلمين وحدهم على نسق متجانس من الثقافة العالمية ، الآن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يرتقب عن كثب خطوات هذه الجامعة فيما أعد لها من مناهج ، وينتظر بين الغبطة والشماتة ما ستصل اليه من نجاح .

ترون حضراتكم أن العبء ثقيل ، وأن التبعة غليظة فادحة . ترون أيها السادة أن الأمر جد يتطلب العزم الصارم ، والخطة الحازمة ، والجهود المتساندة ، والثورة العنيفة على ما عسى أن يكون باقيا من الخمول العقلي والاتكال على أحلام العاجزين ، فإننا مقبلون على امتحان لا ينفق في سوقه الزيف ، ولا تنفع معه الحيل ، ولا تقبل فيه إلا شفاعة الإخلاص لدين الله ، والبر برسوله ، والمحاماة عن شريعته ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة .

وإني ليسرني أن أنوه عن الاغتباط والتفاؤل بهذا العهد الجديد ، الذي يتولى قيادة الثقافة الاسلامية فيه ذلكم الامام المصلح الكبير ، الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي ، الذي يعتبر بحق مؤسس هذه النهضة الحاضرة ، وحارس بنيانها الراسخ ، في ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ، الذي تزدهر هذه الجامعة الأزهرية في عهده بعصرها الذهبي . أيد الله ملكه وحرس أريكته ، وأقر عين جلالته وأعين رعيته بولي عهده المحبوب أمير الصعيد الأمير فاروق ، أبقاه الله :

* * *

ثم علا المنبر حضرة صاحب الفضيلة الشاعر الألمعي الشيخ عبد الجواد رمضان فأنشد هذه القصيدة :

دَعَوا باسمك الآمال فهي بواسمُ   وبَاؤوا به الأرواح وهي حوائم
دجاليلهم حتى إذا لحت أصبحوا   وأنف الدياجي والحوادث راغم
هو الدين ، فادعم عرشه بعزيمة   فقد وهنت أركانه والدعائم
وما الأزهر المعمور إلا مناره   ولا أهله الأدنون إلا العمائم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مطالع يمن للزمان وأهله بها تسعد الدنيا وتدنو العظائم

* * *

فيا رجل الاسلام أدرك رجاله فقد أنكرتهم فى الحياة المكارم
وفيهم ، بحمد الله ، غر أزاهر وفيهم بحار فى العلوم خضارم
إذا عالجوا كانوا الشفاء وإن دعوا الى رد باغ فالذرا والمقادم
وكم لهمو — فى الله — غُرّ مواقفٍ تَنَشَّقُ رَيَّاها القرى والعواصم

* * *

أولئك أجناد إذا جدّ جدّهم سمت بهمو للفرقدين العزائم
إذا ما المراغى قام تحت لوائهم فقد زأرت فى الغاب تلك الضياغم
فَتَى فِتْيَةِ الشرق الأُولَى تنجلى بهم غياهبه ، والشرق بالخطب غائم
وصارم هذا الدين دين محمدٍ وقد أسلمته فى الجلاد الصوارم
فمن مبلغٌ أفناء يثرب أننا سلمنا ، على أن ليس فى الناس سالم
وأنّ الذى شاد النبىُّ محمدٌ على حفظه شيخ المراغة قائم
تبوّأ عرش الدين فاهتزّ ركنه وطاولت الجوزاءَ منه القوائم
وأمست شعوب الشرق نَشْوَى قريرةً تساهم فى تكريمه وتزاحم
قصاراه أن يدعو بها عُمَرِيَّةً ترد وجود الشرك وهى سوائم
إذا ائتلقت فى مصر أضواء شمسها سمت فى هُدَاها للكمال العوالمُ

* * *

فؤادُ ، أعزّ الله راية ملكه توالت على الاسلام منه مغانم
أحل علاه فى ذرا متمنّع فعاد اليه مجده المتقادم
فبورك مولًى كل تاريخه حلًى وشانيه مكروب وراجيه غانم
ولا زال للفاروق بسمة شارق على ثغره من طابع الملك خاتم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كلمة الطلبة

ثم قام حضرة الطالب الغيور الأستاذ الشيخ احمد حسن الباقورى فألقى هذه الخطبة :

حضرات أصحاب السمو ، حضرات أصحاب الدولة والمعالى ، أيها السادة ، مولانا الأستاذ الأكبر :

أعرف أن الناس حين يحتشدون لتكريم عظيم راعهم منه ما دفعهم الى تكريمه وتمجيده ، إنما يحاولون أن ينتزعوا ما يجيش فى صدورهم ، وتنطوى عليه نفوسهم من حب له وإعجاب به واطمئنان إليه ، وأن يصوروا ذلك كله صورة صادقة كلها إطراء وثناء .

ولكن شباب الأزهر بحكم خضوعهم لميزات الشباب ، لا تعرف عواطفهم حدا تقف عنده ، ولا مشاعرهم غاية تنتهى إليها ، فهم لذلك عاجزون عن تجلية ما يغمر نفوسهم من غبطة بما نال الأزهر ، ويعمر قلوبهم من حب للأستاذ الأكبر . بل إنهم لأغنياء عن تجلية عاطفة وإظهار غبطة ، بعد أن أرسلوه هتافا مدويا ملأ سمع الدهر ، وشمل جوانب الدنيا ، فاهتزت له حتى جدران الحصون .

لا نقول إذن فى هذا الحفل الحاشد ليطلع الناس منا على حب صادق ، وسرور شامل وولاء عظيم ، فذلك ما تشهد له الحوادث ، وتنطق به الوقائع ، وذلك ما سيرويه الزمن ويتحدث عنه التاريخ .

ولكننا ننتهزها فرصة طالما تمنيناها فتأبت ، لنشهد الأمة ممثلة فى عظمائها وزعمائها وذوى الرأى فيها ، أن شباب الأزهر لم يضطرب اضطرابه البرىء تهافتا على مستقبل ناعم ، ولا إيثارا لعرض زائل . ولكنه الوفاء لله ولدينه وللانسانية ، دفعهم الى تقدير مهمتهم ، وتعرف واجبهم ، والاتصال بأمتهم ، وقد كانوا اقتطعوا من هذه الأمة وهم قطعة منها ، وأبعدوا أو كادوا يبعدون عن نصرة دين الله وهم حماة هذا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الدين الكريم . فهبوا يهيمن عليهم جلال غرسته فيهم العزة الاسلامية ، ونشأتهم عليه التربية الأزهرية ، ثم هتفوا بالأستاذ المراغى رمزا للأزهر لاشيخا للأزهر فحسب . فالأستاذ المراغى فى رأينا — نحن شباب الأزهر — مبدأ ترسله الحياة فى منطقها عزيزا ، وتردده الدنيا فى حديثها شامخا ، وتستشرف له النفوس البارة المخلصة ، لأنه نشدة العقل ، بل غاية الانسانية ، بل أمل الشريعة وهتاف الدين .

وإنها لأول ظاهرة رائعة تجلى فيها ذلك المبدأ المقدس ، تلك الصيحة الحازمة تنزع الى إحياء الخلق من موت ساحق ، وترمى الى تطهير الاسلام من هوى ضال .

صيحة ابتعثها الشيخ العظيم فى دستوره الهادئ الوقور ، تحمل أسمى ما يبتغى المخلصون للأزهر من عزة ومنعة ، فاهتز لها المنبر ، ووعاها الحشد المتهلل ، ومشت بها الآمال الشهية ، تتدافع فى القلوب غبطة ، وتتراءى على الوجوه بشراً ، وتشرق على الأفواه بسمات ، يسمو معناها على الشعر ، ويتأبى على الخيال .

لقد شاء الله أن يدفع بالأمل الباسم ، فى أعقاب اليأس الحاطم ، وأن يرفه عن نفوس كان قد لج بها الحزن الباكى ، وحطمها الألم العنيف ، فاستيقظت فيها الثقة ، وعاودها الإيمان بأن الأزهر سوف يتصل بالحياة أنبل الاتصال وأكمله ، يقاوم فى المجتمع الانسانى الشر ويصطلم منه الفساد ، ثم يشعره بما فى الاسلام من سمو وطهر ، وعدالة وإقناع ، ومن ذلك يهديه الى حيث يستروح من دستور الله عزيزا ، وشرعته منيعة ، كل ما يستشرف له من مجد وسؤدد وكمال .

لعل فى الناس من يفهم الإصلاح معنى تستجيب به متع الدنيا ، ومظهرا تخف اليه لذائذ الحياة ، ولكن الشباب الأزهرى الطامح لا يراه إلا تمكينا من فهم الاسلام روحا ساريا فى النفوس ، لا لفظا جاريا على الشفاه ، حتى يتسنى له أن يؤدى رسالته كما يريد الأزهر ، وعلى ما يحب الله . فهو لذلك يقدر المصلحين ويهتف بهم ، ويدافع عنهم دفاعه عما قد ارتفع الى مكان العقيدة من نفسه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يا صاحب الفضيلة :

هذه قلوبنا ، بل هذه أرواحنا ، تستبق عهدك عهدا جريئا بريئا ، لا يحفزنا اليه إلا إخلاص لله ، وإنصاف للأزهر ، ووفاء للانسانية .

وإنا لنشهد الله ورسوله والمؤمنين على أن شباب الأزهر أول من يسلمك قياده راضيا ، لتوجهه وجهة الخير والصلاح ؛ وأول من يلبي دعوتك فينصر الخلق ويسوس الروح سياسة حكيمة حازمة ، وأول من سيخلص للعلم ليبقى العلم عزيزا ، ويحيا للأزهر ليستقبل الأزهر ألف عام أخرى ، يفخر به الوطن العزيز ، ويفزع اليه الشرق المهيض ، ويعتز به الاسلام المفدى .

وفقكم الله ، وسدد في سبيل الخير والاصلاح خطاكم ؛ كما نضرع الى الله أن يحفظ جلالة مليك البلاد ، وأن يقر عينيه بسمو ولى عهده المحبوب أمير الصعيد !

***

ثم عقبه حضرة صاحب الفضيلة الشاعر المطبوع الشيخ محمد الأسمر فأنشد هذه القصيدة :

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

أين المعز الفاطمى وجوهر ... يريان كيف اليوم صار الأزهر
عادت الى المعمور روعة مجده ... مما أقام رجاله والأعصر
وتلألأت شمس الهدى فى أفقه ... فجلت محاسنه التى لا تنكر
من بعد ما خفيت معالمها بدت ... حتى ليبصرها الذى لا يبصر
والليل يغشى الكائنات فلا ترى ... وتلوح فى كنف الصباح وتظهر

***

الأزهريون الغداة تفيئوا ... لله نعمته التى لا تكفر
أمحمد العقبى طلعت عليهم ... حلما يرى رأى العيان وينظر
فتدفقوا بحرا يعب عبابه ... من كل ناحية يجيش ويزخر
وظللت أسأل صاحبي متحيراً ... ومن الحقيقة ما يرى فيحير

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هل عاد (نابليون) عودة ظافر أو عاد من غزواته الإسكندر
أو أنه (كسرى) وذا نيروزه أو أنه ملك الممالك قيصر
وسكت ثم سمعت أصوات المنى تدعو بأحسن ما سمعت وتجهر
وتقول: لا كسرى ولا أمثاله بل ذلكم شيخ الشيوخ الأكبر
فشككت ثم نظرت نظرة فاحص فإذا القوام السمهرى الأسمر
وإذا الجلالة والمهابة منظر وإذا السماحة والوداعة مخبر
وإذا الهداية والرعاية كلها والمصلح المترقب المستنظر
فاغرورقت عينى وأسبل دمعها ومن السرور مدامع تتحدر
واها لها أمنية قد حققت ورؤًى رأيناها فجئت تعبر
إجماع كل المسلمين ورغبة ظلت بها كل المدائن تجأر
فقدمت أيمن مقدم وأجله حتى لأصبح وهو ذكر يؤثر
وطلعت فى أفق الحوادث كوكبا للغيث أعقبه السحاب الممطر
ورجعت دارك كرة أخرى وما أحلى مذاق الحلو وهو مكرر
ومشى بنوها فى ركابك كلهم متهلل متفائل مستبشر
وتدافعوا كى يحملوك وراءهم ما أبصروه من الجلال فشمروا
هل جاءهم من قبل ذلك أنه حملت على بعض الكواهل أبحر
ماللكواهل والبحار رويدكم خلوا الطريق لموجها لاتغمروا
خلوا الطريق لمن سيحمل عنكم أعباءكم ويحوطكم ويدبر
ولمن سيجعلكم رجالا مثله والشبل يفتل ساعديه القسور
ولمن لديه قلوبكم وعقولكم يجلوهما كيما يشع الجوهر
ولمن يصوغكم نفوسا حرة تتغير الدنيا ولا تتغير
ولمن إذا بعض الحوادث أجلبت وافى يدافع عنكم ويزجر
يلقى العواصف وهو أظهر ما يرى لا خائف حذر ولا متستر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أغنته عن حيل الضعيف عزيمة ... لا تلتوى أبدا ولا تتقهقر
والليث أبرز ما يكون مصاولا ... وبنات آوى والثعالب تمكر
(شيخ الشيوخ) ولا أزيدك بعدها ... لقبا ليهنك أنه بك يكبر
وأرى صغير النفس إن يعثر به ... لقب كبير حط منه فيصغر
فانهض بعبئك يا محمد إنه ... مما يؤود الراسيات ويوقر
واجعل بطانتك الكرام فانهم ... أدرى بوجه الصالحات وأخبر
وهم شذا لكم وهم نفحاتكم ... تسرى وأنتم مسكها والعنبر
ولكل كون كائنات مثله ... فقبيله من جنسه والمعشر
الزهر فوق الروض زاه يانع ... والشوك فى الصحراء أصفر أغبر
ولكل كون بعد ذاك لسانه ... ولغاه، منها منذر ومبشر
فالبوم من لغة الظلام وفى الضحى ... تشدو الحمائم فى الغصون وتهدر

* * *

شيخ الشيوخ جرى القريض لغاية ... فيها المجلى فى السباق مقصر
فاعذر فلست بمن تفيه قصيدة ... حق الثناء وإن مثلك يعذر
أحيا بك الله الشريعة بعد ما ... ظلت معاهدها خلاء تصفر
وحميت كعبته بمصر وصنتها ... وسهرت حولها تشيد وتعمر
لله بيت فوق مكة قائم ... والأزهر المعمور بيت آخر
والأزهر المعمور روض مونق ... فيه يمينك نهره المتفجر
أنت الرئيس له وأنت به أب ... حدب يطوف على بنيه ويسهر
ماذا يقول الشعر فيك وما عسى ... يجرى به قلم البليغ ويسطر
أعمالك البيضاء أكبر شاعر ... يثنى عليك فما يقول الأسمر
وأرى اجتماع اليوم خير قصيدة ... الدهر منشدها ومصر المنبر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

خطبة فضيلة الأستاذ الأكبر

ثم نهض حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر وسط عاصفة من الهتاف والتصفيق فألقى هـذه الخطبة الجامعة التى تعتبر فى ذاتها دستورا علميا سيقوم عليه الأزهر فيحقق الآمال فيه :

حضرات السادة الأعزاء :

أحمد الله جل شأنه على ما أولانيه من الكرامة بهذه المنزلة فى نفوسكم ، وأشكر لحضرات الداعين المحتفلين برهم وكرمهم ، وعاطفة الحب الفياض البادية فى قولهم وفعلهم ، فى شعرهم ونثرهم ، ولحضرات المدعوين تشريفهم واحتمالهم مشقة الحضور الذى أعربوا به عن جميل عطفهم وحبهم .

ويسهل علىّ قبول هذه المنن كلها واحتمالها إذا أذنتم لى فى صرف هـذه الحفاوة البالغة عن شخصى الضعيف ، واعتبارها كلها موجهة الى الأزهر الشريف ، الذى تجلونه جميعا ، وتعتبرونه بحق شيخ المعاهد الاسلامية فى مصر وغيرها من البلاد .

ولئن دل هذا الاجتماع بالقصد الأول على غرض التكريم ، فقد دل بالإشارة والتبع على معان أسمى من غرض التكريم .

دل على أن الأزهر خرج عن عزلته التى طال أمدها ، ونهض يشارك الأمة فى الحياة العامة وملابساتها ، وعزم على الاتصال بها ليفيد ويستفيد . وهذه ظاهرة من ظواهر تغير الاتجاه الفكرى ، الذى نشأ عن تغير طرائق التعليم فيه ، وعن شعوره بأن فى الحياة معارف غير معارفه القديمة يجب أن تدرس وتعرف ، وطرائق للتعليم يجب أن تحتذى ويهتدى بها .

ومنذ أربعين سنة اشتد الجدل حول جواز تعليم الحساب والهندسة والتاريخ فى الأزهر ، وحول فائدة تعليمها لعلماء الدين . ومنذ أربعين سنة قرأ لنا أحد شيوخنا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كتاب الهداية فى الفلسفة فى داره ، على شرط أن نكتم الأمر لئلا يتهمه الناس ويتهمونا بالزيغ والزندقة . والآن تدرس فى كلية أصول الدين الفلسفة القديمة والحديثة ، وتدرس الملل والنحل ، وتقارن الديانات ، وتعلم لغات أجنبية شرقية وغربية .

ومن الحق أيها السادة علينا ألاّ ننسى فى هذه المناسبة ـ والحديث حديث الأزهر والأزهريين ـ ذلك الكوكب الذى انبثق منه النور الذى نهتدى به فى حياة الأزهر العامة ، ويهتدى به علماء الأقطار الاسلامية فى فهم روح الاسلام وتعاليمه . ذلك الرجل الذى نشر الحياة العلمية والنشاط الفكرى ، ووضع المنهج الواضح لتفسير القرءان الكريم ، وعبد الطريق لتذوق سر العربية وجمالها ، وصاح بالناس يذكرهم بأن العظمة والمجد لا ينبنيان إلا على العلم والتقوى ومكارم الأخلاق . ذلك الرجل الذى لم تعرفه مصر إلا بعد أن فقدته ، ولم تقدره قدره إلا بعد أن أمعن فى التاريخ . ذلك هو الأستاذ الإمام محمد عبده ، قدس الله روحه وطيب ثراه ! وقد مر على وفاته ثلاثون حولا كاملة ، ومن الوفاء بعد مضى هذه السنين ونحن نتحدث عن الأزهر ، أن نجعل لذكراه المكان الأول فى هذا الحفل ، فهو مشرق النور ، وباعث الحياة ، وعين الماء الصافية التى نلجأ اليها إذا اشتد الظمأ ، والدوحة المباركة التى نأوى الى ظلها إذا قوى لفح الهجير .

الأزهر كما تعلمون أيها السادة هو البيئة التى يدرس فيها الدين الاسلامى الذى أوجد أمما من العدم ، وخلق تحت لوائه مدنية فاضلة ، وكان له هذا الأثر الضخم فى الأرض ، فهو يوحى بطبعه الى شيوخه وأبنائه واجبات إنسانية ، ويشعرهم بفروض صورية ومعنوية يعدون مقصرين آثمين أمام الله وأمام الناس إذا هم تهاونوا فى أدائها . وإنهم لا يستطيعون أداء الواجب لربهم ودينهم ولمعهدهم وأنفسهم إلا إذا فهموا هذا الدين حق فهمه ، وأجادوا معرفة لغته ، وفهموا روح الاجتماع ، واستعانوا بمعارف الماضين ومعارف المحدثين فيما تمس الحاجة اليه مما هو متصل بالدين أصوله وفروعه ، وعرفوا بعض اللغات التى تمكنهم من الاتصال بآراء العلماء والاستزادة من العلم ، وتمكنهم من نشر الثقافة

(١٠)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلامية فى البلاد التى لا تعرف اللغة العربية . هذا كله يحتاج الى جهود تتوافر عليه ، والى التساند التام بين العلماء والطلبة والقوامين على التعليم ، ويحتاج الى العزم والتصميم على طى مراحل السير فى هدوء ونظام ، وجد وصدق نية ، وكمال توجه الى الله ، وحب للعلم لا يزيد عليه إلا حب الله وحب رسوله .

وللمسلمين فى الأزهر آمال من الحق أن يتنبه أهله لها :

أولاً — تعليم الأمم الاسلامية المتأخرة فى المعارف ، وهدايتها الى أصول الدين ، والى فهم الكتاب والسنة ، ومعرفة الفقه الاسلامى وتاريخ الاسلام ورجاله ، وقد كثر تطلع هذه الأمم الى الأزهر فى هذه الأيام ، وزاد قاصدوه منها أفراداً وجماعات ، واشتد طلبها لعلماء الأزهر يرحلون اليها لأداء أمانة الدين ، وهى بيانه ونشره .

ثانيا — إثارة كنوز العلم التى خلفها علماء الاسلام فى العلوم الدينية والعربية والعقلية ، وهى مجموعة مرتبط بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات . وقد حاول العلماء كشفها فنقبوا عنها وبذلوا جهودا مضنية ، وعرضوا نتائج بعضها صحيح ، وكثير منها غير صادق . وعذرهم أنهم لم يدرسوا هذه المجموعة دراسة واحدة ، على أن بعضها متصل بالآخر كما هو الحال فى دراسة الأزهر . فإذا وفق الله أهل الأزهر الى التعمق فى دراسة هذه المجموعة دراسة قديمة وحديثة ، ودراسة المعارف المرتبطة بها ، وأتقنوا طرق العرض الحديثة ، أمكنهم أن يعرضوا هذه الآثار عرضا صحيحا صادقا بلغة يفهمها أهل العصر الحديث ، وإذ ذاك يكونون أداة اتصال جيدة بين الحاضر والماضى ، ويطلعون العالم على ما يبهر الأنظار من آثار الأقدمين . وأعتقد أن التعليم الأزهرى على النحو الذى أشرت اليه هو الذى يرجى لتحقيق هذا الأمل ، وأنه مدخر لأبنائه ، إن شاء الله .

ثالثا — عرض الاسلام على الأمم غير المسلمة عرضا صحيحا فى ثوب نقى خال من الغواشى المشوهة لجماله ، وخال مما أدخل وزيد فيه ، ومن الفروض المتكلفة التى يأباها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رابعا — العمل على إزالة الفروق المذهبية ، أو تضييق شقة الخلاف بينها ، فإن الأمة فى محنة من هذا التفرق ومن العصبية لهذه الفرق . ومعروف لدى العلماء أن الرجوع الى أسباب الخلاف ، ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبى ، تهدى الى الحق فى أكثر الأوقات ، وأن بعض هذه المذاهب والآراء قد أحدثتها السياسة فى القرون الماضية لمناصرتها ، فنشطت أهلها وخلفت فيهم تعصبا يساير التعصب السياسى ، ثم انقرضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية لا ترتكز إلا على مايصوغه الخيال وما افتراه أهلها ، وهذه المذاهب فرقت الأمة التى وحدها القرءان وجعلتها شيعا فى الأصول والفروع ، ونتج عن ذلك التفرق حقد وبغضاء يلبسان ثوب الدين ، ونتج عنه سخف ، مثل ما يقال فى فروع الفقه الصحيح : إن ولد الشافعى كفء ابنت الحنفى ، ومثل ما يرى فى المساجد من تعدد صلاة الجماعة ، وما يسمع اليوم من الخلاف العنيف فى التوسل والوسيلة وعذبات العمائم وطول اللحى ، حتى إن بعض الطوائف لا تستحى اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين وتسعى لإنشاء مساجد خاصة .

من الخير والحق أن نتدارك هذا ، وأن يعنى العلماء بدراسة القرءان الكريم والسنة المطهرة دراسة عبرة وتقديم لما فيها من هداية ودعوة الى الوحدة ، دراسة من شأنها أن تقوى الرابطة بين العبد وربه ، وتجعل المؤمن رحب الصدر هاشاً باشاً للحق ، مستعداً لقبوله ، عاطفا على إخوانه فى الانسانية ، كارها للبغضاء والشحناء بين المسلمين .

قد أتهم بأنى تخيلات نخلت . ولا أبالى بهذه التهمة فى سبيل رسم الحدود ولفت النظر اليها ، وفضل الله واسع ، وقدرته شاملة ، وما ذلك على الله بعزيز .

الآن وقد أوضحت بالتقريب آمال المسلمين فى الأزهر ، ترون أيها السادة أن العبء الملقى على عاتق الأزهر ليس هين الحمل ، فإنه فى حاجة الى العون الصادق من كل من يقدر على العون : إما بالمال ، أو بالعقل ، أو بالمعارف والتجارب . وكل شيء يبذل فى طريق تحقيق هذه الآمال هين إذا أتت الجهود بهذه الثمرات الطيبة المباركة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ايها السادة :

أكرر لكم شكرى ، وأبعث من هذا المكان وفى هذا الجمع المبارك تحية الأزهر الى العالم الاسلامى ، والى دور العلم ومعاهده وأتشرف برفع ولاء الأزهر الى مقام حضرة صاحب الجلالة الجالس على عرش مصر الملك فؤاد الأول ، وصاحب الفضل العميم فى الأزهر فى العصر الحديث . أدام الله عزه ، ومتع جلالته بالصحة التامة والتوفيق الدائم ، وأقر عينه بحضرة صاحب السمو الملكى أمير الصعيد ولى العهد المحبوب .

والسلام عليكم ورحمة الله .

أداء الحق مع رعاية الادب [1]

عن لؤلؤة خادم الرشيد قال : جرى بين الرشيد وبنت عمه زبيدة كلام ، فقال هارون : أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة . ثم ندم فجمع الفقهاء ، فاختلفوا . فكتب الى البلدان فاستحضر علماءها اليه . فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم ، فاختلفوا ، وبقى شيخ لم يتكلم ، وكان فى آخر المجلس ، وهو الليث بن سعد ، قال : فسأله ، قال : إذا أخلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته . فصرفهم ، فقال : يدنينى أمير المؤمنين ، فأدناه . قال : أتكلم على الأمان ؟ قال نعم . فأمر باحضار مصحف فأحضر ، فقال : تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ، ففعل . فلما انتهى الى قوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » ، قال : أمسك يا أمير المؤمنين ، قل : والله . فاشتد ذلك على هارون . فقال : يا أمير المؤمنين الشرط أملك . فقال والله ، حتى فرغ من اليمين . قال : قل إنى أخاف مقام ربى . فقال ذلك . فقال يا أمير المؤمنين : فهى جنتان وليست بجنة واحدة . قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر . فقال له الرشيد : أحسنت ، وأمر له بالجوائز والخلع ، وأمر له بأقطاع الجيزة ، ولا يتصرف أحد بمصر إلا بأمره ، وصرفه مكرما .

(١) من كتاب أخلاق العلماء ، تأليف صاحب الفضيلة الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ايها السادة :

أكرر لكم شكرى ، وأبعث من هذا المكان وفى هذا الجمع المبارك تحية الأزهر الى العالم الاسلامى ، والى دور العلم ومعاهده وأتشرف برفع ولاء الأزهر الى مقام حضرة صاحب الجلالة الجالس على عرش مصر الملك فؤاد الأول ، وصاحب الفضل العميم فى الأزهر فى العصر الحديث . أدام الله عزه ، ومتع جلالته بالصحة التامة والتوفيق الدائم ، وأقر عينه بحضرة صاحب السمو الملكى أمير الصعيد ولى العهد المحبوب .

والسلام عليكم ورحمة الله .

أداء الحق مع رعاية الادب (١)

عن لؤلؤة خادم الرشيد قال : جرى بين الرشيد وبنت عمه زبيدة كلام ، فقال هارون : أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة . ثم ندم فجمع الفقهاء ، فاختلفوا . فكتب الى البلدان فاستحضر علماءها اليه . فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم ، فاختلفوا ، وبقى شيخ لم يتكلم ، وكان فى آخر المجلس ، وهو الليث بن سعد ، قال: فسأله ، قال : إذا أخلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته . فصرفهم ، فقال : يدنيني أمير المؤمنين ، فأدناه . قال : أتكلم على الأمان ؟ قال نعم . فأمر باحضار مصحف فأحضر ، فقال : تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ، ففعل . فلما انتهى الى قوله تعالى : «ولمن خاف مقام ربه جنتان » ، قال : أمسك يا أمير المؤمنين ، قل : والله . فاشتد ذلك على هارون . فقال : يا أمير المؤمنين الشرط أملك . فقال والله ، حتى فرغ من اليمين . قال : قل إنى أخاف مقام ربى . فقال ذلك . فقال يا أمير المؤمنين : فهى جنتان وليست بجنة واحدة . قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر . فقال له الرشيد : أحسنت ، وأمر له بالجوائز والخلع ، وأمر له بأقطاع الجيزة ، ولا يتصرف أحد بمصر إلا بأمره ، وصرفه مكرما .

(١) من كتاب أخلاق العلماء ، تأليف صاحب الفضيلة الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أقول : هذا تصرف عال من جمال العلم روعى فيه الحق والأدب معا ، ترى الليث عرف وجه الفتوى وهـو أن الطلاق لا يقع إذا كان الرشيد ممن يخاف مقام ربه ، ورأى فى نفسه أنه لا يبيح لها أن يطلق الفتوى على علاتها حتى يتوثق من الشرط وهو خوف الله تعالى ، ويكون هذا بتحليف الرشـيد حتى تطمئن نفس الامام الى أن فتواه صادفت حقا ، فصرف من فى مجلس الخليفة حتى لا يكون تحليفه بمراى منهم ، ولا تأخذ الرشيد نفسه كما قد همت حين أراد تحليفه لو لم يذكره بشرطه عليه أن له الامان منه حتى سكن . ثم لم تكن فتوى الامام خلجة نفس بل من القرءان نفسه ، ولذلك أقرأه المصحف حتى آية : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » فاطمأن بذلك الرشيد وعرف أنه يمسك حرمه على حل صحيح بنص قاطع من كلام الله . وهذه موهبة الحق فى غالب أحوالها لا تنفك عن حسن الأدب عند من عقل وعرف .

قال يحيى بن عبد الصمد : خوصم موسى الهادى أمير المؤمنين الى أبى يوسف فى بستانه . فكان الحكم فى الظاهر لأمير المؤمنين ، وكان الامر على خلاف ذلك . فقال أمير المؤمنين لأبى يوسف : ماصنعت فى الأمر الذى يتنازع إليك فيه ؟ قال : خصم أمير المؤمنين يسالنى أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق . فقال له موسى : وترى ذلك ؟ قال قد كان ابن ابى ليلى يراه . قال : فاردد البستان عليه .

أقول : وهذا أيضا ذوق خالص من القاضى أبى يوسف : عرف كيف يصل بالحق الذى رآه الى صاحبه من غير أن يحرج صاحب الدعوى الذى قامت له البينة وأظهر القضاء فى جانبه .

وجاء فى الكتاب المذكور تحت عنوان تضجيتهم :

جاء أصحاب الحديث الى الاعمش يوما ليسمعوا عليه ، فخرج إليهم وقال : لولا أن فى منزلى من هو أبغض الى منكم ما خرجت إليكم .

وخرج سفيان بن عيينة المحدث الورع يوما الى من جاءه يسمع منه ، وهو ضجر ، فقال : أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد وجالس هو أبا سعيد الخدرى ، وجالست عمرو بن دينار وجالس هو ابن عمر رضى الله عنهما ، وجالست الزهرى وجالس هو أنس بن مالك حتى عد جماعة ، ثم أنا أجالسكم ؟ فقال له حدث فى المجلس : أتنصف يا أبا محمد ؟ قال إن شاء الله تعالى . فقال : والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بك أشد من شقائك بنا ! فأطرق وأنشد قول أبى نواس :

خـل جنبيـك لرام وامـض عنه بسـلام
مت بداء الصمت خـير لك من داء الـكلام
إنما السـالم من ألجـم فاه بلجـام

فتفرق الناس وهم يتحدثون برجاحة الحدث . وكان ذلك الحدث يحيى بن أكثم التميمى ، فقال سفيان : هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء ، يعنى السلاطين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد صدقت فراسته ، فتولى يحيي قضاء البصرة وهو ابن عشرين سنة ، ثم ترقى حتى ولاه المأمون قضاء القضاة وتدبير أهل مملكته .

وعن علي بن حرملة التيمي عن أبي يوسف ، قال : كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال ، فجاء أبي يوما وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه . فقال : يابني لا تمدن رجلك مع أبي حنيفة ، فان أبا حنيفة خبزه مشوى ، وأنت تحتاج الى المعاش ، فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي . فتفقدني أبوحنيفة وسأل عني ، فجعلت أتعاهد مجلسه ، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه ، قال لي : ما شغلك عنا ؟ قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدي . فجلست فلما انصرف الناس دفع الى صرة ، وقال استمتع بهذه . فنظرت فاذا فيها مائة درهم ، فقال لي الزم الحلقة وإذا نفدت هذه فاعلمني ، فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الى مائة أخرى ثم كان يتعاهدني . وما أعلمته بخلة قط ، ولا اخبرته بنفاد شيء ما ، وكان كأنه يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت .

وجاء تحت عنوان أمانتهم :

كان ابن عمر يقول : إذا أخطأ العالم أن يقول : لا أدري ، فقد أصيبت مقاتله .

عن يحيي بن سعد قال : سئل ابن لعبد الله بن عبد الله بن عمر عن شيء فلم يكن عنده جواب . فقلت إني لاعظم أن يكون مثلك ابن إمام هدى يسأل عن شيء لا يكون عندك منه علم . فقال : أعظم والله من ذلك عند الله وعند من عقل عن الله عز وجل أن أقول بغير علم ، أو أحدث عن غير ثقة .

مطبوعات جديدة

من أخلاق العلماء :

هذا اسم كتاب طريف وضعه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا . ونريد من كلمة طريف أنه لم ينسج على منواله ، فقد ألم فيه بذكر أربعمائة عالم ، وأثبت لكل منهم أحسن ما أثر عنه من الفضائل ، فجاء الكتاب على هذا النمط أطروفة علمية أدبية جمعت في نحو ٣٥٠ صفحة ما تشتت في ألوف من الصفحات لا تتسنى قراءتها لعالم أو أديب ، وإن تسنت عز عليه أن يجمعها بين دفتي كتاب واحد مبوبة مرتبة يرجع اليها في أي وقت أراد . فاستحق بذلك فضيلة القاضي الكبير شكرا لا ينفد من العلماء والأدباء . جزاه الله عن العلم خير ما يجزى به أولياءه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد صدقت فراسته ، فتولى يحيى قضاء البصرة وهو ابن عشرين سنة ، ثم ترقى حتى ولاه المأمون قضاء القضاة وتدبير أهل مملكته .

وعن على بن حرملة التيمى عن أبى يوسف ، قال : كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال ، فجاء أبى يوما وأنا عند أبى حنيفة فانصرفت معه . فقال : يابنى لا تمدن رجلك مع أبى حنيفة ، فان أبا حنيفة خبزه مشوى ، وأنت تحتاج الى المعاش ، فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبى . فتفقدني أبوحنيفة وسأل عنى ، فجعلت أتعاهد مجلسه ، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخرى عنه ، قال لى : ما شغلك عنا ؟ قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدى . فجلست فلما انصرف الناس دفع الى صرة ، وقال استمتع بهذه . فنظرت فاذا فيها مائة درهم ، فقال لى الزم الحلقة وإذا نفدت هذه فاعلمنى ، فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الى مائة أخرى ثم كان يتعاهدنى . وما أعلمته بخلة قط ، ولا اخبرته بنفاد شيء ما ، وكان كأنه يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت .

وجاء تحت عنوان أمانتهم :

كان ابن عمر يقول : إذا أخطأ العالم أن يقول : لا أدرى ، فقد أصيبت مقاتله .

عن يحيى بن سعد قال : سئل ابن لعبد الله بن عبد الله بن عمر عن شيء فلم يكن عنده جواب . فقلت إنى لاعظم أن يكون مثلك ابن إمام هدى يسأل عن شيء لا يكون عندك منه علم . فقال : أعظم والله من ذلك عند الله وعند من عقل عن الله عز وجل أن أقول بغير علم ، أو أحدث عن غير ثقة .

مطبوعات جديدة

من أخلاق العلماء :

هذا اسم كتاب طريف وضعه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا . ونريد من كلمة طريف أنه لم ينسج على منواله ، فقد ألم فيه بذكر أربعمائة عالم ، وأثبت لكل منهم أحسن ما أثر عنه من الفضائل ، فجاء الكتاب على هذا النمط أطروفة علمية أدبية جمعت فى نحو ٣٥٠ صفحة ما تشتت فى ألوف من الصفحات لا تتسنى قراءتها لعالم أو أديب ، وإن تسنت عز عليه أن يجمعها بين دفتى كتاب واحد مبوبة مرتبة يرجع اليها فى أى وقت أراد . فاستحق بذلك فضيلة القاضى الكبير شكرا لا ينفد من العلماء والأدباء . جزاه الله عن العلم خير ما يجزى به أولياءه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام والتجديد فى مصر :

هذا كتاب وضعه الدكتور تشارلس آدمس الامريكى وقدم له حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ النابه الشيخ مصطفى عبد الرازق ، ونقله الى العربية حضرة الالمعى الاستاذ عباس محمود أحد خريجى قسم الفلسفة من كلية الآداب بالجامعة المصرية . هذا الكتاب يدور حول إيراد تاريخ الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده باعتبار أنه واضع أساس التجديد الدينى فى مصر ، ويذكر جمهرة العلماء والكتاب الذين يعتبرون جارين على جادته ، ومترسمين آثار خطته ، فهو كتاب حافل بالمعلومات عن حركة التجديد العصرية ، مما لا يجوز أن يغفل الاطلاع عليه كل باحث فى الدين ، أو معنى بتاريخ نهضته الراهنة .

التجديد فى طرق الخطابة والوعظ الدينى :

هذه رسالة وضعها صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ احمد على ملوك من وعاظ وزارة الاوقاف عنى فيها بايراد أكثر من مائة خطبة على طريقة التجديد التى يتطلبها المصلحون للخطب المنبرية من وجوب صوغ المواعظ فى قالب يألفه أهل العصر الحاضر ، وبعبارات خالية من السجع والتعقيد تؤثر فى نفوسهم . فنلفت نظر وزارة الاوقاف الى هذه الرسالة ، فانها معنية اليوم بمشروع يرمى الى هذا الغرض الشريف .

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أحلام فى السياسة وكيف يتحقق السلام العام :

هذه رسالة فذة فى نوعها وضعها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ العامل بعلمه الشيخ طنطاوى جوهرى ، أتى فيها الاستاذ على فلسفته فى الحياة الاجتماعية للانسان ، وبسط آراءه فى الاصول والمبادئ التى يجب أن يتبعها الناس للوصول الى السلام العام والسعادة الحقة . وهذه الرسالة كجميع مؤلفات الاستاذ ملأى بالافكار العميقة ، والنظرات البعيدة ، وحافلة بالوسائل التى يراها مؤدية بالأمم الى كمالها المنشود جسما وروحا .

أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم :

لصاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد حسين النجار منشئ المدرسة الاسلامية بأسيوط رسائل كثيرة فى المواضيع الاسلامية . والتى نحن بصدد تقريظها واحدة منها ، جمع فيها طائفة كبيرة من أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم ، كتبها بلغة عصرية طلية تجذب القارئ للمطالعة . فنرجو

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن تعم رسالته جميع المدارس ، وتكثر في أيدي المدرسين وغيرهم ممن يعنون بالاقتداء بخاتم النبيين ليصلوا الى الكمال على طريقته المثلى .

الفاروق عمر بن الخطاب :

هذه رسالة فى سيرة أمير المؤمنين الفاروق كتبها فى لغة فصيحة وباسلوب قيم حضرة الاستاذ دياب عثمان العرابى أحد خريجى دارالعلوم . وقد جعل إهداءها لحضرة صاحب السمو الملكى أمير الصعيد . فنشكر لحضرة المؤلف هـذا الصنع الجميل ، فقد أتحف محبى السـيرة العمرية بمجموعة من تاريخ الفاروق لا يجدونها فى غير هذه الرسالة .

محاسن الاسلام :

هذه رسالة كتبتها الكاتبة الايطالية الدكتورة لورا فيتشا فاليرى وعربها حضرة الاستاذ الفاضل طه فوزى افندى من موظفى محكمة الاستئناف بمصر . طالعنا هـذه الرسالة فوجدنا حضرة الكاتبة الفاضلة قد أنصفت المسلمين بما كتبته عن دينهم عن علم واطلاع . وإن مجرد سرد أبواب الرسالة يكفى فى بيان غرضها منها . فاليك : محاسن الاسلام . سرعة انتشار الاسلام من صنع الحكمة الالهية . بساطة العقيدة الاسلامية . حكمة شعائر الاسلام . سمو الآداب الاسلامية وأثرها . الاسلام والمدنية . التصوف فى الاسلام . الاسلام فى علاقاته مع العلم .
فشكرا للباحثة الفاضلة وشكرا للمعرب الغيور .

تيسير المنفعة بكتاب مفتاح كنوز السنة :

يذكر القراء أننا ألممنا هنا بذكر كتاب للمستشرق الدكتور فنسنك جعله فهرستا عاما للاهتداء الى الاحاديث النبوية الواردة فى أربعة عشركتابا من كتب السنة بحسب موضوعاتها ، وذكرنا أن حضرة الاستاذ الفاضل محمد افندى فؤاد عبد الباقى قد قام بترجمته . واليوم نقول : إن حضرة المترجم الفاضل رأى أن يضع لكل كتاب من الكتب التى ليس فيها أبواب فهرستا خاصا يجعل لكل منها فيه أرقاما مسلسلة مطابقة للارقام التى وضعها لها المؤلف . وقد أصدر فهرستين منهما عن صحيح البخارى وجامع الترمذى ، فنشكر لحضرة المترجم الفاضل جهده . ونتمنى أن يثيبه عليه ثواب العاملين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مهمة الدين الاسلامى فى العالم

٢١

دعوته الى تعرف السنن الالهية فى الجماعات البشرية

الاسلام ألّف أكبر مجتمع عهدته الانسانية فى تاريخ حياتها الاجتماعية، وقد أقامه على الأصول الخالدة، والمبادئ العامة، وقد شرحنا هذه الميزة الاسلامية الجليلة فى مقال سابق، ونريد اليوم أن نقول إن الاسلام لم يكتف بما فعل، ولكنه بسطه بسطا علميا، ودعّمه على الأدلة الواقعية المستمدة من الحوادث العالمية.

فأول ما عمد اليه فى هذا الشأن الجلل أن بيّن وحدة أصل النوع الانسانى، وتَساوِى الآحاد والجماعات فى الحقوق الطبيعية، وأنّ تخالف الناس فى البيئات والقوميات لا ينفى أن يتعاونوا على قطع مفاوز الحياة، وأن يتعارفوا ويتبادلوا المرافق الحيوية، قاضيا على الوهم الشائع بين الأمم، وهو ما يخيل الى كل منها أنها أعلى كعبا من غيرها. وقد جمع هذه الأصولَ الأولية كلها قوله تعالى: « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير ».

هذه الأصول الأولية هى أول ما طرق من نوعها سمع الشعوب المنبثة فى الأرض، وصدم كبرياءها الجاهلية. فقد كان منها من يدّعى أن أصولها تنتهى الى الآلهة، ومنها من يعتزى الى أبناء تلك الآلهة، ومنها من ينتسب الى الجبابرة الأولين الذين دوخوا أمم الأرض، ومنها من كان ينتمى الى بعض المرسلين أو الأنبياء والصديقين. فجاءت هذه الآية بعصاصة من العلم هى نفس ما قررته المعارف الاجتماعية بعد نزول القرءان بأكثر من ألف سنة.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ثم إن الاسلام تولى هذه الأصول التى عليها مدار سعادة المجتمعات بالبيان والشرح، وقوّاها بالأدلة المستمدة من الحوادث الماضية والراهنة، وهو لأجل أن يفتح للانسان مجالا للنظر، ويوجد له ميزانا للتقدير المستقر على قواعد صحيحة، كشف له سراً من أجلّ أسرار الاجتماع البشرى، وهو أن للاجتماع سننا إلهية لا تتخلف ولا تتبدل. فالأمة التى كتب لها النجاة من علل الاجتماع أو الشفاء منها عند الالتياث بها، تتعرف تلك السنن وتطبق أعمالها عليها، والأمة التى قدر عليها الاضطراب أو الفناء تغبى عن هذه السنن، وتجرى من أعمالها على غير هدى. قال الله تعالى: «سنةَ اللهِ فى الذين خَلَوا من قبلُ ولن تجد لسنة الله تبديلا» وقال تعالى: «سنةَ مَن قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا».

فكان هذا فتحاعظيما فى العلم، وأى فتح أعظم من أن يفهم الناس أن للعالم الانسانى نظاما مقررا، وقانونا مقدرا، لا تستطيع أن تعدوه الأمم دون أن تصاب بما يستتبعه عدوانها من المثلات، وما يجره من الانحرافات، جزاءً وفاقا.

وكان من نتائج هذا العلم أن أصبح المسلمون حريصين على تلمس هذه السنن من مظانها حرصهم على بقاء وجودهم، وسلامة كيانهم. وقد دفع بهم هذا الحرص الى تحرى الصراط السوى فى جميع أعمالهم ومعاملاتهم، وقيام بعضهم رقباء على بعض فى سِيَرِهم وتصرفاتهم ائتمارا بما رسمه الله لهم بقوله: «ولتكن منكم أُمّة (أى جماعة) يَدعُون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهَوْن عن المنكر وأولئك هم المفلحون». وكيف يتساهلون فى هذا الأمر والله تعالى يقول فى قوم هالكين: «كانوا لا يتناهَوْن عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون».

هذا كله جعل من المسلمين أمة تقوم على جادة الحق، وتعمل على بث هذا الخلق فى الآحاد، ويراقب بعضها بعضا فى القيام عليها، تفاديا من أن يصيبها ما أصاب الأمم قبلها.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هنا مجال لأهواء تتسرب الى النفوس فتوهمها بأنها بنجاة من هذا الإيعاد، وأنها لمجرد انتسابها الى هذه الجماعة أو تلك تعامل من الله معاملة ممتازة الخ، فقضى الله على كل هذه الأوهام بقوله تعالى: «ليس بأمانيّكم ولا أمانى أهل الكتاب، من يعمل سوءاً يُجزبه ولا يجدْ له من دون الله وليا ولا نصيرا».

وبهذه الآية تجلت الحقيقة العلمية المقررة، وهى أن نظام الكون يأبى المحاباة والمصانعة، وأن سنن الله تسرى على الكافة على حد سواء، كما نص عليه حديث قدسى كريم وهو: «الجنة لمن أطاعنى ولوكان عبدا حبشيا، والنار لمن عصانى ولوكان شريفا قرشيا» وقوله صلى الله عليه وسلم لابنته: «اعملى يافاطمة فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا».

بإسقاط وهم المحاباة أسقط الله تعالى من رءوس صدر هذه الأمة وساوس كانت آثارها وبالاً على الأمم التى نبتت فيها، وأخذ بضبع المسلمين الى نهضة قوية سريعة خالية من جميع العوامل التثبيطية، حتى انطوت تحت أقدامها المساوف الشاسعة، وجمعت بين طرفى الشرق والغرب بما هو أشبه بجولة رياضية.

من مجموع ماأنزل الله فى أمر الاجتماع نشأ فى هذه الأمة ضرب من الرقابة المتبادلة بين الأفراد والأفراد، وبينهم وبين الهيئة الحاكمة فيهم لأنه مادامت أخلاق الآحاد وأعمالهم تؤثر فى بنية اجتماعهم قوة أوضعفا، وما داموا هم مأمورين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، وما دام كل عضو من جماعتهم مكلفا أن يعمل على درء ما يراه من المنكرات بيده أو بلسانه أو بقلبه، ما دام كل هذا قائما فكيف لا تنشأ بين الآحاد مراقبة قوية محكمة ؟ .

بهذا التركيب الاجتماعى البديع يصبح فى المجتمع الاسلامى أداة تعمل باستمرار وبغير شعور من الناس على إزالة كل ما يدب الى الجماعة من جراثيم الفساد، فلا يعتريها تحلل ولا ضعف ولا ارتكاس. وإنما المدار على العمل بهذه الأصول الاسلامية، لا على

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاعتقاد بها والجرى على نقيضها . وقد ثبت أن العمل بها قد أثمر للآخذين بالاسلام ثمرات من تأسيس الدولة والتبسط فى الأرض لم تصل الى مثلها أمة غيرها من الأمم التى سبقتها أو تلتها الى هذا العهد .

يصطدم بهذا الأصل هنا مبدأ من الإباحة سموه بالحرية الشخصية . ومؤدى هذا الأصل عند أهله أن للانسان كل الحرية فيما يعمله ما دام ضرره لا يحيق إلا به دون غيره ، وعدُّوا مما يدخل فى هذه الحرية تعاطى الخمر والاتجار فيها والزنا ما دام الطرفان متراضيين عليه ، والقمار فى دائرة معينة ، والربا ما دام لا يجاوز حدا مقررا ، وغير ذلك .

ولكن الاسلام مع احترامه لمبدأ الحرية الشخصية وتقديسه له ، يرى أنه لا يصح أن يسرى على هذه الآثام التى ذكرناها : فيرى أن الخمر والزنا والمقامرة والربا الخ لا يقتصر ضررها على آتيها فحسب ، ولكنه يتعداه الى أهله ومجتمعه .

وينازع الاسلام المشترعين فيما هو أدق من هذه المسألة ، وهو أنه ليس مما ينطبق على مبدأ الحرية الشخصية أن يباح للانسان أن يأتى ما يضر بشخصه ، لأنه ما دام عضوا فى مجتمع فلا يجوز أن يضعفه بإضعاف نفسه .

ومن العجيب أن الاشتراع الوضعى يتفق مع الاسلام فى هذا التفسير لمبدأ الحرية الشخصية فى بعض الأمور دون بعض ، فكان بذلك مناقضا لنفسه فى أهم المبادىء الاشتراعية ، وأمسها بحياة المجتمع .

فهو يرى أن يبيح للانسان أن يتعاطى المسكر ، وأن يدمن عليه ، ولا يرى أن يبيح له أن يستمط الكوكايين ، ولا أن يحتقن بالمورفين ، بحجة أن فى عمله الأخير إضرارا بصحته مع أن فى تعاطى الخمر من الإضرار بها ما لا يقف عند حد ، لا عليه وحده فحسب ، ولكن على أهله وبنيه وبنى جلدته أيضا . ويرى أن يبيح له الزنا والقمار ، ولا يبيح أن يتمخط أو أن يبصق فى الطريق بدعوى أن فى هذه المادة الأخيرة ضررا بغيره

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من ناحية نشر عدوى ما عسى أن يكون لديه من الأمراض ، مع أن فى الزنا والقمار من الأضرار ما لايقاس به ضرر البصق ، بل وما لا يقاس به ضرر الأوبئة الفتاكة .

ولِمَ نذهب بعيدا : أليس بين يدينا الإحصاءات ناطقة بأن ما تفعله الخمر بالأجساد والعقول يفوق ما تفعله شر الطواعين ، وجائحات الأوبئة ؟ فهذه المستشفيات غاصة بالمدمنين ، وهذه البيمارستانات ملأى بالمجانين ، بل وهذه الدور حافلة بالذين لم يقعد بهم المرض الى حد العجز المطلق ، ولا اختلال القوى العقلية الى درجة الجنون المطبق ، ولكنهم يعيشون على حال من سوء الأخلاق ، وفساد النفوس أضر على ذويهم وأبناء المجتمعات التى ينتمون اليها من أضرابهم الذين تؤويهم المصحات والسجون .

وهل نشرح حب السرف والترف وتدهور الأخلاق وانحلال الأسر وضياع الثروات عامل أنكأ أثرا من إباحة الزنا والقمار والتهتك الشنيع ؟ فالغرب الذى أصبحت علومه وصنائعه ومدنيته عاجزة عن رأب صدوعه ، ورتق فتوقه ، وتقويم عوجه ، ما أوصله الى هذه الحالة إلا ذيوع هذه الضروب من الفواحش فيه .

فالاسلام بوقوفه من مبدأ الحرية الشخصية عند الحد الذى يسمح به المنطق القويم ، والطبع السليم ، لا يقصد أن يكبل الحرية بقيود من حديد ، ولكنه يريد أن تكون حرية صالحة تنتج الآثار المنتظرة منها . أما الحرية التى تطلق الداعرين والفاسقين والإباحيين ليرتكبوا تحت ستار هذا المبدأ الكريم ما يترفع عن مثله الحيوان الأعجم ويعود منه على الانسان البلاء المحتم ، هذه الحرية يعدها الاسلام إباحة بهيمية ، فلا يقرها ولا يتغاضى عنها ، بل يضرب عليها نطاقا من حديد .

فالحقوق الطبيعية التى يحترمها الاسلام ، هى الحقوق التى تعترف بها الانسانية الحقة ، وتقتضيها الحياة الصحيحة ، وتستلزمها المدنية الفاضلة . وهو جار من هذا كله على سنة الله فى خليقته ، فإن هذه السنة لا تفلت من ميزانها الذرة ، ولا تخلص من محاسبتها الخطرة . وخير الشرائع الاجتماعية ، ما وافق شريعة الله الكونية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فالاسلام احترم الحقوق الانسانية ، المستندة على الأوضاع الطبيعية ، ولم يحترم منها ما أوجده الهوى ، ولا ما ولدته الشهوة . وقد رمى من هذا الى تأليف مجتمع سليم فى نفسيته ، سليم فى عقليته ، سليم فى بنيته ، يجرى الى غاياته البعيدة ، كأنه جزء من الطبيعة لا خارج عليها ، ولا مدابر لها . وكل مجتمع يجعل هذه الطريقة وجهته يصل الى النهايات التى يقصدها ، خلافا للمجتمعات التى تبنى وجودها على معاكسة السنن الالهية ، فإنها تصاب بجراير آثامها ، ولا تزال تتعسف فى سيرها حتى تبيد غير مأسوف عليها : « قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين » .

محمد فريد وجدى

أبلغ ما قيل فى الاعتذار عن الذنوب

قال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين حين وجد عليه : يا أمير المؤمنين إن القدرة تذهب الحفيظة ، وأنت تجل عن العقوبة ، ونحن مقرون بالذنب ، فان تعف عنى فأهل ذلك أنت ، وإن تعاقبنى فأهل ذلك أنا .

وأمر معاوية بن أبى سفيان بمعاقبة روح بن زنباع . فقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع منى خسيسة أنت رفعتها ، أو تنقض منى مريرة أنت أبرمتها ، أو تشمت بى عدوا أنت وقمته ، إلا أتى حلمك وصفحك عن خطئى وجهلى .

فقال معاوية : خليا عنه ، إذا أراد الله أمرا يسره .

وروى أن عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين وجد على رجل فجفاه واطرحه ، ثم دعا به ليسأله عن شىء ، فرآه شاحبا ناحلا . فقال له : متى اعتللت ؟ فقال الرجل : مامسنى سقم ، ولكنى جفوت نفسى إذ جفانى الامير ، وآليت أن لا أرضى عنها حتى يرضى عنى أمير المؤمنين . فأعاده معاوية الى سابق منزلته .

وروى الهيثم بن عدى : لما انهزم عبد الله بن على من الشام قدم على المنصور وفد منها ، فتكلموا عنده . ثم قام الحارث فقال : يا أمير المؤمنين إنا لسنا وفد مباهاة ، وإنما نحن وفد توبة ، ابتلينا بفتنة استخفت كريمنا واستفزت حليمنا ، ونحن بما قدمنا معترفون ، ومما سلف منا معتذرون ، فان تعاقبنا فقد أجرمنا ، وإن تعف عنا فطالما أحسنت الى من أساء منا . فقال المنصور للحرسى : هذا خطيبهم . وأمر برد ضياعه عليه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة الرعد

— ٤ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ . أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ ٱلْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَاتُ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ » .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

لقد تجلى فى صدر السورة الكريمة من آيات ربك الكبرى ما يسد باب الارتياب ، ويقطع دابر الشك ببرهان اليقين . تجلت فيها قدرة العزيز القادر ، وحكمة العليم الحكيم ، فى ملكوت السموات والأرض ، وتسخير الشمس والقمر ، وتسخير السحاب ، وإجراء الأنهار ، وتنويع الثمار ، وقد استمدت من غذاء واحد ، وسقيت بماء واحد ، ومع هذا كان منها الحلو والمر ، ومنها النافع والضار ، ومنها ما يصلح للغذاء ، وما يصلح للدواء . فكان من الوضوح بالمكان العظيم أن من كانت هذه آثاره لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم ؛ وأن من خلق السموات والأفلاك والكواكب والحيوان والنبات ، وأبدع فيها من الحكم ما يبدو لكل ناظر ، ويزداد جلاء عند كل تأمل ، **فقدرته وحكمته وعلمه لا يصح أن تكون موضع ارتياب ولا محل**

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

شك ؛ وأن من بقى عنده بعد ذلك ريب أو شك فقد أهمل قضية عقله ، وأعرض عن فطرته ، وحقت عليه كلمة الضلال ، لا يعرف الى الهدى طريقا ، ولا الهدى يصل اليه من سبيل . فمثل هؤلاء هم أعجوبة الزمان ، وشواذ بنى الانسان ، والمنحرفون عن مقتضى العقل ، والخارجون على قانون الفطر . وإن شئت فقل : هم الذين أُعطوا أسباب السعادة ، ومُكِّنوا من طريق النجاة وطيب الحياة ، فولوا عنها مدبرين ، وتنكبوا الطريق السوى ، وسلكوا مسالك الشياطين . فهل هنالك أعجب من حال هؤلاء ؟ إن هذا لهو العجب العجاب ، والغريب المحير للألباب !

فقوله تعالى : « وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد » تراه من الآيات السابقة بمنزلة الثمرة من الشجرة . ذكر تعجبهم من أن يقدر الله على إعادتهم بعد أن ماتوا وصاروا ترابا ، ولم يكفهم تلك الآيات الكبرى الدالة على عظيم قدرته ، وواسع علمه ، وبديع حكمته . فأى الفريقين أحق بالعجب : أهؤلاء الذين تبهرهم الآيات والدلائل ، وتتوافر على مطلوبهم جميع الوسائل ، فيمرون عليها معرضين ، ويتحيرون فى أمر هو واضح كل الوضوح ، أم قدرته تعالى على إعادة ما أوجد بدءا ، وعلمه بتفصيل ما خلق وأنشأ ، وحكمته فى أن يعيد الناس ليوم الجزاء الأوفى ليجزى كل امرئ بما سعى ؟

أما إن العجب العجاب لهو فى مظهرهم الذى كشف عن منتهى غبائهم ، وانكشفت به مخازيهم ، فإن كان هناك عجب ، فالعجب من بقائهم فى حمأة الجهالة يعمهون ، وأنهم عن غيهم لا ينتهون ، بعد ما وضحت الأدلة التى تقطع ظلام الشك بنور اليقين .

فالمخاطب فى قوله تعالى : «وإن تعجب » هو من يتأتى منه العجب ، وكأنه بدأ بذلك فى سياق حكاية عجبهم من البعث بعد الموت ليقتلع عجبهم قبل نباته ، وليسد عليه طريق التطرق الى الآذان ، فضلا عن أن يتمكن من الأذهان . وكأنه قيل : هم يعجبون للإعادة بعد البدء ، وهم فى عجبهم هذا أحق بأن يتعجب منهم ومن غفلاتهم ، وقد تجلت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

البراهين أمام أعينهم . ويكون المعنى : إن تتعجب أيها المخاطب من شىء فأولى الأشياء بالعجب هو هذه الحالة الشاذة . أو إن ترد أن تتعجب فها هو ذا شأنهم أمامك يشبعك عجبا ، فلا تبتغ وراءه عجيبا . ويصح أن يكون الخطاب موجها الى النبى صلى الله عليه وسلم ، كأنه قيل : إن تعجب يا محمد من حال ، فالعجب هو ما بدا على قومك الذين عهدت فيهم سعة العقل وقوة المدارك ، لا يزالون بعد هذه الآيات فى حيرة وتعجب يقولون : أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد . ولا تعارض بين المعنيين .

ويلوح أن الوجه الأول أشد فى النعى عليهم ، والتشنيع على فساد رأيهم .

وترتيب الجزاء فى قوله : « فعجب قولهم » على الشرط أى « إن تعجب » من جهة أن معنى « فعجب قولهم » أى فتعجب من قولهم الخ . أى إن أردت العجب فتعجب من هذا ، أو إن تعجبت من شىء ما فى الوجود فتعجب من هذا ، فهو أحق شىء بالعجب . وإنما كان هذا عجبا لأن تعجبهم من حصول البعث لا يعدو أن يكون لتوقفه على القدرة أو على العلم بتفاصيل المُعاد وذهاب جزيئاته فى كل مذهب ، أو لخفاء حكمته . فأما القدرة والعلم فكيف يخفى شأنهما عليهم وقد وضح الأمر بما تجلى فى العالم من آثار قدرته وواسع علمه وحكمته ؟ وأما الحكمة فهل يريدون أن يبقى هذا العالم فوضى تبعا لشهواتهم وأهوائهم ، ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ؟

قوله : « أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد » :

هذا مقول قولهم ، فمحله نصب . أو هو بدل من قولهم على أنه بمعنى المقول ، فمحله الرفع . والأول أوجه ، لأن التعجب فيه كأنه صرف الى تلفظهم بهذه المنكرات ، أى أن نفس النطق بها والتفوه بها عجب أى عجب ، فما بالك بالجملة نفسها . وهذا كما تقول لمخاطبك : أنا أعجب كيف أدرت لسانك بهذه الكلمة ، وكيف نطق بها فوك ، بل كيف وردت على خاطرك ؟ وأمثال ذلك ، مبالغة فى إنكار الكلمة نفسها .

وتكرير الاستفهام الإنكارى فى العبارة المحكية عنهم ، لحكاية الإنكار المتمكن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من نفوسهم ، كأنهم قالوا : أنبعث بعد أن نكون ترابا ؟ أفنكون فى خلق جديد بعد البلى ؟ والخلق : التكوين ، والجديد : ضد القديم ، وأصله من قولهم : ثوب جديد كأنما قد جده الحائك عن نول نسجه ، أى قطعه .

ولقد ساقوا تعجبهم بصورة تساعد نفوسهم على استنكار إعادتهم ، وذلك بصوغ العبارة الدالة على تجديد خلقهم بأسلوب يدل على رسوخهم فى الجدة ، وذلك فى قولهم : أئنا لفى خلق جديد ، وجعل ذلك فى الوقت الذى كانوا فيه ترابا ، وذلك فى قولهم : أئذا كنا ترابا ، وذلك ليظهر منشأ الاستبعاد والإنكار الذى يحاولون تقريره .

قال تعالى : « أولئك الذين كفروا بربهم ، وأولئك الأغلال فى أعناقهم ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » :

أجل : إن من ارتاب فى قدرة ربه على هذه الهنات الهينات بالقياس الى عظيم قدرته ، ولم يسلم أنه قادر على أن يعيد ما بدأ خلقه ، فقد كفر بربه الذى خلقه فسواه ولم يك شيئا ، وعلمه ما علمه بعد أن أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا ، وآتاه رزقه فنماه ورباه وكان لا يملك شيئا ، أفمن يعترف بهذه النعم التى أفاضها الله عليه وهو لم يعمل لاستحقاقها شيئا ، يصح أن ينكر قدرة هذا الرب العظيم على الإعادة وهى أهون عليه ؟

أما إن الذين ينكرون البعث أو يرتابون فيه أو يتعجبون منه لهم هم الذين كفروا بربهم ، وأنكروا نعمه عليهم : من خلق وتربية ، ورزق وتنمية . فلو اعترفوا بالنعمة لما حام حول عقولهم هذه الشبهة . وأولئك الأغلال فى أعناقهم ، تغل أعناقهم عن الالتفات الى باهر الآيات ونير البينات ، فهم بإعراضهم عن النظر فى الآيات المحيطة بهم كمن أخذ عنقه فى غل ، فلا يستطيع الالتفات يمنة أو يسرة . والغل فى العنق كالقيد فى الرجل . وهذا كما قال تعالى فى سورة يس : « إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مُقْمَحُون » . فهو من باب تمثيل المعرض عن النظر فى آيات الله بصورة من وضع الغل فى عنقه فمنعه عن تحريك رأسه . والمقمح هو المعرض . وأصله

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

البعير يرد الماء فيرفع رأسه ويشمخ بأنفه فلا يتناول الماء وهو محتاج اليه وميسور لديه . وعلى ذلك يكون قوله : « وأولئك الأغلال فى أعناقهم » وصفا لهم فى الدنيا ، وهو المناسب لقوله : « كفروا بربهم » . وقيل إنه وصف لحالهم فى الآخرة كقوله تعالى : « إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يُسحبون فى الحميم ثم فى النار يُسْجَرون » . وهو المناسب لقوله تعالى بعد : « وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

وأقول : إن المعنيين لا تعارض بينهما ، فلا مانع من إفادة الآية لكليهما ، فهم فى الدنيا محجوبون عن النظر والتفكر والاهتداء ، وفى الآخرة تكون الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ، ففى أعناقهم أغلال (١) الدنيا وأغلال الآخرة .

وقوله : « وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » نتيجة لازمة للجملتين قبله ، فماذا يكون حق الذين كفروا بربهم وغلت أعناقهم عن التفكر فلم يهتدوا ، وسحبوا بالأغلال فى الحميم ، إلا أن يكونوا أصحاب النار هم فيها خالدون ؟

ومعنى أنهم أصحاب النار أنهم ملازموها لا ينفكون عنها ولا تنتهى صحبتهم لها ، كما يدل عليه التعبير بالجملة الاسمية « وأولئك أصحاب النار » دون مثل عبارة : وهم يصحبون النار ، مثلا . وقوله : « هم فيها خالدون » أعيد الضمير لتكرار الإسناد ، تثبيتا للخلود ، بتقريره مستقلا بنفسه لا تابعا للجملة قبله ، ولبيان انصباب الخلود فيها عليهم انصبابا مباشرا .

بقى الكلام فى اختيار اسم الاشارة فى التعبير عنهم دون الضمير ، وفى حكمة تكراره فى الجمل الثلاث :

(١) ولا يقال إن هذا من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز وهوممنوع ، لانا نقول : على تسليم منعه فلا خلاف فى جواز عموم المجاز ويكون الاغلال هنا مستعملا فى كل ما يحول بين المرء ومراده من غل حسى فى الآخرة ومعنوى فى الدنيا وهو صوارف الشهوات والاهواء .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أما الأول فقد قرر علماء البلاغة أنه إذا ذكر شيء بصفات يستحق بها حكما ، ثم أريد ترتيب الحكم على تلك الصفات ، فإنه يؤتى فى التعبير عنه باسم الاشارة ، كأن ذلك يحضره فى الذهن متصفا بالصفات التى سبقت له ، وكأنه ينصب أمام الذهن بحالته التى هو عليها ، فتشاهده النفس بصفاته ، فتوقع عليه الحكم من أجل تلك الصفات البادية عليه .

وأما التكرار فليتكرر حضوره فى الذهن بتلك الصورة ، فيوقع عليه الحكم باستحقاقٍ فى كل مرة .

ونظيره وإن بعدت المسافة بين الفريقين قوله تعالى : « أولئك على هُدًى من ربهم وأولئك هم المفلحون » فإنه عبر عنهم بأولئك فى الموضعين لبيان أن سبب استحقاقهم هذا الحكم هو تلك الصفات السابقة : من تقواهم ، وإيمانهم بالغيب ، وإقامتهم الصلاة ، وإنفاقهم مما رزقهم الله ، وإيمانهم بما أنزل الله على رسوله وعلى الذين من قبله ، وإيقانهم بالآخرة وما أعد فيها .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قال تعالى : « ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المَثُلاَتُ ، وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وإن ربك لشديد العقاب » :

كان شأنه صلى الله عليه وسلم مع قومه فى قيامه بتبليغ رسالة ربه أن يدعو الناس لتوحيد الله وتمجيده ، ويأمرهم بطاعته وإفراده بالعبادة وحده ، ويبين لهم واضح المحجة بقويّ الحجة ، فمن اتبعه فقد اهتدى ، ومن أعرض عنه فإن له نكال الآخرة والأولى ، فكان حينما يعرضون عن النظر فى الآيات البينة التى يجلوها على أبصارهم وبصائرهم ، يخوفهم عذاب الله فى الآخرة وفى الدنيا ، فكانوا إذا خوّفهم عذاب الآخرة أنكروا البعث والمعاد ، حتى يبهرهم بالأدلة التى تقطع شقشقتهم ، كما تراه فى الآيات السابقة ، إذ تدرج من بيان دلائل القدرة والعلم والحكمة ، الى تقرير المعاد وتسفيه آراء من ارتاب فيه بعد ما وضح الصبح لذى عينين . وإذا خوفهم عذاب الدنيا استهزءوا به

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقالوا : ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ، بل تعنتوا وتمادوا فى طغيانهم وقالوا : « لن نؤمن لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض ينبوعا » الى قوله : « أو تسقط السماء كما زعمت علينا كِسفًا » بل ازدادوا عتوا وقالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » .

كل هذا كان يحصل منهم وترتاح اليه أفئدتهم ، بل كانت نزعتهم أقرب الى الشر واستعجال الضر . فكان من عادة الحكمة الإلهية ألا يستخفها سخفهم ، ولا يؤثر فيها نزقهم وطيشهم ، ولكن الله يفعل ما يشاء مما يحتوى على عظيم الحكمة ومتقن التدبير ، وأرقى أساليب التربية ، فهو يملى لهم ويمهلهم حتى تزول النعرة عن نفوس بعضهم ، فيلوى على الآيات التى أنكرها وإذا بها تتلألأ أمام عينيه نورا ، وتكون شرته قد هدأت ، ونفسه قد سكنت ، فيلهمه الله ما فيه سعادته بعد طول شماس ، فيؤمن ويحسن إيمانه ، ويتمادى آخر فى غيه وبهتانه ، فلعله إن لم يؤمن جاء من عقبه من يوحد الله ويعبده . وكم من مؤمن نبت من صلب كافر ، فإن مات على كفره فالله شديد العقاب ، كما قال تعالى : « وأملى لهم إن كيدى متين » .

ولقد أبرز المولى جل وعلا سخافتهم على وجه يجب أن يتوارى صاحبه من الخزى ، إذ حكى عنهم أنهم مولعون باستعجال السيئة ، وليس هذا من العقل فى قليل ولا كثير ، فالعاقل إنما ينتظر منه استعجال الخير لا استعجال الشر ، ثم قال : « قبل الحسنة » أى أنهم يطالبون إليك أن يسبق عذابهم رحمة الله التى هم مهيئون لنيلها لو كانوا يعقلون . ولو أن الأمر لم يسبق له سوابق لكان لهم بعض العذر ، أما وقد خلت المثلات من قبلهم ، وشاهدوا ديار وآثار من عتوا ممن قبلهم كعاد وثمود ، فما كان لهم من عذر فى تعريض أنفسهم للإصابة بما أصاب من قبلهم ، أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم بطشا وأكبر قوة ، فما نفعهم ما كانوا فيه ، ولا دفع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عنهم عـذاب الله . فأى سخافة تلك التى استحوذت على عقولهم فمنعتهم أن يبصروا مواقع الشر والخير ، فيتلمسوا لأنفسهم ما به يصلحون ؟

والمراد بالسيئة العذاب الدنيوى الذى كانوا يوعدون به ؛ والمراد بالحسنة ما كان الله يعدهم به على لسان رسوله من الثواب والكرامة فى الآخرة ، والنصر والظفر والتمكين لهم فى الملك فى الدنيا .

وقوله : « وقد خلت من قبلهم المثلات » الجملة حالية . والمعنى : يستعجلونك بالضرر ينزل بهم فى حال أنه قد أصاب من قبلهم ، وقد وصلت إليهم أنباؤهم .

والمثلات : جمع مثلة ، وهى العقوبة التى تترك صاحبها مثلا فى التنكيل وعبرة لمن يعتبر . وكان من أراد أن يوقع بشخص قال له : لأجعلنك مثل فلان ، فكأنه يضرب به المثل فى النكال . وهذا فى الغالب إنما يقال على العقوبة الفاضحة ، كسمل العين ، وخلع الأذن ، وتشويه الوجه ، وأمثالها مما يقال فيه : قتل فلان ومثل به . أو تسميتها مثلة لأنها على قدر الجريمة . ومثلها كما يقال : واحدة بواحدة . والمعنى الأول أقرب .

وأما قوله تعالى : « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب » : فهو رد عليهم ليلقمهم بذلك حجرا ، فهو يقول لهم : ما كان تصرف الله فى خلقه تابعا لأهوائكم ونازلا على حكمكم ، وإنما لله تعالى فى خلقه شئون هو أعلم بحكمتها ، فهو يغفر لبعض الناس مع ظلمهم ، وهو أعلم بعاقبة أمرهم ، ويشدد العقوبة على آخرين ، وهو حكيم عليم فيما أنزله بهم ، فلا يغرنكم واسع إمهاله ، ولا تيأسوا من رحمته .

وهكذا يجب أن يكون المرء فى كل حياته بين رجاء الله والخوف من عقابه « إن ربك لشديد العقاب وإنه لغفور رحيم » . وهكذا يجمل بالمربى الحكيم أن يراعى الحكمة فى تربيته لا ما يملى عليه من غيره .

نسأله تعالى أن يشملنا بعفوه ومغفرته ، وأن يعمنا برحمته التى وسعت كل شىء ؛ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

ابراهيم الجبالى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أفعال العباد

والرد على الجبرية والمعتزلة وتحقيق الحق فى ذلك

ورد إدارة المجلة أسئلة كثيرة من صاحب الإمضاء، نقتصر منها اليوم على هذا السؤال الذى يهم كثيرا من الناس، وجوابه الذى أسهبنا فيه. قال السائل بعد الديباجة:

نريد من فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ يوسف الدجوى أن يبين لنا ما هو الحق من مذهب الجبرية والمعتزلة والأشاعرة فيما يقع منا من أفعالنا، وأن يفيض القول فى ذلك إفاضة لا تدع فى قلوبنا شكا، ولا فى نفوسنا حيرة. فإن هذه المسألة مشكلة غاية الإشكال. وكيف لا وقد ورد فى القرءان الكريم آيات تفيد أن الله سبحانه وتعالى خلقنا وما نعمل، وأنه يضل من يشاء ويهدى من يشاء. ومن يضلل الله فما له من هاد.

وقد ورد به أيضا عدة آيات أخرى تفيد أن الانسان هو الذى يشقى نفسه، وأن الخير منه تعالى، والشر من العبد.

فكيف نوفق بين هذه الآيات؟ وإذا كان المولى سبحانه وتعالى هو مدبر الأمور ومسير الخلائق حسب إرادته وأنى شاء، فلم يعاقبهم على ما اقترفوا من السيئات التى قدرها عليهم؟

عبد الرحمن عبد الفتاح
ناظر مدرسة نزلة احمد يونس

الجواب

الحمد لله. والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه.

جاءتنا أسئلة كثيرة حول هذا الموضوع، ولهذا رأينا أن نطنب فى الجواب ولا نختصر فيه، فنقول:

مذهب أهل السنة أن خالق أفعال العباد بعد اختيارهم وإرادتهم، هو الله تعالى،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا يصح أن يطلق اسم الخالق على غيره عز وجل ، ولكن للعبد تدخُّل فيه باختياره ، وهو أحد الأسباب التي يتوقف عليها وجوده ، بل هو أعظم حلقات سلسلة الوجود وأهمها ، على ما ستسمع بعد ، إن شاء الله .

وإنه ليكفي لنصرة مذهب أهل السنة وسقوط مذهب الجبرية ، أن الجبرية قد صادموا البديهة ، وخالفوا المحسوس . فإن كل إنسان يفرق تفرقة ضرورية بين حركاته الاختيارية والاضطرارية ، وكل ما صادم الضرورة وناقض البديهة فهو غير مسموع ولا مستحق للرد عليه .

وقد كان من حقهم ألا يشتموا من شتمهم ولا يضربوا من ضربهم ولا يعاقبوا من جنى عليهم . ولكن من عرف استعداد الانسان ، وأنه مظهر المتضادات والمتناقضات ، ومجمع العجائب والغرائب لم يستغرب ذلك .

ولقد رأينا من متناقضات النوع الانساني ما يضحك الثكلى ويبكي الحليم :

فنرى المعتزلة قد غالوا في التوحيد بزعمهم حتى وصلوا الى التعطيل بنفي الصفات ، وزلوا في هذه المسألة زلة لا تقال .

والمشبهة قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام . والروافض غالوا في النبوة والإمامة حتى وصلوا الى الحلول والقول بالعصمة في غير الأنبياء .

والخوارج أفرطوا حتى كفّروا بالذنب . والمرجئة فرطوا حتى أغروا الناس بالمعاصي ولم يقيموا لها وزنا ، الى غير ذلك من الحماقات والجهالات .

وإن شئت فانظر الى ما وقع فيه الخلاف حتى كان المختلفون فيه على طرفي نقيض ، كالعلم ، وهو من أظهر الأشياء لدى كل إنسان ، فقال بعضهم : إنه لا يحد لكونه ضروريا . وقال آخرون : لا يحد لكونه من النظريات التي يصعب تحديدها . وكذلك اختلافهم في الوجود وفي الضوء (الى آخر ما يلهيكم عن أعظم المصاب وأكبر الألعاب) .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا غرو فقد قال الله فى حق الانسان : « إنه كان ظلوما جهولا » . وقال فى بيان طيشه : « خلق الإنسان من عجل » . « وكان الإنسان عجولا » . وإن من ضعفه الذى خلق عليه جهله بضعفه (ولو عرف ضعفه لكانت تلك المعرفة دواء ضعفه) . وقد يفسد استعداد الانسان حتى يكون الدليل عنده مثيرا للشبهة والشك . والنور لا يزيد الخفاش إلا تخبطا وحيرة . وقد قال تعالى فى حق القرءان الذى هو هدى ونور : « يُضل به كثيرا ويهدى به كثيرا » .

الرد على المعتزلة وبيان فساد مذهبهم :

أما المعتزلة فهم أعظم الناس جهلا ، وأكثفهم حجابا ، وأكبرهم جراءة على الله ، وأبعدهم عن إدراك ما جاء فى كتاب الله وسنة رسول الله ، وأشدهم مصادمة لصرائح النصوص ، وأكثرهم تأويلا لها .

ولو تأملوا قليلا لعلموا أن الموجودات تنقسم الى ماله الوجود من ذاته ، والى ماله الوجود من غيره ، وكل ماله الوجود من غيره فلا قوام له بنفسه ، بل إذا اعتبرت ذاته من حيث هى ، كان عدما محضا . وقد عرف فى أحكام الممكن أنه ليس له شىء من ذاته ، وأن الوجود والعدم بالنسبة اليه سواء ، فلا بد أن يكون وجوده وجميع أحواله مفاضة عليه من غيره ، وهو الواجب عز وجل .

أليس من أوضح الأدلة على أن العبد فى قبضة الحق (وهكذا يجب أن يكون العبد مع الرب الذى شملت ربوبيته كل شىء ، ويجب له بمقتضى إلهيته أن يرجع اليه الأمر كله ، وألا يخرج عن حيطته وهيمنته شىء من الأشياء) أليس من أوضح الأدلة على ذلك أنه تعالى أظهر للناس كل شىء ، وبين لهم كل طريق ؟ ولكن لا يمكنهم أن يسلكوا من طرق السعادة الدنيوية أو الأخروية إلا ما أراده الله لهم ، فريقا هدى وفريقا حق عليه الضلالة .

فبينهم كتاب الله ينطق بالهدى ، وسنة رسوله تهدى الى صراط مستقيم . وكم سمعوا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من نصائح الناصحين وإرشاد المرشدين ، وكل ذلك واضح المعنى عالى المبنى سافر المحيا غير مبرقع ولا محجوب . فهو على طرف الثمام المتناول . ولكنهم يمرون به فلا يرون ضوءه المتلالى ، ولا يسمعون نداءه العالى ، وكأن فى آذانهم وقراً وعلى أبصارهم غشاوة .

وكذلك مسألة السعادة الدنيوية . وانظرها إن شئت فى الأغبياء الذين لا يعرفون كيف يسيرون ، والأذكياء الذين قتلوا كل شىء بحثا ، وتجلت لهم كل الطرق بأوضح معانيها وأدق خوافيها ، وجميع مباديها وغاية مراميها . فكأن لسان القدرة الإلهية يقول: أوجدت كل شىء من وسائل الخير والشر والضلال والهدى ، وجعلته واضحا بينا على جانبى الطريق الذى تمرون فيه كل يوم تشاهدونه بأبصاركم ، وترون من يقع ومن ينجو ، ومن يرتفع ومن ينخفض . ومع ذلك كله لا يمكنكم أن تقتطفوا ثمرة من تلك الثمار ، أو تتظللوا بشىء من ظلال تلك الأشجار ، أو تتوسلوا الى سعادتكم بشىء من تلك الوسائل التى جعلتها غير محظورة ولا محجورة ، وكأنكم لا تبصرون أو لا تعقلون . أفلا تعرفون بذلك أنكم تحت قدرتنا وإرادتنا ، ولن يمنعنا من ذلك جعل الأعلام واضحات ، والطرق بينات ، والدلائل ناطقات ، ووجوه الأمور سافرات ، ليكون ذلك أدل على قدرتنا ، وأظهر فى بيان تصرفنا واختيارنا ،فنجعل الأشياء سافرة تمام السفور ، ونعطيكم الأبصار التى تخرق الستور ، ومع ذلك نجعلكم لا ترون ذلك النور ،فلا تسلكون أو لا تستطيعون ، لتعلموا أن الله بكل شىء محيط ، وأنه على كل شىء قدير ،فأين تذهبون أيها المحجوبون ، سنستدرجكم من حيث لا تعلمون ، وإنما أمرنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ، وبيدنا ملكوت كل شىء والينا ترجعون .

ومع ذلك كله يتجرأ المعتزلة على القول بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية وإن لم يردها الله عز وجل فتنفذ مشيئة دون مشيئة الله « كَبُرَت كَلِمَةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كَذِبا » .

على أننا نرى كل أحد يحس بالقضاء القاهر حتى الملحدين والماديين ، وإن كان لهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عبارات أخرى تغاير عبارات الموحدين ، فيقولون : لم تمكنا الظروف ، أو الظروف قضت بكذا ، أولم يساعدنا الحظ . الى آخر عباراتهم الدالة على امتلاء نفوسهم بالقهر الإلهى والعجز البشرى .

وأما تشبث المعتزلة بالبحث عن أسرار الله فى خليقته ، وحكمته فيما قضى وقدر ، ورد كل شيء الى مقاييسهم الفاسدة وأفكارهم الضعيفة ، فناشىء من جهلهم بالله وجهلهم بأنفسهم . فإن حل مسألة القدر على وجهها التفصيلي يستدعى أن تدرك كنه علاقة الخالق بالمخلوق ، وأن يكون علمك بترتيب الأشياء وأسرارها وما يجب لها وما فيها من الحكم مساويا لعلم الله تعالى ، والفكر الانسانى له حد محدود يقف عنده ولا يتأتى أن يجاوزه .

وكأن من خواصه أنه لا يصل الى كنه الأشياء وحقائقها ، ومتى أراد ذلك اعترته الشكوك والأوهام ، فارتد طرفه خاسئا وهو حسير . فليس له من العلم بالأشياء إلا درجة مخصوصة يقف عندها ولا يتعداها . ولذلك كانت الفلسفة فى كل زمان مثار الأوهام ، ومعشش الخيالات ، ومنبع الشبهات :

قل لمن يفهم عنى ما أقول قصر القول فذا شرح يطول
ثمّ سر غامض من دونه قصرت والله أعناق الفحول

سبحانك ما عرفناك حق معرفتك ، لا فى ذاتك ولا فى صفاتك ولا فى أفعالك . وهكذا الألوهية يجب ألا يعرفها غيرها ، ولا يحيط بها سواها .

ولنتنزل قليلا فنقول : هل يمكن الطفل أن يعرف السر فى كل ما فعله أبوه ؟ وهل يتأتى تفهيمه ذلك ؟ ولو صح هذا للزم أن يكون استعداد الطفل كاستعداد أبيه ، وفهمه كفهمه أو قريبا منه .

ولديك الوجدانيات التى نحس بها ونحن من نوع واحد ، لا يمكن صاحبها أن يفهمها لغيره . بل المحسوسات التى لم نعرفها ولا ما يشابهها ، لا يمكننا أن نفهمك إياها ، كطعام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لم تذقه قط ولا ذقت ما يشبهه ، ولذلك لا يمكننا أن نفهم الصبي لذة الوقاع ، ولا من خلق أكمه تلك الألوان المختلفة ، وهكذا الأشياء كلها .

وأنت تعلم أن الحيوان البهيمي لا يبلغ بما له من الإلهام الى تعرف حكمة الحكماء ، وتصانيف الأذكياء ، ومعارف الفطناء ، ولا يتمكن من معرفة مقدار زيادتهم عليه . فكذلك الحكماء لا يعرفون جميع حكمة الله تعالى ، ولا يستطيعون أن يعرفوا مقدار زيادتها على ما يعرفون . وقد انكشف لموسى عليه السلام وهو هو صحة ما فعل الخضر بعد القطع ببطلانه .

ومما يجب الالتفات اليه أن الوهم فى هذه المسألة غالب بقوته على من لم يعارضه بتذكر كمال الربوبية ونقص العبودية ، ويتضرع الى الله فى إمداده بهدايته . وينبغى للانسان فى هذا المقام أن يتذكر ما يعلمه من نفسه ، من شدة الجهل ، وقلة العلم ، وتردده فى الأمور ، وحيرته فى أشياء كثيرة ، ورجوعه عما كان عليه مرارا ، وندمه البالغ على كثير مما فرط منه .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقد قلنا : إن الله تعالى وصفه فى كتابه العزيز بأنه ظلوم جهول . وقد كان ينبغى أن تعلم من التجربة المتكررة ، ومن قصة الخضر عليه السلام ، التفاوت العظيم بين الخلق فى معرفة الدقائق ، وخفيات الحكم ، ومحكمات الآراء ، ومعرفة عواقب الأمور ، فكيف يكون التفاوت بين الخلق وخالقهم عز وجل ؟

ولنتنزل غاية التنزل فنقول :

لو وهب الله عز وجل لبعض خلقه نصف علمه سبحانه لجاز أن يكون ذلك التأويل فى النصف الآخر . فما أتى الانسان فى توهمه نفى الحكمة إلا من جهله بقدر علمه وعلم الله تعالى ، مع أن علمه الجملى بحكمة ربه كاف شاف . وإن علمه بكمال ربه فى جميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا ، مع نقص العبد فى كل شىء وكثرة جهالاته وظلمه ، وخبث كثير من طباعه وغلبتها عليه ، يكفيه وازعا عن اتباع سنة إبليس حيث نازع ربه فى حسن سجوده

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لآدم . وهذه هي سنة السفهاء من الناس الذين قالوا : «ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها». وقد قال سبحانه وتعالى لملائكته : « إني أعلم ما لا تعلمون » . قال على كرم الله وجهه لمن سأله عن مثل هذا : اعلم أيها السائل أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب ، الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب . فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه رسوخا .

وقد قال مالك لمن جادله : أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا لجداله ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ولننشد هنا قول الزمخشري :

العلم للرحمن جل جلاله وسواه في جهلاته يتغمغم
ما للتراب وللعلوم وإنما يسعى ليعلم أنه لا يعلم

وإنك لتعلم الفرق بين قدرتك التي لا تستطيع أن تخلق ذبابا ، وبين قدرته التي خلقت السموات والأرض وما لا يحصى من العوالم . فلتعلم أن الفرق بين علمك وعلمه كالفرق بين قدرتك وقدرته . وقد جاءتني هذه الأبيات عفوا :

لما علمت بما للعلم من سعة وما لرب البرايا الحق من عظمه
عزلت عقلي فلم أقبل تخرصه فيما يظن لجهل أنه علمه
وعند ما قد بحثنا عن حقيقته قد استبان لنا ما فيه من تهمه

وأحسن طريق عندي أن تفكر في دقائق خلقتك العجيبة ، وما أودع في كل عضو من أعضائك من الأسرار ، وما نيط به من الوظائف ، وما يكتشفه علماء الفزيولوجيا من ذلك حتى الآن مما أدهشهم . وكذلك علماء الحيوان والنبات والفلك ، حتى قال العلامة الشهير (هرشل) : كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لا حد لقدرته ولا نهاية لحكمته . فالجيولوجيون (علماء طبقات الأرض) والرياضيون والطبيعيون قد تعاونوا وتضافروا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد أتينا على كثير من ذلك فيما كتبناه فى هذه المجلة، خصوصا فى تفسير قوله تعالى: « إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين » فهل نشك فى حكمته بعد ما شاهدنا ذلك وأضعافه وأضعاف أضعافه؟ فعلى العاقل أن يملأ قلبه بالفكر فى المحكم لا فى المتشابه، « وأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ».

وبعد: فلنقل كما قال بعضهم:

إننا نعلم أن لنا إلها لاشريك له، فيجب بمقتضى ألوهيته ألا يخرج شىء عن حيطته كما قال تعالى: « وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس ». « ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ». ونعلم أن لنا أفعالا اختيارية لا نشك فى أنها باختيارنا. فلنؤمن بأول السلسلة وآخرها، ولندع ما بينهما.

ومع كونى أطلت، أجد فى نفسى باعثا قويا أن أتكلم كلمة وجيزة فى فعل الانسان واختياره، غير معرج على مايذكره الأشاعرة فى تفسير الكسب الذى أصبح مضرب الأمثال فى خفائه، فيقال فى كل شىء دقيق أو غير مفهوم: إنه أخفى من كسب الأشعرى. فلهذا لا أريد أن أخوض بك تلك الغمرات التى قلما تخرج منها مقتنع النفس مطمئن القلب، فأقول وبالله التوفيق:

تقريب لمذهب أهل السنة
الذى هو وسط بين مذهب المعتزلة ومذهب الجبرية بعبارة واضحة

من البدهى أننا نختار الفعل على الترك، والترك على الفعل، فنرجح ماشئنا متمتعين بالحرية. وقد كان يجب أن يكون هذا كافيا فى الجزم بحريتنا واختيارنا. وقد تعلم أن ما يعارض البدهى أو المحسوس يجب ألا يلتفت اليه، ويكفى فى سقوطه مصادمته للبديهة كما قلنا فى رد مذهب الجبرية.

ولسنا نشك فى أن لنا تدخلا فى الفعل. فإذًا لنا شىء فى العمل لا محالة، وإن كنا نعتقد أن ما يسّره الله كان وما لا فلا، لأننا لا نستطيع أن نوجد جميع الأسباب التى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يتوقف عليها وجود الفعل ، فإن ذلك بيد الله وحده ، فهو المهيمن عليه ، والقادر على إيجاده وترتيبه . وكيف لا يكون لنا تدخل والأسباب الجمادية لها تدخل فى الأشياء كما هو مذهب السلف المأخوذ من القرءان ؟ قال تعالى : « يُنبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات » . فجعل الإنبات به كما جعل الإحياء به فى الآية الأخرى « فأحيا به الأرض بعد موتها » فالباء للسببية الظاهرة ، وإن كانت الأسباب غير مستقلة ولا قائمة بنفسها . والممكنات كلها كذلك ، ولكن لها خصائص فى عالم الحكمة ، وإن كان المتأخرون لهم من العبارات ما يفيد سلب كل خاصة لها وفائدة ترجع اليها ، محافظة على توحيد الأفعال فيما ظنوا . ولكنهم وإن وفوا بحق القدرة قد أخلوا بحق الحكمة التى جعلت الأشياء مراتب وقضت بالتفاوت بينها ، فلم تجعل النار كالماء ، ولا السم كالترياق ، فسبحان من خلق فسوى ، وأعطى كل شىء خلقه ثم هدى ! فكيف لا يكون لنا تدخل فيما يكون منا ؟

هل السبب الآلى أقوى من السبب المفكر المختار ، الذى يستطيع أن يقلب الأسباب الآلية ويسيرها فى أى طريق شاء وهو أعظم منها ، فإنها مسخرة له وهو مليكها ، فكيف لا يعطى ما أعطيته من الأحكام وهو أقوى الأسباب وأعظمها ؟ ولماذا يجعلون من الأسباب التى يتوقف عليها الفعل نظر الانسان وإرادته واختياره وترجيحه ؟ هل يكون لغير العاقل المقهور من التدخل فى الفعل ما ليس للعاقل المختار ؟ اللهم إن ذلك غير معقول . فلم يبق إلا التحديد وبيان مقدار ما للعبد من ذلك ، وهو غير ضرورى للعلم الانسانى ، بل غير ممكن . فإن اكتناه الأشياء كما هى غير مستطاع للانسان ، ولا داخل فى متناول قدرته . فهذا الغذاء الذى هو من أظهر الأشياء فى أدواره وما يترتب عليه لا نعرف من أمره إلا الظواهر التى لا تسمن ولا تغنى .

أما كيفية انقلابه أعضاء مختلفة : فيصبح عينا باصرة ، وأذنا سامعة ، ومخا مدركا الخ فهذه أشياء لا نعرفها ولا نستطيع أن نعرفها . وكذلك ما تنبت الأرض من أوضح

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الواضحات من حيث أطواره المعروفة ، ولـكن كيف تكوّن هذا النبات من التراب ، وكيف استحال التراب أزهارا بهية وأثمارا شهية ، فذلك مما لا سبيل الى الوصول إليه . وهكذا الأشياء كلها .

ومما يجب أن يلتفت إليه أن كل شيء نستطيع البحث فيه الى حد محـدود . فإذا تجاوزنا ذلك الحـد استغلق علينا وانسدت أبواب الفهم فيـه ، فأخذنا نضرب فى متاهات الخيال ، ونخبط فى مهامه من الظنون والأوهام ، فتضاربت الأقوال وتناقضت الآراء .

وسر ذلك أن الانسان لايكاد يعرف إلا ماوقع عليه الحس ، ثم ينتزع منه ما قدرله من المعلومات والمتخيلات على حسب استعداده . ثم هو بعـد ذلك تارة يصيب فيما ينتزع ويستنبط ، وتارة يخطئ فيما يحدس ويتخيل . وقد قرروا أن الوهم كثيرا مايغلب العقل ، وأن القضايا الوهمية كثيرا ما تشتبه بالقضايا الضرورية . والحق الذى عرفناه بالعـلم ثم بالتجربة ، أن السلطان الغالب على الناس فى هذا العالم إنما هو سلطان الوهم لا سلطان العقل ، ولا يكاد يخلص من سلطان الوهم إلا الفذ بعد الفذ .

هذا ولا نزال نقول : إن حقائق الأشـياء المشاهدة التى يقع عليها الحس ويدركها اللمس لا يصل اليها الانسان تماما ، وإن كان يظن ذلك جهلا وتبجحا .

فالعلم بكنه الأشياء على ما هى عليه من كل وجه ، مختص بالله تعالى : « ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء » . وقد خلقت على حد محدود فى عقلك ، كما خلقت على حد محدود فى سمعك وبصرك .

ولو عرفنا هذه الحقيقة فلم نجاوز قدرنا ولم نتعد طورنا ، لزال هذا العناء ، وذهب ذلك الشقاء . وهى حقيقة يجب أن تقرر وتكرر ، حتى تملأ الرءوس ، وتثبت فى النفوس .

ومن العجيب أنهم أطالوا القول فى هذه المسألة (مسألة أفعال العباد) منجدين ومتهمين ، مشرقين ومغربين ، فكانت من أعوص المسائل بين الفرق الاسلامية والمسيحية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولو تأملوا لعرفوا أنه لا فرق بينها وبين غيرها ، فكل شيء من الأشياء عويص إذا أردنا أن نقف على كنهه وحقيقته ، فما بالنا نتجاوز قدرنا ثم نكثر من الصراخ والضوضاء ؟

ولو تركنا كلام المتأخرين فى هذه المسألة ورجعنا الى سلفنا الصالح ، لوجدنا كلامهم أدخل فى باب الحقيقة ، وأقرب الى الذوق والاقتناع . فانظر الى قولهم : «أمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض » يريدون أن العبد ليس بمستقل استقلالا تاما ، ولا هو مجبر على ما يأتى ويذر . وهذا شيء نحس به ولا ننكره ، وإن لم يمكننا تحديده كما قلنا .

وقد سأل الامامَ عليا كرم الله وجهه شيخ بعد انصرافه من صفين ، فقال : «أخبرنى عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء الله وقدره » ؟ فقال : « والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة إلا بقضاء الله وقدره » . فقال الشيخ : « عند الله أحتسب عنائى ما أرى لى من الأمر شيئا » فقال له : « مه أيها الشيخ : لقد عظم الله أجركم فى مسيركم وأنتم سائرون ، وفى منصرفكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا فى شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين » فقال الشيخ : « فكيف ساقنا القضاء والقدر » ؟ قال : «ويحك : لعلك ظننت قضاء مجبرا وقدرا قاسرا . لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب ، والوعد والوعيد ، والأمر والنهى ، ولم تأت لائمة من الله لمذنب ، ولا محمدة لمحسن ، ولما كان المحسن أولى بالمدح من المسيء ، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن . تلك مقالة جنود الشياطين وشهود الزور ، وأهل العمى عن الصواب ، إن الله أمر تخييرا ، ونهى تحذيرا ، وكلف يسرا ، لم يعص مغلوبا ، ولم يطع مستكرها ، ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثا ، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار » .

وقال الإمام الرضا : «إن الله هو المالك لما ملكهم ، والقادر على ما أقدرهم ، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادا ، وإن اختاروا معصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يحل وفعلوا فليس هو الذى أدخلهم فيه » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أقول : ولهذا كله ترى القرءان ينسب الأفعال الى العبد تارة والى الله تارة أخرى ، نظرا للأمرين ، وتوفية المقامين . وهكذا يجب فى الشريعة الحكيمة التى تعتبر الأسباب وتراعى المراتب ، ثم لا تلبس أن تلفتك الى الحقائق وما يجب اعتقاده فى حق الخالق ، الذى تستمد جميع المخلوقات منه ، ولا غنى للممكنات عنه ، بمقتضى إلهيته الشاملة ، وربوبيته التى تمد كل شىء وتحيط بكل شىء .

والخلاصة أن هنا غلطتين : (الأولى) ظنهم أن علم الله بالأشياء يوجبها بطريق الجبر لا بطريق الاختيار . ولا أدرى كيف يفهمون ذلك ، مع أن العلم لم يتعلق بفعلك إلا على وجه الاختيار منك ، فهو إذاً يؤكد الاختيار ولا يعارضه . و(الثانية) إخراج الإرادة الانسانية من سلسلة الأسباب وجعلها لغوا فى البين . وقد اختصرنا لك الطريق ، وأهدينا إليك لباب التحقيق .

وبعد : فمن عرف الألوهية وعظمتها ، لم يطمع فى معرفة أسرارها ولا اكتناه حكمتها فى مخلوقاتها ، فإنه تعالى دبر العالم على حسب علمه لا على حسب علمك . وكل من عرف عظمة الربوبية لم يوجه اليها سؤالا ، ولم يتبع فى شأنها خيالا . وما جاءت المصائب كلها إلا من تقديس الانسان عقله القاصر ونفسه الجاهلة ، وعدم معرفة ربه . ولكن اقتضى قصور عقله أنه لا يدرك قصور عقله ، وجهل نفسه أنه لا يدرك جهل نفسه .

كلمة ختامية :

رأينا أن نختم كلمتنا هذه بما رواه البيهقى فى كتابه الأسماء والصفات عن عمرو ابن ميمون عن ابن عباس رضى الله عنهما : أنه لما بعث الله موسى وكلمه قال : اللهم أنت رب عظيم ، ولوشئت أن تطاع لأُطعت ، ولوشئت ألا تعصى لما عُصيت . وأنت تحب أن تطاع وأنت فى ذلك تعصى ، فكيف هذا يارب ؟ فأوحى الله اليه : إنى لا أسأل عما أفعل وهم يسألون . فانتهى موسى . رواه البيهقى فى مجمع الزوائد وعزاه الى الطبرانى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وزاد فيه . فلما بعث الله عزيرا سأل الله مثل ما سأل موسى ثلاث مرات ، فقال الله تعالى له : أتستطيع أن تصر صرة من الشمس ؟ قال : لا ، قال : أتستطيع أن تجيء بمكيال من الريح ؟ قال : لا ، قال : أتستطيع أن تجيء بمثقال أو بقيراط من نور ؟ قال : لا ، قال : فهكذا لا تقدر على الذى سألت عنه . فقال عيسى عليه السلام : القدر سر الله تعالى فلا تتكلفوه .

وروى الطبرانى عن وهب عن ابن عباس أنه سئل عن القدر فقال : وجدت أطول الناس فيه حديثا أجهلهم به ، وأضعفهم فيه حديثا أعلمهم به ، ووجدت الناظر فيه كالناظر فى شعاع الشمس : كلما زاد فيه نظرا ازداد تحيرا . وقد قال تعالى : « إنى أعلم ما لا تعلمون » .

وسر ذلك أن الله قد خلق العوالم كلها كالشىء الواحد ، فلا يمكنك أن تحكم على شىء من الأشياء بالأحكام الصحيحة المحيطة إلا إذا أحطت خبرا بجميع العوالم وما بينها من العلاقات ، وما لها من المراتب ، وما فيها من الأسرار .

وقد تعرضنا لهذا الموضوع فى رسالتنا تفسير قوله تعالى : « لا يسأل عما يفعل » بغير ما قاله المفسرون . ولعلها خير ما كتب فى هذا الموضوع فيما نظن ، والفضل لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولنقهر القلم على ترك الجولان فى هذا الميدان ، والموفق يكفيه القليل ، والمخذول لا يقنعه الكثير .

أسأل الله أن يعرفنا قصور عقلنا ، وعظمة ربنا ، وأن يقينا شر الفتنة ، وألا يكلنا الى أنفسنا طرفة عين بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

معاملة التجار وما فيها من الربا

استفتاء موجه الى فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى

لا يخفى على فضيلتكم أن المعاملات قد تطورت حتى تركزت على حالة غير التى كانت عليها فى الأزمان السالفة ، فقد كان الرجل لا يقدم على شراء شىء إلا إذا حصل على ثمنه فى يديه فيشتريه ويبيت مطمئنا لا يطالبه أحد . أما الآن فقد استساغ الكل الأخذ بالآجال ، فلا زارع ولا تاجر ولا موظف ولا ذو مهنة ، إلا وقد أصبح مدينا . ومن تساهله فى الدين صار يتداين فيما لا ضرورة له ، حتى صار كل واحد يئن مما عليه . وهذه حال عمت القرى والأمصار ، فلا تجد بلدا إلا وهذا حاله .

وقد نشأت هذه الحالة من وجود البنوك فى جميع أنحاء العالم ، وهم يمدون المصانع بالأموال لكى تتوسع فى صناعتها ، ومتى توسعت اضطرت لتصريف مصنوعاتها . ومع كثرتها لا تجد مشترين يشترونها نقدا ، فتبيعها بالآجال . وهكذا تفعل مع الزراع والتجار ، حتى توسعوا فى أعمالهم ، واضطروا هم أيضا لترغيب الناس فى شراء ما عندهم بالآجال ، فأصبح جميعهم مدينا ودائنا معا . ونشأت حالة لا مناص منها وهى التعامل على قاعدة الربا . وعليه صرنا فى حاجة الى فتواكم على السؤالين الآتيين :

١ — هل ما يدفعه التاجر من الفوائد عند تأجيل دفع المستحق عليه يعد معاملة بالربا ، ولو كان فى حالة اضطرارية مرغمة له ؟

٢ — وهل بيعه كمبيالات الدين الذى له على الناس يعد معاملة بالربا ، مع العلم بأنه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يبيعها بأقل من قيمتها، وهو إنما يضطر الى ذلك لأنه هو الطريق الوحيد الذى يصونه من السقوط والإفلاس والخراب المحقق؟

نرجوكم الجواب عن ذلك ولكم من الله الأجر والثواب. والسلام عليكم ورحمة الله؟

عباس عوف
احد التجار بالسكة الجديدة

الجواب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وأصحابه.

لا يجوز تأخير الدين مع الزيادة فيه لأجل التأخير. وهو ربا الجاهلية الذى عناه النبي صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بقوله: «ألا وإن ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب».

وقد ذكروا فى قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مُضاعفَة واتقوا الله لعلكم تفلحون» فى سبب نزول الآية أن الرجل فى الجاهلية إذا كان له على إنسان دين، فإذا جاء الأجل ولم يكن للمدين ما يؤدى، قال له صاحب الدين: زدني فى المال حتى أزيدك فى الأجل، فربما فعلوا ذلك مرارا حتى يصير الدين أضعافا مضاعفة، فنهى الله عز وجل عن ذلك، ونزلت الآية.

وقد نص الفقهاء على أن هذه الزيادة ممتنعة، سواء كانت فى القدر أو فى الصفة. بل نص الفقهاء على أنهما إذا اتفقا قبل انقضاء الأجل على أن يؤخره أجلا ثانيا على أن يدفع له رهنا أو حميلا، كان ذلك فى معنى الزيادة، وكان ممنوعا، لئلا يلزم عليه سلف جر نفعا. بخلاف ما إذا اتفقا عند الأجل على أخذ الرهن أو الحميل على أن يؤخره بعد الأجل الأول، فذلك جائز، لأنه كابتداء سلف على رهن أو حميل.

وعلى الجملة فهى لا تجوز. وهى داخلة — كما نص الفقهاء — فى باب: أنظرنى أزدك.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومسألة بيع الكمبيالات المؤجلة بأقل مما فيها محرمة أيضا ، لأنها داخلة فى تلك القاعدة القائلة : كل سلف جر نفعا فهو حرام . وهذا قد أقرضه مائة مثلا ليأخذها بعد سنة مائة وسبعة أومائة وعشرة على حسب الاتفاق الذى بينهما على ما بيّنه السائل .

وليس ما ذكره من الاضطرار والارغام بمبيح للربا . ولو أبحناه لأجل ذلك لكنا كمن يداوى الأمراض الحادة بالمخدرات التى تحدث تسكينا وقتيا ، ثم يعود الألم بعد ذلك بأشد مما كان ، مع ما يستتبع هذا العلاج من أمراض جديدة هى أخطر من المرض الأصلى .

فالدواء الحقيقى لهذه الكوارث التى شرحها السائل وذكرها على طولها ليكون فيها عظة وعبرة ، إنما هو التفكير فى استئصال هذه الأمراض من جذورها : بالرجوع الى العمل بالشريعة وتعاليمها الحكيمة ، التى تقى كل من اتبعها من التعاسة والشقاء فى الدنيا والآخرة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فلندع ذلك البذخ الفارغ ، وذلك الظهور الكاذب ، ولنعلم أن الضرورى للانسان فى هذه الحياة قليل لا كثير . ولكن الناس يغلطون فى هذا غلطا فاحشا ، فتشتبه عليهم الحاجيات بل الكماليات بالضروريات . ومعلوم أن الكماليات لا حد لها ، بخلاف الضروريات ، فما أقلها وأهون أمرها :

نصف رغيف مشبع لمن أكل فالذل يا هذا لماذا يحتمل
هوّن على نفسك فالدهر دول غايته الموت وإن طال الأمل

وليت شعرى ماذا صنعوا بتلك الظواهر الخلابة مع تلك الأفكار المضنية ، والمؤلمات المبكية :

لا تغترر بنعيمهم فجسومهم فى جنة وقلوبهم فى نار

وعندى أنه لو كانوا ذوى حزم ورشد لتخلصوا من تلك الورطات بأية طريقة ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وعملوا على تطهير أموالهم وإراحة أنفسهم من تلك الرزايا ولو بالتصفية المؤلمة (وليتولوها طوعا قبل أن يتولاها غيرهم قهرا).

ولا غرو فالمريض يرضى ببتر أحد أعضائه ليعيش مستريحا من ألم المرض وانتشاره في جميع الأعضاء. ومدار الأمر فيما أراه على قوة العزيمة وتوطين النفس على الرضا بالقليل، وسلوك سبيل الاقتصاد في كل ما يأتي ويذر. وإذا صدقت منه العزيمة في الرجوع الى الله والتوبة مما هو فيه، فسيجعل الله له فرجا ومخرجا «ومن يتق الله يجعل له مَخْرَجًا ويرزقْه من حيث لا يَحتسِب». ولأن يؤسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان، خير من أن يؤسس بنيانه على شفا جرف هار ينهار به في نار جهنم.

وكم شقاء يتصور للناس بصورة السعادة «أفمن زُين له سوء عمله فرآه حَسَناً». وكم أناس ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. وما أحسن قول من قال:

إني أرى الدنيا وليدة فتنة رعناء قد كبرت عن الترتيب
قد جاء منطقها ونص كتابها بالزور من خلق ومن تهذيب
ألف التناحر نازلوها وانتهت من غير تأليف ولا تبويب
يزداد فيها العقل عن مقدورها والعقل يدنيها من التخريب

وخلاصة القول أنه لادواء إلا ماجاء به الشرع الشريف، غير أن المضطر له حكم آخر فيما بينه وبين الله تعالى تقتضيه الرحمة الإلهية، ولكن ذلك خارج عن حد الفتوى في تحديده وبيان مقداره. ولعل صاحبه أدرى به من كل أحد، ولكن عليه أن يقدر الضرورة بقدرها، وألا يغش نفسه، وأن يلتجئ الى الله تمام الالتجاء متضرعا باكيا حتى يرشده ويعينه، ثم ينجيه من دسائس نفسه الأمارة بالسوء، فإنها أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، فليكن منها على حذر، وليكن رجوعه دائما الى خالق القوى والقدر، فإليه يرجع الأمر كله «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مُمْسِكَ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لها ، وما يُمسكْ فلا مُرسِلَ له من بعده ، وهو العزيز الحكيم » . « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها » .

أسأل الله أن يصلح حال المسلمين فى دينهم ودنياهم ، وأن يلهمهم الرجوع الى العمل بشريعتهم حتى يسعدوا سعادة لا شقاء بعدها ، بمنه وكرمه ؟ **يوسف الدجوى**

من هيئة كبار العلماء

استيضاح لفتوى

وقفت على فتواكم فى مجلة نور الاسلام على سؤال الأستاذ أحمد محمد العدنى فى صفحة ٥٤ من المجلد السادس لسنة ١٣٥٤ وهى إجازتكم صرف أموال الزكاة المفروضة على الأغنياء الى مواساة فقراء المستشفى من المسلمين ، وجلب الأدوية لهم ، وعمارة أبنية بإزاء المستشفى المذكور للفقراء المذكورين ، وعمارة مدرسة إسلامية تعدّ لتعليم البنات صونا لهن عن غشيان مدارس المبشرين مع جلب المعلمات المسلمات . فقد جاء جوابكم على طبق السؤال مشيرا الى مشاهدة الحال ، صريحا فى صرف الزكاة الى ما أفاده السائل وحكاه مع شرطه فى آخر تحرير الجواب ، كما لا يخفى على ذوى الألباب .

وبما أن لى بعض الإلمام بالعلوم الاسلامية ، فلى فى ذلك مقال ينبغى بيانه ، ولا يسعنى كتمانه ، فأقول وبالله التوفيق :

لا يخفى عليكم أنه سبحانه وتعالى قد حصر الصدقات فى ثمانية أصناف ، تضمنهم قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » . وكذا قوله صلى الله عليه وسلم لسائله الزكاة : « إن الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم هو فيها فجزأها ثمانية أجزاء ، فإن كنت فى تلك الأصناف — أى الأجزاء — أعطيتك حقك » . رواه أبو داود .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لها ، وما يُمسكْ فلا مُرسِلَ له من بعده ، وهو العزيز الحكيم » . « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها » .

أسأل الله أن يصلح حال المسلمين فى دينهم ودنياهم ، وأن يلهمهم الرجوع الى العمل بشريعتهم حتى يسعدوا سعادة لا شقاء بعدها ، بمنه وكرمه ؟ يوسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء

استيضاح لفتوى

وقفت على فتواكم فى مجلة نور الاسلام على سؤال الأستاذ أحمد محمد العدنى فى صفحة ٥٤ من المجلد السادس لسنة ١٣٥٤ وهى إجازتكم صرف أموال الزكاة المفروضة على الأغنياء الى مواساة فقراء المستشفى من المسلمين ، وجلب الأدوية لهم ، وعمارة أبنية بإزاء المستشفى المذكور للفقراء المذكورين ، وعمارة مدرسة إسلامية تمدّ لتعليم البنات صونا لهن عن غشيان مدارس المبشرين مع جلب المعلمات المسلمات . فقد جاء جوابكم على طبق السؤال مشيرا الى مشاهدة الحال ، صريحا فى صرف الزكاة الى ما أفاده السائل وحكاه مع شرطه فى آخر تحرير الجواب ، كما لا يخفى على ذوى الألباب .

وبما أن لى بعض الإلمام بالعلوم الاسلامية ، فلى فى ذلك مقال ينبغى بيانه ، ولا يسعنى كتمانه ، فأقول وبالله التوفيق :

لا يخفى عليكم أنه سبحانه وتعالى قد حصر الصدقات فى ثمانية أصناف ، تضمنهم قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » . وكذا قوله صلى الله عليه وسلم لسائله الزكاة : « إن الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم هو فيها فجزأها ثمانية أجزاء ، فإن كنت فى تلك الأصناف — أى الأجزاء — أعطيتك حقك » . رواه أبو داود .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فعلم من الحصر بإنما فى الآية أنها لا تصرف لغيرهم ، وهو مجمع عليه ، وإنما وقع الخلاف فى استيفائهم : فمذهب الشافعى رضى الله عنه : يجب استيعاب الأصناف إن قسم الامام وهناك عامل، وإلا فالقسمة على سبعة ، فإن فقد بعض الأصناف رد على الموجودين منهم . ومذهب الشافعى أيضا : فى سبيل الله : هم الغزاة الذكور الذين لا سهم لهم فى ديوان المرتزقة لاستعماله فى الجهاد أغلب عرفا وشرعا ، بدليل قوله تعالى فى غير موضع: « يقاتلون فى سبيل الله » فحمل الإطلاق عليه ، وإن كان سبيل الله بالوضع هو الطريق الموصلة اليه وهو أعم. قال العلماء : ولعل اختصاصه بالجهاد لأنه طريق الى الشهادة الموصلة الى الله تعالى ، فهو أحق بإطلاق سبيل الله عليه .

ولا يجوز أيضا فى مذهب الشافعى صرف الزكاة فى عمارة المساجد وتكفين الموتى وغير ذلك من المصالح العامة . وإذا كان لا يجوز صرفها الى ما ذكر فلا يجوز صرفها أيضا الى ما أفاده السائل ، فإنه من باب أولى ، لأن غايته أنه من المصالح العامة ، فلا يجوز صرف شىء من الفىء المتطوع ، بل لو عدم الفىء واضطررنا الى المرتزق ليكفينا شر الكفار ، أعانه الأغنياء من أموالهم. كما لا يصرف الفىء الى مصارف الزكاة .

وقول المجيب : « إن البنات والمرضى المذكورين من جملة الفقراء والمساكين ، وإن الجماعة التى تأخذ الزكاة كأنها وكيلة عن أولئك الفقراء والمساكين » لا بأس به ، ولكن هذا متعذر حصوله عرفا وشرعا ، وذلك أن الجماعة المذكورة لا يجوز لها قبض الزكاة من الأغنياء وصرفها فيما ذكر إلا بإذن من الفقراء والمساكين ، بل ومن جميع المستحقين . ولاشك أن هذا الإذن متعذر ، وصرف المتعذر متعذر ، لأن كل أحد من المستحقين متشوف لخروج الزكاة ومراقب لأخذها ، ولا تسمح نفسه بتركها الى ما ذكر . كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس » . رواه الحاكم بإسناد على شرط الشيخين . وحيث إن الأغنياء دفعوا زكاتهم على هذا الوجه المتعذر ، لم تبرأ ذممهم عن الزكاة ، بل يبقى حق المستحقين عندهم ، لأن عملهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مردود ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » متفق عليه . ولأحمد « من صنع أمرا على غير أمرنا فهو مردود » . وقال فى الفتح : وهذا الحديث معدود فى أصول الاسلام وقاعدة من قواعده ، فإن معناه « من اخترع فى الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت اليه » اهـ .

وقول المجيب معللا : « لو فرضنا أن هناك فقيرا تعذر تسليمه الزكاة لجنونه مثلا أو لغير ذلك ، لم نتوقف فى جواز إعطاء الزكاة لوليه والقائم على أمره ، فهكذا هنا » . فنقول : إن هذا فى غاية البعد ، لأنه ليس كل فقير مجنونا ، وليس كل فقير مسلوب العبارة ، وإنما جوز فى حق المجنون ونحوه لفقد عبارته ، ولأنه حجر عليه الشارع ، فلو لم يكن عليه الحجر المذكور لكان مثل غيره . فشتان بين المقيس والمقيس عليه . وحيث إنى رأيت الجواب فى غاية العموم بادرت ببيان هذا من باب التعاون على البر والتقوى ، ونرجوكم البيان فى مجلة نور الاسلام .

الفقير خضر بن عبد الله عبد الرحيم الحسينى اليمنى اللحجى

حول حرمة اليانصيب

ورد على المجلة هذا السؤال من الطالب المفكر الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى بالسنة الرابعة من القسم الثانوى بمعهد الزقازيق يقول ما ملخصه :

قرأت من مدة بمجلة نور الاسلام ما يفيد حرمة تداول أوراق اليانصيب ، للربا إن ربحت أو للغرم إن خسرت . ولكن فى نفسى من ذلك شبهة أريد إزالتها ، فإنها تثير فى نفسى حل تلك الأوراق وجواز بيعها وطيب كسبها . ذلك أن لتلك الأوراق فوائد عديدة ، ومكانة فى الأعمال الخيرية ، فهذه الجمعيات الاسلامية العديدة إن طالبت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ذوى اليسار بالتبرع لم تجد لهم أثرا ، وإن حثت الناس على الجود لم تلق منهم نصيرا . وأمام هذه الجمعيات أعمال كثيرة فى حاجة للمال وفقر للجهود الموحدة . فهذه جمعيات المواساة الاسلامية أرادت أن تنشئ مستشفياتها العظيمة ولو مكثت سنين طويلة ماجمعت مالاً يذكر . وهذه جمعيات الملاجئ والإسعاف وغيرها تشتكى من قلة المعين وندرة المحسنين . فالأمر أمران : إما أن تغلق هذه الجمعيات ، وإما أن تبحث عن مورد جديد تؤدى منه أعمالها ، فلو حرمنا اليانصيب لضاعت هذه الجمعيات وذهب أثرها .

بقى أن اليانصيب تعدّونه بيعا ، وهذا هو سر الإشكال . فلو نظرنا الى غرض تلك الجمعيات لرأيناه شريفا ، وهو حث الناس على التبرع للأعمال الخيرية بفرض مكافأة لبعضهم ليتسابقوا فى الإحسان . وإذا نظرنا الى مشترى اليانصيب وجدناهم لا يعدون طائفتين : طائفة مثقفة تعلم غرض الجمعيات فتدفع القرش جودا وإحسانا من غير انتظار لجزاء ، وطائفة تدفع القرش وتنتظر حظها عسى أن تكون من المكافئين . فأى ضرر فى ذلك والأمر لا يعدو أن يكون مكافأة ؟

الجواب

قال الله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » . وقد كان الميسر المعروف إذ ذاك عبارة عن اجتماع قوم من فتيان العرب ورجالاتهم ، يأتون بجزور ينحرونها ، ويأتون بقداح لهم كانت معروفة عندهم ، وهى الأزلام أو الأقلام ، وكانت عشرة ، لكل واحد منها اسم خاص : الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد ، فيضعون هذه الأزلام فى الربابة ، وهى خريطة خاصة بوضع الأزلام فيها ، ويسلمونها لأمين يديرها حتى يختلط بعضها ببعض ، ثم يمد يده على غير هدى فيخرج قدحا منها باسم واحد ، ثم آخر باسم آخر ، حتى يخرج العشرة الأقداح . وكان لكل قدح من السبعة الأولى نصيب معلوم : فللفذ جزء ، وللتوأم جزءان ، وهكذا الى المعلى يكون له

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

سبعة أجزاء . أما المنيح والسفيح والوغد ، فلا شيء لها بل أصحابها يغرمون ثمن الناقة المنحورة. وكان من عادتهم أن يتعففوا عن أكل لحم تلك الجزور، بل يفرقونه على الفقراء إباء وشمما ، فكان الكثير من الفقراء يلتف حولهم حينما يلعبون تلك اللعبة انتظارا لما يصيبهم منها .

فهذه هي المنافع التي ذكرها الله عز وجل بقوله : « ومنافع للناس » . فما كان يعود على اللاعبين من لحمها شيء ، بل يكتفون بلذة الظفر والفوز ، ومع ذلك حرمها الله عز وجل بعد ما أنصفها ببيان ما فيها من منافع وما فيها من إثم. فإنها تجدد واضحا في الحفيظة والحقد يملأ نفس المغلوب فيضمر الشر لمنافسه، وقد يندفع الى السرقة منه أو البطش به، مع الحسرة على مادفع ، ومع اشتطاط الغالب في التيه والصلف والمباهاة .

وهذا أمر من شأنه أن يوقع العداوة والبغضاء بين نفوس المؤمنين، كما قال تعالى : « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون »؟ ومظهر الايمان هو ما ذكر في قوله صلى الله عليه وسلم: « لن يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه ». وقوله عليه السلام :« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » فإذا نهوا عن ذلك الميسر وهو لا يعود عليهم منه شيء ، بل جميعه كان يصرف للفقراء ، فكيف تبيحه وهو يعود بحظ وافر بلا مقابل على واحد من الياسرين على حساب الباقين ؟

وقد قالوا في سبب تسميته بالميسر : إنه يجلب المال بيسرٍ وسهولة بدون أن يقدم المستفيد ما يناسب ما استفاده من المال ولو بعض المناسبة ، أو من اليسار أي الغنى فإنه جالب له بلاحق بالنظر لفريق ، سالب له كذلك عند الباقين .ولو رأيت بعض من أولعوا بالميسر من صغار النفوس من الموظفين مثلا ، وقد رصد لهم باعة تلك الأوراق ينتظرون خروجهم من الدواوين أول يوم في الشهر ليأخذوا منهم ثمن ما باعوه لهم أثناء الشهر من

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تلك الأوراق ، لفاضت نفسك عليهم حسرات ، إذ يكون أول ما يصرفه من رزقه ورزق عياله هو هذه النقود الملقاة على الأرض ، بل المقذوف بها فى اليم ، وهى عرق جبينه ، ومحط آماله وآمال أسرته .

ولقد عرضنا فى العدد الثامن من المجلد الأول من مجلة نور الاسلام لهذا الموضوع بتفصيل واف يوضح رجوع هذه المعاملة الى الميسر ، فنحب أن يرجع اليه القارئ ليقتنع أكمل اقتناع . ومما قلناه هناك : « إذا كان اليانصيب ميسرا فكيف أباحته القوانين الوضعية مع حظرها لعب الميسر ؟ وأقول : إن القوانين الوضعية لم تبحه بإطلاق ، وإنما رخصت لبعض الجهات الخيرية القائمة بالمشروعات النافعة أن ترتكب هذا الأمر المحظور بأصله لتصل الى مساعدات من الجمهور الذى قصر عن إدراك قيم المصالح العامة ووجوب النهوض بها ومساعدتها . فهى تكاد تشبه الانتقام من تلك النفوس الجامدة على الأموال ، بابتزازها منها بتصوير أن فى ذلك إعطاء لها . وكل من عرف ما يدور بخلد المقبلين على مشترى تلك الأوراق لا يخالجه شك فى أنهم إنما يشترونها طمعا فى مصادفة السعادة من غير طريقها المأمون » .

ولقد بينا فى ذلك الموضع أن الشارع أبان من طرق الترغيب فى التبرع للخير والبر ما لو اتبع تمام الاتباع لأغنانا عن مثل هذا الابتداع . وعلى الجملة فالحلال بين والحرام بين .

نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ابراهيم الجبالى

وصاة ابن صرحة الانصارى

أوصيكم بالله أول وهلة	وأحسابكم والبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم	وإن كنتم أهل السيادة فاعدلوا
وإن أنتم أعوزتموا فتعففوا	وإن كان فضل المال فيكم فافضلوا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مؤتمر تاريخ الاديان

بمناسبة قرب اجتماع مؤتمر تاريخ الأديان في بروكسل في سبتمبر الآتي .

وبمناسبة تولية حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم حفظه الله فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخا للأزهر ، وهو العالم الإمام الكبير ، المعروف بسمو مداركه وفهمه للاسلام فهما عاليا صحيحا ناضجا ، وفهمه للحياة الاجتماعية الحاضرة فهماً لا يقل عن ذلك .

وبمناسبة الحاجة الملحّة الآن لتوجيه القوى والجهود الى توطيد أركان السلام العام ودرء خطر الحروب العامة المستقبلة بقدر الامكان . وبمناسبة ما هو منتشر الآن في أوربا من الخيالات عن الاسلام ونبي الاسلام وكتاب الاسلام مما لا ينطبق على الحقيقة ، الأمر الذي لا يتناسب وروح التعاون بإخلاص بين الشرق والغرب .

بمناسبة كل ذلك ، أهيب بمؤتمر تاريخ الأديان أن يتوسع في مهمته نوعا لهذه الظروف المحيطة ، وأن يأخذ عن الاسلام وتاريخه فكرة جديدة من أعضائه المصريين الأزهريين ، وأن يجعل ذلك دستورا لفهم الحقيقة الاسلامية ينير به الرأي العام في أوربا لينقذها من شرين محيقين :

الأول : شر الجهل بفهم حقيقة ديانة يعتنقها أربعمائة مليون من الجمعية الانسانية يحتكون بأوربا احتكاك الجوار والخلطة والامتزاج والوحدة السياسية والاقتصادية ، بينما هذا الدين صريح الحقيقة واضح المبادئ والتعاليم ، ليس فيه غموض ولا التواء ، يدرسه المسلمون في معاهدهم دراسة علنية ، في أيدي المستشرقين لو أرادوا الخدمة العلمية الحقة أن يقفوا عليه من معاهده الاخصائية وقوفا تاما ، ولا سيما من أكبر تلك المعاهد وأقدمها عهدا منذ ألف سنة ، وأكثرها تبحرا ودراسة لجميع مذاهب الفقه الاسلامي ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهو معهد الأزهر الشريف ، ولأنه يقع فضلا عن ذلك فى أقرب البلدان الشرقية حضارة لأوربا ، وفى أعرق البلدان العربية فقها باللسان العربى الذى جاء به الدين الاسلامى . وقد ضم الأزهر الآن روحا جديدا من الثقافة العامة الى ثقافته الاسلامية ، مما يوجب على الجماعات الأوربية وأقسام اللاهوت فيها ومقارنة الأديان ، أن يتلقنوا معارفهم الاسلامية عنه ، فليست تلك المعارف بأقل شأنا من سائر البحوث العلمية التى تؤخذ عن الاخصائيين من أهلها .

الأمر الثانى الذى يجب أن تنقذ أوربا منه ، الناشىء من سوء فهمها للحقيقة الاسلامية ، هو ذلك الازدراء والطعن المنتشران فى بعض بيئات أوربا ضد الاسلام والمسلمين ، والمقابل بالمثل فى العالم الاسلامى . ولا شك فى سوء عاقبة هذه الروح العدائية بين أمم وشعوب متجاورة مشتبكة فى المصالح والاستعمار ، لا سيما والعالم الآن على شفا حرب مستعرة ، توقدها السياسة ، فتنفجر لها براكين العلم والكيمياء الجهنمية ، بما لم تره الكرة الأرضية فى تاريخها .

فيجب لذلك قبل حصول الخطر أن يصطلح الأخوان الغرب والشرق ، ويكف الغرب عن ازدراء الشرق والاسلام ، وتقف حركة التأليف المنتشرة فى أوربا بالطعن على الاسلام من المبشرين والمستعمرين والملحدين وجهلة المستشرقين ، وتنشأ حركة تأليف عكسية تقرب الهوة بين الشرق والغرب ، وترفع تلك البغضاء الشاحنة بين العالم الاسلامى والأوربى ، جذبا لأعنة السلام العالمى بأسباب هى فى أيدينا الآن .

ولا شك أن مؤتمر تاريخ الأديان هو قوة من القوى ، وعند الخطر تتجه القوى كلها الى درئه ، والمؤتمر صوت مقبول محترم ينفع ويسمع إذا علا وارتفع ، ولا لوم عليه إذا خص الاسلام بهذه العناية فى دورته هذه لمزيد احتكاك الاسلام بأوربا فى الوقت الحاضر .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فعلى أوربا الآن بعد فشل تجاربها العديدة ومؤتمراتها المتنوعة لضمان السلام العالمى أن تخلع عنها الكبرياء والغطرسة ، اللذين كانت تنظر بهما للاسلام فتراه صورة وحشية ، وأن تسعى فى فهم حقيقته عن أهله ، وأن تكف سفهاءها عن الطعن فيه ، وأن تتخذ منه جارا ونصيرا لمفاجآت الدهر المقبلة . ولها فى الأزهر وشيخه الحالى أعظم فرصة سانحة لحسن التفاهم العلمى والسلام .

محمد عبد السلام القبانى
المدرس بالأزهر

ما قيل فى اصطناع المعروف

قال الأحنف بن قيس : « ما ادخرت الآباء للأبناء ، ولا أبقت الموتى للأحياء شيئا افضل من اصطناع المعروف عند ذوى الأحساب »

وقال حكيم : « أحى معروفك باماتة ذكره ، وعظمه بالتصغير له » .

وقال حكيم آخر : « من تمام كرم المنعم التغافل عن حجته ، والاقرار بالفضيلة لشاكر نعمته » .

وقال غيرهما : « للمعروف خصال ثلاث : تعجيله وتيسيره وتستيره ، فمن أخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه ، وسقط عنه الشكر » .

وقيل لمعاوية بن أبى سفيان : « أى الناس أحب اليك ؟ قال : من كانت له عندى يد صالحة ، قيل : فان لم تكن له ؟ قال : فمن كانت لى عنده يد صالحة » .

وقال ابن المبارك : « عن حميد عن الحسن قال : لأن أقضى حاجة لأخ لى أحب الى من عبادة سنة » .

وقال اسماعيل بن مسرور عن جعفر بن محمد قال : « إن الله خلق خلقا من رحمته برحمته لرحمته ، وهم الذين يقضون الحوائج للناس ، فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن » .

وقالوا : « جهد المقل أفضل من غنى المكثر » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

دحض شبهات عن الاسلام

للأستاذ (أسياه بومان) العالم الجغرافى الأمريكى مؤلف عنوانه (العالم الجديد) أعاد طبعه وزاد عليه فصلا جعله تحت عنوان (العالم الاسلامى) ، وقد أفاض فيه فى نواح سياسية واقتصادية واجتماعية لا نرى أن نساجله البحث فيها ، ولكنه تعرض لناحية دينية لا نجد بدا من تصحيح نظره فيها . وإنا لناشرون هنا ما قاله فى هذا الصدد ، فإليك :

« قد وحّد محمد القبائل العربية التى كانت فى حالة تنازع مستمر ، وأقنعها بأن تجتمع على غرض مشترك هو إعلان الحرب على العالم غير الاسلامى وتوسيع سلطان المسلمين . فمضى على الاسلام ثلاثة عشر قرنا سمحت له فيها فرص كثيرة أن يمد رواق سلطانه على مساحات واسعة من الأرض وبين أمم مختلفة ، تخضع لتعاليمه السمر والسود والصفر ، وانتشر انتشارا مخيفا ليس بين أهل الشرق المزدحمين فى بيئاتهم فحسب ، ولكن بين سود أواسط أفريقا أيضا . وسيطرة الاسلام بوجه عام على أتباعه خارقة للعادة الى حد أنه لا يوجد قط مسلمون تحولوا الى الديانة المسيحية . فمنذ نشوئه لم يتأثر أتباعه بما طرأ على الممالك المجاورة له من الحالات المتعاقبة كالتقدم فى الثقافة أو فى السياسة ، وكالتفكك والتضام ، وكالتوسع والتقلص ، ولم يتأثروا حتى من نتائج الحرب العالمية .

« لم تعوز الاسلام الفرصة ليكتشف ضعف أقوى أعدائه ثم يكر فيقضى عليهم . وعلينا أن نتساءل : هل فى تاريخ الاسلام أو فى الموقف الحالى للعالم الاسلامى ما يعزز الخوف من أنه فى مملكته الواسعة قد يعمل للقضاء على المدنية الغربية الراهنة » ؟

فأجاب الأستاذ أسياه على نفسه : « بأن ذلك يقع لو أمكن اتفاقهم وتوحدهم ، ولكن لقيام عقبات من ضروب شتى فى وجوههم تمنع هذا الاتفاق ، فإنه لا يخشى منهم عليها » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا ما قاله الأستاذ أسياه ، وإن لنا فيه لكلاما ، فنقول :

يؤسفنا أن نرى عالما جغرافيا يعرض لدين عالمى يدين به نحو خمس سكان الأرض على هذا الوجه ، فيعطى للناس منه صورة لا تمت إليه بصلة من أية ناحية من النواحى .

إن الذى يتلو العبارة التى نقلناها هنا عن كتاب (العالم الجديد) يخيل إليه أن الدعوة المحمدية كان مرماها الوحيد تحقيق غاية حربية هى الاغارة على العالم غير الاسلامى ، وإخضاع أممه وشعوبه لحكم المسلمين . وهذه تهمة تنفّر من الاسلام كل من يطلع عليها ، ويعده خطرا على المدنية الانسانية ، وعلى النظم الاجتماعية ، فهل يستطيع الأستاذ (أسياه) أن يدلل عليها من نصوص كتاب الاسلام ، أو من تاريخ رسوله ، أو من سيرة أصحابه ؟

وهل يصح أن يكون للدين الذى يقول كتابه : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » غرض مادى يسعى لتحقيقه من وراء إذلال الأمم وإخضاعها لسلطان أهله ؟

إنا لعارضون هنا حقيقة الاسلام وأغراضه الاجتماعية السامية ليرى القارىء أين منها الأستاذ (أسياه) وغيره من الذين يكتبون عن الاسلام بغير بحث ولا تحقيق :

الاسلام قبل كل شىء دين أنزل على فترة من الأديان ، وبأخرة من الزمان ، ليبلغ أهل الأرض آخر رسالة سماوية ، ويختتم دور الوحى بحقائق فيها سعادة الانسانية ، وشفاؤها من عللها الخلقية والاجتماعية . فجاءها بأصول هى على أعظم جانب من الخطورة ، فهمها السابقون الأولون وتخلقوا بها وقاموا بنشرها ، فدانت لهم الأرض . فإن كان يهول الأستاذ (أسياه) الدوى الكبير الذى أحدثه المسلمون فى العالم ، فهو أثر هذه الأصول لا أثر تلك الفتوح ، وهذا سر بقاء جميع الشعوب الاسلامية على عقيدتها طوال هذه الأحقاب ، لا تنتقل عنها الى عقائد أخرى ، لأنها ترى أن ما هى عليه ليس مما يستبدل به شىء آخر من أعراض هذه الحياة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد كان يجب على الأستاذ (أسياه) أن ينظر ما هى تلك الأصول وماسر تمسك أهلها بها الى هذا الحد، لا أن يتعجل فيصف الاسلام بأنه أشبه باتفاق جنائى على تدويخ العالم وإخضاعه لقوم مخصوصين .

أما ما يوصى به الاسلام كل آخذ به فهو :

١ — دعوة الناس كافة الى تعارف عام ما داموا إخوانا أبوهم آدم وأمهم حواء ، والإهابة بهم الى التعفية على الحزازات النفسية التى أوجدتها الأوهام القومية ، والفوارق الجنسية واللغوية ، وحملتهم على التحاقد والتناحر . قال الله تعالى : «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح كلكم لآدم وآدم من تراب » .

٢ — والدعوة الى وحدة الدين . فإن الاسلام يقرر أن الله أوحى الى أنبيائه جميعا دينا واحدا هو ما يتفق والفطرة التى فطر الناس عليها ، ويتلاءم والعقل الذى غرس فى نفوسهم احترام أحكامه . ولكن قادة الأديان تناولوا هذا الدين بالشرح والتأويل متابعة لأهوائهم ، وإخضاعا للناس الى سلطانهم ، فاختلف عن أصله ، وذهبت كل أمة فيه مذهبا يباين ما عليه غيرها ، فبعدت بينهم شقة الخلاف ، فصار الناس يتبعون أوهاما وضعية ، لا حقائق إلهية . فكان الله يتدارك الانسانية بالرسل يبعثهم الى الأمم فى فترات من الزمان ليهدوها الى ما كانوا يختلفون فيه من الحق ، وختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلن للناس كافة حقائق أولية صرفهم عنها قادة الأديان استغلالا لجهالتهم ، وهذه الحقائق هى أن دين الله واحد ، وأن الأديان لم تتخالف إلا بسبب بغى قادتها ، وأن الاسلام هو ذلك الدين الفطرى الأول فى نقائه ، فهو ليس بشىء جديد يريد أن يكلف به الانسانية استغلالا للعاطفة الدينية . وأن الناس ما داموا قد خلقوا ليتعارفوا ويتعاونوا وجب عليهم أن يرجعوا الى هذا الدين الفطرى ويتخذوه إماما لهم ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومؤداه لا يخرج عما يجدونه منقوشا فى صميم قلوبهم بالفطرة ، وما يدركونه ببداهة العقل ، وهو : أن يوحدوا خالق الكون ولا يتناولوا ذاته بأفكارهم ، فانه يتعالى عن متناول العقول كما تعالى عن متناول الأبصار ، وأن يعتقدوا بجميع من أرسلهم الى الناس من رسل ، وما أنزل اليهم من كتب ، فلا يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض ، وأن يقيموا سلطان العقل ، فلا يستسلموا للأوهام ، ولا يعتقدوا شيئا إلا بدليل ، وأن يطلبوا الحق حيث كان ، ويقيموا العدل ولو على أنفسهم ، وأن يتخلقوا بجميل الخلال كالاحسان والرفق ، والسخاء والحياء ، والشجاعة والحلم والأناة الخ ، وأن يطمحوا الى معالى الأمور ويتجنبوا سفاسفها ، وأن يطلبوا العلم والحكمة حيث وجدوها ويعلموها الناس ، وأن يستعمروا الأرض ويحيوا مواتها ، وأن يتقنوا ما يصنعونه ويبلغوا به أقصى ما يمكن أن يبلغه من كمال ، وأن يرتقوا فى الأسباب ويأخذوا بالأصلح من كل شيء ، وأن يعملوا على نشر كلمة الله فى الأرض .

الاسلام يقول إن هذا كله مؤدى كل دين أنزله الله الى العالم ، فإن كان من الأمم من خلط فى عقائده ، وضل فى مذاهبه ، واستسلم لأوهامه وأوهام غيره ، فليس ذلك من دينه الفطرى الذى غرسه فى قلوب الناس كافة ، ولا من مولدات العقل فانه مفطور على نفى الخزعبلات ، ولكنه من استسلامه لزعماء أمكنهم من ناصيته فطوحوا به الى حيث شاءوا من مهامه الأضاليل ، ومتاه الخرافات .

أما وقد دار الزمان ، وبلغ العقل رشده ، فان الله أرسل رسوله محمدا بالدين الأقدم وهو دين الفطرة البشرية ، ليهيب بالناس اليه تحت ضوء العقل ، وعلى هداية من العلم .

هذه مرامى الاسلام ، وهى عينها مرامى كل فلسفة وعلم فى الأرض ، فمن أية النواحى يعاب أهل دين على تمسكهم بهذه الأصول التى تعتبر عالمية عامة لا قومية خاصة ؟ وأى اتفاق جنائى يمكن أن يلحظ فيها حتى يقوم مثل الأستاذ (أسياه) فى القرن العشرين فيعلن أن المسلمين يتربصون السوء بالانسانية ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ينزعج الأستاذ (أسياه) من أن المسلمين لم يتأثروا بما طرأ على الأمم المجاورة من الحالات المتعاقبة، ولم يتأثروا حتى من نتائج الحرب العامة. وإنى لسائله: إن قوما على مثل ما ذكرته هنا من الأصول القويمة، والمبادئ العالية، وعدم التناقض بين العلم والعقيدة، كيف يعقل أن يتأثروا من أحوال متعاقبة طرأت على الممالك المجاورة من شكوك فى الدين تحت تأثير العلم، ومن إلحاد فيه تحت مسولات الفلسفة المادية، ومن تولد المذاهب المتطرفة فيهم كالاشتراكية والشيوعية من سوء توزع الثروة بينهم، مما مزق أحشاء الممالك وجعل أهلها شيعا، ومما يهدد المدنية العالمية بالخطوب الجسام؟

يعجب الأستاذ أسياه من ثبات حال المسلمين بإزاء جميع هذه التقلبات، ولكنى أسائله: إذا كان قوم على مثل هذه المبادئ التى ذكرتها، لايجدون مطعنا فيما هم يدينون به من الدين، ولا مغمزا فى الأصول الاجتماعية والأدبية التى يوصى أهله بها، بل يجدون أن كل ما أصابهم من محن، وما أصاب العالم من ثورات وانقلابات، أدلة محسوسة على صدق ما لديهم من تلك الأصول، أفيكون تأثير هذه الانقلابات العالمية حولهم تثبيتا لهم فى عقيدتهم أم تشكيكا لهم فيها؟

أما كان الأولى بالأستاذ (أسياه) أن يدرس علل هذا الثبات من المسلمين أمام التقلبات الخاصة والعامة ليرى السر فيه كما فعل قبله مواطنه الأستاذ الكبير (دريبر) فأودع كتابه (التنازع بين العلم والدين) ما أودع من ثمرات الدرس المستقل والفكر الحر والنظر الصحيح؟

على أن دريبر ليس الوحيد فى دراسة الاسلام، فقد تقدمه (جوت) أكبر عباقرة الألمان فقال: «إذا كان الاسلام هو هذا فنحن إذن فيه». وتقدمه أيضا الفيلسوف الانجليزى الكبير (كارلايل) ومؤرخون وفلاسفة كثيرون وأقربهم منا (برناردشو) وقد بزهم جميعا بقوله: «إنه لو تولى العالم الأوروبى رجل كمحمد لشفاه من علله كافة، وإن العالم بدأ يفهم ما هو الاسلام، وإنه سيتم إسلام أوروبا عامة فى قرنين من الزمان».

أجل: ومن كان عنده دواء لنفسه وللعالم أجمع فإنه يفكر فى اتخاذ الوسائل التى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

توصله الى استعمال هـذا الدواء والانتفاع به ، وهـو ما نراه باديا اليـوم فى كل شعب من شعوب المسلمين .

يخشى الأستاذ (أسياه) من اتفاق المسلمين على مصير المدنية ، وفى هـذه الخشية دلالة كبيرة على تجاهله تاريخ المسلمين . فليس مثله من يستطيع أن ينكر أن المسلمين فى أول عهدهم أنقذوا المدنية العالمية من التلاشى ، وحفظوا العلم من الزوال . ألم يعلم أن العالم الانسانى كله كان فى إبان البعثة المحمدية فى ظلام حالك من الجهل تحت حكم الطوائف الدينيـة ، وكان يجازى بالحرق كل من يجرأ على أى بحث حـر أو إبداء أية نظرية ، أو القيام بترويج أى مذهب لم يكن مقررا من قبـل ، وأن الكتب العلمية كانت قد كدست فى خزائن مؤصـدة ترتع فيها الحشرات ، وتؤخذ من عيون كتبها الصحف لاستعمالها فى الحاجات العادية . فلما بعث الله المسلمين أخذوا يجمعون هـذه الكتب ويترجمونها الى لغتهم ، ويزيدون عليها من مباحثهم ، وينشرونها فى جميع أرجاء العالم ، وأنهم قد ألفوا بين مدنية اليونان والفرس والهند والرومان ، فأخذوا من كل منها أحسنه ، وأسسوا مدنية جديدة بزت جميع المدنيات التى سبقتها فى الأرض رواء وروعة ؟

ويرى الأستاذ (أسياه) بعينى رأسه نابتة المسلمين تدرس فى جامعات الغرب مع أبنائه جنبا الى جنب ، ويرى شعوب الاسلام تقتبس المدنية الحديثة ولا ترى حرجا إلا مما يرى أهل الغرب أنفسهم أنه خروج عليها يجب التصون منه .

فلا يخافن الأستاذ (أسياه) من المسلمين على هذه المدنية ، فإنهم كانوا السبب الأول فى ازدهارها بعد ذبول طال عليها الأمد فيـه ، بما أمدوها به من معارفهم ، وما زودوها به من صنائعهم . فلئن كان يخشى منهم على شىء منها ، فعلى العـوج الذى بها ، وعلى العلل التى أزمنت فى أحشائها ، وهذا يعتبر إصلاحا فيها لا إفسادا لها .

يروّع الأستاذ (أسياه) أن المسلمين قد توصلوا الى بسط رواق سلطانهم على مساحة عظيمة من الأرض .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نعم إن قوما يقومون على مثل ما قام عليه المسلمون من الأصول العالية والمبادئ القيمة لا يكونون جديرين لأن يبسطوا رواق سلطانهم على جزء عظيم من سطح الأرض فحسب ، ولكن يحق لهم أن يؤملوا أن يثوب الناس الى أصولهم ومبادئهم مسوقين بعوامل الترقي ، وهم لا يركنون الى هذه الآمال كما يركن أهل البطالة الى الأحلام المستحيلة ، ولكنهم يقررونها علميا ويشاركهم فى هذا الرأى رجال من أهل العلم الغربيين ممن لا يتهمون بمحاباة المسلمين وتملقهم .

فليهدأ بال الأستاذ (أسياه) وبال الذين يرون رأيه ، فإن المسلمين حموا العلم والمدنية أيام لا حامى لهما ، وجروا بهما شوطا بعيدا فى طريق الترقى والتكمل . وإذا عادت زعامة العالم اليهم كما كانت فسيكونون أبر الناس بهما وأكثرهم رعاية لهما .

هذا ما رأينا أن نعقب به على كلمة الأستاذ (أسياه) وإن لنا لكرّات أخرى على أمثال هذه التهم التى لا يفتأ يرى المسلمين بها بعض المتكلمين عنهم وعن دينهم حتى يحق الله الحق بكلماته ، وهو خير الناصرين . **محمد فريد وجدى**

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الارض الخصبة أفضل المال

قال معاوية بن أبى سفيان لصعصعة بن صوحان : إنما أنت هاتف بلسانك لا تنظر فى أود الكلام ولا فى استقامته ، فان كنت تنظر فى ذلك فأخبرنى عن أفضل المال .

فقال : والله يا أمير المؤمنين إنى لأدع الكلام حتى يختمر فى صدرى ثم أذهب به ، ولا ألهف فيه حتى أقيم أوده ، وأخبر متنه ، وإن أفضل المال لبرة سمراء فى تربة غبراء ، أو نعجة صفراء فى نبعة خضراء ، أوعين ثرارة فى أرض خوارة .

قال معاوية : لله أنت فأين الذهب والفضة ؟

قال صعصعة : حجران يصطكان ، إن أقبلت عليهما نفدا ، وإن تركتهما لم يزيدا .

ونظر عبد الله بن عباس الى درهم بيد رجل فقال له : إنه ليس لك حتى يخرج من يدك . يريد أنه لا ينتفع به حتى ينفقه ، ويستفيد غيره مكانه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

وقفنا بحضرات القراء عند حدود متنوعة من البحث الفقهى، الذى يتلاقى مع ماسن فى البلاد من قوانين لها أوثق اتصال بالأحوال الشخصية ويجرى تطبيقها فى المحاكم الشرعية ،إرادة أن نكشف لهم عن جانب من جنبات الفقه الاسلامى فى نوع من معاملات العباد بعضهم لبعض ، يتصل به علم القضاء فى محاكم الأحوال الشخصية ، ويفصل فيه على هدى مذاهب الأئمة المجتهدين ، وآراء الفقهاء المشترعين .

والآن نريد أن نعرض ولو بإلمام يسير فى هذا الجعفر عن حكمة إرسال الرسل ، تمهيدا للكلام فى الجعفر الثالث عن حكمة تشريع النكاح ، ثم فى الرابع عن محرماته ، وفى المبحث الخامس عن مباحاته ، وفى الجعفر السادس عن اضطراب وقع فى آراء المشترعين فى الفقه الاسلامى بين جمهرة من علماء بعض العصور المستحدثة ، وفى المبحث السابع عما أطبق عليه المشترعون فى أحكام النكاح بكافة فروعه ، والثامن عن الأسرار فى مشروعية الطلاق بكافة مدلولاته بما وقع فيه من اصطلاحات متباينة فى حدودها وتفاصيلها لدى الطوائف الاسلامية والفرق المسيحية ، وأقوال أئمة علماء الفروع وما يفتقر اليه المبحث من مدد فى الأصول الأربعة ، وعن المبحث التاسع فى أنواع الطلاق وجملة من البحوث لأصحاب الآراء الحديثة العصرية ، وبعض فقهاء القانون المصرى وشطر غير قليل من مبادئ لأحكام صدرت فى بعض المحاكم الأوربية لها أوثق اتصال بموضوع الطلاق . فلنؤت القارئ بما وعدناه به فى مبحثنا الراهن من حكمة إرسال الرسل .

فالحكمة فى إرسال الرسل جميعهم إسعاد الناس ، وإصلاح شئونهم الدنيوية والأخروية ، وإيصالهم الى ما أراده لهم العليم الحكيم من الكمال ، وذلك لا يكون بدون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الرسالة التى تتلقاها الرسل عن بارئ النسمات ومدبر الكائنات ليبلغوها الى الأمم ، أداء للأمانة فى أكمل حدودها وأبلغ مداها ، وانتصافا لداعية الهداية فى الخلق أن تتغلب بقهرها وسلطانها على داعية الشر المنبعث فى ظلمة الشهوة الموزعة على أعضاء الجسم والحواس ، ولكن لا تدرك حكمة إرسال الرسل إلا بفهم أمور أربعة :

الأول — أن الله جلت قدرته خلق الناس وركب فيهم شهوة باعثة على فعل ماينبغى تركه ، ونفرة حاملة على ترك ماينبغى فعله ، ومنحهم عقلا مضادا لهم ، ووضع زمام الاختيار فى أيديهم ، وأمكنهم من فعل الطاعة والمعصية ، فأدركهم التكليف الذى سره بعد ذلك أمران جليلان : أحدهما حظر المنكرات والقبائح ، كنعت الله بما لا يليق بجلاله وعظمته ، وإعراض المنعَم عليه عن شكر المنعم ، ومقابلة إنعامه بالإساءة ، فإن ذلك يكون مباحا بغير التكليف ، وإباحته باطلة قطعا . وثانيهما سعادة المكلفين ، لأنهم بفعلهم الخير وتركهم الشر امتثالا لأمر الله تعالى ونهيه مع وجود الدواعى لأضدادها ، يتمتعون بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ولكن تنازعت الدواعى هؤلاء المكلفين ، وتدافعتهم الصوارف ، ونالهم من النفس الأمارة بالسوء عناء عند إرادتهم اتباع العقل ، ومن العقل الآمر الناهى تأنيب عندهم بمطاوعة النفس ، فأوقفهم التردد وأقعدتهم الحيرة ، فكان من رحمة الله وقدرته أن يقوى التعريف العقلى بالتعريف الشرعى على ألسنة الرسل الكرام ، لتقوى دواعى الخير فيميل اليه ، وتضعف دواعى الشر فينأى عنه . ولولا ذلك لما سهل على أحد عصيان نفسه والعمل لسعادته ، ولما عرف ما أريد له معرفته من شئون الله تعالى وصفاته ، ولما كان لله على الناس حجة .

الثانى — أن النوع الإنسانى بما فطره الله تعالى عليه مجبول على الاجتماع ، فإن حاجاته الضرورية والكمالية تستدعى تساعُد الأيدى العاملة ، وتحمل على الصلة بين الأسرة والعشيرة ، بل بين الأمة جميعها ، بل بين العالم كله . بيد أنه قد تمكنت منه لذة الاستئثار

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالنافع ، فهو لا يكاد يفتر عن السعى له بكل قوة وحيلة ، وتسلط عليه حب الرفعة التى لو رامها من وجوه الخير لكان ذلك مانعا لبعض الشر ، ولكنه سالك لها كل سبيل ، وطلبها بإلباس الأفئدة لباس الرهبة لا الحرمة ، وهذان كافيان لهدم بناء الاجتماع الذى قام على أس الضرورة ، ولهذا أراد كثير من عقلاء الأمم حفظ المجتمع الانسانى من خطرها المحدق به ، فوضعوا أصولا للفضيلة وبيانا للرذيلة ، وأيدوا ما وضعوه بالبراهين العقلية ، ونادوا فى الناس للأخذ به ، إلا أنهم لم يصلوا بذلك الى ما أملوا ، لأن تفاوت الناس فى الإدراك ونفرتهم من الانقياد لغيرهم ، حملاهم على عدم احترام تلك الموضوعات والأخذ بها . ويعلم الله أن الناس بما يشاهدونه فى أنفسهم من العجز والتسيير آونة الى غير مقصدهم ، يرون أنهم مقهورون بقوة فوق قوتهم وقوة ما يحيط بهم من المشاهدات ، ومسيرون بإرادة تصرفهم تصريفا لا يفقهون كنهه ، وأنهم مذعنون لهذا الذى فاق قوتهم وغلب إرادتهم وإن اختلفوا فى فهم ما اتفقوا على الخنوع له . أتاهم الله تفضلا منه وإحسانا من هذه الجهة ، جهة الخضوع والاستكانة ، وأرسل إليهم هادين مميزين بخصائص فى أنفسهم ، ومؤيدين بآيات باهرات ، ومعجزات قاهرات ، يئوب بها عقل العاقل الى رشده ، ويرعوى بها الجاهل عن غيه ، ويفىء كل منهم الى قبول ما أتى به هؤلاء الرسل من الأنوار الغالبة للعقول ، الموضحة تينك القوة والإرادة ، الموقفة كلا عند حده ، الحافظة للمجتمع الإنسانى من التفرق والاضمحلال ، المرشدة لخيرى الدنيا والآخرة .

الثالث — أن الناس وإن كانوا يؤمنون بالحياة الآخرة إلا أنهم يجهلون حدود ما يستوجب السعادة فيها ، وشروط قبول الأعمال وحبوطها ، فإن لأعمال النفس تأثيرا فى الأعمال الظاهرة . وعلل النفس كثيرة وخفية . فلا بد هنا من المرشد الروحانى الخبير بشئون الملأ الأعلى وشروط العروج إليه . والعقل وحده لا يستطيع أن يهتدى الى كل ذلك ، وحاجة البشر الى الأنبياء كحاجتهم الى الأطباء . ولذا لو لم يمن الله جل وعلا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على جميع عباده عامهم وخاصهم بإرسال رسله بالبينات والهدى ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، لما سهل على أحد منهم معرفة حقيقة ما يحصل به صلاح معاده . ولذا قال الرءوف الرحيم : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

الرابع — أن هذا العالم الحادث التام الصنع والترتيب فى دقيقه وجليله لا بد له من محدث عالم حكيم ، وأن هذا المحدث هو إله الخلق أجمعين ، والملك المطاع على الإطلاق الذى يجب أن يكون له تكاليف على عباده ، وأمر بالخير ونهى عن الشر ، ووعد على الطاعة ووعيد على المعصية ، وذلك لا يكون إلا بإرسال الرسل وإنزال الكتب . فمن أنكر الرسالة فقد أنكر أن الله ملك مطاع ، وطعن فى ذلك . ولهذا قال تعالى فى منكريها : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء » .

ولما كان إرسال الرسل فى حاجة الى تبيان ما أرسلوا من أجله وما بلغوا له الرسالة عن ربهم ، كان يسيرا علينا أن نعرض لكثير مما جرى به التعامل فى باب المعاملات الواقعة بين العباد ، وكيف أنهم يكونون أطرافا متبادلة فى العقود التى تقع فى باب التصرفات الحاصلة شرعا بين ذوى الأهلية . ولا مرية فى أن القضاء فى حدود الأحوال الشخصية من شتى التصرفات فى باب المعاملات ، وأن نعرض لأشدها اتصالا بها أولاً فأولا .

من أجل ذلك يجب أن نعرض لجعفر النكاح وهو الجعفر الذى يمت الى القضاء الشرعى ، الغالبية ما يقع من حادثات وخصومات فى ساحة التقاضى ، وما يغمر عقول العامة من شهوات الانتقام فيذهبون لفورهم الى القضاء اختصارا للطريق ، وهذا ما يشبع نهمة العامة .

أما النكاح فى مباحثه وتعاريفه إجمالا وتفصيلا فهو يتنوع الى خمسة أنواع (١) النكاح وأسراره (٢) من حرم نكاحهن وأسرار هذا التحريم (٣) تعدد الزوجات والسريات وأسرار ذلك (٤) حقوق المرأة فى الاسلام (٥) العلم بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النكاح وأسرارها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فمن الأول : النكاح فى الاصطلاح الذى تواضع عليه الفقهاء : عقد يستلزم حل الاستمتاع (ويستتبع تعاونا على الحياة) وقد ورد فيه قوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تناكحوا تكثروا » وهو سنة من سنن سيد المرسلين ، قال الصادق الأمين : « النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى » بل هو من سنن الأنبياء السابقين ، قال تعالى وهو أصدق القائلين : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية » . وقال فى الرهبانية : « ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوْها حق رعايتها » . أما ترك سيدنا عيسى عليه السلام له فلعل السر فيه أن حاله كان يؤثر فيها الاشتغال بالأهل ، أو يتعذر معها طلب الحلال ، أو لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلى للعبادة ، فأخذ بالحزم واحتاط لنفسه . وأما غيره من باقى الأنبياء فقد أخذوا بالعزم وجمعوا بين فضلى العبادة والنكاح .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوة عزمه لا تمنعه كثرة نسائه عن التخلى للعبادة ، ولا يذوده أمر هذا العالم عن حضور قلبه مع إلهه ، فقد كان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش زوجه ، ولهذا لا يجوز لنا أن نقيس أنفسنا عليه فى الإكثار من النساء.

وأما أسرار مشروعية النكاح وجعله من السنن التى ندب الله ورسوله إليها فهى :

أولاً — إيجاد الولد الذى هو الأصل فيه ، والسر فى خلق الشهوة فى الذكر والأنثى ، لأنها تعين الذكر على إبراز البذر والأنثى على التمكين من الحرث ، فيكون بهذين اقتناص الولد ، كما يكون بالحب الذى يلقى بالشبكة اقتناص الطير . ولهذا ينبغى أن نطلب الولود من النساء ، ويعرف كون البكر ولودا بأقاربها .

واعلم أن فى الولد فضائل تستدعى تطلبه وتحمل على الرغبة فيه :

(أولاها) وجود خلف ينتفع به وترجى الرحمة بدعائه ، قال ، عليه الصلاة والسلام : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(ثانيتها) تقديم فرط للآخرة ينتظر نفعه وتؤمل المغفرة به .

(ثالثتها) السعى فى رضاء نبينا الرحيم بنا بتكثير ما به زيادة قدره ونماء شرفه ، للحديث السابق ، ولقوله عليه السلام : « تناكحوا تكثروا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط » .

(رابعتها) موافقة ذلك لإرادة الله من حصول النسل وعدم خلو هذا العالم من الإنس ، فإن العبد القادر على العمل إذا أعطاه سيده بذرا وآلة حرث وهيأ له أرضا للزرع ووكل به من يتقاضاه عليها فأدى ما أريد منه ، كان موافقا لإرادة مولاه ومستجلبا بذلك رضاه ؛ وإن قعد به كسله عن العمل بأن هجر تلك الأرض وعطل آلة الحرث وترك البذر حتى فسد ودفع الموكل ببعض الجمل ، فقد خالف إرادة سيده واستدعى غضبه . والله جل وعلا خلق النطفة فى الفقار ، وهيأ لها مجارى فى الأنثيين ، وأوجد لها مستودعا فى الرحم ، ثم قدر لها البروز الى عالم الشهادة ومكابدة شئون الحياة فيه .

على أن الله جل وعلا صرح بمراده من خلق هذه الأشياء على لسان أكرم الأنبياء ، فقد قال كما سبق : « تناكحوا تناسلوا » فمن تزوج كان ساعيا فى إتمام ما أحب الله ، ومن أعرض عن الزواج كان مضيعا ما كره الله ضياعه ، وجانيا على مفطور الفطرة ومفهوم الحكمة من خلق هذه الأعضاء ، ولهذا نهى عن التبتل عند عدم العذر الداعى إليه ، وعن عضل الولى موليته عن النكاح .

ولما كان السر الأكبر فى النكاح الولد ، طلب الشارع أن تكون الزوج غير ذات قرابة قريبة وهى التى تكون فى أول درجات الخؤولة والعمومة ، كبنت الخال والخالة ، وبنت العم والعمة ، لئلا يجىء الولد ضاويا (لضعف الشهوة) وأحمق لغلبة الحمق على أمثاله .

وما كان تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب بنت جحش ابنة عمه رضى الله تعالى عنها إلا لمصلحة تشريعية هى حل نكاح زوج المتبنى كما سيجىء إن شاء الله تعالى بأوضح بيان .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وثانيا — غض البصر ومراعاة العفة وكسر التوقان والتحرز من الشيطان ، قال عليه الصلاة والسلام : « من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الثانى » . وقال زاده الله صلاة وسلاما : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج » ووجه ذلك أن الشهوة التى هى أقوى أسباب المعصية إذا هاجت ولم تجد من التقوى صادا قويا وضابطا شديدا ، حملت على ارتكاب المحظورات ، والسقوط فى الموبقات ، كما يقع كل حين من المتبتلين الطالبين رضوان الله . وإن عارضها صاد التقوى وحاجز الخوف من الله ، غض البصر وحفظ الفرج وبقى الفكر مسلطا على القلب ، لأن المرء لا قدرة له على وقايته منه ، وحينئذ يتردد بالخاطر المطلع عليه من يعلم السر وأخفى من أمور الوقاع ما يستحى المرء من ذكره لدى أحسن الخلق ، وذلك بالمؤمنين منبج لا سيما فى الصلاة التى يجب أن يكون القلب فيها خالصا لله تعالى ، ولذا قال ابن عباس رضى عنهما : « لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح » .

وثالثا — إيناس النفس بالمجالسة والمحادثة ونحوهما ، إراحة للقلب وتقوية له على العبادة ، فإن النفس ملول ، ومن الحق الذى يخالف طبعها نفور ، فإذا سئمت المداومة على ما لا يوافقها من الطاعات استعصت ، وإذا روحت باللذات انقادت ، ولهذا ينبغى أن تكون الزوجة ذات جمال بروق ، وحديث يسر ، ومجالسة تحجب الهموم وتؤذن المسرات . وقد أجيز للرجل كما أجيز المرأة أن ينظر منها وجهها وكفيها بعد قصد النكاح وقبل الخطبة ، ليحصل الميل ويتم الائتناس ، قال عليه السلام المغيرة وقد خطب امرأة : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » أى أن تدوم بينكما المودة والألفة . على أن الائتناس بالزوجة استراحة مشروعة . قال تعالى : « وخلق منها زوجها ليسكن إليها »

رابعا — تفريغ قلب الرجل عن تدبير المنزل لما جرت به العادة من تبرع المرأة بذلك ، فيتدارك الرجل العلم والعمل ، فهى تقويه على طلب الآخرة والعمل لها ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بتفريغ قلبه من تدبير المنزل وقضاء الحاجة بنفسها ، ومن دفع الشرور وطلب السلامة بعشرتها ، ولهذا يطلب أن تكون الزوجة ذات دين وحسب وعلم وأدب .

ولأجل فراغ القلب والتحصين أباح الشارع نكاح الأمة عند خوف العنت وعدم القدرة على نكاح الحرة مع ما فى إرقاق الولد من نقص فى الحياة القصيرة الفانية ، واقتحام الفاحشة من نقص فى الحياة الطويلة الباقية التى تقصر الأعمال الطويلة إذا نسبت الى يوم من أيامها .

خامسا — رياضة النفس بالولاية على الأهل والولد ، والسعى فى كسب الحلال للجميع ، وهدايتهم الى خيرى الدنيا والآخرة ، قال عليه السلام : «يوم من وال عادل خير من عبادة سبعين سنة» وقال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» وقال عليه السلام : «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة » .

والى هنا نجتزئ للقارئ بما أسلفنا فى هذا الموضوع ، لأن الاسترسال فيه والتوافر عليه يتطلب من الوقت والبحوث المتنوعة ما لا يقدر بالشىء القليل ، إذا أضيف الى ذلك أننا سنتحرى فى المستقبل البحوث القيمة فى جميع أبواب المعاملات ، خصوصا ما كان منها متصلا أوثق اتصال بالأحوال الشخصية لدى الطوائف التى تخضع لجميع الشرائع المعمول بها لدى المحاكم ذوات الاختصاص ، وموعدنا بذلك كله المباحث التالية ، إن شاء الله ؟

عباس طه
المحامى

فضل القلم

قال أبو الفتح البستى :

إذا أقسم الأبطال يوما بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب مجدا ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

استدراك على ما كتب فى العدد الثالث

جاءنا من حضرات طلبة الأزهر ما يأتى :

خطب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر فى أول عهد توليه المشيخة الجليلة ، وقد سمعنا تلك الخطبة ووعيناها فلم نسمع أنه نسب قوله : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم الخ » الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنه عزاه الى مأثور الحكم الاسلامية .

فلما رجعنا الى المجلة علمنا أنها نقلت هذه الخطبة من أصل مطبوع اقتطع من جريدة يومية ، فأدركنا من أين تسرب التحريف فى رواية هذا الحديث الموضوع .



استدراك آخر

جاء فى بعض الفتاوى المنشورة فى ذلك العدد قول شريك : « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » منسوبا الى النبى صلى الله عليه وسلم . والحقيقة أنه من قول شريك القاضى لا من قول النبى صلى الله عليه وسلم كما نص على ذلك الشيخ عبد الرحمن الشيبانى فى كتابه (تمييز الطيب من الخبيث) . ومن أراد التوسع فى هذا الموضوع فليرجع الى كتاب الشيخ مرتضى الزبيدى شارح إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى عند كلامه على الأحاديث الموضوعة .

تصحيح خطأ

جاء بالسطر السابع من الصفحة ٣٠٢ من هذا العدد : « قل سيروا فى الأرض ثم نظروا » والصواب : « ثم انظروا » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تعليم اللغات فى الازهر

لما فكر مولاى فضيلة الأستاذ الأكبر فى أن يتعلم الطلاب اللغات ، أردت أن أعرض عليه ما يعنّ لى فى هذا الموضوع ، فأقول :

أول ما يتعلم الانسان ، لغته القومية ، ويجب عليه أن يحافظ عليها حتى لا يبتعد عن دينه وقوميته ويندرج فى أخرى ، وقد تضطره البيئة والظروف التى تحيط به ، ويحفزه عامل الرقى وحب الاطلاع والتكمل ، أن يتعلم لغة أو عدة لغات .

حقا إن من يجدّ فى تعلم لغة أجنبية ، يريد أن يخلق من نفسه إنسانا آخر يتصل بأهل تلك اللغة ، فيتعرف ما عندهم من آداب ، وعادات ، وعلوم ، وفنون . ومن يحرص على رقى أمته ينقل إليها النافع ويترك الضار .

وكأنما اللغات كائنات حية تتقارض وتبادل بعضها بعضا ، والاختلاط أكبر عامل فى ذلك . والآن وقد اتصل العالم بعضه ببعض ، وتطلع الدين الاسلامى أن يريهم آياته فى الآفاق ، ويدلهم على مكانته ، وأن ليس العيب فيه وإنما العيب فى أهله ، وجب على الأزهريين أن يتعلموا لغة غيرهم لينشروا الدين ، فيكونوا بذلك قد فتحوا فتحا مبينا ، وأعادوا لنا عصر المأمون .

وما لنا نذهب بعيدا وعصرنا هذا هو عصر التبادل الفكرى ، لا تجد فيه مؤرخا ، أو كاتبا ، أو شاعرا ، أو فيلسوفا أو عالما ، إلا وهو يستعين بلغة أجنبية وبما يترجم اليها من سائر اللغات ، فيتجلى فى نفسه معنى الجمال والشوق الى الكمال ، فيكتب وينظم ويعلم أمته الجمال ، ويهديها طريق الكمال .

ونحن إذا تعلمنا لغة حية ، اتسعت أمامنا آفاق الكون والتفكير ، وعرفنا أن الجمال مبثوث فى الكون ، لم يقتصر على أمة أو لغة دون أخرى .

فى تعلم أى لغة حية نجد ألوانا من التفكير لم يكن لنا بها سابق عهد : نجد فلسفة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وآدابا وعلوما وفنونا ، تجد كنوزا جمة ، وافرة الثراء ، بديعة الرواء ، تهبك قوة على قوة ، وجمالا وكمالا . وإن شئت فقل حياة أخرى تنعم بها ، وتطير فى جوائها الفسيحة الزاهية الجميلة .

والناس إنما يتعلمون اللغات لمآرب شتى ، فقد يتعلم الفرد منهم ليكون ترجمانا ، أو ليظهر بمظهر الراقى ، أو ليضم أدبا الى أدبه ، أو علما الى علمه .

والأزهر اليوم يريد أن ينشر رسالته كاملة عامة ، ولا يتسنى له أن يؤديها على وجهها إلا إذا تغذى بتلك اللغات وقبلها ، وحافظ على لغته غير مفرط فيها .

يحتاج الأمر فى الواقع الى الإخلاص ، وحكمة الحكيم ، والرسل المتوالية التى تخدمه وتركز حياتها له ، حتى يأتى بالثمرة المرجوة منه .

ولكى نرسم خطة مجدية يصح أن نتبعها ، نقسم الأزهر تقسيمه الحالى ، أعنى الى ابتدائى ، وثانوى ، وعال . ونتصور أن مشيرا يشير علينا بأن نعمم تعليم أى لغة فى الأقسام جميعها ؛ فهل نقبل مايشير به بادئ الرأى ، أو نتريث قليلا ؟

الواجب علينا أن نتريث قليلا ، لنرى الصواب فى أى جانب ، فليس كل رأى صحيحا .

وحقا إننا لو وافقنا هذا المشير على تعليم أى لغة من اللغات فى السنة الأولى من القسم العالى ابتداء من السنة التالية ، لانتهى الطالب منه وهو لايعرف إلا شيئا وجيزا .

وأما لو وافقناه على تعليم السنة الأولى من القسم الثانوى الى نهاية القسم العالى ، فإننا نكون قد أصبنا فى هذه الموافقة ، وتخرج الطالب وقد تمكن بعض التمكن من اللغة المراد تعليمها ، إذ هو بذلك يكون قد أمضى سبع سنين على الأقل ، وساوى تلميذ الكفاءة ، ولكنه ينقصه أنه لم يصطحب معه لغة أخرى .

إذاً من الحزم والاقتصاد أن نتبع من يشير بتعليم السنة الأولى الابتدائية ، حتى إذا انتقل الطالب الى السنة الأولى الثانوية اصطحب معه لغة أخرى . وهذا ما عنّ لى ، عرضته على مولاى . وأرجو أن أكون قد قاربت . والله هو الموفق .

رمضان محمد غنيم
من العلماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نهضة الادب العربى

بين القديم والحديث

يتجه البحث الحديث فى الأدب الى الجدّة فى مناحيه ، والى الثورة فى مناهجه ، والى القوة فى عناصره ، فأصاب من الجدّة حظا وفيرا ، ودفعت به الثورة الى الهدم والبناء دفعا عنيفا ، ومكّنت له قوة عناصره من الاستقامة أمام مايعتوره من مد وجزر ، وتجاذب عاصف بين أولياء القديم الواقفين مع الماضى ، وأنصار الجديد (الثائرين) على ذلك الماضى ، استقامة إلا تكن أدنى الى الكمال المرجوّ فهى منه بسبب متين ، استقامة طبعته بطابع وسط بين الجمود والثورة الجامحة ، وإن شئت قلت طبعته بطابع ينهض به أن يكون على هذا السنن المستقيم .

والجدة والثورة والقوة ، ليست أشياء منفصلة عن طبيعة الحياة ، وإنما هى كامنة فيها كمون النار فى الخشب ، يوريها الاحتكاك ، وتذكيها الأحداث ، وهى من عناصر الأدب الحى فى كل أمة ، وكل لغة ، وكل جيل . وهى كانت من أظهر مميزات الأدب العربى ، لاتصاله بالحياة اتصالا وثيقا دل عليه أخذه من أطوار الحياة بقدر ما أخذت منها الحياة . فهو أدب كان ضيقا فى موضوعاته ، محصورا فى حدوده ، حيث كانت الحياة التى نشأ فيها ضيقة محصورة ، وهو مع ذلك قوى رصين ، لأن تلك الحياة كانت قوية رصينة ، ولكنه بطبيعته كان مجددا ثائرا ، حيث تجددت الحياة وثارت فى ظلال ألوية الثورة الاسلامية ، واتسع أفقه ، وترامت مطارحه ، لأن أفق الحياة العربية اتسع ، وميادينها استعظمت . كان فى أول نشوئه أدبا خاصا بالعرب ، يصور حياتهم فى بواديهم ، وممالكهم فى جزيرتهم ، فأصبح أدبا عالميا يصور أفكار الأمم التى انضوت تحت راية الاسلام مدفوعا بقوة العرب الفتية ، ومصوّرا بأسلوب العرب الجزل الرصين . فلما استضعف العرب وذهبت ريحهم ، ضعف الأدب ولان ، بل حقر واستخذى ، وعاد ضيقا أضيق مما كان ، فى ثوب مهلهل ، وأسلوب مترهل كسيح ، لا ينهض بشىء ،

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ولا ينهض به شيء، وزاحمته الآداب المغلوبة فسبقته، ووقف هو فى ظل القرآن الكريم محتميا، ونفض عن كاهله العصبية القومية مستيئسا من نفعها، ولجأ الى كنف الدين فى صورة المثل اللغوية وشيء قليل من النثر والشعر، يقتضيه الحياة والعافية. والدين إلهى المصدر، عالمى المشرع، وإن كان عربى المظهر، فأخذ الدين بيد الأدب الى مظهره ونقاه من غلس الاستعجام، وعربه تعريبا خالصا صافيا، ووجهه الى تفكيره ومورده حيث تتلاقى الآداب كلها فى باحة الانسانية الطليقة من أغلال العنصرية.

تجدد الأدب، وثار، وقوى، ومشى مع النهضة، وإن شئت قلت سبق النهضة، وإن تشأ قلت كان من أقوى بواعث النهضة، وأخذ من البحث سمتا إذا كان القدماء قد عرفوه أو عرفوا شيئا منه، فقد ساعدتهم على تلك المعرفة طبيعة الحياة فى عصرهم، وبيئات الأدب عندهم، وقوة الدولة العربية فيهم، فكان لا بد أن يعرفوا ما عرفوا، وكان حتما أن يعرفوا أكثر مما عرفوا.

أما نحن فكل أحوالنا وما أحاط ويحيط بنا من بعد البيئات العربية، وتجاف عن الطبع العربى، وجمود فى التفكير يسود جماعاتنا، وفقر فى المعارف العامة والخاصة ينتشر بيننا. كل ذلك يقعد بنا عن أن نعرف شيئا من هذا الذى عرفناه.

فكيف إذاً تجدد الأدب؟ وكيف ثار؟ وكيف قوى؟

حديث هذا التجدد والثورة والقوة عجيب، ولكنه سهل يسير لا عسر فيه، فصلة الأدب بالحياة وثيقة، والحياة تجددت فى جميع أنحاء العالم، وثارت ثورة جامحة جامعة، وقويت واشتدت قناتها، فلم يكن فى طوق الأدب العربى أن يتخلف عنها فى جدته وثورته وقوته.

كان الأدب العربى فى عهد ضعفه لا يخرج عن تحبير رسالة فى تهنئة، أو تعزية أو مدح أو هجاء، أو استعطاف وما يدور حول هذا المحور، أو نظم قصيدة فى حدود من المعانى لا تعدو معانى النثر فى الرسائل، على نمط من التسجيع، وتحرى فنون البديع تحريا يدخل بها الى الإلغاز والتعمية والتعقيد.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولكن الأدب الآن فى مذهب أهل العصر بحث وتحرير ، فى البحث أسلوب علمى يستند الى صلة الحقائق بالحياة ، وفى التحرير أسلوب مهذب طليق من قيود الافتتان بالإغراب ، يجمع الى العناية بالقالب العناية بسمو المعنى ، بل العناية بالمعانى فيه أغلب وأظهر ، تأثرا بروح العصر .

وليس هذا الطرز من البحث جديدا كله على الأدب العربى ، فقد عرف الكثير منه فى صور أبرع وأدق من الصور التى يعرفها الأدب الآن ، وجديدنا يستند فى مهيعه الى ذلك القديم القوى قبل الركود والجمود ، ولكنه ليس محض التقليد أو هو تقليد الحر المفكر ، فهو صفوة الاجتهاد والابتكار .

هذه مؤلفات نهضتنا وبحوثها بين يديك ، فأنعم النظر فى قراءتها ثم حدثنى هل رأيت فى تنسيقها وتناولها للمعلومات نهجا قديما ؟ أليست هذه المؤلفات الجديدة فى أسلوبها هى التى حببت إلينا القراءة والدرس ، والبحث والإنتاج ؟ وهل ينقص من تجديدنا فى بحوثنا وجود المادة (الخام) فى كتب الأقدمين ؟ وهل فى وجود المعدن فى باطن الأرض ما يسلب فضيلة الصائغ الماهر ؟ وهل للمعدن قيمة من دون الصياغة ؟ على أن البحث الحديث لم يقف دون الخلق والابتكار ، فقد خلق فكرا ، وابتكر موضوعات لها طابعها الخاص ، وجرى على قول بعض حذاق الأقدمين : « إذا رأيت الرجل يقول : ما ترك الأول للآخر شيئا ، فاعلم أنه لن يفلح » .

يقوم فى نهضتنا الأدبية اتجاهان : اتجاه يؤمن بالقديم وجلاله ، فهو مستمسك به أشد الاستمساك ، ومع ذلك فهو مجدد ، مجدد فى طرائق الأداء ، وتنظيم موضوعات الأدب وتقريبها ، واتجاه جديد ، أو هو يحاول أن يكون جديدا ، جديدا كله ، فهو ثائر على القديم ، شاك فيه ، بل جاحد له . وأصحاب هذا الاتجاه يأبون الاستسلام ، ويرفضون رفضا شديدا قفل باب الاجتهاد ومناقشة القدامى رأيهم فيما ارتأوه ، يضعون الأدب جملة وتفصيلا تحت مجس البحث والنقد ، ويدأبون على فتنة قضاياها أشد الفتنة ، ويمتحنون نصوصه أعنف الامتحان ، وينقدون تاريخه أمر النقد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يعرضون للأدب الجاهلى بالإنكار ، وهم متفاوتون فيه ، فمنهم من ينكر إنكارا عريضا لا يقف عند رسالة أو قصيدة ، أو رجل ، أو قبيلة . ومنهم من يتحرى البحث فينكر شيئا قد يصح إنكاره معتمدا على شيء من الأدلة التاريخية أو البيئية أو الطبعية. وهؤلاء يصيبون فى كثير ، ويستفيد منهم الأدب كثيرا . فمن الحق ألا نزرى بأبحاثهم، وأن ننتفع بها فى دراسة الأدب على نهجهم ، لأن هذا النهج هو الذى حدد لنا الأدب تحديدا خاصا ، فأصبحنا نفهم من كلمة (الأدب) فى هذا المقام الصور الراقية التى يحتفل بها ويدخل لون الخيال فى تصويرها ، ونعنى بالخيال الاتساع فى التصوير على النحو الذى يتراءى فى الاستعارات والمجازات والتشبيهات والكنايات من ألوان البلاغة.

فشعر الجاهليين أدب خاص ، وكثير من حديث النبى صلى الله عليه وسلم أدب خاص ، وشعر الاسلاميين القدماء والمحدثين وخطب الخلفاء ، وزياد والحجاج ، ونثر عبد الحميد ، وابن المقفع ، وقدامة بن جعفر ، وكتابات الجاحظ ، وابن سلام فى النقد الأدبى ، أدب خاص ، وليس النحو والصرف والعروض وفقه اللغة أدبا خاصا ، وكان الأقدمون يعتبرونها مع غيرها من الفنون داخلة فى مفهوم الأدب ، قال العلامة ابن خلدون: « الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف .. من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها » .

وهذا كما ترى تحديد واسع كان يفهمه الأقدمون من كلمة (الأدب) . ولكن البحث الحديث جرى على التخصيص ، فلا يدخل فى الأدب ماليس منه ، وإن اعترف أن الأديب فى حاجة الى أن يعرف شيئا كثيرا من معارف الحياة الجديدة والقديمة .

وبعد ففى كلا الاتجاهين تجديد وتقليد : أولئك قلدوا فى النظام وطرائق الأداء ، وهؤلاء قلدوا مناحى المستشرقين فى البحث والتسرع الى الإنكار ، وأولئك جددوا ديباجة الأدب وألوانه ، وهؤلاء جددوا فى موضوعاته وبحوثه . وسنبحث فى المقالات الآتية فيما يمس الاتجاهين ، والتوفيق بيد الله ؟

صادق ابراهيم عرجون

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

آثار المدينة المنورة

هذا اسم كتاب نفيس وضعه حضرة الأستاذ السيد عبد القدوس الأنصارى الموظف بديوان إمارة المدينة وأستاذ الأدب بمدرسة العلوم الشرعية .

ألم المؤلف الفاضل فى كتابه هذا بكل ما تقع عليه العين من آثار مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدور والقصور والحصون والمساجد والبلاطات (يريد الطرق المرصوفة بالأحجار) والأمكنة المشهورة والجبال والحرار (جمع حرة بفتح الحاء هى أرض ذات حجارة نخرة سوداء كأنها أحرقت بالنار) والأودية والآبار والعيون .

فكل هذه الأشياء يهم زائر المدينة أن يعرفها ويعرف تواريخها ، فهذا الكتاب بمثابة دليل مفصل لها . وقد وضع بعناية وتدقيق عظيمين ، وقد حلى بالصور الفوتوغرافية مما زاد فى قيمته العلمية .

ونحن نقتطف بعض ما كتبه عن مسجد قباء الذى يسمع عنه كثير من الناس ولا يعرفون له تاريخا مع أنه أول مسجد بنى فى الاسلام :

أسس هذا المسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر الى المدينة ، بدأ فيه حين وصل قباء ، وهو مكان يبعد عن المدينة بنحو أربعين دقيقة للماشى على قدميه ، وقد عاون النبى على بناء هذا المسجد بنفسه .

فلما رث بناؤه وأوشك يتهدم جدده عثمان بن عفان وزاد فيه . ولما ولى عمر بن عبد العزيز الاموى على المدينة من سنة ٨٧ الى ٩٣ هـ بالغ فى تجميله وتوسيعه وأقام له مئذنة وجعل له رحبة وأروقة .

وفى سنة (٥٥٥) جدده رجل يقال له جمال الدين الأصفهانى . ثم جدده رجال آخرون فى سنة ٦٧١ و ٧٣٣ و ٨٤٠ و ٨٨١ هـ . وفى عهد الدولة العثمانية عمر عدة مرات كان آخرها على عهد السلطان محمود سنة ١٢٤٥ وعهد ابنه عبد المجيد .

شكل مسجد قباء مربع طول كل ضلع فيه أربعون مترا ، وعدد أساطينه تسع وعشرون ، وفيه محراب ومنبر من الرخام كان ملك مصر قايتباى أهداه للمسجد النبوى ليوضع مكان المنبر المحترق وذلك سنة (٨٨٨) . فلما أرسل السلطان مراد العثمانى المنبر الحالى الى المسجد النبوى رفع منبر قايتباى ووضع بمسجد قباء .

لمسجد قباء رحبة محصبة فيها قبة وبئر . ويقال إن هذه القبة رفعت فى المكان الذى بركت فيه ناقة النبى صلى الله عليه وسلم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والقسم المسقف منه قباب وستة أروقة .

كان لمسجد قباء طريق معوج الى المدينة تكثر فيه الحفر والشقوق ، فشق أحد الولاة سنة ١٣٣٦ طريقا مستقيما واسعا وغرس على جانبيه نخلا وأثلا ، أخذ أرضه من أصحاب البساتين ، فلما ردت الحكومة اليهم أراضيهم الداخلة في لاشى ذلك الطريق فاضطر زائروه للسير فى الطريق القديم ، ولكن في سنة ١٣٥١ أعاد فتح ذلك لريق الواسع عبد العزيز بن ابراهيم وكيل أمير المدينة بأن اشترى ما يدخل فيه من الأراض من ماله الخاص ووقفه لله تعالى .

مسجد الجمعة

وجاء فى الكتاب المذكور تحت عنوان مسجد الجمعة كلام نلخصه فيما يأتى :

هذا أول مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة بالمدينة ، وهو لهذه الخصوصية يعتبر أثرا إسلاميا كبير القيمة .

يقع هذا المسجد فى بطن وادى رانوناء شرق الطريق الممهد الى مسجد قباء ، يراه سالك هذا الطريق عن يساره فى وهدة من الارض .

طول هـذا المسجد ثمانية أمتار وعرضه أربعة أمتار ونصف متر وارتفاعة خمسة امتار ونصف متر . وهو مبنى بالحجارة بناء جيدا ، وله قبة مبنية بالآجر الاحمر ، فى داخلها أربع فتحات ، تمده بالنور والهواء . وله حظيرة فى شماله طولها ثمانية أمتار وعرضها ستة أمتار ، وارتفاعها متران .

وعلى جانبى باب المسجد حجران من الرخام الأبيض مستطيلان مثبتان فى الجدار . وهما منقوشان بخط متداخل جدا قرأت منـه : « أمر ببناء هـذا المسجد أمير المؤمنين السلطان الملك المظفر السلطان بايزيد بتاريخ شوال سنة ... »

والسلطان بايزيد هذا من سلاطين آل عثمان تولى السلطنة مابين عامى ٨٨٦ و ٩١٨ هجرية . وعليه فان بناء هذا المسجد قد مضى عليه أربعة قرون ونصف .

كان هذا المسجد فى أول أمره واقعا فى منازل بنى سالم من الأنصار ، أما اليوم فهو فى وسط صفصف خال ، تقوم فى شرقه أشجار من الطرفاء ، وغربه قطعة أرض جرداء ، وجنوبه بستان وشماله بستان آخر . وكان يعرف بثلاثة أسماء : مسجد الجمعة ، ومسجد الوادى ، ومسجد عاتكة ، ولما فى الاسم الاول من قوة ودلالة على المسمى غلب إطلاقه على المسجد المذكور ، وبه يعرف الى اليوم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مسجد المصلى أو مسجد الغمامة

وجاء فى الكتاب المذكور أن هذا المسجد كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فيه العيدين وهو قائم فى فضاء المناخة فى المكان الذى صلى النبى صلى الله عليه وسلم العيدين ، وداوم على صلاة العيدين فيها لتسع الناس جميعا ، وما زال على ذلك حتى لقى ربه .

لا يعلم متى بنى هذا المسجد ومن بناه . وكل ما علم عنه ما رواه السمهودى عن ابن شبه عن أبى غسان الكنانى أحد أصحاب مالك بن أنس أن المصلى كان مبنيا بصفة مسجد فى القرن الثاني الهجرى .

طوله ٢٦ مترا وعرضه ١٣ مترا وارتفاعه ١٢ مترا وسمك جدرانه متر ونصف متر .

اعتذار

نعتذر لحضرات القراء عن عدم إمكاننا نشر المقالة الثانية لحضرة الدكتور النطاسى عبد العزيز اسماعيل فى هذا العدد بسبب تزاحم المقالات ، وسنعود الى نشرها من العدد القادم وهو قريب الظهور ، ثم نوالى القراء بما يليها ، إن شاء الله .

فى الملازم الانكليزية

من العدد الرابع

قد أعدنا فى الصفحة ٨٤ نشر ما سبق نشره فى الصفحة ٥٢ وفيها تعليق من المترجم واستدراك فى الترجمة .

وسقطت كلمة «فى» من قوله صلى الله عليه وسلم : «حتى ما تجعل فى فى امرأتك» من السطر ١٤ من صفحة ٧١

وأغفل حضرة المترجم سهوا ترجمة «كتاب العلم بسم الله الرحمن الرحيم» من صفحة ٧٣

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مهمة الدين الاسلامى فى العالم

٢٢

دعوته الى وجوب محافظة المجتمع على السمو الروحاني فى جميع محاولاته الدنيوية

شرع الله الاسـلام للناس ليكون دستورا لهم يقومون عليه فى أمورهم الدينية ، وشئونهم الدنيوية ، فإنه كما قرر فى الناحية الأولى العقائد الواجب الأخذ بها ، والعبادات المترتبة عليها ، والأخلاق التى يجب التخلق بها ، والأسلوب الذى ينبغى اتباعه فى النظر والبحث والاستدلال بالاعتماد على العقل والعلم ، والبعد عن الظنون والأهواء والأوهام ، وعن التقليد الأعمى ، كذلك قرر فى الناحية الثانية الأصول التى يقوم عليها الاجتماع والواجبات المترتبة عليها ، والحوافظ الضرورية لها ، والأسلوب الذى يجب اتباعه فى حفظ المجتمع سليما من العلل ، بريئا من الخلل ، قابلا للدخول فى كل الأطوار التى تدخل فيها الجماعات ، والخروج منها حاصلا على جميع ما تستتبعه من ترق صورى ومعنوى ، ومن تكمل دينى ومدنى . هذا ما فهمه المسلمون الأولون من هذا الدين ، وقد دل عليه قوله تعالى : « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم ، قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنةٌ ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين » . وقد وعدهم الله بسعادتى الحياتين وعدا صريحا فى قوله تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

فالاسلام تصدى من هـذه الناحية لأمر جلل وهو التوفيق بين المصالح الدينية للمجتمع وبين مصالحه الدنيوية ، بحيث تتكافل فى إيصاله الى كماله المادى والأدبى ، ولا تتناقض فى دور من أدوار تطوره الفكرى ، فيصبح العلم عدوا للعقائد ، ويصير

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العقل منابذا للتقاليد الدينية ، كما حدث فى كل أمة تقدمت الأمة الاسلامية ، وكما هو حادث اليوم أمام أعيننا فى أمم كثيرة .

إن قيادة سفينة الحياة الاجتماعية فى أمة فى وسط هذه الشعاب القائمة من الحالات الانسانية المتعارضة ، ودفعها فى مضطرب تياراتها الثائرة ، والتمكن من حفظ توازنها ، وتأديتها سليمة الى شاطئ النجاة ، يعتبر فوق قدرة البشر ، لا لأن الأمر جد خطير فى ذاته فحسب ، ولكن لأنها سابقة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ البشر . فهل سبق فى تاريخه أن أمة من الأمم تألفت تألفا عالميا حول أصول عامة من الأخلاق والمبادئ ، مهدرة فى سبيلها الفوارق القومية والجنسية واللغوية ، فقامت على صراط الحق المستقيم ، متحرية محاب الله فى جميع ماتعمل ، ومحاسبة نفسها على كل صغيرة وكبيرة من الانحراف عن هذه الجادة المثلى ، فبسطت سلطانها على نحو نصف المعمورة مما لم يتسن لأمة قبلها ولا بعدها ، وأسست مدنية فاضلة قامت على تلك الأصول الإلهية نفسها ، مما أصبح أمره معترفا به من جميع مؤرخى العالم الانسانى اليوم ؟

هذا أمر لم يسبق له مثيل ، فإن مبدأ القومية والجنسية كان طاغيا على جميع الاعتبارات العامة فى كل دولة تأسست قبل الدولة الاسلامية . وما جاء ذا صبغة عالمية من الدعوات الدينية قبل الاسلام طغت فيه النزعة الروحية على الحاجة المادية ، وساقت الأمم الى زهادة مطلقة ، ومجافاة تامة للعلوم والفلسفة ، وشدت العقل الى سلاسل من حديد ابتنى عليه جهل مطبق لازم أوروبا أكثر من ألف سنة (راجع كتاب المنازعة بين العلم والدين للأستاذ دريبر) .

إذا تقرر هذا فإن فى توفيق الاسلام بين روح السمو الدينى وروح العمل الدنيوى والكدح المادى ، يعتبر آية من آيات الوضع الإلهى .

هنا يمكن أن يعترض علينا معترض فيقول : إن ما تسمونه سموا دينيا كان فى حقيقته عملا ماديا ، فدينكم كان دينا ماديا محضا لا أثر للروح فيه إلا من الناحية العبادية المحضة ، ولذلك تأدى بأهله الى ما تتأدى اليه كل التعاليم المادية من الرقى والمدنية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ونحن نرد على هذا المعترض بأن اعتراضه يقوى مانستنزل عجب القارئ لأجله، وهو أن أمر التوفيق بين الأعمال الروحية والمادية متعذر الى حد بعيد حتى إنها لتظن مستحيلة كما يراها المعترض، ولكننا فى سبيل إثبات أن المسلمين فى عملهم الدنيوى المحض كانوا يحافظون على السمو الدينى الذى ليس وراءه مذهب، نسأله هذه المسائل وهى:

١ — ألم يثبت أن المسلمين كانوا فى معاملتهم لأصحاب الأجناس المختلفة، حتى الذين خضعوا لسلطانهم والأرقاء، يحافظون على مبدأ المساواة فى الحقوق، والعدل المطلق فى الأحكام؟

٢ — أو لم يعلنوا مقهوريهم بأن لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وأنه لا فضل لأحد على غيره إلا بالتقوى، أو بعمل صالح؟ حتى قال العلامة جوستاف لوبون الفرنسى فى كتابه خلاصة تاريخ العرب: إن الانسانية لم تر متغلبين أبر بها وأرحم من المسلمين؟

٣ — أو لم يراعوا شروط العدل وعدم العدوان حتى فى ميادين القتال ومناجزة الأقران، كما قال تعالى: «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين». وقال تعالى: «ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى». وقد حرم عليهم قتل الأطفال والشيوخ والنساء ورجال الدين حتى خدمة أعدائهم المحاربين؟

٤ — أو لم يدع الاسلام ذويه الى القيام بالقسط ولو على أنفسهم أو عشيرتهم أو آبائهم فقال تعالى: «يأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداءَ لله ولو على أنفسكم أو الوالدَين والأقربين».

٥ — أو لم يعلن الاسلام على رءوس الأشهاد أن الحرب التى تقتضيها حماية الدعوة ونشرها لا يعتبر الموت فيها شهادة إلا إذا كانت نية المقاتل منصرفة الى إعلاء كلمة الله، لا الى غرض دنيوى، ولا غرض مادى، ولا المباهاة بالشجاعة والنجدة، قال النبى صلى الله عليه وسلم: «إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم: فلان يقاتل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للدنيا ، فلان يقاتل حمية ، فلان يقاتل عصبية ، ألا فلا تقولوا فلان قتل فى سبيل الله ، فمن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » .

ومما هو جدير بالذكر فى هـذا الموطن كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى قائد جنوده ضد الفرس سعد بن أبى وقاص ، وهو : «أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقـوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العـدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب . وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا . فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم من هم شر منهم ، كما سلط على بنى إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم » .

ألا يرى القارئ فى كل ما قدمناه أن الاسلام يحرص على أن يحافظ أهله على السمو الروحانى حتى فى المواطن التى يتعمد فيها قادة الأمم أن يتناسوا هـذا السمو ليثيروا فى جنودهم أقصى ما يستطيعون إثارته من القوى الوحشية الثاوية فى نفوسهم ؟ تصفح تواريخ الفاتحين الأولين والمحدثين فهل ترى فيهم من يقول لعسكره إنكم إن قاتلتم عدوكم طلبا للمصالح الدنيوية ، أو مباهاة بالحمية ، أو دفاعا عن العصبية ، فقتلتم ، لا تنالون درجة الشهادة التى يحرص عليها المؤمنون ، فإنما كتبت هذه المكانة السامية للذين لا يقاتلون إلا لتكون كلمة الله هى العليا ؟

إن المأثور فى هذه المواطن أن يقول القواد لجنودهم : هلموا الى أعدائكم فن قومكم كل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ممزق ، وبالغوا فى النكاية بهم ، واجعلوهم عبرة لمن تحدثه نفسه أن يقف فى طريقكم ، الخ الخ . أما ذكر تقوى الله ، والتنبيه بمراعاة العدل ، وعدم العدوان ، وتجريد النفس من جميع الأغراض الدنيوية ، والأهواء الذاتية ، وتمحيض القصد لإعلاء كلمة الحق ، فهذا كله لم يرد على لسان قائد فى الأرض حتى الذين كانوا يحاربون لأغراض دينية ، بل إن المعارك الدينية قد امتازت بضروب من الوحشية يعجز عنها الوصف حتى ضربت بفظاعتها الأمثال (راجع تاريخ الحروب الدينية) .

يرى القارئ بعد هذا البيان أن شبهة خصوم الاسلام قد دَحضت دحوضا لاقيام لها بعده ، وثبت أن هذا الدين يتشدد فى وجوب ملاحظة السمو الروحانى فى كل موطن حتى المواطن التى يسمح فيها القادة لجنودهم بارتكاب الأعمال الوحشية زيادة فى النكاية بالعدو والإثخان فيه ، وبثبوت هذه الحقيقة يثبت أن الاسلام انفرد من بين جميع النظم الاجتماعية بهذا الأدب العالى الذى لا عهد للبشرية به الى اليوم .

إننا ببياننا هذه الناحية من الاسلام قد كشفنا للقارئ عن معجزة علمية له لا نقول عجز عن مثلها المصلحون ، ولكنا نقول لم تدر فى خلدهم الى هذا العصر ، فإن ما هو ظاهر أمام الناس ظهور الشمس من نفسيات الجماعات أنها قائمة على مبدأ الأثرة القومية المحض ، وإنها لا تعتمد فى تحقيق أحلامها من الفتح والتوسع بشبه أصل من أصول الرحمة أو العدل ، فقيام أمة قبل نحو أربعة عشر قرنا بتعاليم ديانة عامة على نظام يوفق بين مقتضيات الروح العلوى ومقتضيات المادة على النحو الذى رأيته هنا ، يعتبر أمرا خارقا للعادة لا يكاد يتصوره العقل لولا نتائجه الملموسة باليد .

إن جماعة المسلمين قد برهنوا فى أدوارهم كلها على أنهم رسل السلام والأمان ، وطلائع العلم والحكمة ، ومقدمة المدنية الحقة فى الأرض .

يقول المؤرخ سديو الفرنسى فى كتابه تاريخ العرب : إن المسلمين نشروا العلم والحكمة والمدنية حيث وطئت أقدامهم . ويؤمّن على كلامه جميع الذين كتبوا عن المسلمين قديما

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وحديثا ، فقرروا أنه لولاهم لقضى على التراث العامى للأمم ، ولأفنى بعض الأمم بعضا من مواصلة الحرب . أفليس هذا من أدل الأدلة على أن المسلمين لم يكونوا يتحرون حياتهم وحدها ، ولكن حياة الخلق كافة ، على نظام من التكافل والتعاون فتن مقهوريهم فأصبحوا بدون دعاية ، من إخوانهم فى الدين ، وانقلبوا من محاربين لهم الى منافحين عنهم ، ومن أعداء لملتهم ، الى أولياء لها ، بل أئمة يهدون الناس اليها ويعملون على إعلاء كلمتها ، لا بالعمل لذلك وهم قعود فى أكسار دورهم ، ولكن بالرحلات البعيدة ، والتضحيات التى لا تدخل ضروبها تحت حصر .

فإذا كان من أجلّ مايدوّنه العلم فى تاريخ أمة أن ينقلب أعداؤها الى أولياء يبادلونها الحب والمودة ، فإن من أكبر ما يسجله من الآيات فى تاريخ الانسانية أن ينقلب أعداء أمة الى أئمة يبذلون أنفسهم لإعلاء شأن دينها بين الخلق . **محمد فريد وجدى**

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أقوال البلغاء فى أطيب الكلام

قال أحد البلغاء : أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقل مجازه ، وكثر إعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه .

وقال غيره : أبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه ، ويؤيس مضيعه .

وقال سواهما : ليست البلاغة أن يطال عنان القلم أو سنانه ، أو يبسط رهان القول وميدانه ، بل هى أن يبلغ أمد المراد ، بالفاظ اعيان ، ومعان أفراد ، من حيث لا تزيد على الحاجة ، ولا فى إخلال يفضى الى الفاقة .

ووصف أهل البيان البليغ فقالوا : فلان يعبث بالكلام ، ويقوده بألين زمام ، حتى كأن الألفاظ تتحاسد فى التسابق الى خواطره ، والمعانى تتغاير فى الانثيال على أنامله .

الى هذا يشير أبو تمام الطائى بقوله :

تغاير الشعر فيه إذ سهرت له ... حتى ظننت قوافيه ستقتتل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة الرعد

— ٥ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ . اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ . عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ . سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) .

لقد كثر ما تعنّت المشركون وعاندوا ، وتجلّت لهم الآيات والعبر فعموا عنها وصمّوا ، فأنكروا قدرة الله على البعث والحشر حتى ألقموا حجرا بما اعترفوا به : من أنه خالق السموات والأرض ، ومنبت الكلأ والزرع ، ومنوع الثمار فى أكلها ولونها وهى تسقى بماء واحد ونبتت فى قطع متجاورات ، فماذا يعجزه بعد ذلك أن يعيد ما بدأ وهو أهون عليه ؟

ثم استشكلوا بأن تلك الأجزاء قد اختلط بعضها ببعض فكيف تكون القدرة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على تمييزها ورد كل جزء منها الى ما كان مركبا معه حتى تلتئم أجزاء الجسم الأصلية كما كانت ، وأنى يكون ذلك ؟ فلم يكن يليق بهم إلا التعجيب من سخافتهم وغباوتهم ، والنعى عليهم بأنهم هم الذين كفروا بربهم الذى خلقهم ، ووهبهم من النعم الواضحة ماوهبهم فعموا عنها ولم ينظروا اليها ، فكأن الأغلال فى أعناقهم فهم مقمحون ، لا ينظرون ماهو تحت أبصارهم ، ولا يستطيعون أن يلتفتوا يمنة ولا يسرة ، وذلك ما ذكره الله عز وجل فى قوله : « وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد . أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

ثم بعد أن حكى الله عنهم مماحكاتهم وتلكؤهم بغباوتهم ، إذ يستعجلون لأنفسهم العذاب والسيئة قبل الحسنة ، ولم ينفعهم النظر فيما أصاب مَن قبلهم من المَثُلات التى حلت بأمم كانوا أشد منهم بطشا وأكبر قوة ، وأن هذا لا يصدر إلا عن سفيه جاهل بمقدار نفسه وبمقدار اليد التى تملك ناصيته وتهيمن عليه ، عاد الى ذكر طرف مما فتنوا به وعلقوا عليه إيمانهم ، كأنما هم الغالبون يملون شروطهم على المغلوب ، أوكأنما يطلب إليهم أمر ينتفع به الطالب ، فهم يشتطون فيما يشترطون فيقولون : « لولا أنزل عليه آية من ربه » أو يقوله الذين كفروا منهم وتمكن الكفر من قلوبهم حتى عقدها عن أن تنظر فيما فيه صلاحها ، وغامت الغشاوة على بصائرهم فلم يبصروا ما تجلى من الآيات التى يهتدى بها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فجحدوا تلك الآيات وأبوا إلا آيات يقترحونها ويعيّنونها ، ويعرضون عما تجلى لهم مما هو أقوى منها ، ولو أجيبوا الى ما طلبوا لجاء كل واحد يقول : هذا مقترح فلان ولا يقنعنى إلا أن تجيبنى لمقترحى ، ولكانت الآيات لعبة تابعة لأهوائهم ، ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض .

وها نحن أولاء نورد عليك طرفا من تعنتهم الذى حكاه الله عنهم فى اقتراحاتهم وتلاعبهم :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى سورة الفرقان : « وقالوا مالهـذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكونَ معه نذيراً ، أو يلقى إليه كنز أوتكونُ له جنة يأكل منها وقال الظالمون إنْ تتبعون إلا رجلا مسحورا » فقد أبوا الاعتراف بنبوة من يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، ثم طلبوا أن ينزل معه ملك فيكون معه نذيرا ، ثم اقترح منهم مقترح أن يلقى اليه كنز من مال ؛ وقال آخر : تكون له جنة يأكل منها. وبقى بعد ذلك الباب الذى لا يمكن سده وهو تعللهم بقولهم إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . فلو جىء لهم بكل ما طلبوا لبقى تعللهم بأنه سحرهم ، كما تعللوا فى قصة انشقاق القمر حتى سألوا القادمين من الآفاق فأخبروهم أنهم رأوه منشقا على ما روى . ولقد كانوا يقولون قبل ذلك إن محمدا إن كان قد سحر أبصارنا فلم يقدر على أن يسحر جميع من فى الأرض ، فلما أخبروهم بأنهم رأوا القمر منشقا لوّوا رءوسهم وأعرضوا مستكبرين .

وفى سورة الفرقان أيضا : « وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أونرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم وعَتَوْا عُتوا كبيرا » . ولقد رد عز وجل عليهم بقوله جل من قائل : « يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حِجْرا محجورا » فبين أنهم لو أنزلت عليهم الملائكة على صورتهم لهلكوا عن آخرهم ، فكان طلبهم هذا وبالاً عليهم ، فما أشبهه بما جاء فى الآية التى نحن بصدد تفسيرها فيما مر فى قوله تعالى : « ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات » !

وقال تعالى فى سورة الأنعام : « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون » فهذا نظير قوله فى الآية المذكورة آنفا : « يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين » إذ يهلكون على كفرهم ولا ينفعهم يومئذ إيمانهم ، فقد صار الايمان عن عيان وإلجاء ، فلم يجىء عن ابتلاء العقول التى هى أعظم ما وهبه الله لبنى الانسان . ولو جاء الملك على صورة يمكن رؤيتها لكان على صورة رجل ، كما قال تعالى فى سورة الأنعام : « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبَسنا عليهم ما يلبِسون »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أى لجاء قولهم : يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، أو قولهم : إن تتبعون إلا رجلا مسحورا .

وكذلك اقترحوا أن ينزل كتاب من السماء معه ملائكة يشهدون بأنه من عند الله ، فجاء قوله تعالى : « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » فكيف الوصول إلى إقناع هؤلاء وكلما جاءتهم آية تعللوا بأوهى المعاذير ؟

ولنجل لك ما حكاه الله عنهم فى سورة الإسراء ، إذ يقول عز وجل : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكونَ لك جنة من نخيل وعنب فتُفجِّرَ الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تُسقطَ السماء كما زعمت علينا كِسفًا أو تأتىَ بالله والملائكة قَبيلا ، أو يكونَ لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزِّلَ علينا كتابا نقرؤه » . هكذا كانت ألاعيبهم ، وهكذا كان تعنتهم ، وهكذا كان عنادهم وإباؤهم ، فكأنهم يأبون أن يؤمنوا بربهم حتى يتجلى لهم ، ويتنزل للعمل بأهوائهم . فلماذا كل هذا وقد وضح الصبح لذى عينين ؟ وماذا يمنعهم من أن يؤمنوا لبشر اصطفاه الله واختاره لوحيه ، وأيده بآياته الباهرة ومعجزاته القاهرة ؟ فقد أبوا أن يعترفوا لله بهذا الحق : حق اختيار بشر للرسالة ، كما قال تعالى : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا » . وما دروا أن الرسول لا يمكن انتفاع المرسل إليهم به إلا إن ناسبهم وأمكنهم أن يفهموا منه ، وهم بشر لا ملائكة ، ولو كانوا ملائكة لأرسل إليهم ملكا مثلهم : « قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » .

هذا هو تصوير حال المشركين وإبائهم وعنادهم مع الأنبياء والمرسلين . وهذا هو جلاء الآيات لهم ، ورد حججهم عليهم ، حتى لم يبق لهم متمسك يسوغ الاعتماد عليه فى نظر عاقل ، أفمن حكمة القادر القاهر أن يجعل آياته تحت تصرفهم وألعوبة لأهوائهم ، أم أن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العزة الإلهية تقتضى أن يعرض عن هذيانهم ويمضى الرسول فى طريقه معرضا عنهم غير آبه بهم ، وأن يشد المولى عز وجل أزر نبيه ويأمره بالإعراض عن قوم عموا وصموا ، فيقول عند ما يشرعون فى مماحكاتهم : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ؟

لقد بسطنا القول طويلا فى هذا الموضع ، وأطنبنا فيه أكثر مما تعودنا ، وما حملنا على هذا الإسهاب والتوسع فى الاستشهاد بآيات متماثلة من محكم آيات الكتاب إلا إبطال ما يتعلل به بعض الكتاب ، إذ يزعمون أن المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يؤيد من قبل المولى عز وجل بمعجزة سوى القرآن ، وكل آياته هى الكتاب العزيز ، فلم يظهر على يده صلى الله عليه وسلم معجزة ما غير القرآن الكريم . ونحن نقول : كفى بالقرآن آية بل آيات كبرى ، ومن ذا الذى ينكر أو يستهين بما احتوى عليه القرآن العزيز من باهر الآيات ؟ إلا أنا نقول : إنه مع هذا قد ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من الآيات الكونية والمعجزات الخارقة للعادة ما تواتر فى جملته ، وإن كانت آحاده آحادا ، وقد صحت الأسانيد بالكثير منها ، وبلغت جملتها حد التواتر ، كما مثلوه بجود حاتم وشجاعة على وأمثالها مما صار مجموعه غير قابل للشك وإن كانت آحاد الحوادث لم يبلغ واحد منها حد التواتر . وأمارة التواتر أن يصل الأمر عند النفس الى حد لا تقبل الشك أو التشكيك فيه ، فلو أنه قيل لك : إن حاتما كان بخيلا أو إن عليا كان جبانا ، لم تجد ما يدعوك الى التفكر فيه ، وإن كانت آحاد حوادثه لم تبلغ عندك مبلغ التواتر .

وإذا أردت مثالا مما يقع فى عهدنا فهاك : لقد تواتر عند الحاضرين أن بعض الساسة كان من الدهاء بحيث لا يشق له غبار حتى أصبح لا يقبل تغيير العقيدة فيه ، فلو قيل لك مثلا : إن بسمارك السياسى كان رجلا غبيا قصير النظر ، لأبت نفسك الاستماع له أو كلفت نفسك مؤنة الرد عليه ، مع أن أشخاص حوادثه لم يثبت لديك منها شىء بعينه . ويسمى متواتر المعنى .

ولقد تواترت المعجزات فى جملتها وإن كان بعضها آحادا صحيح الإسناد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فنبع الماء من بين أصابعه ، واختفاؤه عن أعين الباحثين عنه وهو أقرب الى مواقع أبصارهم ، وأمثالها ، من الآيات الكونية . بل من بعض وجوه الإعجاز فى القرآن ماهو من الآيات الكونية ، كعلم أخبار الأمم الماضية ، وكالإخبار بالمستقبل فيقع كما هو ، كما فى قوله تعالى : « الـم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » مما جرت بشأنه المراهنة المشهورة بين أبى بكر وبعض الكفار . والأخذ على قلوب اليهود الذين نطقت الآية الكريمة بأنهم لن يتمنوا الموت أبدا آية كونية ، فلقد كانوا أحرص الناس على تلمس ما ينهض حجة لهم على محمد ، وما كان أهون عليهم من أن يقول قائل منهم: ليتنى أموت ، فلا يقدر أحد على ادعاء أن هذا قول لسانى . كان هذا يهمهم ويعنيهم جد الغاية ، ولا سيما فى الوقائع التى كانوا ينزلون فيها من معاقلهم على حكم السيف ، إذ غدروا بالمصطفى صلى الله عليه وسلم ، كما جرى لبنى قريظة وبنى النضير من اليهود .

والخلاصة أن أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم وأعظمها والدائم بذاته منها ، هو القرآن الكريم . ولكن هذا لا يمنع أن له معجزات كثيرة وردت بها الأخبار الصحيحة . أما ما فى الآية التى معنا وأمثالها فقد تجلى لك بما سبق موقعه وأنه قطع لتعللاتهم وتصويرهم بأنهم لا يؤبه لطلباتهم ، ولا يعتنى بهذيانهم ، فليمض المصلح فى إصلاحه ، وليدعهم لربهم ، فهو القادر على أن يذيقهم وبال أمرهم « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » .

هذا وحين تتأمل فى قوله تعالى : « ويقول » تجد أن هذا كان يتكرر منهم ، وكان عادة لهم وديدنا . والتعبير عنهم بالذين كفروا تصويرلهم بصورة من لا يرجى منه صلاح حال أو اعتراف بحق ، فقد سدت قلوبهم عن إدراك الهدى بما عقد عليها من الكفر.

وكلمة (لولا) للطلب الشديد المصحوب بحث ، كأنهم جد حريصين على حصول تلك الآية ، ولم يكفهم ما بهرهم من جليل الآيات .

وكلمة (من ربه) لا يريدون بها إلا الهزؤ بدعواه أنه مرسل من ربه ، كأنهم يقولون:

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إذا كان مرسلا من ربه فلم لم يؤيده بإجابة ما نطاب ؟ لذلك كان الأمر يشتد عليه صلى الله عليه وسلم لمزيد حرصه على أن يؤمنوا أو يهتدوا ، وأن ينجح فى مهمته وأداء رسالته ، فكان المقام مقام أن يهوّن عليه ربه أمرهم ، ويرشده الى ألّا يكبر الأمر على نفسه ، فقال أولا : إنما أنت منذر ، أى ما كانت مهمتك أن تهديهم وتوصلهم بالفعل ، إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ، وقد بلّغت على الوجه المطلوب منك ، فلا عليك أن يؤمنوا أو يكفروا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة وقال له ثانيا : «ولكل قوم هاد » أى ما كان بدعا فى الكون أن يجىء الرسول الى قومه فيهديهم فيكون منهم المؤمن ومنهم المكذب ، بل هذه عادة الله فى خلقه : يرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، فيكون من قومهم المكذبون والمصدقون ، فلك أسوة بإخوانك الرسل من قبلك . وعلى ذلك يكون معنى « هاد » أى رسول يرشدهم كمعنى منذر . ومن المفسرين من يرى فى معنى الهادى الموصل بالفعل ، ويقول : الهادى هو الله ، أى أن الله هو الذى يهدى ويوصل الى الخير . ولكن الوجه الأول أوجه ، فإن المولى جل وعلا لم يوصل بالفعل كل قوم ، فما زال من القدم من الناس مؤمن وكافر . إلا أن يراد أن الله هاد لكل قوم اهتدوا ، أى كل من حصلت له الهداية الإلهية فهدايته من الله والله هوهاديه . وأصحاب هذا القول يرون أن لفظ الجلالة بعد هاد خبر مبتدأ محذوف ، أى هو الله . ثم فى الوجه الأول فوق التأسى الذى شرحناه معنى أن لكل قوم هاديا يليق بقومه بحسب حالهم ، وأنت جئت لقومك على أتم الحالات التى تنتظر لهم وتناسبهم ، وجئت بالآيات اللائقة بقومك وبالناس أجمعين .

قال تعالى : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار » :

هذا من تمام تسليته صلى الله عليه وسلم وتهوين أمرهم عليه ، وذلك ببيان أن الله عليم بخفى حالهم ، فلو علم فيهم خيرا لأجابهم الى ما يطلبون ، ولكنه أحاط بكل شىء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

علما ، وعلم ما خفى وما ظهر ، وعلم نياتهم وما انطوت عليه قلوبهم . أليس يعلم الحمل قبل أن يتكون ، بل هو الذى يكونه حسبما أراد ، وعلم ويعلم من دقائق تكوينه وما يحيط به ما لا يعلم هو من نفسه ولا يعلمه أحد غيره جل شأنه ؟ فهو يعلم ما تحمل كل أنثى : أذكر هو أم أنثى ، أشقى هو أم سعيد ، أمكابر هو أم مسترشد ، فيعطى كل ذلك ما يليق به ويوافق الحكمة ومحكم التدبير ، فلا يسير وراء أوهام من أوهموا أو توهموا ، كيف وهو أعلم بهم من أنفسهم ، فلا غرو كان أليق شىء الإعراض عن مقترحهم ، فأعرض عنهم ، فنحن أعلم بهم من قبل ومن بعد .

وأردف ذلك بقوله : « وما تغيض الأرحام وما تزداد » لبيان أن سعة علمه جل شأنه لا تقتصر على ما حمل به أذكر أم أنثى الخ بل يعلم فوق ذلك ما غاضته الأرحام أرحام النساء ، أى نقصته من مادة كانت صالحة للتخليق فنقصتها الأرحام وغاضتها ، وما زادته الأرحام من مواد أضيفت الى ما قذف فيها من نطف فتكونت منها النطفة بشرا سويا .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وإن من رجع الى كلام أهل الذكر فى هذا الباب رأى فيه أن النطفة تقذف فى الرحم محتوية على عدة بويضات صالحة للتخليق فتدور حول بويضات من المرأة حتى يخترق بعض بويضات الرجل بعض بويضات نطفة المرأة فيذوب فيه ، وباقيها مما لم يرد الله تخليقه يكون بمعزل فيفسد ، فكأن الأرحام غاضته أى انتقصته . ثم يكون من الأرحام إمداد لما صلح للتخليق منه فيزداد وينمو بأمر الله حتى يكتمل خلقا سويا ، ففى كل نطفة تخلق منها جنين غيض وازدياد . ويصح أن يكون معنى تغيض الأرحام أى ما يتلاشى فيها من النطف ، وما تزداد أى ما يتعدد فيها من الأجنة .

وعلى الجملة فالآية قد نبهت على أدق شىء فى تكوينهم ، فكيف يعزب عن علمه حالهم وهو الذى كونهم : ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ فلو علم فيهم خيرا منتظرا لأجابهم الى مطلبهم ، كما قال تعالى : « ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم » ولكنهم لا خير يرجى منهم كما قال عقبها : « ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكلمة (ما) فى قوله : « ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد » يصح أن تكون مصدرية أى حمل وغيض وازدياد ، أو موصولة أى ما تحمله وما تغيضه وما تزيده ، أو استفهامية أى ماذا تحمل وماذا تغيض وماذا تزداد ؟ وتكون معلقة لفظ (يعلم) عن العمل كما يقوله علماء النحو .

ولفظ تغيض يستعمل لازما ومتعديا ، تقول : غاض الماء وغضته أى نقص أو نقصته كما قال تعالى : « وغيض الماء » أى نقص وغيب فى الأرض . ويصح أن يكون تغيض الأرحام وتزداد ، أى فى الجثة كالمولود ناقصا والمولود كاملا ، أو فى المدة كالمولود لسبعة أشهر والمولود لتسعة والمولود لسنة أو أكثر ، أو فى العدد كالمولود منفردا أو متعددا اثنين أو ثلاثة أو أكثر . كل هذا يدل عليه تغيض وتزداد ، فوق ما سبق لك من انتقاص بعض ما يصلح للتخليق أو كله ، ومن ازدياد المادة المخلقة بما يمدها من دم الأرحام . وغير خاف أن إسناد تغيض وتزداد الى الأرحام مجاز عقلى ، وإلا فالله هو الفاعل لكل شىء فى الحقيقة .

وقوله تعالى : « وكل شىء عنده بمقدار » تقرير لمضمون الجملة قبله ، وكأنه يقول : إنه مع إحاطة علمه بكل شىء جل أو قل ، فإنه بتقديره وحكمته قد رتب كل شىء حسبما يليق ، فما كان الأمر فرطا ولا ابن المصادفة ، ولكن كل شىء خاضع لتدبير الحكيم العليم . فهذا كقوله تعالى : « إنا كلَّ شىء خلقناه بقدر » فكل عرض وكل جوهر قد وضع حيث أراد الله ودبر بمقتضى الحكمة من الأزل ، فما كان لمخلوق أن يطمع فى تغيير أمر عما أراد الله العليم الحكيم ، فكل شىء له مرتبته الخاصة به ووقته المعين له ، وحاله اللائقة به لا يكاد يجاوزه . ومعنى « عنده » أى فى علمه وحكمه .

قال تعالى : « عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » :

تقرير بعد تقرير ، وتثبيت إثر تثبيت ، حتى يطمئن قلبه عليه السلام الى ما أراده الله عز وجل بهم ، ويهون عليه أمرهم ، وهو الذى كان أشد ما يكون حرصا على إيمانهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهدايتهم، حتى إنه قدخاطبه عزوجل بقوله : «فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً» يدفعه الى ذلك ما فطر عليه من رأفة ورحمة، وشغف بأن لا يفوت الإيمان بالواحد القهار أحدا من خلق الله العقلاء . كيف وهم قومه وعشيرته ، والأمر أوضح من أن يخفى ؛ وهم ذوو عقول وفطن ، لا يعذرون فى تضييع ذلك الخير الجليل على أنفسهم . فالحق أن وقوفهم موقف العداء لأنفسهم أمر يضيق له صدر الحليم ، ولا سيما وهم عشيرته الأقربون . فلا بدع أن يتلو الكلام بعضه بعضا فى تهوين أمرهم عليه صلى الله عليه وسلم ، وتكرير القول فى أن ذلك يجب رده الى علم الله وحكمته ، فهو بهم أعلم ، وهو عالم الغيب والشهادة ، وهو الكبير المتعال ، فلا هيمنة على الخلق ولا تصرف فى شئونهم إلا للعالم بحالهم ، وهو المنزه عما يتوهمونه من أن دعوتهم سيعود نفع منها على أحد غيرهم . ثم مهما زعموا لأنفسهم من عزة وعظمة فهم أهون عند الله من أن يلتفت الى شيء مما يدعونه لأنفسهم ، فهو الكبير الذى تخضع أمام عظمته كل رأس ، وهو المتعال عما يصفونه به مما تفوه به ألسنتهم ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون !

وبعد أن وصف عز وجل نفسه بأنه الكبير المتعال ، المنزه عما يجول بخواطرهم أو تتفوه به ألسنتهم ، عاد الى تعريفهم قدر أنفسهم ، وأنهم أمام قدرة القادر وعلم العليم لا شيء ، فلا يفلت منهم أحد عن سلطانه وإحاطة علمه بكل شأنه ، فقال تعالى : « سواء منكم من أسَرّ القول ومن جهر به ومن هو مستَخْفٍ بالليل وساربٌ بالنهار » أى لقد خدعتم عن أنفسكم ، وتوهمتم أنكم إذ تسرون القول بينكم وتستخفون عن الخلائق أمثالكم قد تخفى على الله خافية منكم ، كلا ! لقد طاش سهمكم ، وخاب ظنكم الذى ظننتم بربكم ، فسواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، فالله عالم بكل أمر منكم ، بل يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، بل يعلم ما تهجس به نفسكم من قبل أن يخطر ببالكم ، بل قد علم كل ذلك من الأزل قبل أن تخلقوا . وكما يعلم السر والجهر من أقوالكم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كذلك يعلم ماظهر وما استتر من أعمالكم ، فيعلم من هو مستخف بالليل يظن أنه قد خفى عن ربه كما خفى عن الخلائق مثله ، لا بل الاستتار بالليل والظهور بالنهار بالنسبة اليه على حد سواء ، فإذا سمى شىء غيبا أو استتارا أو إسرارا فهو بالنسبة اليكم أنتم ، وأما بالنسبة اليه جل شأنه فكل ذلك سواء . ومعنى مستخف أى مبالغ فى الاختفاء كأنه فوق اختفائه طالب للمزيد من الخفية ، كما يفهم من السين والتاء . ومعنى سارب أى ظاهر ، من قولهم : سرب أى ذهب فى سربه أى طريقه لا يبالى بشىء ، قال الشاعر يصف قومه بالعزة :

وكل أناس قاربوا قيــد فحلهم ونحن خلعنا قيده فهو سارب

أى تركناه بلا قيد فهو يسير فى طريقه حيث أراد . ونكتة تقديم من أسر القول على من جهر به ، وتقديم من هو مستخف بالليل على سارب بالنهار ، أن المقصود تقرير شمول العلم ، ولا شك أن تعلقه بالمسر والمستخفى أمكن فى هـذا التقرير . ثم إن لفظ سارب عطف على من هو مستخف ، والمعنى : سواء من هو مستخف ومن هوسارب ، أوعطف على لفظ مستخف ويكون من عبارة عن شخصين ، أى سواء شخصان مستخف وسارب . وقد ورد له نظير فى اللغة ، ولكن الأول أقعد ، فإن الثانى يوهم أن شخصا واحدا هو مستخف وسارب . ثم إرداف المستخفى بالليل وإرداف السارب بالنهار ، لتأكيد الاستخفاء والسروب ، فالليل أعون على الاستخفاء ، والنهار أجلى للسروب .

قال تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » :

الضمير فى له وفى يديه وخلفه وفى يحفظونه راجع الى ما ذكر قبله فى قوله : « من أسر القول ومن جهر به ومن هو » الخ ، والمعنى : لذلك المذكور من المسر والجاهر والمستخفى والسارب معقبات الخ ، أى كيف يظن أحد من أولئك أنه قد خفى أمره على الله وهو قد أحيط بملائكة يتعاقبون عليه ليلا ونهارا ، يحيطون به من بين يديه ومن خلفه ، يحصون عليه ما يعمل ، ويكتبون كل ما صدر منه ، ويحفظونه مما يحيط به وهو لا يدرى من

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أمرهم شيئا ، وهم من أمر الله أى من عالم الأمر ، وهو عالم خفى مغيب عنا أعلمنا الله به بواسطة الوحى الإلهى يلقى على أنبيائه فيخبروننا به . أى إذا كان قد أحيط بمجموعة من الملائكة تتعقبه وتتتبع أعماله فتحصيها وتكتبها أولاً فأولا وهو لا يدرى من أمرهم شيئا ، فكيف يتوهم أنه سيخفى علينا منه خافية ؟ فتكون المعقبات بمعنى أنها تتعقبه وتتتبعه أينما كان وحيثما وجد وعلى أى حال حصل ، من عقبه بالتشديد أى جاء على عقبه ، والمعنى تبعه ، وقد يقال عقبه بالتخفيف أيضا بهذا المعنى ، فالتشديد للتكثير لا للتعدية . أو المعنى أنها طوائف تتعاقب ويجىء بعضها بعقب بعض كما ورد « إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » . وعلى كل حال فهو جمع معقبة بمعنى فئة معقبة ، أو جمع معقبة على أن التاء للمبالغة كراوية ، فلا يقال كيف جاء جمعه جمع تأنيث وليست الملائكة بمؤنثة .

ولا يقال : ما فائدة هؤلاء الملائكة المعقبين ، وما فائدة كتابتهم مع أنه تعالى محيط بكل شىء علما ، ومحص ما يعمله العبد بلا حاجة الى الملائكة ولا الى كتاباتهم ؟ لأنا نقول : إنه تعالى قد أحكم نظام ملكه ، وربط كل شىء بسببه استكمالا للنظام ، وهو غير محتاج فى إيجاد شىء الى سبب ما ، ولكنه الكمال فى النظام . ولو شاء لأضاء الكون بلا شمس ولا قمر ، وأوجد الزرع والضرع بلا حرث ولا استيلاد . ولو شاء لأغنانا فى حياتنا عن الغذاء وعن الماء ، ولو شاء لأوجد كل شىء قائما بنفسه غير مرتبط بغيره ، ولكنه أوجد الأشياء وباعد بينها فى ذواتها ، وقارب بينها فى ربطها بعضها ببعض ، وهو الحكيم العليم ، فهو قد ناط حفظ أعمال العباد وأقوالهم بملائكة معقبات مع استغنائه عن الاستعانة بهم لحكمة يعلمها . ويكفينا أن نؤمن بأنه الحكيم العليم ، سواء أتجلت لنا الحكمة بعينها أم خفيت عن أفهامنا . ومع ذلك ففى تدوين الأعمال والأقوال بأيدى حفظة كرام بررة كاتبين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، قطع للتمحل فى الإنكار أومحاولة الاعتذار ، لئلا يكون لأحد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من الناس على الله حجة . وفى علم المكلف عن طريق الوحى الصادق بأن عليه حفظة يحصون عليه ما عمل عون له على مراقبة نفسه فيما يصدر عنه ، وتربية لملكة الحياء فى نفسه ، ليتغلب على داعى شهوته وغضبه ، ويتلو ذلك الخوف من ربه .

وليس فى هذا مايتعاصى على العقل فهمه والإذعان له متى ورد عن الصادق الإخبار به ، فقدرة الله صالحة ، وما يعلم جنود ربك إلا هو .

وقد وصف المعقبات بثلاث صفات : (الأولى) أنها محيطة به من بين يديه ومن خلفه ، أى فلا يغيب عنها منه شىء ، ولا يخفى عليها منه شاردة ولا واردة . و (الثانية) أنهم يحفظونه أى فيحصون عليه ما عمل ، ويحوطونه من كل ما قد يمسه مما لايدرى به ، فحقه أن يحمد الله ويشكره على أن حفه بلطفه ، ومن شكر الله مراقبته فيما يهم به من شر فيبتعد عنه ، أو ماينويه من خير فيتمه ، فيكون يحفظونه أى يصونونه ، أو يحفظونه أى يحصون عليه ما عمل ، ويحفظون عنه كل ما صدر منه . و (الثالثة) أنهم من أمر الله أى أنهم من عالم الأمر الذى هو الخفى المغيب ، أو أنهم ما نصبوا أنفسهم بأنفسهم بل إنهم أقيموا فيما أقيموا فيه بأمر الله وإرادته . وعلى ذلك يكون قوله : « من أمر الله » ليس متعلقا بيحفظونه على معنى أنهم يحولون بينه وبين أمر الله ، وإلا فأمر الله لا يقى منه شىء ، بل المعنى أن ذلك الحفظ من أمر الله أى بسبب أمر الله ، أو أنهم هم من أمر الله أى من عالم الأمر وعالم الغيب .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لشكر نعمائه ، وأن يحفظنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟ ابراهيم الجبالى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشرك وعقوبته الاخروية

ورد الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر كتاب من حضرة محمد افندى زكى عبد الوهاب العفيفى بشبرا مصر يرجو فيه أن يجاب على سؤال له فى الشرك ، فاهتم فضيلته بالأمر وكلف فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ يوسف الدجوى ، ومدير هذه المجلة ، أن يضع كل منهما جوابا عليه ، كل على حسب وجهة نظره ، فصدع كل منهما بهذه الاشارة كما يراه القراء فى هذا العدد .

أما نص السؤال بعد الديباجة فهو :

« قبح الله الشرك وأوعد المشرك بعدم المغفرة والخلود فى النار ، فلماذا ، وما حكمة هذا العقاب الشديد ، وما حكمة كونه لا يغفر ، وكيف التصق بالخالق ، وما الذى يترتب عليه فى الدنيا حتى كرر الله ذكره ومقته مقتا عظيما فى آيات كثيرة فى القرآن ؟ ولماذا كان يغيظ الشرك محمدا وغيره لحملهم ذلك على أن يحاربوهم حروبا شعواء ؟

« وإذا كان المشرك لا ينفك عن إشراكه فما فائدة النصح له ؟

« وما الفرق بين المشرك والمنافق ؟

« وكيف نوفق بين قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وبين قوله : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » فكيف يكون من هو رحمة للعالمين سببا فى عذابهم ؟

« ولو فرضنا أن محمدا لم يبعث فى جزيرة العرب فماذا كان يضر ؟ وقد بعث وليس بها نهر ومات ولم يحفر بها نهرا ، فما حكمة ذلك ؟ »

هذا هو الكتاب مجردا من حواشيه . فكان جواب فضيلة الأستاذ الشيخ الدجوى عليه ما يلى :

الجواب

إنا نعجب كل العجب من أعماق قلوبنا لمثل هذه الأسئلة ، ولكن لا مندوحة لنا عن جوابها . وعلى الطبيب أن يداوى كل مريض يأتيه ، فنقول وبالله التوفيق :

لا يعرف قبح الشرك بالله وإجرام المشرك إلا كل من يعرف عظمة الله التى أدهشت العلماء ، حتى قال بعض الفلاسفة من فرط دهشته بعظمة الله الذى أبدع تلك العوالم ، التى لا يأتى عليها العد ولا يحيط بها الحد ، ولا يدرك كنه ما فيها من الأسرار

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والعجائب إلا مبدعها العليم الحكيم ، قال ذلك الفيلسوف : « ليت شعرى مَن ذلك الذى اجترأ عليك فسماك الله لأول مرة ؟ ! »

وقال سبنسر الانجليزى ما ترجمته : « ليس الغرض من علم الطبيعة معرفة تلك الظواهر الطبيعية ، وإنما الغرض الأسمى أن يشرف الإنسان على ذلك السر الباهر ، ويستطلع تلك العظمة الإلهية من وراء تلك الحدود التى ينتهى إليها علم الطبيعة » .

ولاشك أنّ جرم من يتجرأ على العظيم أعظم من جرم من يتجرأ على غير العظيم ، وهكذا تتفاوت عظمة الجرم على حسب درجات تلك العظمة . فاذاً المتجرئ على أعظم العظماء هو أعظم المجرمين .

وأما قول السائل : « وما الذى يترتب عليه فى الدنيا حتى كرهه الله ومقته مقتا شنيعا فى آيات كثيرة من القرآن » فجوابه أنه يترتب عليه كل مفسدة يمجها السمع وينفر منها الطبع ، وتقوض أركان العمران وتذل نوع الانسان ، وتذهب بالفضائل وتأتى بجميع الرذائل . أما من عرف الإله الحق العادل الحكيم الذى يجازى المسىء بإساءته والمحسن بإحسانه ، وهو الذى يقول : « وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » ويقول : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ويقول : « وما يعزُب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ إلا فى كتاب مبين » . نقول : كل من يؤمن بهذا الإله الذى ذلك بعض صفاته وقليل من كمالاته ، لا يمكنه أن يظلم أحدا أو يتعدى على أحد الخ . وكل ما تراه اليوم مما تضج منه الانسانية وتصرخ منه الأخلاق وتئن له الفلاسفة والمصلحون ، فليس إلا نتيجة الشرك بالله والجهل بعدله وعلمه وقدرته . فمازور المزورون ولا كذب الكاذبون ، ولا تلوّن السياسيون الخداعون ، ولا قتل القاتلون ولا سرق السارقون ، ولاجار القضاة الظالمون ، ولا خان الخائنون ولا غصب الغاصبون ، ولا التهمت الأمم القوية الأمم الضعيفة . ولا استعبدتهم وتفننت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى ضروب الاستعباد لهم، ولا ضحك الأذكياء على الأغبياء ولا المتنورون على الجهلاء، ولا الأكابر على الأصاغر، ولا الأقوياء على الضعفاء: فلم يريدوا منهم إلا ما يريده رب الماشية من الماشية ورب الضيعة من الضيعة الخ، لم يقع ذلك كله وأضعافه وأضعاف أضعافه مما لا يخفى عليك، ولا حاجة بنا أن نسوقه إليك، إلا من عدم معرفة الله والإيمان بعدل الله، وهو نتيجة من نتائج الشرك الجلى أو الخفى، والعدول عن سنن الدين وأهل الدين «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون».

ولو رسخ الايمان فى القلوب كما يريد الأنبياء، لتراحم الناس فيما بينهم، ولكانوا إخوة متحابين متضامنين، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا». بل قد يصل المؤمن من لباب ذلك الى حد أنه يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة، ويخاف من أن يؤذى هرة فضلا عن إنسان، لأنه يعرف ما قال صلى الله عليه وسلم: «دخلت امرأة النار فى هرة». ثم يقول فى حديث آخر: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء». ولو عمل الناس بتعاليم الأنبياء لكانوا على غاية الصفاء والهناء، ولعاشوا عيشة أهل الجنة فى الجنة.

فهذه هى الغاية التى يريدها صلى الله عليه وسلم من الناس حتى جعلها شرطا فى الايمان الكامل فقال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». وقال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن: قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذى لا يأمن جاره بوائقه» الى غير ذلك وهو كثير.

فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذى جاء لإنقاذ الإنسانية المعذبة ورفعها من حضيض الشقاء الى أوج السعادة، ولكن كل إنسان يأخذ من هذا المعين الصافى وذلك البلسم الشافى حسب ما قدر له وسمح به استعداده.

أما دعوى الأوربيين إنقاذ الانسانية من شقائها، فهى دعوى كاذبة قصد بها التغرير وتوسيع الاستعمار، فكانت من وسائل تعذيب الانسانية لا إنقاذها. ولعل السياسيين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هم أعرف الناس بذلك . وسر هذا كله أن الانسان لا يحب أولاً وبالذات إلا نفسه ، ولا يحب الأشياء إلا من أجلها ، فليس له هم بمقتضى طبعه إلا ما يعود عليها بالمنفعة من قرب أو بعد ، ولا يكاد يفكر فى غير هذا أو يريد شيئا سواه ، وكل ما يوصله الى ذلك فهو من بغيته وطلبته وإن خربت البلاد وهلكت العباد ، فهو وحش ضار يفترس أقرانه ويبيد بنى نوعه بلاشفقة ولارحمة ، وليس لديه قانون إلاقانون المنفعة الذاتية ولا دستور إلا دستور المصلحة الشخصية ، فهو فى نظر الفلسفة الصحيحة أحط من الحيوان وأضر من الثعبان . ولذلك أباح الدين دم الحربى لأنه سقط عن رتبة الانسانية والتحق بالحيوانات المؤذية ، فكان الواجب للانسانية تطهير الأرض منه رحمة بها وشفقة عليها ، فلا غرو أن يهدر دمه ولا تراعى كرامته ، وهو الذى أضاعها بسوء سلوكه وفساد إنسانيته « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

أما خلوده فى النار فلعظم الجريمة كما قلنا . أو نقول ما قال كثير من العلماء : إنه كان ينوى الكفر بالله على التأبيد . والعبرة عند الله ليس إلا بما تكنه النفوس وتنطوى عليه القلوب « إن الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم » . أو نقول : إن هذا الرجل دأب على مساخط الله والعمل على فنون الرذائل حتى صارت ملكة راسخة فيه ، فالتحقت بالغرائز ، وصارت بكثرة التمرن واستحكام العادة كأنها جزء من تكوينه الخلقى واستعداده الطبعى ، فلا سبيل لانتزاعها منه إلا بفساد تكوينه واقتلاع غرائزه وانخرام طبيعته ، ولذلك يقول الله تعالى : « ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه » . ومن عرف تأثير العادات وتكوينها الملكات الخبيثة أو الصالحة فى النفوس ، لم يستغرب ذلك . وإذاً نقول : إن هذا الرجل كله خبث وقذارة روحانية هى أشد من قذارة الحسيات لدى من يدرك للروحانيات معنى أو يشم لها رائحة «إنما المشركون نجس» . فكيف يدخل حضرة الله المقدسة التى لايدخلها إلا المقدسون أو يفوز بجنته المطهرة التى لا يفوز بها إلا الروحانيون ، أو يسمع لذيذ المناجاة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التى لا يظفر بشرفها إلا المقربون ؟ لعمرى إن الحكمة تأبى دخوله الجنة التى أعدت للمتقين وحرمت على الكافرين، لأنهم ليسوا لها بأهل: ولعمر الحكمة المقدسة التى تأبى أن تضع الأشياء إلا فى مواضعها لو دخلوا الجنة لكان هذا فى نظر الحقائق بمنزلة من يأتى بشر الدواب فيدخلها حظيرة الملك ومحل خواصه ومجلس ندمائه (وأى عقل يسمح بوجود الحمير بحضرة الملك الكبير مع الوزير والأمير) ؟

ولا تعجب من هذا فإن الانسان قد ينحط الى أسفل دركات الحيوان فلا يكون إنسانا إلا بصورته وتخطيطه لا غير . وقد قال بعض الفلاسفة : «إن من الناس من تفسد إنسانيته فيصبح غير إنسان» . وليس هناك تفاوت بين أفراد نوع من الأنواع مثل التفاوت الذى بين أفراد نوع الانسان ، الذى هو مجمع العجائب والغرائب ، ومظهر المتضادات والمتناقضات . وقد قال تعالى فى حق أولئك المشركين الجاهلين الذين عموا عن الآيات وكفروا برب الأرض والسموات : « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » وقال : « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوًى لهم » .

فهذا قول خالقهم العالم بما خلقوا عليه وانجذبوا اليه « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » . وسيقولون فى الآخرة : « لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ».

هذا وللشيخ محيي الدين بن العربى وابن تيمية وابن القيم كلام فى الخلود فى النار شذوا فيه عن الجمهور ، فلا حاجة لسوقه هنا أو التعريج عليه .

وأما قول السائل : « ما الفرق بين المشرك والمنافق ؟ » فلا أدرى ماذا يريد به ، فإن الفرق بينهما واضح من حيث التحديد والتعريف ، وكيف يشتبه من يظهر الكفر بمن يظهر الايمان ؟ وإن أراد الفرق بينهما فى الدار الآخرة فلا فرق فى استحقاق كل منهما العذاب الأليم . وقد قال الله : « إن المنافقين فى الدَّرْك الأسفل من النار » . فلندعه وما أراد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأما قوله : « وإذا كان المشرك لا ينفك عن إشراكه فما فائدة النصح له ؟ » فهو عجيب ، فإننا نريد أولاً إقامة الحجة عليه « لئلا يكونَ للناس على الله حجة بعد الرسل » . وثانيا علينا أن ندعو الناس جميعا الى الخير والهدى « ليهلِكَ من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة » وما أودع فى استعداد الانسان من الأسرار لا يعلمه إلا الله تعالى . فالواجب علينا أن ننصح كل من نقدر على نصيحته بالوسائل المختلفة ، عسى أن يكون فيه قابلية للخير « ولو فى طبقة من طبقات أرضه السابعة » . فإذا لم ينتصح كنا معذورين ، وقامت عليه الحجة .

وأما قوله : « وكيف نوفق بين قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وبين : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وكيف من يكون رحمة للعالمين يكون سببا فى عذابهم ؟ » فجوابه أن الطبيب رحمة وإن أعرض عنه المغفلون ، وأن النيل رحمة وإن لم ينتفع به الجاهلون أو غرق فيه المجازفون . بل نقول : إن النار رحمة كبرى ، وقد امتن الله علينا بها فى قوله : « أفرأيتم النار التى تورون » الى أن قال : « نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقْوِين » . ولا ينافى ذلك أنها قد تكون نقمة على بعض الناس . وهذا فى غاية الوضوح .

وكيف لا يكون رحمة للعالمين وقد جاء بسعادة الدنيا والآخرة : فأعطى الروح حظها من معرفة الله وما خلقت لأجله ، وأرشدها الى ما تكون به فى أعلى عليين وتصبح مع الملائكة المقربين ، وأعطى الجسم حظه من مشتهياته التى رسم لها طريقا يؤمن شره ويرجى خيره « كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرَّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

وأما قوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » فهو جار على مقتضى العدل والحكمة ، فإن عدل الله يأبى أن يعذب الخلق من غير إنذار ولا دعوة للاستبصار .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإنك لتعرف ذلك فى القوانين الوضعية ، فلاعقوبة إلا بعد سن القوانين وظهور التشريع ، ولكن من عارض القوانين بعد ظهورها ووقف فى وجه المصلحين وعرقل تشريع المشرعين ، كان مستحقا للعقوبة لا محالة .

وليت شعرى ماذا يرى السائل فيمن يخرج على الأطباء فيما يفرضونه من الحجر الصحي ، وبث التعاليم التى تنفع المرضى وتحمى الأصحاء ، وتعاقب كل من يقف فى سبيل الصحة العامة ، ونشر أعلامها بين ربوع الأمة ، حتى لا تنتشر الأوبئة الفتاكة والأمراض المهلكة ؟ وهل ترى أن من أعرض عن أسباب السعادة بعد الدعوة اليها وانغمس فى حمأة الشقاء بعد التحذير منها ، وأخذ يقاوم دعاة الإصلاح ويقف فى طريقهم ، هل تراه كمن لم تقم عليه الحجة ولم يعارض دعوة المصلحين ولا أعرض عن الحق بعد ما تبين ؟

وأما قول السائل : « لماذا كان يغيظ الشرك محمدا فكان يحاربه محاربة شعواء » فلا أرى له معنى بعد ماتقدم . وليعلم حضرة السائل أن للفضائل أقواما يغارون عليها ويبذلون فى سبيلها كل مرتخص وغال أكثر مما يحرص أهل المادة على المادة ، حتى إنهم ليهون عليهم بذل الأموال والأنفس فى هذا السبيل : سبيل الله الذى من مات فيه كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . ولكن أهل الدنيا لايحسون بذلك ولا يذوقونه ، ولذلك لايعترفون به « بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله » . وما هذا والله شأن المؤمن ، فإذا لم تكن عالما فكن مقلدا .

هذا وإنى استنكر منه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم باسمه المجرد مع كونه فى عصر تفنن أهله فى تعظيم الكبراء والعظماء ، فلا يستطيعون أن يذكروا أسماء الأمراء إلا بلقب الإمارة ، ولا أسماء الملوك إلا بوصف الجلالة ، وإذا صدحت الموسيقى بالسلام الملكى فى الحفلات الرسمية قام الناس وقوفا إجلالا وتعظيما ، الى آخرما تعرف ولا تنكر . فاذا كان هذا شعار العصر وشعوره فكيف نذكره صلى الله عليه وسلم بدون أدنى تعظيم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا توقير ، وقد قال الله تعالى : «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا» ؟ !

ولكنها الأيام قد صرن كلها　　عجائب حتى ليس فيها عجائب

وأما قوله : « ولو فرضنا أن محمدا لم يبعث فى جزيرة العرب فماذا كان يضر » فهو على ركاكته لا معنى له ، لأن الله يفعل ما يشاء ويختار من يشاء . ولو بعث من أمة أخرى لجاء هذا السؤال أيضا . فهو سؤال دورى لا قيمة له . على أن الناس معادن كمعادن الذهب والفضة كما فى الحديث الصحيح ، وقد ورد أحاديث كثيرة فى فضل العرب ، وللعرب فضائل يعرفها من درس طباع الأمم وعاداتها . ومما لا شك فيه أن الناس متفاوتون فى الاستعداد تفاوتا لا يعلمه إلا الله تعالى . فما اختار لرسالته سبحانه وتعالى إلا أشرفهم نفسا وأعظمهم استعدادا كما قال : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

ولديك آثار المصلحين والعظماء والملوك والفلاسفة ، فهل يستطيع أحد أن يأتى لنا بمثل تلك الآثار أو بتعاليم فيها تلك الأسرار ، التى رفعت الأمة العربية من حضيض الجهل الى أوج العلم ، وخرقت القوانين الطبيعية ؟ كما قال جوستاف لوبون الفرنسى فى حقهم ، وهو من أكبر فلاسفة أوربا : « إن ملكة الفنون لا تستحكم فى أمة من الأمم إلا فى ثلاثة أجيال : جيل التقليد ، وجيل الخضرمة ، وجيل الاستقلال . وقد شذ العرب فوصلوا الى الاستقلال فى جيل واحد » . وقال أيضا : « ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » . وكل هذا بفضل التربية النبوية والتعاليم المحمدية . وقد أذكرنى ذلك قول صاحب الهمزية فى أصحابه صلى الله عليه وسلم :

أغنياء نزاهة فقراء　　علماء أئمة أمراء

وأما قوله : « إنه بعث بأرض الجزيرة ومات ولم يحفر بها نهرا » فناشىء من تغلغل حب الماديات فى نفس السائل ، فهى محور كل فضل عنده ، وهى المبدأ والمنتهى . ولو أنصف لعرف أنه صلى الله عليه وسلم أجرى بها أنهر العلم الصحيح ، والعمل النافع والأدب الجم ، والدين القويم ، والتربية التى أدهشت فلاسفة أوربا . ولو قرأ السائل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(حضارة العرب) لجوستاف لوبون الفرنسى ، أو كتاب (درابر) الأمريكى ، أو أقوال غيرهما ممن لا يحصى عددا ، لم يقل ما قال ، بل لخجل مما قال . وقد قلنا ولا نزال نقول : ماذا تريد منه صلى الله عليه وسلم بعد رفع الأمة العربية من حضيض الجهل الى أوج العلم ، ومن دركات الذل الذى كانت فيه العرب الى أعلى درجات العز ، وتربيتهم بأحسن التعاليم ، وأخذهم الى مكارم الأخلاق من كل باب ، حتى صار الواحد منهم أمة وحده بعد أن كانوا أشبه شىء بالوحوش الضارية يأكل قويهم ضعيفهم ، ويئدون بناتهم ، الى غير ذلك من الفظائع التى لا تفعلها الحيوانات ، ثم يصيرون بعد ذلك علماء حكماء من أكبر الساسة وأعظم القادة فى أقل قليل من الزمن ، ثم ينشر ذلك النور فى كل أنحاء الأرض ؟ ذلك كله لدى الوجدان الصحيح والفطر الطاهرة أكبر دليل على أن مصدر ذلك كله هو مثال الخير وشخص الكمال . والفضائل لا تفيض من الانسان على غيره إلا على قدر رسوخه فيها .

إن مناط السعادة الحقة إنما هو تخليص أفراد النوع الانسانى من مخالب الشرور التى أحاطت بهم ، وغرس مكارم الأخلاق فى أعماق نفوسهم ، ومراقبة الله تعالى فى سرهم وعلانيتهم ، فإن ذلك جماع الخير وأساس السعادة .

ونبينا صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق فى ذلك كله ، وهو برهان ساطع على نبوته ، وأنه أكبر المصلحين لدى من يطلب البراهين الوجدانية من ذوى الفطر السليمة . وأما غيرهم فنحيلهم على ما كان منه من البراهين الحسية والخوارق الكونية ، إذ لا يعرفون مقدار الحقائق التى يدور عليها فلك السعادة من ارتفاع الإنسان الى الأفق الملكى ، وترقية مقام البشر الى أعلى عليين ، ومعرفة الله تعالى ، والكشف عن حقائق الأشياء ، ورقة الإحساسات ، وتنعيم الأرواح ، بما تشرئب اليه من العالم الأعلى حتى تتم للإنسان المدنية الأرضية والمدنية السماوية . فلا برهان عند ذوى البصائر أكبر من أعمال مدعى النبوة ، وصفاته النفسانية ، وكمالاته الخلقية ، وآثاره الخارجية ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التى ترقى الأمم وتسعد الشعوب ، وتجعلهم ملوكا فى الأرض ملوكا فى السماء ، كما كان ذلك للأمة الاسلامية حين تمسكها بدينها وشريعتها .

ولا غرو « فقد جاء ، كما قال بعض الفضلاء ، فى باب التشريع الصالح لكل زمان ومكان ، الكافل للعدالة بأوسع معانيها بمالا يعرف مقداره إلا العظماء والحكماء .

ولعمرى إن فلاسفة الأخلاق وعلماء النفس على شدة تبجحهم وكثرة ما قالوا ودونوا ، لم يأتوا بعشر معشار ما جاء به صلى الله عليه وسلم صافيا من الأدناس ، خالصا من شوائب الأوهام ، ممتلئا رحمة وحنانا بأبناء هذا النوع الضعيف . وهل وصلت أمة من الأمم الراقية كما يقولون الى الديموقراطية الحقة فسوّت بين الشرقى والغربى ، وقالت : لا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى كما قال الاسلام ؟

ولعمر الله لو درسْت ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وما يؤثر عن الفلاسفة والمصلحين لوجدت الفرق شاسعا والبون بعيدا ، فكل فيلسوف أو مصلح تحفظ عليه سقطات قضت بها عليه الأحوال المحيطة به ودرجة علمه فى العهد الذى كان عائشا فيه ، مما يجعل تعاليمه تستدعى الإصلاح والتهذيب الى حدود بعيدة . ولهذا السبب سقطت جميع الفلسفات القديمة والتعاليم الإصلاحية ، واستبدل الناس بها فلسفات جديدة وتعاليم من طراز حديث يلائم ما وصل اليه الناس من الثقافة العلمية ، ولكن التعاليم المحمدية لا تزال جديدة ملائمة لكل عصر بما فيها من المرونة ، وما تضمنته من الأسرار البديعة والإشارات الخفية ، والكليات التى يفنى الزمان ولا تفنى عجائبها ، بل يرى فيها مالم تنضج العقول للعمل به واكتناه جميع أسراره ومزاياه .

ولهذا اعتقد عقلاء النوع الانسانى وعلماؤهم أن الخير كل الخير فى أن تؤخذ تعاليمه صلى الله عليه وسلم بغير تعديل ولا تنقيح ، ويرون أنها بالغة أقصى درجات الكمال الى حد أن كل إصلاح فيها يحط من قدرها ويطمس من لألائها . وها أنت ذا ترى الفرق شاسعا بين الأمم الاسلامية عند ما كانت عاملة بشريعتها وما كانت عليه

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

من التعاطف والتراحم والعزة والرفعة والوئام والاتحاد ، وبين ما نحن عليه اليوم من التفرق والانقسام والضعة والذلة والاكتفاء بالمظاهر الخلابة والظواهر الكاذبة والأقوال الفارغة دون الأعمال النافعة ، عند ما تركنا العمل بالشريعة واتبعنا القوانين الوضعية التي لا تعنى إلا بإصلاح الظواهر دون البواطن ، وبالأشكال دون الحقائق ، ولا يعنيها إلا حفظ أبهة الدولة وسيطرة الحكومة دون تربية الأفراد وإصلاح النفوس . وكم عيب على الفلاسفة فيما قرروا من علم ودونوا من إصلاح » .

وسنكتب مقالا خاصا فى الفرق بين النبي والفيلسوف ، إن شاء الله تعالى .

ومن عجيب أمره صلى الله عليه وسلم تلك الحكمة البالغة ، والعلم الواسع ، والنظر البعيد الذى أحاط بمصالح الدنيا والآخرة . وما عهدنا عظيما من العظماء إلا وقد نبغ فى ناحية من النواحى فشغلته عما عداها ، بخلافه صلى الله عليه وسلم مما دل على أنه خارق للمادة مؤيد من عند الله .

وقد قال المسيو (بلانشيه) العالم الفرنسى المشهور : « إن النبي محمدا يعد من أبرز وأشهر رجال التاريخ ، فقد قام بثلاثة أعمال عظيمة دفعة واحدة ، وهى أنه أحيا شعبا ، وأنشأ أمبراطورية ، وأسس دينا » .

هذا وقد أصبحنا فى دور الانحطاط الذى يقضى فيه على الأمة شر القضاء ، فيُحتقَر أبناؤها وأئمتها وعاداتها وآدابها ، ويحتقر بعضهم بعضا ، ولا تقدس إلا كلام الأجانب الذين فنيت فيهم فعلا ، واقتدت بهم عملا ، وإن تبرأت منهم قولا .

فلننقل عليك زيادة على ما تقدم كلام بعض العظماء من أساطين العلم والفلسفة بأوربا فى شأن نبيك الذى عرفوا عظمته وجهلتها أنت ، أيها الشرقى المسلم الذى لم يعرف تاريخ آبائه وأسلافه الذين كانوا أرفع الأمم على الإطلاق وأعزها على الإطلاق .

ولو شئنا لذكرنا لك شهادة كثير من أولئك العلماء مثل (الكونت هنرى ديكسترى) و (كاين تيلر) و (جوزف تومبسون) و (لوازون) و (مارقس دودس)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

و (مودسلي) والفيلسوف (تولستوى) وغيرهم . ولكن نقتصر لك فى هذه العجالة على شهادة من سمح المقام بذكرهم . وإنى أرى من الدواء اللازم لهذا الجيل الحاضر والنشء الجديد أن هذه الشهادات يجب أن تقرر وتكرر حتى تملأ الرءوس وتستقر فى النفوس ، فإنه جيل مفتون بكل ماجاء عن الأوربيين ، فلا يعرف غيرهم ولا يقدس سواهم ، فنقول :

شهادة برنارد شو الانكليزى وهو من عظماء الانكليز :

« إننى أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق فى العالم بأجمعه اليوم لتم النجاح فى حكمه ، ولقاده الى الخير وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة » .

وقال مؤلف كتاب (دراسات فى تاريخ الدين) : « ينبغى أى نذكر أن الدين الاسلامى مخالف كل المخالفة لهذه الأبراج المتشامخة التى تسقط من ضربة واحدة لأن فيه قوة كامنة وصلابة ومتانة تجعله قادرا على المقاومة مقدرة تامة » .

وقال المسيو (لبون) فى شأن القرآن الكريم :

« حسب هذا الكتاب جلالة ومجدا أن الأربعة عشر قرنا التى مرت عليه لم تستطع أن تجفف — ولو بعض الشىء — من أسلوبه الذى لا يزال غضا كأن عهده بالوجود أمس » .

شهادة لامرتين الفرنسى الطائر الصيت الغنى عن التعريف :

قال : « أترون محمدا كان أخا خداع وتدليس وصاحب باطل ومين ؟ كلا ، بعد ماوعينا تاريخه ودرسنا حياته ، فإن الخداع والتدليس والباطل والمين كل أولئك من نفاق العقيدة ، وليس للنفاق قوة العقيدة ، وليس للكذب قوة الصدق . وإذا كان قوة الصعود والمرمى فى علم الطبيعة والحركات الآلية هى المقياس الصحيح لقوة المصدر الذى تنفذ منه الرمية وتظهر فى الأفق من القذيفة ، فإن العمل والفعل الذى يحدثه المحدث فى علم التاريخ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وسجل الخلود وكتاب الانسانية هو المقياس الصحيح لمقدار الوحي وقوة القلب والوجدان والفكرة السامية العالية التي تنفذ الى مكان بعيد وتبقى زمنا طويلا وتمشي في الحياة أبدا رخية. وهي لاريب فكرة قوية صدرت عن وجدان قوي. ولكي تكون تلك الفكرة قوية ينبغي أن يكون ظاهرها وباطنها الإخلاص، وعلمها الأكبر الحق والصدق، وتروح معقولة يقبلها اللب ويعتمدها الذهن. ولاريب أن ذلك ينطبق على محمد ورسالته والوحي الذي تنزل عليه، فإن حياته وقوة تأمله وتفكيره وجهاده ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه وخزعبلات قبيلته وشهامته وجرأته وبأسه في لقاء مالقيه من عبدة الأوثان وثباته وبقاءه ثلاثة عشر عاما يدعو دعوته في وسط أعدائه، وبهرة خصومه في قلب مكة ونواديها ومجامع أهلها، وتقبله سخرية الساخرين وهزؤه بهزء الهازئين، وحميته في نشر رسالته، وثباته وتوافره عليها، وحروبه التي كان جيشه فيها أقل من عدوه ووثوقه بالنجاح وإيمانه بالظفر وإعلاء كلمته، واطمئنانه ورباطة جأشه في الهزائم، وأناته وصبره حتى يحرز النصر، وطاعيته وتطلعه الى إعلاء الكلمة، وتأسيس العقيدة، لا فتح الدول وإنشاء الأمبراطورية، وإقامة القيصرية، ونجواه التي لا تنقطع مع الله، وقبض الله إياه الى جواره مع نجاح دينه بعد موته. كل ذلك أدلة على أنه لم يكن يضمر خداعا أو يعيش على باطل ومين، بل كان وراءها عقيدة صادقة ويقين مضيء في قلبه، وهذا اليقين الذي ملأ روحه هو الذي وهبه القوة على أن يرد الى الحياة فكرة عظيمة، وحجة قائمة، ومبدأ مزدوجا، وهو وحدانية الله وتجرد ذاته عن المادة:

(الأولى) تدل على من هو الله. (الثانية) تنفي ما ألصق الوثنيون به.

الأولى حطمت آلهة كاذبة ونكست معبودات باطلة، والأخرى فتحت طريقا جديدا الى الفكر، ومهدت سبيلا للنظر. فالفيلسوف والخطيب والرسول والمشرع والقائد ومسعر الحرب وفاتح أقطار الفكر ورواد الانسان الى العقل، وناشر العقائد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المعقولة الموافقة للذهن واللب ، ومؤسس دين لا وثنية فيه ولا صور ولا رقيات ، ومنشئ عشرين دولة فى الأرض ، وفاتح دولة واحدة فى السماء من ناحية الروح والفؤاد . فذلكم هو محمد . فأى رجال لعمركم قيس بجميع هذه المقاييس التى وضعت لوزن العظمة الانسانية كان أعظم منه ؟ وأى إنسان صعد هذه المراقى كلها فكان عظيما فى جميعها غير هذا الرجل ؟ » انتهى كلام ذلك الرجل العظيم الذى لم يأكل الحقد قلبه ولا الجهل عقله . وحقا ليس يدرى العظيم غير العظيم .

فهكذا تكون معرفة العظمة الانسانية ، وهكذا يكون تحليل النفوس الكبيرة ، وهكذا تكون الموازين الصحيحة لوزن الرجال وعظائم الأعمال ، لا حفر الترع وردم الجسور وأمثالها من أعمال الهمم الأرضية ، التى لا تعرف إلا الماديات ، ولا تعيش إلا فى الظلمات .

وقد جاءتنى هذه الأبيات عفوا وما أنا بالشاعر ، فقلت أخاطب النبى صلى الله عليه وسلم :

إنى أجل مزايا ... بهن قد صرت فردا
وسيرة تتلالا ... تفوق مسكا وندا
إن سار غيرك هزلا ... نراك قد صرت جدا
فى حكمة واعتدال ... فما تجاوزت حدا
لكن سواك وإن كا ... ن أعظم الناس مجدا
فى جل ما يرتئيه ... لا بد أن يتعدى
من يدعى غير هذا ... فإننى أتحدى

هذا ولا يفوتنى أن أقول لحضرة السائل : إنك جاهل بجزيرة العرب وما هى عليه ، ولا سيما فى ذلك التاريخ ، فإن طبيعتها خصوصا قبل الاتصال بالممالك الأخرى كانت تأبى كل الاباء أن تحفر فيها الأنهار . فكان من العبث أن يحاول ذلك فيها وهى فى ذلك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العهد على ما علم المؤرخون والجغرافيون . ولذلك بقيت حتى الآن وقد مضى أربعة عشر قرنا وهى متأخرة فى المشروعات الأرضية التي يريدها السائل غاية التأخر . ولو شئنا لأطلنا .

وبعد : فقد أرسل صلى الله عليه وسلم بما هو سبب لسعادة الدارين ومصلحة النشأتين ، إلا أن الكافر فوت على نفسه الانتفاع بذلك ، وأعرض بفساد استعداده عن هذه السعادات الى تلك المهالك . ويكفى أن الناس قد وقفوا بسبب إرساله صلى الله عليه وسلم على علوم جمة وأسرار عالية وفضائل سامية ، مما أودع فى كتابه الذى فيه بيان ما كان وما يكون عبارة وإشارة ، ثم ما جاء فى سنته صلى الله عليه وسلم مما عجز عنه علماء النفس وأساتذة الاجتماع . وأى سعادة أعظم من التحلى بزينة العلم ؟

وعلى الجملة لولا النبوات لم يكن فى العالم علم نافع البتة ، ولا عمل صالح ولا صلاح فى معيشة ، ولا قوام لمملكة ، ولكان الناس بمنزلة البهائم والسباع العادية والكلاب الضارية التي يعدو بعضها على بعض . وكل خير فى العالم فمن آثار النبوة ، وكل شر وقع فى العالم أو سيقع فبسبب خفاء آثار النبوة ودروسها فيما بين الناس . والعالم جسد روحه النبوة ولا قيام للجسد بدون روحه . ولهذا إذا انكسفت شمس النبوة من العالم ولم يبق فى الأرض شىء من آثارها البتة ، انشقت سماؤه ، وانتثرت كواكبه ، وكورت شمسه وخسف قمره ، ونسفت جباله ، وزلزلت أرضه ، وأهلك من عليها . فلا قيام للعالم إلا بآثار النبوة .

ولو نظرت الى ما دوّنه علماء شريعته من العلوم التي تنوء بها السفن فضلا عن الإبل ، وما أنجبته تعاليمه من الفلاسفة التي يقدسها الأوربيون (وإنهم لأعرف هناك بعلمائنا منا هنا) لو عرفت ذلك لم تقل ما قلت ، ولم تكتب ما كتبت . ولنتل هنا قوله تعالى « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا ولنا مقال يتصل ببعض هـذا الموضوع فى بيان مذهب المعتزلة والأشاعرة والجبرية، فراجعه .

أسأل الله أن يلهمنا الرشد ، ويقينا شر الفتنة ، ويرزقنا العلم الصحيح ، والنظر الواسع ، بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

* * *

وهذا ما كتبه مدير هذه المجلة :

تسألون عن حكمة إيعاد الله المشرك بعدم المغفرة ، وبالخلود فى النار الخ ، فيلوح لنا أنكم تستعظمون أن تستوعب مكافحة الشرك الجزء الأكبر من جهود المرسلين ، ويخيل الينا أنكم ترون أن الشرك وإن كان فى ذاته ضلالا إلا أنه لا يعدو كونه خطأ عقليا بسيطا لا يستدعى أن يخلد صاحبه فى النار ، وأن يطرد أبديا من رحمة الله . بل ربما تسرب اليكم قول خصوم الأديان : بأن الأمم وهى فى دور طفولتها لا تستطيع أن تدرك الوحدة الإلهية ، وأن لا بد لها من دور طويل الأمد تمضيه فى الوثنية ، فكيف تعاقب بالخلود فى النار أمم لا تحصى لخضوعها لحالة لا تستطيع الافتكاك منها ؟

ويتبادر الى ذهننا أيضا أنكم تستكبرون كذلك أن تحارَب أمة لا لشىء غير أنها مشركة ، أفلم يكن أجدى عليها من ذلك أن تصرف هـذه الجهود الجبارة والأموال التى تنفق فى جهادها ، فى سبيل تعمير بلادها ، وإحياء مواتها ، ودفعها فى طريق الحياة دفعا رحيما . أما الشرك السائد فيها فيترك حتى يستنفد دوره تحت تأثير ثقافة نيرة وتربية حكيمة ؟

يلوح لنا أن هـذا روح سؤالكم ، وهو عينه قول خصوم الأديان المعاصرين ، وهو بهذا الاعتبار يكون جديرا بالعناية ، ولا مناص من دحضه بأسلحة العلوم الحديثة التى يخضع لها هؤلاء الخصوم ، فنقول :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أما أن الأمم فى دور طفولتها لا تستطيع بحكم قصورها العقلى أن تدرك وحدة الذات الإلهيـة ، وأنه لا محيص من أن تمضى أول أدوارها فى الوثنيـة ، فهذا القول سقط عن المرتبة العلمية ، بعد أن أثبت الأستاذ الألمانى الكبير (ماكس موللر) عمدة الباحثين فى الأديان البشرية القديمة ومناشئها وتطوراتها ، أن الناس كانوا فى أول عهودهم موحدين للذات الإلهية لا معددين للآلهة ، عاشوا على ذلك التوحيد دهرا طويلا ، ثم طرأت عليهم الوثنية بفعل زعمائهم الدينيين ، فقد سولوا لهم تعديد الآلهة للتأثير فى عقولهم ليسهل قيادهم فى أيديهم ، وليصرفوهم فيما يشتهون ، ويرتفعوا فى نظرهم الى مرتبة خزنة الأسرار الإلهية ، ومهبط العلوم العلوية . (ارجع الى كتاب الدين وترقيه للأستاذ ماكس موللر، وكتاب اللادينية المستقبلة للفيلسوف الفرنسى جيو) .

هذا رأى العلم اليوم ، والأستاذ ماكس موللر لا هو من رجال الدين ، ولا من العلماء الاعتقاديين ، وإنما هـو بحاثة فى تاريخ الأديان القديمة ومناشئها ، وقد وقف على هذا الاكتشاف الأثرى الخطير من طريق تتبع سلسلة الأديان بالاعتماد على الآثار والنقـوش والكتابات ، لا من طريق التـوهم والظن . فيكون من أروع المعجزات العلمية للقرآن أن يوافق هـذا الاكتشاف العلمى الخطير ما جاء فيه عن أصل الدين ، قال تعالى : « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا » وقال تعالى : « كان الناس أمة واحدة (أى متفقين على الفطـرة ثم اختلفوا) ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعـد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهـدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

فإذا تركنا هـذا التحقيق العلمى جانبا ورجعنا الى معالجة هـذه المسألة من ناحية أخرى ، رأينا أن مجرد النظر للانسان فى سذاجته الأولى يشعر بأنه كان لا يعتد بالسلطان (أى السلطة) إلا فى فرد لا فى جماعة ، فكان لا يقبل الشركاء فى سلطانه على أسرته ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا الشركاء فى سلطان رئيس قبيلته ، فمبدأ الفردية كان متغلبا على جميع مشاعره ، فهل يعقل أن يعصى هذا الميل الطبيعى فيه بالنسبة لخالق الكون فيرضى له ما لا يرضاه لنفسه ولا لرئيسه ؟ هذا ولو عنى الباحث بدراسة علم الأساطير الدينية (الميتولوجيا) فإنه يرى فى وثنية الشعوب من آثار الصنعة ، وخوادع الخيال ، ما يقصر عنه الانسان فى أول عهده ، ويدل على أن كل ذلك حدث بعد عصور كثيرة من وجود الخليقة .

إذا تقرر هذا ثبت لدينا أن الشرك عصيان متعمّد للفطرة التى فطر الله الناس عليها ، واستسلام معيب من الجماعات لأفراد اغتصبوا حق القوامة الدينية عليها ، فأخذوا يعلون عليها من التقاليد والعقائد ما يزيدها إيغالا فى الوحشية ، ومضيا فى ارتباك العقلية ، ليلهوها بالخيالات والأباطيل ، وينفردوا هم بالسيطرة على نفوسها وعواطفها ، فيسوقوها للحصول على مجد حربى ، أو مغنم مادى ، حرصا على تحقيق مطامعهم ، وتوفيةً لحاجات شهواتهم .

فأصبح الشرك على هذا النحو (أداة) فى أيدى المتلاعبين بالأمم يأتونها باسمه بكل ما يناقض بداهة العقل ، وكل ما يخالف حقائق الأشياء ، ويشذ عن الموازين المنطقية .

وقد عاش الانسان من حياته الأرضية دهورا دهارير منقادا للقُوّام على عقائده انقيادا أعمى على هذا النحو . ولما كانت رحمة الخالق تأبى أن تبقيه فى هذه الحمأة كان يوالى رسله اليه تترى ، محاولين زحزحته عن موقفه ، ولا سبيل لهم الى الوصول الى غايتهم إلا بمكافحة عقيدته الرئيسية وهى الشرك ، وهو كما قلنا كان الأداة الشيطانية فى أيدى مغتصبي السلطان على عقله يصدونه به عن كل إصلاح اجتماعى وترق أدبى . ومن أراد دليلا محسوسا على خطر هذه الأداة ، وعلى أن المرسلين وهم أرشد مصلحى الأمم ، كانت دعوتهم تصطدم بهذه الأداة ولا تجد لها مساغا الى الأذهان مع وجودها ، وأن أول ما كان يجب عليهم حيالها أن يبذلوا أبلغ جهودهم فى تحطيمها ، قلنا من أراد دليلا محسوسا على ذلك كله فليتأمل فى العقبات التى قامت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى وجه الدعوة المحمدية وهى آخر الدعوات الإلهية ، ليرى أن الشرك كان هو وحده الحائل المنيع الذى قام فى وجهها ، ولولا أن الله أراد إنفاذ إرادته فهدى لدينه قوما آخرين ، لصد الشرك العرب أجمعين عن هداية الاسلام ، ولبقوا الى اليوم فيما كانوا فيه . ولأجل أن يتحقق الباحث من مبلغ تأثير الشرك فى صد أهله عن الأخذ بالتعاليم الحقة ، والأصول الصحيحة نتلو عليه قوله تعالى : «وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشىء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشىء يراد . ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إنْ هذا إلا اختلاق » . وقوله تعالى : « ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ؟ » .

إذا تأمل الباحث فى هذا رأى أن أهل الجاهلية لم يصدهم عن الأخذ بالمبادئ المحيية التى أتى بها النبى صلى الله عليه وسلم غير هذا الشرك . أفلا يكون من الحكمة أن يبدأ بمكافحة هذا الحائل القوى حتى يزول من طريق الدعوة ، لينفتح المجال للخير العام الذى ابتنت عليه هذه الدعوة ، لاسيما والتوحيد هو الفطرة التى فطرت العقلية الانسانية عليها كما ثبت ذلك علميا بفضل البحوث القيمة التى قام بها الأستاذ ماكس موللر ومن سار على طريقته من المنقبين فى تاريخ الغريزة الدينية عند الجماعات الأولى للنوع الانسانى ؟ وإذا صح هذا وثبت أن الشرك مثار لجميع الانحرافات الخلقية ، ومصدر لكل العادات الوحشية ، فكيف لا يكرر الله ذكره فى كتابه ويمقته أشد المقت ، ويوعد عليه الآخذين به بأشد العذاب وأدومه ؟

كان الناظرون فى تطور المعتقدات البشرية يظنون قبل هذا العهد كما قدمنا ذلك أن الانسان بدأ معددا للآلهة بحجة أنه لم يكن يدرك التوحيد ولا يتذوقه ، فكان الناس يتخيلون له عذرا فى وثنيته ، ولكن ماذا يقولون وقد ثبت بالأدلة المحسوسة أنه بدأ حياته الدينية موحدا ، ثم استسلم لزعمائه فزينوا له التعديد فانقاد لهم . والذى يؤيد هذا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التقرير العلمى سرعة سريان الاسلام فى الأمم فى أول ظهوره، حتى دخلت فيه أمم برمتها طواعية بدون دعوة، وحتى بلغ أتباعه فى مدى قرن واحد نحو مائة مليون نسمة. ومما يؤيد ذلك أيضا سرعة انتشاره فى القبائل المجردة من أية ثقافة علمية، فتراها تترك دعاة الملل الأخرى وتستغنى عن المغريات الكثيرة التى يبذلونها لها، وتُقبل على دعاة الاسلام على فقرهم وتَقبل الاسلام دينا لها. حتى أن الكاردينال (لافيجرى) الفرنسى ذكر ذلك فى تقريره الذى قدمه للبابا، وقال إن ستين مليونا من الزنوج دخلوا فى الاسلام فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر بدعوة بعض الشيوخ الفقراء والتجار. أليست هذه السهولة فى التفلت من الشرك والإقبال على التوحيد تدل على أن التوحيد هو الفطرة الأصلية، فتقبله النفوس حتى الساذجة منها إذا قدم إليها ولم تكن ذات مصلحة ذاتية فى تأييده كما كانت عليه الحال عند أهل مكة.

إذا علمت كل هذا أفلا تقضى الحكمة أن يبدأ بالشرك وهو الداء الرئيسى فيجتث من النفوس لتخلو لما يبث فيها من التعاليم الالهية الرشيدة: من إقامة معالم العدل، وتأسيس دولة الحق، وإسقاط أولئك المتحكمين فى نفسيات الخلق؟

رأيتكم تقولون: إذا كان المشرك لا ينفك عن إشراكه فما فائدة النصح له؟

كيف تقولون ذلك وقد رأيتم نجاح الدعوة المحمدية فى أمم برمتها، ورأيتم نجاحها فى هذا العصر أيضا فى الأمم المشركة التى لا تمت الى المسلمين بصلة؟

وإذا كان هذا الشرك مخالفا للفطرة التى فطر الله الناس عليها، وهو فى الوقت نفسه علة رئيسية لجميع ضروب الرذائل، والآفة الحائلة دون جميع الفضائل، أفلا يكون من الحكمة أن يشدد فى العقوبة المترتبة عليه، لتفطن النفوس الى خطورته، وتتنبه العقول الى شناعته؟

ولست أستطيع أن أدل على أن الشرك مصدر لجميع الوحشيات التى يرتكبها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الانسان أبلغ من لفت النظر الى ما يحفظه التاريخ القريب عنها ، وما لا يزال ماثلا أمام الأعين منها .

فما حفظه التاريخ القريب من ذلك أن استكشاف مكسيكا بأمريكا صادف مهرجانا كان يقيمه أهلها للاحتفال بافتتاح معبد لهم . فما كان أشد دهش الرواد عند ما رأوا أن أولئك المحتفلين قد أعدوا من أسرى أعدائهم سبعين ألف نسمة ليريقوا دماءهم على مذبح ذلك المعبد . وقد أمضوا ما اعتزموه فسالت دماؤهم أنهارا بين هتاف الشعب وتصفيقه ، وزمزمة رجال الدين وصلواتهم ! كل هذا كان تزلفا للآلهة وتلمسا لبركاتها !

ومن عادة كثير من المشركين الى هذا اليوم ذبح زوجات من يتوفى منهم وبعض خدمه ، وقد عد الأستاذ (هربرت سبنسر) فى كتابه أصول الاجتماع عددا من القبائل لا تزال تجرى على هذه العادة .

وأشنع من هذه عادة إحراق الزوجة التى يموت عنها زوجها ، وكانت هذه العادة شائعة فى الهند أيضا ، وما توصل الانجليز الى إبطالها إلا بعد بذل جهود كثيرة .

ومن ضلالات المشركين اعتبارهم طائفة منهم أنجاسا منبوذين لا يمسونهم ولا يعاملونهم ، ومن يفعل شيئا من ذلك يعد آثما ويجب عليه أن يحرق ثيابه وأن يغتسل . وبذلك تجد عشرات الملايين من البشر فى حالة يرثى لها يفترشون الأرض ، ويتغذون من القمامات ، وهم أبغض الى إخوانهم فى الدين والجنس من الكلاب الكلبة ، وأذل عندهم من فقع ببلقع .

وقد رأى الناس كيف خاب المصلحون الكبار فى مساواة المنبوذين بإخوانهم فى الدين لدى بعض الأمم ، ولم يكن الحائل دون هذا الإصلاح الواجب سوى ما عليه تلك الأمة من الشرك . وقد خاب مصلحوهم الى حد أن رماهم الغلاة بالأحجار وتقصدوهم بالقتل . فاضطر هؤلاء المصلحون الى لزوم الصمت ، وبقيت الحال على ما كانت عليه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هـذه العادات الوحشية لم توجدها قلة الثقافة العقلية ، ولـكن أوجدها الشرك ، بدليل وجـودها عند المثقفين من هذه الأمم ، وبدليل عـدم وجودها لدى الجماعات الاسلامية التى تقيم فى بلاد هؤلاء المشركين وهى منهم جنسا ولغة وليست أرفع من عامتهم علما ولا فهما .

تسائلنا قائلا : ما الفرق بين المشرك والمنافق ؟ وهذا سؤال لا يمت الى موضوعك بسبب . فأما الشرك بالله فقد عرفته ، وأما النفاق فهو أن يبطن الانسان عقيدة أو رأيا ويتظاهر بخلافهما مجاراة لغيره ، أو مداراة له مداراة مشوبة بسوء النية .

أما التوفيق بين قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وقوله « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ، فليس فيه كبير كلفة . فإن الله يقول إنه أرسل محمدا صلى الله عليه وسـلم رحمة للعالمين ، أى بأن يحط عنهم الآصار التى حمَّلوها أنفسهم ، وبأن يهديهم الى منجاتهم بأحسن الأساليب وأكملها ، وبأن ييسر لهم الوصـول الى الـكمالات العليا من أقرب الطرق وأقومها ، وبأخف التكاليف وأنفعها . وهـذا لا يتنافى وقوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ، فإنها تذكر عدل الله فى أنه لا يعذب أمة على ما اقترفت حتى يبعث اليها رسولا ينبهها الى الطريق السوى ، والخلق الأمثل .

ولعلـكم أردتم بقولـكم إن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث وليس بأرض الجزيرة نهر وانتقل الى عالم الآخرة ولم يحفر نهرا ، لعلكم أردتم بقولـكم هذا أن عنايته بمـكافحة الشرك استوعبت جهوده كلها فلم يجد وقتا لعمل ينفع الناس فى حالتهم المعيشية .

فنرد على هذا بقولنا إن النبى صلى الله عليه وسلم أنفق السنين القليلة التى لبثها بين ظهرانى قومه فى إحياء قلوبهم ، وبعث هممهم ، واستنهاض عزائمهم ، ليعملوا لأرواحهم وأجسادهم ، وقد بلغ الغاية القصوى من مراده ، فهب أصحابه من بعده فملأوا الأرض فضلا وعدلا ، وعلما وعمرانا ، ومدنية .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

أما النهر الذى تذكرونه فمن المحال إحداثه فى البقعة التى بعث فيها النبى صلى الله عليه وسلم . فالأنهار لا يتحصل عليها بالحفر ، ولو كان الحفر هو الوسيلة لإيجادها لما وجدت شبرا مواتا فى الأرض .

فالأنهار إنما تفيض فيضانا من البحيرات ، والبحيرات تستمد مياهها من سيول زاعبة تنزل اليها من قنن جبال شاهقة قائمة بجوارها . وهذه السيول تحدث من ذوبان الثلوج التى تتكون فوقها من الأمطار الغزيرة التى تسقط عليها . فإذا حميت عليها الشمس ذابت ونزلت على حالة سيول فتفيض الأنهار المشتقة من تلك البحيرات وتجرى لتغذية الأراضى التى تمر بها . وليس ببلاد العرب الشمالية جبال تصلح لتكوين البحيرات ، ولا فى قدرة أحد إيجادها بالصناعة .

هذا جواب ما سألتنا عنه ، والله يهدينا الى سواء الصراط ؟

محمد فريد وجدى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

من وصايا عبد الله بن الحسن لابنه

أوصى عبد الله بن الحسن ولده فقال :

أى بنى : إنى مؤد حق الله فى تاديبك ، فاد الى حق الله فى الاستماع منى ، أى بنى : كف عن الأذى ، وارفض البذا ، واستعن على الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك الى الكلام ، فان للقول ساعات يضر فيها الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب . واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحا ، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشا ، لأنه يرديك بمشورته . واعلم يا بنى أن رأيك إذا احتجت اليه وجدته نائما ووجدت هواك يقظان ، فاياك أن تستبد برأيك فانه حينئذ هواك . ولا تفعل فعلا إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا ترديك ، وأن نتيجته لا تجنى عليك . وإياك ومعاداة الرجال ، فانك لن تعدم مكر حليم ، أو معاداة لئيم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حرية الرأى فى الاسلام

شرع الله تعالى الاسلام دينا للانسانية عاما خالدا ، وجعله خاتم حلقات سلسلة الوحى المتلاحقة فى سجل التاريخ الانسانى من لدن آدم الى محمد صلوات الله عليه ، فكان هو الحلقة المكملة لتنزيل الرحمة التشريعية الى الانسان فى هذه الأرض .

وقد شاءت حكمة الله أن تكون كل حلقة من حلقات التشريع الإلهى على قدر استعداد الجماعة التى تأتى لها فى تكوينها الطبعى والخلق والاجتماعى ، وكأنما نظم الله الانسانية بالوحى عقدا اجتماعيا متماثل الحلقات فى كل جيل وقبيل ، وإن اختلفت فى الوضع والتصوير ، لتتفق مع وضع الأمة فى مكانها من الحياة « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصّينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » حتى إذا اكتملت الانسانية فى حقيقتها المطلقة وتهيأت للوحدة الفكرية والاتجاه العقلى ، جاءها الاسلام مهيمنا على زمامها ، ليرشدها الى ما أعدت له من الكمال الذى يسمو بها عن حضيض الأرض الى ملكوت السماء .

ومن ثم كانت الشرائع السابقة إنما تخاطب عقلا خاصا محدودا خطابا خاصا محدودا ، لا يتعدى هذا الجيل من الناس الى غيره من الأجيال ، ولا هذا القبيل الى سواه من المجتمع ، ولا ذلك التشريع الى تشريع أوسع وأعمق ، لأن العقل الانسانى العام لم يكن صالحا حينئذ لهذا الخطاب العام . لكن الاسلام عمد الى هذا العقل الانسانى العام بعد أن تهيأ فى تكوينه الى الاضطلاع بعبء الحياة ، وخاطبه خطاب المرشد الى الطريق الأقوم ، وجعله قيّما على شئون الحياة كلها ، وأبى الاسلام أن يقبل سلطانا غير سلطان العقل ، وشدد النكير على الذين استسلموا لبلادة الحسّ ، وأناموا عقولهم عن النظر والتفكير ، فقال فى دستوره ناعيا عليهم ازدراء عقولهم وتشبثهم بالغباء فى اتباع آبائهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

على ضلالاتهم « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » . وقال فى هذا الباب أيضا على مهيع آخر : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين . ألهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيد يبطشون بها ، أم لهم أعين يبصرون بها ، أم لهم آذان يسمعون بها ؟ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون » فهذا التسفيه البالغ حد التحقير للمخاطبين أشد إيلاما لنفوسهم ، وألذع فى أفئدتهم ، وقد مهد له القرآن بقضية من بدائه الفطر لا تختلف فيها العقول سيقت للتنبيه على موطن الخطأ العقلى فى مسلكهم ، حيث تعبدوا أنفسهم لما لا يستحق الحياة ، بله العبادة والتقديس . هم يعلمون أن الأصنام ليست لها أرجل تمشى بها ، ولا أيد تبطش بها ، ولا أعين تبصر بها ، ولا آذان تسمع بها ، ولكن فى نفى هذا المعلوم بداهة على طريق الاستفهام إزراء على عقولهم بأبدع أسلوب « أفمن يمشى مُكِباً على وجهه أهْدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم » ؟ :

وقد أراد القرآن الكريم بهذا المبدأ السامى إيقاظ العقل وتنبيهه الى أداء مهمته وإبراء النفس الانسانية من مرض التقليد الأصم ، وتربية القوى الفكرية على الاعتداد بالنفس واستقلال الرأى وحرية التفكير ، ولذلك أثنى على الذين أيقظوا عقولهم وتفلتوا من قيود التقليد الى ساحات النظر فى آيات الله فى الأنفس والآفاق ، وساروا بسير العلم غير ملتفتين إلا الى الحق فلم يقولوا : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » ولا اعتذروا اعتذار العاجز الذليل « ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل » فقال تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

هذا النوع من التشريع الفكرى من أهم ما عنى به القرآن الحكيم ، فردده كثيرا فى آيات بينات على أنحاء شتى ، تعظيما لقدر الانسانية ، وإجلالا لمقام العقل العام ، فى حدود

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تكبح من جماحه إذا تطلع الى تعدى طوره ، ومجاوزة حده . وهو يطلعنا على أخص خصائص الاسلام وأعظم مميزاته على الشرائع الأخرى إطلاقا ، تلك الخصيصة هى أن الاسلام أقام من العقل الانسانى حارسا على الانسانية ، وملّك الانسانية الحياة لتكون حية نامية ، والنمو رقى فى مدارج الكمال . وهو بهذه الروح الهادئة القوية ضمن لنفسه البقاء والهيمنة على ما سواه « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولن يشاد الدينَ أحد إلا غلبه » .

فهم المسلمون الأولون الاسلام على هذا الأساس ، فعظموا حرية الرأى تعظيما جعل منهم أمة ناهضة مدت سلطانها على أقطار الأرض فى زمن لا يمكن أن ينهض بهذا السلطان القاهر لو كانت الأمة القائمة على أمره حبيسة العقل مقيدة التفكير . وليس مبدأ الشورى الذى جاء به الاسلام وجعله مناط الثناء على المؤمنين فقال : « وأمْرُهم شُورى بينهم » وأمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ليجعله دستورا بينه وبين أمته فقال : « وشاورهم فى الأمر » إلا قاعدة من قواعد حرية الرأى وتقديسها ، فاستمَع الرسول أمر ربه ، وجرى على هذا السنن فيما لم ينزل عليه وحى فيه . روى البخارى فى صحيحه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاء وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد اليهم أموالهم وسبيهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معى من ترون ، وأحب الحديث الىّ أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين . إما السبى ، وإما المال ، وقد كنت استأنيت بكم — وكان أنظرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف — فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد اليهم إلا إحدى الطائفتين ، قالوا : فإنا نختار سبينا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فان إخوانكم قد جاءونا تائبين وإنى قد رأيت أن أرد اليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يُطيّب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفىء الله علينا فليفعل ، فقال الناس :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قد طيّبنا ذلك يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم ، فرجع الناس ، فكلمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم قد طيّبوا وأذنوا » .

هـذا الحديث الشريف يصور أقصى ماتبلغ اليه الأمم الناهضة من حرية الرأى ونظام النيابة الفاضلة ومحو الاستبداد . وفيه من الفوائد العظيمة التى تدنو منا فى عصرنا هذا ، عصر الحرية الفكرية واستقلال الرأى ، ما يجل عن الوصف . ولنتحدث منه فيما يمس موضوع (حرية الرأى) الذى عقدنا هذا المقال لأجله :

أول ما يبْده القارئ من هـذا الحديث قول النبى صلوات الله عليه لهؤلاء الذين دخلوا فى الاسلام جددا : « معى من ترون ، وأحب الحديث الىّ أصدقه » ليشعرهم بقانون الاسلام العام ، وهو احترام الحقوق وتقديس حرية الرأى ، والتجافى عن روح الاستبداد ، والحكم الفردى ، فكأنه يقول : إن الأمر صار الى الأمة ، ولا بد من أخذ رأيها ، مع أنه لو فعل شيئا ماطرفت عين بمخالفته « فلاَ وربِّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شَجَر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حَرَجاً مما قضيت ويسلِّموا تسليما » ، ولكنه مشرع لدين عام خالد ، وهـؤلاء تلاميذ مدرسته العظمى ، مدرسة الحياة ، والقائمون بأمر هذا الدين من بعده ، فهم فى حاجة الى دروس فى التربية الاستقلالية ، والاعتداد بالنفس ، وحرية الرأى ، فردّ اليهم الأمر ليعلم وافدو الاسلام روح التشريع فى الاسلام ، وليعلم حماة الاسلام مكانهم من الدين ، ومكان الدين منهم .

ثانيا — لم يشأ صلوات الله عليه أن يجبر هوازن بعد أن استأنى بها وقطع عذرها على قبـول طائفة بعينها ، بل خـيّرهم بين إحدى الطائفتين : إما المال ، وإما السبى ، وفى ذلك من احترام الرأى مالا يحتاج الى بيان .

ثالثا — عَرَض الأمر على أصحابه ، وذكر لهم توبة إخوانهم ، وقال لهم : إنى قد رأيت أن أرد عليهم سبيهم ، ثم أطلق لهم حرية الرأى ، وأبان أنه لا يحكم إلا بما تطيب به

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نفوسهم ، فقالوا قد طيبنا ذلك ، أفتراه — وهو الرسول الأمين — قام الى سبى هوازن فرده اليهم اتكالا على إجابة عامة من حشد المسلمين ، كيف ؟ ولعل فى غمار المسلمين من لم يؤبه له ، ولا يعرف رأيه فى هذا الجمع العظيم ، والمسلمون سواء أمام التشريع العام ، لكل مسلم رأيه ، ولكل رأى اعتباره ، لا ، لم يتفرد النبى برأيه ، ولكنه عمد الى أدق نظم حرية الرأى ، وأحراها بالعدالة فجرى عليها : أمرهم أن يرجعوا الى أنفسهم ، ويتعرفوا منها الرضا ، أو الإباء ، وينضجوا رأيهم ، ويتفاوضوا مع نوابهم ، ثم يرفعوا اليه ما استقر عليه رأيهم .

نظام بلغ أسمى آيات (الديمقراطية) كما يقولون فى أمة حديثة ناشئة ، أليس هو أحدث ما تطمح اليه الأمم الناهضة لتعيش فى ظله ؟ فليتبصر الذين لا يعرفون من الاسلام إلا قشورا منثورة هنا وهناك ليست من الاسلام فى الصميم .

اشترع النبى صلى الله عليه وسلم هذه الشرعة النقية الطاهرة فى حرية الرأى ، فاستن بسنته خلفاؤه الراشدون من بعده ، فهذا هو الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه قد ملّكه المسلمون رقابهم وأموالهم ، وبايعوه بالخلافة بيعة رضا واطمئنان : خطب الناس أول ماخطبهم بعد مقام الخلافة فقال : « أيها الناس إنى وُليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقوّمونى » . فكيف تكون إذن حرية الرأى ؟!! خليفة يملك من أمر الناس مالا يملكونه فى بيوتهم ، ثم يرد اليهم أمر نفسه ويجعلهم ميزانا لأعماله ، ويطلب منهم العون إن أحسن ، والتقويم إن أساء . بهذا الروح ظفر أبو بكر رضى الله عنه بالعرب بعد أن ارتدت أقاصيها .

ولقد سَرت هذه التعاليم فى المسلمين ، فكان من أثرها أن يقوم رجل من عرض المسلمين يقول لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد قوله : من رأى منكم فىّ اعوجاجا فليقوّمه : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقوّمناه بسيوفنا » فيقول عمر : الحمد لله الذى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جعل فى أمة محمد من يقوم عوج عمر : إنما حمد الله عمر لأنه رأى فى الأمة روح الاعتداد بالنفس ساريا فاطمأن على أنه يتأمّر أمة لا تلين لها فى الحق قناة .

بل إن عمر رضى الله عنه بث فى الأمة حرية الرأى بين كبيرها وصغيرها . روى ابن الجوزى أن عمر بن الخطاب قال : « لا تزيدوا فى مهور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذى القَصّة ، فمن زاد ألقيت الزيادة فى بيت المال » فقالت امرأة من صف النساء طويلة فى أنفها فطس : ما ذاك لك ، قال : ولم ؟ قالت : لأن الله يقول : « وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا » فقال عمر : « امرأة أصابت ، ورجل أخطأ » .

وإذا تأملنا فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد الى الرفيق الأعلى ولم يخلّف على المسلمين رجلا بعينه ، وهذا كان ميسورا وحاسما ، علمنا أن ذلك أثر من آثار حرية الرأى فى الاسلام . وأبو بكر رضى الله عنه لم يخلف عمر بن الخطاب إلا بعد أن فوض اليه المسلمون ذلك . روى ابن الجوزى «أنه لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه جمع الناس اليه فقال : إنه قد نزل بى ما ترون ، ولا أظننى إلا ميتا لما بى ، وقد أطلق الله إيمانكم من بيعتى ، وحل عنكم عقدتى ، ورد عليكم أمركم ، فأمّروا عليكم من أحببتم ، فإنكم إن أمرتم فى حياةٍ منى كان أجدر أن لا تختلفوا بعدى » فقاموا فى ذلك وخلوا عليه ، فلم تستقم لهم ، فرجعوا اليه ، فقالوا : رأينا يا خليفة رسول الله رأيك ، قال : فلعلكم تختلفون ، قالوا : لا ، قال : فعليكم عهد الله على الرضا ، قالوا : نعم ، قال : فأمهلونى حتى أنظر لله ولدينه ولعباده .

فإذا كانت حرية الرأى فى الاسلام تتجلى فى أخطر مسألة يدور عليها كيان الأمة ، ويترك لكل مسلم أن يقول فيها رأيه فى أحرج المواقف ، كانت أحرى أن تتمشى مع الأمة فى مراحلها التشريعية والاجتماعية . فأما التشريع فحسب القارىء الاطلاع على تاريخ فجر النهضة الاسلامية ليعلم كم كان من المجتهدين الذين لا يصدرون فى رأى إلا عن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كتاب الله أو سنة الرسول الصحيحة ، وحتى أن الأصوليين يختلفون فى أصحاب رسول الله : هل جميعهم مجتهدون ؟ وكتب الفقه والأصول مليئة بالفروع التى وقع فيها الخلاف بين الأئمة ، وما عاب أحد منهم على أحد اجتهاده ، ولا حجر عليه رأيه . فهذا مالك بن أنس إمام المدينة : قال له أبو جعفر المنصور : اجعل هذا العلم علما واحدا . فقال له مالك : « إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا فى البلاد فأفتى كل فى مصره بما رأى ، فلأهل المدينة قول ، ولأهل العراق قول » . وفى رواية أنه قال له : « إن أهل العراق لا يرضون علمنا » . فقال أبو جعفر : يضرب عليه عامتهم بالسيف ، ونقطع عليه ظهورهم بالسياط ، فأبى مالك . فانظر الى إجلال مالك بن أنس — وهو من أجل أئمة المسلمين المقتدى بهم فى مشارق الأرض ومغاربها — لحرية الرأى وتجافيه عن خذلانها . خليفة مسلط يعرض عليه نشر علمه فى الأرض ولا يكون بين الناس غير رأيه فيأبى ، لأن لكل مجتهدى مصر من أمصار المسلمين رأيا أخذوه عن منبع الشريعة .

حرية الرأى أساس فهم عمومية الدين ، وهيمنته على سائر الأديان ، وصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، وأنه لا حاجة معها الى قانون آخر . قال العلامة ابن القيم : « ومن له ذوق فى الشريعة واطلاع على كمالاتها ، وأنها لغاية مصالح العباد فى المعاش والمعاد ، ومجيئها بغاية العدل الذى يفصل بين الخلائق ، وأنه لا عدل فوق عدلها ، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح ، وعرف أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها ، وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها مواضعها ، وحسن فهمه فيها ، لم يحتج معها الى سياسة غيرها البتة » .

ومن البداهة بالمكان الأول أننا لا نعنى بحرية الرأى ما يفهم من كلمة (الفوضى) حتى يباح لكل متعلم فضلا عن شبه المتعلم أن يقول فى الشريعة برأيه ، وإنما نعنى أن العالم الثقة إذا فهم فى الشريعة فهما وساق بين يديه دليله ، فلا سبيل عليه ، ولا تحجير على فضل الله ؟

صادق ابراهيم عرجون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام والطب الحديث

٢

تفسير بعض الآيات وكلام عن الحياة

سورة البقرة : الآية ٢١ « وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » :
الماء ضرورى لاستمرار الحياة وللنمو ، فالانسان لا يمكنه أن يعيش بدون شرب الماء بضعة أيام مع أنه يعيش على الماء فقط مدة شهر أو أكثر . والنباتات والجراثيم وكل شيء حي يهلك من الجفاف ويحيا بالماء .

الآية ٦٠ « وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرجْ لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير . . . الآية » .

هذه الآية الكريمة معناها ـ والله أعلم ـ أن اللحوم والأسماك والألبان الخ أفضل فى التغذية من البقول والقمح والذرة . ومعنى الأفضلية ليس مقدار المواد الزلالية الضرورية للجسم فى كل نوع ، لأن هذا يجب ألا يكون سببا مهما للأفضلية . فمثلا المواد الزلالية فى اللحوم من ١٥ الى ٢٠ فى المائة ، وفى اللبن ٤ فى المائة ، وليس هذا معنى الأفضلية ، لأن معناها أن اللبن غذاء مخفف وبتركيزه يصير مثل اللحوم ، وكذلك اللحوم بإضافة ماء عليها تصير مخففة مثل اللبن ، ولكن معنى الأفضلية هى فى نوع المواد الزلالية لا فى كميتها ، وأن كل جرام من المواد الزلالية فى اللحوم أفضل من جرام من المواد الزلالية «Protiens» فى القمح والذرة الخ .

وقد اهتدت أخيرا لجنة الأبحاث بانجلترا (Medical Research Committee) الى أن قيمة المواد الزلالية تختلف فى نوعها وفى المقدار منها الذى يمنع المواد الزلالية المكونة للأنسجة من أن تحترق . وبعد أبحاث كثيرة ظهرت لها فوائد عملية فى بعض

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أمراض مثل البلاجرا ، ورأوا أن اللحوم بالنسبة للمواد الزلالية ونوعها لها قيمة أكثر من اللبن والذرة مثل البيان الآتى :

لحوم	لبن البقر	أرز	بطاطس	فول	دقيق	ذرة
١٠٤	١٠٠	٨٨	٧٩	٧٠	٤٠	٣٠

إن هذه النتيجة التى لخصها القرآن الشريف لم تظهر حقيقة ثابتة طبيا إلا منذ سنوات قليلة . وكانت النظرية السائدة قبل ذلك أن الأطعمة وقيمتها بالنسبة للمواد الزلالية هى مسألة كمية لا مسألة نوع .

وقد ظهر من أبحاث لجنة الأبحاث الملكية بانجلترا فى التقرير الثالث سنة ١٩٣٣ والأخير أن البقول (Cereals) يضر الإكثار منها بالأسنان ونموها ، حتى إن التقرير ينصح بعدم إعطائها مطلقا للأطفال ، وبالقلة منها للكبار ، ويقول إن الإكثار من البقول من أهم العوامل فى تسويس الأسنان .

الآية ١٦٣ « وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة » :

الروح مهما كانت حقيقتها هى هبة من عند الله ، ولكنها لا يظهر تأثيرها إلا فى نوع مخصوص من المادة ، وهذا النوع من المادة يختص بأن يكون فى حركة دائمة من التحويل Metabolism وهذا التغيير الكيمائى الدائم فى كل خلايا الانسان وكل دابة لا يمكن عمليا إلا إذا كان فيه ماء بمقدار يختلف حسب نوع الخلايا . وهناك بعض أجزاء من الجسم الحى يقل فيه الماء جدا ، وهذه أغلبها إفرازات متجمدة ليس فيها حياة مثل الأظافر ، وأعنى أنها ميتة ، وهذا أيضا معنى الآية الكريمة « وجعلنا من الماء كل شىء حى » . فليس المراد أن الماء سبب الحياة مطلقا ، ولكنه شرط أساسى فى المادة التى تظهر فيها الحياة ، وهناك فرق بين الاثنين . ومثل ذلك مثل المسرة (التلفون) . فإذا كان اثنان يتكلمان على مسافة طويلة فالسبب فى الصوت الذى يسمع

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هو المتكلم من الناحية الأخرى ، ولكن عدة المسرة شرط أساسى لسماع الكلام ، حتى إذا طرأ عليها طارئ لا يمكن سماع أى شئ . كذلك الماء شرط أساسى لاستمرار الحياة فى الجسم ، ولكن الحياة والروح هما مثل المتكلم شىء آخر مطلقا لا تعرف حقيقته ، ولكن تغيير المادة بفقد عنصر أساسى مثل الماء ، الذى يؤدى الى الموت بالنسبة الى الجسم المادى، يمنع وجود الروح والحياة ، وقلة الماء فيه تؤدى الى عدم وجود الروح والحياة ، أى الموت بالنسبة الى الجسم المادى .

الآية ١٧١ : « يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون . إنما حرَّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله » :

هذه الآية الكريمة تنص على ألا تؤكل الميتة ولا الدم ، فالحيوان الميت لا يموت إلا لسبب مثل المرض أو الشيخوخة ، فإن كان لمرض فما لا شك فيه أنه لا يزال فى الجسم نتيجة التسمم من مواد غير طبيعية وضارة للانسان حتى بعد أن يعقم من الجراثيم بطريق النار ، فالجسم الميت فى هذه الحالة يشبه الغذاء المتخمر الذى مهما طهر من الجراثيم بالحرارة لا يزال مضرا بالانسان ، وربما أدى الأكل منه الى الوفاة .

وكذلك الدم ، فإنه نسيج أغلبه وأهم عنصر فيه وهو الكرات الحمر خلايا حية ، وفيه من إفرازات الجسم ما هو معد للإفراز بواسطة البول والعرق الخ . فالدم فى الحقيقة مزيج من مواد قليلة مفيدة للجسم ، ولكن أغلبه مواد مضرة ويجب أن تفرز ، وإذا كان الحيوان المأخوذ منه الدم مريضا كان أكل الدم أشد ضررا ، وكان بقاؤه فى أنسجة الحيوان قبل أكله مضرا جدا لما فيه من مواد مضرة تحدث تخمرا بسرعة فى أنسجة الحيوان مثل العضلات ، فيكون لحمه غير صالح للأكل .

وأما إذا كانت الميتة بالشيخوخة فضررها كضرر الميتة بالمرض ، لأن الشيخوخة معناها انحلال أحد الأنسجة قبل الأنسجة الأخرى ، فتؤدى الى انحلال الكل .

وانحلال أحد الأنسجة لا يأتى إلا لضعف طبيعى فيها ، أو بمرض تدريجى غير منظور يحدث تغييرات فى لحوم الحيوان تقلل من قيمتها الغذائية وقابليتها للهضم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ورب قائل يقول : إن الميتة تؤكل يوميا فى البلاد الباردة مثلا ، وكذلك الدم ولحوم الحيوانات تؤكل بدون ذبحها وتصفية دمها بدون ضرر ظاهر . والجواب على ذلك أن ضرر التخمر يقل كثيرا فى الأقاليم الباردة ويزيد فى الأقاليم الحارة، والدين الاسلامى أنزل للعالم كله بما فيه الأقاليم الحارة التى يحدث التخمر فيها بسرعة مدهشة . إذاً فمما لا شك فيه طبيا أن لحم الحيوان السليم الذى يذبح ويصفى دمه أحسن غذاء وليس فيه أقل ضرر ، بخلاف الحيوان المريض الميت المتخللة لحومه بالدم .

لحم الخنزير — إذا كان سليما من الأمراض لا ضرر منه على ما نعلم للآن ، ولكن كثيرا ما يصاب بأمراض تضر الانسان إذا أكله ، فضرره أكثر من نفعه .

فمثلا نحو خمسة فى المائة من الخنازير فى بعض جهات أمريكا مصاب بمرض (تركينا) وهو نوع من الديدان خطر، لأنه إذا أصيب به الانسان يحدث به تسمما عموميا وإسهالا مثل (الكولرا) وقد يؤدى الى الوفاة . وأهم من ذلك أن لحم الخنزير المصاب لا يمكن تطهيره من هذا المرض بسهولة، فعملية السلق البسيطة أو الشى لا تكفى، ويجب غلى اللحوم مدة لا تقل عن نصف ساعة على الأقل لتطهيرها . وإذا كانت الإصابة شديدة كانت اللحوم غير صالحة للتغذية حتى بعد تطهيرها ، لأن الحيوان يكون فى حالة تسمم عمومى قبل الوفاة .

وهنا كانت حكمة الدين الاسلامى فى اجتناب الضرر الذى لا يمكن الوقاية منه إلا بطرق ليست سهلة التناول ، وأحسن الوقاية العملية هى الامتناع عن أكله .

ولهذا لم تشاهد من هذا المرض حالة بين المسلمين ، مع أنه ليس نادراً فى أوربا وأمريكا.

ثم إن الخنزير سبب عدوى ديدان أخرى أقل ضررا مثل (الأسكاريس) وأنواع من (التينيا) .

الآية ٢١٨ : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » :

الخمر أساسها مادة الكحول (الكئول) بكميات مختلفة . وهذه المادة توجد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بنسبة خفيفة فى جسم الانسان فى عملية هضم المواد السكرية (الجلوكوز) مثل الموجود فى العسل . ولها فوائدها طبيا ، ولكن يظهر أن هذه الفوائد قاصرة على هذا القدر البسيط جدا ، فإن زاد عن ذلك أحدث ضررا ، خصوصا إذا كان التعاطى لمدة طويلة فانه يحدث التهابا مزمنا فى الأعصاب وفى الكلى ، وتصلبا فى الشرايين ، وتحجرا فى الكبد ، وضعفا فى القلب .

ورب سائل يقول : لم لا يؤخذ منه مقدار بسيط ؟ والجواب أن الكحول (الكئول) يختلف عن أغلب المواد فى أنه حتى بالمقادير البسيطة يحدث ضعفا فى قوة الارادة والحكم ، وتزداد به الانفعالات النفسانية ، وهذا هو الخطر ، لأن الشخص يصبح شخصا آخر وإرادته تصبح غير إرادته الطبيعية . ومع علمه بضرر الزيادة فى حالته الاعتيادية لا يقوى على منع نفسه وهو تحت تأثير البسيط منه ، وقد يحدث الشيء البسيط منه حركة انتعاش ، ولكن ضعف الإرادة يجعل الشخص عبدا لعادة شرب الخمر . وقد وصفها كاتب من أكبر الكتاب الانجليز فى كتابه ، وكان يتعاطى الخمر ، فقال : « إنى لا أحس أنى فى شعورى وإدراكى إلا إذا كنت متأثرا بالخمر ، ولكننى فى هذا الوقت وأنا سكران لا أعرف نفسى الأولى » فكأنه فى الحقيقة أضاع نفسه ، لأن عادة الخمر كانت شديدة ، حتى إنه فى الأوقات التى لا يشرب فيها يشعر بكآبة وبؤس ولا يحس نفسه سعيدا ، وكأن شيئا مهماً ينقصه حتى إذا شرب شعر بالسعادة . ولكنه فى هذه الحالة ليس طبيعيا بل هو سكران . وقد مات فى شبابه بالسل ، مع أنه لو عاش لم يبعد أن يكون أكبر شاعر .

وهنا يلاحظ أن الخمر ، حتى قليلها ، لا يزيد قوة التفكير العميق بل يضعفها . وأما الملكات الأخرى مثل الموسيقا والشعر فربما ظهرت بوضوح من قليل من الخمر . وهذا معنى قوله تعالى : « وإثمهما أكبر من نفعهما » .

أما تأثير الخمر من الوجهة الأخلاقية والاقتصادية فليس محل بحثنا .

دكتور عبد العزيز اسماعيل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

خلق الله الانسان مؤلفا من طبيعتين متباينتين : إحداهما ملكية علوية ، والأخرى جثمانية شهوانية ، فمن غلبت شهوته عقله التحق بصنف البهائم ، ومن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة . وقد شرع الله التكاليف امتحانا لخلقه ، ثم قرنها بالزواجر والعظات لتكون عونا لعقله على التغلب على دواعي الشهوات فيه .

فالتكاليف الشرعية قاصرة على نوع الانسان كما قال تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » وقد فسر أكثر العلماء الأمانة بالتكاليف الشرعية . على أنه لم يقصد من هذه التكاليف تسخير الانسان أو تحميله مالا قبل له به ، ولكن أريد بها تطهيره وتخليص جوهره من الكدور التي علقت به ، كما قال تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

وقد عمل المسلمون الأولون بهذه التكاليف فصحت عقولهم وأجسامهم ، وقويت نفوسهم وإراداتهم ، وتقمصتهم روح علوية سموا بها على جميع الأمم المعاصرة لهم حتى سادوا عليها وأصبحت لهم خلافة الله فى الأرض .

فإذا كانت هذه الكمالات ثمرة التكاليف الاسلامية ، فكيف لا يحرص عليها المسلمون ويعملون بها ويتدارسونها ويجعلون التواصي بها أمرا محتما على كل منهم فردا فردا ؟

هذا وقد تفضل الله على الانسان بهبات عظيمة جثمانية وروحانية ، ومتعه بخصائص عالية صورية ومعنوية ، أفلم يكن من حقه عليه أن يشكره على هذه النعم الجليلة ، والعطايا الجزيلة ، بالإقرار بفضله ، والإخبات لعزته ، والخشية من جبروته ؟ لذلك وجب علينا أن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نقابل هذه الآلاء الإلهية بالشكر الجميل ، وأن نفهم أن الأرواح قبل أن تدنس بالعالم الجسمانى قد خضعت لربها فانطبع فيها الإقرار بالوحدانية ، فالواجب عليها أن تقرّ بها ، وأن تعترف بالعبودية لبارئها ، وأن تبقى حافظة لعهدها القديم بعد أن لابستها تلك الأجسام البشرية وأحاطت بها إحاطة السوار بالمعصم .

إذاً فالعبادة لله أقدس غاية من غايات الأرواح ، وأسمى مقصد من مقاصدها ، وثمرة العبادة خلاص الانسان من أسر جثمانه ، وعروجه بروحه الى أرقى درجات الكمال من وجوده الصورى والروحانى . وهذه غاية يجب أن يعنى بها ، وتراض النفوس لبلوغها ، فإنها أسمى الغايات على وجه الإطلاق .

وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين الاسلام والايمان فقال : « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا » قال : « والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

والأحاديث صريحة فى أن الأعمال الظاهرة للانسان من الإيمان ، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » . وقوله لوفد عبد القيس : « آمركم بالإيمان بالله وحده . أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خمس ماغنمتم » ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب ، لما قد أخبر فى غير موضع أنه لابد من إيمان القلب ، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الايمان . وفى المسند عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الاسلام علانية والايمان فى القلب » . وقال سفيان بن عيينة : كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم الى بعض بهذه الكلمات « من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه » . رواه ابن أبى الدنيا فى الاخلاص .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وثبت عنه عليه السلام من وجوه متعددة أنه قال: « الحياء شعبة من الإيمان » . وهذا من حديث ابن عمر وابن مسعود وعمران بن الحصين . وقال أيضا : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » وقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه » وقال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ! » قيل من يا رسول الله ؟ قال : « الذى لا يأمن جاره بوائقه » . وقال : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » وقال : « ما بعث الله من نبي إلا كان فى أمته قوم يهتدون بهديه ويستنون بسنته . ثم إنه يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » . وفى الحديث المتفق عليه من رواية أبى هريرة رضى الله عنه ورواه البخارى من حديث ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب النهبة يرفع الناس اليه فيها أبصارهم وهو مؤمن » .

ثم إن علماء السنة قد اختلفوا فيما بينهم فى : هل الايمان يزيد وينقص ، أو أنه لا يزيد ولا ينقص ؟ وتشعب البحث تشعبا أفضى الى كثرة من القول مستفيضة . ثم إننا كنا قطعنا مع القراء شوطا بعيدا فى مشروعية النكاح وأسبابه ومن يجوز نكاحه ومن لا يجوز ، وقد بقى أن نتكلم عمن حرم نكاحهن المحصورات فى عشرين محرمة . كذلك كنا قد وعدنا حضرات القراء باستتمام البحث فى حكمة إرسال الرسل . غير أن بحثنا الراهن لا يتسع لكل هذه التفاصيل . لذلك نستميحهم عذرا فى الوقوف بهم عند هذا الحد اليوم من البحوث المتشعبة . وموعدنا بإتمام هذه البحوث فى الأعداد المقبلة إن شاء الله ؟

عباس طه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تاريخ الالفاظ فى اللغة العربية

كلمة (الادب) وأطوارها

هذا فن من العلم قد يكون جديداً على اللغة العربية ، أو على الأقل غير معروف فى مباحثها ، وهى فى أشد الحاجة اليه ، فيجب أن يوجد ، وأن يعرف ، لما له من عظيم النفع وجليل الفائدة فى تحديد معانى الكلمات بأوقاتها التى استعملت فيها ، وتمييز أصل الوضع من طارئه ، ومولّده ودخيله من عربيه ، وحقيقته من مجازه . وفى ذلك إرشاد الى أطوار الحياة فى الأمة ، وانتقالها من درجة فى المعارف الى درجة أخرى ، وليس فى معاجم لغتنا ما يقوم هذا المقام .

فلو أن إنسانا عمد الى واحد منها كالقاموس ، أو لسان العرب ، أو صحاح الجوهرى ، وما اليها ليعرف منه معنى كلمة من الكلمات ، لوجدها تتردد بين كثرة من المعانى إذا صح أن العرب عرفوها كلها كان ذلك دليلا على ما لهذه اللغة الشريفة من الخصوبة فى الأوضاع ، والثروة فى المدلولات التى تداولها العرب فى مختلف قبائلهم قبل اختلاطهم بغيرهم من الأمم .

ومن ثمّ يعرف المطلع عليها مقدار اتساع مناحى الحياة عند العرب ، لأن التعبير عن الشىء فرع معرفته ، فهم إذاً قد عرفوا كل ما عبّروا عنه فى لغتهم ، وهم قد عبروا عن كثير من المعانى الفكرية والاجتماعية فى صور مختلفة تبين مقدار تفننهم فيها . واللغة الصحيحة من أصدق المقاييس على حياة الأمة .

ولكن هذه المعانى التى تذكرها تلك المعاجم اللغوية اختلط بعض المولّد والدخيل فيها بالعربى الصحيح اختلاطا يصعب معه على المنتهى فى عصرنا — بله المبتدى — أن يطمئن الى أن هذا المعنى عربى خالص ، لأنه لا يثق بأن العرب الخلّص نطقوا بهذا اللفظ مستعملا فى ذلك المعنى قبل أن يغمرهم الدخلاء .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أخذت بيدى كتاب القاموس ، وهو من أهم كتب اللغة عندنا ، لأكشف فيه عن معنى كلمة (الدين) فوجدته يقول : الدين : « الجزاء » و « الاسلام » و « العادة » و « العبادة » و « المواظب من الأمطار » أو « اللين منها » و « الطاعة » و « الذل » و « الداء » و « الحساب » و « القهر » و « الغلبة » و « الاستعلاء » و « السلطان » و « الملك » و « الحكم » و « السيرة » و « التدبير » و « التوحيد » و « اسم لجميع ما يتعبد الله عز وجل به » و « الملة » و « الورع » و « المعصية » و « الإكراه » و « من الأمطار ما يعاهد موضعا فصار ذلك له عادة » و « الحال » و « القضاء » . سبعة وعشرون معنى تردد بينها كلمة (الدين) وهى من الكلمات التى تكشف معانيها عن تاريخ الأمة من ناحية التفكير والاجتماع والأدب . وأنت ترى أن الفيروزبادى ذكر هذه المعانى دون تمييز بين ما حدث بعد الاسلام ، وما وضع قبله ، وإن كان بعض المعانى ينم عن تاريخه الإجمالى بنفسه ، وأغلب تلك المعانى (دينى) شرعى ، وبعضها يمكن القطع بأنه عربى جاهلى ، وبعضها متردد بين العصور العربية ، وهو أشقها وأحوجها الى التأريخ .

وهذه أيضا ألفاظ (المائدة والطعام) لو قرأها إنسان فى تلك المعاجم لخرج منها بما يقلب تاريخ العرب من جهة الحضارة والبداوة ، لأنها تبين عن أصناف وأذواق لا تعرفها البداوة ، وهى من الحضارة فى صميمها . بيد أن التاريخ القديم يأبى إلا أن يصور العرب أمة بدوية جاهلة لا تعرف إلا الناقة والجمل ، والصحراء والجبل ، ووأد البنات ، وشن الغارات ، والظعن والارتحال .

نعم لا ننكر أن بعض المعاجم اللغوية نبه على أن بعض الكلمات معربة ، أو دخيلة على العربية من الرومية أو الحبشية أو غيرهما ، وأن بعض العلماء ألفوا كتبا فى بيان الدخيل من الكلمات على اللغة ، ولكن هذا شىء قليل بجانب ما فى هذه اللغة من ثروة لو خلصت لأبانت عن تاريخ العرب أحسن إبانة ، وهو مع قلته لا يغنى شيئا

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عن تأريخ الألفاظ ، لأن تلك الكتب لم تبين متى جاء ذلك اللفظ الدخيل ؟ وهل كان فى اللغة مايغنى عنه ؟ فحاجة اللغة العربية الى (فن تأريخ الألفاظ) وتتبع أطوارها، واستعمالاتها كبيرة جدا ، فهو واجب عينى على المجمع اللغوى ، وفرض كفائى على الجماعات الأدبية المشتغلة ببحوث اللغة .

وإذا كان القدامى من أئمة اللغة لم يعنوا بهذا الطرز من البحث لأن الحاجة لم تكن عندهم ماسة اليه ، أو لأنهم كانوا على علم بتمييز الدخيل من العربى لقرب عهدهم باللغة فى معاهد الجزيرة ، أو لأى سبب آخر ، فحاجتنا نحن اليه شديدة ، لأن الآداب الأجنبية التى تزاحم الأدب العربى عنيت به عناية شديدة ، ولأن هذا الفن يساعدنا مساعدة فعالة على الكشف عن تاريخ العرب الأدبى والاجتماعى والدينى قبل الاسلام ، إذ الاعتماد على روايات التاريخ القصصية أصبح شيئا لا يمكن التعويل عليه فى معرفة الحقائق ، ولأننا هوجمنا من طريقه فأنكر بعض الباحثين أن يكون للعرب حياة أدبية قبل الاسلام ، لأن لغتهم لم تعرف كلمة (الأدب) إلا بعد مجىء الاسلام ، فلو كان لدينا هذا الفن قائم القواعد لتفادينا هذا الجدل العقيم ، ولخطينا بالأدب العربى خطوة أوسع تبوئه مكانا عليا بين الآداب الناهضة الحية .

اتصلت نهضتنا بنهضة الغرب ، فأخذنا عن المستشرقين كثيرا من مناهجهم فى البحث ، وكان فيما أخذنا منهم تاريخ أدب اللغة طريقة ، لا مادة ، وهم قد بحثوا عن تاريخ الألفاظ ، فألممنا بشىء ضئيل منه دعت اليه ضرورة التقليد ، حصره الباحثون فى كلمة (الأدب) ، ولكن فى اتجاهين : اتجاه يحتمى بالقديم ويستعين به ، واتجاه يتأثر مناهج البحث الحديث طليقا من كل قيد . وسنجمل خلاصة المذهبين ، ثم نقفى بما بدا لنا من رأى ينتهى بهذه الكلمة الى وضعها التاريخى الصحيح .

يقول أنصار القديم : إن أول ما عرفت كلمة (الأدب) عند العرب فى العصر الجاهلى جاءت مصدرا لأدَب يأدِب اللازم ، وهو من باب ضرب ، بمعنى صنع طعاما

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يحتفل به، ويدعواليه، والاسم من ذلك (المأدُبة) ولكنهم لا يذكرون شاهدا واحدا من كلام العرب الأقحاح فى العصر الأول ذكرت فيه كلمة (الأَدَب) بهذا المعنى، ويكادون يجمعون على التشبث بقول طرفة بن العبد:

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى (الآدب) فينا ينتقر

وهو مروى فى ديوانه من قصيدته الرائية التى مطلعها:

أصحوت اليوم أم شاقتك هر ومن الحب جنون مستعر

وواضح أن بيت طرفة لا يثبت الدعوى بنصها — كما يقول الجدليون — وأقصى ما يفيده أن (الآدب) اسم فاعل بمعنى الداعى الى الطعام هو الذى عرف من مادة (أدب) ويبقى البحث على حاله متشوفا الى معرفة: هل نطق عربى فى العصر الجاهلى بلفظ (الأَدَب) على أى معنى من المعانى التى عرفت لهذه الكلمة بعد؟.

يتخطى أولياء القديم من أساتيذ النهضة الحديثة العصر الجاهلى عند هذا الحد مسرعين الى عصر صدر الاسلام وبنى أمية، فتسعفهم النصوص، ويجدون كلمة (الأدب) لبست ثوبا جديدا، وأخذت معنى التهذيب والتعليم فى صيغ متعددة، ويستشهدون على هذا المعنى الجديد لكلمة الأدب بحديث يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم «أدبنى ربى فأحسن تأديبى» وبقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبعض بنيه: «يابنى انسب نفسك تصل رحمك، واحفظ محاسن الشعر يحسن (أدبك)». وبقوله: «من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله». وبكلمة معاوية بن أبى سفيان لابنه يزيد فى وصيته حين حضره الموت: «ثم انظر الى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار، فإن رابك من عدوك ريب فارمهم بهم، فإن أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام الى بلادهم، ولا يقيموا فى غير بلادهم فيتأدبوا بغير أدبهم».

ويروون عن عتبة بن ربيعة قوله لابنته هند أم معاوية، وهو ينعت لها أبا سفيان بن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حرب ليكون زوجا لها : « يؤدب أهله ولا يؤدبونه » وقول هند لأبيها : « إنى لأخلاق هذا لوامقة ، وإنى له لموافقة ، وإنى لآخذته بأدب البعل مع لزوم قبتى ، وقلة تلفتى » .

ثم يتوسعون فى هـذا المعنى نفسه الى أن يولّدوا منه معنى آخـر إن لم يـكن هو فليس منه ببعيد . وعُرْف الناس يجرى على هذا المعنى المولد ، فيقولون : فلان (مؤدب) و (أديب) إذا كان ظريفا فى خُلقه ، لطيفا فى عشرته ، وينشدون شاهدا له قول سالم ابن وابصة ، وهو شاعر أموى :

إذا شئت أن تدعى كريما مكرما   أديبا ظريفا ماجـــدا حرا
إذا ما أتت من صاحب لك زلة   فكن أنت محتالا لزلته عذرا

ويستظهرون أن الـكلمة نقلت من هـذا المعنى الى معناها (الفنى) أى المعنى الاصطلاحى الذى تعارفه الناس حين صار الأدب فنا مستقلا ؟

صادق ابراهيم عرجون

بعض ما قيل فى الحسد

قال على أمير المؤمنين كرم الله وجهه : لا راحـة لحسود ، ولا إخاء لمـلول ، ولا محب لسيء الخلق .

وقال الحسن البصرى : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، نفس دائم ، وحزن لازم ، وغم لا ينفد .

وقال معاوية : كل الناس أقدر أرضيهم إلا حاسد نعمة ، فانه لا يرضيه إلا زوالها .

وقال الشاعر :

كل العداوات قد ترضى إماتتها   إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال عبد الله بن مسعود : لا تعادوا نعم الله . فقيل له : ومن يعادى نعم الله ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله . يقول الله فى بعض كتبه : الحسود عـدو نعمتى ، متسخط لقضائى ، غير راض بقسمتى .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مآثر العرب فى علم التاريخ (١)

انتهى العصر الأول من تاريخ الأدب العربى بانتهاء القرن الرابع من الهجرة، ثم تلاه عهد امتاز بوفرة التآليف فى التاريخ وبتنوعها. ولعل السبب فى ذلك يرجع الى اهتمام الأمراء بهذا الفرع من فنون الأدب، و بتعضيدهم للقائمين بأمره تعضيدا كاد يسوّى بين منزلتهم ومنزلة الشعراء، فزاد بذلك عدد المؤرخين. على أن ذلك لم يمنع ظهور مؤرخين لم يكن تعضيد الأمراء هو الدافع لهم على مزاولة أعمالهم، بل كانوا يجدّون فى ذلك لأغراض علمية بحتة. ولم يكن إنتاج هؤلاء من حيث الوفرة أو القيمة أقل من أولئك. والى الأخيرين يرجع الفضل غالبا فى جمع المصادر التاريخية الأولى ونشرها.

ولعل أهم ما امتاز به هذا العصر الجديد ظهور نوع جديد للتاريخ وهو وضع التراجم، ولو أن هذا النوع كانت توجد بذوره فى مؤلفات الأولين أمثال على المدائنى. هذا إذا استثنينا ماجاء فى تاريخ حياة النبى (صلى الله عليه وسلم) فإنه لم يخل منه عصر من العصور منذ بداية الأدب النثرى، وإن كان ذلك أقرب الى علم الحديث لصبغته الدينية.

تطور فن وضع التراجم فى هذا العصر تطورا سريعا، وأصبح من مميزاته الواضحة وخصوصا فى شرق البلاد الاسلامية، حيث اقتفى المؤرخون أثر كتب الملوك الفارسيين. وكانت هذه التراجم توضع إبان حياة أبطالها، فكانت تكيل لهم أنواع المديح، وتفيض فى تعديد مناقبهم، هذا الى إسراف واضعيها فى استخدام المحسنات اللفظية لإظهارها فى ثوب جميل مونق مما قلل من قيمتها التاريخية، إلا أننا ندين لها بكثير من معلوماتنا عن الأحوال الداخلية فى الدول المتتابعة وبلاط الملوك المختلفة، مما بخلت علينا به المؤلفات التاريخية.

---

(١) بقية ما نشر فى الجزء السادس من المجلد الخامس من هذه المجلة مترجما عن الالمانية نقلا عن كتاب «تاريخ الادب العربى» للمستشرق الالمانى الكبير الاستاذ الدكتور «بروكلمان».

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأول التراجم المعروفة من هذا النوع هى الترجمة التى وضعها محمد العتبى (أبو النصر) المتوفى سنة ٤٢٧ هـ فى تاريخ السلطان يمين الدولة محمود الغزنوى المتوفى سنة ٤٢١ هـ وهو الأمير الذى فى عهده نظم الفردوسى الشاهنامة المشهورة .

وأما فى الشرق فقد بدأ وضع التراجم محمد النسوى الفارسى الذى كتب تاريخ السلطان جلال الدين ما نكوبرتى (خوارزم شاه) وكان قد التحق بخدمته بعد أن غلبه المغول على أمره على ضفاف نهر السند عام ٦١٨ هـ وبقى فى بطانته حتى وفاته عام ٦٢٨ هـ ووضع بعد ذلك بعشر سنين ترجمته . وامتازت هذه الترجمة بدقتها التاريخية .

وأما فى آسيا الصغرى فكانت شخصية صلاح الدين بارزة الى درجة أنها طبعت تاريخ تلك الناحية بطابعها الخاص ، فتوفر ثلاثة من كبار المؤرخين على وضع تاريخ ذلك المجاهد الكبير ، أولهم معاصره عماد الدين الكاتب الأصفهانى ، وكان فى أول أمره فى خدمة السلجوقيين فى العراق ، ولما ساءت حاله بعد وفاة ولى نعمته الوزير ابن هبيرة اتصل بالأيوبيين فى دمشق ، واكتسب صداقة صلاح الدين ، وارتقى بسرعة الى أن صار رئيسا لمجلس الدولة فى عهد السلطان نور الدين . ولما ولّى ابن نور الدين من بعده عزله من منصبه فى عام ٥٦٩ هـ وأبعده عن البلاط ، فالتجأ الى صلاح الدين وكان قد أسس له ملكا فى مصر ، وأخذ فى الزحف على سورية ، ورافقه فى كل غزواته حتى وفاته فى عام ٥٨٩ هـ ومن ثم اعتزل الحياة العامة واشتغل بالأدب الى أن وافته المنية سنة ٥٩٧ هـ . ومن أهم مؤلفاته تاريخ أولياء نعمته الأولين أمراء السلجوقيين ووزرائهم حيث نقل فيه الى العربية كتاب أنوشروان (شرف الدين) بعد اختصاره ، ثم وضع سفرا مكونا من سبعة أجزاء فى تاريخ عصره لم يبق منه للآن سوى جزء واحد .

أما غزوات صلاح الدين فى فلسطين وسورية فقد أفرد لها سفرا خاصا . وأخيرا وضع كتابا فى شعراء القرن السادس للهجرة إلحاقا لما كتبه الثعالبى ، ولكن مما يؤسف له أن كل مؤلفاته ملأى بعبارات كثيرة من التورية ومصوغة بأسلوب الدواوين السقيم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وثانى مؤرخى صلاح الدين هو يوسف بن شداد بهاء الدين (الحلبى) وقد وضع مؤلفه بناء على مشاهداته الخاصة أيضا .

وبعد وفاة صلاح الدين احتفظ به ابنه الملك الظاهر فى حلب فى مثل منصبه الأول ، وبقى فيه فى عهد الملك الظاهر الى أن ترك هذا الحكم فى عام ٦٢٩ هـ واعتكف فى داره .

وأما ثالث مؤرخى صلاح الدين فهو الأستاذ الدمشقى أبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ فقد وضع كتابه (الروضتين فى أخبار الدولتين) فى تاريخ صلاح الدين ونور الدين .

وفى عهد حكم صلاح الدين وضع أحد رجاله وكان وزيرا للحربية تاريخا نحا به منحى الهجو لوزير اسمه قراقوش منتقدا أوامره الادارية وتصرفاته المستهجنة . وقد لقى هذا الكتاب ذيوعا واسعا وانتشارا عظيما ، وكان له من الأثر البعيد ما جعل لاسم هذا الوزير صدى بعيد المدى ، فبقى ماثلا حتى اليوم فى كثير من القصص والحكايات التركية والمصرية ، وتناوله التحريف فصار يعرف باسم قره قوز .

وكذلك وضع أسامة بن منقذ (أبو المظفر) فى زمن صلاح الدين تاريخا مسهبا لحياته جاءت فيه موضوعات شتى قيمة فى تاريخ هذا العصر ، ولد أسامة فى سنة ٤٨٨ هـ بمدينة شيزار فى شمال سوريا فلما شب وكبر اضطهده أمير تلك الولاية وكان من أقاربه ، فاضطر للرحيل الى دمشق حيث أقام بها ست سنوات فى خدمة الحكومة ، ثم اضطر لترك عمله ومغادرة البلاد الى مصر لعدم ممالأته للبلاط ، وعاش فى مصر بضع سنين بعيدا عن الأعمال العامة الى أن اشترك فى الحروب الصليبية فى سنتى ٥٤٥ و٥٤٨ هـ بمدينة عسقلان ، ومن ثم تابع سفره الى دمشق ، وأقام بها الى أن اشترك مع السلطان نور الدين فى غزواته من سنة ٥٥٧ الى سنة ٥٦٠ هـ وأخيرا اعتكف فى حصن حيفا فى شمال سوريا حيث اهتم بالاشتغال بالأدبيات وعلى الأخص بتدوين تاريخ حياته الخاصة . وفى سنة ٥٧٠ هـ استدعاه صلاح الدين الى دمشق ولكنه لم يحظ بعطفه طويلا وتركه فى دمشق عند ما نقل حاضرة ملكه الى القاهرة الى أن توفى هناك سنة ٥٨٤ هـ .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ظهر من بعد هؤلاء المؤرخين أبو الفتح البندارى الذى جعل كل همه إخراج صورة جديدة لتاريخ السلجوقيين الذى وضعه عماد الدين أول مؤرخى صلاح الدين مجتهدا فى إصلاح أسلوبه السقيم . ثم جاء من بعده على الحسينى فاقتبس منه ملخصا وأضاف اليه تاريخ الأتابيك (الصدور العظام) حتى عام ٦٢٠ هـ . وحذا عدد كبير من المؤرخين حذو مؤرخى هذه الأسرة الذين تقدم ذكرهم . وأهم الكتب التى ظهرت فى الغرب على هذا المثال ماوضعه عبد الواحد المراكشى المتوفى سنة ٦٢٠ هـ فى تاريخ الموحدين .

أول من كتب فى تاريخ بغداد من مؤرخى هذا العصر هو العالم المحدث الكبير أحمد الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ وقد اعتنى فى كتابه فى تاريخ بغداد بالتقسيم الطبوغرافى مع مراعاة علم الحديث الذى كان يعتبر فيه حجة قوية .

واقتفى أثره فى تدوين تاريخ المدن على بن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ فوضع سفرا عظيم الشأن فى تاريخ دمشق يقع فى مقدمة و٨٠ جزءا لم يبق الدهر منه إلا مقطوعات متناثرة ، وقد عنى فيه بتراجم العلماء عناية فائقة ، ولم يقتصر على ذكر علماء دمشق فحسب بل إنه لم يغفل ذكر العلماء الذين نزلوا ضيوفا على المدينة فى أى وقت من الأوقات . ووضع ابنه القاسم المتوفى سنة ٦٠٠ هـ تاريخا لفلسطين جعل جل عنايته فيه الأماكن المقدسة بها وأهميتها الدينية .

ووضع أحمد بن العديم (العقيلى الحلبى) تاريخا مسهبا لمدينة حلب فى عشرة أجزاء ، وكان أهم ما عنى به تاريخ العلماء أيضا بعد ترتيبهم حسب الحروف الهجائية . وكان احمد ابن العديم قاضيا بمدينة حلب ، وعاش بها الى أن سقطت فى يد التتر فى ٩ صفر سنة ٦٥٨ ففر هاربا الى مصر الى أن استدعاه « هولاكو » التترى وأسند اليه منصب كبير قضاة سوريا . واشتغل فى سنيه الأخيرة بوضع كتابه فى الصورة التى نعرفها الآن . وقد أتى فى كتابه هذا على تاريخ مدينة حلب بترتيب زمنى حتى عام ٦٤١ هـ إلا أنه لم يكد يتم تنسيقه حتى وافته المنية بمدينة القاهرة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ووضع الشاعر عمارة الحكمى (اليمنى) كتابا فى تاريخ بلاد العرب الجنوبية . ولد عمارة فى عام ٥١٥ هـ وتقابل وهو يؤدى فريضة الحج مع أمير مكة المكرمة فأعجب به كثيرا وأرسله سفيرا له فى بلاط الفاطميين بالقاهرة ، وبقى بها الى أن دخلها صلاح الدين فانضوى تحت لوائه ، إلا أنه اشترك أخيرا فى مؤامرة دبرت لاعادة آخر سلالة الفاطميين الى عرش أجداده بمساعدة الصليبيين ، فانكشف أمرهم وأعدم مع جميع المتآمرين فى ٢ رمضان سنة ٥٦٩ وكان قد وضع قبيل وفاته كتابا آخر فى تاريخ الوزراء المصريين .

وأما تاريخ مصر فقد وضعه فى أول هـذا العصر محمد المسبحى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ فى سفر عظيم لم يصلنا منه سوى جـزء من أجزائه الأخيرة

واهتم كذلك ابراهيم بن واصف شاه (المصرى) فى أواخر القرن السابع من الهجرة بوضع تاريخ مختصر لمصر مهد له بمقدمة استعارها من الخيال عن حالة مصر قبل الاسلام .

ووضع على بن سعيد (المغربى) كتابا فى تاريخ مصر لم يصلنا منه إلا شذرات متفرقة . ولد على بن سعيد فى غرناطة وطلب العلم فى أشبيلية ، ثم جاب بلاد الشرق بضع سنين دخل بعدها فى خدمة سلطان تونس عام ٦٥٢ هـ ثم عاود سياحته الى الشرق ، ولما كان فى مدينة الاسكندرية بلغته أعمال « هولاكو » التترى فزاره فى أرمينيا . ويقول بعض المؤرخين إنه توفى فى دمشق سـنة ٦٧٣ هـ ويذهب بعض آخر الى أنه توفى فى تونس سنة ٦٨٥ هـ . ويشمل كتابه تاريخ جميع البلاد الاسلامية الغربية .

وأما فى الأندلس فازدهرت العـلوم التاريخية الى أقصى حـد وتعددت مؤلفات المؤرخين حتى كفلت لنا الى يومنا هذا معلومات وافية عن تاريخ ذلك العصر الذهبى . ولحسن الحظ بقيت أغلب هذه المؤلفات حتى الوقت الحاضر على صورتها الأصلية .

وفى مقدمة مؤرخى هـذا العصر ابن الفرضى المتوفى سـنة ٤٠٣ هـ فى قـرطبة وابن بشكوال المتوفى بقرطبة عام ٥٧٨ هـ وابن الأبار وهو من أهـل أشبيلية وتوفى سنة ٦٥٨ هـ وظهرت كذلك مؤلفات عديدة فى شعراء الأندلس من وضع ابن خاقان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المتوفى سنة ٥٣٥ ﻫ وابن بسام المتوفى سنة ٥٤٢ ﻫ وقد اهتم كل من ابن حيان المتوفى سنة ٤٦٩ ﻫ والبديع المتوفى سنة ٥٧٠ ﻫ بتدوين التاريخ السياسى لتلك البلاد ، ولكن مما يدعو للأسف الشديد لم يبق الدهر من مؤلفاتهما إلا النزر اليسير . ووضع المدعو ابن الأذارى فى أواخر القرن السادس من الهجرة تاريخا للأندلس جعل أهم موضوعاته ما جاء فى تاريخ شمال أفريقية . ومن الوثائق التاريخية الهامة التى يرجع عهدها الى هذا التاريخ أيضا قصيدة ابن عبدون الشهيرة التى وضع لها ابن بدرون تفسيرا تاريخيا قيما . الى أن جاء عماد الدين بن الأثير المصرى ونقل هذا التفسير التاريخى بحذافيره ، وأضاف اليه بعض الحوادث التاريخية الهامة حتى عام ٦٩٧ ﻫ .

وأما فى التاريخ العام فإن كتاب الطبرى ، وسبق لنا ذكره ، بقى فى هذا العصر أيضا من أقوى المصادر وأهم المراجع ، ولو أنه ظهر فى هذا العصر أيضا عدة مؤلفات أخرى قيمة فى التاريخ العام ، نخص بالذكر منها السفر الجليل الذى وضعه الكاتب اللبق الثعالبى ، ولم يصلنا منه سوى الجزء الخاص فى تاريخ الفرس .

ووضع مؤرخ آخر — غير معروف اسمه — وهو من أنصار الفاطميين فى القيروان فى القرن السادس كتابا أسماه (كتاب العيون) امتاز بإعلاء شأن الأمويين وتمجيدهم . ووضع حكيم بغداد وفيلسوفها الكبير ابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ ﻫ كتابا فى تاريخ العباسيين المتأخرين وأمراء الولايات المختلفة .

بقيت هذه الكتب أهم ما ظهر فى هذا العصر فى التاريخ العام الى أن جاء عز الدين ابن الأثير وهو عالم كبير ينتمى الى أسرة كريمة بالموصل ، وتوفى بها سنة ٦٣٠ ﻫ وكان كتاب الطبرى وقتئذ لا يتفق مع روح العصر العلمية لتفككه وسرده الوقائع التاريخية بدون ارتباط أو تعليق ، فتناوله عز الدين بن الأثير بالتهذيب حتى جعله وصفا شيقا متتابع الحوادث ملتئم البنيان ، وكان يستعين بمراجعة المصادر الأصلية ، فيدرسها ويمحصها ثم يلخصها ويدمجها بعضها ببعض فى أسلوب لغوى منسجم متمشيا مع نهضة الأدب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الجديدة . هذا الى أنه أضاف اليه مكملات عديدة مستعينا بمراجع أخرى مثل ما أورده فى تاريخ ما قبل الاسلام من تقارير عن وقائع العرب القدماء وحروبهم ، وأخيرا استأنف إتمام هذا السفر الجليل حتى أتى على تدوين الحوادث التاريخية الى عام ٦٢٨ هـ . ومن أهم مؤلفات عز الدين بن الأثير كتابه (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) ترجم فيه لما يقرب من ٧٥٠٠ من صحابة (رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

واشترك فى وضع التاريخ العام فى هذا العصر نفر قليل من العلماء المسيحيين أيضا مثل المكين بن العميد المصرى ، وكان يتقلد منصبا كبيرا فى الدولة الأيوبية ، وتوفى بدمشق عام ٦٧٢ هـ وكتابه فى التاريخ يشمل تاريخ العالم منذ بدء الخليقة الى ما قبيل وفاته . كما وضع بطرس بن الرحيب (أبو شكر) كتابا مماثلا له فى التاريخ العام أيضا .

وفى سوريا وضع رئيس أساقفة اليعقوبيين المتوفى سنة ٦٨٨ هـ كتابا قيما فى التاريخ العام . ولم يقل اهتمام مؤرخى هذا العصر بتاريخ الأدب والعلوم عن اهتمامهم بالتاريخ السياسى أو التراجم المتنوعة ، فظهرت مؤلفات عديدة نخص منها بالذكر تاريخ العلماء الذى وضعه على القفطى الذى شمل جميع كتاب العلوم الطبيعية والفلسفية قبل وبعد الاسلام . ولد على القفطى بمدينة قفط بصعيد مصر عام ٥٦٨ هـ وأقام بمدينة حلب حتى سنة ٥٩٨ هـ وتولى هناك بعض الأعمال الادارية حتى وافته المنية سنة ٦٤٦ هـ ولم يمنعه اشتغاله بالأعمال العامة عن الدرس والتحصيل فى شتى العلوم والآداب ، ويعتبر كتابه هذا من أهم المراجع التى لدينا لمعرفة مقدار ما نقله العرب عن اللغات الأجنبية

وجمع ابن خلكان فى موسوعته تراجم جميع مشاهير الاسلام فى الأدب والسياسة . ولد ابن خلكان فى أربلا سنة ٦٠٨ هـ وطلب العلم فى حلب ودمشق ، وأسند اليه بعد ذلك منصب القضاء فى مدينة القاهرة حيث بدأ بوضع كتابه المشهور ، إلا أنه اضطر الى ترك هذا العمل حين استدعى الى دمشق ليتقلد منصب كبير قضاة سوريا سنة ٦٥٩ هـ . انتهى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى فلسفة الاخلاق

صلتها بالنفس الناطقة — أثر ذلك فى المجتمع الانسانى العام

تواضع علماء الأخلاق الأقدمون على أن أصول الأخلاق كلها أربعة ، وهى : الحكمة ، والعفة ، والشجاعة ، والعدالة إذا أحكم تدبيرها وروعيت شروطها ظفر الانسان فى أدوار وجوده من الحياتين بالفوز الأكبر . وقد أطبق علماء الأخلاق وعلماء النفس على أن كل أصل من تلك الأصول الأربعة تنضوى تحته جزئيات متولدة عنه هى فى واقع أمرها ملاك المجتمع وعماده ، وهى أسه وعتاده . فالحكمة مثلا ينضوى تحتها الذكاء والتعقل ، وصفاء الذهن وسرعة الفهم وقوته ، والذكر وسهولة التعليم . والحكمة هى العلم بالموجودات من حيث هى موجودة . وبالتالى العلم بالأمور اللاهوتية ليكمل العلم بالحياتين : المعاش والمعاد . ومتى كان العلم برهانيا فلا سبيل الى الشك فى أن ما يصدر عنه برهانى كذلك . فالذكاء وهو إحدى المنضويات تحت ما صدق الحكمة هو سرعة انقداح النتائج وسهولتها على النفس ، بحيث تكون مقدمات تلك النتائج متصلة بالقضايا الصحيحة حملية كانت أو شرطية . والتعقل هو موافقة بحث النفس عن الأشياء الموضوعة بقدر ما هى عليه . وصفاء الذهن هو استعداد النفس لاستخراج المطلوب ليكون سبيل الاستنتاج مستبينا . وجودة الذهن أو قوته وحدته هى تأمل النفس لما قد لزم عن المقدم بحيث إن وظيفة النفس تكون قائمة على تعرف قوة ما بين التالى والمقدم من اللزوم . وسهولة التعلم هى حدة فى الفهم وصفاء فى النفس بها تدرك الأمور النظرية . ثم يأتى دور الكلام عن المنضويات من الفضائل تحت فضيلة العفة التى هى أصلها ومصدر وجودها : فهى الحياء والدعة والصبر والسخاء والحرية والقناعة والدماثة والانتظام وحسن الهدى والمسالمة والوقار والورع . فالحياء هو انحصار النفس أ . . . فها عند حد معين مخافة إتيان القبائح حذار الذم والوقوع فى الناس على وجه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يطابق الواقع. والدعة هى سكون النفس عند حركة الشهوة المذلة ،فإذا ما ثارت فى النفس شهوة الانتقام أو التسلط أو الغلبة والظفر للجاه أو للمال أو للنفس ثورة تجاوز بصاحبها نقطة الهدف وحد الاعتدال ، كان من الدعة الفل من غرب تلك النفوس الجامحة ، وأن تقتل تلك الشهوة الثائرة فى أنواعها المترامية فى أطرافها . فالدعة أخص من العدالة ، وهى نوع من الورع الذى يحبو به الله كثيرا من خاصة خلقه ، فهى لا تنفك عن الصبر على المكرائه والمفزعات ،وهى نوع من أنواع الرضا بالقضاء والقدر .والسخاء هو التوسط فى الإعطاء ، وهو أن ينفق المال فيما ينبغى على مقدار ما ينبغى وعلى ما ينبغى . والحرية هى فضيلة للنفس بها يكتسب المال من وجهه ويعطى فى وجهه ، وتمنع من اكتسابه من غير وجهه . والقناعة هى التساهل فى المآكل والمشارب والزينة . وسنأتى على باقى المنضويات فى فرصة أخرى .

وليست الأخلاق فى حقيقة صورها المختلفة شيئا آخر غير جماع الخير وينبوع السعادات كلها . على أن كثيرا من علماء الأخلاق اختلفوا فى تركز الخلق أو تحوله اختلافا عظيما ، فقال بعض الأقدمين منهم : إن الخلق خاص بالنفس غير الناطقة على معنى أنه غير قابل للتحول والانتقال ،والنفوس الناطقة من طبائعها أن تتحول وتنتقل بالقياس الى ما يعرض لها من تفاعل بما يقع تحت الحس والمشاهدات والعادات . ويذهب فريق منهم الى أن شيئا من الأخلاق ليس طبيعيا للانسان ولا هو غير طبيعى له ، ذلك أنا مطبوعون على قبول الخلق ، فننتقل بالتأديب والمواعظ البالغة إما سريعا أو بطيئا تبعا لقوة تفاعل النفوس أو ضعفها . وإن كان هذا الرأى الأخير هو المرتضى لجمهرة من الأخلاقيين ، وجرى عليه ابن حزم فى ملله ونحله ، ونحا نحوه الامام الغزالى ، وتابعه كثير من السلف ، واختاره (جالينوس) وحكاه ابن مسكويه عن إرسطاليس . وحجة أصحاب هذا الرأى ما يقع لهم من مشاهدات مختلفة ، وما يتفاعل به المجتمع من المشاهدات ، وما يحيط بها من تطورات مختلفة وشتى الملابسات . ولأن الرأى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأول من جهة أخرى يؤدى الى إبطال وظيفة التمييز فى العقل، ثم الى رفض السياسات كلها وترك الناس همجا مهملين، ثم بالتالى ترك الأحداث والصبية والى ما يتفق أن يكونوا عليه دون سياسة ولا تعليم، وهذا فضلا عن أنه ظاهر الشناعة والسخف جد الظهور، فهو من جهة أخرى يلقى بهذا الوجود وما فيه من مظاهر وما يحيط به من بواعث الى قذفات الصدف وفروض الاتفاق، ويحيل هذا المجتمع سوقا وضيعة من السلع تكون فيه الغلبة للقوى، وتتحكم فيه أنواع من السلطان الظالمة مأخوذة بدواع من الشهوات فى سائر مناحى الانسان، وهذا هو المعول الهادم لبناء هذا المجتمع. أما الرواقيون فيما ذهبوا اليه من شذوذ منقطع النظير، وأما جماعة من المشائيين وبعض آراء منسوبة إن صوابا وإن خطأ الى (جالينوس) وأما ما ذهب اليه فريق من الهندية وبعض فلاسفة الهند مما يتنافر مع النظريات السليمة التى تقوم عليها عمارة هذا الكون، فموعدنا بتبيان ذلك كله والكشف عنه الأعداد التالية إن شاء الله ؟

عباس طه

مجلة الازهر

رأى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر أن يغير اسم هذه المجلة، فجعله (مجلة الأزهر) بدل (نور الاسلام)، وهو عمل حكيم، فان فى هذه التسمية الجديدة دلالة ذاتية على مصدر المجلة، وبيانا لوجهتها وغايتها، خلافا للاسم القديم فانه لا يفرق بينها وبين ما يصدره الأفراد من المجلات، فتحتاج معها الى التعريف والتمييز.

وقد ظهرت هذه المجلة من أول هذا العدد بهذا الاسم الجامع، فنرجو الله أن يجعله فاتحة عهد جديد لها تنال فيه غاية ما قدر لها من ذيوع وانتشار، وتؤدى للعالم الاسلامى كله ما يتطلع اليه من غذاء عقلى وروحى، وما يرمى اليه من ثقافة عامة وارتقاء فكرى.

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مهمة الدين الاسلامى فى العالم

٢٣

دعوته الى العمل على إقامة العمران فى الا رض

يسوغ للباحث فى الاسلام أن يلقبه بدين العمران ، فانه ماحل بأمة إلا دفعها الى إقامة صرح العمران دفعا ، بتهيئة أسبابه لها من العلم والعمل والتفكير ، وتعبيد سبيلها اليه من الحث على إحياء الموات ، وإقامة المنقض ، والإشادة بذكر الحياة الطيبة ، والجنات المعجبة ، والمياه الجارية ، والبركات المتواترة ، جزاء للقائمين على سنته فى الحياة الدنيا ، يعجله لهم فيها ، ويعدهم إذا انقلبوا الى ربهم بحياة أرفع منها ، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . كل هذا وهو جار على طريقته من الجمع بين البسطتين : بسطة الروح وبسطة الجسم ، والتوفيق بين السعادتين : سعادة الدنيا وسعادة الآخرة .

ما كاد النبى صلى الله عليه وسلم ينتقل الى الرفيق الأعلى حتى انتدب المسلمون لتحقيق موعود الله من إعلاء كلمة الله فى الأرض ، فانساحوا فيها لا عادين على أهلها ولكن داعين لهم الى الحق ، ولا هادمين لما شيدوه ولكن مكمليه وموجهيه الى وجهة الخير المحض ، تالين على العالم قوله تعالى : « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا ، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما » « من عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ، « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فما كانت إلا كومضة برق ، كما قال مؤرخو الغرب أنفسهم ، حتى انتهى المسلمون الى الصين ، وما لبثوا بعدها غير قليل حتى عمت دعوتهم القارات الخمس ، وانفتحت أمامها أبواب العالم التى كانت مؤصدة ، فسرت فى أممه كافة روح لم تكن فيهم من قبل ، وكأنها كانت مندفعة فى تهور فوقفت حيث تتسمع لتلك الصيحة التى رددت أصداءها بقاع الأرض .

وما هى إلا سنون معدودة حتى نبض عرق الحياة فى الشآم ومصر وكانتا جثتين هامدتين تحت براثن الرومان ، ثم تلتهما العراق وفارس وكانتا تحت سلطان أهلها هيكلين عظميين لم يبق فيهما غير ذماء يوشك أن ينضب فتصبحا هشيما تذروه الرياح ، ثم ما لبثت الممالك القائمة بين فارس والصين والهند وسيبيريا أن أفاقت من غيبوبتها الطويلة ، وأدركت أن لها وجودا وأنها يجب أن تحيا حياة جديدة .

ثم ما كاد يفتتح طارق بن زياد الأندلس وينشر فيها روح الحياة حتى تنبهت الممالك الأوربية لما هى فيه من الخلافات المذهبية ، والحروب الجاهلية ، والجهالة المستحكمة ، فأخذت تتنسم نسمات ذلك العالم الجديد ، وتعشو الى ضوئه وتستفيد من جواره .

كل هذه الأمم التى كانت كالجثث المصبرة ، أو الأجساد المسخرة ، هبت تتلمس الحياة والعمران ، متأسية بما كانت تراه وتسمع به من أثر الاسلام فى أهله ، من تمصير الأمصار ، وإشادة البلدان ، وتعبيد الطرق ، وإحياء الموات ، وتسهيل الاتصالات ، وإقامة المبانى ، وتنشيط التجارات ، وبعث الصناعات ، واستخراج المعادن ، وبناء المستشفيات ودور العلم وبيوت الحكمة ، وتأسيس المكتبات وترجمة المؤلفات .

هذه الحركة المحيية التى كان مثارها بلاد المسلمين وصلت الى ما يجاورها من البلدان ومنهم الى من يليهم ، حتى عمت المعمور ، وتولد منها ما فيه العالم اليوم من علم ومدنية .

ولولا أنه قد سبق لنا الاستشهاد بأقوال المؤرخين فى هذه المواطن لأتينا على الشىء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الكثير منها ، فلندعها طلبا للإيجاز راجين القراء أن يراجعوا ما كتبناه هنا تحت هذا العنوان .

فهل كانت هذه الحركة من النهوض العالمى العام بباعث من الاسلام ؟ إذا كان الأمر كذلك فما هى الآيات الدالة عليها من الكتاب ، والدلالات القاطعة عليها من الآثار ؟

قال الله تعالى : « وإلى ثمود أخاهم صالحا (أى وأرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا) قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب » . فى هذه الآية الكريمة حث على العمران وامتنان من الله على عباده بإيتائهم القدرة عليه . قال العلامة البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى : « واستعمركم فيها » : أى أقدركم على عمارتها وأمركم بها .

وقد أكبر الله تعالى فى آيات كثيرة من الكتاب شأن العمران ووصى المسلمين بأن يحافظوا عليه ، ويُعنَوا به فقال جل وعز : « ادعوا ربكم تضرعا وخُفية إنه لا يحب المعتدين . ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين » ووصف الله الفاسقين فقال : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون فى الأرض ، أولئك هم الخاسرون » . وعرّف ألد خصوم الحق فى آية كريمة ، فذكر أن من أخلاقه : « وإذا تولّى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد » . ولو أردنا أن نستقصى ما ورد فى الكتاب الكريم من الآيات الناهية عن الفساد فى الأرض لاستوعبت صحفا كثيرة ، فلنكتف بما ذكرنا فان فيه لبلاغا للمتوسمين .

نعم إن الفساد ليس خاصا بالعمران ، فانه يشمل كل ضروب الأعمال التى توجب التصدع فى بناء الاجتماع ، والاضطراب فى نظام المعاملات ، والإخلال بالأمن ، والعدوان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على الضعفاء الخ، ولكن مما يندرج فى معناه هدم المبانى وتحطيم المعالم، وتخريب المدائن، وإهلاك الحرث والنسل .

ومما يدل على أن الله تعالى يعتد بكل ذلك، امتنانه على بنى سبأ من اليمن بما وفقهم اليه من تشييد القرى والإكثار منها، والإشارة الى ما أسدى بعض القرى من بركاته فقال تعالى : « وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها (قرى الشام) قرى ظاهرة، وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين » فهذا نص صريح فى الإشادة بذكر العمران والتنبيه على أنه من فضل الله على عباده الصالحين . ومما يناسب هذا المقام قوله تعالى : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية، جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العَرِم، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أُكُل خَمْطٍ وأَثْل وشىء من سِدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور » وفى هذه الآية إشارة من الحق سبحانه بأن الخصب والبركة وخفض العيش آية من آياته تستدعى الشكر لواهبها . وفيها تنويه بالبلدة الطيبة إيذانا بأنها من النعم التى تجب المحافظة عليها والاعتداد بها . ثم انظر كيف أن الله جعل جزاء أهلها حين أعرضوا عن محابّه وأقبلوا على مكارهه أن أبدلهم بالخصب والنماء وبالبلدة الطيبة الحافلة بوسائل العمران، أطلالا دارسة، وبيئة لا تثمر لهم غير النباتات الجشبة . فكما جعل الخصب والعمران من النعم التى يجب استدامتها، جعل القحولة والخراب من النقم التى يجب تجنبها .

ولفت الحق سبحانه وتعالى الناس الى أنه لا يهلك القرى لأنه يكره لشيعته التوسع فى العمران، ولكنه يهلكها لحيد أهلها عن الصراط السوى وإسرافهم على أنفسهم، واستخدام وسائل المتع المشروعة التى فتحها عليهم فى الاستهتار فى الشهوات، فقال تعالى : « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

وقد بين الله تعالى فى موطن آخر أن العلة الحقيقية فى إهلاك القرى وإزالة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عمرانها ما جناه أهلها على أنفسهم من ناحية آدابهم وأخلاقهم، وأنه جل وعز أعذر اليهم بالنصح وإرسال النذر لعلهم يثوبون الى رشدهم، فقال سبحانه: «وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين. وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا، وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون».

فانظر كيف يشير الله تعالى الى أن أهول المساكن بسكانها، وحفولها بأهلها، من النعم التى يجب أن تستبقى بالقيام بحقها، وأن ما يناقض هذه الحالة من إقواء الدور من قطانها، وإقفارها من أصحابها، سببه البطر، والبطر فى هذا الموطن الاستخفاف بالنعمة وعدم الاعتداد بها.

ومن أقطع الدلائل على اعتداد الاسلام بالعمران وإكباره لشأنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى أصحابه حين يبعثهم للغزو عن هدم الدور وإحراق الزروع، إلا ما تقضى به حاجة حربية ماحة. وليس بعد هذا فيما نظن مرمى فى الاعتداد بالعمران، وفى الاحتفال بأمره.

بهذه الروح الكريمة انساح المسلمون فى الأرض فمروا على مدن وأمصار وقرى لا تدخل تحت حصر فلم يمسوها بسوء، بل زادوا فى عمرانها، وأمروا بإشادة أمثالها، وعرفوا أن العمران لا يقوم إلا بحافز من الخصب، فعملوا على إحياء موات الأرض. ولما استتب لهم الأمر أمروا بترجمة الكتب اليونانية والسريانية والهندية فى الزراعة والعمارة وطبقوها على العمل. ولما كان لا يقوم العمران بلا صناعة تؤاتيه بالحاجات الضرورية له، لم يدعوا صناعة من الصناعات التى صادفوها فى البلاد المختلفة إلا تعلموها وحذقوها، وزادوها تحسينا وارتقاء.

وبما أن الصناعة فى حاجة مستمرة الى المواد الأولية فلم يقصروا فى هذه السبيل، فاحتفروا الأرض واستخرجوا كنوزها المعدنية، وأسسوا المصانع لسبكها وصنعها،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكل هذا يحتاج الى إلمام شامل بالعلم الطبيعى ، فلم يَنُوا فى تدارسه وتفهمه ونقل كتبه القديمة الى العربية ، وبالغوا فى دراسة الجواهر وصفاتها ومميزاتها وكيفية تحليلها وتركيبها ، ووضعوا لذلك علما سموه بالكيمياء ، وعنهم أخذه المعاصرون باسمه العربى . ولما كان هذا لا يغنى إلا بالتوسع فى العلوم الرياضية فقد تبسطوا فيها الى أبعد مما وصل اليه الكلدانيون واليونانيون القدماء والفرس ، حتى أداهم التبحر فيها الى ابتكار علم جديد فيها سموه علم الجبر . وقد أخذه الأوربيون عنهم بهذا الاسم العربى .

لم يدع المسلمون علما ولا فنا ولا صناعة ولا ذريعة لتكميل صرح العمران إلا أخذوا بها وزادوها بجهودهم رقيا ، ولم تمض عليهم مئتا سنة حتى كانوا فى كل ناحية من نواحى النشاط العقلى والعملى أئمة يرجع الناس اليهم فيها . فلم يكونوا مجرد فاتحين ولكنهم كانوا معلمين ومصلحين أيضا . نزلوا الشام فعمروا مدنها ، وأحيوا مواتها ، وجعلوا عواصمها عواصم العلم والحكمة . وامتلكوا مصر فنشروا فيها العدل والإنصاف ، ورقوا صنائعها وجعلوها تنافس أرقى الممالك الأرضية . وتولوا العراق وكان قبلهم تابعا للفرس ، فنقلوا إليه عاصمة الدولة ، فأبلغوه الى مكانة من السؤدد لم يكن له حتى فى زمن الآشوريين والبابليين ، فكانت عاصمته بغداد سيدة العواصم كلها علما وصناعة ومدنية ، فاكتظت بالسكان حتى بلغوا فيها الى مليونى نسمة ، وهو عدد لم يسمع به فى بلد سواها حتى ولا أثينية ورومية فى إبان عزهما وحضارتهما التاريخية .

واجتازوا الأندلس فأسسوا فيها دولة كان لها الأثر البعيد فى نشر الثقافة العلمية حتى أصبحت جامعاتها تهب النور لمن يطلبه منها ولو كان أجنبيا عن الاسلام لا يمت الى دولته بأقل صلة . فكثر فيها الطلاب الأوربيون يعبون من معينها الصافى ، ويعودون الى بلادهم ينشرون العلم والمدنية . وكان ممن تعلم فيها سلفستر الذى تولى البابوية الرومانية .

وقد بلغ من علو كعب الأندلس فى العمران والمدنية أن ملوك أوربا كانوا يقصدونها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للاستشفاء على أيدى أطبائها ، فيقابلون بإكرام ، ثم يعودون الى بلادهم مشيدين بذكر الحضارة الاسلامية .

وقد أثرت مدنية المسلمين فى الأوربيين تأثيرا عميقا ، حتى إنهم نقلوا كتب ابن رشد وابن زهر وابن سينا وغيرها الى لغاتهم وأخذوا يتدارسونها ، فكانت سببا فى إنهاض هممهم وهم فى ليل دامس من الحكم المطلق ، فهبوا يتطلبون الحياة ثائرين على نظمهم الجائرة ، مجازفين بحياتهم فى سبيل الحياة والحرية . فدام التنازع بينهم وبين الآخذين بخنقهم قرونا حتى تم لهم النصر عليهم فى القرن السادس عشر ، فكان العهد الذى يسمونه عهد البعث الذى سبق عهد المدنية الأوربية الحاضرة . فهذه المدنية التى فتنت العالم اليوم بعلومها وفنونها وصناعاتها مدينة للمسلمين بوجودها كما رأيت ، وكما يعترف به مؤرخوها فى مؤلفاتهم المتداولة . وقد نقلنا الشىء الكثير من ذلك فى مقالاتنا الماضية .

فالفتوح الاسلامية لم تكن فى حقيقتها إلا صوت الحق ينبه الغافلين ، ويوقظ النائمين ، ويستحث هم الحاكمين والمحكومين ، الى تلمس الحياة الصحيحة ، والخروج مما هم فيه من التقاليد الموبقة ، والرسوم المردية .

وقد أنجح الاسلام فى تحمل هذه التبعة الى حد بعيد ، فأحدث فى العالم دويا امتاز به دون سائر الفتوح العالمية . فكان من أثره الخير العمم ، بخلاف تلك الفتوح ، فقد خلفت وراءها الخراب والدمار ، حتى إنها أفنت أمما برمتها تحت كلاكل اضطهادات يقشعر لقراءتها جلد الانسان .

أفلا يستحق بعد هذا البيان أن يلقب الاسلام بدين العمران ، العمران العالمى العام ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة الرعد

— ٦ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ . هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَيُنْشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ، وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَٱلْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ، وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ »

قد بينت الآيات السابقة أن الانسان فى هذه الحياة محاط بعلمه تعالى ونفوذ قدرته ، فلا يخفى عليه تعالى من أمره شىء : « سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » ، ولا يفلت منه شىء ، بل « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » . وقد سبق فى العدد الماضى تفسير ذلك وما قاله فيه أئمة التفسير . وترى فى هـذه الآية الشريفة التى نحن بصددها تقريرَ القاعدة الاجتماعية ، وشرحَ القانون الإلهى الذى ارتضاه جـل وعلا لسير هذا العالم الانسانى فى حياته التى اختارها له عز وجـل . فالانسان مع إحاطة عـلم الله بكل ما ظهر وخفى من شئونه ، ومع خضوعه لأحكام القضاء والقدر المتسلطين عليه تسلطهما على كل عالم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من العوالم ، قد منحه عز وجل نوعا من الاختيار فى أعماله ، وإطلاق التصرف ، يصنع ما يريد ويفعل ما يختار ، ولكن فى دائرة لا تتجاوز علم الله وإرادته ، فهو يعمد الى اختيار ما يحلو له ويطيب فى نفسه ويغلب عليه الميل اليه من خير أو شر حسبما وهبه الله من قوة الارادة والاختيار ، ولكن ما يختاره فى مستقبله ويميل اليه بإرادته ومشيئته قد علمه عز وجل منه وأراده فى الأزل ، وأراد أن يفعله باختياره ومحض إرادته ، لا أن يفعله مرغما مكرها مقهورا مجبرا : «وما تشاءون إلا أن يشاء الله» . فإرادة الله الأزلية وعلمه الأزلى لم يخلّا باختياره ولم يسلب عنه مشيئته ، بل قد حققها . فالله قد أراد منه أن يفعل باختياره ، فمحال أن يفعل مكرها ، وإلا لم يتحقق ما أراده الله من أن العبد يفعل بإرادته واختياره ، ولم يتحقق معنى (تشاءون) فى قوله : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله» فإرادة الله وعلمه الأزليان لا إخلال فيهما بإرادة العبد ومشيئته ، بل هما محققان لهما .

ولقد أبدع جل وعلا فيما سنه للانسان من نظامه الاجتماعى ، فربط المسببات بأسبابها ، وهداه النجدين طريق الخير والشر ، ونصب لكل منهما مغريات وبواعث تدعو اليه ، فأودع فيه الميل للشهوات ، واختلاس الفرص وحب الذات ، وأشرب نفسه الميل للعلو على الغير وحب الانفراد بالطيبات ، مما يكون مدعاة للأنانية والاستئثار ، وأعطاه من سلاح القوة ما يستطيع به التغلب على مزاحمه ومنافسه ، فتطغى بذلك فيه قوة الشهوة والغضب والأنانية والأثرة ، ويميل الى الظلم والاستهتار والخلاعة والمجون . ولكنه لم يدعه لهذه المهلكات تفتك به وتشقيه ، وتجعل حياته تعسة بما يتفشى فيه من تناحر وتطاحن ، وبما يوهن من عزيمته من خلود الى الدعة والراحة واستغراق فى الشهوات واللذائذ ، بل عصمه أولا بنعمة العقل والتمييز والإدراك ، حتى يبصر عاقبة كل فعل حلا مبدؤه وخبثت عاقبته ، فيعتبر ويزدجر بما مر عليه من تجارب ؛ وأمده ثانيا بنعمة الشرائع تتنزل من لدنه جل وعلا رحمة بالناس ، فتعين العقل على مغالبة العواطف التى تنتابه فتطمسه .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وقد جاءت الشرائع لسعادة الناس مناسبة لحالهم فى كل عصر وأوان ، حتى كمل الانسان واستعد لتلقى أعظم وأدوم شريعة جامعة لمصلحته فى كل طور وكل عصر ، وكفيلة بسعادته فى الدنيا والآخرة ، ومنظمة لعلاقته بربه على أكمل الوجوه وأتمها ، ومنظمة لعلاقة أفراده بعضها ببعض ، سواء فى الاجتماع الملاصق القريب وهو باب الأحوال الشخصية ، أو فى المجتمع البعيد على اختلاف مراتب البعد من السياسة المدنية كالمعاملات والحدود ، والسياسات الدولية كالمحالفات والعهود ، وصون كل أمة حياتها وحمايتها مصالحها .

جاءت الشريعة موقظة للعقل ، هادية له الى سبيل الخير ، مرشدة الى ما ينبغى عمله وما ينبغى تركه ، ببيان عاقبة كل فعل من خير أو شر ، حتى يتقوى سلطان العقل على سلطان الهوى ، لكى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

فجاء فى الشريعة الغراء قصص الأمم الماضية وما انتابها وحاق بها من سوء أعمالها ، وعدد بالتفصيل ما أنعم الله به عليها وما مكن لها فى ملكه ، وشرح ما أصابها حين استغرقت فى لذائذها وشهواتها ، أو غلب عليها الغرور وانغمست فى الشرور بطغيانها . كل ذلك جاء تفصيلا فى غير ما آية من الكتاب العزيز، ليكسر من حدة اعتداد الانسان بنفسه ، وتماديه فى غروره ، ونسيانه أن الاعتدال فى كل شىء هو مصدر بقاء بنيان الكون ، وأن الميل هو سبب التهدم والانهيار .

وجاءت هذه الآية الكريمة جامعة لما تفرق فى كثير غيرها من الآيات والعظات ، فهى من أجمع جوامع الكلم ، فقال تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » أجل حقا وصدقا : لقد جرت عادة الله فى الأقوام والأمم أن من سلك للحياة سبلها القويمة ، ودأب على مراعاة قوانينها المنظمة ، فإنه إن كان فى أول أمره فى فقر وعدم فإن دأبه فى عمله الصالح وجدّه فى تحصيل خيرات الله التى وعدها لمن أحسن عملا ، سيغيره به الله من فقر وعدم ومن وحدة ووحشة ، الى يسار وغنى ، والى عمران وكثرة ، والى راحة وهناءة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

انظر الى الأمم تبدأ بالبداوة والوحشية فتستمرئ طعم العمل والجد، فلا تلبث أن تغدق عليها الخيرات والنعم. فإذا ما استمرت فى سلوك هذا السبيل كانت كل يوم تزداد نعما ورغدا، وهكذا حتى يدال لها على غيرها وتصبح فى عز ومنعة، فتصلح لأن تسود غيرها، ويمكن الله لها فى ملكه حتى تصبح مهيمنة على كل أمة تتصل بها ممن لم يجدّ جدها ولم يكدّ كدها، ولم يرع قانون الاعتدال فى أحواله مثلها. فإذا ما طغت تلك الأمة وحادت عن الجادة، واستمرأت مرعى الشهوات الوخيم، واستنامت للراحة والكسل، وانغمست فى اللذائذ التى تأكل الهمم وتبرد العزائم، وتميت الرجولة وتذيب النفوس، ضاعت منعتها، واضمحلت حياتها، وذهب ريحها، وأبدل بها الله من هو خير منها فى استعمار الأرض والسيطرة على الحياة. وذلك ما ذكره الكثير فى تفسير قوله تعالى: «ولقد كتبنا فى الزبور من بعدِ الذكر أن الأرض يرثها عبادىَ الصالحون».

ومثل الاسترسال فى الشهوات، الاندفاع فى الطغيان، والتمرد على بنى الانسان، والمجافاة لقانون العدل والإنصاف، والتمادى فى اغتيال الحقوق، والاستئثار بالثمرات والخيرات اعتمادا على القدرة وقوة البطش. فهذا أيضا باب من أبواب الهلاك والدمار، فإن أقرب نتائجه انصراف همم العاملين المغلوبين عن استعمار الأرض واستثمارها، فيعم الخراب القوىَّ والضعيف، وينزل مقت الله على الجميع.

وهكذا تجد الآية الكريمة مقررة هذه القاعدة الاجتماعية الصادقة، وهى أن تغيير الله لحال الأمم تابع لتغييرهم ما بأنفسهم من خير الى شر أو من شر الى خير، وما كان الذى ذكرناه إلا مُثلا جزئية لما ينطوى تحت هذه القاعدة الشاملة الكلية.

تنقل بنظرك حيث شئت فى أمم حاضرة تشاهدها، أو ماضية تقرأ أخبارها، تجد القاعدة مطردة، وتجد نظام الكون دائم السير على نظام واحد، لايفرق بين قوم وقوم، ولابين أمة وأمة، وأن كل شىء قد ارتبط بسببه ارتباطا محكما لايؤثر فيه غيره،

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وليس بلازم إذا رقت أمة فى شىء أن ترقى فى كل شىء ، ولا إذا انحطت فى شىء أن تنحط فى كل شىء ، وإنما اللازم أن ما وضعه الله عز وجل من ارتباط شأن من شئون الحياة بشأن آخر منها ، قد أحكم نظامه ، وأوثق رباطه فلا يُخلَف من اتبعه ، سواء أكان من أبواب الخير أم من أبواب الشر .

لا تجد أمة جدّت فى إتقان صناعتها وضاعت عليها ثمرة إتقانها ، ولا أمة اجتهدت فى ترقية زراعتها وخيب الله سعيها أو أخلفها خيره وميره ، ولا أمة هذبت أخلاقها وقوّت خلق الصدق والأمانة بين أفرادها ، وكافأها الله على ذلك بضياع الثقة والطمأنينة بين أفرادها بعضهم مع بعض ، أو ضاعت الثقة بها عند الأمم الأخرى المجاورة لها العارفة بأحوالها ، سواء أكانت فيما بينها وبين ربها قائمة بحقوق العبادة أم أخلت بشىء منها . ومن ذا الذى يقول إن أمة غلبت عليها شقوتها واستحوذت على عقولها شهوتها وأخلدت الى السكينة والراحة واستعذبت الكسل واستمرأته ثم اكتفت بأن قامت بمراسم العبادة قياما صوريا لم يتغلغل الى قلوبها ، ولم يملك عليها وجدانها ملكا يضبط جوارحها ويهذب من أخلاقها ويبعدها عن مغاضب الله فى الصدق والأمانة ، تكون هى الحائزة للسيطرة على هذه الحياة ، وتمتلك التصرف فى رقاب العباد ؟ لا ، لا :

فلا تطل ذكر المنى فالمنى رءوس أموال المفاليس

إن لكل طريق غاية يوصل إليها ، ولكل عمل ثمرة منتظرة منه ، ولكل خلق فائدة تترتب عليه ، ولكل سبب مسبب منوط به « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » لا فرق فى ذلك بين خيرات الدنيا والآخرة وشرور الدنيا والآخرة ، فمن قام بعبادة ربه وأدى طاعته فقد سلم مما أعده الله للعصاة فى الدار الآخرة . ولكن هل إذا أضاف الى ذلك التوانى والكسل وإهمال العمل ، تنهال عليه أمطار الرزق وينهمر عليه غيث الخير ؟ لا لا ، كلا وألف كلا : فكل مسبب مرتبط بسببه . بل إذا قال قائل إن ثمرة الايمان الصحيح هو أن يتّبع المؤمن ماسنه الله لخالقه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من مراعاة حكمته فى استخلافه لبنى الانسان فى أرضه ، يستعمرونها ويستثمرونها ، بما وهبهم من قوة ، وبما مكن لهم فى الأرض ، وبما قال لهم فى كتابه العزيز : « خلق لكم ما فى الأرض جميعا » أقول : إذا قال قائل إن هذا من ثمرات الإيمان الصحيح ، لم يكن فى قوله بعيدا عن الصواب . فكما أنك تقول : إن من قام بإتقان عمله التجارى ربح ولا يلزم أن تصح زراعته ؛ ومن قام باصلاح زراعته جنى ثماره ، وليس بلازم أن يحسن إدارة التجارة ؛ ومن حذق أساليب الصناعة ارتقت أعماله الصناعية وإن كان أجهل الناس بالزراعة والتجارة ، وهلم جرا ، فقل كذلك إن من حذق أسباب العمران ارتقى العمران على يديه ، ومن قام بواجب الدين أثابه الله فى آخرته ، ومن أتقن الأمرين معا أحرز السعادتين ، ومن أهملهما معا خسر الصفقتين ، ومن كان فى حال ثم تبدل بها غيرها فقد أحرز نتيجتها شرها أو خيرها « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » لا فرق فى الشر بين ما فى الدنيا وما فى الآخرة .

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

وإن العدل الإلهى لعدل مطلق لا ينبغى أن ينتظر فيه أن يتعب امرؤ أو أمة ويجد ويكد ثم هو مع ذلك يحرم من الثمرات ، بينما آخر قد استنام وأخلد الى الدعة والكسل ثم هو مع ذلك يفوز . كلا كلا : إنما ذلك يجرى فيما بين العباد عن ظلم واعتساف ، فاذا ما استمر ذلك فى قوم وساد بينهم الظلم ولم يجدوا من يضع لهم حدا ينقذ الأمة من وخيم عواقبه ، فقد غيروا ما بأنفسهم ، فلا يلبثون أن يحل بهم من الخراب ما يحقق قوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

ولا تنس أن الآية تقرر قاعدة اجتماعية أى حكما يتعلق بالانسان من حيث يجتمع هو وغيره فى شئون الحياة ، يرشدك الى ذلك التعبير بلفظ قوم دون أحد أو إنسان أو امرئ أو نحو ذلك ، فلا يقال : قد نرى رجلا صالحا قام بعمل واجتاحته جائحة أو ما يشبه ذلك ، لأن هذه الأحوال على ندرتها ليست من أحكام الاجتماع العامة ، وإنما هى من الحوادث التى يريدها الله لحكم قد نعلمها وقد لا نعلمها ، والله عليم حكيم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وبعد : فإن مضمون هذه الآية الكريمة لو فرض أنها لم ترد فى كتاب الله الذى لم يفرط فيه من شىء ، لحق على الناس أن يفهموه من مشاهداتهم للأمم المحيطة بهم ، بل من النظر فى أحوالهم أنفسهم من ماض وحاضر ، فلا تكاد تجد أمة إلا وقد مرت بها أدوار انحطاط وارتفاع ، وانحلال وتماسك ، وكل ذلك تابع لما أصيبوا به أو دفعوا له من عوامل بقاء أو فناء ، وسعادة أو شقاء .

ومن ذا الذى يخفى عليه أدوار مصر فى ارتفاعها وانخفاضها ، والعوامل التى أوجبت ذلك بحسب ما تعاقب عليها من أنواع الحكم الذى هو أكبر عامل فى تكييف الأمم ؟ بل نرى بأعيننا بعض قرى تعاقبت عليها أحوال متناقضة حسبما وقع فيه أهلها من عوامل الفناء أو البقاء .

لا أنسى بلدة رأيتها قد امتازت فى تنويع مزروعاتها واختيار أرقى أصناف الزراعة التى تحتاج الى دقة وتنتج خيرا وفيرا ، فسألت عن سبب امتيازها بين جاراتها بهذه الأنواع ، فقيل لى إن هذه البلدة قريبة من المدينة عاصمة المديرية كما ترى ، فكان ذلك مدعاة لإغواء أبنائها وتلهيهم بملاهيها ، وإسرافهم على أنفسهم فى شهواتهم ، فلم يلبثوا أن ركبتهم الديون حتى اكتسحتهم من أملاكهم وأصبحوا فيها غرباء ، فأشرفوا على الفاقة المهلكة وانتزعت منهم أملاكهم للدائنين ، فرأوا أن الزراعة المعتادة لا تنقذهم من وهدتهم بعد ما ضاقت بهم أملاكهم التى كانت واسعة ، ففتقت لهم الحاجة أبواب الحيلة ، فتفننوا فى زراعات جديدة من البذور الغالية ، وعكفوا على تنميتها وترقية أصنافها ، فسدت عوزهم فذاقوا لذة الغنى ، فأكبوا على الأخذ بأسبابه ، فتراجعت حالهم . فقد كانوا أغنياء كلهم فافتقروا كلهم ، ثم أغناهم الله جميعا ، وكل ذلك بعوامله وأسبابه ، فقلت : صدق الله العظيم « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وإن تعجب بعد ذلك فعجب أن تتضافر المشاهدات المتكررة والوحى الصادق على إثبات قاعدة لا تزيدها التجارب إلا رسوخا ، ثم تدعو إليها مصلحة الأمم ، وتجدهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مع ذلك ينصرفون عنها ولا يعملون بمقتضاها. فهل هذا إلا من عمى القلوب؟ سبحانك اللهم أنت تهدى من تشاء وتضل من تشاء، ومن يضلل الله فماله من هاد « وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ».

أجل: لو لم يكن الأمر كذلك، وأنه إذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له، فبماذا نعلل خروج الأمم العاقلة المبصرة على ما علمته علم اليقين، وزادت به استبصارا بالتجارب والمشاهدات فى نفسها وفى غيرها، ثم تمعين فيه مصلحتها؟

رب إن الهدى هداك وآيا تك نور تهدى بها من تشاء

فى مثل هذه الأمم تجد الأفراد يتقاذفون الملامات، وكل يتنصل مما أصابها ويرمى غيره بأنه سبب بلائها. ولو أنصف كل امرئ من نفسه لعلم أنه بإصلاح حاله وقيامه بواجبه حق قيامه يكون قد أكسب أمته خيرين: خيرا بزيادة عدد الصالحين النافعين واحدا، وخيرا بنقص عدد الفاسدين الشريرين واحدا، وفى كل من زيادة المصاحين ونقص المفسدين فائدة ومنفعة. فاللهم اهدنا صراطك المستقيم!

ترى من هذا أن الآية الكريمة محتملة لإفادة العموم فى كل شئون الانسان، والحمل على العموم أغزر للفائدة. ويكون التناسب بينها وبين الآى السابقة أن الكلام مبناه من أول السورة على بيان آيات الله الكونية الدالة على عظيم قدرته، وبديع حكمته، وواسع علمه، وباهر نظام تكوينه، فسيقت آيات الشمس والقمر والزرع والنبات وأمثالها، وفصلت تلك الآيات بالتعجيب من حال المنكرين للبعث الآمنين مكر الله، والنعى عليهم، وتسفيه أحلامهم فى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة، وفى طلب إنزال آية، كأن لم يكفهم ما رأوا، ثم العود الى تقرير الأدلة الناصعة على إحاطة علمه جل شأنه بكل ما خفى وما ظهر، وأن جنده محيطون بالعباد، ولا يفلت من أمرهم شىء، ولا يصيبهم مما يحيطهم شىء إلا ما قضى وقدر، وأن أمره نافذ فى جميع ملكه بلا معارض ولا ممانع. ثم أردف ذلك ببيان أن نظام العالم فى ارتباط أسبابه بمسبباته نظام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مطرد، لا يختل عما رسم، ولا يغاير ما حكم، إلا أن تكون حكمة تقتضى أمرا معينا هو أعلم به وأمره موكول اليه، وإلا فما عدا ذلك من إنتاج كل عمل ما رتب عليه من خير أو شر أمر مطرد، فاحذروا أن يصيبكم ما أصاب المعوجّين من خراب وهلاك، وارجوا من فضله ورحمته ماغنمه مَن قبلكم ممن أحسنوا السير، فلا السعادة ولا الشقاوة منثورتين فُرُطا، ولا الأمور تجرى على غير هدى، بل هو حكم بالغ ونظام كامل، فمن اتبع سبيل الهدى والاستقامة أدرك السعادة، ومن اعوج وضل ندم حيث لا ينفعه الندم «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

وجمهور المفسرين على أن المعنى: إن الله لا يغير ما بقوم من النعم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الطاعات، وأنه لا ينزل عذاب الاستئصال والمقت إلا على العصاة. وهذا — على ما نرى — بعض ما تشمله الآية. وفى نظرنا دلالتها أوسع مما ذكروه. والقاعدة على ما قررنا أبلغ، والله المستعان.

وأما قوله تعالى: «وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال» فموقعها مما قبلها يشبه ما يسميه علماء البديع (الاحتراس) فإنها تدفع ما قد يتوهمه متوهم من أن العالم حينئذ خاضع لما يجرى من العباد ويأتونه من خير أو شر، فأين قدرة الله وإطلاق مشيئته وإرادته؟ فجاءت هذه الآية لدفع هذا الوهم ورد الأمر الى نصابه الحقيق، ببيان أن من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فما له من هاد، وما تشاءون إلا أن يشاء الله. وكون مشيئة الله أصلا لمشيئة العبد لا يقتلع ما للعبد من مشيئة، فله مشيئة واختيار يبتنى عليهما تكليفه، فيستحق الثواب والعقاب على ما أتى، وتربى فيه الهداية التشريعية إرادة الخير لما فيه من النفع الدائم الخالد، وتنتزع منه حب العاجلة حبا يضيع عليه الآخرة الآجلة. فهو مختار بلا شك، ومكلف أن يتخير ما فيه الخير الحقيقى لنفسه. وقد بين له الطريقين «وهديناه النجدين» «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا».

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومعنى الآية الكريمة أنه تعالى مع كونه قد ربط مايصيب العباد من سعادة وشقاوة بما يصدر منهم من خير أو شر ، وأنه لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فيستحقوا ماينزله بهم من شقاء أو نعيم ، فإنه مع ذلك نافذ الإرادة فى ملكه وفى خلقه ، فإذا أراد بقوم سوءا أوقعه بهم لا يدفعه عنهم دافع ، فهو القاهر فوق عباده ، فاتقوا سطوته وخافوا غضبه ، فإنكم إذا تعرضتم لغضبه أنزل بكم ما تستحقون ، ولا يكون لكم من يلى من أمركم شيئا ، ولا يرد عنكم سوءا . فقوله : « وما لهم من دونه من وال » أى لا يكون لهم حينئذ من يعصمهم من عذاب الله أو ينصرهم إن أراد بهم العذاب . نسأله تعالى النجاة من غضبه ، وأن يصيبنا برحمته :

قال تعالى : « هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال » :

ما أحسن ما فى الآية الدالة على عظيم قدرته وأنه لا راد لقضائه بهذه الآية الكريمة التى تريهم مظهرا من مظاهر القدرة لا قبل لهم باتقائه ولا الفرار منه ، ولا يعصمهم منه من دون الله من عاصم : ذلك هو مايرونه من الآيات السماوية تنقض على الناس من فوق رءوسهم من غير سابقة إنذار ، فإذا بها قد أصابتهم من حيث لا يشعرون ، فأين يفرون وبأى ملجأ يعتصمون ؟ أفلم يروا الى البرق يفاجئهم فتختلف بهم النزعات ما بين خوف من رهبته وقوته ، وطمع فيما يبشر به أن يتلوه من غيث ومطر ، فتلعب بقلوبهم العوامل المختلفة ، وتهتز جوانحهم رغبا ورهبا ، لا يملكون أن يدفعوا عن قلوبهم تلك الهزات فضلا عن أن يدفعوا مصدرها أن يصيبهم بالهلاك . فهل يبقى بعد هذا قلب لا يخضع لعظمة الله ويخشى سطوته ويرجو رحمته ؟ أفما آن لكم أن تعترفوا بعجزكم ، وترجعوا الى الهدى الذى يجيئكم من ربكم ، وهو الذى ينشئ السحاب الثقال ؟ وقد علمتم أن ذلك مياه متجمعة فى الجو ، فلو كان الأمر قاصرا فى التصريف على ما عهدتم لكانت تلك المياه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بحاجة الى إناء سميك يحفظها ، ومكان ثابت ترتكز عليه لثقلها ، ولـكن قدرته والنواميس التي بثها في ملـكه دلائل على قدرته ، أوسع من أن تقف عند ما تعهدون ، وأن تقتصر على ما تعتقدون ، فإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فأين أنتم وماذا تظنون ؟ .

وهو الذي يسبح الرعد بحمده بما يدل على عظمة مبدعه وواسع قدرة منشئه ، فينطق كل قلب وكل لسان بتحميد منشئه وتمجيده ، ذاك أن المرء متى رأى الأمر العظيم الذي يهوله ، انطلق لسانه بتحميد مبدعه ، بل قال إن هذا آية ناطقة بتمجيد فاعله : « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » فليس بلازم أن يكون التسبيح بالنطق اللساني ، بل أين نطق لسان المقال من صدق لسان الحال ؟ على أن التسبيح اللساني لا استحالة فيه ، فلا نرى ما يمنع من الحمل عليه اذا صحت الرواية المعصومة بتفسيره به . وأنت ترى في هذا الذي قلنا ما يبين معنى التسبيح من الرعد ، فهو إما بمعنى حمل العباد الشاهدين له السامعين لصوته على تسبيحه تعالى وتنزيهه ، وإما بمعنى دلالته على أنه جل شأنه منزه عن كل عجز أو نقص ، مستحق لـكل ثناء وحمد ، فيكون على الأول من باب المجاز العقلي ، أي يسبح سامعوه ، وعلى الثاني من باب المجاز اللغوي ، أي يدل على تنزيهه عز وجل . والباء في يسبح بحمده للمصاحبة ، أي ينطق بتنزيهه تعالى عن كل ما يليق ، تنزيها مصحوبا بالثناء عليه بصفات العظمة .

وقوله : « والملائكة من خيفته » أي وتسبح الملائكة خوفا منه تعالى ، فانه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . ومن ذا الذي يعلم من عظمة البارى ما تعلمه الملائكة المقربون ولا يمتلئ هيبة وخشية ؟ وهل لا يكون الخوف إلا من وقوع العذاب ؟ ألا فليعلم أن خوف الرهبة ربما قتل وأهلك بمجرده . والملائكة هم عباد الله المكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهم بتصريف الكائنات العالمية موكلون ، فما من عالم من بحار ورياح ، وسحاب ورعد وبرق وزرع وحيوان ، إلا وعليه ملائكة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مصرَّفون بأمر ربهم ، حافظون عليه كيانه وآثاره ، يحفظونه مما هو عرضة له بأمر ربهم ، كما سبق فى تفسير « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » « وما يعلم جنود ربك إلا هو » وليس هذا عن حاجة المولى عز وجل اليهم ، حاش لله ! ولكنه نظام الملك كاملا ، وآثار العظمة باهرة .

قال تعالى : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » :

هذا من تتمة الدلائل السابقة التى تملأ النفوس رهبة وخشية ، ولعلها أشدها فى إيجاب الحذر والخوف ، فالصواعق تنقضُّ على حين غفلة ، وتنزل على ما تصيبه بغتة فأين منها المفر وهى يصيب بها من يشاء ؟ ودع ما يتعلل به المتعللون من نصب جاذبات الصواعق على ظهور البيوت ، يزعمون أن معدنا خاصا يجذب الصاعقة النازلة اليه فينجو باقى البيت ، فهب هذا فما الذى يعصم صاحب البيت فى غدواته وروحاته ، بل ما الذى يعصم البيت من أن تكون الصاعقة قوية تستأصل الجاذب وما يحيط به ؟

يا للعجب ! كل هذه الدلائل الباهرة تتراءى لهم وتتكرر أمامهم وهم يجادلون فى الله جدال من يشك فى قدرته وواسع علمه ، فهل بعد هذا من غفلة ؟ وهل غير هؤلاء القوم يرثى لهم ولما أصيبوا به فى عقولهم ؟ أفما كفاهم كل هذا حتى لا يزالون يجادلون فى الله وفى قدرته وهو شديد المحال ؟ أى شديد الحول عظيم القوة ، على أن الميم زائدة ، أو هو شديد الكيد عظيم التدبير ، من قولهم : تمحل لكذا ، أى تكلف استعمال الكيد واجتهد فى الحيلة . والمراد بمثل هذا أثر ذلك لا حقيقته ، فهو كقوله تعالى : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » فإن حقيقة المكر مستحيلة عليه تعالى ، والمراد لازمه وهو أخذهم على غرة من حيث لا يحتسبون ، فكذلك هنا : المراد وهو شديد الكيد بالإيقاع بهم وإحباط مساعيهم والتغلب عليهم بحالة خفية كما يفعل المتمحل المكايد ، والمعنى فيهما متقارب .

هذا والبرق والرعد والصواعق ظواهر جوية معروفة لكل الناس ، ومعرفتها على

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا الوجه كاف فى الاعتبار والازدجار، وفهم كلام العزيز الجبار. أما حقائقها وأسباب تكوينها فلها علوم أخر تكفلت بشرح ذلك شرحا وافيا، فليرجع اليها من أراد استقصاءها. ولعل ما ورد فى بعض الروايات من تفسير الرعد بملك يسوق السحاب وأمثاله، يقصد منه الشارع — إن صحت روايته — توجيه نظر السائل الى ما ينبغى أن يتجه اليه فى الملاحظة عند رؤية البرق وسماع الرعد، من أن يلتفت الى عظمة ملك الله وقوة سلطانه وبديع نظامه، ليملك عليه قلبه، فينتقل من رؤية الآثار الى تسبيح مؤثرها العزيز القهار، فهو من باب ما يسمونه فى علم البديع (أسلوب الحكيم) وهو تلقى السائل بغير ما يترقب تنبيها على أنه الأولى بحاله والمهم له، بل هو الذى ينبغى أن يرجع فيه الى تعليم النبوة. ونظير هذا قوله تعالى: «يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج». سألوا عن السبب فى أن الهلال يبدو صغيرا ثم يكبر، فأجيبوا بالحكمة المترتبة على ذلك، وهى أن يرتب الناس مواقيتهم ومصالحهم الدينية والدنيوية، أما دقائق العلوم والصناعات فليست من مقاصد نظر النبوات، وإنما يتوصل اليها الانسان بواسع تفكيره وثاقب نظره، فيهتدى الى ما تحتاج اليه مصالحه فى معيشته. وقد قدمنا لك أن لكل عالم من العوالم ملائكة موكلين بتصريفه وتدبيره وهم من أمر الله، وليس ذلك لعجز عن أن يستقل بالأمر، أو لاحتياج اليها فى تدبير الملك، بل لاستكمال النظام. كيف وهو رب كل شىء، وخالق كل شىء، والعالم بكل شىء، وهو على كل شىء قدير؟

نسأله تعالى أن يمن علينا بالهدى، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والله المستعان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ابراهيم الجبالى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام والفلسفة

نظرة تاريخية :

كان العرب فى جاهليتهم أمة بدوية رحالة تنتجع مساكب الغيث وتستوطن منابت الكلأ ، فشغلتها هذه المشقة العنيفة فى سبيل تحصيل المعاش وجلب القوت عن التأمل فى أسرار الكون والطموح الى معرفة نشأته ومصيره ، ولم يحل بينهم وبين الانتاج الفلسفى ضيق طبيعى فى عقولهم ، وقصر فطرى فى أذهانهم كما يزعم « أرنست رينان » فى كتابه « خطب ومحاضرات » الذى رمى فيه العقلية العربية بأقبح الصفات ، ووصمها بأشنع العيوب . وأسطع برهان على بطلان رأى « رينان » هو أن العقلية العربية استطاعت فيما بعد ، أى حين هيأ لها الاسلام الفرص الملائمة ، أن تبرّز فى الفلسفة ، وأن تأتى فى كل النواحى العقلية بالعجب العاجب كما يظهر ذلك من دراسة فلاسفة الاسلام .

أما أخلاقهم وطباعهم فى ذلك العصر الجاهلى ، فقد كان كثير منها غاية فى الغلظة والقسوة والبربرية . وأما تشريعاتهم فكان يكتنفها نوع من الهمجية لا يعرف له نظير إلا لدى الأمم المتوحشة . وأما دياناتهم فكانت وثنية ساذجة جافة لا روح فيها ولا حياة ، تسير فيها العبادة على نسق لا يسيغه العقل ولا يؤيده المنطق أو الذوق السليم . وعلى الجملة ، فقد كانت كل حياتهم الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية مضطربة اضطرابا يؤذن بالخراب والدمار : يشتعل أوار الحرب بين القبيلتين ويستمر أعواما طوالا تزهق أثناءها مئات الأرواح وتيتم مئات الأطفال ، وتئيم مئات النساء ، كل ذلك من أجل سباق حصانين ، أو من جراء كلمة تافهة تخرج من فم شاب متسرع أو ما شاكل ذلك .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلما أراد الله جل شأنه أن ينقذ هذا الشعب من تلك الوهدة السحيقة التى هوى فيها، بعث اليه سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيدا بذلك الكتاب الفخم الذى يقول فى وصفه العالم الفرنسى مؤلف كتاب « فى الدراسات الدينية » ما يلى : « كفى هذا الكتاب مجدا وجلالا أن الأربعة عشر قرنا التى مرت عليه لم تستطع أن تجفف أسلوبه الذى لا يزال غضا كأن عهده بالحياة أمس » .

بل هو الذى تحدى أعداءه على طول الخط أن يجاروا أقصر سورة منه فى ميدان الفصاحة والبلاغة اللتين كانتا كل ماامتاز به العرب من موهبة، فأعلنوا عجزهم، وسلموا الراية لصاحب هذا الدين الجديد، وأخذوا يأتمرون بأمره، وينتهون بنهيه، وهو فى كلتا الحالتين لا ينطق عن الهوى، ولا يصدر إلا عن وحى أو إلهام من أحكم الحاكمين وأعلم العالمين بالخير والمصلحة. فكان من الطبيعى أن تقودهم هذه الأوامر الإلهية الى النظام العمرانى، والرفعة الاجتماعية، والكمال الأخلاق، وهذا هو الذى كان بالفعل، فلم يكد الاسلام يبسط جناحيه على جزيرة العرب حتى رأب صدوعها، ولم شعثها، وجمع متفرقها، وأخذ يضرب بيد من حديد على كل أسباب الفشل والشقاق من عادات العرب وتقاليدهم الهمجية الأولى، ونشر فيهم روح الديموقراطية والسلام، وأعلن فيهم أن الاسلام قد سوى بين رفيعهم ووضيعهم، وحرم عليهم التمسك بتلك العصبية البربرية. فلما تغلغلت فى نفوسهم هذه التعاليم، خلقتهم خلقا جديدا، وكونت منهم خير أمة صالحة لا للحياة فحسب، بل لبسط سلطانها ونشر دينها على قارتى « آسيا وأفريقيا » وجزء عظيم من قارة « أوربا » ؛ ولولا ظروف خاصة ذكرها التاريخ السياسى لاكتسح الاسلام أمامه الديانات الأخرى، ولأظل المعمورة بظلاله الوارفة .

ولما ازدهر الاسلام واستقر سلطان العرب وسرت فيهم روح المدنية، وأخذوا يدونون حوادثهم ويقيدون معارفهم، شأن الأمم الآخذة فى الرقى، كان بدهيا أن يحدث

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بين هذه المعارف المدونة شيء من الخلاف فى الرأى والتفكير ، لا سيما وأن القرءان قد أباح لهم التأمل والتفكر فى أسرار الكون ، بل طالبهم بهما ، وأوجبهما عليهم كما سنشير الى ذلك عند ذكر أسباب تفلسف العرب .

اختلفت آراء المسلمين حول العرضيات والثانويات الاسلامية منذ ذلك الحين ، ولكنها كانت كلها اختلافات محصورة فى دائرة لا تتعداها ولا تخرج عليها ، وهى دائرة الخضوع للكتاب والسنة . غاية ما فى الأمر أن بعضهم يأخذ بظاهر الكتاب ، والبعض الآخر يبيح التأويل ، وهذا طبيعى ما دام أن فى القرءان آيات محكمات ، وأخر متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله . فدعت هذه الحالة الجديدة الى الحاجة الماسة الى التأليف وتدوين تفسير القرءان ، والخوض فى أدلة وجود الله ووحدانيته وقدرته ، الى غير ذلك مما كوّن علم الكلام الذى كان له فيما بعد شأن عظيم فى تاريخ الحركة العقلية الانسانية .

ولما اتسعت فتوحات الاسلام واحتك العرب بالأجانب من الفرس والروم والهنود والمصريين ، واطلعوا على ما فى هذه الأمم من معارف وثقافات ، زادت معلوماتهم ، وشحذت أذهانهم التى فطرت على الحدة والتوقد ، ومنحت جانبا عظيما من الذكاء والعبقرية ، فاجتمعت لديهم ثروة علمية ضخمة هيأت لهم فرصة البحث والتفكير والاستنتاج ، فبحثوا واستنتجوا ، ووازنوا بين ما ترجموه من فلسفة اليونان والهند والفرس ، وانتقوا منه أصلحه وأقربه الى العقل المستقيم ، ثم مزجوه بتعاليم دينهم ، فكوّنوا من هذا المزج فلسفة مستقلة خاصة بهم ، للاسلام فيها جزء ، وللفلاسفة المنقولين من الأجانب جزء ، ولعقولهم الناضجة المستقيمة الباقى . وإذاً فلم يكن فلاسفة العرب نقلة أو تراجمة كما يقول المتعنتون ، وإنما كانوا ذوى آراء مستقلة ، وأصحاب فكر مبتدعة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« أسباب تفلسف العرب »

السبب الاول — القرآن:

لاريب أن كل من يلقى نظرة فاحصة على القرآن ، ويتأمل فى آياته الدافعة الى التدبر والتفكير فى شيء عظيم من الجد ، يتضح له أن هذا الكتاب الكريم هو أول أسباب تغلغل الفلسفة فى البيئات العربية ، بل هو أول كتاب سماوى فرض تعلم الفلسفة على أتباعه فرضا ، وأوجب عليهم التفكر فى أسرار الكون وخفايا الوجود ، ليصلوا من هذا التفكير الى معرفة المبدع الأول والايمان به ، والتيقن بخلود الروح وبالعودة الى حياة أخرى تتحقق فيها عدالة الخالق بمجازاة الخيّر والشرير بما يستحقانه على عمليهما . وهل الفلسفة الحقة شيء غير هذا ؟ وهل هناك فرق بين دعوة الفلسفة معتنقيها الى التأمل فى نشأة العالم ومصيره ، وفى عظمة الكون ونظام تسييره ، وبين هذه الآيات القرآنية التى تقول : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » ؟ « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجومُ مسخرات بأمره ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وماذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ، إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون » .

تأمل كيف يدعو القرآن الناس الى التفكر فى سير الكواكب مذعنة لنظام رسمته لها قدرة الله العالية ، ولو تعدته لاصطدم بعضها ببعض ، ولهوت كلها فى لحظة واحدة الى مكان سحيق . ثم تأمل كيف يلفت أذهانهم الى أن النبات لا ينبت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إلا بوساطة الماء ، ليفهمهم أن المسببات أسبابا ، والمعلولات عللا ناشئة عنها ومترتبة عليها ، وتلك هى جزئيات الفلسفة . بل انظر الى قول القرآن حين ينتقل بالناس من الأمر بالتفكر فى الكون العام الى التأمل فى النفس وما اشتملت عليه من خفايا وأسرار فيقول : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ؟ .

السبب الثانى لتفلسف العرب — الترجمة :

أسلفنا أن القرآن هو العامل الأول الذى فتح للعرب باب البحوث الفلسفية المؤسسة على المنطق والتأمل ، فظهر لهم شىء من هذه البحوث يدور حول علوم الدين من توحيد وتفسير وفقه ، وخصوصا استنباط الأحكام الشرعية من القرآن والحديث ، ولم يحاولوا فى أول أمرهم أن يتغلغلوا فى غير ذلك من البحوث الفلسفية التى دفعت غيرهم اليها الحاجة الى اكتشاف الحقيقة المطلقة ، لأنهم كانوا فى غنى عن اكتشاف تلك الحقيقة بوساطة المجهود الانسانى ما داموا قد حصلوا على غايتهم منه بوساطة الوحى الصادق الأمين الذى كان ممثله ، وهو النبى صلى الله عليه وسلم ، لا يزال قائما بينهم أو قريب عهد بهم ، فاكتفوا بالبحث فيما قدمناه من علوم عما لا تدعوهم اليه الضرورة فى ذلك الحين .

ولا شك أن هذا طليعة ساخرة من طلائع الفلسفة ظهرت فى صور الاسلام وأخذت تنمو وتتزايد الى أن بدئ فى الترجمة عن الأجانب من يونان وفرس ، بوساطة السريانيين فى أواخر الدولة الأموية ، وهذه الترجمة وإن كانت قليلة وضعيفة إلا أنها أوجدت فى النفوس شيئا من الشغف بالفلسفة والمعارف الأجنبية .

ولما استولى بنو العباس على زمام الملك واستقر لهم الأمر ، شرع أبو جعفر المنصور بمشورة وزرائه من الفرس فى الترجمة عن الهندية والفارسية واليونانية . وإذ كان هذا الخليفة عالما مفطورا على الميل الى الفلسفة من ناحية ، ورأى من ناحية أخرى أن أعظم الممالك وأجلها وأخلدها ما قام على أسس العلم ودعائم المعرفة ، فقد أجزل العطاء للعلماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والمترجمين، وقربهم من مجلسه، وشجعهم بالاحترام والاجلال على السير فى خططهم، وكانت هذه سنة حسنة سرت فيمن أتى بعده من الخلفاء، فنجم عنها تضاعف حركة النقل وزيادة الانتاج فى الترجمة والشرح والتعليق الى أن بلغت هـذه الحركة أوجها فى عهد الخليفة المأمون الذى أنشأ مكتبته الفخمة المعروفة فى التاريخ بـ (دار الحكمة) ورأس عليها (حنين بن اسحاق) وكان من أكابر العلماء الذين تثقفوا بالمعارف الأجنبية ومن أكثرهم إنتاجا فى الترجمة والشرح وكتابة التعليقات. ولا شك أن هـذه الميزة العلمية العظمى هى التى حدت المأمون الى ترئيسه مكتبته مع مسيحيته.

فلسفة المترجمين ومن أخذ عنهم:

كثر المترجمون فى العصر العباسى كثرة تجعل إحصاء أسمائهم من الأمور المتعذرة، ولم يكونوا هم ومن أخذ عنهم مجرد نقلة وحملة لتراث الأمم القديمة كما يزعم المتحاملون، وإنما كانوا كما أسلفنا أصحاب آراء خاصة وأفكار مستقلة، واستنباطات حرة، وترجيحات مستقيمة من شأنها أن تدرجهم فى عداد الفلاسفة.

أما ما يأخذه عليهم خصوم العربية من أنهم لم يبتدعوا مذاهب فلسفية جديدة، فإنه حق بالنسبة الى المترجمين، ولكن له أسبابا ذكرها مؤرخو الفلسفة نوجزها فيما يلى:

١ — أن الكثرة الساحقة من هؤلاء التراجمة كانت مسيحية خاضعة لتعاليم الإنجيل والكنيسة التي كانت قد وصلت الى حـد بعيد فى اضطهاد الفكر الانسانى وحصره فى دائرة ضيقة لا يتعداها، فتأثر المترجمون المسيحيون بهـذا الضغط ولم يستطيعوا أن يطلقوا لأذهانهم أعنة التفكير الحر فى ميادين الفلسفة الابتداعية.

٢ — ومن الأسباب المانعة لظهور مذاهب مستقلة لتراجمة العرب، هو أن أكثرهم كان يشتغل بالطب كمهنة أساسية، وأما الفلسفة فلم تكن إلا ثانوية، فعاقهم هذا الاعتبار عن الإبداع فيها.

٣ — يروى بعض مؤرخى الفلسفة أن من هذه الأسباب التى حالت بين المترجمين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وبين الابتداع ، هو أنهم كانوا جميعا فى خدمة الخلفاء والأمراء ، وأن هؤلاء كانوا يتملقون الجامدين من الفقهاء والعامة ، فلم يكن يرضيهم أن يطلق المترجمون الأعنة لأفكارهم فتسير بحرية قد تشوك الجامدين والمتعصبين . ونحن لا نستطيع أن نوافق على هذا السبب الأخير ، لأن العقيدة الاسلامية الخالصة من الخرافات لا تجزع من الفلسفة ولا تضطرب من صولتها ، بل لا تصطدم معها البتة ، وإذاً فلم يكن الفقهاء فى حاجة الى التملق أو الى الاسترضاء . وفوق ذلك ، فإن أجلاء الخلفاء كالمنصور والمهدى والرشيد والمأمون كانوا أكبر من أن يتملقوا العامة بتأييد ما يعتقدون أنه باطل ، وهدم ما يؤمنون بأنه حق ونور .

ومهما يكن من الأمر ، فإن تراجمة العرب لم يبدعوا المذاهب مستقلة ، وإن كانوا قد برزوا فيما عدا ذلك تبريزا يستوجب الاحترام والاجلال .

الكتب المترجمة :

يلاحظ المطلع على أسماء الكتب التى ترجمت الى العربية عند إلقاء النظرة الأولى أن مؤلفات (أرسطو) لها المرتبة العليا بين المنقولات اليونانية . وقد علل بعض المؤرخين هذه الظاهرة بأن ابن المقفع قد نقل منطق (أرسطو) الى اللغة العربية فى بادئ الأمر ، فلفت أنظار الناس الى منتجات هذا الفيلسوف ، فمالوا اليها ، وطلبوا ترجمتها ، ولكن يظهر أن السبب فى هذا هو أن هذه المنتجات (الأرسطوطاليسية) تتفق فى كثير من الأحيان مع ميول العرب ومع بعض تعاليم الاسلام ، ولا سيما ما فيها من منطق واقعى ، وأخلاق عملية ، وسياسة اجتماعية ، ونظر صائب الى الحياة ، واعتبار الجسم الانسانى كأحد عنصرى الوجود لا يصح إهماله ولا الاستهانة به . وهذه الأسباب هى التى وضعت كتب (أرسطو) فى الدرجة الأولى من درجات الترجمة . واليك بعض هذه الكتب التى ترجمت فى العصر العباسى من مؤلفات (أرسطو) خاصة :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ترجم حنين بن إسحاق شرح (تيمستيوس) على الكتاب الحادى عشر من (ما وراء الطبيعة) وكذا كتاب (المقولات) وكتاب (الطبيعة) وكتاب (الأخلاق).

ونقل ابنه وتلميذه اسحاق بن حنين الى العربية من مؤلفات (أرسطو) : (ما بعد الطبيعة) وكتاب (النفس) وكتاب (العبارة) وكتاب (الكون والفساد) مع تفاسير مختلفة (للاسكندر الأفروديسى) و (فرفريوس) و (تيمستيوس) و (أمينيوس)

ونقل ابن ناعمة الى العربية شرح يحيى النحوى على كتب : (الطبيعة) الأربعة لأرسطو.

ونقل أبو بشر متى بن يونس من السريانية الى العربية كتابى : (البرهان) و (الشعر).

ونقل فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكندى الى العربية الكتاب الثالث عشر من (ما وراء الطبيعة) وكتاب : (تحليل القياس) و (البرهان) و (شرح المقولات) ووضع كتابا فى ترتيب كتب (أرسطو).

وقد أشرف المعلم الثانى (أبو نصر الفارابى) على ترجمة بعض الكتب التى سلف ذكرها . واختصر المنطق على نهج المتكلمين ، ووضع له مدخلا ، وشرح (المقولات) و (العبارة) و (تحليل القياس) و (البرهان) و (الجدل) و (الخطابة) وكتاب (الطبيعة) وكتاب (السماء والعالم) وغير ذلك مما يطول الكلام عليه .

سنقف بك اليوم عندما قدمناه إليك من نشوء الفلسفة ودروجها بين أعطاف الاسلام ، ومن أمره العالى بالعطف عليها والعناية بها ، وسنحدثك فى الفصل المقبل عما أحدثته الترجمة الأجنبية فى العقلية العربية والمنتجات العربية من آثار بارزة النتائج لا فى الفلاسفة المسلمين وحدهم ، بل فى المتصوفين والمتكلمين والفقهاء ، كما سنحدثك عن مصير الفلسفة فى الغرب الاسلامى ، وعن محاولة الفلاسفة التقريب بين الفلسفة والدين ومجهوداتهم فى ذلك ، إن شاء الله؟

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

محاريب المساجد

هل هى مذابح أهل الكتاب ؟

رأيت طائفتين من المسلمين مختلفتين : هل محاريب مساجد المسلمين هى مذابح أهل الكتاب المنهى عنها أم لا ؟ وسئلت عن ذلك فرأيت أن أكتب كلمة فى هذا الموضوع بعد البحث والتحرى ، فقلت :

قال ابن الأثير فى النهاية : « المذبح واحد المذابح ، وهى المقاصير ، وقيل المحاريب » . وفى القاموس : « والمحراب : الغرفة ، وصدر البيت ، وأكرم مواضعه ، ومقام الامام من المسجد ، والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس ، والأجمة ، وعنق الدابة » .

والمذبح عند أهل الكتاب مقصورة يبلغ ارتفاعها مترا ونصف متر ذات أعمدة أربعة ليس بينها حواجز، وفوقها سقف تحته خلاء يوضع فيه القرابين وبعض دم المسيح فى اعتقادهم وبعض ماء المعمودية فى الأعياد ، وبعد الصلاة يخرجها الكاهن ويوزعها على من فى المعبد تبركا . وهذه المقصورة داخل حجرة فسيحة أمام المعبد يصعد اليها بسلم ذى درجات قليلة تسمى الهيكل لا يدخله إلا الكهنة وأرباب الخطايا الذين يريدون الاعتراف بذنوبهم للكاهن كى يطلب لهم المغفرة . فالمذابح المنهى عنها بما رواه البيهقى فى السنن الكبرى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « اتقوا هذه المذابح » وما رواه ابن أبى شيبة عن موسى الجهنى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تزال هذه الأمة — أو قال أمتى — بخير ما لم يتخذوا فى مساجدهم مذابح كمذابح النصارى » هى المحاريب بالمعنى الخاص ، وهى الغرف التى تكون على شكل المقاصير فى حجر الهياكل، لأنها من شعائر دينهم وخاصة بكنائسهم كما قال ابن مسعود رضى الله عنه : « إنما هى للكنائس فلا تشبهوا بها » لا المحاريب بالمعنى العام لأنه لا يقول بذلك أحد . ولذا أتى النبى عليه الصلاة والسلام فى حديث

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عبد الله بن عمر باسم إشارة المحسوس وأل العهدية ، وفى حديث موسى الجهنى بأداة التشبيه . وعبر فيهما بالمذابح التى هى محاريب بالمعنى الخاص ، ولم يعبر بالمحاريب التى هى أعم .

ويماثل هذه المذابح تمام المماثلة المقاصير التى تتخذ فى المساجد وغيرها على قبور بعض أموات المسلمين داخل حجر القباب التى تشبه الهياكل ، فإنها مثل المذابح شكلا ووضعا . وكثيرا ما رأيت الجاهلات من المسلمات ينظفن هذه المقاصير بقلانس أولادهن وثيابهم ، ويضعن فى تلك المقاصير ماء فى إناء ويتركنه ليلة ثم يسقينه للمريض ويغسلنه به للاستشفاء والتبرك ، فهذه المقاصير هى المذابح المنهى عنها بالأحاديث المتقدمة .

وأما محاريب مساجد المسلمين المعروفة الآن ، فهى علامات غير مجوفة اتخذت فى وسط حوائط المساجد القبلية بنحو جص ، أو تجاويف فيها منعطفة وهى الطاقات لتكون دليلا على جهة القبلة لمن لم يعرفها ، وتكون مبينة لمقام الإمام من المأمومين ، لأن السنة أن يقف الامام إزاء وسط الصف . فهى مخالفة لمذابح أهل الكتاب شكلا ووضعا وغرضا ، كما يعلم ذلك من رؤية المحاريب فى المساجد ، والمذابح فى الكنائس ، فإنى رأيت ثلاثة مذابح فى الكنيسة المرقسية بالاسكندرية على الشكل والوضع الذى بينته ، وعرفت الغرض منها من أحد الكهنة ، وعرفت منه ومن بعض كبار المسيحيين أنها فى جميع الكنائس على هذا الوضع والشكل والقصد . فليست محاريب المساجد هى المذابح المنهى عنها ، لأنه ليس كل محراب مذبحا . والحكم عند الفقهاء بكراهة الصلاة داخلها لا لأنها مذابح كمذابح النصارى ، بل لما يترتب على ذلك من اختفاء الامام عن المأمومين ، فتشتبه عليهم حركاته وسكناته ، ولئلا يكون هناك صورة فرقة فى أكبر عبادة تقتضى الوحدة .

لا يقال إن النبى عليه الصلاة والسلام ترك وضع هذه العلامات فى المسجد مع وجود المقتضى فتركها سنة وفعلها بدعة ، لأن النبى عليه الصلاة والسلام غرز خشبة فى مسجد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قوم أسامة الجهني بعد أن خطه لهم لتكون دليلا على جهة القبلة ، فدل هذا على مشروعية وضع علامة عليها لإرشاد الضال ، فهي من قبيل التعاون على البر ولا خصوصية للخشبة إلا بدليل

هذا على أنه لم يكن لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم محراب في زمنه ، وأحدثه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . وقد روى البيهقي في السنن الكبرى عن وائل بن حجر قال : « حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ — أو : حين — نهض الى المسجد فدخل المحراب ثم رفع يديه الى التكبير ثم وضع يمينه على يسراه على صدره » فدل ذلك على أنه كان لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم محراب في زمنه

وتأويل المحراب في الحديث بصدر المسجد وأشرف مكان فيه ، غير ظاهر اللفظ ، لأنه لا يقال في اللغة دخل الشيء إلا إذا كان الشيء بحيث يمكن الدخول فيه والخروج منه ، وصدر المسجد وأشرف مكان فيه ليس كذلك ، وكان المناسب « نهض الى المسجد ووقف في المحراب » .

فالمحراب الذي اتخذه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حائط مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وجعله علامة ثابتة على جهة القبلة على الوصف الذي يراه المسلمون الآن مخالف لمذابح أهل الكتاب من كل وجه كما يعلم بالمشاهدة ، وليس بدعة ، وكذلك محاريب مساجد المسلمين ، فلا تدخل تحت النهي . أسأل الله التوفيق الى الصواب ؟

عمر الجندي
مراقب معهد الاسكندرية

القبيح لا يدفع الاحسان

كان الحسن البصري إمام المحدثين مع سعيد بن جبير وهو من أجلاء علماء التابعين يشيعان جنازة ، فسمع سعيد أصوات النوائح ، فهم بالانصراف إنكارا لهذه المنكرات ، فقال له الحسن : إن كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا ، أسرع ذلك في دينك .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

حكم تشريح الميت فى الشريعة الاسلامية

ورد إدارة المجلة سؤال من سعادة رءوف باشا سكرتير الجمعية الاسلامية الهندية بسيلان ملخصه استفتاء العلماء عن تشريح الميت . وقد قال فيه :

هل يسمح قانون شريعتنا الاسلامية بتشريح جثماننا أم لا ؟ ثم رجا إدارة المجلة أن تجيبه على عجل . وقد أجاب فضيلة الأستاذ الشيخ الدجوى بما يأتى :

الجواب

ليس عندنا فى كتب الفقه نصوص شافية فى هذا الموضوع . وقد يظن ظان أن ذلك محرم لا تجيزه الشريعة التى كرمت الآدمى وحثت على إكرامه وأمرت بعدم إيذائه . ولكن العارف بروح الشريعة وما تتوخاه من المصالح وترمى اليه من الغايات يعلم أنها توازن دائما بين المصلحة والمفسدة ، فتجعل الحكم لأرجحهما على ما تقتضيه الحكمة ويوجبه النظر الصحيح . فيجب إذاً أن يكون نظرنا بعيدا متمشيا مع المصلحة الراجحة التى تتفق وروح الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان ، الكفيلة بسعادة الدنيا والآخرة . وإذا نقول :

من نظر الى أن التشريح قد يكون ضروريا فى بعض الظروف كما إذا اتهم شخص بالجناية على آخر وقد يبرأ من التهمة عند ما يُظهر التشريح أن ذلك الآخر غير مجنى عليه . وقد يجنى على رجل ثم يلقى بعد الجناية عليه فى بئر بقصد إخفاء الجريمة وضياع الجناية ، الى غير ذلك مما هو معروف ، فضلا عما فى التشريح من تقدم العلم الذى تنتفع به الانسانية كلها ، وينقذ كثيرا ممن أشفى على الهلكة أو أحاطت به الآلام من كل نواحيه ، فهو يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ، الى غير ذلك مما لا داعى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للإطالة فيه . نقول : من نظر الى ذلك الإجمال وما يتبعه من التفصيل لم يسعه إلا أن يفتى بالجواز تقديما للمصلحة الراجحة على المفسدة المرجوحة . ومتى كان تشريح الميت بهذا القصد لم يكن إهانة له ولا منافيا لإكرامه . على أن هذا أولى بكثير فيما نراه مما قرره الفقهاء ونصوا عليه فى كتبهم من أن الميت إذا ابتلع مالاً شق بطنه لإخراجه منه ولو كان مالا قليلا ، ويقدره بعض المالكية بنصاب السرقة أى ربع دينار أو ثلاثة دراهم . وكلام الشافعية قريب من هذا . وربما كان الأمر عندهم أهون وأوسع فى تقدير المال الذى يبتلعه . فإذا قسنا ذلك المال الضئيل على ما ذكرنا من الفوائد والمصالح ، وجدنا الجواز لدرء تلك المفاسد وتحصيل تلك المصالح أولى من الجواز لإخراج ذلك المال القليل . فهو قياس أولوى فيما نراه .

استدراك لابد منه :

غير أنا نرى أنه لا بد من الاحتياط فى ذلك حتى لا يتوسع فيه الناس بلا مبالاة . فليقتصر فيه على قدر الضرورة ، وليتق الله الأطباء وأولو الأمر الذين يتولون ذلك ، وليعلموا أن الناقد بصير والمهيمن قدير ، والله يتولى هدى الجميع .

ماذا يراد بولد الصلب

فى عبارة الواقفين ؟

وورد إدارة المجلة ما نصه :

ما قول العلماء الأخيار المالكية فى وقف أهلى محكوم بصحته ولزومه من حاكم شرعى حنفى من قضاة المسلمين ، وقفه واقف مالكى المذهب ، وشرط أن يكون النظر أولا لنفسه مدة حياته ، ثم للأرشد فالأرشد من أولاده لصلبه ، ثم للأرشد فالأرشد من المستحقين بالفعل الخ فمات الواقف المذكور وخلف ولدين ذكرين وتعينا ناظرين على الوقف المذكور ، ثم مات أحدهما وخلف أولادا ذكورا وإناثا . فهل يقوم أولاد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الولد مقام أبيهم فى نظارة الوقف المذكور مع ولد الواقف المذكور ؟ وهل يتقدم ولد الولد على ولد الصلب إذا كان أرشد منه ، ولا يمنعه قول الواقف : من أولاده لصلبه ؟ وهل قول الواقف : من أولاده لصلبه ، يشمل ولد الصلب وولد الولد معا ، أم لا يكون ولد الولد ولدا صلبيا مع كونه من أولاد الظهور ؟

أفتونا بنص صريح من معتمد مذهب الإمام مالك رحمه الله وآجركم الله آمين ؟

حسين ابراهيم فرج الحباب

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

قد صرح الواقف بأن نظارة الوقف تكون للأرشد فالأرشد ، ورتب فى الطبقات بثم ، فجعل النظارة بعده لأولاد الصلب أولا ثم المستحقين من بعدهم ثانيا .

وحينئذ يجب أن يكون مراده أنه إذا وجد أولاد الصلب وتساووا فى الأرشدية كانت النظارة بينهم . فإذا زاد أحدهم فى الأرشدية اختص بالنظارة . فإذا مات أحدهم وترك أولادا كانت النظارة لأخوته من ولد الصلب ، ولا تنتقل لأولاده لمجرد الزيادة فى الرشد . ومن هذا يتضح أن ولد الصلب فى السؤال يختص بالنظارة دون أولاد أخيه ، وأن قول الواقف : من أولاده لصلبه ، يمنعهم حيث لم يكونوا من أولاد الصلب ، فإن أولاد الصلب هم مَن للواقف عليهم ولادة مباشرة ، وهو معنى كونهم لصلبه ، وأن مجرد زيادتهم فى الرشد على ولد الصلب لا تقدمهم عليه ، لأنها إنما تعتبر بين أفراد الطبقة الواحدة كما قلنا .

بيانه ذلك من كتب الفقه لما أراد السائل :

قال الخرشى فى شرح قول خليل «أو على بنيه دون بناته» : « وكذلك يبطل الوقف إذا وقفه على بنيه الذكور دون بناته الإناث » الى أن قال : « وكلام المؤلف فى بنيه وبناته

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لصلبه ، فيصح وقفه على بنى بنيه دون بنات بنيه ، فهو لا يريد ببنيه لصلبه إلا الطبقة الأولى من ذرية الواقف » . وقال الصاوى فى الحاشية على أقرب المسالك للدردير عند قوله « وكره على بنيه دون بناته على الأصح » بعد نقل الخلاف فى المسألة ، قال : « وكلام المؤلف فى بنيه وبناته لصلبه ، وأما بنو بنيه دون بنات بنيه فيصح وقفه اتفاقا » فقابل أولاد الصلب بأولاد الأولاد . وهذا واضح جلى .

هـذا وليلاحظ أن هذا الوقف على هذه الصورة التى ذكرها السائل لا يعتبر صحيحا على مذهب مالك إلا إذا حكم الحاكم بصحته كما فى السؤال . ولولا ذلك لكان باطلا على مذهب مالك لشرط الواقف النظر لنفسه .

فقد نص فى المـذهب على أن الوقف يبطل بشرط النظر للواقف . ووجهه على ما ذكروا أن فى ذلك جولان يده فيه وعدم حوز الموقوف عليه أو من يقوم مقامه ، ذلك الحوز الذى هو شرط فى تمام الوقف . وقد استثنوا من ذلك صورا منها أن يحكم حاكم بصحته ، لأن حكم الحاكم يرفع الخلاف كما هو معروف .

والخـلاصة أن أولاد الصلب هم أولاد الواقف مباشرة ولا يدخل فيهم أولاد أولاده . وألفاظ الواقف تحمـل على العرف إلا أن يصرح الواقف بما يخالفه كما نص عليه الأمير فى حاشيته على المجموع ، والشيخ حجازى عليه أيضا . وحينئذ فأولاد الأولاد لا يزاحمون أولاد الواقف مباشرة فى النظر ما دام واحد منهم موجودا . ولا ينظر لتفوقهم فى الرشد على أولاد الصلب ، إذ لا حق لهم فيه مع وجود واحد منهم كما تفيده عبارة الواقف . وبهذا تبين جليا أن أولاد الأولاد لا يقومون مقام أبيهم فى النظر على الوقف . وأنه لا يتقدم ولد الولد على ولد الصلب إذا كان أرشد منه ، وأنه لا يشمل ولدُ الصلب ولدَ الولد .

ولعل فى هذا مقنعا وكفاية ؟

يوسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الاسلام والطب الحديث

— ٣ —

قال تعالى : « ويسألونك عن المحيض قل هـو أذًى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » البقرة — الآية ٢٢٢ :

إفرازات الجسم على نوعين : نوع له فائدة فى الجسم مثـل الهضم أو التناسل ، أو إفرازات داخلية تنظم أجهزة الجسم وأنسجته الخ . وهذا النوع يسمى (Secretion) وهو ضرورى للحياة وليس فيه ضرر .

ونوع ليس له فائدة ، بل هو بالعكس يجب إفرازه من الجسم الى الخارج ، وهو مكون من مواد سامة إذا بقيت فى الجسم أضرت به ، وذلك مثـل البول والبراز والعرق والحيض . . . الخ . وهذا النوع يسمى (excretion) .

فهذه الآية الكريمة علّمت الانسان قبـل أن يعرف شيئا عن أنواع الإفرازات أن المحيض أذى وأنه لا يفيد الجسم . وأما الجزء الثانى من الآية الكريمة « فاعتزلوا النساء فى المحيض » فسببه أن الأعضاء التناسلية تكون فى حالة احتقان ، والأعصاب تكون فى حالة اضطراب بسبب إفرازات الغدد الداخلية ، فالاختلاط الجنسى يضرها ، وربما منع نزول الحيض كما يحصـل كثيرا من الاضطراب العصبى ، وقد يكون سببا فى التهاب الأعضاء التناسلية .

وهـذا هو السبب فى أن الطبيب الإخصائى لا يكشف على مرضاه من النساء وقت المحيض .

*
* *

« والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » البقرة — الآية ٢٢٨ :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

معنى الآية صريح ، وهو أنه فى مدة ثلاثة أشهر تكون علامات الحمل قد ظهرت : من عدم وجود الطمث ، ومن الاضطرابات المعدية ، ومن كبر فى الجزء الأسفل من البطن . وميعاد ثلاثة أشهر هو ميعاد موضوع بحكمة فائقة ، لأنه قبل ذلك بشهر يصعب جدا التثبت من الحمل حتى بواسطة الأطباء الاخصائيين بل الكيميائيين ، وبعد هذا التاريخ تكون أعراض الحمل ظاهرة للشخص العادى . نعم قد توجد حالات يصعب الجزم فيها بالحمل أو عدمه حتى بعد مضى أربعة أشهر أو خمسة أو أكثر من ذلك خصوصا عند العوام ، ولكن هذه الأحوال نادرة ، حتى إنها لا يجوز أن تكون محل تشريع خاص . وقد رأيت حالات فى الشهر التاسع اشتبه فيها الاخصائيون ولم تتبين بسهولة بالأشعة ، فهذه النوادر لا تدخل تحت الأحكام العامة .



« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » .
البقرة — الآية ٢٣٣ :

مما لا شك فيه طبيا أن لبن الأم أصح غذاء من كل أنواع اللبن الصناعى ومن اللبن العادى مهما عدل حتى يقرب من لبن الأم . وفائدة الرضاعة للأم مهمة ، لأن اللبن بالنسبة للأم إفراز لمواد بعضها يتزايد مدة الحمل لهذا الغرض . والرضاعة نفسها مفيدة للأعضاء التناسلية ، وتقلل من الاستعداد للحمل مدة الرضاعة عند البعض ، وهذا يمنع الحمل المبادر الذى ينهك القوى .

وأما مدة الرضاعة فهى موضوع فيه آراء كثيرة . ويجب أن نلاحظ صحة المولود وصحة الوالدة والظروف المحيطة بهما . ومما لا شك فيه أن مدة سنتين هى أقصى مدة للرضاعة ، أى بعد ذلك يجب أن يتغذى الطفل بغذاء آخر زيادة عن اللبن .

وقد تغيرت النظريات الطبية فى هذه المدة ، فقد كان الأطباء ينصحون بالرضاعة مدة تسعة أشهر فقط ، وأحيانا سنتين ، ولكن آخر تقرير فى سنة ١٩٣٣ عن فائدة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الرضاعة الطبيعية للجسم والأسنان يقول : إن المدة يجب أن تكون فوق السنة ويستحسن أن تكون سنتين كاملتين .

***

« الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ... » الخ الآية ٢٥٥ :

هذا أبلغ وصف فى الاختلاف بين الذات الالهية و بين الانسان ، فبعد أن وصف الإله بأنه حى ، وصفه بأن صفة الحياة فيه تختلف اختلافا كليا عن حياة الحيوانات ، لأن كل شيء يحتاج الى النوم والإله لا ينام أبدا . ولم يتقدم الطب فى معرفة كنه النوم وأسبابه كلها ، ولكن آخر الأبحاث يضع النوم صفة أساسية للأنسجة التى فيها الحياة ، فالتغييرات التى تحدث فى الأنسجة وقت الحركة هى سبب الاستراحة والنوم . وبالنوم تستعيد الأنسجة سيرتها الأولى كما كانت ، وهكذا . فالنوم ضرورى للحياة ، كما أن الحياة والحركة ضروريتان للنوم . وبالاختصار إن النوم أشبه شيء بالموت ، إلا أنه موت وقتى ، فكأن الله تعالى يقول : إنه حى باق لا يموت . وإلا فلو جاز عليه النوم لجاز عليه الموت لأنه لا حياة بدون نوم .

وإذا علمنا أن ما كتب عن النوم وعن أسبابه فى الألفين من السنين الأخيرة يملأ مجلدات كثيرة حتى إن بعض الفلاسفة والأطباء فى أوقات مختلفة كتبوا عن إرشادات لمنع النوم لأنه مضيعة للوقت ولا فائدة منه ، ظهرت لنا حكمة الله ، وظهر لنا أن القرآن لا يأتيه الباطل أبدا ، لأنه وضع النوم شرطا أساسيا لكل حى . وقد اتجهت الأفكار أخيرا — وجميع المشاهدات العلمية تؤكدها — الى أن النوم ناشيء من تغييرات كيميائية تحدث من الحركة فى الأنسجة ، فاذا استمرت هذه التغييرات ومنع النوم بالقوة ، أدّت الى الموت .

أما إذا تركت وشأنها فانها تؤدى الى النوم الذى يعيد التغييرات الكيميائية الى ما كانت عليه قبل الحركة . وهكذا تستمر الحالة بين الحياة نهارا والموت الوقتى ليلا .

***

« أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنّه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير . وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصُرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم » الآية ٢٥٩ :

من غرائب النوم أن الانسان إذا نام وصحا من نومه لا يمكنه أن يعرف مقدار النوم أكان مدة قصيرة أم آجالا طويلة ، وعليه أن يعتمد على ما يقوله الناس له . وهذا معنى قوله تعالى : « فلما تبين له » لأنه بعد أن نام مائة عام لم يعرف الزمن الذى مر عليه إلا بالفحص وبسؤال الناس الذين حوله . ونوم الانسان مائة عام معجزة ككل المعجزات التى من صنع الله وهى كخلق كل المخلوقات . وسأشرح ذلك فى تفسير آيات أخرى . والله لطيف بعباده يختار من طرق الشرح لعبيده ما يتناسب مع عقولهم . وهذا هو أيضا معنى قسمة الطير التى أمر بها ابراهيم عليه السلام ، لأن إحياء الطير بعد موته لا يقل فى الاعجاز عن خلق آدم أو عن إحياء جميع الموتى . ولكن مخ الانسان لا يستطيع صدمات قوية ، إذ عند وقوعها إما أن ينتحر أو يذهب لبه . ولهذا كانت المعجزات فى شكل سهل التناول ، مع أن أبسطها هو من مميزات القدرة الالهية ولا يتسنى العالم كله أن يأتى به .

* * *

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » البقرة — الآية ٢٧٨ :

هذه الآية التى تحرم الربا يترك تفسيرها لعلماء التشريع والاقتصاد ، ولكنى سأتكلم عن نقطة طبية واحدة ، وهى تأثير الانفعالات العصبية التى تحدث عند عدم تمكن المدين من الدفع . وكم شاهدنا حالات أدت الى ظهور البول السكرى ، وزيادة ضغط الدم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والشلل ، وأرق قد يؤدى الى الجنون ، لأن الاضطراب العصبى فى هذه الظروف يزيد مادة الأدرنالين فى الجسم ، وهذه تؤثر فى الضغط الدموى وإفرازات البانكرياس . هذا الى أن هذه الانفعالات لا تتفق مع النفس المطمئنة التى يخاطبها الله بقوله : « يأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية » والتى لا تكون إلا حيث يكون الإيمان الثابت .

وقد دلتنا الأزمة الأخيرة على أن الدائن لا يقل ضررا عن المدين ، فقد أفلس أناس كثيرون لأن مدينيهم لم يؤدوا ديونهم ، وأكبر المصارف العقارية فى العالم كانت فى خطر الإفلاس وما زالت ، لأن الزارعين لم يؤدوا ما عليهم ، فاضطر مساهمو هذه المصارف الى أن يشاطروا المدينين فى الحالة التى تدهوروا اليها .

وهكذا علمتنا الأزمة أن الدائن والمدين اذا استعملا الربا حق عليهما قوله تعالى : « فأذنوا بحرب من الله ورسوله » .

وأما الدائنون من الأفراد الذين يتعاملون بالربا أضعافا مضاعفة ، ويرتهنون أشياء ثابتة لا تنزل قيمتها مثل الذهب ، فضررهم من الوجهة الصحية شديد ، لأن الإثراء السريع يؤثر فى الأعصاب أكثر من المصائب ، وذلك لأن الانسان عند حدوث المصيبة يعالج صدمتها بالأمل فى زوالها أو التعويض عنها ، وهذه حكمة إلهية لاتقاء الصدمات . وأما الانفعالات الناشئة من العلو دفعة واحدة فالانسان غير قادر عادة على اتقائها ، لأنه لا يتصور زوالها ، إذ لو تصور ذلك لذهبت سعادته وذهب سروره بها . وكثير من الأمراض العصبية غير العضوية ينشأ من مثل هذه الحالات .

أما الكسب الحلال مثل التجارة والزراعة ، فانه يأتى تدريجا . ومهما كان كثيرا فى النهاية فان صاحبه يرقبه من يوم الى يوم ويتوقع الكسب يوما والخسارة يوما آخر . وبهذه الانفعالات الوقتية المتكررة يقوى على احتمال الصدمات النهائية من الكسب والخسارة ؟

دكتور عبد العزيز اسماعيل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

آيات الله فى الكون

إن تعرُّف آيات الله فى الكون من أهم أغراض الاسلام ، فانها تهدى العقل الى وجوه الاستفادة منها ، والى العقائد الحقة ، بطريق البرهان الواضح . لذلك نرى أن لا نخلى مجلة نور الاسلام من هذه المعارف الكونية ، على قدر ما تتطلبه الحاجة الروحية والعقلية ، فنقول :

لا نريد أن نبرح عالم الحشرات حتى نستفيد بما أودع فيه من بدائع الصنع التى تشحذ النظر والاعتبار ، فان الخالق جل وعز قد أمد هذه الكائنات الضعيفة من وسائل الحياة بما يخفى على من ينظر إليها نظرا سطحيا ، وهو فى الحقيقة من أفعل المعارف فى تقويم النفسية الانسانية .

فمن أعجب أحوالها ، وأكثرها خفاء على جمهور الناس ، تتابع استحالاتها الحيوية من بويضة الى دويدة الى شرنقة الى فراشة ، وأن بين كل استحالة من هذه الاستحالات بونا بعيداً ، حتى ليظن بعضها مقطوع الصلة ببعض ، لشدة ما بينها من التباين فى التركيب والمظهر والغاية .

ففى أول هذه الحالات وهى البويضة لا يكاد الباحث يجد فيها مظهرا من مظاهر الحياة ، فهى لا تفترق عن حبة من الرمل . ولما تنفرج هذه البويضة بعد أيام عن دويدة ، تجد أمامك كائنا رخوا حقيرا شديد النهم يغوص فى الوحل ، أو يندسّ فى الحشائش الرطبة .

فاذا جاء دور التشرنق وجدت أن هذه الدويدة قد أحاطت نفسها بخيوط تخرجها من فيها تلف فيها نفسها لفا محكما من جميع جهاتها ، بحيث لا تدع مقدار ثقب إبرة من جسمها دون أن تغطيه تغطية محكمة ، حتى تصبح كأنها مومياء مصبرة لا حس بها ولا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حراك ، فتبقى على هذه الحالة أياما تستحيل فى أثنائها الى سائل لا شكل له ، ثم تعود فتتشكل فى صورة فراش لا نسبة بينه وبين صورة الدويدة فى شيء ، تطير فى الجو ممتلئة حياة ونشاطا . فهل تستطيع أن تقدر بعقلك كنه ما أودعها المبدع الحكيم من القوى الحيوية التى عملت على إحالة جثمان الدويدة الى سائل ، ثم على إعادة تكوينها فى صورة جديدة ؟

حقا إن هذه الاستحالات من أغرب ما هدى اليه البشر من آيات الله جل وعز . قال العلامة الطبيعى ريومور Reaumur فى هذا الصدد :

« كنا نعتبر ما يقال لنا آية لو أخبرنا مخبر بأن حيوانا من ذوات الأربع فى حجم الدب أو الثور ينسلخ من جلده عند اقتراب الشتاء ويتخذ منه تابوتا لجثمانه يسده من كل ناحية ويجعله من الصلابة بحيث لا تعدو عليه العوادى الطبيعية أو الحيوانية . فإذا كانت هذه الاستحالة لو حصلت تعتبر آية فإنها تحصل مصغرة فى عالم الديدان ، فهى تنسلخ من جلدها لتتخذ منه تابوتا متينا ومقفلا من كل نواحيه »

لندع هذا الآن ولنذكر صفة أخرى عامة فى الحشرات وهى سمو قواها العضلية عن قوانا بالنسبة لحجومها . فإذا أعطى الانسان من القوة العضلية بالنسبة لحجمه مثل ما للدودة منها استطاع أن يجر ٨٥٠ كيلو غراما ، على حين أنه لا يستطيع بالقوة الممنوحة له غير ٥٥ كيلو غراما .

ولو أعطى الانسان من قوة القفز مثل ما للبرغوث لاستطاع أن يقفز بالنسبة لحجمه الى ارتفاع ٧٥٠ قدما .

وقد حسبوا أنه لو كان الانسان قد منح صوتا يناسب حجمه قياسا على صوت الصرصر لوصل صوته الى بعد ٢٤٠٠ كيلو متر ، وهى المسافة التى تفصل باريز عن آسيا الصغرى . وإذا كان الانسان قد أوتى فى صوته هذه القوة وعداه التحوط فعطس داخل بيته لسقط البيت عليه ودفنه فى أنقاضه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إننا معشر المصريين لنفخر بأن آباءنا أقاموا أهراماً شامخة، على أن أعلاها لا يجاوز تسعين قامة محسوبة بقامة الرجل، على حين أن النمل الأبيض يبنى مساكنه على ارتفاع ألف قامة بقامته، فهى تبزنا فى تعلية مبانيها اثنتى عشرة مرة. أما عن متانة مبانيها فحدث ولا حرج، فلو صعد على سقفها عدة رجال لاحتملتهم، بل إن الثيران الوحشية قد تعلوها أحيانا وتربض عليها.

أما قوة الهدم فى هـذه الحيوانات فتفوق كل تقدير، فإن النمل الأبيض قد أبان فى هذا المجال عن قوة وسرعة تعتبر مدهشة للغاية، فقد شوهد أنه استطاع أن يثقب فى ليلة واحدة قطعة من الخشب تبلغ طولها أكثر من خمسين سنتيمترا.

وللحيوان المسمى سيركس قدرة على الثقب كبيرة حتى إنه ليثقب الرصاص كما شوهد ذلك فى حرب القرم الروسية، فقد ثقب رصاص البنادق ومقذوفات المدافع.

وقد شوهد أن أصغر الحشرات أجسادا هى دائما أشدها قوة.

ومما يمتاز به الحشرات أن إناثها أقل جمالا من ذكورها وأشدها كلبا على القتال والفتك بالأعداء. فبينما ترى ذكورها يسرحن ويمرحن تجد الإناث يغرن ويقاتلن بصبر وجلد لا حد لهما، وهذا على خلاف إناث البشر، فإنهن خلقن على وضع طبيعى لا يجعلهن يحتملن كثيرا من المشاق التى يحتملها الرجال.

ومن الطباع المشتركة بين كثير من أجناسها الغناء لاستجلاب هوى الإناث، فإنها لا تفتأ تشدو وتترنم، بينما تكون الإناث دائبة على العمل فى صمت.

وهناك نوع من الضفادع تنق تحت الماء فيخيل للقريب منها أنه يسمع أصوات نواقيس ترن عن بعد. وقد حدث ذلك مرات للعالم (لينيه) Linné فإنه قد اتفق له أن شهد هـذه الظاهرة العجيبة مرارا. فقـد روى أنه كان يسمع أصواتا تشبه قرع النواقيس الضخمة تصل اليه من بعـد يقدر بنصف ميل، على حين كان بجوار تلك الضفادع.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن أعجب الحشرات ما يسمى منها بالكوشنيل ، فإنها قبل أن تولد تموت أمهاتها وتستحيل الى قشرة جافة فتكون هذه القشرة مهدا اصغارها .

وقد امتاز كثير من الحشرات وبعض الحيوانات الأخرى بسرعة التناسل وكثرة النسل ، فإن دودة الحرير تضع ٧٠٠ بيضة فى كل مرة .

وقد عد ما فى بطروخ السمك المسمى (مورو) وهو الذى يؤخذ من كبده الزيت الطبي المعروف فوجد أنها ...٦٨٧٨ بويضة تخرج من كل منها سمكة مشابهة لآحاد جنسها .

وقد عد ما فى بطروخ السمك المسمى (هرنج) وهى ما يسمى عندنا بالرنجة فوجد أنه يشتمل على ١١٧٠٠٠ بويضة ، وما فى بطروخ الجنس المسمى (بِرْش) فوجد أن عدد بويضاته تبلغ ١٥٥٠٠٠ بويضة . ولم يعْد عدد بويضات بطروخ الجنس المسمى (سومون) ١٩٠٠٠ بويضة .

ومما تتميز الحشرات به عنا أن بعضها يغتذى بما لو تعاطينا شيئا منه لمتنا تسمما ، وتعيش فى جو خانق لا نستطيع العيش فيه دقيقة واحدة . فمن الديدان ما تعيش فوق النبات المسمى بالشَبْرم وتغتذى به مع أن النقطة من عصارته تلهب فمنا وتحرقه . وبعضها يغتذى بأهداب النبات المسمى بالأنجرة وهذا النبات لو وضع على بشرتنا لأحدث بها التهابات واحتقانات مؤلمة .

وقد بلغ بعض الحشرات من النهم الى حد لا يتصوره العقل ، فإن الدودة تأكل فى كل أربع وعشرين ساعة ما يبلغ ضعف حجمها من الأغذية ولا يزيد جرمها إلا عشر وزنها . ولو سار الانسان سيرتها لوجب أن يأكل ٢٤٠ رطلا من الأغذية فى كل أربع وعشرين ساعة ، وهذا ما لا يمكن تصوره .

والحشرة المسماة (أوستر) تعيش فى معدات الخيول وتتسرب اليها من لحسها أجسادها . أما غذاؤها فى تلك السجون المظلمة فالعصارة المعدية لتلك الخيول ، فتعيش فى بحبوحة من الخفض والدعة فى تلك الغياهب الدامسة فى جو غازى غير صالح للتنفس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مؤلف من غازات تتكون أثناء هضم الأغذية ، وهى مؤلفة من الأزوت وحمض الكربون والأيدرون الكبريتى وكلها غازات مميتة للإنسان ولسائر الأسرة الحيوانية ما عدا هذه الحشرة .

وتوجد حشرات لا تتم استحالاتها إلا إذا غيرت الأمكنة التى تعيش فيها ، فالحشرة المسماة (تينيا) لا تبلغ أشدها إلا فى معدة الإنسان . والترخينا لا تصل الى غاية ارتقائها إلا إذا انتقلت من مأواها الأول وهو لحم الخنزير الى مكانها الثانى الذى هو معدة الانسان .

ومن الحشرات ديدان لا تغتذى إلا بالتراب ، وقد خلق الله معداتها بحيث تستطيع أن تستخلص منه كل ما يقوم أجسادها كأنه من نوع النبات . أما فضلاتها فهى أتربة جافة مجردة من بعض عناصرها الأولية .

إن هذه الكائنات فى ضعف أجسادها ، وقصر حياتها ، مجال بعيد الأرجاء للنظر والتفكير فى قدرة الخالق الحكيم ، وسعة سلطانه ، وعظمة إبداعه ، فقد جهد العلم قرونا طويلة فى تعرف تركيبها ، ودرس طبائعها ، والتأمل فى أطوارها ، ولم يفرغ بعد من حصر بدائعها ، بل كلما تعمق فى بحثها ظهرت له آيات جديدة فى أحوالها وشئونها ، وهى مع هذا أظهر مستجلى للإلهامات الالهية ، التى كان يشكك الملاحدة الناس فيها منذ عهد بعيد . فقد ثبت علميا من تتبع الصناعات الدقيقة التى تقوم بها هذه الكائنات الضعيفة أنها لو تركت وشأنها لما تُصُور أن تصدر منها هذه الصناعات الدقيقة التى يعجز عنها الانسان العاقل ، لأنها تستدعى معارف واسعة بطبائع الأشياء ليست للانسان نفسه ، وهذا مما لا سبيل اليه لدى كائنات ليس لكثير من أجناسها مخ ولا أعصاب ، ولا آلات تقوم مقامها للتفكير والتدبير ، فلو لم يتولها الخالق جل شأنه بالإلهام والهداية لما بقيت طرفة عين .

إذ لو لم يكن الإلهام الالهى يتولى هذه الكائنات فما الذى كان ينبىء الطير بأنه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على وشك البيض وأن هذا البيض يحتاج للاحتضان أياما معدودة ، وأن صغارها متى خرجت تحتاج لأغذية خفيفة مهضومة ، وأنها فى حاجة مستمرة للتدفئة ، وأنها متى ترعرعت احتاجت للتدريب على الطيران . فترى الوالدين دائبين على جمع الأعواد الخفيفة ومواصلة الجهد لبناء عش على بعض الأفنان منها ، فإذا تم نثرا عليه من ريشهما ليكون البيض فى مكان وثير منها ، فإذا حان وقت البيض وضعت الأنثى فى ذلك العش واحتضنتها ، فإذا بدت لها حاجة تولى الذكر احتضانها ، وهكذا دواليك حتى يتم تكون أجنتها وإذ ذاك تكسر الأنثى البيض بمنقارها وتعمل على رفع القشور عنها ، وتدأب هى والذكر على احتضانها ، ويتوليان تغذيتها بمواد خفيفة زقا فى منقاريهما ، ثم تسقيانها على هذه الصفة . ومن الذى ألهم هذه الفراخ قبول الغذاء من منقارى أبويها وازدراءه ، ومتى اشتدت سواعدها وارتاشت أجنحتها أخذ أبويها فى تدريبها على الطيران فى دفعات متكررة حتى تتقنه فتستقل بأنفسها .

وليس هذا الذى رأيناه بأعيننا ونراه كل يوم ، بأعجب من الإلهامات التى تتلقاها الحشرات الدنيا فى بناء مساكنها ، وحفر مساربها ، والاحتيال لحاجاتها ، والاحتياط لصغارها ، فكل هذا يؤلف مجموعة من العلم لا تدع خيالا من شك لأعمى الناس قيادا فى أن هذه الكائنات الضعيفة ما كانت لتوجد ولا لتعيش لولا أن الخالق جل شأنه يتولاها بالعناية والالهام ، شأنه فى جميع العوالم المرئية وغير المرئية .

محمد فريد وجدى

قرى الضيف

قال الأصمعى :

سئل أقرى أهل اليمامة للضيف : كيف ضبطتم القرى ؟ قال : بانا لا نتكلف ما ليس عندنا .

وقال الشاعر :

أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله ... ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

روح الاسلام والمذاهب الفلسفية

« وإذا كانت هذه الشرائع حقا وداعية الى النظر المؤدى الى معرفة الحق ، فانا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدى النظر البرهانى الى مخالفة ما ورد به الشرع ، فان الحق لا يضاد الحق ، بل يوافقه ويشهد له »
(الفيلسوف ابن رشد)

« وليس فى المعارف الحقة الصحيحة المستقرة شىء يمكن أن يناقض أصول الدين ويهدمها »
(الأستاذ المراغى)

بلغ الفكر الانسانى طورا ساميا من أطواره فى الكشف عن حقائق الوجود ، ولا ندعى أنه منتهى شوطه ، بل لا يمكن لانسان أن يزعم أن للنشاط الفكرى نهاية لأن النهاية إنما تكون المحدود ، ومجال الفكر لا يعرف التحديد . وقد كانت هذه الحقيقة قبل الاسلام سببا فى النفرة بين الدين والفكر ، وأحرى أن يقال بين المتدينين والمفكرين ، لأن الدين نبه على حقائق ، وندب القلوب الى اعتقادها ، فاستعصى سبر غورها على العقول ، وأبى الفكر الحر أن يقف أمامها ساهما واجما ، فمشى اليها فى ثقة قوية ليكشف عنها ، فانتهض المتدينون لذوده عن مقامه بحجة أن الدين من وحى الله ، فهو سر من أسرار الله ليس للفكر فيه مجال ، فنجم حينئذ ذلك التدافع الدامى فى تاريخ الانسانية .

فلما جاء الاسلام قرر فى أولى حقائقه أنه إذا كان الدين من وحى الله فالفكر من فيض الله ، وبهذا وضع الاسلام قاعدة التآخى بين الفكر والدين ، فتصافحا فى ظله ، وأخذا فى سبيل هداية الانسانية متعاونين على قيادة الوجود الى سعادة الخلود .

ومن ثم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذون الدين بفطرة نقية وفكر مهذب ، فلم تعوقهم عقبات الجدل الأجوف عن العمل الصادق فى نشر الدين فى أقطار

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأرض ، ففتحوا الأقطار ، ومصروا الأمصار ، ولكن هذه الفطرة أصابتها الحياة بالصدأ بعد إذ بعُد العهد بنور الوحى ، فاحتاجت فى أخذها الدين وفهم حقائقه الى أداة من البحث ، وكانت علوم الأوائل قد وصلت الى أيدى المسلمين ، فلم يحجموا عن النظر فيها والاستعانة بها ، لأنهم وجدوا من الاسلام دينا آخى بين الفكر والدين ، وهذه المؤاخاة هى روح الاسلام الخالدة .

وإذا كانت الفلسفة آية من آيات الفكر الانسانى ، فهى من صميم الاسلام ، لأن الفلسفة ليست شيئا أكثر من النظر فى الموجودات ، وتعرّف صلتها بالخالق ، وإبراز خصائصها . وهذا المعنى هو الحكمة فى لسان العرب ، والحكمة جعلها الله من أعظم مننه على أخصاء عباده ، فقال تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » .

تناول مفكرو المسلمين علوم الغابرين ومذاهبهم الفلسفية بالنظر ، وخاضوا خضمها ، ودرسوا مذاهبها فى الإلهيات والطبيعيات ، والفلكيات ، وعلوم النبات والحيوان بعقول راجحة ، لا ترد الحق ، ولا تقبل الباطل ، قال الفيلسوف ابن رشد : « ينبغى لنا أن نضرب بأيدينا الى كتبهم (الأوائل) فننظر فيما قالوه من ذلك ، فإن كان صوابا قبلناه منهم ، وإن كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه » .

نعم لم يسلم فلاسفة الاسلام من النقد والتحامل فى فترة قصيرة من الزمن ، فشن بعضهم الغارة على أمراء الفكر ، وقادة الرأى ، ورموهم بالزندقة ، ولكن ما لبثت هذه السحب أن تقشعت ، تخلّف المفكرون لنا ثروة علمية وذخيرة أدبية يدوم لنا فخرها ما دام أمر الفكر الانسانى نافذا فى الوجود .

عرضوا لأدق النظريات الفلسفية فبحثوها ، وأثبتوا لهم فيها رأيا قويا تكتنفه الحجة الصادقة ، ويحوطه البرهان المبين . فابن سينا لم يترك نظرية إلا درسها وكتب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فيها محققا ناقدا ، والفارابى لقب لعظمته فى البحث بالمعلم الثانى ، وابن رشـد قالوا عنه إن كتب أرسطو ما كانت لتصل الى أيدى الناس لولاه ، وأبو حامد الغزالى الملقب بحجة الاسـلام سبق (ديكارت) بتقرير نظرية الشك عنـد البحث حتى لا يسيطر التقليد على الذهن ، فقال فى كتاب (ميزان العمل) : « ولو لم يكن فى هذه الألفاظ إلا ما يشككك فى اعتقادك الموروث لكفى بذلك نفعا ، فإن من لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقى فى العمى والحيرة » .

هـذا حال علماء الاسلام الأقدمين فى فهم روح الاسلام ، وإقبالهم على دراسة المذاهب الفلسفية على اختلاف اتجاهاتها ، وبلوغهم فيها درجة جعلتهم أعـلام الدنيا ، فما شأننا نحن ؟ وكيف فهمنا روح الاسـلام ؟ وما موقفنا من دراسة ما جدّ فى الحياة من مذاهب فلسفية قامت عليها حضارة العالم ؟ وكم فى عداد المسلمين الآن من فيلسوف ؟ بل كم فيهم من مطلع على الفلسفة اطلاع المفكر الحر ؟ إن الجواب على ذلك مؤلم مؤسف ، ولـكن علينا أن نجابه الحقيقة العريانة لنفهم أنفسنا ، ونفهم مكاننا الصحيح من ديننا وتاريخنا ، فذلك أجدى علينا من المراوغة والمداورة .

منذ خمدت الحركة الفلسفية الاسلامية فى الأندلس ، وانتقلت الى أوربا ، سارت مترسمة خطواتنا حينا من الدهر ، ثم ارتقت فابتكرت مذاهب جـديدة صعدت بها الى ذروة المجد ، وبقينا نحن متخلفين ، بل بقينا منكرين ساخطين ، فتأخر تفكيرنا وجمدت قرائحنا وأصابنا العقم ، فما ننتج شيئا فيه ريحنا وعليه طابع ديننا .

جدّت مذاهب فى بعضها هداية نحن أحق بالسبق اليها ، وفى بعضها إلحاد وزيغ نحن أحق بفهمها لننقدها ولنزيف باطلها ، وجـدّت مذاهب فى الطبيعة استخدمت بها أوربا مرافق الوجود فى السماء والأرض .

من الذى درس من المسلمين مذهب (دارون) فى النشوء والارتقاء وطابق بينه وبين ما يقوله القرآن الكريم فى أصـل الانسان ؟ ومن الذى بحث نظـرية الجاذبية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التى كشفها (نيوتن) وعرف صلتها بقول الله تعالى: «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا» والله جل شأنه لا يمسك السماء والأرض كما يتصور الجاهلون، وإنما يمسكهما بناموس الارتباط العام بين ذرات العالم أجمع؟ ومن الذى درس من علماء الاسلام مذهب استحضار الأرواح وعرف صدقه من كذبه، وقد ملأ دويه الدنيا، وقلب كثيرا من الحقائق كان يدين بها الماديون؟ ومن الذى درس مذهب (ديكارت) وعرف فرق ما بينه وبين مذهب الغزالى؟ ومن الذى درس نظرية النسبية التى وضعها (انشتين) وعرف قيمتها؟...

أنا لا أنكر أن أفرادا من أذكياء المسلمين منتشرين هنا وهناك وجهوا أفكارهم هذا الاتجاه الصالح، فدرسوا واطلعوا، ولكنهم قليلون، وهم مع قلتهم لم يبلغوا أن تكون لهم آراء تقوم الى جانب آراء فلاسفة الغرب كما كان لأسلافنا من الاستقلال الفكرى، ونحن لا نريد أن نقف من الحياة موقف المتفرج، ولا موقف المقلد، لأن ديننا وتاريخنا يأبيان علينا ذلك الجمود، ويحثاننا على النظر والدرس: «أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء»؟

إن الأزهر، وهو أعظم معاهد الاسلام، يجب عليه أن يمد يده الى هذه المذاهب الحديثة ويدرسها ليخرج فيها فلاسفة يقودون الأمة الى مراقى الفلاح، وإنه لا فلاح لأمة جامدة التفكير. يقول الفيلسوف ابن رشد: «يجب علينا إن لقينا لمن تقدمنا من الأمم السالفة نظرا فى الموجودات واعتبارا لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان أن ننظر فى الذى قالوه من ذلك، وما أثبتوه فى كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم». بهذا النحو من التفكير تقدم ابن رشد على الناس: «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق».

صادق ابراهيم عرجون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هل للمرأة أن تتعلم العلوم العالية

وأن تخالط الرجال وتشاركهم فى الأعمال ؟

كتب الينا كاتب فاضل يقول : يرغب بعض الشبان اليوم أن تتعلم المرأة المصرية العلوم العالية ، وأن تخالط الرجل وتشاركه فى الحياة العملية ، زعما منهم أن فى هذه المخالطة والمشاركة فائدة لها والمجتمع ، ويرى غيرهم أن ليس لها ذلك ، فهل لكم أن تبينوا الحق فى هذه القضية من النواحى الاجتماعية والأدبية والدينية ؟

ونحن نجيب حضرته بأن الاسلام لم يضع للنشاط العقلى للمرأة حدا ، فأباح لها أن تتوسع فى العلوم ما أمكنتها الفرص من ذلك ، وما ساعدها عليه استعدادها ، ولم يمنعها أن تبث علمها فى الناس ، ولم يحظر على الرجال الأخذ عنها ، بل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » يريد عائشة أم المؤمنين . وقد روت ما رأته من سنته ، وما وعته ذاكرتها من كلماته ، وأخذه عنها الرجال ، وكانوا يقصدونها ليستزيدوها علما . وما كانت هى تضن عليهم بذلك .

ورويت لغيرها من نسائه صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة أخذها عنهن المسلمون وعملوا بها .

واشتهر فى التابعين نساء أخذن العلم وبرعن فيه ، منهن ابنة سعيد بن المسيب ، ومما روى عنها أنها لما تزوجت وبكّر زوجها خارجا ، سألته أين يذهب ؟ فقال لها الى حلقة أبيك سعيد . قالت له : اجلس أعلمك علم سعيد .

فالمسلمون فى الصدر الأول لم يروا بأسا من أن تتلقى المرأة العلوم العالية . فلما استبحر العلم فيهم ونبغ فيهم الأئمة أصحاب المذاهب ، لم ير واحد منهم بأسا فى تلقى المرأة العلوم العالية ، بل سمحوا لها أن تجتهد إن بلغت درجة الاجتهاد ، وجوز بعضهم أن تلى القضاء ، وأن تفتى المسلمين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد دل تاريخ المسلمين فى جميع أدوارهم أن نساء بلغن درجات عالية فى الأدب وسائر العلوم ، ولم يوجد من أنكر ذلك عليهن على أى وجه من الوجوه .

أما مشاركتها للرجل فى أعماله الخارجية ، فإن الفطرة المجردة والعلوم العصرية نفسها تنافيها ، وترى فيها خطرا عظيما على المجتمع .

فأما الفطرة فإنها تأبى أن ترى المرأة ، التى اختصها الخالق بمهمة تكثير النوع الانسانى وتربيته ، تتكلف ، فوق ما تعانيه من المشاق ، مشاطرة الرجال أعمالهم المرهقة ، وأن تهجر دارها ساعات طويلة ، وأن تترك أولادها يهيمون على وجوههم فى الشوارع والأزقة وهم فى أشد الحاجة الى حمايتها ورعايتها .

هذا أمر يأباه مجرد الفطرة ، لذلك ألهم الناس من أقدم عهودهم أن يضنوا بنسائهم عن الأعمال الخارجية ، وأن يقصروهن على الحياة الداخلية ، اللهم إلا همجا متوحشين يعيشون بجوار الغابات الأفريقية والاسترالية ، فيجلس رجالهم لا يعملون شيئا ويسرحون نساءهم ليجلبن لهم ما يتسنى لهن جلبه من جذور الأشجار وأوراقها ، وما يصطدنه من بعض الحيوانات الصغيرة ليقتاتوا بها ، كما تفعل الوحوش الضارية ، فهؤلاء لا يقام لهم وزن ، ولا يعبأ بهم فى استدلال .

وأما العلم فقد قال كلمته الأخيرة فى هذا الموضوع ، ولا يزال أقطابه يرددونها فى كل مناسبة . وإنا نؤتى القارئ خلاصة من ذلك مستخرجة من كتاب النظام السياسى على مقتضى الفلسفة الوضعية للفيلسوف الكبير أجوست كومت الفرنسى ، واضع تلك الفلسفة ومؤسس علم العمران ، قال : « ينبغى أن تكون حياة المرأة بيتية ، وأن لا تكلف بأعمال الرجال ، لأن ذلك يقطعها عن وظيفتها الطبيعية ، ويفسد مواهبها الفطرية . وعليه فيجب على الرجال أن ينفقوا على النساء دون أن ينتظروا منهن عملا ماديا ، كما ينفقون على الكتاب والشعراء والفلاسفة ، فاذا كان هؤلاء يحتاجون لساعات كثيرة من الفراغ لإنتاج ثمرات قرائحهم ، كذلك يحتاج النساء لمثل تلك الأوقات ليتفرغن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فيها لأداء وظيفتهن الاجتماعية : من حمل ووضع وتربية . ومن جهة أخرى فانه لو سمح للنساء، على ضعفهن ، أن يشتغلن خارج بيوتهن ، تعرضن لمنافسة قوية من جانب الرجال ، فلا ينلن بجانبهم إلا الحثالة التي يعفون عنها ، فيقعن فى الفاقة ولا يجدن القوت إلا تبلغا . بله الضرر الفادح الذى يحيق بمجتمعاتهن من جراء خروجهن على نظام الطبيعة ، وعصيانهن لنواميس الحياة الصحيحة » .

هذا رأى العلم الحق ، أما ما يكتب ضده وينقله عنهم المفتونون بالمظاهر منا ، فهو رأى جمهرة من قصصيين وكتاب إباحيين يسوغون للمرأة أن تخرج على مقتضى الفطرة ، ويخدعون السطحيين من القراء عن الحقائق العلمية ، وغرضهم من ذلك ترويج كتاباتهم بدعوى تجديد الحياة الاجتماعية ، والخروج مما رث وبلى من التقاليد الوراثية .

وقد أثرت هذه الكتابات فى أوربا والشرق بسبب أن الناس ميالون الى قراءة الأقاصيص ، والكتابات السطحية التى توافق غرائزهم الشهوانية ، فتكوّن رأى عام على أصالة هذه النظرية ، فاندفع الناس فى تحقيقها اندفاعا جنونيا ، فهجر النساء الدور وأقبلوا على الأعمال الخارجية ، وكان من أثر هذا الاختلاط ذيوع عادات لا تتفق والحياة الصالحة ، كانت شرا مستطيرا على الزواج المشروع ، فكثر الأخدان والخدينات ، وطمت العلاقات الخائنة بين الجنسين ، وشاعت العزوبة بين الشبان ، وأصبح التبرج المخالف للذوق السليم عادة مألوفة ، واستهتر الناس فى ذلك حتى أصبحوا يرون أن بروز النساء نصف عاريات ضرب من ضروب الأناقة ، ووجه من وجوه الظرف ، وحتى صار مما يروقهم أن تصور لهم الجرائد اليومية التى يقرءونها صور الخليعات المتهتكات ، فيصرفوا فى التأمل فيها وقتا ثمينا ، ويدعوها لأبنائهم وبناتهم غير خاشين أن ذلك يؤثر فى آدابهم تأثيرا شنيعا .

ولكن الانسان متى اعتاد شيئا وألفه ترقى فيه وأبلغه الى أقصى أطواره ، فانتهى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أمره بأن لا يقنع بالعرى النصفى ، فأوجد العرى الكامل فى بعض المسارح التى يتردد عليها . فهل وقف به التطور فى الخنا الى هذا الحد ؟ لا ، ولكنه أبى إلا أن يبلغ به الى ما بعده ، فابتكر مبدأ العرى فى الأحوال المادية لا على المسرح فحسب ، وأسس أندية له فى أكبر عواصم بلاد المدنية يجتمع فيها رجال ونساء ، فيتجردون من ثيابهم ويمضون ساعات طويلة على تلك الحالة فى مخاصرات وألعاب رياضية ، وما تجر اليه من ضروب المنكرات ، ثم يلبس كل منهم ثيابه ويعود الى بيته .

نعم إن الحكومات تضيق الخناق على هذه الأندية ، وتطارد أصحابها ، ولكنها عاجزة عن ملاشاتها ، وهى تزيد انتشارا يوما فيوما .

أفتظن أن تطورات الانسان فى هذا الباب تقف عند هذا الحد ؟ اللهم لا ، إلا إذا حدث ما ليس فى الحسبان من حدوث قوارع جائحة ، ومثلات ماحقة ، يقتضيها هذا العمل الحيوانى البحت ، فيرد أصحابه عنه صاغرين : « ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » .

هذا ولو دقق الباحث فى شئون العالم ، وشخص علل المجتمعات العصرية تشخيصا علميا دقيقا ، لرأى أن أكثر ما تشكو منه هذه المجتمعات من تدهور أدبى ، وتعقد اجتماعى ، واضطراب مالى ، منشؤه تسامحها فى تهتك النسوة ، وتركها حبالهن على غواربهن .

نعم إن من غرائز المرأة التصون ، ولكن الرجل لا يفتأ يخدعها بالمسوّلات والمغريات ، ليميت هذه الغريزة فيها ، ويطوّح بها الى ميدان الإباحة ، وقد أنجح فى إغوائها الى حد بعيد ، فهى اليوم تتبع خطواته ، ولكنه قد بدأ يتبرم بها ، حتى إن أشد المولعين بفتنتها أخذ يشهّر بتهتكها ، ويبنى أقاصيصه على إغراقها فى تبذلها .

وقد خسرت المرأة من استسلامها لهذه الآراء الضالة كل مميزاتها ، ولم تستعض عنها شيئا مما وعدها به مضللوها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كانت المرأة ممنعة فى سُتر من العزة ، فأصبحت بهـذا التهتك مبتذلة . والتهتك فى حقيقته مبالغة فى عَرض النفس ، وكل معروض مهان كما لا يخفى . والإضراب عن الزواج مظهر من مظاهر هذا الهوان . فكأن المرأة بكثرة عرضها نفسها على الرجال قد فقدت أعز شىء عليها وهو عرشها !

وكانت المرأة فى الدار حاجة من حاجات النفس ، يسكن اليها الرجل ليروِّح عن نفسه ، فأصبح الرجال لكثرة اختلاطهم فى الحياة العملية بالنساء يتطلبون وقتا يخلون فيه لأنفسهم بعيدين عنهن ، فكرهوا الزواج ، وأرادوا أن تكون بيوتهم خلوا منهن ، لأنه لم يبق معنى لاستمرار العيش معهن خارجا وداخلا !

وكانت المرأة تُدخر لأداء أسمى مهمة فى العالم وهى تربية الصغار ، وتلقينهم مبادئ الآداب ، وأصول الأخلاق . وقد أطنب الفلاسفة والمربون فى خطورة المدرسة البيتية ، فجُردت المرأة بتأثير هذه التعاليم الفاسدة من وظيفتها الشريفة ، وأسندت اليها وظائف مبيدة لكرامتها النسوية فى المراقص والمقاهى ودور التمثيل والسينما . وتَستَّر الإباحيون وراء كلمة الفنون الجميلة ، فأحدثوا انقلابا خطيرا فى حياة المرأة ستجنى الانسانية شروره أجيالا طويلة .

هنا يثور علينا ثائر فيرفع عقيرته قائلا : أنتم تريدون أن تسجنوا المرأة ، وأن تذلوها ، وأن تستغلوا مواهبها ، وأن تسلبوها استقلالها ، وأن تجردوها من كل عمل تكسب به قوتها ، وتحتل به مكانها تحت الشمس .

كلمات جوفاء : استخدمها هؤلاء الثائرون على نظام الطبيعة فى استدراج النساء الى الحياة الإباحية ، ولا يزالون يستعملونها لستر خطيئتهم الفادحة . ولكن على مَن كل هذه الثرثرة ؟ أعلى أرفع الناس عقولا من الفلاسفة والاجتماعيين ، أم على الذين يرون بأعينهم المخازى التى جنوها على مجتمعاتهم وضاعت فيها حيل المصلحين ؟!

إن الناس يشهدون اليوم تدهورا خلقيا ، وانحطاطا أدبيا ، لم يرو تاريخ البشر له

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مثيلا ، فإذا كانت حياة النوع البشرى لا تقوم إلا بانغماسه فى هذه المقاذر ، فأهوِنْ بها من حياة تموت معها جميع الغرائز الانسانية الكريمة : من الغيرة على العرض ، والحرص على الكرامة ، والترفع عن الفحشاء ، والتنزه عن النقيصة !

لو كان الانسان خلق بهيما لعاش عيشة البهائم ، ولما ثار على هذه المقاذر ، ولكنه خلق إنسانا ، فهو كما يشعر بشهوات جثمانية ، وأهواء نفسية ، كذلك يشعر بمميزات معنوية لم يمنحها الحيوان ومنحها الانسان ، لتصده عن النزوات البهيمية . فالانسان قد ينحط ، وينحط ، ويتغلغل فى الانحطاط الى أبعد حد ، ولكنه لا يفقد مميزاته المعنوية مهما أراد أن يفقدها ، فلا تزال به حتى تريه تلك المقاذر على حقيقتها ، فيثور عليها ، ويدفعها عن نفسه فى شيء كثير من العنف والجبرية .

ودليلنا على هذا أن الانسان كثيرا ما سقط فى مهاوى الرذيلة حتى ظُن أنه لن يخرج منها ، وأنها قتلت كل ما فيه من غرائز شريفة ، ولكنه لم يلبث أن نفضها عن عاتقه ، وخرج منها يتطلب الحياة الصحيحة . لو كان الأمر جاريا على غير هذه السنة لما رأيت للفضائل دولة فى الأرض بعد أن بلغت الرذيلة أقصى مداها فى أدوار كثيرة من حياة البشرية .

فأما ما يشنعون عليه من سجن المرأة وإذلالها ، وسلبها استقلالها ، فتلك صيحات يقصد بها التهويل ، وطمس معالم الحقائق ، وإلا فكيف يتخيل الناس أن قصر المرأة على مملكتها البيتية سجن وإذلال لها ؟ وهل يطالبها المصلحون المعاصرون بغير ذلك ؟ وإذا كان يفهم أن اشتغال الانسان بما خلق له سجن له ، فكلنا إذاً مسجونون ، من أول المؤلف فى مكتبه الى المُعَدِّن فى منجمه . وإذا كان هذا يستقيم فى الفهم فلتُعتبر المرأة مسجونة كجميع أبناء نوعها ، إذ لا وجه لاستثنائها منهم .

أما استقلال المرأة فلا يعنى فى علم الاجتماع شيئا غير الشذوذ عن الربط الاجتماعية ، فإن المرأة خلقت لتكون زوجة ، والزوجية تفرض على كلا الزوجين التزامات متبادلة ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلا معنى للاستقلال هنا مع وجود هذا الترابط الوثيق بين الاثنين . ولكن لما كان القصصيون الذين لا شغل لهم إلا فى الكلام عن الحب والمحاولات الغرامية والخيانات الزوجية ، فهم يلوّحون بهذا الاستقلال المرأة ليسوّغوا لها الخروج على الالتزامات الزوجية ، بل وعلى نظم الطبيعة نفسها . وإذا كان مملى النظم الاجتماعية هم الأدباء والقصصيون ، فعلى الاجتماع البشرى العفاء وسوء المنقلب .

ويقولون : أتريدون أن تجردوا المرأة من كل عمل تكسب به قوتها ؟ ونقول نحن : لا ، فإننا نريد أن تكسب المرأة قوتها من طريق الزوجية ، لأن الله خالق النساء على عدد الرجال مع تفاوت لا يعتد به هنا تارة وهناك تارة أخرى . ولكنكم أنتم بتسويلاتكم لها الخروج والتبرج والاختلاط بالرجال ، قد عملتم من طريق غير مباشر على إشاعة العزوبة كما قدمنا . وشيوع العزوبة يفضى الى وجود جيوش من النسوة لايجدن القوت ، فيضطررن للعمل مع الرجال . والعمل مع الرجال يزيدهم إغراقا فى العزوبة للأسباب التى لا تخفى على أحد . فأنتم الذين قضيتم على المرأة بأن تذل فى العمل الخارجى . نعم : هو إذلال لها أى إذلال ، فإنها لم تخلق لتمتهن كبائعة أو كاتبة أو سائقة أوتوموبيل أو سمسارة أو حوذية الخ الخ ، لكنها خلقت لتكون ربة بيت ، وأن هذا البيت لو كان كوخا حقيرا فهو أكرم لها ، وأحفظ لميزاتها من أن تكون بائعة أو كاتبة أو سكرتيرة .

ولسنا ننكر أن المجتمع مهما بالغ فى المحافظة على النظام الطبيعى حيال النساء فسيوجد منهن من يعوزها القوت ، ولكن عدد المعوزات يكون قليلا يمكن الحكومة الرشيدة من تدبير أعمال لهن تليق بكرامتهن .

ولكنكم أيها الثائرون لا يعنيكم قوت المرأة ، وإنما يعنيكم أن تجدوا بطلات لأقاصيصكم من المائلات المميلات ، وما لكم والنساء العاملات التى تلفح وجوههن النار ؟ فليس مقصدكم المدافعة عن النساء ولكن إخراجهن من خدورهن ، وما إكثاركم من ذكر استقلالهن وحقوقهن إلا ستر لمبادئكم الاباحية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد فطنت أوربا وأمريكا لما يبتنى على عمل المرأة وحريتها المفرطة واستقلالها من المضار على الشئون الاقتصادية ، فأخذ مصلحوها يضعون حدا لعملها الخارجى ، ويدعونها للدخول فى خدرها ، وقد أخذت هذه التحوطات شكلا عمليا فى كثير من الأمم الصناعية كالولايات المتحدة والمانيا وايطاليا ، ولا بد من أن تبلغ أقصى غاياتها فى مستقبل ليس بالبعيد .

هنا يسوغ لى أن أرفع صوتى عاليا ، مؤكدا أن الفطرة الانسانية الكريمة أحكم من أن تقع فى هذه الفخاخ الشيطانية ، فتدع هذه المدنية التى حصلتها ببذل جهود جبارة وفى قرون عديدة ، تنحل وتتلاشى تحت تأثير السبب نفسه الذى حل ولاشى المدنية الرومانية من قبل ، وهو تبرج النساء وطغيان الميول الإباحية . فإن عجز المصلحون عن قمع هذه الميول فليست هذه المدنية بأكرم على الله من المدنيات التى سبقتها ، فإنها تنوء تحت عللها القاتلة ، وتصبح كأن لم تكن شيئا مذكورا ، وتحل محلها مدنية يعرف أهلها كيف يحافظون على الحدود التى حدها المبدع الحكيم للخلق : « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه »

محمد فريد وجدى

الوصية بالمروءة

كان عبد الملك بن مروان يقول : يابنى أمية أحسابكم أعراضكم ، لا تعرضوها على الجهال ، فان الذم باق ما بقى الدهر . والله ما سرنى أنى هجيت ببيت الأعشى ولى طلاع الأرض ذهبا ! وهو قوله فى علقمة بن علاثة :

يبيتون فى المشتى ملاء بطونهم ... وجاراتهم غرثى يبتن خمائصا

والله ما يبالى من مدح بهذين البيتين ألا يمدح بغيرهما ، وهما قول زهير :

هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا ... وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا

على مكثريهم حق من يعتريهم ... وعند المقلين السماحة والبذل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاخلاص فى القول والعمل

داعية الســداد

لم تقم عمارة هذه الدنيا منذ عهد الخليقة بالوجود ، ومنذ تضافرت القوى على بناء الاجتماع وإنشاء مؤسسات الخير كأفضل ما يدل على عظم هذا الوجود من أثر ، إلا على إخلاص المخلصين . فبالإخلاص الجماعة ، وهو أول دور من أدوار الاجتماع ، يسعد المجتمع فى آجله وعاجله . وبقـدر ما يشيع الإخلاص فى عمل العاملين له يكون النجاح والفلج .

أسس الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم مجموعة صالحة كانت هـدى ورحمة ، وبشيرا بإسعاد الخلق ، فقامت من بعدهم خلوف على أقدامهم وصلوا سلسلة الاجتماع ، ثم تابعوا السير فأنشأوا بقوة ما حملوه من رسالات ، وأدوه من أمانات ، تراثا الى الأمم مجيدا يتوارثه الأخلاف عن الأسلاف ، ويستضىء به الأعقاب ويتخذونه لهم شرعة ومنهاجا . أرأيت شيئا فى هذه الدنيا قام على غير الإخلاص ؟

لقد كان الإخلاص ولا يزال نورا يهتدى به الأئمة والرؤساء ، والزعماء وأولو الرأى من العلماء . والله سبحانه أبى إلا أن يفتح للمخلصين الى الخير طريقا ، لأن الإخلاص معناه تمحيص القلب لله وتجريده عما عداه . من أجل ذلك لم يأخذ الله الناس بأعمالهم فحسب ، بل أخـذهم أيضا بنوايا قلوبهم ، فإن كانت النية معقودة على الخير ثم اقترنت بعمله فعلا كان الأجر عليه مضاعفا . وهذا يفسر حديث ابن عباس عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله عز وجل قال : «إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بيّن ذلك : فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » . (١)

. ومما هو جدير بالتنويه أن الإخلاص فوق ما أعد الله له من مثوبة ومضاعفة إحسان ، يتعجل المثوبة فى الدنيا ، كما يتعجل عكسه العقاب . فالمخلصون يجرون بأعمالهم خيرا فى الحياتين العاجلة والآخرة ، وهذا من الله سبحانه تمكين لقلوب المخلصين فى الاطمئنان الى الجزاء الأوفى ، وترغيب الى من ينهج نهجهم فى تلك المثوبة حتى تعم مجموعة من الخير أنواعا من العباد ، فيتضاءل الشر فى القلوب والجوارح ، ويشيع الخير فيها فينمو العمل الصالح ، فتتوثق روابط الاجتماع ، وتتعاضد الجوارح ، وتتآخى القلوب .

فما هلكت الأمم السابقة إلا لأنهم فقدوا نعمة الإخلاص ، وأعوزهم الصبر على المكاره والويلات ، وأدركهم العجز عن الإخلاص والوفاء لله ، فنشروا فى آفاقهم الختل والخديعة ، والملق والرياء والمداورة ، فانهار بناء قوميتهم ، وتحللت منهم العزائم ، وضعفت فى نفوسهم الآمال . وما حييت الأمم وكتب لها الوجود فى صحيفة الخلود بآثارها ومناعة أخلاقها وقوة عقائدها وصحة ذوقها وسلامة منطقها ونضوج عقليتها إلا بالإخلاص . فالإخلاص وحده ملاك الخير وعتاده ، وقوته وسناده .

فإذا ترامت إليك الأنباء بإخفاق الزعماء وذل العلماء ومهانة الرؤساء وفناء الكبراء فى أمة من الأمم ، فلك أن تستخلص من آيات فنائهم وعنوان ضعفهم أنهم فقدوا الإخلاص فى جميع مناحيه ، واتخذوا إلههم هواهم .

فالإخلاص حين يقترن بالأعمال وتتفاعل به النفوس المطمئنة ، ينشأ عنه تفاعل مطرد البقاء بين أجزاء المجتمع ، قال الله عز من قائل : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » .

عباس طه

(١) رواه الخمسة إلا أبا داود .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

تأريخ الالفاظ فى اللغة العربية

كلمة (الأدب) وأطوارها

— ٢ —

عرضنا فى المقال السابق الى رأى الباحثين العصريين من أنصار الماضى الذين جددوا فى طرائق الأداء، وقلدوا فى الاتجاه والموضوعات . والتقليد فى الاتجاه تجديد فى الأدب العربى لأنه تقليد لباحثين جُدد ليسوا من عصارة الفكر العربى ، ففهموا الأدب العربى طبقا لبيئتهم وطبيعة تفكيرهم ، فأحسنوا كثيرا فيما يتصل بالطبيعة العامة للتفكير الإنسانى ، ولكنهم أساءوا فيما يتصل بالطبيعة الخاصة بالعرب والاسلام بل بالشرق عامة .

وأما التقليد فى الموضوعات ففيه خير كثير ، وليس هو محض الخير . هو خير لأنه قائم على أساس من الحياة ، لأن قديمنا حىّ بلغته وأساليبه ، وحىّ بما أكسبه الاسلام من أفكار خالدة . وهو شر لأنه يقف بالعقول عند أدنى مراحل الحياة ، وهذا حكم بالعقم على الفكر الانسانى يحجزه عن الخلق والابتكار ، وليس فى طبيعة الفكر الخضوع لهذه القيود التى ترفضها الحياة ، ويأباها تطور الزمن .

وسنعرض فى هذا المقال الى رأى الباحثين العصريين الذين أغرموا بالثورة على الماضى ، ثورة جامحة فى كثير من الأحايين ، وثورة فيها شىء من الاعتدال فى بعض الأحيان . وهؤلاء مقلدون فى طرائقهم وموضوعاتهم لباحثى الغرب من المستشرقين ، وهم مجددون فى التطبيق لنظريات أولئك الباحثين ، أى فى إخضاع لغتنا وأساليبنا وتفكيرنا وطبيعتنا لتلك القوانين التى وضعها المستشرقون للأدب العربى .

أنصار هذا الاتجاه (الثائر) يأبون التسليم لتلك الشواهد القليلة التى ساقها الأولون فى بيان أطوار كلمة (الأدب) ويحاولون تتبع تاريخ الكلمة مستندين لأطوار الحياة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العربية وأوضاعها أكثر مما يستندون الى تلك النصوص التى يشكون فيها شكا عريضا ، وينكرونها إنكارا جامحا يقتلعها مع أشخاصها وقبائلها من وجه الأرض .

هذا الاتجاه على ما فيه من غلو وإفراط يسبح به فى عالم الخيال ، قد يكون مفيدا للأدب العربى فى توجيهه وجهة من الحياة يتطلبها الفكر العصرى ، ومفيدا أكثر فى تنبيه الأذهان الى إعداد العدة لدفع الهجوم ، ويفرط فى التشاؤم من يخشى على الأدب العربى من هذه الثورة فى البحث لأنها فى مقدمتها إنما تعتمد على الفرض والتخمين .

وقد اخترت بعد إنعام نظر وطول تفكير أن أمثّل هذا الرأى فى باحثين قد لا يخرج كلام غيرهما من أنصار هذا الرأى عن كلامهما .

يقول الأستاذ المستشرق (نلّينو) : إن كلمة «أدب» مشتقة من الدأب بمعنى العادة ، ويرى أنها لم تشتق من المفرد وإنما اشتقت من الجمع ، فقال لقد جمعت « دأب » على « أدآب » ثم قلبت فقيل « آداب » كما جمعت بئر ، ورئم ، على آبار ، وآرام ، وكثر استعمال (الآداب) جميعا للدأب حتى نسى العرب أصل هذا الجمع وما كان فيه من قلب ، وخيل إليهم أنه جمع لا قلب فيه ، فأخذوا منه مفرده (أدبا) لا (دأبا) وجرى استعمال هذه الكلمة بمعنى العادة ، ثم انتقل من هذا المعنى الطبيعى القديم الى معانيه الأخرى المختلفة .

قال الدكتور طه حسين ناقدا لهذا الرأى بعد سوقه فى كتابه (فى الأدب الجاهلى) وظاهر أن رأى الأستاذ نالينو كرأى غيره من أصحاب اللغة يعتمد فى أصله على الفرض ، فليس لدينا من النصوص أو القرائن العلمية الواضحة ما يبين لنا أن لفظ (الأدب) قد اشتق من (الأدب) بمعنى الدعوة الى الولائم ، أو قد اشتق من الآداب جمع دأب .

نأخذ هذا النقد فى جانب البحث ، ونضيف اليه أسئلة لا يمكن أن يسلم هذا الرأى ولو خلص من نقد الدكتور طه إلا إذا أجيب عنها ، فالأستاذ نالينو لم يقل متى كان هذا الاشتقاق حتى يعتمد عليه تأريخ الكلمة ؟ وكيف كان الاشتقاق من الجمع ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وما نظيره فى لغة العرب ؟ وفى أى مذهب من مذاهب علماء اللغة كان الجمع أصلا من أصول الاشتقاق ؟ وفى أى عصر استعمل العرب هذه الكلمة بمعنى العادة ؟ وأى معنى من المعانى الأخرى كان أسبق فى الانتقال اليه من هذا المعنى الطبيعى ؟ وما معنى كون هذا المعنى طبيعيا ؟ والى أى عصر يمتد قدم هذا المعنى الطبيعى ؟ وكيف خيل الى العرب أنه جمع لا قلب فيه ؟ وكيف أخذوا مفرده أدبا ، لا دأبا ؟ هل كان ذلك بطريق تعليمى ، أو هى السليقة تخيلت وأخذت ؟ !

على أن التنظير بلفظ بئر ورئم الذى سند به الأستاذ نلّينو رأيه ليس تاما من كل وجه ، لأن « بئر ورئم » وإن أقاما الشبهة فى جانب القلب يبقى جانب الاشتقاق معها لا يسنده شيء ، وهو الأصل فى البحث .

ويقول الدكتور طه حسين : إنه ليس لدينا نص صحيح قاطع يثبت أن لفظ الأدب وما يتصرف منه من الأفعال والأسماء قد كان معروفا أو مستعملا قبل الاسلام ... ويعدى الدكتور طه هذا الحكم الى زمن صدر الاسلام ، ويرى أن حديث « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » لا يثبت حكما لغويا إلا إذا ثبت ثبوتا لا يقبل الشك أو كان من الراجح على أقل تقدير أنه صح بلفظه عن النبى صلى الله عليه وسلم . وهو لا يحفل بالكلام المحمول على الخلفاء الأربعة مما يستشهد به مؤرخو الأدب ، بيد أنه يسلم أن هذه الكلمة (الأدب) كانت شائعة مستفيضة أيام بنى أمية ، وأن أول معنى استعملت فيه إنما هو التعليم ، ثم خلص الى فرض افترضه كما افترض من قبله الأستاذ نلّينو فقال بعد تمهيد فى تأثير لغة قريش فى لغات العرب وتأثرها بها : فإذا لم نجد مادة الأدب فى لغة قريش ، ولا فى العبرانية ، ولا فى السريانية ، فليس ما يمنع أن تكون هذه الكلمة قد دخلت فى لغة قريش إبان العصر الأموى ، انتقلت اليها من إحدى اللغات التى ضاعت .

من هذا الفرض الطريف الذى فرضه الدكتور نفهم أنه يؤمن بأن العرب عرفوا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مادة (الأدب) فى عصرهم الجاهلى القديم ، وإن كان هو لم يفصح عن المعنى الذى استعملت فيه المادة ، ولم يبن عن الصيغ التى تداولها أولئك العرب الأقدمون فى إحدى اللغات العربية التى ضاعت ، ومنها انتقلت الى لغة قريش . وكذلك لم يصرح بالسبب فى عدم معرفة لغة قريش لهذه المادة معرفة (ذاتية) تقتضيها دواعى التعبير ، أو معرفة مستعارة من إحدى أخواتها فى العصر الجاهلى .

ونحن نؤمن هذا الإيمان بأن العرب عرفوا مادة (الأدب) فى العصر الجاهلى ، ونؤمن إيمانا زائدا بأن لغة قريش لم تتخلف عن صواحباتها فى هذه المعرفة .

وسنتحدث فى مقال مستقل عن قيمة النصوص الأدبية المعزوة الى العصر الجاهلى واختلاف اللغات ، والحياة الأدبية لدى العرب ، وتوحد لغة الأدب فى ظل لغة قريش قبل مجىء الاسلام ، ومناقشة دواعى الشك فى تلك النصوص . وستعلم أن هذه الحياة الأدبية كانت إذ ذاك خصبة ممتعة قوية ، فيها من المعانى والمعارف ما يجعل وجود مادة الأدب فى لغتهم يسيرا معقولا ، لأن اللغة فى حقيقتها ووجودها تعبير عن مظاهر الحياة ودواعيها . ولسنا نفهم أى مانع يحول دون صحة هذا البيت :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآداب فينا ينتقر

إذا جاءنا عن طريق الرواية الراجحة أن عربيا جاهليا يقول الرواة إن اسمه طرفة ابن العبد قاله متمدحا به ذاكرا مجد قومه بأخص صفات العرب وهى الكرم والجود ؟ وهو يهدينا الى أن العرب فى عصرهم الأول عرفوا مادة الأدب بصيغة اسم الفاعل وبمعنى الدعوة الى الولائم .

وإذا قرأنا فى بعض كتب الأدب المعتبرة عند أئمة الأدب أن امرأة عوف بن محلم الشيبانى أحد سادات العرب فى الجاهلية تقدمت الى ابنتها حين أريد حملها الى زوجها الحارث بن عمرو ملك كندة بنصيحة الأم المجربة الى الفتاة الغريرة الحديثة العهد بحياة الزوجية وإدارة البيت فتقول فيها : أى بنية : إن الوصية لو تركت لفضل (أدب)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تركت لذلك منك . فليس من حرج يقف دون أن نفهم أن مادة الأدب جاءت مجيئا آخر فى صيغتها ومعناها ، فمن جهة الصيغة استوت نصا فى الموضوع — كما يقول الأصوليون — ومن ناحية المعنى فقد نحت نحوا جديدا غير الدعوة الى الولائم ، وأصبحت تؤدى معنى التهذيب والتعليم وحسن الخلق .

وإذا حدثنا أبو الفرج فى الأغانى أن المنذر الأكبر أهدى الى أنوشروان جارية كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر ابن أبى شمر الغسانى ، فكتب اليه بصفتها ، وقال فى ثنايا كتابه : « قد أحكمتها الأمور فى الأدب » فلا عاينا أن نجرى هذا النص مجرى الشاهد المؤيد لحجة عرفان العرب الجاهليين هذه المادة وذهابهم بها مذاهب منوعة .

قد يكون بعض هذه القصص مصنوعا موضوعا ، ولكن تعددها يحميها من البطلان مرة واحدة ، وهى على الأقل تفيدنا أن العلماء والرواة كانوا مطمئنين الى أن هذه المادة مما كانت تعرفه لغة العرب الأقدمين ، وهذا الاطمئنان لا نتمسك به كدليل على إثبات حكم لغوى ، وإنما هو سبيل الى الحجة العامة ، وإن لم تعتمد على شاهد جزئى ، لأن ذيوع المادة اللغوية بصيغ كثيرة وتداولها على الألسنة يحتاج الى زمن طويل يصقلها ويذيعها ويشهرها بعد ولادتها ، وأيا قدرنا زمن واضع إحدى هذه الروايات الأدبية فلا بد من امتداده الى الماضى بالنسبة للمفردات زمنا كافيا لجعلها مألوفة الاستعمال ، وهو لا يقصر بها عن الامتداد الى العصر الجاهلى ؟

صادق ابراهيم عرجون

فضل الرجال بالاعمال

قال عبد الله بن المبارك : كل من ذكر لى عنه شيء وجدته دون ما ذكر عنه ، إلا حيوة ابن شريح وأبا عون .

ومما أثر عن حيوة هذا وخلد فى سجل مناقبه أنه قد يكون فى الدرس فتأتى أمه فتقول له : قم ياحيوة ألق الشعير للدجاج فيقوم . وهذا أبلغ ما عرف من طاعة الأمهات .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كلمات حكيمة

لفضيلة الاستاذ الاكبر

خليق بهذه المجلة أن تتصيد كل كلمة تصدر من حضرة صاحب الفضيلة الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى فتدونها وتطرف بها قراءها ، لأنها كلها ، وإن تعددت مواضيعها ، ترمى لغرض واحد وهو الاصلاح الذى ينشده المسلمون فى بقاع الأرض كافة ، ويرجون أن يبلغ كماله على عهده .

وإن فى الكلمة الموجزة التى ألقاها فضيلته فى الاحتفال بافتتاح المعهد الدينى الذى أنشأته جمعية المحافظة على القرآن الكريم بمدينة دمنهور لأصولا من الاصلاح الاجتماعى والأدبى يتعين على كل مسلم أن يقرأها ويتفهمها ويعمل على تحقيق أغراضها . قال حفظه الله :



مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

صدق الله العظيم . « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

إن الأمة الاسلامية قد عنيت بحفظ القرآن أدق عناية ، وجاهدت فى هذا السبيل أقوم جهاد ، حتى إنها حفظت روايته وعدد آياته وعدد كلماته وعدد حروفه ، وحفظت ما نزل منه ليلا وما نزل منه نهارا ، وما نزل فى السفر ، وما نزل فى الإقامة ، كما حفظت لهجاته ، فأصبح القارئ يقرأ القرآن وليس يعتريه أدنى شك ولا يداخله أقل ريبة فى أن الذى يتلوه ويقرؤه هو الذى أنزله الله ، وهو الذى قرأه الرسول على صحبه ، وهو الذى وصل الينا لم يزد عليه شىء ، ولم ينقص منه حرف ، فحفظ من التحريف والتغيير ، وكانت تلك العناية به مصداق قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

ولحفظ القرآن ثلاث درجات ، كل درجة توصل الى ما بعدها . فالدرجة الأولى لحفظ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

القرآن، حفظه فى الصدور، وتجويد حروفه، وهى التى لأجلها فتح معهدكم. والدرجة الثانية فهم معانى القرآن وأسراره وحكمه ومراميه، وهذه التى تقوم على العناية بها المعاهد الدينية، وحضرات أئمة المساجد، والوعاظ والمرشدين. والدرجة الثالثة هى العمل بما فى القرآن من أحكام، والتخلق بأخلاقه، وهذه هى الغاية القصوى، والدرجة العليا التى لأجلها بعث الله الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن أجلها أعد الثواب والعقاب وخلق الجنة والنار.

وهذه الدرجة هى التى تنتظم بها شئون المجتمع، وترقى الى أوج السعادة فى الدنيا والآخرة. وقد رأينا المسلمين فى الصدر الأول، أيام أن كانوا من هذه الدرجة فى الغاية القصوى، كيف استقام لهم أمرهم، وقويت كلمتهم، وملكوا البلاد والعباد. كل ذلك لتمسكهم بالدين، والعمل بالكتاب الكريم. فلما انحرف عنه أخلافهم وصلوا الى ما ترون من الذلة والمسكنة والضياع، حتى أصبحنا يُدبَّر لنا أمرنا ونحن لا هون، ويُقضى فى شئوننا ونحن غافلون :

ولم تكن تلك الذلة لهم فإن الله قد كتب العزة للمؤمنين، حيث يقول : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ويقول : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيستخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ».

والعمل بالقرآن يقضى بالتخلق بأخلاقه، ومن أخلاقه الصدق، والصبر، والوفاء والزهد فى الترف، وإيثار التقشف على التوسع فى النعيم. وتلك الأخلاق اليوم مفقودة من بيننا، فمن ذا الذى يصبر على المكاره، ويحمل نفسه على مشاق الطاعات ؟ فنحن إذا أردنا أن نأخذ الناس الآن على التخلق بأخلاق القرآن لا بد لنا من جهاد وصبر طويل، وقد تمر أجيال قبل تنشئة نشء مستكمل للتخلق بهذه الأخلاق، ولكننا إذا شئنا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تقويم الأخلاق من الآن فلا بد لنا من أن نطالب الحكومة ، ونطالبها بقوة أن تضع تشريعا حاسماً لردع المفسدين ، وزجر النفوس الجامحة عن الدين ، وتستعمل السوط والدرة ، إذا دعت اليهما الحال .

كان لدينا وظيفة الحسبة ، وهي وظيفة نافعة للأمة الاسلامية . كانت تؤدى لنا فائدة كبرى ونفعاً عظيما . فيجب أن تعود ، ويجب أن يعود السوط والدرة .

قد يقول فريق من الناس إنا متعصبون . فنحن نقول لهم : نعم نحن متعصبون . وليس يخجلنا أن نكون متعصبين ، متعصبين للحق ضد الباطل ، فالتعصب للدين تعصب للحق ، تعصب للفضيلة ضد الرذيلة ، وما يضيرنا أن نتعصب للحق وقد تعصب غيرنا للباطل : لقد مضى زمن كان يستحى فيه المسلم من أن يرمى بالتعصب ، وما زال ينكمش كلما سمع هذه الكلمة شيئا فشيئا ، ويتراجع شبراً فشبراً فشبراً ، حتى أخذ الغير مكانه واحتل موضعه . كل ذلك فراراً من التعصب .

وقد يقول فريق آخر إن هذا تأباه الحرية ، ولكننا نقول لهم : لا خير فى حرية تجعل من الشاب مخنثا ، ومن الفتاة شابا ، إنما نريد الرجل رجلا كاملا مستكمل الرجولة فى استقامة ونزاهة ، ونريد الفتاة أنثى مستكملة الأنوثة ، فى عفة وطهارة .

يأمر القرآن بالنصيحة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد أصبحنا فى حالة يرتكب فيها المنكر سرا وجهارا ، وليلا ونهارا ، والله تعالى يقول : « لُعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

فكل أمة يفشو فيها المنكر ولا تتناهى عنه ، تستحق اللعنة كما لعنت الأمم السابقة . وكل أمة تفسق عن أمر ربها تستحق الدمار . قال الله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » وإن الأمة الاسلامية قد راج فيها الفسق والضلال ، فاستحقت هذا الوعيد وقد حاق بها أو كاد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والأمراض التى انتابت الأمم الاسلامية ، كلها من ضعف الإيمان أو من عدمه .
إذاً الايمان ، ولا أريد أن أدخل بكم فى المسائل العلمية فأعرفكم ما هو الايمان ، ولكن يكفى أن نستعرض مظاهره :

فالايمان يقضى أن يقوم الانسان بما يطالبه منه ، ويدفعه الى ما يوجبه عليه ، ويكرهه على أداء فرائضه . فتلك هى لوازم الايمان ، وهى أداء الواجب تلبية للواجب ، فإذا انعدمت هذه اللوازم انعدم الايمان ، على ما يقوله العلماء من أن انتفاء اللازم يقضى بانتفاء الملزوم . فإذا قلنا إنا مؤمنون فعلى ضرب من التجوز ، وإذا قلنا مسلمون فعلى نوع من التساهل ؛ فالايمان داع الى بذل النفس والمال ، وإيثار مرضاة الله على كل شىء من متاع هذه الحياة الدنيا وزينتها . فكل من يكون الله أهون عليه من نفسه فليس بمؤمن . وكل من يكون الله أهون عليه من ماله فليس بمؤمن . وكل من يكون الله أهون عليه من ولده وزوجه وعشيرته فليس بمؤمن ، ولينتظر ما ينزله الله به من العقاب والنكال :

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكنُ ترضونها أحبَّ اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ثم قال فضيلته بعد إفاضة فى هذا الموضوع وحث على الأخذ بمكارم الأخلاق والتمسك بتعاليم الدين وآدابه :

أرانى أطلت عليكم فى هذا الموقف . (فارتفع الضجيج : زدنا زادك الله) .

ولكن قبل أن أختم كلمتى أحب أن أجيب عن مطلبين طلبهما منى حضرات خطباء الجمعية :

أولهما أن تكون هذه الجمعية محل عطفى وموضع رعايتى . وإنى أتشرف بأن أكون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من خدم المحافظة على القرآن . ثم قال : وأصرح لكم بأنى أعد نفسى سعيدا بأن أكون من هذا اليوم عضوا فى جمعية المحافظة على القرآن الكريم بدمنهور . (فارتفعت الأصوات بالدعاء لفضيلته) .

وأما عن المطلب الثانى وهو إنشاء معهد دينى بدمنهور ، أو قسم عام لتعليم الدين فيه ، فإنى أتمنى من صميم فؤادى نشر المعاهد الدينية فى جميع البلاد ، ولكنكم تعلمون أن هذا المطلب مرتبط بأرقام الميزانية ، والوعد مع التقيد بتلك الأرقام مجازفة ، ولكنى أعدكم أن أنشىء لكم — إذا استطعت — معهدا دينيا ، أو قسما عاما للمستمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله .



تدبير المال

قال الماوردى رحمه الله :

« إن يسير المال مع حسن التقدير ، وإصابة التدبير ، أجدى نفعا وأحسن موقعا من كثيره مع سوء التدبير ، وفساد التقدير ، كالبذر فى الأرض إذا روعى يسيره زكا ، وإن أهمل كثيره اضمحل . وقال محمد بن على رضى الله عنه : الكمال فى ثلاثة : العفة فى الدين ، والصبر على النوائب ، وحسن التدبير فى المعيشة . وقيل لبعض الحكماء : فلان غنى . فقال لا أعرف ذلك مالم أعرف تدبيره فى ماله ، فاذا استكمل هذه الشروط فيما يستمده من قدر الكفاية ، فقد أدى حق المروءة فى نفسه . وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة ، فقال : العفة والحرفة . وقال بعض الحكماء لابنه : يابنى لا تكن على أحد كلا ، فانك تزداد ذلا ، واضرب فى الأرض عودا وبدءا ، ولا تاسف لمال كان فذهب ، ولا تعجز عن الطلب لوصب ولا نصب ، فهذا حال لازم . وقد كان ذوو الهمم العلية والنفوس الأبية يرون ما وصل الى الانسان كسبا ، أفضل مما وصل اليه إرثا ، لأنه فى الارث فى جدوى غيره وبالكسب مجد الى غيره ، وفرق بينهما فى الفضل ظاهر .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلسفة الاخلاق

وصلتها بالنفس الناطقة — أثر ذلك فى المجتمع الانسانى العام

ألممنا فى البحث السابق بشىء غير قليل مما يتصل بالأخلاق التى يجب أن تكون فى الانسان كأفضل مميزاته بل مقوماته، وأبنّا ما يتألف منه قوام الأخلاق من أنواع وأقسام، وبخاصة ذلك الطابع الذى يطبع النفس بطابعها الخاص، ويروضها على أفضل المثل العليا وأعمقها أثرا فى صميم هذا المجتمع .

وليس من شك فى أن كل جسم من الأجسام له صورة تشخصه وتحدده، فلا يقبل صورة أخرى من نوع ما تعين عليه من الصورة الأولى إلا بعد مفارقته لها .

فمن المسلم به أن الجسم إذا قبل صورة من الصور كالتربيع أو التثليث مثلا، فلا يقبل شكلا آخر كالتدوير إلا بعد أن يفارقه الشكل الأول، كما أنه إذا قبل صورة من النقوش أو الكتابة أو ما اليها، فلا يتأتى أن يقبل صورة أخرى كذلك . ولكن النفوس لا تجرى على هذه السنة، فإنها تقبل جميع الصور حتى المتناقضة منها، ولا تمحو صورة أثر صورة أخرى . وهذا دليل على أنها من جوهر لطيف مباين لجوهر المادة . وأن طباع النفس وخلقها تباين طباع الجسم وخواصه، وأنها أكرم جوهرا وأفضل طباعا من كل ما فى هذا العالم من الأمور الجسمانية .

والنفس وإن كانت تتلقى كثيرا من مبادئ العلوم عن الجسم، لها من طبيعتها مبادئ أخرى، تلك هى المبادئ الشريفة، والمطالب العالية التى لا تمت الى عالم الأجسام بأوهى سبب، وهى المبادئ التى تستنبط منها الأقيسة الصحيحة .

فمثلا إذا حكمت النفس بأن ليس بين النقيضين واسطة فليس ذلك مأخوذا عن الحس . وكذلك إذا حكمت على الشىء بأنه صادق أو كاذب فلا يمكن أن يكون ذلك وحده مستفادا من الحس، ولكنه مستفاد مما تجده النفس بالقياس الى المقدمات

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والنتائج . ونحن نجد النفس العاقلة فينا تستدرك شيئا غير قليل من خطأ الحواس ، لأنه لا يضاد نفسه فيما يحكم فيه فى مبادئ أفعالها وفيما ترد عليها أحكامها . فالبصر مثلا يجوز عليه أن يخطىء فيما يراه من قرب أو من بعد ، فأما خطؤه البعيد فقد يدرك الشمس مثلا صغيرة مقدارها عرض قدم وهى فى واقع أمرها تماثل الأرض مليونا وثلاثمائة مرة عند علماء الفلك بشهادة البرهان الرياضى .

وأما خطؤه فى القريب فمثاله ضوء الشمس إذا وقع علينا من كوة صغيرة أو من مربعات صغار ، فإنه يدرك بها الضوء الواصل الينا منها مستديرا ، فترد النفس العاقلة عليه ذلك الحكم وتغلطه فى إدراكه ، وتعلم أنه ليس كما يراه .

ويخطئ البصر أيضا فى حركة السفينة والشاطئ والنجوم والكواكب . ويخطئ فى الأشجار المتراصة وفى النخيل ، وفيما هو متجانس الأبعاض حين يراها مختلفة فى أوضاعها . ويخطئ أيضا فى الأشياء التى تتحرك على الاستدارة حتى يراها كالحلقة والطوق . ويخطئ أيضا فى الأشياء الغائصة فى الماء حتى يرى أن بعضها أكبر من مقداره ، ويرى بعضها معوجا وهو مستقيم ، فيستخرج العقل أسباب هذه كلها من مبادئ علمية ، ويحكم عليها أحكاما صحيحة .

وكذلك الحال فى حاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس ، فالعقل هنا يرد هذه القضايا ويقف منها موقف المدافع الذائد عن بيضته ، ثم هو يستخرج أسبابها ويحكم فيها أحكاما ظاهرة الصحة . والحاكم فى الشىء ، المزيف له أو المصحح ، أفضل بكثير وأعلى رتبة من المحكوم عليه .

وعلى الإطلاق فإن النفس إذا علمت أن الحس صدق فى تقديره أو كذب ، فليست تأخذ هذا العلم من الحس قطعا ، ثم إذا علمت أنها قد أدركت معقولاتها فليست تعلم هذا العلم من علم آخر ، ولكن من ذاتها ، لأنها لو علمت هذا العلم من علم آخر لاحتاجت فى ذلك العلم أيضا الى علم آخر ، وهذا يمر بلا نهاية ، وليست تحتاج فى إدراكها ذاتها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الى شىء آخر غير ذاتها . ولهذا قيل فى أواخر هذا العلم : إن العقل والعاقل والمعقول شىء واحد .

وإذ قد تبين من هذه الأشياء بيانا واضحا أن النفس ليست بجسم ولا بجزء من جسم ولا حال من أحوال الجسم ، وأنها شىء آخر مفارق للجسم بجوهره وأحكامه وخواصه وأفعاله ، فلا بد من أن نعرض لشىء غير قليل مما تصبو اليه النفوس ويدخل فى متناول عقليتها ، فنقول :

من المسلم به أن النفس شيقة الى معالجة الفضائل مع نبوها عن الأفعال الجسمانية العالقة بعالم الأجسام . والفضائل لا يستطاع تحصيلها إلا بعد أن تطهر نفوسنا من الرذائل التى هى أضدادها ، وهى شهواتها الرديئة الجسمانية ، ونزواتها الفاحشة البهيمية . فإن الانسان الخيِّر إذا علم أن هذه الأشياء ليست فضائل بل هى رذائل ، تجنبها وكره أن يوصف بها ، وإذا ظن أنها فضائل لزمها وصارت له عادة . وهكذا تصبو النفوس الخيِّرة الى كل معانى الخير ، وتنبو عن كل معانى الشر ، مما سنحاول تبيانه وعلله وبسط آراء الأخلاقيين فى تكوين صورة عليا من صوره فى العدد التالى ، إن شاء الله ؟

عباس طه

من حكم خالد بن يزيد

كان خالد بن يزيد بن معاوية ، وقد تولى الخلافة ثم استقال منها تورعا ، عالما كثير الدراسة للكتب ، وربما قال الشعر . فمن شعره قوله :

هل أنت منتفع بعلـ ـمك مرة والعلم نافع
ومن المشير عليك بالر أى المسدد أنت سامع
الموت حوض لا محا لة فيه كل الخلق شارع
ومن التقى فازرع فانـ ـك حاصد ما أنت زارع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الله جل جلاله

تعاليت يا رب ما أجلك : خلقت الخلق ، وأجريت الرزق . بك ينمو الزرع ويدر الضرع .

***

سبحانك اللهم ما أوسع ملكك ، وما أعظم سلطانك : السماء والأرض لك ، والملائكة الأطهار جندك ، والملوك المتوجون عبيدك .

***

تباركت وتعاليت ، صنعت فأعجزت ، وصورت فأحسنت ، الجن والإنس خلقك ، والجسم والروح عملك .

***

لا إله إلا أنت ، منحتنا بصائر لا تنكرك ، وأبصارا لا تدركك . يسبح الرعد بحمدك ، ويترنم الطائر بمجدك . البحار لا تقر من خشيتك ، والجبال جامدة من هيبتك . ولقد جرى النسيم بلطفك ، وتقلب كل مخلوق فى رحمتك .

***

تباركت تباركت : لا أول قبلك ، ولا آخر بعدك ، كيف تخفى والشمس بعض بيناتك ؟ : وكيف تدرك والروح بعض أسرارك ؟ : فأنت الأول والآخر ، والظاهر والباطن .

***

تعاليت تعاليت : آمن بك المؤمن ولم يرك ، وجحدك الجاحد ووجوده شاهد بوجودك ! !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

سبحانك سبحانك ! بهرتنا آلاؤك ، وغاب عنا لألاؤك . ماء وحجر ، وأرض وقمر ، وزاحف وطائر ، وصادح وباغم ، أنبتّ لنا من الأرض عجبا : نخيلا وأشجارا ، وأزاهير وثمارا .

* * *

رب : من أين للورد شذاه ؟ ! ومن أين للغصن عوده ولحاه ؟ ! ومن أين للثمار طعومها المختلفة وأشكالها المتباينة ؟ ! من أين كل هذا يارب ؟ ! سائغ وغير سائغ ، وناصع وفاقع ، تباركت مخرج الخضراء من الغبراء ، وخالق العجب من طين وماء !

* * *

سبحانك سبحانك ! جلت عظمتك ، أعجزت الانسان بالجبال والتلال ، بل أعجزت الانسان بذات الانسان ، عظم ولحم ، وعروق ودم ، وظفر وشعر ، وسمع وبصر ، قلت للسان ذق ، وهو فلذة لحم ، فذاق ، وقلت للعين أبصرى فأبصرت وهى ماء .

* * *

سبحانك اللهم وهذا القلب الخافق بم يخفق ؟ ! أشهد أن لا إله إلا أنت ، عجزت عقولنا عن الإحاطة ببعض ما خلقت ، فكيف تحيط بك ؟ ! سبحانك اللهم سبحانك ! هذه دنياك فكيف آخرتك ؟ ! وهذا شأن آثارك فكيف شأنك ؟ ! تقدست من إله صدق ، وتعاليت من رب حق !

محمد الاسمر

موعظة جليلة

كتب رجل الى أبى العتاهية :

يا أبا اسحق إنى واثق منك بودك
فأعنى بأبى أنـ ـت على عيبى برشدك

فاجابه بقوله :

أطع الله بجهدك راغبا أو دون جهدك
أعط مولاك الذى تطلب من طاعة عبدك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فقيد العلم والدين

فاتنا أن ننعى لحضرات القراء المرحوم السيد محمد رشيد رضا فى العدد الماضى ، وعذرنا أنه كان قد تم طبعه ولم يتأخر إلا انتظارا لطبع الملزمتين الانجليزيتين ، فنستدرك ذلك اليوم ، وإن كان قد وصل نعيه الى المسلمين كافة فى جميع بقاع المعمورة ، وقوبل بأسف شديد وأسى عظيم . ولا عجب فقد تجرد السيد رحمه الله لخدمة الاسلام ، ووقف له كل ما وهبه الله من علم وقوة وصبر ومثابرة ، وليس يؤسف الناس من وفاته خفوت صوت من أرفع الأصوات فى الدفاع عن الاسلام فحسب ، ولكن من خلو مكان رفيع كان يشغله أيضا بين العاملين على تطهير عقول المسلمين من البدع التى اعتبرها عامتهم من الدين وليست منه فى شيء .

نعم إن ثورة المرحوم السيد رشيد على البدع لا يوجد لها نظير إلا فى أفراد من السلف الصالح ، فقد صمد لها صمودا أشفق عليه منه حتى الذين كانوا يشاطرونه رأيه من العارفين ، ولكنهم لم يؤتوا الشجاعة التى أوتيها فباتوا يتوقعون له الشر المستطير . وقد لقى منه مالو لقيه سواه لصده عن السبيل ، ولكنه ثبت للمعارضين ، واستبسل فى الكفاح أيما استبسال ، حتى استطاع بفضل إخلاصه وصبره أن يحدث فى الصفوف المتراصة حياله ثغرة اقتحمها على مناوئيه وفى أثره جمهور غفير ممن كانوا لا يجرءون على مواجهتها مجتمعين ، فاصبحنا وللسنة الصحيحة أنصار مجاهرون ، وحيال البدع خصوم مجاهدون .

فلو لم يكن لفقيد العلم والدين السيد رشيد غير هذا الموقف لخلد ذكره فى تاريخ المسلمين . فما ظنك به وقد أسقط دولة التقليد ، تلك الدولة التى قضت على المسلمين بأن ينقسموا شطرين شطرا جمدوا على ما هم عليه من التقاليد المنافية لروح الدين ، وقوما مرقوا من الاسلام واتخذوا لهم طريقا غير طريق المؤمنين ، فلو كان دام سلطان التقليد لقضى على حزب التقليد أن يفنى فى حزب الخارجين ، وهى كارثة جدير بكل من يعرف حقيقة الاسلام أن يذوب قلبه أسفا منها .

فكان السيد رشيد البطل المعلم فى هذا الموطن الشريف ، تلقى فيه بصدره كل ما يتلقاه المصلحون من الجامدين ، وكان لجهاده أثر بعيد فى تبصير المسلمين بسماحة دينهم وبقاء باب الاجتهاد فيه مفتوحا الى يوم يبعثون .

فرحم الله هذا المجاهد الكبير رحمة واسعة ، وأجزل له من عطائه وأحسن قراه ، ورفع منزلته بين عباده المقربين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تصحيح أخطاء

ورد فى مقالة بالعدد الممتاز لفضيلة الشيخ عبد الفتاح بدوى صفحة ٤٦ حديث منسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم الخ » وقد نبهنا فى الصفحة ٣٥٢ من الجزء الخامس بأنه من مأثور الحكم الاسلامية وليس بحديث .

وجاءنا استدراك على مقالة فضيلة الأستاذ ابراهيم عمار المنشورة فى صفحة ١٠١ من العدد الممتاز ، بأنه اعتبر عبادة بن الصامت من الأرقاء ولم يكن رقيقا . واعتذر الأستاذ عن ذلك بأنه لم يعتبره رقيقا إذ قال : « وعبادة بن الصامت الذى كان أسود فاحما يرسل على رأس وفد ليضع مع المقوقس عظيم القبط فى مصر شروط الصلح مع العرب » . وإنما خصه بالذكر لأن المقوقس أنف أولا أن يفاوضه لسواد جلده ثم اضطر لمفاوضته .

وأبلغنا فضيلة الشيخ عباس طه أنه سقط من مقالته المنشورة فى الجزء الخامس تعليق ذكر فيه أنه استأنس فيما كتبه برأى المرحوم ابراهيم افندى على أخذا من كتابه أسرار الشريعة الاسلامية .

وجاء فى العدد السادس أيضا هذه الأخطاء :

صفحة	س	خطا	صواب
٤٢٣	١٠	التى علقت	الذى علق
٤٢٨	١٣	لخطينا	لخطونا
٤٣٣	١٤	شيزار	شيزر
٤٣٣	١٩	حصن حيفا	حصن كيفا
٤٣٥	٩	واصف شاه	وصيف شاه
٤٣٧	٩	ابن الرحيب	ابن الراهب
٤٣٧	١٩	أربلا	إربل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام الصحيح

هذا اسم كتاب ألفه حضرة الأستاذ اللوذعى محمد إسعاف النشاشيبى من أعضاء المجمع العلمى العربي جاء فى ختام مقدمته : « وبعد فهذا كتاب يثبت للمسلم دينه ، ويقوى إيمانه ويقينه ، ويحامى عن كتاب الله ، ويذود عن رسول الله ، ويدعو الناس كافة الى هدى الله ، وقد استعان صاحبه بالله ، وهدى بالقرآن : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » ، واستظهر بالعربية : « وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا » ، فالعربية ترجمانه ، وبها تبيانه ، والعربية لسان هذا الدين »

أما أهم المباحث التى أفاض فيها فهى : الوهابية . الزيدية . الشيعة . الامامية . آل البيت . التفسير والعقل . الصلاة على النبى . هل فى الاسلام طبقات . الاحاديث والمحدثون . وقد أجاد فيها كل الاجادة ، ووفى بما يطلب من عالم بصير فى هذه المواطن . ويمتاز هذا الكتاب بكثرة تعليقاته ، ولكنها مفيدة للغاية ، وتقف التالى للكتاب على ما لايتسنى الوقوف عليه إلا بعد إنفاق أوقات طويلة . فنشكر لحضرة المؤلف عمله الجليل ، ونرجو له التوفيق .

رسالة الحج – فلسفته وأسراره

هذه الرسالة كتبها أحد رجال السلك السياسى المصريين تحت اسم « دبلوماسى » وهى فى نظرنا من أحسن وأبلغ ما يمكن أن يكتبه كاتب عصرى مثقف العقل تثقيفا علميا ، وواقف على أسرار الاجتماع وعلوم النفس . وقد كتبها بلغة عربية فصيحة جمعت الى جزالة العروبة ، جمال الديباجة وسمو الأسلوب . فهى من الرسائل التى يحرص مقتنيها على قراءتها فى مجلس واحد ، وتطالبه نفسه أن يقرأها على غيره ، وإن فى ظهور مثل هذه الرسالة القيمة دافعا قويا لأهل الثقافة العصرية لأداء فريضة الحج . فنشكر دبلوماسينا الكريم راجين الله أن يكثر من أمثاله .

سوانح التجاريب

هذه حلقة جديدة من سلسلة دواوين عديدة أصدرها حضرة الشاعر النابه محمد افندى توفيق خالى بوزارة المعارف . وقد تصفحنا هذا الجزء فوجدناه كالأجزاء التى سبقته : سداه ولحمته الموضوعات الاجتماعية ، والشئون الوطنية ، حتى ليكاد يكون حضرة الشاعر المفضال متفرغا لها دون سواها ، ونعم ما اختار لنفسه . فنرجو الله أن يزيده توفيقا وتسديدا ، وأن ينفع المجتمع بما ينشئه من القصائد فى هذه الموضوعات المختارة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مهمة الدين الاسلامى فى العالم

٢٤

دعوته الى تاسيس مدنية عالمية فاضلة

إن كلمتى مدنية ودين تعتبران فى عرف أهل العصر الحاضر متناقضتين ، فإن ذكرتَ الكلمة الأولى أيقظتَ فى ذهن سامعك الزخارف الفنية ، والمبدعات الصناعية ، والمتع المادية بما تنطوى عليه من المراقص والمسارح والملاعب . متع مطلقة من القيود إلا ما تحده العادات ، مفتكة من الربط إلا ما توجبه الآداب المتفق عليها ، والتقاليد المعمول بها ، لا الآداب ولا التقاليد التى يقررها العلم ، وتحررها الفلسفة . وربما أيقظتَ فى ذهن سامعك مبدأ الإباحة أيضا ، ولكن فى حدود تلك الآداب المتفق عليها .

وإن ذكرتَ كلمة دين نبهتَ فى نفس سامعك الزهد عن متع الحياة ، والتملص من علائق الدنيا ، ومكافحة الميول البدنية مكافحة لا هوادة فيها ، والنظر الى الزخارف والمبدعات الكمالية نظر استخفاف وزراية ، وتطهير النفس من كل رغيبة مادية ، وإنكار حقوق الجسد لمصلحة الروح التى يجب أن تستوعب جميع القوى المعنوية .

هذان الاعتباران المتناقضان قد تغلبا على العقلية الانسانية فى أكثر الأمم ، وبَعُد العهد عليهما حتى لا يكاد الباحث يعثر على مبدأ نشوئهما ، وقد تقررا فى الأذهان الى حد أن أصبحا فى عداد البداهات العلمية ، وجاءت أقوال وأعمال حفظة الأديان مؤيدة لهما بحيث صار من المتعذر إعادة النظر فيهما .

ولكن القرن العشرين قد وضع كل المدركات البشرية فى الميزان ، حتى ما كان يعتبر منها من المقررات العلمية التى لا تقبل الشك ، وهل بعد الأصول الميكانيكية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والرياضية شىء فى الرسوخ والاستقرار ؟ فقد جعلها العلم هى أيضا تحت التمحيص ، فلم يبق بعد هذا شىء يتعالى على إعادة النظر فيه .

ونحن نستفيد من هـذه النزعة التجديدية فنعالج مسألة المدنية والدين تحت هـذا الضوء الساطع ، فنقول : هل يمكن أن تتفق المدنية والدين ؟ وهل المدنية بطبيعتها تنافى الدين ؟

وقبل أن نخوض فى هذا البحث ننظر فى ماهية المدنية وماهية الدين، حتى يكون حكمنا بإمكان اتفاقهما أو تنافيهما مؤسسا على أصول صحيحة ، ومقررات قوية . فما هى المدنية وما هو الدين ؟

إذا اعتبرت كلمة المدنية فى أوسع معانيها دلت على مجموعة من الشئون تشمل المبادىء المقررة ، والعادات الشائعة بين الآحاد المؤلفين لمجتمع مستقل . وعليه فتوجد مدنيات بقدر ما وجد ويوجد من جماعات . ولـكن ليست كل المدنيات تستحق هذا الاسم على إطلاقه . فكل منها يقرب أو يبتعد عن المثل الأعلى للمدنية على نسب مختلفة . وهـذا المثل الأعلى يتألف من اجتماع أصول بالغة أقصى درجات السمو ، مستمدة وجودها من صميم الروح الانسانى فى أصفى وأنزه ما تكون عليه ، ومنطبقة على العلم والفلسفة فى أقصى ما تؤدى اليه .

فمن يوم أن وُجد الناس على الأرض وألفوا الجماعات ، وُجدت لديهم مدنيات تناسب أحوالهم ، ثم أخذت هذه المدنيات ترقى يسيرا يسيرا حتى وصلت الى ما نحن عليه اليوم ، فهل ما نحن عليه هو المثل الأعلى الذى ليس بعده مذهب ؟ هل الأصول التى تقوم عليها مدنيتنا بالغة أقصى درجات السمو ، ومستمدة وجودها من صميم الروح فى أصفى وأنزه ما تكون عليه ؟ وهل هى منطبقة على العلم والفلسفة فى أقصى ما تؤدى اليه ؟

إن أهل هذه المدنية أنفسهم لا يدّعون ذلك ، ويرجون أن يهذبوا من أحوالهم لتصل الى المثل الأعلى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بقى الدين ، فهل هو شىء غير المثل الأعلى الذى يتخيله الانسان المدنية ؟

نعم: إن المتمدنين قد ساءت ظنونهم فى الأديان ، لما رأوه من سيرة زعمائها فى الأمم التى خضعت لزعاماتهم ، ولما أدخل عليها من الآراء والتأويلات ، حتى يئسوا أن يوجد واحد منها ينطبق عليه مميزات المثل الأعلى للمدنية .

إنهم لا ينكرون أن الأديان تعلم الرحمة والإيثار والبذل ، ولكنهم يقولون إنها فى مقابل ذلك تبث عقائد تنافى أوليات العقل ، وبداهات النظر ، وتحرم على ذويها إجالة الفكر فيها ، وتمادى العلم وتقف له كل مرصد ، علما منها أنه ينير البصائر وينفر الناس من العقائد التى نَصبوا أنفسهم قُوّاما عليها ، وتقييد الحريات الطبيعية ، وتضييق الخناق على المذاهب الفلسفية والآراء المستقلة ، وقد فتك قادتها بألوف مؤلفة من خيرة العلماء وجلة الفلاسفة ممن تجاسروا على بث تعاليمهم فى القرون الماضية .

وقد تأثروا من هذه المشاهد التاريخية الى درجة أنهم أصبحوا لا يعتقدون أن دينا فى الأرض يخلو من هذه العقبات الكأداء فى سبيل تقدم البشرية . ولذلك فهم يبغضون الأديان جملة وإن كان عامتهم لا تزال تتمسك بخيالات منها لا سلطان لها على أعمالهم اليومية ، والسواد الأعظم منهم يعدون أنفسهم منها بالاسم دون الواقع .

فاذا أمكن إقامة الدليل على أن واحدا من الأديان تنطبق أصوله على مميزات المثل الأعلى للمدنية ، فلا يوجد مايمنع من إعلان اتفاق الدين الحق والمدنية .

ونحن معشر المسلمين نعلم أن الاسلام ينطبق على المثل الأعلى للمدنية ، ويزيد عليه سموّا ، فعلينا وحدنا التدليل على ذلك ، والقيام بنشره فى الآفاق فى أسلوب من العلم يرضاه المتمدنون ، ويلتئم ومقرراتهم الفلسفية .

فالاسلام بمعناه اللغوى والاصطلاحى يدفع الانسان للتجرد من الأحوال البهيمية ، والتخلق بالأخلاق الإلهية ، فى أسمى مايتخيله العقل من نزاهة ورفعة روحية . وقد قُدِّرت أصوله ومبادئه على هذا المعنى ، ليصل الانسان بالقيام عليها الى تحقيقه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى عالم الانسانية . فليس هو بعدوّ للعقل ولا للعلم ، بل هو يعتمد عليهما فى التدليل على سموه ، وعلى أنه عام وخالد خلود الأصول الأولية ، والحقائق العلوية .

وقد أطلق كل المواهب الكريمة للنفس البشرية ، بعد أن قرر أن النفس نفحة إلهية ، إطلاقا لا يقف بها عند حد من توثباتها التكملية ، فلم يضع للخير حدا ، ولا للعقل والعلم تخما ، ولم يعين للإحسان دائرة ، ولم يحصر العدل والرحمة فى قبيل دون قبيل ، ولم يجعل للارتقاء الصورى والمعنوى مدى لا يتجاوزه ، ولم يعين للفضيلة أحوالا لا تتعداها . وشرطه فى كل هـذه الإطلاقات أن تكون غايتها الحق والخير ، والارتقاء الشخصى والاجتماعى .

وكما فتح الإسلام للنفس باب الارتقاء الروحانى على مصراعيه ، ووسع من مداه الى ما لا يصل اليه خيال المتخيل ، فتح كذلك لها باب الارتقاء المادى ، فلم يحرم عليها علما نافعا ، ولم يضع للعلوم حدودا ، واستنهض الهمم للشئون الصناعية ، والإبداعات الفنية ، إلا ما كان منها عاديا على الفضائل النفسية ، أو مثيرا للقوى الشهوانية . وعد الارتقاء فى هـذه المجالات العلمية والعمليـة فتوحا إلهية يثاب عليها الموفق لها ثواب العاملين على ترقية الانسانية .

هنا يسوغ لى ، وقد انتهيت الى هـذا الحد ، أن لا أكتفى بالقول بأن المدنيـة والدين يجب أن يتفقا ، بل أعلن على رءوس الأشهاد أن الدين هو ذروة المدنية ، وليس معنى هذا أن كل مدنية قائمة دين ، وأن كل دين قائم مدنية ، ولـكن معناه أن المدنية التى تستحق هذا الاسم بنزاهة أصولها ، وطهارة مبادئها ، وحكمة حرياتها ، وسمو أغراض عواملها الخ ، هى غرض دين الحق الخالص من كل شائبة بشرية ، المؤدى الى أرفع الكمالات الصورية والمعنوية .

أشعر وأنا أفضى بهـذا التقرير أن معترضا يقاطعنى قائلا : إن كان ما تقولونه يسوغ فى عالم الخيال ، فـلا يسوغ فى عالم الحقيقة ، وليس له صـورة فى الواقع ، فإن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الإنسان فى تسياره نحو التكمل وهو على فطرته من تسلط العوامل الشهوانية عليه ، لايستطيع أن يعيش على حالة من النزاهة والسمو لا يكون عليها إلا الأفذاذ المفطورون على الفضائل . فالمدنيـة لا يمكن أن توجد إلا ملتاثة بالرذائل ، بل ولا تزداد ارتقاء وازدهارا إلا بحوافز قوية من الشهوات البهيمية . فاذا صح هذا ، وهو ما لاسبيل الى إنكاره ، وجب القطع بأن المدنية تنافى الدين منافاة لا وفاق معها .

نقول : إن هذا الاعتراض لا يضيرنا فى شىء ، فإننا أقمنا الدليل على أن المدنية الفاضلة المنزهة عن الرذائل ، تتفق والدين الحق ، بل هى غايته المرجوة . وهذا القول لا يعنى أن المدنيات التى ظهرت فى العالم الانسانى لم تك ملتاثة بأقذار الشهوات البهيمية ، والانحرافات العقلية ، ولا يعنى كذلك أن المدنيات المستقبلة تبلغ قبل تمام نضجها مبلغ الدين من النزاهة الروحية ، والطهارة القلبية .

ولكن هل يرى المعترض أن ليس للمدنيـة مثل أعلى تحاول الاقتراب منه على قدر الإمكان ؟

إن قال نعم ، قلنا وهذا المثل الأعلى هو الدين الحق كما قررنا .

وإن قال لا ، قلنا هذا محال ، لأن لجميع المحاولات البشرية مُثُلا عليا تحاول القرب منها ، والوصول اليها ، وإلا استحال عليها الترقى عما هى عليه ، بل إن هذه المثل العليا تتألف لهذه المحاولات بنفسها باعتبار أنها الغايات النهائية لها ، فإن منعت موانع من الوصول اليها بقيت هى ماثلة نصب أعين العاملين ، تحفزهم لتحسين وسائلهم لبلوغها .

والمدنية لا تشذ فى هـذا عن سائر المحاولات البشرية ، بل هى أدعاها للمثل العليا فى كل عنصر من عناصرها العلمية والعملية . لذلك تجد جماهير من أعلم علمائها انقطعوا لدراسات مختلفة تتعلق بها ، منها ما يتصل بأخلاق الأفراد وآدابهم ، ومنها ما يختص بأصنافهم وطبقاتهم ، ومنها ما يبحث فى مقومات الاجتماع وما ينتابهـا من عوامل مضعفة وعوامل مقوية ، ومنها ما ينظر فى البيئة وفواعلها ، وما يجب إصلاحه منها الخ .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكل هذا يشعر بأن المدنية فى حاجة ماسة الى التقويم والتعديل فى كل شىء من أشيائها .

وكل هؤلاء العلماء لا يفترضون فى أعمالهم أن المدنية لا تقوم إلا ملتاثة بالشهوات والموبقات ، كما لا يفترض علماء الصحة أن الناس لا يستطيعون أن يعيشوا إلا مرضى على نسب مختلفة ، ولكنهم يبحثون فى موضوعاتهم على أكمل ما تكون الصحة عليه . فالذين يبحثون فى الأخلاق والآداب يأتون بالمُثل العُليا لها غير مبالين بإقبال الناس عليها أو إدبارهم عنها ، منبهين الى خطر الاستعصاء عليها ، ويجرى مجراهم سواهم ممن ينظرون فى شئون أخرى .

كذلك لا نستطيع ، ونحن نبحث فى هل يمكن اتفاق الدين والمدنية ، أن نفترض الحالات المرضية للمجتمعات فنبنى على ذلك رأيا علميا لا يلبث أن يُظهر فسادَه تطور جديد للجماعات ، أو انقلاب فكرى لا يجول فى خيال أحد ، والمفاجآت فى العالم الانسانى لا تقف عند حد .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ظهر لنا مما مر كله أن المدنية الفاضلة لا تنافى الدين ، بل الدين هو المثل الأعلى لأرقى مدنية ، ونعنى بالدين الدين الإلهى الخالص من كل شائبة بشرية ، لا الدين الذى تداولته الجماعات بالتحريف والتصحيف ، والشرح والتأويل ، حتى خرج عن حقيقته وأصبح هيكلا حجريا غير قابل لماشاة التطورات التى تدخل فيها الانسانية فى كل مرحلة من مراحل حياتها العقلية والمادية .

وليس بين أيدى البشر من الأديان ما حفظه الله على نقائه الأول غير الدين الاسلامى . وقد رأيت مما ذكرناه عنه إجمالا فى هذه المقالة ، وما أفضنا فيه تفصيلا فى مقالاتنا السابقة ، ما يكفى لإثبات أنه المثل الأعلى لمدنية فاضلة إن لم تصل اليها الانسانية الى اليوم فستصل اليها لا محالة تحت تأثير التطورات الأدبية التى لا تفتأ تطرأ عليها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا يقولن قائل : أنَّى هذا ، والعالم يزداد كل يوم إيغالا فى حمأة القاذر ، وإسفافا الى حضيض المناكر ؟

لأنا نقول :هذا صحيح ، ولكن تدهوره هذا يصحبه شعور قوى بالتقزز مما هو فيه ، يدل عليه القلق الذى يساوره فى كل حركة من حركاته ، وروح السخط المستولية عليه حتى وهو فى معمعان لذّاته ، وهذا أمر طبيعى من كائن كل ما فيه يدعوه للتكمل ، ويهيئه لخلافة الله فى أرضه .

فكل ما يمكننا أن نقوله فى أمر هذا التناقص أنه دور من أدوار الحياة ينتهى أمده ، ثم يحل محله دور جديد فيلبث حتى ينقضى عهده ، ثم يخلفه غيره ، وهلم جرا حتى تَطْهر الفطرة البشرية من أقذائها ، وإذ ذاك تسير الى الكمال قُدُما لا يلويها عنه شىء حتى تصل اليه .

وفى أثناء هذه الانقلابات لا يفتأ الاسلام مثلا أعلى للمدنية تتقرب الانسانية منه يسيرا يسيرا حتى تبلغه ، وإذ ذاك تشعر النفوس بسعادتها الحقة ، فتعيش فى أمان وسلام ، فاذا انقضت آجالها تابعت ترقياتها فى عالم الروح المحض ، حيث تجد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؟

محمد فريد وجدى

فضل الادب

قال شبيب بن شبة : اطلبوا الأدب فانه مادة للعقل ، ودليل على المروءة ، وصاحب فى الغربة ، ومؤنس فى الوحشة ، وصلة فى المجالس .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الأدب فانكم إن احتجتم اليه كان لكم مالا ، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا .

وقال بعض الحكماء : اعلم أن جاها بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال ، وجاها بالأدب غير زائل عنك .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة الرعد

— ٧ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ . وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، قُلِ اللَّهُ ، قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ، أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ، قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ » .

قد رأينا فى الآيات السابقة كيف تجلّت آيات الله الكونية على وجه لايدع للريب مسلكا الى النفوس التى تبتغى الهدى وتنشد الحق وتريد الابتعاد عن مزلّات الضلال ، فمن رفع السموات بغير عمد ، الى تسخير الشمس والقمر ، الى مد الأرض وبث الجبال والأنهار ، من الآيات الثابتة المستقرة ؛ ثم تجديد الزروع والثمار وتنويعها أنواعا مختلفة فى الأكل والفوائد والآثار ، مع تجاور بقاعها واتحاد سقيها ، من الآيات المتجددة التى تحرك النفوس الجامدة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ورأينا كيف كان أولئك العتاة الطغاة من الكافرين المكابرين لا يزالون فى غباوتهم وبلادة أذهانهم يتعجبون كيف يقدر المنشئ على أن يعيد ما أنشأه ، وهو عجب يحق منه كل العجب ، فمن أراد أن يعجب فمنهم يعجب .

ثم رأينا كيف كان حمقهم يدفعهم الى استعجال السيئة تصيبهم ممن شاهدوا إيقاعه العذاب بمن هو أشد منهم بطشا وأكبر قوة ، ذلك العذاب الذى هو المثل الأقصى والجدير بأن يتمثل به من يستعرض أنواع العذاب وأشدها .

ورأينا كذلك كيف عميت بصائر أولئك القوم فلم ينتفعوا بالآيات تترى على مرأى منهم ، بل أنكروا وجودها وطلبوا أن ينزل عليه آية من ربه ، مما جعل الحق فى جوابهم أن يعرض عنهم وعن طلبهم وعن تعنتهم ، ويبين لهم قيمتهم وأنهم أحط قدرا من أن يكون الحق مسخرا لأهوائهم وأسير رغباتهم ، أو أن يكون اهتداؤهم أمرا خطيرا لدى من يدعوهم حتى يقض مضجعه ويقلق راحته أن يفوته اقتناعهم ، فأمر الداعى عليه السلام أن يمضى فى طريقه ولا يأبه بهم ولا يعتد بطلباتهم ، فقيل له : « إنما أنت منذر » فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، وقد خلت البينات والنذر ، ولكل قوم هاد .

وقص عليه صلى الله عليه وسلم ما يُطَمْئن فؤاده ، ويهون أمرهم عليه ، ويملأ قلبهم روعة ، ويعرفهم مقدار أنفسهم فى نظر الحق ، فذكر علمه تعالى بما دق وما جل ، وما خفى وما ظهر ، وإحاطته بخاجات الأعين وخطرات النفوس ، وإحاطته كل موجود بمظاهر القدرة وملائكة التصريف يحيطون به ، ويحصون عليه كل ما صدر منه ، وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، كل هذا تطييب لنفس الداعى صلى الله عليه وسلم وتهوين لأمرهم ، وإنذار لهم بأنهم لا يفلتون من قبضة الحق جل جلاله .

وقد أردف ذلك كله بتقرير القاعدة المروعة الآخذة بالقلوب ، وهى المذكورة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى قوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مردّ له » فما أجدرهم حينئذ أن تهتز أعصابهم وتلين قلوبهم ، ويثوب اليهم رشدهم ؛ ولكن أنى هذا وقد أغفلوا عقولهم ، وكرهوا الرشاد يأتيهم على يد رجل منهم ، ووصل عنادهم بل كراهيتهم لمصلحتهم أن يقول قائلهم : « اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » : فهل مثل هؤلاء ينفعهم إلا آيات التخويف والترهيب يصحبه شيء من التشويق والترغيب ؟ هذا هو ما ذكر فى الآية التالية وهى قوله : « هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » . وبهذا يكون قد جمع لهم الآيات المتنوعة التى تكفى كل آية منها لهداية أصلب الناس عودا وأشدهم عنادا ، فكيف وقد اجتمعت على ما رأيت من تنوعها ؟ إنهم بعد ذلك يجادلون فى الله ، ويتمحلون ويكيدون ، فليكيدوا ما شاءوا فهو شديد المِحال والقوة والكيد .

بعد أن تتقرر الآيات والأدلة على هذا الوجه البرهانى ، وتكمل ناصعة لا يشوبها شائبة ولا يقاربها ريبة ، يجيء دور تقرير النتيجة اللازمة قارة مستقرة لا زلزلة فيها ولا تردد . هذا هو قوله جل من قائل : « له دعوة الحق » . والضمير فى (له) لله سبحانه وتعالى ، ودعوة الحق من إضافة الموصوف للصفة مثل كلمة الحق . والدعوة بمعنى الدعاء أى الطلب ، أو بمعنى العبادة ، فانها إنما تكون لمن يرجى منه النفع ودفع الضر فيطلب منه ذلك .

فالمعنى على الأول أن من يريد أن يطلب الخير لنفسه أو دفع الضر عنها فحقه ألاّ يطلب ذلك إلا من الله ، فهو الكفيل بإجابة من دعاه ، والدعاء الحق لا ينبغى أن يوجه إلا اليه ، فكيف ينصرفون عنه ويدعون من لا يستجيب لهم بشيء من تلك الاصنام التى لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا فضلا عن أن تملكه لغيرها ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والمعنى على الثانى : بعد أن رأيت من آيات ربوبيته ودلائل عزته وقدرته ما رأيت فلا ينبغى أن تكون العبادة إلا له ، فله وحده العبادة الحقة .

وعرفت أن تسمية العبادة دعوة ، لأن من يَعبد إنما يعبد من يغيثه إذا استغاث ويجيبه إذا دعا ، فالعبادة الحقة لا تكون إلا لله ، والدعوة الحقة لا ينبغى أن توجه إلا لله . وهذا الحصر مأخوذ من تقديم الخبر وهو « له » على المبتدأ وهو « دعوة الحق » .

ويصح أن تكون إضافة دعوة للحق لأنها ملابسة للحق يصحبها ، ولا يشوبها بطلان ، فيكون المعنى أن الدعوة التى تصحب الحق والصحة وهى جديرة بالإجابة ، هى ما وجهت اليه جل شأنه ، أو الدعوة التى تصدر عن القلب صدورا حقيقيا وتهرع لها النفس منبعثة من أعماقها كدعوة الخوف الشديد ، لا تكاد تنبعث إلا موجهة اليه عز وجل ، كما قال تعالى : « وإذا مسّ الإنسان الضرُّ دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مرّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسّه » .

وهذه المعانى على تقاربها تجد فيها تفسير الدعوة بالطلب أشد مناسبة لما يأتى فى قوله : « والذين يَدْعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء » وتفسيرها بالعبادة أشد مناسبة لما سبق من الآيات الدالة على تفرده تعالى بالربوبية وتصريف الكائنات ، فهو الأحق بأن يعبد .

وقولنا أشد تناسبا ، لأن فى كل من المعنيين مناسبة لكل من السابق واللاحق ، فالمعبود الحق هو من يجيب المضطر إذا دعاه ، وليس هو من لا يستجيب لداعيه بشىء ؛ والطلب الحق هو ما يوجه الى القادر القاهر ، الذى ظهرت آيات ربوبيته ، وبهرت دلائل قدرته . وأيضا الدعوة الحقة والعبادة الحقة هى ما لابست الحق والثبات ، وبعدت عن مصاحبة البطلان بوجه من الوجوه .

قال تعالى : « والذين يَدْعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الذين يدعون من دونه هم المعبودات التى كانوا يعبدونها : من أصنام ، وأوثان ، وكواكب ، وملائكة . والتعبير عنهم بلفظ الذين مع أنه للعقلاء وأكثر معبوداتهم أصنام لا تعقل ولا تعى ، من باب مجاراتهم فى مزاعمهم ، فإنهم لما وجهوا اليهم العبادة وطلبوا منهم ما لا يطلب إلا ممن يعى ، كانوا فى نظرهم من العقلاء الذين يعبر عنهم باسم الموصول الذى هو للعقلاء ، ليلتقى التعبير الصورة التى فى أذهانهم لتلك الأصنام . أو لأن هذه الأصنام جعلت تماثيل لأفراد من الصالحين ابتدأت بإحياء ذكرهم ، ثم انقلب الأمر عليهم فعبدوهم . أو لأن من المعبودات الملائكة وبعض الأنبياء ، فغلبوا على بقية الأصنام .

وضمير يدعون للمشركين والعائد على الموصول محذوف ، أى والأصنام الذين يدعوهم المشركون ويطلبون منهم ، أو يعبدونهم ويتقربون اليهم ، لا ينتظر لهم منهم فائدة ، ولا تعود عليهم بهم عائدة ، فانهم لا يسمعون دعاءهم ، ولو سمعوا ما قدروا على شىء ، فهم لا يجيبون لهم طلبا إلا كما يجيب الماء من بسط يديه اليه متضرعا ويقول له : يا ماء ! الىّ الىّ ، أغثنى وأرونى : فاذا كان الماء فى البئر أو فى النهر يسمع تضرع من يتضرع اليه فيرتفع اليه من بئره إجابة لدعائه ، أو ينتقل الى الطالب من نهره سماعا واستجابة ، فلينتظروا من معبوداتهم أنهم يستجيبون لهم . فيكون معنى باسط كفيه الى الماء ، أى بسط تضرع ودعاء . ويجوز أن يكون معنى بسط الكفين الى الماء أى أخذه بكف مبسوطة ممدودة منشورة الأصابع ، فكيف تنقل هذه الكف الماء ليبلغ فاه والماء لا بد له من ممسك ضابط يحفظه أن يسيل ؟ ولعل الأول أبلغ فى تصوير حالهم ، وأنسب بما هم فيه من دعاء من لا يستجيب .

وكلمة ليبلغ فاه لتصوير اضطرارهم وهلعهم ، فإن كلمة ليبلغ فاه تعطى أنه على أشد ما يكون حرارة من الظمأ ، فهو يعالج ليبلغ الماء الى فيه حتى يطفى لهيبه ويروى ظمأه .
وهذا أشد فى التصوير من قولك : ليصل اليه الماء ، أو ليحرزه ، أو لينناله ، أو نحو ذلك ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فربما كان طلب الماء لبعض الشئون الكمالية، أو من باب الاستعداد للطوارئ مثلا، بخلاف كلمة ليبلغ فاه، فانها تصوير لحالة الظمأ على أشدها، وأنه يجدّ لبلوغ غاية يسعى للوصول اليها. وقوله: « وما هو ببالغه » تصوير لليأس والحرمان المحيط به، الموقع له فى الحزن والكمد، المقطّع للأوصال والمحرق للكبد، وذلك هو المقصود من سياق ذلك التمثيل، فهو أحق بأن ينص عليه صراحة وإن كان لو سكت عنه لفهم من حال من يتضرع الى الماء أنه لا يجيبه، ومن مد كفيه ونشر أصابعه، أنه لا يصيبه، فيكون من التصريح بالمقصود، لأنه أبلغ فى النكاية والتنكيل بهم.

وحاصل المعنى تصوير حالهم وقت اضطرارهم المعونة والمساعدة — وما أكثر ذلك الوقت فى الحياة — ودعائهم تلك الأصنام التى لا تغيث ملهوفا ولا تجيب مضطرا، بل لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا، بل لا تسمع ولا تعقل ولا تغنى عنهم شيئا، بصورة من قتله العطش وأهلكه الظمأ، ورأى الماء أمامه يجرى فى نهره أو يستقر فى بئره، فوقف أمامه يتضرع اليه ويبسط اليه كفيه: أغثنى أيها الماء الجارى، اعلُ الىّ أيها الماء القار، لقد هلكت شوقا اليك. وقد شغر فاه ليصل اليه الماء، فلم يسمع الماء دعاءه، ولم يعل الى فيه ولم يستجب نداءه: فكم تكون حسرته والماء أمامه وما هو ببالغ فيه.

ورؤية الماء تذكى غلة الصادى

أو بصورة من يحاول عبثا أن يتعلق الماء بأصابع منشورة، ويلتف عليها حتى يبلغ فاه. وكلا الأمرين محاولة محال، وضرب من ضروب الضلال. فلا غرو أن جاء بعده قوله جل شأنه: « وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ».

بقى أن نلفتك الى سر قوله تعالى: « بشىء » فإنها أدخل فى المقصود من أن يقال: لا يجيبونهم الى طلبهم مثلا. ذلك أنه ربما يقال إنهم لم يجيبوا طلبهم ولكنهم عوضوهم عن ذلك ما هو خير منه، أو أفادوهم إفادة أخرى تخفف عنهم، أو نحو ذلك. فأما وقد قال: « لا يستجيبون لهم بشىء » فهو سد للباب فى وجوههم، وتقرير أنهم خسروا كل شىء فلم يُستَجب لهم بشىء.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقوله بعد ذلك : « إلا كباسط كفيه الى الماء » الخ . تجد فيه من حسن الأسلوب ما يأخذ بالعقول ، فكلمة إلا كأنها تفتح ذهن السامع الى أنهم قد حصل لهم استجابة ما ، فيتلهف لتعرفها ، ويريد أن يتلقفها ، وإذابها الاستجابة المؤيسة تمام اليأس ، هى استجابة من لا يسمع ولا يعقل ولا يغنى عنك شيئا ، فهى أشبه شىء بما يسميه علماء البلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم ، أى إن كان من الماء لمن يدعوه استجابة فيكون من تلك الأصنام لهم استجابة . وقوله : «وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » من باب تتميم المعنى بذكر النتيجة اللازمة تجرى مجرى الأمثال العامة ، فهى من الكلم المحكمة .

هذا وقوله تعالى : « وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » إن أريد بالدعاء العبادة فظاهر ، فإن عبادة الكافرين لاغية ما داموا على كفرهم ، سواء أوجهوها الى الله تعالى مصحوبة بإشراكهم شركاءهم ، أم وجهوها الى آلهتهم . وإن كان المراد بالدعاء الطلب فكذلك إذا وجهوا الطلب الى آلهتهم فقد دعوا من لا يستجيب لهم ، أما إذا كان دعاؤهم موجها الى الله سبحانه وتعالى كدعائهم حين يمسهم الضر ، أو كدعاء المظلوم منهم ، فقد يستجيب الله تعالى لهم بعض الدعاء وإن كانوا كافرين ، فقد جاء قوله تعالى : « أم من يجيب المضطر إذا دعاه » وورد ما يفيد أن دعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافرا .

وناهيك باستجابة الله دعوة إبليس إذ قال : « رب أنظرنى الى يوم يبعثون . قال إنك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم » . ولا يدفع هذا بأن الله قد علم أنه من المنظرين سواء أدعا أم لم يدع ، لأن كل دعاء مستجاب هو من هذا القبيل : علم الله أن الداعى يدعو وأنه يستجيب له ، وما كان الدعاء بمغير شيئا مما علمه الله فى الأزل . فالدعاء كسائر الأسباب التى ناط الله بها مسبباتها ، فمن قطع رقبة شخص مثلا فزهقت روحه ، قد علم الله من الأزل أنه سيقطع عنقه فى هذه اللحظة فيموت . وهذا لا ينفى أن إزهاق الروح مترتب على الموت . فارتباط المسببات بأسبابها شىء ، وعلم الله تعالى من الأزل

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

بما سيقع فى الكون شىء آخر . وإنما المخلص أن المراد أن دعاء الكافرين فى ضلال بالنسبة لما يتعلق بالآخرة ، مما يرتبط بالعبادة التى هى المقصود من سياق الآيات من أول السورة الى الآن .

قال تعالى : « ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال » :

أى ولله وحده لا لغيره معه ، ولا لغيره دونه ، فتقديم الخبر لإفادة الحصر ، أى قصر الإفراد وهو قطع شركة الغير ، أو قصر القلب وهو قطع الحكم عن غيره تعالى أن يستقل به . « يسجد » أى يخضع وينقاد ويتطامن أمام عظمته ، ولا يكاد يرفع رأسه أمام عزته وكبريائه . فالمراد بالسجود الخضوع والانقياد والاستسلام والعجز عن المكابرة والمعاندة . «من فى السموات والأرض» من الملائكة والثقلين الإنس والجن . وبدأ بمن فى السموات لما وقر فى النفوس من أنهم أعظم قوة وأشرف عقولا وأكمل هداية ، فهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولأن الواسطة فى تبليغ الشرائع من لدنه جل جلاله الى الثقلين إنما تكون منهم . «وطوعا وكرها» أى طائعين وكارهين ، أى مختارين ومقهورين . فالسجود طوعا معروف وهو خضوع النفوس المختارة وتطامنها باختيار منها وعلم بما تفعل أمام العزة الإلهية . والسجود كرها هو انقيادها وقبولها لآثار التكوين الإلهية ، من وجود وعدم ، من صحة ومرض ، من نمو وذبول ، من زمان ومكان وأحوال ، فلا تتوجه القدرة بأمر من التكوينات الى شىء من الكائنات إلا خضع لقبوله لا يملك أن يأبى ولا أن يتأخر : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

ويصح أن يراد بالطوع ما يأتى من أفعال العبادة عن انشراح صدر وقبول نفس ، وبالكره ما يبدو على المرء حين يمسه الضر من الالتجاء الى عظمة الله تعالى . والشعور بذلك كامن فى نفسه خبأته الأهواء والضلالات ، فلا ينكشف لصاحبه إلا عند مس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحاجات وحلول الضرورات ، وإحاطة الأهوال وتقلب الأحوال ، فحينئذ ينبعث الشعور الفطرى الكامن بين جنبيه ، فتدفعه الضرورة الى تلمس المساعدة والإنقاذ ، فلا يجد ملجأ حقا إلا لجوءه الى ذى الملك والملكوت والعزة والجبروت . فمن لم تعطفه النعمة ، دفعته النقمة ، ولكل نفس علاجها . وجوز بعضهم أن يراد بالكره حال بعض من أسلم ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم ، أو حال بعض المنافقين .

ولعل الوجهين الأولين فى تفسير الكره أقرب وأقعد ، بل الوجه الأول وهو تفسيره بالانقياد والخضوع أمام القدرة الإلهية وقبول الآثار التكوينية ، أنسب بقوله جل شأنه : « وظلالهم بالغدو والآصال » فإن سجود الظلال عبارة عن قبولها ما سلط عليها من آثار التكوين ، فهى تنقبض وتنبسط تبعا للناموس التكوينى الذى ربطت به ، من مواجهة الجسم لمنير قريب أو بعيد ، مرتفع أو منخفض ، متحرك أو ساكن ، فان سجود الظلال لا يظهر معناه إلا على هذا الوجه كما لا يخفى .

هذا ومن البيّن الواضح أن عطف «ظلالهم» على «من فى السموات والأرض» لبيان أن هذا الخضوع والانقياد قد شملهم وشمل كل ما يتصل بهم ، لا يفلت منه شىء ولا يشذ عنه شأن ، حتى إن ظلالهم وهى أظهر شئونهم انفصالا عنهم تشاركهم فى السجود والخضوع والانقياد لقدرته تعالى ، فأى شىء منهم يتعاصى على سلطانه ؟

وكلمة «بالغدو والآصال» لتقرير سجود تلك الظلال ، أى أفما ترون كيف أن الغدو وبكرة النهار يجليها لكم متقلصة شيئا فشيئا ، ووقت الأصيل يظهرها نامية شيئا فشيئا ؟ أفليس هذا كله من خضوع الكائنات بأسرها لنواميس تكوينه وآثار قدرته ؟ أفلا توجهون أبصاركم الى ما يقع كل ساعة أمامكم ، وتتأملوا فيه وفى أسبابه وفى مكون تلك الأسباب ، لتروا آيات ربكم متجلية فى كل مايقع عليه نظركم ؟

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

وبعد : فما أظنك بحاجة الى أن نبين لك اتصال هذه الآية بما قبلها ، كيف وقد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اتضح لك أن قوله تعالى : « له دعوة الحق » توجيه للسامعين الى عبادة ربهم الذى تجلت لهم آيته فيما سبق من الآيات ، وأنهم يجب ألا يلتمسوا الخير إلا منه ، ولا يستدفعوا الشر إلا بعزته ، فهو وحده القادر القاهر ، وهو الذى تعنو له الجباه وتخضع أمام عظمته كل الرءوس طوعا وكرها ، بل يخضع له كل مايتصل بتلك الرءوس حتى الظلال ، فهو وحده الجدير بالعبادة ، وهو وحده الحقيق أن توجه اليه المطالب ، وأن تنزل أمام ساحة سلطانه الرغائب ، فهذه تكاد تكون من تمام الآية قبلها .

وقوله : « بالغدوّ والآصال» إما حال من الظلال ويكون تخصيصهما بالذكر لأن آثار التقلص والفىء تظهر فى هذين الوقتين ، أومتعلق بيسجد ويكون المقصود الدوام ، كما يقال : بكرة وعشيا ويراد دائما ، فلا نحتاج لتوجيه تخصيص هذين الوقتين بالذكر لأنهما كناية عن الدوام .

والغدو جمع غداة وهى أول النهار . والآصال جمع أصيل ، وهو وقت ما بين العصر والمغرب ، أو هو جمع أُصُل جمع أصيل فيكون الآصال جمع جمع .

وهذه الآية من آيات السجدات ، فإن من تلاها وتدبر معناها ، وفهم أن كل ما فى الكون من شىء قد خضع وانقاد للقدرة الباهرة والعظمة القاهرة ، حتى معبوداتهم التى كانوا يعظمونها لا تخرج عن قهره وسلطانه ، بل حتى كل ما يتصل بها أو يتبعها فى الوجود ولو كان ظلالها . نقول من تدبر الآية وفهم هذا فقد امتلأ قلبه باستحضار العظمة الإلهية ، فيطلب منه ، بل لا يسعه إلا أن يخرّ ساجدا لله تعالى طوعا كما سجد كل شىء فى الوجود طوعا وكرها . ومن قبيل هذه الآية قوله عز من قائل : «أو لم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سُجّدًا لله وهم داخِرون » .

قال تعالى : « قل من رب السموات والأرض قل الله ، قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الظلمات والنور ، أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ، قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار » :

أما وقد بلغت الحجة مبلغها ، وأتمت إفادة المقصود منها ، ووضح الصبح لذى عينين ، ولم يبق لأحد عذر فى ريب أومين ، فقد وجب الرجوع بهم الى مراجعة ما فى نفوسهم ، واستخلاص العقيدة من مكنونات ضمائرهم ، وحملهم على الاعتراف بما يراد منهم ، اعترافا ناشئا من قرارة أنفسهم وأعماق قلوبهم ، فلوّن الخطاب بسؤالهم عما لا يسعهم إنكاره ، ولا التلكؤ فى الجواب عنه .

فأُمر صلى الله عليه وسلم أن يسألهم : من رب السموات والأرض . وهذا أمر لا يستطيعون المكابرة فيه ، ولا محاولة نسبة خلقه لآلهتهم « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولُنّ الله » .

ثم أُمر صلى الله عليه وسلم أن يذكر الجواب الذى لا مفر لهم من أن يجيبوا به ولا يَنتظِر منهم النطق به أو السكوت محاولة ابتغاء المخلص من الحجة التى ملكت عليهم مسالكهم ، ومتى أجابهم به وهم معترفون ، أقروا لا محالة ، فقال : « قل الله » فإنهم سوف لا ينبس أحد منهم بكلمة معارضة .

. ثم أُمر أن ينتقل بهم الى ما يلزم هذا الاعتراف وما يترتب عليه الترتب الجلى ، وذلك قوله تعالى : « قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا » فستراهم حينئذ وقد دهشوا وحاروا ، من أخذ المسالك عليهم ، وسد طرق المراوغة فى وجوههم ، وسيكون لسلطان حجتك ما يحيرهم ويبهتهم ، أى إذا كان رب السموات والأرض هو الله وأنتم تعلمون وتعترفون ، أفيترتب على علمكم واعترافكم هذا أن تعدلوا عن عبادته وتتخذوا من دونه أى متجاوزين عنه ، أولياء تريدون منهم أن يلوا أمركم فيمنحوكم النفع ويدفعوا عنكم الضر ، وهم على ما ترون لا يملكون لأنفسهم نفعا ما ولا ضرا ما ، فكيف بلغ بكم الغباء أن تجعلوهم لكم أولياء ؟ !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهل من عجز أن ينفع نفسه أو يدفع عنها الضر يستعين به غيره، فيطلب منه جلب النفع اليه أو دفع الضرعنه؟ فيكون الإنكار المستفاد من همزة الاستفهام فى قوله: «أفاتخذتم» موجها الى ترتب هذا الاتخاذ على الاعتراف بأن رب السموات والأرض هو الله، أى فهل يترتب على اعترافكم بربوبيته للسموات والأرض، وهو بالضرورة رب مافيهما، أن تعدلوا عن الخضوع له وإخلاص العبادة والايمان له، الى اتخاذ عاجز عن نفع نفسه؟ وهل هذا يقع من عاقل بصير؟ وهل هذا شأن مميز واع؟ وهل يكون هذا إلا عمى وحماقة وسفها وغباوة؟ فهل ترضون لأنفسكم أن تكونوا من الحماقة والعماية بهذه المثابة؟ وهل ترضون لأنفسكم العمى والبله «قل هل يستوى الأعمى والبصير»؟

فالمراد بالأعمى من عمى عن الحجة النافعة وقد تجلت له حتى لم يبق إلا أن ينظر فيرى ماينفعه وما يضره. فلما أغمضوا أبصارهم وأهملوا عقولهم ولم ينتفعوا ببصائرهم، كانوا كالعمى بل شرا منهم، فللأعمى عذره لعدم قدرته، وأما هؤلاء فقد أهملوا نعمة الله والعقل الذى وهبهم إياه، فكان عليهم عمى، ومع ذلك فقد اكتفى بسؤالهم عما لا يخفى جوابه على أحد، وهو استواء الأعمى والبصير، وفيه من التبكيت لهم والنعى عليهم مالا يقدرقدره، لاسيما وهى حجة مستخلصة مما تكنه أنفسهم، وتنطوى عليه قلوبهم، وتعترف به ألسنتهم، وهو أنه تعالى رب السموات والأرض، فهو بالضرورة رب جميع ما فيهن، والمهيمن على كل شىء، وهو على كل شىء قدير.

والبصير طبعا المراد به من آمن بالله وانتفع بهدايته وأخلص له فى عبادته. ورأى بعضهم أن المراد بالأعمى معبوداتهم التى لا تسمع ولا تعقل ولا تغنى عنهم شيئا، ويكون المراد بالبصير الإله الحق الذى وسع علمه كل شىء فى السموات والأرض. ونرى الأول أظهر.

وقوله: «أم هل تستوى الظلمات والنور» ترق فى التقريع بتصوير حالهم وقد أعرضوا عن الحجج الظاهرة بحال من يتخبط فى الظلمات لا يدرى أين يتجه، فقد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يجدّ السير وهو فى الحقيقة إنما يسعى فى طريق هلاكه ، وقد يعود القهقرى فيضيع تعبه سدى . وإنما كان هذا ترقيا فى تصوير شناعتهم لأن الأعمى إذا كان فى نور ربما وجد من يهديه الى الصراط السوى ، كما يحكى أن رجلا رأى أعمى يسير ليلا ومعه مصباح ، فقال : أنت أعمى فما انتفاعك بهذا المصباح تحمله ؟ فقال : أحمله لكى لا أصطدم بأعمى قلب مثل . . . ؛ وأما إذا عمّت الظلمات فقد أصبح الجميع حيارى يتخبطون ، فهم فى بيداء يعمهون ، وفى طريقهم يعتسفون . فيكون إصرارهم على المكابرة وإجماعهم على رفض الهداية ، يجعلهم كلهم فى الظلمات المتعددة : ظلمة الجهل ، وظلمة العناد ، وظلمة الكبرياء ، فى ظلمة العقيدة الفاسدة ، وظلمة الأعمال الباطلة ، وظلمة الأخلاق السافلة ، وظلمة المعاملة الغاشمة . كل هذه وغيرها ظلمات بعضها فوق بعض ، بخلاف النور فهو طريق واحد سديد ، وصراط مستقيم ، لا تشعب فيه ولا عوج ، ولله در القائل :

العقل فن واحد وطريقه أدرى فأرصدُ والجنون فنون

فالمراد بالظلمات والنور : الكفر الذى انغمسوا فيه ، والإيمان الذى يدعوهم اليه . ويكون التناسب بين هذا السؤال وما قبله ظاهرا ، فإذا أريد بالأعمى والبصير المعنى الثانى أى المعبودات الباطلة والمعبود الحق ، يكون التناسب من جهة أنه كما لم تستو آلهتكم الضعيفة العاجزة بالإله القادر ، كذلك لا تستوى طريقتكم المظلمة بطريقة الإيمان المنير للقلوب .

وأم هنا بمعنى بل التى للانتقال من سؤال الى سؤال آخر ، وليست هى التى للتعيين ، فتلك خاصة بوقوعها مع همزة الاستفهام ، ولا تجىء معاقبة لهل كما قرر فى علم العربية .

وقوله : « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم » من باب تتميم الحجة بالبحث عما عساه أن يكون قد اعترض سبيلهم حتى اشتبه الأمر فيه عليهم ، فهو يقول : إذا كان الأمر على ما ترى ، فماذا أوقعهم فى هذا الضلال يا ترى ؟ هل عثروا بشريك له فى الخلق رأوا منه خلقا كخلق الله ، فلما شارك الله فى الخلق جعلوه شريكا له

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى العبادة ؟ كلا ، لا شريك له فى الخلق ، فلم يخلق أحد شيئا ما ، لا كخلقه تعالى المنظم الكامل ولا خلقا ناقصا ، بل الله خالق كل شىء جل أو قل ، فماذا عساهم يعتذرون به ؟ إنك إذا سألتهم من خالق ؟ قالوا : الله ، وإذا سألتهم هل خالق غيره شيئا ؟ قالوا كلا ، فقل الله خالق كل شىء ، فستعبر بذلك عما يعتقدون ، كما عبرت فيما سبق إذ قلت لهم : من رب السموات والأرض ، وقلت لهم : « الله » فماذا يدعوهم الى هذا التلكؤ ويوقعهم فى هذه الحيرة والضلالة ، فالله خالق كل شىء وهم معترفون ، وهو الواحد فى الخالقية ، وهو الواحد فى الربوبية ، وهو الواحد فى المعبودية الحقة ، وهو الواحد فى كل شىء ، فأين تلك الآلهة والأرباب التى يزعمون ؟ أما إنه مع كونه هو الواحد ، فهو القهار ، تنفذ قدرته فى كل شىء ، ولا يتعاصى على قدرته شىء ، فهم وما يعبدون مقهورون لعظمته خاضعون لسلطانه ، أذلاء أمام عزته وكبريائه ، فإن استمعوا وآمنوا فقد أحرزوا ما به يسعدون ، وفازوا بما يبتغون ، وإن أعرضوا فما على الرسول إلا البلاغ المبين ، وقد بلّغت فأبلغت ، وهديت فأبنت ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل .

اللهم اهدنا صراطك المستقيم ، واجعلنا من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين : وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

ابراهيم الجبالى

الادب

قال ابن المقفع : إذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك ، فان الكرامة تزول بزوالها ، ليعجبك إذا أكرموك لدين أو أدب .

وقال الأحنف بن قيس : رأس الادب المنطق ، ولا خير فى قول إلا بفعل ، ولا فى مال إلا بجود ، ولا فى صديق إلا بوفاء ، ولا فى فقه إلا بورع ، ولا فى صدق إلا بنية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الفيلسوف والنبي

جاءنا هـذا السؤال من صاحب الإمضاء ، قال بعد الديباجة : إننا نرى حكما عالية وقوانين صالحة للاجتماع والعمران لفـلاسفة اليونان وغيرهم ، ونرى لهم بجانب ذلك معرفة بالله وثناء على الله . وقد جاء عن سقراط وأفلاطون وغيرهما شيء كثير من ذلك ، وقد كانوا قبل المسيح ، فلماذا لا نعتبرهم أنبياء ، وقـد أسسوا مدنية فاضلة وتلاميذ صالحـين ؟

نرجو من فضيلتكم بيان ذلك والإسهاب فيه كما هي عادتكم ، أبقاكم الله للعلم والدين ، وحفظكم للاسلام والمسلمين بمنه وكرمه ؟

عبـد الرحمن محمـد
أستاذ بالمدارس



الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسـلام على سيدنا محمد معدن الأسرار ومنبع الأنوار ، أعرف خلق الله بالله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فقد سئلت مثل هـذا السؤال منذ زمان بعيد من عظيم من عظماء المصريين ، فأجبته بما اقتنع به إذ ذاك . واليـوم نذكر لك خلاصة ذلك الجـواب ، ثم نفيض في الموضوع إفاضة لا تدع في النفس شكا ، ولا في الأمر ريبة ، فنقول وبالله التوفيق :

قلنا لذلك الباشا عند ماسألنا عن ذلك : إن هنالك فروقا كثيرة بين النبي والفيلسوف ، منها أن الفيلسوف إذا نزلت به نازلة أو سئل عن معضلة ، فزع الى فكره فشحذه والى نفسه فأيقظها ، والى معلوماته فاستعرضها ، عسى أن يعـثر فيها على حل أو يظفر منها بجواب .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أما النبي فإنه على العكس من ذلك : يعمد الى نفسه فيسكن من حركتها ، والى أفكاره فيهدئ من ثورانها ، والى حواسه فيقلل من تعلقاتها ويبعدها عن محسوساتها [١] ، ثم ينتظر الوحي من الله والتلقي عن الملأ الأعلى ، فإذا نزل عليه الوحي من عند الله صدع بذلك في وضوح لا يمازجه تعقيد ، ولا يشوبه التواء عن القصد ، ولا تحير في الغاية ، ولا تحيّل على إصابة الصواب ، ولا استعانة بتجربة أو التجاء الى مقدمات طويلة كثيرا ما تنحرف بالناس أو ينحرف فيها صاحبها عن النهج القويم والصراط المستقيم ، فيعدل به نظره القاصر وضعفه البشرى عن الحق ، وقد يوقعه في شقاء بالغ من حيث لا يشعر ، فالنبي يروى عن رب المخلوقات المحيط بها ، العالم بأسرارها : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »

فلو زار أفلاطون أعتاب قدسه ولم يُعشِه عنها سواطع أنوار
رأى حكمة قدسية لا يشوبها شوائب أنظار وأدناس أفكار

فالسبيل المأمونة والجادة الواضحة ، إنما هي سبيل الأنبياء والمرسلين ، لا سبيل الفلاسفة التي ترمى بك في ظلمات الأوهام البشرية ، وشبهات التخيلات النفسية ، على ما ستسمع اليوم ، إن شاء الله .

ثم قلت لذلك العظيم : إن الفلاسفة أنفسهم لم يدّعوا النبوة ، وربما كانوا غير قائلين بها ، فكيف ندعيها لهم وهم لم يدعوها لأنفسهم ؟ ثم إن للنبوة آيات لا بد منها : من صفات ذاتية ، ومعجزات حسية ومعنوية ، ونفوس جاوزت أطوار البشرية ، واستقرت في تلك العوالم القدسية ، فهي لا تعرف غير الله ، ولا تحدث عما سوى الله إلا بما جاءها عن الله ، قد اتسع نظرها ، وتم نورها ، فعلمت من حقائق الأشياء ما لا يعلمه غيرها ، وعرفت من جلال الله ما لا يعرفها سواها . الى آخر ما قلت لذلك الباشا في ذلك العهد .

(١) اشتهر الآن استعمال المحسات وتخطئة من يعبر بالمحسوسات وهو خطأ بين كما أوضح ذلك كل الايضاح صاحب الجاسوس . ولصاحب المخصص ما يفيد ذلك ايضا (راجع الجاسوس على القاموس) .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولنبيّن ذلك الإجمال، ونذكر لك شيئا من صفات النبوة وخصائصها التي جبل عليها الأنبياء، فنقول:

إن في ذات النبي نورا خِلقيا في أصل تكوينه اقتضته درجة روحه الشريفة (وبين الأرواح من التفاوت في الدرجات واختلاف الاستعدادات مالا يعلمه إلا الله تعالى). وبذلك النور لا يمكن تلك الذات التي خلقت على هذا الوجه إلا أن تكون على أكمل الفضائل. فهي مثلا تقول الحق وتقدسه ولو كان فيه حتفها وهلاكها، فإن ذلك من سجيتها وطبيعتها. وقد طلب المشركون منه صلى الله عليه وسلم أن يرجع عن قوله وراودوه على ذلك بكل حيلة، فأبى وامتنع، ثم نصبوا له العداوة ورموه عن قوس واحدة، فما زاده ذلك إلا تثبتا ورسوخا، لأن الذات الشريفة مطبوعة على قول الحق لا يتصور منها غيره.

ومن تلك الصفات التي جبل عليها النبي، الرحمة بجميع المخلوقات حتى الحيوان الأعجم، ولذلك جاء صلى الله عليه وسلم في باب التحذير من القسوة بما تعجب له، وأبان من جزاء الشفقة على خلق الله ما لا غاية وراءه، فذكر في الحديث الصحيح أن امرأة دخلت النار في هرة عذّبتها. وجاء في الصحاح أيضا أن رجلا مسرفا على نفسه وجد كلبا يلهث من العطش فسقاه حتى أرواه فشكر الله له ذلك فغفر له. الى غير ذلك مما ينبئك عما كانت تمتلئ به نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة بجميع المخلوقات.

وهكذا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فهم أبر الناس بالناس، وأنفع الناس للناس. وأعظمهم في ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم، حتى إن ما تراه من شدته صلى الله عليه وسلم على الكفار والمشركين، فمنشؤه إنما هو رحمته بهم وشفقته عليهم أن تجتالهم الشياطين فتأخذهم عن السعادة الأبدية الى الشقاء الأبدي، فيشقون وتشقى بهم الانسانية، فكان حربه صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حربا لجند الشيطان الذي يريد أن يسلب الانسان سعادته. الى آخر مالا يسع المقام تفصيله وبيان أسراره.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومما يجب أن نبينه هنا أن للأنبياء أذواقا فى الأشياء لا يعرفها إلا الخواص من عباد الله ، فإن أكثر من فى الأرض لا يذوقون إلا الحسيات ، ولا ذوق لهم فى المعنويات وما أودع فى الأشياء من لطائف وأسرار . وقد يقرّب اليك ذلك بعض التقريب ما ترى أو تسمع به من عشق أرباب النفوس الطاهرة لمالى الأشياء ، وإيثارهم العلم والمعرفة على كل شىء ، لأنهم يذوقون من ذلك لذة تفوق كل لذة مادية ، وقد قال قائلهم :

سهرى لتنقيح العلوم ألذّ لى ... من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلى طربا لحل عويصة ... أشهى من النغمات للعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها ... نقرى لألقى الرمل عن أوراقى

ولعلك ذقت من هذا شيئا ، فلا نطيل فيه .

ولا بد لنا فى هذا المقام من أن نشير الى أن أرواح الأنبياء من طراز آخر فى علمها وقوتها وكل صفاتها ، ولذلك تظهر عليها خوارق العادات ، من كشف المغيبات وظهور الآيات ، مثل ما حصل له صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج . ومن ذلك ما يقال إن عيسى عليه السلام كان يمكث أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « أبِيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » فهو لا يحس بتلك المؤلمات إلا إذا رجع لهذا العالم وسادت عليه أحكامه وقوانينه ، أما ما دام عند ربه فهو أرفع من أن تؤثر فيه تلك النواميس المعروفة ، أو تسيطر عليه هاتيك القوانين المشاهدة . الى غير ذلك من المعجزات المأثورة ، والخوارق المشهورة .

أما علمهم بحقائق الأشياء وما غيب عنا من أمور الآخرة وما يكون فيها ، فهو علم يشبه علمنا بالمبصرات بالبصر والمسموعات بالسمع ، بل حواسنا قد تخطىء ويقع الغلط والاشتباه فى مدركاتها ، بخلاف علمهم وما ينكشف لبصائرهم من الحقائق والمغيبات .

ثم نلفتك بعد ذلك الى ما تعرفه من تفاوت الناس فى العلم ، وأن ما يكون قطعيا لبعض

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الناس يكون ظنا لبعض آخر ، بل قد ينكره كل الإنكار لبعد ما بينه و بينه حتى لا يتأتى له أن يفهمه أو يسلّمه .

وبالجملة فاستعداد الرسول أشرف استعداد ، وتكوينه أجل تكوين ، وبهذا كان مهيئا للرسالة والتلقى عن الملأ الأعلى ، كما يشير الى ذلك قوله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » . فليس قلبه كبقية القلوب ، وإنما هو قلب امتلأ بنور الله ، لكونه غارقا فى عظمة الله ، مفعما بجلاله ، معرضا عما سواه .

وأين للفلاسفة ذلك النور الذى كان يرى به صلى الله عليه وسلم — كما فى الحديث الصحيح — أصحابه ، فى الصلاة وهم خلفه كما يراهم أمامه ، وفيه أنه رأى بيت المقدس عيانا وهو بمكة ، ورأى قصور الشام وأبواب صنعاء ومدائن كسرى وهو يحفر خندق المدينة ، ورأى النجاشى بالحبشة حين مات وهو صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فخرج الى المصلى فصلى عليه ، الى غير ذلك .

ذلك كله من أجل ما أودع فيه من النور الساطع والاستعداد الرفيع الذى أهّله لخرق العادات بطريقة لا يكاد يعرفها الماديون ولا يعقلها غير الروحانيين . وكيف يدركون ببشريتهم الظلمانية أسرار ملكاته النورانية ؟

ولنقرب لك الأمر بعض التقريب فنقول :

إن الروح من عالم آخر له نواميس أخرى يستوى فيها القريب والبعيد والظاهر والخفى . على أننا رأينا فى عالم الماديات من العجائب ما يسهل عليك التصديق بذلك عن بصيرة واقتناع بعد ما ورد فى دينك وشريعتك ، فإن أشعة « رونتجن » تحوّل الأجسام الكثيفة المعتمة الى أجسام لطيفة شفافة ، وتظهر ما يتخللها من العظام وغيرها ، وأشعة « أف » التى بواسطتها يمكن كشف المعادن فى باطن الأرض وإحراق البارود فى باطن البواخر ومكامن الحصون ، فما بالك بأشعة الله الذى خلق أشعة رونتجن وأف وعلّم الانسان ما لم يعلم ؟ فلا بد أن تعرف أن للأنبياء قوى روحانية اختصوا بها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلا توجد فى غيرهم . ولذلك سمع سليمان عليه السلام كلام النملة ، فما سمعه إلا بسمع الروح لا بسمع الجسم الطبيعي . (وكيف نستغرب ذلك وعلماء الحيوان الآن يثبتون للنحل وغيره حاسة لا توجد فينا ، ويذكرون من أفاعيل النمل ما يعجب له الانسان العاقل ؟) وقد قال يعقوب عليه السلام : إنى لأجد ريح يوسف ، فأحس بها وشمها من مسيرة أيام . فكيف يقاسون على غيرهم فى شيء من الإحساس والعلم والإدراك ؟ ولا غرو فقد قال الله تعالى فى الحديث القدسى فى حق عبده الذى تقرب اليه : « فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به » الخ .

وإجمال القول أن نفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام صنف مخالف لسائر النفوس فى قواها الظاهرة والباطنة ، فنعوتهم وصفاتهم التابعة لها يجب أن تكون مخالفة لسائر النعوت والصفات التى فى غيرهم ، ومتى كان الروح الفاعل والجسم القابل فى غاية الكمال كانت الآثار فى غاية القوة والشرف والصفاء . ولذا قيل إن صفات الأنبياء وقواهم الذاتية من خوارق العادات ، وإنه لو أمكن الناس أن يقفوا على كمال تلك النفوس لما احتاجوا فى التصديق برسالاتهم الى معجزة ، فإن فضيلة الصدق والأمانة مثلا إذا بلغت حد الكمال والإعجاز لا يقع معها كذب أو خيانة . وقد آمن كثير من الصحابة وغيرهم (حتى من الأوربيين) بمعجزة النعوت غير ملتفتين لتلك الخوارق والمعجزات الظاهرة التى لا يعول عليها فى إيمانه إلا العامة . وقد قال قائلهم فى حقه صلى الله عليه وسلم :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت خلائقه تنبيك بالخبر

وقد ذكر فيلسوف الاسلام العلامة ابن خلدون فى مقدمته أن النفوس البشرية على ثلاثة أصناف : صنف عاجز بالطبع عن الوصول الى الإدراك الروحانى ، فينقطع منحطا الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية ، وتركيب المعانى من الحافظة والواهمة على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية الفكرية ، وهذا فى الأغلب هو من أن الإدراك البشرى الجسمانى اليه تنتهى مدارك العلماء ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفيه ترسخ أقدامهم . وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحانى، والإدراك الذى لا يفتقر الى الآلات البدنية بما خلق فيه من الاستعداد ، فيتسع نطاق إدراكه عن الأوليات ، ويسرح فى قضايا المشاهدات الباطنة ، وكلها وجدانات لا حدود لها . وهذه مدارك العلماء الأولياء أهل العلوم اللدنية والمعارف الربانية ، وهى الحاصلة بعد الموت لأهل السعادة فى البرزخ . وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة الى الملكية من الأفق الأعلى ، ليصير فى لمحة من اللمحات ملكا بالفعل ، ويحصل له شهود الملأ الأعلى فى أفقه ، وسماع الكلام النفسانى والخطاب الإلهى فى تلك اللمحة ، وهؤلاء هم الأنبياء صلوات الله عليهم، فهم يتوجهون الى ذلك الأفق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاءوا ، بتلك الفطرة التى فطروا عليها ، لا باكتساب ولا صناعة ، فاذا انسلخوا عن بشريتهم وتلقوا من الملأ الأعلى ما يتلقونه ، عاجوا به على المدارك البشرية ، فتنزلوا به الى قواها لحكمة التبليغ اه وبهذا كله نعرف سر ما نوجبه لهم فى علم التوحيد من أمهات الفضائل : كالأمانة ، والصدق ، والتبليغ ، والفطانة ، وما نحيله عليهم من السفاسف والدنايا التى تجوز على غيرهم .

وبعد : فهنا طريق قريب يعرفك ما بين الأنبياء والفلاسفة من الفرق الشاسع والبون البعيد ، وهو أن تقارن بين ما سمعته عنهم وما سمعته عن الفلاسفة ، ثم تحكم بعد ذلك ، فانظر مثلا الى مثل ما جاء فى القرآن فى تقرير علمه تعالى بكل شىء ، مثل قوله : « وعنده مفاتح الغيب » الخ . « وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن » الخ . « ما يكون من نجوى ثلاثة » الخ . ثم لقول الفلاسفة إنه لا يعلم الجزئيات ، الى غير ذلك مما يحتاج الى كتاب كبير .

الفلاسفة :

أما الفلاسفة فليست لهم هذه المراتب العالية ، ولا ذلك الاستعداد الرفيع الذى يؤهلهم للأخذ من الملأ الأعلى ، فهم يقولون بأفكارهم وعقولهم ، ولهذا قد نجد [illegible] [illegible] الشائن والهفوات المزرية ما يسقط الإنسان العادى [illegible]

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولسنا ننكر أن لهم حكما بليغة ، إلا أن ذلك غير مقصور على من اشتهروا بالفلسفة ، فكثيرا ما نجد للمجربين وذوى النفوس الكبيرة فى كل عصر ما يوازى حكمة أرسطو وأفلاطون . ولعلماء الأمة المحمدية وصلحائها من ذلك ما لا تسمه الدفاتر . ولعلنا نورد شيئا منه ومن كلام الفلاسفة ، ونقارن بينهما فى عدد آخر . وفلسفة هذا شأنها غير مأمونة ولا معصومة ، فانها تعتمد اللباقة فى التعبير ، والاغراب فى التفكير ، وبهذا تعد فلسفة ، ولو كانت مستمدة من منبع الشهوات والأهواء كفلسفة أبيقور وأتباعه . ولعلنا نذكر شيئا منها بعد .

ولنفكهك الآن بشىء من فكاهاتهم أو ترهاتهم ، فنقول :

شىء من ترهات الفلاسفة وفكاهاتهم :

إن (فيثاغورس) من أكبر فلاسفة اليونان ، وله أشياء نفيسة ، ومع هذا فقد كان يقول : « إن ذنب من يقتل الذبابة أو الزنبور أو غيرهما من الهوام مثل ذنب من يقتل إنسانا » . ويزعم (انكسفوراس) أن السماء صنعت من حجارة كهذه الحجارة . وسبب ظنه ذلك أنه قد اتفق ذات يوم أن حجرا سقط من جهة السماء ، فظن انكسفوراس أن السماء مصنوعة من حجارة ، ثم أخذ يفكر فى علة لبقائها أبد الآباد فقال : « إن دوران الفلك أوجب بقاء تلك الصنعة بلا خلل بحيث لو اختل الدوران لحظة لفسد نظام السموات والأرض » فانظر الى ذلك الخيال الواسع ومجاراته الى حيث يريد !

ويذكر عن أرستيب الفيلسوف أن الملك بصق فى وجهه يوما من الأيام ، فعيب عليه فى ذلك ، فقال بفلسفته الحمقاء : « إن الصياد يتحمل مشقة الصيد حتى يبتل بالبحر لصيد سمكة صغيرة ، فكيف لا أتحمل ريق الملك لصيد الحوت الكبير ! » واتفق أيضا أنه ترجى الملك ديلنسى لبعض أصدقائه فرده الملك ولم يقبل رجاءه ، فخر أرستيب على قدمى الملك وقبّلهما ، فاستقبح ذلك بعض من كان فى المجلس ، فقال أرستيب : « لا لوم فى ذلك علىّ إنما اللوم على الملك حيث وضع أذنيه فى قدميه » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن كلامه الذى لا أدرى أنستحسنه أم نستقبحه قوله : « إن الحكيم لا ينبغى له أن يلقى بيديه الى التهلكة لأجل حفظ وطنه فإن الدنيا كلها وطنه ، فليس من الإنصاف أن يخاطر بنفسه لأجل حماية المجانين » . وأكسينوقراط كان من عادته التي اقتضتها فلسفته تعطير أقدامه ، فسئل عن ذلك فقال : إن رائحة العطر الذى يوضع فى الرأس تطير فى الهواء ، بخلاف ما إذا عطرت الأقدام فإن الروائح تصعد الى الأفق . وذكروا فى تاريخ الفلاسفة أن أرستيب سافر الى مدينة فورنته وركب البحر فصادفته ريح عاصفة أحدثت الرعب فيه الى حد ممقوت إشفاقا من الهلاك ، فسخر منه إخوانه فى السفينة ولاموه وقالوا له : كيف نحن مع جهلنا لم يصادف قلوبنا ماصادف قلبك من الفزع والخوف وأنت من عظماء الفلاسفة ؟ فما هذا الوجل وما هذا الاضطراب ؟ فأجابهم بقوله : إن أنفسكم ونفسى ليسوا فى درجة واحدة بل شتان مابين الذى أخسره وبين ماتخسرون . فانظر الى تلك الفلسفة المعكوسة التى تشقى صاحبها بلا شفقة ولا رحمة . لاجرم أن الجهل خير من تلك الفلسفة .

ثم انظر بعد ذلك الى ماجاء به الأنبياء من تعظيم الحياة الأخرى وما فيها من السعادة الأبدية ، وتحقير هذه الحياة الدنيا حتى جعلها القرآن متاعا وقتيا ، وجعل الآخرة هى دار القرار . حقرها صلى الله عليه وسلم حتى جعلها لا تساوى جناح بعوضة ، الى آخر ماجاء فى الكتاب والسنة ، وهو كثير .

ومما يجدر التنبيه عليه أن الأنبياء يصدّق بعضهم بعضا فيما جاءوا به من العلم فى غير الأحكام الجزئية التى يقتضيها اختلاف العصور وتباين الاستعداد . أما الفلاسفة فلا يكادون يثبتون على رأى واحد ، بل يتخالفون ويتناقضون .

وقد كانت فلسفة أرسطو مقدسة عند الأوربيين ، حتى جاء الفيلسوف (راموس) فنقضها ، فقتلوه فى وقعة (سان برسلمى سنة ١٥٧٢ م) وهى الواقعة التى قتل فيها كاثوليك فرنسا البروتستانت .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كلمة أفلاطون فى أصناف الناس :

ولنختم موضوعنا هـذا بما روى عن أفلاطون كبير فلاسفة اليونان ورئيس الحكماء الاشراقيين فنقول :

قسم أفلاطون الناس الى ثلاثة أقسام : (١) المشرعون أى الفلاسفة (٢) الجنود (٣) الصناع وأهل المهن . قال :

أما الأولون فهم المخلوقون للسيادة دون غيرهم ، وسماهم الصنف الذهبي . أما الجنود فهم حراس المملكة ، وأطلق عليهم الصنف الفضى . وأما الصناع فهم المخلوقون للصناعة العمياء ، ودعاهم الصنف الحديدى . أما العبيد فقال عنهم إنهم ماشية الأمة ، مثلهم كمثل البهائم السائمة . فانظر الى هذا وقارن بينه وبين من أوجب قتل الانسان إذا قتل الذبابة ، وما بينهما من التناقض ، فان أحدهما يحترم كل ذى روح ولو كان من أحقر الأشياء ، والآخر على العكس من ذلك فى أشرف نوع وأعلاه وهو نوع الانسان ، ولهذا كانت الفلسفة فى كل عصر مثار الشكوك والأوهام ، ومبعث الاختلاف والتنازع ، حتى قيل :

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال [1]

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيلَ وقالوا

حتى حرم بعضهم النظر فى كتب الفلسفة ، لأن ضررها أقرب من نفعها ، وشكها أكثر من يقينها . ثم قارن بعد ذلك كله بين كلام أفلاطون الذى يدعى بأفلاطون الإلهى « والذى أحترمه وأجله » وبين ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من احترام أفراد النوع الانسانى ، وعقد المساواة بينهم ، وبث الديمقراطية الحقة فى الناس جميعا ، فلم يجعل لأحد فضلا على أحد إلا بالتقوى .

وقد جاء فى القرآن الكريم : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

(١) كان بعض اشياخنا يقرأ العالمين فى البيت بكسر اللام لا بفتحها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد سمع صلى الله عليه وسلم أبا ذر يقول لعبده : « يا ابن السوداء » فنقم عليه ذلك وقال له : « إنك امرؤ فيك جاهلية » فأعتقه أبو ذر وصار من ذلك اليوم يسوى خادمه بنفسه ، حتى إنه إذا لبس حلة ألبسه مثلها . وقد جاء فى تعظيم سلمان الفارسى وبلال وغيرهما شىء كثير . ومن ينظر فى التاريخ يجد الموالى فى الاسلام قد اعتلوا من المناصب السامية والمنازل العالية مالا يسامى .

ولعلنا نعود لمعالجة هذا الموضوع مرة أخرى ، إن شاء الله تعالى .

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

شهادة الرجال للرجال

روى أن عبد الله بن عباس سئل عن أبى بكر رضى الله عنه فقال : كان والله خيرا كله مع الحدة التى كانت فيه . قالوا فأخبرنا عن عمر رضوان الله عليه ، فقال : كان والله كالطير الحذر الذى نصب فخ له فهو يخاف أن يقع فيه . قالوا فأخبرنا عن عثمان رضوان الله عليه ، فقال : كان والله صواما قواما . قالوا فأخبرنا عن على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : كان والله ممن حوى علما وحلما ، حسبك من رجل أعزته سابقته ، وقدمته قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلما أشرف على شىء إلا ناله . قالوا : يقال إنه كان مجدودا . قال : أنتم تقولونه . (أى ليس الأمر كذلك) .

وروى أن رجلا أتى الحسن فقال يا أبا سعيد: إنهم يزعمون أنك تبغض علياً . فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : كان على بن أبى طالب سهما صائبا من مرامى الله على عدوه ، وربانى هذه الأمة ، وذا سابقتها ، وذا فضلها ، وذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن بالنومة عن أمر الله ، ولا بالملولة فى حق الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، اعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة ، وأعلام بينة ، ذاك على بن أبى طالب !

ودخل عروة بن الزبير بستانا لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين ، فقال عروة : ما أحسن هذا البستان ! فقال له عبد الملك : أنت والله أحسن منه ، إن هذا يؤتى أكله كل عام ، وأنت تؤتى أكلك كل يوم !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

دحض شبهات عن الاسلام

من العجب العاجب أنه لا يزال فى العالم الغربى علماء يخبطون فى فهم الاسـلام ، ويتهمونه بما ليس فيه ، ويجهلون نفسية الشعوب الآخذة به ، بعد ما كتب فيه فلاسفتهم وعلماؤهم ومؤرخوهم ما كتبوا من جليل البحوث ، ودقيق الدراسات .

من ذلك ما نشرته جريدة كوكب الشرق المصرية لكاتب اسمه (أندريه هرفيه) ونحن نلخص آراءه هنا ونتبعها بملاحظاتنا عليها قال :

« لقد أثرت الديانة الاسـلامية فى ذويها تأثيرا عظيما بحيث جعلتهم على اختلاف أجناسهم وبيئاتهم كأنهم أمة واحدة لهم مُثُل عليا ، وتصورات واحدة ، وهم شديدو الاعتقاد فى سمو عقائدهم ، ومتعصبون لها أكبر تعصب . فإن كان هـذا التعصب لا ينذر اليوم بخطر جلل فذلك لأن الشعوب الاسلامية قد أدركها الضعف والهرم .

« وليس هذا الضعف الذى يشكو منه المسلمون إلا نتيجة جمود العقائد الاسلامية وتضييقها على عقولهم الى حد أن أصيبت بالشلل .

« ومع هذا فالاسلام لا يزال يلعب دورا فى تكييف الانسانية لا يصح إغفاله . فالثلاثمائة مليون من المسلمين فى ازدياد مطرد ، بسبب التكاثر الطبيعى أولاً ، وبسبب دخول ألوف مؤلفة من أهل القبائل بفعل المبشرين بالاسـلام .

وقد دخل أخيرا فى الاسلام فى الهند وحدها اثنا عشر مليونا وأسلم أضعافهم فى الصين وتركستان وسيبيريا والملايو .

« وفى الإمكان فهم عقلية المسلم وعدم التحامل عليه ، ونبذ الروايات الكاذبة التى تشيع عنه ، والقيام بخدمات مفيدة له . ولكن من السخف أن نتوهم أننا بذلك نستطيع أن نحكمه ، فإن بين المسلمين تضامنا عاما وإن تفرقت بيئاتهم ، فكل واحد منهم تهمه مصالح إخوانه المسلمين وإن بعدوا عنه مهما كانت أجناسهم ، فجميعهم يجمعهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وطن أعظم من أوطانهم هو الاسلام ، وعاصمته مكة ، والحاكم فيه دون منازع نبي الاسلام وحـده .

« إن تتابع القرون قد كيفت عقلية المسلمين وطبعتها بعقائد الاسلام . ولما كانت هذه التعاليم هى عصارة العقل العربى ، وجب أن ندرس تاريخ العرب إن كنا نريد أن نفهم نفسية أى أمة من أمم العالم الاسلامى . ودراسة كهذه شاقة لوفرة موادها ، والديانة الاسلامية محتجبة عنا بسبب تعدد المعتقدات المسلّم بها ، وكثرة الروايات وأخطاء الشراح فيها ، وتحامل أعداء الاسلام عليه . ومع هذا فإن دراسة كهذه ضرورية لفهم نفسية المسلمين .

« إننا لا ندرى كيف فقـد السوريون والمصريون والمراكشيون نشاطهم وقوة إدراكهم وروح الابتكار الذى كانوا عليه أيام سيادة اليونان والرومان بمجرد إسلامهم.

« وكيف نسى العرب تاريخهم الباهر واستسلموا للجهـل والتفرق بعد أن كانوا وصلوا الى مدنية راقية ؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

« وإننا لم نفهم الى اليوم أسباب التوسع السريع فى فتوحات العرب ، ولم نفهم كذلك علل تدهور أمبراطورية الخلفاء ، وإصابتها بالشلل بسبب العقائد الدينية الجامدة التى تتحكم فى كل ناحية من نواحى حياة المسلم اليومية ، وكل مظهر من مظاهر نشاطه ، وعوامل الأثر السيء الذى أبقى المسلمين بمعزل عن المدنية .

« وصلت بعض المؤلفات العلميـة والفلسفية الموضوعة فى اللغة العربية أو المترجمة منها الى اللاتينية الى أوربا ، فأعجب بها علماء القرون الوسطى على قلة بضاعتهم العلمية ، أعجبوا بتلك المؤلفات وتخيلوا أن العرب وصـلوا الى درجة عالية من الثقافة العلمية . ولـكننا عرفنا اليوم أن تلك المؤلفات لم تـكن نتاج العقول العربية ، ولـكنها ترجمات لمؤلفات يونانية قديمـة ترجمها السوريون للعرب ترجمة لم يراعـوا فيها الأمانة والدقة ، وما زال معظم المؤرخين ينخدعون بها ويدعون أنه كانت توجد حضارة عربية عالية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا يمكن النزاع فيها والواقع أنه لا توجد مدنية عربية كما كانت توجد مدنية يونانية ولاتينية ، إذا كانت الحضارة هي بذل الجهود الشخصية المبتكرة في سبيل التقدم العمراني .

« على أنه يمكن أن يقال إن هناك حضارة إسلامية ، ولكنها حضارة ليس للعرب ولا للاسلام فيها شيء ، هي حضارة الأمم التي دخلت في الاسلام ، فتابعت هذه الأمم تقدمها على الرغم من العرب ومن العقائد الاسلامية .

« والنجاح العظيم للفتوحات العربية لا يثبت لنا شيئا ، فأمثال أتيلا وجانكيزخان قد أخضعوا الشعوب ، ولكن المدنية ليست مدينة لهم ، فالشعب الظافر لا يمكن أن يترك أثره العمراني إلا إذا كان أكثر تمدنا من المقهورين .

« وقد هضم الاسبانيون وبربر أفريقا الشمالية الحضارة اللاتينية ، ولكن العربي الفاتح بقي بربريا ، وزاد فأخمد المدنية في الممالك التي قهرها وخنقها . والذي دفع بعض المؤرخين أن يعزوا للعرب مدنية هو أن المدنية اليونانية لم تمت فورا في الممالك المقهورة ، إذ كانت حافلة بالحياة ، فبقيت ثلاثة أجيال تطلق قذائفها القوية من وراء الجبهة المحمدية .

« لقد كان على الأمم المقهورة أن تختار الاسلام أو المصير التعس ، أي أن تهلك ويصبح آحادها عبيدا . ولما كانت الأديان التي اصطدم بها الاسلام إما وثنية في حالة النزع ، أو مسيحية لم ترسخ عقائدها بعد ، فضلت الشعوب المقهورة قبول الاسلام دينا .

« لم ينقض جيل واحد على سيادة العرب حتى استؤصلت الثقافة العقلية استئصالا تاما . والشعوب التي بقيت تحت تأثير الحضارة اليونانية أو اللاتينية قد أصيبت تحت النير الاسلامي بالشلل ، ولم تستطع الأمم الغربية إنهاضها مع ما بذلته من الجهود ، وذلك لأن عقلية هذه الشعوب قد شوهها الاسلام ، الاسلام الذي هو نتاج العقل العربي وعصارته .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« وقد كان العربي واقعيا لا يتصور شيئا أبعد مما تقع عليه حواسه . لذلك كان في الآداب كما كان في العلوم والفلسفة مجرد جامع لا مؤلف .

« يتولى الاسلام من يأخذ به من المهد الى اللحد ، فلا يدع له أي مجال للتفكير أو النشاط ، ولا يدع له فرصة للحرية والإبداع . فهو أشبه بأداة تقبض على العنق ، ولا تتيح لصاحبها إلا قدرا محدودا من الحركة .

« مجمل القول أن العربي استعار كل شيء من الأمم الأخرى حتى أفكاره الدينية وسلط عليها عقله الضيق . ولما كان يعجز عن السمو الى تصور الفلسفة العليا عمد الى تشويه كل شيء وجده في طريقه ، وإلى تحريفه وتيبيسه ، وهذا هو سر تأخر الأمم الاسلامية وعجزها عن التخلص من الحالة البربرية التي تعيش فيها » .

هذا ما نشره المسيو (أندريه هرفيه) وهو أشبه بأقصوصة منه بدراسة علمية ، ولكنها أقصوصة من نوع مبتكر مبني على إنكار الواقع ، وهو لذلك يتهم الذين شهدوا للاسلام من بناة العقل العصري بأنهم انخدعوا فعزوا للعرب ما هو لغيرهم من المقهورين ، ووصم الاسلام بنقائص ينطق كل نص من نصوصها ليس بأنه منها براء فحسب ، ولكن بأنه متحل بنقائضها من الأصول العليا .

ونحن نحصر آراءه في دائرة محدودة ، ثم نكر عليها بالرد خدمة للحق وللتاريخ معا ، فإليك :

(١) إن التعاليم الاسلامية ليست بشيء غير عصارة العقل العربي .

(٢) كان للشعوب التي سادها اليونانيون والرومانيون نشاط وقوة إدراك وروح ابتكار جردتها منها السيادة الاسلامية .

(٣) عقائد الاسلام جامدة تتحكم في كل ناحية من نواحي حياة المسلم اليومية .

(٤) العلم العربي لا يعدو ما ترجمه السوريون العرب ترجمة مشوهة انخدع بها المؤرخون ونسبوها للعرب زورا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٥) الحضارة التي يزعم أنها عربية هي في الواقع حضارة الشعوب التي وقعت تحت نيرهم، فتابعت سيرها على الرغم من العقائد الاسلامية الجامدة.

(٦) نجاح العرب في فتوحاتهم العظيمة لايعلي من قيمتهم، فإن الفاتحين من أمثال أتيلا وجانكيزخان قد أخضعوا شعوبا كثيرة ولكنها ليست مدينة لهم بمدنية.

(٧) لقد هضم الاسبانيون وبربر أفريقيا الشمالية الحضارة اللاتينية، ولكن العربي مع احتكاكه بتلك الحضارة بقي بربريا، وأخمد مدنية الشعوب التي ساد عليها.

(٨) لقد كان على الأمم أن تُسلم أو تبيد. وكانت إما على وثنية في حالة النزع أو على مسيحية غير أصيلة، ففضلت هذه الأمم أن تسلم لتنجو من الهلاك.

(٩) لم ينقض جيل واحد على سيادة العرب حتى استؤصلت الثقافة العقلية استئصالا تاما، ولم تستطع الأمم الغربية فيما بعد إعادة الحياة اليها لأن الاسلام قد قضى عليها.

(١٠) العربي لا يجيد التصور فلا يدرك فوق ماتدركه حواسه، لذلك كان في الآداب كما كان في العلوم مجرد جامع لا مؤلف.

(١١) الاسلام لايدع للآخذ به أي مجال للحرية والابداع، فهو أشبه بأداة تقبض على العنق ولا تتيح لصاحبها إلا قدراً محدودا من الحركة.

(١٢) العربي استعار كل شيء من الأمم الأخرى حتى أفكاره الدينية، وسلط عليها عقله الضيق. ولما كان يعجز عن تصور الفلسفة العليا عمد الى تشويه وتيبيس كل ما صادفه في طريقه، وهذا سر تأخر الأمم الاسلامية.

هذه آراء المسيو أندريه هرفيه، فلو كان مما يفيد أن نقابلها بأبلغ عبارات الأسف مما نشهده فيها من قصر النظر، ونكران الواقع، ومحاولة طمس الحقائق، وجهل تواريخ الأمم، لملأنا منها صحفا، ولكننا نعلم أن الحكم للدليل القاطع، فلنعتمد عليه في تفنيد هذه المفتريات، ثم نكل أمرها للحق يدمغها ويذريها في الهواء، شأنه مع كل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باطل: « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه، فاذا هو زاهق، ولكم الويل مما تصفون »

الشبهة الأولى — يقول المسيو أندريه هرفيه: إن التعاليم الاسلامية ليست بشيء سوى عصارة الفكر العربي.

هذه دعوى لا تستحق النظر، وعذر المسيو أندريه فيها أنه لا يعرف أصول الاسلام، ولا عقلية العرب على عهد جاهليتهم، فنرى أن نبينهما له بإيجاز، فنقول:

(ا) كان العرب وثنيين يعبدون آلهة كثيرة، زاعمين أنها تقربهم من الله زلفى، وكانوا جامدين على وثنيتهم لا يبغون عنها حولا.

(ب) وكانوا حريصين على تقليد آبائهم تقليدا أعمى، لا يرون أن يجيلوا فيما هم عليه نظرا، ولا أن يسمعوا فيه نقدا.

(ج) وكان لا يعنيهم أن يفرقوا بين ما هو حق وما هو باطل من الأمور، لأنهم كانوا لا يتوهمون للكون نظاما، ولا يتخيلون لحوادثه ناموسا.

(د) وكانوا يعتبرون الحق للقوة لا لصاحبه إن كان ضعيفا.

(هـ) وكانوا إباحيين لا يرون للشهوات حدودا، إلا ما يفرضه عليهم العجز الطبيعي، وما يحتمه الضعف الجثماني.

(و) وكانوا فوضى من الناحية الأدبية، ليس لديهم أصول يردون أعمالهم اليها، إلا ما أملته عليهم الحالة الجاهلية، والسذاجة البدوية.

(ز) وكانوا مستريحين الى الجهل والأمية، ومستنيمين الى ما كانوا عليه من الحالة البدوية ونصف البدوية، حتى اعتبروها المثل الأعلى.

(ح) وكانوا لا يعرفون للعدل حدودا إلا ما تقرره التقاليد المبنية على أصول مناسبة للحالة القبيلية التي كانوا عليها.

(ط) وكانوا لا يقيمون للمساواة وزنا لا بين الأقوياء والضعفاء، والأثرياء والفقراء فحسب، ولكن بين البيوتات والجماعات أيضا لاعتبارات تواضعوا عليها ليست من الحق في شيء.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هـذه هى الأصول التى تنزلت منها عصارة الفكر العربى قبل البعثة المحمدية ، وقد جاء الاسلام بنقائضها :

فأمر بتوحيد الله وتنزيهه ، وأسقط الوسطاء والشفعاء ، وأخلى مابينه وبين خلقه ، ونهى عن التقليد بدون نظر ولا دليل ، ودعا الى التفرقة بين الحق والباطل ، والى العلم والفكر ، والى التقيد بنواميس الأخلاق ، والى تجريد العمل لله وحده فى جميع المقاصد ، وحرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأهاب بالناس الى لزوم النظام فى كل شىء ، مقررا أنه خلق كل كائن بقدر ، والى الاجتماع والألفة تحقيقا للوحدة الانسانية والعمل على تعميمها بين الناس حتى تصبح عالمية ، والى الحياة الحضرية الفاضلة وما تقتضيه من تعاطف وترادف وإحسان ، والى محق الفوارق الجنسية واللونية واللغوية ، مقررا أن الكل أبوهم آدم وأمهم حواء ، وأن لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربى على أعجمى إلا بالتقوى أو بعمل صالح ، والى العلم والحكمة بأقصى ما تستطيعه القدرة البشرية معلقا عليهما سعادة الحياتين ، والى العدل المطلق بين الناس كافة مؤمنهم وكافرهم عربيهم وأعجميهم ، والى القيام بالقسط والشهادة لله ولو على النفس والأقرباء والوالدين ، والى المساواة بين الخلق مهما كانت نحلهم وبيئاتهم ، والى تطلب الرقى الصورى والمعنوى من جميع مظانهما ، وعدم الجمود على حال واحدة .

ثم هو مع هـذا كله قد دعا الناس الى وحدة عالميـة ، والى ديانة فطرية عامة تسع الناس كافة فى كل زمان ومكان . (راجع القرآن الكريم)

لا مشاحة فى أن هذا كله ليس بعصارة الفكر العربي ، ولا يمت اليه بأدنى صلة ، ولا هو بعصارة أرقى أمة كانت قائمة على عهد البعثة المحمدية أو قبل عهدها ، بل ولا عصارة أرقى أمة من الأمم العصرية كما يرى القارئ بأقل تأمل ، فاذا تقرر هذا فقد سقطت أولى شبهات المسيو أندريه هرفيه ، وأصبح بينها وبين الواقع المحسوس بعد المشرقين ، بل أبعد منه بما لا يستطاع تقديره .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشبهة الثانية – يقول المسيو أندريه : كان للشعوب التى سادها اليونانيون والرومانيون نشاط ، وقوة إدراك ، وروح ابتكار ، جردتها منها السيادة الاسلامية .

اللهم إن هذا مناقض لبداهات التاريخ مناقضة صارخة .

وذلك أن البلاد التى فتحها المسلمون وكان يسود فيها آثار من المدنية اليونانية والرومانية هى سورية ومصر وشمال أفريقا كله والأندلس . فأما سورية فكانت تعانى من عنت الرومانيين فى الحكم ، ومن اضطهادهم لها فى الدين ، ما أفردت له صحف سوداء فى التاريخ ، حتى حمل ذلك مئات الألوف من اليهود واليعاقبة والنساطرة أن يلجأوا الى بلاد العرب هربا من الجور الذى كان حائقا بهم ، وفى هؤلاء علماء أعلام استخدمهم العرب فيما بعد فى ترجمة العلوم ، وأحسنوا مكافأتهم ، وحموهم شرور الاضطهاد ، وقربهم الخلفاء منهم حتى كانوا من أخص بطاناتهم ، وعولوا عليهم فى الطب والعلوم الطبيعية والرياضية ، وخلدوا ذكرهم فى مؤلفاتهم التاريخية .

وأما مصر فقد كانت كما يقول المسيو جول لابوم على عهد الرومانيين ، كالجثة المصبرة ، فبعد أن قتلوا من أهلها نحو ثمانمائة ألف نسمة لاعتناقهم المسيحية بقصد إبادتهم ، عادوا بعد أن تنصروا هم فاضطهدوهم لمخالفتهم لهم فى المذاهب ، وأرهقوهم بالضرائب والأتاوات ، حتى نضبت خيراتهم ، وجمد نشاطهم ، وتحجرت عقولهم . فلما انتدب العرب لفتحها رمى المصريون بأنفسهم بين أيديهم ، وعاونوهم على التخلص من نير مستعبديهم . أليس هذا التواطؤ وحده أدل دليل على ما كان يعانيه المصريون من عسف الرومانيين وظلمهم وهم أبناء دين واحد ؟ فلو كان للمصريين نشاط وقوة إدراك وروح ابتكار أفاضتها عليهم المدنية الرومانية لما سمحت نفوسهم أن يجازوا أصحابها بممالأة أعدائهم عليهم .

أما شمال أفريقا الذى استولى عليه المسلمون بحركة حربية تشبه رياضة عسكرية ، فقد كان أهله من البربر رازحين كالمصريين تحت نير الاستعمار الرومانى ، بل كانوا أتعس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

منهم حالا، فإنه كان للمصريين ذَماء من مدنيتهم القديمة، وأما أولئك فكانوا مجردين من مثل هذا الذماء أيضا، لأنهم لم تكن قُدْمة مدنية ولا وراثة أدبية، فكانوا على ما هم عليه اليوم من البداوة المتأصلة فى نفوسهم، اللهم إلا جماعات عايشت الرومانيين واليونانيين فى المدن التى أسسوها فى بلادهم وكان حظهم معهم حظ العبيد من سادتهم. فإذا كان المصريون قد برموا بسادتهم الرومانيين الى حد أنهم مالأوا العرب على تسليمهم بلادهم، فهل يعقل أن يكون بربر شمال أفريقا أحسن حالا منهم؟

وهذه الأصقاع من أفريقا ظلت خاملة الذكر لا يسمع عنها شىء يعتد به التاريخ حتى ملكها المسلمون، فدخلت تحت ظل الاسلام فى دورجديد، فتألفت فيها خلافة مدت سلطانها على مصر نفسها، وكانت لها وللجزائر وتونس أساطيل تهيبتها أساطيل أوربا قرونا طويلة.

وأما الأندلس فقد كانت فى عهدها الأخير تسودها قبيلة الوزيغو، وكانت عدوة للمدنية الرومانية لم تدع معلما من معالمها إلا هدمته، وجرت فى حكم البلاد على طريقة الجور والاستبداد المفرطين. وقد دخلها المسلمون بتواطئ بينهم وبين الناقين على حكومة المغتصبين. وما كادت تطؤها أقدامهم حتى أصلحوا إدارتها، وأحسنوا سياستها، وأسسوا فيها المدارس والجامعات، وأقاموا المبانى والعمارات، ونشطوا الزراعات والتجارات، وأحيوا الفنون والصناعات، حتى أصبحت مضرب المثل فى العمران والمدنية الى اليوم.

أليس من غرائب التعصب أن ينكر المسيو أندريه كل هذه الآثار الناطقة ويدعى أن سيادة المسلمين أخمدت نشاط الشعوب فى البلاد التى احتلتها؟! ألم ير أن الشرق الاسلامى لبث متفوقا على الغرب فى كل مجال الى نحو ثلاثمائة سنة؟ فاذا كانت اسبانيا قد نجحت فى التخلص من حكم المسلمين بسبب انقسامهم على أنفسهم فقد استعاض المسلمون من ذلك بفتح شرق أوربا، وما زالوا ظاهرين حتى وصلوا الى وسط تلك القارة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهـددوا رومية نفسها ، وحافظوا على فتوحاتهم فيها قرونا . وما ضرهم إلا فترة من السكون اعترتهم بعد عراك طويل للحوادث دام ألف سنة ، بلغوا فى خلالها قمة المجد ، وآلت اليهم فيها زعامة الأرض فى السياسة والعلم والفنون والأدب . فهل يسمح المسيو اندريه لنفسه أن يعتقد أن عصارة الفكر العربى الجاهلى تُمكّن الآخذين بها من الاستيلاء على الزعامة العالميـة طوال تلك المـدة الطويلة من الزمن ؟ فأين كانت عصارة الفكر اليونانى الرومانى لتقاوم هذه الحركة الجاهلية فى الأرض؟ ألم يعلم أنها كانت قد جفت وتطايرت ذراتها فى الهواء حتى جاء المسلمون فأعادوا تقطيرها ثانية ، وزادوا عليها من فيض جهودهم ما ضمن لها البقاء والنماء ما شاء الله لها أن تبقى وتنمو وتؤتى ثمراتها للخلق ؟

من العبث أن أستشهد هنا بأقوال المؤرخين من أبناء الفرنجة ، فهم فى نظر المسيو أندريه هرفيه قد خُدعوا فظنوا المدنية التى كانت عليها الأمم التى سادها المسلمون مدنية عربية ، والحقيقة أنها كانت يونانية أو رومانية . إذا صح هذا كان المسيو أندريه هرفيه الذى ليس بمؤرخ قد أتى المكابرين فى التاريخ بوسيلة فـذة لا تكلفهم أقل عناء ، وهى خرق إجماع المؤرخين :

بخ بخ ! لو كانت هذه وسيلة من وسائل التمحيص لسهل على كل مكابر أن يثبت مدعاه برأيه الخاص ، فلا تصبح للحوادث التاريخية قيمة ، ولا يكون الإجماع أصلا من أصول التحقيق ، ويمتنع الاستشهاد بالتاريخ .

يقول المسيو أندريه هرفيه : إنه كان للشعوب التى أخضعها اليونانيون والرومانيون نشاط وقوة إدراك وروح ابتكار جـردتها منها السيادة الاسلامية . فـكيف يعقـل هذا الكلام والصفات التى يذكرها لم تكن لليونانيين والرومانيين أنفسهم فى العهد الذى ظهر فيه الاسلام ؟

فهل يعقل أن يكون شىء منها لمستعمراتهم التى امتصوا دمها وتركوها جثة هامدة ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ألم يجمع المؤرخون على أن أوربا كلها كانت فى ظلام حالك من القرن الرابع الى القرن الخامس عشر ، حتى لم ينبغ فيها فى مدى هذه العشرة القرون عالم واحد ، وهو العهد الذى يعرف عندهم بالقرون الوسطى ؟ فليدلنا المسيو أندريه هرفيه عن النشاط وقوة الإدراك وروح الابتكار التى يذكرها لنرى أين كانت ثاوية من ثنايا هذه الغياهب المتلبدة .

لا مشاحة فى أن هذا خرق ثان لإجماع المؤرخين يتحمل منه المسيو أندريه هرفيه تبعة فادحة ، أقل ما فيها أن لا يكون لأقواله أية صبغة جدية ، ولا أقول علمية .

***

بقيت عشر شبهات نتولى دحضها فى المقالة التالية ، إن شاء الله .

محمد فريد وجدى

وجوه البلاغة

قالوا إن البلاغة تكون على أربعة أوجه : تكون باللفظ والخط والاشارة والدلالة ، وكل منها له حظ من البلاغة والبيان ، وموضع لا يجوز فيه غيره .

فأما الخط والاشارة فمفهومان عند الخاصة وأكثر العامة ، وأما الدلالة فكل شيء دلك على شيء فقد أخبرك به ، كما قال الحكيم : أشهد أن السموات والأرض آيات دالات ، وشواهد قائمات ، كل يؤدى عنك الحجة ، ويشهد لك بالربوبية .

وقال آخر : سل الأرض من غرس أشجارك ، وشق أنهارك ، وجنى ثمارك ، فان لم تجبك إخبارا ، أجابتك اعتبارا .

ومن الثناء بالدلالة لا باللفظ من الشعر قول الشاعر :

لقد جئت أبغى لنفسى مجيرا ... فجئت الجبال وجئت البحورا
فقال لى البحر إذ جئته ... فكيف يجير ضرير ضريرا

ومثله قول نصيب بن رباح :

فعاجوا فاثنوا بالذى أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

الثناء هنا كله بالدلالة لا باللفظ .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تأريخ الالفاظ فى اللغة العربية

كلمة (الأدب) واطوارها

فرغنا فى المقالين السابقين من عرض آراء الباحثين فى تأريخ كلمة « الأدب » ، ولفتنا نظر القارئ الكريم الى ما فى مذهب أنصار القديم من قصور فى البحث والاستدلال ، والى ما فى مذهب أولياء الجديد من تطرف يتسع أحيانا حتى ليوشك أن يكون تهورا ، ولم نكتم فضلا لأحد المذهبين .

وفى هذا المقال الذى سننهى به الموضوع نحاول أن نوجه البحث الى شىء من الأدلة على أن مادة « الأدب » كانت معروفة عند العرب بصيغ مختلفة فى العصر الجاهلى ، وفى عصر صدر الاسلام ، ومعروفة بهذا المعنى (الفنى) الاصطلاحى الذى عرف لها فى أواخر العصر الأموى وأوائل العصر العباسى .

والواقع أن الاعتماد على النصوص الأدبية من الخطب والأشعار فى العصر الجاهلى لا يفيدنا كثيرا فى إثبات استعمال كلمة الأدب فى معناها الاصطلاحى (الفنى) لأنه ليس لدينا نص صريح يثبت لنا ذلك . ونبادر الى القول بأننا نقصد بالمعنى (الفنى) ما كان يقصده شيوخ المؤدبين فى العصر العباسى كالمفضل الضبى ، والمبرد ، وثعلب ، والكسائى ، وأبى عبيدة ، والأصمعى ، وخلف الأحمر وأضرابهم ، من حفظ الغريب والنحو والصرف وأيام العرب وما قيل من شعر ونثر ... الخ ، ولا يمكن أن نقصد الى هذا المعنى المتعارف بيننا الآن ، وهو الذى سميناه أدبا خاصا فى المقال السابق ، لأن هذا معنى مستحدث ، أو هو تخصيص للعام ، كما يقول العلماء .

هدانا البحث الى عبارة فى « أساس البلاغة » للزمخشرى ، ولم أر أحدا من الباحثين تعرض لها ، لأنها لم تذكر فى مادتها ، بل ذكرت عرضا فى مادة أخرى ، هذه العبارة قد تقلب نظرية بعض المستشرقين وأشياعهم من الباحثين فى الأدب العربى ، الشاكين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى معارف العرب الأدبية ، إذا عنى بها المنصفون عناية جدّية ، وتتبعوا مصادرها وتاريخها .

قال صاحب (الأساس) : « وتكلم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره ، وتقول : فلان يغرب كلامه ، ويغرب فيه ، وفى كلامه غرابة ، وغرب كلامه ، وقد غربت هذه الكلمة : أى غمضت فهى غريبة ، ومنه مصنف الغريب ، وقول الأعرابى : « ليس هذا بغريب ، ولكنكم فى الأدب غرباء » .

ونحن وإن كنا بعيدين عن معرفة من يكون ذلك الأعرابى ، وهل هو جاهلى أو إسلامى ؟ لكن سياق عبارة الأساس يفيد أن الكلمة عنى بها « الأدب » بمعنى معرفة الكلام الغامض ، وهو كما قلنا معنى اصطلاحى عرف فى أواخر الدولة الأموية وصدر العباسية .

ولا سبيل الى القول بأن الكلمة مولدة لا تثبت حكما لغويا ، لأن المعاجم اللغوية يفرض فيها غالبا عدم التعرض للمولد من الألفاظ دون إشارة أو فهم من السياق . والزمخشرى بخصوصه لم يعهد منه ذكر المولد دون تنبيه عليه ، وفى أساسه مزية يفوق بها المعاجم اللغوية ، وتجعله نواة صالحة لفن تأريخ الألفاظ ، ذلك أنه يتتبع أطوار استعمالات الكلمة فى حقيقتها ومجازها ، وقد يغلو فى التوسع بالمجاز فيعتبر كل استعمال جاء بعد الاستعمال الأول مجازا . ولعل هذا يرجح حصره الحقيقة فى الاستعمال الجاهلى غالبا ، كما يتبين للمتتبع له .

يخف بعض الشىء هذا العسر الذى يجده الباحث حين يعرض الى بحث أدبى أولغوى فى العصر الجاهلى ، إذا جزنا ذلك العصر الى ما بعده من عصر صدر الاسلام ، حيث تبدأ الحياة العربية فى الجدة والاتساع ، وحيث تأخذ اتجاها منظما . فالنصوص الأدبية ، تحفظ لأن الناس حينئذ حِراص على الحفظ لداعى الدين واللغة والعصبية ، وتذاع وتقيد لأن الحياة الجديدة تتطلب تلك الإذاعة ، وذلك التقييد ، وحيث

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أصبحت الرواية فنا مستقلا له أصوله وقواعده يستبق الرواة فى ميدانه الى النقد والتمحيص .

يحدثنا أبو الفرج فى الأغانى أن عمر بن الخطاب رد ابن الزبعرى وصاحبه على حسان ابن ثابت فأسمعهما من شعره كما أسمعاه حتى اشتفى منهما فى ملأ من الناس ، ثم قال عمر ابن الخطاب على مشهد ممن حضره : « إنى كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئا دفعا للتضاغن عنكم ، وبث القبيح فيما بينكم ، فأما إذ أبوا فاكتبوه ، واحتفظوا به » فدونوا ذلك عندهم . قال أبو الفرج : « قال خلاد بن محمد : فأدركته والله وإن الأنصار لتجدده عندها إذا خافت بلاه »

نزل القرآن الكريم على النبى صلى الله عليه وسلم وتدارسه مع أصحابه ، وتحدث اليهم فى شرح ما غمض من أحكامه ، وتبيين ما أجمل فى آيه ، والنبى صلوات الله عليه شرّع فيما لم ينزل به عليه قرآن مما أذن الله له أن يحدث به عنه ، ويشرعه لأمته وحيا غير وحى التلاوة والقرآن ، والصحابة وهم فى كثرة الألوف انتشروا فى أرجاء الأرض يعلمون الناس آداب هذا الدين الكريم وشرائعه ، وهم ما فتئوا يسألون ، ويسألون ويتحاورون ويبحثون . وجماعات من العرب بقيت مع الماضى ما برحت تذكره وتتغنى به ، وتكثر من الحديث عن أيام جاهليتها ، وما قيل فيها من منظوم ومنثور ، فكان القرآن الحكيم وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ومأثور أصحابه وخلفائه وما تخلف من أدب العرب فى جاهليتهم وتحدث به من أدركوا الاسلام منهم ، هى مادة البرنامج الحديث لتلك المدرسة الأدبية العربية الاسلامية الجديدة التى أسسها الاسلام .

ففى أيها وجد الأدب حجته تلقاها واثقا بها مطمئنا إليها ، فإذا لم يجد البحث فى القرآن الكريم نصا يثبت مادة « الأدب » فليس ذلك سببا ينهض للدلالة على عدم عرفان لغة العرب لهذه المادة قبل الاسلام ، لأن القرآن لم يجمع ألفاظ اللغة كلها ، وليس هو معجما للغة حتى يفرض فيه النص على كل مادة لغوية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإذا وطىء لأنصار البحث (الثائر) أن يجدوا منفذا الى التشكيك فى صحة بعض النصوص الأدبية فى العصر الجاهلى ، فليس من السهل التسليم لهذا التشكيك فى عصر صدر الاسلام .

وحديث « أدّبنى ربى فأحسن تأديبى » وإن لم يرتفع فى متنه الى الصحة القاطعة لكنه لم ينزل عند ثقات المحدثين الى الوضاعة الكاذبة ، وعدم ثبوته بلفظه عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يمنع الاحتجاج به فى إثبات وجود مادة « الأدب » فى صدر الاسلام ، لأنه على فرض أن الراوى رواه بالمعنى وعبر عنه بعبارة من عنده ، فهو لم يفتجر ألفاظه افتجارا ، وإنما المعقول أن يكون التعبير عنه بألفاظ معروفة متداولة فيما بينهم ، وذلك يكفى لإثبات وجود مادة « الأدب » فى صدر الاسلام ، وهذا النص لانتشبث به تشبث الغريق بعود الحلفاء ، وإنما نستأنس به استئناس الغريب ببلد سمع لحن قومه وبلده .

والحديث مروى فى مقدمة « النهاية » لابن الأثير فى سياق يختلف به معناه عما يفهمه كثير من الباحثين ، فإنهم يفهمون منه : التعليم والتخلق والتهذيب ، وسياق ابن الأثير يفيد أنه يراد منه بعض المعنى الاصطلاحى (الفنى) للكلمة . وعبارته : « وقد عرفت أيدك الله وإيانا بلطفه وتوفيقه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب لسانا وأوضحهم بيانا ، وأعذبهم نطقا ، وأسدهم لفظا ، وأبينهم لهجة ، وأقومهم حجة ، وأعرفهم بمواقع الخطاب ، وأهداهم الى طرق الصواب ، تأييدا إلهيا ولطفا سماويا ، وعناية ربانية ورعاية روحانية ، حتى لقد قال له على بن أبى طالب كرم الله وجهه وسمعه يخاطب وفد بنى نهد : يارسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره . فقال : أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، وربيت فى بنى سعد » .

ولو قدرنا عدم صحة هذا الحديث بلفظه فليس ذلك بمضير للبحث ، لأننا عثرنا على حديث يرتفع بنصه الى مقام الصحة عند الثقات رواه الترمذى فى سننه وهو قول النبى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

صلى الله عليه وسلم : « ما نحل والد ولده من نحل أفضل من أدب حسن » وهو يذهب بالمادة مذهبا آخر فى صيغتها ومعناها ، لأنه يذكر كلمة « أدب » وهى نص فى موضع النزاع — كما يقولون — ويستعملها بمعنى التهذيب والتربية الخلقية ، وهذا أقرب المعانى الى المعنى (الفنى) الاصطلاحى .

وهذا حديث ثان لا ينزل عن مرتبة الصحة الراجحة ، يرويه أصحاب الصحيح عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن هذا القرآن مأدبة لله تعالى ، فتعمدوا مأدبته ما استطعتم وإن أصفر البيوت لبيت أصفر من كتاب الله » .

قال السيد المرتضى فى أماليه شارحا لهـذا الحديث : « المأدبة فى كلام العرب هى الطعام يصنعه الرجل ، ويدعو اليه الناس ، فشبه النبى صلى الله عليه وسلم ما يكتسبه الانسان من خير القرآن ونفعه وعائدته إذا قرأه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعى وانتفاعه به ، يقال قد أَدَب الرجل يأدِب فهو آدب إذا دعا الناس الى طعامه وشرابه ، ويقال للمأدُبة المدعاة ، وذكر خلف الأحمر : أنه يقال فيه أيضا مأدبة بفتح الدال : قال طرفة العبدى :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى   لاترى الآدب فينا ينتقر

وقال الهذلى يصف عقابا :

كأن قلوب الطير فى جوف وكرها   نوى القسب ملقى عند بعض المآدب

أراد جمع مأدبة . وقد روى هذا الحديث بفتح المأدبة ، وقال الأحمر : المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم ، وقال غيره : المأدبة بفتح الدال مفعلة من الأدب معناه أن الله تعالى أنزل القرآن أدبا للخلق وتقويما لهم .

فأنت تراه قد صرف الكلام وأداره كله على لفظة « المأدبة » من الحديث ، وهذا يدلنا على عراقة هذه المادة فى لغة العرب ، وأنها صحيحة الورود عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولو أن شيئا من الشك أو الضعف لابس هذا الحديث بنصه لنبه عليه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الثقات ، ولكان السيد المرتضى يشير اليه على الأقل فى صدد نقل أقوال العلماء فى معنى المأدبة وتفسيرها .

وهذا حديث ثالث يرويه صاحب الأغانى وكتب السير فى قصة مقتل أبى جهل يوم بدر : أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يصف لأصحابه أبا جهل بصفة تميزه من بين قتلى المشركين فقال : « انظروا إن خفى عليكم فى القتلى الى أثر جرح بركبته فإنى ازدحمت أنا وهو يوما على مأدبة لعبد الله ابن جدعان ، ونحن غلامان ، وكنت أشب – أو أشف – منه بيسير ، فدفعته على ركبتيه فخدش فى إحداهما خدشا لم يزل أثره فيها بعد » . وهذا الحديث يجرى ذكره فى هذا البحث مجرى الشاهد الأدبى الذى يعتضد بغيره .

وأما الكلام المأثور عن الخلفاء وعلماء الصحابة وأدبائهم فلا يكفى لرفضه أو الشك فيه هذا الكلام المجمل الذى لا يستند الى حجة . ونحن إذا قرأنا كثرة النصوص التى استعملت فيها هذه المادة أيام الخلفاء وعصر الصحابة ، أحسسنا إحساسا لا يخلو من قوة بأن مادة الأدب كانت معروفة لهذا العهد متداولة فى معانيها المختلفة . ومن ثم نرجع من طريق الصقل الزمنى الى العصر الجاهلى دون أن يستطيع البحث تحديد الوقت الذى ظهرت فيه من ذلك العصر ، لأن النصوص القاطعة تعوزنا لإثبات أولية هذه المادة ، غير أنى أؤمن إيمانا قويا أنها تتصل اتصالا وثيقا بحضارات العرب فى اليمن والعراق والشام ، ومكة ويثرب ، وقد يصح أن يكون عرب البوادى ظلوا بعيدين عن تداولها ما داموا فى عزلتهم ، أما بعد نشأة تلك المجتمعات الأدبية فى أسواق العرب وأنديتهم وحول البيت الحرام ، فبعيد ألا يكونوا قد عرفوها وتداولوها فيما بينهم ؟

صادق ابراهيم عرجون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام والطب الحديث

بحوث دينية علمية

— ٤ —

قال تعالى : « تولج الليـل فى النهار وتولج النهار فى الليـل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب » آل عمران الآية ٢٧

قيل فى تفسير ذلك : إنشاء الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ، ولـكن النطفة هى حيوانات حية ، وكذلك خلق الحيوان من النطفة ، فهو خلق حى من حى ، فلا تنطبق عليه الآية الـكريمة على هذا التفسير ، والله أعلم .

فإذا قيل إن معنى الآية خلق آدم من طين أى خلق حى من ميت فهذا صحيح ، ولـكنه ليس المقصود من الآية ، والله أعلم ، لأنها تشير الى أن الخلق شىء عادى يحصل يوميا بدليل ورودها بعد « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل » بالتعاقب ، وهذا شىء اعتيادى . فالله يضرب لنا مثلا نشاهده يوميا ودائما .

والتفسير الحقيقى هو « إخراج الحى من الميت » كما يحصل يوميا من أن الحى ينمو بأكل أشياء ميتة ، فالصغير مثلا يكبر جسمه بتغـذية اللبن أو غيره والغـذاء شىء ميت ، ولاشك فى أن القدرة على تحويل الشىء الميت الذى يأكله الى عناصر ومواد من نوع جسمه بحيث ينمو جسمه هو أهم علامة تفصل الجسم الحى من الجسم الميت .
وقد كتب علماء الحيوان فقالوا : إن « النعجة » مثلا تتغذى بالنبات ، وتحوله الى لحمها ، وهذه أهم علامة على أنها حية ، وكذا الطفل يتغذى باللبن الميت ويحوله الى جسمه الحى .

وأما إخراج الميت من الحى فهو الإفرازات مثـل اللبن (وإن شئت فلحوم الحيوانات أيضا والنباتات) فإن اللبن سائل ليس فيه شىء حى (بخلاف النطفة فإن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فيها حيوانات حية) ، وهذه تخرج من الحيوان الحي ، وهكذا ينمو الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، والله أعلم بمراده (١) .

***

قال تعالى : « ورسولاً الى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله » الآية ٤٩

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » الآية ٥٩

« بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين » الآية ١٢٥

لقد وضعتُ هذه الآيات بعضها مع بعض لأنها من نوع واحد فى إظهار قدرة الله بالنسبة للانسان ، وقد اعترض على عمل الطين بشكل الطير ، لأنه لا لزوم لذلك ما دام الله قادراً على إحيائه الخ . والحقيقة أن فى ذلك حكمة عالية ، لأن الانسان خلق محدود الادراك والحواس ، ولا يفهم ولا يرى ولا يسمع إلا ما كان فى متناول إدراكه ، فإن رأى شيئا فوق طاقته اجتهد فى أن يرده الى شيء يعرفه ، فإن لم يمكن بقى متحيراً ، وإن تكرر ذلك أدى الى اضطراب فى الأعصاب قد يكون خطرا . وهنا يُلحظ لطف الله فى أنه لا يظهر قدرته للانسان إلا بطريق التدرج ، وهذا يلاحظ فى كل المعجزات على الاطلاق ، لأن الله تعالى يخلق الطير من الطين ومن غير الطين ، سواء أكان فى شكل الطير أم لم يكن . وكذلك لا داعى للنفخ لأن طريقة الارادة الالهية هى « كن فيكون » ولكن الله يقرب فهم الارادة بهذه الطريقة ، لأن الطين إذا كان

(١) ننشر ما ذكره الدكتور على أنه رأى له . وقد قيل إن معناه يخرج الانسان الحى حياة علمية وقلبية من رجل يعتبر ميتا لتجرده من هذه المواهب ، ويخرج المجرد من هذه الحياة الروحية من رجل حاصل عليها على أكمل حال .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بشكل الطير يشتبه فيه الانسان بالطير الحقيقى ولا يكون هناك فرق بينهما إلا الحياة مع أن ذلك كل الفرق ، وبعدها ينفخ فيه .

وعملية النفخ تجعله ينتظر تغييرا كما يحدث فى أشياء كثيرة مثل الكرة إذا نفخ فيها وغير ذلك ، فعند وجود الروح فى هذا الهيكل الطينى تكون الصدمة قد انكسرت حدتها بانتظار حدوث شىء مهم ، مع أن كل هذه المقدمات لا دخل لها مطلقا فى وجود الحياة والروح .

وهـذا هو بنفسه ما يحدث عند إبراء الأكمه الخ ، لأن ذلك قد يحدث من نفسه أو بواسطة طبيب فى حالات عصبية مخصوصة (غير عضوية) ، ولهذا يشتبه فيها الناظر .

وللمعارضين أن يقولوا إنها ليست معجزة لأننا نراها على أيدى أشخاص كثيرين ، مع أن الفرق بين إبراء الأعمى الذى فقد بصره بفقد العين نهائيا ، وبين إبراء الأعمى المصاب بالهستيريا الخ مثلا ، يشبه الفرق بين الطين الذى فى شكل الطير والطير الحقيقى ، ولـكن الله تعالى أراد أن يفهم الانسان بذلك قدرته تدريجيا ، فالانسان أولا يشك ويقول ربما كان كل هـذا من الأشياء العادية التى ليست فوق قدرة الانسان ، وربما كانت شيئا غير عادى ، ولـكن الله يقول بعد ذلك : وأحيي الموتى ، لـكى لايدع مجالا للشك مطلقا .

إننا نجد هذه الطريقة نفسها فى تاريخ سيدنا عيسى عليه السلام ، لأنه خلق من نطفة الأم فقط ، وفى العالم المادى لا يمكن أن يخلق الحيوان إلا من نطفتى الأب والأم .

ولـكن الطريقة التى ولد بها سيدنا عيسى كانت بحيث لا تـكون صدمة لعقول المعاصرين ، فقـد اتهم هؤلاء السيدة مريم مدة من الزمن ، لأنهم بطبيعتهم فسروا ولادته أو اعتبروها كولادة الناس عامة ، ولـكنهم أخذوا يفهمون الحقيقة تدريجيا عند ما اقتنعوا بصحة المعجزات الأخرى التى أتى بها المسيح . وقد وصلوا الى هذا الفهم على الرغم من أن عيسى خلق من أم فقط ، ولـكن خلقه على هـذه الصورة لا يقل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عن خلق آدم من طين ، لأن نظام الكائنات يجرى على سنة واحدة لا تتخلف أبدا إلا حيث يريد الله ، ومتى أراد الله ، فلا معنى لطريقة خاصة ، ولا حاجة الى واسطة إلا بقدر الإقلال من تأثير الصدمة على الانسان كما بيّنا .

وهنا يظهر جليا معنى قوله تعالى : « بخمسة آلاف من الملائكة » الآية ، وهى التى طعن فيها أيضا بدعوى أنه ما دام الله تعالى يريد نصرتهم فذلك لا بد أن يحدث بدون حاجة الى إرسال ملائكة ، ولكن إرسال هذه المساعدة وتعيين عددها الخ هو لتقريب طريقة النصر لفهم الانسان ، فلا يقع فى الحيرة ، وأما عمل الله فهو فوق إدراكنا ، ولا يمكننا أن نفهم منه إلا « كن فيكون » .

وكذلك الحال فى عصا موسى التى استعملها مع الساحرين وشق بها البحر لتخفيف وقع الصدمة على الحاضرين ، فهذه الحال لا تختلف ، فى رأى العين ، عن عصا الساحر ، ولكن أثرها يختلف اختلافا كلياً .

وكذا حمل امرأة سيدنا زكريا ، التى ذكرها القرآن فى سورة مريم ليمهد بها لقصة سيدنا عيسى : لا تقل فى الإعجاز عن كل المعجزات ، ولكنها ملطفة لأن الناس كثيرا ما يشاهدون العاقر تعالج وتلد وكذلك الشيخ الكبير ، ولكن عقمها كان لسبب حقيقى كالذى فقد رجليه ، ولكن الله جلت قدرته أراد اللطف بعباده .

ولمنع التكرار سأورد هنا آيات من مريم لعلاقتها بسيدنا عيسى : قال الله تعالى : « فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربكِ لأَهب لك غلام زكيا . قالت أنّى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال كذلكِ قال ربكِ هو علىّ هيّن » .

وهذه المعجزة كما قلنا لطف الله فيها بمريم فأراها ملكا فى شكل بشر ، وقال لها سأهب لك غلاما ، فأجابت بأن هذا غير ممكن لأنه لم يمسسها بشر ، ولكن رؤية الملك والظروف المحيطة برؤيته أوجدت عندها بعض الشك فى أنها ربما حملت ولكن بطريقة غير عادية ، وهذا ليهيىء عقلها لاحتمال صدمة الحمل عند ما يحصل .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا » : هذا ليهيء أفكار الناس ويقلل من صدمة المعجزة ، وكأن الله تعالى يقول لنا إن النفخ أخذ مكان نطفة الرجل مع أن تمثل الملك بالبشر ليس إلا مثل تشكيل الطين بالطير ، و « النفخ » فى حكاية سيدنا عيسى ليس إلا كالنفخ فى الطين ، وكل ذلك لتقريب فهم المعجزة .

والحقيقة أن سيدنا عيسى خلق من نطفة السيدة مريم ، والجزء الآخر الذى يمثل الرجل خلق بإذن الله وقدرته ، ولا يمكننا أن نعرف أكثر من ذلك « كن فيكون »

وأهمية الحادث هى ليست فى خلق إنسان لأن الآلاف تولد يوميا ، ولكن الأهمية هى فى أن السنن التى خلقها الله وكفل لها الاستمرار وعدم التبديل ، والتى وجدبها العالم كله ويسميها الطبيعيون الطبيعة « ولن تجد لسنة الله تبديلا » قد بدلت ، وهذا لا يكون ولا يمكن أن يكون ، إلا بالقدرة الإلهية التى تضع جميع السنن ، أى أن سيدنا عيسى خلق بسنة جديدة ، فخلقه بمثابة « بدء الخلق » تماما ، وهذا هو السبب فى أن ولادته وحياته كانت صدمة شديدة للذين كانوا فى عصر ولادته من الناس ، وللذين جاءوا من بعدهم ، حتى إن أمما فتنت وقالت إنه ليس بشرا مثل آدم بل هو ابن الله ، وأن ولادته مع ما صحبها من الملطفات قسمت الأمم شيعا ، ولكن هذه إرادة المولى « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » .

دكتور عبد العزيز اسماعيل

الرضاء بالظاهر من المودة

ارض من المرء فى مودته ... بما يؤدى اليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحدا ... يصح منه غدا سرائره
يوشك أن لا يتم وصل أخ ... فى كل زلاته تنافره
إن ساءنى صاحبى احتملت وإن ... سر فانى أخوه شاكره
أصفح عن ذنبه وإن طلب العذ ... ر فانى عليه عاذره

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلسفة الاخلاق

وصلتها بالنفس الناطقة — أثر ذلك فى المجتمع الانسانى

نريد فى هذا البحث أن نعرض ولو لماما الى شوق النفس وما يصدر عنها من الأفعال المميزة لها عن النفوس غير الناطقة ، فشوق النفس الى العلوم والمعارف فضيلة من فضائلها ، بل هى الفضيلة العظمى التى أربت على كل فضيلة ، منذ قيام البشرية فى الأرض بعبء التكاليف .

وعلى مقدار طلب الانسان لهذه الفضيلة واستلهام الأصلح منها فى شتى مناحيها والتغلب على العوائق التى تقطعه عنها ، يكون نجاحه فيها . وقد أبنا فى البحث السابق ما هى تلك العوائق التى تقف عقبة فى سبيل النهوض بهذه الفضيلة .

وبدهى أن الفضائل من حيث هى كذلك لا يستطاع تحصيلها إلا بعد أن تخلص النفوس من الرذائل التى هى أضداد تلك الفضائل ونقائضها ، وهى شهواتها الثائرة الجسمانية ، ونزواتها الفاحشة البهيمية . ذلك لأن الغرض المقصود من وجود الانسان حين يتوجه اليه هو ما يجب أن يسمى الشخص به خيِّرا أو سعيدا . أما من عاقته العوائق وصرفته الصوارف عن بلوغ ما يحصله من مميزات الانسان الذى يحمل النفس الناطقة ، فهو الشرير أو الشقى .

فالمميزات إذاً هى التى تحصل للانسان بإرادته وفعله واختياره وسعيه فى الأمور التى من أجلها وجد الانسان وقام بمهمة عمارة الكون وتحرى أفضل برامج الحياة .

وقد قسم الفلاسفة الأولون الأخلاق الى أقسام شتى ، فمنها ما هى شريفة ، وسيأتى طرف ، ومنها ما هى ممدوحة ، ومنها ما هى بالقوة كذلك .

ولقد سبق لنا أن أبنا لحضرات القراء أن كل موجود من الموجودات له كمال خاص وفعل لا يشاركه فيه غيره من الموجودات . وهذا الحكم مستمر فى الأمور العلوية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والسفلية كالشمس وسائر الكواكب ، وكأنواع الحيوانات والنبات والمعادن . ولكن الانسان من بين سائر الموجودات له فعل خاص لا يشاركه فيه غيره وهو ما صدر عن قوته المميزة العاقلة ، فكل من كان تمييزه أصح ورويته أصدق واختياره أفضل ، كان أكمل فى إنسانيته وأبلغ فى معقوليته وأفعل فيما يترتب عليها من الآثار .

وكما أن السيف والمنشار مثلا ، وإن صدر عن كل واحد منهما فعله الخاص وهو القطع بالقياس الى كل واحد منهما منفردا عن صاحبه ، يختلفان فى كيفية القطع وسرعته وبلوغ الغاية منه على أكمل وجوهها ، فكذلك الانسان بالقياس الى ما دونه من بنى جنسه ، وكذلك الشأن فى الفرس والبازى وسائر الحيوانات ، فان أفضل الأفراس ما كان أسرع حركة وعدوا وأشد نشاطا وتيقظا لما يريده الفارس منه من طاعة اللجام وحسن القبول فى الحركات وخفة العدو والنشاط ، فكذلك الناس أفضلهم من كان حريصا على أفعاله الخاصة به وأشد تمسكا بشرائط جوهره الذى تميز به عن الموجودات . وإذاً يكون من الأحرى بكل ذى مسكة من العقل أن يحرص الحرص كله على الاستمساك بأسباب الخير ومصادره ، وأن يفر بدينه وعرضه وخلقه من أسباب الشر وبواعثه ليستكمل من الحيانين أوفر حظ وأوفى نصيب ، فان الحيوان كالفرس مثلا إذا بدا منه تقصير عن الحد الذى يحفظ له نعت الفرسية وانحط عن الفضل المتمم لماهيته بحيث لم تظهر مميزاته اللاصقة به على أكملها وأتم وجوهها ، انحدر الى مرتبة الحمر وكان خليقا أن يؤخذ بالأكاف ، وأن يساق بالعصا كما تساق الحمر .

وكذلك حال السيف وسائر الآلات متى قصرت عن أداء ما يحفظ لها نعوتها انحطت عن مراتبها الى ما دونها واستعملت استعمالا يتفق وما هبطت اليه من غير مستواها الموجهة اليه . فالانسان إذا نقصت أفعاله وقصر فيما خلق له وقامت فى وجهه الصوارف لفعله الصادر عنه باختياره بحيث تكون أفعاله الصادرة عن رويته غير بالغة حد الانسانية المهذبة العاقلة ، انحط الى مرتبة البهائم والتحق بأصناف ليست من صنفه .

أما إذا صدرت عنه تلك الأفعال مضادة لأنواع الخير بحيث تكون مظاهر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من الشر ومجموعة غير صالحة من الرذائل التى من شأنها أن تصرفه عما عرض له من تزكية نفسه وصقلها فى قالب من الخير ينتهى به الى الملك الرفيع والجاه المنيع والسرور السرمدى والعيش الرضى ، وانخدع عن هذه الموهبة السرمدية الشريفة بتلك الحساسات الوقتية التى لا ثبات لها ، كان خليقا بالمقت من خالقه ، حقيقا بالرثاء له .

وإذا تجلى للناظر أن سعادة كل إنسان تكون بالقياس الى ما يصدر عنه من الأفعال المميزة للانسان والتى هى جزء من مقوماته ، وأن لهذه السعادة المترتبة عما يصدر عنه من الأفعال مراتب كثيرة بحسب الروية والمروّى فيه ، ولذلك قيل : أفضل الروية ما كان فى أفضل مروّى ، ثم ينزل رتبة فرتبة الى أن ينتهى الى النظر فى الأمور الممكنة من العالم الحسى ، فيكون الناظر فى هذه الأشياء قد استخدم رويته والصورة المميزة له التى بها صار سعيدا مستأهلا للملك الأبدى والنعيم السرمدى بالقياس الى أشياء دنيئة وأمور تافهة لاثبات لهاولا ظل لها من الحقيقة ، فقد تبين أن هنالك أجناسا من السعادات على الجملة ، وأن أجناسا من الشقاوات على الجملة ، تنحل هذه وتلك الى جزئيات بحسب مايصدرعن الانسان من العوامل الموجبة أو السالبة ، وبحسب ما تتفاعل به نفسه منساقة بعوامل الخير أو بدوافع الشر ، وكل ميسر لما خلق له ، وأن الخيرات والشرور فى الأفعال الارادية هى إمابإختيار الأفضل والعمل به ، وإمابإختيار الأدون والميل اليه .

ولما كانت هذه الخيرات الانسانية وملكاتها التى فى النفس كثيرة ولم يكن فى طاقة الانسان الواحد القيام بجميعها ، وجب أن يقوم بجميعها جماعة كثيرة منهم ، ولذلك وجب أن تكون أشخاص كثيرة وأن يجتمعوا فى زمان واحد على تحصيل هذه السعادات المشتركة لتكميل كل واحد منهم بمعاونة الباقين له ، فتكون الخيرات مشتركة والسعادة معروضة بينهم فيتوزعونها . ولأجل ذلك وجب على الناس أن يحب بعضهم بعضا ، لأن كل واحد يرى كماله عند الآخر ، ولولا ذلك لما تمت للفرد سعادته ، فيكون إذاً كل واحد بمنزلة عضو من أعضاء البدن ، وقوام الانسان بتمام أعضاء بدنه .. **عباس طه**

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام والمسيحية

اطلعنا فى المجلة الاسلامية التى تصدر بلندن باللغة الانجليزية على محاضرة تحت هذا العنوان، فرأينا نقلها الى العربية لما حوته من المعلومات القيمة عن المدنية الفاضلة التى أوجدها الاسلام ، فاليك :

يتناول الموضوع الذى سأتكلم فيه الليلة ، المقارنة بين دينين ، والمقارنات ،كما تعلمون ، من الأشياء غير المرغوب فيها والتى تكتنفها المصاعب . ولكن كثيرين من المسيحيين قد قاموا فعلا بالمقارنة بين الدين الاسلامى والدين المسيحى، فكانت الصورة التى صوروها عن الاسلام ناقصة ، وكان من الإنصاف أن أسهب ولو قليلا فى جلاء الحقيقة فى هذه المحاضرة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جاء الدين الاسلامى فى القرن السابع بعد الميلاد وكانت المسيحية إذ ذاك ، على حد قول سير وليم موير ، واهنة فاسدة عاجزة من جراء الشقاق والانشقاق بين معتنقيها ، وكانت قد استعاضت عن التعاليم القديمة الصحيحة بالخرافات والخزعبلات الصبيانية ، وكان العالم المتمدن فى ذلك الوقت على حافة الدمار ، وكانت المدنية كشجرة ضخمة متعفنة لا تقوى على الوقوف ، وكانت بلاد العرب أقتم بقعة فى عالم مظلم ، كان يسكنها شعب لا يعرف قانونا سماويا ولا دنيويا ، ولا يفتأ يلجأ فى كل حين الى ضروب من الفتك وسفك الدماء .

وولد محمد ، رسول الدين الاسلامى فى هذا الشعب ، وعرف فضله فى داخل بلاده وفى خارجها على السواء ، فقد أصبح لبلاد العرب تحت زعامته دين واحد وقانون واحد ، ثم انتشر هذا الدين وهذا القانون من بلاد العرب الى العالم شرقا وجنوبا . قال كارليل :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« إنه لم يمض قرن على ظهور الاسلام حتى أخذ يتألق نجم بلاد العرب ويضىء شطرا كبيرا من العالم ثم ظل كذلك عصورا طويلة ».

إنكم تعرفون أنه لما جاء الاسلام كانت المسيحية مستندة الى سلطان الأمبراطورية الرومانية ، كما كانت قائمة على التقاليد المجيدة لليهودية واليونانية والرومانية . ولكن الاسلام على الرغم من ذلك ، كان يتقدم فى كل ناحية وصوب ، فنقص نفوذ المسيحية وأصبح للمسلمين فى جميع أنحاء العالم مقام خطير ، ولم تستطع المسيحية منافسة الاسلام لا فى السياسة ولا فى الإدارة ولا فى الثقافة العلمية ، على الرغم من أن المسيحية كانت الوارثة الوحيدة لثلاث مدنيات عظيمة . ومن سوء الحظ أننا نجد هذا الماضى المجيد مدفونا فى بطون التاريخ لا يلم به كثير من المسلمين ولا غير المسلمين ، حتى ليحسب الانسان العادى أنه يستحيل على الاسلام أن ينافس المسيحية فى معترك الحياة فى أى وقت من الأوقات .

إن آلافا من وعاظ المسيحية الغيورين الذين يقررون بأن الحياة الدنيا حياة غواية وغرور ، يحاولون فى هذه الأيام إقناع الناس بتفوق المسيحية على الاسلام ، مستندين فى ذلك الى المدنية الراهنة المتصلة ، صح ذلك أو لم يصح ، بالديانة المسيحية ، كأن الاسلام لم يكن له من التاريخ المجيد ما يفاخر به سواه . ولقد وضعت مئات من الكتب فى أن الاسلام لا يصلح دينا لمجتمع متمدين ، كأن الاسلام لم تكن له مدنية ، وكأن المسيحيين كانوا دائما ، كما هم اليوم ، متمدنين ، وكأن الحضارة الحالية لم تك إلا ثمرة التعاليم المسيحية .

لذلك أرى أن أطلعكم على شىء من ماضى الاسلام ، وأن أذكركم ببعض الظواهر الواضحة للصلات التى تربط المسيحية بالمدنية الحاضرة . إذن فلنحلق معا فوق التاريخ القديم لنشهد شيئا من مجد الحضارة الاسلامية . ولنهبط ، كما هبط السندباد البحرى ، على شاطئ دجلة ببغداد المعروفة فى كتاب ألف ليلة : كانت بغداد فى العصر العباسى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عاصمة الاسلام ، وعين العراق ، ومقر الأمبراطورية ، وموطن الجمال والفن والثقافة . وكان المنصور فسيح التصور ، سليم التصرف فى حكومته ، كما كان كذلك أيضا فى عضده ورعايته للفنون . ومما يحكى عنه أنه دعى مرة أمام قاضى المدينة بناء على طلب أصحاب الجمال ، فحضر بنفسه اعترافا بمساواة الناس جميعا أمام القانون ، ولم يكن فى صحبته غير أمينه ، ثم وقف أمام القاضى كأحد المتقاضين العاديين فلم ينهض القاضى للقائه . وجاء الحكم فى صالح المدعين ، فكافأ المنصور القاضى اعترافا بنزاهته ، وإكباراً لحرية القضاء . هذا الملك هو الذى عمل على جعل بغداد مركز العلم والثقافة ، وأسس بها قسما لترجمة المؤلفات العلمية الى اللغة العربية .

ونسج هارون الرشيد على منوال جده بقدرة وكفاية ، فاعترف له المؤرخون بأنه من أعظم الحكام فى جميع العصور . وكان الموسيقى ابراهيم الموصلى وجبرائيل الطبيب من بين الرجال البارزين الذين ازدهر بهم عصره ، وكان الرشيد نفسه شاعرا ، فكان يميل بطبعه الى الشعراء ويكافئهم . ولقد أنشأ المواصلات بين بلاده والبلاد الغربية ، وبين بلاده وبلاد الشرق الأقصى . وكان أول من قبل فى بلاطه السفراء من أمبراطور الصين ومن شارلمان ، وتعد الساعة العجيبة التى أهداها الى شارلمان عملا عجيبا من أعمال الميكانيكا حتى فى وقتنا هذا .

أما خلافة المأمون فقد كانت عصرا من أبهى عصور التاريخ العربى ، إذ قد خلفت سنو حكمه العشرون آثارا باقية من التقدم الفكرى للمسلمين فى جميع نواحى التفكير ، فلم يقتصر تقدم العرب على فرع من فروع العلم أو الآداب ، بل كان شاملا الفلسفة النظرية والأدب والعلوم والرياضة والفلك والطب وغير ذلك . وقد أخذت أسبانيا العربية والقسطنطينية المسيحية عن العرب هذا الميراث المجيد ، ثم أخذته عن هؤلاء أوربا الحديثة .

ويجب أن لا ننسى للمأمون حسنة من حسنات شهرته الخالدة ، ألا وهى تسامحه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وحكمته السياسية . فقد أقام مجلسا للحكومة أو برلمانا مكونا من ممثلين يمثلون جميع الطوائف من مسلمين ومسيحيين وصابئين وشيعة زرواستر وهندوس ، وكانت فى أيامه تراعى الحرية الدينية والفكرية مراعاة تامة ، فكانت توجد نحو أحد عشر ألف كنيسة مسيحية ومئات من المعابد اليهودية ، فلم يحاول قط مصادرة مواردها أو تجريد قسيسها من حقوقهم وامتيازاتهم .

وكان يشرف على الترجمة من الاغريقية والسريانية والكلدانية كوستا بن لوقا ، وكان يشرف على الترجمة من الفارسية القديمة يحيي بن هارون ، ومن السنسكريتية دوبان البرهمى . ولقد قاس العرب حجم الأرض لما كانت أوربا المسيحية تؤكد أنها منبسطة . واخترع أبو الحسن المنظار المقرب (التاسكوب) وأقام المأمون أول مرصد بالشماسية بسهول تدمر .

والعرب هم مخترعو الابرة المغناطيسية (البوصلة) التى أمكنتهم من السفر الى كانى وجزر الملايا لا سيما جاوه وباتافيا حيث نجد الآن ذرية العرب . ووصلوا جنوبا الى مدغشقر واستعمروا أفريقية الشرقية حيث نجد بقايا أمبراطوريتهم القوية فى سلطنة دار السلام . ووصلوا شرقا الى مولتان فى الهند وغربا الى اسبانيا وجنوب فرنسا واستولوا على صقلية ومالطة ، ولا تزال آثارهم بها الى الآن .

وفى عصر الخلفاء العباسيين تفوق العرب فى جميع الصناعات وشجعها خلفاؤهم ، فكانت بالبصرة مصانع للزجاج والصابون ذات شهرة عالمية بزت مصانع البندقية المنافسة لها فى ذلك الزمن . وقد أنشأ المعتصم مصانع جديدة فى بغداد وسامرا وغيرهما من المدن الهامة . وكان العرب يستقدمون العمال المصريين لصنع الورق فى بغداد فى الحين الذى كانت فيه المصانع الملكية لصناعة التطريز والزركشة بخيوط الذهب والفضة تزدهر فى أصفهان وتبريز . أما سمرقند وبخارى ودمشق وخراسان وشيراز ، فقد كانت معروفة بأنوالها لنسج الحرير والساتان والسجاجيد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكانت الأمبراطورية العربية غنية أيضا بما تنتجه من المواد الأولية ؛ كالقمح والشعير والأرز والبلح والفاكهة بمختلف أنواعها . أما القطن فكان يزرع فى حلب وبيروت وكيلات وصور ، كما كان يزرع قصب السكر ويكرر فى الأهواز وفارس .

وأنشئت الجامعات والمستشفيات فى جميع البلدان الكبيرة حيث كان التعليم والعلاج مجانا للفقراء . فبنى نظام الملك الجامعة النظامية ، وبنى المستنصر بالله الجامعة المستنصرية كما يعرف ذلك طلبة التاريخ .

ولقد ازدهرت أسبانيا تحت حكم الأمويين ، وليس فى الامكان سرد أعمالهم التى كانت جرثومة الثقافة العالمية سردا وافيا ، ولكنى سأكتفى بسرد قليل من الحقائق لتعلموا الى أى مدى نحن مدينون لهم اليوم :

لقد وضع الرازى كتابا شاملا عن الجدرى ، وكان الجزء التاسع من هذا الكتاب العظيم المرجع الذى يرجع اليه الأساتذة فى إلقاء محاضراتهم بالجامعات الأوربية . وتعلمون طبعا أن أعظم اسم فى الطب العربى هو اسم ابن سينا المعدود أحد أعاظم الأطباء والفلاسفة فى كل العصور ، إذ كان كاتبا مكثرا ، وكان فى الوقت نفسه عميقا فيما يكتب . ومن بين كتبه نشير الى :

(ا) نفع وفوائد العلوم
(ب) الصحة والأدوية
(ج) مشاهدات فلكية
(د) النظرية الرياضية
(ه) ملخص أقليدس
(و) الطبيعة وماوراء الطبيعة
(ز) دائرة معارف فى عشرين مجلدا .

ووضع أبو القاسم الزهراوى فصلا عن الجراحة ضمنه من التفاصيل ما يجعله فى مقدمة السابقين فى هذا العلم .

وفى الحين الذى كانت المسيحية تضطهد علماء الكيمياء وترميهم بالسحر والشعوذة ، كان العرب يتقدمون فى هذا العلم ، فظهر أبو موسى جابر بن حيان أبو الكيمياء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العربية ، فاكتشف حمض الأزوتيك والماء الملكى (١) كما زاد أيضا باكتشافاته ما كان معلوما من طبيعة المعادن عند علماء الإغريق . واكتشف أبو بكر الرازى حمض الكبريتيك . ووضع العرب أساس الكيمياء والصيدلة . قال الأستاذ هلميارد عن هذه البحوث :

« استنبط العرب من المعلومات الأولية التى كان يطلق عليها اسم الكيمياء فى مدرسة الاسكندرية ، علما بأصول أبانوا فيه للمرة الأولى العلاقة الصحيحة بين الحقائق التجريبية والنظرية ، فاعترف الناس بفائدة التطبيق العملى لعلم الكيمياء ، وابتدأت أوربا أبحاثها الكيميائية على أساس سليم من الحقائق والنظريات . وكان أتباع النبي هم أصحاب الفضل على أجدادنا ، فلنبادر بالاعتراف لهم بالجميل » .

وتوصل العرب الى صناعة الثلج التى لم تكن معروفة فى أوربا حتى النصف الأخير من القرن السادس عشر .

وكانت تتقدم الرياضة بفضل أبحاث واكتشافات العرب الذين أخذوا الطريقة العشرية عن الهند ، فزادوا عليها ونقحوها . فالجبر مدين بتقدمه الى العرب ، حتى إن ابن موسى فى القرن التاسع تمكن من استبدال الأوتار بالمستقيمات فى علم حساب المثلثات ، واكتشف المعادلات ذات الدرجة الثانية . وكتب الكندى مائتى مؤلف فى موضوعات مختلفة مثل الحساب والهندسة والفلسفة وعلم الظواهر الجوية وعلم الأبصار والطب . ولقد ظلت جداول أبى معشر وأبى وفا المرجع الأساسى فى علم الفلك . كما أن أول مرصد أنشىء فى أوربا كان مرصد إشبيلية تحت إشراف جابر ابن حيان سنة ١١٩٦ . وفى القرن العاشر أنجبت مدرسة القاهرة ابن يونس الفلكى العظيم الذى أتم عمله ابن النبطى ، وكان من مشاهير علم الفلك أيضا .

وذهب الرحالة البيرونى الى بلاد الهند وعاش بين أهلها وتعلم لغتهم وعلومهم وآدابهم

(١) مزيج مكون من حمض الازوتيك والكلورايدريك يذيب الذهب .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وفلسفتهم وعاداتهم وأخلاقهم وقوانينهم ودياناتهم وأساطيرهم ، كما درس أحوال البلاد الجغرافية والطبيعية ، وضمن تلك المعلومات كتابا اقتبس فيه نبذا من شعر هوميروس وفلسفة أفلاطون وغيرهما من رجال الأدب والفلسفة الإغريقية . ثم إنه الى ذلك كان يكتب ويحاضر فى الفلك والرياضة والتقاويم والطبيعة . وجاء بعده عالم قد لا يقل عنه فى المكانة يدعى ناصر خسرو الذى يعد كتابه المسمى « السفرنامه » أمتع كتاب من نوعه ، فقد زار صاحبه أغلب جهات العالم التى كانت معروفة فى أيامه .

أما فى التاريخ فإن أسماء المسعودى والطبرى وابن الأثير دائمة التألق . ولم يكن أبو بكر محمد بن يحيى مؤرخا شهيرا فحسب ، بل كان فيلسوفا ومن رجال العلم أيضا ، فضلا عما أحرزه من التفوق فى الموسيقى ، وقد استطاع إدخال سلم موسيقى يمكن أن يستفيد منه كل شعب . ويمكننا اعتباره الأساس الذى تنبنى عليه الموسيقى فى العصر الحالى .

ويجىء اسم ابن رشد العظيم فى مقدمة علماء الفقه . وابن رشد هذا سليل أسرة من مشاهير القضاة . وكان رئيس القضاة فى كل من إشبيلية وقرطبة على الترتيب . وكان صديقا لابن الطفيل المعروف بعلمه الواسع .

هذا قليل من دلائل المدنية الاسلامية الأولى ، أسرده على سبيل المثال ، ولكننى أرانى مقصرا إذا أنا أهملت الإشارة الى ما قام به النساء المسلمات .

« البقية فى العدد التالى »

الكرم واللؤم

قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به ، وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به » .

معنى هذا الكلام الثمين أن أولى الأمور بالانسان خصال نفسه ، فان كان هو كريما وآباؤه لئام ، لم يضره ذلك ويوصف بالكرم . وإن كان لئيما وآباؤه كرام ، لم ينفعه ذلك ويوصم باللؤم . وهذا حق ويطابق قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تشريح الاموات

كتبنا فى العدد السابع من هذه المجلة رأينا فى حكم تشريح الميت ، ووازنا بين ما يترتب عليه من المصالح والمفاسد ، ثم رأينا أن المصلحة أرجح من المفسدة ، وكثيرا ما يكون فى التشريح درء مفسدة كبرى مثل دفع تهمة اتهم بها رجل من المسلمين ظلما ، فأبان التشريح أن الميت غير مجنى عليه مثلا ، الى غير ذلك مما هو معروف . وقلنا إن الجواز هنا أولى مما ذكروه فيما إذا ابتلع الميت مالا ، حيث أجازوا شق بطنه وإخراج المال منه إذا بلغ نصاب السرقة أو نصاب الزكاة . فجاءنا من بعض الأفاضل انتقاد على ذلك ، وأنه يجر الى توسعهم فى أذية الميت وإهانته .

ونقول لحضرته ولكل من يدور هذا الخيال بخاطره : إننا حذرنا من ذلك التوسع فى آخر ما كتبناه ، فقلنا مستدركين على ما قررناه ووجهناه ما نصه : « غير أنا نرى أنه لا بد من الاحتياط فى ذلك حتى لا يتوسع فيه الناس بلا مبالاة ، فليقتصر فيه على قدر الضرورة ، وليتق الله الأطباء وأولو الأمر الذين يتولون ذلك ، وليعلموا أن الناقد بصير والمهيمن قدير » .

على أننا صرحنا بأن ذلك مبنى على قياسنا مسألة التشريح على مسألة المال الذى ابتلعه الميت . فإن كان ذلك القياس صحيحا فلله الحمد على توفيقه ، وإن كان غير صحيح فى نظر الفضلاء فهو مردود على مرتئيه . ولا شىء علينا بعد أن نبين أن هذا هو رأينا الخاص . وقد احتطنا فى المسألة فحذرنا من التوسع فى ذلك . فإن كان هناك من لا يصغى الى التحذير أو يخطئ فى التطبيق ، فلا ذنب علينا . وكثيراً ما أخطأ المخطئون فى آيات الله وسنة رسول الله .

أما من لم يبال بما يكتبه العلماء ، فهو سادر فى غلوائه ، غير ملتفت إلا الى آرائه وأهوائه ، سواء أمنعنا أم أبحنا ، كتبنا أم سكتنا ، ضيقنا أم وسعنا ، فإنه بمعزل عن ذلك كله .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإنا لنكتب ما نكتب ونحن عالمون أنه لا ينتفع به إلا من وفقه الله تعالى . وقد قلنا فى بعض ما كتبناه بهذه المجلة ما نصه :

« إنا نرى من الاخلاص للدين والعلم أن نقول : إن مثل هذه المسألة محل اجتهاد يصح أن تختلف فيه الأنظار . وإذا رجحنا شيئا فإننا نكتب عن رأينا أو رأى فريق من علمائنا ، والخير كله فى التوسط والاعتدال ، والشر كله فى الإفراط والتفريط » .

وبعد : فنشكر لحضرة الفاضل غيرته وإخلاصه ، ونوافقه على أن الأطباء الآن توسعوا غاية التوسع بلا مبالاة بكرامة الميت ولا مراقبة لله تعالى .

مع أنه قد ورد عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن كسر عظم الميت ككسره حيا » رواه مالك وأبو داود وابن ماجة .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده ، خير له من أن يجلس على قبر » رواه مسلم وأبو داود والنسائى . وعن عمرو بن حزم قال : رآنى النبى صلى الله عليه وسلم متكئا على قبر فقال : « لا تؤذ صاحب هذا القبر » رواه الإمام أحمد .

وسر ذلك أن الروح تدرك ما يفعل بجسدها وتتألم له ، ولكن الشريعة بعد ذلك توازن دائما بين المصلحة والمفسدة فتجعل الحكم لأرجحهما على ما تقتضيه الحكمة ويوجبه النظر الصحيح . فيجب ألا نكون جامدين ، كما يجب أن نكون محتاطين . والله يتولى هدى الجميع ؟

يوسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء

(مجلة الأزهر) تقول فى هذه المناسبة إنه قد وردت الينا مقالة من حضرة الأستاذ الشيخ محمد عبد الوهاب بحيرى من كلية الشريعة يستدرك على مقالة فضيلة الأستاذ الشيخ الدجوى سننشرها فى العدد القادم ، إن شاء الله .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته

البيــــع

أطبق جمهور الفقهاء على أن البيع يتألف من أركان ثلاثة : صيغة تصور العقد ويتأدى بها ، والعاقد ، والمعقود عليه .

فالصيغة هي إيجاب من أحد المتبايعين وقبول من الآخر ، وقد يكون ذلك بلفظ صريح ، وقد يكون بلفظ كنائى ، وأغراض ذلك كثيرة : منها أن الصيغة فى حقيقتها تدل على الرضا المعنوى المعتبر شرطا فى صحة البيع ، لكن لما كان اللفظ الصريح أقطع لشوائب الخصومات ، كان أجدر بالنظر من الكنائى . ومنها أن الله سبحانه أحل البيع والشراء لأنه كما أسلفنا أول عناصر التعامل لمساس حاجة البشر اليه فى مبادلاتهم

أما العاقد وهو كلا المتبايعين والشرط الثانى من شروط صحة العقد ، فقد اشترط فيه التكليف ، إذ لا يمكن للصبى أن يباشر العقد مباشرة تجعله بمنجاة من تطرق الفساد الى ما تم التعاقد عليه ، ويجرى هذا المجرى المحجور عليه .

وأما المتعاقد عليه وهو الركن الثالث والأخير من أركان البيع ، فقد اشترط فى صحته الفقهاء شروطا كثيرة : منها أن يكون ظاهرا للعين من شأنه الانتفاع به لمن ملكه ، وأن يكون مملوكا للعاقد أو مأذونا له فيه ، وأن يكون مقدورا على تسليمه شرعا ، وأن يكون معلوم القدر والوصف والعين ، وأن يكون مقبوضا إن ملك بمعاوضة ، فإن الخمر أو الجيفة مثلا لا يمكن اعتبارهما داخلين فى مسمى البيع ومدلوله ، لأن فى الاتجار بهما شناعة وجناية على الأخلاق . من أجل ذلك اقتضت حكمة البديع الأعلى النهى عن التكسب بالأنجاس وإن كان بعض الفقهاء أباح بيع الكلب والسرجين إذا مست الحاجة الى ثمنهما ، وما لا منفعة منه مظنونة أو متيقنة كالحشرات والهوام والوحوش التى لا تقع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى الشباك ، فلا يطلبه — كما قال بعض الأثبات من علماء الفروع — إلا أحد رجلين : رجل لايعرف فى تصرفاته الصادرة عنه نفعا ولاضرا ، بل يتخذ جشمه الأشعبى مقياسا لربحه فى كل مايصدر عنه من تصرفات ؛ ورجل نظر فى نفسه الى فائدة ضمنية لم يفصح عنها فى مجلس العقد ، فالأول لم يكن على بينة من تصرفه ، والثانى مشرف لامحالة على الخيبة والندامة . وإن أمكن الانتفاع به على وجه صحيح كالطيور الحسنة الصورة أو الطيور ذوات الأصوات الشجية ، جاز بيعها ، لأن التفرج من بلابل الصدور من الأغراض المقصودة المباحة . كما يحرم لو كان من آلات العزف واللهو لأنها مظنة الانصراف عن الاشتغال بالشئون الرئيسية فى الحياة ، لأن جريان العقد ببيعه وحل اقتنائه يحمل الناس على المعاصى ويدنيهم من خطائرها ، فما لم يكن مملوكا للعاقد ولا مأذونا له فيه لا يصح تملكه شرعا لفقدان رضا المالك بذلك حين البيع . وغير المقدور على تسليمه شرعا كالمرهون وكالصغير من غير أمه ، أو حسا كالآبق والسمك فى الماء ، لا يمكن تحقيق عقد البيع فيه . وما لم يكن معلوم العين لا يمكن أن يدخل فيما صدق البيع شرعا كبيع شاة غير معينة فى قطيع أوغيرها ، وكذلك ما كان مجهول القدر كبيع زنة هذه الحقيبة ذهبا وهى مجهولة الوزن أو الوصف ، فان فى ذلك كله إبهاما يفضى فى نتائجه الى سلسلة من الخصومات .

وقصارى القول فى ذلك أن ما كان قاطعا للنزاع المترتب على التعاقد يجب أن يكون ظاهرا للعيان مقطوعا بوضوحه ، وقد ضرب الشارع له حدا وهو التفرق من مجلس العقد .

والسر فى وجوبه أنه جعل لتمييز حق كل من المتبادلين ورفع خيارهما فى رد أحد العوضين . فلولا ذلك لأضر أحدهما بالآخر ، ولوقف كل عن التصرف فيما بيده خشية أن يرجع الآخر عليه ، فإن الشارع اعتبره فعلا وهو (التفرق) لا قولا ولا معاطاة ، فإن القول لا يصلح فى ذاته أن يكون دلالة قوية قاطعة فى المراد بالنسبة لهذا العقد ، إذ المساومة لا يمكن خلوها منه إظهارا للرغبة القوية فى المساومة ، ومايدل على إيجاب العقد غير ميسور ، ولا يمكن التعاطى فى العقد لعدم صلاحيته أيضا ، فإن المشترى لامحالة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

آخذ ما يطلبه ليحاول التصرف فيه على وجه من أوجه التصرف ، والتمييز بين الآخذين عسير كما لا يخفى ، وظاهر مما تقدم أن إطالته أكثر من مجلس العقد غير ملائم لمصلحة المتبايعين ، فإن كثيرا من السلع يراد الانتفاع به حين البيع بأن تكون فائدته معجلة أو يكون الإبطاء فى استعماله فيه مظنة التلف والهلاك على من بيده . على أن العادة قضت فيما قضت باجتماع العاقدين للعقد فى مجلسه ثم تفرقهما بعده . والناس يرون فى الأعم الأغلب رد المبيع بعد التفرق من مجلس العقد لكثرة ما يداخل النفوس من حب الظلم .

ومن أجل أن التفرق من مجلس العقد كان حدا فاصلا بين الاستمرار فى تنفيذ البيع وبين الرجوع عنه ، وأن مجلس العقد هو محل الخيار كما بينا ، نهى الشارع عن التسلل هربا من الإقالة وفرارا من الاستعفاء ، فإن فى ذلك قلبا للأوضاع المتفق عليها .

عباس طه المحامى

علامات العقل فى الانسان

نظم أحد الشعراء العلامات التى يوزن بها عقل الانسان لدى مخاطبيه فيحكمون له أوعليه وهى :

يعرف عقل المرء فى أربع ... مشيته أولها والحرك
ودور عينيه وألفاظه ... يعد عليهن يدور الفلك
وربما أخلفن إلا التى ... آخرها منهن سميت لك
هذى دليلات على عقله ... والعقل فى أركانه كالملك
إن صح صح المرء من بعده ... ويهلك المرء إذا ما هلك
فانظر الى مخرج تدبيره ... وعقله ليس الى ما انتهك
فربما خلط أهل الحجا ... وقد يكون النوك فى ذى النسك
فان إمام سال عن فاضل ... فادلل على العاقل لا أم لك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هندى يدعى المعجزات

كتب الينا قارئ فاضل بان إحدى الجرائد ذكرت أن فى جبال ساثبورا بالهند رجلا هندوسيا يدعى النبوة ويحدث المعجزات . من ذلك أن قرية سادهو كانت فى خطر من الجفاف فاهرع أهلها يستنجدون به ، فقام معهم ووضع قدميه فى قاع النهر ففاض الماء من تحتهما وزال خطر القحط بل خطر الموت ظمأ .

نقل الينا ذلك الفاضل هذا الخبر ، ورجانا أن نبدى رأينا فيه . ورأينا هو أن هذا الخبر مختلق روجه أتباع ذلك المتنبئ كما يروج أتباع كل نحلة المعجزات عن صاحبها ، وزاده رواة الأخبار مبالغة لالهاء قرائهم بطرائف الأخبار كما هى عادتهم غير متحرجين من نشر الخزعبلات بين الناس .

لانه لو صح أن رجلا يأتى المعجزات فى هذا العصر لحملت أخباره التلغرافات ، ولأمه الباحثون من كل حدب ، ولكتبوا عنه الكتابات الضافية فى الصحف ، شانهم فى كل أمر يهم العلم الوقوف عليه .

إن مكاتبى الصحف الانجليزية فى الهند ينقلون الى جرائدهم كل شىء حتى التافه من أخبار الألعاب الرياضية ، أفيهملون أخبار مواطنيهم بظهور نبى جديد قد تكون له تعاليم ضارة بالحالة الراهنة فى الهند ؟

ونحن نطلع باستمرار على ما يجد من الحوادث العالمية فى الشئون النفسية وترد إلينا مجلات خاصة باستيعاب هذه الحوادث فى كل مظان حدوثها ، فلم نصادف ورود أى نبا فيها عن صانع المعجزات فى قرية سادهو الهندية . وبيننا وبين مسلمى العالم اتصال فيما يتعلق بالأمور الاعتقادية ، فلم يرد إلينا من بلاد الهند ما يشعرنا بوجود داعية من ذلك الطراز .

فاذا أردتم زيادة التحرى عن هذا الأمر فوجهوا رجاء الى كاتب ذلك الفصل فى الجريدة التى ذكرتموها ليخبركم عن اسم الجريدة الأوربية أو الهندية التى اطلع فيها على ذلك الخبر ، ليمكنكم أو يمكننا الاطلاع عليه والوقوف على قيمته الحقيقية .

أما تعليقنا على خبر مقطوع السند وارد فى فصل يكتب عادة لترويح نفوس القراء قبل التثبت من صحته ، فليس من الحكمة فى شىء . وفى هذه المناسبة نرجو كاتبى أمثال هذه الحوادث فى الجرائد أن يذكروا مصادرها ، وأن ينقلوها على علاتها مجردة من المبالغات .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الى رحمـــة الله

فى الحادى والعشرين من شهر رجب الماضى ، استأثرت رحمة الله بالأستاذ العلامة الجليل الشيخ محمد بخيت المطيعى ، فقضى مبكيا من مئات الألوف من العلماء والطلاب فى جميع بلاد المسلمين كانوا يرون فيه المثل الأعلى للاطلاع الواسع والافادة والفتيا .

حصل رحمه الله العلم بالأزهر فتخرج فى علوم الشريعة والعربية ، ونال فيها شهادة من الدرجة الأولى سنة ١٢٩٣ للهجرة أى منذ نحو اثنتين وستين سنة ، وأكب من ذلك العهد على التدريس والافادة بهمة يندر أن يصادف لها مثيل فى حياة العلماء العاملين . ثم ندب للاشتغال فى القضاء فتنقل فى وظائفه حتى بلغ أعلى درجاته ، مظهرا فى كل منها من الكفاية ما لا يكون إلا للعلماء الراسخين .

فلما بلغ السن القانونية لوظائف الحكومة ، ترك الاشتغال بالقضاء ، وعكف على الدرس والتدريس والافتاء . فكانت داره مثابة للمستفتين والمستفيدين ، وكان لا يبخل على أحد بالفتيا ، حتى إذا كان بعيدا عنه تكلف له كتابة الفتوى وأرسلها اليه بالبريد .

وكانت شهرته قد تجاوزت مصر الى العالم الاسلامى كله ، فكانت ترد اليه الاستفتاءات تترى فى مختلف المسائل ، ومنها مشاكل تحتاج الى مراجعات كثيرة مضنية ، فكان لا يضن بنفسه عن القيام بها فيحررها ويرسل بها للمستفتين .

ومما انفرد به أنه كان قد استخدم كتابا لنقل فتاواه وتولى إرسالها الى طلابها فى مختلف الأقطار ، متحملا مكافآتهم شهريا وأجر ما يرسله بالبريد من الكتب والرسائل .

وقد عرف رحمه الله بالزعامة فى علم الأصول ، فكان يرجع اليه جلة العلماء فيما يشكل من مسائله ، ويصادفون لديه لكل مشكلة حلا كأنها مرت به من قبل فعالجها وانتهى الى ما يحسن السكوت عليه من أمرها .

فاذا كان العالم الاسلامى بأسره يبكيه اليوم ، فانما يبكى علما من أعلام العلوم الاسلامية قل من يسد الفراغ الذى تركه فى صفوف أقطابها العاملين .

فرحمه الله رحمة ترفعه الى مقاوم الكرامة عنده ، وأفرغ على مريديه وتلاميذه صبرا ، وعوضهم عنه خيرا إنه ولى المؤمنين !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مطبوعات جديدة

تفصيل آيات القرآن الكريم

للاوربيين وبخاصة البحاثين منهم عناية عظيمة بالاقتصاد فى الوقت، فلذلك تراهم يعمدون الى تذييل كتبهم بالفهرستات والمعاجم لسهولة الرجوع الى ما يريدون منها مما يختص بالموضوعات والأماكن والأعلام وغيرها. وقد قرظنا هنا قبل عدة شهور ما وضعه المستشرق فنسنك من الفهرست العام لأربعة عشر مرجعا من مراجع السنة، وقد نقله الى العربية حضرة الأستاذ الغيور محمد افندى فؤاد عبد الباقى، فاوجد به للمشتغلين بالأحاديث وسيلة يستخرجون بها أى حديث يطلبونه لمعرفة تخريجه فى دقائق معدودة.

وقد أتحفنا اليوم الأستاذ المذكور آنفا بترجمة عامة للآيات القرآنية الكريمة وضعه المسيو (جول لابوم) الفرنسى، يجد فيه الانسان الآيات الواردة فى المواضيع المنوعة مجموعة فى حيز واحد، فاذا أراد مستطلع أن يعرف ما ورد من الآيات فى الأخلاق أو فى البيع والشراء أو فى الروح أو فى غيرها، يجد كل ما ورد فى هذه الموضوعات مجموعا على حدته.

إن هذا الكتاب كان حاجة للمؤلفين والباحثين والكاتبين منذ زمان طويل، وقد وضعه الأوربيون منذ عشرات من السنين، وأعوزنا مثله حتى انتدب الأستاذ محمد افندى فؤاد عبد الباقى على نقله الى العربية، فأضاف الى خدمته للحديث خدمة للكتاب الكريم أجل من الأولى، فاستحق الشكر العظيم.

وقد التزمت طبعه مكتبة عيسى البابى الحلبى فشاطرت المترجم فى هذه الخدمة الجليلة.

الفتح الربانى

هو علم على كتاب جمع فيه حضرة الأستاذ الشيخ احمد الساعاتى مسند الامام احمد بن حنبل ورتبه على أبواب بحيث يسهل البحث فيها، وهو يصدره كراسات كل شهر. وقد صدر منه القسم الأول من الجزء الثالث. فنشكر له هذا العمل القيم، ونرجو له الانتشار.

عنوان الاستاذ بحارة الروم بالغورية بالقاهرة.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مهمة الدين الاسلامى فى العالم

٢٥

زيادة بيان فى مبحث المدنية الفاضلة والاسلام

بيّنا فيما كتبناه فى العدد السابق تحت عنوان الاسلام يدعو لتأسيس مدنية فاضلة ، أن الدين الحق والمدنية الفاضلة يتفقان فى المبدأ والغاية ، وضاق المقام عن استيعاب كل ما يمكن أن يقال فى هذا الموضوع . ولما كان أمر المدنية من الشئون التى تعتبر فى الدرجة العليا من الخطورة لافتتان الناس بها افتتانا سحريا يسلبهم إرادتهم ويدفعهم فى سبل محفوفة بالأخطار دفعا آليا ، ونظرا لأن العقبة الكأداء أمام الدين هو ما يفهمه الناس من معنى المدنية ، وجب علينا أن نوفى هذه الناحية من البحث حقها من التحقيق .

واليوم نعرض لهذا الموضوع من جديد متوخين تحليل شبهاته الرئيسية تحليلا دقيقا ، وحلها حلا علميا ، لأن بقاءها ماثلة فى بعض الأذهان على حالة شبهات لا تقبل الدحض ، وكامنة فى نفسية الدهماء وإن لم يستطيعوا التعبير عنها بألسنتهم ، يجعل كل محاولة لإخراجهم من سلطانها عبثا محضا . وما أتيهم المدافعون عن الأديان بأشد من كراهتهم مواجهة الاعتراضات ، واتقائها بالحيد عن طريقها ، وتركها تفتك بالنفوس والقلوب فتكا ذريعا كما هو مشاهد محسوس .

رأى القارىء مما كتبناه فى الفصل السابق أننا دللنا على أن الدين الحق هو المثل الأعلى لمدنية فاضلة جديرة بالنوع الانسانى الكريم ، وسلكنا للوصول الى هذه النتيجة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

طريقا واضح المعالم لا ينكره متأمل . ولكننا فى هذه التتمة نريد أن نبلغ هذه الغاية عينها باقتحام معاقل الآراء المخالفة ، وشق طريق لهذه الحقيقة الكبرى من خلال خطوطها الدفاعية ، مثيرين بذلك كل ما عندها من قوى وأسلحة ، ليكون نجاحنا فى تطويقها بمعونة الله دليلا عمليا على أن تلك القوى المعارضة لا تقوى على حماية مواقعها ، فاذا لم نفعل ذلك خشينا أن يبقى فى بعض النفوس بقية من المزاعم السابقة .

الآن نبدأ بإيراد ما تصدينا له من هذه المحاولة العلمية فنقول :

إذا كانت المدنية ثمرة الجهود التى يبذلها الانسان لتحسين حياته المادية ، وتسهيل محاولاته المعاشية ، والذهاب فى ترقية وسائله الحيوية ، وحاجاته الأدبية والفنية ، الى أبعد ما يمكن أن تصل اليه تحت ضوء العلوم والصناعات المختلفة ، فما الذى أوجد ما يتخيله بعضهم من التنافى بين الدين والمدنية ؟

ليس فى المدنية الصحيحة كما رأيت من مقالنا السابق ما ينافى الدين الحق أو يقف فى سبيله ، اللهم إلا فيما تثمره من مذهب فلسفى يرى غير ما يقرره الدين فى مسائل الاعتقادات ، وهذا الخلاف مرده العلم ، والعلم الصحيح لا يخالف الدين الحق فى شىء ، فلا يلبث هذا الخلاف العارض أن ينحسم ، أو يبقى مقصورا على طائفة ، لا يؤثر شذوذها على السواد الأعظم من الناس .

وإذا كان الأمر على ما ترى ، فما الذى أوجد هذه الهوة السحيقة بين الدين والمدنية فى نظر بعض الآخذين بمبادئ الحياة العصرية اليوم ؟

أوجدها خطأ جلل تسرب الى عقولهم ولم يفطنوا اليه ، وهو أنهم خلطوا بين المدنية بمعناها الصحيح ، وبين ما أوجده أهل الإباحة من التعديات المنوعة على العلم والفلسفة والأخلاق الفاضلة ، تحت ظل الحرية الشخصية وألصقوه بالمدنية . ومصدر هذا الخطأ الفاحش هو ما يراه الناس بأعينهم اليوم فى جرى الأمم المتمدنة قاطبة وراء المتع النفسية من مأكل ومشرب وملبس ومنظر غير متقيدين فيها بغير ما توجبه عليهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تقاليد من العرف تواضعوا على مراعاتها فى المشية والقعدة والسلام والكلام وتناول الشراب والطعام ، أما ما وراء ذلك من مخالفة ما يأتونه لأصول العلم والآداب الصحيحة فلا يكترث له أحد ، ولا يعتبرونه أمرا ينبغى أن يؤبه له . فالعلم يحرم كل مايحرمه الدين على مقتضى وجهة نظره الخاصة ، فيحرم الخمر والميسر والتبرج والتهتك والزنى والمناظر المثيرة للشهوات ، والسماع المميت للقلوب ، والتواضع على تقاليد تعتبر أدبية وليست من الآداب الصحيحة فى شىء الخ . ولكن الذين يعتبرون أنفسهم متمدنين لا يقيمون للعلم وزنا ، ولا يعتمدون على مقرراته فيما هم مدفوعون اليه من إشباع أهوائهم النفسية ، وملاذهم الجسدانية . فهذه المدنية على هذا النحو ليست علمية ، ولا هى ثمرة أى مذهب فلسفى حتى ولا المذهب المادى نفسه ، فإن الملاحدة وإن كانوا يكفرون بالأمور الاعتقادية إلا أنهم لا يبيحون لأحد أن يخرج على مقررات العلم فى شىء مما يختص بسيرته فى نفسه أو حيال غيره .

فهذه الانحرافات الخلقية التى يسميها السطحيون مدنية ، محكوم عليها بالتلاشى أو على القليل ببقائها موصومة بأنها خروج على العلم وعدوان على الحكمة .

وإذ ثبت هذا فإن هناك مدنية تتفق والعلم ، ومتى اتفقت والعلم فقد اتفقت والدين لأن العلم الصحيح لا يعقل أن يخالف الدين الحق على أى وجه من الوجوه .

فالنزاع القائم الآن هو بين المدنية والعلم أكثر مما هو بين المدنية والدين ، وموضوعه : هل لو قام الناس على ما يوصى به العلم من كبح جماح الأهواء النفسية ، والإباحيات البهيمية ، والاعتدال فى توفية المطالب الجسدية ، لا يؤثر ذلك فى إضعاف العوامل المنشطة للمدنية ؟ ووجه الشبهة أن الناس متى لزموا حدود الحكمة فى مطعمهم ومشربهم ، وامتنعوا عن كل ما يقرر العلم ضرره بصحتهم وعقولهم ، ولم يخرجوا فى ملاهيهم وملاعبهم واجتماعاتهم عما رسمه لهم من آداب وتقاليد ، صيانة لأموالهم وأخلاقهم وأعراضهم ، بطلت المعاقرة والمقامرة ، والمخاصرة والمكاثرة ، وهذه الأمور كلها وإن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كانت تستنزف الأموال ، وتبيد الآداب والأخلاق ، وتفسد القلوب ، وتهتك الأعراض ، إلا أنها تدفع الصناع للإتقان ، والفنانين للإبداع ، والكتاب والشعراء للإنتاج ، وتلهب النفوس كافة الى التبارى لنيل المال الذى يوصلهم الى استيفاء جميع ضروب المشتهيات ، والمال لا يوصل اليه إلا بالعمل والدأب والإتقان والابتكار ، فيكون من وراء هذا النهم الثائر لتحصيل المآرب المنوعة ، دوافع حافزة للتقدم فى جميع نواحى النشاط العقلى والعملى .

ولكن لو اكتفى الناس بتحصيل العيش فى حدود الاعتدال ، ووقفوا من المشتهيات عند ما هو مقرر منها فى العلم ، خمدت فى نفوسهم هذه النار المتأججة وراء المآرب الإفراطية ،وتبع خمودهانصوح زهرة المدنية ، وبطلان سحرهاالفاتن الخلاب ، وربما أدى ذلك كله الى ارتكاس النوع البشرى الى عهد الفتور والظلام .

ويزيدون على هذا قولهم إنه مما يقوى حجتهم أن العلماء والفلاسفة أنفسهم لايعملون بماينصحون به الناس ،فهم يشربون الخمرويقامرون ويفسقون ، ويرتكبون كل مايرتكبه الجاهلون من العدوان على الآداب العلمية الصحيحة ، والأخلاق الفلسفية السليمة . يقول المعارضون: أتريد دليلا بعد هذا على أن العالم لايرقى إلامدفوعا بحوافزمن الشهوات مطلقة العنان ، راكبة رأسها لا تبالى فى غلوائها بقانون أدبى ، ولا ترتبط بعهد علمى على النحو الذى هى عليه الآن ؟

هذه شبهة يثيرها الإباحيون على كل من يتصدى للاصلاح الأدبى العام باسم العلم والفلسفة والدين ، وهى شبهة مبنية على قصر نظر يؤسف له أشد الأسف ، وإنا نبين ذلك فى كلمتين فنقول :

إن الذين يرفعون صرح المدنية ويشيدونه ليسوا هم من تقع عليهم عينك من المترفين الإباحيين ، الذين يأكلون ويشربون ويمرحون ، ولكنهم طبقة من الناس شغلهم ما هم فيه من العمل المتواصل ، لا أقول عن اللهو والقصف ، ولكن عن حاجاتهم الضرورية ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فهم يصلون الليـل بالنهار دأبا على ما هم فيه ، كأن قيم الوجود سخرهم له ، فهم فانون فيه لا يستطيعون عنه تحولا . فجمهور الذين يضعون العلوم ، ويرتأون النظريات ، ويقررون المبادئ الأولية ، من العلماء والفلاسفة لا يكادون يجدون فى عمرهم وقتا للاشتغال بغير ما هم فيه ، وأكثرهم عاشوا فى فاقة لاذعة ، أغنياء بما اختارهم الله له من الأعمال الخالدة . وجميع العباقرة الفنانين الذين وضعوا المثل العليا للفنون الجميلة والآداب العالية مرضى لايكادون يسيغون طعاما ولاشرابا ، ولايستبيحون لأنفسهم لهوا من هول ما هم فيه . وهؤلاء جميعا مدفوعون بقوة قاهرة لعمل ما يعملون غير ناظرين لما يجره عليهم من الربح الوفير ، وكثير منهم بذل فى عمله ماله كله وبات محتاجا لشروى نقير .

فالمدنية ليست مدينـة للذين يتمتعون بطيباتها ويسرفون ، ولـكنها مدينة لتلك الطبقة من الأفذاذ المنعزلين الذين يبدعون فيمايعملون ، ولايعبأون بالمعجبين واللاحين ، بل إنهم يدأبون على ماهم فيه ولو لحقهم بسببه أذى من الجامدين والمتعصبين .

والمدنية لا تتصوح زهرتها إن راعى أهلها الآداب العلمية ، ولـكنها تزداد بهجة وتأرجا ، وتكتسب سطوعا وتألقا ، فيتوحـد فيها الحق والجمـال ، ويتآخى الإبداع والجلال ، وتصبح الحياة جنة وارفة الظلال ، يجـد فيها الخائف أمنا ، والمحتاج عونا ، والضعيف ركنا ، لا كما هى عليه الآن نارموقدة تلفح وجوه المستمتعين بها والمحرومين منها على حد سُوى .

فأما الأولون فلأنهم لا يضعون لمطامعهم حـدا ، فهم مندفعون فى تيارها اندفاعا جنونيا ، لا يبالون بما يصيب المجموع من جراء إفراطهم ، ولا بما يثيره إغراقهم من مقتضياته حولهم ، من الطبيعة تارة ومن المعايشين لهم تارة أخرى . فأما الطبيعة فقد قامت على العدل المطلق ، فهى تحاسب المعتدين فيها على الذرة ، فيجدون آثار عدلها فى صحتهم وأموالهم وأولادهم ، وأما المعايشون لهم فيضطرون لمقابلة هذا الاندفاع منهم ، بالائتمار بهم ليقفوهم عند حدهم . وما ثمرة هذا الائتمار إلا مبادئ متطرفة يدينون لها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وعدوانات موبقة ينتوون القيام بها ، ليس ضد مناظريهم وحدهم ، ولكن ضد النظم القائمة ، والمذاهب السائدة أيضا ، مما جعل المجتمعات المتمدنة أشبه بمراجل مؤصدة ، تغلى على تنانير موقدة ، تهدد بالانفجار فى كل آونة .

فهل هذا كله إلا ثمرة انحلال خلقى ليس له ما يحفظه فى حدوده الطبيعية من عقيدة راسخة ، أو مثل أعلى ، أو وازع من أى ضرب كان؟

فالذين يزعمون أن المدنية لا تزدهر إلا بحوافز من الميول الإباحية التى عليها الناس اليوم يخطئون خطأ جما ، ويرتكبون شططا فاحشا . فإذا كان يغرهم أن فى المدنية من المناعة ما يحفظها من توالى أمثال هذه الكوارث عليها ، فإنهم يتغافلون عن تاريخ المدنيات البائدة .

وإذا سلمنا لهم بقدرة هذه المناعة ، فأى مصلحة للنوع البشرى فى أن يبقى على هذا النحو من الحياة المضطربة ، والميول المضطرمة ، والسأم الذى أصبح يغرى بعض النفوس المريضة بنسف الكرة الأرضية لو استطاعت الى ذلك سبيلا . ألم يقل الفيلسوف الكبير روبرت دوهارتمن[1] خليفة شوبنهور زعيم المذهب التشاؤمى إن الحياة الأرضية مادامت لا تعدو لفساد تركيبها هذه الحالة الشنيعة فليس لها إلا حل واحد ، وهو أنه متى وصل الانسان فى مستقبل الأيام الى ابتكار مادة مدمرة قوية تصلح لنسف الكرة الأرضية ، فإنه ناسفها بها لا محالة ليرتاح العالم من حياة كلها شرور وآثام ، ومصائب وأهوال .

بَخٍ بَخٍ ! إن مدنية تولد مثل هذا القول على لسان قطب من أقطاب الفلسفة لهى مدنية فى حاجة الى مثل أعلى ينظم حركتها ويرأب صدوعها ، وإلا لحقها ما لحق سواها وأصبحت أحاديث .

محمد فريد وجدى

(١) روبرت دوهارتمن فيلسوف وعالم ألمانى ولد سنة ١٨٤٢ فى برلين وتوفى بها سنة ١٩٠٦

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

عزيز

سورة الرعد

— ٨ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: « أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا، وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ. لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ، أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ. أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ».

قد سبق فى الآيات المتقدمة تقرير الحجة البالغة بما لا يدع للشك مجالا ولا للمكابر مقالا، ولم يبق إلا أن يكون من عرضت عليه تلك الأدلة الناصعة والشموس الساطعة أعمى لا يبصر وغبياً لا يهتدى، فمثله لا ينفعه النور مهما تجلى، ولا تفيده الشمس مهما سطعت. ولكن من ذا الذى يأبه له أو يعتدّ بحاله وما هو إلا عدو لنفسه، عرضت عليه المنافع الكاملة ودعى لاغتنامها فأبى عليه غباؤه إلا أن يعرض عنها، ويستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فبعد أن قرر جل شأنه الأدلة ناصعة على قدرته تعالى وتبين الحق لذى عينين ، ولم يبق إلا إعراض المحروم واكتفاؤه بالدون ، ضرب جل وعلا مثلا للحق المدعو اليه والباطل المنفر عنه ، ليتجلى حال حسن الاختيار وسوئه ، وما يصيب من أبصر واهتدى ومن عمى فضل ، وذلك ما سيذكر فى الآية التالية : « للذين استجابوا لربهم الحسنى » .

فالآية التى معنا وهى قوله تعالى : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدَرها » الى قوله : « كذلك يضرب الله الأمثال » بيان لحال الحق والباطل اللذين انكشف أمرهما وتبين حالهما بما قام عليهما من الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة ، يعطينا ذلك البيان حالهما فى ذاتهما من البقاء والفناء ، ومن الغناء وعدم الغناء .

ولقد جاء تمثيلهما على هذا الوجه من أروع أنواع التمثيل وأبدعه ، فلقد أبرزهما فى صورتين يراهما الناس رؤية متكررة ، وقد اقترن فى كل منهما أنفع شىء بأتفهه ، وأغلى شىء بأخسه ، فمن ذا الذى يخفى عليه ما فى الماء من المنافع الجلّى ، وهو قد احتاج اليه كل شىء ، واستندت اليه حياة كل حى ، وأن الزبد المقترن به يحسَب شيئا وما هو بشىء ؟ ومن ذا الذى يخفى عليه أن الماء باق يحتفظ به ، إما فى أوديته وأنهاره ، وإما فى مسالكه فى ينابيع الأرض تتفجر به العيون فى مواضع الحاجة حيث تستفاد منه الفوائد ؟ ومن ذا الذى يخفى عليه أن الزبد الذى يعلوه ويحاول منظره أن يجتذب العيون لا تكاد تتنبه اليه النفوس أو تتجه اليه الأفكار ، فهو والعدم أمام النفوس سواء ؟ فهل رأيت من تشبيه الحق والباطل ، وهل رأيت أن شأن الباطل كشأن الزبد فى محاولة أن يطفو على وجه الماء وهو لا يستحق أن يكون له موطنا ، وأنه يحاول مجاراة الماء حيث جرى وهو أحقر من أن يكون له قرينا ؟ فالحق مع الباطل كالماء مع الزبد : فى النفع وعدمه ، فى المسايرة بدون استحقاق ، فى محاولة الاستعلاء وليس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

له بأهل ، فى الثبات والزوال ، فى تعرضه للأنظار يسترعيها وإعراضها عنه احتقارا وعدم اهتمام .

ومن دقائق هذا التمثيل البديع أن كلا من الحق المضروب له المثل والماء الممثل به يتنزل من السماء ، فالحق أمره ظاهر ، وتنزل الماء من السماء إما على معنى تنزله من جهة العلو ، أو على أن المراد بالسماء السحاب ، أو لأن المطر الذى تسيل به الأودية والأنهار يتصعد فى الأصل بخارا من البحار بواسطة أشعة الشمس وحرارتها ، فهو مستند الى آثار الأفلاك العلوية . وكذلك يشتركان فى أن كلا منهما يأخذ منه ما صادفه وتلقاه بقدر احتماله ، فالأودية تأخذ من الماء بحسب سعتها ، والقلوب تأخذ من الحق بحسب استعدادها وقوة احتمالها . وأيضا يشتركان فى أن الماء منه ما يظهر أثره ومنفعته فيما أصابه حالا ، كالأرض المستعدة للإنبات ينزل عليها الماء فتنبت الكلأ والعشب الكثير ، ومنه ما يختزن فى الأرض فتمسكه للناس ينتفعون به «فشربوا وسقوا وزرعوا» ، والحق منه ما ينتفع به صاحبه حالا فيعمل بمقتضاه فى تحقيق عقيدته وتصحيح أعماله وتحسين أخلاقه ، ومنه ما يختزنه ليعلمه الناس فينتفعون كما انتفع ، وربما عملوا به أكثر مما عمل . روى البخارى فى صحيحه قوله صلى الله عليه وسلم : «مثل ما بعثنى به الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكان منه نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به» .

ولقد ترى هـذه المعانى مستفادة من قوله تعالى : « فسالت أودية بقدرها » فإن من الأودية ما يسيل بمقدار ما تروى أرضه فينبت به الكلأ والعشب ، ومنها ما يمسك الماء الذى سال فيه لينتفع به الناس شربا وسقى دواب وزرع ، ومنها ما يتسرب منه الينابيع فتنتقل الى بقاع أخرى تنتفع بذلك الماء ، وشأن الحق كذلك منه ما ينتفع به

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

صاحبه ويقتصر نفعه عليه ، ومنه ما يمسك العلم ليحفظه للمتعلمين ينتفعون ، ومنه ما ينتقل منه العلم الى العلماء فينقلونه الى المتعلمين والمنتفعين كالينابيع الناقلة للماء ، وهكذا يكمل وجه الشبه بين الحق والماء بقوله : « فسالت أودية بقدرها » .

واحتمال السيل للزبد الذى يطفو ويربو على غير طائل مثل احتمال الهدى للشبهات يتعلق بها المحرومون من المنفعة تاركين ماهو أولى بالاستمساك الى مالا طائل تحته ولا انتفاع به ، فما أشبههم بالأطفال الذين يروقهم حباب الماء قد اجتمع حتى أراهم لونا أبيض يأخذ بأبصارهم فاشتغلوا به فلم يحصلوا منه على ماينقع غلة أو يروى من ظمأ وقد قتلهم العطش حتى أهلكهم ، ولكنه استعدادهم وغفلة نفوسهم عما ينفعهم .

والزبد إما أن يكون هو تلك الفقاقيع المنتفخة بلا جدوى ، أوهو الغثاء والوضر الذى يحتمله الماء معه فينتفخ به ويربو عن مقداره ، وفى هذا الانتفاخ ذهاب منافعه .

ثم هل تنبهت الى ما افتتح به ضرب هذا المثل مما يعقد أتمّ اتصال بينه وبين الآيات السابقة المشتملة على أدلة قدرته وبراهين سلطانه ؟ فقد ذكر فى أوله قوله جل من قائل : « أنزل من السماء ماء » فكأنه بهذا الافتتاح جعله بسبب قوى من سابقه وكأنه من تتمته ، مع أنه قد سيق لبيان حال الحق والباطل فى ذاتهما ، وفى أوصافهما من دوام وذهاب ، ومن انتفاع وبوار ، ومن أن هذا حقه الاستمساك به وذاك لايلتفت اليه إلا الأغبياء البلداء .

فانظر الى هذا التجلى البليغ فى الأسلوب البديع ، ينتقل بك الى نتيجة مترتبة على ماسبق بعبارة كأنها من ضمن ما كان الكلام فيه ، من سوق الدلائل والبراهين على القدرة والسلطان ، فيالله ما أعجب وما أبدع ، تبارك الله رب العالمين !

وقد أردف هذا المثل بمثل ثان لا يقل عنه فى تقرير الغرض المسوق له من بيان حال الحق والباطل ، وذلك ما تشهده فى قوله تعالى : « ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أومتاع زبد مثله » أى وإن مثل ذلك الزبد الذى ترونه على سطح الماء الذى تسيل به

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأودية زبد مما تعمله أيديكم وينا له صنعكم ، أرأيتكم تلكم المعادن التى تستخرجونها من الأرض تبتغون بها إحراز حلاكم كالذهب والفضة ، أو تحصيل منافعكم كالحديد والنحاس والرصاص : ألستم تعمدون الى تنقيتها من أوضارها ، وتطهيرها من الدنس الذى يعلق بها ، فتوقدون عليها وهي فى النار حتى تذيبها لتبعدوا تلك الأوضار عنها وتطهروها منها ، فتصفو لكم ويكمل بها انتفاعكم ؟ ألا فاعلموا أن الحق الخالص الصافى فى نقائه هو كتلك المعادن بعد تصفيتها ، فمن تحلى منكم بشيء منه فهو كمن تحلى بتلك الجواهر بعد تصفيتها ، ومن انتفع به فى تهذيب نفسه وتصحيح عمله وإقامة العدل بينه وبين قومه وتكميل أسباب السعادة فى دنياه وآخرته ، فمثله كمثل من انتفع بتلك المعادن المصفاة المستخلصة من بين تلك الأوضار ، ومن تعلق بتلك الأباطيل واستمسك بشبه لا طائل تحتها وأخلاق لذّ له الوقوف عندها ، وبادرة من الرأى والهوى عنّت له بلا تمحيص ولا تصفية ، فهو أشبه شيء بمن تعلق بتلك النفايات ، ووقفت به همته عند تلك الأوضار ، فلم يستصف لنفسه جوهرا نقيا ، ولم يستخلص تلك المعادن الجميلة والنافعة مما يذهب بهاءها أو يضعف النفع بها . وكم تتفاوت المعادن بالتصفية تفاوتا يجعل زنة الدرهم من أحدها بعد تصفيته أغلى من القناطير المقنطرة من ذلك الجنس عينه بدون تصفية . ألا ترى الحديد مثلا وهو لا تزال تدخل عليه النار فيصفى وينقى حتى تخرج منه أدق آلات الجراحة فيساوى ثمن القطعة الدقيقة أمثال زنتها من الذهب أو قناطير مقنطرة من نفس الحديد المستخدم فى الحرائة أو قضبان البنايات ونحوها ؟ فما فائدة ذلك الغثاء إلا نقصان قيمة ما اتصل به من نفيس الجوهر ، فهل من يتعلق بتلك النفايات يكون شأنه وشأن من صفى جواهره سواء ؟

ولقد نوع فيما يوقد عليه فى النار بإبراز نوعين أساسيين من مقاصده : أحدهما ما يتخذ للحلى والزينة ، والثانى ما يتخذ للمنفعة والفائدة ، وكلاهما لا يصل المرء الى مبتغاه منه إلا بعد أن ينقيه من زبده وأوضاره وخبثه . فهذا مثال الحق الذى لا يصل اليه صاحبه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إلا بعد أن يخلصه من آفات الهوى ونزغات الضلال ونزغات الشياطين ، تلابسه فتعكر جوهره ، وتضيع نفاسته ، وتذهب بمنفعته ، فإذا ما صفى من ذلك فهو النفيس الجميل وهو النافع المفيد ، وإذا ما بقى فيه فقد أذهب رونقه وأضاع فائدته . فهذا شأن الزبد إذا اختلط بالمعدن ، فكيف بالزبد وحده ؟ وما حال من تمسك به نابذا المعدن وراء ظهره ؟ أفلا يكون مثلا للغباوة والبلاهة ؟ أليس يصدق عليه أنه استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ وهل يرضى بذلك إلا مأفون قد حيل بينه وبين عقله ، وختم الله على قلبه وعلى سمعه ، وجعل على بصره غشاوة ؟

أما وقد تبين لك أمر الزبد مع الماء فى البقاء والفناء ، والمنفعة وعدم الغناء ، وحال الزبد مع المعادن فى ذهابه برونقها ، وإضاعته لمنفعتها لمجرد اختلاطه بها ، فضلا عن أن يكون له منفعة فى ذاته ، فلا جرم كان هذا أوضح مثل يبين قيمة كل منهما فى نظر العقل بإبرازهما فى صورة ما تبينه الحس . فجاءت جملة « كذلك يضرب الله الحق والباطل » بعد أن مهد لها الكلام السابق ، واستشرفتها النفوس حتى كادت تنطق بها ، وظهرت بعد أن تهيأت العقول لقبولها ، فكانت مما يلاحق معناه لفظه ، وعادت على المثل المضروب بزيادة الانتباه وإتقان التأمل فيه ، وكلما كررت فيه النظر ، جلا لك العبر .

ثم قال تعالى : « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » فتستخرج منه الحكم المقصود فى كل منها ليظهر لك حال الاختيار الموجه الى كل منهما حسنا وقبحا ، ورشدا وغيا .

ولقد جرت هذه الجملة الشريفة مجرى الأمثال ، فكثيرا ما يستعين بها المتكلم فى شتى الأغراض فيجد فيها نعم العون على إيضاح مقصده ونصرة حجته . وأصل الجُفاء المرمى المطروح ، يقال : جفا الوادى غثاءه إذا نبذه وطرحه . والجفاء بالفتح مصدر منه ، فإذا انضم المطروح بعضه الى بعض سمى ذلك المنضم جفاء بالضم . ومعنى المكث فى الأرض البقاء فيها معدا للانتفاع به . وإنما يمكث فى الأرض الشىء المحتفظ به المصون لفائدته .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال تعالى : « كذلك يضرب الله الأمثال » :

أجل : إن هذا لهو البيان حقا ، فقد جلا لنا حال الحق والباطل بصورة مايشبههما تمام الشبه فى القيمة والفائدة مما عرفته النفوس وأصبح حكمه لديها ضروريا ، فلم يبق إلا أن يضحك المرء من نفسه كيف بلغ به حمقه وضلاله حتى ألحقه بالأطفال الذين لا يفرقون بين التمرة والجمرة . وكان ذلك بعد أن أقام البرهان تلو البرهان ، والدليل يدعمه الدليل من أول السورة الى هنا ، حتى ارتفع الشك باليقين ، ووضح الصبح لذى عينين ، ولم يبق سوى « أن يرى مبصر ويسمع واعى » .

وهذه الآية مدعاة لتكرار التأمل فى المثل ورجع البصر اليه ، فإنه :

يزيدك وجهه حسنا إذا مازدته نظرا

واسم الإشارة فى قوله تعالى : « كذلك » راجع الى المثل المذكور ، أى على هذا النمط البديع الذى تجلى لك فجلّى من المعانى الغزيرة ما ملأ قلبك اقتناعا تكون الأمثال التى يضربها الله للناس ، فما كانت للتسلية والتفكهة ، وما كانت مقصرة عن أداء ما سيقت لأدائه ، وما كان بينها وبين المعنى المراد جفوة أو نبوة . وثمرة مثل هذه الكلمة حث المخاطبين على الإصغاء ومزيد التأمل لتكمل منفعتهم منها .

قال تعالى : « للذين استجابوا لربهم الحسنى ، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به ، أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد » :

اعلم أن ما تقدم فى الآيات السابقة من تقرير الحجج وإقامة الأدلة وضرب الأمثال ، لم يكن المقصود منه تقرير نظريات فلسفية ، ومجرد تحقيق لمسائل علمية نظرية ، وإنما هو الوصول لتربية النفوس والأخذ بها فى طريق العمل الى ما فيه سعادتها ونجاتها من شقوتها ، فبعد أن تجلى الحق وظهر الصدق واتضح الأمر بضرب المثل ، وصل الى المقصود من ذلك كله وهو بيان حال المدعوين : مَن أقبل منهم واستجاب لربه ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن أعرض عنه ولم يستجب لدعوته . فكأنه يقال لهم: حذار من أن تظنوا أن الأمر مقصور على مجرد تقرير النظريات فتحدثكم أنفسكم بالمراوغة قائلين فليكن ما يكون فما لنا ولهذا كله ، سواء أ كان الحق فى هذا الجانب أوفى ذاك ، فإنما يعنينا صالحنا وما يخصنا ، وتلك المعركة الجدلية لا نريد أن نزج بنفوسنا فى ميدانها . فسد فى وجوههم طريق هذه التعللات ، وقيل لهم لا بل الأمر إنما يعنيكم أنتم ، وإليكم يساق الحديث ، ومن أجلكم وحدكم كانت هذه المعمعة ، فهى إمالكم وإما عليكم ولا مفر ، وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا . فيكون قوله تعالى : « للذين استجابوا لربهم الحسنى » من باب جنى الثمرة بعد كبير الاعمال فى إنشاء المزرعة .

والحسنى تأنيث الأحسن ، أى أحسن المثوبات وأفضلها ، وأخلصها من شوائب النقص والتنغيص ، يشهد بذلك اختيار لفظ « الحسنى » الذى هو مؤنث أفعل التفضيل مع إطلاقه عن بيان جهة الحسن فيه ، فينصرف الى الأكمل .

وقوله : « والذين لم يستجيبوا له » حين يسمعها السامع يكاد ينطق بقوله لهم السوأى ، فترك للسامع ما يكاد ينطق به بنفسه ، وأخذ فى أسلوب آخر يقرر له ما خطر بباله ويبين مقدار سوئه ، وهو أنه سوء يرجح بما فى الدنيا كلها من متع ولذائذ، وفوائد ومنافع ، فلو اجتمع لأحدهم كل ما فى الدنيا دفعة واحدة ومثله معه يتقلب فى اللذائذ والمنافع ، ويجنى الثمار والفوائد ، وتكون كلها (جميعا) أى مجتمعة ، ما أغناه ذلك عما يلاقى شيئا ، ولبذله كله يبغى النجاة مما هو فيه . فهذا التصوير من أروع أنواع التصوير فى تقدير تلك السوأى التى فهمها المخاطب ، وفيها أحسن مقابلة وأتمها ، فقد ترك للسامع ما التقطه بفهمه ، وأتى له بما يقرره ويبين مقداره . وإنه لحق وصدق ، فإن تلك الأمور التى يحبها المرء فى الحياة إنما أحبها من أجل ما يصل اليه من متعها ، فإذا كان قد استولى عليه البلاء حتى أذهله عن أن ينظر اليها أو يستمتع بها ، فما الذى أفاده من اجتماعها فى حوزته ، وهل يكسب من ورائها إلا زيادة حسرته ؟ وعلى ذلك يكون فى قوله « لو أن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لهم » الخ ، مقابلة للحسنى بما قررته فى نفس السامع ، كقولهم : من باب إثبات الشيء ببينة . والافتداء بذل عزيز من مال وغيره لتخليص ما هو أعز منه .

وقوله تعالى : « أولئك لهم سوء الحساب » تصريح بالمعنى المستفاد ، فيزيده تمكينا فى النفس . والتعبير بأولئك للإشارة الى أنهم كأنما أعرض عنهم ثم عاد يلفت النظر اليهم ويحقر منزلتهم بإبعادهم عن حظيرة الخطاب ، وذلك باسم إشارة البعيد .

وقوله : « وبئس المهاد » — أى مهادهم — تطبيق للعذاب والسوء عليهم من جميع النواحى ، فكأنه أصابهم من أعلاهم ومن أسفلهم ، وأى صعوبة تلك الصعوبة التى ارتكزوا عليها ، فحيثما تقلبوا فهى متمكنة منهم وهم متمكنون منها ، مع أن أصل المهاد ما مهد للمرء ليستريح فيه ، ومنه مهد الصبى ، وقولهم : مهّد الطريق أى ألانها . فإذا كان هذا شأن مهادهم ، فما شأن ما يحيط بهم ؟ وتلمح تلك الإحاطة من قوله : « مأواهم جهنم » فإنها قد أحاطت بهم إذ أووا اليها ، بل تزداد الإحاطة حين تنظر الى قوله : « أولئك لهم سوء الحساب » فإن للحساب العسير حزا فى النفوس وتقطيعا للأحشاء من الداخل ، فكأن إحاطة السوأى بهم لم تقتصر على أن شملتهم من ظاهرهم ، لا بل تخللتهم فى قلوبهم وضمائرهم وقرارة نفوسهم . ومن ذا الذى ينكر ما للحساب العسير من الوخز فى الضمير ؟ قال المفسرون : وسوء الحساب أن يحاسبوا على جميع ذنوبهم لا يغفر لهم منها شيء ، وأنهم لا تقبل حسناتهم ، فانهم ما فعلوها ابتغاء مرضاة الله ، وكيف يبتغون رضاه وهم ما استجابوا له ولا آمنوا به ولا برسله ؟

هذا وإذا تأملت تلك الجزاءات وجدتها جزاء وفاقا لما اجترحوا من السيئات ، فقد أعرضوا عن السعادة الحقيقية اكتفاء بتلك اللذائذ التى استولت عليهم ، فكان من حق جزائهم أن يبتلوا بما تتلاشى أمامه لذائذ الدنيا كلها مجتمعة ومثلها معها ، وأعرضوا بأفكارهم واستناموا هادئين وادعين لم تشغل الآيات والنذر من قلبهم محلا ، فكان من جزائهم أن يبتلوا بسوء الحساب يقاق بالهم ويشغل عقولهم ، فلا يجدون

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

لأنفسهم هدوءا ، ولا لأفكارهم راحة ، وكيف يستريح من نوقش الحساب عسيرا ؟ ثم أووا الى فرشهم واستكنوا فى حصونهم تمنعهم من العوادى ويترفهون فيها ، فعوقبوا على ذلك بإيوائهم الى جهنم ، وإلجائهم الى مهاد يقض مضجعهم ، ويحول بينهم وبين كل راحة ، وذلك جزاء من استراح الى الدعة ، وفوت على نفسه عيشة ذات سعة .

كيف يكون لهؤلاء عقول يفقهون بها ، أو آذان يسمعون بها ، أو عيون يبصرون بها ؟ وكيف يستوى هؤلاء ومن رأى الحق فعرفه ، واستمع الى القول فاتبع أحسنه « أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ إنما يتذكر أولو الألباب » .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنحنا حسن الذكرى ، وأن يبصر قلوبنا بالحق ، ويجنبنا متابعة الهوى ، وأن يجعل رائدنا الرشد والهدى ، إنه ولى التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ؛ وصلى الله على سيدنا محمد الهادى البشير النذير ، وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

ابراهيم الجبالى

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

التثبت فى العلم

قيل لمصقلة : ما أكثر شكك ! قال : محاماة عن اليقين .

وسأل شعبة أيوب السختيانى عن حديث فقال : أشك فيه . فقال شعبة : شكك أحب الى من يقينى .

وقال أيوب : إن من أصحابى من أرتجى بركة دعائه ولا أقبل حديثه .

وسأل ابراهيم النخعى عامرا الشعبى عن مسألة فقال : لا أدرى.. فقال ابراهيم : هذا والله العلم ، سئل عما لا يدرى فقال لا أدرى .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : من سئل عما لا يدرى فقال لا أدرى فقد أحرز نصف العلم .

وقال مالك بن أنس : إذا ترك العالم لا أدرى أصيبت مقاتله .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حكمة الصيام

اقترحت جريدة الأهرام على نخبة من رجال الدين أن يوافيها كل منهم برأيه فى حكمة الصيام ، فلبوا كلهم دعوتها وكان فى طليعتهم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، فرأينا أن نثبت مقالته فى مجلة الأزهر، ضنا بها على الضياع ، واحتفاظا بما احتوته من كلام طريف فى فوائد الصيام ، وقد أتى فيها على إيجازها بأبلغ مايمكن أن يقال فى هذا الباب . قال حفظه الله :

يستقبل المسلمون فى هذا اليوم شهر رمضان وقد كتب الله فيه الصيام كما كتبه على الأمم السابقة « يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات » وفيه ابتدأ الله إنزال القرآن على النبي الأمين محمد بن عبد الله ، صلوات الله متتابعة عليه، وعلى آله وصحبه وسلامه .

فرمضان يجيء كل عام حاملا معه أطيب الذكريات وأحسنها ، ذكريات أوائل الدين الذى أكمله الله وأتم به النعمة ، وارتضاه للعالم دينا ، وسماه هدى وفرقانا ، وجعله آيات بينات ، ووضع فيه أسس نظام دائم للبشر لا يتغير ولا يتبدل ، وجعله ميزان الأعمال ، ودعامة الحق وقانون الأسر، وغذاء الروح ولذة العقل ، ومتعة النفس وشفاء الصدور . وذكريات فريضة الصوم أحد الأركان الخمسة للاسلام ، وعلاج النفوس الجامحة ، وعماد الخلق الانسانى ، والقوام على كبح الشهوات وطغيان الصفات الحيوانية البهيمية على النفس الانسانية .

فى هذا الشهر نعمتان : نعمة القرآن الكريم ، ونعمة الصوم . نعمة العلم والنور والهداية ، ونعمة الوسيلة لتقبل هذا الفيض . فبالصوم ترتاض النفس وتسكن الى الحق وتهش لقبوله ، وتبعد عن رذائل الجسم وتيارات الشهوات المختلفة ، من بغض وحقد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وحب الانتقام وميل الى إرضاء غريزة الشهوة للطعام والشراب ، وما الى ذلك ؛ وترقى الى أفقها السماوى الروحانى مستعدة لتلقى الفيض الإلهى وتفهم معانى الآيات وما فيها من عبر وعظات .

والصوم ، كما هو معروف ، كفٌّ عن شهوات البدن ، وصبر على مضض ترك هذه الشهوات . فهو معين على تقوية الإرادة ، وفيه تعويد على احتمال المشاق والأذى ، وتعويد على عدم انزعاج النفس بترك ما ألفته ومخالفة ما اعتادته ، فهى تقبل طعام الصباح فى المساء وطعام المساء فى الصباح ، وتصبر على الظمأ فى الهاجرة وعلى الجوع فى القر ، لتألف الصدمات إذا ما انتابتها ، والحوادث تقع مفاجئة وعلى غير توقع .

فالصوم أكبر وسائل تربية ملكة الصبر ، وملكة الصبر أم الملكات الأخلاقية ، فلا يقوى على التنقل والكفاح فى الحياة إلا صابر ، ولا يغالب الأيام إلا صابر ، ولا يصل الى الحقائق العامية إلا صابر ، ولا يستطيع كشف أسرار الوجود بالبحث والتفكير إلا صابر ، ولا يجود بماله ونفسه إلا صابر ، ولا يعبد الله حق عبادته إلا صابر . ولذلك قيل : الصبر نصف الإيمان . وذكر الصبر فى القرآن ووصى به أكثر من سبعين مرة .

وهذه بعض آيات القرآن الكريم فى الصبر :

« إنما يُوَفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب » « وجعلنا منهم أئمة يَهدُون بأمرنا لما صبروا » « وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا » « وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » « يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

فى الصوم هذه الفائدة الجليلة ، وفيه تذكير بحالة الفقراء والمعوزين ، وشعور بمثل مايلقاه الجائع المعدم من الألم عند المسغبة ، ومايجده الظمآن من لهيب المعاش عند فقد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الماء، فيدفعه هذا الشعور الى البر والعطف، الى الرحمة ومواساة الفقراء والمساكين. وقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام كل ليلة فى رمضان، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة.

فى الصوم هذا، وفيه تذكير بالنعمة، فإن الاستمرار على الشيء قد ينسى مصدره وينسى مقدار ما فيه من النعمة، فاذا انقطع الاستمرار عاد الانسان الى التذكر. فالجوع يذكر النعمة بالغذاء، والعطش يذكر النعمة بالماء. وذكر هذه النعمة لا ينفك عن شكرها، فيقبل العبد على الطاعات، ويجافى ما نهى الله عنه من المحرمات، والى هذا الاشارة بقوله جل شأنه: «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون».

هذا الذى ذكرناه جعل الصوم ركنا من أركان الاسلام الخمسة، وجعل الله سبحانه يشرفه بالاضافة اليه، فقد ورد فى الحديث الشريف «كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة عشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فانه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلى».

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

والصوم كما لا يخفى عبادة سرية لا يطلع عليها أحد إلا علام الغيوب، فاذا وجدت حقيقةً فقد وجدت خالية من الرياء لا يشوبها ما يشوب غيرها من العبادات البدنية والمالية، فهى خالصة لله لا تجرى بمرأى من الخلق، فهولله وحده، وهو الذى يجزى به ويعلم مقدار ثوابه وتضاعيف حسناته، وإذ كان نوعا من الصبر فليس هناك عدّ ولا حساب فى ثوابه «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» وقد ينال العابد بغير الصوم جزاء من الخلق، ولكن العابد بالصوم الذى هو سر من الأسرار كما قلنا ليس له جزاء إلا من الله.

ومن حق هذه العبادة — لتكون كاملة مقبولة عند الله — كف الجوارح عن الآثام: بغض البصر، وحفظ اللسان عن اللغو والكذب والغيبة والنميمة والفحشاء والجفاء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والخصومة والمراء، وكف السمع عن الإصغاء الى ما هو مكروه، والاقتصاد فيما هو مباح من طعام وشراب. وقد جاء فى الحديث الشريف «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» ومعنى ذلك أن الله لا يقبل صومه لأنه قد أصبح جسما بلا روح حيث لم تترتب عليه آثاره الصالحة، فلم يبق منه إلا ترك الطعام والشراب، والله فى غنى عن ترك الطعام والشراب، لأنه إنما يريد من العبد التقوى والآثار الصالحة المترتبة على العبادات. ونظير ذلك قول الله تبارك وتعالى: «لن ينال اللهَ لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم» والتقوى هى الغاية من الصوم كما قال: «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون».

وتهنئتى بشهر الصوم أبعث بها الى كل مسلم، ضارعا الى الله جلت قدرته أن يشمل المسلمين بعونه وتوفيقه، وأن يؤيدهم بروح منه، ويوفقهم الى العمل بشريعته وإحياء دينه، وأن يخلق منهم تلك الأمة التى وصفها بقوله: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» وقوله تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا»

محمد مصطفى المراغى

تعظيم شأن العلم

قال الأحنف بن قيس: كاد العلماء أن يكونوا أربابا، وكل عز لم يكسب بعلم فالى ذل يصير.

وقال أبو قلابة: مثل العلماء فى الأرض مثل النجوم فى السماء، من تركها ضل، ومن غابت عنه تحير.

وقال سفيان بن عيينة: إنما العالم مثل السراج من جاءه اقتبس من علمه ولا ينقصه شيئا، كما لا ينقص القابس من نور السراج شيئا.

وقال رجل لأبى هريرة: أريد أن أطلب العلم وأخاف أن أضيعه. قال: كفى بترك طلب العلم إضاعة له.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

دحض شبهات عن الاسلام

نشرنا فى العدد الماضى خلاصة مقالة للكاتب الفرنسى أندريه هرفيه، ثم أوجزناها فى اثنتى عشرة شبهة رددنا منها على شبهتين ونرد اليوم على عدد آخر منها.

الشبهة الثالثة: يقول المسيو أندريه هرفيه: إن عقائد الاسلام جامدة تتحكم فى كل ناحية من نواحى حياة المسلم اليومية.

نقول: أتى الكاتب بهذه الوصمة مضمنة فى عبارة ينقض بعضها بعضا، وهى: «إننا فى الواقع لا نعرف حتى اليوم أسباب التوسع السريع فى فتوحات العرب، ولم نفهم كيف تدهورت أمبراطورية الخلفاء، وتمزقت أوصالها، والأسباب التى أدت الى هذا التدهور. نعم لا نعرف كيف أصابها الشلل والموت بسبب العقائد الدينية الصلبة التى تتحكم فى كل ناحية من نواحى حياة المسلم اليومية، وكل مظهر من مظاهر نشاطه».

فهو يعترف بأنه لم يعرف أسباب التوسع السريع فى فتوحات العرب، ولم يعرف أسباب تدهور أمبراطورية الخلفاء، ونحن الى هنا لا نجد وجها لمؤاخذته، وكيف نؤاخذ من يعترف بجهله أمورا معينة؟ ولكنه عاد فقال: «نعم لا نعرف كيف أصابها الشلل والموت بسبب العقائد الدينية الصلبة التى تتحكم فى كل ناحية من نواحى حياة المسلم اليومية، وكل مظهر من مظاهر نشاطه». فكيف نوفق بين اعترافه بجهله أسباب النهوض والتدهور للأمبراطورية الاسلامية فى أول عبارته، وبين تأكيده بأن تلك الأسباب أوجدتها العقائد الاسلامية الجامدة؟

وإنا لسائلو المسيو أندريه هرفيه قائلين: إنه يعترف هنا بأن العرب كانت لهم فتوحات واسعة سريعة، فكيف تسنت لهم وتمت على أيديهم، وهم تحت سلطان عقائد جامدة تصيب أصحابها بالموت والشلل؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويعترف أيضا بأن العرب أسسوا أمبراطورية عظيمة ، فكيف أمكنهم تأسيسها وحفظها قرونا عديدة وهم يدينون لعقائد جامدة توجب على الآخذين بها الموت والشلل ؟ ولا يخفاه أن القيام ببناء أمبراطورية يقتضى أصولا وقواعد تقام عليها ، وحوافظ تحفظ بها ، فكيف ساغ للعرب ذلك وهم مصابون بالموت والشلل بسبب عقائدهم الجامدة العقيمة ؟

ويقول المسيو أندريه : إن العقائد الاسلامية تتحكم فى كل ناحية من نواحى حياة المسلم اليومية ، وكل مظهر من مظاهر نشاطه .

ولكن هذا التحكم على إطلاقه لا يعتبر عيبا فى ذاته ، لأن هذا الوصف نفسه ينطبق على علم الأخلاق وعلى دستور الآداب ، فتمييره للاسلام بهذا الوصف وحده لا يغنى شيئا فى القدح فيه . والحقيقة أنه يريد أن يقول إن الاسلام على ما هو عليه من العقائد الجامدة الموجبة للشلل والموت يتحكم فى كل نواحى الحياة اليومية لمتبعيه .

ولكنه لم يبين لنا ما هى تلك العقائد الجامدة فيه . لعله اكتفى بقوله إن التعاليم الاسلامية لم تكن شيئا غير مصاصة العقل العربى ، وهو ما رددنا عليه فى العدد السابق . إن كان الأمر كما يقول فلم لم يوصل العقل العربى أهله على عهد جاهليتهم الى الاجتماع على حالة أمة ، ولم لم يدفعهم الى الفتوحات الواسعة السريعة ، والى تأسيس أمبراطورية عظيمة كالتى كانت للخلفاء وبقيت عهدا طويلا ؟

مهّد المسيو أندريه لشبهته هذه بأنه يجهل الأسباب التى دعت العرب للتوسع السريع ، والأسباب التى قضت على أمبراطوريتهم بالتدهور ، فكان يجب عليه أن يعرف هذه الأسباب قبل أن يتصدى للتشهير بتعاليم يدين بها نحو ربع سكان الكرة الأرضية ، ولا تزال تُدخل ، كما يقول هو نفسه ، الملايين الكثيرة الى حظيرتها فى كل عام .

لا جرم أن هذا الموضوع جدير بالبحث ، فإن أمة كالأمة العربية عاشت آلافا من السنين على الحالة القبيلية ، تنقلب فى سنين معدودة الى أمة شديدة التماسك ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قوية الترابط ، فتنهض نهضة قوية تبنى لنفسها بها أمبراطورية لا تشبهها فى السعة وترامى الأطراف أمبراطورية فى العالم حتى ولا فى هذا العهد ، وتستطيع أن تحتفظ بها قرونا طويلة ، قلنا إن أمة كانت على تلك الحال من التفكك ، ثم آلت الى ما آلت اليه فى سنين معدودة ، وتغلبت على أمم كانت على جانب عظيم من النظام الاجتماعى والمدنية ، لا يعقل أن تكون قد وصلت الى هذا المستوى الرفيع وهى مجردة من أصول قوية ، ومبادئ قويمة .

كان يجب على المسيو أندريه هرفيه وهو يعالج مسألة خطيرة كالتى هو بصددها أن يعرف أن اجتماع القبائل المتعادية وقيامها على حالة أمة شديدة التماسك ، متناسية ما كان بينها من الثارات والإحن ، لا يمكن أن يكون ثمرة دعوة ساذجة ، أو بدافع أهواء طائشة ، بدليل أن أمثال هذه الانقلابات فى تاريخ المجتمعات لم تتم إلا بعد حدوث تطور عظيم فى نفسيات الآحاد اقتضته أمور جسام ، وقوارع عظام ، وتولت بناء الوحدات الاجتماعية الجديدة أصول ومبادئ كان مثلها بين الأفراد والجماعات مثل الملاط بين الأحجار إذا أريد تحويلها الى قصور مشيدة . وفوق هذا فإن هذا التحويل يحتاج لمدبر خبير بأصول البناء وأسرار تماسكه ، حتى لا ينهار على نفسه من أى ارتجاج يصيبه .

فهل يكفى فى تعليل قيام الوحدة العربية أن يقال إنها ثمرة تعاليم هى مصاصة العقل العربى الجاهلى ، وأن هذه المصاصة كما وحدت الأمة العربية دفعتها لتكوين أمبراطورية عظيمة يحار المسيو أندريه هرفيه فى وجودها وأسباب فهم انحلالها ؟

أم هل يكفى فى تعليل قيامها أن يقال إن هذه التعاليم عقائد جامدة تتحكم فى كل ناحية من نواحى حياة المسلم اليومية ، ولا تزال به حتى تصيبه بالشلل والموت ؟

فهل حدوث هذه الآية الكبرى وهى الوحدة العربية مع ما تقتضيه من تطور يبعث عليها ، وأصول ومبادئ تقيم صرحها ، هو ثمرة تعاليم جامدة تصيب الآخذين بها بالشلل والموت ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهل الانسياح فى الأرض ، والقيام بفتوحات لا عهد للعالم بمثلها ، وتأليف أمبراطورية لم يعهد النوع الانسانى أوسع منها ، هو ثمرة تعاليم جامدة تستولى على عقلية أهلها فتصيبهم بالشلل والموت ؟

وهل دخول مئات الملايين فى هذا الدين ، وتوالى انتشاره فى جميع قارات الأرض متغلبا بدون دعوة على جميع الملل المنافسة له ذات الدعاة الذين ينفقون عشرات الملايين من الجنيهات كل سنة ، هل كل هذا نتيجة تعاليم جامدة لا تدع لأصحابها متنفسا فى الحياة وتصيبهم بالشلل والموت ؟

إنى أكاد أظن أن المسيو أندريه هرفيه يمزح فيما يقول ، أو هو غريب عن البحوث الاجتماعية لا يدرى عن أصول الاجتماع شيئا ، وهذا هو الأرجح .

وكما أنه غريب عن البحوث الاجتماعية كذلك هو غريب عن المسائل النفسية لا يضرب بأقل سهم فيها . فقد عرف الاسلام بأنه مصاصة العقل العربى الجاهلى ووصف تعاليمه بالجمود وبأنها توجب على الآخذ بها الشلل والموت . وسبق له فى أول مقالته أن قال : « أثرت الديانة الاسلامية على المسلمين تأثيرا بدرجة جعلت الأمم الاسلامية أشبه بأمة واحدة مؤلفة من أقطار متنوعة صهرت فى بوتقة واحدة . فالمثل العليا الاسلامية واحدة عند المسلمين ، وتصوراتهم الفلسفية كذلك واحدة . وهم متمسكون تمسكا شديدا باعتقادهم القوى فى سمو عقائدهم الاسلامية المقدسة الخ » .

نقول : يمكننا أن نعقل وجود ديانة ذات تعاليم جامدة موجبة للشلل والموت ، وأن نفهم أن الآخذين بها يتخيلون فى عقائدها السمو ، ويتمسكون بها كل التمسك بحكم وراثتهم لها عن آبائهم ، ووقوعهم تحت سلطان التقليد الأعمى لأوائلهم . ولكن هل نعقل أن يكون لمثل هذه الديانة قوة انتشار ذاتية بحيث تتغلب بدون دعاة على ديانات يعتقد المسيو أندريه هرفيه أنها فى أعلى درجات السمو ، ولها دعاة يستندون الى أقوى دول الأرض ، ويغرون الناس على الدخول فيها بالهيل والهيلمان ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اللهم إن هذا غير معقول .

فإن قال المسيو أندريه إن الذين يدخلون فى ديانتكم هـذه طوائف من أمم ليست على درجة من الثقافة العقلية تجعلها تميز بين الغث والثمين ، قلنا : فما ظنك بالأوربيين وقد دخل منهم فيها ألوف ، وقد بدأ غيرهم يعرفون فضلها ويقدرونها قدرها ، بل ما ظنك بكبار الفلاسفة والمفكرين أمثال كارلايل وجـوت ولا مرتين وبرنارد شو وسديو وعدد لا يحصى من كبار العقول وقد شهدوا للاسلام بسمو العقائد ، وأصالة الأصول ، وشرف المقاصد ، وبعد الغايات ،والكفاية التامة لحاجات العالم الانسانى الروحية والمادية فى كل زمان ومكان !

إن ساغ للمسيو أندريه أن يقول جزافا إن هؤلاء العلماء قد وهموا فنسبوا مدنية المقهورين للعرب القاهرين ، كما ادعى ذلك ،وسنثبته ونرد عليه ، فهل وهموا أيضا فى نسبة السمو لهذا الدين وكتابه بين أيديهم يتلونه ويتدبرون آياته ، ويتأملون فى بيناته ؟

أما كان يجب على المسيو أندريه هرفيه قبل أن يكتب ما كتب عن دين هو آية الله الكبرى فى الأرض ، أن يقرأ ما كتبه أعلام العلم والفلسفة فيه ليعدل ولو بعض العدل فى الحكم عليه ، بدل أن يصفه بما وصف فجنى على نفسه شر ما يجنيه كاتب عليها ، لأن شيوع البحوث الاسلامية واستفاضة الأقوال عنها جعل أكثر الناس يرون فى أمثال كتابات المسيو أندريه هرفيـه رجوعا الى تضليلات القرون الوسطى حيث كان يأتى كاتب بالساقط من القول طعنا فى دين فيصدقه جميع القارئين ، ويزيدون عليه ، وينقلونه مثقلا بالمضاعفات من كل ضرب !

لقد انقضى ذلك العهد ، ونحن اليوم فى عهد آخر يسوغ فيه لمثل الفيلسوف الكبير (برناردشو) أن يقول: إنه لا يمضى على أوربا قرنان حتى تدخل جميع شعوبها فى الاسلام .

نكتفى بدحض هذه الشبهة اليوم تاركين ما بقى منها للشهور المقبلة إن شاء الله ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رؤية الهلال

عند الغروب وبعد الفجر

رفع الىّ بعض التونسيين الأزهريين سؤالا يقول فيه :

ما حكم الله إذا شهد شاهدان عند القاضى بأنهما رأيا هلال شوال عند غروب التاسع والعشرين من شهر رمضان ، فحكم القاضى بانتهاء شهر الصوم ، ولكن رآه آخرون بعد الفجر من تلك الليلة فصاموا ولم يفطروا معتقدين أن الشهر ثلاثون لا تسعة وعشرون ؟

أبو القاسم التونسى الأزهرى

الجواب

جاءنا هذا السؤال منذ زمان . وجاءنا اليوم سؤال بمعناه من بعض أساتذة المدراس ؛ وقد طلب منا التوسع فى الجواب ونشره بمجلة الأزهر ، فنقول وبالله التوفيق غير معولين على ظواهر المنقولات ، ولا ما يفيده كثير من العبارات ، وإنما نكتب ما يمليه علينا روح الشريعة السامى ، ونظرها البعيد :

من المعلوم أن الاسلام يشرع سمح يأخذ بالظواهر ولا يكلف الناس شططا . فهو يسع الناس جميعا على اختلاف أنظارهم وتباين آرائهم وتنوع اجتهادهم ، علما منه بأن الله لم يخلق الناس على استعداد واحد . بل بينهم من التفاوت فى الاستعداد والتخالف فى التكوين والتباين فى الدرجات والاختلاف فى الآراء والأنظار ما لا يعلمه إلا الله تعالى . ولم يتفق فى أفراد نوع من الأنواع من التفاوت مثل ما اتفق بين أفراد نوع الانسان . والشارع الحكيم عز وجل يعلم ذلك كله من خلقه « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والله يريد أن تكون هداية الاسلام عامة ، ورايته شاملة لكل من فيه مثقال ذرة من خير . وقد عرفنا أنه لاينظر الى الصور ولكن ينظر الى القلوب . وقد جعل للمجتهد أجرا إذا أخطأ وأجرين إذا أصاب ، فلم يكتف برفع الإثم عن المخطئ بل جعل له أجرا . ولهذا لم يقل صلى الله عليه وسلم شيئا لمن صلى العصر فى الطريق ، ولا لمن أخر الصلاة الى بنى قريظة . ولم يلم على إمام السرية الذى كان يقرأ لهم سورة الإخلاص دائما ، ولا قال له إن الصبح يطلب فيها التطويل وإن الظهر تليها . الى آخر ما قرره الفقهاء ، بل قال أخبروه أن الله يحبه كما فى الحديث الصحيح ، الى آخر ما هو كثير ومعروف من السنة النبوية ، والملة المحمدية .

وكأنه صلى الله عليه وسلم لا يريد منا إلا عدم الخروج على الله ورسوله ، ولا يكلفنا إلا أن نخلص النيات لله تعالى ونأتى الله بقلب سليم . فالدين الاسلامى لا يتعمق تعمق الجاهلين ، ولا يتصلب تصلب الجامدين ، ولا يحب نضال المتعصبين ، ولا تشدق المتفيهقين ولا تنازع الثرثارين . وما كان شىء أبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرقة والانقسام .

وكأن المقصود الأسمى من بعثته صلى الله عليه وسلم إنما هو الوئام وإيجاد الألفة والمحبة بين المؤمنين وعدم التفرق فيما بينهم « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا » .

وقد شرع لذلك وسائل كثيرة ، حتى جعل المصافحة مكفرة للذنوب ، وأمر بإفشاء السلام ، وندب الى التهادى . ولم يبالغ فى شىء ما بالغ فى حرمة المسلم كما هو معروف حتى جعله أعظم حرمة من الكعبة ، كما فى حديث ابن مالك وغيره . ولولا تلك الأنظار السامية ، وذلك التسامح البالغ والرفق المتناهى ، لم يكن الاسلام دين الأمم كلها ، ولم يصلح إلا لقوم جامدين وطائفة مخصوصين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اعتبار الاسلام للحقائق :

ولكنه مع هذا كله لا يعتبر إلا الحقائق متى ظهرت ، ولا يعدل عن الواقع متى تبين . فهو دين الحق والعلم ، كما أنه دين الرحمة والحكمة . فمتى عرفنا الحقيقة بأى وسيلة من الوسائل لم نعدل عنها . ومتى قام البرهان على شىء من الأشياء وجب المصير اليه والتعويل عليه . فهو أكبر أنصار العلم ، وأعظم دعاة الحقيقة ، ولكنه لا يحب التنطع الممقوت ولا الفلسفة الحمقاء .

والخلاصة أن الدين الاسلامى لا يعدل عما يوجبه الدليل وتقوم عليه الحجة . فهو دين البرهان ودين البيان ، ودين الحقائق والدقائق ، ودين العامة والخاصة ، بأساليب وأسرار تبهر العقلاء وتدهش العلماء . فإذا تبين هذا علمنا أن القاضى الذى حكم على مقتضى بينة المساء لا شىء عليه بعد أن يعتقد أنهم صادقون فيما شهدوا به ، فان كانوا كاذبين فى الواقع متعمدين لذلك فعليهم ما يستحقون من جزاء الكاذبين المضللين . وليس على من اتبع حكم القاضى فى ذلك شىء متى انقدح فى ذهنه صدق الشهود ولم يقم عنده برهان على كذبهم . وكذلك نقول : من رأى القمر بعد الفجر لا شىء عليه ما دام يعتقد أن الشهر باق وأن اليوم من رمضان . وكذلك يجب الصوم على من صدقه واعتقد أن البينة الأخرى كاذبة عمدا أو خطأ . ولا يمكننا أن نفتى بأن أحدا يخالف اعتقاده فى هذا ، وإن كان عليه أن يبحث عما هو الواقع فى نفس الأمر بقدر ما يستطيع . وكيف نلزمه بالفطر وهو يعتقد أن اليوم من رمضان ، أو نوجب عليه الصوم وهو يعتقد أنه يوم عيد ؟ ولا يسعنا أن نقرر إلا أن كلا يتبع ما يعتقد ولا يعدل عنه وأنه إذا خالفه كان منتهكا لحرمة الدين فيما يعتقده . ولم يكلفنا الله بإصابة الواقع ، وإنما كلفنا بالعمل باعتقادنا ، وقد اعتبرنا ما يقرره الفلكيون فى حساب الأوقات وأمر القبلة وغير ذلك ، وقلنا فى كتبنا الفقهية :

قطب السما اجعل حذو أذن يسرى بمصر والعراق حذو الأخرى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الى غير ذلك . وقد أكثر الله من ذكر الشمس والقمر وسيرهما المنتظم فقال : « الشمس والقمر بحسبان » ، « والقمر قدرناه منازل » ، « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » .

ومعرفة علم الفلك من فروض الكفاية على حد محدود ، فلم تهمل الشريعة ذلك بالكلية . وسر ذلك أن عندنا أشياء يمكننا الوصول إليها وأشياء ليست كذلك ، فما كان من قبيل المغيبات والحوادث المستقبلات ، فلا نخوض فيه لئلا نقع فى الغلط والجهل ، وننقاد بغريزة الوهم والخيال الى مهامه لا نحسن السير فيها ، ولا الوقوف على خوافيها . وإن صح أن نقول إن ذلك كله من قبيل الأسباب والمسببات . ولكن لما ألّه بعض الناس الكواكب نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخوض فى النجوم خوفا من الوقوف معها والانقطاع إليها .

فهذا ما نهينا عنه حرصا على أوقاتنا ، وضنا بعقولنا عن المزالق التى لا علم فيها ولا ضرورة إليها . أما ما يكون من قبيل الحسيات التى عرفنا من مشاهدتها المتكررة أنها من سنن الله التى لا تتبدل ولا تتغير ، فهذه لابد منها ، ولا يمكننا العدول عنها . فإن الحقيقة لا يصح فى نظر الدين الصحيح إغفالها ، ولا القول بما ينافيها ، وإلا كنا قائلين بأن الدين يعادى العلم ، وهو ما نتحاشى عنه ونبرئ الدين منه . فإن كان هناك دين يعادى العلم فليس هو الاسلام الذى حث على الفكر ، ودعا الى النظر فى ملكوت السموات والأرض .

وبعد : فيجوز غلط الشهود فى الرؤية ، ويجوز تعمدهم للكذب ، وكثير من الناس يتخيل ثم يخال . فعلى القاضى أن يتحرى غاية التحرى ، ويتيقظ لأمثال هذه الدقائق حتى يؤدى ما يجب لنفسه وللمسلمين .

غير أن لنا كلمة مع شهود الفجر ، وقد قال المدافعون عنهم إنه لا تمكن رؤية القمر بعد الغروب وبعد الفجر من تلك الليلة وهو ما نخاله صحيحا . ولكن نقول : كيف رأوه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بعد الفجر ليلة ثلاثين والمحاق لا بد منه باعترافهم ؟ وإذا كان هذا الفريق يرى أنه لا بد من المحاق فكيف يسلم رؤية القمر بعد الفجر يوم الثلاثين ؟ وهل لا يجد فى ذلك تنافيا بينه وبين المحاق الذى أوجبه ؟ يجب أن يحرر هذا المقام تحريرا يثلج له الصدر وتطمئن اليه النفس . وقد تكلمت مع بعض الفلكيين عندنا بمصر فقال : إنه لا يمكن أحداً أن يرى الهلال بعد الفجر بالعين المجردة فى ليلة ثلاثين ، فليحرر ذلك من هو أقدر منى على تحريره والدين النصيحة . وليس قصدى أن أحقق المسألة الفلكية عند أربابها ، ولكن الذى أريد أن أقوله هو أن الحقيقة متى تبينت ولو على يد كافر ، وجب اتباعها فى الدين الاسلامى ، ولا يصح غير هذا . ومن المحتمل أن يكون المرئى نجما من النجوم ظنوه قمرا ، أو عرض لهم الخطأ فى ذلك بأى سبب من الأسباب الكثيرة .

وبعد ذلك فلست أدرى بماذا ترجح إحدى الشهادتين على الأخرى واحتمال الصدق والكذب قائم فى كل منهما ، فعلام هذا التنازع وهذه الضوضاء ؟ فأرجو أن يتحرى الفريقان الإنصاف ويدعوا التعسف فيما بينهم ، ولا يتنازعوا فيفشلوا وتذهب ريحهم . وهى كلمة ساقنى اليها حب الوئام وبغض الانقسام . وكل ما أخشاه هو أن يقول المتحذلقون أو الملحدون : إن الدين يعادى العلم ، وهى التهمة التى تلقفها بعض الشبان الأغرار من المسلمين عن ملحدى الأوربيين . وذلك إن صح فهو فى دين غير دين الاسلام كما قلنا . ولا يبعد أن يقوم بعض الناس فيمارضنا ببعض الظواهر من كلام الفقهاء غير راجع الى ذوق الشريعة وما ترمى اليه من أسرار سامية وأنظار بعيدة ، وما يجب لها من الصون عن تعريضها لقالة الجامدين أو طعن الملحدين . (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم) .

ولسنا نتكلم إلا بما نعرفه من روح الشريعة الحكيمة المطهرة ، ولعل الله يهدى به كثيرا من عباده المنصفين المخلصين .

وللموضوع بقية ، وسنعود اليه فى العدد التالى إن شاء الله

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الاسلام والفلسفة

- ٢ -

أثر الترجمة الى العربية :

يعرف التاريخ أن الأمة العربية وثبتْ الى الأمام بعد الاسلام وثبتين هائلتين :

إحداهما على أثر إشماع القرآن فى جنباتها، فأنارها بعد ظلمة، وهداها بعد حيرة، ونظمها بعد اضطراب، لأنه أضاف الى لغتها ألفاظا جديدة وتعبيرات فنية وعلمية لم يكن للعرب عهد بها من قبل، ففتح بذلك بابا عظيما للثراء اللغوى. وقبل كل هذا نبّه القرآن على وجوب النظر فى الكون العام، وفى النفس الانسانية، وفى الأسباب والمسببات كما أسلفنا، فكان مصباحا أنار لمنتنقيه سبيل الحكمة والفلسفة، فأخذوا ينتجعونهما ويتطلعون اليهما فى شوق وشغف، حتى فازوا منهما بحظ وافر.

هذه هى الوثبة الأولى، أما الثانية فقد كانت بعد نقل الحكمة الهندية والمعارف اليونانية والثقافة الفارسية.

بهذا كله استنار المسلمون، وعلى أسراره وقفوا، وبما فيه من خير تهذبوا وتأدبوا، ولكن بعد أن مزجوه بتعاليم دينهم مزجا جعله صالحا للحياة والخلود.

ولم يختص هذا الأثر الفلسفى طائفة من العرب دون طائفة، بل شمل جميع الطوائف على اختلاف مناحيها وتباين نزعاتها.

ونحن إذا غادرنا الفلاسفة الى الشعراء والكتاب، وجدنا قصائدهم وأسفارهم قد امتلأت بأنواع المعارف، وفاضت على جوانبها ألوان الثقافة من كل مكان.

وإذا تركنا الكتاب والشعراء جانبا ثم عرجنا على الفقهاء والمفسرين وشراح الحديث النبوى، وجدناهم يستخدمون المنطق فى تأويلهم للقرآن وشرحهم للحديث

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

واستنباطهم للأحكام الفقهية، مما جعل تلك الأحكام تفوز بأكبر قسط من الاحترام والإجلال فى نظر علماء الغرب المحدثين .

عرف العرب بفضل هذه الترجمة مبدأ الحياة الفلسفية عند هذه الأمم، وتتبعوا أطوار تفكيراتهم ومذاهبهم، فكان لهذا التاريخ المرتب بعضه على بعض أثر بعيد الغور فى العقلية العربية، وإن كانت قد صحبت هذه الحقائق النافعة كمية من الخرافات والأوهام الباطلة، كاعتقادهم مثلا أن « أمبيدوكليس » كان تلميذا لداود أو لسليمان، وأن « فيثاغورس » تخرج فى مدرسة « سليمان بن داود » ولكن ثمين هذه المعارف كان أكثر من مئات أضعاف غثها، وما فيها من أساطير كان ذرة الى جانب أطواد ما فيها من حقائق .

ولولا نكبة الأمم العربية على أيدى « التتار » لشاهد العالم الحديث الآن فى بغداد مكتبة حافلة بأهم ما أنتجته العقلية البشرية فى جميع أنحاء المعمورة الى عصرهم .

هيأت هذه الترجمة تلك المواهب الكامنة فى رءوس المسلمين الى البروز فى عالم الواقعيات، فبرزت بهيئة أدهشت المؤرخين والباحثين، كما سنشير الى ذلك عند الكلام على فلاسفة الاسلام . غير أن هذه الترجمة — فيما روى التاريخ — كانت قاصرة على الحكمة والفلسفة والطب والفلك والرياضة والموسيقى، فلم تتناول الأدب اليونانى، ويعزو المؤرخون نفور المسلمين من أدب اليونان الى ما اشتمل عليه من أساطير وثنية.

هذا هو حال الفلسفة فى الشرق، أما فى الغرب، فقد كان لها شأن آخر يغاير هذا الشأن تمام المغايرة، فى نشأتها وفى كيفية نضوجها، ثم فى نظرة الناس اليها وفى حظها . واليك البيان :

كانت قرطبة تتخذ بغداد مثلا أعلى تسير على نموذجه وتنسج على منواله فى كل شىء، وكانت تغالى مغالاة شديدة فى احتذاء خطواتها، فلما ترامت الأخبار من الشرق الى خلفاء الأندلس بأن بغداد قد أضحت كعبة العلم وعاصمة الثقافة الانسانية،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عز على أولئك الخلفاء أن يقفوا جامدين ، وأندادهم يسيرون ، فبعثوا رسلا أذكياء أكفاء مزودين بمبالغ ضخمة من المال ، وأوصوهم أن يسلكوا الممكن وغير الممكن من الطرق للحصول على أهم ما تتباهى به بغداد من درر العلم وجواهر المعرفة الفلسفية ، فذهب أولئك الرسل ، وبذلوا المال بسخاء ، فعادوا من « دار الحكمة » وقد نقلوا أكثر ما قدمناه اليك من كتب « أرسطو » المترجمة فى بغداد ، وسلموها الى الخلفاء الذين حفظوها بين سحورهم ونحورهم ، ضنابها وحرصا عليها ، وأمروا بنسخ صور كثيرة منها ، فذاعت فى ربوع الأندلس ، ثم تخطت البحر الأبيض الى شمال أفريقيا ، وكان من نتائج ذلك أن تكون فى ظلالها الوارفة أمثال ابن باجة وابن طفيل وابن رشد وابن ميمون وغيرهم من العباقرة والموهوبين . وكانت أنباء أولئك الفلاسفة تتصل بالخلفاء فلا يلاقون منهم إلا كل إعزاز وإجلال ، فزاد هذا فى تشجيعهم ، وضاعف من نشاطهم واجتهادهم ، فسطعت أضواء مواهبهم وكثرت منتجاتهم ، وبرزت مبتكراتهم ، كما سنبين ذلك فى حديثنا عن أشهرهم ، وهو ابن رشد .

يرى بعض الفرنجة أن الفلسفة الاسلامية الغربية كانت أخصب من أختها الشرقية ، ويرجعون هذا الفرق الى علة البيئة الطبيعية التى هى فى الأندلس أخصب منها فى بغداد . ونحن أولا ، لا نسلم بأن الفارابى — وله ما ستراه من إبداع فى العقول العشرة وفى غيرها من المناحى الفلسفية ، ولا بأن ابن سينا ، وله تلك المبتكرات فى النفوس الفلكية وفى النفس الانسانية وفى مصادر المعرفة البشرية وفى غير ذلك — لا نسلم بأن هذين الفيلسوفين أقل قيمة من ابن رشد . على أننا لو سلمنا بهذا لم نعزه الى ذلك السبب الذى عزاه اليه الغربيون ، وإنما نعزوه الى التقدم الزمنى ، والى نضوج الفلسفة الاسلامية ، والى اطلاع ابن رشد على ما كتبه الكندى والفارابى وابن سينا وعلى ردود أمثال الامام الغزالى عليهم ، وما نجم عن ذلك من توضيح المشاكل وتصفية المجادلات .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومهما يكن من الأمر، فقد ظلت الفلسفة فى الغرب مستمتعة بعطف الملوك وتشجيعهم، حتى خلف من بعدهم خلف ضيق العقل، محصور الذهن يمكن أن يقع فى قبضة خداع ذوى الأغراض السيئة كالخليفة المنصور الأندلسى الذى دس عنده جماعة من الخبثاء لابن رشد، فأوقع به شر إيقاع، وأمر بإحراق كتبه، بل بإحراق كل كتب الفلسفة من غير استثناء. ولولا أن قيض الله لحفظ هذه الكتب القيمة تلاميذ ابن رشد من اليهود، لأصبحت الآن فى خبر كان، كما سنفصل ذلك فيما بعد.

لما نفى ابن رشد فر تلاميذه من اليهود بكتبه ونقلوها الى العبرية ثم نشروها بين الأوربيين، فنقلها هؤلاء الى لغاتهم المختلفة، فكانت مبعث حياتهم العلمية، ومصدر معرفتهم الفلسفية، ومطلع شمس نهضتهم العقلية، كما صرح بذلك علماؤهم وفلاسفتهم. أما الظاهرة العامة لجميع فلاسفة الاسلام من شرقيين وغربيين، فهى محاولة تضييق هوة الخلاف بقدر الإمكان بين الدين والفلسفة، فما مجهود الفارابى فى العقول العشرة إلا ليوفق بين عقيدة خلق الله للكون وبين القواعد اليونانية الثلاث:

(١) «الكامل من كل وجه لا يصدر عنه إلا كامل». (٢) «الواحد من كل وجه لا يصدر عنه إلا واحد». (٣) «العدم لا ينتج وجودا».

قرر القرآن فى مواضع كثيرة أن الله هو خالق كل شىء، وأعلنت القاعدة اليونانية القديمة أن صدور الكثرة عن الواحد محال، لأن هذا الصدور يقتضى إما تكثر الواحد أوتوحيد الكثرة، وكلاهما محال. وإذاً فصدور العالم المتكثر عن الإله الواحد غير ممكن. وقررت القاعدة الثانية أن الإله كامل والعالم ناقص، ولا يمكن أن يصدر الثانى عن الأول إلا إذا نقص الأول أوكمل الثانى، وكلاهما محال، لأن نقص الإله ينافى ألوهيته، وكمال العالم يناقض الواقع المشاهد. وإذاً فلا يمكن أن يكون الاله هو مبدع العالم. وصرحت القاعدة الثالثة بأن إنشاء الله العالم غير ممكن، لأن الانشاء هوخلق من عدم، ومن المستحيل أن ينشأ الوجود من عدم.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلما رأى الفارابى هذه القواعد ووجد أرسطو — وهو فى نظره المثل الأعلى — يؤمن، لم يسعه إلا أن يسلك الممكن وغير الممكن من الوسائل، ليوفق بين القرآن وبين تلك القواعد، فأجهد عقله حتى نظم مسألة العقول العشرة التى قرر فيها أن العقل الأول صدر عن الله صدور المعلول عن علته، وهو واحد، فلا مانع من صدوره عن الواحد، وهو كامل، فلا بأس بصدوره عن الكامل، وهو معلول للقديم فلم ينشأ عن عدم. ثم تدرج الى تأثير العقل الأول فيما بعده من عقول حتى وصل الى العقل العاشر المؤثر فى فلك القمر. وهذا الأخير هو منشئ العوالم الدنيا، ولا ضير فى ذلك، لأن فلك القمر ليس واحدا من كل وجه. فلا مانع من أن تصدر عنه الكثرة، وليس كاملا من كل وجه، فلا مانع من أن يصدر عنه العالم الناقص، وبهذا التكلف حسب الفارابى أنه نجح فى التوفيق بين الاسلام والفلسفة اليونانية، مع أنى أنا أعتقد أن «أمينيوس ساكّاس» و «أفلوطين» قد وفقا فى هذا الشأن وهما ليسا مسلمين — الى ما لم يوفق اليه الفارابى، حيث قررا أن لا مانع من صدور الكثرة عن الواحد مع احتفاظه بوحدانيته، كما يوقد من المصباح الواحد مائة مصباح، وكما يكوّن الأستاذ مائة تلميذ بعلمه، وكذلك لا مانع من صدور الناقص عن الكامل، لأن الكمال الأعلى لا يقوى شىء مما هو دونه على نقصه، وإلا لقويت القاذورات الملقاة على الأرض على إنقاص أو تدنيس أشعة الشمس المنسكبة عليها. أما كون العدم لا ينتج وجودا فانهما قررا فيه أن نورا صدر عن الله وأخذ يبتعد عن مصدره قليلا قليلا، وبقدر هذا البعد تلحقه الظلمة حتى إذا تناهى فى هذا البعد صار مادة مظلمة، منها تكوّن العالم الناقص، وإذاً فالمادة حادثة صادرة عن الله صدور المخلوق عن الخالق.

فلو أن الفارابى وفق الى مثل هذه الردود، لكان أكثر قربا الى الاسلام، ولكن الذى هوى به فى هذا هو أنه قدس تلك القواعد اليونانية، ورفعها عن مواطن النقد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والتجريح ، وجعلها هى المركز الثابت الذى يجب سحب الاسلام اليه . ولو كان عكس لنجح فى الملاءمة بين الدين وتلك القواعد .

أما «ساكاس» و« أفلوطين» فقد اعتبراها نظريات قابلة للنقد والنقض والهدم ، وجعلا المركز الثابت هو المنطق المستقيم ، وأخذا يجذبان اليه كل تلك النظريات القديمة ، فما اتفق منها مع المنطق احترماه وأجلاه ، وما نبا عنه ألقيا به فى مكان سحيق من الإهمال والإغضاء .

وكذلك لم يكن عناء ابن سينا وتمحله مسألة علم الله للجزئيات عن طريق النفوس الفلكية إلا ليوفق بين الاسلام الذى يجزم بأن الله « يعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » وبين قول « أرسطو » : إن الله ترفع عن العلم بالعالم ، لأن علم الكامل بالناقص ينقصه . فأراد ابن سينا أن يتمحل وساطة النفوس الفلكية بين الله الكامل و بين العالم الناقص ، لكى ينتفى العلم المباشر الذى هو منشأ النقص عند « أرسطو » ، وحسب أن هذا التكلف يحقق غايته من التوفيق بين الاسلام و « أرسطو » فأخفق .

أما ابن رشد فأمامنا كتابه الشهير المسمى : «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » وهو أكبر برهان على ما نقول من محاولة جميع هؤلاء الفلاسفة التقريب بين الفلسفة والدين ، ولكنه تقريب خاضع دائما لقاعدتهم المعكوسة التى قدمناها اليك .

على أن هذا لا يمنع من أن لهم جهودا محترمة وفلسفات قيمة سنحدثك عنها فى فصول آتية ، إن شاء الله ؟

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أسلوب القرآن الحكيم

وأثره فى الادب

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة للدلالة على صدق رسالته ، ودستورا أبديا جامعا لطرائق السعادة التشريعية للأمة الاسلامية ، وقد لقى من عناد العرب — وهم يومئذ غطارفة البلاغة — ما لم يلقه كتاب قبله ، فتحداهم أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين ، وسخر منهم ، وأنبأهم بعجزهم وعجز الحياة كلها لو تظاهرت على مباراته أن تأتى بكتاب مثله ، فى حكمه وأحكامه ، وأسلوبه وبراعته : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

أما الإعجاز التشريعى والاجتماعى فقد تكفلت ببيانه الحياة ، وقام بشرحه العلم ، وتولى الفكر الانسانى تبليغه الى الناس أجمعين .

وأما الإعجاز البلاغى فهو الذى يعنى الأديب العربى ، ليعرف به مدى تأثير أسلوب القرآن فى الأساليب الأدبية وفوقه عليها ، ولهذا الغرض قامت علوم البلاغة العربية لتقرب الى الأذهان فهم الجمال الفنى فى القرآن الحكيم .

كان القرآن ولا يزال صورة جديدة من الأدب الحى الرائع فى نظر الفحول من مصاقع العرب وفصحائهم ، بعد أن جالوا فى مسارحه ، وتفيّئوا ظلاله ، وأشربوا حبه ، وتفهموا أسلوبه ، واهتدوا بهديه ، وآمنوا بتعاليمه وأحكامه ، فاتخذوه مثلهم الأعلى فى السمو الأدبى ، يتأثرون أثره ، ويستنون سنته ، فاتجهوا بالأدب اتجاها جديدا فى عباراته وأسلوبه ومعانيه وروحه ، وكان من أثر ذلك أن استحدثت ألفاظ جديدة لمعان مستحدثة ، وأميتت ألفاظ لم تكن متناسبة مع الحياة الجديدة ، واستبدلت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالكلمات الكزة الجافية التى كانت تلائم الحياة الجاهلية ، كلمات رقيقة عذبة ، لها حلاوة فى الأسماع وأنس فى القلوب ، وانتهجت مناهج فى الدين والعلم والسياسة والاجتماع والأخلاق طلبت العبارة عنها ، وأداءها أداء يتفق وطبيعتها الناشئة ، كل ذلك وجوده فى القرآن يصفه ويتحدث عنه أحسن الحديث ، فما كان عليهم إلا أن يحتذوا حذوه ويأخذوا إخذه .

كان العرب يحفلون بالشعر ويعتزون به ، فبلغ عندهم من ناحية الأسلوب ومتانة العبارة غاية لن يستطيع أحد بعدهم أن يدنو منها . أما النثر فكان حظهم أو حظ ما وصلنا منه ضئيلا بالنسبة للشعر ، فمجموعة الخطب والوصايا والمحاورات التى بين أيدينا من نثر العرب قبل الاسلام تشبه أن تكون صورة واحدة قليلة التنوع خالية من المعانى الإصلاحية التى تحتاج إليها الأمم فى تكوينها الاجتماعى ، وهى على ما فيها من هذا النقص تشتمل على كثير من وحشى الألفاظ وغريبها ، فلما حل القرآن من نفوسهم محل الجلال والعظمة ، طرحوا من أيديهم زمام ذلك النثر ، وتركوه حيث ولد فى البوادى ، فلم يبق منه إلا الشىء القليل ، وعكفوا على القرآن يقتبسون من أسلوبه ، ويوشحون خطبهم ورسائلهم بآياته ، ويتكلمون فى موضوعات لم يكن لهم فيها من قبل مجال ، وظهر أثر أسلوب القرآن فى النثر ظهورا بينا ، تقرؤه فى خطب الخلفاء الراشدين وخطباء الاسلام .

أما الشعر فكان نقد القرآن بالنسبة اليه موجها الى الشعراء أنفسهم الذين اتخذوا هذا الفن الجميل مطية الى الإقذاع فى الهجاء ، والكذب فى المدح والرثاء ، والفحش فى مغازلة النساء ، وتأريث العداوة والبغضاء ، فقال تعالى : « والشعراء يتّبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون » ولم يمسّ نقدُ القرآن الشعرَ باعتباره فنا من فنون التعبير عن الحياة ، ولكنه كان استصلاحا له مما ورطه فيه الشعراء . ولذلك استثنى نوعا منهم يستطيعون بشاعريتهم الطاهرة النقية أن يسموا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالفن عن سفساف الأمور ودنيئاتها، فقال: « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظُلموا ».

وقد أفاد الشعر من هذا النقد المباشر فائدة لم تكن كفائدة النثر، ولعل ذلك راجع الى نفوس الشعراء وما طبعوا عليه فى تلك البيئات التى كانت تسودها العصبية وما يصاحبها من الشرور الخلقية، ولما يمض زمن يسير حتى عادت جذعة فى عصر الأمويين، فعادوا لما كانوا عليه، وعاد الشعر الى حالته الأولى، ولكنه تأثر كثيرا بأسلوب القرآن فى لين عبارته وحلاوة كلماته وسلاسة أسلوبه ولطف استعاراته.

ومهما يكن فان النثر كان أشد نوعى الأدب تأثرا بالقرآن، لأن الحقائق العملية والعلمية التى يقوم عليها إصلاح الأمم، والتى جاء بها القرآن لا يستطيع الشعر أن يصورها تصويرا كاملا، وهو حافظ لجلاله وروعته وموسيقية وزنه، فتطامن أمام النثر الأدبى فى صدر الاسلام، وخفَت صوته قليلا، وعلا صوت النثر جهيرا.

فارق القرآن الحكيم الشعر الموزون المقفى بأسلوبه، وأبى الله تعالى أن يعلّم خاتم رسله الى الانسانية الشعر، فقال تعالى: « وما علّمناه الشعر وما ينبغى له ». والذى يظهر لنا فى تعليل ذلك أن قيود القافية والوزن فى الشعر تحول بينه وبين أن يكون أداة لتبليغ رسالة سماوية عامة الى كافة الخلق فى أقطار الأرض على اختلاف ألسنتهم وأفكارهم وطبائعهم وبيئاتهم وأحوالهم فى المعاش والمعاد.

فالقرآن حاور وجادل، وهدم وبنى، ووعظ وزجر، ووعد وأوعد، وهدد ورغب، ووصف وصور وقص، وأمر ونهى، بأسلوب مختلف باختلاف مقام الكلام والمخاطبين، وإن اتحد فى تساميه عن طوق البشر، وهو يردد المعنى الواحد بطرق كثيرة، ليبلغ به الى منافذ القلوب.

فانظر الى تمثيله حال الكافرين الذين يعملون فى هذه الدنيا من الخير والبر ما يحجب الكفرُ نفعه وفائدته عنهم، لأنهم أبوا الانقياد لله تعالى وهو مصدر كل خير وبر وإنعام،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال عزوجل: « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء، ذلك هو الضلال البعيد».

فتأمل المشبه به وما أجرى عليه من الوصف المقيد، ثم التعقيب بعجزهم عما كسبوه لأنفسهم، تدرك بداهة أن حالهم هذا هو الضلال البعيد.

وقال فى آية أخرى: « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب، أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور».

هـذا التنويع فى التمثيل من أسرار الإعجاز فى القرآن، فهناك مثّل أعمالهم برماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف، وهنا مثلها بسراب يظنه الظمآن ماء حتى إذا جاءه ليروى منه ظمأه لم يجده شيئا، وهو أصدق تمثيل لحال الكافر مع أعماله التى يرجو منها النفع فلا يجده عند الحاجة اليه. أما التمثيل الثانى فهو أعجب وأبدع وأبلغ، وهو تصوير امتاز به القرآن، واستحدثه، لأنه طرز غير معهود فى أساليب العرب وتشبيهاتهم، على خلاف الضربين الأولين فإنهما معهودان، وجرى بهما العرف الكلامى فى لغة العرب. لكن التمثيل بالظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، لم يألفه العرب، ولاهو مما تساعد عليه بيئتهم، وفى قوله جل شأنه « ظلمات بعضها فوق بعض » بيان للمقصود من التمثيل، مع أن التمثيل أفاده للدلالة على أن حالة الكافر مهما عمل من البر والخير مغلقة الأبواب على نور الرحمة الالهية تغليقا لا يجعل له طريقا الى خيط من الكرامة التى أعدها الله لعباده المؤمنين. وقد أكد هذا أبلغ تأكيد بقوله: « إذا أخرج يده لم يكد يراها ». ثم ختم الآية بما يلائم التشبيهين ويرد الأمر الى جلال الله وهدايته، طمأنة للمؤمنين وتبكيتا للكافرين.

أما مقام القرآن من منثور الكلام فهو فى الذروة لا يطاوله كلام، ولا يجاريه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أسلوب ، بلاغة باهرة ، وفصاحة بارعة ، وقول فصل ، وآيات إعجاز ، فى حلاوة وطلاوة وجزالة ونصاعة ، وبيان فائق ، وتعبير رائق . بيد أن العلماء اختلفوا فى وصف أسلوب القرآن : هل يصفونه بأوصاف كلام البشر ويبين عنه بالإعجاز مع الاتفاق فى أصل النوعية ، أو يخرجونه عن نوع كلام الناس بتة ، فيكون نوعا من الكلام مستقلا ؟

ذهب المتكلمون الى أنه خارج عن أسلوب كلام العرب ، فلا يقال له مرسل ، ولا مسجوع ، وشددوا فى نفى السجع ، وأقاموا على هذا النفى أدلة على نهجهم وطريقتهم ، فقال القاضى أبو بكر الباقلانى : « لو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز .... ولأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع »

وذهب الى هذا المذهب العلامة ابن خلدون فقال فى المقدمة : « وأما القرآن وإن كان من المنثور إلا أنه خارج عن الوصفين ، وليس يسمى مرسلا مطلقا ، ولا مسجعا ، بل تفصيل آيات ينتهى الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ، ثم يعاد الكلام فى الآية الأخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية ، وهو معنى قوله تعالى : « الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها مَثانىَ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم » وقال : « قد فصّلنا الآيات » ويسمى آخر الآيات منها فواصل إذ ليست أسجاعا ، ولا التزم فيها ما يلتزمه السجع .

وذهب جماعة من علماء البلاغة والأدب الى أن أسلوب القرآن وإن سما الى ذروة الإعجاز لكنه لا يخرج عن جنس منثور الكلام ، قال ابن الأثير فى « المثل السائر » : لو كان السجع مذموما لما ورد فى القرآن الكريم ، فإنه قد أتى منه بالكثير حتى إنه ليؤتى بالسورة جميعا مسجوعة ، كسورة الرحمن ، وسورة القمر . وقال أبو هلال العسكرى فى « الصناعتين » : ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن لأنه فى نظمه خارج من كلام الخلق، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل فى أوساط الآيات، فضلا عما تزاوج فى الفواصل منه.

والذى يترجح عند البحث من هذين المذهبين إنما هو مذهب الأدباء. والبيان بالإيجاز كما تسمع:

لم يقل أحد إن القرآن كله سجع، ووجود السجع فى بعض سوره لا يجعله داخلا فى أساليب كلام البشر دخولا يستوى به معها، ومن الذى يستطيع أن يزعم أن أساليب السجع كله واحد فى بلاغته؟ أفلا يجوز أن يوجد من كلام الناس كلام مسجوع يتفاوت فيما بينه فى البلاغة تفاوتا عظيما؟ ولم لا يكون فى أسلوب القرآن سجع يسمو على طوق البشر مع كونه أشبه فى ظاهر نسجه بكلامهم، ويكون ذلك أبلغ فى الإعجاز؟

أما أن السجع من الكلام يتبع فيه المعنى اللفظ، فليس هذا الإلزام لازما، لأنه قد يصح فى أسجاع الصنعة والتكلف ولا ينطبق على السجع المطبوع، لأنه يجرى على سنن الكلام المطلق، فيقع فيه اللفظ تابعا للمعنى. قال ابن الأثير «فى المثل السائر»: فإذا صفى الكلام المسجوع من الغثاثة والبرد فإن وراء ذلك مطلوبا آخر، وهو أن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى، لا أن يكون المعنى فيه تابعا للفظ. ولست أدرى كيف ساغ هذا الإلزام فى كلام القادر الحكيم؟

وخلاصة الرأى أن القرآن الحكيم من جنس منثور الكلام فى لفظه وعباراته، ولكنه مباين لكلام الخلق فى نظمه وأسلوبه، فهو من المنثور الجامع لأرقى فنونه، وأبلغ أنواعه، ففيه سجع يقتضيه المقام وترسّل يبلغ غاية المرام، وهو فى كليهما معجز خارج عن طوق البشر.

صادق ابراهيم عرجون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فتوى المرحوم
الشيخ بخيت فى تشريح الميت

اطلعت على فتوى الأستاذ الجليل الشيخ يوسف الدجوى ، فى تشريح الميت فى العدد السابع من مجلة الأزهر الغراء . ولما كان التشريح قد توسع فيه الأطباء المصريون توسعا غير معقول ، ولم يراعوا أن حرمة المؤمن ميتا كحرمته حيا ، فنطلب من الأستاذ الجليل الشيخ الدجوى أن يتكرم علينا بالإفاضة فى الموضوع ثانيا حتى تطمئن القلوب ، ويعلم الأطباء جميعا أن التشريح أمر خطير لا يجوز الإقدام عليه إلا عند الضرورة القصوى ، والحاجة الملحة . وحبذا لو سأل الأطباء الذين يخافون الله عن تحديد مواضع الضرورة التى يتوقف عليها تقدم الطب ، وعما إذا كان يمكن الاستغناء بتشريح بعض الحيوانات المقاربة للانسان فى الخلقة عن تشريح الانسان نفسه . وإننا لا ندرى ما يفعله الأوربيون فى بلادهم : هل يكثر التشريح عندهم كثرته عندنا ، مع ملاحظة أنهم أبرع من المصريين فى فن الطب ؟ وهل يستهينون بحرمة الميت استهانتنا بحرمة أمواتنا ؟ وهل الضرورات التى تلجئهم الى تشريح الميت مثل الضرورات التى يتعلل بها أطباؤنا ؟

فنرجو من مولانا الجليل الشيخ الدجوى أن يبين لنا هذا الموضوع بيانا شافيا ، وأن يفيض فيه بما يشرح الصدور ، ويطمئن القلوب كعادته فى جميع فتاواه ، كما نرجو من الأطباء الذين يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، أن يبينوا لنا الى أى حد يتوقف تقدم الطب على التشريح .

وإننى أرى من الواجب علىّ شرعا أن أسطر للقراء فتوى الأستاذ الكبير الشيخ محمد بخيت رحمه الله فى شأن تشريح الميت حينما سألته عن حكمه فى دين الاسلام . ونسأل الله أن يوفقنا للعمل الصالح ، والقول السديد .

محمد عبد الوهاب بحيرى
بكلية الشريعة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نص الفتوى :

وأما حكم التشريح فى الاسلام ، فنقول :

إن من ضروريات التشريح فتح بطن الميت ، وقال ابن قدامة فى المغنى فى حكم فتح بطن الميت فى الجزء الثانى صفحة ٤١٣ ما نصه :

« والمرأة إذا ماتت وفى بطنها ولد لا يتحرك فلا يشق بطنها ، ويسطو عليه القوابل فيخرجنه » — قال الشارح :

« معنى يسطو القوابل أن يدخلن أيديهن فى فرجها ، فيخرجن الولد من مخرجه ، والمذهب أنه لا يشق بطن الميتة لإخراج ولدها ، مسلمة كانت أو ذمية ، وتخرجه القوابل إن علمت حياته بحركة ، وإن لم يوجد نساء لم يسط الرجال عليه ، وتترك أمه حتى يتيقن موته ، ثم تدفن . ومذهب مالك وإسحاق قريب من هذا .

ويحتمل أن يشق بطن الأم إن غلب على الظن أن الجنين يحيا ، وهو مذهب الشافعى لأنه إتلاف جزء من الميت لإبقاء حى ، فجاز كما لو خرج بعضه حيا ، ولم يمكن خروج بقيته إلا بشق ، ولأنه يشق لإخراج المال منه فلإبقاء الحى أولى .

ولنا أن هذا الولد لا يعيش عادة ولا يتحقق أنه يحيا ، فلا يجوز هتك حرمة متيقنة لأمر موهوم ، وقد قال عليه السلام : « كسر عظم الميت ككسر عظم الحى » رواه أبو داود ، وفيه مثلة وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المثلة »

ثم قال :

« وإن بلع الميت مالا لم يخل من أن يكون له أو لغيره ، فإن كان له لم يشق بطنه لأنه استهلكه فى حياته . ويحتمل أنه إن كان يسيراً ترك ، وإن كثرت قيمته شق بطنه وأخرج ، لأن فيه حفظ المال عن الضياع ، ونفع الورثة الذين تعلق حقهم بماله بمرضه . وإن كان المال لغيره وابتلعه بإذنه فهو كماله لأن صاحبه أذن فى إتلافه . وإن بلعه غصبا ففيه وجهان : أحدهما : لا يشق بطنه ، ويغرم من تركته ، لأنه إذا لم يشق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من أجل الولد المرجو حياته فمن أجل المال أولى . والثانى : يشق إن كان كثيرا لأن فيه دفع الضرر عن المالك برد ماله اليه ، وعن الميت بإبراء ذمته ، وعن الورثة بحفظ التركة لهم . ويفارق الجنين من وجهين : أحدهما أنه لا يتحقق حياته ، والثانى أنه ما حصل بجنايته . فعلى هذا الوجه إذا بلى جسده وغلب على الظن ظهور المال وتخلصه من أعضاء الميت ، جاز نبشه وإخراجه .

وقد روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذا قبر أبى رغال وآية ذلك أن معه غصنا من ذهب ، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه » فابتدرة الناس فاستخرجوا الغصن .

ولو كان فى أذن الميت حلق أو فى إصبعه خاتم أخذ ، فإن صعب أخذه بُرِد وأخذ لأن تركه تضييع للمال ، وإن وقع فى القبر ماله قيمة نبش وأخرج .

وقال أحمد : إذا نسى الفحار مسحاته فى القبر جاز أن ينبش عليها . وقال فى الشىء يسقط فى القبر مثل الفأس والدراهم : ينبش ، قال : إذا كان له قيمة ، يعنى ينبش ، قيل فإن أعطاه أولياء الميت ؟ قال : إن أعطوه حقه أى شىء يريد ؟

وقد روى أن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه طُرح خاتمه فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : خاتمى ، ففتح موضع فيه فأخذه ، وكان يقول : أنا أقربكم عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم »

ولأنه قال فى المهذب لأبى إسحاق الشيرازى فى صفحة ٣٠٠ من الجزء الخامس : « وإن وقع فى القبر مال لآدمى فطالب به صاحبه ، نبش القبر ، لما روى أن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه طرح خاتمه فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : خاتمى ، ففتح موضع فيه فأخذه ، وكان يقول : أنا أقربكم عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم . ولأنه يمكن رد المال الى صاحبه من غير ضرر ، فوجب رده عليه . وإن بلع الميت جوهرة لغيره وطالب بها صاحبها ، شق جوفه وردت الجوهرة . وإن كانت الجوهرة له ففيه وجهان :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أحدهما : يشق لأنها صارت للورثة فهى كجوهرة الأجنبى . الثانى : لا يجب لأنه استهلكها فى حياته فلم يتعلق بها حق الورثة »

قال شارحه النووى فى المجموع :

« أما إذا بلع جوهرة لغيره أو غيرها فطريقان : الصحيح منهما وبه قطع المصنف والأصحاب فى معظم الطرق أنه إذا كان طلبها صاحبها شق جوفه وردت الى صاحبها . والطريق الثانى : فيه وجهان ممن حكاه المتولى والبغوى والشاشى أصحهما هذا . والثانى : لا يشق بل يجب قيمتها فى تركته لحديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كسر عظم الميت ككسره حيا » رواه أبو داود بإسناد صحيح إلا رجلا واحدا وهو سعد بن سعيد الأنصارى أخو يحيى بن سعيد الأنصارى ، فضعفه أحمد ابن حنبل ، ووثقه الأكثرون وروى له مسلم فى صحيحه ، وهو كاف فى الاحتجاج به ولم يضعفه أبو داود مع قاعدته التى قدمنا بيانها . قالوا ووجه الدلالة من هذا الحديث أن كسر العظم وشق الجوف فى الحياة لا يجوز لاستخراج جوهرة وغيرها ، فكذا بعد الموت .

وحكى الرافعى عن أبى المكارم صاحب العدة « وهو غير صاحب العدة أبى عبد الله الحسين بن على الطبرى الإمام المشهور الذى ينقل عنه صاحب البيان وأطلقه أنا فى هذا الشرح » أنه قال يشق جوفه إلا أن يضمن الورثة قيمته أو مثله فلا يشق فى أصح الوجهين ، وهذا النقل غريب . والمشهور للأصحاب إطلاق الشق من غير تفصيل . أما إذا بلع جوهرة لنفسه فوجهان مشهوران ذكر المصنف دليلهما قل من بين الأصح منهما مع شهرتهما ، فصحح الجرجانى فى الشافى والعبدرى فى الكفاية الشق ، وقطع المحاملى فى المقنع بأنه لا يشق ، وصححه القاضى أبو الطيب فى كتابة المجرد . قال الشيخ أبو حامد فى التعليق : وقول الأول إنها صارت للوارث غلط ، لأنها إنما تصير للوارث إذا كانت موجودة ، فأما المستهلكة فلا ، وهذه مستهلكة . وأجاب الأول عن هذا بأنها كانت مستهلكة لما شق جوفه بجوهرة الأجنبى . وحيث قلنا يشق جوفه وتخرج ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلو دفن قبل الشق نبش لذلك . هذا تفصيل مذهبنا . وقال أبو حنيفة وسحنون المالكى : يشق مطلقا . وقال أحمد وابن حبيب المالكى : لا يشق » .

من هذا يعلم أن الميت فى احترامه ووجوب عدم إهانته كالحى سواء بسواء ، فإذا مات لا تجوز إهانته بعد موته كما لا تجوز إهانته فى حياته وإن اختلف العلماء فى الشق وعدمه فى مواضع ، لكن الذى يؤخذ من كلامهم جميعا وجوب احترام الإنسان ميتاً كوجوب احترامه حياً . وبناء على ذلك فلا يجوز شق بطن أى ميت كان إلا فى المواد المتقدمة . وأن التشريح الذى من لوازمه شق البطن بلا سبب سوى بحث الأعضاء ومعرفة وظائفها وما بها من الأمراض فهذا لا يسوغ ولا يجيز فتح بطن الإنسان بعد موته . ويمكن الوقوف على وظائف الأعضاء بواسطة فتح بطن حيوان آخر غير الانسان ، لأن كل الحيوانات متساوية فى وظائف الأعضاء الحيوانية .

والأصل فى ذلك كله ما جاء فى الحديث الصحيح ، قال فى سنن أبى داود قال حدثنا القعنبى حدثنا عبدالعزيز بن محمد عن سعد يعنى ابن سعيد عن عمرة بن عبد الرحمن عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كسر عظم الميت ككسره حيا » قال فى عون المعبود فى ص ٣٠٤ من الجزء الثالث : « قال السيوطى فى بيان سبب الحديث : عن جابر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فجلس النبى صلى الله عليه وسلم على شفير القبر وجلسنا معه فأخرج الحفار عظما ـ ساق أو عضد ـ فذهب ليكسره فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تكسرها فإن كسرك إياه ميتا ككسرك إياه حيا ولكن دسه فى جانب القبر » قال فى فتح الودود ككسره حيا يعنى فى الإثم كما فى رواية . قال : الطيبى : إشارة الى أنه لا يهان ميتا كما لا يهان حيا . قال ابن الملك : والى أن الميت يتألم . قال ابن حجر : ومن لوازمه أن يستلذ بما يستلذ به الحى اه وقد أخرج بن أبى شيبة عن ابن مسعود قال : « أذى المؤمن فى موته كأذاه فى حياته . قال فى المرقاة وقال المنذرى والحديث أخرجه ابن ماجه » .

وقال فى التعليق المحمود شرحا على هذا الحديث فى صفحة ٣٥٨ من الجزء الثانى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مثـل ما ذكره بعون المعبود . وفيما قاله ابن الملك وابن حجر نظر ، لأن الميت بالموت يفقد الإحساس بالمـرة فلا يمكن أن يتألم بحـال أو يلتذ بحـال بالألم واللذة المعروفين فى الحياة الدنيا ، ولذلك اقتصر صاحب فتح الودود على قوله « فى الاثم » واقتصر الطيبى على التسوية فى عدم الإهانة .

وقال فى الهـداية فى صفحة ٩٩ من الجزء الرابع : « ومن قال لآخر إن ضربتك فعبدى حر فمات فضربه فهو على الحياة ، لأن الضرب اسم لفعـل مؤلم يتصل بالبدن والإيلام لا يتحقق فى الميت ، ومن يعذب فى القبر توضع فيه الحياة فى قول العامة »

قال ابن الهمام عليـه : « ومن قال إن ضربتك فعبدى حر فهو على الحياة حتى إذا مات فضربه لا يحنث ، لأن الضرب اسم لفعل مؤلم يتصل بالبـدن . أو استعمال آلة التأديب فى محل قابل للتأديب والإيلام والأدب لا يتحقق فى الميت لأنه لا يحس » وقال فى موضع آخر بعد ذلك : « وإلا فلا يتصور من عاقل القول بالعذاب مع عـدم الاحساس » وقال مثله فى المغنى فى الـكنز وفى الدر أيضا .

ومن ذلك يعلم أن قول ابن الملك إنه يتألم ، يجب تأويله بأنه يتألم لوكان حيا ويكون إشارة الى أن إهانة الميت إنمـا تكون بمـا يهان به حيا ، فمـا يؤلمه حيا يمنع فعله به ميتا . ومن هذا يعلم أن التشريح الذى من لوازمه فتح البطن كما قلنا لا يجوز . نعم فتح البطن لأجل العلاج الطبى يجوز لأنه للمحافظة على الحياة فلا إهانة فيه . والله الموفق ؟

مفتى الديار المصرية سابقا
إمضـاء : محمد بخيت المطيعى الحنفى
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين آمين

أقول : هذا هو نص الفتوى التى جاءنى منه رحمه الله ، وهى موجودة عندى لمن أراد الاطلاع عليها ، ومضمونها أن التشريح لا يجوز ، فـماذا يقول أستاذنا الجليل الشيخ يوسف الدجوى فى هذه الفتوى مع بيان وجهة نظره ؟

وقد رأيت من النصيحة أن أبين لإخوانى القراء بعض اصطلاحات فقهاء الشافعية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حتى يفهموا المراد من عبارة الإمام النووى التى نقلها عنه مفتينا رحمه الله وبيان درجة حديث المغيرة :

قال الامام النووى فى المجموع ص ٣٠٠ من الجزء الخامس : « حديث المغيرة ضعيف غريب . قال الحاكم أبو أحمد ، وهو شيخ الحاكم أبى عبد الله : لا يصح هذا الحديث » اه

وقال فى مقدمة المجموع ص ٦٥، ٦٦ ماملخصه «فصل فى بيان القولين والوجهين والطريقين « فالأقوال » للشافعى ، و « الأوجه » لأصحابه المنتسبين الى مذهبه يخرجونها على أصوله ويستنبطونها من قواعده . و« الطرق » اختلاف الأصحاب فى حكاية المذهب . وبهذا يتبين معنى قول الشافعية : فى المسألة قولان أو وجهان ، أو جزم به الأصحاب فى كل طرقهم ، أولا يجوز قولا واحدا أو وجها واحدا ، أو فى المسألة طريقان الخ » .

أسأل الله أن يهبنا من خشيته ما به نعرف حرمة المسلمين أمواتا وأحياء . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محمد عبد الوهاب بحيرى

السؤدد

قيل لقيس بن عاصم : بم سودك قومك ؟ قال : بكف الأذى ، وبذل الندى ، ونصر المولى .

وقال رجل للأحنف بن قيس : بم سودك قومك وما أنت باشرفهم بيتا ، ولا أصبحهم وجها ، ولا أحسنهم خلقا ؟

قال له الأحنف : بخلاف ما فيك يا ابن أخى .

قال الرجل : وما ذاك ؟

قال الأحنف : بتركى من أمرك ما لا يعنينى ، كما عناك من أمرى مالا يعنيك .

وقال عمر بن الخطاب أمير المؤمنين لرجل : من سيد قومك ؟ قال أنا . قال الفاروق : كذبت لو كنت كذلك لم تقله .

وسال عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين روح بن زنباغ عن مالك بن مسمع . فقال : لو غضب مالك ، لغضب معه مائة ألف سيف لا يسأله واحد منهم لم غضبت .

فقال عبد الملك : هذا والله هو السؤدد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام و الطب

إننا منذ عدة أشهر نوالى نشر مقالات إسلامية طبية وعلمية لحضرة الطبيب النطاسى الكبير الدكتور عبد العزيز بك اسماعيل ، وقد أرسل لنا مقدمة لها بعد نشر ما سبق نشره منها ، فرأينا أن نثبتها فى المجلة لبيان مراميه من هذه المقالات القيمة ، ثم نعود الى نشر ما بقى منها .

مقدمة :

أنزل الله القرآن الكريم هدى للناس فى أمور دنياهم وأخراهم ، وقد جعل معجزة لخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم . ومن إعجازه فصاحته التى اعترف بها العرب وهم أعلى الأمم كعبا فى البيان . أما المتأخرون أمثالنا فأكثرهم لا يقدّر الفصاحة حق تقديرها لعدم تبحرهم فيها ، ولذا كان من الضرورى إظهار إعجاز القرآن من نواح أخرى . فالقرآن ليس بكتاب طب أو هندسة أو فلك ، ولكنه يشير أحيانا الى سنن طبيعية ترجع الى هذه العلوم . وبما أنه صادر من واضع السنن كلها ، كان جميع ما جاء فيه حقا لا شية فيه ، وإن لم يكن ذلك مدركا وقت نزوله إلا على طريق الإجمال أو التأويل ، لعدم استبحار العلوم إذ ذاك . ولكن مع الترقى فى العلوم قل ما كان يُعمد الى تأويله ، وكثر ما وجب أخذه على ظاهره فى ذلك العهد .

فقوله تعالى : « وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » : هذه الآية لا يمكن أن يكون العرب الأولون قد فهموها إلا من طريق التأويل المؤدى الى معنى خضوع كل شىء لعظمة الله حتى الجماد ، مع أن علماء الطبيعة يثبتون الآن حركة دائمة لا تنقطع فى ذرات كل شىء لا تراها العين ولا تحس بها سائر المشاعر .

وقوله تعالى : « خَلَقَ الإنسانَ من علق » : شبه الحيوان المنوى بالعلق مع أنه لا يرى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إلا بالميكروسكوب، والعبرة من هـذه الآية لم تظهر وقت نزولها ولا بعدها بمئات السنين حتى اكتشف الميكروسكوب .

كل هذه الآيات الكريمة وكثير مثلها لا يفهم شيء من معناها الحقيقي إلا من درس العلوم الحديثة . ومن يفعل ذلك يظهر له إعجاز القرآن بطريقة أقرب الى إقناعه من فصاحته ، لأنه عالم ببعض العلوم وجاهل بالفصاحة .

وهكذا يؤمن بالقرآن من لم يؤمن به ، ويزداد إيمان المؤمنين .

ويجب أن أنبه الى نقطة هامة ، وهي أن العلوم مهما تقدمت فهي عرضة للزلل ، فينبغي أن لا يطبق على الآيات الكريمة إلا ما يكون قد ثبت ثبوتا قطعيا ولم يقبل الشك . فكثير من النظريات العلمية عرضة للتغيير والتبديل ، وهذه لا يجوز تطبيقها على الآيات حتى ولو اتفقت مع ظاهرها ، إنما يطبق منها ما يكون قد اجتاز دور النظريات وصار حقيقة ثابتة لا شك فيها . فرقم ٥×٥ = ٢٥ لا يمكن أن يكون غير ذلك مهما تقدمت العلوم ، وكذلك كثير من نظريات الطبيعة والهندسة ، وقليـل من الطب . أما النظريات الكثيرة مثل نظرية الذرات والجاذبية والنسبية ومذهب دارون وأغلب نظريات الفلك ، فلم تتعد طور النظريات ، وقد تتغير وتتبدل .

وكما يقول فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي « يجب أن لا نجر الآية الى العلوم كي تفسرها ولا العلوم الى الآية ، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها » .

إن العالم كثير الاغترار بعلمه ، فإذا لم يتفق ظاهر الآية وما يعرفه من النظريات ركن الى علمه وشك في الآية أو أوّلها ، مع أن كل علوم العصر الحاضر لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة لحقائق الأشياء . فقد انتفع الانسان بالكهرباء والحرارة والضوء ، ولكنه لا يعرف شيئا عن حقائقها ، فهو يعرف كثيرا عن سننها ، وسيزداد معرفة بها بتقدم العلوم ، ولكنه لا يعرف عن كنهها أكثر مما يعرف عن الروح والحياة ونظام الكون .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فكل آية كريمة لا تتفق ونظريات العلوم يجب أن تترك حتى تتقدم هذه العلوم. فخلق آدم من طين مثلا لا يتفق ومذاهب دارون وغيره، ولكن الأخيرة قائمة على نظريات، وهى كما قدمنا عرضة للتغيير، ولم أعثر للآن على آية واحدة لا تتفق وأية حقيقة علمية.

ولمعرفة مقدار الخطأ والبعد عن الحقيقة الذى تتعرض له النظريات، أضرب مثلا بسيطا لذلك:

إذا جلس شخص عاش منذ مائة سنة لا يعرف شيئا عن الراديو أو التليفون فى غرفة فيها آلة تليفون متصلة بمحطة إذاعة للراديو، وبالغرفة المجاورة آلة راديو، حتى إذا تكلم الشخص سمع صوتا يجيبه فى الغرفة المجاورة، فلاشك أنه يجزم بأن هناك إنسانا عاقلا يتكلم، وقد يجهد عقله ويعمل فى ذلك تجارب كثيرة. وبما أن ذلك المتكلم يجيبه على كل سؤال يوجهه اليه فلا يبقى فى ذهنه أى شك فى أن الغرفة المجاورة فيها إنسان. ومصدر الخطأ أن الوسيلة للتأكد من وجود إنسان فى الغرفة المجاورة ليس فقط حاسة السمع، ولكن النظر واللمس أيضا. وبما أن كل التجارب التى قام بها الشخص توجب عليه اعتقاد وجود شخص بالغرفة على حسب معلوماته القاصرة، فالنظرية التى بنى عليها ذلك الحكم بعيدة عن الحقيقة إلا اتصال الغرفة بإنسان، مع أن الفرق بين وجود إنسان بالغرفة المجاورة وبين شىء متصل بانسان ربما كان فى لندن، فرق كبير جدا.

ولا يمكن اتقاء مثل هذا الخطأ، لأن الشخص لا يعرف واسطة اتصال مثل التليفون والراديو قبل وجودها. كذلك أغلب نظريات علم الفلك وغيره، فقد تقدم علم الفلك حتى صدقت تنبؤات العلماء بعد مئات السنين وبدقة مدهشة؛ وقد أقاموا على تجاربهم نظريات؛ وكلما اجتهدوا فى التجارب جاءت النتيجة محققة لما كانوا يتوقعونه فى أكثر الحالات. ولكن كما أن الشخص الذى كان يحاول معرفة مصدر الصوت كانت تجاربه تأتى صادقة كما لو كان هناك إنسان فى الغرفة المجاورة، كذلك كانت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تجارب العلماء فى كثير من النظريات تأتى مصدقة لما كانوا يتصورون . وقد تكون خطأ فى أساسها ، ولكن فيها اتصال بعيد بالحقيقة بعد الشخص الموجود فى لندن عن الغرفة المجاورة .

وبالاختصار فالطريقة الوحيدة للتثبت من وجود شىء ، ليست هى الاستنتاج العقلى ، ولكن استعمال كل الحواس المجردة وغير المجردة . ومع ذلك فلا تكون النظريات عرضة للزلل ، لأن مدارك الإنسان محدودة ، وهو لا يتصور ما غاب عنه .

يتضح مما سبق أن هناك آيات كثيرة لم تتقدم العلوم لتفسيرها للآن ، ولم أحاول أنا ذلك ، فقوله تعالى : « فانظروا كيف بدأ الخلق » لم تتقدم العلوم لمعرفة تفصيلات معانيها . وقد حاولت أن أفسر بعض الآيات المتعلقة بعلوم النفس أيضا ، لأن ذلك من اختصاص الطبيب ، وكل ما أرجوه أن يقتدى بى إخوانى الإخصائيون فى العلوم الأخرى ، على شرط أن يلاحظوا القواعد التى أسلفتها ، وأن لا يفسروا من الآيات إلا ما يتفق والحقائق الثابتة .

بالمناقشة مع إخوانى وجدت أن هناك سؤالين يجب الإجابة عليهما قبل البدء بالتفسير لعلاقتهما المباشرة به :

(أولهما) ما الغرض من خلق هذا الكون ، وما حكمة وجودنا ؟ إن طبيعة عقل الانسان أن يسأل عن حكمة وجود كل شىء ولا يستثنى من ذلك الكون كله ، مع أن مادة العقل التى يريد بها أن يكشف الكون هى جزء من هذا الكون نفسه وتلعب دورا فيه ، واللاعب لا يمكنه أن يمثل دور المتفرج .

ولنضرب مثلا : شخص من أواسط أفريقيا حضر ليمثل دورا بسيطا جدا فى رواية ذات فصول عديدة فى لندره ، وهو لا يعرف شيئا عن اللغة ولا عن الرواية ، ولكنه يمثل دوره المطلوب منه ، فإن كان ذكيا فقد يفهم معنى الأشياء المادية التى تشترك معه فى دوره ، فيعلم معنى صور الجبال والأودية والحيوانات الخ ، ولكنه من المستحيل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن يفهم معنى الرواية ، لأنه يمثل دورا لا يعد شيئا مذكورا فيها ، وهو جاهل باللغة التى كتبت بها ، وغائب عن المسرح أغلب الوقت . كذلك الانسان مهما ارتقى عقله فقد يعرف كثيرا من السنن الطبيعية المتعلقة بالمادة ، ويعرف أشياء عن الكواكب الخ ، ولكنه لا يعرف لغة هذا الكون وسننه غير المادية ؛ ولذا لا يمكنه أن يفهم شيئا عن الوجود الذى هو جزء صغير منه ، ومدة حياته لا تبلغ جزءا من مئات الملايين من عمر الكون . وكل ما يمكن الانسان أن يظفر به هو أن يعرف المهمة التى يقوم بها فيه ، وأن يتقنها . وهذه المهمة قد علمها الله لنا بقوله : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »

وأما حكمة وجود الكون وعظمته فلم نُعَط الحواس اللازمة لمعرفتها . وما أسعد الشخص الذى يؤدى ما ندب اليه ! ولعمرى إن ذلك يستغرق كل قواه العقلية والمادية ، ولا يترك له أى بقية يشتغل بها فى أشياء أخرى « كلٌّ ميسر لما خلق له » « وخلق كل شىء فقدره تقديرا » ويقول الطبيعيون : « الطبيعة لا تسرف » .

(ثانيهما) ما معنى القضاء والقدر مع أن اختيارنا ظاهر ، وما معنى مجازاتنا على ما نفعله إذا كان هناك قضاء وقدر ؟

إن علماء الطب يمكنهم أن يعرفوا سير الأمراض ومدتها الخ بمعرفتهم بعض السنن الطبيعية ، فإن أخطأوا فلنقصٍ فى علمهم . كذلك المهندس عندما يشيد جسرا يعرف مقدار السنين التى يمكنها إذا عرف مقدار الضغط عليه يوميا والعوامل الطبيعية الأخرى .

فالمبدع الأول خلق الانسان من طين ، وعلم ما يدخل فى تركيبه ، وسن له سنة التناسل ، وخلق له الأحوال المحيطة به ، ووضع لها سننا ، وقدر تأثيرها عليه ، وهل أفعال الانسان فى الحقيقة إلا خضوع منه لهذه الأحوال والسنن وإن توهم أن له اختيارا فيها ؟ فإذا أتى البرد وكان عنده ملابس ثقيلة فإنه يلبسها ، هذا العمل ظاهره الاختيار ، ولكنه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عمل مضطر عليه عند ذى العقل السليم أوجبه البرد . ولنضرب مثلا آخر : تاجر مضطر لبيع بضاعته وتعرض عليه قيمتان لها ١٠٠ قرش و ١٥٠ قرشا ، فلاشك أنه يبيع بأكثر القيمتين ويعد عمله اختياريا . ولكنه فى الحقيقة اضطرارى ومطابق لسنن لا تتبدل ، وإن لم يفعل ذلك عد مجنونا . وقد تتعقد أفعال الانسان ويضطر أن يفكر كثيرا قبل الإقدام عليها ويعد عمله هذا اختياريا ، ولكنه مبنى على سنن مقررة ، ونتيجة لكل اختباراته الماضية ، وتركيب مخه والأحوال المحيطة به ، ولو علم شخص تفاصيل الأمور لأخبر بما سيستقر عليه الرأى فى كل منها ، كما يعلم الكيماوى نتيجة التفاعل بين مادتين إذا علم تركيبهما .

هذا ما أجمع عليه علماء النفس . وخالق الوجود والسنن كلها عالم بكل ما سيحصل للكائنات فى مستقبل حياتها .

فالعلقة الصغيرة (النطفة) التى يقل قطرها عن عُشر الليمتر الواحد ، تمثل ملايين الصفات . وعلقة القرد مثلا والانسان لا يختلفان ظاهرا فى الشكل مع أن كلا منهما تمثل كل الصفات التى تميز الواحد عن الآخر ، وهذه لا حد لها . كذلك لا تختلف علقة شخص عن شخص آخر ، مع أن الزمن والتغذية كفيلان إذا ما أثرا عليهما أن يصيرا شخصين مختلفين تماما ، وذلك طبقا لسنن ثابتة لا حصر لها . فالفروق المتنوعة التى تملأ مجلدات قد اختزلت فى حجم النطفة .

فالله جلت قدرته وقت بدء الخلق علم كل ما سيحدث للانسان وغيره من الكائنات . ومستقبل الكون مقدّر منذ بدء الخلق ، ولكننا على مقتضى عقولنا نفرق بين الحاضر والمستقبل . ولكن الله وقت خلق النطفة خلق الانسان الكامل ، ولكننا لضعف إدراكنا لا نعرف ذلك ، فنقف عند الحاضر ، ولكن المبدع الحكيم يعرف مستقبله كله جملة وتفصيلا . والانسان فى ضعفه وقصر نظره كالمتفرج على (السينما) يرى المنظر الحاضر ويعده حاضرا ، مع أن المناظر المستقبلة موجودة ومعلومة لصاحب السينما ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولكنها غيب بالنسبة المتفرجين. فالخالق، وله المثل الأعلى، عند ما بدأ الخلق قدّر كل ما سيحدث فيه، وهذه التقادير تتولى إبرازها السنن التى سلطها الله عليه منذ وجوده. وهذا معنى قوله تعالى: «ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير» هذا هو معنى القضاء والقدر، ولا معنى له غير ذلك.

قد يقال: وما الفائدة من عقولنا وتفكيرنا أمام هذا القضاء والقدر؟

الجواب: أن تفكيرنا هو هذا الجزء الاختيارى الذى ميز الله الانسان به عن سائر المخلوقات وجعله أساسا للجزاء، وقد يكون هو المقصود من الآية الكريمة «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا» والله أعلم. ولكن هذا التفكير لا تأثير له فى سير القضاء والقدر. فالانسان حر فى أن يفكر كما يشاء، ولكن لا يمكنه أن يأتى أفعالا لم تقدّر عليه «وما تشاءون إلا أن يشاء الله».

والسؤال الثانى وهو «لم نجازى على ما قدر لنا»؟

الجواب أننا نجازى على ما يقع عليه اختيارنا، سواء أتم أم لم يتم. وسأضرب لذلك ثلاثة أمثلة:

(أولها) شخص يريد القتل ويفكر فيه ويترقب الفرص لتنفيذه، حتى إذا سنحت له ارتكب الجريمة. فهذا لاشك مجرم بتفكيره أى بجزئه الاختيارى، وقد أنفذ جريمته لأن القدر وافق ماعزم عليه.

و(ثانيها) شخص يخاف ربه ويطيع أوامره، ولكن حدث له أن وقع مرة تحت تأثير انفعالات نفسانية شديدة أضاع معها رشده فارتكب جريمة القتل، فلما ثاب اليه رشده ندم على فعلته، فهذا الرجل ارتكب الجريمة بجوارحه فقط، ولكنه لم يقتل بضميره، فقد ثبت طبيا الآن أن الانفعالات الشديدة تحدث زيادة إفرازات فى بعض

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الغـدد الصماء تؤثر على الضغط الدموى وعلى المخ ، وقد تحدث تشنجا عصبيا أو شللا وقتيا فى قوة الإدراك (غيبوبة)، يأتى الشخص فى أثنائها من الأفعال ما يستنكره فى حالته العادية . والخالق يعلم حالته ، ويعلم أنه قتل لأن القتل كتب عليه ولا مفر له من ذلك ، ولكنه لم يقتل بضميره .

و (ثالثها) شخص عاص لربه ينتهز الفرصة للقتل ، ولكن الفرصة لا تسنح له ، فهو مجرم بضميره ولو أنه لم يقتل ظاهرا . والحقيقة أنه لم يقتل لأن القتل لم يقدر عليه . ومن لم يقدر عليه القتل فلا يمكن أن يقتل مهما حاول ذلك . والله يعاقبه بما يشاء على نيته «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء» . فقد يغفر لصاحب الذنب الواقع ويعذب من لا ذنب له فى الظاهر ، والله يعلم ما يحول بين المرء وقلبه «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا» . وإذا أيقنا أن عجلة القضاء تسير سيرها رغم إرادتنا، اطمأنت قلوبنا وعلمنا السر فى أن المتقين قد يصابون كما يصاب غير المتقين . ولكن الفرق أن تفكيرهم وصبرهم يحول مصائبهم الى نعم فى نظرهم «ونبلوكم بالشر والخير فتنةً (أى امتحانا)» «ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين» .

الخلاصة : أن الخالق الذى يقول : «وما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمى» والذى يعلم السر فى السموات والأرض ، لا يظلم أحدا . فلتطمئن قلوبنا ، ولنثق بعدله ، ولنكتف بأن نستعين بإحدى السنن غير المادية وهى الدعاء ، تالين قوله تعالى : «اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين»

وبعد : فإنى فى هذا المقام أعترف بفضل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، لأنه أول من شجعنى على نشر هذه المقالات ، وكان يستمر فى التشجيع كلما ظهر شىء منها ، ويمدنى بأفكاره القيمة التى كنت أقدرها كما يقدرها الناس كافة كل التقدير ، وكذلك أشكر صاحب العزة الأستاذ فريد بك وجدى لتشجيعه وتصحيحه الكتابات والآيات ، ولو أنه معروف للكل أنه خلق للعلم وجده ، ونعم عمل العاملين ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

الرضاع

ورد الى إدارة المجلة من لجنة الفتوى بالجامع الأزهر هذه الفتاوى :

ما قولكم فى بنت رضعت مع ولد صغير من أم الولد مرة أو اثنتين أو ثلاثا على الأكثر . فهل يجوز لأخيه الأكبر أن يتزوجها ؟ أرجو إفادتى بالجواز على أى مذهب مع تبيين وجه كل مذهب من المذاهب الأربعة . حسن سليمان حسن

الجواب

إذا كان الرضاع فى مدته الشرعية فمذهب الحنفية والمالكية أنه لا يجوز لهذا الأخ الأكبر أن يتزوج تلك البنت إذا كانت أم الولد الصغير أماً له ، أو كانت امرأة أبيه صاحب اللبن ، لأنها أخته من الرضاع قلّ الرضاع أو كثر ، أخذا بالإطلاق فى قوله تعالى : « وأخواتكم من الرضاعة »

ومذهب الشافعية والحنابلة أنه يجوز لهذا الأخ الأكبر أن يتزوج تلك البنت لأنها ليست أختا له من الرضاع ، فان التحريم بالرضاع لا يكون إلا بخمس رضعات متفرقات أخذا بالأحاديث التى قيدوا بها الإطلاق فى قوله تعالى : « وأخواتكم من الرضاعة » والله أعلم ؟

***

صبي غابت عنه أمه ليلا ، فأعطته امرأة أخرى ثديها ، فرضع ونام ، وفى الصباح أعطته ثديها مرة أخرى فأبى الرضاع ، فهل تعد هذه المرأة أمه من الرضاع ، وتحرم عليه ابنتها التي رضعت قبله بثلاث سنوات ؟ محمد عبد الحميد السلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الجواب

الرضعة الواحدة فى مدة الرضاع الشرعية تحرم عند الحنفية والمالكية ، لإطلاق قوله تعالى : « وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم ، وأخواتكم من الرضاعة » .

ولا يحرّم عند الشافعية والحنابلة إلا خمس رضعات متفرقات ، وذلك للأحاديث التى قيدوا بها الإطلاق المذكور .

فعند الحنفية والمالكية تكون هذه المرأة المرضع أماً لهذا الصبى من الرضاع ، وتكون ابنتها أختاله من الرضاع ، وعند الشافعية والحنابلة لا تكون هذه المرأة المرضع أماله من الرضاع ، ولا تكون ابنتها أختاله من الرضاع . والله أعلم ؟

***

شاب يريد الزواج بشابة ، وكلاهما من أب وأم شرعيين ، ولم يسبق لأم من الأمين أن أرضعتهما ، وليست هناك موانع شرعية من عقد زواجهما ، غير أن للشاب أخاأصغر منه قد رضع من ثدى أم خطيبة الشاب حينما كانت ترضع ابنة أخرى غير المخطوبة ، فهل رضاعة ذلك الأخ تحرم زواج الشاب الأول بالشابة الأولى مع أنهما لم يرضعا من مرضع واحدة ؟

محمود شاروده

الجواب

إن تلك الشابة تحل شرعا لمريد زواجها ، ولا يؤثر فى ذلك أن أخاه الأصغر قد رضع من أمها سواء أكان رضاعه منها حينما كانت ترضع ابنة أخرى غير هذه الشابة كما ورد فى السؤال أم لم يكن ، لأنها ليست أخت مريد الزواج من الرضاعة ، بل هى أخت أخيه من الرضاعة ، فلم تشملها أدلة التحريم بالرضاع . والله أعلم ؟

***

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رجل يريد التزوج بامرأة رضع أخوها الأكبر معه من امرأة ليست أمها ولا هى أمه، ثم رضع أخوها الثانى من أم من يريد الزواج بها، ولم يحصل بينهما من الرضاع خلاف ذلك، مع العلم بأنها أصغر إخوتها، وبينها وبين أخويها الأولين المذكورين خمسة إخوة، فهل هناك مانع شرعى من تزوجه بها؟ عواد ابراهيم رزق

الجواب

يحل لهذا الرجل أن يتزوج تلك المرأة، إذ لم يكن قد رضع من ندى أمها ولم تكن قد رضعت من ندى أمه، ولم يسبق لهما رضاع من ندى امرأة واحدة.

ولا يؤثر فى حلها له أن يكون أخوها الأكبر أو غير الأكبر قد رضع مع مريد الزواج من ندى أمه أو من ندى امرأة أخرى، فإنها فى هذه الحال ليست أختا لمريد الزواج من الرضاعة، فلم تشملها أدلة التحريم بالرضاع، ولا فرق بين أن تكون تلك المرأة أصغر إخوتها — كما جاء فى السؤال — وألا تكون. والله أعلم؟

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

شخص رضع من امرأة عمه مع ابن عمه من ندى واحد رضعة واحدة، ويرغب فى الزواج بشقيقته التى هى أصغر منه، ولم يرضع معها، فهل يجوز زواجه بها على مذهب من مذاهب الاسلام؟ سليم عبد الوهاب زيتون

الجواب

يجوز للرجل الذى رضع من امرأة عمه رضعة واحدة أن يتزوج بنت عمه المذكورة فى السؤال على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه، لأن التحريم عنده لا يثبت بالرضعة الواحدة، وإنما يثبت بخمس رضعات متفرقات فى الحولين، قال رضى الله عنه: «ولا يحرّم من الرضاع إلا خمس رضعات متفرقات كلهن فى الحولين» وذلك للأحاديث التى أخذ بها. والله أعلم؟



جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رجل يريد الزواج ببنت ، مع أن هذا الرجل رضع رضعة واحدة من امرأة متزوجة بوالد البنت ، والمرأة التى أرضعته أرضعت أختا لهـذه البنت من قبل ، فهل يحل له الزواج بهذه البنت أو تحرم عليه ؟ والإفتاء يكون على مذهب الإمام الشافعى .

حامد ابراهيم السنكرى

الجواب

لايثبت التحريم بالرضاع فى مذهب الشافعى رضى الله عنه بأقل من خمس رضعات . قال الشافعى : « ولا يحرم من الرضاع إلا خمس رضعات متفرقات كلهن فى الحولين » . وله على ذلك أدلة من الحديث ، فلا يحرم على الرجل الذى رضع رضعة واحدة فى الحولين من امرأة أبى البنت أن يتزوج تلك البنت ، ولا فرق فى ذلك بين أن يكون والد البنت هو صاحب اللبن الذى رضع منه مريد الزواج وألا يكون هو صاحب اللبن ، لأنه إن كان هو صاحب اللبن لم يكمل عدد الرضعات المحرّم ، وإن لم يكن هو صاحب اللبن فالبنت أجنبية ، أما أن المرأة أرضعت أخت البنت فلا تأثير لذلك فى حل تلك البنت ، لأن نصوص التحريم بالرضاع لا تشملها . والله أعلم ؟

* * *

تزوجت ابنة خالتى ، ورزقت منها ولدا ، مع العلم أنها رضعت من والدتى مع أخى الأصغر منى سنا ، وبينى وبينه أخ آخر أكبر منه سنا وأصغر منى ، كما رضعتُ أنا مع أختها الكبرى من والدتى ، وكنت أعتقد قبل الزواج أنها تجوز لى ، وتحرم على أخى الذى رضعت معه فقط ، كما تحرم علىّ أختها الكبرى ، فهل هذا الزواج جائز ؟

حسين جاسر المهندس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الجواب

يحرم عليك الزواج بابنة خالتك هذه عند الحنفية والمالكية ـ قل الرضاع أو كثر لأنها أخت لك من الرضاع ، قال الله تعالى : « وأخواتكم من الرضاعة »

ويوافقهم فى ذلك الشافعية والحنابلة إذا كانت ابنة خالتك قد رضعت من أمك خمس رضعات متفرقات فأكثر ، أما إذا كانت الرضعات أقل من خمس ، فإنها تحل لأنها ليست أختا لك من الرضاع ، والله أعلم ؟



ابنة خالتى وراضعة على أخى الذى هو أصغر منى وأريد الزواج بها ، فهل تجوز لى حسب الشرع ؟

أحمد بدوى طنطاوى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الجواب

إن كانت ابنة خالتك قد رضعت من أمك ، كما هو ظاهر السؤال ، فمذهب الحنفية أنها لا تحل لك قل الرضاع أو كثر ، ويوافقهم فى ذلك المالكية وأحمد فى رواية ، عملا بإطلاق قوله تعالى : « وأخواتكم من الرضاعة »

أما الشافعية فلا يرون حرمتها عليك إلا إذا رضعت من أمك خمس رضعات متفرقات ، ويوافقهم فى ذلك الامام أحمد فى ظاهر المذهب ، عملا بأحاديث يرون أنها تقيد الإطلاق المذكور .

وإن كانت ابنة خالتك قد رضعت مع أخيك من الخالة ، فإن زواجها لا يحرم عليك لأنها ليست أختا لك من الرضاع . والله أعلم ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الصلاة على الميت

توفيت إحدى بناتى ، ومن شدة تأثير وقع المصيبة ، ورغبتى فى مواراة الجثة التراب ، حيث نقلت من بلد الى بلد بعيد ، دفنت ولم تؤد صلاة الجنازة عليها سهوا .

فما قول الشرع فى ذلك ؟

عبد المحسن سليمان
يوزباشى بالجيش بالا ورطة الثانية

الجواب

الصلاة على الميت المسلم فرض كفاية ، لقوله صلى الله عليه وسلم : «صلوا على صاحبكم» فإنه أمر ، والأمر للوجوب ، وترك النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة على «صاحبهم» يدل على أنها فرض كفائى . وقد انعقد الاجماع على ذلك . وذكر النووى أن ما حكى عن بعض المالكية من أنها سنة متروك عليه ، لا يلتفت اليه .

فإذا دفن الميت بلا صلاة عليه ، كما جاء فى السؤال ، لزمت الصلاة عليه كما يأتى بيانه :

فالصحيح عند الحنفية أنه يصلى عليه وهو فى قبره مالم يغلب على الظن تفسخه .

ومذهب المالكية أنه يخرج من قبره ويصلى عليه ما لم يظن تغيره ، فان ظن تغيره صلى عليه وهو فى قبره ما لم يغلب على الظن فناؤه .

والراجح فى مذهب الحنابلة أنه يخرج ويصلى عليه ما لم يخش تفسخه أو تغيره ، فإن تفسخ أو تغير صلى على القبر ، وفى رأى للحنابلة أنه يصلى على قبره مطلقا ، ويحرم إخراجه .

والأصح عند الشافعية أنه يصلى عليه وهو فى قبره ، ولو بلى ، بشرط أن يكون المصلى من أهل فرض الصلاة وقت الدفن .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومما سبق يعلم أن ترك الصلاة على الميت عمدا بغير عذر حرام ، أما تركها سهوا كما جا فى السؤال فلا إثم فيه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه » ولكن عند التذكر تجب الصلاة كما بينا .

والصلاة على الميت وهو فى قبره ، تتأدى عند القبر ، والقبر أمام المصلى الى القبلة . والله أعلم ؟

نصاب الجمعة

ما قولكم فى بلد يريد أهله إقامة صلاة الجمعة ، ولكن فريقا من الأهالى يتكاسلون عن أداء صلاة الجمعة لشغل أو لغيره ، وجميع أهل البلد على مذهب الامام مالك رضى الله عنه ، فإذا اجتمع لصلاة الجمعة أقل من العدد المشروع فى مذهب الإمام مالك ، وهو اثنا عشر شخصا ، بأن كانوا عشرة أو أقل من ذلك ، والامام الذى سيخطب الناس حاضر ليؤم الناس ويخطبهم ، فهل ننتظر الى صلاة العصر ، ونصلى الجمعة رجاء أن يحضر العدد المفروض ، أو نصلى الجمعة بأى عدد ممكن ، أو نترك الجمعة ونصليها ظهرا ، وماذا يكون العمل ؟

عمر محمد صالح خطاب

الجواب

مذهب المالكية أن الجمعة لا تصح بأقل من اثنى عشر رجلا غير الامام ، فليس لأهل هذا البلد أن يصلوا بأقل من هذا العدد ، وليس لهم أن يصلوا ظهرا ماداموا راجين تمام العدد ، وإنما ينتظرون ، إلا أن يخافوا دخول وقت العصر ، فإن خافوا دخول وقت العصر ، صلوا ظهرا أربعا .

ولكن مثل هذا التكاسل قد يؤدى الى ترك الجمعة مع أنها تصح بأربعة أحدهم الامام عند أبى حنيفة ، وعند أحمد بن حنبل فى رواية ، وعند الثورى والليث والأوزاعى وأبى ثور ، وهو قول للشافعى فى القديم ، ورجحه المزنى من أصحاب الشافعى ، كما حكاه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عنه الأذرعى فى القوت ، ورجحه أيضا ابن المنذر من أئمـة الشافعية ، وهذه المسألة ألحقها بعض علماء الشافعية بالمسائل التى صحح فيها النووى القول القديم للشافعى .

فلأهل هذا البلد أن يعملوا بهذا ، ولا يتركوا إقامة الجمعة . والله أعلم ؟

فى الميراث

بنت توفيت عن أم وجدة لأب ، وأخوين شقيقين ، فما نصيب كل منهم ؟

محمد محمد بهنسى

الجواب

لا شىء للجدة المـذكورة ، لأنها محجوبة بالأم ، وللأم السدس ، وللأخوين الشقيقين باقى التركة : لـكل منهما الصنف ، والله أعلم ؟

فى البيع

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

اشتريتُ جلد أحذية بالقدم ، وبعته لصانع الأحذية برغبته ، وعن كل قدم خمسة مليمات مكسبه ، فهل تعد هذه الخمسة المليمات حلالا أو تعد حراما ؟ فإن بعض الناس أخبرنى أن ذلك ربا .

حافظ اسماعيل

الجواب

إن مثل هـذا البيع جائز إذا كان المبيع والثمن معلومين . ويدل لجوازه عموم قوله تعالى : « وأحل الله البيع » فالربح فيه قليلا كان أو كثيرا حلال لا شىء فيه من الربا .

والله أعلم ؟

حسين والى
رئيس لجنة الفتوى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

الوقف والهبـة

اختلف الفقهاء القائلون بالوقف وصحته على رأيين ، فذهب الإمام أبوحنيفة رضى الله عنه الى أن الوقف هو حبس العين على ملك الواقف والتصدق بمنفعتها ، أو صرف منفعتها الى من يحب أن تصرف تلك المنفعة اليه . فالتصدق بالمنفعة يظهر أثره فى حالة ما إذا وقف الواقف العين مثلا من أول الأمر على جهة من جهات البر التى لا تنقطع كالفقراء والمساجد والملاجىء والمدارس والمستشفيات وما الى ذلك مما تتوزع فيه المنفعة حصصا . وصرف المنفعة يظهر فى حالة ما إذا وقف الواقف حصته على غنى أو أغنياء حتى إذا انقرضوا انتهت تلك المنفعة الى جهة بر لا تنقطع ، فإنه يكون والحالة هذه وقفا قبل انقراض الأغنياء الموقوف عليهم ، ولا يمكن أن يعتبر صدقة كما هو ظاهر.

وذهب الصاحبان أبو يوسف ومحمد الى أن الوقف معناه : حبس العين عن أن تملك لأحد من العباد ، والتصدق بمنفعتها ابتداء وانتهاء أو انتهاء فقط . وتظهر الحالة الأولى جلية واضحة فيما إذا وقف الواقف من أول الأمر على جهة بر لا تنقطع . والتصدق انتهاء فقط يظهر فيما إذا وقف الواقف على من يحتمل الانقطاع والفناء واحدا كان أو أكثر مما لا يعتبر الصرف اليه صدقه ، ثم جعلها من بعدهم لجهة بر لا تنقطع كما لو وقف على نفسه وذريته ومن بعدهم للفقراء والمساكين ، فاذا آل الى جهة البر الدائمة صار وقفا خيريا . والقسم الأول يسمى وقفا أهليا ، والثانى يسمى وقفا خيريا . وتلك التسمية الاصطلاحية تسمية حديثة .

ثم إن حكم الوقف عند أبى حنيفة أنه جائز غير لازم ، وهو بمنزلة العارية ، فيجوز للواقف أن يرجع عنه ويتصرف فى الموقوف بالبيع والهبة والرهن وسائر أنواع التصرفات ، فإذا مات يورث عنه ، كما للمعير أن يرجع فى عاريته ويتصرف فيها تصرف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المالك فيما يملك ، فإذا مات المعير قبل استرداد عاريته قسمت بين ورثته . فاذا كانت العين الموقوفة باقية على ملك الواقف ولم تخرج عن ملكه بالوقف ، كان للواقف حق التصرف فيها بالبيع وسائر أنواع التصرفات ، فاذا لم يتصرف فيها حال حياته ثم مات كان لورثته قسمتها بينهم بالميراث الشرعي كسائر أملاك المورث . وهذا معنى عدم لزوم الوقف عنده .

أما حكم الوقف عند الصاحبين فمعناه أنه لازم بمجرد تمام أركانه وتحقق شروطه ، فلا يجوز للواقف أن يرجع عنه ، وإذا مات فلا يورث عنه ولا يعتبر من تركته ، لأنه بالوقف الذى أتمه صحيحا حال حياته قد أخرج الموقوف عن ملكه ، فتوزع أنصبته على الجهات التي عينها الواقف . ثم إن للوقف شروطا أربعة .

(أولها) أن يكون الموقوف مملوكا للواقف متعينا غير مجهول مقطوعا بحصول فائدة لا تفوت العين عند استيفائها ولا تضيع تلك الفائدة حال استغلالها .

(الثاني) أن يكون الموقوف عليه أهلا للهبة والوصية إن كان شخصا معينا ، وقربة من القرب إن كان جهة عامة كالفقراء والمساكين ، فمن لا تصح الهبة منه والوصية له كالجنين مثلا فلا يملك عينا ولا منفعة ، ولأن مالم يكن قربة كإحدى الجهات العامة التي يتحقق فيها الغرض من الوقف كقطاع الطريق لا يمكن أن تتحقق فيهم مصلحة فى الانتفاع بحبس العين عليهم .

(الثالث) أن تكون صيغته بلفظ صريح ، كوقفت هذه العين ، وشرطت هذه الشروط وحبست تلك الغلة على فلان أو فلانة ، فإن لم يكن صريحا وجب أن يكون مقترنا بالنية الدالة على صراحته ، ومحاطا بقرائن تدل على تعين ما وقف دون لبس وإبهام .

(الرابع) أن يكون الوقف مؤبدا منجزا ملتزما . فلو كان غير مؤبد كوقفته عاما أو كان غير منجز بأن يقول الواقف إن جاء شهر رمضان مثلا وقفت على فقراء كذا ضيعة كذا من ضياعي . أو كان غير ملتزم بأن قال الواقف وقفت كذا من العقار الذى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أملكه محددا بحدوده على أنى بالخيار فى الرجوع عنه ، كان ذلك كله بمنأى عن الغرض المقصود من الوقف ، لأن الغرض المقصود من الوقف إنشاء حالة تستتبع عينا ذات غلة ينتفع بها الفقراء ومن فى حكمهم ، وتكون تلك المنفعة مستمرة البقاء .

أما الهبة فأركانها ثلاثة :

(الأول) الصيغة فيما يصح أن تجرى فيه .

(الثانى) صحة بيع الموهوب والتصرف فيه .

(الثالث) قبض الموهوب وإيصاله الى يد الموهوب له تفاديا من شقاق يفضى الى خصومة . فإن مات الواهب قبل إقباض الموهوب له كان لورثته حق الخيار فى الإقباض ، لأن الهبة لم تثبت بفقدان شرط من شرائطها ، ولأن الموهوب لم يصل الى يد الموهوب له .

(رابعها) ألا يسترد الواهب ما وهب ، لأن استرداده ينبئ بشح بعد جود أو أسف على ما كان من خير ، أو إرادة إضرار بمن وهب له ، وكل أولئك من الأخلاق الذميمة والدنايا الممقوتة التى ينبغى المؤمن أن ينزه عنها ويصون كرامته من قذرها ، ذلك فضلا عما يغرسه الاسترداد من الضغينة والحقد ، ويشيده من القطيعة والتباغض . فيكون المسترد مضيعا للحكمة التى شرعت لها الهبة عاملا لضدها ، ولهذا أبان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبح هذه الحالة إبانة لاخفاء معها إذ قال : « العائد فى هبته كالكلب يعود فى قيئه ليس لنا مثل السوء » أى لا يليق بالمسلمين ارتكاب هذه الرذيلة .

(خامسها) ألا يخص والد بعض أولاده بمنفعة ، لأن ذلك يوقع الحقد بينهم .

أما العارية وصورها والفرق بينها وبين الهبة الشرعية وما يتصل بهما من أحكام القانون المدنى ، وأقوال الشراح فيهما ، فوعدنا بالكلام عن ذلك كله فى الأعداد التالية ، إن شاء الله .

عباس طه المحامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى فلسفة الاخلاق

وصلتها بالنفس الناطقة — أثر ذلك فى المجتمع الانسانى العام

نتحدث الى القارئ اليوم عن شوق النفس الى فضائلها الصادرة عنها، وكيف أن النفوس تجنح الى فضائلها وتحدب عليها حدب الأم الرءوم على واحدها.

والفضيلة التى تكوّن سائر الفضائل لا بد أن تكون مستندة الى عناية الانسان بتحصيل العلوم ثم تحصين النفس من الطغيان الشهوانى الذى إذا أصاب النفس فى صميمها قتل فيها روح الاستعداد للخير ومحضها للشر. فهذه الفضيلة تقوى وتتزايد بمحض عمل الانسان ذاته وتوافره على أفضل المثل العليا يتخذها عنوانا على كل ما يصدر عنه من الأفعال. فقد يبدو للانسان لأول وهلة أن ما يقع تحت سلطان المشاعر كالمآكل والمشارب وما اليها من صنوف المتع داخل فى عداد الفضائل، ولكنه إذا راجع نفسه يتبين أن تلك اللذائذ لا يصح أن تعتبر فضائل ولا تسوغ أن تكون شعارا للانسان الناطق.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فكل موجود من حيوان أو جماد أو نبات، وكذا بسائطها والأجرام العلوية، كل أولئك له قوى وملكات وأفعال بها يصير ذلك الموجود الكائن (هو ما هو) و (أى شىء هو) وبها يتميز ذلك الموجود عن كل ما عداه. كما أن له قوى وملكات وأفعالا بها يشارك ما عداه. والانسان بطبيعة تكوينه هو الذى يلتمس له الخلق المحمود بوصف كونه نفسا مفكرة ناطقة ذات سلطان على الموجودات. وهذا مصداق قوله جل من قائل: « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ». من أجل ذلك ليس لنا أن ننظر نظرا تحليليا مصحوبا بالتمحيص والتدليل الى تلك القوى وتلك الملكات التى يشارك الانسان فيها سائر الموجودات ما دمنا بصدد الكشف عن الفضائل والخيرات التى يجب أن تكون مميزات للنفس الناطقة ومقومات لها. ولسنا الآن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بصدد بيان شيء منها لأن بحث الأخلاقيين مقصور على بيان القوى والملكات والأفعال للانسان ، فتتناول بحوثهم قوى الانسان وملكاته وأفعاله من حيث صدورها عنه واتصالها به ، ويسمونها العلوم الإرادية باعتبارها حاصلة بمحض اختيار الانسان وإرادته ، وهى التى بها تتعلق قوة الفكر والتمييز . والنظر فيها وفى مقدماتها ونتائجها وآثارها المترتبة عليها يسمى الفلسفة العلمية ، ويرتبون على تلك النظرية ضرورة انقسام الأفعال الصادرة عنه الى الخيرات والشرور ، وبالتالى الى الفضائل والرذائل . ذلك لأن الغرض المعين من وجود الانسان إذا اتجهت النفوس اليه لخصلته ، هو تركيز الفضائل فى تلك النفوس ، والعمل لإنمائها وإذكاء أسبابها وبواعثها ، وهو الذى يسمى الانسان به وعند تحصيله إياه خيّرا ، فإذا عاقته عن تحصيل تلك الفضائل العوائق وصرفته عنها الصوارف كان هو الشرير لا محالة ، لاستحالة خلو نفس الانسان من كلا المتقابلين فى آن واحد .

وبدهى أن كل موجود من الموجودات له كمال خاص وفعل خاص لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك الشيء فى مشخصاته ومميزاته ، فلا يجوز أن يكون موجود آخر سواه يصلح لذلك الفعل صلاحية الانسان الذى اجتمعت له تلك المشخصات وتلك المميزات . وهذا حكم مطرد البقاء فى العوالم السفلية والعلوية .

فإذاً الانسان من بين سائر الموجودات له فعل خاص صادر عنه لا يشاركه فيه غيره ، وهو ماصدر عن قوته المميزة المقرونة بالروية .

وإذاً يكون كل من كان تمييزه أصح ورويته أصدق واختياره أمثل كان أوعى لأسباب إنسانيته وأجمع لمقوماتها . وقد يتدلى الانسان بالقياس الى مايصدر عنه من الأفعال حتى ينحط الى مرتبة ليس دونها مرتبة . وأفضل الناس من كان أقدر على تصريف أفعاله الخاصة به ، وأشد تمسكا بشرائط الفضائل وحدودها ، وأكبح لجماح نفسه عن الاسترسال فى غوايتها والركون الى شهواتها .

وبما لا مرية فيه أن الانسان كلما رقى بجوهر نفسه الى الكمالات ، كان أعم إنسانية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأعود فائدة على هذا المجتمع . والأنبياء والرسل صلوات الله عليهم بينوا السنن والطرائق لكل ما يصدر عن الانسان من خير أوشر ، فقالوا هذا حلال وهذا حرام وبينهما أمور مشتبهة . وجاء العلماء على أقدامهم فأوضحوا السبيل وأقامو بين الناس حدودا فاصلة حاسمة . فالانسان بقدر ما يغترف من تلك الفيوضات الالهية يكون مبلغ استحقاقه للاتصاف بوصف الانسانية ، فإذا انحط عن تلك المراتب المرسومة الحدود كان خليقا أن لا يكون إنسانا .

وإذ تبين أن سعادة كل موجود إنما هى بالقياس الى ما يصدر عنه من العلوم الارادية والأفعال الاختيارية التى تميزه عما عداه وترسم حده التام بين ثنايا الخلود التى لا يتناكر فيها الأشخاص ولا يطغى فيها بعض الأناسى على البعض الآخر ، لا مناص من اعتبار الروية أعلى سببا من الأسباب المكونة لمراتب السعادات كلها . فان لهذه السعادة مراتب كثيرة متفاوتة بحسب الروية والمروى فيه وهو الانسان . من أجل ذلك قالوا أفضل الروية ما كان فى أفضل مروى ، ثم ينزل رتبة فرتبة الى أن ينتهى الى النظر فى الأمور الممكنة التى تقع تحت سلطان العالم الحسى ، فيكون الناظر فى تلك الأشياء قد مارس رويته وأعمل قريحته ، فحصل على الصورة الخاصة التى بها أمسى سعيدا مستأهلا للملك الأبدى والنعيم السرمدى . وقد تواضع علماء الأخلاق على أن هناك أجناسا من السعادات والشقاوات . وأن الخيرات والشرور فى الأفعال الارادية هى إما باختيار الأفضل والعمل به ، وإما باختيار الأدون والميل اليه .

على أن هذا المجتمع لا يثمر ثمرته المرجوة له إلا بتضافر الأيدى العاملة فى بنائه . فما من لبنة فى أساسه إلا وهى محتاجة الى يد تحكمها بتدبير وتحيطها بحزم وتنميها بروية ، فلا يتم بناؤه إلا باجتماع الأيدى وتضافر القوى . من أجل ذلك أوصت الشرائع الناس بالتحاب والتراحم والتواصل لتبقى له حياته وتدوم عليه نعمة الوجود الذى يجنى الناس من ورائه أطيب الثمرات وأبرك الفوائد ؟

عباس لم

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد

ظهر الجزء الثالث من هـذا الـكتاب ومعه كتاب بلوغ الامانى من أسرار الفتح الربانى لحضرة الأستاذ الشيخ احمد عبد الرحمن البنا . وهو يظهر على شكل كراسات شهرية . وقد تم طبع ثلاثة أجزاء منـه يقع الجزء فى نحو ٣٢٠ صفحة فى القطع الـكبير . وقد نقل الأستاذ مكتبه الى عطفة الرسام رقم ٧ بالقاهرة .

الاسلام فى الحبشة

كتاب جليل القيمة فى تاريخ الاسلام فى الحبشة الفه حضرة الاخصائى الجليل فى الآثار العربية الاستاذ يوسف افندى احمد مفتش تلك الآثار سابقا ومدرس الخط الـكوفى الآن فى مدرسة تحسين الخطوط الملكية بالقاهرة .

هذا الـكتاب يعتبر أطروفة فى التاريخ الاسلامى لم يفرد موضوعه بالتأليف الى اليوم . فنشكر لحضرة مؤلفه هذه الخدمة العلمية ، تولى الله مكافأته عليها .

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

تيسير المنفعة

بكتابى : مفتاح كنوز السنة ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى

لا يزال حضرة الألمعى الفاضل الأستاذ محمد افندى فؤاد عبد الباقى دائبا على تكميل عمله الجليل فى ترجمة فهرستات المستشرق فنسنك التى وضعها لأربعة عشر كتابا من كتب الحديث . فبعد أن ترجم تلك الفهرستات تحت اسم مفتاح كنوز السنة رأى أن يتبعها بفهرستات خاصة بكل كتاب من كتب الحديث . والذى دعاه الى ذلك أن هذه الـكتب غير معدودة الـكتب والأبواب (ماعدا صحيح البخارى) فاضطر الى تقسيم كل أصل الى كتب ثم تقسيم كل كتاب الى أبواب ، ووضع أرقاما لـكل كتاب وباب اللهم إلا فى كتاب مسلم وموطا مالك فقد قسم كل كتاب منهما الى أحاديث ووضع لـكل حديث رقما مسلسلا .

ولما كانت طبعات كل أصل من هذه الأصول تختلف فى عدد الـكتب والأبواب صار هذا الأمر لا يمكن تداركه إلا بنشر فهارس لـكل أصل تـكون أرقام كتبها وأبوابها وأحاديثها مطابقة لأرقام كتب وأبواب وأحاديث النسخ الأصلية التى قسمها وعدها واضعو المعجمين المذكورين .

فنشكر لحضرته هذه الخدمة القيمة ، ونرجو الله أن يوفقه لأمثالها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مهمة الدين الاسلامى فى العالم

٢٦

دعوته الى القيام بخلافة الله فى الأرض

لا يوجد تعليم من التعاليم الإصلاحية ، ولا مذهب من المذاهب الفلسفية ، ولا نظام من النظم الاجتماعية ، رفع من شأن المجتمع الانسانى وناط به أعظم المهام العالمية ، الى المستوى الذى رفع اليه الاسلام المجتمع الاسلامى . فالاسلام بعد أن أقام مجتمعه على الأصول الأدبية الخالدة ، والمبادئ الخلقية العامة ، أصبح من المعقول أن يكل اليه ما يتناسب وهذه الأصول والمبادئ من المهام الكريمة ، والخطط الشريفة .

ولتفصيل هذا الإجمال نقول : إن المجتمعات الانسانية كلها قامت على الحاجات المادية ، والمصالح القومية ، مجردة عن كل اعتبار أدبى ، أو أصل روحانى . ولما استطاعت تلك الجماعات بفضل تكافل أفرادها أن تأمن شر الغوائل ، من عدو مغير أو مجاعة مهلكة ، نشأت فيها بحكم الفطرة الانسانية نزعة الى ترقية آدابها ، وتهذيب أخلاقها ، ولكنها اعتبرت ذلك خاصا بآحادها . فحرمت عليهم العدوان على الأموال والأعراض والأنفس ، وحضتهم على خصال من الرفق والعطف والمعدلة ، ولكن كل جماعة قصرت كل ذلك على نفسها ولم تسره على غيرها ، فكانت تعاقب من يقتل واحدا من مواطنيه بالقتل ، ولكنها كانت تجازى من يقتل أجنبيا بالإعجاب والمدح . فالأخلاق التى كانت لدى الأمم فى أرقى عهودها كانت لا تعدو أخلاق المناسر من قطاع الطرق . وكانت الأخلاق الصحيحة التى يحملها اليها الأنبياء والمرسلون تشوه وتحرف ، أو ترفض رفضا باتا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وعلى هذه الحال نفسها كانت أرقى الأمم التى انتزعت منها الأمة الاسلامية خلافة الأرض ، قالت دائرة معارف لاروس جوابا على ما تساءلت عنه من حقيقة نظم تلك الأمم على وجه الإجمال : « كانت نظاماتها الوحشية والقسوة موضوعة فى قوالب قانونية . أما من جهة فضائلها كالشجاعة والمكر والتبصر والنظام والإخلاص المطلق للجماعة ، فهى بعينها فضائل قطاع الطرق واللصوص . أما وطنيتها فكانت مكتسية لباس الوحشية . فكان لا يرى فيها إلا شره مفرط للمال ، وحقد على الأجنبى ، وضياع للإحساس بالشفقة الانسانية . أما العظمة والفضيلة فيها فكانت إعمال السوط والسيف فى العالم ، والحكم على أسرى الحروب بالتعذيب أو بالرق ، وعلى الأطفال والشيوخ بجر عربات النصر » انتهى .

على هذه الحال كانت الأمم المشهود لها بالرسوخ فى المدنية حتى الى العهد الذى ظهر فيه الاسلام ، أفلا يكون من مصلحة الانسانية ، وهى على وشك تطور جديد يلائم مواهبها العلوية ، أن يحيى الله أمة من وسط هذه الرمم ، ويجعل ترابط آحادها قائما على أرقى الأصول الأدبية ، لتكون مثلا تحتذيه الجماعات فى تكوين بنيتها الاجتماعية ، وأن يجملها من القوة الحيوية ، والسطوة المادية ، بحيث تظهر على الأمم كافة ، وتدفعها لإعادة النظر فى روابطها القومية ، وسيرتها الدولية ؟

نعم : لقد كان ذلك ، وظهرت من بقعة هى أبعد البقاع الأرضية عن الألفة والاجتماع أمة رابطتها الفضيلة الخالصة من الشوائب ، المطلقة من القيود ، لا تشوبها روح القوميات ، ولا فروق اللغات والجنسيات ، فهى عالمية حسا ومعنى ، لم تقم على مثل الأصول التى قامت عليها أمة من قبل ، ولا ينتظر أن تفوقها فى هذه المزايا أمة من بعد .

هذا حادث تاريخى جلل يجب أن ينوه به المسلمون فى كل ناحية يحلونها من نواحى الأرض ، فهو فضلا عن أنه يعلى من قدر الاسلام الى أرفع محل ، يضيف الى العالم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاجتماع صفحة مجيدة فى تاريخ الروابط الانسانية ، وحالة فذة من حالات قيام الجماعات ، وهى قيام أمة عالمية غير ملحوظ فى تكوينها ما كان يعتبر أسسا للاجتماع من وحدة الجنس واللغة والبيئة . فهى أمة مبادئ وأصول ومقاصد عامة ، لا أمة جنس ولا لسان ولا وطن .

هذه الأمة العالمية هى المثل الأعلى لما سيكون عليه سكان الكرة الأرضية قاطبة ، حين تسمو عقلياتهم ، ويدركون أن الأرض لله ، وأن هذه الفروق بين أهلها فى اللون واللغة والبيئة ليست فروقا طبيعية توجب بينها الخلاف والتناحر ، ولكنها فروق سطحية أوجبتها سعة الأرض ، وبعد الاتصالات ، وتباين اللهجات . فإذا بلغت الجماعات البشرية هذه الدرجة من الفهم ، حدث تعارف عام بين البشر ، وتلاه سلام لا يعكر صفوه معكر من أى نوع كان . فإن لم يصل العالم كله الى هذه الدرجة من السمو ، وصلت اليه على القليل جماعات راقية يمكنها أن تبلغ المدنية الى أرفع مكاناتها ، وتحميها شر عدوان المنابذين لها .

فهذا المثل الحى الذى ضربه الاسلام للناس ومضى فى تحقيقه الى أبعد حد ، يجب أن يدونه علم الاجتماع فى أوجه صفحاته ، ولا يكون ذلك إلا إذا أدركه المسلمون ونوهوا به ، وبينوا صحته بالأدلة القاطعة . وأى مسلم تعوزه الأدلة على هذا الأمر المقرر فى النصوص الكتابية ، والمعزز بالحوادث التاريخية ؟

ومما هو أبعد من كل ما مر أثرا فى تنزيه المجتمع الاسلامى من شوائب الرعونات البشرية ، أن الله طبعه بطابع إلهى ، فجعل مهمته القيام على خلافته فى الأرض . وهذه تقتضى التخلق بأخلاق الله فى معاملة عباده ، والسير على سنته فى العناية بمخلوقاته . وهى مهمة خطيرة ذات تبعات كبيرة ، فيقول تعالى : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم (أى ليختبركم به) إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومما يدل دلالة قاطعة على أن الله تعالى ندب هذه الأمة لخلافة إلهية عالمية ، أنه ناط بها مهمة الهيمنة على الناس كافة ، فقال تعالى : « وكذلك جعلنا كم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكونَ الرسول عليكم شهيدا » .

فالأمة الاسلامية أمة منتدَبة من الحق لخلافة الله فى الأرض ، وليس فى هذا الأمر ما يجرح كبرياء أمة من الامم ، ولا ما يحط من عزتها وكرامتها ، لأن واضع هذا الانتداب سبحانه ، لم يجعله ميزة لشعب من الشعوب ، ولا وقفا على جنس من الأجناس ، ولم يشترط له بيئة من البيئات ، ولكنه جعله للجماعة التى تدين بشرائطه المقررة ، وأصوله المبينة من أى جنس كان آحادها ، وفى أى بقعة من الأرض تأسست دولتها : « وإن تتولّوْا يستبدلْ قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

ولم يجعل الله تلك الأصول والمبادئ مناسبة لأمة دون أمة ، أومسايرة لعادات قوم دون آخرين ، ولكنه فرضها أصولا أولية خالدة ، ومبادئ أساسية عامة ، مما تعترف كل أمة بأنها أرقى الأصول وأقوم المبادئ ، لا تصلح لزمان دون زمان ، ولا تلائم حالا دون حال . وقد درسنا كل ذلك فى مقالاتنا تحت هذا العنوان بتوسع لا مزيد عليه ، فليرجع من شاء اليه .

إن ندب مثل هذه الأمة لتمثيل الحق الخالص والقيام به ، لونظر اليه نظرا فلسفيا لوجد طبيعيا من كل وجه ، فإن الحقائق العلمية ، والفتوح العقلية ، لا تفتأ تجمع قلوب الأيقاظ من الناس حولها فى كل بيئة من بيئات الأرض ، وتؤلف منهم أمة شائعة فى جميع الأمم ، بحيث لواجتمعوا فى صعيد واحد لكوّنوا أمة مختارة تدين للحق وتعبده ، وتتعطش الى المزيد من نوره ، وتعمل على إقامة دولته فى الأرض .

والاسلام فى حقيقته ، كما قررناه مرارا ، خروج من جميع التقاليد ، وتجرد من كل النسب والملابسات ، ومواجهةٌ للحق بالقلب خالصا من جميع الصور الذهنية ، لتنطبع فيه الحقائق الإلهية فى إطلاقاتها الذاتية ، وليصبح مستعدا لسواها مما يفتح به عليه

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فى أدوار جهاده فى سبيلها ، فهو والعلم يستهدفان غرضا واحدا هو النور الذى يعشو اليه كبار النفوس من كل أمة فى كل زمان وفى كل بيئة .

وعليه فجميع هؤلاء الرجال الشائعين فى جميع الأمم يدينون بالاسلام بغير علم منهم ، فهم على حد قول الفيلسوف الألمانى العبقرى الكبير جوت (Goethe) وقد اطلع على أصول الاسلام : « لو كان الاسلام هو هذا فنحن إذاً فيه » .

فإذا قام المسلمون بدعوة الى دينهم مؤسسة على التنويه بهذه الأصول الأولية فى الاسلام فانها تؤثر فى العقول والقلوب بوصفين: أولهما بوصف أنه دين ،وثانيهما بوصف أنه إصلاح عالمى عام . فالاسلام كدين لايحتاج الى أكثر من أن يعرّف التعريف الجدير به ، وهو لقيامه على الفطرة الانسانية واستناده الى العقل والعلم ، يحل من الأفئدة محل الحقائق الأولية ، فلا يكاد يجد مقاومة إلا من أسرى الأوهام الذين لا يبالون بأحكام العقل ومقررات العلم . والاسلام كإصلاح اجتماعى ، نظام بلغ أقصى درجات السمو ، بل هو أرفع مثل أعلى يتط به نظام الاجتماع ، وتتعطش اليه كل نفس نقية من شوائب الحيوانية . فمَن من الناس من لا يحب أن تعلو كلمة الله فى الأرض ، وأن يسود الحق فيه سيادة يسقط معها كل باطل ، ويضمحل كل زور ، وتزول جميع الفروق بين الناس ؟

فلنعمل مجتمعين على بيان هذه الحقائق بكل وسيلة يصل اليها إمكاننا ، وقد وعد الله تعالى ببيانها فقال : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ؟ » .

* * *

هذه خاتمة المقالات التى نشرناها تحت عنوان (مهمة الدين الاسلامى فى العالم) . فنرجو الله أن يوفقنا لبحث إسلامى جديد فى ناحية من نواحى هذا الدين القويم ، والله يهدينا الى سواء الصراط م

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة الرعد

— ٩ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ، وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) .

لقد طالعت من أول السورة هذه الآيات البينة ، بل الكواكب الساطعة والأنوار اللامعة ، وتجلت لك الحجج البالغة والبراهين الدامغة ، فلم يبق إلا أن تكون هناك عيون تبصر وقلوب تعقل ، فهل يستوى من أبصر الهدى والرشاد ، ومن عميت بصيرته فلم ير ما أمامه وسار يتخبط فى ظلمات الجهالة ؟ هل يستوى من اهتدى فغنم وسلم ، ومن ضل فضاعت عليه الفوائد التى عرضت عليه ، وكان جناها دانى القطوف بين يديه ؟ هل يستوى من سار السير السوى وسلك الطريق الرضى فوصل الى السعادة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ورزق الحسنى وزيادة ، ومن تنكب الصراط المستقيم وسار بجدٌّ وهو كلما جدّ فى سيره ابتعد عن قصده ، وربما خبط فى سيره فأتلف على نفسه ما قد كان سليما له ؟ حقا إنه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . وليس الذى يعلم أن ما أنزله الرب الكريم الرحمن الرحيم هو الهدى والرحمة المهداة فأخذه شاكرا ، كذلك الأعمى الذى يضع يده على ما يظنه مطلبه وإذا هو يقبض على آفة مهلكة ، ويشتط فى السير وإذا هو يتردى فى بئر . ولا يتذكر وينتفع بالذكرى إلا أولو الألباب والعقول الصافية الخالصة ، كما قال تعالى : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » . وعسى أن لا تغفل عن حسن موقع الفاء فى قوله « أفمن يعلم » فإن معناها أبعد ما سمعت من تلك الآيات البينة والأمثال الحكيمة ، وبعد أن تجلى الأمر ووضح الصبح لذى عينين يتوهم استواء الأعمى والبصير ؟

قال تعالى : « الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » الآيات :

هذه الآيات والتى بعدها فى قوله تعالى : « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » تفصيل وتصريح بما تضمنه هذا المثل الجليل المذكور فى قوله عز من قائل : « أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق » الخ ، فالجملتان مستقلتان بالفائدة كل فى بابها ، ولكنهما بسبب متين من ذلك المثل السابق ، حتى ظن بعض المفسرين أن قوله : « الذين يوفون » الخ بدل من قوله « أولو الألباب » أو من قوله « أفمن يعلم أن ما أنزل » الخ . وهذا من شدة الارتباط بين المثل على إجماله ، وبين ما سيق لشرحه وتفصيله ، وإنما هما جملتان كما سمعت ، أولاهما فيها مبتدأ موصوف بتسع صفات بينة ، وخبره هو قوله : « أولئك لهم عقبى الدار » ، وثانيتهما مبتدؤها قوله : « والذين ينقضون عهد الله » الخ ، وخبره قوله : « أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » . ولكن الآية الشريفة فى القرآن الكريم تراها من قوة الارتباط كأنها كلام واحد وجملة واحدة ، فتتنقل فى فوائدها المتنوعة المتكررة ، وكأنك لا تزال فى الكلام الأول . وهذا من أقوى الميزات التى امتاز بها القرآن الكريم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قلنا إن النوع الأول قد جاء موصوفا بتسع صفات جليلة ، ونحن نجلوها لك مفصلة :

الأولى قوله تعالى : «يوفون بعهد الله» وقد نقل فى تفسيرها قولان : (الأول) عن ابن عباس أن المراد بعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته ، وهو ما أشير اليه فى قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى » . و (الثانى) أن المراد بالعهد ما أقام الله الحجة العقلية أو السمعية على صحته فى المعتقدات ، وعلى طلبه فى الأعمال حتى صار كأنه عهد بين الله و بين عباده . ويقرب من هذا أن المراد بالعهد الشرائع التى أمر الله بها عباده ، فقد أقام عليها حجته ، وقررها بآياته على ألسنة رسله عليهم السلام . ولقد يلوح لى أن القولين مرجعهما واحد ولا خلاف بينهما ، فلقد سبق فى هذه المجلة أن بينا أن ما أشهد الله بنى آدم عليه واعترفوا به فى قوله : « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » هو ما ركبه فى فطرهم من إدراك ما هم عليه من حاجة الى تعهد القدرة الإلهية لهم بالإيجاد والتربية والتكميل ، وما أودعه فيهم من الشعور بأنهم لا قيام لهم إلا بإرادة الحى القيوم ، ولا كمال لهم إلا أن يؤتيهم الله الكمال من واسع رحمته ، وأن كل شىء فيهم شاهد بأن ربهم الله ، ولا متصرف فيهم وفى هذا العالم أجمع إلا هو وحده لا شريك له ، فتكون شهادة حال على ما بينّا ذلك مفصلا فى موضعه ، فليطلبه من أراد الاستيفاء والاستقصاء فى هذه النقطة الدقيقة من موضعه فى الجزء الأول من هذه السنة .

والقول الثانى ، وهو كما قلنا راجع الى هذا القول ، أن المراد بعهد الله ما أقام الله تعالى الحجة القاطعة على صحته أو على لزومه ووجوبه ، وذلك يشمل جميع التكاليف . وكأن التعبير عنها بأنها عهد الله إشارة الى أنه لما كان من شأن العبد الخاضع لربه أن يعترف بما قرر حقيته ، ويمتثل ما أوجبه وفرضه ، وأنه لا مندوحة له أن يكون مطيعا لخالقه ، ومن رحمة الله بعبيده أن يتعهده بالهداية والإرشاد ، كان ما يقوم عليه البرهان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

القاطع والحجة البينة بمثابة عهد ارتضاه الطرفان وأقراه بينهما ، ويكون القيام به امتثالا وانتهاء واعترافا ، وفاء بذلك العهد الذى ينبغى أن يكون مستقرا لا محالة بين العبد وربه .

هذا ولا شك معنى عام شامل لكل فروع الشريعة وأصولها ، فما من باب من أبواب الشرع ولا فضيلة فى الخلق ولا عدالة فى المعاملة ولا مجاملة فى المعاشرة إلا وهو داخل فى عهد الله ، والقيام به من باب الوفاء بعهد الله . وإنك لتجد فى إضافة العهد الى الله من تربية الداعية للامتثال والحفز على الوفاء ما هو غنى عن البيان ، فهو عهد إن لم يكف فيه أنه عهد فيكفيه أنه عهد الله . ولفظ الجلالة متضمن لكل صفات العظمة والجلال ، فهو يجمع الصفات المتجلية فى أسمائه الحسنى عز وجل ، وأيضا فإنه لا يسمى الشخص موفيا بعهد الله إلا إذا قام بكل ما كلفه به الله ، فإن من حلف على أشياء لا يخرج عن الحنث ولا يسمى بارا فى يمينه إلا إذا أتى بها جميعها ، فالإخلال بشىء واحد منها يسمى نكثا لليمين وحنثا فيه ونقضا للعهد .

الثانية من الصفات التسع ما ذكر فى قوله تعالى : « ولا ينقضون الميثاق » وهو وإن كان قريبا من الوصف الأول وهو الوفاء بعهد الله إلا أن بينهما شيئا من الفرق ، فالأول ظاهر فيما أمر الله به ابتداء ، والثانى يتبادر منه ما أكده المرء بميثاق أعطاه على نفسه ، سواء أكان فيما بينه وبين ربه كالأيمان والنذور ، أو بينه وبين الخلائق كأنواع العقود والمعاهدات . وأيضا فإن قوله : « ولا ينقضون الميثاق » فيه تأكيد لاستمرار وفاء العهد المستفاد من صيغة الجملة الفعلية التى للاستقبال ، فقد قرر علماء البلاغة أنها تشعر بالاستمرار ، ولكن التصريح بأنهم لا ينقضون الميثاق أوفى بالدلالة على ذلك .

ولقد جاء الحث على وفاء العهد والتنفير من نقض المواثيق فى غير ما آية وحديث ، قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقال تعالى : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » وقال تعالى : « وإما تخافنّ من قوم خيانة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فانبذ إليهم على سواء » أى فآذنهم بأن ما بينك وبينهم من عهد قد نبذ بسبب ما بدر منهم، ولا تأخذهم غيلة وعلى غرة . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » وروى عنه صلى الله عليه وسلم قوله : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى عهدا ثم غدر، ورجل استأجر أجيرا استوفى عمله وظلمه أجره ، ورجل باع حرا فاسترقّ الحر وأكل ثمنه » .

وتكاد تجمع العقول والشرائع على استنكار الغدر مهما كانت دواعيه وفوائده ، روى أن ملكا أعياه خارج عليه فلم ير بدًّا من أن يؤمنه ليأمن شره ، فوثق به الخارج وأسلم قياده ، فغدر به ، فلما اشتفى منه وأمن على مملكته خاطب بعض خواصه مبتهجا فقال : كيف رأيت ، لقد استرحنا من هذا الخارج ! فأجابه بأن ما خسره الملك أضعاف ما ربحه بالراحة منه ، فقد أضعت الثقة بعهدك فلا يطمئن إليك بعدها أحد ، فكان سببا عظيما لأسفه وندامته .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الصفة الثالثة ما ذكر فى قوله تعالى : « والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل » . وهذا وصف عام يتناول أحوالا عديدة قد أمر الله بصلتها ، ففيه صلة الرحم ، وصلة القرابة ، وحسن الجوار ، وإكرام الجار ، ومراعاة حقوق أخوّة الإيمان المذكورة فى قوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » وفيه صلة الأغنياء للفقراء بالإحسان اليهم ، والعطف على الأيتام والحنو عليهم ، وفيه التواد بين الناس ، وفيه وهو من أعظمها صلة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمناصرة والمؤازرة ونصرة دينه ، ومحبته حتى يكون أحب اليه من أهله وولده والناس أجمعين ، بل أحب اليه من نفسه ، وفيه وهو أعمها صلة الإيمان بالعمل والإحسان . فإذا قيل فى تفسير الآية بواحد من هذه المذكورات فالآية متسعة لجميعها ، ولا وجه لتضييق الفائدة مع اتساع الآية للجميع ، فيدخل فيه الحقوق الواجبة الرعاية بين العباد ، بل حتى الرفق بالحيوان وما ماثل ذلك .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولقد يقال : أليس هذا داخلا فى الوفاء بعهد الله وعدم نقض الميثاق ، لا سيما إذا فسر العهد بالشرائع التى أمر الله بها ؟ أليس هـذا وما بعده داخلا فيما أمر الله به فى شرائعه ؟ وجوابه أن هذا تقرير وتنصيص على أهم الأمور التى قد يغفل عنها بعض المكلفين مع أهمية شأنها ، ومقام الإرشاد وتربية النفوس لا يكفى فيه عام عن خاص ولا مجمل عن مفصل ، فذكر هـذه الصفة وما بعـدها للإشادة بها ، وتربية النفوس على الأخذ بها والتزامها .

الرابعة والخامسة ما فى قوله تعالى : « ويخشون ربهم، ويخافون سوء الحساب » . والمعنى فيهما أن هـذه الصفات السابقة على جلالتها إنما تـكون موجبة لرضاء الحق واستحقاق المثوبة ودخول صاحبها فى أولى الألباب المتذكرين الذين علموا أن ما أنزل اليك من ربك الحق ، إذا كان الباعث لهم على الإتيان بها خشية ربهم وخـوفهم من حسابه يوم يقوم الناس لرب العالمين . والخشية والخوف متقاربان فى المعنى وإن فرق بعضهم بينهما ببعض الفروق ، مثل أن الخشية خوف يصحبه تعظيم وإجلال للمخشى وإن كان الخاشى أيضا عظيما ، والخوف يرجع الى ضعف الخائف وإن كان المخوف منه أمرا يسيرا ، ومثل أن الخشية ترجع الى من يصدر عنه الأمر الضار المؤلم ، والخوف يتعلق بنفس ذلك الأمر المؤلم أو بمصدره ، تقول : خفت الأسد وخفت اغتياله ، وتقول: خشيت الأسد، ولا يقال خشيت اغتياله إلا على وجه التوسع ، غير أن الاستعمال الفصيح قد جاء فيه الوجهان ، فقد قال تعالى :«ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق» إلا أن إشعار الخشية باستعظام المخشى منه ، والخوف باستصغار الخائف أمر نفسه ، يكاد يكون واضحا فى أغلب الاستعمالات . وقد عرفت أن المراد بهذين الوصفين لفت النظر الى أن محـل الاعتداد شرعا بمـا ذكر من الصفات إنمـا هو حينما يـكون الباعث عليهـا امتثال أمر الله .

الصفة السادسة ما فى قوله تعـالى : « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم » . والصبر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ملاك العبادات ، بل مجمع الفضائل كلها . وقد ورد فيه « الصبر نصف الإيمان » . وقد ذكر فى القرآن الكريم نيفا وسبعين مرة . ولقد قيد بقوله « ابتغاء وجه ربهم » لأن الصبر كثيرا ما يدعو اليه دواع هى من حظوظ النفس ، كالصبر تجلدا ، والصبر حبا للمحمدة ، والصبر اتقاء شماتة الأعداء ، والصبر لعلمه أن الجزع لا يعيد عليه فائتا ، وليس شىء من هذا بالصبر المحمود فى نظر الشرع ، وإنما الصبر الذى أثنى الله عليه وحث عليه ودعا اليه هو الصبر ابتغاء وجه الله أى طلبا لمرضاته ، ويقع هذا على وجوه : أحدها أن يصبر على البلاء لأنه قسمة من الحكيم العلام يجب الخضوع لها والإذعان رضا بحكم قاسمها . وثانيها أن يصبر على ما يكرهه لعلمه أنه من تصرفات الحكيم العليم الذى لا يفعل إلا عن حكمة ، وكل ما صدر منه فهو خير وجميل فى ذاته وموافق للمصلحة العامة والنظام العالمى ، فيكون جمالا مرضيا محبوبا . وثالثها أن يصبر لأن الله أمره بالصبر ، فهو يرجو ثواب الله بامتثال أمره . ورابعها ، ولعله أعلاها ، أن يصبر عن رضا بل عن حب لمن اختصه بهذه التصرفات ، فهو يرى فيها تذكيرا بالعظمة الإلهية ، فينتقل نظره من البلية الى المبتلى بها فيستغرق فى شهوده ويتلذذ بتذكره ، على نسق ما يقول المحب لحبيبه : هذه هى الكلمة التى يلذ لها سمعى وإن ضُمِّنت شتمى . ولعل هذا المقام الأخير يستشعر به من قوله تعالى : « ابتغاء وجه ربهم » فكأنهم رأوا فيما أصابهم ما يجعلهم يحصرون كل تفكيرهم فى تذكر جلال ربهم حتى كأنهم يشاهدونه ، فهم يبتغون بالصبر شهود وجه ربهم ، وهذا مقام ذوقى من ذاقه عرفه . نسأله تعالى أن يجعلنا من أهل معرفته .

ويحسن أن ننبهك لما فى اختيار صيغة الماضى فى قوله « صبروا » من الإشارة الى أن فضيلة الصبر ينبغى أن تكون حاصلة مستقرة ثابتة لا تزول ولا تتزلزل ، وأما الأعمال التى سبقت فعبر عنها بصيغة المضارع لأنها تتجدد حينا بعد حين لكل مناسبة كالوفاء بالعهد ، ووصل ما أمر الله به أن يوصل .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الصفة السابعة والثامنة ما فى قوله تعالى : « وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية » وإن أكثر ما تذكر الصلاة بلفظ إقام ، للإشارة الى أن المطلوب فى الصلاة استيفاء أركانها وإقامة أعمالها حتى تكون كالبناء المتماسك القائم على أحسن حال وأجمل هيئة . وحسبك فى هذا ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى أساء صلاته : « صلّ فإنك لم تصل » فقد جعل العمل الذى لم يستوف ما طلب منه هدرا ملغيا كأنه لم يكن . وكذلك أكثر ما تذكر الصلاة مقترنة بالزكاة . وهذا ما جاء هنا فى قوله : « وأنفقوا مما رزقناهم » وفى التعبير بقوله : « مما رزقناهم » تربية لداعية الإنفاق ، فكأنه يقول لهم : إن ما دعوناكم للإنفاق منه هو رزق أغدقناه عليكم فلا عذر لكم فى مخالفة أمرنا والشح به على عبادنا .

وقوله : « سرا وعلانية » لبيان أن الإنفاق على كل حال حسن جميل ، وقد يطلب كل منهما فى مقامه اللائق به ، فربما كان الإنفاق فى السر أفضل حينما يخشى الرياء أو يكون المنفق عليه يستحيي ويتأذى من إعلان إعطائه ، وقد يكون الإنفاق علنا أفضل كما إذا ظن أن عمله سيكون قدوة حسنة لغيره . ومنهم من حمل الإنفاق سرا على الصدقة النافلة ، والإنفاق علنا على الزكاة المفروضة ، وهو وجيه أيضا . وقد جاء فى حديث « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله » : « ورجل أنفق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

الصفة التاسعة فى قوله تعالى : « ويدرءون بالحسنةِ السيئةَ ». ومعنى يدرءون يدفعون ، وذلك أيضا يجيء على وجوه ، فمنها أن يقابل الشر بالخير كما جاء فى قوله صلى الله عليه وسلم : « ليس الإحسان أن تحسن لمن أحسن اليك وإنما الإحسان أن تحسن الى من أساء اليك » . ومنها أن ينهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة . ومنها أن يستل بغض المبغض بالمعروف حتى يصيّره خيّرا بعد أن كان شريرا . ومنها أنه إذا بدرت منه سيئة أتبعها بالحسنة حتى يغفرها الله له « إن الحسنات يذهبن السيئات » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذه هى الصفات التى وصف الله بها عباده المتقين بعد أن وصفهم بأنهم أولو الألباب الحقيقون بأن يتذكروا وتنفعهم الذكرى، والجديرون بأنهم علموا أن ما أنزل الى النبى صلى الله عليه وسلم من ربه هو الحق. وقد أخبر عنهم بعد ما ساق صفاتهم الجليلة ونعوتهم الجميلة بأن لهم عقبى الدار. وإعادة ذكرهم بقوله «أولئك» كأنه ليشير اليهم حتى يراهم العقل شاخصين بصفاتهم السابقة، فيفيض عليهم هذا الجزاء الأوفى من أجل تلك الصفات التى جلاهم بها.

ومعنى عقبى الدار: العاقبة الجميلة لهذه الدار التى لا تخلو من الأكدار، فهى عاقبة خالية من أكدار هذه الحياة، وهى عاقبة خالدة مستقرة، فهى الحياة الحقيقية، وأما هذه الحياة فهى متاع زائل، وإن الدار الآخرة لهى الحيوان. فهذه الكلمة على حد قول الناس فى مخاطباتهم: فلان هو الفائز فى النهاية، هو الذى كسب آخرا، وأمثال ذلك، ولله المثل الأعلى.

وأردفها بقوله تعالى: جنات عدن، وهى منزلة وسط الجنة، أو جنات عدن بمعنى الإقامة والاستقرار، من عدن بالمكان أقام به واستقر فيه، ومنه المعدن لمستقر الجواهر والنفائس.

قال تعالى: «يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم» وهاهنا يتبادر أن تقوى الآباء تفيد أبناءهم وأزواجهم وذراريهم إذا كانوا صالحين أى مؤمنين وإن قصروا عن أعمال آبائهم بعض التقصير، فيصح أن يكرم الله عباده الأتقياء الصالحين برفع درجات ذريتهم وأزواجهم الى منازلهم وإن قصروا عنهم، حتى يكون للتكريم وجه، فإنه إذا كان الذرارى لا ينالون تلك المنزلة وهى جنات عدن إلا إذا عملوا لها العمل الكامل، فمن أين يكون تكريم آبائهم بتكريمهم؟ فهم حينئذ يكونون قد أكرموا لأنهم استحقوا ذلك بأنفسهم. نعم قيد الصلاح أى الإيمان لا بد منه، لقوله تعالى: «... صلح» ولا يمنع هذا قوله تعالى: «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى...

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المنزلة التى نالها أولئك المؤمنون المقصرون ، نالوها بفضل من الله لا باستحقاق ، وفضل الكريم واسع ، وإن كان لا ينبغى الاعتماد على هذا والاستخفاف بالتكاليف ، فانه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

وقوله تعالى : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب » إشارة الى التكريم والتحية التى يمنحهم الله إياها ، حتى يفوزوا بالنعيم والتكريم . وقوله : « من كل باب » يحتمل أن يكون إشارة الى سعة ما أعدّ لهم حتى صار له أبواب عدة يتوافد عليهم منها الملائكة للتحية . ويحتمل أن تكون الأبواب إشارة الى تعدد أبواب البر والخير والتقوى التى قاموا بها فى دنياهم فاستحقوا بسببها تحية الملائكة وتوافدهم عليهم .

وقوله : « سلام عليكم بما صبرتم » أى يحيونهم بهذه المقالة ، وكان اختيار السلام لأنه بمعنى الأمان من كل ما يخاف . فكأنه يقال لهم : قد أصبحتم بمأمن من كل المخاوف ، فلا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون .

وقوله : « بما صبرتم » إنما خص الصبر بالذكر لما قدمناه لك من أن الصبر عماد التكاليف كلها وقطب دائرتها ، فما من تكليف إلا ومرجعه الى الصبر على عمل شاق ، أو الصبر عن مشتهى تميل اليه النفس . « فنعم عقبى الدار » ثناء أجل ثناء على ما فازوا به بما صبروا .

نسأل الله تعالى أن يحشرنا فى زمرتهم ، وأن يحققنا بصفاتهم ، إنه سميع الدعاء مجيب النداء محقق الرجاء . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى ، وعلى آله وصحبه وسلم ؟

ابراهيم الجبالى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رؤية الهلال

عند الغروب وبعد الفجر

— ٢ —

ذكرنا فى مقالنا السابق أن الاسلام يسر سمح يأخذ بالظواهر ولا يكلف الناس شططا ، وغايته التى يرمى اليها من قرب أو بعد هى إصلاح القلوب وغرس مراقبة الله فيها ، وأبغض الأشياء اليه هو الفرقة والانقسام ، ولذلك وسع الناس جميعا على اختلاف أنظارهم وتباين آرائهم وتنوع اجتهادهم ، علما منه بأن الله لم يخلق الناس على استعداد واحد . بل بينهم من التفاوت فى الاستعداد والتخالف فى التكوين والتباين فى الدرجات والاختلاف فى الآراء والأنظار ما لا يعلمه إلا الله تعالى . ونصحنا فيها المفطرين الذين عملوا بحكم القاضى الذى شهد أمامه شهود المساء برؤية هلال شوال ، وللصائمين الذين يقولون إنهم رأوا الهلال صباحا واعتقدوا أن اليوم من رمضان .

نصحنا لهم جميعا ألا يتنازعوا فيفشلوا وتذهب ريحهم ، وقلنا إن كلا يعمل على اعتقاده وما أداه اليه اجتهاده . ونصحنا للقاضى أن يتحرى ويحتاط ، فإن عليه تبعة كبرى إذا تهاون فى ذلك ، وعلى القضاة أن يعرفوا أحوال الناس ، وأن يكون لهم فراسة صادقة ، وبصيرة نافذة ، بحيث لا يخفى عليهم أحوال المجتمع الذى هم فيه . فليدققوا فى أمر الشهود ، وليعلموا أن الأمر جلل والخطب كبير والناقد بصير .

وقد أذكرنى ذلك قول بعض المفسرين فى قوله تعالى : « ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتّبع الهوى » : إنما نهاه الله عن اتباع الهوى بعد أن أمره أن يحكم بالحق لأن الحكم بالحق لا يخرجه عن المسئولية إلا إذا حكم بالحق لأجل كونه حقا ، فإذا حكم به لأجل كونه موافقا لهواه لا لكونه حقا ، لم يكن من قضاة الحق بل من قضاة الهوى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولنذكر لك بعد ذلك الخلاصة التى يجب التعويل عليها فى رأينا ثم نعقبها بكلام بعض العلماء ، فنقول :

خلاصة الرأى الذى نرتئيه أنه لا يمكننى بحال من الأحوال أن أقول إنه يصح للانسان أن يقدم على أمر وهو يعتقد حرمته ، أو أن يخالفه وهو يعتقد وجوبه ؛ ولا أن أقول إن الدين يخالف حقيقة علمية قررها العلم وقام عليها البرهان ؛ ولا يصح أن نعرض الدين لهزء الهازئين وسخرية الساخرين فى عصر لا داعى للإطناب فى شرحه وبيان ما فيه .

ولا نزال نكرر أن الله لم يكلفنا بالواقع « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .
وقد قرروا أن المجتهد يجب اتباع ظنه ، ولا تجوز مخالفته . وذكر الفقهاء أن من رأى طيرا فحلف بالطلاق أنه غراب مثلا ، فنظر اليه آخر فحلف بالطلاق أنه حدأة ، ثم لم يتبين أمر ذلك الطائر ، لم يحكم بوقوع الطلاق على واحد منهما ، حيث لم يحلف إلا عن اعتقاد لم يتبين خلافه .

ولو سافر اثنان واشتبهت عليهما جهة القبلة وتخالفا فى أمرها لوجب على كل الأخذ بما أدى اليه اجتهاده ورأيه وتحريه ، ولا يجوز لأحدهما أن ينكر على صاحبه . فإن هذا هو الواجب فى حق كل منهما ، ولا لوم على من فعل ما وجب عليه . فإن مبنى الدين على إظهار العبودية والامتثال لأوامر الربوبية . وماذا نريد من التسامح بعد ما قال كثير من العلماء : إن الحق يتعدد ؟ فإن الواجب فى حق كل مجتهد ما أداه اليه اجتهاده .

وسره ما بيناه فى التمهيد من أن الله يعلم ضعف البشر ، فلم يكلفهم بإصابة الواقع ، وإنما كلفهم أن يحترموا أوامره ويجتنبوا نواهيه ، ولا يخرجوا عليه ولا على رسوله فيما يعتقدون .

أما من كان بعيدا عن تلك المباحث ، ولم يقع فى نفسه صدق إحدى الفرقتين وكذب الأخرى من أولئك الرائين ، فعليه أن يتبع حكم الحاكم ، ويكون مع السواد الأعظم .

(٣)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا يفوتنا أن نقول :

إن الشافعية يرون أن الحاسب يعمل بمقتضى حسابه فى حق نفسه . وكذلك من قلده مصدقا له فى حسابه معتقدا أنه الواقع . ولقد أرى أن التقليد فى مثل هذا إذا أمكن أن يرفع به الخلاف ويحصل به الوفاق أولى من الفرقة والانقسام والتنابز بالألقاب .

ولا أزال أكرر أن الله لا يبغض شيئا مثل الشقاق والانقسام ، ولا يحب شيئا مثل الألفة والوئام ، وقد كانت وجوه الخلاف على عهد السلف الصالح لا تكاد تحصر ، ولم يكن بينهم تباغض ولا تشاتم ، فكانوا ورثة الأنبياء حقا يحب بعضهم بعضا ويثنى بعضهم على بعض .

وقد طلب المنصور من الامام مالك أن يحمل الناس على الموطأ فأبى ، علما منه رضى الله عنه أن الأمر فى الفروع هين ، وأن الظن فيه كاف ، وأن المخطئ فيه مأجور ، وأنه يجوز أن يكون الصواب مع غيره لا معه . وهذا هو شأن أئمة الهدى ، العارفين بأنفسهم وضعفها ، العالمين بسماحة الشريعة وسعتها .

هذا ما أملاه علىّ وارد الوقت بدون مراجعة ولا تعمق . ولا أزال أكرر أنى أحب من القضاة أن يتحروا غاية التحرى ، فإننا فى زمان كثر فيه الزور وطم فيه الفجور .

وبعد كتابة ما تقدم رأيت فى المسألة نصا صريحا لابن عابدين الحنفى فى حاشيته على الدر المختار ، وكذلك لمولانا الشيخ محمد عليش فى فتاويه ، فرأيت من النصيحة للدين أن أنقل ذلك للقراء وإن خالف ما تقدم لنا . واليك ما قال ابن عابدين :

« أما إذا رئى يوم التاسع والعشرين قبل الشمس ثم رئى ليلة الثلاثين بعد الغروب وشهدت بينة شرعية بذلك ، فإن الحاكم يحكم برؤيته ليلا كما هو نص الحديث ، ولا يلتفت الى قول المنجمين إنه لا تمكن رؤيته صباحا ثم مساء فى يوم واحد . وكذا لو ثبتت رؤيته ليلا ثم زعم زاعم أنه رآه صبيحتها فإن القاضى لا يلتفت الى كلامه » .

وفى فتاوى مولانا الشيخ محمد عليش ما يتفق هو وما ذكره العلامة ابن عابدين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى النتيجة وطرح كلام المنجمين . (وبعض العلماء يحتج بقوله عليه السلام : « نحن أمة أمية » الخ . ويمكننا أن نجعل الحديث حجة لنا ، فإنه يشير الى أننا إذا أصبحنا غير أميين تغير الحكم ووجب أن نعمل بما يقتضيه العلم) .

ولكنى بعد هذا كله مصمم على ما قلته أولاً من أن الدين الاسلامى لا يخالف حقيقة علمية متفقا عليها متى تبينت ، فليكن البحث والتحرى عن تلك المقررات التى أجمعوا عليها مدى العصور والدهور .

ومسألتنا مسألة محسوسات ومشاهدات لا مسألة تنجيم وتخمين . فإن ادعى مدع أن المشاهدات على غير هذا فعليه البيان . والدين الاسلامى لا يناقض الحقائق على كل حال متى تبينت . وهؤلاء العلماء مع إجلالى البالغ لهم ، أقول إنهم ليسو إخصائيين فى علم النجوم . وقد قال تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » . مع ملاحظة ما تقدم لنا من أن هناك أمورا ظنية أو تخمينية لا يجوز الأخذ بها ولا التعويل عليها ، وأمورا قطعية لا شك فيها لا يجوز إهمالها ولا العدول عنها . (وعدم رؤية الهلال فى الصباح والمساء آخر الشهر مما أجمعوا عليه) . ولا تنس ما قدمنا لك من أن كل إنسان فى الفروع يعمل بما وصل اليه بحثه وانطوى عليه اعتقاده ، فلا يصح له مثلا أن يفطر وهو يعتقد وجوب الصوم ، ولا أن يصوم وهو يعتقد وجوب الفطر . ومن لم يتكوّن له اعتقاد فعليه باتباع السواد الأعظم وما قضى به القاضى ، الى آخر ما أسلفناه .

فالدين الاسلامى يسع ذلك كله ، وليس يريد من الناس إلا أن يحترموا أوامر الله فيما يعتقدون ولا يخرجوا عليها . ولا يمكننى أن أحيد عن ذلك . وليختر كلٌّ ما شاء .

ولا أزال أكرر أنه لا بد أن نفرق بين ما هو قطعى عند علماء النجوم وما هو ظنى أو تخمينى . غير أنى أرجوهم ألا يتنازعوا ذلك التنازع الذى يكرهه الله ورسوله . والله يتولى هدانا جميعا بمنه وكرمه .

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام والطب الحديث

كلام فى المعجزات وخوارق العادات

لما كانت المعجزات بما فيها من خرق للنواميس الطبيعية والانفعالات النفسانية تدخل فى اختصاص الطبيب أكثر من غيره ، جئت ألخص هنا ما وصلتُ اليه من قواعد أساسية فى كل ما ورد فى القرآن منها :

١ — المعجزات كلها من صنع الله مباشرة ، ومعناها سنّة جديدة ، بخلاف كل ما تراه يوميا من عظة وعظمة : كالولادة ونمو الحيوان والنبات ، فانه مع إعجازه يأتى مطابقا لقواعد ونظم وضعها الله لا تتغير .

وأظهر مثل للنواميس الطبيعية حركة الشمس ، فإن ذلك مع عظمته لا يحدث صدمة لتعودنا إياه ، ولكن إن أتى الله بالشمس من المغرب بدل المشرق كان هذا معجزة بالنسبة للانسان مع أن الحركتين من صنع الله ولا فرق بينهما .

٢ — لا تحصل المعجزات إلا على أيدى الأنبياء ، وذلك لأن صدمتها إن كانت شديدة على الحاضرين فهى أشد على من يكون واسطة فيها ، ولذلك اختار الله الأنبياء واصطفاهم .

٣ — لمنع الصدمة الشديدة وقت حدوثها يهيء الله الظروف لتحملها ، ويهيء النبى نفسه لقبولها ، ويهيء الحاضرين لمشاهدتها ، فأمْر الله لسيدنا موسى بإدخال يده فى جيبه وإخراجها فتكون بيضاء ليس إلا لتهيئته للمعجزات الأخرى . وكذلك عدم استطاعة سيدنا زكريا الكلام ثلاثة أيام قبل حدوث الحمل عند امرأته .

وقد سبق الكلام على تهيئة الحاضرين والمستمعين ، وهذا هو السبب فى أن المعجزات تظهر دائما ملطفة بمقادير مختلفة ، وهذا سر ذكر قصة سيدنا زكريا قبل قصة سيدنا عيسى فى سورة مريم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٤ — ليس للعقل البشرى أن يحكم على أى المعجزات أعظم من الأخرى، ولا أن يتكلم عن الطريقة التى تحصل بها المعجزات، لأنه يتكلم عن شىء كله مجهول له ما دامت المعجزة من صنع الله، وما دام الانسان وعقله من صنع الله كذلك على مقتضى سننه، ولا يستطيع المخلوق أن يفهم السنة التى خلق عليها، وإلا لاستطاع الانسان أن يخلق نفسه بنفسه، وأن يتحكم فى خلق غيره.

وهنا يلاحظ أن كل المعجزات لا يمكن أن يصل الى صنعها الانسان مهما ارتقى، وأغلبها ينتهى الى شىء واحد وهو خلق الحياة والروح مهما ظهرت صغيرة لأول نظرة، فمثلا إبراء عيسى للأعمى يظهر لأول وهلة أنه أقل من إحياء الموتى. والحقيقة أن المقصود بالأعمى هنا هو الأعمى الذى فقد شيئا عضويا حيا لا يمكن استعاضته، ومن أمكنه استعاضة شىء مهما صغر حجمه أمكنه أن يستعيض الكل. وأما إبراء الأعمى الذى يشاهد يوميا فهذا يحدث فى الأحوال العصبية غير العضوية، وبواسطة أطباء العيون، وهو يحدث بإزالة أشياء تكون سبب العمى، ولكن لا يمكن الأطباء أن يحدثوا مثلا إبراء الأعمى بإعادة عصب للعين من جديد الخ. وكذلك صنع أرجل جديدة، فالجراح يصنع رجلا صناعية، وبواسطة العضلات الباقية يستطيع الانسان أن يمشى عليها، ولكن هذا الجراح لا يمكنه أن يصنع رجلا من لحم ودم.

وصفوة القول أنه لا يمكنه أن يصنع جزءا حيا مهما صغر حجمه، لأن الجسم مجموع ملايين من الخلايا، وصنع واحدة كصنع الكل، وهذا معنى قوله تعالى: «لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له» ولذلك ستبقى المعجزات دائما فوق قدرة الانسان. ويظهر لنا عظمها أو عدم عظمها بالنسبة لعقولنا فقط، ولكنها كلها من نوع واحد. وما كان صنعه فوق إدراكنا لا يمكننا الحكم عليه.

وقد يقول البعض إن العلوم تتقدم، وإنه لو كان بعض الاختراعات الموجودة الآن موجودا فى مدة الأنبياء لعدت معجزات. وهذا القول دليل على أن الروح الحقيقى للمعجزات لم يفهم، لأن كل الاختراعات العلمية تبنى على السنن الطبيعية، وكلها مبنية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على قواعد علمية لا تتغير ، فاذا ظهر لها استثناء فإن سببه هو قاعدة علمية أخرى يبحث العالم عنها حتى يجدها ، فإن وجدها لا تنطبق على كل الاستثناءات وجد الخوارج عن هذه الاستثناءات محكومة بسنة أخرى ، وهكذا الى ما لا نهاية . فالسنن الإلهية أو القواعد العلمية (أو قواعد الطبيعة) كما يسميها الطبيعيون ، لا حد لها ، ولا تتغير أبدا . وما لا ينطبق على القاعدة الأصلية ينطبق حتما على قاعدة أخرى وعلى قواعد لا تتغير أيضا . وكل ما يظهر مدهشا فى نتيجته من المخترعات مثل الكهرباء والتليفون والراديو وما سيظهر ، هو من الاستعانة بهذه القواعد . فالذى يتكلم فى أوربا ويسمعه آخر فى مصر بواسطة الراديو ، استطاع ذلك لأن الهواء بطبيعته يحمل الصوت بصفة أمواج الى العالم كله ، فاستعان العلماء بهذه السنة الطبيعية وسخروها لأغراضهم . ولذلك مهما عظمت النتائج فى المخترعات فإن طريق الوصول اليها سنة ثابتة ، ومثلها مثل من يحفر الأرض ويستعين بماء المطر ويحوله نهرا يجرى ، فانه لم يخلق نهرا ولكنه استعان بالقوى الطبيعية ، بعكس المعجزات فانها من طراز آخر ، وهى مهما صغرت نتائجها خلق سنة جديدة .

وقد أوضحنا ذلك فيما تقدم. ولزيادة الإيضاح أضرب مثلا قصة سيدنا ابراهيم وعدم احتراقه بالنار ، فإن العلم بتقدمه يستطيع أن يغطى الانسان بشىء غير قابل للاحتراق ويضعه فى النار فلا يحترق ، وهذا يشبه المعجزة ، ولكنه اختراع استعان صاحبه فيه بالنواميس الطبيعية . أما المعجزة فهى أن تضع الانسان كما هو جسما ولحما فى النار ، فيكون عدم احتراقه هنا ، أى المعجزة ، خرقا للسنة الطبيعية التى تقضى باحتراق الجسم إذا وضع فى النار ، وأما تغطية الجسم لمنع اتصال النار به فإنه يظهر أن المخترع أمكنه منع النار من إحراقه ، ولكنه فى الحقيقة منع النار من إحراق الجسم الخارجى الذى لا يقبل الاحتراق بطبيعته ، لأن جسم الانسان المغطى بمادة لا تحترق لم يتعرض للنار ، والفرق بين الاثنين ظاهر ، والفرق بين المخترع وصانع المعجزة مثل الفرق بين الحاوى والمخترع .

ويمكن تطبيق هذه النظرية فى معجزة «ذى النون» لأن الانسان يمكنه أن يعيش أياما فى الغواصات تحت البحر ، ولكنه يفعل ذلك بالاستعانة بالنواميس الطبيعية ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأما المعجزة فتكون بخرق القوانين . وهكذا مكث ذو النون فى بطن الحوت بدون هواء صناعى ، معرضا لأن يهضم ويتحول جسمه مثل باقى المواد .

والطبيب الذى يعيد للقلب ضرباته ليس كمن يحيي الموتى ، لأنه استعان بالسنن الطبيعية. وأما إحياء الموتى فهو خرق لهذه السنن . ويتساءل كثيرون : هل المعجزات ضرورية ؟ والجواب أنها ضرورية لإيمان الانسان بقدرة الله ، ولولاها لساد مذهب الطبيعيين ، لأن سنن الله لا تتغير أبداً ، وهذا ما يسمى «بالطبيعة» ولافرق بين الاثنين . وثبات هذه القوانين ما ظهر منها وماخفى للآن شيء مدهش ، حتى إن الانسان قد ينسى واضع هذه القوانين ويقول : ما الحاجة بى لأن أقول إن هناك صانعا أزليا مادامت هذه القواعد ثابتة على وتيرة واحدة ملايين السنين ؟ وهنا كانت حكمة الله فى أن يخرق هذه السنن ليظهر للناس أن الصانع الأول موجود . ومثل ذلك مثل آلة الميزان تزن الانسان إذا وقف عليها ووضع قطعة معدنية فى ثقب فيها فتخرج ورقة عليها رقم وزنه ، فإذا فرضنا أنها محكمة الصنع لا تتغير أبدا آلاف السنين ، فإن الانسان يشك فى صانعها الأول ، ولكنه إن رأى أنها قد تخرج ورقة الوزن بدون أن يقف عليها أحد ، وبدون وضع القطعة المعدنية فيها ، يقول : من يفعل ذلك ربما أمكنه صنعها ، وإذا رأى يوما ما أن قطعة معدن صغيرة أصبحت أمام عينيه آلة صغيرة تزن الأشخاص ، أيقن أن للأولى صانعاً ، وهذا هو معنى صنع الطير من الطين ، لأن هذا تمثيل لخلق سيدنا آدم الذى منه خلق العالم الانسانى كله بالسنن (الطبيعية) الإلهية التى لا تبديل فيها .

وصفوة القول أن أساس المعجزة وعظمتها ليس فى نتائجها وغرابتها . فالدهشة من سماع الأبكم يتكلم ربما كانت أقل من سماع الراديو لأول وهلة ، ولكن أهمية المعجزة فى طريقة صنعها بدون السنن الاعتيادية ، وهى لذلك لاتتكرر أبداً إلا بإذن الله ، لأن الانسان لا يعرف قاعدتها ولا يدرك طريقة صنعها . أما الاختراع فانه اكتشاف لناموس إلهى (طبيعى) ولذلك هو يتكرر دائما فى الظروف نفسها على يد كل إنسان .

دكتور عبد العزيز اسماعيل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نظرة

فى تفسير قوله تعالى: «يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى»

الدكتور عبد العزيز اسماعيل ممن أنجبتهم مصر فكان لها فخرا، وكان لأبنائها نافعا بما وهبه الله من نعمة التبريز فى الطب والتوفيق فى العلاج. ونرجو أن ينفعه الله أضعاف ما ينفع به.

لم يشأ أن يقف عند حد علاج الأجسام من أمراضها، بل أضاف الى ذلك مبرة جديدة يضاعف الله مثوبته عليها، وهى علاج النفوس من أمراض الجهالة، فاستعان بما تبحر فيه من علوم الطب وما يتصل بها على مباحث يجلوها للقراء فى تفسير القرآن الكريم على حسب ما يرشد اليه العلم الحديث والاستكشافات الجديدة. والقرآن لا تنقضى عجائبه، وكلما ازداد الناس علما ازدادوا فيه استبصارا، وانجلى لهم من أسراره مالم يكونوا يعلمون. فنسأل الله أن يجزى حضرة الدكتور على ذلك خير الجزاء.

ولقد قرأت له فيما قرأت كلمة فى مجلة الأزهر ساقها فى تفسير قوله تعالى: «يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى» قال فيها «قيل فى التفسير: إنشاء الحى من النطفة والنطفة من الحيوان، ولكن النطفة هى حيوانات حية وكذلك خلق الحيوان من النطفة فهو خلق حى من حى فلا تنطبق عليه الآية الكريمة على هذا التفسير»

ثم قال حضرته: «والتفسير الحقيقى هو «إخراج الحى من الميت» كما يحصل من أن الحى ينمو بأكل أشياء ميتة، فالصغير مثلا يكبر جسمه بتغذية اللبن أو غيره والغذاء شىء ميت، ولاشك فى أن القدرة على تحويل الشىء الميت الذى يأكله الى عناصر ومواد من نوع جسمه بحيث ينمو جسمه هو أهم علامة تفصل الجسم الحى من الجسم الميت الخ».

ونحن مع شكرنا لحضرة الدكتور هذه العناية التى لا يريد منها إلا خدمة العلم والدين، نلاحظ أن ما فسر به الآية الكريمة يبتعد عما يتبادر الى الذهن من لفظ (يخرج)،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فإن الظاهر أن هذا الذى أخرج شيء جديد مستقل الوجود . لا أنه نمو وكبر لشيء موجـود فى الأصل ، وأن المشار اليه فى الآية الـكريمـة هو قانون التوالد السارى فى الحيوان . وإن شئت فقل : قانون التوالد فى الحيوان والنبات . ذلك أن الحيوان المتولد قد تولد من شيء لا بد أن تنتهى سلسلة التوالد فيه الى حلقة ميتة ، فان لم يصح أنها النطفة لأن النطفة حيوانات حية أو فيها حيوانات حية ، فليكن هو الغذاء الذى نشأت عنه النطفة ، ولاشك أنه شيء ميت كما قرر حضرة الدكتور. فاذا قيل إن الغذاء حيوان أو نبات وكل منهما فيه معنى الحياة فى الجملة ، قلنا فلنرجع الى ما امتصه النبات حتى نما ، فلا بد من الوصول البتة الى شيء ميت خرج منه هذا الحى ، ويشاهد ذلك كل يوم . فالحياة تتجدد فى الأحياء وتستمد مادتها فى ماضى سلسلتها حتى تصل الى شيء ميت ، ولو كان هو التراب الذى يمد النبات .

وأما ما ذكره حضرته عن بعض المفسرين فلعل وجهه أن هذا هو ما كان معروفا للمخاطبين قبل اتساع المعلومات الدقيقة الفنية . والآية تحمل على ما يفهمه جمهور المخاطبين بها . ومزية القرآن الـكريم أنه صالح فى الفهم والفائدة لـكل الطبقات ، لايتوقف فهمه على متعمق فى العلم . فاذا ما كشف العلم حقيقة كانت غائبة تجلى فهم القرآن العظيم بمظهر أرقى ، وهـكذا لا تنقضى عجائبه . وما يدريك فلعل قائلا يقول إن التراب الذى يغذى النبات يحتوى على جراثيم فيها نوع حياة تهتز وتربو حين ينزل عليها المـاء فتغذى النبات فيخرج منها خروج حى من حى ، فنقول له حينئذ : وهذه الجراثيم خارجة من تراب ميت ، فلا بد أن تصل الى إخراج الحى من الميت . فالحياة ألبتة طارئة بعـد موت . وكما تطرأ الحياة بعد الموت يطرأ الموت بعد الحياة ، فتتعاقب الأطوار على المـادة الواحدة بقدرة القادر المختار . وأطوارها متلاحقة ، ودرجات التفصيل بينها خفية ، فتفهم منها كل طبقة بحسب مقدارها كما بيناه فى تفسير قوله تعالى : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » . والله أعلم

ابراهيم الجبالى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحياة الادبية عند العرب

وعدنا فى المقال الثانى من مقالات « تأريخ الألفاظ » بالتحدث عن الحياة الأدبية عند العرب ، واختلاف لغاتهم ، وقيمة النصوص الأدبية المعزوّة الى العصر الجاهلى ، ووفاء بذلك الوعد نبدأ هذا المبحث بهذا المقال :

القرآن الكريم أصدق المصادر فى الإنباء عن حياة العرب باتفاق الموافقين والمخالفين ، فاذا حدثنا القرءان بشىء عن العرب أخذناه أخذ الواثق بصحته ، المطمئن الى صدقه ، ثم نتتبع مقالات التاريخ والأدب ونمحص منها ما يغلب على الظن صدقه حتى نصل الى نتيجة علمية واضحة .

وصف القرآن الحكيم العرب بالفصاحة ، وذرابة اللسان ، فقال فى قوم أظهروا الإيمان والودادة ، وأضمروا الكفر والعداوة : «أشِحّةً عليكم فاذا جاء الخوف سلقوكم بألسنةٍ حِداد». ونعتهم بالطول فى البلاغة فقال : «ومِن الناس مَن يعجبك قولُه فى الحياة الدنيا ويُشهد اللهَ على ما فى قلبه وهو ألدُّ الخِصام » . وخصهم بالفوق فى البيان فقال : «وإذا رأيتَهم تعجبُك أجسامُهم وإنْ يقولوا تَسمع لقولهم» . قال الزمخشرى : «وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ، ولهم جهارة المناظرة ، وفصاحة الألسن» . ووسمهم بقوة العارضة والدهاء ، إذ قال: «وقد مكروا مكرَهم وعند الله مكرُهم وإنْ كان مكرُهم لِتزولَ منه الجبالُ» وسجل عليهم اللدد فى الخصومة ، والجدل فى المحاورة بقوله : « وقالوا أآلهتنا خير أم هو ، ما ضربوه لك إلا جدَلاً بل هم قوم خَصِمون » وبقوله : « فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدًّا» وذكر عنهم أنهم أولو أحلام ونُهى فقال : « أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون » قال فى الكشاف : وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والقرآن أيضا تحدى العرب أن يأتوا بحديث مثله لما بهتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتقوّل القرآن من عند نفسه ، فهل كانت تلك الأوصاف كلها ، وهذا التحدى للعرب وهم فارغون من أدب حي يغذى عقولهم ، ويربى نفوسهم تربية أدبية تقوم على التفاصح بما يخلب الألباب ، ويستميل الأسماع ، من منطق حسن ، وكلام بليغ ، وبيان بديع فى فنون من المعارف الانسانية الأدبية ، يستحقون بها تلك الأوصاف ، ويصح أن يتوجه اليهم هذا التحدى ، وكيف يقع التحدى الصارم لقوم ذوى عىّ وحصر ، وضعف فى المنّة العقلية يعيشون عيشة أولية فى حياة جاهلة بليدة ؟

ليس القرآن الحكيم كتاب خطابة يلقى بالقول على عواهنه ، وإنما هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ولكن بعض الباحثين يحلو لهم أن يعبثوا حول أدب العرب ، وتاريخ العرب ، وأن يصوروهم أمة لا تشعر بالحياة إطلاقا ، بله حياة الأدب التى تليق بهم كأمة لها تاريخ مجيد ، وحضارة زاهية يقول عنها ابن خلدون : « وما كان لأحد من الأمم فى الخليقة ما كان لأجيالهم من الملك ، ودول عاد وثمود والعمالقة وحمير والتبابعة شاهدة بذلك » . وقال فى موضع آخر : « وأما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة وإن ملكه العرب إلا أنهم تداولوا ملكه آلافا من السنين فى أمم كثيرين منهم ، واختطوا أمصاره ومدنه ، وبلغوا الغاية من الحضارة والترف ، مثل عاد وثمود والعمالقة وحمير من بعدهم ، والتبابعة والأذواء ، فطال أمد الملك والحضارة واستحكمت صبغتها ، وتوفرت الصنائع فلم تبل ببلاء الدولة » .

فإذا قال العرب : تلك آثارنا تدل علينا ، وهذا أدبنا بين أيديكم فاقرءوه ثم احكموا ، ازورّ هؤلاء الباحثون ، وأنغضوا رءوسهم قائلين : هذا شعر مصنوع منحول ، وذلك النثر باطل الأباطيل ، وتلك الشخصيات أبطال روائية انتزعها الخيال انتزاعا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا وجود لها فى التاريخ ، وهـذه مغامرة فى البحث لا يسوغها النقد الدقيق للتاريخ إلا لمن يأخذون تاريخ العرب بعيدا عن منابعه ، ويتلقفونه من غير مصادره .

فالعرب قبل الاسـلام لم يكونوا فى حياة أولية ساذجة لا أثر للتفكير فيها ، نعم وإنما كان فريق منهم فى طور بداوة طارئ عليهم ، غير متأصل فيهم . ولو تتبع الباحث أطوار الحياة الاجتماعية عند العرب لوجدها حلقات متسلسلة آخذا بعضها بأطراف بعض ، ولوجد فيها ملكا وحضارة ظلت آثارها قوية قائمة فى اليمن والشام والعراق حتى جاء الاسلام ، وأولئك الذين لحقهم الاسلام فى طور البداوة لم يكونوا إلا سلالة هؤلاء الصيد الأماجد ، فهم إما عدنانيون انشقت عنهم نبعة جرهم اليمنية بتلقيح أزكى دم من أشرف بيت وأكرم أرومة فى الأرض ، أرومة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وإما قحطانيون جاءوا الى الحجاز إثر حادث سد مأرب بعد أن رتعوا فى بحبوحة الحضارة أزمانا طويلة هذبت عقولهم ، وصفت نفوسهم ، وصقلت ألسنتهم ، فكانت لهم معارف تليق بملكهم ، وكان لهم أدب يناسب حضارتهم ورثوه أبناءهم من بعدهم .

وهل من المعقول أن تبلغ أمة من الأمم ما بلغه العرب من عظمة الملك فى قديمهم كما قال ابن خلدون — ولا يكون لها من الثقافة الفكرية والمعارف الأدبية شىء ، وتبقى حيث وصفها بعض الباحثين أمية جاهلة ؟ هذا بعيد ، لا يقره التاريخ ، ولا ترضى به أصول علم الاجتماع .

قال أحمد بن فارس فى كتابه الموسوم (بالصاحبي) : « وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها ، وأنهم لم يعرفوا نحوا ولا إعرابا ، ولا رفعا ولا نصبا ولا همزا . قالوا : والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب أنه قيل له : أتهمز إسرائيل ؟ فقال : إنى إذاً لرجل سوء . قالوا وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر . وقيل لآخر : أتجر فلسطين ؟ فقال : إنى إذاً لقوى . قالوا وسمع بعض فصحاء العرب ينشد :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نحن بنى علقمة الأخيارا

فقيل له : لِمَ نصبت « بنى » ؟ فقال : ما نصبته ، وذلك أنه لم يعرف من النصب إلا إسناد الشيء ، قالوا وحكى الأخفش عن أعرابى فصيح أنه سئل أن ينشد قصيدة على الدال ، فقال : وما الدال ؟ وحكى أن أباحية النميرى سئل أن ينشد قصيدة على الكاف فقال :

كفى بالنأى من أسماء كاف وليس لسقمها إذ طال شاف

قلنا والأمر فى هذا بخلاف ما ذهب اليه هؤلاء . فأما من حكى عنه من الأعراب الذين لم يعرفوا الهمز والجر والكاف والدال ، فإنا لم نزعم أن العرب كلها مدرا ووبرا قد عرفوا الكتابة كلها ، والحروف بأجمعها . وما العرب فى قديم الأزمان إلا كنحن اليوم ، فما كل يعرف الكتابة والخط ويقرأ . والذى نقوله فى الحروف هو قولنا فى الإعراب والعروض . والدليل على صحة هذا ، وأن القوم تداولوا الإعراب ، أنا نستقرئ قصيدة الحطيئة التى أولها :

شاقتك أظعان لليـ لى دون ناظرة بواكر

فنجد قوافيها كلها عند الترنم والإعراب تجيء مرفوعة . ولولا علم الحطيئة بذلك لأشبه أن يختلف إعرابها ، لأن تساويها فى حركة واحدة اتفاقا من غير قصد ، لا يكاد يكون . فإن قال قائل : فقد تواترت الروايات أن أبا الأسود أول من وضع العربية ، وأن الخليل أول من تكلم فى العروض ، قيل له : نحن لا ننكر ذلك بل نقول إن هذين العلمين قد كانا قديما وأتت عليهما الأيام ، وقلا فى أيدى الناس ، ثم جددهما هذان الإمامان ، وقد تقدم دليلنا فى معنى الإعراب .

وأما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفا معلوما اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا أو من قال منهم : إنه شعر ، فقال الوليد بن المغيرة منكرا عليهم : لقد عرضت ما يقرؤه محمد على أقراء الشعر : هزجه ورجزه ، وكذا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكذا ، فلم أره يشبه شيئا من ذلك ، أفيقول الوليد هذا وهو لايعرف بحور الشعر » ؟ انتهى كلام ابن فارس ، وإنما سقناه على طوله ليعرف الباحثون المعاصرون أن العلماء الأقدمين عنوا بالبحث فى حياة العرب العلمية ، ووصلوا حديثهم بقديمهم ، وكان حذاقهم مؤمنين بأن العرب كانوا على جانب من المعارف الفكرية والعلوم الأدبية ، وإذا كان هذا الذى قاله ابن فارس صحيحا فى حق العرب الأقدمين على ما هـو فرض كلامه ، فهل يصح فى الأذهان النيرة أن يكون للأولين من العرب تلك الحياة العلمية ثم لا يكون لأبنائهم وأحفادهم ووارثى مجدهم حياة أدبية ؟

وإذا كان قد باد من العـرب أجيال فقد عاصرتهم أجيال لم يأت عليها الفناء جملة أخـذت عنهم معارفهم ونقلتها الى من بعـدهم ، على ما هو الشأن فى كل أمـة تتفرع من دوحة واحدة ، وتعيش فى وطن واحد ، ظل بهم ذلك الوطن عامرا طوال أحقاب التاريخ ، ولم يزعم أحد من المؤرخين أن جزيرة العرب أتى عليها حين من الدهر خلت فيه من ساكنيها ، ولا أن العرب انقرضوا قضهم بقضيضهم .

غير أن الحجازيين من العرب سكان الشمال بالجزيرة كان لهم من طبيعة وطنهم ما صبغ حياتهم الاجتماعية بصبغة تخالف صبغة إخوانهم فى اليمن والحيرة والشام ، لأن الحجاز إقليم تخالف طبيعته طبيعة تلك البلاد ، فلم تقم فيه حياة اجتماعية متحضرة كالتى قامت فى اليمن والعراق ، بل غلبت على أهله البداوة وما يتصل بها من أخلاق وعادات .

« للبحث بقية » صادق ابراهيم عرجون

فى وجوب التحفظ

قال بعض الحكماء : من عرض نفسه للتهم فلا يامن من أساء الظن .

وقال الشاعر :

ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل
مقالة السوء الى أهلها أسرع من منحدر سائل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تعليق من مدير المجلة

على المقالة السابقة

ظهرت فى أفق الدراسات الأدبية فى هذا العهد الأخير كتابات ترفع من شأن العرب على عهد الجاهلية، وتصورهم فى مستوى لا يتفق والحقائق التاريخية.

لقد كنا نقرأ ما كتبه بعض مؤرخى العرب من المبالغات عن الدول العربية القديمة، فنعزوه لنقص فى أسلوبهم التمحيصى، فأصبحنا اليوم أمام مبالغات من طراز جديد يرتكبها بعض الذين يكتبون فى الأدب، عليها مظهر الدراسات التحليلية وليست منها فى شىء.

فنحن حيال ما كتبه أولئك المؤرخون عن قبيلة عاد من أن طول الرجل منها كان سبعين ذراعا الى مائة ذراع، وأن رأس أحدهم كان كالقبة العظيمة، وعينه تفرخ فيها السباع، وأن أول ملوكها وهو عاد قد ملك ألفا ومائتى سنة، وأنه تزوج بألف امرأة، وولد له أربعة آلاف ولد ذكر، الخ، نحن حيال هذه المبالغات لا نشعر بأقل حرج، فإن علاجها فيها ككل شىء يصوّر خارجا عن حدوده الطبيعية، ولكننا حيال الكتابات التى عليها مظهر الأسلوب العلمى نشعر بكثير من الضيق، لأنه مظهر خلاب يسلك الى الأذهان الخالية من ملكة النقد، فيرسخ فيها وينتج نتائج خطيرة على الدين والعلم معاً.

فأما نتائجها على الدين، فالغض من قيمة الرسالة المحمدية، فإذا كان صحيحا ما يقوله ابن خلدون عن العرب القدماء، وهو: « ما كان لأحد من الأمم فى الخليقة ما كان لأجيالهم من الملك »، وقوله فى موطن آخر عن العرب الأولين فى اليمن والبحرين وعمان والجزيرة: إنهم « بلغوا الغاية من الحضارة والترف مثل عاد وثمود والعمالقة، وحمير من بعدهم والتبابعة والأذواء، فطال أمد الملك والحضارة واستحكمت صبغتها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وتوفرت الصنائع فلم تبل ببلاء الدولة» . وإذا كان صحيحا أيضا ما عقب به الأستاذ الشيخ صادق عرجون على هذا وهو قوله : « فالعرب قبل الاسلام لم يكونوا فى حياة أولية ساذجة لا أثر للتفكير فيها . نعم ، وإنما كان (فريق منهم) فى دور بداوة (طارئ عليهم) غير متأصل فيهم . ولو تتبع الباحث أطوار الحياة الاجتماعية عند العرب لوجدها حلقات متسلسلة آخذا بعضها بأطراف بعض ، ولوجد فيها ملكا وحضارة ظلت آثارهما قوية قائمة فى اليمن والشام والعراق (حتى جاء الاسلام) . وأولئك الذين لحقهم الاسلام فى طور البداوة لم يكونوا إلا سلالة هؤلاء الصيد الأماجد » .

قلنا إذا كان هذا كله صحيحا فلا تكون الرسالة المحمدية قد أخرجت العرب من الظلمات الى النور ، ولا أوجدت فيهم وحدة اجتماعية ما كانوا يعرفونها ، ولا بثت فيهم من الأخلاق والآداب ما كانوا فى أشد الحاجة اليه ، ولا آتتهم دستورا أفضى بهم السيرُ عليه الى تبوؤ خلافة الله فى العالم قرونا كثيرة ، غيروا فيها وجه الأرض ، ونشروا علما وحرية ومدنية قضت على كل ما كان متحجرا غير صالح للحياة فى العالم كله .

ولكن ما ذكره ابن خلدون وغيره وتابعهم فيه الأستاذ الشيخ عرجون ومن تقدمه من الكاتبين المعاصرين كله غير صحيح ، والصحيح منه مبالغ فيه مبالغة لا تحتمل النقد والتمحيص .

نحن لا ننكر أنه قامت لبعض قبائل العرب البائدة (دول قبيلية) ، فاشتهر بنو عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت بتأسيس دول ، لها ملوك يتوارثون العروش ، ومدنية مناسبة للزمان الذى وجدوا فيه .

وقد سميت هذه الطبقة الأولى من العرب بالبائدة ، لأنها انقرضت منذ زمان بعيد ، وغمض تاريخها الى حد أن العرب أنفسهم لم يعرفوا منه شيئا يذكر غير مبالغات وخزعبلات تخيلها الخراصون تخيلا على النحو الذى نقلته عنهم فى صدر هذه المقالة . وقد ... يجهلون أنه قامت فى اليمن فى بعض عصورها دولة يقال لها المعينية

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

المستعرب هاليفى مستهديا بما ورد عنها فى كتاب المؤرخ اليونانى القديم استرابون، فارتاد بلاد الجوف شرق صنعاء، واكتشف أنقاض معين، ووجد بها كتابات بالقلم المسند دلّته على أسماء ستة وعشرين من ملوكها .

فتاريخ هذه الطبقة البائدة من العرب يجب أن يغفل فى بحث حالة العرب قبل الاسلام لغموضه وتغلغله فى القدم، ولِما حدث من الانقلاب الذريع فى كيان الأمة العربية بعده، حتى سميت تلك الطبقة بالبائدة، ومن بقى بعد تلك الانقلابات سموا بالعرب المستعربة.

والذى نحب أن يلاحظه القراء أن الحالة القبيلية فى الأمة العربية لازمتها فى كل عهودها، حتى جاء الاسلام فوحد بينها وجعل منها أمة : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

فالذين يذكرون الدول العربية مضطرون أن يسردوا أسماء قبائل، فيقولون : عاد وثمود وجديس وطسم وأميم وحضرموت الخ. حتى إن اليمن، وهى البلاد التى كان يصح أن تقوم فيها أمة موحدة، لم تبلغ الى هذه الدرجة. فقد كانت منذ أقدم أزمانها تقسم الى محافد، وكل محفد الى قصور، والقصر حصن يحيط به سور يقيم فيه أمير مستقل يوضع أمام اسمه لفظ (ذو) . وهؤلاء الأمراء يعرفون بالأذواء . وربما اجتمعت عدة محافد تحت أمير واحد متغلب فيسمى (قَيْل) . وكان الأقيال كثيرا ما يتقاتلون . وكان يتفق أن يكبر شأن قيل فيدخل جميع الأقيال تحت دولته، ويورث الملك أعقابه، ولكنها تجيء دولة يغلب على مزاجها البدوية والأمية . فقد دلنا التاريخ على قيام أربع دول فى اليمن وهى : المعينية، والسبأية، والحميرية، والتبابعة. ولم تنقرض الأخيرة إلا فى القرن السادس أى قبيل ظهور الاسلام بمدة قليلة، فلم يصلنا من واحدة منها كتاب مخطوط، ولا أتانا خبر عن وجود أثارة من علم فيها، وقد وصلنا عن أمم كثيرة غيرها مؤلفات وضعت قبل ستة آلاف سنة، وأسماء علماء وفلاسفة وفنانين كانوا عائشين فى تلك العصور البعيدة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والآن ننظر الى الحالة التى كانت عليها الأمة العربية على عهد البعثة المحمدية :

كان ببلاد العرب فى ذلك العهد ثلاث ممالك : أولاها اليمن ، وثانيتها دولة اللخميين بالعراق ، وثالثتها الغساسنة بمشارف الشام ، ومن بقى فكانوا كلهم على الحالة البدوية .

فأما اليمن فكانت مستعمرة فارسية وعليها وال اسمه الهرمزان ، وكانت قبل أن يستولى عليها الفرس مملوكة للأحباش .

وأما دولة اللخميين فكانت تابعة للفرس أيضا ، تغلبوا عليها واستمروا متسلطين فيها أجيالا حتى ظهر الاسلام .

وأما الغساسنة فكانوا يحملون نير الرومانيين ليس لهم من أمر أنفسهم شىء .

ولا بد لنا هنا أيضا أن نذكر أن هذه الدول كانت محتفظة بوصفى عهد الجاهلية العربية ، وهما : البداوة والأمية . نعم إنه كانت لممالكهم مدن ولملوكهم قصور ، ولكن الرعية كان أكثرها على الحالة البدوية . وكان عدد المدن لا يتناسب وسعة الأراضى التى تقوم عليها تلك الممالك . وجزيرة العرب التى تساوى مساحتها ستة أضعاف مساحة فرنسا ليس فيها غير عدد من المدن يعد على الأصابع (راجع الخريطة) .

ومما تجب ملاحظته أن الأمية كانت أثيرة عندهم الى حد أن هذه الدول على مجاورتها للفرس والرومان ، ووقوعها تحت نيرهم أجيالا ، لم تأخذ أخذهم فى العلوم والفنون ، فلم يشتهر فيها فلكى أو طبيب أو فنان ، ولم يصلنا منها صفحة واحدة باللغة العربية حتى ولا ما يتعلق بالشئون الدينية . قال الله تعالى : « وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير » : « أم لكم كتاب فيه تدرسون ؟ » .

أما بقية العرب وهم السواد الأعظم فى سائر جزيرة العرب ، فكانوا يعيشون على حالة بداوة وأمية ، بأوسع ما تحتمله هاتان الكلمتان ، من يوم أن خلقهم الله الى عهد البعثة المحمدية ، ولم يكن من الممكن أن يكونوا على غير هذه الحالة ، لأن قوام المدنية الزراعة والصناعة والتجارة والعلم ، وأين هذه من أكثر العرب فى عهد جاهليتهم ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يريد الأستاذ صادق عرجون وهو يعالج الكتابة فى الأدب أن يجعل له قدمة عند الأمة العربية فى عهد الجاهلية ، فهو يقول :

« هل من المعقول أن تبلغ أمة من الأمم ما بلغه العرب من عظمة الملك فى قديمهم — كما قال ابن خلدون — ولا يكون لها من الثقافة الفكرية والمعارف الأدبية شىء ، وتبقى حيث وصفها بعض الباحثين أمية جاهلة ؟ »

ونحن نقول : إن الذى وصفها بالأمية والجهل هو القرآن نفسه ، الذى يسلم الأستاذ صادق عرجون بأنه أصدق المصادر فى الإنباء عن حياة العرب قبل البعثة المحمدية : قال الله تعالى : « هو الذى بعث فى (الأميين) رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفى ضلال مبين » .

وقال تعالى : « فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب (والأميين) أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » .

فالأمية كانت الوصفَ المميز للأمة العربية من أقدم أيامها الى أن أُرسل اليها والى العالم كافة محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى إن الجاليات الأجنبية التى كانت معاشرة لهم كانوا يطلقون عليهم هذا اللقب . قال الله تعالى : « قالوا (يريد اليهود) ليس علينا فى الأميين سبيل » أى ليس علينا ذم إن ظلمناهم لأنهم ليسوا من ديننا . فأطلقوا عليهم وصف الأميين وقد كان كافيا فى الدلالة عليهم .

فاذا كان العرب أمة أمية ، وهو ما لا سبيل الى إنكاره ، فكيف يعقل أن يكون لديهم أدب بمعناه الفنى ؟ أين عُهِد مثل هذا الأمر ، وفى أى جيل ، حتى يعهد عند الأمة العربية ؟

المعهود حسيا أن الأمة إذا كانت أمية كانت فى أحط درجات الجهل ، فاذا تحركت لأن ترتفع عما هى عليه درجة واحدة فأول وسيلة تتخذها هى أن تتعلم أن تكتب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما تلفظه وأن تقـرأه . وليس فى الأرض أمة من أول وجودها الى اليوم إلا كانت فاتحة نهوضها رفع الأميـة عنها أو عن عدد كبير من آحادها . فاذا ارتفعت الأميـة عن قسم منها تدرج هـذا القسم فى الارتقاء ، فنشأ فيهـا أدب ساذج وعلم فى درجته . ثم لا تلبث أن تتقدم الى الأمام خطوة أخرى حتى ينضج أدبها وعلمها بعد حين .

هذه سنة الله فى الخلق ، ولا يعقل أن تتخلف على الإطلاق . وقد اعتبر الله تخلفها خرقا للعادة ، وجعلها معجزة لخاتم رسله ، فقال تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذاً لارتاب المبطلون » أى لو كنت يا محمد غير أمى لارتاب المبطلون فى إتيانك بالقرآن ، أما وأنت أمى لا تقرأ ولا تكتب فكيف يعقل أن تأتى بكتاب تمليه على غيرك ؟

ربمـا اعترض علينا معترض فقال : ألم يصلنا عن الجاهلية شعر ، أليس الشعر فنا من فنون الأدب ؟ .

نقول : نعم ، ولعامتنا شعر ، ولعوام كل أمة أشعار بلغاتها المختلفة ، ولكن هل مجرد قرض الشعر يدل على عدم الأمية وعلى وجود الأدب بمعناه الفنى ؟ .

اللهم لا ، فالشعر الجـاهلى ، وهو كل ما يستطـاع الاحتجاج به ، لا يدل على وجود الفن الأدبى فى الجاهلية ، كما لا يدل كل شعر لأمة أمية على وجود هذا الفن لديها .

فعرب الجاهلية لم يكن لديهم أثارة من علم ، كما يقول الكتاب عنهم ، يمكن أن يُدلوا بها الى غيرهم ، كما لم يكن ولا يكون عند أية أمة أمية أثارة من علم تدلى به الى غيرها . قال تعـالى : « ائتونى بكتاب من قبل هـذا أو أثارة من عـلم إن كنتم صادقين » . وقال سبحانه : « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون »

وقد عاش اليمنيون فى اليمن واللخميون فى العراق والغساسنة فى جنوب سورية تحت سلطان الفرس أو مجاورين لهم وللرومان ، ولم يأخذوا إخذهم فى رفع الأمية عنهم

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

لذلك لم تصلنا منهم ورقة واحدة مكتوبة ، فلو كان عندهم أى فن أدبى أو غيره لنقله عنهم رواة اللغـة الذين اختلطوا بهم وبغيرهم من القبائل ولبثوا بين ظهرانيهم سنين . فهل كان هؤلاء الرواة يحرصون على الألفاظ والأساطير هذا الحرص كله ولا ينوهون بكلمة عن أدب العرب وعلومهم ، وهم رواد الأدب العربى ، وقـد جشموا أنفسهم الحياة وسط القبائل سنين لدراسة أسبابه ، فلم يجـدوا غير ألفاظ اللغة فحفظوها عنهم ونقلوها الينا ؟

ألم يـكن جميع العرب الذين أسلموا جاهليين فى أمسهم ، فلو كان لديهم أثارة من علم فى أى موضع من المواضيع مما كانوا يمارسونه على عهد الجاهلية ، أما كانوا يحملونها معهم فى الاسلام فتعرف عنهم وتنسب اليهم ، لاسيما والاسلام يحض على طلب العـلم ويَعِد أهله بالدرجات العلى فى الدنيا والآخرة ؟

ولو كان فى اليمن أو العـراق أو مملـكة غسان أو فى قبائل نجد أو تهامة أو غيرها ، من التى قصدها رواة اللغة ، مسكة من علم ، لنقلها أولئك الرواة الينا وقد بالغوا فى نقل كل شىء وجدوه لدى العرب حتى أخبار خيولهم وكلابهم .

ونحن فى القرن العشرين الميلادى اليوم ولدينا كتب وألوف من صحف لأمم كانت موجودة منذ ستة آلاف سنة ، وليس لدينا ولا صحيفة واحدة باللغة العربية عن أقرب عهد لجاهليتها . ذلك لأن الأمة العربية كانت أمية ، وكانت الأمية من صفاتها المميزة ، ناهيك بأمة ليس لديها أثر مكتوب فى شئونها الدينية ، على حين أن لجميع الأمم التى لعبت دورا فى التاريخ كتبا مدونة فيها ولو كانت وثنية .

لا نقول هذا غمطا لحق الأمة العربية ، ولـكننا نقرر حقيقة تاريخية ، وهى أن الأمة العربية طبعتها طبيعة بلادها والأحوال التى أحاطت بها بطابعين : الحالة القبيلية ، والأمية . لذلك لم تستطع جهة من جهاتها أن تحفظ استقلالها أمام الأمم المعاصرة لها ، فاستولى الفرس والرومانيون على الأقطار المجاورة لهم منها ، حتى حدثت الحبشة نفسها بفتح

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اليمن ، ونفذت ما صممت عليه ، وعجز أهل اليمن عن إجلائهم عنها ، فاستغاثوا بالفرس فأرسلوا جيشا وطرد الأحباش وحلوا محلهم فيها ، وما زالوا حاكمين فيها حتى أنقذها الاسلام منهم ، كما أنقذ العراق ودولة غسان أيضا .

فالاسلام وحده هو الذى وحّد قبائل العرب وأسقط ما بينهم من فروق قبيلية ، ومن إحن وضغائن جعلت جماعاتهم أشبه بالأمم المتعادية ، لا تفتر عن التناحر والتناهب طرفة عين . والاسلام هو الذى رفع عنهم طابع الأمية ودفعهم لطلب العلم دفعا لا هوادة فيه . وقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم برفع هذا الطابع بعمل لم يسجل مثله لمصلح فى الأرض . وذلك أنه جعل فداء الأسير الذى كان يعرف القراءة والكتابة فى وقعة بدر ، وهى أول الوقائع الاسلامية ، أن يعلمهما نفرا من المسلمين ، ففعل . فبفضل الاسلام استقامت الأمة العربية على نهج الأمم التى كتب لها بلوغ أقصى الغايات من النظام والتوسع واحتمال التبعات العالمية ، مما لا يوجد له نظير فى الأرض . وبفضل الاسلام يسجل التاريخ للأمة العربية أنها كانت محيية العلوم الدارسة ، والفنون الطامسة ، وأنها كانت سببا لا يقاظ البشرية من سباتها العميق ، ودفعها فى سبيل الحياة والمدنية . وفوق هذا كله فنحن أبناء الاسلام لا أبناء العرب ولا الفرس ولا غيرهم ، قد وحد بيننا الاسلام وأهدر فى سبيل هذا التوحيد قومياتنا وجنسياتنا ، تذرعا لتكوين أمة عالمية كانت وستكون مثالا أعلى للاجتماع الانسانى الصحيح . وقد بارك النبي صلى الله عليه وسلم هذا العهد بقوله : « لقد أذهب الله عنكم رجس الجاهلية وتفاخرها بآبائها » . فلا نقبل أن نعيدها جذَعة ، فنرغم التاريخ على أن يقول فى جاهلياتنا ماليس بحق . وقد مضت تلك الجاهليات مرذولة مذمومة الى حيث لا تعود : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيستخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » . وقد أنجز الله وعده ، فكانت هذه آية الاسلام الكبرى الى يوم الدين .

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

واجب الشباب نحو ربهم

إن قلنا واجب الشباب نحو ربهم ، كان معنى ذلك واجبهم نحو الكمال المطلق والخير المحض والمثُل العليا فى كل أمر ، فإن الله جل وعز لم يكلفنا إلا بما فيه صلاحنا وفلاحنا ، وتكاليفه أيا كانت عبادات أو آدابا ، المقصود بها تربيتنا تربية عالية ، وإعدادنا لرجولة صحيحة ، وإيصالنا الى الحقائق التى ترتبط بها سعادتنا المرجوة من طريق العلم والعمل والفضيلة .

مضى الزمان الذى كان يعتبر الدين فيه سخرة ، أو تقييدا للحرية الصحيحة ، أو حرمانا للنفس من مشتهياتها فى الحدود العلمية ، وهذا زمان تجلى فيه بالدليل القاطع أن الدين حاجة أولية للروح لا مَعْدى لها عنه . وإذا قلنا الدليل القاطع قصدنا به الدليل العلمى المؤسس على علم النفس . ولا يتسع لى المجال الآن لبيان ذلك على وجه يوفى بالحاجة العقلية من كل نواحى هذا الأمر الجلل ، ولكنى أستطيع أن أقول على عجل إن الفلسفة المادية التى حاولت فى خلال قرون ثلاثة أن تقطع كل صلة بين الانسان وما فوق المادة ، قد منيت بفشل حاسم لا قيام لها بعده من طريق العلم الطبيعى نفسه لا من طريق العلوم الدينية ، فقد توصل العلم الى إحالة المادة الى قوة أى الى إثبات أن لا وجود لها ، وأنها عرض من أعراض القوة . وبزوال هذه العقبة الكأداء من طريق العقل الانسانى انفتحت أمامه باحة لا حد لها الى عالم القوى التى هى مصدر كل موجود فى عالم الشهادة .

نعم إن زوال هذه العقبة لم يخرج العلوم من مجالها الطبيعى ، ولكن كان من آثار زوالها اتساع هذا المجال الطبيعى بحيث لا يتصور العقل له نهاية ، وهذا وحده كان ذا أثر بعيد فى تأديب الانسان وردعه عن البت فيما ليس من شأنه أن يبت فيه ، وفى تشكيكه فى كل ما أسسه من الأصول العلمية ، وإعادة وضعها فى الميزان تحت ضوء النقد الصارم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والتمحيص الدقيق . فسقط بذلك العجب الذى كان يخيل للعلماء أنهم أدركوا حدود كل شيء ، وأصبح لهم الحق فى الحكم بالوجود أو بالعدم على كل ما يعرض لهم البحث فيه ، حكما لا يقبل المراجعة ، ولا يحتمل التشكيك .

يقول قائل : وما تأثير كل هذا فى تقوية عاطفة الدين ؟

نقول له : فى ذلك أبلغ تأثير ، فإنه بعد أن كانت تعتبر المادة مبدأ ومرجعا لكل مخلوق ، انتقل هذا السلطان للقوة ، وعالم القوى أرفع من عالم المادة بما لا يقدر ، ونواميسه أعلى وأعم بقدر هذا التفاوت بينهما ، والمحتملات التى تنشأ من هذا الانتقال لا تقف عند حد . وإذا أردت أن تقف على مبلغ التحول الذى طرأ على مذاهب العلماء من حدوث هذا الاكتشاف ، فإليك على عجل :

قال الدكتور (فيلبون) فى مجلة (العلم والحياة) صفحة ٤٥١ من مجلة سنة ١٩١٧ :

« لقد حلت كلمة (القوة) محل كلمة (المادة) فما يدرينا هل تحل كلمة (روح) محل كلمة (قوة) ؟ هذه المسألة المحيرة لا تزال سرا من أسرار المستقبل »

وقال العلامة (جوستاف لوبون) فى كتابه تحول المادة :

« دامت العقيدة فى صحة المقررات الكبرى للعلم العصرى حافظة لقوتها الى أن حدثت فى الأيام الأخيرة مكتشفات غير منتظرة قضت على العلم العصرى أن يكابد من الشكوك ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه نهائيا ، فإن الصرح العلمى الذى كان لا يرى صدوعه إلا عدد قليل من العقول العالية قد تزعزع فجأة بشدة عظيمة ، وصارت المتناقضات والمحاولات التى فيه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفاء بحيث لا تبلغها الظنون ، فأدرك الناس على عجل أنهم كانوا مخدوعين ، وأسرعوا يتساءلون : هل الأصول المكونة للمقررات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن إلا فروضا واهية تحجب تحت غشائها جهلا لا يسبر له غور ؟ »

ثم نقل الأستاذ (جوستاف لوبون) قول العلامة الرياضى (لوسيان بوانكاريه)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهو : « لا توجد لدينا نظريات كبرى الآن يمكن قبولها قبولا تاما ، ويجمع عليها المجربون إجماعا عاما ، بل يسود اليوم عالم العلوم الطبيعية نوع من الفوضى »

وعقّب عليه الأستاذ (جوستاف لوبون) بقوله : «من حسن الحظ لا شيء أكثر ملاءمة للترقى العلمى من هذه الفوضى ، فالوجود مفعم بمجهولات لا نراها ، والحجاب الذى يحجبها عنا منسوج غالبا من الآراء الضالة أو الناقصة التى توجبها علينا تقاليد العلم الرسمى (تأمل) ، فلا يمكن عمل خطوة للامام إلا بعد أن تتفكك عرى الآراء السابقة »

نقول : يظهر مما قدمناه أن تأثير سقوط صرح المادة كان بليغا الى أقصى ما يمكن تخيله ، فهل تتأدى العقيدة فى القوة التى تنحل اليها المادة الى العقيدة فى روحانيتها ، فيكون ثمرة هذا الهدم والبناء فى مصلحة الروح من كل وجه ؟

هذا مايبدو صريحا من أقوال أقطاب العلم ، فقد جاء فى دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية تحت كلمة (مادة) بعد أن عرضت جميع المذاهب عليها ما يأتى :

« على هذا فجميع الفروض التى فرضت للآن تعجز عن حل تناقضاتها الذاتية ولا تنطبق على الحوادث . فماذا نستنتج من هذه الحال غير أن مدركاتنا العلمية عن المادة ، وهى تتفاوت فى صلاحيتها كوسائل للترتيب والتحليل ، لا تستطيع أن تزعم أنها الحقيقة المطلقة . وهذه الفروض باعتبار أنها لا وظيفة لها إلا تسهيل وتعميم صفات وعلاقات الظواهر المحسوسة ، لا يمكن أن تكون حتما إلا رمزية وخداعة كهذه الظواهر نفسها »

ثم ختمت الدائرة الفرنسية هذا الفصل بقولها :

« وعلى هذا فلو صرفنا النظر عن المذهب اللا أدرى الذى هو عبارة عن رفض أى محاولة لتفسير الحوادث ، فإن المذهب الذى يرمى اليه علماء العلل الأولية هو : أن المادة باعتبار أصلها تنحل ، كما فكر فى ذلك (لبنتز) ، الى وجود روحانى (تأمل)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

طبيعته كطبيعة الوجود الذى يتجلى لوجدا ننا . والمسألة التى تبقى بعد ذلك غير محققة هى أن نعرف : هل الوجود مؤلف من ذرات روحية متميز بعضها عن بعض ، أو أنه كائن واحد عام لا يقبل الانقسام ومستمر على الدوام ، وأنه العلة والمعلول العام » ؟

نقول : إن أثر تدهور الصرح المادى كان بعيدا الى حد أن حلت الروح محلها فى التعليلات العلمية الطبيعية كما ترى ، فهل بعد هذا إهابة بالعاطفة الدينية الى اليقظة والعمل فيما خلقت له ؟

الانسان يتألف من جسد وروح ، ولكل منهما مطالب ، فكما يألم الجسد إن قطع عنه المدد المادى ، كذلك تألم الروح إن قطع عنها المدد الروحانى . وحرمان الجسد من مقوماته يفضى الى تعطل وظائفه والى تحلله ، وحرمان الروح من مقوماتها يؤدى الى الحيلولة بين إشراقاتها وبين صاحبها ، وفى تلك الحيلولة كل ما يتخيل من اضطراب النفس ، وفساد القلب ، وغلظ الشعور ، والسقوط الى الحيوانية الباحتة ، بل الى ما هو أسفل منها . فتجد المبتلى بهذا الحرمان من المدد الروحانى يستسيغ ارتكاب القبائح ، ومقارفة الدنايا ، والانغماس فى الخسائس ، والخوض فى المقاذر ، ظنا منه أن فى هذه الإباحة الجنونية سكنا لنفسه الجامحة ، ومتنفّسا لقلبه المحترق ، ولكنه لا يزداد إلا هلعا على هلع ، ولا يزال يعالج هذه النيران المتسعرة فى باطنه حتى ينتهى أجله ، ويذهب الى حيث يذهب التائهون .

ماذا تتطلب أعصى العقول على الدين بعد أن ألقى الإلحاد سلاحه كابرى على رءوس الأشهاد ؟ وماذا تنتظر أن ترى من أعلام الحق بعد أن صرح العلم بأن المادة تنتهى الى روح ، وأن الروح هى أصل الخلق ومنتهاه ؟

فهلم ننقذ أنفسنا من سيادة المادة علينا ، لا باحتقارها ولا بالهرب منها ، ولكن بإخضاعها لسلطان الروح ، حتى لا تطغى علينا فتقودنا من شهواتنا الى حيث تفقدنا كرامة الانسانية ، وشرف العمل على إقامة دولة المدنية الفاضلة فى الأرض .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عمل الانسان لإقامة دولة الروح هو فى الحقيقة خدمة لنفسه وللانسانية وللعلم وللمدنية « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها » فإن الله غنى عن العالمين. فإن كلفنا الله بطاعته فإنما يكلفنا بما يحيينا ويرقينا ويشرفنا، ويتناسب وغرائزنا الفطرية « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ».

محمد فريد وجدى

ما قيل فى تأديب الصغار

قال بعض حكماء المسلمين : من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا .

وقالوا : اطبع الطين ما كان رطبا ، وقوم العود ما كان لدنا .

وقالوا : من أدب ولده ، أرغم حسده .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : من لم يجلس فى الصغر حيث يكره ، لم يجلس فى الكبر حيث يحب .

وقال حكيم : ما أشد فطام الكبير ، وأعسر رياضة الهرم .

وقال صالح بن عبد القدوس شعرا :

وإن من أدبته فى الصبا ... كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا ... بعد الذى أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارى فى ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد له جهله ... كذى الصبا عاد الى بلسه
ما تبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال شاعر غيره :

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا ... فمطلبها كهلا عليه شديد

وقال عمرو بن عتبة لمعلم ولده : ليكن أول إصلاحك ولدى إصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته

الوقف : صفته ، مشروعيته ، شروطه المصححة له

أسلفنا فى البحث السابق لمعة وجيزة عن الوقف بنوعيه الأهلى والخيرى ، وعن حكمه المنظم له ، وعن مختلف الآراء الفقهية فى وقوعه وانعقاده . والآن نعرض للكشف عن مشروعيته وصفته وشروطه المصححة له وآراء الفقهاء التفصيلية فيها :

ليس خلاف بين الفقهاء رضوان الله عليهم فى أن الوقف بنوعيه جائز مشروع بوصف كونه عملا من أعمال البر ، وقربة من القربات الى الله تعالى .

ويؤكد مشروعيته من ناحية العقل أنه نظام من الأنظمة الصالحة للمجتمع ، يبعث عليه البر بالانسانية المعذبة ، حتى مع غض النظر عن وروده بلسان الشريعة ، فقد نقل صاحب كتاب « أنفع الوسائل » أن زيد بن ثابت رضى الله عنه يقول : « لم أر خيرا فى هذه الدنيا من الحبوس يحبسها الأغنياء على الفقراء ، سواء فى ذلك الأموات والأحياء » . فأما الميت فيجرى أجرها عليه ، وأما الحى فتحبس عليه ينتفع بغلتها ، وتعف يده بها عن السؤال ، ويتقى بها كرائه الدهر وعاديات الليالى .

فنظام الوقف فى الشريعة الاسلامية من أو فى الأنظمة الاجتماعية بحاجة الناس ، وأحفلها بالمنفعة الدائمة المستمرة ، وأعودها بالخير الثابت على طائفة من البشر .

نعم إن بعض نظار الأوقاف قد يبالغون فى أكل أموال المستحقين بشتى الوسائل ، وضجت بتصرفاتهم المحاكم الشرعية ، حتى قام بعض ذوى الآراء الرشيدة فى مصر يطالب بإلغاء الوقف ، ولكن ذلك على كل حال لا يقدح فيما لمشروعية الوقف من الفوائد الجلى . وكل ما هنالك أن تشريعا تسنه وزارة الحقانية يكفى للقضاء على تصرفات بعض نظار الأوقاف والأخذ على أيديهم .

وإذا كان الوقف تصرفا من التصرفات الجائزة شرعا الصادرة من الانسان ، كان لا بد

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

أن يكون متصفا بحكم من الأحكام الشرعية ، بمعنى أن حكما من هذه الأحكام الخمسة يعرض له ويكون صفة من صفاته ، فتارة يكون مباحا لا ثواب فى فعله ولا عقاب فى تركه ، وذلك فى حالة ما إذا لم تصحبه نية التقرب الى الله تعالى ، كما لو وقف الواقف على قوم أغنياء أو على ذريتهم ثم من بعدهم للفقراء ، رغبة فى المحافظة على العين الموقوفة من الضياع من جهة ، وقصدا الى عدم تمكينهم من التصرف فيه بعد موته من جهة أخرى .

وقد يكون مندوبا فيثاب على فعله دون أن يعاقب على تركه ، كما لو نوى به الواقف التقرب الى الله سبحانه وتعالى ، فتصح ولو كان الوقف على ذريته وذوى قرابتهم امتثالا لبعض الأحاديث الصحيحة ، من أن الوقف على بعض أهل الواقف صدقة ، لأن الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى .

وقد يكون واجبا فيثاب على فعله ويعاقب على تركه ، وذلك فيما إذا كان التصرف فى الوقف منذورا ، كأن يقول أحد الناس : إن برئت من مرضى هذا فلله علىّ أن أقف ضيعة كذا على طلبة العلم . فإن الوقف فى هذه الحالة يكون واجبا عند تحقق الشرط لوجوب الوفاء بزوال العلة . تطبيقا لقوله تعالى : « وليوفوا نذورهم » وأخذا من آراء فقهاء أبى حنيفة .

والعلة فى صحة نذر الوقف على ما ذهب اليه الامام الكمال بن الهمام فى الفتح القدير أن من جنسه واجبا من الواجبات ، فيجب على إمام المسلمين أن يتخذ لهم مسجدا من بيت مال المسلمين ، فإن لم يكن ذلك ميسورا اتخذ لهم مسجدا من أموالهم .

وقد يكون الوقف حراما فيعاقب على فعله ، كما لو قصد الواقف إيذاء دائنيه أو بعض ورثته .

وأنا أعرف قاضيا شرعيا كبيرا رفض أن يسمع إشهادا بوقف لمين علم أنها مدينة وأن الغرض من وقفها إيذاء الدائنين وتفويت المنفعة عليهم وتبديد ديونهم بطريقة قانونية . فإن الإضرار بالغير حرام لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى الاسلام». ومع أن هذا الوقف حرام على هذه الصورة فهو لازم وصحيح تترتب عليه آثاره، لأن الحرمة طرأت لوصف عارض منفك لا تنافى صحة التصرف ولا تناقض مشروعيته عند فقهاء الحنفية كما هو الثابت فى أصولهم، وذلك كالبيع وقت صلاة الجمعة وكالصلاة فى الأرض المغصوبة، وكالصيام مع ملابسة أنواع الهُجر وأساليب المنكرات التى تجرى بها الألسنة. فإن هذه الأنواع لازمة ومتحققة الأثر مع اقترانها بالحرمة.

وذهب مالك رضى الله عنه الى عدم صحة الوقف إذا لابسته معصية، كما إذا وقف الواقف على بنيه دون بناته، لأنه تصرف يشبه فعل الجاهلية الذى جاء الاسلام بالقضاء عليه، وكما لو وقف على بناته وشرط أن من تزوجت منهن خرجت من الوقف دون رجعة اليه، حتى ولو تأيمت، فتظل محرومة من الوقف والانتفاع بغلته متى تزوجت، سواء دامت الزوجية أو انقطعت. وهذا القول عن مالك رضى الله عنه رواه ابن القاسم فى حاشية الدسوقى على الشرح الكبير فى فقه المالكية.

ثم إن الفقهاء قد اشترطوا لصحة الوقف شروطا ألممنا إليها فى البحث السابق بما فيه الغناء، وهى تعتمد فى مجموعها شروطا أربعة: واقف، وموقوف عليه، وموقوف وصيغة يتأدى بها المعنى المراد. ولكل من هذه الشروط الأربعة شروط لتحقيقها لأنها إذا تحققت تتحقق حقية الوقف، فتتأكد المنفعة المقصودة منه، ويتأكد الثواب للواقف الذى قصد اليه بهذا التصرف المشروع.

فيشترط فى الواقف شروط، وفى الموقوف عليه شروط، وفى الموقوف شروط وفى الصيغة شروط. فأما الشروط التى اشترطها الفقهاء فى الواقف فأهمها أن يكون الواقف أهلا للتبرع، بأن يكون حرا عاقلا بالغا غير محجور عليه لسفه أو غفلة أو دَين.

والكلام عن محترزات هذه الشروط ومقابلاتها طويل الذيل كثير التفاريع لا يتسع له هذا البحث. لذلك آثرنا أن نرجئ الكلام عن تلك الشروط ومحترزاتها وعن آراء الأئمة وتعليقات كبار المؤلفين الى العدد القادم، إن شاء الله تعالى م؟

عباس طه المحامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام والفلسفة

– ٣ –

أشرنا فى الفصلين السابقين الى ما استقبل به الاسلام الفلسفة من رحوبة الصدر وطلاقة الوجه اللتين لا طمع بعدهما لمستزيد ، وذكرنا كذلك شيئا من الآيات الكريمة التى لخص التنزيل فيها عناصر الفلسفة الثلاثة ، وهى : (١) عظمة المظاهر الكونية . (٢) الأسباب والعلل وارتباطها بمسبباتها ومعلولاتها . (٣) النفس البشرية وما انطوت عليه من خفايا وأسرار .

ذكرنا هذه الآيات الجوامع ، وأبنّا أن أهم موضوعات المعرفة الفلسفية هو النظر فى المظاهر الكونية والعلل الفعالة والنفس البشرية ، وأن الغاية المثلى من هذا النظر هى الاهتداء الى حقيقة الحقائق ومنشئها ومنتهاها ، وألف الأكوان ويائها ، وهو المبدع الأول جل جلاله ، فاذا وصل الفيلسوف بوساطة النظر الى هذه الغاية العالية ، فقد عرف الله حق معرفته ، أو أصبح جديرا باسم الحكيم ، وهو فى نظرهم من توفرت لديه الفضائل الأربع : (الحكمة والعدالة والعفة والشجاعة) . فبالحكمة يعرف الانسان خالقه ونفسه ، ويكتنه الشىء الكثير من أسرار الوجود وخفاياه ، ويرى ببصيرته أنه صاعد على درجات السلم الأشرف الذى سيلحق عن طريقه بأصله وأصل الموجودات جميعا ، وأن هذا هو الفوز الأكبر الذى لا يعدله كل مافى الحياة من لذائذ ومسرات فتصغر الدنيا فى عينه ولا يعيرها نظرة ولا لفتة . وبالعدالة يتشبه بالمنشىء الأول الذى لا يظلم ولا يجور . فيحدث له من هذا الشبه قرب من خالقه تنتج عنه لذة لا تدرك العقول مداها ، لعظمها واختلافها عن اللذات المادية . وبالعفة يرتفع عما يكتظ به هذا الوجود من دنايا الشهوات التى هى أس كل ما فيه من رذائل وسقطات . وبالشجاعة يحتمل أرزاء الحياة ونكباتها هادئا مغتبطا ، لأنه يكون على يقين من أن تصرفات

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأقدار لا تسير إلا بحكمة سامية لايتضجر منها إلا كل جاهل أو جحود، كما يكون واثقا من أن الأقدار قد سلكت معه هذا المسلك الشائك لتبتليه، فإن صبر وشمر بالسعادة الروحية أنالته درجة أعلى من التى هو عليها، وإن ضجر ونقم أنزلته الى مصاف العامة الذين ليس لهم عند الله خاصية ولا امتياز.

هذه هى الموضوعات الجوهرية للفلسفة وما أحقها وأجلها من موضوعات، وتلك هى الغاية المثلى لها، وما أشرفها وأسماها من غاية: وهل فى القرآن موضوع أكثر جوهرية من النظر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء، ومن النظر فى حكمة الأسباب وارتباطها بمسبباتها، أو فى النفس البشرية وما اشتملت عليه من أسرار ومخبآت؟ وهل للقرآن غاية أسمى من الاهتداء الى وجود الله ووحدانيته وكماله؟

الفلسفة الحقة إذاً، هى ما كانت موضوعاتها وغايتها على النحو الذى ذكرناه ووفقت الى إدراك هذه الغاية، وهى لا تصطدم مع الاسلام فى شىء، لأن الحق لايصطدم مع الحق فى أية خطوة من خطواتهما، بل هما دائما متحابان متصافيان متكاتفان على قمع الباطل واستئصال شأفته.

أما أولئك الذين يزعمون أن الفلسفة من حيث هى متعادية مع الدين فهم واهمون، بل سطحيون مقلدون، لأن العقل - وهو الموئل الأعلى للفلسفة - لم يخرج عن كونه هبة من صاحب الدين، فإذا أحسن المرء استخدامه فى البحث والاستنتاج كان أجل نعم البارى عليه، وإذا أساء التصرف فى استعماله بأن عطل ملكته الناطقة أو أخضعه للهوى والأغراض ومال مع كل ريح ذات اليمين وذات الشمال، كان شر النقم التى تهوى بصاحبها الى الحضيض، ولكن الذى خدع أولئك المقلدين المعاصرين عندنا وجعلهم يدينون بفكرة عداء الدين والفلسفة، هو أنهم قرءوا هذا الرأى للعلماء الأوربيين فقلدوهم فى ذلك محاكاة الببغاء. ولو أنهم دققوا النظر لوجدوا أن كلمة الدين فى [illegible]

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأوربيين معناها (المسيحية) لا الدين فى ذاته ، وإذاً ، فهى لا تنطبق على الاسلام فى أى شىء ، لأن البواعث التى حدت الغربيين الى هذا الرأى عن المسيحية لا توجد فى الاسلام .

أما عذر القدماء الذين كانوا يدينون بهذا الرأى من المسلمين ، فهو — كما أسلفنا فى المقال الأول — أن قوماً ممن لا دين ولا خلاق لهم اندسوا بين المشتغلين بالفلسفة وأخذوا يروجون للزندقة والإلحاد ، فأساءوا الى أنفسهم والى أمتهم والى الفلسفة نفسها . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن مشاهير فلاسفة الاسلام كالفارابى وابن سينا وابن رشد قد قدّسوا بعض النظريات اليونانية الخاطئة ، فهووا فى نظر المؤمنين هويا أفعم قلوب الأمة الاسلامية بالريب والشكوك فى الفلسفة كلها ، كما يتضح ذلك من كتابات الامام الغزالى وأمثاله من الأتقياء .

وهانحن أولاء سنذكر فى هذه الفصول فلسفة كل فيلسوف من فلاسفة الاسلام بعد الالمام بحياته الشخصية ، ثم نبين ما اهتدى اليه كل واحد منهم من آراء صائبة ونظرات قيمة ، ثم نعقب على ما نظن أنه خاطئ من تلك الآراء بما يوضح تلك الأخطاء ويرد عليها . وسنبدأ بأول مشاهير أولئك الفلاسفة وأسبقهم الى خوض مممان النظريات العقلية وإن كان أقل خطرا ممن أتوا بعده ، وهو يعقوب الكندى الفيلسوف العربى الخالص :

يعقوب الكندى ـ نسبه وحياته :

هو يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندى ، ينتهى نسبه الى يعرب بن قحطان ، ولد فى واسط ، ولا يعرف أحد من المؤرخين تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته بالضبط ، وكل ما يعرفونه عنه هو أنه عاش فى القرن التاسع الميلادى .

درج الكندى بين أحضان أسرة ماجدة كان لها السيادة والإمارة منذ زمن بعيد ، فأبوه اسحاق بن الصباح كان أميرا على الكوفة فى عهدى المهدى والرشيد ، وجده أشعث بن قيس كان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعد الاسلام ، وكان فى الجاهلية ملكا على كندة كلها ، وورث المملكة عن آبائه وأجداده .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

دراسته :

بدأ الكندى حياته العلمية فى البصرة ، ثم ارتحل الى بغداد عاصمة العلم والثقافة العالمية إذ ذاك ، ففيها تهذب وتأدب ، ومن معارفها انتهل حتى أصبح رأسه دائرة معارف كبرى حوت من الفلسفة والأدب والطب والفلك والموسيقى وفن الألحان والرياضة والطبيعيات والكيميائيات ، ما تعجز عن احتوائه عشرات الرءوس .

افتتن الكندى بالفلسفة اليونانية افتتانا جعله لا يتورع عن أن يعلن فى بعض كتبه أن جده الأعلى : قحطان ، كان شقيق يونان أصل اليونانيين . ويقول بعض مؤرخى الفلسفة العربية : إن هذه الدعوى قد وجدت رواجا وتصديقا فى بيئة العباسيين ، لأنهم مع تبحرهم فى فلسفة اليونان كانوا يجهلون تاريخهم . وقد أسلفنا مناقشة هذه النقطة فى المقال الأول .

كان الكندى أيضا معجبا بالحكمة الهندية والمعارف الفارسية إعجابا شديدا ، حتى أنه عكف على كل هذه المنتجات القيمة يلتهمها فى نهم لم يعرف العرب له نظيرا من قبل ، ولهذا كان هو أول من دُعى بالفيلسوف العربى .

مؤلفاته :

أوصل بعض المؤرخين مؤلفات الكندى الى ثلثمائة وخمسة عشر كتابا ، والبعض الى مائتين وواحد وثلاثين . وقد سرد الكثير منها ابن أبى أصيبعة فى كتابه « عيون الأنباء » سرداً بلا ترتيب ولا نظام . وقد قسمت فى كتاب « تاريخ الحكماء » تقسيما أفرد كل فصيلة منها على حدة . وقد وضع بعض المؤلفين لهذه الفصائل الأرقام الآتيـــــة :

٢٢ — فلسفة	٧ — موسيقى	١٢ — سياسة
١٩ — نجوم	٥ — نفس	٣٣ — طبيعيات

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

١٦ — فلك	٥ — تقدمة المعرفة	٩ — منطق
١٧ — جدل	١١ — حساب	١٠ — أحكام
١٤ — أحداث	٢٣ — هندسة	٨ — أبعاد
٨ — كريات	٢٢ — طب	

ولكن مع الأسف الشديد أن هذه الكتب لم يبق منها إلا النزر اليسير الذى لا يستطيع أن يعطينا صورة واضحة عن فلسفة الكندى ، وإن كان من المعروف أنها مزيج من فلسفات « أفلاطون » و « أرسطو » و « أفلوطين » منسوبة كلها الى « أرسطو » كما يقول الثقات من المؤرخين .

أعداؤه :

كان للكندى أعداء كثيرون ، شأن كل العباقرة المبرزين فى العلوم والفنون . وقد استطاعوا أن يضروه فى سمعته العلمية والدينية وفى حياته الخاصة . فمن هؤلاء الأعداء : محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر اللذان دسا للكندى عند المتوكل ، وساعدهما على بغيتهما أولاً ما عرف عن الكندى من الآراء الاعتزالية ، وثانيا حماقة المتوكل وتسرعه ، فضربه وأرسل الى منزله من استولوا على كل كتبه ، ثم ردت اليه كل هذه الكتب بعد زمن ، كما ذكر ذلك ابن أبى أصيبعة فى قصة طويلة .

ومن الذين تأثروا بكتابة أعدائه المعاصرين له القاضى أبو القاسم صاعد بن أحمد الذى حمل على الكندى فيما بعد فى كتاب « طبقات الأمم » ووصف كتبه بأنها لا تفيد المطلعين عليها ، لكونها تشتمل على كليات غامضة ليس فيها تحليل للجزئيات ، ولكون تراكيبها غامضة معماة لا يستفيد منها إلا من مرن على دراسة المنطق حتى أصبح عنده مقدمات عتيدة تمكنه من فهمها . ويضيف الى هذه المعانى قوله : « ولا أدرى ما حمل يعقوب على الإضراب عن هذه الصناعة الجليلة : هل جهل مقدارها أو ضن على الناس بكشفه ؟ وأى هذين كان ، فهو نقص فيه ، وله بعد هذا رسائل كثيرة فى علوم جمة ظهرت له فيها آراء فاسدة ومذاهب بعيدة عن الحقيقة » .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ويعلق ابن أبي أصيبعة على رأى هـذا القاضى المغرض أو المقلد بقوله : « أقول : هذا الذى قاله القاضى صاعد عن الـكـندى فيه تحامل كثير عليه ، وليس ذلك مما يحط من علم الـكـندى ولا مما يصد الناس عن النظر فى كتبه والانتفاع بها » (١) .

ومن هـؤلاء الأعداء أيضا : أبو معشر الذى كان من كبار المشنعين عليـه والمشهرين به ثم أصبح أحد تلاميذه المختارين .

وعلى الرغم من كل هذه الدسائس التى حاكها أعداء الـكـندى حول شهرته العلمية ، فإن اسمه ظل نجما ساطعا فى تاريخ الفلسفة العربية ، وبقى إمام الفلاسفة وأول المتبحرين فى الحـكمة .

أخلاقه الشخصية :

يروى ابن أبى أصيبعة للـكـندى وصية أوصى بها ابنه تدل على أنه كان شديد البخل الى حد الشح المغالى الذى لا يمنع صاحبه من الإحسان فحسب ، بل يحول بينه وبين الإنفاق على نفسه . ومن هـذه الوصية قوله : « قول لا ، يصرف البلا ، وقول نعم ، يزيل النعم ، وسماع الغناء برسام حاد ، لأن الانسان يسمع فيطرب ، وينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت . والدينار محموم ، فإن صرفته مات ، والدرهم محبوس ، فإن أخرجته فر ، والناس سخرة ، فخذ شيئهم واحفظ شيئك (٢) .

وأنا أميل الى القول بأن هذه الجمل قد تكون مدسوسة على الـكـندى من أعدائه للتشهير بأخلاقه العملية ، كما شهروا بقيمته العلمية ، لأن من يتبحر فى الفلسفة اليونانية ويدرس الحـكمة الهندية المغالية فى الزهد والاستخفاف بالحياة المادية دراسة ذات أثر فعال كدراسة الـكـندى إياها ، يبعد أن يكون فى أخلاقه العملية شحوحا الى هذا الحد الذى رموه به ، وإن كان ذلك ليس مستحيلا ، لأن الذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم كثيرون .

(١) صفحة ٢٠٨ من الجزء الاول من كتاب «عيون الانباء» (٢) صفحة ٢٠٩ من الـكتاب المذكور .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فلسفته – الرهبانية :

يرى الكندى أن العالم مخلوق لله ، متأثر به تأثر المسبب بسببه السابق عليه ، وقد حدث هذا التأثير من الله فى العالم مرتبا على النحو الآتى :

خلق الله العقل الأول وأسكنه عالم الحقيقة ، مزودا بالقدرة على التأثير فيما يليه وعلى تصوير المادة كما يريد ، وعن هذا العقل الأول فاضت النفس الكلية التى نشأت عنها النفس الانسانية ، كما نشأ عنها عالم الأفلاك المادى .

ومما لا ريب فيه أن الكندى تأثر بفلسفة أرسطو الإلهية فى نفيه عن البارى التأثير المباشر فى المادة ، وفى إسناده هذا التأثير الى النفس الكلية التى هى أحد آثار العقل الأول . وأرسطو بدوره متأثر فى هذه النظرية بتلك القاعدة القديمة التى أشرنا إليها فى المقال السالف ، وهى « أن الكامل من كل وجه لا يصدر عنه إلا كامل » ، ولما كان العقل الأول كاملا ، ولكن لا من كل وجه لسابقية البارى عليه وافتقاره الى هذا البارى ، فقد ساغ أن تنشأ عنه النفس الكلية التى ثبت كمالها من بعض الوجوه ، لتجردها كالعقل الأول من المادة ، وانتفت عنها الكمالية من كل وجه ، لتأثرها بالعقل الأول المتأثر بالبارى ، فقد صح أن تباشر هذه النفس الكلية التأثير فى عالم الأفلاك المادى الناقص ، وبهذا التمحل المتكلف الذى بدأ الكندى استئنافه فى الفلسفة العربية قد حسب أنه وفق بين الاسلام وتلك القاعدة القديمة الخاطئة التى أبنّا أن « أفلوطين » الاسكندرى قد وجه إليها من سهام النقد ما أصابها فى الصميم ، والتى سنعرض لها مع بقية القواعد القديمة فى شىء من التفصيل عند الكلام على فلسفات الفارابى وابن سينا وابن رشد ، إن شاء الله .

ولما كان أسلوب الكندى غامضا من جهة وكتبه قد فقدت إلا أقلها من جهة أخرى ، فلم نجد فى فلسفته تصريحا واضحا بأزلية المادة كما وجدنا ذلك عند غيره من فلاسفة المسلمين ، بل لعله كان يؤمن بحدوثها متأثرا فى ذلك بتلك الرسالة المكذوبة

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

التى عزاها الاسكندريون قصدا الى أرسطو وهى فى الحقيقة مزيج من آراء «أفلاطون» و « أفلوطين » .

وكان الكندى يقول بوحدة واجب الوجود وبساطة وجوده ، ومعنى هذا إنكار الصفات بتاتا ، لأنها تجر الى تعدد القدماء كما يقول المعتزلة الذين كان الكثيرون منهم معاصرين للكندى . وصرح بأن الله قادر بذاته وهلم جرا . ولا شك أن « أرسطو » قد سبق المعتزلة الى نفى جميع الصفات عن البارى .

النفس الانسانية عنده :

يرى الكندى أن النفس الانسانية جوهر بسيط خالد هبط من عالم العقل الى عالم الحس فاستوطنه مرغما ، ثم هو لايزال يشعر بغربته ويحن الى العودة الى أصله ، ليستريح من هذا العذاب الذى يعانيه بسبب الحرمان من تحقق الميول العالية التى فطر عليها عالم الأرواح ، والتى ليس فى مكنته الوصول إليها ، وهو فى داخل أغلفة الأجسام الكثيفة ، فإذا أراد الانسان أن يقل من تلك الكثافة ، ليتيح للروح فرصة فوزها ببعض ماتشتهى وقربها ممن تحب ، فما عليه إلا أن يسلك سبيل اتباع الفضائل واجتناب الرذائل ، وهى تتحقق فيما أمر الله به ونهى عنه ، وعند ذلك يصل الى نيل بغيته من السعادة الروحية والكمال النفسى ، وهذا هو الذى صدر عنه الكندى فى آرائه الأخلاقية ، وهو متأثر فيه أيضا بمذهبي : « أفلاطون » و « أفلوطين » المعزوين زورا الى « أرسطو » فى هذه النظرية . وقد انخدع فى هذا الرأى كل فلاسفة الاسلام وحسبوه لأرسطو حقا ، فأشادوا به وذكروه فى معرض التباهى بعلمهم الأول ، وسجله ابن سينا فى قصيدته الشهيرة التى يقول فى مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلل وتمنع

طريق المعرفة عنده :

يذهب الكندى الى أن طريق المعارف كلها هى الحواس والعقل ، فأما الحواس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فهى خاصة بالمحسّات والجزئيات الموجودة فى العالم المادى . أما العقل فانه يدرك مع كل ذلك ما يوجد فى العالم المعقول من الكليات بأجناسها وأنواعها . والكندى يقسم العقل الى أربعة أقسام : العقل الحقيقى ، والعقل الكامن ، والعقل المستفاد ، والعقل الفعال أو المبرز . فأما العقل الحقيقى أو جوهر الموجودات فى الكون ، فهو الموجود الأول أو النفس الإلهية . وأما الثانى ، فهو العقل الكامن فى النفس البشرية أو استعدادها العقلى . وأما الثالث وهو العقل المستفاد فهو ملكة النفس المكتسبة من خبرتها والمرشدة لها . وأما الرابع وهو الفعال فهو مبرز الأعمال الى حيز الوجود . والعقلان : الثانى والثالث أى الكامن والمستفاد هما من فعل الله . وأما الرابع أى المبرز ، فهو من عمل الانسان البحت . ونستطيع أن نوضح رأى الكندى فى هذه النقطة بصرف النظر عن الموجود الأول الذى تكلمنا عنه فى قسم الإلهيات ، فنقول : إن هذا الفيلسوف يقسم النفس البشرية الى ثلاث قوى : الأولى العقل الكامن أو ملكة الاستعداد للتعقل أو العقل بالقوة . والثانية العقل المكتسب الذى يبرز من الكمون الى تكييف النفس بالفعل وليس مستفادا من الحياة إلا بروزه كعادة مكتسبة ، أما عنصره فهو موجود دائما فى النفس البشرية . والثالثة هى القوة الفعالة التى نستطيع أن نسميها الآن بالإرادة الفاعلة أو المنفذة . والقسمان الأول والثانى آتيان الى النفس من البارى ، والثالث من خلق الانسان نفسه . وهذا هو عين ما كان المعتزلة يقولون به من أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية .

هذا ، ويعتبر الكندى أولى طلائع الفلسفة العربية التى لم تلبث أن ازدهرت على أيدى الفارابى وابن سينا وابن رشد الذين سنحدثك عنهم على التتالى فى فصول مقبلة .

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلسفة الاخلاق

صلتها بالنفس الناطقة — أثر ذلك فى المجتمع الانسانى العام

مضينا بالقارئ فى العدد السابق فى شطر غير قليل من الفروق المتفاوتة فى بنى الانسان وأن النفوس تتفاضل بتفاضل البدائه واختلاف الثقافات ، والآن نريد أن نعرض للانسان من حيث كونه مصدر الخير أو الشر ، وكيف تلقى هذا الخير أو الشر ، وكيف يكون إقلاعه عنهما بطيئا أو سريعا .

فالانسان بما أسبغ الله عليه من نعمة التفرد بجوهره عما يشاركه فيها من العوالم الأخرى حتى صار — كما نعته الرئيس — ملكا قائما على عالم الأجرام ، وخليفة لله فى أرضه ، يستجمع بين حواسه الظاهرة والباطنة ويدخر فى قواه المفكرة وحركاته الإرادية ، ما يدبر به تلك المملكة ، ويتصرف بمقتضاها تصرفا هو أجدى أنواع التصرفات وأروح لسائر الكائنات ، وأبرز وجودا وأطول خلودا .

من أجل ذلك يذهب الأخلاقيون الى أن كل ما يصدر عن الانسان من حيث كونه كذلك يجب أن يكون تاما فى فعله ووصفه ، وهذا ضرورى ، لأن صناعة الأخلاق قائمة على تركيز الخلق فى الانسان ، وإحاطته بسياج صفيق ، واتخاذ الفضائل الأربعة التى أسلفنا للقارئ كثيرا من فيوضاتها حتى يقاوم الخيرُ فى النفوس بما ركز فيها من خلقٍ عاديات الشر وغوائل الطبيعة ، ومتى أحكم ذلك السياج المنيع بتدبير من الروية وإلهام من الخير ، وجب أن يكون الانسان فى مملكته أعلى المثل الطيبة فى جميع مايصدر عنه .

فاذا كانت جواهر الموجودات متفاوتة فى الشرف ، نظرا لما يصدرعنها من آثار ضارة أو نافعة ، كانت بالقياس الى ما تنزع اليه شريفة أو وضيعة .

أما الانسان من بين هذه الموجودات فهو متحل بضروب من الاستعدادات لضروب من المقامات ، وليس ينبغى أن يكون الطمع فى استصلاحه على مرتبة واحدة ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهذا شيء يتبين فيما بعد بمشيئة الله وعونه عند الكلام بإسهاب عن تلك الفروق ، غير أن ما يجب أن يعلم الآن وقبل كل شيء هو أن وجود الجوهر الانسانى متعلق بقدرة خالقه ومنشئه سبحانه وتعالى عن الشبيه والنظير . غير أن تجويد ذلك الجوهر بوسائل قمع الشهوات وإحلال أضدادها مكانها ، وتمحيض ذلك الجوهر للخير قدر الجهد حتى يصهر النفوس الشريرة من علائقها ، ويكبح فيها ملكة الجموح ، ويحيلها الى نوع من السعادات ، إنما هو من عمل الانسان ، ومتعلقات قدرته ، وأثر من آثار إرادته .

ومما لا مرية فيه أن الأخلاقيين معنيون أبدا بتعرف أن نفوسنا ما هى ولأى شيء هى ، وأن لكل جوهر موجود كمالا خاصا به وفعلا لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك الشيء .

لذلك كنا نحن أيضا معنيين بمعرفة الكمال الخاص بالانسان ، والفعل الذى لا يشاركه فيه غيره من حيث هو إنسان ، لنحرص على طلبه وتحصيله ، فنسعى فى البلوغ الى قمته .

ولما كان الانسان فى حقيقة أمره مركبا لا يتجزأ إلا من حيث ما يصدر عنه ، كان واجبا أن يكون مفهوما صدور تلك البسائط فى أفعاله الصادرة عنه .

فأفضل الناس هو أقدرهم على إظهار فعله الخاص وألزمهم له وأدومهم عليه ، من غير تلون فيه ، ولا إخلال به فى وقت دون وقت .

وبذلك إذا عرف الأفضل يعرف الأنقص ، على اعتبار ملاحظة الضد ، فالكمال الخاص بالانسان ينحلّ فى الحقيقة الى كمالين ، ذلك أن للانسان قوتين : إحداهما العالمة والأخرى العاملة . فبإحدى القوتين يشتاق الى المعارف والعلوم ، وبالأخرى الى نظم الأمور وتنسيقها ، وبهاتين القوتين سما الانسان الى معارج الكمال ، وتحلل من أسر المادة وعلائقها ، فقبض بكلتا يديه على مؤسسة هذا الوجود ، وأخضعها لتصرفاته التى تعتبر أثرا من آثاره ، ونموذجا صالحا من نماذج الانسانية الفاضلة والخلق الكريم .

فان للانسان فى ترتيب هذه الآداب وتلك الفضائل وسياقها أولاً فأولاً الى الكمال الأعلى طريقا طبيعيا يشتبه فيها بفعل الطبيعة ، بأن ينظر الى القوة التى تحدث فينا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أيها أسبق الينا وجودا ، وأمضى بين أظهرنا قدما ، فيبدأ بتقويمها ثم بما يليها على النظام الطبيعي ، وهو بين جلي . ذلك أن أول ما يحدث فينا هو الشيء العام الذي يحدث للحيوان والنبات بنوع عام ، ثم هو لا يزال يختص بشيء بعد شيء يتميز به عن نوع بعد نوع حتى يستحيل الى الانسانية .

من أجل ذلك يذهب الأخلاقيون الى ضرورة أن نبدأ أولاً بالشوق الذي يحصل فينا بواسطة الغذاء فنقومه ، ثم بالشوق الذي يحدث فينا الى الغضب ومحبة الأثرة والتسلط فنقومه ، ثم بآخر مراتبه وهو الشوق الذي يحصل فينا الى المعارف والعلوم فنقومه ، وتلك المرتبة الأخيرة هي المستخاصة للانسان ، فهي مرمى طرفه ، وراحة كفه ، وهي التي يسعد بها في السعداء ، ويشقى بها في الأشقياء ، فإذا قوّمها فإنما يقوم أسبابها وينسق عللها .

وليس معنى ذلك أن يقومها كما قومها في المرتبتين الأوليين ، فإن الانسان إذا اشتاقت نفسه الى العلوم والمعارف قبل أن يقطع شوط الطفولة وما يقرب من حد المراهقة واليفوعة ، كان ذلك على غير قانون الأخلاقيين ، فكان ضروريا أن يلقن في تلك المرحلة من مراحله مبادىء ذلك القانون رويدا رويدا حتى تستحكم عراه وتتآخذ علله وأسبابه ، وهذا الترتيب طبيعي لما يبدو في الانسان من أول نشوئه من الشعور بأنه يكون جنينا ثم يكون طفلا ثم يكون رجلا كاملا ، فكان بدهيا أن تحصل فينا تلك القوى مرتبة على منازل ثلاثة . ومن أجل ذلك كان الانسان في آخر دور من أدوار وجوده حامل الرسالة ، ومؤدي الأمانة ، وخليفة الله في أرضه .

ومما هو غني عن البيان أن الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم كانوا أشرف الناس بالقياس الى شرف ما يصدر عنهم من كرائم الخصال وبيض الفعال ، لأنهم أحاطوا عقولهم ونفوسهم بتلك المثل العليا للفضائل ، فورثهم ذلك النبوغ الأخلاقي استحقاقهم لأن يقبضوا على ناصية هذا الوجود ، وأن يشعوا فيه أضواء رسالاتهم وتعاليم وحيهم بين الناس جميعا ، فكانوا المثل الكامل في الانسان الكامل ؟

عباس طه

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وأذن فى الناس بالحج

إنه نظرا لاقتراب موسم الحج ، نهيب بكل مسلم الى انتهاز الفرصة إذا سنحت لهم لأداء هذه الفريضة ، لاسيما وقد تيسرت سبل الوصول الى البلاد المقدسة الآن ، وأصبح الحاج يستطيع أن يجد حتى فى البلاد العربية من وسائل الراحة مالا كان يحلم به آباؤنا من قبل .

وقد فرض الله الحج على المستطيعين له ، الذين تتوافر لهم الصحة والمقدرة المالية ، فمن آنس فى نفسه الاستطاعة المشروعة وخف اليه ، فقد وقع أجره على الله ، وأصبح فى كلاءته وحمايته بفضله وكرمه .

ونحن نريد فى هذه المناسبة أن نذكر كلمة فى الحج نضمنها ضروبا من الفوائد العلمية والحكم الاسلامية ، فنقول :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تاريخ الحج :

الحج من الشئون الدينية التى كانت تعرف من لدن أقدم العصور عند جميع الأمم ، فما من أمة إلا ولها مكان معين أو أمكنة تحج اليها ، وحادا أو جماعات ، فى وقت واحد أو أوقات متعددة .

فكان لقدماء المصريين وللسريان هياكل مقدسة يحجون اليها .

وكان الصينيون ولا يزالون يحجون الى هياكل معينة فى بلاد التبت وبلاد التتار وغيرها .

أما الهنود فحجهم الى هيكل تحت الأرض فى جزيرة اليفانتا على سواحل مالابار ، أو الى هيكل جاجرنات أوغيرهما .

أما اليونانيون القدماء فكان لهم فى بلادهم وفى مستعمراتهم بآسيا هياكل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يقصدونها ليمضوا فيها وقتا فى العبادة والنسك ، أشهرها هيا كل جوبتير وديانا ومنيرفا الخ .

وقد أمر الإسرائيليون أن يؤموا أورشليم ليمضوا فيه عيد الفصح متعبدين مخبتين .

ولما جاءت المسيحية جعلت أمكنة الحج فى أول عهدها قبور الأولياء والشهداء . ثم حولته الى أورشليم ، فكانوا طوال عهد القرون الوسطى يقصدونها لأداء هذا الواجب .

الحجاج من أهل الملل السابقة على الاسلام كانوا يرون أن من وجوه الزلفى من الله أن يتكبدوا فى حجهم حرجا شديدا ، فكانوا يتعمدون إرهاق أبدانهم ، كأن يقصدوا مواطن الحج مشيا على الأقدام ، أو حفاة تُدمى أرجلَهم الرمضاء . ومنهم من كانوا يتوجهون الى الحج موقرين بسلاسل حديدية تهد القوى ، أو يقطعون اليه المساوف الشاسعة وهم داخل أكياس ليتعثروا فى كل خطوة من خطواتهم .

أما الأتقياء من الصينيين فينذرون أن يطوفوا بتلك الهيا كل زحفا على بطونهم ، معتمدين على مرافقهم ، أو حاملين أثقالا باهظة على ظهورهم . وكان على الكهان أن يعينوا لهم أى أنواع الإرهاق الجثمانى أحب الى الله من غيره .

الحج فى الاسلام :

كان العرب قبل الاسلام كسائر الأمم يحجون فى عهد جاهليتهم الى البيت الذى بناه ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام فى مكة ، حتى أن أبرهة عامل أصحمة ملك الحبشة باليمن ابتنى قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بنحو أربعين سنة كنيسة فى صنعاء ، وحاول أن يحمل العرب على الحج اليها . فلما لم ينجح فى محاولته اعتزم أن يهدم الكعبة ، فقصدها على رأس جيش ممتطيا صهوة فيل له ، فرده الله عنها ، ولم يبلغ مراده منها .

ولما جاء الاسلام جعل الحج ركنا من أركانه الخمسة ، وهو أشد أركانه كلفة ، ... كثير من وجوه الإعفاء جريا على أسلوبه الحكيم فى دفع الحرج عن متبعيه

جزوب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مصداقا لقوله تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وقوله : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم » . فاشترط له الاستطاعة من صحة ومال ، وكره أن يرهق فيه أحد نفسه ولو تطوعا وتطلبا لزيادة الأجر . فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا ماشيا يتهادى بين ولدين له يريد الحج ، فسأل عن شأنه ، فقيل : يا رسول الله إنه نذر أن يزور البيت ماشيا . فقال : « كلا ! إن الله غنى عن تعذيب هذا نفسه ، احملوه » أى على بعير .

قلنا : أقر الاسلام الحج ، ولكنه لم يدعه على ما كان عليه فى عهد الجاهلية ، فإن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الأجساد رجالا ونساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون . وقد سجل الله عليهم ذلك ، فقال تعالى : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكَاءً وتَصْدِيَة » . المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق . وأمر النبي صلى الله عليه وسلم لما قوى سلطان الاسلام أن لا يدخل البيت عريان .

ونظّم ـ سلام الله عليه ـ الحج فجعل له أميرا يتقدم الناس ويتفقدهم ، ويدفع بوائق الطريق عنهم ، حتى إذا انتهوا الى البيت تولاهم هو وخطباؤه بالارشاد لخيرى الدنيا والدين .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد تعميم العلم بأمر من الأمور خطب به الناس فى الموسم ، أو أوعز الى أميره أن يخطب الناس به هنالك .

فحوّل الاسلام الحج على هذا الوجه من عبادة جسدية لا روح فيها ، الى عبادة اجتماعية روحية ذات أثر بليغ فى ترقية شئون المسلمين . وقد أشار الله تعالى الى هذه المزايا العظيمة بقوله تعالى : « وأذِّن فى الناس بالحج يأتوك رِجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات » الآية . وقد فسر العلماء المنافع بأنها دينية ودنيوية معاً . وهذا شأن الاسلام فى كل ما فرضه على الناس : يراعى فيه مصلحة الحياتين جميعا .

فلو أردنا أن نستقصى ما يمكن أن يثمره الحج للمسلمين كافة من وجوه المنافع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأدبية والمادية لضاق علينا المجال ، فإن لم يكن فيها إلا تعارف الشعوب الاسلامية ، وإلمام بعضها بحاجات بعض ، لكفاها ذلك عاملا قويا فى دفعها الى تبادل الوسائل والتعاون على سد المفاقر ، ولوصلت جميعا على هذا النحو من التكافل الى مستوى رفيع بين شعوب العالم .

ولكن هذه الثمرات الاجتماعية الجليلة لا يمكن أن تكون إلا إذا تطورت فكرة الحج لدى المسلمين حتى تبلغ المفهوم من مراد الله من الحج . فإن المشاهَد لدى أكثر المسلمين الآن أنهم لا يلحظون فيه إلا الناحية الروحية وحدها ، وكان لتجريده لهذه الناحية أثر ظاهر فى حصره فى طبقة من المسلمين لا تتعداها إلا نادرا .

إذا تقرر هذا كان من أوجب واجباتنا أن ننوه بمنافع الحج للدين والدنيا معا ، وأن نكثر من ترويج هذه الحقيقة فى الأذهان ، وأن ننبه خطباء المساجد الى ملاحظة هذا الأمر الجلل فى شهور الموسم من كل عام .

ولكنا نعلم من ناحية أخرى أن هذه الدعوة لا تنتج كل مايرجى منها إلا بارتقاء العمران فى البلاد المقدسة ، وتيسير سبل الوصول اليها . أما الشطر الثانى من هذا الشرط فقد تم بما خصص للحج من بواخر إسلامية تعنى جد العناية براحة الحجاج فى ذهابهم وإيابهم ، مما أصبح مفخرة لمصر ، ونرجو أن يحذو حذوها جميع الأقطار الإسلامية . وأما الشطر الأول منه وهو انتشار العمران فى البلاد المقدسة فأدعى للعناية . فقد مر على الناس زمان كانت الشقة بين مكة والمدينة مخوفة الى حد أنه كان من المخاطرة بالنفس اجتيازها . هذا فضلا عن أنها كانت تقطع على الأبل فتظل هذه الحيوانات تسير سيرها الوئيد اثنى عشر يوما ، ويضطر من عليها من الشيوخ والنساء أن يمضوا لياليها فى وسط فيافٍ جرداء ، أو وديان موحشة ، محرومين من جميع وسائل الإسعاف . وقد تغير ذلك اليوم ، فتعلم أذكياء العرب تسيير الأوتوموبيلات ، فصارت تقطع تلك الشقة فى ثلاث . ولكن الثلاث كثيرة على الناس أيضا فى مثل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا العصر ، فلابد من اختصارها الى يوم واحد بواسطة خط حديدى يمد بين مدينتى الحرمين ، يكون فيه كل وسائل الراحة لقاصدى أداء هذه الفريضة .

ويجب أن تنشأ فى مكة والمدينة فنادق على الطراز الحديث ، وأن يستكثر فيهما من عدد الأطباء والصيدلات ، وأن يدخل اليهما جميع المستحدثات النافعة من الأنوار الكهربائية والخطوط التلغرافية والتليفونية ، السلكية واللاسلكية ، والبُرُد الجوية ، حتى لا يشعر الحجاج بانقطاعهم عن العالم .

نعم : إن هذه التجديدات سائرة هنالك بحيث يرجى لها أن تنتهى الى هذه النهاية ، ولكن يجب العمل على تنشيطها بكل ما يستطيعه المسلمون من وسيلة ، سواء أكان ذلك بتأليف الشركات ، أو بالتبرع بالمال لجماعة تنتدب لإحداث هذه الأعمال . بهذه الوسيلة يتضاعف عدد الحجاج ، فبعد أن يكون أكبر عدد للحجاج مائتى ألف من سائر الأقطار قد يبلغ المليونين بل أكثر من ذلك ، وفى هذا رواج عظيم للشركات التى تقوم بهذه المنشآت ، وباب رزق واسع للعرب الذين يعتبرون موسم الحج حيلتهم الوحيدة فى الحياة .

ربما يرى بعضهم أنه كلما كثرت المشاق من أداء فريضة الحج ازداد ثواب الحاج . هذا لا مشاحة فيه ، ولكن لا يجوز الإبقاء على هذه المشاق لمصلحة بعض المتطوعين فى سبيل حرمان أكثر المسلمين من أداء هذه الفريضة ، إذ ليسوا كلهم من قبيل هؤلاء المتطوعين ، والاسلام جاء باليسر فى كل شىء ، ورفع الحرج عن كل ما يتعلق بالدين ، فهو دين الكافة لا دين طائفة من الناس ، وقد بنى على التيسير لحكمة عالية وغرض عظيم .

فهل خير للمسلمين أن يحج عدد قليل يجازفون بحياتهم لينالوا أكبر حظ من الثواب بسبب المشاق والأخطار التى يتعرضون لها ، أم أن يحج منهم عدد كبير

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا يتكبدون مثل هذه المشاق ، ولا يتعرضون لمثل تلك الأخطار ، مكتفين بثواب القائمين بما فرضه الدين ؟

لا أظن أن يحدث خلاف فى أى هذين الأمرين خير للمسلمين ، لا لأن المصلحة تقضى به ، ولكن لأنه يوافق روح الاسلام من الرفق والتيسير ودفع الحرج والعنت فى كل شيء ، عملا بقوله تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ويتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

محمد فريد وجدى

مما قيل فى الرأى والهوى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قال بعض الحكماء : فضل مابين الرأى والهوى ، أن الهوى يخص والرأى يعم ، وأن الهوى فى خير العاجل ، والرأى فى خير الآجل ، والرأى يبقى على طول الزمان ، والهوى سريع الدثور والاضمحلال ، والهوى فى حيز الحس ، والرأى فى حيز العقل .

وأوصى بعض الحكماء رجلا فقال : آمرك بمعاهدة هواك ، فانه يقال : إن الهوى مفتاح السيئات ، وخصيم الحسنات ، وكل أهوائك لك عدو ، وأهواها هوى يكتمك فى نفسه ، وأعداها هوى يمثل لك الاثم فى صورة التقوى ، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يشوبه وهن ، وصدق لا يطمع فيه تكذيب ، ومضاء لا يقاربه التثبيط ، وصبر لا يغتاله جزع ، ونية لا يتقسمها التضييع .

وقد قيل : ما أبين الخير والشر فى مرآة العقل ما لم يصدئها الهوى ! وقيل أيضا : من جرى مع هواه طلقا ، جعل عليه للذل طرقا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام والمسيحية [1]

كانت الملكة زبيدة امرأة ذات مواهب، وشاعرة مطبوعة . وإن مكة لتدين لها بالقناة المسماة باسمها . وكانت الأوانس فى العصر العباسى يشتركن فى الحروب ويقدن الجيوش . وقد ترأست والدة المقتدر محكمة الاستئناف العليا، وكانت تقابل السفراء والمبعوثين . وكانت الشيخة شهده تحاضر فى بغداد فى القرن السادس الهجرى فى التاريخ والأدب . ومن بين مشاهير المتفقهات زينب بنت المؤيد التى تتلمذت على أشهر فقهاء عصرها وأُعطيت إجازة بتدريس القانون . ولم تقلّ منزلة النساء الثقافية والتهذيبية تحت حكم الأمويين عن منزلتهن تحت حكم العباسيين ، فقد أخرجت غرناطة وقرطبة من مجليات النساء من اشتهرن فى الفنون وفى العلوم ، مثل نزون وزينب وحمرة وحفصة وصفية ومارية .

ويحسن بى فى هذا المقام أن أقول : إن الاسلام قد اعتبر المرأة مستقلة فى نظر القانون ، وأعطاها حق حيازة الملك وجعلها مسئولة عما تدخل فيه من الالتزامات . وتعلمون أن الحال ليست كذلك فى نظر أوربا المسيحية ، ففى أغلب الممالك الأوربية تنتقل ملكية أملاك المرأة الى زوجها عند الزواج ، وفى انجلترا تصبح المرأة فى نظر القانون العام ، هى وزوجها شخصا واحدا ، ليس لها الحق وحدها فى التملك أو الدخول فى الالتزامات . ثم جاء قانون سنة ١٨٨٢ لملكية النساء المتزوجات ، فأعطاهن الحق الذى لم يتمتعن به من قبل ، فأصبحت المرأة مسئولة عما تدخله من الالتزامات والتعهدات بقدر أملاكها الخاصة ، إلا أن هذا القانون لم يجعل الزوج خاليا من تبعة تصرفات زوجته ، فإن للمدعى حق الاختيار بين مقاضاة الزوجة بمفردها أو إشراك زوجها معها .

(١) بقية ما نشر بهذا العنوان فى العدد الثامن من هذه السنة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإذا لم يكن للزوجة مال خاص أمكن المدعى مقاضاة الزوج بصفته مسئولا عن تصرفات زوجته .

نستنتج من ذلك أن فكرة الاسلام فى اعتبار المرأة مستقلة أمام القانون سبقت كل ما أحدثه فقهاء الغرب . ثم إننا نجد غير ذلك أن كل شخص ، ذكرا كان أو أنثى ، له الحق فى الميراث ولا يمكن سلبه هذا الحق . فإذا قارنا ذلك بالحرية المطلقة فى الوصية فى القانون الانجليزى ، نحمد الله على ما هدانا اليه من ضرورة الاعتراف بحقوق الأسرة .

لقد اضطررت فى هذا العرض الموجز أن أغفل ذكر الحضارة العالية التى بلغها مسلمو إيران والهند ، ولكن يحسن بى أن أشير الى أنه لولا دخول العرب فى الهند لكان للتاريخ شأن آخر غير شأنه الحالى ، فقد دخل العرب بلاد السند بقيادة محمد بن قاسم واستولوا على مولتان واحتلوا البنجاب حتى بيز ، ثم استقر مقامهم هناك تحت إمرة محمد الغزنى . ولسنا نبالغ إذا قلنا إنه لولا العرب لما أنجبت إيران رجالا كعمر الخيام والنظامى والرومى والسعدى وحافظ والفردوسى ، ولما أنجبت الهند من الحكام أمثال بابار وأكبر وشاه جاهان وأورانجزب ونورجاهان والفيضى . ولولا الاسلام لما بُنى (تاج محل) لؤلؤة المجهودات الآدمية فى بحر الوجود ، والدليل الساطع على ما لا يمكن وصفه من الآلام ، والبرهان الخالد على حب أمبراطور لشريكته فى الحياة والملك . ولولا الاسلام لما وجدت مبانى فيتيبور سكرى الدالة على عظمة فن البناء واستطاعته التعبير عن حالة طارئة من طبيعة الملك أكبر العجيبة . ولولا الاسلام لظلت ملايين العمال من الهنود تعبد الملايين من الأصنام دون الله ، ولظلت اللعنة النازلة بالمنبوذين عامة فى جميع البلاد ، ولما قامت الديمقراطية بالهند ، كما كانت وكما هى الآن ، تناوئ لنظام الطبقات وليد البرهمية غير الشرعى .

ولننتقل الآن الى القارة المظلمة حيث نجد فى بعض جهاتها أثرا من آثار الاسلام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ذى التاريخ العظيم ، فنجد فى نيجيريا وأ كانتى وكينيا وتنجانيقا وتخوم السودان والصحراء ، إمارات من البربر والزنوج المسلمين يسبقون جيرانهم المتوحشين فى أسباب المدنية ، بإطاعتهم للقوانين واتخاذهم سنناً خلقيا ، وغير ذلك مما يميزهم على القبائل الهمجية ، حتى أن المستعمر الأوربى لهذه الجهات لم يجد صعوبة فى تنظيمها وإدارتها ، لوجود نوع من نظام الحكم بها قبل الاستعمار ، فكان المستعمر يترك لهم قوانينهم المدنية كما هى فى أغلب الأحيان ، ويستبدل قوانينهم الجنائية والحربية بغيرها . واسأل المبشرين فى تلك الأصقاع يخبروك أنهم لا يلاقون نجاحا بها ، لأن القبائل هناك قد عرفت التهذيب قبل معرفة الرجال البيض بقرون ، فإن تجار العرب ، لا سيما فى عصر الاسلام الذهبى ، كانوا قد حملوا الى كثير من تلك القبائل رسالة السلام والمدنية لا كرسل للاستغلال الاقتصادى والسياسى كما يحدث اليوم ، ولكنهم جاءوهم مخلصين يبلغونهم الرسالة التى أمرهم رسول الله بإبلاغها الى الناس .

وقد يسأل سائل فيقول : وما علاقة ما وصل اليه المسلمون فى العصور الأولى للاسلام بالاسلام نفسه ؟ والجواب على ذلك أن العلاقة كائنة فى كل شىء ، فلقد كانت بلاد العرب قبل الاسلام غارقة فى بحور من الجهل والرذائل ، فلما جاء الاسلام تبوأت بجدارة ذرا التقدم والثقافة . وكانت تعاليم الاسلام هى الداعية الى هذا التغيير وسبب هذا الانقلاب العظيم ، قال رسول هذه التعاليم : « مداد العلماء أفضل عند الله من دم الشهداء » . وقال أحد الكتاب المحدثين : « حفظ العرب التراث الذى خلّفه المتقدمون من العلم والمعرفة ، ولولا عملهم هذا لضلت سفينة العلم فى بحر الظلمات . فعلينا أن نشكر للعرب إنقاذهم تلك البضاعة النفيسة من الآداب والفلسفة اليونانية وحفظهم إياها خمسمائة سنة . كانت الأمبراطورية الاسلامية ، ولم يمض على وفاة النبي غير تسعين سنة ، تمتد من جبال الهملايا الى جبال البرنات ، ولقد صحت عزيمتهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لما كانوا عليه من الكبرياء العقلى والطموح وسعة التصور ، على أن يدركوا سر الروح أيضا فى فتوحاتهم »

من ذلك نعلم أنه لولا الاسلام لظل الناس يتخبطون فى ظلمات الجهل والهمجية ، فقد كان مصباح المعرفة ذبالة لا تكاد تضىء ، وكانت تلك الذبالة تنذر بالأفول . ولولا الاسلام لما حدثت النهضة بأوربا ، ولما بدد النور ظلام العصور المظلمة . إذن فالفضل يرجع للعرب فى بقاء شعلة الثقافة والمدنية مشتعلة ، وفى مساهمتهم بما أضافوه من المعلومات التى زادت من سعادة الناس ورخائهم ، ولم يكن عملهم موقوتا بل كان باقيا .

والآن أتناول مسألة أخرى ، وهى : هل المدنية الحديثة من ناحيتها الصالحة تدين بوجودها الى المسيحية ؟ ولكننى قبل الخوض فى هذا الموضوع أود أن أنبه حضراتكم الى حقيقة تاريخية هامة ، وهى أن المسيحية بدأت حياتها وسط مدنية عظيمة ، مهما قيل إنها كانت مدنية متداعية ، فبدل أن تحييها عجلت سقوطها ثم بقيت ، على حد تعبير جونسون ، ملكة الليل عدة قرون . ولم تظهر البلاد المسيحية علائم الحياة الممدنة إلا بعد أن انتشرت المدنية الاسلامية من أقصى الشرق الى أقصى الغرب . وليس هذا مجال بيان كيفية مساعدة المدنية الاسلامية على نشوء الحضارة الأوربية الحديثة . فإذا كان من حضراتكم من يريد الاطلاع على تلك الناحية فعليه الالتجاء الى كتاب « تطور أوربا العقلى » تأليف دريبر ، فهو يساعد على فهم هذا الموضوع . وإذا حدثتكم عن منهج المسيحية نحو تقدم الحضارة الحديثة فلن أحدثكم عن تلك القصة المروعة بالتفصيل ، لأن كل مطلع على تاريخ العصور الوسطى يعرف عنها ما فيه الكفاية ولكننى سأقفكم على النتائج التى وصل اليها ليكى (Lechey) بعد بحوثه المستفيضة فى هذا الموضوع ، قال :

« كان كل اتجاه فكرى تعده الفلسفة جوهريا فى تقدم الأبحاث ، موضع ما تكـ ...

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

معصية ، كما أن كثيرا من الرذائل الفكرية الفظيعة كان معتبرا من الفضائل ، وظل الحال كذلك حتى القرن السابع عشر . كان الشك فى الآراء التى يلقنها الطفل قبل سن التمييز معصية . وكانت الفضيلة أن يعتقد فيها الانسان اعتقادا راسخا دون سؤال أو تمحيص . كان الاعتراض على تلك الآراء أو ملاحظة العيوب المشتملة عليها معصية . وكانت الفضيلة إخماد أى اعتراض عليها بتهمة صدوره من الشيطان . كان من الإجرام البحث فى أى شىء بحثا حرا بريئا من الأغراض ، ومن الإجرام اتباع ما ترشد اليه العقول المستنيرة ، ومن الإجرام أن يدلى الانسان برأيه أو أن يعترف بكفاية خصوم الآراء السائدة حينذاك . وبكلمة واحدة كان رجال الدين يعتبرون كل ميل الى التخلص من قيود العقائد السائدة وحب التفكير إهانة موجهة الى الله جل وعلا . ولقد نجحوا مدى زمن طويل فى شل حركة العقل الأوربى تقريبا ، وفى إقناع الناس أن البحث الحر الخالى من الأغراض من أحط الرذائل ؛ نجحوا فى ذلك بإبادة كل كتاب يمكن أن يشير مناقشة موضوعه ، وببث روح التصديق الأعمى فى كل فرع من فروع المعرفة ، وباضطهاد المختلفين معهم فى الرأى اضطهادا مروعا .

وأخيرا أنقذت أوربا المؤثرات الفكرية التى أوجدت (النهضة) بفضل أولئك الفلاسفة الذين وضعوا شروطا للبحث ، وأولئك المجددين الذين جرءوا على مناهضة الأفكار العتيقة ، ولم يخفهم استشهاد برونو وفانينى أمام عيونهم . فانتشرت روح الفلسفة ، وإن شئت فسمها روح الحقيقة . وضعفت روح التعصب الفكرى .

وطالما كانت روح التعصب الفكرى سائدة كان الاضطهاد عاما نازلا بالناس بلا رحمة ، مسلما بضرورته . ولما قويت روح الفلسفة اضمحلت عادة الحرمان من رحمة الله ، وضعف الاضطهاد ، وغير طريقه ، فبعد أن كان عملا يجرى فى العلانية أضحى ميلا عاما فقط . فى عصر من عصور الاضطهاد كانت الخوارج تحرق ، وكانوا يرهقون بالقوانين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الجنائية فى عصر آخر من عصوره . وفى عصر ثالث كانوا يحرمون من المراتب والمكاسب . وفى عصر رابع كانوا ينبذون من المجتمع . وكان كل عصر من تلك العصور مصحوبا بما يناسبه من اضمحلال روح التعصب الفكرى ، وبما يناسبه من ازدياد قوة الحقيقة .

من الواضح أن أحكام ليكى السابقة لا تحاول بأى حال من الأحوال نسبة المدنية الحديثة الى المسيحية بأعلى معانيها . ويمكننا أن نقول إن المدنية الحالية جاءت على الرغم من المسيحية ولم توجد بفضلها . ولكن الحال غير ذلك فيما يتعلق بالحضارة الاسلامية ، فقد انتشرت وانتعشت فى الوقت الذى انتشر فيه الدين الذى أوجدها ، واضمحلت حينما وقف تقدم الدين وسكن .

وهنا نسأل لماذا فقد الاسلام حيويته ونشاطه ؟ والجواب على ذلك قريب : إن الدين يبقى من عصر الى عصر ، ولكن الأمة لا تستطيع أن تظل كذلك . فالأمة كأى كائن من الكائنات الحية ، لها ميلاد ولها شباب ، ثم تموت . أما الدين ، إذا كتب له البقاء ، فينتقل من بلاد الى بلاد لإظهار نفسه . وطالما كان الاسلام ينتقل من مكان الى مكان ظل حيا وظل نشطا : وفى اللحظة التى وقف فيها انتشاره بدأ ضعفه .

وتذكرون حضراتكم أن اعتناق الشعوب الجرمانية الباسلة الدين المسيحى جعل للمسيحية ما لها الآن من مجد وحضارة . فهم الذين احتجوا على المسيحية الأصلية ، وهم الذين أحدثوا الإصلاح فى اتجاه تفكير الناس ، وأوجدوا عناصر التفكير الفلسفى الجرىء والبحث الحر ، وكل الدوافع التى كوّن مجموعها الحضارة الحالية . ألم يكن الآباء الحجاج هم الذين أوجدوا أمريكا الحديثة ؟ على ذلك كان دخول الدين بلادا جديدة من أهم العوامل فى حياة هذا الدين . وقد تنبهت الى هذه الحقيقة المنسية البلاد الاسلامية الغافية ، وعولت على اليقظة والتوسع مرة أخرى . والدليل على ذلك أن المسلمين من الهنود ، على الرغم من كونهم رزحوا تحت نير مزدوج ، ينشئون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الارساليات التبشيرية ويرسلونها الى بلاد الغـرب . فإن فى ذلك ما فيه من قوة العزم والرغبة فى التضحية من أجل هـذا الغرض النبيل . ويسأل المسيحيون أنفسهم : هل فى وسعهم أن يدلوا على مثل هـذه العزيمة بين صفوفهم فيما يتعلق بدينهم ؟ وهـل هم متفائلون فى مستقبل دينهم كتفاؤلنا فى مستقبل ديننا ؟

إن أول ما يبدو للانسان هو قوة العقيدة الاسلامية وتأصلها فى النفوس . وهذه بلا شك ظاهرة جديرة بالنظر . ولقد أصاب كارليل حينما قال فى هذا الموضوع : « إن الدين الاسلامى يجد مكانه فى صميم الأفئدة . وإن العرب يؤمنون بدينهم ، ويعيشون به على عكس المسيحيين الذين لم يتمسكوا بدينهم تمسك المسلمين بدينهم ، منذ أيام المسيحية الأولى . والمسلمون يرددون عبارة (الله أكبر) فيتجدد إيمانهم بالاسلام يوما بعد يوم » . ومهما قيل فى عدالة كارليل ككاتب أو ناقد فإنه لم يعارض رأيه هذا كاتب من الكتاب حتى الذين عرفوا بهاجمتهم للاسلام . ولكننى لا أقصد من قولى هـذا أن عيسى كان كاذبا أو أن الدين الذى جاء به ليس دينا حقيقيا . فما أبعد هذا عما أعتقد ؛ فإنى أعتقد مع جميع المسلمين أن عيسى رسول الله ، وأنه لم يأت بما لم يوح به الله . إلا أننى أقول مع ذلك إن الديانة المسيحية وتعاليم الكنيسة المسيحية ، فى نظر المسلمين ، شيئان مختلفان . فليس للمسيحيين من عقيدة إلا فى عيسى الذى خلقته مخيلاتهم . وفى هذا رد المسلمين على السؤال الآتى : « لماذا لا يكون للمسيحية من السلطان على أتباعها مثل ما للاسلام من السلطان على معتنقيه ؟ » . وقد يسأل سائل فيقول : وما هى مساوئ المسيحية على ما هى عليه الآن ، وما هى مزايا الاسلام ؟ والجواب على ذلك أن المسيحية كما هى الآن لا تسد مطالب الدين الصحيح . فالدين الصحيح يجب أن يقدم للناس حلولا معقولة للمشاكل والمعضلات التى تعترض حياتهم . والاسلام وحده يقدم هذه الحلول الى الفرد والى الجماعة على السواء . أما المسيحية فانها فى محاولتها تعريف الشيء تقسمه أقساما ، ولا أكثر من ذلك . وسأسرد على حضراتكم بعض الأمثلة توضيحا لما أقول :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلنبدأ بموضوع الله :

إذا أردنا تفسير الفوضى فى الخليقة لا بد من إثبات وحدتها، وقد جاء الاسلام بهذا ، قال الله تعالى : «قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد» . ولكن المسيحية بتقسيمها الخالق الى ثلاثة أقسام جعلت من مسألة عويصة مسألة أعوص منها ، فلن يستطيع إنسان أن يقول ، ويداه على صدره : إن نظرية الثالوث معقولة أو مصدقة .

وخذوا مثلا آخر: مسألة المادة والروح اللتين تعدهما المسيحية قوتين متعارضتين ، ولا بد من قتل الأولى لحياة الثانية . إن هذا ، بلا شك ، لا تقبله العقول المنطقية المتفائلة . على أن الأمر على غير ذلك فى الإسلام ، فلا تعارض هناك بين المثل الأعلى وبين الواقع . ولأجل أن يحيا الانسان حياة مثالية ، ليس عليه تطليق الواقع بتاتا ، ولكن عليه مداومة السعى وراء المثل الأعلى حتى يرتفع الواقع الى مستوى المثل الأعلى . وفى عبارة أخرى يعتبر الاسلام المادة روحا ، ولكنها روح تعبر عن نفسها فى مجالى الزمان والمكان . قال تعالى :

« ولله ملك السموات والأرض والله على كل شىء قدير » . وقال : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض » .

لقد قدر نيتشه الفيلسوف الألمانى تلك الحقيقة فى الاسلام فقال : « إذا كان الاسلام يحتقر المسيحية فهو محق ألف مرة ، لأنه اعترف بوجود الانسان » .

لها بقية

أدب العيادة

دخل كثير عزة على عبد العزيز بن مروان وهو مريض فقال له :

لوأن سرورك لايتم إلابأن تسلم وأسقم لدعوت ربى أن يصرف ما بك الى ، ولكن أسأل الله لك أيها الامير العافية ، ولى فى كنفك النعمة .

فضحك عبد العزيز وأمر له بجائزة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الفهرس العام

للسنة السادسة (١٣٥٤ هـ) من مجلة الأزهر

المقالات

الموضوع	بقلم	صفحة
(ا)		
آيات الله فى الكون	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٤٨
آثار المدينة المنورة	... ...	٣٦٦
الاخلاص فى القول والعمل	فضيلة الأستاذ الشيخ عباس طه	٤٩٣
أداء الحق مع رعاية الأدب	... ...	٢٩٢
الأدب العربى فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم	قلم الترجمة	٣٥٩
أساطيل المسلمين وحروبهم البحرية	حضرة الأستاذ مدير المجلة	١٩٨
الأستاذ الأكبر — حفلة التكريم	... ...	٢٧٠
الأستاذ الأكبر — خطبة فى الجامع الأزهر	... ...	١٠٢
الأستاذ الأكبر — خطبة فى تحفيظ القرآن	... ...	٥٠٠
الأستاذ الأكبر — زياراته لأقسام الأزهر	... ...	١٨٧
الأستاذ الأكبر — شكر	... ...	١٨٩
استدراك	... ...	٣٥٢
أسرار التشريع الاسلامى	فضيلة الأستاذ الشيخ عباس طه	٢٦٣ ، ٣٤٤ ٤٢٣ ، ٥٧٩ ٦٥٠
الاسلام والعلوم الحديثة	حضرة الدكتور عبد العزيز اسماعيل بك	٢٥٩

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضوع	بقلم	صفحة
الاسلام والطب الحديث	حضرة الدكتور عبد العزيز اسماعيل بك	٤١٨ ، ٤٧٦ ، ٥٦٢ ، ٦٣٤ ، ٦٧٦
الاسلام والفلسفة	» » محمد غلاب	٤٦١ ، ٦١٥ ، ٧٠٣
الاسلام والمسيحية	قلم الترجمة	٥٧٠ ، ٧٢١
أسلوب القرآن الحكيم	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	٦٢١
أفعال العباد	» » يوسف الدجوى	٣١١
الله جل جلاله	» » محمد الاسمر	٦٠٨
(ب)		
بيان من جمعية منع المسكرات	حضرة الأستاذ احمد غلوش افندى	٢١٠
(ت)		
تاريخ الألفاظ فى اللغة العربية	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	٤٢٦ ، ٤٩٥ ، ٥٥٦
تاريخ العلوم المدنية فى الادب العربى ...	قلم الترجمة	١٢٩
تاريخ الصوفية فى الأدب العربى	» »	٢٠٣
تاسيس مدرسة بالزيتون	... ...	٢١٥
تعليم اللغات فى الأزهر	فضيلة الأستاذ الشيخ رمضان محمد غنيم	٣٥٣
تعليق على مقال	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٦٨٧
تفسير آية « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم »	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	١٩
تفسير سورة الرعد	» » »	٧٩ ، ١٥٢ ، ٢٢٤ ، ٣٠٣ ، ٣٧٥ ، ٤٤٨ ، ٥٢٠ ، ٥٩١ ، ٦٦٢

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضوع	بقلم	صفحة
(ح)		
الحج	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٧١٥
حرية الرأى فى الاسلام	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	٤١١
حكم العلم على الفلسفة المادية	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٣٩
حكمة الصيام	فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر	٦٠١
حقوق الجوار فى الاسلام	حضرة الأستاذ مدير المجلة	١٠٩
حياة محمد — تقريظ	... ...	١٣٦
الحياة الأدبية عند العرب	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	٦٨٢
(د)		
دحض شبهات عن الاسلام	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٣٣٧ ، ٥٤٥ ٦٠٥
(ر)		
رثاء عالم جليل	... ...	٥١٠
رثاء عالم جليل	... ...	٥٨٣
الرحمة	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	١٦٤
روح الاسلام والمذاهب الفلسفية	» » صادق عرجون	٤٨١
(ش)		
الشجاعة	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٢٣٥
الشرك وعقوبته الأخروية	» » »	٣٨٨
الشرك وعقوبته الأخروية	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٣٨٨

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضوع	بقلم	صفحة
(ف)		
فاتحة السنة السادسة	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٣
فتح المسلمين لأسبانيا	حضرة الأستاذ مدير المجلة	١٢٠
فلسفة الأخلاق	فضيلة الأستاذ الشيخ عباس طه	٢٥٤ ، ٤٣٨ ، ٥٠٥ ، ٥٦٧ ، ٦٥٣ ، ٧١٢
الفيلسوف والنبي	« « يوسف الدجوى	٥٣٤
(م)		
مآثر العرب فى العلوم المدنية	قلم الترجمة	٦٥
مآثر العرب فى علم التاريخ	« «	٤٣١
مؤتمر تاريخ الأديان	فضيلة الشيخ محمد عبد السلام القبانى	٣٣٤
مجلة الأزهر	... ...	٤٤٠
محاريب المساجد	فضيلة الأستاذ الشيخ عمر الجندى	٤٦٩
المحبة وأنواعها	« « الشيخ يوسف الدجوى	٣٠ ، ٩٢
المدنية الفاضلة فى الاسلام	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٦٠
المرأة : هل لها أن تتعلم العلوم العالية ...	« « «	٤٨٥
مهمة الدين الاسلامى فى العالم أغراضه الاجتماعية	« « «	١٣
مهمة الدين الاسلامى فى العالم تطور الأمم فى فهم خير الروابط الاجتماعية	« « «	٧٣
مهمة الدين الاسلامى فى العالم توجيه قوى الاجتماع الى الاصلاح ...	« « «	١٤٥
مهمة الدين الاسلامى فى العالم مراعاة الحقوق الطبيعية	« « «	٢١٧

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضــوع	بقـلم	صفحة
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الى تعرف السنن الالهية	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٢٩٧
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الى المحافظة على السمو الروحانى	» » »	٣٦٩
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الى العمل على إقامة العمران ...	» » »	٤٤١
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الى تأسيس مدنية عالمية فاضلة ...	» » »	٥١٣
مهمة الدين الاسلامى فى العالم المدنية الفاضلة فى الاسلام	» » »	٥٨٥
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الى القيام بخلافة الله فى الأرض	» » »	٦٥٧
المولد النبوى — ذكرى	» » »	١٩٠
(ن)		
نظرة فى تفسير آية	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٦٨٠
نهضة الأدب العربى	» » الشيخ صادق عرجون	٣٥٥
(هـ)		
الهجرة النبوية — ذكرى	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٥
هندى يدعى المعجزات	... ...	٥٨٢
(و)		
واجب الشباب نحو ربهم	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٦٩٥

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الفتـــاوى

الموضـوع	بقـلم	صفحة
(أ)		
الابراء مما فى الذمة	فضيلتى الأستاذين { الشيخ عبدالحفيظ الدفنار » حسين البيومى	٢٤٨
استيضاح لفتوى	حضرة الفاضل الأستاذ خضر الحسينى اليمنى	٣٢٨
الاذان وقت الدفن	فضيلتى الأستاذين { الشيخ قنديل قنديل » عبد السلام شرف	١٧٩
الاذن فى النكاح	» { الشيخ يوسف المرصفى » حسين البيومى	٤٥
أعلام المنبر وسيف الخطيب ..	» » { الشيخ قنديل قنديل » عبد السلام شرف	١٧٩
(ب)		
البوظة — حكمها	فضيلتى الأستاذين { الشيخ محمد السيد أبوشوشه » عبد الله موسى	٢٤٦
البيع	لجنة الفتوى	٦٤٩
بيع الشجر	فضيلتى الأستاذين { الشيخ قنديل قنديل » عبد السلام شرف	٢٤٨
(ت)		
تشريح الميت	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٤٧٢، ٥٧٧
تشريح الميت وفتوى المرحوم الشيخ بخيت	حضرة الأستاذ الشيخ محمد عبد الوهاب بحيرى	٦٢٧
(ح)		
الحلف الكذب	فضيلتى الأستاذين { الشيخ محمد السيد أبوشوشه » عبد الله موسى	٢٤٤

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضـوع	بقـلم	صفحة
الحيض ـ وطء المرأة قبل الاغتسال منه	فضيلتى الأستاذين { الشيخ قنديل قنديل / « عبد السلام شرف	١٧٩
(خ)		
خلف الوعد	فضيلتى الاستاذين { الشيخ حسن على مرزوق / « على ادريس	١٧٧
(ذ)		
الذبيح — من هو؟	فضيلتى الاستاذين { الشيخ محمد السيد أبو شوشه / « عبد الله موسى	٢٤٣
(ر)		
رؤية الهلال	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٦١٠، ٦٧٢
الرضاع	لجنة الفتوى	٦٤٢
(ز)		
زكاة الذهب والفضة	فضيلتى الأستاذين { الشيخ يوسف المرصفى / « مصطفى الشربينى	١١٧
الزكاة	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الله يوسف	٢٥٣
الزكاة — الصرف منها على المستشفيات	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٥٤
الزنا بخالة الزوجة أو أمها	فضيلتى الأستاذين { الشيخ قنديل قنديل / « عبد السلام شرف	١٧١
(ش)		
شرح آية	فضيلتى الاستاذين { الشيخ قنديل قنديل / « عبد السلام شرف	١٧١

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

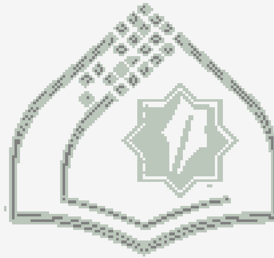
الموضوع	بقلم	صفحة
شرح آيتين	فضيلتي الأستاذين { الشيخ قنديل قنديل / « عبد السلام شرف	١٧٩
(ص)		
الصدقة — مصرفها	فضيلتي الأستاذين { الشيخ محمد السيد أبو شوشه / « عبد الله موسى	٢٤٤
الصلاة والصوم لسكان القطبين ...	« { الشيخ يوسف المرصفي / « مصطفى الشربيني	١١٦
صلاة الجمعة في البيوت والمساجد المتعددة	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي	١١٨
صلاة الليل	فضيلتي الأستاذين { الشيخ قنديل قنديل / « عبد السلام شرف	١٧٦
صلاة الجماعة — حكم تركها	« « «	١٧٩
صلاة الجمعة قبل الزوال	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الله يوسف	٢٤٩
صلاة الجمعة — نصابها	لجنة الفتوى	٦٤٨
الصلاة على الميت	« «	٦٤٧
الصور — حكم النظر إليها	فضيلتي الأستاذين { الشيخ قنديل قنديل / « عبد السلام شرف	١٧١
(ط)		
الطلاق وكناياته	فضيلتي الأستاذين { الشيخ يوسف المرصفي / « مصطفى الشربيني	١١٥
(ع)		
عذاب القبر	فضيلتي الأستاذين { الشيخ قنديل قنديل / « عبد السلام شرف	١٧٩

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضوع	بقلم		صفحة
العشر — الحصة العشرية والسماد الكيماوى	فضيلتى الاستاذين	الشيخ عبدالسلام العسكرى / » حسين البيومى	٤٦
(ق)			
القراض	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى		١٨٣
القرض فى الطعام	سيلتى الاستاذين	الشيخ حسن على مرزوق / » على إدريس	١٧٧
القصص الخيالية	»	الشيخ قنديل قنديل / » عبد السلام شرف	١٧١
قضاء رمضان والنذر	»	الشيخ محمد السيد أبوشوشه / » عبد الله موسى	٢٤٤
(ك)			
الكلب — حكم أكله فى مذهب المالكية	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى		٥٨
(م)			
مخازن الغلات	فضيلتى الاستاذين	الشيخ عبد الحفيظ الدفتار / » حسين البيومى	٢٤٧
معاملة التجار وما فيها من الربا ...	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى		٣٢٤
ميراث — مسالة	فضيلتى الاستاذين	الشيخ يوسف المرصفى / » مصطفى الشربينى	١١٨
ميراث	لجنة الفتوى		٦٤٩
(ن)			
النفقة على الزوجة والأولاد ...	فضيلتى الاستاذين	الشيخ حسن على مرزوق / » على إدريس	١٧٧

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضوع	بقلم	صفحة
(و)		
ولد الصلب	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٤٧٣
(ى)		
اليانصيب	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٣٣٠



جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الخطأ والصواب

ص	س	خطأ	صواب
١١	٢٢	واذكروا إذ كنتم أعداء	واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء
٤٧	٢٢	فتمن	فثمن
٥٣	٩	وازدراءه	وازدراده
٥٣	١٠	أبويها	أبواها
١١٩	٢٠	إن اصطناع	أن اصطناع
١٦٤	١٠	فى كبد كل رطبة	فى كل كبد رطبة
١٨٥	٢٠	من النقود من مسارعته	من النقود ، مسارعته
٢٤٨	١٠	سيقت	سبقت
٣٠٢	٧	ثم نظروا	ثم انظروا
٣١٤	٢٠	فتنفذ مشيئة	فتنفذ مشيئته
٣١٨	٤	وأما الذين فى قلوبهم	فأما الذين فى قلوبهم
٣٣٠	٧	ظريفا ماجدا	ظريفا عاقلا ماجدا
٤٢٣	١٠	التى علقت	الذى علق

ص	س	خطأ	صواب
٤٢٨	١٣	لخطينا	لخطونا
٤٣٣	١٤	شيزار	شيزر
٤٣٣	١٩	حصن حيفا	حصن كيفا
٤٣٥	٩	واصف شاه	وصيف شاه
٤٣٧	٩	ابن الرحيب	ابن الراهب
٤٣٧	١٩	أربلا	إربل
٦٤٩	٩	الصنف	النصف
٧٢٠	٦	ويتم نعمته	وليتم نعمته

(القسم الانكليزى)

ص	س	خطأ	صواب
٢٤	٢١	وصومَ رمضانٍ	وصومِ رمضانَ
٣٣	٨	أمرهم من الاعمال	أمرهم أمرهم من الاعمال
٣٥	١٠	تُثبتُ الحبة	تَنبُتُ الحبة
٧١	١٤	فى امرأتك	فى فى امرأتك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

p. 150, l. 9 *for* have thrown *read* threw

p. 151, l. 9 *for* ruined *read* desolate

p. 151, ll. 14, 24, 25 *for* spirit *read* soul

p. 151, ll. 3, 2 from bottom *read* - they have been given but a little part of Knowledge

p. 152 *insert* (2) after last word of the hadîth

and add footnote (2) :

The Prophet was afraid that recent converts would misunderstand the demolition of the Kaᶜbah, for which they had great veneration, and relapse into unbelief. For this reason he was obliged to give up the course which seemed to him the best, and to refrain from telling them. (See Al-Qastallâni and Ibn Hajar)

p. 153, l. 17 sqq. *read* :

Muᶜâdh was once riding pillion behind the Prophet, (Allâh bless him and give him peace), who said :

p. 154, ll. 12, 13 and also last line of hadîth *read* " They would take advantage of it "

p. 155, l. 5 *for* over - modest *read* falsely modest

p. 155, l. 9 *for* over - modesty *read* false modesty

p. 156, l. 20 *for* mentioned *read* conjectured

p. 156, l. 3 from bottom *for* would have given *read* would give

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ERRATA

We much regret to state that the preceding section of the translation of the ḥadîth has appeared with a considerable number of printer's errors and other mistakes for which the translator is not responsible. We must therefore request anyone who wishes to criticise the text to refer to the author of the translation before expressing any criticism. For the future, arrangements have been made which, we trust, will make the recurrence of such errors impossible.

We accordingly content ourselves for the present with calling attention to some of the more important cases :—

P. 124, l. 2 *for* take off and throw *read* throw off

P. 128, l. 3 from bottom « reviewing « indictment

P. 136, note (4) « strewing in « packing

P. 138, note (3) *read* : Either figuratively in the sense of mercy, or literally in the sense of the treasures of Byzantium and Persia, which, as foreseen by the Prophet, would accrue through the victorious wars with those empires.

p. 140, l. 12 *for* prayed *read* performed

p. 141, l. 4 from bottom « transactions « striking bargains

p. 141, l. 2 from bottom « working their property « husbandry

p. 142, l. 3 *after* peace) *insert — with whom I was content*

p. 147, ll. 5, 24 *for* boat *read* ship

p. 147, l. 5 « drew « passed

p. 147 *for* ll. 15–17 *read* : but as a drop in the ocean such as hath been taken up in the beak of this bird.

p. 148, l. 22 « a payment « a fee

p. 149, l. 1 *place* standing *after* questions

p. 149, l. 5 *after* Jarîr *insert* through Mansûr, through Abu Wâʾil

p. 150, l. 4, sqq. *read* :

I saw the Prophet when he was being asked questions

p. 150, ll. 8, 14, 15 *for* sacrificed *read* slaughtered the victim

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

I was once spending the night in the house of my maternal aunt Maimûnah, when the Prophet (Allâh bless him and give him peace) went to sleep[1] during the early part of the night; and then later in the night he rose and performed a light wudû‛ from an old water-skin that was hanging there (according to ‛Amr the wudû‛ was light and cut short).[2] After that he stood up to pray, so I performed the wudû‛ just as he had done, and then I went and stood at his left ;[3] he made me change sides, placing me on his right. He then prayed to his heart's content,[4] after which he lay down and slept until his breathing became stertorous. Later on, the muezzin came to him and called him to prayer, joining him in it, and the Prophet prayed without performing a fresh wudû‛.

Sufiân said to ‛Amr: " Certain people say that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) sleepeth in his eyes but not in his heart." ‛Amr replied : " I have heard Ubaid b. ‛Umair say :'The dreams of Prophets are revelations.' " Then he recited: "Verily I have seen in my dream that I must slaughter thee".[5]

«بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَتَوَضَّأَ مِنْ شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا — يُخَفِّفُهُ عَمْرٌو وَيُقَلِّلُهُ — وَقَامَ يُصَلِّي فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ (وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ عَنْ شِمَالِهِ) فَحَوَّلَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ ثُمَّ أَتَاهُ الْمُنَادِي فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ فَقَامَ مَعَهُ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ».

قُلْنَا لِعَمْرٍو إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: «إِنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ» قال عَمْرٌو سَمِعْتُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ: رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ» ثُمَّ قَرَأَ «إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ».

---

1. The variant (نام) for (قام) as suggested by Ibn As-Sakan and supported by Al-Qâdi ‛Iyâd and others is more suitable to the sense. Cf. another reading :

(فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل)

2. i.e. performing the ablution only once for each part,—the minimum required for its validity.

3. " Sufiân states that perhaps the word شماله may have been used instead of يساره " This sentence was interpolated in the text by ‛Ali b. Al-Madini.

4. This is the meaning implied by the Arabic idiom ماشاءالله (Whatsoever Allâh willed).

5. Surah 37, v. 102.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

had it from Sufiân, who was told it by Az-Zuhri, through Saʿid b. Al-Musayyab, through ʿAbbâd b. Tamîm, through his paternal uncle who complained to the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) of the case of a man who imagined that he had committed an irregularity during his prayer.

The Prophet replied: " Let him not interrupt it[1] so long as he hath not heard any sound or perceived any smell."

حدثنا الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عباد بن تميم عن عمه أَنَّهُ شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّجلَ الَّذى يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَجِدُ الشَّىءَ فى الصَّلاةِ ، فقال :

«لا يَنْفَتِلْ أَوْ لا يَنْصَرِفْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتاً أَوْ يَجِدَ رِيحاً»

CHAPTER 5.

On the admissibility of alleviating the wudûʾ.

We are informed by ʿAli b. ʿAbdullâh, who had it from Sufiân, through ʿAmr, who was told it by Kuraib, through Ibn ʿAbbâs that:

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) once slept (or perhaps Sufiân said : "he lay down") until his breathing became stertorous after which he rose and performed his prayer.

We [2] have been repeatedly informed by Sufiân, through ʿAmr, through Kuraib, through Ibn ʿAbbâs, who said:

باب التَّخْفِيفِ فِى الْوُضُوءِ :

حدثنا على بن عبد الله قال حدثنا سفيان عن عمرو قال أخبرنى كُرَيْبٌ عن ابن عباس :

أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَامَ حَتَّى نَفَخَ ثُمَّ صَلَّى - وَرُبَّمَا قال اضْطَجَعَ حَتَّى نَفَخَ - ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى .

ثُمَّ حَدَّثنا بِهِ سُفْيانُ مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ عَنْ عَمْرٍو عن كُرَيْبٍ عن ابن عباس قال :

1. Or- leave it off ; the narrator is uncertain as to which word was used.

2. The narrator here is ʿAli b. Al-Madini, Al-Bukhâri's informant. He means that Sufiân related the hadith more than once, sometimes in a shortened, and sometimes in an extended, form

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

the excellence of those from whose brow and limbs a glory shineth in consequence of the wudû‘.[1]

حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن خالد عن سعيد بن أبي هلال عن نعيم المجمر قال :

We are informed by Yahyâ b. Bukair who had it from Al-Laith, through Khâlid, through Sa‘îd b. Abu Hilâl, through Nu‘aim Al-Mujmir who said :

رَقِيتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ فَتَوَضَّأَ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: « إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ »

I once went up with Abu Hurairah on to the roof of the Mosque[2], and when he had performed his wudû‘ he said: "I have heard the Prophet (Allâh bless him and give him peace) say : 'My people shall be called to the Day of Resurrection[3] with glory shining from their brow and limbs in consequence of the wudû‘. So let him of you that is able to extend the glory of his brow,[4] do so.' "

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

CHAPTER 4.

بَابٌ : لَا يَتَوَضَّأُ مِنَ الشَّكِّ حَتَّى يَسْتَيْقِنَ :

On him who need not perform the wudû‘ through doubt until he have made sure.

حدثنا علي قال حدثنا سفيان قال

We are informed by ‘Ali who

1. The metaphor is of the white spots on a horse's forehead and legs, and refers to the spiritual reward of those who have performed conscientious wudû‘.

2. At Al-Madinah.

3. Or — shall be named on the Day of Resurrection glorious-browed and shining-limbed.

4. i.e. to the rest of his face. The glory of the limbs is here inferred.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 2.

بابٌ. لا تُقبَلُ صَلاةٌ بِغَيرِ طُهُورٍ:

Prayer is not accepted *by Allâh* without ritual purification.

We are informed by Ishâq b. Ibrâhim Al-Hanzali, who had it from ʿAbdu-r-Razzâq, who was told it by Maʿmar, through Hammâm b. Munabbih that he heard Abu Hurairah say that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said:

" Prayer is not accepted from one who hath suffered an accidental impurity,(1) until he have performed a fresh wuḍûʾ."

A man of Hadramaut asked Abu Hurairah what this accidental impurity was, and he replied: " Silent or audible breaking of wind. "(2)

حدثنا اسحق بن ابراهيم الحنظلي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن همام بن منبّه أنّهُ سَمِعَ أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُقبلُ صلاةُ مَن أحدث حتى يتوضأ» قالَ رَجُلٌ مِنْ حَضرَمَوتَ: مَا الحَدَثُ يا أبا هُرَيرةَ؟ قال: «فُساءٌ أوْ ضُراطٌ».

CHAPTER 3.

بابُ فَضلِ الوُضُوءِ وفَضلِ الغُرِّ المُحَجَّلينَ مِنْ آثارِ الوُضُوءِ:

On the merit of the wuḍûʾ and

(1) Scil.—during prayer.

(2) Pollution nullifying the validity of prayer is of two degrees—major and minor. The former includes all forms of seminal emission through sexual contact or otherwise, women's courses and child-birth, all of which call for ghusl and wuḍûʾ; the latter includes pollution through the excretory organs or bleeding, and (according to the Shâfiʿi School) touching the opposite sex—all of which require wuḍûʾ.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

IN THE NAME OF ALLAH THE ALL-LOVING, THE MOST MERCIFUL.

BOOK IV

OF RITUAL ABLUTION.

CHAPTER 1.

On what hath been expounded on ritual ablution[1] and the word of Allâh (be He exalted): " *O ye that believe*! When ye rise up unto prayer, wash your faces and your hands as far as[2] the elbows, and stroke your heads *with your wet hand* and *wash* your feet as far as the ankles. "[3]

Abu ʿAbdullâh (Al-Bukhâri) adds : " The Prophet (Allâh bless him and give him peace) hath shown that the prescribed duty of wudûʾ is to be performed once for each several part; but he also did it twice and thrice, never exceeding three times.

The doctors of Islâm have disapproved of exaggeration in it, that is,[4] they have been averse from exceeding the action of the Prophet (Allâh bless him and give him peace).

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الرابع

كتاب الوضوء

باب ماجاء في الوُضُوءِ وقولِ الله تعالى : « إِذَا قُمْتُمْ إِلى الصلاةِ فَاغْسِلوا وُجوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلى المَرَافِقِ وامْسَحُوا بِرُؤوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلى الكَعْبَيْنِ »

قَالَ أَبو عبدِ الله : « وَبَيَّنَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ فَرْضَ الوُضُوءِ مَرَّةً مَرَّةً ، وَتَوَضَّأَ أَيْضاً مَرَّتَيْنِ مرتين وَثَلاثاً ثلاثاً ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ثَلاثٍ »

وَكَرِهَ أَهْلُ العِلْمِ الإِسْرَافَ فِيهِ وَأَنْ يُجَاوِزُوا فِعْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم .

---

1. There are two chief degrees of purification ; the first is called غسل (ghusl) i.e. the washing of the whole body with clean running water ; the second is termed (wudûʾ) i.e. the washing of the hands, face, arms and feet in a specified manner as a pre-condition of prayer.

2. Scil.—and including.

3. Surah 5, v. 6.

4. The (و) here is meant to place the following sentence in apposition.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

also said : ' The people of Yaman shall start from Yalamlam. ' For my part, (continued Ibn ‹Umar) I have not learned[1] this *last pronouncement* from the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace).

« ويُهِلُّ أهلُ اليمنِ من يلملم »
وكان ابنُ عمرَ يقولُ : لم أفقهْ هذه
من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

CHAPTER 95.

On one who answereth a questioner more fully than he requireth.

بابُ مَنْ أجابَ السائلَ بأكثرَ مما سألَه :

We are informed by Adam, who had it from Ibn Abu Dhi‹b, through Nâfi‹ through Ibn ‹Umar, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) and also through Az-Zuhri, through Sâlim, through Ibn ‹Umar, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) that :

حدثنا آدم قال حدثنا ابن أبي ذئب عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وعن الزهري عن سالم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم :

A man once asked him saying : " What should a Muhrim[2] wear ? " He replied : " He shall not wear a shirt, nor a turban, nor drawers, nor a burnous, nor any garment touched by " wars " [3] or saffron. If he cannot find sandals, he may wear boots, but he must have them cut in such a way that they come below the ankle-bones."

أنَّ رجلاً سألَه : ما يلبسُ المحرمُ ؟ فقال : « لا يلبسُ القميصَ ولا العمامةَ ولا السراويلَ ولا البرنسَ ولا ثوباً مسَّه الورسُ أو الزعفرانُ ، فإنْ لم يجدِ النعلينِ فليلبسِ الخفينِ وليقطعْهما حتى يكونا تحتَ الكعبينِ » .

The end of the Book of Knowledge

انتهى كتاب العلم

---

[1] Al-Bukhâri in another version of this hadith cited under " Pilgrimage" gives the variant (لم أسمع) for (لم أفقه)

(2) One in a state of ihrâm.

(3) An aromatic plant of Yaman used as a yellow dye and a lotion ; the idea being that the garment allowed to a Muhrim of either sex, must not be dyed or perfumed. The ihrâm garb is intended to symbolise humility, privation and the thought of death.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ance on the subject. He did so, and the Prophet replied: ' This requires ritual ablution.' "

صلى الله عليه وسلم فسأله، فقال: «فيه الوضوء»

CHAPTER 94

On discussing Knowledge and answering questions in the mosque.

We are informed by Qutaibah b. Sa'îd, who had it from Al-Laith b. Sa'îd, who received it from Nâfi' the freedman of 'Abdullâh b. 'Umar b. Al-Khattâb, through 'Abdullâh b. 'Umar that:

A man got up in the mosque and said: " O Apostle of Allâh, from what starting-point dost thou ordain that we should assume the state of the ihrâm?(1) "The Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) replied: " The people of Al-Madînah shall begin their ihrâm from Dhul-Hulaifah; the people of Syria from Al-Juhfah; the people of Najd from Qarn. "

'Abdullâh b. 'Umar adds: " It is asserted that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace)

باب ذكر العلم والفتيا في المسجد:

حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا الليث بن سعد قال حدثنا نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب عن عبد الله ابن عمر:

أن رجلا قام في المسجد فقال: يارسول الله من أين تأمرنا أن نهل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يهل أهل المدينة من ذي الحليفة ويهل أهل الشام من الجحفة ويهل أهل نجد من قرن».

وقال ابن عمر: ويزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

---

(1) اهلال = literally raising the voice in the recitation of the talbiyah (the labbaika formula) on starting on the pilgrimage, combined with which is the ihrâm —a ceremonial state during which the pilgrim is subject to certain prohibitions, and is attired in the appropriate garb.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

AL-AZHAR REVIEW
PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للاستاذ ابراهيم حسن الموجى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS
Translated into English
BY
I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S

CHAPTER 93.

On one who, being overcome by shame, chargeth another to ask a question for him.

We are informed by Musaddad who had it from ʿAbdullâh b. Dâwûd, through Al-Aʿmash, through Mundhir Ath-Thawri, through Muhammad b. Al-Hanafiyyah, through ʿAli who said:

" I was subject to prostatic secretions, (1) so I charged Al-Miqdâd to ask the Prophet (Allâh bless him and give him peace) *for his ordin-*

بابُ مَنِ استَحيَا فأَمَرَ غيرَهُ بالسُّؤَال :

حدثنا مسدد قال حدثنا عبدالله

ابن داود عن الأعمش عن منذر الثورى

عن محمد بن الحنفية عن على قال :

« كُنتُ رَجلاً مَذَّاءً فأَمَرتُ

المِقدَادَ أَنْ يسألَ النبيَّ

(1) المذى = a viscous fluid exuding from the sexual organs as excited by caresses, not amounting to a regular seminal discharge. Such exudation calls for ritual ablution(وضوء), whereas seminal discharge (المنى) requires total immersion (غسل). In the Prophet's words : من المذى الوضوء ومن المنى الغسل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وَقَالَتْ « يَا رَسُولَ اللهِ : وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ ؟ » قَالَ : نَعَمْ تَرِبَتْ يَمِينُكِ ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا ! »

woman perform the ghusl[1] if she hath an erotic dream ?" "Yes", said the Prophet (Allâh bless him and give him peace) "if she observeth the substance ejaculated. "[2]

I then covered myself, that is to say my face, saying : " O Apostle of Allâh, doth a woman then have such emissions in her dream?" "Yes", replied he, "bless thee ![3] How else could her child resemble her ?"

حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك عن عبدالله بن دينار عن عبد الله بن عمر أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مِثْلُ الْمُسْلِمِ ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ » فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، قَالَ عبدُ الله : فَاسْتَحْيَيْتُ ، فَقَالُوا يَا رسولَ اللهِ أَخْبِرْنَا بِهَا ، فقالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « هِيَ النَّخْلَةُ »

2. We are informed by Ismâ'îl, who had it from Mâlik, through 'Abdullâh b. Dinâr, through 'Abdullâh b. 'Umar that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

"There is an evergreen tree which is indeed the parable of a Muslim. Tell me which this tree is? " The Faithful mentioned various trees of the desert. It occurred to me (said 'Abdullâh) that it was the palm-tree, but I was prevented by shyness [4] *from saying so* At last they asked the Apostle of Allâh to tell them which it was, and he replied : " It is the palmtree ."

قال عبد الله فحدثتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي ، فقال: « لأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا » .

'Abdullâh added that when he told his father what had occurred to him, he replied: " It would have given me greater pleasure for thee to have said it than to possess untold wealth"

Translated by **I. H. El-MOUGY**

---

(1) غسل = purification by total immersion, as considered necessary before prayer.

(2) i.e. if she finds a trace of it on her garment upon waking.

(3) تربت يمينك = literally, may thy right hand be humbled in the dust—an idiom current among the Arabs, not intended as a curse, but said playfully.

(4) The reference in this case is nodoubt to a combinadim of shyners and *Modeshy*

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

قال «لا ، إني أخاف أن يتكلوا »

entire dependence on this alone."[1]

بابُ الحياء في العلمِ ،

CHAPTER 92.

وقال مُجاهِدٌ « لا يتعلمُ العلمَ مُستحيٍ ولا مُستكبرٌ » وقالتْ عائشةُ : « نِعمَ النِّساءُ نساءُ الأنصارِ لم يمنعهنَّ الحياءُ أنْ يتفقَّهنَ في الدِّينِ »

حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا أبو معاوية قال حدثنا هشام عنْ أبيه عن زينبَ ابنةِ أمِّ سلمَةَ عن أم سلمة قالت : جاءتْ أمُّ سُلَيمٍ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :

«يا رسُولَ اللهِ إنَّ اللهَ لا يستحيي مِن الحقِّ ، فهلْ على المرأةِ مِنْ غُسلٍ إذا احتلمتْ ؟ » قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : «إذا رأتِ الماءَ »

فغطَّتْ أمُّ سلمةَ ، تعني وجهها ،

On false modesty in acquiring Knowledge ; and on the words of Mujâhid : "He shall not acquire Knowledge who is over modest or too proud (to ask). "

And on the words of 'Aisihah : ' How excellent are the women of the Ansâr, for over- modesty hath not prevented them from perfecting themselves in religious knowledge ! "

We are informed by Muhammad b. Salâm, who was told it by Abu Mu'âwiyah, who had it from Hishâm through his father, through Zainab bint Umm Salamah, through her mother, who stated that Umm Sulaim came up to the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) and said :

"O Apostle of Allâh, verily Allâh is not ashamed of the truth. Should a

---

(1) This hadith [illegible] is most important from a doctrinal standpoint. It might appear that Mu'adh had disobeyed the Prophet in revealing the hadith on his death-bed; but no doubt he considered that it was intended for the elect and not for the multitude. Moreover, by the time of Mu'adh's death Islâm had become established, and the danger of the misconstruction of the hadith had diminished. The inference of the sufficiency of the mere " Shahâdah " for salvation supports the Murji'ite position, The key of Sunnite position. however, is in صدقا من قلبه (truly from his heart), since good works are implicit in sincere faith. According to some commentators 'immunity from Hell" means " immunty from eternal damnation " in the case of sinful Muslims. who are certain to reach Paradise eventually, whatever their sins.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Prophet said :

" No one testifieth truly from his heart that there is no deity but, Allâh and that Muhammad is His Apostle, but Allâh shall make him immune from Hell-fire, "

" O Apostle of Allâh, " replied Mu'âdh, " Shall I not inform the Faithful of this, that they may rejoice at the glad tidings ? "

" Then, " replied the Prohet, " they would place entire dependence on this alone. [1]

Mu'âdh transmitted this hadith on his death-bed, thus avoiding the sin of withholding Knowledge. [2]

2. We are informed by Musaddad, who had it from Mu'tamir, who heard it from his father, who heard it from Anas, who stated that it was related to him that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said to Mu'âdh :

"Whoever meeteth[3] Allâh without associating aught with him, shall enter Paradise."

" Shall I convey the glad tidings to the people ? " asked Mu'âdh.

" No, " replied the Prophet, " I fear they would place

قال : يا مُعاذ ، قال : لبيك
يا رسول الله وسعديك ثلاثاً ، قال :
« ما من أحد يشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً
من قلبه إلا حرّمه الله على النار »
قال : يا رسول الله أفلا أخبر
به الناس فيستبشروا ؟
قال : إذاً يتّكلوا .
وأخبر بها معاذ عند موته تأثّماً .
حدثنا مسدد قال حدثنا معتمر قال
سمعت أبي قال سمعت أنساً قال ذُكر
لي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ :
« من لقي الله لا يشرك به شيئاً
دخل الجنة »
قال : « ألا أبشّر الناس ؟ »

---

(1)—and neglect their religious duties.
(2) Cf. Surah 2, VV. 154 & 155 & Surah 3, V. 187.
(3)—either in the hour of death or in the Resurrection.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 91.

On him who imparteth Knowledge to certain people to the exclusion of others whom he feareth may misapprehend it ;

and on ʿAli's saying : "Speak to people in a way they can understand: do ye wish Allâh and his Apostle to be considered pervesters of the truth?"

This Athar[1] was transmitted to us by ʿUbaidullâh b. Mûsa, through Maʿrûf b. Kharrabûdh through Abu-t-Tufail, from ʿAli .)

1. We are informed by Ishâq b. Ibrâhîm, who had it from Muʿâdh b. Hishâm, who received it from his father, through Qatâdah, who was told by Anas b. Mâlik that Muʿâdh was once mounted behind the Prophet (Allâh bless him and give him peace) as he rode. The Prophet (Allâh bless him and give him peace) said:

" O Muʿâdh b, Jabal ! "

" I am at thy command, O Apostle of Allâh, and gladly obey thee," replied Muʿâdh.

This call and answer were repeated three times. Then the

بابُ مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا

وقالَ عَلِيٌّ « حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟

(حدثنا عبد الله بن موسى عن معروف بن خَرَّبوذ عن أبي الطفيل عن علي بذلك)

حدثنا اسحق بن ابراهيم قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قال :

يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ !

قال : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ !

---

[1] (أثر) A tradition traced back—not to the Prophet—but to a Companion, or to a successor

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قَالَ الأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا .

the reading they followed. (1)

CHAPTER 90.

بَابٌ مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الاخْتِيَارِ مَخَافَةَ أَنْ يَقْصُرَ فَهْمُ بعض النَّاسِ عَنْهُ فَيَقَعُوا فِي أَشَدَّ مِنْهُ :

On him who renounceth a better course for fear that certain people may be too unintelligent to understand it, and thus fall into a worse case.

حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن الأسود قال قال لي ابنُ الزبير :

We are informed by ʿUbaidullâh b. Mûsa, through Isrâʾîl, through Abu Ishâq, through Al-Aswad, who stated that Ibn Az-Zubair said to him :

كَانَتْ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيراً، فَمَا حَدَّثَتْكَ فِي الْكَعْبَةِ ؟ قلت : قَالَتْ لِي : قَالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « يَاعَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ . (قَالَ ابنُ الزُّبير : بِكُفْرٍ) لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لها بَابَيْنِ، بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ و بَابٌ يَخْرُجُونَ » فَفَعَلَهُ ابنُ الزُّبيرِ .

ʿAʾishah used to confide many secrets to thee. What did she tell thee about the Kaʿbah ? Al-Aswad replied : " She told me that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said :

" O ʿAʾishah, were it not that thy people were recently (in unbelief—adds Az-Zubair), I should have pulled down the Kaʿbah, and rebuilt it with two doors, one for ingress and one for egress. "

This was subsequently carried out by Ibn Az-Zubair.

---

(1) The Qur'ân has اوتيتم instead of اوتوا here. For is reason the commentators commider these words, not as a quotation from the Qurʾân, but as a Companion's traditionrl saying (خبر)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

We are informed by Qais b. Hafs, who received it from ʿAbdul-Wâhid, who had it from Al-Aʿmash Sulaimân, through Ibrâhim, through ʿAlqamah, through ʿAbdullâh, who said :

While I was walking with the Prophet (Allâh bless him and give him peace) in the ruined [1] quarter of Al-Madînah, as he was leaning on a stick [2] *which he carried* with him, he passed a group of Jews who said to one another : " Ask him about the spirit ". [3] " No ", said one of them, " do not ask him, lest he give an answer that ye resent." Another said : " We will certainly ask him". Then one of them arose and said : " O Abul-Qâsim, what is the soul ?" The Prophet was silent and I thought that a revelation was coming upon him. I stood still, [4] and when his agony had passed, he uttered these words"They ask thee about the spirit. Say: 'Thespirit pertaineth unto my Lord[5],and they are not given aught of Knowledge but a little."

Al-Aʿmash states that such was

عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال :

بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فى خَرِبِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: « سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ » وَقَالَ بَعْضُهُمْ: « لاَ تَسْأَلُوهُ لاَ يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ » فَقَالَ بَعْضُهُمْ « لَنَسْأَلَنَّهُ » فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ « يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ ؟ » فَسَكَتَ فَقُلْتُ إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقُمْتُ فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ قَالَ : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً »

(1) Elsewhere خرب is given by Al-Bukhari as حرث, apparently the difference being due to a confusion in the diacritical points.

(2) Made from a palm-branch.

(3) Some commentators suggest the Revelation, others the Angel Gabriel.

(4) Either in order not to disturb the Prophet, or to stand between him and the Jews.

(5) Or—is created at the command of Allâh.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ابن أبي سلمة عن الزهري عن عيسى بن طلحة عن عبد الله بن عمرو قال :

رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ الجَمْرَةِ وَهُوَ يُسْأَلُ فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ نَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ ، قَالَ : « ارْمِ وَلَا حَرَجَ » قَالَ آخَرُ : يَا رَسُولَ اللهِ حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ ، قَالَ : « انْحَرْ وَلَا حَرَجَ » فَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلَا أُخِّرَ إِلَّا قَالَ : افْعَلْ وَلَا حَرَجَ .

Salamah, through Az-Zuhri, through ʿIsa b. Talhah, through ʿAbdullâh b. ʿAmr, who said :

I saw the Prophet (Allâh bless him and give him peace) being questioned on the occasion of the hurling of the stones [1]. One man said : " O Apostle of Allâh, I have sacripiced before I have thrown the stones. " The Prophet replied : " Throw them *nevertheless*, there is no sin. " Another said : " O Apostle of Allâh, I have had my head shaved before I have sacrificed . " The Prophet replied : " Sacrifice *nevertheless*, there is no sin."

So the Prophet was never questioned as to whether anything should be done sooner or later but he answered : " Do so, there is no sin."

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » :

CHAPTER 89.

حدثنا قيس بن حفص قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا الأعمش سليمان

On *the revelation of* the word of Allâh (be He exalted) : " Ye have been given but a little part of knowledge." [2]

(1) The definite article ال in الجمرة denotes the particular occasion of the stoning known as جمرة العقبة , Al-ʿAqabah being a height overlooking the valley of Minâ.
(2) Surah 17, V.85

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 87.

بَابُ مَنْ سَأَلَ وَهُوَ قَائِمٌ عَالِماً جَالِساً :

On one who, standing, asketh questions of a professor who is seated.

We are informed by ‹Uthmân, who had it from Jarîr, through Abu Musa, who said :

A man came to the Prophet Allâh bless him and give him peace) and said : " O Apostle of Allâh, what is fighting in the cause of Allâh - for each one of us fighteth either in anger or for honour's sake?." The Prophet then raised his head towards him, (the narrator states that he did so only because the man was standing) and said : " He who fighteth that the word of Allâh may prevail, his fight is in the cause of Allâh (be He magnified and glorified).

حدثنا عثمان قال أخبرنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن أبي موسى قال : جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَباً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ (قَالَ وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ قَائِماً) فَقَالَ : « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

CHAPTER 88.

بَابُ السُّؤَالِ وَالْفُتْيَا عِنْدَ رَمْيِ الْجِمَارِ :

On asking for a fatwâ and receiving the reply during the stoning of Satan *in the valley of Minâ.*

We are informed by Abu Nu‹aim, who had it from 'Abdul-‹Aziz b. Abu

حدثنا أبو نعيم قال حدثنا عبد العزيز

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال : لا تؤاخذني بما نسيت . فكانت الأولى من موسى نسياناً ، فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده .

forgetfulness. However, they set out again, and beheld a lad who was playing with his mates. Al-Khadir seized him by the crown and tore off his head with his hands.

فقال موسى : أقتلت نفساً زكية بغير نفس !

"What"! said Moses. "Thou hast slain an innocent soul guiltless of another's blood,"

قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ؟ (قال ابن عيينة : وهذا أوكد)

"Did I not tell thee that thou wouldst not be able to bear with me?" replied Al-Khadir. (Ibn ‹Uyainah adds that this is more asserative)[1]

فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه (قال الخضر بيده فأقامه)

However, they journeyed on until they came to a village and asked the inhabitants for food, but they refused them hospitality. In the village they found a wall tottering to its fall, so Al-Khadir put it upright (setting it straight by a wave of his hand).

فقال له موسى : لو شئت لاتخذت عليه أجراً .

Then Moses said to him: "Hadst thou willed, thou couldst have received a poyment for this."

قال : هذا فراق بيني وبينك .

"This meaneth a separation between me and thee," replied Al-Khadir.

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله موسى ، لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما ! »

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) added : "May Allâh have mercy on Moses ! How we should have liked him to have had enough patience so that we could have been told more of their adventures."[2]

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

---

(1) He means the use of لك -thee- which was not used in the first case.

(2) The explanation of Al-Khidr's surprising actions is given in the Qur‹ân, Surah 18, VV, 79 sqq. This hadith has given occasion for the inference that apparently unlawful actions may by justified by the conscience, a view which is generally regarded as heretical. It is claimed that Khadir's actions, however lawless in appearance, were nevertheless in conformity with the divine purpose.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

man and I shall not gainsay thee in aught."

At this, having no ship the twain set out walking along the water's edge, when a boat drew near them. They negotiated with the sailors to take them on board. Recognising Al-Khadir, they took them on board without any fare. Suddenly a bird came and perched on the edge of the boat, dipping its beak once or twice into the water. Then Al-Khadir said: "O Moses, my knowledge and thine have diminished[1] from Allâh's Knowledge but as a drop such as hath been taken up in the beak of this bird diminishes the ocean.

It came to pass that Al-Khadir wilfully took hold of one of the ship's planks and tore it out.

"What !" said Moses. "Here are people who have taken us on board without payment, and now thou hast deliberately scuttled their boat to drown all on board !"

"Did I not say that thou wouldst not be able to bear with me?" replied Al-Khadir.

"Reprove me not for my forgetfulness," said Moses.

This was Moses' first act of

صَبْراً يَا مُوسَى ، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لا تَعْلَمُهُ أَنْتَ ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لا أَعْلَمُهُ .

قَالَ : سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً .

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا ، فَعُرِفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ ؛ فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ ، فَقَالَ الْخَضِرُ : يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلاَّ كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ .

فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ ، فَقَالَ مُوسَى : قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا .

قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ؟

---

(1) In another reading أخذ is given for نقص ; since Allâh's Knowledge cannot be diminished — نقص being taken approximatively.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

fatigue until he went past the place which had been appointed unto him.

His attendant then said to him: "Behold! When we took shelter by the rock, I forgot about the fish."

"That is what we were seeking," replied Moses.

Thereupon they went back, retracing their footsteps, and when they reached the rock, they beheld a man wrapped in a cloak. (1)

"Peace be upon thee," said Moses.

"Whence did peace come upon thy land?" answered Al-Khadir.

"I am Moses," replied he.

"Moses, the Prophet of Israel?" asked Al-Khadir.

"Yea, verily!" said Moses. "May I follow thee on condition that thou instruct me out of the guided knowledge that thou hast received?"

"Truly thou wilt not be able to bear with me, O Moses! I possess Knowledge from that of Allâh which He hath taught me, that thou knowest not; likewise thou possessest Knowledge which He hath taught thee, that I know not."

Moses answered: "If it be the Will of Allâh thou shalt find in me a patient

وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ
حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ
فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا
إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ،
قَالَ مُوسَى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي.
فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، فَلَمَّا
انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى
بِثَوْبٍ (أَوْقَالَ: تَسَجَّى بِثَوْبِهِ).
فَسَلَّمَ مُوسَى.
فَقَالَ الْخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ
السَّلَامُ؟
فَقَالَ: أَنَا مُوسَى
فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟
قَالَ. نَعَمْ، قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى
أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا؟
قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(1) The narrator is doubtful whether the words مسجى بثوب or تسجى بثوبه were used.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

"One of My servants who is *now* at the confluence of the two rivers[1] is more learned than thou."

Moses replied : "O Lord, how shall I meet him ?"

Then it was said unto him: "Carry a fish in a basket, and where thou losest it, there shalt thou find him."

So he set out, taking with him his attendant Joshua the son of Nun. They carried a fish in a basket until, when they came to the rock,[2] they laid down their heads upon the rock and fell asleep. The fish slipped out of the basket and found its way to the water. This filled Moses and his attendant with wonder, but they continued their journey for the rest of the day and the *following* night.[3]

At daybreak Moses said to his attendant : "Fetch us our meal, for indeed we have suffered fatigue from this journey of ours."

Now Moses had suffered no

الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ.

قَالَ : يَارَبِّ وَكَيْفَ بِهِ ؟

فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ.

فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ ابْنِ نُونٍ، وَحَمَلَا حُوتًا فِي مِكْتَلٍ حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا، فَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمِهِمَا.

فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا،

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(1) مجمع البحرين — This has been variously interpreted, opinion varying between "Seas" and "rivers". Among those who prefer "Seas" some have suggested the junction of the Red Sea and the Indian Ocean, the Mediterranean and the Atlantic, and other places less reasonable. Those who accept two rivers suggest the Blue and White Niles. The Jordan and the Dead Sea are also suggested, to say nothing of the rivers flowing into the Persian Gulf, etc. Of these the view of the two Niles is the most probable, owing to Moses well-known connection with Egypt and Ethiopia, to which country his wife belonged, and which he seems to have visited according to accounts in Rabbinical literature. Other views are that the union of the two Seas is to be taken as figurative, referring either to the Old and New Dispensations, or to the seas of human and divine Knowledge.

(2) i.e. the rock where the expected meeting was to take place.

(3) According to commentators. The day and night are reverses in the text; but as أصبح can only be used of dawn following a night, it has been necessary to make this change.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 86

On the most commendable answer a learned man should give on being asked who is the most learned among men, namely that he should attribute all Knowledge to Allâh.

We are informed by ‹Abdullâh b. Muhammad, who had it from Sufiân, who received it from ‹Amr, who was told it by Sa‹id b. Jubair, who stated

I once said to Ibn ‹Abbâs that Nawf Al-Bikâli alleged that Moses was not the Moses of the Israelites but another Moses. " He lied, the the enemy of Allâh, " [1] replied Ibn ‹Abbâs, " for I was informed by Ubayy b. Ka‹b from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) who said :

' Moses the Prophet once rose to preach to the Israelites. He was asked who was the most learned among men, and replied that it was he himself; Allâh then reproved Moses for not ascribing *all* knowledge to Him, giving him this revelation :

بابُ ما يُستحبُّ للعالِمِ إذا سُئِلَ أيُّ النّاسِ أعلمُ فيَكِلُ العِلْمَ إلَى اللهِ :

حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا سفيان قال حدثنا عمرو قال أخبرني سعيد ابن جبير قال :

قلتُ لابنِ عبّاسٍ إنّ نوفًا البِكالِيَّ يزعُمُ أنّ موسَى ليسَ بموسَى بني اسرائيلَ إنّما هو موسَى آخرُ. فقالَ : « كَذَبَ عدوُّ اللهِ ! حدّثنا أُبَيُّ بنُ كَعبٍ عنِ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال :

قامَ موسَى النّبيُّ خطيبًا في بني اسرائيلَ فسُئِلَ : أيُّ النّاسِ أعلمُ ؟ فقالَ : أنا أعلمُ ، فعتبَ اللهُ عليهِ إذ لم يرُدَّ العِلْمَ إليهِ ، فأوحَى اللهُ إليهِ أنّ عبدًا من عِبادي بمجمَعِ

(1) This forcible language must not be taken as a personal attack; it is meant merely to stress the error and reprimand the utterer of it.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

him peace) two bagfuls [1] *of Hadîth* one of them I have spread abroad ; as for the other, if I did so, I should have this throat of mine cut. "[2]

عليه وسلم وِعَاءَيْنِ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هذَا البُلْعُومُ

CHAPTER 85.

On the attentive silence to be observed in the presence of traditionists .

بابُ الإنصاتِ لِلعلماءِ:

We are informed by Hajjâj, who had it from Suqu'bah, who received it from 'Ali b. Mudrik, through Abu Zur'ah, through Jarir that :

حدثنا حجاج قال حدثنا شعبة قال أخبرني علي بن مُدرِك عن أبي زُرعة عن جرير :

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) said to him while on the farewell pilgrimage : " Call the people to silence." He then said :

" Beware of acting like infidels after my death, cutting each other's throats."

أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: «استَنْصِتِ النَّاسَ» فَقَالَ : « لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ »

(1) The usual meaning of وعاء is a vessel or a container, but as kindred hadiths have the variant جرابين it may be presumed that the meaning here is " bags ". The metaphor is of two kinds of Knowledge, which, if written down, would fill two bags.

(2) The first Category contained hadiths relating to religious rites and morality in general ; the second, hadiths of a mystical nature, foretelling future tribulations, the signs of the Hour—including the trials of the Faithful under Quraishite tyrants, whom Abu Hurairah was able to name, but he feared for his life. Abu Hurairah—as is shown in the following prayer—insinuated personages without naming them :

(أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان)

" I take refuge in Allâh from the year 60 A.H and the rule of boys." As Abu Hurairah died in 59 A.H. a year before the accession of the boy Khalif, Yazid b. Mu'âwiyah, it is clear that his prayer was granted.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

attached myself to the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) for my daily bread ; and so I witnessed that which they never saw, and committed to memory that which they never heard."

2. We are informed by Ahmad b. Abu Bakr Abu Mus'ab, who had it from Muhammad b. Ibrahim b. Dinar, through Ibn Abu Dhi'b, through Sa'id Al-Maqburi, through Abu Hurairah, who stated that he said :

" O Apostle of Allâh, I hear from thee many hadîths which I *afterwards* forget. " "Spread out thy gown, " said he. I did so, and then he made as if to scoop with his hands *out of the abundance of Allâh into my gown,* saying:Clasp it *to thy breast*, I did so, and I never forgot anything after that.

Al-Bukhâri adds that he also had this hadîth from Ibrahim b. Al-Mundhir, who received it from Ibn Abu Fudaik, who gave the variant : " scooped with his hands in it (the gown)"— adding the words "in it."

3. We are informed by Ismâ'îl, who had it from his brother, through Ibn Abu Dhi'b, through Sa'id Al-Maqburi through Abu Hurairah, who said :

I have learnt from the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give

كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم لِشِبَعِ بَطْنِهِ ، وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ وَيَحْفَظُ مالا يَحْفَظُونَ »

حدثنا احمد بن أبي بكر أبو مصعب قال حدثنا محمد بن ابراهيم بن دينار عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة قال قلت :

يا رَسُولَ اللهِ إِنِّى أَسْمَعُ مِنكَ حَدِيثاً كَثِيراً أَنْسَاهُ ، قال: « ابْسُطْ رِدَاءَكَ » فَبَسَطْتُهُ قَالَ فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ « ضُمَّهُ » فَضَمَمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئاً بَعْدَهُ .

حدثنا ابراهيمُ بنُ المُنذِرِ قال حدثنا ابنُ أبي فُدَيْكٍ بهذا، أو قال « غَرَفَ بِيَدِهِ فيه »

حدثنا اسماعيل قال حدثني أخي عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة قال :

حَفِظْتُ مِنْ رسولِ الله صلي الله

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 84.

باب حفظ العلم :

On the committal of Knowledge to memory.

1. We are informed by 'Abdul-'Aziz b. 'Abdullâh, who had it from Mâlik, through Ibn Shihâb, through Al-A'raj, through Abu Hurairah, who stated :

" People say that Abu Hurairah relateth too many traditions. Nay, were it not for two verses which are in the Book of Allâh, I should not transmit a single hadith." Then Abu Hurairah recited *the verses*: "Verily they that conceal the evident proofs and the Guidance that We have sent down" ..as far as "The Most Merciful ".(1)

Abu Hurairah went on to say : "Our brethren of the Muhâjirin were engaged in transactions (2) in the markets, and our brethren of the Ansâr were engaged in working their property,(3) while I, Abu Hurairah

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال

حدثني مالك عن ابن شهاب عن الأعرج

عن أبي هريرة قال :

إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، وَلَوْلَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثاً ، ثُمَّ يَتْلُو « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى » إِلَى قَوْلِهِ « الرَّحِيمُ »

إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ

(1), Surah 2, Verses 154 & 155: "As to those that conceal the evident proofs and the Guidance that we have sent down, after what We have so clearly shown to men in the Book *of Moses*, these Allâh shall curse, and they that curse shall curse them; But as for those who repent *of concealment* and make amends and propagate *the truth*, unto these will I turn in forgiveness, for I am He that accepteth repentance, the Most Merciful."

(2) الصفق — Bargains were clinched by clasping hands.

(3) . The Muhâjirin (the Meccan refugees) were engaged in Commerce, the Ansâr (the Medinite supporters) in Agriculture.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عن ابن عباس قال :

بِتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَكَانَ النبي صلى الله عليه وسلم عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا فَصَلَّى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْعِشَاءَ ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ نَامَ ثُمَّ قَامَ ثُمَّ قَالَ : « نَامَ الْغُلَيِّمُ ؟ » – أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا – ثُمَّ قَامَ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ ، فَصَلَّى خَمْسَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ نَامَ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ أَوْ خَطِيطَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ .

received it from Al-Hakam, who heard it from Sa‘îd b. Jubair, through Ibn ‘Abbâs, who stated :

I was once spending the night in the house of my maternal aunt Maymûnah bint Al-Hârith, a wife of the Prophet (Allâh bless him and give him peace), when he was with her on the night set apart for her. Having performed the evening-prayer *in the mosque* he went to his quarters, where he prayed four rak‘as and then went to sleep, Later he rose and said: " Is the dear lad asleep ? " — or words to that effect.(1) Then he stood up to pray, and I stood on his left ; but he placed me on his right. He first prayed five rak‘as and after that two. He then fell into such a deep sleep that I heard him snoring. Last of all he went to the *morning*-prayer.

Translated by **I. H. El-MOUGY**

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(1) The lad in question is Ibn Abbâs himself the narrator of the hadith; he is not certain as to the exact expression used. He is supposed to have been sent by his father to report on the way the Prophet spent his nights. This forms the connection between the hadith and its title. (Al-Aini, ibid. p. 180.)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

apartments [1] *unto prayer*, for many a woman richly clad in this world shall be naked in the next [2]

باب السَّمَرِ فِي الْعِلْمِ:

CHAPTER 83.

On Knowledge as the subject of social conversation at night.

حدثنا سعيد بن عُفَير قال حدثني الليث قال حدثني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سالم وأبي بكر بن سليمان ابن أبي حَثْمة أن عبد الله بن عُمر قال:

1. We are informed by Sa'id b. 'Ufair, who had it from Al-Laith, who received it from 'Abd-ur-Rahmân b. Khâlid, through Ibn Shihâb, through Sâlim and Abu Bakr b. Sulaimân b. Abu Hathmah that 'Abdullâh b. 'Umar said :

صَلَّى بِنَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم الْعِشَاءَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فقال: «أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ»

Once towards the end of his life the Prophet, (Allâh bless him and give him peace) after he had led the evening-prayer with us and given the final salutation, rose and said: "Know ye what night this is ? Verily a hundred years hence there shall no longer be on the surface of the earth any one of those living now." [3]

حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال حدثنا الحكم قال سمعت سعيد بن جبير

2. We are informed by Adam, who had it from Shu'bah, who

---

(1) i.e. The Prophet's wives. This hadith implies that prayer must be resorted to, whenever dreams of evil come upon the sleeper. The Prophet was sleeping that night in Umm-Salamah's apartment, and so it fell to her to waken the rest.

(2) i.e. only good works in this world can stand her in good stead in the next.

(3) Or—according to some Commentators " Any one of those present here." The Prophet himself died a month later. His object was to call attention to the shortness of life, and the need for good works.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

writing "[1]

CHAPTER 82.

On *the imparting of* Knowledge and preaching during the night.

We are informed by Sadaqah, who had *it* from Ibn ‘Uyaynah, through Ma‘mar, through Az-Zuhri, through Hind, through Umm-Salamah, Amr and Yahyâ b. Sa‘id, through Az-Zuhri, through Hind, through Umm-Salamah, who said :

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) awoke one night and said : " Allâh be praised ! How many a tribulation hath been sent down[2] this night, but how many a treasure[3] hath been opened ! Awaken the ladies of these

باب العِلْمِ وَالعِظَةِ بِاللَّيْلِ :

حدثنا صدقة أخبرنا ابن عيينة عن معمر عن الزهري عن هند عن أم سلمة ، وعمرو ويحيى بن سعيد عن الزهري عن هند عن أم سلمة قالت :

استَيْقَظَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ فقال : « سُبْحَانَ اللهِ ! مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ ! أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ »

---

(1). As regards writing, it is evident that the prophet was too ill to do more than give directions, as is testified by ‘Umar' s remark . It is thought that he may have intended to commit to writing the names of his successors, or to make some testamentary dispostion, but at the same time he is supposed to have believed that writing would have defeated the principle of اجتهاد (initiative in theological inquiry)or the شورى (democratic consultation) ; it is also alleged that he had Abu Bakr in mind as indicated by ‘Aa‘isha, s hadith which states that he preferred Abu Bakr . ‘Umar's point of view seems to have been that the words of a dying man might be equivocal and arouse controversy whereas the already extant word of God remained unchallengeable. It is clear that the Prophet did not repudiate this view, as he lived four days longer and raised no objection to it.

(2) i.e. revealed from the Tablet of Divine Decrees to the Prophet in his dream .

(3) Either figuratively in the sense of mercy, or literally in the sense of treasures or, historically of the treasures of Byzantium & Persia as foreseen by the Prophet would eventuate through the victorious wars with those empires.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

b. Sulaimân, who had it from Ibn Wahb, who received from Yûnus, through Ibn Shihâb, through ‹Ubaidullâh b. ‹Abdullâh, through Ibn ‹Abbâs, who stated that :

ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال :

When the agony of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) became more intense, he said "Bring me writing-materials that I may have committed to writing for you what will preserve you from going astray hereafter." Then ‹Umar said : "Surely the Prophet (Allâh bless him and give him peace) is overcome by pain; we have the Book of Allâh--it sufficeth for us. " There arose a dissension among the Companions and there followed an uproar. " Rise and leave me ", said the Prophet, " It is not seemly that there should be a quarrel in my presence."

لَمَّا اشْتَدَّ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم وَجَعُهُ قال: «ائتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ» قال عُمَرُ: «إِنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ حَسْبُنَا» فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللغَطُ، قالَ: «قُومُوا عَنِّي وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ» .

Ibn ‹Abbâs (on relating this to ‹Ubaidullâh) went out saying: "It was a great calamity indeed that any hinderance should have come between the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) and his

فَخَرَجَ ابنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَبَيْنَ كِتَابِهِ »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

O Apostle of Allâh' " Write it [1] down for Abu so and so, "[2] replied the Prophet. A Quraishite [3] interrupted : " Make an exception for the idhkhir,[4] O Apostle of Allâh, for our houses and our graves." "Except the idhkhir." said the Prophet (Allâh bless him and give him peace) twice.

3. We are informed by ʿAli b. ʿAbdullâh, who had it from Sufiân, who received it from ʿAmr who was told it by Wahb b. Munabbih, through his brother [5], who stated that he heard Abu Hurairah say :

"There is none of the Companions of the Prophet (Allâh bless him and give hime peace) that hath retained more of this Hadîth than I, unless it be ʿAbdullâh b. ʿAmr,—for he used to write it down, whilst I did not.

Maʿmar, *as fellow-witness with Wahb b. Munabbih,* confirms this narration through Hammâm, Wahb's brother, through Abu Hurairah.

4. We are informed by Yahyâ

لأَبِي فُلَانٍ » فقال رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: « إِلَّا الْإِذْخِرَ يَارَسُولَ اللهِ ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي بُيُوتِنَا وَقُبُورِنَا» فقال النبي صلى الله عليه وسلم :« إِلَّا الْإِذْخِرَ ، إِلَّا الْإِذْخِرَ »

حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا عمرو قال أخبرني وهب بن منبه عن أخيه قال سمعت أبا هريرة يقول :

« مَا مِنْ أَصْحَابِ النبيّ صلى الله عليه وسلم أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ »

تَابَعَهُ مَعْمَرٌ عن هَمَّامٍ عن أبي هُرَيْرَة

حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثني

---

(1) At the end of the hadith this sentence occurs in some of the copies :

(فقيل لأبي عبد الله : أي شيء كتب له ؟ قال كتب له هذه الخطبة)

= Al - Bukhari , on being asked what it was that was written down for him , replied that it was this speech of the prophet .

(2) . His name was Abu shah .

(3) Abbas b. Abdul - Muttalib by name .

(4). الإذخر-a kind of aromatic rush (schoenantum) used for roofing houses and strewing in graves

(5) . I . e . Hammam b . Munabbih .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

« إنّ الله حبس عن مكّة القتل — أو الفيل — (شكّ أبو عبد الله) وسلّط عليهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ؛ ألا وإنها لم تحلّ لأحدٍ قبلي ولم تحلّ لأحدٍ بعدي ، ألا وإنّها حلّت لي ساعة من نهارٍ ، ألا وإنها ساعتي هذه حرامٌ لا يُختلى شوكها ولا يُعضد شجرها ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشدٍ ؛ فمن قُتل فهو بخير النظرين : إمّا أن يُعقل وإمّا أن يُقاد أهل القتيل »

فجاء رجلٌ من أهل اليمن فقال: « اكتب لي يا رسول الله » فقال: « اكتبوا

informed of this, he mounted his camel and addressed them thus :

"Verily Allâh hath kept Makkah inviolate from bloodshed – or *the people of* the Elephant, [1](Al-Bukhâri is uncertain as to which of these two words) and He gave to the Apostle of Allâh and the Faithful power to invade this City. But I say unto you, fighting in Makkah was not made lawful for anyone before me, nor shall it be for anyone after me : nevertheless it was made lawful unto me only for a space in one day . Now, in this very hour it is again inviolate; its thorns shall not be uprooted, nor its trees cut down ; that which is lost in it shall not be picked up except by him that will make it known.[2] Whosoever hath a kinsman murdered shall choose the better of two considerations - either to receive blood-money, or retribution." [3]

A man from Al-Yaman then came up and said : "Write it down for me,

(1) The occasion when Abraha the Abyssinian Viceroy of Al-Yaman marched against Makkah with a large army including one or more elephants, and was miraculously routed by birds dropping stones.

(2) In other places than Makkah the finder may keep the property after advertising it for a year , while in Makkah the finder never has any claim to it , but must advertise it continually—owing to the fact that pilgrims who lose property in it may not return for an indefinite time. Everything within the City shares in its sanctity. (Al-'Aini idid. P. 166).

(3) (قال أبو عبد الله يقال يقاد بالقاف) Al-Bukhâri states in an addendum that the correct reading is يقاد and not يفادى, since the latter is synonymous with يعقل. and would not make sense.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

asked ‹Ali : " Have ye[1] a written record *of the Hadîth* ?" He answered: " No, none but the Book of Allâh, or the understanding which may be given to any Muslim, [2] or what is contained in this roll." "What is in it ? " asked Abu Juhaifah. " In this roll " replied ‹Ali, " there are *the laws of* blood-money, of the liberation of captives, and of the fact that a Muslim shall not be put to death for *the life of* an infidel." [3]

لِعَلِيٍّ « هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ ؟» قَالَ لَا إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ؟ » قَالَ قُلْتُ «فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ؟»قَالَ: العَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ. وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ »

2. We are informed by Abu Nu‹aim Al-Fadl b. Dukain, who had it from Shaibân, through Yahyâ, through Abu Salamah, through Abu Hurairah that the tribe of Khuzâ‹ah had killed a man of the Bani-Laith *in revenge* for the murder of one of them, in the year of the capture of Makkah. When the Prophet (Allâh bless him and give him peace) was

حدثنا أبو نُعَيم الفضل بن دُكَين قال حدثنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة أَنَّ خُزَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلاً مِنْ بَنِي لَيْثٍ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بِقَتِيلٍ مِنْهُم قتلوه، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَخَطَبَ فَقَالَ :

(1) Either the Prophet's household, or the second person plural addressed to ‹Ali as a form of respect. If the latter, this hadith may be taken to contradict the Shi‹ite contention that the Prophet had confided to ‹Ali secrets which he withheld from the rest of the Faithful. (Ibn Hajar, Al-Khashab's ed. Vol.1., p. 146, Cairo, 1319 A.H.)

(2) i.e. to deduce inferences not explicit in the Qur'an.

(3) These words لايقتل مسلم بكافر were first said by the Prophet in his oration on the day of the Conquest of Makkah, and were intended to obliterate any blood-feuds that subsisted between his converts and their enemies of the Jâhiliyyah – that is, those who were still infidels at the time of the feud with the future converts. The Prophet's words were:

(الا إن كل دم كان فى الجاهلية فهو موضوع تحت قدمى هاتين ولا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد فى عهده)

The case also applies to unbelievers who had made a pact with the Muslims giving them this immunity for its duration, but excluding the hostile infidels who were in a state of war with the Prophet. The Hanafi doctors are agreed that since a Muslim who steals the property of an infidel is subject to the ordinary laws, so is a Muslim guilty of the murder of an infidel. (Al-‹Aini, Vol.11.page 162, Muniriyyah ed., Cairo.)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

5. We are informed by Mûsa, who had it from Abu ‹Awânah, through Abu Hasin, through Abu Sâlih, through Abu Hurirah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said :

حدثنا موسى قال حدثنا أبو عوانة عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" Give your children my name but not my surname. (1)

Whosoever hath seen me in a dream, hath seen me in reality, for Satan cannot assume my form. (2)

Whosoever falsely ascribeth sayings unto me intentionally , shall surely take his seat in hell-fire. "

« تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلاَ تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي . وَمَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي . وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

CHAPTER 81

On the writing down of the Hadith.

بَابُ كِتَابَةِ الْعِلْمِ :

1. We are informed by Muhammad b. Salâm, who had it from Wakî‹, through Sufiân, through Mutarrif, through Ash-Sha‹bi, through Abu Juhaifah, who stated that he

حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا وكيع عن سفيان عن مُطَرِّف عن الشعبي عن أبي جُحَيفة قال قلتُ

(1) The Prophet's name was Muhammad, his agnomen was Abul-Qâsim. The Jews used to mock the Prophet by calling their children " Abul-Qâsim ". Then when they called them, the Prophet might think his own name was being called, when they would reply that they did not mean him. Hence this prohibition in the hadith. (Al-‹Aini, ibid.p.156.)

(2) Muslim doctors of theology deduce from this hadith the doctrine of the validity of revelation in true vision. (Al-‹Aini, idid.)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

hadith from the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) such as is narrated by so and so. Az-Zubair replied : " Indeed I have never left the Prophet, but [1] I have heard him say : ' Whoever falsely ascribeth sayings unto me, shall surely take his seat in hell-fire.' "

3. We are informed by Abu Mamar who had it from Abdul-Wârith, through Abdul-Aziz that Anas said :

" What indeed preventeth me from transmitting to you much Hadith is that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said : 'Whoever intentionally attributeth sayings unto me falsely, shall surely take his seat in hell-fire.' "

4. We are informed by Makki b. Ibrâhim, who had it from Yazid b. Abu Ubaid, through Salamah, who said that he heard the Prophet (Allâh bless him and give him peace) say :

"Whosoever ascribeth unto me what I have not said shall surely take his place in hell- fire."

Translated by I. H. El-MOUGY

إنِّي لا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم كَمَا يُحَدِّثُ فُلانٌ وَفُلانٌ . قال: أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

حدثنا أبو مَعْمَر قال حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز قال أنس :

إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

حدثنا مكي بن ابراهيم قال حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

---

(1) . i . e . Although he never left the prophet' s side, he is afraid of repeating any utterance inaccurately.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

hold sacred in this month. Behold! Let him that is present transmit it to him that is absent. (Here Muhammad Ibn Sirin exclaimed: 'The words of the Apostle of Allâh—Allâh bless him and give him peace — have come true; this *transmission of the Hadîth* hath come to pass!') *O ye people*! Have I delivered my message? Have I delivered my message?"

عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ (وكانَ محمدٌ يقول: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان ذلك) أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟ مَرَّتَيْنِ».

CHAPTER 80.

بابُ إِثْمِ مَنْ كَذَبَ عَلَى النبيِّ صلى الله عليه وسلم:

On the sin of him who falsely ascribeth sayings to the Prophet (Allâh bless him and give him peace)

We are informed by ‹Aly b. Al-Ja‹d, who had it from Shu‹bah, who received it from Mansur, who heard it from Rib‹i b. Hirâsh, who heard ‹Ali say that:

حدثنا علي بن الجعد قال أخبرنا شعبة قال أخبرني منصور قال سمعت ربعيّ بن حِراشٍ يقول سمعت عليا يقول:

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) said: "Ascribe not sayings unto me falsely, for verily he who doth so shall enter hell-fire."

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ».

We are informed by Abu-l-Walid who had it from Shubah, through Jâmi b. Shaddâd, through Amir b. Abdullâh b. Az-Zubair, through his father, who stated that he *once* said to his father:

I never hear thee transmit any

حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة عن جامع بن شداد عن عامر بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه قال قلت للزبير:

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

and hath not permitted it to you. Moreover He hath only permitted it to him[1] for a portion of time in a day, after which its inviolability hath been restored to it to day as it was yesterday. Let him that is present communicate *this* to him that is absent.

On Ibn Shuraih's being asked what ‹Amr's reply was, he said : " ‹Amr replied : ' I understand the meaning *of this hadîth* better than thou, O Abu Shuraih ; Makkah can never be the refuge of a rebel, nor the sanctuary of a murderer or a thief. ' " [2]

2. We are informed by ‹Abdullâh b. ‹Abdul-Wahhâb, who received it from Hammâd, through Ayyûb, through Muhammad, through Ibn Bakrah, through Abu Bakrah, who, - *relating a hadîth in which* the Prophet (Allâh bless him and give him peace) was mentioned - quoted *from it* :" So your blood and your property (Muhammad *Ibn Sirîn* added that he thought Ibn Abu Bakrh said : ' And your honour') must be held as sacred amongst you as this day which ye

عليه وسلم فيها فقولوا إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب »

فقيل لأبي شريح: ما قال عمرو؟ قال: أنا أعلم منك يا أبا شريح: لا تعيذ عاصيا ولا فارا بدم ولا فارا بخربة.

حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال حدثنا حماد عن أيوب عن محمد عن ابن أبي بكرة عن أبي بكرة: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال: « فإن دماءكم وأموالكم (قال محمد وأحسبه قال وأعراضكم)

(1) لي is used here instead of له to stress the Prophet's specific privilege.

(2) Although ‹Amr apparently agreed with and extended the moral of the hadith, he in reality evaded the point which was concerned with his violation of the Sanctuary by war-like operations. He further showed temerity in elaborating a hadith transmitted by Abu Shuraih directly from the Prophet.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 79.

Let him that is present impart the Knowledge to him that is absent—transmitted by Ibn ʿAbbâs, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace).

1. We are informed by ʿAbdullâh b. Yûsuf, who had it from Al-Laith, who received it from Saʿid, through Abu Shuraih, who said to ʿAmr b. Saʿid when he was sending troops to Makkah :

Allow me, O Amîr, to relate to thee an utterance made by the Prophet (Allâh bless him and give him peace) the day after the Conquest *of Makkah*, which my ears heard and my heart pondered upon while my eyes saw *the Prophet* as he was speaking it. He thanked Allâh and praised Him, and then said : " Verily Makkah hath been sanctified by Allâh and not by men ; so it is not lawful for any man who believeth in Allâh and the Last Day to shed blood in it, nor to fell a tree in it. If any one giveth himself permission to do this , owing to the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) having fought in it, then say: ʿSurely Allâh hath permitted it to His Apostle

بابٌ : لِيُبَلِّغ العِلْمَ الشَّاهِدُ الغَائبَ :

قَالَهُ ابنُ عبَّاسٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم

حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثني الليث قال حدثني سعيد عن أبي شريح أنه قال لعمرو بن سعيد وَهُوَ يَبْعَثُ البُعُوثَ إلى مَكَّةَ :

ائذَنْ لي أيُّهَا الأميرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلاً قَامَ بِهِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم الغَدَ مِنْ يَوْمِ الفَتْحِ ، سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ : حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : «إنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ ، فَلاَ يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَماً وَلاَ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً ، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ صلى الله

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 78.

باب مَنْ سَمِعَ شَيْئاً فَرَاجَعَهُ حَتَّى يَعْرِفَهُ :

On him who heareth a thing which he hath not understood and so discusseth it *with his teacher* until he hath understood it.

حدثنا سعيد بن أبي مريم قال أخبرنا نافع بن عمر قال حدثني ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ إِلاَّ رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ» قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ: أَوَ لَيْسَ يَقُولُ الله تعالى: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً»؟ قَالَتْ فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ العَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ».

We are informed by Sa'id b. Abu Mariam, who received it from Nâfi' b. 'Umar, who had it from Ibn Abu Mulaik'ah that :

'A'ishah, the wife of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) never heard anything that she did not understand but she discussed it until she did ; and that the Prophet (Allâh bless him aud give him peace) said: "Whosoever is called to account, shall suffer torture. "[1] 'A'ishah said : " I then asked whether Allâh (be He exalted) had not said : 'His reckoning shall be made light.' "[2] " This, " replied the Prophet,'is only referring to the reviewing *on the Day of Judgment*[3] but he whose reckoning is examined' closely shall perish."

---

(1) The mere fact of being called to account on the Day of Judgment and brought to shame is a torture in itself.

(2) Surah 84, Verse 8.

(3) العرض = (a) the placing on the Balance on Judgment Day (Ibn Hajar) or (b) the exposure of good and bad deeds or (c) as handed down by 'A'ishah—the indulgence after indictment (Al-'Aini).

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

choose." He appointed a day for them, on which he went to meet them and gave them an exhortation, enjoining upon them certain commandments. Among the things he told them was: "No one among you shall be bereaved of three children but shall have a screen placed between her and Hell-fire." "And if there be only two?" asked a woman. "Even if they be only two", replied the Prophet.

Al-Bukhâri states that this Hadith was related to him by Muhammad b. Bashshâr, who had it from Ghundra, who received it from Shu'bah, through Abdur-Rahmân b. Al-Asbahâni, through Dhakwân, through Abu Sa'id Al-Khudri, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace); [1] and also through Abdur-Rahmân b. Al-Asbahâni, who heard it from Abu Hâzim, through Abu Hurairah, who said: "*Bereaved of* three children who have not attained the age of discretion." [2]

لنا يَوْماً مِنْ نَفْسِكَ » فَوَعَدَهُنَّ يَوْماً
لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ
فِيمَا قَالَ لَهُنَّ : « مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ
تُقَدِّمُ ثَلاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلاَّ كَانَ لَهَا
حِجَاباً مِنَ النَّارِ » فَقَالَتِ امْرَأَةٌ :
« وَاثْنَيْنِ ؟ » فَقَالَ : « وَاثْنَيْنِ »

حدثنا محمد بن بشّار قال حدثنا غُنْدَر
قال حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن
الأصبهاني عن ذكوان عن أبي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
بهذا ، وعن عبد الرحمن بن الأصبهاني
قال سمعت أبا حازم عن أبي هريرة قال :
« ثَلاثَةً لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ » .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(1) This was added (a) to clear up the obscurity on the identity of Al-Asbahâni and (b) to add the remark transmitted through Abu Hurairah on the presumptive age of the children,- the earlier years of childhood especially endearing the child to its mother. The purpose of the hadith would appear to be to fortify mothers against the calamity of bereavement, and so to discourage the pagan customs of the excessive expression of grief. (See Al-'Aini, Muniriah ed , Cairo, Vol. II, P 135).

(2) الحنث properly " sin "-i e. children dying before the age of responsibility, when sin can be imputed to them, are sinless and have Paradise as their natural destiny, besides being a screen against hell-fire for their parents. ' idid '

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

b. Al As, who stated that he heard the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) say :

Allâh shall not do away with Knowledge by snatching it away from men ; but He will do away with it by taking unto Him the learned, until when He hath not left one, men shall take unto themselves ignorant leaders who, on being questioned, shall give opinions without Knowledge, going astray themselves and leading others astray.

Al-Firabri stated that he had it from Abbâs who received it from Qutaibah, who was told it by Jarir, through Hishâm to the same effect.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُساً جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»

قال الفربري حدثنا عباس قال حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن هشام نحوه.

CHAPTER 77.

باب هَلْ يُجْعَلُ لِلنِّسَاءِ يَوْمٌ عَلَى حِدَةٍ فِي الْعِلْمِ؟

Should a special day be set apart for the instruction of woman?

We are informed by Adam, who had it from Shubah, who received it from Ibn Al-Asbahâni, who heard it from Abu Sâlih Dhakwân, through Abu Saîd Al-Khudri who said :

The women said to the Prophet (Allâh bless him and give him peace) " The men have had the advantage over us in regard to thee ; so set aside for us a day that thou wilt

حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال حدثني ابن الأصبهاني قال سمعت أبا صالح ذكوان يحدث عن أبي سعيد الخدري قال:

قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: «غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 76.

On how Knowledge shall pass away ;

And on ‹Umar b. ‹Abdul-‹Aziz having written to Abu Bakr b. Hazm: " See thou what sayings of the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) are extant, and write them down ; for I have been dreading the disappearance of Knowledge and the passing of the learned. Do not accept any but sayings of the Prophet (Allâh bless him and give him peace). Let the Knowledge *of the Hadith* be diffused, and let meetings be held so that he that is ignorant *of it* may be instructed ; for verily Knowledge shall not perish until it is kept secret. "

Al-Bukhâri states that this,—namely the utterance of ‹Umar b. ‹Abdul-‹Aziz as far as the words "the passing of the learned "—was related to him by Al-Alâ‹ b. Abdul-Jabbâr, who had it from ‹Abdul-Azîz b. Muslim, through Abdullâh b. Dinâr.

We are informed by Ismâ‹il b Abu Uwais, who had it from Mâlik through Hishâm b. ‹Urwah, through his father, through ‹Abdullâh b. Amr

بابٌ كَيْفَ يُقْبَضُ العِلْمُ، وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عبد العزيز الى أبى بكر بن حزم :

«انظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَاكْتُبْهُ ، فَإِنِّى خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ، وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النبىِّ صلى الله عليه وسلم، ولْتُفْشُوا الْعِلْمَ وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا»

قال أبو عبد الله حدثنا العلاء بن عبد الجبار قال حدثنا عبد العزيز بن مسلم عن عبد الله بن دينار بذلك، يَعْنِى حديث عمر بن عبد العزيز الى قوله: ذَهَابَ الْعُلَمَاءِ.

حدثنا إسماعيل بن أبى أويس قال حدثنى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

They accordingly proceeded one and all to take off and to throw their ear-rings and rings, which Bilâl collected in a fold of his garment .

Ismâ‘îl stated that he had it through Ayyûb, through ‹Atâ‹, and through Ibn ‹Abbâs that the latter said: "I testify of the Prophet (Allâh bless him and give him peace)"[1]

القُرْطَ وَالخَاتَمَ وَبِلَالٌ يَأْخُذُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهِ .

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ عَطَاءٍ وَقَالَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم .

CHAPTER 75.

On the zeal shown in the acquisition of the Hadîth .

We are informed by ‹Abdul-Azîz b. ‹Abdullâh, who had it from Sulaimân, through ‹Amr b. Abu ‹Amr through Sa‹îd b. Abu Sa‹îd Al-Maqburi, through Abu Hurairah who stated that the question was once asked :[2]

" O Apostle of Allâh ! Who shall be the most blessed among men through thy intercession on the Day of Resurrection ? " " Indeed I have thought, O Abu Hurairah, " replied the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace), " that no one would question me on this hadith before thee , for I have observed thy zeal for the Hadith. The most blessed of men through my intercession on the Day of Resurrection shall be he who hath said truly from his heart (or his soul):'There is no deity but Allâh'."

Translated by **I. H. El-MOUGY**

بَابُ الحِرْصِ عَلَى الحَدِيثِ :

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال حدثني سليمانُ عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال: قيل :

يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ (أَوْ نَفْسِهِ) » .

---

(1) This is a gloss indicating that the hadith is معلق (disconnected) at this point, since Ismâil died the year Al-Bukhâri was born, and so cannot have come into contact with him .

2. By Abu Hurairah himself.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ثمّ قال عامر: «أعطيناكها بغير شيء، قد كان يُركب فيما دونها إلى المدينة».

ʿAmir adds: "We give thee this *saying* without desire for reward whereas for even less important matters journeys have been undertaken to Madinah."(1)

CHAPTER 74.

باب عظة الإمام النساء وتعليمهنّ:

On the exhortation given by the imâm to woman and his instruction of them.

حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن أيوب قال سمعت عطاء قال سمعت ابن عباس قال:

We are informed by Sulaimân b. Harb who had it from Shuʿbah, through Ayyub, who heard it from ʿAtâʾ, who heard it from Ibn ʿAbbâs, who said :

أشهد على النبيّ صلى الله عليه وسلم ـ أو قال عطاء: أشهد على ابن عبّاس ـ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ومعه بلال، فظنّ أنه لم يُسمع النّساء فوعظهنّ وأمرهنّ بالصدقة، فجعلت المرأة تلقي

I testify of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) — or, ʿAtâʾ stated that he testified according to Ibn ʿAbbâs— that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) went out *from the men's ranks* accompanied by Bilâl ; and as it occurred to him that he had not made his voice heard by the women, he gave them an exhortation and commanded them to give alms.(2)

---

(1) In the early days of Islâm journeys were made to Madinah to obtain exact information on points of ritual and practice ; in later times after the expansion of Islam, other Capitals gained equal rank with Madinah as sources of authority . Here Ash-Shaʿbi (ʿAmir) is answering an inquirer from Khurasân on the point of a man's relations with his female slave.

(2) الصدقة = both legal and voluntary alms.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

CHAPTER 73

بابُ تَعْلِيمِ الرَّجُلِ أَمَتَهُ وَأَهْلَهُ:

On instruction given by a man to his female slave and his household.

حدثنا محمد ـ هو ابن سلام ـ حدثنا المحاربي قال حدثنا صالح بن حيان قال قال عامر الشعبي حدثني أبو بردة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

We are informed by Muhammad b. Sallâm, who had it from Al-Muhâribi, who was told it by Sâlih b. Hayyân, who stated that ʿAmir Ash-Shaʿbi received it from Abu Burdah, through his father who stated that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said:

«ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم؛ وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ؛ وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا؛ فَلَهُ أَجْرَانِ».

Three sorts of men have double reward—a man from among the people of the Book who hath believed in his own Prophet and also in Muhammad (Allâh bless him and give him peace) ; the unemancipated slave who fulfilleth his duty to Allâh and to his masters; and *lastly* a man who, having a female slave in his house, educateth her with kindness in good morals, and likewise giveth her religious instruction, and then freeth her and marrieth her, — he also[1] shall have a double reward.

---

1. Or according to Al-Karmâni the three categories are probably meant, the words being repeated owing to the length of the sentence. This is also explained as emphasising the fact that, although the *third* fulfils a fourfold duty, he has no more than the twofold reward; for, if the female slave is a member of his household, her moral education and religious instruction are no more than an ordinary obligation. (See Al-ʿAini, Vol. II, P. 119).

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Prophet (Allâh bless him and give him peace) that:

Each time the Prophet made a pronouncement he repeated it thrice so that it might be well understood, and whenever he went to anyone's house[1] and greeted him, he used to repeat the greeting thrice.

أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا.

3. We are informed by Musaddad, who had it from Abu ‘Awânah, through Abu Bishr, through Yûsuf b. Mâlik, through ‘Abdullah b. ‘Amr, who said:

The Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) fell behind while we were on a journey together. He then caught us up when we were taken unawares by *the hour* of prayer – the afternoon prayer[2] – as we were performing our ritual ablution. We therefore had only begun to wipe our feet.[3] At this *the prophet* called out at the top of his voice: "Woe unto your heels, for they will bring you into danger of hell-fire" This he said two or three times.

حدثنا مسدد قال حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال:

تَخَلَّفَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ سَافَرْنَاهُ فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلَاةُ صَلَاةُ الْعَصْرِ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

---

(1) In the case of calling at a house (أتى على), the threefold greeting implies (a) asking permission to enter, (b) the salutation on entering and (c) the leave-taking. Another less acceptable interpretation is that if the three greetings made outside the house receive no response, the speaker departs. In the case of taking (أتى على) to mean passing anyone, the threefold greeting is made in case the first greetings are not heard. (See Al-‘Aini, Muniriah ed., Cairo, Vol. II, P.117).

2. The reference is, not to the time of the beginning of the afternoon prayer (about 3. p. m.), but to its conclusion (about 6 p. m.), when the period of the evening prayer begins.

3. According to Muslim rules of ritual ablution, the feet must be washed thoroughly with water three times before prayers, as well as the other members.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لِيُفْهَمَ عَنْهُ ، فَقَالَ : « أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ » فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا ،

thrice in order to be *clearly* understood,

And on the Prophet's words: " And behold ![1] false witness, " which he kept repeating ; [2]

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : « هَلْ بَلَّغْتُ » ثَلاثًا :

And on the statement of Ibn ʿUmar that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said thrice: "Have I conveyed my message ?" [3]

حدثنا عبدةُ قال حدثنا عبد الصمد قال حدثنا عبد الله بن المُثَنَّى قال حدثنا ثُمَامَةُ بن عبد الله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم :

1. We are informed by ʿAbdah, who had it from ʿAbdu-s-Samad, who received it from ʿAbdullâh b. Al-Muthannâ, who was told it by Thumâmah b. ʿAbdullâh, through Anas, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) that :

أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلاثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثًا.

Each time *the prophet* gave a greeting, he used to repeat it thrice, and whenever he made a pronouncement, he repeated it thrice.

حدثنا عبدةُ بن عبد الله حدثنا عبد الصمد قال حدثنا عبد الله بن المثنى قال حدثنا ثمامة بن عبد الله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم :

2. We are informed by ʿAbdah b. ʿAbdullâh who had it from ʿAbdu-s-Samad, who was told it by

ʿAbdullâh b. Al-Muthannâ, who received it from Thumâmah b. Abdullâh, through Anas, from the

---

(1) ألا — Here the expression is asseverative as explained by Al-ʿAini, Muniriah ed.Cairo, Vol. II, P.115.

(2) The complete hadith runs :

ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثا. قالوا بلى يارسول الله . قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين ـ وجلس وكان متكئا ـ فقال ألا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت .

(3) These words are near the conclusion of the Prophet's sermon in his Farewell Pilgrimage .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 71.

باب مَنْ بَرَكَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ عِنْدَ الإِمَامِ أَوِ الْمُحَدِّث :

On him who kneels (in respect) before the imâm or the traditionist.

حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى أنس بن مالك : أنَّ رَسول الله صلى الله عليه وسلم خَرَجَ فقَامَ عبدُ الله بنُ حذافة فقالَ : مَنْ أَبِي ؟ فقالَ : « أَبُوكَ حُذَافَةُ » ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ : « سَلُونِي ! » فبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فقال: « رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صلىَّ الله عليه وسلم نَبِيًّا » فَسَكَتَ .

We are informed by Abu-l-Yamân who had it from Shuʿaib, through Az-Zuhri, who received it from Anas b. Mâlik that :

As the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) was going out of his house, ʿAbdullâh b. Hudhâfah arose and said : " Who is my father ? " "Thy father" replied the Prophet, " is Hudhâfah ". Then when the Prophet was importuned, he said : "Ask on !". Thereupon ʿUmar fell on his knees saying : " We are well-satisfied that Allâh is our Lord, that Islâm is our faith, and that Muhammad (Allâh bless him and give him peace) is our Prophet. " After that the Prophet held his peace .[1]

CHAPTER 72.

بَابُ مَنْ أَعَادَ الْحَدِيثَ ثَلَاثًا

On him that repeateth a hadith[2]

---

(1) or — more appropriately the veriant سكن - was appeased .

(2) i.e , a religious pronouncement

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

said the Prophet, " it is thine or thy brother's or the wolf's. "

لأخيكَ أوْ للذِّئبِ » .

3. We are informed by Muhammad b. Al-‹Alâ›, who had it from Abu Usâmah, through Buraid, through Abu Burdah, through Abu Mûsa, who said that :

حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا أبو أسامة عن بُرَيْد عن أبي بُرْدَةَ عن أبي موسى قال :

The Prophet was being questioned on certain things *in a way* which offended him, and when they became persistent, he became angry and said to the people : " Question me on what ye will ! ". A certain man[1] said : " Who is my father ? " "Thy father " replied the Prophet, " is Hudhâfah ". Then another man [2] rose and said : " Who is my father, O Apostle of Allâh ? " "Thy father", he replied, " is Sâlim, the client of Shaibah ".

سُئِلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ أشياءَ كَرِهَها . فلمّا أُكثِرَ عليهِ غَضِبَ ثُمَّ قالَ للنّاسِ : « سَلُوني عمّا شِئْتُم ! » قال رَجُلٌ : مَنْ أبي ؟ قال: « أبُوكَ حذافةُ » فقامَ آخرُ فقال : مَنْ أبي يارسول الله ؟ فقال: « أبوكَ سالِمٌ مَوْلى شَيْبَةَ »

Then when ‹Umar saw the expression on the Prophet's face, he said: "O Apostle of Allah, we turn in repentence unto Allâh (be He magnified and glorified) ". [3]

فلمّا رأى عُمَرُ ما في وَجْهِهِ قال : « يارسولَ اللهِ إنّا نَتُوبُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ » .

---

(1) ‹Abdullâh b. Hudhâfah.

(2) Sa‹d b. Sâlim the freedman of Shaibah b. Rabi‹ah.

(3) The object of this hadith is to point the justification of a professor's anger at being asked inopportune questions by his students, a proceeding which is laid down as inadmissible.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

2. We are informed by ʿAbdullâh b. Muhammad, who had it from Abu Amir, who was told it by Sulaimân b. Bilâl Al-Madîni, through Rabîʿah b. Abu Abdu-r-Rahmân, through Yazid Al-Munbaʿith's freedman, through Zaid b. Khâlid Al-Juhani that :

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) was questioned by a man on lost property, so he said : " Examine the string *it is tied with* (or perhaps he said " its container ") and its cover ; then advertise it for a year, and then make use of it; but if its owner comes *to claim it*, hand it over to him. " ' If it is a she-camel that hath strayed ? " asked the man.

At these words the Prophet became so indignant that his cheeks became red (or perhaps he said " he became red in the face ").(1) " What hast thou to do with her ? " replied the Prophet. "She hath her *store of* drink with her, and she hath her feet so that she can go to the water and browse on the bushes . So leave her alone until her master finds her." And what if the animal strayed is a sheep ? " asked the man. " Then ",

حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا أبو عامر قال حدثنا سليمان بن بلال المدينيُّ عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن يَزِيدَ مَوْلَى المُنْبَعِث عن زيد بن خالد الجُهَنِيّ :

أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ اللُّقَطَة فقال :

« اعْرِفْ وِكَاءَهَا (أو قال وِعَاءَهَا) وعِفَاصَهَا ثُمَّ عَرِّفْهَا سنةً ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا فإنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ » ، قال : « فَضَالَّةُ الإبِلِ؟ » فغَضِبَ حتى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ (أوْ قال احْمَرَّ وجْهُهُ) فقال : « وَمَا لَكَ وَلَهَا ؟ مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا ، تَرِدُ الماءَ وتَرْعَى الشَّجَرَ فَذَرْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا » ، قال « فَضَالَّةُ الغَنَمِ ؟ » قال : « لَكَ أَوْ

(1) The Prophet's anger is explaind by the fact that the first question applied only to portable property picked up — اللقطة while the second question was off the point, the man having misunderstood him.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

في موعظة أشد غضبا من يومئذ ، فقال : « أيها الناس إنكم منفرون ، فمن صلى بالناس فليخفف ، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة »

day : " O ye people " said he, " ye will estrange *men from the congregational prayer;* let the leader in prayer lighten it, for among the congregation are some who are sick, or weak, or have other duties "

Translated by I. H. El-MOUGY



جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

divorced his wives." "No," replied he. I then exclaimed: "Allâh is greatest!" (1)

صلى الله عليه وسلم فقلتُ وَأَنَا قَائِمٌ: أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ قالَ: لا، فقلت: اللهُ أَكْبَرُ!

[illegible]APTER 70

On the anger shown by one [illegible] exhorting or teaching, on perceiving [illegible] something of which he disapproves.

[illegible]

A man (2) said: "O [illegible] Allâh! I almost had to [illegible] the *congregational* prayer owing to the way in which a certain man (4) protracted it (3). I never saw the Prophet (Allâh bless him and give him peace) become more angry in an exhortation than he did on that

بابُ الغَضَبِ فِي المَوعِظَةِ والتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ:

حدثنا محمد بن كثير قال أخبرنا سفيان عن ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي مسعود الأنصاري قال:

قالَ رجلٌ: «يا رسولَ اللهِ لا أَكادُ أُدْرِكُ الصَّلاةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلانٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم

---

(1) [illegible] an exclamation of surprise like "Good Gracious!". 'Umar [illegible] Al-Anṣârî having spread such a false rumour.

(2) Probably [illegible] ([illegible] Hajar).

(3) Or "[illegible] could not wait till the end" (owing to physical weakness). See Al-'Ainî, 'Umdit-el-Qârî, Muniri[illegible]h Press, Cairo, vol. II, P. 106.

(4) i. e., Mu'âdh b. Jabal. The expression فلان is here used instead of the name in order that the complaint may be an impersonal one. ibid. P. 107

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

"I and a neighbour of mine who was one of the Ansār were at the *village of* Bani-Umayyah b. Zaid which is a part of the district of ʿAwālī near Madinah (1). We used to take turns in going down to the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace), he going down on one day and I on another. Whenever I went down I used to bring back to him the news of that day including Qur'anic revelations and other things. When he went down he did likewise. My friend the Ansārī went down one day when it was his turn, and *on returning* he knocked at my door violently and asked if I was there. I was terrified and came out to him. He said: "Something serious has happened (2)."

Umar (3) said: "I went to see Hafsah and found her weeping. I asked her if the Apostle of Allāh (Allāh bless him and give him peace) had divorced them. "Not that I know of," replied she. At this I went to see the Prophet (Allāh bless him and give him peace), and without sitting down I asked him if he had

[illegible]

---

(1) عوالى = Highlands i. e. the tableland overlooking Madinah from the East, From 3 to 8 miles distant from it.

(2) A rumour had gone abroad that the Prophet had divorced his wives, although as a matter of fact he had only left them temporarily.

(3) Hafsah's father.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

أَرْضَعَتْ عُقْبَةَ والتي تَزَوَّجَ بِهَا ، فقال لَهَا عُقْبَةُ : « مَا أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرْضَعْتِنِي وَلاَ أَخْبَرْتِنِي » فَرَكِبَ الى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ ؟ » فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجاً غَيْرَهُ .

‹Uqbah and the woman he had married also. ‹Uqbah said to her : " I am not aware that thou suckledst me, nor didst thou ever tell me ". He then rode to the Apostle of Allâh (Allah bless him and give him peace) at Madînah and put the question to him. The Apostle of Allâh (Allah bless him and give him peace) said : " How *couldst thou consummate thy marriage with her* after it had been said *that thou wert her foster-brother?*" Thereupon Uqbah put away his wife who married another husband. (1)

بَابُ التَّنَاوُبِ فِي الْعِلْمِ :

CHAPTER 69.

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري (ح) قال أبو عبد الله وقال ابن وهب أخبرنا يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن عبد الله بن عباس عن عمر قال :

On taking turns in *the quest of* Knowledge.

we are informed by Abu-l-Yamân who had it from Shu‹aib, through Az-Zukri; also Abu-‹Abdullâh stated that he had it from Ibn wahb, who received it from Yûnus, through Ibn Shihâb, through Ubaidullâh b. ‹Abdullâh b. Abu Thawr, through ‹Abdullâh b ‹Abbâs, through ‹Umar, who said :

(1) Two legal points arise from this hadith : first, that a woman may be admitted as single witness in cases where a man's evidence is not available or competent. Second, that association with the same foster-mother constitutes a prohibited degree of consanguinity in marriage.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

prescribed alms, to keep the Ramadân fast, and to give the fifth part of the booty." He then forbade them *the use of* gourds, jars, and vessels smeared with pitch.[1]

Shu'bah adds: "Perhaps he mentioned vats made from palmtrunks, and may have said "tarred" (instead of "smeared with pitch").

Then the Prophet said: (Commit this to memory, and transmit it to those you have left behind you.")

اللهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ،
وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَتُعْطُوا الْخُمُسَ
مِنَ الْمَغْنَمِ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ
وَالْحَنْتَمِ وَالْمُزَفَّتِ ، قَالَ شُعْبَةُ :
رُبَّمَا قَالَ النَّقِيرِ وَرُبَّمَا قَالَ الْمُقَيَّرِ .
قَالَ : احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ .

CHAPTER 68

On a journey undertaken *to obtain a decision* on a special case and to instruct one's people.

We are informed by Muhammad b. Muqâtil Abu-l-Hasan, who had it from Abdullâh, who was told it by 'Umar b. Sa'id b. Abu Husain, who received it from Abdullâh b. Abu Mulaikah, through 'Uqbah b. Al-Hârith that:

He had married a daughter of Abu Ihâb b. 'Aziz. A woman came to him and said that she had suckled

بَابُ الرِّحْلَةِ فِي الْمَسْأَلَةِ النَّازِلَةِ وَتَعْلِيمِ أَهْلِهِ :

حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن
قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا عمر
ابن سعيد بن أبي حسين قال حدثني عبد
الله بن أبي مليكة عن عقبة بن الحارث
أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن
عَزِيزٍ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ

(1) Owing to the danger of intoxication arising from the rapid fermentation of juices contained in these vessels.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الْقَيْسِ أَتَوُا النبى صلى الله عليه وسلم فقال : مَنِ الْوَفْدُ ؟ (أَوْ مَنِ الْقَوْمُ ؟) قالُوا : « رَبِيعَةُ » فقال : مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ (أَو بِالْوَفْدِ) غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى . قالوا : إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَىُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ وَلاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلاَّ فِى شَهْرٍ حَرَامٍ ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ : أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ ـ قال : هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ ؟ قالوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قال : شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ

the Abdu-l-Qais visited the Prophet (Allâh bless him and give him peace) who said: "What is this deputation? (*or* what is this tribe?" They replied; : "we are of the tribe of Rabî'ah, (1)" "Welcome to you, [illegible] deputation [illegible] without humiliation [illegible] (2) [illegible] replied they [illegible] between [illegible] sacred month. Therefore give us a commandment which we may transmit to those we have left behind us, *and* through which we may enter Paradise" He then commanded them to do four things and forbad them four things. He commanded them to believe in Allâh as being one (be He magnified and glorified), adding: "Do ye know what belief in Allâh as being one is?" "Allâh and His Apostle know best" replied they. "It is," said he, "to testify that there is no deity but Allâh and that Muhammed is the Apostle of Allâh, to perform the *appointed* prayers, pay the

(1) [illegible] the clan Rabîcah.

(2) [illegible] by the humiliation of defeat or by regret for the [illegible]. The fact that they addressed the Prophet as رسول [illegible] and referred to the Mudarites as كفار shows that they had already accepted Islâm.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

it three times. Then it shall be said unto him : " Sleep in peace, for we now know that thou art indeed a true believer in him " As for the hypocrite - or the doubter (I do not know which of these words Asmâ used) , he shall say : (I do not know *what to say*; " I have heard people say something and I have repeated it. "

بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا ،
هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلاَثًا ، فَيُقَالُ : نَمْ صَالِحًا
قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ
وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتَابُ
(لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ)
فَيَقُولُ لاَ أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ
يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ .

CHAPTER 67.

On how the Prophet (Allâh bless him and give him peace)urged the deputation of *the tribe* of ‹Abdul-Qais to preserve the Faith and the Knowledge, and to transmit them to those whom they had left behind ;

And on Mâlik b. Al-Huwairith having stated that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said to them : " Go back to your people and instruct them. "

بابُ تحريضِ النَّبيِّ صلى الله عليه
وسلم وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا
الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ ،
وَقَالَ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ
صلى الله عليه وسلم ارْجِعُوا إِلَى
أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ .

We are informed by Muhammad b. Bash-shâr, who had it from Ghundar, to whom it was narrated by Shu-bah, through Abu Jamrah, who said :

I was *once* acting as interpreter between Ibn ‹Abbas and the people, when he said that the deputation of

حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا
غُنْدَرٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ
كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ
وَبَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السماءِ فإذا الناسُ قيامٌ فقالت: سبحانَ الله. قلتُ: آيةٌ، فأشارت برأسها أي نعم. فقمتُ حتى تجلاني الغشيُ فجعلتُ أصبُّ على رأسي الماءَ، فحمدَ الله عزَّ وجلَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأثنى عليه ثم قال: «ما من شيءٍ لم أكن أريتُه إلا رأيتُه في مقامي حتى الجنةُ والنارُ. فأوحي إليَّ أنكم تُفتنون في قبوركم مثلَ أو قريباً (لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء) من فتنةِ المسيحِ الدجالِ، يُقالُ ما علمُك بهذا الرجلِ؟ فأمَّا المؤمنُ أو الموقنُ (لا أدري بأيِّهما قالت أسماء) فيقولُ: هو محمدٌ رسولُ الله جاءنا

it a sign *of Allah's wrath*? said I. She nodded her head as an answer in the affirmative I then stood up in prayer *behind the faithful* until I felt faint, so I began to pour water on my head.

After the prayer the Prophet (Allâh bless him and give him peace) praised,, and extolled Allâh (be He magnified & glorified) then said : ' There is nothing of what I have not been shown, but I have seen here and now, even Paradise and hell-fire it hath been revealed to me that ye shall be tried in your graves in the same way or nearly (I [1] do not know which expression Asmâ used) as ye shall be tried *in the days of* the Antichrist. It shall, be said [2] unto each one of you: ' What dost thou know of this man [3] ?' As for the true believer – or the faithful (I do not know which word Asmâ used), he shall say : ' It is Muhammad the Apostle of Allah, who came unto us with proofs *of his mission* and with the true Guidance. We accepted his message, and followed him. It is Muhammad *the true believer* shall say

---

(1) Fâtimah who had it from Asmâ
(2) By the Angels of death Munkar and Nakir.
(3) The Prophet ; the Angels do not refer to him as such because they do not wish to prompt the dead man.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

shaved *my head* before I slaughtered the victim." The Prophet signed with his hand indicating that there was no sin.

2 We are informed by Al-Makki b. Ibrahîm, who received it from Hamzah b. Abu Sufian, through Salim who heard it from Abu Hurairah, who had it from the Prophet (Allah bless him and give him peace), who said:

" Knowledge shall pass away,(1) and ignorance and tumult shall prevail, and *hari* (2) shall increase." The Apostle of Allah was asked what *hari* was, and replied by making a sign with his hand which he moved diagonally as if he meant killing.

3. We are informed by Mua b. Isma'îl, who had it from Wuhaib, who was told it by Hisham, through Fatimah, through Asma, who said:

"I *once* went to 'A'ishah and found her praying. I said: What is the matter with the people?"(3) She pointed to the sky and muttered: Glory be to Allah',(4) and [illegible] the faithful were standing in prayer." Is

قبلَ أنْ أذبحَ ، فأومأ بيدِهِ : ولاَ حرجَ .

حدثنا المكي بن ابراهيم قال أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان عن سالم قال سمعت أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« يُقْبَضُ العِلْمُ ، ويَظْهَرُ الجَهْلُ والفِتَنُ ، ويَكْثُرُ الهَرْجُ » قيلَ يا رسُولَ اللهِ : ومَا الهَرْجُ ؟ فقالَ هكَذَا بيدِهِ فحرَّفَها كأنَّهُ يُرِيدُ القتْلَ

حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا وهيب قال حدثنا هشام عن فاطمة عن أسماء قالت :

أتيت عائشة وهي تصلي فقلت ما شأن النَّاسِ ؟ فأشارت إلى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(1) Owing to the death of the learned. (Ibn Hajar)

(2) Probably of Hebrew origin, through Ibn Hajar suggests Ethiopian,—meaning battle, tumult or slaughter.

(3) The people were in a state of panic owing to an eclipse of the sun, and were performing the prayers customary on such occasions.

(4) سبحان الله formula of apology used in an interrupted prayer, being "muttered" so as not to disturb it.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Prophet, " there is no sin ". Then there came up to him another who said : " I unwittingly slaughtered the victim before I threw the stones. " " Throw them " said the Prophet, " there is no sin ". So the Prophet (Allâh bless him and give him peace) was never questioned as to whether anything should be done sooner or later but he answered : " Do so, there is no sin."

« اذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ » فَجَاءَ آخَرُ فقَالَ: لَمْ أَشْعُرْ فنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ ، قَالَ: « ارْمِ وَلاَ حَرَجَ » فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلا أُخِّرَ إِلاَّ قَالَ: « افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ »

CHAPTER 66.

On one who giveth a fatwâ by a sign of the hand or the head.[1]

1. We are informed by Mûsâ b. Ismaîl, who had it from Wuhaib, who was told it by Ayyûb, through Ikrimah, through Ibn Abbas that :

the Prophet (Allah bless him and give him peace) was questioned on the occasion of his farewell pilgrimage by a man who said : " I slaughtered the victim before I threw the stones. " The Prophet gave a sign with his hand saying : " It is no sin . " Another man said : " I

بابُ مَنْ أَجَابَ الفُتْيَا بِإِشَارَةِ اليَدِ وَالرَّأْسِ :

حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا وُهيب قال حدثنا أيوب عن عِكْرمة عن ابن عباس أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فقَالَ: ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ ، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ قَالَ وَلاَ حَرَجَ ، قَالَ: حَلَقْتُ

(1) Al- Bukhâri's practice is to proceed from the general to the particular; the title being a generalisation, of which the particular case given in the hadith is an illustration This explains why some heading are found without any following hadith.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

" While I was sleeping, a bowl of milk was brought me *in my dream* I drank until I did see the liquid flow from my finger-nails,[1] and then I gave the residue to ʿUmar b. Al-Khattâb. When they asked the Apostle of Allâh what interpretation he gave to it, he said : ' It is Knowledge.' »

«بينَا أنَا نائمٌ أُتيتُ بقَدحِ لبَنٍ فشربتُ حتّى أنّي لأرى الرِّيَّ يخرجُ في أظفاري، ثمّ أعطيتُ فضلي عُمرَ بنَ الخطّاب، قالوا: فما أوّلته يا رسولَ الله؟ قال: «العلمَ»

CHAPTER 65.

On a fatwâ [2] given by one standing *on the back* of a mount or elsewhere.

باب الفُتيا وهو واقفٌ على الدابّةِ وغيرِها:

We are informed by Ismaʿîl, who had it from Malik, through Ibn Shihab, through ʿIsa b. Tolhah b. ʿUbaidullah, through ʿAbdullah b. ʿAmr b. Al-ʿAs that the Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace) stood, on the occasion of the farewell pilgrimage at Mina, for the people to ask him questions. A man came up to him and said :

" Unwittingly I shaved my head before I slaughtered *the victim for sacrifice.* " Slaughter it " said the

حدثنا إسماعيل قال حدثني مالك عن ابن شهاب عن عيسى بن طلحة ابن عبيد الله عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفَ في حجّةِ الوداعِ بمنى للنّاس يسألونه، فجاءه رجلٌ فقال: لم أشعرْ فحلقتُ قبلَ أنْ أذبحَ، فقال:

---

(2) Or preferably as a metaphor—I drank until I did feel satisfaction ooze from my finger-tips.

(2) A decision given on a matter of religious law or ritual.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

«لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لاَ يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ»

Anas, who said: I will convey to you a hadîth which no one will convey to you after me. (1) I heard the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) say:

" Among the signs of the Hour is that Knowledge shall decrease and ignorance be diffused, that adultery shall be widespread, that women shall increase and men decrease until there shall be for fifty women one supporter. "

CHAPTER 64.

باب فَضْلِ العِلْمِ:

حدثنا سعيد بن عفير قال حدثني الليث قال حدثني عقيل عن ابن شهاب عن حمزة بن عبد الله بن عمر أن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

On the excellence [illegible] (2) [illegible] We are informed [illegible] Allâh, who had it from Al-[illegible] was told it by ‹Uqail, [illegible] Shihâb, through Hamzah b. ‹Abdullâh b. ‹Umar that the last-named said that he heard the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) say :

---

(1) i.e. I am the last of the Companions to have heard this utterance directly from the Prophet.

(2) The rendering of " residue " or " excess " given by some commentators is suggested by the expression used in this hadîth [illegible] عطيت فضلي — I gave my residue to ‹Umar. They base their contention on the fact that the title of the first Chapter of this book is the same (فضل العلم), and that, therefore, there would be no point in repeating the idea in a subsequent hadith. Al-‹Airi, however, considers that in the first chapter reference is to the merit of " possession of Knowledge " but in this Chapter of " Knowledge " itself, especially as the Prophet himself interpreted فضل as "Knowledge", indicating the " excellence " of Knowledge.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

up the water at midday—instead of قيلت الماء — absorbs the water.

Al-Bukhâri defines قاع as land which water covers *without remaining on it* : and الصفصف as flat land.[1]

منها طائفة قيلت الماء «
قاع يعلوه الماء ، والصفصف
المستوي من الأرض

CHAPTER 63.

On the passing of Knowledge and the diffusion of ignorance ;

And the words of Rabî'ah : " It is not right for one who possesseth any Knowledge to waste his life ."[2]

1. We are informed by 'Imrân b. Maisarah, who had it from 'Abdul-Wârith, through Abu-t-Tayyâh, through Anas, who stated that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

"Among the signs of the Hour is that Knowledge shall pass away, and ignorance shall be established,[3] that wine shall be drunk *openly*, and adultery shall be widespread. "

2. We are informed by Musaddad who had it from Yahyâ, through Shu'bah, through Qatâdah, through

باب رَفْعِ الْعِلْمِ وظُهُورِ الْجَهْلِ ،

وَقَالَ رَبِيعَةُ : لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يُضَيِّعَ نَفْسَهُ :

حدثنا عمران بن ميسرة قال حدثنا عبد الوارث عن أبي التياح عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا» .

حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن أنس قال

(1) Al-Bukhâri is in the habit of explaining corresponding exprssions in the Qur-ân, namely قاعا صفصفا

(2) by failing to impart his knowledge.

(3) Or " diffused " according to Muslim

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

give him peace) who said :

" The parable of the Guidance and the Knowledge that Allâh hath sent me *to preach* is that of the abundant rain which falleth on the land. Some of this land is fertile, and absorbeth the water so that it bringeth forth grass and herbs abundantly. Some of it is hard [1] ground, and retaineth the water, so that Allâh turneth it to the use of men to drink, to water the cattle, and to grow crops. And some of it falleth on another kind which is only flat tableland that doth not catch the water nor bring forth plants.

That is the parable of him who is enlightened in the Faith of Allâh, and of him who profiteth by that which I have been sent by Allâh *to preach* so that he acquireth Knowledge and imparteth it; and of him who is too proud to raise his head [2] to receive it ; and of him who doth not accept the Guidance of Allâh which I was sent *to bring* . [3] According to Abu ‹Abdullâh (Al-Bukhari), Is-haq gives the variant وكان منها طائفة قيلت الماء one kind of it sucks

بُردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً اخرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً ،

فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ».

قال أبو عبد الله قال اسحق : « وكان

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(1) i.e. non-porous

(2) Or—turned away from it. The reference here is to Muslims who do not trouble to receive the teachings of Islâm or to impart them.

(3) These are the people who are called to Islâm but reject it. [Al-Qastallâni].

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

No—replied Moses. But Allâh (be He magnified and glorified) revealed to Moses the word:— Yea, it is Our servant Khadir.—Then *Moses* asked the way to meet him, and Allâh set the fish as a sign unto *Moses*, and it was said to him:—When thou losest the fish, return, for then thou shalt meet him.

So Moses (Allâh bless him) followed the track of the fish in the sea, and then his attendant said to him:— Behold! when we took shelter by the rock, I forgot about the fish, and it was only Satan that made me forget to mention it *to thee*. — That is what we were looking for. — said Moses. '

Thereupon they went back retracing their footsteps ; they found Khadir. and there happened to them what Allâh hath related in his Book."

إسرائيلَ إذ جاءه رجل فقال: أتعلمُ أحدًا أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى: بلى عبدُنا خضر، فسأل السبيل إلى لقيه فجعل الله له الحوت آية وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه، فكان موسى صلى الله عليه يتبع أثر الحوت في البحر، فقال فتى موسى لموسى: «أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره». قال موسى: «ذلك ما كنا نبغي» فارتدا على آثارهما قصصا، فوجدا خضرا، فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه».

CHAPTER 62.

باب فضل من علم وعلّم:

On the merit of him who hath acquired Knowledge and imparteth it.

We are informed by Muhammad b. Al-ʿAlâʾ who had it from Hammâd b. Usâmah, through Buraid b. ʿAbdullâh, through Abu Mûsa, from the Prophet (Allâh bless him and

حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا حماد ابن أسامة عن بُريد بن عبد الله عن أبي

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 59.

On setting out in search of knowledge ; and how Jâbir b. ‹Abdullâh made a month's journey to ‹Abdullâh b. Unais for the sake of a single hadith.

We are informed by Abu-l-Qâsim Khâlid b. Khaliyy, who had it from Muhammad b. Harb, who stated that Al-Awzâ‹i received it from Az-Zuhri, through ‹Ubaidullâh b. ‹Abdullâh b. ‹Utbah b. Mas‹ûd, through Ibn ‹Abbâs that :

he and Al-Hurr b. Qais b. Hisn Al-Fazâri were debating about the companion of Moses, when Ubayy b. Ka‹b passed by them, and Ibn ‹Abbâs called him and said:"I and my friend here have been arguing about the companion of Moses, regarding the way to meet whom the latter inquired. Hast thou heard the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) mention his story ? " Yes " replied Ubayy, I have heard the Prophet (Allâh bless him and give him peace) say: 'While Moses was in a company of Israelite notables, there came a man who said to him Dost thou know anyone more learned than thyself ? -

بَابُ الخُرُوجِ فِي طَلَبِ العِلْمِ،

وَرَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مَسِيرَةَ شهرالى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ :

حدثنا أبو القاسم خالد بن خلي قال حدثنا محمد بن حرب قال قال الأوزاعي أخبرنا الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أنه تمارى هُوَ وَالحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ الفَزَارِيُّ فِي صَاحِبِ مُوسَى فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ ، هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ شَأْنَهُ ؟ فقال أُبَيٌّ : نَعَمْ سَمِعْتُ النبي صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ شَأْنَهُ يَقُولُ : « بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

"I came riding on a she-ass at the time when I was approaching the age of puberty, - while the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) was performing his prayers at Minâ without a wall *to conceal him*. I passed in front of part of the line of worshippers, then I let the ass [illegible] and entered the line without any action being disapproved.

« أَقْبَلْتُ رَاكِباً عَلَى حِمَارٍ أَتَانٍ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الاحْتِلَامَ، وَرَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي بِمِنًى إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ فَمَرَرْتُ [illegible]

[illegible]

2. I am informed by Muhammad b. Yûsuf who had it from Abû Mus-hir, who was told it by Muhammad b. Harb, who received it from Az-Zubaidi, through Az-Zuhri, through Mahmûd b. ar-Rabî', who said:

"I remember of the Prophet how he sprayed my face through his mouth with water taken from a bucket when I was five years old.(1)

[illegible] وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ ».

(1) This hadîth is intended to show that the memory of a child of five is valid evidence. The Prophet's action may be attributed either to playfulness or to the wish to convey a blessing.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فارتدا على آثارهما قصصاً فوجدا خضراً ، فكان من شأنهما الذي قص الله عز وجل في كتابه .

CHAPTER 5.

On the words of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) "O Allâh, teach him the Book."(1)

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم علمه الكتاب » :

We are informed by Abu Ma‘mar who had it from ‘Abdul-Wârith, who was told it by Khâlid, through ‘Ikrimah, through Ibn ‘Abbâs, who said :

حدثنا أبو معمر قال حدثنا عبد الوارث قال حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال :

" The Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) embraced me and said : ' O Allâh, teach him the Book. ' "

ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « اللهم علمه الكتاب »

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

CHAPTER 58.

At what age is a child's hearing of the hadith valid ?(2)

باب : متى يصح سماع الصغير ؟

1. We are informed by Ismâ‘il b. Abu Uwais, who had it from Mâlik, through Ibn Shihâb, through ‘Ubaidullâh b. ‘Abdullâh b. ‘Utabah, through ‘Abdullâh b. ‘Abbâs, who Said :

حدثنا اسماعيل بن أبي أويس قال حدثني مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس قال :

(1) i. e. Give Ibn ‘Abbas understanding of the Qur’ân .

(2) According to Ibn Hajar " the validity of a child's hearing and understanding of the hadith with a view to transmitting it when he comes of age.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

mention his story ? " " yes, I have heard the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) say : ' While Moses was in a company of Israelite notables, there came a man who said to him —' Dost thou know anyone more learned than thyself ? - No — replied Moses.

But Allâh revealed to Moses the words:— Yea, it is Our servant Khadir.— Then Moses asked the way to him, and Allâh set the fish as a sign unto Moses, and it was said to him :- When thou lose the fish return, for then thou shalt meet him. —

Moses followed the track of the fish in the sea,[1] and then his attendant said to him : — Behold ! when we took shelter by the rock, I forgot *about* the fish, and it was only Satan that made me forget to mention it *to thee*. That is what we were looking for [2]— said *Moses*.

Thereupon they went back retracing their footsteps ; they found Khadir and there happened to them[3] what Allâh (be He magnified and glorified) hath related in His Book.'

السبيل إلى لقيه، هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه؟ قال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله إلى موسى: بلى عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه، فجعل الله له الحوت آية وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه، وكان يتبع أثر الحوت في البحر، فقال لموسى فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، قال: ذلك ما كنا نبغي،

(1) Hadith commentators follow Al-Baidaáwi in suggesting that they carried the fish with them, hence the phrase means " watched for its disappearance into the sea ".

(2) i . e . the disappearance of the fish, which was the sign predicted for the meeting with Khadir .

(3) i . e . Moses and Khadir .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

by sea [1] to Khadir ; [2]

الى الخضر ، وقوله تعالى : «هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا» :

And the word of Allâh (be He exalted) : " Shall I follow thee on condition that thou instruct me from what thou hast learnt for my guidance ? " [3]

حدثني محمد بن غرير الزهري قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثني أبي عن صالح عن ابن شهاب حدث أن عبيد الله بن عبد الله أخبره عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى ، قال ابن عباس : «هو خضر» فمر بهما أبي بن كعب فدعاه ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى

I am informed by Muhammad b. Ghurair Az-Zuhri, who had it from Yaqûb b. Ibrâhim, who was told it by his father through Sâlih, through Ibn Shihâb who stated that he was informed by ‹Ubaidullâh b. ‹Abdullâh through Ibn. ‹Abbâs that :

he and Al-Hurr b. Qais b. Hisn Al-Fâzari were debating about the companion of Moses. Ibn ‹Abbâs said: " It is Khadir ". As Ubayy b. Ka‹b passed by them, Ibn ‹Abbâs called him and said : " I and my friend here have been arguing about the Companion of Moses, regarding the way to meet whom Moses enquired. Hast thou heard the Prophet (Allâh bless him and give him peace)

---

(1) According to Ibn Hajar Moses started his journey by land, but concluded it by sea upon meeting Al-Khidr.

(2) Also " Al-Khidr ". Many suggestions have been made as to his identity, all of which seem to be pure speculations. Various attempts have been made to connect "Khidr" " with greenness " as the etymology of his name suggests, the most accepted being his having drunk of the fountain of immortality and obtained perpetual youth. In any case " Al-Khidr " is only an agnomen, the other suggested names being Phineas, Elisha Balia b. Malkân (who lived in the time of Afridun, (one of the ancient Kings of Persia). or he may have been the brother of Elias. There is no certainty as to whether he was a saint or a prophet, or an angel, but his actions seem to suggest that he was more likely to have been a prophet acting under divine revelation .

(3) or " instruct me in the well-guided Knowledge that thou hast received ". Surah 18, Verse 65.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

" Steep yourselves in learning before becoming rulers. "[1]

Abu ʿAbdullah (Al-Bukhâri) adds : " and after becoming rulers ; for the companions of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) studied in their old age. "

We are informed by Al-Humaidi who had it from Sufiân, who was told it by Ismâʿil b. Abu Khâlid (differently from what we received from Az-Zuhri), [2] who heard it from Qais b. Abu Hazim, from ʿAbdullâh b. Masʿûd, who stated that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said :

There should be no envy but in two cases : that of a man to whom Allâh hath given wealth, and empowered him to consume it aright, and that of a man to whom Allâh hath given wisdom, and he judgeth by it and teacheth it .

أَنْ تُسَوَّدُوا .

قال أبو عبد الله : وَبَعْدَ أَنْ تُسَوَّدُوا ، وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في كِبَرِ سِنِّهِمْ :

حدثنا الحميدى قال حدثنا سفيان قال حدثنى اسماعيل بن أبى خالد (عَلَى غَيْرِ مَا حَدَّثَنَاهُ الزُّهْرِيُّ) قال سمعت قيس بن أبى حازم قال سمعت عبد الله بن مسعود قال قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِى الْحَقِّ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِى بِهَا وَيُعَلِّمُهَا »

CHAPTER 59.

On what hath been said on the journey of Moses (Allâh bless him)

بَابُ مَا ذُكِرَ فِى ذَهَابِ مُوسَى صلَّى اللهُ عَلَيْهِ فِى الْبَحْرِ

(1) The word يسود implies any form of authority or responsibility. Its derivative سيد includes the meanings of lord, master, owner, husband, governor, chief or nobleman.

(2) Al-Bukhâri reports Sufiân's transmission through Az-Zuhri in the Book of Tawhid.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 57.

On the understanding in Knowledge.

We are informed by ‘Ali, who had it from Sufiân, who was told by Ibn Abu Najih, through Mujâhid who said :

I accompanied Ibn ‘Umar to Madînah and heard him narrate only one hadith from the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) namely: “ We were with the Prophet (Allâh bless him and give him peace) when he was brought the pith of a palm-tree. ‘Among trees, said the Prophet, ‘ is one which is the parable of a Muslim ’.

I wished to say that it was the palm-tree ; but as I was the youngest present, I remained silent.

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) then said : ‘ It is the palm-tree . ’

بابُ الفَهْمِ في العِلْمِ :

حدثنا عليٌّ حدثنا سفيان قال قال لي ابن أبي نَجيح عَن مجاهد قال :

« صَحِبتُ ابْنَ عُمَرَ إلى الْمَدِينَةِ فلم أَسمعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم إلاَّ حَديثاً وَاحِداً قال : كُنَّا عِنْدَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فَأُتِيَ بجُمَّارٍ فقَالَ : « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُهَا كَمَثَلِ المُسْلِمِ » فأَرَدْتُ أنْ أَقولَ : هِيَ النَّخْلَةُ ، فإِذا أنا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُّ ، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « هِيَ النَّخْلَةُ ».

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

CHAPTER 58.

On emulation in Knowledge and widdom ; and the words of ‘Umar :

بَابُ الاغْتِبَاطِ في الْعِلْمِ والحِكْمَةِ ، وقال عُمَرُ : تَفَقَّهُوا قَبْلَ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

adapt my exhortations to your case, just as the Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to do with us, for fear of wearying us."

وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا.

CHAPTER 56.

He to whom Allâh willeth good, to him shall He give understanding in the Faith.

بَابٌ : مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ :

We are informed by Saʿîd b. ʿUfair, who had it from Ibn Wahb, through Tûnus, through Ibn Shihâb, who said that Humaid b. ʿAbdur-Rahmân stated that he heard Muʿâwiyah say in the course of a sermon that he heard the Prophet (Allâh bless him and give him peace) say:

حدثنا سعيد بن عُفَير قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال قال حُمَيد بن عبد الرحمن : سمعت معاوية خطيبًا يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

He to whom Allâh willeth good, to him shall He give understanding in the Faith. I do but distribute *Knowledge*,[1] while Allâh giveth *the understanding of it*. This people shall not cease to walk in the way of Allâh, unharmed by their adversaries until the Day of Doom.[2]

« مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ».

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

---

(1) by transmitting the Revelation equally amongst you. (Al-Qastallâni and Al-ʿAini)
(2) This hadith is taken by the doctors of Islâm as evidence of the inception of اجماع (consensus of opinion) لا تجمع امتى على ضلالة (my people cannot be unanimous on an error

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

weary us .

2 . We are informed by Muhammad b. Bashshâr, who had it from Yahyâ b. Saʿid, who was told it by Shuʿbah, who received it from Abu'l-Tayyâh, through Anas, from the Prophet ([illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] encouraged (1)

حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا
يحيى بن سعيد قال حدثنا شعبة قال
حدثني أبو التياح عن أنس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال:
«يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا
تنفّروا».

CHAPTER 55.

On him who appointeth fixed [illegible]

[illegible]

[illegible] used to instruct the people every Thursday. So when a certain man said to him: " O Abu ʿAbdur-Rahmân, I would that thou shouldest give us instruction every day, " he said : " Indeed what prevents me from doing so is that I dislike to weary you, and therefore I

باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة:

حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال حدثنا
جرير عن منصور عن أبي وائل قال:
كان عبد الله يذكّر الناس في كل
خميس، فقال له رجل: «يا أبا عبد
الرحمن لوددت أنك ذكّرتنا كل
يوم» قال: «أما إنه يمنعني من
ذلك أني أكره أن أملّكم،

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(1) The connection of this hadith with the " Knowledge " set out in the heading is implied, i. e., make the way of Knowledge easy to learners, and do not estrange people by unpalatable truths.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال ابنُ عباسٍ: «كونوا ربَّانِيِّينَ حُكَمَاءَ فُقَهَاءَ»

Ibn 'Abbas said that " Be ye Rabbânis " [1] meaneth " Be ye wise and well-instructed in the Faith ;"

وَيُقالُ الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ العِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ .

and it is said (Says Al-Bukhâri) that the Rabbâni is one who instructs people in the rudiments of Knowledge before proceeding to the theoretical questions.

CHAPTER [illegible]

[illegible] لا ينفروا

On how the Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to adapt his exhortation and *his imparting* of Knowledge [2] to his hearers so that they should not be estranged from him.

[illegible] قال أخبرنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال :

[illegible] بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا .

1 . We are informed by Muhammad b. Yúsuf, who had it from Sufian, through Al-A'mash, through Abu Wâ'il, through Ibn Mas'ud, who said that :

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to adapt his exhortations to us, by varying the days [3] through unwillingness to

---

(1) الربانى is a teacher who has acquired scholarship, practice and piety , in other words one who has perfect Knowledge of things pertaining to God. Probably the word is of Hebrew origin meaning *rabbin* .

(2) العلم (Knowledge) is here inserted by Al-Bukhâri in order to adapt the hadith to his title *Knowledge* ; and so doing he has placed the general in relation with the particular.

(3) According to Ibn Hajar and Al-Qastallâni.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال: «وما يعقلها إلا العالمون»

«وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير»

وقال: «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» و «إنما العلم بالتعلم»

وقال أبو ذر: «لو وضعتم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها»

servants as possess Knowledge fear Him; [1] and His word: None can comprehend these parables but they that possess Knowledge, [2]

and His word: " And they shall say, " Had we hearkened to the warning or had understanding of it we should not be among the children of the blazing Fire ; [3]

and His word: " Shall those who possess Knowledge and those who possess it not be held equel ? "; [4]

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) said : " He to whom Allâh willeth good, to him shall He give understanding in the Faith; " and : " Knowledge is gained only by study ; " Abu Dharr said : " If you place a *Damascus* sword on this ", (pointing to the nape of his neck) " and then I thought that I could transmit a single word which I had heard from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) before you passed it through my neck, I should do so : "

---

(1) Surah [illegible], verse [illegible]. (2) Surah 29, verse 42

(3) Surah 67, verse 10, i. e. " had we possessed Knowledge we should not have been in Hell ".

(4) Surah [illegible]

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

property, and your honour must be held to be as sacred amongst you as this day, this month and this town which ye hold sacred. Let him who beareth witness to these words communicate them *to* him that is absent, for it may be that the witness transmitteth to one who is more mindful of them than he.

وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ».

CHAPTER 53.

بَابٌ : الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

Knowledge cometh before the word and before the deed, as appeareth from the word of Allâh (be He exalted) : " Know thou that there is no deity but Allâh ".[1] Thus Allâh hath placed Knowledge first ;

The learned are the heirs of the Prophets, inheriting Knowledge. He who receiveth it, receiveth an abundant heritage ;

He who followeth a road in the quest of Knowledge, to him will Allâh make smooth a road to Paradise ;

The word of Allâh (glorified be His Name): " Only such of Allâh's

لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فَبَدَأَ بِالعِلْمِ،

وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرِثُوا الْعِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ،

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: «إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»

(1) Surah 47, verse 21. He began with [illegible]

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 52.

On the words of the Prophet : " He to whom *a hadith* is transmitted may be more mindful of it than he who first heareth it."

We are informed by Musaddad, who had it from Bishr, who was told it by Ibn ʻAwn, through Ibn Sirin, through ʻAbdu-Rahmân Ibn Abu Bakrah, through his father, who stated that :

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) was seated on his camel-its halter or rein being held by a man-when he said : " What day is this ? " We were silent, as we thought that he was about to give it some other name . " Is not to-day " he continued, " the day of the Courban sacrifice ? " " Yes " we replied. " What month is this ? " asked he . We were again silent, as we thought he was about to give the month another name. "Is it not the month of Dhul-Hijjah ? " he continued. " Certainly " we replied. He then said . " So your blood, your

بابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «رُبَّ مُبلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»:

حدثنا مُسَدَّدٌ قال حدثنا بِشْرٌ قال حدثنا ابن عون عن ابن سيرينَ عن عبد الرحمن بن أبي بَكْرَةَ عن أبيه: ذَكَرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ أَوْ بِزِمَامِهِ، قال: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قلنا: «بَلَى» قال: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فقالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟» قُلْنَا: «بَلَى» قال: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالسٌ في المسجدِ والناسُ معه إذ أقبلَ ثلاثةُ نفرٍ فأقبلَ اثنانِ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهبَ واحدٌ ، قال فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأمّا أحدهما فرأى فرجةً في الحلقةِ فجلسَ فيها ، وأمّا الآخر فجلسَ خلفهم ، وأمّا الثالثُ فأدبرَ ذاهباً .

فلمّا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم عن النفرِ الثلاثةِ ؟ أمّا أحدهم فأوى إلى الله فآواه اللهُ ، وأمّا الآخرُ فاستحيا فاستحيا اللهُ منهُ ، وأمّا الآخرُ فأعرضَ فأعرضَ اللهُ عنهُ » .

While the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) was once sitting in the mospue in the company of the Faithful, three men came in. Two of them went up to the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace), while one withdrew. Then while the two stood listening to the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace), one of them, seeing a vacant place in the circle, sat down in it, and the other sat down behind the group. The third, however, departed on his way

When the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) had finished his discourse, he said : " Shall I speak to you about these three men ? One of them hath turned unto Allâh and Allâh hath turned unto him; the second hath shown modesty, so Allâh hath shown modesty unto him; (1) the third hath turned away, and Allâh hath turned away from him. "

---

(1) i. e. will remit his punishment

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) once wrote a letter [1] (or wished to do so), when he was told that a letter wos not read *by those to whom it was addressed* unless it was sealed. He therefore adopted a silver signet ring on which were engraved the words: " Muhammad the Apostle of Allâh. " I still seem to see the whiteness of the ring *gleaming* on his hand. When I (Shu‹ban) asked Qatâdah who had said that the words engraved were " Muhammed the Apostle of Allâh, " he replied : " It is Anas. "

فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ لايَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلاَّ مَخْتُومًا ، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ نَقْشُهُ « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ » كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ ، فَقُلْتُ لِقَتَادَةَ : «مَنْ قَالَ نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ؟ » قَالَ: « أَنَسٌ ».

CHAPTER 51

On him who taketh his seat in the place where the study-group ends, and on him who perceiving a vacant place in the circle, sitteth in it.

بَابُ مَنْ قَعَدَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَمَنْ رَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا:

We are informed by Ismâ‹il, who had it from mâlik, through ishaq b. ‹Abdullâh-Abu Talhah, who was told it by Abu Murrah, the bondman of ‹Aqil b. Abu Talib, through Abu Wâqid Al-Laithi that :

حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أَنَّ أَبَا مُرَّةَ مَوْلَى عَقِيلِ بنِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ

---

(1) Through an amanuensis.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

the Prophet's command (Allah bless him and give him peace).

1. We are informed by Ismâ‹il b. ‹Abdullâh, who had it from Ibrâhim b. Sa‹d through Sâlih, through Ibn Shihâb, through ‹Ubaidullâh b. ‹Abdullâh b. ‹Utbah b. Mas‹ûd that he was told by ‹Abdullah b. ‹Abbas that :

The Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace) despatched a man with a letter of his, charging him to deliver it to the ruler of Bahrain. The latter [2] sent the letter on to Chosroes, who, after he had read it, tore it up.

I believe that Ibn Al-Musayyab said that the Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace) called down upon the Persians the curse " May they be torn in pieces "

2. We are informed by Muhammad b. Maqutil Abul-Hasan, who had it from Abdullâh, who was told it by Shu‹bah, through Qatadah, through Anas b. Malik, who said that :

حدثنا اسماعيل بن عبد الله قال :
حدثني ابراهيم بن سعد عن صالح عن
ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن
عُتْبَةَ بن مسعود أن عبد الله بن عباس
أخبره أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه
وسلم بَعَثَ بِكِتَابِهِ رَجُلاً وَأَمَرَهُ أَنْ
يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ فَدَفَعَهُ عَظِيمُ
الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى ، فَلَمَّا قَرَأَهُ
مَزَّقَهُ ،

فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ :
فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه
وسلم أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ .

حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن
أخبرنا عبد الله قال أخبرنا شعبة عن
قتادة عن أنس بن مالك قال :

كَتَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم
كِتَابًا (أَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ)

(2) After reading the letter and accepting Islam.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 50.

باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان ، وقال أنس : نسخ عثمان المصاحف فبعث بها إلى الآفاق .

ورأى عبد الله بن عمر ويحيى ابن سعيد ومالك ذلك جائزا .

واحتج بعض أهل الحجاز في المناولة بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث كتب لأمير السرية كتابا وقال : لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا . فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وأخبرهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

On what is mentioned during the personal transmission of a hadith and in written communication of Knowledge by the doctors to the people of other lands ; [1]

On Anas' statement that ʿUthmân caused copies to be made of the Qurʾân and sent them to the four points of the compass .

ʿAbdullâh b. ʿUmar, Yahyâ b. Saʿîd, and Mâlik declared [illegible] of transmission to be valid ;

and on [illegible]

[illegible]

[illegible] the place [illegible] the people and informed [illegible]

---

(1) [illegible] Madinah, the Prophet's city.

(2) [illegible] his written copy [illegible] or when the pupil submits [illegible] copy to him, the master may authorise him verbally or tacitly to transmit it. A written communication may be delegated in the same way .

(3) Al-Bukhari's Shaikh, Al-Humaidi .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Correction of page 20.

CHAPTER 30.

On Islâm being a religion whose burden is light ; and the words of the Prophet (Allah bless him and give him peace) : (The religion most acceptable unto Allah is the Hanifite [1] Faith, whose burden is light.)

We are informed by Abd-us-Salam b. Mutahhar, who had it from ʿUmar b. ʿAly, through Maʿn b. Muhammad Al Ghifari, through Saʿid b. Abu Saʿid Al-Maqburi, through Abu Hurairah, from the Prophet (Allah bless him and give him peace). who said :

Truly Islam is a religion whose burden is light, for no one can be too rigorous in the practice of it, without being [illegible] by it. [illegible] your [illegible] and the early morning, and the evening prayers, and [illegible] in the night.

بَابُ الدِّينُ يُسْرٌ وَقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «أحب الدين الى الله الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»:

حدثنا عبد السلام بن مُطَهَّر قال حدثنا عمر بن على عن معن بن محمد الغِفَارى عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا [illegible]

(1) The Arabic حنيفية implies the Islamic faith, as originally revealed to Abraham حنف is literally " to incline, " and so refers to Abraham's inclination to the truth, and his avoidance of error . (Ibn Hajar)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

اللهم نعم .

فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورائي من قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر .

رواه موسى وعلي بن عبد الحميد عن سليمان عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا

of Bani Sa'd b. Bakr.

(Related also by Mûsâ and 'Ali b. 'Abdul-Hamid, through Sulaimân, through Thâbit, through Anas, from the Prophet (Allah bless him and give him peace) to this effect).



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

" I am going to question thee, and I shall be searching in my questions, so do not take it ill of me. "

" Ask me whatsoever thou wilt.

" I ask thee by thy Lord and the Lord of those who lived before thee, hath Allâh sent thee to all men?

" Yea, I call Allâh to witness ."

" I adjure thee by Allâh, hath Allâh commanded thee to enjoin upon us the performance of the five *appointed* prayers in the day and night ? "

" Yea, I call Allâh to witness."

I adjure thee by Allâh , hath Allâh commanded thee to enjoin upon us to keep the fast during that month of the year ?

" Yea, I call Allâh to witness."

" I adjure thee by Allâh, hath Allâh commanded thee that those Alms be taken from our rich to be distributed among our poor ? "

" Yea, I call Allâh to witness."

" I have believed [1] in thy message ; I am the messenger of my fellow tribesmen whom I have left behind me, and my name is Dimâm b. Tha'labah, the brother of *the tribe*

« قَدْ أَجَبْتُكَ » فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ

فَقَالَ : « سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ »

فَقَالَ : أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ : آللهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ ؟

فَقَالَ : « اللَّهُمَّ نَعَمْ »

قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللهِ : آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟

قَالَ : « اللَّهُمَّ نَعَمْ »

قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللهِ : آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ ؟

قَالَ : « اللَّهُمَّ نَعَمْ »

قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللهِ : آللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا ؟

(1) It must be remarke that the man had asked the Prophet no questions on the unity of God or other doctrines nor had he demanded a miracle ; and therefore it is to be assumed that he was already a believer . (Ibn Hajar.)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

b. Yusuf Al-Firabri and also by Muhammad b. Isma'il Al-Bukhari, who had it from 'Ubaidullah b. Mûsa, through Sufiân, who said :

" If *a hadith* hath been recited before a narrator, there is no objection to the reciter saying : " He related to me . "

Al-Bukhâri adds : " I have heard Abu 'Asim state through Mâlik and Sufiân : " Reciting before a master is as valid as the master's own recitation .

We are informed by 'Abdullâh b. Yusuf who had it from Al-Laith, through Sa'id (Al-Maqbari) through Sharik b. 'Abdullâh b. Abu Namir that he heard Anas b. Mâlik say :

While we were sitting with the Prophet (Allâh bless him and give him peace) in the mosque, a man came in on a camel, which he made to kneel in the mosque and then knee-haltered. Thereupon he said to them : "Which of you is Muhammad?" The Prophet (Allah bless him and give him peace) was sitting in our midst in a recumbent posture . " He is, we replied, " this man with the white face, sitting recumbent." Then the man said to him : " O son of 'Abdu-l-Muttalib "

" Im a ready to answer thee, " replied the Prophet .

وحدثنا محمد بن اسماعيل البخاري قال :
حدثنا عبيد الله بن موسى عن سفيان قال:
إِذَا قُرِئَ عَلَى المُحَدِّثِ فَلَا بَأْسَ أَن يَقُولَ: « حَدَّثَنِي »

قَالَ: وَسَمِعْتُ أَبَا عَاصِم يَقُولُ عَنْ عَنْ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ : « القِرَاءَةُ عَلَى العَالِمِ وَقِرَاءَتُهُ سَوَاءٌ » .

حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا الليث عن سعيد - هو المقبري - عن شريك ابن عبد الله بن أبي نمر أنه سمع أنس ابن مالك يقول :

بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النبي صلى الله عليه وسلم فِي المَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي المَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: « أَيُّكُم مُحَمَّدٌ ؟ » والنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: « هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ المُتَّكِئُ » فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: « ابْنَ عَبْدِ المُطَّلِب ؟ »

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهٰذِهِ قِرَاءَةٌ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ ضِمَامٌ قَوْمَهُ بِذٰلِكَ فَأَجَازُوهُ .

Dimâm asked the Prophet (Allâh bless him and give him peace) whether Allâh had commanded him to enjoin upon them the performance of the *appointed* prayers. The Prophet answered in the affirmative. Dimâm âsserts that this is therefore equivalent to a recitation made to the Prophet (Allâh bless him and give him peace) . Dimâm reported this to his fellow tribesmen, who approved it .

وَاحْتَجَّ مَالِكٌ بِالصَّكِّ يُقْرَأُ عَلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُونَ : « أَشْهَدَنَا فُلَانٌ » وَيُقْرَأُ ذٰلِكَ قِرَاءَةً عَلَيْهِمْ ، وَيُقْرَأُ عَلَى الْمُقْرِئِ فَيَقُولُ الْقَارِئُ : « أَقْرَأَنِي فُلَانٌ » .

Mâlik took as evidence the legal deed which is read before people who then say : " So and so hath called us to witness, " while that hath only been recited to them . Likewise the Qur›ân is recited to a master, and the reciter saith : " So and so heard me my recitation . "(1)

حدثنا محمد بن سلام حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن عوف عن الحسن قال : « لا بَأْسَ بِالْقِرَاءَةِ عَلَى الْعَالِمِ » .

We are informed by Muhammad b. Salâm who had it from Muhammad b. Al-Hasan Al-Wâsiti, through ‹Awf, through Al-Hasan, who said :

" It is not invalid to recite a *hadith* before a master. (2)

وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفَرَبْرِيُّ ،

We are informed by Muhammad

---

(1) The point is that just as the document is attested by people who have not read it themselves but have only had it read out to them , so a hadith may be considered valid even when the transmitter has had it orally approved by a master .

(2) This type of hadith is termed أثر (Athar) as being معلق (Mu‘alliq) i. e. suspended, that is, related without [illegible] of the Prophet being given .

يَارَسُولَ اللهِ، قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ

tree." (1)

CHAPTER 49.

بَابُ مَا جَاءَ فى الْعِلْمِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْمًا»

On what hath been said on Knowledge and the word of Allâh (be He exalted) " Say, O my Lord, let me grow in Knowledge ." (2)

(3)CHAPTER 49a.

بَابُ الْقِرَاءَةِ وَالْعَرْضِ عَلَى الْمُحَدِّثِ. وَرَأَى الْحَسَنُ وَالثَّوْرِىُّ وَمَالِكٌ الْقِرَاءَةَ جَائِزَةً.

وَاحْتَجَّ بَعْضُهُمْ فى الْقِرَاءَةِ عَلَى الْعَالِمِ بِحَدِيثِ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، قَالَ لِلنَّبِى صلى الله عليه وسلم: آللهُ أَمَرَكَ

The reciting and submitting *of a hadith* to the instructing narrator ; (4)

Al Hasan, Ath-Thawri and Mâlik consider recitation valid *for the purpose of transmission* ;

A certain doctor of Islam offered the hadith of Dimâm b Tha'labah as an argument for the validity of merely reciting a hadith to a professor

---

(1) Al-Bukhâri here repeats the hadith in order to stress the view-point shown in the new heading, and also the fact that he had the hadith from another source. (Al-Karmâni & Al-'Aini) .

(2) Surah 20, verse 113.

(3) Al-Bukhâri here, in the accepted reading, omits the usual (باب) before this chapter, for which the commentators have offered no explanation. Al-Qastallâni and Al-'Aini, however, mention it.

(4) The student of the hadith recites from memory or submits his written copy of it to his Shaikh, who passes it and authorises him to transmit it on his authority. Al-Bukhâri's object here is to refute those who maintained that a tradition was valid only if received directly from the mouth of a narrator, but not if it had been merely submitted to him for approval .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

النَّخْلَةَ فَاسْتَحْيَيْتُ ، ثُمَّ قَالُوا : «حَدِّثْنَا مَاهِيَ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : «هِيَ النَّخْلَةُ»

but I was prevented by modesty from saying so. [1] At last they asked the Apostle of Allâh to tell them which it was, and he replied : " It is the palm tree". [2]

CHAPTER 48.

بابُ طَرْحِ الإِمَامِ الْمَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ :

On the Imâm's putting a question to his hearers in order to test the degree of their knowledge.

حدثنا خالد بن مَخْلَدٍ حدثنا سليمان . حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

We are informed by Khâlid b. Makhlad, who had it from Sulaimân, who was told it by ،Abdullâh b. Dînâr, through Ibn ،Umar, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) who said :

«إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ» قال فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي ، قالَ عَبْدُ اللهِ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، ثُمَّ قَالُوا : حَدِّثْنَا مَا هِيَ

" There is an evergreen tree which is indeed the parable of a Muslim. Tell me which this tree is." The Faithful conjectured various trees of the desert. It occurred to me (said Abdullâh) that it was the palm-tree. At last they asked the Apostle of Allâh to tell them which it was, and he replied : " It is the palm -

(1) as being the youngest of those present .

(2) The connection between the exposition and the hadith consists in the fact that Al-Bukhâri had obtained this hadith from three sources in which occur respectively the three terms : حدثونى ، أخبرونى ، انبئونى (Al-،Aini) .

oldbookz@gmail.com

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

[illegible] so ;" - on Hudhayfah's haying said : " The Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) TOLD US two hadîths : "

On Abu-l-ʿAliyah's reporting [illegible] on the message he REPORTS from his Lord (be He magnified and glorified) ; "- on Anas stating from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) : " He REPORTS a message from his Lord (be He magnified and glorified) ; "- and on Abu Hurairah's relating from the Prophet (Allah bless him and give him peace) : " He REPORTS a massage from your Lord (be He magnified and glorified) . "

We are informed by Qutaibah, who had it from Ismâil b. Jaʿfar through ʿAbdullâh b. Dinâr, through Ibn ʿUmar who stated that :

The Apostle of Allah (Allâh bless him and give him peace) said : " There is an evergreen tree which is indeed the parable of a Muslim . Tell me which this tree is ". The Faithful conjectured various trees of the desert. It occurred to me (said ʿAbdullâh) that it was the palm-tree,

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم كلمة
وقال حذيفة : حدثنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم حديثين .

وقال أبو العالية عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه
عن ربه عز وجل . وقال أنس عن
النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه
عز وجل . وقال أبو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن
ربكم عز وجل .

حدثنا قتيبة حدثنا اسماعيل بن جعفر
عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«إن من الشجر شجرة لا يسقط
ورقها وإنها مثل المسلم، فحدثوني
ماهي» فوقع الناس في شجر البوادي،
قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

and give hime peace) fell behind us *while we were* on a journey together[1] He then caught us up when we were surprised by the hour of prayer as we were performing our ritual ablution. We therefore proceeded to wipe our feet. [2] At this the Prophet called out at the top of his voice : " Woe unto your heels, for they shall bring you into danger of hell-fire. " This he said two or three times .

فِى سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلَاةُ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : « وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ » مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا .

CHAPTER 47.

On the term used by the narrator : " We are informed, or "we are told " , or "it is reported to us ; on Al-Humaidi's having told us that according to Ibn ‹Uyaynah " we are informed " " we are told " " it is reported to us, " and "I have heard,' are all of the same value;—

On Ibn Mas ûd's words : " WE ARE INFORMED by the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) who is the Truthful and the Trustworthy,—

On Shaqîq's words through

بَاب قَوْلِ الْمُحَدِّثِ « حَدَّثَنَا » أَوْ « أَخْبَرَنَا » وَ « أَنْبَأَنَا » .

وَقَالَ لَنَا الْحُمَيْدِىُّ : كَانَ عِنْدَ ابْنِ عُيَيْنَةَ « حَدَّثَنَا » وَ « أَخْبَرَنَا » وَ « أَنْبَأَنَا » وَ « سَمِعْتُ » وَاحِدًا .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ . وَقَالَ شَقِيقٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ :

(1) returning from Mekkah to Madinah

(2) The Prophet perceived that in their [illegible] they had omitted to wash their heels properly.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

present said : " He hath heard his question and was displeased at it . " Another said : " Nay, he hath not heard it, " At last when the Prophet had finished his discourse, he said : " Where is (I suppose he said) [1] the questioner about the coming of the Hour ? " " Here am I, O Apostle of Allâh , " replied the Bedouin. "When trust shall have disappeared," replied the Prophet, " then expect the Hour. " " In what way shall it disappear ? " asked the man. "When authority shall be in the hands of those who are unworthy of it , " replied the Prohet, " then expect the Hour . "

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ لَمْ يَسْمَعْ ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ : «أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟» قَالَ : هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»

CHAPTER 46

On him who raiseth his voice in imparting Knowledge.

We are informed by Abu-n-Nu‹mân ‹Arim b. Al-Fadl, who had it from Abu ‹Awânah, through Abu Bishr through Yusuf b. Mâhak, through ‹Abudullâh b. ‹Amr, who related that :

The Prophet (Allâh bless him

بابُ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْعِلْمِ :

حدثنا أبو النعمان عارم بن الفضل قال حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال :

تَخَلَّفَ عَنَّا النبي صلى الله عليه وسلم

(1) أراه Parenthesis by the narrator Muhammad b. Fulaih

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Knowledge. (1)

CHAPTER 45.

باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل :

On him who is questioned on Knowledge while he is engaged in his discourse, and concludeth his discourse before answering the question .

حدثنا محمد بن سنان قال : حدثنا فليح (ح) وحدثني ابراهيم بن المنذر قال: حدثنا محمد بن فليح قال : حدثني أبي قال: حدثني هلال بن علي عن عطاء ابن يسار عن أبي هريرة قال :

We are informed by Muhammad b. Sinan, who had it from Fulaih ; we are also informed by Ibrâhim b. Al-Mundhir, who received it from Muhammad b. Fulaih, to whom it was related by his father, who was told it by Hilâl b. ‹Ali, through ‹Atạ b. Yasâr, through Abu Hurairah, who said :

بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة ؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث ، فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال .

While the Prophet (Allâh bless him and give him peace) was at a gathering, speaking to the people, a Bedouin came to him and said : "When shall be the Hour ? "

The Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) continuing his discourse, one of those

(1) Surah 20, verae 113. The omission of any Hadith here may be attributed to Al-Bukhâri's doubts as to its fulfilling the conditions of genuineness required by him ; or perhaps to his having left a blank with the object of filling it in later ; in fact Al-Bukhari used to write his headings first, and subsequently fill in the blanks with approqriate hadiths. (Ibn Hajar and Al-‹Aini)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

pardon for your late governor, for he used to love to forgive." He concluded by saying: 'I once went to the Prophet (Allâh bless him and give him peace) and said: 'I take the oath of allegiance to thee embrace Islam. He then imposed upon me the further condition of giving good counsel to every Muslim. I took the oath on this *condition*. By the Lord of this mosque, I am now giving you good counsel.' He then invoked Allâh's pardon and came down (from he pulpit).

العَفْو. ثمَّ قال: أمَّا بعدُ: فإني أتيتُ النبي صلى اللهُ عليه وسلم قلتُ: أبايعُكَ على الإسلامِ، فشَرَطَ عليَّ «والنُّصْحِ لِكلِّ مُسْلِمٍ» فبايَعْتُهُ على هذا، ورَبِّ هذا المَسْجِدِ إنِّي لَناصِحٌ لَكم، ثمَّ استغْفَرَ ونَزلَ.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

CHAPTER 44.

On the merit of Knowledge and on the word of Allâh (be He exalted): "Allâh shall raise those of you who have believed, and those to whom Knowledge hath been given to *different* degrees.[1] Allâh knoweth full well what ye do;" and - His word (be He magnified and glorified): "O my Lord, let me grow in

بابُ فَضْلِ العِلْمِ وقَوْلِ اللهِ تعالى: «يَرْفَعِ اللهُ الذينَ آمنوا منكم والذينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ واللهُ بما تعْمَلونَ خَبيرٌ» وقولِهِ عزَّ وجلَّ: «رَبِّ زِدْنِي عِلْماً».

1. Surah 58, verse 12. Al-Baidâwi and Ibn Hajar state that a difference of degree is implied, religious knowledge being preferred over belief.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

the leaders of the Faithful, and to the common People " In the words of Allâh (be He exalted) " provided they be loyal to Allâh and His Apostle ." (1)

1. We are informed by Musaddad, who had it from Yahyâ, through Ismâ'il, who was told it by Qais b. Abu Hâzim, through Jarîr b. Abdullâh, who said :

" I swore allegiance to the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) to perform the appointed prayers, to pay the prescribed alms, and to give good counsel to every Mnslim. „ (2)

2. We are informed by Abu-n-Nu'mân, who had it from Abu 'Awânah, through ziâd b. 'Ilâqah, who stated that he heard Jarir, b. Abdullâh say on the day of Al-Mughirah b. Shu'bah's death, when he had risen and and praised and glorified Allâh :

" It is your duty to fear Allâh as being alone and having no partner, to be dignified and calm until there come to you a new governor, who shall surely come to you immediately.'

He then added : " Ask Allâh's

نَصَحُوا لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ »

حدثنا مسدَّدٌ قال : حدثنا يحيى عن اسماعيلَ قال : حدثني قيسُ بن أبي حازمٍ عن جريرِ بنِ عبدِ الله قال : بايعتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وسلم عَلَى إِقامِ الصَّلاةِ وإِيتاءِ الزَّكاةِ والنُّصحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ .

حدثنا أبو النعمان قال : حدثنا أبو عوانةَ عن زيادِ بنِ علاقةَ قال: سمعت جَرِيرَ بنَ عَبْدِ الله يَقُولُ يومَ ماتَ المغيرةُ بنُ شعبةَ ، قامَ فحمدَ اللهَ وأثنى عليه وقال: عَلَيْكُم باتِّقاءِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ والوقارِ والسكِينةِ حتى يأتِيَكُمْ أميرٌ فإنما يأتيكم الآنَ . ثم قال :

استَعفُوا لأميرِكُمْ فإنه كانَ يحبُّ

(1) Surah 9, v. 92.
(2) Even if the advice is detrimental to the giver of it.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

to its motive."

فهجرته إلى ما هاجر إليه».

2. We are informed by Hajjâj b. Minhâl who had it from Shu'bah, who received it from 'Adiyy b. Thâbit, who heard it from 'Abdullâh b. Yazid, through Abu Mas'ûd, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) who said :

"If a man spend aught upon his family through devotion to Allâh, it shall be accounted unto him as alms-givings."

حدثنا حجاج بن منهال قال حدثنا شعبة قال: أخبرني عدي بن ثابت قال سمعت عبد الله بن يزيد عن أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة».

3. We are informed by Al-Hakam b. Nâfi' who had it from Shu'aib, through Az-Zuhri, to whom it was related by 'Âmir b. Sa'd, through Sa'd b. Abu Waqqâs, who informed him that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

"Verily nothing that thou spendest where by thou seekest the face of Allâh goeth unrewarded, even to the delicacies which thou placest in thy wife's mouth."

حدثنا الحكم بن نافع قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: حدثني عامر ابن سعد عن سعد بن أبي وقاص أنه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في امرأتك».

CHAPTER 43.

In the words of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) "The corner-stone of religion is loyalty to Allâh, to his Apostle, to

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» وقوله تعالى: «إذا

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

faith, the ritual ablution, the *appointed* prayers, the prescribed alms the pilgrimage to *Mokkah*, the Ramadân fast, and legal engagements, the word of Allâh (be He exalted) : " Say, ' O Muhammed, : ' Every man acteth after his own manner (that is to say, his intentions) ; whatsoever a man spendeth upon his kinsfolk out of devotion to Allâh shall be reckoned' as almsgiving ; the words of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) : " But the way of righteousness requireth moreover the Jihâd and sincerity of motive. "

1. We are informed by ʿAbdullâh b. Maslamah, who had it from Mâlik, through Yahya b. Saʿid, through Muhammad b. Ibrahim, through ʿAlqamah b Waqass , through ʿUmar that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said:

" Actions are judged by the intention and every man is requited according to what he intendeth ; and if any man flee (1) unto Allâh and his Apostle his flight is so accounted, and if his flight be to obtain a worldly goal or unto a woman to marry her, then it is accounted to him according

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : « قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ » عَلَى نِيَّتِهِ ، نَفَقَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا صَدَقَةٌ ، وَقَالَ : وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ .

حدثنا عبدُ اللهِ بنُ مَسْلَمَةَ قال : أخبرنا مالكٌ عن يحيى بنِ سعيدٍ عن محمَّدِ بنِ إبراهيمَ عن عَلْقَمَةَ بنِ وقّاصٍ عن عُمَرَ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(1) From Makkah to Madinah to join the Prophet in the cause of Islam . See Nûr-el-Islam Review Feb. 1935, p. 2

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

may enter Paradise. They then asked him about various kinds of drink [1], and he gave them four commandments, and prohibited them four things. He commanded them to believe in Allâh alone, adding: ' Do ye know what belief in Allâh alone is? ' Allâh and His Apostle know best, ' replied they. ' It is ' said he, ' to testify that there is no deity but Allâh and that Muhammad is the Apostle of Allâh, to perform the *appointed* prayers, to pay the *prescribed* alms to keep the Ramadan fast, and to give the fifth part of the booty. ' He then prohibited them four thingsjars gourds vats made from palmtrunks, and vessels smeared with pitch (or perhaps he said tar) [2] adding: ' Commit these commandments to memory, and communicate them to those you have left behind you ."

مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ . وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنِ الْحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالْمُزَفَّتِ (وَرُبَّمَا قَالَ النَّقِيرِ) وَقَالَ : احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ .

CHAPTER 42.

On the tradition that action that actions are judged only by intentions; actions inspired by devotion to Allâh; and, every one is requited according to what he intendeth.- This includes

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالْحِسْبَةِ ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ،

فَدَخَلَ فِيهِ الْإِيمَانُ وَالْوُضُوءُ وَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالْحَجُّ وَالصَّوْمُ وَالْأَحْكَامُ ،

---

(1) or, the drinks contained in various vessels .

(2) Vessels of this kind produced rapid fermentation of the fruits (especially dates and raisins) steeped in them , and so might lead to unintentional intoxication.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

We are informed by ʿAli b. Al-Ja'd who had it from Shuʿbah, through Abu Jamrah, who stated he used to sit[1] with Ibn ʿAbbâs, who used to invite him up on to his divan. Once he said : " Sojourn with me until I make over to thee a share of my property. " So I sojourned with him two months, after which he said : " When the deputation from the family of ʿAbdul-Qais visited the the Prophet (Allâh bless him and give peace), he said : " Who are these people ? (or what is this deputation) [2]. We are from the tribe of Rabîʿah, replied they, "Welcome to you, people (or deputation) who come without humiliation [3] or regret. " " O Apostle of Allâh," replied they, we can come to thee only in the sacred month [4] so long as there is between us ond thee that miscreant tribe of Mudar. therefore prescribe unto us a decisive decree which we can communicate to those we have left behind us, by which we

إنّ وَفْدَ عبْدِ القَيْسِ لمَّا أتَوا النبي
صلى الله عليه وسلم قال : مَنِ القَوْمُ
أوْ مَن الوَفْدُ؟ قالُوا: «رَبِيعَةُ» قال :
«مَرْحَبًا بالقَوْمِ أوْ بالوَفْدِ غَيْرَ خزَايا
وَلا نَدَامَى» فقَالُوا: يَارَسُولَ الله إنَّا
لاَ نَسْتَطِيعُ أنْ نأتِيَكَ إلاَّ في شَهْرِ
الحَرامِ، وبيْنَنَا وَبيْنَكَ هذا الحَيُّ
مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فمُرْنَا بأمْرٍ فَصْلٍ
نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وراءَنَا ونَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ،
وسألوه عَنِ الأَشْرِبَةِ. فأمَرَهُمْ بأرْبَعٍ
ونَهاهُمْ عَنْ أربَعٍ: أمَرَهُمْ بالإيمَانِ بالله
وَحْدَهُ، قال: أتَدْرُونَ ما الإيمَانُ بالله
وَحْدَهُ؟ قالوا اللهُ ورسولُهُ أعْلَمُ،
قال: شَهادةُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وأنَّ

(1) as interpreter - according to another reading Abu Jamrah was versed in Persian and Arabic.

(2) The narrator here is in doubt as to which.

(3) i. e. without being forced by the humiliation of defeat.

(4) When fighting is forbidden — referring either to the month of Rajab, or to one of the four sacred months Dhul-Qiʿdah, Dhul-Hajjah, Al-Muharram, Rajab.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

We are informed by Abu Na'im who had it from Zakariyyâ, through 'Amir who heard An-Nu'mân b. Bashîr state that he heard the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) say :

" Clear is the lawful and clear is the forbidden; but between these two there are matters equivocal, not discerned by many ; so he that avoideth doubtful matters hath attained immunity from condemnation for his faith's and his honour's sake; but he who falleth into doubtful matters, is like a shepherd who grazes his sheep round a preserve which he almost entereth. Now, every King hath a preserve, and verily Allâh's preserve on earth is those things which he hath forbidden. Behold, in the body there is a certain piece of flesh - if it is sound the whole body is sound, and if it is corrupt the whole body is corrupt. Now this piece of flesh is the heart. (1)

CHAPTER 41.

The payment of the fifth part of the booty is a feature of the Faith.

يقولُ سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «الحَلالُ بَيِّنٌ والحَرامُ بَيِّنٌ وبَيْنَهُما مُشَبَّهاتٌ لا يَعلَمُها كَثيرٌ مِنَ النّاسِ، فَمَنِ اتَّقى المُشَبَّهاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِه وعِرْضِهِ، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ كَراعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُواقِعَهُ، أَلاَ وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا إنَّ حِمَى اللهِ في أَرْضِهِ مَحارِمُهُ، أَلاَ وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّه، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»:

بابٌ: أداءُ الخُمُسِ مِنَ الإيمانِ:

حدثنا عليُّ بنُ الجَعْدِ قال أخبرنا شُعبةُ عن أبي جَمْرَةَ قال: كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابنِ عبَّاسٍ يُجْلِسُني عَلَى سَرِيرِه فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْماً مِنْ مَالِي فأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ ثُمَّ قال:

(1) As being the seat of the intellect and the conscience.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Abu Abdullâh (Al-Bukhâri)adds that the Prophet placed all this among the articles of *perfect* faith.

فقال: « هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم »

قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان.

CHAPTER 39.

We are informed by Ibrahim b. Hamzah, who had it from Ibrahim b. Sa'd through S lih through Ibn Shihâb through ‘Ubaidullâh b. ‘Abd-ullâh that he was told by ‘Abdullâh b. ‘Abbas that Abu Sufian related to him that Heraclius said to him :

" I have asked thee whether they are increasing or decreasing, and thou hast asserted that they are increasing. Such is the course of faith until it reacheth its perfection.

I have asked thee whether any one hath renounced his faith out of aversion to it after having embraced it, and thou hast answered in the negative. So it is with faith; when its joy penetrateth the heart, no one renounceth it. "

باب : حدثنا إبراهيم بن حمزة قال حدثنا ابراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس أخبره قال أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك هل يزيدون أم ينقصون فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فزعمت أن لا. وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.

CHAPTER 40.

On the merit of him who seeketh immunity from condemnation for his religion's sake

باب فضل من استبرأ لدينه: حدثنا أبو نعيم حدثنا زكرياء عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Him; for if thou dost not see Him, He seeth thee, " When is the Hour ?" asked the Angel He who is questioned knoweth no more about it than the questioner, but I shall tell thee of the signs of its coming : when a bondwoman giveth birth to her master;(1) when drivers of black camels (2) glory in palaces (3) *The time of the Hour* (4) is one of the five things known only to Allâh. The Prophet (Allâh bless him and give him peace) then recited the verse (5) " Truly Allâh possesseth the knowledge of the Hour. "

The Angel then departed, and the Prophet ordered him (6) to be brought back; but nothing was to be seen of him.

So he said : " This is Gabriel, who hath come to teach the people their religion."

قال: ما الإحسانُ ؟ قال: أن تعبُدَ اللهَ كأنّكَ تَراهُ فإن لم تكُن تَراهُ فإنّهُ يَراكَ .

قال: متى الساعةُ ؟ قال: ما المسئولُ عنها بأعلمَ منَ السائلِ ، وسأُخبرُكَ عن أشراطِها : إذا وَلَدَتِ الأمةُ ربَّها ، وإذا تطاوَلَ رُعاةُ الإبلِ البُهْمِ في البُنيانِ ، في خمسٍ لا يعلمُهنّ إلاّ اللهُ ، ثمّ تلا النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم « إنَّ اللهَ عندَهُ علمُ الساعةِ » الآيةَ ، ثمّ أدبرَ فقالَ : رُدّوهُ ، فلم يَرَوا شيئاً ،

---

(1) On the extension of Islam, and the conquest of non - Muslim lands, when the Muslims will make numbers of female captives, and have children by them, who will rule; Or the passage refers to kings having slave-mothers; or else to the corruption of morals which will result in such traffic in slave-mothers that sons may unwittingly buy their own mothers. Another suggestion is that sons may so ill--treat their mothers, that they becom no better than slaves. (Al-ʿAini)

(2) Ibn Hajai suggests that black is considered by the Arabs as the worst colour for camels, the best being brown - hence " a low type of camel - driver," he also suggests " obscure " as the meaning of بهم (بُهْم) applied to the camel-drivers, in which case بهم will read بُهُم

(3) Again referring to the Arab conquests, when the humble should rule.

(4) These words are missing from the text

(5) Surah 31, v. 34.

(6) The man in whose form the angel had appeared.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

him peace) to the deputation of Abdul-Qais concerning faith; and the word of Allâh (be He exalted) :" He who seeketh another religion than Islam shall not have it accepted by Him. " (1)

القيس من الإيمان ؛ وقوله تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه» ؛

We are informed by Musadded who had it from Ismâ'il b. Ibrâhim, who received it from Abu Hayyân Al-Taimi, through Abu Zur'ah, through Abu Huraizah, who said :

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) was one day sitting conspicuously(2) before the people, when Gabriel(3) came to him and said : "what is Faith ?" "Faith" replied he " is to believe in Allâh, His angels, in seeing Him in the hereafter, His prophets, and in the Resurrection. " The Angel said : " What is Islam ?" "Islam" replied he " is that thou shouldest worship Allâh and not associate aught with Him, perform the appointed prayers, give the prescribed alms, and fast in Ramadân. " what is well-doing ?" asked the Angel. " That thou shouldest worship Allâh as if thou sawest

حدثنا مسدد قال حدثنا إسماعيل ابن إبراهيم أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان ؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث.

قال: ما الإسلام ؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(1) Surah 3, v. 79

(2) Before then the Prophet's attitude did not distinguish him from those with him ; in this case he sat on an elevated seat constructed for him, so that a stranger could distinguish him.

(3) Or according to another reading — " a man ", Gabriel appearing in that form

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

came out *of his room* to announce which was the Night of Destiny, when two Muslims began an altercation, so he said : " I came out to announce to you the Night of Destiny, but such and such began an altercation, so that the exact night hath gone from me. Perchance this may be a blessing unto you. Seek it on the night before[1] the *twenty*-seventh, the *twenty*-ninth and the *twenty*-fifth of *Ramadân*."

يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَاحَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: «إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ وَإِنَّهُ تَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالْخَمْسِ»

CHAPTER 38.

On the Angel Gabriel questioning the Prophet (Allâh bless him and give him peace) on faith, Islâm well-doing and the knowledge of when the Hour shall be; and the exposition of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) in answer to him. How he then said to his followers that Gabrial (peace be upon him) had come to teach them their religion, making of all this one religion; with the exposition of the Prophet (Allâh bless him and give

بابُ سُؤالِ جِبْرِيلَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ الإيمانِ والإسلامِ والإحْسَانِ وعِلْمِ السَّاعَةِ، وبيانِ النبي صلى الله عليه وسلم لهُ ثُمَّ قالَ: جاءَ جِبْرِيلُ عليه السلام يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ، فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ دِينًا، ومَا بَيَّنَ النبي صلى الله عليه وسلم لِوَفْدِ عَبْدِ

(1) The Muslims reckon the day as beginning at sunset.

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

having said : "Only the true believer feareth *hypocrisy*, and no one feeleth himself secure from it but the hypocrite ;

And on the fact that we should beware of persisting in hypocrisy (1) and unrepentant rebelliousness, as is clear from the word of Allâh ; "And who have not persisted in what they have wittingly done amiss." (2)

(1) We are informed by Muhammad b. ʿArʿarah, who had it from Shuʿbah, through Zubaid, who said :

" I asked Abu Wâʾil about the Murjiites (3) and he replied that he had been informed by ʿAbdullâh that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said : 'To revile a Muslim is an act of impiety, and to fight him is an act of infidelity. (4)"

2. We are informed by Qutaibah b. Saʿîd, who had it from Ismâʿil b. Jaʿfar, through Humaid, through Anas to whom it was related by ʿUbâdah b. As-Sâmit that :

The Apostle of Allâh (Allâh bless him and gile him peace) once

الحسن : ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق ـ وما يحذر من الإصرار على النفاق والعصيان من غير توبة لقول الله تعالى: «ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون».

حدثنا محمد بن عرعرة ، قال حدثنا شعبة عن زبيد قال: سألت أبا وائل عن المرجئة فقال حدثني عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»

أخبرنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس قال أخبرني عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج

---

(1) or " strife " (تقاتل) according to another reading

(2) Surah 3, v . 129

(3) The Murjiites believed that perfect faith could be held by sinners, their faith not being impaired by reprehensible actions, - and hence held that the end justifies the means. They accordingly neglected ontword religious, practices -- monotheism and obedinece to outhority being considered sufficient.

(4) Al-ʿAini suggests that كفر literally meaus the denial of the duties of Muslims to one another.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

carat equal to Uhud,[2] and he who attendeth the prayer over the body and then returneth before the burial, shall be rewarded with one carat."

The narrator (Rawh) is supported by ‹Uthman Al-Mu‹adhdhin, who had it from ‹Awf, through Muhammad through Abu Hurairah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) to the same effect.

ٍل قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ » تَابَعَهُ عُثْمَانُ الْمُؤَذِّنُ قال حدثنا عوفٌ عن مُحَمَّدٍ عن أبي هريرةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم نَحْوَهُ .

CHAPTER 37.

On the believer's fear of losing the fruit of his works unwittingly; on At-Taimi's words : " Never have I contrasted my words with my deeds, but I have feared to be taxed with falsehood ;
on the words of Ibn Abu Mulaikah : " I have known *during the latter part of their lives* thirty of the companions of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) all of whom were afraid of being taxed with hypocrisy, and yet no one of them ever claimed to possess the faith of Gabriel or of Michael on the report of Al-Hasan

بَابُ خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ : مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذَّبًا .
وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النبي صلى الله عليه وسلم كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ . وَيُذْكَرُ عَنِ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

[2] A mountain near Madinah, symbolical of the greatness of the reward.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

mentioned the prescribed alms. " Is there any more enjoined upon me ?" asked the man, " No, unless thou do so voluntarily —, repaated the Apostle The man then departed saying : "By Allâh, I shall neither add anything to this nor take anything away from it."

" Blessed is this man if he be true, " said the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace)

وسلم الزَّكاةَ ، قال : هلْ عليَّ غيرُها؟ قالَ : لاَ إلاَّ أنْ تَطَوَّعَ ، قالَ فأدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يقولُ : وَاللهِ لاَ أزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أنْقصُ . قالَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « أفْلَحَ إنْ صَدَقَ »

CHAPTER 36.

To follow funeral processions is a feature of the Faith.

We are informed by Ahmad b. ‹Abdullâh b. ‹Ali Al-Manjufi, who had it from Rawh, who received it from ‹Awf, through Al-Hasan and Muhammad, through Abu Hurairah that the Apastle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

" He who followeth the funeral of a Muslim from faith and devotion, remaining by the body until the prayers are said over it and the burial is completed, shall return with a double reward of two carats [1] each

بابٌ : اتباعُ الجنائزِ منَ الإيمانِ

حدثنا أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ المنجوفيُّ قال حدثنا روْحٌ قال حدثنا عوفٌ عن الحسنِ ومُحمّدٍ عنْ أبي هريرةَ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنِ اتَّبَعَ جنَازَةَ مُسْلِمٍ إيمَاناً واحْتِسَاباً وكانَ مَعَهُ حتَّى يُصلَّى عَلَيْهَا ويَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا فإنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ

(1) An ancient unit of measurement used here symbolically for " share "

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

him sincere devotion as Hanifites,[1] to perform the appointed prayers, and give the prescribed alms; such is the right faith of Islam."

We are informed by Ismail, who had it from Malik b. Anas, through his paternal uncle Abu Suhail b. Malik through his father that he heard Talhah b. ʿUbaidullah say:

"A certain man from Najd once came to the Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace) with his hair dishevelled, his voice reverberating without our understanding what he was saying until he drew near, when we understood that he was asking questions about Islam, to which the Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace) was replying: "It is five prayers during the day and night." "Are there any more enjoined upon me?" asked the man. "No, unless thou do so voluntarily. There is also the Ramadan fast," continued the Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace). "Is there any other fast enjoined upon me?" asked the man. "No, unless thou do so voluntarily," added the Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace), who

مُخلِصينَ لهُ الدِّينَ حُنفَاءَ ويُقيمُوا الصَّلاةَ ويُؤتُوا الزَّكاةَ وذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ » :

حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك بن أنس عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ أَهْلِ نجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلَامِ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. فقال: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قال: لا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَصِيَامُ رَمَضَانَ. قال: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قال: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ. قال وذكر له رسول الله صلى الله عليه

[1] Followers of the true faith of Abraham

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

2. We are informed by al-Hasan b. as-Sabbâh who heard it from Ja'far b. ʿAwn, who had it from Abul-ʿUmais who was told it by Qais b. Muslim, through Târiq b. Shihâb, through ʿUmar b. al-Khattâb that :

A certain Jew said to him : "O, Commander of the Faithful, there is a verse in your Book which you recite, the day of whose revelation we should have adopted as a festival if it had been revealed to us Jewish people." "What verse is that ?" said ʿUmar. "It is this" replied the Jew : "This day have I perfected for you your religion, and have completed my blessing upon you, and have approved Islam as your aim."

"We know that day," replied ʿUmar, "and the place in which it was revealed to the Prophet (Allâh [illegible] him and give him peace) while he was standing on Mount ʿArafât on a Friday."

حدثنا الحسنُ بن الصبَّاحِ سمعَ
جعفر بن عونٍ حدثنا أبو العُمَيس
أخبرنا قيسُ بن مسلمٍ عن طارق بن
شهابٍ عن عُمر بن الخطاب أن رجلا
مِنَ اليهود قالَ له: يا أميرَ المؤمنين
[illegible]

CHAPTER 35.

On the giving of the prescribed alms being a feature of Islam, and on the word of Allâh : "and yet naught else was enjoined upon them but that they should worship Allâh, offering to

باب: الزكاةُ مِنَ الإسلامِ
وقولُه: «وما أُمِروا إلاَّ ليعبدُوا اللهَ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص:

Therefore if a man neglect anything of this perfection, he hath his faith imperfect.

حدثنا مسلم بن ابراهيم قال حدثنا هشام قال حدثنا قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»

1. We are informed by Muslim b. Ibrahim, who had it from Hisham to whom it was related by Qatâdah through Anas, from the Prophet (Allah bless him and give him peace), who said :

" He shall come out of Hell who declareth that there is no deity but Allâh, and hath in his heart faith (1) as the weight of a grain of barley ; and he shall come out of Hell who declareth that there is no deity but Allah, and hath in his heart faith as the weight of a grain of wheat ; and he shall come out of Hell who declareth that there is no deity but Allâh and hath in his heart as the weight of a mote ."

قال أبو عبد الله قال أبان حدثنا قتادة حدثنا أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من إيمان» مكان: من خير.

Abu ʿAbdullâh (al-Bukhâri) states that Abân said that he was informed by Qatâdah, who had it from Anas from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) that : من ايمان (of faith) is to be read for من خير (of good).

(1) The rendering of " faith " for خير is in agreement with the *Isnâd* given at the end of this hadîth.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

We are told by Muhammad b. al Muthanna, who had it from Yahia Hisham who was told it by his father through A'ishah that : the Prophet (Allâh bless him and give him peace) once went into A'ishah 's appartment when a woman was with her, and he asked her who the woman was. A'ishah then said : " Such and such " praising the woman's assiduousness in prayer. " Stop " said the Prophet " Your duty is no more than that which ye can endure, for by Allâh, Allah will not weary until ye do.[1] The worship best pleasing to Him is that in which the worshipper is constant. "

حدثنا مُحَمَّدُ بنُ المُثَنَّى حدثنا يحيى عن هشام قال أخبرني أبي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قالَ مَنْ هذه؟ قالَتْ: فُلَانَةُ تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا ، قالَ: مَهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَاللهِ لا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا، وَكانَ أَحَبَّ الدِّينِ إليهِ مَادَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ »

CHAPTER 34.

On the increase and decrease of faith, and the word of Allah (be he exalted) : " We have increased guidance unto them " [2] and " *that* they who have beleived may increase in faith, [3] and the word of Allah (be He exalted) " this day have I perfected your faith unto you "[4]

باب زيادة الإيمان ونقصانه وقَوْلِ اللهِ تعالى: «وَزِدْنَاهُمْ هُدًى» «وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا» وقال: «اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» فإذا

(1) Commentators who have been puzzled by the attribution of weariness to God have explained this bv suggesting that He will not qrant anv prayer abondoned through weariness ; حتى تملوا can be rendered " *even if ye* weary " (See Al-Aini and At-Taimi), or the passage can be rendered : " Allâh will not withold His reward until ye abandon your worship. " (supported by a reading attributed to A'ishah — (فإن الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل)

(2) Surah 18, v. 12,

(3) Surah 74, v. 3.

(4) Surah 5, verse 5

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

informed by Zaid b. Aslam that Atâ b. Yasâr had told him that Abu Sa'id Al-Khudri informed him that he heard the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) say .

If a man [1] embrace Islam, so his faith be sincere, Allah shall absolve him from every sin he hath committed heretofore ; and thereafter there shall be requital - for a single good deed tenfold up to seven hundredfold, and for a single bad deed only its equivalent, except Allâh remit it.

2. We are informed by Ishâq b. Mansur, who had it from Abdur-Razzâq, who received it from Ma'mar, through Hammâm, through Abû Hurairah who stated that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said : if any of you embrace Islam sincerely , every good deed he doeth shall be accounted unto him as tenfold to seven hundredfold, and every bad deed as its equivalent.

CHAPTER 33.

The worship most pleasing to Allâh is that which is most constant.

أسلم أن عطاء بن يسار أخبره أن أبا سعيد الخدري أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها وكان بعد ذلك القصاص: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها »

حدثنا إسحاق بن منصور قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها »

باب : أحب الدين إلى الله أدومه :

(1) Another reading is الكفر for العبد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

congregations[1] bending in prayer, he said: "I call Allâh to witness that I have been praying with the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) facing Makkah. On hearing this, they turned, keeping the posture in which they were, towards the Ka'bah.

The Jews had been pleased at the Prophet's performing the prayer facing Jerusalem, and so likewise the Christians; but when he turned his face towards the Ka'bah, they showed their displeasure.

Zuhair states that he had it from Abu Ishâq through Al-Barâ' in this Hadith of his that some of the Faithful had died following the practice of praying towards Jerusalem before the qiblah had been changed, having been killed in battle. We did not know what to say about them, and so Allâh (be He exalted) sent down the verse "Allâh is not one who would allow your devotion to be fruitless."

وَهُمْ رَاكِعُونَ فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ. وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَهْلُ الْكِتَابِ. فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ. قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى «وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ»

CHAPTER 32

On the sincerity of a man's conversion to Islam.

1. Malik stated that he was

بَابُ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ:

قَالَ مَالِكٌ أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ

(1) The Banu Hârithah—the place now being known as "the Mosque of the two Qiblahs" (مسجد القبلتين)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 31.

On prayer being a feature of the Faith, and on the word of Allâh (be He exalted): "Allâh is not one who would allow your devotion to be fruitless" - meaning your prayer by the Ka:bah *facing Jerusalem*.(1)

We are informed by :Amr b. Khalid, who had it from Zuhair, who eceived it from Abu Ishâq, through Al-Barâ. that:

The Prophet, (Allâh bless him and give him peace) soon after he had arrived at Madinah lodged with his grandparents or as it was said(2) - his maternal relatives among the Ansâr; and he used to pray for sixteen or seventeen months towards the Temple of Jerusalem, although he would have preferred that his qiblah(3) should be the Ka:bah The first prayer he performed in this latter direction was the afternoon prayer in which he was joined by a group of the Faithful. One of them went out, and passing by a

بابٌ : الصَّلَاةُ مِنَ الإِيمَانِ وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: «وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ» يَعْنِي صَلَاتَكُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ.

حدثنا عمرو بن خالد قال حدثنا زهير قال حدثنا أبو اسحاق عن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ - أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ - مِنَ الأَنْصَارِ وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ

---

(1) [Surah 2, v. 138)
According to Ibn Hajar. Commentators who have suggested غير البيت have given to عند the meaning of 'towards" for which there is no precedent, although their suggestion of غير البيت (i. e. Jerusalem) makes the meaning clearer.
(2) by Abu Ishâg.
(3) Point which a worshipper faces in qrayer.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 30.

Islam is a faith that is easy to practise and the words of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) : The religion most acceptable unto Allâh is the true Faith *of Islam* that is easy to practise

We are informed by ‹Abdus-Salâm b. muttahhar, who had it from ‹Umar b. ‹Ali through Ma‹n b. Muhammad Al-Ghifâri, through Sa‹id b. Abu Sa‹id Al-Maqburi through Abu Hurairah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said :

Islâm is a religion easy to practise ; for no one can be too rigorous in the practice of it, without being overcome by it. Therefore be ye upright and moderate, and hope *for you rewerd.* Call to your aid the early morning and the evening prayers, and also some prayer in the night .

بابٌ : الدِّينُ يسْرٌ وَقولُ النبي صلى الله عليه وسلم : «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»

حدثنا عبدُ السلام بن مُطَهَّرٍ قال : حدثنا عمرُ بن عليّ عن مَعْنِ بن مُحَمَّدٍ الغفاري عن سعيدِ بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الدِّينَ يسرٌ ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالغُدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

We are informed by Ismâ'il, who had it from Mâlik, through Ibn Shihâb, through Humaid b. Abdur-Rahmân, through Abu Hurairah that the Apostle of Allah (Allah bless him and give him peace) said:

He who keepeth vigil during *the nights of* Ramadân, *performing prayers of supererogation,* from faith and devotion, shall have his former sins forgiven him.

حدثني مالكٌ عن ابن شهاب عن حُمَيدِ ابن عبد الرَّحمن عن أبي هريرة أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ : « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا واحتِسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »

CHAPTER 29.

To fast during *the month of* Ramadân out of devotion is a feature of the Faith.

بابٌ : صَوْمُ رَمَضَانَ احتِسابًا مِنَ الإِيمَانِ .

We are informed by Ibn salâm, who had it from Muhammad b. Fudail, who received it from Yahya b. Sa'id, through Abu Salamah, through Abu Hurairah, who stated that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said:

He who keepeth the Ramadân fast, out of faith and devotion, shall have his former sins forgiven him.

حدثنا ابْنُ سَلَامٍ قال : أخبرنا مُحَمَّدُ بنُ فُضَيْلٍ قال : حدثنا يحيَى بنُ سَعيد عن أبي سلمةَ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَامَ رمضَانَ إِيمَانًا واحتِسابًا غُفِرَ لهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ».

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

whom it was related by Abu Zur'ah b. 'Amr b. Jarir, who heard it from Abu Hurairah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said :

Allâh hath vouchsafed to him, who shall go forth *to war* in His cause with no other motive but faith in Him and belief in His Prophets, that He will send him home with the reward or booty he hath won : or else He will let him enter Paradise .

But for the harpship I should cause my people, [1] I should not remain behind the ranks [2] but should wish to be killed in the cause of Allâh and then be raised from the dead, and then to be killed and be raised up again, and be killed *at last* .

قال حدثنا أبو زُرعةَ بن عَمرو بن جَرير قال سمعتُ أبا هُريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « انْتَدَبَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فى سَبِيلِهِ لا يُخْرِجُهُ إلاَّ إِيمَانٌ بى وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلى أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أو غَنِيمَةٍ أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتِى مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ وَلَوَدِدْتُ أَنِّى أُقْتَلُ فى سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ .

CHAPTER 28.

On the fact that to watch voluntarily in prayer during the nights of Ramadân is a feature of the Faith.

باب : تَطَوُّعُ قِيامِ رمضانَ مِنَ الإِيمَانِ . حَدَّثَنَا إسماعيلُ قال :

---

(1) by involving them in the hardship of allowing him to bear the brunt while they remained behind ,

(2) سرية — properly a body of troops not exceeding 400 in number.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

breaketh it; and when he disputeth, he dissembleth.

Sufân's narration of this Hadîth is confirmed by Shu'bah through Al-A'mash.

حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » (تَابَعَهُ شُعْبَةُ عَنِ الأَعْمَشِ)

CHAPTER 26.

Watching in prayer through the Night of Destiny [1] is a feature of the Faith.

We are informed by Abul-Yamân who had it from Shu'aib, to whom it was related by Abuz-Zinâd, through Al-A'raj, through Abu Hurairah who stated that the Apostle of Allah (Allâh bless him and give him peace) said:

He who keepeth vigil on the Night of Destiny out of faith and devotion, shall have his former sins forgiven him.

بابٌ : قِيَامُ لَيْلَةِ القَدْرِ مِنَ الإِيمَانِ.

حدّثنا أبو اليمانِ قال أخبرنا شُعَيبٌ قال حدثنا أبو الزِّنادِ عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »

CHAPTER 27.

The Jihâd [2] is a feature of the Faith.

We are informed by Harami b. Hafs, who had it from 'Abd-ul-Wâhid who received it from 'Umârah, to

بَابٌ : الْجِهَادُ مِنَ الإِيمَانِ.

حدّثنا حَرَمِيُّ بن حفص قال: حدثنا عبدُ الواحد قال حدثنا عُمَارةُ

---

(1) ليلة القدر = one of the last ten nights of Ramadân, commonly reckoned as the seventh from the end.

(2) جهاد = War in defence of the Faith physical and moral.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

CHAPTER 25.

On the signs of the hypocrite.

1. We are informed by Suleimân Abu-r-Rabi‘, who had it from Ismâ‘il b. Ja‘far, who received it from Nâfi‘ b. Mâlik b. Abu ‘Amir Abu Suhail, through his father, through Abu Hurairah from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) who said:

The marks of the hypocrite are three: whenever he speaketh, he lieth; when he maketh a promise he breaketh it; and when trust is put in him, he betrayeth it.

2. We are informed by Qabisah b. ‘Uqbah, who had it from Sufiân, through Al-A‘mash, through ‘Abdullah b. Murrah, through Masrûq, through ‘Abdullâh b. ‘Amr that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said:

There are four qualities, which, if inherent in a man, make him a perfect hypocrite; and any man who hath in him one of these qualities, hath in him a quality of hypocrisy until he be rid of it. These are that: when trust is placed in him, he betrayeth it; when he speaketh, he lieth; when he maketh a pledge, he

بابُ عَلاَمَاتِ المُنَافِقِ

حدَّثنا سليمانُ أبو الرَّبيع قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر قال: حدثنا نافعُ بنُ مالكِ بنِ أبي عامر أبو سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا وَعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خَانَ».

حدثنا قَبِيصَةَ بنُ عُقبةَ قال حدثنا سفين عن الأعمش عن عبد الله ابن مرَّةَ عن مسْرُوق عن عبد الله بن عمْرو أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَربعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كانَ مُنَافِقًا خالصًا، ومَنْ كانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهُنَّ كانَتْ فيهِ خَصلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

of Allâh said I, ' so would it be with the slayer, but what of him that is slain ?' ' He purposed to kill his fellow. ' was the reply ".

القَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتولِ ؟ قَال : إِنَّه كان حَرِيصاً عَلَى قتْل صَاحِبِهِ

CHAPTER 24.

بابٌ : ظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ

Showing that some iniquities are worse than others.

We are informed by Abû-l-Walîd, who had it from Shu'bah: we are also informed by Bishr, who had it from Muhammad, through Shu'bah, through Sulaimân, through Ibrâhîm, through 'Alqamah, through 'Abdullâh, who said

When this verse (1) was revealed, " Those who truly believe and have not vitiated their faith with iniquity(2) they shall have security and shall be guided aright", the Companions of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said : " Which of us hath not committed iniquity ? " then Allâh sent down the verse(3) : "Verily associating partners *with Allâh* is the great iniquity. "

حدثنا أبو الوليد قال : حدثنا شعبةُ قال وحدثنی بشرٌ قال حدثنا محمد عن شُعبةَ عن سليمانَ عن إبراهيمَ عن علقمةَ عن عبدِ الله قال: لما نزلتْ «الَّذِينَ آمَنوا ولَمْ يَلْبِسوا إيمَانَهم بِظلمٍ» قالَ أصحابُ رَسول الله صلى الله عليه وسلم: أَيُّنا لَمْ يَظْلِمْ ؟ فأَنْزَلَ اللهُ « إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عظِيمٌ » .

---

(1) Surah 6, verse 82

(2) ظلم here according to the commentators = infidelity or idolatry.

(3) Surah 31, verse 13

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

heavy for them; and if ye do, then help them '. "

كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ ».

CHAPTER 23.

باب : وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا. فَسَمَّاهُمُ الْمُؤْمِنِينَ.

On the Qurânic verse : " And if two groups of true believers engage in strife, reconcile them"-Allâh calling them true believers. (1)

We are informed by ʿAbdur-Rahmân b. Al-Mubârak, who had it from Hammâd b. Zaid, who received it from Ayyûb and Yûnus through Al-Ahnaf b, Qais, who said :

I was going to the help of a certain man (2) when I was met by Abu Bakrah, who said : " Whither goest thou ?" " To the help of this man," said I. " Go back ", said he " for I heard the Prophet of Allâh (Allâh bless him and give him peace) say : ' If two believers fall upon each other with the sword, both the victor and the victim are in Hell.' 'O Apostle

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ وَيُونُسُ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قُلْتُ : أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ . قَالَ : ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ » فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا

(1) to show that even when they have committed the sin of fighting, they are still true believers.

(2) Ali b. Abu Tālib, the Prophet's cousin, on the day of " the Camel ".

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

We are informed by Sulimân b. Harb, who had it from Shu'bah, through Wâsil Al-Ahdab, through Al-Ma'rur who said :

One day I met at Ar-Rabadhah[1] Abu Dharr wearing a suit of clothes[2] while his servant was wearing a similar one. When I questioned him about this he replied : " Once I and another man were reviling one another and I referred to his mother in a way that brought him to shame. The Prophet (Allâh bless him and give him peace) then said to me : ' Abu Dharr, thou hast brought this man to shame on account of his mother. Truly thou art a man imbued with the spirit of " the Ignorance ". Your servants are your brethren whom Allâh hath placed under your authority. So let him whose brother is under his authority feed him from what he eateth *himself* and clothe him with such clothes as he *himself* weareth. Place ye not upon them tasks too

حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن واصل الأحدب عن المعرور قال لقيتُ أبا ذرٍّ بالرَّبَذة وعليه حلَّة وعلى غلامه حلَّة فسألتُه عن ذلك فقال : إنّي سابَبْتُ رجلاً فعيَّرته بأمّه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذرٍّ أعيَّرته بأمّه إنك امرؤٌ فيك جاهلية ! إخوانكم خوَلُكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليُطعمه مما يأكل وليُلبسه مما يلبس ، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم ، فإن

(1) A place 3 miles from Medina on the way to Mecca.

(2) حلة = a new suit of good material consisting of two pieces, tunic and cloak (رداء وإزار)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ingratitude to their husbands whose kindness they have denied.[1]

If thou spend thy life doing good to any one of them, and then she find the least thing from thee to displease her, she will say: "I have never received any benefit from thee whatsoever."

لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ .

CHAPTER 22.

On the fact of sins being a feature of the age of the Ignorance, and no sinner is considered to be an unbeliever through the commission of them, except in the case of the sin of infidelity, based on the words of the Prophet (Allâh bless him and give him peace): "Thou art a man imbued with the spirit of the Ignorance:" and the word of Allâh (be He exalted): "Allâh forgiveth not the association of aught with Him[2] but forgiveth all else to whom He pleaseth". [3]

بَابٌ : الْمَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ

وَلَا يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : « إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ »

---

(1) See Al-‹Aini's *Commentary on Bukhari* page 202 Vol. I Cairo.

(2) Ibn Hajar and Al-‹Aini maintain that شرك here is synonymous with كفر and accordingly may be translated "disbelief in Him."

(3) Surah 4, Verse 41.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

knowest and those whom thou knowest not .

وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ »

CHAPTER 21.

On the ingratitude towards the husband, and on the fact that ingratitude is next worst after infidelity (1) Containing a tradition transmitted by Abu Sa‹id Al-Khudri, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) .

بابُ كُفْرَانِ العَشِيرِ وَكُفْرٍ دُونَ كُفْرٍ . فِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ ابْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

We are informed by ‹Abullâh b. Maslamah, through Mâlik through Zaid b. Aslam, through ‹Atâ b. Yasar through Ibn ‹Abbâs that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said :

I was shown hell-fire and blold ! most of the souls in it were women who were there because of their ingratitude . When the Prophet was asked whether this meant disbelief in Allâh, he replied : " No.

قال النبي صلى الله عليه وسلم : أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ ، قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ ؟ قال : يَكْفُرْنَ العَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ .

(1 Houdas & marçais' rendering of this heading as " L'ingratitude peut être plus ou moins grand ", does not convey the meaning .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

This Hadith was also transmitted by Yûnus, Sâlih, Ma-mar, and Az-Zuhri's nephew, through Az-Zuhri.

وَرَوَاهُ يُونُسُ وَصَالِحٌ وَمَعْمَرٌ وَابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ عَنِ الزُّهْرِيِّ .

CHAPTER 20.

To diffuse the greeting is a feature of Islam .

بابٌ : إِفْشَاءُ السَّلَامِ مِنَ الإِسْلَامِ

ʿAmmar said : " there are three features -- if a man hath combined them in himself, he hath possessed the Faith entire : to impose justice upon oneself, to lavish the greeting on all people, and to give out of one's poverty ."

وَقَالَ عَمَّارٌ : ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ : الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

We are informed by Qutaibah who had it from Al-Laith, through Yazid b. Abu Habib, through Abul-Khair, through ʿAbudlah b. ʿAmr that :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قال حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو أن رجلا سأل

A man once asked the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) which feature of Islam was the best. He replied : " That thou give food and pronounce the greeting upon those whom thou

رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « تُطْعِمُ الطَّعَامَ ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

the most worthy of them, so I said : " O Apostlle of Allâh, what it thy objection to such a one ? for by Allâh I perceive in him a true believer ! " " Nay, a *professing* Muslim ! " replied the Prophet. I was silent for a while, and then I was dimelled by my certainty of his sincerity, and I repeated my words saying : " What is thy objection to such a one ? for by Allâh I perceive in him a true believer ! " " Nay, a professing Muslim ! " repeated the Prophet. Again I was impelled by my certainty of his sincerity and repeated my words. Then the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) again replied and said : " O Saad, indeed I give to the one man when another is dearer to me, for fear that Allâh may cast him headlong into hell fire " (1)

هوَ أعجبهم إليَّ، فقلتُ يا رسولَ الله
ما لكَ عن فلانٍ فواللهِ إنّي لأراهُ
مؤمناً. فقالَ: «أو مسلماً» فسكتُّ
قليلاً، ثمّ غلبني ما أعلمُ منه فعدتُ
لمقالتي فقلتُ ما لكَ عن فلانٍ فواللهِ
إنّي لأراهُ مؤمناً، فقالَ «أو مسلماً»
ثمّ غلبني ما أعلمُ منه فعدتُ لمقالتي
وعادَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم،
ثمّ قالَ: «يا سعدُ إنّي لأعطي الرجلَ
وغيرُه أحبُّ إليَّ منه خشيةَ أن
أن يكبَّهُ اللهُ في النار»

---

(1) The purpose of this Hadith is to emphasise the difference between a professing Muslim and a true believer, and if Sa'd was categorical in his assertion of the man's sincerity, he was presuming to speak of matters of the heart known only to God. The Prophet's denial of a gift to Ju'ail the man referred to in the Hadith, was due to the Prophet's confidence in his faith, so that no gift from him was necessary to save him from relapsing and being cast into hell-fire, as might be the case with the other recipients of his gifts.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

«قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا».

فإذا كان على الحقيقة فهو على قوله جل ذكره: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ» «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ».

حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عامر بن سعد ابن أبي وقاص عن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطاً وسعد جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا

of Allâh (be He exalted) : " The Bedouins said : ' We have believed ' Say : ' Ye have not sincerely believed ' but say that ye have professed Islam ." (1)

When the profession of faith is sincere, it must be according to His word (glorified be His Name) " The true religion in the sight of Allâh is Islam, " (2) and again : " Whosoever seeketh another religion than Islâm shall not have it accepted from him ." (3)

We are informed by Abul-Yamân, who had it from Shuaib, through Az-Zuhri, who received it from 'Amir b. Sa'd Ibn Abu Waqqâs, through Sa'd (Allâh be pleased with him) that .

The Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) had just distributed gifts to a few people, while Sa'd was seated *with him*, and the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) had omitted a man who seemed to me

(1) Surah 49, verse 14.
(2) Surah 3, verse 17.
(3) Surah 3, verse 79.

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

We are informed by Ahmed b. Yûnus and Mûsa b. Ismail, who both had it from Ibrahim b. Sa'd, who received it from Ibn Shihâb, through Sa'id b. Al-Musayyab, through Abu Hurairah that : The Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) was questioned as to which work was the most meritorious before Allâh, and he replied : " Faith in Allâh and His Apostle " He was then asked what came next and replied : " The Jihad (1) in the cause of Allâh ." He was again asked what came after that and replied : " A pilgrimage to Mecca sincerely performed ."

حدثنا احمد بن يونس وموسى بن اسماعيل قالا حدثنا ابراهيم بن سعد قال حدثنا ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ : أيُّ العَمَلِ أفضَلُ ؟ فقَالَ : إيمَانٌ باللهِ ورَسُولِه ، قيلَ ثُمَّ مَاذا ؟ قَالَ : الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ ، قيلَ ثُمَّ مَاذا ؟ قَالَ : حَجٌّ مَبْرُورٌ .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

CHAPTER 19.

بابٌ : إذَا لَمْ يَكُنِ الإسْلامُ عَلَى الحَقِيقَةِ وَكَانَ عَلَى الاسْتِسْلامِ أو الخَوْفِ مِنَ القَتْلِ لِقَوْلِهِ تعَالَى :

On the case where the profession of faith is insincere, and is made for the sake of peace, or through fear of death, based on the word

(1) الجهاد Properly " endeavour " not to be confused with the idea of a " Holy War " in the sense of a crusade which has been wrongly associated with it.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 18

باب مَنْ قَالَ إِنَّ الإِيمَانَ هُوَ الْعَمَلُ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» وَقَالَ عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» عَنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَقَالَ «لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ»

On those who maintain that faith is works, (1) as would appear from the word of Allâh (be He exalted) : " This is the Paradise which ye have been given in heritage *as a reward* for your works . " (2)

A certain number of doctors have considered the word of Allâh (be He exalted) : " By thy Lord, We shall call them all to account for their works " (3) as meaning the profession of faith " There is no deity but Allâh ".

Allâh hath also said : " To such a consummation let those who practise the Faith devote their efforts ". (4)

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

---

(1) This chapter is intended to throw light on the controversy between the efficacy of faith and of works. The Murji-ites believed in justification by faith in the sense of " profession of faith " (الايمان قول بلا عمل), and Al-Bukhâri refutes them here by interpreting عمل as إيمان that is to say, " works " as " faith ", but not merely " profession of faith, " since conscientious and not formal faith is the real main-spring of action. In reply to the contention that عمل means " mere profession of faith, " Al-'Aini and An-Nawawi hold that God will call both faith and works into judgment, and the case for mere profession cannot be supported.

(2) Surâh 43, verse 72 .

(3) Susrâh 15 . verse 92.

(4) Surâh 37, verse 59.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 17.

On the Qurânic verse : " If *the Infidels* repent, perform *the appointed* prayers and give *the prescribed* Alms, then let them go their way "

We are informed by Abdullâh b. Muhammad Al-Musnadi, who had it from Abu Rawh Al-Harami b. Umârah, who received it from Shu'bah, through Wâqid b. Muhammad, who heard it related by his father, through Ibn Umar, that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

I have been commanded to fight against idolotors until they testify that there is no deity but Allâh, and that Muhammad is the Apostle of Allâh, perform *the appointed* prayers and give *the prescribed* alms. When they do these, they shall have safe-guarded their lives and property from me except for what is due to Islam . Their souls' reckoning lieth with Allâh

بابٌ : فَإِنْ تَابُوا وأَقَامُوا الصَّلاةَ

وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُسْنَدِي

قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ الْحَرَمِيُّ بْنُ

عُمَارَةَ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاقِدِ

ابنِ مُحَمَّدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ

عُمَرَ أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم

قَالَ : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى

يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ

مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ ،

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ

عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ

بِحَقِّ الاسْلاَمِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ » :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

" While I was sleeping I saw the people parading before me wearing shirts, some of which reached as far as their breasts, and some less than that. Then ʿUmar b. Al-Khattab appeared before me wearing a shirt which trailed on the ground ". When the Apostle of Allâh was asked what interpretation he gave to this, he replied : " It is Religion ".(1)

أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ
وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ
وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ وَعُرِضَ
عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ
يَجُرُّهُ. قَالُوا فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ؟ قَالَ: الدِّينَ

CHAPTER 16.

بَابٌ : الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ

Modesty is a feature of the Faith. We are informed by ʿAbdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik b. Anas through Ibn Shihâb, through Sâlim b. ʿAbdallâh, through his father : that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) once passed one of the Companions, who was admonishing his brother against *undue* modesty, (2) and so the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said: " Let him alone for modesty is a feature of the Faith. "

حدثنا عبد الله بن يوسف قال
أخبرنا مالك بن أنس عن ابن شهاب
عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَى رَجُلٍ
مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ
فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله
عليه وسلم: «دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ
الإِيمَانِ»

---

(1) The shirt conceals the nakedness just as Religion shields a man from hell-fire ; and the traces of the trailing shirt are like the good example set by a religious life

(2) A reserve which prevents a man from obtaining his due is to be avoided ; but just as faith prevents him from sinning : so does modesty, and hence modesty and faith go hand in hand (Ibn Hajar & Al-ʿAini).

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

b. Yahya Al-Mâzini, through his father through Abu Sa‘id Al-Khudri (Allâh be pleased with him), from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said :

The people of Paradise shall enter into Paradise, and the people of Hell shall enter into Hell, then Allâh (be He exalted) will say : " Let out of Hell those who have in their hearts faith even as a grain of mustard-seed ". Then shall they be let out from it, blackened *by the flames*: afterwards tgey shall be cast into the river of rain-water or life (Mâlik) is doubtful as to which), and forthwith they shall grow up like the pursiain beside the water-course. Hast thou not seen how it springeth up with its yellow flowers intertwined ?

According to Wuhaib, who had it from ‘Amr : instead of Mâlik's hesitation, the reading " the river of life ", is confirmed ; and instead of " a mustard-seed of faith", a mustard-seed of good ".

2. We are informed by Muhammad b. ‘Ubaidullâh, who had it from Ibraahim b. Sa‘d, through Sâlih, through Ibn Shihâb, through Abu Umâmah b. Sahl that he heard Abu Sa‘id Al-Khudri say:

The Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

ابن يحيى المازنى عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى :

أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون فى نهر الحيا أو الحياة ـ شك مالك ـ فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية ؟ قال وهيب حدثنا عمرو « الحياة » وقال « خردل من خير » .

٢ ـ حدثنا محمد بن عبيد الله قال : حدثنا ابراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب عن أبى أمامة بن سهل أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . بينا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

myself (1)

CHAPTER 14

To dread relapsing into unbelief as much as being cast into hell-fire is a feature of the Faith.

We are informed by Solimân b. Harb, who had it from Shu'bah through Qatâdah, through Anas (Allâh be pleased with him), from the Prophet (Allah bless him and give him peace) who said :

There are three things, which, if inherent in a man, will enable him to taste the sweetness of the Faith : to love Allâh and His Apostle more than aught else ; to love a man for naught but the sake of Allâh ; and to dread to relapse into unbelief after being saved from it by Allâh, just as to dread being cast into hell-fire.

باب : مَنْ كَرِهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ مِنَ الإِيمَانِ .

حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبةُ عن قتادة عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ .

CHAPTER 15

Showing the Superiority (2) of the Faithful over each other through their works .

1. We are informed by Ismâ'il, who had it from Mâlik, through 'Amr

بابُ تَفَاضُلِ أَهْلِ الإِيمَانِ فِي الأَعْمَالِ

١ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَمْرٍو

(1) "And therefore I need good works the most."
(2) i.e. preference or priority.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 13.

On the Prophet's words (Allâh bless him and give him peace): "I am he amongst you that best knoweth Allâh." and that the knowledge of Allâh is the work of the heart,(1) as appeareth from the word of Allâh (be He exalted): "But He will call you to account for the work of your consciences".

We are informed by Muhammad b. Salâm who had it from ‘Abdah, through Hishâm, through his father, through ‘A’ishah, who said:

The Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace), when he gave commands to the Faithful, only commanded them works of which they were consistently capable. *Once* they said to him: "We are not on the same plane as thou, Apostle of Allâh since Allâh hath forgiven thee thy sins both past and to come "(2) then he waxed wroth until his wrath was seen on his countenance, and he said: "He amongst you that best feareth and knoweth Allâh is

بابٌ : قَولُ النبي صلى الله عليه وسلم: أَنَا أَعلَمُكم بِاللهِ. وأَنَّ المَعْرِفَةَ فِعلُ القَلْبِ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ سَلَامٍ قَالَ أَخبَرَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ رسول الله صلى الله عليه وَسلم إِذَا أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمالِ بِمَا يُطِيقُونَ قالوا إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يا رسول الله إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَقُولُ إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا .

---

(1) Al-Bukhari quotes this here in reply to the Karrâmiah (an offshoot of the Murji‘ites) who allege that verbal acceptance of the Faith is sufficient for this world, though it may be inacceptable in the next.

(2) "and therefore we must multiply our good works."

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

It was on this that we swore allegiance to him.

وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.

CHAPTER 12.

بَابٌ : مِنَ الدِّينِ الْفِرَارُ مِنَ الْفِتَنِ

It is a feature of the Faith to flee from iniquity. (1)

We are informed by ʿAbdullah b. ʿMaslamah, through Mâlik, through ʿAbdur-Rahmân b. ʿAbdullâh b, Abdur-Râhmân b. Abu Saʿsaʿah, through his father, through Abu Sâid Al-Khudri that the Prophet (Allâh bless him and give him peace) said :

The time is near when the best wealth of a Muslim shall be a flock of sheep, which he leadeth to the mountain-tops and rain-lands, to which he betaketh himself for his faith's sake, (2) to flee from iniquity.

حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد الخُدْرِيّ أنه قال قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ.

---

(1) Goldziher's rendering as "riots or disturbances" followed by Houdas and Marçais, is not supported by Al-Karmani or Al-ʿAini. Goldziher refers to the case of Salamah b. Al-Akwâ, who fled to Ar-Rabadha during the insurrection against ʿUthman in support of his view; but فتنة in the text need have no connection with فتنة عثمان, as the word has many meanings including : temptation, trial, sin, heresy, unbelief, error, intrigue, sedition, abomination, corruption and infatuation. Again the title of this book is "of the Faith". and presumably deals with matters of faith rather than politics.

On the other hand, the same Hadith is quoted by Al-Bukhari under the heading of "Civil Discord" where Goldzeher's rendering will hold.

(2) Not "with his faith" as Houdas and Marçais translate.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ʿAʾs idhullah b. ʿAbdullâh that:

ʿUbâdah b. As-Sâmit (Allâh be pleased with him), who witnessed the battle of Badr, and was one of the delegates on the occasion of the night of ʿAqabah,(1) stated that the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said, while a group of his Companions was round him : "Swear allegiance to me that ye will not associate aught else with Allâh, that ye will no steal, commit adultery, kill your children, utter slander which ye have wantonly fabricated in your hearts, (2) nor violate what is right . He of you who fulfilleth this oath shall have his reward from Allâh; and he who infringeth any part of it, and hath his punishment in this life, shall have made sufficient atonement thereby; whereas he who infringeth any part of it, and then Allâh covereth up his sin, (3) is in Allâh's hands to be pardoned if He willeth or punished if He willeth. (4)

عائذُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ أنَّ عُبادةَ
ابنَ الصامتِ رضي اللهُ عنه وكان
شهِدَ بدراً وهُوَ أحدُ النُّقباءِ ليلةَ
العَقَبةِ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم
قالَ وحَوْلَهُ عِصابةٌ مِنْ أصحابِهِ :
بايِعوني على أنْ لا تُشرِكوا باللهِ شيئاً ،
ولا تَسْرِقوا، ولا تَزْنوا، ولا تَقْتُلوا
أولادَكُمْ، ولا تأتوا ببُهتانٍ تَفْتَرونَهُ
بَيْنَ أيديكُمْ وأرجُلِكُمْ، ولا
تَعْصوا في مَعْروفٍ ، فمَنْ وَفى منكُمْ
فأجرُهُ على اللهِ ، ومَنْ أصابَ مِنْ ذلكَ
شيئاً فعُوقِبَ في الدُّنيا فهُوَ كفَّارَةٌ
لهُ ، ومَنْ أصابَ مِنْ ذلكَ شيئاً ثمَّ
سَتَرَهُ اللهُ فهُوَ إلى اللهِ إنْ شاءَ عفا عنه

---

(1) See footnote (1) page 20.

(2) بين أيديكم وأرجلكم "between your hands and feet " is figurative for "in your hearts" or "within yourselves "as the heart lies between the hands and the feet.(Al-ʿAini)

(3) i.e. his sin does not come to light, and so he escapes worldly punishment.

(4) Sprenger's version of this Hadith, namely: "If ye transgress it (the oath), ye shall suffer the established punishments, and through these shall ye find atonement ; but if ye conceal the transgression until the Last Day, your fate shall be in the hand of God, " is untenable, as not being in accordance with the doctrines implied by the Hodith. We are equally unable to follow Houdas and Marçais .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

to taste the sweetness of the Faith: that Allah and His Apostle should be dearer to him than anything else; that his love for his fellow-beings should be solely for Allâh's sake;[1] that he should dread to relapse into infidelity as much as he dreadeth to be cast into hell-fire.

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار.

CHAPTER 10

On the love of the Ansâr[2] being a sign of the Faith.

We are informed by Abul-walid who had it from Shu'bah who was told it by 'Abdullah b. 'Abdullah b. Jabr, who heard it from Anas, who heard the Prophet (Allâh bless him and give peace) say: It is a sign of the faith to love the Ansâr, and it is a sign of hypocrisy to hate them.

باب: علامة الإيمان حب الأنصار

حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة قال أخبرني عبد الله بن عبد الله بن جبر قال سمعت أنسا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار

CHAPTER 11

We are informed by Abul-yamân, who had it from Shu'aib through Az-Zuhri, who receire it from Abu Idris

باب: حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو إدريس

---

(1) i. e. for no selfish or ulterior motive.

(2) the Ansar, or the first supporters of the Prophet, were so designated by him after the famous oath of allegiance of 'Aqabah; they were twelve in number—two from the tribe of Aws, and ten from that of Khazraj, 'Ubadah being of the latter. The term was also applied to their children, allies and dependents. Special love is commended for them in view of their great sacrifices in the Cause, as is seen in the Qurân, (Sûrah 7, verse 157) "Those who have believed in him, and supported him—these are they who shall attain the consummation."

(See also Surah 3 verse 29) : " If ye love Allah, then follow me and Allah will love you. "

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(allah be pleased with him) that the Apostle of Allâh (Allah bless him and give him peace) said :

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ .

By him in whose hand is my soul, no one of you is a true believer unless I be dearer to him than his father and his children.

2. We are informed by Yaꜥqûb b. Ibrahim, who had it from Ibn ꜥUlayyah, through ꜥAbdul-Aziz b. Suhaib, through Anas, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace); we are also informed by Adam, who had it from Shuꜥbah, through Qatâdah, through Anas, who said that :

٢ : حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ح وحدثنا آدم قال حدثنا شُعبةُ عن قتادة عن أنس

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) said : " No one of you is a true believer unless I be dearer to him than his father and his children, and all people. "

قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

CHAPTER 9

On the Sweetness of the Faith

بابُ حلاوةِ الإيمانِ

We are informed by Muhammed b. Al-Muthannâ who was told it by ꜥAbdul-wahhâb Ath-thaqafi, who had it from Ayyûb, through Abu Qilâbah through Anas, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) who Said:

حدثنا محمد بن المُثَنَّى : قال حدثنا عبدالوهاب الثقفي قال حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

There are three things, which, if inherent in a man, will enable him

ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(Allâh bless him and give hime peace) " Which feature of Islam is the best? He replied : " that thou give food and pronounce the grreting upon those whom thou knowest and those whom thou knowest not. "

صلى الله عليه وسلم: أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قالَ: تُطعِمُ الطَّعامَ وتقرأُ السَّلامَ على مَنْ عرفتَ ومَنْ لم تعرفْ.

CHAPTER 7

It is a feature of the Faith that a man desire for his neighbour what he desireth for himself.

بابٌ: مِنَ الإيمانِ أن يُحبَّ لأخيهِ ما يُحبُّ لنفسِه.

We are informed by musaddad who had it from Yahya, through Shu'bah, through Qatâdah, through Anas (Allâh be pleased with him) from the Prophet (Allâh bless him and give him peace): and also through Hussin Al-Mu'allim who was informed by Qatâdah through Anas, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said :

No one of you hath true faith until he desireth for his neighbour what he desireth for himself.

حدَّثنا مُسدَّدٌ قال حدَّثنا يحيى عن شعبةَ عن قتادةَ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن حُسينٍ المعلِّمِ قال حدَّثنا قتادةُ عن أنسٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤمنُ أحدُكم حتى يُحبَّ لأخيهِ ما يُحبُّ لنفسِه.

CHAPTER 8

Love for the Apostle (Allâh bless him and give him peace) is a feature of the Faith.

بابٌ: حُبُّ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الإيمانِ.

1. We are informed by Abul-Yamân, who had it from Shu'aib who received it from Abuz-Zinâd, through Al-A'rag, through Abu Hurairah

١ : حدَّثنا أبو اليمانِ قالَ أخبرَنا شعيبٌ قالَ حدَّثنا أبو الزِّنادِ عن الأعرجِ عن أبي هُريرةَ

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 5

Showing which Muslim (1) is the most worthy.

We are informed by Sa'id b. Yahyà b. Sa'id Al-Qurashi who had it from his father, who received it from Abu Burdah, b. 'Abdullâh b. Abu Burdah, through Abu Burdah, through Abu Mûsà (Allâh be pleased with him) who said :

When the Apostle of Allâh was asked which Muslim was the worthiest, he replied : "It is he from whose tongue and hand the Faithful are safe ".

بابٌ . أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَ بْن سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ قالَ حَدَّثَنَا أَبِي قالَ حَدَّثَنا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالُوا يَارَسُولَ اللهِ أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ

CHAPTER 6

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

Showing how the giving of food (2) is a feature of Islàm.

We are informed by 'Amr b. Khàlid. who had it from Al-Laith, through Yazid, through Abul-Khair, through 'Abdullah b. 'Amr (Allâh be pleased with them) that :

A man *once* asked the Prophet

بَابٌ : إِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنَ الإِسْلَامِ

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يَزِيدَ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ عَنْ عَبْــدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً سَــأَلَ النَّبِي

---

(1) Here الاسلام = أصحاب الاسلام hence Muslims. This is borne out by the reading in Muslim's Collection which runs « أي المسلمين أفضل » Al-Karmani's interpretation of خصال الاسلام " features of Islam " is not in conformity with the answer to the question, which assigns the highest virtue to the Faithful and not to the features of the Faith.

(2) The omission of the recipient of the food is intentional, as all forms of hospitality are included, and even the feeding of animals.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

CHAPTER 4.

باب اَلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ .

Showing how a true Muslim is one from whose tongue and hand the Faithful are safe.

حدثنا آدم بن أبي إياس قال حدثنا شعبة عن عبد الله بن أبي السفر واسماعيل عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ »

We are informed by Adam b Abu Iyâs, who had it from Shu'bah, through 'Abdullah b. Abu-s-Safar and Ismâ'il. through Ash-Sha'bi through 'Abdullah b. 'Amr (Allah be pleased with them) from the Prophet (Allah bless him and give him peace), who said :

A *true* believer is one from whose tongue and hand the Faithful are safe; and a *true* Muhâjir [1] is one who fleeth from what Allâh hath forbidden.

قال أبو عبد الله وقال أبو معاوية : حدثنا داود عن عامر قال سمعت عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الأعلى عن داود عن عامر عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم

Relating two more *Isnâds*, Abu 'Abdullâh (Al-Bukhâri) states that he also received it from Abu Mu'âwiyah, who had it from Dâwûd, through 'Amir, who heard it from 'Abdullâh, from the Prophet (Allah bless him and give him peace); and also that he had it from 'Abdul-A'lâ, through Dâwûd, through 'Amir, through 'Abdullah, from the Prophet (Allah bless him and give him peace).

---

(1) Muhâjer — a title given to emigrants who joined the Prophet in his Flight.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

but he is righteous who believeth in Allâh, the Last Day, the Angels, the Book and the Prophets : who for the love of Him distributeth his wealth among his kindred, the orphans and the needy, the wayfarer, those who ask; and who spendeth it on the ransom of captives or slaves ; who performeth the *appointed* prayers ; who payeth the *prescribed* alms ; who are faithful to their pledges when they have given them ; and those who are patient in distress and affliction and the time of battle. These are they who are true believers and these are they who fear the Lord. "[1]

And the verse : " The true believers have attained the consummation ". [2]

We are informed by ʿAbdullâh b. Muhammad, who had it from Abu ʿAmir Al-ʿAqadi, who received it from Suliman b, Bilâl through ʿAbdullâh b. Dînâr, through Abu Sâlih, through Abu Hurairah (Allâh be pleased with him), from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said :

The Faith comprehendeth sixty and a few features ; one of these features is modesty .

الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ؛ وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ . قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ـ الآيَة.

حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا أبو عامر العقدى قال حدثنا سليمن بن بلال عن عبد الله بن دينار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ .

(1) Surah 2, verse 172.

(2) Surah 23, verse 1.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Mujâhid explained it as meaming : " O Muhammad, We have enjoined upon thee and upon Noah one selfsame Faith. "

أَوصَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ وَإِيَّاهُ دِيناً وَاحِداً .

Ibn ‹Abbâs explains شرعة ومنهاجا as meaning ' way ' and 'rule of conduct'

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً : سَبِيلاً وَسُنَّةً .

CHAPTER 2.

بَابٌ دُعَاؤُكُمْ إِيمَانُكُمْ

Ibn ' ‹Abbâs explains دعاؤكم your supplication — as meaning " your faith "(1)

We are informed by ‹Ubaidullâh b. Mûsa, who had it from Hanzalah b. Abu Sufian, through ‹ krimah b. Khâlid, through Ibn ‹Umar (Allâh be pleased with them), who stated that the the Apostle of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said :

Islâm is built on five pillars : the attestation that there is no deity but Allâh and that Muhammad is the Apostle of Allâh : the performance of the *oppointed* prayers, the giving of the *prescribed* alms, the pilgrimage *to mecca*, and the the Ramadân fast .

حدثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وَسَلَّمَ : بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

CHAPTER 3.

An exposition of matters *concerning* the Faith, and the word of Allâh (be He exalted) : " It is not *the whole of* righteousness that ye turn your faces to the east and to the west,

بَابُ أُمُورِ الإِيمَانِ وَقَوْلِ اللهِ تعالى : «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ

(1) Surah 25, verse 77. Ibn Battal points ont that supplication leads to more intense faith.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Love in the cause of Allâh and hate in His cause are features of the Faith. And ʿUmar b. ʿAdul-ʿAziz wrote to ʿAdiyy b. ʿAdiyy : " The Faith hath obligations, doctrines, restrictions, and commendable practices he who observeth them perfectly holdeth the Faith perfect, and he who doth not do so, hath not the Faith perfect. If I live, I shall expound them to you, so that ye may practise them ; and if I die, I shall not be anxion for your company".

والحُبُّ فى اللهِ وَالبُغضُ فى الله مِنَ الإيمَان .وَكَتَبَ عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيز إلى عَدِيّ بن عَدِيّ : إنَّ للإيمَانِ فرائضَ وَشَرائِعَ وحُدُوداً وسُنَناً، فمَن استكمَلَها استكمَلَ الايمَانَ وَمَنْ لَمْ يَستَكمِلهَا لَمْ يَستَكمِلِ الايمَانَ؛ فإن أعِشْ فسَأُبيّنها لَكُمْ حَتّى تعمَلُوا بِهَا، وإنْ أمُتْ فَمَا أنَا على صُحبَتِكُمْ بِحَرِيص.

And Abraham said : " But *I ask this* that my faith may be strengthened. "(1)

وقال إبراهيمُ: وَلَكِنْ لِيطمَئِنَّ قَلبى.

And Muʿâdh said : " Let us sit together for a while that we may increase our faith *by meditation.*"

وقَالَ مُعَاذٌ : اجلِسْ بِنَا نؤمِنْ سَاعةً.

And Ibn Masʿûd said : "Certainty is the whole of the Faith .

وقَالَ ابنُ مَسعُود: اليَقِينُ الايمَانُ كُلُّهُ.

And Ibn ʿumar said : " A man doth not attain unto the true essence of piety, (2) until he have cast away the doubt ingrained in his heart. "

وَقَالَ ابن عُمَرَ : لا يَبلُغُ العَبدُ حَقِيقَةَ التّقوَى حَتّى يَدَعَ مَا حَاكَ فى الصّدرِ.

Referring to the verse beginning: " He hath laid down for you the religion which He enjoined uponNoah'.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ : شَرَعَ لَكُمْ :

---

(1) See Ibn Hajar.
(2) Or " faith ".

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Faith comprises word and deed. It may increase or decrease.

وهو قول وعمل ، ويزيد وينقص ،

Allâh (be He exalted) hath said : "That they may increase in faith beyond the faith they hold,[1]

قال الله تعالى: ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم

and : "We have increased guidance unto them,"[2]

وزدناهم هدى ،

and: "Allâh will grant to them that have walked in the right way increased guidance,"[3]

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى .

and :"To them that have walked in the right way Allah will grant increased guidance, and will reward them for their piety."[4]

والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم .

and: "That they who have believed may increase in faith, "[5]

ويزداد الذين آمنوا إيمانا .

and His word : "*Whenever a surh is sent down, there are some of them who say :* 'Which of you hath had his faith increased by this *Surah* ? ' It is they that have believed whose faith hath been increased by it, "[6]

وقوله: أيكم زادته هذه إيمانا . فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا .

and His word (glorified be His Name) : "*When it was said to them* : Fear them , it *only* increased their faith",[7]

وقوله جل ذكره: فاخشوهم فزادهم إيمانا .

and His word (be He exalted) : " It only increased their faith and resignation.[8] "

وقوله تعالى: وما زادهم إلا إيمانا وتسليما .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(1) Surah 48, verse 4. (2) Surah 18, verse 12. (3) Surah 19, verse 78.
(4) Surah 47, verse 19. (5) Surah 74, verse 3, (6) Surah 9 , verse 125
(7) Surah 3 , verse 167 . The whole verse referred to in the Qur'an is : When certain men said unto them : " Now have the Meccans mustered against you, therefore fear them," it only increased their faith. (8) Surah 33, verse 22.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

April, 1935.

جامع صحيح البخارى

ترجمه الى الانجليزية

الاستاذ ابراهيم حسن الموجى

الاستاذ فى الآداب وعضو الجمعية الاسيوية الملكية ببريطانيا العظمى

والمحاضر بمدرسة التجارة العليا بمانشستر

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

BY

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

LECTURER, HIGH SCHOOL OF COMMERCE, MANCHESTER.

BOOK II

الكتاب الثانى

IN THE NAME OF ALLAH THE ALL-LOVING THE MOST MERCIFUL

بسم الله الرحمن الرحيم

THE BOOK OF FAITH.

كتاب الايمان

CHAPTER 1.

Of Faith, and the words of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) : "Islam is built on five pillars ."

بابُ الإيمانِ وَقوْلُ النبي صلى الله عليه وسلم بُنِيَ الإسلامُ عَلى خَمْسٍ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

« وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ »

" And how many signs there be of Allah's being, unity and providence in the Heavens and the Earth which they will pass by and heed not "

(*Baidawy's Commentary.*)

He urged to the education of the heart by all possible means even by travelling :

« أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ، أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ »

" Have they not journeyed in the land ? And have they not hearts to understand with, or ears to hear with ? Nay, it is not their eyes that are blind but it is the hearts within the breasts that turn blind. "

(*Baidawy's Commentary.*)

The Prophet (on whom be Peace), called to meditation of The Lord's handiwork and creation in such terms that he gave it priority over worship:

" An hour's meditation is better than a year's devotion ", says the Prophet.

The call to perfection throws the door wide open for progress, and a nation who is enjoned by its religion to seek the best in word and deed, will have the instinct of perfection roused in it and will attain in time to the highest degree of development. This comes as a natural consequence to the psychological state of the nation inspired by the inherent factors of religion . In no other nation has this result been so clearly shown as in the Moslem nation since its adoption of Islam . The material and moral progress attained by that nation was due entirely to the strength of its faith and its determination to carry out the injunctions of religion.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

Outsiders who have studied the general aspects of Islam, have been induced to accord it great honour on account of its high principles. But they did not go deep enough in their study of Islam to appreciate the latent factors which were infused through all its injunctions and which have given rise to those finer qualities that true believers are required to cultivate. These factors to which we have alluded, depend on natural tendencies which dwell in the instincts of man. If these tendencies were properly nurtured and cultivated, they will lead to the greatest of social and moral reforms. The critic who studies Islam in the light of these facts will readily recognise the inherent value of that Religion and the truly ingenious methods calculated to revive the souls and arouse the dormant instincts of men. The rapid development of Moslem people in the earlier stages of Islam, is chiefly due to the cultivation of those natural tendencies. It is therefore our advice to those who study Islam not to let the modern scientific terminology debar them from a true appreciation of its inner principles. Modern philosophy ascribes all moral and material progress of nations to their sense of appreciation of what is called ' Idealism '. It maintains that the progress of a nation is commensurate with its consciousness of that ' Idealism '. Islam has not been bound by this nomenclature, but it has urged its followers to imbibe deeply of the sources which will arouse in them that consciousness. They were required to consider the handiwork of God and to meditate on the wonders of creation. Their attainment of knowledge and favour of God was made dependent on such meditation.

The Lord saith of true believers :

« الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ »

" Those who, standing, and sitting and reclining remember Allah ; and meditate on the creation of the Heavens and the Earth, saying : O our Lord ! Not in vain hast thou created this ; far be it from Thee ! So preserve us from the torment of hell fire . "

(*Baidawy's Commentary.*)

He reprimanded those who pass His signs by and pay no attention thereto :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

and follow that which is best thereof. These are they whom Allah guideth unto His Religion, and these are men of understanding."

(*Baidawy's Commentary.*)

A people who set themselves to acquire wisdom in that fashion, unmindful of taking it even from their antagonists in religion, are certainly worthy to claim as their own the highest virtues and to succeed in attaining perfection where other people had failed.

The Prophet (Peace be on him) says:

"Acquire wisdom no matter what source it issueth from."

In another tradition he says:

"Acquire wisdom be it though from a polytheist."

For indeed the seeker of the 'best' does not disdain to hunt for it in all its possible sources just as the seeker of gold who does not refrain to look for it in earth mixed with dross and other inferior metals and exerts himself to extract it from them and produce it as pure unalloyed gold. He knows full well that gold is gold wherever it may be found, that its value is not depreciated by being mixed with other metals and that it should not be neglected on that account. And so it is with wisdom. It might get tainted in different nations with myths and superstitions but it should not be neglected on that account. It should be purified from such taints and be made use of in its pure and unadulterated form.

Nothing could be more forcible in urging to seek wisdom than the saying of the Prophet (Peace be on him):

"Wisdom is the lost treasure of the true believer, he taketh it wherever he findeth it."

The Tradition shows how indispensable wisdom is to man, and if wisdom is the quest of every true believer, how could he neglect to look for it in all its possible sources such as books, traditions or even hearsay; and if he find it, he should grasp it without the least hesitation.

Yet wisdom in itself is worthy of being accorded every honour for it is a ray of the Divine Light shed on the souls of some favoured ones to impart it to mankind so as to guide them into the right path and throws open to them the door to salvation.

Islam, the Religion of perfection, has therefore insistently urged to the acquisition of wisdom which The Lord has extolled in the following terms:

« يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا »

"He giveth wisdom unto whom he pleaseth, and he who is given wisdom, hath much good given him."

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

and crown their efforts with success, for thus saith The Lord :

« وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ »

" And those who strive in Our Cause, surely will We guide them unto Our Ways for verily Allah favoureth the well-doers and rendereth them support. "

(*Baidawy's Commentary.*)

The preceding verse implies that those who properly discharge the Divine injunctions by upholding the Word of God and following His Path, will be guided to the ways leading to Him or in other words to His favour in this world and the hereafter. There could be no higher purpose for the seeker of material and moral perfection, for this is indeed the true progress which man seeks and strives to achieve with all his power.

One may well imagine that a people who follow this Faith and seek perfection in word and deed are bound to realise the highest aims of material and spiritual life.

A people who are required to adopt the best of everything even in returning a greeting :

« وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا »

" If ye are greeted with a greeting, then answer ye with a better one or at least return it. "

(*Baidawy's Commentary.*)

A people who are required to do that will be satisfied with nothing short of perfection which becomes a nature to them.

Yet more treasures has The Lord opened to those who seek perfection. He required them to open their hearts to knowledge and wisdom and acquire the best thereof for thus saith The Lord :

« فَبَشِّرْ عِبَادِى الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ : أُولَئِكَ الَّذِينَ
هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ »

" Announce glad tidings unto My servants who hearken unto exhortation

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

The Lord, be He praised, has connected the Divine blessings with the doing of good. He decreed that such blessings should be made dependent on it, for thus saith He :

« وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ »

" And when he (Joseph) had attained full strength and maturity, We bestowed on him judgment and knowledge, for thus do We recompense the well-doers."

(*Baidawy's Commentary.*)

And :

« سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ »

"Peace be on Abraham ! Thus do We recompense the well-doers."

And :

« سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ »

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

" Peace be on Moses and Aaron ; Surely thus do We recompense the well-doers. "

And :

« سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ »

" Peace be on Eliasin (Elias) ; Surely, thus do We recompense the well-doers. "

It is established that all these Apostles of God had been accorded Divine support and given wisdom and knowledge which gave them superiority and leadership over all men.

Such is the reward of The Lord to well-doers, and indeed there could be no higher tribute than this paid to well-doing.

The Lord has promised to bring to fruition the works of well-doers

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

charity to the poor, but it also includs the proper discharge of all duties and pursuits of man. The Lord, be He exalted, has meant it in the preceding verse to cover all goodly actions and qualities. We therefore find it was repeated one hundred and eighty times throughout the Holy Koran.

Nor was that all; it was coupled with Religion itself to the exclusion of all other goodly qualities since it covers them all. The Lord saith :

« وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ »

"And who hath a better religion than he who resigneth himself unto Allah and doth good. »

(*Baidawy's Commentary.*)

Resignation unto Allah means faithfulness and surrender unto Him, and the doing of good includes all that is good in word and deed. Once these two attributes are possessed by man, he would ensure perfect life in this world and eternal salvation in the next.

The Lord has repeatedly spoken in many verses of the Holy Koran of his love for those who do good and of the support extended to them for thus saith The Lord :

« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ »

" Verily Allah loveth those who do good. "

And :

« إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ »

" Verily the mercy of Allah is nigh unto those who do good. "

And :

« وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ »

" And announce glad tidings unto those who do good. "

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

development, they will grow up to it and it will become a fixed characteristic of theirs which they cannot change. A direct effect of this instinct is that it engenders in the hearts an ambition to develop and perfect all that comes within the scope of their activities. The result of this in the community would be the maintenance of change from good to better until the nation attains to that high degree of civilisation to which humanity is destined by Providence.

Contrary to this would be the condition of communities in which this instinct has weakened under the influence of wrong teachings or false inherited traditions.The sense of moral perfection in such communities gradually diminishes until their very being is affected and they are rendered unfit to maintain their existence as a nation.

The most efficacious means to develop this instinct, is through religion, as religion intensifies its ardour in individuals and urges the community to its fuller realisation. And so it would lead to all classes of the community co-operating to attain the highest possible degree of progress, and a general tendency is thereby engendered to change from one condition to another and render the nation immune from the influence of inactivity which may assail it to its detriment. If it happens that this instinct should weaken or is overcome by factors of decadence and degeneration, the inculcation of this principle among the teachings of religion, would urge people to adopt what is best in everything, and to contend against those factors which have lead to their deterioration. Thus they would be urged by the drive of religion to rise from the lethargy into which they have fallen.

Islam has inculcated to follow all that is best in word and deed. The Lord has forcibly enjoined the proper discharge of duties and has assigned it the same place of honour as justice whose high function in the life of nations could not be denied.

The Lord saith :

« إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »

« Verily Allah enjoineth justice, the proper discharge of duties and giving to the kindred what they stand in need of; and forbiddeth the following of lustful desires, wickedness and oppression of men ; He warneth you that haply ye may take heed."

(*Baidawy's Commentary* .)

We must here draw the reader's attention to the meaning of the word « Ihsan » in Arabic. The meaning of this word is not confined to

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر

في كل شهر عربي

الجزء الأول	المحرم سنة ١٣٥٦	المجلد الثامن

مدير ادارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدي

الادارة

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراك

	قرش
داخل القطر المصري	٣٠
خارج القطر المصري	٤٠
للعلماء غير المدرسين وائمة المساجد والمأذونين ومعلمي المدارس الاولية والطلاب ومصالح الحكومة ومجالس المديريات	داخل القطر ٢٠
للطلاب وائمة المساجد	خارج القطر ٣٠

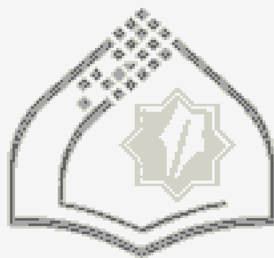
ثمن الجزء الواحد ٣ قروش صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة الأزهر

١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة السنة الثامنة

الحمد لله على ما هدانا اليه من الدين القويم ، وأقامنا عليه من الصراط المستقيم ، وما حبانا من وصاياه المحيية للقلوب ، وتعاليمه الجامعة بين أشتات الشعوب ، حمداً يرشحنا للمزيد من حسناته ، ويؤهلنا للفوز بمرضاته .

والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، المبعوث رحمة للعالمين ، بما حمله اليهم من النور المبين ، والحق الدامغ لبطلان المبطلين ، وعلى إخوانه النبيين ، وآله وصحبه وأتباعه من أقاموا الدين ، وحاطوه من العلم بسياج متين .

(أما بعد) فإن هذه المجلة ما فتئت منذ تأسست تعمل على أداء رسالتها من الدفاع عن الدين ، والدعوة اليه ، مستمدة من الله العون على ما انتدبت له ، غير وانية ولا متلوّمة ، حتى كسبت رضاء العالم الاسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها ، فأصبحت لسانهم الناطق بحجتهم ، الداعى الى شرعتهم ، المنافح عن حقيقتهم . فلا غرو أن بلغت فى هذا المدى القصير الى حد من الانتشار لم تبلغه مجلة شهرية فى الشرق الى اليوم .

وإن ارتياح الناس الى هذه المجلة يقترن دائما بالابتهال الى الله جل وعز بحفظ حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق معززا فى ملكه ، مؤيدا فى حكمه ، حاصلا على كرامة ربه ، فإن ما يتوالى على الأزهر وعلمائه من سيب فضله ، وما ينالهم من حسن إقباله ، وما يحفظه له الناس من احترامه الدين ، وقيامه بحقوقه ، كل ذلك كان له أكبر تأثير فى قيام الأزهر بمهمته ، وقيام أعلامه بواجباتهم ، وانتظام جميع ما يتصل اليه واليهم بسبب ، أو يمت بعمل .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا يذكر الأزهر وعلماؤه وما يتصل به إلا ويذكر الأستاذ الأكبر، الامام المصلح العظيم، حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى، فقد أفاض من عبقريته العالية على هذه الجامعة الكريمة من روح النظام، وبواعث النهوض، وعوامل التطور، ما أقامها على جادة أكمل الجامعات العالمية، وضمن لها الوصول الى أبعد غاياتها. وقد لا تمضى سنوات معدودة حتى تظهر آثار جهوده العظيمة جلية باهرة، تحمل الأزهر مكانته من تمثيل الدين الحق، تمثيلا يتفق ورسالته العامة للأمم كافة.

هذا ونسأل الله ونحن فى مستهل السنة الثامنة لهذه المجلة، أن يوفقنا ويوفق أصحاب الفضيلة الذين يعاونوننا فى تحريرها، لأن نتابع خطوات هذا الإصلاح الجالل، وأن ييسر لنا مهمتنا من بيان الدين والادلاء بحجته، ونشر كلمة الله والدعوة الى محجته، إنه ولى الكفاية، وهو المستعان؟

مدير مجلة الازهر

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العام الهجرى الجديد

يفتتحه الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى
شيخ الجامع الأزهر بنصائح من صميم الدين ولباب الحكمة

يذكر المسلمون فى مستهل كل عام قمرى هجرة خاتم النبيين من مكة الى المدينة ، ويذكرون بهذه المناسبة تاريخ الاسلام وما كان من نتائج انتشاره من الانقلابات الفكرية والدينية والاجتماعية بين شعوب الأرض قاطبة .

أمضى محمد صلى الله عليه وسلم من عمره أربعين سنة لا يحدث نفسه بأن يقوم بدعوة ، ولكنه لم ينشأ جامد القلب ، ولا خامد العقل ، على ما كان عليه الناس المحيطون به ، فشعر بما هو فيه من الحيرة بين أديان قائمة لا يسيغها عقله ، وحقائق خفية لم يوصله اليها إدراكه ، فكان يعتزل الناس ويأوى الى غار فى الجبل ، يتجرد فيه من جميع علائق الدنيا ، لاجئا الى مبدعه أن يهديه لما تتوق اليه نفسه ، ويطمئن به قلبه . فبينما هو فى جولة من جولات تفكيره إذ جئته من عالم الروح ماجئته ، فانكشف له ما انكشف لكل نبي قبله ، وكانت ثمرة ذلك تكليفه بدعوة قومه الى الدين الحق ، والى الطريقة المثلى للحياة ثم ما لبث أن كلف بدعوة الخلق كافة الى دين الفطرة .

مهمة كان مجرد الفكر فيها يوقع فى اليأس ، ويوجب الحيرة . عالم يغلى بالاضطرابات والفتن ، ويفور بالسخائم والإحن ، وأمم تتناحر تناحر الضوارى ، وطوائف تتزاحم تزاحم الهيم على الأوشال ، وانصراف عن التفكير والتمثل لايدع لصاحب دعوة أملا فى أن يُصغَى له فضلا عن أن يجاب الى ما يدعو اليه ، وجمود على التقاليد والموروثات لا تترك لمجدد خيالا من توقع الفوز فيما هو بدهى ، فما ظنك بما يحتاج لروية ؟

مضى صلى الله عليه وسلم فى الدعوة الى الاسلام كما أمره ربه ، فكان جواب قومه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عليها كما ذكر الله تعالى عنهم : « وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلها واحدا ؟ إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ، إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق » « وقالوا يا أيها الذي نزّل عليه الذكر إنك لمجنون ، لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين » الخ الخ .

هذا كان جواب قومه الأقربين ، الذين كانوا يلقبونه قبل الدعوة بالأمين ، ويعرفون أنه على خلق متين ، فما ظنك بالبعداء عنه والأبعدين ؟ فكان الله يحثه على الصبر ، ويحضه على المضي فيما ندبه له ، غير مبال بجمود الجامدين ، وغفلة الغافلين ، ولا آبه بتهديد المهددين ، وعدوان العادين ، حتى تآمر القوم على قتله غيلة ، وتفريق دمه في القبائل . فأمره الله بالهجرة الى المدينة ، وكان قد هدى الى الاسلام نفرا من أهلها بثوا فيها دعوته . فخرج اليها في جنح الظلام الدامس ، وأوى في طريقه الى غار موحش ، فلما تعقبوه ورأوا انقطاع أثره عند ذلك الغار ، تآمروا أن يقتحموه ، فهيبوا ذلك لهول ما كان عليه من الظلمة وكثرة الهوام ، واستعظموا أن يكون قد أوى اليه الرسول ، فتركوه . وخرج صلى الله عليه وسلم وصاحبه قاصدين المدينة ، فبلغوها سالمين ، فاستقبلهم أهلها باحتفاء عظيم ، وعاهدوه على أن يحموه ويحموا دعوته ضد الأبيض والأحمر ، حتى يظهر الاسلام أو يموتوا أجمعين .

إيمان راسخ لم يعهد له شبيه في جزيرة العرب ، ونزوع مدهش من طائفة ممزقة الأوصال ، تكاد لا تكفي وسائلها لحماية نفسها ، تنتدب لأن تقف في وجه العالم أجمع ذيادا عن دعوة لا ينتظر من ورائها مغنم ، ولا يتوقع أن يجاوز صداها البقعة التي تقوم عليها في وسط شعاب وهضاب لا يعرف العالم لها وجودا ، ولا يسمع عن أهلها ذكراً .

كل شيء عجيب في هذا الدين ، ولا يقبل التعليل بالأمور المادية : رجل يقوم في بيئة هي أبعد البيئات عن النظم الاجتماعية ، والأصول العلمية والفلسفية . يدعى أنه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أرسل خاتما للمرسلين، ليصلح ما فسد من الشرائع، ويعدل ما انعكس من الأوضاع، ويبعث بالروح فيما مات من النفوس، وبالنور الى ما أظلم من القلوب، فلا يرفع قومه بدعوته رأسا، فيأوى الى قوم آخرين هم أقل من قومه عددا، وأضعف مددا، فيأبون أن يؤيدوه، وأن يعرضوا أنفسهم لمعاداة العالم كله، أو على القليل لمعاداة العرب أجمعين:

لاجرم أن هذا مجال بعيد الأرجاء لدراسة حالة نفسية خطيرة لم يسمح تاريخ الاجتماع بمثيلها، وخاصة فى البلاد العربية.

إن أهل المدينة الذين تصدوا لهذا الأمر الجلل يتألفون من قبيلتين: بنى الأوس وبنى الخزرج، من القبائل اليمنية التى هجرت ديارها واستقرت فى شمال بلاد العرب، وكانت الحرب بينهما دائمة الاشتعال على مثال جميع قبائل العرب، وزاد فى اشتعالها نزوح جماعات يهودية من سورية الى تلك المدينة هربا من الاضطهاد الدينى هنالك

كانت هاتان القبيلتان كسائر القبائل العربية تعيش معيشة أهل البداوة، على الماشية، وما تسمح به الأراضى المجدبة من التمر، وليست على شىء يذكر من الثروة ولا المدد، وليس لها فى نظر العرب ميزة تجعلها منيعة الحوزة، مرعية الجانب. وكانت كسائر القبائل العربية تحفظ وجودها حيال القبائل المعادية لها بعقد المحالفات، والتعاون على دفع الغارات. فخوفها والحالة هذه للدفاع عن دعوة دينية، ظهرت بوادر مزعجة لنفور العرب منها، بما حدث من موقف قريش حيالها، يعتبر مجازفة منها بوجودها، وليس فيما بين يدينا ما يقفنا على سبب هذه المجازفة الجبارة، إن أردنا نفهمها على ضوء الأمور المادية.

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بذى مال يطمع فى نواله، ولا لأصحابه من الجاه ما يغرى أهل المدينة باستثماره؛ فقد كان أكثرهم فقراء، ومن كان منهم على شىء من الثروة، تركها وراءه وفر بدينه لا يملك غير نفسه، فما الذى يحفز قبيلتى الأوس والخزرج على الأخذ بناصر قوم على هذه الحال من الفقر وقلة الوسائل المادية؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اللهم لا شيء غيرما أشرق فى قلوبهم من الايمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما فاض عليهم من روح الله للقيام بمهمة عالمية كان لابد منها لتدارك الأمم من الفوضى ، والعمران من الخراب فى تلك الأيام المظلمة .

ولكن هذه طفرة ، نعم : والطفرة محال ، نعم : إلا فى عهود النبوات حيث يتجلى العالم الروحانى على العالم المادى بواسطة الرسول القائم بالدعوة ، فتحدث مفاجآت وخوارق عادات تعتبر من آيات الله الكبرى .

وأى شيء فى تاريخ الدعوة الاسلامية لا يعتبر من خوارق العادات ؟ إن العشر السنين التى عاشها النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ، تم فيها من الأعمال مايقتضى كل واحد منها قرونا متوالية . فقد تم فيها بناء دين ، وتأسيس دولة ، ووضع دستور ، وسن شريعة ، وقيام أمة . وكل عمل من هذه الأعمال تم على أكمل حال ، ولم يترك ناقصا ليتم تدريجيا فى خلال أجيال متعاقبة ، كما جرت عليه الأحوال الانسانية فى الأمور العادية .

ومما يجب لفت النظر اليه أن الدعوة الاسلامية التى نكصت عنها قريش ، وخيل لها أنها تقضى عليها فى المهجر الذى أوت اليه ، وحذا حذوها العرب أجمعون ، ولم يقبل الدفاع عنها إلاقبصة من الرجال ، قد تأيدت بروح من عند الله ، وبورك عليها حتى طافت المعمور كله فى سنين معدودة ، مما لم يحدث مثله لدعوة تقدمتها فى تاريخ الأمم كافة ، وآتت ثمراتها فقبلتها أمم من أصول ولغات وألوان مختلفة ، لا تمت الى العرب ولا الى لغتهم بسبب .

فأى إنسان يسعه أن يتخيل أن دعوة تقوم فى بقعة هى أبعد بقاع الأرض عن العمران ، تقوى وتشتد ، وتطوف العالم كله ، وتأخذ بها شعوب كان يجهل بعضها وجود بعض ، وتخترق سور الصين المنيع فيرن لها فيها صدى يسمعه كل من له أذنان ؟

على هذا النحو من الإعجاز يؤيد الله الحق ، ويعلى مكانته بين الخلق . ومما يجب أن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يعلم أن هذه المعجزات المحمدية تبقى ما بقيت السموات والأرض، ويزيدها تقدم العلوم النفسية والاجتماعية قوة على قوتها، وتكون أدلة قاطعة على صدق رسالة محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.

هذه كلمة سقناها فى مناسبة العام الهجرى الجديد الذى احتفلت به مشيخة الأزهر احتفالا عظيما، افتتحه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى بكلمة قيمة أودعها نصائح ثمينة من لباب الدين، وصميم الحكمة، كان لها تأثير فى السامعين يعجز القلم عن وصفه، وإنا حرصاً على هذه الدرر الثمينة نجعلها قلادة فى جيد هذا العدد:



جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كلمة الاستاذ الاكبر

حضرات السادة : إخوانى العلماء ، أبنائى الطلبة :

أحييكم بتحية الاسلام ، وأهنيكم بالعام الهجرى الجديد ، وأسأل الله أن يكون خيراً من سابقه ، وأن يكون عام خير وسعادة ومجد للاسلام والمسلمين وللأمة المصرية الكريمة .

وأوصيكم وأوصى نفسى بالتخلق بأخلاق الرسول الكريم ، صلوات الله عليه ، الذى نحتفل الليلة بهجرته ، وأن تتدبروا ما فى الهجرة وما أحاط بها من معان وأغراض سامية حملت المسلمين على أن يعتبروها مبدأ للتاريخ .

وليس من غرضى الليلة أن أعرض لهذه المعانى ، وستسمعون من حضرات الخطباء والشعراء ما فيه غناء ، إن شاء الله .

ادخلوا فى العام الجديد على بركة الله ، وفى رعاية الله ، وتوفيق الله ، معتمدين عليه ، واثقين من أن مردّ الأمور جميعها اليه وحده ، عاملين على طاعته وطاعة رسوله وإعزاز كلمته وإعلاء كتابه .

واعلموا أن الدين عقيدة ، وخلق ، وعمل ؛ وأن سعادة البشرية لا تنال إلا فى ساحته وتحت ظلاله .

وفى العبادات إذا حسن أداؤها تهذيب للنفس وردع عن الشرور ، وفيها لذة الوصل والقرب من الواحد الأحد جل شأنه . وفى الأخلاق الدينية تعويد على احتمال المكاره وتسلية عما فى الحياة من مصاعب . ولا تطمئن النفس إلا إذا آمنت بما فى الحياة من حكمة ، وبما فى الآخرة من جزاء . فتقوية روح التدين سعى لإيجاد وسيلة من وسائل السعادة ، وأداة من أدوات الطمأنينة والاستقرار .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والشواهد أمامكم ماثلة تدلكم على اضطراب الحياة العامة حتى عند أقوى الدول بسبب البعد عن الدين . فقد أوجد البعد عنه مذاهب تشعر الانسانية الآن بقسوتها ووحشيتها وبعدها عن العقل والفضيلة . ولولا أولئك الذين زعموا لها أسانيد من الفلسفة والعلم ما نبتت ولا أفرخت ولا عاشت .

ونحن الآن فى مصر نشعر بقسوة الحياة بالقياس الى الماضى ، لأن المدنية خلقت ألوانا من العيش لم نعهدها من قبل . والألوان البعيدة عن الدين منها هى التى تطلبت نفقات لم يقو على احتمالها من انغمسوا فيها ، فاستدانوا وأسرفوا ، وذلوا أمام دائنيهم ، ومكنوا الدائنين من التصرف فيهم دون رحمة ولا شفقة .

وإنى لأخشى أن ينحدر الفلاحون فيما انحدر اليه غيرهم ، فتكون المصيبة عظيمة لا تقف عند إضعاف الفلاح فى جسمه وإنتاجه ، بل تتعداه الى ضعف النسل والذرارى .

فليتدبر العقلاء هذا ، وليحاربوه بكل القوى : بقوة الدين ، وبقوة السلطان .

أوصيكم أيها الاخوان ألا تهجروا القديم لأنه قديم ، وألا ترفضوا الجديد لأنه جديد . خذوا من كل شىء أحسنه . خذوا ما يوافق العقل والدين والعادات القومية التى أثبتت التجارب الطويلة صحتها ، وارفضوا كل مرذول يجانب الدين والفضيلة والعادات الصحيحة ، ويجانب صفات الجد والوقار وما يجب أن يكون عليه الرجال .

إياكم أن تدخلوا فيما لا تعلمون ولا تفقهون ، وإياكم والغرور والطيش ، فهذه صفات لا يصلح معها عمل ، ولا يستقيم بها أمر فرد أو أمة ، وليعرف كل امرئ قدر نفسه ، فان معرفة النفس أصل من أصول السعادة ورقى المجتمع .

أبنائى الطلبة :

هبوا حياتكم للعلم ، وللخلق الكريم ، وللجد ، وروضوا أنفسكم على الصبر وعلى احتمال المكاره ، وقووا أجسامكم وعقولكم لتقدروا على الكفاح فى هذه الحياة .

أما أنتم أيها الإخوان من العلماء ، فلاحظوا الأمانة التى وضعت بين أيديكم :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أخلصوا الله فى تعليم أبنائكم وتهذيبهم ، وتقويم أخلاقهم ، وإرشادهم الى الطريق الحق .

وكما أوصيت بالمحافظة على الدين فإنى أوصى كل مصرى بالإخلاص لوطنه ، وأن يجود كل واحد للوطن بما يقدر عليه .

وكل شخص أتقن عمله وأحسنه وراقب الله فيه فهو مخلص لوطنه ؛ وكل شخص أنفق مايقدر عليه لمجد الوطن فهو مخلص لوطنه .

أصلح الله أحوالنا ، ووقانا سوء المنقلب ، وهدانا الى سبيل الخير :

هـذا وإنى أسأل الله جلت قدرته أن يكلأ حضرة صاحب الجلالة الملك ، ويرعاه بعنايته ، ويجعل أيامه على هذه البلاد أيام سعادة وطمأنينة واستقرار ، وأن يوفق القائمين بأمور الدولة الى خير العمل ، ويلهمهم طريق الصواب .

بعـد ما أتم فضيلته ما تفضل بالقائه نهض علماء أعلام ، فذكروا من تاريخ الهجرة وآثارها العالمية ما كان له أعظم موقع فى النفوس مما سنعود الى الالمام به .

ونكتفى اليوم بنشر قصيدة عصماء لفضيلة الاستاذ الموقر الشيخ عبد الجواد رمضان المدرس بكلية اللغة :

محياك أسنى فى العيون وأبدع ... وذكرك أسمى فى القلوب وأروع
رجعتَ الى الاسلام ذكرى شبابه ... فهل مامضى من سالف المجد يرجع ؟
فيا طالما ، زان الوجودَ جماله ... لعلك بالنُّجح المؤمَّل تطلع
حشدنا لك الآمال غُرا تقودها ... نوازع فى آلاء عهدك تطمع
ويسمو بها فى أفق سعدك نهضة ... مسددة المسرى ، وشمل مجمع
إذا الأزهر المعمور قام خطيبه ... أصاخ له الشرق المقدس أجمع
تنادى بنوه ، والحوادث تلتقى ... ووجه الليالى والأمانىّ أسفع
هلموا بنا ، نجمع شتات جهودنا ... فإن اجتماع الرأى للضيم أدفع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ضمان على مجد العروبة أن نرى وأعلامنا فوق المجرة ترفع
دعا الدين ، فلبّت الأمانى خواضعا ويادهر فلتقبل ، وياعرب فاسمعوا
فداء العلاء المحض كلٌ سوا كل إذا سيم وِردَ الذل لا يتورع

* * *

بنى الشرق ، هذا الغرب قدطارمجده يطاول زهر النيرات ويَفرَع
مفاتنه تسبِى العقول ، وسحره يروق العيون الناظرات فتتبع
وللشرق آداب بجناها قديمُهُ تَسن سبيل المكرمات وتشرع
هى السؤدد الباقى على الدهر فخره هى الدر فى اللبات ، بل هى أبدع
فإن لم تصنها عزة عربية مضى بدناها سيله المتدفع

* * *

وهذى وفود الدين تغدو على اسمه نجــــدد من بنيانه ونرفع
ففى الشرق أعلام يفيض هداهمو كما فاض هطال من الغيث ممرع
وفى الغرب رواد ، هم النحل أبكرت تطوّف فى روض العلوم وتجمع
هم الجند : جند الله ، فى الله جاهدوا وبالنصر والتوفيق منه تدرعوا
توحّدُ فى القصد النبيل جهودهم وتُنثر فى طرق العلا وتَنوع

* * *

رعى الله أيام الراغى وعهــــده فـــذلك عهد بالمفاخر مُترَع
سما فيه للعرفان شمس منيرة وللدين والأخلاق حصن ممنّع
يظلله عهـــد لفاروق أقبلت بشائره من مطلع الملك تسطع
مليــــك كسا الدنيا جمالا شبابُهُ وأضحى على هام الشها يَتَرَبّع
سَيُبْلِي الليالى والسّنين ، وعرشه سيبقى جــديدا ، نشره يتضوّع

عبد الجواد رمضان
المدرس بكلية اللغة العربية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قصيدة عصماء أخرى

لحضرة الشاعر الكبير، والأديب المشهور، الأستاذ احمد محرم، فقد حوت من عبر التاريخ في معرض من بديع القريض ما لايتاح إلا لألمعي مثله من أعلام الأدب، قال أثابه الله :

أقبل، عليك من الشعوب سلام ... فزع (الصليب) إليك و (الاسلام)
(عيسى) يناجي فيك سيف (محمد) ... والدمع سيل، والهموم ركام
الأرض ولهى، والممالك رجف ... والناس حرب، والزمان خصام
دنيا تموج بها الشرور، وعالم ... تطغى على جنباته الآثام
لا الحل حل في شرائع أهله ... عند القضاء، ولا الحرام حرام
عبث (الفلاسفة الكبار) بأمنه ... وجنى عليه (السادة الأعلام)
أقبل كعهدك موقظا ومنبها ... إن البصائر والعقول نيام
وانشر كتابك هادياً ومهذباً ... فالناس ضلال، وأنت إمام
هذا كتاب للحياة مفصل ... وضحت به الآيات والأحكام
مضت الدهور، وما يزال كأنه ... بمكانه، مافض عنه ختام
نمت الممالك في ظلالك واجتلت ... أمم الزمان سناك والأقوام
أشرقت، والدنيا ضلال مطبق ... والكون شر شامل وظلام
وطلعت، والحق المبين مشرد ... يبغى المقام، وأين منه مقام ؟
القتل يطلبه، ويركض خلفه ... والسبل حيرى، والخطوب جسام
والجاهلية في مظاهر عزها ... ما ينقضي صلف لها وعُرام
بطل تأهب للجهاد يقيمه ... ومضى، فلا خور ولا استسلام
ما الظن بالضرغام سار مهاجراً ؟ ... ضاق العرين، فهاجر الضرغام

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

يمشى وصاحبه ، وما من ثالث   إلا الإله الواحد العلام

لم تلهه الدنيا ولم يلعب به   منها متاع زائل وحطام

الحق من دنيا الهوى وخبالها   للنفس حرز مانع وعصام

ولقد ينال الفردُ فى إيمانه   ما لا ينال الجيش وهو لُهام

النفس ملء الدهر ، أو هى ذرة   مما تثير وتنفض الأقدام

ما يستبين مكانُها فتُرى ولا   هى بالتى يُومى بها فتُسام

حررت من رق الجهالة أنفسا   لبثت يهان عزيزها ويضام

محن الحياة على النفوس كثيرة   وأشدها الأهواء والأوهام

يا منقذ الضعفاء من آلامهم   أمم البسيطة كلها آلام

جرحى على جرحى تئن ، ألا يد   تأسو الجراح ، لعلها تلتام :

هات الرسالة من يمين (محمد)   إنا نسينا الدين كيف يقام

وإذا الحياة تنكرت أعلامها   فالدين (دستور) لها و (نظام)

إنا جهلناها ، وعندك علمها   والجهل داء للشعوب عُقام

هو إن سألت أولى المعارف : ما اسمه؟   سُل يذيب حياتها وجذام

زاغت بصائرنا ، فأصبح أمرنا   بيد الألى نام الحماة وقاموا

نمضى على هُون بكل مضلة   حتى كأنا فى البلاد سَوام

والقوم إن عصفت بهم أهواؤهم   هفت العقول ، وطاشت الأحلام

لا (الجاهلية) إذ تقادم عهدها   درست معالمها ، ولا (الأصنام)

أقبل على الدنيا بعهد صالح   تحيا به الآمال ، وهى رمام

بالمسلمين ، وأنت من آمالهم   ظمأ إليك مبرح وأوام

هم فى المنابر ألسن وجوانح   وعلى المآذن أعين أوهام

نظروك فازدلفوا تُهل شعوبهم   فلكل شعب ضجة وزحام

أوما لمست صدورهم فعرفتها ؟   ومن الترائب والصدور ضرام

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حال الزمان ، ودارت الأيام ... فمضى الجبان ، وأحجم المقـــدام
نامت سيوف الفاتحين بخازها ... يقظ الأسنة والسيوفِ همام
لهج بأخبار السماء ، يهيجه ... عند الكواكب مطلب ومرام
جمع الأزمـــة للصعاب يقودها ... فلكل صعب فى يديه زمام
ولكل شعب إن توثب أو مضى ... يبغى الفريسة مصرع وحمام
يأيها العام الوليـــد ، ورثتها ... دنيا ورثناها ، ونحن كرام
ثم انطوت عنا وزال نعيمها ... فكأننا من بعـــدها أيتام
كم مات قبلك من وليد وارث ... وكذا تموت وتولد الأعوام
بشر شعوب المسلمين بطائر ... ســـعد ، فما للنحس منك ذمام
زالت عن الشرق السعودُ ، فلم تدم ... أيكون فيه للنحوس دوام ؟
اضرب لنا مثل الجهاد ، وسر بنا ... نغشى الوقائع ، فالحياة صـــدام
هل أسلم (الهادى الأمين) قياده ... أم كان منه النقض والإبرام ؟؟
يبنى ويهدم جاهـــداً ، ما مثله ... فى الدهر بناء ولا هـــدام
رفع الحياة على أساس صالح ... و(السيف) ركن و(الكتاب) دعام
(أُحُد) و (بدر) شاهدان ، فما على ... من يسفح الدم فى الحقوق ملام
هل جال فى تلك المشاهد (مصحف) ... أم جال فيها (مصحف وحسام) ؟
إنا لنلمح فى جبينك آية ... مما يخط الوحى والإلهام
تلك البشارة ، إن تغب فدليلها ... هـــذا الهلال المشرق البسام
إن يخلف الزمنُ الكنود فربما ... وفت الجدود ، وبرت الأقسام
إنا أخـــذنا للحياة عتادها ... ومضت بنا همم تجيش عظام
لا يأتمر منا الرماة بمقتل ... فلنا نبال مثلهم وسهام
نسعى ونعمل دائبين لقومنا ... نبغى التمام ، وللأمور تمام

احمد محرم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ، وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) :

رأينا أن نفسر لك الآية الكريمة تفسيرا يوضح معناها ويبين مغزاها وإن كان موجزا ، ثم نذكر لك بعد ذلك متممات فيها فوائد بديعة وأنظار رفيعة ، فنقول :

« إن فى خلق السموات والأرض » وما فيهما من الآيات البينات والبدائع المدهشات ـ التى ستسمع بعضها ـ وتخصيصها بخصائصها التى كان يجوز عليها ألا تكون بها ، وأن تتصف باضدادها .

« واختلاف الليل والنهار » أى تعاقبهما وكون كل منهما خلفا للآخر ، أو اختلاف كل منهما فى نفسه ازديادا وانتقاصا أو ظلمة ونورا .

« والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس » من التجارات المختلفة وتبادل المنافع بين الامم ، فيأخذ الشرقى ما نبت فى الغرب ، ويأخذ الغربى ما نبت فى الشرق .

الفلك يستعمل مفردا كقوله تعالى : « فى الفلك المشحون » وجمعا كما فى قوله : « فى الفلك وجرين بهم » . أما الاستدلال به فمن حيث إن إلهام صنعته من الله تعالى ، وكذا العلم بكيفية إجرائه وتسخير الريح والبحر لذلك ، أو أنه سبب الاطلاع على البحر وعجائبه . وعلى كل حال فادة

جراب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الفلك والبحر والريح وفعل الانسان وإصلاح أمره كله من خلق الله تعالى « والله خلقكم وما تعملون » « اليه يرجع الأمر كله » .

« وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض » بتهييج قواها النامية ، وإظهار ما أودع فيها من أنواع النبات والازهار والاشجار « بعد موتها » باستيلاء اليبس عليها حسبما تقتضيه طبيعتها .

« وبث فيها من كل دابة » : معنى بث الدواب تكثيرها بالتوالد والتولد .

« وتصريف الرياح » أى تقليب الله تعالى لها جنوبا وشمالا ، وقبولا ودبورا ، حارة وباردة ، وعاصفة ولينة ، وعقيما وملقحة ، مرة بالرحمة ومرة بالعذاب . وليس يخفى ما فى تصريف الرياح من تربية النبات وبقاء حياة الحيوانات التى تدب على وجه الارض .

« والسحاب المسخر بين السماء والارض » : معنى تسخير السحاب أن الله يمسكه بين السماء والارض ، مع أن الطبع يقتضى صعوده إن كان لطيفا وهبوطه إن كان كثيفا ، ثم يسوقه الى ما شاء من بلد ميت فيحيى به الارض بعد موتها .

« لآيات » أى آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة .

« لقوم يعقلون » : فيه تعريض بان من لم يتفكر فى آيات الله فهو بمعزل عن العقل .
« والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » « لهم قلوب لايفقهون بها » الخ .

هذا وقد أخرج ابن أبى الدنيا وابن مردويه عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية قال : « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » . وإنما قيل آيات بصيغة الجمع نظرا الى المذكورات كلها ، ويصح أن يراد كل واحد منها على حدته ، فان من تأمل فى هذه الآيات وجد كل واحدة منها مشتملة على وجوه كثيرة من الدلالة على وجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية ، إذ كل منها قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا لآثار معينة وأحكام مخصوصة من غير أن تقتضى ذاته وجوده ، فضلا عن وجوده على الوجه الخاص المستتبع لتلك الآثار الجليلة وهاتيك المنافع الجميلة .

وبعد : ففى الآية إثبات الاستدلال بالحجج العقلية ، وتنبيه على شرف علم الكلام وفضل أهله ، وربما أشارت إلى شرف علم الهيئة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ملحوظات :

١ — إذا نظرت الى النهار والليل فى السنة كلها وجدتهما يتساويان . أى أن ساعات أحدهما فى السنة تساوى ساعات الآخر .

٢ — اختلاف الليل والنهار بقرب الشمس وبعدها فى البروج الشمالية والجنوبية يدعو الى اختلاف الحرارة والبرودة فى الاقطار المتباينة وهبوب الرياح ، فترى الامطار تتساقط من السماء تبعا لنواميس الحرارة والبرودة المسخرين لدوران الافلاك وسير الشمس فى البروج . وبذلك الترتيب البديع تنشأ ممالك النبات والحيوان والانسان . أما الرياح فتهب فتسير السفن كما تسير السحب ، فلا يتحرك السحاب إلا بالرياح ، وهى المسخرة بالحرارة المنبعثة من الاجرام العلوية .

ولاشك أن هذا العالم على هذا النسق يحتاج أدناه الى أعلاه ، فالأعلى مفيد للاسفل ، والاسفل مستمد من الأعلى ومستفيد منه ، وعليه أصبح هذا العالم كجسم واحد .

ومادورة المياه والرياح المسخرات ودورات الشموس أو الاقمار إلا كدورة الدم فى أجسامنا . ولا جرم أن الجسم الواحد مدبره واحد . فارتباط العوالم واستمدادها يدل دلالة واضحة على أن مدبرها واحد لا شريك له . وقد جعل الحكماء من أدلة التوحيد وحدة النظام : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » . « إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » .

فهذه الآية دليل على ما نطقت به الآية السابقة فى قوله تعالى : « وإلهكم إله واحد » . فارتباطها بما قبلها كارتباط الدليل بالدعوى . وإذا نظرت الى ما فيها من النعم الكبرى والرحمة العظمى وجدتها مثيرة لمحبة الله عز وجل من أعماق القلوب : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة » . ولذلك عقبها بقوله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله » . فما أعظم هذا التناسق ، وما أبدع هذا الارتباط ! وبهذا تعلم أن ارتباطها بما بعدها كارتباط السبب بالمسبب والمقدمات بالنتيجة التى هى غاية الغايات ونهاية النهايات ، وهى محبة الله تعالى التى هى حياة القلوب وألذ من كل مطلوب . وربما أطلنا الحديث معك فيها بعد إن شاء الله .

وحدثتنى يا سعد عنهم فزدتنى ... شجونا فزدنى من حديثك ياسعد

هواه هوى لايعرف القلب غيره ... فليس له قبل وليس له بعد

٣ — لو جعل الله الارض على غاية القرب من الشمس لم يعش عليها نبات ولا حيوان ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلها على ذلك الفرض تكون قطعة من جهنم . ولو جعلها على غاية البعد لم يمش عليها نبات ولا حيوان ، لأن الشمس ضرورية للحيوان والنبات .

فانظر الى تلك الحكمة الباهرة والنعمة الظاهرة !

وإذا نظرت الى أن الارض كانت جزءا من الشمس ثم انفصلت عنها على ما يقررونه الآن ، أخذ منك العجب كل مأخذ من تلك الارض التى أودع الله فيها بذور الحياة لكل نبات وحيوان وإنسان مع كونها قطعة من الشمس التى هى نار ملتهبة — وليت شعرى ما للنار وبذور الحياة — ثم جعلها مخزنا لكل ما يريد . فسبحان من جعلها كنزا ثمينا نستخرج منه كل ما نحتاج اليه من الدواء والغذاء والفواكه الشهية والرياض البهية وكل ما نشاء « حتى الرجال والنساء » لأن النطفة من الغذاء والغذاء من النبات والنبات من الارض « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » . أليس من العجب العاجب أن تكون فى الأرض هذه العجائب كلها التى لا يعرف لها أول ولا آخر ! أما جنس الحيوان والنبات ففيهما من العجائب ما لا يدركه سائر الناس مهما عاشوا دهورا وأجيالا . وانظر الى ما قالوه من أن آلاف الآلاف من الحيوانات تعيش فى نقطة ماء صغيرة وتنمو هناك وتتكاثر كما تعيش حيوانات البر فى القفار .

فانظر رعاك الله الى مسألة الحياة : تجد أمرا مدهشا ، ونبأ محيرا . ستجد أنها لا تتوقف على حال من الاحوال فان قلنا لا بد لها من فقار كالبقر والطير والضفادع والسمك ، ينقضه أننا وجدنا الحياة بلا فقار فيما هو أسفل منها كالعنكبوت والحشرات والنبت وأمثالها . وإن قلنا إن الحياة لا بد فيها من قشور فى ظاهر الحيوان رأينا الحيوانات الهلامية لا قشر لها . وإن قلنا إنه لا بد أن يكون الحيوان صلبا وجدنا القناعيات والاسفنجيات ليست كذلك .

ثم انظر نظرة بسيطة فى جسم الانسان تجد فيه العجائب الناطقة بحكمة مبدعه وقدرة خالقه . فان فى الجسم الانسانى أكثر من مائتى عظم ولكل منها شكل مخصوص ، ولو لا ما فيها من الاتقان والحكمة لعاقت حركاتنا التى نأتيها كل وقت كما نشاء . ثم انظر الى ما هو أدق من هذا : تجد الخالق الحكيم قد جعل لأجل وصول الاصوات إليك عجائب وغرائب من صيوان وصماخ وطبلة وثلاث عظيمات ودهاليز وقنوات هلالية وأخرى قوقعية ، وسائل ورملات حافظات للصوت ، وعصى وشمرات فى القوقعة ، وأعصاب سمعية ، الى آخر ما لا يمكننا تفصيله . والعين فى تركيبها وطبقاتها وفائدة كل طبقة منها أعجب وأغرب . فسبحان الحكيم العليم القادر العظيم !

وهى أمور لا يسعنا إلا الالماع اليها والدلالة عليها ، أما تفصيلها فلا تفى به المجلدات . وهل العلوم على كثرتها والكتب على تنوع ما فيها من يوم خلق الله العالم الى أن تقوم الساعة ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والمكتشفات التي يرز فيها المبرزون ويرون منها أكثر مما يتخيلون ، هل كل ذلك إلا شرح لتلك العوالم التي أشارت اليها الآية الكريمة ؟

وحاصل القول : أننا غارقون في الآيات البينات ، والنعم الفائضات ، من مبدع الارض والسموات ، ولكن لاعتيادها وعدم انقطاعها لا نلتفت اليها ، لأن كل مبذول لا تأبه له النفس ولا ينفعل به القلب .

وقد رأينا أن نختم هذا المقال بشيء عن اللورد افبري الانكليزي الفيلسوف الشهير فنقول :

كلام اللورد افبري :

« تتالت العصور ، وتولت الدهور ، والبشر معجبون مسحورون بجمال القبة الزرقاء وجلالها ، يتطاولون الى إدراكها بالخيال ، ويستنزلونها الى الارض بالقرائح ، فلم يستطيعوا من أمرها ويخبروا من خبرها إلا بما هو مشوب بالأوهام وشبيه بالاحلام » .

الى أن قال في الكلام على الشمس :

« إنها محور نظامنا السياري ، ومصدر حياتنا أيضا ، فهي التي تبخر مياه البحر وترفعها غيوما في الجو وتنزلها أمطارا على الأرض حيث تجري جداول وأنهارا تروي زرعنا وتنمي غرسنا ، وتثير الرياح وتهيج الأنواء فتطهر الهواء وتنقيه ، وتزجي السفن والمراكب في عباب المحيط » الى أن قال :

« أما عدد النجوم فضرب المثل لما لا يحصى ولا يحصر ، وقولنا : كنجوم السماء ورمال البحر عداً ، مألوف متداول والحقيقة أن النجوم التي ترى بالعين المجردة معدودة محصورة ، وهي نحو ٣٠٠٠ فقط ، ولكن المنظار المقرب يرينا نحو ١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ والمنظر الطيفي أظهر ملايين الملايين » . الى أن قال :

« أما أبعاد النجوم وأحجامها فتقضي بالعجب العجاب ككثرتها الفائقة الحصر . فالشعرى اليمانية نجمة أثقل من الشمس جرما بعشرين مرة ، ونورها خمسون ضعف نور الشمس ، وهي أبعد منها مليون ضعف بعدها عنا » . الى أن قال :

« وثلاث من بنات نعش : مايا وألكترا وألسيون ، يفضحن الشمس ويفقنها نورا ونارا : الأولى بأربعمائة ضعف ، والثانية بأربعمائة وثمانين ، والثالثة بألف ضعف . أما سهيل فهو أسنى من الشمس بألفين وخمسمائة مرة . والسماك الرامح « المرزم » أسطع منها ثمانية آلاف مرة » . الى أن قال :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« أما السماك الرامح فهو على حد علمنا أسرع النجوم سيرا وأشدها تألقا وأكبرها حجما، تقدر سرعته بثلاثمائة ميل فى الثانية الواحدة. ونوره ثمانية آلاف ضعف نور الشمس ، وحجمه ثمانون ضعف حجمها . أما بعده عنا فتخيله لنفسك عند ما تعلم أن نوره لا يصلنا فى بضع دقائق كنور الشمس وهى على « ٩٢٥٠٠٠٠٠ ميل منا » بل فى سنين (وفى لا أقل من مائتين من السنين) . ويزعم الفلكيون أن بعد الثريا نحو ألف وخمسمائة بليون من الأميال » . الى أن قال :

« إن السماك الرامح يسير ٢٢٠٠٠ ميل فى الدقيقة ، أو ٣٢٠٠٠٠٠٠ ميل فى اليوم » . الى أن قال :

« ولنعلم أيضا أن فى السماء غير العوالم التى تبدو للعيان ما لا يعد ولا يحصر من الاجرام الخفية ، إما لفرط بعدها أو صغر حجمها أو ضعف نورها » . الى أن قال :

« وقد اتخذ الفلكيون سرعة النور مقياسا عليه وأساسا لتقدير تلك المسافات العظيمة فقالوا مثلا : إن سرعة النور ١٨٠٠٠٠ ميل فى الثانية ، ومئات من السنين تمضى وتمر قبلما ينتهى إلينا نور ترى به مصدره السديمى » . الى أن قال :

« ولئن أخذتنا الحيرة واستولى علينا الذهول لدى تأمل أبعاد الأجرام السماوية وضخامة أحجامها وعظمة تلك العوالم التى لانعرف لها نهاية . فكم عسى أن تحير أذهاننا وتذهل عقولنا إذا بحثنا فى الوقت الذى انطوى دون وجودها والزمان الذى مضى عليه » . الى أن قال :

« هنا ليكسر الحساب قلمه ، وليضرب التاريخى بيراعه عرض الحائط ، وليقف الذهن كليلا والعقل مخبولا ، وليطلق الخيال فى هذا المجال ولا إخاله إلا رائدا مردودا يؤثر الاحتباس تحت القبة الزرقاء المشهودة يخبط خبط عشواء فى ظلمات الأزل الشديدة » اه

ولنقهر القلم على ترك الجولان فى هذا الميدان فهو بحر لا ساحل له ، وسنعود إليه إن شاء الله .

ولنتل هنا قوله تعالى : « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » .

يوسف الدجوى
من جماعة كبار العلماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جمع المذاهب الفقهية

نشر الاستاذ القانونى الكبير الدكتور عبد السلام ذهنى بك منذ ردح من الزمان ، بحثا قيما تحت عنوان (التوثب للنهوض الفقهى وعدته) ، ثم شرفنا بزيارة وتحدث الينا طويلا فى ضرورة جمع المذاهب الفقهية كلها فى مجموعة واحدة ، لما يتوقع من وراء ذلك من التأثير العظيم فى البيئات الفقهية فى العالم كله ، عند ما يرى رجالها رأى العين سبق المسلمين الى وضع مبادئ لم تكن معروفة فى الشرائع القديمة التى تعتبر مصادر لجميع الشرائع الوضعية فى العصر الحاضر ، وأرادنا على إعادة نشر هذا البحث القيم ليكون تحت نظر أعلام الشريعة الاسلامية ، ورجانا أن نبدى رأينا فيه .

الموضوع جد خطير ، وخاصة فى هذا العهد الذى تقدر فيه أقدار الأمم بما قدمته من آثار ماجدة ، فى إقامة صرح المدنية العالمية ، وبما كان لعبقرية بعض آحادها ، أولجهود بعض طوائفها من ثمرات عقلية زادت بها مادة التراث الأدبى للانسانية قاطبة .

وقد أثبتت البحوث الاستقرائية فى تاريخ المسلمين ، أنهم أمدوا هذا التراث العام فى كل منحى من مناحى النشاط العقلى والعملى ، بما لم تجارهم فيه أية أمة كانت قبلهم ، فسجلت لهم علوما ابتكروها ، وصناعات اخترعوها ، وفنونا أوجدوها أو جددوها ، مما أتينا على ذكر الكثير منه فى هذه المجلة ، مثبتا بالأدلة التاريخية عن الاجانب أنفسهم . ألا يدهش القارئ حين يقف على قول الاستاذ دريبر المدرس فى جامعة نيويورك فى كتابه (المنازعة بين العلم والدين) : « إننا لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم (أى المسلمين) من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر » ؟ وقول الفيلسوف الكبير جوستاف لوبون فى كتابه (تاريخ العرب) : « إنهم فى كثير من فنون الصنائع قد برعوا براعة لم يلحق لهم شاو فيها للآن » ؟ وقول المؤرخ الانجليزى الكبير جيبون : «كان من أثر تنشيط الأمراء المسلمين للعلم أن انتشر الذوق العلمى فى المسافة الشاسعة التى بين سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة » ؟ وأنت خبير بما يقوم فى كل هذه المسافة من أمم وشعوب مختلفة اللغات والأجناس والألوان .

غير انه توجد ناحية من نواحى النشاط العقلى لآبائنا الأولين ، لم يتأت للباحثين الأوربيين سبر غورها ، وليست بأقل من سواها قيمة تاريخية ، تخبطوا فيها خبط عشواء ، ألا وهى الناحية الفقهية . ومن أبشع مظاهر هذا الخبط ، زعم جمهورهم أن الشريعة الاسلامية منقولة عن القوانين الرومانية .

أما السبب فى هذا الخبط فى نظرنا فهو يرجع الى الصعوبة العظيمة التى يعانيها كل مستشرق فى تفهم الكتب الفقهية ، وفى الوقوف منها على أصولها الاولية ، فكتبنا الفقهية لا تزال

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من ناحية الترتيب على النحو الذي كانت عليه أيام صدورها لغة وتبويبا ونظاما ، وزادها الشراح والمحشون والمعلقون تركيبا ، فأصبحت صعبة المآخذ ، ملتوية المسالك ، لا يسهل الاخذ منها إلا على العلماء المشتغلين بها ، فاذا اعتبر العمل الذى قام به المرحوم قدرى باشا من تلخيص مذهب الامام أبي حنيفة عظيما ، فما ذلك إلا بسبب الجهد الذى عاناه فى استخلاص ما تصدى لجمعه من أحكام ذلك المذهب من كتبه المقررة .

فاذا كان هذا شأن العالمين بالعربية ، والمجاورين لأعلامها ، فما ظنك بالاوربيين الذين لم يألفوا هذا الضرب من التاليف ، ولم يسعفوا بمن يهديهم الى طرق الاخذ منه ، فاضطروا الى الانصراف عنه ، وصار كل ما يقولونه عنه رجما بالغيب ، ليس فيه أثر من التمحيص ولا التحليل ؟

وعليه فالحاجة أصبحت ماسة جدا الى وضع كل مذهب على حدة ، وضعا يتفق وما اعتاد أهل العصر الحاضر أن يروا عليه المؤلفات العلمية ، ثم جمع تلك المذاهب وجميع الآراء الفقهية التى سبقتها وتلتها فى مجموعة واحدة ، ليسهل على المشتغلين بالامور الفقهية الاستمداد منها ، ويستطيع الاجانب الاطلاع عليها . وهذا ما يدعو اليه المستشار الفاضل عبد السلام ذهنى بك فى مقالته المنشورة هنا . ولست بعد ذلك أشك فى أن شبهة القائلين باشتقاق الفقه الاسلامى من الفقه الرومانى تضمحل وتتلاشى ، وتتجلى عظمة الشريعة السمحة جلية واضحة تبهر الانظار ، وتستهوى الألباب ، ويشهد الوجود لها بانها الشريعة الخالدة ، فتحل محل الفقه الرومانى فى إمداد جميع الشرائع بالاصول والمبادئ القانونية .

الفقه الرومانى :

لا أنكر أن الرومانيين وجهوا عناية خاصة الى دراسة الامور الشرعية ، وكان لهم من اتساع دائرة ملكهم ، واختلاف الاجناس الواقعة تحت سلطانهم ، وضرورة سن نظم لحفظ هذه الجماعات المتباينة أصولا وعادات ولغات فى دائرة معاملات مرنة ، مسرح فسيح للتفكير الفقهى ، ومجال صالح لتربية الألمعية الاشتراعية ، ولكنهم مع كل هذه الوسائل لم يخرجوا فى تأصيل أصولهم ، وبناء قواعدهم ومبادئهم عن الدائرة التى كانت محصورة فيها جميع الشرائع ، وهى دائرة الحق للقوة حيث كانت القوة فى الفرد أو فى الجماعة . فالسراة والمحاربون كانوا أقوى من العامة ، ولذلك خصوا بامتيازات وحقوق حرم منها أفراد الشعب ، حتى كان العامة يضطرون للدخول تحت حماية السراة ، فكان لكل منهم حام يحميه إذا لحقه ضيم .

ومبدأ الحق للقوة يقتضى تقسيم الناس الى طوائف ، لأن القوة تتفاوت درجاتها ، فكانت هذه الطوائف تنعم بالامتيازات ، على حين أن عامة الشعب يرزحون تحت جميع الاعباء الاجتماعية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكانت العقوبات مناسبة لهذا التقسيم ، فما تحكم فيه الشريعة بالقتل على أحد العامة ، كانت تخفف فيه العقوبة إذا صدرت من أحد أفراد الخاصة ، حتى قد لا يحكم عليه بأكثر من التعزير الكلامي .

ولما كان الأب أقوى أفراد الأسرة فقد خول كل حق على زوجته وأولاده وعبيده ، حتى حق معاقبتهم بالقتل .

أما الأرقاء والاجانب فلم يكن لهم أدنى حق أمام القانون .

ولما كانت الدولة أقوى من ممتلكاتها ومستعمراتها ، فقد كان لا حد لسلطانها عليها .

نعم إن هذه الشريعة قد هذبت من مبادئها فى خلال القرون الكثيرة التى عاشتها ، ولكنها فعلت ذلك تحت ضغط ضعفائها الذين كانوا كثيرا ما يهجرون المدن ويعتصمون بالجبال ، مضربين عن الحياة مع الخاصة ، فكانوا يسترضون بتلطيف بعض الاحكام الشرعية . وعلى كل حال فان هذه الشريعة لم تخرج قط عن مبادئها الاولية ، وأصولها القانونية .

ولكن الشريعة الاسلامية بنيت من أول وجودها على الحق المطلق ، فهى لا تعتد بالاحوال والملابسات التى تحيط بالناس ، وتعنى بتقرير الحق لصاحبه أياكانت حالته وجنسه وديانته ولغته ولونه . فامامها الشريف والوضيع والخاصى والعامى ، والعالم والجاهل ، والحر والعبد ، والكبير والصغير ، والرجل والمرأة ، سواء .

هذا المبدأ الاسلامى كما سرى على الافراد ، سرى كذلك على الجماعات ؛ فالأمة صاحبة السيادة ، والامم التابعة لها سواء كذلك فى الحقوق والواجبات ، وقد صرح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بهذا المبدأ عند ما أمر أن يقتص أحد المصريين من ابن عمرو بن العاص قائلا له : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ؟ وخطب يوما فقال :

« أيها الناس : إنى والله ما أرسل عمالا اليكم ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكنى أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، ويقضوا بينكم بالحق ، ويحكموا بينكم بالعدل ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الى ، فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه منه (أى لأجعلنه يقتص منه أى يضربه كما ضربه) .

فوقف عمرو بن العاص فقال : ياأمير المؤمنين : أرأيت إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته ، فادب بعضهم ، إنك لتقصنه منه ؟

فقال عمر : « إى والذى نفس عمر بيده ، إنى لاقصنه منه . وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه » .

فالشريعة الاسلامية لا ترمى إلا الى تحقيق العدالة باخص معانيها . وأين هذا من الشرائع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الوضعية التى تقدمتها ، وهى لاتنظر الى العدالة إلا من خلال حجب كثيفة من السيادة القومية ، والفوارق الطائفية ، والامتيازات الوضعية ؟ فاذا كانت العدالة فى الشريعة الاسلامية تعتبر أمرا عمليا لا معدى عنه على إطلاقه ، فانها فى الشرائع الوضعية تعد مثلا أعلى يتقرب منه ولا يوصل اليه ، والفرق بين الحالتين كما بين الحقيقة الواقعة والخيال . ومدى هذا الفرق يتبين من الحادثة الآتية :

أسلم جبلة بن الأيهم ملك غسان وكان نصرانيا ، وبينما هو يطوف بالبيت وطىء بدوى على ذيل ردائه . فعز ذلك على جبلة فلطم البدوى على وجهه ، فرفع هذا أمره الى عمر ، فأحضر جبلة وساله فاعترف ، فحكم عليه أن يلطمه البدوى كما فعل به . فقال له جبلة : أتسوون بين السوقة والملوك ؟ فقال له أمير المؤمنين : ليس فى الاسلام أمام العدالة سيد ومسود .

فعمر طبق المثل الأعلى من العدالة ، لم تقطعه عنها الملابسات والاوضاع البشرية ، ولكن هذا التطبيق محال فى جميع الشرائع الوضعية ، وربما عده بعضهم لغلبة الأهواء على نفوسهم عملا وحشيا .

فاساس العدالة فى الشريعة الاسلامية تطبيق المثل الاعلى نفسه ، ولكن أساسها فى الشرائع الوضعية تطبيق ما يقرب منه ، وربما قذفت بها الأحوال الى ما يبعد عنه . وهذا مشاهد محسوس حتى فى شرائع هذا العصر ، فما ظنك بشريعتى اليونان أو الرومان فى العصور البعيدة عنا ؟

فكيف يطوف برأس متخيل أن الشريعة الاسلامية مشتقة من الشريعة الرومانية ، مع اختلافهما فى فهم معنى العدالة وتطبيقها ؟

فالذى يجوزه العقل أن يقتبس الفقهاء من الشرائع السابقة بعض الاساليب والوسائل المؤدية لتحقيق الجرائم ، أو لكشف شبهاتها ، أو لتنظيم نظر القضايا والمرافعات الخ الخ . كما يقتبس فقهاؤنا الآن الطرق الجديدة المفضية الى تنظيم عمل المحاكم الشرعية . فهذا وأمثاله لا يقال عنه أخذ شريعة من شريعة ، فان الشرائع شىء وما يحيط بها من نظم التحقيق والمرافعات والتطبيق أشياء أخرى لا تمس الجوهر فى شىء ، بل لا مناص منه لأمة تنشأ نشأة جديدة ، وقد اقتبس النبى صلى الله عليه وسلم كل ما بلغه من الاساليب الحسنة فى الحرب ، وأمر باقتباس كل حسن من كل قبيل ولو كان مشركا .

***

نعود الى ذكر جمع المذاهب الفقهية فنقول: إن تحقيق هذه الرغيبة يعتبر من أجل الاعمال وأبعدها أثرا فى خدمة الشريعة الاسلامية . فاذا كان نجباء المسلمين ينزعون اليوم الى بناء القوانين والنظم على مبادئها القويمة ، فهذا لا يمكن حصوله إلا بعد أن يتجلى لائمة المشترعين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى هذا العصر أنها أجمع الشرائع لأقوم الاصول، وأسمى المبادئ الاشتراعية، وهذا لا يتحقق وكتبها على الحالة التى هى عليها اليوم من التأليف والوضع، فلا بد من إعادة صياغتها على الاسلوب الذى يألفه جمهرة المتعلمين فى هذا العهد، ووضع جميع أصولها ومبادئها مرتبة بحيث يسهل فهمها ومراجعتها عند الحاجة، مع التنبيه على مآخذها من الكتاب والسنة والاجماع والقياس، وبيان وجوه الخلافات فى جميع المذاهب وعللها. إذا تم هذا العمل فلا شك فى أن العالم سيدهش من تفوقها على جميع الشرائع الوضعية، وسبقها الى الاصول والمبادئ التى تحسب عصرية بحتة، ويكون ذلك باعثا لاراكين الشئون الفقهية فى العالم المتمدن الى الاعتراف بفضلها والاقتباس منها، فان نزعنا بعد ذلك الى جعلها أما لقوانيننا ونظمنا، لم يخالج أحداً شك فى أننا نتحرى بذلك أحسن المصادر وأكملها.

ولكننا نخالف الدكتور العلامة ذهنى بك فى توجيه طلب هذه الرغبة الكريمة الى معالى وزير الحقانية، ونرى وجوب توجيهها لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر، فانه يعتبر قيم الشريعة الاسلامية وشيخ أشياخها وأعلامها، وهو أعرف من سواه بالصالحين من رجالها للقيام بهذه المهمة الخطيرة. ومن حسن الاتفاق أن تصدر هذه الامنية فى عهد الاستاذ الامام المصلح الكبير الشيخ المراغى، فهو يقدر عظمة هذا المشروع حق قدره، ويستطيع بما أوتيه من اطلاع بعيد المدى على أسرار الشريعة، وقدرة فائقة على تذليل العقبات، أن يهون كل صعب فى سبيل تحقيقه، متى رأى أن الوقت قد آن للشروع فيه؟

محمد فريد وجدى

فقرات بليغة لبعض الاكابر

قال ابن عباس رضى الله عنه: الرخصة من الله صدقة، فلا تردوا صدقته.

وقال: لكل داخل هيبة، فابدءوا بالتحية، ولكل طاعم حشمة فابدءوا باليمين.

وقال ابن مسعود: الدنيا كلها هموم، فما كان منها فى سرور فهو ربح.

وقال عمرو بن العاص: من كثر إخوانه كثر غرماؤه.

وقال: أكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم العار والنار.

نقول: لسنا نرى هذا الرأى فان السفهاء إذا أكرموا استهتروا فى غيهم، وأمعنوا فى بغيهم، فما يكفوننا من العار والنار يكفيناه الله إياه بكمال الرجولة، وتمام الفضيلة.

وقال المغيرة بن شعبة: العيش فى لقاء الحشمة. وفى كل شىء سرف إلا فى المعروف.

وقال مصعب بن الزبير: التواضع من مصايد الشرف.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التوثب للنهوض الفقهى وعدته

الرقى الفقهى عنوان التشريع السليم

عصر التجميع أول مراحل النهوض القانونى الفقهى والتشريعى ـ التجميع الرومانى وجوستنيان والتجميع الاسلامى والعهد الحاضر ـ خلود الفقه الرومانى وذيوعه العالمى من القرن السادس الميلادى للآن ـ ضرورة التجميع للفقه الاسلامى فى المعاملات هى ضرورة خلود وذيوع ـ التجميع الرومانى وجوستنيان والتجميع الاسلامى وفاروق

كان الملك بوخوريس مؤسس الاسرة الرابعة والعشرين أول من جمع شتات القوانين وأمر بتعديلها تعديلا يتماشى مع مقتضيات زمانه ؛ وقد سميت مجموعته بمجموعة قوانين بوخوريس ؛ وكان التعديل التشريعى مشبعا بروح قوانين حلفائه الآشوريين والكلدانيين ؛ وكان أظهر مكان للتعديل والاخذ بالاصول الكلدانية والآشورية هو الجزء الخاص بالالتزامات على اعتبارها الاصل الاول للقانون ، وعليها تتركز أسس المعاملات ، وفيها تتجلى وحدة التشريع العالمى إن صحت الاحلام يوما واعتنقت الشعوب جميعا أصولا واحدة فى المعاملات مصدرها أصول الالتزامات العامة ، كما يرغب فى ذلك الاستاذ المعروف ادوار لامبير فى بحوثه المستفيضة ، وسميت مجموعة بوخوريس فيما بعد عند الاغريق بقانون العقود .

ومن سنة ٥٦٩ الى سنة ٥٢٥ قبل الميلاد حكم مصر أحمس الثانى أحد ملوك الاسرة السادسة والعشرين ، وأصدر هو الآخر مجموعة سميت باسمه ، أى مجموعة أحمس .

ومن سنة ٤٠٥ الى سنة ٣٩٩ جاء الملك نفريت مؤسس الاسرة الثامنة والعشرين وأعاد العمل بمجموعة بوخوريس بعد تعديلها وتهذيبها .

ويقول المؤرخون بل يؤكدون أن العمل بمجموعة بوخوريس نفريت ـ ظل قائما فى بعض العصور الرومانية حتى سنة ٢١٢ ميلادية .

وقد تأثرت تشريعات البلاد القائمة على شواطئ البحر الابيض المتوسط بالاصول التشريعية المصرية بالرجوع الى بوخوريس ، وبوخوريس نفريت . وقد أخذت التشريعات الاغريقية شيئا كثيرا عنها ، أى أن الاخذ التبادلى التشريعى كان معروفا لدى المصريين والاغريق . وظل للتشريعات المصرية القديمة أثر ظاهر فى التشريعات الرومانية حتى سنة ٢١٢ م كما تقدم . وأكثر الاغريق من الأخذ عن التشريع المصرى القديم عندما حضر لمصر مشرعهم المعروف سولون ، ثم عاد لبلاده بعد ذلك وهو يحمل فى رأسه ما شاءت له قدرته العلمية القانونية من

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الآثار التشريعية المصرية ، حتى ذاعت الاصول القانونية المصرية القديمة ذيوعا ظاهر الاثر في التشريعات الاغريقية .

لم يقف أثر التشريع المصرى القديم عند الاغريق فحسب ، بل ذهب الى روما كما تقدم ، ولما قام هيرودوت وأشاد في الالعاب الاولمبية بمتانة التشريعات المصرية ، وأخصها مجموعة أحمس ، التفت الرومانيون الى ذلك واقتبسوا منها شيئا كثيرا وأودعوها مجموعة الاثنى عشرة لوحة الموضوعة سنة ٤٥٤ — ٤٤٩ قبل الميلاد ، وهو الوقت الذى كان فيه أحمس الثانى يحكم مصر باعتباره أحد ملوك الاسرة السادسة والعشرين .

ومجموعة الاثنى عشرة لوحة الموضوعة قبل التاريخ الميلادى بأربعة قرون ونصف قرن هي أول مرحلة من مراحل عهد التجميع عند الرومان ، حيث قامت بعملها جماعة من أشراف الرومان، وعدد أفرادها عشرة ،صاغوها وأفرغوها في قالب تشريعي وقدموها لمجلس الشعب ، وعلقت بعد ذلك بالسوق العام ، ثم أحرقها الغاليون عندما أحرقوا روما سنة ٣٩١ قبل الميلاد . واللوحات الموجودة بعد إنما هي صورتها لا أصلها .

من هذا يتبين أن التشريع المصرى القديم دخل بلاد الاغريق وبلاد البحر المتوسط ودخل روما وظل العمل آخذا بأصوله حتى سنة ٣١٢ م .

ولعل السبب في هذا التسرب التشريعي إنما يرجع الى قاعدة التجميع ، وهي حصر الاصول المشتتة وتعديلها وتهذيبها تعديلا وتهذيبا يتناسب مع ظروف عصر التجميع ، مع بيان الاصل منفردا والتعديل بعده . وأخذ الرومان من أربعة قرون ونصف قبل الميلاد الى القرن السادس بعد الميلاد — أى عصر جوستنيان — يعملون في تهذيب الاصول القانونية وشرحها شرحا مستفيضا ، حتى استفاضت البحوث ، وذاعت التفسيرات العلمية ذيوعا عظيما ، وكثرت المؤلفات الى أن بلغت ألفى مجلد تقريبا . فأمر الامبراطور جوستنيان بتلخيصها فقها وتشريعا ، وجمعت في أربع مجموعات في النصف الاول من القرن السادس . وكان ومازال أهمها المجموعة الفقهية في تقرير الاصول القانونية ، وهي مجموعة الديجست أو الباندكت ، عصارة ما أخرجته أدمغة مشترعي الرومان مدة عشرة قرون ، أربعة قبل الميلاد وستة بعد الميلاد ، وقد أصبحت هدى للشعوب الحاضرة حتى قال عنها المشترع « اهرنج » الالماني : إن القانون الروماني أصبح عنصرا لازما من عناصر المدنية .

وقد عنيت به درسا وتحليلا الأمم الأوربية في القرون الوسطى ، وعلى الاخص جامعة بولونيا في القرن الحادي عشر ، وأطلق على أساتذتها الشارحون اسم جماعة الشارحين أو أصحاب الحواشي ، وعلى رأسهم العالم الايطالي « اينيريوس » ، وجاء بعده الشارحون الاربعة المعروفون ودون الكل أبحاثهم في مجموعة عرفت بمجموعة « آكورس » . ثم أعقبهم الشارحون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للشارحين السابقين وظهروا فى إيطاليا وفرنسا وألمانيا . ولعل أشهرهم الايطالى « بارتول » الذى كان له القدح المعلى فى التحليل والشرح . وفى القرن السادس عشر نبغ فى القانون الرومانى من حيث الشرح والتحليل وتعقب المصادر عدد غير قليل من العلماء فى ايطاليا وألمانيا وهولاندا وفرنسا ، وعرف فى هذه الاخيرة على الاخص العالمان « دوما » و « بواتييه » الذى طبقت شهرته الآفاق العلمية والاوساط القانونية حتى اعتبر مصدرا للقوانين الفرنسية الموضوعة سنة ١٨٠٤ وأخصها القانون المدنى . وفى ألمانيا نبغ فى القانون الرومانى من الناحية التاريخية والفلسفية ، وذلك فى القرن التاسع عشر ، العالمان الشهيران « سافينى » و « اهرنج » .

وفى الوقت الذى بلغ فيه الفقه الرومانى والتشريع الرومانى هذا المبلغ العظيم ، وهو القرن السادس بعد الميلاد ، لما يظهر بعد التشريع الاسلامى ، ولما تظهر العلوم الفقهية الاسلامية . ونريد هنا بعبارة الاصول الفقهية الاحكام القانونية والمبادئ الاصلية الخاصة فقط بالمعاملات وتنظيم علاقات الافراد بعضهم ببعض أو علاقاتهم بالحكومات ، أى بحثنا مقصور على غير ما يتناوله البحث الدينى البحت .

ويظهر لنا من استقراء التاريخ أن الأصول العلمية الفقهية والأحكام التشريعية الاسلامية لم تظهر ظهورا جليا معينا إلا فى العصر المسمى بالعصر العلمى الذى بدأ بظهور الدولة العباسية حوالى أوائل القرن الثامن الميلادى (سنة ١٣٢ هـ ٧١٣ م) حيث ظهر الأئمة الاربعة وراجت مذاهبهم ، وأذاعها تلاميذهم ومريدوهم ؛ وآخر المذاهب الاربعة مذهب الامام ابن حنبل ، إذ ظهر فى أوائل القرن التاسع الميلادى .

وفتح العرب مصر ، وكانت مصر قبل دخولهم مسوسة بالاصول القانونية الرومانية . وبدخول العرب زال التشريع الرومانى ، وحل محله التشريع الاسلامى ، وأخذ فيها على الاخص بمذهب الامام الشافعى ، ثم بمذهب الاسماعيلية ، وأخيرا سادت المذاهب الاربعة فى القرن الميلادى الثالث عشر فى عهد الظاهر بيبرس (سنة ١٢٤٤ م) .

ولما دخل المماليك مصر حملوا معهم القوانين التترية ، وفى طليعتها مجموعة الأحكام التى وضعها ملك التتر جنكز خان ، وهى المعروفة عند المصريين فى ذلك العهد بالسياسة ، واسمها الحقيقى الياسة ، على أنهم أبقوا العمل بالشريعة الاسلامية بجانب القوانين التترية .

ولما فتح العثمانيون مصر سنة ١٥١٦ م أخذوا فى تطبيق الأحكام الشرعية الاسلامية ، واعتبروا مذهب الامام أبى حنيفة المذهب الرسمى .

ولما دخل الفرنسيون مصر فى حملتهم المعروفة أحدثوا انقلابا خاصا فى النظم المألوفة ، ولكنهم عادوا وأخذوا بنظام القاضى الشرعى من حيث تحديد دائرة اختصاصه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفى عهد محمد على ذاعت أحكام الشريعة الاسلامية ، ووضعت قوانين أخرى بجانبها كانت تدعو اليها حالة تطور البلاد ، وأخيرا وضعت القوانين المختلطة سنة ١٨٧٥ أخذا عن القوانين الفرنسية ، ووضعت القوانين الأهلية سنة ١٨٨٣ أخذا عن القوانين المختلطة مع بعض التعديل عن القانون الايطالى فى المرافعات .

ومن هـذه اللمحة السريعة نرى أن التشريع المصرى القديم دخل بلاد الاغريق وبعض بلاد البحر الابيض المتوسط ، وتسرب الى روما ، وانساب الى القوانين الرومانية من أربعة قرون قبل الميلاد وقرنين بعد الميلاد . وظهرت الشريعة الاسلامية بمذاهبها الأربعة المعروفة ابتداء من القرن الثامن للميلاد ، أى بعد مضى قرنين على عهد التجميع التشريعى الرومانى فى عصر الامبراطور جوستنيان . ثم دخلت الشريعة الاسلامية مصر بفتح العرب لها ، وبقيت بها بعد فتح العثمانيين ودخول الحملة الفرنساوية فيها ، وظلت قائمة للآن .

ولما قامت المذاهب الأربعة وتعددت التفاسير بعد ذلك ، وأخذت طوائف العلماء تجول وتصول فى البحث والتحليل فى أصول الأحكام الشرعية من حيث المعاملات ، غمرت الكتب البلاد العربية ، وتشعبت البحوث ، وفاضت الآراء حتى كثرت كثرة زادت بكثير على الكثرة الفقهية الرومانية . وإذا كان الرومان قد أحسوا فى القرن السادس للميلاد بضرورة التجميع واختصار المؤلفات العديدة للالمام بها إلماما سريعا ، ولحفظها مع الزمن حتى لا تفنى فيه فناء يطويها لا تعود بعده الى الوجود ، فكان أجدى الآن على أهل النظر فى مصر أن يفعلوا فى مؤلفاتهم الاسلامية الشرعية مافعله جوستنيان ، وعلى الاخص فى هذا العصر عصر الاستقلال والنهوض بمصر بعد تحريرها من قيود غلت أيديها زمانا طويلا .

وإذا كان وزير المعارف الحاضر قد عنى العناية كلها بالاشراف على طبع بعض الكتب الأدبية العربية القديمة ، والمساهمة فى النهضة العربية مساهمة ستكون لها آثار قيمة فيما بعد تسجل له أريحيته وتخلد له ذكراه فى الايام المقبلة ، فان وزير الحقانية الحاضر ، وقد عرفت له نخوته لبلاده ، وقدرت له عزته للحق ، جدير به أن يعنى هو الآخر بأمر أحكام الشريعة الاسلامية فى المعاملات ، وأن يعمل فى تكوين لجنة على رأسها قانونى بارع معروف ، كما فعل جوستنيان فى أوائل القرن السادس للميلاد ، لتقوم تلك اللجنة فى ظرف أشهر معدودة فى جمع الكتب الخاصة بالقانون وأحكام المعاملات لتلخيصها جميعها ، والاشارة فى كل مبدأ الى واضعه وشارحه ، ووضعها وضعا موجزا محكما بالاسلوب الذى سار عليه جوستنيان ، فتذيع بعد ذلك الأصول الشرعية الاسلامية ذيوعا يحيى مواتها ، ويعيد اليها حياة الماضى المجيد ، وتصبح بعد الآن مراجع سهلة للقاصدين وجماعات الباحثين ، ويكون لها من الشأن ما كان للاصول الرومانية من الذيوع والشهرة وبعد السمعة بعدما جعل روح التشريعات الرومانية فى أصولها ومبادئها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يتغلغل حتى الآن فى الشرائع العصرية الحاضرة . وأصبحت الاحكام الرومانية فى الوقت الحاضر وقبله أحكاما عامة دولية اعتنقها وتعشقها الشعوب ، على ما بين هذه الشعوب من الاختلافات فى التقاليد والعادات والاخلاق .

ومهمة التجميع التشريعي الاسلامي فيما يتعلق بالمعاملات أصبح ميسور العمل الآن بعد هذا الجهد الجليل الذى قام به وحده المشترع المصرى القدير قدرى باشا . وتلك مواده التى وضعها فى المعاملات والوقف وغيرها خير هاد ومرشد لما نشير اليه .

إن بحوث أهل الشريعة الاسلامية فى المعاملات مستفيضة بكثرة لاحد لها ، وفيها كنوز قيمة من البحوث العلمية والعملية فى المعاملات هى أكبر تراث تركه الآباء فى البلاد الناطقة بالضاد .

ولما كنت بمدينة ليون طالبا فى قسمى الدكتوراه فى سنة ١٩١١ الى سنة ١٩٢٠ كان أستاذنا « لامبير » يشير دائما على المصريين أن يعنوا بوضع رسائل الدكتوراه فى الشريعة الاسلامية ، وكان يرى ولا زال يرى أن الكتب والمؤلفات الموضوعة فى الشريعة الاسلامية فى المعاملات هى كنز لا يفنى ومنبع لن ينضب ، وأنه خير ما يلجأ اليه المصريون فى العصر الحاضر فى البحوث العلمية ، حتى يعيدوا لمصر ولبلاد العرب هذا المجد العلمي الذى أخذ الزمن يطويه بحكم الاهمال وعدم العناية به .

وقد أثمرت نصيحة الأستاذ لامبير عند أول طالب مصرى تتلمذ عليه وأخذ القانون عنه ، وهو المرحوم الدكتور محمود فتحى المحامى ببنى سويف ، إذ وضع رسالته فى الدكتوراه فى مذهب الاعتساف فى استعمال الحق والخروج عن حدود الحق فى غير ماشرع له الحق ، وذلك عند فقهاء الاسلام . وما كاد يظهر كتابه سنة ١٩١١ ويذيع فى ألمانيا على الأخص حتى نفد فى نصف عام . وكتبت عنه المجلات القانونية فى ألمانيا كثيرا ، وأشادت بالعظمة القانونية الاسلامية . وأذكر أن مجلة نشرت مقالا لعالم ألمانى فى القانون وهو « كهلر » ذكر فيها أن الألمان كانوا يتيهون عجبا على غيرهم فى خلق نظرية الاعتساف فى استعمال الحق والتشريع لها فى القانون المدنى الألمانى الذى وضع سنة ١٧٨٧ . أما وقد ظهر كتاب الدكتور فتحى وأفاض فى شرح هذا المبدأ عند رجال التشريع الاسلامى وأبان بان رجال الفقه الاسلامى تكلموا عنه طويلا ابتداء من القرن الثامن للميلاد ، فانه يجدر بالعلم القانونى الالمانى أن يترك مجد العمل بهذا المبدأ الى أهله الذين عرفوه قبل أن يعرفه الالمان بعشرة قرون ، وأهله هم حملة الشريعة الاسلامية .

وهاهو ذلك المصرى الآخر الدكتور محمد صادق فهمى بك القاضى بالمحاكم المختلطة قد خارج رسالته فى الاثبات باللغة الفرنسية سنة ١٩٢٣ ، وأرصد الجزء الأعم فيها لما قرره علماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشريعة الاسلامية ، وعلى رأسهم ابن قيم الجوزية فى كتابه أعلام الموقعين . فلما عرض على اللجنة وأقرته ، مهره أستاذه « ليفى أولمان » الاستاذ المعروف بكلية الحقوق بباريس بمقدمة نشرت فى صدر الكتاب فيما بعد يكفى فى مطالعتها أن يدرك المصرى ما للشأن المؤلفات العربية القديمة من حسن التأثير فى أذهان الاجانب ، الأمر الذى جعل صاحب المقدمة لا يتردد فى القول ، لما رآه من متانة الاستنتاج وقوة التدليل . إن كتاب الدكتور صادق جدير بأن يلحق بالكتب المكونة للمجموعات العلمية القانونية الحاضرة كمجموعة « سالى » وغيره من رءوس القانون فى عصر النهضة القانونية الحاضرة . كل ذلك على اعتبار الشريعة الاسلامية فى المعاملات مصدرا حيا للقانون المصرى ، ومناطا للحق فى أدواره المختلفة .

وأذكر أنه عند ما هم أحد المصريين سنة ١٩١٤ بوضع رسالة فى مسئولية الدولة بكلية الحقوق فى ليون ، وأراد أن يعالج هذا البحث فى كتب الشريعة الاسلامية ، التمست وقتذاك أمامه وجوه التمحيص حتى رأى أن يقصر رسالته مؤقتا على حصر الموضوع فى القوانين الحاضرة على أن يرجع فيما بعد الى معالجته فى الشريعة الاسلامية . وقد كتب رجال الفقه الاسلامى فى مسئولية بيت المال ، وهى نظرية مسئولية الدولة فى أحدث رأى لها الآن ، وهو الرأى القائل بمبدأ المخاطر ، شيئا كثيرا بحيث لو لخص وجمع وشرح لخرج البحث بما يجد عمل من تقدمنا من الآباء والأجداد ، وبما فيه إحياء لمجد يحتضر لولا عناية تأتى فى مثل هذا الظرف الذى تسير فيه بلاد مصر الآن ، فتدعو الضرورة فى وقت التجميع الى جمع الأصول القانونية الاسلامية المشتتة ، وحصرها فى ملخصات معينة ، فيعود للشريعة مجدها التالد ، وتحيا عظمتها حياة ترفع رءوس الناطقين بالضاد فى وقت نحن أحوج فيه الى الجمع بين مجد نبغيه ، ومجد سابق فى أيدينا نستبقيه . وإن أنس فانى لا أنسى أن ذلك المصرى لما أراد أن يضع بحثا مستفيضا فى نظرية المسئولية الخاصة بين الأفراد ، وأراد أن يرجع فيها الى ما كتبه علماء الشريعة الاسلامية ، وجد كتابا موضوعا فى ذلك البحث وحده ، أذكر الآن أن عنوانه « مجمع الضمانات » أعاد طبعه بالمطبعة الحكومية مستشار سابق بمحكمة استئناف مصر الأهلية حوالى سنة ١٨٩٨ . وفى هذا الكتاب وحده أتى واضعه بما شاءت له قدرته العلمية من آراء مختلفة فى المسئولية ، وحوادث القضاء والقدر ، والحوادث القهرية والقوة الاجبارية ، وذهب فى تخيل الأحوال التى يمكن أن تقع فى عالم الحياة ، مذاهب شتى ؛ وكان يرجع فى تقرير الرأى ووضع الحكم الى أصول علمية قانونية تحير الفكر ويقف القارئ أمامها معجبا لا يجد لإعجابه حد .

وكلنا يعلم أن هناك من الكتب الاسلامية فى المعاملات ما لا يكاد يحده حصر ويحيط به بحث . فماذا تكون عظمة مصر لو جمعت هذه الكتب فى ضوء مجموعات قدرى باشا ، ذلك الرجل الخالد حقيقة ، ولخصت وأوجزت كما وضعت الديجست الرومانية ؟ إنها تكون عظمة بدء تاريخ مجد جديد لمصر . وهل لوزير الحقانية رجل القانون والفقه والدرس والاريحية أن يكون له

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

البدء فى إقامة صرح هذا المجد ، فيأمر بالعناية بالمعاملات فى الشريعة الاسلامية وتكوين لجنة أو لجان لتلخيصها ؟ إن الأمر ليس مستحيلا . وها قدرى باشا قد عمل وحده بعد اثنى عشر قرنا من عمل جوستنيان ما يعد الآن صرحا قانونيا خالدا فى الحق والواقع .

إن البلاد تشرع الآن تشريعات جديدة لعهدها الجديد ، أو ليس من الجدير بعظمة مصر العربية وعظمة أجدادها حملة العلوم القانونية الاسلامية ، أن يكون بين المشرعين الحاضرين « ديجست » و « باندكت » إسلامية تعيد مجد الاقدمين ، وتذكر الحاضرين بعلو كعبهم وتفوقهم القانونى الخالد ؟

إن الفرصة سانحة لدى وزير الحقانية ، إذ تستطيع اللجنة التى تشتغل لسن قوانين عصرية فى الاحوال الشخصية تلتئم مع العصر الحاضر ونزعاته وملابساته ، أن تقوم أيضا هى بنفسها أو تقوم بجانبها لجنة أخرى تعمل على جمع الكتب وتلخيصها فيما يتعلق بالمعاملات ، وتتعاون اللجنتان معا على الجمع والاختزال ، إذ درج علماء الشريعة الأسبقون على الجمع معا فى الشرح بين المعاملات والاصول الدينية . فاذا عملت اللجنتان الواحدة بجانب الثانية أخرجت لنا كل منهما ديجست وباندكت إسلامية : إحداها خاصة بالاحوال الشخصية ، والاخرى خاصة بالمعاملات . والامر فى ذلك ميسور كما قدمنا ، لأن كتب قدرى باشا من خير ما يلجأ اليه العاملون فى وضع هذه الموجزات الاسلامية . وستكون الديجست والباندكت الاسلامية خير معوان أيضا للجنة القوانين المدنية ، إذ تستطيع هذه اللجنة الاخيرة أن تهتدي وتسترشد بما يوجز فى هذه الموسوعات الاسلامية فى المعاملات ، فتخرج القوانين المدنية الجديدة وقد أشبعت بروح الاصول الاسلامية التى تغلغلت فى البلاد من قديم تغلغلا ظهرت آثاره بالقوانين المدنية المصرية الموضوعة سنة ١٨٨٣ — كما فى الصور المشتركة والحوالة ، وأشبعت أيضا بجانب روح الشريعة الاسلامية بروح أصول علم القانون المقارن بالمعنى الذى أراده الاستاذ القدير « ادوار لامبير » والذى عمل على إذاعته وإنمائه من سنة ١٨٩٥ الى الآن حتى بعد بلوغه سن التقاعد سنة ١٩٣٦ ؛ وأشبعت أخيرا بالاصول التى قررتها أحكام القضاء الاهلى والمختلط بما لا يتنافى مع النهضة القومية الحاضرة ، وبما لا يتعارض مع النزعة الاستقلالية الواسعة التى أخذت بادمغة الافراد وأصبحت عقيدة راسخة لا تتزعزع .

إن عمل وزير المعارف من جانبه فى الأخذ بيد النزعة الادبية الحاضرة فى إحياء موات الحياة الادبية الغابرة ، وفى إذكاء نور النهضة الحاضرة ، من إعادة طبع كتب قديمة ، ومن الاحاطة بمجهودات أهل الفكر والانتاج الادبى فى عصرنا الحاضر — هذا العمل له وجاهته من الناحية الادبية ، وله أثره فى تغذية النهوض الحاضر من ناحية الادب ولا محالة .

وإذا قام وزير الحقانية بما رجوناه منه ، وساهم هو الآخر من جانبه فى إقامة صرح النهضة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحاضرة ، فأحيا موات الاصول القانونية التى أقرها علماء الشريعة الاسلامية فى المعاملات ، وشاد لنا صرحا فخما من صروح العظمة القانونية ، وهو قائم بها على ما نعلم ، وما عرفناه فيه من ماض مجيد ، ونزعة قومية وثابة ، وخلود الى القومية المصرية ، فان مصر تغتبط إذ ذاك كل الاغتباط حقا ، وتعترف لبنيها باخلاصهم لها وحبهم إياها .

إما نحن المصريين من قانونيين وغيرهم نرقب توثب النهضة الحاضرة عن شغف ورغبة فى الوصول الى المبتغى ، ونرجو أن ينصف وزير الحقانية مصره الخالدة باحكامها الشرعية الخالدة ، وقدرى باشا خالد ، ونرجو أن يخلد بجانبه غالب باشا ، والخلود ثمرة الاخلاص القومى . وقد أخلص غالب كما أخلص من قبله قدرى ، والله ولى المخلصين .

نرجو أن تتحقق هذه الامنية ، ونامل أن تكون النهضة القانونية نهضة محبوكة الاطراف تستند الى مجد الاسبقين كما تستند الى جهود الحاضرين .

هذا العهد الجديد عهد إنشاء وتجديد فى عهد استقلال جديد .

وإذا كان لكل أمة ناهضة فى ماضيها وحاضرها جولات وثابة فى ميادين الحياة ومجالات العمل يسجلها لها التاريخ فيقول عنها بعصر التجديد والانشاء وعصر النهضة الاقتصادية وعصر القوة الحربية — فانه يسجل لها أيضا عصر النهضة القانونية .

وقد سجل التاريخ فى القرن السادس الميلادى عصر التجميع القانونى للامبراطور جوستنيان ، فقد حيي القانون الرومانى بعده حياة تشهد الآن نحن جميعا آثارها الخالدة فى القوانين المصرية الحاضرة .

فهل نبخل على مصر ، والظرف الآن موات ، أن نهيئ الفرصة السانحة لمصر حتى يسجل التاريخ لها عصر التجميع فى عهد فاروقها الاول ؟!

إن حكومة الاستقلال ، وحكومة مصطفى وصحبه ، وحكومة المعاهدة ، وحكومة النهضة القومية الوثابة الحاضرة ، جديرة بتحقيق هذه الامنية . والله الموفق ؟

عبد السلام ذهنى

المستشار

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام والفلسفة

- ٩ -

تتمة البحث فى فلسفة ابن سينا :

يرى ابن سينا أن حركة الأفلاك خالدة ، لأنها ترمى الى الكمال بطبيعة خلقتها ، فهى لا تقف طبعا عن الحركة ما دامت لم تلحق الغرض الذى خلقت له وإن كانت قد لحقت منه شيئا لا يستهان به ، ولا تزال سائرة فى سبيل الكمال فى الدائرة الممكنة . وقد رد عليه الامام الغزالى فى هذه النقطة أيضا بما دحض حجته من الناحية الفلسفية ، ولولا أننا سردنا لك فى الفصول الماضية كثيرا من ردود الامام الغزالى على ابن سينا لأثبتنا هنا رده عليه فى نظرية خلود الحركة ، لأنه رد قيم جدير بالعناية والالتفات ، ولكننا نكتفى بالاشارة اليه محيليك على كتب الامام الغزالى .

وعنده أن علم الله يشمل جميع الاشياء من غير استثناء ، ولكن بطريقة كلية عامة لا أثر فيها للتفصيلات الجزئية : كأن يعلم مثلا أن الانسان فى عمومه من شأنه أن يفكر ، وأن يأكل ويتناسل ، ويموت ، ويؤمن ويكفر ، ولكنه لا يعلم أن زيدا بعينه ولد فى يوم كذا أو فكر فى موضوع كذا أو مات فى يوم كذا أو كان مؤمنا أو كافرا أو غير ذلك من الامور المتعاقبة على هذا الانسان تعاقبا عمليا فى الحياة . وحجة ابن سينا فى هذا هو أن هذه المعلومات الجزئية متعاقبة ، وتعاقبها يستلزم تغيرها ، وتغير المعلوم يقتضى تغير العلم ، وتغير العلم يستتبع بالضرورة تغير العالم ، والتغير على الله محال ، فالعلم بالجزئيات إذاً محال إذا استثنينا من تلك الجزئيات مالا يتخصص بزمان ولا بمكان ، ولا يوجد بعد أن لم يكن ، ولا ينعدم بعد أن كان .

ونحن إذا نظرنا الى هذه الحجة فى ذاتها وجدنا أنها أميل الى المغالطة منها الى المنطق المستقيم ، لأن تغير المعلوم لا يقتضى بوجه من الوجوه تغير العلم كما يزعم الشيخ الرئيس ، إذ المعروف أن هذا العلم كان قبل وجود الشيء الذى سيوجد ، متعلقا به على سبيل أنه سيوجد بعد أن لم يكن موجودا ، وأن تعلقه بعد وجوده هو تعلق به على سبيل أنه وجد بعد أن كان معدوما ، وإذاً ، فتغير المعلوم أو تعلق الزمان به يقتضى تغير نواحى التعلقات فى العلم ، لا تغير العلم نفسه ، وبالتالى لا سبيل الى تصور تغير العالم بحال من الاحوال .

على أن هذه الحجة ليست هى الوحيدة التى يستند اليها ابن سينا وأضرابه فى نفى العلم بالجزئيات عن البارى ، بل هناك حجة أخرى يركنون اليها فى هذا النفى ، وهى أن العلم هو انطباع المعلوم فى ذات العالم ، ولما كان هذا الانطباع يستلزم قابلية فى الذات المطبوع فيها وكانت القابلية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أولى خواص الحوادث أو خواص الممكنات التى تنزه البارى عن الاتصاف بها ، فقد وجب الجزم بتنزيه البارى عن العلم بالجزئيات الذى هو انطباع مستلزم للقابلية التى هى من خواص الممكنات . فاذا أضفنا الى هذا استحالة تصور قيام العلم الحادث الممكن بالبارى الأزلى الواجب الوجود لذاته ومن ذاته ، فقد تحتم القول بنفى علم الجزئيات عن المبدع الأول .

ولا شك أن الباحث المفكر لا يجد عناء فى الرد على ابن سينا فى هذه النقطة أيضا ، إذ يسأله أولا : لم خصصت هذا الانطباع بالعلم الجزئى دون الكلى ؟ وما الفرق بينهما من جهة المعلومية ؟ وسواء أأجاب ابن سينا على هـذا السؤال أم لم يجب فان الحجة فيه قد لزمته ، ولا ينجيه من لزومها إياه مغالطته بان العلم بالكليات هو علم من جهة سامية لا تتصل بزمان ولا بمكان ، وهذا السمو هو منشأ الفرق بينه وبين العلم بالجزئيات .

على أننا لا نسلم له بان العلم هو انطباع المعلوم فى ذات العالم إلا بالنسبة إلى الممكنات إذا تسامحنا فى هذه المجاراة ، أما بالنسبة الى البارى فاننا نرى أن التعريف الصحيح للعلم هو ذلك التعريف الذى وضعه « أوكيد الميجارى » وهو : « العلم هو استيلاء العالم على المعلوم » . فاذا أخذنا بهذا التعريف ، وهو ما يوجب المنطق علينا فعله ، فقد سقطت حجة ابن سينا من أساسها ، إذ لا يكون هناك انطباع ولا قابلية ولا إمكان .

غير أن ابن سينا حينما أحرجه — فيما يظهر — بعض المتكلمين ، لجأ الى مغالطة أخرى وهى قوله : إن البارى يعلم الكليات بطريقة مباشرة ، ويعلم الجزئيات بوساطة النفوس الفلكية .

ولا ريب أن هذا رأى فى منتهى الخطأ والضلال ، بل هـو مستوجب للهزؤ والسخرية ، إذ كيف يعقل أن يظل الاله جاهلا بما يجرى فى ملكه حتى تنطبع تلك المعلومات الجزئية فى النفوس الفلكية ثم يطلع عليها فى هذا الوقت المتأخر ، فمن الذى قدرها إذاً ؟ ومن الذى طبعها فى هـذه النفوس ؟ وهل يقدر أحد شيئا لا يعلمه ؟ ولكن يجب ألا ننسى أن هؤلاء الفلاسفة الاسلاميين يرون أن البارى — تعالى عما يقولون علوا كبيرا — لا يشتغل بجزئيات هـذا العالم ، وإنما العقل العاشر هـو الذى يدبرها تبعا للنواميس الطبيعية التى لا يملك هو ولا غيره تبديل شىء منها !

وبناء على هذا يكون علم الله بالجزئيات عن طريق المحرك المباشر متمشيا مع منطقهم الواهى المحطم القواعد والأركان . على أنى أريد أن أناقشهم بآرائهم نفسها ، وألزمهم الحجة من عين أقوالهم التى صرحوا بها فى كتبهم كثيرا ، فأقول لهم : إنكم تجزمون بأن العقول أقل كمالا من البارى ، وأن النفوس الفلكية أقل كمالا من العقول ، أفلا توافقوننى على أن الناقص معرض للخطأ والضلال وطوارئ الحوادث ؟ وإذاً ، فمن الجائز أن يكون بعض ما انطبع فى هـذه النفوس خطأ فيعلمه البارى على هـذا الخطأ ، وهذه أحط مراتب النقص والضعة . ثم ألا ترون معى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن البارى حتى إذا كان كل ما نقلته إليه النفوس الفلكية صحيحا يكون مفتقرا فى علم شيء الى بعض خلقه ، وهل يصحب الافتقار كمال ؟ ولكن ينبغى ألا يغيب عن بالنا أن ابن سينا ومن على شاكلته اندفعوا فى مثيلات هذه المسائل فى التيار الأهوج الذى خلقه أرسطو ، فهوت بسببه فلسفته الالهية فى حضيض يستوجب الرحمة والاشفاق أكثر مما يستوجب النقد والتأنيب ، إذ زعم أن علم المحرك الأول لا يتعلق بالعالم ، لأن تعلقه بالناقص يحط من قدره ، فأعطانا بهذا صورة غريبة لالهه المضحك الذى لم يخلق العالم ولا يعلم به !

ثم أنى لا أدرى كيف يتفق قول ابن سينا بأن الله لايعلم الجزئيات إلا عن طريق النفوس الفلكية مع قوله : « إن الأول موجود لا فى مادة ، وكل موجود لا فى مادة فهو عقل محض ، وكل ما هو عقل محض فجميع المعقولات مكشوفة له ، فان المانع عن درك الأشياء كلها التعلق بالمادة والاشتغال بها ، ونفس الآدمى مشغولة بتدبير المادة أى البدن ، وإذا انقطع شغله بالموت ولم يكن قد تدنس بالشهوات البدنية والصفات الرذيلة المتعدية إليه من الأمور الطبيعية ، انكشفت له حقائق المعقولات كلها .

فاذاً ، الخلوص من المادة هو علة كشف كل شيء ، والبارى خالص من المادة خلوصا تاما ، فما الذى يحجب علمه جل شأنه عن الجزئيات ؟! ولكنه الخلط والوهم والتناقض والاضطراب .

النفس عنده :

أما النفس عند ابن سينا فهى جوهر شفاف هبط الى الأجسام البشرية من عالم الأزل وحكم عليه البارى بالبقاء فيها زمنا محدودا ، وكان فى أول الامر آسفا شاعرا بغربته ، متضايقا من حصره فى هذه الدائرة المادية الضيقة ، ولكنه لم يلبث أن شعر بسرور عظيم ، لأنه رأى ما لم يكن يرى لو أنه استمر فى عالمه العلوى ، وهى فى الأصل من عالم الكمال ، ولكنها قد تصاب بنقص من اصطحابها الجسم فتصبح مفتقرة الى التطهر والنقاء اللذين لاتعود الى مرتبتها الأولى إلا بهما ، وهى لاتبلغ هذه المنزلة إلا بالشرطين الآتيين : (١) أن تتخذ الفضائل شعارا لها . (٢) أن تتثقف حتى تصير عالمة بكل ما من شأنها أن تعلمه ، وهو يتحقق فى أن تحيط بالأنظمة العقلية والمعارف الذهنية ، وأن تتلقى فى ذاتها كل المعقولات العالية حتى ينطبع فيها شبه صغير بالمبدع الاول ، وتصبح قادرة على خلق صور عقلية لكل ما فى هذا الكون من حقائق محسة . وإليك ما قاله ابن سينا فى تصوير النفس :

هبطت إليك من المحل الارفع	ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف	وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما	كرهت فراقك وهى ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت	ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهودا بالحمى	ومنازلا بفراقها لم تقنع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها … فى ميم مركزها بذات الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت … بين المعالم والطلول الخضع
تبكى إذا ذكرت ديارا بالحمى … بمدامع تهمى ولما تقطع
وتظل ساجعة على الدمن التى … درست بتكرار الرياح الأربع
إذ عاقها الشرك الكثيف وصدها … قفص عن الاوج الفسيح الأربع (١)
حتى إذا قرب المسير الى الحمى … ودنا الرحيل الى الفضاء الأوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت … ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت مفارقة لكل مخلف … عنها حليف الترب غير مشيع
وبدت تغرد فوق ذروة شاهق … والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلاى شىء أهبطت من شاهق … سام الى قعر الحضيض الأوضع
إن كان أرسلها الاله لحكمة … طويت عن الفطن اللبيب الأروع
فهبوطها إن كان ضربة لازب … لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية … فى العالمين ، فخرقها لم يرقع
وهى التى قطع الزمان طريقها … حتى لقد غربت بغير المطلع
فكانها برق تألق بالحمى … ثم انطوى فكانه لم يلمع

لا ريب أن من يرى هذا الرأى لابن سينا فى النفس ، وهو ذلك التلميذ الوفى ، والمريد المخلص لأرسطو ، يدهش كل الدهش اذ يراه يسلك غير سبيله وينتهج عكس منهجه ، ولكنه حين يعلم أن ابن سينا فى رأيه هذا متأثر بتلك الرسالة المصنوعة التى لفقها الاسكندريون من مختلف المذاهب ونسبوها الى أرسطو ، تزول دهشته ، ويقف على منشأ هذا السمو « الأفلاطونى الأفلوطينى » الذى ظهر جليا فى تلك العينية المتقدمة .

نظرية المعرفة عنده :

لا يكاد رأى ابن سينا فى المعرفة يختلف عن رأى الفارابى ، لأنه يرى مثله أن وسيلة المعرفة هى الحواس الخارجية والحواس الداخلية ، أوهى الحواس والعقل ، غير أنه يقسم المعرفة الى ثلاثة أقسام : (الاول) معرفة المبادىء الأولى ، و(الثانى) معرفة جواهر المعقولات ، و(الثالث) معرفة المستقبل . والقسمان الاول والثانى هما اللذان يصلان الى الانسان عن طريق الوحى والالهام ، ويسمى مدرك القسمين الاولين بالاداة الطبيعية ، أما أداة القسم الثالث فوسيلة خارقة للعادة . والاداة الطبيعية عند ابن سينا قسمان : فطرية واكتسابية . فأما الفطرية فهى ملكة مشتملة على قوة خاصة مستعدة لادراك المبادىء الاولى ، مثل قواعد : الكل أعظم من الجزء ، والواحد نصف الاثنين ، وإذا ساوى ثالث أحد القسمين المتعادلين وجب أن يساوى

(١) الاربع بضم الباء : جمع ربع .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الثاني . أما القسم المكتسب فيحتاج فى إدراكه الى مجهود أكبر من مجهود القسم الاول . ويجب أن تبتدأ عملية التفكير فيه بالشعور الوثيق بوجوب انفصال الصور التجردية عن عالم المحسات . وكيفية الابتداء أن يتصور الشخص أن ما فى عقله ليس هو الحجر ولا الحيوان ، وإنما هو صورتهما . أما الالهام فوسيلته الفضيلة والتنسك ، لان الروح لا تعرف المستقبل إلا بمقدار اتصالها بالكائن الاعلى ، وهى لا تتصل به إلا إذا تغلبت على الجسم . ولذلك فهى فى حالة النوم تكون أكثر اتصالا بالملا الاعلى منها فى حالة اليقظة ، وهى بعد الموت أكثر منها فى حالة النوم .

الأخلاق :

يرى ابن سينا — كبقية إخوانه من الفلاسفة والمعتزلة المتأثرين بتعاليم ارسطو — أن الخير هو ما حسنه العقل ، والشر ما قبحه العقل ، بل هو يرى أن العقل إذا تهذب وارتقى استطاع أن يحول الشر الظاهر الى خير ، لأن الشر الحقيقى غير موجود ألبتة . إذ الله عنده خير محض ، ولهذا لا يتعلق به إلا خير ، أما الشر فهو ناشىء من المادة وحدها ، وهو لذلك يجزم بأنه لا يوجد فى الكون شر محض ، لأن المادة لا توجد وحدها بدون صورة . على أن كل شر فى هذا الوجود خير فى ذاته ، وإنما يحوله سوء التصرف بواسطة المادة الى شر ، فمثلا : لا تحرق النار إلا غير المتبصر ، ولكنها هى فى ذاتها خيرة ، وإحراقها لهذا السيء التصرف لا يخرجها عن خيريتها . وإذا ، فلا يملك الانسان إصدار حكم مطلق على خيرية الاشياء وشريتها بناء على ما يراه من نتائجها التى هى وليدة الظروف لا وليدة الطبيعة . وهو فى هذا كله أفلاطونى أكثر منه أرسطو طاليسيا ، وتظهر أفلاطونيته جلية فى الاخلاق النظرية حين يقرر أن الفضيلة تستطيع أن تكشف للنفس أسرار الكون ، وأن الالهام الذى يختص به الله الاخيار من عباده هو إحدى وسائل المعرفة البشرية ، وأن النبوة مكتسبة يفوز بها كل من توفرت فيه شروطها ، الى آخر ما قرره فى هذا الشأن .

أما أخلاقه العملية فكانت — فيما روى التاريخ — صورة صادقة لمذهبه النظرى ، إذ يحدثنا المؤرخون أنه كان إذا حزبه فهم مسألة من المسائل العويصة ، اتجه توا الى المسجد وظل فيه راكعا ساجدا مبتهلا لا يغادر المحراب حتى يقف على سرها .

ولا ريب أن هذا هو معنى قوله : إن الالهام إحدى وسائل المعرفة ؟

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السليقة العربية

وقـواعد اللغة

كان العرب فى جاهليتهم يجرون فى أحاديثهم ومحاوراتهم وخطبهم وأشعارهم على مقتضى سليقتهم التى امتازت باخراج الكلام صحيح الوزن مستقيم الاعراب ، فلما جاء الاسلام واتسعت الفتوحات ، وخرج العرب من جزيرتهم ، واختلطوا بغيرهم من الامم ، وكثرت فيما بينهم حمراء الاعاجم ، وانتشرت بحكم الاسلام فى بيئاتهم ومجتمعاتهم ، تسرب اللحن الى اللغة ، والتوت الألسنة عن جادة السليقة الصحيحة ، وشاع الخطأ فى المفردات والتراكيب ، حتى وصل الى تلاوة القرآن الكريم ، فأفزع ذلك العلماء ، ودفعهم الى التفكير فيما يصون قواعد اللغة ، ويحفظ على السليقة العربية أصولها وما جرت عليه من استقامة بناء الكلمات ، وصحة إعرابها ، فشمروا عن ساعد الجد ، ووضعوا قوانين النحو . واختلفت الروايات التاريخية فى أول من فكر فى ذلك ، وأشهر الروايات تسنده الى امير المؤمنين على بن أبى طالب وتلميذه أبى الأسود الدؤلى ، وبعضها يسنده الى زياد بن أبى سفيان ، وأغربها تلك الرواية التى يحدثنا بها ابن الانبارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيقول : قدم أعرابى فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : من يقرئنى شيئاً مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأقرأه رجل سورة براءة فقال : « إن الله برىء من المشركين ورسوله » بالجر فى لفظ « رسوله » فقال الاعرابى : أو قد برئ الله من رسوله ؟ إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ! فبلغ عمر عليه السلام مقالة الاعرابى ، فدعاه فقال له : يا أعرابى : أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! فقال : يا أمير المؤمنين : إنى قدمت المدينة ولاعلم لى بالقرآن ، فسألت من يقرئنى ؟ فأقرأنى هذا سورة براءة فقال : « إن الله برىء من المشركين ورسوله » فقلت : أو قد برئ الله تعالى من رسوله ؟ إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه . فقال عمر رضى الله عنه : ليس هكذا يا أعرابى ، فقال : كيف هى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : « إن الله برئ من المشركين ورسوله » بالرفع ، فقال الاعرابى : فأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم . فأمر عمر رضى الله عنه أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الاسود الدؤلى أن يضع النحو .

وهذه القصة — إذا صحت — تدلنا على مكانة الاعراب من اللغة العربية ، وأنه من أهم العوامل فى تحديد المعنى المقصود ، ورفع الاشتباه واللبس عن القارئ والسامع ، خلافاً لمن يزعم من الباحثين المعاصرين أن الاعراب لافائدة منه إلا التعقيد ، وكأنهم برموا بقواعده فأرادوا التحلل من قيوده ليترك لهم الأمر سبهللة بلا ضابط ، وهذا بلا شك من أخطر ما تصاب به اللغة العربية ، وقاها الله شره !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وتذكرنا قصة الاعرابي وما فيها من التدليل على قيمة الاعراب بما وقع لبعض الخوارج مع عبد الملك بن مروان ، فقد روى أن الخوارج على عهده بايعوا بالخلافة رجلا من زعمائهم يقال له شبيب من بنى أشجع ، فقال شاعرهم :

فمنا يزيد والبطين وقعنب ومنا أمير المؤمنين شبيب

فطلبه عبد الملك ، ولما وقف بين يديه قال له : أنت القائل : ومنا أمير المؤمنين شبيب ؟ فقال : لم أقل هكذا ، إنما قلت · ومنا أمير المؤمنين شبيب ، وفتح الراء يوهم أنه أراد النداء، فضحك عبد الملك وعفا عنه لحسن تخلصه بفطنته ، فهذا أيضا من محاسن الاعراب فى اللغة .

وتدلنا أيضا قصة الاعرابي على ما فى الفطرة العربية من دقة الاحساس ، وسرعة الخاطر فى إدراك معانى الكلام واختلاف أغراضه باختلاف عوامل الاعراب وأماراته . وتدلنا على أن اللحن أسرع السير الى اللغة فاستقبلها وهى لا تزال فتية . وتدلنا على أن العامل الدينى أو بالحرى القرآن الكريم كان هو الباعث الأول على وضع قواعد اللغة ، وأن أبا الاسود الدؤلى كان محور الروايات كلها فى اتفاقها على أنه عميد المدرسة النحوية الاولى ، وقد تتلمذ عليه جماعة من الموالى ، من أشهرهم « عنبسة بن معدان » ويقال له عنبسة الفيل ، وأصله من أهل ميسان ، و « ميمون الاقرن » و « عبد الرحمن بن هرمز » و « يحيى بن يعمر » وهو عربى مضرى ، وكان يتفاصح ، ويتشادق بالغريب ، وقدولى القضاء بخراسان من قبل يزيد بن المهلب ، فيحكى أن امرأة خاصمت اليه زوجها فقال للرجل : أإن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها ؟

وجاء بعد هؤلاء جماعة أخذوا العلم عنهم ، ولكنهم توسعوا فيه بحثا ودرسا ، وكان من أبرعهم عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى الذى مال الى القياس ، وعيسى بن عمر الثقفى شيخ سيبويه الأول قبل الخليل بن أحمد ، وهو أول من ألف فى علم النحو ، وأبو عمرو بن العلاء ، وهو أوسع رجال حلبته علما بكلام العرب ولغاتها ، وأصدقهم لهجة ، وهؤلاء ومن شايعهم زعماء مدرسة البصرة . ولما أسست مدرسة الكوفة ، وسلكت طريقا فى التفريع والاستنباط جديدا يختلف عن طريق البصريين ، قوى النزاع بين المدرستين ، واشتد الخلاف فى القواعد اللغوية ، فعمد كل فريق الى العرب فى مضارب خيامهم يروى عنهم ، ويستند الى كلامهم ، وكثرت الرواية وراجت سوقها حتى كان ذلك من أسباب الانتحال فى الشعر الذى اشتهر عن الكوفيين فى آخر العصر الأموى وأوائل العصر العباسى ، حتى إن نحويى الكوفة زعموا أنهم يعرفون من شعر العرب ما لا يعرف البصريون ، لأنه — فيما زعموا — كان لديهم ديوان الشعر الذى مدح به النعمان بن المنذر وأهل بيته ودون فى الطنوج « الكراريس » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كان هم هؤلاء وأولئك المحافظة على اللغة وحمايتها من اللحن ، فوضعوا لها القواعد ، ومهدوا القياس ، ودرسوا الأدب العربي على هذا الاساس ، وعنوا برواية الشعر ودراسته على منهجهم في التعصب للجانب اللغوى ، وإيثار الغريب ، مما حملهم على المنافسة في جمع غرائب اللغة والتشدد في المحافظة على قواعدهم ، ورفض كل ما ند عنها ، واعتباره شاذا لا يعول عليه ، وقد انتقدوا العرب أنفسهم إذا حادوا عن سنن تلك القواعد ، وأخذوا على الشعراء الأقدمين مآخذ رأوها خارجة على ما تواضعوا عليه من أقيسة وأصول ، فأخذوا على امرئ القيس قوله :

فاليوم أشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

إذ جزم الفعل المضارع « أشرب » ولا جازم له ، وقد روى أبو العباس المبرد في كامله هذا البيت فاليوم « أسق » ، واختلاف الروايات الى حد الكثرة الطاغية مما ابتلى به الادب العربي ، وليس ببعيد أن يكون بعضه متعمدا ليحتج به على قاعدة نحوية أو مسألة علمية ، فبيت امرئ القيس المذكور يبعد أن يكون التغيير فيه من « أشرب » الى « أسق » أو من « أسق » الى « أشرب » غير مقصود ، لأنه ليس للفظتين اشتباه خطى أو لفظى يمكن أن يستند إليه الظن في التغيير لمجرد الرواية ، والشاعر لا بد أن يكون قد قال واحدة منهما فقط ، ونحن بين أمرين : فاما أن يكون الشاعر قال : « أشرب » فجزم بغير جازم ، فجاء من يزعم أن السليقة العربية لا تخطئ وغيره الى « أسق » ، وإما أن يكون الشاعر قال « أسق » فجاء من يجوز أن السليقة العربية قد تحيد عن الأعم المألوف فغيره الى « أشرب » مجزوما بدون جازم ، وقد ردد أبو العلاء المعرى البيت بين الروايتين ، وحاول تخريج رواية « أشرب » على وجه يجعلها متمشية مع القواعد . وزعم بعض العلماء أنه يجوز أن يكون ثم إشارة الى الضم لا حكم لها في الوزن ، ونقل عن سيبويه أنهم يفعلون ذلك في قول الراجز :

متى أنام لا يؤرقنى الكرى ليلا ولا أسمع صوت المطى

ويسميه ابن فارس اختلاس الحركات ، وهذا كله تكلف جر إليه اضطراب الامر في الرواية والتعصب المذهبي .

وأخذوا على طرفة بن العبد قوله : قد رفع الفخ فماذا تحذرى .

فقد حذف نون الفعل المضارع وهو « تحذرى » من غير موجب لهذا الحذف . وأخذوا على النابغة الذبيانى قوله :

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع

لأنه رفع كلمة « ناقع » وحقها النصب على الحال . وبعض النحاة يصحح ما قال النابغة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد لج الخصام بين الشعراء المتقدمين وعلماء اللغة، وكان من أعجبه ما وقع بين الفرزدق وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي الذي كان يتتبع سقطات الفرزدق ويعيب عليه شعره، والفرزدق يضيق به ذرعا، قال ابن الانباري: وكان ابن أبي إسحاق يرد كثيرا على الفرزدق، ويكلمه في شعره، فقال فيه الفرزدق:

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

فقال له الحضرمي: ولقد لحنت أيضا في قولك «مولى مواليا». قال يونس بن حبيب: كان أبو عمرو بن العلاء أشد الناس تسليما للعرب، وكان عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر يطعنان على العرب، وقد كان أبو عمرو يدافع عن الفرزدق ويجتهد في تخريج كلامه على وجه صحيح، حكى أبو عمرو أن ابن أبي إسحاق سمع قول الفرزدق:

وعض زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف

فقال له: على أي شيء ترفع «أو مجلف»؟ فقال: على ما يسوءك وينوءك. قال أبو عمرو: فقلت للفرزدق: أصبت، وهو جائز على المعنى: أي أنه لم يبق سواه، وكان الفرزدق إذا اعترض عليه أحد يقول: على أن أقول، وعليكم أن تحتجوا.

وقد اختلف العلماء قديما: هل يقع الغلط في كلام العرب الخلص؟ فقال قوم: لا يقع ذلك في كلامهم، وما يروى منه عنهم فانما هو من الضرورات الجائزة، وقال آخرون: لا مانع من وقوع ذلك منهم، وهم ناس كغيرهم ليسوا معصومين، وإذا وقع فلا يتابعون عليه، قال العلامة الألوسي في كتاب الضرائر: «العرب قد غلطوا في كلمات أوردوها في شعرهم ... فعد ذلك بعض أئمة العربية من الضرائر الشعرية، منهم الامام أبو سعيد القرشي، والسيد المرتضى، وذهب الجمهور الى أن أغلاط العرب ليست من قبيل الضرورة، وأنها لا تغتفر لهم، ولا يعذرون فيها، ولا يتابعون عليها كما يتابعون في الضرائر». وقال ابن فارس: «والشعراء أمراء الكلام يقصرون الممدود، ويمدون المقصور، ويقدمون ويؤخرون، ويومئون ويشيرون، ويختلسون ويعيرون ويستعيرون، فأما لحن في إعراب وإزالة كلمة عن نهج صواب فليس ذلك لهم ... ما جعل الله الشعراء معصومين، يوقون الغلط والخطأ، فما صح من شعرهم فمقبول، وما أبته العربية فمردود».

وقد نقل الامام ابن جني عن أستاذه أبي علي الفارسي السبب في وقوع الغلط من العرب فقال: إنما دخل هذا النحو في كلامهم لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها، ولا قوانين يستعصمون بها، وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به، فربما استهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وربما كان قريبا من الصواب — إن شاء الله — أن كل ماصح عن العرب قبل الاسلام يجب التسليم له والاخذ به ، ويتفاوت فى الاجودية فقط بحسب الكثرة والشيوع ، والقلة وعدم الذيوع ، فالاول نعده أجود ، والثانى نعده صحيحا جيدا ، ولكنه دون الاول ، ولا يقال لمتابعه من المولدين غالط مخطئ ، فمثلا إذا صح أن شاعرا عربيا قبل الاسلام قال : ولكنى سليقى أقول فأعرب . فنسب الى فعيلة على لفظها فعيلى ، فلا بأس على من يقول من المولدين فى النسب الى طبيعة مثلا : طبيعى ، وأجود منه من يقول : طبعى متابعة للأكثر الأشهر . أما اللحن فى الاعراب فلا أكاد أفهم وقوعه من العربى القح ، وإنما هى ألسنة صنعها الله تتحرك بالاعراب فى غير صنعة ولا تكلف .

صادق ابراهيم عرجون

مداعبات بالكنايات

قال معاوية بن أبى سفيان للاحنف بن قيس سيد بنى حنيفة : أخبرنى عن قول الشاعر :

إذا ما مات ميت من تميم فسرك أن يعيش فجئ بزاد
بخبز أو بتمر أو بسمن أو الشيء الملفف فى البجاد
تراه يطوف فى الآفاق حرصا ليأكل رأس لقمان بن عاد

ما هذا الشيء الملفف فى البجاد ؟

قال الاحنف : السخينة يا أمير المؤمنين .

قال معاوية : واحدة بأخرى والبادى أظلم .

والسخينة طعام كانت تعمله قريش من دقيق وهو الحريرة فكانت تسب به . وفيه يقول حسان بن ثابت :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب

وقال غيره : تعشوا من سخينتهم فناموا .

ولما عزل عثمان بن عفان رضى الله عنه عمرو بن العاص عن مصر وولاها ابن أبى سرح ، دخل عمرو على عثمان وعليه جبة محشوة ، فقال له عثمان : ما حشو جبتك يا عمرو ؟

قال عمرو : أنا يا أمير المؤمنين .

قال الخليفة : قد علمت أنك فيها . ثم قال له يا عمرو : أشعرت أن اللقاح درت بعدك ألبانها ؟

فأجابه عمرو : لأنكم أعجفتم أولادها (أى أهزلتموها)

فكنى عثمان عن خراج مصر باللقاح وهى النوق الحلوب ، وكنى عمرو عن إرهاق الوالى لأهلها بإهزال أولادها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ماهو الاثير

حدث فى الشهر الماضى أن أحد المحاضرين فى بعض الجماعات الادبية انتدب لتفسير بعض الآيات القرآنية المتشابهة والواردة فى لفت الانظار الى بعض الظواهر الطبيعية ، فجعل الاثير معوله فى التفسير والتمايل ، وكان بين الحضور جم غفير من طلبة العلم والعلماء ، فلم تقع منهم تلك المحاضرة موقع القبول لاعتمادها على مادة افتراضية ، وأقبل علينا بعضهم يرجو تنا أن نكتب كلمة فى حقيقة الاثير ، فلم يسعنا إلا تلبية الطلب ، فنقول :

تتردد كلمة الأثير فى أفواه العلماء عند كلامهم على أصل المادة وعلى النور والحرارة والكهرباء وغيرها من القوى الطبيعية ، فيحلون به ما أشكل عليهم حله من معميات الكون ، ويفكون ما استبهم من طلاسمه .

ما الذى دعا الطبيعيين الى افتراض شيء لا يدرك بالحواس ، ولا يخضع للتجربة ، ويناقض بخصائصه وبصفاته كل ما يعرف من أشياء الطبيعة ؟

الذى دعاهم لذلك هو :

كان الطبيعيون الاقدمون يظنون أن النور والحرارة ينتقلان من بعض الاجسام إلى بعض بتأثيرهما الذاتى من بعد ، فلما تأملوا فى ذلك فى العصور الحديثة وجدوه مما لا يعقل ولا يفهم ، فافترضوا أنهما يسريان من الأجسام المنيرة والحارة على صورة أمواج ، فأجمعوا على قبول هذا الافتراض ، وكان أول من قال به الطبيعيون من المسلمين (راجع ما قاله العلامه دريبر) .

ولكن العلماء اعترضهم أمر جلل وهو : جهلهم على أى حامل تسرى هذه الامواج الضوئية والحرارية الينا من الشمس والكواكب ، وليس بيننا وبينها هواء ؟ فان الهواء جسم غازى يحيط بالكرة الارضية الى نحو خمسة وعشرين كيلو متراً منها . ولو كان الهواء مالئا للفضاء الموجود بيننا وبين الكوكب لبلغ ثقله على الارض حدا لا تمكن المعيشة فيه ، ولصد الكواكب الاخرى عن الجولان كما تصدها الحجب الفولاذية .

وإن افترض العلماء أن ذلك الحامل ليس بالهواء ولكنه شيء مادى ألطف منه ، لزم منه كل ما يلزم من الهواء ، لانه ما دام ذلك الشيء ماديا فان لانهائيته تجعله أكثف من الصوان . وإننا إنما نرى ما وراء الهواء من الكواكب والشموس لان طبقته قليلة السمك ، ومع ذلك فهو يلون السماء باللون الازرق ويكسر الاشعة المنبعثة الينا من الكواكب ، فيخدعنا عن أماكنها ، ويرينا أجرامها قبل أن تظهر على الافق . فما ظنك به لو كان مالئا لهذه اللانهاية ؟

لما آنس العلماء كل هذه الصعوبات من افتراض الحامل للاشعاعات ماديا ، اضطروا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن يفترضوه غير مادي ، لا بمعنى أنه روحاني ، بل بمعنى أنه شيء لم يصل لدرجة المادية فلا تسري عليه قوانينها . وهم لأجل أن يخلصوا من كل الايرادات التي يمكن أن توجه الى ذلك الشيء فتحول بينهم وبين التعليل به ، أخذوا فيه لانفسهم كل حيطة ، فافترضوه شيئا مالئا للوجود كله لا يخلو منه قدر ذرة فى الارض ولا فى السماء ، لا وزن له ولا مسام ، وغير قابل للانضغاط وغاية فى اللطافة . بل قالوا إن كل شيء مادي ناشيء منه فهو أصل جميع الموجودات الكونية .

فى عهد الشعور بالضرورة الماسة لافتراض الاثير ، كان العقل يجد لوجدانى نظرية جديدة غير نظرية الجوهر الفرد الذى جعلوه أصلا للمادة ، لعدم انطباق هذه النظرية على بداهة العقل ، فالتمسوا فى الاثير مخرجا لهم من التورط فى عقبات تصورها ناشئة من جواهر مادية لا تقبل الانقسام ؛ فتخيلوها حركة زوبعية فى الاثير ، أى أن جزءا من الاثير يتحرك ، بسبب غير معلوم ، حركة سريعة للدرجة القصوى على هيئة زوبعة ، وبانضمام عدد كبير من هذه الزوابع بعضها الى بعض تتألف منها المادة ، وإنما تتنوع بتنوع درجات تلك السرعة ، ونظام تآلف وحداتها .

ولما رأى العلماء أن بعض القوى تستحيل الى بعض كاستحالة الحرارة الى كهرباء أو نور أو العكس الخ ، قرروا أن هذه القوى كلها ليست بشيء سوى حركات حاصلة فى ذلك الاثير .

فالأثير بكل هذه الاعتبارات هو فى نظر العلماء الطبيعيين : الموجود المطلق الذى لا أول لوجوده ، ولا آخر لبقائه ، مصدر كل موجود ، ومستقر كل قوة ، ومستودع كل إبداع .

أشعر وأنا أكتب هذا بأن القارئ البعيد عن المسائل العلمية قد أخذ منه العجب كل مأخذ من إجماع رجال يعتبرون أبعد الناس عقولا عن الاوهام على القول بوجود شيء خلقوه بخيالهم ، ونحلوه كل الصفات التى يحتاجون اليها فى تعليلاتهم ، وليس لهم على ذلك دليل ولا شبه دليل . ثم يتساءل ذلك القارئ بعد هذا : إذا كان هذا شأن علماء الطبيعة فى الملجأ الى افتراض الخيالات للوصول الى تعليل وجود الكائنات ، فلم يثورون على المتدينين فى اعتقادهم بوجود واجب الوجود المنزه عن المادة والماديات ، الاول الذى لا موجود قبله ، والآخر الذى لا موجود بعده ؟

ما الذى بقى من الفروق بين الصفات التى يوصف بها الخالق عز وجل ، وبين الصفات التى تمنح للاثير فى هذا العصر ؟ الفرق أن المتدينين يعتقدون أن خالق الكون ومدبره حكيم مريد ، ولكن العلماء الطبيعيين لا ينحلون الاثير هاتين الصفتين . ولا أدرى كيف إذا جردوا الاثير من هاتين الصفتين يستطيعون أن يعللوا وجود المادة بعد أن لم تكن موجودة ، وبلوغ الكائنات من الابداع الى هذه الدرجة التى لا غاية بعدها ، وكيف يعللون وجود العقل البشرى وليس له ما يستمد وجوده منه فى الكون ؟

كل هذه المعاضل لا يمكن أن يحلها افتراض وجود الاثير ، الا إذا افترضت له الصفات

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المطلقة التى أدركها العقل البشرى لواجب الوجود نفسه ، وإذن فما ضرورة تسمية الخالق جل وعز بالاثير ، وما وجه هرب الماديين من الايمان بالغيب وهم يؤمنون بهذا الاثير وخصائصه ؟

لقد لحظ هذا التناقض اشدهم تعصبا للفلسفة الطبيعية ، وعلى رأسهم الاستاذ الكبير هيكيل المانى Hackel المدرس بجامعة يينا ، فكتب فى كتابه (وحدة الوجود) قوله :

« إن هذا الترقى فى إدراك الاثير يكسب فلسفة وحدة الوجود قوة عظيمة . ذلك أن الآراء الضالة التى كانت تقول بوجود الفراغ وبتأثير المواد بعضها على بعض من بعد ، قد زالت الآن . وهذه اللانهاية الوجودية وإن كانت المادة لا تشغلها كلها فانها برمتها مشغولة بالاثير » . ثم قال :

« نعم : إن نظرية الاثير إذا أخذت كقاعدة للايمان يمكنها أن تعطينا شكلا معقولا للدين ، ذلك إذا جعلنا إزاء هذه الكتلة الجامدة الثقيلة أى المادة ، ذلك الأثير الشامل لجميع الاحياز الوجودية المتحرك ، الذى هو الاله الخالق » . ثم أيد الاستاذ هيكيل رأيه هذا برأى الاستاذ خليسنجر الالمانى الذى أبداه فى خطابة ألقاها فى التنبورغ من المانيا فذكر عنه أنه قال :

« إن أحقر مظهر من مظاهر الطبيعة غير الآلية ، وأكبر مجلى من مجالى الحياة الآلية ، يمكن أن يعلل وجودهما على السواء بفعل قوى طبيعية واحدة ، ولما كانا من ناحية أخرى يشتركان فى الصدور من الأصل الأصيل المتوحد الذى يملأ الوجود اللانهائى ، وهو الأثير ، فيمكن اعتبار هذا الاثير (إلها عاما) ويكون نتيجة ذلك هو الحكم بان الاعتقاد بالخالق يتفق والعلوم الطبيعية » .

الى هذا الحد وصل الاعتداد بالاثير لدى العلماء المعاصرين لنا ، فهم إن كانوا لم يجمعوا على ألوهيته ، فقد أجمعوا على ضرورته ، لفهم كل صغيرة وكبيرة فى الكون .

والذى يتبادر للعقل أن العلماء الذين قالوا بألوهية الاثير كان الاولى بهم أن يقبلوا العقيدة النظرية المنبثة فى النفوس الانسانية من ضرورة وجود إله منزه عن الجسمانية قادر حكيم أوجد الوجود وأمده بكل القوى العاملة فيه ، ولا يزال يربه ويرقيه ليبلغ الى أرقى ما قدره له من كمال وجلال .

أما تخيل وجود سيال سموه الاثير وتصوره لطيفا غاية اللطف مالئا للكون كله وليس فيه مسام ولا يقبل الضغط ولا وزن له الخ من الصفات المتناقضة ، ثم رفع هذا السيال الى درجة الالوهية ، فلعب بالالفاظ لا يصح صدوره من كبار الرجال ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حياة المتنبي

تنبؤه (١)

ليس في حياة أبي الطيب مسألة أشد غموضا من سر هذا اللقب الذي نبزوه به ، ومهما يكن في حياته من الدقة والغموض فانا نعترف بقوة الدقة والغموض اللذين أحاطا بهذا اللقب ؛ وآية ذينكم أن الكتاب مازالوا يكتبون عن أبي الطيب منذ كان الى يوم الناس هذا وهم يختلفون في الابانة عن حقيقة هذا اللقب ، وكتاب عصرنا هذا يختلفون أيضا في الاستنتاج والتعليل ؛ ولقد حاولت أن أقف على الوضع الحقيقي لهذه المسألة متخذا من شعره وأخباره نبراسا أستضيء به فأعياني تطلابه ، ووقعت في حيرة وليس هما شر من الاعراض عنه ؛ ذلك أنه لم يعن أحد ممن عاصر المتنبي أو قرب من عصره بالبحث عما يشوقنا اليوم أن نعرفه ، بحثا يثلج صدر الحقيقة ويملأ قلب الناس يقينا بصحة أسبابه ونتائجه ؛ فكل ما بين أيدينا كلمات منثورة في بطون الكتب جرى بعضها على ألسنة قوم عرفوا بالهوى فيه والتعصب له الى حد التغاضي عن القبيح ، وجرى بعضها الآخر على لسان قوم لم يعرف الناس عنهم شيئا أو عرفوا عنهم الكراهية له الى حد تشويه محاسنه . فمهمة الباحث اليوم من أشق ما يتصوره عقل . وكل ما يمكن أن يصل اليه باحث ، ظنون قد لا يطول به الأمد حتى تتكشف له عن نفسها كخدعة من خدع الغرور .

حكى أبو الفتح عثمان بن جني قال : سمعت المتنبي يقول : إنما لقبت بالمتنبي لقولي :

أنا ترب الندى ورب القوافي   وسمام العدا وغيظ الحسود
أنا في أمة تداركها الله   غريب كصالح في ثمود

وفي هذه القصيدة يقول :

مامقامي بأرض نخلة إلا   كمقام المسيح بين اليهود

وليس هذا الذي ذكره أبو الفتح إلا كالتمحلات التي يرتكبها بعض الناس باخراج الألفاظ عن أوضاعها ومعانيها ، ذلك بأن أبا الطيب نفسه كان يتألم إذا نبزوه بهذا اللقب ؛ فهو يعلم أن الناس لا يطلقون عليه ذلك تشبيها له بالانبياء ، وإن كانت هذه الصيغة قد تستعمل في العربية لافادة معنى التشبيه .

وذكر أبو العلاء في رسالة الغفران ما كان أعداء أبي الطيب يتحدثون به عنه ، فقال : « وحدثني الثقة عنه حديثا معناه أنه لما حصل في بني عدي وحاول أن يخرج فيهم قالوا له

(١) تتمة البحث المنشور في العدد السابق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد تبينوا دعواه : هاهنا ناقة صعبة فان قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل ، وأنه مضى الى تلك الناقة وهي رائحة في الابل فتحيل حتى وثب على ظهرها ، فنفرت ساعة وتنكرت برهة ، ثم سكن نفارها ومشت مشي المسمحة ، وأنه ورد بها الحلة وهو راكب عليها ، فعجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم . وحدثت أيضا أنه كان في ديوان اللاذقية ، وأن بعض الكتاب انقلبت على يده سكين فجرحته جرحا مفرطا ، وأن أبا الطيب تفل عليها من ريقه وشد عليها غير منتظر ، وقال للمجروح : لا تحلها في يومك ؛ وعد له أياما وليالى ؛ وأن ذلك الكاتب قبل منه فبرئ الجرح ؛ فصاروا يعتقدون في أبي الطيب أعظم اعتقاد ، ويقولون : هو كمحيي الاموات . وحدث رجل كان أبو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية ، أو في غيرها من السواحل ، أنه أراد الانتقال من موضع الى موضع ، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما كلب ألح عليهما في النباح ، ثم انصرف ، فقال أبو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : إنك ستجد ذلك الكلب قد مات ؛ فلما عاد الرجل ألفى الامر على ما ذكر . ولا يمتنع أن يكون أعد له شيئا من المطاعم مسموما وألقاه له وهو يخفى عن صاحبه ما فعل » اه

وقال أبو العلاء في رسالة الغفران مرة أخرى : « وحدثت أنه كان إذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال : هو من النبوة بمعنى المرتفع من الارض ؛ وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وإنما هي مقادير ، يديرها في العلو مدير ، يظفر بها من وفق ، ولا يراع بالمجتهد أن يخفق . وقد دلت أشياء في ديوانه أنه كان متألها ، ومثل غيره من الناس متدلها ، فمن ذلك قوله :

... ... ولا قابلا إلا لخالقه حكما

وقوله : ما أقدر الله أن يخزى بريته ولا يصدق قوما في الذي زعموا

« وإذا رجع الى الحقائق ، فنطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الجنان ؛ لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق ، ويحتمل أن يظهر الرجل تدينا ، وإنما يجعل ذلك تزينا ، يريد أن يصل به الى ثناء ، أو غرض من أغراض الخالبة أم الفناء » اه

وأبو العلاء في هذه العبارات مضطرب كل الاضطراب ؛ فبينا هو يقص عليك معجزات أبي الطيب التي تخرق بها على بني عدي ؛ إذا هو يذكر لك أنه إنما نمع فيما طمع فيه من هو دونه بعد همة وعلو نفس ، ولا يمكن أن يكون مقصوده بذلك النبوة ، ثم هو بعد ذلك يعود فيذكر لك أن أبا الطيب كان يعترف بالله تعالى ، ويرشدك الى دلائل هذه العقيدة من شعره ، ويعود الى التشكك في دلالة هذه الاقوال على ما في نفسه لان نطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الجنان ؛ وكأن أبا العلاء كان يعاني ما نعانيه اليوم من غموض حال المتنبي وشدة خفائها .

والذي نستطيع أن نعقله أن هذا اللقب قد نبزه به أعداؤه ، وليس له حقيقة برزت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

في الوجود ، وأن أبا الطيب كان يقوم بدعوة سياسية : كان يطلب الملك ويمنى نفسه به ، ويعد له عدته التي ظن أنها تصل به اليه : من المران على الحرب ، وجمع المال ، والاستكثار من الاعوان ، وتدبير المؤامرات ؛ ولم يكن يجسر على الجهر بذلك في عواصم الملك التي عاش فيها ؛ فكان يخرج الى البوادي يتحين الفرصة ويستجمع للوثوب وتحقيق ما في نفسه من آمال ، وهذا سر من أسرار انتقاله من ملك الى ملك ، وقد ساعده على هذا الحلم اللذيذ ما كان يقع تحت نظره كل يوم من ثورات وفتن وانقلاب ، وقوة إيمانه بأنه أفضل من سعت به قدم ، وكان ربما قنع بأقل من الملك فرغب في ولاية من الولايات يخلعها عليه كافور ، ولعل هذه القناعة لم تكن إلا لأنه فهم أن الولاية سبب يصل من طريقه الى الملك كالذي كان يراه في جماعة من ملوك عصره ؛ ولعل كافورا لم تخف عليه سريرته فحرمه الولاية التي كان وعده إياها ، ولعله هو نفسه قد شعر بأن كافورا فطن لدخيلة نفسه ففر من مصر تحت جنح الليل ؛ أفلست تراه يقول لكافور أول وروده عليه :

وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا

حتى إذا تأخر عنه جواب كافور ، وخشي أن يفوته المأمول ، أو أن يظن به عدم الكفاية للاضطلاع بأعباء الولاية ؛ عاوده بقوله :

فارم بي حيثما أردت فإني أسد القلب آدمي الرواء

وفؤادي من الملوك وإن كا ن لساني يرى من الشعراء

ولم يزل يظهر لكافور تلهفه على إنجاز موعوده : بالتعريض مرة وبالتصريح مرة أخرى حتى أدركه اليأس وعلم أن في الامر شيئا ؛ انظر الى قوله :

إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب

ثم انظر الى قوله :

وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أملت منك حجاب

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

قال أبو منصور الثعالبي : « وما زال في برد صباه الى أن أخلق برد شبابه وتضاعفت عقود عمره ؛ يدور حب الولاية والرياسة في رأسه ، ويظهر ما يضمر من كامن وسواسه ، في الخروج على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض الاطراف ، ويستكثر من التصريح بذلك في مثل قوله :

لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن أقحم حتى لات مقتحم

لأتركن وجوه الخيل ساهمة والحرب أقوم من ساق على قدم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكقوله :

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ ... كأنهم من طول ما التثموا مرد
ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا ... كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا
وطعن كأن الطعن لا طعن بعده ... وضرب كأن النار من حره برد
إذا شئت حفت بي على كل سابح ... رجال كأن الموت في فمها شهد

« وكان كثيرا ما يتجشم أسفارا بعيدة أبعد من آماله ، ويمشي في مناكب الأرض ، ويطوي المناهل والمراحل ، ولا زاد إلا من ضرب الحراب على صفحة المحراب » اهـ

هذه فيما نعتقد حقيقة حاله ؛ وأما ادعاء النبوة فلا نستطيع أن نتقبله مهما زعم الناس أن العصر الذي عاش فيه ورغبته في أن يكون أبعد أهل عصره أملا ، وكثرة الدعوات الدينية والسياسية كل أولئك تقرب الى العقل أنه ادعى النبوة ؛ نقول ذلك بعد علمنا تقدير الناس لمقام النبوة ورسوخ عقيدة الاسلام في أذهانهم ، ومنها أن محمدا صلى الله عليه وسلم ختام الانبياء ، حتى إن الدعوات الدينية التي ادعاها المدعون بعد ذلك لم تكن إلا في نواحي الامامة وما يتصل بها ؛ ونحن نرى كل هذه الدعوات كانت تستند الى نصوص يزعم الراوون لها أنها صدرت عن رسول الله ، أو أوهام في نصوص أخرى ثابتة ، ولو أن أبا الطيب كان قد ادعى النبوة لما وجد من الناس من ينتظر عليه حتى يتم دعواه ؛ ولعله لم يكن من الحكمة في دعواه التي اقتضينا أمرها بحيث يخفى شأنه ، فكان لذلك لا يأمن جانب أحد ، وكان لا يدخل بلدا إلا لتقذف به الى بلد ، ثم كانت بعد ذلك نهايته المحتومة .

أبو الطيب والنحاة :

ليس يسوغ لي في مستهل هذا البحث أن أغفل أن أبا الطيب كان قد أخذ من العربية بأوفر حظ ؛ فهو حافظ لغريبها حفظ الباحث المستقصي حتى ليسأله أبو علي الفارسي : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ؟ فيبادره بقوله : حجلى وظربى ، ويبحث أبو علي لياليه في كتب اللغة لعله يعثر لهما على ثالث فلا يجد ؛ ويقول أبو علي في شأنه : « ما رأيت رجلا في معناه مثله » . وهذه الشهادة من أبي علي الذي كان يناصبه العداوة ويتحامل عليه كافية للدلالة على قدره . وكان مع اطلاعه على مفردات اللغة وغريبها عالما بمواطن استعمالها متمكنا من قواعدها خبيرا بلغات القبائل ؛ وله شعر جزل لا نظير له في شعر أحد من شعراء العربية ، وقد خلا كثير من شعره من كل مأخذ وتجانب كل انتقاد ، ولكن له مع ذلك شعرا قد جانب الطرق المشهورة في العربية الى طرق لا يقرها النحاة الذين جعلوا مهمتهم تتبع المعروف الجاري على الألسنة ، ورسموه قواعد أرادوا أن تكون هي لسان الناس عامة . وإن يكن أحد قد نال من أبي الطيب في حياته وبعد موته منالا له وجه صحيح وقد بقي أثره والدليل عليه ، فأولئك هم النحاة ؛ ولسنا نعني

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالنحاة علماء الاعراب فحسب ، وإنما نريد بهم كل من كان يتكلم فى فرع من فروع العربية ؛ فهؤلاء هم الذين جرحوا عزة المتنبي ونامنوا من كبريائه ؛ وهؤلاء هم الذين كان أبو الطيب يضيق بهم ذرعا وتتألم نفسه إذا وجه واحد منهم خطابه اليه . وكيف لا يضيق صدره وشعره هو وسيلته التى يكتسب بها رضا الناس وهم يعمدون الى هذه الوسيلة فيضعفون من شأنها ويحاولون أن يقللوا من قيمتها ؟ ولم يكن النحاة فيما نعتقد قد أكثروا من تعقبه واخذه عليه لوجه العلم ولا انتصارا للحق ، وإنما كان ذلك منهم سلاحا من أسلحة السياسة التى وجهت الى الرجل ؛ وليس يعنينا بحث ذلك الآن ، ولكننا نذكر أنه — مع عدم توفر حسن النية — قد أمكن للنحاة أن يجدوا فى شعر أبي الطيب ما يستمسكون به عليه ويتخذونه ذريعة للتشفى منه ولارضاء سادتهم ، وكانوا يجبهونه بذلك أحيانا ، وكانت تأخذه العزة فيسب ويقذع فى سبابه أحيانا ، شأن المغيظ المحنق الذى يداخله الشك فى أمرهم ، وكان ربما ضن عليهم بالاجابة فأحالهم على بعض أصدقائه من النحاة . حدثوا أن ابن خالويه وجه الى أبي الطيب نقدا فى حضرة سيف الدولة فقال له أبو الطيب : اسكت ويحك فانك أعجمى فمالك وللعربية ! وكان مع ابن خالويه مفتاح فضربه به فشج رأسه . وحدثوا أن سائلا سأله عن قوله فى مطلع قصيدة مدح بها أبا الفضل بن العميد :

باد هــواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أوجرى

فقال له : كيف قلت لم تصبرا ؟ فقال : لو كان أبو الفتح حاضرا لاجاب ؛ يريد أبا الفتح عثمان بن جنى وكان صديقا حميما له . وبعض المآخذ التى أخذها عليه النحاة تافه أو لا وجه له كالذى حدثوا أن ابن خالويه سمعه ينشد سيف الدولة :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

فقال له : يا أبا الطيب ، إنما يقال شجاه ، يتوهمه فعلا ماضيا ، فقال له أبو الطيب : اسكت فما وصل الامر اليك ، يعنى أنه أفعل تفضيل .

وبعض المآخذ التى أخذوها عليه صحيح لا شبهة فى أنه أخطأ فيه الجادة ؛ كالتعقيد اللفظى والمعنوى ، واستعمال الغريب الوحشى والعدول عن سنن القياس ، وقبح بعض المطالع وبعض المقاطع ، واستعمال اللغات المهجورة ، وأمثلة ذلك كله ميسورة قريبة التناول .

وفى كتب علماء البلاغة أمثلة وشواهد كثيرة من شعر المتنبي يعدون بعضها فى عيون الشعر ومحاسنه ، ويعدون بعضها الآخر فى رذيل الشعر ومستكرهه .

أما علماء الاعراب فقد جروا على قاعدتهم فى عدم الاحتجاج بشعر المولدين مع أبي الطيب ؛ ولكن كثيرا منهم يذكر أبياتا من شعره فى موطن من ثلاثة مواطن : موطن التمثيل لا الاستشهاد ، وموطن مخالفة القياس ، وموطن التطبيق وذلك فى المعقد من شعره . وقد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ذكر العلامة رضي الدين في شرح الكافية بعض أبيات للمتنبي على أنها مخالفة للقياس ، وللعلامة المحقق جمال الدين بن هشام صاحب مغني اللبيب ولابي السعادات بن الشجري في أماليه شروح وتخريجات لأبيات كثيرة من معقد أبيات أبي الطيب ، وقد كان لابي الفتح عثمان بن جني صديق المتنبي اليد الطولى في توجيه أنظارهما الى هذه الناحية بما بذله من جهد في تخريج شعر المتنبي ؛ حتى كان أبو الطيب نفسه يقول له : « إني لم أقل هذا الشعر لهؤلاء النحاة ، وإنما أقوله لك » .

أيها السادة : هذه كلمتي التي كتبتها على عجل ، وإني لسعيد بأن أتشرف بالقائها بين يديكم ، وأشكر لجنة المهرجان التي أتاحت لي هذه الفرصة النادرة للتعرف اليكم . والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد محيي الدين عبد الحميد
المدرس في كلية اللغة العربية

طرفة من كلام المأمون

اجتمع أمير المؤمنين المأمون يوما بثنوي يقول بوجود إلهين اثنين ، فقال له المأمون : أسألك عن حرفين لا أزيد عليهما : هل ندم مسيء قط على إساءته ؟

قال الثنوي : بلى .

قال المأمون : فالندم على الاساءة إساءة أم إحسان ؟

قال الثنوي : بل إحسان .

قال الخليفة : فالذي ندم هو الذي أساء أم هو غيره ؟

قال المعدد : بل هو الذي أساء .

قال أمير المؤمنين : فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر .

قال الرجل : فاني أقول الذي ندم غير الذي أساء .

قال المأمون : فندم على شيء كان منه ، أم على شيء كان من غيره ؟

ثم قال له أيضا :

أخبرني عن قولك بالهين اثنين : هل يستطيع أحدهما أن يخلق خلقا لا يستعين فيه بصاحبه ؟

قال الثنوي : نعم .

قال المأمون : فما تصنع باثنين ؟ واحد يخلق كل شيء خير لك وأصح !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المطالب العالية فى النفس الناطقة

وصلتها بالانسان

عرضنا فى البحث السابق كعجالة للمشهور من المذاهب فى النفس الناطقة لا فرق بين المتكلمين وبعض فرق الصوفية والفلاسفة الاقدمين منهم والمتاخرين ، ولم يتسع بنا المجال للكشف عما هو الباطل منها وما هو الحق لظروف مفاجئة . لكن يبقى بعد ذلك أن أصحاب هذه المذاهب افترقوا فى اتجاهاتهم الى مناح شتى لها أوثق اتصال بصميم كل مذهب والمدى الذى ينتهى اليه وما يستتبعه من آثار مترتبة أو نتائج لها مقدمات متصلة بقضايا علوم النفس وأقيستها ، فافترق أصحاب هذه المذاهب فى بحوث متصلة بعلوم النفس بما لايجد الباحث عنه غناء، وما يفتح أعين رواد الحقائق العلمية على نظريات قيمة ذات أثر بين فى علوم الاخلاق وعلوم النفس وعلوم التربية .

من تلك النظريات أنهم قالوا : هل النفوس الناطقة مجردة أو مادية ؟ وهل هى عين المزاج أم غيره ؟ ومنها أنها هل هى قديمة أو حادثة ؟ وهل مع ذلك تبقى بعد خراب البدن أو يعرض لها الفناء فتفنى ؟ وهل هى متحدة بالحقيقة فى أفراد النوع الانسانى أو هى مختلفة الحقائق فيه ؟ ثم هى بعد ذلك هل تنتقل فى الابدان على معنى أن تتناوبها فى عروضها لبدن بعد آخر حين يحل الفناء بالبدن السابق ، أو أنها تفنى لأول بدن حلت فيه ؟ وهل هى المدركة للكليات والجزئيات أم هى مدركة للكليات فحسب ، وأن مدرك الجزئيات هى الحواس دون النفس الناطقة ؟ وهل هى متناهية أو غير متناهية ؟

فالقائلون بقدم النفوس الناطقة يذهبون إلى أن تعطلها وعدم تعلقها بالبدن مستحيل الوجود ، ويرتبون على نظريتهم أنها منتقلة من بدن الى بدن . وهذا هو عين القول بالتناسخ .

ثم إن المعتنقين لهذا الرأى بعد ذلك افترقوا على مناح شتى :

فذهب بعضهم الى أن النفوس دائمة التردد فى الابدان من غير تمحض الى عالم المجردات أبدا ، على معنى أنها متأثرة أبدا بما يحيط بها من البدن ، فكلما استدبرت بدنا عرض له الفناء ، استقبلت آخر يستوحى البقاء ، فهى منقطعة عن عالم المجردات بما هيئ لها من ذلك التناوب فى الابدان حتى أحاطها مثقلة بالاجرام وعلائقها والطبيعة وغاشياتها .

ويرى البعض الآخر نقيض هذا الرأى ، فيذهب الى أن النفس الانسانية إما أن تكون كاملة فى ذاتها ، وإما أن تكون ناقصة ، فعلى الاول تكون كمالاتها المتلاحقة قد برزت من القوة الى الفعل فى آثارها المترتبة عليها وفيوضاتها التى تخلعها على الانسان ، فهى تبقى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مجردة بعد المفارقة . وإما أن تكون ناقصة فتتردد فى جسم أفراد النوع الانسانى بالتعاقب عليها، تنتقل من تدبير بدن إنسانى الى تدبير بدن إنسانى آخر بينهما اتصال ووجه شبه فى الاخلاق والملكات ، فلا تزال ترقى فى هـذا النوع حتى تبلغ الغاية القصوى فى أخلاقها وملكاتها ، ويسمى أصحاب هذا الرأى ذلك الانتقال (نسخا) .

والعجيب من أصحاب هـذا المذهب القائلين بقدم النفوس الناطقة أنهم يذهبون الى أن النفوس الناقصة الرديئة منها قد تنحط الى منزلة أقل من مستواها فتتعلق مثلا ببدن حيوان يكون أليق بها وأقرب اليها كبدن الاسد للشجاعة والارنب للجبن والحقد للجمل والضعف والخور للحمل والشراسة للنمر ، ودعموا نظريتهم تلك ببعض ما يشاهد فى الحيوانات من الاحوال الدالة على أن لها نفوسا مجردة كاتخاذ النحل رئيسا فى كوارة العسل ، وتلذذ الابل بسماع ما يشوقها ويثير فيها شهوات متنوعة ، وتلذذ بعض الخيل بالايقاع وبالمشاهد التى تحرك فيها نوازع الوجد إلى أليف غريب ، وتحنانها الى صاحبها البعيد ، وبأخلاقها العجيبة فى بعض أفراد الحيوان كالكبرياء فى فصيلة السبع وكلفه بالرياسة وتجنبه مفاوضة ما عداه من الحيوان ترفعا واستكبارا ، ويسمون هذا الانتقال (منحا) .

وقد تتنزل هذه النفوس التى لم تستكمل أجناس الفضائل الى عالم النبات ، ويسمى ذلك التنزل (رسخا) . وقد تتنزل الى الاجسام الجامدة ، ويسمى ذلك التنزل (فسخا) .

ومما يبعث على العجب العاجب من تفكير أصحاب هـذا المذهب أنهم زعموا أن الأولى لقبول ذلك الفيض الهابط من النفوس الناقصة هـو النبات لا غير ، ورتبوا على تلك النظرية نظرية أخرى هى أن كل نفس تفيض على النبات ثم ينتقل منها بعد ذلك الى ما هو أرقى ، وهكذا حتى ينتهى الى المرتبة المتاخمة لأول مراتب الحيوان ، ثم يتردد بعد ذلك فى مراتب الحيوان مترقية منها الى الأعلى فالأعلى حتى تصل الى آخر مرتبة ، وهكذا تترقى رويدا رويدا حتى تصعد الى مرتبة الانسان منمحضة إليها ، ثم إنها تتردد بعد ذلك فى مراتب الانسانية مترقية من مرتبة من الاعلى فالاعلى حتى تبلغ أعلى المراتب . وهنا قد تخلص من حكم الابدان بصيرورتها كاملة فى الانسانية ، وقد تتعلق ببعض الاجرام السماوية لكن لا على سبيل التصرف والتدبير لها كما هـو ظاهر ، بل تعلق شوق وهيام ومشاهدة وحالات قدسية تهبط إليها من الملأ الأعلى فتفوز بالسعادة السرمدية . وفى الحق أن أصحاب هـذه الآراء قد أخطأوا المحجة وتنكبوا الصراط السوى .

فلا مرية فيه أن هذه المذاهب وتلك الآراء — حاشا مذهب المتكلمين وبعض فرق الصوفية — باطلة ألبتة .

فقد أورد المتكلمون على المذاهب القائلة بالتناسخ تعقيبات لأصحاب هذه الآراء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من التزامها . وإذ يلتزمونها تقوم عليهم الحجة . فالمتكلمون يقولون فى معرض تدليلهم على فساد مذاهب التناسخ فى سائر مناحيها : لو أمكن التناسخ لكانت النفس المتعلقة الآن مثلا ببدن مسبوقة التعلق ببدن آخر ، ولو كانت كذلك لكان من مستلزماتها أن تتذكر الآن أنها كانت متعلقة قبل ذلك ببدن آخر ، لما تضافرت عليه الأوضاع من أن جوهر النفس الناطقة محل للعلم والحفظ والتذكر : فهى صفات قائمة بذاتها لا تختلف بتعاقب أحوال البدن ، ضرورة أن النفس فى ذاتها وصفاتها مجردة عن البدن ، فينبغى أن تبقى علومها بعد المفارقة عن ذلك البدن حتى تذكر فى هذا البدن كيفية أحوالها وملابساتها والأعراض المتعاقبة عليها . وغنى عن البيان أنها لم تتذكر شيئا كان لها ثم انفصل عنها ، وهذا يدل على أنها لم تكن موجودة فى بدن آخر .

ونقل الخوجة الطوسى عن جمهرة من أهل التحقيق تعقيبا على القائلين بالتناسخ يتلخص فى أنه لو تعلقت النفس الناطقة بعد مفارقتها ببدن آخر لزم أن يكون عدد الهالكين مساويا لعدد الكائنين وإلا بقيت بعد المفارقة مجردة ، فيلزم عن ذلك التجرد تعطلها ، وقد تضافر علماء الطبيعة على منع المعطل فى الطبيعة مع أنه قد يهلك فى الطوفان الكلى أو الوباء العام على افتراض حدوثهما أبدان كثيرة لا تقع نظائرها إلا فى أزمان متطاولة وآماد متباعدة ، وهذا بطبيعته يتنقص من إحدى الكفتين أبدا ما لا يتيسر إلحاقها بأبدان كائنة حية . لكن أوردوا على هذا التعقيب تعقيبات أخرى ، فقالوا : لا نسلم أن يكون عدد الهالكين مساويا لعدد الكائنين ضرورة أن التعلق ببدن آخر ليس مشروطا فيه أن يكون لازما من فوره ، فاما إذا كان جائزا أو لازما ولو بعد زمان فلا يمكن أن يقوم عدم التساوى بين الهالكين والكائنين برهانا على بطلان التناسخ لا مكان أن تتنقل نفوس الهالكين بعد حدوث الأبدان الكثيرة على التراخى . وأيضا فقد منعوا كون الفاسدات أكثر من الكائنات ، ووقوع الوباء العام أو الطوفان الكلى الذى يهلك فيه كل ذى نفس حتى تحقق معه زيادة الهالك عن الكائن ، غير معلوم الوقوع بالضرورة .

وأورد على القائلين بالتناسخ تعقيب آخر ينقض رأيهم من أساسه ويحيله مجرد خيال ليس له من الواقع منزع ولا من الحقيقة مرد ، فاستدل أصحاب هذا التعقيب على بطلان التناسخ بأن النفوس حادثة وحدوث العوالم لاسيما الجواهر منها لابد أن ينتهى إلى علل قديمة ، ولابد أن يكون حدوث تلك العوالم عن تلك العلل فى وجودها موقوفا على حدوث استعدادات القوابل ، والقابل للنفس إنما هو البدن ، فيلزم عن ذلك أن يكون حدوث النفس عن عللها القديمة موقوفا على حدوث الأمزجة الصالحة لقبولها ، حتى إذا تكون فى البدن مزاج صالح لقبولها أفاضت عليه النفس المدبرة ، فاذا حدث البدن وفرض أن نفسا تعلقت به على سبيل التناسخ فلا بد أن تفيض عليه نفس أخرى ، كما يستتبع ذلك مذهبهم ، فيلزم بالتالى أن يكون لكل بدن نفسان وذلك بدهى البطلان لما ثبت من أن لكل نفس واحدة بدنا واحدا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على أن للقائلين بالتناسخ شبهات استنفدت شطرا غير قليل من بحوثهم ودراساتهم ، وعنى كثير من علماء الكلام بدحض هذه الشبهات ، فمن حق الاستقصاء على كل باحث أن يعرض لجانب من تلك الشبهات حتى يكون القارىء على بينة منها . فقد استدلوا على التناسخ بوجوه عدة لا بأس أن نورد جانبا يسيرا منها ، قالوا : من المسلم به ألا معطل فى الوجود ، فاذا لم تتعلق النفس بعد المفارقة ببدن آخر كانت معطلة البتة ، وأن الشأن الاول للنفوس والمطمح الاعلى لها إنما هو الاستكمال من خصائص الوجود ومميزاته ، والاستكمال فى أقل مراتبه لا يكون إلا بتعلقها بالبدن .

ودعموا نظرياتهم بجملة آيات من الفرقان ساقوها فى معرض تعزيز ما ذهبوا اليه من الآراء ، قال تعالى : « وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » على معنى أنها كانت شعوبا وطوائف مثلكم فى الصور والمعايش والخلق وغيرها من الصناعات المختلفة التى يمارسها البشر فى سائر مناحيه ومختلف آفاقه ، غير أن تلك الامم وهذه الشعوب قد انخلعت نفوسهم عن الصورة الانسانية واستحالوا منها الى حالتهم الراهنة الماثلة لعيونكم . كذلك فى قوله تعالى : « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » أى بعد كونهم أناسى جرى عليهم الخطاب تغليظا لهم وتنويها بفادح عقوبتهم حتى استحالوا من أناسى مخاطبين الى قردة خاسئين . وفى قوله تعالى : « وجعلنا منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت » . فهذه الآيات تدل على التناسخ فى جملتها . ولعل القائلين به يعتزون بتلك الآيات فى معرض تدليلهم وسوق براهينه ، لكن قال العلامة الشيرازى فى شرح كتاب حكمة الاشراق : ليس فى هذه النصوص الكريمة على كثرتها ما يصلح أن يكون مرجحا لرأى التناسخية ، ضرورة أنها رموز نبوية وأسرار إلهية قصد بها زجر الامم الخارجة عن محجة الصواب ، وإلقاء أفضل المثل على الامم الرشيدة التى أخذت بافضل أنماط التعاليم الالهية ، حتى قال الغزالى : إن المراد بالمسخ هو المسخ الخلقى لا المسخ التصويرى . من أجل ذلك قال سعد الدين فى بعض شروحه على المقاصد : مما لا مراء فيه أن المتنازع عليه هو أن النفوس بعد مفارقتها الابدان تتعلق فى الدنيا بابدان أخر للتدبير والتصرف والاكتساب فحسب ، وليس ذلك على معنى أن تتبدل صور الابدان كما فى المسخ ، أو يجمع ذراتها الاولى بعد التفرق ، فترد اليها النفوس كما فى المعاد ، على توهم بعضهم . وبدهى أن تبدل صور الابدان مستتبع لقبولها قطعا ، فان تمام كل شىء بصورته لا بمادته ، فاذا تبدلت الابدان فى هذا العالم بابدان أخر فلا محيص عن لزوم التناسخ ، لكن تبدل الابدان بابدان أخر مستحيل الوجود ، فكذلك التناسخ كما لا يخفى على من له مسكة فى هذه الصناعة .

واستيفاء البحث موعدنا به العدد القادم إن شاء الله .

عباس طه

المحامى الشرعى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العلم والدين (١)

يظن بعض من لا خبرة له بالعلم أو بالدين الاسلامى أو بكليهما ، أن هـذه العلوم المسماة بالعلوم الطبيعية ، والتى يصح تسميتها بعلوم الفطرة ، علوم مستحدثة ، وأنها غريبة عن الدين ، وأن من الجائز وجود تناقض بين حقائقها وحقائقه . لكن ظنهم هذا باطل ، لأن هذه العلوم الطبيعية هى فى الواقع علوم إسلامية ، لأنها فى الواقع علوم قرءانية ، قرءانية فى موضوعها ، قرءانية فى طريقتها ، بل قرءانية فى اسمها ، لأن مادة (علم) بهـذا المعنى الطبيعى المعروف واردة أيضا فى القرءان .

فأما ورود مادة (علم) فى القرءان الكريم بمعنى العلم الكونى الذى يسمى الآن بالعلم الطبيعى فذلك نراه فى القـرءان فى أكثر من آية . ففى سورة الانعام وردت آيات كثيرة موضوعها الحث على طلب هـذا العلم بآيات الله فى الكون ، نذكر منها قوله تعالى : « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » . كذلك وردت آيات عدة فى سورة الروم ، نذكر منها قوله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختـلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن فى ذلك لآيات للعالمين » . كذلك فى سورة فاطر آيات كونية ، نذكر منها قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جـدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور » .

وواضح من السياق أن المراد بالعلماء هنا هم العالمون بالآيات وأسرار الخلق التى أودعها الله سبحانه فيما أشارت اليه هذه الآيات الكريمة .

هـؤلاء العلماء إذا كانوا مؤمنين حملهم علمهم بأسرار الفطرة على خشية الله فاطر الفطرة ، لأنهم يكونون بعلمهم أشعر بعظمة الله سبحانه وجـلاله وقدرته المتجلية فى آيات صنعه . وهذا فى الواقع هو الحكمة الكبرى التى من أجلها أمر الله الانسان فى كثير من آيات القرءان بالنظر فيما خلق الله فى السموات والارض من خلق . وهناك طبعا الى هذه الحكمة الكبرى حكم أخرى هى مايتبع طلب هذه العلوم الكونية من منافع مادية دنيوية آتية من استخدام حقائق العلم فى شئون الانسان ، كالانتفاع مثلا بخواص الكهرباء والبخار والحديد فى هذه القطارات والسفن البخارية ، وهذه المركبات والمصابيح الكهربائية . والحكم كلها مرادة

(١) هذا هو الباب الاول من كتاب جليل الفائدة وضعه حديثا الاستاذ المحترم محمد احمد الغمراوى المدرس بكلية الطب وأصول الدين تحت عنوان (فى سنن الله الكونية) ننشره إدلالا على فضله ، وهو من أحسن ما يكتب تحت عنوان العلم والدين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لله سبحانه حين أمر الانسان بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ، إلا أن الحكمة الأولى حكمة خشية الله المشار إليها فى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » هى الحكمة الكبرى ، إذ عبادة الله وخشيته هى الغاية الأولى والآخرة من وجود الانسان .

العلم قرءانى بموضوعه :

وأما قرءانية موضوع هذه العلوم الطبيعية فذلك واضح من الآيات السابق ذكرها ، ومما لا يتيسر الآن ذكره من نحو خمس آيات القرءان وإن تيسر ذكر بعضه ، مثل قوله تعالى من سورة النحل : « وإن لكم فى الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين . ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ، إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون . وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيئا ، إن الله عليم قدير » . ومثل قوله تعالى من سورة الجاثية : « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

فموضوع هذه الآيات الكريمة ، ما ذكر منها وما لم يذكر ، هو نفس موضوع العلم الطبيعى بأوسع معانيه ، ما عرف الانسان منه وما سيعرفه .

فالعلم الطبيعى ، كما قلنا ، يبحث عن الأشياء الكونية : طبائعها وخواصها ، والعلاقات بينها ، ثم عن حقيقتها إن أمكن ، أى عن آيات الله المودعة فى هذه الأشياء . فى آية فاطر مثلا لا يعرف سر نزول الماء من السماء إلا بعلم الطبيعة ، ولا يعرف تركيبه وخواصه إلا بعلم الكيمياء ، ولا يعرف الانبات والأثمار وأثر الماء فيهما إلا بعلم النبات ، ولا يعرف ما الجبال ولا ما طرائقها البيض والحمر والسود إلا بعلم طبقات الأرض ، ولا يعرف اختلاف أجناس الناس والدواب والانعام إلا بعلمى أصل الشعوب والحيوان الخ . وعلى هذه الآية فقس غيرها . فهذه العلوم الطبيعية ليست قرءانية الموضوع فقط ، بل هى لا بد منها لتفسير الآيات الكونية فى القرءان .

العلم قرءانى بطريقته :

أما أن طريقة العلم فى طلب أسرار الفطرة هى نفس الطريقة التى أمر بها القرءان فيتبين مما يأتى :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أولا : أن العلم لا يقول عن شيء إنه حق إلا إذا قام عليه البرهان اليقيني القاطع ، والقرءان الكريم يأمر كذلك بأن لا يقبل الانسان شيئا على أنه حق إلا إذا قام عليه البرهان . يتبين ذلك من مثل قوله تعالى : « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » وقوله تعالى : « سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون » . والعلم هنا هو الحق اليقيني القائم الثابت بالحجة القاطعة ، بدليل عيبه عليهم إنزالهم الظن والتخمين منزلة الحجة واليقين في قوله تعالى : « إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون » .

ثانيا : أن العلم يحاذر كل المحاذرة من أن يجعل يقينيا ما ليس بيقيني ، وأن ينزل الظن منزلة اليقين ، أو أن ينزل الفرض والتخمين منزلة الظن والترجيح . فهو يقيس مقدار اقتراب القضية من الحق بمقدار متانة الحجة التي تشهد للقضية ، فاذا كانت الحجة قاطعة فالقضية حق ، وإذا كانت غير قاطعة فالقضية ظن ، ويسميها العلم في هذه الحالة نظرية إذا كانت أرجحيتها كبيرة ، إذ من الواضح أن هناك في الرجحان مراتب بعضها أرق من بعض . أما إذا تساوى ما يشهد للقضية وما يشهد عليها ، فتلك هي القضية المجهولة التي وقعت موقعا وسطا بين الحق والباطل لا يدرى الى أيهما هي أقرب . وأمثال هذه القضية وما قبلها من القضايا الواقعة في منطقة الرجحان ، قل حظها من الرجحان أو كثر ، هي موضع النظر العلمي والبحث ، لا يزال العلم يبحث عنها ويمحصها حتى ينتهى فيها الى حكم قاطع فيلحقها إما بالحق اليقيني وإما بالباطل اليقيني . وهذا التفريق من العلم في المنزلة بين ما هو حق وما هو راجح وما هو دون الراجح يتفق تماما مع روح القرءان الكريم في النظر ، ومع طريقته المتجلية في القرءان الكريم كله ، خصوصا تلك الآيات منه التي من قبيل ما ذكر تحت : (أولا) مثل قوله تعالى من سورة النجم : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ؟ ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذاً قسمة ضيزى ، إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » . ومثل قوله تعالى من سورة الجاثية « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » وقوله تعالى من سورة يونس : « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ، إن الظن لا يغني من الحق شيئا ، إن الله عليم بما يفعلون » .

ثالثا ، وهو ملتحق بالأصلين السابقين : أن العلم يمنع التقليد في النظر من غير وقوف على الدليل واقتناع به ، والعلم الحديث يخالف العلم قديما في هذا ، لأن العلماء قديما ، خصوصا في القرون الوسطى ، كانوا كثيرا ما يقنعون في الاستدلال على الصحة أو البطلان باثبات أن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

القضية توافق أو تخالف رأى فلان أوعلان من المشاهير ، فكان ما يثبت عن أرسطو مثلا يتخذ حجة قاطعة فى موضوعه من غير أن ينظر فى رأى أرسطو هذا فى ذاته ، ومن غير أن يسأل مادليل أرسطو . وكان هذا منبع شر كبير ، ولعله كان سبب كثير من الشبه الكلامية التى قامت بين علماء المسلمين ، بعد أن ترجمت كتب اليونان فى العصر العباسى ، فيما يتعلق بالعلاقة بين الشريعة وما كانوا يسمونه الحكمة ، يريدون بالحكمة غالبا ما أخذوه عن حكماء اليونان مثل أفلاطون وأرسطو وأضرابهما ، حتى جاء أمثال الغزالى من المسلمين فوضعوا الأمر فى نصابه .

والعلم فى منعه التقليد الاعمى يتفق تمام الاتفاق مع القرآن الكريم الذى شدد النكير على أناس كانوا يستمسكون بالرأى ، لا لأنهم عقلوه ، ولكن لأن آباءهم فعلوه . ترى ذلك من مثل قوله تعالى من سورة البقرة : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » وقوله تعالى من سورة المائدة « وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » أو قوله تعالى من سورة الزخرف « بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ، فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين » ، فالتقليد الاعمى ، أى الاخذ بالرأى من غير دليل أو رغم الدليل متابعة لزيد أو لبكر من الناس ، محرم على أهل النظر فى حكم العلم وفى حكم القرآن .

والأصل الجامع لذلك كله فى العلم وفى الدين هو تحكيم العقل فى كل ما يعرض للانسان من أمر . والمراد بالعقل ليس هو العقل الخاص عقل الفرد ، ولكنه العقل العام أو العقل المطلق الذى ضبطت قوانين تفكيره عن طريق الاستقراء وأودعت ما يسمى بعلم المنطق . هذا العقل هو الحكم فى العلم ، وهو الحكم فى الدين . فالقرآن دائما يحاكم الى العقل وينعى على من لا يستعمله . بل إن العقل قد أكبره الاسلام إكبارا دونه أى إكبار ، حتى لقد أوجب الشرع تأويل النص الى ما يطابق العقل إذا كان ظاهر النص يناقض ما ثبت قطعيا بالعقل . وكلمة « قطعيا » هنا مهمة ، فلا يجوز تأويل النص من أجل ما هو راجح عند العقل ، لان العقل نفسه يجيز بطلان ذلك الراجح ، فلا حكمة هناك إذاً فى تأويل النص الشرعى من أجل ما قد يثبت المستقبل أنه من الباطل . والامثلة التى ضربت فى الشرع لوجوب التأويل كلها من باب قوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » فان نسبة الجارحة الى الله تعالى محال ، فوجب تأويل الآية عن ظاهرها الى معنى من المعانى المجازية اللائقة به تعالى ، فأولوا اليد الى القدرة . لكن من الممكن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن يقال إن هـذا النوع من التأويل غـير لازم عند النظر فى الآيات الـكونية القرءانية . بل كثيرا ما يكون المعنى الحرفى للآية الـكريمة هو المنطبق على ما ثبت عند العلم بالبرهان .

رابعا : أن العلم فى تطبيقه قوانين التفكير المجموعة فى علم المنطق القياسى يتخذ أصلين اثنين يبنى عليهما :

الاول : أنه لا تناقض مطلقا بين الحقائق ، فليس من الممكن أن ينقض حق حقا ، وما ينقض حقا إذاً فهو باطل . وهذا يصح أن يسمى بأصل توافق الحقائق .

الثانى : أصل اطراد الفطرة . فما ثبت أنه حق فى وقت ما سيكون دائما حقا ، أو بعبارة أخرى أن الحق مستقل عن الزمان والمكان .

وليس عنـد العلم برهان على هـذين الأصلين إلا تجاربه المـاضية ، فانه لم يشاهد مطلقا أن قضية حقيقية نقضت أخرى حقيقية ، أى لم يشاهد مطلقاتنا قضا بين حقائق العلم ، سواء اكتشفت تلك الحقائق فى المـاضى أم فى الحاضر ، فى الأرض أم فى كوكب من الـكواكب ، بل كثير من حقائق العلم إنما استنتج بناء على هذين الأصلين : أصل اتساق الحقائق أو امتناع التناقض بينها ؛ وأصل اطراد الفطرة ؛ وكانت التجربة دائما تؤيد الاستنتاج . بل من الواضح أن العـلم يصبح مستحيل الوجود ومستحيل النمو لو انهار أحد هـذين الاصلين أو كلاهما . وهذا سبب آخر يجعل العلم يستمسك بهذين الاصلين محافظة على وجود نفسه ، وإن عجز العلم عن إقامة الدليل على صحتهما فيما يتعلق بالمستقبل .

هذان الاصلان اللذان يستمسك العلم بهما هذا الاستمساك هما أصلان قرءانيان أكدهما منزل القرءان سبحانه كل التأكيد ، وهو سبحانه أعلم بما خلق . فأصل اطراد الفطرة ثابت قرءانيا من مثل آية الاحزاب : « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » او آية فاطر : « فهل ينظرون إلا سنة الاولين ؟ فلن تجـد لسنة الله تبديلا ، ولن تجـد لسـنة الله تحـويلا » وآية الروم : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله» . فهذه آيات صريحة فى اطراد الفطرة وبقاء سنن الله فيها على الزمان كله من غير تحويل ولا تبـديل . والفطرة وسننها هنا تشمل كل ما وجد فى ملـكوت الله ، سواء فى ذلك ما تعلق بغير الانسان من جماد ونبات وحيوان ، أو ما تعلق بالانسان من ناحية النفس والروح فى الفرد والجماعة مما لم يرتق العلم اليه الى الآن .

أما أصل توافق الحقائق أو استحالة تناقضها فثابت قرءانيا من الآيات السابقة ، لأن تناقض الحقائق يستلزم تناقض الفطرة ، ويزداد ثبوتا بقوله تعالى من سورة تبارك : «ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » ، فان التناقض هو أكبر التفاوت ، فاذا ما انتفى التفاوت فى خلق الله لزم أن ينتفى التناقض فى خلق الله أيضا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

خامسا : أصل المشاهدة .

عرفنا أن العلم فى بحثه عن الحقيقة يسلك سبيل العقل ، فلا يعتبر حقا إلا ما قام البرهان على أنه حق . فالعلم دائب البحث إذاً عن البراهين التى تثبت حقائق الأشياء . هـذه البراهين عرفنا من أنواعها النوع القياسى ، أى الذى يتوصل اليه بالقياس الصحيح . لكن القياس الصحيح إنما يؤدى الى نتيجة صحيحة إذا صحت المقدمتان كلتاهما . أما اذا كانت إحداهما باطلة أو مشكوكا فيها فان النتيجة يصيبها من البطلان أو الشك مثل ذلك ، وإن صحت طريقة الاستنتاج . وبعبارة أخرى يلزم لصحة النتائج شرطان : صحـة المقدمات كلها ، وصحـة طريقة الاستنتاج التى هى نفس القياس . أما صحة طريقة الاستنتاج فقـد تكفل بها المنطق القياسى ، لكن المقدمات ما شأنها وما طريق التثبت من صحتها ؟

كثير من المقدمات ناتج عن طريق القياس من مقدمات أولية بدهية الصحة لا يختلف فى صحتها العقلاء ويصلون اليها مستقلا بعضهم عن بعض . وعلم الهندسـة النظرية على تعقد نظـرياته مستنتج كله من أمثال هـذه البديهيات . لكن ليس كل المقـدمات يمكن رده الى بدهيات كهذه عند إثبات صحته . ولا بد إذاً فى إثبات صحة هذا النوع الثانى من طريق آخر غير طريق الاستنتاج من البدهيات . هذا الطريق الآخر هو طريق المشاهدة الصحيحة . وهو الطريق الذى سلكه الى حد ما العلم قديما ، ويسلكه دائما العلم حديثا حتى صار طابعه الذى طبع به وميزته التى امتاز بها .

هذه المشاهدة العلمية تستعمل فيها الحواس خصوصا السمع والبصر ، لكن بشرط تربيتها وتدريبها من ناحية ، وإعانتها على دقة الملاحظة بالآلات الدقيقة من ناحية أخرى . هـذه الآلات هى فى الواقع وسائل هـدى الله إليها الانسان ليزيد فى مدى حسه ، فيزيد فى مدى إبصاره مثـلا بالمجاهر أو (المكرسكوبات) التى يستطيع الانسان بها أن يرى من الأجسام ما صغر حتى دق عن أن تبصره العين المجردة ، كالجراثيم وكرات الدم وخلايا الأجسام الحية ، أو يزيد فى مدى إبصاره بالمراقب (التلسكوبات) التى تقرب للانسان الأجسام البعيدة فيرى منها مالم يكن يراه من قبل . فأما المجاهر فتستعمل كثيرا فى المعامل ، وأما المراقب فتستعمل غالبا فى المراصد .

هـذا الأصل أصل المشاهدة الصحيحة هو إذن الطريق الثانى الذى يسلكه العلم الطبيعى للوصول الى مقدمات صحيحة ، ولولاه ما اتسعت العلوم الطبيعية هذا الاتساع ولا نمت هذا النمو ولا كشفت ما كشفت من أسرار الخلق . فالمشاهدة أصل علمى عظيم ، وهى أيضا أصل قرءانى عظيم ، فان الآيات التى تأمر بالمشاهـدة واستعمال السمع والبصر والعقـل كثيرة فى القرءان ، نذكر منها ما يأتى :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(١) استعمال البصر مع العقل :

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » العنكبوت . « أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن » تبارك . « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ؟ » الآيات — الغاشية .

(٢) استعمال السمع مع العقل :

« أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ؟ » الحج .

(٣) استعمال السمع والبصر مع العقل :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » الاعراف .

« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » النحل .

« ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » الاسراء .

(٤) استعمال جميع وسائل المشاهدة مع العقل :

« أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء » الاعراف .

فهذه الآيات القرءانية الكريمة تحض الانسان على استعمال العقل والسمع والبصر وما إليها من طرق المشاهدة الصحيحة بجميع أساليب الحض ، ثم هي مع ذلك تؤدبه من حيث استعمال هذه المواهب على وجهها الصحيح . فآية « ولا تقف ما ليس لك به علم» الآية : تنهاه من ناحية أن يجرى مع الوهم أو الظن ، وتدله من ناحية أخرى على طريق الوصول الى ما ليس بوهم ولا ظن ، أى إلى اليقين والحق عن طريق إحسان استعمال السمع والبصر والعقل . « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » وفى قوله سبحانه « كل أولئك كان عنه مسئولا » ليس فقط أمر شديد باحسان استعمال البصر والسمع والعقل وعدم إهمالها ، بل فيه أيضا أمر بالاستمساك بما يهتدى إليه الانسان من الحق عن طريقها . ففى هذه الآية وحدها ثلاثة أصول هى جماع أصول النظر العلمى :

الأول : ألايتبع الانسان إلا الحق المعلوم يقينا « ولا تقف ما ليس لك به علم » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الثانى : أن طريق الوصول الى هـذا الحق هو المشاهدة الصحيحة والتفكير الصحيح

الثالث : أن على الانسان أن يتمسك بما يصل إليه من الحق عن طريق هذه المشاهدة والتفكير الصحيحين

« إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »

على أن علم الانسان كله مصدره العقل والمشاهدة الصحيحة . بل إن العقل لا يقوى ولا ينمو إلا عن طريق التجارب والمشاهدات . فلو أخذ طفل وحبس عن العالم إلا فيما يكفى لحياته من طعام وشراب ، فانه وإن نما جسمه حتى يبلغ جسم الرجال لا ينمو عقله عن عقل الطفولة . بهذا يقول علماء التربية ، والى هذا تشير الآية الكريمة « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » ، فان هذه الآية تكاد تكون صريحة فى أن ما يحصله الانسان من علم بعد أن يولد إنما يكسبه عن طريق السمع والبصر والعقل .



مقارنة بين العلم القديم والعلم الحديث :

وأصل المشاهدة الصحيحة هذا هو من أهم الفروق بين العلم الحديث والعلم القديم ، فان القدماء كانوا فى جملتهم يعتقدون أن من الممكن أن يصل الانسان الى ما يشاء من علم عن طريق العقل وحده ، أى لم يكونوا يقولون بضرورة المشاهدة لحصول العلم ، بل منهم من كان يرى أن المشاهدة تضل العقل لان الحواس غير مأمونة فى أنبائها ، ترى الشىء صغيرا كالنجم مثلا وهو كبير . لذلك كانوا كثيرا ما يكتفون فى طلب العلم وأسرار الفطرة بالجلوس والتفكير ، فكانوا يصلون الى قضايا كلية يزعمون أنها حقائق ، ولما يقم عليها دليل ، إنما كان دليلهم فروضا يفترضونها يرونها حقا ويركنون اليها فى الاثبات ، ففيثا غورث مثلا يقول عن الكون : إنه متفرد كامل كروى لأن الكرة أكمل الاشكال ، وإنه حى عاقل لان ما هو حى وعاقل خير مما ليس بحى ولا عاقل . فمثل هذا النوع من الاستنتاج الخيالى غير المرتكز على حقائق يقينية ينكره العلم الحديث كما ينكره القرءان .

ومن هنا وقع قدماء الفلاسفة من اليونان فى أغلاط كثيرة من حيث لا يشعرون ، كقولهم : إن للاجرام السماوية فى أفلاكها نغمات يطرب لها من يسمعها ، وإن لهذه الاجرام أثرا كبيرا فيما يصيب الانسان من نحس أو سعود . وقد سقط كثير من المسلمين فى نفس هذه الاغلاط حين أخذوا علم اليونان كله على أنه حق من غير أن يطيعوا الله فيه فيمحصوه ، ومن غير أن يردوه الى القرءان . بل بلغ بهم الامر أنهم كانوا يردون القرءان اليه ، كقول إخوان الصفا : إن إدريس عليه السلام هو هرمس المثلث بالحكمة ، صفت نفسه فصعدت الى السماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وطافت مع بعض أجرامها ثلاثين عاما ، وشاهدت من العجائب ما لا يشاهده إلا من يطوف ذلك الطواف ، وأن الى هذا فى زعمهم يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى : « ورفعناه مكانا عليا » . وهذا نوع من فهم القرآن لا يجيزه القرآن كما رأيت ولا العقل . ولعلنا لو بحثنا فى تاريخ الفلسفة الاسلامية ، وما كان بين علماء المسلمين من خلافات كلامية ، لوجدنا أكثر هذه الخلافات إن لم يكن كلها راجعا الى قضايا فلسفية أخذها المسلمون عن اليونان من غير تمحيص .

كان قدماء الفلاسفة إذن يرون العقل مصدرا للحقائق مستغنيا بذاته عن المشاهدة ، أما محدثوهم فيرونه وسيلة . أما الحقائق نفسها عند العلم الحديث فهى خارج النفس ، خارج العقل . كان القدماء لا يرون امتحان الأشياء نفسها ضروريا لطالب الحقيقة ، أما المحدثون فلا يرون سبيلا للوصول الى الحقيقة إلا امتحان الأشياء تحت إشراف العقل . والعلم الحديث باختراعاته واكتشافاته قد ولد حين ترك الانسان مذهب الأقدمين فى طلب العلم عن طريق التفكير البحت ، وبدأ هو يطلب العلم عن طريق المشاهدة مع التفكير . لذلك كان الدور الأول من أدوار نشوء العلم الحديث هو دور مشاهدة تكاد تكون بحتة ، ليس للتفكير فيها إلا بقدر ما يضمن صحتها .

ماقيل فى الشيب

قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : عجل عليك الشيب يا رسول الله . قال شيبتنى هود وأخواتها (يريد سورة هود وأخواتها لما فيهن من الاوامر والنواهى)

وقيل لعبد الملك بن مروان : قد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين .

قال : شيبنى ارتقاء المنابر ، وتوقع اللحن .

وقيل لرجل من الشعراء : عجل عليك الشيب .

فقال : وكيف لا يعجل وأنا أعصر قلبى فى عمل لا يرجى ثوابه ، ولا يؤمن عقابه .

وقال حبيب الطائى :

غدا الشيب مختطا بفودى خطة ... طريق الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى ... وذو الالف يبلى والجديد يرقع
له منظر فى العين أبيض ناصع ... ولكنه فى القلب أسود أسفع

وقال محمود الوراق :

بكيت لعزب الأجل ... وبعد فوات الأمل
ووافد شيب طرا ... بعقب شباب رحل
شباب كأن لم يكن ... وشيب كأن لم يزل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تاريخ الادب العربى فى العصر الاموى [١]

فى الشام والعراق

لم تصادف فنون الأدب الأجواء الهادئة فى الممتلكات العربية من الشام الى العراق مثل التى صادفتها فى بلاد العرب الأصلية إبان حكم الأمويين ، ولم تشذ الحال فى ذلك عن تطورات الحياة بالمستعمرات فى جميع أطوار التاريخ ، فان التقدم السريع المصحوب بعواصف الحماس والمنازعات كان دائما أبدا من مظاهر الحياة ومميزاتها فى الاصقاع التى اكتسبت بطريق الغزوات ، بعكس التطور الهادئ والتقدم المعتدل على الوتيرة القديمة فى الأوطان الأصلية ، خصوصا أن العرب كانوا قد ضموا بفتحهم تلك البلاد الى حضارتهم حضارتين قديمتين ، فكانت الحياة المتوطنة والسكنى الدائمة فى بلدين مثل العراق ودمشق بما فيهما من تغاير فى أسباب المعيشة وأساليبها عن حياة البدو المترحلة ، مدعاة للعواصف السياسية الشديدة التى لم يقو على كبح جماحها أحد قبل عبد الملك والحاكم الحديدى الحجاج بن يوسف ، ولم تمر هذه العواصف دون أن تترك أثرا ظاهراً فى تطور فنون الشعر ، وتطبعها بطابعها الخاص فى هاتين البلدين .

وأول من استحق مركزا ممتازا بين الشعراء فى هذا العصر هو الأخطل غياث بن غوث شاعر ملوك بنى أمية ، وهو من قبيلة تغلب التى هاجرت قبل الاسلام واستوطنت العراق ، وكان الأخطل مسيحيا مثل عشيرته التى ينتمى اليها ، وبقى أبدا مخلصا لدين آبائه ، ولم يحقد عليه ولى نعمته عبد الملك بسبب عقيدته وهو شاعره المصطفى ، بل على عكس ذلك بادرة فانه كان يستعمله فى أغراضه كلما أراد الرد على متطرفى السنية من أهل المدينة .

بدأ الأخطل حياته الشعرية فى عهد معاوية الاموى بهجوه الشاعر المدنى عبد الرحمن بن الحكم ، الذى نفرت منه البيوتات المكية القديمة بسبب أشعاره الغزلية المدحاة فى بناتهم ، الى أن تجاسر أخيرا بمهاجمة إحدى أميرات بنى أمية بشعره ، فلما صده الاخطل وقضى عليه اكتسب ثناء يزيد وعطفه ، وكان إذ ذاك وليا للعهد ، فلما صار اليه الحكم عام ٦٠ هـ أخذه فى بطانته وبقى بالبلاط كذلك فى عهد خلفائه وخاصة عبد الملك .

وكما كان حسان بن ثابت بشعره فى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتحقيق أغراضه ،

---

(١) تكملة المقال المنشور فى الجزء العاشر من المجلد السابع (١٣٤٤) مترجم عن الالمانية [illegible] عن كتاب « تاريخ الادب العربى » للمستشرق الالمانى [illegible] الاستاذ [illegible]

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كانت أشعار الاخطل دائما في خدمة أغراض سيده وولى نعمته لتهيئة الرأى العام ، وقيمته السياسية هذه تفسر لنا مركزه الممتاز .

وكانت الروح البدوية تغلب على الاخطل بين آونة وأخرى ، فكان يقيم حينا بين عشيرته في البادية ، وتزوج هناك عدة مرات ، ولم تكن ديانته المسيحية بمانعة له عن الطلاق ، واشترك مع قبيلته في منافراتها بالقول والفعل ، وكثيرا ما حاق به الاذى بسبب ذلك .

واشترك كذلك زمنا طويلا في المنافرة الشهيرة التي قامت بين شاعرى العراق الكبيرين جرير والفرزدق ، وحكم في صالح الاخير ، ومات معمرا عام ٩٢ هـ .

وأجمع نقاد العرب على وضعه في مرتبة هذين الشاعرين دون أن يتفقوا على أى الثلاثة أفضل ، وكان علماء العرب اللغويون يرفعون منزلته ويعلون من قيمته بسبب انقياده الاعمى وتقليده للاسلوب القديم ، مما يجعلنا أقرب للحكم على ضعف شعره ، ولو أننا لا نغمطه حقه في السيطرة التامة على اللغة والصناعة الشعرية ، ونعترف بتفوقه في هذا الفن خصوصا في السخرية اللاذعة .

وتتمثل شهرة الاخطل جرير بن عطية بن الخطفى شاعر الحجاج بن يوسف حاكم العراق، ولد جرير في أسرة كليب من قبيلة تميم في خلافة على بن أبى طالب ، واكتسب عطف يزيد بن معاوية ، وانضم بعد ذلك الى بطانة الحجاج ، وأكثر من مديحه بقصائد عديدة ، واشتهر بمنافراته الشعرية التي أنزلت من قدر الفن الشعرى القديم في الهجاء ، ولقد اشتبك مع جميع الشعراء من معاصريه ولم يتغلب عليه أحد .

لم يجد جرير من هو في منزلته من الشعراء سوى الفرزدق، فدارت بينهما المنافرات العنيفة حتى وفاته ، وكانت محور حديث جميع طبقات الشعب ، وقام الجدل طويلا في الافضل منهما بين معاصريهما ، بل دام الى أبعد من ذلك ، فشغل كثيرا من علماء اللغة المتأخرين .

وبالرغم من النجاح الباهر الذى أحرزه جرير ، فانه لم يكتسب عطف ملوك بنى أمية ورضاهم ، فلم يستقبله عبد الملك في بلاطه الا بعد إلحاح طويل من محمد بن الحجاج وكان قد قدم بصحبته ، ولما صادفه الوليد بن عبد الملك بالمدينة أمر بحبسه مع أحد الشعراء لتشهيرهما بسيدات من بطانة الملك ، ولم يعف عنه سوى عمر بن عبد العزيز الذى كان دائما يحيد عن جميع خلفاء بنى أمية في تصرفاته في كل الامور ، فوجد منه عطفا كبيرا ، وتوفى جرير عام ١١٠ هـ بضيعته باليمامة في بلاد العرب الوسطى .

وأما الفرزدق همام بن غالب ، ويعتبر ثالث الشعراء العظام في هذا العصر ، فترجع شهرته الى منافراته مع جرير التي أثبت فيها الفرزدق موهبته الممتازة في الهجو ، وهو من عشيرة دارم من قبيلة تميم ، وولد عام ٢٠ هـ من أسرة بدوية عريقة كانت استوطنت البصرة من قبل ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكان يجمع كل الخصال الذميمة التي امتاز بها العرب الذين استوطنوا العراق : من شهوات قوية وشغف بالمتاع الدنيوي ، وعدم تقيد بالقواعد الخلقية أو الروابط القانونية ، حتى كبحت جماحها الحكومة الحازمة ، ولم يجد الفرزدق عن مواضيه في الصفات الخلقية إلا بتمسكه الحميد بالاخلاص لآل علي بن أبي طالب وتبجيلهم حتى في أحرج المواقف وأشد الازمات ، فلما كان شيخا في السبعين من عمره تقابل مع هشام بن عبد الملك بمكة وأنشده قصيدته المشهورة في مدح حفيد علي رضي الله عنه ، وهو يعلم علم اليقين أن أقل جزاء على ذلك هو السجن .

وكانت أول أعماله الشعرية هجاء بني نهشل ، وهم سلالة أسرة عالية في الحسب بالبصرة ، وكان لهم مركز ممتاز إبان حكم زياد بن أبي سفيان والي العراق ، فخشي بأسه ونقمته عليه فهرب الى المدينة حيث انغمس في المغامرات الدنيوية التي كانت فاشية بالمدينة موطن شعراء الغزل ، وأخذ قسطا وافرا من هذا الفن دون أن يترك الهجاء ، مما أثار عليه حقد مروان بن الحكم الذي أمر بنفيه بعد أن صارت اليه حكومة المدينة ، وبلغه خبر وفاة زياد وهو في طريقه الى مكة فعاد حرا طليقا الى موطنه بالعراق .

وكانت النساء تلعب دورا هاما في حياته ، فأكثر من شعر الغزل والتشهير بهن ، خصوصا ما أنشده في علاقته بنوار إحدى قريباته التي أرغمها على الزواج منه فيما بعد ، وكانت حياتها معه ملأى بالمتاعب التي استغلها منافسه جرير في حملته عليه ، ويرجح أنه توفي عام ١١٠ هـ

كان الهجاء أبرز أشعار الفرزدق ، فانه بالرغم من مغامراته العديدة كانت قصائده الغزلية لا تحتل إلا مراكز ثانويا بين أشعاره ، بينما بذه جرير في هذه الناحية من الشعر مع أنه لم يعرف عن علاقاته النسائية شيء ، وامتاز الفرزدق بسيطرته المطلقة على اللغة ومترادفاتها الكثيرة ، ولكنه كان قليل التحرج في الناحية الأدبية ، فلم يكتف بتقليد الشعراء القدماء بل لم يخش سرقة معاصريه بكل جرأة .

والى جانب هؤلاء الشعراء الذين ظهروا في الحياة السياسية العاصفة وبرزوا في فنون الهجو الشخصي ، كان يوجد أيضا بالشام شعراء استهوتهم الحياة بملاذها ، واستعذبوا متاع الدنيا ، فبرز في ناحية الغزل ببلاط الوليد بن عبد الملك : عبد الرحمن بن اسماعيل الوضاح وهو من شعراء جنوب بلاد العرب ، واشترك بشمال الشام في مناوشات الحدود ضد البيزنطيين ، ثم استوطن دمشق ، وذاعت بها قصائده الغزلية ، الى أن اجترأ على امرأة الخليفة بقصائده الغرامية ، فقتله الوليد شر قتلة .

وأما الخمريات الشعرية فانها كانت ممثلة في هذا العصر خير تمثيل في الأمير الاموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وولد عام ٩٠ هـ وفقد أباه وهو في الخامسة عشرة من عمره ، وانغمس في ملاذ الشباب وشهواته ، وكان يزيد له عمه وراثة الملك ، ولكنه عدل عن رأيه وأوصى بها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لابنه مسلمة ، فلما أراد إبعاده طلب منه قيادة قافلة الحج بغية استبعاده الى مكة فيبقى بها إشباعا لنزواته الجنونية ، وقد تمت له هذه المكيدة ، فاستعذب الوليد بها حياة المجون ، وفقد بذلك حقه في الخلافة ، إلا أن الحكم قد آل اليه بالرغم من ذلك بعد وفاة هشام عام ١٢٥ ﻫ وروى عنه في أيام حكمه القصيرة خروج على الدين والتقاليد الاسلامية ، ولم تقو أخلاقه الضعيفة على الوقوف أمام عواصف هذا العصر وتياراته الجارفة فحيكت حوله الدسائس من الاحزاب المعارضة في جنوب بلاد العرب ، وقتل بعد مضي عام على توليه الحكم .

وكانت أغلب أشعاره في وصف الخمر متخذا له مثلا من عدي بن زيد ، وهو مسيحي اشتهر بأشعاره في هذا المضمار قبل الاسلام ، وله كذلك عدة قصائد غزلية ، كما أنشد مقطوعات في فنون الغناء الذي حاول أن يبرز في ميدانه ببعض الألحان والمؤلفات الموسيقية .

أما المراثي ، وكانت في الجاهلية سببا في ذيوع اسم الخنساء وشهرتها الشعرية ، فانها وجدت في هذا العصر أيضا من عنصر النساء في ليلى الأخيلية من يحمل لواءها وينشر فنها ، وهي من قبيلة بني عامر ، وكانت تبادل أحد أبناء عشيرتها الغرام ، فسقط قتيلا في غزوة بني عوف بن عقيل عام ٨٥ ﻫ ، فحزنت عليه حزنا شديدا وتنبهت ملكتها الشعرية بفجيعتها عليه ورثته بقصائد عديدة ، وذاعت بذلك شهرتها ، فقربها الخلفاء من دورهم ، وكانت موضع إكرام عبد الملك وعطف الحجاج ، وتوفيت عام ٨٩ ﻫ وهي في طريقها الى خراسان للقاء القائد المعروف قتيبة بن مسلم بميدان القتال ، وكانت تمت لها بصلة القرابة .

وكما شغلت المفاضلة بين الشعراء الثلاثة الذين برزوا في هذا العصر نقاد اللغة ، فان الأدب العربي حفل كذلك بالمفاضلة بين الخنساء وليلى الاخيلية ، فنسب الى الاولى دقة الشعور وإخلاصها ، والى الثانية قوة التعبير ورشاقة العبارة .

ولم تكن فنون الشعر في هذا العصر مقصورة على بطانات الملوك وحواشيهم ، بل إنها ازدهرت كذلك بعيدة عن ظلهم غنية عن رعايتهم وتشجيعهم ، فاننا نجد أن الروح البدوية القديمة والنفس العربية الابية بقيت حرة طليقة تحيا حياة زاهرة في رجال الصحراء ، وأنتجت من الآثار الادبية ما لا يزال مذكورا بين أحسن المجهودات الفنية الرائعة ، وظهر من بين هذه الفئة قطري بن الفجاءة ، وهو من الابطال الشعراء ، وقائد فرقة الازارقة الخارجة التي ثارت على نظام الملك الوراثي دفاعا عن المبادئ التي تضمن لكل مسلم حق الانتخاب في الخلافة ، وسقط وهو على رأس فرقته في ميدان القتال أمام القائد الاموي سفيان الكلبي عام ٧٨ ﻫ ببلاد الفرس ، وامتازت أشعاره بالعبارة المثيرة والحماس الحربي .

واشتهر كذلك من بين أعداء الأسرة الاموية الحاكمة الكميت بن زيد من قبيلة سعد بن ثعلبة ، وولد عام ٦٠ ﻫ ، وله قصائد عديدة في مناقب الهاشميين ومدحهم ، وهم الذين يعانون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أحقيتهم في الخلافة لقرابتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت إحدى قصائد مديحه فيهم سببا في إثارة حقد الخليفة هشام الاموي فأمر بقتله ، واعتقله حاكم الكوفة ، ولكنه تمكن من الهرب ثم عفي عنه ، إلا أنه قتل بعد ذلك في ثورة قامت ضد رجال الحكومة .

أخذت فنون الشعر بعد ذلك في العصر الاموي في فقدان صبغتها العربية الوطنية بسبب اختلاط الشعوب في البلدان التي فتحها العرب ، فدخل الشعر عناصر جديدة ، أهمها من أصل فارسي ، كانت فيما بعد ذات أثر بعيد في تطور تاريخ الادب العربي . وأهم من يستحق الذكر في هذا العصر حماد بن سابور الراوية ، وولد بالكوفة عام ٧٥ هـ من والدين ديلميين ، ولو أن إنتاجه في الشعر لم يكن هو كل ما يستحق الثناء ، بل إن أكبر شهرته إنما ترجع الى روايته للاشعار القديمة ، فكان بذلك مرجعا هاما لها ، كما كانت معلوماته الكثيرة في هذه الناحية سببا في رعاية ملوك بني أمية له ، وعلى الاخص هشاما الذي أكثر من إكرامه ، على خلاف ما لاقاه من الاساءة بعد ذلك من الخليفة المنصور ، وتوفي عام ١٥٥ هـ وقيل في بعض الروايات عام ١٥٨ هـ .


مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تصحيح خطأ في العدد العاشر

جاء في السطر العاشر من صفحة ٧٣٠ من العدد السابق :

كتب وقت نزوله . والصواب : كتب به وقت نزوله .

جمع صالح ... : يوضعوا في جلد واحد مع انه يكون الفهرس في الاعداد
عددهم : ١٠

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المكتبة
رقم ١١٩ / ٢٤

الفهرس العام

السنة الثامنة (١٣٥٦ هـ) من مجلة الأزهر

المقالات

الموضوع	بقلم	صفحة
(أ)		
الابداع الالهى — صفحة منه	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٥٧٢
ابن رشد	« « الدكتور محمد غلاب	١١٧، ٢٢٩
ابن رشد — فلسفته	فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى	٢٣٤
ابن سينا	حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب	٣٦
أبو شحمة بن عمر — هل حد فى الزنا ...	فضيلة الأستاذ الشيخ محمود ياسين	٧١٧
الأثير	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٤٦
اجتهاد الرسول وكبار الصحابة	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى	٦٧٧
اختلاط الجنسين	« « محمد الأسمر	٤٢٠
الإخلاص	« « عبد الرحمن الجزيرى	١٢١، ٢٢٣
الأخلاق الفلسفية	حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب	٢٨٣، ٣٦٢، ٤٢٦، ٤٩٨، ٥٥٢، ٦٢٦، ٧١٣
الأدب العربى	قلم الترجمة	٦٨، ١٣٤، ٢٨٦، ٤٤٠، ٥٠٨، ٥٧٧، ٦٥٠
أسباب الهجرة النبوية	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محيي الدين	٩٠
استحضار الارواح فى أوربا	حضرة الاستاذ مدير المجلة	١٠٥

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضوع	بقلم	صفحة
الاسلام والفلسفة	حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب	١١٧،٣٦/ ٢٢٩
الاسلام فى أوربا — نفحاته	» » مدير المجلة	٢٧٩
الاسلام فى الهند	» » »	٥٠٥
أسواق العرب	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	٢٦٦
أعلام القرءان	» » فكرى يس	٣٦٥،٢٥٧/ ٥٦٤
الأنصار	» » صادق عرجون	٤٢٢،٣٥٤
(ب)		
بدء الخلق	فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالرحمن الجزيرى	٢٤٦
بعثة الهند — تقرير	... ...	٢٧٥،٣٠٢/ ٥٢٠،٤٤٤/ ٦٥٩،٥٨٦/ ٧٣٢
بعثة الهند — مشاهدات	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٧٢٦
(ت)		
تحاكم الشعراء	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	٥١٣
التشريع المصرى والتشريع الاسلامى	» » عباس طه	٢٣٦
التطبيب فى الاسلام	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٦٣٥
التفسير	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	١٧
تفسير سورة لقمان	» » ابراهيم الجبالى	٢٧٤،٧٩/ ٣٩٠،٣١٩/ ٥٣٦،٤٧٦/ ٦١٧
التوثب للنهوض الفقهى	صاحب العزة عبد السلام ذهنى بك	٢٨
التوحيد — مشكلة	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٤٠٠
(ح)		
الحج	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٦٧٣

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضوع	بقلم	صفحة
حدث جلل	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٤٨٧، ٥٤٨، ٦١٢، ٦٨٩
الحسبة فى الاسلام	« « احمد المراغى	٦٩٣
حفظ النفس والأهل	« « عبدالواحدابراهيم	٥٧٥
(د)		
الدروس الدينية	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٥٢٩، ٦٤٢
الدعوة الى الله تعالى وأهل الفترة	فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالرحمن الجزيرى	٦٠٦
الدعوة الاسلامية — موقفها من الشعر والشعراء	« « صادق عرجون	٧٠١
الدعوة الى الله تعالى	« « ابراهيم الجبالى	٧٠٥
الدين وقوة سلطانه على النفوس	حضرة الاستاذ الدكتور محمد غلاب	٢٨٢، ٣٦٢، ٤٢٦
(ز)		
الزبير بن العوام — سيرته	فضيلة الاستاذ الشيخ سيد احمد متولى	٦٣١
الزهاوى الفيلسوف العراق	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٣٣٨
الزواج — وحدة الزوجة وتعدد الزوجات	« « «	٤٩٢
(س)		
السلطتان الدينية والدنيوية	فضيلة الاستاذ الشيخ عباس طه	٦٥٧
السليقة العربية	« « صادق عرجون	٤١
(ش)		
الشبان المتعلمون فى مصر — مشكلة	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٧٣
الشريعة — حاجة الانسان إليها	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٢٥٣
الشريعة والقوانين الوضعية — الموازنة بينهما	« « « «	٣٣٢
شهر رمضان...	صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر	٥٢٩
(ص)		
الصيام فى الاسلام — حكمته	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٥٦١

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضوع	بقلم	صفحة
(ض)		
الضمير	حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب	٤٩٨، ٥٥٢، ٦٢٦
(ط)		
الطلاق	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى	٥٤٠
(ع)		
العام الهجرى الجديد :		
كلمة حضرة الأستاذ مدير المجلة	... ...	٥
كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر	... ...	١٠
كلمة — شعر	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان	١٢
كلمة — شعر	حضرة الأستاذ احمد محرم	١٤
العلم والدين	« « محمد الغمراوى	٥٩
عمر بن الخطاب — الناحية الفلسفية	« « مدير المجلة	٥٢٩
عيد التاج — قصيدة	« « احمد محرم	٣٤٥
(ف)		
فاتحة السنة الثامنة	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٣
الفقه الاسلامى	فضيلة الأستاذ الشيخ سيد عفيفى	١٠٣، ٢٦٢
الفقه الاسلامى والفقه الرومانى	« « عبد الله المراغى	٣٤٧
(ق)		
قانون العقوبات الجديد	فضيلة الأستاذ الشيخ عباس طه	١٣٠
القرآن الكريم — رد شبهات عليه	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٤٠٤
القرآن — أثره فى تحرير الفكر	« « «	٧٠٩
القضاء فى الاسلام — نظامه	فضيلة الأستاذ الشيخ عباس طه	٥٨٣
(ك)		
الكلب — حكمة تحريم سؤره	قلم الترجمة	٢٩٩

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضوع	بقلم	صفحة
كلمات اجتماعية	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٤٩٢
كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر فى وفود الكليات	... .	٦٤٥
(ل)		
لماذا هو ماجد	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٤٥٧
(م)		
المتنبي — حياته	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين	٤٩
المحاماة قديما وحديثا	« « « عباس طه	٧٢٩
محبة الله عز وجل	« « يوسف الدجوى	٨٤
محمد صلى الله عليه وسلم	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٢٩٠،١٩٥، ٤٣٦،٣٥٨١
المذاهب الفقهية — جمعها	« « «	٢٣
المرأة فى الاسلام	« «	٢٩٠،١٣٩
المطالب العالية للنفس الناطقة	فضيلة الأستاذ الشيخ عباس طه	٢٩٤،٥٥ ٤٥٢،٣٧٢ ٥١٧
الملك :		
احتفال الأزهر ببلوغ جلالته سن الرشد ...	... ...	٣١٣
تعطفات جلالته على الجامعة الأزهرية ...	... ...	٣١٣
صاحب الجلالة الملك فاروق الأول	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٣١٦
مهر الزواج	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى	٣٩٤
المولد النبوى :		
أساس الرق فى الاسلام	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفه	٢٠٢
خطبة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ...	... ...	١٤٥
دراسة فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم ...	فضيلة الاستاذ السيد عبد القادر المغربى	٢١٥
دعوته صلى الله عليه وسلم الى الاتحاد ...	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	١٥٥
ذكرى المولد النبوى الكريم	« « احمد شفيع	١٤٩

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضوع	بقلم	صفحة
ذكرى المولد الشريف	فضيلة الأستاذ عبد الجواد رمضان	١٥٠
ذكرى الرسول الاعظم	حضرة الاستاذ أحمد محرم	٢٠٦
ذكرى الميلاد النبوى	فضيلة الاستاذ الشيخ فكرى يس	٢٠٩
عظمته صلى الله عليه وسلم	« « يوسف الدجوى	١٦٠
فى ظلال الاسلام	حضرة الاستاذ الدكتور زكى مبارك	١٩٦
كيف نحيي المولد النبوى	فضيلة الاستاذ الشيخ أمين الخولى	١٩٩
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم	« « عبد الجليل عيسى	١٧٥
محمد صلى الله عليه وسلم	« « محمود شلتوت	١٨٢
محمد خاتم النبيين	« « محمد أحمد العدوى	١٨٧
من نفحات النبوة...	« « صادق عرجون	١٩١
مولد محمد خاتم المرسلين	حضرة الاستاذ مدير المجلة	١٤٥
ميلاد الرسول	فضيلة الاستاذ محمد الاسمر	٢١٣
الميراث فى الجاهلية والاسلام	« « محمد مصطفى شادى	٧٢١
(ن)		
النثر الفنى	فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	٥٥٧، ٦٢٢
النقد الأدبى فى صدر الاسلام	« « « «	٩٩
(و)		
الوقف الاهلى — هل يلغى ؟	حضرة الاستاذ مدير المجلة	١٢٦
الولى — اشتراطه فى عقد الزواج	فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى	٣٢٥

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الفتاوى

الموضـوع	بقـلم	صفحة
آلة القصاص	لجنـة الفتوى	٥٠٢
الرضاع	» »	٤٣٥،٣٣٧، ٦١٦
الصلاة — تعليم التلاميذ كيفيتها عمليا ...	» »	٥٠٣
الطلاق	» »	٧٢٠
الطلاق — مسألة	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٥٧٠
الـكلاب — تربيتها وطهارتها	لجنـة الفتوى	٥٠٣،٢٧١
الميراث	» »	٦١٦،٥٠٤
الوقف	» »	٢٧٢،١١٥

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الخطأ والصواب

ص	س	خطأ	صواب
٩١	٢٢	طسم	حم
٩٦	٣	ويريدن	ويريدون
٩٧	٢٧	بالرحمة	بالمرحمة
٥٦٦	١٢	خُلق	خلق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com



جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

and on the manner of her perfoming the ghusl, and taking a perfumed rag [1] to wipe the last traces of blood.

We are informed by Yahyâ, who had it from Ibn ‹Uyainah, through Mansûr b. Safiyyah, through his mother, through ‹A ishah that :

A woman [2] once questioned the Prophet (Allâh bless him and give him peace) about the manner of her perfoming the ghusl after her courses. He prescribed to her the manner in which she should wash herself, adding: "Take a perfumed rag and purify thyslef with it." "How am I to purify myself with it?" replied she. "Purify thyself with it," said he. "How ?" asked she again. "Good gracious !" replied he, "Purify thyself."

I accordingly drew her asid to me, and told her to wipe away the last traces of blood with it. [3]

تطهرتْ من المَحيض ،

وَكَيفَ تغتَسِلُ وَتأخذ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتتَبَّعُ أثرَ الدَّمِ :

حدثنا يحي قال حدثنا ابن عيينة عن منصور بن صفية عن أمه عن عائشة :

«أنَّ امرَأةً سَألتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عَنْ غُسْلها مِنَ المَحيض ، فأمرَها كيفَ تغتسل قالَ : خذي فِرْصةً مِنْ مِسك فتطهَّري بها ، قالتْ: كيفَ أتطهَّرُ ؟ قال : تطهَّري بها ، قالتْ: كيفَ ؟ قالَ : سبحانَ اللهِ تطهَّري ! فاجتَبذْتُها إليَّ فقلْت تتبَّعي بها أثرَ الدَّمِ» .

1. ممسكة has also the meaning of old or worn.

2. The woman in question was Asmâ‹ bint Shakal, who was known as the spokeswoman of her sex (خطيبة النساء) . The prophet's reticence was due to embarrassment as will be seen in the following hadîth. ‹A'ishah, in her capacity as teacher of the faithful women, took upon herself to draw the woman aside and explain matters to her.

3. For its elucidation, this hadîth should be compared with Muslim's fuller narrative which details the manner of ghusl as well as the rubbing of the head. Al-Bukhâri does not adopt it for his Collection as it fails to fulfil his criteria of genuineness, though he takes his title from it—his practice being to accept titles taken from hadiths that were not up to his standardt of genuineness. His reason for rejecting the fuller narraive accepted by Muslim is that it was transmitted by Ibrâhîm b. Muhâjir, whose reliability as a narrator was impugned. He accordingly preferred for his text the abridged form, which — in spite of its greate authenticity — does not completely elucidate the title, to the other fuller but less reliable narrative.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Chapter 12.

On the use of perfume by woman performing the ghusl after her courses.

We are informed by ᶜAbdullâh b. ᶜAbdul-Wahhâb, who had it from Hammâd b. Zaid, through Ayyûb, through Hafsah (or—states Al-Bukhari—Hishâm b. Hassân, through Hafsah), through Umm ᶜAtiyyah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace). She said :

"We were forbidden to be in mourning for the dead more than hree days, except for a husband, when the mourning period was four months and ten days — during which we were not to use kohl or perfume, nor wear a dyed garment unless it were of ribbed Yamanite cloth. We were permitted when any one of us was performing her ghusl after being clear of her courses to use a pinch of Zafâr costus.[1] We were also forbidden to follow funeral processions."

Hammâd [2] stated that this hadîth was related by Hishâm b. Hassân through Hafsah, through Umm ᶜAtiyyah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace).

— ١٢ —

بابُ الطِّيبِ للمَرْأَةِ عِنْدَ غُسْلِها مِنَ المَحِيضِ :

حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن حفصة (قال أبو عبد الله : أو هشام بن حسان عن حفصة) عن أم عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت :

« كنَّا نُنْهَى أنْ نُحِدَّ على مَيِّتٍ فَوْقَ ثلاثٍ إلا على زَوْجٍ أرْبعةَ أشهرٍ وعَشْراً ولا نَكْتَحِلَ ولا نَتَطَيَّبَ ولا نَلْبَسَ ثَوْباً مَصْبوغاً إلاَّ ثَوْبَ عَصْبٍ ، وقَدْ رُخِّصَ لنا عِنْدَ الطُّهْرِ إذَا اغتسلَتْ إحدَانا من مَحِيضِها في نُبْذَةٍ من كُسْتِ أظفارٍ ، وكنَّا نُنْهى عن اتِّباعِ الجَنائزِ » .

قالَ رَوَاه هشام بن حسان عن حفصة عن أم عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم .

Chapter 13.

On a woman rubbing herself when purifying herself after her courses ;

— ١٣ —

بابُ دَلْكِ المَرْأَةِ نَفْسَهَا إذا

1. The commentators prefer قسط ظفار = an Indian aromatic herb imported through Zafâr in Yaman, used as incense. Although perfumes were forbidden then during mourning, they were allowed the use of incense after their courses.

2. According to Al-Karmâni this statement was made either by Al-Bukhâri or Hammâd, though Ibn Hajar and Al-ᶜAini are in favour of the former.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

2. We are informed by Qutaibah, who had it form Yazîd b. Zurai[c], through Khâlid, through [c]Ikrimah, through [c]A[s] ishah, who said :

"One of the Prophet's wives (Allâh bless him and give him peace) once joined him in a spiritual retreat, when she actually saw blood and a yellowish liquid which she caught in a basin under her while she was praying."

٢ ــ حدثنا قتيبة قال حدثنا يزيد ابن زُرَيع عن خالد عن عكرمة عن عائشة قالت :

« اعتَكَفَتْ مَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم امرَأَةٌ مِنْ أَزْوَاجِهِ فكانَتْ تَرَى الدَّمَ والصُّفْرَةَ والطَّسْتُ تَحْتَهَا وهِيَ تُصَلِّي » .

3. We are informed by Musaddad, who had it from Mu[c]tamir, through Khâlid, through [c]Ikrimah, through [c]A[s] ishah that :

One of the Mothers of the Faithful once went into a spiritual retreat while she was afflicted with constant extra-menstrual discharge.

٣ ــ حدثنا مسدد قال حدثنا معتمر عن خالد عن عكرمة عن عائشة :

« أنَّ بَعْضَ أُمَّهَاتِ المؤمنينَ اعتَكَفَتْ وهِيَ مُسْتَحَاضَةٌ »

Chapter 11.

— ١١ —

Should a woman perform her prayer in a garment which she hath worn during her courses ?

بابٌ : هلْ تُصَلِّي المرأةُ في ثَوْبٍ حاضتْ فيه ؟

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

We are informed by Abu Nu[c]aim, who had it from Ibrâhîm b. Nâfi[c], through Ibn Abu Najîh through Mujâhid, who stated that [c]A[s]ishah said :

"Each one of us had only one garment [1], which she wore during her courses, so that if it was slightly soiled by blood she moistened the place with her saliva and rubbed it with her finger-nail."

حدثنا أبو نُعيم قال حدثنا ابراهيم ابن نافع عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد قال قالتْ عائشة :

« ما كانَ لإحدَانا إلاَّ ثَوْبٌ وَاحِدٌ تَحِيضُ فيهِ ، فإذا أصابَهُ شَيْءٌ مِنْ دَمٍ قالتْ بِرِيقِها فَقَصَعَتْهُ بِظُفْرِها » .

Jahsh. Ibn Al-Jauzi, however, holds that the woman in question was not one of the Prophet's wives mentioned, but a connection, and names UmmHabîbah bint Jahsh the Prophet's sister-in-law, and Zainab bint Umm Salamah the Prophet's step-daughter. This view is refuted by the two following narrations of the same hadith which both state clearly that she was one of the Prophet's wives.

1. This was the case only in the early days of Islâm when poverty and hardship were the rule; but later, as Umm Salamah's hadith shows, separate garments were kept for menstruation.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الدَّمُ من الحَيْضَةِ كَيْفَ تصنعُ ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذَا أصابَ ثَوْبَ إحدَاكنَّ الدَّمُ مِنَ الحَيْضَةِ فَلْتَقْرُصْه ثمَّ لِتَنْضَحْه بِماء ثمَّ لِتُصَلّى فيهِ ».

menstrual blood ?' 'If the garment of any of you is soiled with menstrual blood', replied he, 'let her rub it between her knuckles, and then rinse it with water, after which she may pray in it. "

٢ — حدثنا أصبَغُ قال أخبرنى ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحارث عن عبد الرحمن بن القاسم حدَّثه عن أبيه عن عائشة قالت :

2. We are informed by Asbagh, who had it from Ibn Wahb, who received it from ᶜAmr b. Al-Hârith, through ᶜAbd-ur-Rahmân b. Al-Qâsim, through his father, through ᶜAʾishah, who said :

« كانتْ إحدَانا تحيض ثمَّ تقتَرِص الدَّمَ مِنْ ثَوْبِها عِنْدَ طُهْرِها فتَغْسِلُهُ وتَنْضَح على سائرِه ثم تصَلّى فيهِ ».

"When one of us had her courses she used to rub the blood-stains off her garment with her knuckles on purifying herself, then wash them and rinse the whole garment. After that she performed her prayer in it."

— ١٠ —

Chapter 10.

بابُ الاعتِكاف لِلْمُسْتَحاضَةِ :

On the spiritual retreat of a woman subject to constant extra-menstrual discharge.

١ — حدثنا اسحاق قال حدثنا خالد بن عبد الله عن خالد عن عكرمة عن عائشة :

أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم اعتكفَ معه بعضُ نسائِهِ وهيَ مستحاضةٌ ترى الدَّمَ ، فرُبما وضعَتِ الطَّسْتَ تحتَها من الدَّم

وزعَمَ أنَّ عائشةَ رأتْ ماءَ العُصفُرِ فقالت : كأنَّ هذا شيءٌ كانتْ فلانةُ تجدُهُ .

1. We are informed by Ishâq, who had it from Khâlid b. ᶜAbdullâh, through Khâlid, through ᶜAʾishah that :

One of the Prophet's wives (Allâh bless him and give him peace) once joined him in a spiritual retreat when she was in a state of constant extra-menstrual discharge, actually seeing the blood—so much so that she placed a basin under her, presumably to catch the blood.

ᶜIkrimah stated that ᶜAʾishah seeing a safflower-like [1] juice said : "I suppose this is what such and such [2] was discharging."

1. The simile is chosen here because the safflower plant yields a thin reddish liquid like the more tenuous blood of the post-menstrual flow.

2. This seems to have been Saudah bint Zamᶜah, or Ramlah Umm Habîbah, or Zainah bint

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

which Allàh hath allotted to the daughters of Adam' said he, 'so perform whatever a pilgrim should do, save that thou do not circumambulate the Ka'bah until thou hast purified thyself.' "

شَيْءٌ كتبهُ اللهُ على بناتِ آدمَ ، فافعلي ما يفعلُ الحاجُّ غيرَ أنْ لا تطوفي بالبيتِ حتى تطهُري » .

Chapter 8.

— ٨ —

On constant extra-menstrual discharge.

بابُ الاستحاضةِ :

We are informed by 'Abdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Hishâm b. 'Urwah, through his father, through 'A'ishah, who said :

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت :

"Fâtimah bint Abu Hubaish once said to the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) : 'O Messenger of Allâh, I am never in a state of ritual purity, *through constant extramenstrual discharge*. Am I then to give up prayer ?' 'That is only blood oozing from a vein', replied the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace , 'so when the time of thy courses cometh give up prayer, and when their period passeth wash the blood from off thee and perform thy prayer.' "

« قالتْ فاطمةُ بنت أبي حبيش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسولَ اللهِ إني لا أطهُرُ ، أفأدعُ الصلاةَ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما ذلكِ عرقٌ وليسَ بالحيضةِ ، فإذا أقبلتِ الحيضةُ فاتركي الصلاةَ ، فإذا ذهبَ قدرُها فاغسلي عنكِ الدمَ وصلّي » .

Chapter 9.

— ٩ —

On washing away stains of menstrual blood.

بابُ غسلِ دمِ المحيضِ :

1. We are informed by 'Abdullâh b. Yûsuf who had it from Mâlik, through Hishâm, through Fâtimah bint Al-Mundhir, through Asmâ' bint Abu Bakr, who said :

١ — حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالتْ :

"A woman once asked the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) : 'O Messenger of Allâh, what dost thou consider any one of us should do if her garment is soiled with

« سألتِ امرأةٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالتْ : يا رسولَ اللهِ أرأيتَ إحدانا إذا أصابَ ثوبَها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

the letter of the Prophet (Allâh bless him and give him peace), and when he read it he saw in it the words : "In the Name of Allâh the All-Loving the Most Merciful. O ye people of the Book, come to the call of a word which is common to us and you etc ; " [1]

ᶜAtâˢ related through Jâbir : "ᶜAˢ ishah, although in her courses, performed all the rites of the pilgrimage except the circumambulation of the Kaᶜ bah and the prayer ; [2] "

Al-Hakam said : "For my part I slaughter animals when I am in a state of ritual impurity, *mentioning the name of Allâh*, for He saith : 'Eat ye not of things over which the name of Allâh hath not been mentioned.' " [3]

We are informed by Abu Nuᶜ aim, who had it from ᶜAbd-ul-ᶜAzîz b. Abu Salamah, through ᶜAbd-ur-Rahmân b. Al - Qâsim, through Al - Qâsim b. Muhammad through ᶜAˢ ishah, who said :

"We set out with the Prophet (Allâh bless him and give him peace) with no other aim but the pilgrimage to Makkah. When we reached Sarif, my courses came upon me, and when the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) entered my tent I was in tears. He said : 'Why art thou weeping ?' I replied : 'I wish by Allâh that I had not undertaken the pilgrimage this year !' He said : 'Have thy courses perchance come upon thee ?' Yes', replied I. 'This is a matter

عليه وسلم فقرأ فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم وَيَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ . . . الآية ،

وقال عطاء عن جابر : حاضت عائشة فنسكت المناسك كلها غير الطواف بالبيت ولا تصلي ،

وقال الحكم : إني لأذبح وأنا جنب ، وقال الله « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » .

حدثنا أبو نعيم قال حدثنا عبد العزيز ابن أبي سلمة عن عبد الرحمن بن القاسم عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت :

« خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم لا نذكر إلا الحج ، فلما جئنا سرف طمثت فدخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي ، فقال ما يبكيك ؟ قلت : لوددت والله أني لم أحج العام ! قال : لعلك نفست ؟ قلت نعم ، قال : فإن ذلك

1. See Surah 3 : 64. The point of this passage is that although Heraclius was, as a Christian, presumedly in a state of ritual uncleanness, there was no objection to his touching the Qurˢân and reading two verses from it. This fact is the basis of the Companions' inference that one or two verses might be recietd by one in a state of janâbah.

2. The distinction must be observed between the صلاة (prayer ritual) and the دعاء (the saying of prayer or the making of invocation)—the former not being permissible to a menstruating woman or one in a state of janâbah, and the latter being permissible at all times.

3. Surah 6 : 122.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

husbands. I have never seen anyone more apt to make a resolute man lose his reason than one of you womenkind who are imperfect in intellect and faith.'

'What is the imperfection in our intellect and faith, Messenger of Allâh?' asked they.

'Is not the testimony of a woman equal to half that of a man?' replied he.

'Certainly', said they.

'Then', added he, 'that is due to the imperfection of her intellect. Must she not cease to pray and fast when menstruating?'

'Certainly', said they.

'Then', added he, 'that leadeth to the imperfection of her faith.' "[1]

Chapter 7.

A woman in her courses performeth all the rites of the pilgrimage except the circumambulation of the Kaᶜbah;

Ibrâhîm declared that there was no harm in her reciting one verse of the Qurˢân;[2]

Ibn ᶜAbbâs saw no harm in a verse or two being recited by one in a state of ritual impurity through sexual intercourse;

the Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to praise Allâh on every occasion of his life;

Umm ᶜAtiyyah said: "We were commanded to send out women in their courses *on the Feast day*, so that they might say the takbîr with the Faithful and make invocation;

Ibn ᶜAbbâs stated that he was informed by Abu Sufyân that Heraclius called for

أذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحازِمِ مِنْ إحدَاكُنَّ.

قُلْنَ: وَمَا نُقصَانُ دِينِنَا وعقلِنَا يا رسولَ الله؟

قال: أليْسَ شَهَادَةُ المرْأةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟

قُلْنَ: بَلَى،

قال: فَذَلِكَ مِنْ نُقصَانِ عقلِها، أليْسَ إذا حاضَتْ لم تُصَلِّ ولم تَصُمْ؟

قُلْنَ: بَلَى،

قال: فَذَلِكَ من نُقصَانِ دِينِها».

— ٧ —

باب: تَقضِي الحائضُ المناسكَ كلَّها إلاَّ الطَّوَافَ بالبَيتِ،

وقال ابراهيم: لا بَأسَ أن تقرأَ الآيَةَ،

ولم يَرَ ابنُ عَبَّاسٍ بالقِرَاءَةِ للجُنُبِ بَأساً، وكانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَذكرُ اللهَ على كلِّ أحيانِهِ،

وقالت أمُّ عَطِيَّةَ: كُنَّا نُؤمَرُ أن يَخرُجَ الحُيَّضُ فَيُكَبِّرْنَ بتَكبِيرِهم ويَدعُونَ،

وقال ابن عباس: أخبَرَني أبو سفيان أنَّ هِرَقْلَ دَعَا بكِتابِ النبيِّ صلى الله

1. The interruption in prayer and fasting necessitated by a woman's weakness places her at a disadvantage with a man, whose religious exercises are subject to no such interruption.

2. An isolated verse may be recited, preferably being begun but not completed - as is expounded in a hadith narrated by this Ibrâhîm.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

AL-AZHAR REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, CAIRO.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للأستاذ ابراهيم حسن الموجى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

BY

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

The Book of Menstruation

(CONTINUED)

Chapter 6.

On a woman in her courses not keeping the fast.

We are informed by Sa'id b. Abu Mariam, who had it from Muhammad b. Ja'far, who received it from Zaid b. Aslam, through 'Iyâd b. 'Abdullâh, through Abu Sa'id Al-Khudri, who said :

"The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) once went out on the Feast of the Courban Sacrifice—or that of the Breaking of the Fast[1] — to the open air mosque.[2] When he passed by the women he said: 'O ye women ! Give alms, for indeed it hath been shown me that ye form the greater part of the inhabitants of hell-fire.' 'What for, Messenger of Allâh ?' asked they. 'Ye are instant in cursing', replied he, 'and ye show ingratitude to your

كتاب الحيض (تابع ماقبله)

— ٦ —

بابُ : تَرْكِ الحَائِضِ الصومَ:

حدثنا سعيد بن أبى مريم قال أخبرنا محمد بن جعفر قال أخبرنى زيد هو ابن أسلم عن عياض بن عبد الله عن أبى سعيد الخدرى قال :

« خَرَجَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي أضْحًى أوْ فِطْرٍ إلَى المُصَلَّى ، فَمَرَّ على النِّساءِ فقَالَ : يَا مَعْشَرَ النِّسَاء تَصَدَّقْنَ فإني أرِيتُكُنَّ أكْثَرَ أهلِ النَّار . فقلْنَ : وَبِمَ يارسولَ اللهِ ؟ قال: تُكْثِرْنَ اللعْنَ وتَكْفُرْنَ العَشِيرَ ، مَا رَأَيتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ

1. Doubt on the part of the narrator.
2. A place in the cemetery where the Feast-prayer was performed.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر

في كل شهر عربي

الجزء الثاني	صفر سنة ١٣٥٦	المجلد الثامن

مدير ادارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدى

الإدارة

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراك

	قرش
داخل القطر المصرى	٣٠
خارج القطر المصرى	٤٠
للعلماء غير المدرسين وأئمة المساجد والمأذونين ومعلمي المدارس الأولية والطلاب ومصالح الحكومة ومجالس المديريات	داخل القطر ٢٠
للطلاب وأئمة المساجد	خارج القطر ٣٠

ثمن الجزء الواحد ٣ قروش صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة الأزهر

١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

فهرس

الجزء الثاني — المجلد الثامن

الموضوع	بقلم	صفحة
مشكلة الشبان المتعلمين فى مصر ...	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٧٣
تفسير سورة لقمان	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٧٩
محبة الله عز وجل	« « يوسف الدجوى	٨٤
أسباب الهجرة النبوية وآثارها ...	« « محمد محيي الدين	٩٠
محمد صلى الله عليه وسلم	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٩٥
النقد الادبي فى صدر الاسلام	فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	٩٩
الفقه الاسلامى	« « سيد عفيفى	١٠٣
استحضار الارواح فى أوربا	حضرة الاستاذ مدير المجلة	١٠٥
فى الوقف	لجنة الفتوى	١١٥
الاسلام والفلسفة ـ ابن رشد	حضرة الدكتور محمد غلاب	١١٧
السنة ـ الاخلاص	فضيلة الشيخ عبد الرحمن الجزيرى	١٢١
هل يلغى الوقف	حضرة الاستاذ مدير المجلة	١٢٦
حول قانون العقوبات الجديد	فضيلة الاستاذ الشيخ عباس طه	١٣٠
تاريخ الادب العربى فى العصر العباسى	قلم الترجمة	١٣٤
المرأة فى الاسلام	حضرة الاستاذ مدير المجلة	١٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مشكلة الشبان المتعلمين فى مصر

قرأت فى « الاهرام » يوم الجمعة الماضى، تحت هذا العنوان، تلغرافا مطولا من مراسله بلندن، لخص فيه مقالا للمستر روم لاندوفال، نشره فى جريدة «سبكتاتور»، ألم فيه بمشكلة الشبان المتعلمين فى مصر من ناحية العطل، والعاطفة الوطنية، والسياسة الحكومية، والروح الدينية. ولست بمعنى من كل ما كتبه إلا بالمسألة الاخيرة، فهى التى تحتاج فى نظرى لمناقشة جادية، مبنية على الحقائق. وقد اعترف هو نفسه بأن هـذه المسألة أولى بالعناية من سواها فقال: « ولـكن الأهم من هذا كله الوجه الروحى للمسألة ».

ثم مضى فى معالجة هذا الموضوع فقال:

« إذا كان كثيرون من الطلبة متمسكين بالمظاهر الخارجية، فان الدين لم يعد عاملا مهما فى حياتهم، أو يجدوا فيه (فلسفة) يمكن تطبيقها على الأحوال التى تبدلت وتغيرت. بل إن كثيرين يعدونه الملجأ الأخير للمحافظة على التقاليد الدينية العتيقة، والخزعبلات فى الشرق».

قال: «ولقد أعرب لى الدكتور طه حسين بك — وهو على الارجح يعرف مصر الحديثة أكثر من أى رجل آخر — عن ارتيابه الشديد فى هل للاسلام نفوذ إنشائى ما فى شباب اليوم. مما يدل على أنهم يجدون أنفسهم فى الهواء تماما، حتى إنه يمكن القول بأن عجزهم الظاهرى عن تكوين معتقداتهم الروحية، أو مطامعهم، كان نتيجة مباشرة لذلك.

«ولـكن فى البلدان الاسلامية، من السهل أن يصبح الدين والوطنية شيئا واحدا. وإذا كان ليس من الصواب القول أن الشبان المصريين ماديون ملحدون، فكذلك ليس من الصواب القول أنهم شديدو العناية بالأمور الروحية ».

ثم قال المستر روم لاندوفال:

«وهناك آخرون يشعرون بقلق، من جراء الميل بين معلمى الاسلام المصريين، الى التوفيق بين تعاليم القرآن الكريم والعلوم المادية والعقلية، وهم يتساءلون: ألا يفقد الاسلام بذلك نفوذه بين كثيرين من أنصاره والمتمسكين به من القدماء، دون أن يستميل اليه أنصارا جددا، وليست هذه أول مرة يتبين فيها أن مسايرة العلم المادى تعود بالنوائب على الدين ».

ثم ختم المستر روم مقالته بهذه العبارة:

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« لا يعتقد منصف بأن مشكلة الشبان فى مصر يمكن حلها من دون إصلاح روحى بعيد الأثر ، يتناول الشبان وزعماءهم السياسيين على السواء » انتهى .

نقول : بصرف النظر عما فى هذه العبارات من الغموض والمتناقضات ، يتضح للقارئ منها أن المستر روم لاندوفال حريص أشد الحرص على أن يصبح الشبان المسلمون وزعماؤهم متمسكين بالاسلام على أكمل ما يكون ، ولكن بعد إحداث إصلاح روحى عظيم يتناولهم هم وزعماءهم السياسيين .

لم هذا الاستدراك ؟ لأن الاسلام فى حالته الراهنة ليس له (فلسفة) يمكن تطبيقها اليوم على شئون الحياة التى تبدلت عما كانت عليه من قبل ، حتى أن كثيرا من المتعلمين أصبحوا فى الهواء لايرون فى دينهم إلا أنه قرارة لتقاليد بالية وخزعبلات شرقية !

وقد استأنس المستر روم فى حكمه هذا بما أفضى به اليه الدكتور طه حسين بك ، من أنه لم يعد للاسلام نفوذ إنشائى فى شباب اليوم ، وكان من آثار ذلك عليهم أنهم عجزوا عن تكوين معتقدات روحية لأنفسهم .

ثم ذكر ما أفضى به اليه حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى من أنه أدخل المواد العلمية الى الازهر ، ولكن المستر روم يشك فى فائدة ذلك ، لأن التوفيق فى نظره بين تعاليم القرآن والعلوم المادية والعقلية ، يفقد الاسلام سلطانه على المتمسكين بالقديم ، دون أن يستميل اليه أنصارا جددا ، لأن مسايرة الدين للعلم المادى كثيرا ما عادت عليه بالنوائب . ولم يذكر سبب طرء هذه النوائب . ولكن المتبادر للذهن أن سببها من استحالة التوفيق بين مقررات الاسلام ومقررات العلم ، فيستتبع ذلك إلحاد جمهرة المتعلمين كما حدث لدى الاوربيين حين هموا بمثل هذا التوفيق بين دينهم والعلم .

وبعد :

إننا نشكر للمستر روم لاندوفال اهتمامه بالشئون الاسلامية ، وغيرته على الشبيبة المصرية وزعمائها الى هذا الحد . ولكننا نستأذنه فى أن نقول : إن بحثه هذا كان يستدعى منه أن يعرف ماهية الاسلام ، وكنه الاصول التى يقوم عليها ، وحقيقة الغرض الذى يرمى اليه من قيادة النفوس فى معمعان التطورات العقلية والاجتماعية .

الاسلام لا يفرض على الناس (فلسفة) كلامية غير قابلة للتطور ، تتحجر وتنحل بمرور الزمان وتغير الاحوال ؛ ولم يعين لوضع هذه (الفلسفة) طائفة تستأثر بالسلطان الروحى على النفوس ، وتجمع بينه وبين السلطان المادى ، أو تتنازل عنه لبعض المتغلبين ، وتقوم حياتهم على قدم التصارع والنزاع . ولكن الاسلام فرض على الناس كافة أصولا خلقية ، وآدابا نفسية ، ومبادئ حيوية ، هى أقصى ما يمكن أن يتخيله العقل من الاطلاق والسمو ، ومثلا عليا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، تؤدى الآخذين بها الى السمو المادى والأدبى معا ، تاركا لهم حرية تكييف أحوالهم على موجبها ، مخليا الطريق فى وجوههم لجميع التطورات والانتقالات المعنوية والصورية .

هـذه قضية يتسع فيها مجال القول ، ولا يقبلها العقل إلا بسلطان ، فاليك هـذا السلطان فى مثال محسوس :

انظر الى جماعة المسلمين الأولين فى أول نشوئها ، وإلى الحال التى قامت عليها ، وإلى العوامل التى دفعتها للحركة ، وإلى ما تطورت اليـه بالانقياد لها . فان هـذا النظر يكشف من معنى الاسلام ، ومن اتجاه الاصول التى أقام جماعته عليها ، والأغراض التى تؤدى اليها تأدية طبيعية لا تكلف فيها ، ما لا تكشفه البحوث المستفيضة ، والمناقشات المطولة .

ترك النبى صـلى الله عليه وسـلم الجماعة التى ألفها وليس فيها شريعة مدونة ، ولا شكل حكومى مقـرر ، ولا طائفة مختارة ، ولا هيئات مسيطرة ، بل لم يعين من يقوم بالأمر من بعده . ولـكنه وكلها الى تأثير الأصول الأولية ، والمبادئ الحيوية التى بثها فيها وعاهدها على أن تعمل بها ، فانظر ماذا كان أثر ذلك :

كان أول ما فكرت فيه هـذه الجماعة أن تؤلف لنفسها حكومة ، وكان أول ما شعرت به أن تستكمل وجودها كأمة . فدفعها هذا الشعور لاسترداد أطراف بلادها شمالا وشرقا وجنوبا من المتحكمين فيها . فوقعت فى حرب مع الرومانيين والفرس فى آن واحـد . وكانت نتيجة هذه الحرب استرداد شمال بلاد العرب ، والاستيلاء على الشام ومصر وشمال أفريقيا ، واسترجاع اليمن والعراق ، وحل دولة الفرس ، كل هذا ولم يمض عليها بعد انتقال رسولها ، عشر سنين .

كانت هذه الفتوح سببا فى احتكاك أفراد تلك الجماعة بأمم لديها علوم وصنائع وفنون ، فالتهموها التهاما وقربوا أئمتها وأكرموهم . وما زالت هذه الجماعة سائرة على هذا النحو حتى أتى عليها قرنان ، فاذا بها زعيمة العالم كله ، فى كل ناحية من نواحى النشاط العلمى والعملى والسياسى .

هذا التطور المحير للعقل من جماعة ساذجة لم يكن لديها سطور مكتوبة ، غير آيات كتابها المقدس ؛ ولم يكن قـد جمع حين توفى رسول الله بين دفتين ، الى دولة لم تبلغ شأوها فى سعة الملك أمة الى اليوم ، كانت غاصة بالعلماء والفلاسفة والمشترعين والسياسيين الخ فى مدى أقل من قرنين ، يرينا من ماهية الاسلام ، وتأثير مبادئه ما لا تريناه أية دراسة علمية فى الأرض .

وهل وصلت جماعة المسلمين الى ما وصلت اليه من العلم وسعة السلطان ، إلا بنقل كتب المعارف الأجنبية الى لغتها ، ونشر ما فيها بين خاصتها وعامتها ، وفيها ما كان فيها من الآراء العلمية ، والمذاهب الفلسفية ، والشبهات الدينية ؟ أما تناولت كل ذلك وهضمته وتمثلته واحتملت بنيتها كل ما أثمرته من حركات فكرية ، وانقلابات أدبية ، وتطورات عقلية واجتماعية ؟ فان كان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قد أدركها الفتور بعد أكثر من ألف سنة أمضتها فى التفوق على الأمم ، فقد كان ذلك ، باعترافها ، بسبب انحرافها عن أصولها الأولية .

تلك الأصول والمبادئ الأولية التى أحدثت هذا التطور المعجز ، لا تزال حية سليمة من التحريف ، مستعدة لأن تثمر ثمراتها الطبيعية فى كل عصر بما يناسبه ، متى التفت اليها وعنى بالأخذ بها .

فلو كان للاسلام فلسفة معينة غير قابلة للتطور على مثال ما هو موجود منها فى كل الأديان المعروفة ، لبقيت جماعته الأولية على ما كانت عليه على عهد مؤسسها الأول ، ولبادت تلك الجماعة تحت تأثير الصروف المختلفة وهى فى حالة تحجر لا مخلص لها منه .

يروى المستر روم لاندوفال عن الأستاذ طه بك حسين : أنه يرتاب أشد الارتياب فى تأثير الاسلام فى نفوس الشباب تأثيرا عمليا . ولسنا نرى محلا لهذا الارتياب بعد ما تبين للخاص والعام أن الاسلام مجموعة أصول ومبادئ خالدة ، هى المثل العليا للايصال الى الحسنيين مادة ومعنى . لا أنه فلسفة معينة ، أو مذهب مقرر ، يفرض على الناس فرضا ولا يجوز لأحد أن يتخطاه الى غيره . فاذا كانت هذه الشبيبة لا تستطيع تكوين عقائد لها فى رعاية المثل العليا ، وتحت ظلال هـذه الحرية ، ففى رعاية أية فلسفة قابلة للتحجر تستطيع ذلك ؟ واذا كانت تعجز عن تكوين معتقدات لها تحت ضوء المثل العليا ، فتحت أى ضوء تنتظر أن لا تعجز اذن ؟

لم يقل أحد فى الاسلام منذ وجد الى اليوم ، وقد مضى عليه نحو أربعة عشر قرنا ، إن مذهبا بعينه يجب الأخذ به دون غيره ، أو إن ما عمله الأوائل لا يمكن أن يهمل أكل منه . فتركت للعقول حريتها تصل الى أرقى ما يمكن أن تصل اليه فى حدود الأصول الخالدة ، وفى كل زمان بما يناسبه ، فهل نجد بأنفسنا هذه الحرية فنتخذ لنا فلسفة ونفرضها على الناس فرضا ؟ هل مثل هذا القول يسهل وقعه على الأسماع فى البيئات العلمية فى العصر الراهن ؟

إن الأزهر الذى يوصف ظلما بأنه ملجأ التقاليد العتيقة والخزعبلات الشرقية ، ليس فيه رجل واحـد يخالفنى فيما أذهب اليه من هذا الرأى ، الذى قـد يعتبره المستر روم لاندوفال مكفرا فى رأى أقطاب القديم فى الازهر .

كل ما فى الأزهر أنه لم يرزق مصلحا يرقى أسلوب التعليم فيه ، فبقى خاملا فى القرنين الأخيرين . أما وقد رزق اليوم هذا المصلح العظيم فى شخص الامام المراغى فسيكون له شأن جلل بعد سنين قليلة . فهل بلغ المستر روم ، وهذا الامام المجدد يسرى عليه أصول الجامعات الكبرى ، ويدخل اليه اللغات الأجنبية ، ويرسل منه طلابا الى أوربا ، أن واحدا من أقدم رجال الازهر يرى أن هـذه الاصلاحات بدعة ؟ أليس الازهر نفسه هو الذى طلب أن يسلم مقاليده لهذا الامام المجدد؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نعم : إن شيوخا فى الأزهر عارضوا قبل ثلاثين سنة فى إدخال أوليات العلوم الطبيعية اليه ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك باعتبار أن هذه العلوم تنافى نصوص القرآن أو تضره ، ولكن باعتبار أنها قد تصرف طلبته عن التفرغ للعلوم الدينية .

ألم يعلم المستر روم أن (محمد على) موجد مصر الحديثة ، وهو بسبيل بناء صرح العلم الطبيعى ، وإقامة مدنيته ، استنجد بالأزهر ، فأنجده بنفر من أنجب طلابه ، أرسلهم الى أوربا ليعبوا من مواردها ، فلما آبوا بنى على أكتافهم هذا الصرح العلمى الذى نفخر به اليوم ؟

وإنى منذ أكثر من ثلاثين سنة ، أعلنت موافقة الأصول الاسلامية لأرقى أصول الفلسفة الأوربية ، فما وجدت من شيوخ الأزهر ، حتى القدامى منهم ، إلا تشجيعا وإطراء ، بل كانوا هم أشد طوائف الأمة إعجابا بما كتبت .

وقبل أن أختم هـذه العجالة أسأل المستر روم : على أى أساس يؤكد أن الشبيبة المصرية تعجز عن تكوين معتقداتها ؟

أيظن أن ذلك يكون لأن مئات من الآيات القرآنية تدعوها للنظر فى الكون والكونيات ، والتأمل فى القوى العاملة فيها ، والنواميس السائدة عليها ، دون أن تحد لها حدا تقف عنده ، أو تعين لها مجالا لا تتعداه الى غيره ، ناهية إياها عن التقليد الأعمى ، والجمود على الموروثات ، مؤكدة لها أنها تؤجر على ثمرة جهادها وإن أخطأت فيه ؟

إن كان لا مناص من أن يتهم المستر روم الشبيبة الاسلامية بعجز ما ، فهى تعجز ، وقد وصلت الى هذا المستوى من العلم العصرى ، أن تتخيل أن الاسلام يصدها عن أى ترق علمى أوفلسفى ، أو لا ينير طريقها للوصول الى أسمى عقيدة كتبت للبشر .

بقيت لنا كلمة :

يرى المستر روم لاندوفال أن الاسلام لا يصلح مقوما للنفوس إلا بعد إحداث إصلاح عظيم فيه ، وهو لم يذكر كلمة (إصلاح) إلا لأنه يتخيل أن الاسلام كسائر الأديان يقوم على (فلسفة) مؤلفة من آراء القدماء ومذاهبهم ، وشروحهم وتأويلاتهم ، فرضت على عقول أهله فرضا ، وحرم عليهم النظر فى أدلتها ، وفى مبلغ مناسبتها لأحوال الزمان والمكان ، وفى تعديلها كلما احتاجت الى تعديل فى حدود الأصول الاسلامية .

ولو كان المستر روم يعلم أن الاسلام يقوم على أصول ومبادئ هى نواميس الحياة الانسانية الكاملة التى لا تتبدل ، وأن المسلمين الاولين دونوا آراءهم ومذاهبهم فى حدودها ، وإنهم لا أقول لم يحرموا نقدها وتعديلها فحسب ، بل حرموا على الناس أن يأخذوا بها تقليدا بغير نظر ، وأن يعتبروها نهايات ليس بعدها مذهب ؛ قلت : لو كان المستر روم يعلم هذا لما ذكر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كلمة (إصلاح) لأنه لا موجب له مع وجوده عنصرا رئيسيا فى تركيب هـذا الدين ومعترفا به من جميع المسلمين ، ويعدل عن كلمة إصلاح الى كلمة (عمـل) ، فنصح للمسلمين أن يعملوا بدينهم ، مذكرا إياهم بأصوله الاولية الخالدة التى تسع فى حدودها كل ما يمكن أن يتصوره العقل من تكمل مادى وأدبى دون أن يصادف السالك اليه أى حرج ؟

محمد فريد وجدى

لا غلو فى الدين

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله بعثنى بالحنيفية السمحة ، ولم يبعثنى بالرهبانية المبتدعة ، سنتى الصلاة والنوم ، والافطار والصوم ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى »

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « خير هـذه الامة النمط الاوسط ، يرجع اليهم الغالى ، ويلحق بهم التالى »

وقال مطرف بن عبد الله الشخير لابنه ، وكان قد تعبد : « يا بنى إن الحسنة بين السيئتين (يعنى الدين بين الافراط والتقصير) ، وخير الامور أوسطها ، وشر السير الحقحقة .

وقال بعض العلماء : « عامل البر كآكل الطعام إن أكل منه قوتا عصمه ، وإن أسرف منه بشمه » أى أتخمه .

وروى عن عيسى عليه السلام كما ذكره ابن عبد ربه فى العقد ، أنه اتى رجلا فقال له : ما تصنع؟ قال : أتعبد . قال : فمن يعود عليك ؟ قال : أخى . قال عيسى عليه السلام : هو أعبد منك .

قال ابن عبد ربه : ونظير هـذا أن رفقة من الاشعريين كانوا فى سفر فلما قدموا قالوا : ما رأينا يا رسول الله بعدك أفضل من فلان : كان يصـوم النهار فاذا نزلنا قام من الليل حتى نرتحل ، قال : فمن كان يمهن له ويكفله ؟ قالوا : كلنا . قال النبى صلى الله عليه وسلم : كلكم أفضل منه .

وروى على بن عاصم عن أبى إسحق عن الشيبانى قال : رأيت محمد بن الحنفية واقفا بعرفات على برذون وعليه مطرف خز أصفر .

وروى السدى عن ابن جريجة عن ابن عباس قال : كان يرتدى برداء بألف .

تدل هذه الروايات على أن ليس فى الاسلام حرج على طعام أو كاس إلا إذا خرج عن حد الاعتدال ، أو كان من المحرمات .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة لقمان

— ٤ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ، وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ، وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ، وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) :

قد سبق أن توعد الله الذين يحيدون عن آياته الحكيمة التى هى هدى ورحمة الى لهو الحديث ، مضلين عن سبيل الله ، هازئين بالآيات البينات ، مستكبرين معرضين عنها كأن لم يسمعوها ، توعدهم بالعذاب الاليم . وساق ذلك الوعيد بلفظ البشرى ليبكتهم ويغيظهم أشد الغيظ ، وليصورهم وهم فى مرحهم ولهوهم بأنهم ينتظرون فى تلك الحالة أن تتصل حلقات مرحهم بمسرات تتلوها ، فاذا سمعوا كلمة « بشره » اشرأبت اليها أعناقهم ، فاذا صدموا بعدها بأن البشرى إنما هى بالعذاب الاليم كانت النكاية بهم أبلغ ، وكانت حالهم حينئذ أشنع .

ثم أردف ذلك الوعيد بالوعد الحسن للذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم جنات النعيم ، أى أن الجنات بما فيها لهم يتمتعون فيها بما يشاءون غير مدافعين ولا منازعين ، تمتع الملاك بما يملكون ، كما يؤخذ من اللام فى لهم ، ومن الاسناد الى الجنات نفسها ، وهو أبلغ من الاسناد الى نعيمها ، فمن ملك الشىء كان استمتاعه بكل ما فيه أتم ، بخلاف من ملك صفة من صفاته فان تصرفه يقتصر على تلك الصفة ، وذلك كما ترى من الفرق بين المالك والمستأجر ، ونرى من هذا دقة الفرق بين لهم جنات النعيم ، ولهم نعيم الجنات .

ثم أردف كلا من الوعيد والوعد بما يقرر تنفيذها ، إذ قال عز وجل : « وعد الله حقا » فقرر أن هذا الوعد من الله ، ومن أوفى بعهده من الله ! وزاده بقوله : « حقا » زيادة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى التقرير والتثبيت ، وختم الآية بقوله : « وهو العزيز الحكيم » أى هو القادر الغالب على أمره ، الذى لا يرد له مراد لعزته ، الحكيم الذى يضع الأشياء فى مواضعها ويقرها فى نصابها .

وقد أردف هذا بقوله : « خلق السموات بغير عمد ترونها » الخ ، تقريراً لعزته وباهر قدرته ، وتوضيحا لحكمته وإتقان صنعته . يتجلى الاول وهو كمال القدرة فى « خلق السموات بغير عمد » ويتجلى الثانى وهو كمال الحكمة فى « ألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم » الخ الآية ، بل كل منهما عند التأمل يظهر فيه القدرة والحكمة .

والخلق : أصله التقدير ، يقال : خلق الخياط الثوب إذا قدره قبل أن يقطعه ؛ ومنه قول الشاعر :

وأراك تفرى ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ولكنه كثر استعماله فى الايجاد ، ولا سيما فيما يسند منه الى الله عز وجل ، وكأن فى ذلك إشارة الى أنه جل شأنه متى قدر أمرا وأراده على وجه خاص وجد لا محالة « إنما أمره إذا أراد شيئ أن يقول له كن فيكون » .

فمعنى خلق السموات إيجادها على وجه مقدر محكم لاخلل فيه ولا نقص ولا تفاوت .

والسموات : جمع سماء ، وهى كما سبق لنا فى تفسير سورة الرعد عند أكثر العلماء الاسلاميين : هذه الأجرام الفلكية المحيطة بنا ، المتحلية بلون الزرقة ، وذلك ما يدل عليه ظواهر النصوص والأخبار الكثيرة .

وبعضهم يرى أن هذا اللون ليس لون السموات ، فانه يحدث من أسباب عدة : كأن يكون أجزاء بخارية جوية يسطع عليها ضوء الكواكب ويليها طبقة مظلمة ، فيحصل من امتزاج الضوء الكوكبي بالأجزاء المظلمة لون متوسط بين السواد والبياض هو لون الزرقة ؛ أو من تعاقب ذرات ذات ألوان متعددة ، فيحصل من امتزاجها ذلك اللون المخصوص ، فلا يلزم أن يكون هذا المرئى هو لون السماء .

ويمكن الرد على هذا الوجه بأن حصول لون الزرقة لهذا السبب الذى ذكروه لا يمنع أن يحصل لسبب آخر ويكون هو لون السماء حقيقة ، فيكون كلا الأمرين فى نظر العقل جائزا ، وقد جاءت ظواهر النصوص مفيدة أن ما نراه هو السماء ، فلا موجب لصرفها عن ظاهرها .

وأصحاب هذا الرأى الثانى منهم من يفسر السموات بانها الكواكب ، وكل ما ارتفع فهو سماء ؛ ومنهم من يفسرها بأنها المناطق التى تسبح فيها الكواكب ، وهى أيضا مرتفعة . ولا يخفى عليك أن ظهور آثار القدرة إنما يكون فى رفع شيء ذى وجود حقيقي ، أما المناطق الخالية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التى لم تزد عن أنها فراغ تسبح فيه السموات، فليس فى ارتفاعه وهو خلو أثر للقدرة، ولا يقال: إنا نراه مرتفعا.

وبعد: فالذى ينقدح فى الذهن وتطمئن اليه النفس، هو أن هذا المرئى هو السماء، وذلك ظاهر النصوص، فاذا قام الدليل العقلى على انتفاء ذلك وأثبت أنه ليس هناك سماء بالمعنى الجرمى المتعارف، صح المصير الى التأويل، وإلا كان التأويل والصرف عن الظاهر تشهيا بلا موجب. ولنتنبه الى أنه فرق بين قيام الدليل العقلى على انتفاء السموات وبين عدم قيامه على وجودها، فالأول يصلح صارفا للنصوص عن ظواهرها بخلاف الثانى، كما أن هناك فرقا بين الدليل الموجب للجزم والدليل المحصل للتخمين والظن، فالاول يصلح لتأويل النصوص بخلاف الثانى.

« بغير عمد ترونها »:

العمد: اسم جمع عمود أو عماد، وقيل جمع عمود كأديم وأدم. ومعلوم أن فعيلا وفعولا متشاركان فى الأحكام غالبا. والعمود: ما يعتمد عليه ويستند اليه. وقوله: « ترونها » أى تبصرونها، ضميره عائد على السموات، والجملة مستأنفة كأنها دليل على أنها ليس لها عمد، أو جواب لمن يقول: ومن أين لنا أنها لا عمد لها؟ فيقال: ها أنت ذا تراها ولا عمد لها ولو كان لها عمد لرأيت عمدها كما رأيتها. وبعضهم أرجع ضمير ترونها الى عمد، وكأن المعنى: خلق السموات بغير عمد مرئية، فلا مانع أن يكون لها عمد غير مرئية، فقيل: والعمد غير المرئية هى قدرته عز وجل، وهو بعيد عن بلاغة الاسلوب القرآنى كما ترى، فان تسمية قدرة الله عمدا للسموات لا يكاد يسيغه الذوق السليم. وقيل بل العمد غير المرئية عمد حقيقية لا نراها، وقد وردت بها الاخبار. ومثل هذا القول لا يلتفت اليه، فلم يصح فيما نعلم خبر فى هذا، وما يرويه بعض المفسرين من إسرائيليات مستغربة فذلك مما ابتلى به المفسرون قديما، وأفسد على كثير منهم أمرهم، فلا تعويل على مثل تلك الروايات. وكأن الحامل لهم على جعل الضمير عائدا على العمد أنه جاء فى قراءة « بغير عمد ترونه » ولا يمكن أن يعود على السموات لأنها مؤنثة، فتعين عوده على العمد، والقراءات يفسر بعضها بعضا. وأنت خبير بأن هذا لا يتعين فى عود الضمير على العمد، فقد يكون عائدا على الخلق الذى جاء فى « خلق » أى ترون أثر ذلك الخلق فيما تشاهدون، ألستم تبصرونها ولا عمد لها؟

« وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم »:

الالقاء: الوضع، وفى الغالب يكون حطا من أعلى الى أسفل، وإذا كان الملقى ذا قوة وبطش استدعى إلقاؤه ثبات الملقى غالبا. والرواسى: جمع راسى، من رسا يرسو ثبت واستقر، وهو قريب من معنى الرسوخ. وقوله: « أن تميد بكم »: مثل هذا التركيب يقع كثيرا فى عبارات الناس فيقدر معناه بقولهم: خشية أن يحصل كذا، أو حذر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن يحصل كذا ، ولما كانت الخشية والحذر مما لا يليق نسبته الى الله استبدلوا بها كلمة «كراهة» أى كراهة أن تميد بكم ومنهم من يقول : إن المعنى على حذف «لا» أى لئلا تميد بكم ، ولا داعى لزيادة لا مع ظهور المعنى بدونها ، وليس هذا من موضع حذفها مع مراعاة معناها .

والميد والميدان : الاضطراب والتزلزل . والظاهر أن المراد به هنا تزلزل أجزائها وتحولها إذا لم تكن متماسكة بما يضبطها ويربط بعضها ببعض . والجبال هى تلك الأجرام الأرضية المتماسكة الصلبة من الحجارة وما فى معناها ، تظهر على وجه الأرض سائخة القواعد فى داخلها ، فيكون فى تماسكها فى ذاتها وتشابك أطرافها بعضها ببعض إمساك للأرض أن تنهار أجزاؤها وتضطرب فى أحياز متعددة تمنع كمال الانتفاع بها والطمأنينة عليها . وفى التعبير بقوله : « بكم » بعد تميد ، إظهار لموقع النعمة الموجبة للشكر والاعتراف بالجميل ، من حيث كان منع الاضطراب فى مصلحة المخاطبين ، أى حتى لا تكونوا مزلزلين غير مستقرين فتتعرضوا للأخطار ويلحق مصالحكم البوار .

وقوله : « وبث فيها من كل دابة » لفت الأنظار الى أثر آخر من آثار الاقتدار ، وهو إيجاد الحياة المتنوعة منتشرة فى أرجائها ، فأينما تنقلتم فيها صادفتم نوعا من الاحياء جديدا يدل على عظمة قدرته عز وجل ، واستطعتم أن تنتفعوا منها بما يتيسر لكم الانتفاع به ، فكل مسخر لكم ، وقد أعطيتم من قوة العقل وسعة الحيلة ودقة البحث ما يمكنكم من الانتفاع بها فى عدة وجوه ، وإذا أعوزكم الانتفاع ببعض منها فلعله يوجد بعدكم من يهتدى الى وجوه منفعة لم تدركوها ، فحرمانكم من منفعة بعضها لا يمنع من انتفاع من هو أدق نظرا وأوسع عقلا . على أن وجوه الانتفاع إنما تلزم حين يراعى ما فيها من معنى الرحمة والنعمة عليكم ، وإلا فهى شاهدة فى تركيبها وتنوع أجناسها وألوانها وطبائعها وقواها بعزة مبدعها وكمال قدرته ، وشاهدة فى استكمال كل نوع منها قوى تحفظ نوعه وتحمى أفراده وتنظم حياته ، شاهدة فى ذلك بكمال حكمته ، فهو العزيز الحكيم ، وهو الرءوف الرحيم .

قال : « وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم » :

دليل إثر دليل ، حتى تمتلئ النفس يقينا وإيمانا ، والأدلة المترادفة تجد لكل منها أثرا خاصا فى تنمية اليقين ، حتى ينتقل النظرى الى الضرورى ، والمستدل عليه الى ما يقارب المشاهد .

والعدول فى هذا من ضمير الغائب فى : خلق ، وألقى ، وبث ، الى ضمير المتكلم «أنزلنا» «أنبتنا» يسمى فى البلاغة التفاتا ، ونكتته أن تنويع الكلام من طريق الى طريق من شأنه أن يجدد من نشاط السامع ويقوى انتباهه ويدفع عنه سآمة التكرار على وتيرة واحدة . ويمتاز هنا بميزة أخرى وهى إظهار الامتنان من المتكلم على السامعين وسوقه مساق ما لا مساغ لتداخل متداخل فى إبرازه ، فما كان لأحد أن يدعى أن له مدخلا فى تكوين الامطار وإنزالها من

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السماء ، فى حين أن بث الدواب قد يخون امرأ عقله فيه فى بعض الاحيان فيقول : قد كان لى من حسن القيام على دوابى وأنعامى باستيلادها وتغذيتها وحمايتها من العوادى ما جعلها تنمو وتنتشر ، وما أكثر غرور الانسان ، وما أقرب انخداعه بما يتوهم أن له فيه مدخلا !

والسماء : جهة العلو ، ولا تكاد تجد ماء يحصل للانبات إلا ماء المطر النازل من السماء حيث تضربه الرياح فتنقيه من الأملاح ، فاما استخدم فى الانبات مباشرة ، وإما تشربته الأرض فسلك ينابيع فيها ثم ظهر فى عيون نابعة فى جهات متفرقة ، وإما جرى أنهارا على وجه الارض فنقل مطرا من جهة جبلية لاتنتفع به فى الانبات الى أرض سهلة ضبطته وانتفع به أهلها ، أوكان زائدا على مواقعه فيجرى ليعم نفعه جهات ثانية . وعلى الجملة فأكثر ما يسند الانبات الى الماء المنزل من السماء ، وأما الماء المحيط بمعظم سطح الأرض وهو ماء المحيطات والبحار المتفرعة منها ، فلا يكاد يستند اليه الانبات .

وقوله تعالى : «فأنبتنا» بضمير المتكلم ليأخذ الطريق على الناظر المتأمل ، حتى لا ينخدع بالظواهر السطحية ويزعم أن هذا الماء هو المنبت فيقصر نظره على ما شاهدته حواسه ويعطل عقله عن أن ينفذ الى الحقائق من ورائها . وناهيك بقوم عبدوا الأنهار وقدسوها لأنها مظهر الانبات الذى عاد عليهم بالفوائد ، فمثلهم كمثل رجل حكم عليه قاض بحكم وسجله بقلمه فلم يرضه الحكم ، فأخذ القلم يكسره ، أوحكم له بحكم أرضاه فأخذ القلم يقبله ، فما للقلم وماالحكم له أو عليه ؟! ولكنه النظر القصير لا يعدو طرف الانف ، بل العمى والعمه فى البصائر والأبصار !

وقوله « فيها » دون أن يقول : « به » كما فى موضع آخر ، لأن الآية وإن سيقت للاستدلال فالغرض توجيه النفوس الى شكر المنعم المتفضل .

وقوله : «من كل زوج كريم» : الزوج هو الشيء ينضم الى غيره ويتزاوج ليكون من بين انضمامهما إنتاج مقصود ، وقد يطلق على مجموع المتزاوجين كلمة زوج ، ولكن معناه الاصلى هوالشيء المنضم الى غيره ، فهما زوجان ، وكل منهما زوج . ومعنى الكريم : المنتج الصالح للانتفاع به ، الكامل فى وجوده . والاتيان بمن هنا كما فى قوله « من كل دابة » للاشارة الى أن فى قدرته تعالى أن يضاعف من الخلق أضعافا ، وأن هذا الذى أوجده إنما هو شيء مما تسعه قدرته .

ثم الفاء فى قوله : «فأنبتنا» للتفريع على كل من إنزال الماء ، وحفظ الأرض من أن تميد . أما الأول فظاهر ، وأما الثانى فلأن فى سكونها عونا على استقرار البذر فى موضعه منها حتى يختمر ويكمل استعداده للنبات ، وإلا فلو كانت أجزاؤها مائدة متحركة ما حصل نبات البذر فيها ، كما يقولون : الحجر المتدحرج لا ينبت عليه زرع . وبهذا ترى كيف كانت أجزاء الآية متماسكة متصلة أكبر تماسك وأقوى اتصال . والله أعلم ؟

ابراهيم الجبالى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

محبة الله عز وجل

ذكرنا فى مقالنا السابق تفسير قوله تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض الخ » كلمة عن سعة الملك الالهى الذى يبهر العقل ما فيه من عجائب المصنوعات وبدائع المخلوقات :

إن آيات ربنا بينات ما يمار فيهن إلا الكفور

وقد وعدنا القارىء الكريم أن نكتب كلمة تثير محبة الله من القلوب ، فانا نرى القرآن قد تعرض عقيب تلك الآية التى ذكر فيها دلائل التوحيد لذكر تلك المحبة حيث يقول : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله » ، وكأنه يشير الى أن محبة المؤمنين تنبنى على معرفة الآيات والدلائل ، بخلاف محبة غيره فانها مبنية على تقليد الآباء واتباع الأوهام والأهواء .

ولنخض بك غمار الموضوع فنقول :

بادر لدرك الذى قدفات من عمرك ولتتخذ زاد التوحيد فى سفرك
أيا مليك الورى يا منتهى أملى ما أشوق السر والمعنى الى خبرك
ماظل لى أمل فى غير مشهدكم ولا قرأت كتابا ليس فى سيرك

إذا كنت تحب احدا لما يبهرك من علمه وسعة نظره من علماء الأمم ، فأحب الله تعالى الذى أتقن كل العوالم وأودع فيها من الأسرار ما أدهش فلاسفة أوربا إشراق شعاع من نور شمسه ، حتى قال سبنسر الانجليزى ما ترجمته : « ليس الغرض من علم الطبيعة معرفة تلك الظواهر الطبيعية ، وإنما الغرض الاسمى أن يشرف الانسان على ذلك السر الباهر ، ويستطلع تلك العظمة الالهية من وراء تلك الحدود التى ينتهى إليها علم الطبيعة » .

ويكفيك ما اشتمل عليه الانسان من الأسرار المدهشة التى تكفل بها علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء مما بهر علماء الفزيولوجيا فطأطؤا له الرءوس ، وعشوا أمامه كما يعشو الخفاش أمام الشموس .

وإن كنت تحب أحدا لمزيد شجاعته وعظيم قدرته وحسن تدبيره من القادة والساسة ، فأحب أحكم الحاكمين ، وأقدر القادرين ، وقيوم السموات والأرضين ، ورب العالمين ، ومدبر الخلق أجمعين ، من أمره بين الكاف والنون ، وإذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون

وإن كنت تحب أحدا لاحسانه ومزيد إنعامه وعظيم تبريزه فى باب الفضل والمكارم ، فأحب منبع النعم ومعدن الكرم . وأين كل ما تتخيله إذا قسته بقطرة من بحار فضله ؟ وماذا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نعدد لك من نعمه أو نسرد عليك من آثار كرمه بعد ما علمت أنه المفيض لكل نعمة في الوجود، وأنه رب الكرم والجود؟ «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم».

ولعمر الانصاف إن هذا المقام يجب أن تتكسر فيه الأقلام، وتخرس فيه الألسن، فلن تطيق شرح نعمة واحدة من نعمه.

وانظر إن شئت لنعمة الهواء التي يتوقف عليها وجود كل حي الى آخر ما يتفرع منها ويتشعب عنها. وإن شئت فانظر الى نعمة الضياء أو الماء، وما أودعه في الأشياء من الكهرباء بباهر حكمته وعظيم تدبيره «ذلك تقدير العزيز العليم» «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار».

وقد أحس بتلك العظمة المدهشة وذلك الانعام الفائض على كل من في الوجود، ذلك الرجل العظيم صاحب النفس المطلقة من القيود الفيلسوف (لينه) الفزيولوجي الفرنسي الذي كان يدعوه وجدانه فيجيبه، ويناجيه شعوره الحي فلا يتغافل عنه — وهو عندي مؤمن لا محالة — قال: «إن الله الازلي الكبير العالم بكل شيء قد تجلى لي ببديع صنائعه حتى صرت مدهوشا مبهوتا! فأي قدرة وأي حكمة وأي إبداع أودعه مصنوعات يده لافرق بين أصغر الاشياء وأكبرها! إن المنافع التي نستمدها من هذه الكائنات تشهد بعظيم رحمة الله الذي سخرها لنا، كما أن جمالها وتناسقها ينبئ بواسع حكمته، وكذلك حفظها عن التلاشي وتجددها يشعر بجلالته وعظمته!».

ولنرجع الى أصل الموضوع فنقول:

إذا كنت تحب نفسك وكمالها، فأحب من أوجدها في أحسن تقويم، وشق سمعها وبصرها وأسبغ عليها نعمه ظاهرة وباطنة، ولم يقتصر كرمه على إفاضة الضروريات والحاجيات، بل أعطاك من الكماليات ما تتنوع به لذتك وتتم به بهجتك، فليس من الوفاء أن تعرض عنه وقد غمرتك نعماؤه، وأشرق عليك ضياؤه، وعذب لك ماؤه ولطف هواؤه، وأنعشتك بدائع أكوانه: من رياض غناء، وصحار فيحاء، وأثمار شهية، وألوان بهية، ونغمات شجية، ومناظر تطير بالقلوب الى حضرة علام الغيوب، من شموس وأقمار، وأطيار وأزهار، وليل ونهار، أما يجب أن تقول عند رؤية تلك الآيات المدهشات والدلائل الناطقات والنعم الفائضات ما قال ذلك البدوي الذي لم تشغله المدنية وزخرفها عن أن يرجع الى قلبه ويستمع من حديث لبه حيث يقول:

هاج للقلب من هواه ادكار — وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات — وعيون مياههن غزار
ونجوم تلوح في جنح ليل — مشرقات في كل يوم تدار

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وشمـوس مضيئـة للـبرايا في نهار وفي الدجا أقمار
ورياح تهب من كل فج وبروق وراءها أمطار
إن شأن الأله شان كبير جـل ربا وجات الآثار
والذى قد ذكرت دل على الـ ـه نفوسا لها هـدى واعتبار

أو نقول كما قال غيره مخاطبا نفسه مستحثا لها على العبرة وإطالة الفكرة حيث يقول :

تبصر حيث كان لك التبصر وفى ذات الاله دع التفكر
وإن ترد المهيمن حين تذكر تأمل فى نبات الأرض وانظر
الى آثار ما صنع المليك

فأنوار المهيمن ساطعات وأفكار الخلائق حائرات
ولكن الأدلة واضحات أصول من لجين زاهرات
على أغصانها ذهب سبيك

شموس فى البرية مشرقات نجوم فى الدياجى لامعات
بطول الدهر دوما سابحات إلى مالست أدرى طائرات
يطير بها له الجرم السميك

رياض مونقات منعشات وألوان لعينك مدهشات
وأغصان تسرك ناضرات على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

أو يقول وقد امتلأت نفسه بالوجود الحق ، الذى ظهر فى جميع الاشياء ، وتجلى نوره فى عوالم الارض والسماء ، وإن غاب عن الأبصار وجل أن يدرك بالأنظار :

ظهر الوجود الحق فى الأشياء متجليا جهرا بغير خفاء
إن الوجود عن البصائر غائب من حيث ما هو ظاهر للرائى
والفىء يكشف أن ثمة شاخصا متحكما فيه بغير مراء
فرأيته من حيث لم تعلم به وعلمته فى رتبة الأسماء
والشمس لا تستطيع رؤية ذاتها لتألق فيها وفرط ضياء

أو يقول ما قال ذلك الرجل الذى رآه ظاهرا فى آثاره ظهور الشمس ، وإن تعالى بحقيقته عن العقول :

حسن تراءى فى المرائى وبه تحير كل راء
والكائنات جميعها موج على صفحات ماء
والأمر أمر واحد فيه التقارب والتنائى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والـكون عرس زينت ذى الارض فيه مع السماء
بكواكب ومواكب والنجم خفاق اللواء
والطبل أجسام الملا والزمر أرواح الفضاء
وصدا جميع الكائنا ت أخى من أشهى الغناء
هو باطن هو ظاهر فاحذره من وجه الخفاء
واطلبه من وجه الظهو ر تجده فى كل المرائى
شمس وكل الخلق فى أنوارها مثل الهباء
لكن إذا أنكرتها أصبحت من حمقى الخلائق لا من العقلاء
يا قوم كيف عقولنا لا تضمحل من البهاء

أو يقول عند ما يرى الأشجار تتهادى فى حلل الأوراق والأزهار معجبا برؤيتها متعجبا من قدرة خالقها :

ياصاحبى تعجبا لملابس قد حاكها من لم يمد لها يدا

فقل لى بعيشك هل من الحياء ، والحياء خلق كل كريم ، أن تتمتع بما خلق الله لك من الاضواء والاصباح والامساء ، وما أوجدلك من بديع الاشياء وسخر لك من الارض والسماء ، وكان الأمر على ما يقول عز وجل : «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» ثم لا تؤدى شكره ولا تعرف قدره ؟

إنى لأعجب ممن قد رأى طرفا من فرط لطفك ربى كيف ينساكا

فان كان لا يؤثر فى نفسك فائض إنعامه ومزيد إحسانه ولا ما هو عليه من قدرة يتحير فيها الناظرون ، وعظمة لا يصفها الواصفون ، وعلم لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ، وحكمة أتقن بها جميع الاشياء ، ولا ما هو متصف به عز وجل من نعوت الجلال وصفات الكمال ، وكان لا يستولى على نفسك سلطان الحسن الذى تشاهده بعينك أو تلمسه بيدك ، فاعلم أن كل جمال يقع عليه حسك أو يتصل به لمسك فانما هو ظل من ظلال ذلك الجمال المطلق الذى يجل عن الحدود ويتعالى عن القيود ، وليس يعطيك أى مظهر من مظاهره إلا بعض سرائره ، ولا تمثل لك أى مرآة من مراياه إلا بعض مزاياه . وأنى يسع المحدود من لا يقبل التحديد ؟ وكيف لا يضيق المقيد بمن لا يدخل فى سجن التقييد ؟

إن قلت هذا فان الحد يحصره أو قلت ذا فكلام لست أدريه
أو قلت عندى جاء الظرف يطلبه والظرف حق ولكن ليس يحويه
ما إن رأيت وجودا لست أدريه إلا الذى أنا معنى من معانيه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فطوبى لمن شم عرف شذاه أو شام برق سناه، وهنيئا لمن شرب قليلا من مدامه ولو مزجا، أو نظر اليه ولو شذرا، فاذا لم يدرما هو تائق اليه ومتلهف عليه قال:

شيء به فتن الورى وهو الذى يدعى الجمال ولست أدرى ما هو

وقد قال بعض الحكماء لتلاميذه: إن الناس كلهم يشتاقون الى الله، أتدرون لماذا؟ لأنهم يتوقون الى إصلاح لايتناهى وجمال لا يتناهى وكمال لا يتناهى، وليس ذاك إلا لله.

فارجع الى سلامة فطرتك، وحدق بصر بصيرتك، وطالع ذلك الجمال الالهى الذى تجلى على صفحات الموجودات، واقرأه بين سطور تلك المبدعات، ثم انظر رعاك الله الى أى حد انتهيت، ولا أظنك إن كنت رقيق الوجدان لطيف الشعور قوى الاحساس بالجمال إلا وقد وصلت الى معنى يصغر بجانبه اسم الحسن، إذ تجدك أحسست بجمال لايتناهى، وغرقت فى بحر من الجلال لا يحد ولا يأتى عليه التعبير:

فطورا فى الجلال على التذاذ وطورا فى التذاذ بالجمال

وعند ذلك ينطق لسان حالك منشدا:

عجبت لعاقل فى الناس أضحى يرى هذا الجمال ولا يهيم

ويترنم بلبل روحك مغردا:

لعمرك كل الحسن من بعض حسنه وما حسن كل الحسن إلا جماله

فاستجل هذا الحسن رعاك الله فى كل شىء تراه من العلويات أو السفليات:

إن شئت فى فلك أوشئت فى ملك أوشئت فى مدر أوشئت فى حجر
فالكل ينطق أن الله خالقه وهو المليك ورب النفع والضرر

وهل الشمس وهى أظهر ما علمت، وأظهر ما رأيت، وأجمل ما وقع عليه البصر، وأبهى ما وصل اليه النظر، إلا أثر من آثاره ونور من أنواره، قد كتبت عليها سطور البهاء والجمال، والعزة والجلال، فنحن نقرأ فيها قدرة نخر لها ساجدين، وحكمة نقف أمامها مبهوتين، وجمالا يذوقه الوجدان وإن كان لا يكيفه، فتمتلئ به النفوس وإن كانت لا تعرفه، ونطالع فيها رحمة تجمعنا قائلين بلسان الشاكرين: «تبارك الله أحسن الخالقين»! وحقه، وما أكبر حقه، لو تفرغت من الشواغل التى أخذتك ولم تدع منك شيئا لعشقت فذقت فنطقت فقلت:

تراه إن غاب عنى كل جارحة فى كل معنى لطيف رائق بهج
وفى مساقط أنداء الغمام على بساط نور من الأزهار منتسج
وفى مسارح غزلان الخمائل فى برد الأصائل والاصباح فى البلج
وفى مساحب أذيال النسيم إذا أهدى الى سحيرا أطيب الأرج

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عظم والله البرهان وامتلأ الوجدان ووصل الامر الى حد العيان وليس بعد العيان بيان ، ولكن قويت الانوار فغشيت الابصار ! وكل ما اعتيدت مشاهدته وتكررت رؤيته سقط عن القلب وقعه وإن عظم نفعه ، ولكن الهمة أن تكون من المستبصرين لا ممن أخلد الى الارض من الغافلين والجامدين .

خليلي قد طال المقام على القذى وحال على ذا الحال ياقوم أحوال
يمر زماني بالأماني وينقضي على غير ما أبغي ربيع وشوال

فاطلب رعاك الله مرافقة سكان الملكوت وعشاق الجبروت . فان كنت تحب أحدا لما بينك وبينه من التشاكل والتناسب فأحب الملأ الأعلى سكان ملكوت الله تعالى فان فيك ما يشاكلهم تمام المشاكلة « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » . وليس غذاء هذا الجوهر النفيس إلا العلوم والمعارف ، ولا مطلبه إلا الصفاء والهناء ، ولا أمنيته إلا الاطلاق من جميع التقييدات والاطلاع على جميع المغيبات ، وهو من عالم التقديس والتطهير ، ولكنك نسيت عالمك الاول منذ فارقته واشتغلت بمطالب هذا الهيكل الجسماني الذى لا بد له من الفناء ، فأنست بالظلمات وتمرنت على احتمال الآفات :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

ولذلك يصف القرآن من هذا حاله بالموت لأنه أمات أفضل غريزة فيه ، بل أمات خاصيته التي هو بها إنسان على الحقيقة ، فيقول : « أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » ؟

وقد استولت عليك هذه المطالب الجسمانية حتى أنستك عالم البهجة والبهاء ، وصرت لاتعرفه ولا تحس به ، وإنه لموطن روحك ومحل أنسك ، وليست الروح تحب هذه الملاذ الجسمانية إلا لأجل بدنها لا لأجل ذاتها . وأما مطلبها الذاتي وغذاؤها الأصلي فهو الأسرار والأنوار . ولما طال بها العهد وهي في سجن الظلمات ومحل الآفات نسيت ماهي مستعدة له ومخلوقة لأجله ، وهو في الحقيقة نسيان لنفسها « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » فكأن لم يكن لها عهد بالصفاء ولا علاقة بعالم الجمال :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أسأل الله أن يعيد لأرواحنا صحتها الأولى ، ويخلصها من أمراضها التي أضعفت منها تلك الحاسة العليا التي هي مناط لذتها الكبرى وشرفها الاعلى وخاصيتها الاولى ، ويرزقنا محبة الله ومحبة الانبياء الذين هم أطباء الارواح وأساتذة النفوس بمنه وكرمه ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير !

يوسف الدجوي
من جماعة كبار العلماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أسباب الهجرة النبوية وآثارها

عندما احتفلت مشيخة الازهر برأس السنة الهجرية كان العدد الأول من هذه المجلة قد تم إعداده للطبع ، فلم نستطع أن ننشر فيه كل ما ألقى فى تلك الليلة من الخطب القيمة . فاليوم وإن كانت المناسبة قد زالت فاننا نؤثر أن ننشر خطبة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد محيي الدين المدرس بكلية اللغة العربية ، حرصا على ما فيها من فوائد تاريخية ، وتفصيلات محلية ، وبيانات اجتماعية . وهى هذه :

لعل حادث الهجرة : هجرة الرسول وأصحابه من مكة ، بلدهم الذى فيه نشأوا ، وموطنهم الذى درجوا منه وألفوه ، وفيه أموالهم وأهلوهم ، ولهم بسكناه شرف وزعامة على سائر العرب ، لأن فيه حرم الله الآمن ، وبيته المطهر من عهد أبيهم إبراهيم ؛ مع ما جبلت عليه طبيعة العربى من حب الوطن وإلفه ، والحرص عليه والذود عنه وتفديته بالأنفس والأموال ؛ الى المدينة ، وهى إذ ذاك بلد وبىء معروف بالحمى ، ولم يسبق لأكثرهم به عهد . لعل هذه الهجرة أظهر الأحداث فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، ولعل أصحاب الرسول أنفسهم كانوا يرونها بهذه المثابة ويقدرون لها هـذا القدر ، فانا نراهم — بعد أن انقضت إقامة الرسول بينهم بما كان فيها من جلائل الأعمال وخطير الأحداث — يعودون اليها وحدها ، فيذكرونها ويتخذونها رمزا خالدا لحياة الاسلام ، ويسجلون ذكراها فى معاهداتهم ومبايعاتهم وسائر شئونهم ، وما يزال المسلمون الى يوم الناس هذا يجدون فى هـذا الحادث من المعنى السامى ما وجده سلفهم فيه ؛ ذلك بأنهم يرون فيه صورة التضحية العظيمة فى سبيل الحق ، والمثل الواضح للجلاد الدائب فى نصرة العقيدة ، والاستهانة بما فى الحياة من راحة ودعة فى سبيل الدعوة الى الله ، ويرونه أخيرا مبدأ الطريق للصيحة العاتية فى وجه الباطل ، والصريخ الملتهب لدحر الظلم والعدوان .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتيه الوحى بالمنزلة التى لا يجحد فيها فضله : من أكرم قريش نسبا ، وأفضلهم بيتا ، وأحسنهم خلقا ؛ فلما جاء قومه بما عرفوا من الحق حال الحسد بينهم وبين اتباعه وتصديقه ؛ فعتوا على الله ولجوا فى كفرهم وعنادهم ، وظهر ما كان مستورا من العداوات القديمة التى كانت بين بطون قريش وبنى هاشم ، وقام رءوس بنى عبد شمس يظاهرهم رءوس بنى مخزوم وغيرهم ؛ فأخذوا يؤرثون العداوة ويثيرون الحفائظ ، ويصدون الناس عن الاستماع لدعوة النبى ؛ فيقول أبو جهل الحكم بن هشام المخزومى : « تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف : أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حتى إذا تحاذينا على الركب قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هـذه ؟ ! والله لا نؤمن به أبدا » !

لم يكونوا يشكون في صدقه ؛ لأنهم لم يجربوا عليه كذبا قط ، ولأنه ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله ، ولأن هذا الكتاب الذي يتلوه عليهم ويدعوهم الى الايمان به مما لا عهد لآذان بسماع مثله ؛ ولكنهم يخافون أن يظهر أمره ، ويخشون إن آمنوا به أن ينبه ذكره فيخمل ما لهم من ذكر ؛ فكانوا إذا خلا بعضهم الى بعض اعترفوا بالحق وذكروا وجه الصواب فيه ؛ فاذا صاروا في ملأ من الناس كذبوا على أنفسهم وعلى الناس ورموه بالسحر والكهانة والشعر والجنون ، وفي ذلك يقول لهم النضر بن الحارث : « يا معشر قريش : إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة قط ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ، وكان أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ؛ حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر ؛ لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ؛ وقلتم : كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ؛ لقد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ؛ وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها ؛ وقلتم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ؛ يا معشر قريش ، انظروا في أمركم ، فانه والله قد نزل بكم أمر عظيم ! » .

حاولوا أن يغروه أول الأمر بمتاع الحياة الدنيا وزينتها ليرجع عما يباديهم به من الدعوة الى توحيد الله ؛ فيقول له عتبة بن ربيعة : « إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تريد به شرفا سودناك علينا فلا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك » فلا يجيبه على ذلك إلا إجابة الساخر بما عرض عليه ، الموقن بانتصار حقه على باطلهم ؛ يتلو عليه القرآن ، وفيه الدعوة الى الله والتحذير من عقابه وتسفيه عقول قومه ، فيقول له : « أقد فرغت يا أبا الوليد » ؟ فيقول : « نعم » قال : « فاستمع مني » قال : أفعل ، قال : « بسم الله الرحمن الرحيم . حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرءانا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا ، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون ، قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه ، وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون» . فاذا انتهى من قراءة السورة قال له : « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ؛ فأنت وذاك » .

ثم يرفعون أمره الى عمه أبي طالب الذي يظاهره ويدفع عنه ، ويعرضون على عمه مثل ما عرضوه عليه ، ثم يخوفونه عاقبة تماديه في نصرة ابن أخيه ، فيقول له عمه : « يا ابن أخي ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إن قومك قد جاءوني في أمرك ، فابق علي وعلى نفسك » فيقول له : « ياعم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هـذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيـه ما تركته ! » ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك عمه وقـد ظن أنه خاذله ، فناداه عمه ثم قال له : « اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا » !

فاذا يئسوا من إغرائه وعلموا أنه صلب القناة ، وأنه جاد في طريقه غير آبه لما يتهددونه به ، داوموه بالقوة والـكيد والقطيعة ؛ فأغـروا به سفهاءهم فنالوه وأصحابه بالأذى ، وأعلنت بطون قريش مقاطعة بني هاشم ، وكتبوا بذلك عهدا علقوه في الـكعبة توثيقا لأمره بينهم ؛ فـكان لا يصل شيء الى بني هاشم إلا سرا يستخفي به من أراد صلتهم من قريش ؛ ومشوا الى أختان رسول الله فأمروهم أن يطلقوا بناته ليشغلوه بهن ؛ وهو لذلك كله صابر رابط الجأش شديد الثقة بالله ، عالم أنه لا بد ناصره ومؤيده ، وهو لا يفتأ يأمر أصحابه وقومه بمثل ذلك من الصبر ورباطة الجأش .

فاذا رأت قريش أن ذلك كلـه لا يفت في عضده ولا يهن من قوته وعزمه ، بيتوا قتله ؛ ولقد هموا بذلك أكثر من مرة ، ولـكن الله تعالى منعه في كل مرة مما يريدون ؛ فقد اجتمع يوما جماعة منهم ، فقال أبو جهل بن هشام : « يامعشر قريش ، إن محمدا قد أبى إلا ما ترون : من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وسب آلهتنا ؛ وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فاذا سجد في صلاته فضخت به رأسه ، فاسلموني عند ذلك أو امنعوني ؛ فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم » ! فقالوا : « والله لا نسلمك لشيء أبدا ، فامض لما تريد » . وأبى الله تعالى عليه ما عقد نيته عليه ؛ وأتت أم جميل حمالة الحطب زوج أبي لهب وفي يدها فهر من حجارة تريد أن تلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فما هو إلا أن بلغت المسجد حتى أخذ الله بصرها فلا ترى إلا أبا بكر رضي الله عنه ، فتقول : « يا أبا بكر : أين صاحبك ؟ فوالله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه » .

وقد كان يشجعه على احتمال هذا الأذى والصبر على ما ينالونه به من المـكاره عمه أبو طالب ، وكان له عضدا وحرزا في أمره ، وكان له منعة وناصرا على قومه ؛ وزوجه خديجة بنت خويلد التي كانت تواسيه وتدعوه الى الجلد والصبر ؛ فلما ماتا واشتد إيذاء قريش له ، وتفاقمت شرورهم عليه ، ونالوا منه بعدهما ما لم يكونوا ليفعلوه ، فـكر في الرحلة عنهم ، وتمنى أن يؤذن له بالانتقال ؛ وأراد الله به وبدينه خيرا ؛ فبدأ أول الامر بعرض نفسه على قبائل العرب ، فـكان يخرج اليهم في مواطنهم أحيانا ، ويتلقاهم في مواسم الحج أحيانا أخرى ؛ وكان أهل يثرب من الأوس والخزرج أسرع الناس الى قبول دعوته ، لأنهم كانوا قد عرفوا بعض شأنه مما كان اليهود يحدثونهم به

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عنه ، فما هو إلا أن ذكر لهم أمره ودعاهم الى الايمان به ، حتى قال بعضهم لبعض : « ياقوم : تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم اليه » .

فأجابوه الى ما دعاهم إليه وصدقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ، ورجوا أن يؤلف الله به بين قلوبهم ؛ فلما اعتزموا العودة الى يثرب أرسل معهم مصعب بن عمير بن هاشم ، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الدين ، فكان له أثر عظيم فى دعوة أهل المدينة الى دين الله ؛ فلما كان الموسم من العام الثانى لقى النبى ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من أهل المدينة ، فدعاهم الى الله ورغبهم فى الاسلام ، وتلا عليهم القرآن ، وبايعهم على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، وألا ينازعوا الأمر أهله ، وأن يقولوا الحق أينما كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم ؛ فلما تم له ذلك وأصبح له أنصار فى بلد آخر يرحل إليهم ويأنس بهم ؛ ويطمئن الى جوارهم ، ويمتنع بهم ممن أراده بسوء ، اطمأن الى الهجرة ، وأمر أصحابه الذين كانوا يؤذون فى مكة بأن يهاجروا ، وقال لهم : « إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها » فخرجوا أرسالا ، وأقام هو بعدهم ينتظر إذن الله له بالخروج .

ولم يكن مشركو قريش يحبون أن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه من بين أظهرهم ؛ لأنهم كانوا يحذرون عاقبة هذه الهجرة ؛ فكانوا كلما رأوا جماعة من أصحابه خرجوا من مكة ، حاولوا إعادتهم ليؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم إن استطاعوا ؛ فان أفلتوهم أخذهم القلق وساورتهم المخاوف . ولقد اجتمعوا يتشاورون فى الأمر ويديرون الرأى فيه ؛ فقال أحدهم : « احبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله من الموت » فأجابوه : « والله ماهذا لنا برأى ، لئن حبسناه كما تقول ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقنا دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا علينا فينتزعوه من بين أيدينا ثم يكاثرونا به حتى يغلبونا على أمرنا » وقال قائل منهم : « نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع » فقالوا : « والله ما هذا لنا برأى ، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟ والله لوفعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم اليكم » وإذ ذاك ينبرى أبو جهل من بين القوم فيقول : « أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ؛ فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم » فاذا سمعوا ذلك من أبى جهل وافقوا عليه ، وتفرقوا وهم مجمعون له ؛ ولكن الله يريد أن ينصر رسوله ويؤيده ويظهر دينه فيأذن لرسوله بالخروج فيخرج وهم ببابه راصدون له متهيئون لتنفيذ قرارهم فيأخذ الله بأبصارهم فلا يرونه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكان الذي خافت قريش أن يكون ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، ولو أخرجوه كما قال قائلهم لكان أشرف لهم وأبقى على سمعتهم ، وعصمه الله منهم فلم ينالوا منه ماطمعوا فيه . وكانت لهذه الهجرة المباركة آثارها التي توقعوها ، وآثار أخرى لم تكن تخطر لأحدهم ببال ؛ فقد أصبحوا يخافون أهل المدينة وهم في طريقهم في تجاراتهم إلى الشام . وهؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون كل يوم ، وهذا رسول الله بحسن حديثه وكريم أخلاقه وسمو مبادئه ونبيل غايته ، يفعل في نفوس العرب وعقولهم فعله ؛ وحبه يجرى منهم مجرى الدم من العروق ، حتى إن أحدهم ليرى الرسول أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ؛ ويقظتهم لما يأتي به وحرصهم على معرفة مبادئه تبلغ الغاية التي لامطمع وراءها ، فهم يحصون ألفاظه ، ويحيطون بأحواله كلها ، فلا تغيب عن وعيهم حركة من حركاته . وللنبي وأصحابه في كل حين صرعى من صناديد الشرك وأبطال الضلال ، وأخيراً يجيء هذا الذي آذوه وألبوا عليه وألجأوه إلى الفرار بدينه فيقتحم عليهم مكة ويدخلها ، كما كانوا يخافون ، بمن احتمع إليه من قبائل العرب .

وكان من آثار هذه الهجرة أن هدأت الحال ، وأصبح للمسلمين وجود اجتماعي ؛ فاطرد نزول الوحي على الرسول يضع له ولأمته أسمى ما عرفته الانسانية الى يوم الناس هذا من قوانين العدل والمساواة والحرية ؛ فألف بين قلوب أهل دعوته فأصبحوا بنعمة الله إخوانا ، وهذب نفوسهم وراض ما صعب من أخلاقهم ، وجنبهم حمية الجاهلية الأولى ، وجعل رابطة الدين والعقيدة فوق كل رابطة ، وسوى بينهم في الحقوق والواجبات ، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، وجعل الكبير صغيراً حتى يؤخذ الحق منه ، والصغير كبيراً حتى يؤخذ الحق له ؛ وضمن حماية العقل والنفس والمال ، وحذر من الفحشاء والمنكر والبغي ، ودعا الى الاخلاص في السر والعلن ، ولم يترك مبدأ ساميا إلا أخذ الله لنبيه منه بأوفر حظ ، وأرشده الى المثل الأعلى فيه .

فاذا احتفى المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بذكرى هذا الحادث فانهم إنما يذكرون أثره العظيم في بناء هذا الدين ، ويذكرون مع ذلك عزيمة قائدهم الأعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعزيمة أصحابه رضوان الله تعالى عليهم ، تلك العزيمة الماضية التي أبت أن تخضع لغير الحق ، واعتصمت بالله وحده ، فأخذ الله بناصرها حتى بلغ بها أسمى مكان .

ونحن نضرع الى الله تعالى في مستهل هذا العام أن يجعله مقرونا باليمن والبركة على مصر وسائر بلاد المسلمين ، وأن يؤيد برعايته حضرة صاحب الجلالة الملك فاروقا الأول ، وأن يوفق رجال حكومته الى ما فيه خير الامة وسعادتها ، آمين ؟

محمد محيي الدين عبد الحميد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

محمد صلى الله عليه وسلم

فى تقدير قادة الآراء فى العالم (١)

« لنتحول الآن من الكلام عن حياة مؤسس الاسلام الى الكلام عن الاسلام نفسه . وإنما قدمنا بيان حياة مؤسسه لأنه لا يجوز جهل مؤسس أى نحلة عند الكلام عنه ، فان ذلك قلب كل دين والروح المحرك له .

« أما وقد آن لنا أن نتكلم عن الاسلام فان الأصل الذى له المكانة الأولى فيه هو توحيد الله ، وهو أساس كل دين سماوى . أما ما هو خاص بالدين الذى جاء به النبى العربى فى هذا الموطن ، فهو أن توحيد الله يقتضى كونه الملك والمولى والمشترع ، وهو ما نسميه نحن معشر التيوصوفية: إشفارا ، أى الكلمة العليا . فقد تكرر فى القرآن مدلول هذه السورة : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد» . فهذا هو صميم هذا الدين ، ورسالته السامية . ولكل دين كلمة خاصة يقولها ، ورسالة ذاتية يؤديها . فكما أن الكلمة العليا فى الهند وسنانية هى عمومية الذات الالهية ، فهى فى كل شىء وكل الخلق فيه ، كذلك للاسلام كلمة عليا هى وحدة الله باعتبار أنه السيد المطلق ، ليس له شريك فى الملك ، ولا ثانى يليه فى الدرجة . وإنى لأستطيع أن أستشهد بآيات كثيرة من القرآن على صحة ما أقول ، ولكن ليست الحاجة تدعو الى ذلك فأكتفى بآيتين اثنتين وهما : « الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » . إن جلالة هذه الآية ظاهرة للعيان رغما عن قصور الترجمة عن بلوغ شأوها . اليك الآية الثانية : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم » .

« ثم يلى هذه العقيدة فى الرتبة الاعتقاد بالأنبياء ، لابنبى واحد فحسب ، ولكن بجميع الانبياء . فقد صرح القرآن فى مواطن كثيرة أنه لا يجوز التفرقة بين الانبياء ، فكلهم مرسلون من قبل الله ، وقد خص كل منهم بأمة ، وقام بما عهد اليه نحوها . وقد دل الكتاب الذى جاء به محمد جملة وتفصيلا على أنه كان يعتقد بجميع المرسلين ، ولا يحاول أن يتدخل فى أعمالهم : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » ، « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم

---

(١) تابع مانشرناه قبل هذا من البحث القيم الذى نشرته مدام آنى بيزانت رئيسة جمعيات التيوصوفية العالمية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعيسى، وما أوتى النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »، « إن الذين يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدن أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقا، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا. والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم، وكان الله غفورا رحيما ».

« إن ما كان يعنيه النبي من كلمة إسلام تتفق اتفاقا تاما وهذه الروح الحرة التي قمنا بإقامة الدليل عليها هنا. فقد كان يقول دائما إنه لا يوجد إلا دين واحد هو الاسلام، ولكن ماذا يعني الاسلام وعلى أي مراد كان يطلقه محمد؟ الاسلام يعني لغة، الاستسلام والخضوع، وفي الاصطلاح الديني، يعني الخضوع لارادة الله. وإذا كان الرسول يقول إنه هو الدين الوحيد الصحيح، فهو كذلك في الواقع. ولكن هل هذا يعتبر تجديدا أو جده النبي في البلاد العربية؟ اللهم لا، فانه هو نفسه لا يقول بذلك. فقد جاء في الكتاب: « إن الدين عند الله الاسلام، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم »، « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلما، وما كان من المشركين. إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا، والله ولي المؤمنين »، « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا، واتخذ الله ابراهيم خليلا ».

« فالاسلام بهذا المعنى وحده يصبح الدين الوحيد في العالم، فالناس جميعا على اختلاف أديانهم إذا خضعوا لارادة الله أصبحوا أبناء الاسلام حقا بالمعنى الذي كان يطلقه النبي على هذه الكلمة. ولا يهمنا بعد ذلك إن كان أتباعه قد ضيقوا من هذا المعنى في الأزمان الأخيرة. وإني لأشكو الى النبي أتباعه على هذا التضييق الذي ارتكبوه، كما شكوت النصارى الى المسيح، والهندوسيين الى الريشيين: « يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا »، « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة، إن الله على كل شيء شهيد »، « ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا، وما أنت عليهم بوكيل. ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم »، « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات، الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون »

« كذلك نهى الاسلام عن مخاصمة أهل الأديان الأخرى وإن كانوا على الوثنية، لأنهم جميعا كما يقول سيحشرون الى الله يوم القيامة فيبين لهم ما كانوا فيه يختلفون. فما أجل هذه العبارة وهي قوله: « الى الله مرجعكم جميعا » والمراد منها أن نترك منازعاتنا حتى يشرق علينا النور

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الالهى فتتجلى لنا الحقيقة كاملة لاننا لا نرى منها الآن إلا جزءا . فلنترك منازعاتنا كما يأمر به هــذا الكتاب حتى ينير العقل الالهى بصائر الناس ليروا كيف لا تعنى العقائد المختلفة إلا عقيدة واحدة .

« لنجاوز الآن هذا الموطن الى المظهر الخارجى للاسلام : فنجد فيه وجوب الايمان بالأربع الملائكة الأعلين الذين يتولون شئون العالم بأمر من الله ، وهم ميكائيل الموكل بحماية الخليقة ، وجبرائيل المكلف بابلاغ رسالات الله ، وعزرائيل المعهود اليه قبض الأرواح ، وإسرافيل الذى عليه أن ينفخ فى الصور يوم القيامة ، فهؤلاء الاربع الملائكة الأعلون يشبهون الديفاراجا Devarâjas عند الهنود . ثم يليهم المبلغون الذين يكتبون أعمال الناس ، وقد خص كل إنسان باثنين منهم ، ويأتى بعدهم جماعات من الملائكة تحيط بنا من جانب ، وهم ينفذون أوامر الله فى ملكه ، وينفذون إرادته ، ويرشدون الناس الى الخير ، ويحمونهم من الأخطار ، وهؤلاء يشبهون الديفا Devas عند الهنود . ثم تجىء بعدهم الطبقات السفلية وهم الجن الذين نسميهم نحن معشر الثيوصوفيين بالكائنات العنصرية السفلى ، وهم خمس طوائف ، واحدة منها لكل عنصر من العناصر الطبيعية ، وهذا مطابق كل المطابقة لتعاليم علم الباطن .

« وفى الاسلام أيضا المذهب السباعى كالطباق السبع للسماء ، والدركات السبع لجهنم ، كما هو الشأن فى التعاليم الظاهرية لكل دين .

« وأخيراً نجد ذكرا عن إبليس الذى عصى أوامر ربه هو وقبيله من الجنة العاصين ، وقد أهبط الى الارض وصار أميرا للاهواء وعدوا للناس أجمعين .

« لنتكلم الآن عن واجبات الفرد فى الاسلام : فأولها وأعلاها قيمة هى الاستقامة . وقد ورد فى هذا الموضوع آية جليلة القدر أتلوها عليكم وهى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » . وآية أخرى وهى : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » . وآية ثالثة وهى : « ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين ، فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة » . وقد خطب النبي محمد فقال : « إن أفضل ما يدخره الانسان لمعاده ، هو ما يسديه من الخير لاخوانه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى هـذه الحياة . فانه إذا مات ابن آدم تساءل الناس ماذا أخر ، وتساءل الملائكة فى القبر ماذا قدم ؟ » .

« ومما يحسن بكل باحث فى هذا الدين أن يفعله هو أن يتذكر الحالة التى وجد النبى عليها أمته ، وهى الحالة التى وصفناها فى مقدمة هذه المحاضرة ، وأن يتذكر أيضا بعد ذلك أن هذه الامة نفسها قد عملت بما وصاها به من هذه التعاليم .

(مجلة الأزهر) : لقد وصلت السيدة الجليلة (أنى بيزانت) الى فهم معنى الاسلام كما يفهمه أهله ، ولكنا نأخذ عليها أنها اتهمتهم بتضييق معناه ، ولعلها تؤاخذهم جميعا بما وجدت عليه طائفة من غلاتهم فى الهند أو غيرها . وقد سبق لها أن قالت فيما نشرناه لها فى العدد العاشر : « احكموا على الاديان بالنظر الى سيرة أرقى ممثليها ، لا الى انحرافات أحط الآخذين بها » . ونحن نطالبها بالجرى على هذه القاعدة التى وضعتها .

أما قولها : « كذلك نهى الاسلام عن مخاصمة أهل الاديان الاخرى وإن كانت على الوثنية ، لأنهم جميعا سيحشرون الى الله يوم القيامة فيبين لهم ما كانوا فيه يختلفون . » فان كانت تقصد بالمخاصمة هنا مقابلتهم بالعدوان ، ومعاملتهم بالعسف ، فهى مصيبة فيما تقول ، وإن كان غرضها ترك دعوتهم الى الهدى ، وإنارة بصائرهم لتعرف الحق ، على أسلوب لا يثير نفوسهم ، ولايجرح كرامتهم ، فيكون فى قولها صد عن بث النور فى العائشين فى الظلام البهيم وقد وضع الاسلام لبث هذا النور بين المحرومين منه قاعدة لا يعقل أن يكون أعدل منها وهى قوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » . وليس بث أية دعوة بالحكمة بمستنكر فى الذوق العام ، بل هو أمر لابد منه ، فان أمر الانسان قد بنى على فهم الحقائق وتعرفها ، ودوام الترقى فى تذوقها ، لا على الجمود والتحجر انتظارا ليوم القيامة حيث يبين الله للناس فيه ما كانوا فيه يختلفون .

محمد فريد وجدى

رذيلة السعاية

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة . فقال لأصحابه : إذا شئتم فقوموا . فلما تهيأ الرجل للكلام قال له عبد الملك : إياك أن تمدحنى فأنا أعلم بنفسى منك ، أو تكذبنى فانه لا رأى لكذوب ، أو تسعى الى بأحد ، وإن شئت أقلتك . فقال الرجل : أقلنى يا أمير المؤمنين وانصرف .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

النقد الادبي

في صدر الاسلام

النقد يرجع في حقيقته العامة الى غريزة حب الاستطلاع ، والكشف عن حقائق الأشياء التي تقع تحت حواسنا ، فهو مركوز في الفطرة الانسانية منذ خلق الله في الناس إحساسا وشعورا ، وعقلا يميزون به بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والضار والنافع ، وكان نظام الحياة العام وما جرت به سنن الله تعالى في الكون يوحي الى الطبائع الانسانية النقد الفاحص والنظر المميز في ظواهر الوجود التي تغمر الانسان أول ما يتصل بالحياة ، ليتعرف منها ما يلائم خصائصه .

والنقد الأدبي نوع من هذا النظر ينصب على الآثار الادبية لمعرفة موافقتها لأصول الكلام الجيد وما تشتمل عليه من معنى جميل مستحسن ، أو رذل مستهجن ، ومقدار صلة هذا المعنى بالحياة ، ومعرفة ما أضاف اليها من صور جديدة ، أو ما كشف عنه من مناحيها المجهولة ، وتبيان الاثر الذي يحدثه في نفس القائل أولا ، والسامع ثانيا ، وما قيمته من الصدق والشعور ؟ وفي أي طرز وضع ؟

وإذا كان لا بد لنا من سلوك طريق التعريف فنستطيع على هذا الأساس أن نعرف « النقد الأدبي » بأنه : « النظر في الآثار الادبية وتحليلها لمعرفة موافقتها لقوانين البلاغة ، وما فيها من المعاني ، وما لها من الاثر للوصول بالادب الى غايته من الكمال » . ولا شك أن هذا النحو من البحث لم يعرف لدى عامة العرب قبل الاسلام قائما على قوانين علمية ، وقواعد فنية ، وإنما عرفت عنهم خطرات فطرية ، وسانحات سليقية ، كالذي يحكيه الرواة عن « طرفة بن العبد » وقد سمع « المسيب بن عنس » يقول :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره ... بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال : « استنوق الجمل » . قال في اللسان : والصيعرية اعتراض في السير ، وهو من الصعر ، والصيعرية سمة في النوق خاصة ... ولما سمع طرفة هذا البيت من المسيب قال : استنوق الجمل ، أي أنك كنت في صفة جمل ، فلما قلت « الصيعرية » عدت الى ما توصف به النوق .

أما خاصة الشعراء الذين عرفوا بالتنقيح كزهير والحطيئة فذهبهم في الشعر يدل دلالة قوية على أن لهم منهجا في نقد الكلام غير السليقة المجردة ، ولكننا لا نستطيع تحديد ذلك المنهج تحديدا علميا لاننا بعيدون عن أن نجد قاعدة ثابتة يقوم عليها عندهم ، وكل الذي نعرفه أن نفرا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من شعراء الجاهلية كانوا يحفلون بأشعارهم وينقحونها تنقيحا يذهب ببعضها ويبقى على بعضها، ثم تظهر للناس فى صورة يرضى عنها الشاعر ويطمئن الى نسبتها اليه . قال أبو هلال العسكرى : «وكان هذا (التنقيح) دأب جماعة من حذاق الشعراء المحدثين والقدماء، منهم زهير، كان يعمل القصيدة فى ستة أشهر، ثم يهذبها فى ستة أشهر، ثم يظهرها، فتسمى الحوليات . وكان الحطيئة يعمل القصيدة فى شهر، وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يبرزها» . فذلك التهذيب من زهير فى ستة أشهر، وهذا النظر من الحطيئة فى ثلاثة أشهر، لابد أن يكون قائما على شيء أزيد من السليقة والفطرة .

ومهما يكن فالنقد الأدبي كان معروفا عند العرب قبل الاسلام معرفة عامة لاتتضح معالمها إلا بمقدار ما سمحت به الحياة إذ ذاك . فلما نزل القرآن الكريم، وفتح على العرب أبوابا فى المعاني والحقائق جديدة، تناولت التشريع والعقيدة، والسياسة، والاجتماع، والأخلاق، والأدب، وكان فى أسلوبه طرزا فريدا لا يبارى، اتخذه فصحاء العرب نبراسا لأساليبهم الأدبية، وتأثروه فى كلامهم، وإلى جانبه البلاغة النبوية لها من المميزات والخصائص ما ليس لغيرها من كلام البشر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أنفذ الناس بصيرة، وأحمدهم مذهبا، وأعرفهم بطرائق الخطاب، ومواقع الكلام من النفوس، وهو القائل : «إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة»، والقائل : «إياى والتشادق»، وفى حديث آخر : «إن أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون»، وروى أن رجلا تكلم بين يديه فى شأن جناية على جنين فقال : كيف ندى من لا شرب ولا أكل، ولا صاح فاستهل، أليس ذلك دمه قد يطل ؟ فقال النبي صلوات الله عليه : أسجعا كسجع الكهان ؟ ! وهذا نحو من النقد الادبي البارع، فانه صلى الله عليه وسلم لم يحمد من المتكلم هذا المذهب فى الكلام لما فيه من التكلف والغثاثة، وكد النفس من غير موجب .

وذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب : من يحمى أعراض المسلمين ؟ فقال كعب : أنا يارسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم : إنك تحسن الشعر، وقال حسان : أنا يا رسول الله، قال : نعم اهجهم أنت فسيعينك روح القدس، وهذه موازنة صامتة بين شاعرى الاسلام، والموازنة من أخص ضروب النقد فى الأدب، والنبي صلى الله عليه وسلم معلم ومرشد، يعلم أمته الحكمة، ويرشدها الى طرائق الخير، فى أفعالها وأقوالها، فكما طهر عقيدة الأمة، وجاءها بأكمل شريعة، أدبها فى مناهج خطابها، وأرشدها الى أفضل أساليب الكلام بما جبله الله عليه من السمو فى هذا المقام .

وقد جرى أصحابه على سنته، فكان فيهم ناقدون عبقريون، لم يشغلهم الدين عن الدنيا، ولا صرفهم علم الشريعة عن النظر فى الادب، فهذا عمر بن الخطاب، وهو من هو فى الدين

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وسياسة الامة : كان من آدب الناس وأنقدهم ، روى أنه قال لابن عباس : أنشدنى لأشعر شعرائكم ، قال : من هو ؟ قال الذى يقول :

ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا ولـكن حمـد الناس ليس بمخلد

قال ابن عباس : ذاك زهير ، قال : فذاك أشعر الشعراء ، قال : وبم كان أشعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لايعاظل فى المنطق ، وكان يتجنب وحشى الـكلام ، ولم يمدح أحدا إلا بما فيه .

وهنا نحب أن نقف مع القارىء الاديب قليلا لنتأمل فى هذا القانون الذى استنه عمر ابن الخطاب فى النقـد الادبى ، فهو يرى أن مقياس الجودة فى الادب التجافى عن التعقيد والتمويص فى المعانى ، والتزام السلاسة والسهولة فى التعبير ، وصدق الاحساس والشعور ، وهذه الاسباب الثلاثة هى جماع الاصلاح الادبى التى يجب أن يقـوم على أساسها النقد حتى يؤتى ثمرته المرجوة .

وكان أبو بـكر الصديق رضى الله عنه أديبا حـكيما ، وناقدا صيرفيا ، قال السيوطى فى المزهر : وكان أبو بكر رضى الله عنه يقدم النابغة ، ويقول : هو أحسنهم شعرا ، وأعذبهم بحرا ، وأبعـدهم قعرا ، وهو مذهب فى النقـد يتجه بالشعر الى عمق التصوير ، والوصول بالمعانى الى غاياتها ، وحلاوة الرنين الموسيقى فى الألفاظ ومناسبة الوزن للمعنى . أما على كرم الله وجهه فحسبك به من أديب خبير وناقد بصير ، قال صاحب العمدة : حكى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ، ونصبت لهم راية ، فجروا معا ، علمنا من السابق منهم ، وإذا لم يكن ، فالذى لم يقل لرغبة أو لرهبة . فقيل : ومن هو ؟ فقال : الـكندى ، قيل : ولم ؟ قال : لأنى رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة . هذه الشرعة فى النقد المبنى على الموازنة بين الشعراء من أصدق وأحسن قواعد النقد ، لأن اجتماع الشعراء فى زمان واحد معناه تساويهم فى التأثر بروح العصر ، والبيئات العامة والخاصة ، ونصب راية لهم فى تسابقهم معناه اتفاق الغرض حتى تصح الموازنة ، وإذا لم يكن ذلك فالميزان الصادق ، الشعور وصـدق العاطفة ، وعـدم الرغبة أو الرهبة بالنظر الى عوامل خارجية عن ضمير الشاعر . ولايتسع لنا المقام لاستقصاء الروايات الادبية التى تنسب الى كثير من أجلاء الصحابة فى النقد الادبى : كابن عباس ، والسيدة عائشة ، وعروة بن الزبير وسواهم ، وحسان ابن ثابت على براعته فى الشعر فانه كان ناقداً حاذقا ، قيل له : لان شعرك فى الاسلام ، فقال : إن الاسلام يحجز عن الـكذب . وعرف له سيدنا عمر بن الخطاب هذه المـكانة الأدبية فـكان يحكمه فى مواقف الهجاء . روى أن النجاشى الشاعر هجا بنى العجلان ، فاستعدوا عليه عمر ، فقالوا : يا أمير المؤمنين لقد هجانا النجاشى ، فقال : وما قال ؟ فأنشدوه :

إذا الله عادى أهـل لؤم ورقـة فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فقال عمر : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب له ، فقالوا : إنه قال :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليتنى من هؤلاء ، قالوا : فانه قال :

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر : ذلك أقل للزحام ، قالوا : فانه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه ، فقالوا : فانه قال :

وما سمى العجلان إلا لقولهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبد ، وخير القوم خادمهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال : ما أسمع ذلك ، فقالوا فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله ، فقال حسان : ما هجاهم ، ولكنه سلح عليهم .

وهذه القصة إذا صحت تفيد أموراً من العلم والأدب ، فان عمر رضى الله عنه كان فيها رجل الاسلام الذى لا يريد تأريث العداوات بين بطون العرب وقبائلهم ، وهو أعلم بأن النجاشى هجا بنى العجلان هجاء جاهليا ممضا ، فهم فى جاهليتهم كانوا يرون المثل الأعلى فى نحو قول زهير :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وكأنه رضى الله عنه كان يريد توجيه أفكار الشاكين فى رفق ولطف الى مبادىء التسامح وترك العنجهيات ، وهو فى حديثه معهم يجعل نفسه محلا لهذا ، فيقول : ليتنى من هؤلاء ، ويقول : كلنا عبيد ، وخير القوم خادمهم ، أما حسان فكان فى حكمه أديبا فنيا ، وشاعرا يعلم مواطن الاصابة والألم فى الكلام تطبيقا على المألوف من العادات .

وروى أن ابن عباس سأل الحطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : من الماضين أم من الباقين ؟ قال : من الماضين ، قال الذى يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

وما بدونه الذى يقول :

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب

ولكن الضراعة أفسدته ، كما افسدت « جرولا » يعنى نفسه ، والله لو لا الجشع لكنت أشعر الماضين . وأما الباقون فما أشك أنى أشعرهم ، قال ابن عباس : كذلك أنت يا أبا مليكة .

وموضع الدقة فى مذهب الحطيئة النقدى عرفانه بأثر الجشع فى إفساد الفطرة الانسانية ، وقتله للاباء والكرامة ، مع صراحته فى الاعتراف به على نفسه ؟

صادق ابراهيم عرجون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الفقه الاسلامى

إنشاء مجمع فقهى ملكى لخدمته — إيجاد دائرة معارف منه
اقتراح على مشيخة الازهر الجليلة

يدعونى ما نشرته مجلة الازهر الشريف فى عددها الصادر فى المحرم سنة ١٣٥٦ لحضرة العلامة الجليل مدير تحريرها تحت عنوان « جمع المذاهب الفقهية » ولحضرة القانونى الكبير الدكتور عبد السلام ذهنى بك المستشار تحت عنوان « التوثب للنهوض الفقهى » الى أن ألقى بدلوى فى الدلاء ، وأعرض ما يلى :

ما من ريب فى أن الفقه الاسلامى محيط أعظم لا ساحل له ، ولا تبلغ أكبر دائرة من دوائر المعارف القانونية الاوربية بالنسبة له غير بحيرة الى هذا المحيط .

حوى هذا الفقه من النظم والاحكام ما يكفى المجتمع البشرى فى التشريع فى كل زمان ومكان . وما من حكم عادل أو نظام صالح إلا ولعالم من علماء المذاهب الفقهية قول فيه .

ومع غنى هـذا الفقه وإحاطته التى لا نظير لها لم يعن به المتأخرون ، ولم ينظموه التنظيم الحسن الذى يمكن من الاستفادة منه بسهولة ، ولم يعرضوه العرض المشوق الذى يدعو الى الرغبة فيه والاقتباس منه ، لأنهم لو عنوا به لألفوا منه دائرة معارف فقهية خاصة بكل مذهب ، ودائرة معارف كبرى تحيط بجميع المذاهب بأدلتها ، وتجمع جميع الفتاوى والأقوال منسقة تنسيق دوائر المعارف القانونية الاوربية ، لتعين الباحث وتسهل له المراجعة ، وتوفر له الوقت والمجهود ، ويقف منها القارئ فى دقائق معدودة على ما قاله العلماء فى نحـو أربعة عشر قرنا فى المعنى الذى ينشده من غـير أن يتكبد المشاق ويضيع الوقت الطويل فى مراجعة عشرات المجلدات للوصول الى ذلك المعنى المنشود كما هو حاصل الآن .

فاذا كان السالفون لم يفكروا فى وضع دائرة معارف فقهية خاصة بكل مذهب ، و« دائرة المعارف الفقهية » الكبرى المحيطة بجميع المذاهب ، فان الناس فى هذه الايام يتوقعون أن يقـوم الازهر الشريف ، فى عصر مليكنا المفدى فاروق الاول ؛ وعلى يد مولانا الاستاذ الاكبر والامام المصلح الشيخ المراغى بهذا الواجب ، وسد هذا النقص .

فان فضيلة مولانا الامام ، وهو من أركان النهضة ، وفى مقدمة رجال الاصلاح ، وقد عرف بالمسارعة الى عمل كل ما فيه الخير والرقى والتقدم ، هو الذى يستطيع أن يعمل على إصدار مرسوم بانشاء « المجمع الفقهى الملكى » على مثال المجمع اللغوى الملكى لخدمة الفقه الاسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإنشاء دوائر المعارف الخاصة والعامة منه ، وهو الذى يمكنه أن يرصد المبالغ فى ميزانية الازهر سنويا للقيام بهذا العمل العلمى الجليل . وهو الذى يمكنه أن يكلف علماء كل مذهب فى الازهر بانشاء دائرة معارف خاصة بمذهبهم ؛ وهو الذى يستطيع أن يكون اللجان الرئيسية والفرعية من علماء الازهر الشريف ورجال القضاء والقانون الذين اطلعوا على دوائر المعارف القانونية فى اللغات الاوربية ، ويقسم أبواب الفقه على هذه اللجان ليساهم كل فى هـذا العمل العظيم الشأن الذى لم يوفق أحد من قبل للقيام به ، مع أن الفقه وطلابه الباحثين فيه ، وعالم التشريع والقانون فى شدة الحاجة اليه .

إنى أتقدم بهذا الاقتراح لحضرة صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ الامام المصلح الاكبر شيخ الازهـر الشيخ المراغى ، فانه كما قال الاستاذ رئيس التحرير هو الذى يقـدر عظمة هذا المشروع حق قدره ، ويستطيع بما أوتيـه من اطلاع بعيد المدى على أسرار الشريعة ، وقدرة فائقة على تذليل العقبات ، أن يهون كل صعب فى سبيل تحقيقه .

ولقد تشرفت بعرض هـذا الاقتراح على فضيلة مولانا فى سنة ١٩٣٥ فتفضل بتشجيعى عليه ، وإبداء الارتياح منه ، مما يدل على ان فضيلته فكر فى هـذا الموضوع قبل أن يفـكر غيره فيه ، وأنه عازم على تنفيذه من غير أن يطلب أحد منه ذلك ، متى رأى أن الوقت قد ان للشروع فيه .

أبقاه الله وأدامه ، وأعز به الاسلام والمسلمين !

السيد عفيفى
بمحكمة مصر الشرعية

من حديث الاجواد

بينا خالد بن عبـد الله القسرى جالس فى مظلة له إذ نظر الى أعرابى يخب به بعيره مقبلا نحوه ، فقال لحاجبه : إذا قدم فلا تحجبه ، فلما قدم أدخله عليه ، فسلم وقال :

أصلحك الله قـل ما بيـدى ... فما أطيـق العيال إذ كثروا
أناخ دهر ألقى بكلكله ... فأرسـلونى إليك وانتظـروا

فقـال خالد : أرسلوك وانتظروا ، والله لا تنزل حتى تنصرف إليهم بما يسرهم ، وأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفـة

وخرج رجل من الشعراء الى يزيد بن حاتم ، فلما بلغ مصر وجده قد مات ، فقال فيه :

لئن مصر فاتتنى بما كنت أرتجى ... وأخلفنى منها الذى كنت آمل
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه ... ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل
وما كان بينى لو لقيتك سالما ... وبين الغنى إلا ليال قـلائل

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

استحضار الارواح فى أوربا

نشرت مجلة الدنيا الاسبوعية حديثا عن حضرة الاستاذ الكبير ابراهيم الهلباوى بك المحامى ، ذكرت فيه أنه لما شخص الى أوربا فى سنة ١٨٩٥ رأى هو ولطيف سليم باشا رحمه الله ، أن يجربا مسألة استحضار الأرواح التى شاعت فى أوربا من سنة ١٨٤٧ وحققها علماء كثيرون هنالك واعتقدوا صحتها ، فقصدا الى وسيطة مشهورة فى باريز فجلست وهما معها حول منضدة واضعة يديها عليها ، وفعل لطيف باشا مثل ما فعلت ، ولم تمض هنيهة حتى وقعت فى غيبوبة ، ثم أفاقت وقالت للاستاذ : هاهى الروح التى طلبت فى نفسك أن تحضر قد حضرت . فسألها : روح من هى ؟

فقالت : روح محمد .

فسألها : أهى روح محمد توفيق باشا ؟

فقالت : لا ، ولكن روح محمد النبى ، وأخذت تصفها بأوصافها التى وردت عنها فى كتب السير . ثم قالت لهما : سلاها ما شئتما .

قال الهلباوى بك : تحيرت فى أمرى ، واعترانى تهيب عظيم ، لم أملك معه قياد نفسى ، ولم أستطع أن أنبس بكلمة . فقلت للطيف باشا : كلمها أنت . فاذا به قد اعتراه مثل ما اعترانى فلم يزد على أن قال : يا ... ر ... سو ... ل الله . ثم أرتج عليه وصمت .

فلما شق علينا الأمر ، استعفينا الوسيطة من الاستمرار ، معتذرين بما أصابنا ، وخرجنا .

قال فلما كان اليوم التالى أعدنا الكرة ، وعزمت على أن أستحضر روح زوجتى . فكان من الوسيطة ما كان بالأمس من الغيبوبة ثم الافاقة . وقالت لى : هاهى الروح التى طلبت فى نفسك أن تكلمها . فقلت ما اسمها ؟ قال : فأخبرتنى عن اسم زوجتى المتوفاة . ثم أخذت تفيض فى وصف صورتها ، فلم تخطئ فى شىء من حليتها ، وهى لا تعرف عنها شيئا قبل ذلك .

قال : فكلمتها بما أردت وصرت من ذلك اليوم أعتقد بصحة استحضار الأرواح .

ثم قال : فلما عدنا الى مصر أخبرنا معارفنا بما شاهدناه ، وكان منهم بطرس غالى باشا ، فوعى ما قلناه ، ولما ذهب الى باريز قصد الى تلك الوسيطة وغيرها ، وتحقق من صحة اتصال الاحياء بعالم الموتى .

ثم قال : ولم يقف لطيف باشا عند هذا الحد ، فتوصل الى إيجاد وسيط واتفق أن كان خادما عنده ، فحضرت إحدى تجاربه معه وطلبت فى نفسى أن تحضر روح على بن أبى طالب ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فقال الوسيط : هاهى قد حضرت . فكلمتها فكان جوابها كلاما عاليا من نوع الكلام المعزو الى على بن أبى طالب فى نهج البلاغة ، وكان الوسيط أميا .

ثم ختم الاستاذ الكبير حديثه بأنه من المؤمنين بامكان مناجاة الأرواح ، بعد ماظهرت له صحتها بالدلائل المحسوسة ، وأن هذه المسألة سيكون لها تأثير كبير فى العالم .

هذا ما نشر من حديث شيخ المحاماة فى مصر ، وماكاد يذيع بين القراء حتى وافانا من غير واحد منهم سؤال عن مبلغ مسألة اتصال الاحياء بالارواح من الصحة ، وعن حكمها من الدين ، فلم يسعنا إلا إفاضة الكلام فيها نزولا على إرادة حضرات السائلين ، فنقول :

أصل هذه المسألة من التاريخ :

أثبت التاريخ أن مناجاة الأرواح كانت معروفة لدى القدماء منذ ألوف من السنين . فقد تبين أن المصريين والصينيين والهنديين وغيرهم كانوا يتصلون بأرواح الموتى ، ويخاطبونهم على نحو ما عليه الحال فى أوربا الآن ، وقد بلغوا فيها شأوا أبعد مما بلغناه فى هذا العصر . ولا تخلو أساطير أمة فى الأرض من ذكر ظهور أرواح الموتى للأحياء ، بل لا يخلو بلد فى الأرض من حوادث ، تروى عن ظهور كائنات مجردة عن المادة للناس فى دور مأهولة أومهجورة أو خارجها فى الخلوات والطرقات . ولكن العلم لم يكن يعبأ بكل ذلك ، ذهابا منه أنها من توليدات الخيال ، وأوهام الجهال .

فلما كانت سنة ١٨٤٧ حدثت ضجة فى صحافة أمريكا حول حادث ظهور روح فى بيت ، وثبوت ظهورها لرجال الشرطة والنيابة . فأغرى ذلك كثيرا من رجال العلم والسياسة والقضاء الى التحقق من هذا الأمر ، فكان كل من يزور أسرة المستر فوكس فى بيتها بمدينة هيدسفيل بقرب نيويورك ، يشهد حوادث لا يجد الى إنكارها من سبيل ، ويعلن ما رآه غير خاش فى الحق لومة لائم . من هؤلاء المشترع أدموندس Edmonds رئيس مجلس الشيوخ الأمريكى ، والاستاذ (ميبس) Mapes أستاذ الكيمياء بالمجمع العلمى . والاستاذ (روبيرت هير) R. Hare وغيرهم من كبار المفكرين ، ولم يكتفوا بما اعتقدوه فى أنفسهم ، كما فعل إخواننا المصريون الذين رأوا بعض حوادثها ، بل نشر كل منهم بحثه على رءوس الأشهاد . حتى أنه لما اشتدت لهجة الجرائد فى حق المشترع أدموندس ، كان عليه إما أن يترك هذه المباحث أو يستقيل ، فاستقال من منصبه الخطير وعرض بنتيه للتجارب ، وكانتا قد ظهرت فيهما خاصة الوساطة . وهكذا تفوز الحقائق بالظهور فى بلاد الغرب ، وتجد لها جوا صالحا للازهار والاثمار ، وتخفى فى الشرق وتنطمس معالمها ولا تجد لها نصيرا .

لم يكن ما أثبته الباحثون فى منزل المستر فوكس أن الحادثة تنحصر فى حدوث طرقات واضطرابات لايمكن تعليلها إلا بنسبتها الى عالم غير منظور ، ولكنها تتجاوز ذلك الى التفاهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بين أفراد من ذلك العالم وبينهم . فقد اتفقت مدام فوكس ومحدث الاضطراب على الجواب بواسطة الطرق : طرقة واحدة للنفى ، وطرقتان للاثبات ، ثم سألته قائلة : هل أنت روح ؟ فأجابت أن نعم ، بواسطة طرقتين . وما زالت تسائلها وهى تجيب بنعم ولا ، حتى علمت منها أنها روح ساكن سابق لهذه الدار ، قتله جار له وسلب ماله ودفنه بجوار جدار فيه . فما وسع مدام فوكس إلا أن أشهدت على هذه الاجابات بعض الجيران ، ثم قصدت الى دار الشرطة وأخبرت رئيسها بما حدث . واتفق أن إدارة الشرطة كانت تبحث عن مفقود كان يسكن منزل مدام فوكس قبلها فلم تهتد اليه . فشخص الضابط الى تلك الدار على رأس كتيبة من رجاله وحاصرها من كل مكان ، واحتل بعض أفراد الكتيبة السطح والغرف المجاورة . ولكن على الرغم من كل هذه التحوطات أحدثت الروح الطرقات ، وأجابت على كل ما وجه اليها من السؤالات ، ودلت على القاتل . فلم يسع ضابط الشرطة إلا أن أبلغ الخبر الى النيابة ، فحضر بعض رجالها واتخذوا ما أمكنهم اتخاذه من التحوطات ، وسمعوا أقوال الروح . وألقى القبض على المتهم فاعترف بجريمته

وكان لمدام فوكس بنتان ، أكبرها فى الرابعة عشرة ، أنستا بهذه الروح فكانتا تبادلانها السؤال والجواب ، ثم اتفقتا وإياها على طريقة أخرى للتفاهم ، وهى أن تسرد واحدة منهما حروف الهجاء ، فتطرق الروح طرقتين عند كل حرف تريده ، وتتولى الأخرى إثباته على الورق حتى ينتهى ما تريد الافضاء به ، ثم تركب من تلك الاحرف المنثورة كلمات ، ثم تقرأ فيكون الجواب .

أمضت البنتان فترة من الزمن وهما تشتغلان بمداعبة الروح بالمسائل التافهة ، فما راعهما إلا أنها قالت لهما يوما : إنها لم تتكلف الظهور لهما إلا لأجل أن تقوم بواجب خطير ، البشر فى أشد الحاجة إليه فى هذا العصر ، وهو أن تثبت هى وأخواتها اللاتى كانت تأتى معها ، الذين لا يعتقدون بحياة الأرواح بعد الموت ، أن الأرواح حية ترزق ، وأنها فى عالم أرفع من هذا العالم . وعلى هذا فهى تكلف البنتين بأن تعلنا فى الصحف عن حفلة روحية تقيمانها فى إحدى حجر المحاضرات العامة . ومتى حضر الناس وجلسا على المسرح قامت الروح باحداث خوارق مدهشة ، تثبت بها للنظارة أنهم من إلحادهم فى ضلال مبين ، وأن عالم الأرواح حق لا شبهة فيه .

فريعت البنتان من هذا الطلب ، وكبر على أمهما أن تعرضهما لتهمة الشعوذة ، فأجبن الروح مجمعات بعدم إمكان قبول طلبها .

فأجابتهم الروح قائلة : إذا كان الأمر كما تقلن ، فانى لن أحضر اليكم بعد اليوم ، وودعتهن وانصرفت . وانقطع اتصالها بهن . ووجد البنتان وحشة من فراقها لهما ، وكانتا تأنسان بالاتصال بها كل الأنس . وفكرتا فى تعديل الطلب وجعله أقل تعرضا لنالة الجماهير .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وطلبنا الروح لحضرت ، فقالتا لها : إن التعرض للجماهير علنا امر لم تتعوداه ، وقد رأتا مرضاة لصديقتهما الروح أن تتوسطا فى الأمر فتجلسا فى حفلات تتخذ فى أبهاء دور بعض الأسر الكبيرة .

قبلت الروح هذا الاقتراح فكانت الاسر الكبيرة تدعو الاختين ، فتقبلان الدعوة وتجلسان بين سائر المدعوين من علية الناس ، فتحدث خوارق تحمل من يراها على التصديق بعالم الارواح .

وقد تبين من اتصال الروح بهاتين الفتاتين ، ومما عمله العلماء من البحوث فى هذه الأمور ، أن الاتصال بعالم الأرواح لايمكن أن يكون إلا بوسيط آدمى ، فيه استعداد خاص لأن تستمد منه الروح مادة تستطيع معها أن تؤثر فى الاشياء تأثيرا يحس به الاحياء . وقد يكون الوسيط هو المجرب نفسه ، كما تبين للكثير من كبار الرجال ، فقد اتضح أن الاستاذ الطبيعى (مورجان) والكاتب الفيلسوف (وليم ستيد) ، والعالم اللاهوتى ستنتون موزس ، وسطاء ، وكلهم من أعيان الانجليز ، وأن بنتى أدمونس رئيس مجلس الشيوخ الامريكى ، وامرأة أكزاكوف الوزير الروسى وغيرهن من كرام العقائل ، وسيطات أيضا .

فاذا لم يكن المجرب نفسه يصلح للوساطة ، وجب أن يبحث عن وسيط غيره ، وليست الوساطة بالأمر الهين ، فقد تستولى الروح على يده فتخرجها عن إرادته وتكتب بها ما تشاء ، وقد تستولى على لسانه أو سمعه ، وقد تغطسه وتوقعه فى غيبوبة وتأتى ما تأتيه أمام المجربين ، وهو غافل عما تفعل . وقد شوهد أن بعض الارواح تتجسد مستعيرة جسدها من الوسيط ، فاذا وزن وهى متجسدة ، ظهر أن جسده آل الى نصف ما كان عليه . وقد شوهد أن الروح تتجسد بتحليل النصف الأسفل من جسم الوسيط ، لتكون لنفسها منه جسدا تظهر به للمجربين . وقد رئى أن الروح تضمر جسد الوسيط فتقصر أذرعته وساقيه ، وتفرغ جسمه من بعض العضلات والشحم ، ثم ترده الى حالته متى انصرفت .

هذه مسائل محيرة للعقل شغلت بال كثير من علماء أوربا ، فوقفوا حياتهم على دراستها ، وبذلوا الاموال الوفيرة لتهيئة أسبابها . ألفوا لها جمعيات وأقاذيميات ، وأقاموا مؤتمرات كان آخرها مؤتمر برشلونه سنة ١٩٣٥ ، ولهذه البحوث مئات من المجلات الخاصة بها . وهى كما ترى خليقة بأن ينفق فى سبيلها كل جهد . لذلك تراها قد شغلت من العقول مالم تشغله مسألة أخرى من قبل .

إنى أرى أن من واجباتى ، وقد عرض ذكر هذه المباحث ، أن أعطى قراء هذه المجلة صورة كاملة عنها ، وكل ما ذكرته من هذه الخوارق ، مشاهدات حققها رجال من أقطاب العلم ، وعملوا عنها محاضر مذيلة بتوقيعاتهم ، وتناقلوها فى مؤلفاتهم ، والقراء أحرار فى أن يتتبعوها فى تلك المؤلفات ، أو ينفوها بدون بحث ، كما يفعل علماء أوربيون كثيرون ، بحجة أنها منافية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للنواميس الطبيعية المعروفة التى لا يؤمنون إلا بها ، ولا يتخيلون أن فوقها قوة تستطيع أن تحولها عن مجراها العادى .

من أشهر الجمعيات التى تشتغل بهـذه الامور جمعية المباحث النفسية التى ألفها مدرسو جامعة كمبردج فى سنة ١٨٨٢ ، ولا تزال موجودة ، وقـد جمعت من تجاربها وتجارب سواها أكثر من خمسين مجلدا ، تعتبر ثروة علمية لا تقدر بثمن .

ومنها مجامع المباحث النفسية فى باريس ونيويورك وبرلين وروما وغيرها ، وكلها يديرها العلماء ، وهذه غير جمعيات لا يحصى لها عدد منبثة فى جميع عواصم الأرض .

ولا غرو فان موضوعها من أمس المواضيع بالانسان ، وأدعاها لتفكيره وعنايته ، فهى تبحث فى هل له روح تبقى بعد موت جسده ، وتخلد فى عالم غير هذا العالم أم لا ؟

وقـد نشأ من الخوارق التى تاتيها الأرواح مواضيع لدراسات فيزيولوجية وبيولوجية ونفسية من الخطورة بمكان عظيم ، بحيث ينتظر أن يترقى العلم بمجاها الى درجات لم يكن يحلم بها أحد من قبل ، وتحل بواسطتها شبهات دينية كانت أكبر عقبة فى سبيل الأديان فى عصور النهضات العلمية فى الامم .

تقرير اللجنة العلمية عن هذه الخوارق :

لما انتشرت هذه المباحث فى أوربا ، وأعلن كثير من العلماء تصديقهم لها ، طالب الرأى العام البريطانى المجمع العلمى بابداء رأيه فيها ، فندب اثنين وثلاثين عالما من أعلامه لفحصها ، وإبداء رأيهم فيها . فقاموا بما عهد اليهم ، ودأبوا ثمانية عشر شهرا على دراستها ، ثم كتبوا عنها تقريرا وقع فى أكثر من خمسمائة صفحة ، جاء فى آخره ما يأتى :

« كل الاجتماعات التى عقدت لفحص هذه المسألة كانت فى الدور الخاصة باعضاء هذه اللجنة ، لنفى كل احتمال فى إعداد آلات لاحداث هذه الظواهر ، أو أية وسيلة من أى نوع كان .

« وقد عملنا تجاربنا فى ضوء الغاز ، ما عداء، دا قليلا منها ، اقتضى شانه الخاص أن نعمله فى الظلام دقائق معدودة .

« وقد تحاشت اللجنة أن تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهنة فى الخارج ، أو الذين يأخذون أجرا على عملهم هذا . فكان واسطتنا الوحيد أحد أعضاء اللجنة ، وهو شخص جليل الاعتبار فى الهيئة الاجتماعية ، وحاصل على صفة النزاهة المطلقة ، وليس له غرض مالى يرمى إليه ، ولا أى مصلحة فى غش اللجنة . (نقول : هذا الاستاذ هو العالم الطبيعى مورجان رئيس شركات التلغرافات البريطانية) .

« كل تجربة من التجارب التى عملناها بما أمكن لمجموع عقولنا أن تتخيله من الدقـة ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عملت بصبر وأناة . وقد دبرت هذه التجارب فى أحوال كثيرة الاختلاف ، واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة ، لأجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا وإبعاد كل احتمال لغش أو توهم .

« وقد بدأ نحو أربعة أخماس اللجنة التجارب وهم فى أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر ، وكانوا مقتنعين أشد اقتناع بانها نتيجة التدليس أو التوهم ، أو أنها حادثة بواسطة حركات غير ارادية للعضلات . ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المتشددون فى الانكار عن فروضهم إلا بعد ظهورها بوضوح لا تمكن مقاومته ، وفى شروط تنفى كل فرض من الفروض السابقة ، وبعد تجارب وامتحانات مدققة ومكررة ، اقتنعوا مضطرين بأن هذه المشاهدات التى حدثت فى خلال هذا البحث الطويل هى مشاهدات صحيحة لا غبار عليها » انتهى .

بعد صدور هذا التقرير مذيلا بتوقيع اثنين وثلاثين قطبا من أقطاب العلم الرسمى فى انجلترة ، أدرك الناس كافة أنهم حيال آية جديدة أراد الله أن تظهر لتخليص الانسانية من شبح المادية التى كادت تهوى بها الى مكان سحيق .

ما هى طبيعة الكائنات التى تحدث هذه الخوارق :

الصعوبة فى نظر المسلمين وغيرهم من الدينيين ليست فى حدوث هذه الخوارق أو أعظم منها ، لأنهم يعتقدون أن الوجود مشحون بكائنات روحانية علوية وسفلية ، قد يظهر بعضها من نفسه لبعض المستعدين لرؤيتها ، ويستحضر بعضها الآخر بوسائل قررها الروحانيون منهم ، ولكن الصعوبة هى فى ادعاء هذه الكائنات أنها أرواح الموتى الذين كانوا عائشين على الأرض ، وفى إمكان المجربين استحضارها فى أى وقت يريدون ، حتى ولو كانت فى عليين ، وهم من الأدنين .

والذى أنكره جمهور قراء مجلة الدنيا من المسلمين ينحصر فى هذه النقطة . فقد عز عليهم أن يصدقوا أن روح محمد صلى الله عليه وسلم تتنزل من عليائها الروحانى ، وتلبى دعوة واحد من الناس بوساطة امرأة قد لا تكون من المكانة الروحانية بحيث تصلح لمثل هذه الوساطة ، وباستدعاء رجال قد لا يكونون لاستدعائها أهلا .

هذه المسألة لم تفت كبار المجربين من الاوربيين ، فحذروا الناس من الانخداع بالأسماء الكبيرة التى تنتحلها بعض الكائنات الروحانية المنحطة ، فتدعى أنها أرواح علوية وهى فى الحقيقة من الأرواح السفلية التى دأبها تضايل الباحثين . فكثيرا ما اتصلت بهم كائنات مجردة من هذا الطراز وانتحلت شخصيات سقراط وأفلاطون ونابليون وغيرهم ، ثم اتضح من البحث أنها من درجات منحطة ولا تقصد غير السخرية من المجربين .

وهنا يجب علينا أن ننبه القارئين الى أمر جدير باهتمامهم ، وهو أن هذه البحوث يشتغل بها فى أوربا فريقان من الناس : فريق المستطلعين العاديين ، وهؤلاء ينخدعون بالظواهر ، وليس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لهم قدرة على تحليلها ، فيصدقون كل ما يقال لهم وكل ما يرونه ، فيتحمسون له ولا يقبلون فيه تشكيكا ؛ وفريق العلماء والمثقفين ؛ وهؤلاء يعنيهم قبل كل شىء التحقيق والتمحيص ، وبناء الاحكام على أساس علمى ركين .

فما اكتفى به الاستاذ الهلباوى بك ولطيف باشا سليم من الذهاب الى دار الوسيطة ، والجلوس اليها على منضدة ، وسماع أقوالها مما يكتفى به السواد الاعظم من المجربين، لا يرضى به العلماء المحققون ، ولا يعدون نتيجته تجربة يصح أن تذاع عنهم .

ذلك لأنها تعلل فى نظرهم بعلل طبيعية تنفى صلتها بالعالم الروحانى ، فيقولون : إن الوسيطة توقع نفسها فى نوم مغناطيسى ، وقد حذق بعضهم طريقة ذلك بدون منوم ، فيتصل عقلها الباطن بعقول المجربين ، فتعرف كل ما يجيش فى صدورهم من صور وأقوال . فكما قرأت فى نفس الهلباوى بك أنه يطلب روح النبى صلى الله عليه وسلم أو روح زوجته ، قرأت كذلك كل ما يعلمه من تاريخهما ، وما عرفه من حليتهما ، فرددته له بدون تحريف ، فخيل اليه أنه فى حضرة روح النبى الكريم ، أو روح زوجته المرحومة ، وما هو إلا حيال ما اختزنه عقله الباطن عنهما مردودا عليه .

وقد جاوز العلماء المجربون هذه الدائرة فى التعليل الى ما هو أوسع منها ، إذا أتى الوسيط أو الوسيطة بما لا يعلمه المستحضر من تاريخ الروح التى يستحضرها ، فقالوا : إن العقل الباطن للوسيط بما متع به من خاصتى السريان والكشف ، يستطيع أن يطلع على ما يريده من كتب التاريخ أو من عالم المثال نفسه ، حيث تمثل جميع الحوادث فيه قبل وقوعها ، كما يرى المنوم بعض الحوادث المستقبلة وينبئ عنها فتقع كما أنبأ . وما هو إنباء بالغيب وإنما هو رؤية حوادث خلقت ولما تصل الى العالم المحسوس ، وليس هو كذلك صادرا من الروح التى يطلبها المجرب ولكن من روح الوسيط نفسه .

وفى مجموعة التجارب الروحية ألوف من مثل تجربة الهلباوى بك لا يرفع العلماء الممحصون بها رأسا ، ولا يعدونها من الادلة التى يعتد بها فى هذا الشأن الخطير .

أما وقد وصلنا الى هذا الحد فقد وجب علينا أن نسرد أهم ضروب التحوطات التى يتخذها العلماء المجربون لعدم الانخداع بظواهر هذه المسائل ، تمييزا لما يمكن أن يحدث بالقوى الذاتية لروح الوسيط ، عما يرجح أنه آت من أرواح مستقلة عنه ، لأن التمييز بين هاتين الحالتين من أشق الأمور ، وفى حاجة الى خبرة واسعة بالمعارف النفسية ، وخصائص العقل الباطن .

بعض ضروب التحوطات التى يتخذها العلماء المجربون :

أول شرط عند العلماء لتمحيص التجارب ان يأتى الوسيط الى دورهم الخاصة أو الى معاملهم، وأن يخضع لما يسومونه إياه من ضروب التحوطات .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فيجردونه من ثيابه ويلبسونه سواها ، ويفحصون فمه وأذنيه خشية أن يكون قد أخفى فيها أداة صغيرة أومادة تفيده فيما هو بصدده .

ويشدون يديه ورجليه الى الكرسى الذى يجلس عليه شدا وثيقا ، ويسمرون أطراف الأربطة فى الارض ، ويختمونها بالشمع الاحمر ، ويطبعونها بخاتم ، ويضعون عليه قفصا من الحديد مسمرا على الارض .

ويصلون جسمه بجهاز كهربائى (جلفانومتر) ، يسجل عليه كل حركة مهما صغرت من حركاته .

ويوكلون به رجلين منهم يراقبانه .

ويفتشون الحجرة التى هم فيها ويقفلون بابها ونوافذها ويأخذون مفتاحها ، ويختمون كل ذلك بالشمع الاحمر .

فان كان الوسيط امرأة ، وكلوا بها نساءهم لتفتيشها وإلباسها ألبسة غير التى جاءت بها .

وقد بلغ بهم أنهم أضجعوا الوسيطة مرة على الارض ، وسمروا شعرها فيها ، بحيث لا تستطيع الحركة .

بعد أن يتخذوا هذه التحوطات أوما يماثلها على حسب الاحوال ينتظرون ما يكون . وكثيرا ما تجسدت أمامهم ، والوسيط على تلك الحال ، يد الى المعاصم تسلم عليهم وتكاتب ، أو أذرع كاملة ، أو رءوس لا أجساد لها تكلمهم وتقبلهم ، أو أنصاف أجساد ، أو أجساد كاملة . وهم فى كل هذه الاحوال يستأذنونها فى أن يفحصوها . فتأذن لهم ، فلا يدعون فى جسدها شعرا ولا عضلا ولا وزنا إلا فحصوه وقدروه .

وهم يرونها تتجسد أمام أعينهم ، فينشأ أولا فى جو الحجرة نحو بخار أبيض لا شكل له ، ثم يأخذ بعد ذلك شكلا إنسانيا نورانيا ، ثم يزداد جسمها كثافة حتى يكون جثمانا كامل الخلقة ، ذكرا أو أنثى ، فاذا أمسك أحد بيدها ، أحس بيد إنسانية ذات عضل وعظام وحرارة ، فان أصر على أن لايتركها ، أفلتت منه بتحليل يدها وهى فى قبضة يده ثم تعيدها الى ما كانت عليه حرة طليقة .

فاذا طلب منها أن تزول ، ذابت أمامهم كما يذوب الثلج ، والكن فى ثوان ، فاذا استعادوها للظهور ظهرت فى ثوان أخرى .

هؤلاء العلماء لم يتركوا ضربا من ضروب التجارب إلا فعلوه ، وقد أودعوا تجاربهم كتبا تعد بالالوف . ومع كل هذا (لم يجمعوا) بأن هذه الكائنات هى أرواح الموتى الذين تنتحل أسماءهم . ورغما عن ظهور أمهات وآباء وأخوات وإخوان وبنات وأبناء لأهليهم من المجربين ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بصورهم التى كانوا عليها بين ظهرانيهم ، وبمميزات عقلياتهم وعواطفهم ، وطرز أحاديثهم ، وجميع خصائصهم ، رغما عن كل هذا لا يزال بعض العلماء من المجربين يتردد فى أنهم صادقون فيما يدعون ، لاشكا فى أنهم من عالم الروح ، ولكن فى أنهم الذين كانوا بين ظهرانيهم عائشين .

فبعضهم يظن أن روح الوسيط تتجرد وتظهر لهم بصور أهليهم .

وبعضهم يخشى أن تكون أرواحا خبيثة تتشكل بأشكال ذويهم وليست بهم .

وبعضهم لا يستبعد أن يكون ما يرونه صور ما استكن فى ضمائرهم .

وقد رد العلماء المصدقون على هذا الفريق من العلماء الشاكين بقولهم : إذا كانت روح بعض الوسطاء تكذب فلا يعقل أن تكذب أرواحهم أجمعين ، ومنهم من هم أقارب للمجربين .

وردوا على شبهة الارواح الخبيثة بقولهم: لا يعقل أن تجمع تلك الأرواح على هذا الخبث فى كل بلد ، وفى مدى تسعين سنة مرت فى البحث والتنقيب .

وأما شبهة التوهم فقد دفعه الناقدون بقولهم: إن تلك الكائنات ترفع الأخونة الثقيلة وتضع عليها الكراسى والمناضد ، وتكسر الاشياء الجامدة ، وتظهر صورها بالفوتوغرافيا ، فهل يرفع الوهم الأجسام الصلبة ويكسرها ، وهل يقبل الوهم التصوير ؟

يسع كل من يستبعد من المسلمين خضوع الارواح الانسانية للوسطاء والمجربين ، أن ينضموا الى فريق العلماء الشاكين ، أو يعزوها للشياطين .

فسواء أصح أن هذه الكائنات هى أرواح إنسانية أم أرواح شيطانية ، فقد أصاب إثبات وجودها الفلسفة الالحادية فى مقتلها ، فقد كانت تزعم أن الوجود لا يعمره غير المادة ، وأن كل ما يقال عن كائنات روحانية عائشة فى عالم غير مرئى ، فهو هراء ولده الخيال ، وجمد عليه الناس فى خلال الاجيال .

فاذا قال قائل : وماذا يهم المؤمنين من مزاعم الملحدين ؟ نقول : يهمهم ظهور خطئهم فيما كانوا يزعمون من أن المؤمنين ما جعلهم يتمسكون بما ورثوه من وجود العالم الروحانى ، إلا أنهم لم يتذوقوا العلم ، ولم يصدروا عن أسلوبه الصارم فى التمحيص ، وهذه شبهة قد أثرت أقوى تأثير فى نفوس المتعاملين على الطراز الحديث . ولكنهم اليوم لا يستطيعون أن يستندوا فى نفى العلم الروحانى على العلم ولا على أسلوبه ، فقد تولى العلم منذ تسعين سنة البحث فى هذا الموضوع على موجب دستوره المقرر فثبت له وجوده ثبوتا لا يمكن التشكك فيه .

قال الاستاذ (ميرس) H. W. Myers المدرس بجامعة كامبردج الانجليزية فى كتابه الشخصية الانسانية (The human personality) .

« حوالى سنة ١٨٧٣ حيث كان المذهب المادى قد أوغل فى الأرض حتى وصل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الى سواحلنا ، وبلغ أوج سطوته على العقول ، اجتمع ثلة من الزملاء فى جامعة كمبردج ، وأجمعوا على أن هذه المسائل العويصة المتنازع عليها (يريد المباحث الروحية) تستحق التفاتا ، وجهدا جديا ، أكثر مما عولجت به الى ذلك الحين . إذ كنت أرى أنا أن محاولة جديرة بهذا الاسم لم تعمل الى ذلك الوقت لتبت فيما إذا كنا أهلا أو غير أهل للالمام بشيء يختص بالعالم غير المرئى ، (أى العالم الروحانى) . وكنت مقتنعا بأنه لو أمكنت معرفة شيء من ذلك العالم على أسلوب يستطيع العلم أن يقبله ويحفظه ، فلا يكون ذلك بالتنقيب فى الأساطير القديمة ، ولا بمجرد التفكر فيما بعد الطبيعة ، ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة ، وبتسريتنا على الظواهر التى تحدث فينا وفيما حولنا أساليب الامور اليقينية نفسها ، وهى الأساليب النزيهة المتروى فيها ، أى تلك الأساليب التى نحن مدينون لها بمعارفنا الطبيعية عن العالم المحسوس .

« فالبحث الذى علينا أن نقوم به ، لا يمكن أن يقتصر فيه على تحليل ساذج للأسانيد التاريخية ، أو التى صدرت عن هذا الوحى أو ذاك ، مما كان يوحى به فى الزمان الماضى ، ولكن يجب أن يؤسس هذا البحث قبل كل شيء - ككل بحث علمى بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة - على تجارب يمكننا تكرارها اليوم ، مؤملين أن نزيد عليها غدا . وهذا البحث لا يمكن أن يكون إلا بحثا مؤسسا على هذه القضية ، وهى : أنه إذا كان يوجد عالم روحانى ، وكان هذا العالم الروحانى موجودا فى أى عهد كان ، وكان قابلا لأن يظهر ويستكشف ، فيجب أن يكون كذلك فى أيامنا هذه .

« فمن هذه الوجهة ، وقياما على هذه الاعتبارات العامة ، واجهت الجمعية التى أنا عضو منها هذه المسالة » .

نقول : وهذه الجمعية هى جمعية المباحث النفسية الانجليزية ، وهى قائمة الى اليوم ، وقد مر ذكرها .

نقول : وقد مضى على تأسيس هذه الجمعية أكثر من خمسين سنة ، وكشف البحث فى خلالها أمورا لا يكفى فى بيانها أقل من مجلد ضخم ، وكلها تثبت بأدلة عيانية وجود العالم الروحانى ، وهو ما كان يعوز الناس على وجوده الدليل العلمى القاطع . أما وقد وجد هذا الدليل فقد انفتح الطريق أمام الدين الحق ، ولم يبق بين الناس والانسانية الكاملة ، والمدنية الفاضلة ، إلا أن يعملوا بتعاليمه الجامعة بين سعادتى الحياتين ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ؟

محمد فريد وجدى

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

باب الأسئلة والفتاوى

فى الوقف

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الازهر الاستفتاء الآتى :

رجل وقف جميع أملاكه على زوجته ، وعلى ما عسى أن يتزايد لها من أولاد وأولادهم وأولاد أولادهم ... الخ ، فاذا انقرضوا ولم يوجد لها عقب ، رجع ذلك الى أقرب الناس بالحبس عليها يوم الرجع ، ثم على أعقابهم وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا ، وإذا انقرض العقب أو الذرية رجع ذلك حبسا على زاوية الوالى الصالح (فلان) ، وقد احتفظ الواقف بغلة الموقوف مدة حياته . ثم توفى الواقف دون أن يعقب من زوجه الموقوف عليها ، وانتقلت جميع الاعيان الموقوفة بجميع مشتملاتها وغلاتها الى الزوجة ، ثم اقترنت الزوجة بزوج آخر ، ورزقت منه بغلام ، وتوفيت على أثر ذلك ، فتقدم أخوها مع إخوة له ، وادعوا أنهم أصبحوا مستحقين لريع الوقف المذكور ، لأن الواقف ما كان يقصد بالطبع إلا الاولاد الذين ترزق بهم زوجته منه ، لا من آخر بعد وفاته ، وإذاً فتعتبر الموقوف عليها كأنها توفيت دون عقب ، وقد نص فى الوقف على أنه إذا توفيت دون عقب ، فان الموقوف يرجع الى أقرب الناس اليها ، وهؤلاء هم إخوتها الأشقاء . ويقول زوج المتوفاة : إن الوقف بجميع مشتملاته قد أصبح حقا لولده من المتوفاة الموقوف عليها طبقا لنص الواقف ، فالى من يؤول هذا الوقف ؟

على محمود السرجانى

الجواب :

الأصل أن اللفظ العام يحمل على عمومه الذى يتبادر منه ، ولا يجوز تخصيصه إلا بمخصص ملفوظ فى الكلام ، أو ملحوظ قامت عليه القرائن الكافية .

وبالرجوع الى ما ورد فى السؤال نجد أن الواقف جعل وقفه على زوجته ، وعلى ما عسى أن يتزايد لها من أولاد ، وهذا عام يشمل جميع من ولد لزوجته منه أو من غيره ، ولا يختص باولادها منه ، إذ لا دليل فى كلامه على هذا التخصيص ، بل فى كلامه ما يدل على أنه أراد التعميم وعدم الفرق بين أولادها منه وأولادها من غيره ، وهو قوله : « فاذا انقرضوا عن آخرهم ، ولم يوجد لها عقب رجع ذلك الى أقرب الناس بالحبس عليها يوم الرجع » إذ أن هذا النص واضح منه أن رجوع الوقف الى أقرب الناس مشروط بعدم وجود أى عقب للزوجة ، سواء أكان ذلك العقب من الواقف أم من غيره ، والمطلع على كتاب الوقف يتبين أن الواقف يريد أن يبر بزوجته وبمن يمت إليها بصلة القرابة أيا كان ، وأنها هى وأولادها مقدمون فى الاستحقاق على من عداهم ، فلا يستحق أحد ما دامت الزوجة أو واحد من أولادها على قيد الحياة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وبناء عليه يكون الوقف لولدها المذكور ، وما تزايد لها من ولد ، وإن لم يكن من الواقف ، والله أعلم .

وجاء أيضا الى لجنة الفتوى ما يأتي :

رجل وقف أملاكه على زوجته من بعده ، واشترط لنفسه الشروط العشرة وحق تكرارها أكثر من مرة ، وأباح لزوجته من بعده الشروط العشرة ، ولم ينص على التكرار ، وقد أدخلت الزوجة بعد أن آل اليها الوقف مستحقا جديدا خصصت استحقاقه من استحقاق من يؤول اليه الوقف من بعدها ، لأن الواقف ذكر طبقات المستحقين بعد الزوجة طبقة بعد طبقة . وبعد أن أدخلت الزوجة المستحق الجديد توفى ، فجعلت مآل الوقف لمستحق آخر ، وحرمت باقى المستحقين بعدها ، وتنازلت فى حجة إدخال المستحق الجديد بدل المستحقين الأصليين عن الشروط العشرة ، والمطلوب معرفته هو :

(أولا) هل إدخال المستحق الأول الذى توفى يعتبر من الشروط العشرة ، وكذلك إحلال المستحق الثانى محل المستحقين الأصليين يعتبر من الشروط العشرة ؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل يجوز للزوجة تكرار الشروط العشرة مع أنه لم ينص فى الحجة على التكرار ؟

(ثانيا) هل للزوجة الحق فى التنازل عن الشروط العشرة ؟ وهل لا تستطيع بعدها إجراء أى شىء منها ، أو أن هذا ليس من حقها ؟

(ثالثا) هل للزوجة المذكورة الحق فى العدول عما سبق أن ذكرت من إحلال مستحق بدل المستحقين الأصليين ، والعودة الى ما هو مدون بحجة الواقف الاصلية من الاستحقاقات بعد أن تنازلت عن الشروط العشرة ، أولا ؟

محمد طلعت الفرنساوى

الجواب :

يتبين من كتاب الوقف أن الواقف قد جعل لنفسه حق إعطاء الشروط العشرة لمن شاء ، ولكنه لم يجعل لنفسه حق إعطاء غيره تكرارها ، بل جعل حق تكرارها لنفسه خاصة ، وإذاً لا يسوغ له أن يعطى السيدة كايرى زوجته إلا نفس الشروط العشرة دون أن يكون لها حق تكرار العمل بها .

وبناء على ذلك يكون ما عملته السيدة المذكورة أولا من إدخال الحاج عبد اللطيف أغا رأفت ضمن مستحقى هذا الوقف عملا صحيحا تملكه ، وأن ما عملته ثانيا بعد ذلك من إدخال الجمعية الجغرافية الملكية غير صحيح . أما تنازلها عن الشروط العشرة بعد ذلك فهو تنازل صحيح لا تملك الرجوع عنه ، ولا التصرف فى شىء من الشروط العشرة بعد هذا التنازل ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام والفلسفة

— ١٠ —

ابن رشـــــد

نسبه — حياته :

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، ولد فى قرطبة فى سنة ١١٢٦ من أسرة ماجدة عالية الشأن توارث أفرادها منذ زمن بعيد بعض المناصب الراقية فى الدولة ، فكان ابوه قاضيا فى قرطبة وورث القضاء عن جده ، وقد مكنه ثراء والده من أن يتلقى دراسة عالية فى كثير من العلوم والفنون : مثل الفلسفة والرياضة والفقه وعلم الكلام والنحو والموسيقى والطب والفلك حتى صار أعلم أهل عصره قاطبة بكل هذه العلوم . وفى سنة ١١٦٩ تولى ابن رشد منصب قاضى القضاة فى قرطبة بعد وفاة أبيه ، فحمدت سيرته ، وأثنى الناس عليه لعدالته ، وذاع ذكره فى أنحاء العاصمة ، فسمع به الامير أبو يوسف الموحدى فقربه من مجلسه ، وأنعم عليه بما شجعه وزاد فى إقباله على دراسة الفلسفة .

ولما رأى نبوغه وشاهد عبقريته رغب فى أن ينتفع به العلم فى عصره ، فجعل يوجه اليه أسئلة فى المنطق وما وراء الطبيعة ، لأن هذا الأمير كان لا يقل ثقافة عن علماء عصره . وحين آمن بعلم ابن رشد ، صرح أمام ابن طفيل بأنه فى حاجة الى فيلسوف ذكى يشرح كتب « أرسطو » ويوضح مراميها ؛ فاعتذر ابن طفيل عن هذه المهمة بأن لديه من مشاغل حياته ما يمنعه من مزاولتها ، ثم ذكر أمامه ابن رشد بخير وأثنى على عبقريته وأنبأه بأنه قمين بتحقيق إرادة الامير . ولما خلا بابن رشد أبلغه رغبة صاحب العرش ، وطلب اليه أن ينزل عند إرادته ، فأجاب سؤله ، وكان عند ظنه به ، فأخذ يصول ويجول فى كتب أرسطو ، فألقى على ظلمتها الحالكة شعاعا قويا من نور ذكائه الوقاد وعلمه الفياض ، وآرائه الفقيهة الثابتة حتى كشف غامضها ، وأوضح مبهمها ، وجعلها فى متناول أذهان كل من له إلمام بالحكمة بعد أن كانت مقصورة على تلاميذ أرسطو فى معهد « الليسيه الأثينى » . ولهذا قال عنه بعض فلاسفة أوروبا : « ألقى أرسطو على كتاب الكون نظرة صائبة ففسره وشرح غامضه ، ثم جاء ابن رشد فألقى على فلسفة أرسطو نظرة ثاقبة ففسرها وشرح غامضها » .

ولما تولى الخليفة المنصور بالله كان ابن رشد قد انقطع لدراسة الفلسفة ووقف نفسه على بحوث الحكمة ، وأفرغ جهده فى توجيه فلسفة أرسطو وتعليلها وإعلاء شأنها ، وكان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هـذا الأمير قـد خالف نهج سالفه ، فهجر الفلسفة ومال الى التصوف ، وجعل حوله بطانة من شيوخ الطرق الذى لقحوا رأسه بما أحنقه على ابن رشد وبغضه فيه . ومن سوء حظ هذا الفيلسوف أن جماعة من أعدائه قد اندسوا بين هؤلاء المتصوفين وأخذوا يكيدون له من وراء ستار الدين حتى إذا استحكم العداء فى نفس الامير أمر بالقبض على ابن رشد وتلاميذه المخلصين له ، فجيء بهم وحوكموا أمام مجلس عالى ، ولم يسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم ،وأسفرت المحاكمة عن نفيهم فنفوا الى « أليسانا » .

وقد انتهز خصومه هذه الفرصة وشنعوا عليه ، وأذاعوا أن الأمير نفاه الى بلاد أجداده اليهود ، غير أن هذا النفى لم يدم طويلا ، إذ لم يلبث جماعة من أعيان اشبيلية أن شهدوا بأن مانسب اليه غير صحيح ، فندم الأمير على مافرط منه نحوه ، وأعاده وتلاميذه الى بلادهم معززين موفورى الكرامة بعد سنة واحدة من نفيهم . وفى سنة ١١٩٨ خبا كوكب حياة ابن رشد بعد أن ظل يتلألا فى سماء الأمة العربية زهاء أربعين سنة قضاها فى عالم التفكير والتأليف ، وكانت سنه ثنتين وسبعين سنة ، وقدقيل عنه إنه لم يترك فى حياته مذاكرة العلم إلا ليلتين : ليلة وفاة والده ، وليلة بنائه بزوجته .

مؤلفاته :

كانت مؤلفات ابن رشد مكتبة بتمامها ، فقد كتب فى الفلك والطب والفقه وعلم الكلام والنحو ، وكل هذا لايعنينا فى بحثنا الحاضر ، وإنما الذى يهمنا هو الفلسفة ، وخير ما كتبه فيها المؤلفات الآتية : (١) « تهافت التهافت » (٢) « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » (٣) « الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة » (٤) « سعادة النفس » . وفى هذه الكتب ظهرت آراء ابن رشد الفلسفية فى الالهيات والنفس والعالم من حيث القدم والحدوث ، وفى علم الله وإحاطته بالجزئيات ، وفى البعث وهل هو للأرواح أو للأجسام . ولوأننا حاولنا أن نتعقب هذه الآراء فى مواطنها الأصلية وهى كتب ابن رشد ، لطال بنا المدى وترامت أمامنا أطراف المجال ، ولكننا سنقتصر على إيجاز رأيه فى هذه النقط عند الكلام على فلسفته . أما الآن فاننا نكتفى مع الاشارة الى ما سبق من كتبه بذكر ما لخصه وشرحه من كتب أرسطو . وإليك بعض هـذه الكتب : « تلخيص السماع الطبيعى » « تلخيص السماء والعالم » . « تلخيص الكون والفساد » . « تلخيص الآثار العلوية » . «تلخيص كتاب النفس » . «تلخيص تسع مقالات من كتاب الحيوان »«تلخيص الحس والمحسوس» . «تلخيص ما بعد الطبيعة » . « تلخيص كتاب الأخلاق » . « شرح كتاب السماء والعالم » . « شرح السماع الطبيعى » . « شرح كتاب النفس » . « شرح كتاب البرهان » . « تلخيص المنطق » . « شرح ما بعد الطبيعة » . « شرح كتاب القياس » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلسفته :

يعلم الواقف على تاريخ الحركة العقلية العالمية أن أهم ما كان يشغل فلاسفة العرب هو (١) « قدم العالم وخلوده أو حدوثه وفناؤه » . (٢) تعلق علم الله بالجزئيات أو اقتصاره على الكليات » . (٣) « حشر الأرواح فى الأجسام أو وحدها » . (٤) « نظرية المعرفة » . وهذه النظريات كلها لا تظهر واضحة عند فيلسوف آخر ظهورها فى فلسفة ابن رشد ، فهو الذى أبان غامضها ، وأوضح مشكلها ، ووضع بها الحد الفاصل بين الفلاسفة والمتكلمين فى الاسلام ، وبين المسيحيين والمشائين فى أوربا ، فكانت سببا فى اشتعال حرب ضروس بين الدين والفلسفة وبين كثير من الطبقات عدة قرون . ولم يقتصر ابن رشد على ذكر رأيه فى هذه النظريات القديمة ، بل أتى بمذهب جديد مستقل كان مبعث النهوض ومنبع أشعة نور العلم فى أوربا طوال القرون الوسطى . وإليكم هذه الفلسفة الرشدية فى شيء من الايجاز :

بعد هذا الجهاد الطويل الذى قامت به الفلسفة العامة فى البحث عن أسرار الكون ومبدعه ، وصلت فى عهد ابن رشد الى نظريتين جوهريتين : أولاهما أن المادة قديمة ، والعالم أزلى ، وأن الحركة الموجودة بها هى طبيعية فيها ، وأن الاله لايزيد على أنه صانع مصور يضع التصميم لمادة موجودة ويمنحها الصورة التى تقتضيها الحكمة ، وهو محرك أول غير محدود ، وأن الانتاج الجلى الموجود فى الكون هو آت عن طريق التناسل والتوالد ، لا عن طريق الخلق والايجاد ، وأن مهمة البارى فى هذه الأحوال هى تخليص الأبناء من الآباء ، لا الخلق والانشاء .

وأما النظرية الثانية ، فهى ترى أن الله وحده هو الأزلى ، وأن كل ما عداه محدث مخلوق له . وبناء على ذلك يكون الله جل شأنه هو الخالق الحقيقى ، ويكون تعاقب الأجيال إيجادا محضا ينشىء الله الأفراد فيه من عدم بطريقة مباشرة . وبالرأى الأول قال بعض الفلاسفة ومنهم ابن رشد ، وبالرأى الثانى قال المتكلمون .

وكيفية نشوء الافراد من المادة القديمة هى أن تلتقى عناصر الوجود بعضها ببعض بواسطة حركة طبيعية قوامها الحرارة الموجودة فى الكون . فكلما التقت الحرارة بعنصرى الماء والتراب الباردين نتج من ذلك نبات أوحيوان ، وهى لاتلتقى بهما إلا فى أوقات وحالات محدودة ، ولكن هذا التماس الذى يحدث بين العناصر يقع بطريقة منظمة كأنه تسيره قوة عاقلة مدبرة مع أن طبيعة العناصر فى ذاتها محرومة من كل عقل وتدبير ، وليس فيها إلا الشوق الطبيعى الموجود فى كل كبيرة وصغيرة من أجزاء الكون ، وإنما المسير المباشر لهذا النظام هو تلك القوى المتغلغلة فى الأفلاك .

وبناء على كل هذا ، فالبارى لم يستحدث شيئا ، لأن الاستحداث من العدم مستحيل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما دمنا نؤمن بأن العدم لا ينتج وجودا . وعلى ذلك يكون الامام الغزالى ومن نحا نحوه من المتكلمين القائلين بأن البارى هو منشىء الكون من عدم ومانح الصور مخطئين فى رأى ابن رشد .

أما ابن سينا فهو يعتبره من أجل تعبيره بكلمة الخالق إما مخطئا أو تقويا ، وإنما الحق الذى لا ريب فيه عنده هو أن هناك أزليين : البارى . والمادة المشتملة على قوة كامنة ، ولكن أزلية البارى تختلف عن أزلية المادة ، لأن الأول علة فى الثانية ؟

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

ما قيل فى مسايرة الايام

قال حكيم : « اصحب الايام بالموادعة ، ولا تسابق الدهر فتنكب » .

وقال الشاعر :

من سابق الدهر كبا كبوة　　لم يستقلها من خطا الدهر
فاخط مع الدهر إذا ما خطا　　واجر مع الدهر كما يجرى

لا أظن أن الشاعر يقصد من مسايرة الدهر ومجاراته أن يندفع فى التيار الذى ينشئه أهل الفساد فيه ، فان ذلك فضلا عن منافاته للكرامة الشخصية ، فهو شديد الخطر على المجموع ، فان المدنية الفاضلة تقتضى أن تسود الفضائل ، وأن يعلو شأن المحامد ، فاذا وطن كل إنسان نفسه على أن ينقاد لشهوات أهل الشهوات ، تغلبت الرذائل على المجتمع ، وباد كما باد غيره ولا كرامة .

وقال بشار العقيلى :

أعاذل إن الدهر سوف يفيق　　وإن يسارا من غد لخليق
وما كنت إلا كالزمان إذا صحا　　صحوت وإن ماق الزمان أموق

هذا يجب أن يعتبر زجرا للذين على هذه الشاكلة ، فان من يحمق إذا حمق الزمان كان شاهدا على نفسه بأنه من الذين يعيشون لينعموا وإن اقتضت النعمة أن يبذلوا فى سبيلها كرامتهم ومروءتهم . ولا يخيل لى أن إنسانا يذم نفسه بأشنع من هذا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

الاخلاص

عن أبى أسامة قال : « جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر : ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شيء له ، فأعادها ثلاث مرار ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شيء له ، ثم قال : إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه » . رواه أبو داود والنسائى بسند جيد — من كتاب الترغيب والترهيب .

هذا الحديث صريح فى أن الله لا يقبل الأعمال إلا إذا كانت خالصة ؛ ويتعلق بذلك أمور : (١) فضل الاخلاص وقيمته فى نظر الدين الاسلامى (٢) حقيقة الاخلاص ما هى (٣) بيان حكمة مشروعية الاخلاص (٤) هل عدم الاخلاص يحبط أجر العمل فقط أو يستلزم مع ذلك الاثم ؟

١ — فأما فضل الاخلاص فى نظر الدين الاسلامى فانه يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله أوضح دلالة ؛ وقد ورد فيهما ما يفيد أن الاخلاص هو الأساس الذى تنبنى عليه الأعمال الصحيحة المقبولة ؛ فمن لم يخلص فى اعتقاده وقوله وعمله فانه لا يحق له أن يطمع فى قبول شيء منها لا قليلا ولا كثيرا ، بل قد تكون عند الله شرا ووبالا عليه كما ستعرفه بعد . فعلى أساس الاخلاص أمر الله الناس بعبادته ، قال تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » ، وذلك صريح فى أن الذى يعبد الله غير مخلص لا يكون محصلا للعبادة التى أمره الله بها قطعا . وعلى أساس الاخلاص وعد الله التائبين من المنافقين بالقبول والأجر العظيم مع المؤمنين العاملين ، قال تعالى : « إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين ، وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما » .

وهذا المعنى قد جاء فى كثير من الأحاديث الصحاح ، ومنها حديث أسامة الذى نتكلم فيه هنا . ويؤخذ من مجموع الأحاديث أن الانسان لا يحسب فى عداد المؤمنين العاملين إلا إذا كان مخلصا فى عقيدته ، مخلصا فى معاملة الخالق والمخلوق حسبما أمره الله تعالى . وكفى بذلك دلالة على فضل الاخلاص وقيمته فى نظر الدين . ولذا قال بعض علماء الاخلاق : إن

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أمر الدين كله يرجع الى أصلين : عمل من الله لعبده ، وعمل من العبد لربه ، فمن أراد أن يظفر بالسعادة الخالدة فعليه أن يرضى بعمل خالقه ، ويخلص هو فى عمله له . فمدار الدين كله على الرضا والاخلاص .

٢ — أما حقيقة الاخلاص فقد بينها علماء الأخلاق الدينية بيانا حسنا ؛ وإليك توضيح ما قالوا : إن الاخلاص هو عبارة عن تخليص العمل عن كل ما يمكن أن يخالطه من شوائب الشرك بجعله مقصورا على السبب الذى حصل الفعل من أجله . وهذا السبب يجب أن يكون صحيحا ممدوحا فى نظر الدين ، فاذا عمل الانسان عملا مقصورا على سبب فاسد كما إذا قصد بعبادته الحصول على لذة من اللذات كشهرة أو مال أو جاه ، فانه لا يكون مخلصا فى عبادته لربه ، وإنما يكون مخلصا لذلك الغرض الذى بعثه على العبادة ، وهذا لا يسمى إخلاصا شرعيا طبعا .

ويتضح من هذا البيان أن الاخلاص أمر يتعلق بالقلب ؛ وإن شئت قلت يتعلق بالنية ، وذلك لأن النية وهى الارادة صفة نفسية يترجح بها تحصيل الفعل المرغوب فيه ، فاذا مالت إرادة الانسان الى أمر يرغبه وتعلقت به ، سخرت القدرة لتحصيل ذلك الأمر ، فاذا تعلقت الارادة بالفعل لسبب باعث صحيح بدون أن يزاحمه سبب آخر ، كانت تلك النية خالصة والفعل المترتب عليها خالصا . وقد يسمى الفعل فى هذه الحالة إخلاصا . مثلا إذا تعلقت إرادة الانسان بالجهاد فى سبيل الله ، أو بالحج الى بيت الله ، فتحركت أعضاؤه لتحصيل ذلك الفعل ، فان انبعاث الارادة وتعلقها بالجهاد أو الحج لا بد أن يكون لغرض من الأغراض ، فان كان ذلك الغرض مقصورا على ابتغاء مرضاة الله كما ورد فى الحديث ، كانت النية خالصة ، وكان الفعل المترتب عليها خالصا ، وكان الفاعل مخلصا . ومثل ذلك ما إذا تعلقت نيته بالجهاد لغرض تحصيل الثواب الأخروى الذى وعد الله به المجاهدين ، فان ذلك السبب يرجع الى مرضاة الله . أما إذا تعلقت إرادته بالجهاد لتحصيل الثواب وليكون له ذكرى حسنة كأن يقال عنه : إن هذا الرجل شجاع يحمى الذمار ، وبذلك يعظم قدره فى أعين الناس ، فان عمله هذا لا يكون فيه إخلاص ، وذلك لأنه بناه على سببين : قصد الثواب ، وقصد الشهرة وعلو المكانة فى أعين الناس ؛ والسبب الثانى غير صحيح فى نظر الدين ، فكانت نتيجة بناء العمل عليه حبوط أجر ذلك العمل وضياعه حتى كأنه لم يكن .

وهذا المعنى هو كقول بعض علماء الأخلاق : إن الاخلاص فى العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا ، بل يعمل لمجرد الغرض الدينى الذى بعثه الى العمل . وعلى أى حال فالاخلاص أمر يمكن تحصيله بسهولة متى كانت النفس مهذبة نشأت على حب الفضيلة ومجافاة الرذيلة ؛ بل ربما كان العمل بدون الاخلاص أشق على تلك النفوس الطاهرة من غيره ، فلا يجدون اللذة الحقيقية إلا فى العمل الخالص لخالقهم . ولا ريب فى أن الذى يعمل لمرضاة الاله القادر الذى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بيده مكافأة العاملين ، سينال من الجزاء أحسنه ، ومن المكافاة ما تقر به عينه من غير أن يتكلف قصد المكافأة والجزاء . على أن الأغراض الدنيوية إذا كانت مما يترتب على عمله فانها تتحقق بدون أن يقصدها ، وقد يتحقق منها أضعاف ما يمكن أن يتصور وهو غافل عنه . فمن سوء التربية الخلقية أن يجعل الانسان أعمال البر مبنية على الشهوات الفاسدة .

ويتبين من هذا أن الاخلاص كغيره من الفضائل لممكنة التى كلف الله بها عباده . ولكن بعض علماء الاخلاق قد توسع فى ضرب الأمثلة التى يتميز بها الاخلاص عن غيره ، فأتى منها بما يصوره فى صورة الأمر المتعذر الذى يكاد يكون تحصيله مستحيلا ، اللهم إلا على الخواص والمقربين ، حتى نقل عن بعضهم أنه قال : من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة نجا . ومن الأمثلة الدقيقة التى رويت أن رجلا مكث يصلى فى الصف الأول ثلاثين سنة ثم عرض له ذات يوم عذر فصلى فى الصف الذى يليه ، فاعتراه الخجل من الناس الذين رأوه على هذه الحالة فعرف بذلك أن صلاته فى الصف الأول كان لها علاقة بنظر الناس اليه ، فأدرك أن صلاته كل هذه المدة لم تكن خالصة وهو لا يدرى . ولكن الواقع غير هذا ، لأن الله تعالى قد أمر العقلاء المكلفين بالاخلاص فى دينهم وفى عبادتهم كما ذكرنا آنفا ، لا فرق فى ذلك بين خاصة الناس وعامتهم ؛ وهو سبحانه لم يكلف عباده عسيرا بل كلفهم يسيرا ؛ فليس من المعقول حينئذ أن يؤاخذ الله الانسان بما خفى عليه ، وإنما يؤاخذه بما هو معلوم له قادر عليه ، قال تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .

ولعل السبب الذى حمل هؤلاء المرشدين على التشدد فى بيان الاخلاص هو المبالغة فى تحذير الناس من خلط الأغراض الصحيحة بالفاسدة فى أعمال البر ، لأنها تحبطها وهم غافلون . أو لعلهم يريدون أن يضربوا الأمثال بالصالحين الذين يتحرجون من خفايا الأمور ودقائقها ليكون للناس منهم أسوة حسنة ، وإلا فالاخلاص فى ذاته أمر سهل ، ولا يصعب إلا على من أشرب قلبه حب الشهوات ، وغفل عن الفضائل الخلقية التى أجلها الاخلاص لله الواحد القهار .

(٣) أما حكمة مشروعية الاخلاص فانها ترجع الى أمرين عظيمين : (أحدهما) البعد عن الوثنية وما يشاكلها ولو ظاهرا . (ثانيهما) استمرار أعمال البر ودوامها . فأما الأول فان الدين الاسلامى قد جاء بتوحيد الاله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به ، وأنه هو وحده المستحق للعبادة لكونه موجدا للعالم وموجدا للوسائل التى بها يبقى العالم الى الأجل الذى يريده . فهو الخالق الرازق . أما الاصنام والآلهة التى يشركونها مع الاله فى العبادة فانها مخلوقة لا خالقة ، ولا تملك لهم رزقا ، فهى عاجزة عن إيجادهم وعن إيجاد ما به يعيشون ، فمن السفه عبادتها ، ولذا قال تعالى : « إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا ، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا ، فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه » . من أجل ذلك فرض الله الاخلاص

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ونهت الشريعة الاسلامية عن بناء الاعمال الدينية على أسباب غير مشروعة نهيا جازما لما فيها من التشبه بالوثنيين الذين تحملهم تقاليدهم وعاداتهم على عبادة الاوثان . ومن المضحك أنهم كانوا يعبدونها مشركين فى عبادتها من نواح كثيرة . فنهم من كان يجعل السبب فى عبادتها الخوف من لوم الناس واتهامهم إياه بالمروق من دين آبائه وأجداده . ومنهم من كان يعبدها خوفا من أن تنهار سلطنه ويضيع جاهه . ومنهم من كان يعبدها لأنها تقرب الى الله . وقد جاء كل ذلك فى القرآن الكريم والسنة . فجاء الاسلام لمحاربة الوثنية والشرك من جميع نواحيه ، وجعل من أول واجبات المؤمنين والمؤمنات أن يجتنبوا كل ما يشتم منه رائحة الوثنية ، أو يكون فيه تشبه بالوثنيين ولو ظاهرا . ولذا نهى الدين نهيا جازما عن تعظيم الأشجار والأحجار والهيا كل ونحو ذلك لما فيه من التشبه بالوثنيين ، وفرض على الناس أن يخلصوا لله سبحانه ، فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يبنى عمله الدينى على سبب فاسد لايقره الدين ، بل لا بد من قصر أعماله الصالحات كلها على مرضاة الله تعالى امتثالا لأمره واجتنابا لما نهى عنه .

وأما الثانى وهو استمرار العمل الصالح وعدم انقطاعه ، فذلك لأن الدين قد جاء بكل فضيلة ونهى عن كل رذيلة ، فحث الناس جميعا على تحصيل كل ما فيه سعادة المجتمع فى الدنيا والآخرة . فكل أعمال البر التى يترتب عليها عز الأمم ومجدها وهناؤها فى حياتها أمر بها الاسلام ، فقد فرض الاتحاد والتعاون على أعمال البر ، ونهى عن الفرقة والتخاذل ، وأمر بالعطف على الفقراء والمساكين وذوى الحاجات ، وفرض للمحتاجين قدرا معينا فى أموال الاغنياء . قال تعالى : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ، وأمر باغاثة الملهوف وإنقاذ المكروب ، وإعانة الضعيف ، والاخذ بناصر المظلوم ؛ وأمر بالتسامح فيما يترتب عليه تقوية الروابط بين الناس ؛ وأمر بصلة الارحام ومراعاة حقوق الجوار ، والصدق والعفاف والعدل ، الى غير ذلك من الاعمال التى يسعد بها المجتمع سعادة حقيقية .

وبديهى أن هذه الأعمال التى يتوقف عليها صلاح المجتمع وتنبنى عليها سعادته فى الدنيا والآخرة يجب أن تستمر وتبقى ، فلا يصح أن تنقطع مادام الانسان ، وهى لاتبقى إلا إذا كانت مرتكزة على سبب دائم مستمر ، وإلا انقطعت بانقطاع اسبابها الزائلة ، وهذا السبب الدائم الذى لا يتغير أبدا هو مرضاة الله ، فاذا عمل الانسان هذه الاعمال امتثالا لأمر الله وابتغاء مرضاته كانت لازمة دائمة لا تنقطع ؛ أما إذا عملها لغرض شهوى فانها تنقطع بانقطاعه طبعا . مثلا : إذا تصدق على الفقراء ليمدحه الناس بالسخاء فانه لا يتأخر عن قطع هذه الصدقة إذا استغنى عن سماع مديحهم بعارض آخر أو يئس من ذلك المديح ، وكذا إذا أنفق بعض ماله فى أعمال البر للحصول على منصب أو جاه ، كما إذا شيد مدرسة أو مصحا أو أعان طلبة العلم أو نحو ذلك من أعمال البر ، فانه يقطع ذلك الانفاق بمجرد الحصول على المنصب أو اليأس منه ، وفى ذلك غبن ظاهر للمجتمع . ومثل ذلك ما إذا جاهد فى سبيل الله ليظهر بمظهر الشجاع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى عين امرأة يرغب فى زواجها ، فانه يستغنى عن الجهاد ويقطعه حتما متى ظفر بها أو يئس منها ؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم فى الهجرة : « فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

وبالجملة فكل أعمال البر إذا لم تكن مبنية على سبب دائم فانها تنقطع عند انقطاع سببها . ومن مصلحة الأفراد والجماعات أن تستمر أعمال البر فيما بينهم ، فلا تنقطع مادامت الحياة الدنيا . فمن أجل ذلك فرض الله الاخلاص كى يقصر الناس أعمالهم على مرضاة الله تعالى ، ويروضوا أنفسهم على أن يتسابقوا على أعمال البر طمعا فى مرضاة الله تعالى بصرف النظر عن الغايات والأغراض الأخرى ، لتدوم الإعمال الصالحة ، ويحظى العاملون بأعلى الدرجات ؟

« يتبع »

عبد الرحمن الجزيرى
من علماء الازهر

فضل الحنكة

قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن فلانا لا يعرف الشر . قال : ذلك أحرى أن يقع فيه .

وقال عمرو بن العاص : ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر ، إنما العاقل الذى يعرف خير الشرين .

وفى مثل هذا قول الشاعر :

رضيت ببعض الذل خوف جميعه ... كذلك بعض الشر أهون من بعض

وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب فقال : كان والله له فضل يمنعه من أن يخدع ، وعقل يمنعه من أن ينخدع .

وقال إياس : لست بخب والخب لا يخدعنى .

وقال أبو أيوب : من أصحابى من أرتجى بركته ولا أقبل شهادته .

ومن هذا قولهم : حلب فلان الدهر أشطره ، وشرب أفاويقه إذا فهم خيره وشره ، فاذا نزل به الغناء عرفه ، وإذا نزل به البلاء لم ينكره .

وفى ذلك قول الشاعر :

ولست بمفراح إذا الدهر سرنى ... ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركى ... ولكن متى أحمل على الشر أركب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هل يلغى الوقف الاهلى

من مزايا القوة أن يرى الناس كل ما عليه أهلها حسنا وإن لم يكن بحسن ، وكل ما ليسوا عليه قبيحا وإن لم يكن بقبيح . هذا ضرب من السحر شعر به الضعفاء قديما وحديثا ووقعوا تحت تأثيره مرغمين .

ولكن إذا هان أن يقع فيه الافراد فيما بينهم ، فليس يهون أن تقع فيه الجماعات ، وخاصة إذا كانت بصدد إحداث انقلاب فى أمر تشريعى قال به وقام عليه أكثر رجالاتها الأولين .

طبع الانسان على أن يعنى بأسرته ، ومن يمت اليه بصلة من رحم أو مودة ، ويكره إن كان له عقار من بناء أو مزرعة أن يدعه بين أيديهم بعد موته نهبا للناهبين ، وفيهم الطفل الناعم والمخدرة الخفرة ، والعجوز القعيدة ، والشيخ الكبير .

ألا يحب كل إنسان إذا طاف مثل هذا الفكر فى رأسه أن يجد وسيلة تكفل بها لهؤلاء أن يعيشوا بسلام ما بقى من أيامهم التى قدرت لهم فى هذه الحياة ؟

لا تقل بحسبه أن يترك لهم ما يملكه من مال وعقار ، لأنه يرى بعينيه أن الثروة مهما بلغ قدرها رهن ولد غير نجيب يتولاها فيبذرها فى الهواء ، أو صهر غير صالح يبددها حيث شاء .

ولا تقل أيضا لو كان فى نظام الوقف خير لهدى اليه المتمدنون ، فكم من نظم قيمة لم يهتدوا اليها ، وهل قصر المتمدنون فى تطلب خير مما هم فيه ، وهم يقيمون على تبرمهم بشئونهم كل يوم ألف دليل ؟ ألا ترى رءوس زعمائهم وقادتهم تغلى بالمذاهب والآراء ، وبلادهم تفور كالمراجل بالثورات والانقلابات ، مما لو تأمل فيه المتأمل لاعتراه الدوار من هول ما يقرأ وما يسمع ؟ فلو كانت الاحوال مستقرة لديهم لما كان ثمة داع لكل هذه الصيحات التى تدوى بصداها الآفاق ويسمعها الصم من مكان سحيق .

فهل نهدم نحن ونبنى على مثل هذا القرار المضطرب من أحوالهم ونكون مصيبين ؟

ماهى العيوب التى يراها خصوم الوقف الاهلى فيه ويبنون عليها وجوب إلغائه ؟

يقولون : إنه قد يحمل على مخالفة الشريعة فى توزيع الأنصبة ؛ وينشىء طائفة من العاطلين يعيشون عالة عليه ؛ ويفضى الى خراب الاعيان وضياع فائدتها ؛ ويمكن النظار عليه من اغتياله وحرمان المستحقين فيه ؛ وتؤول أنصبة مستحقيه بتوالى نموهم الى أقدار لا تسمن ولا تغنى من جوع .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نقول : أما مخالفته للشريعة فليس لخصومه أن يحتجوا به ، لأن هذه المخالفة مرت فى جميع الأجيال على أئمة الدين فلم يروا فيها بأسا . على أن علاج المخالفة لا يكون بالالغاء وإنما يكون بالمطالبة برد القسمة الى أصول الشريعة إن كانوا يدافعون عنها .

وأما أنه ينشىء طائفة من العاطلين ، فليس بعلة تقتصر على الوقف وحده ، ولكنها تسرى على نظام الوراثة أيضا . وهى من حجج الاشتراكيين الغلاة والشيوعيين ، ولسنا منهم فى شىء .

أما أنه يفضى الى خراب الاعيان ، فليس بحجة قويمة ، لأن الخراب سببه الاهمال ، والاهمال كما يكون وصفا لمستحقى الأوقاف يكون كذلك وصفا للمالكين . وإنه لتوجد فى القاهرة وسواها ألوف من الدور تركها أصحابها لمعاول البلى لسبب من الاسباب . ودواء هذا ليس إلغاء الوقف ولا إلغاء الملكية ، ولكن أن تسن الحكومة قانونا يقضى بوجوب إصلاح كل متخرب . فان لم يستطع المالك أو المستحق إصلاح ما تحت يده من العقار فيجبر على بيعه إن كان ملكا ، واستبدال غيره به إن كان وقفا . هذا إن كان يعنى الحكومة هذا الامر .

وأما أنا يمكن النظار من اغتياله ، فليس هذا بعيب للوقف نفسه ، ولكنه نقص فى التشريع الخاص به ، وعلاجه أن تطالب الحكومة بوجوب معاملة ناظر الوقف كمعاملة مدير الشركة سواء بسواء . وقد طالبت المحاكم الشرعية منذ سنين بوضع مثل هذا التشريع فلم يلب أحد لها طلبا .

ولو عومل مديرو الشركات كما يعامل نظار الأوقاف لعلت شكوى المساهمين منهم كما تعلو شكوى المستحقين من النظار سواء بسواء . وإذا كان الامر كذلك أكان يوجد فى مصر عاقل يطالب بحل جميع الشركات ؟

أما مسألة استحالة الأنصبة بمرور الزمن الى أقدار لا تذكر ، فهذه مسألة تستحق النظر ، ولكنها لا توجب إلغاء الوقف ، وإنما توجب وضع نظام للوقف يمنع من إضاعة الثمرة المقصودة منه بعد حين ، وتطلق به يد الحكومة فى تحويله الى غرضه الخيرى متى كانت الضرورة تقضى به .

أليس نظام الوقف لدى المسلمين يفضل نظام الوصية عند الاوربيين ؟

نعم : وذلك من عدة وجوه وجيهة :

(أولها) أنه يحفظ الأسر من الانحلال بعد موت عائلها ، خلافا للوصية فان الموصى اليه يستطيع أن يبدد الثروة فى أيام معدودة ، فتنحل بذلك أسرة كانت كريمة فى المجتمع ، ويصبح أفرادها عالة على الناس . وحفظ الأسر مما تعنى الامم العظيمة بأكبر عناية لأنها دعامات للهيئة الاجتماعية تحفظها من خطر التقلبات الفجائية . وأمامنا انجلترة ، وهى أقوى أمم الارض بنية ، تلجأ فى حفظ الأسر الى وسيلة فذة لا تقوم عليها أمة سواها ، وهى اختصاص الابن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاكبر بالتراث كله دون سائر أفراد الاسرة فاذا كان من أهم أغراض الوقف حفظ الاسرة من الانحلال فهو غرض يجب أن يقابل بالاكبار ، وخاصة فى هذا العصر الذى أصبحت فيه الثروات مهددة بخطر الاغراق فى الشهوات ، وبخطر التسرب الى خارج البلاد .

(ثانيها) أنه بعد انقراض الأسرة يصبح ملكا للامة ، فيصرف ريعه فى وجوه البر بها والاحسان اليها ، خلافا للوصية ؛ فعلى فرض أنها تحفظ الثروة من الضياع تصبح بعد انقراض مالكها ملكا للحكومة تصرفه فى شئونها ، ولا يخفى الفرق بين الحالتين . فاذا علمت أن الداء الاجتماعى العضال الناشب أظفاره اليوم فى الجماعات والدافع لأفرادها الى انتحال المذاهب المتطرفة هو الفاقة ، رأيت أن كل ثروة تؤول الى سد مفاقر الناس تعتبر عملا اجتماعيا لا يعدله عمل فى شرف الغاية ، وحفظ الاجتماع .

(ثالثها) أن الوقف يحفظ الثروة للامة التى اكتسبت منها ، ولا يتسرب الى أمم أخرى ، وحكمته فى الوقت الحاضر من أظهر الحكم وأدعاها للاعجاب ، خلافا للوصية فان الثروة التى تتحصل منها قد تتسرب الى خارج البلاد . وخصوم الوقف من أعلم الناس بوجوه هذا التسرب المالى وخطره على المجتمعات .

بعد كل هذا بقيت عقدة يعوزها الحل وهى :

الى أى وسيلة يلجأ رب أسرة يعول نسوة ضعافا وأطفالا صغارا وشيوخا هرمى ، ليضمن الضروريات لهم بعد وفاته ، وهو يرى أن له أولادا معوجى السيرة يتربصون به الموت ليستولوا على تركته فيبددوها فى سبيل شهواتهم فى ايام معدودة ؟

ربما يقال : يسع هذا الرجل ما يسع كل إنسان غيره من أبناء الامم الأخرى .

ولماذا نسقيه هذه الكأس المريرة وفى أوضاعه الشرعية ما يدفع عنه هذه الكاس ، ولا يجعله يرهب الموت كلما ألم به طائف منه ؟

لقد جال هذا الخاطر فى رءوس كثير من رجالات هذه الأمة فى الصدر الاول من الاسلام ، فحبس كثير من الصحابة دورا ومزارع على أسرهم بعد موتهم ، وجرى على نهجهم التابعون ومن تلاهم الى هذا العهد الحديث ، فوقف أكثر رجالات الأسر الكبيرة أملاكهم على ذويهم ومن يلوذ بهم ، لحموا بذلك بيوتهم من الانحلال . وكان أكثرهم يقف جزءا من ممتلكاتهم ويترك باقيها ملكا حرا لوارثيهم . فكانت النتيجة أن أكثر هؤلاء الوارثين بددوا ما ورثوه شذر بذر فى سبيل شهواتهم ، ولم تبق لهم إلا الأملاك الموقوفة ، فعاشوا بفضل غلتها مستورين ، ولولاها لتصدعت دعائم تلك البيوتات ، وتفرق نسوتها أيامى يلتمسون العيش إما باراقة ماء وجوههم فى السؤال ، أو باحتراف المهن الحاطة من كرامة تلك البيوت ، وهذا مشاهد لا يحتاج لبحث طويل .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهل يصح فى المعقول أن يعتبر الوقف شينا الى الحد الذى يصوره به خصومه ، بعد أن رأى الناس أن كبراء هذه الامة وصفوة متعلميها عولوا عليه مختارين حتى فى هذا العهد الذى تحمل عليه فيه طائفة منا حملات عنيفة ، وتعده رزءا اجتماعيا يجب تلافيه ؟

إن هذا الشعور القوى بالحاجة الى حماية الاسرة لا يمكن أن يتلاشى من القلوب ، فان سد فى وجهه سبيل الوقف تحرى سبيلا آخر اليها ، وأول ما تفكر فيه حرية الايصاء ، والبيوع الصحيحة والصورية ، وأشد ما أتوقعه تسرب الثروة للمصارف الاجنبية من طريق إيداع الأموال فيها واشتراط توزيع رباها على الورثة بعد موت عائلهم ، وأكثر ما يتسرب من هذا الطريق الثروات الكبيرة التى يملكها كبار المثرين .

فعلى الذين يعملون جاهدين على إلغاء الوقف الأهلى أن يزنوا كل ماذكرناه بميزان المصلحة الاجتماعية ، وأن لا يحملهم ما سببته له العادات من العيوب على الاندفاع فى طريق إلغائه ، فان هذه العادات يمكن سد الطريق عليها باحاطته بتشريع حكيم مستمد من روح الشريعة السمحة ، فيتجرد الوقف بهذه الوسيلة من عيوبه الكثيرة ، ويصبح وضعا إسلاميا جميلا قد تقتبسه عنا الأمم ويصبح لنا الفضل فيه .

أما هدم الأوضاع الصالحة التى شوهتها عادات السوء هربا من عناء إصلاحها وبحجة أنها لا توجد عند سوانا ، فليس من السداد ، ولا هو من عمل المصلحين .

نحن فى هذه العجالة لا نبحث فيما يجب أن يوضع للوقف الاهلى من التحفظات التى تمنع من استحالته الى الحالة التى لا تتفق والمصلحة العامة والغرض المقصود منه ، ولكننا نقول إن الشريعة السمحة لا تضيق ساحتها عن قبول كل نظام يكفل القيام على أكمل الحالات فى أى أمر من الأمور ، لأن مرماها الكمال حيث وجد ، وأصولها صريحة فى وجوب مسايرة كل إصلاح ، وهى تستنهض الهمم لنشدان خير الأمور فى كل ما له علاقة بالانسانية والانسان .

وإذا كانت الشعوب الاسلامية اليوم محفوزة بروح نهضة قوية لبلوغ أقصى شأو بلغته الامم المعاصرة فلا يستدعى ذلك أن نأتى على جميع أوضاعنا التى ليس لديها شبيه لها ، فان ذلك يفضى الى فنائنا فيها من أقرب طريق .

ومما يجب أن يعرفه العاملون على إصلاح العادات والاوضاع عندنا أن اللحاق بالامم الراقية يكفى فيه إصلاح النفوس وبث روح الفضائل فيها وتعميم التعليم ، فلا تلبث الأمة أن ترقى رقيا مطردا لا تكلف فيه . وفى نهضة الامة اليابانية عبرة المعتبرين ، فقد بلغت أبعد شأو فى المدنية ، ولا تزال مبقية على أكثر عاداتها وأوضاعها ، وذلك مصداق لقوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حول مشروع قانون العقوبات الجديد

وصلته بتنفيذ أحكام المحاكم الشرعية فى مواد النفقة بأنواعها المختلفة

نقلت الاهرام مؤخرا الى قرائها فيما نقلت أن اللجنة المنوط بها وضع مشروع قانون العقوبات قد فرغت من وضعه ولم يبق إلا أن ترفعه الى الجهات المسئولة للانتهاء من مراحله الأخيرة ، وقد رأت اللجنة رغبة فى حماية الأسرة إضافة نص جديد بمعاقبة كل من يلزم بالانفاق على أحد من ذويه بحكم قضائى ويمتنع عن أداء هذا الواجب ، بالحبس لمدة لا تزيد عن سنة ، وبغرامة لا تزيد على مائة جنيه . فرأينا أن نأتي فى هذه المناسبة على ضروب النفقة فى الاسلام تنويرا للأذهان ، وتنويها بفضل شريعة القرآن فى بناء العمران :

نوع التشريع الاسلامى النفقة الى ثلاثة أنواع : نفقة واجبة على الزوج لزوجته ، ونفقة واجبة للأبناء ومن فى حكمهم على الآباء ومن فى حكمهم ، ونفقة واجبة للأبوين ومن فى حكمهما على الأبناء ومن فى حكمهم . ففرض فى باب نفقة الزوجية تلك النفقة على الزوج لزوجته ولو فى بيت أبيها ما لم يطالبها الزوج بالنقلة وتمتنع بغير حق ؛ وفرضها كذلك فى حالة ما إذا كان الزوج موسرا وكانت لامرأته خادمة تجب عليه نفقتها بقدر ما يكفيها على حسب العرف ، بشرط أن تكون الخادمة مملوكة لها ملكا تاما ومتفرغة لخدمتها لا شغل لها غيرها ، وإذا زفت اليه بخدم كثير استحقت نفقة الجميع عليه إن كان ذا يسار ، وإذا رزق أولادا لا يكفيهم خادم واحد يفرض عليه نفقة خادمين أو أكثر على قدر حاجة أولاده . وفى حالة ما إذا مرضت المرأة مرضا يمنع من مباشرتها بعد الزفاف والنقلة الى منزل زوجها أو قبلها ثم انتقلت اليه وهى مريضة أو لم تنتقل ولم تمنع نفسها بغير حق فلها النفقة عليه ، فلو مرضت فى بيت الزوج ثم انتقلت الى بيت أهلها فان طالبها الزوج بالنقلة ولم يمكنها الانتقال لمخافة أو نحوها فلها النفقة .

وقد أوجب التشريع الاسلامى النفقة للأبناء على الآباء بأنواعها الثلاثة : فأوجب للابن النفقة على الأب الحر ولوذميا لولده الصغير الفقير ذكرا كان أو أنثى حتى يبلغ الذكر حد الكسب وحتى تزف الأنثى الى بعلها . وأوجب على الأب النفقة لابنه الكبير الفقير العاجز عن الكسب كزمن وذى عاهة تمنعه عن الكسب ، ومن كان من أبناء الاشراف أو من فى حكمهم ولا يستأجره الناس فى عمل من شأنه أن يغض من سمعة بيته أو يزرى بكرامته ، وللانثى الكبيرة الفقيرة ولو لم تكن بها زمانة أو عاهة إلا إذا تزوجت ، فاذا تبين أن الأب معسر عاجز عن الكسب أو به عاهة تحول دون استدرار النفقة على غيره ، ألحق بالميت ، وتجب فى هذه الحالة النفقة على من يليه فى المرتبة مع تحقق شرائط الوجوب . ومعلوم أن النفقة تعتمد الجزئية والارث فى وجوبها.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أما إذا كان الأب معسرا ولازمانة به ولا عاهة تحول دون اكتسابه فلا تسقط عنه النفقة لمجرد إعساره لولده ، بل مفروض عليه أن يكتسب وينفق عليه بقدر الكفاية ، فان نفقة الأقارب معتبرة عند الفقهاء ضرورة طارئة ، وإنما تقدر الضرورة بقدر ملابساتها . فان أبى مع قدرته على الاكتساب يجبر على ذلك ويحبس فى نفقة ولده ، فان لم يف اكتسابه بحاجة الولد أولم يكتسب لعدم تيسر الكسب ، أمر القريب بالانفاق على الولد بالنيابة عن أبيه ليرجع على الوالد اذا أيسر مستقبلا . والأم فى حالة إعسار الأب أولى من سائر الأقارب بالانفاق على ولدها ، فاذا كانت موسرة مع إعسار الأب أمرت بالانفاق على ولدها ولايشاركها الجد ، فان كان الأبوان معسرين ولهما أولاد يستحقون النفقة أمر بها القريب من منزلتهما كما أسلفنا ، فاذا أبى الانفاق عليهم مع يسره أجبره القاضى عليها ، ويكون إنفاق القريب فى هذه الحالة دينا على أبيهم المعسر يرجع به القريب عليه إذا أيسر ، سواء كان المنفق أما أو جدا أو غيرهما ، فان كان الأب معسرا أو زمنا عاجزا عن الكسب فلا رجوع لأحد عليه بما أنفقه على ولده ، وإذا كان أبوالصغير الفقير معدوما وله أقارب موسرون من أصوله فان كان بعضهم وارثا له وبعضهم غير وارث وتساووا فى القرب والجزئية يعتبر الأقرب جزئية ويلزم بالنفقة ، فان كان له أم وجد لأم فنفقته على الام ، وإن كانت أصوله وارثين كلهم فنفقته عليهم بقدر استحقاقهم فى الارث ، فلو كان له أم وجد لأب فنفقته عليهما أثلاثا : على الام الثلث وعلى الجد الثلثان . فان كانت أقارب الطفل الفقير المعدوم أبوه بعضهم أصول وبعضهم حواش فان كان أحد الصنفين وارثا والآخر غير وارث يعتبر الأصل لا الحاشية ويلزم بالنفقة سواء كان هو الوارث أم لا ، فلو كان للولد جد لأب وأخ شقيق فنفقته على الجد ، ولو كان له جد لأم وعم فنفقته على الجد لأم ، فان كان كل من الاصول والحواشى وارثا يعتبر الارث وتجب عليهم النفقة على قدر أنصبائهم فى الارث ، فلو كان للصغير أم وأخ عصبى أو أم وابن أخ كذلك أو أم وعم كذلك فنفقته عليهما أثلاثا : على الأم الثلث وعلى العصبة الثلثان .

فان غاب الاب وله أولاد ممن تجب نفقتهم عليه وله مال عندهم من جنس النفقة ، جاز للقاضى أن يأمر بالانفاق منه عليهم . وكذلك الحال إذا كان للغائب مال مودع عند أحد أو فى بعض المصارف المالية أو كان له دين وكان من جنس النفقة وأقر المودع عنده أو المدين بالمال أولم يقر وقرائن المشاهدات قائمة على وجود تلك الوديعة عند المودوع وبالدين عند المدين بواسطة صكوك ومستندات تثبت ذلك . أما إذا كان مال الغائب ليس نقودا من جنس مايحكم به بأن كان عقارا أو عروضا فلا يباع منه شيء بالنفقة ، بل تؤمر الأم بالاستدانة عليه للاولاد . لكن حقق صاحب ملتقى الابحر وصاحب كتاب أنفع الوسائل أن للقاضى فى هذه الحالة أن يقدر الملابسات المحيطة بتلك الحالة الواقعة ، فاذا تعذر استدانة الأم على العقار أو العروض وتحققت حالة استثنائية وهى خشية تعرض الاولاد للجوع والفاقة ، جاز أن يباع العقار وأن تباع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تلك العروض بالقدر الذى يدفع عن الاولاد غائلة المخمصة ، والضرورة تقدر بقدرها، بدليل أن الفقهاء أجازوا فى بعض الحالات للولد الذى لم يبلغ حد الكسب أن ينفق من مال أبيه الغائب إذا كان هذا المال من جنس النفقة على قدر كفايته من غير رجوع فى ذلك الى قضاء القاضى .

وتبدو رحمة الشارع الحكيم مقرونة بالعدل الشامل فى حالات كثيرة من أبواب النفقة ، كحالة ما إذا كان الولد الفقير معسرا وله أب غنى ، فقد أوجب نفقة زوجته على أبيه الموسر إذا ضمنها فى العقد ، وأوجبها عليه إطلاقا على أن يرجع بها على ولده إذا أيسر ، لأنها تكون دينا فى ذمته لا تبرأ منها إلا إذا أداها بعد يساره .

فان بلغ الولد حد الاكتساب فان كان ذكرا جاز للاب أن يؤجره على ما يحتمل ممارسته من الاعمال ، أو أن يدفعه الى حرفة ليكتسب بها ، وإذ ذاك ينفق منها أبوه عليه ، ومابقى من كسبه يحفظه أبوه له ليسلمه إليه بعد بلوغه ، وإن لم يف كسب الغلام بمرافقه الضرورية كان على أبيه الموسر إتمام كفايته منها . وإذا استغنت الأنثى كذلك بكسبها من الخياطة أو الغزل أو نحوهما فنفقتها فى كسبها إن وفى بحاجتها ، وإن قصر كسبها عن شئونها الضرورية فعلى أبيها إتمامها .

وإن شكت الأم امتناع الأب عن الانفاق أو التقتير على ولدها منه جاز للقاضى أن يفرض النفقة ويأمر بإعطاء الصغير لأمه لتنفق عليه حتى اذا تحققت خيانتها فى الانفاق عليه تحرى القاضى أمثل الطرق فى إيصال النفقة الى الولد . وهنا يرى بعض الفقهاء أن تسلم النفقة الى الأم وجبة بعد أخرى من وجبات اليوم أو تسلم لها النفقة على دفعتين فى اليوم ، واحدة فى الصباح وأخرى فى المساء ، لكن ماعليه عمل المحاكم الشرعية اليوم غير ذلك كما هو مشاهد ، لأن فى عمل المحاكم اليوم تيسيراً أعم على الناس وترفيهاً لهم أعلق بالمصلحة من هذا الرأى ، فان وقعت المصالحة بين الام وزوجها على الاولاد فيما يتعلق بالانفاق عليهم أو صالحت الحاضنة أب الصغير عليه كذلك ، وقع الصلح صحيحا فى حالة واحدة وهى ما إذا كان المصطلح عليه قائما بكفاية الاولاد ، أما إذا كانت غير داخلة فى تقدير أسقطها القاضى من حساب الصلح وفرضها بالقدر الملائم ، وإن كان القدر المصالح عليه أقل من نفقة الكفاية زادها القاضى الى ذلك القدر الذى يكفيهم .

وعليه يتفرع حال آخر وهو ما إذا قضى القاضى للزوجة على زوجها أو للحاضنة على أب الصغير أو أحد قرابته الواجبة عليه نفقته فهى فى حكم نفقة الزوجة فى عدم سقوطها بمضى شهر فاكثر من تاريخ الفرض حتى ولو فرضت بغير استدانة من القاضى ، وعليه عمل كثير من المحاكم الآن ، وهو الارفق بمصالح المتقاضين وأمس بحاجاتهم المتجددة بخلاف سائر المحارم .

فإن فرض القاضي تلك النفقة للصغير على أبيه ومضت مدة دون ان تقبضها الام من الاب حتى مات فان كانت مستدانة بامر القاضى كان للأم الرجوع بها فى تركة أبيه كما

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ترجع بها عليه لو كان حيا، فان لم يقض القاضى باستدانة هذه النفقة وكان فى ذمة والد الصغير متجمد حتى مات سقط هذا المتجمد ولم يجز للام أن تطالب به ورثة الميت اتفاقا.

فلما تطور التشريع فى الاحوال الشخصية وروعى قدر الأمكان ما يجب للاسر من حرمة، عنى المشرعون بإيجاد ضوابط كانت أوسع نطاقا وأكثر تيسيرا وأفضل تحريا لصوالح الأسر وإحاطة الاحوال الشخصية بسياج صفيق يكفل لها الخير فى أوسع حدوده، ويدرأ الشر فى أضيق صوره. فرضت لائحة ترتيب المحاكم الشرعية رقم ٧٨ صدر بها مرسوم فى ٢٤ ذى الحجة سنة ١٣٤٩ هـ موافق ١٢ مايو سنة ١٩٣١ م فكانت تلك اللائحة صورة أقرب الى مصلحة الأسر والعائلات مما سبقها من اللوائح، وكفلت خيرا كثيرا يعود على المجتمع بقسط غير قليل من الرفاهية والاستقرار فى حالات الزوجية، وبخاصة ما يتعلق منها بالنفقات فى مختلف حدودها وأنواعها

وقد يكون من المفيد جدا لقراء المجلة أن نضع على أعينهم جانبا مما كفلته لائحة ترتيب المحاكم الشرعية وإجراءاتها الصادر بها مرسوم رقم ٧٨ سنة ١٩٣١ فى باب النفقات:

المادة الخامسة من الباب الأول من الكتاب الثانى.

(أ) تختص تلك المادة لبيان ما يقع فى اختصاص المحاكم الجزئية الشرعية (وهى أقل درجات القضاء المبثوثة فى أنحاء القطر).

(١) نفقة الزوجة:

(٢) نفقة الصغير بجميع أنواعها إذا لم يزد ما يطلب الحكم فى كل نوع على مائة قرش صاغ فى الشهر أو لم يحكم بأكثر من ذلك إن كان الطلب غير معين. وكل ذلك بشرط ألا يزيد مجموع ما يحكم أو يطلب الحكم به للزوجة أو للصغير على ثلثمائة قرش صاغ فى الشهر.

(ب) النفقة عن مدة سابقة على رفع الدعوى إذا لم يزد مجموع ما يطلب على ألفى قرش أو لم يحكم بأكثر من ذلك إن كان الطلب غير معين. ثم إن اللائحة كفلت فى الكتاب الرابع بيان حالات التنفيذ والاعلانات، وجاءت تعليمات الحبس فى مواد النفقات بمنشور أذاعه وزير الحقانية على المحاكم، وانتدبت وزارة الحقانية لكل محكمة قاضيا يفصل فى مواد الحبس.

عباس طه
المحامى الشرعى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

تاريخ الادب العربى

فى العصر العباسى (١)

كان لظهور الاسلام أثر بعيد المدى فى حياة العرب من الوجهة السياسية ، فتناولها التغيير الكثير وخضعت للتطورات الخطيرة ، ولكنها بقيت بالرغم من ذلك إبان حكم الأمويين محتفظة فى جوهرها بصورتها القديمة ، فصمدت أمام الحضارة الآرامية فى الشام وبابل ، حيث اختلط البدو بمدنية العمران ونشأوا فيها مع تمسكهم الشديد بمميزاتهم القومية وتقاليدهم القديمة زمنا طويلا ، وكانت الأسرة المالكة تستند الى التقاليد العربية القديمة وتستعين بها على الحكم ، وبها قويت على مكافحة المطالب الدخيلة التى كانت تثيرها جماعة المتطرفين من رجال الدين .

تغيرت هذه الحال مع ظهور العباسيين الذين آلت اليهم السلطة بفضل مساعدة المسلمين من غير العرب على أثر ضعف الامويين عن المقاومة الجدية ، وكانت حكومة الأمويين تخضع لشعور العرب غير مراعية لأصول الاسلام الاولى التى كانت تدعو الى المساواة فى الحقوق بين جميع المؤمنين ، مما أثار عليها شرق البلاد الاسلامية فى خراسان حيث لم يكن للعرب شأن خطير ، اللهم إلا نفر قليل منها فى الوظائف العامة أو بين الجند ، فكانت مستودعات الانفجار متوفرة بين أهالى هذه النواحى من الآريين ، خصوصا أنهم نشأوا على احترام المبدأ الوراثى خلال مئات السنين العديدة فى ظل حكومة ملوكهم الوطنيين ، وعلى هذا النظام الوراثى قامت دعوة الدولة العباسية فى المطالبة بالسيادة لقرابتهم بالنبى صلى الله عليه وسلم .

وكانت الفرس أول من ساعد العباسيين على تولى عرش الخلافة ، فكان لهم حظ وافر ونفوذ كبير فى بلاطهم ، فوصلوا الى أعلى مناصب الدولة وأقرب بطانة الخليفة ، بعد أن كان نصيب هؤلاء الغرباء خلال حكم الأمويين لا يتجاوز بعض مسائل الادارة الداخلية لخبرتهم الواسعة وحضارتهم القديمة .

وهكذا كانت الحال فى الحياة الفكرية ، فان هذا التغيير فى السيادة القومية قد طبعها بطابعه الخاص ، فما كان من مزاحمة الممتلكات العربية إبان حكم الأمويين وتفوقها على موطن العرب الأصلى ، أصبح فى حكم العباسيين أمراً واقعا وحقيقة مستقرة ، فتركزت الحياة الفكرية ببلاد العراق ، وعلى الأخص فى بغداد حاضرة الدولة العباسية الجديدة ، وأما مزاحمة الأفكار

---

(١) مترجمة من الالمانية نقلا عن كتاب « تاريخ الادب العربى » للمستشرق الالمانى الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلمان » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والعبارة الجديدة التي بدأت في العصر الأموي وظهرت على الاسلوب البدوي القديم ، فانها تغلبت عليه نهائياً حتى أصبح في العصر العباسي لا يجد من يمثله إلا من تعمد التقليد ، ولم يقدره إلا العلماء العارفون ، وبذلك اضمحل شأنه وهبطت قيمته ، وضاع أثره في تطور الأدب على مرور السنين ، فالقصائد ، وكانت لا يربط أجزاءها منذ القدم إلا رباط ضعيف ، تفكك بعضها عن بعض كل التفكك ، وظهرت أنواع جديدة في أبواب الشعر أهمها المرح والصيد ، وأخذت مكانها في الأدب العربي بدلا من كل من المراثي ، وكانت تحيا منذ عهد بعيد حياة مستقلة ، ومن أشعار الغزل والخمريات التي كان قد مهد لها سبيل الاستقلال والتطور عمر بن أبي ربيعة ورفاقه من ناحية ، والوليد الثاني من ناحية أخرى .

وأظهر ما امتاز به الشعر في هذا العصر هو أثر الديانة الاسلامية فيه الى حد بعيد ، بعد أن كانت بعيدة عنه كل البعد ، وإنما يرجع السبب في ذلك الى رغبة خلفاء الدولة العباسية في إظهار الدين في جميع مرافق الحياة العامة ، هذا فضلا عن تعبير الشعوب الآرية بما امتازت به من مشاعر دينية .

وكذلك تقدم النثر في الأدب العربي بخطوات واسعة بفضل المؤثرات الفارسية ، فكانت تمده في أغلب الأحيان بأغنى المواد . ونهج المؤرخون على مثال من سبقهم في الفرس ، فنشطت علوم التاريخ وأثمرت ثمارا غنية ، كما كان للفرس أيضا النصيب الوافر في بناء مضمار العلوم الفلسفية والدينية التي اتسع نطاقها بعد ذلك ، ولو أن السبب الأول في نهجهم هذا المنهج كان بفضل اختلاطهم بالحضارة العربية .

وكانت بغداد وهي الحاضرة الجديدة التي أنشأها الخليفة المنصور للدولة العباسية قد اجتذبت اليها جميع الشعراء النابهين من النواحي المختلفة للبلاد الاسلامية ، وأول من عرف ممن تحرر في الشعراء من الأسلوب البدوي القديم هو مطيع بن أياس ، وهو من أصل سامي ، ولكن نشأته بالكوفة وتلقيه العلم بها ساعده على التعرف بأصول الحضارتين في بدء امتزاجهما. ولقد حاول الظهور في أول أمره في عهد الأمويين ، ولكنه رأى شروق شمس العباسيين فآثر الانضمام اليهم ، وظهرت موهبته الشعرية وهو في بطانة الخليفة المنصور ، وكانت أشعاره مهلة تنسجم في أوزانها مع ما اختص به في الموضوعات الغزلية والخمريات ، كما كان لا يتقيد بصياغة المقدمات الشهوانية لقصائده الغرامية مثل من سبقه من المتقدمين ، بل كان يتهكم على من نحا نحوهم من المقلدين .

ولقد بذه في فنون الشعر في صدر هذا العصر بشار بن برد ، فكان أغنى منه فكرة وأحكم وزنا للشعر ، وهو ابن أحد أرقاء الفرس ، وكان كثير الزهو مما يدعيه من نسبه الى الملوك ، وقد جرى كذلك في صناعته الشعرية ، على تحطيم قيود التقاليد القديمة ، نشأ ضريراً بالبصرة ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأول مابدأ حياته الشعرية ، بالغزل ، وكانت قصائده فى هذا المضمار رائعة ذات جاذبية ساحرة ، خشى أثرها الخليفة المهدى فصده عنها اجتنابا للفتنة ، وكان كثير الاختلاط بأصحاب العقائد الحرة فى موطنه ، الذين يريدون تفسير العقائد الاسلامية على حسب المبادىء الفلسفية ومراميها ، كما كان يظهر عطفه على ديانة آبائه على مبادىء زاروسترا ، ولما اكتملت رجولته تقرب من الخليفة المهدى ونظم له قصائد عديدة فى مدحه ، ولكنه ما لبث بعد أن اتضح له بخله أن تهكم عليه وعلى وزيره يعقوب ، فأمر بقتله عام ١٦٧ هـ .

وجاء من بعده أبو نواس الحسن بن هانىء الحكمى ، وبظهوره بلغت شعراء الملوك أعلى درجات الكمال ، ولد أبو نواس فى أواخر النصف الأول من القرن الثانى من الهجرة بمدينة الأهواز ، وكان يجرى فيه الدم الفارسى من ناحية أمه على الأقل ، جاء أبو نواس الى البصرة فى مقتبل عمره ، وتلقى بها علوم اللغة على أكبر علماء هذا العصر ، فساعده ذلك كثيرا على سيطرته التامة على دقائق اللغة العربية ، وجريا على مثال هؤلاء العلماء اللغويين أقام أبو نواس عاما بالصحراء حيث كانت لغة أهلها من البدو تمثل العربية الصحيحة ، وأخذ صناعة الشعر عن والبه الذى اصطحبه الى الكوفة حيث أكمل دراساته اللغوية ، وبعد أن اشتهرت قصائده الأولى رحل الى بغداد فكان موضع إكرام هارون الرشيد وخلفه الأمين ، وامتازت من بين أشعاره الخمريات فبلغت درجة فى الكمال لم تبلغها من قبل ، ولو أنه لم يكن فى هذا المضمار مبتكرا مجددا ، بل إنه كان ينهل من موارد من سبقه من أمثال الوليد ورفاقه ، كما أنه أخذ عن الحسين ابن الضحاك وكان زميلاله فى الدراسة بالبصرة ، وقد نسبت بعض أشعاره خطأ الى أبى نواس . والمعروف أن الاشعار التى خصصت فى وصف الخمر لم تتسع دائرتها الفكرية لمعانى كثيرة ، وإنما كانت تمتاز بدرجة حيويتها وصدق مشاعرها ، وكانت حياة أبى نواس ملأى بمغامرات الخمر والعشق ، وبذا كانت أشعاره التى تلى الخمريات فى القيمة تنصب فى حياة المجون والعشق التى لاحد لها ولا رادع ، فكانت كثيرا ما تخرج عن دائرة المشاعر الهادئة الجميلة الى القول الغليظ والعبارة الجارحة التى ينبو عنها الفن الجميل ويمجها الذوق الادبى السليم ، وكانت علاقته ببلاط الخليفة تحمله فى بعض الاحايين على صياغة قصائد مديح الخلفاء ، فكان يلجا اليها احترافا ، وهنا كانت تظهر براعته اللغوية التى أثبتت سيطرته التامة على فنون الكلام وصياغة الألفاظ ، ولم يكن بها مايدعو للأعجاب بشاعريته الصادقة . وأما المراثى فكانت أعلى قيمة من الناحية الشعرية ، فكانت قلما تخلو من تعبير عن شعور صادق وإحساس مخلص وكان أبو نواس أول من أوجد للصيد بابا مستقلا فى الشعر ، ظهرت فيه صور رائعة فى وصف حياة الحيوانات وطباعها ، وملاذ الصيادين ولهوهم ، ولم يأت أبو نواس أيضا فى هذا المضمار دائما بالجديد المنقطع النظير ، فان قصائد العصر الجاهلى كانت ملأى بالصور الفاتنة فى وصف حيوانات البيداء ، التى عرفها شعراؤهم عن طريق المشاهدة المباشرة ، كما أن هذا الغنى لم يكن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قد صار الى الفناء التام فى عصر الأمويين ، ولو أننا لا نعرف الآن أسماء من اتخذهم أبونواس مثالا له فى هذا المضمار ، بعكس الحال فى خمرياته كما سبق لنا التنويه .

استغرق أبونواس طويلا فى حياة المجون ، ولم يترك من ملاذ الحياة منهلا إلاملأ منه كأسه حتى أشبع شهوته ، ولما لم يبق له منها مطاب ارتمى فى شيخوخته فى أحضان الديانة ، ولم يخرج بذلك عن الظاهرة العجيبة التى امتاز بها الشرق بدون شذوذ ، خصوصا بين الفارسيين حتى العصر الحاضر ، فصار من مادح للخمر والعشق لدرجة التبذل ، الى ناسك متقشف ، ولم يبق له من ذكريات الشباب الماجن والحياة الطروبة سوى ما جعله يحمل ألم فراق الحياة والحسرة عليها . ولم يشذ أبو نواس عن رفاقه فى هـذا الفن ، فجعل منه حملات ماكرة ضد من كرههم من الناقدين له بأشعار مقذعة ، أثارت عليه غضب أسرة فارسية عريقة كانت تقيم ببغداد بسبب أشعاره التهكمية ، فأثارت عليه من ينتقم منه ، وكان من جراء ذلك ان عومل بالأذى وبولغ فى الاساءة اليه حتى توفى بسبب تكرار الانتقام منه ، ومات عام ١٩٨ هـ .

وظهر من المعاصرين لأبى نواس من الشعراء النابهين أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم ، فامتاز عنه باتساع دائرة الفكرة ولو انه كان أبسط منه فى الأسلوب . أقام أبو العتاهية فى شبابه بالكوفة ، وجاء الى بغداد فى عهد الخليفة هارون الرشيد ، وجرفه تيار ملاذ الحياة فى أول الأمر ، فاخذ قسطا وافرا من متاع الدنيا ، وأنشد أغلب قصائده فى الغزل ، ولكنه سرعان ما تحولت نفسه عن هـذه الحياة ، وانقطع للاشعار الدينية ، ووجـدت أشعاره ذيوعا بين طبقات الشعب المختلفة أكثر من تداولها بين بطانه الخليفة وحاشيته ، فنجح الى حـد بعيد فى تهذيب الأفكار العامة ، ولم يتجاوز بأشعاره الدائرة الدينية إلا قليلا ، فكان كثير التشاؤم يتردد حديث الموت وعذابه فى أشعاره ، ولم يذكر البعث مما جعل الكثيرين فى حيرة من امره ، وحمل بعض المتشككين على الريبة فى صحة عقيدته وثبات إيمانه ، ولم يستطع أبو العتاهية أن يبرز دائما فى ميدان الشعر بقريحة مجددة أو ذهن مبتكر ، ولو أن ذلك لا يقلل من قيمة عمله ، فهو أول من عرف أن يجعل أشعاره فى أسلوب سهل قريب من فهم عامة الناس مبتعد عن الفنون المصطنعة فى صياغة الألفاظ التى كانت تتجه اليها أغراض من سبقه من شعراء الملوك ، ولكنه لم يكن موفقا فى هذا الطريق الذى أراد تمهيده ، فلم يكن لغرسه ثمار ، ولم يقو على إيقاف فساد الذوق العـى الذى كان تياره آخـذا فى النمو شيئا فشيئا ، ومات أبو العتاهية عام ٢١١ هـ .

واخر من ظهر من الشعراء البارزين الذين كانوا يمثلون هـذا الفن فى بلاط خلفاء الدولة العباسية هو أبو العباس محمد بن المعتز ، وهو ابن الخليفة المعتز ، ولد عام ٢٤٧ هـ ولم تكن له فى أول الأمر مطامع سياسية ، فانقطع لاشباع ميوله الفنية والعلمية ، الى أن اجترفه تيار

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحوادث السياسية التى كانت تتوالى فى هذا العصر ، فانتزعته من حياته الشعرية ، وبايعه بالخلافة بعض الأنصار من المعارضين فى الحكم عام ٢٩٦ هـ . ولكنه لم يبق بها طويلا ، إذ تمكن حرس الخليفة المقتدر فى أسرع وقت من التغلب على أنصاره وتشتيتهم ، ففر هاربا وبقى مختبئا فى بيت أحد رعاياه المخلصين الى أن عثروا عليه وقتلوه خنقا فى الثانى من ربيع الثانى عام ٢٩٦ هـ .

وكان ابن المعتز فى شعره مخلصا لعصره ، فكان على شاكلة زملائه فى محاكاة القدماء فى هذا الفن والسير على مناهجهم ، ولم يخرج عنهم إلا فيما أنشده فى الغزل والعشق ، فان هذا الموضوع كان يستدرجه الى طريق أبى نواس وأتباعه الحديثين ، وأهم أعماله الشعرية التى استحقت تقديرا ممتازا قصيدته المعرفة فى مدح الخليفة المعتضد ، وقد نظمها فى أربعمائة وتسعة عشر بيتا من الشعر تحقيقا للرغبة التى أبداها الخليفة لتدوين أعماله فى الحكم ، وهذه القصيدة على جانب كبير من الأهمية ، فهى تمثل نوعا خاصا هو القصص المنظوم الذى لم يظهر فى الأدب العربى كامل النضوج فى أى وقت آخر من الأوقات ، وكان العرب منذ القدم يعنون بهذا النوع من الشعر ، فظهرت بدايته فى نظم بعض الموضوعات القصصية فى أخبار الحروب القديمة ، ولكنه لم يتقدم إلا فى عصر ازدهار الفنون الشعرية ، فعالج بعض الشعراء الحوادث التاريخية ، وأهم ما عرف من ذلك القصيدة المشهورة التى نظمها أبو يعقوب الخزيمى فى وصف حالة بغداد أثناء حصارها فى الحرب التى قامت بين ولدى هارون ، وكان الوصف هو الناحية الغالبة فيها بعكس القصة التاريخية التى أهملت وأخذت المرتبة الثانية من الاهمية ، وأما القصيدة التى وضعها ابن المعتز لتدوين تاريخ الخليفة المعتضد فكانت آية فى الكمال الفنى ، وفيها وصف دقيق للحالة السيئة التى كانت قد صارت اليها البلاد قبل خلافة المعتضد ، ثم جاء على سرد أعماله لصالح الامبراطورية بألفاظ بليغة وعبارة سامية ، وبقيت هذه القصيدة بدون أثر يذكر فى تطور الادب العربى زمنا طويلا ، الى أن جاء فى العصور المتأخرة بعض الشعراء المحترفين ونظموا بعض قصص الأبطال التى نشأت عن الروايات العربية القديمة .

ولم يقتصر ابن المعتز فى أعماله الادبية على الشعر ، بل إنه دون تاريخ الشعراء من الأمراء ، وجمع أعمال أصحاب الخمريات بعد دراسة وافية للشعر القديم ، ووضع مؤلفا هاما فى تاريخ الشعر الحديث على نمط مؤلفات علماء اللغة ؟

« يتبع »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المرأة فى الاسلام

لا يعدم الحق نصيرا

فى شمال أفريقيا التابعة لفرنسا حركة للمطالبة بالاصلاح ، اتخذت شكلا مقلقا لحكومة الجمهورية ، فهب رجال من خيرة النواب الفرنسيين يطالبون وزارتهم باعارة تلك الشكايات آذانا مصغية ، وبقبول ما يمكن قبوله من مطالبهم ، وقد اقترح النائب المسيو فيولت أن تعطى طائفة من الجزائرين الحقوق المدنية التى تساوى أفرادها بالفرنسيين أنفسهم ، وهو لا يزال يحاول حمل الحكومة على تحقيق غرضه فأثار هذا الاقتراح ثائرة الجرائد الاستعمارية ، فكتبت فصولا مستفيضة فى التشنيع على هذا التجديد ، متذرعة بانحطاط المرأة فى الاسلام ، قائلة إن الاسلام وضع النساء فى مستوى أحط من مستوى الرجال ، فاذا عومل هؤلاء الناس بالقانون الذى يعامل به الفرنسيون ، فلا يمكن تطبيقه على النساء اللاتى يعتبرن فى نظر أزواجهن فى حكم الأسيرات .

فانبرت لهذه الصحف سيدة فرنسية تدعى (ماريا فيرون) فى جريدة (فاندريدى) البارزية ، وكتبت ردا عليهم نترجمه على علاته للقارئين ، قالت :

« منذ ظهور مسألة منح الجزائرين حقوق الانتخاب ، مع الاحتفاظ بقانون الاحوال الشخصية لديهم ، أهرق مداد كثير فى بيان حالة المرأة المسلمة ، وخاصة من جانب كثير من الذين لم يهتموا فيما مضى من الزمان بتغيير حالة هؤلاء المسكينات اللاتي تؤلمهم حالتهن الآن . وقد طال ما كتب بعض الناس هنا كتابات كان الغرض منها التدليل على أن عرب شمال أفريقيا أكثر شعوب المسلمين تأخرا ، ولكن الحكومات المتعاقبة لم تعر هذه الكتابات آذانا صاغية ، وقد حذا حذوهم القائمون بالأمر هنالك ، ولم تفز بشيء من الاصلاح إلا نساء القبائل ، وهن بائسات كغيرهن على السواء . ولم يلتفت الرأى العام الى الحالة التى تعامل بها النساء الغربيات فى بلد عد منذ أكثر من قرن من الممتلكات الفرنسية .

ولقد تيقظ المسلمون كافة بعد فتور دام عدة قرون ، فبدأت النهضة فى تركيا الكمالية ، وبين يوم وتاليه رأينا النساء يخرجن من سجن الحريم ، ويصرن مساويات للرجال ، ويدخلن فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسة .

قد يعترض علينا هنا معترض فيقول : هذا أثر من أثر البعد عن الدين ، فان أحكام القرآن لا تسرى الآن على الحكومة والأفراد هناك .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد ذكرت السيدة مارية فيرون أن تاريخ المسلمين يحفظ أسماء نساء شواعر ، وفاتها أن تقول : ونساء عالمات أيضا .

وذكرت أن الاسلام سمح لها بالتعلم ، وفاتها أن تذكر أنه سمح لها بالتعليم أيضا ، وسمح لها فوق ذلك بتولى الافتاء والقضاء ، ولكن فى غير الدماء . وهذا حق لا تزال أرقى نساء العالم محرومات منه .

وذكرت أن الاسلام سمح لها بحرية التصرف فى ملكها ، وفاتها أن تذكر بان هذا حق لم تفز به المرأة الأوربية الى اليوم متى كانت متزوجة .

ولكن السيدة (مارية فيرون) مهما قصرت فى بيان حقوق المرأة فى الاسلام ، فهى تشكر كل الشكر على ما صرحت به من القدر الذى ألمت به عنها ، وهذه فضيلة عظيمة القيمة وخاصة فى بيئة كباريز لا تعرف عن الاسلام كبير شىء . وليس جهل هذه البيئة تقع تبعته عليها وحدها ، ولكن على جمهور المسلمين أيضا ، فانهم لجهل سوادهم الاعظم بدينهم يجرون فى معاملة نسائهم مع العادات المحلية ، والاهواء النفسية . وأولو الامر فيهم لا يبالون بما تجره هذه الحالة من السمعة السيئة على دينهم وعلى كتابهم .

أليس من نكد الدنيا على العارفين ، أن يكون الاسلام قد بلغ الغاية فى تخويل المرأة بحقوقها المهضومة ، حتى إنه سبق الامم كافة الى أصول من ذلك لو انكشفت للاوربيين لأصبحت فى نظرهم من الادلة على أن القرآن ليس من وضع البشر ، ويتهم الاسلام مع ذلك بانه حط من قيمة المرأة وأغرق فى هضم حقوقها

هذا غريب ومؤلم للنفس فى آن واحد ، ولكن سببه معروف وهو إهمال خاصة المسلمين أمر عامتهم ، وتركهم وما توحيه اليهم عاداتهم ، وما توجبه عليهم جهالتهم ولا يوجد فى الأرض دين جنى أهله عليه مثل هذه الجناية . فان الذى نراه على عكس هذا الأمر ، ذلك بأن بين أيدينا أديانا ليست على شىء من سلامة الأصول ، ولا من صحة المبادىء ، ولكن أهلها حاطوها بمعارفهم ، وصحة رجولتهم ، فانعكس عليها منهم مظهر من السمو ليس لها نصيب منه لولاهم .

وقد نبه كتابنا الكريم ، تفاديا من مثل هذه الحالة ، الى وجوب الاتصال بالعامة وتعليمهم وتهذيبهم ، ونهيهم عن المنكر ، وأمرهم بالمعروف ، وأوصى القائمين بالأمر بان لا يقروا المنكرات ، وأن لا يغضوا الطرف عنها ، وقد وصف الله قوما من الغابرين فقال : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم فتنا كقطع الليل المظلم تدع الحكيم حيرانا »

وقد رأينا السلف شديدى الحرص على إزالة المنكرات ، حتى أنشأوا لها خطة خاصة تعرف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا صحيح ، ولكن من يجيل نظره فى الشرق يرى أن ترقيات محسوسة قد تمت فى كل مكان من العالم الاسلامى .

ففى مختلف الولايات الهندية تعطى المرأة صوتها فى الانتخابات على مثال الرجال ، وفى بلاد العجم وسورية توجد نساء قد هجرن عادة التحجب ، وألفن جماعات نسوية ، وهن يجتمعن على شكل مؤتمرات لتحرير مطالبهن الاجتماعية .

وفى مصر نجد الحياة النسوية قد تطورت تطورا كاملا بفضل المدارس الخاصة التى تعدهن لأن يلتحقن بالكليات المختلفة ، ليصرن محاميات وطبيبات .

ألم تر فى العهد الأخير أن فتاة مصرية قد حصلت على شهادة ربان ؟ والرجال كيف يقابلون هذه الانقلابات ؟ هل احتجوا عليها باعتبار أنها مخالفة للدين ؟ لا مشاحة فى أن بعضهم قد راعه ذلك ، ولكن الاكثرين على عكس ذلك قد سرهم أن يروا بلادهم تقوم بقدم ثابتة على طريق التقدم .

ومما هو جدير بالتعجب ، أنك تصادف أشد المنتصرين للمرأة من الذين هم أكثر من سواهم اعتقاداً بصحة الدين ، وهم يدعون أنهم بموقفهم هذا يحسنون القيام بوصايا نبيهم وتعاليمه . فلنصغ إذن الى ما يقولون .

إنهم يقولون : إن المرأة قبل بعثة محمد كانت لا تعتبر شيئاً يذكر . فقد كانت عادة وأد البنات شائعة بقصد التخلص من إعالتهن . وقد حرم الاسلام ذلك ولما لم يكن ممكنا أن يحرم الاسلام تعديد الزوجات ، فقد توسط النبى فى الأمر فحصر عدد الزوجات فى أربع مع التوصية بالاكتفاء بواحدة ، بحجة أن الانسان لا يستطيع مراعاة قواعد العدل بين النساء ولو حرص على ذلك أشد الحرص .

وأما من الناحية الوراثية فقد قرر القرآن حصة البنت والام والزوجة ، وأما مسألة التحجب فقد علم أنه ليس فيه إجبار .

وقد سمح الاسلام للمرأة بأن تتعلم ، وقد حفظت أسماء نساء شواعر مشهورات .

ويجب التنويه بصورة خاصة بأن للزوجة حق التصرف بما لها دون أن تكلف الانفاق على نفسها وهى على ذمة زوجها .

فيأيها الفرنسيون ألا تخجلون إذا قرأتم ما ذكرت !

(مجلة الازهر) تقول : إننا ترجمنا هذه القطعة على علاتها ، وفيها هنات لا تخفى على القارئ ، ولكنها تعتبر فى جملتها دفاعا عن الاسلام فى بيئة ترى أنه أشد على المرأة من كل نظام اجتماعى فى الأرض .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باسم الحسبة عملا بقوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » . فكل مسلم مكلف بهذا النص الصريح بالمعاونة على إقامة دولة الاحسان والصلاح ، وإزالة أصول الشر والفساد ، مما لو أخذ به المسلمون اليوم لأصبح كل إنسان مهيمنا على الفضيلة فى الناحية التى هو فيها ، فلا تبقى للرذائل باقية ، وتكون ثمرة ذلك كله أن الأمة تقوى روحها ، وتشتد أوصالها ، فتصبح لها شخصية معنوية سامية تعجب الناظر اليها ، وتكون حجة لما هى عليه من دين ومذهب .

وقد ال أمر المدافع عن الاسلام اليوم الى موقف غير منيع ، فهو كلما اضطر لدفع فرية توجه اليه ، عمد لا الى توجيه نظر صاحبها لحالة الآخذين بهذا الدين من السداد والرشد ، ولكن الى سرد أصوله الكريمة ، ومبادئه القويمة التى بينها وبين ما عليه السواد الاعظم بون بعيد .

محمد فريد وجدى

التماس الرزق

قال النبى صلى الله عليه وسلم « العائد على أهله وولده كالمجاهد المرابط فى سبيل الله » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول ، اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وإن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض ، وتلا قوله تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

وقال الشافعى : أحرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة . ومثل هذا قول مالك بن دينار : من عرف نفسه لم يضره ما قال الناس فيه .

وكان أبو عبيد القاسم بن سلام ينشد :

لا ينقص الكامل من كماله ماساق من خير الى عياله

وقال عمر بن الخطاب : يا معشر القراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس .

وقال أكثم بن صيفى : من ضيع زاده اتكل على زاد غيره .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « خيركم من لم يدع آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته » .

وقال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك عمل من يعيش أبدا واعمل لآخرتك عمل من يموت غدا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كتب جديدة

مقام ابراهيم :

هو اسم خطبة ألقاها الاستاذ الجليل محمد اسعاف النشاشيبي بدمشق فى حفلة تأبين فقيد العرب البطل المجاهد ابراهيم هنانو . وقد أحسن بطبعها على حدتها ، فانها قطعة من الادب العالى الذى يقرأ ويحفظ . وقد زادها حلى بتعليقات لغوية وتاريخية وعلمية على كل ما غمض فيها تربى على الاصل نحو ثلاثة أضعاف. فله الشكر على ما أحسن ، وله الشكر على ما أهدى .

القرآن والقصص :

هو خلاصة درس ألقاه فضيلة الشيخ محمد البشير النيفر المدرس بمسجد الزيتونة بتونس . فقد قسم القصص فى القرآن ، وذكر طريقته فى إيرادها وفوائدها الادبية وحكمها ، وإنه لدرس مفيد لطلبة العلم الدينى. فنشكر لفضيلة الاستاذ هذه الخدمة الأدبية .

شرح ديوان علقمة الفحل :

من فحول شعراء الجاهلية وأحد الذين يجب أن يذاع شعرهم بين طلاب العربية . عنى بشرحه وطبعه الاستاذ السيد احمد صقر فأحسن كل الاحسان، وكتب عليه الدكتور النابه زكى مبارك مقدمة قال فيها : « فلا تستقلوا هذه القصائد والمقطوعات والابيات ، فان الجوهر الجيد ليس فيه قليل » .

كمال أتاتورك :

هذا عنوان ملحق لمجلة الهلال نشرته فى نهاية سنة ١٩٣٦ على عادتها فى نهاية كل سنة من سنى حياتها المباركة . وموضوع هذا الملحق من أجل الموضوعات وأنفعها ، درس حياة عبقرى أنقذ أمته من مخالب الهلاك ، وزاد على ذلك بان دفعها للتقدم بخطوات لم يعهد لها مثيل ولا فى تقدم الامة اليابانية . فهذا الكتاب آخذ باللب من رواية ، وأنفع للقارئ من كتاب علمى .

الملك هنرى الخامس :

هذا اسم رواية وضعها شكسبير ، ويكفينا أن نذكر هذا الاسم فيدرك القارئ مبلغ قيمتها من الأدب والحكمة . فان انجلترة الى اليوم صورة من صور عقلية شكسبير . وقد قام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاديب البليغ سامى افندى الجريدينى بترجمة هـذه الرواية ترجمة تتناسب وعبارة الاصل ، ونشرتها دار الهلال ملحقا لها من الملاحق الكثيرة التى تمنحها قارئيها .

سير العظماء :

هى رسالة صغيرة وضعها حضرة الاستاذ الفاضل حسان أبو رحاب افندى ناظر مدرسة فاروق الاول الابتدائية ، وضعها على شكل قصصى يحفز لمطالعتها ، ويغرى بتفهمها ، وغرضه منها أن ينشئ الرجولة فى قلوب النابتة ، ويبعث فيها حب الاخلاق النبيلة ، ويوقظ بجانبها غرائز الطموح وتطلب التفوق . فهذه القصة التى تدبجها يراعة رجل خبر النفوس الناشئة ، ودرس طرق التأثير فيها،من خير ما يعول الآباء والامهات والمربون فى تقويم طباع أبنائهم وتلاميذهم .

المسيح والتثليث :

كتاب يقع فى ٢٢٧ صفحة مطبوع طبعا نظيفا على ورق جيد . موضوعه دينى جدلى كما يدل عليه اسمه لم نتفرغ بعد لقراءته حتى نعطيه حقه من النقد والتقريظ . ألفه حضرة النابه الدكتور محمد وصفى يتبين لنا من قراءة فهرسه أنه تعمق فى دراسة الديانة النصرانية . فأتى على المسيح عليه السلام والاناجيل ، وحياة بولس وكتبه ، ودعوى ألوهية المسيح وقد أفاض فيها وألم بعقائد الفرق المسيحية فيها . وذكر الاقانيم ، ومباحث مجمع نيقة . وخرج من ذلك لدراسة صل التثليث من العقائد الهندية وغيرها . ومر بعقيدتى الفداء والصلب . وختم كتابه بما جاء عن المسيح فى القرآن .

رسول العواطف :

هو اسم ديوان شعر للشاعر الناشئ النجيب الاستاذ محمد محمد الجندى ، قد طالعنا نتفا منه فاذا نحن نرى شاعرية تتمشى نحو التكميل ، ونفسية مؤمنة هادئة بعيدة عن التشاؤم ، وما رأيناه فى هذا الديوان يبشر بمستقبل حسن فى هذا المجال الادبى الجميل .

مفكرة الأمير :

اعتاد حضرة المجتهد عباس افندى عبد الرحمن بشارع محمد على إصدار مفكرة متقنة الصنع فى رأس كل سنة . وقد أهدانا مفكرة هذه السنة فاذا بها من أجمل المفكرات شكلا ، وأرقاها وضعاً . فنثنى على همته ، ونرجو له النجاح فى صناعته .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

his nostrils, and washed his face and arms, after which he let the water flow over his head, and washed his body. Finally he shifted his place and washed his feet.

I brought him a napkin, but he refused it and proceeded to rub the water off with his hand."

Chapter 17.

If a man remembereth in the mosque that he is in a state of ritual uncleanness through sexual intercourse, he should go out just as he is, and not merely perform a dry ablution.

We are informed by ᶜAbdullâh b. Muhammad, who had it from ᶜUthmân b. ᶜUmar, who received it from Yûnus, through Az-Zuhri, through Abu Salamah, through Abu Hurairah, who said:

"The call for standing to prayer had been made, and the ranks of the Faithful had stood up in order, when the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) came out to us *from his house.* When he stood up to prayer in his place, he remembered that he was in a state of ritual uncleanness through sexual intercourse, so telling us to keep our places, he returned home and performed a ghusl. He then came out to us again with his head dripping, whereupon he called the takbir and we performed our prayer with him."

This hadith is confirmed by ᶜAbdu-l-Aᶜlâ as fellow-witness with ᶜUthmân b. ᶜUmar, through Maᶜmar, through Az-Zuhri. It is also related by Al-Auzâᶜi, through Az-Zuhri.

وَذِرَاعَيْهِ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى رَأْسِهِ الْمَاءَ، ثُمَّ غَسَلَ جَسَدَهُ، ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ رِجْلَيْهِ.

قالت: فَأَتَيْتُهُ بِخِرْقَةٍ فَلَمْ يُرِدْهَا فَجَعَلَ يَنْفُضُ الْمَاءَ بِيَدِهِ».

— ١٧ —

بَابٌ: إِذَا ذَكَرَ فِي الْمَسْجِدِ أَنَّهُ جُنُبٌ يَخْرُجُ كَمَا هُوَ وَلَا يَتَيَمَّمُ:

حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا عثمان بن عمر قال أخبرنا يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

«أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَعُدِّلَتِ الصُّفُوفُ قِيَاماً فَخَرَجَ إِلَيْنَا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا قَامَ فِي مُصَلَّاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ جُنُبٌ فَقَالَ لَنَا: مَكَانَكُمْ، ثُمَّ رَجَعَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ، فَكَبَّرَ فَصَلَّيْنَا مَعَهُ».

تَابَعَهُ عبدُ الأعلى عن معمر عن الزهري، وَرَوَاهُ الأَوْزَاعِي عن الزهري.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

he began by washing his hands and performing the wudûˢ as for prayer, after which he proceeded to the ghusl, passing his wet fingers through his hair, until when he thought he had moistened his skin, he poured water over his hair three times. Finally he washed the rest of his body.

The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) and I used to wash from the same vessel, scooping water from it together."

Chapter 16.

On one who performed the wudûˢ in a state of ritual uncleanness through sexual intercourse, and then washed the rest of his body without repeating the action for the parts covered by the wudûˢ.

We are informed by Yûsuf b. ᶜIsà, who had it from Al-Fadl b. Mûsa, who received it from Al-Aᶜmash, through Sâlim, through Kuraib the freedman of Ibn ᶜAbbâs, through Ibn ᶜAbbâs, through Maimûnah, who said:

"The Messsenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) set ready the water for his ghusl in consequence of ritual uncleanness through sexual intercourse. He poured water with his right hand on to his left two or three times and washed his parts. He then struck the ground or the wall with his hand two or three times, rinsed his mouth, cleansed

اغْتَسَلَ ثُمَّ يُخَلِّلُ بِيَدِهِ شَعَرَهُ حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَرْوَى بَشَرَتَهُ أَفاضَ عليهِ الماءَ ثلاثَ مرّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ سائِرَ جَسَدِهِ».

وقالت: كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم من إِناءٍ وَاحِدٍ نَغْتَرِفُ مِنْهُ جَمِيعاً».

— ١٦ —

بَابٌ مَنْ تَوَضَّأَ فِي الجَنَابَةِ ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَدِهِ وَلَمْ يُعِدْ غَسْلَ مَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مَرَّةً أُخْرَى:

حدثنا يوسف بن عيسى قال أخبرنا الفضل بن موسى قال أخبرنا الأعمش عن سالم عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس عن ميمونة قالت:

«وَضَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وَضُوءاً لِجَنَابَةٍ فَأَكْفَأَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً، ثُمَّ غَسَلَ فَرْجَهُ، ثُمَّ ضَرَبَ يَدَهُ بِالأَرْضِ أَوْ الحَائِطِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً، ثُمَّ مَضْمَضَ واسْتَنْشَقَ وَغَسَلَ وَجْهَهُ

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

"When I mentioned to ᶜA'ishah the words of Ibn ᶜUmar: 'I do not care to rise in the morning in a state of ihrâm, reeking with perfume, and questioned her on them, she replied: 'I did perfume the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace), after which he visited his wives in turn, and then rose in the morning in a state of ihrâm.'"

2. We are informed by Adam, who had it from Shuᶜbah, who received it from Al-Hakam, through Ibrâhim, through Al-Aswad, through ᶜA'ishah, who said:

"I still seem to see the sheen of the perfume on the parting of the Prophet's hair (Allâh bless him and give him peace) when he was in a state of ihrâm."

«سالتُ عائشةَ فذكرتُ لها قولَ ابنِ عمرَ: ما أحب أن أصبحَ محرماً أنضخُ طيباً - فقالت عائشةُ: أنا طيَّبتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمَّ طافَ في نسائه ثمَّ أصبحَ محرماً».

٢ - حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال حدثنا الحكم عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة قالت:

«كأني أنظرُ إلى وبيضِ الطيب في مفرقِ النبيّ صلى الله عليه وسلم وهوَ محرمٌ».

Chapter 15.

On one passing his wet fingers through his hair, until when he thought that he had moistened his skin, he poured water on his hair.

We are informed by ᶜAbdân, who had it from ᶜAbdullâh, who received it from Hishâm b. ᶜUrwah, through his father, through ᶜA'ishah, who said:

"When the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) used to perform a ghusl in consequence of ritual uncleanness through sexual intercourse,

— ١٥ —

باب تخليلِ الشَّعرِ حتى إذا ظنَّ أنَّهُ قدْ أروَى بشرتَهُ أفاضَ عليهِ:

حدثنا عبدانُ قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت:

«كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا اغتسلَ منَ الجنابةِ غسلَ يديهِ وتوضأ وضوءَهُ للصلاةِ ثمَّ

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

When Qatâdah asked Anas if he was capable of it, he replied: 'We used to say among ourselves that he was endowed with the strength of thirty men.'"

قال قلتُ لأنس: أوَ كانَ يطيقهُ؟ قال كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثلاثين».

Sa'îd related through Qatâdah that Anas told them it was nine wives. (1)

وقال سعيدٌ عن قتادةَ إنَّ أنساً حدَّثهُمْ: تِسْعُ نِسْوَةٍ.

CHAPTER 13.

— ١٣ —

On washing away prostatic secretion and performing the wudû' in consequence of it.

باب غَسْلِ المَذْيِ والوُضوءِ مِنْهُ:

We are informed by Abu-l-Walid, who had it from Zâ'idah, through Abu Hasin, through Abu 'Abdu-r-Rahmân, through 'Ali, who said:

حدثنا أبو الوليد قال حدثنا زائدة عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن عن علي قال:

"I was subject to prostatic secretions, so I charged a certain man to ask the Prophet (Allâh bless him and give him peace) — owing to his daughter's connection with me. He did so, and the Prophet replied: 'Perform the wudû' and wash thy member.'"(2)

«كُنْتُ رَجلاً مَذَّاءً فأمرتُ رجلاً أنْ يَسْأَلَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم لمكان ابنته، فسألَهُ، فقال: تَوَضَّأْ واغْسِلْ ذَكَرَكَ».

CHAPTER 14.

— ١٤ —

On one who hath perfumed himself and later performed the ghusl, with the traces of the perfume remaining on him.

باب مَنْ تطيَّبَ ثُمَّ اغْتَسَلَ وَبَقِيَ أثرُ الطِّيبِ»:

1. We are informed by Abu-n-Nu'mân, who had it from Abu 'Awânah, through Ibrâhim b. Muhammad b. Al-Muntashir, through his father, who said:

١ - حدثنا أبو النعمان قال حدثنا أبو عوانة عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه قال:

(1) The eleven wives presumably include two slaves, namely Maria and Raihânah, since the Prophet never had more than nine wives at the same time.

(2) The washing of the member should precede the wudû', which would be nullified by touching the member. The waw (و) here is a mere connective which does not imply sequence. In At-Tahâwi's and Râfi''s narrations, however, the logical order is observed.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Chapter 12.

On whether one ghusl is sufficient if a man have sexual intercourse *with his wife* and then repeat it; and on one who cohabiteth with his wives in turn, performing a single ghusl.

1. We are informed by Muhammad b. Bashshâr, who had it from Ibn Abu ʿAdiyy and Yahyâ b. Saʿid, through Shuʿbah, through Ibrâhim b. Muhammad b. Al-Muntashir, through his father, who said :

"When I related to ʿA'ishah the words spoken by Ibn ʿUmar, (1) she replied : 'May Allâh have mercy on Abu ʿAbdu-r-Rahmân (Ibn ʿUmar) ! I used to perfume the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace), after which he visited his wives in turn, and then rose in the morning in a state of ihrâm, reeking with perfume."

2. We are informed by Muhammad b. Bashshâr, who had it from Muʿâdh b. Hishâm, who was told it by his father, through Qatâdah, who received it from Anas b. Mâlik, who said :

"The Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to visit his wives in turn in a single space of time, during the night or the day, their number being eleven.

— ١٢ —

بابٌ إذَا جَامَعَ ثُمَّ عَادَ ، وَمَنْ دَارَ عَلَى نِسَائِهِ فى غُسْلٍ واحدٍ :

١ ـ حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا ابن أبى عدى ويحيى بن سعيد عن شعبة عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه قال :

« ذَكَرْتُهُ لعائشةَ فقالت : يَرْحَمُ اللهُ أباعبدِ الرحمنِ ! كُنْتُ أُطَيِّبُ رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم فيَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ ثُمَّ يُصْبِحُ مُحْرِماً يَنْضَخُ طِيباً » .

٢ ـ حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثنى أبى عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك قال :

« كانَ النَّبىُّ صلى الله عليه وسلم يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فى السَّاعَةِ الوَاحدةِ مِنَ اللَّيْلِ والنَّهارِ وهُنَّ إحْدَى عَشْرَةَ .

(1) Namely — ما احب ان اصبح محرما انضح طيبا = I do not care to rise in the morning in a state of ihrâm, reeking with perfume.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Chapter 11.

On one who poured water with his right hand over his left during the ghusl.

We are informed by Mûsa b. Ismâʿil, who had it from Abu ʿAwânah, who received it from Al-Aʿmash, through Sâlim b. Abu-l-Jaʿd, through Kuraib the freedman of Ibn ʿAbbâs through Ibn ʿAbbâs, through Maimûnah bint Al-Hârith, who said :

"I placed ghusl-water before the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace), and covered his head.(1) He then poured water over his hand which he washed once or twice (Sulaimân (2) said he was uncertain whether Sâlim mentioned three times or not). After that, pouring water with his right hand over his left, he washed his parts. Then rubbing his hand on the ground or the wall, he rinsed his mouth, cleansed his nostrils, and washed his face, hands, and head. Next he poured water over his body, and shifting his place he finally washed his feet. I offered him a napkin, but he made a gesture of refusal and did not take it."

— ١١ —

بَابُ مَنْ أَفْرَغَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فِي الغُسْلِ :

حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا أبو عَوانة حدثنا الاعمش عن سالم بن أبي الجعد عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس عن ميمونة بنت الحارث قالت :

« وَضَعْتُ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم غُسْلاً وَسَتَرْتُهُ ، فَصَبَّ عَلَى يَدِهِ فَغَسَلَهَا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ (قال سليمانُ : لاَ أَدْرِي أَذَكَرَ الثَّالِثَةَ أَمْ لاَ) ، ثم أفرغ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَغَسَلَ فَرْجَهُ ، ثُمَّ دَلَكَ يَدَهُ بالأرضِ أَوْ بالحَائِطِ ، ثُمَّ تَمَضْمَضَ واسْتَنْشَقَ وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ، وَغَسَلَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ صَبَّ على جَسدِهِ ، ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ ، فَنَاوَلْتُهُ خِرْقَةً فقال بِيَدِهِ هَكَذَا وَلَمْ يُرِدْهَا » .

(1) Or — screened him off.
(2) i.e. Al-Aʿmash, one of the narrators.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Muslim and Wahb relating this hadith through Shu^cbah, add من الجنابة (required after sexual intercourse).

زاد مسلم ووهب عن شعبة «من الجنابة».

Chapter 10.

— ١٠ —

On the lawfulness of interrupting the ghusl and the wudû^s;

and on the statement transmitted by Ibn ^cUmar that he washed his feet after the wudû^s-water had dried upon him.

باب تفريق الغسل والوضوء:

ويذكر عن ابن عمر أنه غسل قدميه بعد ما جف وضوءه.

We are informed by Muhammad b. Mahbûb, who had it from ^cAbdu-l-Wâhid, who received it from Al-A^cmash, through Sâlim b. Abu-l-Ja^cd, through Kuraib the freedman of Ibn ^cAbbâs, through Ibn ^cAbbâs, who stated that Maimûnah said:

حدثنا محمد بن محبوب قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا الأعمش عن سالم ابن أبي الجعد عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس قال قالت ميمونة:

"I placed water before the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) for his ghusl. He poured water over his hands and washed them twice severally or three times, after which he poured it with his right hand over his left and washed his parts. Then after rubbing his hand on the ground, he rinsed his mouth, cleansed his nostrils, and washed his face and hands, and his head three times. (1) Next he poured water over his body, and then shifting his place, he washed his feet."

«وضعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماء يغتسل به، فأفرغ على يديه فغسلهما مرتين مرتين أو ثلاثا، ثم أفرغ بيمينه على شماله فغسل مذاكيره، ثم دلك يده بالأرض، ثم مضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ويديه وغسل رأسه ثلاثا، ثم أفرغ على جسده، ثم تنحى من مقامه فغسل قدميه».

(1) The three times may apply either to the head only, or to all three parts.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية [illegible]

تصدرها مشيخة الأزهر

في أول كل شهر عربي

المجلد الثامن	ربيع الأول سنة ١٣٥٦	(٤)	الجزء الثالث

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدي

الإدارة

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراك

	قرش
[illegible] القطر المصري ...	٣٠
[illegible] القطر المصري ...	٤٠
[illegible] دائرة النادي [illegible] السادس [illegible] الحكومية [illegible] داخل القطر	٢٠
خارج القطر	٣٠

ثمن الجزء الواحد ٣ [illegible] داخل القطر [illegible] خارجه

فهرس

الجزء الثالث — المجلد الثامن

الموضوع	بقلم	صفحة
الاحتفال بالمولد النبوى بالأزهر		
خطبة فضيلة الأستاذ الأكبر	... ...	١
ذكرى المولد النبوى الكريم ـ قصيدة ...	فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شفيع السيد	٥
ذكرى المولد الشريف ـ قصيدة	« « عبد الجواد رمضان	٧
مولد محمد خاتم المرسلين	حضرة الأستاذ مدير المجلة	١٤٥
دعوته صلى الله عليه وسلم الى الاتحاد	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	١٥٥
عظمته صلى الله عليه وسلم	« « يوسف الدجوى	١٦٠
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم	« « عبد الجليل عيسى	١٧٥
محمد صلى الله عليه وسلم	« « محمود شلتوت	١٨٢
محمد خاتم النبيين	« « محمد احمد العدوى	١٨٧
من نفحات النبوة	« « صادق عرجون	١٩١
فى ظلال الاسلام	حضرة الأستاذ الدكتور زكى مبارك	١٩٦
كيف نحيى المولد النبوى	فضيلة الأستاذ الشيخ أمين الخولى	١٩٩
أساس الرقى فى الاسلام	« « محمد عرفة	٢٠٢
ذكرى الرسول الاعظم	حضرة الأستاذ احمد محرم	٢٠٦
فى ذكرى الميلاد النبوى	فضيلة الأستاذ الشيخ فكرى يس	٢٠٩
ميلاد الرسول	« « محمد الأسمر	٢١٣
دراسة فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم	فضيلة الأستاذ السيد عبد القادر المغربى	٢١٥
الاخلاص	« « الشيخ عبد الرحمن الجزيرى	٢٢٣
الاسلام والفلسفة	حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب	٢٢٩
فلسفة ابن رشد	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى	٢٣٤

الاحتفال بالمولد النبوى بالازهر

خطبة إصلاحية جامعة لفضيلة الأستاذ الامام

احتفل الجامع الأزهر فى مساء السبت ١٢ ربيع الأول بذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، فاحتشدت فيه جماهير من العلماء والوجهاء والطلاب يستمعون لآيات من التنزيل الحكيم ، وما وافت الدقيقة الخامسة والأربعون بعد الساعة الثامنة حتى نهض حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، فألقى خطبة من لباب الحكمة الاسلامية ، جمعت من أصول الاصلاح الدينى والخلقى والاجتماعى ، فى بلاغة تسترعى الأسماع ، وبيان يستهوى الألباب ، ما المسلمون فى العالم قاطبة فى أشد الحاجة للأخذ به والقيام عليه . ولسنا نشك فى أن هـذا القبس من النور الذى ألقاه فضيلته على هذه الأصول سيسرى فى الجماعات الاسلامية ، فتستنير به عقول ، وتحيا قلوب ، وتنتعش آمال . قال حفظه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة على رسوله .

وبعد : فان الأمم تعنى بذكرى عظمائها للاشادة بأقدارهم ، وتقدير أعمالهم ، وفاء لحقهم عليها ، وتذكيرا للحاضرين بأعمال الماضين ، ليحفزوا هممهم على الاقتداء بهم ، والسعى لبلوغ درجات المجد التى استحقوا عليها التكريم .

وتختلف هذه الذكريات فى أشكالها تبعا لاختلاف الأمم فى أمزجتها وميولها وعاداتها .

وسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فى غير حاجة الى تكريم الناس بعد أن كرمه الله ، فرفع ذكره ، وأعلى قـدره ، وخلد اسمه فى كتابه الكريم ، وفى أنواع من العبادات مفروضة وغير مفروضة . ففى كل يوم وفى كل لحظة له عند المسلمين تعظيم وإجلال يفوقان كل إكبار وتقدير .

ومقام النبى الكريم ليس بالمقام الذى ينال بالكسب ، ولا بالمقام الذى تشرئب اليه الأعناق وتشخص اليه الأبصار ، فهو منحة الله وفضله يختص به من يشاء من عباده الذين أعدهم لهاتيك الدرجات ، ونشأهم لمثل هذه النفحات .

فذكرى مولده صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون باحياء سنته ، وإحياء المبادئ السامية والأخلاق الكريمة التى اتصف بها ودعا الناس اليها . فلا يكفى أن تتلى قصة المولد وترتل ، وأن

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

تضاء المصابيح وتنظم ، وأن تلقى العظات والسير ثم تنسى . فلم يكن صاحب الذكرى قوالا ، بل كان فعالا ، وكان فعله أكثر من قوله . والكلام إذا لم يتبعه العمل ولم يحدث فى النفس أثره بحيث يحملها على المصابرة والمثابرة ، كان الايمان به ضعيفا ، أو كان كما يقول أهل النظر : تصورات لا تصديقات .

ولا يكفى المحبوب أن تقول له : إنى أحبك ، بل هو يقاضيك تبعات الحب ومايكلفه الحب من المتابعة واحتمال المصاعب وتجشم المشاق فى سبيل رضا المحبوب : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين » .

وما ابتليت أمة من الأمم بشر من كثرة القول وقلة العمل . ذلك هو الداء الدوى ، والعقاب الذى ينزله الله تعالى على من غضب عليه من عباده ، وحاد عن الجادة وعن السنن الالهية ، وغفل عن سنن الكون وعن هدى الاجتماع .

الأمة الاسلامية مبتلاة منذ أزمان طويلة بهذا ، ومبتلاة بالجدل العقيم : تجادل فى أصول العقائد ، وتجادل فى الفروع ، وتجادل فيما هو أقل شأنا من الأصول والفروع ، راضية بهذا الجدل ، لاهية عن سر الاسلام وسر عظمته ، وعن سر دعوة الرسول الأكرم ، وعن مقومات الأمم التى لا تستطيع أمة أن تحيا وترفع رأسها إلا بها ، ولا أن تسمع الناس كلمتها إلا بها ، ولا أن تجد مكانها فى العز والمجد إلا بها .

سحرت بالطعام وبالشراب ، وتلهت بالأحاديث وبالمظاهر الكاذبة الخادعة ، وانصرفت عن طرق المجد الصحيحة ، وغفلت عن الكون وعما أودعه الله فيه من أسرار ، ومن قوى خلقت للانتفاع بها ، وابتعدت عن التحلى بالعزائم الصادقة والأخلاق القويمة التى كانت عماد الرسول الأكرم فى دعوته وإبلاغ رسالته .

ولم تكتف بهذا بل انقسم أبناؤها وتعادوا ، وأقاموا الحروب بعضهم على بعض ، كل له مذهب ينصره ورأى يدافع عنه ، وكل ينظر الى مصلحة خاصة فردية أو قومية أو جنسية أو مذهبية ، فصارت القوى من عوامل فناء الأمة لا من عوامل بقائها ، ومن أسباب شقائها لا من أسباب سعادتها .

هذا والقرآن الكريم يدعو الى الوحدة ، ويدعو الى رد ما اختلف فيه الى الله ورسوله . وصفهم بالأخوة وقال : « إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله » فلم يمتثلوا أمره ولم يتقوا الله ، بل عملوا على التفريق ، وعلى توسيع شقة الخلاف . ووصف النبى صلى الله عليه وسلم المؤمنين بأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلم يكن منهم إلا أنه إذا اشتكى عضو زادوا ألمه وسروا بنكباته ، وانتهزوا فرصة مرضه لانتزاع ما بيده .

لم يقف أمر التخاذل بينهم عند التخاذل بين الأمم ، بل تخاذلوا جماعات ، وتخاذلوا أفرادا ، وتقطعت الروابط بينهم ، فلا يعنى المرء إلا بنفسه ، لا يبالى فى سبيل مجده أن يهدم غيره ولو لم يقف له فى طريق ، ولا يبالى بمن مرض ولا بمن جاع ولا بمن ابتلى ، كأن الدنيا كلها شخصه ، فاذا سلم فقد سلمت الدنيا جميعها .

إذا كان الناس جادين وقد آن أوان الجد ، فيجب أن تكون ذكرى صاحب هذا المولد الشريف وافية بالغرض من الذكرى ، محققة لمبدأ الوحدة الاسلامية ، محققة لمبدأ التعاون والتناصر ، وللغرض الأسمى الذى نزل به الوحى وجاهد محمد صلى الله عليه وسلم فى سبيله طول حياته . فتؤلف الجماعات من المفكرين والقادة فى الأقطار الاسلامية للبحث عن أدواء الأمم الاسلامية وأمراضها ، فى الدين والاجتماع والأخلاق والسلطان ، وتفنى فى هذه الجماعات أنانية الأفراد بل وأنانية الجماعات والأجناس ، وينظر الى الأمة باعتبارها طائفة واحدة يحدها الاتجاه الى القبلة والصلاة اليها ، فلا ينظر الى جنس ولا الى مذهب ، بل الى وحدة خلع الاسلام عليها ثوبه وجمعها تحت رايته ، فاصطبغت بصبغته ودانت بكتابه .

ولدى الأمة الاسلامية قضايا كثيرة معقدة : قضية الرجوع بالدين الى كتاب الله وسنة رسوله وأعمال الراشدين ؛ وقضية التعليم الدينى وغير الدينى على وجه صحيح يوافق ما أثمرته التجارب فى الحياة ، وما أخرجته العقول من ثمرات ناضجة ؛ وقضية حماية الدين من العدوان والدعوة اليه كما أمر الله بالحكمة ؛ وقضية نظام الأمم الاسلامية وارتباطها بعضها ببعض ارتباط تعاون وتناصر ؛ وقضية الفقراء والضعفاء واليتامى والمساكين وتدبير أمرهم بحيث تخفف عنهم آلام الحياة وينتفع المجتمع بهم .

وهناك قضية هى أهم القضايا ، وهى مقومات الأمم الاسلامية التى يجب أن يحافظ عليها ويبنى المجد على أساسها ، وهى قضية دقيقة يثور من أجلها ، عن قصد أو غير قصد ، خلاف بين المتعلمين وغير المتعلمين ، والمتدينين وغير المتدينين ، ويترتب عليها نظام الاجتماع وقوانينه ، ونظام التقاليد والعادات .

ولدى الأمة الاسلامية ماض يجرر أثواب الفخر والشرف فى كل ميادين الحياة : فى ميدان العلم ، وفى ميدان الفنون ، وفى ميدان السلطان والعز ، وميدان التشريع والقانون ، لكن بعض الناس يحاولون طمس أعلام هذا الماضى والتخلص منه والزراية عليه والحط من شأنه ، ويحاولون بناء مجد جديد على أرض بيضاء بحيث لا يكون بين الحاضر والماضى صلة .

وليس أدعى الى الدهشة ولا أبعث على اللوم من هذه المحاولات التى فيها عقوق الأبناء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للآباء ، ونكران الجيل وإنكار التاريخ ، وفيها لؤم الطباع وسفه الجاهل وطيش المغرور .

وهل يستطيع عاقل أن ينكر أن لنا أسساً صحيحة قويمة من دين وعلم وتقاليد ومقومات ، من حقها أن نحافظ عليها ، وأن نعتبرها تراثا عزيزا لا يليق أن نبدده كما يفعل الوارث السفيه ؟

يحاول بعض الناس هذا مع أن بعض الأمم التى ليس لها ماض ، تحاول أن تخلق لها نسبا بماض مجيد . وبعض الأفراد الذين لهم ذكر نابه بأعمالهم وليس لهم نسب معروف بالمجد يحاولون أن يخلقوا لهم أنسابا معروفة بالمجد والشرف ، ليحدثوا فى نفوس الأبناء شعورا بعظمة من حقها أن يحافظ عليها .

من الحق علينا أن نعتبر بأمم خلت ، وأمم باقية قذفت بماضيها فى النار فأحرقتها تلك النار وأصاب غيرها من الأمم شواظ منها ، ثم هى تحاول الخلاص مما وقعت فيه فلا تجد الطريق .

فليعتبر أولو البصائر بعبر الماضى والحاضر ، وليفكر أولو الشأن فى الأمم الاسلامية ، فان الله سائلهم فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

هذا وأسأل الله أن يديم لحضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق الأول توفيقه ورعايته ، وأن يجعل عهده السعيد عهد يمن وبركة ، وأن يوفق القائمين بأمر هذه الأمة الى ما فيه رضاء الله ورضاء العباد .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ذكرى المولد النبوى الكريم

هو فى الكون نوره وبهاؤه | وهو للعقل رشده وسناؤه
واحد الدهر تجتنيه العرانيـ | ـن عظيما إيمانه ومضاؤه
جاء والكون جهلة وضلال | كل شعب تقوده أهواؤه
كل قلب فى حقده يتنزى | ليس يشفى إن لم تطل دماؤه
وائد البنت يستطيل فخارا | لو درى قرح الجفون بكاؤه
لم تؤلف قلوبهم وحدة الديـ | ـن ولم تهن ربعهم نعماؤه
أرأيت السماء تمطر قوما | بعد جدب يطول فيهم ثواؤه
أرأيت الشفاء وافى مريضا | بعد ما أيأس الأساة شفاؤه ؟
أرأيت الربيع يخطر فى الرو | ض فيهتز نوره ورواؤه ؟
أرأيت الصباح يبسم فى الكو | ن فيسمو فوق الوجود لواؤه ؟
إنه أحمد النبيين وافى | فزها الكون واستنارت سماؤه
مشرق الشمس دون مولد فذ | فاض فى الكون بالسلام ضياؤه
وضياء القلوب أجدى وأبقى | من ضياء الى الجفون انتهاؤه

***

رب قلب يمور بالشك مورا | زال بالدين ريبه ومراؤه
فطرت من الصدور قلوب | طاح عنها الهوى وطار عماؤه
يكدر القلب إذ يداخله الشك | ويبدو عند اليقين صفاؤه
وكذاك النفوس بالشك حيرى | وضياء الإيمان فيها جلاؤه

***

رب ذكرى تبث فى القلب روحا | هى من دائه الدوى دواؤه
وبذكرى محمد يشرق الكو | ن ويبدو مثل الصباح مساؤه
قف الى المجد وانشد الشعر يسعفـ | ـك بيانا رقراقة أنداؤه
من سماء الخيال يهبط وحيا | فوق عرش القلوب عز استواؤه

***

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يابنى الدين والحياة جهاد
دينكم بالجهاد تم علاؤه

صيحة الحق فى القلوب تدوى
فالام الضلال يطغى بلاؤه ؟

لن تروا كالنهوض بالخلق والدين
عمادا يعز منكم بناؤه

إن فى أنفس الأنام فسادا
عبثت فى صميمها أدواؤه

فلتكونوا من الفساد أساة
إن ذاك المريض طال شقاؤه

***

فى ظلال الفاروق تخطون بالسعد
ظليلا رفافة أفياؤه

ذاك عام فى ظله قد تقضى
فتوالت بيمنه آلاؤه

ظفر النيل بانتصار مبين
أخلص السعى للعلا زعماؤه

والمراغى شيخ مصر المفدى
نافذ الذهن والحجا وضاؤه

فاستجيبوا لقائد لا يبارى
بهر الدهر علمه وذكاؤه

احمد شفيع السيد
المدرس بكلية اللغة العربية

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الشكر على المعروف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » .

وقال بعض الأدباء : من لم يشكر لمنعمه ، استحق قطع النعمة

وقال غيره : من كفر نعمة المفيد ، استوجب حرمان المزيد .

وقال آخر : من أنكر الصنيعة ، استوجب قبح القطيعة

وأنشد بعض الشعراء :

من جاوز النعمة بالشكر لم
يخش على النعمة مقتا لها

لو شكروا النعمة زادتهم
مقالة الله التى قالها

لئن شكرتم لأزيدنكم
لكنما كفرهم غالها

والكفر بالنعمة يدعو الى
زوالها والشكر أبقى لها

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ذكرى المولد الشريف

أميلاد الرسول ، كرمت عيدا — فاشرق رحمة ، وابسم سعودا
دنت بك شرعة الهدى المصفى — وطابت مصدرا ، وصفت ورودا
وراحت باسمك الأيام نشوى — تردده ، ورحت لها نشيدا
سنا ، أضفى على الدنيا جمالا — وألبسها من النعمى برودا
وعقد مكارم ضمنت حلاه — طريف المجد ، والمجد التليدا
تلاقت فيه أشتات المعالى — فسار بأفقها مثلا شرودا

***

ويوم أجمل الأيام سبقا — غدا فى الدهر جوهره الفريدا
سرت نسماته فى الكون روحا — أظل الغور ، وانتظم النجودا
ومادت من مهابته عروش — أبت عند الصواعق أن تميدا
تولى الله جلوته ، فجلى — وقلده الزعامة والخلودا
تجلت فيه مكة ، وهى عرس — غدت زهر النجوم له بنودا
أطل على البرية من ذراه — محمد ، أكرم الدنيا وليدا
فما روما ، إذا فخروا بروما — وما الأيوان ، تياها مشيدا ؟
هنا مهد ، بعرش الله نيطت — عراه ، فراح يخترق الحدودا
هنا سر الحياة ، هنا هداها — هنا القطب الذى أرسى الوجودا
فذاك العرش لا عرش هواء — تولى النار وادرع الحديدا
به شقى العباد وما أفادوا — وشر الناس من أشقى العبيدا

***

أمولد أحمد ذكراك طيب — يفيض أريجه ندا وعودا
طلعت على الوجود وكان قفرا — فماد الكون بساما سعيدا
وكان العرب فى غمرات ضعف — فكنت النصر والفتح المجيدا
مخايل فيك لم يحجب سناها — أتاحت للأذلاء الصعودا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عذيرك من قريش يزدهيها ... رداك وأنت تمنحها الخلودا
بنيت لهم على الأيام مجدا ... تطاول لن يبيد ولن يبيدا
كذاك الجهل يصمي ما تولى ... وكان الجهل شيطانا مريدا

***

بنفسي سيد الثقلين تلقى ... رسالته التجهم والصدودا
أهذا النور تنكره عيون ... أهذا الحق يحتمل الجحودا ؟
سوافر من بديع الآى غر ... عن الأفكار حطمت القيودا
وعدل مثل حد السيف عمت ... شريعته المسود والمسودا
وأخلاق كما رقت شمال ... وداعبت الخمائل والورودا
وآلاء كما انهملت غيوث ... كفلن الأمن والعيش الرغيدا
عوارف ليس يحصيهن عد ... يرن فلن يقبلن المزيدا
غدا الاسلام منها في جنود ... إذا عدوا الأسنة والجنودا

***

شفيت بذكر خير الخلق نفسي ... ولم أرد المديح ولا القصيدا
ولكن غنت الدنيا احتفاء ... بمولده فرددت النشيدا

عبد الجواد رمضان
المدرس بكلية اللغة العربية

الحلم وما قيل فيه

الحلم ضبط النفس عند ثوران الغضب . وقد قالت الحكماء : ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يعرف الجواد إلا في العسرة ، والشجاع إلا في الحرب ، والحليم إلا في الغضب .

وقال الشاعر :

ليست الأحلام في حال الرضا ... إنما الأحلام في حال الغضب

وقال آخر :

من يدعى الحلم أغضبه لتعرفه ... لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مولد محمد خاتم المرسلين

تهيئة العلم والفلسفة العقول والقلوب لقبول الاسلام دينا عالميا

مصداقا لقوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟ »

إننا معشر المسلمين نستقبل هذا العيد فى كل عام بقلوب يعمرها الحب والإكبار لصاحبه صلى الله عليه وسلم ، فنحتفل به فى مشارق الأرض ومغاربها ، لما حصلنا بهديه من هداية ، وما بلغنا من كرامة ، وليس العهد الذى يكون فيه هذا اليوم عيدا للبشرية كافة ببعيد ، فإن العقل الذى أطلقه محمد صلى الله عليه وسلم من إساره ، والعلم الذى حرره من ربقته ، لا يفتآن يعملان ، على غير قصد منهما ، على لفت الأنظار الى النور الذى جاء به . ومتى أتما العمل الذى بدآه من إلقاء نير التقليد الأعمى عن الأعناق ، ورفع حجاب التعصب المذموم عن الصدور ، وإزالة غشاوة الجهالة الوراثية عن العيون ، تجلت للناس الآية الكبرى من آيات الروح المحمدية العالمية ، فوجد الناس أنفسهم مسلمين ، ولسان أمثلهم يقول كما قال العبقرى الألمانى (جوت) قبل نحو قرن من الزمان : « إذا كان الاسلام هو هذا فنحن إذن فيه » ، وسيكون هذا تحقيقا لقوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟ » .

نعم : إن العالم بفضل تحرره من الوراثات والتقاليد ، وإمعانه فى النقد والتمحيص ، يتمشى على غير قصد منه الى الاسلام بخطوات متزنة ثابتة ، لا توجد قوة فى الأرض تردّه عنه ، إلا إذا انحل عصام المدنية ، وارتكست الجماعات الانسانية عن وجهتها العلمية . هذا إجمال يحتاج لبيان ، فإليك :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قُذِف بالانسان الى هـذا العالم جاهلا به غاية الجهل ، عَمِيا عن أسراره كل العماية ، ولولا أن الخالق جل شأنه أوجده حيث الماء والنبات لمات ظمأ وسَغَبا ، ولولا أنه منحه معارف ضرورية يستطيع بها أن يهرُب من الضوارى التي كانت تتعقبه ، ويحتمى من العوارض الطبيعية التي كانت تنصب عليه ، لما أمكنه أن يبقى أكثر من أيام معدودة ، ولكنه وهب عقلا ليس لسلطانه حد يقف عنده ، فأخذ يستهدى بنوره يسيرا يسيرا حتى استطاع أن يأمن شر العوادى ، وأن يجتمع على أمثاله ، وأن يكتشف أوليات العلم ، ومبادئ الحكمة ، ثم ما برح يرقى حتى أسس الأمصار ، وأوغل فى المعارف ، وسخر قوى الكون ، وسبر مساتير الوجود ، واخترع الآلات العجيبة ، وهـو اليوم يحدّث نفسه بالصعود الى الكواكب ، وكشف عالم الروح ، والتحكم فى نواميس الحياة .

هـذا كله مشاهد محسوس لا يحتاج للتدليل ، ولكن الذى يحتاج لتنبيه هو أن الانسان فوق كل ما يحصله من علم ، وما يكتشفه من مستور ، يزداد معرفة بما يجب أن يكون عليه الدين الحق ، وما يلزم أن تؤخذ به النفس من الآداب القوية ، وما ينبغى أن يقيمه لتوثباته من المثل الأعلى للانسانية الصحيحة .

فى أثناء تمشى الانسان فى هذه السبيل الأدبية ، تحت ضوء العلم والفلسفة ، تسقط فى نظره ، الواحدة بعد الأخرى ، جميع الأوهام الموروثة ، والتعصبات التقليدية ، فيرى الخضوع لها عارا عليه ، وسقوطا لكرامته ، ويعمل على تطهير قلبه منها ، واجتثاث جذورها المنبثة فى أقصى ثناياه ، عادًّا ذلك من متممات وجوده الأدبى .

فتكون النتيجة الحتمية من وراء هـذه المحاولات الثقافية فى هذه الناحية تأسس الأصول الآتية :

(أولا) زوال آثار الوراثات الدينية .

(ثانيا) امحاء التعصب المذموم للعقائد الباطلة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(ثالثا) قيام النظر العقلى مقام التقليد الأعمى .

(رابعا) قبول كل عقيدة تَسلَم من النقد وتنهض بها حجة .

(خامسا) الميل الى إيجاد زمالة عامة بين الناس كافة ، ومحاربة كل العقائد المفرقة للأمم ، والجاعلة إياها شيعا .

(سادسا) الاتجاه الى نصب العلم فاروقا بين الحق والباطل ، بغير اعتداد برأى أية طائفة من الطوائف أو فرد من الأفراد .

هذه الأصول الستة لامحيص من تولدها كثمرة طبيعية للثقافة العصرية . وقد تولدت فعلا وصارت جزءا من الدستور العلمى لدى ألوف من المشتغلين بجميع الفروع العلمية ، وليس بينها وبين أن تصبح عنصرا رئيسيا من عناصر العقلية الأوربية إلا أن تنتشر فيها المبادئ الفلسفية ، وهى لا تزال بعيدة عن الذهن لأسباب اقتصادية ، ولكن لا بد من بلوغها هذه المنزلة بعد قرنين أو ثلاثة .

فاذا بلغ العالم هذه المرتبة من التعقل ، والخلاص من آثار الوراثة ، ثم لاح له أن ينظر فى الأديان التى يعتبرها إذ ذاك بقايا أثرية للعقلية البشرية ، تبين له أنه فى صميم الاسلام ، وأنه فى جهاده العلمى الطويل كان يعمل لإقامة دولته ، وإعلاء كلمته ، وهو يتوهم أنه يهدمه فيما يهدم من العقائد الباطلة ، والوساوس المعطلة .

هـذا مصداق الآية القرآنية التى أتينا بها فى صدر هـذا البحث . وكما جاءت الحوادث مصـدقة لقوله تعالى : « وعـد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَستخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، ولَيُمكننّ لهم دينَهم الذى ارتضى لهم ، ولَيُبَدّلنّهم من بعد خوفهم أمنا . الآية » ، وقد كانوا يعبدون الله سرا ويخشون أن يتخطفهم أعداؤهم ويمزقونهم شذر مذر ، فآتاهم الله خلافة الأرض ، وجعل دينهم ظاهرا على الأديان كلها ، كذلك ستُصَدّق الحوادث ما وعد الله به من أنه سيرى الناس آياته فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أن هذا الدين هو الحق ، وقد ظهرت بوادر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ثابت فى أقوال الكثيرين من كبار العلماء فى الغرب ، وقد رأى بعضهم أن أوربا قد لا يمضى عليها قرنان حتى تكون قد اتخذت الاسلام دينا .

لو كان أحد المسلمين قال هذا القول لاعتبر منه مبالغة فى التفاؤل ، ولكن الذى قاله الكاتب الفيلسوف الأرلندى (برناردشو) ، وهو لم يقله ليهزأ به قارئوه ، ويحسبوه من سقطاته ، ولكنه قاله بعد اقتناع به . وأى شىء يعدّ بعيدا فيه ؟ أليست الأصول العلمية التى أثبتناها هنا ، وهى أخص نتائج الدستور العلمى ، هى نفسها أخص أصول الاسلام ، بل هى معناه وروحه ، والموجب لجعله دينا للعالمين كافة فى كل زمان ومكان ؟

لقد كلّف الاسلام كل داخل فيه أن يكون متجردا من كل ما يربطه بالماضى من ظن ووراثة وتقليد ووهم وخيال ، وأن يُقبل عليه خالى القلب من كل صورة ذهنية ، ورأى سابق ، على مثال ما يكون عليه الطفل ساعة تضعه أمه .

فاذا تمت له هذه التصفية ، ولقن أمور الدين ، أُمر أن يتعقلها ، وأن ينظر فى أدلتها ، وأن لا يأخذ بها تقليدا مهما كانت مكانة الرجل الذى يقلده ، وكُلّف أن يتأمل فيما بثه الله فى الكون من معالم الحق ، وأن يدرسها دراسة المتتبع لأسرار الخلق ، وأن يخضع كل ما يحصله لأدق أساليب التمحيص والتحليل ، حتى لا يتورط فى الأخطاء فيزل ويضل ، وهو مسئول عن كل ما يسخره فى هذا السبيل من حواسه ومشاعره ، ويحاسب حتى على جيشات خواطره . وإنا لمقتبسون لك آيات من الكتاب تريك مصداق هذه الأصول منه ، فاليك :

قال الله تعالى فى ماهية الدين الحق : «فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرةَ الله التى فَطَر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيّم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون» . وقد شرح النبي صلى الله عليه وسلم هذه الفطرة ، فقرر أنها مثل الحالة التى يكون عليها الطفل ساعة ميلاده ، فقال : «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجسانه» ، أى أن كل مولود يولد على الدين الحق المطلق ، ولكن أبويه ينقشان فى عقله من صور ما يغيّران به هذه الفطرة السليمة لتعلق به فلا يستطيع عنها حولا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال تعالى فى ذم اتباع الظنون والأوهام : « إنْ يتّبعون إلا الظن وإن هم إلا يَخْرُصون » وقال : « وما يتّبع أكثرُهم إلا ظنا ، إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

وقال تعالى فى النهى عن اتباع الهوى : « ولا تتّبع الهوى فيُضلّك عن سبيل الله » .

وقال فى وجوب إقامة سلطان العقل : « أفلا تعقلون » وكرر ذلك فى آيات كثيرة بألوان مختلفة عشرات من المرات .

وقال تعالى فى ذم الذين لا يعرفون للعقل حقه : « إنّ شرّ الدواب عند الله الصم البُكم الذين لا يعقلون » . وقال : « صمٌ بكمٌ عمى فهم لا يعقلون » . وقال : « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » . وقال : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير . فاعترفوا بذنبهم فسحقًا لأصحاب السعير » .

وقال تعالى فى المسئولية الشخصية ، وفى عدم جواز الاعتماد على الغير : « كل نفس بما كسبت رهينة » . وقال : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُرى ، ثم يُجزاه الجزاء الأوفى » . وقال : « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها شفاعة ، ولا يؤخذ منها عَدْل (أى فداء) » .

وقال تعالى فى ذم التقليد الأعمى : « وقالوا (أى يوم القيامة) ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » . وقال : « إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا (أى يوم القيامة) من الذين اتبَعوا ورأَوُا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبَعوا لو أنّ لنا كَرّة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ، كذلك يُريهم الله أعمالَهم حسراتٍ عليهم وما هم بخارجين من النار » .

وقال تعالى فى وجوب طلب الدليل القاطع على كل عقيدة ، وفى النعى على الذين يعتقدون تقليدا بغير حجة : « ومَن يَدْعُ مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه » . وقال فى وجوب تقاضى الدليل من كل صاحب قول : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال فى تسفيه أحلام الذين يجمدون على ما ورثوه من آبائهم من الأباطيل : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ؟ » ، وقال : « بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » .

هـذا دستور دينى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فى زمن لم يكن فيه لدستور أيا كان نوعه دولة فى الأرض ، لا من الناحية السياسية ، ولا من الناحية العلمية . أما من الناحية الدينية فقد كان لا يعرف أحد أن للاعتقاد دستورا قط . فكان الناس من أمر السياسة غرقى الى يآفيخهم فى حكومة الفرد ، لا يعرفون لهم حقوقا عليها ، ولا وجودا معها . بادت دساتير اليونان والرومان قبل عهد البعثة المحمدية بأكثر من ألف سنة ، فكانت الأمم تجهل أنها كانت لها جمهوريات ومجالس نيابية ودساتير مدونة . وكانوا من أمر العلم فى غيهبة مظلمة لا يعرفون له حفظة غير زعمائهم الدينيين ، وناهيك بهم وفى هذا الموطن .

أما أمر الدين فكان دستوره عندهم : « اعتقد وأنت أعمى » ، كما قاله العلامة لاروس فى دائرة معارف القرن التاسع عشر . أما هذا معقول وهذا غير معقول ، وهذا يحتاج لدليل ، فعبارات كانت تجر الى النار المحرقة فى تنانير أعدت لذلك .

جاء محمد صلى الله عليه وسلم بذلك الدستور الدينى والناس قاطبة على ما وصفنا من العمايات المتراكبة بعضها على بعض ، وقد جمدوا على ما كانوا عليه حتى صار حالا ملازما لهم لا يتصورون الحياة على حال غيره ، بل ولا يحبون أن يسمعوا داعيا يدعوهم الى نقيضه ، وإذا أقدم على ذلك وصموه بالجنون . وقد حكى الله ما قالوه للنبى صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى النور ، فقال تعالى : « وقالوا يا أيها الذى نُزّل عليه الذكر إنك لمجنون » . وقالوا : « أإنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون » ؟ فرد الله عليهم بقوله : « أم يقولون به جنة ؟ بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون » .

فإذا كانت ثمرة هذا الدستور الالهى فى البقعة الفسيحة من الأرض التى استولى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عليها المسلمون فى أول الاسلام دخول أمم برمتها فيه ، بغير إجبار ، بل بغير دعاية منظمة ، والعقول لم تصقلها العلوم ، والنفوس لم توقظها الشكوك ، فماذا ينتظر أن يكون عليه حال العالم المتمدن إذا عرف الاسلام حق معرفته ، وتبين الناس أنه لا ينطبق على الدستور العلمى فحسب ، ولكن أصوله الأولية هى ذلك الدستور نفسه ، بالغاً كل ما يمكن أن يصل اليه من السمو والاحاطة بكبريات الأمور وصغرياتها ، بحيث لا تفلت منه حتى همسات السرائر ، وحركات الضمائر ؟

العالم المتمدن يحاول حل مسألة الدين :

قد يقول معترض : إنكم تنفقون أوقاتكم فى الكلام عن العالم المتمدن من ناحية الدين ، على حين أنه قد فرغ منها ، ولم يعد يخطرها بباله ، وقد محض نفسه للبحوث المادية ، وتسخير قوى الكون لحياته الدنيوية .

الحقيقة أن المعترض غير مصيب فيما يقول ، فإن العالم المتمدن اليوم أشغل ما يكون بالمسألة الدينية من جميع نواحيها ، وإن كان لا بد من الاستشهاد بأقوال أقطابه ، فإليك ما كتبه الأستاذ (هنرى بيرانجيه) فى المجلد الرابع والعشرين من مجلة المجلات الفرنسية ، قال :

« إن المسألة الدينية أهم ما يشغل العالم المتمدن اليوم ، لأن مستقبل الأمم المتحضرة يتوقف على حلها » .

ثم قال :

« إذا كان النقد التاريخى قد حطم كل الأشكال المتحجرة فى الأديان ، فانه لم يستطع أن يعدو على العاطفة الدينية ، بل اعترف باستمرارها وشيوعها فى كل دور من أدوار التاريخ ، ورأى أن كل تلك الآلهة المختلفة المتعاقبة ، تشهد بأن الانسان مفطور على الاعتقاد بالله رغم أنفه . ففى كل جهة وكل زمان قد شوهدت حاجة الانسان الى الدعاء والعبادة والتضحية فى أخس الأديان الوثنية ، كما هى فى أرقى المذاهب الروحانية . هذه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هى الشرارة البسيكولوجية (النفسية) التى استخلصها من رماد العصور الماضية ، تاريخ المقارنة بين الأديان ، فمن المحال أن يطفئها ، ولكنه سينقلها الى المستقبل » .

ثم قال :

« إننا نأمل الوصول الى حل المسألة الدينية ، وبخاصة لأن الديانة الفطرية قد ولدت منذ مائة عام ، ودرست بواسطة بعض كبار الفلاسفة الفرنسيين ، فجان جاك روسو ، ولمرتين ، ولامنيه ، وميشليه ، وكينيه ، كانوا من كبار المبشرين بهذه الديانة الجديدة . وقريب منا إرنست رينان ، وجيو ، وشوريه ، وسبتييه ، قد أمدوها بقوة جديدة عظيمة » .

نقول : ما هى هذه الديانة الفطرية التى يعتقد المفكرون فى الغرب بأنها الديانة العالمية العلمية المستقبلة ؟

نأتيك بها عن لسان أحد كبار أشياعها وهو الفيلسوف (كارو) فقد قال فى كتابه : (البحوث الأدبية على الزمان الحاضر) :

« أصول الديانة الطبيعية هى الاعتقاد بوجود إله مختار خالق الكائنات وعنى بها ، وهو متميز عن العوالم الكونية وعن النوع الانسانى ؛ ووجود روح للانسان متصفة بالإدراك والحرية ، ومحبوسة فى هذا الجثمان المادى أمدا لتبتلى فيه . وهذه الروح تستطيع بإرادتها أن تطهر هذا الجثمان وتنقيه ، إذا عرجت به نحو السماء ، ويمكنها أن تسفله بإخلادها الى المادة الصماء ؛ والاعتقاد المطلق بسمو العقل على الحس ، ووضع الحرية الخلقية التى هى ينبوع وأصل جميع الحريات تحت سيطرة الاعتدال ، وإعطاء الصفات الفاضلة اسمها الحقيق وهو الامتحان والابتلاء ، وتحديد غرضها الصحيح ، وهو التخليص التدريجى للنفس من علائق الجسم ، والتهيؤ لساعة الموت بالزهادة . وأخيراً الاعتراف بناموس الترقى ، ولكن بدون فصل ترقى الانسان فى مدارج السعادة المادية عن العواطف الفاضلة التى هى وحدها تبرر تلك السعادة » انتهى

نقول : هل يعنى كل هذا الجهد الجاهد من الفلاسفة والمفكرين غير محاولة الرجوع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لدين الفطرة ، تحت تأثير حوافز من أنفسهم ، ومن تجلى آيات الله لهم ، فى الآفاق المحيطة بهم ، مصداقا لتلك الآية الكريمة ؟

فالدين الفطرى آت لا محالة ، مثله كمثل كل ما يدعو الى وجوده القلب والعقل ، والدين الفطرى هو الاسلام بنص كتابه ، وبموجب أصوله ، فإذا آنس الناس تلكؤا فى التمشى اليه ، فذلك أمر طبيعى ، لأن أكثر الناس عوام يجمدون على ما ورثوه ، ويستميتون فى تأييده وإن كانوا لا يعقلونه ، ولكن بوتقة الوجود دائبة على صهر العقول جيلا فجيلا ، ونفى الكدر العالق بها طبقة بعد طبقة ، والحقائق فى الوقت نفسه تزداد ذيوعا بينهم ، فلا يزال الأمر جاريا على هذه الوتيرة حتى لا يبقى فى الناس من يعتقد ما لا يعقل ، وإذ ذاك تحل الروح الاسلامية فى العالم بكل ما قامت عليه من أصول عقلية ، ومبادئ علمية ، فيتحقق أعظم إصلاح عالمى يتمناه المصلحون فى العصر الراهن .

فى ذلك اليوم لا يستطيع مفكر كالأستاذ (هنرى بيرنجيه) المتقدم ذكره أن يقول : « لما كانت الأديان ليست بشئ غير مظاهر رمزية للعاطفة الدينية فستتلاشى الأديان آجلا أو عاجلا ككل الآثار الانسانية ، ولكن تلك العاطفة لن تتلاشى أبدا إلا مع الانسان نفسه » .

نعم لا يستطيع أن يقول ذلك ، لانه يجد الدين الأخير منها ، هو تلك العاطفة نفسها ، كما ينص عليه كتابه فى قوله : « فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، ويجد أن كل ما تدعو به تلك العاطفة الدينية من معتقدات وعبادات ومعاملات ، مشروط فيه الرجوع به الى حكم العقل والعلم ، لا الى تحكم الهوى والجهل . فكل حق وهدى وعلم وخير ورقى ، فهو فى شرعة هذا الدين الفطرى دين ، وكل باطل وضلال وجهل وشر وتدلٍّ ، فهو فى شرعته كفر .

هذا هو الدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم دينا عاما للبشر كافة ، فهل تجد محيصا للبشر عنه ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كيف يعقل ذلك والفطرة أساسه، والعقل نبراسه؟ وهل للبشر محيد عنهما مهما حاولوا ذلك وتكلفوه؟ فإن كان فى العالم أصلان كلما أممنت فى البعد عنهما، ازددت قربا منهما، فهما الفطرة والعقل.

أفلا يحق لنا بعد هذا أن نقول: إن اليوم الذى يحتفل فيه العالم أجمع بميلاد خاتم المرسلين ليس ببعيد؟

فاللهم صل وسلم وبارك على محمد فى الآخرين، كما صليت وسلمت وباركت على ابراهيم فى الأولين، إنك حميد مجيد: محمد فريد وجدى



ذم البخل

قال الله تعالى: «فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى (أى للفضيلة الموجبة لليسر)، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى (أى للرذيلة المؤدية للعسر).

وقال تعالى: «ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله، هو خيرا لهم، بل هو شر لهم، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة. ولله ميراث السموات والأرض، والله بما تعملون خبير». تقول سيطوقون ما بخلوا به: أى سيلزمون به لزوم الطوق فى الأعناق.

ومما هو جدير بالتدبر العادى فى هذه الآية قوله تعالى: «ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم، بل هو شر لهم» فإن فى صميمها علما جما. ذلك أن الذى يضن بماله عن الانفاق يخيل اليه أن ذلك داع الى نمائه، والواقع أنه داع الى نفاده. فإن الذين يضنون بأموالهم عن بذلها فى المنافع العامة تضعف جماعاتهم وتذل حيال الجماعات المزاحمة لها، فيقتضى نظام الوجود أن يستولى الأقوى على الأضعف ويمتص عصارته، فلا يبقى له ولا يذر. ومن شاء الدليل فليتأمل الأمم التى يبذل آحادها الملايين فى سبيل المرافق العامة، تجدهم لا يزدادون إلا ثروة، خلافا لأفراد الجماعات الذين يدخرون المال ولا ينفقونه، فتراهم يتدهورون جماهير وفرادى فى تيهور الفاقة. [illegible] الأسرة فيما أن [illegible] بثروته بتقتيره على نفسه، خالفه عليها من ينفقها بدد فى [illegible]

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

دعوته صلى الله عليه وسلم الى الاتحاد

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) :

الدعوة الى الاتحاد شعار كل مصلح ، ومقصد كل ناصح ، وغاية كل واعظ ومرشد ، وقلما تجد امرءا يدعو الى فضيلة ، بل قلما تجد من يدعو الى سلوك خطة ، وانتهاج شرعة مهما قام فى وجهه مخالف وعانده معاند ، إلا وهو يدعو الى الاتحاد . غير أن الدعاة المختلفين إذا سئلوا : علام يتحد الناس ؟ فسر كل منهم الاتحاد الذى يدعو اليه بالاندماج فى خطته والاذعان لرأيه وانتهاج منهجه ، ويقابله معاندوه بمثل دعوته ، ويفسرون الاتحاد فى رأيهم بالاقبال على ما هم عليه وترك ما عداه ، فتراهم دائما فى أمر مريج ، وترى دعوتهم غالبا تذهب أدراج الرياح ، وتراهم قد اتحدوا فى أن لا يتحدوا . ذلك أن كلا منهم حين يدعو الى الاتحاد لم يترك أنانيته ، ولم يقصد بالاتحاد أكثر من أن يندمج رأى غيره فى رأيه ويترك كل امرئ ما عنده الى ما عند ذلك الداعى ، وأنى له ذلك وعند كل منهم من الاعتداد بنفسه والحرص على تقديس رأيه ما عند صاحبه سواء بسواء ؟

فهل كانت دعوته صلى الله عليه وسلم الى الاتحاد على هذا الوجه الذى سيكون له الفشل وحق له أن يفشل وأن يفشل ؟؟ لا لا ، ما كان مسلكه صلى الله عليه وسلم هذا المسلك ، ولا نحا هذا المنحى ، ولكنه سلك مسلكا نهيا ، وانتهج طريقا معبدا ، أوضحه بالبينات والهدى ، ودعا الجميع الى السير فيه عن بينة وبصيرة ، وبرهن عنه بالبرهان الساطع والحجة الدامغة ، فاذا السالكون فيه قد اتحدوا من تلقاء أنفسهم ، وإذا هم قلب واحد واتجاه واحد ، ووجدان واحد ، وإذا هم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، وإذا هم كالبنيان يشد بعضه بعضا .

هاك شريعته التى أوحاها اليه ربه وأمره أن يبلغها لكافة الخلائق ، فانظر اليها فى أصل عقيدتها وفروع عباداتها وأنواع معاملاتها ومظاهر أخلاقها ، انظر الى كل قسم من ذلك على حدة ثم استوضحها جملة واحدة ، وانظر اليها متناسقة وبعد ذلك احكم عليها بما تراه من حكم عادل فى جملتها وتفصيلها .

تأمل فى خطابه المعاندين المعترين بما أوتوا من كتاب أنزل عليهم ، فهم لا ينفكون يدعون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اليه لا لشئ سوى أن فى يدهم كتابا، فلا تسمح نفوسهم بان يتركوه الى غيره مهما وضح الحق وقامت الحجة، انظر الى خطابه لهم تجده يقول فيما أوحى اليه ربه وأمره به: «قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله» ثم يقول عقبها: «فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» فماذا ترى فى هذا؟ تراه وقد اطرح الأنانية، واطرح استمساك كل واحد بما عنده لمجرد أنه عنده، وقال: «تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم» لا على وجه أنكم خضعتم لنا أو أنا خضعنا لكم، وإنما على أنا جميعاً خضعنا لاله واحد لا نعبد إلا إياه ولا نشرك به شيئاً، فنمتثل الأمر لأنه أمره لا لأنه أمر بعضنا بعضاً، فاذا كان هذا الأمر قد علمتموه عن طريقنا فلأنه قد أمرنا ان نبلغكموه، وأيدنا وصدقنا فى دعوانا بما شاهدتموه من آيات بينة وحجة قاطعة لا تجد نفوسكم الى الطعن فيها سبيلا، ولا يجد الشك معها الى النفوس المفكرة مسلكا، فماذا يحول بينكم وبين أمر ربكم؟ تعالوا وأطيعوا الرسول لا لأنه هو فلان بن فلان، وإنما لأنه رسول الله، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله. وعلى هذا تجد الأنانية التى من شأنها أن تحول بين المرء وبين الاذعان للدعوة والاستجابة لها قد زالت وقضى عليها.

وينخرط فى هذا السلك ما تقرأ فى قوله تعالى: «إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» ماذا تفهم منها بعد التأمل الصحيح والتفكر الصادق؟ إنك حين تتأمل فيها وتفهمها حق فهمها تجدها تناديك باطراح الأنانية وإظهار أن المسألة ليست مسألة: نحن، وأنتم، وهم، وأمثال ذلك مما يستمسك فيه كل فريق بما عنده، حتى يقال عنهم: كل حزب بما لديهم فرحون، وإنما الأمر أمر القانون العام والحجة الواضحة التى يجب أن تكون الحكم الفاصل بين الجميع، وهو أن من صدق عليه أنه آمن بالله حق الايمان، وآمن بيوم الجزاء حيث لا يفيد المرء إلا ما عمل، وقام بالعمل الصالح حق القيام، فهو الذى لا خوف عليه ولا حزن يلحقه، فأينما يتحقق فيه هذا الوصف فهو صاحب هذا الحكم حتما، هل تجد من ينفر من حكم هذه القضية الصادقة العادلة؟ كلا، اذاً فتعالوا نعرض إيماننا بالله وإيمانكم الذى تزعمون، على محك النظر الصحيح. إنا نجد أنفسنا قد أسلمنا أمرنا لله ورضينا بكل ما حكم الله، وامتثلنا كل ما أمرنا به الله، ولكنكم أنتم اتخذتم إلهكم أهواءكم، وقلتم: «إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا» وآمنتم ببعض وكفرتم ببعض، إذاً ليس الممتثل عندكم هو أمر الله، وليس إيمانكم هو الايمان بالله، وإلا لاطرد الامتثال فى كل ما قامت الحجة عليه أنه أمر من الله، وإذا فأنتم لم تؤمنوا حق الايمان باليوم الآخر، وإلا لحذرتم خطر الجزاء العدل لمن خالف أمر ربه مالك يوم الدين، وإذا فلم يكن القصد فى عملكم الى الصالحات، ولا صالح الا ما رضيه لكم ربكم وأمركم به المهيمن عليكم، وإنما أنتم تجيبون داعى أهوائكم وتقومون بما مالت اليه نفوسكم.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا نموذج واضح جد الوضوح في بيان كيفية الدعوة الى الله ، وأنها كانت تظهر على وجه اطراح الأنانية ، وأنها إنما كانت توجه الى الحق من حيث هو الحق بقطع النظر عمن قام به ودعا اليه ، وهى أشبه شيء بقولهم : انظر الى مايقال لا الى من قال . وهل بعد هذا منهج يرفع الخلاف وأسبابه ، ويمكن للاتحاد في النفوس فضل تمكين ؟

تعال وانظر معى بعد ذلك في فروع العبادات ، تجدها قد بنيت على ما يثبت روح الاتحاد في القلوب ويمكنها من النفوس . وها نحن أولاء نجلوها عليك فى أركان الاسلام الخمسة :

١ — « شهادة أن لا إله إلا الله » :

ماذا تقول في قوم جزموا جزم اليقين ، وعلموا علم الشهود أن إلههم جميعا واحد لا يعبدون إلا إياه ، فهم يشعرون جميعا بأنهم خاضعون أمام عظمة واحدة هى مصدر وجودهم ، ومنشأ ما هم فيه من نعم جلت أو دقت ؟ إنها أكبر داع الى توحيد قلوبهم ، وتوحيد اتجاههم ، وتوحيد غايتهم ، وهى الفوز بالزلفى إليه واكتساب مرضاته .

٢ — « إقام الصلاة » :

ماذا تشهد في جموع متصافة متراصة كالبنيان تنطق بلسان واحد « الله أكبر » وتقوم في وقت واحد بتحميده وتمجيده ، وتوجه اليه خالص العبادة ، وتسأله كلها فى آن واحد أن يمنحها معونته ، ويهديها اليه الصراط المستقيم ، فاذا ركعت خضوعا لعظمته كانت جميعا في خضوعها ، وإذا استكانت أمام علو مجده كانت جميعا فى استكانتها وذلتها ، وإذا وقفت قانتة لربها مطيعة لأمره كانت كلها معا خاشعة قانتة ، ثم هى تتجه الى جهة واحدة أمرها ربها أن تتجه اليها ، أليس الاشتراك فى هذا كله مدعاة الى اتحاد الاتجاه ، واتحاد الأعمال والأقوال ، وبالتالى يثمر اتحاد القلوب ؟

٣ — « إيتاء الزكاة » :

ماذا تراه فى قوم تعاطفوا وتراحموا ، وشارك فقيرهم غنيهم فيما أنعم الله عليه به من رزق فأخذه من يده حلالا طيبا : هذا يؤدى أمانة ائتمنه الله عليها ، وهى حق الفقير في ماله ، طيبة بها نفسه ، وهذا يتسلم وديعة من الوديع عن طيب خاطر فينفاصلان وكل منهما قد امتلأ قلبه محبة نحو أخيه : هذا بما استفاد من رزق ، وهذا بما كسب من أجر ، وكلاهما بما ساد بينهما من عطف ، أليس فى هذا أكبر داع الى اتحاد القلوب ؟

٤ — « صيام رمضان » :

بخ بخ ! تصور يارعاك الله قوما قد دعوا الى توحيد أذواقهم ووجداناتهم الخصوصية : فكلفوا أن يكفوا عن مشتهياتهم فى وقت واحد ، وأن يتناولوها فى وقت واحد ، كم يكون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بينهم من الشعور باتحاد الوجدان واتحاد الميول والاتحاد فى المنح والحرمان ؟ إن من جرب حالة قوم جمعتهم ظروف خاصة قاسوا فيها معا مرارة ما فى الحياة وأفرج عنهم دفعة واحدة فنعموا معا فى وقت واحد ، يجد أنهم اعتبروا هذا الاشتراك جامعا بينهم لا يزالون يذكرونه طول حياتهم ولو صادفهم فى العمر مرة ، فكيف وهذا يتكرر على المسلمين فى كل عام مرة بل فى كل عام ثلاثين مرة ؟ إن قليلا من الانتباه يجلو لك هذا المعنى بمنتهى الوضوح إذا كنت من المنصفين .

٥ — « حج البيت من استطاع اليه سبيلا » :

ناهيك بهذا المؤتمر العام يعقده المسلمون فى كل عام ليشهدوا منافع لهم ، وليطوفوا بالبيت الحرام ، هل يخفى عليك ما فيه من توكيد الرابط بينهم والوئام ؟ سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، والحمد لله الذى أنعم علينا بنعمة الايمان والاسلام !

أما إذا نظرت الى قسم المعاملات بين الناس فيكفيك منه اجتلاء ناحية عامة فيه ، هى أنه بنى على العدل ، ودعى فيه الى الفضل ، وأى اتحاد يثبت من بين إقامة العدل وزيادة الفضل ؟ ارجع بنفسك أنت الى أثر هذين المبدأين الجليلين فستعرف أنت بنفسك أكثر وأكثر مما نستطيع أن نسطره لك فى هذه الكلمة الوجيزة .

ولا يقتصر هذا على قسمة المعاملات المدنية ، بل تجده ساريا فى باب روابط الاسرة والحياة المنزلية ، انظر الى أحكام الزوجين وما دعوا اليه ، واقرأ إن شئت قوله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » ثم التفت الى باب نفقات الأقارب وما تضمنه من مغزى ربط القلوب وتحبيب أفراد الأسرة بعضهم لبعض ، وتحبيب كل منهم أن يكون الباقى فى نعمة ويسار ، إما ليكفى مؤنته أو ليستفيد معونته . بل انظر الى أحكام الجنايات والمقاصات تجد العدل فى قوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وفى قوله تعالى : « فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » وتجد الفضل يتجلى فى قوله تعالى : « وأن تعفوا أقرب للتقوى » وتجدهما قد تجليا معا على وجه يأخذ بالالباب فى قوله جل شأنه : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

هذا قليل من كثير من دواعى الاتحاد فى المعاملات ، وكلما تاملت فى باب منها وجدت ما يملأ قلبك اقتناعا ، ونفسك هدى ونورا . والاساس فيه كما قلنا تقرير العدل والترغيب فى الفضل ، ولا يكون الفضل فضلا مثمرا إلا إذا نشأ عن رغبة واختيار .

فاذا أنت رجعت الى الأخلاق التى بعث صلى الله عليه وسلم لتتميمها فكم يتجلى لك هذا واضحاً جلياً . اقرأ إن شئت قوله تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ومتى تعارفوا تآلفوا ، واقرأ ما يخذيها من آيات فى سورة الحجرات .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وليتك تراجع ما نشرناه على صفحات هذه المجلة من تفسير هذه السورة الكريمة . واستعرض ما شئت من مثل حديث « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وحديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وحديث « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه الخ » وحديث « لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا » الى غير ذلك مما لا يكاد يأتى عليه الحصر فى مثل هذه الكلمة .

نعم : لقد جاءت الدعوة الى الاتحاد ، وقررت عوامل تنميته فى النفوس مستفيضة منفشية فى كل أبواب الشريعة الغراء ، وليس لمعترض أن يقول : فما بالنا نرى المسلمين متفرقين إلا قليلا منهم ؟ فانا نجيبه بأن هذا كقولك : فما بالنا نرى الكثير من المسلمين قد تركوا العمل بأحكام دينهم وغرتهم ملاهى غيرهم ؟ والجواب عن هذا وذاك أن مرجع هذا الى نفوسهم واتباع أهوائهم ، لا لنقص فى ضوء دينهم ونور هديهم :

ما ضر شمس الضحى فى الأفق طالعة ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

نسأل الله أن يوفقنا برحمته الى اتباع هدى شريعته ، والعمل بسنة نبيه ، إنه هو الفعال لما يشاء .

ابراهيم الجبالى



فضيلة الحياء

روى أبو سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحياء من الايمان ، والايمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء فى النار » .

وقال بعض الحكماء : « من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه » .

وقال صالح بن عبد القدوس :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير فى وجه إذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك وإنما يدل على فعل الكريم حياؤه

يظن بعض الغفل أن الحياء ضعف فى النفس ، والحقيقة أن عدمه هو الضعف ، فان التوقح لا يزال يدفع صاحبه لغشيان المخجلات حتى يسقط اعتباره ، ومن انتهى الى هذه الدركة هلك لا محالة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عظمته صلى الله عليه وسلم

وشيء من سيرته الباهرة وآياته الظاهرة

تعرف عظمة الرجل بتحليل نفسيته الكبيرة ، وأخلاقه الرفيعة ، ثم بآثاره الخالدة. ولا نجد نفسية أعظم من نفسيته عليه السلام ولا آثاراً كآثاره . وكل من تتبع شريف أحواله وما اشتملت عليه سيرة حياته ، وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع سياسته ولطف دعوته ، ورفيع حكمته ، وعلمه بجامع السعادات ، وسوقه اليها بالوسائل المختلفة والطرق العجيبة التي تفوق كل ما جاء في حكمة الحكماء وسير العلماء ، وما تم له من سياسة الخلق وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب الكريمة والشيم الحميدة ، الى فنون العلوم المختلفة دون تعليم ولا ممارسة ، ولا مطالعة كتب من تقدم ، ولا الجلوس الى العلماء والحكماء ، بل هو نبي أمي لم يعرف شيئاً من ذلك ، حتى شرح الله صدره وأبان أمره ، وعلمه مالم يكن يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيما . وقد أشير الى ذلك بقوله تعالى : « وما كنتَ تتلو مِن قبله مِن كتاب ولا تخُطُّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون » . « وكذلك أوحينا إليك رُوحا من أمرنا ما كنتَ تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ، وإنك لَتهدي الى صراط مستقيم » . « هو الذي بَعث في الأُميّين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإنْ كانوا من قبلُ لَفي ضلال مبين » . « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .

نقول : كل من درس سيرة هذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم دراسة مدققة ، وعرف تاريخ حياته الشريفة معرفة تامة ، لم يخالجه أقل ريب في أنه واسطة عقد الكمال ، وأنه سيد الأولين والآخرين ، وأفضل الخلق أجمعين . على أن من يريد بيان كماله واستقصاء أحواله فإنما يحاول عدّ ما في البحر من درر ، أو استقصاء ما في السماء من نجوم :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

ولنقرب لك ذلك بعض التقريب، ولنفصله شيئا من التفصيل، فنقول :

إن فيما أتى به من الأوامر الحكيمة التي تكفل مصالح الدنيا والآخرة، وفي إرشاده الى ما يكفل سعادة الأبد وراحة المجتمع وصفاء العيش، وفيما بيّنه من الحقائق وهدى الخلائق، وفيما أتى به مما يعرفه العقل جملة ويعجز عنه تفصيلا - ما يعلم به المنصف البصير أنه من العلم والمعرفة والخبرة في الغاية التي باين بها الخلق، فكل ما يعلم الناس أنه حق وأنه خير فهو أعلم منهم به -وهو بعد ذلك أنصح الخلق للخلق، وأبر الناس بالناس، وأصدقهم فيما يقول، وأقومهم فيما يفعل .

وبعبارة أخرى نقول : إنه جمع مالم يجتمع لأحد، ولم يعهد مثله في السنن الطبيعية لإنسان . فإن من نظر الى تدبيره الحروب مثلا وعرف أنه أتى فيها بأحسن الخطط، قال إنه رجل حرب وجّه كل همه وفكره لمجالدة الأعداء ورسم خطط الحروب، ومن كان كذلك لا يكاد يحسن غير ذلك .

فإذا نظرت الى زهده وعبادته حتى تورمت قدماه، وكان يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء في الصلاة، وكان يطيل السجود حتى تظن عائشة أنه قد مات، تقول إنه رجل ترك الدنيا وما فيها، فهو جاهل بها لا يحسن تدبيرها ولا العمل لها بوجه من الوجوه، فضلا عن إعداد الوسائل لقوم جهال متفرقين متوحشين لأن يكونوا خير أمة أخرجت للناس، تَغلِب، ولا تُغلَب وتقهر ولا تقهر، ما دامت متمسكة بما جاء به .

وإذا نظرت الى وعظه الذي يأخذ بمجامع القلوب، قلت إنه لا يحسن غير ذلك .

وإذا نظرت الى حسن ترتيبه وتعليمه الذي جعل السيدة عائشة تكون من أعلم العلماء، بحيث تجرؤ على أن تخطئ عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وهم من أكبر الصحابة وأعلمهم، وقد مات عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة، وقد صار بفضل هذه التربية الحكيمة وتلك الأساليب العجيبة أبو هريرة أكبر من روينا عنه الشريعة في أربع سنين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إذا نظرت الى ذلك كله قلت إنه من أكبر أساتذة علم النفس ، حيث جاء بتلك النتائج الباهرة التى لم تعرف لأحد من علماء التربية وأساتذة علم الاجتماع حتى الآن . بل نقول : كان يجيئه الأعرابى فلا يمكث معه إلا قليلا من الزمن حتى يرجع عالما فى نفسه معلما لقومه .

وإذا صادفك التأييد ونظرت الى ما كان من تأثيره فى الأمة العربية ، رأيت العجب العجاب ، فقد تبدلت طبائع العرب على اختلاف قبائلهم ونزعاتهم بهدايته صلى الله عليه وسلم : من الظلم الى العدل ، ومن الجهل الى العلم ، ومن الفسق الفاحش الى العدل العظيم الذى لم يبلغه أعظم الفلاسفة ، وقد أسقطوا كلهم أولهم وآخرهم بفضل تعاليمه صلى الله عليه وسلم طلب الثأر ، وصحب الرجل منهم قاتل ابنه وأبيه وأعدى الناس له ، صحبة الإخوة المتحابين دون خوف يجمعهم ، ولا رياسة ينفردون بها دون من أسلم من غيرهم ، ولا مال يتعجلونه .

وقد علم الناس كيف كانت سيرة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . وليس يغيب عنك أن جمهور أتباعه غرباء من غير قومه ، لم يمنهم بدنيا ولا وعدهم بملك ، بل بايعهم على ألا ينازعوا الأمر أهله ، وأن يوطنوا أنفسهم على الأثرة عليهم ، ولم يفعل ذلك لأقاربه أنفسهم ، ولا ترك لهم ميراثا يورث عنه . (وهذا لا ينكره أحد من الناس) .

وخلاصة القول أنه صلى الله عليه وسلم لم يشغله ظاهر عن باطن ، ولا إصلاح الدنيا عن إصلاح الآخرة ، ولا ما يهم النفوس والأبدان عما يتمتع الأرواح والأسرار ، ولا موجبات الغضب عن استعمال الحكمة (ولا عرو فهو ينظر فى الأشياء بنظر الله فسيان حربه وسلمه) .

ثم انظر بعد ذلك الى ما جاء به من مجامع السعادة للفرد والمجتمع ، فتراه أوصاك بخاصتك من أهل بيتك وأقاربك ، ثم أوصاك بجيرانك والأباعد عنك ، ثم على المسلمين وأهل الذمة ، ثم أوصى الرئيس أن يرحم المرءوس ، والمرءوس أن يطيع الرئيس .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومما ينبغى أن نعـرفه من حكمته صلى الله عليه وسلم أنه كان يستعمل الشـدة فى موضعها والرحمة فى موضعها ، ولـكـنه متخلق بأخلاق الله القائل : «سبقت رحمتى غضبى». الى غير ذلك مما ينبغى أن يوضع فيه كتاب مخصوص . وهذه أنظار واسعة لا يتأتى فى العادة أن يحيط بها إنسان ، وحكمة عالية تضع الأشياء فى مواضعها بموازين القسط الدقيقة ، وأكثر الحكماء إن أصابوا التشريع لم يمكنهم استعمال الحكمة ولا القدرة عليها عند التنفيذ والتطبيق ، فقلّما يطابق العلم العمل ، وقلّما يطابق العمل الصواب ، وقلّما يستطيع الانسان الضغط على نفسه فى ظروف كثيرة ، وقلّما ينجو العقل من تلبيس الهوى وجهل النفس وسلطان الشهوة التى تزين القبيح حتى تغطى العقل بغطاء كثيف لا يكاد ينفذ منه بصره الى الحقيقة (حبك الشيء يعمى ويصم). وإذا لا يستمد العقل إلا من العاطفة ، وتكون هى المسيطرة عليه المملية له ، فلا ينظر إلا بعينها ولا يسمع إلا بأذنها . وأولئك أرباب العواطف من الأحزاب المختلفة فى الدين والدنيا .

وبالجملة فسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لمن تدبرها تقضى بتصديقه ضرورة ، وتشهد له بأنه رسول الله حقا ، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته عليه السلام لكفى . فإنه صلى الله عليه وسلم نشأ فى بلاد الجهل لا يقرأ ولا يكتب ، ولا خرج عن تلك البلاد إلا خرجتين : إحداهما الى الشام وهو صبي مع عمه الى أول أرض الشام ثم رجع ؛ والأخرى أيضا الى أول أرض الشام ولم يطل بها البقاء ، بل رجع بشهادة حبر من أحبار أهل الكتاب بنبوته عليه السلام وهو بحيرا الراهب ، وحبر آخر وهو نسطورا الراهب كما هو معروف .

وناهيك ما وصلت اليه أمته بفضل تلك التربية ، حتى إنها فى أقل من عشر سنين بعد وفاته فتحت أعظم ممالك الأرض إذ ذاك (مملكة الفرس ومملكة الرومان) . وفى أقل من قرن وصلت من آسيا الى الهند والصين ، ومن إفريقيا الى أرض مراكش ثم تخطتها الى أوربا فأسست بها تلك المملكة الفيحاء (مملكة الأندلس) ، ووصلت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الى بردو من أرض فرنسا ، الى غير ذلك مما دهش له التاريخ وعجب له فلاسفة أوربا ، وكل ذلك بفضل تلك التربية النبوية الحكيمة .

وقد قال جوستاف لوبون الفرنسى فى حقهم وهو من أعظم فلاسفة أوربا : « إن ملكة الفنون لا تستحكم فى أمة من الأمم إلا فى ثلاثة أجيال : جيل التقليد ، وجيل الخضرمة ، وجيل الاستقلال . وقد شذ العرب فوصلوا الى الاستقلال فى جيل واحد » . وقال أيضا : « ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » .

وقد أذكرنى ذلك قول صاحب الهمزية فى أصحابه صلى الله عليه وسلم :

أغنياء نزاهة فقراء علماء أئمة أمراء

ثم نقول بعد ذلك :

إن قوانين العالم المتمدين الى الآن لم تصل الى تلك الغايات السامية ، ولا أتت بتلك السعادة المنشودة ، ولا أورثتنا هناء ولا صفاء . بل يمكننا أن نقول :

إن تلك القوانين وهاتيك المدنيات الفاسقة مازادت العالم إلا شقاء وبلاء . على أن سبب نهضتهم من كبوتهم واستيقاظهم من نومهم وإنقاذهم من جهالتهم إنما هو علم المسلمين والاحتكاك بهم كما هو معروف من تاريخ الأندلس وتاريخ الكنيسة وتاريخ الحروب الصليبية ، فكانت القرون الوسطى أو القرون المظلمة على ما يقولون فى ذلك العهد عندهم لا عندنا (وإن كان شباننا بكل أسف لا يعرفون ذلك لأنهم جهلوا تاريخ آبائهم ونبغوا فيما جاء عن الأجانب فناء فيهم وافتتانا بهم ،) : فإن مدنيتهم لا تعنى إلا بالماديات . فمحورها الذى تدور عليه هو المادة ، فمنها يبدءون واليها ينتهون . أما إصلاح النفوس وسعادة الانسانية ، وراحة القلوب وهدوء الأفكار ، والتنعم بتلك الإحساسات الشريفة والملكات الفاضلة ، فهم بمعزل عنها ، بل سرت عدواهم الينا ، فأقفرت نفوسنا من فضائل ديننا وآداب أسلافنا ، ولم تصل أيدينا الى مثل دنياهم وقوتهم واتحادهم ونشاطهم ،

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فأصبحنا مستعبدين وقد كنا السادة، وجاهلين وقد كنا العلماء، وأذلة وقد كنا الأعزاء !

وقد شط بنا القلم، ولكنها نفثة مصدور، فلنرجع الى ما كنا فيه، فنقول :

إن تشريعه صلى الله عليه وسلم لم يصل اليه تشريع الى الآن وقد مضى عليه أربعة عشر قرنا تقريبا . ذلك التشريع الذى تكفّل بإصلاح النفوس والأبدان، وضمن سعادة الدنيا والآخرة، وحرّم على أبنائه أن يكونوا أذلاء، فقال : «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» وقال فى وصفهم أيضا : «أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين»، وقال لهم بعد ما سلّحهم بتلك الأسلحة وحلّاهم بهاتيك المكارم : «كنتم خير أمّة أُخرِجت للناس تأمرون بالمعروف وتَنهَوْن عن المنكر وتؤمنون بالله» . وقد قال فى آية أخرى فى وصفهم : «أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم رُكّعا سُجّدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا» .

وما أبهر هذه الآية فى نفسى : فإنها تشير على ما بها من إيجاز الى ما يجب أن تكون عليه الأمة مع أعدائها، وقد أشير الى ذلك بقوله : «أشداء على الكفار»، وإلى ما يجب أن يكون قانونها الداخلى بين أبنائها . وقد أشير الى ذلك بقوله : «رحماء بينهم»، وإلى ما يجب أن يكون بينهم وبين الله، وقد أشير الى ذلك بقوله : «تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا» فماذا بقى بعد هذا ؟ أصلح ظواهرهم وبواطنهم، ثم أرشدهم الى ما يجب أن يعملوا مع أعدائهم، وما يجب أن يكونوا عليه فيما بينهم، وما يجب أن يتحلوا به أمام خالقهم . وكم للقرآن من إيجاز وإعجاز !

وقد أذكرنى ذلك قول سديو الفرنسى : «لو وجد المصحف فى فلاة لقلنا إنه كلام الله» . وكم للمنصفين منهم من شهادات لدين الاسلام ونبى الاسلام !

ويلتحق بذلك معجزات طبية وعلمية لا يمكننا أن نشير إليها إلا إشارة وجيزة . فإن الذى حرّمه كلحم الخنزير مثلا تبيّن أن فيه ضررا كبيرا . فقد عرفوا الآن أن فيه ديدانا كثيرة، وأنه يولد الدودة الوحيدة . ووراء ذلك شىء كثير كالخمر الذى حرمته أمريكا لما عرفت أضراره الكثيرة (والخمر تكنى عندنا بأم الخبائث) .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن تلك الآيات العلية قول القرآن : «وأرسلنا الرياح لَوَاقِح» . وما عرف تلقيح الرياح للأشجار إلا من عهد قريب . وقوله : « ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ إلا فى كتاب مبين » . ولم يكن فى ذلك العهد شىء أصغر من الذرة وإن كانت الميكروبات التى عرفناها أخيرا هى أصغر من الذرة . وكقوله : « ومن كلِّ شىء خلقنا زوجين » ولم يعرف أن فى النباتات ذكرا وأنثى إلا منذ عهد قريب : «سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » .

وبعد : ففى القرآن من التعبير عن الحقائق ماتقضى منه العجب ، حيث يعبر بالعبارات التى تساير كل عصر وتتفق وكل اكتشاف ، حتى إذا تبين خطأ فى تفسيرها بمقتضى اكتشاف جديد نسب لمفسرى الآيات لالها ، ووُجدت هى أكثر انطباقا على ما قضى به العلم الممحص والاكتشاف الجديد ، مما يدهش اللب ، وينطق بأنه ما أنزله إلا الذى يعلم السر فى السموات والأرض .

أفلا يحق له أن يقول بعد ذلك : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ؟ وإنى أستحلفك بعلمك وإنصافك أن تنظر فى هذه الآية نظر الباحث المدقق حتى تعلم أن مثل ذلك التحدى لا يجوز أن يكون إلا من الله تعالى العالم بكافة الأشياء وما عليه عباده من القوى والقُدَر . ولا يتصور أن يقول ذلك مخلوق ولا يتحدى جميع الخلق بمثل هذا عاقل ؛ فإن العاقل لا يعرض نفسه للهزء والسخرية بتحدى الجن والإنس ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ومن هذا القبيل فى الدلالة على صحة دعوته وصدق رسالته قوله : « يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل » ، وقوله فى حق أهل الكتاب : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » . وليس يعقل أن يعتقد مثل عبد الله بن سلام وهو من أكبر علماء التوراة كذب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ثم يؤمن به ، أو يعتقد نصارى نجران

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كذبه ثم لا يجيبوه الى المباهلة ، بل ليس من المعقول أن يقيم صلى الله عليه وسلم برهانا على كذبه فيخاطبهم والتوراة بين أيديهم بمثل ذلك الخطاب ، ثم يوبخهم ويقرعهم ويشافههم بأنهم يجدونه فيها ، وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . ولا من المتصور أن يجترئ على ذلك وهو يعلم كذب نفسه ، إلى غير ذلك مما ينفرهم غاية التنفير ، ويضعفه لديهم ويهون شأنه عليهم (والكاذب ضعيف حتى عند نفسه). ولو فعل ذلك من غير أن يكون له حقيقة لكان أول السفهاء وأكبر الجهلاء ولطمعت فيه أعداؤه ، وما أسرع ما كان ينتقض بناؤه . إلى آخر ما لا يمكننا الإفاضة فيه ، ولا الوصول إلى خوافيه .

آية أخرى (وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها) :

ومن عجيب أمره وبديع حكمته صلى الله عليه وسلم أنه كان يأخذ القلوب الى الله تعالى ، ويملأ النفوس رغبة فى ثوابه ورهبة من عقابه ، ومع ذلك يرغب فى العمل للمجتمع ، ولم يحرم زينة الدنيا التى أخرج الله لعباده والطيبات من الرزق ، بل فضل الأمور العامة التى ينتفع بها الناس على العبادات الخاصة ، كما قال فى حق الذين خدموا إخوانهم فى السفر فى يوم شديد الحر : إنهم فازوا بالأجر كله ، ولم يجعل ذلك للصائمين المتعبدين فى ذلك اليوم . وقد ورد موقوفا أو مرفوعا : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » . وقال تعالى : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » . ولكنه مع هذا حوّل كل شيء من أمور الدنيا للآخرة بالنية الصالحة والإخلاص لله ، فصار كل شيء عند المسلمين طاعة بفضل هذا التعليم العالى ، وأصبح من المقرر أن العمل المتعدى أفضل من العمل القاصر ، فجمع لنا صلى الله عليه وسلم بذلك بين مصلحة الدنيا ومصلحة الآخرة على أتم الوجوه . وفى الوقت نفسه حفظنا من سفاسف الأخلاق ، ودنايا الخصال ، بفضل تلك المراقبة وذلك الإخلاص ، فصار كل إنسان يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويعتبر منفعة أخيه منفعة له إن لم يكن ذلك فى الدنيا كان فى الآخرة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد أذكرني هذا قول بعض العلماء : لم يبق بعد بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخلاق فاسدة أصلا ، لأنه صلى الله عليه وسلم أبان لنا عن مصارفها كلها : من حرص وحسد ، وشر وبخل وخوف ، وكل صفة مذمومة . فمن أجراها على تلك المصارف عادت كلها مكارم أخلاق وزال عنها اسم الذم . فإذا صرفت مافيك من الحرص والطمع الى اكتساب الدرجات وفعل الطاعات ، وما فيك من الحسد والمنافسة الى النبوغ فى العلم والحكمة وإحراز الزلفى عند الله تعالى ، وما فيك من الغضب ومحبة الانتقام الى أعداء الله وبذل الوسع فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، وما فيك من شهوة السرف الى صلة الأرحام وإغاثة الملهوف ومواساة الجيران والإخوان الخ الخ ، كنت شخص الفضل ومثال الكمال ، وعادت هذه الرذائل فضائل ، وتلك المنكرات وسيلة لأعظم الطاعات وعظيم الدرجات .

وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم لمن ركع دون الصف : زادك الله حرصا ولا تعد . فعرفك بذلك فضيلة الحرص وأبان مصرفه الذى ينبغى أن يكون فيه .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير ، ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس » . فانظر كيف وجّه من فيه غريزة الحسد الى أى ناحية وصرفه عن بقية النواحى . وغريزة الغبطة التى يذكرها العلماء فى شرح هذا الحديث هى بعينها غريزة الحسد ، وإنما غايرتها بصرفها لغير مصرفها ، وتوجيهها الى غير وجهتها .

هذا وقد حثنا صلى الله عليه وسلم على التزام نقطة الوسط التى هى نقطة الكمال ، وحذرنا من الانحراف عنها الى الإفراط أو التفريط ، فتراه يقول : « والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يَقتُروا وكان بين ذلك قَواما » ويقول : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » ، ويقول : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويقول : « إن الدين متين فأوغل فيه برفق » ويقول : « إن المنبتّ لا أرضاقطع ولا ظهرا أبقى » ولهذا شرح طويل لا تسعه هذه العجالة .

وبعد : فإن الأمم التى يسمونها راقية لم تأتنا فى باب العدل والمساواة والحرية التى يتمدحون بها إلا بدعاوى مجردة وقضايا كاذبة . وليس العهد ببعيد من تلك الطنطنة التى كانت لشروط الدكتور (ولسن) وما سارت عليه بعد ذلك جمعية الأمم التى تمثل خمسا وسبعين دولة ، وما يعانيه العالم من جراء عدالتها وإنصافها . فانظر ذلك وقارن بينه وبين ما يقول القرءان : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ، وقوله تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » وقوله : « وإمّا تخافنّ من قوم خيانةً فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » ، وقوله : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكّرون » الخ .

وانظر الى قصة عمرو بن العاص وولده عند ما ضرب رجلا بمصر من السوقة فشكاه لعمر بن الخطاب وقال : إنه ضربنى ، ثم قال : اذهب وأنا ابن الأكرمين . فأعطاه عمر الدرة وقال له : اضرب بها ابن الأكرمين . فقارن بين هذا وبين ما تراه وتسمعه . وقد قال جوستاف لوبون : « لم يعرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » كما قدمنا . ويعجبنى قول غاندى : « إن أوربا اليوم لا تمثل روح الله ولا روح المسيحية ، ولكنها تمثل روح الشيطان ، وإنما يفلح الشيطان أكثر ما يفلح حينما تلوك شفتاه اسم الله ، وإن أوربا اليوم مسيحية بالاسم ، وفى الحقيقة لا إله عندها إلا إله المال »

هذا وقد تعرف أن للفقراء نصيبا من الزكاة يأخذونه من الأغنياء قهرا بسيف الشريعة الاسلامية . يقابل هذا أن للأغنياء نصيبا من الربا فى مال الفقراء يأخذونه قهرا بسيف القوانين الأوربية . فقارن بين الأمرين ، ووازن بين الطريقتين :

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ولعمرى إن خروج هذا النبى الكريم الذى أتى بتلك السعادات كلها من تلك البيئة، وهى على أسوأ الخلال، معجزة كبرى، وآية عظمى لدى العظماء والحكماء.

ومن عجيب أمره وشريف خلاله التى خرقت السنن المعروفة، أنك ترى النفوس تتكبر وتتعاظم بأقل الأشياء، وتراه صلى الله عليه وسلم مع ذلك كله يتواضع شكرا لله، ومعرفة بعظمة الله، واعترافا بفضله عليه. وقد كان يطأطئ رأسه يوم فتح مكة تواضعا لله، حتى إن رأسه ليكاد يمس رحله. وكانت العجوز من نساء المدينة تكلمه فى الطريق فيقف لها حتى تقضى ما أرادت منه، وربما انطلقت به الى حيث تريد. وكان ذلك من دلائل نبوته عند عدى بن حاتم، فإن ذلك من شأن الذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا (بخلاف الملوك وأهل الدنيا).

آية أخرى هى أعجب من كل ما سمعت:

ومن عجيب أمره الذى يدهش الباحثين أنه يشير الى الأسرار الغامضة والعلوم العالية بما لا ينفر منه العامة، بل ينتفعون بظواهره وجها من الانتفاع، ويعرفه الخاصة، وربما كان خفيا لا يكشف إلا بعد زمن طويل كهذه المسائل التى كشفها العلم حديثا مما أشرنا الى بعضه، فوجدناها لا تنافى القرآن ولا تجافى ماجاء فيه، بل وجدناه أشار لها إشارة خفية أو ظاهرة، ولا نجده فى مسألة من تلك المسائل صرح فيها بنص يقوم الدليل على خلافه، مع أن كل عالم وفيلسوف إذا أراد أن يبين ما فى نفسه لم يمكنه أن يسلك هذه الطريقة التى تنفع العامة والخاصة جميعا، ولا يتسنى له أن يظفر بهذه العبارات التى لا تمجها أذواق العامة ولا تصادمها العلوم الفلسفية ولا المكتشفات المستقبلة. (ومن ذا الذى يكون فرحا بنتائج فكره وولائد عقله ثم لا يفصح عنه إفصاح المبتهجين به المتبجحين بالوصول اليه، فيكون محصورا فى حدود ضيقة لا يتخطاها بوجه من الوجوه؟ اللهم إن هذا هو المعهود فى البشر المعروف فى نوع الانسان).

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

أما ذلك الذى ينطبق على ما يقرره العلم بعد مئات السنين ، وهو فى الوقت نفسه مشتمل على ما ينفع العامة ويفيدهم تطهيرا وتنويرا ، فلا يعقل إلا من العليم الحكيم . ولعمرى إنها لآية كبرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ومن عجيب أمره أنه نص على أن فى القرآن محكما ومتشابها ، وأن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم وقد أمرنا أن نتمسك بالمحكم ولا نتعرض للمتشابه ، فأدى بذلك حق العلم من جهة ، وحفظنا أن نقع فى الزيغ من جهة أخرى . وما ذا علينا أن نتوسع فى المتشابه أكثر مما قالوا . وبالضرورة لم ينزل ذلك المتشابه فى القرآن عبثا ، وحاشاه من العبث « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

فمن أكبر آيات القرءان أن كان فيه المحكمات والمتشابهات ، لأنه لو جاء على غير هذا الوجه لم يناسب من الأزمان إلا زمنا واحدا ، وقد جاء للأزمان كلها وللناس كلهم . وقد فتح بذلك فوق هذا كله باب التفكير والتأويل والأخذ والرد ، فارتقوا من العلم الى أسمى درجة ، ومن المنطق والحجة الى أرقى مكان . فكأنه لما أراد أن يعدهم الى هذه الغاية السامية وتلك الذروة الرفيعة ، كان الأمر على ما ذكرنا . وكم له من آية فى الحث على الفكر والنظر مما لا نطيل بذكره .

الخلاصة :

والخلاصة أن شريعته صلى الله عليه وسلم تشتمل على دعوة الخواص والعوام ، لأن المراد منها هداية كل منهما وانتفاعه بها على قدر استعداده « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وهى بعد ذلك بحر لا ساحل له . ولو جمعنا ما كتبه العلماء فى فقه الشريعة المحمدية ، وما قاله صلى الله عليه وسلم فى الآداب ومكارم الأخلاق ، وما كتبوه فى أصول الفقه وأصول الدين ، وما رووه عنه من أحاديث وما كتبوه فى سيرته ، وما دونوه فى علم الحديث دراية ورواية ، وما صنفوه فيما يتعلق بالقرءان الكريم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من تفسير وتأويل وما يلتحق بذلك كله، لملأ الوهاد والنجاد، ولناءت به السفن فضلا عن الإبل، وأظنك تعرف ذلك ولا تنكره. ولا بأس أن نسوق لك هنا شهادة الفيلسوف برنارد شو الانكليزى فى حقه صلى الله عليه وسلم :

شهادة برنارد شو الانكليزى :

قال الكاتب الكبير برنارد شو :

« كنت فى كل الأحيان ولا زلت أتناول دين محمد فأقدره تقديرا عظيما، وذلك لروحيته العجيبة وحيويته العظيمة. إنه الدين الوحيد الذى يملك القدرة على هداية الغير وملاءمة الأزمنة، فهو حرى لأن يكون دين الجميع فى كل دور وطور. ويجب على العالم دون شك أن يقدر ويعلق أهمية عظمى على ذلك.

« لقد تنبأت عن دين محمد أنه سيكون مقبولا وملائما لأوربا فى الوقت الحاضر. إن قساوسة القرون الوسطى إما لجهلهم المطبق وإما لتعصبهم الأعمى قد رسموا الدين الاسلامى بألوان سوداء مظلمة، وكانوا فى الحقيقة قد تطبعوا على كره محمد ومقت دينه الحنيف، لأن محمدا كان يظهر لهم أنه ضد المسيحية. أما أنا فقد درست الدين الاسلامى وشخصية محمد، تلك الشخصية العظيمة اللامعة، فوجدت محمدا بعيدا عما يلحقونه به من التهم. ويجب أن يسمى فى الحقيقة مخلّص الانسانية ومنقذها.

« إنى أعتقد أن رجلا مثله لو أخذ على نفسه قيادة شعوب العالم الحاضرة وكان حاكما مطلقا، لتمكن أن يقود العالم أحسن القيادة، ولتمكن من تسيير العالم نحو طريق السعادة، وتمشيته نحو شاطىء العدل والسلام.

« إن أوربا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد، وإنها بادئة فى عشق دينه وفلسفته، كما أنها ستبرىء العقيدة الاسلامية عما اتهمت به من أراجيف رجال أوربا فى القرون الوسطى. سيكون دين محمد النظام الذى يؤسس عليه العالم دعائم السلام والسعادة، ويستند على فلسفته فى حل المعضلات وفك المشاكل والعقد. إن كثيرا من مواطنى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن الأوربيين الآخرين يقدسون تعاليم محمد ، ولذلك يمكنني أن أؤكد نبوءتي فأقول: إن بوادر العصر الاسلامي الأوربي قريبة لا محالة » .

الكلمة الخامسة :

وآخر القول أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم ، وأصغى الى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه ، وسياسته لأصناف الخلق ، وهدايته الى ضبطهم ، وتألفه أصناف بني الانسان وقوده إياهم الى طاعته ، مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة ، وبدائع تدابيره في مصالح الخلق ، ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز العلماء عن إدراك دقائقها في طول أعمارهم ، لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية ، بل لا يتصور ذلك إلا باستمداد من تأييد سماوي وقوة إلهية ، وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس ، بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه ، حتى إن العربي القح كان يراه فيقول : والله ما هذا بوجه كذاب : فكان يشهد له بالصدق بمجرد مشاهدته ، فكيف من عرف أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده ، لاسيما وقد علم أنه أمي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب العلم ؟ فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ، ومعرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ؟ ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك ؟ فلو لم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية . فما أعظم غباوة من ينظر في أحواله ، ثم في أقواله ثم في أفعاله ، ثم في أخلاقه ، ثم في معجزاته ، ثم في استمرار شرعه إلى الآن ، ثم في انتشاره في أقطار العالم ، ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وعلو منصبه الذي لم يصل إليه فيلسوف ولا نبي من أول تاريخ العالم الى الآن . وأمامك تواريخ العظماء والحكماء فاستعرضها واحدا واحدا .

وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر :

ولنجعل آخر كلمتنا هذه الحديث الذي روى عن عائشة رضي الله عنها :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال سعد بن هشام : دخلت على عائشة رضى الله عنها فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن .

فانظر الى مثل قوله : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون الخ » . « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » . « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » . « واصبر وما صبرك إلا بالله الخ » . « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » . « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » . « ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » . « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » . « لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن » . « اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا »

ولنقهر القلم على ترك الجولان فى هذا الميدان عملا بمقتضى الحال ونظرا الى ضيق المجال ، ولندع القرآن يثنى عليه فى مثل قوله : « وإنك لعلى خلق عظيم » . « وكان فضل الله عليك عظيما » . « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

إذا الله أثنى بالذى هو أهله عليه فما مقدار ما تمدح الورى

أسأل الله أن يجعلنا من عارفى قدره ، المتمسكين بسنته ، المتشرفين بعظيم محبته بمنه وكرمه :

يوسف الدجوى
من جماعة كبار العلماء

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

إذا احتفلت الأمم الحية بميلاد عظمائها لما قدموه لها من حسنات معدودة ، وأسباب للسعادة محدودة ، فان منشأ هذه الحفاوة هو ما أودع فيهم من سر العظمة ، وما عرف عنهم من معانى البطولة .

ولما كانت عظمة « محمد » صلى الله عليه وسلم لا ساحل لها ، وما أسداه للمجتمع يعدو الحصر ، وجب أن يكون له فى كل يوم عيد ، وفى كل طلعة شمس حفاوة ، لأن كل يوم قضاه فى هذه الحياة كان خيرا وبركة على العالم أجمع ، وكل لحظة مرت به وهو فى هذه الدار قدم فيها للانسانية من ضروب السعادة ما برحت تنعم بثمارها ، ومن ألوان النعيم ما زالت تتقلب فى بحبوحتها . وإنى سائر بالقارئ على ناحية خصبة من نواحى هذه الشخصية العامرة بالعظمة ، ويكفيها جلالا أنها أبرز ناحية من نواحى العظمة الالهية التى تجلت بأبهى صورها فى هذه الشخصية المحمدية ، ولله در البوصيرى إذ يقول :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

وهذه الناحية هى :

فى غرب القارة الاسيوية رقعة من الأرض واسعة قاحلة ماحلة ، تغطيها رمال مترامية الأطراف ، تخترقها الجبال الممتدة من الجنوب الى الشمال ، صهرتها حرارة الشمس المسلطة عليها آلاف السنين ، وصبغتها الايام والليالى بألوان مختلفة ، فمن جبالها جدد بيض ، وحمر مختلف ألوانه ، وغرابيب سود ، يقضى الانسان فيها حياته لا تقع عينه على نهر يجرى ، ولا على ماء إلا فى أعماق الآبار وساعة نزول الامطار .

يتوسط هذه الرقعة المقفرة بلد قديم يدعى « مكة » إذا علوت ظهر هذا البلد ، وصعدت النظر فيما حولك ، لا ترى إلا رمالا وجبالا ، وإذا سرت منها شمالا وجنوبا ، وشرقا وغربا حتى أعياك السير الليالى والشهور ، لا يقع ناظرك إلا على ما هو طبعى لا يد للصنعة فيه ، فلا مدارس ولا جامعات ، ولا معامل ولا مصانع ، ولا أثر للحضارة ولا معالم للعمران ، يقطن هذا البلد وما حوله أمة عربية ، نزحت اليه من عهد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

انتصف القرن السادس الميلادى ، وهذه الأمة العربية خامدة ، خاملة متفرقة متنابذة ، تتناهبها الفرس والروم ، يسخرها كل منهما لأغراضه ، تخوض غمار الفوضى ، وتضرب فى فيافى الجهالة ، لا تعرف للحضارة معنى ، ولا يربطها بالنظام سبب ، فكل مظاهر الحضارة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بعيد عنها ، فلا نقود باسمها مضروبة ، ولا صناعة لها معهودة ، ولا قوانين تضبطها فى تسيير أمورها ، فكانت تتعامل بنقود الفرس والروم ، وتستعين ببضاعتهما حتى فى بناء الكعبة المقدسة ، وترى الصناعة عارا تتهاجى به فى خطبها وأشعارها ، وتخضع فى تسيير أمورها للغلبة والقوة ، فالرجل الذى يسودهم هو الذى يجمع بين الشجاعة والكرم والثروة والعدد .

جمعت تلك الأمة العربية الى ما تقدم انغماسا فى الفساد ، وسبحا فى الفوضى ، وانتهاكا للحرمات ، وارتكابا لأفظع الجرائم ، دماء تسفك ، وأموال تسلب ، وفتيات على البغاء تكره ، وبنات صغيرات تدفن على الحياة تحت أطباق الرمال ، وتهالك على الخمور والميسر ، الى حد جعلهم يعدون البذل فى سبيلهما من دواعى الكرم والسخاء .

جمعت العرب الى كل هذه الفوضى فى تصرفاتها انتكاسا فى عقائدها ، تنحت من الجبال أحجارا بيدها ، وتنصبها فوق الكعبة آلهة تعبدها ، تنحر لها الذبائح ، وتقدم لها النذور والقرابين .

ومع أن المعروف المرتكز فى طبائع الناس ، أن الانسان لايعبد إلا من يرجو خيره أو يخشى عذابه ، فقد بلغ الجهل بهؤلاء القوم ، أنهم يأملون الخير ويخشون الضر فى قطعة من الحلوى ، يصنعونها تمثالا بأيدهم متى شاءوا وكيف شاءوا ، ثم يتقربون بها الى الله زلفى ، ثم يأكلونها إذا جاعوا .

فى النصف الأخير من القرن السادس الميلادى وفى هذا البلد «مكة» تزوج فتى من أشراف قريش يقال له عبد الله بن عبد المطلب ، بسيدة من كرائم القرشيات ، هى آمنة بنت وهب الزهرية ، ولما بنى بها لم يطل مقامه معها حتى رحل فى تجارة له الى الشام ، وبينما هو راجع وافته منيته بالمدينة ، وكانت امرأته تحمل فى بطنها جنينا قد مضى على حمله شهران .

وفى صبيحة يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول الموافق لعشرين من شهر ابريل سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بعد ميلاد المسيح عليه السلام ، وضعت السيدة آمنة مولودا جميل الوجه ، أزهر اللون ، أدعج العينين ، أقنى الانف ، واسع الجبين ، فسيح الصدر ، ضخم العظام ، رحب الكفين والقدمين ، فشمل الفرح والسرور آمنة ومن حولها ، فأسرعت بارسال من يحمل البشرى الى جده عبد المطلب الذى كان جالسا بجوار الكعبة فى انتظار من يبشره بما يخفف عنه لوعة الحزن التى أصابته بموت ولده غريبا صغيرا ، وكانت سن عبد المطلب وقتئذ تبلغ مائة وست عشرة سنة ، فلما أن جاءه البشير ظهر السرور على وجهه ، وسرى ماء الحياة فى جسمه وقال : سموه « محمدا » .

وهو اسم لم تعهده العرب من قبل ، ولعله قصد بهذا الاسم الخير ، والتفاؤل بأن يكون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا المولود محل حمد الناس وثنائهم ، فحقق الله الذى أجرى هذا الاسم على لسانه تفاؤله ، ورزق هذا المولود الدرجة الرفيعة والمقام المحمود .

مكث محمد مع أمه ثلاثة أيام ، ثم استرضعته حليمة السعدية بنت أبى ذؤيب من هوازن المقيمة ببادية مكة ، فأقام مسترضعا فيهم نحو أربع سنين ، ثم رجع الى أمه معافى سليما .

وفى السنة السادسة من عمره عليه السلام ، ذهبت به أمه الى المدينة لزيارة أخوال أبيه بنى عدى بن النجار ، وبينما هى عائدة به أدركتها منيتها فى الطريق بالأبواء « قرية بين مكة والمدينة » .

فحضنته بعد امه جارية أبيه « أم أيمن » وكفله جده عبد المطلب . ولما بلغ من العمر ثمانى سنوات توفى جده عبد المطلب وكفله عمه أبو طالب ، وكان أبو طالب رجلا قليل المال ، فكان عليه السلام مدة كفالة عمه مثال القناعة والبعد عن الصغائر التى يتعلق بها الأطفال عادة ، قالت « أم أيمن » حاضنته : كان إذا قدم الطعام وتسابق اليه الأطفال رزينا عفيفا يقنع بما تيسر له .

ولما بلغت سنه اثنتى عشرة سنة وأراد عمه وكفيله أبو طالب السفر بتجارة الى الشام ، تعلق به عليه السلام ، وشق عليه فراق عمه ، فحن له قلب عمه واصطحبه معه ، وهذه أول رحلة له الى الشام ، ولم يطل فيها غيابهم كثيرا .

ولما بلغ خمسا وعشرين سنة سافر للشام للمرة الثانية ، وذلك أن خديجة بنت خويلد الاسدى كانت سيدة ذات شرف عظيم فى قومها ، وكانت غنية تتجر فى تجارة واسعة ، تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم فيه ، فلما سمعت عن محمد وأمانته وصدقه مالم تعهده فى غيره حتى اشتهر بين قومه بالصادق الأمين ، استأجرته ليخرج فى مالها الى الشام تاجرا ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره ، فسافر مع غلامها ميسرة ، فباعا وابتاعا وربحا ربحا عظيما ، وتجلى لميسرة من أمانته عليه السلام وشدة محافظته على ما بيده من المال ، ما حببه الى قلبه ، وجعله يقص ما رأى على سيدته بعد عودته .

فرأت خديجة بصائب تدبيرها أن تتخذه لها زوجا ليكفيها تقلب مالها بين أيدى رجال قد لا تتوفر فيهم شروط الأمانة ، وكانت سنه حينئذ خمسا وعشرين سنة وسنها أربعين سنة ، فأرسلت اليه تخطبه لنفسها فقبل .

وذهب مع أعمامه حتى دخل على عمها عمرو بن أسد ، فخطبها منه عمه أبوطالب ، وقد خطب عمه أبوطالب فى هذا اليوم فقال : « الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل ، وأصل معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسواس حرمه ، وجعله لنا بيتا محجوجا ،

(٥)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وحرما آمنا ، ثم إن ابنى هذا محمد بن عبد الله لا يوازن به رجل شرفا ونبلا وفضلا ، وإن كان فى المال مقلا فان المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مستردة ، وهو والله بعد هذا له نبأعظيم وخطر جليل ، وقد خطب اليكم رغبة فى كريمتكم خديجة ، وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا». وعلى هذا تم العقد ، وصارت خديجة أرملة أبى هالة زوجا لمحمد بن عبد الله .

معيشته قبل البعثة :

لم يرث محمد صلى الله عليه وسلم من والده شيئا مذكورا ، فقد ولد يتيما وعاش عائلا . ولما بلغ مبلغا يمكنه من أن يعمل عملا كان يرعى الغنم مع إخوته من الرضاع فى بادية بنى سعد ، ولما رجع الى مكة كان يرعى الغنم لأهلها على قراريط ى كل منها ، وهذا حال معظم الأنبياء من قبل : لايمدون أعينهم الى ما متع الله به أهل الدنيا ، حتى لا يشغلون بها عن العدة الأبدية ، فهذا ابراهيم وعيسى عليهما السلام وزهدهما فى الدنيا معروف مشهور ؛ وهذا موسى قد قضى شطرا من حياته يرعى الغنم فى مدين بأجر معلوم . تلك حكمة الله فى أنبيائه لتكون حياتهم مثلا صالحا لأتباعهم ، فيعينون الضعيف ، ويشفقون على المريض ، ولا يتكالبون على الدنيا ، ولا يتناحرون على متاعها ، فتغرقهم فى بحار مصائبها ومحنها وبلاياها .

ولما شب وبلغ مبلغ الرجال كان يتجر ، وكان ممن شاركه فى التجارة « السائب بن أبى السائب » ، ولما تزوج خديجة كان يتجر فى مالها ، وى كل من نتيجة عمله ، جمع كل ذلك الكتاب العزيز فى قوله : « ولسوف يعطيك ربك فترضى . ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى » .

سيرته فى قومه قبل البعثة :

كان أحسن قومه خلقا ، وأصدقهم حديثا ، وأوفرهم أمانة ، وأبعدهم عن الفحش ، وأفضلهم مروءة . شهد له بذلك ألد أعدائه بعد البعثة ، عندما اجتمع زعماء قريش ليتفقوا على تهمة يرمونه بها ، ليصرفوا الناس عنه ، فقال أحدهم : نقول عليه ساحر ، فقال النضر بن الحارث من بنى عبد الدار : « قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر » !

ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن رسول الله عليه السلام قائلا : «هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال » أجاب أبو سفيان «لا » فقال هرقل : « ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله » .

قد حفظه الله فى شبابه من كل أعمال الجاهلية المشينة ، وبغضت اليه الأوثان بغضا شديدا حتى كان لا يحضر لها عيدا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد حدثنا عليه السلام عن نفسه فقال : « لما نشأت بغضت الى الأوثان ولم أهم بشىء مما كانت الجاهلية تفعله » .

من كل هذا يتجلى لنا صورة واضحة عن حياته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وسط هؤلاء القوم ، وهو فقير يتيم يقضى جل وقته فى بطون الصحارى ورءوس الجبال وراء غنم يرعاها لأصحابها على أجر يأكل منه ، زاهد فى مجالس القوم ، بعيد عن لهوهم ، نافر من معبوداتهم ، منصرف بكليته الى ما يعنيه ، راغب عما لا يعنيه .

فلم يعرف عنه قبل الأربعين من عمره أنه خاض فى نقاش علمى ، ولا عنى بجدل دينى ، ولا فاخر بشعر ولا نثر .

أعده مولاه لتحمل رسالته ، فنشأه بمكة الخالصة للعرب وحدهم بعيداً عن يثرب التى يبعث فيها الجدل الدينى احتكاك المشركين بمن حولهم من اليهود ، فكانت حياته هادئة وادعة بعيدة عن عوامل التنافر والتباغض .

ولم يعهد فى تاريخ البشر قديمه وحديثه أن شخصا ينسلخ من عمره طليعته العامرة بالنشاط ، الحافزة الى التوثب وهو هادىء ساكن ، فاذا ما دخل فى دور تفتر فيه القوى وتذبل فيه القرائح ينقلب فتى الفكر صائل العزيمة ، تتفجر منه ملكات جديدة فى علوم شتى ومعارف عميقة الغور عويصة المباحث .

ولوضوح هذه الحجة فى الدلالة على أن رسول الله لا بطل عبقرى فحسب ، عير الله المشركين بالغفلة عنها حيث أمره أن يجيبهم على قولهم « ائت بقرآن غير هذا أو بدله » بقوله « قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى الى » الى أن قال « فلقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون » .

وفطن لذلك البوصيرى فقال :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة   فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

نعم عند ما استوى على رأس الاربعين عاما من عمره فجأ العالم بما غير مجرى التاريخ وقلب نظام الكون .

فجأ قومه بما يغاير ما هم عليه ، ويخالف ما ألفوه ، فقابلوه بأشد ما عرف من أنواع الايذاء ، وقاوموه بكل ما يملكون من حول وطول ، وألبوا عليه حاضرهم وباديهم ، فكان صبورا قوى الصبر ، مؤمنا صادق الايمان . وسنحدثك ببعض مواقفه بما يجلى لك أن هذا موقف رجل موقن فى دخيلة نفسه بما يقول ويفعل ، يستمد وحى ضميره من السماء ، لا موقف رجل مغامر يختلس النصر اختلاسا .

أنبأتنا الأخبار الصحيحة أن المشركين لما فتكوا بالمسلمين يوم حنين ، وذعر المسلمون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفروا ، بقى هو وحده على بغلته يقودها أبوسفيان وهو يركضها نحو العدو ويقول : «أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب »

يجهر بذلك حتى سمعه المسلمون ، فرجعوا اليه وكانوا قد ظنوا أنه قتل .

فهل هذا موقف رجل كسائر الرجال ، أو بطل كبقية الأبطال ، أم موقف رجل لا يعرف غير إله السماء ، ولا يرهب غير رب العالمين ؟ جمع أعداؤه عليه جموعهم ، وصبوا عليه كل ما يستطيعون من إيذائهم ، فكان يقابل أذاهم بالصبر ، ويصفح عنهم ، ويستغفر لهم ، ويعتذر عنهم ، فقد أخبرتنا الاحاديث الصحيحة ، أن عمر بن الخطاب قال : «لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقد شج وجهه ، وكسرت رباعيته ، قلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد دعا نوح على قومه فقال : «رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا » ، ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا عن آخرنا ، فلقد وطىء ظهرك ، وأدمى وجهك ، وكسرت رباعيتك ، فأبيت أن تقول إلا خيرا ، فقلت : اللهم اغفر لقومى فأنهم لا يعلمون» . وقد صحت الروايات أن غورث بن الحارث تصدى له ليفتك به وهو نائم فى حر الظهيرة تحت شجرة بعيد عن أصحابه ، وهم جميعا نائمون ، فأحس عليه السلام بحركة فانتبه فاذا برجل قائم على رأسه ، والسيف مصلت فى يده ، قائلا : مايمنعك منى يا محمد؟ فقال : الله ! فسقط السيف من يد الرجل ، فتناوله عليه السلام وقال للرجل : ما يمنعك منى؟ فقال : كن خير آخذ ، فتركه وعفا عنه ، فرجع الرجل الى قومه يقول : جئتكم من عند خير الناس .

وحدثنا أنس بن مالك قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية ، فجذبه أعرابى بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه ، ثم قال : يا محمد احمل لى على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك ، فانك لا تحمل من مالك ولا من مال أبيك ، فسكت عليه السلام ثم قال : المال مال الله ، وأنا عبده ، ويقاد منك يا أعرابى ما فعلت بى ؟ قال : لا ، قال : لم ؟ قال : لأنك لا تكافىء بالسيئة السيئة ، فضحك عليه السلام ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير ، وعلى الآخر تمر .

هذا الحلم والثبات والثقة بالنفس والدقة فى الحكم دليل على أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ليس من عند نفسه ولا يد له فيه .

ولا فأى عقل فى أى رأس يستطيع أن يتصور رجلا يأتى فى مدى ثلاثة وعشرين عاما كلها حروب وأسفار ، وتعب وآلام وأهوال ، لا يؤوب من سفر حتى يستلمه سفر ، لا يكاد يرى النوم الهادىء ، ولا العيش الناعم ، ومع ذلك فهو رجل أمى من أمة أمية ، فقيرة مشتتة جاهلة متوغلة فى الجهالة ، رجل هذا حاله يأتى بما حير العقول ، وأعجز الفحول ، من يوم أن جاء الى يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟ كل يوم تجتمع مجالس نيابية وتصدر تشريعات ، بعد تمحيص

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وتدقيق من كبار المشرعين ، ورجال القوانين ، ثم لا تلبث عشية أو ضحاها حتى يعتريها الخلل ، ويعتورها الفساد ، ويظهر فيها من العيوب ما يوجب محوها ، وإبدالها بغيرها ، وهكذا دواليك .

قانون يبطل قانونا ، وتشريع يقوم على أنقاض تشريع ، وشرع محمد ثابت لا يتغير ، وقانونه راسخ لا يتحول ، تتكسر تحت أقدامه قوانين الانسان ، وتتحطم على صخرته تشريعات البشر ، تدور كلها حوله ثم ترجع صاغرة اليه ، وتزهو مرتفعة ثم ترتمي بين قدميه .

وهاهى تلك شريعة شامخة تقارع العقول فى أوج قوتها ، وتتحدى الأفكار فى عز نشأتها ، فى كل باب من أبواب الحياة ، وفى كل لون من ألوان الأخلاق والعادات ، وفى كل ناحية من نواحى الاجتماع .

فبينما تراها تنظم العلاقة بين الخالق والمخلوق ، فاذا بها تشرح واجب المرء نحو نفسه ، ونحو أهله ، ونحو زوجه وولده ، ثم نحو المجتمع كله ، لم تترك فضيلة إلا طلبتها ، ولا رذيلة إلا حظرتها .

هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم ، صاحب هذه الرسالة ، التى لم تقتصر على طائفة دون طائفة ، ولا على المسلمين دون غيرهم ، بل تناولت روابط المسلمين بغيرهم من جميع الملل والنحل ، مما يجعل هذا النبى الكريم مبعوث الانسانية ، ورحمة العالمين ، ويتيح لكل فرد من بنى الانسان أن يقرأ فى صحيفة هذا النبى الكريم أسمى المبادئ ، وأنبل المقاصد ، وأشرف الغايات .

جاء خاتم النبيين ، وأرسل للناس كافة ، فدعا الى الاخاء والسلام ، وحبب الى النفس المودة والوئام ، فكان مع خصومه مثلا أعلى للانسان الكامل .

فيايها الناس ، اذكروا هذا النبى الكريم ، واستعرضوا حياته وسيرته ، استخرجوا منها بما ينفعكم ، فكلها دروس وعظات ، ويأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .

عبد الجليل عيسى أبو النصر
شيخ معهد دسوق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

محمد صلى الله عليه وسلم

وهل تنسى عظمته ؟

فى شهر ربيع الأول من عام ٥٧٠ لميلاد المسيح عليه السلام ، وفى مكة من قرى بلاد العرب ، ولد « محمد » من أبوين كريمين ، يتصل نسبهما بنبى الله اسماعيل ، وقد مات أبوه عبد الله بن عبد المطلب وهو فى بطن أمه آمنة بنت وهب ، لم تنفخ فيه روح الحياة ، ومكث بعد ولادته الى السنة الخامسة من عمره فى بنى سعد حيث كانت ترضعه حليمة السعدية ، وبعد أن عاد من الصحراء ارتحلت به أمه الى المدينة ، ومكثت به شهرا فى ضيافة بنى النجار أخوال أبيه عبد الله ، وقد أراد الله ألا يطول أمد اتصاله بأمه كى لا يشتغل قلبه بالأمومة ، كما لم يشتغل قلبه بالأبوة ، فانتزعها منه أثناء أوبتهم الى مكة ، وهكذا نشأه ربه معتمدا على نفسه ، خالى القلب من شواغل الأبوة والأمومة ، متفرغا لما يفاض عليه من حب مولاه .

تولاه الله برعايته ، وصنعه بيده ، آواه من يتم ، وأغناه من عيلة ، وهداه من ضلال وحيرة ، ومازال يغمره بالفضل والاحسان ، حتى بلغ أشده واستوى فى أفق الانسانية الأعلى ، وتهيأت نفسه البشرية لتلقى الرسالة العامة التى ختمت بها رسالات الحق الى الخلق ، فأرسله الله رحمة للعالمين ، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، أرسله بدين أساسه الايمان بالله واليوم الآخر ، وقوامه مكارم الأخلاق وصالح العمل « يأيها المدثر ، قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر »

ظل بعد ذلك بمكة يدعو الى التوحيد ، وعقيدة البعث والجزاء ، ونبذ ما كان عليه الآباء : من الشرك والوثنية ، وسوء الخلق ، وقبيح العادات ، وما كان له من سلاح فى تلك الدعوة إلا سلاح الحكمة يغزو بها القلوب ، والموعظة الحسنة يهذب بها النفوس ، ويلطف الطباع .

ولما رأى أن الدعوة لا تتغلغل فى النفوس كما يحب ويريد ، وأن موقف المكيين منه وتعصبهم لموروثاتهم ، قد يكون له من النتائج الخطيرة مالا يتفق ونجاح دعوته ، هاجر هو وصحبه الى المدينة ، وقد سبقهم اليها أريج الدعوة ، وتخللت هناك قلوبا عاهدته على أن يمنعوه مما يمنعون منه الأنفس والأبناء والأعزاء . هاجروا اليهم ضما للصفوف ، وتوحيداً للكلمة ، وجمعا للقوى المتحابة فى الله . هاجروا اليهم التماسا لوسائل العزة والنصر ، ونزوعا عن مواطن القهر والاذلال :

وفى الارض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متحول

وهناك ابتدأت لدعوته حياة جديدة ، أخذت تغزو الناس فى عقر دارهم ، وتتابع الوحى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من السماء بالقانون الذى ينظم تلك الحياة ؛ التى سلخ فى بنائها وتنظيم تشريعها مدة حياته فى المدينة ؛ وقد أقر الله عينه بثمرة جهاده ، ورأى كلمة التوحيد تعمل عملها فى عناصر الشرك ، وتعفى على مظاهر الضلال والبهتان ، وأنزل عليه فى محكم الكتاب : «اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » .

هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى جرت سنة المسلمين بعد قرونهم الأولى أن يحتفلوا بميلاده فى هذا الشهر من كل عام ، يذكرون الناس بشمائله التى فطر عليها ، وعرف بها فى أهله وقومه ، يوم أن كان غلاما حدثا يرعى الغنم ؛ ويوم أن كان شابا جلدا يحضر مع أعمامه حرب الفجار ، وحلف الفضول ؛ ويوم أن كان رجلا مكتملا وافر العقل ، يرتحل فى تجارة خديجة بنت خويلد ، ويرضاه القوم حكمًا فى النزاع الذى شجر بينهم فيمن يضع الحجر الأسود فى موضعه من البيت ؛ ويوم أن كان ناسكا متحنثا يفر من ظلمات الدنيا ، ويلتمس الأنس بربه ؛ ويوم أن كان داعيا الى الله مبشرا من أجاب ، ومنذرا من أبى ؛ ويوم أن كان قائدا يتقدم الصفوف ، ويتقى به أصحابه ، ويتلقى النبال والقذائف ، ويوم أن كان حاكما لا يعرف الجور ولا المحاباة ؛ ويوم أن كان هاديا مرشدا يتعهد الناس بالحكمة والموعظة .

وقد أتى على المسلمين حين من الدهر لا يفكرون فى إقامة حفل خاص يذكرون فيه الناس بشمائل رسولهم ، ولا بجهات عظمته التى تجلت فى هذه الأطوار كلها ، ذلك لأن عظمته لم تكن عندهم فى مكان هذه العظمة التى تألفها الأمم فى نوابغها وأفذاذها ، ويخشون عليها الموت أو التلاشى فى صحف الأيام الماضية ، وإنما هى عظمة قارة فى نفوسهم ، منقوشة فى قلوبهم ، لها من الآثار ما أدهش العالم فى حياته ، وما بقى بعد مماته يتغلغل فى العالم ، ويسرى فى أرجائه وأعماقه ، حتى أرغم الخصوم فى العهدين على الاعتراف بها والاغتراف من سلسبيلها ؛ عظمة لم يقتصر أثرها على جانب من جوانب الحياة مهما عظمت ،ومهما تنوعت ، بل لم يقتصر على حدود هذه الحياة ، بل مد سلطانه إلى الحياة الآخرة ، وكشف للناس عن حجب غيبها ، وصور لهم ما سيجدون فيها من نعيم أو شقاء .

ليست عظمته صلى الله عليه وسلم من عظمة الملوك الجبارين ، الذين يستعذبون أنين الانسانية واستعباد الخلق وإذلالهم ، فلقد خرج ذات يوم على أصحابه يتوكأ على عصاه ؛ فقاموا له إجلالا واحتراما ، فقال لهم : لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ، يعظم بعضها بعضا .

ودخل عليه رجل ، فأصابته رعدة من هيبته ، فقال له : هون عليك ، فانى لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد .

وليست من عظمة القواد الطاغين الذين يفسدون فى الأرض ، ويسفكون الدماء ، ولا يرون السعادة إلا فى الفتك بالضعفاء ، والتخريب والتدمير ، وترويع الآمنين ، فلقد دخل مكة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وبيده جميع أسباب النصر والقوة، ولم ينس ما أصابه فيها ثلاثة عشر عاما من كيد وتنكيل، فلم يحضره شيء من صلف الفاتحين، أوجبروت المنتصرين، ولم تعرف ثورة انتقام الموتور، وقد أيد بالقوة من كل جانب، سبيلا الى قلبه الذى امتلا رحمة وعطفا، وشفقة وكرما، يدخل مكة فاتحا وأعلام النصر تخفق فوق رأسه، مطأطئا حتى تكاد تمس رأسه قادمة الرحل، ثم يجلس بعد أن يؤمن الناس، ويجلس حوله صناديد قريش، وهم الذين آذوه وأخرجوه من داره بغير حق إلا أن دعاهم الى توحيد خالقهم، وإعلان إنسانيتهم، يجلسون بعيون شاخصة، وقلوب واجفة، ينتظرون ما هو فاعل بهم، وأى عذاب يصب فوق رءوسهم، ويعرف ذلك فى وجوههم، ويقرؤه واضحا فى جباههم، ويسمع خفقات قلوبهم، واصطكاك مفاصلهم، فيهدئ روعهم، ويقول لهم: ما تظنون أنى فاعل بكم؟ فيقولون بلهجة من يستدر العطف والرحمة: أخ كريم، وابن أخ كريم، فيقول لهم تلك الكلمة الخالدة: اذهبوا فأنتم الطلقاء! تلك هى العظمة التى تنطفئ ببردها وسلامها عظمة نيران المدافع، وتذوب أمامها قوة العسف والطغيان.

وليست من عظمة الأغنياء الموسرين الذين يستكبرون فى الأرض بغير الحق، ويمنعون حق السائل والمحروم، ثم هم يسخرون عباد الله فى شهواتهم وأهوائهم بشيء من حطام الدنيا الزائل، فقد كان عليه الصلاة والسلام زاهداً فى الدنيا، قلا فى المال، ومع ذلك كان أجود من الريح المرسلة. جاءه رجل من جفاة الأعراب، ومعه بعيران، فلما دنا منه جذبه بردائه جذبة شديدة أثرت بها حاشية البرد فى صفحة عنقه، ثم قال له: يا محمد، احمل لى على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك، فانك لا تحمل لى من مالك ولا من مال أبيك! أتعلم ماذا كان موقف الرسول من هذا الأعرابى الذى جاء يلتمس منه الاحسان؟ قال له صلى الله عليه وسلم:- نعم يا أعرابى، المال مال الله، وأنا عبده، سنعطيك ما طلبت، ويقاد منك ما فعلت، فقال الأعرابى: لا، فقال النبى: ولم؟ قال: لأنك لا تكافئ السيئة بالسيئة، ولكن تكافئ السيئة بالحسنة، فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وأمر أن يحمل له على أحد بعيريه شعير، وعلى الآخر تمر، فساقهما الأعرابى، وانصرف شاكراً لله، ولرسول الله، وهكذا كان خلق الرسول صلى الله عليه وسلم «ولا تستوى الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتى هى أحسن، فاذا الذى بينك وبينه عداوة، كأنه ولى حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا، ومايلقاها إلاذوحظ عظيم».

إن العظمة التى تعرفها الأمم لأفذاذها، وتقيم لها الذكريات، لا تعدو فى غالب أمرها أن تكون من هذا الجبروت الغاشم الذى يتخذ من أرض الشعوب الهادئة وديانا يملؤها بدماء البشرية البريئة، ومن أجسامهم أشلاء تتراكم بها طبقات الأرض ظلما وعدوانا!

وإذا قدر لأمة أن يكون لبعض أبنائها حظ من العظمة الحقة النافعة، فهذا الحظ لا يتجاوز

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جانبا من جوانب هذه الحياة ، ومع ذلك لا يلبث أن يزول ، أو يغشيه حظ آخر من نوعه ، أو من نوع سواه هو أشد اتصالا أو ملاءمة لحياة الأمة المتطورة .

أما عظمة محمد ، فهي عظمة رحمة وعطف ، عظمة هداية وإرشاد ، عظمة تثقيف وتهذيب ، عظمة إصلاح وتعمير ، عظمة سلم وأمان ، عظمة تهيئ للحياة الفاضلة عدتها ، وتعبد لها سبلها .

لا أريد أن أحدثك عن عظمته الخلقية التى نشأ فيها ، وشب عليها ، واعترف بها من لا يؤمن به ، فقد تحدث عنها كثير ، وإنى أخشى إذا تحدثت بشىء منها أن يقول من ينكر فضل الله ، ويلحد فى آياته البينات : عظمة طواها الدهر ، وماتت بموت صاحبها . وإنما أريد أن أتحدث عن تلك العظمة الأخرى التى سايرت آثارها الدهر ، واستقرت فى صفحة الخلود ، وأخذ العالم يستمد منها غذاء حياته الروحية والاجتماعية ، هذه العظمة التى تتمثل آثارها فى تلك التعاليم التى وحدت بين قلوب متنافرة ، وربطت بين قبائل مبعثرة ، فهذبت من خشونتها وخففت من غلوائها ، وكونت منها أمة مهيبة الجانب ، عزيزة المنال ، عظيمة الأثر ، ذات شخصية ثابتة ، ونظام محكم متين ، استطاعت أن تسوس به شعوب الارض على دعائم قوية من الحكمة والعدل .

هذه التعاليم التى فوجىء بها قوم تمكنت فيهم عوامل الفساد فى الأرض ، وحرفوا الشرائع وعبدوا غير الله ، ونسوا يوم البعث والجزاء ، وتحكم قويهم فى ضعيفهم ، وانحلت أخلاقهم ، واستباحوا الدماء والأعراض والأموال ، حتى ماد العالم ، واضطربت أركانه ، وتزعزعت عناصر الحياة فيه ، وما هى إلا صرخة الحق عن طريق محمد حتى ملأ الايمان قلوبهم ، وتبادلوا العطف والمحبة ، وسادت الرحمة فيما بينهم ، وتبدل شرهم خيرا ، وفسادهم صلاحا ، وأصبحوا بنعمة الله إخوانا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله .

هذه التعاليم التى أطلقت للعقل البشرى حريته ، وفكته من السلاسل والأغلال ، وأهابت به أن يتقلب فى بديع الكون ، وظواهر الطبيعة ، وينتفع بما أودع فيها من أسرار وسنن ، وأنحت باللائمة الشديدة على التقليد ، وعابت الجمود والتعصب للوراثة « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون »

هذه التعاليم التى سوت بين الذكر والانثى ، والحاكم والمحكوم ، وقررت أن الناس سواسية ، وأنه لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، ونظرت الى الشعوب والقبائل نظرة واحدة ، وجميعهم فى ثوب واحد ، لا تفاضل فيه ولا تفاوت ، وهو ثوب الانسانية الشامل .

هذه التعاليم التى قررت مبدأ حرية العقيدة ، وأنه لا سلطان لمخلوق فيها على مخلوق ، وقالت : « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ، من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها » .

(٦)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذه التعاليم التى قررت حق التشريع وتولية الحاكم وعزله للامة صاحبة الشأن يتولاه أهل الحل والعقد من أبنائها « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » . « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

هذه التعاليم التى ما تركت فضيلة إلا حثت عليها ، ولا رذيلة إلا حذرت منها ، ولا أصلا من أصول التشريع الحى الناهض إلا قررته ، وطلبته من الناس شرعاً يسعدون به فى الدنيا ، ودينا ينعمون به فى الآخرة .

هذه التعاليم التى كانت شفاء ورحمة للعالم ، وغرست بذور الخير فى نواحيه ، وانتشلت الانسانية من كبوتها ، وسمت بها الى المكانة اللائقة بها هى آثار العظمة المحمدية ، وهى كما ترى آثار عامة النفع ، خالدة الشأن . وإن عظمة هذه نتيجتها لا يليق بجلالها ، ومكانة التدين بها أن تنسى من القلوب ، وأن تذهب من النفوس روعتها ، حتى تحتاج فى إحيائها وتجديد ذكراها الى محافل تقام ، وخطب تلقى ، وفصول تكتب !

بهذا آمن الأوائل من المسلمين يوم أن كان الايمان قويا ، والشعور بخلود تلك العظمة حادا ، فبذلوا نفوسهم فى ترسم خطاها ، والجد فى نشرها ، والعمل على انتفاع الانسانية بها ، فكانت جميع أيامهم ذكرى لتلك العظمة ، وكانت حركاتهم وسكناتهم ألسنة من نور ، ترسم فى صفحة الوجود العام .

هذه عظمة محمد بن عبد الله ، ولكن لما ضعفت النفوس ، ونامت القلوب بحمل الأمانة ، هان تقدير تلك العظمة ، ووضعوها فى مستوى تلك العظمات الأخرى التى حدثنا التاريخ عنها ، وظنوا أنها من نوعها ، فكرموها بصور وأساليب ابتدعوها ، وأطلقوا عليها اسم « الاحتفال بالمولد النبوى » ، واتخذوه عيدا من أعيادهم يجتمعون له ، ويتذاكرون فيه سيرة النبى العظيم ، ولم يمنعهم حياء من أن ينعتوا ذلك بأنه قصة « المولد الشريف ! » وما كان لعظمة محمد أن تكون قصة ، وما كان لسيرته أن تنسى ، وما كان لآثارها أن تغفل عنها القلوب وهى تؤمن بالله واليوم الآخر .

إن التكريم الحق ، والذكرى الصحيحة لهذه العظمة ، إنما يكون ببث حكمه وآدابه ، ونشر تعاليمه وأحكامه ، والتشمير عن ساعد الجد فى إقامة حدوده وشرعه ، حتى يضمحل الشر ، ويعظم الخير ، وتتحقق إرادة الله فى العالم « ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيء لنا من أمرنا رشدا » !

محمود شلتوت
وكيل كلية الشريعة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

محمد خاتم النبيين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا تلك اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » رواه البخارى .

حقا لقد كان محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه اللبنة الأخيرة من البيت الذى بنى بوساطة الأنبياء السابقين ، وكان من أجل ذلك خاتم النبيين . وما دام محمد هو اللبنة الأخيرة من ذلك البيت ، وما دام خاتم النبيين ، فليكن ما أتى به من إصلاح ، وما نزل عليه من تشريع هو الاصلاح الذى لا ينتظر أن يعقب باصلاح ، وهو التشريع الذى يصلح مرجعا للأجيال المقبلة ، والأزمان المتعاقبة .

لذلك لم يدع طائفة من طوائف الأمة إلا أصلحها ، ولا جماعة إلا رسم لها طريق سعادتها . أصلح الحاكم والمحكوم ، أصلح التاجر والصانع ، أصلح جماعة الأغنياء والفقراء ، صلح الأسر التى تتكون منها البيوت ، وفيها الرجل والمرأة ، والأولاد والخدم .

فتراه يرغب ولاة الأمور فى العدل ، وينهاهم عن الظلم : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به ، إن الله كان سميعا بصيرا » يطلب الى الحكام أن يسووا بين الأفراد والجماعات فى تطبيق القوانين ، وأن لا يفرقوا بينهم فى الحقوق التى يجب أن يتمتع بها الناس على السواء . حتى لا يحملك بغض رجل من الناس ، أو هيئة من الهيئات ، على أن تحول بينهم وبين حقهم الطبعى « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى »

ولو أن الناس انتفعوا بذلك الاصلاح المحمدى ، الذى يضبط النفوس ، ويحول بينها وبين الشهوة ، فأنصفوا خصومهم كما ينصفون أنصارهم ، لكان حالهم أحسن من ذلك الحال الذى تراه . وهل هناك تشريع أعدل من تشريع يوجب عليك أن تدع الخصومة الشخصية جانبا ، وتعطى خصمك من الحق ما هو أهل له ؟ هل هناك تشريع أحكم من تشريع يحرم عليك أن تساير العاطفة ، حتى لا تتغلب على العقل والمصلحة ، وبذلك تكون قواما بالقسط ، شاهدا بالحق وللحق ، وإن كان موقفك هذا فى غير مصلحة آبائك وذويك ؟ « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين »

إن تشريعا هذا حاله ، يقدس الحق ولو لم يكن فى مصلحة النفس أو الآباء والأقارب ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويمتهن الباطل ، هو تشريع يجب أن يبقى ويدوم ، وهو التشريع الذى سعد به المسلمون زمنا طويلا ، وشهد لهم من أجله خصومهم أيام فتحهم ، حتى قال قائلهم : « لم تر الأرض فاتحا أعدل من الاسلام » . ولعلهم عائدون إليه بعد أن قتلتهم الشهوات ، وفرقتهم الأهواء والاحن ، وذاق بعضهم بأس بعض .

وكما أوجب الله على الحاكم أن يعدل بين رعيته ، أوجب على الأمة أن تكون عونا للحاكم على إقامة صرح العدل ، وحرم عليها أن تمهد له سبيل الظلم ، وتعينه على الباطل : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » . وروى أبو داود والترمذى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : « يأيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » .

وحسبك فى التنفير من التعاون مع الظالم قول الله تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » .

أما إصلاحه لجماعة التجار فتراه فى أكثر من موطن من القرءان الكريم : « أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين . وزنوا بالقسطاس المستقيم . ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم ، إن الله كان بكم رحيما . ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا ، وكان ذلك على الله يسيرا » . فترى القرءان الكريم يتوعد آكلى أموال الناس بغير حق نارا ، ويبيح لهم أن يتجروا بالمال تجارة أساسها الرضا والصدق ، ثم تراه يرينا الحكمة من ذلك النهى ، إذ يقول : « ولا تقتلوا أنفسكم » لأن أكل أموال الناس بالباطل ، وتخريب بيوتهم قتل لأرباب الأموال ، وإذا لم يكن قتلا فهو طريقه الموصل إليه . ولأجل أن يريك أن الأمة متكافلة فى الخير والشر ، وأن العدوان على بعضها عدوان على الجميع ، حتى إن القاتل لأخيه كالقاتل لنفسه ، وهو أسلوب من أساليب تبشيع الجرائم ، لأجل ذلك يقول : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » . وأى تشريع أرحم من تشريع يباعد بينها وبين ذلك الشر على النحو الذى ترى ؟

أما إصلاحه للصانع فحثه على الصدق ، وترغيبه فى الأمانة . وفى الحديث « من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا » رواه مسلم .

أما جماعة الأغنياء والفقراء فقد تعجب كيف وضع الدين لها الدواء ، ونصح لها بطريق تضمن لها السعادة ، لأن الفتنة بالمال عظيمة ، فصاحب المال من شأنه أن يطغى ، وصاحب المال من شأنه أن يترفع به عن الفقراء والمعدمين ، وقد يغريه غناه أن يصرفه فى محاربة ربه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وخالقه ، وصاحب الفضل الأول عليه ، ومن أجل ذلك كان المال فتنة وابتلاء ، وكان محكا للنفوس يعرف به طيبها من خبيثها « إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم » .

ولا تقل الفتنة بالفقر عن الفتنة بالغنى ، فكثيرا ما تصل بصاحبها الى السخط ، وتوقعه فى الهلكة ، فلا يرضى قسمة ربه ، ولا نظام مولاه ، وقد يحرمه الصبر والرضا فتزل قدمه ، وينهار إيمانه . فالمال فتنة وابتلاء للحاصلين عليه ، وهو كذلك فتنة للفاقدين له « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » .

جاء خاتم النبيين والابنة الأخيرة من البيت النبوى ، فنصح الى جماعة الأغنياء أن يبذلوا شيئاً من المال هو الزكاة ، ليطهر بذلك البذل نفوسهم ، ويمرنهم على السخاء ، فان النفوس إذا ألفت الشح هلكت ، فأضاعت المصالح ، وعطلت المرافق ، فكان من رحمة الله بالغنى أن يصبح رجلا صالحا للحياة ، إذا دعى الى بذل ماله فى سبيل الخير أجاب ، وإذا اشتبك مع بعض قراباته فى تركة خلفها له أبوه خضع لقسمة الله فى المواريث ، وتعفف عن الدنايا التى يرتكبها بعض الناس لحرمان أخته من ميراث أبيه .

لم تقف آثار الزكاة عند ذلك الحد من تطهير نفوس أصحابها من الشح ، بل هى الى ذلك تستل من نفوس الفقراء والمعوزين حنقهم على أرباب الأموال ، وحسدهم للأغنياء ، فيصبح الغنى محبوبا للفقير ، والفقير خادما للغنى ، يحرس ماله لأن له نصيبا فيه .

وإن الناس يقاسون اليوم من شرور الشيوعية الممقوتة ما لا يقف عند حد ، لأنهم لم يرضوا بالاشتراكية المعقولة التى شرعها الله بالزكاة ، فكان عاقبة أمرهم أن سلط الله عليهم من يقض مضاجعهم ، ويزعجهم فى حياتهم ؛ وتطرف بعض الشعوب فاستولى على رءوس الأموال ، وأخذ يحارب الاستئثار بالثروة ، ويجعلها حقا شائعا للناس ، ونسى أن ذلك من شأنه أن يميت الروح المعنوى فى العامل ، ويقضى على غريزة تنازع البقاء ، والتنافس فى الحياة .

وقد فطنوا لشرور ذلك العمل ، فأخذوا ينظمونه ليصلوا الى ما يزعمون من سعادة ، وهيهات هيهات لما يؤملون ! فان السعادة فيما شرعه له الله ، وفى أن تبقى لكل عامل نتيجة عمله ، وفى أن تصير الحياة ومرافقها حقاً شائعاً يتنافس فيه الناس بمقدار ما تهيئوا له من أسباب ووسائل « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

فأنت ترى كيف تناول ذلك الاصلاح المحمدى جماعة الأغنياء والفقراء ، أما الأغنياء فاصلاحهم بالبذل ، وتطهير نفوسهم بالعطاء ، وحفظ أموالهم بالسخاء .

وأما الفقراء فاصلاحهم بحفظ حياتهم ، والحيلولة بينهم وبين إراقة ماء وجوههم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهناك إصلاح آخر لجماعة الفقراء ، هو تعهدهم بالترضية ، وترويض نفوسهم على القناعة ، وعدتهم بان الصابر له من الجزاء عند الله ما هو أهل له ، وإن حرم لذائذ هذه الحياة فلن يحرم لذائذ الدار الآخرة .

ولولا ذلك الاصلاح الروحي وأثره في نفوس الفقراء والمعوزين لانقلبت هذه الحياة جحيما على الكثير من الناس ، وشقيت بها المجموعة الانسانية الى حد كبير . فمن فضل الله على البشر إيمانهم بذلك الوعد الالهي ، وثقتهم بذلك النعيم الدائم ، وأملهم في الآخرة وما أعده الله لمن لم تهيء له ظروفه في هذه الحياة أن ينعم بما نعم به غيره . من فضل الله تعالى ذلك الاصلاح المحمدي الذي أصلح به الغني كما أصلح به الفقير .

أما إصلاحه للأسرة فحسبك أن الله تعالى يقول في شأن كل من الزوجين : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » فيرينا أن للرجل من الحقوق على زوجه مثل ما للمرأة على زوجها من الحق في حدود المعروف عند الناس في معاملاتهم ومعاشراتهم ، والدرجة التي للرجال هي درجة الرياسة المفسرة بقوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

فلم يدع الحياة الزوجية بدون رئيس يرجع إليه عند الخلاف ، واختار الله الرجل لرياسة البيت لأنه أعلم بالمصلحة ، وأقدر على التنفيذ بقوته وماله ، ومن أجل ذلك كان هو المطالب شرعا بحماية المرأة والانفاق عليها .

وروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته — قال : وحسبت أن قد قال : والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

ولو أن الناس عملوا بهذه النصائح ، وقام كل بما أوجبه الله عليه من زوج وزوجة وولد وخادم ، لصلحت البيوت ، وبصلاحها تصلح الأمة ، ولكنهم لم يقدروا ذلك الاصلاح قدره .

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه !

محمد أحمد العدوي

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من نفحات النبوة

في صحيح البخاري من حديث هرقل: « وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل سقفا على نصارى الشأم يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوما خبيث النفس ، فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيئتك ! قال ابن الناطور : وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود ، فلا يهمنك شأنهم ، واكتب الى مداين ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود ، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا ؟ فنظروا اليه ، فحدثوه أنه مختتن ، وسأله عن العرب ، فقال : هم يختتنون ، فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر » .

ملك العرب قد ظهر ، فلا قيصرية الروم في عظمتها وسلطانها ، ولا كسروية الفرس في أبهتها وجبروتها ، تسوق لها العناية الالهية هذا الملك ! بل تسوقه للعرب ، تلك الأمة المنزوية في زاوية من الدنيا بعد أن طالت عليها الأحقاب فأنستها تاريخها ، وبدلتها به حياة من الفوضى الاجتماعية والاضطراب ، فنسيها الزمن وأهمل وجودها من ذكرياته ، فلا يعرف عنها جيرانها أخص عاداتها ، وأعرف مميزاتها ، كأن لم تكن على صفحة الوجود . يقول هرقل لأصحاب دولته : فمن يختتن من أهل هذا العصر ؟ فيقولون له : ليس يختتن إلا اليهود . فأين أمة العرب ؟ هم لا يعرفونها ، أو هم لا يأبهون لها ، لأن الحديث حديث ملك يرث دولة القياصرة ، وملك الأكاسرة ، وأين يقع العرب من ذلك ؟

ظهر ملك العرب ! فأين جحافله ؟ وأين عدده وعديده ؟ وأين أسلحته وأساطيله ؟ وأين أريكته وعرشه ؟ وأين ملوكه وسواسه ؟ وأين صولته وعظمته ؟ لا شيء ، إنما هي الصحراء القاحلة الجرداء ينتثر فيها جماعات من الناس انتثار حبات الجزع انفرط عقدها ، والملك إنما يقوم على قواعد من القوى المتماسكة للجماعة المنظمة ، والمال المتراكم في الخزائن ، والجيوش الجرارة ، والعلم والمعرفة يشيعان في طوائف الأمة ليرفعاها من حضيض الجهالة الى مستوى الرقي الفكري ونظام السياسة ، وأنى للعرب شيء من ذلك ؟

ظهر ملك العرب ! فليتجه الفلك في دورته اتجاها جديدا ، وليقف التاريخ ليملي على الحياة درسا جديدا في نظام الجماعات وتاسيس الملك ، وليطو تلك الصفحات البالية التي سئمت الحياة أحاديثها عن ملك القهر والجبروت ، ودول الملوك والعبيد ، والسيد والمسود ، والذل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والاستعباد ، والظلم والاستبداد ، وليبدأ فى صفحات الخلود ، وأحاديث المثل الأعلى ، وليتحدث عن ملك الرحمة والعدل ، الناس فيه سواسية كأسنان المشط إنما يتفاضلون بعمل الخير والبر والتقوى ، فقد تجاوزت الانسانية سن الطفولة ، وبلغت أشدها ، واستوت أفكارها ، واكتملت عقولها ، واستعدت استعدادا جامعا لتلقى كلمة السماء لتعيش بها على الأرض عيشة الملائكة فى أثواب البشر ، حتى يكون كل فرد منها فى حقيقته إنسانا بروح ملك .

ظهر ملك العرب ! وكأنما جعل الله هذه الأمة الفطرية فى حياتها عنوانا على الانسانية فى مرحلة كمالها ، فاختيرت لتكون أفقا لشمس النبوة الخاتمة إيذانا بكمال فطرتها ، وكأنما كانت عزلتها عن العالم فى جزيرتها إبقاء على إنسانيتها أن يقتلها الترف والاستعباد ، وهما أدوأ الأدواء ، وأفتك الأمراض الاجتماعية بالامم ، إنما مثلها مثل الخامة من الذهب الابريز فى باطن الأرض ، فما هو إلا أن تتناوله أيدى الصاغة المهرة لتفتنه بالصهر حتى تزول عنه أدران منبته وأوضار بيئته ، فيخلص جوهره وتصفو طبيعته .

ظهر ملك العرب ! وطلع نجم النبوة الخاتمة : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الأرض » لتبطل مقاييس الناس فى الماضى ، وتوضع لهم مقاييس جديدة ترجح بها كفة العقل الانسانى ، ويقوم على أساسها ملك من الحق والعدل ، والعلم والاخاء والسلام .

وى كأن الله تعالى أفرغ العرب فى هذه المرحلة من تاريخهم الجاهلى عن هذه الفلسفات الدينية ، والديانات الفلسفية ، والنظم الاجتماعية والسياسية ليبقيهم على فطرتهم خالصة من تعقيد العقائد ، والتواء التفلسف ، فلم تكن لهم مجوسية الفرس ومزدكيتهم ، ولا أقانيم الروم وتثليثهم ، ولا نظريات اليونان وفلسفتهم ، بل كانت لهم ديانات وعقائد ، وضروب من التدين تقليدية لا تقوم على شبهة من علم أو تفكير ، تلقفوها تلقفا ، أو ورثوها إرثا كما يرثون عن آبائهم المال ، وكان أكثرها انتشارا تلك الوثنية الوضيعة ، وهى أظهر العقائد بطلانا وسخفا ، فلا تحتاج فى إزالة أثرها وتحويل النفوس عنها الى دين الحق أكثر من النظر الحسى ، وتحريك العقل ، ولهذا كان القرآن الكريم فى حجاجه لهم يتهكم بهم ويزرى بعقولهم « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه » . ولم يكن لهم جدل منطقى فى الدين ، ولا كانت لهم حجة يستندون عليها فى عقائدهم غير التقليد « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » . وكان أكثر ما صدهم عن قبول الحق فى مبدأ أمرهم العصبية الجاهلية ، والجهل بسنن الله تعالى فى شرائعه واختيار أنبيائه ورسله : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » كأنهم حسبوا النبوة من جنس مراتبهم البشرية لا ينالها إلا العظماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأهل الثراء الواسع ، والجاه العريض ، فرد الله عليهم زعمهم بقوله عز وجهه : « أهم يقسمون رحمة ربك » وأفهمهم أن شأن النبوة والرسالة شأن إلهي لا كسب فيه للانسان ، فقال : « الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون »

ظهر ملك العرب ! وبعث الله تعالى خاتم أنبيائه من أشرفهم بيتا ، وأطهرهم عرقا ، وأعزهم أرومة .

إذا اجتمعت يوما قريش لمعشر ... فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أنساب عبد منافها ... ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوما فان محمدا ... هو المصطفى من سرها وكريمها

وقد نشأ الله تعالى نبيه أكرم تنشئة ، ورباه أفضل تربية ، وأدبه أحسن تأديب ، فجنبه أمور الجاهلية كلها ، وحبب اليه الخير ، وأكرمه وعظمه وكمله فى خلقه وخلقه ، وأثنى عليه بقوله : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

عرف الله تعالى قبل نبوته ببصيرته ، فعبده بالتفكر فى آياته ، والتدبر فى جلال مصنوعاته ، واعتزل قومه وهجر أعيادهم ، وتعبد لربه حتى كمل سنه أربعين سنة ، فاوحى اليه شريعة الاسلام ، والاسلام فى أصوله شريعة جميع الأنبياء والمرسلين « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .
وإنما تختلف الشرائع فى الفروع والسياسات وما به إصلاح الخلق اختلافا يقوم على أساس استعداد الأمة لقبول التشريع والعمل به ، وأن يكون لذلك التشريع أثر فى إنهاضها وإصلاح حالها فى عقيدتها وأخلاقها وتفكيرها بقدر ما يوائم فطرتها وعقلها ، والشريعة المحمدية خاتمة الشرائع السماوية ، فهى جامعة لخيرى الدنيا والآخرة فى كل زمان ومكان ، ولكل جيل وقبيل ، قامت على تصحيح العقيدة بتوحيد الله تعالى توحيدا خالصا لا تشوبه شائبة إشراك : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » . وسلكت لذلك طريق إيقاظ العقل وتحريره من رق التقليد ، وإرشاده الى مواطن الاستدلال بالنظر فى الكون وبدائعه ، وما فيه من آيات تنطق بجلال الله وتفرده بالخلق والتقدير :

وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحد

ولم يعتمد القرآن الحكيم على أساليب المناطقة من المتفلسفة ، بل خاطب الناس فى وضوح موجها نظرهم الى آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين » .

وقامت الى جانب تصحيح العقيدة وإحسان الصلة بالله تعالى بانواع العبادات المطهرة لأدران النفوس على دعائم الأخلاق الفاضلة توثيقا لروابط المحبة بين الخلق : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » . ولما نزل قول الله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » سأل النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك . وكان رسول الله يقول فى دعائه : اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى . وقد جعل تتميم مكارم الأخلاق أساس بعثته وقاعدة رسالته ، فقال فى حديث الموطأ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . وانظر الى التعبير بقوله أتمم وما تجد فيه من اللطف الذى يشعرك بأن الاسلام لا يغمط الفطرة الانسانية حقها ، ولا ينكر عليها ما فيها من خير ، ولكن هذا الخير الفطرى لا يؤتى أكله إلا إذا خلص من طغيان الشر عليه . والذى يتأمل تاريخ الانسانية على عهد البعثة المحمدية يعلم علم اليقين أن الشر استشرى وسد منافذ الحياة ، ولم يعد للخير سبيل الى النفوس ، فجاءت البعثة المحمدية تحيى فى الفطرة الانسانية أصول الخير وتتمم مكارم الأخلاق . قال العلامة جوستاف لوبون فى كتاب حضارة العرب : « إن التعاليم الأخلاقية التى جاء بها القرآن هى صفوة الآداب العالية وخلاصة المبادئ الخلقية الكريمة ، فقد حض على الصدقة والاحسان والكرم والعفة والاعتدال ، ودعا الى الاستمساك بالميثاق والوعد والوفاء بالذمة والعهد ، وأمر بحب الجار وصلة الرحم وإيتاء ذى القربى ورعى الأرامل والقيام على اليتامى . ووصى فى عدة مواضع من آيه أن تقابل السيئة بالحسنة ... تلك هى الآداب السامية التى دعا اليها القرآن ، وهى أسمى بكثير من آداب الانجيل » .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى سمو الخلق وجمال الفضائل ، تقول عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا ، ألين الناس ، بساما ضحاكا » وروى أصحاب السير « أنه صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فأمر أصحابه باصلاح شاة ، فقال رجل : يا رسول الله على ذبحها ، وقال آخر : على سلخها ، وقال آخر : على طبخها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعلى جمع الحطب . فقالوا : يا رسول الله نكفيك العمل ، فقال : قد علمت أنكم تكفوننى ، ولكنى أكره أن أتميز عليكم ، وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه » . ودخل عليه أعرابى فارتاع لهيبته ، فقال له : « خفض عليك فانما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » . فهل تعرف الانسانية ضريبا لمحمد صلى الله عليه وسلم فى كمال خلقه ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم   واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

قال سير وليم موير : امتاز محمد صلى الله عليه وسلم بوضوح كلامه ويسر دينه ، وأنه أتم من الأعمال ما يدهش الألباب ، فلم يشهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة فى زمن قصير كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم !

ظهر ملك العرب ! ولم يكن للعرب من وسائل الملك إلا هـذا الدين القويم ، فأشربت نفوسهم تعاليمه وآدابه ، وراحوا يبثونها للناس فى مشارق الأرض ومغاربها ، جاعلين العدل مع العدو والولى شعارهم ، والرحمة مع الكافة دثارهم «يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى» حتى ضرب الدين بجرانه ، وقام على قواعده ملك لم تغب عنه الشمس . قال الكونت هنرى دى كاسترى : إن أتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) هم الذين جمعوا بين المحاسنة فى معاملة المغلوبين والرغبة فى انتشار دينهم ، وهذه الرغبة هى التى دفعت العرب الى الفتوحات ، فنشر القرآن رايته خلف جيوشه المظفرة ، ولم يخلفوا فى طريقهم أثرا للجور .

واحر قلباه !! أين ملك العرب ؟ إنهم سلبوه ، لانهم لم يحسنوا سياسته ، ولم يحفظوا دينهم الذى أسس لهم ذلك الملك ، فأضاعوا فيما بينهم تعاليمه وآدابه ، فلم يستمسكوا بغرزه ، ولم يعملوا بوصاياه :

أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته   كذاك من لا يسوس الملك يخلعه

قال هرقل فى مساءلته لأبى سفيان : وسألتك بما يأمركم ، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عن عبادة الاوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين !

كذلك كان أساس الملك فى الصدق والعفاف والاخلاص لله تعالى ، والعمل الجاد فى كل ما تتطلب الحياة من شئون ، فهل يدرك المسلمون هـذه الحقيقة فيحيوا حياة الجد والعمل والخلق الطاهر حتى يعود اليهم مجد أسلافهم ؟ عندئذ يصح أن نهتف بما هتف به هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر ! !

صادق ابراهيم عرجون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى ظلال الاسلام

(١)

تفضلت مجلة الأزهر فدعتنى الى كتابة كلمة تتصل بالمولد النبوى ، فنظرت فرأيتنى أفرغت كل ما عندى من هـذه المعانى فى كتاب « المدائح النبوية فى الأدب العربى » الذى نشرته مكتبة الحلبى ، ورجعت أنظر فيما عندى من قـديم المحصول فرأيتنى كما قال الحريرى ، خالى الوفاض ، بادى الأنفاض ، وتلك حال تضجر النفس وترد الخاطر وهو كليل .

ولـكن ما الذى يقهرنى على الطواف حول المولد النبوى ؟ أنا أكتب الى مجلة ، والمجلات يحسن فيها التنويع والتشكيل والتلوين ، فلأتوكل على الله وأكتب عما صنع الاسلام فى إعزاز العقل ، والدعوة الى طهارة الوجدان :

(٢)

الاسلام يدعو الى إعـزاز العقل ، وهى ليست دعوة كلامية ، وإنما هى دعـوة عملية ، فالاسلام هـو الذى سن طرائق المنطق فى الجدل ، وعلم الناس كيف ينكرون ويعـرفون ، وكيف يضلون ويهتدون ، هـو الذى دعا الناس الى درس أنفسهم ، وحبب اليهم السير فى الأرض ، والنظر فى طبائع الأشياء .

لقد اصطدم الاسلام باليهودية والنصرانية ، أفتدرون ما صنع بالتوراة والانجيل ؟

ارفعوا عن أعينكم تلك الغشاوة التى توهمكم أن الرسول كان يتودد الى النصارى واليهود .

ارفعوا عن أعينكم تلك الغشاوة ، فان الرسول انتصر فى زمن قليل ، ولم يبق أمامه إلا التشفى من النصارى واليهود ، إن كان الاسلام يسمح لأهله بمكايدة المنهزمين .

انظروا فى القرآن ، أيها الناس ، فان فعلتم فسترونه تحدث عن موسى وعيسى وعن التوراة والانجيل بأساليب من الرفق لم يعرفها النصارى ولا اليهود .

إن موسى لم يثن عليه اليهود بمثل ما أثنى عليه القرآن ، وعيسى لم يثن عليه النصارى بمثل ما أثنى عليه القرآن . فما معنى ذلك ؟ أليس معناه أن الاسلام دين المنطق والعقل ؟ أليس معناه أن المعانى الباقية هى أول ما يحرص عليه القرآن ؟

كان يستطيع القرآن أن يسخر من الديانة اليهودية والديانة النصرانية ، ولـكنه لم يفعل ، لأن القرآن لم يكن إلا نفحة سماوية تعز الحقائق وتنصر المرسلين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٣)

ثم انتقل الرسـول الى جوار الرفيق الأعلى ، وبقى المسـلمون ينظرون بعيون الناس ، ويفقهون بقلوب الناس .

أتذكرون ما صنعوا ؟

لقد كانوا يملـكون الغض من اليهودية والنصرانية ، ولـكنهم لم يفعلوا ، لأن دينهم حبب اليهم كلمة الحق ، وأوصاهم بحب الأنبياء .

انظروا فى مؤلفات المسـلمين لتروا كيف أثنـوا على موسى وعيسى ، وكيف اقتبسوا من التوراة والانجيل .

انظروا ثم احكموا .

إن رجال الدين من النصارى واليهود لا يذكرون الاسلام فى مؤلفاتهم بغير الملام ، أما المؤلفون من المسلمين فلا يذكرون موسى وعيسى بغير الاعزاز والاجلال .

أكان ذلك يقع لو كان الاسلام راض أهله على عقوق العقل ؟

(٤)

آمنت بالله :

إن الاسلام حين يوصى باحترام جميع الأنبياء والمرسـلين إنما يشير الى حقيقة أبدية هى التعاون الانسانى على تطهير القلوب من أدران الشرك والرياء .

الاسلام أكبر من أن يقول إنه صنع كل شىء ، فهو يعترف بأنه ليس إلا خطوة سديدة موفقة تؤيد ما جاهد فى سبيله كرام الأنبياء من حرب الشرك ونصرة التوحيد .

وقد فهم المسلمون روح الدعوة الاسلامية ، فأقبلوا على درس ما وصل اليهم من آثار العقول ، ثم انطلقوا فاختلفوا فيما بينهم اختلافا شديدا ، وأغنوا العلم والفلسفة بألوف من المصنفات ، ولا يعرف العالم القـديم أمة أوغلت فى الفلسفة على نحو ما صنعت الأمة الاسـلامية ، وظل علماؤها وباحثوها يذكرون بالخير ، وإن أطافوا بمعالم الشك وتنكروا لأصول اليقين .

حارب الاسلام كيف شئت ، وخاصم أهله كيف أردت ، ولـكن ثق أنك مردود اليهم ما دمت تحتكم الى العقل :

(٥)

قد تقولون : ولـكن تاريخ الاسلام لم يخل من أحداث حورب بها العقل .

نعم ، ولـكن هل وعدكم القرآن بأن الناس سيأتلفون على الزمان ؟

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

إن القرآن نفسه دعا الى احترام الخلاف حين قال :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

وحين قال :

« ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين ، إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم » .

وتلك دعوة صريحة الى احترام الخلاف ، وفيها النص على إعزاز العقل ، فلولا الخلاف ما تقدم الناس فى دنيا ولا دين .

(٦)

أما بعد : ففى ظلال الاسلام تصاولت المبادئ والآراء والعقول .

وفى ظلال الاسلام اختلف أهل الشرق والغرب ، فكانت النحل والشيع والأحزاب .

وفى ظلال الاسلام نهضت دعوات جريئة لو نبتت فى غير حماه لقوبلت بالسيف .

وفى ظلال الاسلام عاشت ديانات حمتها رعايته من الانقراض .

وتحت الراية الاسلامية عاش الزنادقة والملحدون والسفهاء ، لأن الاسلام فى صميم روحه يحترم حق الحياة ، وفى الحياة شك ويقين ، وهدى وضلال .

فان كان فى إخوانى من يخاف على عواقب ما درجت عليه من قسوة الجدل وعنف النضال ، فانى أوجه اليهم هذا القول :

لا تخافوا على أيها الرفاق ، فانى أعيش فى ظلال الاسلام !

زكى مبارك

حسن الاعتذار عن الاصحاب

حكى عن بنت عبد الله بن مطيع أنها قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى وكان أجود قريش فى زمانه : ما رأيت قوما ألأم من إخوانك !

قال طلحة : مه ، ولم ذلك ؟

قالت : أراهم إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت تركوك .

قال طلحة : هذا والله من كرمهم : يأتوننا فى حال القوة بنا عليهم ، ويتركوننا فى حال الضعف بنا عنهم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كيف نحيي المولد النبوي ؟

يوم هز جبروت الدنيا الكافرة ، أفلا تهز ذكراه قلوب مسلمين ؟

(١)

على هدى الذكرى ، تشيم عيون البصيرة ، ومآقي القلوب ، نور النبوة ، فاذا ضوء أطهر ، وبهاء يبهر ، ونبل يغمر . هذا سنا السماء ، قد محا ظلام الغبراء ، وإنها لمحة يلمحها الحديد البصر ، ونفحة يتنسمها الملهم الحذر . فيأيها الشعراء بالحياة ، عشاق النور ، أولياء الحق ، هذا نعيم النفس فاغتبطوا ، ثم ما هذا النور المتألق ؟ ما هذا الجمع المتدفق ؟ أكلهم يهيم ويشيم ؟ وا خجلتاه ! إنما هي جفان الثريد المترعة ، وبضع اللحم المشرعة ، وأقداح الشراب المروقة ، تتحلب لها أشداق ملتهمة ، وتضاحكها أفواه شرسة . هذا اهتزاز الممسوسين ، واختلاج الممرورين ، وخداع الأفاكين ، يصطنع أكثرهم دل الصوفية ، ويتصنع سمت الصالحين . هذه أعلام لا للكتائب ، ومراكب ليست من النجائب ، وجموع لا لحول ولا لصول ، ولا لخير من عمل أو قول ؛ لكنها داهية البطون الدهياء ، وفتنة الأوهام العمياء . وهكذا في دنيا الكهرباء ، وأسرار الكون مجلوة ، ودقائق العلم مفترعة ، والحياة متلهفة متطلعة ، مناضلة مكافحة . يبتهج المسلمون على هذا النحو ، بذكرى سر النهوض ، وإكسير الغلبة والظفر ، وميلاد الدين والدولة والحضارة والمدنية ، في شخص محمد عليه صلوات الله وسلامه . فأعذنا اللهم من شر خذلانك !

(٢)

حدثوا أننا تجددنا ، فرحنا نجدد قصة المولد ، نلتمس موقع الحقيقة من التاريخ ، ونصيب الحق من الرواية ، لنقول رشدا ، ونؤيد صوابا ؛ عفا الله عنا : هل فهمنا ذكرى المولد ، ووجدنا ريح النبوة ؟ ليت ذلك يكون !

وإني لأسوق هنا حديثا قديما معادا ، يفهم منه الحديث الأخير المجدد ؛ فقد حدثوا أنه لما ولد عليه السلام ، خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ، فاضاءت له قصور الشام وأسواقها ، وقد رأى العباس رضوان الله عليه ، بعد أكثر من نصف قرن هذا النور ، واستضاء به ، مرجعه من غزوة تبوك ، إذ أراد مدح الرسول عليه السلام ، فقال :

وأنت لما ولدت أشرقت الـ ... أرض وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي النـ ... ـور وسبل الرشاد نخترق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أما والله لقد كان نورا سارت الدنيا على ضوئه، واخترقت سبل الرشاد بهديه؛ فلن يهول الحق أن يقال: سقطت شرفات الايوان لذلك المولد؛ فنى الحق أن قد سقط الايوان كله بعد حين بذلك المولد. ولن يضير التاريخ أن يقال: خمدت نار فارس بهذا المولد؛ فنى التاريخ أن قد امحت نار فارس بعد يسير بذلك المولد؛ وكذلك يأبى المؤرخ المدرك سنن الله فى كونه أن يرد الأحداث لساعتها، ويعللها بأقرب مما بأثرها؛ وفى مثل هذا من إدراك السبب الصحيح، والأصل الأول، يتفاضل الدارسون، ويتفاوت المفكرون.

وما إخال هذا القديم من حديث النور فى شعر العباس، إلا أحدث مايفهم به سر التاريخ وعلل الأحداث.

فهل نفهم المولد على ضوء هذا النور؟ وهل نحيي المولد على هدى ذلك النور؟!

(٣)

ألا لو أنا ندرك البعيد بالقريب، ونقيس الغائب على الشاهد، ونحس وراء ظواهر الدنيا حقائق تسير هذه الظواهر، ونواميس تتحكم فى هذا المتبادر، لأدركنا النور النبوى إدراك العباس له، وفسرناه تفسير العباس له، ولأدركنا من قرب أن الشرق قاصيه ودانيه، قد ألهته ظواهر الكون، وخفيت عنه معانيه، ولشعرنا أننا اليوم فى أضيق مما بين حجرى الرحى، وأقطع من شق المقص، وما هو إلا نفس غاز خانق، وآخر محرق؛ فاذا نحن حديث فى التاريخ، وعبرة لمن يدرك الحياة، ويشعر بمكانه فيها.

لو أدركنا هـذه الأسرار التى أحاطها الاسلام فى حياته الأولى حقائق، وردها وقائع، لأنفنا وأكبرنا، ولخجلنا وامتعضنا، من أن يكون إحياؤنا لذكرى المولد النبوى الذى هز أركان الجبروت فى الدنيا، لا تكفى لتهز قلوبا تزعم الايمان وتراض بالاسلام.

لو أدركنا أن وراء السطح معانى ودقائق، لأحللنا يوم المولد أجل من يوم عطلة، ولعبة حلوى، وقصعة ثريد، وثريا نور، وخرقة ملونة، وهزة مجذوب، وموكب ذكر، وموسم نكر. وأن نترك بعض ذلك والسائغ منه للأطفال والسذج والأغرار. فأين من إحياء هـذه الذكرى نصيب المفكرين الكبار، والمجاهدين الأحرار؟!

(٤)

ألا إن هذا المولد ذكرى ميلاد دين، وأول حياة دولة، ومشرق حضارة، ومطلع حرية، وبشرى اتحاد كلمة، واجتماع شمل، وتكون أمة.

وما للشرق اليوم من ذلك كله قل ولا كثر، فهل يلتمس عقلاؤه مواسم لمولده الجديد، ومبعث عزه المتيد، أجل وأسمى، وأقرب الى القلوب من موسم ذلك المولد!

فتى ينتهي إحياء الكبار لهذا المولد وذكراه الى عمل يوائم جلالته، ويلائم عظمته؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومتى نتناول الحياة تناولا جديا ، وننظر اليها نظرا عمليا ، ونعرف موقف الاسلام ورسالته فيها ؟

متى نستشعر عظمة تلك البطولة ، ونكبر تقاليدها ، ونقتبس من نورها ، وندرك أنها إنما كانت إحياء للحياة ، وتسييرا للدنيا ، فيكون إحياؤنا لعيدها مظهر إدراك سرها ، وآية فهم لبابها ؟

متى نوقن أن الاسلام خطة فى الحياة ، وشرعة للمجد ، وسبيل الى العزة ، فمواسمه جولات فى الحياة ، وأعياده محافل المجد ، وذكرياته مظاهر للعزة ؟

متى يكون إحياؤنا للمولد ، إن قولا ، فقول نافع ، لا لغو ذاهب مع الريح ، قول يزيد ثروة المعرفة ، فهو مثلا قول فى تأليف ناضج يقدم يوم المولد عن دور من أدوار حياة الرسول عليه السلام ، أو تاريخ عصر من عصور تلك الحياة ، أو درس لجانب من جوانب عظمة تلك الشخصية ، فيظهر فى ذلك اليوم فيمنح جائزة تجمع ما تفرق من جهد رجال القول اللاغى ، والصحافة الثرثارة ، فى تكرار أقوال معادة مملولة ، ليس فيها جديد ولا بينها مفيد ؟

ومتى يكون إحياؤنا للمولد ، إن عملا ، فعمل من الاحسان المنظم ، يصرف ما يبدد فى الهواء من أموال الاحتفاء الساذج بهذا المولد ، فى موضع الحاجة من حياتنا ، ويسد عوزنا ، من الصحة ، والخلق ، والدين ؟ لقد ولد عليه السلام يتيما ، فما أجمل أن يكون مولده مفتتح منشأة تقى اليتامى وتستحييهم ، وترد على الأمة ضائع نبوغهم واستعدادهم . وعاش عليه السلام فقيرا يجاهد للفقراء ، فما أجمل أن تكون ذكرياته عملا فى مطاردة الفقر ، وتاسيس معاقل القضاء عليه ، وصون ما يبدد من جهد ، وعقل ، وخلق ؟ فكذلك تحيا الذكر ، ويخلد الأثر !

ثم متى يكون إحياؤنا لمولد الأمة والدين والحضارة إحياء لجانب من وجودنا ، وإعدادا لما نستطيع من قوة ، ومن رباط الخيل ، نانقى به عوادى الدهر ، وأحداث الزمن ، وجور الظلم ، فنبتهج فى تلك الذكرى بما هو خليق بها من خطا جديدة فى مسيرنا نحو الغاية النبيلة التى كان مولد الرسول عليه السلام الخطوة الأولى فى الاتجاه إليها ؟!

ثم متى يكون هذا المطلب فى إحياء المولد خطة عاملة ، يؤيدها عزم أولى العزم منا ، وتفيض عليها بركة البطولة المحمدية ، وقوة الارادة النبوية ؟!

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

أمين الخولى
المدرس بكلية أصول الدين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أساس الرقى فى الاسلام

إننا نحب العظماء ، ونمجدهم ، ونحيي ذكراهم ، لأنهم ذوو نفع للانسانية ، عاشوا لأجلها وماتوا لأجلها .

ونحن نحب سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ونمجده ، ونعد يوم مولده عيداً نحتفل به لأنه أخرج العالم من الظلمات الى النور ، ووضع بذور الخير والبركة فى الأرض ، وسن من أصول التشريع فى الأخلاق والاجتماع ما على مثله تحيا الأمم ، وترقى الشعوب .

وقد تحرى المسلمون فى العصر الأول التاسى به ، والعمل بارشاده ، فسعدوا ، وكانت لهم عمارة الأرض ، ثم تنكب الخلف من بعدهم طريقه شيئاً فشيئاً ، فبعدوا من الخير والسعادة بمقدار بعدهم عن ذلك السبيل القويم .

وإن خير ما يسديه المحتفل بميلاده الى أمته أن يعمد الى سنة من سننه قد درست فيحييها ، والى هدى من هديه قد ضل الناس عنه فيهديهم اليه .

وقد أخذت نفسى بهذا ، وأردت أن أنشر من هديه صلى الله عليه وسلم أبعده أثراً فى إصلاح المجتمع ، وأعظمه بركة فى سعادته .

أردت أن أدرس هديه صلى الله عليه وسلم ، وأعرضه على علم الاجتماع ، وتاريخ الامم والشعوب ، فأعثر على ذلك الاكسير الذى لما أخذ به الأولون من أهل الاسلام كانت لهم العزة فى الأرض ، ولما تنكبوا عنه ضلوا عنها أو ضلت عنهم .

لقد اهتديت بعد لأى الى ذلك الاكسير الذى هو سر عظمة الأمم قديمها وحديثها ، ورأيت محمداً لم يغفله ولم يهمله ، بل رأيته قد علمه وحض عليه ، وكانت سنته القولية داعية اليه ، وسنته الفعلية مثالا حيا له ، ليستفيده الناس بالعلم والعمل ، ويتمكن فى نفوسهم فضل تمكن ، فيمكن لهم بذلك فى الأرض .

لن أختزن ذلك الاكسير ، ولن أضن به ، بل سأبينه وأذيعه ، فان أمم الشرق أحوج ما تكون اليه الآن .

ذلك الهدى : هو الرفق بالناس ، وترك الشدة عليهم ، ومعاملة بعضهم بعضاً باللين والعدل .

وسأوضح أثر هذه المعاملة فى الممالك والمجتمعات ، وأثر ضدها السيء فى الناس ، وأذكر معاملة النبي أصحابه وما ورد فى ذلك ، وأبين أن المسلمين كانوا بخير حينما ساروا على هذه السياسة الرشيدة ، فلما أخذوا عنها يميناً ويساراً أخذ عنهم الخير يميناً ويساراً .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ليس شيء أشد ضررا بالأمة ، ولا أضعف لها ، وأدعى الى انحلالها وزوالها ، من معاملة بعضها بعضا بالشدة والقهر والغلب .

ذاك لأن الشدة والقهر والعنف تضعف النفوس ، وتميت فيها العزة والكرامة ، وتخلق فيها المذلة والهوان ، وإذا وجدت هذه في الأمة أو فى الأفراد لم تسم نفوسها الى جليل ، ولم تضطلع بخطير ، وكانت حقيرة فى نفوسها هزيلة الأمل ، ولا سؤدد لحقير فى عين نفسه ، ولا عمل لمن فقد الأمل .

فاذا عامل الرجل زوجه ، والوالد أولاده ، والمربى تلاميذه ، والرئيس مرءوسيه ، والوالى من ولى عليهم ، وكل ذى سلطان من سلط عليهم ، بالقهر والشدة ، أفسدوا نفوسهم ، وأذلوهم ، وقتلوا فيهم روح الاعتداد بالنفس والعزة والكرامة ، وهى عدة الفرد والجماعة فى هذه الحياة .

فاذا رأيت شعبا يسير على هذه الخطة فاعلم أنه يحفر قبره بيده ، وأنه يسىء الى نفسه بما لا يقدر أعدى أعدائه أن يسىء به اليه .

وليس شيء أصلح للأمة وأنفع لها وأدعى الى قوتها وبقائها من معاملة بعضها بعضا بالرفق واللين والعدل ، لأن ذلك يقوى نفوسهم ، ويحيى فيهم الكرامة والعزة والاعتداد بالنفس ، والمرء إذا وجدت فيه هذه الصفات سمت همته ، وبعد أمله ، ورأى نفسه ليس يبعد عليه شيء فى الحياة ، وعمل ما يمليه عليه سمو همته ، وبعد أمله ، وقوة إرادته ، وعاش شخصا قويا مستقلا يقوم بنفسه ، ويأبى أن يكون ظلا لأحد أو محمولا على غيره .

فاذا رأيت الوالد يعامل بنيه بالرفق واللين فاعلم أنه يبنى منهم رجالا أشداء أقوياء أعزاء . وكذلك قل فى المربين والرؤساء والولاة .

هذه قواعد علمتها الأمم العالمة ، فسلكت سبيل النجاة ، وجهلتها الأمم الجاهلة ، فسلكت سبيل الفناء .

وإنى لأستعرض حياة أمم أوربة اليوم ، فأجد الأمة منهم يعامل كل ذى سلطان فيها من هم تحت يده بالرفق واللين ، وأجدهم يحفلون باستقلال المرء بنفسه ، فيفرطون فى كل شيء ولا يفرطون فيه ، لذلك حفظت للمرء فيهم ذاتيته كاملة ، واستتبعت هذه الذاتية بعد ذلك آثارها كاملة .

تجد المربى فيهم لا يأخذ المتعلم بالعنف ، إنما يحبب إليه العلم والأخلاق الفاضلة ، ويخلق فى نفسه القوة المحركة الى طريق العلم ، والخلق الفاضل ، فيسعى اليهما من ذاته راغباً مشتاقا ، تحدوه المحبة ، ويبعثه الأمل .

ولا يسلك الى ذلك سبيل العنف والشدة ، لأنه يعلم أنه يفقده بذلك شجاعته واستقلاله

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكرامته ، فيكون مايعطيه بعد ذلك أقل بكثير مما أفقده ، ثم هو بعد ذلك لايتحرك إلا بمحرك خارجى ، فاذا ونى ذلك المحرك أو فقد ، زالت كل بواعث الخير والصلاح التى كانت تحدوه إليهما .

وإنى لأستعرض تاريخ الأمم الاسلامية فأجد فى أولها العزة والمنعة والظفر والانتصار ، لأخذها بمبدأ الرفق والشفقة ، فلما أضاعت هذا المبدأ وعامل الوالد أبناءه بالشدة والغلظة ، وعامل المربون تلاميذهم بالقهر ، وعامل كل ذى سلطان من ولى عليهم بالغلبة ، عملوا على إفساد بعضهم بعضا ، وبلغوا من أنفسهم مالم يبلغه منهم أعداؤهم ، وصاروا الى ما صاروا اليه .

وليست تعاليم أوربا بأشد حرصا على الرفق واللين وأكره للغلظة والشدة من تعاليم الاسلام ، فان الاسلام كان يعلم ما فى الشدة والقهر من شر ، ويعلم ما فى الرفق من خير ، فشدد النكير على الشدة والقهر ، وحض على الرفق واللين ، ولكن المسلمين أضاعوا تعاليم دينهم ، فبعدوا عن الخير بقدر ما بعدوا عن هذه التعاليم .

قال الله تعالى : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » ، فامتن على المؤمنين بأن من أرسل اليهم رءوف بهم رحيم ، لعلمه بما فى الرأفة والرحمة من الخير لهم ، وليعلى من قدر الرأفة والرحمة ، ويحضهم عليها .

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كانت بيده جريدة يتسالك بها ، ويروع بها المنافقين ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ما هذه الجريدة التى كسرت بها قرون أمتك وملأت قلوبهم رعبا ؟

لم يرض للمسلمين أن تكون بيد رسولهم جريدة ، لئلا يملأ قلوبهم رعبا ، ويكسر قوتهم ، فلا يصلحوا للاسلام ولا لأنفسهم ، فأى والد بعد ذلك يروح ويغدو على أولاده بالقهر والشدة ؟ إنه لا يفعل ذلك إلا من أراد إفسادهم ، وكسر حدتهم ، وإماتة قلوبهم .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه فى خدشة خدشها أعرابيا لم يتعمده ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا ! فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الأعرابى فقال : اقتص منى . فقال الاعرابى : قد أحللتك بأبى أنت وأمى ما كنت لأفعل ذلك أبدا ، ولو أتيت على نفسى ! فدعا له بخير .

وإنما كان منه ذلك ليعلم المسلمين أنهم سواسية ، وأنهم متساوون فى الحقوق ، وأن أعراضهم ونفوسهم وأموالهم حرام بعضهم على بعض لا يحل لهم شىء من ذلك إلا فى حق من حقوق الله .

وذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى فيما أوصى به رسول الله فى مرضه الذى مات أنه دخل المسجد وهو معتمد على الفضل بن عباس فقال : «أيما رجل كنت أصبت من عرضه شيئا فهذا عرضى فليقتص ، وأيما رجل كنت أصبت من بشره شيئا فهذا بشرى فليقتص ، وأيما رجل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كنت أصبت من ماله شيئا فهذا مالى فلياخذ ، واعلموا أن أولا كم بى رجل كان له من ذلك شيء فاخذه أو حللنى فلقيت ربى وأنا محلل ، ولا يقولن رجل إنى أخاف العداوة والشحناء من رسول الله فانهما ليستا من طبيعتى ولا من خلقى ، ومن غلبته نفسه على شيء فليستعن بى حتى أدعوله » .

هذه كانت سياسة النبي أصحابه ، فقد سمع فيهم قول الله تعالى: «واخفض جناحك للمؤمنين» وقد سار أصحابه هـذه السيرة : فأقاد أبو بكر من نفسه ، وأقاد عمر من نفسه ، وسار الخلفاء فى رعيتهم سيرة رفق ورحمة ، ثم خلف من بعدهم خلف لم يعلموا مافى الرفق من خير ، أوهم علموا ولـكن غلبت عليهم شهواتهم ، فسفـكوا الدماء ، وشقوا الأبشار ، وخربوا الديار ، وأخافوا الرعيـة ، فأماتوا تلك النفوس الأبية ، وخلقوا أجيالا أذلاء ، فلم يكن فيهم غنى لهم ولا لأنفسهم .

من حق على الناس وقد بينت لهم أساس رقى الأمم وسـعادتها أن أطلب أجر هدايتهم ، وأجرى عليهم أن يهتدوا بذلك الهدى النبوى ، فيرفق المرء باولاده ، ورب الأسرة بأسرته ، والمعلم بتلاميذه ، وكل ذى ولاية بمن ولى عليهم ، وأن يلزموا ذلك لزوم من يعلم أنه إذا تركه هلك ، وأن يؤمنوا بأن الشدة لاتلد إلا الأشرار ، وأنها أجدر ألا يعامل بها الأولياء ، وإذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا تلك الحكمة الذهبية : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء »

محمد عرفة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الادب حلية العاقل

روى الأصمعى أن أعرابيا قال لابنه : يا بنى : الأدب دعامة أيد الله بها الألباب ، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب .

وقال حكيم : الأدب صورة العقل ، فصور عقلك كيف شئت .

وقال آخر : العقل بلا أدب كالشجر العاقر ، ومع الأدب كالشجر المثمر .

وقال غيره : الفضل بالعقل والأدب ، لا بالأصل والحسب ، لأن من ساء أدبه ، ضاع نسبه ، ومن قل عقله ، ضل أصله .

وقال بليغ : الادب يستر قبيح النسب .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ذكرى الرسول الأعظم

الكون أشرق نضرة ونعيما ... هـذا مكانك فاتخـذه كريما
حن الزمان اليك حتى جئته ... فطـوى الحنين وردد التسليما
أنت المؤمل للشعوب ، وهـذه ... دنياك لا تبغى سـواك زعيما
خذها من القوم الألى جحدوا بها ... واشرع لهم نهج الحياة قـويما
داو السقام فقـد تفاقم وانثنى ... طب الألى سبقوك عنـه سقيما
هاتيك (مدرسة الحياة) تقدمت ... تلقى أجـــل شيوخها تعليما
ماذا حملت من المعارف والنهى ... لما حملت كتابها المرقـوما ؟
(علم الحضارة) كان قبلك خافيا ... فأتيت تظهر سره المكـتوما
والحـق ما عـرف الدعاة سبيله ... حتى أقمت بنـــاءه المهدوما
بلغ رسالة من أقامك هاديا ... وحباك فضلا من لدنه عظيما
ضل الألى جحدوه واتخـذوا له ... شركاء من أربابهم وخصوما
ما هـذه الأرباب ؟ ما لعبادها ... جهـلوه ربا واحـدا قيوما ؟ ؟
جاء (الأمين الصادق الهادى) فمن ... يـكفر بدين الله كان ظلوما
رجفت قلوب المشركين لدعـوة ... طفقت تردد فى البطاح هزيما (١)
قالوا : أيطمع أن يضل (محمـد) ... منا عقـولا رجحا وحـلوما ؟
أنعـزه ونذل من أصنامنا ... ما عظم السلف الأعز قديما ؟
إنا لنأنف أن يغـير ديننا ... رجـل قليـل المال شب يتيما
إن يتبع النفـر الضعاف سبيـله ... فلنحن أمنـع بيضة وحـريما
إن المطاول بالرجال إذا بنى ... جعـل الدعائم سادة وقـروما

* * *

هم شاغبـوه فكان أعظم قـوة ... وأعز منزلة ، وأشرف خيما (٢)
وجـدوه سمحا لا يضيق بمذنب ... ورأوه موفـور الأناة حليما
يدعو لهم : رب اهد قومى إنهم ... لا يعلمون ، وكنت أنت عليما
لو شئت ماجهلوا السبيل ولا رضوا ... دينا من النمط الغبى ذميما
إنى رسولك ، لن أمـل جهادهم ... أو يعبدوك ، ولن أكون سؤوما

(١) الهزيم: صوت الرعد (٢) الخيم : الطباع .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ياقوم ماذا تعبدون ؟ تاملوا … من قبل أن تروا العذاب أليما
دين الحجارة ، وهو من آثامكم … خير لكم ، أم دين (إبراهيما) ؟
أرسلت بالاسلام دينا قيما … وبعثت خيراً للشعوب عميما
الكفر والبغى الذميم كلاهما … جملا الحياة على النفوس جحيما
فلأغسلن الأرض من أرجاسها … ولأصدعن ظلامها المركوما

***

بعثوا إليه من المخافة عمه … يزجى الرجاء مخيبا محروما
زعموه حران الجوانح يبتغى … دنيا الغواة ووردها المسموما
قال : اتئد ياعم ، إنى وراءهم … خطباً يشق على النفوس جسيما
النيران لو انهم جعلوهما … بيدى زدت صرامة وعزيما (١)
والله لن يجدوا لدى هوادة … حتى يفيئوا ، أو أكون رميما
عرفوه فاتخذوا السبيل الى الأذى … وتآمروه مذمما مشئوما
وتألبوا يتهللون بقتله … قتلا يرون قضاءه محتوما
يا بؤس للرأى المضلل إنهم … طلبوا دما من كيدهم معصوما
لاموه وانقلبوا الى شيطانهم (٢) … فقضى القضاء لهم ، وكان رجيما
أيكون من كره الضلال لقومه … ووفى لرب العالمين ملوما ؟
الله أيده وقام بنصره … فنجا ، وأدبر جمعهم مهزوما
بوركت من واف يصاحبه أخ (٣) … صاف ، وبورك صاحبا وحميما
محيا النفوس وفى الاله حياته … وسلامها المأمول راح سليما

***

إن الذى أخلى الديار مهاجراً … ملأ النفوس وساوسا وهموما
بعثوا الأسنة والسيوف وراءه … فاعادها تجرى دما وكلوما
رجعت مخيبة تذيب ظنونهم … فتذيب أرواحا لهم وجسوما
ماذا يظن المفسدون بمصلح … يبنى ويهدم ظاعنا ومقيما ؟
الكوكب السيار فى آفاقه … ملأ البلاد أهلة ونجوما
أنصار دين الله حول نبيه … وصلوا (بيثرب) حبله المصروما
من (خزرجى) المجد أو (أوسيه) … طابوا فروعا فى العلا وأروما
أحبب به من قادم ما مثله … فى النازلين وفادة وقدوما

---

(١) العزيم والعزيمة بمعنى (٢) هو ابو جهل لعنه الله (٣) أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يا فاتح الدنيا ، ومانح أهلها ... ماعز مرجوا وجل مروما
أنقذت هذى الأرض من آلامها ... وشفيت هـذا العالم المحموما
بالساطعات الشافيات من العمى ... يطغى غياهب ، أو يموج غيوما
الله أنزلها عليك دراريا ... طلعت معالم للهدى ورسوما
أوتيت بالفرقان مشرع حكمة ... مازلت تورده النفوس الهيما (١)
خرف الزمان ، وأخطأت حكاؤه ... سبل السداد ومايزال حكيما
لولا بلاغته وروعة نظمه ... جهل الرجال اللؤلؤ المنظوما
كنز البيان ، فمن تطلب للغنى ... كنزاً سواه قضى الحياة عديما
فضت علوم الدهر منه جانباً ... وغداً تفض الجانب المختوما
متجدد فى كل عصر يبتغى ... أمماً تجىء جديدة وفهوما
(دستور حق) فى يمين (محمد) ... يحمى الضعيف ، وينصف المظلوما
يتملق المولى المعظم عبده ... فيه ، ويخشى الحاكم المحكوما
قسم الحياة على النفوس وإن أبى ... من لا يريد نصيبه المقسوما
لم يخلق الله القوى بملكه ... ليكون وحشى الطباع غشوما
والأرض ما بسطت لتجحد ربها ... وتعد من ظلم العباد أديما

***

يا (مولد المختار) أنت بعثتها ... ذكرى تساجل دمعى المسجوما
أبكى على الاسلام يذهب عزه ... ويبيت مطوى الجناح مضيما !
نهضت شعوب الأرض ترفع مجدها ... وأرى شعوب المسلمين جثوما !
لزموا تخوم بيوتهم ، وغزاتهم ... لا يرتضون سوى النجوم تخوما
قوم هم اتخذوا بكل محلة ... كهفاً يضم نيامهم ورقيما
أوكلما جذب المقادة مصعب ... فى الشرق غودر أنفه مخزوما ؟ !
لاهم جنبنا المجاهل واهدنا ... هـذا السبيل المعلم الموسوما
وتولنا فى الحادثات وكن بنا ... فى النائبات إذا تنوب رحيما !

(١) الهيم : العطاش.

احمد محرم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على ذكرى الميلاد النبوى

خلقه صلى الله عليه وسلم ، وأثره فى نجاح الدعوة الاسلامية

هداية الناس ، وإصلاح الأمم ، وترقية العمران ، وتوفير النظام ، وإسعاد المجتمع ، وما يتصل بذلك ، وما يساعد عليه — هذه كلها أمور تعتبر فى جملتها وتفصيلها الغرض الأكبر للديانات والشرائع ، والمقصد الأهم للدعاة والمصلحين .

والذين يختارهم الله تعالى من عباده الممتازين لأداء هذه المهمة العظيمة ، يختار لهم الى جانبها أمضى الأسلحة ، وأنجع الوسائل ، وأقوم السبل ، وأقوى الأسباب ، حتى يكونوا ميسرين لأداء مهمتهم ، ومجهزين بما يعينهم على القيام بأعبائها ، والاحتمال لصعابها .

ولو أننا استعرضنا جميع هاتيك الوسائل والأسباب وما إليها ، ونثرنا كنانتها ، وسبرناها على ضوء التجربة والاختبار ، لما وجدنا بينها وسيلة أصلح لانجاح الدعوة ، ولا سببا أنفع فى إبلاغها آخر مداها ، من الشيم الجميلة ، والأخلاق الكريمة ، والصفات النبيلة . فهى وحدها التى تجتذب القلوب النافرة ، وتذلل النفوس الجامحة ، وتفل حدة العناد ، وتسل السخائم والأحقاد ، وتتغلب على روح العصبية ، وتقضى على بواعث الاستكبار والاستنكاف . وهى وحدها التى تستطيع أن تشق الى التفاهم طريقا معبدا ، وأن تسلك الى الوفاق مسلكا مسددا ، فتسهل على الداعى دعوته ، وتهون أمام المصلح مهمته .

وعلى العكس من ذلك جفوة الخلق ، وخشونة الطبع ، وسوء المعاملة ؛ فانها تباعد بين الناس وبين قبول الحق ، وتملأ نفوسهم بالكراهة له ، والاشمئزاز من صاحبه ، وتزرع فى قلوبهم العداوة والبغضاء ؛ فتتعرض الدعوة للفشل ، ويصاب الداعى بالهزيمة والاندحار .

ونظرة واحدة الى ما اختص الله به نبينا الأكرم محمداً صلى الله عليه وسلم من كريم السجايا ، والى ما حباه إياه من حميد الخلال ، تجعلنا نحكم لأول وهلة بأنه صلى الله عليه وسلم فى طليعة الكملة من الهداة والمرشدين ، وفى مقدمة الخيرة من الأنبياء والمرسلين .

***

وليس يسيرا أن يتحدث المتحدث فى مثل هذا الفصل القصير عن مزاياه كلها صلى الله عليه وسلم فى هذه الناحية الخصبة الوفيرة ، وحسبنا من ذلك أن نقدم غيضا من فيض ، وأن نعرض زهرة من روض :

عرف صلى الله عليه وسلم بين قومه وعشيرته منذ نعومة أظفاره بحسن الخلق ، وكرم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الطباع ، وحلو الشمائل ، والنفرة من عادات الجاهلية وتقاليدها المرذولة فى العقيدة والأعمال . ونشأ مشهورا بينهم بالصدق والأمانة والعفاف ، فسما به ذلك الى مكانة ممتازة بينهم ، جعلته محلا لثقتهم ، وأهلا لتقديرهم . فكانوا يودعون عنده ودائعهم ، ويأتمنونه على أماناتهم ، ويحكمونه فيما شجر بينهم .

حدث سنة خمس وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم ، أن هدمت قريش الكعبة ، وأعادت بناءها ، فلما بلغ البنيان موضع الركن ، اختلفوا على وضع الحجر الأسود ، وأرادت كل قبيلة رفعه الى موضعه ، طلبا للشرف والفخر ، حتى تحالفوا وتواعدوا للقتال ، ومكثوا على ذلك أربع ليال ، ثم تشاوروا ، فقال أبو أمية بن المغيرة ، وكان أسن قريش : اجعلوا بينكم حكما أول من يدخل من باب المسجد ؛ فكان أول من دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، قد رضينا به ، وأخبروه الخبر ، فقال : هلموا الى ثوبا ، فأتى به ، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا ؛ فلما بلغوا به موضعه ، وضعه بيده ، ثم بنى عليه .

وعند ما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غار حراء الى خديجة رضى الله عنها ، بعد مجيء الملك اليه ، وإخبارها بخبره ، قال لها الرسول : لقد خشيت على نفسى ؛ فقالت له خديجة : كلا ، والله مايخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق !

ولما دعا هرقل ملك الروم أبا سفيان بن حرب فى ركب من قريش ، ليسأله عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان من جملة ما قاله هرقل لأبى سفيان :

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ؛ فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ؛ وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك : بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ؛ فان كان ما تقول حقا ، فسيملك موضع قدمى هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أنى أعلم أنى أخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه !



هذه ثلاث شهادات صادقات ، تنطق له صلى الله عليه وسلم بكمال سيرته الأدبية ، وبنبل صفاته الخلقية ، قبل البعثة وبعدها ، وتدل أوضح الدلالة على أن أخلاقه الكريمة ، قد خلعت على دعوته ثوبا من حسن الظن بها ، والثقة فيها ، وفتحت الباب على مصراعيه امام نفوذها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الى القلوب والنفوس ، وجاءت أصدق دعاية لها ، وخير تقدمة بين يديها ، ففازت هذه الدعوة بالنجاح ، وظفرت بالنصر .

***

أما بسط خلقه صلى الله عليه وسلم ، ولين عريكته ، وكرم عشرته ، وجمال أدبه ، وحسن معاملته ، فهذه حديثها يطول ، والقول فيها لا يقف عند حد .

قال قيس بن سعد بن عبادة : زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أراد أن ينصرف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة ، فركب ، ثم قال سعد : ياقيس اصحب رسول الله . قال قيس فقال له عليه الصلاة والسلام : اركب ، فأبيت ، فقال : إما أن تركب ، وإما أن تنصرف . فانصرفت .

ودخل عليه رجل ، فأصابته من هيبته رعدة ، فقال له : هون عليك ، فانى لست بملك ، إنما انا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد .

وكان صلى الله عليه وسلم يتغافل عما لا يشتهى ، ولا يذم أحدا ، ولا يعيره ، ولا يشافهه بمكروه ، ولا يطلب عورته ، ولا يسمع وشاية الواشين . روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا ، فانى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » .

وكان يقابل السيئة بالحسنة ، ويصبر للغريب على الجفوة فى المنطق والمسألة ، ويتفقد أصحابه ، ويسال عنهم ، فان كان احدهم غائبا دعا له ، وإن كان شاهدا زاره ، وإن كان مريضا عاده . وكان إذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ، ويعطى كل واحد من جلسائه نصيبه ، حتى لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه ، وكان يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده صلى الله عليه وسلم منه ، حتى يكون الآخذ هو الذى يرسلها ؛ ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه . يكرم من يدخل عليه منهم ، وربما بسط له رداءه ، وآثره بالوسادة التى تحته .

وكان صلى الله عليه وسلم كبير المهابة ، عظيم الوقار ، فكان يبسط أصحابه بالمزاح الحق ، والدعابة الصادقة ، وكان يضحك مما يضحكون ، ويسر بما يسرون .

جاءه صلى الله عليه وسلم رجل ، وطلب أن يحمله على بعير ، فقال له : إنى حاملك على ولد الناقة ، فقال : يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهل تلد الابل إلا النوق ؟

ويذكر بعض أصحاب السير أن نعيمان بن عمرو الانصارى كان إذا دخل المدينة طرفة ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اشتراها فى ذمته ، ثم جاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : يا رسول الله ، هذه هدية ، فاذا جاء صاحبها يطلب ثمنها ، جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال له : أعط هـذا ثمن ما جئت به اليك ، فيقـول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولم تهـد ذلك لى ؟ فيقول : يا رسول الله ، لم يكن عنـدى ثمنه ، وأحببت أن يكون لك ؛ فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأمر لصاحبه بثمنه .

***

إن المتأمل فى هذه المناقب الشريفة ، والخصال الحميدة ، لا يتردد لحظة واحدة فى القطع بأنها أقدر على جمع القلوب ، وأفعل فى استمالة النفوس ، وأنفذ الى مكامن الشعور والعواطف من أية وسيلة أخرى غيرها من تلك الوسائل العادية المعروفة ؛ وبأن البشرية مهما ابتكرت من أساليب السيطرة والاستيلاء ، وافتنت فى طـرق المغالبة والقهر ، لا يمكن لها أن تأتى فى هذا الباب بما يعدل حسن الخلق ، وطيب الصفات ، ولا بما يدانيها قوة وتأثيرا .

ولذلك استطاع صلى الله عليه وسـلم بأصالة رأيه ، ورجاحة عقله ، وثقـوب بصيرته ، وجودة سياسته ، وحسن تدبيره ، وما اليها من المزايا العالية المستمدة من جمال الخلق ، وكمال التربية ، أن يسوس العرب ، ويحتمل جفاءهم ، وأن يتسع صدره لخشونتهم ، ويصبر على أذاهم ؛ حتى انقادوا له ، وآمنـوا بدعوته ، والتفوا حـوله ، وقاتلوا وقتـلوا دونه ، وحتى فضلوه على أنفسهم ، وقدموه على أبنائهم وآبائهم وأهليهم . وهكذا يفعل الخلق الطيب ما لا تفعله النار والحديد .

« ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » . « وإنك لعلى خلق عظيم » .

فـكرى يـس
المدرس بالازهر

ذم البخل وأهله

قال حكيم : البخل جلباب المسكنة .

وقال بعض الأدباء : البخيل ليس له خليل .

وقال غيره : البخيل حارس نعمته ، وخازن ورثته .

ليس المراد من قوله خازن ورثته أن الأجدر بصاحب المال أن ينفقه على نفسه غير مدخر لورثته ما يعصمهم عن المسألة ، فان هـذا من التبذير ، ولـكن المراد التوسط فى الانفاق ، والقصد فى الاختزان ، وكلاهما معروف لا يحتاج لبيان .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ميلاد الرسول

فجر أطل على الوجود فأطلعا   شمسين : شمس سنا وشمس هدى معا
ظلت مطالع كل شمس لا ترى   من بعده شيئاً كمكة مطلعا
قبس من الرحمن لاح فلم يدع   لألاؤه فوق البسيطة موضعا
ما كان ميلاد الرسول المصطفى   إلا الربيع نضارة وتضوعا
يوم أغر كفاك منه أنه   يوم كأن الدهر فيه تجمعا
ويكاد غابر كل يوم قبله   يثني اليه جيده متطلعا
فلو استطاع الكر من أحقابه   وثبا على هام السنين ، ليرجعا
ويكاد مقبل كل يوم بعده   ينسل من خلف الزمان ليسرعا
فلو استطاع لجاء قبل أوانه   وانساب يخترق السنين وأتلعا
تتنافس الأيام في الشرف الذي   ملأ الوجود فلم يغادر أصبعا
خير أفاض الله منه على الورى   أني جرى ترك الجناب الممرعا
وسناً جلاه لتعمر الدنيا به   من بعد ما كانت خرابا بلقعا
وافى ، وليل الجاهلية مطبق   فانجاب عن جنباتها وتقشعا
وكذا الهداية إن قذفت بها على   ركن الغواية والضلال تصدعا
نادى الى الحسنى فلما أعرضوا   واستكبروا شرع الرماح فأسمعا
والحق أعزل لا يروع فإن بدا   مستلئما لاقى الطغاة فروعا
والحق أخفى ما يكون مجرداً   وتراه أوضح ما يكون مدرعا
والحق ليس بمعتد لكنه   إن دافعته يد الضلال تدفعا
مثل الرياح جرت رخاء ثم لم   تلبث فهبت بعد ذلك زعزعا
بعض الأنام إذا رأى نور الهدى   عرف الطريق ولم يضل المهيعا
ومن البرية معشر لا ينثني   عن غيه حتى يخاف ويفزعا
إن الرسول محمداً صبح بدا   من راح يعثر في سناه ، فلالعا
وافى بها بيضاء ، عدل كلها   لا تلفين بها الضعيف مضيعا
الناس كلهم سواسية بها   لا قيصراً تلقى بها أو تبعا
والناس أكرمهم بها أتقاهم   ولو انه كان الفقير المدقعا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

دخلت على الجبروت وهو مقطب صلفاً فابصر وجهها فتفزعا
وأبى له حب البقاء وطبعه إلا الصيال، فصاولت، فتضعضعا
الفرس، والرومان لم يعصمهما ملك الممالك كلها أن يصرعا
من لم تزعزعه العواصف قبلها بعثت له بنسيمها فتزعزعا
ثلت عروش الظالمين وملكهم وبنت لعرش العدل ملكا أوسعا
وجرى العباد على السجية سجداً لله، لا لمسخريهم، ركعا
وتراهم حول النبي فلا ترى متملقاً أو خائفا متخشعا
دين المساواة الصحيحة دينه يرعاهم فى الله أشفق من رعى
جاءت له الدنيا فاعرض زاهداً يبغى من الأخرى المكان الأرفعا
ما جر أثواب الحرير ولا مشى بالتاج من فوق الجبين مرصعا
من ألبس الدنيا السعادة حلة فضفاضة، لبس القميص مرقعا
وهو الذى لو شاء نالت كفه كل الذى فوق البسيطة أجمعا
لم يبغها ملكا عضوضاً بل دعا لله لا لسواه أفضل من دعا
ملك به اختتم المهيمن رسله وأبان أمر الدين والدنيا معا
يامصطفى أدعوك دعوة شاعر وافى إليك بشعره مستشفعا
هب لى من النفحات ما أشفى به نفساً معذبة، وقلبا موجعا
فلعل صدراً أن تزول همومه وعليل قوم أن يصح وينفعا
ولعل ذابلة الرجاء ينالها بلل من الغيث العميم فتينعا
صلى عليك الله جل جلاله دنيا وأخرى، شافعا ومشفعا

محمد الأسمر

أعظم مثال لتواضع العظماء

روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر مناديا ينادي : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ، ثم قال : أيها الناس لقد رأيتنى أرعى على خالات لى من بنى مخزوم ، فيقبضن لى القبضة من التمر والزبيب ، فاظل اليوم وأى يوم .

فقال له عبد الرحمن بن عوف : والله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قصرت بنفسك . فقال عمر : ويحك يا ابن عوف إني خلوت فحدثتني نفسى فقالت أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك !!

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

دراسة فى حياة محمد

صلى الله عليه وسلم

إن انتشار اللغات الأجنبية فى الشرق مكن المتعلمين من أبنائه من الاطلاع على ما كتبه الأوربيون فى السيرة النبوية ، وأكثره يحتاج لتقويم ،فاذا بقى على علاته انحرف بهم عن الجادة التى يجب أن يقوموا عليها لفهم سيرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

لذلك أصبح من الواجب علينا أن ننظر فيما قاله الكتبة الأوربيون لنصحح الباطل من آرائهم فينا ، ونقوم المعوج من أحكامهم علينا .

من أسبق هؤلاء الكتبة الى إنصاف الاسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام ، المستشرق الافرنسى المسيو (سافارى) ، فقد وضع سيرة نبوية مختصرة ، اعتمد فيها على ما قاله علماء الاسلام ، ثم أتبعها بآرائه وملاحظاته الخاصة .

فرأيناه فى أبحاثه عن النبى صلى الله عليه وسلم يعترف له بكل معانى العبقرية والتفوق البشرى، سوى النبوة.

قال : « إن محمدا كان واحدا من أولئك الأفذاذ الخارقى العادة الذين ولدوا بمواهب سامية ، وكانوايظهرون فى الأحايين على مرسح هذا الكون لأجل أن يغيروا وجهه ، ولأجل أن يقطروا البشر فى جر مركباتهم » .

نقول : لا بأس فيما قلته أيها الشاب الافرنسى سوى قولك : « لأجل أن يقطروا البشر فى جر مركباتهم » ، فان هذا القول يشعر بأن نبينا صلى الله عليه وسلم إنما قام بدعوته ليسخر البشر فى سبيل حظوظه الدنيوية كما فعل الاسكندر ونابليون .

ولا يمكننا أن نطيل الكلام فى الرد عليك لأن مقام الخطابة لك ، كما لا يمكننا أن نسكت عنك لئلا ينسب العجز الينا ، ولهذا نكتفى بقولنا : إن سيدنا الرسول لو كان يريد ان يكون كالقياصرة والأكاسرة لعاش عيشهم ، ولبذخ فى الحياة بذخهم ، ولخص ذريته بخلافته من بعده مثلهم . ولو فعل لحقت كلمة الاحتجاج عليه .

أماجعله الخلافة فى قومه (قريش) فلأن القرآن عربى ، والشريعة — كما قال صاحب كتاب الموافقات — عربية ، ولا يفهمها حق الفهم ، إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم .

ثم قال العلامة المستشرق :

« إذا تأمل الانسان فى الوسط الاجتماعى الذى نشأ فيه محمد ، وفى قمة العظمة التى بلغها ، تعجب مما تستطيع العبقرية البشرية أن تفعله إذا ساعدتها الظروف » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لم يخطىء خطيبنا الشاب فى وصف عبقريته صلى الله عليه وسلم ، لكننا نقول : إنها عبقرية نبوة ، لا عبقرية فتوة ، وساعدتها الظروف ، لكنها ظروف سماوية ، لا ظروف اتفاقية .

قال خطيبنا العلامة :

« ولد محمد وثنيا ، وارتقى الى معرفة إله واحد » .

نقول : لو قلت أيها المستشرق الفاضل : « ولد فى قوم وثنيين » لكنت أحسنت ، لأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لم يسجد لصنم قط ، حتى فى زمن طفولته ، فقد روى علماء السيرة ، أنه لما اجتمع ببحيرا الراهب ـ وكان صبيا ـ استحلفه بحيرا باللات والعزى على شىء ، فقال له النبى : « لا تسألنى باللات والعزى شيئا ، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما ! » .

وقولك « إن محمدا ارتقى الى معرفة إله واحد » كلام حق ، فان التوحيد مركوز فى طبعه منذ ولد ، ثم تأيد هذا التوحيد الفطرى بالوحى الالهى .

قال باحثنا المستشرق :

« وبعد أن هتك محمد حجاب الوثنية فكر فى أن يحدث لقومه دينا جديدا » .

نقول : قولك «يحدث دينا جديدا» المحدث هو الله تعالى . أما تفكيره صلى الله عليه وسلم فى أن يكون لقومه دين جديد فلم تبتعد فيه عن الحقيقة ، لأن نبينا كان يتطلب لقومه منذ صبوته دينا غير الوثنية . فقولك « إنه يفكر » ربما كان فيه إشارة الى آية « ووجدك ضالا فهدى » ، فان بعض حذاق المفسرين فسر ضلال النبى بمعنى تردده فى أية الطرق يسلك الى هداية العرب ، وإنقاذهم من الشرك ، فقد كان صلى الله عليه وسلم فى حيرة من أمرهم ، وتفكير شديد فى إنقاذهم من شقائهم ، حتى أراه الله الطريق الى هدايتهم : بأن أوحى إليه دين الاسلام .

قال العلامة : « تعلم محمد بواسطة أسفاره ، ورأى النصارى منقسمين الى طوائف ، كل طائفة تكفر الأخرى ، واليهود هول الأمم L'horreur des nations يدافعون عن شريعة موسى بعناد ، وقبائل العرب غائصين فى ظلمات الوثنية » .

نقول : إذا كنت تريد أيها العلامة ان محمدا ازداد فى أسفاره علما بما كانت عليه الأمم فى عهده من ضلال وشقاء ونزاع وتعصب ، وأن علمه هذا حصل بتدبير الله كى تستعد نفسه الشريفة لتلقى الوحى والنبوة ، كان قولك حسنا . أما إذا أردت بتعلمه فى الأسفار أنه تعلم علوما لاهوتية استعان بها على دعوى النبوة ، كان قولك باطلا ، لأن سيدنا الرسول نشأ أميا والأمية عائق كبير عن طلب العلم وتتبع مسائله وتقييد شوارده ، وكانت أميته هذه حجة على المشركين فى صحة نبوته ، ولم يسمع منهم قط احتجاج عليه بالقراءة والكتابة ، كما لم يسمع منهم أنهم قالوا له : إنك تعلمت وتلقنت فى أسفارك علوما لاهوتية ، ولو علموا ذلك لاحتجوا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عليه به ، ولنقل الينا ، وكل ماعلمه قومه أنه لأول مرة سافر الى الشام مع عمه أبي طالب ، وكان يؤمئذ صبيا ، حتى إنه تعلق بزمام ناقة عمه ، وقال له : « ياعم ! الى من تكلنى وأنا لا أب لى ولا أم » وفى عبارته هذه عبقة من الطفولة المقدسة .

ثم سافر صلى الله عليه وسلم فى شبابه الى الشام فى تجارة لخديجة بنت خويلد ، فساوم وباع وربح وعاد ، وكان يهمه فى سفرته هذه أن يرضى السيدة خديجة بحسن تصريف البضاعة ، ووفرة أرباحها ، فلا يمكن أن يشغل نفسه بمزاولة العلم والتعلم فلا تعود ترسله مرة ثانية فى تجارتها ، وكان هو وعمه أبو طالب حريصين على إرضائها ، كما يفهم ذلك مما قاله علماء السيرة عند كلامهم على أسباب هذه السفرة .

على أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان فطنا ذكيا ، موحدا بفطرته ، محبا للخير والحق والعدل بطبيعته ، فلا يضر إذا قلنا إنه كان يرى فى سفره من الشر ما ينافى طبعه فيأنف منه وينكره ، كما يرى من الخير مايلائم طبعه فيرتاح اليه ويقره ، فيكون علمه فى سفره علم تحقيق وتطبيق ، لا علم استفادة وتحصيل .

قال خطيبنا الافرنسى :

« وقد أثر فى نفس محمد ما شهده من أحوال الأمم ، فانسحب الى عزلته (فى غار حراء) وهيأ فى نفسه فى مدة خمس عشرة سنة طريقة فى الدين يمكنه بها أن يجمع بين المسيحيين واليهود والوثنيين » .

نقول : قولك « وهيأ فى نفسه » : المهيئ والمرشد هو الله تعالى . أما قولك : أثر فى نفسه ماشهده من أحوال الأمم ، فحسن جدا ، إذ أنه صلى الله عليه وسلم كان يشق عليه مايراه من ضلالهم وشقائهم . فقولك هذا ينبغى أن نجعله تفسيرا لقولك الأول « إن محمداً تعلم فى أسفاره » ، فلا يكون معنى تعلمه إلا أنه استفاد علماً جديداً بشقاء الأمم ، وحاجتها الى نبى ينقذها من ضلالها .

ثم قال العلامة :

« هذا المشروع الدينى الذى فكر فيه محمد كان واسع النطاق ، غير ممكن التنفيذ ، فرأى أن الممكن إحداث عقيدة بسيطة ، يقبلها العقل ، وتناسب جميع أمم الأرض ، وهذه العقيدة هى الايمان بإله واحد ، يعاقب على الرذيلة ، ويكافئ على الفضيلة » .

نقول : ما أحسن ما قلت أيها الشاب الافرنسى الحر ! حقاً إن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم تدرج فى عرض تعاليم دينه على مشركى العرب : فكان يأتيهم أولا بالتعاليم السهلة ، ثم بما يحتاج الى دقة وتأمل . لكن عبارتك تفيد أنه فعل ذلك من عند نفسه ، وهو إنما تلقاه بوحى من الله ، كما كان يتلقى ذلك إخوانه الأنبياء السابقون .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قال المستشرق :

« غير أن محمداً لما رأى أن الناس لا يتبعون دينه ما لم يكن هو نبيا مرسلا من الله ، أضاف كلمة « محمد رسول الله » الى كلمة « لا إله إلا الله » .

نقول : مادمت أيها العلامة غير مسلم فلا يمكننا أن ننازعك فى قولك نزاعاً ثقيلا . وكل ما يمكننا ، أن نعاتبك عليه عتابا جميلا .

نراك تؤمن بأنبياء التوراة ، مع أن الواحد من هؤلاء الأنبياء قد لا يؤثر عنه من أعمال النبوة وتعاليمها سوى قوله مثلا : « إن الرب أمرنى أن أقول لملك إسرائيل أن يفعل كذا ويترك كذا » . هذا كل آيات نبوته التى تجعلك تؤمن به ، ولا تؤمن بمحمد الذى أتى بتعاليم وشرائع وآداب وقوانين اجتماعية ، ظهر أثرها فى إصلاح البشر . ومهدت بين أيديهم سبل الحضارة والعمران ، وأوجدت لهم ثقافة راقية فى كل ناحية من نواحى الحياة . وقد دونت ثقافته هذه وشرحت فى ألوف وألوف من الكتب التى لو نفضت لسكان فى نفاضتها من المراشد والمنافع ما هو أجدى على البشر من كثير مما فى الكتب الأخرى . وقد تبع محمداً ملايين وملايين من البشر يعملون بشرائعه ، وفيهم ألوف وألوف من العلماء والصوفية والفلاسفة والساسة وقواد الحروب ، ورجال الفنون ، وأساطين الفقه والتشريع والأدب والشعر ، والمصنفين فى كل فن ومطلب من مطالب الحياة ، وكلهم يعترفون بأنهم إنما استقوا علومهم من ذلك الينبوع الأعظم ، صلى الله عليه وسلم .

فالرجل الذى انبثقت من روحانيته روحانية الحسن البصرى والجنيد والشبلى والسرى السقطى وابن عربى وابن الفارض .

الرجل الذى انبثق من علمه علم الصحابة والتابعين وعلم أبى حنيفة والشافعى والأشعرى والغزالى وابن رشد والفارابى والرازى .

الرجل الذى انبثقت من عبقريته عبقرية الخليل بن أحمد والزمخشرى وأبى العلاء المعرى والجاحظ وابن خلدون .

الرجل الذى انبثقت من فتوته فتوة الامام على ، وخالد بن الوليد ، وصقر قريش عبد الرحمن الداخل ، وموسى بن نصير فاتح المغرب ، وقتيبة بن مسلم فاتح المشرق ، والمهلب بن أبى صفرة ، وصلاح الدين الأيوبى .

الرجل الذى أثمر وأنتج كل هذا تبخل عليه بكلمة « نبى » أيها الشاب الحر المنصف وتجود بها على أولئك الذين تعرفهم ويعرفهم التاريخ ؟ !

هذا ما أحببنا أن نعاتب صاحبنا عليه . ونعود الآن الى استماع بقية حديثه فى السيرة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فنسمعه يقول :

« وبعد أن وضع محمد أساس طريقته الدينية على هذه الصورة أخذ من تعاليم الديانتين اليهودية والمسيحية ما علم أنه أكثر موافقة للعرب سكان البلاد الحارة .

« أما العرب فلم يكن محمد غافلا عن إدخالهم فى مشروعه ، كيف وهو إنما كان يعمل من أول الأمر لأجلهم ؟

« فأخذ يذكرهم بذكرى عزيزة عليهم : تلك الذكرى هى أبوة إبراهيم وإسماعيل ، وبذلك جعلهم ينظرون الى الدين الاسلامى كأنه دين هذين القديسين » .

نقول : عاد مستشرقنا الى نغمته السابقة ، فزعم أن كل ما كان يفعله نبينا صلى الله عليه وسلم صادر من عند نفسه ، وليس الأمر كما زعم ، وإنما هو وحى يوحى ، لما قامت عليه البراهين من صدقه صلى الله عليه وسلم فى رسالته .

ثم وصف العلامة الافرنسى ما أوتى نبينا صلى الله عليه وسلم من فصاحة وبلاغة فى لغته العربية ، فقال :

« وكان محمد واقفاً على أسرار بلاغة لغته ، تلك اللغة التى هى أغزر مادة وألذ فى السمع من جميع لغات الأرض . تلك اللغة التى بواسطة تأليف مقاطعها يمكنها أن تتابع الفكر مهما حلق فى جو الخيال ، فتصوره أكمل تصوير . تلك اللغة التى بواسطة تناسب نغماتها تسمعك تارة زئير الأسود ، وطوراً هدير الأمواج ، ومرة قصف الرعود ، وأحيانا هبوب النسمات . تلك اللغة التى وجدت من يوم أن خلق الله البشر « depuis le commcement du monde » والتى هذبها وحسن ديباجتها الكثيرون من شعراء الجاهلية . بهذه اللغة كان يخطب محمد قومه ، فكان يعطى حكمه جميع صنوف التأثير السحرى ، ويعطى تعاليمه الروعة التى تناسبها ، ويعطى الأمثال المتداولة بين أهل زمانه مسحة من الجمال جعلتها ذات قيمة غير قيمتها الأولى » .

نقول : هذا ما وصف به المستشرق لغتنا العربية ، وما هى عليه من قوة التأثير فى النفوس ، وصلاحيتها لتقييد أوابد الأفكار ، فلنحرص عليها .

ثم قال العلامة :

« ولما حان الوقت لاظهار الدعوة استعان محمد على أمره بالكتمان الشديد ، فدعا أولا أهل بيته وخادمه الأمين (أم أيمن) ، وأثر بفصاحته على بعض سادات مكة فآمنوا به ، ولما شعر بقوته رفع صوته ضد الوثنية ، وما كانت النكبات التى تنزل به ولا التغريب عن وطنه ، ولا الحكم عليه بالموت إلا لتزيد فى شجاعته ، وإلهاب همته ، وفى آخر الأمر هيأ لنفسه بواسطة مستشاريه السريين ملجأ فى بلاط ملك الحبشة لينحاز اليه حين الحاجة ، ثم ملجأ آخر فى مدينة يثرب ، حتى إذا أحكم التدبيرين ، واستوثق من الملجأين ، ظهر فى رائعة النهار ، وأعلن مقاصده فى طلب المجد والفخار » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا بأس فى هـذا الـكلام الذى قاله خطيبنا المستشرق لو لم ينسب التدابير فى نشر الدعوة الى النبى نفسه ، وأن له من وراء ذلك غرضا خاصا به . وقد تقدم ردنا عليه فى أمثال ذلك ، فلنكتف بما تقدم .

ثم قال المستشرق :

« قاومه النصارى وقالوا فيه ما قالوا ، وأنكره اليهود مستبعدين أن يكون رجل عادى من أهل مكة هو المسيح المنتظر . أما مشركو العرب فقد رأوا أن دينهم الوثنى الذى هو أساس سطوتهم قد زعزعه محمد وعرضه للزوال ، ففكروا فى قتله ، ووضعوا رأسه فى المزاد ، ومع هذا فان ضجيج هـذه الطوائف الثلاث وأحقادهم وتسابقهم فى مقاومة محمد ما كانت لتخيفه . وقد كان ثباته فوق كل النكبات ، وعبقريته خلقت مستعدة لتذليل كل العقبات . ولما استولى على المدينة سلحها ضد مكة ، وصمم على أن يقهر بقوة السيف والسنان أولئك المكابرين الذين لم تفلح فيهم قوة الحجة والبرهان . كما أنه لما يئس من اجتذاب اليهود والنصارى الى دينه نسخ الشرائع الناظرة الى مصلحتهم ، وعول فى تأييد دعوته على العرب وحدهم فكان أول ما فعله من هـذا القبيل تحويل القبلة الى مكة بعد أن كانت الى بيت المقدس ، فقوبل هذا التشريع من العرب بالتكبير والتهليل ، وعدوه نعمة سماوية ، أما الشارع فكان يرى فى هذا التحويل وسيلة الى حمل صحابته على فتح مكة منبت أسلته ، وهدف رغبته .

« وبعد تحويل القبلة الى مكة وجه همته الى أمر أهم : هو توحيد كلمة القبائل المتعادية ، فأنشأ نظام التآخى ، الذى بواسطته أصبح المسلمون أسرة واحدة يتسابق أفرادها الى إعلاء شأن رئيسها

« ولما تم له كل هذا صمد الى أعدائه ، فكافحهم بتلك الشجاعة النادرة التى اكتسبها فى الحروب تحت إشراف عمه أبى طالب ، فأهلته لأن يكون قائدا حربيا كبيرا . ووصية محمد لرجاله بالظفر أو الموت ، وثقتهم بمعونة الله الموعودة ، وأملهم بالغنائم التى كانت تقسم بينهم بالعدل ، كل ذلك ألهب نفوسهم بالبسالة ، وجعل انكسارهم من رابع المستحيلات

« حارب العرب كلهم ، بأهل المدينة وحدهم ، فكان استبساله فى الهجوم ، واختياره المراكز المنيعة لنزول جيشه ، وإضرامه نار الحمية فى نفوس أبطاله ، كل هذا جعله يتفوق على أعدائه : فكنت تراه فى وسط الحروب الموقدة ، وبين خفقان القلوب الملتهبة ، بارد القلب ، مطمئن النفس ، واثقا بالنصر

« وكان دقيق النظر فى مراقبة حركات أعدائه وسكناتهم ، حتى إذا بدرت منهم هفوة اغتنمها حالا ، وعززها بخدعة حربية ، فيكون النجاح ، ويكون الظفر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« ويوم « أحد » هو اليوم الوحيد الذى خانه فيه الحظ ، ومع هذا فقد عرف يومئذ مبلغ ما لمحمد من السلطة على العقول ، وما لعبقريته من المقـدرة على استعمال الخدع والمكايد . وكان من أثر ذلك أن المشركين — مع كونهم غالبين — جبنوا عن الاستفادة من غلبتهم ، وأن صحابة محمد المغلوبين بقوا متمسكين به ، ولم ينفصل واحد منهم عنه » .

هذا الكلام من خطيبنا الشاب الافرنسى حسن ، لكنه مبنى على رأيه فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو نفسه مصدر كل هذه التدابير الحربيـة . أما نحن معشر المسلمين فنعتقد أن الله الذى أرسله هو الذى كان يوحى اليه بها .

على أننا لا ننكر أن له ، صلى الله عليه وسلم ، مع صحابته أحيانا تدابير شخصية ترجع الى الاجتهاد وإعمال الرأى وتلمس الخدع الحربيـة وفقا لآية « وأمرهم شورى بينهم » ، وعملا بالحديث المأثور « الحرب خدعة » .

قال خطيبنا الافرنسى :

« أخضع محمد اليهود وجمهرة القبائل العربية ، وفتح مكة . وكان يعلل نفسه بالاستيلاء على الملوك المجاورين ، وأن يراهم مؤمنين به . وكان يهيىء الوسائل لهذا الغرض . من ذلك أنه أرسل اليهم رسلا يدعوهم الى الاسلام ، فان أسلموا وإلا اتخذ من عنادهم عذراً الى مهاجمتهم . وكان عميـق النظر جداً فى معرفة القـلوب البشرية ، فكان عماله وقواده من عظماء الرجال . وكان طموحه الى المعالى يجعله يحـول نظراته الى « سورية » من وقت الى آخر ، ويذكرها بشوق وارتياح ، فاتفق للروم يوما أن حملتهم سفالتهم على قتل رسول أرسله محمد اليهم ، وكانوا معه فى قلب السلم » .

أقول : وهـذا الرسول اسمه « الحارث بن عمير الأزدى » كان صـلى الله عليه وسلم أرسله الى أمير « بصرى » فى حوران من بلادنا الشامية ، فقتله الأمير . وبسببه نشبت بين الروم والصحابة حرب « مؤتة » . وكان المسلمون ثلاثة آلاف ، والروم أكثر منهم بأضعاف . وقد قتل فى هذه الوقعة أمراء النبى الثلاثة ، على هذا الترتيب الذى رتبهم به : « زيد بن حارثة » ثم « جعفر بن أبى طالب » ثم « عبد الله بن رواحة » حتى أخذ الراية سيف الله « خالد بن الوليد » فبطش بالروم بطشة كبرى . وقد لخص لنا خبر هذه الوقعة خطيبنا الافرنسى .

فقال :

« قطع خالد بن الوليد رمال جزيرة العرب المحرقة حتى بلغ أرض الروم ، ونال هذا القائد الباسل انتصارا عليهم كان من أعجب الانتصارات التى خـلدت ذكـره فى تواريخ الأجيال . وهكذا كان دم عدة آلاف من الروم كافيا للانتقام من سفالتهم ، ولم يكن طمعا فى غنائمهم . ومن ذلك الحين عزم محمد على انتزاع سورية من يد هرقل . وبعد قليل من الزمن رأيناه يمشى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اليها على رأس ثلاثين ألف محارب ، وكان قبل ثمان سنوات ، فى وقعة بدر ، لم يمكنه أن يجمع تحت رايته أكثر من ثلاثمائة وثلاثة عشر مقاتلا . فاجتاز الصحارى والرمال المحرقة كالبرق الخاطف ، وعسكر فى « تبوك » ومن تلال رمالها أشرف على سورية . وقد كفاه عشرون يوما لاخضاع جميع البلاد التى فى طريقه . ولما لم يسلموا وضع عليهم الجزية ، ورجع الى عاصمته منقلا بالغنائم ، مجللا بالفخار . ثم فى ثالث مرة جهز محمد لفتح « سورية » جيشا عرمرما يبلغ أربعين ألف مقاتل . غير أن المنية اعترضت سبيله ، وحالت بينه و بين المسير إليها ، فتجلببت المدينة بأثواب الحداد على فقده ، وشملت سكانها كآبة لا توصف ، مما برهن على مقدار ما كان لمحمد من التسلط على العقول » .

عبد القادر المغربى
عضو مجمع اللغة العربية الملكى

—

تناسب الاصحاب

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « المرء مع من أحب » .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « الصاحب مناسب » .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « ما من شىء أدل على شىء ولا الدخان على النار من صاحب على صاحب » .

وقال بعض الحكماء : « اعرف أخاك بأخيه قبلك » .

وقال بعض الأدباء : « يظن بالمرء ما يظن بقرينه » .

وقال عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى
إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

قال الامام الماوردى عقب هذا الكلام : « فلزم من هذا الوجه أيضا أن يتحرز من دخلاء السوء ، ويجانب أهل الريب ، ليكون موفور العرض ، سليم العيب ، فلا يلام بملامة غيره . وهذا قبل التثبت والارتياء ، ومداومة الاختبار والابتلاء ، متعذر بل مفقود . وقد ضرب ذو الرمة مثلا بالماء فيمن حسن ظاهره ، وخبث باطنه ، فقال :

ألم تر أن الماء يخبث طعمه ... وإن كان لون الماء أبيض صافيا

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

السنة

الإخلاص (١)

ذكرنا لك فى مقالنا السابق نص حديث أبى أسامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الاخلاص، وبينا بعض ما يتعلق به من فضيلة الاخلاص وحقيقته وحكمة مشروعيته . وبقى الكلام فى شرح ما يقتضيه ظاهر ذلك الحديث من حبوط أجر العامل غير المخلص ، والسكوت عن تأثيمه . وهذا هو موضوع كلامنا الآن .

إن الحديث وإن لم يكن فيه تصريح بنفى الأثم عن الذى جاهد فى سبيل الله يبتغى الثواب من عند الله والشهرة بين الناس ، ولكن نفى الأثم مفهوم من المقام حتما ، لأن السائل قد سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن أمر دينى محض وهو معرفة ما يترتب على هذا العمل من خير أو شر فى نظر الدين ، فلو كان الرجل آثما لقال له صلى الله عليه وسلم: بل هو مازور لا ماجور . وظاهر أن السائل كان جازما بنفى الأثم وإنما هو متردد فى أجر العمل وثوابه ، فاقره صلى الله عليه وسلم على سؤاله ، وأجابه بحبوط الأجر . وعلى هذا يمكننا أن نقول إن الحديث يفيد أن الذى يبنى عمله على سببين أحدهما دينى والآخر دنيوى يحبط عمله فقط بدون أن يكون عليه إثم ، فلا له ولا عليه .

ولكن هذا قد ينافى أصلا من أصول الدين القيمة ، وهو أن الله سبحانه لا يضيع مثقال حبة من عمل الصالحات الصادرة عن المؤمنين ، قال تعالى : «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» . وقال : «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين» . وذلك لأن الجهاد عمل بر صدر عن مؤمن ، وكونه مبنيا على سببين أحدهما دنيوى لا ينفى عنه الخيرية رأسا بحيث لم يبق فيه مثقال ذرة من الخير . وإذا كان كذلك فكيف ينفى الحديث أجر ذلك العمل نفيا باتا ؟ ويمكن أن يجاب عن هذا من أول الأمر بأن مصدر وصف الأعمال بالخير والشر إنما هو المشرع ، فهو الذى يحكم بأن هذا الفعل فيه مثقال ذرة من الخير أو لا . فلا منافاة

---

(١) تابع لما نشر بهذا العنوان فى العدد السابق .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بين الآية الكريمة وبين الحديث أصلا ، لأنه متى ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد صرح بأن العمل المبنى على سببين أحدهما دنيوى ، لا ثواب فيه ، فانه لا يكون فيه مثقال ذرة من الخير قطعا . ولكن الامام الغزالى قد فصل فى الجواب عن مثل هذا تفصيلا حسنا فقال ما ملخصه :

إن أعمال البر التى قد امتزج بها شىء من حظوظ النفس بأن عملت لغرض دينى وغرض شهوى ، فانها لا تخلو عن أحد أمرين : الأمر الأول : أن يكون السببان الباعثان على العمل متساويين بحيث لا يرجح أحدهما عن الآخر عند العامل . الثانى أن يرجح أحد السببين ويضعف الآخر . فان تساويا تساقطا وضاع الأجر وأصبح العامل لا له ولا عليه . وإن رجح السبب الدينى بحيث كان هو الباعث الأصلى على العمل والسبب الآخر جاء تبعا بحيث لو انعدم لا يترتب على انعدامه انقطاع العمل ، فان الثواب لا يحبط ، ولكنه ينقص بقدر رغبة العامل فى الحصول على ذلك السبب الضعيف . أما إذا رجح السبب الدنيوى بحيث إذا لم يوجد كف العامل عن العمل ، فان فى ذلك حبوط أجر العمل وإثم العامل ، لأنه جعل عبادة الله وسيلة للحصول على لذة ، فاذا كانت تلك اللذة محرمة كانت جنايته أشد وإثمه عظيما . وأكبر من هذا جرما من يعمل عملا دينيا لمحض الشهوة بدون أن يلاحظ أمر الله مطلقا ، لأنه فى هذه الحالة إنما يعمل لهواه ولذته ، مع اتخاذ عبادة الله سلما يتوصل بها الى الحصول على لذته ، فهو فى الواقع من شر الجناة المنافقين الذين يعملون على عكس قواعد الدين الذى جاء بالتوحيد الخالص ومحو عبادة الأوثان .

هذا إيضاح ماذكره الامام الغزالى ضمن كلام طويل . ولا ريب أن الحديث الذى معنا ينطبق عليه الأمر الأول وهو تساوى السببين ، لأن السائل ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم السببين على السواء : الأجر من الله ، والشهرة عند الناس ، فأجابه عليه الصلاة والسلام بنفى الأجر فقط . ويمكننا أن نحمل جميع الأحاديث المماثلة لهذا على هذا المعنى .

ويؤيد هذا التفصيل الذى ذكرنا أن قواعد الدين الاسلامى تقتضى الترغيب فى أعمال البر وتعظيم أجر العاملين ، حتى ورد فى الصحيح أن من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة . وهذا الترغيب يستلزم أن لا يحرم العامل من أجر عمل قام به . فان كانت فيه جهة نقص فانه ينقص من ثوابه بقدرها . نعم إذا كان الباعث له على هذا العمل مجرد الشهوة ، أو كان الباعث الدينى ضعيفا لا يترتب عليه استمرار العمل ، أو كان الباعث الدنيوى مساويا للباعث الدينى بحيث يتوقف عليه العمل ، فان العامل فى هذه الحالة لا يستحق أجره من الله ، لأنه فى الواقع لم يعمل لله . ومن سوء الأدب أن يعمل الانسان لتحصيل شهوة ثم يطلب أجرها من الله . والى هذا يشير الحديث الصحيح ، وهو : «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك فى عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده فان الله أغنى الشركاء عن الشرك » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فهذا الحديث يقول لمن انبعث الى عمل البر بباعث أشركه مع خالقه : إنه لاحق له فى طلب الأجر من الله تعالى ، لأنه لم يعمل له على التحقيق ، وهو سبحانه غنى عن عمله الذى يعمله له مع الشريك ، بل هو غنى عن العالمين جميعا .

وربما يتوهم بعضهم أن هذا الحديث يدل على أن الشرك يحبط أجر العمل مطلقا ، سواء أكان قويا أم ضعيفا ، لأنه عام يتناول كل شرك ، ولكن الواقع أن الشركة التى يترتب عليها أخذ الأجر من الشريك لا تتحقق فى نظر الدين الذى جاء بالعدل المطلق إلا إذا كان العمل موقوفا على الشريكين بنسبة واحدة ، أما إذا كان أحد الشريكين ضعيفا لا يتوقف على انعدامه الشروع فى العمل أو الاستمرار فيه ، فليس من العدل أن يقال للعامل : خذ أجرك من هذا الشريك ، وإنما الذى يصح أن يقال له : لماذا لم تجعل العمل مقصورا على الغنى المطلق لتأخذ عليه أجرك كاملا ؟ ومن أجل هذا قلنا إن السبب الدينى إذا كان قويا بحيث لو انعدم السبب الآخر لا ينقطع العامل عن عمله بل يمضى فيه حتى ولو تألمت نفسه لعدم حصول السبب الضعيف ، فان الثواب لا يحبط ولا ينقص أجره بنسبة ذلك التألم وانقباض النفس على ضياع السبب الضعيف . أما إذا كان السبب الدينى ضعيفا فان الثواب يحبط ويأثم العامل ، لأن السبب فى هذه الحالة ينزل منزلة العدم .

وفى قوله : « فان الله أغنى الشريكين عن الشرك » توبيخ لمن يشرك مع الله غيره فى أعمال البر ، لأن العامل الذى يطلب الجزاء الحسن على عمله لا يكون عاقلا إذا ترك الغنى المطلق الذى لا يحتاج الى معونة الشريك فى منح الأجر ، وعمل للمحتاج الذى لا يعطى الأجر إلا بنسبة محدودة وقدر معين .

ولا يخفى أن هذا التفصيل الذى بيناه إنما هو فى أعمال الجوارح : من جهاد وحج وصوم وصلاة ونحو ذلك ، وتسمى عملية . ولكن بقى من أعمال البر أعمال اللسان وتسمى قولية ، وأعمال القلب وتسمى اعتقادية ، فهل ينطبق هذا البيان عليها أولا ؟ والجواب أن عمل اللسان كعمل الجوارح من كل وجه ، فتارة يكون مبنيا على سبب واحد ، وتارة يكون مبنيا على سببين ، فيجب على كل متكلم أن يبنى كلامه على سبب واحد صحيح وهو مرضاة الله تعالى . فاذا بنى قوله الدينى على غرض دنيوى محض فانه يكون آثما لا محالة . مثال ذلك أن يتلو شخص القرآن أو ينطق بالذكر بحضرة من يحب الصالحين ليؤثر عليه بذلك فينال منه منصبا أو مالا أو جاها أو ليقال عنه إن الرجل لا ينفك لسانه عن الذكر وتلاوة القرآن ، ولولا ذلك ما قرأ ولا ذكر ، فهذه الحالة توجب الاثم ، لأن هذا نفاق فى أعمال البر يستحق عليه فاعله سوء العقاب . ومثل ذلك ما إذا نطق بكلمة حق يريد بها باطلا ، كما إذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله ليغرى بها ذا سلطان على الوقيعة بمتهم برىء ، فانه يأثم بذلك إثما مبينا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فاذا بنى الانسان عبادته القولية على سببين أحدهما دنيوى كان فيه التفصيل الذى ذكرناه من جميع الوجوه . وكما أن الشارع قد نهى عن بناء العبادة القولية على سبب لا يقره الدين فكذلك نهى عن كل قول تبعث اليه الشهوة والهوى . فحرام على كل مؤمن ومؤمنة أن يتكلم بما لا يرضى الله تعالى : كأن يمدح ظالما لايستحق المدح للحصول على غرض دنيوى ، أو يذم شخصا لا يستحق الذم تشفيا وانتقاما ، أو يقول زورا من القول ليقتطع به حقا ، أو ينال به من عرض برئ أو نحو ذلك . ومن يفعل ذلك فانه يكون من المجرمين الذين لهم سوء العذاب .

وأما أعمال القلب وهى الاعتقاد فانه لا يتصور بناؤها على سبب مؤقت ، إذ لا يعقل أن يعتقد الانسان أن الله موجود ليظفر بمال أوجاه حتى إذا ما ظفر بذلك زال اعتقاده ، وإنما الذى يتصور فى ذلك أن يظهر ذلك الاعتقاد كذبا كما كان يفعل المنافقون فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فانهم كانوا يظهرون الايمان بالله ورسوله ليظفروا بالغنيمة أو ينجوا من بطش المؤمنين ، أو يحاولوا إغرار ضعاف الارادة ليردوهم عن دينهم ، أو نحو ذلك من البواعث الفاسدة والشهوات المذمومة . وذلك هو الرياء فى العقيدة ، وهو من أقبح أنواع الرياء ، بل هو عند الله أكبر من المجاهرة باعتقاد إلهين أحدهما يقرب الى الله زلفى ، أو يقوم بمهمة يستحق عليها العبادة كما كان يفعل المشركون المجاهرون . وذلك لأن النفاق فى العقيدة جناية عظمى على المجتمع الانسانى ، فانه أمضى سلاح يستعين به الشرير خبيث النفس فاسد العقيدة على قضاء لبانته ، ولولا أن الله سبحانه كان يوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم بما كان يضمره هؤلاء المنافقون من الشر لكان أثرهم فى محاربة الاسلام والمسلمين يومئذ عظيما ، لأن اختلاطهم بالمؤمنين مكنهم من الاطلاع على مواطن الضعف منهم والكيد لهم وهم غافلون . وها نحن أولاء نرى آثار المنافقين الضارة بالجماعات والأفراد فى كل زمان ومكان ، فكم من منافق تمكن باظهار العقيدة التى يحبها صاحب السلطان كذبا من التنكيل بالأبرياء والقضاء على الحق والعدل ، وكم من منافق أظهر إيمانه للناس فتمكن من الاساءة اليهم فى أغراضهم وأموالهم وهم لا يشعرون .

ثم إن العقيدة تارة تكون متعلقة بالله تعالى ورسله ونحو ذلك من الأصول المعلومة من الدين بالضرورة ، وتارة تكون متعلقة بغير ذلك ، فان كانت متعلقة بالله تعالى فانه يجب أن تبنى على سبب واحد وهو كونه تعالى موجدا للانسان ، وموجدا للوسائل التى بها يبقى فى الحياة الدنيا بقاء مؤقتا ، وفى الآخرة بقاء دائما مستمرا . فالاعتقاد فى أن الله إله واحد واجب الوجود متصف بجميع صفات الكمال لايصح بناؤه إلا على ما ثبت بالدليل القاطع الذى لاريب فيه من أنه وحده خالق الانسان وخالق الوسائل التى بها يبقى من سماء وأرض وشمس وقمر وماء وهواء وسائر أجزاء العالم ، فلايستحق العبادة إلا من كان هذا شأنه ، وقد انحصر ذلك فى الله

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وحده . وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فى مواضع كثيرة ، منها قوله تعالى توبيخا للمشركين « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » وقوله : « أفمن يخلق كمن لا يخلق » وقوله : « إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا » الى غير ذلك من الآيات التى تدل على أن الذى يستحق أن يكون إلها معبودا إنما هو الخالق الرازق دون سواه . فمن يشرك مع الله فى العقيدة إلها آخر لسبب غير الخلق والرزق فهو جاهل بمقام الألوهية ، ولا يليق بالانسان العاقل أن يعبد من لا يخلق أو من يشرك معه إلها آخر يخلق ويرزق ، فهو أشد جهالة من الأول ، لأن الشركة على هذا الوجه تحد من سلطة كل منهما فلا يصلح أن يكون إلها لأن كلا منهما فى هذه الحالة يكون عاجزا عما تعلقت به قدرة غيره ، والاله يجب أن يكون كامل السلطة . وهذا السبب وهو الخلق والرزق دائم مستمر أقره الدين ، فيجب بناء العقيدة فى الله عليه . وإن كانت العقيدة متعلقة بالرسل فانه يجب أن تبنى على السبب الذى أثبتوا به رسالتهم من البراهين القاطعة ، فلا يصح أن يظهر أحد اعتقاده فى الرسول كذبا ليظفر بغرض دنيوى كما كان يفعل المنافقون ، ومن أظهر اعتقاده فى الله ورسله أو فى أصل من الأصول الدينية كذبا للوصول الى غرض من الأغراض فانه يكون كافرا بالله ورسوله ، ومأواه الدرك الأسفل من النار .

أما إذا كان الاعتقاد متعلقا بغير الأصول الدينية فان له جهتين : إحداهما الكلام فى جواز أصل الاعتقاد . ثانيتهما الكلام فى الاخلاص فيه ، فأما الأول فانه لا يحل لمكلف أن يعتقد فى أمر من الأمور إلا إذا أقره الدين على ذلك ، فيحرم أن يعتقد فى شخص مرتكب لجريمة الزنا أو مدمن على شرب الخمر أو تارك للصلاة أنه ولى من أولياء الله بناء على أنه قال له كلمة صادفت الواقع أو عمل أمامه أمرا غير عادى فى نظره ، لأن الدين الاسلامى لم يجعل هذه الأمور سببا للولاية ، بل جعل سبب الولاية الايمان والتقوى وهى اجتناب ما نهى الله عنه وعمل ما أمر به ، وذلك يستلزم بالضرورة تعلم العلم الدينى الذى يشتمل على الأوامر والنواهى . فالولى فى نظر الدين هو المؤمن العالم التقى لاغير ، قال تعالى : « ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى » . فمن يعتقد الولاية فى المجاهرين بالفسق أو الجهلة الذين لا يعرفون الدين والايمان فانه يكون آثما بهذه العقيدة لأنه مخالف لقواعد دينه . وأما الثانى فانه إذا اعتقد فى العالم التقى الولاية وجب عليه أن يبنى اعتقاده على سبب واحد وهو مرضاة الله تعالى الذى أمر باحترام المؤمنين الأتقياء ومحبتهم . أما إذا اعتقد فيه الولاية لغرض آخر غير مشروع كأن يشفى له مريضا أو يقضى له حاجة ليس من شأنه قضاؤها ، فانه يكون غير مخلص فى اعتقاده ، لأنه بناه على سبب غير دينى . ومثل ذلك ما إذا أحب شخصا لصفة ممدوحة فى نظر الدين كالعدل ومكارم الأخلاق والعطف على الفقراء والمساكين ونحو ذلك من الصفات التى يرضى عنها الله تعالى . فانه إذا بنى حبه وحسن اعتقاده فيه على صفة من هذه الصفات ، كان

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

مخلصا له ، واستحق على هذا أجرا عند الله . أما إذا بنى حبه فيه على غرض خاص مؤقت فاذا قضاه انقطعت محبته أو أظهر له المحبة وهو يبغضه ويحب إساءته فانه يكون منافقا يستحق على ذلك العقاب ، وعلى هذا القياس .

وبالجملة فانه يجب على الانسان أن يجعل أعماله كلها مبنية على الأسباب التى يقرها الشرع فى معاملة الخالق والمخلوق ، وبذلك تكون كلها خالصة لله تعالى الكفيل بجزاء العاملين المخلصين وإعطائهم ما تقر به أعينهم فى الدنيا والآخرة . فاذا عزم على الاخلاص ولكن خطرت له خواطر نفسانية تنافى الاخلاص ، فعليه مقاومتها بقدر المستطاع ، فاذا عجز عن ذلك فانه يمضى فى عمله ولا حرج عليه ، لأن الله تعالى لم يكلف الانسان إلا بما فى طاقته ، قال تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج »

وفق الله العاملين الى الاخلاص فى القول والفعل والاعتقاد ، إنه سميع الدعاء .

عبد الرحمن الجزيرى

طلب الرزق بالسفر

روى أن عقبة بن ربيعة شاور أخاه شيبة فى النجعة فقال : إنى قد أجدبت ، ومن أجدب انتجع (أى قصد الى مواطن الخصب) . أخذ هذا المعنى أبو تمام الطائى فقال :

أراد بأن يحوى الغنى وهو وادع ولن يفرس الليث الطلا وهو رابض

وقيل لأعشى بكر الشاعر : الى كم هذه النجعة والاغتراب ، أما ترضى بالخفض والدعة ؟ فقال : لو دامت الشمس عليكم للمتموها .

أخذه أبو تمام فقال :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
فانى رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس إذ ليست عليهم بسرمد

وقال المأمون بن الرشيد : لا شىء ألذ من سفر فى كفاية ، لأنك فى كل يوم تحل محلة لم تحلها ، وتعاشر قوما لم تعاشرهم .

أخذ هذا المعنى شاعر فقال :

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة من أن تبدل أوطانا بأوطان
تلق بكل بلاد إن حللت بها أهلا بأهل وإخوانا بإخوان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام والفلسفة

— ١١ —

ابن رشـــــد

تتمة فلسفته :

يرى ابن رشد أن المشاهد فى الكون هو حركة عامة شاملة ، وأن كل حركة لا بد لها من متحرك تقوم به وتحقق فيه ، وأن كل واحد من هـذه المتحركات معلول لمحرك يؤثر فيه . وهـذا المحرك إذا اتصف بالحركة كان كذلك متحركا محتاجا الى محرك حتى تصل الى الطرف الذى يحـرك ولا يتحرك ، ويؤثر ولا يتأثر ، وهـو واجب الوجود أو عـلة العلل . وإذاً فالموجودات من حيث الاتصاف بالحركة والتنزه عنها قسمان : الأول هو واجب الوجود الذى تستحيل عليه الحركة المقتضية للتغير والصيرورة اللذين يستلزمان الانحصار والتحدد والامكان وأمثال هـذه النعوت المتعارضة مع جـلال الألوهية ولا محدوديتها . أما القسم الثانى فهو ما عدا واجب الوجود لذاته ، وهذا القسم لا بد له من الحـركة الأزلية الأبدية ، أما أزليتها فهى ضرورية لتحقق معلوليتها للبارى ، وأما أبديتها فلتحقق عليتها لمعلولاتها من ناحية ولسيرها نحو الكمال ، لترضى شوقها الطبيعى من ناحية ثانية . وفوق ذلك فانه لو لم تكن الحركة أزلية وأبدية ، لا نعدم الزمان ماضيه وحاضره ومستقبله ، لأن كل صف منها مسبوق بما هـو أساسه ومنبعه ، وسابق لما هو ناشئ منه ومتفرع عنه ، ومن السلسلة الأولى نشأ الماضى . ومن الثانية ينشأ المستقبل ، إذ الزمان نتيجة لحركات الأفلاك ، وهى ليست إلا جزء الحركة الكونية العامة . والنتيجة من كل هذا أن الكون سائر فى خضوع تحت راية القانون الطبيعى الذى لا يملك أحد التغيير فيه حتى الله نفسه . ويرى ابن رشد من وراء هذا التصريح الى غاية معينة وهى أن جميع ما يحـدث فى الكون ينشأ بطريقة آلية نشوء المعلول عن علته التى متى وجـدت استحال تخلف معلولها مهما كانت الحال ، وهو لهذا ينفى القول بوجود ممكن الوجود ، ويخطئ جميع المتكلمين القائلين به . ويرى ابن سينا حين قسم الكون الى واجب الوجـود وممكن الوجود بأنه إنما كان يسايرهم ليرضيهم ، وأن الفيلسوف لا يمكن أن يقول هذا ، لأن معلول العلة الواجبة الوجود يكون واجب الوجود حتما ، ولا يصبح ممكن الوجود إلا إذا انعدمت علته .

ويرى ابن رشد كما رأى ابن سينا من قبله ، وكما رأى أستاذهما أرسطو من قبلهما ، أن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموجودات كلها حلقات من السلسلة العامة التى طرفها هو المحرك الأول أو علة العلل أو واجب الوجود لذاته ، وما يليه من الحلقات معلول له ، وعلة فيما بعده ، حتى تنتهى جميعها على هذا النظام.

أما بطلان نظرية خلق الله للجزئيات فهو يعلله بأنه يلزم عليه أن يكون الاله خالقا لجميع الجزئيات من غير استثناء بطريقة مباشرة ، وهذا يقتضى انعدام الأسباب كلها ، لأنه لا معنى لأن يكون لبعض المسببات أسباب ، والبعض الآخر لا أسباب له ، لأن هذا يلزم عليه ترجيح أحد المتساويات بلا مرجح ، وهو باطل . وإذا ثبت كل هذه المقدمات وجب أن نؤمن بأن الماء لا يبل ، وأن النار لا تحرق ، وإنما الذى يبل ويحرق هو الله ، وأن الانسان إذا ألقى حجرا تنسب الحركة فى هذا الالقاء الى الله ، وأن الموت كذلك من فعل الله ، مع أن المشاهد عكس ذلك : فالنار تحرق ، والماء يبل ، والانسان هو خالق حركة الالقاء ، والجسم يحمل فى ذاته بطبيعته عنصر الموت .

فيثبت إذاً ، أن لكل شىء سببا مؤثرا فيما بعده ، متأثرا بما قبله ، الى أن نصل الى العلة الأولى . أما نظرية العقول عنده ، فلا تكاد تختلف عنها عند أسلافه ، غير أن كل عقل فى رأيه إيجابى بطبيعة وجوده ، أى هو يؤثر فى معلولاته تأثيرا مستقلا منقطعاً عن أية صلة أو أى اعتبار خارج عن وجوده ، وهذه نقطة خلاف أخرى بين ابن رشد وأسلافه من فلاسفة المسلمين الذين كانوا يرون — كما قدمنا — أن لكل عقل جهتين أو جهات ثلاثا على ما يختلفون فى ذلك ، كجهة اتصال العقل بالبارى ، وتعقله إياه ، وهذه تسمى الجهة العليا ، وكجهة تعقله نفسه ، وهى الجهة الدنيا . فعن العليا يصدر كائن عال مجرد وهو العقل الذى يليه ، وعن الجهة الدنيا يصدر كائن أدنى أو غير مجرد وهو الفلك المعلول له ، ولكن ابن رشد قد خالف هذا الرأى وقال بالايجابية المطلقة . وهو يرى أن أكثر هذه العقول إيجابية إنما هو العقل العاشر المؤثر فى هذه الكائنات الدنيا الأرضية ، لأنه دائم العمل . ولا ريب أن رأى الفارابى فى هذه النظرية أقرب الى تعاليم الاسلام من رأى ابن رشد ، لأن الفارابى يقول بالاستمداد من البارى ، وابن رشد يقطعه .

النفس عنده :

يتفق ابن رشد مع الفارابى فى عنايته بتقسيم النفس الى قوى مختلفة وإن كانت كلها متعاونة متكاتفة ، ويعتبر مذهبه فيها تجديدا فى الفلسفتين : اليونانية والاسلامية ، لأنه أول من قال بأن النفس أو القوة العارفة فى الانسان هى : فيض العقل العاشر الذى تجلى به على الكون المادى فاتخذه ظرفا له وحل فيه فكسبه كل ماله من قيمة ، كما سيجىء فى نظرية المعرفة عنده . أما الجنة والنار عنده كما عند ابن سينا فهما تمثيلان لأفهام عامة لا حقيقتان ، لأنه يقول مثله ببعث الأرواح فقط ، وهما يملان هذا الرأى ، وهو منع البعث بالأجسام بالعلل الآتية :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(أولا) لأن الأجسام يختلط بعضها ببعض حين تتفتت وتصير ترابا، فيتغذى به النبات ثم يأكله الانسان فينمو به ويصبح جزءا من جسمه. فالى أى الشخصين ينسب هذا الجسم الجديد، وهو بعض من كليهما؟

(ثانيا) إن الجسم لا يتكون إلا عن طريق طبيعي كتكونه فى المرة الأولى التى طاف فيها بأطوار مختلفة، ونما أثناء هذه الأطوار بوساطة الأخلاط المركبة من العناصر الأربعة الآتية اليه عن طريق الأغذية، من: طعام وشراب وهواء، وهذا لا يتيسر فى العالم الآخر، فالبعث إذاً للأجسام غير ممكن.

والجواب على المنع الأول هو أنه لا معنى لأن يعترف الفلاسفة لله بالقدرة التامة ثم يستبعدون عليه أن يفصل الأجزاء الآتية الى كل جسم من الخارج، ثم يرجعها الى المصدر الذى أتت منه، فان هذا على القادر شيء هين. على أن الشريعة نصت على بقاء قطعة من الجسم وهى عجب الذنب، لتكون أصلا للجسم المبعوث. وهناك قول آخر بأن الجسم كله يفنى، والله يعيده مرة أخرى، وليس بمستعص على من أنشأ أن يعيد. أما أنا فأميل الى الرأى الأول، لأنه أقرب الى المنطق أن يكون الجسم الذى شاهد الأعمال هو الذى يشاهد ثواب الروح أو عقابها، ويشهد أمام الله على ما رأى. وأما المنع الثانى فيجاب عنه بأنه لامانع من أن يكون لدى الله وسائل أخرى لانشاء الجسم من عدم، أو لاعادة تكوين الجسم البالى من غير اجتماع الأخلاط وتلاقى العناصر التى يقصرون عليها قدرة الله. ومن حيث إن الزمن يرينا فى كل يوم أن عقائدنا الأولى فى قصر الأجسام على خواص معينة وفى حد الغايات بوسائل خاصة، عقائد باطلة، فينبغى ألا يعتمد الفلاسفة على هذا الخيال الواهى، لاسيما وأن الله هو الذى اختار وسائل جمع الأخلاط لاعادة تكوين الجسم، فليس يصعب عليه أن يختار لاعادة هذا التكوين وسيلة أخرى لم تدر لهؤلاء الفلاسفة بخلد.

أما الأدلة النقلية على البعث بالأجسام فلا محل فيها للشك، ولا مجال للتأويل، مثل قوله تعالى: «وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا؟ قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون». وقوله جل شأنه: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون». وقوله تعالى: «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها». وقوله سبحانه: «وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه». وقوله تبارك اسمه: «وضرب لنا مثلا ونسى خلقه، قال من يحيى العظام وهى رميم؟ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم». الى غير ذلك مما هو جدير باسكات أفصح الألسنة وإخفات أقوى الأصوات، وإخماد أنصع الحجج وأسطع البراهين. وإذا اتضح أن البعث بالأجسام، ثبت أن الجنة والنار حقيقتان من الحقائق، لا تمثيلان لأفهام العامة والجماهير كما رأى أولئك الفلاسفة.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والآن بقى أن نقول لهم جميعا : إنكم حين ترمون القرآن بانه لا يقصد الحقيقه وإنما يقصد التمثيل لأفهام العامة الذين لا يدركون المعانى العالية إلا إذا صورت لهم بصورة مادية ، تتهمونه بالتمويه والاغراء . ومهما تاولتم فى أحكامكم على القرآن وأتيتم بالبراهين السوفسطائية المؤيدة لهذا التأويل ، فلن يحمل كلامكم على غير الاتهام بالتمويه . وهذا هو سر اتهام الامام الغزالى الأولين منكم بالكفر والمروق عن الدين .

نظرية المعرفة عنده :

بسط ابن رشد فى كتابه (سعادة النفس) وفى شرحه للكتاب الثالث من النفس لأرسطو نظرية المعرفة بسطا فاق فيه كل الذين تقدموه من فلاسفة العرب ، واستحدث فى هذه النظرية أفكارا جديدة لم يسبقه اليها أرسطو نفسه ، إذ نقد المؤلفين الذين شرحوا كتب أرسطو ولا سيما « الاسكندر الافروديزى » ثم أحل مذهبه المستحدث فى هذه النظرية محل ما هدمه من مذاهب أولئك الشراح الذين صوروا كلهم فى مذاهبهم عن أرسطو ثم اختلفوا فى النتائج ، لأنهم بنوها على مقدمات خاطئة .

يرى أرسطو أنه كما أن الانسان مركب من جسم وروح ، وهما جوهران مختلفان ، أحدهما إيجابى والثانى سلبى ، كذلك القوة العارفة مؤلفة من جوهرين متباينين تباين الروح المادة ؛ وكذلك أحدهما سلبى والثانى إيجابى كالجسم والروح سواء بسواء . ولا ريب أن الايجابى عند أرسطو أرفع من السلبى ، لأن الأول فاعل مؤثر ، والثانى منفعل متأثر كما نص على ذلك فى فلسفته . ولما رأى الشراح هذا الرأى للمعلم الأول ورأوا كذلك أن السلبى الذى كمنت فيه القوة أسبق فى الوجود الذهنى من الايجابى ، وأن ثبوت هذه الأسبقية للسلبى ينافى ما حكم به عليه أرسطو ، صرحوا بأنه يجب أن يبحث عن تحقيق ما حكم به المعلم الأول على هذين النوعين فى غير النفس البشرية . وهذا لا يتيسر إلا إذا جزمنا بأن الشق الايجابى غير شخصى ، وقد قال الشراح بهذا ، ولكنهم وقفوا عند هذا الحد فعقدوا النظرية وأظلموها ، وتركوا العقول حائرة فى توجيه كلامهم عنها . فلما جاء ابن رشد صرح بأن هذا القسم الايجابى هو نفس العقل العاشر ، وهو أقرب العقول إلينا ، فهو يشرف على المعرفة العامة ويفيض علينا أجزاءها .

ملخص كل هذا إذاً ، هو أن أرسطو جزم أولا بان هناك شقين ، أحدهما سلبى والثانى إيجابى . ثانيا ، أنه قال بمادية الأول ولا مادية الثانى ، وأن الشراح استخلصوا من هذا أن القسم الايجابى يوجد خارج النفس البشرية ، وأن ابن رشد وحد بين هذا القسم الايجابى وبين العقل العاشر .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد قال الأسكندر الافروديزى : إن الشق السلبي المادى ليس إلا ظرفا للشق الايجابى الذى هو الحاكم المؤثر . وعلى الجملة : فالقسم السلبي فى الكائن هو ما كان يسميه العرب بالهيولى ، والايجابى هو ما كانوا يسمونه بالصورة . أما بالنسبة الى القوة العارفة ، فابن رشد يجزم بأن السلبي هو « هيولى » وأن الايجابى هو فيض العقل العاشر ، وأن ما لدينا من معارف خاصة هو بعض هذا الفيض العام من العقل العاشر .

وأدوات المعرفة البشرية عند هذا الفيلسوف هى العقل ، ورسائله التى هى الحواس ، والوسيلة الوحيدة الموصلة الى جعل هذه الاداة تؤدى وظيفتها على أحسن وجه هى التثقيف وحده .

ومن هنا يرى مقدار عمق الطابع الأرسطو طاليس فى فلسفة ابن رشد أكثر ممن سبقوه من فلاسفة الاسلام ، لأن ابن سينا يقول بوسيلتين للمعرفة ، وهما : الثقافة والرياضة . وهذا هو التأثر بالمذهب الملفق الذى دس على أرسطو فى العصر الأسكندرى ، وما هو فى الحقيقة إلا مزيج من مذهبي أفلاطون وأفلوطين ، أما ابن رشد فهو يفرد الثقافة ويختصها بأنها وسيلة المعرفة . وهذا هو نص قول أرسطو : « أنا لا أعرف إلا إنسانين : إنسان مجرب عالم ، وآخر خال من التجربة جاهل » .

أما رأينا فى فلسفة ابن رشد ، فلا يكاد يخرج عن الدائرة التى هاجمنا فيها ابن سينا والفارابى ، لأنهم جميعا ينسجون على منوال واحد وهو منوال أرسطو الذى افتتنوا به فغالوا فى تقليده مغالاة حالت بينهم وبين النظر فى أقواله والروية فيما يخالف العقل السليم من مذهبه . فراجع ما رددنا به على هذين الفيلسوفين فى مسألتى قدم العالم وتوسط النفوس الفلكية فى نقل علم الجزئيات الى البارى .

هذا وقد نعود فى فرصة أخرى فنتحدث اليك عن بعض فلاسفة الاسلام الآخرين الذين لم نتناولهم فى هذه السلسلة ، فالى الملتقى .

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلسفة ابن رشد

رأيه فى قدم العالم

قرأت ما كتبه حضرة الدكتور محمد غلاب فى رأى ابن رشد فى قدم العالم فلم أره مطابقاً لمذهب ابن رشد المعروف لنا فى هذه المسألة ، بل ولا لغيره من مذاهب الفلاسفة الالهيين ، فرأيت أن آتى بنص ما ذكره ابن رشد فى كتابه فصل المقال ، وها هو ذا :

قال فى كتاب فصل المقال ما نصه : « وأما الصنف الموجود الذى بين هذين الطرفين فهو موجود لم يكن من شىء ولا تقدمه زمان ، ولكنه موجود عن شىء أعنى عن الفاعل . وهذا هو العالم بأسره ، والكل منهم متفق على وجود هذه الصفات الثلاث للعالم . فان المتكلمين يسلمون أن الزمان متقدم عليه أو يلزمهم ذلك ، إذ الزمان عندهم شىء مقارن للحركات والأجسام ، وهم متفقون مع القدماء على أن الزمان المستقبل غير متناه ، وكذلك الوجود المستقبل ، وإنما يختلفون فى الوجود الماضى والزمان الماضى ، والمتكلمون يرون أنه متناه . وهذا هو مذهب أفلاطون وشيعته . وأرسطو وفرقته يرون أنه غير متناه كالحال فى المستقبل ، فالموجود الآخر قد أخذ شبهاً من الموجود الكائن الحقيقى ، ومن الموجود القديم ، فمن غلب مافيه من الشبه بالقديم سماه قديماً ، ومن غلب مافيه من شبه المحدث سماه محدثاً ، وهو فى الحقيقة ليس محدثاً حقيقياً ولا قديماً حقيقياً . ومنهم من سماه محدثاً أزلياً وهو أفلاطون وشيعته لكون الزمان متناهياً عندهم من الماضى . فالمذاهب فى العالم ليست تتباعد كل التباعد حتى يكفر بعضها أو لا يكفر » انتهت عبارته .

وتوضيح ذلك أنه قسم الموجودات الى ثلاثة أقسام : موجود لا عن علة ولا من مادة وهو الله واجب الوجود الغنى المطلق عن كل ما عداه . وموجود عن فاعل ومن مادة والزمان سابق على وجوده وهى الأجسام التى ندركها بالحس كجسم الماء والهواء والنار والانسان والحيوان والنبات . وهذان القسمان من الموجودات لا خلاف فيهما ، إنما الخلاف فى القسم الثالث وهو الذى ذكرنا لك نص عبارته فيه . وبيانها أن مواد العالم التى لا تدرك بالحس قبل أن تأخذ صورتها الشخصية وما يتعلق بها من الأرواح المجردة عن المواد موجودة عن فاعل وهو الله تعالى باتفاق ، ولكن اختلفوا فى أنها مسبوقة بالزمان فتكون حادثة ، أو غير مسبوقة فتكون قديمة . أما المتكلمون فانهم يقولون إنها حادثة مسبوقة بالزمان . وأما الفلاسفة فمنهم من يسميها محدثاً أزلياً وهو أفلاطون وشيعته . أما كونها محدثة فلصدورها عن الفاعل ، وأما كونها أزلية فلوجودها قبل الزمان المتناهى عنده ، لأن الزمان له نهاية ينتهى عندها فى الماضى ، ومادة العالم والعقول موجودة قبل ذلك . ومنهم من يسميها قديمة وهو أرسطو وفرقته ، لأنهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يقولون إن الزمان وهو مقدار حركة الفلك الأعظم لا أول له، فهى غير متناهية فى الماضى، فالعالم لا أول له لاستناده الى القديم الذى لا أول له. وسنوضح لك مذهبهم فى مقالنا الآتى

فابن رشد صرح بأن العالم موجود قبل الزمان، ويسمى محدثا لشبهه بالمحدثات الجسمية الصادرة عن الفاعل، وقديما لشبهه بالقديم الذى لم يتقدمه زمان. وقد قال بعد ذلك فى الكتاب المذكور: إن ظاهر القرآن يؤيد هذا، فقد قال تعالى: «وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء». فظاهر هذا يفيد أن العرش والماء كانا موجودين قبل الزمان المقارن لحركات الأجسام، ولكنه سكت عن كونه صادرا عن الاله بطريق الخلق والايجاد، فيكون له أول وإن لم يسبقه زمان، وهو صادر بطريق التعليل بمعنى أن الاله علة فيه فيكون وجوده مقارنا لوجود الاله فى الخارج مقارنة العلة للمعلول بحيث لا ينفكان عن بعضهما، فلا يكون له أول. وفى هذا المعنى الثانى نقص لأنه ينفى الاختيار عن الاله، ولهذا قام الخلف بين المتكلمين وبين الفلاسفة الذين نقلت عنهم نظرية العقول وقدمها وقدم المادة. وقالوا إن الذى يقول ذلك الكلام يكفر لأنه سلب عن الاله أخص صفات الكمال وهو الاختيار. فاذا كان ابن رشد يريد أن يوفق بين المتكلمين والفلاسفة فانه يلزمه أن يقول إن الفلاسفة لم ينفوا الاختيار عن الاله، وأنه لا يلزم من قولهم العالم قديم أنه لا أول له فى الوجود كالاله، وإنما هم يريدون أنه غير مسبوق بالزمان المعروف. وهذه النظرية يسلمها المتكلمون، وعلى هذا يكون الخلاف لفظيا كما قال ابن رشد.

وهذا قال الدوانى والطوسى إن الفلاسفة لم ينفوا عن الاله الاختيار. وقال بعض علماء الفلسفة إنهم قالوا إن العالم واجب الوجود لغيره بمعنى أن الله تعالى أوجب على نفسه إيجاده أو تعلقت إرادته به فصار واجبا، فرأى ابن رشد التوفيق بين مذهب المتكلمين والفلاسفة فى هذه المسألة، لا أنه يقول إن الاله لم يزد عمله عن كونه صانعا يضع التصميم لمادة موجودة حركتها طبيعية فيها، وأنه يصورها بالصورة التى تقتضيها الحكمة كما يصور صانع الأباريق والقلل أوانيه من موادها الموجودة أمامه، وأنه لا عمل له فى التناسل الجبلى سوى تخليص الأبناء من الآباء، لأن هذا الكلام يفيد ظاهره أن المادة موجودة بطبيعتها غير مستندة الى الواجب، وأن ليس للاله إلا إفاضة الصور، وهو نقص عظيم فى مقام الألوهية يتنزه تعالى عنه. فعلى حضرة الدكتور أن يذكر لنا النص الذى يدل على ذلك، أو يؤول عبارته بما يجعلها قريبة من مذهبه إن كانت تحتمل التأويل، كى لا يكون مثل هذا القول سببا فى الجرأة على مقام الاله. هذا وسنكتب فى العدد التالى بيانا لمذهب الفلاسفة وما قيل فيه، إن شاء الله.

عبد الرحمن الجزيرى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التشريع المصرى والتشريع الاسلامى

وضع التشريع الاسلامى مصالح الناس المتشعبة فى المنزلة الاولى من عنايته ، فتناول الكلام عن ملابسات النوع البشرى من فاتحة أمره الى خاتمة عمره ، ثم عقد علماء الفروع البحوث المستفيضة فى تلك المناحى ، فتناولوا الكلام عن النكاح ومقدماته وأحكامه وتوابعه ، وعن النفقة بأنواعها ، وعن الطلاق فى جميع صوره وأحكامه ، وعن العدة وأحوالها وآجالها ، وعن ثبوت النسب ، والرضاعة ، والوصية والحجر والهبة والمواريث . هذا الى أحكام المعاملات وأحكام الوقف ، كل ذلك بما لا مزيد عليه .

ولقد استطاعت المحاكم الشرعية أن تثبت بجلاء فى مدى خمسين عاما تقريبا كفايتها على ممارسة الفصل فى الأحوال الشخصية القائم عليها النزاع بين المتقاضين ، واضطلاعها دون سواها بتلك الأعباء الثقال ، حتى لقد حدثنى مستشار قدير وهو اليوم وزير أنه وقد كان رئيسا لاحدى الدوائر المدنية فى محكمة الاستئناف العالى كانت تعرض عليه قضايا يأتى فى ثناياها طلب حثيث من أصحابها بفرض نفقه لبعض هؤلاء على لسان محاميه ، ومع أنه كان مقتنعا بضرورة فرضية هذه النفقة على أن لا يزيد أجلها عن الضرورة الملابسة ، غير أنه من ناحية أخرى كان يرى أن معالجة هذا الباب من عمل القاضى الشرعى ، فيجب الالتفات عليه فى أخص شئونه ، والقاضى الشرعى إذا فصل فى باب النفقة بأنواعها مثلا فانما يصدر عن استهداء بالمشاهدات ومعالجة للمعضلات وما عرض له من تجاربه فى تطبيق الأحوال الشخصية المتعلقة بذات الانسان ، لا يعوزهم إذا أثبتت التجارب خطأ فى التطبيق أن يتقدموا صفا وحدا الى أولياء الكلمة وأن يطالبوا بادخال تعديل أو تعديلات على ما يجرى به العمل من مذهب أبى حنيفة ، فلا غضاضة عليهم أن يطلبوا الى أولياء الكلمة بتطبيق مذهب أو مذاهب لأئمة وإن لم يكونوا من الأئمة الأربعة متى كان فى تطبيق هذه المذاهب تحقيق لمصلحة المتقاضين وإبقاء على مرافقهم .

لكن ما أسرع أن تمخضت حيل الناس فى تطبيق مواد الطلاق ، ومواد النفقة ، وافتنانهم فى الهرب من تطبيق الأحكام الشرعية على مذهب أبى حنيفة عن عجز القضاة الشرعيين وعدم قدرتهم على تطبيق تلك الأحكام تلقاء ما يبديه المطلق من أفانين وحيل للفرار من طائلة العقاب ، وما يبديه المحكوم عليه بالنفقة ، وما يبرز من حيل المحتالين فى ذلك الميدان المنبسط الذى لا يحده تقنين ، ولا يردع عن العبث به رداع ، فجأر القضاة الشرعيون بالشكوى من فشل هذه التجربة ، وقد شعروا بضرورة البحث فى غير مذهب أبى حنيفة من المذاهب عما يسد حاجة المتقاضين ويفسح المجال للقضاة باعتبارهم المطبقين لأحكام الشريعة والمهيمنين على تنفيذها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى مواد الأحوال الشخصية نائبين فى ذلك كله عن ولى الأمر فى البلاد، وما يقطع الطريق على حيل المحتالين، وما يفتح عيون الباحثين على ثروة غزيرة من العلم كانت ولا تزال منهلا ينهل منه المتقاضون وغير المتقاضين، وما يقوم دليلا فى كل يوم على أن الفقه الاسلامى كفيل بمسايرة كل عصر وجيل، وخليق بان يحمل أمانة البشر فى مختلف مرافقه حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

فوضع مرسوم بقانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٠ خاصا بأحكام النفقة وبعض مسائل الأحوال الشخصية مؤلفا من ثلاث عشرة مادة، وهو يتناول معالجة الأحوال التالية:

(١) النفقة (٢) العجز عنها وما يترتب على ذلك العجز من الآثار (٣) حكم المفقود وما يترتب عليه قبل الخصوم من حقوق (٤) حكم القاضى بالتفريق للعيب وما يترتب على ذلك العيب من آثار مباشرة وغير مباشرة (٥) الترخيص للزوجة بطلب التفريق من القاضى حال قيام العيب فى زوجها وحاجة المجتمع اليه (٦) أحكام عامة متفرقة. ثم درجت المحاكم على تطبيق ذلك القانون بأمانة وتوفيق، ودرج المفتشون القضائيون فى وزارة الحقانية على تتبع تطبيق ذلك القانون، وتبين المدى الذى وصل اليه من إصابة حاجات الجمهور وسد كفاياتهم واقناعهم بأن فى ثنايا الفقه الاسلامى ما يكفل بعث الطمأنينة الى قلوبهم وإيصال الحقوق الى ذويها، فلم تمض فترة من الوقت غير طويلة حتى استفاضت تقارير المفتشين القضائيين بأعطر الثناء على ذلك الأثر الطيب الذى تركه قانون سنة ١٩٢٠ فى نفوس المتقاضين.

وهكذا تحررت عقول طلاب الاصلاح من ربقة التقليد من كل قديم، واقتنعوا بأن تطور الحياة وتشعب مسالكها وما يجد فيها من أحداث وعبر من أقوى الحوافز على تلمس أفضل المناهج فى باب التقاضى وكفالة مصالح الناس وردها الى أمثل طريق وأبلج محجة.

من أجل ذلك اطرد البحث عما يساير مصالح الناس ويماشى رغائبهم، وما يدفع عن المجتمع علله وأمراضه، فشعر المصلحون مرة أخرى بضرورة حماية الأسر من تلك الأمراض الفواتك التى لم يدفعها ما هو مدون منها فى لائحة المحاكم الشرعية خاصا بالطلاق وبالتفريق للغيبة وبدعوى النسب وسن الحضانة وما الى ذلك، فوضع مرسوم بقانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ خاصا ببعض الأحوال الشخصية يتألف من ٢٥ مادة، وهو يقع فى تسعة أبواب: الباب (١) الطلاق (٢) الشقاق بين الزوجين (٣) التطبيق لغيبة الزوج (٤) دعوى النسب (٥) النفقة والعدة (٦) المهر (٧) سن الحضانة (٨) المفقود (٩) أحكام عامة.

ولا تزال الامة فى مسيس الحاجة الى وضع قانون موضوعى، فاشير بوضع ذلك القانون، ثم تألفت لذلك لجنة تحت رئاسة فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر، ونعتقد أنها بالغة ما تصبو اليه الأمة من كفايته لمرافقها وسد عوزها التشريعى.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لجا طلاب الاصلاح الى سن قانون موضوعى يحيط قدر المستطاع بمرافق الناس ويسد كفايتهم القضائية ويحرر العقول من كل تقاليد لا يتفق ومصالح الجمهور .

فالقول إذاً بعدم مسايرة التشريع الاسلامى فى شتى مراحله لتطورات الزمن وملابساته واللجوء الى اقتباس بعض الانظمة الأوروبية فى معالجة شئوننا المتعلقة بالأحوال الشخصية المتعلقة بذات الانسان أو فى المعاملات القائمة على الحقوق المدنية ، ضلالة من ضلالات العقل ، ووضع للشئ فى غير مركزه اللائق به . فالتشريع الاسلامى قادر على أن يؤلف من أنماطه الصالحة ونظرياته الخالدة المتمشية مع كل عصر وجيل للعالم كله قوانينه الجنائية والمدنية والتجارية مما نحاول بسطه فى بحوث تالية ؟

عباس طه

تصحيح أخطاء فى الجزء الثانى

ص	س	خطأ	صواب
٩١	٢٢	طسم	حم
٩٦	٣	ويريدن	ويريدون
٩٧	٢٧	بالرحمة	بالمرحمة

ووضعت أثناء الطبع صفحة ١٤١ مكان ١٤٠

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الأحاديث :

هو فهرس جامع لاحاديث الكتب السبعة يرشد الى مواطنها منه بطريقة سهلة . وهو فوق ذلك قد جمع مرويات كل صحابى وصحابية ، وأسماءهم ، مرتبة على حروف المعجم ، وعدد الأحاديث المختلفة المواضيع فى تلك الكتب جميعا .

قامت بطبعه جمعية النشر والتأليف الأزهرية ، وثمنه ستون قرشا .

تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد :

هو مجموع صالح من الأحاديث النبوية للامام زين الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى من أهل القرن التاسع الهجرى .

قال فى مقدمته : « لما رأيت صعوبة حفظ الأسانيد فى هذه الأعصار لطولها ، وكان قصر أسانيد المتقدمين وسيلة لتسهيلها ، رأيت أن أجمع أحاديث عديدة فى تراجم محصورة ، وتكون تلك التراجم فيما عد من أصح الأسانيد مذكورة إما مطلقا على قول من عممه ، أو مقيدا بصحابى تلك الترجمة ، الخ الخ »

ثم أخذ فى سرد الأحاديث التى أخذ أئمة الفقه منها مذاهبهم ، وكلها أحاديث صحيحة ، مكتفيا بذكر راويها الأول عن الصحابى أو الصحابية .

وقد علق على هذا السفر الجليل فضيلة مصححه الأستاذ محمود حسن ربيع من علماء الأزهر

الفتح الربانى لترتيب مسند الامام أحمد :

صدر القسم الأول من الجزء الخامس من كتاب الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد الذى يقوم بوضعه وشرحه فضيلة الأستاذ الشيخ احمد عبد الرحمن البنا ، وقد جاء على غرار ما سبقه من الترتيب الحسن والطبع المتقن ، وهو عمل جليل يشكر عليه الأستاذ . ويطلب منه بعطفة الرسام رقم ٩ بالغورية .

سنن الله الكونية :

نشرنا المقدمة البليغة لهذا الكتاب فى عدد سابق ، ونعود اليوم لتقريظه ، وإنه لعمل موفق قام به الأستاذ الجليل محمد احمد الغمراوى المدرس بكلية الطب والمنتدب لتدريس علم سنن الله الكونية فى كلية أصول الدين . فقد جمع فيه جمهرة من موضوعات علم الطبيعة كالمادة ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والحرارة وأحوالها ، والسحاب ، والمطر ، والبرد ، والضوء وآثاره الكيماوية ، مفيضا الكلام في كل منها بعبارة بليغة ، واطلاع واسع ، وبيان شاف . فنشكر لهذا المؤلف النابغة عمله الجليل ، ونرجو أن يوفق للمزيد منه خدمة للعلم .

حركة الكشف :

هذه رسالة تبين ماهية الكشف وفرق الكشافة وما يجب أن يتحلوا به من خلال وخصال ، وفوائد هذه الفرق وحاجة الأمم اليها . ثم يلي ذلك تاريخ الكشف في الأمم ، وتاريخ الكشافة في مصر ، وختمت الرسالة بمكان الكشف في الاسلام .

وقد كتب هذه الرسالة مؤلفها الطالب النجيب الشيخ احمد الشربيني جمعه الشرباصي بعبارة طلية شائقة ، فنشكر له اجتهاده ، ونرجو له التوفيق فيما هو بسبيله من طلب العلم .

القراءة العصرية في تعليم العربية :

وضع هذه الرسالة الأستاذ الفاضل زيدان افندي بدران المصري عضو دار التربية والتعليم بوزارة المعارف الافغانية سابقا لتعليم الايرانيين والافغانيين اللغة العربية . وقد سلك فيها مسلكا تعليميا حسنا يوصل الى الغرض المقصود منها من أقرب الطرق . وقد طبعها طبعا جميلا . فنشكر له همته في خدمة اللغة العربية ، ونرجو أن يوفقه الله للمزيد .

اختصار علوم الحديث :

هو كتاب جليل القيمة وضعه المحدث المشهور الحافظ ابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤) هـ . وهو لعظم فائدته اختارته لجنة وضع المناهج في علوم التفسير والحديث ليدرس كله في كلية أصول الدين وأنواع منه في كلية الشريعة . وقد قام بتصحيحه والتعليق عليه صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ احمد محمد شاكر القاضي بالمحاكم الشرعية والعضو بتلك اللجنة ، فجاء غاية في الافادة والتحقيق .

وقد طبع طبعا أنيقا على ورق جيد . فنحث محبي الاطلاع على علوم الحديث على اقتنائه فانه من خيرة الذخائر العلمية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر

في كل شهر عربي

الجزء الرابع	٥ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦	المجلد الثامن

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدي

الإدارة

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراك

	قرش
داخل القطر المصري	٣٠
خارج القطر المصري	٤٠
العلماء غير المدرسين وأئمة المساجد والمتقاعدين وطلبة المدارس الأولية والطلاب وموظفي الحكومة ومجالس المديريات	داخل القطر ٢٠
الطلاب وأئمة المساجد	خارج القطر ٣٠

ثمن الجزء الواحد ٣ قروش صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة الأزهر

١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فهرس

الجزء الرابع — المجلد الثامن

الموضوع	بقلم	صفحة
الروح الاسلامية ومدى تاثيرها فى النفس البشرية	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٢٤١
السنة — بدء الخلق	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى	٢٤٦
حاجة الانسان الى الشريعة	» » يوسف الدجوى	٢٥٣
اعلام القرءان	» » فكرى يس	٢٥٧
الفقه الاسلامى	» » السيد عفيفى	٢٦٢
اسواق العرب	» » صادق عرجون	٢٦٦
تربية الكلاب	لجنة الفتوى	٢٧١
فى الوقف	» »	٢٧٢
تفسير سورة لقمان	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٢٧٤
نفحات الاسلام فى أوربا	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٢٧٩
الاخلاق الفلسفية	» » الدكتور محمد غلاب	٢٨٢
تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى	قلم الترجمة	٢٨٦
محمد صلى الله عليه وسلم فى تقدير قادة أوربا المرأة فى الاسلام	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٢٩٠
المطالب العالية فى النفس الناطقة	فضيلة الاستاذ الشيخ عباس طه	٢٩٤
حكمة تحريم ... الكلب	قلم الترجمة	٢٩٩

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الروح الاسلامية ومدى تأثيرها

فى النفس البشرية

— ٩ —

المقومات الجثمانية

لقد عنى الاسلام بالمقومات الجثمانية عنايته بالمقومات الروحية والعقلية ، وهـذه ميزة لم يشاركه فيها دين من الأديان المنتشرة بين جماعات البشر اليوم . فالذى يعرف عنها أنها تهدر المقومات الجثمانية فى جانب المقومات الروحية ، ولـكل منها فى ذلك أسلوب خاص اشتهرت به فى هذا العهد شهرة عالمية .

فالبراهمة والبوذيون فى الهند وغيرها ، يرهقون أنفسهم عسرا ، ويسومونها التكاليف والرياضات المضنية ، كسرا لطغيان الجسم ، ومناهـدة لسلطانه ، تذرعا للوصول الى السمو الروحى ، والصفاء الوجدانى . ويروى عن خاصتهم فى هذا المجال ما لم يرو عن سواهم من أصحاب المجاهدات النفسية ، من ضروب التعذيب التى يعاملون بها أجسادهم ، طموحا الى هذه المنزلة . فمنهم من يقللون من طعامهم وشرابهم الى حد أن يصيروا كالهيا كل العظمية هزالا ونحولا ، ومنهم من يضيفون الى هذا إثقال أجسادهم بالسلاسل الحديدية ، بل منهم من يجلسون وينامون على أسنة مشرعة من المسامير ينفذونها متقاربة من أسفل أسرتهم لتباشر أطرافها المحددة أبدانهم .

وأما الاسرائيليون فانهم وإن لم يقـولوا بلعنة المـادة ، فان فى ديانتهم ارهاقات جسدية لا يتحملها إلا الأتقياء منهم ، وكانت سببا فى خروج الـكثرة الغفيرة من إسرائيلى أوربا عن تقاليدهم فى مسألة السبت والشئون الغذائية ، واتباعهم ما يجرى عليه الناس هنالك ، فهم كما يقول المسيو (جـوليان ويل) حاخام باريس فى كتابه عن الديانة الاسرائيلية قد أصبحوا يهود قومية لا يهود ملية .

ونظرا لفداحة التكاليف الجسدية فى الديانة اليهودية ، وعجز أكثر الناس عن القيام بأدائها ، قد كلف كل ربانى يتقدم إليه رجل طالبا الدخول فى هـذه المـلة ، أن يحاول رده عن قصده حتى لا يرتد بعد تهوده . قال المسيوجوليان ويل المذكور آنفا : «يجب على كل ربانى أن يرد كل طالب الدخـول فى عـهد ابراهيم ثلاث مرات ، لافتا نظره الى الصعوبات التى سيصادفها ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والتكاليف الشاقة التى سيتحملها ، والأخطار التى سيتعرض لها . فاذا أصر على طلبه ، وتحقق الربانى بأن الدواعى التى تحدوه لاتهود طاهرة ونزيهة ، فيمكنه أن يقبله فى حظيرة البيعة » ثم قال الحاخام المذكور :

« هـذا التحفظ فى أمر طالبى التهود دعت اليه طبيعة اليهودية ونظامها الخاص الذى لا يقصد به إلا الاسرائيلى بأدق معانى هـذه الكلمة ؛ وأوجبته كذلك ما فى اليهودية من التكاليف الكثيرة التى يستدعى العمل بها نكران الذات والاخشيشان والثبات والشجاعة ، وأحيانا البطولة أيضا » انتهى

أما المسيحية فانها وإن كانت لا تبلغ شأو اليهودية فى التكاليف الشاقة ، فهى بنص كتابها وشروح علمائها ، ديانة زهد وتقشف ، وتخلص من علاقات الدنيا ، واعتداد بالروح دون الجسد .

أما الاسلام فقد امتاز عن جميع الأديان المعروفة بالعدل بين مطالب الروح ومطالب الجسد ، فهو لا يتقاضى الآخذ به أن يحرم نفسه من متعة مادية ، ولا ملذة جسدية ، ما دام يتناولها من طريقها المشروع ، وفى حدها المعتدل ، بل لا يمنعه أن يبلغ أبعد شأو فى الغنى ما دام يؤدى حق الله منه ، وحق الله هو ما نص عليه فى كتابه من البذل فى سبيله ، والانفاق على عياله ، « الفقراء عيال الله » .

لم يقم الاسلام على هذا الصراط السوى بين الروح والجسد ذهابا منه أنهما سواء فى الدرجة ، أو أن الحياة الدنيا تساوى الحياة الآخرة . لا ، ولكن لأن الحكمة الالهية اقتضت أن يكون الدين العام الخالد مبنيا على قواعد العلم ، ونواميس الطبيعة . وقد قرر العلم أن العقل السليم لا يكون إلا فى الجسم السليم ، وأن السمو الروحانى لا يتأتى من حرمان الجسد من حاجاته ، ولكن من توفية تلك الحاجات فى دائرة الاعتدال ، وأن ذلك السمو ليس فى أن يعيش الانسان حياة سلبية لا أثر لها فى الخارج ، ولكن فى أن يعيش حياة إيجابية تستفيد من الوجود علما وحكمة ، وتفيضهما على من يجاورها من المزاملين لها فى الحياة .

نعم إن السمو الروحانى لا ينال بحرمان الجسم من حاجاته ، فان قصارى من يسلك هذه الطريقة أن ينفق السنين الطوال فى ترويض نفسه على الاقلال ، ذائدا إياها عن التطلع للمتع المادية ، باذلا فى هذا السبيل جميع ما أوتى من مذخور معنوى ، ثم يخرج من هذا الكفاح المضنى غير حاصل إلا على ميزة واحدة ، وهى ضبط النفس عما سوى الضرورى من مقومات الحياة ، ولكنه لا يكون حاصلا على السمو الروحى الذى يجد وراءه أهل الطموح العالى ، وهو أن يكونوا مالكين لقياد أنفسهم يصرفونها فيما يجب من الأعمال ، ومؤثرين فيما حولهم بوجهونهم الى حيث تستدعيه كرامة الحياة ، وشرف الوجود .

فاذا عمدنا هنا الى التشبيه ، فان الأولين يشبهون من يريدون كبح جماح مطاياهم باضعافها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالمسغبة ، تفاديا من تحمل مشاق الترويض على أصوله المقررة ، فلا يحصلون بعد طول العناء منها إلا على أنضاء رازحة . وأما الأخيرون فيشبهون من يريدون أن يجعلوا من دوابهم سوابق تطير بهم الى الغايات القصية ، دون أن تعرضهم لأخطار الطرق وعقباتها ، فيلجأون الى أصول الرياضة الصحيحة يسومونها إياها فى اعتدال وأناة ومهارة ، فيبلغون ما يريدون منها صلابة عود ودربة ، حتى إذا جد الجد كانت طوع بنانهم فى الكر والفر ، قوية على كل مكاره الكفاح ، تسخو بنفسها على المعاطب كأنها أدوات مسخرة ، لا كائنات شاعرة .

كذلك الرجال إذا لجأوا فى التكمل الى الأسلوب السلبى فى حاجاتهم ، والتدبير الاذلالى لأجسادهم ، خرجوا من مراسهم هذا كالخلال هزالا ، وكالجوامد صبرا على الخسف ، فلم يصبحوا أهلا لأن يحموا حماهم ، ولا أن يردوا ضيما يراد بهم . فاذا لم تضطرهم النوازل الى الشك فى دينهم ، اضطر أخلافهم الى ترك العمل به ، فأصبح فيهم شبحا ذهنيا ، لا دينا عمليا . ومن يتامل فى أحوال الذين تدعوهم أديانهم لمثل هذا الضرب من الرياضة ، يجد ما نقوله جليا واضحا .

أما الاسلام فقصد من الدين أن يكون دستورا عمليا ، لا خيالا وهميا ، وأن تكون ثمرته إنشاء أمة تكون مثلا أعلى للأمم فى حماية بيضتها ، والذياد عن كرامتها ، والجرى على أكرم أصول العدالة ، وأشرف مبادىء الاجتماع ، لتصل الى أبعد شأو من المدنية الفاضلة ، والحياة الكاملة ، ويكون آحادها أعلام هدى فى كرم الطباع ، وسمو الأخلاق ، وشرف المقاصد ، وبعد الهمم ، ينصرفون فى تحقيق مراد الله من تكميل الخليقة ، انصراف النواميس المسخرة ، لا تصدهم عنه خاطرة من شهوة ، ولا بادرة من هوى ، ولا سانحة من وهن .

فلا يتهمنا متهم بأننا نغترف من الخيال ما نلهى به القارئين ، وننتزع من الوهم صورا ليس لها ما يدل عليها من الحوادث . فان الأمة الاسلامية فى صدر الاسلام كانت مثالا حيا لما نقول . ألم تتألف على أكرم المبادىء ، وأشرف الأصول ، طلبا للحق فى ذاته ، لا لدنيا تصيبها ، ولا لسيادة تحصلها ، وكان آحادها من السمو الخلقى ، والأدب النفسى والبطولة الفذة ، بحيث ضربت بهم الأمثال ، وتناقلت سيرهم الأجيال ، فلما اختلطوا بالأمم داخلها من إكبارهم وإعظام شأنهم ، ما حملها على الدخول فى ملتهم طوعا لا كرها ؟ فهل عهدت فى تاريخ البشر أمة من الناس ، تألفت فى أبعد بلاد الله عن الاجتماع وسياسة الشعوب ، تستهوى فضائلها مائة مليون من البشر فى مدى قرن واحد بدون دعوة غير السمت الصالح ، والمظهر الفاتن ؟

أليس ما نقوله هو ما نطقت به الحوادث ، وقرره التاريخ ، وشهد به حتى الأجانب ؟ فالاسلام قد رمى بأصوله ومبادئه الى إحداث مثل هذا الحدث الضخم فى العالم ، وما كان ليتأتى ذلك جريا على مبادىء رياضة سلبية ، تجرد النفس من أشرف نزعاتها الايجابية ، وتميت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فيها أكرم غرائزها الفطرية ، وتضعف منها أقوى عواملها المعنوية . فما خلق الله فى الانسان هذه القوى الغريزية ، والميول الجسدية ، والشهوات البدنية ، عبثا ، أو لتستوعب رياضتها وقمعها حياة الانسان كلها ، ثم لا تكون ثمرة هذا الجهاد كله فى أمة أوأمم برمتها إلا أن تصبح كالمومياوات المصبرة ، أو كالأشباح التى لاحياة فيها ، ولكنه خلق الانسان على هذه الصورة من تباين القوى ، وتنوع الغرائز ، وتخالف الميول ، ليصل الانسان بامتلاك ناصيتها ، وتصريفها فيما خلقت له ، الى مكانة من السمو وعدالة التصرف ، بحيث يصلح أن يكون خليفة الله فى أرضه .

الذى يراه الناس اليوم أن الجماعات البشرية قسمان : قسم على المبادىء السلبية ، وهى لاتفترق عن قطعان الماشية فى أيدى الأمم المتغلبة ، وقسم على الأصول الاباحية ، وهى قد حصلت على حظ من القوة والبطش ، بيد أنها قد انحطت الى الاباحة البهيمية ، التى لا تتناسب وكرامة الانسانية . وأنا لا أقول ذلك تعصبا لمذهبى ، ولكن الذى يقوله علماؤها وفلاسفتها حتى الماديون منهم .

ولو كانت هذه الحالة الاباحية سليمة من جراثيم العطب ، لأمكن أشياعها أن يدعوا أنها هى المثل الأعلى للحياة الأرضية ، ولكنها مبتلاة بجراثيم الأمراض الاجتماعية ، ومهددة بقارعة حرب عمومية ، لو حدثت لتصوحت زهرة المدنية ، وارتكست الانسانية لأسوأ عهودها البربرية . وقد ارتكست أمم متمدنة مرات عديدة الى البربرية الباحتة ، فمنها من أتيح لها الخلاص منها ، ومنها من بادت أو فنيت فى جثمان أمة أخرى .

فالحالة الوسطى بين الروحانية المتطرفة والمادية الباحتة ، أمر يستدعيه الاتزان الاجتماعى ، والاستقرار العالمى ، ولا يوجد فيما بين أيدينا من التعاليم ما هو حاصل على هذه الميزة فى تركيب هو غاية فى الحكمة غير التعليم الاسلامى .

نعم: قرر الاسلام أن الآخرة خير من الأولى ، وأن الكمال الروحانى هو الغاية التى يجب أن يتجه إليها كل مسلم ، ولكنه أمره أن لايغفل حظه من الكمال المادى ، حتى تكاد لاتجد فى القرآن تحضيضا على منزلة روحية ، إلا مقرونة بتحضيض على نيل مكانة مادية ، قال الله تعالى: « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » وقال : « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ، للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير ، ولنعم دار المتقين » . وقال : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وقال : « والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ، ولأجر الآخرة أكبر ، لو كانوا يعلمون » . وقد دلنا على مايجب أن يكون عليه دعاء المؤمنين من الجمع بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة ، فقال : « فمن الناس من يقول ربنا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب » .

وفى الكتاب الكريم آيات كثيرة تحض المؤمنين على وجوب العناية بالجسم من ناحية النظافة وحفظ الصحة وعدم إرهاقه بالمشاق ، ولا حرمانه من متع الحياة واللذات المشروعة ، فقال تعالى : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » . وقال : « يايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » .

مما يجب لفت النظر اليه فى هذه الآية الأخيرة أنه سمى حرمان النفس مما أحله الله اعتداء ، أى خروجا عن صراط العدل بين الطبيعتين ، وهذه غاية فى عناية الاسلام بالناحية المادية من الحياة الانسانية .

أما السنة فهى حافلة فى هذه الناحية بالحكم الباهرة . من ذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعبد الله بن عمرو بن العاص وقد بلغه أنه يفرط فى التنسك ، يصوم الدهر ويقوم الليل : « ياعبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قال عمرو : فقلت بلى يارسول الله . قال : فلا تفعل ، صم وأفطر وقم ونم ، فان لجسدك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، وأن لزورك (١) عليك حقا ، وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، فان لك بكل حسنة عشر أمثالها ، فان ذلك صيام الدهر كله . قال عمرو : فشددت ، فشدد على . قلت يارسول الله فانى أجد قوة . قال فصم صيام نبى الله داود ولا تزد . قلت وما كان صيام نبى الله داود عليه السلام ؟ قال رسول الله : نصف الدهر » . فكان عبد الله بن عمرو بعد أن كبر يقول : ليتنى قبلت رخصة النبى صلى الله عليه وسلم .

أرأيت أحكم من هذا ؟ رسول كان يعبد الله حتى تتورم قدماه ، ويربط الحجر على بطنه من ألم الجوع ، ينهى آخذا بدينه أن يبالغ فى العبادة (٢) ؟ أتراه كان يصده عن خير ؟ لا ولكنها الحكمة الاسلامية ترشد أهلها إلى أن الكمال الانسانى المنشود ، لا ينال بارهاق الأجساد ، ولكن بالعلم والعمل ، وتحرى الحق ، وتجنب الباطل ، وتطهير القلب ، وتهذيب النفس ، والوصول الى درجة الرجولة الكاملة .

محمد فريد وجدى

---

(١) لزورك اى لزائريك جمع زائر

(٢) لا يعترض معترض بقوله : كيف ينهى النبى صلى الله عليه وسلم الناس عما كان يفعله هو من المبالغة فى العبادة ، فأن النبوة باتصالها بالعالم الروحانى شانا غير شان سائر الناس .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

بدء الخلق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض » . اه من حديث رواه البخارى
يتعلق بشرح هذا الحديث أمور :

(١) بيان معناه (٢) دفع ما عساه أن يوجد من تعارض ظاهرى بينه وبين بعض الأحاديث (٣) المقارنة بين العقيدة الاسلامية فى بدء الخلق وكيفية صدور العالم عن الاله ، وبين ما نقل من ذلك عن بعض الفلاسفة الالهيين .

١ — فأما معنى الحديث ، فهو أن النبى صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى ، بين لنا به قاعدتين عظيمتين ضلت فيهما عقول كثير من الناس :

إحداهما : أن العالم — وهو كل ما سوى الله — حادث مسبوق بالعدم له أول ، وأن الله وحده هو الأزلى الذى لا أول له ، فلم يشاركه فى الأزلية شيء ما ؛ وهذا المعنى يدل عليه صراحة قوله : « كان الله ولم يكن شيء غيره » . فكان بمعنى الدوام والاستمرار .

ثانيتهما : بيان أول المخلوقات ، والى ذلك أشار بقوله « وكان عرشه على الماء » الخ .
والذى ينساق اليه الفهم فى هذه العبارة أن العالم المادى ينقسم الى قسمين : علوى وسفلى ، وأن أول المخلوقات العلوية هو العرش ، وأن أول المخلوقات السفلية هو الماء ، وذلك مصرح به فى قوله : وكان عرشه على الماء ؛ فان معناه أن أول المخلوقات عرش على ماء ، وليس المراد أن العرش ملاصق الماء ، بل المراد أن العرش فى جهة العلو ، والماء تحته ، كما تقول السماء على الأرض . ولكن هل الماء مخلوق قبل العرش ، أو العرش مخلوق قبل الماء ؟ لا نص على هذا فى الحديث ، وإنما قد يؤخذ من ظاهر قوله « وكان العرش على الماء » أن الماء خلق أولا ؛ على أنه قد ورد فى حديث مصحح مرفوع ، رواه أحمد والترمذى : أن الماء خلق قبل العرش ، وقد ورد التصريح بأن الماء أول المخلوقات على الاطلاق فى أحاديث أخرى بأسانيد مختلفة ، وعلى هذا يمكننا أن نقول : إن السنة الصحيحة تفيد أن أول المخلوقات المادية على الاطلاق هو الماء ، وأن العرش أول المخلوقات العلوية ، خلق بعد الماء ، وتسميه الحكماء فلك الأفلاك . أما كون الماء أصل الموجودات كلها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فاننى لم أعثر على ما يدل عليه فى السنة . وقد روى الامام الرازى عن كعب الأحبار أن الله خلق قبل كل شىء جوهرة ، ونظر اليها نظر الهيبة ، فارتعدت ، وذابت ، وصارت ماء ، فحصل البخار وظهر على وجهها زبد بسبب الحركة ، وارتفع منها دخان ، فحصل من الزبد الأرض ، ومن الدخان السماء ولكن يظهر أن هذا مأخوذ من الاسرائيليات التى لا ثبت لها . ولذا نقله صاحب المو قف عن الملل والنحل بمعنى غير هذا . فقال : إن ثاليس الملطى يرى أن الماء قد أبدع منه الجواهر كلها من السموات والأرض وما بينهما ، قال صاحب الملل والنحل : وكأنه أخذ مذهبه من الكتب الالهية ، ففى التوراة أن الله خلق جوهرة ... إلى آخر ما نقله الرازى عن كعب .

على أن التوراة الموجودة بين أيدينا لم تذكر ذلك فى سفر التكوين ، ولم تشر اليه ، بل الذى يستفاد منها عكس ذلك على خط مستقيم . ولا دليل على أنه كان موجودا فيها قبل التحريف ، فلا يمكن التعويل عليه على كل حال . وليس فى قوله تعالى : «ثم استوى الى السماء وهى دخان» ما يؤيد هذا الرأى ، لأن مصدر هذا الدخان يحتمل أن يكون نارا لا بخارا منبعثا من الماء كما هو رأى من قال : إن أصل الموجودات هو النار لشدة بساطتها ، ثم حصل منها الباقى بالتكاثف ، فالماء أصله نار أضاف الله اليها مادة أثقلته ، وخلق فيه الحرارة ، فهو نار متكاثفة ، والهواء كذلك ، والأرض كذلك ، وهكذا . وبالجملة فالآراء فى أصل الموجودات لا يمكن إثباتها بدليل عقلى أو نقلى يصح التعويل عليه ، وكل الذى تدل عليه الأحاديث الصحيحة هو ما بيناه لك من أن أول المخلوقات المادية الماء ، يليه العرش ، ثم من بعدهما خلقت السموات والأرض وما بينهما ، وهذا هو معنى الحديث الذى معنا .

فان قلت : إذا كان العرش والماء مخلوقين كالسموات والأرض ، فلماذا لم يقل : وخلق عرشه على الماء ، كما قال : وخلق السموات والأرض ؟ قلت : إنه عبر بكان فى جانب العرش والماء للاشارة الى أنهما أول المخلوقات المادية كما ذكرنا ، فلو قال وخلق عرشه على الماء ، وخلق السموات والأرض ، لاختلط الأمر على السامع ، فلم يدر أيهما خلق أولا ، على أن هذا مجرد تعليل لاختلاف العبارة وإلا فالحديث صريح بأن العرش والماء مسبوقان بالعدم بلا نزاع . فكان فى قوله : وكان عرشه على الماء ، مقابلة لكان فى قوله : كان الله ولم يكن شىء غيره ، فهى فى الأول بمعنى الدوام ، وفى الثانى بمعنى الحدوث ، واستعمالها فى المعنيين مشهور ، وهذا ظاهر ، إذ لا يتصور عاقل أن كان الثانية مثل كان الأولى فى الأزلية ، لما فى ذلك من التناقض الظاهر فى نص الحديث ، لأنه قد نفى أن يكون مع الله شىء ما بقوله « ولم يكن شىء غيره » فلا يعقل بعد ذلك أن يقول : وكان معه فى الأزل العرش والماء .

بقى فى معنى الحديث شىء آخر وهو أنه قال « وكتب فى الذكر كل شىء » . فما هو الذكر ؟ وهل الكاتب هو الله تعالى مباشرة ، أو أمر غيره ليكتب ؟ والجواب عن الأول أن الذكر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هو اللوح المحفوظ ، وهو جسم عظيم خلقه الله من مادة جميلة (درة بيضاء) كما قال ابن عباس ليكتب فيه كل الموجودات . وبعضهم يرى أنه عبارة عن علم الله تعالى ، فهو الذى تعلق بسائر الموجودات كلها وجزئيها ، صغيرها وكبيرها . وبعضهم يرى أنه مايلوح الملائكة ليفهموا منه. ولكن ظاهر الكتاب والسنة يؤيد القول الأول . والخروج عن الظاهر بدون ضرورة لامعنى له ، فان خلق اللوح ممكن سهل بالنسبة للأجرام الأخرى ، وإثبات الموجودات فيه ليرجع اليها الملائكة عند الحاجة حسن جميل ، فلأى شيء نخرج عن الظاهر؟ . أما الجواب عن الثانى فان الكاتب هو القلم ، ونسبت الكتابة الى الله لأنه هو الآمر . وقد ورد هذا المعنى صريحا فيما رواه احمد والترمذى مصححا من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا : « أول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة » .

والذى أفهمه فى معنى القلم هنا أنه قوة معنوية ، مجردة عن المادة ، خلقه الله تعالى وأودع فيه سرا يدرك به كل معانى الموجودات ؛ ثم أمره أن يكتبها فى اللوح على ما هى عليه . ولعل هذا هو معنى قولهم: إن القلم أمر نورانى ، أى منسوب إلى النور الالهى ومغمور به ، فلا تكتنفه ظلمات المادة . وظاهر مما بيناه أن اللوح والقلم مخلوقان بعد الماء والعرش . فالنبى صلى الله عليه وسلم بين لنا فى أحاديثه الكريمة أول المخلوقات المادية والمعنوية ، وإننى لا أرى معنى لانكار المجردات ؛ وأرى الحق مع الذين يقولون بها من فلاسفة المسلمين ، لأن الأمور المعنوية المعقولة موجودة فى المحسوسات التى بين أيدينا يدركها كل عاقل من غير شك .

٢ — أما الأحاديث التى يتوهم أن بينها وبينه تعارضا ، فمنها ما ذكرناه من أن أول المخلوقات القلم ، ومنها ما رواه فى المواهب من أن أولها نور النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنها ما ورد من أن أولها العقل ؛ فيكون أحد هذه الأمور أول المخلوقات يتعارض مع كون الآخر أولا . ويمكن أخذ الجواب بسهولة مما بيناه ، وذلك لأن كل واحد من هذه الموجودات أول نوعه : فالماء أول كل شيء ، ومع ذلك فهو أول الموجودات المادية السفلية . والعرش أول الأجرام العلوية ، والقلم أول المخلوقات المعنوية ، ونور نبينا إن كان المراد به وجوده الذى ترتب عليه إخراج الناس من ظلمات الشرك الى نور الايمان ، فيكون معناه أنه صلى الله عليه وسلم أول الأنبياء الهادين وجودا ، بمعنى أن الله خلق روحه قبل أرواحهم ومنها استفادوا وجودهم بتوسطها ، فهو أول الأنبياء وجودا ؛ وإن كان المراد نور النبوة الذى انتفع به العالم من أوله الى آخره ، فهو أول نور خلقه الله تعالى متعلقا بروحه عليه الصلاة والسلام ، ومنه استمدت أرواح الأنبياء نورها . وبالجملة فهو أول النبيين خلقا ، ونوره أول كل نور . أما ما ورد من أن أول المخلوقات العقل ، فقد قال الحافظ ابن حجر : إنه لم يثبت من طريق يصح التعويل عليه ، وعلى فرض ثبوته فاننى أقول : إن المراد به القلم ، وسمى عقلا لأنه عقل كل معاني الموجودات التى أمره الله بكتابتها فى اللوح المحفوظ ، وفهم أسرارها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٣ — أما المقارنة بين العقيدة الاسلامية ، وبين ما نقل عن شرذمة قليلة من الفلاسفة الالهيين القائلين بقدم العالم ، فانه يحتاج أولا الى شرح مذهبهم هذا ، فنقول: قد عرفت مما بيناه لك أن المسلمين يعتقدون أن العالم بأسره سواء أ كان ماديا أم مجردا عن المادة حادث مسبوق بالعدم ، وأن الله فاعل مختار منفرد بالأزلية والقدم ، فلا شيء من الأجسام وصفاتها بقديم ، ولاشيء من المجردات عند من يقول بها بقديم . وهذه العقيدة قد اتفق عليها جميع المليين . قال فى المواقف : إن جميع المليين من مسلمين ويهود ونصارى ومجوس اتفقوا على أن الأجسام وصفاتها حادثة ، ولكن أرسطو ومن تبعه من الفلاسفة المتأخرين كالفارابى وابن سينا قالوا إنها قديمة بذواتها وصفاتها . أما من تقدم أرسطو من الحكماء فانهم قالوا: الأجسام قديمة بذواتها حادثة بصفاتها . وتوقف جالينوس من الحكماء الأقدمين اه . ملخصا من المواقف .

وتوضيح هذا المقام يحتاج الى بيان أمرين: أحدهما معنى قدم العالم الذى قالت به الفلاسفة . ثانيهما ما الذى حمل هؤلاء على الشذوذ فى الرأى عن جميع المليين ؟

والجواب عن الأول : أنهم يقولون إن القديم له معنيان : قديم لذاته ، وقديم لغيره . ويريدون من القديم لذاته ، واجب الوجود لذاته ، وهو الله وحده الذى تقتضى ذاته الوجود والكمال المطلق ،فلا يحتاج الى غيره لا فى وجوده ولا فى كماله التام . أما القديم لغيره ،فهو الممكن الذى لم يسبق بالعدم بل صدر عن الواجب لذاته بطريق التعليل . ولاريب أن المعلول مرتبط بعلته فى الوجود الخارجى ، فلا يمكن أن توجد العلة التامة الآن مثلا ثم يوجد معلولها بعدها بلحظة ، إذ لو انفك المعلول عن علته طرفة عين لم تكن علة تامة له ؛ فواجب الوجود لغيره هو الذى لا ينفك وجوده عن وجود القديم لذاته طرفة عين ، وإن كان القديم لذاته متقدما عليه فى التعقل ضرورة تقدم العلة على معلولها عقلا . وإذا أردت أن تعرف مثالا يوضح ذلك فانظر الى أصبع متحركة بها خاتم ، فانك فى هذه الحالة تجزم بأن حركة الأصبع وحركة الخاتم مقترنان فى الوجود الخارجى ، وتجزم الى جانب هذا بأن حركة الاصبع متقدمة على حركة الخاتم بحسب ذاتها ، لأنه لو لا حركة الاصبع ما جاءت حركة الخاتم . فالعالم قديم عندهم بهذا المعنى ، فهو من حيث ذاته ممكن مستفيد الوجود من الواجب لذاته ، ومن حيث كون الواجب — تعالى عن ذلك — علة فيه قديم . فهذا هو معنى القدم بالغير . وكأن ابن سينا أراد أن يسهل قبول هذا الأمر على النفوس فقال فى الاشارات مامعناه : إن الواجب لغيره قد يكون من المحدثات الشخصية المتفق على حدوثها من الجميع . وذلك لأنه إذا تعلقت إرادة الفاعل بزيد مثلا ، ووجد ، كان وجوده واجبا لغيره لا محالة لاستحالة عدمه حال وجوده ، فالواجب لغيره تارة يكون دائما مستمرا وهو المعلول الذى لم يسبق بالعدم . وتارة يكون مؤقتا وهى الحوادث المسبوقة بالعدم . ولكن ابن رشد شنع عليه فى فصل المقال وقال إن الممكن المؤقت يستحيل أن يكون وجوده ضروريا وإلا لانقلب الممكن ضروريا ، ووصفه بأنه رجل مخترع كلامه فى غاية السقوط . ولكن الواقع أن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عبارة ابن سينا هذه صحيحة ، وأن المتكلمين يوافقونه عليها ، لأن ما تعلقت أرادة الله بوجوده يكون وجوده ضروريا لا محالة . ولكن ابن سينا قد اخطأ خطأ واضحا فى اتباع أرسطو فى نظرية قدم العالم ، بل قد شط فيها شططا مدهشا لامبرر له إلا ما تخيله من حجج واهية وأدلة جدلية فارغة كما ستعرفه بعد . وبيان مذهبهم : أنهم قد قسموا العالم الى قسمين مادى ، ومجرد عن المادة ، والمادى ينقسم الى فلكيات وعنصريات ؛ فأما الأفلاك فهى عندهم قديمة باجسامها وصورها التى وجدت عليها كما هى جزئياتها وكلياتها ، فالفلك الجزئى المشخص معلول القديم بشكله وشخصه ، فلا يتغير ، وإنما الحادث فيه هى حركاته وأوضاعه المترتبة على هذه الأوضاع المتغيرة ، فكل حركة منه مسبوقة بحركة قبلها ، فالحركات الجزئية الشخصية حادثة ، وأما معنى الحركة الكلى الذى يحمل على هـذه الأفراد فهو قديم . وكذلك معنى الفلك الكلى فانه قديم عندهم . وذلك لأنهم يقولون إن الكلى أمر وجودى له تحقق فى الخارج ، مثلا زيد الموجود خارجا مركب من التشخص والانسانية وهى الحيوانية والناطقية ، فالحيوانية والناطقية جزء من زيد الخارجى ، وجزء الموجود فى الخارج موجود فى الخارج ، فالمعنى النوعى لزيد ، وهو الانسانية ، موجود فى الخارج ؛ فالأفلاك عند هذه الفرقة قديمة بجزئياتها ومعانيها الكلية وهى أنواعها ، وهذا هو معنى قولهم إنها قديمة بالشخص وبالنوع . وأما العنصريات فانها قديمة عندهم بموادها وصورها الجسمية بالنوع ، مثلا النار مركبة من هيولى ، وهى مادة النار ، وهى لا تعقل وحدها ، وصورة جسمية وهى التى تعقل بها مادة النار ، فصورة هذه النار الجزئية الجسمية حادثة ، أما معنى هذه الصورة وهى طبيعة خاصة يترتب عليها الاحراق فانها قديمة بمعنى أن الصور الجزئية تتعاقب على مادة النار فما من صورة إلا وقبلها صورة وهكذا .

ولا يرد على هذا بأن النوع لا يوجد إلا فى إفراده فمتى كانت الأفراد حادثة كان النوع حادثا لان ابن سينا ومن معه يقولون إن الكلى له وجود فى ذاته ، غاية ما هناك أنه لا ينفك عن الجزئى فى الخارج فلا يوجد خارجا إلا مقارنا للجزئى ، هذا معنى قدم العالم المادى عندهم وأما المجرد عن المادة فهم يقولون إنه قد صدر عن الاله عقل مجرد عن المادة وهو أول الموجودات وذلك لان ذات الاله واحدة من جميع الجهات لا تكثر فيها ، فلو صدر عنه جسم لكان متكثرا لان الجسم مركب من أجزاء فيكون الاله باعتبار كونه الاثر فى هـذا الجزء غيره باعتبار كونه مؤثرا فى الجزء الآخر ، فلا بد أن يصدر عنه عقل بسيط غير مركب يتوسط بينه وبين الموجودات المادية وهذا العقل عندهم مستقل بالتأثير وبالوجود فله وجود مستقل وتأثيره فى غيره مستقل وله جهات ثلاث ، وجوده فى نفسه ، ووجوبه بالغير ، وإمكانه فى ذاته ، فصدر عنه من كل جهة واحد ، فباعتبار وجوده صدر عنه العقل الثانى ، وباعتبار وجوبه بالغير صدرت عنه نفس متعلقة بالفلك ، وباعتبار إمكانه صدر عنه الجسم وهو الفلك الأول ، وهكذا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى العقل الثانى والثالث إلى أن تكاملت العقول عشرة والأفلاك تسعة . والاخير يسمونه المبدأ الفياض ، هذا هو معنى قدم العالم وترتيبه فى الوجود عند أرسطو ومن تبعه .

أما الجواب عن الأمر الثانى وهو لماذا شذوا بهذا الرأى ؟ فأهم ما اعتمدوا عليه دليلان : أحدهما ما صرح به ابن سينا فى الاشارات من أن كال واجب الوجود يقتضى أن يكون عاملا لا معطلا ، فاذا قلنا إن العالم مسبوق بالعدم كان الله معطلا بدون عمل . وهذا نقص . لهذا قلنا إن العالم صادر عنه بطريق التعليل على الوجه الذى بيناه . وهذه حجة تنتج عكس المطلوب ، وذلك لأن فى هذا سلب الاختيار عن الاله ، وحكما بأن العالم صدر عنه بطريق القهر ، وذلك يستدعى كونه مغلوبا لامحالة ، فكيف يكون إلها غالبا وهو مقهور على إيجاد هذا العالم ؟ على أن فى ذلك غفلة عن مقام الألوهية ، لأن الاله كامل فى ذاته من جميع الجهات بقطع النظر عن إيجاد العالم وإعدامه ، بل الكمال بالنسبة له تعالى أن يوجد العالم متى شاء ويعدمه متى أراد من غير أن يفيده وجود ذلك العالم كمالا وعدمه نقصا ، فهو سبحانه غنى عن العالمين بكل معانى الكلمة

الثانى صرح به أيضا فى الاشارات ، وهو أن الفاعل الأزلى يجب أن يكون فعله أزليا ، وذلك لأن فعله اذا كان حادثا فلا بد له من مرجح يخصه بالوقت الذى صدر فيه وإلا لزم الترجيح بلا مرجح . مثلا : تعلقت إرادته بإيجاد العالم فى زمن آدم فلماذا لم تتعلق به قبل ذلك ، وأى مرجح يرجح هذا على ذاك ؟ فان وجد مرجح فما الذى رجح هذا المرجح ؟ وهلم جرا فيلزم التسلسل فى الأمور الموجودة وهو محال . واذا كان فعل الأزلى قديما كان أثره قديما .

هذه هى أقوى أدلتهم . وهى سفسطة فارغة ، لأن الله سبحانه قد أوجد حوادث وقتية باتفاق ، وقد تعلقت إرادته بإيجاد زيد الآن فلماذا لم تتعلق به قبل ذلك بزمن طويل ، فاما أن تكون إرادته كافية فى الترجيح بدون أمر زائد ، وإما أن يكون زيد موجودا بدون مرجح ، أو يقال إن المرجح لا يلزم أن يكون وجوديا .

وبالجملة فهذه عقيدة لا قيمة لها ، ولذا قال بعضهم : إن ابن سينا قد اخترعها ليستر بها قول أرسطو : إن الله كامل يترفع عن الدنايا فلا يصح أن يكون مبدأ لهذا العالم القذر ، بل هو مشرف مجرد إشراف . فحاول ابن سينا أن يقرر عبارته على هذا الوجه ، ولكن هذه العبارة لا يمكن إسنادها الى أرسطو على وجه التحقيق ، ولهذا قال فى المواقف : إن ماورد عن الفلاسفة فى هذا الباب من قبيل الرموز التى لا تفصح عن أغراضهم ، وإلا فخير للفيلسوف الذى يقول هذا أن ينكر الاله وتصرفه فى العالم ويكون طبيعيا لا إلهيا . وقد حاول الطوسى أن يبرر رأى ابن سينا فقال إن الفلاسفة لم يقولوا إن الله غير قادر وإن المتكلمين قالوا إن الله علة فى صفاته فهم كالفلاسفة فى هذا الباب ، ولكن ابن سينا ومن معه يلزمه أن يقول إن الله غير قادر بلاشك لأنه سلب عنه الاختيار ، ومن قال من المتكلمين بأن الله علة فى صفاته مخطىء لامحالة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وبهذا تعلم أن العقيدة الاسلامية من أن الله تعالى وحده هو المتفرد بالأزلية ، وأن كل ما عداه مسبوق بالعدم له أول ، هي عقيدة التنزيه حقا ، فالاله الذي يرغم على كذا أو يقال عنه إنه علة تامة فى كذا لا يصح أن يكون إلها . فالمسلمون إنما يعبدون إلها واحدا مجردا عن المواد وعلائقها ليس كمثله شيء ، وأنه هو وحده الأزلى الأبدى وكل ما سواه يستمد منه الوجود ومخلوق من عدم بلا شك ولا ريب ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

عبد الرحمن الجزيرى

دون الشهد ابر النحل

جاء فى كتاب هندى : من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب ، ولم ينل الأمر الذى لعله أن ينال منه حاجته مخافة ما لعله يوقاه ، فليس ببالغ جسيما . وإن الرجل ذا المروءة ليكون خامل الذكر خافض المنزلة ، فتأبى مروءته إلا أن يستعلى ويرتفع ، كالشعلة من النار التى يصونها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا ، وذو الفضل لا يخفى فضله وإن أخفاه ، كالمسك الذى يختم عليه ، ثم لا يمنع ذلك ريحه من التذكى والظهور .

أخذ ابن عبد ربه هذا المعنى فنظمه :

ختمت فأرة مسك ... فأبت إلا التذكى

ليس يخفى فضل ذى الفضل بزور وبإفك

والذى يبرز بالفضل غنى عن مزكى

ربما غم هلال الفطر فى ليلة شك

ثم جلى وجهه النور فجلى كل حلك

إن ظهر النجم لا تركبه من غير فلك

ونظام الدر لا تعقده من غير سلك

ليس يصفو الذهب الابريز إلا بعد سبك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حاجة الانسان الى الشريعة

وشيء من آيات الله وعظمته

إن النفوس الانسانية تمرض كما تمرض الأبدان ، بل هي مستعدة لذلك أكثر منها بمقتضى لطافتها ، وشدة تأثرها بكل ما تراه وتسمعه ، وبقوة انفعالها بأميالها وشهواتها . وإن أمراضها لأكثر من أمراض البدن على كثرتها . وقد يصل بها المرض الى حد الموت الروحانى بإبطال خاصة الانسانية من العلوم والمعارف والأسرار والأنوار ، وإذا لا ينفعها الارشاد ، ولا يجديها التعليم ، ولذلك يقول القرآن ـ يريد النبي عليه السلام ـ : « لينذر من كان حيا » . وقد سمى الجاهل الضال ميتا فقال : « أو من كان ميتا فأحييناه » ، ويقول : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » كما اثبت لها المرض فى آيات كثيرة . وكل ضلال فى العالم وكل شر على وجه الأرض ليس منشاه إلا مرضا من أمراض النفوس . وقد أرسل الله الأنبياء عليهم السلام أطباء لتلك الأمراض : يعالجونها بأنواع العلاج ، ويرسمون لها قانون حفظ الصحة إن كانت موجودة ، بالحمية عن دنس الأخلاق ، ورذائل العادات ، وتعديل الاميال ، ومراقبة النزعات والأهواء ، وردها إن كانت مفقودة . ومعلوم أن الانسان مركب من جزء علوى سماوى وجزء سفلى أرضى ، أو نقول من جزء روحانى ، وجزء جثمانى ، وأن الانسان لا يسعى لمطالب الجزء الجسمانى من المطعم والمشرب واتقاء الحر والبرد الى غير ذلك إلا من حيث إنه حيوان لا إنسان فأن ذلك مشترك بينه وبين غيره من الحيوانات ، وإن كان هو أوسع منها تفننا يستحق أن يسمى به سيد الحيوانات ، وتعلم ـ رعاك الله ـ أنه لا قيمة لما تشاركك فيه الحيوانات ، وأن الانسان لا يكون إنسانا على الحقيقة إلا إذا وجدت فيه خاصة نوعه ، وإلا كان إنسانا بظاهره وصورته لا بباطنه ومعناه . ولذلك يقول القرآن فى حق قوم فسدت فطرتهم : « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل »

فلهذا جاءت الشرائع الالهية ترقيك من حضيض الحيوانية الى أوج الانسانية ، وتذيقك شيئا من حلاوة ذلك العالم الروحانى : عالم البهاء والصفاء ، وتمتعك برياضه المونقة وحياضه المتدفقة ، وتنزهك فى جمال الملك والملكوت والعظمة والجبروت ، فتنفتح عين بصيرتك لاستطلاع ذلك الجمال الالهى الذى ظهر على صفحات الموجودات ، وتجلى بأروع ما يكون فى مرايا تلك المبدعات ، فتارة تقرأ فى خلال تلك السطور من العزة القعساء والعظمة والكبرياء ما تنشرح له الصدور وتبتهج به النفوس ، وتارة تطالع من حكمته تعالى فى خلقه وأسراره فى أرضه وسمائه ، ما تتحير فيه العقول وتخر لعظمته ساميات الأفكار ، وتارة تجول فى سعة الملك وعظمة الملكوت فتعرف أن أرضنا هذه جزء من ألف ألف جزء وأربعمائة ألف جزء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تقريبا بالنسبة للشمس ، وأن الشعرى أكبر من الشمس بأضعاف مضاعفة ، وأن نور الشمس جزء من خمسين جزءا من نور الشعرى ؛ وأن المشترى يقطع فى الساعة الواحدة ثلاثين ألف ميل وزحل يسير فى الساعة ستين ألف ميل ، وأن الآلات الحديثة والنظارات المقربة قد اضمحلت وتلاشت فى جنب ذلك الملك العظيم ، والاكتشافات الحديثة ـ على عظمتها وكبريائها ـ خرت ساجدة تنادى بالعجز والقصور أمام تلك العظمة القاهرة والقدرة الباهرة . ويعلم الله ما وراء الشعرى من العوالم والنيرات «سبحانك ماعرفناك حق معرفتك» ولا يزال استطلاع الأسرار واستفاضة الأنوار ، ومطالعة الجمال غير المتناهى يستولى على قلوب بعض عباد الله المستعدين لذلك ، حتى إنهم ليصلون به الى حد التوله فى محبة ذلك المبدع العظيم ، والتدله بما يبهرهم من جمال ذلك القادر الحكيم ؛ ولا يسارعن الى إنكار ذلك بعض من تراكمت عليه الظلمات وأحاطت به الآفات ، فليس من الانصاف أن ينكر الانسان كل مالم يصل اليه ، بحجة أنه لم يصل اليه .

فما أضعف ذلك احتجاجا ، وأسمجه برهانا ؛ فكم من أشياء كنا نجهلها غاية الجهل كالميكروبات وغيرها ، ثم تبين أنها عالم لا غاية له « وما يعلم جنود ربك إلا هو » . فكيف يكون الجهل دليلا على عدم الوجود ؟ ولعل هناك خاصة أخرى باطنية لم تخلق فيك وفى أمثالك .

لعمرك ما هـذا بهـزء وإنما حديث غريب من بديع الغرائب

فاعرف قدرك أيها الانسان ، فما أنت إلا مخلوق ضئيل فى مخلوقاته ، وكائن صغير فى جانب مكوناته . وإذ كنت لست إلا عالما من عوالم هذه الأرض الكثيرة العدد ، وأرضك ـ بكل ما فيها ـ ليست إلا شيئا يسيرا بجانب الشمس ، وليست الشمس إلا شيئا يسيرا بجانب الشعرى وليس ذلك كله إلا شيئا يسيرا بجانب بقية العوالم التى لم نعرف لها نهاية ، ولا وقفنا لها على غاية وقد جاء فى بعض الكتب الحديثة والمجلات العلمية ، أن أقرب كوكب لنا بعد نظامنا الشمسى يبعد عنا أكثر من ٢٥٠ مليونا من الأميال ، ومن الكواكب مايكون بعيدا جدا حتى إن النور الذى يقطع فى الثانية الواحدة ١٨٦٣٠٠ ميل يحتاج الى الآلاف من السنين حتى يجىء من الكوكب الى أعيننا ، والمنظور بالعين المجردة فى السماء ست آلاف نجمة . منها ثلاثة آلاف ظاهرة وثلاثة آلاف خفية . ويرى بالمنظار المقرب « التلسكوب » مائة مليون من النجوم .

أليس من المدهش أن نرى كوكبا بأعيننا وضوءه لا يصل الينا إلا بعد مائة سنة أو أكثر ؟ وقد عرفت سرعة سيره وأنه يسير فى الثانية الواحدة ١٨٦٣٠٠ ميل ؛ فتأمل هذه المسافات العظيمة التى لا تستطيع أن تحسبها ، وانظر الى تلك الكواكب التى لا يعلم عددها إلا الله كيف قدرت ، وبأى طريق خلقت ، وبأى علم نظمت ؟ وهل يعقل أن هذه النظامات العجيبة والآيات البديعة تخلق سدى ، وتذهب شعاعا ، وتكون باطلا « ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقالوا فى محاسن المنظار المقرب « التلسكوب » إنه يرينا نحـو ١٠٠ مليون من النجوم ولـكن المنظر الطيق أظهر ملايين الملايين .

ثم قالوا إن كثيرا من النجوم ضئيلة النور لفرط بعدها عنا ، فلا قبل لنا برؤيتها حتى بالمقرب .

وإن الشعرى اليمانية تبعد عن الشمس مليون ضعف بعدها عنا ، وهى تسير فى الدقيقة ألف ميل ، وإن ثلاثا من بنات نعش « مايا » ، « الـكترى » ، « ألسيون » يفضحن الشمس ، ويفقنها نورا ونارا ، الأولى بأربعمائة ضعف ، والثانية بأربعمائة وثمانين ، والثالثة بألف ضعف .

أما سهيل فهو أسنى من الشمس بألفين وخمسمائة مرة ، والسماك الرامح أسطع منها بثمانية آلاف مرة .

فعلى الحقيقة ليست الشمس أم نظامنا السيارى ، وما هى إلا نجمة صغيرة بالنسبة لتلك الشموس . وكم حسبها الناس أكبر الأجرام السماوية وأسطعها .

أما السماك الرامح فهو ، على حد علمنا ، أسرع النجوم سيرا وأشدها تألقا وأكبرها حجما تقدر سرعته بثلاثمائة ميل وكسور فى الثانية الواحدة ، ونوره ثمانية آلاف ضعف نور الشمس وحجمه ثمانون ضعف حجمها .

أما بعده عنا فتخيله لنفسك عندما تعلم أن نوره لا يصلنا فى بضع دقائق كنور الشمس وهى على بعد ٩٢ مليون و ٥٠٠ الف ميل منا ، بل فى سنين كثيرة لا تقل عن مئين من السنين .

وأما الشعرى فنورها الواصل إلينا بعد سفرة طويلة مقدارها ١٦ سنة ، ضئيل جدا بالنسبة الى نورها وما هو إلا جزء من ألفى مليون من نورها الحقيقى .

وأن النجمة المعروفة بعدد ٨٣٠, « غرومبرودج » تسير ١٢٠٠٠ ألف ميل فى الدقيقة والسماك الرامح ٢٠٠٠٠ ميل تقريبا فى مثل هذا الوقت القصير .

وهنـاك نجوم بعيدة عنا جدا بحيث تمر آلاف السنين ولا يكاد يظهر أدنى تغيير فى منظر القبة الزرقاء .

فلنقل ما قال (اللورد أوفبرى) فى كتابه (محاسن الطبيعة) :

« ليكسر الحاسب قلمه ، وليضرب التاريخى بيراعه عرض الحائط ، وليقف الذهن كليلا والعقل مخبولا ، وليطلق الخيال فى هذا المجال ، ولا إخاله إلا رائدا مردودا » . ولذلك كله قال بعض فلاسفة الأوربيين من عظمة ذلك الملك : « يا الله ما أعظمك وأجلك وما أبهر قدرتك وأوسع علمك . ليت شعرى من ذلك المجنون الذى اجترأ فسماك لأول مرة . الله ؟ »

فماذا تكون نسبتك أيها الانسان الشامخ بأنفه ، الجاهل بقدره ، بجانب تلك المخلوقات .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وعلام تتبجح كبرا وتيها وأنت الصغير « وكبير عليك اسم الصغير » أمام عظمة رب الأرض والسموات ؟

وليت شعري ، بعد هذا ، ما شأن ذلك العرش الذي يصفه القرآن بالعظمة ولم نقف له على عين ولا أثر لا بأبصارنا ولا بنظاراتنا . وناهيك أمر يعظمه القرآن .

الله أكبر هذا البحر قد زخرا ... وهيج الريح موجا يقذف الدررا

سبحانك ، ما عرفناك حق معرفتك ، لانحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ؟

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء

عطف الكبراء على رجال دولتهم

بلغ المعتصم بن الرشيد ، وقد تولى الخلافة بعد موت أخيه المأمون ، أن أحد قواد الدولة «عبد الله بن طاهر» مريض ، فكتب اليه :

أعزز على بأن أراك عليلا ... أو ان يكون بك السقام نزيلا
فوددت أنى مالك لسلامتى ... فأعيرها لك بكرة وأصيلا
فتكون تبقى سالما بسلامتى ... وأكون مما قد عراك بديلا
هذا أخ لك يشتكى ما تشتكى ... وكذا الخليل إذا أحب خليلا

وكان شاعر يختلف الى يحيي بن خالد بن برمك ويمتدحه ، فغاب عنه أياما لعلة عرضت له ، فلم يفتقده يحيي ، ولم يسأل عنه ، فلما أفاق الرجل من علته كتب اليه :

أيهاذا الامير أكرمك الله ... وأبقاك لى بقاء طويلا
أجميلا تراه أصلحك الله ... لكيما أراه أيضا جميلا
إننى قد أقمت عنك قليلا ... لا ترى منفذا إليك رسولا
ألذنب فما علمت سوى الشكـ ... ـر لما قد أوليتنيه جزيلا
أم ملالا فما علمتك للحا ... فظ مثلى على الزمان ملولا
قد أتى الله بالصلاح فما أنـ ... ـكرت مما عهدت إلا القليلا

فأرسل إليه الوزير يعتذر من ابيات :

دفع الله عنك نائبة الدهر ... وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ما علمت وما ذا ... ك من العذر جائزا مقبولا
فاجعلن لى الى التعلق بالعذ ... ر سبيلا أن لم أجد لى سبيلا
فقديما ما جاد ذو الفضل بالفضـ ... ـل وما سامح الخليل خليلا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أعلام القرآن

الله (١)

— ١ —

تمهيد — معنى لفظ الجلالة — أصله — أمرتجل هو أم منقول ؟
الفرق بين لفظي الإله والله — خواص

١ — تمهيد :

إن من يتصدى لدراسة تفسير القرآن الكريم ، وينصب نفسه خادما لكتاب الله الحكيم ، يعرض له كثير من البحوث المختلفة ، وتتفتح أمامه نواح عدة من الموضوعات المتشعبة ، وتتوارد عليه الفكرة تلو الفكرة ، ويبدو له الرأى إثر الرأى ، وكلها جدير بالبحث والدرس ، خليق بأن يفرد بالتأليف والتصنيف .

ولقد عرض لنا فيما عرض — ونحن نقوم بتدريس مادة التفسير — موضوع الأعلام الموجودة فى القرآن الكريم ، وما يتطلبه التعريف بها من جهد ومشقة ؛ فقد يصادف القارئ « علم » من هذه الأعلام ، فيرغب فى أن يعرف عنه فكرة صحيحة ، وأن يلم بموضوعه إلماما وافيا ، ثم يلتمس ذلك فى كتاب واحد ، أو موضع واحد ، فلا يجد ما يحقق رغبته ، ويقضى طلبته ، بل يجد الكلام عنه مفرقا هنا وهناك ، ومبعثرا فى أشتات الكتب ، وموزعا فى مختلف المقامات ، فما يفتا يقرأ ويراجع ، ويفتش وينقب ، وينتقل من سفر الى سفر ، ويستوعب كل حرف وكلمة وسطر ، حتى يستطيع ، بعد الجهد الجهيد ، أن يخرج بأثارة من علم عن هذا « العلم » الذى صادفه أثناء قراءته .

عرض لنا هذا الموضوع ، ولم نجد — على ما نعلم — من اختصه بالكتابة ، أو أفرده بالتأليف ، كمبحث خاص من مباحث القرآن الكريم ، مستقل بنفسه ، قائم بذاته ؛ فحفزنا كل ذلك الى خوض غمار هذا الموضوع — على ترامى أطرافه ، وتزاحم الشواغل ، وقلة الاستعداد — وتحرك فى نفوسنا الميل الى الكتابة فيه على أسلوب ، يلذ القارئ ، ويشبع رغبته العلمية ، ويوفر الوقت على الباحث ، ويغنيه عن طول المراجعة ، ويكفيه مؤونة الحيرة والتردد بين أكداس الكتب ، ويعطيه الفكرة سهلة وافية يسيرة .

(١) من « بسم الله الرحمن الرحيم » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا ندعى أننا سنأتى فى هذا الباب بما لم يسبقنا اليه الأوائل ، أو أننا سنسجل فيه من الأقوال مالم يهتد اليه قائل ، وإنما سنعتمد فيما نكتب على كتب التاريخ والسير والأنساب والتراجم والتفسير واللغة والتصريف ودوائر المعارف والمعاجم وغيرها ، فنقرؤها ونستوعبها ونستقصيها ، ثم نبدى الرأى متخيرا ، ونسوق القصة صحيحة ، ونسرد الرواية معقولة ، ونذكر الواقعة مقبولة ، وندلى بالفكرة محررة سليمة .

هذا وإنا نعتبر أن من أكبر أمارات التوفيق والقبول أن يكون أول « علم » نتوج به هذا الموضوع ، ونحلى به هامته ، هو الاسم العظيم الأعظم « الله » .

٢ — معنى لفظ الجلالة :

المأثور فى معنى هذا الاسم الكريم ، أنه اسم للموجود الحق ، الجامع لصفات الألهية المنعوت بنعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيقى ؛ وقيل : معناه واجب الوجود الذى لم يزل ، ولا يزال ؛ وقيل : معناه الذى يستحق أن يعبد . واختلاف التعبير عن هذا المعنى ، وتنوع صيغه ، لا يخرج عن أن المؤدى بها واحد ، كما قاله القرطبى فى تفسيره .

٣ — أصله :

نسب بعض المفسرين الى البلخى أنه زعم أن هذا اللفظ ليس بعربى ، بل هو عبرانى او سريانى معرب « لاها » ومعناه ذوالقدرة ، وقال بعضهم : إنهم يقولون : « إلها رحمانا ومرحيانا » فلما عرب جعل « الله الرحمن الرحيم » ، ثم ذكروا أن ذلك الزعم باطل ، لأنه لايلزم من المشابهة الحاصلة بين اللغتين الطعن فى كون هذا اللفظ عربيا أصليا ، واستعمال اليهود والنصارى لا ينهض دليلا ، لأن احتمال توافق اللغات لا يزال قائما ، ومتى كان هذا الزعم لا دليل عليه ، فلا يصح أن يصار اليه (١) .

والذى عليه الاطباق من العلماء كالشافعى والأشعرى والخطابى ، وإمام الحرمين ، والغزالى والرازى ، وأكثر الأصوليين والفقهاء ، وما عليه اختيار الخليل وسيبويه ، والمازنى وابن كيسان أن هذا اللفظ عربى ، وقد جعل بعضهم ذلك فى رتبة الذى لا يحتاج الى برهان ، واستدل له بعضهم بأدلة لا تسلم من المناقشة .

٤ — أمرتجل هو أم منقول ؟

ذهب كثير من العلماء منهم الشافعى ، وأبو المعالى ، والخطابى ، والغزالى ، والمفضل ، والخليل ، الى أن هذا اللفظ علم مرتجل موضوع لذاته تعالى ، وأنه لا أصل له ، ولا اشتقاق ، حتى لقد قال الغزالى : إن كل ما ذكر فى اشتقاقه وتصريفه تعسف وتكلف .

(١) مجلة الازهر — العبرية والعربية فرعا أرومة واحدة هى البابلية فلاعجب من توافق معظم ألفاظهما

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهـذا الرأى هو اختيار الجمهرة من قدماء المحققين ، وقد أوردوا له عدة وجوه تؤيد صحته ، وتثبت أرجحيته .

وذهب جماعة من العلماء الى أنه علم منقول من أصل ، ومنصرف فيه نوع تصرف ، ولـكنهم اختلفوا فى ذلك الأصل المـأخوذ منه هذا العلم على أقوال كثيرة ، منها :

(أولا) أنه مـأخوذ من « أله » كعبد « إلاهـة » كعبادة و « ألوهة » كعبودة ، و « ألوهية » كعبودية ، ومنه قرأ ابن عباس « ويذرك وإلاهتك » بكسر الهمز ، أى عبادتك .

فلفظ « الله » على هذا أصله « إلاه » على فعال ، بمعنى مفعول ، لأنه مألوه ، أى معبود ، كـكتاب بمعنى مكتوب ، وإمام بمعنى مؤتم به ، فلما أدخلت عليه أل حذفت الهمزة تخفيفا ، او لأنها عوض عنها ، أو أن ذلك لمعنى اختصت به أل . ليس فى غيرها ، كما قيل بكل ؛ وروى المنذرى عن أبى الهيثم أنه ساله عن اشتقاق اسم الله تعالى فى اللغة ، فقال : كان حقه « إلاه » ادخلت الألف واللام تعريفا . فقيل : « الإلاه » ثم حذفت العرب الهمزة استثقالا لها فلما تركوا الهمزة حولوا كسرتها فى اللام التى هى لام التعريف وذهبت الهمزة أصـلا فقالوا : «أللاه» فحركوا لام التعريف التى لاتكون إلا ساكنة ، ثم التقى لامان متحركتان ، فأدغموا الأولى فى الثانية ، فقالوا « الله » .

(ثانيا) أنه ماخوذ من « أله » كفرح ، ياله ، إذا تحير ، وذلك أن العبـد إذا تفـكر فى صفات الله تعالى ، تحـير فيها ، فالاه على هذا بمعنى مألوه فيه .

(ثالثا) أنه ماخوذ من « أله » بالمـكان كفرح ، إذا أقام به ، قال الشاعر .

ألهنا بدار ما تبين رسومها كان بقاياها وشوم على اليـد

فالاه بمعنى آله ، أى دائم وباق

(رابعا) أنه مأخوذ من « أله » الى كذا ، يأله اليه ، إذا فزع ، ولاذ ، أى لجأ إليه ، لأنه سبحانه المفزع والملاذ الذى يلجأ إليه فى كل أمر ، قال الشاعر : ألهت إلينا والحوادث جمة

وقال آخر : ألهت إليها والركائب وقف :

فالاه على هذا بمعنى مالوه إليه .

(خامسا) أنه مأخـوذ من « أله » الفصيل ، إذا ولع بأمه ، وذلك أن الخلق مولعون بالتضرع إليه فيما ينوبهم ، فيكون إلاه على هذا بمعنى مألوه له .

وأصـل لفظ « الله » على هـذه الأقـوال الخمسة إلاه ، كفعال ، تصرف فيه على نحـو ما ذكرنا أولا .

(سادسا) أنه ماخوذ « من لاه يلوه لوها » جاء فى اللسان «وحكى عن بعضهم : لاه الله الخلق يلوههم ، خلقهم ، وذلك غير معروف »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(سابعا) أنه ماخوذ من « لاه يليه ليها » إذا استتر واحتجب ، أو إذا علا وارتفع ، وهـو — تعالى — الذى لا تدركه الأبصار ، والمرتفع عن إدراك العقول . وأصله على هذين القولين ـ السادس والسابع ـ « لوه » أو « ليه » على وزن فعل ، بفتح الفاء ، وسكون العين فقلبت الواو أو الياء ألفا تخفيفا ، فصار « لاه » فأدخلت أل ، وأدغمت اللام فى اللام ، فصار « الله » .

(ثامنا) أنه مأخوذ من « وله » كورث ووجل ووعد ، إذا فرح ، أو إذا طرب ، أو إذا تحير . وأصله على هـذا « ولاه » كفعال ، فقلبت الواو همـزة ، كما قالوا للوشاح إشاح ، وللوجاح — وهو الستر — إجاح ، فصار « إلاه » وأدخلت أل ، ثم جرى عليه من التصريف ما ذكرنا .

هذه خلاصة محررة لمجموع الأقوال التى قيلت فى أصل هذا اللفظ الكريم واشتقاقه ؛ وقد ذكر صاحب القاموس أنهم اختلفوا فيه على عشرين قولا ، وذكر صاحب تاج العروس أنهم اختلفوا فيه على أكثر من ثلاثين قولا .

وقد رجح بعضهم من هذه الأقوال الثمانية القول الأول ، وهو أنه من « إلاه » كفعال وبنى هذا الترجيح على كثرة دورانه فى الكلام ، واستعماله فى المعبود بحق ، وإطلاقه على الله تعالى .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٥ — الفرق بين لفظى الاله والله :

اختلفوا فى الفرق بين لفظى الاله والله ، فقال السيد هما علم لذاته ، إلا أنه قبل الحذف قد يطلق على غيره تعالى ، وبعده لا يطلق على غيره سبحانه أصلا .

وقال السعد : إن الاله اسم لمفهوم كلى ، هو المعبود بحق ، والله علم لذاته تعالى .

وقال الرضى : هما قبل الادغام وبعده مختصان بذاته تعالى ، لا يطلقان على غيره أصلا ؛ إلا أنه قبل الادغام من الأعلام الغالبة ، وبعده من الأعلام الخاصة .

وجاء فى اللسان فى الكلام على مادة إله « فاذا قيل الاله ، انطلق على الله سبحانه ، وعلى ما يعبد من الأصنام ، وإذا قلت الله ، لم ينطلق إلا عليه سبحانه وتعالى » .

وقال الخليل : « أطبق جميع الخلق على أن قولنا الله مخصوص بالله سبحانه وتعالى ، وكذلك قولنا الاله مخصوص به سبحانه وتعالى ، وأما الذين كانوا يطلقون اسم الاله على غير الله ، فانما كانوا يذكرونه بالاضافة ، كما يقال : إله كذا ، أو ينكرونه ، فيقولون : إله ، كما قال تعالى خبرا عن قوم موسى : « اجعل لنا إلها ، كما لهم آلهة » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٦ — خواص :

أطال الصوفية وغيرهم فى ذكر خواص هذا الاسم الكريم ، وخواص حروفه الشريفة ، وأكثروا من ذلك إكثارا عظيما ، وأتوا فيه بما نستطيع أن نفهمه ، وبما لا نستطيع أن نفهمه .

ولما كان موضوع بحثنا يقتضينا أن نذكر طرفا من ذلك ، آثرنا أن نورد شيئا من هذا تمشيا مع ضرورة وفاء البحث حقه .

فما قالوا فى خواص الاسم الكريم ، أنك إذا دعوت الله بالرحمن ، فقد وصفته بالرحمة دون القهر ، وإذا دعوته بالعليم ، فقد وصفته بالعلم دون القدرة ، وأما إذا قلت : يا ألله ، فقد وصفته بجميع الصفات .

ومنها أنك إذا قلت فى كلمة الشهادة : أشهد أن لا إله إلا الرحمن ، أو إلا الرحيم ، أو إلا الملك ، أو إلا القدوس ، لم يكف ذلك فى دخول الاسلام ، أما إذا قلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، فانه يكفى ، لاختصاص هذا الاسم بهذه الخاصية الشريفة .

ومما قالوه فى خواص حروفه : أن الألف مشتق من الالفة والتأليف ، ألف الله به جميع خلقه على توحيده ومعرفته بأنه إلههم وموجدهم ، وخالقهم ورازقهم ، قال تعالى « لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم » .

واللام الاولى إشارة الى الملك ، قال تعالى :

« لله ما فى السموات وما فى الأرض » وقال : « لله الأمر من قبل ومن بعد » وقال : « قل لمن ما فى السموات والأرض ؟ قل : لله » .

واللام الثانية إشارة الى لام الملك ، قال تعالى :

« له الملك لا إله إلا هو » وقال « له ملك السموات والأرض وما بينهما » وقال « قوله الحق ، وله الملك » .

والهاء هى هاء الاشارة الى مطلق وجود الحق ، وإثبات وحدانيته ، وإحاطته بجميع الأشياء كلها علما وإرادة وقدرة وملكا ، وذلك بعد حذف الألف واللامين ، قال تعالى : « هو ربى لا إله إلا هو » وقال : « إنما هو إله واحد » وقال « هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم » وغيرها وغيرها من الآيات .

هذا أول بحث نبدأ به موضوع « أعلام القرآن » ورجاؤنا فى الله الكريم أن يمدنا بالعون ، ويكلأنا بالتوفيق ، وأن يصرف عنا عوامل التثبيط والتعويق

فكرى يس
المدرس بالازهر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الفقه الاسلامي

والنقول عليه

—

المصادر :

(١) دائرة المعارف للعلامة محمد فريد وجدى
(٢) تاريخ الكنيسة للعلامة الالمانى « موسهيم »
(٣) تاريخ العرب لسيد يو
(٤) القضاء فى الاسلام لعارف الكندى
(٥) محاضرة فى الحقوق للاستاذ سعيد الغزى
(٦) فجر الاسلام للاستاذ أحمد أمين
(٧) مجموعة رسائل للاسفرنكانى من علماء ما وراء النهر
(٨) الأم للامام الشافعى

ادعى بعض الباحثين أن الفقه الاسلامى تأثر بالقانون الرومانى ، واستمد منه ، ونقل عنه إما مباشرة ، أو عن طريق التلمود الذى أخذ كثيراً من هذا القانون .

واستدلوا على هذه الدعوى بالأدلة الآتية :

١ — إن اتصال المسلمين باليهود مكنهم من الأخذ ببعض أقوال التلمود .

٢ — وإن المقارنة بين بعض أبواب الفقه وبعض أبواب القانون الرومانى تقنع هؤلاء الباحثين بأن هذا الفقه نقل عن هذا القانون ، وأن هنالك قواعد نقلت من القانون الرومانى بنصها . مثل : « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » .

٣ — وإن كلمة الفقه والفقيه استعملتا وفقا لمعنى الكلمة المستعملة عند الرومان ؛ فهم يستعملون كلمة « Juris » وهى تدل على الفهم والمعرفة والحكمة .

٤ — وإنه كان فى الشام مدارس للقانون الرومانى عند الفتح الأسلامى ، وكان هنالك محاكم تسير فى نظامها وأحكامها حسب القانون الرومانى ، واستمرت هذه المحاكم فى البلاد بعد الاسلام زمنا طويلا ، وقوم كالعرب حين الفتح لم يأخذوا من المدنية بحظ وافر إذا فتحوا بلادا ممدينة نظروا ماذا يفعلون ، وبم يحكمون ، ثم اقتبسوا من أحكامهم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإذا واجهنا هذه الدعوى وأدلتها بالحق ، وجدناها غير صحيحة ، ومنقوضة بأدلة كثيرة نلخص منها ما يلى :

١ — إن الفقه الاسلامى أصوله مدونة ، ومصادره معروفة ، وهى : الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس . فلا يصح أن يقال فيه ، بعد ذلك ، وبعد أن بينت طرق الاستنباط من هذه الأصول ووجوه القياس عليها ، أنه فقه استمد من غيره ، أو نقل عن سواه .

٢ — إن التاريخ أحصى العلوم التى أخذها العرب عن غيرهم من الأمم ، ولم يذكر أن الفقه الاسلامى أخذ شيئا عن القانون الرومانى ، أو عن التلمود ، أو غير ذلك .

٣ — إن العلوم التى نقلت عن اللغات الأجنبية بقيت عليها مسحة من العجمة ، وفى ألفاظها مفردات غريبة عن اللغة العربية ؛ أما الفقه الاسلامى فهو عربى فى مفرداته وتراكيبه ، وإذا وجد فيه لفظ غريب فهو كما يوجد فى العلوم العربية البحتة كالادب مثلا .

٤ — لو كان الفقه الاسلامى استقى من القانون الرومانى لتسرب إليه شيء من الخزعبلات التى كانت تجرى فى مواطن هذا القانون كمثل محاكمة الحيوان والحكم عليه بالنفى أو بالتعذيب أو بالصلب ، وكمثل نبش قبور الموتى ومحاكمتها وإصدار الأحكام عليها ، وهذا ماتعالى الفقه الاسلامى عنه علوا كبيرا .

٥ — إن كلمة الفقه فى أصل اللغة العربية معناها العلم بالشيء والفهم له ، ثم غلبت على معنى العلم بالدين والفهم له ، وفى هذا المعنى استعملها القرآن الكريم قبل امتزاج العرب بالرومان ، فقال تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين » ثم غلبت هذه الكلمة على « علم التشريع » لأنه يتطلب فقها فى الدين ومعرفة بالكتاب والسنة ؛ وهذا شأن العرب فى أسماء العلوم ، تكون الكلمات عامة ثم تخصص

٦ — لم يعثر على أى إشارة من فقيه من فقهاء المسلمين إلى القانون الرومانى على سبيل النقد أو التأييد أو الاقتباس أو غير ذلك ؛ فلو كان الفقه الاسلامى استمد من القانون الرومانى لوجد لفقيه مسلم ولو كلمة أو إشارة فى هذا الفقه إلى هذا القانون .

٧ — إنه لو كان الفقهاء تأثروا بالقانون الرومانى لكان اولى الناس بالتأثر بهذا القانون الامام الاوزاعى ؛ فلقد عاش فى بيروت - موطن أكبر مدرسة رومانية فى الشام — وكان أكبر فقيه فيها ؛ ولكنه لم يتأثر مطلقا بهذا القانون . ويدل القدر المنشور فى الجزء السابع من كتاب الأم من مذهبه انه كان من أهل الحديث ، وهى أبعد مظنة من التأثر بالقانون الرومانى .

٨ — إن وجود قواعد فى القانون الرومانى وهى بعينها فى الفقه الاسلامى ، ووجود تشابه فى بعض الأحكام والأبواب من الفقه الاسلامى وهذا القانون ، يدل على أن القانون الرومانى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هو الذى أخذ من الفقه الاسلامى ، وأن الشريعة الاسلامية هى التى أمدت هذا القانون ، وصيرته على الحالة التى هو عليها الآن .

فلقد كان القانون الرومانى مشوشا معقدا ، وعلى أتعس ما يمكن أن يتصوره الانسان كما بسط ذلك المؤرخ الالمانى الشهير « موسهيم » فى تاريخ الكنيسة . وبقى على هذه الحال لم يتغير فى أساسه تغيرا يذكر الى أواسط القرن الحادى عشر الميلادى ، أى بعد ظهور الاسلام بأربعة قرون ونصف .

وفى أوائل القرن الحادى عشر وجد هربرت الفرنسى — المعروف بين الأحبار الرومانيين بسلفستر الثانى « البابا » الذى جلس على كرسى مارى بطرس لغاية سنة ١٠٢٤ ميلادية — مع إخوان له من أنصار العلم والحق معا يتلقون العلوم فى مدارس الاندلس الاسلامية ، وفى جملتها الفقه الاسلامى المأخوذ من منابعه الاربعة : الكتاب ، والسنة ، والقياس ، والاجماع ؛ وكانوا يترجمون دروسهم الى لغتهم ؛ وبسبب رداءة الحقوق عندهم فكروا فى أن ينقلوا مايلائمهم ويوافق محيطهم من أحكام الفقه الاسلامى . وأقنعوا ملوك الجهة الجنوبية من بلادهم بضرورة ذلك ؛ وبعد أن اتفق رأيهم على ذلك اشترطوا عدم عزو المأخوذ عن الفقه الاسلامى اليه خوفا من نفرة العامة من المسيحيين الذين كانوا ينفرون من كل شىء مصدره الاسلام مهما كان حسنا ونافعا ؛ ومن أجل ذلك أجمعوا على تسمية ماياخذونه عن الفقه الاسلامى باسم : « الشرائع الرومانية » « أو القانون المدنى » « أو القانون الرومانى » وأن يعزوه لعلماء الحقوق منهم كنتيجة لبحثهم ودرسهم .

وهذه الحقائق ثابتة من مصدرين أحدهما شرقى اسلامى ؛ وثانيهما غربى غير اسلامى .

فأما المصدر الشرقى الاسلامى فقد جاء فى « مجموعة رسائل فى شوارد المسائل » للعالم الباحث « مفضل الاسفرنكانى » من علماء ما وراء النهر : أن أبا الوليد محمد بن عبد الله نقل فى تعليقاته على النهاية شرح الهداية : أن طلبة العلم من الافرنج الذين كانوا يسافرون إلى غرناطة بالاندلس لطلب العلم اهتموا كثيرا بنقل « الفقه الاسلامى » الى لغتهم ليستعملوه فى بلادهم لرداءة الأحكام فيها خصوصا فى المائة الرابعة والخامسة من الهجرة ، وقد دونوا الفقه الاسلامى كاملا وحوروه الى ما يوافق بلادهم .

وأما المصدر الغربى غير الاسلامى ، فقد قال العلامة المؤرخ الالمانى الشهير « موسهيم » فى تاريخ الكنيسة فى كلامه عن القرن العاشر الميلادى : إن هربرت السالف الذكر كان مدينا بمعرفته لكتب عرب الأندلس ومدارسهم ، لأنه مضى الى اسبانيا فى طلب العلم وكان تلميذ علماء العرب فى قرطبة واشبيلية وأثرت سفرته فى الأوربيين المتشوقين للعلم ، فقد كان لهم من ذلك الوقت فصاعدا رغبة عظيمة فى أن يقرأوا ويسمعوا علماء العرب الساكنين فى اسبانيا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وبعض نواحى ايطاليا وترجموا كثيرا من كتبهم الى اللاتينية ؛ فعرب اسبانيا هم أصل وينبوع كل معرفة بزغت فى أوربا فى القرن العاشر فصاعدا ؛ وإن علم القوانين هو من أهم التعاليم والمعارف التى اشتهرت فى أوربا فى تلك الأوقات ، وإن ما أخذوه من القوانين المدنية والأحكام القضائية من الفقه الاسلامى هو مااقتبوه بالقوانين المدنية الجديدة الرومانية ، أوالقانون الرومانى .

فظهر من هذا أن دعوى « سانتلانا » و « جولد زيهير » وغيرهما بان الفقه الاسلامى استقى من القانون الرومانى هى دعوى غير صحيحة ، وأن الفقه الاسلامى هو الذى أمد القانون الرومانى وصيره على ما هو عليه الآن .

السيد عفيفى
بمحكمة مصر الشرعية

اعرف الشر ولا تعمل به

قيل لعمر بن الخطاب : إن فلانا لا يعرف الشر . قال ذلك احرى أن يقع فيه .

وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب فقال : كان والله له فضل يمنعه من أن يخدع ، وعقل يمنعه من أن يخدع

وقال اياس : لست بخب ، والخب لا يخدعنى .

وكان عامر بن عبد الله بن الزبير فى غاية الفضل والدين ، وكان حسن الظن بالناس ؛ فبينما هو جالس بالمسجد إذ أتى بعطائه فنسيه ، وهو منصرف الى منزله ؛ فلما صار فى بيته ذكره فقال لخادمه اذهب الى المسجد فأتنى بعطائى ؛ فقال له الخادم وأين نجده ؟ قال سبحان الله وبقى احد يأخذ ماليس له ؟

وقال أبو أيوب : من أصحابى من أرتجى بركة دعائه ، ولا أقبل شهادته .

قال ابن عبد ربه صاحب العقد : وكانوا يستحسنون الحنكة للفتى والصبوة للحدث ، ويكرهون الشيب قبل أوانه ، ويشبهون ذلك بيبوس الثمرة قبل نضجها ، وأن ذلك لا يكون إلا من ضرر فيها ؛ فأمتع الاخوان مجلسا ، وأكرمهم عشرة ، وأشدهم حذقا ، وأنبههم نفسا من لم يكن بالشاطر المتفتك ، ولا الزاهد المتنسك ، ولا الماجن المتطرف ، ولا العابد المتقشف

قال الشاعر :

وفتى وهو قد أناف على الخمـ ـسين يلقاك فى ثياب غلام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أسواق العرب

ومجتمعاتهم الأدبية

تقضى طبيعة الاجتماع البشرى أن يكون للعرب — كغيرهم من الناس — مجتمعات عامة ، يتبادلون فيها مصالح الحياة ؛ فكانت الأسواق مظهرا لتلك المجتمعات ، وكانت مكة المكرمة لما لها من القداسة الدينية ، موطنا لتلك الأسواق التى جعلتها موردا تجاريا خصبا تؤمه القبائل للارتفاق والمبايعة ؛ وكانت هذه التجارة محدودة فى دائرة ضيقة تبعا للبيئة الطبيعية والاجتماعية ووسائل التبادل ، فلم تكن تلك الأسواق لتقوم على هذا الغرض المادى المحدود ، بل إن الطبيعة العربية استطاعت أن تضيف لها غرضا آخر أعطاها أهمية ، وأكسبها نشاطا وحياة قوية ، ذلك أن أصارتها مجتمعات أدبية عامة ، فاذا قدمت القبيلة السوق كان فى مقدمتها شعراؤها الذين يذيعون مفاخرها ، ويباهون بأحسابها ، وخطباؤها الذين ينافحون عنها ، ويعظمون شأنها وينشرون مجدها ، وعندئذ تثور العصبيات ويتقاول الشعراء والخطباء ، ويتغلب الأدب على التجارة ؛ ولذلك كانت تلك الأسواق مصدر ثروة أدبية عظيمة ، نستطيع بسببها أن نسميها « مدارس أدبية » كان لها أثر كبير فى تهذيب الأدب وتنقيحه ، وتوجيهه وجهة فكرية عامة الأغراض والمقاصد .

ومن أهم تلك المجتمعات العامة وأبلغها أثرا ، وأكثرها فائدة للأدب « سوق » عكاظ » التى كانت أعظم أسواق العرب ، يؤمها كبارهم وصغارهم ، سادتهم وسوقتهم ، يتبادلون فيها السلع للمتاجرة ، ويتبارون ببليغ القول للمفاخرة ؛ وكانت كل قبيلة ترد عكاظ تعد لها من القول عدتها ، وتذكر من الفخار مايرفع بين العرب شأنها ، وكان فحول الشعراء يردونها ليعرضوا أشعارهم على المحكمين من مقدميهم ، فيروى عنهم مايقولون ، ويتخذ طريقه الى القلوب فيعلق بها ويشتهر ، ولعل هذا هو السبب فى تسمية القصائد العشر المشهورة المعلقات ؛ وأما رواية كتابتها فى القباطى بماء الذهب وتعليقها على الكعبة ، فلا يسلمها حذاق النقاد من أئمة الأدب ، قال أبو جعفر النحاس : « إن الرواة لا يعرفون هذا ، وأول من جمعها حماد الراوية ، وسماها المشهورات ». وقد مال الى مذهب التعليق على الكعبة ابن خلدون وابن رشيق ، وصرح به ابن عبد ربه فى كتاب العقد الفريد حيث قال : « وبلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت الى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة وعلقتها بأستار الكعبة » .

وقد لفق البغدادى فى « خزانة الأدب » بين المذهبين فقال : « ومعنى المعلقة أن العرب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كانت فى الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر فى أقصى الأرض فلا يعبأ به ، ولا ينشده أحد حتى يأتى مكة فى موسم الحج فيعرضه على أندية قريش ، فاذا استحسنوه روى ، وكان فخرا لقائله ، وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر اليه ، وإن لم يستحسنوه ، طرح ، ولم يعبأ به وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت فى القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، ولذلك يقال مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره » .

ومما يؤيد ما ذهبنا اليه ما يقوله أبوالفرج فى الأغانى عن قصيدة عمرو بن كلثوم : وبنو تغلب تعظمها جدا ويرويها صغارهم وكبارهم حتى هجوا بذلك . قال بعض شعراء بكر بن وائل :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم ياللرجال لفخر غير مشئوم

ومهما يكن ، فان التنافس الأدبى جعل « عكاظ » قبلة الشعراء ، وجعل للشعر مكانة لم تكن له من قبل ، ففى « عكاظ » نفق الأعشى بنات المحلق بمدحته . روى ابن رشيق فى « العمدة » أن الأعشى قدم مكة وتسامع الناس به ، وكانت المحلق امرأة عاقلة ، فقالت له : إن الأعشى قدم وهو رجل مفوه مجدود فى الشعر ، ما مدح أحدا إلا رفعه ، ولا هجا أحدا إلا وضعه ، فلو سبقت الناس اليه ، فدعوته الى الضيافة ، لرجوت لك حسن العاقبة ؛ فسبق اليه المحلق فأنزله ونحر له ، وذكر له بناته فقال الأعشى : كفيت أمرهن ؛ فاصبح بعكاظ ينشد قصيدته :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بى من سقم وما بى معشق

ورأى المحلق اجتماع الناس فوقف يستمع وهو لا يدرى أين يريد الأعشى بقوله الى ان سمع :

نفى الذم عن آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراق تفهق
ترى القوم فيها شارعين وبينهم مع القوم ولدان من النسل دردق
لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق
رضيعى لبان ثدى أم تحالفا بأسحم داج عوض لا نتفرق
ترى الجود يجرى ظاهرا فوق وجهه كما زان متن الهندوانى رونق

فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون الى المحلق يهنئونه ، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه يخطبون بناته لمكان شعر الأعشى .

وذكر أبو بكر الباقلانى فى كتاب « اعجاز القرآن » أن النبى صلى الله عليه وسلم حضر « عكاظ » وسمع فيها كلام قس بن ساعدة ؛ فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن وفد عبد القيس لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيكم يعرف قس بن ساعدة ؟ قالوا :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كلنا يعرفه يارسول الله ، قال لست أنساه بعكاظ إذ وقف على بعير له أحمر فقال : « أيها الناس اجتمعوا ، وإذا اجتمعتم فاسمعوا ، وإذا سمعتم فعوا ، وإذا وعيتم فقولوا ، وإذا قلتم فاصدقوا »

وروى المرزبانى فى « الموشح » : أن النابغة الذبيانى كان تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، فأنشده الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير ، ثم أنشده حسان بن ثابت الانصارى :

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال له النابغة : أنت شاعر ، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك . قال أبو بكر الصولى : فانظر الى هذا النقد الجليل الذى يدل عليه نقاء كلام النابغة ، وديباجة شعره .

وفى الأغانى أن الخنساء أنشدت النابغة بعد الأعشى — وكان عنده حسان — قولها :

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار
وان صخرا لمولانا وسيدنا وإن صخرا إذا نشتو لنحار

فقال النابغة : لولا أن أبا بصير أنشدنى قبلك لقلت إنك أشعر الناس ، أنت والله أشعر من كل ذات مثانة ، قالت : والله ومن كل ذى خصيتين ، فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها ، قال : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول : لنا الجفنات الغر الخ .

تحكيم النابغة بين الشعراء فى عكاظ مما أجمع عليه الرواة وأئمة الأدب ، وقصته مع حسان والخنساء والأعشى مشهورة ، ولكن كتب الأدب ترويها بروايات مختلفة « كما وكيفية » وبعض النقاد يتشكك فيها ، قال قدامة بن جعفر فى كتاب « نقد الشعر » : ثم إنى رأيت هؤلاء فى وقت آخر يستحسنون ما يردون من طعن النابغة على حسان بن ثابت رضى الله عنه فى قوله : لنا الجفنات الغر الخ وذلك أنهم يرون موضع الطعن على حسان فى قوله « الغر » وكان ممكنا أن يقول « البيض » لأن الغرة بياض قليل فى لون آخر غيره ، وقالوا : فلو قال « البيض » لكان أكثر من « الغر » وفى قوله « يلمعن الضحى » لو قال « بالدجى » لكان أحسن ، وفى قوله « وأسيافنا يقطرن من نجدة دما » قالوا : ولو قال « يجرين » لكان أحسن ، لأن الجرى أكثر من القطر ، فلو أنهم يحصلون مذاهبهم لعلموا أن هذا المذهب فى الطعن على شعر حسان غير المذهب الذى كانوا معتقدين له من الانكار على مهلهل ، والنمر ، وأبى نواس ، لأن المذهب الأول إنما هو لمن أنكر الغلو ، والثانى لمن استجاده ، فان النابغة « على ما حكى عنه » لم يرد من حسان إلا الافراط والغلو ، وعلى أن من أنعم النظر علم أن الرد على حسان « من النابغة كان أو من غيره » خطا وأن حسانا مصيب .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فانت ترى قدامة فى كلامه لا يثق برواية الطعن من النابغة على شعر حسان ، ويشير الى ضعفها فى موضعين من كلامه ، ثم هو شديد الحرص فى الدفاع عن شعر حسان لا تأييدا لمذهبه فى استجادة الغلو والأفراط فى المبالغة ، لأن شعر حسان ينقضه ، ولكن ردا على منكرى ذلك استمسا كا بنقد النابغة .

ولو نظرنا الى القصة كما ترويها كتب الأدب لكان فى اختلاف الروايات ، والتزيد الذى يلجأ اليه بعض الرواة ، وإضافة التعليلات المنطقية الى النابغة ما يدعو الى الشك فى صحة هذا الاستيعاب ، والتحليل الجزئى فى البيت مما لم يعهد فى السليقة العربية مثله ، ثم إن هؤلاء الرواة يذكرون أن النابغة قال لحسان : قللت جفنانك مع أن سيبويه ، وهو إمام العربية ، استدل ببيت حسان نفسه على أن الجمع بالتاء قد يراد به الكثرة . وعبارته فى « الكتاب » وقد يجمعون بالتاء وهم يريدون الكثير . قال الشاعر :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فلو كان هذا النقد صدر من النابغة وهو من أفصح من مضغ الشيح والقيصوم ، لما ساغ لسيبويه أن يستدل بالبيت على أن الجمع بالتاء قد يراد به الكثرة دون أن ينبه على قلته أو شذوذه أو يبين مخرجه . على أن بعض الأدباء يروى هذا النقد المنسوب الى النابغة عن بعض شيوخ الأدب ، فابن الأثير يقول فى كتاب « المثل السائر » : ووجدت أبا بكر محمد بن يحيى المعروف بالصولى قد عاب على حسان بن ثابت رضى الله عنه قوله : لنا الجفنات الغر الخ ، وقال : إنه جمع الجفنات والأسياف جمع قلة وهو فى مقام فخر ، وهذا مما يحط من المعنى ، ويضع منه ، وقد ذهب الى هذا غيره أيضا ، وليس بشىء ، لأن الغرض إنما هو الجمع ، فسواء أكان جمع قلة أم جمع كثرة .

وهذا القول من ابن الأثير ظاهر جدا فى أن الصولى هو العائب على حسان ، وليس للنابغة ذكر ، وليس ابن الأثير مما يظن به عدم الاطلاع والتحصيل ، وأيما كان فالشك إنما يتجه الى تفاصيل القصة ، أما أصلها فلا وجه للشك فيه ، لأن الرواة مجمعون على تحكيم النابغة بين الشعراء فى عكاظ ، فليس ببعيد أن يفضل النابغة شاعرا على شاعر ، وأن يبين عيوب بعض الشعر الذى يعرض عليه ويعلل ذلك تعليلا يتفق مع السليقة العربية ، بل لا بد أن يكون قد وقع شىء من ذلك ، وإلا فما معنى هذا التحكيم الذى أجمع عليه الرواة ؟ والذى يقرب أن يكون صحيحا من روايات القصة ما رواه أبو على القالى فى أماليه حيث قال : « جاء حسان ابن ثابت رضى الله عنه الى النابغة فوجد الخنساء حين قامت من عنده ، فأنشده قوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فقال : إنك : لشاعر ، وإن أخت بنى سليم لبكاءة . وقد يدل اختلاف الشعر على تعدد القصة ، كانت عكاظ منشأ نهضة أدبية أفاد منها الأدب العربي شيئا كثيرا ، وكان الى جانبها أسواق أخرى لم يكن لها ولا سيما من الناحية الأدبية ما كان لعكاظ ، فقد كانت أكبر أسواقهم وأعظم مجتمعاتهم ، وأحفل أنديتهم بالأدب وما يدور حوله من نقد وتحبيذ مما لو تتبعه الرواة وألفوا منه وحدة لكان منه أسفار من العلم والأدب وقوانين النقد . قال أبو الحسن حازم الأنصارى فى كتابه « المناهج الأدبية » : لم تكن العرب تستغنى بصحة طباعها عن تسديدها وتقويمها باعتبار معانى الكلم بالقوانين المصححة لها وجعلها ذلك علما تتدارسه فى أنديتها ، ويستدرك به بعضهم على بعض ، وقد نقل الرواة فى ذلك الشيء الكثير ، لكنه مفرق فى الكتب لو تتبعه متتبع متمكن من الكتب الواقع فيها ذلك لاستخرج منه علما كثيرا موافقا للقوانين التى وضعها البلغاء فى هذه الصناعة .

صادق ابراهيم عرجون

فى الموعظة الحسنة

قال حكيم : السعيد من وعظ بغيره . وهو لا يريد من وعظه غيره ، ولكنه يريد من راى سوء أثر المعاصى على غيره ، فاعتبر بها فى نفسه .

وقال الحسن البصرى : اقرعوا هذه النفوس فانها طلعة ، وحادثوها بالذكر فانها سريعة الدثور ، وأعصوها فانها إن أطيعت برعت فى الشر .

وكان يقول عند ختم مواعظه : يالها من موعظة لو صادفت من القلوب حياة .

وكان ابن السماك يقول إذا فرغ من كلامه : ألسن تصف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تخالف .

وقال حكيم : الكلمة إذا خرجت من القلب ، وقعت فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .

يريد بهذا أن يقول أن فاقد الشيء لا يعطيه ، فمن كان يامر بالمعروف ولا يأتمر به ، وينهى عن المنكر ولا ينتهى عنه ، لا يكون لقوله وقع فى نفس السامع .

ولكن زيادا يخالف ما تقدم فقد قال : أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا ، أن تنتفعوا باحسن ما تسمعون منا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاءات الآتية :

تربية الكلاب

١ — هل يجوز تربية الكلاب لحراسة الدار وغيرها أو لا يجوز ؟

٢ — هل إذا لحس الكلب أحدا أو مسه وهو مبلول بالماء أو غيره ، ولم يغسل محل اللحس والمس مقلدا للامام مالك رضى الله عنه فى طهارته وطهارة ريقه ، ويتوضأ ثم يصلى ، ولم يراع مذهب الامام مالك ، بل يتوضأ ويصلى على مذهب الامام الشافعى ، ويقلد من يجوز التلفيق فى القضيتين فى التقليد ، هل يجوز ذلك أو لا يجوز ؟

٣ — هل قول الامام مالك بطهارة الكلب مخالف لدين الاسلام ، وخارج عنه أو لا ؟

راج كلنتين رئيس المجلس الدينى بعاصمة
حكومة كلنتين كوتابهارو

الجواب .

١ — تربية الكلاب واتخاذها لمنفعة شرعية كالصيد وحراسة الدور وغيرها جائز شرعا فقد جاء فى صحيح مسلم وسنن ابن ماجة وأبى داود والنسائى أن النبى صلى الله عليه وسلم رخص فى كلب الغنم والصيد والزرع .

٢ — تلفيق المصلى فى الحادثة المسئول عنها ، وأخذه من كل مذهب شيئا من أحكامه فيها جائز على الراجح من مذهب الامام مالك رضى الله عنه .

٣ — مسألة طهارة الكلب من المسائل التى ليس فيها نص قاطع ، بل هى من المسائل الفرعية الاجتهادية التى اختلف فيها الأئمة رضوان الله عليهم . فنهم من رأى طهارة الكلب . ومنهم من رأى نجاسته ؛ وقد ذهب كل منهم الى رأيه لدليل ترجح عنده ؛ فلا يصح أن يعتبر قول الامام مالك بطهارة الكلب خروجا عن الدين ، أو مخالفا للاسلام .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى الوقف

وجاء أيضا من فضيلة الاستاذ الشيخ موسى البديرى خادم العلم الشريف بالمسجد الأقصى استفتاء عن بعض ما اشتمل عليه كتاب الوقف الصادر من (محمد بن بدير الشهير بابن حبيش) وأرسل مع هـذا الاستفتاء صورة من كتاب الوقف آنف الذكر . وقال فى استفتائه : إن الواقف مات ، وآل الوقف الآن الى أولاد أولاد أولاده ، الذين هم الطبقـة الثالثة ، وطلب الاجابة عما يأتى :

١ — هل هذا الوقف يعتبر أوقافا متعددة . نظرا لقول الواقف فيه (ثم من بعد كل واحد من ذكور أولادى لو مات يـكون نصيبه لولده ذكرا كان أو أنثى ، وحينئذ فنقض القسمة إنما يكون بموت كل طبقة من فروع كل ابن) ؟

٢ — كيف تقسم غلة هذا الوقف على الطبقة التى آل اليها الوقف الآن ؟ وهل فى كتاب الوقف ما يستدل منه على أنه إذا مات أحد من أولاد الذكور الموقوف عليهم عن ولد يعطى نصيبه لولده ، أو ليس فيه ما يدل على ذلك ، فيرد نصيب المتوفى الى أصل الغلة ، ويوزع على بقية المستحقين الى أن تنقرض الطبقة ، وتستأنف القسمة ؟ وهل إذا استؤنفت القسمة يقسم الريع على الأحياء والأموات ، فما أصاب الحى أخذه ، وما أصاب الميت أخذه ولده ؟

٣ — إن الواقف بعد أن صدر منه هذا الوقف ، وقف منقولات بكتاب وقف آخر وقد جاء فى هذا الـكتاب شروط أخرى لم ترد فى الـكتاب الاول ، وقال الواقف : إنها تجرى على الوقف الأول ، لأنه كان ينويها حين وقف ؛ فهل يعمل بتلك الشروط فى الوقف الأول عملا بنيته ؟

الجواب :

تبين من الاطلاع على كتاب الوقف أن الواقف جعل وقفه على نفسه ، ثم من بعده على أولاده ذكورا وإناثا . للذكر مثل حظ الأنثيين ، على أن من يموت من أولاده الذكور يـكون نصيبه لولده ، الى أن ينقرض أولاده لصلبه جميعا ، فيكون الوقف مصروفا ريعه الى أولاد أولاده الذين ينتمون الى الواقف بمحض الذكور ، للذكر مثل حظ الانثيين ، ثم إذا انقرضت هذه الطبقة التى هى طبقة أولاد أولاده ، كان وقفا على أولاد أولاد أولاده بالشرط المذكور ، وحينئذ يـكون الوقف فى الطبقة الثالثة التى آل إليها الوقف الآن وقفا واحدا لا تعدد فيه ، موزعا بجملته على أولاد أولاد أولاده .

أما ما جاء فى كتاب الوقف من قول الواقف (ثم من بعد انقراض أولادى لصلبى ذكورا وإناثا يـكون وقفا على أولاد أولادهم) فضمير الجمع المضاف إليه كلة أولاد خطا صوابه ياء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المتكلم حتى تكون العبارة (يكون وقفا على أولاد أولادى) بدليل ما جاء فى كتاب الوقف بعد ذلك من قوله : (ثم إذا انقرضت هذه الطبقة التى هى طبقة أولاد أولادى) .

وأما ما أشار إليه المستفتى فى السؤال من أن الوقف من قبيل أوقاف متعددة ، كل نصيب ابن منه بمنزلة وقف على حدة ، لقول الواقف فيه (ثم من بعد كل واحد من ذكور أولادى لو مات يكون نصيبه لولده ذكرا كان أو أنثى . الخ ، لأن لفظ كل يقتضى التعدد) فلا أثر له فيما نحن بصدده من توزيع الريع بجملته على الطبقة التى آل إليها الوقف الآن التى هى الطبقة الثالثة ، إذ لم يرد فى شأن هذه الطبقة تعبير بلفظ كل التى تقتضى التعدد ، ووجود كلمة كل فى بعض الطبقات السابقة لا يجعل التعدد ساريا على غيرها من الطبقات الأخرى .

وليس فى كتاب الوقف ما يدل على أن من مات من أهل هذه الطبقة عن ولد يكون نصيبه لولده ؛ بل هو ساكت عنه ؛ وحينئذ يعود نصيب من يموت الى أصل الغلة ، الى أن تنقرض هذه الطبقة بموت آخر واحد فيها ، فتنقض القسمة ويستأنف توزيع الريع من جديد على الطبقة التى تليها بالشروط المتقدمة .

وأما توزيع الريع عند نقض القسمة فمقصور على الاحياء من أفراد الطبقة التالية دون الأموات ، إذ لا يوزع الريع على الأحياء والأموات إلا إذا كان فى كتاب الوقف نص يجعل ولد من يموت قبل الاستحقاق قائما مقام أبيه فى الدرجة والاستحقاق ؛ وليس فى كتاب الوقف شىء من هذا .

وأما ما جاء فى كتاب وقف المنقولات من الشروط ، فلا يسرى منه شىء على الوقف الأول ولا عبرة بنية الواقف ما دام الوقف السابق لم يشتمل على شىء من شروطه ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

حسن البديهة

قال الشيبانى : أقام المنصور صالحا ابنه ، فتكلم فى أمر فاحسن . فقال شبيب بن شبة : تالله ما رأيت كاليوم أبين بيانا ، ولا أعرب لسانا ، ولا أربط جاشا ، ولا أبل ريقا ، ولا أحسن طريقا ، وحق لمن كان المنصور أباه ، والمهدى أخاه أن يكون كما قال زهير :

هو الجواد فان يلحق بشأوهما ... على تكاليفه فمثله لحقا

أو يسبقاه على ما كان من مهل ... فمثل ما قدما من صالح سبقا

وخرج شبيب بن شبة من دار الخلافة فقيل له : كيف رأيت الناس ؟ قال رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضيا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة لقمان

— ٥ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « هَذا خَلقُ الله ، فَأَرُونِى مَاذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ » :

من استجلى الآية السابقة « خلق السموات بغير عمد ترونها ، وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ، وبث فيها من كل دابة ، وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم » لم يتردد لحظة فى أن ينطلق لسانه قائلا : هــذا خلق الله . فلا يكاد امرؤ عنده مسكة من فطنة وعقل ، يسرح نظره فى السماء وكواكبها ، والأرض وعوالمها ، وما بينهما من ماء ينزل من السماء فيختلط بأجزاء الأرض ، فتهتز وتربو ، وتنبت من كل زوج كريم إلا ويقر فى نفسه ، ويجزم عقله لأول وهلة فى النظر أن هــذه آثار صدرت عن قوة غيبية لا تحيط بها مداركه وهى تحيط به ، ولا يكتنهها عقله وهى مهيمنة عليه ؛ ومهما جالت به الوساوس ، ولعبت به النزعات ، فلا مناص له أن يعترف من قرارة قلبه فيما بينه وبين نفسه أن هــذه آثار شاهدة بوجود مبدعها وجوداً واجبا ، وأنه هو المسيطر والمهيمن ، وأنه العليم الحكيم ، وأنه على كل شىء قدير ، وأنه الله رب العالمين : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » . وما كان انحـراف النفوس الضالة عن الايمان بالله إلا تخلصا من بطش الله ، وتملصا من تكاليف الله ، وتلمسا للاطلاق الذى تبغى به نيل مشتهياتها وعـدم القيد من حريتها ؛ هــذا أمر فطرى تذعن له النفوس بأصل فطرتها ، ولا يحيد عنه إلا نفس انطفأ نورها ، وعميت بصيرتها ؛ يشرح ذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من قوله :

مجلة الازهر — كان مكان هذه المقالة قبل فصل السنة ولكنها وصلتنا متاخرة فنشرناها هنا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« كل مولود يولد على الفطرة . وإنما أبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » وقوله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم »

من هذا ترى أن قوله تعالى « هذا خلق الله » موقعه مما قبله موقع النتيجة من الدليل ، فاذا ضم اليه قوله : « فأرونى ماذا خلق الذين من دونه » وجدته متمما المراد من الآية الكريمة وهو قطع دابر الشرك ليكمل التوحيد جملة كاملة بالاعتراف بوجود البارى الخالق ، ونفى أن يكون له شريك فى الخلق ، فلا يكون له شريك فى استحقاق العبادة ، وقوله «فأرونى» بعد ما ساق لهم أدلة كلها محسوسة مرئية ناطقة بمدلولها أفصح نطق ، وأوضح دلالة من تسجيل الخزى والتبكيت والافحام بصورة لا تدع لهم مجالا للخلوص ؛ ألا ترى كيف أعرض عنهم ، وصرف الخطاب لغيرهم ، واعتبرهم كأنهم لا شىء ولا وجود لهم ، ولا يستحقون أن يوجه اليهم خطاب بعد أن وصلوا الى هذه الدرجة من الغباء ، فقال معبرا عنهم باسلوب الغيبة « بل الظالمون فى ضلال مبين » .

والاشارة فى هذا لما سبق من خلق السموات بغير عمد وما بعده ، وخلق الله بمعنى مخلوقه ، وكان التعبير عن المخلوق بلفظ الخلق لأنه يتجلى فيه الخلق والايجاد أظهر تجل وأكمله فما كان منها شىء له وجود ما لا بمادته ولا بصورته ، وإنما هى كلها برمتها ناشئة عن خلقه وتكوينه فهى خلق يتجلى فيها الخلق بأكمل معانيه . « وأرونى » أمر من أرى يرى الرباعى . وثلاثيه رأى البصرية لأنها أدخل فى التبكيت ؛ وكأنه يقال لهم : قد ضعفت عقولكم ، وانحطت عن أن تجول فى عالم العقليات ، فها أنذا أدخل بكم فى باب المحسوسات ، وقد أريتكم ما لا مناص لكم عن أن تعترفوا فيه أنه خلق الله ، فأرونى أنتم ماذا خلق غيره حتى أشركتموه معه فى العبادة ؟ ويصح أن تكون من رأى العلمية ، ويكون من باب توسيع المجال أمامهم ، فاذا وجدوا مايحس عرضوه ، وإذا وجدوا ما يقبله العقل ، ولو غير محسوس ، أرشدوا اليه . وقوله : « ماذا خلق » للنحاة فيها وجوه فمنهم من يقول إن ما استفهامية ، وذا اسم موصول خبرها أى ما الذى خلقه الذين من دونه ، والجملة معلق عنها الفعل وهو أرونى . وهذا يتمشى على أن أرى علمية . ومنهم من يقول : إن ماذا كلها اسم استفهامى مفعول مقدم للفظ خلق ، والمعنى على كلا الوجهين : أرونى جواب هذا الاستفهام . وبعضهم يقول : إن ماذا كلها اسم موصول مفعول لأرونى ، وجملة خلق صلته ، والتعبير عن الشركاء المزعومين بالذين ، وهى للعقلاء ، لأنهم لما عبدوهم وألهوهم فقد أعطوهم منزلة العقلاء بل فوق العقلاء ، فالكلام من باب مجاراة الخصم ، وارخاء العنان ، حتى يشعر من نفسه بالخيبة ؛ وقوله « من دونه » أصل كلمة دون للمكان الدانى من الشىء ، أى القريب منه ، استعملت بمعنى المغايرة مطلقا ، ولعل

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فى اختيارها فى هذا المقام زيادة فى التبكيت لهم ، فان الشركاء الذين يزعمونهم أدنى من الخالق هم أحق بأن يروا ، وترى آثارهم ، فكلما كان الشىء أقرب كانت رؤيته ورؤية آثاره أجلى وأوضح .

والمراد بالظالمين هم أولئك المردود عليهم ، وهم مغرقون فى الظلم من عدة نواح : فقد ظلموا الحقائق ، وأعطوا من لا يستحق شيئا ، ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، أعظم منزلة ومكانة ، وظلموا عقولهم إذ أرغموها على عقائد لا تملك عليها حجة ولا بينة ، وظلموا أنفسهم بالتعريض لعذاب المنتقم الجبار ، وظلموا أنبياءهم بالمعاندة والمكابرة ، وظلموا الناس المستضعفين بصدهم عن سبيل الله ، وظلموا من يماثلهم أو يعظم عليهم بنفخ كير الحمية الجاهلية وذكر الآباء ووجوب التمسك بما كانوا عليه ، تمكينا لعزتهم ، وصونا لهم عن التشهير بأنهم كانوا ضالين ، فهم الظالمون وهم الظالمون . ولا ظلم إلا ظلمهم ؛ فلا بدع أن يعبر عنهم بهذا العنوان . وقوله « فى ضلال » يفهم أنهم قد أحاط بهم الضلال ، واستحوذ عليهم واكتنفهم اكتناف الظرف لمظروفه ، فلا ينتظر لهم منه فكاك ؛ تفهم هذا من لفظ فى والعدول عن أن يقال مثلا : بل هم ضالون ، والضلال الحيرة ، فما أطرف وصفه بلفظ مبين . وهو وإن كان بمعنى بين فان اختيار كلمة مبين للاشارة الى أنه قد بلغ من الظهور فى ذاته حدا يجعله كأنه مبين لغيره .

« ولقد آتينا لقمان الحكمة » قد يخفى عليك وجه اتصال هذه الآية بماسبقها ، ولكنك إذا أعطيتها قسطا من التأمل أدركت أن الثانية من الاولى بسبب متين ، ذلك أن الآية الأولى سيقت للتدليل على وحدانيته تعالى وانفراده بوجوب الوجود واستحقاق العبادة ، وأن ذلك من الوضوح وظهور الدلائل بمنزلة لا تسمح لنفس أن تتردد فيه ، والآية الثانية لبيان أن من أهل الفطر السليمة من عقل ذلك ، وهداه نظره السليم وعقله الحكيم الى الاعتراف بوحدانية العزيز الحكيم ، بل الشكر له على ما غمره به من نعم لايد فيها لغيره ، أى فالذى أدعوكم إليه ليس بدعا من الامر بل قبلكم من اهتدى إليه بفطرته ، وعمل على مقتضاه بحكمته وهذا يوافق قول أكثر المفسرين إن لقمان لم يكن نبيا ، وإنما كان حكيما . والحكمة ، وإن تعددت الاقوال فى تفسيرها بالمعنى الاصطلاحى العلمى ، فان المراد منها يكاد يكون جليا وهو الاعتدال فى التفكير والعمل ، أو إتقان الاشياء علما وعملا ، فيكون علمه تابعا لمقتضى التفكير الصحيح الخالى عن الهوى وعن التطوح فى الخيال ، أو التقصير فى الاستدلال ، أو التعلق بالمحال ، ويكون عمله على وفق ما يظهر للعقل الصحيح أنه الحسن الذى لا يشوبه قبح سواء أوافق هواه أم خالفه . وفسرها بعضهم بأنها كمال علمى للنفس الانسانية يحصل لها من اقتباس العلوم النظرية بالفكر الصحيح ، وتسمى الحكمة العلمية ، وعملى يحصل لها من اكتساب الملكة التامة على التزام الافعال الفاضلة على قدر الطاقة البشرية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولقـد كان لقمان معروفا عنـد العرب بحكمته يدور على ألسنتهم كثير من كلماته ، فكان اختياره لهم لأن إذعانهم بفضله أقرب . وينسب إليه من كلام الحكم شيء كثير نقتطف منه طرفا لطرافته .

فمن حكمه : من كان له من نفسه واعظ كان له من الله عز وجل حافظ . من أنصف الناس من نفسه زاده الله بذلك عزا . إياك والدين فانه هم بالليل وذل بالنهار . ارج الله رجاء لايجرئك على معصيته ، وخفه خوفا لا يوئسك من رحمته . لاتكن حلوا فتبلع ولامرا فتلفظ . لتكن كلمتك طيبة ، وليكن وجهك بسطا ، تكن أحب الى الناس ممن يعطيهم العطاء . امتنع بما يخرج من فيك فانك ما سكت سالم ، وانما ينبغى لك من القول ما ينفعك .

ولقد قص علينا القرآن الكريم في الآيات الآتية ما هو أبلغ من هذا وأروع ، وأعظم منه وأنفع ، فلله الحمد في الأولى والآخرة .

وقوله عز وجل : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » :

التعبير بلفظ آتينا لاشعارهم ، حتى في سياق الجدل ، بأنه عز وجل هو المتصرف في الكون وحده لا شريك له ، فكل شيء بأمر منه ، ولا يمكنهم التعلل بمثل أن الله لم يؤتنا ما آتاه . وأمثال ذلك من الترهات ، فما كانوا يستطيعون أن يجحدوا ما وهبهم الله من عقل واختيار ، وأنهم لو وجهوا عقولهم نحو الهدى الذى يدعون اليه لتعرضوا لفيض فضله ورحمته . وقوله (أن اشكر لله) الشكر لب الحكمة وروحها ، به تبتدى واليه تنتهى ، فما كان شيء أجدر بتنبيه العقول والعواطف لعبادة من الشعور بالنعمة التى أفاضها الله عليه وأنها توجب عليه شكر المنعم ، ومهما بذل من جهد وعمل من عمل يقربه الى ربه ويكسبه رضاه فهو سائر فى طريق شكره ، والشكر مقابلة النعمة بما يستحقه المنعم من ثناء وتعظيم . وإذ كان كل ما لدى العبد من نعمة فهو من الله حتى نفسه وحتى قـواه التى بها يشكر وتوفيقه للشكر ، فهو مهما بذل فى سبيل الشكر مقصر عن الشكر ، وفى شعوره بعجزه عن الشكر شكر . وهذه نعمة أخرى تستحق الشكر . ولله در القائل :

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة ... على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الآجال واتسع العمر

وقد عرفوا الشكر بأنه بذل العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله . والذى خلق لأجله هو ما بينته الآية الكريمة : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » وهى مرتبة قلما تتيسر إلا لمن اصطفاه الله من عباده وأمده بتوفيقه ، ولذا قال عز وجل : « وقليل من عبادى الشكور » فان كلمة (جميع) لا تدع شيئا من النعم إلا وهـو مطالب بالشكر من أجله « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقوله : « ومن يشكر فانما يشكر لنفسه » جملة مستانفة لبيان أن الشكر المطلوب وإن كان مما تقتضيه الاريحية والكمال النفسانى ، فانه يقتضيه أمر آخر لا يتوقف على أريحية ولا طيب عنصر ، وهو أن ثمرته عائدة على الشاكر ، فهو المنتفع بالشكر ، وأجره وثوابه عائد عليه ، وأما المشكور فهو أعلى وأسمى من أن ينتفع بشكر الشاكرين أو يتضرر بكفر الكافرين فمن كفر فان الله غنى عن شكره غير محتاج الى شيء منه لا فى جلب نفع ولا فى دفع ضر وهو حميد فى ذاته تثنى عليه آثاره وتنطق بكماله أنواره ، فاذا سكتت ألسنة من أنعم عليهم فقد نطقت ألسن نعمائه وبرزت دلائل آلائه ، وهذا كما قيل :

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

واختيار لفظ المضارع فى يشكر ولفظ الماضى فى كفر لأن صيغة المضارع تدل على تجدد الفعل آنا فآنا ، وهذا شأن الشكر فانه يتجدد بتجدد النعم وهى لا تفتأ تتجدد ، وأما الكفر فهو إعراض مستمر وجحود ساكن ثابت ، فهو من باب الاعدام التى لا تجدد فيها وإنما هى ملازمة لحالة واحدة حاصلة .

وقوله فى جواب الشرط الثانى « فان الله غنى حميد » هو فى اصطلاح علماء العربية دليل الجواب وكأن الجواب هكذا : ومن كفر عاد ضرر كفره على نفسه ولا يلحق الله من كفره شيء فان الله غنى حميد .

نساله جلت قدرته أن يوفقنا لشكره وطاعة أمره ، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه إنه سميع كريم رءوف رحيم ؟

ابراهيم الجبالى

تحملنى أم أحملك ؟

قال محمد بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز : خرجت مع موسى الهادى امير المؤمنين من جرجان ، فقال لى : إما أن تحملنى وإما أن أحملك ، فعلمت ما أراد ، وأنشدته ابيات بن صرمة :

أوصيكم بالله أول وهلة وأحسابكم والبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم وإن كنتم أهل السعادة فاعدلوا
وإن أنتم أعوزتم فتعففوا وإن كان فضل المال فيكم فأفضلوا
وإن نزلت إحدى الدواهى بقومكم فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن طلبوا عرفا فلا تحرموهمو وما حملوكم فى الملمات فاحملوا

قال محمد بن يزيد فامر لى بعشرين ألف درهم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نفحات الاسلام فى أوربا

بدأ الأوربيون يدرسون الاسلام ويعرفون ماهيته ، وشرع كتابهم ينشرون عنه ما تقفهم عليه بحوثهم من سمو الأصول ، وحكمة التعاليم ، من ذلك ما اطلعنا عليه فى العدد الصادر فى ١٧ ابريل من هـذه السنة فى جريدة (لا فليش) التى تصدر فى باريس بتوقيع (مارسيل كابى) والى القراء تعريب ذلك المقال :

« القرآن كتاب موحى به ، وهو يفوق ما عرف من هـذا النوع كثيرا ؛ فان العقيـدة الروحية التى يبثها تصلح أن ينعكس نورها على الحياة الاجتماعية . وهـذا سر قوة الاسـلام وسماحته ووحدته .

« والقرآن باسم الايمان الثابت على وجه الاطلاق ، يحمل الى الناس بدون سفسطات بيانية ، ولا خيالات غير طبيعية ، أصول العدالة ، والنظام الاجتماعى الذى يخضع كل فرد لمراعاة أدب الاجتماع ، ويفرض على الجماعة حماية الأفراد . وهو بهذا الأسلوب يوافق فى جوهره أحدث القواعد الاجتماعية العصرية .

« ليس فى الاسلام قسوس ولا رهابنة ، ولـكن فيه شراحا ومفسرين لـكتابه .

« وكتابه قد نظم حدود حياة كل فرد وحياة المجموع .

« فهو يتناول الانسان من يوم ميلاده ويتتبعه الى يوم وفاته ، مراعيا كل صغيرة وكبيرة من حياته : غذائه ، وطهره ، وصلواته المصحوبة بحركات متناسقة ، وصومه السنوى المطهر فى شهر رمضان ، وزواجه ، وطلاقه ، وواجباته البيتية ، وواجباته الاجتماعية . أى ما يجب على كل فرد للجماعة ، وما يجب على الجماعة لـكل فرد .

« القرآن لا يعنى كثيرا بالدعوة الى التحاب ، لأن الحب عاطفة متقلبة قد تـكون شديدة فى تلهبها ، ولـكنها قد تنطفىء جذوتها بسهولة إذا هبت عليها ريح باردة من قبل المنافع الذاتية .

« ولـكن القرآن يدعو الى الحق والواجب ، ويحتفظ بالحب لله وحده . أما الانسان فيكل أمره للضرورة ، وهو لأجل أن يحل مسألة هذه الضرورة يفرض على كل جماعة بشرية روحا اجتماعية ونظاما سليما من العالى . ولا يوجد نظام اجتماعى سليم إلا بقدر ما تتعادل فيه حقوق الفرد على الجماعة وحقوق الجماعة على الفرد . وفى نظر القرآن أن وجود طـائفة موضوعة فوق الواجبات فى المجتمع ، وأخرى ملفوظة خارج دائرة الحقوق ، يعتبر إنـكارا صريحا للعقد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاجتماعى المقرر . وقد قدس القرآن هذا العقد الاسلامى ، وهذا سر بقائه ونفاذه الى اليوم ، رغما عما اعترى جماعات المسلمين من تقلبات التاريخ .

« فلننظر الآن فى الروح الاجتماعية التى فرضها القرآن على أهله :

« تأمل فى هذا : مائتين وأربعين مليونا من الأنفس تدعى خمس مرات فى اليوم لأداء الصلاة ، فيجيبون داعيها ويتوجهون جميعا صوب مكة ، ويقرءون جميعا عبارات واحـدة ، ويركعون ويسجدون جميعا على نحو واحد ، ويدينون جميعا بعقيدة واحدة ، وشريعة واحدة ، معترفين طرا بالعقـد الاجتماعى الذى يربطهم . وفى وسط هذه الوحـدة اليومية الهائلة يشعر كل واحد بأنه تحت نظر الجميع . لأن حارس العقيدة والشريعة والعقد الاجتماعى هو الرأى العام فى الاسلام .

« فالمسلم على استقلاله المطلق فى حياته الخاصة ، وتفرده بالسلطان فى بيته بحيث لايستطيع أحد أن يرى فيه الوجه العزيز عنده ، هذا المسلم نفسه فى حياته الاجتماعية مكشوف الحال أمام أعين إخوانه أجمعين . ولانكار الرأى العام لشىء من الأشياء قوة لا حد لها فى جماعة المسلمين . فـكل من يناقض هذا الرأى العام ، ويتعدى حدوده ، يعتبر لديهم ملعونا بأشد معانى هـذه الـكلمة .

« لايوجد فى العالم رأى عام له مثل هذا السلطان على الناس ، وهذا السلطان يسرى على المجال الأدبى والمجال الاجتماعى على حد سوى .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

« الاسـلام ليس بمملـكة بالمعنى السياسى لهذه الـكلمة ، ولم يـكنها قط حتى فى عهـد عظمته الأولى ، ولـكنه عقيدة وشريعة ووحدة اجتماعية .

« قلنا ليس فى الاسلام طائفة ممتازة وطائفة مهملة . فان مبدأ التعاون الاجتماعى مفروض على الجميع . فـكل مؤمن مكلف بدفع زكاة عن أمواله للفقراء ، لا بوصف أنها صدقة ، ولـكن باعتبار أنها واجب اجتماعى لا محيص من أدائه . فـكل من يملك ما فوق حاجته من المال يجب عليه أن يدفع حصة منه للجماعة لتسد بها حاجة المحتاجين . فقد حتم القرآن على كل مؤمن أن يدفع عشر دخله للفقراء وعابرى السبيل وفى الرقاب الخ . (كذا)

« من عادات المسلمين أن للسائلين حقا فى طلب المعونة من الذين اعتادوا ان يعطوهم ما يأكلونه أو ما يحصلون به عليه . فاذا أحجم مسلم عن إعطاء سائليه ما اعتاد اعطاءه لهم ، رفعوا أمره الى القاضى ، فلا يسعه إلا أن يحـكم على الغنى بالاستمرار فى أعطياته ، وبدفع ما تأخر منها عنده (١) . وقد دهش الفرنسيون من علمهم بهذه العادة عند احتلالهم للجزائر من بلاد المغرب . وكان الأولى لهم أن يتعلموا منه درسا إنسانيا واجتماعيا .

(١) ليس هذا من الشريعة الاسلامية ، ولـكنه يظهر أنه من العادات المغربية كما يدل عليه ما ذكر بعده .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« وقد عنى الشرع الاسلامى قبل غيره بأمر الملكية الاجماعية . فقد كان لبعض القبائل مساحة واسعة من الأرض . وكل رجل من القبيلة له الحق فى حيازة واستغلال ما يحييه من مواتها ، مادام قادرا على العمل ، فاذا مات ورثها عنه أبناؤه . هذه الأراضى لا تباع ولا تؤجر ولا تستبدل ولا ترهن بأى اعتبار من الاعتبارات . وإذا لم يخلف الفلاح وارثا مباشرا ، أو إذا ترك أرضه بورا ، استردتها القبيلة منه وتصرفت فيها بما تراه .

« ومما هو جدير بالنظر عادة الوقف المسماة بالحبوس .

« الممتلكات التى كانت توقف عادة فى العصور السابقة كانت إما مسجدا أو خانقاه أو مجموعة مبان لسكنى الفقراء . هذه الممتلكات يعتبرها الشرع الاسلامى ملكا لله ثابتا ومقدسا . لا يتصرف إلا فيما يتحصل منها ، وفى الوجوه التى وقفت عليها . وينفق منها أيضا على صيانتها .

« كان موقوفا على مسجد سيدى عبد الرحمن فى سنة ١٨٣٠ تسعة وستون عقارا تغل فى السنة ستة آلاف فرنك ينفق أكثرها على توزيع الطعام للفقراء .

« ومما كان موقوفا على هذا المسجد قدور نحاسية لامرأة تدعى دومة بنت خد . وقفت هذه الأوانى لتطبخ فيها الأغذية التى تهيأ للفقراء . وشرطت أن ينفق على صيانتها وتبييضها وإصلاحها من غلة دكان تملكه تلك الواقفة . فلما توفيت قام ورثتها بدفع النفقة الضرورية لصيانة هذه الأوانى ، لأنها أصبحت وقفا لمصلحة المعوزين ، ويجب أن تبقى صالحة للاستعمال أطول زمان يسمح به الامكان »

محمد فريد وجدى

ما قيل فى الصديق

قال شاعر :

ليس الصديق الذى إن زل صاحبه ... يوما رأى الذنب منه غير مغفور
وإن أضاع له حقا فعاتبه ... فيه أتاه بتزويق المعاذير
إن الصديق الذى تلقاه يعذرنى ... ما ليس صاحبه فيه بمعذور

وقال شاعر آخر :

كم من أخ لك لم يلده أبوكا ... وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا
صاف الكرام إذا أردت إخاءهم ... واعلم بأن أخا الحفاظ أخوكا
والناس ما استغنيت كنت أخاهم ... وإذا افتقرت اليهم رفضوكا

جراب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاخلاق الفلسفية

- ١ -

الدين وقوة سلطانه على النفوس

تمهيد :

(١) هل الانسان متدين بفطرته ؟

(٢) هل الشعوب التى لم يرسل الله اليها أنبياء فكرت من نفسها فى وجود الله ؟

(٣) لماذا لم يذر الله الناس على دياناتهم الوضعية التى ابتدعوها ؟

(٤) هل للدين أثر فى إسعاد الانسان وهنائه ؟

(٥) وهل له تاثير على أخلاقه وسلوكه ؟

لنفرض أنفسنا فى قارة من القارات التى لم تسمع بدين خبر ، ولم تقف له على أثر ، أو سمعت عنه فى زمن مضى ، ثم نسيته تماما كا ورد ، أو كمصر ، قبل نزوح النبيين الجليلين : يوسف ، وموسى عليهما السلام الى أرضها ، ولنتحدث اليك عن هـذا الصنف من البشر . أما البلاد التى نبتت فيها النبوات فسنغض النظر وقتيا عن التكلم فى شأنها ، لأن فرصة الحديث عنها لم تحن بعد .

رأى الناس ، فى سذاجة وبساطة ، أن فريقا ممن حولهم يصح ، وآخر يمرض ، وثالثا يقوى ، ورابعا يضعف ، وخامسا يغتنى ، وسادسا يفتقر ، وسابعا يولد ، وثامنا يموت ؛ ثم رأوا نهارا يعقبه ليل ، وليلا يتلوه نهار ، وشمسا تشرق ضعيفة هادئة ثم لا تزال تقوى وتشتد حرارتها وقسوتها حتى إذا مال ميزان النهار أخذت تعود الى الضعف ، ثم أعقب ذلك اختفاؤها الذى به يسود الظلام ، وينتشر فى السماء ذلك العدد الذى لا يندرج تحت حصر من الكواكب والنجوم ، وهكذا دواليك بلا تأخر ولا انقطاع ؛ ثم هم يحسون فى بعض الأوقات بحرارة لاذعة ، وفى البعض الآخر ببرودة قارسة ، وفى بعض ثالث باعتدال فى الجو وصفاء فى الطبيعة ؛ شعروا بكل هذا ، فحاولوا أن يعللوا هذه الظواهر المختلفة ، أو يردوها الى أسباب معقولة ، وعلل مقنعة ؛ ولكنهم وقفوا حائرين عاجزين عن تعليل أية ظاهرة من ظواهر هذا الكون الهائلة المرعبة ، وسرعان ما تدفق الى قلوبهم الطاهرة ثم الى عقولهم الساذجة إيمان وثيق بأن هناك يدا خفية تحرك هذا الكون حسب مشيئتها ووفق إرادتها ، وأن صاحب هذه اليد لابد أن يكون مقيما فى هذه القبة الزرقاء عند بعض الشعوب ، والقائمة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أو الرمادية عند البعض الآخر، والتي يبرز من أفقها كوكب الشمس المضيء حينا، والقمر المنير والنجوم اللامعة حينا آخر، والتي تغضب أو يغضب ساكنها قليلا في مصر، وكثيرا في أوربا، فتبرق وترعد، وتنذر وتتوعد، وترسل من الصواعق نارا، ومن وابل السيل مدرارا، غير أنهم، لأمر ما، قد تصوروا أن هذا المحرك الأكبر، لا بد أن يكون له ممثلون في الأرض، وأنهم إذا أرادوا أن يجلبوا رضا هذا الاله، أو يدفعوا سخطه، فلابد لهم من أن يفتشوا عن هؤلاء الممثلين جهد طاقتهم، حتى إذا عثروا عليهم قدموا اليهم الضحايا والقرابين، وقاموا بين أيديهم بأكبر قسط من الاحترام والاجلال؛ ثم أخذ كل شعب يبحث عن هؤلاء الممثلين الذين يقربونه الى الله زلفى؛ ولكن هذا البحث لم يهد أصحابه الى نتيجة واحدة؛ وهذا أمر طبيعي مادام هؤلاء الشعوب يختلفون في طبائعهم وأجوائهم، ومواقع بلادهم الجغرافية التي لها على الثقافة والتفكير أثر عظيم. فاقتنع المصريون مثلا بان ممثل المحرك الأول لهذه الكائنات هو كوكب الشمس، لما رأوه فيه من فائدة ونفع للانسان والحيوان والنبات، وما تصوروه عليه من بطش بجيوش الظلام الشريرة السوداء التي لا تسيطر على العالم إلا حين ينام هذا الممثل الجليل، فاذا استيقظ من نومه، وصرخ صرخة عالية تفرقت شذر مذر، ومزقت كتائبها كل ممزق، وفرت الى أعمق طبقات الجحيم حيث تقضي هناك طيلة النهار، أما هو، فانه يختال في السماء معجبا، في دل وتيه، بماسكبه على الكون من عناصر الحياة والنور والانعاش

ولما كانت الشمس هي أكبر الظواهر الطبيعية في مصر، فقد أسندوا قيادتها الى « رع » كبير آلهة المصريين في أيام التعدد، كما أن اليونان قد أسندوا الى « زوس » كبير آلهتهم قيادة الرعد والبرق والمطر، لأن هذه الأشياء هي أكبر الظواهر الطبيعية في جو أوربا الممتلئ بالسحب والغيوم.

ولقد رأى المجوس أن النار هي وحدها الجديرة بتمثيل الكائن الأول، لما فيها من نعمة الانضاج وقوة الاحراق.

وآمن غير هؤلاء بأن الممثل الأعلى هو: فيل، أو بقرة، أو غير ذلك؛ فسجد كل شعب لما اعتقد أنه الممثل الأكبر لهذا الموجد العظيم؛ وكما اختلفت هذه الشعوب في تصور ممثل المحرك الأول، اختلفت أيضا في تصور الروح والخلود والعقاب والثواب في الحياة الأخرى. ونشا من هذا الاختلاف تباين عظيم في الطقوس الدينية، وفيما ينبغي أن يصنع بالجسم بعد الموت، لتخلد الروح في النعيم المقيم.

ولا ريب أن هذا الاختلاف، أو ذلك التناقض، هو أول الحكم التي من أجلها جاءت الديانات السماوية، لتقضي على هذه الفوضى، وذلك الاضطراب الناشئين من تناقض تلك الشعوب في العقائد والطقوس، ذلك التناقض الخاضع للبيئات والأجواء والمواقع الجيوغرافية، ولأهواء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الزعماء الدينيين الذين نشأوا فى الشعوب القديمة، فأسروا الناس بلباقتهم وبلاغتهم، وأخضعوهم ببيانهم لما زعموا أنه الحق المبين، والنهج القويم؛ فرأى مبدع الكون أن يضع حدا لهذه الهمجية، فأعلن على ألسنة أنبيائه أن الشعوب لا تملك أن تضع قوانين هذه الديانات، وأنه لا يمكن أن يكون لهذه العقائد إلا مصدر واحد وهو السماء.

وهنا حدثت الانقلابات الهائلة التى لا يتسع المقام الآن لذكرها، والتى سنفصلها إن شاء الله فى فرص أخرى حين نتناول تاريخ الديانات من أول عصور الانسانية الى العصر الحاضر، ونعرض فى شيء من الاسهاب الى زعماء الديانات الوضعية، وأبطال الديانات السماوية. ولقد بدأ مبدع الكون باليهودية، ثم ثنى بالمسيحية، ثم ختمها بالاسلام لحكمة واضحة لا يستعصى فهمها على من درس تاريخ الديانات، وأحاط علما بعقليات وأخلاق وطباع البيئات التى نشأت فيها هذه الديانات الثلاث، ودرس، فى تمعن وإتقان، كيف تدرجت تشريعاتها، وترقت نواميسها حسب تدرج العصور، وترقى العقلية الانسانية.

ومهما تكن الديانات الوثنية مشحونة بالأخطاء والضلالات، مفعمة بالأكاذيب والأباطيل فان النزاهة تحتم علينا أن نعلن، فى صراحة، أن هذه الديانات قد خففت من الجرائم، وقللت من الشرور والآثام، وكسرت — ولو بعض الشيء — من حدة الشهوات الانسانية. ولو لم يشأ الله لتلك الديانات الوثنية أن تأخذ مكانها تحت الشمس، لكانت الجرائم والشرور أضعاف ما كانت عليه، ولقاسى الأنبياء عليهم السلام فى إفهام البشر أساليب التدين والإذعان أضعاف ما قاسوا بعد أن مهدت لهم تلك الديانات سبل القيام بمهمتهم على الوجه الأكمل المراد.

ولا ريب أن من يلقى نظرة فاحصة على تاريخ الأمة المصرية فى عهودها الوثنية، ويشاهد فى تمعن، مقدار أثر ذلك التدين الوثنى فى حياة الشعب المصرى الاجتماعية عامة والأخلاقية بنوع خاص تتضح له صحة ما نقول، إذ أنه سيلقى الفضائل العالية من: صدق وأمانة ووفاء وحلم وحياء ومروءة وعدالة وعفة، الى غير ذلك من جلائل الفضائل، متغلغلة فى النفوس تغلغلا يدل على مقدار ما كان للدين فى نفوس أفراد هذا الشعب من أثر قوى، وكذلك تتضح هذه النظرية جيدا إذا ألقينا نظرة متأملة على تاريخ الهند والصين وفارس فى العصور القديمة، لأننا لا نكاد نلق هذه النظرة حتى نلمح مقدار تأثير البراهمية والبوذية والزرادوشتية والمانوية فى نفوس هذه الشعوب وقيادتها إياها الى الفضائل السامية، وإشعارها الأفراد بأن الآلهة تعلم أعمالهم، وأنها ستحاسبهم عليها إما عاجلا وإما آجلا.

هناك فضل آخر يجب أن نعترف به للديانات الوثنية، وهو إسماء البشر وهناؤهم بسبب ذلك الأمل الذى [illegible] فى نفوسهم — [illegible] فى عالم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الخلود بنعيم لا ينتهى ولا يبيد ، فملأ هـذا الأمل حياة الانسانية سرورا وغبطة ، وأحال العذاب والشقاء فى نظر المعذبين والأشقياء الى سعادة نفسية لذيذة مادام سيعقبها تنعم دائم ، وسرور خالد .

وبعد هذا ، فليس للديانات الوثنية أثر يذكر إلا من الناحية التاريخية حيث تضع بين أيدينا نماذج من عقليات القدماء ، وصورا من تفكيراتهم وإدراكاتهم ، وتبين لنا ما بين الديانات السماوية وبين هذه الديانات من فروق ودرجات .

الآن ، وبعد أن أبنا مقدار تأثير الديانات الوضعية على الأمم القديمة ، فقد وجب علينا أن نبين أثر الديانات السماوية فى الأمم التى اعتنقتها . فاذا فرغنا من ذلك ، أتينا على آراء المحدثين من فلاسفة أوربا الذين يرون منهم وجوب مزج الأخلاق بالدين ، ويؤكدون أن ما فى الدين من أخلاق هو أصلح ما يقود الشعوب الى النجاح والسعادة ، لأنه صادر عمن هو أدرى بصوالحهم ، وأقدر على رسم الخطط لهم ؛ ويؤيدون مذهبهم بأدلة ناصعة ، وبراهين قوية . وكذلك سنأتى على آراء خصوم هذه الفكرة وهم الذين يرون استقلال الأخلاق عن الدين ويزعمون أن الأمم تستطيع الاستغناء عن قيادة الديانات .

وهذا هو ما سنعالجه فى المقال المقبل . فالى اللقاء .

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

تدبير المال

قال حكيم : لا خرق ولا عيلة على مصلح ، وخير المال ما أطعمك لا ما أطعمته .

وقال مؤلف كليلة ودمنة : إن صاحب الدنيا يطلب ثلاثة ولا يدركها إلا بأربعة .

فاما الثلاثة التى تطلب فالسعة فى المعيشة ، والمنزلة فى الناس ، والزاد الى الآخرة .

وأما الاربعة التى تدرك بها هذه الثلاثة ، فاكتساب المال من أحسن وجوهه ، وحسن القيام عليه ، ثم التشمير له ، ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة ، ويرضى الاهل والاخوان ، ويعود فى الآخـرة نفعه ؛ فان أضاع شيئا من هـذه الاربعة ، لم يدرك شيئا من هذه الثلاثة . فان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به ، وإن كان ذا مال واكتساب ولم يحسن القيام عليه ، يوشك أن يفنى ويبقى بلا مال ، وإن هو أنفقه ولم يثمر ، لم ينفعه الانفاق من سرعة النفاد ، كالكحل الذى إنما يؤخذ منه على الميل مثل الغبار ثم هو مع ذلك سريع نفاده ، وإن هو اكتسب وأصلح وأثمر ، ولم ينفق الاموال فى أبوابها كان بمنزلة الفقير الذى لا مال له ، ثم لا يمنع ذلك ماله من أن يفارقه ، ويذهب حيث لا منفعة فيه ، كحابس الماء فى الموضع الذى تنصب فيه المياه ، إن لم يخرج منه بقدر ما يدخل فيه تحصل وسال من نواحيه ، فيذهب المال ضياعا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تاريخ الأدب العربى [1]

فى العصر العباسى

كانت حاضرة الدولة العباسية خلال القرون الأولى من حكم العباسيين تنعم فى حياة ملأى بانواع البذخ وضروب العطاء ، مما لم تشهد مثله غيرها من البلدان الاسلامية فى أى وقت من الأوقات ، فالتف الشعراء والكتاب البارزون من كافة أنحاء الأمبراطورية العربية حول بلاط الخلفاء ، حتى أصبحت بغداد مركزا ممتازا للادب العربى ، ووسطا منقطع النظير للحياة الفكرية والثقافة الاسلامية ، ولم يقنع من الأدباء بالحياة الهادئة بعيدا عن بغداد إلا من أخرتهم الموهبة الأدبية أو استبعدتهم الأهواء السياسية ، فاقاموا بالمقاطعات النائية ، واكتفوا بمدح حكامها من الولاة وخطب ودهم .

أبعدت السياسة عن بغداد السيد الحميرى اسماعيل بن محمد المولود بالبصرة عام ١٠٥هـ ، وهو من الشعراء البارزين الذين خلدوا ذكراهم الجيدة بين سطور الأدب العربى فى أزهر عصوره ؛ انضم فى شبابه الى الشيعة ، فكان ظهوره بين أفراد هذه الفرقة الدينية السياسية سببا فى رحيله عن موطنه وإقامته بالكوفة ، فلما دخلها الخليفة السفاح مؤسس الدولة العباسية لم يجد مفرا من مدحه ، ولو أنه بقى مخلصا لعقيدته ، نائيا عن بلاط الخليفة بالرغم من جميع أسباب الاغراء التى اجتمعت حول أصحاب السلطة الدنيوية مما تتوق إليه نفوس الشعراء طمعا فى الشهرة وجزيل العطاء ، وكانت مواهبه الشعرية تقربه من بشار بن برد وأبى العتاهية ، لسهولة أسلوبه وصدق تعبيره ودقة مشاعره ، ولكن أشعاره لم تلاق ما هى جديرة به من الثناء والذيوع لما كان يبثه فيها من روح عقيدته وفكرته السياسية ، وتوفى بالواسط عام ١٧٣هـ .

أما أبو تمام حبيب بن أوس فانه يمثل شعراء الولايات العربية فى هذا العصر خير تمثيل ، فكان دائم التطلع الى بذخ الحياة ونعيمها فى الحواضر ، دائب السعى طول أيام حياته وراء الحصول على الشهرة فى حاضرة الملك ومركز الشعر والأدب ؛ قضى أبو تمام سنى حياته الدراسية فى حمص عند الشاعر الطائى عبد الكريم ، وكان شديد الرغبة فى الانتساب الى قبيلته ، ورحل بعد ذلك الى مصر ، وحاول عبثا الشهرة والظهور فلم يبلغ ما كان يبتغيه من توفيق ، فعاد الى الشام ، وكان الخليفة المامون وقتئذ فى إحدى رحلاته بدمشق فحاول على غير جدوى المثول بين يديه رجاء بلوغ ما يتمناه من الحظوة لديه ، ففشل فيما سعى اليه وانصرف عنه الخليفة دون

(١) تابع المنشور فى العدد السابق (صفر سنه ١٣٥٦) مترجما من الالمانية نقلا عن كتاب « تاريخ الادب العربى » للمستشرق الالمانى الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلمان » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ان يابه له ، تنقل بعد ذلك كثيرا فى العراق وأرمينية طلبا للشهرة والصيت عند الأشراف والحكام ، فلما بلغه خبر وفاة المأمون سافر الى بغداد عام ٢١٨ هـ ، وتحققت له بعض أحلامه هذه المرة فاستقبله الخليفة المعتصم ، ولكنه لم يكن ليرضى بنجاحه البسيط ومرتبته المتواضعة التى أحرزها عنده ، ففضل العودة الى المقاطعات العربية مؤثرا الاقامة عند الولاة بعيدا عن مزاحمة المنافسين من الشعراء ، فتوجه الى خراسان أبعد البلاد الاسلامية شرقا ، وكان حاكمها وقتئذ عبد الله بن طاهر قد بدأ بتأسيس ولاية ذات سيادة مستقلة ، ولكنه مالبث أن قفل راجعا ، فعاقته زوابع الجليد التى تكثر فى هضاب بلاد الفرس المرتفعة ومنعته عن متابعة سفره ، فبقى بهمذان ، وأقام عند أحد هواة الأدب والثقافة العامة ، وكان يملك مجموعة وافرة من مختارات الشعر العربى جعلها أبو تمام موضع دراسته وتسليته ، فجمع وهو فى هذه الضيافة القهرية أربع مجموعات من صفوة ما أنتجه الشعراء وجادت به قرائحهم ، اشتهر من هذه المجموعات الشعرية الأربع ديوان الحماسة ، وذاع تداوله حتى العصر الحاضر ، فكانت هذه الصدفة التى حجزته بهمذان ، وضيافته بهذا المكان عن غير قصد أو ترتيب سببا فى بلوغه ماكان يتوق اليه مدى حياته من الشهرة والصيت ، وهكذا تم له التوفيق فيما كان يبتغيه من النجاح ، وخلدت ذكراه بفضل ما جمعه من مختارات الشعر بذوق سليم أكثر من توفيقه فيما أنتجته موهبته الشعرية ، فلما أتم هذا العمل الجليل وأكمل المجموعات الشعرية المختارة القى عصا الترحال ، ولم يعرف عنه أو عن إقامته بعد ذلك شىء ، وتوفى حوالى عام ٢٣٠هـ . وقد قرظه فيما بعد التبريزى قائلا : كان أبو تمام فى حماسته أشعر منه فى شعره .

جاء من بعده من شعراء الولايات العربية المعروفين الوليد بن عبيد البحترى ، وكانت حياته تشابه من وجوه عديدة حياة أبى تمام ، ففاقته كثيرا من حظه ؛ ولد البحترى بمنبج بالشام عام ٢٠٥هـ ، والتقى بأبى تمام فى حمص ، وكان فى قمة مجده ، وأخذ منه توصيات لأشراف معرة النعمان بريف الشام ، فسافر إليها وأقام بها بضع سنين محترفا أشعار المدح ، ولكنه لم يقنع بهذا القدر البسيط من النجاح ، ولم يرض بنصيبه المتواضع فى الحياة بها ، فرحل الى بغداد فى عهد الخليفة المتوكل ، وكان النجاح حليفه فى هذه المرة ، فأقام بها زمنا غير قصير ، إلا أنه عاد بعد ذلك إلى موطنه بالشام حيث توفى عام ٢٨٤ هـ . أبى البحترى إلا أن يسير على نهج أستاذه السابق ، فوضع ديوان الحماسة الذى جمع فيه مختارات هامة من الشعر العربى ، وكان موفقا فى هذا العمل كذلك أكثر من توفيقه فى أشعاره ، فذاع به اسمه وخلدت ذكراه ، وهو وإن لم يكن قد بلغ من الشهرة ما بلغه ديوان الحماسة لأبى تمام ، فانه امتاز عنه بما وسعه من المواد وتعدد موضوعاتها وتنوعها ، مما جعله مرجعا قيما جدا لدراسة الأشعار القديمة .

وأما شعراء البلاد الاسلامية الغربية فان أشهر من عرف منهم فى هذا العصر هو شاعر البلاط الفاطمى بمصر أبو القاسم محمد بن هانى الأندلسى المولود باشبيلية ؛ أتيحت له الفرصة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى شبابه للتعرف بأمراء بلاده والاختلاط بهم ، ونفى وهو فى السابعة والعشرين من عمره ، فذهب الى جوهر قائد الخليفة الفاطمى المنصور ، فلما تولى الحكم ابنه المعز عام ٣٤١ هـ أخذه فى بطانته ، واشترك فى حملته الموفقة لغزو مصر عام ٣٥٨ هـ ، ولما استتب الأمر لسيده وولى نعمته واستقرت فى يده السيادة على مصر ، رغب فى الاقامة الدائمة بها ، وأراد استحضار امرأته ، فلما سافر الى بلاد المغرب لهذا السبب عاجلته المنية بها إذ قتل ببرقة عام ٣٦٢ هـ . ولم يعرف من أعماله الشعرية سوى قصائده فى مدح الخليفة المعز ، ولم تكن ذات قيمة فنية ممتازة .

وفى أواخر أيام الدولة العباسية تنازع الحكام واشتد خلافهم بسبب ضعف الخلفاء العباسيين المتأخرين وعجزهم عن الحكم ، فانقطعت الصلات التى تربط الولاة بدار الخلافة ، فزال عن بغداد بهاؤها وامحت معالم بهجتها ، وقويت شوكة الحكام وزاد سلطانهم ، فتمتعوا بشبه سيادة مستقلة فى ولاياتهم غير عابئين بتأييد الخليفة لحكوماتهم ، وبدهى أن أمثال هؤلاء المتعسفين لم يكونوا ليهتموا بالثقافة والحياة الأدبية ، بل ولم يكن وقتهم ليسمح لهم بتعهدها لاشتباكهم المتواصل فى الكفاح عن كيانهم السياسى ؛ ولم يخرج عن هذه الفئة سوى سيف الدولة الحمدانى الذى أسس دولة صغيرة فى حلب ، دخل بسببها فى حروب طويلة مع البيزنطيين للدفاع عنها ، فاجتمع حوله فى أوقات فراغه عدد كبير من الشعراء ومحبى الآداب ، ولقد عرف كيف يحتفظ فى بلاطه ببعض البارزين منهم .

وأهم من ظهر من الشعراء فى ظل حكمه أبو الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبى ، وإنما سمى كذلك لادعائه النبوة فى مقتبل حياته ، ولكن أمير حمص لؤلؤة الأخشيدى سرعان ما انتزع منه أحلامه وفرق أتباعه من حوله وأمر بسجنه ، فأفاق من غفلته وعرف قيمته الحقيقية ، فبعد أن أفرج عنه اشتغل بالشعر ، وانضم الى بلاط سيف الدولة عام ٣٣٧ هـ . فوصل فيه الى ذروة المجد وبعد الصيت ، وقضى فى بطانته تسع سنوات ممتدحا أعماله بأشعار امتازت بالتصوير الجرىء والعبارة الفخمة ، ولكنه اختلف بعد ذلك مع العالم اللغوى خالويه من أقارب سيف الدولة ، فترك حلب ورحل الى مصر وانضم الى حاكمها كافور الأخشيدى وهو من أعداء سيف الدولة ، إلا أنه لم يصادف ما كان يرجوه من نجاح ، فرحل غاضبا الى بغداد ، وكان يجهل أحوالها ، فأبى أن يمدح الوزير المهلبى صاحب السلطان فيها ، فحمل عليه شعراء بغداد بالهجاء والسخرية ، حتى سافر الى بلاد الفرس ، ولكنه لم يجد فى بلاط عضد الدولة ما فقده فى بلاط سيف الدولة بحلب من حظ وافر ، فلما أراد العودة الى بغداد سطا عليه البدو فى الطريق وقتلوه عام ٣٥٤ هـ .

أجمع معظم النقاد المعاصرين والمتأخرين على أن المتنبى كان من أكبر الشعراء الذين برزوا فى الأدب العربى ، وربما كان آخر الشعراء الكبار ، ولم يكن هذا الرأى فى غير محله ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فان المتنبي استطاع أن يكمل ما غرسه الشعراء القدماء، وتعهده كبار شعراء الأمويين بالتطور والتهذيب، فنما ونضج على يديه، فاينعت القصائد وازدهرت بفضل جهوده الثمينة فى هذه الناحية من الأدب العربى، حيث تحمل أبعد ما يسمح به، هذا الفن من تبعات، فلم يسلم من الوقوع فيما يخالف الذوق، ولم تجد الفنون البغدادية المشبعة بالروح الفارسية اليه سبيلا، فكان فخورا بأصله العربى، كما كان يعتبر سيادة هذه الشعوب الهمجية وصمة عار على الروح العربية الأصلية.

وظهر من بعده من الشعراء المعروفين أبو فراس الحمدانى، ويرجع الفضل فى شهرته الى ظروف خاصة أكثر من مقدرته الشعرية. ولد أبو فراس عام ٣٢٠ هـ بالعراق ونشأ يتيما فى ظل رعاية ابن عمه سيف الدولة، فلما استتب له الأمر فى حلب عام ٣٣٦ هـ. جعله حاكما على منبج على الرغم من صغر سنه، ودخل كذلك فى حروب طويلة مع البيزنطيين الى أن وقع فى أسرهم عام ٣٤٨ هـ ولكنه تمكن من الهرب، إلا أنه وقع ثانية فى الأسر فنقلوه الى القسطنطينية زيادة فى الضمان؛ وبقى هناك سجينا أربع سنوات الى أن عاد الى موطنه عام ٣٥٥ هـ، وبقى به حتى وفاة سيف الدولة، فأراد أن يقتطع لنفسه جزءا من أملاكه، ودخل بسبب ذلك فى حرب مع ابنه سقط فيها قتيلا عام ٣٥٧ هـ.

أما أشعاره فكانت عبارة عن مذكرات تبين حياته السياسية، ولم يكن بليغا فى عبارته التصويرية، ولم تظهر شاعريته الحقيقية إلا على أثر اعتقاله بالقسطنطينية فى رسالة شعرية أرسلها من سجنه الى أمه.

يتبع

ما أثر عن الكرماء

قال أبو سويد أخبرنى الكوفى قال: اعترض فتى من التجار الفضل بن يحيى بن خالد فى وقت خروجه الى خراسان، وشكا اليه ما سلبه منه قطاع الطريق، ثم أخذ بعنان دابته وقال:

سأرسل بيتا ليس فى الشعر مثله ... يقطع أعناق البيوت الشوارد
أقام الندى والبأس فى كل منزل ... أقام به الفضل بن يحيى بن خالد

قال فأمر له الفضل بمائة ألف درهم.

وروى العتبى أن مروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور رفع الى زبيدة ابنة جعفر زوجة هرون الرشيد قصيدة يمتدح بها ابنها محمد بن الرشيد، وفيها يقول:

لله درك ياعقيلة جعفر ... ماذا ولدت من العلى والسودد
إن الخلافة قد تبين نورها ... للناظرين على جبين محمد

فامرت أن يملأ فمه درا.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

محمد صلى الله عليه وسلم

في تقدير قادة الأفكار في أوربا (١)

المرأة في الاسلام

« لننظر الآن في مذهب الاسلام فيما يختص بالنساء فنقول :

« ما أكبر خطأ العالم في تقدير نظريات النبي فيما يتعلق بالنساء ! فقد قيل إنه قرر بأن المرأة لا روح لها . فلماذا هذا التجني على رسول الله ؟ فأعيروني أسماعكم أحدثكم عن حقيقة تعاليمه في هذا الشأن ، جاء في القرآن : « ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » (سورة النساء) وجاء فيه أيضا : « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » (سورة الأحزاب) وجاء فيه أيضا : « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » (سورة آل عمران) .

« وقد زاد النبي على هذا تشديدا في وجوب رعاية حقوق النساء . فقد جاء في القرآن : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا » (سورة النساء) وجاء فيه : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » (سورة النساء) وجاء فيه : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم » (سورة البقرة)

(١) هذه المقالة تابعة لما ترجمناه من كتاب الأديان المنتشرة في الهند لزعيمة التيوصوفية العالمية (آني بيزانت)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« ولا تقف تعاليم النبى عند حدود العموميات ، فقد وضع قانونا لوراثة النساء ، وهو قانون أكثر عدلا وأوسع حرية ، من ناحيــة الاستقلال الذى يمنحها إياه ، من القانون المسيحى الانجليزى الذى كان معمولا به الى ما قبل نحو عشرين سنة . فما وضعه الاسلام للمرأة يعتبر قانونا نموذجيا . فقد تكفل بحمايتهن فى كل ما يملكنه ، وضمن لهن عدم العدوان على أى حصة مما يرثنه عن أقاربهن وإخوانهن وأزواجهن .

« الآن يمكن أن يقال لنا : وما قولك فى تعدد الزوجات ! هنا محل النظر فى حقوق النساء .

« هذا صحيح ، ولكن على أى طراز يفكر الذين يصدرون مثل هذا الحكم ؟ ألا يرون أن هذا القانون عمل لشعب كان يمرح فى أحط ضروب الاباحة ، وأنه الى نفسه به مقيدا لا يستطيع أن يتجاوز أربع نسوة ؟ إنى أقرأ فى العهد القديم (التوراة) أن صديق الله الذى ينبض قلبه طباقا لارادة الله ، كان معددا للزوجات . وزيادة على هذا ، فان العهد الجديد (الانجيل) لا يحرم تعدد الزوجات إلا على من كان أسقفا أو شماسا ، فانهما هما المكلفان أن يكتفيا بواحدة . وإنى لأجد كذلك تعدد الزوجات فى الكتب الهندية القديمة . وما يتهمون الاسلام إلا لأنه من السهل على الانسان أن يتتبع العيوب فى عقائد الغير ويشهر بها ، ولكن كيف يجوز أن يجرؤ الغربيون على الثورة ضد تعدد الزوجات المحدود عند الشرقيين مادام البغاء شائعا فى بلادهم ؟ ومن يتأمل فلا يجد وحدة الزوجة محترمة إلا لدى نفر من الرجال الطاهرين . فلا يصح أن يقال عن بيئة إن أهلها موحدون للزوجة مادام فيها الى جانب الزوجة الشرعية خدينات من وراء ستار . وأنا بقولى هذا لا أبغى أن أهاجم أحدا ، ولكنى أرجو فقط أن يعدل الناس فى حكم بعضهم على بعض . فالزواج الصحيح هو ما كان لكل رجل زوجة واحدة ، وكل ما عدا هذا قبيح . ولكن أكثر الناس لم يصلوا بعد الى هذه الدرجة من الطهر . ومتى وزنا الأمور بقسطاس العدل المستقيم ، ظهر لنا أن مبدأ تعدد الزوجات الاسلامى الذى يحفظ ويحمى ويغذى ويكسو النساء ، أرجح وزنا من البغاء الغربى الذى يسمح بأن يتخذ الرجل امرأة لمحض إشباع شهواته ، ثم يقذف بها الى الشارع متى قضى منها أوطاره . صرحوا بأن الأمرين قبيحان ، ولكن لا تسمحوا للمسيحى أن يذم أخاه المسلم بسبب أمر يشتركان فى ارتكابه . فيا إخوانى المسلمين إن تعدد الزوجات ليس بالأمر الحسن ، فتذكروا أن نبيكم قال بعدم جواز اتخاذ زوجة ثانية إلا إذا امكن التسوية بين الزوجتين فى الحب والعدل ، فأى إنسان يستطيع أن يسوى فى الحب والعدل بين امرأتين ؟ فان كان هذا ليس فى الامكان ، فان النبى لا يسمح إلا بواحدة . وإنى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أظن أنه قال ذلك ليحل مبدأ توحيد الزوجة محل مبدأ التعديد على وجه التدريج ، وليزول من ديانته هذا الأمر المعيب (١) .

« والاسلام يغرس فى قلوب الأطفال عاطفة الرعاية لوالديهم ، ويكفينا أن نقتبس آية واحدة من القرآن دليلا على ذلك : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » (سورة الاسراء)

« وفى الاسلام آية تعتبر غاية فى العدالة والسماحة وذلك فيما أمر به من معاملة الارقاء ، فقد جاء فى القرآن : « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم ، فكاتبوهم (٢) إن علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » . (سورة النور)

« لنتكلم الآن عن الواجبات التى تتحتم تاديتها على كل مسلم ، فاولها كلمة الشهادة وهى : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، والزكاة وهى صدقة يجب القيام بها للاغراب والفقراء واليتامى والاسارى ، ويصح أن تكون من الحبوب والفاكهة والبضائع والماشية والدراهم . جاء فى القرآن : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب ، والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (سورة التوبة) وجاء فيه : « إن تبدوا الصدقات فنعما هى ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير » (سورة البقرة) وجاء فيه : « وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم ، وأنتم لا تظلمون » . (سورة البقرة)

---

(١) مجلة الازهر — لا نوافق السيدة الزعيمة على أن وجود التعدد أمر معيب فى الديانة الاسلامية . فانها هى قد اعترفت بأن تعديد الزوجات فى الاسلام أرجح وزنا فى قسطاس العدل من مبدأ المخادنة الشائعة فى أوروبا وأمريكا ، وقررت أن توحيد الزوجة لا يصادف إلا عند نفر من الاطهار فى العالم كله . فاذا كان العالم لا يزال ضعيف الارادة ، مطواعا لدواعى الشهوات ، لا يطيق كثير من أفراده أن يكتفوا بواحدة ، فلا يعتبر بقاء مبدأ التعدد فى الشرع الاسلامى عيبا فيه يجب المبادرة الى إزالته . فالحكمة تقضى بوجوب بقائه حتى لا يقع المسلمون فيما وقع فيه سواهم من اتخاذ الخدينات ، ثم تركهن عالة على المجتمع ، مجردات من كل حماية ورعاية ، ومعرضات لضروب الاحتياجات والاهانات .

فاذا كتب للنوع البشرى ان يصبح كل أفراده أطهارا سقط مبدأ التعديد من نفسه ، ولم يعد يعمل به أحد، لانه فى الشرع الاسلامى ليس بفرض ولا سنة ، حتى وليس بمستحب بل مزهدا فيه .

(٢) الكتاب هو المكاتبة وهى ان يعين المولى مالا إذا اداه إليه رقيقه اصبح حرا ، فيدعه يعمل حتى يحصله . وفى الآية تحبيب فى مساعدة الارقاء المكاتبين باعانتهم من اموال الزكاة على التحرر من الاسر او بأن يحط مواليهم شيئا من جملة ما اتفقوا عليه من المال .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« تأمل فى جلال هذه العبارات الآتية التى وردت فى خطبة من خطب النبى : « كل عمل طيب صدقة : فالبشاشة التى تقابل بها أخاك صدقة ، ونصحك لأمثالك لتحملهم على الأعمال الفاضلة صدقة ، وهدايتك لعابر سبيل ضل عن الطريق صدقة ، ومعونتك لمكفوف البصر صدقة ، وإماطتك عن الطريق الحجارة والشوك وكل ما يسده صدقة ، ومناولتك الماء لمن به صدى صدقة » .

« أما الصلاة فى الأوقات الخمس فهى من العبادات التى تعتبر غاية فى الجمال والنبل .

« ومن الواجبات صيام رمضان ، وحج البيت بمكة ، على شريطة ان يترك الحاج لمن يخلفهم وراءه ما يكفيهم الحاجة .

« هذه هى الواجبات الخمس التى كلف بها جميع المسلمين . أما الخمر فهى محرمة عليهم تحريما باتا » .

محمد فريد وجدى

ما قيل فى قبول العذر

كتب الحسن بن وهب الى محمد بن عبد الملك الزيات :

أبا جعفر ما أحسن العفو كله ... ولا سيما عن قائل ليس لى عذر

وقال أبو تمام الطائى :

البر بى منك وطا العذر عندك لى ... فيما أتاك فلم تقبل ولم تلم
وقام علمك بى فاحتج عندك لى ... مقام شاهد عدل غير متهم

وقال شاعر وقد بالغ :

إذا اعتذر الجانى محا العذر ذنبه ... وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

ونحا نحوه صاحب العقد فقال :

عذيرى من طول البكا لوعة الأسى ... وليس لمن لا يقبل العذر من عذر

ولغيره وقد أجاد :

فهبنى مسيئا كالذى قلت ظالما ... فعفو جميل كى يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو عندك للذى ... أتيت به أهلا فأنت له أهل

وقال أبو الطيب :

وإن كان ذنبى كل ذنب فانه ... محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المطالب العالية فى النفس الناطقة

وصلتها بالانسان

— ٢ —

عرضنا فى بحث من البحوث السابقة إلماما للفرق بين الخير والسعادة ، ثم لمدى الخلاف بين المتقدمين من الفلاسفة وبين المتأخرين منهم فى ماهية السعادة ، وهل هى سعادة بالاضافة الى غيرها ، أو هى سعادة مطلقة بقطع النظر عما عداها من الاعتبارات ، وهل هى من ملابسات النفس الناطقة وحدها . أو أن البدن أيضا من مقوماتها ؟ .

لكن البحث لن يتسق للكشف عن مبلغ آراء فرق الفلاسفة فى السعادة والخير . من أجل ذلك نحب أن نعرض - بقدر - فى هذا البحث للسعادة فى رأى فيثاغورس وأفلاطون وبقراط وهؤلاء من متقدمى الفلاسفة ، ثم نعرض بعد ذلك لرأى أرسطاطاليس ، ثم نقارب بين رأى فيثاغورس وأتباعه وبين جمهرة من المشائين حتى يتسق البحث على وتيرة واحدة ، ويجرى على سنن مستساغ :

فن الاتجاهات التى اتجه اليها فيثاغورس وأفلاطون وبقراط ومن اليهم تلقاء النفس الناطقة أن الفضائل الأربع التى هى قوام السعادة وعمادها حاصلة كلها فى النفس وحدها فليس لها مرد من الخارج ولا قوة تصدر عنها سوى النفس الناطقة ؛ ولذلك حينما عرضوا التقسيم قوى النفس فى كتبهم اعتبروا كل هذه القوى منحصرة فى الفضائل الأربع وهى : « الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة » على ما عرضنا له فى صدر بحوثنا الأولى المتعلقة بالنفس الناطقة ثم رتبوا على ذلك الاتجاه أن تلك الفضائل الأربع وحدها كافية أن تكون قوام السعادة فى صورها المختلفة ، فلا يحتاج معها الى غيرها من فضائل البدن ومميزاته ضرورة أن ذا النفس الناطقة إذا حصل تلك الفضائل مجتمعة فلا يغض من سعادته أن يكون سقيما أو فقد بعض أعضائه أو مبتلى ببعض صنوف العلل والأدواء إلا إذا تأثرت تلك النفس بأوصاب البدن وأسقامه فيما يصدر عنها من أفعال كفساد العقل واضطراب التفكير وضعف الروية والخلط بين الآراء ، فان ارتفعت كل هذه الأعراض مع إصابة البدن بعلله وأوصابه فليس يضير النفس الناطقة فى شىء ، وأن يعرض لها الفقر والخمول وسقوط الحال وجشوبة العيش مثلا ، وكل ما هو خارج عنها فليس ما كان خارجا عن النفس الناطقة بقادح فى سعادتها ، وبدهى أن فيثاغورس ومن لف لفه يذهب الى أن السعادة لا تعدو النفس الناطقة فلا تتناول الأبدان ومميزاتها ، ويرتبون على ذلك الاتجاه أن السعادة والخير فى مختلف مناحيهما ليس لهما إلا مصدر واحد وهو قوى النفس الناطقة وبالتالى الفضائل الأربع وليس للبدن على هذا الاعتبار إلا مظهر اليته . فالنفس مدبرة والبدن لها آلة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أما جمهرة من الرواقيين فتذهب الى أن السعادة والخير يصدران عن النفس والبدن معا. فاذا صدر الخير عن النفس دون تقدير لكفة البدن فانما يصدر ناقصا بالقياس الى ما يتعاون النفس والبدن مجتمعين فى صوغه وإبرازه .

يأتى بعد ذلك أرسطاليس فينحو نحوا آخر وهو أن السعادة والخير متخالفان ثم إن السعادة بعد ذلك مقولة بالتشكيك فهى معروضة للمقولات العشر على ما سيجىء الكلام عنه باسهاب فى بحوث تالية .

ومعلوم أن المحققين من الفلاسفة يحقرون شأن البخت والاتفاق ، وكل ماليس له صلة بترتيب الفكر وإعمال الروية ، ولا يؤهلون أصحاب هذه الاتفاقات وحملة تلك المصادفات لاسم السعادة ، فالسعادة فى أوضاعهم أمر قار غير زائل بل هم فوق ذلك يعتبرون كل ما يصل الانسان من غير طريق التدبير والروية ومن غير أن يجرى على سنن له مقدماته ونتائجه ضربا من ضروب البخت ، فهو قابل عندهم للبقاء والزوال والزيادة والنقص والتعديل والتجريح والرفعة والخفض وكل الاشياء ونقائضها . وتابعهم فى ذلك كثير من متأخرى الفلاسفة أخذا بنظرية صادقة عندهم وهى : من قدمه الاتفاق فقد أخره الاستحقاق . وهنا وقع خلاف ذو شأن بين قدماء الفلاسفة ومتأخريها فيذهب فيثاغورس وأفلاطون وبقراط الى أن السعادة العظمى لا تتحقق للانسان إلا بعد أن تخلع البدن وما يلابسه من غاشيات الطبيعة ، تطبيقا لمذهبهم القائل بأن السعادة لا تحصل إلا فى قوى النفس الناطقة . ومن أجل ذلك أطلقوا على الانسان أنه جوهر النفس الناطقة دون البدن ، فحكموا بأن البدن ما دام عالقا بها وقفصا لايوائها ، وما دام يخلع عليها غاشيات الطبيعة وأكدارها ولوثاتها وعلائقها فليست تلك النفس بسعيدة السعادة المطلقة الموموقة ، ومبعث ذلك الرأى عندهم أن النفس الناطقة لا تستوحى الكمال الذاتى والعقل النورانى ما دامت متصلة بتلك الهيولى التى تحجب عنها العلوم والمعارف الكلية ، إلا إذا فارقت ظلمة الهيولى ولوثة تلك الكدورة ، وحينئذ تفارق الجهالات المتنوعة فتصفو وتخلص من ربقة البدن فتكتسب لها الاضاءة ويواجهها النور الالهى ، ويترتب على رأى هؤلاء بادىء ذى بدىء أن الانسان لا يظفر بالفوز الأكبر والسعادة العليا إلا فى حياة الجزاء بعد موته .

لكن تأتى بعد ذلك جماعة أخرى من الفلاسفة المتأخرين وأرسطاليس منهم فى الطليعة ، فتذهب الى أن من الشناعة والعبث وتجاهل الواقع أن ينعت الانسان الذى يعمل الأعمال الصالحة ، ويعتنق الآراء الصحيحة ، ويجد فى تحصيل الفضائل لنفسه أولا ثم لأبناء جنسه ثانيا، فينشىء ضروبا من الخير متنوعة ويقيم أعماله وما يصدر عنه من الآثار على محبة القلوب وكسب ألسنة الناس فى سبيل إعلاء معالم الفضيلة والحق والنصفة ، وتحقيق معنى العدالة فى أنبل مثلها ، بأنه شقى فى حياته الأولى وأنه لا يعتبر سعيدا إلا إذا فارقها وخرج من طبيعتها وملابساتها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فالسعادة فى رأى أرسطاليس ومتابعيه تتحقق فى الحياة الأولى تطبيقا لنظرية اشتهرت بينهم، وهى : أن الانسان عندهم مركب من بدن ونفس ولذلك يحدون الانسان بالناطق المائت أو بالناطق الضاحك أو ما الى ذلك ، وفرعوا على هذه النظرية أن السعادة تحدث للانسان إذا جد فى طلبها وسلك اليها الوسائل المؤدية اليها ، غير أن أرسطاليس حين رأى أن السعادة قد أشكل فهمها على الناس ، واضطربت فيها آراء العلماء والفلاسفة ، عقد لها فى كتابه المسمى « بفضائل النفس » فصلا طويل الذيل ضافى التفاريع حافلا بالحجج والآراء فقال فى فاتحة هذا الفصل ، « من البين أن الفقير فى هذه الحياة يرى سعادته فى الغنى واليسار ، وأن المريض يراها فى الصحة والسلامة ، وأن الذليل يتمثلها فى الجاه والعزة والسلطان ، وأن الخليع يلمسها فى التمكن من الشهوات المختلفة ، وأن النبيل الفاضل الكريم ينشدها فى تعميم مناحى الخير وإفاضتها على مستحقيها ، والحد من طغيان ذلك الخير حتى لا يشمل غير مستحقيه »

ويتحققها الفيلسوف المستقصى لحقائق الأشياء والمستتبع لملابسات النواميس الكونية فى أنها إذ تكون مرتبة بحسب تقسيط العقل لها على معنى أن يلحظ فيها وقتها الذى يجب أن تقع فيه ، وكما يجب أن تكون وعند من تجب — فهى سعادات متنوعة فما كان منها يراد لشىء يناسبه فذلك الشىء أجدر بأن يطلق عليه اسم السعادة .

ثم كشف بعد ذلك أرسطاليس عن رأيه فى بسط وإبانة ، فقال ، مع تصرف فى مبناه مع الاحتفاظ بمعناه فقال : قلما يتاح للانسان أن يعمل الأفعال الشريفة المرضية دون مادة تقوم عليها كاتساع اليد وكثرة الأعوان وجودة البخت ، ويتضح ذلك جليا فى صناعة الملك والرئاسات المختلفة حيث لا يواتيهم توطيد لأركان هذه الزعامة إلا مقترنا بالشرائط المبنية . على أن هناك نوعا من الأعطية هى أعطية الله تعالى جده فهى السعادة ، لأنها عطية منه عز اسمه وموهبة فى أشرف منازل الخير وأعلى مراتبه ، وتلك الموهبة خاصة من خواص الانسان الكامل فلا يشاركه فيها من ليست إنسانيته تامة كالصبيان وما يجرى مجراهم .

وتلك النظرية تقوم على نظرية أخرى عند أرسطاليس فأرسطاليس يرى أن السعادة تعتبر كذلك بالاضافة الى صاحبها فهى كمال له . فالسعادة على هذا الوضع خير ما ، وقد تكون سعادة الانسان غير سعادة الفرس وما اليه ، فسعادة كل شىء فى تمامه وكماله الذى يلائمه . وهنا يفرق بين الخير والسعادة فيرى أن الخير من حيث أنه مقصود للناس جميعا بالشوق اليه والعمل على تحصيله ، طبيعة تقصد ، وله مفهوم عام يدل عليه وهو الخير المطلق للناس من حيث إنهم كذلك . فالناس بأجمعهم محاصون فيه . لكن السعادة شىء آخر غير الخير عنده فهى خير ما لواحد واحد من الناس ، وهى بالاضافة ليست لها ذات معينة ، وهى تختلف بالاضافة الى قاصديها اختلافا يرجع الى مؤهلاتهم وما ركب فيهم من فطر ومعدات ، ومن أجل ذلك يكون الخير المطلق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

غير مختلف فيه . وقد يظن بالسعادة أن تقع لغير الناطقين لكن ليس على نحو من أنحاء الناطقين فانها إذا وقعت فانما هى استعدادات فيها لقبول كمالاتها الملائمة لها من غير روية ولا تدبير ، وهى بمنزلة الشوق أو ما يجرى مجراه من الناطقين بالارادة .

فما يقع للحيوانات فى مآكلها ومشاربها واستجمامها لا يمكن أن يسمى سعادة ، بل الوضع الصحيح له أن يسمى بختا أو اتفاقا ، وجلى أن العقل بفطرته قد جعل للسعى والحركة والارادة المكتسبة للانسان حدا تنتهى اليه ، فلذلك كان من المعقول أن يوجد خير مطلق لا تأباه طبيعة هذا الوجود ولا يوجد بين الناس خلاف عليه ، فالهمم والصناعات والتدابير الاختيارية الجدية مثلا ، كلها يقصد بها خير ما لوجه الانسانية على الأقل ، ولا يرتاب أحد فى أنها كذلك وأنها تثمر ثمرتها المرجوة لها فكل تصرف لا يقصد به خير ما كان عبثا والعقل يحظره ويأباه

فيكون الخير المطلق مقصودا اليه من الناس أجمعين لكن بقى بعد ذلك أن يعلم ما هو ذلك الخير المطلق ، وما الغاية القصوى منه التى هى غاية أنواعه وأعلى مراتبه ؟ وذلك ما سنعالج تبيانه بعد . غير أن أرسطاليس قسم الخير تقسيما مفصلا ونوعه تنويعا يكشف عنه كثيرا من الابهام الذى وقعت فيه جمهرة من متقدمى الفلاسفة . فهى ترى أن الخير أنواع وفصول ، فمنه ما هو شريف ومنه ما هو ممدوح ومنه ما هو بالقوة ، فالشريف منها ما كان شرفه مشتقا من ذاته بحيث يخلع الشرف على من قام به وهو الحكمة والعقل ، والممدوح منها كالفضائل والأفعال الجميلة الارادية .

أما ما كان بالقوة فكالتهيؤ والاستعداد لقبول الأشياء التى تكون نوعا من هذه الأنواع . ومن الخير ما هو غاية ، ومنه ما ليس كذلك ، ومن الغاية ما هو تام ومنها ما ليس كذلك ، فما هو تام كالسعادة لأن ، من بلغ اليها كان فى غناء عن أن يكون له وراءها مطمع أو مزيد ، وما هو غير تام كالصحة واليسار ، فأن من واتته الصحة وواتاه اليسار لم يكن له عن طلب المزيد غناء ، بل ربما كانت الصحة أو اليسار من أقوى الحوافز له على طلب المزيد . أما الذى ليس بغاية منه فكالعلاج والتعلم والرياضة والعمارة والزراعة وما الى ذلك . وجملة القول فى الخير على ما حققه أرسطاليس وحكاه عنه فرفوريوس أن من أنواع الخير ما هو خير على الاطلاق ، وما هو خير عند الضرورة . ومنها ما هو خير ولكن ليس من طريق له مقدماته ووسائله كالاتفاقات التى تتفق لبعض المجدودين من الناس . وإيضا منها ما هو خير لجميع الناس ومن جميع الوجوه وفى جميع الأوقات . ومنها ما ليس بخير لجميع الناس ولها من جميع الوجوه . (وبالتالى) منها ما هو فى الجوهر ومنها ما هو فى الكم ، ومنها ما هو فى الكيف ، ومنها ما هو فى الأين ، ومنها ما هو فى المضاف ومنها ما هو فى الحيز . وعلى الجملة فالخير يعرض للمقولات العشر وتحمل عليه حملا اصطلاحيا . وقد أفاض أرسطاليس إفاضة مبسوطة فى تبيان هذه المقولات وعروض الخير لها دلالة منه على أن مناحى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الخير غير محدودة ، وأن نعمة الله التى أسبغها على عباده أوسع من أن تضيق بها تلك الرقعة السوداء بل أن آثار الله وآلاءه مبثوثة فى كل أجزاء من أجزاء الكائنات ، حتى يبقى البرهان القاطع قائما على شيوع الآيات الباهرة فى سائر مناحى تلك المجموعة الشمسية « وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد » . وقد سلك أرسطاليس فى ذلك مسلكا يخالف مسلك المتقدمين من الفلاسفة كأفلاطون وبقراط ومن اليهما — فالمفهوم من تفاصيل مذهبه فى النفس الناطقة وفى الخير والسعادة التى تنفعل بها قوى النفس جلى ، بل إن الخير شىء غير السعادة وأنه شائع باجزائه فى كل مناحى الوجود حتى سرى الخير الى سائر المقولات فكان سريانه اليها دليلا على ذيوعه وانتفاع الناس به . فالخير فى الجوهر وهو ماليس بعرض يمثل له أرسطاليس بالحق تعالى جده فهو الخير الأول على حد تعبيره ، فان جميع الأشياء تتحرك بالشوق اليه ، ولأنه يفيض السرمدية والبقاء على الخير الذى كتب له الخلود ، وعلى الآلاء اللانهائية ، وعلى كل ما لا يطرأ عليه الفناء ، وفى الكم يمثل له بالعدد والمقدار المعتدلين ، ويمثل بالكيف باللذائذ وألوان المتاع ، ويمثل لمقولة الاضافة بالصداقات والإيمانات التى تنبعث عنها صلاحية تنطوى على خير الانسانية ، ويمثل للأين والمتى والمكان المعتدل فى أبعاده وجوانبه ومحيطاته وبالزمان الأنيق البهج المتفتح الاكمام عن المرح والسرور ، ويمثل لمقولة الوضع بالقعود والاضطجاع والاتكاء الموافق — ويمثل الملك بالأموال والمنافع ، ويمثل للانفعال بالسماع الطيب الشيق وسائر المشاهدات المؤثرة ، ويمثل الفعل برواج الأمر ونفاذ الكلمة وسعة السلطان . وعلى الجملة فانواع الخير عنده منها ما هو من قبيل المحسوسات ومنها ما هو من قبيل المعقولات مما سنعرض له فى بحوثنا التالية بمزيد بسط وإيضاح .

عباس طه
المحامى الشرعى

فضيلة الحلم

قال رجل للأحنف بن قيس : علمنى الحلم يا أبا بحر .

قال : هو الذل . يا ابن أخى أفتصبر عليه ؟

نقول: يريد بقوله هو الذل أنه كبح للنفس عن مقابلة الجهل بالجهل ، فان النفس تميل لذلك ، ولكنه يردعها عنه فكأنه يذلها .

وقال الأحنف نفسه أيضا : آفة الحلم ، الذل . وقال : لا حلم لمن لا سفيه له .

وأحسن بيت فيما يناسب هذا المقام لكعب بن زهير :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى ۞ أصبت حليما أو أصابك جاهل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حكمة تحريم سؤر الكلب

معجزة علمية للاسلام يكشفها الطب حديثا

في باب الفتاوى من هذا العدد استفتاء عن تربية الكلاب ، فرأينا أن نلخص في هذه المناسبة مقالا نقله قلم الترجمة لهذه المجلة عن مجلة (كوسموس) (Cosmos) الألمانية تحت عنوان « الأخطار التي تنشأ عن اقتناء الكلاب أو الاقتراب منها » للدكتور (جراود فنتسمر) فهو يكشف عن إحدى المعجزات العلمية للاسلام . فاليك :

« إن ازدياد شغف الناس باقتناء الكلاب في هذا العهد الأخير يضطرنا الى لفت الأنظار للأخطار التي تنجم عن ذلك ، وخاصة إذا دفع اقتناؤها الى مداعبتها وتقبيلها والسماح لها بلحس أيدي أصحابها ، وتركها تلعق فضلات الطعام من أوانيها .

« فكل ما ذكر ، مع نبوه عن الذوق السليم ، ومنافاته للآداب ، لا يتفق وقوانين الصحة فان الأخطار التي تهدد صحة الانسان وحياته بسبب هذا التسامح مما لا يستهان به . فان الكلاب تصاب بدودة شريطية تتعداها الى الانسان ، وتصيبه بأمراض عضالة قد تصل الى حد العدوان على حياته .

« هذه الدودة لا يزيد طولها عن نصف السنتيمتر ، والجزء الخلفي منها لا يزيد عرضه عن مليمتر ، ويحتوي في دور بلوغها على ما لا يقل عن خمسمائة بويضة لا يزيد قطر الواحدة منها عن ٣ / ١٠٠ من المليمتر ، فهي لا ترى بالعين المجردة

« فاذا ما تسربت هذه البويضة الى أمعاء الانسان بسبب عدم تحوطه من لعاب الكلاب تمزق عصارتها قشرتها ، فتخرج منها دويدة ذات ستة خطافات محددة تندفع في مجرى الدم بعد أن تخترق جدار المصران وتسبح فيه الى أن تصل الى الكبد فتستقر فيه غالبا وتأخذ في النمو وتحدث فيه بثورا لا تزيد اتساع البثرة منها عن مليمتر في الشهرين الأولين ، ولكن بعد مرور خمسة أشهر يبلغ اتساع البثرة سنتيمترين . ثم تأخذ في النمو كلما تمادت بها السنون . وهذه البثرات تتقيح وكثيرا ما تتولد منها بثرات جديدة . فاذا انفجرت انتقل قيحها من عضو الى آخر وأصيب بما أصيب به العضو الأول ، فأصبح الداء مستعصيا ، وعرض حياة المصاب به الى الخطر .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« أكثر ما توجد هذه البثرات فى كبد الانسان ، وقد تنتقل الى الرئتين والطحال والكلى والى تجويف الجمجمة . فيتغير شكلها . فقد يصل حجم البثرة الى نحو قبضة اليد أو رأس الطفل ، داخلها سائل أصفر .

« مما يدعو الى الأسف أن الحالات التى تزول فيها هذه الطفيليات من الجسم دون أن تترك أثرا أو تحدث ضررا نادرة جدا . هذا فضلا عن أن الوسائل الكيمائية لا تأتى بأية فائدة ، فلا بد من لجوء المصاب الى مشرط الجراح ولا كرامة .

« وقد ثبت أن جميع أجناس الكلاب حتى أصغرها حجما لا تسلم من الاصابة بهذه الديدان الشريطية .

« وأثبت الأستاذ الدكتور (نوللر) من تشريح الجثث بألمانيا أن الاصابات الآدمية بقروح دودة الكلاب قد لا تقل عن واحد فى كل مائة ، وعرف أن أكثر الأقطار تلوثا بهذه الآفة : الدانمارك ، وهولندة ودالماسيا ، وإسلاندة ، وبلاد القرم .

« وقد رؤى فى إقليم فريزلند بهولاندة حيث تستخدم الكلاب فى الجر أن فى كل مائة منها ١٢ إصابة . ووجد فى اسلاندة شخص مصاب بهذه الآفة فى كل ٤٣ شخصا من أهاليها . وشوهد أن هذه النسبة تزيد فى استراليا ، إذ ثبت وجود شخص مصاب بها فى كل ٣٩ شخصا من سكانها . وثبت كذلك أنها كانت سببا مباشرا لكثير من الأمراض فى تركيا وبلغاريا وروسيا وفنلندة ، وفى مناطق من شمال السويد وأفريقيا الشمالية والكاب وبأقطار كثيرة من أمريكا الجنوبية . وقد ثبت من الاحصاءات أنه يموت فى انجلترة فى الوقت الراهن أكثر من أربعمائة شخص سنويا .

« وقد شوهد أن الحيوانات كثيرة التعرض للعدوى بهذه الدودة من الانسان ، فقد سجل فى مجازرها أن ٢ ٪ من الاغنام يوجدان مصابين بها ، وأقل من ذلك فى الأبقار والخنازير . ولكن هذه النسبة لا تقف عند هذا الحد فى أقطار أخرى ، فقد قيل إنها بلغت فى مكلنبورج من ألمانيا الى ١١ ٪ فى الاغنام ، و١٢ فى الأبقار ، وسجلت مجازر هامبورج ١٨ ٪ فى الخنازير .

قال الأستاذ كاتب هذا البحث :

« لما كان ليس من المستطاع منع الناس عن اقتناء الكلاب فلا مناص من اتخاذ وسائل تحول دون سريان دائها العضال بين الناس . وأول هذه الوسائل عدم السماح بدخولها الى المجازر العامة ، فاذا أصيبت الكلاب بهذا الداء وجب معالجتها لاتقاء عدواها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« كذلك تجب العناية بأمر الذبائح المترابية ، فقد تكون مصابة بدودة الكلب ولا يعرفها صاحبها ولا القصاب المكلف بذبحها .

« ومما تجب على الناس مراعاته عدم مداعبة الكلاب ، وتعويد الأطفال التوقى منها ، فلا تترك تلعق أيديهم ، ولا يجوز ابقاء الكلاب بمحال نزهة الأطفال وميادين رياضتهم .

« ويجب أن لا تطعم الكلاب فى الأوانى المعدة لأكل الناس ، وأن لا يسمح لها بدخول متاجر المأكولات والأسواق العامة أو المطاعم ، وعلى وجه عام يجب إبعادها عن كل ماله مساس بمأكل الانسان ومشربه » انتهى .

ما قيل فى التعمير

دخل الشعبي على عبد الملك بن مروان فوجده مهتما فقال له : ما بال أمير المؤمنين ؟ قال : ذكرت قول زهير :

كأنى وقد جاوزت سبعين حجة ... خلعت بها عنى عذار لجامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن يرمى وليس برامى

قال له الشعبي : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لبيد بن ربيعة وقد بلغ السبعين :

كأني وقد جاوزت سبعين حجة ... خلعت بها عن منكبي ردائيا

ولما بلغ سبعا وسبعين سنة قال :

باتت تشكى الى النفس موهنة ... وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فان تزادى ثلاثا تبلغى أملا ... وفى الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ تسعين سنة قال :

أليس ورائى إن تراخت منيتى ... لزوم العصا تحنى عليها الأضالع
أخبر أخبار القرون التى خلت ... أنوء كأنى كلما قمت راكع

ولما بلغ ثلاثين ومئة وحضرته الوفاة قال :

تمنى ابنتاى إن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوما فقولا بالذى تعلمانه ... ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه ... أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
الى سنة ثم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تقرير بعثة الهند

ندب حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر وحضرات اصحاب الفضيلة جماعة كبار العلماء ثلاثة من كرام العلماء هم : أصحاب الفضيلة الشيخ ابراهيم الجبالى والشيخ محمد احمد العدوى والشيخ عبد الوهاب النجار للشخوص الى الهند ودراسة أحوال المسلمين بها ، وما يجب أن يتخذ من الوسائل للدفاع عن الدين وامانة البدع وإحياء السنن هنالك ، وما يتطلب واجب تنظيم اسلوب الدعوة اليه ونشر كلمته ، وكانت هذه البعثة تحت رئاسة اولهم ، وقد ندب الاستاذ محمد حبيب وكيل كلية اللغة العربية ان يكون كاتم اسرارها ، وحضرة الفاضل محمد صلاح الدين افندى النجار مساعدا له ، فقامت هذه البعثة بما عهد اليها من التنقل فى اقاليم الهند وعواصمها ، ومقابلة كبار المسلمين بها ، وزيارة معاهدها العلمية ومؤسساتها الثقافية ، ولما آبت الى مصر اودعت ماجمعته من المعلومات الثمينة تقريرا يقع فى اكثر من سبعين صفحة من صفحات هذه المجلة ، وتشرفت برفعه لفضيلة الاستاذ الاكبر ، فآثرنا ان ننشر هذا التقرير القيم تباعا فى مجلة الازهر ، فانه لم يدع صغيرة ولا كبيرة مما يهم المسلمين الاطلاع عليه من احوال إخوانهم الهنديين من الناحية الدينية والثقافية والاجتماعية إلا احصاها . فلحضرات رئيس واعضاء هذه البعثة الشكر على ما قاموا به من هذه الخدمة العلمية ، وجزاهم الله عن الحنيفية السمحاء ما هم اهله وإليك نص ذلك التقرير :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أرسله الله رحمة للعالمين . أما بعد فان البعثة الأزهرية الى الهند تتشرف برفع هذا التقرير الى حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر .

وإنا لنتوجه الى الله سبحانه وتعالى ، فى مستهل عملنا ، أن يوفقنا الى إبداء الرأى واضحا جليا لمصلحة الاسلام والمسلمين ، مبتغين فيه وجه الله الكريم ، والله تعالى ولى التوفيق .

نشأة الفكرة :

نشرت جريدة البلاغ بتاريخ ٢٣ ربيع الأول سنه ١٣٥٥ الموافق ١٣ يونيه سنة ١٩٣٦ مقالا ضافيا عن أحوال طائفة المنبوذين فى الهند ، ذهبت فيه الى أنهم قد تبرموا بوضعيتهم الدينية والسياسية ، فاجتمع رؤساؤهم مرات متكررة ، ثم قرروا التحول عن الدين الهندوسى الذى يضعهم فى أحط الدركات الى دين يختارونه يمتاز بالخلو من نظام الطبقات حيث يجدون العزة ويتبوءون المكانة اللائقة بهم . كما ذكرت أن كثيرا من زعماء المنبوذين قد أثنوا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على الاسلام خلال خطاباتهم . وأن زعيما من زعمائهم هو الدكتور أمبيدكار أعلن فى جمع حافل أنه لا مناص من تغيير الدين الذى نشأ عليه الى دين آخر لم يحن الوقت لاعلانه .

اتجهت الانظار عندئذ الى الأزهر الشريف ، وكل الناس ينتظر منه عملا يشرف الاسلام ويثلج صدور أهله . ثم جاءت الكتب تترى الى فضيلة الأستاذ الأكبر ، كل يدلى بما وصل اليه فكره من رأى يعتقده مجديا فى ضم المنبوذين — وهم خمسون مليونا — الى حظيرة الاسلام وكانوا جميعا متواضعين على اقتراح إرسال الوعاظ والدعاة الى ذلك القطر النائى لهداية هؤلاء القوم الى الدين الاسلامى الحنيف ببيان محاسنه والاعراب عن سمو مبادئه والتدليل على أنه الدين الذى يكفل لأهله الحرية والاخاء والمساواة .

وبعد ذلك بأسابيع ، وردت على فضيلة الأستاذ الأكبر عدة رسائل من الهند تناقضت فيها الأخبار ، فمن قائل بضرورة ايفاد بعثة من المبلغين ، الى قائل بالاستغناء عن ذلك بمعونة مالية يرسلها الأزهر للجمعيات التى تقوم بالعمل فعلا . وقد ذهب فريق من المتشائمين الى أن الأزهر لا يستطيع أن يساهم بكثير أو قليل فى هذا العمل الخطير .

عندئذ عمد فضيلة الأستاذ الأكبر الى التأنى حتى ينجلى الموقف . ثم بعث الى بعض شخصيات الهند البارزة يسألهم رأيهم فى الأمر .

وما إن نشرت جريدة البلاغ أخبار هذه الكتب حتى انهالت الرسائل تتحدث الى فضيلته عن شئون المنبوذين . وكان من المبادرين الى ذلك السيد عبد العزيز الثعالبى ، إذ تقدم بتقرير ضاف يبين شأن المنبوذين وما يلاقون من هوان ، ويصف أحوالهم وما يحتاجون إليه ، وما ينبغى أن يقوم به الأزهر من أجلهم . وقد ذهب فى تقريره الى أنه لا لزوم لارسال بعثة لادخال المنبوذين فى الاسلام . فاذا لم تكن هناك مندوحة من العمل فليجمع المال لانشاء المؤسسات لهم من مدارس ومستوصفات وملاجئ ونحو ذلك ، وأما البعثة فانها تكلف المال الكثير دون جدوى . ولما كانت جريدة البلاغ محور الاهتمام الصحفى بالأمر فقد وردت عليها جملة رسائل كانت تنشرها تباعا ، ومن أهمها ما تقدم به الأستاذ حامد المليجى الى فضيلة الأستاذ الأكبر وهو خطاب ورد عليه من محمد زكريا منيار سكرتير أنجومان تبليغ الاسلام ببومبى تاريخه ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ يذكر فيه أن إرسال بعثة من الأزهر فى الوقت الحاضر مضر جدا وأن الهنادك قد قامت فيهم حركة عنيفة واستعدوا بالمال الكثير لمقاومة البعثة وإحباط مسعاها .

ثم قدم السيد عبد العزيز الثعالبى كتابا — عدا تقريره السابق — من أربع صفحات ورد اليه من محمد زكريا منيار نفسه تاريخه ٧ سبتمبر سنة ١٩٣٦ يذكر فيه الشىء الكثير عن غنى الهنادك وإجزالهم الهبات فى سبيل مصالحهم الطائفية ، وأنهم سيقاومون بعثة الأزهر أشد مقاومة لفرط حرصهم على بقاء المنبوذين على دينهم ، وأن بعثة الأزهر سيكون شأنها الاعلان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والتظاهر مما يغرى الهندوس بمقاومتها غاية جهدهم ؛ كما ذكر أن الملايين التى أشاعت الجرائد إسلامها ليست حقيقية ، وأن جمعيات التبليغ بالهند عاملة على تهيئة الجو الصالح حتى إذا آن الأوان جاز لبعثة الأزهر أن تسافر الى الهند .

وورد على فضيلة الاستاذ الأكبر كتاب من الاستاذ فضل رحيم المحامى بنا جبور يستحث فيه الأزهر على إرسال بعثته . ويبين مزايا هذه البعثة ويشرح طريقة العمل .

عرض الأمر على جماعة كبار العلماء :

إزاء هـذا التناقض الغريب ، رأى فضيلة الأستاذ الأكبر أن يرسل بعثة لاستكشاف الأحوال فى الهند ، كما رأى الفرصة مناسبة لأن تزيد البعثة فى عملها بأن تتصل بالبيئات العلمية الاسلامية ورجال الفكر والشخصيات البارزة فى الهند .

ثم عرض فضيلته الأمر على جماعة كبار العلماء مدعما بما ورد اليه من رسائل ممن دعاهم ومن الذين لم يدعهم الى التقدم برأيهم . ومن أمهات هذه الكتب ما ورد من السير محمد اقبال شاعر الهند الاسلامية وفيلسوفها العظيم .

استعرضت جماعة كبار العلماء ظروف الحال وقررت ما يأتى :

١ — إرسال بعثة الى الهند لدراسة حال المنبوذين ومعرفة الوسائل الناجعة لهدايتهم الى الاسلام ، ودراسة أحوال الجمعيات الاسلامية وأحوال الطوائف الاسلامية بالهند .

٢ — أن يكون عدد أفراد البعثة ثلاثة ، ومعهم سكرتير يجيد اللغة الانجليزية . ويصح أن يلحق بهذه البعثة بعض الهنود بالجامع الازهر .

٣ — أن يفوض الى حضرة صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ الاكبر اختيار أشخاص البعثة ممن يمكنهم الاضطلاع بهذه المهمة ، وأن يفوض اليه كذلك إنفاق المال اللازم على هذه البعثة من أموال الجماعة .

يتبين من هذا أن مهمة البعثة قد انحصرت فيما يلى :

١ — دراسة حال المنبوذين ، ومعرفة الوسائل الناجعة لهدايتهم الى الاسلام .

٢ — دراسة أحوال الجمعيات والطوائف الاسلامية بالهند .

وقد قامت البعثة بتوفيق الله تعالى بما كلفته . ثم رأت من المصلحة أن تضيف الى عملها دراسات وأعمالا أخرى اقتضتها المصلحة العامة ، مما هو وارد بهذا التقرير .

وقع اختيار فضيلة الاستاذ الأكبر على أصحاب الفضيلة : الشيخ ابراهيم الجبالى والشيخ عبد الوهاب النجار والشيخ محمد احمد العدوى من بين المرشحين . أما سكرتارية البعثة فقد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أسندت الى الأستاذ محمد حبيب احمد مدرس التاريخ الاسلامى بكلية اصول الدين . ووقع الاختيار على محمد صلاح الدين النجار افندى لمساعدة السكرتير فى عمله .

قبيل سفر البعثة :

تجهز أعضاء البعثة للسفر، ثم قابلوا فضيلة الأستاذ الأكبر فأسدى اليهم غالى النصح ، وطلب اليهم أن يتصلوا بطوائف المسلمين وأن يعملوا ما استطاعوا على إزالة الفوارق بينهم ، وأن يكونوا إخوانا متعاضدين تحقيقا للوحدة الاسلامية التى قال الله تعالى بشأنها : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » . فاذا وفقت البعثة الى ذلك جنى الاسلام فائدة عظيمة كما طلب اليهم أن يعقدوا صلات الود بين معاهد العلم فى الهند والأزهر فى مصر على أساس النفع المتبادل . وأن يدرسوا عن كثب حال المنبوذين دراسة مستفيضة ليعلموا الى أى حد يمكن للازهر أن يساهم فى الحركة التى شاعت عنهم إن كانت لها حقيقة ، ثم دعا لهم بالتوفيق وكان ذلك فى اليوم الرابع عشر من شهر رمضان سنة ١٣٥٥

وفى اليوم التالى قابل أعضاء البعثة مجلس الوصاية الموقر بقصر عابدين ؛ فأخذ صاحب السمو الملكى الأمير محمد على يظهر ارتياحه وسروره العظيم لسفر البعثة . ثم أخذ سموه يلقى النصائح على ضوء ما شاهده فى رحلته الى الهند .

ثم قابلت البعثة بعد ذلك حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء . ولما أن شرحت له البعثة مقاصدها سر من ذلك سرورا عظيما وأخذ يلقى النصائح ويدعو للبعثة بالتوفيق .

وفى اليوم السابع عشر من شهر رمضان سنة ١٣٥٥ الموافق أول ديسمبر سنة ١٩٣٦ غادرت البعثة القاهرة . وقد ودعت فيها وداعا حافلا فكان على رأس المودعين فضيلة الأستاذ الأكبر يحف به عظماء القوم من كل من يمت الى البعثة أو أحد أعضائها بصلة . فكان وداعا جمع فأوعى .

ثم استقبلت البعثة كذلك فى بنها استقبالا حسنا إذ جاء اليها وفد من علماء معهد طنطا يتقدمهم فضيلة الاستاذ (المرحوم) الشيخ محمود الدينارى .

أما بور سعيد فقد كانت حفاوتها بالبعثة عظيمة ، منذ أن نزلت بها الى أن غادرتها على ظهر السفينة فى الساعة الثامنة من مساء اليوم التالى .

وبعد أن اجتازت الباخرة القناة ، ، ولم نقف فى مدينة السويس ، وردت على البعثة رسالة لاسلكية من أهالى السويس وبور توفيق يحيونها ويرجون لها النجاح فى مهمتها . وقد أجابت البعثة على ذلك بالشكر تلغرافيا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كلمة شكر :

وقبل أن نسترسل فى الكلام على شئون البعثة ، يجدر بنا أن نتقدم بوافر الحمد وجزيل الشكر الى الصحافة المصرية على عنايتها بشئون البعثة قبل سفرها وبعده . ونخص بالشكر جريدة البلاغ على عنايتها بالشئون الاسلامية عامة وشئون الهند خاصة . فقد كانت للأستاذ حامد المليجى محرر القسم الشرقى بالبلاغ جهود تذكر بالشكر فى تتبع الشئون التى يهم الأزهر الوقوف عليها ، واستطلاع آراء العاملين فى هذا الموضوع على اختلاف نزعاتهم مما ألقى على الموضوع ضوءا مفيدا . ولا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر لجرائد الأهرام والمصرى والجهاد على تتبعها أخبار البعثة ونشرها الكثير من الرسائل الواردة عليها من مراسليها بالهند .

كما يجدر بنا أن نتقدم الى جمعية الشبان المسلمين ممثلة فى شخص رئيسها الدكتور عبد الحميد سعيد بالشكر على ما بذله من المساعدات الأدبية للبعثة .

فى عدن :

استقبلت البعثة فى ميناء عدن استقبالا عظيما حيث صعد اليها السيد عبد الله علوى الجفرى والسيد عبد الرحمن الجفرى وكذا بعض أعيان عدن . ونزل الجميع الى البر حيث كان السيد فضل ولى عهد سلطنة لحج قد جاء لاستقبال البعثة والسلام عليها . ثم سار الجميع فى رتل من السيارات الى نادى الاصلاح حيث أعدت لهم مائدة إفطار جمعت أعيان البلاد وأهل العلم أمثال : السيد عبد الله بن احمد بن عمر بن يحيي العلوى ، وأولاد عمومته ، والسيد الاصنج من رجالات عدن وأهل الغيرة على مصالح المسلمين بها .

ثم انتقل الجميع الى قصر سلطان لحج حيث كان فى استقبالهم ولى العهد ومعه حاشيته وهناك التقينا بالسيد عبد العزيز الثعالبي الذى كان قد سبقنا الى عدن فى طريقه الى الهند .

وبعد تناول المرطبات بقصر السلطان عادت البعثة الى الباخرة وفى صحبتها ولى العهد وكذلك الشباب الناهض من أهل العلم والأدب ، فشكرت البعثة الجميع على حفاوتهم . ثم سارت الباخرة فى طريقها الى بومباى .

وحدث ، ونحن على ظهر السفينة ، أن اتفقت كلمتنا على النزول بفندق « تاج محل » وهو أعظم فندق فى بومباى ، وذلك حفظا لكرامة البعثة والهيئة الموقرة التى أوفدتها ، وحتى تتاح الفرصة لكل من يريد الاتصال بالبعثة أن يقصد الى الفندق فى غير حرج .

وقبل وصولنا الى بومباى بيومين وردت علينا رسالة لاسلكية من الحاج قاسم على

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

شيراز بهاى من كبار أعيان المدينة ورئيس جمعية « انجومان تبليغ الاسلام » يرحب بالبعثة ويرجو أن تقبل النزول فى ضيافته ، فاجبناه تلغرافيا شاكرين له دعوته ، معتذرين بأننا حجزنا فى فندق « تاج محل » وقد علمنا بعد ذلك أن تصرفنا هذا كان بردا وسلاما على قلوب الجالية العربية وغيرهم ببومباى إذ رأوا فيه عزة لنا ولهم ورفعة لمقامنا ومقامهم فى أعين أهل الهند .

وقد رأينا أن نستعد ، ونحن على ظهر السفينة ، ببيان ندلى به الى الصحافة الهندية عند نزولنا ، فوضعنا البيان الآتى :

« إن البعثة الأزهرية المصرية قد قدمت الى الهند تحمل بين جنبيها صداقة الشعب المصرى لسكان الهند كافة ، وقد جاءت الى هذه البلاد لزيارة المؤسسات العلمية على العموم ، والاسلامية منها على الخصوص ، وكذا للتعرف بزعماء المسلمين وقادة الفكر فيهم ؛ وهى ترجو من وراء ذلك أن توطد علاقات الصداقة بين المسلمين فى الهند وإخوانهم فى الاسلام بمصر »

فكان ذلك البيان باكورة طيبة لعمل البعثة نشرته كافة الصحف الهندية ، ثم علقت عليه بالترحيب بها راجية لها أن توفق فى مهمتها . كما كان للبيان أثر طيب فى جميع الدوائر الاسلامية وكذا فى الدوائر الحكومية ، مما استطعنا أن نستجليه واضحا خلال مقابلاتنا العديدة مع رجال الحكم فى تلك البلاد .

وكان من أثره كذلك أن رغبت الحكومة فى تسهيل مهمتنا ، فأوصت الحكومة المركزية فى دلهى كافة الحكومات الاقليمية بالبعثة خيرا ، فكان ذلك عونا لنا على القيام بما كلفنا به .

مكانة مصر والأزهر عند مسلمى الهند :

إن بلاد الهند ، مع كثرة المتعلمين والمثقفين من المسلمين فيها ، والحاصلين على أعلى الدرجات العلمية من جامعات انجلترا وألمانيا وأمريكا واليابان ، لا يزال أهلها يكنون لمصر كل إكبار واحترام ، ويعتبرونها زعيمة الأمم الشرقية فى العلوم والمعارف ، وحاملة لواء النهضة العلمية والثقافية فى الشرق كله .

أما الأزهر فله فى قلوبهم مكانة عظمى . فهو عند المسلمين ، بلا استثناء ، كعبة العلوم الدينية والعربية ، والمنهل العذب لجميع طلاب العلوم الدينية فى العالم بأسره ، وعلماؤه قدوة أهل الشرق والغرب فى الدين ، وهم الهداة الذين لا يشق لهم غبار .

وكم سمعنا من أفاضل العلماء الاتقياء قولهم والعبرات تخنقهم : (إنكم يا أهل مصر تردون موارد العلم فى الأزهر صافية عذبة ، ونحن لا نرد إلا كدرا . لذلك شاع بيننا اختلاف العلماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وتباين الأهواء وتدابر أهل الدين وصاروا شيعا يكفر بعضهم بعضاً؛ أما أنتم فلا خلاف بينكم فى الدين ولا اختلاف، وقد اتسعت صدوركم ولم تتبعوا نزعات الضالين باسم الدين .. الخ ».

وليس أدل على ما للازهر من مكانة سامية من قول الزعيم الكبير محمد على جناح عندما طلب اليه أن يكتب لأصدقائه داخل الهند يوصيهم بالبعثة ويسألهم معونتها الأدبية : إن اسم الأزهر عظيم جليل، وهو اسم سيشق الطريق أمامكم فسيحا الى جميع أغراضكم التى ترمون اليها، فان روعته فى القلوب، واحترامه فى النفوس، كفيلان بذلك .

وقد بلغ من تقدير إخواننا المسلمين فى الهند للأزهر وبعثته أن قررت جمعية « إسلام سيفا سماج » فى مستهل بعثتنا، أن تهدى المدالية الذهبية الى فضيلة الأستاذ الأكبر، وهى المدالية السنوية التى تهديها الجمعية فى يوم عيد الفطر المبارك الى خير من أبلى فى خدمة الاسلام خلال العام . وقد رأت الجمعية أن العمل الذى قام به الاستاذ الاكبر من ايفاد هذه البعثة، مضافا الى جلائل أعماله فى خدمة الاسلام، يجعل فضيلته خير مستحق لهذه المدالية . وقد أهديت مدالية هذه الجمعية فى العام الماضى الى حضرة صاحب السمو العالى نظام حيدر أباد .

وقد آثرنا أن ننشر فيما يلى فقرات قصيرة مما جاء على ألسنة بعض الخطباء من تقدير للازهر ومكانته فى الهند :

« نحن وإن بعدت الشقة بيننا، ولم يسبق لنا باللقاء عهد، فاجمة العلم والأدب تجمعنا . ولحمة العلم أقوى من لحمة النسب ... ولعل هذه أول النهضات العربية فى العالم الاسلامى منذ قرون خالية . ومزيتكم على جميع الاقطار الاسلامية جلية . ومن ذا لا يعرف فضائل الأزهر الذى كان من أجل مراكز العلم فى الزمن الغابر، وسيكون إن شاء الله من أشرق الجامعات العلمية فى العصر الحاضر » .... من خطاب دائرة المعارف بحيدر أباد .

« قد زادنا سرورا أنكم ما ركبتم البحار إلا لنا، ولتوثيق عرى المودة بين المسلمين وتعارف الأزهر وطلابه مع المعاهد العلمية فى الهند وطلبتها البائسين، ولاحكام أواصر الرابطة الاسلامية التى لعبت يد الحدثان باوصالها . فما أسعد [illegible] حيث نلنا بغيتنا وظفرنا بأمنيتنا، فذلك ما كنا نبغى، فان المسلمين لن ينجحوا أبدا فى حياتهم ولا نظامهم ولا اقتصادهم إلا إذا استمسكوا بعروة الوحدة الاسلامية استمساكا، وعضوا عليها بالنواجذ . نحن الطلبة، وإن ربتنا الهند ونشأنا فيها، جد مولعين بالعلوم العربية والاسلامية، ولكن من الأسف إن معاهدنا العربية الهندية لم تزل غير كافية لسد ما نحتاج اليه، وظروفنا ما وسعتنا أن نسافر الى البلاد العربية ونستقى من مناهج علومها العذبة، لكوننا من أهل بقعة ليس فيها إلا البؤس والشقاء . فرجاؤنا أن نلفت أنظاركم الينا، وأن تبذلوا جهودكم لدى مشيخة الأزهر أن تذلل لنا العقبات التى تحول بيننا وبين الارتشاف من مناهل الأزهر العذبة » . . . . . من خطاب الطلبة فى ندوة العلماء بمدينة لكنو .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« لا ريب أن الأزهر مركزنا العظيم ، وعاصمة العلوم وحصنها ، وأن الأزهر وفرنجى محل بينهما مناسبة عظيمة فى نشر العلوم وخدمتها . لا نحسبكم ضيوفنا بل أنتم أساتذتنا ومرجع آمالنا » . . . . خطاب الترحيب فى فرنجى محل بمدينة لكنو .

« إنكم أيها السادة تمثلون أقدم جامعة فى العالم ، كانت ولا تزال منبع العلم والنور ألا وهى الجامعة الأزهرية فأنتم رسل المحبة ، والنائبون عن طبقات المتعلمين المثقفين فى مصر ولقد فتحتم فتحا جديدا بزيارتكم لاخوانكم المسلمين هنا . جئتم لاكتشاف طرق التعليم . جئتم تعلمون وتستفيدون . جئتم اتروا ما يمكنكم الأخذ به من أساليبنا . كما جئتم الى بلادنا لتلقوا عليها ولمصلحتها ضوء العلم والعرفان الذى اقتبستموه من جامعتكم العظيمة » . . . . من خطاب جمعية مسلمى البنجاب بمدينة كرتشى .

« إن زيارة البعثة الأزهرية الى بلادنا لزيارة ميمونة ، لا سيما فى ذلك الوقت الذى ضربت فيه بلادكم السعيدة بسهم وافر فى العلم والسياسة . فان مصر بموقعها ملتقى ثقافتى الشرق والغرب وهى الحصن الحصين للغة العربية التى هى اللغة الدينية للعالم الاسلامى كافة . وكانت الهند ولا تزال تتطلع الى بلادكم بحثا عن كنوز الدين وثقافته التى مابرحت مصر تغذى بها العالم أجمع » من خطاب جمعية التاج الاسلامية للنشر بلاهور .

« لقد جئتم الينا من أقدم جامعات العالم — من الجامعة الأزهرية التى سلخت الى اليوم من حياتها ألف عام — وإن صيت جامعتكم العظيمة التى هى أثر من آثار الفن الاسلامى ، ومركز من مراكز الثقافة ، قد جاب الآفاق ، وأصبح ذائعا فى دوائر العلم والأدب فى الشرق والغرب . فبينما كانت أوربا غارقة فى محيط الجهالة ، كانت الجامعة الأزهرية العظيمة منارا يشع بضوئه العلمى المنتشر فى كافة الأقطار ، فكان هاديا للضالين فى ظلمات التعصب الدينى وضيق التفكير . وإن الأزهر اليوم لهو الجامعة الدينية الوحيدة التى تجتذب الطلبة من كافة أنحاء المعمورة ، كما أنها الجامعة التى بزت سائر الجامعات فى الاعراب عن الرأى الاسلامى العام والعقيدة الاسلامية الخالصة » . . . . من خطاب حزب الله فى بهارل بور .

« لقد شرفتم الأمة الهندية بقدومكم الى هذه البلاد النائية ، إحياء لذكرى الماضى الذهبى القديم ، وتجديدا لروابط الاخوة الاسلامية . فنزلتم بأرضنا تحملون رسالة وادى النيل ومصر الشقيقة الى الهند ومسلميها إخوانكم فى الله والدين » خطاب طلبة الكلية الطبية بدلهى .

مكانة مصر الأدبية :

إن الطلبة فى الهند ليشعرون من قرارة أنفسهم شعورا عميقا بما لمصر من المكانة الأدبية وما لأهلها من قدم راسخة وقدرة فائقة فى العلوم والمعارف فكم رأينا من الطلبة فى كافة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أنحاء الهند من يحنون شوقا ويتحرقون شغفا بمصر وأزهرها ، ويتطلعون الى الارتشاف من معين علومها . وكم رأينا ممن تفيض أعينهم بالدمع حزنا على أنهم لا يجدون ما ينفقونه على أنفسهم فى مصر إذا هم قصدوها لطلب العلم .

ولقد بلغ من شغف الطلبة ، وشوقهم الى مصر وأهلها ، ورغبتهم فى الاطلاع على أحوالها . أنهم كانوا يتقدمون لنا مبادرين ليأخذوا وعدا من أعضاء البعثة بمحاضرات عن شئون مصر فى جميع نواحى الحياة ، قائلين : إنهم أحق بذلك من غيرهم لأن أهل العلم بعضهم أولى ببعض . وقد كان لهم فى أكثر الأحيان ما أرادوا .

أما تهافت الطلبة على سماع المحاضرات العامة والخطب الشاملة من أعضاء البعثة فحدث عنه . وكم طلب إلينا طلبة الجامعات مقابلات خاصة ليستفسروا منا عن بعض ما أرتج عليهم من أحوال مصر مما لا تتسع له المحاضرات العامة .

وقد اهتم كثير من الجامعات الاسلامية وكذلك المدارس الخاصة بأبناء المسلمين بدعوة البعثة ليعرضوا عليها نواحى نشاطهم فى ترقية التعليم من ناحيتيه الدينية والعربية .

فمن ذلك أن الجامعة الملية بدلهى قد عرضت علينا ما تبذله من جهود فى سبيل ترقية اللغة العربية فيها . وقد تذاكرنا مع ناظم الجامعة الدكتور زاكر حسين ، وتبادلنا معه المذكرات فيما يمكن أن يقوم بين جامعته والجامعة الأزهرية من صلات ثقافية .

ومن ذلك أيضا أن جامعة عليكره طلبت الى البعثة أن تضع لها منهاجا كفيلا بترقية الدراسات الدينية . فوعدت البعثة بأن ترفع هذا الرجاء بعد عودتها الى رياسة الجامعة الأزهرية وذلك لأن الوقت لم يكن كافيا للمناقشة والمذاكرة .

ومن ذلك أيضا أن خان بهادور الدكتور محمد حسين قد أنشأ بمدينة دهرادون مدرسة يعمل فيها على إعداد طلبة الهند لنيل شهادة كمبردج العليا (Senior Cambridge) التى تؤهل الطلبة للانتساب الى الجامعات البريطانية رأسا دون التقيد بمناهج الهند الجامعية التى لا تعترف الجامعات الانجليزية بمساواتها لمثيلاتها من الجامعات البريطانية فى الدرجات العلمية . وهو بذلك يوفر على طلبة الهند الذين يعتزمون السفر الى انجلترا ثلاث سنوات أو أربعا من سنى حياتهم . تقدم الينا هذا الرجل فعرض علينا أن نضع له منهجا للعلوم الدينية والعربية يستطيع به الطالب دخول كليات الأزهر رأسا دون أن يقف فى سبيله ما يقف فى سبيل الطالب الهندى العادى ، وحتى يوفر على أبناء بلده ذلك الزمن الذى يقضونه فى الدراسات الدينية التى قد لا تساير مناهج الأزهر . وهو أمر لو تم لكان من أحسن الأمور وأعمقها أثرا وأنفعها للاسلام والمسلمين . لا سيما وأن طبقة الطلبة فى مدرسته ينتمون الى أسر طيبة . وللدكتور محمد حسين آمال كبار فى أن يخرج من المدرسة التى يشير بها . وما يتلوها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حول فلسفة ابن رشد :

نشرنا فى العدد الماضى مقالا لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى يرد فيه على حضرة الاستاذ الدكتور محمد غلاب بشأن ما نشره من رأى ابن رشد فى قدم العالم ، فاضطر الدكتور غلاب لتعزيز ماذهب اليه فأرسل الينا ردا مستفيضا مؤيدا بكثير من النصوص والأدلة ، مريدا بذلك أن لا يدع لأحد مجالا للريب فى صحة ما كتبه عن الفيلسوف الاندلسى ، ولكى لا نثير هذا الجدل العنيف آثرنا أن نغلق هذا الباب مكتفين بما كتب وفيه غناء .

ديوان حافظ ابراهيم :

ليس فى الناطقين بالضاد من يجهل مكانة حافظ ابراهيم من القريض ، جزالة ألفاظ ، وسمو معان ، وسحر بيان ، لو تيسرت واحدة من هذه الخصائص لشاعر لبنى لنفسه صرحا فى الثريا ، فما ظنك وقد اجتمعت كلها لحافظ ابراهيم ؟ وقد عنيت جماعة الأدب فى مصر بذكراه تحت رعاية وزارة المعارف ورأى حضرة صاحب المعالى زكى العرابى باشا وزيرها الجليل أن تكون ثمرة هذه الذكرى طبع الجزء الثانى من ديوان شاعرنا الكبير . وقد تم طبعه وأهدانا معاليه نسخة منه جمعت وجوه الاتقان كله . فنشكر لمعاليه هذه العناية بالأدب والأدباء ، فبمثل هذه الأريحيات الكريمة يحيا الأدب وينشط الأدباء .

كتاب الآثار :

هو كتاب جليل القدر لقاضى القضاة الامام أبى يوسف صاحب أبى حنيفة النعمان ، رواه عنه ابنه أبو محمد يوسف ، وهو مسند الامام الأعظم جمعه صاحبه أبو يوسف ، وأضاف اليه مروياته من الحديث فى جميع أبواب الفقه . وقد عنى بتصحيحه والتعليق عليه الاستاذ المفضال أبو الوفا المدرس بالمدرسة النظامية بحيدرباد الدكن بالهند ، وهو تعليق عظيم القيمة . وقد أشرف على طبعه بالقاهرة فضيلة الأستاذ الشيخ رضوان محمد رضوان وكيل لجنة إحياء المعارف النعمانية فجاء الكتاب غاية فى نظافة الطبع وجودة الورق . (عنوانه عطفة الأمير بجوار الأزهر)

أسواق العرب فى الجاهلية والاسلام :

من الكتب التى لا غنى لكل أديب ومتأدب عنها كتاب أسواق العرب الذى ألفه الأستاذ الألمعى سعيد الافغانى ، فقد جمع فيه أسواق العرب فى الجاهلية والاسلام ، وما كان يتناشد فيها من أشعار ، ويروى من أدب ، فجاء كتابا أدبيا فى شكل جذاب . وقد حلاه بخريطة وفهارس مرتبة على حروف الهجاء للأعلام والأبيات . ووضع له مقدمة حافلة بالمعلومات عن تجارة العرب وآدابهم . وقد عنى بشرح غريبه ، فجاء سفرا معجبا يجمل أن تتحلى به كل مكتبة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تعطفات حضرة صاحب الجلالة الملك

في الجامعة الأزهرية والأزهريين

مازال حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول منذ من الله على هذه البلاد بإجلاسه على أريكة ملكها، وهو يرعاها بعنايته، ويعدها بعوارفه، حتى غمر الناس في أية بيئة كانوا من فيض فضله، ما جعلهم يعتقدون بأنهم تحت رعاية مليك استكمل صفات كبار العياهلة ممن خلد التاريخ أسماءهم في أكرم مكان من صحفه.

وكان للأزهر من تعطفات جلالته القسط الأوفى، والحظ الأوفر، على نسبة مكانته من المؤسسات الكبرى، لاختصاصه بالجمع بين الثقافتين العلمية والدينية معا.

أول ما ظهر من هذه التعطفات، وكان إعجاب الناس به عظيما، تقريبه لرجال الدين وشدة عنايته بهم، وخاصة بصاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي، فقد تفضل فأسند إليه مهمة مذاكرته في الدين، فكان هذا من جلالته تشريفا كبيرا للعلماء من ناحية، وإيذانا بأنه يعنى بالثقافة الدينية عناية خاصة. وهي سنة جليلة سنها جلالته، أعاد بها سيرة عظماء الملوك الذين تولوا أمر الأمة الإسلامية وأوصلوها الى أوج عظمتها الاجتماعية من طريق القيام على السنن الالهية.

لذلك كان لزاما على علماء الدين أن يجتمع كبارهم ويرفعوا لجلالته كتابا موقعا عليه منهم، يشكرون فيه الله على ما تفضل على الأمة بولايته، ويدعونه أن يحفظ جلالته ملاذا للعلم، وموئلا لأهله، وقد فعلوا ذلك وتشرفوا برفعه الى جلالته، وهذا نصه:

حضرة صاحب المعالي كبير الأمناء:

أتشرف بإبلاغ معاليكم أنه لمناسبة انعقاد مجلس جماعة كبار العلماء لأول مرة، إثر تولى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول حفظه الله مهام ملكه السعيد، توجهوا الى الله سبحانه بطلب بقاء الذات الكريمة مؤيدة بنصر الله وتوفيقه، عاملة على إحياء دين الله وإعلاء كلمة الله، وقرروا إرسال تهنئتهم الصادرة من قلوب مخلصة متعلقة بالعرش وبجلالة صاحب العرش، وطلبوا الى إبلاغ ذلك.

فأرجو التكرم برفع هذا الى السدة الملكية المعظمة، أدامها الله ذخرا للبلاد.

وتقبلوا بقبول عظيم الاحترام ،،

٧ جمادي الآخرة سنة ١٣٥٦ — ١٤ أغسطس سنة ١٩٣٧

شيخ الجامع الأزهر

محمد مصطفى المراغي

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كبار العلماء على المائدة الملكية

كلمة فضيلة الاستاذ الامام بين يدى جلالة الملك

هدية رجال الدين الى جلالته

فى يوم الجمعة التالى ليوم بلوغ سن الرشد ، وعقب الصلاة بمسجد الرفاعى ، قصد حضرات أصحاب الفضيلة الأستاذ الاكبر ومفتى الديار المصرية وشيوخ المعاهد الدينية ومفتشيها ، ورئيس المحكمة الشرعية ، قصر عابدين لتناول الطعام على المائدة الملكية ، وكان قد دعى اليها حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء وصاحب المعالى وزير الأوقاف وكثير من رجال القصر . وبعد تناول الطعام انتقل جلالته ومعه رفعة رئيس الوزراء وفضيلة الاستاذ الأكبر ومعالى وزير الاوقاف الى حجرة أخرى .

وبعد تناول القهوة دخل جلالة الملك الى قاعة الاستقبال ، ودعى حضرات أصحاب الفضيلة العلماء للمثول بين يديه ، فساروا يتقدمهم فضيلة الاستاذ الاكبر فألفوا جلالته واقفا والى يساره رفعة النحاس باشا ومعالى وزير الاوقاف ورجال القصر ، فتقدم فضيلة الاستاذ الامام وألقى بين يدى جلالة الملك كلمة جمعت على إيجازها من أصول ولاية الامر فى الاسلام ، وحقوق الرعية على راعيها ، ما يجب على قيم الدين أن يجهر به ، وهذا تجديد وفق الله اليه الاستاذ الامام تنويها بمكان الدين من مقومات الملك ، وقد ابتكر هذا التنويه أسلوبا يلائم كل الأذواق ، ويتفق وجميع التقاليد الدستورية .

وهذه هى الكلمة :

مولاى صاحب الجلالة :

اختار الله جلت حكمته سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم مبلغا وحيه ، مبينا كتابه ، موضحا هديه ، وأتم الله بدينه النعمة : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » . وفى الحديث الصحيح : « إن أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها » .

ولقد رأى علماء الازهر تذكارا لمناسبة اضطلاع جلالتكم بأعباء ملككم السعيد ، أن يتقدموا اليكم بهدية ليست من صنع البشر ، ولا مما يقدر عليه البشر ، بل هى من عند الله سبحانه ، وأن تكون مذكرة بما لله صاحب السلطان عليكم من حقوق . لذلك قرروا أن تكون الهدية التذكارية كتاب الله سبحانه ، وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم من حديث .

مولاى :

إنى وأنا أتقدم الى جلالتكم بهذه الهدية أذكركم بحقوق الله سبحانه وتعالى ، وبحقوق عباده :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلله حق الطاعة فيما أمر ونهى ، وحق العمل بما بين وهدى، وللرعية حق العدل بينها ، وتوفير الخير لها وإسعادها . وفى الحديث الصحيح : « من ولاه الله عز وجل شيئا من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم ، احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره».

ومن حقوق الله يامولاى حمل الرعية على الاعتصام بالكتاب، والسنة ، وإرشادها الى الاعمال النافعة الموصلة الى عزة الامة ورفعة قدرها بين الامم ، فقد حرص الاسلام أشد الحرص على العزة ، ولا يوجد فى تعاليمه ما هو أشد من هذه التعاليم ، ولا يوجد فى غيره من المذاهب مايقرب منه فى الحرص على هذه التعاليم .

أسأل الله أن يتولى هديك ورعايتك وعونك ونصرك ، وأن يديم لك حب العباد ، ويملأ قلبك بحب الله وحب رسوله ، إنه نعم السميع المجيب !

بعد أن أتم فضيلة الاستاذ الاكبر إلقاء هذه الكلمة الجليلة قدم الى جلالته مصحفا شريفا وكتاب صحاح الاحاديث للشيبانى .

فشكر جلالته الاستاذ الاكبر والعلماء ، وأعجب بالهدية أيما إعجاب ، قائلا : إن هذه هدية يحرص عليها .

فدعا حضرات العلماء لجلالته بالنصر والتأييد ، وانصرفوا شاكرين تعطفاته السنية ، ومراعاته الملكية .

وقد احتفلت جمعية الرابطة العربية ببلوغ جلالة الملك سن الرشد ، فنهض حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام وألقى هذه الكلمة القيمة :

إن جلالة مولانا الملك فاروق الاول لم يعرفه الشعب من قبل ، غير أن حبه يملك على الناس جميعا قلوبهم . ذلك أن الله سبحانه وتعالى إذا أحب إنسانا أحبه أهله وأحبته الملائكة وأحبه أهل الارض جميعهم .

ولقد أحب الله جلالة الملك فاروق فاحبه الشعب جميعه .

هذا الى أن أخبار جلالة الملك ترامت الى الناس ، فعلموا أنه ملك طاهر القلب ، محب للدين محب للانسانية ، محب للحق والعدل ، يواسى البؤساء والضعفاء والمساكين ، وأنه يعمل هذا دون تكلف . كل ذلك جعلهم يزدادون تعلقا وحبا فيه .

ولقد كان لى شرف الاتصال بجلالته فادركت عن قرب كل تلك الخصال ، ويحق لى أن أشهد بها أمامكم وأمام الناس .

إن جلالة الملك فاروق ذكى ذكاء فطريا لا يوجد إلا عند أفراد قليلين ، وقد وهب له الله سرعة الخاطر ، والوصول الى الصواب ، ودقة التعليم والعمل .

أسأل الله تعالى أن تستفيد الانسانية بمواهبه وقدرته وفطرته التى فطره الله عليها !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

صاحب الجلالة الملك

فاروق الاول

في يوم الخميس الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى لسنة (١٣٥٦) (١) احتفلت الأمة المصرية أعظم احتفال وأفخمه ببلوغ حضرة صاحب الجلالة الملك « فاروق الأول » سن الرشد، ثمانية عشر عاما هجريا. فلم يبق في هذه البلاد رجل ولا امرأة، من جميع الأسنان في مدنها وقراها، وفي حضرها وبدوها، إلا هلل وكبر إعظاما لهذا اليوم المبارك الخالد في تاريخ مصر، استبشارا بمقدمه، وتفاؤلا منهم جميعا بأن هذا الفرع الباسق من الدوحة العلوية الكريمة سيكون مفتتح العهد الذهبي المنتظر لهذه الأمة، كما كان جده الأعلى من قبل موجد استقلالها ونهضتها، وباعث حياتها ومدنيتها.

ليست هذه الأمة بمبالغة في تفاؤلها بمليكها الشاب، فإنها مدينة بكيانها الاجتماعي الموحد وبالعوامل التي تتضافر على إبلاغها غاية أمانيها، للبيت العلوي الكريم، ولقد رأت رأي العين، رغما عن الحوادث التي انتابتها، والمطامع التي احتوشتها، في أدوار مختلفة، محافظة القائمين من آحاد هذا البيت على حقوقها، وذيادهم عن حوزتها، واستبسالهم في المكافحة عن كرامتها.

فكم رأت من حادثة اكفهر لها الجو، وافتنكت عواصفه الهوج من عقالها، وزمجرت رعود سحبه بصواعقها، وثارت زوابعه تجتاح كل قائم في طريقها، كانت نجاتها منها في اللياذ بعرشها، والالتفاف حول الجالس عليه، فكيف لا يقر في نفسها، وينتقش في صميم قلبها، أنها وهذا العرش وحدة لا ينفصم عراها، وكل لا يقبل التجزؤ ولا الانحلال؟

أجل: إن لهذا البيت على مصر فضلا لا يمكن أن تنساه ما بقي لها عرق ينبض، ونفس يتردد. فقد كانت مسرحا لأوزاع من الآفاقين، توزعوا نواحيها، واستعبدوا أهاليها، وسخروهم لمطامعهم بوجوههم كما يشاءون، توجيه المالك لعبدانه، بل أسوأ مثلا، فإن صاحب العبدان يتكفل بضرورياتهم، ويعنى بحاجاتهم، ويعمل على إنمائهم، ولكن هؤلاء كانوا يجتاحون ثمراتهم فلا يدعون لهم ما يتبلغون به، ويهملون شأنهم فيبيد منهم من يبيد، ويهاجر من يهاجر، ويهيم على وجهه من يهيم، وأخذ عددهم يقل عاما بعد عام، حتى كادت تقفر البلاد منهم، وما هي تلك البلاد؟ هي مصر التي يجري فيها أجل أنهر العالم بركة، وكانت تؤوي أكثر أمم الأرض عددا، وأحفلها ثروة، وأبدعها مدنية.

(١) الموافق ٢٩ يوليو من سنة ١٩٣٧

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولولا أن شاء الحق عز سلطانه أن تبقى هـذه الأمة ممثلة لأقدم أمم الأرض حضارة ، لمد فى عهد تلك الشراذم جيلا أو جيلين ، فتصبح يبابا بلقعا لاتجد فيها حيا ، ولا تسمع له ركزا .

فلما أدركها سبحانه بالحملة الفرنسية «وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم» ، واقتضت هذه الحملة وجود العاهل العبقرى مؤسس الأسرة العلوية على رأس كتيبة من الجيش التركى الذى حضر لانقاذ البلاد من الاحتلال الفرنسى ، كبر على هذا المجاهد الباسل أن يدع مصر العريقة المجد ، لحاعلى وضم ، بين أيدى مناسر من المغامرين يدأبون على امتصاص دمها ، فعمل على الحصول على ولايتها . وهذا طريق ملتو يعتبر نجاحه فيه إحدى الكبر ، ومن أعجب حوادث القدر . ولما تم له ذلك بذل وسعه لتخليصها من براثن أولئك الضوارى ، وتهيأت له الأسباب فأبادهم ، تخلصت مصر من شرهم كما يخلص الجسد من جراثيم مرض عضال لا يعقل شفاؤه منه ، ولكنها كانت من الضعف والهزال بحيث لا تستطيع أن تتماسك أعضاؤها ، فتولاها مؤسس هذا البيت بالعلاج ، وما زال بها حتى استطاعت النهوض والحركة ، وإذ ذاك دأب على إيتائها بكل ما تقتضيه حياتها كأمة ، فقسم نواحيها الى أقاليم ، وجعل على كل منها حاكما من رجاله ، ووزع أراضيها على أهلها ، كل بقدر ما يستطيع أن يقوم بخدمته ، ووضع نظاما لجباية الضرائب تجبى باسم الحكومة الرئيسية ، لا باسم أصحاب الالتزامات كما كان جاريا عليه العمل ، وكان مثارا لكل ضروب الخطل ، ونظم لها شرطة لحفظ الأمن بين أهلها ، ومهد لها سبل التعلم بفتح المدارس ، وجعل لها جيشا مدربا على النظام الحديث ، وأسس المصانع لايتائه بالملابس والأسلحة والذخائر ، وافتتح مدرسة حربية لاسعافه بالضباط . ثم التفت للأمور المدنية فاستكثر من معاهد العلم ، ومن المصانع لايتاء الأمة بحاجاتها من الضروريات المعيشية ، ولم يدع شيئا مما تحتاج إليه الأمم فى تطورها إلا أتاها به ، وزاد على هـذا كله فأرسل شبانا من متعلميها الى أوربا ليدرسوا ضروب المعارف فى جامعاتها ، وينقلوها الى لغتها . فلم تلبث هذه الجهود المبذولة أن أثمرت ثمراتها ، فولدت الأمة المصرية ولادة جديدة ، وتيقظت جميع غرائزها فى حب البقاء ، وتطلب الارتقاء . وكان هو فى أثناء هذه الأعمال يجد فى الحصول على استقلالها حتى حصل عليه مقيدا ، ولولا التنافس السياسى الدولى لحصل عليه مطلقا .

فكيف تنسى مصر لهذا البيت ما أداه لها من هذه الخدم الجليلة ، وكيف لا تخلص لمياهله الاخلاص كله وهى مدينة له بانعاشها من كبوتها أولا ، ثم بايتائها بما تحتاج اليه من ضروريات الحياة الاجتماعية والسياسية ثانيا ، ولا يزال يوليها الرعاية بأقصى ما يبلغه الامكان ، وتصل اليه العزيمة الصادقة ؟

لا يوجد فى جميع عوامل النهوض والتطور ما هو أفعل فى الأمم من توافق وجهتى النظر بينها وبين بيوتها المالكة ، وما لجأت بعض الأمم الى الجمهورية إلا تطلبا لتحقيق هذا التوافق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بين الشعب والهيئة الممثلة له ، وللجمهورية كما لا يخفى عيوب جمة ، وطريق للوصول اليها وعرة . فاذا وجد هذا التوافق بين هوى الأمة وهوى بيتها المالك ، بز هذا الشكل من الحكم الشكل الجمهوري ، وخلص من عيوبه ومن صعوبة الوصول اليه . وأكمل مثل نقدمه للقراء المملكة الانجليزية ، فان الاتفاق فيها بين ميول الشعب وميول العرش تام من كل وجه ، لذلك كانت حكومتها أكمل الحكومات من كل وجه .

فهذا التوافق فى الميول بين الأمة والعرش كان حاصلا فى جميع أدوار تاريخ مصر الحديث ، وسيكون على أكمل وجوهه فى عهد صاحب الجلالة الفاروق ، فقد ظهرت بوادر ذلك جلية واضحة فيما أبداه الشعب من الاستبشار بولايته ، وما صدر مما يحققه من جلالته .

لقد عرفت الأمة المصرية مليكها طفلا ويافعا ، بما كان ينقل لها من أخباره ، ثم خبرته شابا ، فآنست منه كل ما تحب أن يتحلى به ممثلها من سمات الرجولة ومظاهر الأدب النفسى ، وصفات النضج العقلى ، والكمال الخلقى ، فكان من ألطاف القدر أن يتولاها وهى فى هذا الدور من الانتقال الاجتماعى والدولى ، الذى تحتاج فيه الى مثل أعلى تحتذى شاكلته فى نهوضها القومى ، وتطورها السياسى .

قد حصلت الأمة المصرية بعد كفاح شاق متواصل دام أكثر من نصف قرن على استقلالها الكامل ، وهى فى هذا الدور أحوج ما تكون الى شبيبة قوية الأخلاق ، ناضجة العقل ، سليمة من أدواء النفس ، يقوم على أكتافها صرح الحرية المرجوة ، والاصلاح المنشود ، وهذه صفات لا تتوافر فى الأفراد إلا بالقدوة الطيبة والأسوة الصالحة ، وهى لا تكون إلا من شخصية بارزة ، ونفسية متميزة . فيسر الله هذه القدوة الضرورية لها فى شخص مليكها المفدى ، فكان وجوده بين ظهرانيها فى هذه الآونة من متممات تطورها الى المكانة التى تطمح اليها بين الجماعات البشرية ، ومن مكملات العوامل التى لابد منها لاحسان القيام بمهمتها الاجتماعية .

فاذا كانت الأمة المصرية تقيم المهرجانات احتفالا بولايته أمورها ، فهى مسوقة الى ذلك بعاملين : عامل الواجب الرسمى ، وعامل الغبطة الصادقة ، بمن يجمع فى شخصه الكريم المثل العليا التى هى فى أشد حالات الحاجة اليها فى هذا الدور الدقيق الذى تدعى للدخول فيه ، دور العمل لتحقيق الاستقلال فى جميع ضروبه .

فالله أسأل أن يمد جلالة الملك بروح من عنده ، وأن يحوطه فى الاضطلاع بمهامه ببسطة من أيده ، وأن يطيل فى مدى حكمه ، حتى تنعم الأمة فى بحبوحة يمنه .

فليهنىء الفاروق ملك لا يبلى ، وليهنىء الأمة مثلها الأعلى !

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة لقمان

— ٦ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ . وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ . وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ، وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) :

بينا فى الكلمة السابقة أنه جل شأنه أردف الآيات الدالة على عظيم قدرته وبالغ حكمته ، المثبتة لتفرده بالخلق ووحدانيته ، بقوله تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله » . وفى ذلك إشارة الى أن النفوس متى صفا جوهرها واتجهت الى تعرف الحقيقة وإدراك الأمور على ماهى عليه ، وأذعنت بالعبودية الى بارئها ومكونها فاطر السموات والأرض ، اهتدت الى أن شكره على ماحبا من النعم هو أول ماينبغي أن يشتغل العبد به ، وأن يصرف كل همه نحوه ، وأن الشكر يتضمن أن يصرف كل نعمة أنعم بها عليه فيما خلقت لأجله ، ليحفظ ما وجد منها ، ويستزيد من النعم ما استعد له ولم يصل اليه .

ولعلك إذا تاملت معنى الحكمة ومعنى الشكر وجدت بينهما من الترابط والاتصال ما يجعلك توقن بأن كل تصرف حكيم فى العلم والقول والعمل هو باب من أبواب الشكر ، وأن صرف النعمة فيما خلقت لأجله هو التصرف الحكيم ، فيكاد المرء يجزم بأن كل حكمة فى العلم والقول والعمل شكر ، وكل شكر فهو تصرف حكيم ، فلا جرم جاء قوله تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله » بالشكر والحكمة مترادفين، بينهما «أن» التفسيرية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

واعرض ما شئت من أنواع الحكمة فى العلم والقول والعمل فانك تجده شكرا . واعرض ما شئت من أنواع شكر المنعم جل شأنه على نعمائه فانك تجده تصرفا حكيما .

فنى باب المعرفة إذا نظرت الى استعمال الحواس فى تمييز الأشياء وتعرف أحوالها وأحكامها وطرق الاستفادة من نافعها واجتناب الضرر من ضارها ، ألست تجد هذا تصرفا حكيما فى باب الحواس ، وهو فى الوقت نفسه شكر للمنعم بها ، إذ كان فى ذلك استعمالها فيما خلقت لأجله ؟

وفى باب العلم إذا التفت الى التفكير فى المعلومات التى حصلتها النفس للوصول الى العقائد الالهية أوالنبوية أواستنباط الأحكام الشرعية أو المنافع الدنيوية ، هل ترى ذلك إلا استعمالا للمواهب العقلية فيما خلقت لأجله ، فهو شكر وهو تصرف حكيم ؟

وفى باب الأعمال أعمال الجوارح تجد الأمر جديدين .

وفى باب المعاملات تجده أوضح من أن يحتاج إلا الى لفتة بسيطة تكون بريئة من الأغراض والأهواء .

وكذلك الأخلاق الفاضلة التى ترجع فى مجموعها الى ضبط القوى النفسية وإجرائها على ميزان الحكمة والاعتدال ، فلا يعطل قوة غضبه وشهوته ، ولا يسرف فيهما فيجاوز حد الاعتدال ، بل يكون بين ذلك قواما . فهذا هو تصريف النعم التى وهبها الله المرء وركبها فى جبلته فيما خلقت له ، وذلك هو الشكر ، وذلك هو الحكمة .

وانظر إن شئت الى ما ذكره علماء الأخلاق من إرجاع متفرقها الى ضبط قوة الشهوة وقوة الغضب وقوة الفكر ، وجعلها بحيث لا تتعطل ولا تسرف ، حتى يجىء منها العفة والشجاعة والحكمة ، وينتظم من مجموعها القوة التى يسمونها العدالة ، فانك تجد مصداق ما قلناه لك من توافق الحكمة والشكر حتى كأنهما من معدن واحد ، ويسيران الى غاية واحدة . وإن من درس باب الشكر على وجه الاستيفاء تبين له أن الشكر مجمع الشريعة الغراء ، وأن القيام به على الوجه الأكمل هو التوفيق حقا ، وإن كان استيفاؤه على الوجه الأكمل لايكاد ينهض به إلا الأصفياء المخلصون الذين صدقوا الله ما عاهدوا عليه ، وقد قال تعالى : « وقليل من عبادى الشكور » .

ترى من هذا أن من أبواب شكر المنعم على نعمائه ما كان من لقمان مع ابنه فى وصيته ، وذلك ما قصه علينا عز من قائل فى قوله : « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » فان نعمة الولد من أجل النعم ، وما غرسه الله فى قلب الوالدين من الحنو على الأولاد من أجل النعم كذلك ، إذ يرتبط به عمارية الكون وبقاء العمران فى العالم ، بما يتحمله الآباء عن طيب خاطر فى تربية الأبناء وتنشئتهم على الوجه الصالح . فهاتان النعمتان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يمكن أن يحيد صاحبهما بهما عن وجه الحكمة ، فيتخذ الولد للمباهاة والاشمات بالأعداء ، ويربيه على الشر والفتك والجرائم والجرأة ليمتزبه وينتصر ، وفى سبيل ذلك يخلى قلبه من كل ما يؤثر فيه التأثير الصالح ، من مراقبة خالقه وخشية جبروته وارتقاب مثوبته ونحو ذلك ، كما يمكن أن يتخذه زينة ومباهاة ، فيدلله ، وينشئه فى الحلية مترفا مرفها ، ينعم بالحلى والحلل ، وينغمس فى ملاذ المطعم والمشرب ، فلا يكون له هم إلا فى بطنه وزينته . وكل من هذين المسلكين باعثه الرأفة الوالدية والحنو الأبوى ، وما كانت الرأفة والحنو مودعين فى قلوب الآباء نحو الأبناء للوصول الى هذه الغاية الممقوتة ، غاية الاجرام والدعارة : غاية الفجور والفسوق ، وإنما أودعت الرأفة والحنو فى قلوب الآباء نحو الأبناء لينشئوهم على الطريق السوى والصراط المستقيم ، وأول ذلك إشعار قلب الطفل لأول تمييزه أن الخالق للكون برمته علويه وسفليه صغيره وكبيره ، عظيمه وحقيره ، جليله وتافهه ، هو الله رب العالمين وحده لا شريك له ، فاذا ظهرت آثار قدرته عن طريق شيء من خلقه فذلك كال فى نظام ملكوته لا دخل له فى الخلق والتكوين ، وإنما الخالق والمهيمن والمتصرف فى كل شيء هو الله رب العالمين ، فهو المنفرد باستحقاق العبادة والتعظيم والتقديس والتبجيل ، ومن عبادته وتعظيمه ومن تقديسه وتبجيله اتباع النظام الذى سنه فى خلقه ، وهدانا اليه بفطرتنا أو بتأملنا أو على ألسنة رسله . فلنتبع ماسن لنا من نظام من غير أن نخل بأنه هو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، لاشريك له فى الملك ، ولا معارض لما شاء ، ولا راد لما اراد .

وإن من امتلأ قلبه من أول نشأته بتوحيد خالقه ، ورد كل أمر إليه ، واعتقاد أنه المنفرد بالايجاد ، كانت تصرفاته كلها منصرفة الى ابتغاء مرضاته والتماس الزلفى إليه . وإذ كان من وسائل رضاه وطريق القرب منه أن يصرف نعمه التى أنعم بها عليه فيما خلقت من أجله ، فانه سيكون منساقا الى الشكر وصرف نعمه فيما من أجله وهبت له ، فما أشد التصاق الشكر بالانتهاء عن الشرك ، وما أجدر قلبا تطهر من الشرك الظاهر والخفى وشهد أن كل ما فى الكون من تدبير الحكيم الخبير ، وأنه تعالى هو المهيمن على هذا العالم المطلع على كل ما يجرى فيه ، وأنه هو واضع هذا النظام الذى نشهده ، وأنه كلفنا أن نتبع أحكامه ونسير على سننه ، ليجرى فينا وفق أحكامه ما جعله سنة لا تبدل ، أقول : ما أجدر قلبا شهد كل هذا وعقله عقلا صحيحا أن يكون قلبا شكوراً !

قال الله تعالى: « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله » :

يكثر فى أسلوب القرآن الكريم حين ذكر حالة يراد تعرفها وتأملها أن تصدر هذه الحالة بكلمة « إذ » الدالة على الوقت . وكأنه يشار بها الى استحضار ذلك الوقت برمته ليكون تذكر الوقت وسيلة الى تذكر ما احتوى عليه ، كأنه يقال: استحضر هذا الوقت لتشهد ما حصل فيه شهودا كاملا .

(٢)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقول لقمان لابنه ما ذكر جدير بأن يعتنى باستحضاره ، فقد ذكر عنه أنه آتاه الله الحكمة وهى جامعة لفضائل جمة كما شرحنا تفصيلها آنفا . وهو فى نظر الجمهور لم يكن نبيا ، فيكون فى ذلك إشارة الى أن العقل حين يتطهر من رجس الأغراض والأهواء ويكون معتدلا حكيما ، يكون ذلك كافيا له فى سلوك الطريق الجادة . وهذا فى إمكان كل امرىء يخلى نفسه من درن النزعات الفاسدة . وكون الكلام موجها الى ابنه عنوان على إخلاص النصح وإمحاض الارشاد ، فليس لدى المرء أعز من ابنه يمحض له النصح ويخلص له الارشاد .

وقوله بعد ذلك « يابنى » بصيغة التصغير ، ليتجلى فيه الحنو الأكمل ، فان الرحمة فى حال صغر الابن أوفر منها بعد اكتماله . على أن فى صيغة التصغير معنى التلطف والتقريب ، وليس بلازم أن تكون الصيغة لبيان صغر السن أو تحقير المصغر .

أما قوله : « وهو يعظه » فجملة حالية تعود على أصل الموضوع بمزيد التقرير ، فان سياق الكلام فى مساق الوعظ دليل على عظم العناية بشأنه ، فمن شأن الواعظ أن يبالغ فى اختيار أفضل الأخلاق للموعوظ ، ويتخير لها أجمل الأساليب وأوقعها فى نفسه . والوعظ : زجر عن الشر مع تخويف ، أو سوق الى الخير على وجه يتضمن ترقيق القلب .

وقوله : « لا تشرك بالله » بدء بأهم ما يوصى به على ماسبق من أن تطهير القلب من الشرك الظاهر والخفى أصل كل فلاح ، وأن الاستيقان بأن الله هو المنفرد بكل إيجاد ، وأن بيده مقاليد كل شىء ، هو أكبر البواعث على ضبط النفس ومحاسبتها وتهذيبها

وقوله : « إن الشرك لظلم عظيم » :

أما أنه ظلم فلانه سلب إسناد النعمة عن صاحبها وإعطاؤها لمن لا يد له فيها . وأما أنه عظيم فلأن من أعطيت له لا يجوز فى العقل مطلقا أن يكون صاحبها ومن سلبها عنه يوالى إغداق النعم عليه بالتوالى حتى فى حال كفره بها ، ثم هو مطلع عليه يعلم خائنة عينه ومايخفى صدره ، والكافر بنعمته تعالى هو ومن أعطاه استحقاقها الجميع فى قبضة قدرته جل شأنه ، والكل صنعه وخلقه ، فاى ظلم هو أعظم من هذا ؟ قد تسلب الشى من مالكه فتعطيه لغيره فيجوز العقل أنه ربما كان هذا الشىء كان الأول قد اغتصبه من الثانى فرددته اليه ، أو ربما يؤول اليه بنوع ما من أنواع التصرف ، فيخفف ذلك من معنى الظلم فيه ، أما وصف الالهية والخلق والتكوين فلا يجوز بحال من الأحوال أن يسند إلا الى الله الكبير المتعال .

واعلم أن قول لقمان لابنه « لاتشرك » لا يقتضى أن يكون ابنه مشركا ، ولا أن يكون مسلما ، فيحتمل أن يكون مشركا ويطلب اليه الاقلاع عن شركه ، كما يجوز أن يكون مسلما ويطلب اليه ألا يزايل الاسلام وألا يعرض نفسه للشرك ، ونزغات الشيطان تعترى كل إنسان إلا من عصمه الله .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن » :

بين جل شانه فى الآية السابقة مظهر الحنو والرأفة وحسن التاديب الذى يلقاه الأبناء من الآباء ، وقص علينا ذلك فى معرض امتداحه والثناء على لقمان الذى أخبر عنه تعالى بانه آتاه الحكمة . وفى هذه الآية الكريمة يبين لنا ما للآباء على الأبناء من حق الرحمة والحنو والتكريم . وقد جمع ما ينبغى لهما فى قوله عز وجل : « ووصينا الانسان بوالديه » فان هذا التعبير عادة يجمع كل صنوف الخير والتكريم . وانظر الى ما يجرى على ألسنة الناس فى مخاطباتهم العادية إذ يقولون « أوص فلانا بى » « وصه على » « أنا وصيت فلانا بك خيرا » وأمثال ذلك ، فهى من الكلمات الجامعة لمعان جمة . وأيضا لما ذكر النهى عن الشرك وهو يدعو الى إفراده عز وجل بكل أنواع التعظيم والتبجيل ، بين لنا عز وجل أن إفراده بالعبادة لايمنع أن يكون لبعض الخلائق على بعض حقوق مكتسبة بسبب ما أجرى الله نعمته على العبد عن طريقهم ، ومن هذا النوع الوالدان ، فقد جعلهما الحق جل جلاله طريق مظهر نعمة الايجاد بما حملاه ووضعاه وغذياه تغذية كانت سببا فى بقائه ، فهما مستحقان لتكريمه ، وأن يعاملهما بالاحسان ، وإن تفاوتت حقوقهما ، فان الأم قد قاست فيه مالم يقاس الأب ، كما أشار اليه بقية الآية فى قوله تعالى « حملته أمه وهنا على وهن » .

وقد يوضح الفرق بينهما ما يحكى عن أبى الأسود الدؤلى أنه اختصم هو وزوجه فى ابن لهما فترافعا الى قاض ، فقالت الأم : هذا ابنى حملته ووضعته وغذوته ويريد هذا أن ينتزعه منى ، فالتفت القاضى الى أبى الأسود ينتظر جوابه ، فقال : حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وغذوته أكثر مما غذته . فالتفت القاضى الى الأم فقالت : حمله خفة وحملته ثقلا ، ووضعه شهوة ووضعته كرها ، وغذاه من ماله وغذوته من دمى ! فالتفت اليه القاضى وقال : سلمها ابنها ودعنا من ترهاتك . ولعل الولد كان فى سن الحضانة حتى يقضى به لأمه .

والظاهر أن الآية ليست من كلام لقمان ، وإنما هى معترضة بين وصاياه استطرد بها لبيان ما للآباء على الأبناء ، بعد ما بين ما يوجهه الآباء للأبناء من النصح والارشاد . وقوله : « وهنا على وهن » حال من امه ، أى ذات وهن على وهن ، وذلك وهن الحمل على وهن أعصابها بطريق الفطرة ، أو هو وهنها المتزايد بتقدم الحمل ، فان ضعف الحامل يزداد كلما تقدمت فى حملها .

وقوله : « وفصاله فى عامين » أى فطامه وفصله عنها وعن مشاركتها فى غذائها وامتصاص لبنها الذى هو فى الأصل دمها ينميها ويزيد فى قوتها ، وفيه مع بيان مدة الرضاع شرعا وأنها عامان مزيد تقرير لحقها عليه . ولقد فصل التوصية التى بدأ بها بقوله : « أن اشكر لى ولوالديك الى المصير » . ودخول الأمر بشكره تعالى فى تفسير وصيته بوالديه ، لأن الشكر لهما لا يعتد به شرعا وينال صاحبه أجره من الله عز وجل إلا إذا كان معه شكر الخالق جل وعلا . وأيضا فانه إذا اقترن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشكران فى قلبه كان ذلك أدوم لشكره لهما ، وأعون على أن يكون شكرا حقيقيا خالصا فى الظاهر والباطن ، فانه يعامل من لا تخفى عليه خافية . وقوله : « الى المصير » تذييل يعود على الأصل بالتمكين والتقوية ، فانه إذا عمل ابتغاء من مصيره اليه ، وسعادته وشقاوته لا يكونان إلا من لديه ، فان عمله سيقترن بالاخلاص والاقبال عليه .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يقربنا اليه ، وهو حسبنا و نعم الوكيل !

ابراهيم الجبالى
عضو جماعة كبار العلماء

التماس الرزق بالعمل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « العائد على أهله وولده كالمجاهد المرابط فى سبيل الله » .

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وأن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض ، وتلا قوله تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

وقال أيضا رضى الله عنه لحفظة القرآن : يا معشر القراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس .

وقال أكثم بن صيفى : من ضيع زاده اتكل على زاد غيره .

وذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل بالاجتهاد فى العبادة والقوة على العمل ، وقالوا صحبناه فى سفر فما رأينا بعدك يارسول الله أعبد منه : كان لا ينفتل من صلاة ولا يفطر من صيام . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فمن يمونه ويقوم به ؟ قالوا كلنا . قال رسول الله : كلكم أعبد منه .

وقال طاهر بن عبد العزيز : أخبرنا على بن عبد العزيز قال أنشدنا أبو عبيد القاسم بن سلام :

لا ينقص الكامل من كماله ... ما ساق من خير الى عياله

وتكلم صاحب العقد عن الرزق فقال : أهل التحصيل والنظر يطلبونه بأحسن وجوهه من التصرف والتحرز ، وأهل العجز والكسل يطلبونه بأقبح وجوهه من السؤال والاتكال والخلابة والاحتيال .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

اشتراط الولى فى عقد الزواج

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ وَلَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا » رواه ابن ماجه والدارقطنى ورجاله ثقات .

هذا الحديث يقتضى ظاهره أنه لا يصح للمرأة أن تباشر عقد زواج امرأة غيرها ، كما لا يصح ان تباشر عقد زواج نفسها ، بل لا بد فى صحة عقد الزواج من رجل يتولاه ، وهو المراد بالولى فى عقد الزواج .

ويتعلق بشرح هذا أمور :

(١) بيان معنى الولى الذى يتوقف عليه عقد الزواج (٢) بيان القائلين باشتراطه والقائلين بعدم اشتراطه (٣) بيان اختصاص الولى (٤) بيان وجه دلالة هذا الحديث وما فى معناه من كتاب أو سنة (٥) بيان وجهة نظر الفريقين الاجتماعية .

(١) المراد بالولى فى الزواج هو الذى يتوقف على وجوده صحة العقد ، سواء أ كان أبا أم قريبا عاصبا كابن وأخ وابن أخ وعم وابن عم ، وهكذا بحيث يقدم الأقرب فالأقرب . على أن الشافعية يقولون إن الابن لا ولاية له على أمه بحال . والحنفية يقولون إن له ولاية على أمه المجنونة ، ويقدمونه على الأب .

(٢) أما القائلون باشتراط الولى فهم الجمهور ، ومنهم المالكية والشافعية والحنابلة . قالوا لا يصح عقد النكاح بدون ولى ، ذكر ، حر ، عاقل ، بالغ ، مسلم إذا كانت المعقود عليها مسلمة . واشترط بعضهم أن لا يكون فاسقا . فاذا انتفى شرط من هذه الشروط انتقلت الولاية الى الأقرب الذى يليه بدوره ، فاذا لم يكن لها أولياء ، زوجها الحاكم .

على أن المالكية زادوا فى الأولياء نوعين :

النوع الأول : الكفيل ، وهو الذى يكفل امرأة غاب عنها أهلها ومكث يربيها مدة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تستوجب شفقته كأنها بنته . فهذا الكفيل ولى هذه المرأة لا يصح العقد عليها بدونه ، سواء أكانت شريفة وهى عندهم ذات المال أو الجمال ، أم لم تكن شريفة على الراجح .

النوع الثانى: الكفيل بالولاية العامة . ومعنى هذا أنهم يقولون إن الولاية حق لجميع المسلمين، فاذا باشرها واحد منهم بصفته فردا من المسلمين فقد قام بحقه . ونظير ذلك فرض الكفاية اذا قام به واحد سقط عن الباقين . فكل فرد من أفراد المسلمين على هذه القاعدة يصلح أن يكون وليا إذا توفرت فيه شروط الولى . ولكنهم قالوا إن الولاية العامة لا يصح أن تتزوج بها الشريفة وهى ذات الجمال أو المال ، بل تتزوج بها من لم تكن كذلك ويعبرون عنها بالدنيئة . على أن المالكية يقولون إن الترتيب بين الأولياء ليس ضروريا بل هو مندوب فقط ، فاذا كان للمرأة الدنيئة أخ أو عم صح لها ان تتركهما وتتزوج بالولى الأبعد وهو الولى بالولاية العامة ، فتختار لها أى رجل أجنبى يتولى لها عقد الزواج ويكون صحيحا . وهذا معنى قولهم إن المالكية لا يشترطون الولاية فى المرأة الدنيئة . ولكن يجب أن يلاحظ أن هذا فى غير الأب أو وصى الأب بتزويجها عند موته ، فان وجودهما لا بد منه فى الشريفة والدنيئة .

وحاصل ذلك أن الأئمة الثلاثة اشترطوا الولى فى عقد الزواج للكبير والصغير العاقل والمجنون ، واشترطوا أن تكون الولاية للذكور لا للاناث ، وخالفهم الحنفية فقالوا إن الولى شرط فى صحة عقد الصغير والصغيرة ، أما الكبير والكبيرة فلا يشترط فيهما الولى إلا اذا كان بهما جنون مطبق ، فللبالغة العاقلة أن تتولى عقد زواجها بنفسها بشرط أن تتزوج الكفء المناسب لها فى الشرف والدين والحرفة ، وأن يكون قادرا على مهر مثلها ونفقتها . ويرى بعضهم أن يكون مساويا لها فى الغنى ، فاذا تزوجت غير الكفء كان للولى الحق فى الاعتراض وفسخ العقد . ثم قالوا أيضا : لا يشترط أن يكون الولى ذكرا ، بل تنتقل الولاية للأنثى عند فقد الذكر العاصب ، فللأم أن تزوج ابنتها الصغيرة أو المجنونة عند عدم وجود أحد من أقاربها الذكور . وعلى أى حال فلا يشترط أن يتولى العقد رجل عند الحنفية .

(٣) وأما اختصاص الولى ، فهو عند الحنفية منحصر فى أمرين :

الأول: تزويج الصغير والصغيرة بدون إذنهما ، ومثلهما المجنون والمجنونة ولو كبيرين . ثم إن كان الولى أبا أو جدا مشهورا بالفسق وسوء الاختيار كان لهما حق فسخ النكاح عند البلوغ إذا زوج من غير كفء أو بغير مهر المثل ، أما إن كان معروفا بحسن الاختيار فليس لهما ذلك . وإن كان الولى غير الأب والجد فلهما حق الفسخ عند البلوغ مطلقا .

الثانى : أنه يختص بالاعتراض على الزواج إن كان غير كفء أو إجازته ، وليس للولى حق وراء ذلك .

وأما الأئمة الثلاثة فقد قسموا الولى الى قسمين : ولى مجبر ، وولى غير مجبر . وحصروا الولى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المجبر فى الأب والجد ووصى الأب، أوالحاكم. على أن المالكية قصروا الولى المجبر على الأب ووصيه دون الجد، ولم يعدوا الحاكم وليا مجبرا. والشافعية قصروه على الأب والجد. والحنابلة زادوا الحاكم.

ويختص الولى المجبر بتزويج الصغير والصغيرة، وهى ما كانت دون البلوغ عندهما، ودون تسع سنين عند الحنابلة، والمجنون والمجنونة، والبكر البالغة العاقلة وهى مالم تزل بكارتها بالجماع، فان زالت بكارتها بمرض أو حيض شديد أو قفز تعتبر بكرا، فهؤلاء يجبرهن الولى المجبر على الزواج بدون استئذان منهن أو رضا بشروط مختلفة محلها كتب الفقه.

أما الولى غير المجبر فانه ماعدا هؤلاء، ويختص بمباشرة عقد الزواج بشرط إذن المرأة ورضاها، فالعقد مشترك بينهما وموقوف عليهما معا، فان لم ترض لا يصح العقد، وإن لم يرض لا يصح العقد. وقد يكون الأب وليا غيرمجبر إذا كانت المرأة ثيبا، فانه لا يصح له أن يزوجها بغير رضاها. وربما يقال إن الولى غير المجبر قد يمتنع عن تزويج المرأة عمدا فيضر بها. والجواب أنه إن امتنع كان عاضلا فترفع أمرها للحاكم، فاما أن يجبره على زواجها، وإما أن يزوجها رغم إرادته، فان تكرر منه المنع كان فاسقا لا ولاية له عند بعضهم.

(٤) أما وجه دلالة الحديث الذى معنا على ضرورة الولى فهى ظاهرة كما أشرنا أولا، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قد نهى عن أن تباشر المرأة عقد الزواج سواء كان عليها أو على غيرها. ومثل هذا الحديث ما رواه الزهرى عن عائشة، وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل» وهذان الحديثان أقوى ما استدل به الجمهور من السنة على ضرورة اشتراط الولى. وقد أجاب الحنفية عن الحديث الثانى بأنه مطعون فيه، وذلك لأن الزهرى نفسه قد سئل عنه فأنكره. وقد أجيب عن هذا بأن عدم معرفة الزهرى للحديث لاتضر مادام راويه، وهوسليمان بن موسى، ثقة. ولايخفى ما فى هذا الجواب، لأنه إذا كان مصدر الحديث الذى أسند اليه لم يعرفه كان ذلك موجبا لرفع الثقة بدون نزاع. على أن الحنفية قالوا إن كل الأحاديث التى يفيد ظاهرها اشتراط الولى فى التزويج هى خاصة بالصغيرة التى لا يصح لها أن تتصرف، ومن فى حكمها من المجنونة، ويؤيد ذلك قواعد الدين الاسلامى العامة، إذ مما لا شك فيه أن النكاح عقد من العقود كالبيع والشراء، ومعلوم أن للمرأة الحرية المطلقة فى بيعها وشرائها متى كانت رشيدة، فكيف يصح الحجر عليها فى عقد زواجها وهو أهم العقود التى تتطلب الحرية لما يترتب عليه من سعادة العيش أوشقائه، فينبغى أن يقاس عقد النكاح على عقد البيع، وإن ورد ما يخالف هذا القياس وجب تخصيصه بالقياس. وهذه قاعدة أصولية متبعة. فقوله: «لا تزوج المرأة المرأة» معناه لاتزوج المرأة الكبيرة البنت الصغيرة عند وجود الولى العاصب المقدم عليها. وقوله: «ولا تزوج المرأة نفسها» معناه ولا تزوج الصغيرة نفسها بدون ولى. فالمراد من المرأة الأنثى الصغيرة وهى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإن كانت عامة تشمل الصغيرة والكبيرة إلا أنها خصت بالصغيرة لما هو معلوم من أن الكبيرة لها حق التصرف فى العقود كالبيع ، فيقاس النكاح على البيع ، وذلك جائز فى الأصول .

وقد رد الجمهور على هذا البيان بوجود الفرق بين النكاح والبيع ، وذلك لأن المرأة لا عهد لها بمخالطة الرجال حسبما تقتضيه القواعد الشرعية ، فربما خدعها غير الكفء فتتزوج بمن تتعير به عشيرتها ويكون شرا ووبالا على سعادتها الدنيوية ؛ فلذا صح الحجر عليها فى عقد النكاح دون غيره من العقود ، فان عقد البيع مثلا لا يترتب عليه مثل هذا الشر مهما قيل فيه .

وأجاب الحنفية عن هذا بجوابين : (الأول) أنهم قد اشترطوا الكفاءة فى الزوجية ، فلو تزوجت المرأة غير كفء فلأوليائها أن يعترضوا هذا الزواج ولا يقروه فيفسخ ولا تصيبهم معرة الصهر الذى لا يناسبهم ، فزمام الأمر بأيديهم . (الثانى) : أن المفروض كون المرأة عاقلة حسنة التصرف غير محجور عليها ، ولذا كان من حقها أن تتصرف فى بيعها وشرائها بدون حجر . فاذا صح أن يقال إنها قد تغبن فى اختيار الزوج الكفء فكذلك يصح أن يقال إنها قد تغبن فى بيع سلعة هامة غبنا ضارا بها أكثر من الضرر بعقد زواج على غير الكفء ، لأن عدم كفاءته إن ثبتت فرق القاضى بينهما . أما إذا باعت شيئا له قيمة مالية وغبنت فيه غبنا فاحشا وهلك فى يد مفلس فانه يضيع عليها ولا يسعها أن تتلافى ما يترتب على هذا البيع من الضرر . فهذا نهاية البحث بينهما فى الأحاديث .

أما القرآن الكريم فقد استدل الجمهور بقوله تعالى : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف(١)» . ووجه الدلالة فى الآية الكريمة أن الله سبحانه قد خاطب بها الأولياء ، فنهاهم عن منع النساء من الزواج بمن يرضونه لأنفسهن ، فلو لم يكن لهؤلاء الأولياء حق المنع لما كان لخطابهم بمثل هذا وجه ، إذ كان يكفى أن يقول للنساء : إذا منعتم من الزواج فزوجوا أنفسكن ، ولا تبالوا بالمانعين .

وقد نقل عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : إن هذه الآية أصرح آية فى الدلالة على اشتراط الولى . ولكن الحنفية قد أجابوا عنها بجوابين :

الجواب الأول : منع كونها خطابا للأولياء ، بل هى تحتمل أن تكون خطابا للأزواج الذين يطلقون أزواجهم ، وتحتمل أن تكون خطابا للمؤمنين عامة . أما الأول فهو الظاهر المتبادر من لفظ الآية الكريمة ، فهو سبحانه يقول لمن يطلقون نساءهم : إذا طلقتم النساء فلا تستعملوا معهن الوسائل الظالمة التى يترتب عليها منعهن من الزواج بغيركم : كأن تهددوها هى أو من يريد تزوجها بقوتكم أو جاهكم وسلطانكم أو نفوذكم إن كان لكم شىء من ذلك ، أو تحاولوا تنقيصها

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٢

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والحط من كرامتها فتنفروا منها خطيبها أو تؤثروا عليه من أى ناحية ليتركها ، أو تمنعوها من حقوقها المالية إن كان لها حقوق لديكم كى لا تتزوج بغيركم ، أوغير ذلك من المؤثرات .

وأما الثانى فمعناه : إذا طلقتم النساء أيها المؤمنون وأصبحن خاليات من الأزواج والعدة فلا يصح أن يقع بينكم منعهن من الأزواج سواء أكان ذلك المنع من قريب أم من ذى جاه ونفوذ عليها ، فيفترض عليكم فرض كفاية أن تمنعوا وقوعه فيما بينكم ، بنهى فاعله والضرب على يده ، وإلا كنتم مشتركين معه فى الاثم ، لأن العضل منكر حرمه الله تعالى ، والنهى عن المنكر فرض على المؤمنين ، وإزالته لازمة على كل قادر حاكما كان أو غيره .

ولا تعارض بين هذا الذى ذكرناه وبين ما رواه البخارى من أن الآية نزلت فى معقل ابن يسار حيث كان قد زوج أخته لرجل فطلقها زوجها ثم أراد الرجوع إليها ثانيا فأبى أخوها معقل أن تعود إليه مع كونها راغبة فيه فلما نزلت زوجها إياه ، لأنه يحتمل أن تكون حادثة معقل صادفت نزول الآية ، ولكن الآية فى ذاتها عامة كما قاله المفسرون فى قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا(١)» إذ قال الفخر الرازى وهو شافعى :إن الآية عامة ولكنها صادفت حادثة الوليد . ومع ذلك فاذا سلم أن الآية نزلت فى حادثة أخت معقل بخصوصها فان الخطاب فيها يجب أن يكون عاما لكل من يعضل سواء كان وليا أو غيره ، فليست مقصورة على الأولياء بلا نزاع .

الجواب الثانى : بتسليم أن الآية خطاب لمعقل وغيره من الأولياء بخصوصهم ، ولكن ليس فى الآية ما يدل على أن لهم حق الولاية على النساء مطلقا ، وإنما تدل على أن من منع منهم النساء من التزوج فهو آثم لا حق له فى هذا ، وهذا المنع لا يلزم أن يكون مترتبا على الولاية بل هو ظاهر فى أنه مترتب على ضعف النساء وعدم قدرتهن على استعمال حقهن . وبيان ذلك أن المرأة تستكين عادة لمن يكفلها أو لعاصبها القريب من أب أو أخ ، فتفنى إرادتها فى إرادته خصوصا فى هذا الباب الذى يغلب فيه الحياء على معظم النسوة المربيات ، فلا ترى المرأة لها حقا مع كافلها أوعاصبها ، فتتنازل له عن استعمال حقها وهى مكرهة . فالآية الكريمة تفيد أنه لا يصح للرجال أن يستغلوا هذا الضعف فيسلبوا النساء حقوقهن الطبيعية فى التزوج بالكفء الذى يرغبن فيه . وهذا يتضمن أن للمرأة الحرية فى اختيار الكفء الذى تريده زوجا ، لأن النهى عن منعها من الزواج يتضمن إباحة الحرية لها فى ذلك الاختيار بلا نزاع . على أن قوله تعالى: « فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن » فيه دلالة على صحة عقد الزواج إذا باشرته المرأة . فانه قال : «أن ينكحن» أى يتزوجن بعبارتهن ، ولو كانت عبارة النساء لا تنفع فى عقد الزواج لقال : فلا تعضلوهن أن تنكحوهن أزواجهن . والحاصل أن الآية إذا كانت خطابا للأقرباء

(١) الحجرات الآية ٦

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

بخصوصهم يكون معناها: لا تنتهزوا أيها الأقرباء فرصة كفالتكم للنساء وضعفهن فتسلبوا منهن حقهن الطبيعي فى اختيار الزوج الكفء ومباشرة زواجهن بأنفسهن فتتحكموا فيهن وتمنعوهن من استعمال ذلك الحق . وليس فى هذا المعنى أية دلالة على أن لهم حق الولاية عليها .

وقد يقال : إذا كان اختيار الزوج والعقد عليه حقا المرأة فلماذا لم يقل لهن تعالى : زوجوا أنفسكن واستعملوا حقكن؟ فخطابه للأولياء بقوله : فلا تعضلوهن ، دليل على أنهم أصحاب الحق فى ذلك لا النساء . والجواب أن خطاب الأولياء بهذا يدل على معنى دقيق جليل وهو ضرورة احترام الرابطة بين النساء وبين أهليهن الكافلين لهن ، فاذا تنازلت الواحدة منهن عن حقها فى هذا الموضوع احتراما لرغبة أبيها أو أخيها أو نحوهما خوفا من حدوث تصدع فى روابط القرابة ، فانه يكون حسنا يقره الله تعالى ، وفى هذه الحالة لا يصح أن يقال للنساء استعملوا حقكن واخرجوا عن طاعة أوليائكن ، فتنقطع بذلك روابط المودة ، وإنما كمال البلاغة وجمال الأسلوب أن يقال للأولياء : لا تستغلوا هذه الحالة فتتمادوا فى سلب حقوقهن للنهاية . والنتيجة المترتبة على الخطابين واحدة ، فان الغرض أن لا تمنع المرأة من التزوج بمن ترغب فيه متى كان كفئا صالحا .

(ه) ومما لا ريب فيه أن لهذين الرأيين علاقة كاملة بالحالة الاجتماعية فى كل زمان ومكان ، فالذين يحجرون على المرأة فى عقد الزواج يرون أن النساء مهما قيل فى تهذيبهن فان فيهن جهة ضعف طبيعية بارزة وهى خضوعهن للرجال وتأثرهن بهم من نواح مختلفة ، فقد تنسى المرأة عظمتها ومجدها وفضلها وتندفع فى ميلها وراء من لا يساوى شراك نعلها ، وربما تجرها عاطفتها الى الانقياد لخادمها ومن دونه . وبديهى أن ضرر هذه الحالة لا يقتصر على المرأة فحسب ، بل يتعداها الى الأسرة بتمامها ، لأنهم يتعيرون بادخال عنصر أجنبى فيهم لا يدانيهم فى حسبهم ونسبهم ، وربما جر ذلك الى ماساة محزنة . فمن الواجب أن يوكل أمر اختيار الزوج للأولياء الذين يستطيعون أن يختاروا ما فيه خير المرأة وخير الأسرة وهى مصونة محترمة غير متبذلة ولا متهتكة ، ومع ذلك فانه لابد من رضاء المرأة وإذنها إذا كانت ثيبا مجربة ، فضلا عن ذلك فان لها الحق فى المطالبة بالكفء عند الشافعية ، وغير ذلك يكون اندفاعا مع عاطفة ضعيفة يمكن التأثير عليها بوسائل مختلفة ، فيترتب على ذلك شقاء المرأة وتعاستها ، وهدم الأسرة وانحطاط كرامتها .

أما الحنفية الذين لا يرون الحجر على المرأة العاقلة البالغة فانهم يقولون : إن قواعد الدين الاسلامى تقتضى أمرين : (الأول) إطلاق الحرية لكل عاقل رشيد من ذكر أو أنثى بلا فرق. (الثانى) : رفع ما عساه أن يحدث من أضرار اجتماعية أو شخصية بسبب التصرفات المترتبة على العقود ، وكلا الأمرين لازم لابد منه للحياة الاجتماعية ، فالحجر على الرشيدة فى أمر زواجها ينافى قواعد الاسلام العامة بلا نزاع ، وهذا يترتب عليه ضرر اجتماعى شديد ، وهو التعدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على العاقل الرشيد فى أمره ، والتحكم فيه من حيث لا يريد ، فلو جعل زواج المرأة منوطا بالولى كان حجرا عليها بدون موجب ، خصوصا فى حالة تزويجها بدون أخذ رأيها مطلقا وهى بالغ رشيدة ، فان ذلك لا يلتئم مع قواعد الاسلام فى شىء ، وقد يكون ضارا فى كثير من الأحيان ، إذ قد يكون الولى غير أب أو أخ شقيق ولم تكن علاقته بالمرأة ودية ، فيتعمد معاكستها وحرمانها من الكفء ، وليس من السهل على المرأة إثبات عضله إياها عند الحاكم فانه يحتاج الى وقت يضيع الكفء من بين يديها .

وهذا كثير واقع لا يمكن الاغضاء عنه فى التشريع الاسلامى المشهور بدقته وجلاله ، فيجب أن يناط أمر زواج المرأة بها ، ولا يجعل لأحد مطمع فى حرمانها من الكفء ، ولكن بشرط أن لا يترتب على تصرفها ضرر يمسها أو يمس أسرتها بأن تندفع وراء شهوتها فتقع على غير الكفء المناسب ، فانها إن فعلت ذلك كانت جديرة بالحجر عليها ، وكان لوليها حق الاعتراض وفسخ العقد . على أن لها الحق فى أن تكل أمر زواجها لمن تشاء ، فاذا كان لها أخ أو أب أو نحوهما من الأقربين الذين يشفقون عليها ويؤثرون راحتها ويتمنون لها سعادة ، كان من اللائق أن تفوض لهم وتترك لهم حقها ليتصرفوا فى أمر زواجها كما يحبون ، فلا تخرج عن إرادتهم ولا تحاول إحراجهم بما لا ينفعها بل يضرها بفقد عطفهم عليها .

هذان الرأيان يدلان على أن التشريع الاسلامى آية فى الدقة والابداع ، لأن كليهما لازم للحياة الاجتماعية بحسب اختلاف البيئات وتطور أحوال الناس ، فاذا كان أحد الرأيين لا يناسب بيئة وجب المصير الى الرأى الثانى . وهذا معنى سماحة الدين الاسلامى ، وأنه صالح لكل زمان ومكان ، فكلا الرأيين حسن والعمل به مقبول معقول ؟

عبد الرحمن الجزيرى

الادب قرابة

قال شاعر حكيم :

ذو الود منى وذو القربى بمنزلة ... وإخوتى أسوة عندى وإخوانى
عصابة جاورت آدابهم أدبى ... فهم وإن فرقوا فى الأرض جيرانى

وقال آخر فى هذا الباب :

إن نفترق نسبا يؤلف بيننا ... أدب أقمناه مقام الوالد
أو نختلف فالوصل منا ماؤه ... عذب تحدر من غمام واحد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموازنة بين الشريعة والقوانين الوضعية

تعلم رعاك الله أن الشريعة جاءت بمطالب الروح والبدن جميعا ، وكفى بذلك فرقا كبيرا بينهما . ولكنا نزيدك فروقا أخرى فنقول :

إن القانون لا يطلب إلا حفظ النظام العام ، ولا يعنيه إلا وحدة الأمة وراحة الحكومة ، ولا يهمه شئون الأفراد الروحية ، ولا من وظيفته إصلاح قلوبهم وتربية نفوسهم ، ولا مراقبتهم فى أخلاقهم .

وأما الشريعة فقد تكفلت باصلاح قلوب الأفراد كما تكفلت باصلاح الأمم ، فرسمت لكل إنسان خطة واضحة يسير عليها فى نفسه وفى أسرته وفى جيرانه وفى الناس أجمعين ، وحظرت عليه أخلاقا تعوقه عن كماله ورقيه الى أحسن أحواله ، فطهرته من الحقد والغل والحسد والشره وسوء الظن الخ ، حتى أمرته أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وطلبت منه أن يكون خيرا محضا ، وأن تكون سريرته أفضل من علانيته ، وعلمته أن يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ، وأمرته بالرحمة لكل ذى روح ، وعرفته أن امرأة دخلت النار فى هرة ، الى غير ذلك مما لعلك غنى عن بيانه . وقد تعلم رعاك الله أن الأمة لا تصلح فى مجموعها إلا إذا صلحت قلوب أفرادها ، وإلا كانت كالبناء المرتفع أمام الأنظار من خارجه ، المتفتت الأجزاء فى داخله .

وإن شئت فألق بنظرك الى ثروة أمتنا المصرية تجدها قد ذهبت ثلاثة أخماسها تقريبا . فاذا بحثنا عن سبب هذا وأردنا أن نشخص ذلك الداء الذى سرى فى جسم الأمة سريان السل فى جسم الرجل العظيم ، وجدناه راجعا الى عدة أمور تحرمها الشريعة كل التحريم .

فمنها الربا الذى ورد فيه الوعيد الشديد فى القرآن والسنة .

ومنها الخمر التى هى أم الخبائث . ومنها المقامرة التى جعلها القرآن من عمل الشيطان ، وناط الفلاح باجتنابها حيث يقول : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

ومنها المنازعات التى ما جاء الدين إلا ليستأصل شأفتها من النفوس . ومنها كثرة صرف المال فى غير محل الضرورة ولا موطن الحكمة . وقد ذم الله المبذرين حتى جعلهم إخوان الشياطين فقال : « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » الى غير ذلك مما يعرفه المستبصر ولا يخفى على الباحث .

فلو أن الأمة تربت تربية دينية وحافظت على شريعتها لحفظت عليها ثروتها ، ولكانت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الآن من أغنى الأمم التى على وجه الأرض . فماذا أغنى عنها القانون وقد تركت شريعتها فذهبت عزتها الحقيقية (لا الصناعية) واضمحلت ثروتها التى هى أساس مجدها ومناط حياتها الصحيحة .

بل يمكننا ان نقول : إن الشريعة أبلغ فيما يريده القانون أيضا من منع الناس عن ارتكاب الجرائم والتعديات ، فان الانسان لا يخاف القانون ولا يرهب سلطانه إلا إذا لم يكن له وسيلة الى الخلاص منه ، وما أكثر وسائل الخلاص وأقل بواعث الاخلاص !

فاذا عممنا التربية الدينية نكون قد وطدنا دعائم الأمن العام أكبر توطيد بمقتضى مايغرسه الدين فى القلوب من أن الله يعلم السر وأخفى ، وأنه يحاسب على الفتيل والنقير ، وأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، وأن من روع أخاه لم يؤمن الله روعته يوم القيامة ، الى آخر ما جاء فى الكتاب والسنة وهو كثير . فلا فرق إذا بين أن يكون الانسان فى العواصم حيث متناول الأحكام بمرأى ومسمع من الحكام ، وبين أن يكون فى الصحراء الكبرى حيث لا ديوان ولا سلطان .

فالخلاصة أنه لا يوجد شىء أنفع للحكومة والأمم والأفراد فى أحوالها الاقتصادية والاجتماعية من التربية الدينية . فمن فوائدها للحكومة أنها تردع الناس عن الجرائم لأنها ترجع طمعهم فى الدنيا الى الحد المعتدل ، فلا يتهالكون عليها هذا التهالك الشديد .

فالفرق بينها وبين القوانين من هذه الوجهة : أن القوانين لا تخفف محبة الدنيا من القلوب (ومحبة الدنيا كما تعلم أساس المنازعات والمخاصمات ومنشأ التعدى وكل انواع الايذاء حتى أخذ الرشوة والسرقة) ، ولا تطهر النفوس من رذائلها كالحرص والحسد والشره والبغى والحقد والغضب ، الى غير ذلك . ولا يخفى ما يترتب على تلك الرذائل فى المجتمع الانسانى من الشرور وسوء المعاملة بمقتضى تلك العوامل الخبيثة التى تسوق صاحبها الى هلاكه وهلاك غيره شاء أم أبى .

والفرق الثانى : أن مراقبة الله لا تثمرها القوانين ، فيمكن أن يتقى الانسان غائلة القانون بالتحيل والاختفاء مثلا ، بخلاف الشريعة .

والفرق الثالث : أن القوانين لا تكفل نظام الأفراد ، ولا تتعرض لشئونهم ولا لاصلاح حالهم فى أنفسهم .

والفرق الرابع : أن الشريعة تعطى الروح حظها من معرفة الله ، وتستحث القلوب على التنزه فى الجمال المطلق الظاهر فى الكون كله (الذى لأجله بحثت كل أمة عن إله تعبده) .

هذا ولا نزال نكرر أن الأمة المصرية لو كانت على الدين الصحيح ما ذهب شىء من ثروتها التى كادت تتلاشى بالكلية ، لأنها لم تذهب كما قلنا إلا بالربا والمقامرة والاسراف والتبذير والدخول فيما لا يعنى والتفاخر والتنافس ، وكل ذلك يحرمه الدين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وانظر الى الأمة الاسلامية فى بدء أمرها حيث سادت جميع الأمم فى أقل من قرن بفضل سيرها على تعاليم دينها الذى يقول لها : « علو الهمة من الايمان » . ويعلمهم أنهم يخشونه ولايخشون أحدا إلا الله ، وأنهم لا يخافون فى الله لومة لائم ، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأن الآخرة خير وأبقى ، وأن الله يعلم سرهم ونجواهم ، ويعلمهم أن ينفروا إذا دعوا خفافا وثقالا وجماعات ووحدانا ، وأوجب عليهم الهجرة من أرض الذل ، وأمرهم بحسن المعاملة مع كل أحد ، والاعتدال فى كل شىء ، وحذرهم من الافراط والتفريط ، وحض على طاعة المرءوسين للرؤساء ، ومشاورة الرؤساء للمرءوسين . وقد قال لنبيه عليه السلام : « وشاورهم فى الأمر » . بل أمر باحترام الطبقة الدنيا للطبقة العليا عموما ، وبتوقير الصغير للكبير ، ومعرفة الفضل لذويه ، وبالجملة أمر بإنزال الناس منازلهم .

فعل كل ذلك كى تتم المحبة بين الجميع ، وتكون الروابط على أكمل وجوهها .

بالغ فى الحث على التعاون والاتحاد ، وطلب من كل أحد أن يعمل من الخير ما يعود على عشيرته وأمته ، حتى جعل إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الايمان ، وهو القائل : « وتعاونوا على البر والتقوى » . « يد الله مع الجماعة » . وأمر باستعمال العقل فى كل شىء ، ونهى عن اتباع الظن ، حتى قال : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » . وقال: « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ، ولايغتب بعضكم بعضا » . وقال : « ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » . ونعى على قوم سوء حالهم بقوله : « إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا » . وبنى عقائده على صرائح العقول ومقتضى البراهين ، الى آخر ما جاء فيه مما شيد صرح بناء الأخلاق ، وجعل الأمة كالبنيان يشد بعضه بعضا . ولذلك كان غير قابل للنسخ لأنه لا يتأتى أن يجىء زمان يحسن فيه ترك الاعتدال ومجاوزة الحدود والتباعد عن مكارم الأخلاق .

فلا غرو أن يصبحوا بفضل هذه التعاليم من أعز الأمم وأرفعها ، مع راحة القلوب واطمئنان النفوس ، وابتهاج الأرواح ، والتبريز فى كل خير وفضيلة . فالمسلمون اليوم وإن كانوا على أقبح صورة ، فالاسلام عند من يعرفه على أجمل صورة . ولذلك نقول : إن نقص المسلمين وتأخرهم لنقص تربيتهم الدينية لا لنقص فى دينهم .

وعلى الجملة فالتربية الدينية أعظم وسيلة الى توطيد الأمن العام ، وتحسين العلاقات الوطنية والمعاملات التجارية وجميع الشئون الاقتصادية ، وأكبر معين على حفظ الثروة وترقية الأمة وتقوية الروابط الودية فيما بين أفرادها عندما تكون لها تلك النفوس الطاهرة ، فتتمكن منها عرا المحبة والاخاء بمقتضى قول الدين : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تحابوا » . وإنا لنتمنى تحقيق تلك الأمنية التي لا شيء أنفع للامة منها في هذا العصر الميمون إن شاء الله ، وما ذلك على الله بعزيز .

وأما التربية غير الدينية التي عنيت بها الأمم المعاصرة الآن فلا تطفيء تلك النيران المتاججة ، ولا تلطف من سورتها ، ولا تحدث مراقبة الله في النفوس ، بل تجعل المتربي بها يعتقد أنه اولى بالثروة والرفعة من غيره ، فيحتال لذلك بكل أنواع الحيل ، وتمتلئ نفسه حسدا على كل من سواه . وربما جرته تلك التربية الى الالحاد ونبذ المعتقدات ، فأصبح لا يعنيه إلا الدنيا ، ولا يهمه إلا التنافس فيها بلا مراقبة لله لأنه لا يعرفه ، ولا طمع في الآخرة لأنه لا يؤمن بها .

الكلمة الختامية :

إن مزايا الشريعة لا تكاد تحصى ، فشتان ما بين قانون يضعه رجال لا يعنيهم إلا مظاهر الحياة المادية ، وبين قانون يضعه خالق الكون المدبر لكل صغيرة وكبيرة يكفل به للناس سعادة الحياتين . .

تلك القوانين تبيح الزنا وشرب الخمر والتلهي بالميسر ، وهي أمهات الشرور كلها ، محافظة على مبدأ الحرية الشخصية . وما مثلها عندي إلا كمثل من يريد أن يشرب السم فلا تمنعه محافظة على حريته فيما يريد . فهل تراك أحسنت إليه !

تلك القوانين تمنع دروس الدين من المدارس ، فأول ما تغرس في نفوس النشء بهذا العمل أن الدين في محل الاهمال ، فلا ينبغي أن يعتنى به أو يلتفت إليه ، وهي طريقة عملية تترك في نفوس المتعلمين أسوأ فكرة عن الدين ، وأهون عقيدة فيه .

واعلم أن فلاسفة أوربا وعقلاءها يئنون من شيوع الالحاد ، ويتمنون أن يسود سلطان الدين على الأفكار ، علما منهم أن خلو النفوس من الدين منذر بالخراب العاجل أو الآجل .

قال فيكتور هيجو من حكماء أوربا :

« يجب أن يكون التعليم الابتدائي مبنيا على الدين حتى يكون صالحا ، ويجب أن يساق الى المحاكم من يرسل ولده الى مدرسة لا تعلم الديانة » .

تأمل كيف أوجب سوق من لا يعتني بالتربية الدينية الى المحاكم !

وقال فيكتوز كوزان :

« إن الشعوب لأشد احتياجا الى المبادىء الدينية منها الى الشرائع المدنية والعلوم السياسية » .

وقال روسو :

« شر الشرور في الممالك أن يكون الله مجهولا فيها ، فان في ذهاب الديانة تقويضا لأركان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الهيئة الاجتماعية » . الى غير ذلك من كلامهم ، وهو كثير . وما أصدق روسو فيما قال وأبعد نظره فيما أراد !

وإن أردت مصداق ذلك فانظر الى الأمة الاسلامية فى بدء أمرها حينما كانت أعز الأمم على الاطلاق وأرفعها على الاطلاق ، ثم انظر اليها اليوم وقد تقوض بناؤها ، وذهب مجدها ، فأصبحت تتسلى بالسراب عن الشراب ، وبالخيال عن الحقيقة ، وبزخرف الكلام وأضغاث الأحلام عن النظر الصحيح فى سنة الله فى خلقه ، وما تقتضيه قوانين العالم فى ماضيه وحاضره ، وإن فى ذلك لعبرة كبرى لذوى الأبصار وأهل الاستبصار .

أسأل الله أن يعاملنا بما هو أهله ، ولا يعاملنا بما نحن أهله بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء

الطموح لما هو أرقى

قال ابن عبد ربه : مما جبل عليه الحر الكريم أن لا يقنع من شرف الدنيا والآخرة بشىء مما انبسط له ، أملا فيما هو أسنى منه درجة ، وأرفع منزلة ، ثم قال : ومن قولنا فى ذلك :

والحر لا يكتفى من نيل مكرمة ... حتى يروم التى من دونها العطب
يسعى به أمل من دونه أجل ... إن كفه رهب يستدعه رغب
لذاك ما سال موسى ربه أرنى ... أنظر اليك وفى سؤاله عجب
يبغى التزيد فيما نال من كرم ... وهو النجى لديه الوحى والكتب

وقال الشاعر تأبط شرا فى ابن عم له يصفه بركوب الأهوال وبذل الأموال :

وإنى لمهد من ثنائى فقاصد ... به لابن عم الصدق شمس بن مالك
أهز به فى ندوة الحى عطفه ... كما هز عطفى بالهجان الأوارك
قليل التشكى للملم يصيبه ... كثير النوى شتى الهوى والمسالك
ويسبق وفد الريح من حيث تنتحى ... بمنخرق من شدة المتدارك
يظل بموماة ويمسى بغيرها ... وحيدا ويعرورى ظهور المهالك
إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل ... له كالىء من قلب سيحان فاتك
إذا هزه فى عظم قرن تهللت ... نواجذ أفواه المنايا الضواحك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

نرجو التفضل بالجواب مفصلا على السؤالين الآتيين بصفة رسمية من دائرة الفتوى ، وهما :

الأول — فاطمة رضعت مع مصطفى ثلاث رضعات متفرقات ، فهل يجوز زواجهما ؟

الثانى — محمود يرغب أن يتزوج نادرة ، غير أن جدة نادرة أرضعت محمودا ثلاث أو أربع رضعات متفرقات ، فهل يجوز عقد قران محمود على نادرة ؟

اسماعيل عاصم آل ابراهيم باشا

حلب — سوريا

الجواب :

اختلف الفقهاء قديما فى كمية الرضعات التى تستوجب حرمة التزوج ، فالمعتمد من مذهبى الشافعية والحنابلة أن الرضاع لا يستوجب حرمة الزواج إلا إذا تكرر وبلغ خمس رضعات متفرقات ، فان لم يصل الى هذه الكمية فلا يوجب حرمة التزوج .

وبناء على هذا ترى اللجنة أن عقد القران فى الحالتين المسئول عنهما جائز ولا مانع منه شرعا عند السادة الشافعية والحنابلة .

أما الحنفية والمالكية فيرون أن رضعة واحدة كافية فى التحريم متى وقعت فى مدة الرضاع المقررة شرعا ، وهى حولان كاملان عند الحنفية ، وحولان وشهران عند المالكية ، إلا أن الحنفية يرون أن الرضاع محرم فى مدته حتى بعد فطام الصبى واستغنائه عن اللبن . ويخالفهم فى ذلك المالكية ، فيرون أن الصبى متى فطم واستغنى بالطعام عن اللبن فرضاعه بعد ذلك لا يوجب تحريم التزوج ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الزهاوى الفيلسوف العراقى

للسيد المرحوم جميل صدقى الزهاوى شهرة فى البلاد الناطقة بالضاد لما نشر من شعره ، وأذاع من كتبه ، وقد وقر فى نفوس الناس عنه أنه مشايع للفلسفة المادية ، شديد التمسك بمقرراتها . إذ يكاد لا يقع نظر أحد على قصيدة له تخلو من ذكر العدم المحض الذى ينتظر الانسان بعد موته .

ولما زار مصر حوالى سنة ١٩٢٥ أكثر فيها من قرض الشعر ، وكانت جريدة السياسة تنشر له ما تجود به قريحته ، فكنت ألاحظ أنه يبالغ فى نعى النفس الانسانية ، والتشهير بمصيرها الى العدم المحض ، الأمر الذى لم نلاحظه على شاعر غيره عربيا كان أو أعجميا ، حتى من الذين يعرف عنهم الغلو فى المادية . فكان يخيل الى أنه من الذين يؤلم شعورهم أن ينتهوا الى ظلمة العدم بعد تمتعهم بنور الوجود ، وأنهم لو لاح لهم بريق دليل على بقاء النفس بعد الجسد لتلمسوه حيث صادفوه ، فسمحت لنفسى أن أكتب اليه كتابا مفتوحا فى جريدة السياسة أدعوه ليساجلنى البحث فى خلود الروح ، وذكرت له أن لدى أدلة علمية لا مجال للمراء فيها . فرد على فى تلك الجريدة يشكر لى ما عرضته عليه ، ويعتذر عن قبول المساجلة لوشك عوده الى بلاده ، وتفضل فأهدانى مؤلفاته .

لا أظن أن يتخيل قارئ ، وأنا أتكلم عن الفيلسوف العراقى هنا ، أنى أريد الحط من قيمته أو نقد أقواله وهو لا يستطيع أن ينتصر لنفسه ، لأن الزهاوى بعد أن نشر من شعره ومؤلفاته ما نشر ، أصبح واحدا من جمهرة قادة الفكر لا يمكن تجاوزه دون نقد فى مجال تمحيص حقيقة من الحقائق الفلسفية ، بل أصبح يقصد بالذكر من خصوم مذهبه ، لكيلا يفتتن باقواله من ليس لهم قدرة على تمييز الحق من الباطل من المبادئ . ونحن إنما نقصده بالذكر اليوم لما نشر فى بعض المجلات من مذهبه بدون تعليق ، خشية أن تتسرب هذه الكتابة الى النشء فتؤثر فى عقليتهم لمصلحة المذهب المادى الذى حطمت صرحه اليوم معاول الفتوحات النفسية الحديثة .

يصف بعض الناس الزهاوى بأنه مادى قح ، وهذا ما يؤخذ من بعض شعره ونثره ، ولكننا نلاحظ عليه هنا أنه لم يقم على طريقة زعماء المادية من الاعلان عن مذهبهم فى صراحة لا تقبل المماحكة ، فقد كان يكتب الشىء ثم ينقضه بقول آخر كما فعل فى كتابه (الكائنات) . فقد جرى فيه على أسلوب الماديين ، فأنكر فيه الخالق والروح والخلود ، ثم ختمه بكلمة تحت عنوان (ابتهال) ، حقر فيها كل الآراء التى قررها فى الكتاب ، وذكر أنه إنما جرى فيها على

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أسلوب الماديين لبيان مذهبهم ، أما هـو فبرا الى الله منهم ومن آرائهم ، ويرجو من يقرأ كتابه أن لا يعتد بما قرره فيه .

هذا أسلوب فى الكتابة كل ما يمكن أن يعتذر عنه أنه يلجأ اليه هربا من تبعة ما قرره من الآراء الالحادية فى نظر الرأى العام والحكومة ، ولكنه اعتذار غير وجيه ، وكان الأولى به أن يتحمل تبعة ما يقول كما فعل جميع الذين تقدموه من ضحايا آرائهم ، أو أن يسكت .

وكما جرى على هذا الأسلوب نثرا جرى عليه شعرا ، فقد قال منكرا الخالق :

لما جهلت من الطبيعة أمرها ... وأقمت نفسك فى مقام معلل
أثبت ربا تبتغى حلا به ... للمشكلات فكان أكبر مشكل

وهو نفسه الذى قال :

قال ما دينك الذى كنت فى الدنـ ... ـيا عليه وأنت شيخ كبير
قلت كان الاسلام دينى وهـ ... ـو دين بالاحترام جدير
قال من ذا الذى عبدت فقلت ... الله ربى وهو السميع البصير

وهو الذى قال أيضا :

أنا ما كفرت كل عمـ ... ـرى بالكتاب المنزل
أنا لم أزل أشدو بنعـ ... ـت للنبى المرسل

فهـذا الضرب من التلاعب بالمبادئ ليس من صفات الفلاسفة الراسخين ، ولا هو من سمات العلماء المحققين . وهو يدل دلالة صريحـة على أنه لم يكن على عرق مما يتظاهر به من صفات المجـددين . لأن المجـدد يجب أن يكون مثالا حيا لغيره فى تحديد مذهبه ، وصراحـة لهجته . أما الاعتذار عنه بأنه كان يلجا الى هـذا الأسلوب من المراوغـة لاتقاء شر الحكومات الخانقة للحرية ، فلا يمكن قبوله والاعتداد به . لأن التاريخ قـد سجل أسماء عشرات الألوف من العلماء والفلاسفة المجـددين الذين هلكوا فى سبيل التصريح بآرائهم ، فان لم يكن قـد بلغ مبلغهم من الاخلاص للمذهب ، كان يسعه أن يهجر وطنه كما فعل غيره فى مجال السياسة ، وأن يجاهر بما يريد أن يقول ، ولا يدع الناس حيارى فى معرفة حقيقة ما كان يقول به ويريد أن يدعو اليه .

ومن أغرب وجوه هـذه الحيرة أن من الناس من فهم أن الأستاذ الزهاوى كان يعتقد بوجود الخالق ، وأنه فوق ذلك كان متصوفا .

قال الأستاذ اسماعيل أحمد أدهم كاتب تاريخ حياته :

« آمن الزهاوى بالعلم ونزل عنـد مقرراته ، ومضى يبحث فى الطبيعة مؤمنا باساليب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العلم فى البحث ، وخرج من دراسته معتقدا اعتقادا لا يوهنه الشك ، ولا يتطرق اليه الريب ، أن لقوانين الطبيعة وحـدتها ، وان للعالم وحـدة متصلة أسبابها ، غير منفصمة أجزاؤها ، وعاد بالاشياء كلها الى الأثير فهو عنده المرجع فى الأشياء والأثر ، واعتقـد أن الألوهة حالة فى الـكون فنظرها فى الأثير ، حيث بدا له من نظره فى العلم الموضوعى والذاتى — عالم الطبيعة والنفس — أن لا انفصام بين السبب والمسبب ، بين العلة والمعلول . وهكذا انساق الزهاوى لايمانه بوحدة الـكون وبطبيعة الاتصال بين ذواتنا الشاعرة المفـكرة وبين طبيعة الأشياء ، الى الايمـان بالله فى الـكون ، وبامـكان الاتصال بالله عن طريق الكون . وهكذا دلف الزهاوى الى التصوف ، فـكان عميقا فى تصوفه يؤمن بأن هنالك وراء ذواتنا وأعراض الاشياء التى تبدو لنا حقيقة واحدة ، حقيقة تصل بيننا وبين الـكون ، ولولاها لما أمكننا أن نفكر فى العالم ، وأن نستجيب لانفعالاتنا به ، ولما أمكن للعالم أن يؤثر فينا » .

يقول الاستاذ اسماعيل احمد أدهم هـذا القول ، وهو نفسه قد نقل عنه البيتين المتقدمين اللذين ينـكر فيهما وجود الخالق ، فكيف يمـكن التوفيق بين هذه المتناقضات ؟

على أن ما استنتجه من كتابات الاستاذ الزهاوى ووصفه بأنه مطابق للتفـكير العـلمى الحديث ، إن دل على شىء فهو يدل على أن الزهاوى كان يصرف بعض الأمـور الافتراضية فى العلم ، الى بناء عقيدة خيالية فى حقيقة الـكون وعلاقة الانسان به على أسلوب الجماعة الذين يسميهم الأوربيون بالميستيك (mystiques) .

إن الاثير مادة افتراضية ، تواضع عليها العلماء لحل بعض مشكلات الطبيعة ، والعلماء يحتالون على فهم ما لا يستطيعون فهمه بافتراض أشياء قد لا يكون لها وجـود ، وقد يثبت وجود خلافها عند ما يصل العلم الى درجة أعلى مما كان عليه ، وتاريخ العلم يثبت هذا الأمر إثباتا لا مجال للشك فيه . فالتصوف الذى وصل إليه الاستاذ الزهاوى على أجنحة الأثير مـكتوب عليه الانهيار بانهيار الأثير نفسه ، كما انهارت مذاهب لا عدد لها أغرى الخياليون باختراعها وزخرفتها فى كل زمان ومكان .

ثم نقول : لا يصح ونحن فى عصر العـلم أن يوصف مذهب يقوم على موجود افتراضى بأنه مذهب علمى . ولو ساغ ذلك لوجدت مذاهب علمية بعـدد الرءوس الخيالية التى تفـكر على هذا النحو وهى بعيدة عن الروح التى ينفثها العلم فى روع الآخذين به .

ثم نتساءل : ما قيمة هذا التصوف الذى يزعم صاحبه أن الروح الانسانية لا وجود لها ، وأن الانسان صائر الى حيث تصير جميع الـكائنات الى العدم المحض ؟

لا يصح أن يوصف القائل بهذا القول بالتصوف على أى احتمال من احتمالاته ، لانه لا يغرى بالرياضة النفسية ، ولا بالمجاهدة القلبية ، ولا يحبب الانسان فى التأمل إلا فيما يجلب السعادة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الدنيوية ، واللذات البدنية . وإذا كان ذا شعور حى ربما قـذف به الى هوة اليأس فكره الحياة وكره نفسه ، وكره الوجود وما فيه ومن فيه ، ولا يبعد على من تؤول حاله الى هـذه المأساة أن يصوب مسدسه الى رأسه فينسفه نسفا .

هل للاستاذ الزهاوى فلسفة ؟

أنا أعترف بان الأستاذ الزهاوى كان شاعرا ، ولشعره طلاوة وانسجام فى كثير من موطن القـول ، ولـكنى أنكر بأنه كانت له فلسفة ، وكل ما يؤخذ مما كتبه فى كتبه أنه افتتن بمقررات العلم الطبيعى ، وشغف حبا بالفلسفة المادية ، فخلعته عن العقائد الدينية ، ولم يستطع أن يتغلب على عقائده الوراثية فيعلن أنه أصبح ماديا ، فوقف حائرا لا يدرى بأى فـريق يلتحق : أبفـريق الذين يؤمنون بالغيب ، أم بفريق الذين يؤمنون بالواقع ، فاعتراه من الهم ما يعترى كل واقف بين طرفين من الوحشة والذعر . فاذا كان الشعر مظهرا لنفسية الشاعر ، فهذا الذى أقوله يؤخذ من شعره صريحا بغير تأويل ، فقد قال :

رأيت الهدى فى الشك والشك لايهدى كأنى بالظلماء قد كنت أستهدى
فطورا أقول الروح كالجسم هالك وطورا أقـول الهلك عنه على بعد
فيالك من شك يبرح بى ولا يبارحنى حتى أوسد فى لحـدى
وإنى لا أدرى أرشدى كان فى ضلالى هـذا أم ضلالى فى رشدى
أأفقد جسمى وحده عند ميتتى أم الروح مثل الجسم يشمله فقـدى
أروح وجسم أم هو الجسم وحـده يحركنى فيما يضلل أو يهدى
أعذب حوبائى بمـا أنا فاكر كأنى من أعـداء حوبائى اللد

يقول : إنه يعذب نفسه بهذا التفكير حتى كانه من ألد أعدائها ، وليس هـذا من شأن الفيلسوف الذى ليس له عون على حل المعضلات غير التفكير ، فهو لا يبالى بنفسه وإنما يبالى بالحقائق التى يشعر بأنه خلق للوصول اليها . فاذا كان لا بد للفيلسوف أن يشكو فهو يشكو من أنه بطىء السير ، كليل الراحلة ، قليل التضحية .

على أن الشك ليس بعاب فى الفلسفة ، بل من الفلاسفة من جعلوه أساسا لمذهبهم : كبيرون (Pirrhon) ، الفيلسوف اليونانى الذى كان موجودا قبل المسيح بأربعة قـرون ، فقد كان لا يثبت شيئا قط ، مستندا فى ذلك على أن الانسان لايستطيع لقصور عقله أن يصل الى الحقائق ، وقد بقى مذهبه قائما الى اليوم باسم اللا أدرية (agnosticisme) وله شيعة فى كل أمة .

فيكون تصريح الأستاذ الزهاوى بأن الشك قد أضناه دليلا على أنه ليس من طائفة اللاأدرية ، ولـكن من القائلين بأن الدرس والتفكير يؤدى الى إدراك الحقائق ، فهو قد أجهد نفسه فى تطلبها ولم يفز بطائل .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وبينا هو يندب حظه من الحيرة ، ويرى أن الروح ليست إلا حالا من أحوال المادة ، إذا به يثبتها ويؤكد خلودها فيقول :

فيا نفس سيرى فى الفضاء طليقة ... فــلا شىء فيه للنفوس معــوق
لأنت شعاع طار من مستقره ... وكل شعاع بالبقاء خليــــــق
تحيــق المنايا بالجسوم كثيفة ... وأما بارواح فليس تحيـــــق

إذا به يعود الى شنشنته من التناقض فيقول :

يقولون إن النفس حق وجودها ... فلا ينبغى إنـكارها وجحودها
فقلت لهم هذا جميـــــل وعله ... خيالات عقل شارد لا أريدها
ولم يكن الانسان إلا ابن غابة ... على غجأة قــد أنجبته قــرودها

الخـلاصة أن الاستاذ الزهاوى لا فلسفة له ، لـكن له مجموعة من أقوال يتحدى فيها الاسلوب العلمى قولا ، ثم يقفز الى الفلسفة الخيالية فينتزع منها صورا ليست بخلابة ولا بثابتة ، لأن العـلم لا يبنى على الافتراضات وهـو يبنى كل مذهبه على الاثير ، والاثير مادة افتراضية كما قدمنا .

أما شعره فهو صورة نفسية من التشكك والحيرة والعويل ، وهذه صفات يرتاح إليها كل من تأثر قلبه بالشبهات وقصرت همته عن المجاهـدة لحلها ، وفى القطعة الشعرية التالية صورة صحيحة لهذه الحالة النفسية ، قال رحمه الله :

سيطفئ يأسى فى المشيب حياتى ... وأذهب من نور الى ظلمات
ويحملنى صحبى الى القبر إننى ... به بعد حين لست غـير رفات
تقطع أوصالى وتبـلى جوانحى ... وليس بوسعى أن أبث شكاتى
وأجمل بأيام الصبا فهى لم تـكن ... على الفم من دهرى سوى بسمات
ولـكن أيام الصبا قـد تصرمت ... ولم تبق ذكراها سوى الحسرات
وفارقت أيام الشباب حميـدة ... وإن كثرت فى عهـده عثراتى
قضيت شبابى مطمئنا وبعده ... أتى الشيب منهوكا من الشبهات

فلا جرم أن من يقضى أيام شبابه مطمئنا على ما يساوره من الشكوك والريب ، ولم يكد نفسه للوصول الى الحقيقة ، تحل به الشيخوخة فلايجد مايلهيه عن شبهاته ، فتثور عليه ، فتخور قواه أمامها ، فلا يسعه إلا أن يرثى نفسه ويندبها ، كما فعل الاستاذ الزهاوى ، ولسنا نتقول عليه ، فهو الذى اعترف بذلك فى عشرات القصائد من شعره .

ومن العجيب أن يتلقف بعض الناس مثل هـذا الشعر فيجدوا فيه نظرات عميقة ، وتأملات دقيقة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أنا لا أقصد بقولى هذا الاستاذ الزهاوى ، ولكنى أقصد هذا المذهب فى بعض الشبيبة ، فهم يطوون أيام الشباب لاهين لاعبين ، متغابين عن الشبهات والشكوك التى تساورهم ، حتى إذا انتابتهم الشيخوخة وجدوا أنفسهم ضعافا ومجردين حيالها من كل سلاح ، فلا يبقى لهم إلا خيال من تعزية وهى أن ينشدوا مثل أبيات الزهاوى ، ويتنفسوا الصعداء ، معتقدين أن فى الكون شكوكا لم يخلق الله لها حلولا !

يقول قائلهم : وهل لهذه الشكوك حلول ؟

نقول : إذا فهم من هذه الحلول أن يلقنها طالبها كما يلقن رقم دار أو اسم شارع ، فلا وجود لأمثال هذه الحلول حتى ولا لأبسط مسألة حسابية أو هندسية . أما إذا فهم منها أنها بحوث مستفيضة ، تتناسب والموضوع الذى تعالجه من فهم حقيقة الوجود ، وتعرف أسراره ، وكشف مساتيره ، وتنور ما خلفه من عالم الروح والكائنات المجردة ، فان هذه الحلول قد وجدت وهى على أسلوبين :

(أولها) أسلوب الفلاسفة الأولين من الاعتداد بالمسلمات العقلية ، والقضايا المنطقية ، والتدرج منها الى إدارك العلل الأولية . وهو أسلوب أصبح لا يقنع أكثر المتعلمين على الطريقة الحديثة ، فانهم قد تأثروا بالفلسفة العملية فأصبحوا لايطمأنون الى المسلمات العقلية ويتطلبون عليها شاهدا حسيا .

(ثانيهما) أسلوب الفلاسفة الوضعيين ، وهى أن تبنى المقررات على المشاهدات والتجارب التى لا تقبل الصرف والتأويل . وهذا أسلوب المعاصرين .

وقد حاكت الشكوك والشبهات فى صدور علماء كثيرين فى أوربا ، فنهم من يئسوا من حلها ، وصرحوا بعدم قبولها للحل ، وهؤلاء هم الماديون ، ومنهم رجال أبعد من هؤلاء همة ، لم يثنهم اليأس عن بذل الوسع فى البحث ، فدأبوا نحو تسعين سنة على جمع المشاهدات وتدوين التجارب ، فوصلوا الى حلول لمسألة الحياة والروح والعالم الروحاني لايمكن أن يتطرق اليها وهن ، لأنهم وصلوا اليها على أسلوبهم العلمى القائم على النظر والتجربة ، ودونوا فيها مجلدات . منها جمعية المباحث النفسية الانجليزية ، وقد بلغ عدد مادونته من المجلدات ثلاثة وخمسين مجلدا ، وكل الذين تولوا تمحيص ما فيها وتدوينه رجال من أقطاب العلم فى انجلتره ما بين أعضاء فى المجمع العلمى ومدرسين فى الجامعات الكبرى . وفى كل أمة جماعات علمية قامت بمثل هذه البحوث ، فى مقدمتها فرنسا والولايات الأمريكية وإيطاليا وألمانيا .

فهذه الثروة العلمية التى لم يسمح بها الدهر لعهد من عهود البشر ، تحت طلب كل من يريد الاطلاع عليها بأقل كلفة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فاذا كان فى الناس من تتنازعه الشكوك التى انتابت الأستاذ الزهاوى ولا يود أن يتناهى عنها أيام شبابه ، حتى تحل به الشيخوخة فيجد نفسه عاجزا حيالها ، مثله كمثل من يحكم عليه بالموت وينتظر يوم التنفيذ فى كرب لا وصف له ، فعليه أن يستأنس فى ساعات فراغه ببعض هذه المباحث ، فهى على سحرها وطلاوتها ، تؤتيه بالطمأنينة التى لا تنغيص معها ، وبالسكينة التى مات الفلاسفة الماديون دونها بحسرة ؟

محمد فريد وجدى

البلاغة فى تهنئة الملوك

دخل خالد بن عبد الله القسرى على عمر بن عبد العزيز لما ولى الأمر فقال : يا أمير المؤمنين من تكون الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها ، ومن تكون شرفته فأنت قد شرفتها ، كما قال الشاعر :

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

وروى ابن أبى طاهر قال : دخل المأمون بغداد فتلقاه وجوه أهلها ، فقال رجل منهم فى تحيته : يا أمير المؤمنين بارك الله فى مقدمك ، وزاد فى نعمتك ، وشكرك عن رعيتك ، تقدمت من قبلك ، وأتعبت من بعدك ، وآيست أن يعاين مثلك . أما فيما مضى فلا نعرفه ، وأما فيما بقى فلا نرجوه ، فنحن جميعا ندعو لك ، ونثنى عليك ، خصب لنا جنابك ، وعذب ثوابك ، وحسنت نظرتك ، وكرمت مقدرتك . جبرت الفقير ، وفككت الأسير ، فانك يا أمير المؤمنين كما قال الأول :

ما زلت فى البذل والنوال وإطـ ـلاق العانى بجرمه غلق
حتى تمنى البراء أنهم عندك أسرى فى القيد والحلق

ولما تولى أزدشير الملك واجتمع اليه الناس يهنئونه قال متكلمهم : لازلت أيها الملك محبوا من الله بعز النصر ، ودرك الأمل ، ودوام العافية ، وتمام النعمة ، وحسن المزيد ، ولازلت تتابع لديك المكرمات ، وتشفع اليك الذمامات ، حتى تبلغ الغاية التى يؤمن زوالها ، ولا تنقطع زهرتها ، ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة البحور والأنهار ، حتى تستوى أقطار الأرض كلها فى علوك عليها ، ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ماعمنا عموم ضياء الصبح ، ووصل الينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم ، فأصبحت قد جمع الله بك الأيادى بعد افتراقها ، وألف بين القلوب بعد تباغضها ، وأذهب عنا الاحن والحسائك بعد توقد نيرانها ، بفضلك الذى لا يدرك بوصف ، ولا يحد بنعت .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى عيد التاج

كن (للكنانة) فى جلالك تاجا ... وتلق تاجك مشرقا وهاجا
اوتيته من نور ربك آية ... طلعت على دنيا الملوك سراجا
نزل (الأمين) بها تكبر حوله ... زمر (الملائك) ترتمى أفواجا
خذها مباركة ، وقل : رب اهدنى ... واجعل لعرشى فى حماك سياجا
وأقم لشعبى من كتابك شرعة ... واسلك به من هديه منهاجا
إنا وجدنا الخير فيه ، فلن نرى ... من دونه ممدى لنا ومعاجا
رفع الممالك ، لو يشاء حماتها ... لمسوا الشموس ، وصاغوا الأبراجا
وهدى الشعوب ، فسددت خطواتها ... وتنازعت سبل الحياة فجاجا
ورعى المحارم والحقوق بأسرها ... ووعى المطالب كلها والحاجا (١)
لم يلغ إلا الفاحشات ، ولم يدع ... إلا المآثم تثقل الأثباجا (٢)
يشفى بحكمته من الداء الذى ... يعيى الطبيب العبقرى علاجا
بحر يؤلف من هداك عبابه ... ويسوق من بركاتك الأمواجا
عذب المشارب من تجنب ورده ... وجد الموارد كلهن أجاجا

***

(فاروق) أحييت الرجاء لأمة ... أيقظت روح شبابها فاهتاجا
ذكرتها دين الحياة ، ولن ترى ... كثماره الحسنى جنى ونتاجا
ما انفك هذا الدين بعد كساده ... حتى أصاب على يديك رواجا
فلبث رأيك فى الحياة ، فلم تجد ... للشعب يصعد ، غيره معراجا
انظر ميادين الحضارة : هل ترى ... إلا غبارا قاتما وعجاجا ؟
واسأل ممالكها ، فلست بواجد ... إلا ذئابا تتقى ونعاجا
ظلموا الحضارة ، إنهم زعموا الأذى ... خيرا ، ولجوا فى المحال لجاجا
أرأيت أدواء الشعوب وذقتها ... دنيا كأنياب الشجاع (٣) مجاجا
إن الأساة هم الذين بطبهم ... فسد الزمان طبيعة ومزاجا

***

(١) جمع حاجة (٢) جمع ثبج ، وهو ما بين الكاهل الى الظهر . (٣) الحية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يأبى الأخـــلاق من إيمانه — خـذ من كتابك للبناء رتاجا (١)
وأقم لنا الأركان من فـولاذه — إنا ارتضينا أن تكون زجاجا
جـددت آمال البلاد ، فأصبحت — تهوى اليك وفــودها حجاجا
تمشى فرادى حول عرشك هيبة — فاذا أذنت لها مشت أزواجا
لما ملكت من القلوب سوادها — سيقت مودتها اليك خراجا
أتم لمصر من الحياة نصيبها — إنا خـدعنا بالحياة خـداجا (٢)
طال الهداج (٣) فسر بها مرح الخطى — إن السوابق لا تسير هـداجا
وائذن بصبح من سناك فانها — تشكو السرى ، وتصانع الادلاجا

***

ناداك (دستور البلاد) وإنما — نادى (حمى الدستور) فيك وناجى
صنه لشعب سال من جراته — ماسال من مهج دما ثجاجا
قاض يقيم على السوية (٤) حكمه — ويجانب الايذاء والاحراجا
حسب الجماعـة أن يحارب رأيها — من مستبد لا يطيق حجاجا (٥)
لو آثروا الرأى الفطير لما انتدوا — يبغون بالشورى له إنضاجا
مابال من نصب الحقائق وضحا — يشقى بمن قلب الأمور وداجى ؟
إنا لنشتاق الزئير ونجتـوى (٦) — عبث الألى ملأوا العرين ثؤاجا (٧)

***

(فاروق) ميزت المحامد فانبرت — منها الصفايا تدفع الأمشاجا (٨)
ولبست تاج الملك نسج جلالة — من صنع ربك يعجز النساجا
ضاحكت رونقـه بصنعة شـاعر — نظم الجمان ، ورصع الديباجا
مصر الرءوم ، إذا اعتراها مزعج — وجـدتك تحلو خطوبها إزعاجا
من ذا تؤمل ، والهموم تعضها — إن لم تكن لهمومها فراجا ؟

***

يا مسرج الآمال يحمل فلكها — لا زال فيضـك زاخرا عجاجا
سـقها على بركات ربك واهدها — ودع الكواكب — أنت أسطع تاجا

احمد محرم

---

(١) الباب العظيم المغلق ، والمغلاق معا . (٢) ناقصة (٣) الهداج مشية الشيخ (٤) الانصاف .
(٥) من المحاجة ، وهى المخاصمة بالحجة (٦) نكره . (٧) صياح الغنم . (٨) الصفايا ما خلص من كل شىء . والامشاج الاخلاط .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الفقه الاسلامى والفقه الرومانى

لا تأثر بينهما

لقد عرضت للبحث فى هـذه الآونة الشبهة التى علقت بأذهان مشترعى أوربا وهى ان الفقه الاسـلامى مشتق من الفقه الرومانى لوجود تشابه كبير بينهما . وقد كتبنا نحن مقالا فى هذا الموضوع فى العدد الاول من هذه السنة صفحة ٢٣

وقد نشرنا فى العدد الثالث بحثا ممتعا لفضيلة الشيخ السيد عفيفى ، فاستكمالا لكل ماينشر فى هـذا الباب ننقل مقالا قيما نشره حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الله المراغى وجه فيه البحث وجهة جديدة جديرة بالنظر ، وتعتبر مكملة لهذا الموضوع . قال حضرته :

لقد طال الجدل وكثر النقاش من مدة غير قصيرة بين الباحثين فى الصلة بين الفقه الاسلامى والقانون الرومانى ، فذهب بعضهم الى تأثر الفقه الاسلامى بأبحاث الفقه الرومانى ونظرياته مستندا الى سبق تاريخ القانون الرومانى وارتقاء النهضة التشريعية الرومانية فى عصورها المتعاقبة قبل ظهور فجر الاسلام ، فلما جاء الاسلام وأراد أن يؤسس مدنية وحضارة فى جميع نواحى العمران اقتبس النظم التشريعية من القانون الرومانى . ويشهد لهذه النظرية أيضا وجود الشبه القوى بل والاتحاد فى بعض الأحكام الواردة فى القانون الرومانى والفقه الاسلامى . وذهب البعض الآخر الى عكس هذه النظرية مدعين تأثر القانون الرومانى بالفقه الاسلامى ، وذلك البعض يستند الى أن الفقه الرومانى وإن كان سابقا فى الزمن إلا أنه فى بعض عصوره المتاخرة قد طفر طفرة غير طبيعية لم تكن نتيجة للفقه الرومانى الموجود قبلها ، بل كانت هذه الطفرة وليدة التأثر بالفقه الاسلامى لوجود الاتصال بين الحضارة الاسلامية والحضارة الرومانية ، فنقل بعض فقهاء الرومان شيئا من الفقه الاسلامى الى فقههم ، وبذلك وجد التلقيح وتداخلت القوانين . واعتمدوا فى إثبات تلك النظرية الى وجود التشابه التام فى بعض الأحكام بين التشريعين ، وهذا مجمل أدلتهم فى عكس النظرية السابقة ، وخلصوا من ذلك الى تأثر الفقه الرومانى بالفقه الاسلامى .

ولما كنت أزهريا بطبعى ، وقد ألممت من جهة أخرى ببعض أبحاث الفقه الرومانى وتاريخه فى عصوره المختلفة ، وجدت نفسى مضطراً الى الكلام فى هذا الموضوع . وها أنا ذا ألقى دلوى بين الدلاء ، واصوب سهمى نحو الحقيقة التى أعتقدها ، راجيا أن أصل بتلك المساهمة الى تركيز هذه الحقيقة فى نفسى ، أو العدول عنها بالدليل الصحيح الى حقيقة أخرى . والى القارئ رأيى بأدلته :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إننى أعتقد اعتقاداً صادقا أن الفقه الاسلامى مالبس ثوبا مستماراً ، وماسكن داراً بطريق الاغتصاب منذ نشأته الى الآن . وأتمنى أن يتم له استقلاله ويطرد رقيه .

ومنشأ تلك العقيدة فى نفسى هى البراهين القاطعة التى لو عرضت على المكابر المعاند لأذعن لها وصدق بها ، إذ لو تتبعنا الفقه الاسلامى فى تطوراته لوجدناه مصاحبا للقانون الطبيعى بدون شذوذ أوطفرة ، فمقدماته سارت بطريقة طبيعية ، ونتائجه حذت حذوها بدون تعثر أو وثوب . ذلك أن الفقه الاسلامى قد وجد فى جزيرة العرب عماده كتاب الله الكريم الذى نزل منجما على وفق الحوادث والتدرج فى التشريع ، وقد كان ينزل به الوحى الصادق على النبى المعصوم صلى الله عليه وسلم . والقرآن أول مصدر من مصادر التشريع الاسلامى ، لايستطيع عاقل أن ينكر علينا قدسيته وعدم انتسابه لمخلوق .

وقد حوى هذا الكتاب المقدس جميع نواحى التشريع من عبادات ومعاملات وأحوال شخصية وعقوبات وتشريعات للسلم والحرب والمواريث ، وتلك التشريعات تارة كانت واضحة مفصلة عرفت أحكامها ، وتارة أخرى كان بعضها فى حاجة الى تفصيل وتوضيح من الرسول الأكرم .

فالمسلمون فى فجر الاسلام ماعرفوا فقها رومانيا ولاتشريعا رومانيا ، بل كانوا محصورين فى الجزيرة وما جاورها لا يفزعون عند وقوع الحوادث التى تتطلب أحكاما إلا الى رسولهم وكتابهم .

وقد كانت للرسول أقضية كثيرة جمعت فى كتب متعددة ، فقد كان منبع الفقه الاسلامى فى ذلك العهد من كتاب الله وسنة رسوله .

فاذا بحثنا فى الطريقة التى نزل بها القرآن والتى جمع بها والتى وصل بها الينا وجدناها أقوى طريق عرفه البشر فى ثبوت الحقائق ، فلا تعدلها نظرية الثبوت عند ديكارت أو روسو أوغيرهما من فلاسفة الغرب والشرق ، فقد تحقق فى طريق نقل القرآن التواتر الذى يحيل العقل كذب إخباراته ، ذلك هو عصر النبى عليه السلام .

وكان يرسل هداته ودعاته الى الجهات التى أذعن أهلها الى الاسلام ، ولا يطلب من رسوله أن يتلمس تشريعه إلا من الكتاب والسنة ، فان لم يجد فيهما يجتهد ويستنبط . فلم يكن المشرع الاسلامى يعتمد على مدد أجنبى أو مصدر رومانى . فأنت ترى الرسول لما أراد أن يرسل معاذاً الى اليمن يستدعيه قبل الارسال ليرى خلاصته واستعداده للقيام بأعباء وظيفته والاضطلاع بمهامها ، فيقول له : كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ فيجيب المرشح للوظيفة بقوله : أقضى بكتاب الله ، فيقول المرسل : فان لم تجد فى كتاب الله تعالى ؟ فيقول المرشح : أقضى بسنة رسوله ، فيعيد عليه السؤال بقوله : فان لم تجد فى سنة رسوله ؟ فيجيب المرشح بقوله : أجتهد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى رأيى ولا آلو . فيأخذ المرسل نشوة الفرح والوثوق بكفاءة مرشحه فيقول : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله .

وإذا انتقلنا بعد هذا الى عصر الخلفاء الراشدين نجدهم قد ساروا فى التشريع على النهج الذى وضعه مشرعهم الأعظم ، ونرى كبار الصحابة قد أشربت نفوسهم تعاليم الاسلام ، واستعدت عقولهم ، وقويت ماكناتهم على التشريع ، فقاموا به خير قيام ، بل قد تخصص بعضهم فى بعض المباحث الفقهية ، كما جاء ذلك فى خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه إذ قام خطيبا فقال : « ايها الناس من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن القرءان فليأت أبي بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى فان الله جعلنى له قاسما وخازنا » .

ونرى عمر رضى الله عنه يرسل أبا موسى الأشعرى الى البصرة ويضع له دستوراً عاما ولائحة للقضاء ويحدد له مصادر التشريع ، فاذا هى كتاب الله ، وسنة رسوله ، واجتهاده ، واستنباطه الأحكام للحوادث التى تجد ، وقياسها على الحوادث الماضية المعروفة لديه . وقد عرف عدد كبير من الصحابة والتابعين بالفقه والقدرة على التشريع : كعبد الله بن عمر وأبى هريرة وسعيد بن المسيب وابن شهاب الزهرى والحسن البصرى وعمر بن عبد العزيز وجابر بن زيد وغيرهم . هذا ما كانت عليه الحال فى عهد الصحابة والتابعين الى منتهى القرن الأول الهجرى .

ثم لما جاء القرن الثانى وجدت فيه ظاهرة جديدة وروح وثابة الى وضع القواعد التشريعية التى تبنى عليها المسائل الجزئية ، فقد ظهر أبو حنيفة بالكوفة وتلاميذه أبو يوسف ومحمد وغيرهما ، وأخذوا يؤسسون المذهب الحنفى ، ثم تلا ذلك وجود الامام مالك بالمدينة ، وكان له أتباع وتلامذة . وبعد ذلك ظهر الامام الشافعى المولود بغزة من أعمال عسقلان سنة ١٥٠ ه ثم أعقبه الامام الرابع أحمد بن حنبل . وقد أسس هؤلاء الأئمة مذاهبهم على الكتاب والسنة . وظهر فى ذلك العهد مصدر آخر من مصادر التشريع وهو الاجماع الذى أثبتوا صحته كدليل من أدلة الشرع بقوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » حيث قالوا إن اتباع غير سبيل المؤمنين هو مخالفة الاجماع ، وبأحاديث متعددة تحرم الخروج على الجماعة . وقد اشتد الجدل وكثر حول القياس وكيفية إثبات الأحكام به . وقد أراد كل إمام أن يضع لمذهبه الضوابط والمقاييس حتى يجمع جزئيات المسائل تحت أصل من الأصول الثابتة .

وبذلك نشأ عند الفقهاء فن جديد سمى بعلم الأصول ، وهو الذى جعل أساسا لاستنباط الأحكام الشرعية . وقد دون هؤلاء الأئمة وتلاميذهم الكتب التى جمعت أحكام كل مذهب : فدون أبو يوسف ومحمد مذهب أبى حنيفة فى كتب معروفة لا تزال مطبوعة الى اليوم ، ككتاب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الخراج، وكتاب الآثار لأبى يوسف، وكتاب السير الكبير، وغيره من الكتب التى ألفها الامام محمد. وقد قام بعض الفقهاء باختصار بعض مؤلفات الامام محمد وجمعها فى كتاب واحد، كما فعل ذلك الحاكم الشهيد فى كتابه المسمى بالكافى.

وقد وضع الامام مالك وتلاميذه مثل ما وضع أبو حنيفة، فقد ألف الامام مالك كتاب الموطا وجمع فيه كثيراً من أحكام مذهبه، وألف بعده عبد الله بن الحكم المصرى كتاب المختصر الكبير، وألف محمد بن سحنون كتابه المشهور بالجامع، وغير هؤلاء ألفوا كتبا كثيرة فى مذهب الامام مالك. وسار الامام الشافعى فى جمع مذهبه على هذا المنوال، فقد ألف بنفسه كتاب الأم الجامع لأغلب أحكام المذهب، وألف كتاب الرسالة فى أدلة الأحكام، وللبويطى تلميذ الشافعى كتاب المختصر الكبير والمختصر الصغير، وكتاب الفرائض، وللمزنى أيضا مختصر صغير وكبير. ولا زالت هذه الكتب معروفة فى العصور الاسلامية يرجع اليها فقهاء المسلمين ولا يعرفون غيرها.

ولو تبينا نشأة الأئمة وكيف تعلموا العلم ومن أين أخذوه لوجدناهم نشأوا فى بلاد لاعلاقة لها ببلاد الرومان، وتعلموا على أيدى المسلمين. فالسلسلة التشريعية الاسلامية ابتدأت أول حلقاتها بالكتاب والسنة، ثم امتدت الحلقات بالخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الصحابة والتابعين، ثم ظهور الأئمة المجتهدين بعد ذلك وما استنبطوه من الأحكام المدونة فى كتبهم وكتب تلاميذهم. وقد ظلت هذه الأحكام متناقلة الى عصرنا الحاضر لايستطيع أحد أن يدعى أنها تأثرت بأى مؤثر خارجى.

ونستطيع أن نخلص من كل هذا الى أن مصادر التشريع الاسلامى هى الكتاب والسنة والاجماع والقياس، وأن فقهاء المسلمين ماجلسوا الى معلم رومانى، وماقرءوا كتبا رومانية، لأن التاريخ الصحيح يدلنا على ان الوقت الذى وجدت فيه النهضة التشريعية الاسلامية حتى وصلت الى أرقى درجاتها، لم يكن معاصرا لرقى الدولة الرومانية، بل كانت الدولة الرومانية فى عهد الانحطاط والتقهقر فى جميع أجزائها، إذ أن الفقه الرومانى قد ضعف بموت الامبراطور جستنيان سنة ٥٦٥ م والاسلام قد بدأ من بعد ذلك بنصف قرن، ولا يستطيع أحد أن يدعى انتقال الفقه الرومانى بعد هذا التاريخ الى جزيرة العرب التى نشأ فيها الفقه الاسلامى، بل يجمع المؤرخون على أن الفقه الرومانى ظل بعد هذا التاريخ مجهولا عند جميع الناس حتى عند أهل أوربا أنفسهم، لأنه فى ذلك التاريخ لم تكن الطباعة معروفة، والقوانين ظلت منحصرة فى دائرة ضيقة جدا فى أيدى مؤلفيها أو ورثتهم، أو فى الكنائس وما شابهها. والمقطوع به أنها لم تتجاوز محيط الدائرة التى وجدت فيها حتى أوائل النهضة الأوربية التى ظهرت فيها الطباعة وأمكن بعث هذه القوانين والحصول عليها من الأماكن التى كانت مقبورة فيها، وذلك كله كان من مبدأ القرن الخامس عشر الميلادى الى الآن.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فالمدة التى كان الفقه الرومانى مجهولا فيها بالأدلة القاطعة كان الفقه الاسلامى فى عصوره الذهبية ، إذ أن الفقه الاسلامى بدأ فى القرن السابع الميلادى واستكمل نموه فى هـذا القرن وفى القرن التاسع والعاشر اللذين ظهر فيهما الأئمة المجتهدون ، ودونت فيه الكتب المبسوطة فى مذاهب الأئمة الأربعة . فالتاريخ الصحيح يدلنا على أن النهضة الاسلامية جاءت بعد اضمحلال النهضة الرومانية التى انتهت بموت جستنيان سنة ٥٦٥ م

وما نشأ عند بعض الباحثين من اعتقادهم بتأثر الفقه الاسلامى بالفقه الرومانى لأن الفقه الرومانى سابق فى الوجود على الفقه الاسلامى ، فهذا منشأ خاطئ سببه عدم التعمق فى البحث ، فان السبق فى الوجود الزمنى لا يجعل دليلا على التأثر ، فكم من لاحق يأتى بالعجائب والمبتكرات التى لم تجل بخاطر من سبق . وأقوى دليل على هذا هى المخترعات التى جدت فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا العصر ، فلم يكن عند القرن الماضى أى تفكير فى اللاسلكى والراديو والمناطيد والتلفزيون وغير ذلك من المخترعات ، ومع هـذا لا يستطيع عاقل أن ينسب هذه المخترعات الى أهل القرون الماضية . فالسبق الزمنى لا يقوم دليلا على التأثر إلا إذا وجدنا الاتصال الحقيقى والاستمداد والامتزاج بين السابق واللاحق ، كما حصل ذلك فى الدولة التركية ، فانها أخذت قانونها الحديث عن القانون السويسرى ، وكما حصل فى مصر ، فانها أخذت قانونها المدنى عن القانون الفرنسى ، وكما يحصل فى العمل بدساتير بعض الدول فى دولة أخرى . والفقه الاسلامى لم يكن فى تطوره وليد هذا التأثر ، وليس هناك أى مستند صحيح لاثبات التأثر على هذا النحو ، فليس من المسلمين فقيه نقل قانون الرومان على هذه الطريقة ، ولم تكن هناك بعثات أرسلت من جزيرة العرب فى القرن السابع والثامن والتاسع الميلادى ، وهى عصور النهضة التشريعية الاسلامية ، فقد نشأت الحضارة الاسلامية التشريعية مستقلة فى المكان والتفكير والتعليم . ووجود الشبه بين المباحث فى التشريعين لم يكن وليد التأثر ، وذلك لأن المباحث القانونية التى تناولها المشرعون فى البحث هى تابعة لوجود الانسان بحالة نظامية ، فقد عرفت هذه المباحث الفقهية الحديثة مثل الأحوال الشخصية والعقوبات والمواريث عند قدماء المصريين وعند الاغريقيين والكلدانيين وغيرهم من الأمم التى سبقت الرومان . فوجود المباحث الرومانية فى الفقه الاسلامى لا علاقة له بتأثر الفقه الاسلامى بالفقه الرومانى . فاتحاد الألفاظ فى التشريعين لا يدل على أن مدلول تلك الألفاظ يتحد فى التشريعين ، لأن المباحث الفقهية الاسلامية كما أسلفنا مستمدة من الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، فهى قانون سماوى ليس للبشر دخل فى تاسيس أصوله ، بخلاف القوانين الأخرى فان أسسها وأصولها قد وضعت بأيدى المشرعين ، وهى قابلة للتغيير فى أصولها وفروعها ، بخلاف الأسس الاسلامية فانها لا يعتريها التغير لأنها وضعت صالحة للبشر منذ أنزلت الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

وقد يفهم بعض الناس أن اسس الشريعة الاسلامية لا تستطيع أن تجارى الزمن وأن تثبت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أحكاما للحوادث التى تتجدد ؛ وهذا فهم خاطىء ، لأن الشريعة الاسلامية جاء فيها جواز إثبات الأحكام بالقياس والاجماع ، وهما كفيلان بإثبات الأحكام على ممر الزمن ، فلا تجد حادثة فى الوجود إلا ويستطيع الفقهاء إثبات حكم لها .

فاذن يثبت لنا مما أسلفنا من البيان استقلال التشريع الاسلامى ، وأن سبق الفقه الرومانى عليه لا يقتضى تأثيره فيه ، وأن اتحاد الألفاظ التشريعية بين الفقهاء لا يقتضى اتحاد مدلولها ولا اتحاد واضعها ، وبذلك تزول الشبه التى وجدت عند بعض الباحثين من القول بتأثر الفقه الاسلامى بالفقه الرومانى .

ونستطيع بعد أن ألممنا بتاريخ الفقه الاسلامى وبينا عدم تأثره بالفقه الرومانى، أن نلم أيضا بالفقه الرومانى ونثبت عدم تأثره بالفقه الاسلامى ، فقد اصطلح المشرعون الغربيون على إطلاق الفقه الرومانى على القواعد التى عملت بها الأمة الرومانية فى العصور المختلفة منذ نشأتها حتى وفاة الأمبراطور جستنيان . وقد قسم بعضهم هذه المدة الى ثلاثة أقسام ، والبعض الآخر الى أربعة ، وبعضهم قسمها الى قسمين ، والبعض الآخر الى خمسة ، واتفقوا جميعا على أن هذه المدة ابتدأت من سنة ٧٥٣ قبل الميلاد ، وهو تاريخ بناء مدينة روما ، وانتهت بموت الامبراطور جستنيان سنة ٥٦٥ بعد الميلاد . وكانت وفاته قبل ظهور الاسلام بنصف قرن تقريبا ، وإذن قد وجدت القوانين الرومانية ، وأخذت أدوارها المختلفة ، وتعددت فيها المباحث الفقهية ، ووضعت أحكام الأحوال الشخصية ، وأحكام العقوبات ، وأحكام المواريث ، وغير ذلك من مباحث القوانين التى تناولها فقهاء القوانين الحديثة . وسنقصر الكلام على تقسيم واحد من التقاسيم السابقة وهو تقسيم جيبون الذى قسم تاريخ القانون الرومانى الى أربعة عصور ، فجعل الأول يبتدىء من تاريخ تأسيس روما وينتهى بتدوين قانون الاثنى عشر لوحا ، وجعل الثانى يبتدىء من هذا التاريخ وينتهى بعهد الأمبراطور سيسرون ، وجعل الثالث يبتدىء من هذا التاريخ وينتهى بعهد الامبراطور اسكندر سيفر ، وجعل الرابع يبتدىء من هذا التاريخ وينتهى بوفاة جستنيان . وقد جرى فى تقسيمه هذا على تقسيم الأدوار الطبيعية للانسان ، فجعل العصر الأول بمنزلة دور الطفولة ، والعصر الثانى بمنزلة دور الشباب ، والعصر الثالث بمنزلة دور الاستول ، والعصر الرابع هو دور الهرم . وعلى كل حال لم يكن مخالفا لغيره من أصحاب التقاسيم الأخرى ، لاتفاقهم جميعا على أن مصباح التشريع الرومانى قد انطفأ بموت الأمبراطور جستنيان .

وشبهة بعض القائلين بتأثر الفقه الرومانى بالفقه الاسلامى ترجع الى أن الرومان لما أرادوا وضع قانون الألواح الاثنى عشر كونوا لجنة لوضعه ، وهذه اللجنة اتفق المؤرخون بأنها كانت على علم بالقانون اليونانى ، فان كثيراً من القواعد المقررة بقانون الاثنى عشر لوحا مأخوذ بعضها من قوانين سولون التى درسها فى مصر ، وكان للقوانين المصرية تأثير غير مباشر فى القوانين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الرومانية . وهذه النظرية على فرض صحتها فان هذا التأثير لم يكن بين القوانين الرومانية والفقه الاسلامى، لأن الفقه الاسلامى فى هذا التاريخ لم يكن على ظهر الأرض فضلا عن أن يكون فى مصر، فان قانون الاثنى عشر لوحا وضع فى القرن الرابع قبل الميلاد وقبل ظهور الاسلام بتسعة قرون تقريبا .

والطفرة التى ظهرت فى تقدم القوانين الرومانية فى عهد جستنيان لم تكن كذلك وليدة التأثر بالفقه الاسلامى، لأن عهد جستنيان كان قبل ظهور الاسلام بنصف قرن ، والتقدم الذى حدث فى عهد جستنيان لم يكن طفرة فى الواقع بل هو وليد التقدم الطبيعى ، إذ ان القانون الرومانى كان فى دوره الرابع منذ وجوده ، وهذه المدة التى كانت قد مضت عليه تبلغ أكثر من عشرة قرون ، وهى كفيلة بوصول المدنية الى أرقى درجاتها .

وحينئذ أستطيع أن أقطع بعد كل هذا بان الفقه الاسلامى لم يتأثر بالفقه الرومانى السابق عليه لعدم وجود الصلة بين مشرعى الاسلام وفقهاء الرومان . وكذلك أستطيع القطع بأن الفقه الرومانى وإن تأثر بالقوانين المصرية فانه لم يتأثر بالفقه الاسلامى لسبق القانون الرومانى على الفقه الاسلامى ، كما يعطينا ذلك التاريخ الصحيح ؟

عبد الله المراغى

مضار التكلف

أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول : « وما أنا من المتكلفين » .

وقال حكيم : من تطبع بغير طبعه ، نزعته العادة حتى ترده الى طبعه ، كما أن الماء إذا أسخنته وتركته عاد الى طبعه من البرودة ، والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لا تثمر إلا مرا .

وقال غيره : ليس الفقه بالتفقه ، ولا الفصاحة بالتفصح ، لأنه لا يزيد متزيد فى كلامه ، إلا لنقص يجده فى نفسه .

وقال حفص بن النعمان : المرء يضع نفسه ، فتى ما تبله ينزع الى العرق (أى متى ما تختبره يستحل الى أصله) .

وقال العرجى :

يأيها المتحلى غير سيمته ... ومن شمائله التبديل والملق
ارجع الى خلقك المعروف ديدنه ... إن التخلق يأتى دونه الخلق

وقال آخر :

ومن يبتدع ما ليس من سوس نفسه ... يدعه ويغلبه على النفس خيمها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأنصار

روى البخارى فى صحيحه عن غيلان بن جرير « قال : قلت لأنس : أرأيتم اسم الأنصار كنتم تسمون به أم سماكم الله ؟ قال : بل سمانا الله » :

كان الاسلام قبل أن يهدى الله اليه قلوب الأنصار ، ويهيء لنصرته نفوسهم ، مستترا فى دار الأرقم ، لايعلن عن نفسه إلا همسا ، ولا يستجيب له إلا أفراد ممن اصطفاهم الله ليكونوا دعامة لبناء أعظم دولة عرفها التاريخ ، ولتوطيد أفضل شريعة عرفتها الحياة ، فلما استجاب الأنصار لدعوته دوى صوته فى الآفاق ، وطوى الجزيرة العربية ، ومد رواقه على مملكتى الدنيا إذ ذاك ، ونشر لواءه فى شرق الأرض وغربها ، وأملى على التاريخ صفحات الخلود ، ومراسيم البطولة ، ووضع للانسانية قوانين الحق والعدل والرحمة فى ظل السلام .

هذه الصحائف الساطعة فى صدر التاريخ الاسلامى ، وهذا الانقلاب التاريخى فى حياة الأمة العربية ، وهذا الاتجاه الجديد فى حياة الشرق بل فى حياة الانسانية ، إنما هى صدى تأييد الأنصار لدعوة الاسلام ، أولئك الذين نصروا الله فى دينه ، ونصروا رسوله صلى الله عليه وسلم فى دعوته ، فسماهم الله بأشرف الأسماء ، وأنعم عليهم بأنبل الألقاب ، تخليدا لبطولتهم ، وإشادة بفضل أعمالهم ، وتشريفا لتاريخهم .

والحديث عن الأنصار طويل عريض لا تستوعبه المقالات ، ولا تستوفيه الصحائف ، وإنما هذه زهرات ننثرها فى حياتنا ليكون لنا من أريجها ما يحيى فينا روح البطولة الاسلامية والخصائص العربية ، وليكون لنا من التأمل فى مطاويها درس يعيد الينا مافقدنا من مظاهر الرجولة التى ربى عليها الاسلام أسلافنا فسادوا وملكوا ناصية الدنيا بأخلاقهم النبيلة ، وأعمالهم الجليلة .

اندفعت موجات القبائل العربية من جنوب الجزيرة العربية بعد سيل العرم الذى دمر مرافق حياتهم مهاجرين فى طلب العيش ، وتفرقوا فى أرجائها شرقا وغربا وشمالا ، وكانت قبيلة « الأزد » القحطانية إحدى هاتيك القبائل التى ارتحلت ، فأخذ بعضها طريقه الى ساحل الفرات ، حيث مد اللخميون طنب دويلتهم ، واستقر بهم النوى فى جوار الفرس ، وعاشوا عيشة استقرار وملك ونظام اجتماعى يتناسب مع بيئتهم ومكانتهم ، وجد بعضهم السير الى أقصى الشمال حيث ألقى رحاله فى مشارف الشام ، وأسسوا دويلة الغساسنة مصاقبة للروم .

لم يشأ أبناء « قيلة » : الأوس والخزرج من الأزديين — أن يتابعوا إخوانهم فى سيرهم ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بل عرجوا فى طريقهم على « يثرب » حيث رأوا خصبا وحياة استقرارية تعتمد على الشئون الزراعية بما أسس فيها اليهود الذين نزحوا إليها بعد حوادث « بختنصر » من مزارع وحقول وبساتين ، ولم يضق الوطنيون من اليهود بهؤلاء القادمين ذرعا أول أمرهم ، بل رحبوا بهم وفتحوا لهم باب الحياة ، وأفسحوا لهم فى سبل العيش معهم ، لأنهم وجدوا منهم عمالا ذوى بصر بالحياة الزراعية التى يظهر أنهم كانوا على عهد بها وأنهم حذقوها ومرنوا عليها أيام مقامهم باليمن وجناتها ، فوسعوا لهم فى جوارهم ، وأدخلوهم معهم فى حياتهم إدخال التبعية ليفيدوا منهم ، ولكن العرب الذين لم يألفوا التبعية المطلقة والخضوع أبت عليهم نفوسهم الأبية أن يستمرءوا هذه الحياة ، وتطلعوا الى حياة تحفظ عليهم طبيعتهم الاستقلالية ، وتمكن سلطانهم فى أرض اتخذوها وطنا لهم ، وهى من صميم جزيرتهم ، ولم يكن هؤلاء اليهود الذين استعمروها إلا قوما غرباء نزحوا إليها فآوتهم ، ولاسيما أن القحطانيين قاطبة لا يرون لهم وشيجة تصل نسبهم بنسب اليهود كتلك القرابة التى تجمع بين العدنانيين وبينهم ، فانهم لم يكد يشتد ساعدهم ويتوطد مقامهم وتعود اليهم طمأنينتهم ويتعرفوا شئون الحياة فى موطنهم الجديد حتى أخذوا فى بناء كيانهم الاستقلالى الى جانب اليهود ، وشاركوهم مشاركة المساواة فى حياتهم « اليثربية » وصارت لهم كاليهود رءوس أموال ومزارع ، ومن ثم دبت ثعابين الفتن تزحف بينهم نافثة سمومها ، فاليهود كبر عليهم أن يكون لقوم طارئين هذا المركز فى بلدتهم وزراعتهم ، وخشوا على مستقبلهم الاقتصادى ان يتهدم صرحه ؛ وأبناء «قيلة » من العرب رأوا أن اليهود يريدون استعبادهم والتعالى عليهم ، فانقلبت علاقاتهم الى خصومات دائمة تطاير شررها فى مواقف عديدة ، وجعلت « الأوس والخزرج » يدا واحدة على اعدائهم الذين قلبوا لهم ظهر المجن ، وأظهروا لهم الكراهية ، وأضمروا بهم الوقيعة .

كان التضامن العربى قوة لا تغلب ، وأدرك اليهود أثر تلك القوة فى نضالهم ، فعمدوا الى الكيد والفتنة وسياسة التفريق ، وسعوا بين الاخوة لافساد أخوتهم وتفريق جماعتهم حتى احتربوا وقتل بعضهم بعضا ، واليهود دائبون فى إذكاء نيران الضغينة بينهم ، ولهم من طبيعة العرب العامة ما ساعدهم على الوصول الى مقاصدهم ، ومكن العداوة فى قلوب القبيلتين ، وكانت لهم حروب طاحنة وأيام مهلكة ، أدرك الاسلام منها ، وهو لا يزال وليدا يحبو بين المسجد الحرام وغار حراء ، أقساها وأشدها هولا ، وأشهرها يوم « بعاث » وهو يوم تقول فيه السيدة عائشة رضى الله عنها فى رواية البخارى : « كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد افترق ملؤهم ، وقتلت سرواتهم ، وجرحوا ، فقدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى دخولهم فى الاسلام » . وكان الظفر فيه أول الأمر للخزرج على الأوس ، وكان قائد الأوس وزعيمها يومئذ « حضير الكتائب » فلما رأى هزيمة قومه عقر نفسه برمحه ، وأقسم لا يبرح مكانه حتى يخلصه قومه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أو يقتل ، فكر الأوس راجعين للموت دون قائدهم وزعيمهم ، ونضح العارعنهم ،فحمى الوطيس بين الفريقين ، فكانت الدائرة على الخزرج ، وكان النصر للأوس ، وراح «حضير» يشفي غلته يحرق ويقتل ويهدم ليستأصل شأفة بني عمومته ، فمنعه أبو قيس بن الأسلت بدافع العصبية العامة ، ملتفتا الى ماضيهم مع اليهود ، وما كان بينهم من العداوة وسوء الجوار ، طالبا الابقاء على إخوانه الخزارجة ، لأن « جوارهم خير من جوار الثعالب » .

جاء الاسلام وليس بين قوم من العداوة والشر ما بين « اليثربيين » من العرب ، ولم يكن لديهم نبأ بما يجرى فى مكة من نضال شديد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أفراد المؤمنين القلائل الذين يعتمدون على قوة العقيدة وسلطان الايمان بالله القوى القاهر وجلال الحق ، وبين كثرة قريش التى تجمعت بقضها وقضيضها معتزة بجبروت العصبية وكبريائها ، وعنجهية الماضى الموروث ، وصلف الزعامة التى لها بمكة ، ولليثربيين بمكة مآرب وشعائر كغيرهم من قبائل العرب ، فهم يحجون اليها لأداء تلك الشعائر وقضاء هذه المآرب ، وهم يتميزون عن بقية العرب بأنهم حضريون ، جاوروا اليهود وسمعوا أحاديثهم الدينية ، وكان أن قدم جماعة منهم مكة فيهم « سويد بن الصامت » وكان رجلا نبيلا عاقلا ، ترامت اليه بعض ثمرات الأفكار الانسانية الحكيمة ، تلقفها فى رحلاته أو عثر عليها بما شاء الله ، فرددها لسانه وحفظها قلبه وكتبها فى صحيفة جعلها هجيراه وسميره ، فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم بمكة وهو يتحسس قلبا نابضا بالحياة ليلقى فيه كلمة الله التى أمره بتبليغها الى الأحمر والأسود ، ودعاه الى الاسلام ، فقال « سويد » : لعل الذى معك مثل الذى معى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال « سويد » : معى مجلة لقمان ، فأصغى اليه النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسمعه منها شيئا ، فقال المصطفى عليه الصلاة والسلام : إن هذا الكلام حسن ، والذى معى أفضل ، وهو قرآن أنزله الله على هدى ونوراً . وأسمعه بعض آيات من الكتاب الحكيم . فاستحسن « سويد » ما سمع ، ولكنه لم يجب ، وذهب وفى نفسه أشياء تضطرب ، فلا بد أن يكون قد ساءل نفسه : ما هذا الذى أسمعنيه هذا المكى القرشى ؟ وما بال قومه انصرفوا عنه ؟ وما هذه الأصنام التى نقيم على عبادتها وهى أحجار ننحتها بأيدينا ؟ وما هذه الصحيفة التى أحمل ثقلها ؟ وهل ما فيها من الحكم يقوم على نظام الحياة العام ؟ وهل يصح أن يكون دستورا إنسانيا ، فأين أثره إذاً وبين قومى أودية من الدماء ؟

من الطبيعى أن يكون « سويد » قد ساءل نفسه نحو هذا التساؤل ، ومن الطبيعى أن يكون قد فكر فى هذا الكون وعظمته وما يجب أن يكون لخالقه من جلال وتقديس ، ومن الطبيعى أن يكون قد ألقى الى بعض أخصائه نبأ هذا اللقاء العجيب ، ومن الطبيعى أن يكون قد وجد ترابط فى نفسه ، وفى نفس من عسى أن يكون قد حدثه ، بين صاحب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذه الدعوة الكريمة ، او بين ما كان يخوفهم به اليهود من بعث نبي يدعو الى التوحيد الذى هو أصل ديانة اليهود ، فيشايعهم ويقتل الوثنيين ، ولكن « سويدا » لم يطل مقامه على الأرض بعد هــذا اللقاء ، فقتلته الخزرج فيمن قتلت من رجالات الأوس يوم بعاث ، وإن يكن فى أكبر الظن قد خلف بعض هذا الاضطراب الذى كان فى نفسه وراءه بين أفراد من قومه ، ولعل فى هــذا تعليلا لسبق « إياس بن معاذ » أحــد شباب الأوس قوم سويد بن الصامت الى الاسلام ، وكان إياس قد ذهب الى مكة فى وفد « أبى الحيسر » لعقد حلف مع قريش على محاربة الخزرج استعداداً ليوم بعاث ، فاجتمع بهم النبى صلى الله عليه وسلم بمــكة ودعاهم الى الاسلام ، وأسمعهم القرآن الحكيم ، فابتدر إياس القوم وكان أصغرهم : أى قوم ! هذا والله خير مما جئتم فيه ، فنهنهه إخوانه ، ولــكن الايمان كان أسرع الى قلبه من انحدار السيل الى بطون الأودية ، وعاد مع قومه مسلما يحمل نبأ الدعوة الاســلامية الى « يثرب » المتطاحنة بأوفى وأرضى مما حمل إليها « سويد بن الصامت » .

ونظرة فى قصة سويد تدلنا على أثر التهذيب الفــكرى ووداعة الحضر عنده ، وتدلنا على ما انطوت عليه نفس النبى صلى الله عليه وسلم من سمو فى أدب الدعوة الى الله تعالى ، وتقدير للحكمة والحق أنى وجدا ، فهو قد استمع الى سويد يعرض عليه حكمة لقمان ، وقد استحسن ما سمع ، وقد استطــاع بذلك أن ينفذ الى قلب سويد ، وأن يبلغه دعوة الاســلام فى هدوء واطمئنان ، وسويد وإن لم يجب صراحة لكنه تأثر بهذه الدعوة ، وعاد الى بلدته وقومه بهذا التأثر، وعرف اليثربيون نبأ مكة ، وتسمعوا له ، وتحدثوا به همسا ، وكان يغلبهم عليه ماهم فيه من حروب طاحنة أنضت قواهم ، وأشمتت فيهم عدوهم ، وجعلتهم يتطلعون الى ما يعيد إليهم وحدتهم ويجمع كلمتهم ، فاتفقوا على أن يعصبوا «عبد الله بن أبى» وقد أظلهم موسم الحج ، فوفدوا الى مــكة ، واجتمع النبى صلى الله عليه وســلم بنفر منهم كانوا من الخزرج ، ودعاهم الى الاسلام ، فذكروا حديث اليهود عن نبى يبعث ، وذكروا همس سويد بن الصامت بشأن لقائه هذا الداعى الــكريم بمكة ، وذكروا شأن غلام بنى الأشهل « إياس بن معاذ » فــلم يترددوا فى إجابة النبى صلى الله عليه وسلم الى دعوته ، وأسلموا جميعا ، وفتحوا أمام الاسلام باب الحياة بعيدا عن مكة وعصبياتها حتى تخضد شوكتها ، فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك ، وإن يجمعهم عليك فلا رجل أعز منك ؟

(للبحث بقية) صادق ابراهيم عرجون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

محمد صلى الله عليه وسلم

فى تقدير قادة الرأى فى أوربا (١)

نرانا مضطرين للتحول إلى موضوع آخر من هـذا البحث ، فليس لدينا وقت للتبسط فى مسألة انقسام المسلمين الى سنيين وشيعة ، ولا فى مسالة الامامية . هـذه مواضيع مفيدة بغير مشاحة ، ولـكنى مجبرة على إغفالها لضيق الوقت .

بعـد أن عرضنا للناحية الظاهرية من الديانة الاسلامية بقى علينا أن نعرض لناحيتها الفلسفية :

إن فى العالم الاسلامى الراهن أشياء كثيرة يجب إغفالها ، ولـكن لاتوجد عبارات مهما كانت بليغة توفى ببيان ما كان عليه الاسلام أيام عظمته الفكرية .

قال رسول الاسلام فى إحـدى خطبه : « اطلبوا العـلم فان الذى يطلبه لله يؤدى عملا من أعمال البر ، فالتـكلم فيه تسبيح ، والبحث فيه عبادة ، ونشره بين الناس صدقة ، ومنحه لمستحقه قربى من الله . فان العـلم يجعل صاحبه يميز بين ماهومنهى عنه وماهو مرغب فيه ، ويضىء له طريقا للوصول الى الله ، وهو رفيقنا فى السفر ، وأنيسنا فى الوحـدة ، وصديقنا إذا حرمنا الأصدقاء . وإنه ليرشدنا الى السعادة ، ويقوينا على احتمال المصيبة ، وهوحليتنا ونحن بين أصدقائنا ، وسلاحنا ضد أعدائنا ، به يرتفع العبد الى مستوى الاحسان ، والى أشرف مكان ، فيشارك الملوك فى عليائهم فى هذه الحياة ، ويصل الى غاية الـكمال فى أخراه »

وإن للنبى لـكلمة قدبلغت الغاية فى التأثير ، والنهاية فى السمو ، ألا وهى قوله : « إن مداد العالم أعلى قيمة من دم الشهيد» وهذا تصريح لم يـكن منتظرا من رسول استشهد الـكثيرون من الرجال فى سبيله ، ولـكنه فى الوقت نفسه حق الى أبعد حد .

ولقد تجلى على على ، حبيب رسول الله وربيبه ، مذهب الاسلام ، ونبع منه علمه الفياض . فقد كان يعـلم أصحابه فى معمعان المعارك والمـكافحات ، وكان يقف ليعلم الشبان ، وينصحهم بأن يدرسوا ، وبأن يكونوا أئمة للعلم قبل كل شىء . وقد أعطانا المسلمون تعريفا عن العلم يجب أن نذكره هنا وهو : « العلم نور القلب وجوهره ، الحقيقة غرضه وغايته ، والالهام دليله ومرشده ، والعـقل مستقره ومهبطه ، والله موحيه وملهمه ، والـكلمات الانسانيـة أداته وآلته » .

---

(١) تابع لما ترجم قبل هـذا فى الاعداد السابقة من كتاب فى تاريخ الاديان المنتشرة فى الهنـد لزعيمة التيوصوفية العالمية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا يوجد فى التعاريف العلمية التى خرجت من بين شفتى البشر . ما هو اجل من هذا التعريف ، لقد مرت مائة عام كان تلاميذ على يدرسون فيها العلم وينقبون عن مصادره ، بينما النصف الآخر من المسلمين يناخون عن الاسلام ويفتتحون الأقطار . بعد هذه المائة السنة من الدرس والاطلاع فى جو من السلام ، ابتدأت ثمراتهم تظهر وأى ثمرات ! من القرن الثامن الى القرن الرابع عشر كانت يد ابن الاسلام تقبض على شعلة العلم والمعرفة . وأينما انتقل المسلمون نقلوا علمهم معهم . ولقد كانوا يفتحون الممالك ، ولكنهم كانوا فى كل قطر فتحوه يؤسسون المدارس ، ويشيدون الجامعات . فأقاموها فى مصر وبغداد وقرطبة فى أقصى غرب إسبانيا استهداء بروح الرسول . وكان أهل أوربا المسيحية يتدفقون على الأندلس ليأخذوا عن علماء المسلمين أصول العلم الذى أهملوه ونسوه . فقد قاموا بتدريس علم الفلك ، وترجموا كتاب السدذانتا الهندى وكتبا أخرى ، ووضعوا التأليفات فى الفلك والكيمياء والرياضيات. وقد تلقى البابا سيلفستر الثانى العلوم الرياضية فى جامعة قرطبة فى شبيبته ، وهو الذى تولى البابوية ، واتهم للسبب المتقدم بأنه مبتدع وأنه ابن الشيطان .

وقد اخترع المسلمون ما لم يكن موجودا ، وأى شىء لم يكونوا هم مخترعيه ؟ أخذوا الرياضيات عن الهنود واليونانيين ، فاكتشفوا المعادلات ذوات الدرجة الثانية ، ثم ذوات الدرجة الرابعة ، ثم نظرية المعادلة ذات الحدين ، وأطبقوا فى علم حساب المثلثات السينوس والكوزينوس. وقد كانوا أول من اكتشف علم حساب المثلثات الكروى . واخترعوا المنظار المعظم (التلسكوب) ورصدوا به الكواكب ، وحسبوا أبعاد الأرض ولم يخطئوا إلا فى درجة أو درجتين ، وكان ذلك منهم بواسطة الأقيسة المأخوذة على سواحل البحر الأحمر ، فماذا كان هؤلاء الرجال الذين درجوا من عرين الاسلام ؟ لقد أسسوا علما جديدا لفن العمارة ، واكتشفوا موسيقى غير التى كانت موجودة ، وقاموا بتدريس الفلاحة العلمية ، ورفعوا الفنون الصناعية الى أعلى ما يمكن أن تصل اليه . فهل هذا كل ما عملوه ؟

لا ، فقد بلغوا فى الفلسفة الى شأو أبعد من ذاك الشأو ، فانهم فى مجالها قد انغمسوا فى خضم الكائن الأعلى ، فأعلنوا وجود الواحد المطلق وعلاقات الانسان به وحده ، وقرروا استمداد الروح البشرية من روح الخالق . وعالجوا الكلام عن الفضاء وعن الزمان . وقد وصل المسلمون بسمو استعدادهم العقلى من علم ما وراء الطبيعة ، الى اكتشاف أعجب الحقائق الفلسفية ، أى الى (الفيدانتا) الخالصة يا إخوانى الهنود ، لأن كل علم ينتهى اليه . وفى هذا المجال يعلو اسم ابن سينا وابن رشد على جميع الأسماء الأخر .

على هذا النحو تفجرت ينابيع العلم فى مدى ستة قرون متوالية بتأثير النبى وتعاليمه . فاذا أراد اليوم إخوانى المسلمون أن يقتفوا آثار آبائهم العظام ، وأن يترجموا ما تركوه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من ثروتهم العلمية الى اللغات الأجنبية ، وأن يلقنوها لأبنائهم (وهم لايفعلون شيئا من ذلك) وأن يربوهم على مبادئ فلسفتهم (وهم لا يهتمون اليوم بها) ، لو فعلوا كل ذلك رفعوا اسم الاسلام الى أعلى مكان بين جميع فلسفات العالم . وكل رجل متعلم فى أبناء الاسلام يجب أن يتضلع من الفلسفة الاسلامية ، كما يعرف الهندى (فيدانتاه) ، ويجب أن يكون قادرا على تبرير نبيه فى نظر العالم العقلى بأسره .

قلت إن لكل ديانة حصة خاصة من العلم الباطنى ، وللاسلام كذلك حصة منه . ولقد كان على فى طليعة هذا العلم لمن أخذ عنه ، وهؤلاء قاموا بنشره بين الناس .

فى السنة التى هاجر فيها النبى من مكة تبعه خمسة وأربعون رجلا من الفقراء ، اجتمعوا لاتباع أوامر الله وسنة رسوله ، وتآلفوا للحياة مجتمعين يعملون بالتعاليم الروحية . فهؤلاء كانوا أصلا للصوفية ، ومظهرا للناحية الباطنية من الاسلام . ولقد كان شعار صوفية المسلمين « كل من عند الله » ؛ وكان مذهبهم أن لا شىء خارج عن مدد الله ، وأن الكون كله ليس إلا مرآة ترتسم عليها قدرة الله ، وأنه يوجد جمال مطلق ، وأن كل ما هو جميل فى هذا العالم ليس فى حقيقته غير شعاع من هذا الجمال المطلق ، وأنه لا يوجد غير حب واحد هو حب الله ، وكل حب آخر ليس إلا جزءا من هذا الحب العام ، وأن الموجود بحق هو الله وكل ماسواه عدم محض ، وأن الانسان وهو نفحة من روح الله يستطيع بواسطة السمو الروحانى أن يرتفع من درجة العدم المحض الى درجة الوجود ويعود الى الله . ألا فأصغوا الى لأسمعكم كيف تغنى المسلمون بحب الله ، وانظروا أية عبقة من التقوى تنبعث من الشعر الفارسى فى الاسلام .

قال جامى الصوفى الفارسى فى شعره :

أنت الموجود المطلق ، وكل ما عداك خيال .

لأن جميع الكائنات فى العالم ليسوا إلا شيئا واحدا .

وجمالك الذى تيم العالم أجمع ، وأجهد الناس أنفسهم لاماطة اللثام عن إبداعه ، يظهر مطبوعا على آلاف من المرايا ، ولكنه فى حقيقته واحد غير متعدد .

وبما أن جمالك يشرق على كل ماهو جميل ، فان الذى تيم القلوب فى الواقع هو جمالك أنت ولا شىء معه .

اللاوجود هو مرآة الوجود المطلق .

وهناك تظهر فكرة عظمة الله وجلاله .

ومتى قوبل اللاوجود بالوجود تنشأ فى الانسان فكرة عنهما .

وتظهر وحدة أحدهما فى خلال كثرة الآخر .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وتصبح إذا عددت الواحد وجدته متعددا .
والعد وإن كان أساسه الواحد فانه مع ذلك ليس له آخر .
فيصير اللاوجود فى ذلك الحين واضحا ، ومن هنا يصير الكنز المخفى ظاهرا .
فردد الآن ما جاء فى الأثر « كنت كنزا مخفيا »
لتدرك أنك تستطيع أن تتأمل هذا السر المكتوم واضحا ؟

محمد فريد وجدى

شبيه الشيء منجذب اليه

قال صلى الله عليه وسلم : « الصاحب رقعة فى الثوب ، فلينظر الانسان بم يرقع ثوبه »
وقال عليه الصلاة والسلام : « امتحنوا الناس باخوانهم »
وقال الشاعر :

فاعتبروا الأرض بسكانها   واعتبروا الصاحب بالصاحب

وقالوا : كل إلف الى إلفه ينزع . وقد نظمه شاعر فقال :

والالف ينزع نحو الآلفين كما   طير السماء على آلافها تقع

وقال آخر :

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم   ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقال آخر :

اصحب ذوى الفضل وأهل الدين   فالمرء منسوب الى القرين

وقال شاعر :

إن النفوس لأجناد مجندة   بالاذن من ربنا تجرى وتختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف   وما تناكر منها فهو مختلف

وقال امرىء القيس :

أجارتنا أنا غريبان هاهنا   وكل غريب للغريب نسيب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاخلاق الفلسفية

— ٢ —

أشرنا فى الكلمة السابقة الى ما للديانات الوضعية من أثر على النفوس البشرية ، وأبنا ما أدته تلك الديانات — على بطلانها — الى الانسانية من أيد بيضاء فى الرقى الأخلاقى والعمرانى ، ووعدنا بأن نعرض فى هذه الكلمة للديانات السماوية ، وأن نبين فضلها الأكبر على البشرية التى أنقذتها من هوى الرذيلة ، وصعدت بها الى حيث هى الآن من عليا الدرجات اللائقة بكرامتها والمميزة لها عن بقية الكائنات ، وقلنا أيضا : إننا سنتناول فى هذه الكلمة آراء العلماء المحدثين الاوربيين واختلافاتهم الكثيرة حول نظرية « وجوب تأسيس الأخلاق على الدين أو فصلها عنه » وما يدلى به كل من الفريقين فى هذا الشأن من حجج وبراهين تؤيده فيما ذهب إليه . وها نحن أولاء نوفى لك بوعدنا فنقول :

رأى الفريق الأول :

ترى هذه الشعبة من الأخلاقيين وجوب تأسيس الأخلاق على الدين ، وتعتقد أن هذه هى الوسيلة المثلى لحماية الفضيلة ورعايتها ، وتصرح تصريحا قاطعا بأن أية وسيلة أخرى غير هذه الوسيلة ستظل ضئيلة الفائدة ، قليلة الغناء . وحجتها فى ذلك ما يأتى :

نحن نعلم جميعا أن أسس الأخلاق الدينية مرتكزة على الوحى الالهى الى الأنبياء عليهم السلام ، ونعلم أن الله أوحى إليهم أنه سبحانه أصل الخيرات والمعارف ، وأنبأهم بالعنصر الذى خلقهم منه ، وبطبيعتهم التى كانوا يجهلونها ، وبمصيرهم العام ، وبواجبهم الذى لا ينبغى أن يحيدوا عنه قيد أنملة لو أنهم ساروا على النسق الذى يحبه لهم . وأوحى اليهم كذلك أن عقل الانسان ضعيف ومحدود ، وأنه فى حاجة الى المرشد الأعلى ، ليهديه الى سواء السبيل ، وأن مصلحته الخاصة تقضى عليه بأن يطيع ربه مقتنعا بانه تعالى لا يامر إلا بالخير ، ولا يحض إلا على الفضيلة ، وأن هذه الحياة الدنيا ليست إلا قنطرة يعبر عليها الانسان الى الحياة الخالدة ، وأن حظه لا ينتهى عند هذا الأجل الدنيوى القصير ، بل سيتصل بما قدر له فى العالم الآخر الذى سيلاقى فيه جزاء عمله إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

وتمتاز الأخلاق الدينية بأنها مؤسسة على حب الله وإطاعة كل أوامره ، ثم على حب المؤمنين الى حد تسويتهم بالنفس : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ولا ريب أنه إذا أحب الانسان خالقه وأطاع أوامره ، وأحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فقد وصل الى أرقى درجات الكمال .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هناك فضل آخر قد سكبه نور الأخلاق الدينية على بنى الانسان ، وهو أنه ربط وجداناتهم وضمائرهم بالعروة الوثقى التى لا تنفصم ولا تنحل ، وهى عروة الايمان .

أما من الناحية العلمية البحتة ، فان الحقيقة الدينية هى وحدها الحقيقة العليا أو المطلقة . وأما ما عداها ، فهى حقائق نسبية تتصل بتلك الحقيقة الأبدية من قريب أو من بعيد .

وأما أولئك الذين يزعمون أن الدين والعلم متعاديان ، فهم واهمون أو سطحيون ، لأن العقل — وهو الموئل الأعلى للعلم — لم يخرج عن كونه هبة من صاحب الدين .

وإذاً ، فينبغى أن يمتزج الدين بكل أفكار الانسان وأعماله فى هذه الحياة ، لأن موضوع الأخلاق هو دراسة صلات بنى الانسان بعضهم ببعض . ولا يمكن أن ينظم هذه الصلات تنظيما محكما غير البارى الأعلى فى قانونه الخالد ، وهو الدين ، ولأن واجب الانسان نحو أسرته ومواطنيه ونحو أفراد الانسانية جميعا منبجس من منبع واحد وهو واجب الانسان نحو ربه : « من اتقى الله اتقى الناس » .

والواقع المحسوس الذى نشاهده كل آن فى الحياة العملية هو أن الانسان ضعيف عاجز أمام أهوائه وشهواته وغرائزه الحيوانية ، وأنه فى أشد الحاجة الى معونة صوت الايمان ، ليقوده فى هذه الظلمة المخيفة التى تحوطه من كل جانب ، وهذا أمر طبيعى لا غرابة فيه ، إذ من ذا الذى يستطيع أن يقود الوجدان البشرى إلا تلك القوة العليا التى تحيط بكل شىء ، وتستطيع كل شىء ؟ ثم أى جزاء هو أكثر رهبة فى نظر الروح الخالدة من جزاء الله الأبدى الذى سيلتقى بها فى حياة طويلة لا يدرك مداها ، ولا يعرف منتهاها ؟ وأى عزاء يسلى عن أحزان الحياة وآلامها أعلى من التفكير فى عدالة الله التى ستوفى الصابرين أجرهم بغير حساب ؟

هذا كله بالنسبة الى أثر الدين على الفرد ، وأما أثره على الجماعات ، فهو لا يقل أهمية عما تقدم ، إذ من ذا الذى يستطيع أن يفهمنا احترام الأنظمة المقررة ومعنى الفضيلة العائلية والاذعان للسلطات الشرعية ، ويعودنا على الصبر واحتمال الآلام وتخفيف وقع منظر الفروق الهائلة بين شقائنا وسعادة غيرنا على نفوسنا أكثر من الدين ؟

وفى الحق أن حكومة تشعر بأن عليها واجبا تؤديه لأفراد الشعب لا تستطيع أن تؤسس تعاليمها الأخلاقية منفصلة عن الدين ، بل يجب عليها أن تشركه على الأقل فى تأسيس هذه الأخلاق إن لم تعتمد عليه اعتمادا كليا ، وأن تفسح له مكانا عظيما فى مدارسها ومعاهدها ومنتدياتها ، ليستطيع أن يؤدى مهمته فى تهذيب النفوس كما ينبغى ، لأننا جميعا نعمل على صيانة القوانين الوضعية ، ونسهر على احترامها وحفظها من عبث العابثين ، بل إنها تصل من نفوسنا احيانا الى مرتبة الاجلال والتقديس ، فاذا دوت فى المكان هذه الجملة : « باسم القانون أعمل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كذا » عند ذلك تخفق القلوب ، وتهلع النفوس ، وتنحنى الرءوس ، وتسود المجلس الرهبة ويخيم عليه السكون .

ولا ريب أننا لم نخلع على القانون هـذه القداسة إلا لأنه يقر الأمن ، ويصون الحقوق وينشر السلام والاطمئنان ، ولـكن من يدقق النظر فى أحوال الأمم وظواهرها الاجتماعية ، وخصائصها النفسية ، يتضح له تمام الاتضاح أن المتنعين عن الجرائم منهم عشرة فى المائة متأثرون بالأخلاق فى ذاتها ، وعشرون يخشون القانون ، وسبعون يتجنبون الرذائل اتقاء لله وخوفا من عقابه الذى هم موقنون بأنه أشد وأقسى وأطول مدى من عقوبات القوانين الوضعية ، فاذا كان الدين قد نال من النفوس البشرية هذا المنال الذى لم يفز القانون بنصفه ولا بثلثه ، فيجب علينا كوطنيين مخلصين لبلادنا راغبين فى صلاح أحوالها الاجتماعية أن ننمى فى نفوس الجماهير هذه العقيدة النبيلة ما دام لها على أخلاقهم هذا الأثر الجليل

ومن أهم وسائل تنمية الدين فى النفوس دراسته فى مدارس الدولة على اختلاف أنواعها ، وفى جميع مراحل التعليم فيها ، ولـكن بهيئة تتلاءم مع تطور عقول الطلاب ، وتتوافق مع نشوء أفـكارهم ورقيها ، فيدرس مثلا فى المدارس الأولية فى ثوب بسيط سهل بعيد كل البعد عن التعقد والتركيب ، كأن يعلم الطفل أن هناك إلها عظيما جليلا ، وهو الذى خلق كل هذه العوالم ، وهو لا يشاهد ولا يقـع تحت الحس ، وهو خـير وعادل ومحب للأخلاق السامية كالصدق والأمانة ، والحلم والحياء ، ومبغض لأضداد هذه الصفات من : كذب وخيانة ، وغضب ووقاحة ، وأن أول واجب علينا هو الاعتقاد بوجوده ثم العمل على إرضائه .

وفى المدارس الابتدائية يعلم التلميذ أن هـذا الاله القادر اتصل فى كثير من الأزمان المختلفة بقوم من البشر قد اختارهم من بين الناس لميزات قد خلقها فيهم ، فأوحى اليهم أن يقوموا على الأرض بتبليغ أوامره الى الناس ، وأن هذه الأوامر هى اتباع الخير الذى يوصلهم الى السعادة ، واجتناب الشر الذى يقودهم الى الشقاء ، ثم يجب على المعلم فى هذه المرحلة أن يغرس فى نفوس النشء أن هناك حياة أخرى وراء هذه الحياة ، وهى التى تفرق بين الانسان والحيوان ، والتى يلقى فيها كل شخص جزاء عمله إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، فاذا انتقل الناشىء الى مرحلة التعليم الثانوى ثم العالى ، وجب على الأستاذ أن يتبسط معه فى نظريات الدين ، وأن يقوم أمامه بدور مناقشة البراهين ، ومناقضة الأدلة ، وتحليل العلل والبواعث والأسباب .

فاذا درس الناشىء الدين على هذا النحو المؤسس على التعقل والتفكير ، وشب على احترامه وتقديسه ، كان له على أخلاقه العملية أثر لا يجحده إلا من أوتى من الجرأة على تشويه الحقائق حظا يمكنه من إنـكار البديهيات .

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٢ - أعلام القرآن

آدم (١)

أصل الاسم واشتقاقه — أولية آدم على الأرض — استخلافه فى الأرض — تعليمه الأسماء
آدم والملائكة وإبليس — إسكانه الجنة وإخراجه منها — الجنة ومظاهرها
نبوته ورسالته — وفاته

١ — أصل الاسم واشتقاقه:

للعلماء فى لفظ آدم مذهبان: مذهب يقول: إنه أعجمى، وهو عند أهل الكتاب «آدام» بإشباع فتحة الدال، بوزن خاتام، ووزنه فاعال، وامتنع صرفه للعجمة والعلمية، وهو مأخوذ من لفظة «آداما» العبرانية، ومعناها الأرض، إشارة الى الأصل الذى اخذ منه، قال الثعلبي: التراب بالعبرانيـة آدام، فسمى به آدم، وحـذفت الألف الثانية. وقال صاحب الكشاف: وما آدم إلا اسم أعجمى، وأقرب أمره أن يكون على فاعل (بفتح العين) كآزر وعابر وشالخ وفالغ وأشباه ذلك.

والمذهب الثانى يقول: إنه عربى، ونسب الجزم به إلى الجوهرى والجواليقى، واختلف فى اشتقاقه، فقيل: هو مشتق من أدمة الأرض وأديمها وهو وجهها. وقيـل: إنه مشتق من الأدمة وهى السمرة. وقيل: هى البياض، وأن آدم عليه السلام كان أبيض. وأصله أأدم بهمزتين على وزن أفعل، فأبدلت الثانية ألفا لسكونها بعد فتحة، ومنع صرفه للعلمية ووزن الفعل، ويجمع على أدم وأوادم، كحمر وأحامر.

وقال الراغب الاصفهانى: قيل سمى بذلك لكون جسده من أديم الأرض، وقيل لسمرة فى لونه. يقال: رجل آدم نحو أسمر، وقيـل سمى بذلك لكونه من عناصر مختلفة وقوى متفرقة، كما قال تعالى: «أمشاج نبتليـه» ويقال جعلت فلانا أدمة أهلى، أى خلطته بهم، وقيل سمى بذلك لما طيب به من الروح المنفوخ فيه المذكور فى قوله «ونفخت فيه من روحى» وجعل له به العقل والفهم والروية التى فضل بها على غيره، كما قال تعالى: «وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» وذلك من قولهم: الادام، وهو ما يطيب به الطعام اهـ

(١) من قوله تعالى: «وعلم آدم الاسماء كلها» سورة البقرة — آية ٣١

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وآدم عليه السلام يكنى أبا البشر ، وقيل أبا محمد ، وكنى بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل : كنيته فى الجنة أبو محمد ، وفى الأرض أبو البشر .

وذكر ابن سعد فى الطبقات أنه سمى إنسانا ، لأنه نسى .

٢ — أولية آدم على الأرض :

ليس هناك خلاف يعتد به على أن الأرض كان يعمرها قبل آدم خلق آخر ، ولكن محل الخلاف ومبعث التشتت فى الآراء والأقوال هو تحديد هذا الخلق وتعيين نوعه ، فبعض المفسرين يروى أنه كان فى الأرض قبل آدم خلق يسمون الحن والبن ، أو الطم والرم ، وأكثر المفسرين على أن الخلق الذين كانوا فى الأرض قبل آدم مباشرة كانوا يسمون الجن ، وقالوا إن هؤلاء قد أفسدوا فى الأرض ، وسفكوا الدماء ، فأرسل الله تعالى إليهم إبليس فى جند من الملائكة فحاربهم وفرقهم فى الجزائر والبحار . وذهب بعضهم الى أن لفظ « خليفة » الوارد فى قوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » يشعر بأنه كان فى الأرض صنف أو أكثر من نوع الحيوان الناطق ، وأنه انقرض ، وأن هذا الصنف الجديد الذى أخبر الله الملائكة بأن سيجعله خليفة فى الأرض ، سيحل محله ويخلفه .

ونسب صاحب تفسير المنار الى الشيخ محمد عبده تعليقا على هذا الرأى قال فيه : « وإذا صح هذا القول ، فليس آدم أول الصنف العاقل من الحيوان على هذه الأرض ، وإنما كان أول طائفة جديدة من الحيوان الناطق ، تماثل الطائفة أو الطوائف البائدة منه فى الذات والمادة ، وتخالفها فى بعض الأخلاق والسجايا .

ثم علق صاحب التفسير على هذا بقوله : هذا أحسن ما يجلى فيه هذا المذهب ، وأكثر ما قالوه فيه قد سرى الى المسلمين من أساطير الفرس وخرافاتهم ... الى أن يقول : ولكن تقاليد الأمم الموروثة فى هذه المسألة تنبىء بأمر ذى بال ، وهى متفقة فيه بالاجمال ، ألا وهو ما قلناه من أن آدم ليس أول الأحياء العاقلة التى سكنت الأرض اه

ونقل عن الامامية والصوفية أنه كان قبل آدم المعروف أوادم كثيرون ، قال فى روح المعانى : وذكر صاحب جامع الأخبار من الامامية فى الفصل الخامس عشر خبرا طويلا نقل فيه أن الله تعالى خلق قبل أبينا آدم ثلاثين آدم ، بين كل آدم وآدم ألف سنة ، وأن الدنيا بقيت خرابا بعدهم خمسين ألف سنة ، ثم عمرت خمسين ألف سنة ، ثم خلق أبونا آدم عليه السلام. وروى ابن بابويه فى كتاب التوحيد عن الصادق فى حديث طويل أيضا أنه قال : لعلك ترى أن الله لم يخلق بشرا غيركم ، بلى والله لقد خلق ألف ألف آدم ، أنتم فى آخر أولئك الآدميين . وقال الميثم فى شرحه الكبير للنهج : ونقل عن محمد بن على الباقر أنه قال : قد انقضى قبل آدم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الذى هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر . وذكر الشيخ الأكبر قدس سره فى فتوحاته مايقتضى بظاهره أن قبل آدم بأربعين ألف سنة آدم غيره. وفى كتاب الخصائص ما يكاد يفهم منه التعدد أيضا ، حيث روى فيه عن الصادق أنه قال : إن لله تعالى اثنى عشر ألف عالم ، كل عالم منهم أكبر من سبع سموات وسبع أرضين ، ما يرى عالم منهم أن لله عز وجل عالما غيرهم اه .

والأخذ بظواهر هذه الأخبار مما لا يراه الجماعة من الفقهاء والمحدثين ومن وافقهم ، فهم يقولون إنه ليس سوى آدم واحد هو أبو البشر ، وإنه مسبوق بخلق آخرين كالملائكة والجن ، وكثير من الحيوانات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى ، لا بخلق أمثاله ، وقد غالى بعضهم فى التعصب لهذا الرأى فصرح بكفر من يعتقد التعدد .

وكان اليونان القدماء وغيرهم من الأمم كالبربر المحدقين بالامبراطورية الرومانية نحو القرن الخامس ، والتتر وشعوب الاوقيانوس الباسيفيكى يعتقدون أن أصل البشر ليس واحدا .

وبعض الذين يذهبون الى أن آدم ليس أول نوعه فى الوجود على الأرض وأنه مسبوق بأوادم آخرين ، يؤيدون مذهبهم هذا فيما يؤيدونه به ، بما ذهب اليه بعض الفلاسفة فى الرد على الاعتقاديين القائلين بخلق آدم قبل نحو ستة آلاف سنة ، من أن ستين قرنا لا تكفى لاختلاف النوع الانسانى فيما بينه هذا الاختلاف البين فى اللغات والأديان والأجسام ، فلا بد من فرض وجود الانسان قبل ذلك بعشرات ألوف من السنين ، حتى تكون كافية لاحداث كل ذلك التخالف الجسمانى الحاصل بين الأمم المشتقة من أبوين اثنين ، كما يؤيدون مذهبهم أيضا بما يعتمد عليه علم الجيولوجيا فى تحديد تاريخ وجود أول إنسان على الأرض من حساب المدة اللازمة لتكوين الطبقة الأرضية التى تفصل أعمق الهيا كل الجسمية الانسانية عن سطح الأرض ، واحتياج ذلك الى مدة لا تقل عن ثلاثين ألف سنة .

والذى تميل اليه النفس أن كل ما يقال بشأن تاريخ وجود الانسان على الأرض ، سواء أكان من جانب الاعتقاديين ، أم من جانب غيرهم ، لا يزال ظنيا ، فانه لم يرد فى القرآن الكريم ، ولا فى غيره من الكتب السماوية ، ولا فى السنة الصحيحة شيء يختص بتحديد تاريخ وجود آدم على الأرض ، وما ورد على ألسنة بعض المفسرين فى هذا الصدد لا يبعد أن يكون مأخوذا من الاسرائيليات ، وكذلك ما ذكره الجيولوجيون فى حساب المدة اللازمة لتكون الطبقة الأرضية لا يعول عليه كثيرا ، لأن الرواسب الأرضية لا تتكون على نظام واحد فى جميع الجهات بل هى تختلف باختلافها ، فلا ينبغى أن يعول عليها فى جهة دون أخرى .

٣ — استخلافه فى الأرض :

حدثنا القرآن الكريم أن الله تعالى أخبر ملائكته باستخلاف آدم فى الأرض ، وحكى ذلك فى قوله : « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والذى يتصل بموضوعنا من هذا الخبر القرآنى الصادق ، هو : بيان معنى الخليفة ، ومن هو المراد من خليفة ، والمقصود من الاستخلاف ، والحكمة فى استخلاف الانسان .

فالخليفة من يخلف غيره وينوب عنه ، والهاء فيه للمبالغة ، ولهذا يطلق على المذكر .

والمشهور بين المفسرين ، والذى عليه ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل أن المراد بالخليفة هنا آدم عليه السلام ، وقيل : هو وذريته .

ولفظ « خليفة » فى الآية ، يجوز أن يكون بمعنى فاعل ، وعليه يكون معنى الاستخلاف أنه يخلف من كان قبله فى الأرض من الملائكة ، أو غيرهم .

ويجوز أن يكون بمعنى مفعول ، أى مخلف ، كما يقال : ذبيحة ، بمعنى مفعولة ، وعليه يكون معنى الاستخلاف أنه مجعول خليفة ، ومظهراً لله تعالى فى عمارة الأرض ، وسياسة الناس وتكميل نفوسهم ، وتنفيذ أمره فيهم ، وإقامة سننه ، وإظهار عجائب صنعه ، وأسرار خليقته ، وبدائع حكمه ، ومنافع أحكامه .

أما حكمة استخلاف الانسان ، فهى — على ما ذكرته كتب التفسير — أن الله تعالى خص كل نوع غير نوع الانسان بشىء محدود لا يتعداه ، فنوع الملائكة مثلا ، نعرف من طريق الوحى أن لكل طائفة منه وظيفة محدودة لا يتعداها ، ونوع المعدن والجماد ، نعرف من حاله بالنظر والاختبار أنه لا علم له ، ولا عمل منه ، وكذلك كل حى من الأحياء المحسوسة والغيبية ، له استعداد محدود ، وعلم إلهامى محدود ، وعمل محدود ، وما كان كذلك لا يصلح أن يكون خليفة .

أما الانسان ، فهو على ضعفه وجهله قد أعطى قوة تتصرف بشعوره وإحساسه تصرفا يكون له به السلطان على هذه الكائنات ، فيسخرها ويذللها كما تشاء تلك القوة التى هى العقل ، فهى تغنيه عن كل ما وهب للحيوان فى أصل الفطرة ، مما يقيه البرد والحر ، ويتناول به غذاءه ، ويدافع به عن نفسه ، ويسطو به على عدوه ، وغير ذلك ، وقد ظهرت آثار تصرفه هذا فى المعدن والنبات والحيوان والبر والبحر والهواء .

وكما أعطاه الله هذه المواهب ، أعطاه غيرها من الأحكام والشرائع ، لتكون ضابطا لأعماله وأخلاقه ، ولتحول دون بغى أفراده وطوائفه بعضهم على بعض .

فالانسان بتلك القوة غير محدود الاستعداد ، ولا محدود الرغائب ، ولا محدود العلم ولا محدود العمل ، فهو على ضعف أفراده يتصرف بمجموعه فى الكون تصرفا لا حد له باذن الله وتصريفه ، ولهذا كله جعله خليفة فى الأرض ، فهو أجدر المخلوقات بهذه الخلافة .

٤ — تعليمه الأسماء :

تساءل الملائكة عن هذا الذى أخبرهم الله تعالى عنه بأن سيجعله خليفة فى الأرض ، وقص

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

القرآن علينا تساؤلهم هذا في قوله : « قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك » .

والسؤال هنا — على ما يقوله المفسرون — للاستكشاف عن الحكمة الخفية ، وعما يزيل الشبهة ، أو للتعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها ، أو يستخلف مكان أهل الفساد مثلهم ، أو مكان أهل الطاعة أهل المعصية ، وقيل استفهام محض حذف فيه المعادل ، أي أتجعل فيها من يفسد فيها ، أم تجعل من لا يفسد ؟

وعلى جميع هذه التقادير ، فالهمزة ليست للانكار ، وإذاً لا ترد المزاعم المتعلقة بعصمة الملائكة ، واعتراضهم على الله، وطعنهم في بني آدم .

ولقد أجاب الله الملائكة عن هذا السؤال بعد إرشادهم الى الخضوع والتسليم بقوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » . ثم أراد أن يبين لهم أن الخليفة الذي هو محل تساؤلهم ، قد أعطاه ما لم يعطهم ، وعلمه ما لم يعلمهم ، فقال : « وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » .

واختلفوا في المراد بالأسماء ، فقيل : صفات الأشياء ونعوتها وخواصها ، وقيل : أسماء ما كان وما يكون الى يوم القيامة ، وقيل : اللغات ، وقيل : أسماء الملائكة ، وقيل : أسماء النجوم ، وقيل : أسماؤه تعالى ، وقيل : إن معنى « علم آدم الأسماء كلها » أودع في نفسه علم جميع الأشياء من غير تحديد ولا تعيين ، فالمراد بالأسماء المسميات ، عبر عن المدلول بالدليل لشدة الصلة بين المعنى واللفظ الموضوع له ، وسرعة الانتقال من أحدهما الى الآخر ، وقيل : إنه علمه جميع الأشياء التي في جنة عدن ، وألهمه وأقدره على وضع اسم لكل ما تقع عليه عينه هناك ، وقيل غير هذا .

وأما كيفية التعليم ، فقيل : خلق فيه بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا بتلك الأسماء وبمدلولاتها ووجه دلالتها ، وقيل : خلق من أجزاء مختلفة ، وقوى متباينة مستعداً لادراك أنواع المدركات ، وألهمه معرفة ذوات الأشياء ، وأسمائها وخواصها ، وأصول العلم ، وقوانين الصناعات ، وتفاصيل آلاتها ، وكيفية استعمالاتها ، والله قادر على كل شيء .

٥ — آدم والملائكة وإبليس :

أراد الله تعالى أن يظهر الملائكة اعترافهم بفضل ادم ، واعتذارهم عما قالوا بشأن استخلافه ، فأمرهم بالسجود له ، وليس السجود هنا سجود عبادة ، إذ لا يعبد إلا الله تعالى ، وهو وإن كان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

غير معروف الصفة ، إلا أن الظاهر من أمره أنه لا يخرج عن معنى التكريم ، ولا يباين معنى السجود اللغوى الذى هو عبارة عن التطامن والخضوع والانقياد .

وقد أطاع الملائكة كلهم أجمعون أمر ربهم ، فسجدوا لآدم ، إلا إبليس ، فلم يمتثل أمر ربه ترفعا ، وزعما أنه خير من آدم عنصرا ، وأزكى جوهرا ، فطرده الله من الجنة .

وسنتعرض لبيان حقيقة الملائكة عند الكلام على جبريل ، كما سنتعرض لبيان حقيقة الجن عند الكلام على إبليس .

٦ — إسكانه الجنة وإخراجه منها :

أمر الله تعالى آدم بسكنى الجنة ، والتمتع بكل شىء فيها ، ونهاه هو وزوجه عن الأكل من شجرة عينها لهما .

وقد وقع خلاف فى تعيين هذه الشجرة ، فقيل هى الكرم ، وقيل هى السنبلة ، وقيل هى النخلة ، وقيل شجرة الكافور ، وقيل التين ، وقيل الحنظل ، وقيل غير ذلك ، قال القرطبى فى تفسيره : قال ابن عطية : وليس فى شىء من هذا التعيين ما يعضده خبر ، وإنما الصواب أن يعتقد أن الله تعالى نهى آدم عن شجرة فخالف هو اليها .

استقر آدم وزوجه فى الجنة ، وظلا يرغدان فى نعيمها الى أن استطاع إبليس بكذبه ومقاسمته وإغرائه أن يوسوس لهما بالأكل من الشجرة ، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما ، وأهبطا الى الأرض . وقد اختلف فى الكيفية التى توسل بها إبليس الى إغراء آدم .

قال الألوسى تعقيبا على هذه الاختلافات : وقال أبو منصور : ليس لنا البحث عن كيفية ذلك ، ولا نقطع القول بلا دليل . وهذا من الانصاف بمكان ، وقال الرازى : إن هذه القصص مما يجب ألا يلتفت اليه .

وذكروا أن ادم أهبط بسرنديب فى الهند بجبل يقال له « بوذ » أو « راهون » وأن حواء أهبطت بجدة ، وأن الملتقى كان بعرفات .

بعد هذا تلقى آدم من ربه كلمات ، فاناب اليه بها ، فتاب عليه ، وأكثرهم على أن هذه الكلمات هى قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . وقيل المراد بها البكاء والحياء والدعاء ، وقيل الندم والاستغفار والحزن .

٧ — الجنة ومكانها :

اختلف علماء المسلمين من أهل السنة وغيرهم فى أمر الجنة ، فالجمهور على أنها جنة المأوى أخذا بظواهر الآيات والأحاديث ، وذهب المعتزلة وأبو مسلم الأصفهانى وأناس الى أنها جنة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أخرى خلقها الله امتحانا لآدم ، وكانت بستانا فى الأرض بين فارس وكرمان ، وقيل بأرض عدن ، وقيل بفلسطين ، ونقل عن بعض الصوفية أنها جنة فى الأرض عند جبل الياقوت تحت خط الاستواء ، ويسمونها جنة البرزخ .

ويرى بعضهم أن الأحوط والأسلم هو التوقف فى أمرها ، والكف عن تعيينها ، والقطع به . قال الامام أبو منصور الماتريدى فى تفسيره المسمى بالتأويلات : نعتقد أن هذه الجنة بستان من البساتين أو غيضة من الغياض ، كان آدم وزوجه منعمين فيها ، وليس علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها .

٨ — نبوته ورسالته :

إن من ينظر إلى شأن آدم مع ربه ، واتصاله به ، يجد أن معانى النبوة كلها متمثلة فيه ، وقائمة به ، فهو قد « خاطبه بلا واسطة ، وشرع له فى ذلك الخطاب ، فأمره ونهاه ، وأحل له وحرم عليه بدون أن يرسل له رسولا » وليس للنبوة معنى غير هذا .

وأما رسالته فقد اختلف العلماء فيها . وقد روى عن أبى ذر قال : قلت يارسول الله : أنبيا كان مرسلا ؟ قال : نعم — الحديث .

وكان رسولا الى أبنائه ، وكانوا أربعين ولدا فى عشرين بطنا ، فى كل بطن ذكر وأنثى ، وأنزل عليه فيما أنزل تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير .

٩ — وفاته :

اختلف الرواة فى مقدار عمر آدم ، فقيل : عاش ألف سنة ، وقيل : عاش تسعمائة وثلاثين سنة . وقيل : عاش تسعمائة وستين سنة .

وليس لدى الباحثين نصوص قاطعة تتعلق بوفاة آدم وقبره ، ولهذا نكتفى هنا بذكر ما ذكره أصحاب الأخبار خاصا بذلك :

قالوا : إن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما ، ولما حضرته الوفاة ، جاءته الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه وغيرها ، فقبضوه وغسلوه وكفنوه ، وحنطوه ، وحفروا له ولحدوه ، ثم حثوا عليه ، وقالوا يابنى آدم هـذه سنتكم ، ولما تقدموا للصلاة عليـه ، قال شيث لجبريل : صل على آدم ، فقال له جبريل : تقدم أنت فصل على أبيك ، فصلى عليه .

واختلف فى موضع قبره ، فقيل فى مشارق الفردوس ، وقيل فى الجبـل الذى أهبط به فى الهند ، وقيل فى جبل أبى قبيس بمـكة ، وقيل لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم فى السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم ببيت المقدس .

وعاشت حواء بعده سنة واحدة ، ثم ماتت فدفنت مع آدم ، عليهما السلام .

فكرى يس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المطالب العالية

فى النفس الناطقة وصلتها بالانسان

أسلفنا فى البحث السابق فى شىء غير قليل طرفا من الكلام عن بعض متعلقات النفس الناطقة وملابساتها كالسعادة والخير وما بينهما من فارق ذى أثر فى العوالم الكونية والنواميس الطبيعية ، وما نحاه المتقدمون فى أن الخير هو المقصود من كل فهو غاية الغايات ، وأن السعادة هى الخير بالقياس الى صاحبها فهى على هذا النحو كمال له .

والآن نحاول أن نصل بين أطراف ذلك البحث الطريف ، فلابد لكل باحث عن أدواره والمدى الذى انتهى اليه أن يقيم أسس بحثه على نظرية عامة صادقة تجمع بين آراء المتقدمين من الفلاسفة فى شتى فرقهم ، وبين أرسطو وأنصاره ومعتنق مذهبه . تلك النظرية على ما حققها القوم فى كتبهم هى أن الانسان ذو فضيلة روحانية عليا يلائم بها الأرواح الطيبة التى تحملها الملائكة ، وذو فضيلة هيولانية يشترك بها مع الحيوان لأنه مركب منها ، فهو إذن بالخير المتعلق بعالم المادة مقيم فى هذا العالم السفلى الى قدر معلوم ليقوم بعمارته وترتيبه وتنسيقه ، حتى إذا ظفر من هذه المرتبة بالقسط الأكمل ارتقى الى العالم العلوى البرىء من المادة وعلائقها والطبيعة وغاشياتها ، فيبقى فيه سرمدا .

فالسعيد تطبيقا لهذه النظرية هو من يكون فى إحدى المرتبتين : إما فى مرتبة الهيولانية متعلقا بأحوالها السفلى سعيدا بها مطمئنا اليها ، لكنه مع ذلك يطالع الأمور الجليلة والمطالب العالية متحريا لها باحثا عنها مكدا فى الحصول عليها متحركا نحوها مغتبطا بها ، وإما أن يكون فى مرتبة الروحانيات متعلقا بأحوالها العليا سعيدا بها مأخوذا بمحاب الله ومراضيه ، هياما الى القدسية الباقية والسرمدية العتيدة ، لكنه مع ذلك يطالع الأغراض الهيولانية متخذا منها أفضل الدلائل على ابتداع الذات الالهية وسعة متعلقاتها وآثارها الصادرة عنها . فأى امرىء من الناس لا يظفر باحدى تينك السعادتين فهو كالأنعام بل اضل سبيلا .

وإذن فقد تبين لنا أن السعيد فى إحدى المرتبتين دون الأخرى ليس سعيدا على إطلاقه ، فان من استكمل سعادته القدسية وهناءته السرمدية فقد حرم من ناحية أخرى نعيمه الهيولانى واستمتاعه الجسمانى . ومن مكن له فى حياته الاولى فاستمتع بلذائذها وشهواتها فى مناحيها المختلفة من نعمة الجاه والمال والولد والظفر بالمطلوب ثم نسى نصيبه الأوفى من الحياة الباقية فلم يعمل له ، ولم يخلع على نفسه أهبة الشوق الى النعيم المقيم فقد خسر خسرانا مبينا . فالسعيد إذن من جمع بين الحالتين ، وآخى بين الصنوين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لكن يبقى بعد ذلك أن أفضل الحياتين تلك الحياة السرمدية الدائمة ، فان السعيد هو الذى استكمل نصيبه من الحكمة وهى مخافة الله ، فهو مقيم بروحانيته بين الملأ الأعلى يستمد منه لطائف الحكمة ، ويستضىء بالنور الالهى ، ويستوفى من فضائله على مقدار استمداده وقلة عوائقه ، فهو أبدا برىء من الآلام والحسرات . فاذا انقدح فى نفسه فيض نور الأمل وعمر قلبه بذلك المشهد الالهى انخلعت نفسه عن المادة وملابساتها والطبيعة وأغراضها بواسطة ذلك الأنس الذى حل محل الشغاف من قلبه ، فهو مستأنس راض بما كتب له من حياة سرمدية ونعيم مقيم . وتلك المنزلة هى أقصى منازل السعادة على ماحكاه المحققون . وهاتان المرتبتان قد عنى بهما الحكيم الكبير ارسطو فى كتابه المسمى بفضائل النفس ، فقد قال مع تصرف يقرب المعنى :

مما لايحتمل جدالا أن أولى رتب الفضائل تسمى سعادة : كأن يعرف الانسان إرادته ومحاولاته الى صوالحه فى عالم المادة وفى أمور النفس والبدن ، وفيما كان من الأحوال متصلا بهما ومشاركا لهما من الأمور الزمانية على شريطة أن يكون تصرفه فى المحسوسات لاينبو عن الجادة الملائمة لأحواله الحسية ، فهو مطالب بأن يجرى كل مايقع منه من تصرفات على قانون التدبير ونواميس الحكمة والاعتدال ، فلا يخرج به عن تقدير الفكر ، حتى لا يضل فى مهمه قفر لا يأتى البصر على أطرافه .

ثم إن المرتبة الثانية تأتى بعد المرتبة الأولى ، وهى أن يصرف الانسان فيها إرادته ومحاولاته الى أفضل منازلها دون أن يتلبس فى سلوكها بشىء من الأهواء والشهوات ،ولا يستجيب لداعية المحسوسات المغرية بالمثالب والسالكة بطالبها سبيل المعايب .

غير أن رتبة الانسان فى هذا الضرب من الفضيلة تتزايد تزايدا عظيما بحسب منازله ومقتضياته ، ذلك لأن الأماكن والرتب فى هذا الضرب من الفضائل كثيرة ومتزايدة ، وهذا بدهى الظهور ، أماأولا فباختلاف طبائع الناس .وأماثانيا فبحسب العادات وما يقع من الناس من التقاليد والاصطلاحات ، وأما ثالثا فبحسب منازلهم ومواضعهم وأقدارهم من العقل والعلم والمعرفة وفهم الحقائق على أوضاعها . وأما رابعا فبحسب هممهم ونوازع نفوسهم ومطامحهم التى يطمحون اليها ومبلغ شغفهم بها . وأما خامسا فبحسب شوقهم وعظيم معاناتهم فى نيل مقاصدهم ، وإمعانهم فى بلوغ مبتغاهم .

ثم إن وراء هذه المنزلة منزلة هى النسق الأعلى للفضائل ، وأعنى بها المنزلة القصوى التى لا يكون فيها ترقب لآت ولا تلفت الى ماض ولا تشيع لحاضر ولا طلب لحظ من حظوظ الانسانية الفاتنة ، ولا ما تدعو اليه الضرورة المذلة من حاجة البدن أو إحدى قواه الطبيعية او قواه النفسانية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فالانسان فى هذه المرتبة القصوى يتصرف فى الخير مستهديا بعقله وما يستوحيه مشتقا من النسق الأعلى لصنوف الفضائل : كصرف الوقت الى الأمور الالهية ومعاناتها ومحاولة النفس لها . قال الحكيم أرسطو : وهذه الرتبة هى الأخرى تتزايد فى الناس تزايدا متفاوت الشقة بعيد الأثر بحسب الهمم وصنوف الشوق وفضل المعاناة والصبر وشدة الجلد وقوة النحيزة وسلامة الثقة وحسن الاستنتاج ، وبحسب منزلة من بلغ هذا المبلغ من الفضيلة فى هذه الأحوال التى أسلفنا الكلام عنها أن يكون تشبهه بالعلة الأولى واحتذاؤه إياها واقتداؤه بأفعالها .

ثم إن آخر مراتب الفضيلة وأعلاها شأوا أن تكون أفعال الانسان كلها أفعالا إلهية ، وهذه الأفعال هى خير محض . وبدهى أن الفعل إذا كان خيرا محضا فليس يفعله فاعله من أجل شىء آخر غير الفعل ذاته ، ذلك لأن الخير المحض « ما ليس يفعله فاعله من أجل » لأن الخير المحض هو غاية متوخاة لذاتها ، فهو الأمر المقصود أيضا ، فلا يمكن أن يكون لأجل شىء آخر خارج عن ذاته ، وإذن فأفعال الانسان كلها إذا استحالت إلهية فهى كلها إنما تصدر عن ذاته الحقيقية التى هى فى الحقيقة عقله الالهى ، وبالتالى التى هى مدده الالهى ومصدره الأعلى الذى يستلهم العلى الأعلى فى كل ما يصدر عنه ، وقد تزول وتمحى سائر طباعه البدنية أو تنحل انحلالا نسبيا أو جزئيا فلا تبقى له إرادة ولا همة خارجتان عن فعله من أجلهما يفعل ما يفعل ويدع ما يدع ، لكنه يفعل بلا إرادة ولا همة ، فلا يكون غرضه بفعله غير ذات ذلك الفعل ، وهذا هو سبيل العقل الالهى ، وتلك الحال هى أعلى رتب الفضائل وجنس أجناسها ، وهى التى يتصل فيها الانسان أفعال المبدأ الأول خالق الكل وبارئه عز وجل ؛ على معنى أن يكون فيما يفعله بعينه هو غرضه ، أى ليس يفعل من أجل شىء آخر سوى ذات الفعل . ومعنى ذاته هو أنه لا يفعل ما يفعله من أجل شىء غير فعله نفسه ، وذاته لنفسها هى الفعل الالهى نفسه ، وهكذا يعقل البارىء تعالى لذاته لا من أجل شىء آخر خارج عنه ، وذلك أن فعل الانسان فى هذه الحال يكون كما قلنا خيرا محضا وحكمة محضة ، فيبدأ بالفعل لنفس إظهار الفعل فقط لا لغاية أخرى يتوخاها بالفعل ، وهكذا فعل الله عز وجل الخاص به ليس هو على القصد الأول من أجل شىء خارج عن ذاته ، أعنى ليس ذلك من أجل سياسة الاشياء التى نحن جزء منها ، لأنه لو كان كذلك لما كانت أفعاله الصادرة عنه سبحانه لا تتم إلا بمشارفة الأمور التى من الخارج من أسباب وعلل لأفعاله ، وهذا واضح القبح والشناعة ، تعالى الله عنه علوا كبيرا. الخ

هـذا جانب من آراء الحكيم أرسطو نقلناه بتلخيص كثير ، مع احتفاظنا بالتعليق على جانب منها فى عدد تال ، فالى الغد القريب

عباس طه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تقرير بعثة الهند

– ٢ –

دراسات البعثة

١ – الحال الاجتماعية والخلقية :

الهند شبه جزيرة من الأرض ناتئ نحو الجنوب من وسط اسيا ، يمتد من خط ١٨ الى خط ٣٧ شمالا ، ومن خط ٦٥ الى خط ١٠٠ شرقا . فهى بذلك تشمل ٢٩ درجة من درجات العرض و ٣٥ درجة من درجات الطول . وتبلغ مساحتها ٦٧٩ ر ٨٠٨ ر ١ ميلا مربعا .

فاذا ووزنت الهند بغيرها من البلاد من حيث المساحة بلغت ١٥ مرة قدر مساحة الجزر البريطانية أو أكبر من نصف قارة أوربا . وإذا وازنا بينها وبين مصر بلغت مساحة الهند حوالى ١٤٠ مرة لمساحة المنزرع من القطر المصرى .

فالهند بذلك بلاد مترامية الأطراف متباينة فى أنواع المناخ ، فبينما تكلل الثلوج رءوس الجبال فى الشمال إذا بالأودية الشمالية ذات جو قارى ، شديد الحرارة صيفا ، قارس البرد شتاء ؛ وإذا ما اتجهنا نحو الجنوب قاربنا المنطقة الشديدة الحرارة فى الصيف والشتاء . وقد كان لهذه المناخات المتباينة أثرها فى طبيعة السكان وأخلاقهم وعاداتهم ودياناتهم ولغاتهم .

وقد قسمت الهند إداريا الى مجموعتين :

المجموعة الأولى : أقاليم يحكمها البريطانيون مباشرة . ولكل إقليم منها حاكم بريطانى يستمد سلطته من نائب الملك . وقد نص الدستور الجديد على أن تقوم فى هذه الولايات برلمانات مستقلة كل الاستقلال فى عملها ، لها ما لغيرها من البرلمانات من سلطة ، إلا أن حاكم المقاطعة (الرئيس الأعلى لهذه الدولة الصغيرة) قد أكسبه الدستور حقوقا يستطيع أن يباشرها دون رغبة البرلمان ويقول البريطانيون فى ذلك إن هذا الحق قد كفل للحاكم العام ليستطيع به عند الاقتضاء أن يحافظ على صوالح الأقليات الدينية فى المقاطعة التى يحكمها . وتبلغ مساحة هذا النوع أكثر من ثلثى مساحة الهند . وقد قسم الى ١٥ مقاطعة ، منها ١١ كبيرة تنطبق عليها النظم البرلمانية كاملة ، و ٤ أقل أهمية من هذه ، ولذلك وضعت لها أنظمة برلمانية خاصة .

وفيما يلى بيان بالمقاطعات الهامة مرتبة وفق مساحتها :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المقاطعة	ميلا مربعا	المقاطعة	ميلا مربعا
برما	٤٩٢ ر ٢٣٢	بحار واوريسا	٧٠٢ ر ١١١
بومباى	٦٧٣ ر ١٥١	بنجاب	٠٢٠ ر ١٠٥
مدراس	٨٧٠ ر ١٤٣	بنغال	٩٥٥ ر ٨٢
بلوخستان	٦٣٨ ر ١٣٤	آسام	٣٣٤ ر ٦٧
الولايات الوسطى وبرار	٠٩٥ ر ١٣١	مقاطعة الحدود الشمالية الغربية	٣٥٦ ر ٣٦
الولايات المتحدة	١٩١ ر ١١٢		

وحال هذه الأقسام الادارية دائمة التغير وفقا لمقتضيات الظروف ، من ذلك :

١ — نص الدستور الجديد على أن تستقل برما عن الهند ويعين لها نائب عن الملك .

٢ — قسمت بومباى فى العام الماضى مقاطعتين : بومباى ، والسند . ولكل منهما حاكم .

٣ — اعترف باقليم برار لحضرة صاحب السمو العالى نظام حيدراباد وتديره الحكومة البريطانية بالنيابة عنه لقاء دخل سنوى ثابت تدفعه الحكومة البريطانية لسمو النظام .

المجموعة الثانية : ولايات قد نزلت الحكومة البريطانية عن حكمها لأمراء شبه مستقلين ، ونظمت صلاتها بهؤلاء على أحد الوجهين الآتيين :

أولا : أمراء يستمدون سلطتهم من نائب الملك رأسا ، وعددهم ٣٣ أميرا ، ومن أهم إماراتهم :

(ا) ولايات يحكمها أمراء من المسلمين :

١ — حيدر اباد ، ومساحتها ٨٣ ألف ميل مربع ، وعدد سكانها ١٤ مليون ونصف مليون من الأنفس ، وتبلغ ايرادات الحكومة فيها حوالى ٨ كورور أى ٦ مليون جنيه مصرى تقريبا .

٢ — بهاول بور ، وتبلغ مساحتها ١٦ ألف ميل مربع ، وعدد سكانها ٩٨٥ ألف نفس . وتبلغ إيرادات الحكومة فيها ٤٥ لاك أى ثلث مليون جنيه مصرى تقريبا .

٣ — بهوبال ، وتبلغ مساحتها سبعة آلاف ميل مربع ، وعدد سكانها ٧٣٠ ألف نفس ، وايرادات الحكومة فيها ٨٠ لاك أى ٦٠٠ ألف جنيه مصرى تقريبا .

٤ — رامبورر ، وتبلغ مساحتها ٨٩٠ ميلا فقط ، وعدد سكانها ٤٦٠ ألف نفس ، وايرادات الحكومة فيها ٤٩ لاك أى ٣٦٧ ألف جنيه مصرى تقريبا .

(ب) ولايات يحكمها أمراء من غير المسلمين :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الولاية	مساحتها بالميل	عدد سكانها	دخل الحكومة لاك (١)	كورور
ميسور	٢٩ر٥٠٠	٦ر٥٥٨ر٠٠٠	٣	٤٥
ترافانكور	٧ر٦٠٠	٥ر٠٠٠ر٠٠٠	٢	٤٤
كشمير	٨٦ر٠٠٠	٣ر٦٤٥ر٠٠٠	٢	٢٣
جوايلور	٢٦ر٠٠٠	٣ر٥٠٠ر٠٠٠	٢	٤٢
جيبور	١٥ر٥٠٠	٢ر٦٣٠ر٠٠٠	١	٢٠
بارودا	٨ر٠٠٠	٢ر٤٤٥ر٠٠٠	٢	٦٠
جودبور	٣٥ر٠٠٠	٢ر١٢٥ر٠٠٠	١	٤٢
باتيالا	٦ر٠٠٠	١ر٦٢٥ر٠٠٠	١	٤٥
ريوا	١٣ر٠٠٠	١ر٥٩٠ر٠٠٠	—	٦٠
يودايبور	١٢ر٠٠٠	١ر٥٧٠ر٠٠٠	—	٦٧
اندور	١٠ر٠٠٠	١ر٣٣٠ر٠٠٠	١	٢٤
كوشين	١ر٤٠٠	١ر٢٠٠ر٠٠٠	—	٩٠
كولهابور	٣ر٠٠٠	٩٦٠ر٠٠٠	—	٧٧
بيكانير	٢٣ر٠٠٠	٩٤٠ر٠٠٠	١	٢١
كوتا	٥ر٠٠٠	٦٨٥ر٠٠٠	—	٥٢

ثانيا : ويلي ذلك مئات من الامارات أقل من هذه شأنا يستمد معظم أمرائها سلطتهم من الحاكم العام للمقاطعة المتاخمة . ويتمتع أمراء هذه الولايات بسلطة أوتوقراطية ، وقد يركن البعض منهم الى استشارة شعبه بين آن وآخر ، عن طريق مجلس يعينه الأمير يسمى مجلس الشورى .

لغات الهند :

لما كانت الهند بلادا مترامية الأطراف متعددة الأجناس ، فقد وجب أن تكون كذلك متعددة اللغات ، إلا أن اللغات في الهند قد تعددت تعددا لا مثيل له في أي بلد آخر على وجه المعمور ، وذلك لأسباب اجتماعية سنوردها في الفصول المقبلة .

وتنقسم اللغات الوطنية في الهند الى ست مجاميع تتفرع من كل مجموعة عدة لغات :

١ — لغات الملاي — وعددها ١٢ لغة ، ويتكلمها ٧٥٠ر٠٠٠ نفس من السكان ، يقطنون برما وآسام وجزائر نيكوبار .

(١) اللاك يساوي ١٠٠ ألف روبية والكورور يساوي ١٠٠ لاك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٢ — لغات المندا ـ وعددها ٧ لغات ، ويتكلمها ٤٦٠٠٠٠٠ر٤ نفس فى آسام و بنغال و بحار .

٣ — لغات التبت — برما — وعددها ١٢٨ لغة ، ويتكلمها ١٢٩٩٠٠٠٠ر١٢ نفس فى آسام وبرما وبنغال .

٤ — لغات صينية الأصل ـ وعددها ٢٨ لغة ، ويتكلمها ٢٠٠٠ر٣٧٠ر٢ نفس فى برما وآسام .

٥ — اللغات الدرافيدية — وعددها ١٤ لغة ، ومن أهمها :

التأميل	ويتكلمها	٠٠٠ر٤٠٠ر٣٠	فى مدراس وميسور .
الملايام	ويتكلمها	٠٠٠ر١٥٠ر٩	فى مدراس .
الكنارى	ويتكلمها	٠٠٠ر٢٠٠ر١١	فى بومباى وميسور ومدراس وحيدر اباد .
التليجو	ويتكلمها	٠٠٠ر٣٧٠ر٢٦	فى مدراس وحيدر اباد وميسور .

٦ — اللغات الأوربية الهندية — وعددها ٢٧ لغة ، ومن أهمها :

ثمان لغات فارسية الأصل	ويتكلمها	٠٠٠ر٧٩٠ر٣	فى مقاطعة الحدود و بلوخستان وكشمير .
لغات السندى	«	٠٠٠ر٧٣٠ر٣	فى السند .
لغتان : بنجابى ولندا	«	٠٠٠ر٦٦٠ر٢٤	فى بنجاب وكشمير والحدود والسند .
لغتان : ماراتى وكونسكانى	«	٠٠٠ر٣٦٠ر٢١	فى بومباى والولايات الوسطى وبرار وحيدر اباد .
ثلاث لغات هندوستانية (اردو)	«	٠٠٠ر٢٥٠ر١٢١	فى الولايات المتحدة والولايات الوسطى والهند الوسطى وبنجاب وراجبوتانا .
لغة أوريا	«	٠٠٠ر١٩٠ر١١	فى أوريسا ومدراس .
لغة بنغالى	«	٠٠٠ر٥٠٠ر٥٣	فى البنغال وآسام .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ولما كانت لغات الهند متعددة حتى فى الاقليم الواحد حيث يلجأ أهل الديانة الواحدة الى لغة واحدة ، فى حين يلجأ أهل ديانة أخرى الى لغة أخرى ، فقد لزم أن يكون التعليم — الذى تديره حكومة الهند (البريطانية) — بلغة متحدة بين القوم . لذلك لجأت الحكومة الى فرض اللغة الانجليزية كوسيلة لتلقى العلوم بالمدارس الثانوية والعالية والجامعات ، كما أصبحت تلك اللغة رسمية فى المكاتبات الحكومية وغيرها ، وهى لغة التجارة أيضا ، ثم هى لغة التحدث بين المثقفين اذا ما اختلفت لغاتهم الأصلية . لكل أولئك انتشرت اللغة الانجليزية فى الهند ، وخاصة فى المدن الكبرى وعلى الأخص بين البيئات المثقفة ، انتشارا عظيما .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومما تحسن الاشارة اليه هنا أن لغات الهند المختلفة قد اقتبست على مر السنين من اللغة الانجليزية بحيث أصبحت نسبتها فى لغة الاوردو مثلا لا تقل عن ١٠ ٪

كما تحسن الاشارة كذلك الى أن لغة الاوردو هذه، وهى اللغة التى يتكلمها عامة المسلمين فى الهند الشمالية على الأخص، كانت فى الأصل لغة الفاتحين المسلمين الذين انحدروا الى الهند من الشمال . ولذلك كان فيها كثير من اللغات الأجنبية بحيث قيل لنا إن بها من اللغة الفارسية ما لا يقل عن ٣٥ ٪ ومن اللغة العربية ما لا يقل عن ٣٠ ٪

اما اللغة العربية فانها تدرس فى الجامعات كلغة جامعية (أكاديمية) لنيل الاجازات العليا فى الآداب، على نحو ما تدرس اللغتان القديمتان اليونانية واللاتينية فى جامعات أوربا . مثلها فى ذلك مثل اللغة الفارسية فى الهند . ويعنى كثير من الطلبة المسلمين الذين يتقدمون لنيل إجازات الآداب (بكالوريوس وماجستير وحقوق والدكتوراه) بدراسة اللغة العربية أو الفارسية للتقدم للامتحان . على أن كثيرا منهم قد عنى باللغة العربية باعتبارها لغة القرءان الكريم والحديث الشريف . كما عنى البعض باللغة الفارسية استقصاء للأدب الفارسى، وله فى الهند مكانة عظمى بين كبار المثقفين، إلا أن المجال لا يزال واسعا أمام الأمم التى تتكلم اللغة العربية كمصر وبلاد العرب لنشر اللغة العربية ببلاد الهند نشرا يبعثها من سباتها العميق، ويثير فى نفوس إخواننا الهنديين الرغبة فى دراستها كلغة كلامية فضلا عن كونها لغة جامعية (أكاديمية) . وقد شاهدنا من عامة المثقفين فى الهند رغبة أكيدة فى تعلم اللغة العربية على وجهها الذى تدرس به الآن فى مصر، ولكن تعوزهم الوسائل، التى سنفرد بابا لبحثها فى هذا التقرير .

ديانات الهند :

كما أن الهند أخلاط من الشعوب واللغات، فانها كذلك أخلاط من الأديان . والدين فى الهند محور أساسى للتقسيم الاجتماعى . وليس أدل على ذلك من أن الديانتين السائدتين فى الهند، وهما الهندوسية والاسلام، تختلفان اختلافا جوهريا فى معظم شئون الحياة، مما حفز الحكومة الى فصل معتنقى هاتين الديانتين فى كثير من الشئون الاجتماعية . ولنضرب لذلك مثلا ما كنا نشاهده فى كل محطة من محطات سكة الحديد وهو وجود موردين للماء أحدهما للمسلمين وثانيهما للهندوس، ومقصفين أحدهما للمسلمين وثانيهما للهندوس، فضلا عن مقصف ثالث للجميع لا يتردد عليه عادة إلا السائحون والموظفون البريطانيون فى أثناء تنقلاتهم .

ولذلك آثرنا الكلام على ديانات الهند قبل الحال الاجتماعية :

تتكون الكثرة الدينية فى الهند من الهندوس، إذ يبلغ عددهم ١٨٩ مليونا من الأنفس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بنسبة ٥٤ ٪ من السكان . يضاف اليهم من الناحية السياسية ٥٠ مليونا من المنبوذين بنسبة ٥ ر ١٤ ٪ فتكون نسبتهم مجتمعين ٥ ر ٦٨ ٪ وهم منتشرون فى كافة أنحاء الهند ، ويكونون السواد الأعظم من سكانها .

أما المسلمون فيبلغ عددهم ٧٨ مليونا بنسبة ٥ ر ٢٢ ٪ من السكان ، وهم بذلك يكونون قلة فى الهند ، إلا أن نسبتهم تزيد عن النصف فى الولايات الشمالية ، فيكونون بذلك كثرة قد تكون غامرة فى بعض الأقاليم ، فى حين تتضاءل نسبتهم كثيرا فى الجنوب بحيث لا يكونون إلا قلة ضئيلة .

وفيما يلى بيان بنسبة المسلمين فى ولايات الهند المختلفة مرتبة وفق ارتفاع النسبة المئوية للمسلمين :

مقاطعة الحدود الشمالية الغربية	٨ ر ٩١ ٪	أجمير ومرووار	٣ ر ١٧ ٪
بلوخستان	٤ ر ٨٧ ٪	الولايات المتحدة	٨ ر ١٤ ٪
البنجاب	٥ ر ٥٦ ٪	بحار واوريسا	٣ ر ١١ ٪
البنغال	٨ ر ٥٤ ٪	كرج	٤ ر ٨ ٪
دلهى (المقاطعة)	٥ ر ٣٢ ٪	مدراس	٠ ر ٧ ٪
آسام	٠ ر ٣٢ ٪	الولايات الوسطى وبراج	٤ ر ٤ ٪
جزر اندمان ونيكوبار بخليج بنغاله	٨ ر ٢٢ ٪	برما	٠ ر ٤ ٪
بومباى (بما فى ذلك السند)	٤ ر ٢٠ ٪		

أما إمارات الهند فقد أخذت — فى الاحصاءات — كمجموعة ، ونسبة المسلمين فيها مجتمعة ٥ ر ١٣ ٪ إلا أن الامارات الشمالية تكثر فيها نسبة المسلمين كما تكثر فى الولايات ، فمنها كشمير ونسبة المسلمين فيها ٧٧ ٪ .

وقد لمت نظرنا الاختلاف الكبير فى نسبة المسلمين المئوية بين إقليم وآخر ، ودلت دراستنا فى ذلك على أن الاسلام لم ينتشر فى الهند مع الفتوحات ، بل إن ملوك المسلمين لم ينصرفوا الى نشر الدين الاسلامى بين الهندوس والبوذيين وغيرهم عملا بحرية الدين التى جرى عليها الاسلام . ومن عجب أن سمعنا من بعض زعماء المسلمين فى الهند أن الاسلام قد انتشر فى الأقاليم التى لم تخضع لحكم المسلمين المباشر بأسرع مما انتشر فى الأقاليم التى خضعت لذلك الحكم ، مما يدل على أن الاسلام قد انساب الى القلوب فى رفق ولين لا إكراه فيه على الاطلاق .

ويتحدث المسلمون فى الهند على أحسن الوسائل للانتفاع بكثرتهم النسبية فى الأقاليم الشمالية ، ومن خيرة المتحدثين على ذلك السير محمد إقبال ، فهو يقول بضرورة تأسيس مملكة باكستان ، وهى مملكة ستتألف من بنجاب وكشمير ومقاطعة الحدود وبلوخستان حيث

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تعيد للاسلام مجده فى تلك البلاد . كما يتحدث كذلك بامكان تبادل السكان بين مملكة باكستان وبقية ممالك الهند ، فيهاجر الهنديون المسلمون من المقاطعات التى يكونون فيها قلة الى تلك المملكة الجديدة لقاء أن يهاجر منها الهندوس وغيرهم الى المقاطعات الأخر . ويؤمن كثير من قادة الفكر بالهند بما يراه السير محمد اقبال .

أما بقية الديانات بالهند فتكون قلة ضئيلة نلخصها فيما يلى :

البوذيون	٣ر٧ ٪	المسيحيون	١ر٨ ٪
الديانات القبلية	٢ر٥ ٪	السيخ	١ر٢ ٪

وقبل أن ننتقل من بحث الديانات ، يجدر بنا أن نذكر أن النسبة المئوية لهذه الديانات لم تكن كذلك فى الماضى ، بل طرأ عليها تعديل يذكر فى خلال الخمسين السنة الأخيرة . ويدل الاختلاف فى نسبة تزايد السكان فى كل بيئة من هذه البيئات الدينية على ذلك . فقد كانت نسبة تكاثر الهندوس ٢٧ ٪ فى خلال الخمسين السنة الماضية . فى حين كانت نسبة تكاثر المسلمين ٥٥ ٪

ويعزو الاحصائيون زيادة النسبة بين المسلمين عنها بين الهندوس الى عاملين هما :

أولا — تعدد الزوجات وجواز زواج الأرامل فى الاسلام ، فى حين أن الديانة الهندوسية تمنع تعدد الزوجات وتحرم زواج الأرملة ، بل إن الأرملة كانت الى عهد قريب تحرق بعد وفاة زوجها ، فجاءت الحكومة البريطانية ومنعت هذه العادة ، ولكن ظلت الأرملة قصية لا يجوز زواجها . وتدل الاحصاءات الرسمية على أن نسبة الترمل بين الهندوس تبلغ ٣ر١٦ ٪ من مجموع النساء ، فى حين تبلغ هذه النسبة ٨ر١٢ ٪ فقط بين المسلمات ، على أن تقارب النسبة بين الفريقين يعلل بعدم ميل المسلمين بالهند الى تعديد الزوجات جريا على التقاليد القديمة لتلك البلاد . وثمة ظاهرة مهمة يجب تسجيلها فى هذا المقام ، هى أن النسبة المئوية للأرامل بين سنى ١٥ و ٥٠ هى ١٩ ٪ بين الهندوس ، يقابلها ١٤ ٪ فقط بين المسلمين .

ومن الظواهر الاجتماعية فى الهند زواج القاصرات . وقد بلغ عدد المطلقات منهن ٥٥ فى الألف بين الهندوس ، يقابلها ٣٨ فى الألف بين المسلمات .

ثانيا — اهتمام المسلمين بتبليغ الدين الاسلامى بين معتنقى الديانات الأخر .

أما نسبة التكاثر بين أهل الديانات الأخر فلا يلفت النظر منها إلا نسبة التكاثر بين المسيحيين ، فقد بلغت خلال الخمسين السنة الأخيرة ٢٣٨ ٪ وهى نسبة لا يبررها إلا نشاط جمعيات التبشير المسيحية المنتشرة فى كل مكان من الهند ، والتى تعمل ليل نهار على تحويل الهنود (وخاصة المنبوذين) إلى الديانة المسيحية . (يتبع)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التربية على طريقة دالتن :

نحن من هذا الكتاب بصدد انقلاب ذريع فى نظم التربية ، ومن حسن الحظ أننا أصبحنا نأنس بالانقلابات الفكرية لما ثبت أنها الطريق الوحيد للترقى من حال الى حال فى كل مجال من مجالات النشاط العلمى والعملى .

فى أمريكا معلمة تدعى مس هيلين باركهرست ، ابتكرت طريقة فى التربية تدابر الطريقة القديمة ، وقد نشرتها فى رسالة لقيت رواجا عظيما ، وصادفت قبولا حسنا . ونحن نأتى على أساس هذه الطريقة التى تقول السيدة إنها اقتبستها من فقرتين فى كتاب بناء العقل تأليف (ادجار جيمس سويف) وهما قوله :

« إن الطريقة المعقولة هى أن نعمل مع الطلاب ، فنبعث فيهم التشوف الى أن ينقبوا عن الأشياء بأنفسهم ، وأن يضموا ما يصلون إليه من المعلومات بعضه الى بعض ، ليناقش ويوضح فى الدرس . اما الطريقة التلقينية ، فهى طريقة القرون الوسطى . وهى ما برحت تسيطر على مدارسنا الى اليوم ، مع أن الظروف التى هيأت منها النفع قدم عهدها منذ أمد بعيد . والخطوة الأولى فى سبيل الخلاص منها هى ان يوسع المدرسون أفقهم العقلى . وعليهم بعد ذلك أن يدرسوا صفات تلاميذهم ، فتصبح قاعة الدرس معملا للتربية ، ولا يقتصر النشاط على دروس الاشغال اليدوية . إننا لم نضع بعد أثر البيئة فى التربية موضعه اللائق به . فالمعلم يريد أن يسم تفكير التلميذ بميسمه ولكن الغايات التى يبتغيها المربى يجدها تعقد الحياة البشرية . فالطفل الذى لا تروق صفاته معلمه قد يحمل فى أطوائه بذور رجل يقصر دونه أفق ذلك المعلم العقلى »

وهذه هى الفقرة الثانية :

« إن التجارب فى التربية حتى اليوم مشتتة ، قليلة الاتصال بعضها ببعض ، فالأشخاص القلائل الذين قاموا بها كانوا مثقلين بأعباء أعمال اخرى تستغرق جل يومهم فجعلتهم لايفرغون لها ، أولا يجدون فى أنفسهم من الطاقة ما يعينهم على تدبر الدقائق وفحص النتائج ومتابعتها بروح النقد . فكم من حالة دفعتهم فيها الحاجة الوقت بهم الى أن يتركوا التجربة قبل استكمالها ، لأنهم لم يقدروا خطر العمل الذى يقومون به . وقد كانت التربية الى الآن مشغولة بماضيها ، فانكفأ المدرسون على (بستالوزى) و (فرويل) و (هربارت) ، وصدفوا عن التطلع الى شىء جديد . واستتبع ذلك أن وقفت التربية موقف الدفاع عن نفسها ضد تهمة الابهام ، والجرى وراء خيالات وعواطف ، وعدم الكفاية لحاجات الحياة بوجه خاص . والحق أن قانون القصد فى الطاقة يصدق فى التربية صدقه فى علم الميكانيكا . فاذا كانت الكفاية — ويقصد بها نسبة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشغل النافع الى الطاقة المبذولة فى إنتاجه — تزيدبزيادة القوة وضعف المقاومة ، فان جهود المدرسين قد حبست على بذل القوة فحسب » .

هاتان الفقرتان من كتاب ادجار جيمس سويفت هدتا السيدة هيلين باركهرست الى وضع طريقتها فى التربية ، ووضعت فيها هذه الرسالة القيمة التى عنى بترجمتها زكريا افندى ميخاييل خريج معهد التربية ترجمة صحيحة بينة . فان كنا نثنى على المؤلفة وجب أن نثنى أيضا على المترجم الهمام ، فانه أهدى معاهد التربية باثر قيم إن لم يكن يبلغ أن يحدث فيه انقلابا ذريعا فيعاون على تأسيسه على قواعد أكثر متانة مما كان له منها الى اليوم .

دائرة معارف القرن العشرين :

كانت الاشتراكات قد وقفت فى هذا الكتاب بسبب نقص بعض مجلداته . وقد لاحت الفرصة اليوم لاعادة طبعها . فمن كان يريد الاشتراك فليبادر بارسال عنوانه لنرسل له كل شهر نصف مجلد محولا عليه بثمنه ١٥٠ مليما العنوان : (محمد فريد وجدى بوستة السيدة) .

النحو الحديث :

لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ احمد كامل الخضرى المدرس بمعهد دمياط اتجاه كريم نحو تجديد الكتب العلمية القديمة ووضعها فى عبارة يفهمها المعاصرون ، وطبعها على نحو الكتب الحديثة بحيث يرتاح لمطالعتها المطالعون . فقد سبق له أن وضع كتاب كفاية الأخيار لتقى الدين أبى بكر بن محمد الحصنى فى صورة عصرية استوعبت كل مافيه من الفوائد بعبارات جزلة ، وترتيب موفق ، فجاء كأنه من الكتب الحديثة التى يألف مطالعتها المحدثون وماهو إلا كتاب مضت عليه عدة قرون .

وقد أتحف المطبوعات العربية بسفر جديد فى علم النحو سلك فيه المسلك الذى توخاه فى تجديد كتاب الكفاية . فعمد الى كتاب جليل القيمة من المؤلفات النحوية وهو كتاب قطر الندى لامام النحو ابن هشام فصاغه صياغة جديدة جمع فيها كل ما فيه من فوائد وميزات ، ولكنه أبرزه فى معرض عصرى يسهل على الكافة الاطلاع عليه والاستفادة منه .

وإننا إزاء هذه الجهود الجبارة التى يبذلها هذا الاستاذ الالمعى فى تجديد كتب الأقدمين لا يسعنا إلا التنويه بفضله والاشادة بذكره ، راجين أن يحذو جميع من يقومون بتدريس تراث الأولين حذوه ، فان أثر ذلك يكون عملا ضخما تبتنى عليه أكبر نهضة علمية عرفها الشرق .

الآداب الاسلامية :

هذا كتاب وضعه الاستاذ الجليل السيد على فكرى الأمين السابق لدار الكتب المصرية متابعا بذلك سلسلة كتبه النفيسة التى وضعها فى التربية والأخلاق والأدب .

موضوع الكتاب : جمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الداعية الى الآداب والأخلاق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وشرحها شرحا موجزا مع بيان الحكمة البالغة فيها ، والغاية السامية المقصودة منها . فجاء كتابه حافلا بما يود كل إنسان أن يراه مجتمعا لديه فى كتاب .

ولا ننسى أن للاستاذ النابه فكرى أسلوبا فى التأليف يستهوى القارئ ويجذبه للمطالعة ، وكتب الآداب تكون عادة مملة ولكن ما يكتب على أسلوب هذا الكتاب منها يكون داعيا للمطالعة ، ومحببا الى العمل بما فيها .

وقد طبع هذا الكتاب بمكتبة عيسى الحلبى الكتبى المشهور طبعا أنيقا زاد جمال الموضوع رونقا .

ارشاد البشر الى حقيقة القضاء والقدر :

هذا اسم رسالة تقع فى اثنتين وعشرين صفحة وضعها صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم محمد عبد الباقى من علماء الأزهر ، يعالج فيها مسألة القضاء والقدر ، وهى المسألة التى شغلت العلماء قديما وحديثا ، وقد سلك الاستاذ فى رسالته طريقا وسطا بين المذاهب كلها محاولا أن يعتمد على البرهان العقلى والنقلى فى كل مايقرره .

فهذه الرسالة التى تقرأ فى مجلس واحد قد جمعت من آراء القدماء والآيات الدالة على حرية الارادة ، وعلى عدم منافاة ذلك للقضاء والقدر ، مايحب كل إنسان أن يراه ماثلا أمامه . فنشكر فضيلته على هذه الهدية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

any of you hath performed his wudû', he may go to sleep in a state of ritual impurity."

أحدُكُمْ فَلْيَرْقُدْ وَهُوَ جُنُبٌ »

Chapter 27.

— ٢٧ —

On a man in a state of ritual impurity through sexual intercourse first performing the wudû' and then going to sleep.

بابُ الجُنُبِ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَنَامُ:

1. We are informed by Yahyâ b. Bukair, who received it from Al-Laith, through ᶜUbaidullâh b. Abu Jaᶜfar, through Muhammad b. ᶜAbdu-Rahmân, through ᶜUrwah, through ᶜAᶜishah, who said :

١ — حدثنا يحي بن بُكير قال حدثنا الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة قالت :

"When the Prophet (Allâh bless him and give him peace) wished to go to sleep when in a state of ritual impurity, he used to wash his parts and then perform the wudu', as for prayer."

« كانَ النبيُّ صلى الله عليهِ وسلم إذَا أرادَ أنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنُبٌ غَسَلَ فَرْجَهُ وتوَضَّأَ للصَّلاةِ » .

2. We are informed by Mûsa b. Ismâᶜil, who had it from Juwairiyah, through Nâfiᶜ, through ᶜAbdullâh, who said :

٢ — حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا جُوَيْرِيَةُ عن نافع عن عبد الله قال:

" ᶜUmar asked the Prophet for his ruling as to whether any of them might go to sleep in a state of ritual impurity. He replied : "Yes, when he hath performed the wudûᶜ ".

« استَفْتَى عُمَرُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم : أيَنَامُ أحَدُنَا وَهُوَ جُنُبٌ ؟ قالَ : نَعَمْ إذَا توَضَّأَ » .

3. We are informed by ᶜAbdullâh b. Yûsuf who had it from Mâlik, through ᶜAbdullâh b. Dinâr, through ᶜAbdullâh b. ᶜUmar who said :

٣ — حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أنَّهُ قال :

" ᶜUmar b. Al-Khattâb mentioned to the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) that his son "Abdullâh was *sometimes* in a state of ritual impurity through sexual intercourse during the night. The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) said to ᶜAbdullâh : "Perform the wudûᶜ, and wash thy member, and then go to sleep."

« ذكر عُمَرُ بنُ الخطّاب لرسول الله صلى اللهُ عليه وسلم أنهُ تُصِيبُهُ الجنَابَةُ مِنَ الليْلِ . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : توَضأْ واغْسِلْ ذَكَرَكَ ثُمَّ نَمْ » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

"Once the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) met me when I was in a state of impurity. He took me by the hand and I walked with him until he sat down. I then stole away from him, went home and performed my ghusl. After that I returned and found him still sitting. He said : "Where hast thou been Abu Hurairah ?" When I told him he exclaimed : "Good gracious, Abu Hurairah ! A true believer can never defile by his contact."

«لَقِيَنِي رسولُ اللهِ صلى اللهِ عليه وسلم وأَنَا جُنُبٌ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى قَعَدَ فَانْسَلَلْتُ مِنْهُ فَأَتَيْتُ الرَّحْلَ فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ جِئْتُ وَهُوَ قَاعِدٌ فقال: أَيْنَ كُنْتَ يا أَبَا هِرٍّ؟ فقلتُ له، فقال: سُبْحَانَ اللهِ يا أَبَا هِرٍّ! إِنَّ المُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ»

Chapter 25.

— ٢٥ —

On the lawfulness of a man in a state of ritual impurity being in his house when he hath performed the wudû' before the ghusl.

بابُ كَيْنُونَةِ الجُنُبِ فِي البَيْتِ إذا تَوَضَّأَ قَبْلَ أَنْ يَغْتَسِلَ :

We are informed by Abu Nu'aim, who had it form Hishâm and Shaibân, through Yahyâ, through Abu Salamah, who said :

حدثنا أبو نُعيم قال حدثنا هشام وشيبان عن يحي عن أبي سلمة قال :

" I once asked 'A'ishah whether the Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to go to sleep in a state of ritual impurity, and she replied : "Yes, but he performed his wudû' *first*."

« سَأَلْتُ عائشةَ : أَكَانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَرْقُدُ وَهُوَ جُنُبٌ؟ قالت : نَعَمْ وَيَتَوَضَّأُ »

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

Chapter 26.

— ٢٦ —

On a man going to sleep in a state of ritual impurity through sexual intercourse.

بابُ نَوْمِ الجُنُبِ :

We are informed by Qutaibah, who had it from Al-Laith, through Nâfi', through Ibn 'Umar that :

حدثنا قتيبة قال حدثنا الليثُ عن نافع عن ابن عمر :

'Umar Ibn Al-Khattâb asked the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) whether any of them could go to sleep in a state of ritual impurity. He replied ; "Yes, when

«أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ سَأَلَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : أَيَرْقُدُ أَحَدُنَا وَهُوَ جُنُبٌ؟ قال : نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يَا أبَا هرَيْرَةَ ؟ قالَ : كُنْتُ جُنُباً فكَرِهْتُ أنْ أجَالِسَكَ وَأنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ ، فقالَ : سُبْحَانَ اللهِ ! إنَّ المُسْلِمَ لا ينْجُسُ » .

intercourse. "I eluded him", said Abu Hurairah, "and went and performed my ghusl. *When I returned*, he came up to me and said: "Where hast thou been, Abu Hurairah?" "I was in a state of impurity", replied I, "so I was loth to go and sit in thy company in my state of impurity." "Good gracious!" exclaimed the Prophet, "A Muslim can never defile by his contact. (1)".

— ٢٤ —

باب : الجُنبُ يَخرُجُ وَيَمْشي فى السُّوقِ وغيرِه .

وقالَ عَطَاءٌ : يَحْتَجِمُ الجُنبُ وَيقَلِّمُ أظْفَارَهُ وَيحلقُ رَأسَهُ ، وإنْ لَمْ يَتَوَضَّأْ :

Chapter 24.

A man in a state of ritual impurity through sexual intercourse may go out and walk about the market or elsewhere;

and ʿAtâʾ stated: "A man in a state of impurity may be wet-cupped, or pare his nails or have his head shaved, even though he have not performed a ritual ablution.

١ — حدثنا عبدُ الأعلى بن حماد قال حدثنا يزيد بن زُرَيع قال حدثنا سعيد عن قتادة أن أنس بن مالك حدثه :

1. We are informed by ʿAbdul-Aʿlâ b. Hammâd, who had it from Yazîd b. Zuraiʿ, who received it from Saʿîd, through Qatâdah, to whom it was related by Anas b. Mâlik that:

«أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ يطوفُ عَلى نِسَائه فى اللَّيلةِ الوَاحدَةِ وَلَهُ يومَئِذٍ تِسعُ نِسوَةٍ » .

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to visit his wives in turn in the course of one night, there being nine of them at that time.

٢ — حدثنا عياشٌ قال حدثنا عبد الأعلى حدثنا حميد عن بكر عن أبى رافع عن أبى هريرة قال :

2. We are informed by ʿAyyâsh, who had it from ʿAbdu-l-Aʿlâ, who received it from Humaid, through Bakr, through Abu Râfiʿ, through Abu Hurairah, who said:

---

1. Muslim doctors hold that this doctrine is true also of non-Muslims, and is borne out by the fact that it is lawful for Muslims to marry Christian women and Jewesses, and intercourse with them has no more implications than that with Muslim women.

The Qurʾanic words (انما المشركون نجس = Idolaters are surely unclean) are held to refer to their deeds and not their bodies.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

This hadîth is confirmed by Abu ᶜAwânah and Ibn Fudail, as fellow-witnesses with Sufyân, as regards "screening."

تابَعَهُ أبو عَوَانَةَ وابنُ فضيل في « السترِ ».

Chapter 22.

On a woman having an erotic dream.

We are informed by ᶜAbdullâh b. Yûsuf, who had it from Mâlik, through Hishâm b. ᶜUrwah, through his father, through Zainab bint Abu Salamah, through Umm Salamah the Mother of the Faithful, who said :

"Umm Sulaim the wife of Abu Talhah once came to the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) and said : 'O Messenger of Allâh, verily Allâh is not ashamed of the truth. Is a ghusl incumbent upon a woman if she have had an erotic dream? 'yes', replied the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace), 'if she have observed the substance ejaculated' ٧.

— ٢٢ —

بابُ : اذا احتَلَمَتِ المَرأةُ :

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة أمِّ المؤمنين أنَّها قالتْ :

« جَاءَتْ أمُّ سلَيْم امرَأةُ أبي طَلْحَةَ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَالتْ : يارسولَ الله إنَّ الله لا يَسْتَحي منَ الحَقِّ : هَلْ عَلَى المرأة منْ غسْلٍ إذَا هِيَ احتَلَمَتْ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ إذَا رَأتِ الماءَ ».

Chapter 23.

On the perspiration of one in a state of ritual impurity through sexual intercourse ;

and on the fact that a Muslim cannot defile by his contact.

We are informed by ᶜAli b. ᶜAbdullâh, who had it from Yahyâ, who received it form Humaid, who was told it by Bakr, through Abu Râfiᶜ, through Abu Hurairah that :

The Prophet (Allâh bless him and give him peace) once met him (Abu Hurairah) in a certain street of Al-Madînah, while he was in a state of ritual impurity through sexual

— ٢٣ —

بابُ : عَرَق الجُنُب
وأنَّ المُسلمَ لاَ يَنْجُسُ :

حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا يحي قال حدثنا حميد قال حدثنا بكر عن أبي رافع عن أبي هريرة:

«أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لَقِيَهُ في بَعْضِ طُرُقِ المدينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ، فانخَنَسْتُ منْهُ ، فذهبَ فاغْتَسَلَ ، ثُم جَاءَ فقَالَ : أيْنَ كُنْتُ

who said : "While Job was performing his ablutions in a state of nudity etc."

« بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا » .

Chapter 2I.

— ٢١ —

On concealing oneself during the ghusl in the presence of other people.

بابُ : التَّسَتُّرِ فِي الغُسْلِ عِنْدَ النَّاسِ :

1. We are informed by ᶜAbdullâh b. Maslamah, through Mâlik, through Abu-n-Nadr the freedman of ᶜUmar b. ᶜUbaidullâh who had it from Abu Murrah the freedman of Umm Hâni' bint Abu Tâlib that he heard her say :

١ — حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أن أبا مرة مولى أم هانىء بنت أبي طالب أخبره أنه سمع أم هانىء بنت أبي طالب تقول :

"When I went to the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) in the year of the capture of Makkah, I found him performing the ghusl as Fâtimah was screening him. He said : "Who is this woman ?" And I replied : "It is I, Umm Hâni'."

« ذَهَبْتُ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَامَ الفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ فقال : مَنْ هَذِهِ ؟ فقلت : أنا أُمُّ هَانِىءٍ » .

2. We are informed by ᶜAbdân, who had it form ᶜAbdullâh, who received it from Sufyân through Al-Aᶜmash, through Sâlim b. Abu-L-Jaᶜd, through Kuraib, through Ibn ᶜAbbas, through Maimûnah, who said :

٢ — حدثنا عبدانُ قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا سفيان عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس عن ميمونة قالت :

"I once screened the Pophet (Allâh bless him and give him peace) while he was performing the ghusl required after sexual intercourse. He first washed his hands, then poured water with his right hand over his left, and washed his member and any part sullied. After that he rubbed his hand on the wall or the ground and performed his wudû' as for prayer, excepting his feet. Next he let the water flow over his body, and finally shifting his place he washed his feet."

« سَتَرْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهُوَ يَغْتَسِلُ مِنَ الجَنَابَةِ ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ ثُمَّ صَبَّ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَغَسَلَ فَرْجَهُ وَمَا أَصَابَهُ ، ثم مَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى الحَائِطِ أو الأَرْضِ ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ غَيْرَ رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى جَسَدِهِ المَاءَ ، ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

perform their ablutions naked in sight of one another, though Moses used to do so alone. So they said : 'By Allâh, the only thing that hindereth Moses from performing his ablutions together with us is that he is afflicted with varicocele. It happened once that when Moses went to perform his ablutions, he placed his garment upon a stone. The stone ran away with his garment, and Moses ran after it saying : 'Stone! my garment'. When the Children of Israel looked at Moses, they said: 'By Allâh, Moses hath no infirmity.' Moses recovered his garment and proceeded to beat the stone severely."

Abu Hurairah added : "By Allâh, his blows on the stone left six or seven scars."

2. It is also related through Abu Hurairah (1) from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said :

"While Job was performing his ablutions in a state of nudity, there settled upon him locusts of gold. When Job began to gather them in his garment, the Lord called unto him : 'Job ! Have I not given thee enough to dispense thee form what thou seest ?' 'Yes, verily, by Thy majesty,' replied Job. 'But I shall never be able to dispense with Thy blessing.' (2).

This hadîth is also related by Ibrâhîm, through Mûsa b. 'Uqbah, through Safwân, through 'Atâ' b.Yasâr, through Abu Hurairah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace),

عُرَاةً يَنظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَكَانَ مُوسَى يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ، فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ فَخَرَجَ مُوسَى فِي أَثَرِهِ يَقُولُ: ثَوْبِي يَاحَجَرُ، حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى فَقَالُوا: وَاللهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ. وَأَخَذَ ثَوْبَهُ، فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْباً».

فقال أبو هريرة: والله إنَّهُ لَنَدَبٌ بالحَجَرِ سِتَّةٌ أو سَبْعَةٌ ضَرْباً بالحَجَرِ

٢ — وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

« بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِن ذَهَبٍ فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ ».

ورواه ابراهيم عن موسى بن عقبة عن صفوان عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

1. With the isnâd of the previous hadîth.
2. Job was censured by God for being attracted by gold, and not for his nakedness, whence it follows that the performing of ablutions naked is permissible.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

cloth, but he did not take it, and went away shaking off the water from his hands.

فَلَمْ يَأْخُذْهُ فَانْطَلَقَ وَهُوَ يَنْفُضُ يَدَيْهِ » .

Chapter 19.

— ١٩ —

On one who beginneth with the right side of his head in the ghusl.

بابُ : مَنْ بَدَأَ بِشِقِّ رَأْسِهِ الأَيْمَنِ فى الغُسْلِ :

We are informed by Khallâd b. Yahyâ, who had it form Ibrâhîm b. Nâfi[c], through Al-Hasan b. Muslim, through Safiyyah bint Shaibah, through [c]A[s] ishah, who said :

حدثنا خلاد بن يحى قال حدثنا ابراهيم بن نافع عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة عن عائشة قالت :

"Whenever any one of us was ritually defiled through sexual intercourse, she used to take three handfuls of water *and pour them* over her head, after which she *likewise* washed her right side with one hand and the left with the other."

« كنا إذا أصابتْ إحدانا جَنَابَة أخذتْ بيديها ثلاثاً فوقَ رأسِها ثُمّ تأخُذُ بيدِها على شقِّها الأيمنِ وبيدِها الأخرى على شقِّها الأيسرِ »

Chapter 20.

— ٢٠ —

In the Name of Allâh the All-Loving the Most Merciful.

بسم الله الرحمن الرحيم

On one who performed the ghusl naked, apart in solitude, and on one who covered himself up. To cover oneself up is preferable;

بابُ : مَن اغتسلَ عُرْيَاناً وحدَهُ فى الخَلْوَةِ ، وَمَنْ تَسَتَّرَ فالتَّسَتُّرُ أفضلُ .

and on Bahz having stated through his father, through his grandfather, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace); "Allâh is more worthy of modesty being observed before Him than any man."

وقالَ بَهْزٌ عن أبيهِ عنْ جدهِ عن النبي صلى الله عليه وسلم « اللهُ أحقُّ أنْ يُستَحيَا منهُ مِنَ النَّاسِ » :

1. We are informed by Ishâq b. Nasr, who had it form [c]Abdu-r-Razzâq, through Ma[c] mar, through Hammâm b. Munabbih, through Abu Hurairah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace), who said :

حدثنا اسحاق بن نصر قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

"The Children of Israel used to

« كانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

AL-AZHAR REVIEW
PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, CAIRO.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للأستاذ ابراهيم حسن الموجى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

BY

I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

The Book of GHUSL
(CONTINUED)

Chapter 18.

On shaking off the water with the hands, after the ghusl required by the state of ritual uncleanness through sexual intercourse.

We are informed by ʿAbdân, who had it from Abu Hamzah, who heard it from Al-Aʿmash, through Sâlim, through Kuraib, through Ibn ʿAbbâs, who stated that Maimûnah said :

"I set ghusl-water before the Prophet (Allâh bless him and give him peace) and covered his head with a garment. He poured water over his hand which he washed, and pouring water with his right hand over his left he washed his parts. Then striking the ground with his hand he rubbed it and washed it, rinsed his mouth, cleansed his nostrils, washed his face and arms, and poured water over his head. Next he let the water flow over his body, and shifting his place he finally washed his feet. I handed him a

كتاب الغسل (تابع ماقبله)

— ١٨ —

باب : نَفْضِ اليَدَيْنِ مِنَ الغُسْلِ عَنِ الجَنَابَةِ :

حدثنا عَبْدانُ قال أخبرنا أبو حمزة قال سمعت الأعمش عن سالم عن كريب عن ابن عباس قال قالت ميمونة :

« وَضَعْتُ للنبيّ صلى الله عليه وسلم غُسْلاً فَسَتَرْتُهُ بِثَوْبٍ وَصَبَّ على يَدَيْهِ فَغَسَلَهُمَا ثُمَّ صَبَّ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَغَسَلَ فَرْجَهُ فَضَرَبَ بِيَدِهِ الأَرْضَ فَمَسَحَهَا ثم غَسَلَهَا فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَغَسَلَ وَجْهَهُ وذِرَاعَيْهِ ثُمَّ صَبَّ عَلَى رَأْسِهِ ، وَأَفَاضَ عَلَى جَسَدِهِ ، ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ فَنَاوَلْتُهُ ثَوْباً

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

[redacted]

مجلة

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر

في كل شهر عربي

الجزء السادس	جمادى الآخرة سنة ١٣٥٦	المجلد الثامن

مدير ادارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدي

الادارة

ميدان الأزهر

تلفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراك

	قرش
داخل القطر المصرى	٣٠
خارج القطر المصرى	٤٠
للطلبة غير المدرسين وائمة المساجد والمأذونين ومعلمى المدارس الاولية والطلاب ومصالح الحكومة ومجالس المديريات ... ... — داخل القطر	٢٠
الطلاب وائمة المساجد ... ... — خارج القطر	٣٠

ثمن الجزء الواحد ٣ قروش صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة الازهر

١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

فهرس

الجزء السادس — المجلد الثامن

الموضوع	بقلم	صفحة
الروح الاسلامية ومدى تأثيرها فى النفس البشرية	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٣٨٥
تفسير سورة لقمان...	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٣٩٠
مهر الزواج	« « عبدالرحمن الجزيرى	٣٩٤
مشكلة التوحيد	« « يوسف الدجوى	٤٠٠
رد شبهات على القرآن الكريم	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٤٠٤
الأنصار...	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	٤٢٢
الاخلاق الفلسفية...	حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب	٤٢٦
اختلاط الجنسين	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الأسمر	٤٣٠
الرضاع — فتوى...	لجنة الفتوى	٤٣٥
محمد صلى الله عليه وسلم	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٤٣٦
تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى ...	قلم الترجمة	٤٤٠
تقرير بعثة الهند	... ...	٤٤٤

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مسلمو الهند

يهدون حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام وساما

إن الاعمال الجليلة التى قام بها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر لمصلحة العلم والاسلام ، فى المدة القصيرة التى مضت منذ توليه المشيخة ، قد ترامت أنباؤها الى العالم الاسلامى من أدناه الى أقصاه ، حتى لم يبق قطر من أقطاره إلا وناله حظ يناسبه من الاصلاحات التى تمت على يدى هذا المصلح الكبير فى مصر .

إذا كان الله قد قدر لمصر أن تكون مثابة للاسلام وعلومه منذ أجيال ، بسبب وجود الجامعة الازهرية بها ، فان مكانتها من هذه الناحية ستزداد لفتا لأنظار المسلمين فى بقاع الأرض كافة على نسبة نهضتها الدينية والعلمية الراهنة ، ويكون البحث فى وسائل تحقيق ظن الشعوب الاسلامية فيها من الأمور التى يجب أن تستوعب تفكير الذين يهمهم أن تبقى لمصر هذه الميزة .

فكان من فضل تقدير الله أن يكون على رأس الازهر فى هذه الآونة ، التى تشخص فيها أبصار الجماعات الاسلامية الى مصر ، رجل تمثلت فيه العبقرية الدينية فى أكمل مظاهرها ، فقد جمع الأستاذ الامام الى غزارة العلم قديمه وحديثه ، إلماما واسعا بأحوال الجماعات وعوامل نهوضها ، وعلل تدهورها ، ومعرفة تامة بأساليب علاجها ، وطرق تنبيهها ، وخصائص نفسية عالية من الحلم والتبصر والتواضع وضبط النفس ، وهى أخص صفات الذين خلقوا ليكونوا قادة للجماهير .

وإذا كانت مثل هذه النفسية الثرية فى الصفات الجليلة حاجة كل إدارة يرجى لها التطور والتكمل والوصول الى الغاية المنشودة لها ، فان الجامعة الأزهرية أحوج ما تكون اليها ، لأن عليها مع العمل للحاضر ، أن ترأب صدوعا تخلفت من العهود الماضية ، وأن تسد ثغرات بقيت آمادا طويلة فى بنائها تنافى الحياة الصحيحة ، بل تؤدى الى الانهيار المحقق .

وليس يعزب عن ذاكرة الناس الأحوال المضطربة التى دعى فضيلة الأستاذ الأكبر ليتولى المشيخة فيها . فلا أقول إن هذه الأحوال كانت تكفى لتثبيط أعلى الهمم عن مواجهتها بما يرضى النواحى المتعاكسة ، بل كانت تقضى عليها بالفشل من أول صدمة ، ولكنها العبقرية التى يتحلى بها الأستاذ الامام هى التى وفقت لوجدان حل لكل عقدة ، ومعول لكل عقبة ، وعلاج لكل علة ، وتصريف لكل مفاجأة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإذا كان العالم الاسلامى كله قد اغتبط وثلج صدره مما ترامى اليه من أخبار الاصلاحات فى الأزهر ، فان خطب الأستاذ الامام فى الظروف المختلفة قد شخصت بتوسع العلل التى انتابت المسلمين فى جميع بقاع الأرض ، وكانت سببا فى تقصيرهم عن متابعة خطى أسلافهم فى التقدم العلمى والعملى ، وإفادة مجموع الانسانية بثمرات جهودهم فى المجالات الحيوية المختلفة ، ووصفت العلاجات الحاسمة لمادة هذه الأمراض العضالة . فتلقى العالم الاسلامى هذه الوصايا الجليلة بما تستحقه من الاكبار والاجلال ، وكان لها فى جماعاته كلها أعمق تأثير . وأصبحت مصر ، عن جدارة ، صاحبة الولايه الدينية على جميع المسلمين فى جميع بقاع المعمور .

فلا غرو بعد هذا كله أن تعرب له تلك الجماعات عما تكنه قلوب آحادها له من الحب الصميم والتقدير العظيم ، وقد تبينا ذلك من الكتب التى ترد لفضيلته تترى فى كل بريد .

وقد رأت الجمعية الاسلامية الهندية المسماة (إسلام سيفاسماج) أن تظهر لفضيلة الأستاذ الامام هذا الشعور بمثال محسوس ، فآثرت أن تخصه فى هذه السنة بالوسام التى جعلته وقفا على من يقوم للاسلام بعمل عظيم .

وقد أذاعت هذه الجمعية نبذة من تاريخ فضيلته جاء فيها :

« إن فضيلته قام بخدم جليلة لمصلحة الاسلام أعظمها قيمة الاصلاحات القيمة التى أدخلها على الجامعة الأزهرية الكبيرة البعيدة العهد بالوجود . فانه سن لها مناهج تعليمية توخى فيها الأوضاع الحديثة ، وشرع فى ترجمة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة الى جميع اللغات الحية فى العالم . وأوفد بعوثا دينية الى جميع الأقطار لنشر تعاليم الاسلام ، وللدفاع عنه ضد الذين يشوهون تعاليمه من المستشرقين ، وقد بذل جهودا مشكورة لتحسين حال المسلمين فى تلك الأقطار .

« وفوق هذا كله فقد أرسل فضيلته خطابا الى مؤتمر الأديان الدولى حث فيه على وجوب مكافحة الالحاد الذى ينتشر اليوم فى العالم انتشار النار فى الحطب .

« وقد ألف لجنة من العلماء للقيام بحملة ضد البدع والخرافات الذائعة ، وأهاب بالحكومة لابطال العادات التى تخالف الآداب العامة مما شاع بين طبقات الشعوب .

« وجدد فضيلته نظام الوعظ والمحاضرات فى جميع المساجد والمحلات العامة فجعلها أعم فوائد.

« أما جهوده فى سبيل القضاء على سوء التفاهم بين الفرق الاسلامية المختلفة ، والسعى لتوثيق عرى الوفاق والوحدة بينها لتوفير سعادة المجتمع برمته ، فهى جديرة بتقدير العالم الاسلامى كله وبشكره .

« فنبتهل الى الله أن يمنحه القوة ليزداد مضيا فى خدمة الاسلام، ونطلب اليه تعالى أن يحبوه برعايته فى الدنيا والآخرة » انتهى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا وقد أعلنت هـذه الجمعية « أن مجلس إدارتها قد قرر فى هـذه السنة منح وسامها الذهبى لشخصية من الشخصيات الاسلامية البارزة ، من التى تـكون قد قامت بعمل مجيد وخدمة نافعة للمسلمين ، فتمنحها هذا الوسام اعترافا بفضلها ، وقياما بواجب تقديرها .

« ولما كانت هذه الجمعية قد أهـدت فى السنوات الماضية وسامها الذهبى الى كل من حضرة صاحب السمو نظام حيدر آباد لتأسيسه مسجدا المسلمين فى لندن وتقديرا لأياديه البيضاء فى المشاريع الاسلامية،والى حضرة صاحب السماحة أمين افندى الحسينى مفتى فلسطين لمحافظته على الأماكن الاسـلامية المقدسة ، والى حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر لخدمته الاسلام والمسلمين ، وجناب المرحوم جلال الدين برنتون لاعتناقه الاسلام ، وتأديته خدمات جليلة للانسانية ، فهى ترجو الآن أن يتفضل عليها القراء بترشيح الشخصية التى يرون فيها استحقاقا لهذا الوسام ، بأن يبعثوا بمعلومات وافية عنها ، مصحوبة بصورته الفوتوغرافية ، وأن يصل الرد الى مجلس الادارة قبل يوم ٢٩ شعبان سنة ١٣٥٦ . وسيكون أول يوم عيـد الفطر المبارك موعـدا لاعلان النتيجة وإرسال الوسام مع تلغراف التهنئة .

بحث فى مسألة التاج

زار أحد محررى جريدة المصرى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى ، لسؤاله عن الحـكم الدينى فى وضع ملوك المسلمين التاج على رءوسهم ، لمناسبة مانشره حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون من مخالفة ذلك للتقاليد الاسلامية . وقد أجابه فضيلته بجواب جمع أحسن ما يقال عن التاج من الناحية الدينية والناحية التاريخية ، وقد رأينا أن نتحف قراءنا بهذه الفذلـكة الثمينة ، فهى من أجل مايدخر لفضيلته فى هذه المجلة. قال حفظه الله:

اعتاد الناس أن يصوغوا التاج من ذهب ، وأن يرصعوه بالجواهر . أما الجواهر فلا خلاف بين جمهور العلماء فى جواز استعمالها ولبسها حتى نقل بعضهم إجماع المسلمين على ذلك .

وأما الذهب فقد حرم جمهور العلماء لبسه ، وأجازه بعض العلماء . وقد كان الامام الشافعى فى مذهبه القديم يقول فيه بالجواز مع الـكراهة . والامام داود يقول فيه بالجواز . وكذلك بعض أصحاب الشافعى .

على أن مسألة الذهب فى التاج ليست ضرورية إن أريد التاج واستحسن . فقـد وجد معدن آخر أغلى منه وأنفس يمكن استعماله فى التاج ولم يوجد فيه خلاف معتبر عند الفقهاء .

فسأله المحرر : ما رأى فضيلتكم فى العادات الاسلامية والتقاليد ؟ فأجابه فضيلته :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إن سمو الأمير من علماء التاريخ ، ولا أشك فى أنه ذهب الى العصور الأولى من عصور الاسلام ، فانه لم يعرف استعماله عند العباسيين ولا عند الأمويين ، وإن كان قد عرف أن بعض الخلفاء العباسيين وضع جوهرة فى العمامة والعمائم تيجان العرب .

وإذا نحن ذهبنا الى الدولة الفاطمية فى مصر وجدنا الخلفاء فيها استعملوا التاج ، وكان لهم تاج ينعت بالشريف ، ويعرف بشدة الوقار ، وكان يلبسه الخلفاء فى المواكب العظام . وفيه جوهرة لا تقوّم بمال لنفاستها ، وحولها جواهر أخرى دونها ، وكان يلبس بدل العمامة .

هنا سأله المحرر : وماذا كان شعار الخلفاء فى غير الدولة الفاطمية ؟ فأجابه فضيلته :

كان شعارهم سرير الملك وقبة تضرب فوقه (وكانت أحيانا تسمى التاج) ، والخاتم والبردة والقضيب وثياب الخلافة .

ومن لطيف ما يروى فى ذلك أن الملك السعيد اسماعيل أحد ملوك بنى أيوب من اليمن كان به هوج ، فادعى أنه من بنى أمية ولبس ثياب الخلافة ، وكان طول الكم إذ ذاك عشرين شبرا .

ومما لاشبهة فيه أنه بعد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم استحدثت أمور كثيرة ، وقد كانت تزيد كلما زادت الحضارة ، حتى كان العرش يكلل بالذهب ، والغلمان حوله يقفون بمظلات ترفع على رماح فيها سلاسل من ذهب مرصعة بالزبرجد والياقوت .

وكان الخليفة أحيانا يتمنطق بوشاح أو منطقة مرصعة بالأحجار الكريمة ويضع فى عنقه قلادة من الذهب مرصعة بأحجار كريمة .

فسأل المحرر : هذا حال الخلفاء ، وماذا كان حال الملوك ؟ فأجابه فضيلته :

لبس ملوك الاسلام أطواق الذهب فى الأعناق ، وأسورة الذهب فى اليدين ، وقد كان خلفاء بغداد يرسلون الى ملوك مصر التشريف على أيدى الرسل وهو جبة أطلس أسود بطراز من ذهب ، وطوق من ذهب وسواران من ذهب وفرس بمركب من ذهب ، وعلم أسود يكتب عليه بالبياض اسم الخليفة .

وقد فعل هذا مع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأخيه العادل . وآخر من وصلت اليه الخلعة والطوق والتقليد من ملوك بنى أيوب ، الناصر يوسف بن العزيز بن السلطان صلاح الدين بن المستعصم سنة ٦٥٥ هجرية .

والخلاصة أن التاج لم يعرف فى الدولتين الأموية والعباسية ، وقد عرف فى الدولة الفاطمية فى مصر ، وأن شعار الخلافة لم يكن شيئا محدودا حدده شرع أو عرف ، وأن العادة لم تكن مطردة . انتهى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الروح الاسلامية ومدى تأثيرها

فى النفس البشرية

— ١٠ —

المقومات الاجتماعية

الاسلام آخر الاديان السماوية نزولا ، وكتابه خاتمة الوحى الالهى للانسانية ، وقد نص فيه على ذلك فى غير موطن منه ، وأثبت الزمان ذلك بعدم قيام دين بعده الى يومنا هذا . اللهم إلا مذاهب لبعض الأفراد ادعى أصحابهم أنهم رسل الله ، وبعضهم غلا فاعتبروا زعيمهم الخالق نفسه متجسدا . ولكن هذه المزاعم لم تصدقها الحوادث ، فلم تقم لتلك الأديان المزعومة قائمة ، ولو كانت من الله لبزت جميع الأديان فى الأتباع ، ولكانت لها دولة وصولة فى العالم ، ولم تكن على ما هى الآن ، وقد مضى على بعضها أكثر من قرن ولا تزال مجهولة لا يكاد يعرفها إلا عدد قليل فى كل نحلة .

بهذا الاعتبار جاء الاسلام حائزاً لمميزات الخواتيم ، وهى النهايات التى ليس وراءها مذهب ، سواء أكان ذلك فى المعتقدات والعبادات والمعاملات ، أم فى الأخلاق والآداب وروابط الاجتماع . وبما أننا اليوم بصدد المقومات الاجتماعية فاننا نبسط القول فيها تحت ضوء مقرراتها الرسمية ، فنقول :

كانت الروابط الاجتماعية قبل الاسلام لا تعدو دائرة القوميات ، فكان لكل قوم دعتهم الضرورة للحياة حياة مشتركة نعرة جنسية قائمة على المصلحة المادية دون سواها . فأفراد هؤلاء القوم كانوا يقبلون الاشتراك فى الحياة دفعا لعاديات جماعات أخرى ، وتعاونا على مبدأ تقسيم الأعمال ، والاستفادة من الميول المختلفة فى المحاولات المعيشية .

على هذا الأساس قامت جميع الربط الاجتماعية السابقة ، لم تشذ واحدة منها فتتطلب غرضا أسمى من المصلحة المادية ، وهو الى اليوم مدار الدعوة الرئيسية الى الالتفاف حول راية واحدة أو التوجه لغاية معينة . ولكن هل هذه النعرة القومية هى المثل الأعلى للدعوة الى الاجتماع ، والى التضامن فى الحياة ، والتساند فى تذليل ما يعترضها من عقبات ؟ اللهم لا ، واليك البيان :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأمم تتطلب اليوم إبطال الحروب لما ثبت لها أنها تصيب الغالب والمغلوب على السواء، بسبب دخول الحياة العالمية فى ترابط اقتصادى تام، فما يفسد هذا الترابط أو يحله تقع تبعته على جميع الأمم بلا استثناء. فقد انتصرت الأمم الأوربية على الألمان فى الميدان، ولكنها تحملت وإياها تبعات تلك الحرب الشعواء، فما من أمة منها إلا وقد اضطرب جثمانها، واختل توازنها، ورجعت فى بعض شئونها القهقرى عشرات من السنين. وإذا تلتها حرب أخرى فستكون نتائجها أعدى على كيانها من الحرب السابقة، وأشد إخلالا لتوازنها. ولذلك تجد الأمم تتجنب وقوع الحرب جهد طاقتها.

ولكن تجنب الحرب لا يكون بالتمنى، فهو يقتضى تحديد التسلح، وتكافل الأمم على حل مشاكلها بالتحاكم الى العدل لا الى السيف، واتفاقها على كل من يخالف ذلك بالتألب عليه وإلزامه حده بالقوة.

كل هذا لا يكفى فان الجوع كما قيل كافر، والأمم التى تنمو تحتاج لمادة جديدة لتقيت بها الزيادة فيها، وإلا طاشت الأحلام تحت تأثير الحاجات الملحة، وأحدثت ما لا تحمد عقباه من الاضطراب، والضمير البشرى أصبح لا يطيق أن يضغط على أمة ويضيق على خناقها لتموت تحت تأثير حاجة طبيعية لبعضهم منها أوفى نصيب، ومقدار يزيد عن حاجتها زيادة عظيمة.

من هنا نشأت فكرة توزيع المواد الأولية العالمية توزيعا عادلا بين الأمم حتى يعدم تطلعها للاستعمار، والعدوان على غيرها من الأمم. ولكن وصولها الى هذه النتيجة من العسر بمكان، فان شراهة المحرومين، وشح المستأثرين، تمنع من الوصول الى حل وسط.

ولكن الوصول الى هذا الحل أمر لا محيص منه، فان الترابط بين الأمم تشتد عراه يوما بعد يوم، وتداخل المصالح العالمية يزداد شيوعا على نسبة تقدم المدنية، والمدنية تيار جارف يطغى فى طريقه على كل عقبة.

ولسنا ننسى أنه الى جانب هذه العوامل الداعية الى التفاهم بين الشعوب، توجد عوامل أدبية أشد منها تأثيرا، منها ذيوع مبادئ الفلسفة بين الناس، وهى تصور الحروب البشرية تصويرا لا قبل للضمير البشرى بقبوله، وتلطف الشعور الانسانى الى حد النفور من كل عمل وحشى، وسقوط الأوهام التى كانت تبنى عليها مجادة الأمم من الانتصار فى الحروب، واستئصال شأفة الأعداء، أو تمزيقهم كل ممزق، وضعف التعصب للأديان الى درجة أنه أصبح يعتبر من مفسدات الشخصية البشرية. وفوق هذه العوامل كلها عامل ذيوع العلم بين الأفراد وقضائه على كل عقيدة باطلة بأدلة لا تحتمل النقض، وتجليته للناس العقائد الفطرية من وجود الخالق والروح والخلود والعالم الروحانى بحجج حسية تثلج عليها الصدور، ويشترك فى الخضوع لها الناس كافة.

من هنا يدرك كل من يتأمل فى أحوال الانسانية أنه لا بد، تحت تأثير جملة هذه العوامل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المتضافرة ، من توحد الانسانية فى المعتقدات الأولية ، وفى الآداب النفسية ، وفى ربط الاجتماع أيضا .

نعم إن بلوغ هذا الشأو يحتاج لوقت طويل ، ولكن الانسانية متجهة اليه ، ولا يتخيل شيء يصدها عنه ، إذا عرف أن ناموس الارتقاء طبيعى ، وأنه لا محيص من تأثيره . فالروابط الاجتماعية ستنقلب من المادية الباحتة ، التى تفضى الى التراحم والتنازع على العيش ، الى مادية وروحية فى آن واحد ، تفرض على الكافة حقوقا تتناسب وترابط مصالحهم ، وتداخل مرافقهم ، ووصولهم الى درجة من السمو الأدبى بحيث يستفظعون أن يعيش بعضهم بامتصاص دماء بعض .

فالاسلام الذى جاء بالمثل العليا فى جميع الشئون الانسانية ، جاء بالمثل الأعلى فى هذه الناحية أيضا ، فلم يدع الى اجتماع أساسه القومية ولا الجنسية ، ولم يعبأ بالأواصر اللغوية ولا التاريخية ، ولكنه تخطى تلك الاعتبارات الخاصة كلها ، ودعا الى المثل العليا للاجتماع الذى ستنتهى اليها الانسانية ، وهى الوحدة النوعية ، والأصول الأدبية ، والمبادئ الخلقية ، فجاء مجتمعه ذا صبغة عالمية عامة ، لا قومية خاصة . وأول أساس وضعه فى هذا الصرح الاجتماعى العالى قوله تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » . فأنت ترى أنه يدعو الناس كافة ولا يدعو قبيلة واحدة ، ولا أمة بعينها ، وقد جاءت جميع آياته داعية الى هذا المبدأ السامى مبدأ الوحدة الانسانية ، بصرف النظر عن جميع الفوارق من جنس ولغة ولون . وهو لأجل أن يوطد أركان هذه الوحدة ويجعلها حقيقة واقعة ، لا خيالا شعريا ، دعا الى الدين الجديد بأن يكون دينا عاما للانسانية ، وهو دين الفطرة الذى يتأدى اليه الانسان محفوزا بمقتضيات فطرته لا بتعليم معلم ، ولا بتوريث مورث ، فقال : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » . والفطرة تدعو الى الاعتقاد بخالق الكون ، وبالروح وبقائها فى عالم وراء هذا العالم ، وبترتب أحوالها هنالك على سيرتها فى هذا العالم ، وعلى حب الحق ، وكراهة الباطل ، وإيثار العدل ، ومكارم الأخلاق ، وإقامة دولة الفضيلة فى الأرض .

يقول قائل : كل دين يدعو الى هذا فأى مزية للاسلام عليها ؟ نقول : نعم ، والاسلام يقرر أنه ليس بدين جديد ، ولكنه الدين الأول الذى أوحاه الله الى أول أنبيائه ، فحرفه الناس وأخرجوه عن أصوله ، وتفرقوا فيه ، وذهب كل فريق بما تخيله منه ، ينابذ به سواه ويستحل دمه . فجاء الاسلام لتنبيه الناس الى هذا الخطأ البين ، والضلال البعيد . قال الله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويهدى اليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من بعـد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أورثوا الـكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب . فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بمـا أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولـكم أعمالـكم ، لاحجة بيننا وبينكم (أى لا محاجة ولا خصومة) الله يجمع بيننا واليه المصير » . « إن الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الـكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » .

فالاسلام كما ترى لا يتوجه للام بوصف أنه دين جديد ، ولـكن بوصف أنه دين الانسانية كلها ، وإنمـا أعيد الوحى به نقيا خالصا ليرفع الخلاف الذى أوجده قادة الأديان بغيا بينهم ، ففرقوا الناس أحزابا وشيعا ، كل حزب بمـا لديهم فرحون . قال تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء » .

فالاسلام يدعو لتوحيد دين الانسانية ، وهو الدين الذى فطر عليه الناس جميعا ، وهو إنمـا تعددت صوره بفعل الرؤساء الذين اقتضت أهواؤهم أن يستغلوا الخلاف بين الناس ، مواتاة لمطامعهم ، ومسايرة لمزاعمهم .

فالدين فى نظر الاسـلام كل لا يقبل التجزؤ ، ويشمل ما أوحاه الله الى الناس كافة ، واعتبار كل من أرسلهم اليهم فى جميع العصور والأجيال، قال الله تعالى : « إن الذين يكـفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الـكافرون حقا ، وأعتدنا للـكافرين عذابا مهينا » .

والاسلام لأجل أن يسد جميع المسارب على التضليلات التى يتذرع بها رؤساء الأديان لخدع الشعوب ، وتفريقهم وحمل بعضهم على معاداة بعض ، أقام العقـل حكما يرجع اليه فى التفرقة بين الحق والباطل ، وجعل الدليل وسيلة من وسائل الوصول إلى لباب المسائل المتنازع عليها . وزاد الاسلام على هذا ، القضاء على الاعتداد بالموروثات من العقائد والتقاليد ، وجعل كل إنسان مسئولا عن نفسه ، وخلى ما بينه وبين ربه باسقاط الوسطاء الذى انتحلوا لأنفسهم هذا الحق ، فى غفلة العقل ، وفى دور طفولة الانسانية .

فالأديان كما يقول المعترض تدعو كلها الى عقائد واحدة ، ولـكنها ملتاثة بشوائب الآراء البشرية ، ممـا لا مناص من التنابذ عليه ، ولـكن الاسلام يدعو الى تلك العقائد خالصة من شوائب الآراء ، فلا تجد الشعوب المختلفة مانعا يمنعها من الأخذ بها باعتبار أنها دين الانسانية جمعاء لا دين طائفة من الطوائف ، ولا أمة من الأمم . فدين الانسانية لا يجوز أن يكون حاملا طابعا من قومية ، ولا أثرا من عقلية ، ولا شائبة من حالة نفسية . بل أصولا أولية ، ومبادىء كلية ، وآدابا عالمية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذه الغاية سينتهي اليها العقل البشري حتما ، وإذ ذاك لا تجد الانسانية فى طريق وحدتها حائلا يمنعها منها ، وعند ذاك تكون الأحوال الاقتصادية العالمية قد استقرت على قرار مكين، وتكون العلوم قد بلغت شأوا تصلح معه أن تطهر النفوس من دنس الميول الساقطة ، وتخلص المدنية من آفاتها الموبقة ، فتقوم على سياسة رشيدة فى حكوماتها ، وأخوة صادقة بين جميع وحداتها ، وإذ ذاك يتحقق ما وعد الله به فى قوله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

فالاسلام بما شرعه من جعل أصول الاجتماع قائمة على الأصول الأدبية ، والمبادئ الخلقية والعقائد الفطرية ، قد وضع أساس مجتمع عالمى عام ستقوم عليه البشرية حين تبلغ رشدها ، وتعرف حدها . وقد جرى فى ذلك على سنته من الدعوة الى النهايات من كل الأمور، والاهابة الى الغايات فى جميع الشئون ؟

محمد فريد وجدي

مواطن الصنيعة

لا يستطيع الانسان أن يسع بمعروفه جميع الناس ، فاذا شرح الله صدره للبذل فليتحر أن يكون ذلك فى موضعه . لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تنفع الصنيعة إلا عند ذى حسب ودين » . وقال أيضا : « إذا أراد الله بعبد خيرا جعل صنائعه فى أهل الحفاظ » .

وقال حسان بن ثابت الشاعر الاسلامى المشهور :

إن الصنيعة لا تكون صنيعة … حتى يصاب بها طريق المصنع
فاذا صنعت صنيعة فاعمل بها … لله أو لذوى القرابة أودع

وقال حكيم : « على قدر المغارس يكون اجتناء الغارس » فأخذه الشاعر وقال :

لعمرك ما المعروف فى غير أهله … وفى أهله إلا كبعض الودائع
فمستودع ضاع الذى كان عنده … ومستودع ماعنده غير ضائع
وما الناس فى شكر الصنيعة عندهم … وفى كفرها إلا كبعض المزارع
فمزرعة طابت وأضعف نبتها … ومزرعة أكدت على كل زارع

وأحسن من هذا قول الشاعر :

من يفعل الخير لايعدم جوازيه … لا يذهب العرف بين الله والناس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة لقمان

— ٧ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ، وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) :

قد ابتدأ جل جلاله الوصايا التى أوصى بها لقمان ابنه بالنهى عن الشرك بالله ، وبيان أن الشرك ظلم عظيم . ولقمان هو الذى آتاه الله الحكمة ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا . ولا يخفى مقدار التنويه العظيم بشأن هذه الوصية المستفاد من بيان أن آتاه الله الحكمة ، وبيان أن الوصية صادرة منه لابنه ، والابن أعز المخلوقات على الأب ، فالوصية له أثمن وأغلى ما يملكه ويبذله المرء ، إذ كانت بذلا لأعز الخلق عليه . وبين أن هذه الوصية صدرت منه وهو يعظه ، وفى هذا تنويه جديد بشأنها ، فقد يوصى المرء شخصا فى أثناء حديث للتفكهة أو المداعبة أو السمر ، فلا يكون لها من جمع الذهن واختيار الأهم ما يكون لها وقد سيقت فى مقام الوعظ والارشاد .

ثم أردف حق الله عليه ، وهو ألا يشرك به شيئا ، حق أبويه ، إذ كانا الطريق الذى برز منه الموجود ، وكانا أعظم من تولى تنشئته وتربيته ، يقاسيان فى ذلك أمر الصعوبات ، ولا سيما أمه حملته وهنا على وهن ، وغذته من دمها ، فلم يتم فصاله إلا بعد عامين ، وفى هذا من تأكيد حقهما عليه ما لا يخفى ، وقد سبق تفسيره .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ثم استطرد من حقهما راجعا الى الحق الذى بدأ به ، وهو التحاشى عن الشرك مهما قويت دواعيه والداعى اليه ، فقال « وإن جاهداك على أن تشرك بى » الخ . فكأن الآية هكذا : هذا حق أبويك عليك يؤكده ربك ، ويشرح لك ما قاسياه فى سبيل تربيتك ، وما بذلا من راحة وضحيا من صحة فى سبيل هناءتك ، ولا سيما أمك ، ومع ذلك فاذا بذل كلاهما الجهد ليحملاك على الشرك ، وطال الجهاد بينك وبينهما فى ذلك ، فلا تطعهما ، إلا أن ذلك لا يمنعك أن تصاحبهما فى الدنيا بالمعروف ، وأن تكرمهما ما استطعت ، على ألا تخل بحق ربك عليك . أما هذا الحق المقدس فاتبع فيه سبيل من أناب الى ، ثم بعد ذلك سترجعون جميعا الى أنت ووالداك ومن أناب الى ومن زاغ عن سبيلى فستنبئون جميعا بما عملتم، يوم لا تغنى نفس عن نفس شيئا ، بل من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

والجهاد فى الأصل بذل كل من المتلاقيين جهده فى سبيل تحويل من يقابله عما هو عليه الى رأيه وموافقته . ولما كان فى المقاتلة فى سبيل الدين بذل أقصى الجهد فى سبيل تحقيق أنفس الأغراض وأنبلها وهو الدين الذى هو أساس كل سعادة ، غلب لفظ الجهاد على القتال فى سبيل الدين وإعلاء كلمة الله . ولما كان الغرض من الجهاد هو الحمل على أمر خاص ليحققه عدى بعلى كما يعدى (حمل) بعلى ، فقال : « جاهداك على أن تشرك » الخ

ولعلك تلمح فى التعبير بتشرك الاشارة الى ما فطرت عليه النفوس من الاذعان الى القوة القاهرة ، قوة مالك الملك ، قدرة خالق الخلق ، التى أشار اليها عز وجل فى قوله : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » فكأن الآية تدلنا على أن الاعتراف بالخالق القادر على كل شىء لا تقوى نفس على إنكاره ، وكل ما تتورط فيه النفوس الجاهلة هو الاغترار ببعض المظاهر الكاذبة ، فيقصر نظرها عن إدراك مكونها وخالقها ، فتنسب اليها بعض ما أجراه الله عن طريقها ، أو ما توهمته صادرا عنها ، فتشركها مع الله فى حقوق العبادة والتعظيم ، وتطلب منها ما لا يقدر عليه إلا القوى العزيز ، فقد تستنصر بما لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، وقد تطلب العون ممن ليس له من الأمر شىء .

وقوله « ما ليس لك به علم » عبر فيه بما التى هى لما لا يعقل : إما تهوينا لأمرها وإظهارا الى أنها فى هذا الباب سواء أعقلت أم لم تعقل هى بمثابة من لا عقل له ، وإن كان فى بعض المعبودات من يعقل كالملائكة وأفراد من الأناسى ، وإما لأن القصد فيه الى الوصف ، أى أن هذه المعبودات لم ينظر الى أنواعها أمن العقلاء أم من غيرهم ؟ وإنما القصد الى أنها تجتمع فى وصف شامل لها جميعا ، وهى أنها لم ينبئ عنها علم ، ولم تتكشف بها معرفة .

وقوله « فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى » : ترتيب فى الارشاد فى منتهى الحكمة والسداد ، فقد أمره أولا بتخليص نفسه من إغوائهما ، ثم حذره

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من أن يطغى فى مخالفته لهما الى حد إهانتهما أو إيذائهما أو الاضرار بهما إذا لم تكن المخالفة مقتضية لذلك حتما، ثم أرشده الى السبيل الذى يتبعه بعد أن خلصه من السبيل الذى يتجنبه .

وبعد أن استوفى هذا البيان وجه نظره الى ما ينتظره ، وهو هذا الموقف الخطير ، موقفهم بين يدى ربهم يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فقال : « ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون» . وكأن فى إنبائهم بما كانوا يعملون أبلغ أنواع الزجر، لأن ذلك سيعود به الى استقراء ماصدر منه ومحاسبة نفسه عليه ، حتى يبدأ هو بالحكم على نفسه بما تستحقه ، فلا يجد له مخلصا إلا بالتنحى عن الطريق المعوج وسلوك الصراط المستقيم . وغير خاف عليك ما يفيده لفظ « ثم » من أن الهول فيما يليها يستدعى إبعاد النظر فى التأمل والذكرى . على هذا النحو من تدبر آيات الذكر الحكيم ، بل التأمل فى كلماته ومفرداته ، تقرأ من أسرار التنزيل ما يملأ قلبك إيمانا بأنه تنزيل من حكيم حميد .

هذا وقد روى أن الآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص إذ أسلم وكان برا بأمه ، فقالت له : ياسعد ما هذا الذى أراك قد أحدثت ؟ لتدعن دينك هذا أولا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى فيقال يا قاتل أمه ! قلت لا تفعلى يا أمه فانى لا أدع دينى هذا لشىء ! فمكثت يوما وليلة لا تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوما وليلة لا تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا لشىء ، فان شئت فكلى وإن شئت فلا تأكلى ! فلما رأت ذلك أكلت . فنزلت الآية .

ويرى بعض المفسرين أن إسلامه كان على يد أبى بكر رضى الله عنه ، وفسر من أناب الى بأبى بكر ، قال : ولذا أرجع الضمير مفرداً ولم يقل من أنابوا الى . ولا أرى فى هذا دلالة ، فالآية مسوقة على العموم ، ونزولها فى سبب خاص لايوجب قصر معناها عليه . فالظاهر العموم ، وإفراد الضمير مراعاة للفظ من .

« يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير» :

هذا متصل بقوله : « فأنبئكم بما كنتم تعملون » ، وكأنه يقول: لا تغتروا بأنكم بين آبائكم تخالطونهم وتعاشرونهم ويعلم كل منكم ماعند صاحبه فتظنوا أن الله غائب عنكم فكيف ينبئكم ؟ فاعلموا أن الله محيط بكم وبذات صدوركم ، ومحيط بكل ما قل وجل ، لا تخفى عليه خافية ، فهو قمن أن ينبئكم بما كنتم تعملون . وسوقه بطريقة استئناف موعظة جديدة مبدوءة بخطابه لابنه لا يمنع مزيد اتصاله بما قبله ، فان أجزاء الكلام المتصلة أتم اتصال كثيرا ما يعمد الى إفرادها بالعناية تنبيها على أن لهـا من القيمة فى ذاتها ما يجعلها جديرة بالعمد اليها بالنظر والاتجاه اليها بالقصد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقوله : « إنها إن تك » ضمير إنها راجع الى الخصلة التي يعملها المرء ، كما هو ظاهر من السياق . وقيل إن الضمير راجع الى ما سأل عنه ابن لقمان إذ قال : أرأيت يا أبت لو كانت حبة صغيرة تقع فى مغاص البحر : أيعلمها الله ؟ فأجابه بهذا . والأول أظهر . وقيل إن الضمير للقصة كما تقول : إن المسألة بما فيها : إن تك مثقال حبة من خردل الخ . والأول أظهر وأقرب . وقد ذكرت عوامل الخفاء التى تتوهم كلها ، فأولا : الصغر المتناهى فى قوله « مثقال حبة من خردل » وهذا متعارف مثلا فى الصغر . وثانيا : الاحتجاب عن الأعين ، وذلك بقوله « فتكن فى صخرة » فان الصخرة بسبب كثافتها وعدم استطراقها للدق ونحوه بحيث يبين ما فى داخلها كالمعادن ، تعتبر من أكثف الحجب . وثالثا : فى بعد الأقطار واتساع المجاهل ، وهذا فى قوله : « أو فى السموات أو فى الأرض » أى ضلت فى تلك الأرجاء المتنائية ، فمهما يكن شىء من ذلك فانها لا تغيب عن علم الله « إن الله لطيف خبير » .

وقوله « يأت بها الله » أبلغ فى العلم والاحاطة من : يعلمها الله ، فان من يقدر على الاتيان بشىء يكون بالضرورة مهتديا اليه ، بخلاف من يعلمه فحسب ، فربما كان عاجزا عن الوصول اليه . ولعلهم من هنا يستعملون كثيرا لفظ يدرك مكان يعلم .

ووصفه جل شأنه باللطف مع وصفه بالخبرة ، إما أن يكونا راجعين الى صفة العلم ، ويكون معنى اللطف العلم بالدقائق والخفايا ، وهو ما يناسب « مثقال حبة » و « فى صخرة » ، ومعنى الخبرة الاحاطة بالمتشعبات الشاسعة ، وهو ما يناسب « أو فى السموات أو فى الأرض » . وإما أن يرجع الوصف باللطيف الى صفة القدرة ، والوصف بالخبير الى صفة العلم ، ويكون قوله : لطيف مناسبا ليأت بها الله . وفى الحق أن المعنيين يحضران فى الذهن عند تلاوة الآية الكريمة .

نسأل الله تعالى أن يحيطنا بلطفه ، ويمنحنا توفيقه ، إنه سميع الدعاء . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

ابراهيم الجبالى

الصديق الصدوق

قال على بن أبى طالب أمير المؤمنين : خير إخوانك من واساك ، وخير منه من كفاك .

وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول : اللهم إنى أعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتى إلا بموافقة شهوتى ، وممن ساعدنى على سرور ساعتى ، ولا يفكر فى حوادث غدى .

وقال الشاعر :

وكل أخ عند الهوينا ملاطف ... ولكنما الاخوان عند الشدائد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

مهر الزواج

عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج امرأة على وزن نواة . فرأى النبي صلى الله عليه وسلم بشاشة العرس ، فسأله ، فقال : إنى تزوجت امرأة على وزن نواة . وعن قتادة عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج امرأة على وزن نواة من ذهب . رواه البخارى فى كتاب النكاح .

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور : (١) بيان معناه (٢) بيان مشروعية المهر فى الشريعة الاسلامية وحكمة جعله منوطا بالرجل دون المرأة (٣) بيان حده الأدنى وحجة من يقول إنه لا حد لأقله (٤) بيان حكم المغالاة فى المهر خصوصا اذا ترتب عليها ضياع الكفء وأزمة الزواج .

١ — لهذا الحديث تكملة يتوقف عليها بيان معناه ، وقد رواها البخارى فى غير هذا المكان ، وإنما لم نذكرها لأنها لا يتعلق لنا بها غرض فيما نحن بصدده . وحاصل معنى ما رواه أن عبد الرحمن بن عوف كان من بين المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم بمكة ، وفروا بدينهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة بعد أن لاقوا من صنوف الاضطهاد ما لا يطيقه إلا المؤمنون حقا . فقد كان المشركون يتفننون فى إيذائهم مستعينين عليهم بكثرتهم وقوتهم ، فلم يكن لهم مناص من مغادرة وطنهم وترك أموالهم وديارهم ، فرارا بدينهم ، وطلبا لما عساه أن يظفرهم بعدوهم بعد . فلما قدموا المدينة نزلوا على الأنصار الذين آمنوا بالله وبرسوله وكانوا ينتظرونهم بفارغ الصبر ، فكان من الطبيعى فى هذه الحالة أن يمد لهم الأنصار يد المعونة عن سماحة نفس وطيب خاطر الى أن يشقوا لهم طريقا الى الحياة بحسب ما يتاح لهم ، فمن أجل ذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمهد لذلك بعقد إخاء بين المهاجرين والأنصار ، فجعل لكل مهاجر أخا من الأنصار يعمل معه فى شئون الحياة كما يعمل أخو النسب مع أخيه .

فكان نصيب عبد الرحمن بن عوف الاخاء مع سعد بن الربيع الأنصارى ، وكان سعد بن الربيع أكثر الأنصار مالا ، فانطلق به سعد الى منزله فدعا بطعام فأكلا ، ثم قال له : لى امرأتان وأنت أخى لا امرأة لك فأطلق لك ما تعجبك منهما فاذا انقضت عدتها تزوجتها ، وهلم الى حديقتى كى أقسمها نصفين بينى وبينك ، وعرض عليه أن يقاسمه كل ماله . فقال له عبد الرحمن بن عوف :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بارك الله لك فى أهلك ومالك ، وحلف أن لا يقبل منه شيئا من هذا ، ثم قال له : دلنى على السوق ، واقترض منه بضع دراهم فباع واشترى ، فربح ما به يمكنه أن يتخذ له زوجا ، فتزوج امرأة من الأنصار ، ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم بعد انقطاعه مدة ، فرأى النبى صلى الله عليه وسلم بشاشة العرس بادية على عبد الرحمن . ومن علامة ذلك أن العرب كانوا يصبغون بعض الثوب بالزعفر ، فيكون به أثر صفرة . ويقول بعض الأئمة : إن ذلك قد نهى عنه بعد ، فلا يجوز للرجل أن يتزعفر . وبعضهم يقول : إن الكراهة خاصة بما إذا كان فى البدن دون الثوب . فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم على هذه الحالة سأله : ماهذا ؟ فقال له : إنى تزوجت امرأة من الأنصار ، فقال له : كم أصدقتها ؟ فقال : وزن نواة من ذهب . فقال له صلى الله عليه وسلم : أولم ولو بشاة . هذا معنى الحديث . وأظن أن الذى يتأمله تمتلىء نفسه بعظمة أصحاب الرسول صلوات الله عليه ، ويوقن بأن الله قد اصطفى لحمل هذا الدين رجالا أصفياء لايزحزحهم عن إيمانهم مظهر من مظاهر الحياة الدنيا ، ولا تؤثر عليهم زخارفها ، فلا يضنون ببذل ما يضن به البشر عادة من مال ولذات متى كان لله ورسوله فى ذلك رضا . فلينظر القارىء الى هذين الرجلين العظيمين : عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع ، فانه يجد فيهما معنى الانسانية الصحيحة ، ويعرف قدر عظماء الرجال حقا ، ويدرك ما يفعله الايمان الصحيح بنفوس المؤمنين .

فهذا عبد الرحمن بن عوف وكان من أكثر أهل مكة مالا وعزا (حتى قدر ماخص نساءه من تركته بأربعمائة ألف دينار ، وهو ثمنها فقط) : قد ترك هذا المال وهذا العز ورضى أن يكون فى زمرة العمال البؤساء الذين يبيعون الزبد واللبن كى يحصل على قوته الضرورى إيثارا لرضاء الله عز وجل لأنه مؤمن به حقا ، ومؤمن باليوم الآخر الذى لا يفنى نعيمه حقا ، ومؤمن بأن الدنيا لا قيمة لها بجانب رضوان الله عز وجل حقا . ولما عرض عليه سعد أن يشاطره ماله أبت نفسه الكريمة أن يقبل هذه المكرمة الواسعة مع كونه فى أشد الحاجة اليها ، ولو أن شخصا غير عبد الرحمن ألف العز والثروة عرض عليه شىء كهذا الذى عرضه سعد ، لوجد له مبررا لقبول بعضه على الأقل دفعا للحاجة ، ولو مؤقتا . ولكن نفس عبد الرحمن الكبيرة التى لم تبال بالثروة الطائلة والمال الوفير فى سبيل مرضاة ربه ، وقهر شهوته فى ميدان العمل النافع ، أبت أن تنتهز فرصة أريحية رجل جواد وتشاطره ماله ، بل أبت أن تنال منه ما له قيمة يتأثر بها ولو قليلا . ثم أراد فوق ذلك أن يضرب للمؤمنين بنفسه المثل الكامل فى التضحية ونكران الذات من أجل العقيدة ، فنزل السوق بائعا صغيرا وعاملا يسعى للحصول على قوته ، بصرف النظر عما كان عليه من مال وجاه ما دام ذلك لازما لدينه وعقيدته .

وهذا سعد بن الربيع : بعثه إيمانه الصحيح الى أن يذهب فى أخوة عبد الرحمن بن عوف الى أبعد مما يعمله الأخ الشقيق البار مع أخيه ، فقد أدى به طلب مرضاة الله ورسوله الى رفع الغيرة الطبيعية عن نفسه ، وعرض عليه أن ينزل له عمن تعجبه من زوجتيه ، أليس معنى هذا أن الايمان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قد سما بهؤلاء البررة فأخرجهم عن مقتضى اللذات والشهوات الجسمانية ، وجعل لذاتهم منحصرة فى كل ما يرضى ربهم ورسوله ؟

ثم من ذا الذى ترضى نفسه أن يشاطر أجنبيا لم يعرفه ثروته الواسعة ، ويلح عليه فى قبولها عن رضا قلب وطيب نفس ؟ إنه كان يعرض عليه نصف ماله وأهله ولم يكن له طمع فى جاه أو منصب ، أو مغنم من مغانم الحياة الدنيا ، بل كان يعتبر ذلك العرض أهون التضحيات التى يقتضيها الدفاع عن الدين والرسول حتى الموت ، فما الذى بعثه على ذلك سوى إيمانه الصحيح بأن ذلك يرضى الله العلى القدير الذى أعد للمؤمنين مالاعين رأت ولا أذن سمعت من نعيم خالد لا يفنى ؟ ذلك كان حال المؤمنين الذين رأوا الرسول وأشرقت أنفسهم بنور نبوته ، فتأدبوا بآدابه ، وتخلقوا بأخلاقه ، فكانوا أهلا للظفر الذى نالوه ، والمكانة التى أحرزوها ، وأصبحوا بين عشية وضحاها أئمة الهدى وسادة العالم ، فهم قدوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ويقول إنى من المسلمين .

٢ — وبعد : فيؤخذ من صريح الحديث أن عبد الرحمن بن عوف لما قال للرسول إنى تزوجت ، سأله عن الصداق ، لأن الصداق واجب على الرجل للمرأة ، وليس مع عبد الرحمن مال ، فأجابه بأنه ربح من البيع والشراء زنة نواة من الذهب ، وأنه يستطيع الانفاق من ربحه ، فأمره الرسول بالوليمة المناسبة لحاله إعلانا للزواج . على أن هذا الحديث ليس صريحا فى فرض الصداق للنساء على الرجال ، بل قد فرضه الله تعالى بقوله « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » فصدقاتهن بضم الدال معناه مهورهن ، ومعنى نحلة عطية خالصة ، لا فى مقابلة شىء من لذة أو جهاز أو غير ذلك . فهذه الآية صريحة فى أن الصداق واجب على الرجل للمرأة من غير أن يتطلع الى مقابل لذلك الصداق . وقد أجمع المسلمون على ذلك .

أما حكمة اختصاص الرجل بالمهر دون المرأة فى الاسلام ، فهى أن الدين الاسلامى قد جعل لكل من الرجل والمرأة وظيفة فى هذه الحياة ، فلا يصح لأحدهما أن يتعدى وظيفته إلا عند الضرورة التى لا بد منها . فوظيفة المرأة فى نظر الشريعة الاسلامية هى أن تكون أميرة على منزلها تقوم بتدبيره حسبما يتاح لها فى هذه الحياة ، وأن تكون قائمة على تربية أبنائها وبناتها الصغار تربية صحيحة ، فلا تترك فضيلة من الفضائل إلا عودتهم عليها ، ولا تترك رذيلة من الرذائل إلا حذرتهم عنها . فليس من شأن المرأة أن تمشى فى الأسواق لتبيع أو تشترى ، وليس من شأنها أن تقوم بتكاليف الحياة والانفاق على الشئون المنزلية ، وإنما ذلك من اختصاص الرجل وحده ، فهو المسئول عن مشاغل الحياة ومتاعبها ، وعليه وحده أن يصارع الأهوال ويقارع الخطوب ، ويركب الصعب من الأمور عند الحاجة حتى يكفل لزوجه ونسله ما يقوم بأودهم ويسد حاجاتهم بحسب ما تهيىء له الظروف والأحوال . فلكل واحد من الزوجين عمل خاص فى هذه الحياة يناسب طبيعته التى فطره الله عليها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فاول واجب على الرجل للمرأة أن يقـوم بالانفاق عليها فى كل ما تحتاج اليـه من مطعم وملبس ومسكن بحسب حالها وحاله ، فأراد الشارع الحكيم أن يشعره بذلك الواجب من أول الأمر ، ففرض عليه المهر وجعله شرطا فى العقد بحيث لو اتفقا على العقد بدون مهر أصلا فانه لا يصح ، وبذلك يشعر الرجل بواجبه نحو المرأة من ضرورة الانفاق ، ويعلم أنه لا مناص له من إرضائها وتطييب خاطرها بالبـذل والانفاق بحسب حاله وحالها ، كما يشعرها هى بميزة الرجل من هـذه الجهة ، وأنه مكلف بسلوك كل السبل التى توصل الى تحصيل المال اللازم للانفاق عليها وعلى ماعساه أن يولد لها من ذرية ، فضلا عن ذلك فان الرجل مكلف بمقاومة كل من يحاول العـدوان على عفافها وعرضها ، ومكلف بمقاومة كل ما من شأنه أن يضر المرأة أو يضر نسلها بكل ما يستطيع فى هذه الحياة . ومن أجل ذلك جعل الله الرجال قوامين على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض فى القوة والجلد والقدرة على مصارعة الأهوال ومنازلة الحدثان والانفاق . فهذه هى حكمة جعل الصداق مفروضا على الرجل دون المرأة .

٣ — أما قدر الصداق فلم يحفل الشارع ببيانه ، بل جعـله منوطا بحال الزوجين وقدرة الزوج ، لأنك قد عرفت أن غرض الشارع من فرضه هو تنبيه الزوج من أول الأمر الى ما يجب عليه من الانفاق ، وتنبيه الزوجة الى ما يجب لها من الحق على الرجل لتؤدى له حقـه الذى فرضه الله عليها من الطاعة وقصر نفسها عليه ، وهذا التنبيه يحصل بالقليل والـكثير . ولـكن الأئمة اختلفوا فى الحد الأدنى للمهر : فذهب أبو حنيفة ومالك الى ضرورة تحديده ، ولـكنهما اختلفا فى القدر : فقال أبو حنيفة : أقل الصداق عشرة دراهم . والدرهم يساوى بالعملة المصرية الآن أربعة قروش صاغا تقريبا ، فيكون أقل الصداق عنده أربعين قرشا صاغا .

وقال المالـكية : إن أقل الصداق ثلاثة دراهم . وقال الحنابلة والشافعية : إنه لا حد لأقل الصداق بل يكفى أن يبذل الزوج أى شىء له قيمة ولو ملء كفه برا أو أرزا . بل ذهب بعض الحنابلة الى أنه يكفى أن يعطيها أى شىء ولو تمرة ما دام الغرض تنبيه الزوج الى أنه المنفق . وقد استدل الحنفية بحديث « لا مهر أقل من عشرة دراهم » رواه ابن أبى حاتم باسناد حسن . واستدل الشافعية بقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى قال له : زوجنى المرأة التى وهبت نفسها : التمس ولو خاتما من حديد ليكون صداقا . فان الخاتم الحديد لا يساوى ماقاله الحنفية والمالـكية . وقد أجاب الحنفية عن هـذا بأن الحديث صحيح ولـكن يحمل ما ذكر فيه على مقدم الصداق الذى ينبغى دفعه فورا ، أما الحـد الأدنى لجميع الصداق مقدما ومؤجلا فهو عشرة دراهم كما فى حديث ابن أبى حاتم . أما الامام مالك فقد نظر الى قوله تعالى « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات » فرأى أن اليسير من المهر يستطيعه كل إنسان ، ثم نظر الى أقل نصاب يوجب قطع يد السارق فوجده ثلاثة دراهم فضة أو ربع دينار من ذهب ، فقاس الصداق عليه ، ولـكن أصحابه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لم يرتضوا هـذا القياس لأنه يخالف نص الحديث ، وهو ما تأباه قواعد مذهبهم ، ولأن القياس بهذه الحالة لا يقول به مالك ، حتى قال له بعضهم : إنك سلـكت فى ذلك سبيل أهل العراق ، ومع ذلك فثلاثة دراهم لا يعجز عنها أحد ، وليس معنى قوله تعالى « ومن لم يستطع منكم طولا » العجز عن الصداق فقط بل العجز عن الانفاق على الزوجة أيضا ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم » فقد فسرت الباءة بالانفاق وإعفاف المرأة بالقربات ، ومن لم يستطع الانفاق ولـكنه يستطيع غيره فعليه بالصوم الذى يعفه عن الحرام . ويظهر أن حجة الحنفية فى تحديد المهر أوضح لولا أن الحديث الذى استدلوا به رواه البيهقى بسند ضعيف ، ولـكن إذا تم ما ذكره الحافظ ابن حجر من أن هذا الحديث رواه ابن أبى حاتم بسند حسن ، فان الحجة تـكون فيه واضحة .

واستدل الحنابلة بما رواه أحمد وابن ماجه والترمذى وصححه عن عامر بن ربيعة أن امرأة من فزارة تزوجت على نعلين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرضيت من مالك ونفسك بنعلين ؟ قالت نعم ، فأجازه . وقد يقال إن النعلين قد يساويان ثلاثة دراهم على الأقل كما هو رأى المالـكية . وقد استدل بعض الحنابلة بما روى معناه أبو داود عن جابر مرفوعا وهو : « لو أن رجلا أعطى امرأة صداقا ملء يده طعاما كانت له حلالا » . ودلالة هذا على غرضهم أوضح . هذا ومن احتياط الأئمة وعدم تعصبهم لآرائهم الاجتهادية أن المالـكية والحنابلة والشافعية قالوا : يسن أن لا ينقص المهر عن عشرة دراهم مراعاة للحنفية الذين قالوا ذلك احتياطا .

وسواء أ كان هذا أم ذاك فان الشريعة الاسلامية لم ترهق الناس بتحديد الصداق الى الحد المعجز ، فان العشرة من الدراهم أو الأربعين قرشا وهى النهاية العظمى التى قال بها أحد الأئمة لا تقف عقبة فى سبيل الزواج فى يوم من الأيام . ولـكن هـل قلة الصداق مشروعة ، والمغالاة فى المهور غير جائزة أولا ؟ والجواب أن بعض الفقهاء قالوا إن المغالاة فى المهور غير جائزة ابتداء ، فيسن للناس أن لا يزيدوا فى المهور على خمسمائة درهم أو ثلاثة عشر جنيها ونصف جنيه تقريبا ، وما زاد على ذلك فهو مكروه ، وذلك هـو رأى الحنابلة والشافعية . أما المالـكية والحنفية فقد قالوا لا حد لأكثر الصداق بل هو منوط بأمرين : قدرة الرجل المالية ، وحالة المرأة وما يليق بها ، فلا يكره أن يمهرها بما يحب . وقد استدل الشافعية والحنابلة على رأيهم بما رواه أبو داود والترمذى والنسائى وصححه من قـول عمر رضى الله عنه « لا تغلوا فى صداق النساء فانها لو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقوى فى الآخرة كان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وقد روى مسلم عن عائشة أن صداق النبى على أزواجه خمسمائة درهم ، وهو القدر الذى ذكرناه .

أما الآخرون وهم المالـكية والحنفية فقد أجابوا بأن قول عمر لا ينفى إلا الغلو فى الصداق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والمبالغة فيه الى الحد الذى يضايق الزوج أو يعجزه ، وقد اتفق أن الصداق فى عهد الرسول كان المناسب فيه هو القدر الذى ذكره مسلم ، وليس فيه أى تحديد للصداق .

٤ — أما حالة الغلو فى المهور إذا ترتب عليها مضايقة الأكفاء وانصرافهم عن الزواج أو عجزهم عن دفع المهر : فان ترتب عليها بوار النساء وتعريض الشباب والشابات للخنا والفساد ، أو ترتب عليها نقص النسل وانقراض الرجال العاملين فى الأمة ، أو غير ذلك من المفاسد التى تؤذى المجتمع وتقوض دعائم العمران ،فانها تكون محرمة بالاجماع ، إذ من الواجب على المسلمين أن يقاوموا المفاسد التى تترك آثارا سيئة تؤذى الأفراد والجماعات . ولعل هذا هو السر فى أن عمر رضى الله عنه أراد أن يحدد أكثر الصداق فى عهده كى لا يتنافس الناس فى المغالاة فى المهور ، فيضعوا بذلك العوائق التى تمنع من الزواج ، ولكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا ، فقد قاومته المرأة التى احتجت عليه بقوله تعالى : « وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » . فان ظاهر الآية أنه يجوز للرجل أن يعطى مهرا ما يشاء ، ولو كان قنطارا من الذهب ، فاقتنع عمر وعدل عن رأيه .

على أن هذا لا ينافى ما ذكرنا ، فان الآية دلت على أنه لا يجوز للرجال أن يأخذوا من المهور التى فرضوها لأزواجهم شيئا بعد الدخول بهن مهما كانت كثيرة ، ولـكن إذا ترتب على كثرة المهر عجز الرجال عن الزواج وبوار النساء ، وكانت نتيجة ذلك ما نرى ونسمع من مفاسد ورذائل ، كان تسهيل أمر الزواج الذى يقضى على فوضى الاخلاق واجبا دينيا ، فان الدين الاسلامى مبنى على جلب المصلحة ودرء المفسدة ، وبذلك تـكون المغالاة فى المهور محرمة . وكما أن قواعد الشريعة تقتضى رفع المفاسد وتسهيل أمر الزواج فتنهى أولياء النساء عن المغالاة فى المهور ، كذلك تنهى الرجال عن التطلع لما اعتاده الناس من المبالغة فى أمر الجهاز والتفنن فى الزخارف الـكاذبة التى لا تلبث أن تذهب سدى وتبقى آثارها السيئة يكتوى الولى بنارها ، فان العادات التى ينبوعنها الدين الاسـلامى جعلت الأزواج لا يقدمون على المرأة التى لا تتجهز جهازا فخما ، وجعلت الأولياء يتبارون فى الاستدانة إن لم يكن معهم . وذلك أشد شرا وأعظم أثرا فى أزمة الزواج ، فانه قد يوجد الـكفء وقد توجد الزوجة المناسبة له من جميع الجهات ، ولـكن يقف فى سبيل اقترانهما عجز الزوج عن المهر أو عجـز الولى عن الجهاز . فلو أن المسلمين استمسكوا بدينهم واتبعوا آراء أئمتهم،وعلموا أن الغرض من المهر إشعار الرجل بما يجب عليه للمرأة من نفقات، وأن الله تعالى أمر الرجل أن يدفع المهر بدون أن يفكر فى مقابل يأخذه من المرأة ، لهانت المسألة ولم يبق بين الزوجين من العوائق ما يمنع سعادتهما . فالله المسئول أن يهدى الأمة الاسلامية الى العمل بقواعد دينها، إنه سميع الدعاء ؟

عبد الرحمن الجزيرى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مشكلة التوحيد

رأينا أن نسجل على صفحات مجلة الأزهر مناقشة جرت بيننا وبين بعض متعلمى العصر الحاضر لما فيها من الفوائد الجمة والمسائل المهمة .

قال ذلك العصرى :

أريد أن أسألك عن مشكلة التوحيد ، وأحب أن توسع صدرك وتسمح لى أن أقول كل ما عندى ، ثم تزيل شبهتى ببيان يقبله العقل وينشرح له الصدر ، وإلا فهى شبهة الشبه ومشكلة المشكلات . فقلت له : هات ما عندك بلا خوف ولا وجل ، وقل لى ما هى مشكلة التوحيد ؟ فقال : مشكلة التوحيد التى لم أجد لها جوابا فى كتاب من الكتب هى أنكم تقولون : إن الله ليس فوق ولا تحت ولا فى جهة من الجهات . ومن كان كذلك كان معدوما لا موجودا ، فان كل موجود لا بد أن يتصف بأحد المتقابلات ، ولا بد أن يكون فى جهة من الجهات ، ولا ترتفع كلها إلا عن المعدوم . فقلت له : حفظت شيئا وغابت عنك أشياء ، فان ما ذكرت صحيح فى الماديات لا فى غير الماديات . (وأكثر العقول لا تعرف إلا أحكام الماديات ولا تكاد تترفع عنها الى ما وراءها) . والمتقابلات أو الجهات التى حبسك الوهم فى محيطها وظننت أنه لا بد من أحدها لكل موجود ، ذلك الحكم فيها مشروط بشرط القابلية لمعروض تلك المتقابلات ، فاذا لم توجد القابلية ارتفعت تلك المتقابلات بل كانت مستحيلة .

ولنقرب لك ذلك بمثال واضح :

تعلم أن الجهل والعلم مثلا متقابلان ، ولا يمكن أن يوجد إنسان إلا وهو متصف باحدهما ، ولكنك تجدهما مرتفعين جميعا عن الحجر ، فلا يتصف بجهل ولا علم لعدم القابلية . فكذلك نقول : إن غير المادى ترتفع عنه الجهات كلها لعدم القابلية ، إذ هى من خصائص الماديات المتحيزات .

وأما ما لم يكن ماديا متحيزا فيستحيل عليه أن يكون فى جهة . وإذا كانت الفلاسفة تثبت ذلك للجواهر المجردة التى منها الملائكة والنفوس والعقول عندهم لأن لها أحكاما تضاد أحكام المتحيزات — ومن الذى يعطى الأجسام أحكام الأرواح — فما بالك بالبارى عز وجل الذى هو خالق كل شىء وليس كمثله شىء ! ومن الجهل الفاضح أن يعتقد الانسان أن كل شىء خاضع لسلطان عقله ، وأن ما لم يدركه بعقله فهو خارج عن دائرة الوجود .

بل نقول : إن مقتضى العقل السليم أن يكون الله منزها عن مشابهة الأشياء ، متعاليا عن إدراك العقول ، وإلا لم يصح أن يكون إلها « إذاً لابتغوا الى ذى العرش سبيلا » . فهو محجوب عن العقول كما أنه محجوب عن الأبصار .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد قلنا فى بعض ما كتبناه منذ زمان بعيد : « إذا كان الملحد لا يؤمن إلا باله يقع عليه بصره أو يدركه عقله ، فأنا لا أؤمن باله يخضع لسلطان عقلى أو يدخل فى دائرة محسوساتى أو ألمسه بيدى أو أصل اليه برجلى أو يمزقه مدفعى أو تعلو اليه طياراتى الخ الخ ، فان هذا لا يصح أن يكون إلها ، بل يجب أن يكون مخلوقا محتاجا لمن يدبره ويركب أجزاءه ويضعها فى مواضعها المخصوصة ويقوم بحاجاته ويدفع عنه سلطان النواميس التى تجرى على المركبات كلها حتى يتمتع بالوجود ، مع أنك فرضته إلها ـ هذا خلف » .

وانظر ما ذكره القرءان فى وصفه عزوجل : هل تراه منطبقا على الأجسام أومتصورا فيها ؟ يقول عز وجل : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » ويقول : « وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرءان ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين » .

ويقول : « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » . ويقول : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » الى آخر ما يطول ذكره .

فهل يتصور عاقل أن من هذه صفاته يكون جسما من الأجسام ، أو يقاس على أحد من الأنام ، أو يدخل تحت سلطان العقول والأوهام ؟

وهل هذه الصفات العلية تنطبق عليها نواميس الجسمانيات أو أحكام الماديات ؟ ولكن لا بد لنا أن نقول : إنه مع هذا التعالى أظهر من الشمس وأوضح من الحس ، فان كل ذرة من ذرات مخلوقاته آية من آياته ناطقة ببديع حكمته وعظيم قدرته :

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

ولولا ما نؤمن به من قدرته الباهرة لعجبنا كل العجب ممن ينكره وهو أبده البدهيات وأوضح الواضحات « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون » .

وهل يصدق عقل أن هناك أثرا بلا مؤثر ، أو نظاما بلا منظم ، أو حكمة بلا حكيم ؟ إن هذا لدى العقل السليم يساوق قولنا : الكل أصغر من الجزء والواحد ربع الاثنين وقد يكون أوضح من ذلك ، فان الحيوان الأعجم إذا ضرب التفت لينظر الضارب لأنه لا يصدق أن هناك أثرا بلا مؤثر ! فمنكر الاله إذا هو أحط رتبة من الحمار !

فسبحان من احتجب بشدة ظهوره ، واستتر عن الأبصار بعظيم إشراق نوره ! ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرته . ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب ، وتخاذلت القوى وتنافرت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأعضاء . ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادى أنوار تجليه دكا دكا ، فأنى تطيق كنه نورالشمس أبصار الخفافيش «فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا» ولا يقدح فى هذا الوضوح جهلك لحقيقته ، فانك إذا كنت فى مكان مظلم وسمعت صوت رصاصة قوية لم يكن جهلك بشخص الضارب مشككا إياك فى وجوده ! ويجدر بنا فى هذا المقام أن ننشد قول القائل :

تبصر حيث كان لك التبصر وفى ذات الاله دع التفكر
وإن ترد المهيمن حين تذكر تأمل فى نبات الأرض وانظر
الى آثار ما صنع المليك
فأنوار المهيمن ساطعات وأفكار الخلائق حائرات
ولكن الأدلة واضحات أصول من لجين زاهرات
على أغصانها ذهب سبيك
شموس فى البرية مشرقات نجوم فى الدياجى لامعات
بطول الدهر دوما سابحات الى مالست أدرى طائرات
يطير له بها الجرم السميك
رياض مونقات منعشات وألوان لعينك مدهشات
وأغصان تسرك ناضرات على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

الخلاصة :

والخلاصة أن هنا شيئين : شيء أوضح من الشمس وهو وجود خالق برأ هذه المخلوقات ودبر الأرضين والسموات ، قام كل شيء فى الوجود برهانا عليه ، وساق أرباب العقول اليه حتى توكلوا عليه ، وانطرحوا بين يديه « اليه يرجع الأمر كله » وعلموا أنه أقرب اليهم من حبل الوريد ، وأن ما قام على وجوده من الأدلة لا يمكن أن يكون عليه مزيد « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

أما الشيء الثانى فهو معرفة كنهه سبحانه وتعالى ، وهذا أخفى الخفيات ، كما أن الأمر الأول أوضح الواضحات . فاعرف الفرق بين المقامين . ولا عجب فى هذا فروحك أقرب الأشياء اليك ، وما أعظم إمدادها لك وأثرها عليك ! ومع ذلك لا تعرف كنهها بل ولا كنه أفعالها فأنت لا تعرف كيف تدرك ، ولا كيف تتخيل ، ولا كيف تذكر مانسيت ، بل هذا هو شأنك فيما هو أقل من ذلك ، فلست تدرى كيف يمثل الغذاء هذه الأعضاء ، وكيف يصير عينا تبصر ، ومخا يدرك ، وأذنا تسمع الخ الخ . فليس لنا من الأشياء إلا ظواهرها التى ندرسها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى مدارسنا ، أو نعرفها بالتحليل والتركيب فى معاملنا . فمعرفة الحقائق على ما هى عليه مما اختص به الحق سبحانه وتعالى « ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء » .

وعلم الطبيعة معترف بأنه لا يعرف كنه الأشياء ولا أوائلها ولا مصيرها ، وإنما عرف ظواهرها بواسطة التجربة المتكررة . هكذا قال المنصفون واعترف المحققون . وإياك أن تصغى لزعانف علم الطبيعة الذين لا يقام لهم وزن بجانب أساطين علم الطبيعة الذين دهشوا من عظمة الخالق العظيم والمبدع الحكيم !

وقد قال باكون : من أخذ علم الطبيعة رشفا بالشفاه كان ملحدا ، ومن شربه عبا أوصله الى الخالق .

وقال سبنسر : ليس المقصود من دراسة علم الطبيعة معرفة تلك الظواهر التى عرفها تلامذة المدارس ، وإنما الغرض الأقصى من علم الطبيعة هو أن نقف على ذلك الجسر الذى نستشرف منه ماوراء الطبيعة .

وقال هرشل وهو من كبار أساتذة علم الطبيعة : كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلى لاحد لقدرته ولا نهاية .

فعلماء طبقات الأرض والرياضيون والطبيعيون قد تعاونوا وتضافروا على تشييد صرح العلم ، وهو صرح عظمة الله وحده . ولله در القائل :

تاه الأنام بسكرهم ... فلذاك صاحى القوم عربد
تا لله لا موسى الكلـ ... ـيم ولا المسيح ولا محمد
كلا ولا جبريل وهـ ... والى محل القدس يصعد
علموا ولا النفس البسـ ... ـيطة لا ولا العقل المجرد
من كنه ذاتك غير أنـ ... ـك أوحدى الذات سرمد
فليخسأ الحكماء عن ... حرم له الأملاك سجد
من أنت يا رسطو ومن ... أفلاط قبلك قد تفرد
ومن ابن سينا حيث هـ ... ـذب ما أتيت به وشيد
ما أنتمو إلا الفرا ... ش رأى السراج وقد توقد
فدنا فأحرق نفسه ... ولو اهتدى رشداً لأبعد

وربما عدنا للموضوع مرة ثانية . والله يتولى هدانا جميعا بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى

عضو جماعة كبار العلماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رد شبهات على القرآن الكريم

لم تعن أمة فى العالم بكتاب سماوى أو أرضى عناية الأمة الاسلامية بالقرآن الكريم . ولم يحط كلام إلهى أو بشرى بمثل ما أحيطت به آياته من وسائل الحفظ والرعاية والتقديس . فقد كانت تنزل الآية منها أو الآيات فتنتقش فى صدر النبى صلى الله عليه وسلم ، فيتلوها ساعة نزولها على الآلاف من المحيطين به ، فيسارعون الى استظهارها ليتلوها تعبدا ويصلوا بها ، ولا يكتفى النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فيأمر كتابا له بكتابتها ، ويحتفظ بها فى داره مع أمثالها .

وقد تم نزول القرآن فكان يحفظه كله رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، ومئات كثيرة غيرهم ، لا يسقطون منه حرفا . فلما انتقل الرسول الى الرفيق الأعلى ، وخلفه أبو بكر بادر عمر فطالب إليه أن يأمر بتدوين القرآن فى كتاب ، حفظا له من النسيان والتحريف ، فكان أبو بكر يأبى ذلك قائلا : إن شيئا لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم لا أفعله أنا . فلما حدثت وقعة اليمامة وقتل فيها من حفاظ القرآن عدد عديد أدرك أبو بكر أصالة رأى عمر ، فأوعز بجمع القرآن ، لحشر حفاظه وأخرج اليهم المخطوطات التى عملت على عهد الرسول ، وأمرهم بتدوينه ونشره بين الناس ، فقاموا بذلك على أتم وجه . ولم يرتفع صوت إذ ذاك بأن آية سقطت منه أو كلاما زيد فيه ، والدين فى عنفوان قوته ، وحفاظ الفرقان كثيرون ، ومنهم الخليفة نفسه ، ولم تمض على وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بضعة أشهر .

ثم مات أبو بكر بعد أن مكث فى الخلافة نحو سنتين ، وقام بالأمر بعده عمر ، ولبث يدبر شئون الدولة نحو إحدى عشرة سنة ، فتح فى خلالها سورية والعراق وبلاد الفرس ومصر وجزءا من شمال أفريقيا . وانتشرت المصاحف المكتوبة على عهده ، وأكثر الناس من حفظ القرآن ، فلم ينبس أحد ببنت شفة اعتراضا على زيادة شىء أو نقصه فى القرآن ، ولا يخفى على أحد شدة الفاروق فى الدين ، وغيرته عليه .

فلما توفى رضى الله عنه أسندت الخلافة الى عثمان بن عفان ، وكان للمسلمين إذ ذاك أمبراطورية مترامية الأطراف ، ودخل فى الاسلام ملايين من الناس ، واحتاج المسلمون الى المصاحف فكانوا يكتبونها بأيديهم لعدم وجود مطابع إذ ذاك . ولا تخفى على أحد أخطاء النسخ ، فان الناسخ مهما كان حريصا على تحدى الأصل تبدر منه أخطاء لا يفطن إليها ، ولا سيما فى عهد لم تضبط فيه قواعد الكتابة ، ولم يوجد فى أحرفها نقط ، ولا لألفاظها علامات لضبط النطق بها ، وهو ما يعرف الآن بالشكل ، فحدث فى قراءات الناس خبط ، ورفع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأمر الى أمير المؤمنين، فأمر القراء تحت رياسة زيد بن ثابت — وهو الذى كان عهد اليه أبو بكر بجمع المصحف — بكتابة أربعة مصاحف ونشرها فى الآفاق، وأمر باتخاذها مرجعا للضبط وإحراق ما عداها.

فعل عثمان هذا وهو بين ظهرانى كبار الصحابة، وفيهم على بن أبى طالب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الله بن عباس وغيرهم من الذين قالوا لعمر ابن الخطاب: لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا، فما ظنك باعوجاج يرتكب ضد القرآن؟

يهول بعض الناس أن عثمان أمر باحراق ما يخالف مصحفه من المصاحف المنسوخة، وأى شىء فى هذا؟ أليس الاحراق وسيلة لملاشاة النسخ المحرفة تلجأ إليها الحكومات الى اليوم؟ ألم تأمر الحكومة المصرية باحراق عشرات الالوف من نسخ القرآن لم يحسن مصححو مطبعتها تصحيحها، فجاءت مشوبة بأخطاء كثيرة، فعمدت الى هذه الوسيلة فى الزمن الذى نحن فيه؟

هل كان لعثمان من السلطان ما يستطيع معه أن يغتصب مصاحف كبار الصحابة المعاصرين له فيحرقها، ويبدلهم منها نسخا أخرى فيها ما يعتقدون أنه تحريف؟

أرأيت كيف تثور البراكين فتغمر فى حممها المدن، وتحرق بموادها الملتهبة الحرث والنسل، وكيف تعصف الأعاصير الهوجاء فتدك كل بناء، وكيف تهيج الزلازل فتجعل عالى الأرض سافلها، وتدك شم الجبال؟ كل هذا كان أهون منظراً إذا حدث جبار نفسه بتحريف القرآن فى أمة تعتبره روحها المدبر، ودستورها المهيمن، ووسيلتها التى تصل بها الى الله، وهم رجال وغى ومغاوير كفاح، يعتبرون الموت فى سبيل الدين حياة دونها كل حياة؟

وإذا سلمنا جدلا بأن مصحف عثمان كان يخالف النسخ الصحيحة فى بعض المواطن، فلم يلبث عثمان فى الخلافة إلا نحو اثنتى عشرة سنة، وجاء بعده خليفة من أعلى الخلفاء كعبا فى الدين والورع والمحافظة على سيرة النبى صلى الله عليه وسلم، فلم لم يبطل مصحف عثمان وينسخ صورة صحيحة للقرآن وقد كان يحفظه كله ولديه مصحف يتلوه فيه؟

إن مسألة الزيادة فى كتاب أو النقص منه لا يعقل أن تحصل فى كتاب كالقرآن تتعبد أمة برمتها بتلاوته، وتصلى بآياته، وتفصل فى جميع شئونها بأحكامه ومقرراته. وليس لديها كتاب غيره، ولم يوكل أمره الى جماعة أو طبقة من الناس تتحكم فيه برأيها، ولكنه كان حقا مشاعا للناس كافة، يتولونه بالحفظ والرعاية. فمثل هذا الكتاب إن اعتراه تبديل أو تحريف كانت تتعدد نسخه، أو تتخالف آياته، ولا تستطيع أية حكومة مستبدة أن تبيد جميع ما يخالف هواها من صوره. والحكومة الاسلامية لم تكن استبدادية، وقد تداول الخلافة فى صدر الاسلام أربعة رجال أقروا كلهم صورة واحدة من القرآن، ولم يرد عنهم أن بعضهم أبطل نسخ بعض، ولا ورد عن آلاف الصحابة أن واحدا منهم أبرز صورة زعم أنها أصح من غيرها. فهل يأمرت الأمة الاسلامية كلها على التسامح فى تحريف كتابها الى هذا الحد ومكانه منها كما عرفت؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حدثنا التاريخ أن الأناجيل قد تعددت حتى بلغت أكثر من سبعين ، فأوعز الأمبراطور قنسطنطين الى الكهنة أن يرتضوا صورة واحدة له ، فاجتمعوا فى مؤتمر وقرروا أن يعتمدوا أربع صور منه هى الموجودة الى اليوم . فهل حدثنا تاريخ المسلمين عن مثل هذا التعدد لصور القرآن ؟

يقولون نعم ، وهى التى أمر باحراقها عثمان . نقول إن التى أمر باحراقها عثمان هى النسخ التى أصابتها آفة الاستنساخ ، وهذه الآفة لا تزال موجودة الى يومنا هذا ، فما من كتاب يعرض للاستنساخ إلا وقعت فيه أخطاء جمة ، لا دواء لها إلا تحرير نسخة صحيحة للنقل منها وإحراق ما عداها ، كما حدث على عهد عثمان ، وكما يحدث فى كل زمان ومكان .

وقد رأيت استحالة استبداد عثمان بالقرآن على عهد كان أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياء ، وكانوا أشد ما يكونون اشتغالا بتلاوة القرآن وعملا به . وله حفاظ منتشرون فى جميع أرجاء المملكة الاسلامية ، فكيف يعقل أن يكون عثمان قد تعمد تحريف الكتاب فى هذه البيئة الغاصة بحفظته وقارئيه ، وكلهم يفدونه بأرواحهم ، وينافحون عن حماه باشد مما ينافحون عن أنفسهم وأعراضهم ؟

الدواعى التى تدفع لتحريف الكتب السماوية :

إذا وقع التحريف فى كتاب سماوى فلا يمكن أن يكون ذلك إلا بواحد من أربعة أسباب أو بأكثر من سبب منها ، وهى :

(١) ضياع أصل الكتاب

(٢) غلو فى الدين يحمل على تأليه صاحب الدعوة ، أو رفع درجة أسرته وأصحابه وحفظة دينه الى ما فوق مستوى الناس ، ومنحهم حقوقا وامتيازات ليتمكنوا بها من تسخير النفوس لاراداتهم .

(٣) النص على حصر السلطان الروحى فى طائفة معينة ، أو تحديد شكل الحكومة وجعلها تيوقراطية تحت تصرف رجال الدين .

(٤) تعمد إفساد الدين بالنقص من كتابه والزيادة عليه ، بحيث يفضى ذلك الى زهد النفوس فيه ، وكراهتهم له .

هذه هى الدواعى التى تحمل على تحريف الكتب السماوية ، وكلها ممتنعة بالنسبة للقرآن .

امتناع السبب الأول من أسباب التحريف :

أما امتناع السبب الأول ، فان اصل القرآن كان مكتوبا ومحفوظا فى دار النبى صلى الله

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عليه وسلم ، وكان مئات من الناس يحفظونه ، فلما أريد جمعه أتوا بهذه المخطوطات وقابلها الكتاب بما حفظوه فى صدورهم وجعلوا ما كتبوه مصحفا ، فاستنسخه ألوف من الناس وحفظوه ونقلوه الى جميع عواصم الملك الاسلامى . فهل توجد فى العالم وسيلة تفوق هذه الوسيلة للتحقق من مطابقة صورة كتاب لأصله ؟ اللهم لا .

أين هذا مما حدث لما سبقه من الكتب ؟ فقد ضاعت أصولها ، وشتت أهلها فى الأرض ، ومزقوا كل ممزق . فالتوراة ضاع أصلها الأول ثم جمعت أسفارها من هنا وهناك ، واشتد اختلاف الناس فيها حتى إن توراة النصارى تخالف توراة اليهود مخالفة جوهرية .

وكذلك كان حال الأناجيل ، فقد ضاعت أصولها ثم نقلت عن ترجمة يونانية وجدت لها بعد آماد طويلة .

فهذه الكتب يعترف أهلها أنفسهم بأنه قد لحقها تحريف ، ولكنهم يعتذرون عنه بأنه لم يعد على الروح التى أودعها مجموعها . فقد جاء فى كتاب (محاورة فى الوحى) قول مؤلفه : « وليس من ضرورة للاعتقاد بأن جميع ما دار من مخاطبة الله للانسان ، قد دون فى الأسفار : (أولا) لأن البرهان على ذلك متعذر . و (ثانيا) لأنه يكفى الاعتقاد بأنه دون ما فيه كفاية . وهذا الرأى المعروف برأى « الاقتصاد فى الوحى » يجلو لنا الحقيقة » .

وقال فى موضع آخر من ذلك الكتاب :

« إن من تعاليم التوراة ما لا يجوز مسه لئلا يفسد جوهرها ، ومنها ما يسبب مسه ضررا باختلاف أهمية ذلك الجزء . ومنها ما لا يؤثر فيه المس أبدا حتى إنه وإن حذفت كلماته أو جمله يبقى سليما صحيحا . ومن هذا القبيل الكلمات والعبارات التى سقطت فى أثناء نسخ التوراة » .

ولكننا معشر المسلمين لا نقول بنظرية « الاقتصاد فى الوحى » ونرى أن كل ما أوحى الى الرسول مما أمر بتلاوته يجب أن يكون ماثلا فى المصحف . ولدينا الدليل القاطع على أن كل ما أوحاه الله إليه قد دون وحفظ سليما من كل تحريف الى يومنا هذا ، على أسلوب من التدقيق والضبط لا يعقل أن يكون أبلغ منه فى عالم النقل الصحيح .

امتناع السبب الثانى للتحريف :

وأما امتناع السبب الثانى لتحريف القرآن ، وهو الغلو فى الدين ، فلا يحتاج لدليل ، فان نصوص الكتاب تنطق صراحة بالنهى عن الغلو فى الدين . قال الله تعالى : « ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق » .

ولم يكتف الكتاب بهذا بل قطع الذرائع دون كل محاولة للغلو ، فذكر أن المرسلين رجال لا يمتازون عن سواهم إلا بالوحى : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم » وقال تعالى :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى » وقال تعالى : « قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا ؟ » الخ الخ .

فالكتاب كما ترى لم يدع متسربا للغلو فى ذات الرسول من اية ناحية من النواحى فظل أكرم نعت له فى صلاة المسلمين أنه عبد الله ورسوله .

وأما عن أسرة النبى صلى الله عليه وسلم فلا توجد آية واحدة فى الكتاب تميزهم عن الناس . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اعملى يافاطمة فانى لا أغنى عنك من الله شيئا » وقال : « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » .

وقد أقاد النبى صلى الله عليه وسلم من نفسه ، فانه لما شعر بدنو أجله جمع الناس وقال لهم : من كنت قد أسأت اليه فليأت وليقتص منى .

ولما شكا يهودى عليا كرم الله وجهه ، دعاه عمر أمير المؤمنين ليقاضيه أمام خصمه ، فلما أقبل قال له : اجلس يا أبا الحسن . فغضب على ، فسأله عمر : أغضبت لمساواتك بخصمك ؟ قال لا ولكن لتمييزك إياى عنه بتكنيتى والتكنية تعظيم !

أظن أنه لايوجد فى تاريخ العالم ماهو أبلغ من هذا فى احترام مبدأ المساواة فى الحكم ، وفى نكران الذات أمام هذا المبدأ .

فاذا كانت هذه المساواة واجبة فى حق بنت رسول الله وابن عمه ، فمن تظن أن ينال هذه الحظوة بعدهما ؟

وقس على هذا معاملة العلماء ، فلم يرفع أحدهم على عامة الناس فى حكم ، ولم يستثن من تكاليف بدني أو مالى . بل قد رفعت الدعاوى على أمراء المؤمنين من صغار رعاياهم أمام القضاة فلم يحابوهم وحكموا عليهم .

امتناع السبب الثالث للتحريف :

السبب الثالث لتحريف الكتب السماوية هو النص على حصر السلطان الروحى فى طائفة معينة من الأمة ، أو فى جعل الحكومة أوتوقراطية تحت تصرف رجال الدين .

هذا السبب لاظل له فى الاسلام ، لأن الكتاب نص على خلافه فى غير موطن منه ، فجاءت حكومة المسلمين ديموقراطية حرة ، قال عليه الصلاة والسلام : « اسمع وأطع ولو لعبد حبشى كأن رأسه زبيبة » .

وقد ولى النبى بلالا على المدينة وكان مملوكا حبشيا ، وفيها أجلاء الصحابة وكبار رجالات الأمة .

والاسلام لا يعترف بوجود طائفة فى الأمة يجب أن تودع السلطان الروحى دون سائر الطوائف ، بل ليس فى الاسلام سلطان روحى إلا للكتاب والسنة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لذلك كان الأئمة الأولون الذين يرجع إليهم فى فهم الدين ، أكثرهم من الموالى أى الذين كانوا أرقاء أو أولاد آباء كانوا أرقاء . قال العلامة السخاوى فى شرح ألفية الحديث للعراقى : إن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك قال للامام المحدث الزهرى يوما : « من يسود أهل مكة ؟ قال : عطاء . قال : بم سادهم ؟ قال الزهرى : سادهم بالديانة والرواية . قال هشام نعم، من كان ذا ديانة حقت الرياسة له . ثم سأله الخليفة عن اليمن ، فقال الزهرى : إمامها طاوس . وكذلك سأل عن مصر والجزيرة وخراسان والبصرة والكوفة ، فأخذ الزهرى يعد له أسماء سادات هذه البلاد ، وكلما سمى له رجلا كان هشام يسأله هل هو عربى أم مولى ؟ فكان الزهرى يقول مولى ، الى أن أتى على ذكر النخعى ،فقال إنه عربى ، فقال هشام ، الآن فرجت عنى ، والله ليسودن الموالى العرب ويخطب لهم على المنابر » !

من هنا ترى أن الاسلام لم يهب السلطان الروحى لطائفة من الطوائف ، ولكنه دعا الى العلم وتركه حقا شائعا بين المسلمين كافة أحرارهم وأرقائهم ، بيضهم وسودهم ، فسبق إليه من سبق ، فلم يسأل الناس عن أصلهم ، وهذا ما ليس له مثيل فى أمة غير الأمة الاسلامية .

وقد طبع الله هذا المبدأ السامى بطابع قرآنى عالى القدر ، فقال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، فجعل التفاضل بالتقوى لا بالجنس ولا باللون ولا بالانتساب لطائفة من الطوائف . وبذلك سقط السبب الثالث من أسباب التحريف التى عددناها .

السبب الرابع لتحريف الكتب السماوية :

أما السبب الرابع وهو تعمد إفساد الدين بالنقص من كتابه والزيادة فيه ، فهذا أكثر امتناعا بالنسبة للقرآن الكريم من كل الأسباب السابقة ، فان الذين جمعوه من المخطوطات ، وقابلوه على محفوظاتهم منه ، كلهم من المشهود لهم بالتقوى والصلابة فى الدين . ناهيك بقوم آثروا حفظ الكتاب كله فى صدورهم . فهذا الجهد الجاهد لا يكون إلا من نفوس استوعب حب الدين كل شعورهم ، واستولى بجلاله على قلوبهم . فلا يعقل أن يصدر من هؤلاء تحريف للكتاب بقصد إفساده وتزهيد الناس فيه .

ثم إن ما كتبوه عرضوه على أبى بكر وعمر وجميع كبار الصحابة ، فلم يروا فيه ما ينكرونه منه ، وكلهم كان يحفظه أو يتلوه بدون انقطاع .

فلما استكتب عثمان منه أربع نسخ صحيحة ليوزعها فى الآفاق ، تحرى القراء أن يكون مطابقا لمصحف أبى بكر ، وكان ذلك تحت رقابة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يظهر فى ذلك العهد ما يخالف مصحف عثمان ، وتولى الخلافة بعده على بن أبى طالب فلم يحدث أقل تغيير فيه ، ولو كان ينقص أو يزيد حرفا لما أغضى عنه الامام ولا أغضى عنه احد من الذين أحدثوا الثورة على عثمان .

جروب مجلات قديمة (٤)
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نسخ الأحكام ونسخ تلاوة بعض الآيات:

نزل القرآن نجوما على حسب الحوادث الطارئة، ولم ينزل دفعة واحدة. ونظرا لأنه يتولى تأليف أمة جديدة على نظم وأصول نهائية، كانت الحاجة ماسة الى مسايرة الأطوار التى تدخل فيها، والتدرج معها فى جميع الأدوار التى تبلغها فى حياتها الاجتماعية.

من هنا كانت الضرورة قاضية بنسخ بعض الأحكام بقصد تخفيفها أو تشديدها على مقتضى الأحوال. واقتضت حكمة الشارع أيضا أن تبقى تلاوة بعض الآيات الدالة على تلك الأحكام المنسوخة، وأن ينسخ تلاوة بعضها الآخر. وفى القرآن نسخ لتلاوة بعض الآيات مع بقاء أحكامها معمولا بها.

وهذه الأمور أرشد اليها النبى صلى الله عليه وسلم نفسه ودون المصحف فى عهد أبى بكر مع مراعاتها بالدقة.

فمن أمثلة نسخ الحكم دون نسخ تلاوة الآية الدالة عليه قوله تعالى: « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول » فقضت هذه الآية بأن مدة تربص المرأة بنفسها بعد موت زوجها يجب أن تكون حولا كاملا على نفقة الزوج. فنسخ هذا الحكم وجعلت مدة التربص أربعة أشهر وعشرا كما فى قوله تعالى: « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ».

ومن أمثلة نسخ الحكم ونسخ تلاوة الآية الدالة عليه، ما روى عن عائشة ان القرآن جاء فى الرضاع بعشر معلومات، ثم نسخن بخمس معلومات. فالعشر مرفوعة التلاوة والحكم جميعا، والخمس مرفوعة التلاوة باقية الحكم.

ومنها ما روى أن سورة الأحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال أو أزيد، ثم نسخت تلاوة آيات كثيرة منها.

أما أمثلة الآيات التى نسخت تلاوتها وبقيت أحكامها، فكآية الرجم وهى: « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله، والله عزيز حكيم » وما روى من قوله تعالى: « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب ».

فهذه الأمور كلها كانت معلومة عند الصحابة، ومضبوطة الى حد أنه لم يحدث فيها خلاف. ولو كانت تحتمل أقل خلاف لحدث ولملئت الأسفار بأخباره.

لم يكن كتاب الاسلام محتكرا فى يد طائفة من الطوائف، فيسهل عليها التلاعب به، ولكنه كان حقا مشاعا للناس كافة. وقد اختلف المسلمون فى كل شىء إلا فى هذه المسألة، فلم كان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ذلك ؟ ألأنهم كانوا أكثر عناية بالأشياء الثانوية منهم بالقرآن ، وأنت تعلم أنه كان متعبدهم ودستورهم ، بل روحهم التي بها يتحركون ؟

أما رأيت الى أي حد اختلف المسلمون في أحاديث رسولهم ، حتى رفضوا منها مئات الألوف باعتبار أنها موضوعة أو ضعيفة ، فهل كان المسلمون أشد اعتدادا بأحاديث رسولهم منهم بكلام ربهم ؟

شبهات خصوم الاسلام على القرآن :

جاء في كتاب (الوحي الجديد) لأحد دعاة بعض الملل قوله في صفحة ٤٤ :

(أولا) إنه من المستحيل أن يكون القرآن الحالي حاويا لجميع ما أنزل ، بل أنه من المؤكد تاريخيا أنه قد ذهب منه جانب ليس بقليل .

(ثانيا) من المستحيل إقامة البرهان على أنه طبق ما نطقت به شفتا محمد تماما بل إنه في آيات عديدة منه اختلافات مدهشة ، ولا يعرف إلا الله ما هو النص الصحيح . انتهى

نقول : أما عن الأمر الأول فاننا معشر المسلمين نعترف بأن المصحف لا يحوي جميع ما أنزله الله على محمد ، ولكن جميع ما سمح بأن ينقل في المصاحف ويتلى تعبدا . فقد علمت في فصل متقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم نبه على أن آيات كثيرة منه قد نسخت تلاوتها فلم تدون . فماذا يكسبه الخصم من وراء إعلانه شيئا هو عند المسلمين من المعلومات الأولية ؟ لعله يريد بذلك أن يؤثر في عقول العامة ، ولكن العامة يلجأون عادة الى علمائهم فيفهمونهم الأمر على وجهه ، فتبطل الشبهة ، ويبقى عارها لاصقا بمن أوردها .

وأما عن الأمر الثاني فهو يريد به اختلاف القراءات . وهذه القراءات وجدت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فأقرها ، وليس فيها ما يوجب اختلافا في العقائد ولا في الأحكام ، وسترى تفصيل ذلك عند كلامنا على ما أورده منها . وإن شيئا وجد على عهد صاحب الرسالة فأقره ، وعنى المسلمون بتدوينه وضبطه ، لا يجوز أن يتخذ اليوم شبهة للتشكيك في عبارات القرآن .

هل اختلاف هذه القراءات تمس جوهر العقائد ، أو أصول العبادات ، أو دستور المعاملات ؟

لم يقل أحد ذلك في الاسلام الى اليوم ، ولم يثر بينهم شقاقا ولا جدالا ، ولا كان سببا لتشكك أحد ولا لارتداده . فكيف يثار هذا الأمر اليوم على هذا الوجه ، ويفهم ذلك الكاتب منه ما لم تفهمه أمة برمتها في مدى أكثر من ثلاثة عشر قرنا ، على شدة عنايتها بالقرآن ، وبحث كل صغيرة وكبيرة فيه ؟

ويقول كاتب رسالة (الوحي الجديد) في صفحة ٤٥ :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« إننا نعلم تماما بشهادة زيد بن ثابت التى لا ريب فيها ، أنه لم تدون جميع السور والآيات التى سمعت من فم محمد ، بل إن كثيرا منها حفظ فى صدور الناس ، ومرت سنون عديدة قبل أن أمر زيد بتدوينها ، نقلا عن ذاكرة أولئك القراء فكيف تأمن على الحقيقة من ذاكرتهم ؟ »

ونحن نقول إن القرآن كان قد كتب كله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سمع من فمه ، وإن ما كتب حفظ فى داره ، وكان مئات من الناس قد حفظوه كله ، ومنهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، فلما لحق رسول الله بالرفيق الأعلى لم تمض إلا بضعة أشهر حتى دعا أبو بكر القراء وعلى رأسهم زيد بن ثابت وأمرهم أن يدونوا القرآن فى مصحف ، وسلمهم تلك المخطوطات ليرجعوا اليها إن اختلفوا فى شىء .

هذا ما شهدت به أمة برمتها ، فكيف يقول كاتب الرسالة إن القرآن لم يكتب كله على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ؟ ومامعنى قوله مرت سنون كثيرة قبل أن أمر زيد بن ثابت بكتابته ، ولم تمض عليه غير بضعة أشهر ، ولم يحكم أبو بكر الذى كتب القرآن على عهده أكثر من سنتين وأشهراً . فأين هى هذه السنين الكثيرة التى ذكرها ذلك الكاتب ؟

إن التى مرت عليها سنون كثيرة قبل أن تدون ، هى أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى تلى القرآن فى الدرجة ، ومع ذلك فقد حدث فيها بين العلماء من الاختلاف ما لا يسع المقام ذكره ، حرصا على ألفاظ النبى صلى الله عليه وسلم أن تبدل أو يزاد عليها أو ينقص منها ، فهل كان حرصهم على الأحاديث النبوية أشد من حرصهم على كلام الله ، فيتركوه يحرف أمام أعينهم ولا يحدثوا حول هذا التحريف شغبا ولا اضطرابا ، ويقروه على ما كتب لا يختلفون فيه ، ولا يصطخبون حياله ؟

هذا أمر لا يسيغه أقل الناس فهما ، فكيف يسيغه كاتب تلك الرسالة ويرسل به كشبهة على سلامة القرآن وليس منها فى شىء ؟

وقال فى صفحة ٤٧ :

« إن ابن مسعود هذا ، (وقد نعته بأنه أعلم الناس بالقرآن) ، لم يكن ليعتبر نسخة عثمان صحيحة ، وأنه رفض أن يسلمه نسخته ليحرقها ، وأنه أشار على أهل العراق ليكتموا نسخهم قائلا : « يأهل العراق اكتموا المصاحف التى عندكم وغلقوها » . وأنه حذف السورة الأولى (أى الفاتحة) والسورتين الأخيرتين من نسخته ، بحجة أن تلك السور ليست من كتاب الله » .

نقول هنا : يمكن أن يتساءل متفهم : أى مصلحة للذين جمعوا القرآن أن يضعوا فيه ثلاث سور قصار ليست منه فى شىء ؟ أرموا بذلك لغرض من الأغراض التى تحمل النفوس السافلة على التحريف وليس فيها ما يشوه جمال القرآن ، ولا ما يتناقض والحكمة التى أتى بها ؟

وهل يعقل أن يضع المجرمون فاتحة لكتاب ، وأن يذيلوه بسورتين صغيرتين ، فى أمة تتعبد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بتلاوة ذلك الكتاب ، وفيها ألوف من الرجال الذين حضروا وحيه وكتبوه ، وصحبوا رسولهم في جميع أدواره ؟

لو كان المدسوس فيه آية من سورة طويلة ، أو كلمة تقلب المعنى وتوجهه الى ناحية أخرى ، لهان الخطب على العقل ، ولكانت الشبهة تحتاج لشيء من العلاج ، ولكن والمدسوس ثلاث سور صغيرة ، في أظهر مكان منه فأمر لايحتمل النظر فضلا عن الدحض .

وهل يعقل أن يحدث مثل هذا الأمر فلا يثير صخبا ، ولا يهيج غضبا ، ولا يستدعي شغبا ، ويمر كأنه لم يكن في أمة دستورها هذا الكتاب وحده ، ومتعبدها سوره وآياته ؟

وكيف سكت عنه ابن مسعود نفسه ، فلم يسمع له فيه زئير يدوى في العالم الاسلامي ذوى الرعود القاصفة ؟ لعلك تقول : خشى بأس عثمان . فقد قتل عثمان ، وابن مسعود حي يرزق ، فلم لم ينبه المسلمين الى هذه الجناية ويلجأ الى خليفته ليمحو من المصاحف هذه الزيادة التي ليست منه ؟

ما الذي حمل المسلمين ، والدين لا يزال في نضرته ، وكتابهم جمهم في جميع شئونهم ، ومتعبدهم في صلواتهم ، على أن يهملوا قول ابن مسعود ولا يرفعوا به رأسا ؟ ألأنهم ما كانوا يبالون بسلامة القرآن من الزيادة ، أم لأنهم كانوا يخافون بطش الذين حرفوه ، وقد دالت دولتهم وتلتها دولة أخرى على رأسها على أقل ما يقال فيها إنها كانت خلافة أجمع المسلمون على أنها كانت راشدة ؟

ما هذا الاجماع كله على عدم الاكتراث لقول ابن مسعود ، وهو ينبه الى أمر جلل كان يكفي خيال منه أن يثير فتنة تدع الحليم حيرانا ؟

يقول خصومنا : إن ابن مسعود كتب لأهل العراق أن يحتفظوا بنسخهم ، ولا يسلموها لعمال عثمان بحجة أنها أصح من نسخته ، وهذا معناه أن ابن مسعود كان بمحل يستطيع فيه أن يعارض أمر أمير المؤمنين ، وأن أهل العراق كانوا يصدرون عن رأيه ، فهل صدعوا بأمره ، واحتفظوا بنسخهم ؟ إن قيل : نعم ، فأين هي ، ولم لم يرو لنا التاريخ كلمة عن مخالفتها لنسخة عثمان ؟ وإن قيل : لا ، فكيف يعقل أن يفرط أهل قطر عظيم كالعراق في كتابهم الى هذا الحد ، ولم تبد منهم أية حركة من مقاومة ؟ أكان أهل العراق من خور العزيمة في هذه الدركة ، وهم الذين انتدبوا لخلع عثمان لحاصروه في بيته ، ثم لما خشوا فتنة تهب من أهل الشام من أجله قتلوه وولوا عليا مكانه ؟

وقد أحصى أهل العراق على عثمان عيوبا جمة ليس منها أنه عمد الى تحريف القرآن ، وكانت هذه الحجة تكفي وحدها في صرف القلوب عنه ، ودفعها لارتكاب أشد ضروب القسوة ضده .

وإذا صح أن ابن مسعود كتب لأهل العراق أن احتفظوا بمصاحفكم ، فلم لم يفاتح أهل المدينة في هذا الأمر ، وهو بين ظهرانيهم ، وينبههم إليه ، وفيهم مئات من كبار أصحاب رسول الله؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإذا كان فأكثرهم فيه فهل يتفق أن يجمعوا كلهم على رفض قوله ، وهل يعقل أن لا يكون فيهم واحد يعرف ما يعرف هو من أن الفاتحة والمعوذتين ليست من القرآن فيشاركه فى رأيه ؟

لو كان ابن مسعود هذا بعد عهد النبى صلى الله عليه وسلم بجيل أو جيلين ، واكتشف مصحفا أو مصاحف ليس فيها الفاتحة ولا المعوذتان ، ونبه أصحابها على أن الذين جمعوا القرآن على عهد عثمان زادوها فى القرآن وليست منه ، لكان قول ابن عباس يسترعى النظر بعض الاسترعاء . أما وهو من أهل الصدر الأول ، وحوله ألوف من أهل ذلك العهد ، فلا يعقل أن يذهب قوله هباء منثورا كأنه لم يكن ، ويقبل الناس كافة نسخة عثمان حتى أعداؤه ، والكارهون لولايته .

إن هذه القولة المنسوبة لابن مسعود ، ويعدها خصومنا شبهة على القرآن ، لا يمكن التسليم بنسبتها اليه، جريا على أسلوب النقد الاسلامى . فان المسلمين لا يقبلون قولا منسوبا لنبيهم إلا بعد التحقق من حالة رواته العقلية والنفسية والدينية ، وقد رفضوا مئات الألوف من الأحاديث المنسوبة إليه وعدوها موضوعة ،وقد كذب الناس عليه فى حياته ، حتى قال : من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . فهل يقبل المسلمون أو المنصفون من غيرهم ، قولة من هذا الطراز تقوم ضدها كل ما ذكرناه من المضعفات والمشككات ؟

إننا نحمد الله على أن ادعاء الزيادة فى القول المعزو الى ابن مسعود جاء خاصا بفاتحة الكتاب والمعوذتين ، وهى السور التى لم يوجد فى المسلمين منذ نشأوا الى اليوم من لا يحفظها ويصلى بها ، وهى لا تعدو الدعاء بالهداية والتوفيق ، والاستعاذة من الشرور وعواملها المختلفة . فأى مصلحة جناها محرف القرآن بزيادة هذه الأدعية والاستعاذات به ؟

يقول العامة : إذا سرقت فاسرق جملا ، يريدون إذا سمحت لك نفسك أن تحطها الى دركة السرقة فاعمد الى أثمن الأشياء وأجلها ، لا الى أصغرها وأحقرها وهذا الذى سول له كفره أن يحرف كلام الله لم لم يعمد الى أمر جلل فيدسه على الكتاب الالهى ، واكتفى بوضع فاتحة صغيرة له وخاتمتين ؟

وهل يعقل أن من يريد تحريف الكتاب الالهى لأمة ، بالزيادة عليه ، يضع تلك الزيادة فى أوله وآخره بحيث يراها أقل الناس عناية به ، أم يضعها بحيث تخفى على السواد الاعظم من الناس ؟

وهل يعقل أن المسلمين الأولين الذين كان شغلهم الشاغل القرآن، يبلغون من الغفلة أن يزاد فى أوله وآخره ما ليس منه فلا يدركوه ؟ أو أن يكونوا من قلة الاكتراث بسلامة القرآن بحيث يتركون هذه الزيادة لتشيع فى الناس ، حتى يأتى بعض خصوم الاسلام بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنا فينبه أخلافهم إليه ؟

اللهم إن كان قول يصح أن يضحك الثكالى وينسيهن مصابهن فهو هذا ، وإن كانت شبهة يكفى فى دحضها أن تورد بدون تعليق عليها فهى هذه !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال فى صفحة ٤٧ :

« إن ملايين المسلمين فى بلاد العجم يعزون كلا الزيادة والنقص الى عثمان ، ويقولون إنه حذف كثيرا من الآيات فى مدح على ، فضلا عن سورة كاملة تركها تدعى سورة النورين . وقد طبعناها تذييلا لهذا الكتاب . ونحن لا نثبت صحة هذه السورة ، فقط نقول إن أمرا كهذا يبعث على الريبة ويبين ضعف الحجة المشهورة : « فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » . ولا يخفى أن عليا كابن مسعود أبى أن يسلم نسخته الى عثمان لينقحها بحجة أنها كانت كاملة » .

نقول : يدعى الكاتب أن (ملايين) من المسلمين فى بلاد العجم يعزون الى عثمان أنه حرف القرآن . وهذا ادعاء لادليل عليه . فان الايرانيين سنية وشيعة يعتبرون القرآن الكريم منزها عن كل تحريف . ولكن هنالك بقية من الرافضة ، لا يتجاوز عددهم بضعة ألوف ، كان آباؤهم قد غلوا فى حق على حتى ادعوا أن الله حل فيه ، وسجدوا له ، فنهاهم فلم ينتهوا فأمر بقتلهم . فاذا كان هنالك أخلاف لهؤلاء الغلاة فانهم لا يقولون بتحريف القرآن ، ولكنهم يؤولون بعض آياته لمصلحة مذهبهم .

فان كابر كاتب هذه الشبهة فى ذلك فليذكر لنا ماقالوه فى هذا الشان من بعض كتبهم المطبوعة ، أما إرسال القول جزافا بغير دليل فلا يقبل منه .

أما السورة التى ادعى أنها كانت موجودة فى القرآن ، وحذفها عثمان ، وقال إنه طبعها فى ذيل رسالته ، فيكفينا أنه قد شك هو نفسه فى أنها من القرآن ، وهو لم يشك إلا لأنه يعلم أن رجلا من شيعته قد وضعها ليشكك فى الفرقان . وليت ذلك الداعى لم يقدم على ما فعل فانه أثبت بدليل محسوس أن القرآن نسيج وحده ، وأن مدعى الاتيان بمثله يضطر للأخذ منه ، وإلا عجز عن محاكاته ولو ظاهرا . وذلك أن تلك السورة ليست بشىء سوى عبارات قرآنية أخذت من سور متفرقة ، وصيغت صياغة مزورة ، فجاءت دليلا محسوسا على أن من أقدم على هذا التزوير قد أقام حجة قاطعة على أن القرآن لا يقلد بحال من الأحوال .

واليك عبارات من تلك السورة وهى تقع فى نحو صفحة ونصف صفحة من هذه المجلة :

« يأيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلها يتلوان عليكم آياتى ويحذرانكم عذاب يوم عظيم . نوران بعضهما من بعض وأنا لسميع عليم . إن الذين يوفون بعهد الله ورسوله فى آيات لهم جنات نعيم . والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدوا الرسول عليه يقذفون فى الجحيم . ظلموا انفسهم وعصوا لولى الرسول (يريد عليا) أولئك يسقون من حميم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إن الله الذى نور السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة والرسل وجعل من المؤمنين أولئك من خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فاخذتهم بمكرهم إن أخذى شديد أليم »

يرى القارئ مما مر أن الذى زور هذه السورة قد أتى بعبارات قرآنية وحشر بينها من كلامه ، فكانت من السخف والتقلقل بحيث ينبو عنها الطبع ، ويدرك الفرق البعيد بين الكلام الالهى المعجز وكلام البشر الركيك .

والى القارئ نموذجات أخرى من ركاكات هذه السورة الملفقة :

« يأيها الرسول بلغ إنذارى فسوف يعلمون »

« مثل الذين يوفون بعهدك أنى جزيتهم جنات النعيم »

« وإن عليا لمن المتقين »

« وإن عدوهم إمام المجرمين »

« يأيها الرسول قد أنزلنا اليك آيات بينات فيها من يتوفه مؤمنا ومن يتوله من بعدك يظهرون »

« ولقد أرسلنا موسى وهرون بما استخلف ، فبغوا هرون ، فصبر جميل »

« فاصبر فسوف يبلون . ولقد آتينا لك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين . وجعلنا لك منهم وصيا لعلهم يرجعون »

« إن عليا قانتا بالليل ساجدا يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه ، قل هل يستوى الذين ظلموا وهم بعذابى يعلمون »

« إنا بشرناك بذرية الصالحين . وإنهم لأمرنا لا يخلفون »

« وعلى الذين سلكوا مسلكهم منى رحمة وهم فى الغرفات آمنون »

هذه نموذجات من تلك التلفيقات المضحكة ، فمن يبلغ مرتكبها أن تحدى القرآن لو كان من هذا الضرب لاستطاع تلاميذ المدارس الأولية أن يأتوا بسورة بل بسور من مثله ؟ ولكن من كانت فى رأسه مسكة من عقل يحجم عن مثل هذا الهذر ، ويعرف أن هذا السلاح المفلول لا يقتل إلا صاحبه المسكين !

ولو كانت معايير البيان عند أصحابنا هو ما رأينا ، فاننا نترفع عن حوارهم ، لولا أنهم لا يتصدون إلا للغفل والجاهلين ، فان سكتنا خيل لهم أننا عجزنا عن رد كيدهم عليهم ، وما يكيدون إلا أنفسهم وما يشعرون .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد قال كاتب الرسالة فى شبهته هـذه : « ولا يخفى أن عليا — كابن مسعود — أبى أن يسلم نسخته الى عثمان لينقحها بحجة أنها كانت كاملة » .

نقول : إذا ثبت أن عليا لم يسلم نسخته الى عثمان بحجة أنها كانت كاملة ، فمعنى كاملة أنها كانت مطابقة لنسخة عثمان من كل وجه ، وإلا فما الذى كان يمنعه أن يحاج عثمان فى أمر نسخته التى يدعى الخصم أنها كانت محرفة ؟

لعله يدعى أنه لم يفعل ذلك اتقاء بطش عثمان ، فنسلم له ذلك جـدلا ، وإن كان عثمان فى حاجة الى حماية على ، ونقول : فما الذى كان يمنع عليا وقد أفضت اليه إمارة المؤمنين أن يأمر بنسخ نسخ جديدة من مصحفه ، إن كان مخالفا لنسخة عثمان ، وينشرها فى الآفاق تخليصا للقرآن الكريم من آفة التحريف ؟

هل كان على وهو أمير المؤمنين قليل الاكتراث لهذا الأمر فأهمله ، ورضى أن يستقر التحريف فى القرآن وهو قادر على إزالته ؟

وهل اتفق أن كان جميع خصوم عثمان قليلى المبالاة بالقرآن الى حد أنهم ، حتى بعد زوال ملكه ، يقرون التحريف الذى أوجده فى الكتاب الذى يعبدون الله بتلاوته ؟

اللهم إن هـذه محالات عقلية لا توجد معدة فى الأرض تستطيع هضمها ، ولا ندرى كيف استطاع أن يهضمها كاتب هذه الرسالة ؟ !

وقال فى صفحة ٤٨ :

« جاء أن عمر كان يقبل كل آية بشهادة شاهدين فكان من الممكن أن ترفض آية صحيحة إذا شهد بها شاهد واحد ، وأن تقبل آية محرفة إذا شهد بصحتها شاهدان » .

نقول كيف يقبل العقل مثل هذا القول ؟ قد ثبت بالتواتر التاريخى أن القرآن كان يحفظه الخلفاء الأربعة ومئات من الناس ، وكان مكتوبا كله ، ومحفوظا فى دار النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن أبا بكر لما أمر بكتابته ندب لذلك جمهرة من حفظته ، على رأسهم زيد بن ثابت فكتبوه ، فما شأن عمر بعد ذلك فى هذا الأمر ؟

هل كان القرآن آيات منثورة مفرقة بين الناس ، يحفظ منها هذا آية ، وذاك أخرى ، فلما أريد جمعه كان الذى يحفظ منه شيئا يأتى فيفضى بالذى عنده ، فيكتب عنه بشهادة شاهدين ، ويرد منه ما لا يشهد به إلا شاهد واحد ؟

إذن ماذا كان يحفظ منه حفاظه ؟ ولم ندبوا لكتابته دون غيرهم ؟ أما كان الأجدى أن يعلن الناس بذلك ، وينادى فيهم : من كان يحفظ شيئا من القرآن فليفض به ، وليستشهد على صدقه شاهدين ؟

شىء من ذلك لم يكن ، وإنما الذى كان هو أن أمير المؤمنين أمر أن يكتب المصحف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من المخطوطات المحفوظة ، ومن صدور حفاظه الغيورين عليه ، وهـذا جهد كل من يريد أن يستوعبه كله دون أن يسقط منه حرف واحد . فهل بعد هـذا الأسلوب أسلوب أدق منه فى جمع كتاب بدون تحريف ؟

فاذا كان الكاتب نقل هـذا من كتاب إسلامى فهو مردود على قائله لأنه غير معقول . وهل يهدم قول مقطوع السند كهذا عملا دل التواتر عليه ؟

وقال فى صفحة ٤٨ أيضا :

« جاء عن مسلم أن أبا موسى الأشعرى قال مرة لخمسمائة من القراء فى البصرة : إننا كنا نقرأ سورة بطول السهم وحده ، أما الآن فقد نسيتها ما عدا بعض الآيات » .

نقول : يسوق الكاتب هذه الشبهة على اعتبار أن أبا موسى يأسف على أن ذهب من القرآن مقدار كبير ، حتى إنه كان يحفظ سورة طويلة فنسيها إلا بعض آيات منها . وأنا أرجو القارئ أن يلاحظ أنه يذكر ذلك لخمسمائة من القراء ، أى من حفاظ القرآن .

والحقيقة أن أبا موسى المذكور لو كان قال هـذا للقراء فهو يذكر لهم ما نسخت تلاوته من آيات القرآن . وقد رأيت أن ذلك النسخ نبه عليه النبى صلى الله عليه وسلم وحدده تحديدا تاما ، بحيث لم يختلف اثنان من المسلمين فى شىء منه . ولو كان أبو موسى يقول ذلك أسفا منه ، فلم لم يهتم بها هو حتى نسيها ؟ أليس المفهوم بداهة أنه نسيها لأن تلاوتها قد نسخت فأهملها ؟

ومما تجب ملاحظته أيضا أن أبا موسى قال ذلك لخمسمائة من القراء ، أى لخمسمائة ممن جردوا أنفسهم للقرآن . فماذا يكون وقع هذا الكلام منهم لو كان أبو موسى يقوله متأسفا من ضياع بعض الكتاب ؟

لقد علمت أن أصحاب الحديث كانوا يجولون الأقطار الشاسعة وراء سماع الأحاديث ممن يحفظون شيئا منها طلبا لجمعها ، وكانوا يبذلون وراء ذلك أنفسهم ونفائسهم ، حتى تروى عنهم فيها الأعاجيب التى لم تتفق لمجتهدى أمة من الأمم ، فهلا كان يدفع كلام أبى موسى هؤلاء الحفاظ للبحث عن تلك الآيات المفقودة ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزالون أحياء ، فكانوا يرحلون الى المدينة وغيرها ينقبون عن حفاظ تلك السورة حتى يجمعوا مشتت آياتها ، أو أكثر تلك الآيات ؟

وكيف يعقل أن أبا موسى لم يلقن الخمسمائة من القراء الذين قابلهم الآيات التى ما زالت عالقة بذاكرته منها ؟ وكيف لم يطلبها منه أولئك القراء ؟

قس على هذا كل ما أورده كاتب هذه الرسالة مما يشبه هذا كما قال فى صفحة ٤٩ :

« وروى أبو موسى نفس الحديث عن سورة أخرى كالصيحات قد ضاعت .

« وروى عن عائشة أن الآية عن الرضاعة كانت تقرأ فى زمن النبى ولكنها مفقودة الآن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من القرآن (نرجو القارئ أن يلاحظ أن كلمات (قد ضاعت) و (مفقودة الا ن من القرآن) من تعبير كاتب الرسالة عمد اليها للتهويل » .

وقال فى صفحة ٤٩ :

« وقال أيضا جلال الدين السيوطى : « حدثنا ابن أبى مريم عن أبى لهيعة بن الأسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : كانت سورة الأحزاب تقرأ فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم مائتى آية فلما كتب عثمان المصحف لم يقرر منها إلا ما هو الآن (وهى الآن سبع وسبعون آية) .

« وقال ابن جيش قال أبي بن كعب كم تعد سورة الأحزاب ، قال اثنتين وسبعين آية أو ثلاثا وسبعين آية . قال كانت تعدو سورة البقرة .

« وأخرج البخارى فى تاريخه عن حذيفة ، قال قرأنا سورة الأحزاب على النبى فنسيت منها سبعين آية ماوجدتها .

« وروى جلال الدين أن عبيدا كان يقول حدثنا ابراهيم عن أيوب عن نافع قال : « لايقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله ، وما يدرى ما كله ، فقد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر » .

« وعن مالك أن أول سورة براءة سقط مع البسملة فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة لطولها .

« وقال أيضا مسلم إن الآية بخصوص الرجم كانت قبلا فى القرآن وكان عمر مقتنعا بصحتها حتى أقسم بالله إنه إنما منع عن تدوينها خشية الاتهام .

« فترى مما تقدم (القائل كاتب الرسالة) أنه طرأ على القرآن كثير من الحذف ، وبعبارة أخرى أن كلمة الله قد اعتراها النقص » انتهى كلامه .

نقول : إن كل ماجمعه كاتب الرسالة من هذه الأقوال ، يفسرها ماذكرناه مرارا ، من أن القرآن نسخت منه تلاوة آيات كثيرة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد علم المسلمون الأولون ذلك ولم يختلفوا فيه .

وإذا كانت عائشة قالت مانقله عنها كاتب الرسالة وهو : «كانت سورة الأحزاب تقرأ فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم مائتى آية ، فلما كتب عثمان المصحف لم يقرر منها إلا ما هو الآن » ، إذا كانت هى قائلة هذا القول ، وتعنى به أن عثمان جنى على القرآن فحذف منه ما كان يجب أن يبقى فيه ، فلم كانت تدافع عن عثمان ، حتى إنه لما قتل خرجت فى مقدمة الخارجين على على ، متهمة إياه بالاغراء بقتله ، وحضرت وقعة الجمل تحريضا للناس على الثبات فى وجه أمير المؤمنين ؟ فهل كانت تريد أن تفهم الناس أن عثمان الذى نقص من آيات القرآن ، يستحق أن تسفك فى سبيل الثأر له كل هذه الدماء ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومما رواه كاتب الرسالة عن البخارى أن حذيفة قال : « قرأنا سورة الأحزاب على النبى صلى الله عليه وسلم فنسيت منها سبعين آية ما وجدتها ».

هذا كلام يريد أن يفهم منه صاحب ذلك الكتيب أن حذيفة يأسف لنسيان سبعين آية من سورة الأحزاب . ولكن الجملة لا تشعر بأسف وبخاصة من أجل ضياع بعض القران ، الأمر الذى لو كان لاستتبع من الأحداث ما لا يعلم هوله إلا الله . فحذيفة يذكر أنه نسى سبعين آية من القرآن ، كما يذكر أنه نسى قصيدة كان يحفظها لبعض الشعراء .

هب أن حذيفة قال ذلك لبعض الناس ، أفما سأله ذلك البعض قائلا : هل تلك الآيات لم توجد فيما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بكتابته وحفظه من القرآن ؟ وهل نسيها جميع حفاظه؟ وهل اتفق أن نسيها المسلمون أجمعون ؟ وهل سعى حذيفة للحصول عليها فخاب ؟ إننا سمعنا أن بعض جامعى الأحاديث كانوا يسافرون ليالى وأياما لسماع أحاديث معدودة من رواتها ، فهلا حفزت الحمية بعض المسلمين للتنقل فى الأقطار سائلين عن تلك الآيات ؟

أليست تدل هذه السكينة التى يظهر بها قائلو هذه الأقوال ، والذين يسمعونهم ، على أن أمرها لا يعدو أحد احتمالين : فاما أنها مدسوسة على قائلها ، أو أنهم يريدون بها الآيات التى نسخت تلاوتها من القرآن ؟

فان قال معترض : لو كان هذا الأمر من قبيل الدس لما عجز الدساسون أن يحيطوه بشىء مما يدل على الأسف والاهتمام .

قلنا: لو فعلوا ذلك خشوا أن يكذبوا فيه ، لأن هذا الاهتمام كان يظهر له أثر كبير فيما نقل الينا من أحوال الصحابة . وقد نقل تاريخهم إلينا أنهم تضاربوا وتسابوا وقاتل بعضهم بعضا . أما وقد سكتت جميع المصادر التاريخية عنها ، فمعنى ذلك أنه لم يكن له أثر على الاطلاق . وهذا غير معقول إذا كان قد ضاع شىء من القرآن كما فصلنا ذلك تفصيلا فيما مر من الكلام .

ومن أدل الدلائل على أن هذا الأمر لم يكن له أثر فى تاريخ هذا الدين ، سكوت علماء الكلام عنه . فان هذا العلم الذى عنى بكل صغيرة وكبيرة من الشبهات التى أثيرت ضد الاسلام ، صمت حيال هذه المسألة كل الصمت ولم يشر اليها بكلمة واحدة . وقد أورد شبهات الكفار على وجود الله ، فهل يضن أن يورد الشبهات على نقص كتابه أو الزيادة فيه ؟

فلو قيل إنهم صمتوا عنها تفاديا مما تثيره من النتائج الخطيرة ، قلنا فكيف تسكت عنه الفرق الاسلامية والخوارج وعددها أكثر من سبعين ، وفى بعضها من الغلو والتقصير ما أخرجها عن دائرة الاسلام ؟ فهل هى أيضا خشيت من نتائجه الخطيرة وقد قامت تؤيد مذاهبها بالسيف والنار ؟

وإن سلمنا جدلا بأن قول الخصم معقول ، فهل هو معقول من بعض علماء اليهود الذين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كانوا فى جدال مستمر مع علماء المسلمين ؟ فلم لم يتخذوا التحريف الذى يزعم الزاعمون أنه وقع فى القرآن من الزلات التى يحصونها على كتاب المسلمين فى تلك الأزمان ، لاسيما وقد كان المسلمون يرمونهم بتحريف التوراة ؟

اللهم إن هـذه حجج قاطعة على أن ما يروى من حذف بعض آيات القرآن إنما حصل فيما كان منها منسوخ التلاوة ، ولذلك لم ينتطح حوله عنزان .

وقال صاحب تلك الرسالة فى صفحة ٥٤ :

« وفضلا عن ذلك إن آيات القرآن الحالية تختلف لفظا حتى انشق علماء الاسلام فى تفسيرها الى أحزاب .

« مثـلا قوله فى سورة محمد « قتلوا » وفى رواية أخرى قاتلوا ، وكذلك قد اختلفوا فى أمر الجهاد ، وكذلك اختلفت القراءة فى سورة الحج بين يقاتلون ويقاتلون (بكسر التاء وفتحها) الخ »

نقول : يريد الـكاتب مما ذكره مسألة اختلاف القراءات . أما وقد انتهى به الأمر اليها ، فاننا نخبره بأن هذا الاختلاف قد حدث على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ورفع أمره إليه ، فأقره بوحى من الله ، ولو كان حدث بعـده لـكان للخصم مجال للخوض فيه ، أما وهو على ما رأيت فلا مجال فيه لقائل كائنا من كان .

على أن هذه الاختلافات فى القراءة لم تحلل حراما ، ولم تحرم حلالا ، ولا هى تتعلق بالعقائد ولا العبادات ولا المعاملات ، ولم تثر بين المسلمين حربا ، ولا اعتبرها أحد شبهة على الـكتاب الالهى . فـكل كلام فى هـذا الموضوع عبث محض لا يقام له وزن لا عند المسلمين ولا عند سواهم .

وإذا علم القارىء أن هذه الاختلافات فى القراءة حدثت على عهد رسول الله فأقرها بوحى من الله ، سقطت حيرة صاحب الرساله فى معرفة أى القراءات هى التى نطق بها محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن أدل الأدلة على أن المسلمين يعتبرون اختلاف القراءات أمرا مشروعا أن قراء القرآن يرتلون آياته مع مراعاة هـذه الاختلافات فيـكررون بعض الآيات على ضروب شتى إدلالا على تمـكنهم من فنهم ، والمسلمون يقابلون ذلك بالتقدير والاعجاب .

وبعد فقـد اتضح للقارىء بأقوى الأدلة وأنهض الحجج أن القرآن الـكريم لا يعقـل أن يـكون قد اعتراه تحريف من أى ضرب كان ، وأنه بقى محفوظا فى الصدور والسطور ، وسيبقى كذلك أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، مصداقا لقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الانصار

كيف استقبلوا الاسلام ؟

« بقية البحث »

درج الاسلام الى « يثرب » واثقا مطمئنا بعد أن استيأس من مكة التى أخذتها العزة أن تستجيب لداعى الهداية والخلاص من وثنية ضالة بليدة ، تضع من قيمة العقل الانسانى ، وتغله بأغلال العصبية والتقليد الأصم ، فاستقبله اليثربيون استقبال الظمآن فى هجير الصحراء لعذب الماء فى ظلال دوحة فيحاء ، وأصبح له فى كل مجتمع يثربى ذكر ، والى صاحب الرسالة فى كل قلب حنين وشوق ، وصار فتى بنى الأشهل « إياس بن معاذ » طليعة الاسلام الى يثرب محط أنظار أهلها ، رجالا ونساء ، شيبا وشبابا ، ينظرون اليه نظر غبطة ودهش فى شىء كثير من حيرة الأمل الباسم بالمستقبل الظافر ، حتى إذا دارت عجلة الزمان دورة عام فى أفق الفلك ، وأقبل موسم الحج الى مكة قدم فيمن قدم اليها من اليثربيين اثنا عشر رجلا هدى الله قلوبهم للايمان ، وانشرحت صدورهم للاسلام ، وكانوا عشرة من الخزارجة ، فيهم « عبادة بن الصامت » واثنان أوسيان ، قدموا يريدون لقيا النبى صلى الله عليه وسلم والاجتماع به ومبايعته على الايمان برسالته ، ليسبقوا جيرانهم اليهود الذين كانوا يتوعدونهم بظهوره والاستنصار به عليهم ، فلقيهم النبى عليه السلام عند العقبة فبايعهم على أصول الاسلام والعمل بها فى خاصة أنفسهم ، ولم يكلفهم فى هذه البيعة شيئا يشق عليهم ، ولم يأمرهم إلا بالتوحيد ودعائم المروءة ومكارم الأخلاق . روى البخارى فى صحيحه عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه : « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصونى فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو الى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه ، فبايعناه على ذلك » .

هذه البيعة هى بيعة السلام ، ليس فيها تعاهد على حرب أو قتال ، ولعلها لذلك يسميها بعض كتاب السيرة « بيعة النساء » وهى التى فى قول الله تعالى : « يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن » .

بعد بيعة السلام هذه عاد الاسلام الى « يثرب » مستعليا ، بعد عام من دخوله الى ربوعها مستخفيا تحمله قلوب جمهرة من رجالها وأولى الرأى فيها ، وارتفع صوته جهيرا ، ولكنه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا يزال فى هدوئه ووداعته ، بل فى سكونه بعيدا عن نضال مكة وسطوتها ، وترامى الى مسلمى مكة حديث إخوانهم اليثربيين واستبشارهم بهـذا الدين الجـديد ، واطمئنانهم الى عقيدتهم التوحيدية فى أمن من الأذى ، فتطلعت نفوسهم الى ذلك الجو الهادئ الصافى الذى يؤدون فيه شعائر دينهم آمنين على أنفسهم وعقائدهم مما يلاقونه من ألوان التنـكيل والفتنة ، وودوا لو أنهم استطاعوا اللحاق باخوانهم الأصفياء فى ديارهم ، ولـكنهم لم يكونوا يأمنون شر قريش أن يلاحقهم الى هناك ، وأن تؤلب عليهم العرب ، وهى منهم فى مكان الزعامة الآمرة التى لا يرد لها أمر ، وماذا عسى أن يفيدهم اليثربيون لو تحول هذا النضال الى حرب ضروس ، وهم لم يأخذوا عليهم عهداً بخوض هذه الحروب ، ولم يبلغ عهد النبى صلى الله عليه وسلم لهم فى بيعة السلام الأولى على يدىْ وفد الاثنى عشر أن يـكون معاهدة دفاع حربى ، بل لم يتعد أن يكون بلاغا لهم بدعوة الاسـلام ، والعمل بشىء من مهمات شرائعه التى كان قد نزل بها الوحى الى يومئذ فى خصيصة أنفسهم .

كان هذا تفـكيرا يدور فى نفوس المسلمين ، وظل يضطرب بها وظلت هى بين الاقدام والاحجام ، يدفعها ما تلاقى من بليغ الأذى والصد عن سبيل الله الى العزم على الهجرة الى دار إخـوانهم فتعزم عليها ، ويقف أمامها المستقبل الغامض فى غربة لا يعتمدون فيها على مال ولا ولد فترجع عن عزمها متشحة بالصبر وتوطين النفس على تحمل الشدائد حتى يقضى الله بينهم وبين قريش التى تريد أن تلجئهم الى المهاجرة من مكة وطنهم الحبيب ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم فى كل ذلك يضرب لأصحابه المثل الأعلى فى الصبر والمصابرة ، وصدق العزيمة فى سبيل تبليغ أمر ربه ، وكان صلوات الله عليه نظارا الى الفرص المواتية فلا يدعها تفلت دون أن يحملها بحدث من أحداث الانقلاب ، أو نبأ من أنباء الاسلام يذهب فى الجزيرة العربية شرقا وغربا ، يعرض نفسه على القبائل فى مضاربها ومواسمها ، معنيا أشـد العناية بموسم الحج لأنه أعظم مواسم العرب شأنا ومجتمعا ، فاذا رن فى ساحته صوت الدعوة تردد له الصدى فى آفاق الجزيرة كلها ، وماذا يبغى النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من أن يهتز بدعوته الأثير فتضطرب بموجاته كل أذن ، ومنه تندفع الى القلوب الواعية ممثلة آيات العزة الاسـلامية ؟ وزادت أهمية الحج فى نظر صاحب الرسالة أنه يرتقب فيه أخبار بيعته لأولئك النفر من أهل « يثرب » وما أثمرته فى ذلك البلد الطيب .

حان الموسم ، وخرج النبى صلوات الله عليه كدأبه لنشر دعوته وتعرف مدى ما وصلت إليه فى أشتات قبائل العرب التى يضبها البلد الحرام فى الأشهر الحرام ، وقد بلغه أن جمعا عظيما من اليثربيين لاعهد للمواسم بمثله قد أقبل ، وكان من بينهم خمسة وسبعون مسلما ، فيهم امرأتان ، فواعدهم أوسـط أيام التشريق . قال شاعر الأنصار كعب بن مالك يحدثنا عن هـذه الليلة العظيمة : « لما كانت الليلة التى وعدنا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتنا أول الليل مع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قومنا ، فلما استثقل الناس من النوم تسللنا من فرشنا حتى اجتمعنا بالعقبة ، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس لاغير ، فقال العباس : يامعشر الخزرج : إن محمدا منا حيث علمتم ، وهو فى منعة ونصرة من قومه وعشيرته ، وقد أبى إلا الانقطاع اليكم ، فان كنتم وافين بما عاهدتموه فأنتم وما تحملتم ، وإلا فاتركوه فى قومه . فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم داعيا الى الله مرغبا فى الاسلام تاليا القرءان . فأجبنا بالايمان ، فقال : «إنى أبايعكم على أن تمنعونى مما منعتم به أبناءكم » فقال البراء بن معرور أحد زعماء القوم : ابسط يدك نبايعك عليه ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ، ورثناها كابرا عن كابر . فقاطعه أبو الهيثم بن التيهان ، وهو ثانى اثنين من الأوس حضرا بيعة السلام الأولى ، قائلا : إن بيننا وبين يهود عهودا نحن قاطعوها فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « بل الدم الدم والهدم الهدم ، أنتم منى وأنا منكم ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم » فاطمأن القوم وقاموا الى البيعة ، فقال لهم عباس بن عبادة بن نضلة ، وهو أحد العشرة الخزارجة الذين اشتركوا فى بيعة السلام : يامعشر الخزرج : أتعلمون علام تبايعون هذا الرجل ؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فان كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن فدعوه ، فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ! فقال القوم : إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف . فبايعوه على ذلك » .

كانت هذه البيعة ، على خلاف سابقتها ، معاهدة حربية للدفاع وحماية العقيدة ، والاستعداد لحرب الأحمر والأسود ، فاستوثق النبى صلى الله عليه وسلم بمحضر عمه العباس لنفسه ولدعوته ممن عاهدوه على نصرته ، واستوثق القوم منه على أن لا يدعهم إذا أظهره الله ، فكانوا أنصاره وحماة دينه ، وكان حميهم ووليهم ، آوى الى بلدهم فاتخذه وطنه ، ومبعث هدايته ، وجعله الله تعالى مقر جثمانه الطاهر ، ومركز خلافته ونشر شريعته .

هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى هذا الوطن الجديد ، فتلقاه أنصاره بنشوة من الطرب والفرح أخرجت المخدرات من خدورهن ، وكل شخص فيهم يتحرق شوقا لأن يملأ ناظريه من هذا القادم العظيم الذى نفخ فى مدينتهم روحا لم تشهد مثلها منذ عرفها التاريخ ؛ وتسابق زعماؤهم فى التماس شرف ضيافة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فترفق بهم مبتهجا أشد الابتهاج بهذه العواطف النبيلة ، وهذا الحب الذى أفعم كل قلب ، وبدا على كل وجه ؛ واختار لنفسه منزلا بوأه الله إياه ورضى عنه أنصاره وأصحابه ، وعادت « المدينة » الى هدوئها بعد مظاهرات الاستقبال وأفراح اللقاء ، ولكنها منذ اليوم بدأت تحيا حياة جديدة كل الجدة ، فقد بنى فيها مسجد عظيم تؤدى فيه الشعائر الدينية مستعلنة قوية ، ومنه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

انبعثت أصوات الدعوة الاسلامية جهيرة متحدية ، وفيه وضع أساس الدولة الجديدة ، وفيه تدبر نظم الحياة المستقبلة التى بدأت بهذا الانقلاب الخطير .

كان من الطبيعى أن تتجه أفكار النبي صلى الله عليه وسلم وأفكار أصحابه وقد أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وأفكار أنصاره وقد أخذوا على عاتقهم نصرته وتأييد دينه ، أول أمرهم ، الى مكة وقريش ، وقد أمكنتهم الفرصة من الوقوف أمامها ، والطمع فى الغلبة عليها ، فلتصادر تجارتها الى الشام ، ولتقطع عليها طريق المرابحة حتى تلين قناتها ، أو يحكم فيها السيف ، وعز على قريش فى كبريائها أن تقف من محمد وأصحابه هذا الموقف ، فخرجت فى قواها كلها لتفتك بهذه العصابة التى إن تهلك فلن يعبد الله فى الأرض ، وخرج المسلمون بقيادة البطل الأعظم للقائها على شفير « بدر » ، وهناك أخبر الناس خبر قريش ليكونوا على بينة من أمرهم ، ووجه كلامه الى الانصار ، فهم عدته وردءه قائلا : « أشيروا على أيها الناس » فقال سعد بن معاذ وهو صاحب رايتهم يومئذ والمتكلم بلسانهم : لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال : أجل . فقال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فو الذى بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ! » .

لله هذه العزائم الصوارم التى بنت مجد الاسلام شامخا ، وأرست قواعد بنيانه راسخا ، عزائم صنعها الايمان فأحبت الموت فى سبيل العقيدة فوهبت لها الحياة ، أحب الأنصار الاسلام من كل قلوبهم فنصروه نصرا مؤزرا ، فأكرمهم الله ، وآثرهم نبيه صلى الله عليه وسلم ، فجعل حبهم آية الايمان وبغضهم آية النفاق ، وقال فيهم : « لو سلكت الأنصار واديا لسلكت وادى الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار » . آخى بينهم وبين المهاجرين فقاسموهم أموالهم ، وسمحت لهم أنفسهم بالنزول عن بعض زوجاتهم ، فمدحهم الله وأثنى عليهم بقوله : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . تفقهوا فى الدين فكان منهم الأئمة والمعلمون ، وكان نساؤهم من خير نساء العالمين عشرة وتدينا وطاعة وفقها . قالت عائشة رضى الله عنها : « نعم النساء نساء الانصار : لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين ! » .

وبعد : فقد كتب « الانصار » لأنفسهم فى صحائف تاريخ الاسلام صحائف من نور لاتزال سراجا هاديا للقادة والجند ، ولهم فى كل أحداث الاسلام مواقف تجعلهم مثلا عليا للرجولة التى ينشدها المسلمون فى حاضرهم ليستعيدوا مجدهم الغابر ، ولايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ؟

صادق عرجون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاخلاق الفلسفية

— ٣ —

الدين وقوة سلطانه على النفوس

أشرنا فى الكلمة السابقة الى الأثر الملموس الذى يحدثه الدين فى نفوس الأمم، وأبنا أن أثر القوانين الوضعية التى تتعقب الجرائم وتعاقب عليها، محاولة إبادتها أو الاقلال منها، ليس شيئا مذكورا الى جانب أثر الدين، وأسندنا السبب فى هذا الفرق الهائل بين تأثير الدين وتأثير القانون الى أن الأول يتغلغل فى النفوس فيقودها فى سرها كما يهديها فى علانيتها. أما الثانى فلا تتجاوز سلطته الأجسام، ولا تنزل عقوبته إلا بعد ثبوت الجريمة فى الظاهر باعتراف أو برهان. ولا شك أن هذا الثبوت أمر قد يبلغ من العسر أحيانا الى حد إخفاء كثير من الجرائم وتبرئة مقترفيها، وهذا هو سر سمو تأثير الدين على تأثير القوانين الوضعية. أبنا كل هذا، وأشرنا بالرأى الذى يجب اتباعه فى تهذيب النشء بالأخلاق الاسلامية، وسردنا شيئا من آراء الفلاسفة الذين يؤمنون بهذه الفكرة. واليوم سنأتى على آراء المعارضين لهذا الرأى، لأننا نشاهد أن بعض فلاسفة أوربا المحدثين يرفعون الصوت عاليا بوجوب فصل الأخلاق عن الدين، وينتحلون لذلك أعذاراً سنذكر هنا أهمها وأجدرها بالعناية، ثم نرد عليها بما يدحضها فى نظر المنطق الصحيح. واليك هذه الأعذار:

١ — إن كثيراً من الدول تعتنق كل واحدة منها ديانات مختلفة، وإن نشر أخلاق دين من هذه الأديان وإهمال أخلاق الديانات الأخرى يعد خنقا لحرية معتنقى هذه الأديان المهملة.

ونحن من جانبنا نرى أن هذا الاعتراض واه من أساسه، لأن الديانات على اختلاف ألوانها وطقوسها لا تتعارض فى الفضائل الجوهرية ألبتة.

فاذا نشرنا أخلاق الاسلام مثلا فى مصر، فاننا لا نرتاب أقل ارتياب فى أن المسيحيين والاسرائيليين المخلصين للفضيلة سيستريحون لهذه الأخلاق الاسلامية كل الاستراحة، وسيجدون فيها أرفع أنواع السعادة الاجتماعية. على أن هؤلاء المعترضين يجزمون بأن الأخلاق الحرة لا تنال الاحترام إلا إذا كانت تتسع لارضاء المؤمنين والملحدين معا، وهى بالطبع لا يمكن أن ترضى المؤمنين جميعا على اختلاف دياناتهم إلا إذا كانت تلتقى مع هذه الديانات كلها عند نقطة خاصة، وهذا هو عين ما ندعيه من أن جميع الديانات متفقة فى الفضائل الأساسية، وإذاً، فلا معنى للتخوف من أن نشر أخلاق دين بعينه يعدو على حرية الذين لا يعتنقونه.

٢ — إن من المشاهد أن بعض الحكومات اللادينية، كجمهورية فرنسا مثلا، وإنه يكون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من التناقض أن تربط هذه الدول « اللادينية » الأخلاق بالدين بعد أن فصلت عنه قوانينها وتشريعاتها وسياستها .

ويمكن أن يجاب على هذا الاعتراض بأن القياس هنا مع الفارق ، لأن القوانين المدنية والدساتير السياسية يمكن أن تتبع العصور المختلفة والأمزجة المتباينة . أما القوانين الأخلاقية فيجب أن تكون ثابتة لاتتأثر بزمان ولا بمكان ، ولا ينبغى لها أن تتبع أهواء الزعماء والمشرعين «اللادينيين » وإلا لكانت بشرية مثلنا قضة تستحسن اليوم ما استهجنته بالأمس ؛ ولاريب أن هذه الصفة تفقدها عالميتها التى هى ألزم لها من الهواء للكائنات الحية . وإذا فهذه العالمية ، وذلك الثبات الضروريان للقوانين الأخلاقية ، لايتحققان إلا إذا كان المنبع ثابتا وخالدا . ومن أكثر ثباتا وخلودا من منشىء الديانات ؟

فكل عاقل تهمه الحالة الاجتماعية العامة يرى وجوب نشر الأخلاق الدينية حتى فى البلاد اللادينية ، فكيف ببلد كمصر يستمد كثيرا من قوانينه المدنية وكل تشريعات الأحوال الشخصية فيه ، من الدين ؟

وفوق ذلك ، فان العلم يعترف فى صراحة بأن أكمل الأسس الاجتماعية ، وأرقى الأنظمة العمرانية ، مدينة بحياتها للدين وحده ، لا لتلك الأخطاء المرعبة ، والسقطات المروعة التى امتلأت بها نظريات العلماء والفلاسفة ، كما يعلن أن العقل لا يستطيع أن يصل إلا الى تلك الحقائق النسبية فحسب ، أما الدين فانه يقرر حقائق مطلقة . وهذا الفرق كاف لرفعته ولجدارته بأن يكون منبعا للأخلاق .

والذى أدعى الى الدهش والاستغراب هو أن « كانت » كبير الفلاسفة العقليين فى العصور الحديثة يعلن أن فصل الدين عن الأخلاق يعد ضربا من الخطأ الخطر على الحياتين : الأخلاقية والاجتماعية معا .

فاذا كان هذا هو رأى « كانت » الذى يعد فى تاريخ الحركة العقلية الأوربية مدرسة بتمامها ، ورأى الأكثرية المحترمة من الفلاسفة الروحيين والعقليين ، فما لنا نرى بعض المعاصرين الذين يعالجون هذه الموضوعات فى مصر يتنكبون السبيل السوية ، ويتيهون فى مهامه التقليد والانقياد وراء هذه الشرذمة المادية من فلاسفة أوربا الذين حطمتهم أدلة الروحيين وصيرت مذاهبهم خرائب وأطلالا ؟ وإليك شيئا من هذه الأفكار السطحية التى سار فيها بعض مؤلفينا على أنساق بعض فلاسفة الغرب اللادينيين دون تأمل ولا روية :

يرى أحد المربين المحدثين أن الواجب فى دراسة الدين فى المدارس هو الاقتصار على ذكر ما مر فى الدين من أخلاق وفضائل ، دون تعرض الى دراسة الدين نفسه ، ولا الى تحليل نظرياته الفلسفية الجدلية التى لايعود منها على الطالب إلا إثقال كاهله ، وكد رأسه ، وإنهاك عقله فيما

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لايفيده ، بل يؤود قواه ، ويقتل ملكاته . ثم يستمر فى نقده فيقول : إذ ماذا يستفيد الطفل من معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلية ؟ الى آخر ما قال . وأنا أرى أن هـذا الرأى بعيد عن التعمق والدقة كل البعد ، ولو عملنا به لأبنا من الأخلاق الدينية خالى الوفاض ، صفر الأيدى ، ولتقدمنا نحو الفشل فى اتباع تعاليم السماء بخطوات واسعة ، لأننا لانرى أدعى الى السخرية ، ولاأبعث على الاستهزاء من شخص يتبع أخلاق دين وينسج على منوال فضائله وهو يجهل أسسه وأصوله كل الجهل ، لأن هذا الدين يتهدم من رأسه ، ويزول الاعتقاد به من ذهنه عند أول عاصفة شك أو إلحاد تهب على هذا الذى لم يتحصن بمعرفة هذا الدين ، ولم يدعم إيمانه بالأدلة والبراهين ، ومتى زال من قلبه الايمان ، انمحت من نفسه تلك القداسة العليا التى كانت تقوده الى الاذعان لما جاء فى هذا الدين من فضائل وأخلاق . وليس لهذا كله سبب إلا الجهل بأسس الدين وبراهينه ، ذلك الجهل الذى يدعو إليه هذا المربى العصرى .

وإذا كان هذا المؤلف يخشى أن يدرس الطلاب الدين فيجدوا فيه ما يتنافى مع العقل فيهملوه ويتهاونوا به وبما جاء فيه من أخلاق ، أقول : إذا كان يخشى هـذا كما يلمح فى كتابه ، فانا نؤكـد له أن دين الاسلام لن يرتاع من هـذا التهديد ، ولن ينزوى وراء أستار الجهل خوفا من اصطدامه مع العـلم الحـديث أومع العقل المثقف المستنير . وإنى لمستأنس لك هنا برأى أحد كبار العلماء الفرنسيين وهو مؤلف كتاب « فى الدراسات الدينية » قال حين عرض للاسلام :

« ومن جانب آخر ينبغى أن نذكر أن الدين الاسلامى مخالف كل المخالفة لهذه الأبراج المتشامخة التى تسقط من ضربة واحدة ، لأن فيه قوة كامنة ، وصلابة ومتانة تجعله قادرا على المقاومة مقدرة تامة » الى أن يقول : « وإنى أعتقد أن الشرق إذا تغلب على جموده وتخلص منه ، فان الاسلام لن يضع أية عقبة جـدية فى سبيل التفـكير الحـديث ، أما فى أوربا ، فانه إذا أريد التجديد والنهوض ، فلا بد أن يترك لـكل شعب من شعوبها معالجة تلك المهمة البالغة حدا عظيما من الدقة ، وهى مهمة التوفيق بين تقاليدها الدينية ، وبين حاجاتها الجديدة ، وأن يحترم حق الشعوب كما يحترم حق الأفـراد فى أن تتولى بنفسها فى حرية تامة ثورات وانقلابات العلم والمعرفة »

قد اتضح لك من كل ماتقدم أن دين الاسلام لايهاب العلم : قديمه وحديثه ومستقبله ، ولا يصطدم مع التفكـير المنظم ، ولا يتناقض مع التحليل الدقيـق . وإذا فهما تثقف الشبان واتسعت مداركهم ، فلن يلقوا بالدين جانبا إذا كانوا قد درسوه دراسـة متينة وافية . وأما الخوف كل الخوف ، والويل كل الويل ، فمن أن يدرس الشبان الدين والعلم أو أحدهما دراسة سطحية ناقصة ، لأنهم يسقطون حينـذاك فى هوة الشـك والارتياب كما قال أحد الفلاسفة الأوربيين :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« إن الأخذ بنصيب بسيط من الفلسفة والعلم يسوق الى الالحاد ، ولكن التعمق فيهما يوطد دعائم الايمان » .

فرأى هذا المربى المعاصر واه من أساسه ، لأن العلة التى يبنيه عليها باطلة .

و إذا فالنتيجة التى حصلنا عليها بعد كل هذه المناقشة ، هى : أن الدين شديد الأثر فى النفوس ، قوى السلطان على القلوب ، وأن تأثيره يقوى ويضعف تبعا لقوة الايمان به وضعفه ، وأن الايمان المتين لا يتحقق إلا بعد الفهم الدقيق لأصول الدين وقواعده فهما مدعما بالأدلة والبراهين ؟

دكتور محمد غلاب
مدرس الفلسفة بكلية أصول الدين

من قال لا أدرى فقد أفتى

افتتح إمام البيان الجاحظ كتابه البيان والتبيين بقوله : « اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن ، كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ، ونعوذ بك من شر السلاطة والهذر ، كما نعوذ بك من شر العى والحصر » .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سئل فأفتى بغير علم فقد ضل وأضل » .

وقال حكيم : « من العلم أن لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم ، فحسبك جهلا من عقلك أن تنطق بما لا تفهم » .

ولقد أجاد زرارة بن زيد حيث يقول :

إذا ما انتهى علمى تناهيت عنده ... أطال فأملى أو تناهى فاقصرا
ويخبرنى عن غائب المرء فعله ... كفى الفعل عما غيب المرء مخبرا

والمثال الأبلغ فى هذا الباب ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل قائلا : أى البقاع خير وأى البقاع شر ؟ : « لا أدرى حتى أسأل جبريل » .

وقال على بن أبى طالب : « ما أبردها على القلب إذا سئل أحدكم فيما لا يعلم أن يقول : الله أعلم » !

وقال عبد الله بن عباس : « إذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله » .

وقال أحد العلماء : « هلك من ترك لا أدرى » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اختلاط الجنسين

زعموا أن رجلا أنشد امرأة البيت الآتى :

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

فردت عليه المرأة بقولها :

إن النساء رياحين خلقن لكم وكلكم يشتهى شم الرياحين

وما يعنينا فى هذه الكلمة أن تكون المرأة شيطانة أو ريحانة ، أو شيطانة وريحانة معا ، ولكن الذى يعنينا هو اختلاط المرأة بالرجل ، وقد آثرنا أن لا يكون لنا رأى شخصى فى هذا الموضوع ، وأن نكتفى بما فيه الكفاية من كلام ليس لنا فيه من عمل إلا نقله وعرضه على القارىء الكريم .

وقبل كل شىء نريد أن نقرر هنا أن كلمة (اختلاط الجنسين) لم يحدد معناها التحديد الكافى ، فهى شاملة للكثير من أنواع الاختلاط ، كالحج ، ومالا يمكن التحرز منه فى هذا العصر الذى نعيش فيه . فالطرقات ، والأسواق ، وقطارات (السكة الحديد) وعربات الترام ، والسيارات العامة ، والمتاجر ، والمصانع ، ومزارع القرى ، ومعلمات المدارس ، والطبيبات ، كل هذا يحيط به ألوان كثيرة من ألوان اختلاط الجنسين ، دعا إليه منسك من المناسك ، ودعت إليه الحاجة والسعى وراء الرزق فى طرقه الشريفة الشاقة .

وهناك ألوان أخرى من اختلاط الجنسين تراها فى المتنزهات ، والبارات ، وصالات الملاهى و (الكباريهات) ، والحفلات الراقصة . وكثيرا ما تكون هذه الألوان من الاختلاط الجنسى على نغم الموسيقى وتحت تأثير نشوة الراح . وكثيراً ما يقرب الفم من الفم ، وتلتف الساق بالساق ، والأذرعة بالخصور ، وتتلاصق الصدور بالنحور ، فلا ترى إلا أغصانا مشتبكة ضربتها الرياح ، وقد تطفأ الأنوار ، فتنطفىء البصيرة ، وتضل الأبصار .

فهذه الألوان من اختلاط الجنسين لم تدع إليها ضرورة داعية ، ولا حاجة ملحة ، ولا يشفع لها فى نظر الشرقى مسلما كان أو غير مسلم أنها من عمل أوربا ، ولو كان أهل أوربا من الملائكة المقربين ، وقد آن لنا أن تفهم أوربا عنا أن الشرق أعرق فى الانسانية ومكارم الأخلاق من غيره ، وأنه مهبط الروحيات ، وأنه لو سار على ما رسمه له الاسلام لما سار إلا على الصراط المستقيم .

وقد قلنا فى أول هذه الكلمة إننا سنكتفى هنا بكلام ليس لنا ، ولكننا ذكرنا ماذكرنا لنحدد بعض التحديد ما تحتوى عليه كلمة (اختلاط الجنسين) من معان كثيرة ليحكم القارىء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بعد ما سنسرده له أي الطريقين خير في كل هـذه الألوان من الاختلاط الجنسي . ولا يفوتنا قبل سرد ما سنسرده أن نقول إن الكمال لله وحده ، وإننا لسنا ملائكة ولسنا أيضا شياطين ، وإن كلا من المرأة والرجل مالم يكن له مناعة ذاتية تحميه من النقائص فان يحميه منه البروج المشيدة ، ولا القيود الفولاذية . ويجب أن لانهمل خطر الظروف والجو التي تحيط باختلاط الجنسين ، من فقر وغنى ، وصبا وكهولة ، وقوة وضعف ، وجمال وقبح ، وأن نلاحظ الأمزجة والمناخ . ولا بأس على القارئ الفاضل أن يستنير في هذا الموضوع أعني موضوع اختلاط الجنسين بالحوادث الكثيرة التي تنجم عن اختلاط الجنس الواحد لظروف وأحوال خاصة .

والآن نقص على القارئ الفاضل ما أردنا أن نقصه ، والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق :

قال الله تعالى في كتابه الكريم في سورة يوسف عليه السلام : « وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه ، قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ، وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ، وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً » ثم يقول الله تعالى بعد ذلك : « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ، وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ، ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » ثم يقول الله تعالى : « فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ، يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ، وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا ، إنا لنراها في ضلال مبين ، فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن ، وأعتدت لهن متكأ ، وآتت كل واحدة منهن سكينا ، وقالت اخرج عليهن ، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ، وقلن حاش لله ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ، قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين ، قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه ، وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين »

ويقول الله تعالى في سورة النور : « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم ، ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ، قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن أو أبنائهن ، أو أبناء بعولتهن ، أو إخوانهن أو بني إخوانهن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أو بنى أخواتهن ، أو نسائهن ، أو ماملكت أيمانهن ، أو التابعين غير أولى الاربة (أى أصحاب الحاجة الى النساء) من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن »

ثم يقول الله تعالى فى هذه السورة : « يأيها الذين آمنو ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ، طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك يبين الله لكم الآيات ، والله عليم حكيم ، وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم »

وجاءت صفية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتكف فقام معها ليشيعها فمر به رجلان من الأنصار فقال : على رسلكما إنما هى صفية (وهى من أمهات المؤمنين وإحدى أزواج الرسول) فقالا : سبحان الله (استبعاداً لظنهما السوء) فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فخفت أن يقذف فى قلوبكما شيئا فتهلكا » . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى الشابة من النساء عن الاعتكاف فى المسجد ، ويرخص فى ذلك للعجائز .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة يصف الرجال أمام الغلمان ، والغلمان خلفهم ، والنساء خلف الغلمان . وكان يقول : « خير صفوف الرجال أولها ، وخير صفوف النساء آخرها » !

وقال صلى الله عليه وسلم : « دع مايريبك الى مالا يريبك » وقال : « ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه »

وجاء فى انجيل متى فى الاصحاح الخامس ما يأتى « قد سمعتم أنه قيل للقدماء لاتزن ، وأما أنا فأقول لكم إن كل من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ، فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك ، فانه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم »

وللشعراء أبيات كثيرة تمت الى موضوعنا هذا بأكبر سبب ، ونحن موردون لك بعضها :

قال أبو العلاء المعرى :

لا تتبعن الغانيات مماشيا ... إن الغوانى جمة تبعاتها
وإذا اطلعن من المناظر فالهدى ... أن لاتراك الدهر مطلعاتها
ودع القراءة إن ظننت جهيرها ... ذكرت به الحاجات مستمعاتها
فالصوت هدر الفحل يؤنس ركزه ... ألافه فتجيب ممتنعاتها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال أيضا :

ولا ترجع بإيماء سلاما … على بيض أشرن مسلمات
ولا تسأل أهند أم لميس … ثوت فى النسوة المتخبات
وليس عكوفهن على المصلى … أمانا من غوارر مجرمات
ولا تحمد حسانك أن توافت … بأيد للسطور مقومات
لحمل مغازل النسوان أولى … بهن من اليراع مقلمات
ويتركن الرشيد بغير لب … أتين لهديه متعلمات
وما عيب على الفتيات لحن … إذا قلن المراد مترجمات
ولا يدنين من رجل ضرير … يلقنهن آيا محكمات
سوى من كان مرتعشا يداه … ولمته من المتثغمات
وما حفظ الخريدة مثل بعل … تكون به من المتحرمات
فهذا قول مختبر شفيق … ونصح للحياة وللممات

ولأبى نواس :

أمشى إلى جنبها أزاحمها … عمداً وما بالطريق من ضيق
كقول كسرى فيما تمثله : … من فرصة اللص ضجة السوق

وله غفر الله له :

وعاشقين التف خدا هما … عند التثام الحجر الأسود
فالتقيا من غير أن يأثما … كأنما كانا على موعد
ولولا دفاع الناس إياهما … لما استفاقا آخر المشهد

وله أيضا :

أنا أبصرت يوم النحـ … ـر ظبيا فتت الكبدا
غزالا فى معصفرة … يصيد بطرفه الأسدا
فما إن زلت أتبعه … وأقعد حيثما قعدا

وهذا فى الحقيقة ثقل وبرود من أبى نواس ، ولاحول ولاقوة الا بالله

هذا ولغير أبى نواس كعمر بن أبى ربيعة ومن لف لفهما حتى من شعراء الجاهلية الشيء الكثير من ذلك .

وحاورنا صاحب العزة الأستاذ الكبير انطون بك الجميل رئيس تحرير الأهرام الغراء فى (اختلاط الجنسين) فقال : إن الظروف هى فى الغالب التى تملى إرادتها ، ففى القرون الوسطى فى أوربا كان الرجال يضعون المرأة حزاما من الحديد يسمونه (حزام العفة) يشدونه عليها

oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ويحكمون إغلاقه منعا لكل ريبة عنها ، ثم تغيرت الظروف فاذا بالمرأة فى أوربا على حالها التى هى عليها الآن . وهو يرى أن الاعتدال أولى ، وأنه يجب تثقيف المرأة قبل أن نزج بها فى تيار الحياة ووضعها فى مواقف قد لا تتحملها أعصابها .

أما حضرة صاحب العزة الأستاذ الكبير محمد بك فريد وجدى رئيس تحرير هذه المجلة فهو يقول: إن المرأة يجب أن تحجب عن الرجال بحجب من الفولاذ ! وهو لا يسمح لأنثى أن تغشى دور السينما على حالها التى هى عليها الآن ، ويعد ذلك تدهورا فى الخلق ، وجناية كبيرة على المرأة والبيت ، وأنه مما لا يتفق وشرف الزوجية القائمة بين الرجل والمرأة .

ونحب أن نختم هذا المقال بنبذة مما جاء فى الخطبة الرائعة التى خطبها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، فى احتفال هذا العام بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال حفظه الله :

« ولدى الأمة الاسلامية ماض يجرر أثواب الفخر والشرف فى كل ميادين الحياة ، لكن بعض الناس يحاولون طمس أعلام هذا الماضى ، وليس أدعى للدهشة ولا أبعث على اللوم من هذه المحاولات التى فيها عقوق الأبناء للآباء ، ونكران الجميل ، وإنكار التاريخ ، وفيها لؤم الطباع وسفه الجاهل وطيش المغرور ، وهل يستطيع عاقل أن ينكر أن لنا أسسا صحيحة قوية من دين وعلم وتقاليد ومقومات من حقها أن نحافظ عليها ، وأن نعتبرها تراثا عزيزا لا يليق أن نبدده كما يفعل الوارث السفيه ! » .

وبعد : فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ؛ وما توفيقى إلا بالله .

محمود الاسمر

كفى بالهوى مضلا

قال الله تعالى : « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب »

وقال الشعبى : « إنما سمى الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه » .

وقال أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان :

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ... الى كل ما فيه عليك مقال

ولم يقل هشام فى حياته غير هذا البيت .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

الرضاع

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

(أولا) فاطمة رضعت مع مصطفى ثلاث رضعات متفرقات ، فهل يجوز زواجها ؟

(ثانيا) محمود يرغب أن يتزوج نادرة ، غير أن جدة نادرة أرضعت محمودا ثلاث أو أربع رضعات متفرقات ، فهل يجوز عقد قران محمود على نادرة ؟

وقد أفتت اللجنة (١) بأن عقد القران فى الحالتين المسئول عنهما جائز ، ولا مانع منه شرعا عند السادة الشافعية والحنابلة .

فهل يجوز عقد القران على مذهب الشافعى ، والمسئول عنهم فى الحالتين من أتباع المذهب الحنفى ، أو لا يجوز ؟

اسماعيل عاصم آل ابراهيم باشا

حلب — سوريا

الجواب :

يجوز للمستفتى أن يقلد مذهب الشافعى فى عقد النكاح مع مراعاة الشروط والأركان التى تلزم لصحة العقد على مذهب الشافعى . والتزامه العمل على مذهب أبى حنيفة لا يمنع من العمل بمذهب آخر مع مراعاة ما يتطلبه ذلك المذهب . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

(١) نشرت هذه الفتوى فى العدد السابق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

محمد صلى الله عليه وسلم

فى رأى قادة الفكر فى أوربا (١)

وقال الصوفى جامى أيضا شعرا :

إن عدم الكون هو المرآة ، والوجود هو ما انعكس فيها من الصور .

والانسان هو الشخصية المستكنة فى صميمه ، كما استكنت العين فى ذلك الانعكاس .

فأنت عين ذلك الانعكاس ، والله تعالى هو نور تلك العين .

فبواسطة هذه العين ترى عين الله ذاته المقدسة .

فالعالم إنسان ، والانسان عالم .

وجود تفسير للوجود أوضح من هذا التفسير محال .

فاذا أجدت النظر فى أصل الأشياء ،

وجدت أن الله هو الرائى والعين والمرئى فى وقت معا . انتهى .

فاستمع الآن الى ما سأقصه عليك لترى كيف كانت الصوفية الاسلامية تنشر مبدأ التطور فى القرن الثالث عشر ، وهو المبدأ نفسه الذى قام بتعليمه داروِن فى العالم المسيحى فى القرن التاسع عشر . وهو من قول جوشان إى راز :

لقد مت فى الجماد ، ثم صرت نباتا
ومت فى النبات ، ثم استحلت حيوانا
ومت فى الحيوان ، ثم أصبحت إنسانا

فلماذا أخشى أى شىء بعد الآن ؟ هل انحطت عن رتبتى بالموت قط ؟

وفى المرة المقبلة سأموت فى الانسان .

لكى تنبت لى أجنحة الملائكة .

ومتى بلغت هذه الرتبة سأجتهد فى أن أرقى الى ما بعدها لأنه « كل شىء هالك إلا وجهه »

وسأطير دفعة أخرى فوق مستوى الملائكة .

وسأستحيل الى ما لا يمكن أن يدركه التصور .

(١) خاتمة محاضرة زعيمة التيوصوفية العالمية « أنى بيزانت » التى نشرناها فصولا فى أعداد سابقة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فاتركنى إذن أصير لا شىء ، لا شىء ، لأن وتر القيثارة يصيح بى : « الحق الذى لا مرية فيه أننا سنعود اليه » .

فالتصوف الاسلامى يعلم المريد ، كما هو واضح من كتاب (عوارف المعارف) ، كيف يجب أن يكون سلوك الطريق . (١)

إن هذا الكتاب مقسم الى ثلاثة أقسام : الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة ، واليك الصفات المميزة لهذه الثلاثة الأقسام : سأل رجل شيخه ، وهو استاذ روحانى ، عن ماهية هذه المراحل الثلاث ؟ فأجابه بقوله : « اذهب فاضرب كلا من هؤلاء الثلاثة الرجال الذين تراهم جالسين هنالك . ففعل الرجل ما أمره به أستاذه . فلما ضرب الأول نهض من فوره على رجليه ، وقابل ضربته بمثلها . فضرب المريد الرجل الثانى ، فاحمر وجهه ، وتحرك ليقوم ، وقبض يديه ، ولكنه كظم غضبه .

عند ذاك ضرب المريد الرجل الثالث ، فلم يكترث له . ثم عاد المريد الى الشيخ . فقال له الشيخ : أما الرجل الأول فهو فى مجال الشريعة ، وأما الثانى فهو من سالكى الطريقة ، وأما الثالث فهو من أهل الحقيقة »

يذهب الصوفية أن النبى صلى الله عليه وسلم وإن يكن المرجع الأسمى للدين ، ولكن يجب على المريد أن يكون له شيخ يهديه الطريق ، وينبغى أن يكون خاضعا ومخلصا له الخضوع والاخلاص المطلقين . فعليه أن يطيعه فى كل شىء بدون تحفظ ولا تردد ، فقد قيل : « إذا أمرك شيخك أن تغمس ثيابك فى الخمر ، فافعل ما تؤمر به ، لأن الشيخ يعرف كل ما تعرفه وفوق ما تعرفه » .

ويجب على المريد التأمل الطويل الذى يرفعه درجة بعد درجة حتى يصل لدرجة الوجد والتدله .

إن رابعة التى ذكرها ابن خلكان فى وفياته (١٢١١ — ١٢٨٢) كانت تصعد الى سطح دارها ليلا وتقول : « إلهى لقد خلف هدوء الليل ضوضاء النهار ، وقد صار المحب قريبا من حبيبه ، فليس لى محبوب سواك ، وأنا جد مغتبطة » .

فالله وحده هو غاية كل صوفى مسلم . وإن الدراويش ليعلنون قولهم : « إنا لا نخاف جهنم ولا نطمع فى الجنة » .

ومدار التصوف عندهم على المجاهدة الشديدة ، فتراهم يأمرون بصيام أيام كثيرة ، وبأعمال أخرى من الزهادة تشق على النفس . ولكنهم مع هذا كله أشد الناس احتراما

(١) كتب هذا الكتاب فى القرن الثالث عشر الميلادى الشيخ شهاب الدين زميل الخوجه حافظ فى التصوف . وقد ترجمه الى الانجليزية القائمقام هـ . ويلبرفورس كلارك .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لحريات الغير . فهم يقولون : « إن الطرق الموصلة الى الله كثيرة فهى بعدد أنفاس بنى آدم » . ولكن ليس لدى من الوقت لأصل فى هذا الموضوع الجذاب .

هذا هو حظ العلم الباطن من الاسلام ، وحبذا لو أدمجه المسلمون فيه ، لأنه لا يوجد لدى المسلمين اليوم . ولو فعل المسلمون ذلك لا رتبط هو وسائر الأديان برباط حب أخوى متين . لأن التوحد المقدس بين العقائد المختلفة التى تتوزع العالم كله ، لا يقوم على مظاهرها الخارجية المتخالفة ، ولا على شعائرها المتباينة ، حيث توافق كل ديانة نفسية الشعوب التى نشأت فيها ، ولغتها التى تتكلم بها فى توجهاتها الى الله . ولكن توحد الأديان يقوم على الحقيقة الروحية ، والفكرة الفلسفية ، وفوق كل شىء على المعارف الباطنية التى تعلم الانسان كيف يعرف أنه من نفحة إلهية ، وكيف يجاهد حتى يعود الى مصدره الأول .

إخوانى ! إن أكثر الذين يسمعوننى هنا من الهندوس ، وهم ليسوا مسلمين . هذا قليل الخطر . فأنتم تقولون (سوهام) و (توام أسى) ، والصوفية يقولون : أنا الحق ، فكيف تتخالفون إذا كان الله واحدا ؟ (١) فاجتهدوا أن تفهموا هذه الحقيقة ، وهذا الفهم يوحى اليكم الحب . اجتهدوا أن تكتشفوا كل ما فيها من عظمة ، فاذا فعلتم مددتم أيديكم لسبعين مليونا من المسلمين فى الهند ، فانهم جزء من الأمة الهندية ، وبدونهم لا تستطيعون أن تؤلفوا شعبا . فلنتعلم أن نحب لا أن نبغض . لنتعلم أن نفهم لا أن ننتقد . ولنحب ديننا فوق كل شىء ، ولكن لنحترم أديان جيراننا . فان محمدا وعيسى وذورواستر وموسى والريشيين والبوذيساتفيين كلهم أعضاء الأسر الماجدة ، وهم حفظة النوع البشرى والأمم ، وليسوا فيما بينهم على خلاف فى شىء . أما نحن معشر أتباعهم وأبنائهم المتواضعين فلنحاول أن نستنير بشعاع من حبهم الذى يشمل كل ما فى الوجود . فبالحب وحده يمكننا أن نستجلب عطفهم علينا .

---

(١) مجلة الازهر : لا نوافق السيدة (أنى بيزانت) فيما تذهب اليه من هذا الرأى الاخير ، فان الاسلام انزل ليكون دينا عاما للناس كافة ، وليس عليه أى طابع من أية نفسية بشرية ، فهو يناسب كل الناس فى كل زمان ومكان .

أما ما تدعو إليه من اعلان الصوفية على النحو الذى تذكره فهذا شديد الضرر على من لا يفهمه ، وعلى من لا يتذوقه . ولو جرينا على ما تقول لسمحنا لكل طائفة بتقديس مجموعة من اوهام وضعها لها زعماؤها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير كانت سببا فى هلاك جماعاتها جميعا ، وفى سلوكها فى الحياة طريقا لا يناسب كرامة الانسان ، ولا سمو مواهبه . اعتبر ذلك بأن جميع الأمم التى تعتبرها السيدة (انى) أمما متصوفة قد انحطت الى أسفل الدركات ، وخضعت لسلطان أمم مستعمرة قاهرة ، ولم تغن عنها صوفيتها شيئا .

لست بهذا انكر على الصوفية قيمتها العالية ، ولكن الصوفية يجب أن يكون أساسها العلم نفسه ، العلم المؤسس على المشاهدات والتجارب ، ولا يجوز أن يكون اساسها خيالات أناس جردوا أنفسهم للتفكير المحض وليس لديهم مذخور من العلم الصحيح يحميهم شر الوقوع فى الخرافات والاضاليل . فى الاسلام تصوف ولكن من الطراز العلمى الثابت ، ولا يتأدى اليه إلا كل عالم ناضج العقل نير البصيرة ، وهو إذا وصل الى فتح ربانى لا يعلنه خشية أن يضل به من لا يفهمه ، ولا يتذوقه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
dldbookz@gmail.com

ومحمد نفسه لا يستطيع أن يجيء الى أتباعه ، كما يرجو أن يفعل ، ما داموا لم يخلعوا عنهم هذا الغلو فى الدين ، وقصر النظر الذى هم عليه ، ولم يحبوا الناس كما يحبهم هو أجمعين . إنه نبيكم أيها المسلمون ، ولكنه نبينا أيضا ، فاننا نعتقد فى جميع الرسل الذين أرسلهم الله الى الناس ، فنحن نحبهم ونحترمهم كافة ، وننحنى أمامهم احتراما لهم أجمعين . فعسى الله رب جميع الأمم أن يوفقنا معشر أبنائه لأن نبطل النزاع القائم بيننا فيه ، على اختلاف أسمائه تعالى لدينا : ما هاديفاء أو فيشنو ، أو الله ، أو أهورا مازدا ، أو جيهوفا ، أو الآب ، فبأى اسم من أسمائه تحركت شفاهنا نحن معشر أبنائه ، فلا إله إلا هو ، ولا شىء خارجا عنه ، ونحن له عابدون » انتهى .

محمد فريد وجدى

بالعدل قامت السموات والارض

قال الله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

وقال تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » أى ولا يحملنكم كراهتكم لقوم لما سبق من إيذائهم لكم على أن لا تعدلوا فى الحكم بينهم ، اعدلوا هو أدنى أن تخشوا الله وتستأهلوا غفرانه » .

وهذا من أعلى وأكمل ما تميز به الاسلام من التجرد عن آثار النفسية البشرية ، والتنزه عن الصفات الأرضية . فالحق يدعو أهله لتجريد العدالة من كل الملابسات التعاملية ، فاذا حكموا بين رجلين أمرهم أن لا ينظروا لما كان بينهم وبينهما من أواصر قومية ، أو سخائم نفسية ، وأن يصدروا أحكامهم على مقتضى العدل الالهى المستقيم .

ليس فيما بين أيدينا من مجموعات العدالة العالمية ما يبلغ حد هذه العدالة القدسية أو يقرب منها .

حكى أن الرشيد أمر بحبس أبى العتاهية الشاعر فكتب على حائط الحبس :

أما والله إن الظلم شؤم ... ومازال المسىء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضى ... وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم فى المعاد إذا التقينا ... غدا عند المليك من الظلوم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تاريخ الادب العربي في العصر العباسي

الأدبيات النثرية (لبروكلمان)

لم يكن للنثر شأن يذكر فى تاريخ الأدب العربى فى بدء ظهور الاسلام لما للقرآن من منزلة مقدسة ، فكان آية الكمال التى بلغها النثر أو السجع . ولما كان كتاب الله موضع تبجيل رجال الدين كافة، وكان هؤلاء هم أول من بدأ النهضة الفكرية فى مختلف نواحى العلوم والآداب ، فان هذا الضرب من الكتابة كان من الفنون التى حرمت منها الأدبيات العربية الاسلامية فى أول نشأتها ، ولم يجرؤ أحد على الظهور فى ميدانه أو النهوض به ، ومضى على ذلك زمن طويل ولم يعرف فى تاريخ الأدب العربى ما يستحق الذكر فى هذا المضمار حتى القرن الثالث من الهجرة ، حيث بدأت المحاولات الأولى فى هذا المضمار من فنون الأدب باستعماله فى مقتضيات الحياة العامة ، إلا أنه بالرغم من ذلك ظل فى أول الأمر مقصورا على الأغراض الدينية وما تتطلبه من حاجيات ، وكان الاسلام يأمر بالوعظ والخطابة فى المساجد العامة فى صلاة الجمعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بالخطابة بنفسه بالمدينة ، وتبعه من بعده الخلفاء فى العواصم والحكام فى الأقاليم ، فأصبح بذلك الوعظ وخطبة الجمعة من الحقوق الخاصة بالولاة والحكام ، ولكن لم تلبث أن ظهرت فئة الوعاظ المحترفين ، فاحتلوا مكان أصحاب السيادة الدنيوية فى خطبة الجمعة ، واقتصروا على ذكر أسمائهم وتأييدهم فى الخطبة ، فتطورت الخطابة الدينية على يد هؤلاء الوعاظ الجدد ، واتخذت صياغة فنية خاصة ، وظهر بها تدريجيا النثر المسجوع .

وأول من ظهر فى تاريخ الأدب العربى فى هذا الميدان الفنى هو ابن نباتة عبد الرحيم ابن محمد المولود عام ٣٣٥ هـ وكان واعظا فى بلاط سيف الدولة ، وتوفى عام ٣٧٤ هـ . وكانت خطبه تذخر بالمسائل الدينية العامة : مثل الموت ، والبعث ، وفناء العالم ، ولم تخل خطبه من الانذار والحث على الكفاح ضد الكفار ، مؤيدا بذلك سيده فى أغراضه الحربية ، وفى هذه الناحية كانت تسنح له الفرص لتعداد الحوادث التاريخية مما جعلت مؤلفاته من المصادر التاريخية الهامة ، وكانت الروح الدينية تغلب فى خطبه على وجه العموم ، واليها يرجع السبب فى إعادة نشرها فى الشرق أكثر من خمس مرات .

وأما فى محيط الأعمال الدنيوية فكانت مجهودات رجال الادارة ذات أثر بعيد فى الصياغة الفنية للكلام المنثور ، فبدأ التغيير يدخل على الأسلوب الجاف الذى جرت عليه أقلام الكتاب فى أول عصور الاسلام حتى العصر الأموى ، فأدخلت عليه حكومة العباسيين ببغداد الكثير

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من عبارات التنميق ، ويرجع السبب فى ذلك الى رغبة موظفى الادارة ، وأكثرهم من غير العرب فى إظهار شخصياتهم بارزة فى تحرير الوثائق والمكاتبات ، هذا فضلا عن أثر الأدب الفارسى الذى كان قد بدأ ظهوره فى هذا العصر ، ووصل هذا الأسلوب المنمق الى أعلى درجاته فى رسائل ابراهيم بن هلال الذى يرجع أصله الى القبائل الوثنية القديمة بالشام ، وبقى طوال أيام حياته أمينا على عقيدة آبائه ، ولكنه تمكن بالرغم من ذلك أن يتدرج فى حياته الادارية ببغداد حتى وصل الى مرتبة رئيسية فى إدارة الشئون الخارجية ، إلا أن عدم استقرار الأحوال السياسة فى القرن الرابع من الهجرة كان سببا فى اضطراب حياته ، فانه لما كان فى خدمة عز الدولة لم يسلم من عداء منافسه عضد الدولة ، فلما تم له فتح بغداد عام ٣٦٧ هـ أمر باعدامه ، ولكنه اكتفى بسجنه مؤقتا ثم عاد فعفا عنه وطلب اليه أن يضع مؤلفا فى تاريخ أسرته على ما يشتهى ، إلا أنه لم يجد فى نفسه ما يحبب اليه هذا العمل ، وصرح بعدم ارتياحه اليه ، فوقع ثانية فى العداوة مع الأمير ، ولم يجد بدا من الهرب مخافة اضطهاده ، وتوفى وهو فى أشد حالات الفاقة والبؤس عام ٣٨٤ هـ . و لا تزال بعض مؤلفاته باقية حتى العصر الحاضر ، وفى مقدمتها مجموعة رسائل سياسية ذات قيمة تاريخية هامة ، ولو أن المؤلف لم يعن بنشرها إلا لأسلوبها .

ومن ثم بدأت المحسنات اللفظية ذات الأسلوب الضخم والتعبيرات الرنانة تدخل فى الأدبيات فتملؤها بالألفاظ والعبارات المنمقة . ولقد علمتنا الأبحاث اللغوية أن القرن الرابع من الهجرة كان يذخر بالمواد التى أظهر فيها المؤلفون حذقا ومهارة فائقة فى المناوشات الأدبية ، ويرجع الفضل الى أبى بكر الخوارزمى فى إظهار مثل هذه المناوشات فى صورة رسائل أدبية الى شخصيات حقيقية أو مستعارة ، وإعطائها أهمية أدبية تستحق الذكر ، ولد أبو بكر الخوارزمى عام ٣٢٣ هـ من أبوين فارسيين — وكانت أمه أخت الطبرى المؤرخ المعروف ـ بدأ حياته العلمية بدراسة العلوم اللغوية ، واشتغل فى بيوت أمراء البلاد الاسلامية الشرقية ، فظهر أولا فى بلاط سيف الدولة ، ثم عند بعض أمراء الفرس ، واستقر أخيرا فى نيسابور ، ولكنه تهكم بأشعاره على الوزير العتبى فأمر بسجنه وصادر ماله ، إلا أنه تمكن أخيرا من الهرب الى جرجان ، ولما قتل العتبى رجع الى نيسابور وأعيدت اليه أمواله ، وتوفى بها عام ٣٩٣ هـ بعد أن رأى ظهور الهمذانى وتفوقه عليه .

امتاز الهمذانى عمن سبقه بأنه جمع بموهبته الفذة بين الفكاهة فى الألفاظ والخيال المبتكر والتصوير الرائع ، فتمكن من ملء هذا الضرب الأدبى الحديث بمواد جديدة ممتازة ، وبذا كان مبتكرا لنظم المقامات ، ولو أن المقامات كانت معروفة فى الأدب العربى منذ عهد بعيد بصورة أحاديث جدية أو فكاهية تدور بين شخصيتين امتازتا بناحية خاصة يستعملها المؤلف لبيان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

معارف القدماء ، أو لاستخدامها فى الوصول الى أغراض خلقية أو تهذيبية ، ولكن الهمذانى كان أول من طبعها بطابعها الخاص التى عرفت به بعد ذلك فى الأدبيات الاسلامية بل وعند مسيحيي الشام ويهود الاسبان ، ثم وصلت الى الأدب الأوربى . تمكن الهمذانى أن يخلد صورة واضحة عن الحياة الأدبية المشردة فى عصره فى شخصية أبى الفتح الاسكندرى الذى جعله يحيا حياة ملأى بالمغامرات والمفاجآت ، وأطلق لسانه بالحكم والمواعظ الطريفة مما يشهد له بموهبته فى الابتكار وغزارة مادته اللغوية ، ومهارته الفائقة فى السيطرة على أساليب الحديث ، فاستحق بذلك لقبه « بديع الزمان » الذى اشتهر به فى تاريخ الأدب العربى . ولد بديع الزمان بهمذان ، وأتم دراسته بها ، وبدأ بالتجوال عام ٣٨٠ هـ . وتقابل فى نيسابور مع الخوارزمى فكان منافسا له منتصراً عليه ، ثم تنقل بين أمهات المدن فى بلاد الفرس، وتوفى عام ٣٩٨ هـ ولم يبلغ من العمر سوى أربعين عاما .

ولقد استفاد النثر فى أدبيات اللغة العربية فى هذا العصر كثيرا بما عرف عن العرب منذ عصور الوثنية الأولى من مواد ، وتضاعفت هذه المواد بفضل المؤثرات الحسنة والظروف الملائمة التى كانت تلازم حضارة المدن وثقافة العمران ، وكان العرب منذ القدم يعرفون الكثير من قصص الأبطال الذائعة ببلاد الفرس ، لما كانت تربطهم بهم العلاقات التجارية خصوصا من عهد رسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، بل وكثيرا ما كانت تروى هذه القصص على لسان المكى النضر بن الحارث الذى أقام زمنا غير يسير بالحيرة ، وكانت سببا فى اضطهاده لما قد عسى أن تثيره من مفاضلة أو منافسة للقصص الدينية التى جاءت فى سيرة رسول الله(١) ، ولكن ما لبث أن ازداد الاهتمام بهذه المواد بعد أن تم للعرب إخضاع الفرس واختلاطهم بهم ، واستمر الاهتمام بها آخذا فى الازدياد ، وكلما ازداد نفوذهم فى الحياة السياسية والفكرية خصوصا أثناء حكم العباسيين ، حيث بدأ الشعبان يشعران بحاجتهما الى التقرب بعضهم الى بعض بطريق التفاهم الأدبى .

وكان البرمكيون — وهم وزراء ورجال الحكم من الفرس فى ظل حكومة العباسيين — أول من اهتم بتشجيع نقل قصص البطولة الذائعة فى الأدب الفارسى الى اللغة العربية ، وكانوا يعهدون بذلك الى شاعرهم المعروف اللاحقى، فقام بنقل القصة التاريخية « اردشير وأنوشروان» الى الشعر العربى ، كما قام بترجمة شعرية لقصص عديدة عرفت فى أواسط بلاد الفرس مأخوذة عن حكايات الهنود ثم انتقلت فى القرون الوسطى حتى ذاعت فى جميع الادبيات العالمية ، وأشهرها كليلة ودمنة وسندباد البحرى .

(١) مجلة الازهر — عبارة الاستاذ بروكلمان عن النضر بن الحارث توهم انه كان من المسلمين واضطهد بسبب آرائه فى بطولة الفرس . والحقيقة ان النضر هذا كان من غلاة المشركين بمكة ، فكان يلقن شبان قريش الشعر فى هجو المسلمين ويبالغ فى اخبار ابطال العجم مما كسة للدعوة الاسلامية فأسر فى وقعة بدر وقتل .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولكن هذه التراجم الشعرية لم يكن لها فى الحياة نصيب كبير ، فاختفت سريعا بعد ظهور التراجم النثرية الرائعة التى وضعها ابن المقفع ، فكانت فى مقدمة المؤلفات النثرية فى الأدب العربى ، وابن المقفع فارسى الأصل وقد نشأ على دين آبائه الزورواسترى وبقى مخلصا لعقيدته سرا بالرغم من دخوله الاسلام(١) وقد أقام بالبصرة على علاقة وثيقة بالخليل مؤسس العلوم اللغوية العربية ، ولكنه اغضب الخليفة المنصور بانحيازه الى العلويين فامر باعدامه عام ١٤٠ هـ ، وأشهر أعماله ترجمة كليلة ودمنة وهى مجموعة القصص الهندية لبيدبا ، وامتازت بأسلوب رشيق فكثر تداولها ونقلها فلم تصل الى أيدينا إلا بعد تحريف كبير .

ولم يبق الكثير من مؤلفات هذا الكاتب الكبير ، ولو أنها عرفت من الاشارة اليها فى بعض فقرات فى مؤلفات المتأخرين من الكتاب ، وأكثر هذه المؤلفات كانت ترجع الى القصص الفارسية فى البطولة والأبطال التى تستند اليها أيضا أنشودة الفردوسى .

ولقد ضاعت كذلك مؤلفات موسى بن عيسى الكسروى الذى كان ينسج من نفس هذه المواد موضوعات نثرية هامة ، جاء ذكرها فى مؤلفات الجاحظ ، واليه تعزى قصة سندباد التى أخذت عن الرواية الاغريقية .

واهتم غير هؤلاء كثير من الكتاب بالقصة الفارسية ونقلها الى النثر العربى ، وهى وإن ضاعت أصولها أو اختفت أسماء ناقليها من الكتاب المترجمين ، إلا أنه يسهل الاستدلال عليها من مؤلفات غيرهم من العلماء والمؤلفين ، وعلى الأخص الفقيه الشيعى محمد بن بابويه المتوفى عام ٣٨١ هـ فان كتابه فى الأخلاق قد استشهد بالكثير من هذه القصص الفارسية التى نقلها الكتاب النثريون فى هذا العصر .

ولم يكن اهتمام المؤلفين بالقصة الأجنبية بباعث على إهمالهم المواضيع القومية ، فان كل ما كان تدور قديما من أحاديث فى خيام العرب أو الى جوار مواقدهم كانت تجرى به ألسنة المحدثين فى المدن ودوائر الخلافة ، ولو أن صناعة القصة كانت تضطر الرواة الى إدخال بعض التغيير والتحريف ، وبذلك نشأت فى هذا الميدان الأدبى فئة جديدة لاحتراف السمر الذى كان حراً طليقا فى أول الأمر فى الصحراء ، فوصلنا من أخبار هؤلاء المحدثين الذين احترفوا سمر المساء فى بلاط العباسيين الشىء الكثير ، ولم يهمل بعضهم منذ بدء ظهورهم تسجيل مواد حكاياتهم ، فبقى الكثير منها فى الأدبيات العربية حتى الوقت الحاضر ، أهمها كتاب خالد بن صفوان محدث الخليفة أبى العباس .

« يتبع »

(١) مجلة الأزهر — كان ابن المقفع مجوسيا ثم اسلم . وقد ذكر مؤلفو السير من المسلمين انه كان متهما فى دينه . وقد قتل لا من جراء هذه التهمة ، ولكن لاعتبارات سياسية كما اعترف بذلك بروكلمان نفسه .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

تقرير بعثة الهند

— ٣ —

المسلمون فى الهند

حالهم الدينية وتفرقهم الى مذهب وشيع

وقف الاسلام على حدود الهند بعد أن فتح بلاد السند وبلوخستان على يد محمد بن القاسم الثقفى ، ولم يتطرق المسلمون الى داخل الهند إلا تجاراً مدة من الزمن .

وأول من فتح بلاد الهند من المسلمين هو يمين الدولة وأمين الملة « محمود بن سبكتكين الغزنوى » ؛ فقد طرق بلاد الهند بجند وافر من الممرات التى تصل الهند ببلاد الأفغان اليوم ، فكان فى ذلك مظفراً منصوراً ، ثم استمر خلفاؤه يغيرون على البلاد الهندية ويفتحون فيها ، ثم جاء الى الهند ملوك من المغول نفذوا الى تلك البلاد من ناحية كشمير ، وانسابوا فيها وصاروا سادتها ، ولكنهم ساروا على عادة الملوك المسلمين من ترك الأمم وما يدينون ، فلم يقهروا الوثنيين على الاسلام ؛ وكانت اللغة الفارسية لغة البلاط المغولى ، وأما سائر المسلمين فكانوا يتكلمون لغة « الاردو » ، أى لغة العسكر ولم يطل العهد بالمسلمين فى بلاد الهند حتى دبت فيهم عقارب الخلاف والتعصب المذهبي ، وما زالت هذه العوامل تعمل عملها حتى أصبحت بلاد الهند اليوم معرضا لطوائف المسلمين المختلفة ، وقد تبع اختلافهم تخاذلهم وعداوة بعضهم لبعض .

ولو شئنا أن نصور حالهم تصويرا يقرب من الواقع ، لقلنا إنهم ينقسمون بصفة عامة الى أهل سنة ، والى شيعة .

أهل السنة :

فاما أهل السنة فهم : الحنفية ، والشافعية ، والمالكية ، والكثرة المطلقة للحنفية . وأهل المذاهب الثلاثة بينهم نزاع ، كل ينتصر لمذهبه ويتعصب له .

١ — أصحاب القرآن : وقد تفرع من أهل السنة جماعة نشزوا على المذاهب ، وقالوا : نحن أصحاب القرآن ؛ وهم لا يقرون إلا بما صرح به القرآن ، وقد أهملوا ما جاء به الحديث .

٢ — أهل الحديث : ومن أهل السنة جماعة نشزوا على المذاهب الأربعة هم أهل الحديث ، وهم لا يقلدون الأئمة ، وإنما يأخذون أحكام الدين من الكتاب والسنة مباشرة ؛ وقد كان زعيم هذه الفرقة المرحوم « حسن صديق خان » . ورأينا من أتباع هذه الطريقة الشيخ « خليل ابن محمد الخزرجى » ببهوبال ، و « مولانا أبا الوفاء ثناء الله » فى أمر تسار ، وهو يصدر مجلة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تخصصت لهـذا المذهب والدفاع عنه ، ولـكنه يألم من تفرق المسلمين وتعاديهم فى الدين ؛ ومنهم أيضا السيد « عطاء الرحمن » صاحب مدرسة أهل الحديث الرحمانية بدهلى .

الشيعة :

أما الشيعة فهم أقسام ، منهم :

(ا) الاثنا عشرية : وإمام مسجدهم فى بومباى الشيخ محمد حسن ، وهو أيضا ممن يأسفون لتفرق المسلمين ؛ وينتمى الى هـذه الطائفة أغلب أهل إيران والعراق ، كما ينتمى إليها كثير من أهـل أجرا ولـكنو ، وهم لا يخالطون بقية المسلمين ؛ ولهم فى لـكنو مدرسة تسمى مدرسة الواعظين ، سيأتى الـكلام عليها فيما بعد .

وتقول هذه الطائفة بانحصار الخلافة فى على ، ثم فى ابنه الحسن ، ثم فى الحسين ، ثم فى على زين العابدين ، ثم فى محمد الباقر بن على ، ثم فى جعفر الصادق بن محمد الباقر ، ثم فى موسى الرضى بن جعفر ، ثم فى على الرضى بن موسى ، ثم فى محمد الجواد بن على الرضى بن موسى ، ثم فى الحسن العسكرى ، ثم فى على بن الحسن العسكرى ، ثم فى الامام المنتظر على بن الحسن العسكرى . وهم يقولون بتفضيل على على سائر الصحابة ، كما يقولون إن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا غاصبين للخلافة ، ويقعون فيهم .

(ب) البهرة : وهناك شيعة أخرى يقال لهم « البهرة » أو « البواهر » وهم الاسماعيلية ، وينقسمون الى قسمين :

الأول : البهـرة السليمانية ، وهم أتباع « أغاخان » وهم فى الهنـد وزنجبار والشام ، ولا يعرف أهل الشام منهم بالبهرة ، إنما هم اسماعيلية ؛ وهم بقية من الطائفة التى كانت تعرف بالفدائيين (الحشاشين) قديما .

وعندهم أن « أغا خان » مقدس وما يمسه من إناء أو غـيره يصير مقدساً ، ويتنافسون فى اقتنائه ، وله على أتباعه إتاوة ، ولا يردون له أمراً .

والثانى : البهرة الداودية ؛ وهم أتباع « مولانا طاهر سيف الدين » ، ويقيمون ببومباى وكراتشى وجبل حراز باليمن وبعض جهات زنجبار ؛ ومولانا طاهر سيف الدين صاحب كلمة نافذة عليهم ، وهو عندهم معصوم لا يخطئ ، ولا يسأل عما يفعل . وهو يدير أوقاف الفرقة ويتصرف فيها كيفما شاء ، وله على أتباعـه إتاوة معينة ؛ والبواهر يسهمون له فى ميراث الأموات ، وهو — فى فرقته — عالم متين قل أن يوجد مثله .

السلفيون :

ومن الفرق الاسلامية فى الهند السلفيون أو الوهابيون . وينظر إليهم أهل الفرق الأخر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

شزراً ويكفرونهم ، كما أن الوهابيين يكفرون كل من يقول بجواز التوسل أو الاستغاثة بسكان القبور .

الأحمـــــدية :

ومنهم جماعة الأحمدية ، أتباع « مرزا غلام أحمد القادياني » ، وهم فريقان :

١ — فريق يقول إنه رسول يوحى إليه ، وإنه المسيح الموعود بدون تأويل ، وإن من شك في صحة نبوته ورسالته ومسيحيته كافر ، وإنه قد ألغى الجهاد وأوجب طاعة الحكام — ولو كانوا غير مسلمين — ومن فعل غير ذلك فهو غير مسلم ولا نجاة له في الآخرة ، وهؤلاء هم المعروفون بالقاديانية .

٢ — وفريق آخر يقول : إنه كان مجددا مصلحا ، ولم يكن نبيا بالمعنى الاصطلاحي للنبوة ، ولكنه ملهم محدث ؛ وإنه كان يتبع دين الاسلام وتعاليمه ، أما النبوة التي ادعاها فهي النبوة المجازية ، ومع ذلك فلم يكن يتمسك بها ؛ أما الجهاد فانه أبطله بالمعنى الذي يعرفه العامة ، وهو أن يخرج الرجل فيغتال المخالف له في غير حرب على سبيل الغدر والخيانة ، كما أبطل الجهاد الذي يخرج فيه الرجل دون عدة ، وهؤلاء هم الأحمدية اللاهورية .

ومن أعظم خصومهم « السير محمد إقبال » فانه يتهمهم بعدم الاخلاص السياسي .

أثر الاختلاف وحقيقته :

ومع كل هذا الاختلاف بين طوائف المسلمين ، فان لزعمائهم فيهم آمالا كبارا ، فقد قال لنا الزعيم « محمد على جناح » : إن هذا الخلاف الواقع بين هذه الطوائف ليس إلا ميراثا تاريخيا ورثوه عن آبائهم ، وعن الدعاة الذين أدخلوهم في الدين الاسلامي ؛ ولكن إذا جد الجد كان المسلمون يدا واحدة على من سواهم .

والذي نلاحظه أن هذا التفرق الديني بين طوائف المسلمين له اثر غير محمود في حالهم الاجتماعية والعلمية والثقافية ، ذلك بأن تفرقهم يمنعهم من أن يتعاونوا على البر والتقوى ، فلا تمد طائفة من هذه الطوائف يدا الى عمل خيري تهم به طائفة أخرى ، مما قد يكون محتاجا الى تعاون الأيدي ، والبذل بسخاء .

فلا تشترك هذه الطوائف في مستشفى يعالج الفقراء ، ولا في معهد علمي يثقف فيه أبناء المسلمين تثقيفا عاليا فيخرج قادة الفكر وأهل الزعامة ، بل يعيش كل فريق في محيط وأفق ، لا يضمان سواه .

ولو أنهم كانوا يداً واحدة على من عاداهم ، متعاونين على البر والتقوى ، متجنبين الاثم والعدوان ، لكان لهم شأن غير ما نرى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولم يبعد عن الصواب من يقول : إن هذه الحال تحول دون تشجيع (الهندوس) على دخولهم في دين الاسلام .

الحال العلمية والثقافية :

مايزال الهند بلداً متأخراً في التعليم العام ، إذ أن نسبة من يعرفون القراءة والكتابة — ممن فوق الخامسة سناً — لا يتجاوزون ٨٠ في الألف ، وفق الاحصاء العام لسنة ١٩٣١ ؛ على أن السنوات الأخر كانت سنوات نشاط في ميدان العلم بين كافة البيئات .

وفيما يلي بيان بنسبة التعليم بين البيئات المختلفة على ما كانت عليه سنة ١٩٣١

٧٩٠	في الألف	بين	البارسي	وهم يبلغون	٤	في الألف	من عامة السكان
٢٨٠	«	«	المسيحيين	«	١٨	«	«	«
٩٠	«	«	السيخ	«	١٣	«	«	«
٩٠	«	«	البوذيين	«	٣٧	«	«	«
٨٠	«	«	الهندوس	«	٦٨٥	«	«	«
٦٥	«	«	المسلمين	«	٢٢٥	«	«	«

ومما يلاحظ أن نسبة التعليم بين المسيحيين كبيرة نوعا ما ، نظراً الى أن جمعيات التبشير المسيحية تعنى بنشر التعليم بين البيئات التي تدعوها الى اعتناق الدين المسيحي .

أما نسبة التعليم بين الهندوس — على ما هي واردة في الاحصاء السابق الذكر — فانها أقل من نسبة التعليم بين الطبقات المتوسطة والعليا من أصحاب هذه الديانة ؛ وذلك لأن الاحصاء قد جرى على اعتبار المنبوذين هندوساً ، في حين أن التعليم بين المنبوذين منحط جداً ، فهم لا يقبلون عليه قليلا ولا كثيراً ، وذلك لعاملين :

العامل الأول : هو أن الأجيال المتعاقبة من هؤلاء قد نشأت على الأمية ، وقليل من أفلت في الماضي من زمامها .

العامل الثاني : هو شعور المنبوذين أنفسهم بأنهم أحط درجة ، بل درجات ، من غيرهم من أبناء البلاد ، ولذلك إذا أرسل أبناؤهم الى المدارس ، فانهم يعانون آلام « النبذ » داخل جدران المدرسة .

لذلك عنيت بعض الحكومات الاقطاعية أخيراً — كما عنيت بعض حكومات الهند — بانشاء مدارس خاصة لتعليم أبناء المنبوذين ، كما قامت بعض الجمعيات التبشيرية المسيحية ، والتبليغية الاسلامية ، وغير ذلك ، بانشاء مدارس خاصة لهم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على أن القاعدة ليست مطردة فى كل مكان ، فقد شاهدنا — فى (واردا) مثلا — مدرسة يعلم فيها أبناء الطوائف جميعا ، على قدم المساواة ، لافرق بين مسلم وهندوسى ، ولا بين هندوسى من الطبقات العليا ومنبوذ .

ولكن هذه نهضة حديثة يراد بها إلغاء الفوارق بين أصحاب الديانات المختلفة ، وكذا بين الطبقات المتباينة من أصحاب الديانة الواحدة .

مراحل التعليم :

هذا وتنقسم مراحل التعليم فى الهند الى الأقسام الآتية :

(أولا) التعليم الابتدائى : وهو يضاهى التعليم الأولى وصدر التعليم الابتدائى بمصر ، ومدته خمس سنوات ، منها سنة تحضيرية . والمدارس الابتدائية بالهند منتشرة انتشاراً كبيراً لايقابله إقبال من جانب الوطنيين على التعليم ؛ والحكومة والهيئات يجدون فى تشجيع الآباء على إرسال أبنائهم وبناتهم الى هذه المدارس . وإذا كانت الاحصاءات الأخيرة قد كشفت عن الاقبال على هذا النوع من التعليم — ولو الى حد ما — فانها كذلك قد سجلت ميلا من جانب الطلبة الى ترك هذه المدارس قبل إتمام تعليمهم ، يؤيد ذلك أن نسبة الطلبة فى السنة التحضيرية تبلغ ٣١ ٪ تقريباً من مجموع الطلبة ، فى حين أن نسبتهم فى السنة الأولى لاتزيد عن ١٧ ٪ أى أن عدداً يبلغ ١٤ ٪ تقريبا من الطلبة يترك المدرسة بعد السنة التحضيرية .

ويعزو ولاة الأمر هذه الظاهرة الى عوامل اجتماعية واقتصادية ، ولكنهم لاينكرون أثر الروح المدرسية فى هذا التنفير ؛ فقد ورد فى تقرير إدارة المعارف فى بومباى أن بعض العلة فى هذا النفور يرجع الى أن فصول السنة التحضيرية مكتظة بالطلاب ، ومدرسيها يكونون غالبا من أضعف المدرسين — من حيث مؤهلاتهم — ومن أقلهم دراية بأساليب التربية ، ولذلك ينفر الأطفال من المدارس ، ويجدون فى أولياء أمورهم استعداداً لاخراجهم منها .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نذكر أن إقبال البنات على هذا النوع من التعليم ضعيف جداً ، إذ أن نسبة البنات فى هذه المدارس الى مجموعهن ، لايتجاوز نصف نسبة الذكور الى مجموعهم ، ويرجع ذلك الى تقاليد البلاد الآخذة بعدم ضرورة تعليم البنت ، وهى تقاليد يؤسفنا أن نقرر أنها شائعة فى الشرق . ويقل عدد التلميذات كلما تقدمن فى سنى الدراسة ، ويرجع ذلك الى نظام الحجاب المبكر فى الهند ، والى نظام الزواج المبكر .

والمدارس الابتدائية منتشرة فى الهند ، على الرغم من قلة الاقبال عليها ، ومن قيام مشكلة تعترض نشر التعليم المدرسى فى البيئات الزراعية ؛ وهى تباعد القرى مع قلة عدد سكان كل قرية ، هذا الى اختلاف جوهرى فى العقائد ، قد يمنع أبناء القرية الواحدة من الانتساب الى مدرسة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

واحدة ، تضاف الى ذلك مشكلة المنبوذين المنتشرين فى كل مكان ، بحيث كان لزاماً أن تنشأ لهم مدارس خاصة لتعليم أبنائهم .

وقد قامت حكومة بومباى بتجربة جديدة : هى محاولة الجمع بين أبناء المنبوذين وغيرهم فى مدرسة واحدة ، معتمدة فى ذلك على أن التعليم لا يجوز أن يفرق فيه — بين الطبقات — هذا التفريق الحاد المؤلم ، وإذا استطعنا أن نقرر أن التجربة قد نجحت فى قليل من الأمكنة ، وجب علينا فى الوقت ذاته أن نقرر أنها فشلت فى الكثرة الغالبة من المدارس . وقد ضرب مفتش التعليم فى بومباى لذلك مثلا بعدد غير قليل من المدارس ، أجرى فيه هذه التجربة فنفر طلبة المدرسة الأصليون ، بحيث إن المدرسة التى كانت تحوى مائة تلميذ لم يبق فيها أكثر من خمسة عشر تلميذاً .

ولو أسلمت الهيئات التعليمية نفسها للتقاليد ، لوجب أن ينشأ فى القرية الواحدة — التى يحتمل ألا يتجاوز عدد سكانها خمسمائة نفس مثلا — مجموعة من المدارس لا يقل عددها عن ثلاث : واحدة للهندوس ، وثانية للمسلمين ، وثالثة للمنبوذين .

هذه هى بعض العلل فى عدم الاقبال على التعليم فى الهند ، حتى فى أولى مراحله ، وهى مرحلة التعليم الابتدائى .

ويحزننا أن نسجل فى هذا المقام ضعف إقبال المسلمين على التعليم فى هذه المرحلة ، وكذلك مايليها من المراحل ، ذلك بأن إحصاءات مقاطعة بومباى مثلا قد دلت على أن ١٤٨ فى الألف من البراهمة (الطبقة العليا من الهندوس) ينتسبون الى المدارس الابتدائية ، يقابلهم ٢٨ فى الألف فقط من المسلمين ، كما يؤسفنا أن نقرر أن قلة الاقبال على التعليم بين المسلمين ، لا تماثلها بل لا تقاربها إلا قلة الاقبال عليه بين الطبقات المتوسطة والدنيا من الهندوس ، بما فى ذلك المنبوذون ، وقد كانت هذه البيئات الثلاث سبباً فى ضعف النسبة العامة للتعليم ، بحيث كانت ٤٣ فى الألف فقط فى هذه المقاطعة .

(ثانيا) التعليم الثانوى : وهو يضاهى التعليم الابتدائى وصدر الثانوى بمصر ، وعدد سنواته أربع ، ويسمى بالتعليم المتوسط :(Middle School) ، وهو المرحلة التالية للتعليم الابتدائى ، ويعتبر تكملة له ، ينطبق عليه من القواعد ما سبق لنا أن قررنا فى الكلام على التعليم الابتدائى .

ومن أوضح ما يلفت النظر ، ضعف الاقبال على التعليم الثانوى ، فاذا اتخذنا إقليم بومباى مثلا ، وجدنا أن نسبة التعليم الثانوى فيه ، لا تتجاوز ٦ فى الألف ، يقابلها ٤٣ فى الألف للابتدائى ، وهو بين البراهمة بنسبة ٣٨ فى الألف ، مقابل ١٤٨ فى الألف فى التعليم الابتدائى ، وهو بين المسلمين بنسبة ٥ فى الألف ، مقابل ٢٨ فى الألف فى التعليم الابتدائى .

من ذلك يتضح أن نسبة « ترك المدارس » بين الابتدائى والثانوى واضحة فى المسلمين أكثر مما هى فى البراهمة .

جروب مجلات قديمة (٩)
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإن من المحزن أن نقرر أن هذا الامتناع يصحبه أن الحكومة لا تضن على البيئة الاسلامية بتشجيع الاقبال على التعليم ، فقد حفظت للمسلمين نسبة مئوية خاصة من الأماكن فى المدارس ، هى من حقهم كلما طلبوا ، كما أنها تقبل ٥ ر ٢٢ ٪ من أبناء المسلمين بالمجان فى المدارس الثانوية ، وهذا عدا مجانيات التفوق التى يصرف عليها من ريع الأوقاف التى رصدها عظماء المسلمين فى الهند لتشجيع التعليم بين المسلمين ، وهى أوقاف طائلة ، نذكر منها بعضاً مما يخص المدارس الثانوية فى إقليم بومباى على سبيل المثال :

١ — وقفية السير محمد يوسف ، ومقدارها ١٨٠٠٠ جنيه مصرى تقريبا ، يصرف منها على ٢٦ طالباً ، بمعدل ٣٠ روبية (٢٢٥ قرشا) للطالب الواحد فى كل شهر .

٢ — وقفية قاضى شهاب الدين ، ومقدارها ١٠٥٠٠ جنيه مصرى تقريبا ، يصرف منها على ١٩ طالباً ، بمعدل ١٥ روبية (١١٢ قرشاً) للطالب الواحد شهريا .

٣ — وقفية السير ابراهيم كريم بهاى ، وقدرها ١٨٠٠٠ جنيه مصرى تقريباً ، يصرف منها على خمسة طلاب فى معهد العلوم الملكى ، بمعدل ٧٠ روبية (٥٢٠ قرشا) للطالب الواحد شهريا ، و ١٢ طالباً بمعدل ٣٠ روبية (٣٢٥ قرشا) شهريا .

(ثالثا) التعليم العالى : وهو بمنزلة النصف الثانى من التعليم الثانوى بمصر ، ومدته سنتان ، وتبلغ نسبة المسلمين الذين يتلقون هذا النوع من التعليم فى بومباى أربعة فقط فى كل عشرة آلاف منهم ، يقابلهم ٥٩ فى كل عشرة آلاف من البراهمة . وتنتهى هذه المرحلة من التعليم بالتقدم لنيل شهادة الماتريك Matriculation وتتولى الجامعات عقد الامتحان لاحراز هذه الاجازة ، بحيث تعتبر امتحانا للقبول بالجامعة .

(رابعا) التعليم الجامعى : ويبتدئ بدراسة سنتين للتحضير للشهادة المتوسطة المعروفة باسم Inter Mediate . وبعد ثلاث سنوات أخر يتقدم الطالب لنيل درجة بكالوريوس علوم ، أو بكالوريوس آداب ، أو ما يماثلها ، وتلى ذلك مرحلة تخصص مدتها سنتان ، ينال المتخرج بعدها شهادة الاستاذية فى الحقوق L.L.B أو الآداب M.A. أو العلوم M. Sc. ولا تليها إلا مرحلة البحث العلمى ، التى ينال الطالب بعدها شهادة الدكتوراه فى الفلسفة Ph. D. أو العلوم D. Sc. أو الآداب D. Lit.

وأخيراً — يسرنا أن نقرر أن عدد المسلمين الذين يواصلون دراساتهم الجامعية بعد نيل شهادة الماتريك ، هو فى الواقع عدد مشرف ، يبعث على حسن الاعتقاد بمستقبل التعليم بين المسلمين ، بفضل إرشاد أولئك الذين تعلموا تعليما جامعياً ، فأدركوا أثر التعليم فى تحسين حال بيئتهم . وقد دل إحصاء سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ على ما يأتى :

نال شهادة الماتريك	٤٧٧	طالباً
ونال الشهادة المتوسطة	١٠٥	«

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ونال شهادة بكالوريس	١٠٠	طالب
ونال شهادة الأستاذية	١٣	»

أى أن ٢١٨ طالباً من كل ٤٧٧ طالباً ، يواصلون دراساتهم الجامعية ، بنسبة ٥٢ ٪ وهى نسبة مبشرة ولله الحمد .

وتساعد الحكومة طلبة التعليم الجامعى على اختلاف دياناتهم مساعدة لها أثر محسوس ؛ ذلك بأنها تمنح فى بومباى مثلا مجانيات التفوق الآتية :

٤٠ مجانية مع راتب قدره	١٥ روبية شهريا	فى كلية الآداب	لمدة أربع سنوات
٣ » » »	٣٠ » » »	الهندسة	» ثلاث سنوات
١ » » »	٢٥ » » »	التجارة	» ثلاث سنوات
٣ » » »	٢٠ و٢٥ » » »	الحقوق	» سنتين اثنتين

* * *

هذا عرض سريع لحال التعليم المدنى فى بلاد الهند ، ومدى إقبال المسلمين على الأخذ به ؛ وقد حاولت البعثة تقرى الأسباب التى أوجبت قيام هـذه الحالة المحزنة ؛ وإنا لموردون هنا ما استطعنا الوصول إليه فيها :

كان المسلمون الى عام ١٨٥٧ سادة البـلاد ، وما يزال الشعب الاسـلامى فى الهند يتغنى بماضى مجـده القريب ، كما لا يزال كثير من سادتهم يحملون الى جانب أسمائهم الألقاب الضخمة ، التى تدل على شرف المحتد ، والانتساب الى بيوت الملك ؛ ولـكثير من عظماء المسلمين بالهند ثروات ضخمة اكتفى بها غير المثقفين منهم عن تعليم أبنائهم ؛ وفى ذلك بخس من قدر العلم .

ومما يزيد الألم أن هـذه الحال المحزنة بين المسلمين تقابلها حال تـكاد تـكون مضادة لها فى البيئات الهنـدوسية ، لا سيما فى الطبقة العليا ؛ إذ أدرك الهندوس قيمة العـلم وأثره فى الـكفاح الحيوى ، وخاصة كفاح البيئتين الاسلامية والهندوسية فى تلك البلاد .

صحيح أن أنظار المسلمين قد اتجهت فى السنوات الأخـيرة الى تثقيف أبنائهم ؛ ولـكن يخيل إلينا أن النشاط العلمى فى البيئات الهندوسية يغلب على ما يقابله من نشاط بين المسلمين ؛ بحيث يخشى (فى ميدان العلم قبل كل شىء) أن تـكون الغلبة قريبا للهندوس ، فلا ينازعهم تفوقهم منازع .

ومما تجب الاشارة إليه أن نشاط الهندوس ، ورغبتهم الجدية فى التفوق ، لا تقتصر على ميدان العلوم النظرية ، بل إنهم قد ضربوا بسهم وافر من النشاط فى العلوم العملية كذلك ؛ ويظهر هذا النشاط واضحا جليا إذا ما وازنا بين نشاط جامعة عليكرة العلمى البحت ، وبين نشاط جامعة بنارس ، الذى يمت الى العلوم العلمية بصلة كبرى . (يتبع)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المطالب العالية فى النفس الناطقة

وصلتها بالانسان

تحدثنا الى القراء إلماما فى عدد من أعداد هـذه المجـلة عن مبحث له من جلال الخطر وعظيم الأثر المقام الأول بين أصحاب نظريات العـلم الالهى وأصحاب العلوم الطبيعية بين مستدلين ومعقبين ومعترضين ومجيبين ومثبتين ونافين، وأعنى به مبحث بقاء النفس بعد خراب البدن وانحلاله .

فجمهور علماء الفلسفة الاسلامية وغيرهم على أن النفس باقية بعد فساد البدن فـلا تفنى بفنائه ولا تنحل بانحلاله، فهم يرون أن هـذه النظرية مدللا عليها مقامة على صحتها الحجج والبراهين، جزء غير منفصل من قسم الالهيات من ناحية، والطبيعيات من ناحية أخرى، حتى إن ابن سينا فى قسم الطبيعيات من كتاب الشفاء عرض للتدليل على صحة هذا الموضوع فى بحوث متسلسلة الحلقات بأصدق البراهين مما سيجىء عنه الـكلام فى موضعه فى بحوث تالية .

ومن تحصيل الحاصل القول بعدم وجود رأى إجماعى على ثبوت تلك النظرية، فقد خالف فى ثبوتها الأستاذ الطوسى وغيره من المشتغلين بقضايا عـلوم النفس وأقيستها، غير أن جمهرة الفلاسفة الاسلاميين وغيرهم بسطوا القول جدا فى التدليل على بقاء النفس بعد فساد البدن .

قال العلامة صاحب المقاصد مع تصرف فى المبنى واحتفاظ بالمعنى :

« ولما توقف تعلق النفس به على وجودها فى نفسها كان ذلك الاسـتعداد منسوبا أولا وبالذات الى تعلقها وهـو وجودها من حيث إنها متعلقة به . وثانيا وبالعرض الى وجودها فى نفسها . وهذا الاستعداد من غير شك كاف لفيضان الوجود عليها متعلقة به من غير حاجة فى ذلك الى استعداد منسوب أولا وبالذات الى وجودها فى نفسها ليمتنع قيامه بالبدن، فانها من حيث وجودها فى نفسها مباينة له، والشىء لا يكون مستعدا لما هو مباين له كما هو جلى، وكما جاز أن يكون البدن محـلا لاستعداد تعلقها به يجوز أن يكون محـلا لاستعداد انقطاع تعلقها به، ويتجلى ذلك الجواز بصورة واضحة فى حالة ما إذا خرج المزاج الصالح عن أن يكون محـلا لتدبيرها وتصرفها . لـكن لما لم يتوقف انقطاع تدبير النفس على عدمها فى ذاتها لم يـكن هـذا الاسـتعداد منسوبا الى عدمها فى نفسها لا بالذات ولا بالعرض . وحينئذ يظهر الفرق جليا لـكل باحث بين استعداد الحـدوث وبين استعداد العـدم، لأن استعداد الحـدوث من ناحية واستعداد العدم من ناحية أخرى، والشىء الواحد متى اختلفت جهتاه ارتفع عنه التناقض، فيجوز أن يقوم استعداد الحدوث بالبدن دون الثانى » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يبقى بعد ذلك أن الأستاذ الطوسى فى بعض رسائله فيما حكاه العضد قد كر على دليل القوم وصال فيه وجال، وأورد تعقيبات وشبهات ليس ردها بالهنات الهينات، وإن كانت فى واقع أمرها مجرد مغالطات، فقد عقب على أدلة القوم فقال: ما لا حامل لامكان وجوده وعدمه لا يمكن أن يوجد بعد عدم أو يعدم بعد وجود، فيا عجبا الذين حكموا بحدوث النفس الانسانية ثم امتنعوا فى الوقت ذاته عن تجويز فنائها، فان جعلوا حامل إمكان وجودها البدن فهلا جعلوه حامل إمكان عدمها أيضا، وإن جعلوها عادما حاملا لامكان العدم كى لا يجوز عدمها بعد الوجود فهلا جعلوها لأجل ذلك بعينه عادما حاملا لامكان الوجود فيمتنع وجودها بعد العدم فى الأصل! وكيف ساغ لهم أن جعلوها جسما ماديا حاملا لامكان وجود جوهر مفارق مباين الذاتيات؟ فان جعلوها من حيث كونها مبدأ لصورة نوعية لذلك الجسم حاملا لامكان الوجود، فهلا جعلوها من تلك الحيثية بعينها ذات حامل لامكان العدم؟ وعلى الجملة ما الفرق بين الأمرين فى تساوى النسبتين؟

ونحا الامام الرازى نحوا آخر فى متابعة دليل القوم متابعة جعلت هذا الدليل فى منعة لا ترقى اليها الشكوك والشبهات. فقد حكى فى كتابه (المحصول) ما معناه: لو جاز العدم على النفس لكان العدم مسبوقا بامكان العدم لا محالة، وذلك الامكان يستدعى محلا، ويجب أن يكون المحل باقيا عند ذلك العدم، ضرورة أن القابل واجب الحصول عند وجود المقبول، والشيء لا يبقى عند عدمه بداهة، والمنطق السليم أن كل ما صح عليه العدم له مادة، فلو جاز العدم على النفس لكانت مركبة من المادة والصورة قطعا، وذلك بديهى البطلان ضرورة أنها ليست من عالم الأجسام. وعلى هذا التقدير إذ ننظر الى الجزء المادى نجده غير قابل للعدم، وإلا لافتقر الى مادة أخرى، ولا محالة ينتهى الى مادة لا مادة لها فيكون ذلك الشيء غير قابل للفساد والعدم، وهى جزء النفس، وجزء النفس لا يصح أن ينافى مقارنة الصور العقلية، وإذا كان ذلك الجزء من النفس الذى يثبت بقاؤه مجردا عن الوضع قابلا للصور العقلية كان ذلك الجزء هو النفس، فالنفس لا يصح عليها العدم.

وقال الشيرازى صاحب حكمة الاشراق فى معرض سرد أدلة القوم على بقاء النفس بعد فساد البدن: إن النفس لو انعدمت لكان انعدامها لانعدام سببها.

والأسباب أربعة: سبب فاعلى، وسبب مادى، وسبب صورى، وسبب غائى.

وانعدامها لانعدام السبب الفاعلى مستحيل الوجود، فقد ثبت فى موضعه أن السبب الفاعلى لها جوهر عقلى مجرد مفارق، وكل ما كان مجردا من جميع الوجوه امتنع عليه العدم.

وانعدامها لانعدام السبب المادى مستحيل الوجود كذلك لما ثبت أن النفس ليست بمادية، وذلك لا يختلف فيه اثنان.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن المحال أن العدم ناشئ من السبب الصورى ضرورة أن الكلام فى انعدام ذلك السبب الصورى هو بعينه فى انعدام النفس ، فان كان للعدم صورة أخرى لزم التسلسل الباطل .

ومحال أيضا أن يكون انعدام النفس ناشئا عن سبب غائى، فيمتنع مع ذلك عدم النفس إطلاقا .

لكن الصور والأعراض هى التى يجرى عليها العدم ، وذلك معقول لصحة جريان العدم على أسبابها القابلية والمادية ضرورة أن حدوثها يأتى تبعا لاختلاف الأمزجة وتباين الاستعدادات، والأمر هنا ليس كذلك ، فثبت ما ذهب إليه القوم من التدليل على أن النفس باقية بعد خراب البدن .

بقى بعد ذلك أن المتقدمين من الفلاسفة والمتأخرين تضافروا على أن هناك بحثين كل واحد منهما مستقل عن الآخر : فأما البحث الأول فهو بقاء النفس بعد خراب البدن وانحلالها ، وأما البحث الثانى فهو أنها لا تفنى بمجرد فناء هذا البدن .

فأما البحث الأول فهو ما عنينا بالكشف عن حقيقته وتفاريعه . وأما البحث الثانى فوعدنا بالكشف عنه مع ما قبله وما هو الحق فيه وما استقر عليه رأى الشيخ الرئيس وتابعه فيه الامام الفخر الرازى بحوث تالية ، إن شاء الله ، فالى الغد القريب ؟

عباس طه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

اعلان

تعلن إدارة مجلة الأزهر حضرات مشتركيها فى محافظة القاهرة وضواحيها وبندر الجيزة أنها قررت تعيين حضرة بديع القاضى أفندى وكيلا ومحصلا للمجلة فى هذه الجهات

فنرجو من حضراتهم اعتماده وتسهيل مهمته .

وعنوانه : ٨ شارع قصر الشوق — سيدنا الحسين — مصر

***

وتعلن إدارة المجلة أيضا حضرات مشتركيها بمديرية بنى سويف أنها قد اعتمدت حضرة محمود أفندى حسن القاضى وكيلا ومحصلا للمجلة بمديرية « بنى سويف » وذلك بموجب إيصالات مطبوعة وموقعا عليها منا .

فنرجو من حضراتهم اعتماده وتسهيل مهمته .

مدير مجلة الأزهر

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم – لأبى محمد عبد الملك بن هشام :

إن أبا محمد عبد الملك بن هشام هو ثانى رجل فى الاسلام وضع فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم كتابا فى القرن الثانى من الهجرة . وأما أول واضع للسيرة المحمدية فهو أبو عبد الله محمد بن اسحق بن يسار المتوفى على الأرجح فى سنة (١٥١) . ومما يؤسف له أن سيرة ابن اسحق قد فقدت ولم يبق منها إلا ما استشهد به منها ابن هشام وغيره ، وعلى هذا فيمكن أن يعتبر كتاب ابن هشام هذا بأنه أول كتاب للسيرة النبوية .

ولسنا هنا فى حاجة لأن نقول إن هذه السيرة تعتبر أثرا تاريخيا عظيما لمن يريد أن يتتبع سلسلة الروايات الى عهد قريب من النبوة .

وقد عنى بمراجعة اصولها ، وضبط غريبها ، وتعليق حواشيها ، ووضع فهارسها ، فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد المدرس بكلية اللغة العربية ، فاجاد فى هذه الأعمال التكميلية ، وجعل للكتاب ميزة على جميع ما طبع من كتب من السيرة من المؤلفات القديمة.

وقد عنى حضرة الأستاذ العلامة محمد حسين هيكل بك فوضع لها مقدمة جليلة له تناسب قيمة الكتاب .

وقد أحسن فضيلة ناشره باهدائه لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى ، فهو أجدر الناس به .

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

كتاب قيم فى الاسلام :

اعتزم حضرة الأستاذ النابه عبد الرحمن العيسوى افندى صاحب مجلة (العالم الاسلامى) أن ينشر كتابا فى الاسلام تشترك فى كتابته النخبة المفكرة من كبار المسلمين . وقد أطلعنا على أسمائهم وعلى عنوانات مقالاتهم ، فوجدنا ما كتبوه يعتبر أثمن مجموعة علمية فى موضوع الدين الحنيف من نواحيه الرئيسية ، لم يحتو على مثلها كتاب قبله .

وقد توج هذه المجموعة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى بمقدمة بقلمه المبدع ، فكان أثمن تاج يوضع على رأس كتاب من هذا الطراز المبتكر .

وقد كنا نود أن نأتى على أسماء الأعلام الذين ساهموا فى الكتابة فيه وعلى عنوانات كتاباتهم لولا أن المقام لا يتسع لذلك .

فنشكر حضرة الأستاذ العيسوى افندى على اجتهاده فى استكتاب هؤلاء الفطاحل ، وليس فيهم إلا من اشتهر فى الموضوع الذى تصدى له شهرة الاخصائى فى فنه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العظات الدينية فى الأمثال القرآنية :

ليس فى قرائنا من لا يعرف الأستاذ النابه على فكرى أفندى الأمين السابق لدار الكتب المصرية ، وليس فيهم من لم يطلع على بعض ما كتب . ولسنا فى حاجة لأن نذكر أن كتب الأستاذ كلها ممتعة قيمة ولا تعدو الموضوعات التى لها اتصال وثيق بالدين والآداب العامة والأخلاق والحكم .

بين يدينا الساعة كتاب جديد له أسماه (العظات الدينية فى الأمثال العربية) موضوعه شرح الأمثال القرآنية ، والأمثال النبوية ، والأمثال العربية ، وهى مختارة من كتاب مجمع الأمثال للميدانى مرتبة على حروف المعجم ، ويلى كل ذلك نبذة فى الأمثال العامية ، مطبقة على الآيات القرآنية ، ومرتبة أيضا كسابقتها على الحروف الأبجدية ، وطائفة أخرى من الأمثال العامية مطبقة على الأحاديث النبوية .

فهذا كتاب نفيس نضيفه الى ما سبق من وضعه ، ونثنى على همته بقدر ما بذل من جهده ، راجين الله له ثواب العاملين المخلصين .



الغرب يترجم آراء عالم مصرى :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ألف فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ طنطاوى جوهرى كتابا أسماه (أحلام فى السياسة لنشر السلام العام) فتصدى لترجمته الى الانجليزية عن العربية كاتب غربى من لوكسمبورغ يدعى (كرستيان) وقد كتب لفضيلة الاستاذ كتابا أخبره فيه بذلك ، قائلا إنه بعد أن يتمه سيرسل به اليه . ومما قاله فى كتابه : « إن كتابك عميق التفكير بعيد الغور ، وأنا دائم التفكير فيما اشتمل عليه من المعارف العالية فى علوم الفلك والطبيعة والحياة » الخ .

وإننا مع انتظارنا لهذه الترجمة استحسنا أن ننوه بهذا الأمر إدلالا على أن فى أوربا من الكتاب من تنبهوا للاقتباس من كتابات علمائنا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا هو ملحد؟

إن انتشار العلوم الطبيعية ، وما تواضعت عليه الأمم المتمدنة من إطلاق حرية الكتابة والخطابة للمفكرين في كل مجال من مجالات النشاط العقلي ، استدعت أن يتناول بعضهم البحث في العقائد ، فنشأت معارك قامية بين المثبتين والنافين تمحصت بسببها حقائق ، وتبينت طرائق ، وآمن من آمن عن بينة ، وألحد من ألحد على عهدته .

ونحن الآن في مصر ، وفي بحبوحة الحكم الدستوري ، نسلك من عالم الكتابة والتفكير هذا المنهاج نفسه ، فلا نضيق به ذرعا مادمنا نعتقد أننا على الحق المبين ، وأن الدليل معنا في كل مجال نجول فيه . وإن هذا التسامح الذي يُدَّعى أنه من ثمرات العصر الحاضر ، هو في الحقيقة من نفحات الاسلام نفسه ، ظهر به آباؤنا الأولون أيام كان لهم السلطان على العالم كله . فقد كان يجتمع المتباحثون في مجلس واحد بين سني ومعتزلي ومشبه ودهري الخ فيتجاذبون أطراف المسائل المعضلة ، فلم يزدد الدين حيال هذه الحرية العقلية إلا هيبة في النفوس ، وعظمة في القلوب ، وكرامة في التاريخ .

هذه مقدمة نسوقها بين يدي نقد نشرع فيه لرسالة ترامت إلينا بعنوان : (لماذا أنا ملحد) ، نشرها حضرة الدكتور اسماعيل أحمد أدهم في مجلة الامام الصادرة في أغسطس سنة ١٩٣٧ ثم أفردها في كراسة تعميما للدعوة .

بدأ الدكتور رسالته بقوله : إنه ابن ضابط تركي محافظ على دينه وأمه مسيحية هي بنت البروفسور وانتهوف المشهور . ولما كان أبوه لاشتغاله بالحروب لم يتفرغ لتربيته ، كلف زوج عمته أن يهيمن على تثقيفه ، فقام بذلك على أسلوبه ، حتى اضطره لحفظ القرآن .

قال الكاتب في هذا الموطن : « غير أني خرجت ساخطا على القرآن لأنه كلفني جهدا كبيرا كنت في حاجة الى صرفه الى ما هو أحب الى نفسي منه . وكان كل ذلك من أسباب التمهيد لثورة نفسية على الاسلام وتعاليمه . ولكني كنت أجد من المسيحية غير ذلك . فقد كانت شقيقتاي — وقد نالتا قسطا كبيرا من التعليم في كلية الامريكان بالآستانة — لا تثقلان علي بالتعاليم الديني المسيحي ، وكانتا قد درجتا على اعتبار أن كل ما تحتويه التوراة والانجيل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ليس صحيحا ، وكانتا تسخران من المعجزات ويوم القيامة والحساب ، وكان لهذا كله أثر في نفسيتي » .

وبين سنة ١٩١٩ و١٩٢٣ قرأ الدكتور كتاب داروين وخرج منه مؤمنا بالتطور ، ونزح والده الى الاسكندرية وأخذيتولى ابنه بالعناية ، ويفرض عليه الاسلام والصلاة . قال الدكتور : « إني ثرت على هذه الحالة وامتنعت عن الصلاة ، وقلت له إني لست بمؤمن ، أنا دروني أؤمن بالنشوء والارتقاء ، فكان جوابه على ذلك أن أرسلني الى القاهرة ، وألحقني فيها بمدرسة داخلية ليقطع على أسباب المطالعة » . كل هذا ولم تتجاوز سنه الرابعة عشرة .

وفي سنة ١٩٢٧ غادر مصر وشخص الى تركيا والتحق بجامعتها ، فدرس الرياضيات ، وأسس مع بعض إخوانه جماعة لنشر الالحاد ، فكانوا يصدرون نشرات في كل منها ٦٤ صفحة .

ثم التحق بجامعة موسكو وحصل منها على شهادة الدكتوراه في الرياضيات ، ثم حصل على دكتوراه في العلوم والفلسفة . قال : « وكانت نتيجة هذه الحياة أني خرجت عن الأديان ، وتخليت عن كل المعتقدات ، وآمنت بالعلم وحده ، وبالمنطق العلمي ، وأشد ما كانت دهشتي وعجبي أني وجدت نفسي أسعد حالا ، وأكثر اطمئنانا ، من حالتي حينما كنت أغالب نفسي للاحتفاظ بمعتقد ديني » .

الدخول الى موضوع البحث :

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قال الدكتور في رسالته :

« إن الأسباب التي دفعتني للتخلي عن الايمان بالله كثيرة ، منها ما هو علمي بحت ، ومنها ما هو فلسفي صرف ، ومنها ما هو بين بين ، ومنها ما يرجع لبيئتي وظروفي ، ومنها ما يرجع لأسباب سيكولوجية .

« وقبل أن أعرض للأسباب لابد لي من استطراد لموضوع إلحادي ، فأنا ملحد ونفسي ساكنة لهذا الالحاد ومرتاحة إليه . فأنا لا أفترق من هذه الناحية عن المؤمن المتصوف في إيمانه . نعم لقد كان إلحادي بداءة ذي بدء مجرد فكرة تساورني ، ومع الزمن خضعت لها مشاعري فاستولت عليها ، وانتهت من كونها فكرة الى كونها عقيدة . ولي أن أتساءل : ما معنى الالحاد ؟

« يجيبك لودفيج بخنر ، زعيم ملاحدة القرن التاسع عشر : (الالحاد هو الجحود بالله وعدم الايمان بالخلود والارادة الحرة) . والواقع أن هذا التعريف سلبي محض ، ومن هنا لا أجد بدا من رفضه . والتعريف الذي أستصوبه وأراه يعبر عن عقيدتي كملحد هو : (الالحاد هو الايمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون في ذاته ، وأن ثمة لا شيء وراء هذا العالم) . ومن مزايا هذا التعريف أن شقه الأول إيجابي محض ، بينما لو أخذت وجهته السلبية لقام دليلا على عدم وجود الله ، وشقه الثاني سلبي يتضمن كل ما في تعريف بخنر من معان » . انتهى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نقول : إن قوله إن الأسباب التى دفعته للتخلى عن الايمان منها ما هو علمى ومنها ما هو فلسفى ، قول لا نراه وجيها ، فقد اعترف العلماء أن العلم يعجز عن إقامة دليل على نفى الصانع . وليس من وظيفة العلم البحث فيما وراء المحسوسات ، والحكم بوجود شىء أو نفيه مما وراءها إلا إذا كان له فى تلك المحسوسات أثر يستهدى به .

والمعركة القائمة بين العلماء المثبتين للصانع والنافين له ، تنحصر فى أن الأولين يحتجون بوجود هذا الابداع التكوينى والاستدلال به على وجود القدرة المبدعة ، وأن الآخرين يدعون بأن هذا الابداع سببه وجود نواميس طبيعية منتظمة ملازمة للمادة تكفى لايصال الكائنات فى آماد طويلة الى هذه الدرجة العالية من الابداع ، دون الحاجة الى عقل مدبر سواها . وهذا كما لا يخفى موقف سلبى واهن يحتاج الآخذ به الاعتماد على تحكمات افتراضية ليست من العلم فى شىء .

وأما الفلسفة وهى تناول الأمور بالنظر والتفكير ، فهى كما تكون سببا فى الالحاد تكون سببا فى الايمان ، ناهيك أن أعلام الفلاسفة أكثرهم مؤمنون .

أما ما هو بين بين فيظهر أنه يريد به الخلط بين العلم والفلسفة ، كما يفعل أصحاب الفلسفة الطبيعية ، وهى لا تصلح أن تكون مصدرا (لايمان إلحادى) ، لأن العلم الذى يستندون اليه لايزال فى دور التكمل ، فقد كانوا يقولون بوجود جواهر فردة مادية ، واليوم ثبت أن المادة تنتهى لقوة . وكانوا يدعون أن الحواس هى أصدق المصادر للعلم ، وقد ثبت أنها لا تكفى لبنائه على أساس متين . وقد كانوا يقولون بأن أساس الكائنات عناصر أربعة هى الماء والتراب والهواء والنار ، ففوجئوا قبل نحو مائة وخمسين سنة بأن هذه الكائنات ليست بسيطة ولكنها مركبة ، وأن العناصر التى آلت اليها ربما كانت مركبة هى أيضا من عناصر أبسط منها .

وكانوا لا يتخيلون وجود أشعة غير ما تتأثر به العين ، فاذا بهم حيال أشعة تخترق الأجسام الصلبة ، وتعمل فى الأجسام عمل المواد الشديدة التأثير . حتى إن أشعة الراديوم قتلت مكتشفها الأستاذ (كورى) الفرنسى ، وقتلت غيره من الباحثين فيها ، وأحرقت وجوه وصدور عدد كبير منهم .

بقى ما عبر عنه الكاتب بأحوال البيئة والظروف ، وبأسباب بسيكولوجية . وهذه فى نظرنا هى الأسباب الحقيقية فى تكوين فكرة الالحاد عنده ، فانه ذكر فى تاريخ حياته أن أباه كان مسلما محافظا ، وأن أختيه كانتا تلقنانه الدين المسيحى ، وفى الوقت نفسه كانتا تهزآن بخوارق الكتب المسيحية ، وبخلود الروح فى الحياة الآخرة . وأن زوج عمته كان يرغمه على الصلاة وحفظ القرآن . فهذه كلها عوامل تقذف بنفسية الطفل من الشذوذ الى مكان بعيد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا عجب لنفس يحكم عليها أن تكون فى وسط هذا التناقض ولا تشعر بانقباض شديد يحملها على طلب المخرج منه . فلما أتته نظرية الالحاد وجد فيها الراحة التامة لضميره ، والثلج الكلى لصدره ، فأخذ بها وتحمس لها .

لقد عاب الدكتور على بوخنر تعريفه للالحاد ، وجاء بتعريف له أكمل منه . فقال : إن الالحاد هو الايمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون فى ذاته ، وأن ليس ثمة شيء وراء هذا العالم .

وهذا تعريف معلول لا يصح فى عرف العلم ولا فى عرف أية فلسفة فى الأرض ، وبخاصة لأهل هذا العصر ، واليك البيان :

إن القول بأن سبب الكون يتضمنه الكون فى ذاته ، لا يمكن أن يعدو كونه رأيا ، ولما كان الدكتور يكلمنا وهو فى مجال العلم ، فانا نسأله كيف يمكن فى عرف العلم أن يولد الرأى إيمانا راسخا لا يقبل المناقشة ؟

نعم إن المشاهد أن كل ظاهرة طبيعية ، تحدثها علة طبيعية . ومن هنا يتخيل من يبحث بحثا سطحيا فى عالم الوجود أن علله ذاتية فيه ، ولكن العقول اجتازت هذه العقبة فرأت أن هذه العلل الجزئية لا يتأتى أن تكون معلولاتها منتظمة إلا إذا كانت كلها متنزلة من علة رئيسية ، تصدر عن تدبير سابق للحوادث .

قال العلامة السير وليم كروكس وهو من أقطاب العلم العصرى وقد تولى رياسة المجمع العلمى البريطانى ، قال فى خطبة له (١) :

« الكون كله على ما ندركه نتيجة الحركات الذرية ، وهذه الحركات تنطبق كل الانطباق على ناموس حفظ القوة ، ولكن ما نسميه ناموسا طبيعيا هو فى الحقيقة مظهر من مظاهر الاتجاه الذى يعمل على موجبه شكل من أشكال القوة . ونحن نستطيع أن نعلل الحركات الذرية كما نعلل حركات الأجرام الجسمية ، ونستطيع أن نكتشف جميع النواميس الطبيعية للحركة ، ولكننا مع ذلك لا نكون أقرب مما كنا عليه الى حل أهم مسألة وهى : أى نوع من أنواع الارادة والفكر يمكن أن يوجد خلف هذه الحركات الذرية ، مجبرا لهذه الحركات على اتباع طريق مرسوم لها من قبل ؟ (تأمل) . وما هى العلة العاملة التى تؤثر من خلف هذه الظواهر (وفى الأصل من وراء ستار المسرح) ، وأى ازدواج من الارادة والفكر (تأمل) يقود الحركة الآلية الصرفة للذرات خارجا عن نواميسنا الطبيعية بحيث يحملها على تكوين هذا العالم المادى الذى نعيش فيه ؟

« فاسمحوا لى أن أستنتج من هذا الفهم أنه يستحيل علينا أن نتخيل مقدما الأسرار التى يحتويها الكون ، والعوامل الدائبة على العمل فيما حولنا » انتهى .

(١) راجع مجموعة خطب السير وليم كروكس صفحة ٣٦ .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا رأى العلامة الكيماوى والرياضى الكبير وليم كروكس ، وهو من الرجال القلائل الذين تضطرهم تجاربهم أن يطلعوا على عمل النواميس كل يوم ، فهم أقرب اليها ممن عداهم ممن يكتبون ولا يعملون . وقد رأيت أنه يأبى أن يسلم بكفاية النواميس لا يجاد الكون وحفظه على ماهو عليه ، فأظهر الحيرة فى فهم كنه تلك (الارادة) وذلك (المفكر) الذى يعمل من ورائها .

وهو ليس يقول هذا القول متابعة لوهم أو وراثة دينية عنده ، ولكن تجاربه اضطرته اليه ، فقد نص على ذلك نصا فى خطبة له فى المجمع العلمى البريطانى ، جاء فى صفحة ٨ من مجموع خطبه :

« متى امتحنا من قرب بعض النتائج العادية للظواهر الطبيعية ، نبدأ بادراك الى أى حد هذه النتائج أو النواميس كما نسميها ، محصورة فى دائرة نواميس أخرى ليس لنا بها أقل علم ؟ أما أنا فان تركى لرأس مالى العلمى الوهمى قد بلغ حدا بعيدا . فقد تقبض عندى هذا النسيج العنكبوتى للعلم ، كما عبر بذلك بعض المؤلفين ، الى حد أنه لم يبق منه إلا كرة صغيرة تكاد لا تدرك » .

إذا كان هذا حال أقطاب العلم من الحيرة إزاء علل حدوث الكائنات ؛ فمن أية الآفاق يتنزل (الايمان بالالحاد) الذى يذكره الدكتور صاحب الرسالة على قلب باحث فيه ؟ لا نشك فى أنه يتسرب اليه من ناحية السذاجة العلمية ، وقد نص على هذه الحقيقة الرياضى المشهور (هنرى بوانكاريه) الذى يعتقد فيه حضرة الكاتب الامامة فى العلم ، قال فى كتاب العلم والافتراض صفحة ١ :

« الحقيقة العلمية فى نظر المشاهد السطحى تعتبر خارجة عن متناول الشكوك ، وعنده أن المنطق العلمى غير قابل للنقض ، وأن العلماء وإن أخطأوا أحيانا فلا يكون ذلك إلا لأنهم لم يراعوا قواعده . والحقائق الرياضية فى نظره تشتق من عدد قليل من القضايا الجلية الواضحة بسلسلة من الأدلة المنزهة عن الخطأ ، وهى واجبة ، فى رأيه ، ليس علينا فقط ولكن على الطبيعة أيضا (تأمل) ....

ثم قال : « هذا هو أصل الثقة العلمية لناس كثيرين من أهل الدنيا ، وللتلاميذ الذين يتلقون مبادىء علم الطبيعة ، وهاهو جهد فهمهم للدور الذى تؤديه التجربة والرياضيات ، وها هو أيضا غاية فهم كثير من العلماء الذين كانوا يحاولون منذ مائة سنة أن يبنوا العالم باستخدام أقل ما يمكن من المواد المستمدة من التجربة .

« ولكن لما تروى العلماء قليلا لاحظوا مكان الافتراضات من هذه العلوم ، ورأوا أن الرياضى نفسه لا يستطيع الاستغناء عنها ، وأن التجربة لا تستغنى عنها كذلك . حينذاك سأل بعضهم بعضا هل كانت هذه المبانى العلمية على شىء من المتانة ، وتحققوا أن نفخة واحدة تكفى لجعل عاليها سافلها . فمن ألحد على هذا الوجه (تأمل) صار سطحيا أيضا » انتهى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فمن أية السبل يأتى الايمان برأى من الآراء الالحادية لباحث فى الطبيعة ؟ فتعريف الدكتور كاتب المقالة بأن الايمان بوجود سبب الكون فى الكون ذاته ، وأن ليس ثمة شيء وراء هذا العالم ، تعريف معيب من الناحية العلمية المحضة ، وأدخل منه فى العيب قوله : « فأنا لا أفترق من هذه الناحية (يريد ناحية الالحاد) عن المؤمن المتصوف فى إيمانه » . فهذا تعبير بعيد كل البعد عن التحوط العلمى . فان العالم يجب أن لا يكون واقفا هذا الموقف حيال مدركات يقول عنها مثل (هنرى بوانكارى) إن نفخة واحدة تكفى لجعل عاليها سافلها ، وتاريخ العلم يبرر هذا التحفظ .

هل كان الفيلسوف (كنت) ملحدا ؟

نقل الدكتور كاتب الرسالة عن الفيلسوف الألمانى (كَنْت) قوله : « إنه لا دليل عقلى أو علمى على وجود الله ، وإنه ليس هنالك من دليل عقلى أو علمى على عدم وجود الله » . ثم قال الدكتور عقب ذلك :

« وهذا القول الصادر عن أعظم فلاسفة العصور الحديثة وواضع الفلسفة الانتقادية ، يتابعه فيه جمهرة الفلاسفة . وقول (عمانويل كانت) لا يخرج عن نفس ما قاله لوقريتوس الشاعر اللاتينى منذ ألفى سنة » .

وأنا أقول : لا أظن أن الدكتور صاحب الرسالة يجهل تاريخ الفيلسوف الذى يصفه بأنه أعظم فلاسفة العصور الحديثة ، إن هذا الفيلسوف كان من أكبر المؤمنين بالله وبالروح وخلودها من طريق التحليل العلمى والفلسفى . جاء عنه فى قاموس لاروس ما يأتى :

« شرع الفيلسوف كَنْت فى إصلاح مجموع المعارف الانسانية ، فبدأ عمله على أسلوب التشكك ، وبنى عليه الوصول الى الحق اليقين بواسطة العقل العملى ، والناموس الأدبى ، واستنتج من ذلك وجود الخالق وخلود الروح » .

وهذا ما تعرفه الفلسفة عنه ، فمن أين أتى حضرة الدكتور بأنه قال إنه لا دليل سواء أكان عقليا أم علميا على وجود الله ؟ لا أستطيع أن أقول إنه تقوّل عليه ، ولكنى أقول إنه اقتضبه اقتضابا من كلامه فأوهم غير ما يرمى إليه الفيلسوف من مراده .

ثم عقب الدكتور على ذلك بقوله :

« الواقع الذى ألمسه أن فكرة الله فكرة أولية ، وقد أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألفى سنة ، ومن هنا يمكننا بكل اطمئنان أن نقول إن مقام فكرة الله الفلسفية أو مكانها فى عالم الفكر الانسانى لا يرجع لما فيها من عناصر القوة الاقناعية الفلسفية وإنما يعود لحالة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يسميها علماء النفس التبرير Racionation ، ومن هنا فانك لا تجد لـكل الأدلة التي تقام لأجل إثبات وجود السبب الأول قيمة عامية أو عقلية . ونحن نعـلم مع علماء الأديان والعقائد أن أصل فكرة الله تطورت عن حالات بدائية ، وأنها شقت طريقها لعالم الفكر من حالات وهم وخوف وجهل بأسباب الأشياء الطبيعية ، ومعرفتنا بأصل فـكرة الله تذهب بالقدسية التي نخلعها عليها » انتهى .

ونحن نقول : إن هذا الـكلام ليس عليه أقل عبقة من اللهجة العامية ، كأن كاتبه لم يقرأ تاريخ العالم ولا تاريخ العلم . فان قوله إن العقيدة بالله أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألفي سنة ، خطأ عظيم ، فان هذه العقيدة صحبت الانسان منذ نشوئه ، حتى قال المنقبون في الحفريات إنهم لم يشاهدوا آثارا تحت الأرض لجماعة من الجماعات المتغلغلة في القدم تدل على أنها كانت لا تدين لدين ما . ولـكن الأمر على العـكس ، فان كل الآثار التي عثروا عليها تدل على وجود العقيدة لدى تلك الجماعات .

فما معنى قول الـكاتب بعـد هذا التقرير العامي إن العقيدة بالله لم تصبح من مستلزمات الجماعات إلا منذ ألفي سنة ؟ إن الأحجار المنقوشة في الهنـد والصين ومصر وغيرها تدل على أن تلك الأمم قبل ستة آلاف سنة كانت متدينة على أشد ما يمـكن أن يكون ، وكان للدين السلطان المطلق عليها حتى كان الحـكم فيها قبل نشوء الملـكية للـكهنة والرهابين .

وأما قوله : إن مقام فكرة الله الفلسفية أو مكانها من عالم الفكر لا يرجع لما فيها من عناصر القوة الاقناعية ، وإنما يعود لحالة يسميها علماء النفس التبرير .

فنرد عليه بأنه إذا كانت العقيدة الالهية تسلطت على عقول الناس من أقدم العصور ، حتى عقول العلماء وكبار المفكرين ، يمكن أن توصف بأنها مجردة من عناصر القوة الاقناعية ، فأي عقيدة بعـد ذلك يتصور أن تكون حاصلة على تلك القوة ؟

إن العقيدة بالله تقوم على أقوى البداهات العقلية ، وأعظمها سلطانا على النفس البشرية ، ويزيدها الشعور الوجداني الذي لا سبيل الى عـدم الاعتداد به . ذلك أن كل إنسان سأل نفسه بالفطرة : ماذا أنا ، وأي شيء أوجدني وأوجد هذا العالم ؟ وكل إنسان وجد الجواب العقلي والوجداني عقب هذا السؤال كما يأتي : لا بد أن يكون قد أوجدني موجد قادر وهو نفسه الذي أوجد هذا العالم أيضا .

هذه كانت البداهة العقلية والوجدانية التي لا تعارض ، ولـكن الفلسفة منذ نحو ألفين وخمسمائة سنة هي التي حاولت أن تتشكك في هذه البداهة ، فحاولت تعليل وجود الخليقة بذاتها بغير حاجة لموجد أزلي حكيم . ورغما عما بذلته تلك الفلسفة المادية منذ تلك القرون من الجهود

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشاقة فانها لم تتوصل أن تفتن إلا عقولا قليلة ، وبقيت جماهير الخليقة تحت سلطان تلك العقيدة ، بل بقيت عقول تعتبر من أرقاها طرازا تحت ذلك السلطان نفسه .

فهل يعقل أن وضعة الفلسفة : فيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو ، وكل من جاء بعدهم الى العصور الحديثة من صاغة الأصول الأولية ، أمثال بيكون واضع الدستور العامى ، وديكارت مصلح الفلسفة ، وعمانويل كنت منقح العلوم الانسانية ، وروسو وفولتير إمامى النقد الفلسفى ، وبرغسون زعيم الفلسفة الوجدانية فى العصر الحاضر ، هل يعقل أن هذه العقول الجبارة كلها لم تدرك أن فكرة الله وهمية باحتة ، وأنها مجردة من عناصر القوة ؟

اللهم إن أحداً لم يجرؤ على اتهام هؤلاء وأمثالهم بالغباوة الى الحد الذى يدفعهم اليه صاحب رسالة (لماذا أنا ملحد) .

قال حضرة الدكتور فى تلك الفقرة : إن كل الأدلة التى تقام لأجل إثبات السبب الأول ليس لها قيمة علمية أو عقلية.

نقول : كيف يمكن أن يروج مثل هذا القول فى العقول ، والبحث عن السبب الأول أمر لا بد منه ، وإثبات وجوده لامعدى عنه فى عصر من العصور ، وإن كان بعضهم يعتقد بأن هذا السبب قادر حكيم ، وبعضهم يراه وجودا ماديا محضا . فان كان مراده أن يقول إن إثبات أن ذلك السبب قادر حكيم ليس له قيمة علمية أو عقلية ، فذلك حكمه الشخصى ، ولكن جميع من ذكرناهم من وضعة الفلسفة ومصلحيها قد رأوا أن لها أعظم قيمة علمية وعقلية ، وأثبتوها فى مؤلفاتهم الخالدة . والعقول بطبيعة الحال تنساق وراء كبار الأعلام فى هذا الشأن ، وهو نفسه لا يستطيع أن يصفهم بغير هذا الوصف ، فقد ذكر واحدا منهم وهو (عمانويل كنت) فوصفه بأنه أعظم فلاسفة العصور الحديثة ، وواضع الفلسفة الانتقادية ، وقد أثبتنا لك بنص تاريخى أنه توصل على أسلوبه النقدى الى إثبات الله وخلود النفس ، وله فى ذلك كلام ممتع . وقس عليه سواه ممن ذكرناهم هنا .

وقال الدكتور فى تلك الفقرة أيضا : إن أصل فكرة الله تطورت عن حالات بدائية ، وإن الذى ولدها للانسان الخوف والجهل بأسباب الأشياء الطبيعية ، وإن معرفتنا بأصل فكرة الله تذهب بالقدسية التى كنا نخلعها عليها .

نقول : أما أن هذه الفكرة قد تطورت فهذا لا يستدعى العجب ، فان الجاهل يخلع على تصوراته خلعة من أوهامه وأهوائه ، وكلما ازداد علما أزال طائفة من تلك الأوهام والأهواء حتى ينتهى الى إزالتها كلها وتبقى العقيدة خالصة من كل شائبة .

فأى بأس فى هذا على قدسية هذه العقيدة ؟ أليس هذا كان حال الانسان من جهة العلم والحكمة والحق والعدل والشرف والكرامة الخ ، مما يضحى الانسان حياته فى سبيله ؟ فهل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يسقط من قدسية العلم والحكمة أنهما تطورا فى عقل الانسانية من حالات بدائية ؟ وهل لهذا السبب يجب علينا أن ننكر وجود العلم والحكمة وكل هذه الحالات الكريمة ؟

وهل أعلام العلم والفلسفة ممن ذكرناهم ، ويطول ذكر غيرهم ، لم يدركوا أن تطور فكرة الله تذهب بقدسيتها كما أدركها الدكتور كاتب الرسالة ، فلم لم يحتقروا هذه الفكرة لهذا السبب وكلهم أفاض فى ذكر الأطوار التى دخلت فيها على مدى العصور والأجيال ؟

هل السبب الأول للكائنات هو الخبط والاتفاق ؟

قال الدكتور كاتب الرسالة : « إن العالم الخارجى ـ عالم الحادثات ـ يخضع لقوانين الاحتمال Probability ، فالسنة الطبيعية لا تخرج عن كونها إشمال القيمة التقديرية التى يخلص بها الباحث من حادثة على ما يماثلها من الحوادث . والسببية العامية لا تخرج فى صميمها عن أنها وصف لمجرى سلوك الحوادث » .

ثم ذكر أنه عمل مذكرة بهذا الموضوع لمعهد الطبيعيات الألمانى عن المادة وبنائها الكهربائى وقال : « وفى هذه المذكرة أثبت أن الاحتمال هو قرارة النظر العامى للذرة ، فاذا كان كل ما فى العالم يخضع لقانون الاحتمال فانى أمضى بهذا الرأى الى نهايته ، وأقرر أن العالم يخضع لقانون الصدفة » .

ثم قال : « ولكن ما معنى الصدفة والتصادف ؟

« يقول هنرى بوانكاريه فى أول الباب الرابع من كتابه Science et méthode فى صدد كلامه عن الصدفة والتصادف : « إن الصدفة تخفى جهلنا بالأسباب ، والركون للمصادفة اعتراف بالقصور عن تعرف هذه الأسباب » .

« والواقع أن كل العلماء يتفقون مع بوانكاريه فى اعتقاده . ثم قال : « غير أنى من وجهة رياضية أجد للصدفة معنى غير هذا ، معنى دقيقا بث للمرة الأولى فى تاريخ الفكر الانسانى فى كتابى (Mathematic und physik) ج ٢ فصل ٧ »

ثم مثل لنظريته بمثال فقال :

« لنفرض أن أمامنا زهر النرد ونحن جلوس حول مائدة ، ومعلوم أن لكل زهر ستة أوجه . ثم قال : « وبما أن كل واحد من هذه الأوجه محتمل مجيئه إذا رمينا زهر النرد ، فان مبلغ الاحتمال لهذه الأوجه يحدد معنى الصدفة التى نبحثها .

ثم قال : « فمثلا لو فرضنا أن الدش أتى مرة واحدة من ٣٦ مرة ، أعنى بنسبة ١ : ٣٦ مرة ففى الواقع نحن نكون قد كشفنا عن صلة إمكان بين زهر النرد ومجىء الدش ، وهذا قانون لا يختلف عن القوانين الطبيعية فى شىء .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

« اذاً يمكننا أن نقول أن الصدفة التى تخضع العالم لقانون عددها الأعظم ، تعطى حالات إمكان . ولما كان العالم لا يخرج عن مجموعة من الحوادث ينتظم بعضها مع بعض فى وحدات وتتداخل وتتناسق ثم تنحل وتتباعد لتعود من جديد لتنتظم . . . وهكذا خاضعة فى حركتها هذه لحالات الأمكان الذى يحددها قانون العدد الأعظم الصدفى ، ومثل العالم فى ذلك مثل مطبعة فيها من كل نوع من حروف الأبجدية مليون حرف ، وقد أخذت هذه فى الحركة والاصطدام ، فتجتمع وتنتظم ثم تتباعد وتنحل هكذا فى دورة لا نهائية ، فلا شك أنه فى دورة من هذه الدورات اللانهائية لابد أن يخرج هذا المقال الذى تلوته الآن ، كما أنه فى دورة أخرى من دورات اللانهائية لا بد أن يخرج كتاب (أصل الأنواع) ، وكذا (القرآن) مجموعا منضدا مصححا من نفسه ، ويمكننا إذن أن نتصور أن جميع المؤلفات التى وضعت ستأخذ دورها فى الظهور خاضعة لحالات احتمال وإمكان فى اللانهاية ، فاذا اعتبرنا (ح) رمزا لحالة احتمال و (ص) رمزا للانهاية ، كانت المعادلة الدالة على هذه الحالات :

ح : ص

« وعالمنا لا يخرج عن كونه كتابا من هذه الكتب ، له وحدته ونظامه وتنضيده ، إلا أنه تابع لقانون الصدفة الشاملة » انتهى .

ونحن نقول : إذا كان القارئ سواء أكان باحثا طبيعيا أم عالما رياضيا قد آنس فى كلام الدكتور كاتب الرسالة غرابة وخروجا عن المألوف ، ومنافاة لكل مانقل عن أقطاب العلوم ، وأركان الرياضيات ، فان الدكتور نفسه يعترف بذلك ، فهو يقول إن نظريته هذه مبتكرة ظهرت فى عالم التفكير العلمى لأول مرة ، فقد قال : « إنى من وجهة رياضية أجد للصدفة معنى غير هذا ، معنى دقيقا بث للمرة الأولى فى تاريخ الفكر الانسانى فى كتابى (mathematik und plysik) ج ٢ فصل ٧ »

قال ذلك عقب إيراده قول العلامة الكبير (هنرى بوانكاريه) الفرنسى وهو قوله : « إن الصدفة تخفى جهلنا بالأسباب ، والركون للمصادفة اعتراف بالقصور عن تعرف هذه الأسباب »

وعقب على كلمة الأستاذ بوانكاريه بقوله : « والواقع أن كل العلماء يتفقون مع بوانكاريه فى اعتقاده » .

وهذا اعتراف من الدكتور بأن كل العلماء متفقون على أن لاخبط ولا اتفاق فى حوادث الكون ، ولكن الدكتور وحده قد أدرك أنهم كلهم واهمون ، وأن الخبط أو كما يسميه (الصدفة) هى الناموس الاعظم الذى أوجد الكون ، وهى التى تسود جميع انقلاباته الى اليوم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولما كان الدكتور يعتبر نفسه صاحب مذهب جـديد فى العلم ، فهو لا يخشى أن يعرض للقراء آراء كبار الرياضيين المناقضين له . فنقل عن العلامة العبقرى اينشتين أكبر أعلام الرياضيات فى هذا العصر قوله :

« مثلنا إزاء العالم مثل رجل أتى بكتاب قيم لا يعرف عنه شيئا ، فلما أخذ فى مطالعته وتدرج من ذلك لدرسه ، وبان له ما فيه من أوجه التناسق الفكرى ، شعر بأن وراء كلمات الكتاب شيئا غامضا لا يصل لكنهه ، هذا الشيء الغامض الذى عجز عن الوصول إليه هو عقل مؤلفه ، فاذا ما ترقى به التفكير ، عرف أن هذه الآثار نتيجة لعقل إنسان عبقرى أبدعه . كذلك نحن إزاء العالم ، فنحن نشعر بأن وراء نظامه شيئا غامضا لا تصل الى إدراكه عقولنا ، هذا الشيء هو الله » .

ونقل أيضا عن العلامة الجليل السير (جيمس جينز) الفلكى الانجليزى قوله :

« إن صيغة المعادلة التى توحد الكون هى الحد الذى تشترك فيه كل الموجودات ، ولما كانت الرياضيات منسجمة مع طبيعة الكون كانت لبابه . ولما كانت الرياضيات تفسر تصرفات الحوادث التى تقع فى الكون ، وتربطها فى وحدة عقلية ، فهذا التفسير والربط لا يحمل إلا على أن طبيعة الأشياء رياضية ؛ ومن أجل هذا لا مندوحة لنا أن نبحث عن عقل رياضى يتقن لغة الرياضة يرجع له هذا الكون . هذا العقل الرياضى الذى نامس آثاره فى الكون هو الله » .

نقل الدكتور هـذين القولين وعقب عليهما بقـوله : « وأنت ترى أن كليهما (والأول من أساطين الرياضيات فى العالم ، والثانى فلكى ورياضى من القدر الأول) عجز عن تصور حالة الاحتمال الخاضعة لقانون الصدفة الشاملة ، والتى يتبع دستورها العالم ، لا لشيء إلا لتغلب فكرة السبب والنتيجة عليهما » .

وقد سبق له أن نقل رأى الرياضى الفرنسى الكبير (هنرى بوانكارى) فى نكران الخبط والاتفاق (أى الصدفة) .

وعقب عليه بقوله : « الواقع أن كل العلماء يتفقون مع بوانكاريه فى اعتقاده ، غير أنى من وجهة رياضية أجد للصدفة معنى غير هذا ، معنى دقيقا بث للمرة الأولى فى تاريخ الفكر الانسانى » .

فاذا كان الأمر كما ذكر فيكون من العبث المحض أن ننقل اليه آراء رياضى العالم كله فى إنكار وجود الخبط فى الطبيعة ، وفى أنها قائمة على نظام حكيم ، فلابد لنا من أسلوب آخر فى دحض أقواله .

إن كاتب الرسالة لم يكتف بتخطئة أقطاب الرياضيين الذين ذكرهم فى فهم نظام التكوين العالمى ، ولكنه يتبرع فيشرح وجه خطئهم ، فقد قال :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« الواقع أن اينشتين فى مثاله انتهى الى وجود شيء غامض وراء نظام الكتاب عبر عنه بعقل صاحبه — مؤلفه — والواقع أن هذا احتمال محض ، لأنه يصح أن يكون خاضعا لحالة أخرى ، ونتيجة لغير العقل (كذا) ، ومثلنا عن المطبعة وحروفها ، وإمكان خروج الكتب خضوعا لقانون الصدفة الشامل يوضح هذه الحالة (كذا) . أما مايقوله السير جيمس جينز ، فرغم أنه أخطأ فى اعتباره الرياضة طبيعة الأشياء ، لأن نجاح الوجهة الرياضية فى ربط الحوادث وتفسير تصرفاتها لا يحمل على أن طبيعة الأشياء رياضية ، بل يدل على أن هنالك قاعدة معقولة تصل بينه وبين طبيعة الأشياء ، فالأشياء هى الكائن الواقع والرياضيات ربط ما هو واقع فى نظام ذهنى على قاعدة العلاقة والوحدة . وبعبارة أخرى إن الرياضيات نظام ما هو ممكن والكون نظام ما هو واقع ، والواقع يتضمنه الممكن ، ولذلك فالواقع حالة خصوصية منه . ومن هنا يتضح أنه لاغرابة فى انطباق الرياضيات على الكون الذى نألفه ، بل كل الغرابة فى عدم انطباقها ، لأن لكل كون رياضياته المخصوصة . فكون من الأكوان مربوطا بالرياضيات شرط ضرورى لكونه كونا . من هنا يتضح أن السير جينز انساق تحت فكرة السبب والنتيجة كما انساق أينشتين الى التماس الناحية الرياضية فى العالم . وهذا جعلهما يبحثان عن عقل رياضى وراء هذا العالم ، وهذا خطأ ، لأن العالم إن كان نظام ماهو واقع خاضعا لنظام ماهو ممكن ، فهو حالة احتمال من عدة حالات ، والذى يحدد احتماله قانون الصدفة الشامل لا السبب الأول الشامل » انتهى .

يريد كاتب الرسالة مما مر أن يقول إن المثال الذى ضربه بالمطبعة ذات المليون حرف ، وإمكان خروج الكتب منها خضوعا لقانون الصدفة الشامل بدون الحاجة لعقل ، يكفى لبيان ما يشكل على العلماء فى هذا المجال .

فقولهم إن الكون قائم على نظام رياضى شامل لا نسجامه مع العلم الرياضى الانسانى ، خطأ محض . فان ترابط حوادث الكون ، وتصرفها على قانون رياضى لا يحمل على أن طبيعة الأشياء رياضية كما يقول : لأنه بعد أن يتوصل قانون (الصدفة) الشامل ، فى رأيه ، الى إنشاء كون من الأكوان يكون ضبطه بالقوانين الرياضية شرط ضرورى لكونه كونا . ومن هنا أخطأ ، كما يدعى ، أقطاب الرياضيين فى اعتبار أن الطبيعة تجرى على نظام رياضى دقيق . والحقيقة أنها تجرى على نظام الخبط ، ومن هذا الخبط تتولد الأكوان ذات النظم الرياضية الدقيقة .

هذا مذهب غاية فى الغرابة ، فلا عجب أن ينفرد بالقول به واحد فى الخلق ! ولكن هذا لايكفينا مؤنة مناقشته الحساب ، حتى لايخيل إليه أن العقول تعجز عن بيان خطئه فيه .

مناقشة هذه النظرية الالحادية الحساب :

ليس من الحكمة أن نعتمد فى مناقشة صاحب هذه الرسالة على إيراد آراء علماء الكون ...

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أ كانوا رياضيين أم طبيعيين أم فلكيين ، لا نه يعترف بأن إجماعهم انعقد على أن للكون نظاما أزليا ، وأنه جاء على وتيرة رياضية فى جميع أدواره ، وأنه منزه عن الخبط والاضطراب فى جميع مكوناته . ولكن الذى يجدى فى هذه القضية هو مناقشته الحساب فى مفهوم نظريته ، وفى الأصول التى أقامها عليها إن كان لها أصول ، فنقول :

(أولا) أن ما يقرره الدكتور من عالم الخيال المحض لا من عالم العلم ، حمله عليه شدة تهيامه بابطال العقيدة بالخالق ، ولكن تهيام الانسان بنفى أصل من الأصول ، لا يجوز أن يدفع به الى متاهات يتجرد فيها من كل قوانين المنطق ، جريا وراء هوى من الأهواء النفسانية .

نعم إن العالِم مع اشتغاله بالواقع المحسوس يسمح له أن يخترق بخياله ماوراءه ليصل الى السبب الا ول الذى لا تناله المشاهدة ولا تبلغه التجربة ، ولكنه لا يسمح لنفسه أن يفعل ذلك إلا مستهديا بما بين يديه من الا صول ، ومحوطا بما يمكنه أن يحصل عليه من المرجحات .

فاذا كان العالم يرمى ببصره الى أبعد ما تصل اليه قوى التاسكوب فلا يصادف غير نظام قائم على أدق أصول العلم الرياضى ، فلا حق له أن يستنتج منه أن العوامل التى صدر عنها الكون لا يسودها غير الخبط المحض . لا ن سيادة النظام الرياضى الآلى فى كل مكان لا يسمح له بذلك ، ولكن يوجب عليه ضده ، وهو أن الكون يجرى على نظام محكم تسوده عوامل محكمة النظام الى أقصى ما يتخيله التصور .

وجميع ملاحدة العالم قديما وحديثا بنوا إلحادهم لا على أن العامل الرئيسى هو الخبط ، لأنهم لم يروه ، ولكن على أنه وليد نظام آلى محض لا يصدر عنه إلا ما هو آلى منتظم كل الانتظام . فقد قال بوخنر إمام الملحدين : « ما دمنا لا نرى فى كل مكان غير نواميس منتظمة تصدر عنها كائنات منتظمة ، فلا داعى يدعونا الى افتراض وجود سبب عاقل أوجده » ، وغفل عن أن هذه النواميس مظاهر لسبب عاقل أوجدها . ولكن بوخنر لا يستطيع أن يقول كما يقول الدكتور صاحب الرسالة : أنه ما دمنا لا نرى إلا نواميس منتظمة فلا مانع يمنع أن تكون هذه النواميس حالة لكون منتظم أوجده سبب أول هو ناموس الخبط المحض .

وما الذى يحمله على التجرؤ على هذا الافتراض ، ولم ير فى الوجود كله ركنا منعزلا يعمل فيه ناموس الخبط ، وتنتج منه كائنات منتظمة ، تخرج بحكم نظامها من سيادته عليها وتصبح مستقلة عنه ، توهم أنها صادرة من أصول رياضية دقيقة ، ونظام آلى محكم ؟

إن كل ما وصل اليه خيال المتخيلين فى أمر الخبط من الملاحدة ، أنهم قالوا إن الكون محكوم من أزل الآزال بقوانين محكمة الوضع ، وهى دائبة على العمل بغير قصد ، فتارة ينتج عنها كائنات منتظمة وأخرى شاذة ، ولكنها لقيامها على النظام لا تزال بهذه الشواذ حتى تبيدها أو تحيلها إلى النظام المحكم ، ولذلك ترى كل كائنات الوجود محكمة الصنع .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إذا تقرر هذا فعلى أى أساس استند الدكتور فى تخيل أن السبب الأول للوجود هو الخبط المحض ، وليس فى الوجود ما يمكن من الاستدلال به عليه ؟ وكيف يأمل أن يبث دعوة خيالية محضة لا تستند على أى أصل من أصول العلم ، بل على أى خيال من خيالات أصحاب الفلسفات الالحادية ؟

أليس انفراده بالقول الذى أورده ، وهو يعترف بذلك ، يصح أن يكون من أقوى أسباب الارتياب فيه ، بل القذف به الى عالم المهملات ؟

يقول إنه أرسل مذكرة علمية برأيه هذا لمعهد الطبيعيات الألمانى فى سنة ١٩٣٤ ، ولا عبرة بارسالها فقد مضى عليها ثلاث سنين ولم يتلق عنها تأييدا الى اليوم ، ومعنى ذلك أنهم أهملوا أمرها وعدوها من الخيالات ، وإلا فقد كانوا يملأون الصحف بأشاعتها والمناقشة فيها ككل الآراء الجديدة التى يتخيل من ورائها زيادة لمادة العلوم .

(ثانيا) هل تصح تسمية الخبط بالقانون ؟

يعبر الدكتور عن رأيه فى الخبط بقوله : (قانون الصدفة الشامل) فهل تسلم له هذه التسمية ؟

المعروف أن الخبط ، وهو يسميه الصدفة ، هو اللاانتظام المحض ، والفوضى المجردة من كل قانون وضبط ، فهو يتخيل أن القوى العالمية كانت على حالة تخبط هائل ، فصدر عنها على مقتضى قوانين الاحتمال ، كون منتظم بديع الصنع هو ما نحن فيه ، وما عليه العالم الى أبعد ما يصل اليه التلسكوب . فهل يحق له وقد اعتبر القوى العالمية فى حالة فوضى وتخبط أن يتخيل وجود قانون يسيطر عليها ؟ وهل هذا القانون من الكون أم خارج عنه ؟

إن الكاتب قد أكثر من ذكر قوانين الاحتمال ، ولكنها عندنا لم تسم بالقوانين إلا لأنها تطبق على موجودات منتظمة ، وقد اكتشفها الفلكى لابلاس للترجيح لا للجزم ، ورتبها على حوادث جارية على النظم الطبيعية المقررة ، لا على حوادث خيالية لا وجود لها . فكيف يطبق حساب الاحتمال العلمى على عالم الخبط المحض الذى لا أثر للنظام فيه ، ولا قيام لكائن منتظم معه ؟ وإذا كان الوصف المميز للخبط هو خلوه من كل قانون ، فكيف يلحق به نظام رياضى محض كحساب الاحتمال القائم على قوانين ثابتة ، ونظم مستقرة ؟ من العالم المحسوس الذى يعترف الكاتب بأنه قائم على أصول رياضية ؟

يضرب الكاتب لمراده مثلا بوجوه زهر الطاولة ، ويقرر أن الدش لا بد من مجيئه مرة فى كل ستة وثلاثين رمية للزهر . ويغفل عن أن وجوه الزهر قائمة على شكل هندسى وأعدادها معينة مكتوبة ، وهى بجملتها موجودة فى عالم آلى يسوده النظام فى كل ذرة من ذراته ، فلا بدع أن تسرى عليه قوانين الاحتمال ؛ ولكن عالم الخبط الذى لا أثر للعدد فيه ، ولا صورة متعينة لشىء من أشيائه ، ولا وجود للقوانين فيه ، كيف يطبق عليه عمل رياضى قائم على أصول مقررة فى عالم تسوده القوانين وتحفظه من أى نوع من أنواع الخبط ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(ثالثا) هل يعقل صدور النظام فى الخبط العام بدون سبب خارجى ؟

إن مايذكره كاتب الرسالة الالحادية من تعليل وجود الـكون من طريق الخبط والاتفاق يجب أن يسبقه تصور لذلك العالم .

فاذا أخذ آخذ بنظريته وجب عليه أن يعتقد أن العالم محدث غير قديم ، خلافا لرأى جميع الملحدين ، وأن العالم لم يكن فيه غير قوى لا ضابط لها ولا منظم من أى نوع كان ، حتى ولا من نوع النواميس الأزلية الأبدية التى يتخيلها الملحدون .

فان قال بوجود نواميس فى ذلك العهد لم يصدق على العالم أنه كان عالم خبط واتفاق .
فمثل هذا المحيط اللانهائى من القوى الثائرة المتخبطة المنحلة النظام ، لايعقل أن يتولد فيه نظام على وجه الاطلاق . وقد لاحظ أقطاب الملحدين هـذا الأمر فقرروا أن القوى العالمية مقودة بنواميس أزلية غاية فى الاحكام ملازمة لها ، وليست فوضى ولامتخبطة . افترضوا هذا خشية أن يعترض عليهم بمثل مانعترض به على كاتب الرسالة اليوم ، من أن الخبط لا يعقل أن يولد نظاما ، فتبطل حجتهم ، ويزدرى الناس مذهبهم .

ولـكن كاتب تلك الرسالة يقول : بلى إن قوانين الاحتمال تسمح أن نتصور صدور الـكون المنتظم ، المقود بنواميس حكيمة ، من صميم هذه القوى العالمية المتخبطة .

يقول هـذا ويغفل أن فى قوله قوانين الاحتمال تناقضا لا يسيغه عقل عاقل فى الأرض ، فان افتراضه سيادة الخبط والاتفاق فى العالم تنفى وجود أى ضرب من ضروب القوانين فيه .

إنه قال كما نقلناه عنه : « أن العالم الخارجى — عالم الحادثات — يخضع لقوانين الاحتمال » .
فهل غاب عنه أن ما يصدق على عالم الحوادث الطبيعية المقودة فى كل ذرة من ذراتها بنواميس محكمة ، لا يعقل أن يصدق على عالم خبط واتفاق ليس فيه حوادث مترابطة ولا قوانين تسود عليها ؟

وإذا استساغ أن يعتقد أن ذلك العالم المتخبط توجد فيه قوانين الاحتمال ، فما الذى يمنعه أن يعتقد بوجود كل ضروب النواميس فيه ؟

فلو سلمنا له جدلا أن قوانين الاحتمال حاولت مرة أن توجد كائنا منتظما ، فهل نستطيع أن نعقل أن القوى العالمية الثائرة من حوله تدعه يتكون فى هدوء وسكون ، ولا تعـدو عليه فتفسده قبـل أن يتم تـكونه ؟ ما الذى يمنعها من العدوان عليه ، بل ما الذى يمنع قـوانين الاحتمال من توليد كائن آخر منتظم بجواره يناقضه ويحرمه أن يتطور الى أن يبلغ حد الكمال ؟

إذا لم يستطع أحد أن يسيغ تصور هذا ، فهل يسيغ أن تترك القوى الثائرة المتخبطة ، حرية العمل لقوانين الاحتمال ، حتى تولد ملايين من مجموعات شمسية تملأ فضاء لا حد له تسودها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قوانين عامة واحدة ، لا يختل لها نظام فى عدد لا يحصى من ملايين السنين ، ولا تعدو عليها فتجعلها حطاما متناثرا فى الهواء ؟

هنا يحتاج الآخذ بنظرية الخبط العام أن يتخيل أن القوى العالمية كانت فى حالة سكون تام لا فى حالة ثوران ، فاذا تفضلت قوانين الاحتمال أن توجد كونا أو أكوانا كثيرة ، تركتها تلك القوى أن تفعل ما تشاء .

ولكن هـذا الخيال يؤدى صاحبه أن يعتقد بأن القوى فى عالم الخبط العام مجردة من الحركة والتأثير فيما حولها . وإذا كانت كذلك فكيف يتصور أن تسود عليها قوانين الاحتمال ؟

لقد شبه الكاتب عمل قوانين الاحتمال بحركة زهر النرد ، ولكن غاب عنه أن زهر النرد إذا لم يتحرك فلا يعقل أن يأتى الدش منه فى كل ٣٦ رمية مرة واحدة ، بل يبقى على ما هو عليه الى الابد .

وعليه فلا يعقل أن تكون القوى كانت ساكنة . فلا بد أنها كانت فى حالة حركة لا ضابط لها ، ثم يصبح لها ضوابط متى آلت الى كائنات بواسطة قوانين الاحتمال . وإذا كانت كذلك فكيف لا تعدو القوى المتخبطة العامة على أى جزء منها ، فترفع عنه تأثير قوانين الاحتمال ؟ أى مانع يمنعها من ذلك وهى محيطة بها من كل مكان ؟

وكيف يعقل حدوث نواميس رياضية محكمة ، لكون تولد من قوى مجردة من كل ناموس ، ومن أى ضابط كان ؟

يقول كاتب الرسالة : لا غرابة فى ذلك فما دام قد وجد كون فان ضبطه بالرياضيات شرط ضرورى لقيامه على حالة كون قائم بنفسه .

نقول فى هذا القول تحكم يتنزه عن مثله أهل العلم ، فاذا سلمنا جدلا بأن قوانين الاحتمال أوجدت مجموعة شمسية ، فما الذى يوجب عليها أن تجعلها على نظام رياضى دقيق ، وأن تحليها بجميع النواميس المحكمة التى لا تكفى فقط لتماسك أجزائها ولكن لتحليتها بنواميس أخرى تصلح لتكوين كائنات نباتية وحيوانية عليها ، ولدفع هـذه الكائنات للتطور والترقى حتى يبلغ بعض آحادها الى درجة عالية من إدراك الذات والتعقل ؟

وإذا اتفق ذلك لمجموعة شمسية ، فهل يتفق مثله لملايين المجموعات الشمسية السابحة فى الفضاء ، وعلى أبعاد لا يصل إليها الوهم ، وتكون كل هـذه القوانين واحـدة فيها ومتكافئة فيما بينها الى هذا الحد المحير للعقل ؟

لم هذا التحكم كله ؟ ألأجل القول بأن أصل الوجود قوى متخبطة لا ضابط لها ؟ وأى فائدة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للالحاد من هذا الافتراض ، وقد أساغ الملحدون وجود نواميس محكمة ملازمة للقوى العالمية من أزل الآزال ؟

إن هذه الثمرة الضئيلة لا تساوى أن يتعسف الانسان هذا التعسف كله ليثبت أمرا لا يسيغه عقل فى هذا العالم .

نعم إن بناء النظريات الجديدة أمر محبب الى النفوس ، تنساق اليه الفطرذات المطامح البعيدة ، ولكن لو كانت هذه الشهوة النفسية تدفع الى مثل هذه المواطن من الخيالات فيجب وقفها عند حد ، فانها تصبح مذمومة ، ولا يجنى صاحبها من ورائها غير الخيبة وسوء القالة .

ولكن يلوح لنا أن الذى حفز كاتب الرسالة لأن يدفع بنفسه الى هذا المهمه من الخيال المحض ، هو أن يتفادى ما يلزم القائلين بوجود النواميس الأزلية المحكمة من الايرادات ، فقد قيل لهم إن ما تقررونه من وجود تلك النواميس الرياضية المحكمة ملازمة للهيولى الأولية ، هو مظهر الحكمة الالهية ، وإلا فكيف يعقل وجود قوى منتظمة ، تؤدى الى كائنات غاية فى الابداع ، دون أن يكون وراءها عقل أوجدها ؟

أراد صاحبنا أن يتقى هذه الايرادات فقفز قفزة خيالية باحتة يرد عليها من الاعتراضات أكثر مما يرد على تلك ، ويكون موقف المنابذ لها أشد حصانة ومناعة من موقفه حيال جميع النظريات الالحادية مجتمعة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قصة المطبعة ذات المليون حرف :

قال كاتب الرسالة :

« إن الصدفة التى تخضع العالم لقانون عددها الأعظم تعطى حالات إمكان . ولما كان العالم لا يخرج عن مجموع من الحوادث ينتظم بعضها مع بعض فى وحدات تتداخل وتتناسق ، ثم تنحل وتتباعد ، لتعود من جديد وتنتظم ، وهكذا خاضعة فى حركتها هذه لحالات الامكان التى يحددها قانون العدد الأعظم الصدفى . مثل العالم فى ذلك مثل مطبعة فيها من كل نوع من حروف الابجدية مليون حرف . وقد أخذت هذه فى الحركة والاصطدام فتجتمع وتنتظم ثم تتباعد وتنحل ، هكذا فى دورة لا نهائية . فلا شك أنه فى دورة من هذه الدورات اللانهائية لا بد أن يخرج هذا المقال الذى تلوته الآن ، كما أنه فى دورة أخرى من دورات اللانهاية لا بد أن يخرج كتاب (أصل الأنواع) وكذا (القرآن) مجموعا منضداً مصححا من نفسه (كذا) ، ويمكننا نتصور أن المؤلفات التى وضعت ستأخذ دورها فى الظهور خاضعة لحالات احتمال وإمكان فى اللانهاية » اه .

ونحن نقول ردا على هذا الكلام :

إن من الابتلاء المر أن يضطر الانسان فى يوم من الأيام للدفاع عن رأيه بمثل هذه الأقوال

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التى تشذ عن كل قاعدة عقلية وعلمية . وقد فندنا كل ما ذكره الكاتب مما سماه قانون الصدفة الشامل ، وبينا تنافيها مع قوانين الاحتمال بما لا مزيد عليه .

والآن نتصدى لتشبيهه فعل قانون (الصدفة) وما تخضعه من قوانين الاحتمال بمطبعة ذات مليون حرف ، لكل من وحدات الأبجدية ، وقد درج الناس إذا ابتلوا بأقيسة فاسدة على أن يقولوا : هذا قياس مع الفارق . ولكننا مضطرون حيال ما نحن بصدده أن نقول هذا قياس مع كل ما يتخيل من الفوارق .

فكيف يسوغ لباحث أن يشبه حالة القوى الوجودية العارية من كل قانون ، المجردة من كل ضابط ، كما يفترضها الكاتب ، بآلة ميكانيكية كالمطبعة قائمة على أدق قوانين الميكانيكا والرياضة ، ولها قطع منقوش على رءوسها حروف تتألف منها كلمات ، وهى مفصلة تفصيلا هندسيا ، بحيث يقوم بعضها الى جانب بعض فتؤلف منها صحف ، وللمطبعة اسطوانات مكسوة بالغراء تستمد من محبرة بجوارها حبرا تنقله الى الحروف ، بحركات مدبرة تدبيرا محكما . وهذه المطبعة الميتة لا تغنى شيئا إذا لم يكن لها عمال يحركونها ، ويديرون دوراتها ، ويراقبون كل خلل يطرأ عليها أثناء العمل ؟

إن هذا التشبيه معيب المدرجة القصوى ، بل هو غير جائز أصلا ، ومجيئه من باحث ينتمى للرياضيين يزيد فى غرابته ، ويجعله أطروفة الأعاجيب فى عصر المباحث المدققة ، والمقررات المحررة .

وأدخل من كل ماسر فى عالم الأوهام والخيالات ، زعم الكاتب أن المطبعة ذات المليون حرف تستطيع تحت تأثير قانون الخبط الشامل ، أن توجد جميع المؤلفات التى قام بوضعها العقل البشرى الناقص ، أو تنزلت من العلم الالهى الكامل ، فهذا القول لو صدر من جاهل ساذج لا حظ له من أبسط ضروب الثقافة العقلية ، لما اغتفر له بحال من الأحوال ، وعيب عليه التلفظ به ، فما ظنك وهو صادر من رجل يحمل شهادات علمية راقية ؟

ومن عجب أن كاتب هذه الرسالة اعتمادا على ما قرره فى أمر هذه المطبعة الوهمية يناقش عباقرة الرياضيين ، ويتخيل أنه يلزمهم الحجة ، فيعيب على العلامة الكبير اينشتين تشبيهه الوجود بكتاب ، وقوله كما أن وراء الكتاب عقلا ألفه ، فكذلك الكون يجب أن يكون وراءه حكيم أوجده ، يعيب عليه هذا القول ويرد عليه بقوله : « الواقع أن هذا احتمال محض لأنه يصح أن يكون (أى الكتاب) خاضعا لحالة أخرى ، ونتيجة لغير العقل ، ومثالنا عن المطبعة وحروفها وإمكان خروج الكتب خضوعا لقانون الصدفة الشامل يوضح هذه الحالة»

المدهش المحير للعقل فى هذا الرد أنه يعيب على اينشتين قوله أن الكتاب يدل دلالة قاطعة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على وجود عقل وضعه ، ويدعى أن هذه الدلالة خاطئة ، إذ يصح أن يكون نتيجة لغير العقل ، أى لقانون الخبط المحض ! !

أقسم لولا أنى أنقل عبارات الكاتب لخشيت أن يظن ظان أنى أتقول عليه . فهل يحتاج مثل هذا الخبط الى رد ؟

إننا كنا نستطيع أن لا نرد عليه بحرف ، لأن رسالته تحمل فى ثناياها معاول هدمها ، معاول لا يستطيع أبلغ قلم أن يأتى بأشد فعلا منها ، ولكننا خشينا أن يتوهم من لا علم له أن هذا الكلام فيه أثارة من علم ، لا سيما وهو يقول : «إنها تعطى العالم مفهوما جديدا وتجعلنا ننظر له نظرة جديدة غير التى ألفناها . ومن هنا جاءت صعوبة تصور مفهوماتها ، لأن التغير الحادث (أى الذى تحدثه) أساسى يتناول أسس التصور نفسه » .

فكاتب الرسالة لا يخفى أن كلامه يتعذر فهمه ، ولكن لا لأنه وهمى محض ، بل لأنه يغير أصول الفهم ، ويتناول أسس التصور نفسه ، فهو والحالة هذه يتطاول الى إحداث حدث عقلى بوضع أسس جديدة للتصور ، بحيث يجعلك لو قرأت كتابا لا تحكم بأن عقلا وضعه ، لأنه قد يكون (كما يقول هو نفسه) نتيجة لغير العقل ، أى لقانون (الصدفة) الشامل ، ومعتمده فى ذلك ما مثل به من المطبعة ذات المليون حرف !!

وهذه طامة لا بد من مناقشته الحساب فيها ، وإنا لسائلوه : هل يستطاع تغيير أسس التصور ، وهى ضمن النظام الكونى ، وقامت على ما قام عليه الكون كله من الأصول الرياضية الثابتة ، والقواعد الطبيعية الركينة ، وقد أفنى العلماء أعمارهم فى تأسيسها على ماخلقت له من المنطق العامى ، القائم على اليقينيات العلمية ؟ وإذا أمكن ذلك فهل يرجى خير من قلبها وجعلها صالحة للأخذ بكل خيال يقدم اليها ، والاعتداد بالافتراضات والاحتمالات التى لا تمت الى العلم بأوهى صلة ، لتجد كل الخزعبلات والأوهام طريقا لإفساد عقول الناس بالأوهام التى لا تصدر عن أصل ثابت ، ولا تقوم على أساس صحيح ؟

إن تغيير أسس التصور على هذا النحو يعود بالانسانية الى العهود المظلمة التى كانت فيها ، ويقضى على جميع الثمرات التى حصل عليها مصاحو العلم والفلسفة ، ويدفع بالناس الى تيهور من الخيالات لايجدون فيه حدا يقفون عنده .

إن اليوم الذى يقرأ فيه الرجل كتابا فيتبادر الى ذهنه احتمال أن يكون قد صدر عن غير عقل ، ولكن بتأثير قانون الخبط الشامل تحت قيادة نواميس الاحتمال ، وأن يكون خرج مرتبا مجموعا مصححا من المطبعة ذات المليون حرف ، إن ذلك اليوم يكون فيه التصور الانسانى قد انحل انحلالا لا يرجى معه التئام ، ووصل من عالم الخبط الى مكان سحيق ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة لقمان

— ٨ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) :

تقدم فى وصية لقمان لابنه فى الآى السابقة أن بدأها بأمره بالشكر لله بتنبيهه على ما أغدق عليه من نعم لم يكن له فيها مدخل ، فقد أوجده من ماء مهين ، وكمل خلقه بما لا يحيط به علما ، ووهبه من نعم العقل والقدرة والارادة ما لا يستطيع أن يزعم بأن له فى ذلك عملا ما ، فشكره أول واجب يخطر بباله حين ينظر الى نفسه وما جبل عليه ، وما أفيض عليه من نعم لا تحصى .

وأول ما يجب عليه فى الشكر تنزيهه عن الشريك ، وافراده بالتعظيم ، واعتقاد ماله من صفات الجلال والجمال ، فذلك أس الكمال له فى نفسه ، فقال : « يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » ، وفى طى ذلك نبهه على عرفان الحق لمن جعلهما الله طريقا لوجوده ، حتى يربى فيه ملكة الشكر ، فيتدرج من شكر المنعم القريب المحسوس الى شكر المنعم الأعظم الذى يصل الى إدراكه بعقله لا بحسه . وضمن وصيته هذه بيان حد شكره لهما ، وهو ألا يطغى ذلك الشكر على شكر المنعم الأعظم ، وهو الذى خلقه وخلقهما ، وأنعم عليه وأنعم عليهما حيث يقول : « وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما » . وأردفه بقوله : « وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الىّ » . أى هذا حدهما : أن تحسن اليهما ، وأن تصاحبهما فى الدنيا معروفا ، وتعرف لهما حقهما ، ولكن لا تتجاوز هذا الحد فتطاوعهما فى الاشراك بالله ، بل اتبع سبيل من أناب الى الله . ثم تمم له العقيدة الصحيحة باعلامه أن اليه مرجع الجميع ، وأنه عالم بما ظهر وما خفى ، لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء قل أو جل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حتى لو كان «مثقال حبة من خردل» ، وهو مثل فى الصغر والدقة التى من شأنها الخفاء «فتكن فى صخرة » مثال فى كثافة الحجاب « أو فى السموات أو فى الأرض » مثل فى التوغل فى التيه ، فقال مهما يكن شىء من هذا وأخفى منه فإن الله عليم خبير بل لطيف قدير ، فالله يعلمها ويستخرجها ويأتى بها ، فلا يغيب عنه شىء ، ولا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، فأين تذهب إذا أشركت به ما ليس لك به علم ؟

وبعد أن أرشده الى تصحيح عقيدته بعدم الاشراك به وبغرس أنه العليم الخبير القدير المهيمن على كل شىء الذى بيده ملكوت كل شىء ، أرشده الى تكميل نفسه بالعبادة العملية ، ولا شك أن مرتبتها تلى مرتبة تصحيح العقيدة ، فقال « يا بنى أقم الصلاة » والصلاة مخ العبادة . وفى هذا إرشاد الى أن الصلاة من الشرائع القديمة وإن اختلفت كيفياتها ، فأساسها الابتهال الى الله ، والخضوع لعظمته ، والتجأ اليه فى تحصيل مطالب المصلى دنيوية كانت أو أخروية ، فهى نتيجة التوحيد ، ومظهر الاحتياج الكامل للمعبود المطلق ، وأمارة الاعتراف بأنه العليم القدير الفعال لما يريد . وعند ما تتأمل فى سرها تجد مصداق ما ورد بشأنها : « الصلاة عماد الدين فمن أضاعها فهو لما سواها أضيع » بل حين تزداد تأملا فيها تذعن أكمل الاذعان لقوله تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » . فلا بدع إذا اقتصر فى شأن الكمال النفسى فى وصيته على الصلاة ، وانتقل بعدها الى وصيته بتكميل غيره إذ يقول : « وأمر بالمعروف وانه عن المنكر » .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هما كما قال الغزالى : القطب الأعظم فى الدين ، والمهم الذى ابتعث الله له النبيين ، ولو طوى بساطه وأهمل أمره لفشت الضلالة وعمت الجهالة ، واستشرى الفساد وهلك العباد . وحسبك قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » فانه لم يكتف بالأمر به فى قوله «ولتكن» حتى ناط به الفلاح بقوله: «وأولئك هم المفلحون» ، بالصيغة المفيدة للحصر ، مع أنه فرض كفاية كما يفهم من قوله « ولتكن منكم أمة » . وانظر الى ما فى قوله تعالى: «كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » فانك تجده سيق فى الآية الكريمة لبيان علة اللعن المذكور فى قوله « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه » وكذلك قوله عزوجل: « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » فقد ناط خيرية الأمة بهذا الوصف الجليل . ولا يتوهم أن قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » مهون للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فانهم لايسمون مهتدين إلا إذا قاموا بهما ، فمن اتكأ عليها فى ذلك فقد أساء فهمها .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

هـذا ومما يراعى شرطا فى إنكار المنكر ألا يكون إنكاره موضع اجتهاد واختلاف فى الرأى بين الفقهاء ، فليس لشافعى أن ينكر على حنفى صلاته بدون تسمية أو ترك الفاتحة وهو مأموم ، ولا لحنفى أن ينكر على شافعى اقتصاره فى الوضوء على مسح شعرة من الرأس . وأمثال ذلك من مواضع الخلاف كثيرة لا يأتى عليها العد . ومن هذا تعلم مقدار الجهل والحمق الذى يلحق بعض المتعلمين فيشنون الغارة على من يصلى الظهر بعد الجمعة من الشافعية مشنعين عليهم بأن فى ذلك افتياتا فى التشريع إذ أوجب الله خمس صلوات فى اليوم ، ويرونهم قد جعلوه ستا ، وهذا منهم إما جهل أو بهتان ، فانه لم يقل أحد إن الشافعى زعم أن الصلوات ست ، وإنما يرى أن الجمعة فى البلد الواحد لا تكون إلا واحدة ، لأن هذا هو الذى جرى عليه العمل زمن النبى صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين : كانت الجماعة تتعدد فى الأوقات كلها إلا الجمعة فكانوا يقتصرون فيها على جمعة واحدة فى البلد الواحد حتى بعد أن اتسعت المدينة وكثر أهلها ، ولأن هـذا هو الأوفق بحكمة مشروعيتها ، وذلك أن يجتمع أهل البلد الواحد فى مكان واحد مرة فى الأسبوع يجددون من توادهم ويتعرفون شئون بعضهم البعض ويكمل ارتباطهم ، قال : فان تعددت الجمعة فى بلد واحد فالجمعة لمن سبق . فأما المسبوق فعليه أن يعيدها ظهرا . وكذلك من شك فى أنه سابق أو مسبوق يعيدها ظهرا ، وذلك أن ذمته شغلت بالفريضة بيقين ، وقد شك فى وقوع جمعته موقعها ، فينبغى أن يعيدها ظهرا لتبرأ ذمته بيقين كما شغلت بيقين .

وليس من غرضنا الآن بيان وجهة نظر الامام الشافعى فى ذلك ، وإنما كشف النقاب عن جهالة أولئك المشنعين المثيرين شغبا فى المساجد يتكرر كل يوم جمعة بحالة لم نرها منهم فى إنكار ما أجمع على إنكاره ، فشرط الانكار ألا يكون الفاعل مقلدا لمن يجيز ، فكيف وهم مقلدون لمن يرى الوجوب ؟

وليس من شرط الانكار أن يكون المنكِر غير مقترف إثما مطلقا ، وإن زعمه بعضهم استنادا الى مثل قوله عز وجل : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » وقوله تعالى : « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » وقوله عليه السلام : « مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه » . وليس فى هذا شهادة لهم لأن هذه النصوص وما أشبهها مسوقة للتنفير من مقارفة الآثام ، والتشنيع عليهم بقيام الحجة ناصعة أمامهم إذ كانوا آمرين وناهين ، فهم معترفون بقبح ما ارتكبوا ، فقيام الحجة عليهم أبلغ ، وإلا فلا يستطيع واحد أن يقول إن من رأى رجلا يحاول قتل رجل أو زنا بامرأة وهو قادر على دفعه ولكنه يعلم من نفسه أنه قد شرب خمرا أو اغتاب إنسانا أو حنث فى يمين فليس له وليس عليه أن يمنعه من قتله أو من زناه لانه فعل

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ارتكب منكرا مثله أو أقوى إنكارا أو أضعف إنكارا منه ، وذلك أن الامتناع عن الذنوب واجب ، والنهى عن المنكر واجب آخر ، والاخلال بأحدهما لا يسقط وجوب الآخر عنه .

هذا ومما ينبغى مراعاته مراعاة كاملة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ، وأن يتمثل فيه قوله تعالى «ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » . وقد روى أن رجلا وعظ أحد الخلفاء فأغلظ فقال له : ياهذا قد أمر الله من هو خير منك أن يقول لمن هو شر منى غير هـذا : قال تعالى : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » ولست أنت خيرا من موسى وهرون ، ولا أنا شراً من فرعون .

على أن الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر غالبا عرضة لتلقى الأذى والمصاعب والمصائب ، ولذلك حسن إرداف هذا الحكم بقوله عز من قائل : « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » . أى أن ماذكر من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الأمور المعزومة ، أى المطلوبة طلبا قاطعا قويا ، فلا يكن خوف التعرض للأذى مانعا منهما . ويشبه تفسير العزم بما ذكر تقسيمهم الحكم الى عزيمة ورخصة . نعم قالوا : إذا علم أنه سيصيبه أذى لايحتمل ، وأن نهيه ضائع الفائدة ، لا يجب عليه ذلك ، بل إذا تيقن الأذى وضياع الفائدة لا يجوز له . ومثل ذلك ما إذا علم أن إنكاره سيجر الى ارتكاب ما هو أشد إنكارا . وأما إذا كان ذلك مظنونا أو كان ما يناله محتملا فانه لا يخلو من مسؤلية الترك ، عملا بقوله تعالى : « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور »

وعلى الجملة فللعقل والبصيرة مع حسن النية والاخلاص فى النصح دخل كبير فى تمييز هذه المواقف ، والله ولى التوفيق .

ابراهيم الجبالى

لا حكم إلا بعد الاختبار

قال حكيم : من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الأنس ، أثمرت مودته ندما .

وقال آخر : مصارمة قبل اختبار ، خير من مؤاخاة على اغترار .

وقال شاعر :

لا تحمدن امرأ حتى تجربه ... ولا تذمنه من غير تجريب
فحمدك المرء مالم تبله خطأ ... وذمه بعد حمد شر تكذيب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

الرضاع

عن عائشة قالت : « كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرّمن ثم نسخ بخمس معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فيما يقرأ من القرآن » رواه مسلم :

يتعلق بشرح هذا الخبر أمور : (١) بيان معناه (٢) هل يصح الأخذ بما يفيده ظاهره فيقال إن عشر رضعات معلومات و« خمس معلومات » من القرآن ؟ (٣) إذا كانت « خمس معلومات » نسخت ما قبلها فأين هي ، وبماذا نسخت ، ولماذا نسخت ؟ (٤) بيان الأحكام الفقهية التي تؤخذ من هذا الخبر وآراء الأئمة فيها .

(١) معنى هـذا الظاهر أن عائشة تقول إنه كان من بين آى القرآن الكريم آية « عشر رضعات معلومات يحرمن » . ومعنى معلومات متحققات غير مشكوك فيها . ومعنى يحرمن يوجبن حرمة الزواج بين الرضيع وبين من رضع منه على الوجه الآتى ، ثم نسخت هذه الآية لفظا ومعنى ، ونزل بعدها « خمس معلومات يحرمن » واستمرت هذه الآية تتلى فى كتاب الله الى قبيل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رفع لفظها وبقى حكمها وهو يقرأ من القرآن بعد وفاة الرسول . ومعنى كونه يقرأ من القرآن بعد وفاة الرسول أنه يذكر على أنه كان من القرآن بعـد وفاة الرسول لقرب عهده بالنسخ . هـذا هو المعنى الذى فسره به من احتج به كما ستعرفه قريبا .

فاذا رضع شخص من امرأة أجنبية خمس مرات أصبحت هذه المرضعة كأمه التى ولدته ، وأصبح زوج هـذه المرضعة الذى كان سببا فى نزول هذا اللبن لها بحملها منه أباله كأبيه من النسب ، فيحرم على هذا الرضيع ومن أرضعه التزوج بما يتناسل منهم من أبناء أو بنات ، وبما يرتبط بهم من أعمام وعمات وخالات وأخوال ، كما يحرم عليهم ذلك مع الأبناء من النسب . وقد صرح بذلك فى حديث آخر رواه مسلم ، وهو « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والذي يحرم من النسب سبع أصناف :

إحداها الأم ، سواء كانت أما مباشرة أو أما بواسطة الأب أو الجد ، فتشمل الجدة وإن علت من جهة الأب ومن جهة الأم ، فجدات الشخص محرمات عليه كأمهاته .

ثانيتها البنت . والمراد بها بنت الشخص لصلبه أو بنت بنته وإن نزلت ، ومثلها بنت الابن وبنتها ، وهكذا .

ثالثها الأخت ، سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم .

رابعتها بنت الأخت وإن نزلت .

خامستها بنت الأخ سواء كان شقيقا أو لأب أو لأم ، وبنت بنته وإن نزلت .

سادستها العمة وهي أخت الأب ، سواء كانت أخته شقيقته أو لأبيه أو لأمه ، ومثلها عمة العمة إذا كانت أختا للجد .

سابعتها الخالة وهي أخت الأم ، سواء كانت شقيقتها أو لأبيها أو لأمها . ومثلها خالة الخالة إذا كانت أختا للجدة لأم ، وإلا فلا تحرم . فعمات العمات لا تحرم إلا إذا كن من جهة الأب .

أما خالات الخالات فانهن لا تحرمن إلا إذا كن من جهة الأمهات . وإليك مثالين لعمة العمة ، وخالة الخالة ، لتقيس عليهما :

الأول : فاطمة عمة محمد أخت أبيه ابراهيم ، ولدها جده هاشم من جدته نعيمة ، أو ولد ابراهيم من أم أخرى ولهاشم أخت اسمها ظريفة ، فظريفة هذه عمة فاطمة وعمة ابراهيم والد محمد حرام على محمد لأنها عمة عمته لأبيه ، فهي أخت جده هاشم . أما إذا كانت فاطمة أخت ابراهيم لأمه فقط جاءت من أب آخر غير هاشم يقال له حامد ولحامد أخت فانها تحل لمحمد ، لأنها وإن كانت عمة لعمته فاطمة ولكنها جاءت من أب أجنبي ، فليست أختا لجده هاشم .

الثاني : محمد أمه هانم لها أخت اسمها نفيسة ولدها جده أبو طالب من زوجته نائلة ، أو ولدت نائلة نفيسة من أب آخر يقال له محمود ، ولنائلة أخت يقال لها خديجة ، فان خديجة تكون محرمة على محمد في الحالتين لأنها أخت جدته نائلة لأمه . أما إذا ولد أبو طالب نفيسة من أم أخرى اسمها ظريفة ، ولظريفة أخت ، فانها لا تحرم على محمد ، لأنها ليست أختا لجدته نائلة . وعلى هذا القياس فكل ما يحرم نسبا فانه يحرم رضاعا على هذا التفصيل .

ثم إن التحريم يسرى الى أصول المرضعة وفروعها وما يتعلق بها بدون استثناء ، فأولادها وأولاد أولادها وهكذا ، إخوة وأخوات للرضيع ، ويزاد عليهم ما رضع من ثديها مع الرضيع من الأجانب ، فلو رضع طفل وطفلة أجنبيان من ثدي امرأة كانا أخوين من الرضاع ، وسواء رضعا في زمن واحد أو في أزمنة مختلفة . وأمهاتها وآباؤها جدات أو أجداد للرضيع ، وأخواتها

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وإخوتها خالات أو أخوال للرضيع ، وأعمامها وعماتها أعمام أو عمات للرضيع إذا كانوا أعماما لأمه من جهة الأب كما قلنا ، وأخوالها وخالاتها أخوال أو خالات للرضيع إذا كانوا من جهة الأم .

ويسرى كذلك الى زوج المرضعة الذى نزل لها اللبن من حملها بولده ، وإلى أولاده من المرضعة أو غيرها ، وإلى أولاد أولاده وهكذا ، وكذلك الى آبائه وإخوته وأخواته وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته على التفصيل المذكور ، إلا أنه يحل لهذا الرجل أن يتزوج أم الرضيع من النسب كما حلت له أمه من الرضاع ، وكذلك تحل له جدته وأخته . أما الرضيع فان التحريم لا يسرى إلا لفروعه فقط وهم أولاده وأولاد أولاده وهكذا . أما آباؤه وإخوته وأخواته وأعمامه وعماته فلهم التزوج بأم الرضيع وأخواته وإخوته وهكذا . ومثل أمه فى ذلك أبوه من الرضاع .

وكما يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب كذلك يحرم بالرضاع ما يحرم من المصاهرة . مثلا : إذا تزوج شخص بالمرضعة نفسها فانه يحرم عليه أن يتزوج بنتها من الرضاع متى دخل بها . وإذا عقد على بنتها من الرضاع فانه يحرم عليه أن يعقد على المرضعة التى أرضعتها ، وهكذا ، إلا فى بعض صور مفصلة فى كتب الفقه .

وإنما أوردنا هذا هنا ليعلم الناس صعوبة الرضاع وخطورة ما يترتب عليه من آثار فى نظر الدين الاسلامى فلا يقدمون عليه من غير ضرورة . وإذا وقع فانه يجب قيده فى سجل خاص حتى لا يقع أحد فى زواج من لا يحل له زواجها .

ووجهة نظر الشارع فى ذلك أن لبن المرأة هو السبب فى تكوين الطفل ونموه . ولا ريب فى أن اللبن جزء من المرأة ، وقد جاء بسبب الحمل الذى حملت به من زوجها ، فقام اللبن مقام جزء الرجل ، فكل طفل يشرب هذا اللبن يكون جزءا من أمه وأبيه ، فيصبح ابنا لهما وإن لم يكن مولودا منهما . وربما يقال إن هذا يظهر فيما إذا شرب الطفل قدراً كبيرا ينبت منه جسمه وينمو به ، أما إذا مص مرة أو مرتين كما يقول بعضهم فانه لا يظهر كونه جزءا منهما . والجواب أن الشارع جعل لهذا اللبن فى ذاته حرمة ذاتية فى إيجاد هذه الرابطة وتقوية الصلة بين الناس سواء كان قليلا أو كثيرا وإن لم تحدث به الجزئية بالفعل ، كى يعلم الناس ما للوالدين من حقوق وواجبات ، فانه إذا كانت القطرة الواحدة من لبن ثدى الأم تكفى فى ثبوت البنوة ويترتب عليها احترام الأجنبى للمرضعة وزوجها ، فما ظنك بمن يتربى بهذا اللبن ويدرج بسببه ؟ ولا يخفى أن هذا المعنى يوجب على الناس أن لا يهملوا فى شأن الرضاع ، وإن اقتضته الضرورة فان عليهم أن يختاروا لأولادهم المرضعات الصالحات العاقلات اللاتى يصح أن يكن لهم أمهات .

(٢) أما الجواب عن السؤال الثانى فان المسلمين قد أجمعوا على أن القرآن الكريم هو ما بين دفتى المصحف المحفوظ فى الصدور . وقد ثبت نقله كلمة كلمة وحرفا حرفا عن رسول

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عن رب العزة بالتواتر الذى لا شك فيه ، فكل ما ورد فى الأحاديث الآحاد فانه لا يقال له قرآن ولا يعطى حكم القرآن باتفاق . ويرد على هذا أمران : أحدهما أنه إذا صح عدم اعتباره قرآنا لم يكن له معنى ، وعلى هذا فلا يصح الاحتجاج به على حكم فقهى . ثانيهما أنه إذا لم يكن قرآنا فكيف تصح روايته على أنه قرآن ، أفما كان ينبغى لرواة الحديث أن يهملوا الروايات التى تشتمل على إثبات آية أو حذف آية من كتاب الله ، فان روايتها تتضمن الحكم بأن هذه الآية من القرآن أو ليست منه ، وهذا الحكم لا يجوز ، فانه يدخل فى القرآن ما ليس بمتواتر ، ويخرج عنه المتواتر ؟

ويمكن الجواب عن السؤال الأول بأن المستدل به على حكم فقهى لا يستدل به على أنه قرآن بل يأخذ منه الحكم الثابت بطريق الظن وهو كاف . أما الاشكال الثانى فانه وجيه ، ولهذا جزم الفخر الرازى بأن ما نقل عن ابن مسعود من أن المعوذتين ليستا من القرآن محض اختلاق ، وصرح فى المواقف بأنه لا يجوز الحكم على كتاب الله المتواتر بما ليس بمتواتر . وعلى هذا فلا يصح أن يقال إن من بين آيات القرآن التى نسخت عشر رضعات محرمات ، كما لا يصح أن يقال إن من بين آيات القرآن خمس رضعات محرمات . اللهم إلا أن يقال إن قرآنية مثل هذا لم تثبت لدينا ، ولكنها ثبتت لمن كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ثم نسخت ، فتسميتها قرآنا باعتبار ما مضى . وهذا مع ما فيه من تحكم ظاهر فانه لا يرفع الاشكال الوارد على من زعم أن المعوذتين ليستا من القرآن ، فكان لرواة الحديث غنى عن مثل هذه بالمتواتر الذى لا شك فيه .

(٣) أما الجواب عن الثالث فان الذين احتجوا بما روته عائشة قالوا : إن آية « خمس رضعات » نسخ لفظها فقط وحكمها بقى على ما هو عليه فلم تأت آية أخرى بمعنى آخر بدلها. وقد أورد على هذا من وجهين : أحدهما أن نص الرواية التى نقلت عن عائشة ليس فيها مايفيد أن خمس رضعات قد نسخت ، وهذا يمهد لأعداء الدين الطعن فى آيات القرآن الكريم فيقال إن هذه الآية كانت موجودة وحذفت من القرآن كما حذفت آية القنوت التى وردت فى خبر آخر ، ومثل هذا يوجد الشك فى كتاب الله الذى قال الله فيه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . ثانيهما أنه على تسليم نسخ لفظ خمس رضعات الخ فما فائدة هذا النسخ ؟ وأيضا إذا كان اللفظ قد نسخ فما الدليل الذى يدل على المعنى مع أن المعنى إنما يؤخذ من اللفظ ؟

وقد يجاب عن الأول بأن لفظ القرآن الكريم قد تواتر تواترا جازما لا شبهة فيه ، وليس منه هذه الآية ، ولا يحتمل سقوط حرف واحد منه ، لأن كل ماهو قرآن قد تواتر نقله الينا ، وهو هذا المعروف لنا المحفوظ فى صدور المسلمين برواياته المتواترة بدون زيادة حرف أو نقص حرف ، فما يقال إن هذه الجملة كانت فى القرآن ثم نسخت فى عهد رسول الله لا يفيد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إلا الظن ، فلا يمكن الجزم بأنها قرآن ، إنما يصح الاستدلال بها على حكم فقهى ظنى فقط . فما يهرف به بعض الجهلة أو أعداء الدين من حذف آية أو كلمة من القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خروج على كتاب الله تعالى . ومثله ادعاء أن به ما ليس منه كما نسب الى ابن مسعود كذبا من أنه قال إن المعوذتين ليستا من القرآن . أما الثانى فلا أجد له جوابا حسنا لأنه لا معنى لحذف اللفظ مع بقاء الحكم ولا تظهر له فائدة مطلقا ، اللهم إلا أن يقال إن هذه العبارة لا تناسب الموضع الذى ذكرت فيه أو كان ذكرها مخلا بالعبارات فحذفت لذلك ، وهذا محال على الله تعالى ، لأن نسخ اللفظ على هذه الصورة يستدعى أن اللفظ المناسب لم يكن معروفا من أول الأمر ، وهذا مستحيل فى العبارات . أما الأحكام فان نسخها معقول ، لأنها تتبع أحوال الناس وتطوراتها ، خصوصا فى أول التشريع ، فان الأحكام المؤقتة ضرورية لمن لا عهد له بالشرائع . ومع هذا كله فأى دليل يدل على أن لفظ خمس رضعات يحرمن نسخ وبقى حكمه معمولا به ؟ إنه لا دليل عليه مطلقا لا فى قول عائشة ولا فى حديث آخر ، فعلى تسليم أن هذا كان قرآنا فى عهد رسول الله فانه يكون قد نسخ كله فى عهده . وهذا هو المعقول .

وبعد : فان بعض المحققين من العلماء قال إن ما ورد فى خبر عائشة هذا وفى خبر عمر ابن الخطاب من أن الرجم كان فى كتاب الله ، ليس معناه أنه كان آية فى كتاب الله ، بل معناه أن من بين الأحكام التى أوحى الله بها الى رسوله وأمرنا القرآن باتباعها أن رضاع عشر مرات من ثدى المرأة يوجب حرمة المصاهرة ، واستبدل هذا بخمس رضعات ، وكذلك من الأحكام التى أوحى بها اليه رجم المحصن إذا زنى . أما كونها موحى بها فذلك لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى . وأما كوننا مأمورين باتباعها فى القرآن فذلك لأنه تعالى قال : «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» فيكون محصل معنى خبر عائشة هذا أنه كان من بين الأحكام التى أنزلت على رسول الله وأمرنا بالعمل بها فى القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس معلومات ، وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يذكرون الحكم الأخير فلم ينسخ . ولو أن القائلين باشتراط الخمس فى التحريم أولوا بهذا فانه يكون حسنا ولا يرد عليهم شىء . ولكنهم لم يفعلوا مع أنهم أولوا آخر العبارة فقالوا إن معنى كونه كان يقرأ بعد رسول الله كان يذكر حكمه .

(٤) أما بيان الأحكام الفقهية التى تؤخذ من خبر عائشة فان الشافعية والحنابلة قالوا إن الرضاع لا يوجب التحريم إلا إذا رضع الصبى من ثدى امرأة لا يقل سنها عن تسع سنين خمس مرات لا شك فى عددها بشرط أن لا يزيد عمره على حولين ولو لحظة واحدة . ولكن الشافعية قالوا لا تحتسب الرضعة إلا إذا شبع الصبى وترك الثدى انصرافا عنه . أما إذا ترك الثدى ليتنفس أو نقلته المرضعة من ثدى لآخر فانها لا تحسب عليه . ومثل ذلك ما إذا قطعته المرضعة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عن الرضاع لقضاء حاجة يسيرة وعادت اليه سريعا فانها تحسب رضعة واحدة ، أما إذا قطعته ولم تعد اليه أصلا فانها تحسب ولو لم يشبع . أما الحنابلة فانهم قالوا متى تناول الصبى الثدى وتركه ولو للتنفس فان الرضعة تحسب عليه . ولكن مذهب الشافعية هو الموافق للغة والعرف ، لأن الرضعة المشبعة لا يقطعها ترك الثدى للتنفس أو نقل الصبى من ثدى لآخر . ثم إن الحنابلة قد اشترطوا أن يكون اللبن قد نزل للمرضعة بسبب الحمل وإلا فلا يعتبر . أما الشافعية فانهم قالوا متى بلغت المرأة سن الحيض وهو تسع سنين إلا قليلا ونزل لها لبن فانه يوجب التحريم بالنسبة لها . هذا هو رأى الشافعية والحنابلة . وخالفهم فى قدر الرضاع الحنفية والمالكية ، فقالوا : إن القدر اليسير من لبن المرأة ولو قطرة يوجب التحريم إذا وصل الى جوف الصبى من الفم أو الأنف ، أما إذا وصل بالحقنة من القبل أو الدبر فانه لا يحرم عند الحنفية ويحرم عند المالكية بشرط أن يكون كمية مغذية .

ووافق الشافعية والحنابلة الحنفية فقالوا : إذا وصل لبن المرضعة الى جوف الطفل بالحقنة فانه لا يعتبر رضاعا محرما . على أنهم قد أجمعوا على أنه لا يشترط مص الثدى ، بل المدار على وصوله الى الجوف من الفم ولو بطريق الصب فى حلقه أو الأنف .

ثم إن المعتمد عند الحنفية أن مدة الرضاع حولان كاملان ، فاذا رضع صبى من امرأة بعد سن الحولين فان رضاعه لا يعتبر . ويعتبر رضاعه أثناء الحولين ولو فطم واستغنى عن اللبن باتفاق الثلاثة . وخالف المالكية فى ذلك فقالوا إذا رضع أثناء الحولين ولو بعد سنة واحدة وهو فطيم مستغن عن لبن الثدى فان رضاعه لا يعتبر . وخالفوا أيضا فى تحديد مدة الرضاع فقالوا إنها حولان وشهران ، أعنى ستة وعشرين شهرا ، فاذا رضع الطفل فى أثنائها وهو غير فطيم فان رضاعه يوجب التحريم .

ومن هذا يتضح أن الأئمة الأربعة اشترطوا فى التحريم بالرضاع أن يكون الرضيع طفلا ، وذهب اثنان الى أن قدر الرضاع يجب أن يكون خمس مرات مشبعات كما قال صلى الله عليه وسلم : « إنما الرضاع من المجاعة » . أى لا يعتبر إلا إذا سد جوع الصبى . وهذا هو المعقول فى تعليل التحريم بالرضاع ، فانهم قالوا إن علة التحريم هى كون الصبى صار جزءا من المرأة برضاع لبنها ، وهذا القدر كاف فى تغذية الصبى ، لأن معدته صغيرة فينمو به جسمه ويصير جزءا من المرأة . أما ما ذهب اليه المالكية والحنفية من أن القطرة الواحدة تكفى فى التحريم فانه ينافى ظاهر هذا الحديث مع كونه حديثا صحيحا متفقا عليه . وأيضا ينافى حديث ابن مسعود وهو «لا رضاع إلا ما أنشر العظم وأنبت اللحم» أخرجه أبو داود . فهذا صريح فى أن القطرة لا تكفى .

وقد استدل المالكية والحنفية بقوله تعالى : « وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة » فالله سبحانه لم يقيد الرضاع بأى مقدار . وقد روى عن ابن عمر أنه قيل له إن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ابن الزبير يقول : لا بأس بالرضعة أو الرضعتين ، فقال : قضاء الله خير من قضائه قال تعالى : « وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم » فاستدلال ابن عمر بهذه الآية فيه رد لمثل هـذه الأحاديث بأنها منسوخة . وقد يقال إنه لا دليل على النسخ ، والنبى صلى الله عليه وسلم قد بين بهذه الأحاديث ما أجملته الآية ، لأن الله سبحانه قال : « لتبين للناس » . وإلا فكيف علم الناس شرائط الرضاع وأحكامه بالتفصيل ، وكيف علموا باقى المحرمات بالرضاع مع أن الله لم يذكر سوى الأم والأخت ؟ فظاهر الأحاديث وحكمة التحريم بالرضاع يؤيدان القائلين باشتراط التغذية بلا نزاع .

أما اشتراط الطفولة فى الرضيع فقد أجمع عليها الأئمة الأربعة . وخالفهم فيه بعض المجتهدين ، فقال : إن رضاع الكبير يوجب التحريم كرضاع الصغير ولو كان رجلا له أولاد . وقد استدلوا على ذلك بحديث صحيح رواه مسلم وغيره . وحاصل معناه : أن أبا حذيفة زوج سهلة بنت سهيل قد تبنى مولى له يقال له سالم ورباه وهو صغير ، فكان بمنزلة الابن الحقيقى بدون فرق ، فلما نهى الله الناس عن التبنى بقوله « ادعوهم لآبائهم » وأمر النساء أن يحتجبوا عنهم ، شق ذلك على سهلة فشكت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرها صلى الله عليه وسلم أن ترضع سالما ، وهو رجل كبير ، لتصير أمه من الرضاع فلا يحرم عليه النظر إليها . فهذا الحديث الصحيح نص على أن رضاع الكبير يوجب التحريم .

وقد أجاب عنه الأئمة بأن ذلك خاص بسهلة . ولكن لا دليل على الخصوصية . وقد أجاب بعض المحققين بأن رضاع الكبير ينفع فى مثل هذه الحالة فقط وهى حالة الضرورة ، لا فرق فى ذلك بين سهلة وغيرها ، لأن الغرض من ذلك إيجاد وسيلة شرعية تبيح هذا المحظور الشاق . ورضاع سالم فى هـذه الحالة ليس بممنوع مع كونه أجنبيا لا يحل له لمس ثديها ، لأنه فى الواقع بمنزلة الابن الذى لا يشتهى ، فلا حاجة الى أن يقال إنها عصرت له اللبن وشربه ؟

عبد الرحمن الجزيرى
من علماء الأزهر

الخير فى خبايا الارض

حكى عن المعتضد بالله الخليفة العباسى أنه قال : رأيت على بن أبى طالب فى المنام يناولنى مسحاة ، وقال : خذها فانها مفاتيح خزائن الأرض :

ولقى عبد الله بن عبد الملك يوما ابن شهاب الزهرى فقال له : أدلكنى على مال أعالجه ، فأنشأ الزهرى يقول :

اتبع خبايا الأرض وادع مليكها   لعلك يوما أن تجاب فترزقا
فيؤتيك مالا واسعا ذا متانة   إذا ما مياه الأرض غارت تدفقا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حدث جلل لا يمكن الصبر عليه

فلا والله ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

بلغنى أنه ظهر فى عالم المطبوعات كتاب سخيف يدعو الى الالحاد علنا بكل أنواع الدعاية، ويقول إن هناك جماعة منظمة لبث هذه الدعوة، ولها فروع. وقد أخذ صاحبه يرسله الى الصحف والمجلات. وما أدرى كيف يكون ذلك فى عهد حكومة إسلامية دينها الرسمى هو الاسلام، وفى عهد ملك صالح أصبحت تضرب به الأمثال فى محبة الدين والعلم! فان كان كاتبه مغترا بحرية الاعتقاد التى كفلها الدستور، فليعلم أنه أخطأ فى فهم الدستور كما أنه أخطأ فى فهم الدين والعلم. فان الدستور كفل له أن يعتقد ما شاء فى خاصة نفسه، لا أن يدعو الناس الى الكفر والخروج على دين الدولة الرسمى، وانتهاك مقدساتها ونشر الفساد وإثارة الفتن التى لا يعلم مدى غايتها إلا الله تعالى، خصوصا فى مثل تلك العقيدة الفطرية المتأصلة فى النفوس تأصلا لا يزعزعه شىء، بل هو يأتى على كل شىء. وأمامك تاريخ العصور والأمم وأقوال الفلاسفة القدماء والمحدثين فى ذلك، حتى قال ديكارت الفيلسوف الشهير الذى جعل أساس فلسفته الشك ثم انتهى بعد الى اليقين البالغ، يقول:

« إن عندى شعورا بوجود ذات كاملة لا يفترق فى الوضوح عن شعورى بأن مجموع زوايا أى مثلث تساوى زاويتين قائمتين، إذا فالله موجود »

ويقول فى بيان تمجيد الله الذى ملأ قلبه: « إن لفظة الله إن لفظت بها فانما أعنى بها ذاتا لا نهاية لها أزلية دائمة مستقلة عالمة بكل شىء، وقادرة على كل شىء، وإنى أنا وجميع العوالم الموجودة مخلوقة لها وناشئة منها »

ولا بأس أن نعجل بذكر شىء من أقوال فلاسفة أوربا الذين هم أساطين العلم الطبيعى الذى يستند إليه أولئك الزعانف الذين ليسوا فى العير ولا فى النفير، فان علم الطبيعة برىء مما نسبوه إليه وافتروه عليه، كما سنبين ذلك بعد أتم بيان. وخذ الآن ما قاله أحد الفلاسفة العظام فى الاستدلال على الله، يقول:

« لو كان الوجود كله مكونا من مواد صماء عمياء لا عقل لها ولا إدراك، فمن أين نشأ للانسان الذى خلق من مواد لا عقل لها ذلك العقل والادراك، وفاقد الشىء لا يعطيه! إذا فلا بد أن يكون فى الوجود عقل مطلق وإدراك لا حد له. ولا مناص لنا من تقرير تلك الحقيقة وهو أنه يوجد فى العالم شىء موجود بذاته أبدى لا يدركه تحول ولا يعتريه تبدل، لأنا إذا فرضنا أنه كان هناك وقت ليس فيه شىء مطلقا أى لا شىء قائم بغيره ولا شىء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قائم بنفسه من القدم لزم ألا يكون غير العدم ، والعدم لا يصلح لايجاد شيء ، فلا بد أن تكون تلك الحقائق الأبدية التي تدرك بالنظر في الوجود جارية على سنن معينة بلا تحول ولا تبدل هي صادرة من الله » .

ويقول الفيلسوف « ليبنتز » الألماني :

« إن الله هو العلة الأولى لوجود الأشياء ، لأن كل ما هو محدود ومتناه ككل شيء تقع عليه أنظارنا وتتأثر له مشاعرنا ، هو من الممكنات ، أي ليس بضروري الوجود ، فقد يوجد أو لا يوجد ، وليس في أحدها شيء يوجب له الوجود بذاته ، والزمان والمكان والمادة المتحدة فيما بينها تستطيع أن تقبل حركات وصورا من نوع آخر غير النوع الحالي . إذاً يجب البحث عن الأولية لوجود العالم الذي هو مجموع هذه الكائنات الممكنة ، يجب البحث عنها في الذات التي تحمل معها علة وجودها ، فهي الواجبة الوجود والأزلية .

« يجب أن تكون هذه العلة عاقلة ، لأن الكون الموجود لما كان ممكنا أي قد يكون ولا يكون ، وفي الامكان حدوث دنياوات أخرى من نوعه ، فيلزم من ذلك أن تكون علة الوجود محيطة بعلاقات أجزائه قبل أن تتمكن من إحداث دنيا جديدة فيه ، ويكون تحديد تلك الدنيا على حال مناسب للمجموع فعل إرادة واختيار ، ولا شيء يجعل تلك الارادة فعالة إلا القدرة التي لها .

« هذه العلة الحكيمة يجب أن تكون غير محدودة ولا متناهية من كل وجه ، وكاملة كمالا مطلقا من حيث القدرة والحكمة والرحمة ، ولما كان الوجود كله مرتبطا بعضه ببعض ومفرغا في قالب واحد فلا سبيل لفرض وجود علة ثانية معها » . الى آخر آرائهم الفلسفية التي سنلم بكثير منها ومن غيرها بعد ، إن شاء الله .

وما رأيت أمرا أعجب مما نحن فيه ، فان الناس يأخذون في كل صنعة من الصنائع وحرفة من الحرف على يدي من ليس يحسنها ولا هو مستعد لها ، فترى كل إنسان ملتزما حده غير مدع ولا متبجح . ولكنك تراه في العلوم العقلية والموضوعات الدينية ينطلق انطلاق الحيوان بلا عقل ولا روية بمقتضى الحرية الممقوتة .

وليعلم أولو الأمر وزعماء الأمم أن فوضى العلم والدين والأخلاق أضر على الناس من فوضى الصنائع والحرف . ولا شيء أسقط للأمم من شيوع الالحاد فيها ، ولا أدعى لتدهورها من ضياع الأخلاق وعدم فهم الحرية على وجهها الصحيح . وانظر الى حال الأمة الاسلامية أيام كانت متمسكة بدينها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ولم تكن قوالة لا فعالة ، والى حالها اليوم وليس لها من العزة والكرامة إلا دعاوى لسانية وأماني خيالية اكتفوا بها اكتفاء الضعيف بالخيالات والأوهام .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فنسأل الله أن يرشدنا الى الفهم الصحيح ، والاخلاص الصحيح ، حتى لا نسير فى تكوين الأمة على غير المعقول ، فنبنى الدور الرابع من الحريات المتطرفة قبل الدور الأول من التربية الصحيحة ، واحترام الدين والآداب . وقد قال تعالى : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه،لبئس ما كانوا يفعلون .ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ،لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لما وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ، وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » . ويقول عليه السلام : «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » الى آخر ما ورد فى الكتاب والسنة ، وهو كثير .

ولنقل اليوم كلمة موجزة فى مقدمة الكلام على هذا الموضوع الذى سنفيض القول فيه بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة ، فنقول :

من أنكر وجود الله لم يزد على أن قال عن نفسه إنه مجنون ، فاننا إذا رأينا كلمة مركبة من ثلاثة أحرف لم نستطع أن نقول إنها مكتوبة من غير كاتب . فما بالك بهذا الكون الباهر بسمائه وأرضه ونجومه وأقماره وشموسه وكل عجائبه ! ولكن من عرف أن الانسان مستعد لكل شىء حتى أفظع أنواع الجنون لم يستغرب ذلك منه .

وقد قلنا فى كلمتنا السابقة (مشكلة التوحيد) : إن الحمار إذا ضرب التفت لأنه لا يتصور أن يوجد ضرب بلا ضارب ، فمن تصور أن يوجد أثر بلا مؤثر ونظام بلا منظم وأشياء متقنة كل الاتقان بلا صانع حكيم ، فهو أجهل من الحمار . ولكننا نتنزل فنسمى هذا الصنف من الناس بحمير البشر . وقد أنشدوا قديما :

قال حمار الحكيم توما لو أنصف الدهر كنت أركب
فاننى جاهل بسيط وصاحبى جاهل مركب

وليس هناك غرابة فى كل ما تراه من الانسان أو تسمعه عنه ، فقد قرأنا فى تاريخه أن فريقا من الناس أنكر المحسوسات بالمرة وهم (السوفسطائية) والمحسوسات هى هى وضوحا وجلاء . وقرأنا أن من الناس من قال فى كل شىء : لا أدرى وهم (اللاأدرية) . ومعنى ذلك أنهم غير معترفين بوجود شىء حتى أنفسهم ، وشاكون فى كل شىء حتى فى شكهم .

أما الأولون فجازمون بانكار المحسوسات وعدم تحققها ويقيمون البرهان على ذلك .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ولا أدرى كيف لا يجعلون إقامة البرهان منهم برهانا على وجود الأشياء. ولكن من عرف الانسان لم يعجب من جهله وتناقضه. وكم فى تاريخ الانسانية من المضحكات والمبكيات!

ولنتل عليك بعض ما قال الله فيه: يقول الله عز وجل مبينا لما جبل عليه: «إنه كان ظلوما جهولا» فجعله جهولا ولم يجعله جاهلا، وجعله ظلوما ولم يجعله ظالما «إن الشرك لظلم عظيم» ويقول: «وخلق الانسان ضعيفا». وعندى أن ضعفه العقلى أكبر من ضعفه الجسمى، إلا من أيده الله بنور من عنده. ويقول فى حق فريق من الناس: «أولئك كالأنعام بل هم أضل». ويقول: «وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون»

وكيف لا تعجب من جهله وقد وصل من معاداة البرهان ومصادمة العيان الى حد ما قال الله فيه: «ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون». ويقول فى الآية الأخرى: «ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا».

فانظر الى ذلك التصلب فى الجهل والعناد أمام آيات الله وأنبياء الله مع استعداده فى الوقت نفسه لأن يضحك عليه بعض المضلين ويلعب به بعض المشعوذين. فكيف لا نقول إن نوع الانسان مجمع العجائب والغرائب، ومظهر المتضادات والمتناقضات!

وبعد: فإياك أن تظن أن إلحاد الملحدين لضعف فى دلالة الآيات أو قوة فيما لديهم من الشبهات، كيف وقد وصلت الآيات الى حد الحس، وصارت أبهى لدى العقلاء من نور الشمس، وقام عليها ألوف البراهين، ولا شيء أجلى منها لدى من هو مستعد لأنوار اليقين:

وليس يصح فى الأذهان شيء إذا احتاج النهار الى دليل
وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

«أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون»

فليس تلكؤ من تلكأ فيها لشبهة يعتد بها أو يعول عليها، ولكن لقصور فى استعداده وخلل فى عقله، ومزيد سلطان الوهم لديه، وتسلط جميع الآفات النفسية عليه!

وقد قرروا فى الفلسفة أن للوهم سلطانا قويا للغاية، حتى إنه لينازع العقل فى البدهيات ويسلم المقدمات ثم ينازع فى النتيجة. الى هذا الحد وصل سلطان الوهم على النفوس، والى هذا الحد أثر فى الأدمغة البشرية!

عرفنا ذلك كله فيما قرأناه من الفلسفة، فلا نستغرب شيئا من هذا النوع المذبذب الذى هو أعجوبة المخلوقات، ولكن الواجب أن نحذف هذا الفريق المصاب بأفظع أنواع الجنون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من سجل الانسانية وحساب العقلاء . وإذا التفتنا اليه وجب أن نعتبره عضوا فاسدا يجب بتره وإهماله مع الاحتياط الواجب لصيانة جسم الانسانية من إصابة عدواه التى هى شر من عدوى الطاعون . وإن من الاعضاء الفاسدة ما لايفرز إلا قيحا وصديدا ، فيجب الابتعاد عنه وعدم القرب منه ، وقد عرفت أن القرآن جعلهم أحط من الحيوان فقال : « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » .

فاذا لا غرابة بعد أن علمنا أن الانسان مستعد لأن يكون أشرف المخلوقات على الاطلاق وأحطها على الاطلاق ، فى أن نرى فريقا ينكر وجود الله وهو أوضح من حسه وأقرب اليه من نفسه : « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » . ولكنه ليس فيه استعداد لفهم البراهين ولا للتحلى بحلية اليقين ، فهو كالحجارة أو أشد قسوة ، كما بينه الحكيم العليم . وهذا الفريق جدير بنا أن نسميه حمير البشر كما قلنا .

وقد قال بعض الفلاسفة : « إن من الناس من تفسد إنسانيته فيصبح غير إنسان » .

ولعل المقدمة لا تحتاج من البيان الى أكثر من هذا ، وستسمع ما يشفيك ويكفيك إن شاء الله ؟

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء



فى ذم الكذب

قال الله تعالى فى ذم الكذب : « إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله »

وروى صفوان بن سليم قال : قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : أيكون المؤمن جبانا ؟ قال نعم (أى قد يكون كذلك ولا يمتنع أن يكون مع ذلك مؤمنا) ، قيل أفيكون بخيلا ؟ قال : نعم . قيل : أفيكون كذابا ؟ قال : لا .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « ولاتلبسوا الحق بالباطل » أى لا تخلطوا الصدق بالكذب .

وقيل فى منثور الحكم: الكذاب لص ، لأن اللص يسرق مالك ، والكذاب يسرق عقلك.

وقال بعض الحكماء : الخرس خير من الكذب ، وصدق اللسان أول السعادة .

وقال بعض البلغاء : الصادق مصان جليل ، والكاذب مهان ذليل .

وقال أديب : لا سيف كالحق ، ولا عون كالصدق .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كلمات اجتماعية

فى الزواج ووحدة الزوجة وتعدد الزوجات

الزواج حاجة من الحاجات المعايشية غرزها الخالق الحكيم فى الكائنات الحية لحفظ أنواعها، واستمرار وجودها. فاذا لم يجعله حاجة ماسة مرتكزة على أقوى الغرائز النفسية لم يحفل به حى، وبخاصة فى النوع البشرى، لأن تكاليف الحياة الزوجية شاقة لا يتحملها الانسان إلا إذا كانت حاجته الى الزواج قاهرة.

وإنا لموردون كلاما عاما عن هذه العلاقة الاجتماعية، ثم مردفوه من الأبحاث بما يقتضيه موضوعه الخطير فنقول:

وحدة الزوجة:

وحدة الزوجة هو الأصل فى الزواج، وهو أول ما حدث فى العالم الانسانى، ثم تلاه تعدد الزوجات لأسباب سنبسطها فى موضعها.

فضلا عن أن وحدة الزوجة هى الأصل، فان هنالك أسبابا معيشية واجتماعية تدعو اليها. مثال ذلك الأمم التى يصعب على آحادها الحصول على ما يكفيها من المواد الغذائية، كالقبائل الساذجة المنتشرة فى البرازيل من أمريكا الجنوبية، فان قلة الغذاء تجبر رجالها على الاكتفاء بزوجة واحدة، لصعوبة الحصول على القوت. وتجرى هذا المجرى عينه قبائل البوشيمان فى أفريقيا. فانهم مع سماح شرائعهم لهم بتعديد الزوجات يكتفون غالبا بزوجة واحدة لتلك العلة عينها.

وقد شوهدت علاقة أكيدة بين وحدة الزوجة وبين شغل القبيلة لسطح متسع من الأرض، وتبعثرها عليه. مثال هذا قبائل الفيداه فى الهند فانهم يكتفون بزوجة واحدة، ويتشددون فى ذلك للعلة المتقدمة.

ثم أن ميل المتوحشين لخطف النساء بالقوة يدعو الى توحيد الزوجة، فان الرجل لا يتفق له اختطاف امرأتين دفعة واحدة. فكانت وحدة الزوجة سابقة على التعدد لا محالة.

وقد استمر بعض المتوحشين على توحيد الزوجة مدة مديدة مضطرين الى ذلك بصعوبة حصول الرجل على أكثر من زوجة واحدة إذا كانوا فى جهة لا يكثر فيها النساء.

ومع هذا فلم تكن الرابطة الزوجية على شىء من المتانة. لأن الأقوى من المتوحشين كان يعدو على الضعيف فيسبى امرأته. قال العلامة اللورد أفبرى: إن الرجل من قبائل خليج هودسون بأمريكا لا يستطيع أن يحظى بزوجة إلا إذا كان صيادا ماهرا، وقويا مقداما. أما إذا كان ضعيفا عاش عزبا ولا كرامة.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن الأسباب الاجتماعية التي حددت وحدة الزوجة، ارتقاء فكرة الملكية عند المتوحشين وانتظام أمر الأخذ والاعطاء بينهم. وقد قلت حوادث خطف النساء عند ما اعدت القبائل لها عدتها في الدفاع، فقد كان المتعرض لها يجد من الصعوبات مايثني عزمه، أو يقع أسيرا فيلاقي صنوف التعذيب. واستمرت هذه القلة لما بدأت الأمم تشتري النساء بالدراهم أو تعطاهن في مقابل عمل يعمله الرجال على سبيل الأجر. ومن دفع لامرأته ثمنا أو تحصل عليها بعد خدمة السنين الطويلة عز عليه أن يسلم فيها إلا بعد جهاد جهيد.

ولما كان رجال القبيلة كافة لم يتحصلوا على نسائهم إلا ببذل جهود كبيرة، فتراهم يتحزبون مع كل من يدافع عن زوجته. ونشأ من ذلك اعترافهم لكل منهم بحق صيانة امرأته. وهذا السبب عينه قلل من حوادث الطلاق. فان الرجل متى أدرك أنه لايستطيع أخذ امرأة غيرها إلا بدفع مبلغ من المال أو بخدمة سنين عديدة، تبصر في أمر الطلاق وكبر عليه طرد امرأته.

ثم إن هذا المبدأ ساد كل السيادة في البلاد حين تساوى فيها عدد الرجال والنساء، سواء أكانت بسبب قلة الحروب المجتاحة للرجال، أم بغيرها من الأسباب. وفي هذه الحالة ظهر أمام تعدد الزوجات حائل طبيعي شديد. فانه في مثل هذه الحالة لا يمكن أن يحتاز الرجل بضع نساء إلا إذا أوجب العزوبة على بضعة رجال. هذه الحالة المحرجة تدعو الرجال لكراهة تعدد الزوجات، فيتكون رأي عام مضاد للتعدد فيبطل.

وقد روى العلامة (لاو) إن هذه الحالة حدثت في قبائل الدياكس من جزيرة بورنيو بالاقيانوسية، فانها بعد أن كانت معددة للزوجات رجعت الى مبدأ التوحيد. حتى إنه كان الرئيس منها إذا عدد زوجاته فقد مكانته في أفئدة قومه.

ومن فوائد وحدة الزوجة في مثل هذه الحالة أنه متى تساوى عدد الرجال والنساء في مجتمع، كان ذلك أدعى لكثرة النسل وحفظه. والسبب الطبيعي في ذلك ما شوهد أن عدد الذرية يكون أكثر نسبيا في المجتمعات التي لكل رجل منها زوجة واحدة، من عدد الذرية في المجتمعات التي يكون لكل رجل منها أكثر من واحدة من النساء.

تعدد الزوجات:

تعدد الزوجات موجود في كل قارات العالم، ولدى جميع الأجناس البشرية، فهو منتشر لدى النوبجيين من أمريكا والأوستراليين والتسمانيين، وفي كاليدونيا الجديدة وتاناوفات وإيروانجا وليفو، وعند قبائل الماليوبوليتزيين وتاييتي وجزائر ساندويتش وجزائر تونجار وزيلاندة الجديدة ومدغشكر وسومترا. وشائع لدى قبائل أمريكا المتوحشة جنوبا وشمالا، وعام عند أهل أفريقيا كافة، وعند أكثر أهل آسيا، ولا نجد بأسا من أن نقول وأوربا أيضا. والفارق بينه عند هذه الأمم وبينه عند أهل أوربا أن الأولين يعترفون به في قوانينهم،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والأوربيون لايعترفون به ، ولكنهم يأتونه باسم المخادنة . فان من الشائع هنالك أن يحتاز الرجل من النساء عددا بقدر ما يستطيع الانفاق عليهن ، ولكن خارج نطاق القانون ، بحيث لا يكون لأولئك النسوة أدنى حق يطالبن به الرجال إذا هجروهن أو استولدوهن أطفالا ولم يعترفوا بهم ، وقد أصبحت هذه العادة من أعقد المسائل الاجتماعية لديهم .

وتوجد أمم تسمح قوانينها بتعديد الزوجات ، ولكن تحول الفاقة بين آحادها وبين العمل بهذه الرخصة . كما هى الحال لدى قبائل الجوندس والاوستياك والفيداه بالهند .

فاذا سمحت الأحوال فى بعض البيئات للنساء بالحصول على قوتهن بمحض كدهن وكدحهن ، فلا تمنع الفاقة السائدة فى مثل تلك القبائل من تعديد الزوجات ، كما هى الحال عند الاستراليين والفويجيين .

ولا يذهبن أحد القارئين عند ذكرنا للاستراليين الى أننا نقصد الانجليز المستعمرين لها . فان هؤلاء لا يختلفون فى عاداتهم ونظمهم الاجتماعية عن إخوانهم فى بيئتهم الأصلية ، ولكنا نقصد بهم القبائل العائشة فى أستراليا ، وهم على حالة توحش تام ، ولا يقبلون أن يدخلوا فى المدنية بحال من الاحوال .

يبالغ بعض السياح فى انتشار مبدأ التعدد عند جميع الرجال فى البيئات التى تسمح به ، وهذا غير معقول ، فانه يلزم منه أن يكون النساء فى تلك البيئات أكثر من عدد الرجال اضعافاً كثيرة ، ولا نرى لذلك سببا علميا ، فان الخالق جل وعز جعل عدد الأناث بقدر عدد الرجال مع تفاوت يسير، فتارة يزيد عدد النساء بضع عشرات من الألوف ، وتارة ينقص بذلك القدر ، فلو كان ما يقوله أولئك السياح صحيحا لكانت للبيئات المتوحشة سنة خاصة ، وليس ذلك بصحيح . فقد أثبت الرواد العلميون أن تعديد النساء فى تلك البيئات قاصر على الأغنياء والقادة دون سائر الأفراد . فان أهالى جاوه وسومترا تسمح قوانينهم بالتعديد ، ولكنه قاصر على الملوك والرؤساء . وقد شوهد مثل ذلك فى جميع الأمم المعددة للزوجات .

لتعديد الزوجات أسباب متعددة :

ليس الداعى لتعديد الزوجات ينحصر فيما يتبادر للأذهان من حب الاستكثار من الشهوات ، ولكن توجد أسباب توجبه على الآخذين به فى كثير من البيئات .

من ذلك : أنه قد يمتاز رجال فى كل قبيلة بقوتهم العضلية وحيلهم العقلية ، فهؤلاء يعتبرون من كبار المحاربين ، وقد يرتقون الى درجة الرياسة فى قبائلهم . هذه الميزة تمكنهم من اختطاف عدة نساء سواء أكن من قبيلتهم نفسها أم من قبائل أجنبية . ومن هنا اعتبر اختطاف المرأة من علامات الفخار والمجد . وكلما تعددت النساء عند رجل كان فخاره أعظم وشجاعته أدعى [illegible] مبدأ الاستكثار من النساء قائما فى أكثر الحالات على عاطفة حب الظهور بمظهر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الممتازين من الرجال . فنقل الرحالة (كلا فيجيرو) أن ملوك المكسيك بأمريكا كانوا يعتقدون أنهم لا يستطيعون أن يحفظوا مكاناتهم إزاء الناس إلا إذا أكثروا من النساء والسرارى .

وقد أكثر أهل الوجاهة فى جزيرة مدغشكر من احتياز النساء ، استزادة من الوجاهة ، حتى اضطرت حكومتهم للحظر على غير الرؤساء باحتياز أكثر من اثنتى عشرة امرأة .

وروى الرحالة (بورتون) أن الفخر باقتناء النساء بلغ لدى بعض قبائل أفريقيا حد الإفراط فرأى أن لبعضهم نحو ثلاثمائة امرأة .

وانتقل مبدأ التفاخر بعدد النساء الى أوربا ، فروى المشترع (مونتسكيو) الفرنسى المتوفى سنة (١٧٥٥)أن ملوك الأسرة الميروفنجية التى حكمت فرنسا من القرن الخامس الى سنة (٧٥٢) كانوا يعتبرون من المفاخر استكثارهم من النساء .

وهناك أسباب اقتصادية بعثت على تعدد الزوجات ، منها : أن المرأة كانت تقتنى لتشتغل فى الحقل وفى البيت . وقد اعتاد رؤساء كاليدونيا الجديدة بالاقيانوسية أن يتزوج أحدهم من عشرة الى ثلاثين امرأة بقصد تشغيلهن فى الحراثة والسقاية .

هذا السبب الاقتصادى أدى أهل أفريقيا أجمعين الى تعديد الزوجات ، فان عمل النساء هنالك السروح الى مساوف شاسعة لجلب الخشب والماء ، وأزواجهن يجبرونهن على الزرع والحصاد .

وعند أهل الكَفْر وهو قطر من أفريقيا الجنوبية يشغل الرجل امرأته فى أشق الأعمال وأقساها . وهو يعتبرها بقرة له . وقد كلم الرحالة (شوتر) الانجليزى أحد الكفريين فى شأن تشغيل امرأته . فقال له كيف لا أشغلها وقد اشتريتها بمالى ؟

وبناء على هذا ، فان كثرة النساء عند هؤلاء الاقوام هى بمثابة كثرة الأرقاء والخدام .

ومما ساعد على انتشار تعدد الزوجات ، اعتبار هذه العادة من الصالحات الدينية . وقد دلت أحوال قبائل (الشيبوى) على أنهم يعتبرون المعدد للزوجات محترما عند الروح الأكبر وهو معبودهم الأقدس .

وكذا كان الشأن عند قدماء المصريين . فان تعديد الزوجات عندهم كان لا ينافى الأخلاق الفاضلة ولا التعاليم العالية . وما خلفوه من الآثار يدل على أن الله بارك فى رجال كانت لهم أزواج عدة ، وسرار كثيرة .

ومن الغريب أن هذا الاعتبار لمبدأ تعدد الزوجات ليس خاصا برجال أولئك القبائل ، بل بنسائهم أيضا . فقد شوهد أن نساء قبائل الكوش من أمريكا الشمالية لا ينظرن لتعدد الزوجات بعين الكراهة ، ولكنهن يعتبرنها أمرا حسنا . والسبب فى ذلك أن المرأة لما كانت معتبرة كالبهيمة فهى تحب أن يكون معها شريكات لتخف عنها الأعمال . وقد روى الرحالة لفنجستون الانجليزى أن نساء قبائل الماكولوس من أفريقيا عند ماسمعن بأن الانجليز لا يعددون الزوجات

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

صحن قائلات : إنهن لايستطعن أن يفهمن كيف أن النساء الانجليزيات يرضين بهذه العادة ، فان الرجل الفاضل يجب عليه أن يعدد زوجاته إدلالا على غناه وسماحته .

هذه الآراء كما يقول الرحالة المذكور آنفا سائدة لدى القبائل النازلة على طول نهر الزامبيز من أفريقيا الجنوبية .

ومما شوهد عند السود أنه ليس لديهم حب ولا عطف على المرأة غير الميل البهيمي المعروف . فقد روى مونتيرو الرحالة الذي مكث في السودان سنين كثيرة أن الأسود لا يعرف الحب للنساء ولا الغيرة عليهن ، وليس في لغتهم ما يعبر عن هذه المعاني .

وذكر اللورد أفبري الفيزيولوجي الانجليزي أن قبائل الهوتنتوت من أفريقيا ليس بين رجالهم ونسائهم تعاطف ، حتى ليظهر أنهم يجهلون الحب جهلا تاما . وذكر مثل ذلك عن أهل الكَفْر من جنوب أفريقيا . وقال أن في (يارينا) من السودان يتزوج الرجل بالمرأة ولا يهتم بذلك إلا بقدر ما يهتم بقطع سنبلة من سنابل القمح ، ولا يشاهد عليه أقل علامة للميل اليها.

وليس هذا بعيب تعدد الزوجات ، ولكنه عيب الجهل إذ أنه يوجد بين القبائل الموحدة للزوجة أيضا .

ومما يجب لفت النظر اليه أن نتيجة هذه الجفوة المتبادلة بين الرجال والنساء تظهر بأفظع مظاهرها في سن الهرم ، لأن الرجل لا يكون قد غرس في قلب امرأته حباً في صباه يحملها على العناية به في كبره ، فتهمله أو تقصر في خدمته فيموت على أسوأ حالة .

متناقضات أخرى لدى المتوحشين :

لايتأتى لباحث أن يجد قانونا تسير على موجبه أحوال المتوحشين ، وذلك يرجع لأن الانسان لم يطبع كما طبع الحيوان على أوضاع واحدة من الحياة ، بسبب ما جبل عليه من الحرية في تصرفاته .

فبينما ترى كثيرا من المتوحشين لا يأبهون برابطة الزواج ، ولا يشعرون بأقل عطف على نسائهم ، ترى قبائل أخرى تخالفهم في هذه الميول كل المخالفة . مثال ذلك أمة الفيداد من بلاد الهند فانها تقدس الرابطة الزوجية الى أقصى حد ، فلا تسمح لزوجين أن ينفصل أحدهما عن الآخر لأي سبب من الأسباب ، مقررين أنه لا يجوز أن يفرق بين الرجل وامرأته إلا الموت . وهذا مستغرب من قبائل لا تزال في الدرجة الأولى من سلم الاجتماع .

هل صادف الباحثون علاقة بين قوة أو ضعف الروابط الزوجية وبين الأخلاق ؟ لم يشاهد شيء من ذلك فهذه قبائل التلنكيس مع احترام رجالها لنسائهم ، وحسن معاملتهن ، ومع أن نساءها شديدات العطف على أزواجهن ، ومطيعات لهم ، تجدهم من ناحية أخرى أكذب خلق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الله ألسنة ، وأشدهم لصوصية ، وأقساهم قلوبا . فتجدهم يمثلون بأسراهم تمثيلا مريعا لعبا ولهوا ، ويقتلون ارقاءهم قسوة وتوحشا .

كذلك حال قبائل البشاسان فبينما تصادفهم يقتلون النفس بلا أقل حرج ، ويكذبون كذبا لا حد له ، تجد نساءهم من أفضل نساء الأرض محافظة على الاخلاص الزوجى .

وعلى شاكلتهم سكان جزائر فيجى، فبينما هم على غاية ما يكون من القسوة والفظاظة، تجدهم يحفظون عهد الزوجية حفظا لا مذهب بعده .

ومن متناقضات المتوحشين أن المرأة فى قبائل كوتياجاس ما دامت بلا زوج لها أن تعمل ما شاءت من الجرى وراء هواها ، ولـكن متى تزوجت حافظت على عفتها حفظا ليس بعـده مرمى . ويجرى مجراها نساء قبائل كوماناس .

وعند أهل بيرو من أمريكا الجنوبية لا يهتم الأب بالهيمنة على سيرة ابنته ، ولا تعاب لدى قومها أن يكون لها أخدان كثيرون . ولـكنها متى تزوجت راعت أدق شرائط العفة ، وأصبحت مثالا فى الاخلاص للرابطة الزوجية . وقبائل السيبشاس لا يهتم رجالها أقل اهتمام بسيرة نسائهم قبل الزواج ، ولـكنهم يحاسبونهن حسابا عسيرا على مراعاة الاستقامة بعـد الزواج ، ويتأثرون من خرقهن سياج العفة تأثرا يخرجهم عن حدود الاعتدال .

العوامل التى تؤثر فى تحسن حالة النساء :

الذى شاهـده المستقرون لأحوال النساء عند المتوحشين أن المرأة فى القبائل الحـربية تكون أكثر عبودية للرجل ، منها فى القبائل التى بدأت فيها حياة صناعية ، لأن الحياة الحربية تجعل بين عمل الرجل وعمل المرأة حدا فاصلا ، خلافا للحياة الصناعية ، فانها تحدث بين الجنسين شـبه تساو لاشتراك الـكافة فيها ، فتنشأ للرجل فكرة المساواة وتنصلح حالة المرأة .

من أصرح الأمثلة على ماتقدم ما يشاهد فى أحوال القبيلتين المتجاورتين فى بولونيزيا وهما الفيجيون والساموان : فالأولون يشتغلون بالحروب والغارات ،وحكومتهم استبدادية مطلقة ، وفى أفرادهم خشونة تبلغ حـدود الهيمية . وللزوج على امرأته من الحقوق ماله على الحيوانات العجم ، فيستطيع بيعها أوذبحها والتغذى بلحمها إن شاء .

أما لدى الساموان الذين نشأت فيهم مبادئ الصنائع ، فقد وصلوا فى ظلال السلام الى حالة حسنة فى حكومتهم وآدابهم ، وحسنت حالة المرأة عندهم الى حد أن الرجل لا يحملها من الأعمال إلا ما تطيق، ويترك ما لا تطيقه لنفسه . وإذا حدث أن الرجل فارق امرأته بعد معاشرتها سنين ترك لها شطر ماله لتعيش به .

هذه لمعة من أحوال المرأة فى البيئات المنحطة لاغنى لباحث عن الألمام بها ليدرك فضل الديانة الاسلامية ومكانها من تقويم أحوال البشر ؟

محمد فريد وجدى

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاخلاق الفلسفية

— ٤ —

الضمير وقوة سلطانه على النفوس

ينقسم الضمير الى قسمين : ضمير نفسى ، وضمير أدبى أوأخلاقى . فأما الأول فهو إدراك ما يجيش فى نفوسنا من الانفعالات والاحساسات ، والأفكار والتأثرات . وأما الثانى فهو حال للنفس تحكم بوساطتها على الخير والشر من الأعمال والنيات . فالأول لايمثل فى علم الأخلاق إلادورا ثانويا وهو دور الشاهد أو المنبئ بأثر تلك الاحساسات ، وهو لهذا يوجد فى الحيوانات. أما الضمير الأخلاقى ، فهو واسطة العقد وبيت القصيد ، لانه هو القاضى المسموع الحكم ، ولانه يستطيع أن يتعدى نفوسنا الى نفوس غيرنا ، فكما أنه يامرنا بالخير وينهانا عن الشر قبل العمل ، ويستريح للفضيلة ويؤنب على الرذيلة بعد الوقوع ، كذلك يستطيع أن يحترم الغير لفضيلته ، ويحتقره لرذيلته دون أن يشعر ذلك الغير بهذا الحكم الذى أصدره له أو عليه فى الخفاء .

نستطيع إذاً أن نقسم مهمة الضمير الاخلاقى الى قسمين : قسم إيجابى وهو قبل وقوع الفعل من الانسان ، والقسم الآخر سلبى أو عاطفى ولا يظهر أثره إلا بعد الوقوع . فأما القسم الأول فيشتمل على دورين :

(ا) تمييز الخير من الشر وإيضاح الفرق بينهما .

(ب) استمرار المناداة بنهج سبيل الأول ، وبالبعد عن الثانى والحذر من الوقوع فيه . وأما القسم العاطفى الذى هو بعد وقوع العمل ، فهو الى السلب أقرب منه الى الايجاب ، لأنه لا يحتوى إلا على انفعالات عاطفية ، مثل الاستراحة والغبطة بعد عمل الخير ، وكالتأنيب والتوبيخ بعد عمل الشر ، وهذه الأعمال وإن كانت سلبية إلا أن لها فى كثير من الأحيان آثارا بارزة ، فهى التى تحمل المذنب على الاعتراف بجريمته ولو لم تحم حوله شكوك الاتهام ، ولكنه لا يستطيع أن يقاوم هذا العذاب الداخلى الذى هو أسرع الى أكل ذبالة الفؤاد من نار السموم ، وهذا التأنيب هو الذى يدفع الآثمين الى الندم والتوبة .

هناك فرق آخر بين الضميرين النفسى والأخلاقى يجب الاعتناء به ، وهو أن الضمير النفسى مستمر العمل ؛ لأنه يتأثر بكل إحساسات الحياة وهى لا تنقطع . وأما الضمير الأخلاقى ، فهو لا يتحرك للعمل إلا حين يوجد الحكم بالخيرية أو الشرية على عمل الانسان أو على نيته المطلقة ، فهو لهذا يعمل حينا ويقف حينا آخر .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

آراء العلماء فى الضمير :

اختلف الفلاسفة وعلماء الأخلاق والتربية فى الضمير اختلافات كثيرة ، وتشعبت فيه آراؤهم تشعبات شتى تبعت كل شعبة منها الاساس الجوهرى لمذهب صاحبها فى الفلسفة ، إذ ليس من المعقول أن يكون رأى التطوريين القائلين بتناسل الانسان من الحيوان متفقا فى تعريف الضمير مع مذهب العقليين الذين يؤمنون بوجود السر الربانى فى النفوس الانسانية ، ولذلك نرى من الواجب علينا أن نلم هنا ببعض هذه الآراء فى شىء من الايجاز ، ثم نعقب عليها بما نعتقد أنه الحق المبين ، غير ملتفتين الى النظام التاريخى بين هؤلاء العلماء :

(١) يرى « كانت » (١) الفيلسوف الألمانى المعروف أن الضمير هو شعاع نورانى هبط من لدن القوة العليا المطلقة الغير المحدودة الى القوة المقيدة المحدودة ، فهو هاديها الى الصراط القويم ، وقائدها فى الطريق المعتدل ، ومبدد ظلمات الحياة التى تضل فيها لو حادت عن نصيحته وإرشاده قيد أنملة .

ولقد قسم « كانت » العقل الانسانى الى قسمين ، فسمى القسم الأول بالعقل النظرى ، أو النظر الفكرى ، وهو القسم الخاص بادراك عالم الظواهر والمحسوسات والحكم عليها . وجوز « كانت » أن ينخدع هذا القسم من العقل ويضل ، لأن رسله وهى الحواس التى تبلغ اليه هذه المدركات كثيرا ما تضل وتنخدع . ولا ريب أن الأحكام المؤسسة على ضلال تكون ضلالا . ولقد غالى « كانت » فى هذه المسألة الفلسفية مغالاة أدخلت كتبه فى ظلام حالك وغموض عميق حدوا بتلميذه « شوبنهاوير » الى الاعتراف بأنه لا يفهم كثيرا منها ، ودفعا كثيرا من علماء الفرنسيين الى إثارة حملة ضد غموض « كانت » وإبهامه . ومما قاله « كانت » فى هذا الصدد : « لو أخذت حواسنا صورة غير الصورة التى هى عليها الآن لتغير الزمان والمكان اللذان هما ظرفا كل شىء فى هذه الحياة ، ولتغيرت بتغيرهما أحكامنا على كل شىء من هذه الموجودات ، إذ هذه الأحكام ناشئة عن هذا النوع من الادراك بخصوصه ، وإذا فهذا القسم من العقل لا يعتمد عليه فى كل ما يقول » .

أما القسم الثانى فقد سماه كانت بالعقل العملى ، أو النظر العملى ، وقال عنه : إنه هو الذى يدعو الى القيام بالواجب ، وهو فى هذه المهمة معصوم من الخطأ ، بعيد عن الانخداع ، لأنه غير خاضع للحواس الضعيفة المعرضة للضلال ، وهو مستمد من النور الأعلى . ولا شك أن هذا المذهب يتفق فى جوهره مع رأى أخلاقيي المسلمين تمام الاتفاق ، فلو رجعنا مثلا الى ابن

---

(١) فيلسوف ألمانى شهير ولد فى سنة ١٧٢٤ وتوفى فى سنة ١٨٠٤

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مسكويه (١) لرأيناه يوزع المجموعة الانسانية على ثلاث قوى مختلفة : الأولى الناطقة أو العاقلة . الثانية السبعية أو الغضبية . الثالثة الشهوانية أو البهيمية . ويجزم بأن الأولى هى شعاع نورانى قذف به الخالق جل وسما الى النفس البشرية ، وجعله فيها مناط الأمر والتكليف ، وسبب العقاب والثواب ، ومصدر التفكر والتمييز ، ومأتى الاستراحة للخير ، والألم من الشر ، وصرح بأن الأصل عند هذه القوة هو الانعطاف نحو كل خير وجمال ، والنفور من كل شر وقبح . فاذا وقع العكس من الانسان ، كان ذلك ناتجا من تغلب إحدى القوتين الأخريين : الشهوانية أو الهجومية على إرادته بدرجة جعلتها لا تنصاع الى أمر هذا الصوت العلوى الجليل . فأنت ترى أن ابن مسكويه قد سبق « كانت » الى هذا الرأى القيم بنحو ثمانمائة سنة ، وقد امتاز عنه بوضوح الفكرة وجلائها وسهولة العبارة وسلاسة الأسلوب ، وإن كان « كانت » قد انفرد بتقسيم هذه القوة الناطقة الى عقلين : عملى ونظرى ، وأسند الى كل منهما أعمالا اختص بها دون الآخر .

وأنا أميل الى هذا التقسيم بالرغم من أن كثيرا من علماء أوربا قد وجهوا اليه سهام النقد والتقريع ، وسكبوا عليه جامات السخرية والاستهزاء لسببين :

الأول : هو الظلمة والتعقد . الثانى : هو أنهم لم يستطيعوا أن يستسيغوا أن للانسان عقلين مختلفين . وأنا أوافق هؤلاء النقاد فى النقطة الأولى ، لأنى لم أر فيما رأيت من كتب الفلسفة والأخلاق أعقد من كتب « كانت » أسلوبا ، ولا أبهم عبارة ولا أغمض مرمى ، ولا أخفى فكرة . أما فيما يتعلق بتقسيم العقل البشرى الى قسمين ، فأنا معه على وفاق تام ، وإن كنت أسمى القسم الأول بالذهن المذعن للحواس ، الخاضع لتأثيرات الحياة المختلفة . والثانى بالضمير أو الصوت الخفى الأعلى .

(٢) ويرى « جان جاك روسو » (٢) أن الضمير هو قوة نورانية سكبها الخالق جل جلاله فى وسط ظلمة هذا الجسم الكثيف الضال ، فأحالت ظلامه نورا ، وبدلت ضلاله هدى . وهو عنده يغاير العقل ويمتاز عنه بالعصمة والثبات . والضمير هو فى رأيه الفارق الأوحد بين الانسان وبقية الكائنات الأخرى ، أما العقل فهو لا يكفى فى نظره لتحقيق الفرق بين الانسان والحيوان ، لأنه يجوز عليه الضلال والانخداع . واليك ترجمة شىء مما قاله فى الضمير :

« أيها الضمير ، أيتها القوة الفطرية ، أيها المميز الأدبى الخالد ، أيها الصوت السماوى ، أيها الهادى الموثوق بهدايته ، أيها القائد الأعلى لذلك الكائن الجاهل المحدود ، أيها القاضى المعصوم والحكم الذى لا يضل ولا ينخدع فى تمييز الخير من الشر ، والذى يحقق وجود الصلة

(١) فيلسوف مسلم واخلاقى كبير توفى سنة ٤٢١ هـ . (٢) مرب واجتماعى فرنسى ولد فى سنة ١٧١٢ وتوفى فى سنة ١٧٧٨

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بين الاله والانسان ، أيها الضمير : إنك أنت الجوهر الأعلى الموجود فى طبيعة الانسان ، وإنك عنصر الفضيلة فى أعماله ، ولولاك لما شعرت بما يرفعنى عن صفوف الحيوانات إذا استثنيت تلك الميزة المحزنة التى تنقلنى من خطأ الى خطأ ومن ضلال الى ضلال ، وهى أداة الفهم المزعزعة أو العقل الذى لا ثبات له » .

ولقد أثرت تعاليم « جان جاك روسو » فى معاصريه ومن أتوا بعده تأثيرا ظهرت صورته فيما كتبه تلميذه « جاكوبى » الألمانى عن الضمير ، فقال : ما هو الخير ؟ إنه لا يوجد شىء أسهل من الجواب على هذا السؤال ، لأن كل فرد من أفراد بنى الانسان يحوى فى داخل قلبه وحيا صادقا معصوما يلهمه الاجابة عليه فى جلاء ووضوح وهو الضمير .

(٣) يرى زعماء المدرسة « الاسكتلاندية » أن الضمير هـو حاسة فى الانسان يميز بها الخير من الشر كما يميز المرئيات والمسموعات والملموسات سواء بسواء . وقد نقد هذا الرأى كثير من العلماء ، واعترضوا عليه بأن اعتبار الضمير حاسة من الحواس يوقع أنصار هذا المذهب فى الحيرة والارتباك ، لأن الحواس كثيرا ما تخطىء وتضل . وإذاً فالضمير على هـذا الرأى يجب أن يخضع لقانون الحواس مادام واحدا منها . وعلى ذلك تكون أحكامه صائبة تارة ، مخطئة تارة أخرى ، ويجب على الانسان أن يتردد فى عمل ما يأمر به الضمير وألا يندفع وراءه فى كل ما يريد ، وإلا لكان معرضا للسقوط بين براثين الشر والضلال فى كثير من الأحيان . وفوق ذلك ، فانه يلزم على رأيهم هذا أن يكون للحيوانات ضمائر تستريح للخير وتؤنب على الشر ، لأنهم لا يستطيعون طبعا أن يدعوا اختصاص الانسان بهذه الحاسة دون غيرها من الحواس ، بل المنطق يقضى عليهم بأنه — ما داموا قد جعلوا الضمير حاسة — يجب عليهم أن يجوزوا عليه كل ما يجوز على الحواس ، وألا يميزوه عنها بشىء ، غير أننا نلاحظ أن المشاهد هو عكس ذلك كله . وإذاً فيمكننا أن نجزم بأن رأى المدرسة الاسكتلاندية غير صحيح ؟

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

الرضا عن النفس

قال بعض الحكماء : من رضى عن نفسه ، أسخط عليه الناس .

وقد بين الشاعر ابن كشاجم ، سبب هذا الإسخاط فقال :

لم أرض عن نفسى مخافة سخطها ... ورضى الفتى عن نفسه إغضابها
ولو اننى عنها رضيت لقصرت ... عما تزيد بمثله آدابها
وتبينت آثار ذاك فأكثرت ... عذلى عليه فطال فيه عتابها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

آلة القصاص

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الازهر الاستفتاء الآتى :

جرت مملكة بهوبال الاسلامية بالهند فى الازمان الماضية على إعدام القاتل بالسيف خاصة، وكان لدى المملكة سياف ماهر حذق مهنته ، فكانت لا تنبو ضرباته ، ولكن مات هذا السياف فعينت المملكة خلفا عنه لم يكن فى جرأة السياف الأول ولا مهارته ، فحدث أن قدم له محكوم عليه بالاعدام لينفذ فيه الحكم فضربه بالسيف ضربة لم تجهز عليه ، مما كان له أثر فى مضاعفة عذابه وألمه .

لذلك كلفنى سعادة السيد شعيب قريش وزير المهام الخاص بحكومة بهوبال أن أتقدم الى فضيلتكم بالأسئلة الآتية راجيا التفضل بالاجابة عليها :

١ — ما حكم الشرع الشريف فيمن قتل نفسا وثبتت عليه الجريمة بالادلة المقبولة شرعا ؟

٢ — هل يشترط أن يكون إعدام القاتل بنفس الطريقة التى حصلت بها الجناية ، أم يجوز بأية آلة حادة كالسيف ، أم بأية آلة أخرى كالجيلوتين «المقصلة» أو الكرسى الكهربائى أو غيرهما من الوسائل ؟

٣ — ما معنى لفظة القصاص فى هذه الحال ؟

محمد حبيب أحمد

المدرس بكلية أصول الدين

وسكرتير البعثة الأزهرية الى الهند

الجواب :

١ — من قتل عمدا نفسا معصومة الدم شرعا وكان عاقلا بالغا وليس بينه وبين المقتول ما يورث شبهة تسقط القصاص وثبت عليه ذلك عند الحاكم ، وجب أن يقتص منه إلا إذا عفا ولى المقتول .

٢ — ورد فى السنة « لا قود إلا بالسيف » وقد أخذ الحنفية من هذا الحديث أن القصاص لا يستوفى إلا بالسيف وإن كانت الجناية قد حصلت بغيره ، وقد ألحقوا بالسيف كل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما يكون مماثلا له فى سرعة إزهاق الروح وعدم تخلف الموت عنه: كالرمح والخنجر والنصل وكل محدد يقتل به عادة ويفضى الى الموت من غير تخلف، فأباحوا استيفاء القصاص به.

ويرى الشافعية أن جناية القتل إذا كانت قد وقعت بالسيف فاستيفاء القصاص من القاتل لا يكون إلا بالسيف؛ وإن وقعت الجناية بآلة أخرى كضرب بعصا غليظة أو بحجر قاتل أو غير ذلك مما يقتل به عادة، فلولى أمر المقتول الخيار فى أن يكون استيفاء القصاص بمثل الآلة التى قتل بها المقتول أو بالسيف، وعللوا جواز استيفاء القصاص بالسيف فى هذه الحالة مع أن الجناية وقعت بغيره بأن السيف أسهل وأسرع فى إزهاق الروح.

واللجنة ترى تمشيا مع التعليل الذى ذكره الحنفية فى إلحاق غير السيف بالسيف، ومع تعليل الشافعية جواز استيفاء القصاص بالسيف فيما لو وقعت الجناية بغيره - أنه لا مانع شرعا من استيفاء القصاص بالمقصلة والكرسى الكهربائى وغيرهما مما يفضى الى الموت بسهولة وإسراع، ولا يتخلف الموت عنه عادة، ولا يترتب عليه تمثيل بالقاتل، ولا مضاعفة تعذيبه.

أما المقصلة فلانها من قبيل السلاح المحدد. وأما الكرسى الكهربائى فلانه لا يتخلف عنه الموت عادة مع زيادة السرعة وعدم التمثيل بالقاتل دون أن يترتب عليه مضاعفة التعذيب.

٣ - بناء على ما تقدم يكون معنى القصاص فى هذه الحالة مجازاة القاتل باعدامه وإزهاق روحه، ولا يلزم أن يكون إعدامه بمثل الآلة التى حصلت بها الجناية. والله أعلم؟

تربية الكلاب - وتعليم الصلاة

وورد أيضا على لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الأسئلة الآتية:

١ - هل يجوز أن تربى الكلاب كالقطط لحراسة البيت مثلا أو لا يجوز؟

٢ - هل يجوز أن نلاعب الكلاب ونداعبها بلمسها ومسكها بأيدينا ونضعها على الفراش فى البيت وهى مبلولة على مذهب الامام مالك رضى الله عنه أو لا يجوز؟

٣ - إذا لحس الكلب بدن المصلى أو ثوبه تبطل صلاته، وهو يقلد الامام مالكا رضى الله عنه، أو لا تبطل على مذهبه؟

٤ - هل يجوز فى ديننا الاسلامى أن نعلم التلاميذ البالغين كيفية الصلاة عمليا من القيام والركوع والسجود وغيرها من الأركان خارج أوقات الصلاة المفروضة، ليتمرنوا على ذلك أو لا يجوز؟

راج كلنتن سمو ولى عهد دولة كلنتن
ورئيس المجلس الدينى بكلنتن - كوتا بهارو

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الجواب :

١ — مذهب مالك رضى الله عنه أن اتخاذ الكلاب فى البيوت لجلب منفعة أو دفع مضرة جائز .

٢ — إن جسد الكلب ولعابه ومخاطه وعرقه — كل ذلك طاهر ما دام حيا . وعلى هذا إذا جلس الكلب على السرير ، ولابس الشخص ، فانه لا ينجسه ، ولا يمنع ذلك صحة صلاته وعبادته المتوقفة على طهارة كالطواف بالبيت الحرام ، وسواء أكان جسمه مبتلا أم غير مبتل .

٣ — إذا لحس الكلب بدن المصلى أو ثوبه ، فان ذلك لاينجسه ولا يبطل صلاته .

٤ — إن تعليم التلاميذ كيفية الصلاة قبل الدخول فيها بالركوع والسجود جائز شرعا ، بل قد يكون واجبا إذا كان البيان بالقول لا يكفى فى تعرف كيفيتها ، وأدائها على الوجه المطلوب شرعا ، والله أعلم .



فى الميراث

وجاء أيضا الاستفتاء الآتى :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

توفيت امرأة عن أخت شقيقة ، وعن أخوين لأبيها ، وعن أربع أخوات لأبيها . فالى من تؤول التركة ؟ وما هو نصيب كل وارث ؟

عبد الحميد البرادعى

الجواب :

تؤول التركة الى الاخت الشقيقة ، والى الأخوين والأخوات لأب ، ونصيب الأخت الشقيقة النصف ، والنصف الباقى للأخوين والأخوات لأب ، يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام فى الهند

مما يجب أن يلم به دعاة الاسلام فى العالم ما يقوله عنهم مناظروهم من دعاة الملل الآخرى ، ولا حرج علينا فى نقل أقوالهم حتى ولو كان فيها ما لا يتفق والواقع . وقد اطلعنا أخيرا فى جريدة (المسيحية فى القرن العشرين) التى تصدر بباريز تحت العنوان المذكور آنفا على ما تعريبه :

« قد اعتبر بعضهم الاسلام فى الهند قوة فى حالة تدهور ؛ وهذا خطا محض . فقد دلت الاحصاءات الأخيرة أن بالهند اليوم أكثر من سبعة وسبعين مليونا ونصف مليون من المسلمين ، وهذا العدد يفوق عدد السكان المسلمين فى بلاد العرب والعجم والترك ومصر وسورية وفلسطين مجتمعة . وقد زاد عدد مسلمى الهند فى السنين العشرة الأخيرة مليونين ونصف مليون نسمة . والعمل التبشيرى المسيحى لم يبلغ حده المرجو بين هؤلاء المسلمين ، رغما عن أن الفرص مواتية لنا فيها أكثر من مواتاتها لنا فى أى مكان آخر ، بسبب أن المرتدين من الهنود لا يجازون بالقتل . ومنذ أكثر من عشرين سنة يبث الهنود المسلمون دعوة قوية للاسلام خارج البلاد الهندية . وطلبة العلم منهم يحررون مئات من المجلات منها عـدد كبير يكتب باللغة الانجليزية ، ومنها ما يكتب بالفرنسية والالمانية . والهند هى البلاد الوحيدة التى ترسل دعاة الى اوربا وأمريكا وأفريقا ، ويستطيع دعاتها أن يباهوا نظراءهم بأنهم كانوا سببا فى إسلام شخصيات مشهورة كاللورد هيدلى وغيره . والمسلمون الهنديون هم الذين عملوا على إقامة المساجد فى برلين ولوندرة واستراليا والبرازيل والترينيتيه . وقد ترجموا القرآن الى الانجليزية والالمانية والهولاندية والصينية واليابانية ولغة أفريقيا الجنوبية ، وحلوا كل طبعة من هذه الترجمات بشروح وافية .

« ولكن الدعوة المسيحية لم تقف معقولة اللسان أمام هـذه الدعوة الاسلامية . فقد ترجمت التوراة الى جميع اللغات التى يتكلم بها المسلمون من الهنود . ووضعت مؤلفات دينية عديدة بتلك اللغات .

« وغير هذا فان الكنيسة الهندية المسيحية التى يبلغ عدد أتباعها اليوم (٥٩٦١٠٠٠) يزداد شعورهم يوما بعـد يوم بالتبعات الملقاة على عواتقهم حيال المسلمين . وقـد نجحت الدعوة المسيحية فيهم فتنصر منهم عـدد عديد . ففى الهند الجنوبية وحدها يوجد أكثر من مائتى قسيس انجيلى ومعلم كانوا فيما سبق مسلمين . وهـذه الدعوة للمسلمين تزداد العناية بتنظيمها على الدوام . ومن ذلك إصدار كتب جـديدة لهم سنويا ، وإعـداد مبشرين خاصين بهم متحلين بكل ما يجعلهم صالحين لمهمتهم هذه . وقد ثبت قبل كل شىء أن المسلمين المتنصرين يبذلون قصارى جهدهم فى استمالة إخوانهم السابقين فى الدين الى المسيحية » .

أرشيف مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا ما جاء بتلك الجريدة التبشيرية ، ومنه يتضح مبلغ اهتمام دعاة المسيحية بتنصير الشعوب الاسلامية ، وما يعتمدون عليه من الوسائل فى إنجاح مقاصدهم . وقد لفت نظرنا قولهم إنهم إنما يعتمدون على متنصرة المسلمين فى تغيير عقائد إخوانهم السابقين فى الدين ، وقد ساقوا فى عرض الكلام أن عدد المتنصرة من الهنود قد بلغ ستة ملايين نسمة إلا قليلا . وهو نجاح لهم عظيم إذا قيس بثمرات أعمالهم فى جميع بقاع الأرض .

وما كنا لنكترث لهذا النجاح الذى أصابوه لولا أن هدفهم تنصير المسلمين هنالك ، وهذا أمر يوجب الأسف الكبير ، ويدعو الى تعرف أسبابه والعمل على وضع حد له .

فمن أهم أسبابه الجهالة الضاربة بجرانها بين المسلمين فى تلك الأصقاع ، فهم لا يعرفون من الاسلام شيئا يعتد به ، ولا يساوون فى هذه الجهالة بدينهم حتى الوثنيين . وهذه الجهالة تعود التبعة فيها على المتعلمين منهم . فان هؤلاء لا يهتمون بأمر العامة إلا إذا أقبلوا إليهم فى المساجد مصلين ، ولكن يوجد بجانب كل مائة من مقيمى الصلاة ألوف لا يؤمون مجامع المؤمنين ، بل لا يحفظون فاتحة الكتاب . فهؤلاء مرعى خصب لدعاة الملل يسلطون عليهم مهرة أعوانهم من متنصرة المسلمين فيوحون إليهم زخرف القول غرورا ، ويغرونهم بكل ما تتوق إليه أنفسهم ، حتى يوقعوا نفرا منهم فى حبائلهم ، وهلم جرا ، لا يكلون ولا يملون . لأن المال يدر عليهم من جميع الجهات ، والطريق ممهدة لهم فى كل بقعة من بقاع الأرض ، والحماية مبسوطة عليهم فى كل مكان .

ومما قرأناه فى هذه النبذة وكنا نعرفه من قبل ان نقرأها ، أن للهنود ولوعا خاصا بنشر الدعوة الاسلامية فى البلاد الأجنبية ، وهم ينفقون فى ذلك أموالا ، ويقفون عليه أعمارا ، وهذا عمل شريف يشكرون عليه ، ولكن أولى منه بالاهتمام ، العناية بأبناء ملتهم الذين بسبب جهلهم قد وقعوا فى وثنية لا تفترق عن أية وثنية فى الهند ، وقد انتشرت بينهم باسم الدين عادات وتقاليد ساقطة لا تنتشر بين قوم إلا أوردتهم موارد الهلكة ، وقضت عليهم بالتدهور الى حضيض المهانة .

فلو أن هؤلاء القادة وعمالهم ممن يهرعون الى العواصم الأوربية بحجة نشر الاسلام ، يمنون باخوانهم فى الدين فينظمون لهم البعوث يرشدونهم ويعلمونهم ، ويجمعون لهم من فضل مالهم ما يؤسسون لهم به مدارس أولية لتثقيف عقولهم ، وتنوير أذهانهم ، وتقويم قلوبهم ، لكانت ثمرة هذا على الهنود خاصة ، وعلى المسلمين عامة أعظم قدرا ، وأبقى أثرا ، من الثمرة التى يصلون إليها من إدخال عدد محصور فى الاسلام من أبناء أوربا وأمريكا .

نعم على المسلمين أن يدعوا العالم كافة الى الاسلام بكل لغة وبكل بيان يصل إليه الامكان ، ولكن لا يجوز أن ينسيهم هذا واجباتهم نحو أبناء ملتهم ، وقد أصبحوا من انقطاع مدد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الهداية عنهم يرتعون فى حماة العادات والتقاليد التى تنافى الاسلام من كل وجه . فمن المناقض للمنطق أن يترك هؤلاء على ضلالهم ويرحل الى البلاد الأجنبية لدعوة أهلها الى الاسلام .

إن الكتاب الغربيين الذين نتألم من قراءة ما ينشرونه من التهم التى يوجهونها الى الاسلام ، إنما يصدرون فى كتاباتهم عن حالة عامة المسلمين لا خاصتهم . فمتى أقيم مولد من الموالد فى بلد هرع إليه كل من يوجد فى ذلك البلد من مراسلى جرائدهم ، وكتاب أقاصيصهم ، ومن سياحهم ، فماذا يرون فى هذه الاحتفالات غير ضروب الفجور تقام لها سوق رائجة حوالى المسجد ، وأوزاع من الغوغاء متوزعة على حالة حلقات للذكر يصيحون ويتمايلون ، ومن تلك الحلقات ما يقوم بينها رجال يزمرون أو يضربون الساجات أو يغنون ، وهذه الضروب من الرقص والصياح لا توجد إلا فى بلاد المتوحشين ، فيحكم أولئك الاوربيون بأن هذه الطامات من الاسلام نفسه ، ويزيدهم اعتقادا أنه من الاسلام ما يرونه من سماح البوليس بها ، ومن تردد معممين يشبهون علماء المسلمين عليها ، أو مرورهم غير منكرين ولا متبرمين بها .

وإذ كان الأمر على ما ترى فكيف لا يطمع دعاة الملل فى هداية هؤلاء الجاهليين الى مللهم ، وهم يعتقدون عقيدة راسخة أنها توصلهم الى خير مما هم فيه ؟

إن الاسلام دين أعلى مدنية يمكن أن يتخيلها الانسان تخيلا ، وقد طالب أهله بالقيام على سنة الكمال الذى ليس بعده مرمى لرام ، حتى إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يسمح لصاحب من أصحابه أن يرتكب ما ينافى هذه السنة فى موقف خطير . ذلك أنه وهو مهاجر الى المدينة كبر أحد أصحابه عند ما رأى معالمها بصوت جهير ، فآخذه النبى صلى الله عليه وسلم على ما فعل ، وقال له إن الذى تدعوه ليس بأصم ولا غافل ، إنه أقرب إليك من رأس ركابك . فهل نسمح نحن ، ونحن فى القرن العشرين ، وتحت أعين النقاد والمناظرين ، أن نرتكب باسم الدين ما لو حدث فى صدر الاسلام لقوتل مرتكبوه أو يعودوا لصراطه المستقيم ؟

إذا صدقت العزائم ، ونشطت الهمم لنشر الاسلام فى العالم ، وجب على المنتدبين لذلك أن يطهروا البيئة الاسلامية من أرجاسها . هذا فى ذاته واجب دينى أولى ، فان كان فساد هذه البيئة يعطل فى الوقت نفسه الدعوة الاسلامية وجب أن تضاعف الهمم لازالته لأن ضرره أصبح مزدوجا . وقد أنزل الله إلينا آخر الأديان وكلفنا أن ننشره فى العالم كافة ، فيجب علينا أن نتخذ كل ما يجب من الأهب للقيام بهذه المهمة على وجهها الأكمل ، ومن أوليات هذه الأهب إزالة كل ما يرتكبه المسلمون باسم الدين مخالفا له كل المخالفة . وقد تمهد لنا الطريق لاحداث هذا الاصلاح الجلل ، فان النفوس كلها تتوق الى اليوم الذى تجد فيه مواطن الاسلام ممثلة لجلالة أصوله ، وبعد مراميه ، حتى يصدق عليها قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تاريخ الادب العربي في العصر العباسي

النثر الفني (١)

لم يظهر في ميدان القصة في هذا العصر من المؤلفين من هو أقدر من عمرو بن بحر الجاحظ الذي استطاع أن يسيطر على المواد العربية القديمة، والمواضيع الأجنبية، ويجمع بينها وبين جميع العلوم الدينية والفلسفية المعروفة في هذا الوقت، وعرف كيف يصوغ معلوماته الواسعة ومعارفه الكثيرة في أطيب الأشكال وأقربها للتناول. لم يعرف بالضبط القومية التي كان يتبع لها الجاحظ بالنسبة الى أهله، ولكن من المؤكد أنه لم يكن عربيا أصيلا؛ وضع أساس حياته الدراسية كابن المقفع بالبصرة، حيث كانت العلوم القديمة والعلوم اللغوية والنحو في أزهى أوقاتها، بل وكانت تزدهر بها أيضا علوم العقائد الحرة التي نشطت في هذا العصر بفضل الآراء والأفكار المأخوذة عن الفلسفة الاغريقية، انكب الجاحظ بكلياته على هذه الدراسات وأسس له مدرسة دينية لم تلبث أن اختفت تحت ضغط الظروف السياسية، كما تلاشت جميع علوم العقائد الحرة في هذا الوقت، وبنى الجاحظ شهرته الأدبية على ما اكتسبه في الناحية العلمية التي ظهرت فيها موهبته الممتازة في اجتماعات كانت تعقد بأحد الجوامع الكبيرة بالبصرة، ولو أن أول نجاح أدبي صادفه في حياته إنما يعزى في الواقع الى أحد مؤلفاته الدينية السياسية عن الامامة، اكتسب بها رضاء الخليفة المامون، وكانت سببا في استدعائه الى بلاطه، وبقى كذلك في ذروة مجده في عهد الخليفة المعتصم والواثق من بعد المأمون، حائزا رضاء وزيرها ابن الزيات وتأييده؛ وكان يقيم الجاحظ بين آونة وأخرى في بغداد، وفي مقر الخلافة الصيفي «سر من رأى»، وتنقل كثيرا في غرب البلاد الاسلامية حتى وصل الى دمشق وإنطاكية، فلما ولى المتوكل الخلافة على المسلمين، وعزل جميع وزراء الخلفاء السابقين وأمر باعدامهم، أصبح الجاحظ مهددا في حياته لما عرف عنه من إخلاص لأولياء نعمته، ولكنه تمكن من اكتساب ثقة أحمد بن أبي دواد قاضي القضاة، فأمنه على نفسه ووقاه شر الانتقام، ثم استطاع أن يكتسب له ثقة الخليفة ورضاه عنه، الى أن رضى به مربيا لأولاده، ولكنه عدل أخيرا عن رأيه، وقضى الجاحظ بقية حياته في موطنه بالبصرة، وعاش حتى رأى تلاشي مدرسته الدينية التي أسسها، وتغلب السنية عليها، وأصيب أخيرا بشالل نصفي توفى على أثره عام ٢٥٥ هـ.

لم يصل الى أيدينا شيء من مؤلفات الجاحظ الدينية السياسية، ولكننا نعلم أنها كانت تعالج التعاليم الاسلامية من الناحية التاريخية في أغلب المواضع، واشترك في المنافسات الأدبية

(١) تكملة المقال المنشور في العدد السابق مترجما من الالمانية نقلا عن كتاب «تاريخ الادب العربي» للمستشرق الالماني الكبير الاستاذ الدكتور «بروكلمان».

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التى أثيرت فى المفاضلة بين الأعجام والعرب ، فوقف مدافعا عن العرب ، كما كتب فى مدح مزايا الأتراك لما رآه من قوة الحرس الاجنبى الاسيوى الذى كان يكثر ببلاط الخلفاءفى عهده ، وكان يعتبرهم عماد الخلافة ، وكان كثير الاهتمام بوصف الشعوب مما جعله يضع مؤلفا هاما فى البلدان ، كما وضع كتابا آخر فى الحيوان يعتبر أهم مؤلفاته التى بقيت حتى العصر الحاضر ، وامتاز هذا الكتاب — فضلا عن كونه يعنى بالناحية العلمية — بأنه يبين علاقة الانسان بالحيوان مستشهدا بشعراء العرب القدماء ، ولم يقتصر فى كتابه هذا على وصف الحيوانات الثديية الكبيرة بل إنه كان كذلك كثير الاهتمام بوصف الاحياء الصغيرة ، مستشهدا بها على المعتقدات الدينية . ومن مؤلفاته الهامة التى تسترعى اهتمامنا على وجه خاص ما كتبه عن طبقات الهيئة الاجتماعية ، ولم يبق من هذه المصنفات إلا ما وضعه عن البخلاء ، فاننا بفضل هذا الكتاب استطعنا أن نكسب فكرة قيمة عن أحوال الحياة فى المدن الكبيرة . وكانت تظهر مقدرته فى أسلوب الكتابة الرشيق فى كثير من مؤلفاته الصغيرة ، كما كانت هذه الرسائل تثبت براعته الممتازة وموهبته الفائقة فى التحدث الى القارئ فى مواضيع مسلية تنم عن معرفة غزيرة . وفى أواخر أيام حياته وضع طريقة خاصة فى قواعد البلاغة، أوضحها فى كثير من الأمثال الشعرية والنثرية .

لم تكن شهرة مؤلفات الجاحظ وجمالها بسبب إحكام التنسيق وترتيبها وتنظيم أبوابها وموضوعاتها ، بل إنها كانت فى الغالب على عكس ذلك بالمرة من هذه الناحية التى بلغت عدم العناية بها درجة الاهمال ، وإنما يرجع شغف الناس وتعلقهم بها ، الى كثرة موضوعاتها وتعدد موادها وتفصيلها ، مما يدعو القارئ الى التفكير ويزيد من تسليته ، وكانت على العموم على جانب عظيم من المعلومات المفيدة والمعارف النفيسة ، وكما نسب الجاحظ بعض مؤلفاته الأولى باعترافه الى مشاهير العلماء القدماء ، فان كثيرين من تلامذته ومقلديه قد نسب الكثير من مؤلفاتهم اليه ،خصوصا ما كان منها يشبه تعاليمه واتجاهاته الفكرية ، وأشهر هذه المؤلفات كتاب « المحاسن والاضداد » وفى هذا الكتاب كان يدور البحث حول بعض المسائل التاريخية والأدبية والخلقية من ناحيتين متضادتين ، ولقد ذاع هذا الضرب من الكتابة والتأليف بعد ذلك ذيوعا واسعا فى ميادين الأدب المتأخرة ، ولقد بقى حتى العصر الحاضر أحد المؤلفات القديمة التى تشبه هذا الكتاب فى كثير من الوجوه وطرق البحث فى موضوعه وضعه ابراهيم بن محمد البيهقى فى عصر خلافة المقتدر عام ٣٠٨ هـ .

كان الجاحظ يمتاز فى مؤلفاته بمقدرته الفائقة على الجمع بين العناصر التعليمية والروائية والدينية وربطها جميعا برباط وثيق ، دون أن تتأثر إحداها بالأخرى ، ولقد تمكن معاصره الأصغر أبو بكر بن أبى الدنيا من محاكاته فى هذا المضمار ، وأفلح الى حد بعيد جدا ، إلا أن الناحية الدينية كانت تغلب على غيرها فى الظهور فى مؤلفاته ، ولد هذا الكاتب عام ٢٠٥ هـ وكان من أنصار الأمويين ، إلا أنه استطاع كسب رضاء العباسيين وعفوهم ، وتدرج فى أعماله

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأدبية الى أن اتخذ مدرسا خاصا للخليفة المقتدر ، وتوفى عام ٢٨١ هـ ، وله مؤلفات هامة ، إلا أن أهم أعماله وأشهرها مجموعة القصص الروائية الدينية التى تعالج بعض المسائل الخلقية .

نسج على منواله من بعده، بما يقرب من مائة عام، محسن التنوخى المولود بالبصرة عام ٣٢٧هـ، وكان أبوه من القضاة الذين اشتغلوا بالأدب ، فاختار له طريقه فى الحياة ، الى أن شغل مركز القضاء فى نواح عديدة من العراق وبلاد الفرس بعد أن قضى مدة مرانه ببغداد ، وتوفى عام ٣٨٤ هـ ، وبقيت من مؤلفاته مجموعات عديدة لنوادر وفكاهات العباسيين ، وقصة روائية فى الفرج بعد الضيق ، ولقد عالج ابن أبى الدنيا هذا الموضوع من قبله ، وكتب فيه كذلك من قبله المؤرخ المشهور الميدانى ، واشتهر هذا الموضوع من بعد ذلك شهرة واسعة ، فكان مادة غنية للمؤلفين المتأخرين ، كما كان الحال فى المؤلفات التى تبحث المسائل من ناحيتيها المتضادتين .

والى جانب هذه المؤلفات الروائية التى عرف أشخاص واضعيها فى ميادين الأدب ، ظهرت ناحية أخرى فى الأدبيات العربية ، زاخرة بالقصص والحكايات الخرافية التى حاكتها أقلام قصصيين محترفين ومحدثين مجهولين فى عالم الكتابة والتأليف ، وللاسف لم يبق من أغلب هذه المؤلفات مباشرة حتى العصر الحاضر سوى أسمائها ، وكان من السهل تمييز القصص والحكايات التى ترجع الى أصل فارسى أو هندى من تلك التى اشتقت من الحياة العربية ، أو أخذت من حكايات العرب القديمة من بين تلك المؤلفات القصصية العديدة ، فالى المواد الأجنبية — وعلى الأخص الى القصة الفارسية — ترجع مجموعات الحكايات المعروفة باسم ألف ليلة وليلة ، ومما لا شك فيه أن الصيغة التى نراها الآن فى النسخة التى بين أيدينا ترجع الى عصور متأخرة عن ذلك العهد ، وإلى هذه القصص الأجنبية ترجع حكايات مغامرات البحار والأسفار الجميلة التى تمثلها حكاية السندباد البحرى التى ضمت فيما بعد الى قصص ألف ليلة وليلة .

وأما القصص العربية التى لا شك فى أصلها أو اشتقاقها من المواد العربية القديمة أو المواضيع الحديثة ، فهى القصص الغرامية العديدة ، كتلك التى رويت عن التاجر الكوفى على بن آدم وجاريته منهل ، وقد بقى جزء من موضوع هذه القصة معروفا حتى العصر الحاضر . ومن الموضوعات التى اهتمت بها القصص والحكايات العربية الأصلية ، تمجيد حياة التنقل وعدم الاستقرار ، ولقد بلغت فى المقامات أعلى درجات النصر ، واشتهرت كذلك بين القصة العربية حكايات البغدادى أبى القاسم التميمى ، التى وضعها أبو المطهر الأزدى فى القرن الثالث للهجرة .

انتشرت هذه الحركة الأدبية حتى عمت غرب البلاد العربية ، فظهر فى القيروان بشمال إفريقية ابن الرقيق ، ووضع مؤلفاً فى الخمر حث يبين فيه ما للخمر وما عليها مستشهداً بالأشعار والفكاهة .

وكان يمثل هذا الاتجاه فى الأدبيات العربية ببلاد الأندلس احمد بن عبد ربه المولود

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بقرطبة عام ٢٤٦هـ ، ووضع كتاباً اسمه العقد الفريد ، عبارة عن مجموعة جريئة شاملة لجميع مواد السمر ومواضيع التسلية ، دون ذكر مصادرها الحقيقية . وقد توفى سنة ٣٢٨ هـ

وأما فى شرق البلاد العربية فكانت مقامات الهمذانى هى المثال الأعلى الذى اتخذه أغلب كتاب النثر فى الأدبيات العربية ، وعليها اعتمد النثر الفنى فى تطوراته فى نواح عديدة ، فظهرت مقامات الحريرى التى فاقت سابقتها فنا وعاتها فكرة ، فكانت هى الأساس الحقيقى الذى بنيت عليه الشهرة العالمية للمقامات ؛ ولد أبو محمد القاسم الحريرى عام ٤٤٦ هـ بالبصرة ، وورث عن أبيه ضيعة نخيل بجوار موطنه ، كفته عناء الكسب بطريق الأدب وكفلت له حياة علمية حرة . وضع الحريرى كل اهتمامه فى الدراسات اللغوية ، فأنتجت مواهبه كتابا شعريا فى النحو العربى ، ورسالة فى غلطات كلام العامة ، ثم وضع بعد ذلك من المقامات خمسين ، شهدت له بموهبة ممتازة ، وسيطرة فائقة على أساليب اللغة ودقائقها ، حدثنا فيها عن أبى زيد السروجى وكان ملما بفنون اللغة ، محيطا بطرائفها الفكاهية ، فسرد حياته ووقائعه الخداعية فى أشعار جميلة ، وعبارات رشيقة .

لم يكن الحريرى فى منزلة الهمذانى فى الابتكار ، والتغلب على المواقف الحرجة بالفكاهة الطريفة ، وإنما فاقه فى تعدد التعبيرات وتلوينها بما يناسب الذوق الفنى الجميل .

وقد بلغ أثر الحريرى فى تطور الأدب العالمى فى هذا العصر مبلغا كبيرا ، وتسابق الكتاب الى تقليده والنسج على منواله ، ولم يكن كتاب اليهود باسبانيا ، وكتاب المسيحيين بالشام ، أقل تسابقا الى تقليده من كتاب البلاد الاسلامية على اختلاف لغاتهم ، وتوفى الحريرى عام ٥١٨ هـ .

وممن يستحقون الذكر فى هذا المقام ، القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى ، فكان أستاذا يقتفى أثره فى بلاغة أسلوب الرسائل ، وكان فى أول أمره وزيرا فى حكومة الفاطميين ولكنه انضم الى صلاح الدين ، واستطاع أن يحتفظ بمركزه فى الوزارة ، وفى أثناء حملة الشام ، نصب حاكما على مصر ، وتوفى عام ٥٩٦ هـ ، ولا زالت بعض رسائله باقية حتى العصر الحاضر .

وأما فى بلاد الاندلس فكان أكثر ظهور الأسلوب البليغ فى الرسائل والخطابات ، وأول من ظهر من كتاب هذه البلاد فى ميدان النثر الفنى ، احمد بن زيدون ، الذى جعل كل اهتمامه فى إدخال هذا الأسلوب على الرسائل الخاصة ، على عكس التطور الظاهر فى شرق البلاد الاسلامية من إدخال هذا الأسلوب أيضا على المكاتبات والوثائق الرسمية . ولد ابن زيدون بقرطبة عام ٣٩٤ هـ ، وكان يميل الى الأدبيات ، وكان أبوه من أثرياء المدينة مما أتاح له الفرص فى شبابه لمعاشرة الطبقات العالية ، فتعرف بابنة الخليفة الأموى المستكفى بالله « ولادة » وأولع بحبها ، فكانت علاقته بهذه الأسرة - بعد قتل الخليفة عام ٤١٦ هـ - مما وضعه موضع الريبة عند جهور

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحاكم الجديد ، فأمر باعتقاله ، فبعث من سجنه إلى ابنه رسالة يرجوه التوسط لدى أبيه للعفو عنه ، فكانت هذه الرسالة نموذجا رائعا فى النثر الفنى ، واليها يرجع الفضل الأول فى شهرته الأدبية .

ولكنه لم ينل ماطمع فيه من العفو ، وتمكن بعد ذلك من الهرب ، فلما ولى ابن جهور خلفا لأبيه استدعاه وأسند اليه الوزارة ، ولكن لم تدم سعادته بقرطبة طويلا ، إذ اتضح للأمير علاقته المريبة بحكام ملقة ، فذهب الى المعتضد فى اشبيلية ، فأسند اليه الوزارة وولاه رياسة الجنود ، وتمكن من الاحتفاظ بمنصبه فى عهد خليفته المعتمد ملك الشعراء الى أن توفى عام ٤٦٣ هـ ، ومن آثاره الشعرية التى تستحق الذكر قصائده الأندلسية التى يدعو فيها المسلمين الى الجهاد ضد الكفار لتحرير إسبانيا من سيادتهم .

كانت المجهودات الأدبية فى هذا العصر ، حافلة بالمجموعات والمختارات التى تبين النواحى المختلفة فى الحياة الانسانية بواسطة رواية القصص والحكايات ، والاستشهاد عليها بالأشعار الجميلة ، كما كان يفعل الجاحظ وابن قتيبة ، فاذا قدرت قيمة هذه المؤلفات وفضلها على الأدب لوجدنا أنها قليلة فى ذاتها ، حيث إن المؤلفين كانوا فى أغلب الأحيان يكتفون بوضع مواد من سبقهم فى ترتيب جديد ، فاذا كان عملهم هذا سببا فى ترك بعض المؤلفات القيمة القديمة ، فاننا بالرغم من ذلك مدينون لهم بالشكر لانقاذهم موضوعات هذه المؤلفات وموادها .

وبعض هذه المؤلفات الجديدة ــ التى بلغت فى هذا العصر عددا كبيرا ــ يعتبر مثالا لأعمال هذه الطبقة من الأدباء ، وأهمها المجموعة التى وضعها أبو بكر السراج المتوفى ببغداد عام ٥٠٠ هـ ، وكانت تجمع الاشعار والاخبار عن الحب والمحبين ، فى صورة القصص التى كانت معروفة فى عصر الأمويين ، وأوائل العصر العباسى ، ولقد حازت هذه المجموعة شهرة واسعة ، وذاعت ذيوعا كبيرا ، فتولى بعض الأدباء المتأخرين إعادة إخراجها ونشرها بعد ذلك فى عصور مختلفة .

ولقد سار على نهجه من بعده محمد بن زفر المتوفى بموطنه فى صقلية عام ٥٦٥ هـ ، نشأ بمكة وبها أتم دراساته ، ورجع الى صقلية حيث قضى بقية حياته ، وأهم أعماله الأدبية المعروفة كتابه المهدى الى محمد بن أبى القاسم القرشى حاكم صقلية ، وهو عبارة عن مرآة الأمراء فى خمسة أجزاء يبين فيه المؤلف واجبات الحكام الهامة بناء على أحكام القرآن مستشهدا بأقوال الشعراء والقصص الخرافية ، وله مجموعة أخرى أهداها الى الأمير نفسه جمع فيها كثيرا من الفكاهة والنوادر الطريفة المنقولة عن الرواية الفارسية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تحاكم الشعراء

تحدثت فى مقال سبق عن مجتمعات العرب العامة وأسواقهم التى كانت مدارسهم الأدبية ، وما كان لها من الأثر فى تهذيب الشعر العربى ، وإثارة التنافس بين الشعراء ، والآن سأتحدث عن نوع من التحاكم الخاص لا يقل أثرا عن المجتمعات العامة ، وهو فوق ذلك مظهر من مظاهر النقد الأدبى القائم على بداهة السليقة الفنية دون أن يرجع الى قواعد علمية ثابتة :

للأسواق والأندية العربية أوقات مخصوصة ، وأمكنة معينة ، يجتمع فيها الناس تبعا لمقتضيات الأحوال ، ولكن الاحتكاك بين الأدباء والشعراء مستمر لا ينقطع ، وثائر لا يهدأ ، فقد يجتمع شاعران أو عدة شعراء وتاج بينهم الخصومة ويشتد النزاع فى أشعر الشعراء ، وأجود بيت قالته العرب ، ونحو هذا مما يدور حول النظرات الخاطفة ، فتدعو الحاجة الى حكم فيصل يقضى فى ذلك النزاع ، فيحتكمون الى ناقد أدبى ، وحاذق بصير يذهب قوله فى الناس حجة لا تنقض ، وقد حفظ تاريخ الأدب العربى من هذا النحو شيئا كثيرا .

ومن أشهر شواهده فى العصر الأول قصة « أم جندب » زوج امرىء القيس ، فقد تحاكم اليها — فيما تقول الرواية — زوجها امرؤ القيس ، وعلقمة بن عبدة المشهور بعلقمة الفحل ، قال المرزبانى فى الموشح : تنازع امرؤ القيس بن حجر وعلقمة بن عبدة فى الشعر : أيهما أشعر ؟ فقال كل واحد منهما : أنا أشعر منك ، فقال علقمة : قد رضيت بامرأتك أم جندب حكما بينى وبينك ، فحكماها ، فقالت أم جندب لهما : قولا شعرا تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة وروى واحد ، فقال امرؤ القيس :

خليلى مرا بى على أم جندب لنقضى لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة :

ذهبت من الهجران فى كل مذهب ولم يك حقا طول هذا التجنب

فأنشداها القصيدتين ، فقالت لامرىء القيس : علقمة أشعر منك ، قال : وكيف ؟ قالت : لأنك قلت :

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك فى زجرك ، ومريته بساقك فأتعبته ، وقال علقمة :

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فأدرك فرسه ثانيا عنانه ، ولم يضربه بسوط ، ولم يتعبه . فقال امرؤ القيس : ما هو بأشعر مني ، ولكنك له عاشقة .

هذه قصة طريفة تحلو بها المسامرات فى مجالس الأدب الخفيف ، ولكن البحث العلمى فى تاريخ الأدب يقف أمامها موقف الشاك ، بل موقف العجب والدهشة ، لأن « أم جندب » هذه التى زعموا أنها حكمت بين هذين الشاعرين الفحلين لا يعرف عنها تاريخ الأدب — فيما أعلم — شيئا غير هاته المحاكمة الغريبة التى لو صحت لكانت من أسطع الأدلة على وجود النقد الأدبى بمعناه الفنى فى أواخر العصر الجاهلى ، وهذا ما لم يثبت تاريخيا ، ولو صحت لكانت دليلا قاطعا على أن « أم جندب » هذه من أنقد وأعلم العرب رجالا ونساء ، كيف وليس لها فى الأدب العربى ذكر أو أثر معروف غير هذه الحكاية ؟

ومما يوهن أمر هذه القصة أمام البحث ، ما تضمنته من توجيه فنى للنقد ، وما اشترطته على الشاعرين من توحيد الغرض والقافية والروى حتى تتم الموازنة بين المعانى والأسلوب والرنين الموسيقى ، وهذا مما لم تألفه السليقة العربية فى أواخر هذا العصر لدى ذوى النهى من رجالات العرب وشعرائهم ، فضلا عن أم جندب التى يضن عليها تاريخ الأدب بوضعها فى غمار أديبات العرب وشواعرهم فما بالك بنقادهم ؟ وقد أبنا سابقا ما روى من هذا النحو فى قصة النابغة وتحكيمه فى سوق عكاظ .

على أن رواة الأدب يختلفون فى صحة هذه المباراة بين امرىء القيس وعلقمة ، بل فى صحة نسبة الشعر إليهما ، فصاحب الموشح يقول : إن عبد الله بن المعتز ذكر هذا الحديث فيما أنكر من شعر امرىء القيس ، وقال بعض الباحثين من أساتيذنا : وينبيك باختلاف الرواة فى شان هذه المباراة أن أحمد بن عبيد يقول : كان ابن الجصاص وحماد يرويان :

ذهبت من الهجران فى كل مذهب لامرىء القيس ، وكان المفضل يرويها لعلقمة

وهذا ابن منظور فى لسان العرب تعرض للموازنة بين الشعرين ولم يشر الى قصة أم جندب أية إشارة ، وأبو هلال العسكرى فى الصناعتين يقول : ومما أخذ على امرىء القيس قوله : فللسوط ألهوب الخ ، فلو وصف أخس حمار وأضعفه ما زاد على ذلك ، والجيد قوله :

على سابح يعطيك قبل سؤاله أفانين جرى غير كز ولا وان

وما سمعنا أجود ولا أبلغ من قوله : أفانين جرى ، وقول علقمة الفحل : فادركهن ثانيا من عنانه الخ ، فادرك طريدته وهو ثان من عنانه ، ولم يضربه بسوط ، ولم يمره بساق ، ولم يزجره بصوت .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فأين هى أم جندب فى هذا الحديث ، فهل من المقبول أن يكون هذا النقد لها ولا يشير أبو هلال الى ذكرها أية إشارة ؟ والواقع أن امرأ القيس أشهر فى وصف الخيل ، فهو أجدر بقصب السبق من صاحبه ، وبيته الذى ساقه أبو هلال يعطينا صورة لاقتدار هـذا الشاعر على الابداع والسبق فى هذا المضمار .

ومن مظاهر النقد الأدبى الذى يتمشى مع السليقة العربية ما رواه الأصمعى أن رجـلا أتى الأبيرد بن المعذر الرياحى وابن عمه الأحوص الشاعرين يسألها قطرانا يهنأ به إبله ، فقالا له : على شريطة أن تنشد سحيم بن وثيل الرياحى هذا البيت :

فان بداهتى وجـراء حول لذو شق على الحطم الحرون

وغرضهما أن يستطلعا ما بقى من قوته على عمل الشعر ، فلما أنشده أخـذ سحيم عصاه وانحدر فى الوادى يقبل ويدبر ، وجعل يهمهم بالشعر ، ثم قال : اذهب فقل لهما :

فان علالتى وجـراء حـول لذو شق على الضرع الظنون
أنا ابن العز من سلفى رياح كنصل السيف وضاح الجبين
أنا ابن جـلا وطـلاع الثنايا متى أضع العمامـة تعرفونى
وإن مكاننا من حـميرى مـكان الليث من وسط العرين

فى أبيات كثيرة ، فلما بلغهما شعره أتياه فاعتذرا إليه ، فقال : إن أحدكم لا يرى أن يصنع شيئا حتى يقيس شعره بشعرنا ، وحسبه بحسبنا ، ويستطيف بنا استطافة المهر الأرن . فقال له : فهل الى النزع من سبيل ؟ فقال : إنا لم نبلغ أنسابنا .

فانظر الى قول سحيم : حتى يقيس شعره بشعرنا تجد به ضربا من ضروب الموازنة ، وهى من فنون النقد الأدبى ، وهى هنا موازنة إجمالية تتناسب مع السليقة ، بعيدة عن التفصيلات المنطقية التى تخرجها عن سذاجتها . ومن ثم اختلفت أجوبة النقاد القدامى عن السؤال الواحد ، روى محمد بن سلام الجمحى أن سائلا سأل الفرزدق : من أشعر الناس ؟ قال : ذوالقروح ، قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول :

وقاهم جـدهم ببنى أبيهم وبالأشـقين ما كان العـقاب

وسئل مرة من أشعر العرب ؟ فقال : بشر بن أبى خازم ، قيل بماذا ؟ قال : بقوله :

رهـين بلى وكل فتى سـيبلى فشقى الجيب وانتحبى انتحابا

وروى أن الحطيئة قال : أخبروا أهل الشماخ أنه أشعر الناس بقوله :

إذا انبض الرامون فيها ترنمت ترنم ثـكلى أوجعتها الجنائز

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ثم قال : أخبروا أهل ضابئ أنه أشعر الناس حيث يقول :

لكل جديد لذة غير أنني وجدت جديد الموت غير لذيذ

ثم قال : أخبروا أهل امرئ القيس أنه أشعر العرب بقوله :

فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

ثم قال : أخبروا الأنصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول :

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

وشأن هذا الاتجاه فى الاستحسان كثير فى الأدب العربى ، ولا سيما فى عصوره الأولى قبل أن تدون فنون النقد وعلوم البلاغة ، ولعل منشأه سرعة الاحساس بمكان الجمال من البيت ، أو يكون المعنى أصاب من الناقد المستحسن موافقة داخلية كان يتطلب التعبير عنها فلما وجده لغيره فضله وارتفع به عن جميع ما سواه ، أو هم يقصدون أن صاحب هذا البيت أشعر الناس فى هذا المعنى ، ولا يريدون أنه أشعرهم إطلاقا ؟

صادق ابراهيم عرجون

سياسة الاخوان

قال حكيم : لا تكثرن معاتبة إخوانك فيهون عليهم سخطك .

وقال منصور النمرى :

أقلل عتاب من استربت بوده ليست تنال مودة بعتاب

وقال بشار بن برد :

إذا كنت فى كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
وإن أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
فعش واحدا أو صل أخاك فانه مقارف ذنب مرة ومجانبه

وأنشد ثعلب :

إذا أنت لم تستقبل الأمر لم تجد بكفيك فى إدباره متعلقا
إذا أنت لم تترك أخاك وزلة إذا زلها أو شكتما تتفرقا

هذا القول من الحكمة بمكان ، فان كل إنسان لا يخلو من نقائص خلقية تبدر منه بغير تكلف ، فاذا وقف لها صديقه بالمرصاد فعاتبه على كل بادرة منها ، اضطر الآخر أن يتربص به الهفوات مما يصدر منه ولا يفطن اليه ، فيكثر بينهما التلاحى ، فلا يلبثان أن يتفرقا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المطالب العالية فى النفس الناطقة

وصلتها بالانسان

لعل القراء قد تبينوا على هدى النظريات التى اقترنت بالبحث السابق مبلغ الخلاف القائم بين القوم ومعارضيهم من أصحاب المذاهب الأخرى فى بقاء النفس بعد فساد البدن أو عدم بقائها. وقد أسلفنا أن أصح النظريات العلمية مااعتنقه القوم من بقاء النفس بعد خراب البدن وفساده مما لا يجد الباحث المتعمق عنه غنى .

واليوم نحاول أن نعرض لنظرية تعتبر من متممات هذا البحث ، وهى :

هل النفس مدركة للـكليات والجزئيات جميعا ، أوأنها مدركة للـكليات دون الجزئيات ويكون مدرك الجزئيات على هذا الرأى إنما هى الحواس ؟

إن المحققين من الفلاسفة والحكماء اختلفوا مع جمهرة من المتأخرين منهم فى أن النفس مدركة للـكليات والجزئيات جميعا أو أنهامدركة للـكليات ومدرك الجزئيات إنما هى الحواس. فقد ذهب الحكماء الى أن النفس مدركة للـكليات والجزئيات ، إلا أنها تدرك الـكليات بنفس ذاتها لا بآلة من غيرها ، وتدرك الجزئيات بواسطة آلاتها . وعليه فيكون مدرك الجميع هو النفس . وقداستدلوا عليه . بوجوه كثيرة نجتزئ بأولاها بالرعاية وأجدرها بالتقدير:

قالوا أولا : لا خلاف بين الخصوم فى أن كل أحد من الناس لا يشك فى أنه واحد ، وأنه هو الذى يسمع الأصوات ويبصر الألوان والأشكال ، ويدرك الوجدانيات والمعقوليات ، فلو كان لـكل نوع من المحسوسات مدرك ولـكل نوع من المعقولات مدرك آخر لم يكن ذات المدرك المشار اليه بأنا مدركا للجميع ، وذلك خلاف المشاهد بل خلاف ما يجده كل واحد من نفسه .

وقد نوقش هذا الدليل بأن التقرير على هذا الوجه لا ينفى أن الحواس هى المدركة . فهى تدرك المحسوسات ثم تؤدى ما أدركته الى النفس برعاية وأمانة طبيعية للعلاقة القائمة بينهما ، ضرورة استحالة إدراك النفس للمشاهدات والمعقولات من غير وسائلها المؤدية إليها . وأيسر ما يترتب على اتجاه الحكماء تعطل تلك الآلات وعدم صلاحيتها كوسيلة مؤدية الى النفس كل فى حدود وظيفته . وحينئذ يحصل للنفس الشعور بجميع ما أدركته السامعة والباصرة وسائر الحواس .

لـكن فريقا من المتقدمين دفع هذا التعقيب بأن النفس بعد أن تتلقى المعلوم بواسطة الحواس إن أدركت ذات المبصر وذات المسموع وكذا ذات ما تدركه سائر الحواس ، لزم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عن ذلك أن يكون إدراكنا للجزئي المعقول إدراكين ، وإبصارنا زيد مثلا إبصارين ، وكذا سائر المعقولات والمحسوسات ، والضرورة تشهد بخلافه ، وتؤكد ما ذهبنا إليه . وإن لم تكن نفسه هي المدركة بل تدرك أن الحواس مدركة فلا يكون واحد منا مبصرا وسامعا بل آلاته ، مع أنا نعلم بداهة أن كل واحد منا مبصر وسامع حقيقة لا تاولا ، وعليه تقوم المشاهدات الكونية ، والدلائل العالمية ، وأخبار الكتاب والرسل والأنبياء صلوات الله عليهم قائمة على وصف النفوس الناطقة بالتعقل والرشد والتدبر ، ويظهر ذلك فى قوله سبحانه وتعالى : « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها »

قال الامام الرازى فى كتاب المباحث المشرقية : العقلاء ببداهة فطرهم يعلمون أنهم يسمعون ويبصرون ويألمون ويلتذون ، فان جاز إنكار هذا العلم الأولى جاز بالتالى إنكار المحسوسات والمشاهدات . فثبت أن جوهر نفسك الذى هو أنت وأنت هو سامع ومبصر ومتألم وملتذ وعاقل وفاهم ورشيد ، وذلك مما لا منازعة فيه .

ثانيا : إنا نحكم بداهة بالكلى على أى جزئى مندرج تحته : نحو زيد إنسان . وكذا نحكم بسلب كل جزئى سواء أكان محسوسا باحدى الحواس الظاهرة أو الباطنة عن جزئى آخر كحكمنا على زيد المبصر مثلا فى أنه فى حقيقته مغاير لهذا الطعم فى كذا من المأكولات ، وغير هذا اللون فى كذا من المرئيات ، وغير هذه الرائحة فى كذا من المشمومات ، بل غير شخص تركب من صورتى الانسان والفرس ، وغير العداوة أو المحبة القائمتين به . فلا بد فينا من مدرك للكلى وجميع الجزئيات كما هو ظاهر ، ولا يمكن أن يكون ذلك قوة جسمانية اتفاقا بين الخصوم ، وبالتالى لا يمكن أن يكون ذلك كله من متعلق الحواس وداخلا فى حدود مددها ، فثبت أنها هى النفس دون الحواس ، فثبت المطلوب وهو أن النفس تعلم بذاتها الكليات والجزئيات .

ثالثا : إنه من المقرر فى الأذهان أن كل نفس متعلقة ببدن جزئى يقابلها تعلق التدبير والتصرف . وغنى عن البيان أن تدبير البدن الجزئى موقوف على العلم به من حيث إنه جزئى . وعلى العلم بفعل جزئى من حيث إنه جزئى يكون تدبير البدن والتصرف فيه من جهة ذلك الفعل ، ضرورة أن الرأى الكلى نسبته الى جميع جزئياته على السواء ، فلا يمكن على هذا الاعتبار أن يكون هذا الكلى مصدراً للبعض دون البعض الآخر ، فتكون النفس حينئذ مدركة للجزئيات كما هى مدركة للكليات ، وإلا كان إدراكها للكليات دون الجزئيات تحكما ليس له من المنطق مسوغ ، ولا من العقل موجب .

وقد نوقش هذا الدليل أيضا من الخصوم بانه يكفى فى تدبير البدن الجزئى تعقله وتعقل أفعاله الجزئية على وجه كلى متقيد بكليات عامة بحيث لا يكون ذلك الكلى مطابقا فى الخارج إلا لذلك الجزئى ، لكن تلك المناقشة ليس فيها جدوى منتجة ضرورة أن المحققين من الحكماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قد تضافروا على أن الحق أن النفس مدركة للكليات والجزئيات جميعا ، إلا أن إدراكها للجزئيات يكون بارتسامها فى آلة من آلاتها ، وهى إحدى الحواس التى تتأدى بها بخلاف الكليات فان تعقلها إياها إنما يكون بارتسامها فيها من غير واسطة تلك الآلات . والفرق بين مذهب الحكماء وبين خصومهم من المتأخرين واضح الظهور. وقد أسهب المعتنقون من الحكماء المتقدمين لهذا المذهب إسهابا مستفيضاً ، فعقدوا للتدليل على مذهبهم فصولا وأبوابا بسطوا فيها القول بسطا لايدع صولا لصائل ولا قولا لقائل ، لكن الباحث المستقصى لابد أن يكون بصيرا بنتيجة كل بحث ، ملما بحقيقة كل موقف على حدة . من أجل ذلك لم نشأ أن نجمع أدلة الشيخ الرئيس ومتابعيه فى بحث واحد ، ولم نشأ أن نعرض لما هو الحق بالدليل وما هو غير الحق بالدليل من تلك الآراء إلا بعد أن نجمع من كلا الفريقين تراثا صالحا نضعه بين يدى القراء ، ثم نتولى بعد ذلك المقارنة ثم التمحيص ثم ما هو الصواب منها وما هو غير الصواب ، فان لهذه البحوث صلة وثيقة بعالم المجردات من جهة ، وبعالم المادية من جهة أخرى . ولابد لنا فى خاتمة تلك البحوث إن طال بنا المدى أن نعرض لأعلى تلك المطالب العليا من قسم الالهيات مما سيجده القارىء خير تراث مثمر. فالى الأعداد التالية ، إن شاء الله .

عباس طه

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

نزاهة العلماء

كان أهل العلم من سلف هذه الأمة يرون أن كرامة العلم تقتضى أن يتنزه أهله عن المطامع المادية ، والرغائب الجسدانية ، لأن العلم فى ذاته ملك لايبلى ، وذخر لاينفد ، يستصغر بجانبه كل مطلب ، فاذا لم يدرك العالم هذه الحقيقة كان ذلك دليلا على أنه حمل العلم ولم يتكيفه ، فاذا لم يعطه الناس حقه من الاعظام فلا يلومن إلا نفسه . وقد أوجز القاضى على بن عبد العزيز صفات أهل العلم فقال من قصيدة :

يقولون لى فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما ... بدا طمع صيرته لى سلما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحمل الظما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة ... إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا ... محياه بالاطماع حتى تجهما

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تقرير بعثة الهند

— ٤ —

الحياة الجامعية فى الهند

لقد تقدمت الهند فى خلال العشرين السنة الأخيرة تقدماً باهراً فى حياتها الجامعية ؛ إذ أنشئت فى هذه السنوات القلائل -- فى حياة الأمم — اثنتا عشرة جامعة ، كما نظمت الجامعات الست القديمة تنظيما حديثاً ، مكن الطلبة من إجراء الأبحاث العلمية والأدبية لنيل الدرجات العليا (الدكتوراه) فى الجامعات الهندية ، بدلا من السفر الى الخارج .

ويقابل النمو الجامعى بارتياح فى الدوائر الوطنية فى الهند ؛ إلا أنه لا يخلو من نقد مر ، يوجهه اليه كثير من الأجانب ، إذ يقررون أن الحياة الجامعية فى تلك البلاد تتدرج بأسرع من حاجة البلاد نفسها ، ويدللون على صحة مذهبهم بانتشار التعطل بين متخرجى الجامعات ، وكذلك بضعف المستوى الجامعى فى الهند .

ويجيب المثقفون فى الهند ، وولاة الأمر المسئولون عن الحياة الجامعية ، على هاتين الملاحظتين : بأن التعطل بين خريجى الجامعات ليس بدعا فى بلادهم ، بل هو أمر يدل على رسوخ قدم التعليم الجامعى فيها ، وعما قليل تحل هـذه المشكلة باقبال المتخرجين على بعض الوظائف الصغرى ، التى لاتسيغها نفوسهم فى الوقت الحاضر . وقد ألفت لجان حكومية لبحث مشكلة التعطل بين المتعلمين ، فأسفرت بحوثها عن بعض العيوب فى تنظيم الجامعات ، وولاة الأمر آخذون اليوم فى معالجة الحال .

على أن عدد المتعطلين ليس من الكثرة بحيث يدعو الى كل هذا الذعر ؛ فقد دل إحصاء المتعطلين فى سنة ١٩٣١ على أن عددهم لايزيد عن ٢٠٤٣ متعطلا من حائزى الدرجات ، وهم موزعون على الوجه الآتى :

بكالوريوس علوم	٤٢	أستاذية آداب	١١٣
أستاذية علوم	٤١	بكالوريوس زراعة	٢١
بكالوريوس هندسة	٤٢	بكالوريوس تجارة	١١١
بكالوريوس آداب	١٣٧٠	حكماء شرقيون	١٥٤
إجازة الحقوق	١٤٩		

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من ذلك يتضح أن معظم المتعطلين ، هم من خريجى كليات الآداب ، وهذه حال لها ما يقابلها فى معظم دول العالم .

ولا يلفت النظر فى حال التعطل هذه إلا كثرة المتعطلين من خريجى كليات التجارة . وعلة ذلك أن البلاد لما تتعود أن تستخدم هؤلاء فى المرافق الوطنية الخالصة ؛ وهم لذلك لايجدون عملا إلا فى المصارف وأمثالها . ومما لاشك فيه أن البلاد سائرة فى طريق إدراك حاجتها الى هؤلاء .

أما العطل بين الأطباء (الحكماء) فانه يبدو غريباً لمن لايعرف الهند ؛ ذلك بأن الطبيب المعنى هنا ، ليس هو الدكتور الذى نعرفه فى مصر مثلا ؛ فالطب فى بلاد الهند نوعان : أحدهما غربى ينتسب الطالب الى كلياته بمثل ما ينتسب الى كليات الطب بأوربا ومصر ، ويدرس فيه العلوم العليا ، ويصير بعد نيل درجته (دكتوراً) ؛ أما الآخر فهو الطب اليونانى أو (الطب الشرقى) كما يسمونه هناك ، وينقطع له الطالب بعد نيل شهادة المدرسة المتوسطة ؛ وقد ينتسب إليه من لا يعرف اللغات الأجنبية ممن تعلم فى المدارس الوطنية . وفى هذه الكليات الطبية يتلقى الطلاب علوما نافعة للهند ، أساسها العلاج بالعقاقير المستخرجة من الأعشاب الهندية ، ويقوم الى جانبه طب آخر هو « طب الفيدا » المأخوذ من الكتاب المقدس عند الهندوس ؛ وقد يجمع الى كل من هذين بعض مبادئ الطب الغربى ، ولاسيما التشريح والأقرباذين .

وخريج هذه الكليات يسمى طبيبا (حكيما) . ولا تستخدمه الحكومة الافيما ندر ، وفى غير ما تخصص له ، ولذلك يعيش معظمهم على العيادات والصيدليات الملحقة بها ، يتناولون أجراً بسيطا عن تشخيص الداء ، وتقرير الدواء ، ثم يبيعون الدواء للمرضى من صيدلياتهم . وظاهر أن العطل جائز بين هؤلاء ، وذلك على الرغم من الخدمات الجليلة التى يؤدونها لبلادهم ، حيث توجد ملايين من المرضى لا يستطيعون دفع أجر طبيب على الطريقة الغربية .

هذا عن مشكلة التعطل بين المتخرجين . أما عن ضعف المستوى العلمى فى الجامعات ، فقد أسفرت لجان التحقيق عن اكتشاف عيب جوهرى فى الحياة المدرسية فى الهند : هو قلة المدارس الفنية المتوسطة التى يستطيع الطالب أن يلتحق بها إذا لم تساعده مواهبه على الاستمرار فى الدراسة حتى المرحلة الجامعية . وهى حالة شاذة تكاد تنفرد بها الهند من بين بلاد العالم التى عرفت التعليم الجامعى ، فليس العيب إذاً من الحياة الجامعية ، بل العيب فى نقص فرع من فروع التعليم ، هو التعليم الفنى المتوسط . وقد أدركت ذلك بعض الحكومات — وفى مقدمتها حكومة حيدر آباد — وهى لهذا جادة فى تلافى هذا العيب بانشاء المدارس الفنية المتوسطة .

على أن الهند قد أخرجت من جامعاتها طبقة من فطاحل العلماء ، هم فخر الحياة العلمية اليوم ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نذكر منهم على سبيل المثال : « السير جاجاديش بوس » الذى أدهش علماء الغرب ومفكريه ، واكتسب احترام الجميع ، بمكتشفاته العلمية ، ومنهم « السير رامان » الذى بهر أنظار العالم ببحوثه المعروفة بنتائج (رامان) ، ومنهم كذلك « الدكتور ساها » وهو ثالث هندى نال درجة زميل فى الجمعية الملكية البريطانية .

وإن ننس لا ننس فى ميدان الأدب : « السير رابندرانات تاغور » وما أحدثه من أثر رائع بكتاباته الأدبية وفلسفته العقلية ، كما أحرز شهرة عظيمة فى الهند ، كل من « الدكتور حكيم أجمل خان » ، و « الدكتور أنصارى » .

ولغة العلم فى معظم جامعات الهند هى اللغة الانجليزية ، نظرا لتعدد اللغات واللهجات ، وقد سبق القول أن بالهند اليوم ٢٢٥ لغة ، ترجع فى أصلها الى ستة أصول لغوية ، فكان من المتعذر أن توحد لغة الدراسة ، مما ساعد الحكومة على فرض اللغة الانجليزية كوسيلة للتعليم ، لأنها تعتبر وحدة تنتظم الجميع ، يتعلمونها من السنة الثالثة بالمدارس الابتدائية .

على أن نزعة قد ظهرت فى الهند حديثا ، ترمى الى تعليم العلوم باللغة الوطنية ، فقررت جامعة بنارس أن تكون اللغة الهندية (Hindi) لغة التعليم ؛ ولكنها لما تستطع أن تخطو خطوة عملية فى هذه السبيل ؛ لأن الطلبة يتلقون علومهم فى المدرستين : المتوسطة ، والعالية ، باللغة الانجليزية ، فليس من السهل أن يعدل عنها فى مرحلة التعليم الجامعى ، مع مسيس الحاجة الى المراجع - وكلها مؤلفة بالانجليزية - لذلك ترمى الجامعة الى تشجيع التعليم فى المدرستين : المتوسطة والعالية باللغة الهندية ، وتجد فى الوقت نفسه فى إصدار مؤلفات أو مترجمات بهذه اللغة ، لتحل محل المراجع الانجليزية فى المرحلة الجامعية ، وقد نجحت الى الآن بعض النجاح .

أما الجامعة التى نجحت فعلا فى هذه السبيل ، فهى الجامعة العثمانية التى تديرها حكومة حضرة صاحب السمو العالى « نظام حيدر آباد » . فقد فرضت — منذ إنشائها — لغة الأردو لغة للعلم فى الجامعة ، وأعدت العدة لذلك ، بأن جعلتها لغة المدارس المتوسطة والعالية ، وأنشأت إدارة للتأليف بها والترجمة إليها من اللغات الثلاث : الانجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، ويسرت للطالبين سبيل الحصول على هذه المؤلفات ، حتى تنتشر ، فتعم فائدتها .

وتنقسم الجامعات فى الهند الى ثلاثة أنواع :

جامعات حكومية : تديرها وينفق عليها من الميزانية العامة ، والانتساب إليها مباح لكل الطبقات ، والدراسة فيها لاتمس الدين لا فى قليل ولا كثير ، إلا أنه يجوز لأية طائفة دينية أن تنشىء كلية خاصة تتبع الجامعة فى إدارتها ، ويتقدم طلبتها الى الجامعة فى امتحاناتهم ، وتكون لادارة هذه الكلية الحرية فى إدخال العلوم الدينية فى مناهج الدراسة ، بشرط الاقتصار ... ة ، التى يمتحن فيها الطالب أمام الجامعة ، وفى مثل هذه الحال ، ترى ...

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن إنشاء هذه الكلية وأمثالها يخفف الضغط عن الجامعة الأصلية ، ويحل إشكالا من الاشكالات المعقدة ، هو اختلاط الطلبة المختلفي الديانات ، وما يجر إليه من مشكلات ، فتدفع الجامعة إعانة لهذه الكلية ، تساعدها على أداء رسالتها مع الاستقلال .

وقد شجع على إنشاء هذا النوع من الكليات ، اتساع مساحة الدوائر التى يشملها نفوذ الجامعات ؛ ففى جامعة البنجاب مثلا ، نرى أن نفوذها يمتد من بشاور وكشمير شمالا الى بها ولبور جنوبا ، ولذلك أصبحت الجامعة مكونة من ٥٣ كلية ، يبعد بعضها عن بعض مسافة قد يقطعها القطار فى يوم وليلة .

ومما يذكر للمسلمين فيشكر ، عناية أهل الشمال منهم بانشاء هذا النوع من الكليات ؛ فالكلية الاسلامية فى بشاور ، والكلية الاسلامية فى لاهور ، وكلية صديق إيجرتون فى بها ولبور ، وكلية إسماعيل بأندهيرى ، كلها تؤدى للمسلمين أحسن الخدمات فى الثقافة ، الى جانب الالمام باصول الدين الاسلامى ، وتشجيع الطلبة المدنيين على العناية بدينهم ، وتعويدهم أداء فروض الاسلام ، الى جانب العناية باللغة العربية وتشجيع الطلاب على اتخاذها مادة من مواد الامتحان . وإنا لنرجو أن ينتشر ذلك فى كثير من أرجاء الهند .

وكما اختص المسلمون ببعض الكليات ، اختصت الطوائف الدينية الأخر ببعض أيضا ؛ فنرى كثيرا من الكليات قد قام بانشائه واكتتب بمعظم المال اللازم لادارته الهندوس والسيخ . ومما يؤسف له أن وقت البعثة قد قصر عن زيارة هذه المؤسسات ، بعد أن وردتها دعوات من بعضها ، ولذلك يكاد يكون من المتعذر أن نوازن بين الحياة العلمية فى الكليات الاسلامية ، وبين ما يماثلها فى الكليات الأخر .

ومن الجامعات الحكومية ، الجامعة العثمانية بحيدر آباد ، أمر بتأسيسها حضرة صاحب السمو العالى « النظام » ، وهى لاتختلف عن الجامعات الحكومية إلا فى أن لغة (الأردو) هى واسطة التعليم فيها كما ذكرنا ، وثمة فارق آخر ، هو أن بالغ عناية سمو النظام ورجال حكومته بالدين الاسلامى ، قد قيضت لهم أن ينشئوا كلية دينية يتخصص فيها الطلبة ، فى علوم الدين الاسلامى من فقه وتفسير وحديث وغير ذلك ، مما يلزم لطالب العلوم الدينية .

ويشترط فيمن ينتسب لهذه الكلية أن يكون حاصلا على شهادة الماتريك — شانه فى ذلك شان بقية طلاب الجامعة — ولكن بشرط أن تكون اللغة العربية إحدى مواد الامتحان فى شهادته ، حتى يتيسر له الالمام بعلوم الدين وغيره من البحوث الاسلامية التى لايستطاع تحصيلها إلا بعد الالمام بأصول اللغة العربية وقواعدها .

ومما يسرنا تسجيله أن قوام التدريس فى هذه الكلية مجموعة من الأساتذة والمحاضرين ، أتم جلهم دراساته العالية فى مصر ؛ فنهم من تخرج فى الأزهر الشريف ، ومنهم من تخرج فى دار

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العلوم العليا ، ومنهم من تخرج فى كلية الآداب بالجامعة المصرية ، ومنهم من جمع بين اثنتين أو ثلاث من شهادات هذه المؤسسات .

جامعة عليكرة الاسلامية : ولقد كان من آثار اهتمام المسلمين بمستقبل أبنائهم ، أن قامت فى الهند منذ سنة ١٨٨٧ « جامعة عليكرة الاسلامية »

وقد نادى بضرورة تأسيسها المغفور له « السير السيد احمد خان » ؛ وكان رحمه الله من قادة الفكر ، فرأى بثاقب فكره أن مستقبل الجيل الاسلامى فى تلك البلاد يستدعى طريقا خاصة لتعليم المسلمين ، طريقا تجمع بين الحصول على الشهادات الرسمية للحكومة ، وإحراز قسط وافر من علوم الدين ؛ لذلك دعا الى تأسيس جامعة إسلامية تقوم على تربية النشء من أولاد المسلمين تربية جامعية ، مع الالمام بأصول الدين الاسلامى . ومما امتازت به هذه الجامعة ، قسم اللغة العربية والدين الاسلامى .

أما اللغة العربية ، فهى مادة اختيارية ، ولكن الجامعة تشجع على دراستها بمختلف الوسائل . وأما الدين الاسلامى فقد جعلت له حصص قبل بدء اليوم المدرسى ثم بعد انتهائه يحضرها من يشاء من الطلبة ، ولكنهم لا يؤدون فيها امتحانا .

وبالجامعة مسجد كبير يؤمه الطلبة للصلاة ، كما أن لكل مسكن من مساكن الطلبة مسجدا خاصا يؤمه طلبة المسكن للصلاة ، عند ما يكون الوقت غير ملائم للذهاب الى المسجد الكبير .

وقد استبسل « السير السيد أحمد خان » فى الانفاق على هذه الجامعة الاسلامية ، حتى ليقال إنه مات فقيرا معدما لم يترك لأولاده إلا الذكرى ، ولم يكن ليترك بابا من أبواب سراة المسلمين ، بل من أبواب فقرائهم ، إلا طرقه مستنديا الأكف لهذه الجامعة . وهاهى ذى الجامعة اليوم فى الهند ، تشيد بذكر مؤسسها الكبير ، وواضع نواة الاصلاح للبيئة الاسلامية .

ولا تستطيع أن تشعر وأنت تزور جامعة عليكرة ، بما لها من أثر اجتماعى خطير فى الهند ، إلا أنك لا تكاد تخرج من الجامعة حتى تلاقى شباب الهند المثقفين ، الذين احتلوا بحق أهم مراكز الحكم والحياة العملية ، وهم يتغنون ويفاخرون بأنهم « عليكريون » ، فتشعر بالأثر السحرى الذى كان لهذه الجامعة فى تخريج عدد من الرجال ، هم زهرة شباب الهند الاسلامية اليوم . وإذا كان كثيرون منهم قد تخصصوا بعد ذلك فى « كمبردج » أو « اكسفورد » ، فانهم لا يعنون بذكر ذلك بقدر ما يعنون بالمفاخرة بأنهم من خريجى جامعة عليكرة .

والرابطة العليكرية قوة تفوق مايماثلها من قوى فى الهند ؛ فلقد روى لنا أن الشاب إذا تخرج فى هذه الجامعة ، فما عليه إلا أن يطرق باب عظيم من عظماء المتخرجين فيها ، فتتفتح له أبواب العمل ، ولا يصعب عليه أن يحتل مركزا ، لا يلبث أن يكون فيه عظيما .

هذه هى جامعة عليكرة ، وهى وإن كانت لا تؤدى للدين من الخدمات بقدر ما تؤديه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الجامعة العثمانية مثلا ، أو المدارس الدينية المنتشرة فى أنحاء الهند (والتى سنتناولها الآن بالكلام) إلا أنها تعتبر حجر الزاوية فى ربط الشباب الاسلاميين المثقفين بعضهم ببعض ، وإن باعدت بينهم الاقامة وظروف الأعمال .

جامعة بنارس : وقد كانت جامعة عليكرة وما أصابت فى الماضى من نجاح صار مضرب الأمثال ، خير حافز للبيئة الهندوسية لأن تقتدى بها ، فتؤسس لها جامعة هندوسية فى بنارس ، تؤدى لها ما تؤديه جامعة عليكرة للبيئة الاسلامية .

فجامعة بنارس قد خرجت فكرتها الى حيز التنفيذ فى سنة ١٩١٧ ؛ أى بعد جامعة عليكرة بنحو ثلاثين سنة ، وبهذا أتيحت الفرصة لتلك أن تتفادى ماتعانيه هذه من نقص . ففى نظام الأبنية : كانت جامعة عليكرة كلما استطاعت الحصول على قطعة من الأرض بنت إحدى المؤسسات . أما جامعة بنارس فقد ابتاعت الأرض كاملة ، ثم رسمت لمبانيها خطة تجرى حتى اليوم على تنفيذها بالتدريج ؛ لذلك نرى المبانى فى بنارس أحسن تنسيقاً منها فى عليكرة .

أما عن حال الدراسة : فان جامعة بنارس قد اقتبست نظمها من أحدث جامعات العالم ، وعلى الأخص من أمريكا ؛ لذلك ترى نزعة الحياة فيها أقرب الى العملية منها الى النظرية . فى حين أن جامعة عليكرة — نظراً لقدم تأسيسها — تنحو نحو الحياة النظرية ، أكثر مما تنحو نحو الحياة العملية .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وكأن الرجال المسئولين عن جامعة بنارس ، قد أدركوا ناحية من نواحى الألم فى جامعة عليكرة ، وهى تضخم رواتب الأساتذة والمحاضرين ، فأعدت لهذه الحال عدتها ؛ بأن وضعت أساتذتها ومحاضريها — منذ البداية — فى مستوى أقل من مستوى أمثالهم فى عليكرة ، من حيث الرواتب ؛ وبذلك لم تستهدف فى الأزمة المالية الطاحنة الماضية لما استهدفت له عليكرة من الاضرار لانقاص رواتب المدرسين .

على أن كلا من الجامعتين : عليكرة وبنارس ، يعتبر مثلا أعلى فيما يجب على الشعب أن يقوم به فى سبيل تثقيف أبنائه تثقيفا وطنيا متحررا من القيود الحكومية ، فان الشعب يكتتب لكل من هاتين الجامعتين بالمال الكثير فى كل عام .

ويكفى ان نعلم أن ميزانية جامعة عليكرة تربى على ١٢٠ ألفا من الجنيهات ، لاتساهم فيها الحكومة إلا بمقدار ٢٠ ألف جنيه فقط ، فى حين تبلغ ميزانية جامعة بنارس حوالى ٨٠ ألف جنيه ، تدفع الحكومة منها قدر ما تدفع لجامعة عليكرة .

وبعد : فان مقياس النفع الذى تؤديه كل من هاتين الجامعتين للهند ، لا يقاس بميزانيتها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنوية ، ولا بمقدار ماتساهم به الحكومة فى تلك النفقات ، بل أجدر من ذلك أن يقاس بما نشهده من نشاط وطنى فى كل من هاتين المؤسستين .

مدارس المنبوذين :

وقبل أن نختتم الكلام على التعليم المدنى ، يجدر بنا أن نشير الى الجهود التى تبذل فى الهند لتعليم أبناء المنبوذين تعليما مدنياً .

فقد أنشأت الحكومة لهم مدارس خاصة ، عنيت بأن تجمع فى كثير منها : بين تعليم القراءة والكتابة باللغة الوطنية ، وبين صناعة لاتحتاج الى رأس مال كبير . وقد ساهمت الجمعيات التى تعمل على رفع مستوى المنبوذين فى افتتاح عدد غير قليل من هذه المدارس الابتدائية — سواء فى ذلك الجمعيات التى ولدتها حركة زعماء الهندوس لاصلاح حال المنبوذين ، أم الجمعيات التى نشأت فى بيئات المنبوذين بفعل زعمائهم .

ومما يجب أن يعتبر به المسلمون أن للمبشرين المسيحيين جهودا فى نشر التعليم بين طبقات المنبوذين ، الى جانب التبشير ، وهى جهود جبارة يقوم بها المبشرون منذ عشرات السنين .

وتقوم بعض جمعيات التبليغ بالدين الاسلامى ، بافتتاح مدارس ابتدائية فى أحياء المنبوذين ، حيث تلقن العلوم الابتدائية الى جانب مبادىء الدين الاسلامى . على أن بعض هذه المدارس يلقن هؤلاء الصغار مبادىء العلوم دون المساس بالدين ، حتى لاينفر المنبوذون الذين دخلوا هذه المدارس ؛ على أن أصحاب النظرية الثانية يأملون أن يتمكنوا من التطرق الى المواضيع الدينية ، حينما يحسون ارتياحا اليها : لدى الطلبة من ناحية ، وأولياء أمورهم من ناحية أخرى .

وقد شاهدنا فى حكومة « حيدر آباد » عددا من المدارس ، خصص لأبناء المنبوذين ، يعلمون فيها العلوم باللغة الوطنية ، والى جانبها بعض الصناعات الأولية ؛ ومع أن معلمى هذه المدارس من المسلمين ، فانهم لايعرضون لبحث المواضيع الدينية مع الأطفال ، حرصا على ألا يقال إن الحكومة تقوم بعمل « تبليغى » عن طريق التربية والتعليم .

المدارس الدينية الاسلامية :

لما كانت المدارس الابتدائية والمتوسطة والعالية — التى تديرها الهيئات الحكومية — ممنوعة من تعليم الدين ، ولما كانت العقيدة الاسلامية المتمكنة من نفوس المسلمين ، لاتسمح لهم باهمال هذه الناحية من نواحى تكوين الشباب وهى الدين ، فقد ندبت الأكف فى عامة أنحاء الهند بالتبرعات لانشاء مؤسسات علمية دينية خالصة لوجه الله ؛ لايبتغى منها منشئوها إلا وجه ربهم الكريم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فأينما سرت فى بلاد الهند ، سواء أكان الاقليم منطقة لقلة إسلامية ، أو لكثرة إسلامية ، وجدت هذه المدارس الدينية . وقد يطول بنا الشرح إذا حاولنا أن ندل على إحصائها ، أو وصف مسهب لحالها العامة ؛ إلا أننا نتناول بالبحث أهم ما شاهدناه منها :

تنقسم مراحل التعليم فى هذا النوع من المدارس أربعة أقسام ، تقابل أقساما أربعة . شرحناها فى الكلام على التعليم المدنى ؛ وهى : الابتدائى ، والمتوسط ، والعالى ، والجامعى .

التعليم الابتدائى

انفرد المسلمون فى الهند بهذا النوع من المدارس الابتدائية ، وهى مدارس يعلم فيها التعليم المدنى تقريباً ، يضاف الى ذلك : الالمام باللغة العربية عن طريق إقراء القرآن الكريم أو تحفيظه ؛ وهذه المدارس فى حالها اليوم ، أشبه ما تكون بالكتاتيب التى كانت معروفة فى مصر قبل مشروع التعليم الأولى ، وينفق على هذه المدارس أفراد ، وتعينها فى بعض الأحيان المجالس البلدية . أما فى الامارات التى يحكمها أمراء من المسلمين ، فان الدولة هى التى تنفق عليها .

ومن أمثلة هذه المدارس : المدرسة العبيدية فى بهوبال ، حيث شاهدنا أطفالا دون الثامنة من أسنانهم ، يجودون القرآن الكريم تلاوة من المصحف الشريف ، وفيهم حفاظ قليلون ؛ ومدة الدراسة بهذه المدارس خمس سنوات تنتهى بنيل شهادة « مؤدب »

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

التعليم الثانوى :

فاذا ما انتهى الطلبة من القسم الابتدائى ، ألحقوا بالقسم الثانوى ، حيث يزداد إلمامهم بعلوم الدين الاسلامى ، فيتلقون الحديث الشريف ، ثم الفقه على المذهب الذى تتخيره إدارة المدرسة ، ثم يزداد إلمامهم باللغة العربية ، فيقرءون الكتب الأولية فيها .

وكثيراً ما تجمع المدرسة الواحدة القسمين : الابتدائى والثانوى ، ومن أمثلة ذلك : المدرسة الأمينية بدلهى ، ومدرسة مظهر العلوم بكراتشى . أما المدرسة الرحمانية بدلهى فهى من هذا النوع ، ولكنها تعنى بدراسة الحديث واستنباط الفقه منه ، غير متقيدة بمذهب من مذاهب الفقهاء الأربعة ؛ ومدة الدراسة فى هذه المرحلة أربع سنوات تنتهى بنيل شهادة « مولوى عالم » .

(يتبع)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رسالة إصابة السهام والأسنة فى نحور منكرى كسب أهل السنة :

هـذه رسالة وضعها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الموقر الشيخ عبد العزيز الدباغ محمد عبد الماجد من أعيان علماء السودان بأم درمان . وهى كما يدل عليها اسمها تؤيد مذهب أهل السنة فى إثبات الكسب للانسان ، ومذهب أهل السنة وسط بين الجبرية والقدرية . فالمؤلف يبين كلا المذهبين بتحقيق دقيق ، وتحليل قويم ، ويثبت مذهب أهل السنة فى إثبات الاختيار والكسب للانسان .

فنشكر لحضرة المؤلف ما قام به من الخدمة العلمية ، ونرجو أن يوفقه فيما وقف له حياته من خدمة الدين ، وحياطته من البدع ، ونصرة شيعة الحق .

جمعية منع المسكرات :

لو تصدينا لتعداد ما تقوم به هذه الجمعية من ضروب المحاولات فى محاربة الخمر لاحتجنا لصحف كثيرة ، وكلها ترجع لهمة الأستاذ الجليل النابه أحمد غلوش افندى رئيسها العامل ، فهو لايدخر وسعا فى بث دعوته ، والتذكير بمهمته ، فى كل مناسبة حتى أشبه من هذه الناحية رجال الدعوات الاصلاحية من الأمريكان والانجليز ، ويصعب علينا أن نجد له ضريبا فى مصر .

لقد استكمل الأستاذ غلوش جميع صفات الدعاة من الثبات والاناة والبشاشة وحسن الالقاء واهتبال الفرص وعدم إضاعة مظنة من مظان النجح إلا بادر إليها فى غير تلهوق ولا نزق . ولو كان لدينا من أمثاله فى كل جمعية تقوم بدعوة لكان لذلك أثر كبير فى البيئة المصرية .

نقول هـذا فى مناسبة ذكر تقرير الجمعية عن أعمالها من يونيو سنة ١٩٣٥ الى مايو سنة١٩٣٧ وقد صدره بصورة بديعة لحضرة صاحب الجـلالة الملك وحضرة صاحب السمو الأمير الـكبير عمر طوسون وحضرة صاحب السعادة محمد طاهر باشا . وجعل فى أول مقدمته صورة لحضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا وكتب تحتها هذه الاسطر :

« حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا زعيم الأمة العظيم الذى تم على يديه إلغاء الامتيازات الأجنبية فى مصرنا العزيزة ، والذى وعد وفد الجمعية بالاهتمام بتحقيق مطالبها التشريعية بعد أن يتحقق للبلاد ما تصبو اليه من إلغاء تلك الامتيازات و إطلاق يد الشارع المصرى فيما ينبغى سنه من القوانين الـكفيلة بسعادة الوطن وساكنيه » .

فندعو للأستاذ الجليل غلوش افندى بالفوز بما يرمى إليه من هـذا الاصلاح العظيم ، وبأن يمده الله بالقوة والعون والتوفيق .

وكيل المجلة بالفيوم

قد عينا حضرة سعيد معوض أفندى وكيلا لمجلة الأزهر بمدينة الفيوم وضواحيها . فنرجو اعتماده فى تحصيل قيم الاشتراكات .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Al-Aswad, through his father, through ᶜAˢ ishah, who said :

"When any of us was in her courses, and the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) wished to touch her, he commanded her to gird on a lioncloth as soon as her menstrual flow began, after which he touched her."

"But", added ᶜAˢ ishah, "which of you can master his passion as the Prophet (Allâh bless him and give him peace) did.?"

This hadîth is confirmed by Khâlid and Jarîr, as fellow-witnesses with ᶜAli b. Mus-hir, through Ash-Shaibâni.

3. We are informed by Abu-n-Nuᶜ mân, who had it form-ᶜAbd-ul-wâhid, who received it from Ash-Shaibâni, who was told it by ᶜAbdullâh, b. Shaddâd, who heard Maimûuah say :

"When the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peae) wished to touch any of his wives, he used to command her to gird on a lioncloth if she was in her courses."

This hadîth was also related by Sufyân, through Ash-Shaibâni.

الأسود عن أبيه عن عائشة قالت :

« كانت إحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُباشرها أمرها أنْ تتزر في فورِ حيضتها ثُمَّ يُباشرها ،

قالتْ وأيُّكم يملكُ إربهُ كما كانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يملكُ إربهُ » .

تابعه خالد وجرير عن الشيباني .

٣ — حدثنا أبو النعمان قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا الشيباني قال حدثنا عبد الله بن شداد قال سمعت ميمونة تقول :

« كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أرادَ أن يُباشرَ امرأةً من نسائه أمرها فاتَّزرتْ وهي حائضٌ » .

ورواهُ سفيانُ عن الشيباني .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

We are informed by Al - Makki b. Ibrâhîm, who had it from Hishâm, through Yahyâ b. Abu Kathîr, through Abu Salamah, who was told it by Zainab the daughter of Umm Salamah that her mother [1] said to her :

" Once while I was lying with the Prophet (Allâh bless him and give him peace) under one bed-cover, [2] my courses came upon me. I stole out of bed and put on my menstruating - gown, when he said : ' Have thy courses come upon thee ? ' I replied that it was so. He then called me, and I lay down with him under the bed-cover "

حدثنا المكى بن ابراهيم قال حدثنا هشام عن يحي بن أبي كثير عن أبي سلمة أن زينب ابنةَ أمِّ سلمة حدثَتْهُ أن أمَّ سلمةَ حدَّثتها قالت :

« بَينَا أنَا مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم مُضْطَجِعةً فِي خَمِيصَةٍ إِذْ حِضْتُ فَانسَلَلْتُ فَأَخَذْتُ ثِيَابَ حِيضَتِي ، قال : أنُفِسْتِ ؟ قلتُ نَعَمْ ، فَدَعَانِى فاضْطَجَعْتُ معَهُ فِي الخَمِيلَةِ » .

Chapter 5.

— ٥ —

On contact [3] with a menstruating woman.

بابٌ : مباشَرَةِ الحَائِضِ :

1. We are informed by Qabîsah, who had it form Sufyân, through Mansûr, through Ibrâhîm, through Al-Aswad, through ᶜA'ishah, who said:

"I and the Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to perform the ghusl from one and the same vessel, when we were both in a state of ritual impurity through sexual intercourse ; and when I was in my courses, he used to order me to gird on a loincloth, after which he touched me ; and when he was in his retreat, he used to hold out his head to me and I washed it although I was in my courses."

١ — حدثنا قَبيصةُ قال حدثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة قالت :

« كُنْتُ أغْتَسِلُ أنا والنبيُّ صلى الله عليه وسلم من إنَاءٍ واحِدٍ كِلَانَا جُنُبٌ ، وَكانَ يَأمُرُنِى فَأتَّزِرُ فَيُبَاشِرُنِى وَأنا حائِضٌ ، وكَانَ يُخرِجُ رَأسَهُ إلَيَّ وهوَ مُعْتَكِفٌ فَأغْسِلُهُ وَأنا حائِضٌ » .

2. We are informed by Ismâᶜîl b. Khalîl, who had it form ᶜAli b.Mushir, who received it form Abu Ishâq Ash-Shaibâni, through ᶜAbdu-r-Rahmân b.

٢ — حدثنا اسماعيل بن خليل قال أخبرنا على بن مُسْهِر قال أخبرنا أبو اسحاق . هو الشيبانى ، عن عبد الرحمن بن

1. A wife of the Prophet. She was a widow when he married her.

2. Or—a square-shaped black cloak of wool or silk with a fringe, خميلة و خميصة being synonymous.

3. Any form contact being permissible except sexual.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

consider a trifle ; and any woman in either condition may serve me, without there being any harm in it to anyone. ᶜAˢishah informed me that she used to dress the hair of the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) when she was in her courses, at a time when the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) was in a retreat in the Mosque, — holding his head towards ᶜAˢishah when she remained in her apartment [1] and dressed his hair while in her courses. "

هين، وكل ذلك تخدمني وليس على أحد في ذلك بأس، أخبرتني عائشة أنها كانت ترجّل تعني رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حائض ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ مجاور في المسجد يدني لها رأسه وهي في حجرتها فترجّله وهي حائض».

Chapter 3.

On the Qurᶜân being recited by a man leaning on his wife's lap while she is in her courses ;

and on Abu Wâˢil having sent his maid, when in her courses, to Abu Razîn to bring him a Qurᶜân, and her holding it by the cord of its cover.

We are informed by Abu Nuᶜaim Al-Fadl b. Dukain, who heard it from Zuhair, through Mansûr b. Safiyyah that his mother told him that ᶜAˢishah transmitted to her the tradition that :

The prophet (Allâh bless him and give him peace) used to lean on her lap when she was in her courses, and then recite the Qurᶜân.

— ٣ —

باب : قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض،

وكان أبو وائل يرسل خادمه وهي حائض إلى أبي رزين فتأتيه بالمصحف فتمسكه بعلاقته :

حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين سمع زهيراً عن منصور بن صفية أن أمه حدثته أن عائشة حدثتها :

« أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن ».

Chapter 4.

On one who useth the word proper to puerperal bleeding for menstruation. [2]

— ٤ —

باب : من سمى النفاس حيضاً :

---

1. ᶜAˢish's apartement being contiguous to the Mosque, the Prophet would stand in the doorway holding his head towards ᶜAˢishah.
2. Al-Bukhâri, being unable to find a hadîth dealing with puerperal bleeding satisfying his criteria of geunineness, cites this hadîth in which puerperal bleeding is used for menstruation — from which it can be inferred that the same rulingapplies to both.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

but the pilgrimage *to Makkah.* When we reached Sarif [1] my courses came upon me, and when the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) entered my tent I was in tears. He said : 'What aileth thee ? Have thy courses come upon thee ?' 'Yes,' replied I. 'This is a matter which hath been allotted by Allâh to the daughters of Adam', said he, 'so perfom whatever a pilgrim should do, save that thou do not circumambulate the Ka ͨbah'.

The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) —added ͨ A ͗ishah — sacrified oxen on behalf of his wives."

كنا بسَرِفَ حِضْتُ فدَخَلَ عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي ، قالَ مالكِ أنُفِسْتِ ؟ قُلتُ نعم ، قال : إنَّ هذا أمرٌ كتبَهُ اللهُ على بناتِ آدمَ فاقضي ما يقضي الحاجُّ غيرَ أنْ لا تطوفي بالبيتِ ،

قالت : وضَحّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن نسائهِ بالبقرِ » .

Chapter 2.

— ٢ —

On a woman in her courses being permitted to wash her husband's head and to dress his hair.

1. We are informed by ͨAbdullâh b. Yûsuf, who was told it by Mâlik, through Hishâm b. ͨUrwah, through his father, through ͨA ͗ ishah, who said :

" I used to dress the hair of the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) while I was in my courses. "

2. We are informed by Ibrâhim b. Mûsa, from Hishâm b. Yûsuf, who received it from Ibn Juriaj, who was told it by Hishâm, through ͨUrwah, who stated that he was asked :

" May a woman in her courses serve me? And may a woman approach me when she is in a state of ritual impurity through sexual intercourse ? "

" All that, " replied ͨUrwah, " I

باب : غَسْلِ الحائضِ رأسَ زوجِها وترجيلِه :

١ — حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت :

« كنتُ أُرَجِّلُ رأسَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأنا حائضٌ » .

٢ — حدثنا ابراهيم بن موسى قال أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جُريج أخبرهم قال أخبرني هشام عن عروة أنه سُئِلَ :

« أتَخدُمُني الحائضُ أوْ تدنو منّي المرأةُ وهيَ جُنُبٌ ؟ » .

فقال عُروَةُ : « كلُّ ذلكَ عليَّ

1. A place about ten miles from Makkah.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

In the Name of Allâh the All-Loving the Most Merciful.

بسم الله الرحمن الرحيم

BOOK VI.

الكتاب السادس

On Menstruation.

كتاب الحيض

And on the word of Allâh (be He exalted) : "And they question thee on menstruation, say : 'It is pollution, so keep apart from women during their courses, and do not have intercourse with them until they have purified themselves ; and when they have done so go in unto them in the manner which Allâh hath ordained unto you. Verily Allâh loveth those who turn unto him with repentance, and He loveth those who purify themselves.'" [1]

وقولُ اللهِ تعالى : « وَيَسْأَلُونَكَ عنِ المَحِيضِ قلْ هُوَ أذًى فاعتزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ ولاَ تقربُوهُنَّ حتَّى يَطهُرْنَ فإذَا تطَهَّرْنَ فأتُوهُنَّ منْ حيْثُ أمرَكُمُ اللهُ إنَّ اللهَ يُحبُّ التَّوَّابِينَ ويُحبُّ المُتطَهِّرِينَ » .

— ١ —

Chapter I.

On how menstruation first began ; and on the words of the Prophet (Allâh bless him and give him peace) : "This is a thing which Allâh hath allotted to the daughters of Adam" ;

and on the fact that some have said : "The children of Israel were the first upon whom menstruation was sent."

Al-Bukhâri states, however, that the Prophet's hadith (Allâh bless him and give him peace) is more comprehensive.

We are informed by ᶜAli b. ᶜAbdullâh, who had it from Sufyân, who heard it from ᶜAbdu-r-Rahmân b. Al-Qâsim, who heard it form Al-Qâsim, who heard ᶜAˢishah say :

"We set out with no other aim

بابُ : كيفَ كانَ بدْءُ الحَيضِ ،

وقولُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم « هذا شيْءٌ كتَبَهُ اللهُ على بَنات آدمَ » ،

وقالَ بعضُهُمْ « كانَ أوَّلُ ما أُرْسِلَ الحَيضُ عَلَى بَني إسْرَائيلَ » ،

قالَ أبو عبد الله : وحَديثُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أكثَرُ :

حدثنا على بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال سمعت عبد الرحمن بن القاسم قال سمعت القاسم يقول سمعت عائشة تقول :

« خرَجنَا لا نرَى إلاَّ الحَجَّ فلَمَّا

1. Surah 2 : 222.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ejaculating, *what should he do* ?" The Prophet replied: "He must wash the part that hath been in contact with her, and then perform the wudû' and pray."

Al-Bukhâri stated that ghusl is the safer, since such was the latest ruling, but he recorded the various hadîths to show the divergence of opinion among the companions.[1]

المَرْأَةَ فَلَمْ يُنْزِلْ ، قال : يَغْسِلُ مامَسَّ المَرْأَةَ مِنْهُ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي».

قال أبو عبد الله : الغَسْلُ أَحْوَطُ وَذاكَ الآخِرُ، وَإِنَّما بَيَّنَّا لاخْتِلافِهِم.

The end of the Book of Ghusl.

انتهى كتاب الغسل

1. The controversy arose among the Companions as to whether the ghusl should be performed after mere contact or necessarily after ejaculation. When they discussed this question before ᶜUmar, one party being in favour of اذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل (ghusl after mere penetration) and the other of الماء من الماء (ghusl after ejaculation), — the question was referred to ᶜA'ishah who decided in favour of the former. Thereupon ᶜUmar declared that he would punish anyone who dared to say after that : الماء من الماء (Al-ᶜAini in loco).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

Chapter 29.

On a man's washing away the defilement secreted by a woman's organ.

1. We are informed by Abu Ma ᶜmar, who had it from ᶜ Abd - ul - Wârith, through Al-Hussain, who received it from Yahyâ, to whom it was related by Abu Salamah, who was told it by ᶜAtâˢ b. Yasâr, to whom it was narrated by Zaid b. Khâlid Al-Juhani, who stated that he asked ᶜ Uthmân b. 'Affân :

"What dost thou consider should be done if a man have connection with his wife without ejaculating ?" "He must perform the wudûˢ as for prayer, and wash his member," replied ᶜUthmân. "This I have heard from the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace)."

Zaid added : "I asked the same questisn of ᶜAi b. Abu Tâlib, Az-Zubair b. Al- ᶜAwwâm, Talhah b.ᶜ Ubaidullâh, and Ubayy b. Ka ᶜb (Allâh be well pleased with them), and they gave the same ruling."

Yahyâ also stated that he was informed by Abu Salamah, who had it from ᶜUrwah b. Az-Zubair, who heard it from the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace).

2. We are informed by Musaddad, who had it from Yahyâ, through Hishâm b. ᶜUrwah, who received it from his father, to whom it was related by Abu Ayyûb, who was told it by Ubayy b. Ka ᶜb, who said *to the Prophet* :

"Messenger of Allâh, if a man have connection with a woman without

— ٢٩ —

بابُ غَسْلِ ما يُصِيبُ مِنْ فرجِ المرْأةِ :

١ — حدثنا أبو معمر حدثنا عبدالوارث عن الحسين قال يحي وأخبرنى أبو سلمة عن عطاء بن يسار أخبره أن زيد بن خالد الجهنىّ أخبره أنه سأل عثمان ابن عفان فقال :

« أرأيتَ إذا جامعَ الرَّجلُ امرَأتَهُ فلَمْ يُمْنِ ؟ قالَ عُثْمَانُ : يَتَوَضَّأُ كما يَتَوَضَّأُ للصَّلاةِ ويَغسِلُ ذَكَرَهُ ، قال عثمانُ : سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم .

فَسَأَلْتُ عن ذَلكَ عَلِيَّ بْنَ أَبي طَالِبِ والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وأُبيَّ بن كَعْبٍ رضيَ اللهُ عنهم فَأَمَرُوهُ بذلك » .

قال يحي وأخبرنى أبو سلمة عن عروة بن الزبير أخبره أنه سمعَ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ — حدثنا مسدد حدثنا يحي عن هشام بن عروة قال أخبرنى أبى قال أخبرنى أبو أيوب قال أخبرنى أُبَيُّ بن كعب أنه قال :

« يا رسولَ اللهِ إذا جامعَ الرَّجُلُ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

AL-AZHAR REVIEW
PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, CAIRO.

ترجمة جامع صحيح البخارى

للأستاذ ابراهيم حسن الموجى

AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS

Translated into English

BY
I. H. EL-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

The Book of Chus (EONTINUED)

Chapter 28.

When there is contact of the circumcised parts. [1]

We are informed by Muᶜâdh b. Fadâlah, who had it from Hishâm; we are also informed by Abu Nuᶜaim, through Hishâm, through Qatâdah, through Al-Hasan, through Abu Râfiᶜ, through Abu Hurairah, from the Prophet (Allâh bless him and give him peace) who said:

"When a man lieth in a woman's embrace, [2] and then penetrateth her, the ghusl is obligatory."

This hadîth is confirmed, as fellow-witness with Hishâm, by ᶜAmr b. Marzûq, through Shuᶜbah to the same effect;

Mûsa also stated that he was informed by Abân, who had it from Qatâdah, who received it from Al-Hasan to the same effect.

كتاب الغسل (تابع ماقبله)

— ٢٨ —

باب : إذَا الْتَقَى الخِتَانَانِ :

حدثنا معاذ بن فضالة قال حدثنا هشام ، وحدثنا أبو نعيم عن هشام عن قتادة عن الحسن عن أبى رافع عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« إذَا جلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأرْبَعِ ثُمَّ جهَدَهَا فَقَدْ وَجَبَ الغسْلُ » .

تابعه عمرو بن مرزوق عن شعبة مِثْلَهُ ،

وقال موسى: حدثنا أبانُ قال حدثنا قتادة أخبرنا الحسن مِثْلَهُ .

1. Circumcision is a sunnah or commendable practice in the case of men, and is practised by the Arabs in the case of women for the sake of continence.

2. Literally, "Between her legs and arms."

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر

في كل شهر عربي

الجزء الثامن	٧	شعبان سنة ١٣٥٦	المجلد الثامن

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدي

الإدارة

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراك

	قرش
داخل القطر المصري	٣٠
خارج القطر المصري	٤٠
العلماء غير المدرسين وأئمة المساجد والمأذونين ومعلمي المدارس الأولية والطلاب ومصالح الحكومة ومجالس المديريات ... ... داخل القطر	٢٠
الطلاب وأئمة المساجد ... ... خارج القطر	٣٠

ثمن الجزء الواحد ٣ قروش صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة الأزهر

١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فهرس

الجزء الثامن — المجلد الثامن

الموضوع	بقلم	صفحة
شهر رمضان	صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر	
الدروس الدينية	... ...	
عمر بن الخطاب	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٥٢٩
تفسير سورة لقمان	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٥٣٦
الطلاق	« « عبدالرحمن الجزيرى	٥٤٠
حدث جلل	« « يوسف الدجوى	٥٤٨
الاخلاق الفلسفية	حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب	٥٥٢
النثر الفنى	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	٥٥٧
حكمة الصيام فى الاسلام	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٥٦١
أعلام القرءان	فضيلة الأستاذ الشيخ فكرى يس	٥٦٤
مسألة فى الطلاق	« « يوسف الدجوى	٥٧٠
صفحة من الابداع الالهى	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٥٧٢
حفظ النفس والأهل	فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالواحد ابراهيم	٥٧٥
تاريخ الأدب العربى	قلم الترجمة	٥٧٧
نظام القضاء فى الاسلام	فضيلة الأستاذ الشيخ عباس طه	٥٨٣
تقرير بعثة الهند	... ...	٥٨٦

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

شهر رمضان

رياضة النفس على فضيلة الصبر

جرت الأهرام فى السنتين الأخيرتين على أن تستكتب أقطاب العلماء فى شهر الصيام فيما يريدون أن يدلوا به الى الناس من التعاليم الحكيمة ، وأول من يفتتح الكتابة فى هذا الباب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى، وقد اعتدنا أن نلتقط ما يكتبه فضيلته . وجريا على هذه السنة ننقل الى القراء ما كتبه فضيلته فى هذا الباب لنفاسته وسمو موضوعه ، وهاهو :

ندع لغيرنا الحديث عن فوائد الصوم وأنه يصلح البدن وينقيه وينفع لعلاج بعض الأمراض . كذلك ندع الحديث عن طريقة التغذية التى يجرى عليها الناس فى شهر رمضان فى الإفطار والسحور ، فذلك من حق سعادة الدكتور عبد العزيز اسماعيل باشا وأضرابه من أساطين الطب ، ونعرض لناحية من نواحيه وهى ناحية التهذيب الروحى .

ومن المعروف أن الصوم إمساك عن اللذات البدنية من الطعام والشراب ونحوهما . هذا تعريف الفقهاء . وهو فى نظرنا أعمق من ذلك : إمساك عن أذى الخلق، وكف عن الآثام جميعها ، على أن يقصد بذلك وجه الحق سبحانه .

ومما لا يحتاج الى توضيح أن فى الصوم على هذا النحو ترويضا للبدن ، وترويضا للنفس ، وتنمية لخلق الصبر الذى هو نصف الايمان ؛ ومن نتائجه العطف على الفقراء واليتامى وبرهم ، وبذل المال فى سبيل إسعادهم ، وحسن المعاشرة للجماعة الانسانية .

كل شىء فى الحياة ممكن : الفقر بعد الغنى ، والمرض بعد الصحة ، والذل بعد العز ، وفقد الأهل والعشيرة بعد الثراء منهم ، والنزوح عن الأوطان بعد الطمانينة والاستقرار ، وتغلب الأعداء بعد التغلب عليهم وقهرهم ، الى غير ذلك مما يعرض للانسان فى حياته ، لا يفترق فيه واحد عن واحد ، ولا أمير عن سوقى .

وعروض هذه المكاره على نفس مترفة مدللة تنام فى موعد وتستيقظ فى موعد ، وتأكل بقدر ، وتمرح فى اللذات بين الأهل والعشيرة والأصدقاء — قد يصدمها صدمة تودى بها ، أو تورث الجزع وتسوق الى اليأس ، وقد توقعها فى أمراض قاتلة .

ويجب لاتقاء عواقب الفجاءات فى هذه المكاره أن يمرن البدن وتمرن النفس وتقوى برياضة بدنية روحية فى كل عام مرة على الأقل ، فيقلب لها نظام الحياة ، وتمنع من الشهوات

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

واللذات ، وتعوّد الحرمانَ من المحبوبات ، فيكون الإفطار فى المساء بعد أن كان فى الصباح ، والعشاء فى السحر بعد أن كان فى المساء ، ويتغير بجانب ذلك نظام النوم ونظام العمل ، وتستدام مراقبة الله جلت قدرته .

الصبر على هذا الحرمان والطاعة فيه يسهلان بلا مراء الصبر والطاعة على ما هو أقل من ذلك . فالصبر على ترك ما كان مباحا أشق من الصبر على ترك ما كان محرما . والذى لا يبالى بالنعمة وهى حاضرة فى يده امتثالا لأمر الله ، يسهل عليه احتمال زوالها والرضا بما قدر الله .

وكل إنسان فى حاجة الى الصبر : المتعلم محتاج الى الصبر على الدرس ، والمعلم فى حاجة الى الصبر حتى يفهم المتعلم ؛ والزارع فى حاجة الى الصبر حتى يتقن فلاحة أرضه ويحسن ريها وما يلزم ذلك ؛ والتاجر فى أشد الحاجة الى الصبر على تعلم طرق التجارة وعلى أخلاق من يعاملهم ؛ وكل واحد فى حاجة الى الصبر على معاشرة الأصدقاء والأعداء .

بذلك كان الصوم نصف الصبر ، وكان الصبر نصف الايمان ، وكان صوم رمضان ايمانا واحتسابا لله سبحانه سببا من أسباب الغفران .

وأسأل الله لاخوانى المسلمين توفيقا ورحمة وهناءة ، وعزا ومجدا وسؤددا .

لقد وفق الله فضيلة الأستاذ الامام لبيان حكمة الصيام من أعظم الحكم فى عهد أهله أحوج ما يكونون اليه فيه ، فقد بلغ سلطان العادات عليهم حد الاستعباد الذى لا يرضى به إلا كل ضعيف النفس ، منخوب القلب ، فكل منا يعرف أفرادا لو تأخر عنهم الطعام عن موعده فأصابهم الجوع ، ساءت أخلاقهم ، وضاقت صدورهم ، وطاشت أحلامهم ، وأشبعوا خدامهم سبا وتعنيفا ، وربما تجاوزوا ذلك الى الضرب والأذى ، ويكون الناظر اليهم وهم على تلك الحال يخيل اليه أنه حيال مظاهر إصابات عقلية تنافى جلال الرجولة وجمال الانسانية .

وقد يكون سلطان المكيفات من القهوة والشاى والتبغ والتنباك والنشوق أشد من سلطان الطعام على أهله ، فان الذى لم يعود نفسه الحرمان منها إن اتفق له عدم الوصول اليها يوما كاملا أو بعض يوم ، اشتد الأمر عليه الى درجة يدركها كل من يراه ، فان كلمه فقلّ أن ينجو من رشاش من إقذاعه لأوهى الأسباب .

فهؤلاء يعتبرون مستعبدين لبطونهم وأعصابهم ، فانين فى شهواتهم وعاداتهم ، فاذا اضطروا فى حين من الزمان الى تغيير سيرتهم فى معيشتهم كما يحدث فى أيام الحروب الطاحنة ، لم يستطيعوا تحمل هذا التغيير فيهلكون أو يقعون فى أمراض عضالة .

فالى هؤلاء وأمثالهم ممن يسيئون فهم المدنية ، ويحسبونها ترفا محضا ، يساق ما ذكره فضيلة الاستاذ الامام فى مجالته الحكيمة من رياضة النفس على فضيلة الصبر .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الدروس الدينيـــة

فى حضرة صاحب الجلالة الملك

لقد وفق الله حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول الى سنة حسنة ابتكرتها فطرته العالية ، وهى أن يلقى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر فى كل أسبوع درسا دينيا فى أحد المساجد الكبرى ، يتفضل حضرة صاحب الجلالة بحضوره فى جمهور كبير من رجال دولته ، ورؤساء حكومته .

فبدأ فضيلة الاستاذ الامام بالدرس الأول فى جامع الأستاذ البوصيرى فى أوائل رمضان بالاسكندرية ، وجعل الدرس الثانى فى مسجد الامام الحسين رضى الله عنه ، والدرس الثالث فى مسجد أبى العلاء ببولاق ، وسيكون الدرس الرابع فى أحد كبار المساجد بالقاهرة . وقد تكرم جلالة الملك بحضور جميع هـذه الدروس وحضرها معه عدد كبير من الوزراء وكبار الموظفين ، فكان أثر ذلك فى نفوس الناس عظيما ، وثمرته فى إعزاز الدين ، وإكبار شانه لا يقدر .

حقا إن هذا التجديد الملكى قد جاء فى الوقت المناسب له ، فان انصراف الناس عن الدين قد بدأ ينتج نتائجه فى المجتمع من انتشار المسكرات والمخدرات وضروب الملهيات وما تجر اليه من التلاحى والتضاغن والاقـدام على الجرائم ، ولا يوجد سبيل الى لفت الناس الى ما يحييهم من تعاليم الدين ووصاياه غير أن يعمد القائم بالأمر الى إكبار شأن الدين ورفع مكانته الى الحد الواجب له ، والوصول الى هذا الغرض لا يكون بمجرد الدعوى وإلقاء الخطب كما كانت عليه الحال قبل هـذا العهد ، فلا بد من اللجأ الى وسيلة عملية ، وليس يطوف بخيال أحد أحسن من هذه الوسيلة الكريمة التى عمد إليها حضرة صاحب الجلالة فاروق الاول ، فانها ترفع من شأن الدين فى نظر الناس ما لا تستطيع عمل عشر عشيره الخطب الطنانة ، والدعوات الحارة .

ومن كمال التوفيق أن يكون الاستاذ الذى تسند اليه هذه المهمة هو الاستاذ الامام الشيخ المراغى ، فانه بالقائه البديع المتئد ، وعباراته البليغة المنتخلة ، واطلاعه الواسع الشامل ، وبصيرته النافذة النيرة ، يجلى من حكمة الاسلام ، ويكشف من فضائله وحسناته ، ما لا كان يخطر فى بال الذين يتخيلون أن الأديان قد انقضى عهدها ، وأن ليس فيها ما يأخذه أبناء العصر الحاضر عنها . ولا أدل على ذلك من إلحاح القراء علينا فى وجوب نشر هذه الدروس بمجلة الازهر ، ومن عجب أن أشدهم إلحاحا علينا المتعلمون تعليما عاليا .

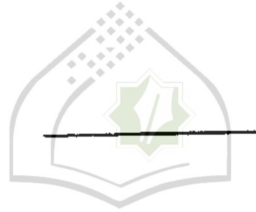
إن هذا التجديد الموفق من جـلالة الملك ، واتفاق وجود فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى فى دست المشيخة لتنفيذه فى هذا العهد ، سيكون له أكبر الآثار وأعمها فى لفت أنظار

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المسلمين الى جمال دينهم ، وسيعيد للروح الاسلامية الشريفة شخصيتها الضائعة بعد أن طغت عليها الفلسفة المادية حتى كادت تسودها فى عقر دارها .

فنتقدم بالشكر لجلالة الملك على ما قدم من عمل سيخلده له تاريخ مصر فى أوجه صفحاته ، ونهنئ حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام على ما وفق له من الابداع فيما أسند اليه من تنفيذه ، راجين الله أن يلهم المسلمين الاستفادة من هذه السنة الحسنة بمنه وكرمه ؟

محمد فريد وجدي



جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الناحية الفلسفية

فى حياة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

إن لحياة عمر بن الخطاب رضى الله عنه نواحى شتى ، دينية واجتماعية وسياسية الخ ، ولعل من أحفلها بالطرافة ناحيتها الفلسفية ، وللفلسفة معاييرها فى تقدير المواهب النفسية ، والملكات العقلية ، وطرقها فى التنقيب عما ينطوى فى أعمال العاملين من البواعث الدالة على مميزاتهم الأدبية ، ومراتبهم الروحية .

ونحن إن تأملنا فى حياة عمر وما رمى اليه من غايات ، وما بدت عليه من صفات فى مضطرب الحوادث ، ومزدحم الانقلابات التى طرأت على جماعة المسلمين على عهده ، تبين لنا أنه لم يكن رجلا عاديا ، ولكنه كان عبقريا .

نقول عبقريا ونريد من هذا اللفظ معناه الفلسفى لا معناه العامى . فان العبقرية فى العرف الأخير تعنى بلوغ درجة ممتازة فى الذكاء ، ومكانة عالية من العقل ، ولكنها فى الاصطلاح الفلسفى تعنى موهبة لا يمكن اكتسابها بالعلم ولا بالتجربة ، تؤهل صاحبها لأن يلهم إلهاما فيما هو بصدده حتى يبلغ درجة الابداع فيه ، بدون أن يعمل فيه فكرا ، أو يبذل للوصول اليه جهدا .

هذه حالة استثنائية يمنحها بعض الأفراد منحا ، ولا يستطيع أحد الوصول اليها بالاستكثار من العلم ، ولا بالتبحر فى المعرفة . قالت دائرة معارف (بريتانيكا) لسنة ١٩٢٩ :

« العبقرية شىء خارق للعادة على وجه الاطلاق ، وأرقى حتى من المقدرة العلمية الفائقة . وإنها لتختلف فى النوع اختلافا بينا عن الألمعية الممتازة ، فهذه تعتبر درجة عقلية سامية ، ولكن ينقصها تلك الموهبة النفذة التى لا تقبل التفسير المحصورة فى كلمة عبقرية » .

هذه هى العبقرية التى نحكم بها لثانى الخلفاء الراشدين . ومن العجب أن النبى صلى الله عليه وسلم حكم له بها فى حديث كريم هو :

« إن من أمتى ملهَمين ومحدَّثين وإن عمر منهم »

فالملهمون هم الذين يلهمهم الله الأعمال الممتازة ، والابداعات الفائقة ، بدون إجالة روية فى سبيل الحصول عليها ، والمحدَّثون هم الذين تحدثهم الروحانيات العلوية ، وتهديهم الى أقوم سبل التفوق فيما هم بصدده . فعمر بنص هذا الحديث كان عبقريا بالمعنى العامى المقرر .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى هـذا التطبيق فائدة علمية طريفة ، وهى أن النبى صلى الله عليه وسلم عرف العبقرية بحدها الفلسفى ، قبل أن يوجد لفظها العربى .

نشأ عمر وكبر فى الجاهلية ولم يظهر عليه شىء من السمو الذى ظهر به فى الاسلام ، فكل ما اشتهر به الشدة وقوة الارادة ، والتصميم الذى لا يعرف هوادة .

فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم وبدأ يدعو الى الله سرا ، بلغه أن أخته قبلت الاسلام دينا ، فغضب لذلك أشد الغضب ، وزارها فى دارها ليلومها على ماجنت بترك دين آبائها . فلما جلس اليها وشرع فى تانيبها ، أسرعت فناولته صحيفة فيها شىء من القرآن . فلما قرأها (وكان من الأفراد القليلين الذين يقرءون) وقع فى قلبه من سمو الاسلام ما حمله على أن يجتمع برسوله ، فلما لقيه عرض عليه الرسول الاسلام ، وتلا عليه آيات من القرآن ، فآمن به لساعته .

كان النبى صلى الله عليه وسلم قد دعا الله وهو فى شدة المحنة ، ولوعة الاضطهاد ، أن يعز الاسلام بأحد العمرين : عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام الملقب بأبى جهل . فلما أسلم عمر كان هو الذى اجتباه الله لاعزاز الاسلام . وكان أول ما عمله فى إسلامه أن قال : يارسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ فأجابه رسول الله : « إنا قليل وقد رأيت مالقينا » . فقال له عمر : والذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالايمان ! فلقبه النبى بالفاروق من ذلك اليوم . ومعناه البليغ فى التفرقة بين الحق والباطل .

فلم يزل عمر يجهر بالاسلام ولا يتعرض له أحد ، حتى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، فهاجر جميع الصحابة مستخفين ، إلا هو فانه خرج مجاهرا ولم يتبعه أحد من المشركين .

كان عمر عبقريا فى الحكم :

قرر علماء النفس أن العبقرية لا تقتصر على العلوم والفنون والحروب ، ولكنها قد تكون فى الحكم أيضا . ولسنا نشك فى أن عمر ، وقد خلف أبا بكر ، كان عبقريا ، لما ظهر من ثمرات أعماله الماجدة ، وما بقى من آثار سيرته الخالدة ، فى مدى حكمه الذى لا يبلغ اثنتى عشرة سنة .

لم تكن الأداة الحكومية فى منتصف القرن السابع للميلاد على شىء من التركب الآلى ، بحيث لا تتأثر ماجريات الشئون الاجتماعية بوفاة عاهل وقيام عاهل آخر مقامه . فكانت الحكومات كلها من الضرب الاستبدادى الذى ترجع فيه الأمور الى نفسية القائم بالأمر وخصائصه العقلية .

والحكم فى الاسلام وإن كان حاصلا على جميع الأصول التى تدعو الى إقامة أداة محكمة للحكم ، يكون من عملها تمثيل الأمة فى مجلس نيابى أو مجلسين ، وتقسيم السلطات على هيئات خاصة ، وضمان استقلال كل منها ، فان الحوادث لا يمكن أن تسبق أزمنتها ، فكان الحكم فى الاسلام موكولا لمن تراه الأمة أهلا لاقامة تلك الأصول ، اجتهادا من تلقاء نفسه . وقد دلت الحوادث على أن عمر هذا قد حقق الظن فيه ، وبلغ من إقامة الأصول الاسلامية مبلغا رفعه الى درجة العبقرية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ليس من السهل فى دور الشكل الاستبدادى للحكومات ، أن يقيم القائم بالأمر جميع المثل العليا للتعاليم التى يصدر فى أعماله عنها تمثيلا كاملا ، مهما حرص على ذلك ، إلا إذا كان من الملهمين .

لأنه كيف يتسنى لعقل عادى فى أول عهد القرون الوسطى ، أن يفهم مغزى أصول مثالية لم نفهمها نحن اليوم إلا تحت ضوء العلوم الحديثة ، ولم ندرك مراميها البعيدة إلا بعد ظهورها للعيان عقب انقلابات عالمية خطيرة ؟

نعم إن كلمات حق وعدل ومساواة الخ ، كانت تعرف مدلولاتها منذ القدم ، ولكنها كانت مدلولات تنقص أهم مؤدياتها المطاقة ، حتى إن واضع الديموقراطية أرسطو أمير الفلسفة ، لم يفهم مؤداها المطلق ، فقرر فى بحوثه السياسية وجوب حرمان العمال والأرقاء من الحقوق المدنية من الناحية السياسية ، الأولين : باعتبار أن نفوسهم ليست من نوع نفوس الأحرار ، والآخرين : لاشتغالهم بالمهن اليدوية ! فشتان بين ديموقراطية أمس وديموقراطية اليوم . وقس على ذلك سائر الكلمات الضخمة التى تكثر فى فلسفات الأقدمين مقيدة لا مطاقة ، كما يريدها الاسلام ويدعو اليها بهذا الاعتبار .

فنبوغ رجل كعمر يدركها وأمثالها على الوجه الذى أراده الاسلام مطلقة وخالصة من كل شائبة بشرية ، فوق ما كان يدركه منها فلاسفة النفس وعلماء الاجتماع على عهده وبعد عهده بأجيال ، أمر يستوقف النظر ويدعو الى الحيرة ، ولا مخرج منها إلا بتعليلها بالعبقرية فى الحكم .

كل ما فى الاسلام من التعاليم الاجتماعية لا تخرج عن إقامة الحق ، ومراعاة المساواة بين الخلق ، والحكم بالعدل ، واحترام حرية القول والعمل ، والالجأ الى الشورى فى الأمور الجامعة ، فكان عمر مثلا أعلى فى تطبيق هذه الأصول الكلية ، وله فى كل منها مواقف وكلمات نابغة ، بقيت أعلاما منصوبة لها الى اليوم .

فمن أمثلة اعترافه بسلطان الأمة عليه وخضوعه لرقابتها قوله من خطبة : « أيها الناس إذا رأيتم فى اعوجاجا فقوموه » . فقام اليه رجل من الحاضرين وقال : « والله ياعمر لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » .

فلو كان عمر اكتفى بسماع هذه الكلمة وتجاوز عن مؤاخذة قائلها لعد ذلك منقبة له يتناقلها الناس ويعدونها دليلا على وفور عقله ، وسعة حلمه . ولكنه أجابه بقوله : « الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه » !

هذه الاجابة لها مغزى اجتماعى خطير الشأن ، وهو تبريره العمل على إزالة الجور ، وهذا من مملك عظيم غاية فى احترام الأوضاع المقررة ، والسنن المعتبرة ، لو فاز بمثلها شعب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من الشعوب المستميتة فى تأييد سلطان الأمة على لسان ملك عظيم من جنسها لأقامت لكلمته هذه نصبا فى أكبر ميادينها ، ولبنت له صرحا من الثناء الخالد على الدهر .

التسليم برقابة الأمة يقتضى الديموقراطية ، فهل كان عمر ديموقراطيا بالمعنى الذى كان يفهمه خطباء الثورة الفرنسية ؟

نعم ، فقد قال كعب الأحبار :

« نزلت على رجل يقال له مالك ، وكان جارا لعمر بن الخطاب ، فقلت له : كيف بالدخول على أمير المؤمنين ؟ فقال : ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلى الصلاة ثم يقعد فيكلم الناس ! »

وعن الحسن البصرى قال :

« كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام ، فقال له الرجل : اتق الله ، فقال رجل من القوم : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال له عمر : دعه فليقلها لى ، نعم ما قال ، لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها ! »

تأمل فى قوله : لا خير فيكم إذا لم تقولوها ! إنها والله لكلمة من أنبغ الكلمات الاجتماعية ، وهى كما تدل على مبلغ احترام عمر المعارضة ، وهى ركن من أركان الحياة السياسية ، تدل أيضا على تجرد الأمة التى تتهيب هذا الركن من الخير . وقوله : « ولا خير فينا إذا لم نقبلها » تقرير بأن الحكومة التى لا تطيق المعارضة تكون مجردة عن الخير أيضا . لذلك تجد فى كل مجلس نيابى فئة من غير حزب الحكومة تقوم بالمعارضة فيه ، ويحترم رأيها ويهتم به الحزب صاحب الكثرة .

مثل عليا فى الديموقراطية :

أبلغ من كل ما مر فى الدلالة على فهم عمر للديموقراطية الصحيحة ، أنه لما دعى الى بيت المقدس ليتفق والمدافعين عنها على التسليم ، كما شرط عليه ذلك ، شخص اليها على بعير كان يتعاقب عليه هو وسائسه فى الطريق ، ولما شارفوا المدينة كان الدور للسائس فكان راكبا وأمير المؤمنين آخذ بمقود البعير . فقال له خادمه : لو نزلت أنا وركبت أنت حتى لا تقابل الناس على هذه الحال ! فلم يجبه أمير المؤمنين الى طلبه ، وقدم على مستقبليه راجلا يقود البعير لخادمه . فكانت مفاجأة محيرة ، ولكن أحدا لم ينبس بكلمة لعلمهم من هو عمر وما هى ديموقراطيته .

وأبلغ مما مر فى الدلالة على فهم عمر للديموقراطية ، كما يريدها الاسلام مطلقة ، أنه لما كان فى بعض انتقالاته بفلسطين عرضت له مخاضة ، فنزل عن بعيره وخلع نعليه فأمسكهما بيده ، فخاض الماء ومعه بعيره . فقال له أبو عبيدة كبير قواده : قد صنعت يا أمير المؤمنين صنعا عظيما عند أهل الأرض . فصكه عمر فى صدره وقال : « أواه لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ! إنكم كنتم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالاسلام ، فمهما تطلبوا العزة بغير الله يذلكم الله ! » .

وأعظم مما مر وأحفله بالمعانى التى لا يدركها إلا الآحاد ، مارواه الفضل بن عميرة : أن الأحنف ابن قيس قدم على عمر بن الخطاب فى وفد من العراق ، قدموا عليه فى يوم صائف شديد الحر ، وهو محتجر بعباءة (أى ملتف بها) ، يهنأ بعيرا من إبل الصدقة ، (أى يدهنه بالهناء وهو القطران) .

فقال عمر : « يا أحنف دع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فانه من إبل الصدقة فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين . (الأحنف هذا سيد بنى حنيفة ، وهو الذى قيل فيه : إذا غضب غضب معه مائة ألف سيف لا يسألونه فيم غضب) .

فقال رجل : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ، فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة يكفيك هذا !

فقال عمر : « يا ابن فلانة وأى عبد هو أعبد منى ومن الأحنف هـذا ؟ إنه من ولى أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين ، يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة » !

إن عمر رضى الله عنه بقوله : من ولى أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين ، وبتوليه عملا هو من مهن العبيد ، وبدعوته الأحنف ليعمل معه فيه ، قد ضرب الأرسطوقراطية ضربة لن تقوم بعدها لها قائمة فى المسلمين باسم الاسلام قط . وقد تتبعنا سير جميع الملوك النابهين فلم نعثر على مثال فى الديموقراطية يشبه هـذا المثال . وهكذا ثمرات العبقرية تأتى على غير مثال سابق .

ولما أقبل سفراء بيت المقدس لمقابلة أمير المؤمنين عمر ، سألوا أين هو ؟ فأشاروا لهم اليه ، وكان نائما على الأرض فى ظل شجرة ، فهالهم ما رأوا وأبوا أن يتفقوا مع من هذه حالته ، استنكارا لها ، حتى يستأنسوا برأى كبرائهم . فلما رجعوا وقصوا عليهم ما رأوا قال لهم بطريقهم : ارجعوا أدراجكم إنه طلبتنا ، وهذه حليته فى كتبنا .

نقول : ليس هذا من سقوط الهمة ، ولكنها الديموقراطية يضع عمر بيديه أركانها ، ويقيم بقدوته بنيانها . وإذا كان للعظمة معنى يرى بالعين ، فهو ما رآه الناس من أمثال هذا فى سيرة عمر عظمة عبر عنها الأستاذان الفرنسيان (أمن وكوتان) فى تاريخهما العام بقولهما : « إن هذا العاهل الذى كان يلبس ثوبا مرقعا كانت ترتعد فرائص الملوك عند ذكر اسمه » .

وخطب الفاروق يوما فقال : « يأيها الناس إنى والله ما أرسل عمالا اليكم (أى ولاة) ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكنى أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويقضوا بينكم بالحق ، ويحكموا بينكم بالعدل ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الى ، فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه منه »

فوقف عمرو بن العاص فاتح مصر وواليها فقال : « يا أمير المؤمنين أرأيت إن كان رجل من أمراء المسلمين أدب بعض رعيته أإنك لتقصنه منه ؟ »

فقال الفاروق :

« أى والذى نفس عمر بيده إنى لأقصنه منه ، وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ؟ »

إذا تبجحت أمة بأنها تقيم مبدأ المساواة بين الناس فلتكن من هذا الطرز المطلق ، وإلا فهى صورة ناقصة لها كأكثر ما نسمعه عنها وما نراه منها .

الديموقراطية تسوى بين السادة والعبيد :

من أمثلة المساواة التى كان يقيم عمر حكمه عليها ما رواه الحسن البصرى قال :

« حضر باب عمر سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب فى نفر من قريش من تلك الرءوس ؛ وصهيب وبلال من تلك الموالى (أى الذين كانوا أرقاء أو أبناء أرقاء) الذين شهدوا بدرا ، فخرج إذن عمر لهم وترك أولئك .

«فقال أبو سفيان (وكان من سادات قريش) : لم أر كاليوم قط : يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفت الينا !

« فقال سهيل بن عمرو ، وكان رجلا عاقلا : أيها القوم إنى والله أرى الذى فى وجوهكم ، إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم ، دعى القوم ودعيتم ، (يريد دعوا الى الاسلام) فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم ؟ »

ومن أجل ما صدر عن الفاروق فى تنفيذ مبدأ الديموقراطية المطلقة قوله ، وهو يجود بنفسه ، وقد دعى لأن يعهد بالخلافة لمن يثق به : والله لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا ما جعلتها شورى . أى أنه كان يعهد اليه بالخلافة ولا يحيلها الى الشورى ، وسالم هذا كان مملوكا لأبى حذيفة .

هنا لا نجد عبارة تصور إكبارنا لهذه الديموقراطية التى تمثل روح الاسلام فى أبدع وأروع صوره .

وشكا أحد أهل مصر الى الفاروق ابنا لعمرو بن العاص واليها مدعيا أنه ضربه قائلا له : أنا ابن الأكرمين . فلما ثبت لعمر أنه صادق فى دعواه ، أعطاه درته (أى عصاه) وقال له : « اضرب ابن الأكرمين كما ضربك ! ثم التفت للناس وقال لهم : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إن الفاروق لم يرد بما فعل أن يذل ابن أحد ولاته ، ولكنه يرفع علم المساواة الى أعلى ما يمكن أن يصل اليه ، وليس بعد هذا غاية .

العدل المطلق لا ينافى النظام :

ومن أمثلة حرص عمر على حفظ النظام ما رواه أبو ساعدة الهذلى قال : « رأيت عمر ابن الخطاب يضرب التجار بدرة إذا اجتمعوا على الطعام بالسوق ، (أى يبيعونه) ، حتى يدخلوا سكك أسلم (حى بالمدينة) ، ويقول : لا تقطعوا علينا سابلتنا » .

أليس هذا بعينه ما تكلف به الشرطة من تنظيم حركة المرور فى العواصم اليوم ؟ فلو كنت (كونستابلا) لباهيت بوظيفتى التى وضع أساسها أكرم ملوك الأرض فى أعظم أمة .

قال المسيب بن دارم : « رأيت عمر بن الخطاب يضرب جمالا وهو يقول : حملت جمالك ما لا يطيق » !

فمن لى بمن يبلغ جماعات الرفق بالحيوانات أن عمر بن الخطاب سبقهم الى سن هذا النظام قبل أكثر من ثلاثة عشر قرنا ؟

وبعد : فان هذه السيرة التى تتجلى فيها المثل العليا للحكم فى غاية أبهتها ، وتطبق الى أقصى حدودها ، لا تتأتى إلا إذا كان القائم بها عبقريا .

نعم : إن عمر لم يفعل أكثر من أن نفذ الأصول التى دونت فى الكتاب ، والسنة ، ولكن تنفيذها على هذا النحو الباهر لا يتأتى إلا من طريق العبقرية ، فهى وحدها التى تلهم صاحبها المواقف الموفقة فى كل ما يعرض له من الشئون ، والشئون مآزم لا يغنى فيها مجرد التشدد فى تطبيق حرفية المثل العليا ، فلابد فيها من تصرف وجدانى يضع الأمور مواضعها ، وهناك مجال فسيح للعبقرية .

وإلا فلم قرر علماء النفس وجود عبقرية للحكم ؟ أليست أصول الأحكام القويمة مقررة مرسومة ؟ نعم . ولكن تطبيقها على الحوادث ، وتحويل الماجريات الى سبيلها القيم ، واستغلال الظروف لمصلحة الجماعة دون الاخلال بسلطان تلك الأصول ، والاستفادة من مرونتها فى حدودها المقررة ، وتعيين مواضع هذه الرخصة وأوقاتها المناسبة ، كل هذه مجالات تتفاضل فيها النفوس ، وتجد العبقرية مكانها العالى منها .

وإنه مما يوجب تفاؤلنا أن يكون أول ملك مصرى مستقل سميا لعمر بن الخطاب فى أخص ألقابه . وإنا لنرجو أن يكون جلالته أشبه الناس به فى أخص صفاته أيضا . وقد بدت مخايل ذلك على جلالته على قرب عهده بالعرش . أعز الله به مصر والمصريين ، كما أعز بسميه الاسلام والمسلمين !

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة لقمان

— ٩ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » :

كانت الآية السابقة فى الحث على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والصبر على ما يلقاه الآمر الناهى من مصائب هو متعرض لها ولا بد ؛ وفى بيان أن الأمر والنهى المذكورين من عزم الأمور ، أى الأمور المصممة التى لا هوادة فيها ولا تراخى . ومعلوم ما يشعر به الآمر الناهى من العزة وعلو النفس إذ يرى نفسه مرشداً مربيا مؤدبا ، فيشعر لنفسه بحقوق الزعامة والرياسة ، وأنه ينبغى أن تدين له النفوس وتخضع ، إذ كانت ناقصة فأكملها ، معوجة فقوّمها ، ضالة فهداها وأرشدها . وهنا لا بد أن ينفخ الشيطان فى منخريه نفخة العزة والكبرياء فيلحقه من الصلف والتيه ما يقلب عليه الحال ، ويصيره أولى بأن يوعظ وينبَّه الى ما وقع فيه أو شارف الوقوع ، فكان بمسيس الحاجة الى هذا التنبيه ، فجاءت الآية الكريمة فى وقت الحاجة الشديدة اليها ، حتى تنقذه من زلة هو بشرف التردى فيها ، فقال عز من قائل : « ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور »

ومعنى التصعير : الميل المشرب بالاعراض كما هى سحنة المتكبرين . وأصله من الصعر وهو داء يعترى البعير فيلوى له عنقه ، استعير لهيئة المتكبر لمشاركته له فى الشكل مع التلميح بالاستنكار لهذا الشكل ، فان أبغض الهيئات هيئة المتكبرين ، فلا بدع أن يختاروا لها من الأشباه ما يستند الى المرض البغيض ، قال الشاعر :

وكنا إذا الجبار صعر خده   أقمنا له من ميله فتقوما

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإن ذم الكبر والتنفير منه غير محتاج الى إطالة القول ، فنكتفى بكلمتين وجيزتين فيه ، إحداهما تنسب لعلى كرم الله وجهه ، وهى « وما لابن آدم والكبر وإنما أوله نطفة مذره ، وآخره جيفة قذره ، وهو بين ذلك يحمل العذره » ! وقريب منها قول بعضهم : « كيف يتكبر من يعلم أنه خرج الى الدنيا بعد ما مر من مجرى البول مرتين ، ويمس القذر فى نفسه كل يوم مرتين أو أكثر من مرتين » !

والثانية قول الامام الغزالى رحمه الله « لو أن الرجل كان عالما جوادا ثم كان متكبرا لمقته الناس وأبغضوه ، يقولون نستغنى عن علمه بعلم غيره ، ويرزقنا الله بلا حاجة اليه . ولو كان جاهلا بخيلا ثم كان متواضعا لأحبه الناس ومالوا اليه . فناهيك بفضيلة غطت رذيلتين ، ورذيلة غمطت فضيلتين ! » أعاذنا الله من شر الكبرياء والمتكبرين .

وحسبك قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام احمد : « إن أحبكم الىّ وأقربكم منى منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون » .

واللام فى قوله « للناس » لام الأجل ، أى لا تمله من أجل الناس استخفافا بهم وإعراضا عنهم وكبرياء عليهم ، فليس معناها مثل مافى قولك : أملت جانبى له ، بمعنى عطفت أو حنوت عليه ، وإنما معناها الصلف والاعراض ، فهى كقولهم : قلب لهم ظهر المجن . وكقول العامة : قلب لى صفحة وجهه ، أى أشاح وأعرض . وبعضهم يقول « ولا تصعر خدك للناس » : أى لا تذل وتخضع . وهو إذا صح فى نفسه فليس بمتسق مع السياق .

« ولا تمش فى الأرض مرحا » :

فى المرح معنى الفرح والخفة والنزق ، وكلها ينبو عنه الوقار والسكينة والرزانة التى هى شعار المؤمن ، ولا سيما من نصب نفسه للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن النفوس لا يطيب لها الاذعان لمن كان بعيدا عن سمت الوقار والسكينة وضبط النفس . وهذان النهيان « ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش فى الأرض مرحا » وإن كانا مطلوبين من كل إنسان فهما من الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر آكد طلبا .

« إن الله لا يحب كل مختال فخور » :

تعليل للنهى السابق ، كأنه قيل : ولماذا نهينا عن هذين ؟ فكان الجواب ما ترى . والمختال من الخيلاء ، وهى مشية فيها تبختر ومباهاة ، كأنها تنشأ عن تخيل المرء فى نفسه ميزة ليست فى غيره . والفخور : الكثير الفخر ، وهو تعداد ما أوتى من نعم بقصد الاستعلاء على غيره . وقد قالوا إن فى هذا التعليل لفا على غير ترتيب النشر ، فإن الخيلاء تناسب المشى مرحا ، والفخر يناسب التكبر وتصعير الخد ، وسلك هذا المسلك وهو عكس الترتيب الأول مراعاة للفاصلة . وأرى أن المعنيين متقاربان ، فلا يمشى مشية المرح إلا الفخور غالبا ، كأنه لا يبالى

حروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بمقادير من أمامه . وكذلك من شأن المتكبر المصعر خده للناس أن يختال فى مشيته . فمجموع الوصفين والخلقين متناسبان .

بقى أن مثل هذا التركيب يكثر فى التنزيل الكريم ، وهو تقديم أداة النفى فى قوله « لا يحب » على أداة العموم وهى لفظ « كل » . وقد اشتهر بينهم أن هذا يفيد نفى العموم ، أى أن محبة الجميع غير حاصلة فلا ينافى أنه قد يحب البعض ، فتكلف بعضهم جريان هذا المعنى هنا وقال : إن الله لا يحب جميع المختالين وإن كان يحب بعضهم كالاختيال فى صفوف القتال إظهارا للقوة أمام العدو ، وكالافتخار بنعمة الايمان والتوفيق مثلا . والذى أراه ما عليه الجمهور من صرف هذا التركيب الى معنى استغراق نفى المحبة لجميع أفراد المختالين الفخورين ، وكأنه قيل : وكل مختال فخور لا يحبه الله ، فان المقام مقام التنفير من هاتين الصفتين الذميمتين ، وليس يحسن فى مثله أن يقال لهذا التعليل إن الله يبغض بعض المختالين ولا يبغض الآخرين ، فذلك مما يأباه مقام الزجر والتنفير . وما ذكروه من المثالين يؤخذ استثناؤه من دليل آخر بحيث لا يمس المقصود من السياق .

هذا وإن السر فى أن المختال الفخور لا يحبه الله ، أن اختياله وفخره نتيجة شعوره بكمال نفسه ، ومن ملكه هذا الشعور قلما يلتفت لتدارك نقصه أو تنمية كمالاته ، فقد قالوا أول درجات الشروع فى الكمال الشعور بالنقص ، فمن لم يشعر بجهة نقصه لا ينتظر أن يسعى فى مراتب الكمال ، والكمالات الانسانية لا تقف عند حد ، فما من كمال إلا وعند الله أكمل منه أعد له النفس الانسانية ، وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم : « إنه ليران على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة » .

وفى التعبير بفخور خروج عما يتوهم من معارضة قوله تعالى « وأما بنعمة ربك فحدث » فالفخور الكثير الفخر ، أما تعداد النعمة بدون تلك الكثرة فلا حرج فيه ، بل إذا قصد بذلك إظهارها ليكون ذلك أدعى لشكرها وحث الغير على النظر لنعمة ربه ليقبل عليه شاكرا فهو مقصد حسن يصلح أن يكون مأمورا به لا منهيا عنه .

« واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » :

القصد فى المشى : التوسط والاعتدال فيه . لما نهى عن المشى مرحا كان ذلك مظنة أن الهوادة الشديدة بل المشى مشى المتماوتين مطلوب شرعا ، فجاء الأمر فى هذه الآية الكريمة منبها على الاحتراز من ذلك أيضا ، فالقصد والاعتدال فى كل شىء هو الحسن المطلوب ، والافراط أو التفريط كلاهما مذموم :

فلا تغل فى شىء من الأمر واقتصد كلا طرفى قصد الأمور ذميم

وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا مشى كأنما ينحط من صبب . وروى أن عمر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رضى الله عنه رأى رجلا يمشى مشية المتماوت، فقال له : لا تمت علينا ديننا ! ورأى رجلا مطأطئا رأسه فقال له : ارفع رأسك فان الاسلام ليس بمريض ! ونظرت عائشة الى رجل كاد يموت متخافتا ، فقالت : ما هذا ؟ فقيل إنه من القراء ، فقالت : لقد كان عمر رضى الله عنه سيد القراء وكان إذا مشى أسرع ، وإذا قال أسمع ، وإذا ضرب أوجع ! وظاهر أن المراد بالاسراع ما فوق مشية المتماوتين .

« واغضض من صوتك » :

الغض من الشىء نقصه والتقصير فيه ، يقال غض بصره أى كفه نوعا ما ، لم يحبسه تماما ولم يرسله ممتدا ، وكذلك الأمر هنا : طلب ألا يطلق الصوت على جهارته المزعجة ، وألا يحبسه همسا. وفى قوله : « من صوتك » إشارة الى هذا ، فكأنه يقال : انقص بعض صوتك ولا ترسله بجهارة مزعجة . وهذا يدل على التوسط فيه على نسق ما فهم فى أمر المشى . وقوله « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » مفيد للتعليل مثل ما سبق فى قوله تعالى : « إن الله لا يحب كل مختال فخور » .

وأنكر الأصوات أقبحها ، من نكر كقبح وزناً ومعنى ، وفيه زيادة على القبح معنى الصعوبة والشدة المؤدية الى الاشمئزاز . والحمير تضرب مثلا فى الذم من جهات عديدة : كالبلادة ، وإزعاج الصوت ، وذلة التسخير . ولذلك أكثر ما يستعمل مكنيا عنه ، إلا فى مقام الذم ، فانه يصرح به لأنه أجلى فى التقبيح مثل ما هنا وما فى قوله عز وجل « كمثل الحمار يحمل أسفارا » ففى التصريح باسمه عون على التنفير والتقبيح ، وهو المقصود فى مقام الذم .

هذا وإن بعض الناس يحملهم الصلف والغطرسة على إطلاق صوتهم اغترارا واعتزازا حتى كان بعضهم يمدح بذلك ، كما فى قول الشاعر :

جهير الكلام جهير العطاس   جهير الرواء جهير النعم

ولكن ما من شك فى أن ضبط النفس والغض من الصوت والرزانة أدعى الى الاصغاء وحسن الاستماع ، بل ربما كانت أوجب للمهابة . على أن الجهارة قد تخلو من فظاعة الصخب الممقوت فلا يوجب ذلك المدح برفع الصوت رفعا فظيعا ، ولكن الخروج عن تخافت المتماوتين .

هذا وإنك لتجد فى أسلوب القرآن الكريم فى الارشاد الى الأخلاق الفاضلة والتربية الحسنة من الأمر والنهى معللين بعللهما المؤثرة فى النفوس ، ما لا تجده فى التقسيمات الفلسفية التى يطوح بها المتشدقون ، إذ يقسمون القوى النفسية ويشرحون لها أحوالا نظرية لا تترك فى النفس أثرا عمليا ، وإنما تعين على بسط القول واتساع الكلام ، فأما الانتاج الفعلى فلا تكاد تجده إلا فى الذكر الحكيم . فاللهم اهدنا إليك الصراط المستقيم ؟

ابراهيم الجبالى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

الطلاق

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « أنه طلق امرأته وهى حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل عمرُ بنُ الخطاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مُرْهُ فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء أمسك بعدُ وإن شاء طلق قبل أن يَمَسّ ، فتلك العدةُ التى أمر اللهُ أن يطلَّق لها النساء » . رواه البخارى .

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور : (١) بيان معناه (٢) هل طلاق الحائض ومن فى حكمها حرام أو مكروه ؟ (٣) هل للزوج أن يطلق زوجته فى غير زمن الحيض والنفاس بدون سبب أولا ، وما رأى الأئمة فى ذلك ؟ (٤) ما حكمة النهى عن طلاق الحائض ومن فى حكمها ؟ (٥) هل قوله صلى الله عليه وسلم لعمر : مره فليراجعها ، أمر لابنه عبد الله أولا ؟ (٦) هل الحديث يفيد النهى عن الطلاق مرتين أو ثلاثا أولا يفيد ؟ وما رأى الأئمة فى ذلك ؟ (٧) هل يعتد بطلاقه إذا طلق حال الحيض والنفاس فيحسب عليه أولا ؟

١ — معنى هذا الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الطلاق فى حالتين : إحداها أن تكون المرأة حائضة ، ثانيتهما أن تكون طاهرة من الحيض ولكن زوجها أتاها فى هذا الطهر ، لأنه عليه الصلاة والسلام خيره بين إمساكها وبين طلاقها فى الطهر قبل أن يمسها . وقد جاء فى بعض الروايات أنه عليه الصلاة والسلام قد غضب من تطليق عبد الله زوجته حال حيضها . وسبب غضبه فيما يظهر أن الطلاق حال الحيض قد نهى الله عنه بقوله : « يأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » . وما كان لعمر وابنه أن يخفى عليهما ذلك الحكم مع مالهما من المنزلة العلمية الرفيعة فى الدين . أما كون عبد الله قد فعل ذلك عمدا لعدم استطاعته ضبط نفسه وهو عالم بالحكم ، فهو بعيد ، لأن عبد الله بن عمر كان شديد التمسك بأحكام الدين معروفا بالورع والتقوى والقدرة على ضبط نفسه . ومعنى قوله تعالى « فطلقوهن لعدتهن » لوقت عدتهن ، أى طلقوهن عند حلول وقت العدة لا قبلها بحيث تشرع المرأة فى العدة عقب الطلاق بدون فاصل .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وظاهر أن الطلاق فى الحيض يعوق المرأة عن الشروع فى العدة ، فان الحيض الذى طلقت فيه لا يحسب لها من العدة باتفاق من يقول إنها تعتد بثلاث حيض ومن يقول إنها تعتد بثلاثة أطهار . أما الثانى فظاهر . وأما الأول فلأن الحيضة التى وقع الطلاق فى خلالها لا تحسب ، إذ الشرط عندهم أن تكون الحيضة كاملة بعد وقوع الطلاق ، فلا يعتد بالناقصة ولو لحظة .

وظاهر هـذا التعليل يؤيد الشافعية والمالـكية الذين يقولون إن المـرأة تعتد بالطهر لا بالحيض . فاذا طلقها فى الطهر الذى لم يجامعها فيه فانها بذلك تشرع فى العـدة عقب الطلاق مباشرة ، وذلك لأن الطهر الذى طلقت فيه يحسب لها من الأطهار الثلاثة التى تنقضى بها العدة ولو بقيت منه لحظة واحدة . مثـلا إذا طلقها قبل طـلوع الشمس بخمس دقائق وهى طاهرة ثم حاضت بعد طـلوع الشمس ، حسبت لها الخمس دقائق طهرا كاملا ، فاذا كانت ممن يحيض كل خمسة عشر يوما مرة فحاضت مرة ثانية وطهرت حسب لها طهر ثان ، فاذا حاضت بعد خمسة عشر يوما مرة ثالثة ثم طهرت حسب لها طهر ثالث وتنقضى عـدتها بمجرد نزول دم الحيضة الرابعة ، وعلى هـذا القياس .

أما الحنفية والحنابلة الذين يرون أن المرأة تعتـد بالحيض ، وأن الحيضة التى يقع الطلاق فى أثنائها لا تحسب لها من الحيض الثلاث ، فانهم يقولون إن الغرض من الآية الـكريمة إنمـا هو الأمر بطلاق المرأة فى الوقت الذى تستقبل فيه عـدتها بلا فاصل ، فاذا طلقها فى الطهر الذى لم يجامعها فيه فانها بذلك تستقبل أول حيضة تحسب لها من العدة ، وليس الغرض أن تشرع فى العـدة عقب الطـلاق فورا لأن ذلك ممـا لا لزوم له . ولـكل من الفريقين أدلة يؤيد بها رأيه محلها مباحث العدة .

ومع هذا فانهم متفقون على أنه لا يجوز للرجل أن يطلق زوجته وهى حائض أو نفساء ، كما لا يجوز له أن يطلقها وهى طاهرة إذا جامعها فى هذا الطهر كما سيأتى . وهـذا هو صريح الحديث الذى معنا . وقد بين به رسول الله صلى الله عليه وسـلم آية « يأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » .

ثم إنهم قد اصطلحوا على تسمية الطلاق الذى يحصل فى هذه الحالة طلاقا بدعيا ، وتسمية ما يقابله وهو ما إذا طلقها فى طهر لم يأتها فيه ولا فى الحيض الذى قبله طلاقا سنيا .

ثم إذا طلق زوجته وهى حائض أو نفساء فانه يفترض عليه أن يراجعها إذا لم تكن مطلقة ثلاثا عند الحنفية والمالـكية . وقال المالـكية : يجبر على مراجعتها بالضرب والسجن إذا لم يرض ، فان امتنع راجعها القاضى بدله وتكون زوجة له بهذه المراجعة ، ثم يمسكها حتى تطهر من الحيضة التى طلقها فيها ثم تحيض حيضة ثانية وتطهر ، فان شاء طلقها فى ذلك الطهر الثانى من قبـل أن يمسها ، وإن شاء أمسكها . وهذا هو ظاهر الحديث . أما الشافعية والحنابلة فانهم يقولون إن الرجعة سنة لا فرض .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهذا كله فى المرأة المدخول بها غير الحامل إذا كانت من ذوات الحيض . أما إذا أراد أن يطلق زوجته قبل الدخول فله أن يطلقها وهى حائض لأنها لا عدة لها . وإذا أراد أن يطلق امرأته وهى حامل فله أن يطلقها بعد الوطء لأنه عالم بحملها فلا يندم لفراق ولده . وإذا أراد أن يطلق امرأته التى لا تحيض لصغر أو كبر فان له أن يطلقها بعد الجماع لأن عـدتها تنقضى بالأشهر لا بالحيض .

٢ — أما الجواب عن السؤال الثانى : فقـد أجمع الأئمـة الأربعة على أن طلاق المرأة وهى حائض أو نفساء معصية محرمة . ويقال له بدعى ، منسوب للبدعة المحرمة . بخلاف طلاقها فى الطهر الذى جامعها فيه ، فان المالـكية قالوا إنه مكروه لا حرام . ولـكن الحديث الذى معنا لم يظهر منه فرق بين الحالتين ، فمن أين نأخذ أنه فى الأول حرام وفى الثانى مكروه ؟ ولعلهم يفرقون بين الحـالتين بأن النبى صلى الله عليه وسلم قـد غضب لمـا قال له عمر إن عبد الله طلق امرأته وهى حائض ، وغضب النبى صلى الله عليه وسلم دليل على أنه معصية ، أما فى الحالة الثانية فانه بين الطريق التى تتبع بخيره بين أن يمسكها وبين أن يطلقها من قبل أن يمسها ، ولا دليل فى هذا على التحريم إذا طلقها بعد أن يمسها ، غايته أنه يكره .

٣ — أما الجواب عن السؤال الثالث : فبالساب ، فلا يجوز للرجل أن يطلق امرأته بدون سبب ولو كان طلاقه سنيا . وقـد أجمع الأئمة الأربعة على أن الأصل فى الطلاق المنع ماعـدا المـالـكية فانهم قالوا خـلاف الأولى . ثم إن الشافعية والحنابلة قالوا إنه مـكروه . وظـاهر عبارات الحنفية تفيد كراهة التحريم . وعلى هذا فلا يحل للزوج أن يطلق زوجته إلا لحاجة تقتضى الطلاق ، وذلك لأن الطلاق يقطع عقد الزواج ، وقد شرعه الله لضرورة التناسل الذى لابد منه لبقاء العمران الى الأجل الذى أراده الله وقضاه ، فخلق من أجل ذلك الزوجين وجعل بينهما مودة ورحمة ، فطلاق الزوجـة من غير سبب سفه وكفران لنعمة الله ، فضلا عما فيه من أذى يلحق الزوجة وأولادها إن كان لها أولاد .

فما يفعله بعض الشهويين الذى لا خلاق لهم من تطليق زوجاتهم بدون سبب ، لا يقره الدين الاسلامى ولا يرضاه ، ولابد أن ينتقم الله من هؤلاء فى الدنيا والآخرة . ولا يبرر جناياتهم على زوجاتهم الغافلات المخلصات وأبنائهم الضعاف ما يزينه لهم بعض السخفاء من جواز الحصول على أكبر قسط ممـكن من اللذات المباحة ، لأن العدوان على الزوجة المخلصة يجعله حراما لا مباحا ، فلا يصح للانسان أن يؤذى الناس من أجل أن يتلذذ ، وإلا كان هو والحيوان المفترس سواء . على أن الذين يعتقدون أن علاقـة الزوجية منحصرة فى الاستمتاع والتلذذ بالمرأة بدون أن يتجاوزه الى معنى آخر ، فيندفعون وراء شهواتهم كالبهم بدون حساب ، مخطئون كل الخطأ ، فان علاقة الزوجية لها من التقديس والاحترام فوق هذا الذى يظنون . كيف لا وهى أساس بناء العمران وسبب وجود الانسان ، إذ لولا ما أوجده الله من الرحمة والمودة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بين الزوجين وأودعه فى قلبيهما من العطف الذى يدفع كل واحـد منهما الى التعلق بالآخر ، لما وجد النوع الانسانى . فحرام على الرجل أن ينظر الى زوجته نظر مهانة واحتقار ، فيظن أن فائدتها مقصورة على اللذة والاستمتاع بدون تدبر للسبب الحقيقى الذى جمعهما الله من أجله .

أما الأسباب التى تعرض للطلاق فإن بعضها يرجع الى الزوج ، وبعضها يرجع الى الزوجة . فالأسباب التى ترجع الى الزوج تنقسم الى قسمين : قسم يجعل الطلاق فرضا عليه لا مناص له من إيقاعه ، وقسم يجعله محرما فوق تحريمه فى ذاته . والقسم الأول يمكن حصره فى أمرين :

أحدهما : أن يعجز عن إعفاف المرأة وصيانة عرضها بما يفعله الرجال مع النساء : كأن كان عنينا بطبيعته قبل أن يبنى بها ، وفى هذه الحالة يجبر على طلاقها باتفاق ، أو عرض له ما أقعده عن إتيانها من مرض وشيخوخة وهى شابة لا ترضى به ولا تستطيع الصبرعن الرجال ، وفى هذه الحالة يجب عليه أن يطلقها من تلقاء نفسه ، ويحرم عليه إمساكها ، فرارا بعرضه وكرامته ، لأن إمساكها على هـذه الحالة يترتب عليه فساد أخلاق وانتهاك حرمات ، وضياع أعراض . وكل ذلك شر وبيل يجب اجتنابه والقضاء عليه بكل الوسائل .

على أن بعض الأئمة يرى أنه يفـترض قضاء أن يأتى الرجل امرأته كل أربعـة أشهر مرة على الأقل ، وإن عجز طلق عليه القاضى ، وهو مذهب الحنابلة . أما المالـكية فانهم يقولون إن للمرأة الحق فى مطالبته بهذا الأمر قضاء فى كل أربعة أيام ليلة ، ولـكنه إن عجز لا يطلق عليه القاضى إذا كان العجز عارضا بعد الاتيان . وعلى كل حال فان المعقول الطبيعى أن الرجل الذى يرضى باهمال زوجته فى هـذا المعنى حتى تشكوه ، لا يعرف للعرض قيمة ، فيجب عليه أن يطلقها فورا .

ثانيهما أن يعجز عن الانفاق عليها . وبديهى أن العجز عن الانفاق على الزوجة له من الأثر السىء مثل ماللعجز عن إعفافها ، إذ لا مناص للمرأة فى هـذه الحالة من الحصول على قوتها ومسكنها وملبسها وما يتعلق بذلك من ضروريات الحياة ، فتضطر للحصول عليها بأى وسيلة من الوسائل ، فتنساق مكرهة الى التفريط فى عرضها والقضاء على شرفها ، ثم تصبح بعد ذلك من الساقطات المؤذيات للمجتمع ، خصوصاً إذا كانت شابة مرغوبا فيها ، فيفترض على الزوج أن يطلقها فورا لتتزوج ممن يصون عرضها بالقدرة على الانفاق عليها . ولذا أجمع ثلاثة من الأئمة على أن الرجل يجبر على تطليق زوجته إذا تركها بدون إنفاق ، ويطلقها عليه القاضى إذا أبى . ولم يخالف فى ذلك سوى الحنفية . ومع ذلك فانهم يقولون بضرورة تعزير الزوج حتى ينفق أو يطلق .

فهذان السببان هما اللذان يوجبان الطلاق على الزوج . فمتى كان قادرا على إعفافها والانفاق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عليها ولم يقصر معها فيما يجب عليه من ذلك ، فإنه لا يتصور وجوب الطلاق عليه بعد ذلك لا قضاء ولا ديانة عند الجمهور .

ولكن الشافعية قالوا إنه يجب عليه الطلاق أيضا فيما إذا قضى به الحكمان حال الشقاق ، فإذا استحكم الشقاق بينهما الى حد أنهما عجزا عن تسوية أمورهما وبعث ولى الأمر حكما من أهله وحكما من أهلها للاصلاح بينهما فقضى الحكمان بالطلاق فإنه فى هذه الحالة يجب على الزوج أن يطلق تنفيذاً لحكم الحكمين . ولكن الواقع الذى لا ريب فيه أن الشقاق مهما اشتد أمره فانه قابل للزوال ، فلا يجب عليه تطليقها بسبب الشقاق إلا إذا وصل الى حد يوجب الفساد : كما إذا ترتب على شقاقهما كره طبيعى يسوق المرأة الى الانصراف عن زوجها الى غيره وخيانته فى عرضه ، أو نحو ذلك من المفاسد الخلقية والاجتماعية التى تقضى على الأسرة وتخل نظامها ، فانه فى هذه الحالة يجب الفراق . ولعل الشافعية يريدون هذا المعنى ، فانهم قيدوا ذلك بالمصلحة ، فاذا قضى الحكمان بالطلاق بدون مصلحة ظاهرة فلا يجب عليه أن يطلق .

وأما القسم الثانى وهو ما يعرض فيه السبب من قبل الزوج : فانه يمكن حصره فى أمرين أيضا : (الأول) أن ينشأ عن طلاقها ظلم لها . و (الثانى) أن يترتب على طلاقها محرم . مثال الأول : أن يكون تحته أكثر من زوجة فيعطى كل واحدة ما تستحقه من القَسْم والمبيت حتى إذا جاءت نوبة إحداهن طلقها قبل أن يعطيها حقها ، فالطلاق فى هذه الحالة حرام باعتبار أنه ظلم للمرأة ، وهو غير جائز فى ذاته ، فيؤاخذ عليه الشخص من جهتين ، فإذا طلقها طلاقا بدعيا مع هذا فإنه يؤاخذ من ثلاث جهات . ومثال الثانى : أن تكون الزوجة عفيفة مستقيمة وله فيها رغبة ويخشى على نفسه الزنا إذا طلقها لعدم قدرته على الحصول على غيرها ، فانه فى هذه الحالة يحرم عليه تطليقها كالأول سواء بسواء . وقد مثل بالمثال الأول الشافعية ، وبالثانى المالكية ، وكلاهما حسن ، لأن التشريع الاسلامى مبنى على درء المفاسد بكل ما يستطاع .

فهذه هى الأسباب التى ترجع الى الزوج ، وبها يجب عليه الطلاق أو يحرم .

أما الأسباب التى ترجع الى الزوجة فانها تارة تكون متعلقة بعرضها ودينها ، وتارة تكون متعلقة بعدم صلاحيتها للاستمتاع . فالأول كما إذا ارتاب الرجل فى سلوك امرأته ، أو اعتقد أنها لا تحتفظ بعرضها ، أو كانت لا تصلى ولا تصوم ، ففى هذه الحالة لا يجوز له إمساكها باجماع الأئمة . ولكنهم اختلفوا فى عدم الجواز ، فقال بعضهم : إنه يحرم عليه إمساكها ويجب عليه طلاقها ، وهو الامام أحمد . وبعضهم قال إنه يكره لا يحرم فيسن له طلاقها . ويظهر أن الذين قالوا بالكراهة فقط نظروا الى ما عساه أن يترتب على تطليقها من شر وفساد قد يصيبان الزوج فتضطرب حياته ويفسد خلقه ، إذ ربما يكون متعلقا بها فلا يستطيع أن يسلوها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فيضطر الى إتيانها بالحرام ، أو يكون غير قادر على ضبط شهوته وليس له مال يتزوج منه غيرها فيقع بسبب طلاقها فى الزنا ، أو يكون له منها أولاد لا يمكنهم أن يعيشوا بدونها فتسوء حالهم . وهذه الأمور تحتاط لها الشريعة الاسلامية كل الاحتياط .

فليس من محاسن التشريع الاسلامى المشهور بدقته أن يجعل فراقها حتما لازما ، لأن النفوس تتفاوت وحاجات الناس تختلف . فمن كان قوى الارادة ذا غيرة فان الشريعة تشجعه على طلاق فاسدة الأخلاق ، وتقول له : إن لك عليه أجراً . ومن كان ضعيف الارادة يؤذيه طلاق زوجه فانها لم تحتم عليه طلاقها بل له إمساكها مع الكراهة . وهذا أعدل الموازين وأصلحها .

أما أنا فأميل الى ما ذهب اليه الإمام أحمد من أن المرأة فاسدة الأخلاق إذا عجز زوجها عن تقويمها ، وعلم أنها غير مصونة العرض ، فإن طلاقها يكون واجبا وإمساكها يكون محرما ، إذ الرضاء بها معناه الرضاء بتكوين أسرة فاسدة تضر المجتمع الانسانى ، لأن المرأة الفاسدة لا يقتصر ضررها عليها وحدها ، ولكنه يتناول أولادها ومن يتصل بها . ومثل هذه يجب على الناس كلهم أن ينبذوها ولا يتخذوها أمًّا لأولادهم ولا مربية لأبنائهم وبناتهم . وهذا هو الذى تؤيده قواعد الدين الحنيف ، دين الآداب والأخلاق ، فقد حثت السنة على الغيرة على الأعراض وأوجبت الدفاع عنها فى كثير من المواضع ، وزجرت الذى يرضى بالفساد زجرا شديدا ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا : الديوث ، والرجلة من النساء ، ومدمن الخمر . فقالوا يا رسول الله : أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث ؟ قال : الذى لا يبالى من دخل على أهله . قلت : فما الرجلة من النساء ؟ قال : التى تتشبه بالرجال » . رواه الطبرانى . وروى مثله النسائى والحاكم وقال صحيح الاسناد . وقد روى البخارى أن سعد بن عبادة قال للنبى صلى الله عليه وسلم : « لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح » فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أتعجبون من غيرة سعد ؟ لأنا أغير منه ، والله أغير منى ! »

فاذا كانت قواعد الاسلام مبنية على الغيرة على الأعراض ، واحتقار الديوث ، وحرمانه من رضوان الله ، فكيف يكون طلاق فاسدة الأخلاق مندوبا فقط ؟ لا شك أنه واجب ، وإمساكها محرم . وليس من الشهامة أن يصبر الانسان على عضو فاسد حتى يفسد جميع بدنه خوفا من التألم الذى يلحقه عند بتره .

أما إذا كان السبب عدم صلاحية المرأة للاستمتاع بسبب عيوب قائمة بها ، أو كبر ، أو نحو ذلك ، فانه يباح للرجل فى هذه الحالة أن يطلقها . على أن الشريعة فى هذه الحالة تنظر الى الآثار المترتبة على إمساكها أو تطليقها ، فان كان الرجل فى غنى عن إتيان النساء وليس له أمل فى ذرية

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فانه يترجح إمساكها ، خصوصا إذا كان طلاقها يؤذيها ويعرضها للبؤس والشقاء ، فان الرحمة والشفقة من الضروريات فى نظر الشريعة . وإن كان إمساكها يترتب عليه فساد الرجل كما هو مشاهد فى بعض الشبان الذين يتروجون العجائز طمعا فى مالهن لينفقوه على الشهوات المحرمة فان إمساكها يكون حراما .

٤ — أما حكمة النهى عن الطلاق البدعى وهو طلاق الحائض ومن فى حكمها : فقد بينها الفقهاء ، فقالوا : إن الحـكمة فى النهى عن طلاق الحائض والنفساء هى عدم تطويل العدة عليهما لأن أيام الحيض والنفاس لا تحسب لهما كما تقدم .

والحـكمة فى النهى عن الطلاق فى الطهر الذى جامعها فيه هى أنها ربما تكون قد حملت منه من حيث لا يدرى وهو لا يرغب فى فـراق ولده ، فيندم ، بخـلاف ما إذا كان حملها ظاهرا فانه عالم به فـلا معنى لندمه بعد . ومع هـذا فقد أجمعوا على أن المرأة إذا رضيت بتطليقها وهى حائض أو نفساء فانه لا يقبل منها ، لأن المسألة ليست حقها وحدها ، إلا فى الخلع على مال ، فان الشافعية والحنفية يجيزونه حال الحيض والنفاس . ومثله بعض أمور أخرى لا يسعها المقام . أما المالـكية فانهم يمنعون كل فرقة إلا فرقة العقد الفاسد ، وفرقة الايلاء . والظاهر أن الحـكمة ليست مقصورة على هـذا ، بل الشريعة الاسـلامية لم تشرع الطـلاق جـذافا وإنما شرعته لحاجة المجتمع الانسانى اليه ، فوضعت له من القيود ما يلفت النـاس الى خطورة أمره ، كى لا يتخذوه لعبة فى أفواههم كما يفعله سفلة الناس الذين لا يعبأ الله بهم .

ولو أن الناس قـد أدركوا ما انطوت عليه هـذه القيود من أسرار وعملوا بها لنجوا من شرور عواقب الطلاق بدون حساب ، فـكم من أناس ساقهم الغضب وثوران النفس الى طلاق زوجاتهم طلاقا باتا ثم ندموا على ما فعلوا فاخذوا يحتالون على الرجوع بالفتاوى الملفقة والحيل الفاسدة ! وكثير من أهل الاحتياط ضحى بأعز شىء لديه فسمح بالمحلل وهو كاره . كل ذلك يمكن الاستغناء عنه بالتريث فى الأمر والتمسك بما أمر الله به ورسـوله . فان المرأة لا تخـلو حالها غالبا من أن تكون حائضة أو نفساء أو طاهرة ولـكن زوجها قـد أتاها فى طهرها ، وفى هذه الأحوال يحرم عليه أن يطلقها ، فاذا علم ذلك وأمسك عن الطلاق حتى يمضى الزمن المنهى عنه انكشف له الحال بعد أن يذهب غيظه ، فان وجد سببا للطلاق فعل وهو راض ، وإلا فان المياه تعود الى مجاريها ، وبذلك يرضى الله ورسوله ونفسه وزوجه .

٥ — أما قول النبى صلى الله عليه وسـلم لعمر : مر عبد الله فليراجعها ، فان معناه بلغ عبد الله هذا الأمر ، فهو أمر لعبد الله بلا نزاع . أما قولهم : إذا أمر شخص بان يأمر الآخر فلا يكون هذا الأمر أمرا للشخص الآخر كقوله عليه الصلاة والسلام : مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، هـذا ليس أمرا للاولاد ، فمحله إذا لم يكن المأمور الثانى مكلفا ، ولم يكن الآمر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأول مشرعا ، ولم يـكن الحـكم متعلقا بالمأمور الثانى ، إذ لا شبهة فى أن المقصود بالحـكم هو عبد الله لا عمر ، وهو مكلف رشيد ، فلا نزاع فى أن الأمر متعلق به ومطلوب منه .

٦ — أما الجواب عن السؤال السادس : فان الحـديث لا يفيد النهى عن الطلاق مرتين أو ثلاثا . ولـكن الجمهور على أن الطلاق الثلاث بدعى محرم ، فاذا أراد أن يطلق زوجته فليطلقها طلقة واحدة ثم يتركها حتى تنقضى عدتها ، فاذا طلقها فى العدة طلاقا ثانيا كره له ذلك عند المالـكية والحنابلة . والحنفية يقولون : يكره إذا طلقها ثنتين فى آن واحد ، أما إذا فرقهما فى كل طهر طلقة ، أو فى كل شهر طلقة إذا كانت تعتد بالأشهر ، فانه لا يكره ، بل لو طلقها ثلاثا متفرقة فانه لا يـكره . وخالف الشافعية فى المسألة من أصلها فقالوا : إن عـدد الطلاق لادخل له فى البدعى ، فله أن يطلقها ثلاثا فى آن واحد ، ولـكن الأولى عندهم أن يفرق الطلاق . وظاهر الحديث يؤيد الشافعية ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قد أباح لعبد الله الطلاق فى الطهر الذى لم يجامعها فيه مطلقا . نعم إن الحـكمة التى ذكرناها للطلاق تؤيد الجمهور ، لأن طلاقها ثلاث مرات يقطع عليهما باب الأمل فى الرجوع فيندمان أشد الندم . وطلاق المرتين تضييع لحق بدون فائدة ، فان الرجل يملك ثلاث طلقات ، فيكفى واحدة فى الانفصال ، ويبقى له الاثنتان ، فيكره له أن يضيع منهما واحدة

٧ — أجمع الأئمة على أن الرجل إذا طلق امرأته طلاقا بدعيا يحسب عليه . وخالف بعض الباحثين فى ذلك ، فقال إنه لا يحسب . ولـكن الجمهور قد استدلوا بأن عبد الله بن عمر نفسه صرح بأن طلقته حسبت عليه ، وأن التحريم لا ينافى الصحة بلا نزاع .

عبد الرحمن الجزيرى

التلطف فى الاهداء

أهدى أبو الحسن بن طباطبا العلوى الى بعض العلماء وكتب اليه :

لا تنكرن إهـداءنا لك منطقا   منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله عز وجل يشكر فعل من   يتلو عليه وحيه وكلامـه

وأهدى أحمـد بن يوسف هـدية الى المأمون قيمتها مائة ألف درهم وكتب اليه معها هذين البيتين :

على العبد حق فهو لابد فاعله   وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهـدى الى الله ما له   وإن كان عنه ذا غنى وهو قابله

هـذا تعليل فاسد ، ولـكنا نرى أن إهـداء الملوك لا يجوز أن يـكون كبير القيمة وإلا اعتبر عطاء .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حدث جلل لا يمكن الصبر عليه

— ٢ —

أبنا فيما كتبناه قبلا أن منكر وجود الله مصاب بأفظع أنواع الجنون ، وأن الواجب حذفه من سجل الانسانية ، ويجب أن نتحاماه كما نتحامى المصاب بالجذام ، ولا نغتر بصورته الظاهرية فإنه فى الحقيقة غير إنسان . وقد قال تعالى فى حق أولئك الذين يشبهون الانسان وليسوا منه فى شىء : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل » . « وإن تدعهم الى الهدى لا يسمعوا ، وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون »

ولنف بما وعدنا به فى مقالنا السابق فنقول :

إن وجود الله ضرورى عند كل عاقل ، فإنك إذا رأيت بناء شامخا على أحسن وضع وأتم نظام ، قد نسقت أشجاره ، ودبرت أنهاره ، وهيئت مساكنه على ما تقتضيه الحكمة وتوجبه الحاجة ، فهل يمكنك أن تصدق أن هذا البناء بلا بان ، وذلك النظام بلا منظم ؟ فاذا جوزت أن يوجد بناء بلا بان و نظام بلا منظم ، خرجت من زمرة العقلاء ، وسقطت عن رتبة الخطاب والمكالمة .

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

وقد قلنا إن الحيوان إذا ضرب التفت لأنه لا يتصور أن يوجد أثر بلا مؤثر ، ولكن الانسان قد يفسد حتى ينحط عن درجة الحيوان ، فيكون فى أسفل سافلين من الانحطاط الذى لا يشاركه فيه مخلوق ، وقد خلق مستعدا لذلك كما أبناه فى مقالنا السابق .

ولو سلك علماء الكلام مسلك القرآن فى الاستدلال على الله تعالى لقربوا الطريق ، وهزوا القلوب بما أودع فى الفطر وغرس فى النفوس حتى التحق بالبدهيات التى لا تحتاج إلا الى الالتفات اليها وانتباه النفس لها .

وانظر الى قوله تعالى : « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » : أدمج كل ما أطالوا به فى قوله « فاطر السموات والأرض» وهو فى غاية الجلاء ونهاية الوضوح . ويقول : « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون » . ويقول : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » . « فلينظر الانسان مم خلق » . « فى أى صورة ما شاء ركبك » . « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » . « أمّن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته » . « أمّن خلق السموات والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن تنبتوا شجرها أإله مع الله ، بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزا ؛ أإله مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون » . الى آخر ما جاء فى القرآن مما يتملك النفوس ، ويستولى على القلوب . وهكذا شأن القرآن الكريم ، لا يتعسف فى التعبير ولا يتفلسف فى الاستدلال . وإن شئت فانظر حججه على البعث وإعادة الخلق مرة أخرى حيث يقول بأوجز عبارة وأوضح قياس : « كما بدأكم تعودون » . « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » . الى آخر ما يبهر العقول ، ويدهش المشاعر .

ولتعلم أن الاستدلال يختلف باختلاف الناس ، فمنهم من يكفيه أقل شيء لسلامة فطرته وعدم فسادها . ولذلك يروى عن الأئمة وغيرهم شيء كثير من هذا ، حتى إن بعض العارفين لما قيل له : إن الامام الرازى أقام على وجود الله ألف دليل ، قال : ومتى غاب حتى يستدل عليه ؟ فهذا مشاهد أغناه العيان عن البرهان .

ومن ذلك قول الامام على كرم الله وجهه : « لو كشف عنى الغطاء ما ازددت يقينا » .

ومن ذلك قول بعضهم : إن الله قد تجلى لى فى كل شيء ، فليت شعرى كيف يكون تجليه فى القيامة عندما ينكشف الحجاب عن البصائر ! وهل بقى شيء من الظهور حتى يتجلى به هناك ! وقد قيل لبعضهم : بم عرفت الله ؟ فقال : عرفت الله بفسخ العزائم ، وحل العقود .

ومن الاستدلال الظريف قول أبى حنيفة رضى الله عنه لمن تكلم معه من الملحدين :

ما تقولون فى رجل يقول لكم : إنى رأيت سفينة مشحونة بالأحمال ، مملوءة من الأثقال ، قد احتوشتها أمواج متلاطمة ، ورياح مختلفة ، وهى من بينها تجرى مستوية ، ليس لها ملاح يجريها ، ولا متعهد يدفعها ، هل يجوز ذلك فى العقل ؟ قالوا : لا ، هذا شيء لا يقبله العقل . فقال أبو حنيفة : ياسبحان الله إذا لم يجز فى العقل سفينة تجرى فى البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ؟ ! فأقروا جميعا وقالوا : صدقت .

وسئل رضى الله عنه مرة أخرى فتمسك بأن الوالد يريد الذكر فيكون أنثى وبالعكس ، فدل ذلك على الصانع .

وقد أشار القرآن الى هذا الدليل حيث يقول : « يصوركم فى الأرحام كيف يشاء ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم » .

ومنها تمسك أحمد بن حنبل رضى الله عنه بقلعة حصينة ملساء لا فرجة فيها ، ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الابريز ، ثم انشقت الجدران ، وخرج من القلعة حيوان سميع بصير ، فلابد من الفاعل . (عنى بالقلعة : البيضة ، وبالحيوان الفرخ) .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومنها أن هارون الرشيد سأل مالكا رضي الله عنه عن ذلك، فاستدل باختلاف الأصوات وتردد النغمات، وتفاوت اللغات. ويشير الى ذلك قوله تعالى: « ومن آياته خلق السموات والأرض، واختلاف ألسنتكم وألوانكم ».

وسئل أعرابى عن الدليل فقال: « البعرة تدل على البعير، وآثار الأقدام على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا تدل على الصانع الحكيم العليم القدير »؟ وقال آخر:

عرفته بنحلة، فأحد طرفيها يعسل، والآخر يلسع — والعسل مقلوب اللسع.

ويروى أن واحدا قال عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إنى أتعجب من أمر الشطرنج: فان رقعته ذراع فى ذراع، ولو لعب الانسان ألف ألف مرة فانه لايتفق مرتان على وجه واحد. فقال سيدنا عمر رضى الله عنه: هاهنا ماهو أعجب من هذا، وهو أن مقدار الوجه شبر فى شبر، ثم إن مواضع الأعضاء التى فيه كالحاجبين والعينين والأنف والفم لا تتغير البتة، ثم إنك لا تجد شخصين فى الشرق والغرب يشتبهان فى الصورة. فما أعظم تلك القدرة والحكمة التى أظهرت فى هذه الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات التى لاحد لها!

وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال فى بعض خطبه:

« سبحان من بصر بشحم، وأسمع بعظم، وأنطق بلحم »!

ويقول بعضهم فى الاستدلال على الله:

إن غرائز الفطرة لا تدعو الى باطل. وقد وجدنا فيها شعورا لا تميته المميتات ينطق بوجود الخالق: (ولكن الضرر فى أن العوالم السفلية تطلب أن تكيفه لأنها لا تعرف غير المكيف المحدود، ويجب أن لا تعرفه لأنه مباين لها كل المباينة وغير متناه وهى متناهية).

ومنهم من يقول بسعة رزق الغبى دون الذكى، فانه ضيق رزقه. الى آخر الاستدلالات التى لا يأتى عليها العد. ولذلك قالوا: لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم: كم لك من إله؟ فقال لى فى الأرض آلهة كثيرة، ولى فى السماء إله واحد. فقال: من تعده لشدتك، وتضرع اليه عند النوائب؟ فقال: إله السماء، قال: فاعبده ولا تشرك به شيئا. فاقتنع الرجل وأسلم.

ومن ذلك ما قاله جعفر الصادق رضى الله عنه لذلك الغريق الذى نجا: هل كنت يائسا من النجاة عند ما انكسرت بك السفينة؟ فقال لا بل كنت أرجو النجاة. فقال له: إن الذى كنت ترجوه فى باطنك لنجاتك ولا تعرفه هو الله المحيط بكل شىء القادر على كل شىء.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

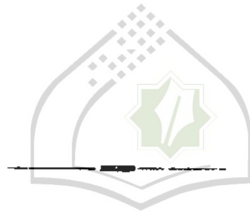
فآمن الرجل عند ما أيقظ منه ذلك الوجدان وحرك ما كان كامنا فى فطرته . وكم فى الفطرة من كنوز تحتاج الى من يستثيرها حتى تخرج من الكمون الى الظهور ، ولكن الناس عنها غافلون وبها جاهلون .

ولنختم هذا المقال بقول القائل :

يقولون أين الله أين عجائبه ... وذا الكون سفر واضح وهو كاتبه
يشكون والايمان ملء قلوبهم ... ويبدون ما تلك القلوب تكذبه
فأى امرئ فى الجو يرسل طرفه ... إذا ما بدت أقماره وكواكبه
وليس يقول الله فى عرش مجده ... وهذى حواشيه وهذى مواكبه
وأى امرئ ما سبح الله مرة ... إذا راقب الأزهار وهى تراقبه
عجائب ربى فى الأنام عظيمة ... ولكن جهل المرء لا شك غالبه

يوسف الدجوى

عضو جماعة كبار العلماء



الثبات فى حالتى الزمان

قال عبد العزيز بن زرارة الكلابى :

لقد عجبت منه الليالى لأنه ... صبور على عضلاء تلك البلابل
إذا نال لم يفرح وليس لنكبة ... ألمت به بالجاشع المتضائل

وكتب عقيل بن أبى طالب الى أخيه على بن أبى طالب عليه السلام يسأله عن حاله : فكتب إليه على رضى الله عنه :

فان تسألنى كيف أنت فاننى ... جليد على عض الزمان صليب
عزيز على أن ترى بى كآبة ... فيفرح واش أو يساء حبيب

وقال حكيم : من عز باقبال الدهر ذل بأدباره . وقال غيره : من أبطره الغنى أذله الفقر . وقال عارف بأسرار النفوس : من ولى ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها ، ومن ولى ولاية يرى ولايته أكبر من نفسه تغير لها .

وقال يحيى بن حيان : الشريف إذا تقوى تواضع ، والوضيع إذا تقوى تكبر .

وقال كسرى أنو شروان : احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاخلاق الفلسفية

— ٥ —

الضمـــــير

تتمة آراء الفلاسفة فيه :

يرى « باسكال » (١) الفيلسوف الفرنسي أن العقل والحواس هما الطريقان الطبيعيان لادراك الحقائق الخارجية ، ولكنه يصرح بأنهما يتبادلان الخداع ، فالحواس تخدع العقل ، والعقل يخدع الحواس ، وإذاً ، فهما ليسا قادرين على تمييز الحقائق المطلقة ، ولا على إيضاح الفروق بين الخير والشر ، ولا على تفهم الدين ، لأنهما أعجز من أن يتطاولا الى سماء هذه الحقائق العالية. وقرر « باسكال » أن في داخل النفس البشرية قوة أخرى أقوى بكثير من قوة العقل ، وهي لا تضل ولا تنخدع ، وسماها بالقلب أو الشعور ، وقال : إن الخير المدرك بدونها ليس ثابت الخيرية ، وإن الدين المعتقد بدونها لا يوصل الى النجاة . فهو يتفق مع « كانت » في أن لدى الانسان قوة تمييز أخرى هي أصدق من العقل المتأثر بالحواس ، ولكنه يخالفه في اتصال القوتين ، ويرى أن بينهما بعدا شديدا وخصاما عنيفا .

ويرى الفيلسوف الانجليزي المادي « هوبس (٢) » أن الاحساس الانساني ما هو إلا حركة من حركات المخ تشبه الاحتكاك الكهربائي فيتولد منها الشعور . وإذا صادفت هذه الحركة مسالكها الحيوية الطبيعية نشأت منها اللذة التي هي مصدر الرغبات البشرية ، وليست الارادة إلا وليدة لتلك الرغبات . وعند هذا الفيلسوف الواهم أن السبب في استراحة النفس بعد إتيان عمل وتألمها بعد إتيان عمل آخر ، هو أن الحركات التي كونت الأول جرت في مسالكها الطبيعية ، وأن التي كونت الثاني انحرفت عن دورتها الخاصة بها ، فاختلف الشعور بعد وقوع هذين العملين لا أكثر ولا أقل . ولا شك أن هذا الفيلسوف هو أحد الذين ينزلون بالانسان الى درجة الآلة البخارية التي تسير بقوة الحيوية المكونة من الحرارة الموجودة في داخل الجسم ، ومن الاحتكاكات « الأوتوماتيكية » الناشئة من تلك الحرارة . غير أنه من حسن الحظ أن مذهب الماديين هذا قد تحطم أمام أدلة الروحانيين الناصعة التي كان في مقدمتها التنويم المغناطيسي والوسيط اللذان أوضحا الصبح لذي عينين .

أما « كارليل (٣) » الفيلسوف المؤمن الانجليزي ، فهو يرى أن الضمير غريزة إنسانية

(١) ولد في ١٨ يونيو سنة ١٦٢٣ وتوفي سنة ١٦٦٢ (٢) ولد في سنة ١٥٨٨ وتوفي سنة ١٦٧٩
(٣) ولد في سنة ١٧٩٥ وتوفي سنة ١٨٨١

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فطرية تدرك الواجب وتشعر به شعورا حقيقيا ، وقد وجدت عند الانسان منذ اللحظة الأولى لوجوده ، وهى لا تحتاج فى إدراكها الواجب الى شرائع ولا الى قوانين ، وهى أبدية لا تضل ولا تنخدع .

ويرى « استوارت ميل (١) » الفيلسوف الانجليزى أن الانسان حين كان يعيش منفردا لم يكن له ضمير ولا شعور بالواجب ، ولم يكن يعرف الفضيلة ، فلما تكونت الهيئات العمرانية سنت قوانين تلتئم مع حياتها الاجتماعية ، واصطلحت فيما بينها على أن هـذا خير وذاك شر ، وقررت فى تلك القوانين إثابة فاعل الصنف الأول ومعاقبة مرتكب النوع الثانى . فأخذ الناس يتسابقون الى الخير رغبة فى اللذة الناشئة من مكافأة فعل الخير ، ويتباعدون عن الشر دفعا للألم الذى سيصيبهم من جراء فعله ، ولم يصدروا فى كل ذلك إلا عن أنانيتهم ومحبتهم لأنفسهم وجريا وراء سعادتهم التى لا تتحقق إلا بجلب أكبر قسط من اللذة ودفع مثله من الألم .

فلما طال الزمن بهذه الأفعال تناسى الناس الأسباب الحقيقية التى دفعتهم اليها حتى أخفوا معالمها نهائيا ، ثم زعموا أنهم يأتون الخيرات ويتجنبون الشرور حبا فى الأولى وبغضا فى الثانية لذاتهما ، ثم أخذ هـذا الزعم يقوى ويتثبت شيئا فشيئا حتى صار عقيدة راسخة فى كثير من النفوس البشرية .

ومن هذه العقيدة نشأ ذلك الذى يسمونه بالضمير ، وتولدت العاطفة الأدبية ، ووجد الشعور بالواجب ، وتكونت القوانين الأخلاقية .

ولا شك أن هذا المذهب واه من أساسه ، مزعزع الدعائم والأركان أولا ، لأننا نستطيع أن نسأل صاحبه عمن هدى أول مقننى الجمعية البشرية الى الخير والشر ، ثم لماذا نرى بعد هذه الأجيال الطويلة الخيرات والشرور الأساسية كما كان يراها الجيل الأول دون تبدل ولا تغير ؟ ثم لماذا نرى اختلاف البيئة الاجتماعية عند الشعوب المتباينة ظاهر الأثر فى تغير جوهريات القوانين الوضعية ؟ ولكننا نرى الأسس الجوهرية لقانون الأخلاق واحدة فى كل العصور ولدى كل الشعوب لم يعد عليها مرور الأزمان ولا تباين الأمكنة والأصقاع .

أما « سبنسر (٢) » فيرى أن الضمير محدث فى الانسان مثل « استوارت ميل » ولكنه يختلف معه فى سبب مأتاه ، فيعتقد أن غريزتى حفظ الذات والنوع دعتا الانسان الى تكوين الهيئات الاجتماعية التى تمكنه من الاحتفاظ بذاته ونوعه . ولقد كان الانسان بطبعه أنانيا مفرطا فى الأنانية ، غير أن القانون الطبيعى لا يسمح ببقاء الفرد المندمج فى المجتمع إلا إذا تلاءم مع البيئة التى يعيش فيها تلاؤما يسمح له بالبقاء بينها . ولا شك أن هذا التلاؤم يكلفه بمعاونتها فى الإيجابيات والدفاع عنها فى السلبيات ، وهذه المعاونة وذلك الدفاع يتطلبان منه أن يحس

(١) ولد فى سنة ١٨٠٦ وتوفى سنة ١٨٧٣ (٢) ولد فى سنة ١٨٢٠ وتوفى سنة ١٩٠٣

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باحساسها ويفكر فى سعادتها ولو تفكيرا ضئيلا الى جانب تفكيره فى منفعته الشخصية التى تدفعه اليها الأنانية الطبيعية ، ثم يزداد هذا التفكير فى مصلحة الجماعة شيئا فشيئا حتى يخفف من وطأة الأثرة ويحولها الى إيثار يتقوى مع الزمن الى أن يدفع بصاحبه الى التضحية ، وهكذا نشأت الغيرية وحب الجماعة من الانانية وحب الذات ، ثم تكونت لدى الإنسان بعد ذلك . وتبعا لهذا القانون الطبيعى مجموعة من العواطف الأخلاقية أطلق الناس عليها فيما بعد اسم قانون الأخلاق ، ونسبوها الى شيء سموه بالضمير ، وما زالت هذه العواطف تقوى وتزداد عند الناس بالوراثة حتى تثبتت دعائمها وأصبح الكثيرون يتصورون أنها فطرية ، وأنها تعمل لذاتها .

ونحن لا نريد أن نوجه الى « سبنسر » من سهام النقد إلا ما وجهناه الى « استوارت ميل » بالذات ، لأن المذهبين يتماثلان فى الاضطراب والبعد عن المنطق المستقيم .

أما « داروين » (١) فيسير طبعا فى الضمير على منهاج نظريته القائلة بالتطور أو بتناسل الانسان من الحيوان ، فيقول :

إن الضمير يرجع الى أبعد مما يظن أولئك الأخلاقيون ، وإذا أردنا أن نعرف أصله ، فلنبحث عنه عند الحيوان الذى هو سلف الانسان ، وحين ذاك يتبين لنا أن الغريزة الاجتماعية التى أرغمت كل فصيلة من فصائل الحيوانات على الانضواء تحت لواء واحد هى التى أوجدت لدى الحيوان المسىء الى هذه الفصيلة أول درجة من درجات وخز الضمير يقوى ويترقى برقى هذه الفصائل حتى وصل الى الحالة التى كانت عند الانسان الأول القريب الشبه من الحيوان ، ثم سارت فى طريق التطور حتى بلغت من الرقى هذا الحد الذى نشاهده . وكما أن الضمير ليس واحدا عند الانسان والحيوان ، هو كذلك مختلف عند الأمم المتباينة فى الرقى ، بل هو مختلف عند الأمة الواحدة فى الأزمان المتغايرة . ثم يضرب لذلك الأمثال فيقول :

إن بعض الأمم كان يدفن شبانها مسنيها من رجال ونساء تخلصا من نفقاتهم ومتاعبهم فى الحياة ، والبعض الآخر كان يبيح قتل كل أجنبى ، مع أننا نستفظع هذا فى الوقت الحاضر تمام الاستفظاع ، والبعض الثالث كان يبيح الانتحار مع أننا نعده الآن جريمة . وهكذا كلما تقدمنا ارتقت ضمائرنا وسمت أخلاقنا تبعا لهذا الارتقاء .

وإذا ، فليس الضمير غريزيا فطريا ، ولا هو قوة أجنبية جاءتنا من غيرنا ، وإنما هو ضرورة من ضروريات حياتنا تختلف باختلاف أزماننا وأمكنتنا وبيئاتنا الاجتماعية ، وأحوالنا العمرانية ، وحظوظنا من الثقافة والمدنية .

ولا ريب أن الرد على « داروين » فى هذه النقطة هو رد على نظرية النشوء والتطور من أساسها ،

(١) ولد فى سنة ١٨٠٩ وتوفى سنة ١٨٨٢

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وليس فى هذه الفصول الأخلاقية مجال يتسع لمناقشة هذه النظرية الباطلة التى دلل الروحانيون والانسانيون من الفلاسفة على فسادها بأنصع الأدلة وأروع البراهين حتى ألجأوا تلاميذ « داروين » الى محاولة تبرئة أستاذهم منها ، والى تأويل ألفاظه وتحويل تيارات جمله الى نواح تقرب من الروحية بعض الشىء . وربما عرضنا لتفنيد هذه النظرية فيما بعد بأدلة بعضها للعلماء الطبيعيين المحدثين ، والبعض الآخر للفلاسفة العقليين ، وقد اجتمع لدينا والحمدلله القدر الكافى لدحض هذا المذهب الواهن .

ومن الغريب المدهش ، بل من البغيض المخجل أن شرذمة من الطبقة المستنيرة عندنا قد أخذت تنتصر لهذه النظرية القديمة وتروج لها فى مصر بعد أن أبلاها التفكير الحديث ، وهلهلتها سهام النقد التى سددها إليها كبار الفلاسفة الروحيين وأعلام المفكرين الانسانيين فى أوربا . وهكذا شاءت لهم كرامتهم أن يتباهوا عجبا وتيها بالثياب الخلقة الرثة المهلهلة التى نبذها أصحابها خجلا منها وترفعاً عن نسبتها إليهم . ومن هذا ما يقوله أحد مؤلفى كتب الأخلاق الحديثة فى مصر من أن اضطراب الكلب عند سرقته شيئا هو جرثومة الضمير عند الانسان ، فاذا رقى الكلب أصبح ضميره هو ما نشاهده فى الانسان .

وبما أن هذا الكاتب وأمثاله هم من المقلدين لمذهب « التطور » فلا تحسن معهم المناقشة ، ولا يجمل معهم الجدل ، وإنما يجب أن نجعل مناقشتنا مع أصحاب المذهب الأساسيين أنفسهم فنقول لهم : إن الكلب لا يشعر بالاضطراب إجابة لصوت الضمير أيها السادة الفلاسفة ، وإنما نشأ شعوره هذا من ذكريات حوادث قديمة كانت نتيجتها أن فاز هذا الكلب من الصوت والعصا بنصيب بقيت آثاره عنده الى هذه اللحظة التى ظهر عليه فيها الاضطراب من مثيلتها .

ويقول هؤلاء المقلدون لمذهب التطور : إن العقل هو الهادى الوحيد للضمير ، ولذلك نرى ضمائر الأمم تستحسن اليوم ما استقبحته أمس ، وتستريح — بعد أن ترقت عقولها — لما كانت تشعر من عمله بالوخز الشديد أثناء التأخر والجهل . ولما كنت قد أوضحت لك آراء « كانت » و « باسكال » فى العقل الخاضع للحواس وما يشمله من ضعف وقصور وانخداع ، فلا أرانى الآن فى حاجة الى التعليق على رأى هؤلاء المقلدين للماديين ، وإن كنت أرى أن العقل يقوم فى مساعدة الضمير بنصيب وافر ضد القوة الشهوانية التى تحارب الضمير وقد تتغلب عليه إن كان هو القائم بالنضال وحده ، ولكن إذا انضم اليه العقل المثقف استطاعا معا أن يقهرا هذه القوة الغاشمة وأن يفوزا بالغلبة التى يترتب عليها انتصار الفضيلة ، لأن العدو الغشوم إذا حاربه خصمان يكون انهزامه أكثر تحققا مما لو حاربه خصم واحد ، وهذا هو كل ما يستطيع العقل أن يؤديه للضمير من خدمات .

على أنى لا أستطيع أن أفهم كيف يعد عصيان الضمير أو التردد فى أوامره ضربا من ضروب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الرذيلة عند هؤلاء القوم مع أنهم يعترفون بأنه كثيرا ما يخطىء، وكثيرا ما يضل، والمنطق كان يوجب عليهم أن يبيحوا عصيان من يحتمل الخطأ ويجوز عليه الضلال، أو يبيحوا التردد فى أوامره على أقل تقدير، ولكنهم مع ذلك يحاولون أن يتحككوا بالروحيين فيقولون: إن فاعل الشر بنية الخير يعتبر خيّرا، لأن المنظور اليه هو النوايا الدافعة الى الأعمال لا نتائجها.

ولا ريب فى أن هذا تناقض منهم واضطراب، لأن العقلية المادية يجب ألا تعبأ إلا بالنتائج المحسوسة فى الخارج وإلا فهى متمردة على نفسها، خارجة على قانونها الطبيعى. وإذاً فنستطيع أن نستدل بهذا التناقض فى آراء الماديين ومقلديهم على أنهم غير متثبتين من مذهبهم.

أما ما يسوقونه إلينا كبراهين على اختلاف الوجدان تبعا لتغيرات الأزمنة والأمكنة فلسنا نرى شيئا أسهل من الرد عليه بقولنا: إن الرغبات المختلفة والأهواء المتباينة هى التى تقوى وتنمو عند الأفراد والجماعات حتى تتغلب على صوت الضمير الذى لا يكف عن الهتاف بالفضيلة والحط من قدر الرذيلة حتى ينتهى الأمر بأن يختفى هذا الصوت العلوى الى جانب صلصلة أجراس الشهوات العنيفة، وتصبح الرذائل من الأمور السهلة العادية، ولا يعود الانسان يسمع من أعماق نفسه هذا الصوت الذى كان يسمعه فى الماضى. وهنا يخيل الى أولئك الماديين أن الضمائر نفسها هى التى تختلف وتتغير، وما هم فى ذلك إلا واهمون.

فعلى ذلك، وبعد كل هذه الآراء التى قدمناها نستطيع أن نجزم بأن الضمير هو ذلك الشعاع النورانى، والسر الربانى الذى ألقاه مبدع الكون فى داخل النفوس البشرية، وأنه من عالم الخلود لا يضل ولا ينخدع، ولا يخضع للمؤثرات الخارجية ولا يستعين فى إدراك حقائق الخير والشر بالعقل أو بالعرف، وإن كان يتخذ الأول عونا له على محاربة الشهوة أحيانا، وأنه واحد لدى كل الأمم والأفراد، وإن كان تغلب الأهواء على ظهور صوته يختلف باختلاف العقليات والبيئات والثقافات؟

دكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

« يتبع »

ما قيل فى المزاح

قال النبى صلى الله عليه وسلم: بعثت بالحنيفية السمحة. وقال إنى لأمزح ولا أقول إلا حقا.

وقد رويت عنه صلى الله عليه وسلم عبارات من المزاح تعتبر مثالا عاليا فى هذا الباب.

وقال أبو الفتح البستى:

أفد طبعك المكدود بالهم راحة ... يراح وعلله بشىء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن ... بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

النثر الفنى

وأطواره فى الأدب العربى

يستطيع الباحث فى سهولة ويسر أن يساير النصوص الأدبية مسايرة بحث واستقراء فى جميع مراحل الأدب العربى فى عصوره المختلفة قبل النهضة الحديثة التى بدأت فى أول عهدها بثورة جامحة على الأدب العربى واصطبغت بصبغة غربية استشراقية ، فانه لا يكاد يعثر على نص أدبى يسعفه باثبات هذا التعبير « النثر الفنى » أو « النثر الأدبى » فهو تعبير مصطنع مزور لا يقوم على حجة سوى التقليد لمنهج البحث عند جماعة المستشرقين ، أرسله أصحابه إرسالا لا يعتمد على تحديد علمى فى معناه ومدلوله التركيبى ، ولا يرتكز على قانون « فنى » فى موضوعه وأغراضه التى يرمى الى تحقيقها .

ولو حاولنا أن نتعرف له معنى محددا ، أو غرضا خاصا قائما بنفسه عند أصحاب نظريته ، ومن استحدثوه فى تاريخ الأدب العربى ، لما انتهينا الى شىء يطمئن المنطق اليه . فبعض الباحثين يرى أن النثر الفنى هو : الكلام الأدبى الذى يعتمد على العقل والتفكير ، وهو بهذا المعنى يقابل الشعر الذى هو لغة العاطفة والخيال . وهو تحديد غامض أشد الغموض ، لأننا نجد كثيرا من النثر الأدبى الجيد ما يكون تعبيرا عن العاطفة وصدى للوجدان وترجمة عن الخيال . وأقرب شاهد يحضرنا على ذلك فى الأدب القديم الرسائل الاخوانية ، وكثير من فن المقامات والمطارحات ، وفى الأدب الحديث جمهرة الأدب الروائى . وكذلك نجد كثيرا من الشعر الرصين ما هو آية من آيات العقل والتفكير فى حدود المنطق المستقيم ، ونجد شواهد عليه فى شعر ابن الرومى والمتنبىء وأبى العلاء المعرى وأبى العتاهية ، فليس إذاً كل نثر أدبى يعتمد على العقل والتفكير بعيدا عن الخيال والعاطفة ، وليس كل شعر جيد يقوم على العاطفة والخيال بريئا من التفكير الصحيح والمنطق المستقيم .

على أننا إذا جارينا أصحاب هذا المذهب فى جعل النثر الفنى مقابلا للشعر ليتسنى لهم تحديده بذلك المعنى ، وجدنا أن النثر الفنى بهذا الاعتبار يتسع مداه فيشمل الخطب والرسائل بأنواعها ، والوصايا والمحاورات ، والأمثال والحكم ، وكل ما يقابل الشعر المقيد بالوزن والتقفية من أنواع النثر الممتاز عن لغة التخاطب فى أمور العامة ، ومن ثم يكون ضروريا أن نجعل أول أطوار النثر الفنى فى الأدب العربى يتمثل فى النثر الجاهلى ، ولكن أصحاب هذا المذهب يرفضون هذا الاستنتاج ويأبون على العصر الجاهلى أن يكون قد عرف النثر الفنى بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، ولا يزال ذلك المعنى الدقيق ، وذلك النوع الخاص من الكلام ، الطليق من قيود

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الوزن والتقفية، الجديد باسم « النثر الفني» غير بيّن ولا مفهوم . وبعض الباحثين يتوسع قليلا في توضيح موضوعات النثر الفني ، ويرى أنه « أظهر ما يكون في تقرير الحقائق ، ورسم النفوس ، والاجتماع » ويرى أن « ذلك ليس من طبيعة العربي في بلاغته ، لأن العربي مرتجل بطبيعته ، ميال الى البديهة والارتجال ، والبديهة والارتجال لا يصلحان لعمل النثر الجيد المبني على الفكر والتعقل » .

ويحاول بعض الأدباء أن يدخل الزخرف اللفظي والتنميق والكتابة والنظام الانشائي عناصر في النثر الفني . ولا نفهم كيف جاء هذا الاصطلاح ، ولم يخرج النثر الأدبي مهما قيل فيه عن كونه نوعا من الكلام الممتاز بجودة عبارته وسمو معناه ، يقصد به إصابة الجادة وإحكام القول ، وهو ما تتجه اليه أفكار الناس ، فاذا كان العرب قد آتاهم الله سرعة البديهة الصائبة والارتجال المحكم أفيكون هذا سببا في الحكم عليهم بأنهم لا يعرفون النثر الأدبي ، أو الفني كما يقولون ؟ نعم نحن لا ننكر أن « أظهر ما يكون النثر الأدبي في تقرير الحقائق ورسم النفوس والاجتماع » ولكن نتساءل أي مقياس نتخذه لنعرف به الحقائق التي تقرر بهذا النثر والنفوس التي ترسم ، والاجتماع الذي يطبق ؟ هل هي واحدة في كل الجماعات البشرية ، أو تختلف باختلاف الطبائع والبيئات والثقافات ؟

أو ليس من المعقول أن لكل أمة مذهبا في الكلام وطبيعة لا يصح أن نطبق عليها مذهب وطبيعة أمة أخرى في حقائقها ونفوسها واجتماعها ؟ وهل من المعقول أن نطبق حقائقنا ونفوسنا واجتماعنا في هذا العصر على العرب في عصورهم الأولى ؟

العرب أمة لها طبيعة خاصة ، ولها تفكير خاص ، ولها اجتماع خاص ، وكان لها نثر أدبي يمثل طبيعتها وتفكيرها واجتماعها ، ويلائم بيئاتها ، وقد ضاع من هذا النثر شيء كثير ، ولا نستبعد أن يكون كثير من الرسائل الأدبية كان لدى العرب وضاع فيما ضاع من نثرها لأسباب أشرنا اليها في مقالاتنا السابقة .

وبعض الباحثين من أدبائنا يؤكد تأكيداً قويا وجود النثر الفني عند العرب في عصرهم الجاهلي ، ولكن التوفيق يعوزه فيما اتخذه سندا لدعواه ، ونحن وإن كنا لا نستسلم للتسليم المطلق بصحة هذا النثر المنقول الينا معزوا الى عرب الجاهلية ، غير أننا لا نجاري الشاكين على الاطلاق ، ونعتقد أن كثيرا جدا من هذه الخطب والأمثال والحكم والوصايا والمحاورات صحيح النسبة الى العرب قبل الاسلام ، ويدلنا على ذلك تلك الخطب التي قام بها زعماء الوفود في عصر النبوة ، وهي لم تكن مفتجرة افتجارا ، والخطب شقيقة الرسائل . قال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين : « واعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية ، وقد يتشاكلان أيضا من جهة الألفاظ والفواصل ، فألفاظ الخطباء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تشبه ألفاظ الكتاب فى السهولة والعذوبة ، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل ، ولا فرق بينهما إلا أن الخطبة يشافه بها ، والرسالة يكتب بها ، والرسالة تجعل خطبة ، والخطبة تجعل رسالة فى أيسر كلفة » . بل إن صاحب « صبح الأعشى » يرى أن الخطب جزء من أجزاء الكتابة ونوع من أنواعها .

فكيف صح لأنصار مذهب « النثر الفنى » تجريد العرب منه ؟ وماذا يرى الباحث حين يقرأ هذه المحاورة التى يقول عنها ابن الأثير « إنها من الكلام الجامع للجزالة والرقة » ويقدمها بقوله : ويكفى من ذلك كلام قبيصة بن نعيم لما قدم على امرئ القيس فى أشياخ بنى أسد يسألونه العفو فى دم أبيه فقال له : « إنك فى المحل الأرفع والقدر من المعرفة بتصرف الدهر ، وما تحدثه أيامه وتنقل أحواله ، بحيث لا تحتاج الى تذكير من واعظ ، ولا تبصير من مجرب ، ولك من سؤدد منصبك وشرف أعراقك وكرم أصلك فى العرب محتد يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة ورجوع عن الهفوة ، ولا تتجاوز الهمم الى غاية إلا رجعت اليك فوجدت عندك من فضيلة الرأى وبصيرة الفهم وكرم الصفح ما يطول رغباتها ويستغرق طلباتها ، وقد كان الذى كان من الخطب الجلل الذى عمت رزيته نزاراً واليمن ولم تخصص بذلك كندة دوننا ، للشرف البارع كان لحجر ، ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ، ولكنه مضى به سبيل لا يرجع أخراه على أولاه ، ولا يلحق أقصاه أدناه ، فأحمد الحالات فى ذلك أن تعرف الواجب عليك فى إحدى خلال ثلاث : إما أن اخترت من بنى أسد أشرفها بيتا ، وأعلاها فى ثناء المكرمات صوتا ، فقدناه اليك بنسعة تذهب مع شفرات حسامك بباقى قصرته ، فنقول : رجل امتحن بهالك عزيز فلم يستل سخيمته إلا بمكنته من الانتقام ؛ أو فداء بما يروح على بنى أسد ، فهى ألوف تجاوز الخمسة ، فكان ذلك فداء رجعت به القضب الى أجفانها لم ترددها بسليط الاحن على البراء ؛ وإما وادعتنا الى أن تضع الحوامل فتسدل الأزر ، وتعقد الخمر فوق الرايات » .

قال فبكى امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع رأسه فقال : « لقد علمت العرب أنه لا كفؤ لحجر فى دم ؛ وأنى لن أعتاض جملا ولا ناقة فأكتسب به سبة الأبد ، وفت العضد ، وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة فى بطون أمهاتها ، ولن أكون سببا لعطبها ، وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل فى القلوب حنقا ، وفوق الأسنة علقا

إذا ما جالت الحرب فى مأزق تصافح فيها المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون ؟ » قالوا بلى ننصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار ، بمكروه وأذية ، وحرب وبلية . ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل :

لعلك إن تستوخم الورد إن عدت كتائبنا فى مأزق الحرب تمطر

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فقال امرؤ القيس : لا والله ، ولكن أستعذ به ، فرويدا ينفرج لك دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير ، ولقد كان ذكر غير هذا بى أولى إذ كنت نازلا بربعى ، ولكنك قلت فأوجبت ، فقال : هو ذاك » .

قال ابن الأثير : فلتنظر الى هذا الكلام من الرجلين : قبيصة وامرئ القيس ، حين يدع المتعمقون تعمقهم فى استعمال الوحشى من الألفاظ ، فان هذا الكلام قد كان فى الزمن القديم قبل الاسلام بما شاء الله .

أفليس هذا من أروع النثر الأدبى الذى يقرر حقائق ، ويرسم نفوسا ، ويطبق اجتماعا ، ويعتمد على العقل والتفكير الصحيح والمنطق المستقيم ؟ بلى إنه لنثر فنى يحمل فى ثناياه حجته الأدبية على وجوده وتعارفه عند العرب ؟

صادق ابراهيم عرجون

ضرر الحسد

قال بعض الحكماء : ألزم الناس كآبة أربعة : رجل حديد ، ورجل حسود ، وخليط الأدباء وهو غير أديب ، وحكيم محتقر لدى الأقوام .

قال على بن بشر المروزى كتب ابن المبارك هذه الأبيات :

كل العداوة قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد
فان فى القلب منها عقدة عقدت ... وليس يفتحها راق الى الأبد
إلا الاله فان يرحم يحللها ... وإن أباه فلا ترجوه من أحد

وسئل بعض الحكماء : أى أعدائك تحب أن يعود لك صديقا ؟ قال : الحاسد الذى لا يرده إلا زوال نعمتى .

وقال سليمان التيمى : الحسد يضعف اليقين ، ويسهر العين ، ويكثر الهم .

وقد صلى الأحنف بن قيس على حارثة بن قدامة السعدى فقال : رحمك الله كنت لا تحسد غنيا ، ولا تحقر فقيرا .

وكان يقال : لا يوجد الحر حريصا ، ولا الكريم حسودا .

وقال شاعر :

حسدوا النعمة لما ظهرت ... فرموها بأباطيل الكلم
وإذا ما الله أسدى نعمة ... لم يضرها قول أعداء النعم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حكمة الصيام فى الاسلام

يمر بنا شهر رمضان من كل عام فيستقبله المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها بما هو أهله من الاحتفاء والاحتفال ، وينتدب كبار الكتاب لتحبير المقالات الضافية الذيول فى بيان منافعه فى العقول والأبدان ، وفوائده للقلوب والأرواح ، وإنه لقمن بكل هذه العناية لجليل أثره فى النفوس ، لو قامت به على وجهه الصحيح ، ولم تتحول عن صراطه السوى .

ذكر العلماء للصيام حكما كثيرة ، وعندنا أن أولى تلك الحكم بالبيان ، أثره على الانسان فى رياضة النفس ، وثمرته فى تخليصه من سلطان المادة .

الانسان جسد وروح ألّف الخالق الحكيم بينهما على تخالف طبيعتيهما الى أمد محدود ؛ فمن الناس من تتسلط كدرة المادة عليه فتغلب فيه الصفات البهيمية ، حتى إنك لتراه فى مظهره إنسانا مستكملا جميع صفات التقويم الحسن ، فاذا اطلعت على دخيلة حاله تبين لك أنه يحمل نفس حيوان ضار ، لا يفكر فى غير رغباته الجسدية ، وشهواته البدنية ؛ ولا يبالى فى سبيل الوصول اليها أن يرتكب كل دنية ، أو فعلة وحشية ؛ ومثل هذا لا يعيش إلا ليأكل ويتوسع فى توفية شهواته ، وما هى إلا سنون حتى يدركه الهرم ، ويقعد به الضعف ، فيموت ميتة الحيوان الأعجم ، لم يحصل من جهاده الدنيوى نورا يعرج به الى العالم الذى خلق ليتحول اليه .

وقد ثبت علميا أن تجرد الانسان لاتباع شهواته المادية ، وإغفاله لمميزاته الروحانية ، يجر عليه وعلى بنى نوعه أكبر الجرائر ، ذلك أنه لم يخلق كالحيوان محدود المطالب ، محصور الرغائب ، حتى يكون ما يحصله من حطام الدنيا كافيا لسد مطامعه ، ولكنه خلق مطلق القوى ، بعيد مدى الغايات ؛ فهو لا يكتفى بلباس وطعام يوفى بهما حاجات جثمانه ، بل لو حصل الدنيا كلها وجعلها فى قبضته وجد فى مذخور قواه مددا لا حد له يمكنه أن ينفقه وراء أى مطلب من المطالب التى يجد نفسه مدفوعا اليها ، فاذا لم يتدارك الدين الحق مثل هذه الشخصيات الخام بالتهذيب والتلطيف ، اجتمع منها فى الأمة الواحدة عدد كبير لا يستطاع ترويضهم وإدخالهم فى حظيرة حكومة صالحة .

فشرع الله الصيام رياضة للنفوس، ليمكن بواسطته وبواسطة الصلاة تحويل القوى الأدبية العظيمة القدر فى الانسان ، الى ما ينقله من حضيض الحيوانية التى هو فيها ، الى أرقى درجات السمو الروحانى الذى خلق ليصل اليه .

فكيف يحقق الصيام هذه الرياضة ، ويدفع بتيارات القوى الأدبية الانسانية الى وجهة تصلح معها للحياة الملكية ، بعد أن كانت تزيده بدون هذا التحويل حيوانية على حيوانية ؟

oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

إن الاسلام بفرضه الصلاة والصيام على ذويه قد حلاهم بأقوى الوسائل لإحداث أعجب ضروب التطور فى النفس البشرية ، بحيث تصلح لجذب أمة من طرف الى طرف فى فترة من الزمان لا تكفى لإحداث مثل هذا الأثر الخطير فى فرد واحد .

فالصلاة عمل قلبى وعضوى لو أدى على وجهه الصحيح لأحدث فى مؤديه انقلابا تدريجيا يشبه ما يفعله المغناطيس الحيوانى فى تعديل الطباع ، وتهذيب الأخلاق ؛ وفتح باحات روحانية للنفس تتصل معها بعالم الروح ، وتستمد منه حياة علوية ، وقوى أدبية .

تبدأ الصلاة بتكبيرة الاحرام : الله أكبر ، فلو استشعر المصلى وهو يذكر هذه العبارة معناها الصحيح ، صغرت فى عينه جميع الأغيار ، ومحقت جميع الصور ، وشعر بأنه ماثل أمام القادر الذى أبدعه . هذا الشعور وحده يخلعه من عالم المادة ويدخله عالم الروح ؛ فاذا قرأ فاتحة الكتاب ، وتأمل فى معانيها ، واستشعر الى ما تشير إليه من طلب الهداية الى الصراط المستقيم ، كان كل ذلك منه يشبه مايسمى فى عالم النفس بالايعاز الذاتى (Auto - suggestion) فتتكيف به نفسه من طريق الاستهواء ، وتندفع لتحقيقه بكل ثبات ومثابرة . كل هذا على شرط أن يكون الدخول فى الصلاة بتجريد النفس لها من جميع الأغيار .

فاذا انضمت فريضة الصيام الى الصلاة فى كل عام شهرا ، بلغت خاصة الايعاز الذاتى أشدها ، وأثمرت أعظم ثمراتها .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وهذا على شريطة أن يكون الصيام كما سنه الاسلام ، لا كما حولته اليه العادات .

إن شهر الصيام الآن يعتبر شهر قصف ولهو ، وسهر وسمر ، وهو فى حقيقته شهر زهد ورياضة وورع . وهو على ما نؤديه عليه من التوسع فى المآكل ، وإحياء الليالى بالملهيات ، والنوم الى ساعات متأخرة من النهار ، يعتبر من أشد الضربات على الصحة الجسدية والصحة النفسية معا . فالقانون الصحى لا يسمح بأن يجيع الانسان نفسه طول النهار ، فاذا جاء المساء أكل أكل المسعور المحروم حتى لا يستطيع التنفس ، ثم عاود الكرة بعد بضع ساعات باسم السحور ، فحشر الى معدته كل ضروب المحظورات الغذائية ، وشرب على كل ذلك ماء غزيرا .

لا جرم أن من يرتكب مثل هذا العبث يخرج من رمضان متعب الجسم والعقل معا .

ولكن الصيام فى الاسلام هو على النحو الذى كان يعمله النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقد كانوا يفطرون على تمرات ، ثم يقومون لصلاة المغرب ، فاذا أدوها عادوا لإتمام الطعام ، وهو لا يتعدى لقيمات كانوا يقيمون بها أصلابهم ، ثم جلسوا يتحدثون حتى يأتى موعد النوم العادى فى ناشئة الليل ، تلك الآونة الحافلة بالاشعاعات المهدئة للأعصاب ، ومنهم من كان يستيقظ فى الهزيع الأخير من الليل للتهجد ، ومنهم من كان ينام الى ما قبل صلاة الفجر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بقليل فيصيب قليلا من الطعام ، ثم يتوضا ويتنفل حتى يؤذن المؤذن بالفجر فيصلون الصبح . ثم منهم من كان يظل يقظا الى المساء ، ومنهم من كان تأخذه بعد الفجر سنة من النوم ، ثم يقومون الى أعمالهم لا يتخلفون عن عاداتهم فى شىء .

الصيام على هذا النحو يعتبر عملا رياضيا له تأثير كبير على جسم الانسان وروحه ، يدخل فيه فى كل عام مرة ، ويخرج منه وقد تطهر قلبه ، وتزكى ضميره ، وتنقى دمه ، وتقوت أعصابه ، وفوق ذلك كله ، هبطت عليه من عالم القدس نفحات روحانية ، وإشراقات ربانية ، لا يتصور العقل مبلغ ما تفعله فى ترقيته الى مراتب الكمال .

هذه الرياضة إذا أضيفت الى الصلاة ، أحدثت بين الانسان وعالم الروح أوثق الصلات ، ونقلته من عالم الحيوانية الذى هو فيه الى وجود سام تتيقظ فيه أكرم غرائز النفس، وأشرف عواطفها . وهذا وحده يفسر لنا حدوث ذلك الانتقال المحير للعقل فى نفسية عرب الجاهلية فنقلتهم طفرة من حياة وحشية حافلة بالميول البهيمية ، والمقاصد العدوانية ، والاباحة الحيوانية ، الى حياة مدنية آهلة بالعواطف الشريفة ، والنيات الكريمة ، والغايات النبيلة ، حياة أوصلتها الى خلافة الله فى الأرض ، وهى درجة لم تنلها فى تاريخ الانسانية كله إلا أمم معدودة ، نالتها الأمة الاسلامية فى أقل من ثمانين سنة ، فوصلت الى ملك لم تصل اليه أكبر دولة فى الأرض فى ثمانمائة سنة ، وأحدثت فى العالم من الآثار العلمية والعملية والفنية ما لا تزال الأمم عيالا عليه الى اليوم .

هذه آثار العبادات الاسلامية فى الأمم ، إذا أديت على وجهها الصحيح لا على ما آلت اليه اليوم : صلاة صورية ، وصيام اتخذ وسيلة لإثارة القرم ، والتوسع فى النهم .

بصرنا الله بديننا القويم ، وجعلنا ممن قال : « سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » !

محمد فريد وجدى

من نوادر الكلم

قال على بن الحسين رضى الله عنهما : « لو كان الناس يعرفون جملة الحال فى فضل الاستبانة ، وجملة الحال فى فضل التبيين ، لأعربوا عن كل ما يتلجلج فى صدورهم ، ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة الى كل حال سوى حالهم ، وعلى أن درك ذلك كان لا يعدمهم فى الأيام القليلة العدة ، والفكرة القصيرة المدة ، ولكنهم ما بين مغمور بالجهل ، ومفتون بالعجب ، ومعدول بالهوى عن باب التثبت ، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٣ - أعلام القرآن :

ابليس (١)

أصل اللفظ واشتقاقه — خلق إبليس — حقيقة الجن — إبليس قبل المعصية
إبليس وآدم — إنظاره — موته ووقته

١ - أصل اللفظ واشتقاقه :

قال الزجاج : هو اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ، ووزنه فعليل ، قال البستاني في دائرة معارفه : وهذا هو الصواب ، فانه معرب « ذيافوليس » باليونانية ، وهو علم جنس للشيطان ، ومعناه فيها بالحصر موقع الخلاف ، وبالتعميم نمام أو مشتك كاذب .

وقال صاحب تاج العروس بعد قول القاموس : أو هو أعجمي ، ولذا قيل : إنه لا يصح أن يشتق إبليس ، وإن وافق معنى أبلس لفظا ومعنى ، وقد تبع المصنف الجوهري في اشتقاقه ، فغلّطوه ، فليتنبه لذلك .

وقال أبو عبيدة وغيره : إنه عربي مشتق من الابلاس ، وهو الابعاد من الخير ، أو اليأس من رحمة الله ، يقال أبلس من رحمة الله ، أي يئس وندم ، وفي التنزيل العزيز : « يومئذ يبلس المجرمون » وإبليس مشتق منه ، لأنه أبلس من رحمة الله ، أي أويس ، ومنع من الصرف حينئذ لكونه لا نظير له في الأسماء ، أو لأنه شبيه بالأسماء الأعجمية ، لكونه لم يسم به أحد من العرب ، فصار خاصا بمن أطلقه الله تعالى عليه ، وكانه دخيل في لسانهم .

وقيل : إن اسمه بالعبرانية عزازيل ، وبالعربية الحارث ، أما كنيته فأبو مرة .

٢ - خلق إبليس :

تتوقف معرفة خلق إبليس على معرفة النوع الذى هو منه ، وذلك أنهم اختلفوا فيه : أهو من الملائكة ، أم من الجن ؟

فذهب جماعة الى أنه من الملائكة مستدلين بجملة أدلة ، منها :

(الأول) ظاهر الاستثناء في قوله تعالى : « فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر » والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل ، أو لصح دخوله ، وذلك يوجب كونه من الملائكة .

(١) من قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ابى واستكبر وكان من الكافرين » . سورة البقرة — آية ٣٤

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(الثانى) أنه لو لم يكن من الملائـكة لما كان قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائـكة اسجدوا لآدم » متناولا له ، ولو لم يـكن متناولا له ، لاستحال أن يكون تركه للسجود إباء واستكبارا ومعصية ،ولما استحق الذم والعقاب ، وحيث حصلت هذه الأمور ، علمنا أن ذلك الخطاب يتناوله ، ولا يتناوله ذلك الخطاب إلا إذا كان من الملائـكة .

وذهب جماعة آخرون الى أنه من الجن مستدلين أيضا بعدة أمور ، منها :

(الأول) قوله تعالى فى سورة الـكهف : « وإذ قلنا للملائـكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ، ففسق عن أمر ربه » .

(الثانى) أن إبليس له ذرية ، لقوله تعالى فى صفته : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لـكم عدو » وهذا صريح فى إثبات الذرية له ، وأن الملائـكة لا ذرية لهم ، لأن الذرية إنما تحصل من الذكر والأنثى ، والملائـكة لا أنثى فيهم ، لقوله تعالى : « وجعلوا الملائـكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ، أشهدوا خلقهم ، ستكتب شهادتهم » : أنـكر على من حكم عليهم بالأنوثة ، فاذا انتفت الأنوثة ، انتفى التوالد لا محالة ، فانتفت الذرية .

(الثالث) أن الملائـكة معصومون ، وإبليس لم يكن كذلك ، لأنه قد استكبر والملائـكة لا يستكبرون .

(الرابع) أن إبليس مخلوق من النار ، والملائـكة ليسوا كذلك — وستأتى الأدلة على هذا فى بيان حقيقة الجن .

ولم تسلم أدلة كل من الفريقين من المناقشة والتصحيح والتأويل .

وقيل : إنه لا من الملائـكة ، ولا من الجن ، بل هو خلق مفرد ، وأنه مخلوق من النار .

٣ — حقيقة الجن :

الجن نوع من الخلق ، سموا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار ، ولأنهم استجنوا من الناس فلا يرون ، قال الراغب : « أصل الجَن (بفتح الجيم) ستر الشيء عن الحاسة ، يقال جنّه الليل وأجنّه ، وجنّ عليه فجَنه : ستره » الى أن يقول : « والجِن (بكسر الجيم) يقال على وجهين : أحدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بازاء الإنس ، فعلى هـذا تدخل الملائـكة والشياطين ، فـكل ملائكة جن ، وليس كل جن ملائكة ، وعلى هذا قال أبو صالح : الملائـكة كلها جن ، وقيل : بل الجن بعض الروحانيين ، وذلك أن الروحانيين ثلاثة : أخيار وهم الملائكة وأشرار وهم الشياطين ، وأوساط فيهم أخيار وأشرار وهم الجن » اهـ

وقد أخبرنا القرآن الـكريم ، وجاء فى السنة الصحيحة أنهم عالم قائم بذاته ، وأنهم قبائل وطوائف ، وأن منهم البار والفاجر ، وأنهم يأكلون ويشربون ويتناسلون .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال تعالى : « وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين » . قال : « قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن ، فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا » وقال : « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » وقال حكاية عنهم : « وأنا منا الصالحون ، ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قددا » وقال : « وأنا منا المسلمون ، ومنا القاسطون » .

وقد رويت أحاديث كثيرة فى هذا المعنى ، فروى أنهم مروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى بأصحابه ببطن نخلة من أرض مكة ، فوقفوا فاستمعوا لقراءته ، ثم اجتمع بهم النبى صلى الله عليه وسلم ليلة كاملة ، فسألوه عن أشياء أمرهم بها ، ونهاهم عنها ، وسألوه الزاد ، فقال لهم : كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر مايكون لحما ، وكل روثة علف لدوابكم . ونهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بهما ، وقال : إنها زاد إخوانكم الجن .

أما ماخلقوا منه ، فقد ذكره القرآن الكريم فى قوله : « خلق الانسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار » وفى قوله : « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم » .

وذكره الحديث الشريف فى رواية مسلم من طريق الزهرى عن عروة عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » .

واختلفوا فى هل كان من الجن رسول ؟ فالأكثرون على أن الجن ليس لهم رسول منهم وإنما أتى النبى صلى الله عليه وسلم رسولا للانس والجن ، وأن منهم منذرين فقط ، قالوا : وإنما قال الله تعالى : « يامعشر الجن والانس ، ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا » والرسل من أحد الفريقين ، كما قيل : « مرج البحرين يلتقيان » ثم قال : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح دون العذب منهما .

وأما التشكك فى وجود الجن ، كما يقع من بعض الناس ، فلا محل له ، فقد ثبت وجودهم بنص القرآن الكريم ، ومن طريق الأحاديث النبوية الصحيحة ، وورد ذكر عنهم فى جميع الكتب السماوية ، واعترف بوجودهم كثير من قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيات ، وأكد كثيرون ممن لا يشك فى صدقهم أنهم رأوا الجن وكلموهم .

ثم إن وجودهم فى ذاته لا يجافى العقل ، ولا يخالف سنن الخليقة .

٤ — ابليس قبل المعصية :

ليس هناك خبر تطمئن اليه النفس ، وتقوم به الحجة على تعيين الحالة التفصيلية التى كان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عليها إبليس قبل معصية ربه بإبائه السجود لآدم ، وليس من اليسير على الباحث الحريص على استكمال نواحى بحثه أن يهمل مثل هذه الناحية الهامة فى ترجمة إبليس دون أن يتحدث عنها بكثير أو قليل ، فإنه إن أهمل وصف بالتقصير ، وإن تحدث بما لم يؤيده نص دينى ، أو يعضده مصدر تاريخى وثيق ، وصف بالقصور ، وإذاً فليعذرنا حضرات المطلعين إن نحن أوردنا شيئا فى هذا الموضوع مما رواه شيوخ العلم ، وأئمة المؤلفين ، ونسبوه الى أجلاء من الصحابة وغيرهم رضوان الله عليهم : كابن عباس ، وابن مسعود ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير .

ونحن لا نورده هنا على أنه أخبار مسلمة ، وروايات مقطوع بها ، بل لنبين أن هذا هو كل ما ذكروه ونقلوه ، والعهدة عليهم فيه .

قالوا : كان اسم إبليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وسلطان الأرض وما بينهما ، وكان خازن الجنة مع اجتهاده فى العبادة ، وكثرة علمه ، فأعجب بنفسه ، ورأى أن له بذلك الفضل ، فاستكبر .

وقيل : إن الجن لما أفسدوا فى الأرض ، وسفكوا الدماء ، وقتل بعضهم بعضا ، بعث الله اليهم إبليس فى جند من الملائكة ، فقاتلهم وشردهم الى الجزائر وأطراف الجبال ، فلما فعل ذلك اغتر فى نفسه ، وقال قد صنعت شيئا لم يصنعه أحد .

وقيل : كان قاضيا بين الجن ، فلم يزل يقضى بينهم بالحق حتى سمى حكما ، فتعظم وتكبر ، وألقى بينهم العداوة والبغضاء ، فأفسدوا فى الأرض ، وسفكوا الدماء ، فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم ، فلما رأى إبليس مانزل بقومه من العذاب عرج الى السماء ، فأقام عند الملائكة يعبد الله مجتهدا فى العبادة ، فلم يزل كذلك حتى خلق الله آدم ، فكان من أمر إبليس ومعصيته ربه ما كان . وقيل غير ذلك .

٥ — إبليس وآدم :

أسلفنا شيئا من الكلام على موقف إبليس من آدم عند الكلام على « آدم » . ونحن ذاكرون هنا مالم يكن موضع ذكره هناك :

يؤخذ من الآيات القرآنية الكريمة التى وردت فى خلق آدم عليه السلام ، أن الله تعالى اختصه بمزايا ، أهمها :

(الأولى) تعليمه الأسماء كلها .

(الثانية) أمره الملائكة بالسجود له .

ولقد كان هذا الاختصاص سببا فى حسد إبليس لآدم ، وقد حمله هذا الحسد على الاستكبار

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والعناد ، مبررا ذلك بأنه أفضل من آدم ، فعاقبه الله على ذلك بالطرد من الجنة ، وبانذاره بأنه من أهل النار .

ويحكى لنا القرآن الكريم ذلك فى نظم رائع ، وأسلوب معجز : قال الله تعالى : « ولقد خلقناكم ، ثم صورناكم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك . قال أنا خير منه خلقتنى من نار ،وخلقته من طين » .

ويقول «قال يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى ، أستكبرت أم كنت من العالين ، قال أنا خير منه خلقتنى من نار ، وخلقته من طين ، قال فاخرج منها فانك رجيم ، وإن عليك لعنتى الى يوم الدين » وغير ذلك من الآيات .

٦ — إنظاره :

أراد إبليس أن يجد له فسحة فى الاغواء ، وأن يكون له من طول الحياة ما يرخى له العنان فى الجرى وراء الافساد الذى جبل عليه ، فسأل ربه عز وجل أن ينظره الى يوم الدين ، لإشباع نهمته من هذه الناحية .

قال تعالى حكاية عنه : « قال أنظرنى الى يوم يبعثون . قال إنك من المنظرين ، قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » .

وقال : « قال أرأيتك هذا الذى كرّمت علىّ لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا ، قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ، واستفزز من استطعت منهم بصوتك ، وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وشاركهم فى الأموال والأولاد ، وعدهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ، إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلا» .

أما الحكمة فى إنظاره ذلك الزمن الطويل مع ما هو عليه من الافساد ، فقد بينه العلماء : قال ابن كثير فى البداية والنهاية : إن إبليس أنظره الله الى يوم القيامة ، محنة لعباده ، واختبارا منه لهم ، كما قال تعالى : « وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك ، وربك على كل شىء حفيظ » وقال تعالى : « وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ، إنى كفرت بما أشركتمون من قبل ، إن الظالمين لهم عذاب أليم » اه

٧ — موته ووقته :

ذكر أصحاب الأخبار كيفية موت إبليس ، فنقل الألوسى فى تفسيره عن كتاب « البحور

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الزاخرة » للسفارينى خبرا مرفوعا الى ابن مسعود رضى الله عنه ، أن إبليس يموت بقتل الدابة له عند خروجها ، ولكن الألوسى شك فى نسبة هذا القول الى ابن مسعود ، وإذاً فالمسألة موكلة الى علم الله تعالى .

وأما وقت موته ، فقد حكى فيه الرازى قولين : الأول ، أنه تعالى أنظره الى النفخة الأولى ، لأنه تعالى قال : « إنك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم » ، والمراد منه اليوم الذى يموت فيه الأحياء كلهم ، والثانى أنه تعالى لم يوقت له أجلا بل قال : « إنك من المنظرين » . وقوله فى الآية الأخرى : « الى يوم الوقت المعلوم » المراد منه الوقت المعلوم فى علم الله تعالى ، وقال بعضهم غير ذلك . والله أعلم ؟

فكرى يس

(مجلة الأزهر) : تستبعد بعض العقول أن يكون لإبليس وجود حقيقى ، ولكنهم لو أجادوا الروية لأدركوا أنه لا مانع من وجود روح خبيث أرصد لاستدراج الناس الى الشر ، لا لأن الشر مرغوب لذاته ، ولكن لأن النفوس البشرية لا تتجرد من كدور الطبيعة المادية إلا باستخراج كل ما أكنته من دواعى السوء فى جبلتها ، وبتمرينها على عصيان تلك الدواعى والثورة عليها .

والانسان إنما قذف به الى هذا العالم ليتزكى ويترقى ويخلص من علائق المادة التى قضى عليه أن يصاحبها فى مرحلته هذه . فاذا لم يسلط عليه ما يثير كوامنه ، ويلهب غرائزه بقى جامدا وخرج من الدنيا على ما جاء اليها .

هنا يمكن أن يقال إن الشهوات البدنية تكفى وحدها فى إحداث هذه الاثارة ، ولا موجب لافتراض وجود روح خبيث يدفعه اليها .

ولكننا لسنا هنا بصدد التدليل على كفاية الشهوات البدنية للاثارة أو عدم كفايتها ، بل بصدد القول بأنه لا مانع عقليا ولا علميا من وجود روح خبيث لإغواء بنى آدم ليبتلوا فى حياتهم الدنيا .

وكيف يوجد مانع والعالم الروحانى مشحون بالروحانيات المختلفة من جميع الأنواع ، وقد ثبت ذلك علميا فى العصر الحديث ، فلا وجه لاستبعاد وجود روح خبيث من بينها له أعوان كثيرون من جنسه أرصدوا للاغواء والتسويل ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مسألة فى الطلاق

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأجل الشيخ يوسف الدجوى .

تحية واحتراما : وبعد فأرجو من أريحيتكم الطاهرة ومكارمكم العالية إفادتى عن الآتى :

تنازع رجل مع زوجته فقال لها : إن كرهت أطلقك ، فقالت كرهت ، فقال لها : أنت طالق ، فأعادت مقالتها ، فأعاد مقالته ثلاث مرات . مع العلم بأن الكراهة عندنا مستعملة فى البراءة من مؤخر الصداق ونفقة العدة ، فهل بانت بالطلقة الأولى فلا يلحق مابعده على مذهب السادة المالكية ؟ أفيدونا مأجورين . وندعو لفضيلتكم بعز الحياتين وسعادة الدارين ؟

محمد محمد العدوى

رئيس مكتب تل العمارنه

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

ليست الكراهة فى مذهب مالك براءة ، فالطلاق المعلق عليها رجعى ، وحينئذ فالطلاق الثانى والثالث لاحقان للزوجة لأنها رجعية . وعلى ماذكر السائل من أن الكراهة براءة فيكون الطلاق بائنا عنده . فمذهب مالك أن الطلاق الثانى والثالث لاحقان أيضا لأنها زوجة عنده وبائنة عند الغير ، فيكون نكاحها كالمختلف فيه ، والنكاح إذا اختلف فيه ولو فى مذهب الغير يلحقه الطلاق . ففى فتاوى الشيخ عليش ما نصه :

ما قولكم فى نازلة وهى أن الرجل إذا طلق زوجته طلاقا مختلفا فيه فى المذهب أو غيره بالبينونة أو الرجعة ثم بعد ذلك أوقع الثلاث ، فهل يلحق به نظرا للمخالف كمن طلق فى نكاح مختلف فيه ويكون محل قولهم : البائن لا يرتدف عليه غيره ، إذا كان متفقا عليه ، أولا ؟ أفيدوا الجواب . فأجبت بما نصه :

نعم يلحق به نظرا للمخالف واستحسانا واحتياطا للفروج إذا كان الارداف فى العدة . وقولهم : البائن لا يرتدف عليه غيره إذا لم يكن نسقا ، مخصوص بالمتفق فيه على البينونة ، ففى ابن سلمون ما نصه :

واختلف فيه أى قول الزوج لزوجته أنت طالق طلقة واحدة تملكين بها أمر نفسك دونى على ثلاثة أقوال : فقيل : إنه يكون طلقة رجعية كمن قال أنت طالق واحدة لا رجعة لى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عليك فيها ، وهو قول أشهب ومطرف . والثانى : أنها تكون البتة كمن قال أنت طالق واحدة بائنة فانها ثلاث ، وهو قول ابن الماجشون وابن حبيب . والثالث : أنها طلقة واحدة بائنة ، قال ابن القاسم وحكاه القاضى أبو محمد عن مالك وبه القضاء : وكان ابن عتاب رضى الله عنه يفتى بأن من بارأ زوجه هذه المبارأة ثم طلقها بعد ذلك فى العدة ، أن الطلاق يرتدف عليه استحساناً ومراعاة لقول من يراه رجعة اهـ والله أعلم ؟

يوسف الدجوى

عضو جماعة كبار العلماء

العقل أكرم المواهب

قال ابن عباس دخلت على عائشة رضى الله عنهما فقلت لها : يا أم المؤمنين ، أرأيت الرجل يقل قيامه ، ويكثر رقاده ، والآخر يكثر قيامه ويقل رقاده : أيهما أحب اليك ؟

قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتنى فقال لى : أحسنهما عقلا .

قلت : يا رسول الله إنما سألتك عن عبادتهما .

فقال : يا عائشة إنهما لا يسألان عن عبادتهما ، إنما يسألان عن عقولهما ، فمن كان أعقل كان أفضل فى الدنيا والآخرة .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : الجنة مائة درجة ، تسعة وتسعون منها لأهل العقل ، وواحدة لسائر الناس .

وروى البراء بن عازب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لكل شيء وثيقة ومحجة واضحة وأوثق الناس مطية ، وأحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة الواضحة ، أفضلهم عقلا .

وقال الحسن بن على رضى الله عنهما : إنى لأعجب ممن رزق العقل كيف يسأل الله معه شيئا آخر .

وقالت عائشة رضى الله عنها : أفلح من جعل الله له عقلا .

وقال مطرف : ما أوتى العبد بعد الايمان بالله تعالى أفضل من العقل .

وقال الأصمعى : لو صور العقل لأضاء معه الليل ، ولو صور الجهل لأظلم معه النهار .

وقال بزرجمهر : العقل كالمسك إن أخبأته عبق ، وإن بعته نفق .

وقال شاعر :

لله در العقل من رائد وصاحب فى العسر واليسر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

صفحة من الابداع الالهى

الأشعة ذوات الألوان وفوائدها للانسان

يعلم الانسان الآن أنه فى وسط عالم كله أسرار ، وأنه لم يكتشف منها إلا جزءا إن قيس بما بقى مجهولا منها لما بلغ قطرة بجانب القاموس الأعظم (١) .

أدرك هذه الحقيقة جميع الذين لهم صلة بالعلم ، فأصبحت من البداهات الأولية لديهم ، بيد أن بعض الذين قمشوا بعض المعلومات العامة يتخيلون أنهم قد بلغوا من العلم ما لا مرمى بعده .

وإذا أراد القارئ أن يدرك مبلغ تقدير العلماء لمدى الرقى الانسانى فى المستقبل ذكرناه بما قاله العلامة الكبير (شارل ريشيه) عضو المجمع العلمى الفرنسى وإمام الفيزيولوجيا فى العصر الحاضر قال : « سيأتى زمان يكون الفرق فيه بيننا وبين أهله كالفرق بين الحيوانات النقاعية وبيننا نحن الآن »

الحق لو صدر مثل هذا القول من رجل عادى لظن أنه يهذى ، أو يلقيه على عواهنه ، ولكن نسبته الى قطب من أقطاب العلم العصرى تعطيه وزنا عظيما ، وتدعو الى التأمل فيه .

كيف لا يكون الأمر كما ذكر وفى العالم من المساتير والقوى الكامنة مالو كشف لنا لأحدث انقلابات خطيرة فى آرائنا وأفكارنا ، وفى طريقة معيشتنا ، ووسائل حياتنا ، ويدفع بنا حتما الى سلوك سبيل فى الآداب يكون مناسبا لتلك المكانة العلمية ، فيتحقق حلم المتفائلين الذين يدعون أن الانسان سيبلغ من الكمال الخلقى ما يصل به الى درجات الصديقين .

نقدم هذه المقدمة فاتحة للكلام عن جهاد العلماء الطبيعيين فى مسألة واحدة من مسائل العلم التى يسهر عليها ويحاول كشفها ألوف منهم فى جميع البلاد المتمدينة . تلك هى مسألة النور وما يتألف منه من الأشعة ذات الألوان المختلفة .

استقر رأى العلماء على أن النور ليس بشىء غير ذبذبات ذات عدد خاص فى الأثير المالئ للكون . وقد شاهدوا أن هذا النور ليس على اللون الذى نعهده عليه إلا إذا كان مؤلفا من جميع وحداته الاشعاعية ، ولكنه لو حلل بدت فيه ألوان أصلية عددها سبعة ، ولعلها تصل الى أكثر من ذلك ، أو يثبت أن تلك الألوان التى نزعم أنها أصلية مؤلفة من ألوان ثانوية .

عرف الطبيعيون أشعة فى الطبيعة حمراء اللون وبنفسجية ، فرأوا أن الأولى تحدث

---

(١) القاموس : البحر . وقيل ابعد موضع فيه غورا . ووسط البحر ومعظمه . وقد سمى الفيروزبادى معجمه بالقاموس يريد به البحر . فظن الناس ان كل معجم يسمى قاموسا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من ذبذبات فى الأثير أبطأ من التى تسبب حدوث الثانية . وإذا قلنا أبطأ فلا يتخيلن القارئ أنها أقل من بضع مئات تريليون ذبذبة فى الثانية الواحدة ، وهى سرعة يصاب الانسان بالدوار قبل أن يتصورها .

قالوا وتوجد أشعة تستدعى ذبذبات أبطأ مما تستدعيه الأشعة الحمراء هى الأشعة التى فوق الحمراء ، وأخرى تستلزم ذبذبات أسرع مما تستلزمه الأشعة البنفسجية هى الأشعة التى فوق البنفسجية .

وقد تمكن علماء الطبيعة من توليد هذه الأشعة ، وتمكنوا من دراسة خصائصها ، فرأوا أنها تعقم المياه الملوثة بالميكروبات تعقيما عظيما ، وتطهر المحلات تطهيرا ليس يعدلها فيه أى مطهر غيرها . وقد دهشوا حين رأوا أنها تنشط الهضم للانسان تنشيطا كبيرا . ورأوا أن من خواصها شفاء السرطان وغيره من الأدواء العضالة .

يظن بعض الناس أن الشمس هى مصدر النور دون سواها . ولكن ثبت أن فى أعين بعض الحيوانات نورا ذاتيا غير مقتبس من نور الشمس كما هو الحال فى آحاد الفصيلة الهرية فانه ينبثق من أعينها نور يكفى لأن ينير طريقها فى الظلام الدامس .

وقد كان الناس يظنون ان الحياة فى البحار لا توجد بعد عمق أربعمائة متر لعدم سريان الأشعة فى كتلة الماء الى أبعد من هذا المقدار . ولكن تبين للعلماء خطأ هذا الظن ، وثبت وجود ضوء وأحياء الى أبعد الأعماق .

قال المؤلف الكبير (ساج) الفرنسى فى كتابه (منطقة الحدود) :

« إن زيادة أعماق البحار قد هدمت كل هذه الآراء كما هدمت تأكيدات العلماء الأقدمين الذين كانوا ينكرون وجود السمتين ، لأنهم لم يكونوا يدركون وجود أناسىّ أحياء يمشون ورءوسهم الى أسفل ، حتى أثبت لهم علم الطبيعة أنه ليس فى الوجود فوق ولا تحت . وفى الواقع أن ما نسميه نحن بتحت هو ما يكون تحت أقدامنا بسبب جذب الأرض إيانا كما تجذب اليها جميع الأجساد على السواء ، وما نسميه بفوق هو ما فوق رءوسنا .

« وإنه لتوجد فى جميع الأعماق البحرية الى بعد سبعة آلاف متر حركة نشطة للحياة . وفيما تحت خمسمائة أو ستمائة متر تعيش الحيوانات البحرية فى حالة عماية تامة ، ولكن ليس لأن الضوء معدوم فى هذه الأعماق ، ولكن لأن أشعة الشمس وإن كانت لا تنزل الى أبعد من تلك المسافة فان الكائنات هنالك تكون مضيئة بذاتها . من هذه الكائنات ما هو قارّ ثابت ويضيء ما حوله على مثال المنارات الى مسافات بعيدة ، بحيث إن تلك الأعماق البعيدة لا تكون مضيئة فحسب ، ولكن لعُمّارها ألوانا عجيبة لا يوجد لدينا شيء يعطينا فكرة عنها . وإنه ليوجد فى تلك الأعماق من زهرتى الايريس والبوليبييه مالها من النور ما يكسف نور عشرين منارة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بحيث لا يحتاج الغواصون هنالك الى ضوء . وقد جاب الغواصون بعض تلك الأزهار المضيئة الى بعض المعامل العلمية ، فلما أُحدث الظلام ظهرت منها أضواء كانت ذات منظر لا ينفد التعجب منه .

« وقد اعتقد العلماء مدة طويلة أن جميع الكائنات الحية فى حاجة الى الهواء لتعيش ، ولكن تبين الآن أن من الحيوانات ما ليست فى حاجة الى الهواء بل منها ، كالحيوانات المسماة (أنايروبى) ، ما يقتلها الهواء .

« وكانوا يتخيلون أن الأسماك لا تعيش إلا فى الماء ، ولكن الباحثين قد اكتشفوا حديثا فى رمال الصحراء الافريقية نوعا من السمك يعيش فى خلال الرمال كما يعيش السمك المعروف انما فى لجج البحار . وقد رئى أن البدويين يصطادون هذا السمك الرملى بالسنارة والطعم . مع أن العالم فى حاجة اليها على حد سوى ، لأنها تفتح لعقولنا آفاقا جديدة لفهم الوجود الذى نعيش فيه على حقيقته ، وتمد أرواحنا بما هى فى حاجة اليه من نفحات الجمال المعنوى .

ومن العجيب أن بعض الناس يتوهمون أن التوغل فى العلم الطبيعى يوقع صاحبه فى الالحاد لا محالة لما يبينه من علل الموجودات ، وتسلسل وجودها ، ورجوعها كلها الى علة واحدة هى القوى الطبيعية الخ الخ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وهذا وهم عظيم على القليل فيما يتعلق بالعصر الحاضر ، فان علماء الطبيعة اليوم بعد ثبوت تحالل المادة وفنائها ، وبعد قيام الدليل على أن المادة ليست بشىء غير ذبذبات ذات عدد معين فى الاثير ، وبعد تحطم جميع المدركات القديمة على الجوهر الفرد والمذاهب التى حاول بها أصحابها تعليل وجود الكون ومافيه الخ الخ ، بعد هذا كله فقد الالحاد أقوى أركانه وأصبح لا مرتكز له من العلم يقوم عليه .

وقد حدث فى مدى هذه الخمسين السنة الأخيرة من التطور العقلى فى هذه السبيل مالا كان يتصور حصوله فى قرون كثيرة . ناهيك أنك لا تستطيع أن تصادف واحدا من أقطاب العلم يهزأ بالمعتقدين فيما وراء الطبيعة ، أو بالمقيمين للدين على شرط أن لا يكونوا من المتنطعين .

هذه الحالة العقلية ستزداد رسوخا وذيوعا بين الناس ، وهى مقدمة لتطور آخر يأتى بعد حين ، وهو الذى سيبلغ فيه الأدب النفسى أرفع ما قدر له . وفى هذا العهد تتجلى الحقائق الالهية ويصبح كل ما فى العلم أدلة لها ، لا شبها عليها ، وليس هذا العهد ببعيد ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حفظ النفس والاهل من الهلاك

« يأيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارا وَقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » :

تعاليت ربى ما أسمى حكمتك ، وأعظم رحمتك بالانسان ! أوجدته فى هذه الحياة ليؤدى فيها رسالة الخير والعمل الصالح ، وإن أمرها لجد خطير ، يتطلب منه عزما واستقامة وحزم رأى ، فنبهته كى يؤديها على أحسن وجه الى مخاطر الحياة الوعرة ، وفتنها المهلكة ، ليأخذ حذره حتى لا ينقطع عن القافلة السائرة فى طريق الحياة . فنسجتَ له بشريعتك السمحة درعا من الخلق الكريم والشيم الصالحة يقيه إن لبسه عوادى الأيام ، وأقمت له من هديها منارا يضىء له فى دجى الحوادث محجة الخير وسبيل الرشاد .

أقرا هذه الآية فيأخذنى جلالها ، ويتجلى لى الكرم الالهى فى حسن عنايته تعالى برب الأسرة ، فهو منها بمثابة أصل الشجرة من الأغصان إذا سلم سامت معه ، وعنايته بتلك الرعية الصغيرة (الأسرة) حيث أمره بحفظها ودفع الخطر عنها ، وهل الأمة إلا الأسر مجتمعة وبصلاحها تصلح ؟ فالولى الحكيم يناديها بوصف الايمان — ومن ثمراته الحكمة واليقظة والحزم وتقدير المسئولية والعمل للغد — أن نحفظ أنفسنا وهى وديعة لله عندنا ، وكأعضاء فى جسم الأمة فيجب أن تكون صحيحة قوية عاملة للخير الخاص والعام ، وأن نحفظ أهلينا وهم قرابتنا فى الرحم الخاصة رحم النسب ، أو الرحم العامة رحم الدين ، أو الأعم من ذلك كله رحم الانسانية . يأمرنا أن نبر هذه الأرحام جميعا بان نقيها ونحفظها من النار نار الدنيا : الأمراض وضنك العيش ، وبلايا الحياة المتولدة من الآفات الاجتماعية والأخلاق الذميمة التى تودى بصاحبها فى درك الشقاء العاجل . ونار الآخرة التى أعدت لمن أهمل النظر والتقدير والعمل النافع « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » . وقد قالوا إن الأمر بالشىء أمر بتحصيل أسبابه ونهى عن ضده ، أفلا نكون إذاً مامورين بأن نحصل لأنفسنا وذوينا ما يسعد الجميع من الخير والآداب والفضائل ، ومنهيين عما يقوض بناء الأمم والأفراد ويهدم كيان الشعوب من المفاسد التى تحمل فى طيها عوامل الفناء ، فيستخلفنا الله فى أرضه ، ويمكن لنا ويدافع عنا « ولينصرن اللهُ من ينصره إن الله لقوى عزيز »

إن واجب الرعاية للأسرة فى حسن تربيتها وكفالتها ودفع الغوائل عنها لا يقل عن واجب النفس ، فالمصلحة متضامنة والعاقبة مشتركة ، فهناؤه بهنائها ، والضد بالضد فى الأولى والآخرة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفى السنة النبوية « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول ، كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » . وإن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظه أم ضيعه . اللهم لك الحمد : لقد أبنت طريق الخير ، وأرشدت وحذرت من سواه ونصحت ، فلا عذر لمن ذهب بعدُ ضحية الافراط والتفريط .

لقد تقع عينك على مريض الزهرى أو السيلان صريع الزنا ، وترى مفلسا يبيع متاعه ، وعقاره ضحية الاسراف الموقع فى أحضان الدَّين أو عدم الاستقامة ، وتبصر فاقد العقل والصحة ضحية الخمر والمخدرات قد أضاع وراءه عائلة وتركها بائسة محزونة ، وتعلم بشخص طريد المجالس يتوقى الناس الاجتماع به لافساده بينهم بالنميمة أو لكذبه وخيانته وسوء طويته ، وتسمع بآخر يشكو عقوق أولاده وفسادهم كبارا وقد أهملهم ودللهم صغارا ، وبغيرهم يئن مستغيثا من وقوع شريكته فى أحابيل المفسدين بعد ما ترك لها الحبل على الغارب محسنا بها الظن .

وأمثال هؤلاء التعساء كثيرون ، فتهمّ أن ترثى لحالهم فلا تلبث أن تسمع نداء الضمير قويا عاليا : إنه القصاص الالهى الحق نزل بهم ، فما ظلمهم القدر ولا غبنهم المجتمع « وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » . وإنه لتصديق للحكمة القائلة « إن كل ساعة تمر بنا تحمل معها جزاء عادلا لما نحن فيه » . وتتوارد عليك الآيات الكريمة « وقد خاب من افترى » « إنه لا يفلح الظالمون » « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » .

ويعجبنى كلمة الامام الغزالى « إن الشهوات والمعاصى أفاع مهلكة وسموم قتالة ، وإن نهى الشارع لنا عنها كنهى الوالد ولده عن الوجود بشاطئ البحر خوفا عليه من الغرق » . هذا مثل مما يحل فى الدنيا بمن خالف أمر ربه ، ولم يق نفسه وأهله من الهلاك الحسى والمعنوى ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون .

وفى كلمة موجزة أحب من شبابنا أن يرفعوا عن أنفسهم غشاوة الهوى والطيش والجهالة ، فيسيروا على مبدأ خلقى قويم لأنفسهم وأسرهم والمجتمع ، فيؤدون الواجب ويرون الفضيلة والرذيلة بصورتهما الحقيقية ، فيتدبرون العاقبة ويختارون ما هو أجدر بالشرف وحسن المآل وما فيه إرضاء ربهم ورفعة أنفسهم وذويهم وأمتهم ؛ ويتعففوا عن الدنايا معرضين عما فيها من لذة متوهمة عاجلة اتقاء لوخيم العاقبة ، ذاكرين كلمة سيدنا عمر الخالدة « رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا » . وليحذر أن تجرئه عليها بيئة فاسدة أو إباحة لا رقيب عليها ؛ فقد ورد « طوبى للغرباء » أى المصلحين بين قوم مفسدين . وفى القرآن الكريم « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى »

عبد الواحد ابراهيم
الواعظ العام لمركز الصف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تاريخ الادب العربى

فى أواخر الدولة العباسية (١)

بلغت علاقة النهضة الأدبية وارتباطها بالتطورات السياسية فى البلاد الاسلامية درجة لم تعرف من قبل فى جميع الممالك المتمدينة ؛ وبدهى أن الأدبيات الشعبية لم تكن تتأثر الى هذا الحد تبعا لمرضاة الأمراء وشهوات الحكام ، بل إنها ازدهرت مستقلة بعيدة عن المؤثرات السياسية ، ولكن مثل هذه الأدبيات الشعبية لم يصلنا منها مما يرجع الى العصر القديم إلا النزر اليسير ، ولم تظهر لنا تعبيراتها وأفكارها إلا فى العصور المتأخرة ، ولم تكن طبقة الشعراء وحدهم هم الذين يتبعون بلاط الأمراء ، بل شاركتهم فى ذلك طبقة العلماء الذين اضطرتهم الأسباب المادية الى الالتجاء الى أصحاب السلطان ممن اجتمعت لهم أسباب السلطة والنفوذ ، فكان عدم وجود تجارة منظمة للكتب سببا رئيسيا للادباء والعلماء يلجئهم الى بلاط الامراء ودوائر الحكام ، يستظلون بعطفهم ، حرصا على أسباب الحياة المعاشية .

فلما ولت الخلافة عن بغداد فى القرن الرابع من الهجرة وزالت تبعا لذلك أهميتها السياسية ، وأخذ الحكام فى الولايات الاسلامية المتعددة فى تاسيس إمارات مستقلة ، بدأت كذلك الحياة الفكرية تفقد مركزيتها ، وكلما تعددت نواحى هذه الحياة وتلونت أشكالها الخارجية كلما فقدت من قوتها الداخلية ، فجاء على أثر الشعراء البارزين الذين ظهروا فى القرن الثالث من الهجرة طبقة أخرى من الشعراء المقلدين الذين برعوا فى صياغة الأسلوب ولكنهم كانوا بلاشك افقر تفكيرا وأقل ابتكارا . التف أمثال هؤلاء الشعراء حول بلاط الأمراء مستبدلين بإنتاج قرائح الشعراء السابقين ما جرى به العرف فى المدح فى هذا العصر ، ولكن ما لبث أن قامت تيارات فكرية معارضة لهذه الحركة الخاطئة فى تجديد فنون الأدب ، وكان أول ظهورها فى غرب البلاد العربية ، محاولة تعهد أوضاع الشعر الشعبى فى أشكال فنية خاصة ، ولكن ضاعت مجهودات القائمين بأمر هذه النهضة سدى ، ولم يكتب لها من النجاح الا قدر يسير بسبب إعراض جماعة الأدباء عنها وعدم إدراكهم مراميها واتجاهاتها .

أما الأدبيات النثرية فكانت فى بدء هذا العصر واقعة تحت تاثير النثر الفنى ، الذى بلغ أعلى درجات التوفيق فى المقامات ، ولو أنه وجد طريقه من قبل أيضا الى المؤلفات الجدية مثل

(١) تكملة المقال المنشور فى الجزء الرابع (ربيع الثانى سنة ١٣٥٦) مترجما من الالمانية نقلا عن كتاب « تاريخ الادب العربى » للمستشرق الالمانى الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلمان »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كتاب المقدسى فى علوم تقويم البلدان ، فلما أدخل الآن على المكاتبات الرسمية والرسائل الحكومية ، زالت من أمامه العقبات الكثيرة ، وظهر فى مؤلفات التاريخ التى كثرت فيها التراجم وسير الحوادث التاريخية الهامة التى تتلاءم معها عبارات المديح المقصود .

أما النثر العلمى فقد أمكن إبعاده عن هذا الطريق الضال ، ولكن قيمته الحقيقية فى جوهرها لم تتعادل مع القدر الضخم الذى ظهر منه فى هذا العصر ، فلم تخرج أغلب المؤلفات التى ظهرت فيه عما عرف عن القدماء من علوم ومعارف ، واقتصرت مجهودات المؤلفين على تحويرها وإظهارها فى أشكال أقرب تناولا وأسهل مأخذا ، دون زيادة أو تعمق ، ولم يشذ فى ذلك سوى الغزالى فى العلوم الدينية ، فكان كثير الاستقلال فى أفكاره ، ولو أنه كان يرى غاية رسالته فى التوفيق بين آرائه الفلسفية وتعاليم السنة القديمة .

ابتدأ الشعر فى هذا العصر أبو العلاء المعرى وهو آخر فحول الشعراء الذين يمثلون العصر الذهبى من حضارة الشام ، فكان حداً فاصلا بين عصرين متباينين . ولد أبو العلاء بمعرة النعمان عام ٣٦٣ ﻫ وفقد بصره فى طفولته ولم يمنعه ذلك من الاشتغال بدراسة العلوم اللغوية وفنون الشعر فى موطنه وفى مدينة حلب ، وكان مجتهدا كل الاجتهاد ، فانكب على متابعة الدرس ومواصلة البحث والتنقيب بكلياته ، وفى عام ٣٩٨ ﻫ رحل الى بغداد ، وكانت تعد أبرز مدن آسيا الصغرى فى الحياة الفكرية فلم يصادفه نجاح كبير فى أول الأمر ، إلا أنه استفاد من هذه الرحلة بمعاشرته كبار رجال الفلسفة وأخذ عنهم الآراء الفلسفية الحرة التى كانت ذائعة فى هذا الوقت ، ولكنه بقى بالرغم من ذلك خامل الذكر فى الحياة الفكرية فى حاضرة البلاد ، فآثر الابتعاد عن الحياة الخطيرة فى مقر الخلافة ، وصمم على الرحيل خصوصا بعد أن بلغه خبر مرض أمه ، فلم يبلغ موطنه حتى كانت فارقت الحياة ، ومنذ هذا التاريخ عاش معتكفا فى بلدته الصغيرة بالشام بعيداً عن الناس مكتفيا بشهرته المحلية الى أن توفى عام ٤٤٩ ﻫ .

ولما كانت مؤلفات المعرى باقية تقريبا كاملة حتى هذا العصر ، فان هذا الشاعر يتمتع للآن بشهرة فحول الشعراء البارزين ، ولو ان هذه الشهرة فى الحقيقة إنما ترجع فى الأكثر الى أن معرفتنا به أكثر من معرفتنا بغيره من الشعراء ، وهو لم يعلُ كثيرا عن متوسط طبقة الأدباء الكثيرين فى هذا العصر ، ولم تخرج أشعاره فى مقتبل حياته عن محاكاة للشعر القديم ، ولم يبلغ الشهرة من ناحية جمالها الشعرى بقدر ما قصدها باستعماله التعبيرات النادرة والتراكيب الصعبة ، كما لجأ إليها من قبله مواطنه المتنبى ، الذى وضع أبو العلاء تفسيرا كاملا لديوانه ، وكان يضطر فى بعض الاحيان الى تفسير أشعاره بنفسه لكثرة ما فيها من الابهام والتعقيد ، كما كانت موضع بحث ودراسة علماء اللغة المتأخرين ، وأما أشعاره المتأخرة فامتازت بالمحسنات النظمية ، وكانت تنم عن فلسفته وآرائه الحرة ، التى جعلت عقيدته الدينية موضع شك الكثيرين من علماء الاسلام .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفى الواقع كان أبو العلاء المعرى لايتقيد كثيرا بتعاليم الاسلام وأوامره ، وليس أدل على ذلك من محاولته محاكاة القرآن ، وهو عمل لا يرضى به مسلم بل يعده كفرا وسبا فى الذات الالهية ، وكان كثيرا التشاؤم فى فلسفته كما يتضح ذلك فى مجموعة مواعظه المتعددة فى الزهد والتنسك ، ومن مؤلفاته الهامة رسائله التى وضعها بالنثر المسجوع موجهة الى الشخصيات البارزة فى الأدب والسياسة معالجا فيها بعض العلوم اللغوية والتاريخية ، وامتازت هذه الرسائل بدقة بحثها وصعوبة موضوعاتها ممايدل على سعة اطلاع مؤلفها ويشهد له بموهبة فائقة .

ولم تفتقر بلاد الشام الى غيره من الشعراء من أمثاله خصوصا وأنه نشأت بها عدة مراكز أدبية وسياسية تحت ظل حكم الأيوبيين ، وأشهر من عرف من شعراء هذا النسل الصالح هو عبد الملك التنوخى المتوفى عام ٦٤٣ هـ ، وترجع شهرته الشعرية الى أنه خرج على ما جرت به أقلام الشعراء من معاصريه ، فاتخذ أبا نواس مثالا له فى فنه مقتفيا أثره فى قصر شعره على الخمريات .

وفى إيران بدأت الروح الفارسية الوطنية تدب فى ميادين الأدب المختلفة بعد أن استعادت البلاد استقلالها السياسى فى اوائل القرن الرابع الهجرى ، ومنذ ذلك العهد والشعر العربى يتزل فى هذه البلاد منزلة الضيف الغريب ، ففى بلاط محمود الغزنوى الذى اشتهر لعلاقته بالفردوسى ، ظهر الشاعر المطبوع أبو الفتح البستى فذاعت قصائده الدينية فى الاصلاح والتهذيب ولاقت انتشارا كبيرا ، وتوفى عام ٤٠١ هـ

وأما الدولة السلجوقية التى اضطلعت بأعباء الوصاية على خلفاء بغداد من بعد بنى بويه وتم لها بذلك السيادة على بلاد الفرس والعراق ، فقد خلد اسمها فى تاريخ الشعر بمؤلفات الحسن ابن على الأصفهانى الطغرائى ، وكان وزيرا للسلطان مسعود بالموصل ، فلما انتصر عليه أخوه محمود عام ٥١٥ هـ وقع الطغرائى فى أسره وأمر باعدامه ، وبقيت من مؤلفاته حتى العصر الحاضر مجموعة من أشعاره فى مدح سيده وولى نعمته ، وكذلك فى مدح السياسى المشهور نظام الملك وبعض وجهاء الدولة الآخرين ، ولكن أشهر أعماله الأدبية هى بلاشك القصيدة التى وضعها عام ٥٠٥ هـ ببغداد راثيا حاله وتقلبات الأيام وصروف الزمان ، وكانت هذه القصيدة تشبه من ناحية النظم قصيدة الشنفرى ، ولذا سميت مقابلة لذلك بلامية العجم .

واشتهر كذلك من معاصريه أبو يعلى محمد بن الهبارية المتوفى عام ٥٠٤ هـ وكان من بطانة الوزير نظام الملك ، وأكثر ما امتاز به هذا الشاعر هو تحرره مما جرى به العرف فى الشعر فى هذا العصر والتزمه الشعراء من قواعد وقيود ، ومن أعماله الأدبية الخالدة نظم حكاية كليلة ودمنة وصياغتها فى شكل جديد ، فتخيل رحلة له ليلية استمع فيها الى جدل جرى على لسان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هندى وفارسى فى المفاضلة بين شعبيهما وكل منهما يدلى بقصص يدعم بها حجته . ومن مؤلفاته التى حفظها لنا التاريخ أشعاره الساخرة من أحوال الزمان ، وارجوزة شعرية فى لعب الشطرنج .

وأما شرق بلاد العرب فكانت موطن على بن مقرب بن منصور الابراهيمى وينتمى الى العيونيين من نسل فضل بن عبد الله الذى استوطن البحرين وا لت اليه بالاقطاع تحت حكم العباسيين بعد زوال دولة القرامطة عنها ، وبها أقام هذا الشاعر فى بلاط أحد أحفاده المسمى محمد وابنه مسعود ، فكان شاعرهم المختص بمديحهم ، ولكنه ما لبث أن اختلف مع الأخير فاضطر الى الفرار ، فرحل أولا الى الموصل وتغنى ببدر الدين لؤلؤ الأتابك ، ثم الى بغداد حيث لجأ الى بلاط الخليفة الناصر لدين الله وبه أقام بقية أيام حياته الى أن توفى عام ٦٢٩ هـ .

وأما مصر فكانت تزهو فى هذا العهد بخير عصورها من ناحيتى السياسة والثقافة فى ظل حكومة صلاح الدين ، وأشهر من برز بها فى ميدان الأدب فى هذا العصر هو أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك ، وولد عام ٥٤٥ هـ ، ودخل مبكرا فى خدمة الحكومة الى أن وصل الى أعلى الدرجات ولقب بالقاضى السعيد ، وتوفى عام ٦٠٨ هـ ، وقد حفظ التاريخ لنا مجموعة من اشعاره فى مدح صلاح الدين وتمجيده فى أسلوب تقليدى مألوف ، واليه يرجع الفضل فى إدخال الموشحات فى فن الشعر فى مصر بل وفى الشرق عامة ، وأخذ هذا الطراز الأدبى الجديد من الأشعار الشعبية وأثار اهتمام الأدباء من قبل فى غرب البلاد الاسلامية وخاصة فى الأندلس ولاقى من الشعراء قبولا حسنا ، والموشحات ضرب خاص فى فنون الشعر لا يتقيد بما يتقيد به الشعر الفنى من قيود اللفظ أو النظم ، وإنما يعطى الشاعر مجالا فسيحا تظهر فيه شخصيته حرة طليقة ، ولكنه من حيث جوهره ومغزاه لا يدل على التقدم . ولا زالت باقية له كذلك حتى هذا العصر مختارات من الرسائل نظما ونثرا بمضامنه ، والبعض الآخر من القاضى الفاضل وابنه الأشرف .

وظهر فى بلاط صلاح الدين من الشعراء المعروفين أبوالفضل زهير بهاء الدين ، ولو أنه لم يكن من الشعراء المبتكرين الا أنه أظهرهم اسما وأكثرهم شهرة .

وامتازت مصر فى هذا العصر بازدهار الأشعار الدينية ونحوها ، فظهرفيها أكبر شاعرين دينيين عرفا فى الاسلام ، وهما عمر بن الفارض والبوصيرى ، ولد الأول بالقاهرة عام ٥٨٦ هـ ، وأقام زمناطويلا بمكة ، ثم عاد الى موطنه حيث توفى عام ٦٣٢ هـ ، وبلغ ديوانه الذروة القصوى التى وصلتها الأشعار الصوفية فى البلاد العربية عامة ، وتعتبر أشعاره فى مرتبة أشعار حافظ فى بلاد الفرس ، بل إنها امتازت عنها بمعنوية خالصة وحماسة متقدة وعاطفة معتدلة ، وابن الفارض إن أنشد الخمر الصوفية فى إحدى قصائده ، فان تمجيده لها كان بلاشك فى المرتبة الثانية بعد العاطفة الدينية نحو الذات الالهية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جاء من بعده شرف الدين البوصيرى وكان أشهر من اختص بمدائح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولد البوصيرى عام ٦٠٨ هـ وتوفى عام ٦٩٤ هـ ، فوضع قصيدة البردة التى اختصها المسلمون بمنزلة دينية ممتازة .

وفى شمال أفريقيا نرى أنه انتظم فى سلك خدمة الاسرات المالكة فى هذا العصر فريق كبير من شعراء المدح ، ونكتفى فى هذا البحث بذكر حازم القرطاجنى المتوفى بتونس عام ٦٨٤ ، ووضع فى مدح المستنصر بالله قصيدة مشهورة غنية بالتلميحات التاريخية .

وبدخول الاسلام والحضارة الاسلامية فى صقلية ، ابتدأ الأدباء بالاهتمام بمزاولة الشعر العربى ، فبرز فى هذا الميدان فى أواخر القرن الرابع من الهجرة الشاعر أبو محمد عبد الجبار ابن حمديس الازدى الصقلى، ولكنه لم يصل الى ذروة مجده فى موطنه، فانه ما كاد النورمانديون يغزون صقلية ويحتلونها حتى فر هاربا الى أشبيلية ودخل فى بطانة الملك المعتمد وكان من الشعراء النابهين ، وفى بلاط هذا الملك ظهرت موهبته الشاعرية وتالق نجمه ، فاما غلب ولى نعمته على أمره ووقع فى أسر المرابطين عام ٤٨٤ هـ ذهب معه الى منفاه فى افريقيا ، وتوفى بعد أن عمر طويلا عام ٥٢٧ هـ .

ولاقى الشعر فى بلاد الأندلس فى هذا العصر منبتا خصبا وحياة زاهرة ، ولقد عرفت هذه المستعمرة القصية من الممتلكات العربية منذ بدء الفتح الاسلامى بالاهتمام بالأدب والعناية بالفنون ، ولكن المقادير السيئة التى اعترضت الثقافة الاسلامية بعد ذلك كانت عاملا رئيسيا فى ضياع معالم بدايتها الأولى ، ولم يحفظ التاريخ منها سوى النزر اليسير ، ولم يظهر لنا فن الشعر العربى الأندلسى فى ضوء البحث إلا فى القرن الرابع من الهجرة .

بدأت فى هذا العصر دوائر الأمراء المختلفة فى هذه البلاد فى التنافس على تعهد الفنون وحمايتها ، وأكثر ما امتازبه شعراء الأندلس عن زملائهم فى الشرق هو تحررهم من قيود الشعر القديم ، ولو أن ذلك لم يمنع عددا كبيرا منهم من تقليد هذا الأسلوب ، وامتازت هذه البلاد كذلك بنشأة طرازين شعبيين جديدين فى فنون الشعر وهما الموشحات والزجل فظهرا لأول مرة فى تاريخ الادب ، ولو أن معلوماتنا الحاضرة تقصر عن معرفة بدء نشاتهما ، وأول من رفع قيمة الموشحات الأدبية عند بعض المؤرخين هو ابن عبد ربه المتوفى عام ٣٢٨ هـ ، ويليه فى الشهرة بقرطبة يوسف بن هارون الرمادى المتوفى عام ٤٠٣ هـ ، ولم يتمكن المؤرخون من نقد أشعاره فى الموشحات إذ أنه لم يبق منها شىء محفوظ حتى الآن ، ولكن من المعروف أنه لم يتقيد بما رسمه القدماء من قيود وقواعد .

ووصلت الموشحات بعد ذلك الى أعلى درجات الكمال على يد عبادة المتوفى بملقه عام ٤١٩ هـ ، وكان شاعرا فى بلاط كل من بنى حمود بقرطبة وبنى عامر فى بلنسية ، وبقيت من مؤلفاته

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حتى الوقت الحاضر موشحتان ، اتخذ ابن سناء الملك إحداهما مثلا له فى إحدى مؤلفاته ، ولقد اهتم كثير من الأدباء منذ ذلك العهد لهذا الطراز من الشعر ، فاشتغل به فضلا عن الشعراء المحترفين رجالات الأدب على اختلافهم من أمثال ابن باجه الفيلسوف وابن عربى العالم الصوفى الكبير .

أما ثانى الطرازين الجديدين فى النظم وهو الزجل ، فجاء متأخرا عن الموشحات فى بلاد الأندلس ، ويذهب بعض الباحثين فى تاريخ الأدب الى أنه كان النموذج الذى نسج على منواله الغرب فى الثمانيات الشعرية التى عرفت فى أوربا بعد ذلك ، والشبه القريب بينهما يحملنا على الاعتقاد بالعلاقة القوية التى تربطهما ، جاء الزجل وكانت الموشحات قد تم لها تحطيم قيود الشعر القديم ، فظهر فى عالم الأدب منذ أول نشأته برداء اللغة العامية ، وأول من ظهر من الأدباء الذين احتفظوا بهذه اللهجة العامية فيما خلدوه من النظم الفنى هو محمد بن قزمان ، ويعد أول شعراء العربية العامية ، وكان يعيش متنقلا محترفا المدح ، وتوفى بقرطبة عام ٥٥٥ ﻫ

ومن رجال الشعر الفنى البارزين ببلاد الأندلس ممن يستحقون الذكر فى هذا العصر عبد المجيد بن عبدون المتوفى عام ٥٢٩ ؛ وكان حاكم جابرة عمر بن أفطس يخصه بعنايته وعطفه ، فلما ولى الحكم بعد وفاة أخيه يحيى بن منصور عام ٤٧٣ ﻫ أسند اليه إحدى الوظائف العامة ، فلما غلبه المرابطون على أمره واستولوا على مملكته بعد إعدامه عام ٤٨٥ ﻫ انضم ابن عبدون الى خدمة هؤلاء الأعداء المنتصرين ، فاتخذه على بن تاشفين بمراكش كاتما لأسراره . وشهرته الأدبية ترجع فى الغالب الى قصيدته التى نظمها فى رثاء أولياء نعمته الأولين من بنى حفص وتدهور دولتهم ، وكانت هذه القصيدة ملاى بالتلميحات التاريخية ، التى قام بعد ذلك بتفسيرها بالتفصيل ابن بدرون حوالى عام ٥٦٠ ﻫ . وهى تعد حتى الآن من أهم المصادر فى تاريخ الأندلس العربى .

وأما اهم شعراء الأندلس الدينيين فهو أبو زيد عبد الرحمن الفزارى ، وكان كاتما للسر عند كثير من الحكام ، فلما جاء الموحدون أمر المأمون بنفيه ، ولكنه تمكن فى منفاه بمراكش من اكتساب رضاء ذلك الامير وعفوه ، إلا أنه توفى بعد ذلك بقليل عام ٦٢٧ ﻫ . وأهم أعماله الأدبية مجموعة من تسع وعشرين قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وسميت بالعشرينية لتشابه بداية كل عشرين بيتا منها ، وذاعت هذه المجموعة فى السودان ذيوعا كبيرا ، نخصها المسلمون هناك بالتبجيل ولا زالت تحتفظ بينهم بمنزلتها الدينية الممتازه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نظام القضاء فى الاسلام

وتطوره بالقياس الى تطور حاجات البشر

لعل القارئ على ذكر مما ألمعنا إليه فى بعض أعداد سابقة من هـذه المجلة متعلقا بالولاية القضائية للمحاكم الشرعية، إثر صيحة ارتفعت من جمهرة من الناس حين وضعت المادة ٢٩٣ من قانون العقوبات الجـديد تطبيقا لمبـدأ المساواة بين التشريع المصرى والتشريع الأجنبى على أحدث الأساليب وأعمقها، استهداء باحكام المبادئ الحديثة وقضاياها كما يقولون.

لـكن رجال الدين من قضاة ومحامين يرون أن فى وضع هذه المادة غضا من قيمة المحاكم الشرعية واقتطاعا لجزء كبير من كيانها وطبيعة تصرفاتها وإجراءاتها، حتى لقد صرح مسئول كبير فى القضاء الشرعى العالى بأن تطبيق هذه المادة يقتطع من قضايا المحاكم الشرعية حوالى أربعين فى المائة. وبدهى أن المادة ٣٤٧ من القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ الخاص بترتيب المحاكم الشرعية تقول فى صراحة وجلاء:

« إذا امتنع المحكوم عليه من تنفيذ الحـكم الصادر فى النفقات أو فى أجرة الحضانة او الرضاعة أو المسكن يرفع ذلك الى المحكمة الجزئية التى أصدرت الحـكم أو التى بدائرتها محل التنفيذ، ومتى ثبت لديها أن المحـكوم عليه قادر على القيام بما حكم به وأمرته ولم يمتثل، حكمت بحبسه، ولا يجوز أن تزيد مدة الحبس عن ثلاثين يوما، أما إذا أدى المحكوم عليه ما حكم به أو أحضر كفيلا فانه يخلى سبيله، وهذا لا يمنع من تنفيذ الحـكم بالطرق الاعتيادية ».

وهى صريحـة فى تنفيذ الأحـكام فى مواد النفقات بأنواعها الثلاثة طبقا لأحـكام الشريعة السمحة، وقد كانت الولاية القضائية للمحاكم الشرعية فى أزهى عصور الاسلام عامة شاملة، على معنى أنها كانت هى المحاكم المنفردة بالفصل فى قضايا سكان البلاد على اختلاف مللهم ونحلهم وتنوع حاجاتهم ورغباتهم لا فرق فى ذلك بين أن تكون الخصومة فى مسألة من مسائل الأحوال الشخصية أو متعلقة بمعاملات مدنية أو تجارية كما كان مما يدخل فى حدود اختصاصها يومئذ دون سواها الفصل فى مواد القصاص بأنواعه ومواد التعزير بأنواعه الذى قد استحال الآن عمـلا من أعمال قانون العقوبات. وهـذا التصرف من غير شك أملى على المجتمع فترة طويلة من الزمن أقطع الأدلة على صلاحية الشريعة السمحة لـكل عصر وجيل، وقدرتها على مسايرة المقتضيات والملابسات التى تتمخض عنها حاجة البشر فى مرافقه المختلفة ومصالحه المتنوعة.

ولقد كانت تلك الصلاحية البارزة فى كل ناحية من نواحى الشريعة الاسلامية من الحوافز

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التقوية فى كل زمن على تلمس ما تمس اليه حاجة المجتمع ليمسى جزءا من قانون إسلامى يصبح بتتابع الأيام مجموعة من الأحكام الشرعية التى تطبق على سكان البلاد .

نقول : إن تلك الصلاحية البارزة ما فتئت فى تقدير المصلحين فى كل عصر هدف كل حابل ومرمى كل نابل ، غير أن الأسباب لم تتسق بعد لتحقيق ذلك المطلب الأسمى .

لذلك أخذت الولاية القضائية للمحاكم الشرعية تتقلص رويدا رويدا وبخاصة بعد إنشاء المحاكم الأهلية على نمطها الحديث بحيث استحالت الولاية للمحاكم الشرعية ولاية استثنائية لا يدخل فى اختصاصها إلا ما كان متعلقا بمواد الأحوال الشخصية حتى إن أولياء الكلمة يوم وضعوا أول لائحة لترتيب المحاكم الشرعية وقفوا من هذه اللائحة موقف البار بها الحدب عليها ابتغاء التوسع فى متناول نصوصها وأحكامها واتقاء لما يقف فى سبيلهم من عقبات مستعصية واعتراضات غير مواتية ، فقد كانت هناك سلطة المستشار القضائى فى وزارة الحقانية مرهوبة الجانب لا يمكن تجاهلها والغض من تقديرها ، فاعترض على إدخال باب الوقف وباب الهبة والوصية فى مواد الأحوال الشخصية لما يبدو من فرق كبير بينها وبين تلك الأحوال المتعلقة بذات الانسان .

غير أن الولاية القضائية للمحاكم الأهلية وقد أصبحت ولاية شبه عامة قد أقامت وزنا لعمل المحاكم الشرعية تلقاء ما كان يبدو من رغبة متوثبة عند أولياء الأمر نحو المحاكم الشرعية حتى أشاروا بوضع المادة ١٦ من قانون ترتيب المحاكم الأهلية ، وتلك المادة تجعل مواد الهبة والوقف والوصية داخلة فى اختصاص الولاية القضائية الشرعية .

وقد ظلت المحاكم الشرعية تمارس اختصاصها فى حدود ولايتها القضائية بما فى ذلك الفصل فى قضايا غير المسلمين من المتقاضين الذين ليست لهم طوائف ملية تفصل فى قضايا أحوالهم الشخصية ، وقد كانت سلسلة التجارب خليقة بأن تبرز بين كل فترة وأخرى من الزمن أحداثا جديدة تتطلب من المشرع المصرى تقديرا ورعاية ، حتى أن الأمر قد اختلط كثيرا فى بعض العهود على كثير من القضاة الشرعيين فى دائرة محكمة مصر الشرعية ومحكمة الاسكندرية والمنصورة ، فلا يدرون طريقة يترسمونها فى معاملة الطوائف غير الاسلامية معاملة قضائية تكفل إيصال الحقوق إليهم ، وتبعث الطمأنينة الى قلوبهم ، فكتب بعض حضرات القضاة الشرعيين الى وزارة الحقانية يستوضحها المنهاج الذى يسير عليه فى التقاضى لبعض الطوائف غير الاسلامية ، ولائحة ترتيب المحاكم الشرعية رقم ٧٨ واللائحة التى سبقتها لسنة ١٩٠٩ ليس فيهما ما يكفل بعث الطمأنينة الى الطوائف غير الاسلامية وبخاصة لائحة سنة ١٩٠٩ فقد نظرت فى مجلس شورى القوانين نظرة عجلى لا تتفق وما لمواد تلك اللائحة من الخطورة وشديد مساسها بمصلحة الجمهور ، وإن وقع ذلك من المجلس يومئذ مقترنا بحسن النية اعتمادا على اللجنة التى وضعت تلك اللائحة بوزارة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحقانية ، وقد كان قوامها أثباتا فى الفقه الاسلامى وأثباتا فى الفقه الوضعى العصرى وأثباتا فى الاجراءات المتعلقة بتنفيذ الأحكام ، فبعثت وزارة الحقانية بمنشور رقم ٥٠ بتاريخ ٢١ يونيو سنة ١٩١٤ وزعته على المحاكم الشرعية المنبثة فى أنحاء القطر بشأن الطوائف غير الاسلامية التى هى الارثوذكس والبروتستانت والكاثوليك وجعلها مختصة بالفصل فى قضايا الأحوال الشخصية لغير المسلمين من هذه الطوائف الثلاث ، وحظر على المحاكم الشرعية أن تنظر فى قضايا أحوالهم الشخصية ما عدا قضايا الميراث إلا إذا اتفق الخصوم عليها .

ومن ذلك الحين أخذت الطوائف الثلاث لغير المسلمين تنظر فى قضايا الأحوال الشخصية للأفراد التابعة لها طبقا لأحكام قوانينها الثلاثة الصادرة باوامر عالية فى تواريخ مختلفة ، وهذا من غير شك إجراء إن دل على شىء فانما يدل على أن الشريعة السمحة كفلت حرية الناس وطمأنينتهم حتى تركت لأصحاب التقاليد الكنسية الطريقة التى يختارونها لتكون منهاجا لتقاضيهم ما دامت الظروف غير مواتية لتكون الولاية القضائية العامة فى المحاكم الشرعية .

تطورت بعد ذلك التاريخ الأحوال واستحال الحال فنشأت مشاكل عن تنفيذ ذلك المنشور بين الطوائف غير الاسلامية ، وهبت طوائف لها مجالس ملية قائمة تفصل فى قضايا الأفراد التابعة لها وفى أحوالها الشخصية ، غير أن وزارة الحقانية لم تعترف بها ، فلجأ بعض المتقاضين من الطوائف غير الاسلامية وغير الطوائف الثلاث المعترف بها الى المحاكم الشرعية تستقضيها فى بعض مواد أحوالها الشخصية ، فوقف القضاة غير مستهدين بما يكشف عنهم هذا اللبس وذلك الإبهام أيقضون لهذه الطوائف غير الاسلامية وهم من غير الطوائف الثلاث المعترف بها ، فهذا يفتقر الى تعليمات تصدر إليهم من الجهات المختصة ، أم يقضون بعدم اختصاص المحاكم الشرعية لأن منشور رقم ٥٠ إنما كان خاصا بطوائف معينة ، وهؤلاء المتقاضون ليسوا من تلك الطوائف ، فكان القضاة بين موقفين متعارضين لايدرون أيهما أجدى على سير العمل فى المحاكم الشرعية ولا أكثر مساسا بمصلحة المتقاضين من غير المسلمين ، فكتبوا بذلك الى قلم التفتيش والمراقبة القضائية الشرعية فى وزارة الحقانية ، فتولى كبير المفتشين كتابة مذكرة برأيه فى مثل تلك الحالة المبهمة ورفعها الى وزير الحقانية ، ثم صدر بعد ذلك منشور رقم ٤ وزع على المحاكم الشرعية بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٩٢٣ بتعيين اختصاص جهة التقاضى لغير المسلمين من رعايا الحكومة المحلية إذا اتحد الخصوم مذهبا .

تلك معلومات لا تسهل الاحاطة بها إلا بعد عناء ومراجعة للمجموعة الرسمية وغيرها قد أسديناها الى إخواننا المحامين الشرعيين وكثير من القضاة الشرعيين وغيرهم . وسنتابع هذه البحوث فى روح الشريعة ومداها والمقارنة بينها وبين قانون المرافعات فى المحاكم الأهلية الأعداد المقبلة إن شاء الله ؟

عباس طه
المحامى الشرعى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تقرير بعثة الهند

— ٥ —

المسلمون فى الهند

التعليم العالى :

وبانتهاء الطالب من مرحلة التعليم الثانوى ، ينتقل الى المرحلة التى تليها وهى التعليم العالى ، حيث يتبحر فى العلوم العربية والدينية ، ويصبح أهلا لتلقى علوم أعلى من مستوى التعليم الثانوى .

ومن أمثلة ذلك : المدرسة الأحمدية فى بهوبال ، ومدرسة فاتابورى فى دلهى ، وسلطان المدارس فى لكنو . ومدة الدراسة فى هذه المرحلة ثلاث سنوات ، يتقدم فى ختامها الطالب الى امتحان تجريه الحكومة لنيل شهادة دينية إسلامية « مولوى فاصل » تعادل شهادة « الماتريك » فى مناهج التعليم المدنى ، وتوازى الى حد ما ، شهادة إتمام الدراسة الثانوية فى الأزهر .

التعليم الجامعى :

ثم تلى ذلك مرحلة التعليم الجامعى ؛ وفيها يتوسع الطلبة فى العلوم العربية وعلوم الدين ، حيث يدرسون سنتين لنيل الشهادة المتوسطة ، ثم ثلاث سنوات تنتهى بشهادة « علاّمة » ، وهى تقابل درجة « بكالوريوس » فى التعليم الجامعى المدنى ، ثم تليها مرحلة تخصص : فى التفسير ، أو الحديث ، أو المعقول ، أو التشريع الاسلامى ، أو الأدب والتاريخ ، أو التبليغ .

ومن الجامعات التى تجرى على هذا النظام : دار العلوم بديوباند ، وندوة العلماء بلكنو ، والجامع العباسى ببهاولبور ؛ على أن ثمة فوارق كبيرة بين هذه المؤسسات الثلاث :

فدار العلوم بديوباند : تجرى على ما كان الأزهر يجرى عليه منذ مائة سنة تقريبا ، لم يدخل على مناهجها أى تعديل ؛ وهى جامعة على النسق القديم ، وإن كنا قد آنسنا فى رحالها استعداداً للأخذ بالجديد ، كما ورد ذلك فى خطبهم ، إلا أن الروح العامة فى هذه الجامعة الدينية ، ما تزال غير آخذة بالأساليب العصرية ، فى الجمع بين علوم الدنيا وعلوم الدين ؛ ورجال هذه الجامعة من الطراز القديم أيضا ، يعيشون فى عزلة عن العالم ، شأنهم شأن علماء مصر فى القرن الماضى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويلحق خريجو هذه الجامعات بالوظائف التى تتطلب مثل صفات هـؤلاء المتخرجين ؛ وتكاد الصلة تكون منقطعة بينهم وبين خريجى الجامعات المدنية ؛ ويعتبر رجال ديوباند مثلا حياً للبعد عن رجال الدنيا .

ولا ينجو رجال الدنيا من لمز هؤلاء العلماء وغمزهم ، والتمليق على سلوكهم ؛ بل تمادى بعضهم فنعت هؤلاء بالكفر لعدم أخذهم بمذهبهم فى الدين ؛ ويسمى خريجو هـذه الدار بـ « الديوبانديين » .

أما الجامع العباسى ؛ فهو مؤسسة انشاها سمو « نواب بهاولبور » ، لتكون أزهر جديداً فى بلاده ؛ وينتسب سمو النواب إلى الدولة العباسية ، ولذلك ظهر شغفه باللغة العربية وتعلقه بكل ما هو عربى إسلامى . وقد تعرف شئون الأزهر فى مستهل القرن العشرين بواسطة وزير المعارف « الميجر شمس الدين » ، ووزير المهام الخاص « الكولونيل قريشى » ، وعمل بمشورتهما ، فأنشأ هذه الجامعة العباسية ؛ ومناهجها أقرب ما تكون إلى مناهج الأزهر قبل القانون رقم ١٠

ولسمو النواب ورجال حكومته عناية كبرى بهذه المؤسسة ، ويرجون أن تؤدى لبلادهم ما يؤديه الأزهر لمصر من خدمات ؛ ولكن رئيس هذه الجامعة رجل من رجال المدرسة القديمة .

أما ندوة العلماء فى لكنو : فهى أزهر حديث جمع بين علوم الدنيا وعلوم الدين ، على نسق ما يفعل الأزهر اليوم ، ورجال هذه المؤسسة من أنصار القائلين بأن علماء الدين لا يستطيعون القيام بخدمة الدين خدمة صحيحة إلا إذا استمالوا إلى جانبهم علماء الدنيا واختلطوا بهم . وهم يجمعون بين الثقافتين على أحسن ما يستطاع . والاشراف على شئون هذه الدار مماثل للاشراف على شئون الجامعات المدنية ، فتديرها ثلاثة مجالس :

١ — أراكن انتظامى . ويتكون من ٧٤ عضواً ، بعضهم من خريجى الندوة الذين يحتلون المراكز الكبرى فى مختلف أنحاء الهند ، والبعض الآخر ممن ترى الدار فائدة من ضمهم للاستنارة بآرائهم العلمية أو الادارية ، أو بنفوذهم الدينى أو السياسى ، أو غير ذلك .

٢ — المجلس الانتظامى . وهو الهيئة التنفيذية ؛ وينتخب أعضاؤه من بين أعضاء المجلس الأول ، وهو الذى يشرف الاشراف الكامل على أمور الجامعة بين فترات انعقاد « أراكن انتظامى » ، ويتقدم إليه بأعماله .

٣ — وينتخب من بين أعضاء المجلس الانتظامى عدد من النظام . فهذا ناظم الندوة « الدكتور عبد العلى » قد نيطت به إدارة الجامعة ؛ وهذا ناظم المالية قد نيطت به الأعمال المالية ، وهكذا ؛ ولا يتناول هؤلاء النظام ولا غيرهم أجوراً عما يؤدونه لهذه المؤسسة من خدمات .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وندوة العلماء قد خرجت اليوم عدداً لا يستهان به من العلماء ، يميزهم من غيرهم — من خريجى المعاهد الأخر — إلمام بشئون الدنيا ، واتساع فى الأفق العلمى . وللدكتور عبد العلى رأى فى أعمال التبليغ نرجىء عرضه إلى حين .

ومن فطاحل خريجى هذه الجامعة : السيد سليمان الندوى ، وهو من قادة الفكر بين المسلمين ، ويعيش فى مدينة « أعظم جار » ، ويتتبع سير الأمور فى العالم الاسلامى بعناية ، ويعرف عن الأزهر ونهضته ما لا يعرف كثيرون .

ومنهم : السيد هاشم الندوى ؛ وقد وقع عليه اختيار صاحب السمو العالى « نظام حيدر آباد » لادارة دائرة المعارف العثمانية ، وهى مؤسسة جزيلة النفع ، تسهر على نشر العلوم والمعارف الدينية والعربية ، بنشر الكتب القديمة فى الدين والأدب بها . ويطوف السيد هاشم الندوى طوافاً منظما بكافة المكتبات العامة والخاصة بالهند ، لاختيار المخطوطات التى يراها لازمة لطلاب الدين الاسلامى واللغة العربية ، وطبعها ونشرها على نفقة الدار .

أما « فرنجى محل » : فمدرسة دينية عالية يديرها جماعة من العلماء على نسق أهل ديوباند ، وهم يعتزون بأنه لم يطرأ عليهم ما طرأ على غيرهم من أساليب المدنية : كتدريس العلوم الحديثة واللغة الأجنبية ؛ كما يعتزون باستقلالهم عن الحكومة فى التعليم . وقد اتخذوا « فرنجى محل » اسما لمدرستهم ، لأن الحى الذى تقع فيه ، كان موطن الأوربيين قبل أن يخرجهم منها الملك « أورانج زيب عالمجير » .

وبلاهور جمعية خدام الدين ، وتسمى مدرستهم « قاسم العلوم » وهى مدرسة على نسق ديوباند أيضا ، وقد أصدروا طبعة للمصحف الشريف باللغة العربية ، وعليها ترجمة لفظية بلغة الأوردو .

مدرسة الواعظين : ومن أهم أقسام التخصص فى الدين الاسلامى مدرسة الواعظين للشيعة . تتكون هذه المؤسسة من ثلاث فرق ، وتبتدىء الدراسة فيها بعد نيل الطالب درجة عالم ، وقد حدد عدد الطلاب بأربعة لكل فرقة ، يتخصصون فى وسائل الوعظ والارشاد ، ويعينون بعد تخرجهم وعاظا ومرشدين فى الهند وخارجها .

إلا أن العناية بالتبشير فى الأقطار الأجنبية قد أصبحت محور اهتمام هذه الجماعة ، إذ يؤخذ على طلاب الانتساب إلى هذه المدرسة تعهد بالخدمة فيما وراء البحار مدة ما ، بالراتب الذى تحدده لهم الجماعة ، وقد تخرج من هذه المدرسة إلى الآن ٣٢ شيخا ، منهم ١٧ شيخا يعملون فى جنوب أفريقيا وجزر الملاى .

واللغة العربية ، وإن كانت لغة المؤلفات والمراجع التى تقوم عليها الدراسة بهذه المدارس الدينية ، إلا أنها لا تعطى ما تستحقه من العناية ؛ فالكتب التى تستعمل ، كلها من الكتب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

القديمة التى بطل استعمالها فى مصر، والتى تزيد بصعوبتها عن مستوى أفهام الطلاب، كما أنها ليست لغة التخاطب، ولا لغة الشرح؛ فالمدرس يتلو المتن العربى من الكتاب، ثم يشرحه بلغة الأردو، فكانت نتيجة ذلك ضعفا عاما فى هذه اللغة بين المتخرجين، ولهذا لايتكلمون بها إلا بصعوبة كبرى، عدا القليل منهم ممن يكون قد انكب على دراستها بعد التخرج، أما قدرتهم الكتابية، فمما يشكر لهم، إذ يكتبون بلغة عربية تكاد تكون لغة فصيحة، ولكثير منهم مؤلفات بها، بل إن الأستاذ «مسعود عالم الندوى» يصدر مجلته «الضياء» باللغة العربية.

ولاتساهم الحكومة فى نفقات هذا النوع من التعليم، إلا إذا كانت اللغة الانجليزية من بين مايدرس من اللغات كما هى الحال فى دار العلوم، وندوة العلماء، وسلطان المدارس للشيعة بلكنو؛ وبذلك حرم معظم هذه المدارس الدينية الاعانات الحكومية.

وقبل أن نفرغ من الكلام على جهود المسلمين فى نشر الثقافة الدينية بين أبناء المسلمين، نذكر الجامعة الملية فى دلهى :

الجامعة الملية : هيئة قد اقتضى وجودها ذلك العامل الذى اقتضى وجود جامعة عليكرة منذ خمسين سنة، وهو السهر على نفع الشبان المسلمين الذين يريدون الجمع بين الثقافتين : المدنية، والدينية، ولكنهم لايريدون التخصص فى أمور الدين الاسلامى، بل لا يريدون الانقطاع عن تيار التعليم المدنى الذى يؤهل للوظائف الحكومية وغيرها.

اجتمع لفيف من قادة الفكر المسلمين، وفكروا فى حال المسلمين فى الهند، فوجدوا أن جامعة عليكرة لاتؤدى لهم الخدمة الاسلامية كاملة، إذ أنها تعنى بمسايرة الجامعات الأخر فى نزعاتها المدنية، بحيث أصبحت علوم الدين فيها اختيارية؛ لذلك فكروا فى إنشاء هذه الجامعة مترسمين فيها خطوات من أنشأوا جامعة عليكرة، أول مرة.

ولقد تحدثنا الى «الدكتور ذاكر حسين» عميد هذه الجامعة، فألفيناه ذا شعور فياض بمسئولية رجال الوقت الحاضر أمام رجال المستقبل؛ ولذلك جمع حوله عددا ممن يشاركونه الرأى، وساروا بهذه الجامعة مستبسلين، ورسموا لهم خطة قائمة على التفانى فى سبيل واجبهم مع تضحية صوالحهم المادية من أجل الصالح العام؛ فلا يتناول المدرسون أجورهم الضئيلة إلا إذا توافرت لديها الموارد. ومن أغرب مايذكر لهذه الجماعة : أنها وفقت أخيرا لبعض المال، فبدل أن تدفع منه رواتب المدرسين المتأخرة، ابتاعت به بناء على موافقتهم مساحة من الأرض، لتنشىء عليها دارا للجامعة، مستوفية كل الشرائط الصحية والنظامية، تكون نواة لهذه الجامعة الفتية.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وتعنى الجامعة الملية بتدريس المواد باللغة الوطنية (الأردو) ، ويكلف الأساتذة بتأليف الكتب ونشرها ، ولهم عناية خاصة باللغة العربية والعلوم الدينية ، التى تعتبر من أمهات العلوم بالجامعة .

وفى رأينا أن هذه الجامعة الملية وغيرها من المدارس الدينية ، تستحق عناية خاصة من الأزهر

نواحى النشاط فى البيئات الاسلامية :

إن من أهم نواحى النشاط فى البيئات الاسلامية فى الهند : تلك النزعة التعاونية القائمة على البر والتقوى . ومما ساعد على نشوء هذه الجماعات ، الاستعداد الفطرى ــ الذى ملك على كبار المسلمين كل نواحى تفكيرهم ــ للاستبسال فى نشر مبادىء الدين الاسلامى الحنيف .

ويتبرع المسلمون فى الهند لمثل هذه المؤسسات بسخاء لا يناظره سخاء ؛ فكم رأينا من مبان شاهقة وقف ريعها على أعمال البر منذ سنوات ، ناهيك بتلك المؤسسات التى تستمد العون من أوقاف لا حصر لها ، منذ أيام الملوك المسلمين فى تلك الديار .

ومما يحسن بنا ذكره فى هذا المقام ، أنه إثر ثورة سنة ١٨٥٧ ، صادرت الحكومة البريطانية كثيراً من هذه الأوقاف وباعتها بأبخس الأثمان ، ولكن المسلمين ما لبثوا أن استعادوا أكثر ما أخذ منهم ، إما بمصالحة الحكومة البريطانية ، وإما بالشراء من جديد .

وتنقسم هذه المؤسسات الاسلامية الى قسمين :

(ا) جمعيات تعمل على إحياء مجد الاسلام بالعلم والثقافة العامة والتعاون ؛ فمن ذلك : جمعيات الشبان المسلمين ، وهى منتشرة فى أنحاء الهند فى بومباى ، وأجرا ، ودلهى ، ولاهور ، وكراتشى ، وكلكتا ، وناجبور ؛ وهى تعمل على تكوين الأخلاق بالدين والثقافة العامة ، ووسيلتها فى ذلك إلقاء المحاضرات العلمية ؛ وهذه الجمعيات حديثة الوجود بالهند .

معهد البحوث الاسلامية ببومباى : ومن الجمعيات العظيمة الأثر أيضاً « معهد الأبحاث الاسلامية ببومباى » ؛ ويقوم بالعمل فيه شباب ناهضون من المسلمين المثقفين ، وقد اتصلوا بنا وذاكرونا فى نواحى نشاطهم ؛ وهم وإن كانوا من شباب طائفة الاسماعيلية ، إلا أنهم يبحثون عن حقيقة الاسلام وروحه السامى ، ولا يتقيدون فى بحثهم بنحلة خاصة ؛ وهم يعملون على إظهار كل مكنون علمى من تراث المسلمين بترجمة الكتب النافعة فى علوم الكون : كتاريخ ابن خلدون وغيره .

وقد تقدم لنا بعض أعضاء هذه المؤسسة بالرغبة فى أن توجه إليهم الدعوة لحضور العيد الألفى للأزهر .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

جمعية اسلام سيفا سماج : ومن تلك الجمعيات جمعية « إسلام سيفا سماج » وهى جمعية حديثة التكوين ، عدد أعضائها محدود ، ولها سكرتير . وهم ينفقون على جمعيتهم من حر أموالهم نحو عشرة آلاف روبية فى كل عام (٧٥٠ جنيها مصريا) ؛ ومن برنامجهم لزيادة أعضاء الجمعية أن يضم كل عضو من أعضائها عدداً محدودا من أصدقائه ، على تبعته ، وأن يقسم كل عضو أغلظ الأيمان على أن يكون عمله لأجل الاسلام لا لشهرة او كسب مال ؛ ثم يضم كل واحد من هؤلاء أصدقاء جدداً بنفس الطريقة السابقة .

ومن عمل هذه الجمعية : تشغيل العمال المعطلين المسلمين ، وقد وظفت فى خلال العام الماضى ١٨٠ شخصاً منهم عند تجار مسلمين . وهى تكمل العاطل بما ينقصه من التعليم ، حتى يتهيأ له أداء ما يطلب منه من الأعمال : كالحساب التجارى ، والكتابة على المكتاب والاختزال وغير ذلك .

وهذه هى الجمعية التى تقدمت الى فضيلة مولانا الأستاذ الأكبر بالمدالية الذهبية ، كما ذكرنا فى مقدمة هذا التقرير .

جمعية أنجمان إسلام : ومن هذه الجمعيات أيضا جمعية « أنجمان إسلام » فى بومباى ، وهى جمعية قديمة جداً ، أسست بأموال المسلمين ، ومن أغراضها نشر التعليم الاسلامى بين طبقات الطلبة الذين يتجهون فى دراساتهم اتجاهاً مدنياً . وقد ظلت هذه الجمعية سنوات طوالا تحقق هذه المبادىء ، الى أن منيت فى شئونها المالية بما لا محل لذكره الآن ، فأعانتها الحكومة وتدخلت فى أعمالها .

جمعية أنجمان حماية الاسلام : ومن هذه الجمعيات جمعية « أنجمان حماية الاسلام » بلاهور ؛ وهى جمعية قوية تضم معظم شباب البنجاب المسلمين المثقفين ، ويرأس مجلس إدارتها اليوم « السير محمد إقبال » شاعر الهند وفيلسوفها العظيم .

وقد ساهمت فى إنشاء كلية للآداب من وحدات جامعة البنجاب ، وهى تعنى بالدراسات العربية والدينية ، وعميد هذه الكلية اليوم هو الأستاذ « عبد الله يوسف على » من موظفى الحكومة الهندية القدماء .

وتدير الجمعية مدرسة ثانوية للبنات ، وتعتزم أن تضم إليها كلية عليا ، وهى اليوم فى صدد وضع مناهج لهذه الكلية . ولقد تقدمت إلينا هذه الجمعية بالرغبة فى أن نضع لتلك منهاجا خاصا فى علوم الدين . وقد اجتمعنا مع حضرات الأعضاء ، وتذاكرنا فى هذا المشروع ، حتى جمعنا معلومات تصلح أساسا لوضع المنهاج الدينى الذى يناسبها ، ووعدناهم بعرض الأمر على رياسة الأزهر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أما الكلية الاسلامية فى بشاور : فهى كذلك من المؤسسات التابعة لجامعة البنجاب ، عمل على تأسيسها مسلمو مقاطعة الحدود بزعامة « السير عبد القيوم خان » من أعيان هذه المقاطعة ورئيس وزرائها الآن . وهى تعنى باللغة العربيــة والعلوم الدينية ، الى جانب المناهج المدنية .

جماعة حزب الله : وفى بهاولبور جماعة « حزب الله » وهم يتزيون بزى الجند ، ويقومون بما تقوم به جمعيات الشبان المسلمين عادة .

جمعيـة أنجمان مسلمانى بنجابى : وفى كراتشى جمعية « أنجمان مسلمانى بنجابى » وهى مـكونة من أهل البنجاب المقيمين فى هـذا الثغر ، وقـد نصبت نفسها لمعاونة حجاج بيت الله الحرام ، وتسهيل السبيل الى الحج ، وما الى ذلك من مساعدة فقراء المسلمين .

جمعيات تحفيظ القرآن : ويوجد فى بعض أنحاء الهند جمعيات لتحفيظ القرآن ، وتجويد تلاوته وقراءته بالروايات ؛ وقد شهدنا من هذه الجمعيات جمعية القراء بدلهى ، حيث عقدت حفلتها السنوية فى « جمعة مسجد » تحت رعاية البعثة ، فاستمعنا الى كثير من الخريجين يتلون القرآن الـكريم .

جمعية الخلافة : أما جمعية الخلافة ، وهى تلك الجمعية الذائعة الصيت فى أنحاء العالم الاسلامى ؛ فقد كانت منذ سنوات ذات نشاط يجذب الأنظار ، ولقد جمعت من كافة أنحاء الهند من المال مالم تجمعه جمعية أخـرى ، ولـكن روى لنا أن تضاؤل شأن الخـلافة العثمانية تضاؤلا أدى الى زوالها ، أيأس الـكثيرين ممن اعتادوا البذل لهذه الجمعية ، حتى إنه كاد ينقطع ندى الأكف عنها ، وهاهى ذى اليـوم قائمـة فى مركزهـا العام فى (بومباى) يدير شئونهـا « مولانا شوكت على » ، ويقوم بأعمال السكرتارية فيها « مولانا عرفان » ، ولـكنها غـير بادية النشاط فى هذه الأيام .

هذه أمثلة فقط من نواحى نشاط المسلمين التعاوني ، وقد ذكرنا بعضاً من تلك الجمعيات المنتشرة فى طول البلاد وعرضها ، ولو حاولنا حصرها ما استطعنا الى ذلك سبيلا .

(ب) جمعيات تقوم بتبليغ الاسلام بين الطوائف غير الاسلامية :

أهم هذه الجمعيات وأعظمها نشاطاً هى « أنجمان تبليغ الاسلام » بأمبالا ، وهى جمعية عظيمة النشاط فى أعمال التبليغ ، ولا يقتصر نفوذها على إقليم البنجاب الذى ظهرت فيه ، بل يتعداه الى معظم أنحاء الهند .

ولها فى حركة إسلام المنبوذين نشاط يذكر ويشكر ، فقد ساهمت بقسط وافر من النشاط والمال فى « ترافنكور » ، وأسست مركزاً من مراكز التبليغ له شان عظيم فى « ناجبور » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن أهم شخصيات هـذه الجمعية : الأستاذ غلام بهيج نيرانج ، وهو محام أمام المحكمة العليا فى لاهور ، وعضو فى الجمعية التشريعية المركزية فى دلهى ؛ وهو حركة دائبة لا يستقر فى مكان واحد بضعة أيام ، ويجوب بلاد الهند من أقصاها الى أقصاها مرات فى كل عام ، وهو شخصية لا يقوم بينه وبين الحكومة المركزية عداء .

الجمعية الأحمدية : أما الجمعية الأحمدية اللاهورية ، فهى من أنشط الجمعيات دعاوة للاسلام فى خارج بلاد الهند ؛ ويقول مؤسسوها إنهم يدعون الناس الى اعتناق الدين الاسلامى ، مع عدم التمييز بين مذهب وآخر ؛ ولكنهم فى داخل الهند يبشرون بمبادئهم الأحمدية اللاهورية ، فيستهدفون لغضب الجماهير وسخطهم .

نواب محمد يارجنج : وفى حيدر آباد رجل يعمل بمفرده ما تعمله الجمعيات ، هو « نواب محمد يارجنج » الذى يقوم بالتبليغ بين المنبوذين فى القرى ، ومع قصر عهده بهذا العمل الجليل ، فقد أبلى فيه بلاء حسنا . ويعتبر عمله فى حيدر آباد قاعدة لأعمال التبشير المستندة الى المال ، وهو يبذل بسخاء فى هذه السبيل من ماله ، ومما يرد إليه من الموسرين الخيرين .

محمود فاندرمان : ويقوم الى جانبه مبلغ خطير الشأن هو « محمود فاندرمان » . كان مسيحياً وأسلم بعد أن كان آباؤه وأجداده من المبشرين المسيحيين . وقد ورث عنهم التفنن فى أعمال التبشير ؛ فيطبق العلم على العمل بمهارة جعلته محط أنظار الكثيرين ، ولهذا فان عمله منظم ، ويصلح أن يكون نواة لعمل كبير ، لا فى بلاد حيدر آباد وحدها ، بل فى غيرها من أنحاء الهند أيضا .

أما ناجبور ، فانها مركز من مراكز العمل المنتج ، يقوم فيها ثلاثة من كبار الدعاة للاسلام بين المنبوذين :

١ — « فضل الحق صاحب » ، ويقضى أوقات فراغه فى مناطق المنبوذين حيث افتتح مدرسة لتعليم أبنائهم ؛ وهو شديد الغيرة على الاسلام ، وله عقلية منظمة ، ويستطيع أن ينتج إنتاجا مضاعفا إذا وجد تشجيعاً من أى نوع كان .

٢ — الأستاذ « فضل رحيم » المحامى ، وهو كذلك من المعنيين بشئون المنبوذين ونشر الدين الإسلامى بينهم ، وله علاقة طيبة بزعماء المنبوذين فى هذه المنطقة ، ولكنه أنفق كل ما كان مدخرا لديه على قلته فى هـذا العمل ، وأصبحت موارده أضيق من أن تساعده على الاستمرار ، لا سيما وأن حالة النفسية قد تطرق إليها الملل من سلوك الدكتور أمبيدكار ، الذى كان فضل رحيم يعلق على إسلامه أهمية كبرى .

٣ — « أسرار أحمد » ، وهو حكيم من خريجى ندوة العلماء ، ذهب الى ناجبور مدرساً بمدرستها الإسلامية ، ولكنه ما لبث أن عنى بشئون الدعاوة الإسلامية ، وله صلات طيبة بأكابر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

القوم ، ويرجى منه النفع العميم ، إلا أن موارده الآن تضيق عن القيام بما ندب نفسه له من عمل خطير .

هذا قليل من كثير من نواحي النشاط فى أعمال التبليغ ، ولكنك أينما تسير فى الهند تجد الكثير من هذه الجمعيات .

إلا أن التعامل مع بعضها ، وخصوصا الصغيرة منها ، يستلزم اليقظة والحذر ، إذ ما من عمل من هذا النوع ، إلا وقد دخل فيه المحترفون ، والذين يعلنون عن أنفسهم ، ويقولون أكثر مما يفعلون .

أعمال البعثة :

١ — العمل على التوفيق بين علماء الدين والعلماء المدنيين :

ما كدنا ننزل الى بلاد الهند حتى تجلت لنا الفرقة المؤلمة بين علماء الدين والعلماء المدنيين ، وقد حاولنا أن نرجع هذا الخلاف الى أصوله فاتضحت لنا الحقائق الآتية :

التعليم الديني والتعليم المدني منفصلان بعضهما عن بعض أتم انفصال ؛ ذلك بأن الحكومة قد قررت — نظراً لتعدد الأديان فى الهند تعدداً لا مثيل له فى أية بقعة أخرى على سطح الأرض — ألا يدرس الدين فى المدارس بكافة أنواعها ؛ فاذا خرج الطفل الى المدرسة وجب على ولى أمره أن يختار له إحدى طريقين : إما تعليم مدني لا يعرف فى ثناياه شيئا عن الدين ، وإما تعليم ديني يبعد به كل البعد عن وظائف الحكومة .

وبدهي أن اختيار معظم أولياء الأمور يقع على النوع الأول من التعليم ؛ حتى طال الزمن على ذلك ، فتولى شئون الحكم فى الهند طبقة من خريجي الجامعات المدنية التى لا تمت الى الدين بصلة ، وبقى خارج كراسي الحكم أولئك الذين تخرجوا فى الجامعات والمدارس الدينية ، واستحوذ الفريق الأول على النفوذ الزمني ، فى حين استحوذ الفريق الآخر على النفوذ الروحي . وكان من رعايا الفريق الأول عامة من تربطهم بشئون الحكم رابطة ، أما رعايا الفريق الثاني فهم عامة الشعب .

عندئذ دب التنافس بين الفريقين ، وحقد كل منهما على الآخر ، فاستحكمت العداوة بينهما ، ثم تولدت البغضاء بانصراف كثير من رجال الفريق الأول عن شئون دينهم العملية : كالتردد على المساجد ، وأداء فريضة الحج وغير ذلك ، فاستهدفوا لطعن الفريق الثاني الذى تمادى فى التشهير بالفريق الأول ، حتى رمى الكثير من رجاله بالكفر والزندقة .

ثم نشأت الأجيال الجديدة بعد ذلك على ما يلقنه رجال العلوم الكونية لتلاميذهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من الحقد على رجال الدين ورميهم بالقصور وضيق الفكر ، كما نشأ على أيدى العلماء الدينيين جيل أشرب كراهة الطلبة المدنيين ، لظاهر انصرافهم عن شئون الدين .

ولو حاولنا أن نتتبع أدوار هذا الجدل العنيف بين الفريقين لطال بنا البحث . على أن بعضا من عقلاء المفكرين رأى أن العلاج الوحيد لهذه الحال لا يأتى إلا بأن ينشأ جيل جديد يكون وسطا بين الفريقين ، وذلك بأن يعطى طلبة الجامعات المدنية بعضاً من علوم الدين ، وينشأوا على القيام بواجباتهم الدينية فى السر والعلانية ، وأن ينشأ كذلك فى الجامعات الدينية نظام يجمع فيه الطالب الى علوم الدين بعضا من العلوم المدنية ؛ وقد تحقق المقصد الثانى فى « دار العلوم ندوة العلماء » فى لكنو .

ولما وصلت البعثة الى الهند ، وهالها ما رأت من الفرقة بين الفريقين ، رأت أن تكون باكورة أعمالها إلقاء المحاضرات والتحدث فى المجالس الخاصة على الضرر الذى يصيب الاسلام من هذه الفرقة ، وأنه من صالح كل من الفريقين أن يصالح الفريق الآخر بالتساهل معه .

ومن أشد ما لاقيناه من هذه الصعوبات أن الرجال المدنيين يرمون علماء الدين بأنهم منقسمون على أنفسهم شيعا يكفر بعضها بعضا ، وأنهم هم السبب الأساسى فيما أصاب المسلمين من تفرق ، كما قالوا لنا إنهم مستعدون لمصالحتهم إذا صفت نفوسهم ، وظهر استعدادهم بالتغاضى عن الصغائر .

أما العلماء الدينيون فقد كنا نظهر لهم مزايا هذه المصالحة ، وندلل لهم على أنه لا غنى لطالب الدنيا عن الدين ، ولا غنى لعالم الدين عن جهود عالم الدنيا .

وإنا لنعتقد أننا قد نجحنا فى هذا بقدر ما اتسع له وقتنا ، وفى رأينا أن الأزهر إذا فكر فى إرسال مبعوثين الى الهند ـ سواء أكانوا لأعمال التبليغ أم لتدريس اللغة العربية والدين الاسلامى فى بعض المدارس والجامعات ـ فاول واجب يقع على عاتق هؤلاء ، هو أن يبشروا بهذا الرأى الذى كان نبراس الجامعة الأزهرية فى حياتها الجديدة .

٢ ـ العمل على إزالة الفوارق بين طوائف المسلمين :

وثمة ظاهرة أخرى فى الهند خليقة بالتفكير ، تلك هى الفرقة السائدة بين علماء الدين بعضهم وبعض . وقد سبق الكلام على المذاهب والشيع فى الهند ، ومقدار ما للنزعة المذهبية من أثر فى تكوين عقليات الجماهير وطرق تفكيرهم ، حتى إن أصحاب كل ملة أو نحلة لا هم لدى أتباعهم ومريديهم إلا الطعن على أصحاب الملل والنحل الأخر ، كائناً من كان معتنقها . وقد حاولنا استقصاء الأسباب المؤدية الى ذلك ، فهالنا ما سمعنا والعهدة على الرواة :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يقولون : إن وظيفة « مولوى » فى الهند تعود على صاحبها بالخير الجزيل والرزق الوفير نظراً للاستعداد الفطرى عند العامة للجود بما ملكت أيمانهم عن طيب خاطر لأول طالب يطلبه باسم الاسلام ؛ لذلك حاول هؤلاء المولوية الاستئثار بأتباعهم خالصين لهم فنفروهم من المولوية الآخرين بالطعن فى الشيعة أو المذهب المخالف ، وبذلك أصبح الاسلام فى الهند مجموعة من المذاهب لا تربطها رابطة .

هذا ما رواه لنا الرواة ، أما ما أسفرت عنه محادثاتنا مع من قابلنا من هؤلاء المولوية ، فتصغير لشأن هذا الخلاف وتكذيب لما ترامى إلينا من أنبائه ؛ إلا أن الظواهر قد دلت على أن الخلاف قائم لا محالة ، وهو من التركز بحيث يصعب على أمثالنا ممن لهم وقت محدود أن يعملوا فيه عملا حاسما .

وأقرب ما يحضرنا من أدلة على هذه التفرقة المشئومة ، ما رأيناه فى مدرسة « السند » الاسلامية بكراتشى ، وهو وجود مسجدين داخل أسوار المدرسة : أحدهما للشيعة ، وثانيهما لأهل السنة .

وقد قال لنا ناظر المدرسة ، وهو الحايرى ، عند ما تحدثنا إليه فى شأن هذه الفرقة فى دور العلم ، التى يجب أن تعمل على وحدة التفكير بين طلبتها ومدرسيها : « إن وجود مسجدين فى دار هذه المدرسة ، كان تنفيذاً لإرادة الواقفين ، وإن الطلبة يعيشون مع بعضهم فى سلام ووئام ، لا يفصلهم إلا وقت الصلاة وتنوع المساجد » .

غير أننا ما أردنا أن نضيع الفرصة ، فما ضمنا مجلس مع فريق من هؤلاء إلا ضربنا له الأمثال بما جبلت عليه بلادنا العزيزة من تسامح بين أصحاب المذاهب ، وكم من مرة أشدنا بذكر طريقة تدريس الفقه فى الأزهر الشريف ، وكيف أن طلبة الجامعة الأزهرية على اختلاف مذاهبهم تضمهم صلاة جماعة واحدة ، ويؤمهم إمام واحد ، بل كم كان جميلا أن نذكر لهم أن فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وهو سنى بالطبع ، قد استقبل الشيخ عبد الكريم الزنجانى ، وهو من أئمة الشيعة ، وأكرم وفادته ، وعنى به العناية كلها ؛ بل عند ما كانت تقوم الصلاة كان أحدهما يصلى مؤتما بالآخر ، لا فرق بين سنى وشيعى .

وقد تقدم إلينا كثير من ذوى الرأى ، بأن مبعوثى الأزهر إلى الهند فى المستقبل ، يجب أن يركزوا جهودهم فى تنوير الجماهير عن عدم وجود فارق جوهرى بين المذاهب على النحو الذى يبثه المولوية الحاليون ؛ ففى ذلك لجمهور المسلمين خدمتان : الأولى دينية بحتة ، وهى رد الاسلام الى أصوله فى نفوس الجماهير ، أما الثانية فوطنية ، هى لم الشعث وتكوين الصفوف بما يعود على الأمة بالفائدة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٣ — تنظيم البعثات الهندية الى الأزهر :

وقد كان من اهم ماعنينا به محادثة زعماء البلاد ، وقادة الحركة العلمية فيها ، ورجال الحكومة ، بشأن البعثات الهندية الى الأزهر . وقد دلت تحرياتنا على أن كثيرا من خيار الناس فى الهند ، كانوا يجهلون أن لبلادهم طلبة فى الأزهر ؛ فى حين كان آخرون يقولون إن هؤلاء يسافرون الى مصر ، ويعودون الى بلادهم ولم يطبعوا بطابع خاص من الثقافة ؛ على حين كان آخرون يألمون من أن الطلبة الذين يفدون الى الأزهر تطول إقامتهم فيه لغير سبب ظاهر .

أما نحن فقد أطلعناهم على جلية الأمر بشأن هؤلاء الطلبة ، وكيف أن كثيرا منهم لايستفيدون من الدراسات الأزهرية ، نظرا لضعف استعدادهم العلمى ؛ كما أن البعض منهم ينصرف عن شئون الدراسة الى غيرها ، نظرا لضعفهم الخلقى ؛ فى حين أن فريقا ثالثا يعتقد أن مقامه بالأزهر الذى يدر عليه بعض الاعانات الشهرية ، خير له من العودة الى بلاده التى يحتمل ألا يجد فيها عملا يعيش منه .

هذا الى أن الكثرة المطلقة من الطلبة الغرباء يختارون لدراستهم نظام « الغرباء » وهو نظام قلما يكفل التثقيف الأزهرى الكامل .

وبعد محادثات شتى ، استقر الرأى على ضرورة تنظيم هذه البعثات ، وهنا عرضت علينا مجموعة الآراء الآتية :

(ا) أن يوكل الى بعض رؤساء المؤسسات الاسلامية العلمية بالهند فرادى ، تزكية طلاب الانتساب الى الجامعة الأزهرية ، على أن يرشحوا عددا يحدد بالاتفاق بينهم وبين الأزهر ، وعلى أن يعلن عن التسهيلات التى يمنحها الأزهر لهؤلاء الطلاب ، وعن المستوى العلمى المطلوب . بهذا يتسنى للأزهر أن يحصل على طبقة من الطلبة أنفع من الطلبة الحاليين ، وكذلك تنتفع الهند بأعمال هؤلاء عند عودتهم الى بلادهم .

(ب) أن يقع اختيار الأزهر على عدد من كبار رجال التعليم فى الهند ؛ فيكون من بينهم لجنة تسمى « لجنة الترشيح للازهر » ، وعلى هذه اللجنة أن تتلقى طلبات الراغبين فى الانتساب الى الأزهر ، فتفحص هذه الطلبات وتزكى من أصحابها من تشاء .

(ج) أن يشترط فى طالب الانتساب الى الأزهر الحصول على توصية كتابية من رجل من رجال الفكر فى الهند ، ممن قامت بينهم وبين الأزهر صلة عن طريق هذه البعثة ، وألا ينظر الأزهر فى طلب ليس مشفوعا بمثل هذه التزكية .

(د) أن يوكل الى الحكومات الاقليمية فى الهند ، أن تكون واسطة الاتصال بين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأزهر وطلاب الانتساب إليه ، فني ذلك أمان للأزهر من أن يرد إليه من يعتبرون خطراً على النظام العام .

وفي رأينا أن الأزهر يستطيع بعد فحص هذه الاقتراحات أن يصل الى قرار في هذا الشأن ، يكون من ورائه فائدة لكل من الأزهر والهند .

٤ - تأسيس علاقات صداقة بين الأزهر ورجال الهند الممتازين :

وقد كان سفر البعثة الى الهند فرصة سانحة لتأسيس علاقات الود والصداقة بين الأزهر من ناحية ، وبين رجالات الهند الممتازين من ناحية أخرى ؛ فلقد مدت البعثة يد الصداقة الى زعماء الحركة الفكرية والعلمية في تلك البلاد ، فآنست منهم إقبالا على صداقة مصر يجدر بنا أن نعنى به أشد العناية .

وإنا لنتشرف بأن نلحق بهذا التقرير كشفا باسماء هؤلاء الأصدقاء ، راجين أن تدوم المراسلات بينهم وبين الجامعة الأزهرية .

وحبذا لو عنينا ، كلما حضروا الى مصر ، باطلاعهم على الأزهر في ثوبه الجديد ، وما يقوم به من خدمة شاملة للدين واللغة ؛ ففي ذلك توطيد لعلاقات الود التي بدأتها البعثة ، ومساعدة على نشر الثقافة الدينية في الأقطار الاسلامية .

ومن بين هؤلاء فريق من رجال العلم يجدر بمصر على العموم ، والأزهر على الخصوص أن ينتفع بالأيام التي يقيمونها فيها ، فيدعوهم لالقاء المحاضرات على الطلبة المصريين في شئون الهند ، مما يعود على كل من البلدين وأهله بالخير .

هذا ولا مندوحة عن القول بأن الهند ومصر بلدان يشتركان في كثير من الشئون ، والاسلام صلة رحم بينهما . ولا يستطيع إنسان مهما يكن له من سعة الاطلاع وبعد النظر ، أن يتكهن بالنتائج الثقافية والدينية التي تثمرها هذه الصداقة ؛ ولنا فيما تقوم به الجامعة المصرية نحو ضيوفها الأجانب من الغربيين خير مثل على صواب ما نذهب إليه .

وحبذا لو استطاع الأزهر الشريف أن يمنح درجة العالمية الفخرية لفريق من رجال الهند الممتازين ؛ فان في ذلك تقوية لأواصر الصداقة بين الطرفين ، وحفزاً لمئة من أفاضل الهنديين للاقبال على هذه الصداقة ؛ وإن لمثل هذا التصرف النبيل من الأزهر أثره في عواطف الهنديين عامة ، ورجال العلم منهم خاصة .

(يتبع)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إمساكية شهر رمضان المعظم :

أهدانا حضرة الوجيه النابه الشيخ على حسن عاصى من دمنهور إمساكية لرمضان هـذا العام بديعة النقوش مذهبة الجداول كأحسن ما وقعت العين عليه من نوعه مما يدل على ارتقاء صناعة الطباعة والتلوين بمصر . وقد جعلها كراسة مصدرة بأحاديث شريفة ، وجعل على رأسى صحيفتى الشهر آية الصيام مكتوبة بخط أبيض جميل على سطح أزرق يروق البصر . جزى الله ناشرها أحسن الجزاء .

أناشيد دينية :

نشر حضرة الشاعر الألمعى المطبوع محمود افندى أبو الوفا رسالة فى ٢٥ صفحة ضمنها قصائد دينية بهـذه العنوانات ، النشيد لدينى لجـلالة الملك فاروق لأول ، النشيد الأول : الله ، والثانى : الصلاة ، والثالث : الصيام ، والرابع : الزكاة ، والخامس : ليلة القدر ، والسادس : الحج ، والسابع : الهجرة ، والثامن : مولد النبى ، والتاسع : الاسراء ، والعاشر : العروبة .

وقد أحسن شاعرنا الرقيق بما صنع كل الاحسان، فليس لدينا من الأناشيد الدينية إلا ما عمله بعض من لا يحسنون القول ، فجاء عملهم مشوبا بالخرافات فى قوالب تمتبر وصمة على اللغـة العربية ، ولـكن الأناشيد التى نحن بصددها قد خلت من كل شائبة خرافة أو غلو ، واستوعبت ما يجول فى الصدور من شئون الدين الكبرى ، وصيغت فى قالب يستثير العاطفة الدينية ويملأ الصدور حنينا الى السماء ، وتهياما بعالم الروح . ويحسن بنا أن نعطى القارىء نموذجا مما قاله فى الصوم :

الصـوم يزكى أنفسنا هيا بالصـوم نزكيها
الصـوم ينقى أنفسنا هيا بالصـوم ننقيها
يزكيها
فيحـــــررها حتى تأبى رق المنع
ينقيها
فيطهــــــرها من ميل النفس الى الطمع
وعلاج النفس من الطمع يشفى أمراض المجتمع

***

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الصوم أتى للبشريه ليقوى فيها الحيويه
ويهيئها للحريه

***

شرع قد جاء به الله ليقول لنا ما معناه
حرية نفسك معناها أن تملك نفسك وهواها

***

الصوم يزكى أنفسنا هيا بالصوم نزكيها
الصوم ينقى أنفسنا هيا بالصوم ننقيها
يزكيها
ويعلمها ويعلمها طوع الأمر
ينقيها
فيقويها ويعودها حسن الصبر
عظماء الدنيا ما سادوا إلا بالصبر على المر

***

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تعويد النفس على الألم وعلى الحرمان يقويها
الدنيا تشكو بالنهم هيا بالصوم نداويها
صوموا صوموا تشف الدنيا مما فيها

***

الصوم دوا الانسانيه من ضعف النفس البشريه
الصوم يقوى الحيويه ويهيئها للحريه

الماضى الحى — أو : بيير وجان :

هى قصة تحليلية تأليف القصصى المشهور (جى دوموباسان) تعد من أحسن ما كتبه ، وهو معروف بدقة التعبير ، وحسن الايجاز ، والبيان الساحر ، وهو من طائفة الكتاب الواقعيين كاميل زولا وأشباهه .

وقد وقع اختيار مجلة الهلال على هذه القصة فجعلتها ملحقا لها ، وقد أحسنت فى الاختيار فان هذه الرواية شائقة ذات حوادث أخاذة للعقول تسحر المطالع وتلذه . فنشكر لدار الهلال هديتها ، ونرجو لها النجاح فيما هى بصدده من نشر العلم و لآداب الرائعة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر

في كل شهر عربي

المجلد الثامن	رمضان سنة ١٣٥٦	٨	الجزء التاسع

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدي

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الإدارة

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراك

داخل القطر المصرى ... ...

خارج القطر المصرى

فعلماء غير المدرسين وا

والمأذونين ،

الاولية والط

ومجالس

لطلا

ثمن الجزء الواحد ٣ قروش صا

معا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فهرس

الجزء التاسع — المجلد الثامن

الموضوع	بقلم	صفحة
الروح الاسلامية ومدى تأثيرها	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٦٠١
الدعوة الى الله تعالى وأهل الفترة	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيري	٦٠٦
حديث جليل	» » يوسف الدجوي	٦١٢
الميراث	لجنة الفتوى	٦١٦
الرضاع	» »	٦١٦
تفسير سورة لقمان	فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم الجبالي	٦١٧
النثر الفني	» » صادق عرجون	٦٢٢
الأخلاق الفلسفية — الضمير	حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب	٦٢٦
سيرة الزبير بن العوام	فضيلة الأستاذ الشيخ [illegible]	٦٣١
[illegible]ب في الاسلام	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٦٣٥
[illegible] الدينية	» » »	٦٤٢
[illegible]حب الفضيلة الأستاذ الأكبر كلمات	... ...	٦٤٥
... ...	قلم الترجمة	٦٥٠
... .	فضيلة الأستاذ الشيخ عباس طه	٦٥٧
... .	... ...	٦٩٩

oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الروح الاسلامية ومدى تأثيرها

فى النفس البشرية

— ١٠ —

المقومات التعاملية

تتألف الجماعات البشرية من طوائف مختلفة ، من طبقات شتى ، ومنها ما يدين بأديان غير دين الكثرة ، تحتاج فى إقامتها الى مؤسسات لتأدية العبادة ، والى معاهد لتربية النابتة ، فلم نر فى الأمم أمة جرت من هذا التخالف على سمت يرضى الانصاف والعدل ، ويوفى حق الانسانية والمروءة ، غير المسلمين ، من أول ما خلق الله الخلاف بين الناس الى اليوم .

بدأ الناس حياتهم الاجتماعية لا يطيقون من يخالفهم ، فكانوا يقتلون الأجنبى كائنا من كان ، وقد دفعتهم هذه الضراوة الى قتل كل غريب عنهم كما يقتلون الهوام السامة ، وقد بقيت هذه العادة الى عهد الرومانيين ، وقد قامت دولتهم قبل الميلاد بنحو سبعمائة سنة . فكان الأجنبى أو المتَـجر لا يستطيع أن يضع قدمه فى أية بقعة من بلادهم المترامية الأطراف إلا إذا دخل تحت حماية وطنى رومانى ، وإلا قبض عليه وقتل ولا كرامة .

فاذا كانت أمة من عادتها أن لا تسرف فى إراقة الدماء ، اكتفت بأسر من ليس منها ، وحملته من التكاليف ما يهون عليه الموت فى نظره .

أشد ما لقيت الجماعات بعضها من بعض ، إذا كانت متخالفة فى الدين ، فان هذا التخالف لا يهوّنه شىء فى عرفها ، حتى ولا توقع الخطر على وجودها ، فهى لا تفتأ تثور على مخالفيها فى العقيدة وإن كانوا من بنى جلدتها ، غير مراعية عدلا ولا مرحمة . وهذا يرجع الى نوع التعاليم الدينية التى تَـلَـقَّـنها ، والى روح الحقد الذى يبثه القائمون على عقائدها فى روع العامة ضد الآخذين بالأديان الأخرى .

أما الاسلام فقد حسم مادة هذه النزعة الجاهلية بعلاج لا يُتصور أحكم منه . ذلك أنه صرح بأن الله لو أراد لجعل الناس أمة واحدة ، ولكنه خالف بينهم فى الميول والعواطف والمذاهب والعقائد لحكمة بالغة ، فقال تعالى : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فالمسلم إذا قرأ هـذه الآية وعلم أن هذا التخالف مرادٌ لله تعالى سكنت نفسه الى الحق ، وسلم للخالق فيما أراد ، وسلك حيـال هـذه المسالة مسلك الحـكيم الذى لا تدفعه أهـواؤه الى مجاوزة العدل .

فاذا تلا قوله تعالى : « لا ينها كم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين » ، أدرك أن الحـروب الدينية إنما شرعت فى الاسلام للدفاع عن الحوزة ، وللحصول على الحرية التامة فى تأدية الشعائر ، ولم تشرع لإبادة الأمم المخالفة واصطلامها ، كما حدث من الأمم غير المسلمة .

فاذا قرأ ما جاء عقب هذه الآية مباشرة من الـكتاب الـكريم وهو قوله تعالى : « إنما ينها كم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » ، عرف أن الحـكمة فى هذا النهى عادلة كل العدل ، فليس مما يعقل أن يتخذ قوم قوما أولياء وهم يقاتلونهم من أجل دينهم ، وقد أخرجوهم من بلادهم ، وأعانوا على إخراجهم . فالحـكمة فى مقابلة عدوانهم بمثله ظاهرة بحيث لا يختلف فى حقيتها اثنان فى هذا العالم .

أما فى غير هذا الموطن فان المسلمين عاشوا مع غيرهم من أهل الملل والنحل المتباينة على صفاء ووئام فى أنضر عصور الاسـلام ، فـكان يسكن المسيحى واليهودى والمجوسى بجوار المسلم فيتزاورون ويتهادون لا يفصلهم إلا المسجد والـكنيسة أو البيعة . كان غـلام لابن عباس يذبح شاة فقال له يا غلام : لا تنس جارنا اليهودى ، ثم كررها حتى قال له الغلام : كم تقول هذا ؟ فقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قد أوصانا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه . فابن عباس بنص هذا الأثر كان مجاورا ليهودى ، وكان يهتم بالاهداء اليه كما يهتم بسواه مراعاة لحرمة الجوار . ومعنى ذلك أن الاسلام لا يفرق فى مكارم الأخلاق وحقوق الاجتماع بين مسلم وأى مخالف كان ، فالـكل فى نظره سواء .

فهذه العدالة فى تقدير حقوق المتعاشرين ، تؤسس المعاملة على قرار ثابت ركين ، ولا تدعها عرضة للزعازع ، فيسوء ظن المتعاشرين ، ويبيت بعضهم لبعض شر مايوسوس به الحقد الدفين .

إن الذين يبثون سموم التفريق بين الناس فلسفة خاصـة ، أساسها سوء الظن بالمخالفين فى الدين ، وقد تروج نظرياتهم فى أذهان السامعين ، وتبتنى على ذلك حوادث خطيرة تذهب فيها أرواح بريئة ، وتتأسس على هذه الحوادث ضغائن لا يخبو سعيرها ، يتوارثها الأبناء عن الآباء فى الأمة الواحدة ، فتكون منارا لاضطرابات عنيفة .

لقد اتقى الاسلام على كل هذه القلاقل التى لا تناسب مدنية فاضلة لأمة كريمة ، فوضع للمعاملات أصولا ، وللمعاشرة آدابا ، لا تسمح بحال من الأحوال للامة التى تأخذ بها أن تثور

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على طائفة من طوائفها تاخذ بدين غير دينها ، أو تحيف على طبقة من طبقاتها الضعيفة . وقد دل تاريخ المسلمين على هذه الحقيقة . فنى عصر الصحابة رأينا أن النظام الذى وضعه الاسلام يسمح للمخالف فى الدين ، أن يقاضى أرفع رأس فى المسلمين وأن ينتصف منه ، وشاهدنا أن ذلك النظام نفسه يمنح للمستضعفين، من الأرقاء والمحرومين، أن يطالبوا بحقوقهم من الكبراء والأعلين ، فسمعنا أن يهوديا شكا على بن أبى طالب فحكم بينهما عمر بن الخطاب ، وأن أرقاء شكوا ساداتهم فحكم لهم عليهم .

فهذه الروح الاجتماعية المطمئنة ، لأمة اختارها الحق لتطبيق العدل المطلق الطبيعى ، وبناء صرح الاجتماع العالمى ، ثمرة التعاليم الاسلامية الحكيمة ، والسيرة النبوية القويمة .

أما التعاليم الخاصة بهذا الشأن ، فمنها الآيتان اللتان اقتبسناهما آنفا ، وفيهما نص على وجوب معاملة الأجانب عن ديننا بالعدل ، وإسداء البر ، والبر فوق العدل ، فهو لا ياتى إلا من العطف والحنو وإرادة الخير . فلا يعقل أن تسىء أمة الى طوائف أمرت أن تعاملها بالعدل ، وأن تزيد عليه فتسدى اليها البر .

ومن تلك التعاليم الحكيمة قوله تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين ، أن اشكرلى ولوالديك ، الىّ المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » . فى هذه التوصية يسوى الحق سبحانه وتعالى بين الوالدين المؤمنين والوالدين المشركين ، فى وجوب الاحسان اليهما والبر بهما . ولا يصادَف مثل هذا السمو التعليمى فى أى مصدر علمى غير القرآن ، ولا فى أى مذهب اجتماعى سوى الاسلام .

ومن تلك التعاليم الكريمة قوله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون » . فى هذه الآية الشريفة يتجلى السمو الاسلامى فى أكمل مظاهره . فان الاسلام ينهى عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالطريقة التى هى أحسن الطرائق ، أى مع مراعاة البر والعطف ، وملاحظة أصول الأدب والظرف ، ويستثنى الذين ظلموا منهم بالافراط فى التعدى ، فاولئك يعاملون بما يناسبهم على مقتضى قواعد العدل ، كما وصى بذلك فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : « ولا يجرمنّكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » أى ولا تحملنكم عداوتكم لقوم على أن لا تعدلوا معهم ، كلا ! اعدلوا حتى مع أعدائكم فان العدل من خلق أهل التقوى .

ومنها قوله تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ، ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » ، وليس فوق المؤاكلة والمصاهرة من داعية للتحابّ وحسن المعاشرة ، والاخلاص فى المعاملة .

وأما السنة المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم فهى أنه كان يوادّ أهل الكتاب ، ويزورهم ويقبل زياراتهم ، وكان يحضر ولائمهم ومآتمهم ، ويشيع جنازاتهم ويعود مرضاهم ، ويكرمهم ، حتى قيل إنه لما زاره وفد نصارى نجران فرش لهم عباءته وأمرهم بالجلوس عليها . وأمر من كان له أب أو أم أو قريب أو زوجة منهم أن لا يمنعهم إقامة شعائرهم ، والتردد على كنائسهم ، وأن لا يرهقهم بتشكيكهم فى ملتهم . وهذا نهاية ما يستطيع أن يقرره مشترع مدنى . فاذا كان الاسلام منع تزويج المسلمة بغير مسلم ، فذلك لعدم وجود مثل هذه الوصايا من التسامح فى سائر الأديان ، بل فيها ما يدفع الى ضده . فأى قاض فى أية محكمة ملية يحكم على زوج بالسماح لامرأته فى التردد على كنيستها ، ويعاقبه إن لم يسمح لها بذلك ، كما تفعل كل محكمة شرعية إسلامية ؟ وما دامت هذه الضمانات غير موجودة فى تشريعات الأديان المختلفة ، فلا حرج على المسلم أن يضن بابنته على أهل ملة يرون البر كل البر بأديانهم أن يمنعوها من تأدية شعائرها ، وأن يفتنوها فى عقائدها .

هذه فذلكة من مذهب الاسلام ، فى إقامة المعاملات على أصول راسخة من الحكمة ، وسعة الصدر ، وبعد النظر ، والاعتداد بمصلحة الجماعة ، وقد اخترنا أن نأتى بها فى حق المخالفين فى الدين ليكون أبلغ فى الدلالة على سمو تعاليم الاسلام ، وأصالتها فى الحرية .

أما ما قرره الاسلام من الأصول التى تقوم عليها المعاملات على وجه عام بصرف النظر عن اختلاف الأديان ، وتباين المذاهب ، فهى مما لا تتسع لتفصيل الكلام فيه مقالة فى مجلة ولا مجلة برمتها . فان منها ما يتعلق بحسن الزمالة للخلق كافة ، وبالقيام بحقوق الأخوة للمؤمنين خاصة ، ومنها ما يتصل بتحديد حقوق النفس وحقوق الغير ، وما يختص بالاستقامة ، والعدل ، والتفضل ، والرحمة ، والاحسان ، مما يقيم المعاملات على أساس محكم بحيث يصبح مع الزمن طبيعيا فى الجماعة الآخذة بالاسلام .

وقد دل تاريخ المسلمين من أول نشوئهم الى اليوم ، أنهم كانوا من ناحية المعاملات فى حدود المثل الأعلى ، ليس فيما بينهم فحسب ، ولكن فيما بينهم وبين الأجانب عنهم ، فقد قدسوا مبدأ حسن المعاملة حتى قرر حكماؤهم أن الدين المعاملة . وهذه كلمة لم تؤثر عن غيرهم من الأمم .

وقد عايش المسلمون فى جميع أدوارهم أصحاب الملل المختلفة ، فلم يرو عنهم أنهم اضطهدوهم ، أو تهضموا حقوقهم لحملهم على الاسلام ، اللهم إلا فلتات من قادة متحمسين ، خطأهم ونعى عليهم سيرتهم علماء الدين نفسه ، وكانت مدتهم كسحابة صيف لم تلبث أن انقشعت ، وقد لقى المسلمون أنفسهم منهم أكثر مما لقيه سواهم من الأجانب عنهم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ناهيك أن جماهير من أهل الملل هاجروا الى بلاد المسلمين هربا بأديانهم من الأمم الأجنبية، فأكرم المسلمون وفادتهم، وعلى رأسهم خلفاؤهم وقادتهم، وقربوا علماءهم واتخذوا منهم المترجمين ونقلة العلوم الى العربية، وجعلوا منهم أطباء خصوصيين لهم، وأغدقوا عليهم الأموال والجوائز، حتى كانوا يضارعون أمراء المسلمين فى معايشهم. وسمحوا لهم ببناء الكنائس والبيع، وعاملوهم والمسلمين على حد سوى.

وفى السنين المتأخرة كانت طوائف من اليهود تلجأ الى بلاد المسلمين، هربا من المذابح التى كانوا يتعرضون لها فى بلاد المتمدنين، فكانوا يجدون من مجيريهم كرما وحسن رعاية، حتى غصت ممالكهم بمئات الألوف منهم.

هذه الخصلة من حسن المعاملة، هى معيار الحياة المدنية فى الأمم، والمظهر الحقيقى لسمو نفسيتها، ورسوخ ثقافتها. فأما إتقان الصنائع والفنون، وكثرة المكتشفات والاختراعات، التى يتخيل بعض السطحيين أنها حقيقة المدنية، فليست منها فى شىء إن لم يصحبها نصيب معادل لها من المعاملة الحسنة والرفق والرحمة.

فهذه الميزة التى يتحلى بها المسلمون بفضل دينهم، يجب عليهم المحافظة عليها، وعدم الصبوء عنها الى خصال من التقاطع، والتزاحم، والأنانية، مما يجدونها فى بعض الأمم الراقية ويظنونها من أخص معانى المدنية، فاذا كان شىء يربط بين آحاد الأمم برباط لا ينحل، ويجعل من مجموعهم وحدة لا تنفصم، ويؤهلها للسمو الذى كتب للانسانية أن تصل اليه، فهو حسن المعاملة، فان لم يوجد أوشك أن ينهار بناء المجتمع، ولا تغنى عنه العلوم العالية، ولا الفنون الباهرة، ولا القوى المدخرة.

محمد فريد وجدى

الشرف يتبع صاحبه

قال خالد بن صفوان: كان الأحنف بن قيس يفر من الشرف والشرف يتبعه.

وقد جمع عبد الله بن خليد خصال الشرف فقال:

يامن يؤمل أن تكون خصاله كخصال عبد الله أنصت واسمع
أصدق وعف وبر وانصف واحتمل واكفف وكاف ودار واحلم واشجع
والطف ولن واشتد وارفق واتئد واحزم وجد وحام واحمل وادفع
فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتى وهديت للنهج الأسد المهيع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السُّنَّة

الدعوة الى الله تعالى و أهل الفترة

روى البخارى « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب فى غزوة خيبر : على رِسْلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأنْ يَهدىَ الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمْر النعَم »

يتعلق بهذا الحديث أمور : (١) بيان معناه (٢) هل تفترض الدعوة الى الله بالقول .

والبرهان قبل المنازلة بالسيف (٣) ما حكم من لم تبلغه الدعوة الى الله فهل هو ناج فى الآخرة أولا .

(٤) هل أبو النبى صلى الله عليه وسلم وأمه وأجداده ، من أهل الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة الى الله أولهم حكم خاص بهم ، وما معنى النصوص الواردة فى هذا المقام ؟

(١) معنى الحديث ظاهر . وحاصله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فى السنة السابعة من الهجرة ، وكانت خيبر مدينة عظيمة قريبة من مدينة يثرب يقطنها سراة اليهود ورءوسهم يومئذ ، وكانت محصنة بحصون تناسب ذلك الزمان ، فلما هاجمها المسلمون بدأ المعركة أبو بكر رضى الله عنه ولكنه لم يتمكن من حصونها ، فهاجمها فى اليوم التالى عمر رضى الله عنه فلم يتمكن من فتحها أيضا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . وفى الصباح طلب على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فقالوا له يارسول الله : إنه أرمد يشتكى مرض عينيه ، فدعا له الرسول فشفاه الله تعالى ، فأعطاه الراية ، فقال يارسول الله : أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال له عليه الصلاة والسلام : على رسلك — أى على مهلك — حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وبيّن لهم ما يجب عليهم فإنهم إن اقتنعوا بذلك وهداهم الله تعالى على يديك كان خيرا من قتالهم ، وكان لك من الأجر ما تقر به عينك وتصبو اليه نفسك . وحمر النعَم معناه الابل الحمر ، وكانت عند العرب من أحب الأموال ، وقد تطلق النعَم على البقر والغنم أيضا .

(٢) أما الجواب عن الثانى فهو أن الدعوة الى الله بالقول والحجة الواضحة قبل استعمال العنف أمر لازم لابد منه ، فيفترض على كل من يتصدى لنصرة الدين الاسلامى أن يدعو المخالفين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الى الايمان بالله واليوم الآخر ، والإذعان الخالص بأنه واحد منزه عن التركيب والتحيز ، ومنزه عن مماثلة خلقه وعن كل ما لايليق به ، وأنه قد أرسل لعباده رسلا مبشرين ومنذرين يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، ولا يسألونهم على ذلك أجرا ، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين قد جاء بكل الفضائل ونهى عن كل الرذائل فى كل زمان ومكان ، ثم يبرهن لهم على ذلك ببيان قواعد الدين الحكيمة وأحكامه القويمة الناطقة بأنه هو الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فإن أبوا إلا الاصرار على الباطل ومناهضة الدعوة ووضع العقبات فى سبيلها ، كان من الضرورى مقابلة هذه الحالة بما يصون الدعوة ويحميها من العبث بها والقضاء عليها ، وإلا لما قامت لها قائمة . على أن الدين لم يحصر وسائل حماية الدعوة فى القتال ، بل اكتفى بأحد أمرين : إما النطق بالشهادتين ولو ظاهرا لأن علم القلوب عند الله وحده ولا سبيل الى التأثير على القلب بالاكراه كما قال تعالى « لا إكراه فى الدين » ، وإما دفع ضريبة خاصة تدل على خضوع المخالف وتسمى بالجزية . وذلك كان حال النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع حروبه ، فلم يبدأ أحدا بالقتال إلا بعد أن يتأكد من عناده ، ويتحقق أنه وصلت اليه الدعوة فناهضها .

ومجمل القول فى هذا المقام أن للنبى عليه الصلاة والسلام مع خصومه حالتين :

الحالة الأولى : الحيلولة بينهم وبين مقاومة الدعوة الى الله ، وحماية تلك الدعوة بكل الوسائل التى تقتضيها النظم المناسبة لحال هؤلاء الخصوم بصرف النظر عما فى قلوبهم ، فخيرهم الله بين أمرين : الجزية ، أو النطق بالشهادتين . فمن فعل ذلك كان له ـ فى هذه الحياة الدنيا ـ ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وإنما شرع الله ذلك لما فيه من بث الطمأنينة فى نفوس حماة الدعوة من جهة ، ولتكون عهدا بينهم وبين خصومهم من جهة أخرى ، بحيث لايجوز لهم أن يعتدوا عليهم بعد ذلك ، فإن أبوا كان القتال ضروريا .

ومن المغالطة الواضحة أن يقال : إن القتال هو الذى أرغمهم على الايمان ، فإنك قد عرفت أن الايمان ، وهو التصديق القلبى ، لا يمكن أن يوجد بالقوة ، فان المكره قد يقول بلسانه : آمنت ، وقلبه ممتلئ كفرا ونفاقا . وإنما القتال مكن للدعوة الى الله بصد المشركين عن مقاومتها والقضاء عليها .

أما الحالة الثانية : فهى القيام بالدعوة الى الله تعالى وتبليغ ما أمره الله به بالحجة والبرهان ليصدق الناس بقلوبهم بدون إكراه أو قتال . ولو أن المشركين تركوا رسول الله وشأنه فلم يقاوموا دعوته ولم يضطهدوه هو وأصحابه لما وقع بينه وبينهم قتال مطلقا ، لأن البراهين القاطعة والحجج الدامغة التى أيده الله بها خصوصا معجزة القرآن كانت كافية فى هداية الناس جميعا بدون شدة أو عنف . ولكنهم قد اضطهدوه هو وأصحابه فى مكة اضطهادا مرا حتى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أخرجوهم من ديارهم وأموالهم . وما كان ضرر اليهود بالمدينة وشرهم على الدعوة الى الله أقل من ضرر المشركين بمكة ، فانهم لم ينفكوا عن التآمر على إيذاء المسلمين سرا وجهرا ، حتى بلغت بهم الجرأة الى التآمر على اغتيال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاضطر رسول الله هو وأصحابه الى أن يدافعوا عن أنفسهم بعد أن أذنهم الله بالدفاع ، قال تعالى : « أُذِن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا » .

من هذا كله يتضح أن الشريعة الاسلامية تجعل مدار بث الدعوة الى الله ونشرها على الحجة والبرهان ، وإنما شرعت القوة لحماية الدعوة من شر المعتدين عليها .

(٣) أما الجواب عن الثالث : فهو أن الذين لم تبلغهم الدعوة الى الله ناجون فى الآخرة ، فكما أنه لا يحل استعمال القوة معهم فى الدنيا قبل دعوتهم الى الله ، فكذلك لا يعذبهم الله فى الآخرة إلا إذا بلغتهم الدعوة . ولكن للأئمة فى هذه المسألة رأيان مختلفان : فأبو حنيفة يقول : إن شرط نجاتهم فى الآخرة أن لا يشركوا مع الله غيره لأن معرفة الله الواحد يكفى فيها العقل وإن لم ترسل الرسل . وهذا هو رأى الماتريدية . وقال المالكية : إن أهل الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة ناجون وإن عبدوا الأوثان . وهذا هو رأى الأشاعرة . ولكننى أعتقد أن الأدلة تؤيد القائلين إن أهل الفترة ناجون ، لأن الله تعالى قال : « وما كنا معذِّبين حتى نبعثَ رسولا » وحمل الرسول على العقل بالنسبة لتوحيد الإله خروج على الظاهر المعقول بدون ضرورة ، فان الرسول إذا أطلق فى لسان الشرع كان معناه « الانسان الذى أوحى الله اليه بشرع وأمره بتبليغه » . والقرآن من أوله الى آخره على هذا . قال تعالى : « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » . وقال : « ثم أرسلنا رسلنا تترى » . وقال : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » وهكذا . فإن استطاعوا أن يأتوا بكلمة رسول فى القرآن على غير هذا المعنى كان لهم بعض المعذرة . وذلك هو المعقول المطابق لسنن الله فى خلقه ، فإن الله سبحانه قد أرسل الرسل من بدء الخلق الى أن استقرت الشرائع وختمت بالشريعة الاسلامية التى لا تقبل الزوال ، بل قد جعل الله فى طبيعتها ما يجعلها تنمو وتزداد كلما تجدد الزمان لمكافحة الوثنية وتوحيد الإله . وليس من المعقول أن نقول إن الله قد أرسل الرسل لتبليغ الشرائع الفرعية وتبليغ أحوال الآخرة فقط ، أما معرفة الله الواحد المنزه عن كل ما لا يليق به فواجبة على الناس بطبيعتهم فعليهم أن يعرفوا ذلك من غير الرسل وإلا كانوا معذبين . إن مثل هذا الكلام غير معقول ألبتة لأنه ينقضه الواقع ، فإن أول شىء اهتم به الرسل هو توحيد الإله ، بل كان كل همهم فى التوحيد . ولولا ما أودعه الله فى الرسل من أسرار وقوى مؤثرة فوق طبائع البشر لما وجد على ظهر الأرض موحد ، اللهم إلا أفذاذ يعدون على الأصابع أمثال زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وكبار فلاسفة العالم . فهل يعقل أن الله العليم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بطبائع خلقه يكلفهم بالتوحيد بدون إرسال رسل ؟ إن ذلك يكون قصرا لنعيمه على أفراد قلائل من خلقه ، وأين هذا من كرم الله ورحمته بعباده ؟ أين هذا من قوله « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » ؟ وأى دليل يخصص الآية بغير توحيد الإله ، فإن الله سبحانه جعل للناس الحجة عند عدم إرسال الرسل سواء أكان ذلك فى العقائد أم فى غيرها .

ومن القريب فى هذا المقام أن مقاومة الرسل ما كانت إلا فى توحيد الإله ، فإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ولوط وهود وصالح وشعيب وغيرهم لم يضطهدهم قومهم إلا من أجل التوحيد ومعرفة الإله ، ولم يظهر جهادهم إلا فى توحيد الإله . ونظرة واحدة الى كتاب الله الكريم تبين مقدار عنايته بمحاربة الوثنية ، فقد ملئ بالأدلة الكونية ، وضرب الأمثال المحسة والحجج القطعية على وجود الإله ووحدانيته ، ومع ذلك كله فقد كانوا من أشد الناس عنادا وإصرارا وغفلة عن الإله ووحدانيته . فهل مثل هؤلاء كانت عقولهم كافية فى معرفة الإله ؟ ولم تكن أمة موسى أمثل من هؤلاء ، فإنهم بعد رؤية المعجزات الخارقة قالوا : يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة . وهكذا فى كل الأمم .

فالحق أن أهل الفترة ناجون فى الآخرة كما يقول الأشاعرة والمالكية ، وبعض محقق الحنفية كالكمال بن الهمام ، وإن عبدوا الأوثان .

هذا وقد أوّل بعض علماء الحنفية قوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » بوجه آخر فقال : إن المراد بالعذاب عذاب الاستئصال فى الدنيا ، ومعنى ذلك أن الله لا يهلك الأمم فى الدنيا إلا بعد أن يرسل لهم الرسل ، فيضطهدوهم ولم يصدقوهم ، وعند ذلك يهلكهم الله فى الدنيا ، أما عذاب الآخرة فإنه يقع على من مات مشركا ولو لم يرسل الله له رسولا .

أما أنا فأقول : إن الآية تدل على عكس ذلك على خط مستقيم ، وإليك البيان :

قال تعالى : « من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » فالله سبحانه قد قصر هداية الشخص وضلاله على نفسه ، وظاهر أن المراد قصر ما يترتب عليهما من نفع وضرر ، فكل ما يترتب على هداية المرء من منفعة ، وكل ما يترتب على ضلاله من ضرر ، مقصور عليه وحده . وإذا كان كذلك فهل يتحقق هذا المعنى فى الدنيا فقط أو فى الآخرة فقط أو فيهما معا ؟ أما أنا فلا أفهم إلا إنه يتحقق فى الآخرة فقط ، وذلك لأن منافع هداية الناس واستقامتهم ليست مقصورة عليهم وحدهم فى الدنيا ، بل تتعداهم الى أبنائهم وأهلهم وعشيرتهم ، بل تتعداهم الى المجتمع ، وهذا واضح . وكذلك مضار الضلال ليست مقصورة على الضالين فقط ، فكم صرع المضلون غيرهم وأوردوهم موارد الهلاك والفناء . وشر الضلال واضح فى تربية الأبناء والأهل ، وآثاره ظاهرة فى المجتمع . وكذلك إذا قصرنا المنافع على ما يسوقه الله من خير ، فان الخير الذى يجىء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسبب الصالحين لا يقتصر عليهم بل يعم غيرهم ، والشر الذى ينزل بسبب الضالين لا يقتصر عليهم ، ولهذا قال تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

ومن هذا يتضح أنه لا يفهم فى الآية إلا أن المراد بالمنافع الثواب الأخروى ، وبالمضار العذاب الأخروى ، ولذا قال تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » فهو تعالى يقول : كل واحد ينال جزاء عمله من خير أو شر . قال تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » فلا يعطى أحد ثواب عمل الآخر ، ولا يحمل أحد عقاب وزر صاحبه ، وكل هذا فى الآخرة بدون نزاع ، أما فى الدنيا فإن صلاحها من أجل الصالحين يفيد غيرهم من الفاسقين والكافرين ، وفسادها بالخراب يؤذى أهلها سواء أ كانوا صالحين أم فاسدين . ثم بعد أن قرر الله ذلك أراد أن يظهر منته على عباده فقال عز وجل « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » فلا يؤاخذ الله الناس فى الآخرة بضلالهم ، ولا يعذبهم على عقائدهم وأقوالهم وأعمالهم التى لا يرضاها إلا بعد أن يرسل لهم رسلا « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » فإن لهم أن يقولوا إننا لا نعلم أن هذه العقائد أو هذه الأقوال أو الأعمال لا ترضيك ، فتكون لهم المعذرة ، ولا يكون لله عليهم الحجة البالغة . ومن هذا يتضح أن أهل الفترة ناجون ، وأن الدليل قائم على نجاتهم من كتاب الله ، وأن تأويل القرآن على أى وجه يدل على أن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إرسال الرسل .

(٤) أما الجواب عن الرابع فهو أن أبوى النبى وأجداده من أهل الفترة بلا نزاع ، وهم عباد مكرمون عند ربهم بلا نزاع ، أما ما نقل عن أبى حنيفة من أنه قال إن أبوى النبى غير ناجين فذلك مبنى على ما رآه من أن أهل الفترة غير ناجين . وقد عرفت أنه ضعيف ، وأن الدليل قائم على خلافه .

ومع ذلك فإنه لم يثبت كون أبوى النبى وأجداده غير موحدين ، بل بالعكس قد نقل كثير من الثقات أنهم كانوا يعرفون وحدانية الله تعالى من شريعة ابراهيم ، وكانوا يدينون بها ، وما قيل من أن هذا النقل ورد عن الرافضة وحدهم فهو غير صحيح ، لأن كثيرا من الباحثين الفضلاء نقل أنهم كانوا موحدين . وعلى فرض أن هذا القول ينسب لبعض الرافضة فإنه لا يضر ، لأن هذه مسألة تاريخية يؤيدها العقل والمنطق السليم . فقد ورد أن نور النبى صلى الله عليه وسلم كان ينتقل فى الأصلاب والأرحام الطاهرة حتى وصل الى عبدالله وآمنة . وقد قص الله على أن المشرك نجس قال تعالى : « إنما المشركون نجس » فكيف يتنقل نور النبى فى الأصلاب التى حكم الله بأنها نجسة كنجاسة الخنزير . وأيضا فقد ذكروا أن آمنة كانت تزفها الملائكة ، وأن نور النبى كان يشرق فى جبين أبيه عبد الله . فهل المشركون تحفهم الملائكة وينزل الله عليهم من فيضه ما لم ينله أقرب المقربين؟ إن هذا تناقض واضح لا يليق . والذى أيد مثل هذه الشبهة الفاسدة ما رواه مسلم والبخارى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من أن رجلا من المسلمين سأل النبي عن أبيه الذى مات مشركا فقال له الرسول : إنه فى النار ، فامتعض الرجل وانصرف ، فاستدعاه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : إن أبى وأباك فى النار . ونص الحـديث هو « أن رجلا قال يارسول الله أين أبى ؟ قال : فى النار . فلما قفا دعاه فقال إن أبى وأباك فى النار » . ولا أدرى كيف يفهم مفكر من هذا الحديث أن المراد أبواه عليه الصلاة والسلام ؟ لأنه يقول للرجل الذى جزع لا تجزع لأن الذى لا يجيب دعوتى ولا يؤمن بى ويموت مشركا يدخل النار ولو كان أبا لى . وهو صلى الله عليه وسلم يريد بذلك أبا لهب لأنه يطلق على العم أب ، وقد أخبره الله تعالى بأن أبا لهب فى النارقطعا . وليس من المعقول المناسب أن يخبر بأن أبويه فى النار وهما لم يعارضاه فى دعوته ولم يرفضا ما جاء به ، لأنه لا فائدة فيه للناس ، وإنما فائدة هذا الإخبار زجر المشركين الذين يعارضون دعوته ويقاومونه ، فأبو لهب وهو أقرب الناس اليه عذبه الله بالنار لأنه أشرك بالله وقاوم الدعوة الى الله .

هـذا هو اللائق بفهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإلا فما ذنب أبيه وأمه حتى يخبر عنهما أنهما فى النار بدون فائدة ؟ فاذا ورد حـديث صحيح يجب أن يفهم فهما مطابقا لكتاب الله تعالى المؤيد بالعقـل والمنطق ، ومن لم يستطع تأويله تأويلا معقولا يجب عليه أن يستمسك بكتاب الله ويقف مع الحديث موقف المفوض الذى عجـز عن التأويل . والله يعصمنا من الزلل ، إنه سميع الدعاء ؟

عبد الرحمن الجزيرى

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

من خير الأعمال التنفيس عن المكروب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » .

ويقال : من كفارات عظام الذنوب إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب .

وقيل : أفضل المعروف إغاثة الملهوف .

ومن الأخبار التى تؤثر فى هذا الباب ما روى أن حاتما الطائى مر بأرض غزة فناداه أسير يا أبا سفانة أكلنى القـد والأسار والقمل . فقال له ما أنا بأرض قومى وقد أخطأت إذ نوهت باسمى ، ولا معى ما أفديك به . ثم قال للذى هو فى يده : خل عنه سبيله واجعلنى فى القد مكانه ، ففعل ، وبعث الى قومه فأتوه بما فدى به نفسه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حدث جلل لا يمكن الصبر عليه

— ٣ —

كثرة البراهين على وجود الله

لعلك عرفت مما كتبناه ردا على ذلك الملحد أن وجود الله لدى العقل السليم أوضح الواضحات ، فان الأشياء الثابتة فى الوجود يمكنك أن تقيم عليها دليلا أو دليلين أو ثلاثة أو أربعة أو عشرة ، ولكن وجود الحق سبحانه وتعالى لا تقف الأدلة عليه عند حد ، فلا يقال إن له مائة دليل أو ألف دليل أو عشرين ألف دليل ، فان كل شيء فى الوجود دليل عليه وموصل اليه .

وقد قال أبو العتاهية :

وفى كل شىء له آية ‏ ‏ ‏ ‏ تدل على أنه الواحد

وقال بعض العلماء فى قوله تعالى « وهو بكل شيء عليم » : إن عليما هنا بمعنى معلوم ، فيكون المعنى : إن الله معلوم بكل شيء من الأشياء ، فان كل شيء يعطيك العلمَ به والدلالةَ عليه .

وإذا كان وجوده تعالى أوضح الواضحات ، وكانت براهينه قد ملأت الأرضين والسموات فخرجت عن الحد والعد، كان منكر وجوده أعظم المجانين، وأحط المساكين، يرثى له ويبكى عليه ، فان من صادم برهانا واضحا حكمنا عليه بالاختلال والاعتلال ، فكيف من خالف مالا يحصى من البراهين ، فضلا عما تنادى به فطرته التى أخمد صوتها وأمات ضميرها ؟

يشكون والايمان ملء قلوبهم ‏ ‏ ‏ ‏ ويبدون ما تلك القلوب تكذبه

« أفى الله شك فاطر السموات والأرض » . « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » ، ولكن هؤلاء محبوسون فى سجن الماديات قد أحاطت بهم الظلمات ، فلا يعرفون إلا المكيفات ، ولا يعترفون إلا بالمحسوسات . وكان عليهم أن ينكروا أرواحهم فانها ليست بمحسوسة ، ولا يصدقوا عقولهم فانها ليست بمحسوسة ، وكل مالم يقع عليه الحس عندهم فليس بموجود . (فلا أدرى كيف يناضلوننا بما لا وجود له عندهم ، وكيف يثقون بتلك العقول وهى لا تنتمى الى المادة بنسب ولا تمت إليها بسبب !) . فان المادة فى ذاتها بريئة من الحياة فضلا عن العقل والادراك ، وفاقد الشيء لايعطيه . فمن أين جاء العقل والادراك وليس هناك إلا المادة الصماء البكماء العمياء على ما يزعمون ؟

ولقد صدق باكون أحد أساطين علم الطبيعة حيث يقول : من أخذ علم الطبيعة رشفا بالشفاه كان ملحدا ، ومن شربه عبا أوصله الى الخالق .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فهل يصح بعد مايقول العلم كلمته فى تكوين هذا العالم الفسيح من قوى كهربائية قهرها الله بقوته العالية ، فاتخذت ما اتخذت من أشكال وألوان ، وحملت ما حملت من خواص كان لها أثرها فى الحياة العالمية نباتها وحيوانها وإنسانها ، هل يصح بعد ذلك كله وبعد نظر الانسان فى نفسه وما ركب فيه من أعضاء نيط بكل عضو منها وظيفة خاصة (تمت له بها الحياة العالية حتى صار أرقى المخلوقات) وما فيه من الكريات البيضاء والحمراء ، وما لها من عمل فى الجسم الانسانى ، وما فيه من غدد أبان العلم الحديث ما لها من آثار وما فيها من أسرار ، الى آخر ما فى هذا الكون الباهر من ليل ونهار وشموس وأقمار ، وأرض وسماء وماء وهواء . هل يمكن من ينظر نظرة بسيطة فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ، أن ينكر قدرة خالقه العظيم ، أو حكمة صانعه الحكيم ؟

انظر الى وقوف الأرض فى نقطتها المخصوصة ، ولو جعلها بعيدة من الشمس بعدها من بنات نعش مثلا لما انتفعت بضوئها وحرارتها ، وهما ضروريان للنمو والحياة ؛ ولوجعلها قريبة منها جدا لاحترق كل ما عليها من نبات وحيوان ، ولأصبحت طبقة من طبقات جهنم . فسبحان الحكيم العليم . الى آخر ما لا يحصيه العد ولا يأتى عليه البيان .

ألا إن طريق الحق قد بانت معالمه واضحة جلية ، وهل بعد الحق إلا الضلال ، وبعد الرشد إلا الخبال !

إنى لأعجب والله كل العجب كيف يسوغ لانسان فيه ذرة من العقل أن ينكر وجود الله الذى خلق الأكسجين والأدروجين ثم ألف بينهما بقوته العالية فصير منهما ماء ملأ به ثلاثة أرباع الكرة الأرضية . وليت شعرى هل يستطيع أحد أن يقدر القوة التى أتت بهذا العمل الذى كان من نتائجه هذه المحيطات الهائلة وهذه السحب التى نراها فى كل حين وفى كل صقع تنزل وتحيى موات هذا الكون الفسيح !

إنى أعجب والله ، لولا إيمانى بالقدرة الباهرة ، كيف تسنى لعقول قوم من بنى آدم أن تقبل إنكار وجود الله وما هو إلا إنكار أنفسهم بل إنكار كل شىء فى الوجود !

أيصح إنكار الله الذى كون الأحياء من الأرض الميتة ، ثم كون الهواء والماء لعلمه أنه لا بد للأحياء منهما ؟

أينكر الله الذى يدبر الأرض فى حركة يومية وسنوية ، وينقل القمر من المشرق للمغرب ، ويمسك الكواكب أن تقع على الأرض . هل فى إمكان العقل تقدير تلك القوة التى فعلت ذلك كله ، وتلك الحكمة التى نظمته على مر الملايين من السنين .

وكأنى بلسان الحضرة الإلهية يقول لأولئك الملحدين : إننى سخرت لكم الأرض وذللت لكم البقر تحرثون وتزرعون ، فإذا فرغتم منه ورفعتم أيديكم عنه توليته دونكم وأنتم قيام

جراب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تنظرون ، فمرة أنميه بالحر ومرة بالبرد حتى أبلغه أوان حصاده ، وسخرت لكم الحديد لتحصدوه به ، والريح تذرونه به ، ولو أمسكته عنكم فضلا عن غيره لتحيرتم وما صنعتم شيئا . فكيف تكفرون ولا تشكرون !

انظر الى ملايين النجوم وما بينها من الأبعاد الشاسعة ، وما لها من الأجرام الكبيرة التى تدهش العقل، وما قدر لها من الدوران العجيب أمره الخفى سره ، وما بينها من الاختلاف فى الأضواء والخواص ، تعالى الله عن أن يحيط أحد علما بكمالاته ، أو يصل الى تحديد كنه صفاته . لعمر العلم إن الأمر لأوضح من الشمس وأظهر من الحس . ولكن الذى يتكلم بغير عقل ولا علم لا يصلح لهدايته أحد ولا ينفع فيه أى برهان : « وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا » . والانسان مجمع العجائب والغرائب . فليفر من الميدان خجلا أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى بعد أن أماتوا ضمائرهم وضغطوا على شعورهم حتى ذهب منهم كل وجدان ، فأصبحوا وقد وجب إسقاطهم من سجل نوع الانسان « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » !

وما أشبههم بالخفاش الذى لا يستطيع أن يحدق فى نور الشمس لما فى أعصابه من ضعف وفى بصره من خلل ! وإلا فهذه آثار ناطقة بعظمة لا تدركها العقول ولا تصل اليها الأوهام ، ولكن الانسان كما يبتلى بأفظع الأمراض الحسية كذلك هو قابل لأن يبتلى بأفظع الأمراض العقلية . ولعمرى إن الجاهل يمكنه أن يفحم أكبر فيلسوف من الملحدين بما رآه من حوادث العفاريت المتواترة عند من لا يمكن تكذيبهم ولا الشك فى خبرهم ، وهى تخرق كل نواميس المادة التى عبدوها ولم يعرفوا شيئا سواها . ولعلنا نعرض لشىء مما شاهده علماء الاسبرتزم (استحضار الأرواح) وهم من أكبر أساتذة أوربا وعلمائها . أما كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء فلا نعرض لها لعدم إيمان الملحدين بها ، وإن كانت متواترة والمتواترات لا سبيل الى تكذيبها ، ولكن هؤلاء قدسوا نواميس المادة التى عرفوها ، وخرقوا نواميس العقل والمنطق التى جهلوها .

والخلاصة أنه تعالى أظهر من كل شىء لذى العقول ، ولكن لما كانت النفوس مجبولة على الجهل لأنها لا تعرف غير المحسوسات ، ولا تفزع فيما تريد إلا لما علمته من طريق الحواس ، خفى عليها ما لا تحسه ، ولكنها جهلت أن الإله يجب ألا يقاس على ما تعرف من المحسوسات ، وإلا وجب تطبيق النواميس الطبيعية عليه .

ثم نقول باختصار لأولئك الملحدين : هل الموجودات كلها انحصرت فيما تعلمون وصارت قاصرة على ما تحسون ؟ إن كنتم تعتقدون أنه لا موجود إلا ما أحسستم ، ولا شىء فى العلم إلا ما علمتم ، فأنتم أجهل الجهلاء وأحمق الحمقى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولنختم هذا المقال بقول من قال يخاطب الحضرة الالهية :

هـوت المشاعر والمـدا ... رك عن معارج كبريائك
ياحى يا قيـوم قـــــد ... بهر العقـول سنا بهائك
أثنى عليــــك بمـا علمـ ... ـت فأين علمى من ثنائك
فظهرت بالآثار فالـ ... ـبرهان باد فى جلائك
عجبا خفاؤك من ظهو ... رك أم ظهورك من خفائك
ما الكون إلا ظلمـة ... قبس الأشعة من ضيائك
وجميع مافى الـكون فا ... ن مستمد من بقائك
بل كل ما فيه فقـ ... ـير مستميح من عطائك
ما فى العـوالم ذرة ... فى جنب أرضك أو سمائك
إلا ووجهتها إليـ ... ـك بالافتقار الى غنائك

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء



صفة من كملت مروءته

دخل عبد الملك بن مروان على معاوية وعنده عمرو بن العاص ، فسلم ثم جلس ، فلم يلبث أن قام . قال معاوية لعمرو : ما أكمل مروءة هذا الفتى !

قال عمرو بن العاص : إنه أخذ بأخلاق أربعة ، وترك أخلاقا أربعة : أخذ باحسن البشر إذا لقى ، وباحسن الحديث إذا حَدَّث ، وباحسن الاستماع إذا حُدِّث ، وبأيسر المؤنة إذا حولف .

وترك مزاح من لا يثق بعقله ، وترك مجالسة من لا يرجع الى دينه ، وترك مخالطة لئام الناس ، وترك من الكلام كل ما يعتذر منه .

وقال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان : بم بلغ فيكم الأحنف بن قيس ما بلغ ؟

قال خالد : إن شئت يا أمير المؤمنين أخبرتك بخلة واحدة ، وإن شئت بخلتين ، وإن شئت بثلاث .

قال الخليفة : فما الخلة ؟ قال خالد : كان أقوى الناس على نفسه . قال هشام : وما الخلتان ؟

قال خالد : كان موقى الشر ، ملقى الخير . قال : فما الثلاث ؟ قال خالد : كان لا يحسد ولا يبخل ولا يبغى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

فى الميراث

جاء الى لجنة الفتوى الاستفتاءان الآتيان :

توفى شخص عن زوجة ، وأم ، وأخت شقيقة ، وأختين لأب ، وأربعة إخوة ذكور لأم . وقد ترك مبلغا من المال قدره ٨١ جنيها . فمن يرث ومن لا يرث ، وما نصيب كل وارث ؟

ستيته أم سيد

الجواب :

جميع من ذكروا فى السؤال يرثون : فللزوجة الربع ، وللأم السدس ، وللأخت الشقيقة النصف ، وللأختين لأب السدس ، وللأخوة الأربعة للأم الثلث ، يقسم بينهم بالسوية .

ونظرا لأن مجموع هذه الأنصبة يزيد على الواحد الصحيح كما هو واضح ، تقسم التركة الى سبعة عشر سهما : فيكون للزوجة ثلاثة أسهم ، وللأم سهمان ، وللأخت الشقيقة ستة أسهم ، وللاختين للأب سهمان لكل منهما سهم ، وللاخوة لأم أربعة أسهم ، لكل منهم سهم واحد .

وهذه من المسائل التى يدخلها العول عند الفرضيين ، وهو يقضى بتوزيع النقص بنسبة واحدة على أنصبة الورثة ، حتى تتسع التركة للجميع . والله أعلم ؟

فى الرضاع

طفل اشترك مع بنت فى الرضاع من أمها ، ولنفرض أن الطفل يسمى محمد احمد عبد الله ، وأن البنت اسمها خديجة بنت مصطفى السيد ، ثم كبر الطفل المذكور حتى رزق بنتا ، ولنفرض أن اسمها عيوشة ، فهل يسوغ لمصطفى والد خديجة أن يتزوج بعيوشة بنت محمد احمد عبد الله ؟

محمد احمد عبد الله

الجواب :

لا يسوغ لمصطفى السيد أن يتزوج عيوشة ، لأنه يعتبر جدا لها من الرضاع ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

مزيز

سورة لقمان

— ١٠ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ » :

جرت عادة القرآن الحكيم أن يسلك فى تربية النفوس وتغذية العقول أسلوبا بديعا محكما مفيدا ، فيمزج العقيدة بالبرهان ، وينتقل الى الموعظة والحكمة ، ويستطرد فى بيان الأحكام وتفصيل مكارم الأخلاق ، ثم يعود الى العقيدة بفن جديد من أدلتها المرشدة الى صحيحها المثبتة القلوب على استيقانها . وهكذا شأن التربية الصحيحة : يتنقل المربى بمن يتعهده من حالة الى حالة حتى يكون فى الانتقال استرواح له من ناحية ، وملاحقة أنواع النقص لتكميلها من ناحية أخرى ، فضلا عما فى التنقل من طرد السآمة وتجديد الاعداد بقبول واستعداد ونشاط .

ولقد فصّل لنا فى أوائل السورة الكريمة نوعا من براهين وحدانيته ، متضمنا الارشاد الى باهر قدرته ، فى قوله عز من قائل : « خَلق السموات بغير عمد ترونها » الى قوله : « هذا خلق الله فأرونى ماذا خَلق الذين من دونه » . ثم انتقل الى ذكر لقمان ووصاياه منبها على ما ينتجه العقل السليم من التعليم الحكيم والارشاد العظيم ، ليدلهم على أن ما أرشدهم اليه لو أنهم نظروا النظر الصحيح واستعملوا عقولهم بلا تعسف ولا اعوجاج فى التفكير ، ولم تلعب بهم الخرافات وقبيح العادات ، لوصلوا بأنفسهم الى الاعتراف بوحدانية خالقهم وباهر قدرته وحكيم إرادته ،

وردت هذه المقالة متاخرة فلم تاخذ مكانها الذى كانت تاخذه من المجلة

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وواسع علمه ورحمته . وساق فى وصايا لقمان ما ساق من بديع الحكم والوصايا بعد الوصية العظمى ، وهى « يا بنى لا تشرك بالله »

ثم عاد بهم يلفت نظرهم وينبه شعورهم الى ما غمرهم به من عظيم النعم التى لا يستطيعون سبيلا الى إنكارها ، ولا يجرءون على نسبتها الى غير مالك الملك العزيز القدير ، فقال جل وعلا : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة »

وهو دليل ناصع وبرهان قاطع يجف ريق المعاندين ويبهتون وينبهرون دون أن يفكر أحدهم فى نسبة شيء من ذلك الى غير الله القادر القاهر . من ذا الذى يفضح نفسه فيفوه لسانه بأن ذلك الصنم الحجرى هو الذى خلق الشمس والقمر والنجوم والكواكب ؟ من ذا الذى تطاوعه وقاحته على الزعم بأن إلها من آلهتهم هو الذى خلق الأرض وبث فيها من كل دابة ، وذرأ فيها من كل من النبات والحيوان زوجين اثنين ضمانا لتناسل أنواعهما ، وجعل كل ذلك مسخرا للانسان فى نفعه ينتفع به بكل ما وصلت اليه قدرته ؟ من ذا الذى يتطاول فيقول إن إلها من تلك الآلهة التى ضلوا بها هو الذى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ، وخلق الكواكب والأفلاك وجعلها كلها مسخرة لنفع الانسان ؟

أجل : إنه لدليل قاطع وبرهان ساطع على باهر القدرة والتفرد بالالهية ، واستحقاق العبادة والخضوع والطاعة له والزلفى اليه ، فضلا عما تضمنه من التنبيه على باهر النعم وواسع الكرم ، وإفاضة هذه المنن الجسيمة والرحمات العميمة ، ناهيك بتسخير السموات والأرض وما فيهن ، تفيض الكواكب من الضوء والحرارة والاهتداء بها فى ظلمات البر والبحر ما لا تدخل فوائده تحت حصر ، وتنتج الأرض وما بث فيها من حيوان ونبات لنفع الانسان ما لا يفى به بيان . هو الخالق لها جميعا ، وهو المنعم بها جميعا ، أفبآيات الله تجحدون وبآلائه تكفرون ؟ !

انتقلوا الى أنفسكم وتفكروا فى نعم الله التى أفاضها عليكم فى أنفسكم من نعم ظاهرة وباطنة ، وقولوا ما تحس به قلوبكم وما تقتنع به عقولكم ، أكنتم واهبيها لأنفسكم وأنتم فى حيز العدم ؟ إذاً فهل تستطيعون أن تمسكوها وقد حصلت وأنتم فى حيز الوجود ؟ إنك لا تجد أبله ولا متعنتا يستطيع أن يفوه بهذا مهما بلغت قحته . إذاً فهو معترف قهرا عنه أن يذعن أنه قد وهبها له واهب ، فهل هذا الواهب وهبها وهو غير عليم بها أو وهو عاجز عن إيجادها وإيجاد غيرها ، أو وهو سيء التصرف فى تدبيره وإحكام مصنوعاته ؟ هل يستطيع عاقل أو أبله أن يزعم شيئا من هذا ! اللهم لا ، إذاً فالذى وهبكم تلك النعم هو القدير العليم الحكيم العزيز الرحيم . أبقى شك فى هذا الذى تأخذونه من أنفسكم ومن نعم الله التى أسبغها عليكم فوق ما أخذتموه مما يبهركم من صنع الله فى ملكوت السموات والأرض ، وكيف سخر كل ذلك لكم تنتفعون به أنى شئتم وكيفما قدرتم ؟ اللهم لا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإن تعجب فعجب لهم أنهم مع وضوح هـذه الآيات البينات والدلائل الساطعات يقوم فريق منهم فيجادل فى الله بغير علم استفاده من عقله، أو هداية جاءته من رسول أرشده، أو خبير علمه، أو نور ربانى فى كتاب منزل من الله استضاء به فى مجادلته، فهم لا يقتصرون على الإباء عن الرحمة وقبـولها، بل يزيدون على ذلك فيـبررون مسلك السوء الذى اختـاروه لأنفسهم، ويجادلون بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير فى شأن الله الذى خلقهم ووهبهم من النعم السماوية والأرضية والنفسية ما لا يستطيعون جحوده، فلا يزال يخامرهم الشك فى قدرته ووحدانيته وأنه وحده الحقيق بالعبودية له والإخبات اليه. لقد غمركم بما علمتم من جزيل النعم فما لكم إذا قيل لكم اتبعوا ما أنزل الله لكم على لسان رسل منكم إتماما لنعمته عليكم وتعميما لرحمته بكم نأيتم وأبيتم، وأعرضتم عن النعمة والرحمة التى أرسلها اليكم صاحب الفضل العميم عليكم ؟!

فاذا قيل لكم اتبعوا ما أنزل الله قلتم بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فمن هم آباؤكم؟ أليسوا أفرادا مثلكم لاميزة لهم عليكم إلا بسبق زمانهم على زمانكم؟ فقد كانوا مثلكم أجنة فى بطون أمهاتهم ثم انحدروا الى هذه الدنيا لا يعلمون شيئا فوهب الله لهم السمع والبصر والعقل لعلهم يهتدون فهاموا فى غيهم يعمهون، فلما بعدوا عن الجادة وطمسوا الطريق على أنفسهم وعليكم من بعدهم تداركم الله برحمته فأرسل اليكم رسله بهدايته ليرشدوكم الى صحيح شريعته، وذلك حلقة من سلسلة رحمته بكم، أفتعرضون عن هـذا وتقولون بل نتبع ما وجـدنا عليه آباءنا ولو كان آباؤكم قـد ضلوا واتبعوا الشيطان عدوهم وعدوكم وقد دعاهم الى عذاب السعير ؟! لو أنكم خلقتم بلا عقول أصلا لوسعكم العذر الذى يسع البهائم، ولكن ما الحال وقد وهب لكم النور فأغمضتم أبصاركم عن أن تستضيئوا به! جاءتكم رسلكم بالبينات ووهبكم الله عقولا تميزون بها الحسنات والسيئات، ولفتت نظركم ونبهت عقولكم الى ما تسلسل عليكم من ربكم من أنواع الرحمات، ومع ذلك أبيتم أن تستمعوا الى الداعى، وأعرضتم عن الصالح، وتملككم الاعتزاز بآبائكم والاغترار بما كانوا عليه فاتبعتموهم، أفتتبعونهم فى كل شىء حتى ولو دعاهم الشيطان الى عذاب السعير ؟!

هذا ولقد جرنا الكلام فى ربط الآية بالآيات السابقة الى الكلام فى بيان محصل معناها التركيبى، ولا نرى بأسا أن نعود الى الكلام على مفرداتها، وإن كان المعتاد أن يسبق الكلام على المفردات بيان المعنى التركيبى، إلا أن ما بيناه هنا لا يتوقف على شرح مفردات الآية الكريمة، وفى بيان تلك المفردات مزيد بسط وتقرير لما قدمناه.

فقوله تعالى « ألم تروا » استفهام تقريرى يراد به حملهم على الاقرار والاعتراف بما سئلوا عنه، إذ يرجعون الى أنفسهم والى ما يحيط بهم ويتفكرون فيمن خلقه وأنشأه وسخره لهم فلا يجدون من يمكن أن ينسب اليه ذلك كله أو بعضه إلا الله، فيرغمون على الاعتراف به.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ففائدة السؤال إرغامهم على استخراج ذلك من مكنونات ضمائرهم وما أودع فى طيات قلوبهم ، وهو أمكن طريق فى الاستدلال والاقناع . وتسخير الشيء : سوقه الى تأدية الغرض المقصود منه بدون اختيار له فى ذلك ، أو تهيئته للانتفاع به والاستفادة منه ، سواء أحصل الانتفاع أم لم يحصل . والتسخير تارة يكون بجعل الشيء المسخر منقادا لارادة من سخر له ، كما فى تسخير الدواب والآلات ؛ وتارة تتضمنه فائدة ينتفع بها المسخر له كما فى تسخير ما فى السموات من كواكب ونجوم ، ففيها من الضوء والنور والحرارة وأمثالها ما ينتفع به الانسان وإن لم تكن خاضعة لارادته . فكلا القسمين يسمى مسخرا له حتى مالا يدخل تحت إرادته ولا ينقاد له كسير الكواكب ، فيكفى فى أنها مسخرة له أنه يمكنه الانتفاع بآثارها . وعلى ذلك تكون اللام فى سخر لكم ، لام التعدية : صلة لسخر .

ومنهم من يجعلها لام العلة ، أى جعل ذلك مسخرا لأمره لأجلكم ، فتسخيرها إنما هو لأمر الله ، وهذا التسخير من أجل منفعتكم . ونظيرها قوله تعالى: « خلق لكم ما فى الأرض جميعا » إذ ليست اللام للتمليك بل هى لام الأجل ، أى خلقها لأجل منفعتكم ، أى مكنكم منها لتستفيدوا أعظم ما تصل اليه قدركم من منافعها .

« وما فى السموات » من الأفلاك والكواكب والنجوم تسير بمقدار معلوم ، فيوقتون بها مصالحهم ، ويضبطون بها شئون معاشهم ومعاملاتهم وعباداتهم ، وتشرق عليهم فتبعث من ضوئها وعظيم آثارها ما يعود عليهم بالخير والنفع ، وتغرب عنهم فيسكنون ويستريحون .

« وما فى الأرض » من نبات وحيوان ومعادن وقطع متجاورات تصلح للانبات ، أو تستعد لاتخاذ البيوت والحجرات ؛ ومما فى الأرض المياه التى سلكها ينابيع فى الأرض ، فمنها العذب ومنها الأجاج ، ولكل منفعته وفائدته ، ومما فى الأرض أى على سطحها أو فى السماء أى فى العلو الرياح المسخرات ، فمنها اللواقح ، ومنها ما يسوق الماء الى الأرض الجرز ، ومنها ومنها مما لا يحيط به الحصر .

« وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » أى محسوسة ومعقولة ومعروفة لكم وغير معروفة ، أوجلية وخفية . فمن الأولى الوجود والجوارح والحواس ، ومن الثانية القوى الباطنة من العقل والفهم والتوفيق الالهى . أو الظاهرة ظهور الاسلام والانتصار على الأعداء ، والباطنة الامداد بالملائكة . أو الظاهرة تسوية الخلق ، والباطنة ستر العيوب . وقد ورد شيء من هذه التفاسير فى المأثور . والآية عامة تتسع لها جميعا ولغيرها . فما ورد فى المأثور مما يقتصر فيه على بعضها محمول على التمثيل لا على الحصر .

هذا وإسباغ النعم إفاضتها ، من قولهم : ثوب سابغ أى طويل ضاف . والنعمة ما ينعم به العبد وينتفع ويستلذه ويستطيبه . وأصله على ماقيل هيئة التنعم ، شأن صيغة فعله (بكسر الفاء) كجلسه ، سمى به ما يحصل تلك الحالة والهيئة ، ثم غلب على ذلك .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقوله : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم » مسوق للتعجيب من حالهم هـذه مع ما سـبق من اعترافهم ولو بلسان الحال بما أسبغ الله عليهم . فالواو فى قوله « ومن الناس » واو الحال ، أى سخر لهم وأسبغ عليهم والحال أن منهم من يجادل الخ .وكأن قوله «ومن الناس» لتقـرير التعجيب ، أى العجب كل العجب أن يـكون هذا من عـداد الناس ومحشور فى زمرتهم ، وهو جدير بأن يكون فى عداد العجماوات بل أضل ، بما عطل من عقله وأهمل من الهدى الذى حباه الله إياه . والمجادلة المناقشة ، وهى إما من جدل الحبل أى فتله كأن كلا من المتجادلين يفتل صاحبه ويلويه عن رأيه ، أو كأن كلا منهما يحكم رأيه بطرق الفتل والتقوية ، من قولك جدلت الحبل أى لويته على الأول ، أوجدلته أى أحكمت فتله وقويته على الثانى . وإما من الجدالة وهى الأرض الصلبة ، كأن كلا منهما حريص على أن يصـرع خصمه ويلقيه على الأرض .

والجدال فى ذاته بقصد المغالبة وإظهار التفوق ذميم ، فكيف إذا كان بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ؟ قالوا : والمراد بقوله « بغير عـلم » أى استبصار ويقين مأخوذ من دليل عقلى . « ولا هدى » أى إرشاد مستفاد من هاد ومرشد من رسل الله وصفوته . « ولا كتاب منير » أى كتاب منزل من الله يثق به العقل وتطمئن اليه النفس . وإذا بطلت هـذه الثلاثة لم يبق إلا التقليد ، وتقليد من ؟ تقليد آبائهم الذين لم يمتازوا عنهم بشئ فى الضلال بل الكل فيه سواء ، أفيتبعون آباءهم وإن قادوهم الى العذاب الذى دعاهم اليه الشيطان ؟ فالهمزة للانكار ، أى ما كان ينبغى ذلك من قوم عقلاء ، والواو للحال أو العطف على محذوف ، وجواب لو مستغنى عن التصريح به بما سبق ، أى ولو دعاهم الشيطان يتبعونه ، أو هى غـير محتاجة الى جواب . والسعير من قولهم استعَـرَت النار أى اشتد لهيبها .

ومن هذه الآية أخذ بعضهم عدم صحة إيمان المقلد . والمـراد بالمقلد الذى لا يصح إيمـانه هو من ليس فى قلبه أكثر من قوله : وجدت الناس يقولون قولا فقلته ، فاذا رجع من تبعه رجع تبعا له . وأما الذى إذا سألته أجابك بما يدل على اقتناعه فى نفسه بما يعتقد : كأن يقول لك مثلا : من ذا الذى خلقنا وخلق هذه الدنيا ؟ ونحو ذلك ، فلا يكون مختلفا فى إيمانه وإن عجز عن تقرير الدليل ودفع الشبه عنه بالطرق الفنية .

اللهم احفظ علينا إيماننا ، وا كفنا شر ما أهمنا ، وارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، إنك عفو كريم غفور رحيم !

ابراهيم الجبالى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

النثر الفنى

بعد الاسلام

تحدثنا فى المقال السابق عن الحقيقة التى يصح أن تكون مدلولا اصطلاحيا لعبارة « النثر الفنى » التى خلقها المنهج الحديث فى البحث خلقا جديدا لا يعتمد على أساس لغوى معروف فى نصوص الأدب ، ولا يقوم على أصل تاريخى ، ومن ثم اختلفت عبارات الباحثين فى تحديد معنى النثر الفنى . وقد عرضنا بعض آراء المتأدبين ، وانتهينا الى أن مصدوق هـذه العبارة فى الأدب العربى واسع المدى يشمل كل كلام انطلق من قيود الوزن والقافية فى أسـلوب يسمو بذاته عن لغـة التخاطب العامة ، ويسمو بفـكرته الى معالجة شئون الحيـاة الفكرية والاجتماعية دون أن يخضـع لشىء آخر من قيود الصنعة الانشائية كالـكتابة والتدوين ، أو الزخرف اللفظى ، والتزيين البديعى ، أو غير ذلك مما لا يدخل فى تكوين النثر ، وإن زعم كثير من الباحثين أنه مقوم من مقومات النثر الفنى .

وقد عرفنا أن كثيرا من شـيوخ النقد الأدبى القدامى يرون أن الخطابة بجميع فنونها من أول مايدخل فى مفهوم النـثر الأدبى ، وهى أخت الـكتابة وقرينتها ، فاذا وقع اتفاق المحدثين من النقاد على اعتبار الـكتابة بأنواعها نثرا فنيا لأنها تقوم على التفكير المنطقى ، فـكذلك المحاورات والوصايا وغيرها من فنون النثر الأخرى لا تقل أثرا فى التفكير المنطقى ورسم النفوس وتطبيق الاجتماع عن الـكتابة والخطابة ، فهى نثر أدبى فنى بهذا الاعتبار ، وكلها كانت معروفة عند العرب فى العصر الجاهلى ، إلا أن الـكتابة كانت قليـلة الى جانب غيرها ، وكانت تدور حول أفـكار خاصة ودائرة ضيقة ، لا تسوغ إدخالها فى طور النثر الفنى الأول ، بل إن ذلك الطور لا يتمثل إلا فى الخطابة والمحاورة والوصايا والحـكم والأمثال .

أما الطور الثانى للنثر الفنى فيبدأ باشراق شمس الاسلام فى أفق الحياة العربية ، لأن أوضاع الحيـاة تغيرت عن مألوف العرب ، فتغير تبعا لذلك أسلوب التعبير عنها ، فالقرآن الـكريم وهو أول ما يلفت النظر فى هذا الباب بفخامة أسلوبه وروعة تعابيره ، وجلال معانيه وسمو مراميه ، أحدث رجة فى البلاغة العربية دفعتها الى الوجوم حينا فى كثير من الدهشة البالغة ، فـكانت صدمة قوية على الملـكات البيانية أصابتها بما يشبه العقم الأدبى ، وهو وإن يكن له الاعتبار الأدبى الأول لـكنى أتحرج من إطلاق اسم « النثر الفنى » عليـه ، لأن الفنية قد تشعر بالتعمل والصنعة ، والقرآن كتاب الله الحـكيم يجب أن ينزه عن كل ما يشعر بشىء من ذلك ولو من طريق بعيد ، وهـذا لا يمنع أن نرى أنه منهج أدبى جديد جعله الأدباء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفحول البلاغة الغاية التي تنتهي عند سفحها آيات البراعة والبيان ، لجمعه لخصائص بلاغية ونكات بيانية لا يمكن أن يجمعها كلام سواه . وهذه ناحية من نواحي إعجازه يدور حولها البحث الفني لعلماء البلاغة وأئمة النقد الأدبي ، بل لأجل شرحها قامت علوم البلاغة العربية ، وبها تفرد كشاف الزمخشري في نهجه وأسلوبه البياني القويم ، وبها اتجه البحث الأدبي في هذا العصر اتجاها جديدا ، واتخذ النثر سمتا جديدا ، ظهر فيه أثر الأسلوب القرآني ظهورا بينا نلمسه بأدنى نظرة نلقيها على سبيل الموازنة بين كلام الجاهليين في خطبهم وفنون نثرهم ، وكلام فحول الأدباء في صدر الاسلام ، فذلك السجع المتعمل الذي كان يجري عليه أسلوب الجاهلية أصبح سقيما لا يحفل به خطيب أو متكلم في صدر الاسلام . ولو أن باحثا عرض الى خطبة جاهلية في موضوع يقرب من الموضوعات الاسلامية كالخطبة المنسوبة الى قس بن ساعدة ، وهو خطيب مفوه يضرب به المثل ، وعرض الى جانبها كلمة لخطيب إسلامي ، لرأى الفرق شاسعا ، ورأى أثر الأسلوب القرآني في كلام الاسلاميين ارتفع به عن السجع الأجوف الى أسلوب مفعم بالروح القوي والمعنى السري والحيوية الخصبة .

أي أثر ينبعث في نفسك إذا أنت قرأت قول قس بن ساعدة في خطبته المشهورة : « من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، مهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تمور ، وبحار لا تغور الخ ؟ » لا أثر يحرك كوامن النفس ويوقظها الى ظواهر الوجود وعبر الحياة ، ولكن انظر الى ما ينبعث في نفسك من الاحاسيس حين تقرأ قطعة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فانها تجلي لك من معاني الحياة كثيرا مما كان خافيا عليك ، وتفتح أمام فكرك أبوابا من التأملات تنفذ منها الى خير كثير ، فاسمعه حين يقول : « إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات ، حجزته التقوى عن تقحم الشبهات ، ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم صلى الله عليه وآله ، والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ، ولتغربلن غربلة ، ولتساطن سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم ، وليسبقن سابقون كانوا قد قصروا ، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا . ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار ، ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة ، حق وباطل ، ولكل أهل ، فلئن أمر الباطل لقديما فعل ، ولئن قل الحق فلربما ولعل ، ولقلما أدبر شيء فأقبل »

فأنت تلمح في الكلام الاسلامي أثر الروح القرآني ظاهرا في الفكرة والمعنى والأسلوب الذي لم يلتزم فيه السجع ، ولم يخل منه ، ولكنه جاء حين استدعاه المعنى ، فجاء حلو الجرس ساحر الرنين ، جميل الوقع متساوقا مع المعنى في قرن واحد ، على خلاف ما ترى في القطعة الجاهلية من رصف ألفاظ في جمل مستوية لا تعدو الأذن الى القلب .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الواقع أن النثر الاسلامى اتخذ القرآن إماما له، فتهذبت حواشيه، وصقلت مبانيه، وراقت أفكاره ومعانيه، الى ما كان من أثر البلاغة النبوية التى استقت من منابع القرآن وأشرقت عليها أنواره فكانت من أجمل مظاهره وأبلغ آثاره؛ بل ربما كان أثر البلاغة النبوية فى النثر الاسلامى أبين وأكثر، لأن البلاغة النبوية على سمو مقامها وبلوغها الحد الأعلى فى البلاغة الأدبية لم تعدُ أن تكون كلاما بشريا تطمع النفوس فى محاذاته ومشاكلته، وتعرف نهايات ما اشتمل عليه من الخصائص البلاغية والنكات البيانية، ومن هنا يمكن اعتبار الكلام النبوى أول صورة للنثر الفنى الاسلامى، جمع عناصر الفنية التى اتفق عليها القدامى والمحدثون من الباحثين، لأنه قائم على الفكر المنطق والعقل، وقد يحلى بشيء من الزخرف اللفظى والتزيين البديعى إذا انساق مع المعنى، وليس يشك أحد فى أن الكلام النبوى يقرر حقائق فكرية ويرسم نفوسا ويطبق اجتماعا، وتلك هى عناصر النثر الفنى فى نظر الباحثين.

وإذا كان قد استوى للنثر الفنى فى هذا العصر شرائط الكمال من ناحية موضوعاته التى أحدثها الاسلام ورسمها القرآن الكريم فى التشريع والسياسة والأخلاق والتهذيب النفسى والقصص والوصف، والترغيب والترهيب، وتحديد علاقات الفرد بالجماعة، وعلاقات الجماعة بالفرد، فإنه قد اتخذ فى اتجاهه التصويرى مظاهر متعددة إن لم تبلغ درجة الكمال فهى بلا شك شديدة المغايرة لما كان معروفا عند الجاهليين، فالخطب الاسلامية وجدت من العناية والدقة ما جعلها أشبه بالرسائل المنمقة، وظهرت الكتابة وحررت بها الرسائل فى المعاهدات والمحالفات والدعوة الى الدين، ونصح العامة وإرشاد قواد الجيوش الى واجبهم، وتحديد معاملة الولاة للرعية بالعدل والرأفة وإقامة الحدود وحماية الثغور. وفى رسالة عمر بن الخطاب الى أبى موسى الأشعرى منهج للسياسة الشرعية وشرح وظيفة القضاء وواجب القاضى وطريق الدعوى وإثباتها، مما هو صادر عن فكر منطق يقرر حقائق ويرسم نفوسا ويطبق اجتماعا. وفى عهد أمير المؤمنين على أبى طالب الى الاشتر النخعى حين ولاه مصر آية بينة على استواء أسلوب النثر الفنى فى هذا العصر.

وإذا جاوزنا عصر صدر الاسلام الى ما بعده من عصر الدولة الأموية وجدنا الأمر يتسع تبعا لشئون الدولة، فقد نظمت الدواوين واتخذت نظم للرسائل والمكاتبات، وانضافت الى الخطابة عناصر جديدة تراها فى خطب زياد بن أبى سفيان والحجاج وعبد الملك وغيرهم حتى عهد هشام الذى عهد بنظام الانشاء الى مولاه سالم الذى تتلمذ عليه عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وانتقلت به الكتابة الى صنعة قائمة المعالم مستقلة المناهج، وتبحرت فيها الأساليب، وظهر أمثال ابن المقفع واحمد بن يوسف والجاحظ ومن اليهم من فطاحل كتاب الدولة العباسية التى ظهر فيها النثر الفنى ظهورا بينا يرى المحدثون من النقاد أنه أحق ما يصدق عليه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اسم النثر الفنى ، لما داخله من الصنعة والحذق والنظم الأجنبية التى نقلها المترجمون عن الأمم الأخرى العريقة فى هذا النظام ، وما يزال النثر يدرج فيرتفع ، ثم يهوى فينخفض حتى عادت اليه ديباجته فى النهضة الحديثة ، وتجدد له رواؤه ورونقه ، وجمع بين رصانة القديم وجدة الحديث .

صادق ابراهيم عرجون

من يعتمد فى المشورة

قال حكيم : لا تدخل فى مشورتك بخيلا فى عطاء فيقصر بك ، ولا جبانا فى حرب فيخوفك ، ولا حريصا فى بذل فيصدك ، فان البخل والجبن والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله .

وروى أن زيادا ، وكان من كبار الولاة فى القرن الاسلامى الأول ، استشار رجلا فى أمر ، وكان متحفظا ، فامتنع من إبداء رأيه قائلا له : حق المستشار أن يكون ذا عقل وافر ، واختبار متظاهر ، ولا أرانى كذلك .

وقال حكيم : لا تشاور الجائع حتى يشبع ، ولا العطشان حتى يروى ، ولا الأسير حتى يطلق ، ولا المقل حتى يجد ، ولا الراغب حتى ينجح .

وقال شاعر :

خصائص من تشاوره ثلاث ... فخذ منها جميعا بالوثيقه
وداد خالص ووفور عقل ... ومعرفة بحالك فى الحقيقه
فمن حصلت له هذى المعانى ... فتابع رأيه والزم طريقه

وقال شاعر غيره :

وإذا الأمور عليك يوما أشكلت ... فاعمد لرأى أخ نصيح مرشد
واحفظ نصيحة من بدا لك وده ... وبرأى أهل الخير جهدك فاهتد

وقال آخر :

فما كل ذى ود بموليك نصحه ... ولا كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عند واحد ... فحق له من طاعة بنصيب

حروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الاخلاق الفلسفية

— ٦ —

(ب) الضمــــير

سلطانه على النفوس :

إن سلطة الضمير التى يفرضها على بنى الانسان واحدة وثابتة لا تتجزأ ولا تتغير ولا تخضع للظروف ولا تنحنى أمام ضرورات الحياة ، فاللغة التى ينطق بها الضمير حين يأمر بالخير وينهى عن الشر هى واحدة فى كل زمان ومكان ولدى جميع الأشخاص ، لا فرق فى ذلك بين السيد والعبد ، والغنى والفقير ، والشاب والشيخ ، والعالم والجاهل ، وإنها لغة واضحة صريحة لا لبس فيها ولا إبهام ، وإنها لغة أمر قوية قاسية لا تعرف الرجاء ولا تألف الهوادة واللين . ومنشأ هذه الوحدة فى السلطة واللغة والقوة هو أن الضمير ينطق بصوت الله ويتكلم بلسانه ، ويعبر عن أوامره ونواهيه . ولو أنه يتكلم بصوت أحد المحدثين الفانين ، لاستطاع الانسان أن يسكته كلما أثقل عليه الأوامر وضيق على شهواته الخناق . نعم إننا نستطيع أن نعصيه ، ولكننا لا نستطيع أن نسكت صوته ، ولا أن نقطع هتافاته المتواصلة .

الأدوار التى يمثلها معنا الضمير :

إن أول دور يمثله الضمير معناهو دور المكتشف المميز بين الطريقين : المستقيم ، والملتوى كما قدمنا ، فإذا أبرز نتيجة اكتشافه ، انتقل الى الدور الثانى وهو دور الناصح الأمين ، فإذا أتم مهمته ووقع العمل من الانسان بالفعل ، انتقل الى مرتبة القاضى العادل ، ثم الى مرتبة السلطة التنفيذية التى تتولى توزيع درجات المكافأة والعقاب ، فينعم بقسط وافر من الغبطة والسعادة على القائمين بالواجب والمستمسكين بالفضيلة ، ويحيل الدنيا فى نظرهم الى جنة وارفة الظلال ، دانية الثمار ، لايرى الانسان فيها إلا نورا وجمالا وغبطة وسعادة ، ويملأ قلوبهم بالأمل والتفاؤل والميل الى الاستزادة من الخير . وهكذا كل فضيلة تتولد مما قبلها حتى تصبح أعمال الشخص سلسلة فضائل لا تفصل حلقاتها رذيلة واحدة ، ولكن الانسان إذا اقترف رذيلة ، فإن فكرة قاسية حادة تشتعل فى داخل نفسه كأنها شعلة من نار لا تزال تأكل فى فؤاده حتى تقضى عليه قضاءها الأخير ، أو هى كما يقول أحد الأخلاقيين الفرنسيين : « إنها تجلس بالليل الى جانب وسادته ، لتجعل نعاسه سلسلة اضطرابات ومفزعات ، فاذا استيقظ تولت تعذيبه بقسوة ومن غير انقطاع ، وتتبعت خطواته حتى فى ساعات العمل الشاغل وفى لحظات التسلية والسرور ، وإن مثلها كمثل العثة تمزق أجزاء الفؤاد بلا شفقة ولا رحمة » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جوامع كلم :

لما كان الفلاسفة الأوربيون قد وصفوا الضمير فى جمل صغيرة قيمة يصح أن تسمى بجوامع الكلم ، فقد أردت أن أترجم لك شيئاً منها :

(١) سئل سقراط يوما : من الرجل الذى يمكن أن يحيا سعيدا ؟ فأجاب : « إنه هو الذى لا يعمل ما يستوجب تانيب الضمير » .

(٢) إن الضمير هو أصدق وأجل كتاب نملكه ، فيجب أن نسترشد بصفحاته ، ونستعين بجمله وكلماته كلما حزبتنا مهمة من مهمات الحياة « باسكال » .

(٣) اذهب الى حيث شئت ، فانك ستجد ضميرك أمامك .

(٤) إن كل القضاة معرضون للخطأ ما عدا قاضى القلب فانه معصوم .

(٥) ليس حكم الغير هو الذى نخشى ، وإنما هو حكم الوجدان « فيسيو » .

(٦) لا توجد سلطة أخرى تصدر أوامرها بحرية غير سلطة الضمير « جولى سيمون » .

مذهب بعض الأخلاقيين القائلين بجواز تغير الضمير ووجوب تربيته :

صرحنا أكثر من مرة بأننا نرى أن الضمير لا يربى ولا يهذب ، لأنه لا يفسد ولا ينحط ، وإنما الارادة والخلق هما اللذان يتغيران رفعة وانحطاطا ، ولكننا رأينا بعض الأخلاقيين يقول بجواز تاثر الضمير بمفاسد الشهوات الحيوانية تأثراً يفقده هداه ، ويحول بينه وبين الاستقامة والرشاد . وعندهم أن الحيلولة بين الضمير وبين هذا الفساد لا تتم إلا بالتربية والرقابة . وإنى لموجز لك هنا رأى أحد هؤلاء الفلاسفة القائلين بامكان انحطاط الضمير وبوجوب تربيته ورقابته ، فاذا أتينا على هذا الرأى وذكرنا لك وسائل تربية الضمير عند هذا الفيلسوف ، سددنا اليه بعد ذلك ما لدينا من سهام النقد فى هذا الموضوع . واليك ترجمة هذا الرأى فى شىء من التلخيص :

« إن حواسنا قد ربطتنا مع العالم الخارجى برباط بلغ من الدقة والاحكام الى حد أن اقتطعنا لهذا العالم الظاهر اسما من كلمة « الحواس » فسميناه بالعالم المحس ، ولكن الخير والشر والفضيلة والرذيلة والطيبة والخبث والحب والبغض والاحترام والاحتقار ، كل هذه الصفات تكوّن لها عالما آخر غير العالم الأول يسمى بالعالم المعنوى أو المعقول . ولكى نستطيع أن ندركه ونقدر قيمته ونحكم عليه ثم نستفيد منه كما استفدنا من العالم الخارجى ، قد منحنا الخالق قوة داخلية جديرة بادراكه ، وهى ما نسميه بالحاسة الخلقية أو الضمير أو الوجدان . فليس الضمير إذاً شيئا جديداً يكتسب بالخبرة أو المران ، وإنما هو فى داخل نفوسنا منذ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اللحظة الأولى لوجودنا ، لأنه لا يخرج عن كونه إحدى حركات النفس الناطقة التى هى المميز الوحيد للنوع الانسانى عما عداه من الأنواع .

والضمير هو القاضى الذى أجلسه البارى على منصة القلوب الانسانية ، ليتولى إصدار الحكم على سلوك الحياة وأفعالها . غير أن الانسان لا يكون معصوما من الوقوع فى ضلال الأحكام الأخلاقية أو من السقوط فى هوة الخلط بين الرذيلة والفضيلة إلا إذا كان وجدانه على الفطرة التى خلقه الله عليها بحيث لم تستطع القوات الأخرى أن تلوى عنانه الى ناحية الشر فتصبح أحكامه خاطئة وسيره معوجا ، وتسلب منه الدقة فيمسى ولا أسهل عنده من الانخداع بالظواهر وتفضيل الأدنى على الأعلى ، وتندثر منه معالم الهدى والرشاد فيصبح ولا شىء يهمه سوى المنافع المادية التى تعظم فى نظره شيئا فشيئا حتى تصير هى مقياس الخير والشر المضبوط الذى لا يقام لغيره وزن .

أما الوجدان الفطرى الذى يتعهده صاحبه بدفع شرور النفس عنه ويتعود على طاعته والعمل بأوامره ولا يهمل فيه جانبى الدقة والقسوة المتأصلين فى طبيعته ، ويسير على ما يشرع له من قواعد ومناهج فيتلقى بسرور وسعادة ما يصدره إليه من أمر بالخير ، وينظر ببغض وارتياع الى ما يرسمه أمام عينيه من صور الشر الكريهة ، فهو الوجدان الصالح المستقيم .

تربية الوجدان عند هذا الفيلسوف :

قرر هذا الفيلسوف فيما سلف أن الوجدان فى أصله خيّر ومستقيم ، ولكن طوارئ الحياة المادية تستطيع أن تغيره ، فلنبحث فيما عساه أن يؤثر فيه ، ثم لننظر بعد ذلك فى وسائل الهدى . فأما المؤثرات السيئة على الوجدان فهى تتلخص كلها فى عامل واحد ، وهو أن يدع الانسان غرائزه الحيوانية تسير فى حرية لا حد لها ، ويطلق العنان لشهواته المادية فيطغى تيارها الجارف على كل عوامل الخير وأقباس النور الجاثمة فى نفس الانسان فيبددها ويحيلها الى ظلام دامس ، ويسلم القيادة العليا لتلك القوة الحيوانية ، فتسوء الحال ، ويصبح الوجدان ضالا غير قادر على تمييز أى شىء . وهنا يمسى الانسان معرى من كل خير ، مجردا من كل فضيلة ، لا يكترث إلا بالمنافع والشهوات ، ولا يحترم إلا المصالح المادية المنتجة الموصلة الى هذه الشهوات الحيوانية .

وسائل التربية والاصلاح فى رأيه :

هناك وسيلتان لا ثالثة لهما لتربية الضمير وإصلاح ما فسد منه بسبب طغيان تيار الشهوات عليه ، وهما : (١) الدين (٢) المدنية الصالحة . فأما الدين ، وهو القانون السماوى الطاهر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المعصوم الذى لا تستطيع الشهوات أن تطغى عليه ، فهو يعين مقدار ما للشهوات الجسمانية من سلطان يقفها عنده ، ولا يسمح لها بأن تتخطاه ، ثم يعيد الى الضمير سلطته الأولى وقوته البائدة . وأما المدنية الصالحة ، فنحن لا نقصد بها إلا الثقافة والعلم واستنارة الذهن وتمرين العقل على معاونة الضمير فى مغالبة الشهوة وكبح جماحها .

وعندى أن الكائنات تنقسم بالنسبة الى الضمير الى الدرجات الآتية : (١) الجماد ، وهو مفقود الحيوية والإحساس . (٢) النبات ، وهو متمتع بحيوية فقط . (٣) الحيوان ، وهو متمتع بحيوية وإحساس ، ولكنه إحساس مادى محدود لا يُشْعِرُ صاحبه بأنه موجود ، ولا بأن عليه دورا فى الحياة يجب تمثيله. (٤) الانسان الناقص ، وهو مستمتع بحيوية وإحساس وشعور بوجوده وبتمثيل دوره فى الحياة فحسب . (٥) الانسان الكامل ، وهو ما يشتمل على كل مميزات الناقص ويزيد عليه بالضمير الأخلاقى المربى الذى لا يجدر بهذا الاسم إلا إذا توفرت له تلك التربية التى تمكنه من إصدار الحكم الحق على الأشياء ، وإلا فهو ضمير نفسى وهو يوجد عند الانسان الناقص » .

ومن الغريب أن هذا الأخلاقى الذى يجيز انخداع الضمير وضلاله ، ويوافق على تربيته وإصلاح ما فسد منه يعود فيقول عنه ما ترجمته : « إنه لصوت داخلى يلهمنا ما يجب أن نعمل وينذرنا بما ينبغى أن نتقى ونتجنب ، وإنه ليس شيئا آخر غير جزء من العدالة الالهيه . إنه لنور خالد ينبسط فوق أعمالنا فيكشفها لنا بوضوح وجلاء ، وإنه ليس إلا شعاعا من النور الأعلى » .

ولست أدرى كيف يتصور هذا الأستاذ ومن هم على شاكلته من الروحيين أن جزء العدالة الالهية أو شعاع النور الخالد يفسد وينحط الى حد أن يجوز عليه الضلال والانخداع ؟ ! أنا لا ألوم الماديين ولا « القرديين » أصحاب نظرية التطور على ما يقولونه من جواز فساد الضمير وضلاله ، لأنه فى رأيهم لا يزيد عن كونه خرافة خلقتها الضلالات الاجتماعية ، أو عادة دعت اليها المنافع العمرانية ، ومصالح الهيئة الاجتماعية . وإذاً ، فلا لوم عليهم إذا آمنوا بجواز فساده وانخداعه مادامو قد أرجعوا أصله الى هذا العنصر الوضيع ، وأيقنوا بأن خالقه ومانحه كل هذه القوة الوهمية إنما هو الانسان ، ولكن الذى لا أستطيع أن أستسيغه ولا أن أفهمه هو تناقض هذا البعض من الفلاسفة الانسانيين والأخلاقيين الروحيين الذين كانوا يستطيعون أن يحفظوا مذاهبهم من الخلط والاضطراب ، وأن يجعلوها مستقيمة متزنة لو أنهم قرروا أن الضمير لا يفسد ولا يضل ، وإنما يتغلب عليه ضجيج الشهوات فيحول بين الانسان وبين سماع صوته ، فاذا خفت هذا الضجيج الشهوانى وهدأت ثورة الرغبات المادية ظهر هذا الصوت العلوى واضحا وإن لم يكن قد سكت لحظة واحدة ، وإنما كان السلطان لغيره فى أثناء هذه الثورة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كما قررنا ذلك مرارا . ولكن قد يقول لنا قائل : إذا كان الضمير من عالم الخلود فكيف استطاعت الشهوة أن تغلبه على أمره ؟ ونحن نجيبه بما أسلفناه غير مرة ، وهو : أن مبدع الكون قد حدد اختصاص الضمير ، وقصر سلطته على الحكم والأمر والنهى والانذار وإظهار الغبطة للطائعين ، وصب جامات السخط والتقريع على العاصين ، ولم يمنحه سلطة القضاء على كل شهوة ومحو كل رذيلة ، ولو أنه جات حكمته فعل ذلك لقضى على نظام الكون الذى لا يمكن أن يكون على صورة أخرى غير التى هو عليها الآن ؟

دكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

« يتبع »

كلمات نابغة فى العقل

قال أبو هريرة رضى الله عنه : لو ازددت كل يوم مثقال ذرة من عقل ما باليت ما فاتنى من أنواع التطوع .

وقال وهب بن منبه : مثل العقلاء فى الدنيا مثل الليل والنهار لا تقوم الدنيا إلا بهما ، فكذلك المرء فى الدنيا لا حظ له إلا إذا كان عاقلا .

وقيل لأنو شروان ملك الفرس : أى الناس أولى بالسعادة ؟ قال أنقصهم ذنوبا . قيل فمن أنقصهم ذنوبا ؟ قال أتمهم عقلا .

وقال حكيم : إذا كان العقل فى النفس اللئيمة ، كان بمنزلة الشجرة الكريمة فى الأرض الذميمة ينتفع بثمرها على خبث المغرس ، فاجتن ثمر العقل وإن أتاك من لئام الناس .

وقال سعيد بن جبير : لم تر عيناى أفضل من فضل عقل يتردى به الرجل ، إن انكسر جبره ، وإن صرع أنعشه ، وإن ذل أعزه ، وإن اعوج أقامه ، وإن عثر أقاله ، وإن افتقر أغناه ، وإن عرى كساه ، وإن غوى أرشده ، وإن خاف أمنه ، وإن حزن أفرحه ، وإن تكلم صدقه وإن أقام بين ظهرانى قوم اغتبطوا به ، وإن غاب عنهم أسفوا عليه ، وإن بسط يده قالوا جواد ، وإن قبضها قالوا مقتصد (أى معتدل) ، وإن أشار قالوا عالم ، وإن صام قالوا مجتهد ، وإن أفطر قالوا معذور .

وقال شاعر :

ماوهب الله لامرىء هبة   أشرف من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان عدما   فان فقد الحياة أجمل به

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

سيرة الزبير بن العوام

نسبه رضى الله عنه :

هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى قصى ، وعدد ما بينهما من الآباء سواء . وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصى، فتجتمع مع ابنها وزوجها فى قصى، وعدد ما بينها وبين زوجها من الآباء سواء . ولما ولدته أمه أطلقت عليه اسم وكنية أخيها الزبير بن عبد المطلب ، وكان يكنى بأبى الطاهر ، وبقى معروفا بتلك الكنية حتى ولد له ابنه عبد الله ، وهو أول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة المنورة بأنوار النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان بعد ذلك يكنى بأبى عبد الله .

مولده ونشأته :

ولد رضى الله عنه بمكة المكرمة، ونشأ بها فى وسط متحضر متمدين ، لأن مكة كما وصفها الله كانت أم القرى ومثابة للناس وأمنا ، يفد الى كعبتها كافة الشعوب على اختلافهم فى اللغات وتفاوتهم فى الأخلاق والعادات ، فضلا عن أنها فى وسط عربى متحضر كبنى ثقيف بالطائف ، وبنى الأوس والخزرج بالمدينة ، وبنى غسان بالشام ، وكل هؤلاء وأمثالهم يؤمونها دائما لأداء نسكهم ، وعرض محاصيلهم وثمرات أفكارهم فى سوق الأدب والتجارة . فنشأة الزبير فى تلك البيئة أكسبته الأخلاق الفاضلة والعواطف النبيلة ، الى ما فيه من كرم الأرومة وشرف العشيرة وكمال الفروسية التى نالت إعجاب النبى وتقديره العالى، حتى قال له صلى الله عليه وسلم يوما « فداك أبى وأمى » .

حياته وصفته :

كانت حياته رضى الله عنه فى الاسلام كلها ممتلئة بعمل الخير ، والجد والسهر على نصرة الدين وجماعته، وإعلاء كلمة الحق، فكم قاتل فى الله وكم بارز وكم قارع، وكم خاطر بنفسه امتثالا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم. ولقد نوه الله بشأنه فأنزل الملائكة يوم بدر على صفته . وهو أحد العشرة الذين بشرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ولم يتخلف قط عن مشهد من مشاهد الخير . أسلم رضى الله عنه بدعاية أبى بكر ، وعمره إذ ذاك خمس عشرة سنة ، وقد نال شرف الهجرة مرتين: مرة الى الحبشة ثم عاد منها الى مكة وبقى بها ،حتى هاجر الى المدينة المنورة. وكان رضى الله عنه أسمر اللون ، ربعة القامة ، معتدل اللحم ، خفيف اللحية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

شرفه ومنزلته فى قومه :

حدث ما شئت عن شرفه من ناحية أبيه وأمه . فأمه عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، وخديجة خير أمهات المؤمنين عمته . هذا الى ما ثبت فى المراجع المعتبرة من كتب السير أن عمر ابن الخطاب لما قتل استدعى ستة رجال من عظماء قومه وسرواتهم وهم الذين توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم ، فعهد اليهم بانتخاب أحدهم للخلافة ، وأوصاهم أن لا يمضى اليوم الرابع إلا وعليهم أمير منهم ، فكان الزبير أحد هؤلاء الزعماء الستة. وحدثنا البخارى فى صحيحه قال : أصاب عثمان رعاف شديد سنة الرعاف حتى حبسه عن الحج ، وأوصى فدخل عليه رجل من قريش قال استخلف ، قال : وقالوه ؟ قال نعم ، قال : ومن ؟ فسكت . فدخل عليه رجل آخر فقال استخلف ،فقال عثمان: وقالوا ؟ فقال نعم . قال : ومن هو ؟ فسكت . قال فلعلهم قالوا الزبير ؟ قال نعم . قال أما والذى نفسى بيده إنه لخيرهم ما علمت ، وإن كان لأحبهم الى رسول الله صلى عليه وسلم . وقد مدحه أمير الشعراء حسان بن ثابت الأنصارى ففضله على سائر الصحابة ، فمن ذلك قوله :

أقام على عهد النبى وهديه حواريّه والقول بالفعل يعدل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حسها بأبيض سباق الى الموت يرفل
فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس له فى الدهر قرن مماثل

كرمه ووفاؤه :

روى أنه لما نزل قوله تعالى فى القرآن الكريم : « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » قال الزبير : يارسول الله : وأى نعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء ؟ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « أما إنه سيكون » . وقد حقق الله وعد نبيه الصادق الذى لا ينطق عن الهوى ، فقد ثبت فى كتب السير الصحيحة أنه كان للزبير ألف مملوك يؤدون اليه خراجهم ، فكان يتصدق بكل ما فضل عنه ولا يدخر منه شيئا فى بيته .

وروى عن هشام بن عروة أنه قال : أوصى الى الزبير سبعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان رضى الله عنه ينفق على أولادهم من ماله الخاص ويحفظ عليهم مالهم .

وأنا أقول : إن هذا منتهى الورع ، لأن الورع هو ترك الشبهات خوف الوقوع فى المحرمات ، فكيف بمن يترك المباحات خوف الوقوع فى الشبهات ؟ ومعلوم أن الزبير قد أحل الله له الانفاق على أولادهم من أموالهم ولكنه احتاط لنفسه فجعل بينه وبين الحرام حصنين : الشبهات ، وبعض المباحات. ومع هذا السخاء النادر فقدمات رضى الله عنه عن ثروة عظيمة، قال ابن عبد ربه فى كتاب العقد الفريد: أخذ عبد الله بن الزبير لولده الثلث من تركة أبيه بوصية منه ثم قسم الباقى . وكان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للزبير أربع نسوة فأصاب كل امرأة ربع الثمن ألف ألف ومائة ألف . وأنا أقول سنداً لهذه الرواية : إنه لا غرابة فى ذلك ، فقد كانت أنصبة المجاهدين من الغنائم تكفى لتكوين أعظم ثروة لسروات أمثالهم ، فقد ذكر بدر الدين العينى على شرحه للبخارى أنه قد أصاب كل واحد من فرسان المجاهدين فى واقعة اليرموك على عهد أبى بكر أربعة وعشرين ألف مثقال من الذهب ومثلها من الفضة ، وهذه موقعة واحدة فى خلافة أبى بكر ذات المدة القصيرة فكيف بالغنائم التى أخذوها أيام عمر وعثمان ؟ وقد أدرك الزبير رضى الله عنه زمن عمر وعثمان وصدراً من خلافة على ، رضى الله عنهم أجمعين .

فروسيته وشجاعته :

هو أول من سل سيفا فى الله عز وجل ، وذلك أنه شاع بمكة أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أخذه الكفار فأقبل الزبير رضى الله عنه عند ذلك يشق الناس بسيفه ، وكان النبى حينئذ بأعلى مكة فلما رآه قال له مالك يازبير ؟ قال : يارسول الله أخبرت أنك أخذت فعند ذلك صلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم ودعا له ولسيفه .

وحدثنا البخارى فى صحيحه قال : « قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم قال : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير أنا ، ثم قال : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير أنا . ثم قال إن لكل نبى حواريا وحوارىّ الزبير » .

وحدثنا البخارى أيضا فى صحيحه قال : « قال عبد الله بن الزبير : كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمرو بن أبى سلمة فى النساء فنظرت فاذا أنا بالزبير على فرسه يختلف الى بنى قريظة مرتين أو ثلاثا ، فلما رجعت قلت : ياأبت رأيتك تختلف . فقال : أو هل رأيتنى يابنى ؟ قلت نعم . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يأت بنى قريظة فيأتينى بخبرهم ؟ فانطلقت فلما رجعت جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال : فداك أبى وأمى » .

وناهيك بموقف واحد من مواقفه المشرفة صدّ فيه وحده جيش الكفر جميعه : حدثنا البخارى فى صحيحه قال : « إن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا للزبير يوم اليرموك : ألا تشد فنشد معك ! فقال : إنى إن شددت كذبتم . فقالوا لا نفعل ، فحمل عليهم الزبير حتى شق صفوفهم فجاوزهم وما معه أحد ثم رجع مقبلا ، فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر . قال عروة : كنت أدخل أصابعى فى تلك الضربات ألعب وأنا صغير .

ومن مفاخره أن عمر بن الخطاب قد عده بألف رجل فى الجيش الذى أرسله الى مصر مددا لعمرو بن العاص حيث كتب اليه يقول : « إنى قد أمددتك بأربعة آلاف على كل ألف رجل بمقام ألف » ، وكان الزبير رضى الله عنه أحد القواد الأربعة ، وكان جيش المسلمين إذ ذاك

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

بجانب جبل المقطم، وجيش الروم داخل حصن منيع حوله خندق محكم الأبواب، فلما طال المقام وأبطأ الفتح وضع الزبير سلما الى جانب الحصن وصعد عليه وتبعه كثير من المسلمين، وكان ذلك ليلا، فلما صاروا داخله كبر الزبير وكبر من خلفه ووضعوا السيف فى حاميته، وفر الباقون من أمامهم، وتم لهم فتح الحصن على يد الزبير بعد أن مكثوا حوله سبعة أشهر تقريبا .

مقتله رضى الله عنه :

روى أنه شهد وقعة الجمل مع عائشة أم المؤمنين مقاتلا لعلى بن أبى طالب، فناداه علىّ على انفراد وقال له : أتذكر إذ كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى وضحك وضحكت، فقلت أنت : لايدع ابن أبى طالب زهوه، يعنى كبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمزه ولتقاتلنه وأنت له ظالم ؟ فتذكر الزبير ذلك، فانصرف فى الحال عن القتال ونزل بوادى السباع ليصلى . فجاءه عمرو بن جرموز المجاشعى فقتله غدرا، ثم جاء بسيفه الى على فاستأذن فلم يؤذن له . ولما تناول على سيف الزبير نظر إليه مليا ثم قال : رحم الله الزبير لطالما فرج به الكرب عن وجه النبى صلى الله عليه وسلم ! ثم قال بشروا ابن جرموز بالنار فانى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : بشروا قاتل الزبير بالنار .

ولما مات رثته امرأته بقولها :

غدر ابن جرموز بأشجع فارس يوم الهياج وكان غير معدد
ياعمرو لو نبهته لوجدته لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد

وقال جرير ينعى على القاتل جرمه :

إنى تذكرنى الزبير حمامة تدعو ببطن الواديين هديلا
قالت قريش ما أذل مجاشعا جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا
لو كنت حرا يا ابن قيس مجاشع شيعت ضيفك فرسخا أو ميلا

وكان مقتله رضى الله عنه يوم الخميس لعشر مضت من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين من الهجرة، وعمره سبع وستون سنة . وقبره ناحية البصرة بوادى السباع . والله أعلم ؟

سيد أحمد متولى الشيخ
من علماء الأزهر برشيد

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

التطبيب فى الاسلام

بدأت جميع الأمم عهد التطبيب بالخلط بين هذه الصناعة والعقائد الخرافية ، إلا الأمة الاسلامية ، فقد بدأتها على ما هى عليه اليوم من الاستقلال الفنى ، والدستور العلمى . وهذه ميزة من ميزات الأمة الاسلامية الكثيرة ، وهى من أكبرها شأنا فى رأينا نظرا لاجماع الأمم القديمة على الخلط بين الطب والروحانيات والشعوذة .

نعم إن عامة الأمة الاسلامية فى عصور بعيدة وقريبة أخذوا إخْذَ الأمم الأخرى فى هذا التخليط من طريق العدوى ، ولكن خاصتهم ظلوا أوفياء لدينهم فلم يقعوا فى هذا الوهم .

ولما كان هذا الموضوع شائعا من جهة أنه يرينا ناحية من نواحى العقلية الانسانية فى سذاجتها الأولى ، رأينا أن نلم بتاريخ الأمم حيال هذه الصناعة الكريمة .

الطب عند المصريين القدماء :

كان للطب عند المصريين القدماء شأن عظيم ، وكان له أقطاب صرفوا العمر فى دراسته ، والتنقيب عن أسراره فى الهياكل والمعابد . وقد وصل الينا شىء كثير منه مدونا على ورق البردى . وقد عنى بأمره الباحثون فى قراءة الخط الهيروغليفى ، وترجمه الى العربية العلامة الأثرى أحمد كمال باشا رحمه الله .

قال العلامة كليمان الاسكندرى ، وهو ممن لهم اطلاع واسع على معارف المصريين القدماء : إن العلم المصرى كان مدونا فى دائرة معارف رسمية تقع فى اثنين وأربعين مجلدا ، وكانت الستة الأخيرة منها خاصة بعلم الطب ، وكانت عنواناتها هكذا : تركيب الجسم الانسانى ، الأمراض ، الأعضاء ، العلاجات ، أمراض العين ، أمراض النساء . وقد ضاعت هذه الكتب ولم يبق منها شىء .

أما ماوجد من أوراق البردى فهما مجموعتان ، إحداهما ببرلين وكانت موضوع بحث دقيق من العلماء هنالك . وثانيتهما أوراق العالم (إيبر) وعدد صحفها ١٠٨ ، وقد ترجم منها صاحبها نفسه جزءا . أما الدكتور جوهاشيم فقد ترجمها كلها وجعل عليها تعاليق . من هذه الأوراق ما كتب نحو سنة ١٥٥٠ قبل عيسى عليه السلام ، ويؤكد الأستاذ إيبر أن أوراقه هذه هى الجزء الرابع من دائرة المعارف المصرية القديمة ، وهى عبارة عن مجموعة وصفات علاجية ، ولكن الباحثين فى العلوم المصرية يخالف أكثرهم إيبر فى اعتقاده هذا .

أصل الطب فى اعتقاد المصريين : وحى إلهى ، أو علم ملكى ، فيقولون : إن (توت) أى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(هرمس) الذى يشبه اسكولاب عند اليونان ، هو الذى أوحى العلوم ، ومنها علم الطب ، الى المصريين ، وكان يعرف بأنه مستودع الأسرار السحرية .

كان فراعنة مصر كلفين بتعلم الطب ، فان الملك (نيتى) ابن الملك مينيس عرف بتأليفه كتابا فى علم التشريح ، وهو من ملوك الأسرة الأولى . واشتهر الملك نيخوروفس من الأسرة الثالثة بوضعه رسالة فى الطب .

كان جمهور أطباء المصريين من طائفة الكهنة ، كما كان الشأن فيما يتعلق بعلم الفلك والشريعة وغيرها . وكان الطلبة يأخذون العلم من المعابد ، وأشهرها معبد منفيس وطيبة وسابيس وشينو . وكانوا يحملون المرضى الى الهياكل لأجل العناية بهم هنالك .

كان للاطباء المصريين امتيازات مثل إعفائهم من الضرائب ، وكان الناس يحملون اليهم هدايا بدل الأجور . وكان منهم من هو موظف فى الحكومة تنقده أجرة فى كل شهر ، وكان الناس يستشيرونهم بدون أجر . ولكن عدم إمكان الطبيب المصرى تخطِّى ما فى الكتب المقدسة من الأصول ، تفاديا من عقوبة القتل ، كان حائلا دون تقدم علم الطب عما وصل اليه عند تدوينه فى الكتب .

كان علم التشريح متأخرا جدا عند المصريين القدماء ، وبراعتهم فى تصبير الجثث لم يكسبهم كبير شىء فى معرفة أعضاء الجسم الداخلية . فان المشتغلين بهذه الصناعة كانوا محتقرين جدا فى نظر مواطنيهم ، وكان عملهم لا يتعدى استخراج أحشاء الجثث المهيأة للتصبير . وهذا لا يفيدهم شيئا من حقائق علم التشريح .

كان المصريون يعتقدون ، كسائر الأمم فى عصرهم ، أن أسباب الأمراض أرواح شريرة تستولى على الأجساد فتمرضها . وكانت مرامى الطب عندهم إخراج العامل المرضى من الجسم ثم إصلاح ما فسد منه ، ولذلك وصف لهم خواص النباتات ودعاهم لتعاطيها .

أما الرُّقَى فقد كانت أهم أركان الطب لابعاد الأرواح الشريرة عن الجسم .

الطب عند الكلدانيين والأشوريين والبابليين :

يوجد تشابه كبير بين الطب عند هذه الأمم وبينه عند المصريين ، فقد كانت الرقى والتعزيمات أساس الطب عندها ، كما كانت عندهم . ولكن هنالك دلائل تدل على أن الطب عندها لم يكن مقصورا على الطرق السحرية فقط . فقد روى هيرودوت أن المريض عند البابليين كان يعرض على جمهور الناس ليصف له من يكون أصيب بمثل مرضه العلاج الذى شفى به . ولكن ظهر فيما بعد أن كلام المؤرخ هيرودوت خطأ ، فإنه كان لدى البابليين والأشوريين أطباء من غير هؤلاء ، كما كان لدى المصريين .

... اء الكلدانيون فكانوا من طائفة السحرة ، وكانت قوتهم كلها تنحصر فى ...

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الصناعة ، فكان جل اهتمامهم موجها الى معالجة المريض بالرق ، ولكنهم مع هذا كانوا يصفون له تعاطى بعض الأعشاب .

كانت عقيدة الكلدانيين أن الناس محاطون بالأرواح من جميع الجهات منهم الطيب والخبيث ، وكانت الطائفتان فى حرب مستمرة ، وكانت جميع الأمراض تعزى للأرواح الخبيثة .

الطب عند الصينيين واليابانيين :

يقول الصينيون : إن الطب ظهر عندهم من زمان بعيد جدا ، فانهم يزعمون أنه كانت لهم حدائق لتربية النباتات الطبية قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة . ويقولون بأن الامبراطور (هوانج تى) ألف لهم كتابا فى الطب حوالى سنة ٢٦٠٠ قبل المسيح . وهذا الكتاب باق عندهم الى اليوم فيما يدعون .

وقد استفاد الأوربيون من معارفهم الطبية ، فذكر القس (دوهالد) الاطباء الصينيين وأثنى عليهم ، وذكر (القس جروزييه) بأن العالم (بوردو) أخذ مباحثه فى النبض عن الكتب الصينية .

كان أكثر اهتمام الصينيين موجها الى إتقان علم المادة الطبية . وكتابهم المسمى (بنتاو) يذكر ١١٠٠ مادة ويسرد خصائصها العلاجية ، وهو يعتبر كنز المادة الطبية لديهم .

أما الطب عند اليابانيين فقد كان مقتبسا من طب أهل الصين ، وكان مختلطا بالعقيدة فى تأثير الأرواح الشريرة فى أجساد الناس .

الطب عند الهنديين :

كان الطب عن أهل الهند بيد الكهنة البراهمة ، وقد عرف اليونانيون القدماء أيام مدنيتهم بأن الطب الهندى أرقى من طبهم ، ولكنهم لم يبينوا وجوه هذا الرقى ، فقد تكلم ابقراط كثيرا عن علاجاتهم ، وكان تيوفراست اليونانى يذكر أعشابا طبية أخذها عنهم .

كان الطب عند الهنود بيد رجال الدين كما قلنا ، وكانت أركانه قائمة على قواعد وهمية ، وكتبهم الدينية تشهد بذلك ، فهى ملأى بالتعزيمات والرقى والوصفات السحرية .

وفى كتابهم المسمى (ريجفيدا) تنويه بخصائص شفائية لأعشاب كثيرة ، وتجد بجانبها دعوات تتلى لازالة كثير من الأمراض ، وهذه الدعوات يجب أن توجه لآلهة الشفاء ، أو الى العلاجات نفسها .

ثم ظهر لديهم العلم الطبى بمعناه الصحيح على يد جماعة البراهمة أنفسهم . أما زمن ظهور هذا العلم عندهم فما لا يستطاع تعيينه ، ولكنه مع ذلك لم يخل قط من الاختلاط بعقيدة الأرواح الشريرة ، فان عنها فصولا مطولة فى أكبر الكتب الطبية هنالك .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الطب عند الاسرائيليين :

كان الطب عندهم محتكراً لرجال الدين، ولم يكن لعلم التشريح عندهم من اعتبار، فان الاسرائيلى كان يستنكر أن يشرح جثة لتحريم الدين عليه ذلك ، بل كان لا يستطيع أن يلمس جثة إنسان أو حيوان ، وإلا اضطر أن يتطهر .

أما عقيدة اليهود فى الأمراض فى العهد الموسوى ، فكانت أنها عقوبة مرسلة من الله تعالى . فاذا انتشر الطاعون بينهم قالوا إن ذلك نتيجة عصيانهم للأوامر الالهية . وكان بعضهم ينذر بعضا بفشو الأمراض كلما ناقضوا الناموس الالهى ، وكان ذلك يقوم فى نظرهم مقام الانذار بالعذاب الأخروى الذى كانوا ينوهون به فى مواعظهم .

ومع هذا فقد كانوا يعزون بعض الأمراض لأسباب طبيعية ،كتراكم الصفراء أو فساد الهواء أو تغيرات الجو أو عصيان قوانين الصحة أو حلول عفريت بالجسم لا دواء لاخراجه إلا الرقى والتعزيمات .

وقد وجدت فى التامود ، وهو كتاب الشرع اليهودى ، مبادىء عامية طبية لسير الأمراض وتشخيصها وأزماتها وغير ذلك .

الطب عند الفرس :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

يصعد تاريخ الطب عند الفرس الى نحـو القرن الرابع قبل المسيح عليه السلام ، وأصوله الأولية مذكورة فى كتابهم المقدس المسمى زندا فستا ، وهذا الكتاب أحدث عهدا من كتب الفيدا الهندية المقدسة . والذى يختص بالطب من كتاب زندا فستا فى الطب هو الفصل الذى عنوانه فنديداد ، وخاصة تحت عنوان فرجاد .

كان الطب عند الفرس خليطا من التعزيمات والرقى وشىء من المبادىء الطبية العاميـة . وعندهم أن إله الشر افريمان أطلق جميع الأمراض وسلطها على الناس ، وعارضه ارموزد إله الخير وعلم الناس جميع الأدوية الضرورية لحفظ صحتهم .

الطب عند اليونان :

لم يبدأ الطب عند اليونانيين بحياة أبقراط ، فقد كان موجودا قبله ، بدليل أن أبقراط نفسه كان ينقل عن مؤلفات سابقة عهده ، ولـكن فضل أبقراط ينحصر فى تخليص هذا العلم مما كان اختلط به من الشعوذة والعقائد بالأرواح الشريرة .

الـكتب التى ألفت قبل عهد أبقراط معدومة الآن ، فليس لنا أقدم من كتب هذا الطبيب .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والذى نعلمه أن الطب قبله كان فى أيدى كهان اسكلبياد فى هيكل اسكولاب، ولكن كان بجانب هؤلاء أطباء من غير طائفة الكهان ساعدوا على نشر صناعة الطب .

كان الطب فى مبدأ تكونه عند اليونانيين سحريا وسائله الرقى والتعزيمات، فكان من الصناعات السرية التى يحرص عليها رجال الدين . وكان المريض ينقل الى المعبد فيزوره فيه الاله فى زعمهم ، ويرى ليلته تلك من الرؤى ما يدل تعبيرها على دائه ودوائه .

ثم لما نبغ الفلاسفة من أمثال أنا كزيماندر وبارامنيد وهيرا كليت وغيرهم، نظروا فى طبيعة الانسان وتناولوا الكلام على صحته ومرضه ، وما يصلح له من الأغذية والأهوية والأحوال وما لا يصلح .

فلما جاء فيثا غورس اشتغل بالطب، ويظن أن الفيلسوف أمبيدوكل كان طبيبا أيضا، ولكن لم يبق لنا من كتبه شىء .

ثم توالى فلاسفة بذلوا لعلم الطب معظم أوقاتهم ، فبحثوا فى خواص الأعشاب وتأثيرها على الجسم ، وفى آثار الأهوية ، ولم يهملوا النظر فى أدوار الأمراض ومضاعفاتها حتى بلغوا شأوا بعيدا ظهر بأجلى مظاهره فى مدرسة الاسكندرية التى أسسها بطليموس الأول والثانى ملكا مصر من اليونانيين ، وكان أنبغ طبيب ظهر منها جالينوس .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الطب عند الرومانيين :

لما قامت الدولة الرومانية انتحلت الطب اليونانى مختلطا بكثير من الخرافات .

أما الطب العلمى فلم يصل الى الرومانيين إلا على يد الطبيب اليونانى أركاجانوس بن ليزانياس سنة (١٩٢) قبل المسيح ، فقوبل باحتفاء كبير ، ولكنه لم يلبث أن سقط الى الحضيض لخطئه فى بعض الأعمال الجراحية . ولكن جاء بعده أطباء آخرون من اليونانيين أيضا فثبتت أصول الطب العلمى وأزهر فيها .

الطب عند العرب الجاهليين :

لم يكن العرب محصورين فى شبه جزيرتهم قبل الاسلام ، ولكنهم اتصلوا بالفنيقيين وسكان آسيا الصغرى والجزيرة ، وهاجر اليهم يهود من أقطار مختلفة كانوا على صلة بالعلوم . فتعلم الطب من الجاهليين أفراد إشباعا لشهوة علمية ، ولكنهم لم يستطيعوا نشر ماعرفوه فى أمتهم لانصرافهم عن غير ما ألفوه ، منهم الحرث بن كلدة ، كان تعلم الطب فى بلاد الفرس .

فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم وحض العرب على التعلم والأخذ بأسباب النهوض والارتقاء ، لم يدعوا شيئا بعد قيام دولتهم يمكن تعلمه إلا أخذوه وحذقوه وزادوا عليه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلم ينته القرن الثانى حتى كانت بلادهم مطمح أنظار المستفيدين فى كل فرع من فروع العلوم ، ومنه الطب الذى برزوا فيه وأوصلوه الى درجة من السمو لا يزال معها محل إعجاب الأطباء المعاصرين .

ولو كنا هنا بصدد الاتيان على تاريخ الطب لديهم لبيّنا مبلغ ما وصلوا اليه من إتقان هذه الصناعة ، ويكفى فى الدلالة عليها أن ملوك أوروبا وكبراءها كانوا يقصدون عواصم المسلمين للتطبب فيها بواسطة أطبائها .

ولكن الذى يعنينا أن الدين الاسلامى ، خلافا لما يروى عن سائر الأديان ، هو الذى جرد علم الطب من خرافاته للآخذين به ، وأن أئمته الأولين جروا على هذا السمت فلم يخلطوا بين الماديات والروحانيات فيما يتعلق به .

لقد فرض الله على الآخذين بدينه جميع الأصول التى يعتبرها الطب الرسمى اليوم القواعد الأولية التى تصلح لدفع جميع الأمراض البدنية ، كالنظافة الجسمية ، وتحرى الطيبات فى المأكل والمشرب وترك الخبائث ، وعدم الاسراف فى تناول الطيبات نفسها ، وعدم تعريض النفس للهلكة ، والاعتدال فى جميع المطالب الجسمية ، والأخذ باليسر حتى فى العبادات ، وكل هذه الأصول تعتبر قواعد مقررة لحفظ الصحة .

ولم ينوه الكتاب الكريم فى أى معرض من معارض الشئون الى الأسباب الروحانية ، إلا فى ناحية الاغراء على الشرور والآثام ، ولكنه ناط علاجها بقوة الارادة الانسانية فقال تعالى : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » أى تذكروا أوامر الله ونواهيه فأبصروا تضليل الشيطان فأقلعوا عنه . أما ما أمر به من الاستعاذة بالله ، فذلك باعتبار أنه مصدر كل قوة ، والملتجأ اليه يمده منها فيقوى على وسوسة الشيطان . ففزع الانسان فى كل هذا موجه لإرادته الشخصية لا لخاصة سحرية فى الألفاظ . وليس فى الكتاب آية واحدة تشير الى الالتجا الى التعزيمات والرقى لدفع الأمراض ، بل فيه ما يشير الى الالتجا الى بعض المواد لدفعها ، فقال عند ذكر العسل : « فيه شفاء للناس » .

أما السنة ففيها كل البيان فى هذا الشأن : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « تداووا أيها الناس فان الله لم يخلق داء إلا خلق له دواء » . وهذا تصريح بأن المرض لا يلجأ فيه إلا الى الدواء لا الى المعزمين والراقين . ولما مرض أبو بكر مرضه الأخير قالوا له : أنلتمس لك طبيبا ؟ ولم يقولوا له أنلتمس لك راقيا ؟

ومما نطرف به القراء هنا أن الاسلام أول من سن وجوب التمييز بين الطب المقرر المستمد من العلوم والتجارب ، وبين الدجل الذى يدعيه بعض الناس لاستدرار أموال الناس بالباطل ، فقال عليه الصلاة والسلام : « من تطبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن » أى مطالب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بما يحدث من ضرر بالمريض ، وهذا بلا شك مبدأ يستند إليه فى تحريم مزاولة الطب على غير الذين درسوه فى كلياته الرسمية .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توصيات بتعاطى بعض العقاقير كالعسل وزيت الزيتون والشونيز وغيره ، ولم يروعنه شيء فى منفعة الرقى والتعزيمات .

نعم : إنه كان يرقى الأطفال ، ورقياه لا تخرج عن الدعاء لهم وتلاوة شيء من القرآن تبركا به ، باعتبار أنهم كائنات ضعيفة لا إرادة لهم ولا قوة . ولـكن لم يوجد فيما كان يرقى به اسم لشيطان أو ملك أو مناجاة لروح كوكب .

وليس الأمر فى الاسلام واقفا عند هذا الحد ، بل حرم النبى صلى الله عليه وسلم لبس الطلاسم والتمائم ، حرصا منه على مبدأ عدم التعويل إلا على الأسباب المعروفة ، وابتعادا عن وساوس الأقدمين وخزعبلاتهم .

فالطب ولد فى الاسـلام على الطريقة المثلى التى قام عليها فى العهود العلمية ، لذلك عول المسلمون إبان نهضتهم على كتبه المقررة ، فترجموها الى لغتهم ، وأخذوا بما فيها وزادوا مادتها .

نعم قد أخذ المسلمون من لدن القرن الثانى والثالث إخذ الأمم الخالية فى التعويل على التعاويذ والطلاسم والتمائم ، سرى اليهم ذلك مما ترجموه من كتب السريان والـكلدانيين والأنباط وغيرهم ، ولـكن ما اقترفوه من ذلك ليس من الاسلام ، وقد ذاقوا مرارته بما ابتنى على ذلك من انتشار الدجاجلة وفتكهم بالناس بأساليبهم المضللة ، والحـكومات الاسلامية جادة اليوم فى الأخذ على أيديهم ، ولا يشيننا وجودهم ، فأوربا وأمريكا لا تخـلوان من أمثالهم مع بلوغ علم الطب فيهما أوجه الأعلى ؟

محمد فريد وجدى

ما يصفو به ود المتوادين

قال عمر بن الخطاب أمير المؤمنين : ثلاث يصفو بها ود أخيك : تسـلم عليه إذا لقيته ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه اليه .

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث : فى نكبته ، وغيبته ، ووفاته .

وقال أبو العتاهية :

أحب من الاخوان كل مواتى … وكل غضيض الطرف من عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أريده … ويحفظنى حيا وبعد مماتى
ومن لى بهذا ليت أنى وجدته … فقاسمته مالى من الحسنات

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الدروس الدينية

خطوة موفقة فى سبيل التوفيق بين المذاهب

إن السنة الكريمة التى سنها حضرة صاحب الجلالة الملك الفاروق فى الاستماع الى الدروس الدينية ، تعتبر بحق حادثا جللا فى العالم الاسلامى الحديث ، سيكون من آثارها المباشرة يقظة العاطفة الاسلامية فى نفوس الأمم الآخذة بهذا الدين ، والرغبة فى استجلاء روحه الصحيحة ، وأصوله العالمية القويمة ، ولفت الرجال الذين تضلعوا فى علومه الى القيام بواجباتهم الاجتماعية ، وتقريب مسافة التباين بينهم وبين الذين يتربون تربية دنيوية . ولما كان هذا لا يمكن أن يكون إلا من طريق التناسب العقلى ، والترابط العامى بين الفريقين ، فسيثمر هذا الجهد انقلابا خطيرا فى وسائل الفهم ، وطرائق تجلية الأغراض الاسلامية ، ودعمها دعما فلسفيا يستهوى عقول المستمعين ، ويستنزل إعجابهم واستحسانهم . والأصول الاسلامية متى جليت على هذا النحو أسرت النفوس ، وبهرت الألباب ، واستولت بسموها على الميول والعواطف ، ولا يكون لتيارها حد يقف عنده ، وخاصة فى هذا العصر حيث وهنت التعصبات المذهبية ، واسترخت عرى المعتقدات الوراثية ، وتطلعت الأرواح لعقيدة سامية يثلج عليها الصدر ، ويشهد لها العلم .

وكان من فضل الله أن وافقت رغبة جلالة الملك فى سن هذه السنة الكريمة عهدَ حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ المراغى ، فلقد قام من هذه الناحية بما اعتبر تجديدا باهرا فى حسن البيان ، وجمال الأداء ، وجلال الموضوع ، فكان عند ظن الناس بعلو كعبه فى المعارف الدينية ، وسعة اطلاعه فى العلوم الاجتماعية . وكان أثر هـذا كله أن افتتن الناس قاطبة بهـذه الدروس وعلى رأسهم كبار العلماء وشيوخ الكليات والطلبة . ولم يروا بدا من أن يولوا وجوههم شطر الأستاذ الامام طالبين اليه الاستمرار فى إلقاء هذه المحاضرات .

جال الأستاذ الامام فى دروسه فى نواحى شتى مما يهم النفوس من أسرار الدين ، وأصوله العلمية ، وفيما له صلة بالعالم الانسانى ومراميه الأدبية ، فتأدى من ذلك الى اختلاف المذاهب ، ونشوء الفرق ، وما ابتنى على ذلك من انفصام وحدة المسلمين ، ووقوع الشقاق بينهم ، فبين فضيلته الأسباب التى دعت الى ذلك ، والبواعث التى أوجبته ، ورأى أن هذا التخالف يمكن تداركه الآن ، أو على القليـل حصره فى دوائر ضيقة لو تولى أمره مجمع شرعى يؤلف خصيصا لهذا الغرض من أعلام الدين ، وحفظة بيناته .

مطلب جليل القدر ، بعيد الأثر فى جمع كلمة المسلمين ، وتوحيد وجهاتهم ، وتعيين غايتهم ، وإعداد نفوسهم لفهم مرامى الاسـلام ، وتحقيق مقاصـده ، وحسم ذريع لمادة الخلاف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التى لا يصح أن توجد إذا راعى المسلمون الأصول العلمية والفلسفية التى بثها الحق فى كتابه ، وطالب الناس بالأخذ بها .

إن الذين يعرفون تاريخ الاسلام يدركون أن هذا الخلاف الذى وقع فيه المسلمون من لدن القرن الأول للهجرة جر حروبا سالت فيها الدماء أنهارا تحت اسم حروب الخوارج . ولو أنعمنا النظر فى الخلافات التى أدت الى كل هذه المجازر ، وجدناها خلافات سياسية ، تولدت من اختلافات فى وجهة النظر فيمن هو أحق بالخلافة : أبو بكر أم على ؟ وفى مسألة التحكيم بين على ومعاوية : هل يصح أم لا يصح ؟ وقد انقسموا الى ستة مذاهب رئيسية ، وهم الأزارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والاباضية والثعالبة ،وهى أسماء منحوتة من أسماء زعمائها . وقد انقسمت هذه الفرق الى فروع كثيرة ، يجمعهم القول بالتبرؤ من عثمان وعلى ومن كل مرتكبى الكبائر من المسلمين . ومن الغريب أن الحوادث التى اقتضت ظهور هذه المذاهب قد انقضت ولم تنقض المجادلات حولها بين المسلمين ، وكثيرا ما حملتهم على تحكيم السيف بينهم وإزهاق الأرواح البريئة .

أليس مما لا يتفق وأبسط أحكام المنطق أن يمضى على أبى بكر وعلى رضى الله عنهما أكثر من ألف وثلاثمائة سنة ، ولا تزال الأحقاد متأججة فى صدور أنصار كل منهما ؟ ألم يقرأ الناس بين حين وآخر أن قتالا قد حدث فى الهند بين الشيعة وأهل السنة جرح من الطرفين وقتل كذا وكذا ؟ هل هذا من الاسلام ، بل هل هذا من العقل ؟ ألم يقل الكتاب وقد ذكر الانبياء السابقين : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون » ؟ فلو كان لدينا هيئة شرعية مؤلفة من كبار أئمة الدين كما يرتئيه فضيلة الاستاذ الامام لنبهت أولئك المتعصبين الى خطئهم ، ووقتهم شر ما يجنون على أنفسهم ودينهم .

ثم جاء دور علم الكلام من لدن القرن الثانى للهجرة فادى الى انفراج فى الآراء ، وخلافات فى وجهات النظر ، اشتغل بها أهلها أجيالا ، ودعت الى نشوء أكثر من سبعين فرقة ليس بينها وبين ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصغر صلة ، جمعت كل ما يمكن أن يطوف بالعقول من الخزعبلات ، حتى إن منها من زعم أن طول الخالق سبعة أشبار ، وأنه جالس على عرش ، وأن العرش ليئط من تحته . ومنها من وصل الى الاباحة الصرفة الخ الخ .

هذه المذاهب إن لم يكن لها أشياع ظاهرون فى مصر ، فهى موجودة فى بقاع أخر لا تزال تعمل على إفساد عقلية المسلمين الى اليوم .

بقيت المذاهب الفقهية ، وهذه لا غبار عليها ، أسسها رجال كانوا مثلا عليا فى العلم والورع ، وهى التى تتوزع المسلمين اليوم فى جميع أقطار العالم ، ولكنها مع سلامة جوهرها من كل شائبة أدت الى فتن بين أشياعها فى أدوار شتى ، وسالت بين أهلها دماء غزيرة فى بقاع كثيرة من الأرض ، وقد كان حصة مصر منها موفورا ، فكثيرا ما أدى الجدال بين الشافعية والحنفية ، وبينهم وبين الحنابلة ، الى معارك سالت فيها الدماء . فاذا كانت قد هدأت هذه الثائرة بينهم منذ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نحو جيل فما ذلك إلا بسبب التطور الذى حدث فى العقول فى مدى القرن الأخير . وهـذا التطور نفسه هو الذى يلهم النفوس اليوم وجوب تضييق مسافة هذه الخلافات .

ولو تَعَرَّفنا حقيقة هذه الحاجة النفسية لوجدناها تعنى المطالبة بالعمل بحصتنا من النظر فى أمور الدين ، كما عمل أسلافنا بحصتهم منه . فاذا كانوا قد عملوا به فرادى جريا مع سنة العصر الذى كانوا فيه فبلغوا غايات بعيدة من الاصابة والتحقيق ، فنحن نرجى أن نعمل به مجتمعين جريا على سنة عصرنا الحاضر ، ليكون عملنا أدعى الى الرضاء العام ، وأفعل فى الوصول الى الحقائق الاجماعية . فاذا لم نستطع أن نحصل على توحيد المذاهب فاننا نستطيع أن نضيق شقة الخلاف بينها كما يقول فضيلة الأستاذ الامام .

الاسلام دين مبنى على النظر المستقل ، والرأى الحر ، فهو يكره التقليد وينعى على المقلدين ، ويطالب كل جماعة بالعمل فى حدود الأصول العامة التى رسمها لها ، وقد صرح جميع الأئمة بأنه لا يجوز للقادرين على النظر وتقدير الأدلة أن يأخذوا بما قالوه تقليدا دون نظر ولا تمحيص . فماذا يعنى بعد ذلك إهمالنا لذلك كله ، وتعطيلنا أشرف موهبة وهبها الله للناس وهى النظر والتعقل ؟ هل يعنى شيئا غير أننا نريد أن نعفى أنفسنا من القيام بنصيبنا من إقامة صرح الدين ، لنكون عالة على من تقدمنا ، فى عصر لا يغفر لأمة فيه أن تقوم على هذه الحالة ، اللهم إلا إذا كانت تريد من وراء هذا الاهمال أن يصبح الدين ، بسبب ما تسرب اليها من الشك فيه ، أثرا من آثار أسلافها ، لا عنصرا عاملا فى تكييف وجودها ؟

إن كل شىء فى الأمم الحية يحتاج للتجديد ، إن لم يكن فى جوهره ففى أسلوبه ، وفى عرضه ، وفى لهجته ، وفى أدلته ، وقد بدأنا نأخـذ حظنا من هـذه السنة فى لغتنا وآدابنا وعاداتنا ووجهات نظرنا ، أفنهمل هذا بالنسبة لأشرف حاجات النفوس وهو الدين ؟ وقد صرح النبى صلى الله عليه وسلم بأن التجديد من طبيعة الاسلام ، فقال : « إن الله يرسل على رأس كل مائة من يجدد لهذه الأمة دينها » . وكيف يحصل هـذا التجديد إذا لم يكن بالنظر فى كل ما تركه لنا الأولون ، والعمل على توحيده وتنسيقه وتقوية أدلته وتدارك ما جد مما لم يكن له وجود على عهدهم ؟

ومن الذى يستطيع هذا كله غير جماعة تقوم عليه تختار من أعلم الناس بالدين وعلومه من جميع الشعوب الاسلامية ؟

هذا ما أراده الأستاذ الامام فى أحد دروسه الدينية ، وأقسم أنه لم ترتفع دعوة إصلاح فى جـواء العالم الاسلامى فى أى عهد من عهوده أرفع من دعوة فضيلته هذه ، فعلى المسلمين أن يدركوا ما تعنيه هذه النزعة الشريفة ، وليعلموا أن هـذه الدعوة إن لم تثمر ثمرتها اليوم ، فستتحقق غدا ما دام المسلمون يريدون أن يبقى دينهم حيا ، يحفز الى المكانات العلى شعوبا حية ، وهو جدير بذلك وهم يشهدون .

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفد علماء كلية الشريعة عند الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر :

عقد علماء كلية الشريعة ، صبيحة ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٧ اجتماعا فى دار الكلية ، ضم طائفة من حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء جماعة كبار العلماء ، وتباحثوا فى الموقف الذى يصح أن يقفه علماء الأزهر حيال استمرار فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى إلقاء الدروس الدينية فى المساجد العامة التى افتتحها فضيلته فى شهر رمضان المبارك ، ورغب جلالة الملك فى حضورها .

وقد ألفوا وفدا وضع التماسا يتضمن رغباتهم ، وقصد الوفد الى إدارة المعاهد الدينية ، حيث قابل أعضاؤه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام شيخ الجامع الأزهر راجين أن يتفضل برفع شكرهم لحضرة صاحب الجلالة على ندائه الكريم للمسلمين يوم أول رمضان حثا لهم على القيام بفريضة الصيام ، وعلى حضوره الدروس الدينية .

وعلى أثر تقديم الالتماس وقف فضيلة الأستاذ الشيخ محمد هلال الأبيارى عضو جماعة كبار العلماء وألقى كلمة مستفيضة استهلها بتعداد ما أصاب الأزهر والأزهريين من مختلف الويلات والمصائب حتى كاد الأزهر يتردى فى الهاوية ، لولا أن قيض الله له إماما رفيع المكانة عظيم القدر .

وأعقبه فضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى وألقى كلمة فى مثل هذه المعانى .

كلمة فضيلة الأستاذ الامام :

حضرات الإخوان :

أحييكم أطيب التحية . وبعد: فانه يسرنى جدا أن أرى فيكم هذا الشعور ، شعور الاعتراف بالجميل ، وإن كنت أعتقد أنى فيما أعمله وما عملته الى الآن لم يكن إلا القيام بالواجب على كل مسلم أن يقوم به ، ومع ذلك فهو الى الآن لم ينتج ثمره الذى يرجوه المسلمون .

نعم : أعتقد أننا فى بداية الطريق . وأقول لكم إن القيام بواجب نشر دين الله لا يكفى فيه المجهود الفردى ، وإنما يحتاج الى تضافر جهود المسلمين وأولى الرأى جميعا ، وإنه ليسرنى منكم هذا الشعور الذى جعلنى أعتقد أن مهمة نشر الدين تحل المحل اللائق بها ، وأنها آخذة فى الازدياد .

ولقد سمعت من خطبائكم ما يفيد أن ناسا لا يسرهم قيام المسلمين بنشر دينهم ويخشون شيوع الروح الدينى بين المسلمين .

وأنا لم يبلغنى هذا من طريق موثوق به ، لذلك فانى على فرض حصوله أتجاهله ولا أفرض وجوده ، لأنى لا أفهم أن مسلما يسوءه نشر دين الله فضلا عن أن يقيم العراقيل فى طريق ذلك .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إن لكل شيء مهمة فى هذه الحياة عليه أن يؤديها ، تلك هى طبيعة الوجود ، فاذا وجد شيء لا يقوم بتلك المهمة كان من الواجب أن يزول .

والأزهر كائن حى ، عليه واجب ، وله مهمة عليه أن يؤديها ، ولقد تلقى عن السلف الصالح ميراثا هو نشر كتاب الله ولغته وسنة رسوله ولغتها والعمل على إحيائهما . فإذا لم يقم بذلك وجب أن يزول من الحياة وكان من العبث بقاؤه .

واختتم فضيلته كلمته بقوله : إن مولانا الملك حفظه الله يسره ، ويرى من أجل أمانيه ، أن يكون الخادم لدينه ، والشديد العطف على أهله . وإنى أبتهل الى الله أن يحفظه ذخرا للدين وعاملا على إحيائه . وإنى أشكر لكم هذه الزيارة وهذا الشعور الطيب .

وفد كلية أصول الدين فى رياسة الأزهر لشكر جلالة الملك

خطبة جامعة لفضيلة الأستاذ الامام

وقصد الى رياسة الأزهر بعد ظهر ١٦ ديسمبر سنة ١٩٣٧ وفد من أصحاب الفضيلة علماء كلية أصول الدين نيابة عن علمائها لرفع شكر العلماء وولائهم لصاحب الجلالة الملك .

وكان الوفد برياسة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى وكيل الكلية فالقى كلمة عن الدروس الدينية ، وعن العواطف الدينية الشريفة التى يبديها جلالة الملك ، وعن واجب الأزهر فى الدعوة الى دين الله وتنقية عقائد المسلمين مما يعلق بها من البدع والخرافات ، ويظهر دين الله على فطرته الأولى من الحق .

وألقى بعد ذلك فضيلة الاستاذ الشيخ على محفوظ المدرس بالكلية كلمة أشاد فيها بمناقب جلالة الملك ، وانتقل الى الحديث عن فضيلة الأستاذ الاكبر وذكر ما كان يقوم به السلف الصالحون من الواعظين فى عصور الاسلام :

ثم قدم الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى التماس كلية أصول الدين موقعاً عليه من خمسين عالما

خطبة فضيلة الأستاذ الأكبر :

تحدث خطباؤكم عن صاحب الجلالة الملك فاروق ، ومن حقنا جميعا أن نتحدث بشكره وأن نشيد بفضله :

فلقد جاء جلالته ونفوس المسلمين فى مصر وغيرها متهيئة لليقظة وللاستفادة ، وقلوبهم متوثبة مستعدة للعمل لخير دينهم وأنفسهم ، معتقدين أن ما حاق بالمسلمين من عسف وذل سببه إلا البعد عن الدين وعن العمل به .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جاء الملك فاروق فى هذا الوقت والنفوس متهيئة لذلك ، فقاد هذه الحركة قيادة رجل ماهر حكيم يقظ ، قيادة جاءت عن طبع فيه ، وعن سجية أنشاه الله عليها ولم يتكلفها . فهو ملك خيّر طيب ، مؤمن بالله وبدينه ، وبما فى الاسلام من جمال وجلال وحق . هذه السجايا الشريفة التى لا كلفة فيها، وهذا الاخلاص لله ولدينه ،سيجعلنا بقوة الله نصل الى ماتريده من توفيق وسعادة .

الدروس الدينية ودوامها :

أما الدروس الدينية فانى أعتقد أن إخلاصكم لى ومحبتكم إياى أكبرت من شأنها عندكم بأكثر مما تستحق . فهذه الدروس كانت شرحا لبعض الآيات الكريمة ، قصدت به أن يكون فى المستوى الذى يفهمه الجمهور لا فى المستوى الذى يستفيد منه العلماء . فاذا قابله الجمهور بالحمد والاطمئنان والرغبة فى الزيادة فانى أصدق ذلك وأحمد الله عليه وعلى أنهم أفادوا منه . أما إذا سمعت منكم أن هذه الدروس كانت محل إفادة للعلماء فهو ما أحمله على الظن وعلى محمل رضاكم وإخلاصكم ومحبتكم لى ، وأحمد الله على ذلك أيضا .

وإذا كان الجمهور متعطشا لمثل هذه الدروس ففيكم والحمد لله كثرة من أهل الفضل والعلم والقادرين على ذلك . فيكم كثيرون ممن يستطيعون أن يؤدوا لجمهور المسلمين ما أداه الشيخ المراغى وما لا يستطيع أن يداوم عليه لمشاغله التى تعلمون بعضها ويخفى عنكم كثير منها .

ولذلك أرجوكم وأطلب اليكم أن يقوم كل قادر منكم بواجبه لخدمة العلم والجمهور ، وخدمة هذا المعهد القديم . أرجو هذا منكم كأخ لكم وكشيخ للأزهر ، لا معتمدا على القانون ، بل معتمدا على تقاليد الأزهر لإفادة المسلمين . وأترك لكم أن تسلكوا طريق هذه الافادة الى الناس بما ترون من إلقاء الدروس أو المحاضرات أو المواعظ فى المجتمعات أو فى المساجد أو أمام المذياع .

وإنى لا أتخلف عن أداء واجبى فى ذلك مادمت قادرا عليه .

أيها العلماء :

ما دمنا جميعا نشعر بروابط المحبة والألفة بين قلوبنا ، وتشعر نفوسنا كلها وقلوبنا كلها وإخلاصنا كله بالتوجه الى الله وإلى خدمة دينه والاخلاص للمسلمين فنحن واصلون الى ماننبغى إن شاء الله .

المذاهب الاسلامية :

وبعد أن انتهى فضيلة الأستاذ الأكبر من كلمته السابقة تحدث الأستاذ الشيخ الجبالى[1] عن المذاهب الاسلامية وماتأوله بعض الناس فى كلام الأستاذ الأكبر عنها قائلا : إن هؤلاء

(١) كان الشيخ الجبالى رئيس بعثة الازهر الى الهند .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المتأولين لو شاهدوا ما شاهدنا من الخلافات بين طوائف المسلمين فى الهند لراعهم ما راعنا ولأحزنهم ما اشتد به حزننا على وجود هذه الخلافات بين أبناء ديننا حتى لتسيل الدماء بينهم فى الشوارع لأتفه الأسباب ، وحتى ليكفر بعضهم بعضا .

فقال الأستاذ الأكبر :

إن وجود المذاهب واختلاف الآراء شيء ضرورى لا بد منه ولا ضرر فيه ، ولكن الضرر كله والشر كله من التعصب للرأى والمذهب . وسمعتم وسمعنا ما قاله الأستاذ الجبالى عن الخلافات المذهبية فى الهند .

وقد جاءنى كتاب من العالم الكبير السيد عبد الكريم الزنجانى كبير علماء النجف الأشرف ، شرح لى فيه ما يرى من ضرر هذه الخلافات والخصومات بين المسلمين عن أشياء ما كان يجب أن يوجد عنها خصام .

فهذا الشعور بضرر التعصب للمذاهب والآراء يشترك فيه جميع العقلاء والمصلحين المخلصين فى كل بلاد الاسلام ، وعلى الأزهر واجب عظيم يطلبون منه أن يقوم به .

الانصاف العلمى :

تصوروا أيها العلماء الخلاف الذى وقع بين الشافعية والمالكية عن البسملة وهل هى جزء من القرآن أو ليست جزءاً منه .

تصوروا لو أن هذا الخلاف وقع فى هذه الأيام فماذا تكون الحال ؟

كان أقل شيء يقع هو أن يكفر المختلفون بعضهم بعضا .

هذا خلاف عن القرآن والتواتر ، ومنكرها كافر . وخلاف يتعلق بالصلاة وهى فقار الاسلام . ولكنه حدث وقام بين السلف فلم يكفر بعضهم بعضا ، ولم يمنع أحدهم من الصلاة وراء مخالفه .

ذلك لأنهم كان رائدهم جميعا الانصاف العلمى والاخلاص للحق . فكان المخالف يرى أن صاحب الرأى الآخر يبنى ما رآه على دليل قام عنده أو أثر صح لديه ، ولا يخطر له أنه خالف لشهوة أو غرض . وهذا الانصاف والاخلاص للعلم والحق هما الذى نسعى إليه ، فالخلاف مع الانصاف لا يجر الى التفرق . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى صلاتنا وتوجه الى قبلتنا فهو منا » .

طريق الوحدة :

أمامنا أيها العلماء طريق سديد الى الوحدة : هو أن نعرض آراء المذاهب والفقهاء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على الكتاب والسنة ، وأنتم تعرفون أن كل إمام كان يقول إنه إذا صح حديث لم يكن يصح عنده فمذهبه ما يقضى به الحديث الصحيح .

فإذا فعلنا نحن ذلك وعرضنا ما نجد من آراء الفقهاء والمذاهب على كتاب الله والسنة الصحيحة ، فسنجد بعد حين أن المختلفين قد التقوا فى ساحة الأمان والتوحد .

كان الامام ابن حنبل يقول : إذا كان أمامك مفت واحد فاعمل برأيه ؛ وإذا كان أمامك مفتيان فلاتتبع أحدهمامقلدا ، بل اعرض الأمر على قلبك ، فأيهما أحس قلبك منه الراحة فاتبعه .

وهذا هو أسلوب القرآن ، وهذه حكمته ، فى إعمال الفكر والنظر والرجوع الى موهبة الله بالعقل والبصيرة . والامام ابن حنبل يجعل راحة القلب قائمة مقام الرأى والدليل عند من لا يستطيعهما . وهذه كما ترون حكمة سامية من حكم التشريع والعبادات فى الاسلام .

الاسلام دين يكره التقليد ويدعو الى النظر ، ولكن هناك مسألة تستحق ان نتعرض لها لافادة الناس هى تقليد العوام من مقلدة المذاهب ، فأنا أرى أن المقلد لا يجوز له أن يتحول عن مذهب إمامه فى المسائل التى قلده فيها بالفعل بل عليه الالتزام بها .

فمن كان شافعياً مثلا : يصلى ويتوضأ على مذهب إمامه ، فلا يجوز له أن يعدل عن مذهبه الى مذهب آخر فى الصلاة ، بل يجب عليه الالتزام ، حتى لا يكون متتبعاً للرخص .

أما فى المسائل التى لم يعمل بها على مذهب إمامه فله أن يقلد فيها مذهباً آخر إذا رأى أن دليل هذا المذهب فى هذه المسألة أرجح من دليل مذهبه . ففى المثل السابق يستطيع هذا الشافعى ان يحج على مذهب آخر على الشرط الذى شرطناه .

مجمع تشريعى للمسلمين :

هذه أيها العلماء مسائل فى الفقه الاسلامى مما لم يترك سلفنا الصالح صغيرة ولا كبيرة فيه إلا و فاها بحثا .

ولكن هناك مسائل كثيرة جدت على حياة الأمم والأفراد لم تكن موجودة فى عصور التشريع القديمة ، فلم يتعرض لها الفقه ، ولم يبحثها الاصوليون . ومن رأيى أن مثل هذه المسائل وهى كثيرة هامة ، لا يصح أن نتركها للرأى الفردى ، بل يجب أن تعرض على هيئة من العلماء كمجمع تشريعى لنستطيع أن نسن لها تشريعا ، وأن ندخلها فى نطاق القواعد الاصولية ، ونكمل بها مايحتاجه المسلمون الآن فى حياتهم الخاصة والعامة .

مادام إمامنا فى كل ما نعمل هو الانصاف العلمى الذى ذكرناه والذى كان ديدن السلف الصالح ، فنحن نستطيع أن نفيد المسلمين ، وأن يصلح الله بسعينا وصفاء قلوبنا ما هو فاسد الآن من أحوالهم .

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تاريخ الادب العربى

قبل الاسلام (١)

تحيط البحار ببلاد العرب من ثلاث جهات ، وتفصلها صحراء الشام عن بلاد آسيا الصغرى وحضارتها القديمة ، ويتألف داخل البلاد من سطح مرتفع يبلغ مساحة غرب أوربا ، وتحيط به الجبال التى تعوق المرور الى البحر ، وأما السواحل فقليلة التعاريج ولا تسمح باتخاذ المرافى الهادئة للملاحة البحرية إلا فى الجنوب .

والهضبة الداخلية محرومة من الأنهار دائمة الجريان ، فكانت زراعاتها تحت رحمة الأمطار القليلة التى تجود بها السماء فى أزمان منقطعة بغير انتظام ، ولذلك نرى أن المحصولات الزراعية لتفاهتها لم تستدع الاهتمام والعناية بها إلا فى مناطق ضيقة فى الغرب والجنوب ، وأما الجزء الأكبر من البلاد فلم يكن ليجود بأكثر مما تعيش به الابل ، وهى أكثر حيوانات البدو قناعة ، وأقدرها على التنقل ، فاهتم العرب بتربيتها حتى أخذت فى حياتهم المنزلة الأولى . وكان البدو يحتقرون مواطنيهم من سكان الأقاليم الخصبة الذين استهوتهم المعيشة الآمنة المطمئنة مؤثريها عن مخاطر الصحراء والحياة الحرة بها .

وافتقرت جزيرة العرب كذلك الى المراكز التى تجتمع بها الأهالى أفواجا فتقوم بينهم حياة مدنية مشتركة ، فلم يوجد من هذه المدن سوى ماعرف فى السواحل الغربية والجنوبية ، ولم تقم هذه الحواضر سدا لحاجة البلاد ، وإنما نشأت تبعا لمقتضيات التجارة العالمية التى تنقل محصولات الهند الى بلاد الغرب ، وكانت هذه التجارة فى أيام ازدهارها سببا فى قيام حضارة عظيمة فى جنوب جزيرة العرب ، تدهورت فى القرون الأولى من التقويم الميلادى بدون أن يحفظ لنا التاريخ عنها شيئا من التراث الأدبى . وأما المدن التى على السواحل الغربية واشهرها مكة ، فكانت أقل رونقا ولكنها أثبت قدرا ، فانها لم تنشأ بسبب موقعها الطبيعى ، بل بفضل جاذبية الأماكن المقدسة بها التى يهرع الى مواسمها البدو من كل ناحية ، حيث يجتمعون آمنين فى حرمة المكان ، ويتبادلون الزائد من محصولهم بمنتجات الحواضر الخارجية . ولقد استطاع رجالات هذه المدينة من آل قريش بسياستهم الحكيمة أن يخضعوا الأسواق الأخرى المجاورة لسلطتهم ، حتى تمت لهم السيطرة على تجارتهم .

(١) مترجمة من الالمانية نقلا عن كتاب « تاريخ الادب العربى » للمستشرق الالمانى الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلمان » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولم يكن لسكان الحضر على البدو من امتياز إلا فى الناحية المادية ، أما الصحراء فكانت موطن الجزء الأسمى من الأمة العربية ، وهؤلاء هم الذين كانوا يمثلون الشعور الوطنى على قدر ما تسمح به الحياة وقتئذ . وأما سكان المناطق الشمالية من بلاد العرب فكانوا يتمتعون بحياة بلغت درجة عالية فى أنظمتها السياسية لمجاورتهم الأمبراطوريتين العظيمتين فى آسيا الصغرى : الأمبراطورية الفارسية ، والرومانية الشرقية ، واحتكاكهم المتواصل بهما ، وبهما نشأت الولايتان التابعتان للغسانيين واللخميين فى دمشق والحيرة لصد تيار البدو الجارف .

لم يكن الخلاف فى اللغة بين سكان بلاد العرب على تفاوتهم البائن ، بقدر ما يتوقعه الباحث فى تاريخهم الأدبى بالرغم من اتساع البلاد التى جابها البدو وترامى أطرافها ، وفضلا عن تفرق قبائلهم وتعددها ، فاننا نجد أن لغة واحدة عمت جميع البلاد من أقصاها الى أقصاها ، اللهم إلا بين أهل الجنوب حيث نشأت مع حضارتهم الممتازة طرائق خاصة للكلام فرقت بينهم وبين سكان الصحراء . وغنى عن البيان أنه كانت هناك لهجات متباينة يسهل على الباحث الآن استنتاجها دون الجزم بصحتها ، ولكن هذه اللهجات لم تكن بعيدة الأثر ، ولم تقو على فصل قبائل العرب بعضها عن بعض ، خصوصا أن حياة البدو الدائمة التنقل كانت تجمع بين قبائلهم ، وتوثق صلاتهم من آونة لأخرى .

ويستدل من الأنباء التى ترجع الى القرن السادس من الميلاد ، وهو أبعد عهد لنا بالرواية ، على أنه كانت هناك لغة فوق اللهجات المتعددة ، اشترك السواد الأعظم ، وخاصة السادة ، فى التفاهم بها ، تلك اللغة هى العربية على وجه الاجمال . والباحث اليوم لايستطيع أن يعرف عن أصل نشأتها إلا مايستند على الفرض والتخمين ، ولما كانت معلوماتنا عنها تقتصر على معرفتها لغة للشعر فحسب ، ولا علم لنا بها كأداة لقضاء حاجات الحياة ، فاننا نفترض تكونها وتطورها مع ظهور الشعر ونشأته الأولى ، وبما أن جميع القبائل على اختلاف لهجاتها اشتركت فى قول الشعر ، فان الأغلب على الظن أن اللغة العربية تغذت من جميع هذه اللهجات ، فأخذت منها ما راق سامعيه واتفقوا على قبوله ، أسوة بما جرى على الشعوب الأولى حيث نشأت فيها لغة للأغانى فوق الخصائص المميزة لقبائلها .

ولغة الأغانى العربية القديمة تكون مع كل من اللغتين القحطانية والأمهرية ، الفرع الجنوبى للغات السامية ، وتأخذ بينها جميعا المنزلة الأولى بدون جدل ، وهى وإن سبقها غيرها من اللغات السامية فى قدم العهد على الاطلاق ، أو فى بعض التفاصيل ، فانها كانت بلا شك أقدرها جميعا على التطور ، وأكثرها توسعا وإلماما بالخصائص والمميزات المشتركة ، مع احتفاظها بالوضوح والجلاء التام .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويرجع تاريخ الشعر فى جميع الشعوب الى عصور قديمة لا يذكرها التاريخ ، ولم تثبتها الرواية ، ولا يأمل الباحث فى تاريخ الأدب العربى أن يعرف شيئا عن أصل الشعر ونشأته عند العرب ، اللهم إلا ما يرجع الى التخمين بطريق المشابهة والمماثلة على وجه العموم .

ولقد ثبت لعلماء النفس أخيرا أن الكلام المنظوم المقفى ذا الأوزان الثابتة نشأ فى مختلف الشعوب مع الحركات الجسمانية المنتظمة التى يفرضها العمل على الانسان ، كعلاج نفسانى منعا للتعب والاجهاد ، وقياسا على هذا الرأى ذهب بعض المؤرخين الى أن بدء الشعر العربى يرجع الى الحركات المنتظمة فى وقع أقدام الابل ، وأن نشيد الرعاة يحتفظ حتى اليوم بالبذور الأولى للشعر العربى ، ومما يؤيد هذا الرأى أن شعراء الأغانى الفنية فى العصور التاريخية الأولى فى الأدب العربى كانوا ينتقلون بخيالهم الشعرى لتصوير حياة الانسان العائش فى البادية .

وبديهى أن هذا الرأى هو إحدى وجهات النظر لبيان العوامل التى دفعت العرب الى المقال الموزون المقفى ، ولكن هناك من التأثيرات النفسانية ما هو أبعث للانسان على التعبير عن مشاعره وأفكاره ، فقد كانت العاطفة الجنسية من أهم التأثيرات النفسية عند أغلب الشعوب ، وكذلك كانت الحال عند العرب ، ولو أن الغزل والتشبيب بالنساء لم يظهر فى الأدب العربى إلا متأخرا بالنسبة الى الحزن والحسرة على فراقهن بسبب رحيل قبائلهن ، إذ كانت تجتمع القبائل المختلفة صيفا حول المراعى والمروج التى تكلؤها الابل ، فيتخلص الأعرابى من همه ويرتاح من متاعب الحياة فيحلو له التقرب من النساء والتحبب إليهن ، حتى إذا ما أجدبت الأرض من حشائشها ، تفرقت القبائل وقطعت العلائق القريبة العهد ، فتتمزق الأوصال الرقيقة ولا تترك سوى آلام الحب وشجونه التى ظهرت فى أشعارهم الأولى .

وأما عاطفة الحب نحو الأقرباء ، فلم تظهر فى الشعر العربى إلا بعد فقدهم ، ففى المراثى نجد كذلك أقدم مصادر الشعر العربى ، وكانت فى أول أشكالها — النحيب والعويل — محتكرا للنساء ، ولذا فاننا نراهن بعد التطور الفنى لهذه الناحية من الشعر ، قد فزن أيضا بالنصيب الأكبر ، فكان عدد الشعراء منهن فى هذا الميدان يفوق بكثير الشعراء من الرجال الذين ظهروا فيه . ودل تاريخ الأسرة العربية على أن حق الرثاء كان فى أغلب الأحوال من نصيب الأخت دون الزوجة . واقتصرت المراثى قبل كل شىء على إظهار التوجع ومدح المتوفى وذكر شمائله .

واعتاد العرب كذلك إظهار البغضاء والضغينة بالكلام المقفى تفريجا لصدورهم وإيذاء لغرمائهم ، وكانوا يرون فى الهجاء ، فضلا عن إهدار كرامة العدو وثلم شرفه ، قضاء على مستقبل حياته ، ولذلك نرى أن طبقة الشعراء ممن برزوا فى هذه الناحية من الشعر ، قد زادت عند الأعداء رهبتهم ، وبالغ الأصدقاء فى إكرامهم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والى جانب الحب والبغض كانت تجيش فى صدور العرب من التأثيرات النفسية الرغبة فى المفاخرة بالذات أو الأصدقاء أو العشائر ، ولقد امتازت عبارتهم فى هذه الناحية من الشعر بأفخم الألفاظ وأكثرها مغالاة ، وامتد ولعهم بالفخر الى مدح رفيق الصحراء والتغنى بمحاسنه ، فنالت الابل من أشعارهم الوصفية جانبا كبيراً ، وبلغت حماستهم فى هذه الناحية درجة يتعذر على غيرهم من الأجناس إدراكها ، وذلك لقيمة الابل العظيمة فى الحياة البدوية .

وأما أشعارهم فى وصف الظواهر الطبيعية وأحوال الجو فكانت أقرب الى إدراكنا اليوم ، وكانت رحلاتهم الطويلة فى جوف الصحراء هى الباعث لهم فى أغلب الأحوال على قول الشعر فى وصف الطبيعة ومظاهرها المتعددة .

والأصقاع العربية القاحلة وقفارها الموحشة لم تدع للتغيير فى مناظرها سبيلا ، وكانت حيوانات الصحراء القليلة هى وحدها التى بعثت الحياة فى خيال البدو ، فظهرت فى أشعارهم فى وصف الصيد والقنص ببراعة فائقة ودقة بالغة .

وتلك كانت أهم البواعث النفسية التى غلبت فى أشعار العرب القديمة التى حفظها لنا التاريخ حتى اليوم ، وقد يسترعى النظر أن الرواية لم تأت بشىء عن مشاعرهم الدينية ، على أنه يمكننا القول على وجه اليقين بأن العرب لم تستعبدهم دياناتهم كما استعبدت من قبل غيرهم من الشعوب السامية كالبابليين مثلا ، خصوصا أن احترامهم لآلهتهم وتبجيلهم لمعبوداتهم كانا قد أخذا فى النقصان الى حد الزوال فى القرن السابق للاسلام ، ولم يبق لهم من العقائد الدينية إلا فكرة فناء العالم البشرى ، وكانت هى عزاءهم الوحيد فى متاعب العيش ومشقات الحياة ، ومع ذلك لا يبعد كذلك أن كانت لهم أشعار دينية لم تصل إلينا لا بسبب عدم اهتمام الأجيال الوثنية الأخيرة وقلة اكتراثهم بالشئون الدينية فحسب ، ولكن ـ وهذا أكثر ترجيحا ـ يحتمل أن تكون يد غلاة رجال الاسلام قد امتدت اليها ، وحرمت تاريخ الأدب العربي من روايتها .

ويختلف عادة المقال الذى يعبر به الانسان عن مشاعره القوية عن الكلام العادى ، بما يتطلبه أولا من تعديلات صوتية فى الالقاء ، ثم بما يدخل عليه من مميزات خاصة فى الألفاظ ، فانقسم المقال الى أجزاء لم يراع فى أول الأمر التماثل فى تركيبها ، ولكنها تنشد الانسجام فى الجمال الذوقى بواسطة تقريب التجانس بينها ، وأول حلية أدخلها العرب عليها هى السجع ، فنشأ بذلك النثر المسجوع الذى استطاع بعد ذلك أن يحتفظ بكيانه بعد تقدم تعبيرات اللغة الفنية ، وكان النثر المسجوع يلازم دائما أبدا الحالات الخطيرة والمناسبات الرهيبة أو الطقوس والحفلات الرسمية ، ولم يقصد به بعد التسلية أو إدخال السرور على النفوس ، وإنما قصد به وقتئذ الاستيلاء على قلوب السامعين وسحر أفئدتهم ، فاستخدمه العرافون والكهنة وشعراء الهجاء .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وتدرج العرب من النثر المسجوع الى وزن تفعيلى بسيط بعد أن سيطرت على مشاعرهم القافية والتوقيع، بفضل الأسباب والتأثيرات الخارجية ، وتطور هذا الوزن بعد ذلك الى أشكال فنية عديدة ، ولم يبق له أثر إلا فى بعض الأشعار الشعبية .

تعددت بعد ذلك صور الأشعار العربية واختلفت أشكالها دون زيادة ظاهرة فى الجوهر أو البواعث ، فعادت نفس العوامل السابقه الى الظهور فى المجموعات الشعرية الكبيرة التى عرفت بالقصائد ، ولم يشذ عن ذلك الا أشعار الرثاء والهجاء التى استطاعت المحافظة على نوعها المستقل . وعلى تعاقب الأيام أخذت هذه القصائد تنسيقا ثابتا ، فيبدؤها الشاعر عادة بذكر لوعته على فراق عشيقته ، ثم ينتقل فجاة بعد أن يرى عقم ما يندبه من حظ ضائع الى وصف مطيته ، وتتعاقب بعد ذلك صور مشاهد الطبيعة وأنباء الكفاح ، وأخيرا يختمها بالأشعار التى تعين قصده منها ـ ولذا سميت قصيدة ـ وهى عادة فى المباهاة أو المفاخرة بعشيرته أو مدح ولى نعمته ممن يرجو عفوه أو يأمل عطيته .

ويغلب على الظن أن هذا التعاقب فى البواعث الشعرية كان من المستحدثات المرغوبة فى ذلك العهد الذى ترجع إليه القصائد التى لدينا ، وقد يرجع الأصل فيه الى أحد الشعراء الأولين . ولم يتحد الرواة فى تحديد ترتيبها ، خصوصا أن العلاقة بين أجزاء القصيدة كانت مفككة كل التفكك .

لم تكن الكتابة فى شمال بلاد العرب أو فى أواسطها فى ذلك العهد مجهولة ، ولو أن استعمالها لم يكن منتشرا انتشاره فى البلاد المجاورة فى الجنوب والشمال ، ولكننا لا نظن أن الكتابة كانت تستعمل فى تلك العصور المتقدمة كأداة لتدوين الشعر ، بل إنه كان يعتمد فى نقله على الرواية الشفوية ، فكانت منزلة الشاعر بين قبيلته واهتمامهم بأشعاره هما وحدهما العاملان اللذان تتوقف عليهما درجة حفظ أشعاره وانتشارها ، وكثيرا ما اتخذ كبار الشعراء من هواة هذا الفن من المبتدئين رواة يلازمونهم حرصا على إنتاج قرائحهم وصيانة لبنات أفكارهم .

والرواية الشفوية ، مهما افترضنا فيها أمانة الراوى وخلوص ذاكرته ، لا يمكن الاعتماد عليها اعتمادا كليا ، خصوصا أنه لم تعرف وقتئذ حقوق شخصية للشاعر فى أعماله ، بل وثبت لنا اليوم أن القوم لم يرعوا لذلك حرمة ، فاجترءوا عليها بالاستعاضة عن بعض عبارات الشعراء بعبارات أخرى مرادفة لها ، وما أغنى اللغة العربية بها .

فاذا كانت النصوص الأصلية لم تصدق الرواية فى نقلها فما أحرى أن يدخل الشك فى صحة ترتيب أبيات الشعر فى القصائد الكبيرة ، لاسيما وأن الشعراء أنفسهم لم يعنوا كثيرا بترتيب أجزائها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولكننا على الرغم من اللبس الشائع فى هذه التفاصيل ، نجد فى الرواية الأخيرة التى حفظها لنا التاريخ صورة صادقة من فن الشعر القديم ، على أنه يتعذر جدا أن نرى اليوم بواسطتها مميزات كل شاعر على حدة ، كما يصعب علينا أن نخلص هذه المجموعات الشعرية على وجه اليقين من الزوائد الدخيلة عليها .

ويرجع الفضل فى حفظ الأشعار العربية القديمة الى النهضة الأدبية التى قامت فى القرنين الثانى والثالث من الهجرة ، حيث بدأ هواة الشعر فى جمعه فوجدوا فيما علق بأذهان البدو كنوزا لا تفنى لم يبق منها حتى الوقت الحاضر إلا جزء يسير بسبب عدم اكتراث علماء الاسلام المتأخرين بكل ما لا علاقة له بالدين ، فكانوا إذا لم يبيدوا شيئا من آثار الوثنية فانهم لا يهتمون ببحثه ودرسه ، ولقد أتت غزوات المغول بعد ذلك على أكثر دور الكتب فى آسيا الصغرى ، وعلى الأخص بالعراق مركز الدراسات العربية القديمة ، فضاع أغلب أعمال الشعراء ولم يبق منها كاملا إلا لنفر قليل منهم .

واجتهد المتأخرون بعد ذلك ، كل على حسب ذوقه ، فى جمع مختارات من دواوين الشعراء ، وكانوا يأخذون لها إما قطعا شعرية كاملة ، وإما أجزاء منها ، واشتهر بين هذه المختارات مجموعتين : الأولى وهى المعلقات ، جمعها راو محترف هو حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٥ هـ ، والثانية وهى الحماسة ، جمعها أبو تمام المتوفى سنة ٢٣١ هـ .

والمجموعة الأولى عبارة عن سبعة قصائد طوال ، وسميت بالمذهبات لما احتمله اسم المعلقات من تفسير خاطىء ذاع عنها فى كتب التاريخ ، من أنها كانت مختارة فى العصور الوثنية ومعلقة على الكعبة ، والرواية الأصلية لهذه المجموعة تشمل قصيدة لكل من امرىء القيس وطرفة وزهير ولبيد وعنترة وعمرو والحارث .

وأما الحماسة فسميت كذلك تبعا لأول موضوعاتها وأطولها ؛ ويليه تسعة أبواب فى المراثى وفى الأدب وفى التشبيب وفى الهجاء وفى الأضياف والمديح وفى الصفات وفى السير والنعاس وفى الملح وفى مذمة النساء . وعنى أبو تمام فيها بجمع نماذج من الشعر لكل من عصرى الوثنية وفجر الاسلام فى أغلب البواعث التى ظهرت فى الشعر العربي على وجه العموم .

أما النثر فانه لم يكن له مظهر أدبى خاص بالنسبة الى حالة العرب المدنية قبل الاسلام . على أن التطور الذى صادفه بعد ذلك يكشف لنا عن بذور نشأته فى العصور الوثنية ، وإليها ترجع قبل كل شىء مجموعة الأمثال والحكم التى ظهرت منذ أزمان بعيدة ، وفيها تنعكس صور حياة البدو ، وترجع نشأتها الى مناسبات وأحوال خاصة فى الحياة القديمة ، جهلها الرواة الأولون وبقى معظمها محاطا بالابهام ، وتعذر على المفسرين المتأخرين تفسيرها على وجه اليقين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولم تخل كذلك الحكايات التى رويت عن دواعى الأشعار القديمة ، وذاعت بين القبائل المختلفة من بذور ساعدت على نمو النثر وتطوره بعد ذلك ، ولو أن أغلب هـذه القصص التى لدينا عن الأشعار القديمة قد استنبطها المتأخرون بالاجتهاد من الأشعار نفسها ، إلا أن البعض الآخر يحمل الطابع القديم الذى لا يدعو الى الريبة فى حقيقة أصله .

على أنه كانت هناك أيضا فى العصور الوثنية القديمة قصص عديدة ذائعة عن أعمال القبائل وبعض الأبطـال ، وإن كنا لا نتوقع فيها كل الصدق والأمانة التاريخيـة ، فانها تدلنا على روحهم الشعبية على وجه العموم ، وقد تسربت الى البدو بجانب هذه القصص مواد أخرى مما عرفت فى العصور الوسطى وكانت جزءا هاما فى الأدب العالمى حينذاك ، إلا أنهم استطاعوا تعريبها الى حد بعيد .

« يتبع »

أحسن ما قيل فى وصف الفاقة

وفى الصبر عليها

قال أبو العبر الهاشمى الشاعر :

قنعت نفسى بما رزقت ... وتمطت فى العـلى هممى
ولبست الصـبر سابغة ... هى من قرنى الى قـدمى
فاذا ما الدهـر عاتبنى ... لم يجـدنى كافـر النعم
لا أقـول الله يظلمنى ... كيف أشكو غـير متهم

وذكر شاعر آخر للفقر حكمة فقال :

الحمـد لله ليس لى فـرس ... ولا على باب منزلى حـرس
ولا غـلام إذا هتفت به ... بادر نحـوى كأنه قبس
ابنى غلامى وزوجتى أمتى ... ملـكتها بالمـلاك والعرس
غنيت باليأس واعتصمت به ... عن كل فرد بوجهه عبس
فما يرانى ببابه أبدا ... طلق المحيا سمح ولا شرس

ولـكن الحق أن الفقر مكروه ، فمن أصابه وجب عليه أن يسعى لتحسين حالته من خير الوجـوه ، وأ كفلها بصيانة كرامته ، لا أن يقعد مع القواعد منتحلا لنفسه المعاذير . ولقد قيل : رب حسب دفنه الفقر .

وقال شاعر :

الفقـر يزرى بأقوام ذوى حسب ... وقـد يسـوّد غـير السيد المال

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السلطتان الدينية والدنيوية

كما يراهما الاسلام

ليس فى الاسلام سلطتان تتنازعان الغلب كما هو الشان عند غير المسلمين ، وإنما هى سلطة واحدة ذات ناحيتين إحداهما دينية والأخرى دنيوية . فالأولى هى التى تنظم علاقة الانسان بربه فى عباداته ومعاملاته الظاهرة والباطنة . والسلطة الدنيوية هى التى تنظم علاقة الانسان بالانسان وترسم لتلك العلاقة حدودا فى المعاملات بشتى ملابساتها . وتتالف هذه السلطة من سلطات ثلاث : التشريعية ، والقضائية ، والتنفيذية . وبدهى أن الاسلام دين روحى زمنى ينتظم فى أبلغ أوضاعه عملى الدنيا والآخرة ، فهو بطبيعة وجوده مصدر يصل بين حياتى المعاش والمعاد ، ويكل الى المضطلعين باعباء الحكم أن يستمدوا قوانينه ومبادئه من مستقر جميع الأصول الكاملة وهو القرءان .

فلو أغفل الاسلام الناحية الروحية لكان مزيجا من أخلاق متدافعة وعادات متناقضة ، ولكان قصارى جهد معتنقيه أن يخضعوا لنواميس هذا المجتمع فى علله وأوصابه وتدافع أسبابه ، وأن تكون الغلبة فيهم للقوى العاتى ، وأن توجد الفروق بين الطبقات والاسر .

من أجل ذلك امتزجت الناحية الدنيوية فى الاسلام بالناحية الدينية فى نظام الحكومة ، على معنى أن نظام الحكومة كان مستهديا فى جميع أدواره بنور القرءان .

حمل الاسلام فيما حمل من أسمى المبادئ مبدأ الشورى ، لتكون أساس الحكومة الصالحة ، ودعامة تتلاقى عندها سائر الرغبات والأمانى ، لأن الشورى فى أبسط أحكامها خير من رأى الفرد ، فهى وليدة آراء مستخلصة من قوة الجماعة لا يراد بها غير إسعاد المجموع وإشعاره بمبدأ العدالة والمساواة حتى يظل آمنا فى سربه حصينا فى أغراضه ومراميه ، وإن لم تكن الشورى القائمة بيننا الآن فى الشرق والغرب هى التى تعنيها مبادئ الاسلام . فالشورى التى تعنيها مبادئ الاسلام هى المستخلصة من قوة الجماعة كما قلنا ليس فيها أثارة من تشيع لهوى أو أخذ بنحيزة أو إصغاء الى ضغن فى سائر مرافق الدولة .

الناحية الدنيوية ترسم شكل الحكومة ومقاصدها المختلفة ، وتؤسس الأنظمة المتنوعة للافراد والأسر والجماعات والقبائل والأمم ، وتضع أحكام الحرب والسلم وسياسة القضاء والادارة ونواميس الاجتماع ، ثم هى تنساب بعد الى الأحوال الشخصية المتعلقة بذات الانسان فتنشئ علاقة زوجية صالحة بين الرجل والمرأة ، وترتب عليها حقوقا قبل المرأة وحقوقا قبل الرجل ، ثم تتناول أحكام الارث فتوزع الانصباء من تركة الميت على ذويها توزيعا قائما على أدق أنواع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الرعاية وأحكم مراميها ، ثم تتعهد الحاكمين بالوصايا الجامعة حتى لا ينِدّوا عن شريعة الحق ولا تصغى قلوبهم الى شوائب الهوى ، ثم تهيب بالمحكومين الى السمع والطاعة فيما أمر الله . وبهذا التساند بين الهيئتين ينتظم الأمة والحكومة عدل قائم على الاخلاص المتبادل ، وتسودها روح طيبة فى مرافق البلاد وحيويتها .

لقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السلطة الروحية والسلطة الدنيوية ، فأقام بهاتين السلطتين خير حكومة من حكومات الأرض فى تاريخ البشرية ، وأسس للانسانية العامة أفضل المناهج فى الحكم حتى فاضت القلوب باليقين الراسخ والطمأنينة الشاملة . ولا أدل على ذلك من أقوال الرسول وأعماله وما ينزل به الملك من الآيات منجمة بحسب الوقائع ، سواء أكان ذلك متعلقا بأمر من أمور المعاش أم المعاد ، إذا استثنينا بعض مسائل تقليدية تافهة لا يتصل وجودها بقانون الحكومة أو الاجتماع ، ثم درج من بعده خلوفه على قدمه صلى الله عليه وسلم فكانوا نعم الخلف لنعم السلف . وناهيكم بعمر الفاروق الذى كثرت على يديه الفتوحات الاسلامية مؤسسة على الكتاب والسنة وهدى الرسول الأعظم ، فاستدام بذلك الناموس السماوى أصلح الطرائق فى أنواع الحكم ، وأهدى السبل فى إسعاد الأفراد والجماعات والأمم .

إن الشريعة الاسلامية السماوية هى شريعة الخلود والبقاء ، لأنها جمعت بين حلقات الزمن من دابر وحاضر ، فوضعت لكل عصر وجيل أحكامه وطرائقه ، فكانت شريعة الاسلام خير الشرائع وأمثل القوانين .

وغنى عن البيان بعد هذا التقرير أن الذين يقولون بضرورة فصل الدين عن السياسة قد جهلوا حقائق الاسلام أو على الأقل تجاهلوا نظام الحكم فيه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وفى عهد خلوفه من بعده ، أولئك الغر الميامين الأطهار الذين حكموا دينهم فى الدولة فسادوا ، لأنهم قضوا بهذه السياسة العالية أوطار الأفراد والجماعات ، وحققوا لهم كل رغبة صالحة ، ثم اجتاحوا لوثة الوثنية ومستهجن العادات فى عهود الجاهلية .

ولعل النمط الذى جرى عليه توزيع الزكاة والصدقات وإقامة الولاة فى الدولة ورسم الحدود ووضع الخطط التى ينتهجونها فى أمثل حكومة عادلة بواسطة برامج تكشف لهم حقيقة حكم الشعوب الداخلة فى الاسلام وأخذهم بالهوادة فى موضعها وتيسير الأمور عليهم حين لا يضيق عنهم التيسير ونوع معاملة أولئك الولاة للذميين والمعاهدين والمحاربين والمدى الذى توزع به السلطات بين شئون الرعية ـ آية الآيات على أن الاسلام فى حقيقته دين يقوم على أهدى السبل وأعدل المناهج ، وأنه الوارث لجميع الأوضاع البشرية « ولتعلمن نبأه بعد حين » .

عباس طه
المحامى الشرعى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تقرير بعثة الهند

— ٦ —

٥ — العيد الألفي للأزهر :

وها هي ذي فرصة ذهبية تتيح للأزهر أن يخطو خطوة عملية في هـذه السبيل ؛ فبعد سنوات معدودات يحتفل الأزهر احتفالا عالميا بعيده الألفي ، ومما لا شك فيه أنه سيتقدم للجامعات الأوربية والأمريكية بالدعوة لحضور هذا العيد؛ فهل يتاح لنا أن نرى في مصر ممثلي جامعات الهند ورجال الفكر فيها ؟

أكبر ظننا أن الأزهر الشريف ، وعلى رأسه حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي ، لن تفلت من بين يديه هـذه الفرصة ، لاسيما وأن كثيراً من رجال العلم والفكر في تلك البلاد قـد طالعونا برغبتهم في أن يتاح لهم حضور هـذا العيد الذي يجب ألا تستأثر به مصر وحدها ، خصوصا وقد أعلنت أن الأزهر جامعة عالمية ، لكل مسلم على وجه الأرض حق فيها .

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

٦ — مشروع تفسير القرآن الكريم :

وقـد عنيت البعثة عناية كبرى بالتحدث الى زعماء الهنـد ، ومحاضرة الطلبة خاصـة ، والمثقفين عامة ، على مشروع تفسير القرآن الكريم ، الذي يقوم به الأزهر الآن ؛ وقد شرحنا الضرورات التي استلزمت هذا التفسير الحديث ، كما أشدنا بالحكمة التي تجلت في تأليف اللجنة من حيث إنها جمعت بين رجال تثقفوا ثقافة دينية كاملة ، ورجال آخرين ساهموا في الثقافتين الدينية والمـدنية ، وتلقنوا العلم على أحسن أساتذته بالجامعات الأوربية ؛ فآنسنا من الجميع ارتياحاً عظيما الى هذا المشروع الذي يرجى منه للاسلام فوائد تفوق الحصر .

وجميعهم يتوجهون بالشكر لله تعالى ، أن هيأ للأزهر تلك الفرصة التي ستمكنه إن شاء الله من أداء خدمة كبرى للاسـلام ؛ وكم من خطيب قام يعلق على خطبنا بازجاء جزيل الشكر الى فضيلة الأستاذ الأكبر ، لصائب تفكيره وثاقب نظره .

ولما أن تطرقنا بالحديث الى مشروع ترجمة هذا التفسير الى اللغات الأجنبية ، طولبنا بأن نرفع الرجاء صادقاً ، الى فضيلة الأستاذ الأكبر ، أن تكون اللغة الأردية من بين اللغات التي تترجم إليها تفسير القرآن الكريم ؛ فانها لغة عامة المسلمين في الهند . وقد بلغ تشوقهم الى ذلك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المشروع أن طلبوا ألا يرجىء الأزهر الترجمة حتى ينتهى من التفسير ، بل الأوفق أن يترجم كل جزء تنتهى اللجنة من تفسيره .

ومما يذكر لحكومة صاحب السمو العالى « نظام حيدر آباد » بالشكر والثناء : ماورد على لسان معالى وزير المعارف عند ماسمع بمشروع الترجمة ، فقد قال : إنه يسره كثيراً أن يعلم تفاصيل ذلك المشروع ، حتى يتسنى لحكومته أن تساهم فى مشروع الترجمة الى لغة الأردو ، وأظهر استعداد الحكومة للقيام بمشروع هذه الترجمة لحسابها الخاص ، وكذلك بطبع عشرات الألوف من نسخ هذه الترجمة .

أما السير « روس مسعود » وزير معارف سمو « نواب بهوبال » ، فقد أبدى ارتياحاً عظيما للفكرة ، وطلب الاطلاع على تفاصيلها ؛ لأنه يرجو أن تبذل حكومته مساعدة تذكر فى هذه السبيل ، ولكنها لا تستطيع تحديد موقفها قبل أن تطلع على التفاصيل .

وقد أبديت إلينا بشأن هذا التفسير فكرة تستحق البحث ، هى أن الأزهر يجدر به أن يشرك بعض علماء الهند فيه ؛ ولكننا أجبنا على ذلك بأن ما يحق للهند يحق لغيرها من الدول الاسلامية ، فاذا اتسعت دائرة المفسرين هذا الاتساع تعرض المشروع للعطل الناشئ عن الجدل والنقاش ، ثم عن عدم تكامل الأعضاء ؛ ورأينا أن الأجدر من ذلك بالنظر ، هو أن يسمح بالحضور فى لجنة التفسير لاثنين أو ثلاثة من العلماء الهنود ، ليكونوا عونا لقسم الترجمة الى الأردو ، إذا خرج المشروع الى حيز التنفيذ .

ولما أن تذاكرنا هذا الأمر مع « نواب مهدى يارجنك » وزير معارف حيدر آباد ، أظهر استعداد حكومته لأن توفد العالمين اللذين يقع عليهما الاختيار على نفقتها تمهيداً لمشروع ترجمة التفسير .

٧ - مجلة الأزهر :

وقد كان لمجلة الأزهر نصيب من نشاط البعثة ولكنه محدود ؛ ذلك بأن المجلة غير ذائعة فى الهند الذيوع الذى يسمح للقوم بأن يتتبعوا حديثنا فى شأنها ، ولكن « السيد سليمان الندوى » وهو من كبار علماء الندوة ، ذكر لنا أنه يقرؤها بانتظام ، وقد كون رأيه فيها بأنها ينبغى أن تكون أرقى من حالها اليوم ، لتناسب ما للأزهر من مكانة سامية .

وقد شاءت الظروف أن يفتتح باب الكلام فى هذا الموضوع قبيل سفر القطار بحيث لم تتسع لنا فرصة لتفصيل الحديث ، على انه وعد بأن يكتب إلينا فى هذا الشأن .

وفى رأينا أن المجلة يجب أن ترسل الى كثير من الأمكنة فى الهند ، فانها خير مذكر للقوم بالأزهر ورسالته ، وهى الكفيل بأن يستمر الاتصال الروحى بين القطرين ، وحبذا لو عنيت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إدارة المجلة بان تطلب الى بعض عظماء الهند : أمثال السيد سليمان الندوى ، ومولانا أبى الكلام أزاد — أن يوافوها بالمقالات بين آن وآخر .

٨ — دور الكتب الدينية والعربية :

بالهند كثير من دور الكتب الدينية والعربية ، يحتوى عدد منها مؤلفات لايستهان به ؛ ومن أهمها مخطوطات يرجع عهدها الى العصر الاسلامى فى تلك البلاد ، وكثير منها استورده ملوك المسلمين من بلاد فارس .

ولم يتسع وقت البعثة لبحث مستفيض فى هذه الكتب ، غير أننا كونا فكرة عامة عنها ؛ ويجدر بالأزهر ، الذى يعتزم تنظيم مكتبته ، وتوسيع الانتفاع بها ، أن يعنى بدور الكتب التى أشرنا إليها . وحبذا لو فكر فضيلة الأستاذ الأكبر ، فى أن يوفد أحد المتخصصين فى شئون المكتبات ، يكون له إلمام بما فى المكتبة الأزهرية من المخطوطات ، لزيارة دور الكتب التى سنذكرها هنا ، عسى أن يجد فيها ما يكمل بعض المخطوطات ، أو يلقى بعض الضوء على تاريخها ، وإلا فلا أقل من أن يكلف بعض المصريين الذين يبعثون الى الهند ، فى شئون الثقافة الاسلامية ، بأن يطوفوا بتلك الدور طواف الباحث المدقق ، على أن يوافوا الأزهر بما يرون .

ومما أسفنا له أن كثيرا من هذه الدور ، لم تطبع لها فهارس منظمة ، ولذلك ما جاءت البعثة إلا بما استطاعت أن تحصل عليه من هذه الفهارس .

وفيما يلى بيان بهذه الدور :

١ — مكتبة بهو بال

٢ — مكتبة رامبور (وفيها أكبر عدد من المخطوطات) .

٣ — مكتبة جامعة البنجاب بلاهور .

٤ — مكتبة الأستاذ محمد شفيع مدير الكلية الشرقية بلاهور .

٥ — مكتبة الكلية الاسلامية فى پشاور

٦ — مكتبة بهاولبور الخاصة بسمو النواب .

٧ — المكتبة الآصفية بحيدر آباد .

٨ — المكتبة السعيدية بحيدر آباد .

آراء فى الثقافة الاسلامية :

لاشك فى أن مصر بلد اعترف له بالزعامة الثقافية بين امم الشرق قاطبة . وقد شهدنا بأعيننا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى الهند ما يدل على سمو مكانتها بين هذه الأمم ، مما عرضنا له فى فصول سابقة من هذا التقرير ، غير أننا نشير هنا بوجه خاص الى ما تنتظره الهند الاسلامية من مصر فى عهدها الجديد ، ذلك بأن تساهم مصر فى رفع مستوى اللغة العربية فى المدارس والجامعات الهندية ، محافظة منها على هذه اللغة التى تصل بين أمم الاسلام فى العالم كافة .

فما قصدنا الى مؤسسة علمية ، ولا تحدثنا الى شخصية كبيرة ، دون أن يرد ذكر هذا الأمر . وهم يتطلعون الى مصر ، لأنها القطر الوحيد الذى يستطيع أن يقوم بهذا العمل الجليل اليوم .

وفيما يلى بيان بما وصلت إليه البعثة فى هذه السبيل :

أولا : فى إمارة بهوبال الاسلامية : عند ما كنا فى زيارة إمارة بهوبال الاسلامية ، وكان سمو النواب متغيبا ، تحدثنا فى هذه الشئون الى « السيرروس مسعود » وزير المعارف ، فقال : « إن البلاد هنا فى مسيس الحاجة الى طبقة من العلماء المصريين ، يجمعون بين علوم الدين وبين العلوم المدنية ، مع التمكن فى اللغة العربية وآدابها والطرق الحديثة لتدريسها ، وتقريب علومها الى الأذهان ؛ ولو استطاعت مصر أن تستغنى عن واحد أو أكثر من هؤلاء ، لاستخدمتهم حكومة بهوبال . ولكن الحكومة تشترط فيمن يبعث إلينا أن يكون مثلا عاليا للاسلام ، فى حياته العملية والعلمية ، وأن تكون حياته نبراسا يهتدى به العامة فى حركاته وسكناته » .

وقد قال السيرروس مسعود أيضا : إن الحكومة على استعداد لأن تمنح مثل هذا المبعوث كل التسهيلات اللازمة ، الى راتب يناسب مؤهلاته . وظهر من خلال الحديث أنهم على استعداد لدفع راتب شهرى قدره أربعون جنيها مصريا ، مع حق الاقامة فى منزل تعده له الحكومة فى حى كبار الموظفين ، فضلا عن امتيازات أخر يستطيع المبعوث الحصول عليها ، بما يكون له من مزايا ، تكون موضع تقدير ولاة الأمر بعد حضوره .

ولما دعينا لمقابلة سمو النواب فى أخريات أيام رحلتنا فى الهند ، فتح سموه الكلام فى نفس الموضوع ، ثم قال : إن حكومته قد تحتاج الى اثنين أو ثلاثة من هؤلاء ، بالشروط التى تكلم عليها السيرروس مسعود ، وإنه يرجو أن يعنى الأزهر بهذا العرض ، وقد صرح سموه بأنه قوى الأمل فى ألا يمضى عام واحد قبل أن يتحقق هذا المشروع ، كما أبدى سموه الرغبة فى أن يعمل الأزهر على إعداد طبقة من علمائه البارزين للخدمة فيما وراء البحار ، فان هذا أفضل عمل يستطيع الأزهر أن يقوم به لتدعيم أواصر الصلات العلمية والدينية بين مصر والأقطار الاسلامية الأخر .

ثانيا : فى جامعة عليكرة : عندما كنا فى زيارة جامعة عليكرة عرضنا مع الدكتور ضياء الدين ، حال قسم اللغة العربية بالجامعة ؛ ومن ثم قال الدكتور إنه يوافقنا على ما ذهبنا اليه ، ويرى أن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الطريق الوحدة للسير بهذا القسم الى الأمام ، هو الاعتماد على الأزهر فى تدريس اللغة العربية ، والأخذ بالوسائل الحديثة التى تتبع فى تعليمها بمصر ، وفى تشجيع الطلبة على التخاطب بهذه اللغة ، وهذا لايتأتى إلا إذا كان بهذا القسم واحد أو اثنان من المدرسين المصريين ، وإن الجامعة على استعداد لأن تدفع راتب أستاذ واحـد ، فاذا رأى الأزهر أن يرسل اليها اثنين ، وقبل أن يـكون راتبهما مناصفة بين الأزهر وجامعة عليكرة ، فان الجامعة يسرها أن تتقدم بينها وبين الأزهر المحادثات فى هذا الشأن .

ثالثا : فى الجامعة الملية : لما كانت الجامعـة الملية كما ذكرنا مؤسسة تقوم على تدعيم الدين الاسلامى واللغة العربية فيها ، ربطاً للهند الاسلامية بكافة الأقطار الاسلامية الأخر ، فقـد عنيت الجامعة بالدين واللغة معاً ؛ ولـكن مواردها ، كما ذكرنا ، لا تساعـدها على التوسع . لـكل هـذه الاعتبارات ، تقدم الينا الدكتور « زاكر حسين » عميد الجامعة ، برجاء أن يساهم الأزهر فى هذا العمل الجليل ، فيقرر إيفاد مدرس أو مدرسين — على نفقته — لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامى بالجامعة .

وتوسيعا للانتفاع بهؤلاء المبعوثين ، يقترح الدكتور زاكر حسين ألا ينحصر عملهم فى التدريس بالجامعة الملية ، بل يصح أن يتفق مع الجامعات والمؤسسات الاسلامية الأخر على أن يزورها المبعوثون زيارات دورية ، لإلقاء المحاضرات وتشجيع الاهتمام باللغة العربية والدين .

رابعا : فى إمارة رامبور : زرنا مدرسـة للعلوم الدينية والعربية تديرها حـكومة سمو النواب ، ولما تحدثنا على هذه المدرسة الى السيد « بشير الزيدى » رئيس الوزراء ، ألفينا منه استعدادا لإصلاح أحوالها وفق ما يشار به ، ثم حدثنا على حاجة المدرسة الى مدرس مصرى من خريجى الأزهر يقوم بالاشراف على شئونها ، فيساعد الرئيس الحالى ، على أن يحل محله حين ترى الحـكومة إحالته الى التقاعد نظراً لـكبر سنه .

خامسا : فى الجامعة العباسية : سبق أن تحدثنا على الجامعة العباسية فى بهاولبور ، فذكرنا أنها تريد أن تماشى الأزهر فى أحدث تطوراته ، غير أننا لم نتحدث الى رجال الحكومة هناك عما يمكن الأزهر أن يساهم به فى هذه السبيل . وفى رأينا أنه إذا عرض على الحـكومة أن تستعين بواحـد أو بأكثر من خريجى الأزهر ، فى تدريس العلوم العربية والدينية ، أو الاشراف على شئون الدراسة فى هذه الجامعة ، أو الالتحاق بوزارة المعارف للتفتيش على المدارس الدينية ومساعدة القائمين بالأمر فيها ، فان حكومة سمو النواب قد ترحب بهذا المقترح .

سادسا : فى إمارة حيدر آباد : رأينا حركة شاملة فى صالح اللغة العربية والدين الاسلامى فى إمارة حيدر آباد ، وأحسسنا من جميع من حادثناهم شعوراً طيبا وميلا ظاهرا نحو تأسيس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

علاقات الود والصداقة بين مصر وبين تلك البلاد . وقوام اللغة العربية والدين الاسلامى فيها طائفة من الأساتذة تخرجوا جميعاً كما ذكرنا فى المدارس والمعاهد المصرية على اختلاف أنواعها ، ويعتبر هؤلاء تربة خصبة لإنماء علاقات الود بين حيدر آباد ومصر .

وقد تحدثنا الى وزير المعارف هناك فى شئون شتى ، نقتصر منها هنا على ما اقترحناه ، وهو أن تساهم حكومة حيدر آباد فى نفقات إنشاء قسم لتدريس لغة الأردو بالأزهر الشريف ، فتدرس فيه هذه اللغة كما كانت تدرس اللغة اليابانية فى « تخصص الوعظ والارشاد » بكلية أصول الدين ، او على مقياس أكبر من ذلك .

وهنا أدلى لنا معالى الوزير برغبته فى ان يكون إنشاء هذا القسم وإدارته على نفقة صاحب السمو العالى النظام ، وأن يسمى « كرسى حيدر آباد لتعليم الأردو » ، وقال : إن الحكومة مستعدة للتحدث فى الموضوع على هذا الأساس .

وفى رأينا أن القسم اذا افتتح وعين له أستاذ من أساتذة الجامعة العثمانية الذين يعرفون اللغة العربية ويقومون بتدريسها ، أو بتدريس بعض علوم الدين هناك ، فان الأزهر يستطيع عندئذ أن يرشح أحد خريجيه ليشغل الوظيفة التى تخلو فى الجامعة .

ولا نظن أن الاعتبارات المالية تحول دون تنفيذ هذا المقترح ، ولاسيما من ناحية حكومة حيدر آباد .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تقرير عن حال المنبوذين :

مقدمة :

يجدر بنا قبل أن نبدأ الكلام على المنبوذين ، أن نشير الى أن استقصاء أحوالهم ، قد أحاطت به ظروف محلية وملابسات كان من شأنها أن تضطر البعثة الى التانى فى هذه الدراسة ، وأن تعمد ، فى بعض الأمكنة ، الى الانكماش ، حيث لا تجد الجو صالحاً لهذه المباحثات ، كما تعمد فى أمكنة أخر الى بحث الموضوع فى غير حذر ، عند ما تجد الجو صالحا لذلك .

ولا نرى مندوحة من الإشارة الى أن وصول البعثة الى الهند ، قد أحاطت به ظروف شائكة ؛ فقد نشرت الجرائد الهندوسية ، بل بعض الجرائد الاسلامية أيضا ، أن البعثة قادمة للقيام بحركة بين المنبوذين ، بغية تحويلهم الى الاسلام ، فقامت القائمة ، وتكهرب الجو ، مما دعا البعثة الى إصدار بيان للصحافة ، قد أشرنا إليه فى صدر هذا التقرير .

وبهذه المناسبة تتقدم البعثة بجزيل الشكر الى جميع من أمدها بالمعلومات ، والى من ساهموا فى البحوث ، وتخص بالشكر « السير محمد إقبال » الذى ضحى بالكثير من وقته وصحته فى هذه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السبيل ، وكذلك تزجى الشكر الى الأستاذ الكبير « غلام بهيج نيرانج » الذى كان له أكبر قسط من النشاط فى هذا العمل الجليل ، والذى عنى بأن يجيب البعثة على كل ما وجه إليه من الاستشارات ، وكذلك الأستاذ « فضل رحيم » ، والطبيب « أسرار أحمد » ، و « نواب محمد يارجنج » ، والأستاذ « محمود فاندرمان » ، وغير هؤلاء ؛ ممن لم تسع الذاكرة أسماءهم .

وتتقدم البعثة كذلك بجزيل الشكران الى حضرات من ساهموا بقسط وافر من العمل ، لإنجاح البعثة فى مهمتها ، ثم شاءت ظروف خاصة ألا تذكر أسماؤهم فى هذ التقرير .

إحصاء عام عن المنبوذين :

يبلغ عدد المنبوذين — وفق آخر إحصاء رسمى صدر منذ ست سنوات : ٧٧٠ر١٩٥ر٥٠ نسمة ، أى بنسبة ١٤ فى المائة من مجموع سكان الهند ، وبنسبة ٢١ فى المائة من تعداد الهندوس العام ، وتختلف نسبتهم الى عامة السكان ، ثم الى الهندوس ، بين إقليم وآخر ، وفيما يلى بيان ذلك :

أولا : فى الهند البريطانية :

الاقليم	عدد المنبوذين	نسبتهم للهندوس	نسبتهم العامة
الولايات المتحدة	٠٠٠ر٣٢٢ر١١	٢٨ فى المائة	٣٢ فى المائة
مدراس	٠٠٠ر٢٣٤ر٧	١٨ »	١٥ »
بنغال	٠٠٠ر٩٠٠ر٦	٣٢ »	١٤ »
بحار ، وأوريسا	٠٠٠ر٧٧٤ر٥	١٩ »	١٥ »
الولايات الوسطى ، وبرار	٠٠٠ر٨١٨ر٢	٢١ »	١٨ »
آسام	٠٠٠ر٨٢٩ر١	٣٧ »	٢١ »
بومباى	٠٠٠ر٧٥٠ر١	١١ »	٨ »
البنجاب	٠٠٠ر٢٨٠ر١	٢٠ »	٥ »
دلهى	٠٠٠ر٧٣	١٨ »	١١ »
أجمير ، ومروار	٠٠٠ر٦٧	١٨ »	١٤ »
كرج	٠٠٠ر٦٥	١٧ »	١٥ »
بلوخستان	٧٠٠ر٥	١٤ »	١ »
مقاطعة الحدود	٥٠٠ر٥	٤ »	٠ »
جزر أندمان ، ونيكوبار	٥١٠	٨ »	٢ »

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ثانيا : فى الامارات :

الاقليم	عدد المنبوذين	نسبتهم للهندوس	نسبتهم العامة
حيدر آباد	٢ر٤٧٣ر٠٠٠	٢٠ فى المائة	١٧ فى المائة
ترافانكور	١ر٧٧٠ر٠٠٠	٥٦ »	٣٥ »
راجبوتانا	١ر٥٦٥ر٠٠٠	١٦ »	١٤ »
ميسور	١ر٠٠٠٠ر٠٠	١٧ »	١٥ »
إمارات الهند الوسطى	٧٨٠ر٠٠٠	١٤ »	١٢ »
جوايالور	٦٧٨ر٠٠٠	٢١ »	١٩ »
إمارات بحار، وأوريسا	٦٣٢ر٠٠٠	١٥ »	١٤ »
إمارات البنجاب	٣٩٣ر٠٠٠	٢١ »	٩ »
إمارات بومباى	٣٤٩ر٠٠٠	٩ »	٣ »
إمارات الهند الغربية	٣١٨ر٠٠٠	١٠ »	٨ »
الولايات الوسطى	٢٥٣ر٠٠٠	١٤ »	١٠ »
الولايات المتحدة	٢٠٩ر٠٠٠	٢٢ »	١٧ »
بارودا	٢٠٣ر٠٠٠	٩ »	٨ »
كشمير	١٧٠ر٠٠٠	٢٣ »	٥ »
كوشين	١٢٥ر٠٠٠	١٦ »	١٠ »
إمارات مدراس	٦٥ر٠٠٠	١٦ »	١٤ »
إمارات بنغال	٣١ر٠٠٠	٥ »	٣ »
سخيم	٢ر٠٠٠	٤ »	٢ »
إمارات آسام	١ر٤٠٠	١ »	—
إمارات الحدود	٥٤٠	٤ »	١ »
إمارات بلوخستان	٢٠	—	—

يستنتج من ذلك أن نسبة المنبوذين الى عامة السكان ، بل أن نسبتهم الى الهندوس ، تتفاوت تفاوتا كبيراً باختلاف الاقليم ؛ وقد حاولنا أن نصل الى قاعدة لتوزيع المنبوذين بين الهندوس فلم نستطع ، مما يدل على أن عوامل كثرتهم أو قلتهم لا ترجع الى طريق معيشتهم ؛

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أو الى مدى استعدادهم ، أو مدى اعتمادهم على بقية الهندوس أو غيرهم ، فى كسب قوتهم ، بل إن أكبر الظن أن توزيع المنبوذين على المقاطعات والولايات لا يخضع لقاعدة ما ، بل يستمد كيانه من الوراثة فحسب .

ولما كنا ندرس أحوال المنبوذين لغرض خاص ، هو الاطلاع على مدى استعدادهم لتغيير دينهم ، فى الآونة الحاضرة ، أو فى المستقبل القريب ، وكان التعليم من أهم العوامل التى تدعو القوم للتبصر فى أحوالهم العامة ، وإدراك ما هم عليه من شقاء تحت نظامهم الحالى ، بحيث يصح القول إجمالا : إن استعدادهم لتغيير دينهم يتناسب تناسبا طرديا مع نسبة انتشار التعليم بينهم ، لذلك رأينا أن نقف القارئ على نسبة التعليم بينهم فى الولايات المختلفة :

١٤٩	فى الألف	فى ترافا نكور
١٢٩	«	« إمارات آسام
١٠٣	«	« إمارة بارودا
٦٩	«	« بلوخستان
٥٠	«	« بنغال
٤٨	«	« إمارة كوشين
٣٦	«	« مقاطعة الحدود
٣٥	«	« إمارات مدراس
٣١	«	« آسام
٢٨	«	« بومباى
٢٨	«	« إمارات بومباى
٢٥	«	« إمارات بلوخستان
٢٢	«	« أجمير
١٩	«	« إمارات الهند الغربية

وتلى تلك مجموعة من الولايات والامارات تتضاءل فيها نسبة التعليم بين المنبوذين ، حتى تصل فى بعض منها الى ٢ فى الألف فقط .

وسنرى فيما يلى من تاريخ ثورة المنبوذين على الديانة الهندوسية ، باسبابها ، ونتائجها ، والحال الحاضرة فيها ما يبعث على الاعتقاد بصحة هذا القياس .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأصل فى الطبقات المنبوذة :

يرجع أصل حركة « النبذ » الى تقاليد الديانة الهندوسية منذ أقدم العصور ؛ ويرجعها عامة الكتاب الى عاملين : أحدهما تاريخى ، وثانيهما دينى .

الأصل التاريخى :

يروى لنا المؤرخون أن الجنس الآرى قد استوطن منذ أقدم عصور التاريخ الهضبة الأسيوية الوسطى ، وقد هاجر منها فى حقب مختلفة من التاريخ الى أوربا وايران والهند . وقبل قدوم الآريين الى الهند ، كانت البلاد آهلة بأجناس مختلفة ، ضرب بعضها بسهم وافر فى المدنية ، مما يستدل عليه بآثارهم العمرانية التى كشف عنها التنقيب فى أنحاء مختلفة من الهند .

وقد ظل الآريون يتوغلون فى الهند رويداً رويداً ، متغلبين على كل ما صادفهم من عقبات ، حتى ليقال إنهم لم يكتفوا بالتغلب على سكان البلاد الأصليين وإخضاعهم لسلطانهم الزمنى فحسب ، بل جردوهم من كل ممتلكاتهم ، ونزلوا بهم الى مستوى أحط من مستوى الأرقاء . وقد لجأ كثير من أفراد العنصر المغلوب الى الغابات والجبال المنيعة ، حيث لا يزال أحفادهم على قيد الحياة يعيشون عيشة المتوحشين الأقدمين ؛ فى حين لجأ فريق آخر ، ممن جردوا من منازلهم وضياعهم ، الى معيشة التجوال ، ومنهم نشأت القبائل الرحل التى لاتزال تجوب أنحاء الهند لا تلوى على شىء . وقد اتخذ كثير من هؤلاء على مر الأيام السرقة والخطف مهنة يلتمسون الرزق من سبيلها . ولا يزال ذكر هؤلاء يرد حتى اليوم فى الاحصاءات الرسمية باسم « القبائل الاجرامية » ، ويرصد البوليس حركاتهم ويتتبع أحوالهم . وقد أنشأت الحكومة ادارة خاصة بقصد الحد من تصرفاتهم الاجرامية ، أما البقية الباقية ممن ذكرنا فقد ركنوا الى الاقامة بالقرب من المدن الكبرى فى حالة فقر مدقع ، يلتمسون الرزق من أحقر السبل كالزبالة ، والشحاذة ، واقتناص القردة وتدريبها على الرقص واللعب أمام جمهور محدود من النظارة يتصدق عليهم ببعض الحبوب أو ببضعة قطع من العملة النحاسية . والى هذا الفريق ينتسب عامة الحواة الذين يلعبون بالثعابين ؛ والراقصون على الحبل و (البهلوان) ؛ وقد دفعتهم الفاقة الى التهام كل ما يقع تحت أيديهم ، فاذا أعوزهم الطعام فتكوا بالثعالب وأبناء آوى والفيران ، وقد يأكلون الثعابين ؛ ويعيش معظمهم على الجيف ؛ أما ملابسهم فبالية قذرة ، إلا من عاش منهم فى المدن ، فان ملابسه قد تكون أحسن قليلا ؛ ويوجد ببلاد الهند من هذه الطبقات الوضيعة حوالى ثلاثمائة صنف .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأصل الديني :

يوجد في تقاليد الديانة الهندوسية قانون قديم جداً ، يعد مرجعاً من أهم مراجعهم ، ويعتقدون أن واضع ذلك القانون كان شخصاً عظيم الورع ، واسع العلم ، اسمه « مانو Manu » ، كما يعتقدون أنه وضع ذلك القانون شريعة لهم ، ولذلك لم ينكر سلطته بل لم يناقشها أحد من المتأخرين .

ولقد قسم « مانو » الهندوسيين بل عامة الجنس البشري (إذ يظهر أنهم كانوا يعتقدون أن الهند هي كل المعمور ، وأن سكانها هم عامة الجنس البشري) قسم هؤلاء الى أربعة أقسام :

أولا : البراهمة :

وهم من خلقوا من فم الإله ، وكانت وظيفتهم الوراثية ، هي العلم بكتابهم المقدس (الفيدا Vidas) . ولهم أن يمارسوا كل شئون العبادة ، فهم بذلك قساوسة الهندوسية ، وكانوا يعتبرون من أرقى مراتب الجنس البشري ، وواجب على كل من لم يكن برهمياً أن يخصهم بأعظم قسط من الاحترام والتقدير ، وأن يتقدم إليهم بكافة أنواع الهدايا ؛ ولا يصح القيام بأي واجب ديني إلا على أيديهم ، أو بعبارة أدق : تراهم قد احتكروا الوساطة بين الانسان وربه .

ثانيا : الشاتري :

وهم من خلقوا من أذرع الإله ، ولذلك كانوا هم رجال الحرب والقتال ، وبيدهم صولجان الحكم الزمني ، يتوارثون الوظائف أباً عن جد .

ثالثا : الفايشا :

وهم من خلقوا من فخذي الإله ، وينتمي الى هذه الطبقة : التجار ، ورجال المال والزراعة .

رابعا : السودرا :

وهم من خلقوا من أقدام الإله ، وتشمل هذه الطبقة الخدام الذين كتب عليهم - بالوراثة اللانهائية — أن يخدموا الطبقات الثلاث السالفة الذكر ، وأن يعيشوا معيشة كلها خضوع وعبودية ، يحيط بهم الفقر ، ويلازمهم الامتهان .

ويستطيع المجتهد في قانون مانو ، وغيره من كتب الهندوس ، كما يستطيع المتتبع للسوابق التاريخية في هذه الديانة ، وكذا من يبحث أمور أصحاب هذا الدين في حاله الحاضرة ، أن يستنتج أن تقسيم النوع البشري الى أربع طبقات ، قصد به أن يكون وراثياً ؛ فأبناء البرهمي

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأحفاده ، لابد لهم من أن يكونوا براهمة كما كان آباؤهم وأجدادهم ، وكذلك الحال فى كل من الطبقات الأخر .

ولكن العصر الحديث قد انجلى عن حملات شعواء ، يشنها المسلمون والمسيحيون على نظام الطبقات ؛ ولذلك نشأ من بين الهندوس جماعة من المثقفين والمفكرين ، يقولون بأن هذا التقسيم لم يقصد به أن يكون وراثياً ، بل إنه تقسيم قد دعت إليه الكفايات ؛ فالرجل المثقف الورع قد يكون برهمياً ، كما أن الجندى المحنك قد يكون (شاتريا) ، أما من اتجهت به مواهبه الى التجارة أو الزراعة فيكون (فايشا) ، ثم تتبقى بعد ذلك طبقة من الشعب ، تكاد تنعدم فيها المواهب السالفة الذكر ، وهؤلاء هم السودرا .

وبمقتضى هذا الرأى ، يجوز أن ينحدر ابن البرهمى الى أحط دركات المجتمع ، إذا لم يكن له من المواهب ما يستطيع أن يؤهل به نفسه لإحدى الطبقات الأخر ، كما يحتمل أن ينشأ ابن السودرا ، وقد وهبته الطبيعة المقدرة على إحراز المعرفة والتمسك باهداب الورع ، فيرتفع بذلك الى درجة البراهمة ؛ وقياساً على ذلك يجوز لابن الشاترى أو الفايشا أن يرقى الى درجة أعلى من درجته ، أو أن ينحط الى طبقة أدنى من طبقته ، وفق مؤهلاته . على أن الرأى الذى نادت به هذه الطبقة من المفكرين لم يعدو أن يكون رأياً نظرياً ، لا تؤيده السوابق التاريخية ، ولا تصرفات الجيل المعاصر .

وتنقسم « السودرا » بعد ذلك الى قسمين : قسم يجوز لمسه ، وقسم يحرم لمسه ؛ فمن الفريق الأول حمالو الماء ، والخدم المكلفون بتنظيف الأوانى ؛ ويجوز لهؤلاء ان يلمسوا أجسام الهندوس من الطبقات التى تعلوهم ، كما يجوز للهندوس لمس أجسامهم ، دون أن يسبب هذا التلامس نجاسة ؛ ولكن سواد السودرا يعدون أنجاساً ، لا يسمح لهم بلمس أجساد الهندوس من الطبقات العليا ، بل لا يجوز لهم أن يلمسوا « السودرا » من الطبقة الأولى ، كما لا يسمح لأولئك بلمسهم ، وهؤلاء هم المنبوذون .

« يتبع »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رسالة أبي الربيع محمد بن الليث :

هذه رسالة كتبها أبو الربيع محمد بن الليث عن لسان الخليفة هرون الرشيد الى الامبراطور قسطنطين ملك الرومان لعهده ، يدعوه وقومه للاسلام ، وقد طبعها فى رسالة على حدتها حضرة الأستاذ الالمعى النابه أسعد لطفى حسن مؤلف كتاب الاسلام . ولست أرى أبلغ فى تقدمة هـذا العمل الجليل الى القراء من نقل كلمة حكيمة توجه بها حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى . قال فضيلته حفظه الله :

« اطلعت على كتاب الاسلام الذى ألفه حضرة الاستاذ أسعد لطفى حسن فوجدته كتابا يوضح مناحى الدين ، ويأخذ بحظ وافر من الأخلاق ، ويضرب بسهم غير منزور من الأدب والاجتماع ، بعبارة سهلة وأسلوب يشوق النفس ، تتشربه الأفهام ، وتشتهيه الأنفس الطيبة ، وقد أورد فيه من النصوص القرآنية ما فيه بلاغ لقوم يعقلون .

« وبعد أن أتى على ما أراد من هذه النواحى أورد رسالة من انشاء أبى الربيع محمد بن الليث كتبها عن الخليفة الخامس هرون الرشيد الى قسطنطين ملك الروم لعهده يدعوه وقومه فيها الى الاسلام ، وهى فى أسلوبها وجزالة ألفاظها ، وحسن تنسيقها ، ومسحة تأليفها ، تشبه ما كان يتعاطاه فحول الكتاب فى ذلك العهـد كسهل بن هرون وتلميذه الجاحظ . فهى وما كتب فى مشاورة المهدى كأنما يمتحان من قليب واحد ، إذ منشئهما واحد ، استهلها بحمد الله بمحامده والثناء بآلائه ، ثم انتقل الى بيان ما يحمل من أمانة وجوب تبليغ الدين والاعذار الى من لم تبلغه دعوة الاسلام ، وأنه يريد أن يحط عنه ثقل الامانة بتبليغه الاسلام على الوجـه الذى يدعو الى النظر ، اقتـداء برسول الله وامتثالا لأمر الله ، ورجاء أن يكون ممن قصد بقوله تعالى : « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين » .

« ثم أخـذ يجول فى ميادين الدعوة ، ويتنقل من برهان على التوحيد الى برهان آخر ، ومن حجة الى حجة ، باسطا ذلك كل البسط بالأدلة القوية المتينة .

« ثم تصدى لتوحيد الذات الالهية وبعـدها من التركيب ، وتعرض للعقيدة النصرانية بالأدلة العقلية ، وأتى من ذلك على ما شاء ، وما امتد به نفس القلم ، وكان من أواخر ما ورد من هذه الرسالة قوله :

« وكتاب أمير المؤمنين نذيره بين يدى جنوده ، ومقدمه إن شاء الله من جيوشه ، إلا أن تؤدى الجزية التى دعاك أمير المؤمنين اليها ، وحداك ومن قبلك عليها ، رحمة للضعفاء الذين لا ترحمهم ، وتوجعا للمساكين ممن لا تتوجع منه لهم ، من الجلاء والسباء والقتل والأسر والقهر ، وقساوة من قلوبكم ، وأثرة لأنفسكم ، واعتصاما بخواصكم ، وإجلاء لعوامكم الضعفاء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الفقراء المساكين ، لا تمنعونهم بقوة ، ولا تدفعون عنهم بحيلة ، ولا تراقبون فى الرحمة لهم ، والتعطف عليهم أدب المسيح إياكم ، وقوله فى الكتاب لكم : « طوبى للذين يرحمون الناس فان أولئك أصفياء الله ونور بنى آدم »

« أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب سامعه وقارئه ، وأن يهدى به ، ويثيب مؤلفه ، إنه سميع الدعاء »

التهذيب فى علم الفقه :

لايزال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ احمد كامل الخضرى يوالى عمله العظيم فى إعادة صوغ الكتب العلمية الأزهرية فى قوالب عصرية ، وهو عمل سبق لنا أن قلنا عنه إنه أوثق صلة يمكن أن يتوسل بها للتقريب بين الناس وكتب الدين ، واستفادتهم منها كما يستفيدون من جميع مصادر العلم . وقد نجح الاستاذ فى مشروعه هذا نجاحا عظيما : فقد وصل إلينا من فضيلته أخيرا كتاب (التهذيب) وهو تهذيب كتاب (النهاية) للعلامة ولى الدين البصير رحمه الله ، وهو شرح لكتاب (غاية الاختصار) ، ولم يكن معروفا بل ولم يسبق طبعه .

قال الأستاذ وقد ذكر أنه عهد اليه تدريسه :

« فرأيت من واجبى أن أتابع خطتى فأجمع كتابا يشتمل على ما فى النهاية بالأسلوب الذى درجت عليه فى (تهذيب الكفاية) من تحرير الأحكام ، وتتميم المسائل ، وزيادة الفوائد ، وحسن التبويب ، وسهولة التراكيب ، وتخريج الأحاديث » .

وقد وفى فضيلته بكل ما وعد به ، وزاد بأن طبع كتابه على ورق جيد بحروف جديدة ، فجزاه الله خير ما يجزى به العالمين العاملين .

الفتح الربانى :

لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيبانى .

لا يزال فضيلة الأستاذ المفضال الشيخ احمد عبد الرحمن البنا الساعاتى يتابع جهوده فى طبع ما وفق لعمله من ترتيب مسند الامام أحمد مع شرح وضعه له ، وقد أتم طبع الجزء السابع منه .

إن مسند الامام احمد يشتمل على جميع الأحاديث الصحيحة المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا عددا محصورا منها أتى به الأستاذ فى المناسبات وهو بصدد الشرح ، وهذا يعتبر من أضخم الأعمال ، يقوم به فرد واحد بهمة لا تعرف الكلال .

وقد سار على توزيع هذا الكتاب كراريس وأجزاء ، فنرجو لكتابه الانتشار ، ولعمله التوفيق . وعنوانه بعطفة الرسام رقم ٩ بالغورية بالقاهرة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحــــج

فى هذه الآونة يأخذ الذين أسعدهم الله بازماع الحج الى بيته المحرم فى السفر لأداء هذه الفريضة الجليلة ، ومنهم من بادر به ليطيل مكثه بتلك البقاع الطاهرة . وما يُرى من هذه الحركة هنا يوجد مثلها فى كل بلد إسلامية من مطلع الشمس الى مغربها ، ونحن إن كنا على بعد ثلاثة أيام من تلك البقاع الشريفة بحرا وبضع ساعات جوا ، فان من المسلمين من لا يكفيهم الشهر فى قطع هذه المساوف المترامية بينها وبين بلادهم برا وبحرا ، وقبل قرن من الزمان كانت لا تكفيهم السنة يتعرضون فيها الى إخطار لا يقوى على تحملها إلا كل من كتب له طول البقاء .

هذه العاطفة القوية التى كانت ولا تزال تهيب بالنفوس الى زيارة بيت الله بمكة ، لم تضعف بضعف العاطفة الدينية فى هذا القرن المادى ، ولكنها ازدادت قوة ، فاصبح اليوم يحج من لا كان يرد له الحج ببال ، من الرجال المثقفين والنسوة المتعلمات ، والفضل فى ذلك يرجع الى قوة بنية هـذا الدين ، وازدياد تأثيره فى النفوس بازدياد ترقى العلم والحكمة . فانه بينما يشكو العالم كله من مجافاة المتعلمين للاديان ، يزداد متعلمو المسلمين تقربا من الاسلام وإقبالا عليه . ولايمكن أن يعلل هذا الأثر بفعل الوراثة ، ولابدافع التقليد ، فانهما لايتعديان حدود الجمود العقلى الى الأعمال الشاقة التى تكلف الانسان مالا وانتقالا .

الحج فى ذاته ليس خاصا بالاسلام ، فقد كان أهل الجاهلية يحجون ، واليهود والنصارى يحجون ، وكان أهل الهند والصين واليونانيون القدماء وغيرهم يحجون الى معابد وهيا كل مقدسة لديهم ، ولكن ليس الحج فى واحدة من هذه الأمم يشبه الحج فى الاسلام . فتلك أمم اعتبرت الحج غاية فكانت تؤديه لذاته ، ولذلك اعتقدت أنه كلما كان شاقا مرهقا كان ثوابه أكثر ، وعائدته أوفى ، ولكنه يعتبر عند المسلمين وسيلة لما يبتنى عليه من الفوائد الأدبية والمادية ، وذريعة لما يتولد عنه من العوائد الروحية والاجتماعية . ولذلك شرط الله له توافر الاستطاعة المالية والبدنية ، واستكمال أسباب الراحة الجسمية والانتقالية .

فالحج فى الاسلام فوق ماهو عليه من الصبغة العبادية ، تلازمه صبغة اجتماعية واضحة ، وهو كجميع العبادات الاسلامية تمازج فيه هاتان الصبغتان بحيث لايعرف الحد الفاصل بينهما ، وهنا موطن قوة هذا الدين الذى أدهش بها العالم ، وعلة حياته فى قلوب أهله حياة قابلة للتجدد على مر الأيام وتوالى الحوادث .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فيصح والحالة هذه أن تقول : إن الحج يلازمه قيام مؤتمر عام للمسلمين فى كل عام مرة . ومن يتأمل فى جزئياته يرى أن عناصر ذلك المؤتمر ماثلة فيه على أكمل وجه . فان المسلمين فى أول الاسلام كان يحج بهم أمير من اختصاصاته أن يبلغهم إذا اجتمعوا فى صعيد واحد ما كلفته السلطة العليا أن يبلغهم إياه مما له اتصال وثيق بأمر دينهم ودنياهم . والدين والدنيا فى نظر الاسلام مترابطان ، ترابط الروح والجثمان فى الانسان . فاذا كان الدين يمد الروح بالايمان الصحيح ، والآداب والأخلاق ، فان أمور الدنيا تمده بأسباب البقاء ، ودواعى الارتقاء ، وإتقان خلافة الله فى الأرض .

هذا وضع جلل فى نظر علم الاجتماع ،لا يعقل أن يبتكر بانى دولة أصلح منه لتوثيق روابط أمة من الأمم ، وإسعافها بالتقوية كلما أدركها ضعف أو أثارة من انحلال .

ثم إنه من ناحية أخرى ، إن روعيت جميع شروطه ، وسيلة عملية لتوحيد غايات المسلمين وتوجيههم الى مصادر الحياة الصحيحة ، بما يقتبسه بعض شعوبهم من ثقافات البعض الآخر مما يكونون قد هُدوا اليه دون غيرهم ، سواء أكان ذلك فى عالم العلم أم العمل . ولا يخفى ما فى استمداد الضعفاء من الأقوياء من خير يعود على الطرفين جميعا .

ويتبع هذا أيضا ناحية ليست تقل خطرا عن الأولى إن لم تكن تفوقها قيمة ، وتكبرها أثرا ، تلك هى الناحية الاقتصادية . فان لكل شعب من الشعوب الاسلامية صناعات ، ونبوغا فى بعض ضروب المحاولات ، ولبلادهم منتجات لا توجد فى غيرها ، فانه بوساطة هذا المؤتمر العام يمكن إبرام اتفاقات على تبادلها فيما بينهم ، وإن مثول أصحابها فى مجتمع عام يسهل عليهم تدارس الوسائل المختلفة لتسهيل أمر ذلك التبادل وجعله أمرا واقعا ، بتذليل ما عسى أن يقوم أمامه من العقبات .

هذا بعض ثمرات الحج من الوجهة الاجتماعية ، فهل يقوم المسلمون بما يحققها استكمالا للناحية الدنيوية من هذه الفريضة ؟

كل تجديد فى شأن من الشئون البشرية يجب أن تسبقه حاجة ماسة اليه ، فهل أشعرت نفوس المسلمين الحاجة الى الاستفادة من الحج لمصالحهم الأدبية والمادية ؟

ليس لدينا من شك فى حدوث هذا الشعور منذ نحو نصف قرن ، وقد كتب فى حكمة الحج من الناحيتين الروحية والاجتماعية عدد كبير من الباحثين ، ولكن كان يحول بين المسلمين وتحقيق هذه الأمنية سيادة الجهالة والأمية فى سوادهم الأعظم ، والصعوبة العظيمة التى كان يعانيها الخاصة فى شخوصهم الى الأماكن المقدسة ، لخلوها من ضروريات الإقامة ووسائل الانتقال . ولا تزال هذه الحوائل قائمة وإن كانت فى طريق الزوال . فالمسلمون اليوم يعملون جادين على قشع غياهب الأمية عن عقول عامتهم ، وقد تسهلت وسائل الانتقال بحرا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وجوا ، وتأسست فنادق كاملة العتاد هنالك ، فتيسر لكثير من رجال التفكير العالى زيارة البيت وتلك المشاهد الرائعة ، وازدادوا علما بأن الاستفادة من هذه الفريضة لمصلحة الاسلام والمسلمين يتناول أكثر مما أشرنا اليه . فقد رأوا أنه كما يتناول توحيد وجهة المسلمين وغايتهم ، قد يمتد فيتناول توحيد لغاتهم وتقاليدهم وعاداتهم ، وإزالة بدعهم وخزعبلاتهم . وصدور هذه الاصلاحات والتجديدات من البيئة نفسها التى نشأت فيها أول نواة لهذه الأمة ، ومنها استمدت عناصر حياتها ، وروح وجودها وعظمتها ، يطبعها بطابع التقديس فتخضع الرقاب لها صاغرة ، وتنحنى الرءوس أمامها خاشعة . ويزيدها هيبة وتأثيرا أن تلك البقاع أصلح لتمثيل جميع المذاهب الاسلامية من كل بقعة فى الأرض ، فيكون للتعاليم والوصايا التى تصدر منها صفة الاجماع ، فلا يقوى على الحط من شأنها متلاعب مبتدع فى أى بيئة من بيئات العالم .

هذه الأقوال ليست بالأمانى التى يتعزى بها المفكرون ، ولكنها حقائق لا بد من تولدها من فريضة الحج ما دامت مقامة لدى المسلمين ، ومادام هذا الجثمان الضخم من شعوبهم وجماعاتهم قد كتب له أن يعيش .

ومما يحسن بنا أن لا نختتم هذه العجالة حتى نستنزل عجب القارىء من هذا النظام البديع الذى بنى عليه الاسلام مجتمعه العظيم ، فقد وضعه على أسلوب وإن كان لا يمنعه من طروء الضعف عليه إذا قصر أهله فى أداء واجباتهم نحوه ، فإنه يحميه عوادى التحلل والفناء فى غيره . فان ضروب المناعات المبثوثة فى بنيته ، وصنوف الحوافظ المحيطة به ، لما تحار فيها العقول القوية ، وتدهش منها البصائر النافذة .

لقد وصلت بعض جماعات المسلمين وخاصة فى العهود الأخيرة الى حالة من الضعف أصبحت معها حرضا يرثى له ، نسيت معه كل شىء حتى وجودها ، ولكنها لم تنس شيئا واحدا وهو دينها ، فلم تزل تحبه وتحترمه وتعلق عليه آمالا كبارا . فكان الناظر اليها يعد ذلك منها جمودا ، لأنه فى قصر نظره وجهله بحقيقة الاسلام كان يظن أن ما هى فيه هو جناية هذا الدين عليها ، فأكثروا فيها من الدعاة لمللهم ، وبثوا فيها روح النفور من عقائدها ، ولوحوا لها بما ينتظرها من المقاوم الكريمة ، والمكانات العلى إن صبأت عنه الى غيره ، ولكنها ظلت وفية له لا ترجو من حياتها إلا شيئا واحدا وهو أن تموت عليه .

لا نقول إن هذا الثبات من آثار الجمود على التقاليد ، والاستماتة فى الصبر على الموروثات ، لأن شعوبا كثيرة غير إسلامية صبأت عن أديانها فى عهود كثيرة من التاريخ ولم تصل الى مثل ما وصلت اليه بعض الجماعات الاسلامية من الضعف وسوء الحال ، فعدم حدوث هذه الظاهرة الاجتماعية فى هذه الجماعات خلافا لسواها يدل دلالة قاطعة على أن فى نظام الاجتماع على الأسلوب الاسلامى حوافظ خاصة ، ومناعات قوية ، تحميها شر التحلل والتلاشى فى جماعات أخرى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ونحن وإن كنا نرى أن هذا الموضوع جدير ببحوث مستفيضة ، وتدقيقات عظيمة ، فاننا نستطيع أن نتعجل فنقول : إن فريضة الحج واحدة من حوافظ الاجتماع للشعوب الاسلامية .

وقد فطنت لذلك أمم استعمارية فعملت على تحريم الحج على الشعوب الاسلامية الخاضعة لسلطانها سنين كثيرة ، ولكن وجود غير الحج من الحوافظ والمناعات فى بنية الجماعات الاسلامية أبقتها حافظة لتماسكها فى وجه جميع المغريات التى صبت عليها من مستعمريها الذين اضطروا فى النهاية أن يرفعوا هذا الحجر عنها .

واليوم توجد أمم تتطور فى اتجاه المدنية الأوربية ، وتتقمص العقلية الغربية عن اعتقاد راسخ بأنها إن لم تفعل ذلك لا تستطيع أن تلحق الدول المعاصرة فى توثباتها الحيوية . وكان كل متأمل فى تطور هذه الأمم فى هذه الوجهة يظن أن الاسلام سيلاقى منها ما لقى كل دين سواه لدى الذين سلكوا مثل هذه السبيل من قبل من الجماعات الأجنبية ، ولكن هؤلاء المتشائمون ما لبثوا أن رأوا هذه الأمم تزيد تعلقا بالاسلام ، وتشتد محافظة عليه . فمساجدها أصبحت أكثر حفولا بالمصلين ، ومواسم الدين صارت فيها أظهر مما كانت عليه . ولو امتدت بك حياة الى نحو ربع قرن آخر لترينّ رأى العين أن حوافظ هذا الدين وجواذبه قد عطفتهم اليه من أسمى ما يؤثر على شعورهم ، وأخفى ما يتسلط على عقولهم .

ولقد بدأت هذه القوى الظاهرة والخفية فى الاسلام تنتج آثارها فيهم ، فقد قاموا بترجمة القرآن الى لغاتهم ، فيقول قصار النظر هذه مقدمة لإلقاء نيره عن عواتقهم ، والحق أنهم ترجموه لشدة تعلقهم بكتابهم ، وحبهم زيادة الفهم عن ربهم . فان من يريد التخلص من سطوة كتاب على قومه ، يدعه على لغته التى لا يفهمونها ، ويزيدهم إيهاما بأنه مما لا تجوز ترجمته ، فلا يمضى عليهم عهد حتى تزول معالمه من أذهانهم فلا يعودون يتمسكون به .

الخلاصة أن للاسلام حوافظ ومناعات من ضروب شتى قد يخفى كثير منها على المتأملين السطحيين ، وهى فى الواقع ترتكز على أدخل قوى النفس ، وأخفى غرائزها ، كما يرتكز ظاهره على أظهر عواطفها ، وأوضح مراميها ، فليس لها على الحالين محيد عنه : « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وإليه يرجعون » ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

كيف كان يجتهد الرسول وكبار الصحابة

فى الأحكام الشرعية

عن ابن عمر أنه قال : « لما توفى عبد الله بن أبى بن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ، ثم ساله أن يصلى عليه ، فقام رسول الله ليصلى عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : تصلى عليه وقد نهاك ربك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إنما خيّرنى الله فقال : « استغفرْ لهم أولا تستغفرْ لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفرَ الله لهم (١) » وسأزيده على السبعين . قال عمر : إنه منافق ! قال : فصلى عليه رسول الله ، فأنزل الله « ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبدا ولا تَقم على قبره (٢) » . رواه الشيخان .

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور : (١) هل يدل الحديث على أنه يجوز للرسول صلى الله عليه وسلم أن يجتهد فى الأحكام الشرعية قبل نزول الوحى ؟ (٢) وإذا جاز له الاجتهاد فما فائدته مع اتصاله بالوحى : ألم يكن الأولى أن يتلقى الأحكام كلها عن الوحى ؟ (٣) يؤخذ من الحديث أن عمر قد خالف الرسول فى اجتهاده ، فهل لأحد أن يخالف الرسول فى حكم شرعى ، وكيف يتفق ذلك مع قوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (٣) » ؟ (٤) قد صرح الحديث بدليل الرسول الذى بنى عليه اجتهاده فقال : إنما خيرنى الله الخ فما دليل عمر الذى بنى عليه نهى النبى عن الصلاة عليه ؟ (٥) قد أقر الله اجتهاد عمر فى الظاهر حيث قال للرسول : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا » فما هو السر فى ذلك ؟

(١) أما الجواب عن السؤال الأول فهو بالايجاب ، وذلك لأن الحديث صريح فى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد اجتهد فعلا فى حكم شرعى . أما كونه حكما شرعيا فظاهر ، لأن جواز الصلاة على المنافق المتوفى وعدم جوازه حكم شرعى بلا ريب . وأما كونه صادرا عن الرسول باجتهاده لا بالوحى فذلك لأن عمر قد خالفه فيه ، ولو كان صادرا عنه بطريق الوحى لما جاز

---

(١) سورة التوبة : ٨٠ (٢) التوبة : ٨٤ (٣) الحشر : ٧

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لعمر أن يخالفه فيه كما ستعرفه بعد ، فهذا دليـل واضح على أن للنبي صلى الله عليه وسلم أن يجتهد ، لأنه قد اجتهد فعلا ولم ينهه الله عن الاجتهاد .

على أن بعض علماء الأصول قال : ليس للرسول أن يجتهد . وقد استدل من قال ذلك بدليلين :

(أحدهما) أن رأى المجتهد يحتمل الخطأ والصواب ، ولهذا لا يجب على الناس أن يقـلدوا المجتهد ، وهذا المعنى لا يتحقق فى الرسول لأن الله تعالى أوجب علينا اتباعه فى كل الأحكام التى يجىء بها بحيث لا يجوز لأحد مخالفته فيما يأمر به أو ينهى عنه .

(ثانيهما) أن الرسول قد بعث ليبلغ الأحكام عن ربه ، فيجب أن تـكون شريعته كلها بنصوص من عند الله ، لأن الشأن فى المبلغ أن يقتصر على مايوحى إليه ، ومتى اجـتهد يخرج عن وظيفة التبليغ الى وظيفة الاجتهاد التى لم يبعث لها .

وقد أجيب عن الدليلين بأن النبي صلى الله عليه وسلم متصل بالوحى ، فلو أخطأ فى اجتهاده فان الله لا يقره على الخطأ بل يوحى اليه بالصواب الذى يجب العمل به . ولهذا كان اتباعه فى كل ما جاء به من الأحكام واجبا ، بخلاف غيره من المجتهدين . فالرسول وإن كان يوصف بالاجتهاد فى بعض الأحـكام فى أول الأمر ولـكن بعد أن يقر الوحى اجتهاده يصبح رأيه فى الحـكم صوابا جزما لا يحتمل الخطأ كالنص الموحى به بدون فرق . وبذلك تعلم أن الرسول لا يخرج باجتهاده عن وظيفة التبليغ ، لأن اجتهاده بعد إقـرار الوحى إياه يكون كالنص المـوحى به بلا فرق .

على أن هناك أدلة كثيرة من الـكتاب والسنة تدل على أن للرسول أن يجتهد .

منها قوله تعالى : « لتبين للناس مانـزّل اليهم (١) » . ولا يخفى أن البيان عام يتناول ما كان بطـريق الوحى وما كان بطريق الاجتهاد . بل لو قصرناه على ما كان بطريق الوحى لم يـكن له كبير فائدة ، لأن البيان بطريق الوحى مأمور به ضمن الآيات الأخرى .

ومنها قوله تعالى : « فاعتبروا يا أولى الأبصار (٢) » . وليس من المعقول إخراج الرسول من أولى الأبصار المأمورين بالاعتبار أعنى الاجتهاد ، لأنه سيد أولى الأبصار وأجدرهم بالنظر والاعتبار .

ومنها قوله تعالى : « وشاوِرْهم فى الأمر (٣) » فانه لو لم يكن له رأى فاصل فى الأمور لم يكن لأمره باستشارتهم معنى ، فان الذى لا يملك البت فى أمر يكون عابثا إذا شاور غـيره فيه . ولا يصح أن يقال إنها شورى ظاهرية يقصد بها تطييب خاطرهم فقط لأن ذلك مما ينزه الله عنه ورسوله وأجلاء الصحابة ، فانهم إذا علمـوا أن الشورى لا فائدة لها مطلقا تهيج خـواطرهم

(١) النحل : ٤٤ (٢) الحشر : ٢ (٣) آل عمران : ١٥٩

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

لا تطيب . وأيضا لو صح هـذا لما كان لمخالفتهم إياه معنى ، مع أنه قـد ثبتت مخالفتهم إياه فى كثير من الحوادث ، وقد أقرهم الله على رأيهم فى كثير منها . وهذا الحـديث الذى معنا شاهد صدق على أن النبى قد اجتهد فعلا وخالفه عمر وأقر الله اجتهاد عمر فى الظاهر ، ولم ينه الرسول عن الاجتهاد . ومثله كثير فى السنة ، بل وفى كتاب الله تعالى .

ومنها قوله تعالى: « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يُثْخِنَ فى الأرض (١) » الآية . وحاصل ما قيل فيها أن المسلمين قد أسروا فى معركة بدر سبعين أسيرا ، منهم العباس عم الرسول ، وعقيل بن أبى طالب ، وسهيل بن عمر ، من فصحاء مكة وخطبائها البلغاء . فاختلف المسلمون فى أمر هؤلاء الأسرى ، فكان من رأى الرسول صلوات الله عليه وأبى بكر ومعهما بعض الصحابة إطلاق سراح هؤلاء الأسراء بفدية مالية ينتفع بها المسلمون . وكان من رأى عمر وسعد بن معاذ ومعهما بعض المسلمين قتلهم . وظاهر هذه الآية يؤيد عمر ومن معه ، ولكن الواقع أن الله قد أيد الفريقين .

بيان ذلك : أن وجهة نظر عمر رضى الله عنه قد يقال فيها إن المسلمين كانوا فى بدء قوتهم فمن واجبهم أن يستمسكوا بكل ما يزيد فى هذه القوة التى يتوقف عليها نشر الدعوة الى الله كى يرهبوا أعداءهم الذين يتربصون بهم الدوائر ، ويريدون القضاء عليهم وعلى الدعوة الى الله فى مهدها . فالسياسة الحربية يومئذ تقضى استئصال المحاربين وعدم إطلاق الأسرى فى نظير فدية مالية ، خصوصا إذا كان الأسير ذا جاه ونفوذ ، فإن إطلاقه فى نظير فـدية من المال فى وقت ضعفهم قد يترتب عليه شر عظيم لا يوازيه مال كثير ، فلذا رأى عمر قتلهم لما فيه من إرهاب المشركين ، وقطع دابر بعض أئمة الكفر الذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم وآذوهم شر إيذاء .

وأما وجهة نظر الرسول عليه الصلاة والسلام وأبى بكر ، فقد يقال فيها : إن قتل هؤلاء لا فائدة فيه ، بل قد يثير أحقاد من وراءهم بحالة عنيفة ، فيتألبون على المسلمين قبل أن يقوى جانبهم وتشتد ساعدهم ، فتسوء الحال ؛ وأن الدين الاسلامى يرتكز فى الواقع على قوة البرهان لا على البطش والارهاب ، وكثير من هؤلاء الأسرى مستعدون للإدراك الصحيح ، فلا بد أن تؤثر فيهم قوة البرهان القاطع ، فيؤمنوا بالله ورسوله ، ويكون للدين بهم قوة ، وذلك هو الغرض من الدعوة الى الله تعالى ، فضلا عن أن المال الذى يأخذونه فداء يمكنهم أن يؤسسوا به قوة ترهب الأعداء أكثر مما يرهبهم قتل هؤلاء الأسرى ، والمسلمون وقتئذ كانوا فى أشد حاجة الى المال .

وقد تحققت وجهة نظر النبى صلى الله عليه وسلم فى عاقبة الأمر من جميع جهاتها ، فقد دخل

(١) الانفال : ٦٧

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

معظم هؤلاء الأسرى فى الاسلام ، وكانوا من أشد أنصاره وأقوى أساطينه . روى أن عمر قال لرسول الله : إن سهيل بن عمرو قد آذى المسلمين بخطبه وفصاحته فيحسن أن ننزع بعض أسنانه التى يتعطل بها لسانه فيستحيي من أن يقف موقف الخطيب الفصيح . فقال له رسول الله : عسى أن يقوم مقاما تمدحه عليه . وأطلقه بالفدية بدون أن يؤذيه ، فدخل سهيل الاسلام وكان من أقوى أنصاره ، ولما مات رسول الله عزم بعض ضعاف الايمان على الردة فقام سهيل هذا فيهم خطيبا فخولهم عن عزيمتهم ، وذلك هو الموقف الذى مدحه عليه عمر . وبذلك تحققت سياسة الرسول كاملة عليه الصلاة والسلام .

فهذا بعض ما قد يقال فى توجيه الرأيين ويؤخذ من فحوى تعليل كل واحد من الفريقين لرأيه . أما الله عز وجل العليم باحوال عباده وبما يؤثر فيهم ، فقد أيد الفريقين فى الواقع ، وذلك لأن الله قد أقر سياسة النبي فى إطلاق الأسرى وأخذ الفدية منهم ، ولو كان يريد قتلهم وعدم أخذ الفدية لأوحى به الى الرسول قبل أن يأخذ منهم شيئا وقبل أن يطلقهم ، كما وقع ذلك فى بعض الحوادث ، فإن النبي لما أراد أن يتفق مع بعض كبار المشركين على أن يقصى من مجلسه بعض ضعاف المؤمنين حرصا على إيمان هؤلاء الكبار ، وأراد أن يكتب لهم بذلك صكا ، نزل عليه الوحى فى الحال ونهاه عن ذلك ، فلم يفعل . وما ذاك إلا لأن الله تعالى عليم خبير بما قد يترتب على إطلاق هؤلاء الأسرى فى النهاية من الخير العظيم ، إذ لو لم يكن فيه سوى إسلام العباس وعقيل وسهيل وأمثالهم من أساطين المسلمين الذين أبلوا فى سبيل نصرة الاسلام البلاء الحسن لكفى . ولكن هذه النهاية لا يعلمها إلا الله عز وجل ، فلذا لم يمنع الرسول من تنفيذ اجتهاده ، ولو شاء لأوحى إليه بالمنع . فضلا عن ذلك فقد أباح سبحانه للمسلمين الانتفاع بالفدية ، وفى ذلك إقرار لسياسة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الواقع ، ولكن هذه الحالة خاصة بالرسول المتصل بالوحى ، فهو الذى يمكنه أن يقدم على تنفيذ اجتهاده هذا وهو آمن مما يترتب عليه من شر ، راج لما يترتب عليه من خير . أما غيره من المسلمين فليس لهم أن يفعلوا هذا . فمن أجل ذلك خاطب الله رسوله بقوله « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض » الآية . ومعنى الآية : ما كان ينبغى للنبى أن يتسامح مع الأسرى فيأخذ منهم الفداء ويطلق سراحهم من قبل أن يغزو المشركين ويثخنهم قتلا حتى يخضعوا للدعوة الى الله ويعز الاسلام ، فإذا عظمت قوة المسلمين وقويت شوكتهم وأصبحوا آمنين على الدعوة الى الله وعلى أنفسهم من بطش المشركين ، كان لهم أن يفعلوا ذلك ، بل كان لهم أن يطلقوا الأسرى بدون فدية أصلا . وهذا هو الذى وقع فعلا ، فإن الله خيرهم بعد فى أمر الأسرى فقال لهم : « فإما مَنًّا بعدُ وإما فِداءً (١) » فأباح لهم إطلاق الأسرى بدون مقابل مّنا منا عليهم .

---

(١) سورة محمد : ٤

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ولا يخفى أن ذلك تأييد لاجتهاد عمر ومن معه فى الظاهر ، فكان الله سبحانه يقول : إن سياسة الرسول وأبى بكر ومن معهما حسنة فى ذاتها ولكنها سابقة لأوانها ، ومع ذلك فاذا فعلها الرسول فإنها لا تضر ، لأنه قد يترتب عليها فائدة فى المستقبل ، ولكن هذه الفائدة غير عادية ، فلا يعلمها إلا الله الذى لا يمنع رسوله منها إن كان فيها خير . أما سياسة عمر ومن معه فهى المطابقة للسنن الطبيعية ، وهى التى ينبغى للمسلمين أن يفعلوها . ففى خطاب الرسول بهذه الآية إشعار للمسلمين بما يجب أن يكونوا عليه فى مثل هذه الحالة .

والحاصل أن حال المشركين يومئذ كان يستدعى أن يظهر المسلمون بمظهر البطش والقوة ، لأن المشركين كانوا كثيرين أقوياء بالمال والرجال ، والمسلمون كانوا أقلية ضعيفة ، فانلم يشعروا بشدة بأسهم وقوة بطشهم فانهم لا يبالون بهم ، وهذا ما كان يراه عمر ومن معه ، وهو ما يجب على كل مجتهد ينظر فى شئون المسلمين الدينية المتعلقة بالمصالح العامة والخاصة . فواجب على المجتهد أن ينظر الى الظروف المحيطة به ، ويبنى اجتهاده على الحقائق الثابتة ، لا على ما عساه أن يقع ، خصوصا فى الأمور الحربية ، فانها تستدعى الشدة والحيطة من جميع الوجوه . وأما قوله تعالى : « لولا كتابٌ من الله سَبَقَ لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم (١) » فمعناه أن الله قد كتب على نفسه أن لا يؤاخذ المجتهدين على خطأ مهما عظم . بل قد ثبت أنه تعالى يثيب المجتهد وإن أخطأ .

وبعد : فان كل هذا واضح الدلالة على أنه صلى الله عليه وسلم قد اجتهد فى أحكام شرعية لم ينزل بها الوحى ، وقد خالفه أصحابه فى بعضها ، وأقر الله اجتهادهم ولم ينههم عنه ، بل قال لهم إنه كتب على نفسه أن لا يؤاخذ المجتهد على خطأ . فهل بعد ذلك من دليل على صحة قول من يرى جواز اجتهاد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؟ فهو إمام المجتهدين ، ومرشدهم الأعظم بلانزاع .

(٢) أما الجواب عن السؤال الثانى وهو : ما فائدة اجتهاد الرسول مع اتصاله بالوحى الخ ؟ فهو : إن له فوائد كثيرة : أهمها أن فى اجتهاد الرسول وكبار أصحابه أسوة حسنة لمن بعدهم من المجتهدين ، ومثلا كاملا لما يصح أن يختلف فيه المجتهدون ، فان كل المسائل التى اختلفوا فيها سواء كانت متعلقة بالمعاملات كما فى أسرى بدر ، أو بالعبادات كما فى الصلاة على المنافق المتوفى ، كان مدار اختلافهم فيها على أربعة أمور : أحدها توخى المصلحة العامة التى كان يعتقد كل فريق أنها الى جانبه . ثانيها : التمسك بالأدلة الواضحة التى لا تعسف فيها ولا خفاء فى مقدماتها بحيث لا يرتاب من سمع الحجة فى أنها صادرة عن قلب مخلص بعيد عن الهوى والشغب . ثالثها : عدم التعصب للرأى ، والبعد عن التشبث بالجدل متى وضح الحق وظهرت

(١) الانفال : ٦٨

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

النتيجة . رابعها : أنهم ما كانوا يجتهدون إلا عند عدم النص ، أما إذا وجد النص فانهم كانوا يعمدون الى المعنى المتبادر منه ويعملون به .

ومما لا ريب فيه أن الاجتهاد المبنى على ذلك لا غنى عنه للمسلمين فى جميع الأجيال ، لأن رسول الله مرسل للناس جميعا ، ولا بد من تجدد الحوادث وتفاوت المصالح بحسب تفاوت الأزمنة والبيئات ، ولا بد من تطبيق ما يتجدد من ذلك على نصوص الدين الخاصة إن وجدت ، أو النصوص العامة إن لم يوجد نص خاص ، ولا بد من تفاوت أفهام الناس واختلاف أنظارهم ، فكان من اللازم الضرورى أن يجتهد الرسول وأصحابه ليكونوا قدوة حسنة للمجتهدين من بعدهم . ومن أجل ذلك تركهم الله يجتهدون بدون وحى ليعلموا من بعدهم ، ثم حكم الله فى اجتهادهم ليبين للمجتهدين وجه الصواب الذى يجب عليهم أن يتحروه بكل ما فى طاقتهم ، وليرشد الناس الى أن الاجتهاد ليس من الأمور الهينة ، فان الرسول وهو أرقى الناس ذكاء وفطنة خفيت عليه بعض العلل ، فيجب أن يكون المجتهد قادرا على استنباط الأحكام ؛ وليعلمهم أنه يجب عليهم أن يتبعوا الرأى الصواب مهما كان مصدره ، وأنه يجب أن لا يجد العظيم فى نفسه غضاضة إذا أخطأ هو وأصاب غيره ؛ وليشجعهم على الاجتهاد وترك التقليد ، لأن المجتهد لا يؤاخذ على الخطأ متى بذل الجهد وتمسك بكل الوسائل اللازمة .

فهذا هو اجتهاد الرسول وأصحابه ، فهل رأيتهم اختلفوا فى أصل من أصول الدين ، أو فى عقيدة من العقائد ، أو فى نص من نصوص كتاب الله الواضحة الجلية ؟ وهل رأيتهم ينتحلون فى اختلافاتهم دليلا واهنا أو معنى بعيدا كى يصلوا بذلك الى غرض شخصى أو شهوة كامنة أو اعتقاد باطل ؟ وهل رأيت واحداً منهم يتعصب لرأى أو يحاول الظهور بين الناس بالعلم والذكاء والقدرة على إفحام مناظره ؟ أوهل رأيت أحدا منهم يضحى فى اجتهاده المصلحة العامة طمعا فى الحصول على مصلحة خاصة ، أو رأيتهم جميعا فى اجتهادهم على العكس من ذلك : لا يجتهدون إلا للمصلحة العامة التى يترتب عليها إعزاز دينهم ووطنهم ، فلا يبغون بها بديلا ولو قطعت رقابهم ، وزهقت نفوسهم ؟

نعم : إنهم كانوا كذلك وأكثر من ذلك لمن يتأمل ، فكانوا خير قدوة لمن بعدهم من المجتهدين الذين درجوا على نهجهم ، وساروا فى طريقهم ، واتبعوا آثارهم فلم يخرجوا عنها قيد شعرة . فجزاهم الله عن دينهم ونبيهم أحسن الجزاء .

أما الذين أضلهم الله وأعمى أبصارهم فإنهم قد افترقوا فى أصول الدين ، واختلفوا فى العقائد التى نهاهم الله ورسوله عن التفرق فيها ، فأصبحوا بذلك خارجين على دينهم ونبيهم وهم مسلمون اسما ، فكان جزاؤهم عذاب النار ، كما أخبر بذلك الرسول صلوات الله عليه ، فقد قال : « ستفترق أمتى ثلاثا وسبعين فرقة كلها فى النار ، إلا واحدة وهى ما أنا عليه وأصحابى » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال صاحب المواقف : وكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم حيث وقع ما أخبر به . ثم عد الفرق المذكورة فى الحديث واحدة واحدة . فمن أراد معرفتها فليرجع الى المواقف .

فالناجى من هذه الفرق هو ما كان اجتهاده كاجتهاد رسول الله وأصحابه ومن على سنتهم ، يستمسكون بالنصوص الشرعية متى وجدت ، ويعمدون الى ما هو المتبادر الظاهر منها بدون تعسف أو تكلف ويطبقونها على مصالح العباد . فاذا لم يوجد نص فإنه يعمل بالقياس الصحيح . على أنه لا مانع من تفاوت الأفهام فى النصوص .

قال فى اعلام الموقعين :

« إن النصوص الشرعية تشمل جميع الأحكام فى جميع الأزمنة والأمكنة ، فلم يحدث جديد إلا ويمكن أخذ حكمه من نص شرعى ، ولكن للنص معنيان : معنى أصلى وهو الذى يقصده الشارع من اللفظ ، ومعنى إضافى وهو الذى يفهمه السامع . وبديهى أن الناس متفاوتون فى الادراك والفهم ، وللكلام نواح وجهات متعددة يختلف بسببها ذلك الادراك ، ولهذا قد اختلف الناس فى فهم النصوص فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يرجعون اليه فيقرر لهم المعنى الذى يريده الله تعالى ، ولم ينههم عن الفهم الذى يخالف مراد الشارع من اللفظ . وهذا التفاوت فى الادراك يظهر جليا عند الفتاوى فى الحوادث واستنباط الحكم ، فمن الناس من يهديه ذكاؤه الى استنباط حكم صريح خفى على غيره خفاء تاما ، كما وقع لعلى مع عثمان رضى الله عنهما ، فإن عثمان قرر أن المرأة التى ولدت لستة أشهر زانية وأراد رجمها ، فراجعه على ، وقال له : كلا إن المرأة قد تلد لستة أشهر ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا (١) » . ووجه الدلالة أن الله تعالى قال : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين (٢) » فاذا طرحنا الحولين — أربعة وعشرين شهرا — من ثلاثين كان الباقى ستة وهى مدة الحمل ، فاقتنع عثمان بهذا النص » اهـ ملخصا .

ومما يلفت النظر اقتناع عثمان بمجرد أن ظهر له معنى الدليل واضحا ، فلم يحاول أن يرد عليه أو يجادل فيه بأى جدل ، فذلك هو المثال الكامل فى الاجتهاد .

إن هذا المعنى الذى كتبته هو ما فهمته من درس الأستاذ الأكبر الامام المراغى بمسجد أبى العلاء فى شهر رمضان ، فانه حفظه الله قال ما معناه : إن الله قد أوحى الى رسوله بأصول الشرائع التى أوحى بها الى من قبله من كبار النبيين ، وهذه الأصول لا ينبغى لأحد أن يختلف فيها لأنها غير قابلة للاختلاف ، ومن يختلف فيها فهو فى شك مريب من دينه . ثم نعى على الذين يختلفون ويتفرقون فى دينهم على هذا الوجه الذى ذكرناه ، أما ما وراء هذا من المصالح التى تتطور بتطور الأمم وتختلف باختلاف الأحوال فانها تتبع الدليل ، فان وجد نص فانه

---

(١) الاحقاف : ١٥ (٢) البقرة : ٢٣٣

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يجب الرجوع اليه بدون تعسف أو تكلف . وإلى هذا أشار الله بقوله : « لـكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (١)

(٣) أما الجواب عن السؤال الثالث وهو مخالفة عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فى الاجتهاد ، فانه لا منافاة بين هذه المخالفة وبين قوله تعالى : « وما آتاكم الرسول » الخ ، وذلك لأن هذه المخالفة كانت بامر النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول لأبى بكر وعمر : قـولا فانى لم يوح الىّ فى هذه مثلكما . وعلى هـذا يكون المراد من الآية النصوص الموحى بها أو المجتهد فيها بعد إقرار الوحى . أما قبل إقـرار الوحى فالاجتهاد فيها مطلوب ، فان النبي كان يحث أبا بكر وعمر على الاجتهاد .

(٤) وأما الجواب عن السؤال الرابع ، وهو دليل عمر على منع النبي من الصلاة على رأس المنافقين ، فالظاهر أنه قـول الله تعالى « ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قـربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » (٢) فقد فهم عمر أن النهى عن الاستغفار نهى عن الصلاة عليهم من باب أولى .

وقد يقال فى بيان وجهة نظر الرسول أنه عليه الصلاة والسلام فهم من آية التوبة أنه لا يجوز له أن يستغفر لمن ثبت موته مشركا . ولا يثبت الشرك إلا بأحد أمرين : إما بالوحى كما هو الحال فى أبى لهب ، فان الله تعالى قد أخبر نبيه بأنه لا يؤمن ؛ وإما بطريق إعـلان الـكفر كما هو الحـال فى المشركين الذين أعلنوا شركهم . أما المنافقون الذين يبطنون الـكفر ويظهـرون الايمان فان النبي صلى الله عليه وسلم قد عاملهم بمقتضى الظاهر كما هى القاعدة الاسلامية . وهم وإن كانوا قد جاهروا فى بعض الأحيان بمحاربة الله ورسوله إلا أنهم قد أظهروا الايمان وتبرءوا من الأعمال التى نسبت اليهم ، فـكان الرسول يعاملهم معاملة المؤمنين الفاسقين ، فيستغفر لهم رجاء أن يغفر الله لهم ذنوبهم ويصلح حالهم .

والله لم ينه الرسول عن الاستغفار لشخص إلا إذا تأكد أنه من أصحاب الجحيم كما هو نص الآية ، فانها صريحة فى النهى عن الاستغفار بعـد التحقق من أن الميت من أصحاب الجحيم ، وهذا لا يتأتى إلا إذا مات وهو معلن للـكفر ، أو يوحى الى الرسول بأن فلانا لا يؤمن . أما المنافقون فقد خيره الله فى شأنهم بقوله « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » .

وحيث إن عبد الله بن أبى قد أظهر الايمان ، وقد ورد أنه استشفع بابنه ليأتيه بقميص الرسول ويكفنه فيه ، وطلب من الرسول أن يصلى عليه ، فان كل ذلك يجعله مؤمنا فى الظاهر . أما كونه كافرا فى الباطن فذلك لا يمكن الجزم به إلا بالوحى . فاجتهاد النبي من هـذه الجهة هو الظاهر المعقول ، بل لا يمكن أن يفهم سواه ، والله سبحانه لم يعب عليه هذا الفهم أو هذا

(١) سورة المائدة الآية ٤٨ (٢) سورة التوبة الآية : ١١٣

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاجتهاد مطلقا ، لأنه قال له بعد ذلك « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » . ومعنى هـذا أن الله قد أوحى اليـه بأنهم ماتوا وهم على كفرهم ، وقد عبر عنه بالفسق لأنهم كانوا فى الظاهر يظهرون الاسلام ، وبديهى أن الذى يموت كافرا لا تصح الصلاة عليه ، أما موتهم على الـكفر فهو موقوف على الوحى حتى ولو علم الرسول الحقيقة ، لأنه فى هذه الحالة بمنزلة القاضى الذى يحكم بما يظهر له ، فـكل من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، يكون مسلما ولو كان يبطن خلاف هذا .

أما اجتهاد عمر رضى الله عنه فقد كان مبنيا على علمه بالقرائن القاطعة أنه مات وهو منافق، فعمر كان يعتقد أنه قـد مات على الـكفر ، ويعتقد أن الرسول لا يخفى عليه حال الرجـل ، فالصلاة عليه فى هذه الحالة فيها مخالفة للنص ، وهو قوله تعالى : « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » . ولـكن النبى صلى الله عليه وسلم رد على عمر فقال له : إن هـذه الآية فى المشركين الذين أعلنوا الشرك وماتوا عليه ، أما الذين أظهروا الايمان وهم المنافقون فلم ينه الله عن الاستغفار لهم بل خيرنى فيهم فقال : استغفر لهم أولا تستغفر لهم » الخ ، وحيث إن لى الخيار فساستغفر له وأزيده على السبعين الذى قال الله إنه لا يغفر لهم بها . ولا يخـفى ما فى هذا من إيضاح جميل . فاقتنع عمر بهذا وسكت ، ولـكن الله تعالى قال لنبيه بعد ذلك : إنه لا أمل فى إيمان من بقى من المنافقين ، فهم سيموتون كفارا ، فلا تصل عليهم بعد ذلك . وليس فى هـذا رد لاجتهاد الرسول أو لدليله كما ذكرنا ، وإنما فيه إعلام له بأنهم سيموتون كفارا ، فمن مات منهم فلا تصل عليه بعد ذلك . وبذلك تبين له أنهم من أصحاب الجحيم .

ومن هذا البيان يتضح لك أن لـكل من اجتهاد النبى صلى الله عليه وسـلم واجتهاد عمر وجهةً لا تعارض الأخرى ، وأنه عندما اطلع عمر على وجهة نظر النبى اقتنع بها . وليس فى قوله تعالى « ولا تصل على أحد منهم » رد لاجتهاد الرسول وإقرار لاجتهاد عمر كما فهم الناظرون ، بل غايته أن الله تعالى أسرع بتنفيذ سياسة عمر باخبار النبى بأنهم كافرون وماتوا وهم كافرون .

والحاصل أن ها هنا أمورا ثلاثة : أحدها : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار لمن تبين له أنه من أصحاب الجحيم بموته كافرا . ثانيها : الاستغفار للمنافقين الذين يظهرون الايمان ويبطنون الـكفر ، ولـكن يبدو فى أقوالهم وأعمالهم ما يدل على نفاقهم ، وهؤلاء لم ينه الله رسوله عن الاستغفار لهم بل خيره فيهم . على أنه قال إن الاستغفار لا ينفع من مات منهم كافرا . ثالثها : الصلاة على من مات منهم على حاله ، وهـذا إن جاء الوحى بانه مات على الـكفر فانه يعامل معاملة الـكافرين ، وإلا عومل معاملة المسلمين فيصلى عليه .

(٥) أما الجواب عن السؤال الخامس ، وهو : لماذا أقر الله سياسة عمر فى الظاهر ؟ فذلك يتوقف على بيان وجهة نظـر اجتهاد الرسول عليـه الصلاة والسلام . ويفهم من سـيرته أنه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كان على أكبر جانب ممكن فى النوع الانسانى من العطف والرحمة ، فقد كان صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى للنوع الانسانى فى التخلق بالأخلاق الكاملة ، ولذا مدحه الله عز وجل بقوله : « وإنك لعلى خلق عظيم » (١) وقال له « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » (٢) وقال « ورحمة للذين آمنوا منكم » (٣) فاجتهاده عليه الصلاة والسلام فى هذه القصة وأمثالها كان مبنيا على رحمته وعطفه ، ورغبته فى هداية النوع الانسانى الى سواء السبيل ، وحرصه الشديد على إخلاص الناس لربهم ليظفروا برضاته فتتم لهم السعادة الخالدة . ولاريب فى أن هذه القصة تصور لنا شيئا من رحمته ، فان عبدالله بن أبى المنافق قد آذى النبى بكل مايستطيع من ضروب الايذاء ، فكان دائما يعمل فى الخفاء على كل ما يقضى عليه وعلى الدعوة الى الله ، وكان يسعى دائما لاثارة الفتن والحط من كرامة المؤمنين كلما سنحت له فرصة ، وكان يجاهر برأيه فى بعض الأحيان فيصل علم ذلك الى الرسول ، فاذا وقف أمامه وحلف له أنه لم يقل ولم يفعل فانه يتركه ، ومع ذلك كله فقد غلبت عليه الرحمة والعطف فأخذ يجاهد من أجله ويتأول ما نزل عليه من ربه رجاء أن يغفر الله له ذنبه (على ظن أنه مات مؤمنا) ويرفع عنه العقاب الأخروى ، ويجعله من المنعمين بجناته .

فمعاملة عبد الله بن أبى بهذه المعاملة تدل على ما تكنه نفسه الكريمة من الرحمة بعباد الله والشفقة عليهم وحب الخير لهم ، حتى ولو أساءوا الى شخصه الكريم وآذوه فى سبيل الدعوة الى ربه ؛ وتنادى كل عاقل منصف بأن من كان هذا شأنه فانه لاينبغى لعاقل أن يتخذه عدوا أو يشك فى نصيحته أو يرتاب فى صدقه ، لأن الذى يتصف بهذه الصفات العالية يجب أن يكون منزها عن الكذب والخديعة وتضليل عقول الناس وإرادة الشر لهم . وبديهى أن ذلك كان له أحسن الأثر فى نشر الدعوة الى الله . على أنه قد ورد فى هذه الحادثة أن عبد الله بن أبى لما طلب أن يكفن فى قميص النبى صلى الله عليه وسلم ورأى ذلك أتباعه من الخزرج أسلم منهم ألف ، وكفى بذلك مدحا لسياسة الرسول واجتهاده .

أما اجتهاد عمر وسياسته فهى مبنية على الظروف الوقتية المحيطة بالمسلمين يومئذ ، فإن ضررهم كان عظيما ، إذهم يتمكنون باظهار الاسلام من الاطلاع على مواطن الضعف من أنفس الضعفاء ، فيحاولون التأثير عليهم وتشكيكهم فى إيمانهم وإفساد أخلاقهم . وأيضا فإنهم يمكنهم أن يرشدوا الأعداء المحاربين الى خطط المسلمين فيعرضونهم لأشد الأخطار والمحن ، فكان من رأى عمر استعمال القسوة معهم الى أبعد مدى . أما معاملتهم بالرحمة ، وتفهيم الناس أن الله قد يغفر لهم فإن فيه تشجيعا للمنافقين ، وحملا للناس على الاستهانة بالنفاق .

ومن يتأمل فى هاتين السياستين يجد أن كلا منهما لازم ، وذلك لأن سياسة عمر وإن كانت

(١) سورة ن : ٤ (٢) آل عمران : ١٥٩ (٣) التوبة : ٦١

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وجيهة فى بعض الظروف فانه قد يقال فيها أيضا إن الشدة المتناهية قد يترتب عليها استمساك المنافقين بما هم عليه ، فيزداد حقدهم على الرسول ، ويتضاعف بغضهم لدينه ، فلا يفارق النفاق قلوبهم ، ويمعنون فى الكيد للمسلمين بالطرق الخفية الضارة بهم وهم غافلون .

أما معاملتهم بالرفق واللين ، واستعمال الرأفة بهم وإسداء المعروف اليهم المرة بعد المرة ، فإنه قد ينزع الحقد من أنفسهم ، ويقلل من بغضائهم لله ورسوله ، فيتوبون عن النفاق ، لأن النفوس الانسانية مهما كانت جامحة فإنها لابد أن تلين وتخضع بموالاة الاحسان وتكرار العطف والعفو .

والواقع الذى لاريب فيه أن طبائع الناس فى ذلك تختلف كل الاختلاف ، فمنهم من يصلحه العفو ، ومنهم من يطغيه ويغريه على التمادى فى الشر . فالواجب أن ينظر المجتهد فى الأمرين كى لا يفوته شىء منهما . ولذا قلنا إن كلتا السياستين ها هنا لازمة بحيث ينبغى استعمال كل منهما فى الظرف المناسب لها ، فسياسة الرسول صلوات الله عليه قبل أن ينزل عليه قوله تعالى : « ولا تصل على أحد منهم » كانت هى المناسبة ، لأنها بعثت المستعدين للادراك الصحيح الى نبذ النفاق والتمسك بالايمان الصحيح .

أما من بقى من المنافقين بعد ذلك فقد ران على قلوبهم ، وأصبحوا غير مستعدين لسماع الحق ولا للايمان ، فلا فائدة حينئذ من معاملتهم بالرفق والرحمة ، فلهذا أوحى الله الى نبيه بأنهم سيموتون كفارا ، فلا تصل على أحد منهم .

هذا التفصيل الذى ذكرناه إنما هو بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم المتصل بالوحى ، لأنه يمكنه أن يتقى شر المنافقين بالوحى ، فانهم إذا حاولوا عملا يضر المسلمين فان الله يطلع عليه نبيه فيحبطه ، كما وقع ذلك فعلا ، فان الله تعالى كان يوحى الى الرسول بما يعملون ، قال تعالى « قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم » (١) وقال مهددا لهم « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم (٢) » فسياسة الرسول مع المنافقين حسنة من جميع الوجوه . أما إذا لم يكن وحى ولا رسول فان الواجب على المجتهد أن لا يأمن للمنافق الذى ثبت نفاقه مطلقا ، بل يعامله بمنتهى الشدة والقسوة ، لأنه أضر على الدعوة الى الله من المشرك الذى يعلن الشرك ، اللهم إلا إذا ترتب على معاملته بالرفق إيمانه وإيمان غيره ، فانه يعامل فى هذه الحالة بالرفق مع الاحتياط التام . وهذا هو السر فى إقرار سياسة عمر فى الظاهر ، لأن الأصل فى معاملة المنافق هى الشدة ، ولا فائدة فى معاملتهم بالرحمة بعد ذلك ، فنزل قول الله « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا » .

والذى يتأمل فى كتاب الله تعالى فانه يتضح له هذا المعنى الذى ذكرناه . فان الله سبحانه

(١) سورة التوبة : ٩٤ (٢) التوبة ٧٨

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لم ينه نبيه عن استعمال الرحمة بالمنافقين ، بل امتن على المنافقين بما للنبي من الرحمة بهم ، فقال : « ورحمة للذين آمنوا منكم » . أى وهـو رحمة للذين أظهروا الايمان منكم أيها المنافقون . وفى هـذا مدح له عليه الصلاة والسلام بالرحمة بهم . ثم إنه لم ينهه عن الاستغفار لهم بطريقة جازمة ، بل أبان له أن الاستغفار لن يقبله الله لمن مات منهم كافـرا . أما الاستغفار لمن يظهر الايمان فى الدنيا فانه لم ينهه عنه ، قال تعالى : « يحلفون لـكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » (١) . ومعنى الآية أن الله لا يمنعكم من قبولهم والرضا عنهم لأنـكم إنما تنظرون الى ظاهر أمرهم ، أما العليم بقلوبهم فانه لا يرضى عنهم ، وهم كاذبون فى إيمانهم منافقون بقلوبهم . وفى هذا تهديد لغير المخلصين مع عدم إغلاق الباب فى وجوههم لأنه قـد أباح لهم الاختلاط بالمسلمين ومشاركتهم فى المباحث الدينية ، والنظـر فى البراهين القاطعة التى أتى بها الله ورسوله . وفى كل ذلك فرصة لهم فى النظر الباعث الى الهـداية الحقة والايمان الصحيح . وفى هـذا من دقائق التشريع الاسلامى والحث على الاجتهاد فى المصالح العامة ما لا يخفى . والله يهدى من يشاء الى سواء السبيل .

عبد الرحمن الجزيرى

(١) التوبة : ٩٦

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جود عثمان بن عفان

أصاب الناس قحطا فى خلافة أبى بكر حتى بلغ بهم الجهد ، فشكوا أمرهم الى أمير المؤمنين فقال لهم : أصبروا لعل الله أن يفرج كربكم . فلما كان آخر النهار ذاع فى المدينة أن عيراً لعثمان جاءت من الشام محملة قمحا وزيتا وزبيبا . فلما أصبحوا أقبلت العير وأناخت بباب عثمان رضى الله عنه ثم أدخلت الى داره . وكان قد بلغ ذلك التجار فاقبلوا إليه ليشتروها منه ، قائلين له : إنك لتعلم حاجة الناس إليها فى هذه الآونة .

فأجابهم : حبا وكرامة ، فكم تربحونى على شرائى ؟ قالوا : الدرهم درهمين . قال لهم أعطيت زيادة على هذا . قالوا له : أربعة . قال لهم أعطيت زيادة على هذا . قالوا له خمسة . قال لهم أعطيت أكثر من هذا .

قال التجار : يا أباعمرو ما بقى فى المدينة غيرنا فمن الذى أعطاك هذا الثمن ؟ قال لهم عثمان : إن الله أعطانى بكل درهم عشرة ، أعندكم زيادة ؟ قالوا : لا .

قال عثمان : فانى أشهد الله أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حدث جلل لا يمكن الصبر عليه

— ٤ —

رجاء للحكومة لمصلحة الحكومة

لنرجئ الكلام فى أدلة التوحيد مؤقتا ، وسنفيض القول فيه بعد . على أن مسألة ثبوت الصانع جلت قدرته كادت من وضوحها أن تخفى ، وأوشكت من مزيد حضورها أن تغيب . وليس لدى منكريها سوى المكابرة بالوهم والخيال ، ومقابلة اليقين بالاحتمال « معارضة الشراب بالسراب » . وكل من تكلم فى هذه المسألة التى هى أظهر من الشمس وأوضح من الحس بالانكار ، فقد أحيا جهله ، وأمات عقله ، وقتل وجدانه ، وأخمد إحساسه ، وخنق شعوره . فهى لدى العقلاء من أوضح الواضحات ، وإن خفيت على أنعام البشر الذين يجب إسقاطهم من سجل الانسانية وضمهم الى صفوف البهائم : « إن شر الدواب عند الله الصُّمُّ البُكْمُ الذين لا يعقلون » .

ولنوجه كلمتنا اليوم لحكومتنا الإسلامية ، وما يجب أن تعرفه من حال الملحدين وتقويضهم لبناء العمران ، وأثر دعايتهم على بنى الانسان . فما وُجدوا فى أمة إلا كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم ، وصاعقة مجتاحة لخير أممهم ، وصدعا متفاقما فى بنية جيلهم ، يميتون القلوب الحية بأقوالهم ، وينفثون السم فى الأرواح بآرائهم ، ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم . فما رزئت بهم أمة ولا منى بشرهم جيل إلا انتكث فتله ، وسقط عرشه حين تبددت آحاد الأمة وفقدت قوام وجودها . وكيف لا وهذه الطائفة الملعونة تحمل فى طيات تعاليمها وثنايا مبادئها الاجرام الخاتق ، والتهتك العلنى ، والمطاعن الهوجاء فى الديانات ، والسخرية الجهرية بخالق الأرض والسموات ، ولمز المعتقدات المقدسات .

إن الحكومة تعاقب من يتكلم فى الوزارة بما يمس شرفها أو ينقص من كرامة أشخاصها ، أو يمس القانون والدستور ، فما لها لا تهتم هذا الاهتمام ، أو شيئا من هذا الاهتمام ، بحماية دين الدولة من طعن الطاعنين وسفه الجاهلين ؟ ! وهل حماية الدستور أعظم فى نفوس الأمة من حماية دينها ؟ وهل الطعن فى الدستور آلم لعواطفها وأدمى لقلوبها من إهانة الدين والكلام فى نبى المسلمين ورب العالمين ؟ ولسنا نقول لا تحفظوا الدستور ولكن نقول : **احفظوا الدين أيضا كما تحفظون الدستور الذى تفتخرون بصيانته ، فليس الدستور أضمن لسعادة الأمة من الدين .**

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يأيها الزعماء العظام والوزراء الفخام : إن لم تعملوا لدينكم فاعملوا لدنيا كم ، فإن الملحدين الطاعنين على الأديان ما ظهروا فى أمة من الأمم إلا أفسدوا أخلاقها ، وأوقعوا الخلل فى عقولها ، وتخطفوا قلوب آحادها بأنواع من الحيل ، وألوان من التلبيس حتى تصبح تلك الأمة وقد وهى أساسها ، وتفطر بناؤها ، واغتالتها رذائل الأخلاق : من الأثرة وعبادة الشهوات ، والجرأة على ارتكاب الخيانات ، ولا يزال الفساد يتغلغل فى أحشائها حتى تضمحل ويمحى اسمها من صفحة الوجود ، أو تضرب عليها الذلة والصغار ، ويخلد أبناؤها فى الفقر والعبودية .

وانظروا الى الأمة الاسلامية أيام تمسكها بدينها كيف كان مجدها ورفعتها ، ثم انظروا حالها اليوم عندما ظهر فيها الماديون وكثر فيها الجاهلون الملحدون وقل فيها المخلصون ، الى آخر ما لا يمكننا شرحه فى هذه العجالة .

هل لا تحمون تلك العقائد المقدسة التى يسهل على ذويها أن يبذلوا وجودهم فى سبيلها ؟ ! عقائد هى أقوى دافع للامم الى التسابق لغايات المدنية ، وأمضى الأسباب الى طلب العلوم والتوسع فى الفنون والابداع فى الصنائع . وإنها لأبلغ فى سوق الأمم الى منازل العلا ومقامات الشرف من كل شىء سواها « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

أما هؤلاء الملحدون الداعون لمحو الأديان فما مقصدهم إلا وضع أساس الاباحة والاشتراك فى الأموال والأبضاع بين الناس عامة . وقد كدحوا لاجراء مقصدهم هذا وبالغوا فى السعى اليه ، وتلونوا لذلك فى ألوان مختلفة ، وتقلبوا فى مظاهر متعددة ، وكلما وجدوا فى أمة أفسدوا أخلاقها ، وأنزلوها من علياء مجدها الى حضيض الذلة والمهانة ، حيث يكونون بالحيوان أشبه منهم بالانسان . ولهذا كله اجتمعت جميع الدول على مطاردة الشيوعيين ، علما بما تؤول اليه مبادئهم من الفساد الذى تأباه سنن الله فى خليقته ، وتمقته الشرائع السماوية كلها ، ويقضى العقل بمجافاته للحق ومنافرته للصواب .

ولنقل مرة أخرى لزعمائنا وحكامنا : إن لم تعملوا لدينكم فاعملوا لدنيا كم .

أما حرية الأديان والمعتقدات التى يستند إليها الجاهلون فمعناها أن كل أحد يعتقد ما شاء ، ويتدين بما أراد ، لا أنه يجرح القلوب ، ويطعن فى العقائد ، ويسفه الأحلام ، وينشر النشرات ، ويؤلف المؤلفات ، ويهيىء الجمعيات والدعايات كما فعل اسماعيل أدهم المعترف بذلك كله فى كتابه . فأين هذا من ذاك يارجال القانون ؟ !

وإن شئت فارم بنظر العقل الى قوم لايعتقدون بشىء ، ولا يقولون بحلال ولاحرام ، ولا حساب ولاعقاب ، ولارب ولا كتاب . بل يظنون أن الانسان حيوان كسائر الحيوانات جده القرد أوالكلب . ثم تبصر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنايا والرذائل ، والى أى حد تصل بهم الشرور ، وبأى منزلة من الدناءة تكون نفوسهم ، وكيف أن السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم عن الحركات الفكرية والأذواق الوجدانية والمقامات الروحانية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وبعد : فهذا الدين الذى نطالبكم بحمايته ، ويطالبكم الدستور أيضا بحمايته ، هو الدين الذى فتح أبواب الشرف فى وجوه الأنفس ، وكشف لها عن غايته ، وأثبت لكل نفس صريح الحق فى أى فضيلة ، وأنبأ كل ذى نطق بوفرة استعداده لأى منزل من منازل الكرامة ، ومحق امتياز الأجناس وتفاضل الأصناف ، وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلى والنفسى لاغير . فالناس فى نظره إنما يتفاضلون بالعقل والفضيلة « إن أكرمكم عندالله أتقاكم » « لا فضل لعربى على عجمى ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى »

والخلاصة : أن من أشربت هذه العقيدة عقيدة التوحيد قلبه ، ينبعث بحكمها وينساق بنورها وقوة روحها لإضاءة عقله بالعلوم الحقة والمعارف الصافية ، فلا يهبط به الجهل الى نقص يحول دون مطالبه ، ثم ينصرف همه لابراز ما أودع فيه من القوة السامية والمدارك العقلية والخواص الجليلة باستعمالها فيما خلقت له ، فينجلى كماله من عالم الكون الى عالم الظهور ، ويرتقى من درجة القوة الى مكانة الفعل ، فهو ينفق ساعاته فى تهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ، ولايناله التقصير فى تقويم ملكاته النفسية ، وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعة ، متنكبا عن طرق الخيانة ووسائل الكذب والحيلة ، معرضا عن أبواب الرشوة ، مترفعا عن الملق الكلبى والخداع الثعلبى الذى لا يعرف هؤلاء غيره ، ثم ينفق ما كسب فى الوجه الذى يليق ، وعلى الوجه الذى ينبغى ، وبالقدر الذى ينبغى ، لايأتى فيه باطلا ، ولايغفل حقا عاما أوخاصا ، يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ولآخرته كأنه يموت غدا .

فهذه العقيدة أحكم مرشد ، وأهدى قائد للانسان الى المدنية المؤسسة على المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة . وهذا الاعتقاد أشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التى لا عماد لها إلا معرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره عليه ، والقيام على صراط العدل المستقيم .

هذا الاعتقاد أنجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الأمم ، إذ لاعقد لها إلا مراعاة الصدق ، والخضوع لسلطان العدل فى الوقوف عند حدود المعاملات

هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الأزلية تهب على القلوب ببرد الهدوء والمسالمة ، فإن المسالمة ثمرة العدل والمحبة ، والعدل والمحبة زهر الأخلاق والسجايا الحسنة . وهى غراس تلك العقيدة التى تحيد بصاحبها عن مضارب الشرور ، وتنجيه من متائه الشقاء وتعاسة الجد ، وترفعه الى غرف المدينة الفاضلة ، وتجلسه على كرسى السعادة .

وقد يسهل عليك أن تتخيل جيلا من الناس حرم هذه العقيدة ، فكم يبدو لك فيه من شقاق وكذب ونفاق وحيل وخداع ورشوة واختلاس ، كما نشاهد ذلك فى كثير من مسلمينا الآن ! وكم يغشى نظرك من مشاهد الحرص والشره والغدر والاغتيال وهضم الحقوق والجدال ! وكم تحس فيه من جفاء للعلم وغشوة عن نور المعرفة !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإن مسألتنا مسألة نشر ما يثير الفساد ويوجب الأحقاد ، ويحقر دين الدولة الذى يحترمه الدستور وتقدسه الأمة .

ولا يردع هؤلاء الطغمة إلا العقاب الصارم الذى يخرس ألسنتهم ويأخذ على أيديهم :

تمادوا فى الضلال بلا متاب   ولو سمعوا صليل السيف تابوا

ولكننا فى زمان يضيق التعبير عن وصفه وبيان عقلية أهله :

ألا إنها الأيام قد صرن كلها   عجائب حتى ليس فيها عجائب

ولا يزال لنا بقية أمل فى القائمين بالأمر ، أن يشفقوا على أمتهم من عبث العابثين وإفساد المفسدين ، وأن يحفظوا الأمانة التى جعلها الله فى أعناقهم للدين والوطن .

نسأل الله أن يرزقنا الرشد والبصيرة ، حتى لا نأتى ما يضحك الثكلى ، ويبكى الحليم ، بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء



الشدائد ولا الهوان

قال شاعر ألمعى فى هذا المعنى :

حلفت لأن ألقى الشدائد كلها   وما لى بأن ألقى الهوان يدان
تذكرت أنى هالك وابن هالك   فهانت على الارض والثقلان
فدع كل شىء خالف العزم إنه   سيكفيكه جدان معتلجان
وما يدرك الحاجات مثل مثابر   ولا عاق عنها النجح مثل توان

وقال شاعر آخر فيه أيضا :

على كل حال فاجعل الحزم عدة   لما أنت باغيه وعونا على الدهر
فان نلت أمرا نلته عن عزيمة   وإن قصرت عنك الحظوظ فعن عذر

وقال غيره :

يا إبنة القوم ما تريدين منى   صارمى منطق ووجهى مجنى
ما يزور الكرى جفونى إلا   جسوه الطائر الذى لا يثنى
فعلوى إذا استقل بعزم   لم يعرج بليتنى ولوانى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحسبة فى الاسلام [1]

طلب الىّ عزيز لدى أن أكتب كلمة فى ذلكم الموضوع الخطير « الحسبة فى الاسـلام » تجلو حقيقتها وتشرح أغراضها ومقاصدها فى الدين الاسلامى خاتم الأديان السماوية ، والشريعة الصالحة لكل زمان ومكان . فأجبته لبّيك وسـعدَيك ، فالموضوع شائق ، والبحث عنه فيه متعة . شائق لأنه يمت بصلة الى التاريخ الاسلامى فى تلك الحِقْبة من عصور الاسلام الأولى ، الى ماله من رحم وشيجة بحكمة التشريع الاسـلامى . وفيه متعة لأنه يدلى بنسب الى شرعة التعاون والتناصر بين بنى آدم ، وهم تلك السلائل التى ورثت آدم خليفة الله فى أرضه ، يستمتع بها هو وبنوه ، ويستعمرونها فى المدى الذى قدر لبقاء العالم فى تلك الحياة الدنيا .

وإنا لنطرق فى كلامنا المباحث الآتية :

عناصر البحث :

الحسبة لغـة . الحسبة شرعا . فيم كانت الحسبة أولا وإلام صار أمرها آخـرا . سبب إحداث الحسبة . الأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر . الشروط التى يجب أن تتوافر فيمن يتولى القيام بهما . المحتسب . أصناف المحتسب . الفرق بين المحتسب وقاضى المظالم « القاضى الجنائى » وبين قاضى الحقوق « القاضى المدنى » . شروط المحتسب . أعمال المحتسب . الفرق بين المحتسب المولى والمحتسب المتطوع . هل للحاكم أن يسعر على الناس فى الأسواق . حكم الفندق والحمام والمخبز . التدليس فى الدين وحكمه . أعمال أخرى للمحتسب . الوظائف الدينية فى عصر الفاطميين . الوظائف الدينية فى الدولة الأيوبية وعصر المماليك بمصر . العقوبات الشرعية. عقوبة التعزير . عقوبة الحد والفرق بينهما . التعزير بالعقوبات المالية . جواز التصدق بالسلع المغشوشة على الفقراء . الأصل فى المثوبة والعقوبة فى التشريع الاسلامى :

الحسبة فى اللغة :

الحسبة لغة كما فى لسان العرب : اسم من الاحتساب وهو البدار الى طلب الأجر وتحصيله بالأخذ بأنواع البر والخـير والقيام بها على الوجه المرسوم فيها ابتغاء الأجر المرجو منها . وفى حديث عمر : أيها الناس احتسبوا أعمالكم فان من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته . واسم الفاعل المحتسب ، أى طالب الأجر .

---

(١) هـذا بحث قيم لمسألة اجتماعيـة هامة انفرد بها الاسلام أنشأه حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ النابه الشيخ احمد المراغى واتحف به مجلة الازهر . وانا لننشره شاكرين له هذا الايثار . اكثر الله من امثاله .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفى القاموس : واحتسب عليه الأمر إذا أنكره عليه ومنه المحتسب . فظاهر عبارة اللسان تدل على أن المحتسب مأخوذ من احتسب الأجر عند الله إذا طلبه ، وصريح عبارة القاموس ترشد الى أنه من احتسب عليه الأمر إذا أنكره عليه . ومن البين أن المناسبة جلية فى أخذه من المعنى الأول ، كما أشار اليه صاحب اللسان . إذ طلب الأجر أسبق فى الفكر لدى المحتسب من إنكار عمل غيره ومنعه من فعله ، وإن كان هذا يحصل تبعا وعرضا لا قصدا أوليا من العمل

معنى الحسبة شرعا :

أصل الحسبة الشرعية : مشارفة السوق والنظر فى مكاييله وموازينه ، ومنع الغش والتدليس فيما يباع ويشترى من مأكول ومصنوع ، ورفع الضرر عن الطريق بدفع الحرج عن السابلة من الغادين والرائحين ، وتنظيف الشوارع والحارات والأزقة ، الى نحو ذلك من الوظائف التى تقوم بها الآن المجالس البلدية ، ومفتشو الصحة ، ومفتشو الطب البيطرى ، ومصلحة المكاييل والموازين ، وقلم المرور ، ورجال الشرطة الموكول اليهم المحافظة على الآداب العامة ، الى غير ذلك .

ثم اتسعت أعمالها فيما بعد حتى كانت من أهم الشئون التى عنى بها الخلفاء والسلاطين وصار لها ولاية خاصة (مصلحة خاصة) شملت كل أمر بمعروف ونهى عن منكر : كاقامة الصلاة فى مواقيتها ، والنظر فى أحوال أئمة المساجد والمؤذنين ، وإلزامهم بأداء وظائفهم على حسب مقتضى الشرع . ومن ثم قال بعض العلماء : الحسبة أمر بمعروف (١) ظهر تركه ، ونهى عن منكر ظهر فعله ، وإصلاح بين الناس .

وأول من أحدثها فى الاسلام عمر بن الخطاب ، فقد ولى عبد الله بن عقبة على النظر فى الأسواق ، والتفتيش على المكاييل والموازين ، ومنع الغش فيما يباع ويشترى . وقد كان الخلفاء والولاة فى الصدر الأول يباشرون أعمالها بأنفسهم ، ويبتغون إصلاح الرعية ، ويرجون جزيل الثواب . فقد كان عمر يقوم بوظائف المحتسب ، ويشارف السوق ، ويراقب المكاييل والموازين ، ويأمر باماطة الأذى عن الطريق . روى المسيب بن دارم قال : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يضرب حمالا ويقول : حملت جملك مالا يطيق « مفتش قلم المرور الآن » . وفى كنز العمال عن زيد بن فياض عن رجل من أهل المدينة قال : دخل عمر رضى الله عنه السوق وهو راكب فرأى دكانا « دكة » قد أحدث فى السوق فكسره .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : دعامة من دعائم الدين ، وبه بعث الله النبيين أجمعين . ولولاه لنشطت الضلالة وعمت الجهالة ، وانتشر الفساد ، وخربت البلاد ، وهلك العباد .

(١) المعروف : كل فعل او قول او قصد حسن شرعا . والمنكر كل فعل او قول اوقصد قبح شرعا . والانكار فى ترك الواجب وفعل الحرام واجب ، وفى ترك المندوب وفعل المكروه مندوب .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإنا لنرى الآن الناس بعد أن استولت على القلوب مداهنة الخلق ، ومحيت مراقبة الخالق ، قد استرسلوا فى الشهوات ، وركنوا الى اللذات ، وقلّ أن تجد مؤمنا صادقا لا تأخذه فى الله لومة لائم . فمن شمر عن ساعد الجد وسد هذه الثغرة ، وأدى عمل الحسبة ابتغاء مرضاة ربه ، أو قلد وظيفتها وقام بأعبائها مراقبا ربه ، فقد قام بقسط وافر فى خدمة دينه ، ونال رضوان ربه « ورضوان من الله أكبر » .

سبب إحداث الحسبة :

السر فى إيجاد الحسبة فى الاسلام أن الناس لا تتم مصالحهم إلا بالاجتماع والتعاون على جلب المنافع ، والتناصر على دفع المضار ، ومن ثم قيل : « الانسان مدنى بالطبع » . وبالاجتماع لا بد لهم من أمور يفعلونها يجلبون بها الخير لأنفسهم ، وأمور يجتنبونها لما فيه من الضرر عليهم .

ولا بد لهم من طاعة الآمر بالمنافع الناهى عن المفاسد ، كما قال تعالى فى صفة نبيه : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث » . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة (طوبة) فكان الناس يطيفون بها ويعجبون من حسنها ويقولون : لولا موضع اللبنة ! فأنا تلك اللبنة » .

وقد وصف الله الأمة الاسلامية بما وصف به نبيها فقال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وقال عز اسمه : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » . وقال عز من قائل : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . وقال : « لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » . وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال: من خير الناس يارسول الله ؟ قال : « آمرُهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم لله » . وقال عليه السلام : « مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله ، وانهوْا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه كله » . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وسباب المنافقين ، فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمنين ، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافقين ، ومن أبغض الفاسق وغضب لله غضب الله له . وقال أبو الدرداء لتأمرنّ بالمعروف ولتنهوُنّ عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لايجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ، ويدعو خيارُكم فلا يستجاب لهم ، وتستغفرون فلا يغفر لكم ، وتستنصرون فلا تنصرون . وقال عليه السلام : « إياكم والجلوس فى الطرقات ! قالوا : مالنا بد ، إنما هى مجالسنا نتحدث فيها . قال : فإن أبيتم إلا ذاك فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وماحق الطريق ؟ قال : غض البصر ، ورد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السلام ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر » . وروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى منكم منكراً فليغـيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وهو أضعف الايمـان » .

وروى الحسن البصرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل شهداء أمتى رجل قام الى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك ، فذلك الشهيد ، منزلته فى الجنة بين حمزة (عمه) وجعفر (١) (ابن عمه أخى على) .

الشروط التى يجب أن تتوافر فيمن يتولى القيام بهما :

الأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر من أفضل القرب وأكثرها ثوابا وقبولا عند الله تعالى . وله شروط إذا لم تتوافر لا ينتج الثمرة المطلوبة :

(١) أن يعمل الواعظ بما ينصح ، لا أن يكون قوله مخالفا لفعله ، وإلا دخل فى الذم وكان ممن يصدق عليه قول الله تعـالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسَـون أنفسكم » . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت ليلة أسرى بى رجالا تقرض شفاههم بالمقاريض فقلت من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم » .

(٢) أن يـكون العمل طـاعة لله ورسوله ، وهو العمل المشروع المأمور به إيجابا أو استحبابا ، وضده المعصية والفجور والظلم والسيئة .

(٣) أن يكون خالصا لوجه الله ، فالله لا يقبل من الأعمال إلا ما يراد به وجهه ، فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه غيرى فأنا برىء منه وهو كله للذى أشرك » . وهذا هو أساس الاسلام والعمود الذى عليه بنى الدين . فحق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . ومن ثم كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول فى دعائه : اللهم اجعل عملى كله صالحا ، واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا .

وإذا كان العمل خالصا نشر الله عليه رداء القبول ، وصادف التوفيق ، وقدر لفاعله فى القلوب مهابة وجلالا ، وتقبّـل الناس قوله بالسمع والطاعة .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من أرضى الناس بسخط الله وكَـله إليهم ؛ ومن أرضى الله بسخط الناس كفاه شرهم ؛ ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله فيما بينه وبين الناس ؛ ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ؛ ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه .

(١) يلقب بجعفر الطيار ، وينسبون الى على أنه قال [وجعفر الذى امسى واضحى يطير مع الملائكة ابن امى]

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ومما يؤثر فى هذا الباب أن أتابَكَ سلطان دمشق طلب محتسبا ، فذكر له رجل من العلماء فأمر باحضاره ، فلما مثل بين يديه قال له : إنى وليتك أمر الحسبة على الناس . فقال له : إن كنت تريدنى لما تقول فقم عن هذا الفراش وارفع هذا المتكأ فانهما من حرير ، واخلع هذا الخاتم فانه من ذهب ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : هذان حرامان على ذكور أمتى حل لاناثها ! فقال السلطان : سمعا وطاعة ! ونهض عن الفراش وأمر برفع المتكأ وخلع الخاتم من أصبعه وقال : وقد ضممت إليك أمر الشرطة (حكمدار بوليس) فما رأى الناس محتسبا أهيب منه .

(٤) أن يأمر عن معرفة وعلم وفقه بالدين ، وإلا كان العمل جهلا وضلالا واتباعا للهوى ، كما قال عمر بن عبد العزيز : من عبد الله بغير علم كان ما يفسدأ كثر مما يصلح . وكما قال معاذ ابن جبل : العلم إمام العمل والعمل تابعه .

(٥) أن يكون النصح بالرفق والتؤدة حتى يؤتى ثمرته المرجوة ، فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ياعائشة عليك بالرفق فانه ما كان فى شىء إلا زانه ، ولا كان العنف فى شىء إلا شانه » . وقال أيضا : « إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله ، ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف » .

ومن نوادر المحتسبين وبارع قصصهم : أن رجلا دخل على المأمون وأمره بمعروف ونهاه عن منكر وأغلظ له فى القول ، فقال له المأمون : ياهذا إن الله أرسل من هو خير منك لمن هو شر منى ، فقال لموسى وهارون : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » . ثم أعرض ونأى بجانبه .

(٦) أن يكون الناصح حليما صبورا على الأذى ، إذ العادة قد جرت بأن يناله الأذى من جراء عمله ، فان لم يحلم ويصبر كان الضرر أكثر من النفع ، كما قال لقمان لابنه وهو يعظه : « وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » . ومن ثم أمر أنبياءه ورسله وهم القادة الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر بالاعتصام بالصبر ، كما قال تعالى لنبيه فى بدء رسالته : « يأيها المدثر قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر » . فاختتم الأمر بالانذار وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بطلب الصبر منه . وقد جاء هذا الطلب فى مواضع عدة كقوله تعالى : « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » وقوله « واصبر على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا » . وقوله « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » وقوله « فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت » وقوله « واصبر وما صبرك إلا بالله »

فجماع الأمر بالمعروف ثلاثة : علم قبله ، ورفق معه ، وصبر بعده . وهذا معنى ما يروى عن بعض السلف : لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يامر به ، فقيها فيما ينهى عنه ؛ رفيقا فيما يأمر به ، رفيقا فيما ينهى عنه ؛ حليما فيما يأمر به ، حليما فيما ينهى عنه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٧) ألا يتضمن الأمر بالمعروف فوات ماهو أكثر منه نفعا، أو حصول منكر فوقه؛ وألا يتضمن النهى عن المنكر حصول ما هو أنكر منه، أو فوات معروف أرجح منه. ولأجل هذا سكت النبى صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن أبىّ وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما كان لهم من الأعوان، فلو أزال المنكر بعقاب هؤلاء غضب قومهم وأخذتهم الحمية حمية الجاهلية فينفرون منه حين يسمعون أن محمدا يقتل أصحابه. والمشاهدة التى أرانا الله إياها فى الآفاق وفى أنفسنا تدل على أن المعاصى سبب المصائب، والطاعةَ سبب النعمة، كما قال تعالى «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير». وقال عز اسمه: «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك». وقال: «إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم». وقال: «أوَ لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم». وإذا كان الفسوق والعصيان من أسباب الشر والعدوان فقد يذنب الرجل أو الطائفة من الناس ويسكت الآخرون عن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فيكون ذلك محسوبا عليهم من ذنوبهم، أو ينكرون عليهم إنكارا منهيا عنه فيكون ذلك من ذنوبهم أيضا، وبسبب ذلك يحصل التفرق والفساد، وذلك من أعظم الشرور والفتن فى القديم والحديث. وإن من تدبر ما وقع من الفتنة بين أمراء الأمة وعلمائها علم أن منشأ ذلك اتباع الأهواء والشهوات، والميل الى البدع والفجور.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المحتسب:

المحتسب من نصّبه السلطان أو نائبه للنظر فى أمور الرعية، يأمرهم بما يوافق الشرع وينهاهم عما يخالفه، فى أعمالهم الدينية والدنيوية، مما ليس من اختصاص القضاة والولاة والجباة. وهو داخل فى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فله النظر فى كل مايهم المسلمين فى أسواقهم ومجتمعاتهم ومعاملاتهم بعضهم مع بعض، ويعين من يراه أهلا لذلك من الأعوان. فهو يبحث عن المنكرات ويعزر عليها، يعاقب بحسب أهميتها ومقدارها، وعلى حسب منزلة مرتكبها، كما سيأتى تفصيل ذلك بعد.

وشرط المنكر الذى يكون للمحتسب التعرض له: أن يُفعل علانية على مرأى من الناس ومسمع. فمن ارتكب معصية خفية فى داره وأغلق عليه بابه لايجوز للمحتسب أن يتجسس عليه، إلا أن يكون ذلك فى انتهاك محرم بدئ فى الشروع فيه ولم يتم بعد، كما إذا أخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلا بامرأة ليزنى بها، فيجوز له حينئذ أن يتجسس ويبحث، حذرا من فوات مالا يستدرك من انتهاك المحارم وارتكاب المحظورات.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أصناف المحتسب :

المحتسب صنفان :

(١) محتسب يعينه السلطان أو نائبه للنظر فى شئون الرعية والكشف عن أعمالهم ، فيأمر بما يوافق الشرع وينهى عما يخالفه ، كما تقدم ذلك .

(٢) محتسب متطوع يرى منكرا فينكره ، أو يأمر بمعروف يرى الناس قد تركوه .

وبينهما فرق من جهات عدة :

(أ) أن الأمر والنهى فرض عين على الأول بحكم ولايته ، وفرض كفاية على الثانى ، فاذا قام به غيره سقط عنه الحرج والاثم : كصلاة الجنازة ، ورد السلام على غيره .

(ب) أن قيام الأول به من واجبات عمله التى لا يجوز أن يتشاغل عنها بغيرها ، وقيام الثانى به من النوافل التى يجوز أن يتشاغل عنها بغيرها .

(جـ) أن الأول له أن يتخذ على الانكار أعوانا لأنه عمل هو له منصوب وإليه مندوب ، وليكون أقدر على القهر والغلبة ، وليس كذلك الثانى .

(د) أن الأول له أن يعزر فى المنكرات الظاهرة بضرب ونحوه ، ولا يتجاوز بها بحيث تصل الى الحدود الشرعية المقدرة ، وليس للثانى ذلك .

والفرق بين المحتسب والقاضى :

أنه لا يجوز للمحتسب النظر فى الدعاوى الخارجة عن ظواهر المنكرات . فلا ينظر فى العقود والقروض ونحو ذلك ، إلا إذا كان معترفا بها . أما ما يدخله الانكار والجحد ويحتاج الى البينة أو شهادة الشهود ، فهذا وظيفة القاضى لا وظيفة المحتسب .

ويزيد على القاضى معه وجوه عدة :

(أ) أن له أن يتعرض للامر بالمعروف والنهى عن المنكر وإن لم يحضر خصم يطلب منه ذلك . وليس للقاضى أن يتعرض لذلك إلا بحضور خصم يشتكى ، ولو تعرض لذلك خرج عن حدود وظيفته .

(ب) أن له من القوة والجبروت ماليس للقاضى ، لأن الحسبة موضوعة على الرهبة والتخويف ، فاذا أغلظ المحتسب فى القول وكان سليط اللسان لايعد هذا منه خروجا عن عمله .

(ج) أن له أن يبحث عن المنكرات التى ترتكب علانية ليقوم بأداء وظيفته بانكارها ، وليس ذلك لغيره .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويوافق عمل القاضى من ناحيتين :

(١) أنه يجوز تقديم الشكوى اليه وسماعه دعوى المشتكى فى حقوق العباد التى تتعلق ببخس فى ثمن أو تطفيف فى كيل أو وزن ، أو تدليس فى بيع أو ثمن ، أو تأخير دين مستحق مع إمكان دفعه .

فهذه كلها منكرات ظاهرة وظيفته إزالتها ، إذ من أعمال الحسبة إيصال الحقوق الى ذويها والمعونة على استيفائها .

(٢) أن له أن يلزم المدعى عليه بدفع الحق الذى وجب عليه باعتراف أو إقرار مع وجود اليسار ، لأن فى تاخيره منكرا ، لقوله عليه السلام : « مطل الغنى ظلم » .

والفرق بين المحتسب وقاضى المظالم (القاضى الجنائى) : أن النظر فى المظالم يكون فيما يعجز عنه القاضى، والحسبة فيما يرفّه (١) عن القاضى . ويشتركان فى أن عمل كل منهما مبنى على الرهبة المستمدة من سلطان الحكومة ، وأن كلا منهما لا يتعرض إلا لعدوان ظاهر لاخفاء فيه ؟

« يتبع »

احمد المراغى

(١) رفه عنه : وسع وخفف .

من أخبار الفصحاء

دخل المأمون ديوانه يوما فمر بغلام وسيم الطلعة ، حسن البزة ، فاعجبه شكله . فقال له : من الشاب ؟ فقام وقال : الناشئ فى دولتك ، المؤمل لخدمتك ، والمتقلب فى نعمتك : الحسن ابن رجاء . فاستحسن المأمون جوابه وأمر له بجائزة .

يقال إن أبا العباس السفاح لام يوما خالد بن برمك وزيره على كثرة عطائه وصلاته ، فقال له خالد : لم أر شكرى يحيط بنعم أمير المؤمنين ، فاستعنت بألسنة الناس عليها .

وقف المنذر ملك العراق على عجوز من العرب ، فقال لها ممن أنت ؟ قالت : من طىء . فقال : ما منع طيأ أن يكون فيهم مثل حاتم ؟ قالت : ما منع الملوك أن يكون فيهم مثلك . فعجب المنذر من سرعة جوابها وأمر لها بصلة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

موقف الدعوة الاسلامية

من الشعر والشعراء

يحاول بعض الباحثين من المتأدبين العصريين أن يلصق بالاسلام دعوى منافرته للأدب من الوجهة الفنية ، ولا سيما الشعر ، استناداً الى موقف الدعوة الاسلامية من فريق من الشعر والشعراء على عهد البعثة المحمدية . وهى دعوى لا تجد لها دليلا من التاريخ ولا شبهة من الواقع ، و إنما دفعهم اليها ما رأوه من عناية الاسلام القوية بالأخلاق الكريمة ، و إحاطتها بسياج من الحصانة التى كان من لوازمها مقاومة البذاء والتفحش فى الهجاء ، والكذب والافتراء فى المدح والاستجداء ، والاباحة الداعرة فى الغزل والتشبيب ، فالاسلام سلك للفن الأدبى طريق الفضيلة ليقيم للناس حياة فاضلة خيّرة لا تشوهها تلك النقائص النفسية والمعايب الخلقية . وإذا كان الاسلام قد اشتد بعض الشىء أمام نوع من الشعر وفريق من الشعراء كان لا يرى للأخلاق وزنا ، فله فى ذلك عذره الناصح ، الى جانب أنه شجع نوعا من الشعر وفريقا من الشعراء جعلوا فنهم مطية للكرائم الأدبية .

كان الشعر — كما يقول عمر بن الخطاب — علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه ، وكان الشعراء عند العرب هم أهل الحذق والثقافة الذين يصلون فى ميادين الأفكار وتسجيل الآراء ، واليهم يركن الناس فى الاحتجاج لهم والذب عن أحسابهم ونشر فضائلهم ، وقد كانوا شاعرين بهذه المنقبة لهم فى نفوس الجماهير مدلين بها عليهم ، فترى الأعشى يمن على ممدوحه بقوله :

قلدتك الشعر ياسلامة ذا فا ... ئش والشىء حيثما جعلا
والشعر يستنزل الكريم كما ... ينزل رعد السحابة السبلا

فلما جاء الاسلام بتعاليمه التى أشعرت العرب بحياة جديدة كل الجدة ، لم تألفها نفوسهم ولم يتعودها مجتمعهم ، وكانت تلك التعاليم أشد وقعا على نفوس الشعراء والمتزعمين ، لأنها تحمل فى ثناياها مايذهب بكبريائهم ويقوض سلطانهم ، ويزرى بمواضعاتهم ، فاشتدت الخصومة بين الدعوة الجديدة والعاكفين على التقليد ، وانتهض شعراؤهم لمناهضة القرآن الكريم الذى هتك ستر بلاغتهم ، ووضع بسمو براعته ونصاعة بيانه من قيمة فصاحتهم ؛ ورصد قوم منهم أنفسهم لهجاء النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فأقذع فى هذا أمية بن أبى الصلت ، ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن رواية شعره ، فيما يقول الرواة ، وكان طبيعيا أن يجد الاسلام فى أنصاره ألسنة حدادا ترد كيد المعتدين فى نحورهم ، وكان هؤلاء الأنصار يجدون من النبى صلى الله عليه وسلم رضاء واغتباطا ، لا بل أمرا وتحريضا ، فقد روى أصحاب السير عن جويرية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ابن أسماء قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى وأشفى . وعن جابر ابن عبد الله رضى الله عنه قال : لما كان عام الأحزاب وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا قال النبي صلى الله عليه وسلم : من يحمى أعراض المسلمين ؟ فقال كعب رضى الله عنه : أنا يارسول الله ، وقال عبد الله بن رواحة : أنا يارسول الله ، وقال حسان بن ثابت : أنا يارسول الله ، قال عليه السلام : نعم اهجهم أنت فانه سيعينك الله بروح القدس . ومن مواقف حسان رضى الله عنه التى نافح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رده على الزبرقان بن بدر شاعر وفد بنى تميم الذين نزل فيهم قول الله تعالى : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » فقد خرج اليهم النبى صلى الله عليه وسلم واستمع الى خطيبهم الأقرع بن حابس وشاعرهم الزبرقان ، وأمر خطيبه ثابت بن شماس فرد على خطيبهم ، وأمر شاعره حسان بن ثابت فقام فأنشد عينيته المشهورة ، وهى من رائع شعره ، وفيها يقول :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الاله وبالأمر الذى شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة ... إن الخلائق — فاعلم — شرها البدع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
إن كان فى الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم ... لا يطبعون ولا يزرى بهم طبع
ولا يضنون عن جار بفضلهم ... ولا يمسهم من مطمع طمع
يسمون للحرب تبدو وهى كالحة ... إذا الزعانف من أظفارها خشعوا
لا يفرحون إذا نالوا عدوهم ... وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع
كأنهم فى الوغى والموت مكتنع ... أسود بيشة فى أرساغها فدع
خذ منهم ما أتوا عفوا وما غضبوا ... ولا يكن همك الأمر الذى منعوا
فإن فى حربهم — فاترك عداوتهم — ... سما يخاض عليه الصاب والسلع
أكرم بقوم رسول الله قائدهم ... إذا تفرقت الأهواء والشيع
أهدى لهم مدحتى قلب يؤازره ... فيما أراد لسان حاذق صنع
وأنهم أفضل الأحياء كلهم ... إن جدّ بالناس جد القول أوسمعوا

فلما فرغ حسان قال الأقرع بن حابس : إن هذا الرجل لمؤتى له ، والله لشاعره أشعر من شاعرنا ، ولخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولأصواتهم أرفع من أصواتنا ، ثم قال : أعطنى يا محمد ، فأعطاه ، فقال : زدنى ، فزاده ، فقال : اللهم إنه سيد العرب !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فنحن نرى فى هذا الضرب من المحاورات الكلامية ، والمناظرات الأدبية ، مايدلنا دلالة صريحة على أن صاحب الدعوة الاسلامية جعل الأدب بعض أسلحته فى تأييد دعوته ، مجانسة لما كان عند خصومه من هذا القبيل ، فلما فلج عليهم أبوا الا لجًا فى العناد حتى شاموا سيوفهم فى وجه الدعوة ، فابى الله إلا نصرة دينه القويم .

ومن الشبه التى يتمسك بها هؤلاء المتادبون آية فى كتاب الله تعالى تصف الشعراء بالضلالة والبهتان ، وقد ردها على إخوان لهم من قبل صاحب العمدة فقال : « فأما احتجاج من لم يفهم وجه الكلام بقوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون » فهو غلط وسوء تأول ، لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ، ومسوه بالأذى ، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل فى شيء من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا » يريد شعراء النبى صلى الله عليه وسلم الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه »

على أننا إذا نظرنا الى التاريخ الأدبى فى هذه المرحلة وجدنا من القصص والحوادث الثابتة مايثبت اعتزاز الاسلام بالأدب وخاصة الشعر ، فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أقام لحسان منبرا فى مسجده وقال له : « اهجهم — أى المشركين — فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام » . وقصة كعب بن زهير مشهورة ، فقد أنشد بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم قصيدته :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول

وفيها يقول بعد أن تخلص من الغزل — على عادة الشعراء — الى المديح والاعتذار :

نبئت أن رسول الله أوعدنى ... والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ ... ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم ... أذنب ولو كثرت فىّ الأقاويل
إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

فرضى عنه النبى صلى الله عليه وسلم وأثابه بردته . وهذا أيضا النابغة الجعدى : وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ومدحه بقصيدته الرائية :

خليلى عوجا ساعة وتهجرا ... ولوما على ما أحدث الدهر أوزرا
أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
أقيم على التقوى وأرضى بفعلها ... وكنت من النار المخوفة أحذرا

الى أن قال فيها مفتخرا بنفسه وقومه :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أين المظهر يا أبي ليلى ؟ » فقال : الجنة يارسول الله ، قال : « أجمل ! إن شاء الله » فلما بلغ قوله :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أجدت لا يفضض الله فاك » .

ويروى أن الزبير بن العوام رضى الله عنه مر بمجلس لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وحسان ينشدهم وهم غير آذنين لما يسمعون من شعره ، فقال : مالى أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن القريعة ؟ لقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه ولا يشتغل عنه إذا أنشده ! ولعل هذا هو السبب فى مدحة حسان للزبير التى يقول فيها :

أقام على عهد النبي وهديه حواريه والقول بالفعل يعدل

وقد مر عمر بن الخطاب بحسان وهو ينشد الشعر فى المسجد فقال له : أرغاء كرغاء البكر ؟ ! فقال حسان : دعنى عنك ياعمر ، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد فى هذا المسجد من هو خير منك فما يغيّر علىّ !

وذكر الشيخ عبد القاهر أنه يروى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول لى : « أبياتك » فأقول :

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه يوما فتدركه العواقب قد نما
يجزيك أو يثنى عليك وإن من أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

ومما اشتهر عنها أنها كانت تحفظ شعر لبيد جميعه . ودخل عليها حسان بعد ما كان من أمره فى شأنها معتذرا فأنشدها قوله :

حَصان رَزان ما تُزَنّ بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم فلا رفعت سوطى الىّ أناملى
فإن الذى قد قيل ليس بلائط ولكنه قول امرئ بى ماحل

ولو شئنا أن نتتبع الحوادث لما اتسع المقام لسردها . وهكذا نجد الاسلام فى شخص نبيه الكريم وأعيان أنصاره وجنوده ، اعتز بالأدب وآخاه ، بيد أنه لم يرض أن يمد لغواة الشعراء فى حبل الضلالة ، بل حجزهم فى رفق تارة ، وفى صلابة تارة ، عن مزالق الشر والافساد فى الأرض ، وفتح لهم أبوابا من الفضيلة والخير . والحق لو أنهم اتخذوها منافذ الى مظاهر الوجود لكان الأدب العربى الآن ناموسا من نواميس الأخلاق الفاضلة ، كما أنه الناموس الأعظم فى البراعة والبيان ؟

صادق ابرهيم عرجون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الدعوة الى الله

ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

—

الدعوة الى الدين وتثبيت اليقين وإرشاد الناس ليخرجوا من الظلمات الى النور ، هى فى الأصل عمل الأنبياء والمرسلين ، يخلفهم فى ذلك صفوة عباد الله ممن اختارهم وقربهم اليه .

ولقد كان لها فى سلفنا الأول المقام الأول ، فكان يليها كبار الصحابة والتابعين ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وكان الناس لا يزالون يذكرون ما كانوا عليه من جاهلية جهلاء وخطة عمياء ، ركبوا فيها العسف ، وتباهوا بالجبروت والظلم ، حتى عمتهم الفوضى ، وساءت بهم حال الحياة . فكانت ذكرياتهم عنها أكبر عون لمسارعتهم الى الجادة التى رحمهم الله بها « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

فلما طال عليهم الأمد ونسى الماضى السيئ ، واستقر بهم العيش ، وأتتهم الحياة الطيبة بما نعموا به من الشريعة السمحة ، حسبوا ما غنموه من هذه الثمار حقا لازما لا يخشى عليه ضياع ولا يحتاج الى حراسة ، فسكروا بلذة النعيم ، وانغمسوا فى شهواتهم لاهين ساهين ، وبحر الشهوات لا ساحل له . وقد كان ذوو النفوذ والسلطان والجاه والثراء أوفر الناس قسطا من الاستهتار والاندفاع فى تيار اللذائذ ، واقتدت بهم الدهماء حتى تعرضوا لوعيد الآية الكريمة « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » . فكم من أمة من الأمم الاسلامية سقطت من شامخ رفعتها ، وذلت بعد عزتها ، وانتزعت من ملكها وسطوتها ، وتحكمت فيها أمم كان أعز أمانيها أن تكون من حاشيتها . ولولا ما وعد الله به هذه الأمة الكريمة من بقاء الخير فيها الى يوم القيامة لكان ما انغمست فيه كافيا للقضاء عليها ، ولكن الله اللطيف الخبير كان يتداركها على تعاقب الأحوال بمن يجدد لها أمر دينها .

وإن من أكبر ما يوجه القلوب الى الله بالحمد والشكر ، ما نراه فى هذا العصر من نعمة الله على مصر ، بما حباها به من ملك صالح ، بوأه عرشها ، وسلمه زمامها ، وقد نشأ فى عبادة ربه وتحلى بحلية الدين من أول تنشئته ، وآتاه الله من الحكمة والحزم ونور البصيرة وقوة العزم ما ظهرت آثاره جلية فى توجيه أمته الى سعادتها ، وإرشادها الى التمسك بدينها ، والدين مدعاة الفضائل جميعها ، وفى التمسك بالفضائل من أمانة وصدق وحسن عشرة وعدل واستمساك بعزة وحمية ، فى هذه الفضائل صون الكرامة ، وعلو المكانة ، واكتساب الاحترام ، والجدارة بالثقة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

شهدت به مصر عهدا طالما تمنته وسألت الله أن يحققه لها ، فاستجاب لها ربها ، فكان أول ما بدأها به الكلمات الطيبة يوجهها إليها مشافهة ، يهنئها بشهر الصوم ، وينبهها الى ما فيه من فرصة اغتنام الخير ؛ وما بين يديها من سعادة تغتنمها باقبالها على أحكام دينها وطاعة ربها ، فتحرز بذلك سعادة الدنيا والآخرة ، تفتحت له قلوبها بالمحبة ، وتطلعت إليه عقولها تغتنم الرشاد من نصحه ، وأكبرت فيه مظاهر الدين تتوالى عليها .

وكان من أكبرها وأيمنها : أن عهد الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الإمام المصلح الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر ، بإلقاء دروس فى تفسير آى الذكر الحكيم ، بحيث ينتفع بها الخاصة ، ولا تعلو على أفهام العامة . وتفضل بحضورها والاستماع لها ، فأقبل عليها العظماء يتسابقون ، وتبعهم الجماهير متلهفين . وساعدت وسائل الاذاعة على نشرها لأوساط الأمة ، فكانوا يتلقفونها ما استطاعوا ، فكان النفع بها عظيما ، والتطلع إليها أعظم . وحسبك بدروس دينية يحضرها الملك الصالح بنفسه ، وينوه بشأنها ، ويعلى من قدرها . فكان فى هذا من تنبيه الشعور الدينى ما نحمد الله فيه على نعمة التوفيق ، ونسأله جل شأنه منه المزيد .

ولقد سمعنا من غير واحد من العظماء إلحافا فى طلب المزيد منها والمداومة عليها ، يقولون : إن فى عنق الأزهر حقا وأمانة للأمة فى هذا التذكير الذى جذب أرواحنا ، وأشبع قلوبنا ، وذكرنا بواجبنا ، والذكرى تنفع المؤمنين ، فلا يصح أن يهمل الأزهر هذا الأمر وهو الأدرى بقيمته عند الله . وإنا لنرجو أن تجاب هذه الرغبات الشريفة إن شاء الله .

بقيت كلمة لا بد من الالماع إليها بإشارة وجيزة :

تلك أن بعض صغار الأحلام أساء فهم كلمات وردت على لسان فضيلة الأستاذ الأكبر ، فبدلا من أن ينعم النظر فيها ، ويتأمل سابقها ولاحقها ، أطلق لنفسه عنان الطيش ، وراح يرسل الكلمات فى غير ما روية ، ويقول : إن فضيلة الأستاذ الأكبر ينكر على الأئمة اجتهادهم فى مذاهبهم .

ياللعجب العجاب ! لم ندر كيف يخطر هذا الوهم فى نفس رجل له فهم ؟ وكيف يستقر عند من يزعم أنه من أهل العلم ؟ وكيف يجرى على لسانه ولا يتوارى خجلا من نفسه ! أليس هذا الذى تزعم عليه أنه ينكر الخلافات المذهبية هو الذى يتعهد دروس الفقه على المذاهب الأربعة ، ويطالب طلاب الجامعة الأزهرية وجميع المعاهد الدينية أن يحذقوا أحكام مذاهبهم ، ويطالبهم بتقرير أدلتها وبيان حكمة التشريع فيها ، وربط مصالح المجتمع بما يدرسونه منها ، كل على حسب درجته فى التعلم ؛ ولا يسمح لواحد من الطلاب الذين وضع الله أمانتهم فى عنقه أن ينتقل من سنة الى سنة أو أن يجاز فى النهاية باجازة التدريس والارشاد ، إلا بعد أن يكون قد أجاد فهم مذهب إمامه ومن انتصبوا لتقريره وبسط أدلته وتوجيه قواعده ؟ !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فكيف ينكر شيئا هو دائب على تعهده وتنميته ، وحريص كل الحرص على أن يبلغ غاية الكمال والاتقان ؟ !

هذا فى مركزه الرسمى . فاذا فاته التنبه الى هذا فكيف يغفل عما جاءت الآية التى يفسرها فضيلته لتقريره ؟ ألم يكن سياقها فى مذاهب الأمم الماضية من أهل الكتاب وغيرهم ، وأنها ابتدأت مذاهب مختلفة ثم تطورت الى أن صارت أديانا يكفر كل أهل مذهب منهم من خالفه فى مذهبه ، ويعتبره خلافا فى الدين لا اجتهادا مذهبيا ؟ أليس من واجب حراس الدين أن ينبهوا للحذر من هذا الاختلاف الذى وقع لمن قبلنا حتى لا يصيبنا ؟

لعلك تقول : ومالنا نحن وهذا التنبيه ولم نصب بمثل ما وقعوا فيه ؟

ونقول لك : إن التنبيه على الخطر لا يتوقف على الوقوع فيه بالفعل ، بل يجب التحذير من الضرر قبل التردى فى هاويته ، حتى يكون التحذير مفيدا ، فان أبيت إلا أن ترى الضرر قد حصل بالفعل حتى يصح التعرض للتحذير منه ، فماذا تصنع فى فائدة ما قصه علينا القرآن الكريم والسنة النبوية من قصص الأولين !

على أن الذى تزعم نفيه عن الأمة الاسلامية وأن لا داعى للتعرض له ، قد وقع فيه الكثير من الطوائف فى غير مصر : فكم ترى من افتراق طوائف مسلمة افتراقا أشبه ذلك الافتراق الذى حصل لمن قبلنا من أهل الكتاب . وإذا كان الله قد نجى منه الأمة المصرية وله الحمد والمنة ، فقد ارتكست فيه طوائف فى غير مصر يكفر بعضهم بعضا ، والجميع من أهل القبلة يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ! وابحث إن شئت فى مصرك تجد جماعات تعمل دائبة فى مصر على خفية منك ، تعمل على تكفير غيرها . ولو اطلعت على ما تدعو اليه لسارعت بتكفيرها . وكم من فئة تمزق من الأمة ما جمعه الله ، فانا لله !

وبعد : فلم يخل المصلحون فى زمن مّا من التعرض لهم باللمز والتأويل وشتى الأقاويل ، فإن كانوا يعملون ليقال عنهم ، فترت همتهم ، وإن كانوا يعملون لله ولرسوله وليرضوا ضميرهم ويرضوا ربهم ، لجأوا الى قوله عز وجل : «فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

هذا ولقد رأى جمهرة من أهل الرأى وتقدير الأعمال بما تستحقها : أن يكون النفع بهذه الدروس عاما وثابتا مستقرا ، فاقترحوا على فضيلة الأستاذ الأكبر أن يأذن بطبعها لينتفع بها من فاتته فرصة استماعها ، فتفضل حفظه الله وأذن بذلك .

وإنا لنرجو أن تكون باكورة لثمار بستان يؤتى أكله كل حين بإذن ربه ، وأن تكون بداية طيبة لنفع متصل .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإنا إذ ننوه بهـذه الآثار الجليلة التى هى فى غنى عن تنويهنا ، نغتبط أتم الاغتباط بأن تكون هذه الآثار على يد ملك اصطفاه الله لـكنانته ، وبوأه ملك مصر التى جمع الله لها من مزايا العـلم وحراسة الدين ما لم يجمعه لغيرها ، وعرف لها أمم الإسلام من جليل الآثار ما جعلهم يحلونها محل القيادة الدينية العامة ، ويعلقون آمالهم بها يرجون أن يكون بها جمع كلمة المسلمين على التمسك بفضـائل الدين ، حتى يحرزوا ماهم أهله من احترام الشعوب ومحبة الأمم ، والثقة الـكاملة لدى العالم أجمع .

ولقد نذكر بمجىء هـذه الآثار على يد جلالة الملك الصالح المحبوب الموفق الملك فاروق الأول ، ما روى لنا عن سميه الفاروق ثانى الخلفـاء الراشدين : من أن إسلامه كان بدء الجهر بالدعوة الى الإسلام ، وقد كانت قبل ذلك سرا ، فسماه عليه السلام بالفاروق ، فرق الله به بين الحق والباطل .

وكذلك فى عصرنا هـذا تستقبل مصر عزة دينية ، ويجهر رجال الدين بالدعوة الى الله فى حضرة الملك وبتشجيعه . فإن كان ملـكنا حفظه الله فاروقا الأول فى ملوك مصر ، فهو أيضا فاروق الثانى فيمن أعلى الله بهم كلمة الدين .

فاللهم أيد الإسلام بتأييده ، وأعل كلمة الحق باعلاء كلمته ، واجمع القلوب على الخير بجمعها على محبته — آمين !

ابراهيم الجبالى

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عمر يقص من نفسه

حكى أبو الحسن المـاوردى فى كتابه الأحكام السلطـانية عن ابراهيم النخعى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نهى الرجال أن يطوفوا مع النساء ، فرأى رجلا يصلى مع النساء ، فضربه بالدرة . فقال : والله إن كان عملى هذا حسنا لقد ظلمتنى ، وإن كان سيئا فما علمتنى .

فقال عمر : أما شهدت عزمتى ؟ فقـال : ما شهدت لك من عزمة ، فألقى اليه عمر الدرة ، وقال له اقتص . قال لا أقتص اليوم . قال عمر : فاعف عنى . قال لا أعفو ، وافترقا على ذلك .

ثم لقيه من الغد فتغير لون عمر . فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين كأنى أرى ما كان منى قد أسرع فيك . قال عمر : أجل . قال الرجل : فاشهد أنى قد عفوت عنك .

(من كتاب السمير الواعظ) .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أثر القرآن في تحرير الفكر الانسانى

أول ماوجد الانسان على الأرض كان جاهلا كل الجهل ، وكان مع جهله هذا ليس بمجرد من عاطفة دينية كما يدل عليه كل ما وجد من آثار الأمم السابقة على التاريخ ، فلم تشاهد جماعة من جماعاته محرومة من دين ساذج يناسب الحالة العقلية التى كانوا عليها . ولا تزال توجد فى الأرض قبائل متوغلة فى التوحش تعطينا مثلا محسوسا على ما كان عليه الانسان فى أول وجوده . ومما هو محقق أن الخالق سبحانه وتعالى لم يحرم الانسان وهو فى ذلك الدرك الأسفل من وجوده من رسل يهدونه الى الحق بالقدر الذى يطيقه تعقله . ولكنه ما كان يلبث أن ينقاد لأوهامه فيؤلّـه قوى الطبيعة ، أو يتخيل وراء ظواهرها روحا أو أرواحا تمنحه الخير متى رضيت عنه ، وتقذفه بالشر متى سخطت عليه ، فكان يستجلب رضاءها عليه بما تزينه له عقليته الناقصة ولو بتضحية فلذة كبده لاسترضائها . ولا شك أنه كان يصدر فى كل ذلك عن رجال نحلوا أنفسهم صفة الوساطة بينه وبين الآلهة . فكان يدين بما يوسوسون له به غير طالب على مايقولون دليلا ، لا لأنه كان يقدسهم فحسب ، ولكن لأنه لم يكن يميز بين ما هو حق وما هو باطل من العقائد ، فكل شيء كان عنده صحيحا ما دام يصدر عن المهيمنين على ديانته .

فلما حصل للانسان بعض العلم بالوجود الذى يعيش فيه ، وأخذت قواه العقلية تشعره شعورا ساذجا بأن من الأمور ما هو حق ومنها ما هو باطل ، ازداد تعويلا على قادته ، وتمسكا بما يفضون به اليه ، وتسليما منه بأن الحق لا يعدو ما يؤاتونه إياه على أية حال .

انتقل الانسان درجة بل درجات فى باحات العلم ، وقويت فيه غرائزه الأدبية ، واستعدت للقيام بحصتها من حياته العقلية ، فلم يؤثر هذا فى خضوعه لأوليائه ، لأنهم بما انقطعوا لمهمتهم الروحية كانوا يسبقونه الى التطور فيوفونه حاجته من الغذاء العقلى ، فكان يضطر للانقياد لهم ، إذ يصادف لديهم كلما حفزته الحاجة الى المزيد منه ، فيظل أسيرا فى قبضتهم .

تتابعت القرون والأجيال ، والناس جميعا على هذه الحال ، حتى ولدت الفلسفة اليونانية ونبغ بين أحضانها رجال وقر فى أنفسهم أن من حق عقولهم عليهم أن يناقشوا رجال الدين فيما يدلون به الى الناس من عقائد ، فكان جزاؤهم القتل ، وأكبر من ذهب منهم ضحية لهذه التهمة الفيلسوف سقراط عمدة الفلسفة اليونانية .

ولكن ما لبث هذا الحجر على الفكر أن خفت وطأته ، فتمكن فلاسفة كثيرون من الافضاء بمذاهبهم الى الناس ، وفى بعضها ما يخالف عقائد عامتهم ، بل منها مايفضى الى المادية الباحتة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولكن هذا العهد لم يدم طويلا ، فانه لما عمت الديانة المسيحية أوربا أصبح لحفظتها من السلطان ونفاذ الكلمة ماليس للملوك المتوجين ، فوضعوا حدودا للنظر لا يسمح لأحد بتعديها ، فوقفت حركة الفكر أكثر من ألف سنة لم ينبغ فى أثنائها على ما يقول المؤرخون عالم واحد فى أى فرع من فروع العلم ، وبقيت كتب الأوائل مكدسة فى المكتبات ترعى فيها الحشرات .

فكان العالم لا يخلو فى أثناء تلك القرون الراكدة من نبوغ عقول نيرة تبحث فى بعض الشئون الكونية ، وتأتى بما يعده القائمون بالأمور الدينية زيغا ، فكان هؤلاء المفكرون يحاسبون على ما أتوا به حسابا عسيرا ، فيستتابون ويعزرون إن كانت جريمتهم هينة ، فان عادوا لمثل ما أخذ عليهم فجزاؤهم كان القتل على أبشع حالة .

هذه الشدة المتناهية فى القسوة لم تمنع العقول القوية من الظهور آونة فآونة ، فكان حفظة العقائد يلتقطون أصحابها واحدا واحدا ويخمدون أنفاسهم ، حتى لا تسرى عدواهم لسواهم . ظلت الحال جارية على هذا النحو حتى بلغ عدد ضحايا الفكر الحر أكثر من ثلثمائة ألف ، أحرقوا بالنار ، أو ألقوا فى البحار ، أو ماتوا وخزا بالسفافيد المحماة الخ .

ومن عجب أنه كلما ازداد عدد هذه الضحايا كثر المترسمون لخطواتهم ، وكلما أمعن رجال الدين فى عنادهم ، استبسل رجال الفكر فى جهادهم ، وتيقظ الناس من سباتهم ، وبعد أن كان النزاع محصورا بين رجال الدين ورجال العلم ، تعداهم الى رجال الدين أنفسهم ، وما هى إلا فترة حتى انصدعت وحدتهم ، فأعان جمهور كبير منهم عزلتهم ، مؤسسين مذهبا جديدا للمسيحية باسم البرتستانتية ، فيها تسامح كبير إزاء رجال العلم ، ومجال فسيح للفكر الحر والرأى المستقل ، وكان ذلك فى القرن السادس عشر ، أى بعد ظهور الاسلام بنحو ألف سنة .

الناظر فى هذه السلسلة الطويلة من التنازع يظنها تطورات أدبية محلية ، والحقيقة أنها تتصل بالنهضة التى أحدثها القرآن فى الشرق اتصالا وثيقا ، فإن المسلمين اتصلوا بأوربا من جهة غربها منذ أواخر القرن الثامن الميلادى بفتحهم للأندلس ، فأسسوا فيها دوراً للعلم ، وجروا فيه من حرية البحث واستقلال الرأى على ما يقضى به الدستور القرآنى ، فتأدوا الى مدى بعيد من المعارف والفنون ، وصارت جامعات قرطبة واشبيلية مثابة لطلاب العلم الغربيين ، فنهلوا من معينها الصافى ما لا يصلون الى مثله فى بلادهم ، ومرنوا على الأسلوب الذى كان يجرى عليه علماء المسلمين من الحرية والاستقلال ، فتشبعت به نفوسهم ، وارتاحت إليه عقولهم ، فلما عادوا الى بلادهم أخذوا يبثون فى مواطنيهم هذه الروح الجديدة ، فسرت فى أذكيائهم سريان النور فى الظلام ، وفتحت أمامهم آفاقا من النظر ، ووقفتهم على مواطن الفساد من نظمهم التعليمية ، وسلطاتهم الاستبدادية . ومتى أشعرت النفوس بنقصها اندفعت مضطرة بغرائزها لتكميله ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فانتدب أفراد منها للتفكير والنظر، غير معتدين بالحدود التى أمرت السلطة الدينية بعدم تعديها، فحدث من جراء ذلك كل ما ذكرناه من ذلك التاريخ هنا .

أما دخول العلم الاسلامى الى أوربا من طريق الأندلس وطريق إيطاليا فأمر قد اعترف به مؤرخوهم، وأما استمدادها روح نهضتها من النهضة الاسلامية فحادث لايمكن المراء فيه، لإجماع مؤرخيها أن علوم المسلمين وآدابهم هى التى أيقظت أهلها من سباتهم، ودفعتهم لبلوغ هذا الشأو من المدنية التى هم عليها اليوم . ولست أحب أن أطيل الكلام بايراد الشواهد من كتب مؤرخيهم، فانه أصبح معلوما من الناس أجمعين، وقد أكثرنا من ذكره فى جميع بحوثنا السابقة .

أما بيان الأسلوب الذى تمكن به القرءان من كسر القيود الفولاذية التى كان يرسف فيها الفكر الإنسانى فى مدى سنين معدودة، بعد أن لبث عليها قرونا كثيرة، فإن فى بيانه عبرة للسائلين، وآية للناس أجمعين .

أنزل الله القرءان والناس على ما تعلم من عبادة الأهواء، والجمود على تقاليد الآباء، والطاعة العمياء للزعماء، فلو كان جرى على الأسلوب البشرى فى بعث هذه العقليات الخامدة، وتنبيه هذه النفوس الهامدة، لاستدعى ذلك قرونا وأجيالا . ولكنه أتى فى هذا الموطن بآية سيرفعها الناس الى أعلى من مستوى إحياء الموتى، حين يعرفون أن نقل النفوس عما ورثته طفرة، دونه نقل الجبال الشم من أماكنها .

تصدى الاسلام لتحرير العقلية الانسانية من طريق غير مباشر، فجاءها من الناحية التى يشتد شعورها بها، وهى ما ستؤول اليه بعد الموت، فأفاض فى ذكر العذاب الذى ستلاقيه النفوس الكافرة الجاحدة إفاضة لم تؤثر عن سواه، وبالغ فى تهويله على ضروب تنخلع لها القلوب وترتعد منها الفرائص، مؤكداً أن الانسان وهو فى تلك الحالة لا تجديه شفاعة شفيع ولو كان ملكا مقربا، ولا قرابة قريب ولو كان رسولا مكرما، بل لا يجد من يتطوع لانجاده من أب أو أم أو صديق، لاشتغال كل امرئ بنفسه : « يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » « يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن، ولا يسأل حميم حميما، يبصرونهم، يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه، وصاحبته وأخيه، وفصيلته التى تؤويه، ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه » « ليس للانسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » « إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبَعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب » « وقالوا (أى أصحاب النار) ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » الخ الخ .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الناظر فى هذه الآيات ، وفى الكتاب عشرات من أمثالها ، يعجب من كثرتها ، ولكنه لو أدرك أن هذا كله تمهيد لأعظم إصلاح تم حدوثه فى الأرض ، وكان فاتحة لكل الاصلاحات التى تلتها من بعد ، ذلك الاصلاح الذى رمى لأن يرفع عن النفوس البشرية نير العبودية للاوهام والتقاليد التى أمسكتها فى الظلام أجيالا طويلة ، تبين له وجه الحكمة من الاكثار من هذه الزواجر .

ألا ترى أن النفوس متى تحققت أنه لا ينجيها من عذاب الآخرة شىء غير عملها الذاتى ، انساقت للنظر فى وجه خلاصها ، وما دام لن ينفعها شفاعة شفيع ، ولا قرابة قريب ، ولا اتباعها لمن تتخيل فيهم الهداية ، وتتوهم منهم الوساطة ، كرهت الجمود على الموروثات ، ومقتت التقليد للآباء ، وأيقظت فى نفسها خاصة النقد والتمحيص فى كل ما يعرض لها من العلم ، فلم تعد أسيرة أحد فيما تعتقده وما تأخذ به ؟ وهذا هو معنى حرية الفكر واستقلال الرأى الذى سعى لاقامة دولتيهما العباقرة أجيالا متطاولة ، وبذلوا فى تشييدها دماءهم رخيصة ، وأقامها الاسلام فى سنين معدودة ؟

وقد رأيت أن الاسلام قد جاء بهذا الاصلاح للآخذين به طفرة ، مؤسسا إياه على أرسخ غرائز النفس ، وأعمق نحائزها ، فنشأت أمة تنظر وتفكر ، وتدعو كل فرد منها ليفكر لنفسه ، ويعمل لها ، وقد خلد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأصل بكلمة من صميم العلم الالهى ، وهى قوله لابنته : « اعملى يافاطمة فانى لا أغنى عنك من الله شيئا » .

وقد نشأ فى هذه الأمة عدد لا يحصى من العلماء والحكماء فلم يقل واحد منهم : خذوا بما أقول لاتنظروا فيه ، بل قالوا كلهم كما قال مالك : « ما من أحد إلا وهو ماخوذ منه ومردود عليه إلا صاحب هذه الروضة » يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ؟

محمد فريد وجدى

ماقيل فى حفظ اللسان

لا تكشفن من مساوى الناس ماستروا   فيكشف الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن مافيهم إذا ذكروا   ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وقال شاعر آخر :

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى   ودينك موفور وعرضك صين
فلا ينطقن منك اللسان بسوأة   فللناس سوآت وللناس ألسن
وعينك إن أبدت اليك مساويا   لقوم فقل : ياعين للناس أعين
فعاشر بانصاف وكن متوددا   ولا تلق إلا بالتى هى أحسن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاخلاق الفلسفية

— ٧ —

(ب) الضمـــــير

السريرة :

يرى بعض الأخلاقيين تعدد السريرة واختلاف أوصافها ، وتباين أفعالها ، فيقسمها الى سريرة صادقة وهى ما توافق أعمالها القانون الأخـلاقى ، وسريرة ضالة وهى ما ترى الخـير شرا والشر خيرا ، وسريرة موسوسة ، وهى ما تحظر المباح ، وسريرة مترددة ، وهى ما تتحير فى إصدار الحـكم على الخير والشر .

ولست أدرى ما هى الفروق التى صحت عند هذا البعض من الأخلاقيين فميزوا بها السريرة من الضمير ، وجعلوا الأولى متعددة ، والثانى واحدا لا يختلف ولا يتغير ؟ ثم لا أدرى كذلك ما هـو المرجع الأخير الذى يلجؤن إليه فى الحـكم بين هـذه السرائر المختلفة حتى يتبينوا الصادق والـكاذب منها : أهو العقل ، وقد علمنا مقدار ما يكتنفه من ضعف وانخداع بسبب خضوعه للحواس ؟ أم هى إحدى السرائر تتولى الحـكم على بقية أخواتها ، وقد عرفنا أن تفضيل أحد المتساويين على الآخر وجعله حكما عليه بلا مبرر تحـكم وخروج على ناموس العدالة ؟ أم هـو القانون الأخلاقى ، وقد أصبحت ثقتنا فيـه ضئيلة تافهة ؛ لأننا بدأنا نرتاب فى مشرعه وهو السريرة ما دمنا نوقن بأنها متعددة متغيرة خاضعة لظروف الحياة وطوارئها ؟ وليس أدعى الى الارتياب ولا أبعث على فقدان الثقة من هذه الحال المضطربة . وإذاً فرأيهم هذا مردود ، ولا يستطيع التسليم به عقل يسير على نظام المنطق المستقيم ، ولـكن الرأى عندى هـو أن الضمير والسريرة شىء واحد لا يتعدد ولا يتغير ، ولا يكذب ولا يوسوس ولا يتردد ولا يشك ، لأنه من عالم الأبدية كما قررنا ذلك مررا . وأما ما نشعر به أحيانا من تردد وارتباك فمصدره هو نشوب حرب داخلية بين هـذا الضمير الصادق والناصح المتثبت من رأيه ، وبين إحدى القوتين الحيوانيتين الموجودتين فى النفس البشرية . وأما ما نشاهـده من ضلال فى أعمالنا وسقوط فى هوى الشر والرذيلة ، فما هو إلا تغلب إحدى هاتين القوتين على ذلك الصوت الأعلى . وليس معنى هذا أن الانسان أثناء النضال الداخلى بين ضميره وشهوته يكون مرتديا ثوب السريرة المترددة ، فاذا انتصر الضمير نزع هـذا الثوب واستبدل به ثوب السريرة الصادقة ، وإذا كانت الغلبة للقوة الشهوانية ، ارتدى ثوب السريرة الضالة ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فاذا تعلم أو تهذبت أخلاقه عاد فألقى بالسريرة الأولى جانبا وتدثر بغيرها . ولو كان الأمر كذلك لكانت السرائر شيئا تافها لا يكلف المرء تغييرها إلا عناء استبدال القفاز كما يقولون ، ولكن الواقع أن التردد والشك والهوى والضلال ليست إلا حالات للنفس البشرية تعرض لها من تنازع القوى الثلاث التي تسيطر عليها ، وأيها كانت لها الغلبة فهي صاحبة الحكم والسلطان .

أما إذا كان هذا البعض من الأخلاقيين يقصد بالسريرة الخلق ، فإنا نوافقه على تغييره وتحسنه بوساطة الرياضة والثقافة والدين وتتبع سير العظماء والمصلحين ، ولا نخالفه في أن هدى الخلق وضلاله مقرونان بالبيئات التي تحوط الانسان ، وبالعناصر التي تتكون منها ثقافته ، وبالعوامل التي تساهم في تربيته ؛ ولكننا لا نسلم مطلقا بأن الصوت الأساسي الخفي يعتوره تغير أو نقص أو ضلال ، لأنه هو البرهان الأول على رفعة الانسان وجدارته بالاتصال بخالقه ، وعلى إمكان وصوله الى المثل الأعلى . فاذا جاز أن تتعرض هذه القوة العليا للتغير والنقص ، فقد سقطت قيمتها المعنوية ، واندثرت نتائجها المترتبة عليها ، وانقلب كل ما في الكون من حقائق وعقائد وفلسفات ، لأن وجود هذه القوة في الانسان ، وثبات عصمتها من الخطأ والضلال ، والاستيقان بأنها هي الصلة بين المطلق والمحدود ، لأكبر دليل وأصدق برهان على وجود الله وصدق الأنبياء وخلود الروح ، والعودة الى حياة أخرى تجري فيها العدالة مجراها ، وإن كنا لا ندعي استقلال هذا البرهان باثبات كل هذه العقائد ، وإنما نحن مسلمون بأنه يستعين ببراهين أخرى ، ولكنه هو بينها قطب الرحى وبيت القصيد .

العواطف الأخلاقية :

أشرنا عند تحديد أفعال الضمير الأدبي الى أن الأفعال السلبية للضمير ، وهي ما تعقب الفعل ، تسمى بالعواطف الأخلاقية ، وقلنا : إن هذه العواطف تنقسم الى قسمين : قسم يعقب الفضائل والخيرات ، وهو السرور والغبطة والاستراحة ، والآخر يلي وقوع الرذائل والشرور ، وهو وخز الضمير والألم والندم ، وهذه العواطف بقسميها درجات ، فكما أن فاعل الخير يشعر على أثر هذا الفعل بالرضى عن عمله ثم بالغبطة ثم بالسكينة التامة والسعادة الشاملة ، كذلك فاعل الشر يشعر على أثر جريمته بتقريع من الضمير دونه وخز الابر ، ثم يحس بالألم ثم بالندم الذي يقود الى التوبة والانابة .

ولما كان بعض الفلاسفة الفرنسيين يرى أن العواطف الأخلاقية سلسلة متصلة الحلقات فقد قال : أول مراتب الفوز برضى الله تأنيب السريرة . ولكن « كانت » لا يوافق على أن العواطف الأخلاقية تبتدئ بعد الفعل ، بل هو يؤكد أنها تبدأ على أثر الحكم بخيرية الشيء أو بشريته فيقول : « إن الشعور بالالتزام يصحبه حتما إحساس بالاحترام » . والذي حدا « كانت » الى هذا اليقين بسابقية العواطف الأخلاقية إنما هو إيمانه بكمال الحرية في داخل النفس البشرية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا ريب أن هـذا رأى حكيم يسير مع المنطق الذى تخلف عنه « أفلاطون » حين زعم أن الانسان خيّر بفطرته ، وليس للشر فى نفسيته نصيب ، فأفقده بهـذا حريته وإرادته وجدارته بالاحترام ، لأن الشخص لا يعترف له بالانتصار إلا إذا خاض معمعان الحرب بالفعل وخرج منها فائزا على أعدائه الأشـداء ، وإلا لحمد الشخص على مالم يفعل ، وعـد منتصرا على غير عـدو . وإذاً فاول شرائط المسئولية الادبيـة هى الحـرية المطلقة ، والـكسب الاختيارى المستقل ، كما سنبين ذلك فى حينه .

المثل الأعلى :

يمتاز الانسان عن بقية أصناف الـكائنات الحية بميله الدائم الى الصعود والرقى ، وبشغفه الذى لا يفتر ولا يكل الى الرفعة والعلو ، ومحاولة اللحوق بالمثل الأعلى . وهذا دليل آخر يسوقه « كانت » على وجود الروح فيقول : « إن انفراد الانسان بهذا الشغف يدل على أن فى داخل نفسه عنصرا ساميا حكم عليه مبدع الـكون بالسجن وقتا ما فى دائرة الجسم الضيقة ، ولـكنه أباح له حرية التغلب على هذا الـكائن الحيوانى فجعله يميل دائما إلى الرفعة التى لو انتهى الى آخر حلقة من حلقاتها ، لا لتحق بأصله ، وهو العالم الأعلى . فميل الانسان إذا الى المثل الأعلى فطرى فى نفسه الناطقة لا يزال يصبو اليه حتى يلتحق به فى حياته ، أو ينقضى عمره وهو فى طريق السير اليه . غير أن هذا المثل الأعلى يختلف باختلاف الظروف والأحوال . فمثلك الأعلى بينك وبين نفسك هو أن تـكون خيراً ، وبينك وبين الناس أن تـكون غيريا مضحيا ، باحثا عن سعادة البيئة التى تعيش فيها ما استطعت الى ذلك سبيلا ، وبينك وبين ربك أن تعرف له حقه ، وتقدر عليك فضله ، وتذعن لأوامره ونواهيه ، لا رغبة فى جنة ، ولا رهبة من نار ، ولـكن لأن خالقك يحب أن تـكون كذلك .

وبهذه المناسبة نرى لزاما علينا أن نشير هنا الى مارمى به بعض أخلاقى الغربيين الاسلام من ظاهرة النفعية والتجارة فى أخلاقه . وقد استشهدوا على هذه التهمة بما يرد دائما فى القرآن من إحكام الصلة بين الفضيلة والجنة وما فيها من متع جسمية ولذات مادية ، وبين الرذيلة والنار وما فيها من عذاب وتنكيل ، وعلقوا على ذلك بقولهم : « إن دينا هذا شأنه من المادية لا يمكن أن يـكوّن نفوسا عالية تعمل الخير لذاته ، وتحب الفضيلة لأنها فضيلة وكفى لا لغاية أخرى تسعى وراءها » .

ولـكننا إذا أنعمنا النظر مليا فى هذه المشكلة ألفينا قول أولئك الفلاسفة مبنيا على أسس سوفسطائيـة ، إذ أنه حين نزل القرآن الـكريم على النبى صلى الله عليه وسـلم كانت الحياة الأخلاقية والاجتماعية عند العرب منحلة انحلالا لا يمكن معه لأمة من الأمم أن تسير الى الأمام ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فرأى البارئ جلت إرادته أنه من الحكمة أن يفسح فى الشريعة الاسلامية مكانا عظيما للاخلاق وتمجيد الفضائل ، والحط من شأن الرذيلة بكل الوسائل الممكنة ، واستعمل لذلك أحكم أساليب الترغيب والترهيب اللذين هما ضروريان للجماهير . وليست الأخلاق الاسلامية ، كما يزعم بعض أخلاقيي أوربا ، مؤسسة على التجارة والنفعية الموجودتين فى الجنة التى ألح عليها القرآن ووصفها كثيرا واتخذها وسيلة لنشر الفضيلة ، وإلا فماذا يقولون فى تلك الحكمة المحمدية العالية : « نعم العبد صهيب : لولم يخف الله لم يعصه » ، أو فى تلك الجملة المنسوبة الى الامام أبى حنيفة رضى الله عنه : « اللهم اشهد أنى لا أعبدك رهبة من نارك ولا رغبة فى جنتك ، وإنما حبا فى رضاك عنى ، وطمعا فى تقريبى الى نورك الأعلى » !

وإذاً فالأخلاق الاسلامية مؤسسة على رضا الله والقرب منه ، لأنها دينية قبل كل شيء ، ولكن الاسلام قد بدأ مهمته الأخلاقية بالتبشير للفضيلة العملية كما قدمنا ، لأن البيئة التى نشأ فيها هذا الدين لم تكن تحمل أكثر من ذلك النموذج الذى رسمه القرآن الكريم وسارت عليه السنة الغراء .

« يتبع »

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وصايا أمراء المؤمنين لرجالهم

قال معاوية بن أبى سفيان لمسلم بن زياد لما ولاه خراسان : إن أباك كفاك أخاه عظيما ، وقد استكفيتك صغيرا ، فلا تتكلن على عذر منى فقد اتكلت على كفاية منك ، وإياك منى قبل أن أقول إياى منك ، فان الظن إذا أخلف منى فيك ، أخلف منك فىَّ وأنت فى أدنى حظك ، فاطلب أقصاه ، وقد أتعبك أبوك فلا تريحنَّ نفسك

وكان الرشيد فى بعض غزواته فألح عليه الثلج ليلة ، فقال له بعض أصحابه : يا أمير المؤمنين أما ترى ما نحن فيه من الجهد والنصب ، ووعثاء السفر ، والرعية قارة وادعة نائمة ؟

فقال له أمير المؤمنين الرشيد : « اسكت فللرعية المنام ، وعلينا القيام ، ولا بد للراعى من حراسة الرعية ، وتحمل الأذية » والى هذا أشار مادحه فقال :

غضبت لغضبتك الصوارم والقنا — لما نهضت لنصرة الاسلام
ناموا الى كنف بعدلك واسع — وسهرت تحرس غفلة النوام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هل أقام سيدنا عمر بن الخطاب

الحد على ولده فى الزنا ؟

نشرت بعض المجلات الاسـلامية المصرية لبعض كتابها قصة مطولة تتلخص فى أن فتاة أقبلت على عمر رضى الله عنه بينما هو جالس فى المسجد والناس حوله ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال : وعليك السلام ورحمة الله . فقالت : كنت مارة فى بعض الأيام بحائط بنى النجار إذ بولدك أبى شحمة يتمايل سكراً ، وكان قد شرب عند نسيكة اليهودى ، فراودنى عن نفسى ثم جذبنى بقوته ونال منى ما ينال الرجل من المرأة ، وقد أغمى علىّ فكتمت أمرى عن عمى وجيرانى حتى أحسست بالولادة ، فخرجت الى مكان كذا فوضعت هذا الغلام وهممت بقتله ، ثم ندمت على ذلك وأتيتك لتحكم بحكم الله بينى وبينه . وأن عمر رضى الله عنه أمر إذ ذاك منادياً أن ينادى فى الناس ، فأقبلوا الى المسجد يهرعون ثم أتى بابنه الى بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وقال : صدقت المرأة . وأقر أبو شحمة بما قالت . ثم أمر بضربه فضرب سبعين وهو يستغيث ، ولما بلغ التسعين انقطع كلامه وضعف ، واستمر الضرب حتى إذا كان آخر سوط سقط ميتا ، فجعل عمر يهدر كالبعير ، ويقول : محص الله عنك الخطايا ! ثم جعل رأسه فى حجره وأخذ يبكى ويقول : بأبى من قتله الحق .. الخ

وهى بطولها قصة مكذوبة ساق حفاظ الاسلام متنها عن شيرويه الديلمى بسنده الى مجاهد عن ابن عباس ، وهم فى ذلك ما بين مطيل ومختصر ، وأبانوا وجه كذبها ووضعها .

ولا يبعد أن يكون الحامل على وضعها حب الثناء على عمر رضى الله عنه وعدله . ولو ثاب الواضع الى رشده ، وعقل سوء عمله لعلم أن الكذب على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرب من الكذب على رسول الله ، وذلك من أكبر الكبائر فى الدين ، وأفظع الخلال عند جميع المسلمين ، وأن عمر رضى الله عنه غنى بمنزلته وعلمه ، وورعه وأخلاقه وجلائل أعماله ، عن التحلى بهذه الأقوال المكذوبة .

والذى لفت نظرى الى كتابة هذا الرد على هذه القضية المزعومة ، قراءة بعض المنتسبين للمعرفة والفهم لها ، ووقوعها منه الموقع المقبول ، وحمله بعض أصحابه على قراءتها والتلذذ بها ، فقلت سبحان الله : إذا خدع بهذه القصة المكذوبة من ينتسب للعلم والمعرفة فغيره أجدر وأحرى ! لهذا بادرت بكتابة هذه الكلمة راجيا نشرها على صفحات مجلة الأزهر الغراء ، خدمة للحق ، ووفاء بالعهد الذى أخذه الله تعالى على خدمة دينه — لَيُبيننـّه للناس ولا يكتمونه — وصونا لجمهرة قراء مجلتكم الزاهرة أن ينتشر بينهم ما يخالف الحقيقة . والله المسئول أن يتولى هدانا أجمعين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الرد :

قلت : إن حفاظ الاسلام ذكروا هذه القصة ما بين مختصر لها ومطول ، وأبانوا أنها قصة مكذوبة ، وقضية مزعومة ، لا ينبغى الاعتداد بها ولا يصح نشرها إلا لبيان حقيقتها . وإلى القارىء نص عباراتهم فى ذلك :

قال الحافظ ابن الجوزى ، ووافقه على ذلك الحافظ السيوطى فى لآليه بعد أن ساق هذا الحديث مطولا : حديث موضوع فيه مجاهيل ، قال الدارقطنى :حديث مجاهد عن ابن عباس فى حديث أبى شحمة ليس بصحيح ، وقد روى من طريق عبد القدوس بن الحجاج عن صفوان عن عمر ، وعبد القدوس كذاب يضع ، وصفوان بينه وبين عمر رجال ، والذى ورد فى هذا ما ذكره الزبير بن بكار وابن سعد فى الطبقات وغيرهما أن عبد الرحمن الاوسط من أولاد عمر ويكنى أبا شحمة كان بمصر غازيا فشرب ليلة نبيذا فخرج الى السكر فجاء الى عمرو بن العاص فقال : أقم علىّ الحد ، فامتنع . فقال له : إنى أخبر أبى إذا قدمت عليه . فضربه الحد فى داره ولم يخرجه . فكتب عمر يلومه ويقول : ألا فعلت به ما تفعل بجميع المسلمين ؟ ! فلما قدم على عمر ضربه ، واتفق أنه مرض فمات اهـ .

وقال الحافظ ابن حجر فى الاصابة ج ٤ ص ١٠٤ : أبو شحمة بن عمر بن الخطاب : جاء فى خبر واه أن أباه جلده فى الزنا فمات اهـ .

وقال فى ج ٣ ص ٧٢ : ذكر ابن عبد البر أبا شحمة فى ترجمة أخيه فقال : هو الذى ضربه عمرو بن العاص فى الخمر ثم حمله الى المدينة فضربه أبوه أدب الوالد ثم مرض فمات بعد شهر . كذا أخرجه معمر عن الزهرى عن سالم عن أبيه ، وأما أهل العراق فيقولون إنه مات تحت السياط ، وهو غلط اهـ .

وقال الحافظ ابن تيمية فى تفسير سورة النور : عاش عبد الرحمن بعد حد الشرب مدة ثم مرض ومات ، ولم يمت من ذلك الجلد ، ولا ضربه بعد الموت كما يزعمه الكذابون اهـ .

وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى فى تاريخ عمر بن الخطاب ص ٢٣٨ بعد أن ذكر قصة الشرب ولم يذكر قصة الزنا أصلا ، مانصه :

قلت : ولا ينبغى أن يظن بعبد الرحمن بن عمر أنه شرب الخمر ، وإنما شرب النبيذ متأولا وظن أن ما شرب منه لا يسكر ، فلما خرج به الأمر الى السكر طلب التطهير بالحد ، وقد كان يكفيه مجرد الندم على التفريط ، غير أنه غضب لله سبحانه على نفسه المفرطة فأسلمها الى إقامة الحد . وأما كون عمر أعاد الضرب عليه فليس ذلك حداً ، وإنما ضربه غضباً ، وتأديبا ، وإلا فالحد لا يكرر . وقد أخذ هذا الحديث قوم من القصاص فأبدوا فيه وأعادوا ، فتارة يجعلون هذا

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الولد مضروبا على شرب الخمر ، وتارة على الزنا (تأمل) ويذكرون كلاما مرققا يبكى العوام لا يجوز أن يصدر من مثل عمر . وقد ذكرت الحديث بطرقه فى كتاب الموضوعات ونزهت هذ الكتاب عنه ا هـ .

هـذا ما عثرنا عليه من نصوص حفاظ الاسلام أثبتناه هنا ، وفيه غنية وكفاية لمن أنصف وتدبر .

محمود ياسين
الرئيس الثانى لجمعية الهداية الاسلامية بدمشق

العظمة للنفس لا للجسم

نظر أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب الى الأحنف بن قيس وهو فى وفد بين يديه وقد التف بعباءة ، فترك الخليفة الوفد ووجه اليه الخطاب ، فأجابه بكلامه البليغ المصيب ، وذهب فيه مذهبه العجيب ، فلم يزل عنده فى الذروة العليا الى أن عقد له من الرياسة على تميم ما كان له ثابتا الى أن فارق الدنيا .

هذا الرجل الذى قيل فيه : إنه إن غضب غضب له مائة ألف سيف لا يسألونه فيما غضب ، كان كما قال عبد الملك بن عمير : أصلع الرأس ، متراكب الأسنان ، أشدق مائل الذقن ، ناتىء الجبهة ، جاحظ العينين ، خفيف العارضين ، أحنف ، ولكنه كان إذا تكلم جلى عن نفسه جميع العيوب .

خرج عثمان بن عفان وهو الخليفة الثالث من داره يوما ، فرأى عامر بن عبد قيس على بابه وقد ألقى رأسه بين ركبتيه ، وكان شيخا دميما ، فأنكره وأنكر مكانه ، فقال له زاريا به : يا أعرابى أين ربك ؟ قال : بالمرصاد . فيقال إن عثمان لم يفحمه أحد غيره .

وقال أبو عبيد البكرى فى لآلئه : وكان كُثَيِّر كان لا يبلغ طوله ضروع الابل لقصره ، ولم يمنعه ذلك أن يلحق السماك الأعزل بجزيل شعره ، وجليل أدبه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

فى الطلاق

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الازهر الاستفتاء الآتى :

صدرت منى الألفاظ الآتية ، وهى : « علىَّ الطلاق بالثلاثة لا اعاشر والدتى طول حياتى » مع العلم بأننى عاقد العقد فقط ، ولم أدخل بزوجتى إلى الآن .

فأرجو إفادتى : هل هذه اليمين يمكن ردها ، أولا يمكن ؟ واذا كان يمكن فبأية طريقة ؟

محمد صادق

الجواب :

اختلف الفقهاء فى مثل هذه المسألة . ومذهب الامام على وطاوس وشريح وداود وأصحابه عدم وقوع الطلاق ، ولو حصل المحلوف عليه . ووافقهم على ذلك كثيرون من فقهاء المذاهب . وقد صدر مرسوم بقانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ باتباع هذا المذهب .

ومن المقرر شرعاً أن ولى الامر إذا أمر بأمر فى غير معصية وجبت طاعته ، وتنفيذ أمره .

وعلى هذا لايقع الطلاق فى هذه الحادثة ولو عاشر الحالف والدته . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الميراث فى الجاهلية والاسلام

وحال الناس منه الآن

نظام توريث المال بين الأقارب من النظم الاسلامية الهامة ، المؤسسة على خير الأسس الصالحة لكل الأزمان ، الموافقة لحاجات الجماعات والبيوت والشعوب ، لأنه تشريع الله الذى يعلم من أمر الخلق مالا يعلم الخلق من أمر أنفسهم ، فاذا كان قد ران على بعض القلوب جحود حجبها عن الحقيقة ، وحجبت الأبصار غشاوة حالت بينها وبين النور ، ووصلت الى العقائد أثارة من الالحاد والشك ، بعدت بها عن الرجوع الى حجز الايمان الثابت واليقين الصادق ، والطريق القويم ، مما أدى الى شيوع روح التمرد من بعض الذين يكمن فى طبائعهم التمرد والجموح على الدين ، والى ذيوع البحث فى هذه القاعدة الهامة من قواعد الدين الاسلامى بين كثير من المسلمين وغيرهم ، بحثا تعدوا فيه حدود الله ، وخرجوا على ما افترض ، وناقضوا ما وصى به — فانى أجلو الحقيقة فى نظام توريث المال فى الجاهلية والاسلام ، لعلى أحول بين هذه القلوب وبين الجحود والظلمة والشك والالحاد :

لقد كان أهل الجاهلية يتوارثون بشيئين : أحدهما النسب ، وثانيهما العهد ، أما توريثهم بالنسب فلم تكن تنتظمه المساواة الحقة بين الذكور والاناث والصغار ، فانهم ما كانوا يورثون الصغار ولا الاناث ، وإنما كانوا يقصرون الميراث على الرجال الذين يشنون الغارات ، ويقودون المعارك ، ويظفرون بالغنائم والاسلاب . وأما العهد فمن ناحيتين : الحلف والتبنى . أما الأول فقد كان الرجل فى الجاهلية يقول لصاحبه : دمى دمك ، وهدمى هدمك ، وترثنى وأرثك ، وتطلب بى وأطلب بك . فاذا تعاهدا على هذا الوجه فايهما مات قبل صاحبه كان للحى ما اشترط من مال الميت . وأما التبنى فان الرجل منهم كان يتبنى ابن غيره فينسب اليه دون أبيه من النسب ، فاذا مات مدعى البنوة ورثه الابن المتبنى . والتبنى نوع من أنواع التعاهد .

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن الدعوة للاسلام بين الجاهليين لم يكن نظام الميراث بالشيء الذى يوضع له التشريع قبل تصحيح العقائد ، وإعداد النفوس ، فترك نظام التوريث على ما كانوا عليه فى الجاهلية . ورأى بعض العلماء أنه لا مانع من أن يكون الله سبحانه وتعالى قد أقرهم على ذلك ، لقوله تعالى : « ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون » ، ولقوله : « والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم » ، إذ المفهوم من الآية الأولى التوارث بالنسب ، ومن الثانية التوارث بالعهد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم للوراثة بين المسلمين الاولين نظاما وقتيا مبنيا على الهجرة والمؤاخاة .

فأما الهجرة فقد كان المهاجر يرث أخاه المهاجر ، على شريطة أن يكون كل منهما مختصا صاحبه بمزيد المخالطة والمخالصة . وأما المؤاخاة فقد كان المتآخيان اللذان يؤاخي بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يرث أحدهما الآخر .

واستمر الحال على هذا المنوال فى الميراث الى أن استشهد سعد بن الربيع رضى الله عنه وترك ابنتين وزوجا وأخا ، فأخذ الأخ المال كله . فجاءت زوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت : يارسول الله هاتان ابنتا سعد ، وإن سعدا قد قتل ، وإن عمهما أخذ مالهما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ارجعى فلعل الله سيقضى فيه » . وبعد فترة من الزمن عادت باكية الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فنزل قوله تعالى: « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ، فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك ، وإن كانت واحدة فلها النصف ، ولأبويه لكل واحد منهما السدس » الى آخر آيات التوارث . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمهما وقال له : أعط ابنتى سعد الثلثين وأمهما الثمن ومابقى فهو لك . وهذا أول ميراث وقع فى الاسلام . وقضى الله على التوارث بالتبنى بقوله جل شأنه : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » . وأبطل التوارث بالهجرة والمؤاخاة أيضا بقوله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا » . بهذه الآيات بطل نظام التوارث فى الجاهلية وصدر الاسلام ، وقام النظام الجديد مقامه ، وهو المعمول به بين المسلمين الى اليوم .

وصية الله ووجوب تنفيذها :

فنظام توريث المال بين الأقارب كما قلنا أعدل نظام وأحكم دستور ، لأنه من صنع خالق البشر ، والمسيطر على القوى والقدر ، والعليم بحاجات الأسر ، وما يتركز فيها من عناصر النفع والضرر ، ولذا فقد صدره الله بكلمة الوصية فقال جل شأنه : « يوصيكم الله فى أولادكم » الآية ، وختم هذه الوصية بقوله : « تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » . وفى هذا بيان للناس أن التمرد على هذا النظام ، والخروج على قوانينه ، تمرد على المشترع الأعظم ، وخروج على وصيته التى دان بها الآباء نحو أبنائهم ، وفرضها على أولى الأرحام بعضهم نحو بعض .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشاكون فى هذا النظام هم العادون :

ليس من شك فى أن الذى يعطل هذا القانون إنما يتعدى حدود الله التى حدها ، ويخرج على شريعته التى اشترعها ، سواء أكان أبا أو ابنا ، فالآباء الذين يحبسون أموالهم على أبنائهم الذكور ، والأبناء الذين يحملون آباءهم على حبس المال عليهم ، خارجون على وصية الله ، معطلون لأحكامه .

الاسلام أنصف المرأة فى الميراث :

يخطىء كثيرا أولئك الذين ينقمون من الاسلام حكمه بين الرجل والمرأة فى الميراث ، ولو تجردوا من تعصبهم وراموا الاقتناع والخضوع للحق ، لأيقنوا أن الاسلام أكرم المرأة بهذا التشريع وأغدق عليها من الفضل ما تستحقه ، يقول الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » ، هذه القوامة التى للرجال على النساء إنما راعى فيها الشارع أصل الطبيعة البشرية ، فان الرجل أكمل من المرأة فى الصفات الخلقية والعقلية ، وأصلح منها للاضطلاع بالوظائف العامة ، وأقبل منها على البذل فى المشروعات الكبيرة والمرافق الهامة ، وأقدر منها على تجشم المشاق فى سبيل إسعاد أسرته وأمته . ونصيب المرأة من الميراث سبيله الادخار والجمع ، ونصيب الرجل موزع على زوجه وأولاده ، فالرجل مكلف بالمرأة وليست المرأة مكلفة بالرجل ، فاذا جعل الاسلام نصيبها على النصف منه فقد أكرمها وساعدها ، ورفق بها وأسعدها .

عدل الاسلام فى الميراث يتجلى فى حظره المفاضلة والمحاباة فيه ، كما يؤخذ من الأحاديث الصحيحة المأثورة عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم :

١ — فعن النعمان بن بشير قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم » رواه أحمد وأبو داود والنسائى .

٢ — وعن جابر قال : قالت امرأة بشير : انحل ابنى غلاما وأشهدلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن ابنة فلان سألتنى أن أنحل ابنها غلامى . فقال النبي : له إخوة ؟ قال نعم ، قال : فكلهم أعطيت مثل ما أعطيته ؟ قال بشير : لا . قال : فليس يفلح هذا وإنى لا أشهد الاعلى حق » رواه أحمد ومسلم وأبو داود . ورواه أبو داود من حديث النعمان بن بشير ، قال فيه : « لا تشهدنى على جور ، إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم »

انقسم أولو الرأى فى النظر الى هذه الأحاديث وفهمها وتحرى وجه الحق فيها إلى قسمين : مجوزين للتفاضل ، ومانعين له ، أما المجوزون فقد سلكوا مسالك فى التأويل والتخريج سدها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المانعون عليهم بما أوضح الحق، وبين المعالم، وترجم عن الروح الحقيقى الذى قصد اليه الشارع، وقضى فيه بالنصر والظفر والسلامة من الضعف والتعصب .

طغيان المادة على العقيدة فى هذا العصر قد ولد حالة اجتماعية ينكرها الاسلام :

إن الذين تحرروا من قيود التعصب المذهبي أو الطائفى أو الجنسى من العلماء والباحثين، ليعتقدون عن حق لا مرية فيه أن الترقيات المادية التى تمت فى هذا العهد الأخير قد زجت بالناس فى حالة من الشذوذ والانحراف، والخروج على العقائد ومقومات الأخلاق، تجعلهم عرضة للفوضى الطاغية، وقذفت بهم الى معامى من التزاحم والتناحر لا تتفق وشرف الانسانية، ولا المدنية الفاضلة، هذه الحالة الشاذة التى خلقها التنازع على المال قد عالجها الاسلام بنظامه المالى القيم، فجعل أمته متكافلة متعاونة فى الاستفادة والافادة من الثروة العامة، وسن للوراثة قسمة عادلة لا يستطيع المتمردون على الدين أن يجدوا فيها عوجا ولا حيفا .

على أن الاسلام لم يعتبر المال كل شىء فى الحياة، ولم يجعله الثمرة الشهية، والنتيجة الطيبة بعد هذه الحياة، بل إنه نظر اليه كقوام للحياة يدور به دولابها، ويتقدم به سيرها، وينال به ما فيها من متاع وعرض، وآمال ورغائب ومطالب، ولكن الاسلام جعل العقيدة والعمل الصالح الجواز الذى يوصل الى السعادة الحقيقية، والخلق الكريم العامل المهم فى الدنيا والآخرة . ولما كان مجال التوريث يمكن أن يتسرب منه شر مستطير، وضع الاسلام له نظاما محكما وحظر على أهله تعديه، فالذين يحبسون أموالهم على بعض أولادهم، والذين يستكتبون آباءهم فى الأيام الأخيرة لهم ليستأثروا بأموالهم، أو يزوروا عليهم وثائق، أو يطمعوا فى أخواتهم يمنعونهن النصيب الذى قدره الله لهن، إنما هم خارجون على وصية الله وحكم الله فى الأموال، مسيئون الى الانسانية، مقطعون أرحامها، عادون على قوانينها ونظمها، راجعون بها الى عهود البداءة والغارات، هادمون لدعائم المجتمع، لما يترتب على ذلك من حقد القلوب، وحنق الصدور، وتقطيع صلات المودة والقربى، وشيوع العداء بين الأسر والجماعات .

ولقد بين القرآن الكريم أن إيثار يعقوب عليه السلام ليوسف بالحب والحنان، قد دفع إخوة يوسف عليه السلام الى الجرأة على أبيهم وعقوقه حتى قالوا : « إن أبانا لفى ضلال مبين »، ودبروا القتل لأخيهم، فكيف بالتفضيل المادى فى أمة ملكها حب المال، وجعلت إلهها هواها، وأسرفت فى المتاع والشهوات ؟

وكذلك فان الدولة الاسلامية الأولى، وحياتها الاجتماعية، وما قام عليه الناس على عهدها من المثل العليا والسمو الروحى وما جبلت عليه نفوسهم، وامتلأت به قلوبهم من الانسانية الرشيدة المعرضة عن لذائذ الجسد، ومطامع النفس، وزخارف الدنيا، ووساوس الشيطان، كل ذلك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ليقوم دليلا على أن الأمة الاسلامية الأولى ، ورائدها كتاب الله وشرع رسوله ، لم تعبد المال كما يعبده أهل هذا العصر ، بل قصرت عبادتها على الله ، ولم تحكم بالمال كما يحكم به أهل هذا الجيل ، بل حكمت بكتاب الله ، ولم تشرع لأنفسها تبعا لهواها كما يشرع أهل هذا العهد لأنفسهم ، بل ارتضت وأذعنت وصدقت بشرع الله ، ولذلك مكن الله لها فى الأرض ، وسلمت لها كل عناصر الحياة وأسبابها ، وارتبطت كلها برباط واحد هو حب الله تعالى .

على أننا وقد أذن الله لمشيخة الاسلام أن يليها إمام مصلح صادق الايمان هو حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، نؤمل كثيرا أن يسترجع الاسلام سالف عهده ، ويصل الى سابق مجده ، ويكون الحكم بين الناس كتاب الله وسنة رسوله ، مما يكفل لأصول الدين الاسلامى التمكين والذيوع ، ولنظمه الاذعان والقبول والرضا ، ويقف من أوتوا المال عند قسمة الله له ، ونظامه فى توزيعه ، ووجوب التعديل بين أصحاب الحقوق فيه ؟

محمد مصطفى شادى

حد الجود والبخل

قال الحكماء : حد الجود أن يبذل الرجل ماله حيث يجب البذل ، ويحفظه حيث يمكن الحفظ . ومن بذل مكان الامساك فهو مبذر ، ومن أمسك مكان البذل فهو بخيل .

وقالوا : من الحزم أن تعلم أن مالك لا يسع الناس كلهم ، فتوخَّ به أهل الحق عليك ، وأن كرامتك لا تسع المقاين ، فاخصص بها أهل الفضل والمروءة ، ومن تمسه الحاجة اليك . والاعطاء بعد المنع ، أجمل من المنع بعد الإعطاء .

وقال صالح بن عبد القدوس :

لا تجد بالعطاء فى غير حق ليس فى منع غير ذى الحق بخل
إنما الجود أن تجود على من هو للبذل منك والجود أهل

وقال شاعر غيره :

لعمرك ما المعروف فى غير أهله وفى أهله إلا كبعض الودائع
فمستودع ضاع الذى كان عنده ومستودع ماعنده غير ضائع
ومالناس فى كفر الأيادى وشكرها الى أهلها إلا كبعض المزارع
فمزرعة أجدت فأضعف زرعها ومزرعة أكدت على كل زارع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مشاهداتنا فى الهند

دائرة المعارف بحيدراباد

لحضرة صاحب السمو العالى نظام حيدر اباد الدكن عناية عظمى وجهود موفقة فى ترقية شئون بلاده وإعلاء شأن أمته بين الأمم الهندية فى جميع مرافق الحياة : من عمرانية ، واقتصادية ، وثقافية ، وغيرها . وللناحية العلمية والدينية أكبر قسط من توجيه عنايته . وقد تجلى ذلك فيما أنشأه من الجامعة العثمانية الكبرى التى ضمت بين جنباتها الكليات المتعددة من طبية وهندسية ودينية وغيرها ، وقد أنشأ بها قسما للترجمة نقل الكثير من أمهات الكتب العلمية العظيمة النفع ، من انجليزية وفرنسية وفارسية وغيرها ، الى لغة البلاد اللغة الأوردية ، مراعاة للحكمة القائلة : إن تعليم العلم بلغة الأمة معناه نقل العلم الى الأمة ، وتعليمه بلغة أخرى معناه نقل الأمة الى العلم . وواضح أن الفائدة فى الطريقة الأولى أعم وأجدى ، بينما الثانية تعانى فيها الأمة من التخبط والتذبذب بين قديمها وبين ما يراد نقلها إليه صعوبات لا حد لها ، والفائدة مع ذلك تكون ضعيفة مقتصرة على فئة قليلة منها ، ولا سيما إذا كانت العلوم التى يراد بثها فى الأمة مقسمة بين لغات شتى ، حيث يتعذر نقل الأمة الى عدة أمم . لذلك كان لانشاء علم الترجمة بالجامعة العثمانية بحيدر اباد فائدة أى فائدة .

ومع عنايته بنقل العلوم الكونية الى لغة بلاده ، قد وجه اهتماما عظيما الى ترقية الشئون الدينية ، وأعطى علوم الدين أكبر قسط من التقدير . ولما رأى أن علوم الدين قد تركزت فى اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وأن اللغة العربية مفتاح لكنوز عظيمة من التراث العلمى الذى خلفه الصدر الأول من الاسلام والقرون التى تليه ، اتجه اتجاها خاصا نحو إحياء اللغة العربية ، وشجع المشتغلين بها بكل أنواع التشجيع ، وأرسل الى مصر نخبة من نجباء الطلاب ، فدرسوا بالأزهر ودار العلوم وكلية الآداب ، وعادوا الى بلادهم بعد إتمام دراستهم هنا ، يساهمون فى إحياء اللغة العربية والعلوم الدينية بحيدراباد .

ولقد شهدنا ونحن هناك أن انتشار اللغة العربية وفصاحة النطق بها بحيدراباد يفوقان ذلك فى الأقطار الهندية الأخرى .

ومن المآثر التى امتازت بها حيدراباد منشأة دائرة المعارف التى تقوم باحياء أمهات الكتب النافعة الجليلة فى الحديث والرجال وعلوم الأدب واللغة وغيرها ، تنقب عنها فى مختلف دور الكتب ، ومتى ظفرت بكتاب قيم أحضرت منه نسخة وعرضته على أعضائها يفحصونه ويدرسونه ، حتى إذا استقر الرأى على عظم نفعه وجدارته بالنشر ، جدوا فى البحث والاستقصاء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى مكاتب الأقطار المختلفة حتى يعثروا على نسخة منه أو عدة نسخ ، ليحكموا أمرهم فى التصحيح والتحرى، ويخرجوه على أصح ما يتسع له الامكان، ثم طبعوه ووزعوه على الديار الاسلامية بأثمان لا تزيد كثيرا على تكاليف طبعه ، يبتغون بذلك توسعة أفق العلم الدينى والعربى . وسمو النظام من ورائهم يشد أزرهم ويعينهم بما يحتاجون إليه . فهى من هذه الناحية تشبه دار الكتب المصرية فى انتقائها الكتب الأدبية والدينية النافعة وطبعها ، تعميما للثقافة وتوسعة لدائرة العلم . ولقد شهدنا من عنايتها بكتب الحديث والرجال ما يستحق كل إعجاب .

ولرجال دائرة المعارف مكانة محترمة فى نظر سمو النظام وبين الدوائر العلمية فى الهند ، وفى العالم الاسلامى . ولهم ولع شديد بتنمية أواصر المودة بينهم وبين الهيئات العلمية فى معظم البلاد الاسلامية .

ولقد كان من أثر ذلك أنه عند ما وصل إليهم نبأ زيارة البعثة الأزهرية للهند أخذوا يراسلونها مستفسرين عن موعد زيارتها لحيدراباد ، ليرتبوا حفلات استقبالها ويعدوا برنامجه وما يلقى فيه من قصائد وخطب ترحيب ، وبخاصة شرح الجهود العلمية التى يقومون بها ، علما منهم أن هذا العمل الأخير هو أعظم ما يحكم الصلة بينهم وبين البعثة الأزهرية . ولما وصلنا الى حيدراباد كان أول حفلة لاستقبالنا هى حفلة دائرة المعارف تحت رياسة حضرة صاحب الدولة أكبر حيدرى رئيس وزرائها . وقد تفضل سمو النظام فأرسل نطقا ساميا تلاه باسمه حضرة صاحب المعالى وزير المعارف يشرح فيه عناية سموه بترقية الشئون العلمية ممثلا فى هذه الدائرة ، وكأن سموه حفظه الله أراد أن يبالغ فى تكريم البعثة فلم يجد أحب إليها من شرح عنايته العظمى بالعلوم الدينية ونشر أنوارها ، فاعتبرت البعثة ذلك من أعظم صنوف التكريم وأجلها مغزى .

ولقد وردت علينا نسخة من النطق السامى ، وتعريبه ننشره فيما يلى :

ترجمة البلاغ السلطانى :

الى جمعية دائرة المعارف والعلماء والمستشرقين لصاحب الجلالة سلطان العلوم مير عثمان على خان نظام الملك آصفجاه السابع ملك الدولة الآصفية ، خلد الله ملكه وسلطانه .

عرض على أعتابنا السنية أن نبعث بمناسبة الترحيب بالبعثة الأزهرية بكلمة نافعة يذكرها تاريخ العصر الحاضر بلسان الفخر :

علماء الأزهر يشاهدون دائرة المعارف إحدى المؤسسات العلمية القديمة فى مملكتنا ، ذاع صيتها العلمى والأدبى فى مشارق الأرض ومغاربها ، وشيدت مطبوعاتها النافعة وتحقيقاتها الجديدة بناء علميا لمملكتنا شاهقا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فنقدر هذه الخدمات العلمية حق قدرها، ونبجل خزائن الكتب والعلماء والمستشرقين الذين أفادوا دائرة المعارف بنفائس مكنوناتهم، وندعو الله أن تفسح جمعية دائرة المعارف مجال أعمالها العلمية فى المستقبل، رامية الى مقاصد عالية وغايات سامية، وكذلك ننظر بعين الاستحسان الى سائر الادارات العلمية المؤسسة فى الهند والبلاد الأخرى لاحياء العلوم والفنون، لأن نشر العلوم والمعارف من أهم ما جعلناه نصب أعيننا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ألقاها صاحب المعالى وزير المعارف والسياسة النواب مهدى يارجنك بهادر بالنيابة عن جلالته فى مؤتمر الدائرة المنعقد فى ٢٤ من شهر ذى الحجة سنة ١٣٥٥ هـ الموافق ٨ مارس سنة ١٩٣٧ م احتفالا بالبعثة الأزهرية

ابراهيم الجبالى

عزة النفس مع الحاجة

قال محمد بن الحنفية (هو ابن على بن أبى طالب من غير فاطمة الزهراء) : « ما كرمت على عبد نفسه إلا هانت عليه الدنيا » .

نقول : هذه كلمة نابغة ، فان فى كثير من الأحوال قد لا يصل الانسان الى مرغوبه إلا بالتسامح فى كرامته ، والتذرع بالملق والنفاق وما اليهما . فاذا كانت نفسه كريمة أبت عليه أن يشترى أعراض الدنيا بتدنيس نفسه بهذه الصفات ، فيدعها راضيا بما هو فيه من الخمول وشظف العيش متمثلا بقول الشاعر :

الحر حر عزيز النفس حيث ثوى … كالشمس فى أى برج ذات أنوار

وهذا البيت فى تصويره الواقع ، مكانه من الابداع مستوى الحكمة السابقة ، فقد شبه النفس الحافلة بالفضائل ، الثرية فى العلم ، بالشمس المشرقة ، فكما لا يضير الشمس أن تكون فى أى برج من السماء ، كذلك لا يضير الانسان عزيز النفس أن يكون فى أية طبقة من طبقات الهيئة الاجتماعية .

وقال شاعر وقد أجاد :

لا أستعين باخوانى على الزمن … ولا أرى حسنا ما ليس بالحسن
ذل السؤال وذل الشكر ما اجتمعا … إلا أضرا بماء الوجه والبدن
له الثراء ولى عرض أوفره … عنه ويقنعنى قوت يبلغنى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المحاماة قديما وحديثا

أول من أحيا طرائقها من الأمم — تطورها فى الأمة اليونانية
نجاحها فى الجمهورية الرومانية — تقاليد وأخلاق — أثرها فى المجتمع الانسانى

مقدمة وتمهيد :

يقترن حق الدفاع عن النفس والغير بأول حلقة من حلقات هـذا الوجود للانسان . فالانسان مفطور على حب المخاصمة والمجادلة تطبيقا لقوله سبحانه عز من قائل : « وكان الانسان أكثر شيء جدلا » . ولقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام « رب إنى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون ، وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون » .

كان الناس فى بدء الخليقة يتقاضون بأنفسهم مستعينين أحيانا بأصدقائهم وذوى قرباهم ، فكان الخصم يحاط بأهل وده وأقربائه ، ويترافعون عنه بالتعاقب تبعا لا تفاق القاضى معهم على الطريقة الواجبة الاتباع فى مثل هذا الدفاع .

ثم تطور الأمر تطورا بعثت عليه ملابسات كل جيل ودعت اليه مقتضيات كل عصر . فكان لليهود فى زمن موسى عليه السلام رجال يشتغلون بما يشبه حرفة المحاماة اليوم أمام القضاء . وأظهر ظاهرة فى عصرهم حل المشاكل التى كانت تقوم عليها الخصومات بين الناس وفض ما بينهم من منازعات . وكانوا فى عملهم هـذا لايتقاضون ممن يدافعون عنه أجرا لأن حكومة ذلك العصر كانت قد جعلت لهم جعالة يتقاضونها من بيت المال على اعتبار أنهم عنصر قوى فى السلطة القضائية . فقد كان القضاة ينتخبون من بينهم بعد أن يمضى على الواحد منهم زمن يكفى لتكوين أهلية قضائية فيه ، وقد وجد عند المصريين والهنود والكلدانيين والفرس وأهل بابل رجال من أهل العلم والذكاء يلجأ الناس اليهم فى المشورة القضائية ، فكانوا أعلام تلك البلاد ومنارها إذا عميت السبل على الناس .

كان فيهم الخطيب الذى يخلب الألباب بسحر بيانه ، وفيهم البليغ الذى يدخل كلامه على القلوب بلا استئذان . وقد ظل الحال كذلك فى تلك الأمم حتى اخترع الفنيقيون فن الكتابة لتكون أداة للتخاطب وسبيلا الى التفاهم .

فكان بدهيا أن يحجروا على أولئك الرجال من هـذا الصنف الرشيد أن يترافعوا فى الخصومات فى ساحة القضاء إلا بالكتابة . وعلة ذلك الحجر أنهم خشوا أن المترافع يختلب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ألباب القضاة بسلامة منطقه وقوة بيانه ، واتساق حجته وبرهانه ، وجهورية صوته واتزانه ، حتى أن البعض كان يذرف الدموع سخينة ويرسل الصوت متهدجا إذا عن له أن يأخذ على القاضى سبيل تفكيره ، إرادة أن يوجهه فى سبيله ، وأن يقيده بتلك المؤثرات التى قد لا يجد القاضى عنها مفرا ولا حولا . ولما كانت الكتابة قد لا تتهيأ أسبابها لكثير من الناس وكان فى البلاد عاميون وأنصاف عاميين وأنصاف الأنصاف ، أوجبت الضرورة الملحة أن كل من يجهل القراءة والكتابة يستعين بمن يجيدها ويحذقها . ثم انتقل هذا الفن بعد ذلك من المصريين الى اليونانيين ، فأزهر فيها كما أزهرت جميع فروع العلم ، فانه ما من دولة نبغ فيها العدد الكثير من الفلاسفة والحكماء المشترعين مثل الذين نبغوا فى دولة اليونان .

وقد بلغت الشرائع المسنونة لديهم مبلغاً حفز الجمهورية الرومانية فى ذلك العهد إلى أن تبعث من لدنها بعوثا إلى البلاد اليونانية لتقتبس منها هذه الأنظمة وتلك القوانين فى مختلف مرافق الحياة العامة ، لتستنير بأصولها وطرائق تفننها فى وضع قوانينها ، وكانت الفصاحة مهملة عند سواد الأمم ، فعنى بها اليونان وأضحت ذات أصول وقواعد وروادٍ فى مختلف أنحاء البلاد لا تنال إلا بالتلقى ، ولا تعرف حدودها ورسومها إلا بالمدارسة والعلم . وغدت لهم أساتذة برزوا فيها وبزوا قرناءهم فى الأمم الأخرى ، واتخذوا للخطابة منابر يرقون اليها ، ثم يتساجلون فيما بينهم الكلام والحجة ، ويتقارضون أبدع الأساليب وأملكها للقلوب وأفعلها بالنفوس . ودرج الخصوم على أن يستعينوا أمام محكمة تلك المدينة العظمى وسائر المحاكم المنبثة فى أنحاء البلاد ببعض مشاهير الخطباء ليؤدوا بهؤلاء حجتهم فى ادعائهم ودفاعهم .

وقد بدأ هؤلاء الخطباء المحامون فى ساحة التقاضى عملهم بالقاء الخطب بانفسهم أمام المحاكم ، وكان الغرض من ذلك أن يستولوا على مشاعر القضاة بعد أن يكونوا قد مهدوا لموضوع خصومتهم بتلك المقدمة الرائعة التى تمسك بمشاعر القاضى وتوجهه توجيها خاصاً . وأحياناً يقف القاضى عن إبداء رأيه إذا كان فى القضية خطيبان متماثلان فى القوة والدليل ، فهو يمسى حائراً بين طغيان موجتين متقابلتين يجد الباطل بينهما مدى فسيحاً وأملا رجيحاً . هكذا كان الخطباء الكبار من المحامين ، والأساتذة المشترعون (يتمستوكل وبركليس وأرستين) . كذلك كان أول من كتب مرافعة موكله ليتلوها ذلك الموكل بنفسه هو الأستاذ (أنطيفون) وتبعه فى ذلك الأستاذ لنزيلس وايزوكرات وديموستين ، وهذا لا ينفى أن يكون لهؤلاء أيضاً خطب بليغة جداً يلقونها بأنفسهم فى معرض الدفاع عن موكليهم ، وقد جمعوا بين فنى الخطابة والكتابة . وقد اشتهر الأخيران وهما الأستاذ (ايزوكرات وديموستين) شهرة مستفيضة . غير أنهما مع الأسف البالغ لم ينجوا من ملام للأعين على ما اقترفاه فى صميم مهنتهما ، فكثيراً ما حوكم (ايزوكرات) أمام المحاكم التأديبية فى اليونان على مخالفته لقوانين شرف المهنة . وكان اظهر تلك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المخالفات أن الحكومة عثرت على رسائل كتبها الى بعض موكليه يشير عليهم فيها أن يتخذوا وسائل غير شريفة فى الانتصار على خصومهم ، وأولى تلك الوسائل أخذ الخصوم غيلة ، فلما تتابعت عليه الأحداث وتكشفت للناس أساليبه الملتوية وكثرت حيله فى كسب القضايا ، امتنع عن مزاولة صناعة المحاماة ، واثر أن يقبع فى بيته . وأما زميله الاستاذ (ديموستين) فانهم لاموه أشد الملام ، وانتصفوا منه للعدالة أبلغ انتصاف ، حين أخذوا عليه أن كتب دفاعين لخصمين فى قضية واحدة .

هذا وسنوالى لحضرات القراء ايراد شطر غير يسير عن تاريخ المحاماة وكرامتها وشرفها منذ القدم حتى الآن ، لنصل حلقة الماضى بحلقة الحاضر استتماما لأجزل الفوائد ، واستجماعا لأنبل الشوارد ، وخدمة للعدالة والمصلحة والقانون . فالى الغد القريب ؟ « يتبع »

عباس طه

المحامى الشرعى

كسب المال وبذله

اوصى قيس بن معد يكرب بنيه فقال : يابنى عليكم بهذا المال فاطلبوه اجمل الطلب ، ثم أخرجوه فى أجمل مذهب ، فصلوا به الارحام ، واصطنعوا به الكرام ، واجعلوه جنة لاعراضكم ، ووسيلة تصلون بها الى أغراضكم ، تحسن فى الناس مقالتكم ، فان بذله تمام الشرف ، وثبات المروءة ، وإنه ليسود غير السيد ، ويقوى غير الأيد ، حتى يكون فى الناس نبيلا ، وفى القلوب مهيبا جليلا .

وقال محمود الوراق الشاعر :

تمتع بمالك قبل المهات ... وإلا فلا مال إن أنت متا
شقيت به ثم خلفته ... لغيرك ، سحقا وبعدا ومقتا
يجود عليك بزور البكاء ... وجدت له بالذى قد جمعتا
وأوهبته كل ما فى يديك ... وخلاك رهنا بما قد كسبتا

وقال أبو الطيب المتنبى :

وأحسن شيء فى الورى وجه محسن ... وأيمن كف فيهم كف منعم
وأشرفهم من كان أشرف همة ... وأعظم إقداما على كل معظم
لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها ... سرور محب أو إساءة مجرم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تقرير بعثة الهند

– ٧ –

المنبوذون

إذا لمس جسم رجل من هندوس الطبقات العليا، أو لمست ملابسه، جسم رجل من المنبوذين أو ملابسه، أصبح جسم الهندوسي نجساً وكذلك ملابسه، ووجب عليه أن يطهرها جميعاً، وأن يغتسل هو، بل يجب عليه في بعض الأحيان أن يذهب الى حمام معترف به، على شاطئ الكنج المقدس، فيغتسل رسمياً وفقاً للتقاليد.

ومن المنبوذين طبقة لا يجوز الاقتراب منها، كما يجب عليهم أن يبتعدوا بأنفسهم عن هندوس الطبقات العليا مسافة محدودة (عشر ياردات أو أكثر) حتى لا تلوث أنفاسهم الهواء الذي تستنشقه الطبقات العليا، وحتى لا يلمس الهواء الملوث بملابس المنبوذين، ملابس الطبقات العليا فيلوثها؛ فاذا خرج منبوذ من هذه الطبقة عن هذه العادات، واقترب من هندوسي من الطبقات العليا، فانه يلوثه، ويعاقب المنبوذ على ما فعل عقاباً قد يكون صارما. ويوجد هذا الصنف من المنبوذين في جنوبي الهند غالباً. والواقع أن المنبوذين يكثرون في الجنوب، ويقلون نسبياً في الشمال، كما تختلف القسوة في المعاملة، فتزيد في الجنوب، وتتضاءل في الشمال.

لماذا احتمل المنبوذون هذا العسف؟

ظل المنبوذون يعانون هذا النوع من المعاملة المجحفة عصوراً لا تحصى؛ وقد كان من أثر مبادئ «مانو» أن سار هندوس الطبقات العليا وفق تعاليم دينهم، فعاملوا المنبوذين باحتقار، واعتبروهم أنجاساً، وتحاشوا الاتصال بهم وقد شاءت مبادئ مانو كذلك: ألا يتعلم المنبوذون، وأن يظلوا على جهالتهم الأبدية، حتى لا تتطرق الى بيئتهم اليقظة التي تدعوهم الى النزوع لتحسين حالهم؛ كما فرض مانو مجموعة من العقوبات القاسية على كل منبوذ يحاول أن ينال قسطاً من التعليم؛ وتقضي مبادئه أيضاً بأن يصب الرصاص المصهور في أذني المنبوذ الذي يسمع — ولو عن غير قصد — نصوص «الفيدا» وهي تتلى.

يظهر من ذلك أن الفكرة كانت متجهة الى اعتبار «الفيدا» كتابا بلغ من قدسيته أن أصبح مجرد استماع المنبوذ لتلاوته إهانة للكتاب نفسه، لا يمحوها إلا صارم العقاب.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولكن النية الحقيقية كانت تنطوى على أن يظل المنبوذون فى جهل مطبق وأمية لا مخرج منها . على أن الجاهل قد يستطيع فى وقت من الأوقات أن ينظم ثورة ، ولذلك كان من الضرورى أن تبتكر أساليب أخر لإخضاع المنبوذين ؛ فابتكر البراهمة مبدأ تناسخ الأرواح ، فدفعوا الناس بذلك الى الاعتقاد بأنهم ماولدوا أغنياء أو فقراء ينتمون الى بيئات عليا أو دنيا ، إلا جزاء وفاقا لما كانوا عليه فى الحياة التناسخية السابقة ، من خير أو شر ؛ وخير للرجل الذى يعيش اليوم — بدلا من أن يحسد صاحب مال أو جاه ، أو أن يحقد عليه — أن يتحمل المصاعب والامتهان بصبر وجلد ، وأن يحاول أن يعيش عيشة راضية ، قوامها الاستقامة والاستسلام ، عسى أن يولد مرة جديدة فى مستوى أحسن من مستواه الحالى .

وخلاصة القول أن المنبوذين قد قنعوا بحظهم من الحياة للأسباب الآتية :

١ — حالة الفقر المدقع الذى يعانون ويلاته ؛ والفقر أكبر عامل على العجز .

٢ — الجهالة اللانهائية التى يعيشون فى كنفها .

٣ — اعتقادهم بتناسخ الأرواح .

٤ — شعورهم بالخنوع ، وجنوحهم الى الاستسلام .

وقد ظل المنبوذون على هذه الحال ، الى أن دخل المسلمون الهند فاتحين .

المنبوذون فى خلال الحكم الاسلامى :

إن لاعتناق الدين الاسلامى ، وجهود المسلمين فى هذه السبيل بالتبليغ ، قصة قائمة بذاتها ؛ فمن المعتقد أن أول من أسلموا فى تلك البلاد كانوا معاصرين للنبى عليه الصلاة والسلام ؛ وتروى فى (مالابار) قصة قديمة جدا ، تذهب الى أن أحد ملوك الهند (راجا مالابار) قد شاهد معجزة شق القمر ، وأنه بدأ يتساءل عن سر تلك الظاهرة ؛ فقال له الفلكيون فى بلاطه : « إن شخصية عظيمة قد ظهرت فى جزيرة العرب ، وإنها قد أتت بالمعجزات » ؛ وقد أيد أقوال هؤلاء الفلكيين تجار من العرب ، كانوا يترددون على الشواطئ الجنوبية من الهند للتجارة . كما تذهب القصة الى أن الراجا أرسل بعض من يثق بهم الى بلاد العرب ليتحققوا صحة النبأ ، فذهب هؤلاء الى الجزيرة ومثلوا بين يدى النبى عليه الصلاة والسلام ، ثم عادوا فقصوا على الراجا ما حدث ، فاعتنق دين الاسلام .

كما تذهب قصة أخرى الى أن بعض التابعين — رضوان الله عليهم أجمعين — وفدوا على (مالابار) فاسلم على يديهم جم غفير ؛ ومن هؤلاء التابعين مالك بن دينار ، وحبيب بن دينار .

وسواء أصحت قصة من هاتين القصتين أم لم تصح ، فما لاشك فيه أن المبلغين من المسلمين قد ظهر نشاطهم الاسلامى فى بلاد الهند منذ أقدم العصور ، وقبل أن يقوم المسلمون بفتح البلاد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالسيف . وإن دخول الهنود فى دين الله أفواجا ، يعتبر من أقدم الأمور فى تلك البلاد . وكل مايمكن أن يقال إن سرعة دخول الناس فى ذلك الدين ، قد تفاوتت بين زمن وآخر ؛ ولكن مما لاشك فيه أنها لم تقف فى يوم من الأيام .

وقد قام بالدعاوة للاسلام على مر الأزمنة مشايخ الطرق ، والصوفيون . وفى مئات من الأمكنة المختلفة فى الهند ، لا تزال مقابر هؤلاء قائمة ، تشهد بما أبلوا فى سبيل الاسلام ، ولايزال الهنديون يحتفلون بموالدهم .

وقد كان دخول الناس فى دين الله فى بعض الامكنة ، بحيث إن قبائل بأكملها كانت هندوسية فاعتنقت الاسلام ؛ ولا نكاد نجد اليوم واحداً من رجال هذه القبائل على ديانة أجداده الأول من الهندوس .

أما القبائل الهندوسية الأخر ، فقد أسلم منها البعض ، وبقى البعض الآخر على ديانته القديمة . ولم تقتصر « عملية الاسلام » على طبقة من الهندوس دون طبقة أخرى ، بل عمت جميع الطبقات من البراهما الى السودرا .

وبمجرد أن أسلم هؤلاء ، وكانوا منبوذين فى الديانة الهندوسية ، ارتقوا الى مرتبة غيرهم من المسلمين على قدم المساواة ، بحيث لايستطيع اليوم أحد أن يميز بينهم وبين غيرهم ، بل إن كثيرا منهم يدعون اليوم أن أجدادهم جاءوا من بلاد العرب نازحين أو فاتحين ؛ ولا يتعرض مسلم كائنا من كان الى نقض هذه الدعوى .

وثمة أمر واحد لاشك فيه ، هو أن المسلمين لم يحاولوا قبل العصر الحديث ، أن يدخلوا المنبوذين خصيصا فى الاسلام ؛ ولو عنوا بذلك فى وقت من الأوقات ، لأسلم المنبوذون كافة منذ أجيال .

بعثات التبشير المسيحية :

وفد المبشرون المسيحيون على الهند ، قبل أن تتخذ الدول الاستعمارية أية خطوة فى سبيل الحصول على نفوذ سياسى ، ففى عصر الأمبراطور المغولى « جلال الدين أكبر » (١٥٥٦ — ١٦٠٥) ، تشرفت بعثة تبشيرية مسيحية بحضور حفلة البلاط . وقد اهتم الملك أكبر خان بالانجيل ، وأمر بترجمته الى الفارسية ، وتزوج زوجا مسيحية ، بنى لها كنيسة بالقرب من عاصمة ملكه فى أجرا ، ولا تزال الكنيسة قائمة الى الآن بالقرب من مقبرة الأمبراطور فى سكندرا .

حدث بعد ذلك أن وفد على الهند كثير من الأوربيين للتجارة ، واستوطنوا كثيراً من الأمكنة فيها ، فوجد المبشرون الفرصة سانحة ، وبدءوا يوطنون أنفسهم على الاقامة ، ثم مالبثت صوالح الأوربيين الاقتصادية أن تلاطمت ، فتحولت الى معارك سياسية ، فانهدمت سياسة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الهولنديين رأسا على عقب ، وانسحب البرتغاليون من الميدان ، ولم يفوزوا إلا بمستعمرة صغيرة على الساحل بالقرب من (جوا) . أما المعركة السياسية بين الانجليز والفرنسيين فقد ظلت قائمة زمنا طويلا ، استطاع البريطانيون فى نهايته إجلاء الفرنسيين بعد نزاع دموى طويل ؛ قنعوا بعده مضطرين برقعة من الأرض على ساحل خليج بنغاله (بندشيرى) ، وبثغر صغير اسمه (ماهو) على ساحل (مالابار) فى الجنوب الغربى ؛ وبذلك آلت هذه البلاد الشاسعة الأطراف الى البريطانيين .

وبينما كانت الدول جادة فى إحراز النفوذ السياسى ، كان المبشرون يمكنون لأنفسهم فى مختلف بلاد الهند ، فأنشأوا المدارس والكليات والمستشفيات ، وبنوا الكنائس ، وأسسوا مراكز للتبشير ، وترجموا الانجيل الى معظم لغات الهند ، ووزعوا الملايين من نسخه ، فكانوا واسطة الثقافة لمئات الألوف من الوطنيين رجاء أن يحولوهم الى المسيحية ، وقد نجحوا فى اجتذاب قليل من الناس الى حظيرتهم ، وعلى الأخص من هندوس الطبقات العليا ، ولكن المنبوذين كانوا هم الهدف المقصود ، ولذلك ركز المبشرون جهودهم فى هذه الناحية . و يصح أن يقال : إن بعثات التبشير المسيحية قد جنت ثمرة طيبة فى كفاحها الطويل بين المنبوذين .

على أن كل ما يعنينا من ذلك هو أن إدخال أساليب المدنية الغربية على يد المبشرين قد أحدث يقظة عامة بين طبقات المنبوذين ، إذ أتيحت لهم الفرصة — لأول مرة فى التاريخ — أن يتلقوا تعليما وتثقيفا ، فوضع المبشرون بذلك ، الأساس الذى يستطيع المبلغ الاسلامى أن يشيد عليه ما يريد .

حكومة الهند وتعليم المنبوذين :

وبتأسيس الامبراطورية البريطانية فى الهند ، انتشر التعليم الغربى ، إذ قامت الحكومة بانشاء المؤسسات العلمية فى شتى الأمكنة ، فكان نفعها أعم من نفع مدارس المبشرين . ولما أتيحت الفرصة للمنبوذين ، لدخول هذه المدارس والكليات ، ازداد تفتح أعينهم ، وبدءوا يشعرون بسوء حالهم فى الماضى ، وأنهم قد سلبوا حقوقهم الانسانية قهراً . وقد اقتنعوا بأن ما أصابهم على ممر العصور والأجيال من المحن ، كان السبب فيه هندوس الطبقة العليا ، وأنهم لا يزالون يرزحون تحت هذا العبء الثقيل ، ولذلك لم يقنعوا بحظهم من الحياة . وقد هدد كثير منهم — فى مناسبات شتى — بأن يهجروا الديانة الهندوسية ، ولكنهم كانوا يقنعون كلما استرضاهم الهندوس بأقل منحة .

دعاة إصلاح الحال بين الهندوس :

إزاء هذه الحال ، بدأ بعض الهندوس من رجال الطبقات العليا ، ممن تثقفت عقولهم تثقيفا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

سياسياً ، يدركون الخطر الجاثم ؛ وهو أن المنبوذين قد يتركون حظيرتهم للارتماء فى أحضان المسيحية أو الاسلام ؛ وبذلك يضعف مركز البيئة الهندوسية من الناحية السياسية ، إذ ينقص عددهم بخروج المنبوذين من حظيرتهم .

لذلك قام هؤلاء بتمثيل « دور » المصلحين ، وبدءوا يعملون على رفع مستوى المنبوذين ؛ وقد بذل المستر « غاندى » جهودا عظيمة فى هذه السبيل ، لحمل المؤتمر الوطنى (كونجرس) على أن يجعل من بين مبادئه : إلغاء النبذ ، وجرد حملة كبيرة لهذه الدعاوة .

وكان من بين ما يعمل له هؤلاء المصلحون ، أن يحصلوا للمنبوذين على حق دخول المعابد ، وقد اتخذت فى هذه السبيل الخطوات الآتية :

١ — قدم للمجلس التشريعى فى دلهى مشروع قانون ، لو وافق عليه المجلس لأصبح منع المنبوذين من دخول المعابد جريمة يعاقب عليها القانون ؛ وقد قام الهندوس من الطبقات العليا ، فأحدثوا ضجة كبيرة ضد هـذا المشروع ، اضطر معها مقدمه الى سحبه من المجلس ، وبهذا فشل المشروع .

٢ — جرد المنبوذون حملة تلو أخرى لاقتحام معبد « راما » فى بلدة « نازك » بإقليم « بومباى » ، ولـكن أقفلت أبواب المعبد فى وجوههم ، وكان البوليس يحمل على المنبوذين ويقصيهم عن أبواب المعبد ، ولما استمرت حملات المنبوذين أشهراً دون جدوى ، عدل عنها ، ثم قامت حملة أخرى من نوعها لاقتحام معبد « فاى كام » بإقليم « ترافنكور » ، وكانت النتيجة أن ضرب المنبوذون وطردوا بعيداً عن أبواب المعبد .

٣ — قام المؤتمر الوطنى بدعاوة واسعة النطاق ، لحل مشكلة المنبوذين والمعابد ، ولـكن بغير جدوى أيضا .

مؤتمر المائدة المستديرة :

حدث فى خلال الحرب الـكبرى ، أن أدركت الحـكومة البريطانية احتمال قيام صعوبات فى الهند بشأن التجنيد وجمع المال ، إذ أن بعض زعماء المؤتمر الوطنى هددوا برفض مساعدة انجلترا جزاء عـدم اهتمامها بمطالبهم الخاصة بالحـكم الذاتي ؛ ففى سنة ١٩١٧ أعلن المستر مونتاجيو — وكان وزير الهند فى الحـكومة البريطانية إذ ذاك — أن الهند ستمنح نظام حكومة ذاتية مسئولة ؛ ووفاء بذلك العهد ، منحت الهند فى سنة ١٩١٩ بعض امتيازات دستورية ، كما وعدت بأن تمنح امتيازات أخر بعـد عشر سنوات ؛ وطلب الى الهند أن ترسل الى لندن مندوبين يمثلون كافة الطبقات والبيئات ، لعقد مؤتمر المائدة المستديرة ، لبحث ما يمـكن أن يمنح لبـلادهم من الحقوق السياسية بعـد ذلك ؛ وقد وقع اختيار حكومة الهند على نائبين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من طبقات المنبوذين ، كان أحدهما « الدكتور أمبدكار » المحامى فى بومباى ، وحضر « المستر غاندى » المؤتمر نائبا وحيدا ومفوضا عن المؤتمر الوطنى ؛ وقد طلب ممثلو الأقليات أن يحتفظ لكل من البيئات بعدد خاص من المقاعد فى المجالس النيابية ، وأن تجرى الانتخابات على أساس طائفى .

وقد عارض « المستر غاندى » فى كل من الفكرتين ، وكانت كل آماله ألا ينفصل المنبوذون عن بقية الهندوس ، وأن تبقى حقوق الجميع مشتركة ؛ وقد طال الجدل والنقاش لحل هذه المعضلة ، وأخيرا اتفق الزعماء على تحكيم « المستر رمزى مكدونالد » رئيس الوزارة البريطانية إذ ذاك ، فكانت نتيجة هذا التحكيم : أن قرر المستر مكدونالد نظام التمثيل الطائفى ، وحدد عدد المقاعد التى تعطى لكل طائفة ، كما قرر مبدأ الانتخاب الطائفى ؛ فغضب جمهور الهندوس لهذا القرار ، واعتزم « المستر غاندى » أن يصوم حتى الموت ، إذا لم يلغ قرار التفرقة بين المنبوذين وبقية الهندوس ، لأنه اعتبر قرار المستر مكدونالد منطويا على شطر الطائفة الهندوسية شطرين .

ولما بدأ غاندى فى تنفيذ قراره بالصيام فى (بونا) ، هرع زعماء الهندوس من كافة أنحاء الهند إليها ، وجمعوا زعماء المنبوذين — ومنهم الدكتور أمبدكار — وتوسلوا إليه بكافة الوسائل أن يوافقوا على إدخال تعديل على قرار مستر مكدونالد ، الذى عرف باسم « المنحة الطائفية » ؛ وأخيرا وصل الجميع الى مايسمى « عهد بونا » ؛ وهو القائل بأن يزاد عدد مقاعد المنبوذين فى المجلس زيادة طفيفة ، فى مقابل أن تكون انتخاباتهم فى بعض الأمكنة مستقلة بهم ، وفى البعض الآخر مشتركة بينهم وبين الهندوس ؛ وعندئذ أقلع غاندى عن صيامه ، ونجا من الموت . على أن الهندوس مايزالون غير قانعين ، وهم الى اليوم حاقدون على المنحة الطائفية .

جمعية خدام المنبوذين العامة :

سبق القول بأن مستر غاندى بذل جهدا عظيما للقضاء على النبذ فى الهند ، محاولا تحسين حال المنبوذين . ويجدر بنا أن نذكر : أنه قام بسياحة جمع فى خلالها نحوا من ٢٥ لاك روبية (١٩٠ ألف جنيه تقريبا) لتحسين حال المنبوذين . وقد أنشأ إذ ذاك « جمعية خدام المنبوذين العامة » ، كما أنشأ لها فروعا فى معظم مدن الهند الهامة . ومن برنامج هذه الجمعية : إنشاء مدارس مجانية لتعليم أبناء المنبوذين القراءة والكتابة ، ومبادئ الحساب ، وبعض الصناعات ، وكذلك إنشاء مستعمرات « محلات » يتعودون فيها المعيشة النظيفة .

ومن مبادئ هذه الجمعية أيضا : مساعدة الكبار من المنبوذين على كسب قوتهم ، ومساعدة شبانهم الذين يتلقون العلم فى المدارس والكليات .

وقد شجع مستر غاندى بعض أصدقائه الأغنياء على إنشاء المصانع بارشاده ، لتشغيل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المنبوذين العاطلين ؛ ومعظم هذه المصانع من النوع الذى لا يحتاج الى رأس مال كبير ، عند ما يفكر الصانع فى الاستقلال بالعمل . وقد زرنا بعضا منها فى (واردا) ، فشاهدنا صناعة الورق والغزل والنسيج .

مؤتمر يولا :

وإذا كان المنبوذون قد نالوا حقوقاً تشريعية — أشرنا إليها سابقا — فإن حالهم الاجتماعية والاقتصادية ظلت على ما كانت عليه من سوء ؛ ولا يكاد يمضى يوم حتى يحدث ما يذكرهم بشديد الاحتقار الذى يكنه لهم الهندوس .

فمن أمثال ذلك ما حدث فى سنة ١٩٣٥ ، إذ انتخب الدكتور أمبدكار — وهو من كبار المحامين ، ومن خيرة المثقفين — عميداً لكلية الحقوق فى بومباى ، فثارت ثائرة الهندوس ، لا لشىء إلا لأنه منبوذ ؛ وليس هذا إلا مثلا واحداً من آلاف مما يحدث فى كل يوم ، وفى كل مكان ، مما يطول بنا ذكره .

عندئذ أدرك المنبوذون أن موقفهم يتلخص فيما يلى :

١ — حاولوا لدى الهندوس ، أن يعاملوهم كآدميين ، ولكن بغير طائل .

٢ — طالبوا الحكومة مرة تلو مرة بتحسين حالهم ، ولكنها لم تكن لتتدخل فى مسائلهم ، إذ اعتبرتها مسألة دينية .

٣ — حاول المؤتمر الوطنى الهندى ، بكل الوسائل الممكنة ، أن يقضى على النبذ فلم يستطع .

٤ — أخفق الزعماء المصلحون من الهندوس ، فيما أخفق فيه المؤتمر .

٥ — حاول المنبوذون أن يصلوا بالطريق الإيجابية الى دخول المعابد ، فاستهدفوا لأفظع أنواع الإهانات ، ومع ذلك لم ينجحوا .

عندئذ دفعهم الفشل فى كل هذه الوسائل ، الى الجزم بأنه لا بد من عمل يقوم به المنبوذون ، لإنقاذ أنفسهم من هذه الحال المعيبة ، ففكروا فى تغيير ديانتهم .

ففى اكتوبر سنة ١٩٣٥ عقد مؤتمر المنبوذين فى مكان يسمى «يولا» بالقرب من «نازك» فى إقليم « بومباى » حضره عشرة آلاف منهم ، وتولى رياسته الدكتور أمبيدكار ، وألقى خطابا شاملا ، طلب فيه الى الحاضرين أن يتبعوا الطريق الوحدة لعلاج مرض «النبذ» المزمن ، ألا وهى ترك الديانة الهندوسية بتاتاً ؛ وقد وافقه على ذلك الحاضرون بالإجماع .

فلما أن نشرت الجرائدالسيارة هذا القرار ، اضطرب له الهندوس أيما اضطراب ، وانهالت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الرسائل من كافة الزعماء ، يطلبون الى الدكتور أمبيدكار التانى فى غير غضب ولا عجلة ، إذ أن حال المنبوذين ستتحسن قريباً جـداً . أما بقية طبقاتهم فقـد توالت الاجتماعات بينهم فى كافة أنحاء الهند ، وأخذ من الحاضرين تأييد إجماعى لرأى الدكتور أمبيدكار .

وقد كان من شأن هذا القرار ، أن بعث النشاط فى نفوس زعماء الديانات الأخر ؛ فأرسل بعض الزعماء المسلمين الى الدكتور أمبيدكار ، يدعونه الى اعتناق الاسلام ، ويطلبون إليه أن ينصح لكافة المنبوذين بأن يحذوا حذوه ، وقد اجتمع بعض زعماء المسلمين به شخصيا لهذا الغرض ، كما حاول المسيحيون أن يؤثروا فيه لصالح ديانتهم ، فى حين حاول جماعة « السيخ » ان يضموه الى حظيرتهم .

وفى ديسمبر سنة ١٩٣٥ دعا مهراجا باتيالا (وهو من أتباع ديانة السيخ) الدكتور أمبيدكار للقدوم عليه ، والنزول فى ضيافته ؛ وهناك اتصل بزعماء السيخ ، ودخلوا معه فى مفاوضات ؛ فاتفق على أن ترسل بعثة من مبشرى السيخ الى أقاليم المنبوذين للعمل بينهم ، واكتتب السيخ بمبلغ ٣ لاك روبيـة (٢٢٥٠٠ جنيـه تقريباً) ، وأرسلت بعثاتهم التبشيرية الى الولايات الوسطى والهنـد الجنوبية . وفى ابريل سنة ١٩٣٦ تضخم رصيد السيخ لتحويل المنبوذين الى دينهم ، حتى صار ٧ لاك روبية (أى ٥٢٥٠٠ جنيه تقريباً) . وقـد اتصل بنا — بعد عودتنا الى مصر — أن نشاطهم بدا واضحاً فى إقليم ناجبور ، فى شهر ابريل الماضى .

الحركة فى جنوبى الهند :

يطلق اسم « كيرالا » على رقعة من الأرض فى جنوبى الهند ، تشمل « مالابار » و « كوشين » و « ترافنكور » ؛ ومعنى « كيرالا » : أرض جوز الهند . وفى هذه البلاد جالية من المنبوذين تسمى (إزهافا Ezhavise) يقال إنهم يبلغون ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة ، ومنذ اثنتى عشرة سنة أعلن زعيم هـذه الطائفة أن طائفته اعتزمت تغيير دينها لتنجو من النبـذ ، فعقدت لهم مؤتمرات ، ولـكنهم لم يصلوا الى نتيجة ؛ ومنذ خمس سنوات قام فيهم زعيم جـديد ينادى بتغيير دينهم للدخول فى دين الإسلام ، ولـكن سرعان ما أخفت صوته .

فلما ارتفع صـوت الدكتور أمبيدكار ينـادي بتغيير الدين ، وأصبحت الحـركة عامة فى بيئات المتعلمين من المنبوذين — فى كثير من أنحاء الهند — نشطت قبائل الجنوب التى ذكرناها ، فعقدت فى فبراير سنة ١٩٣٦ مؤتمراً من منبوذى « ترافنكور » ، قرر ترك الديانة الهندوسية ؛ وقد أيد هذا القرار بآخر أصدره مؤتمر جديد فى مايو سنة ١٩٣٦ . وفى هذا المؤتمر الأخير خطب عظيمان من مسلمى البنجاب : أحـدهما الأستاذ « خالد لطيف جابا » وقد كان لخطابه أثر عظيم . وقد طاف بأنحاء ترافنكور ، يصحبه الدكتور طايل Dr Thail

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

زعيم المنبوذين هناك ، نخطب فى كثير من الأمكنة ، وهيأ جوا مناسبا للاسلام . وكان الدكتور طايل نفسه مبشراً بالاسلام ، فأعطى الأستاذجابا بيانا لينشره فى صحف الأقاليم الشمالية ، فلما أن نشرت الصحف هذا البيان ، وقرأه المهتمون بشئون الاسلام فى الهند ، تقدم الأستاذ غلام بهيج نيرانج ، فكتب الى الدكتور طايل ، ثم ذهب الى الجنوب برفقة بعض ذوى المكانة من المسلمين (وكان ذلك فى أواخر يوليه سنة ١٩٣٦) وهناك قابل الدكتور طايل وقضى معه أياما عدة ، كان لها من الأثر أن صمم على إعلان إسلامه ، وتم ذلك فعلا فى ٣٠ أغسطس سنة ١٩٣٦ . وقد أسلم اثنان وثلاثون من منبوذى الجنوب ، بعد إسلام الدكتور طايل الذى سمى نفسه « كمال باشا طايل » ؛ وبعد إسلامه طاف مع الأستاذ « نيرانج » بكوشين ومالابار طوافاً خلق جواً مناسبا للاسلام . ومنذ ذلك الحين أخذ الناس يدخلون فى دين الله بين آن وآخر . ولا تزال جمعية « أنجومان تبليغ الاسلام » بأمبالا ، جادة فى تنظيم أعمال التبليغ فى الجنوب .

راجا ترافنكور يأمر بدخول المنبوذين فى المعابد :

راع الهندوس فى هذه الامارة انتشار الاسلام بها حديثاً ، فحدث فى ديسمبر الماضى — بينما كانت البعثة فى طريقها الى الهند — أن أعلن الراجا ، وهو هندوسى ، جواز دخول المنبوذين فى المعابد التى تديرها الحكومة (تاركا المعابد التى تديرها أشخاص أو هيئات) .

وقد امتدح زعماء الهندوس — ذوو الخبرة السياسية فى كافة أنحاء الهند — ذلك التصرف وطلبوا الى الحكام الهندوس ، فى غير هذه الامارة ، أن يقتدوا براجا ترافنكور ، ولكن الهندوس المتعصبين رفعوا الصوت عاليا بالاحتجاج على ما جرى ، ولا تزال المشكلة متفاقمة ، ولكن يبدو لنا أن هذه الحركة التى قصد بها الى مصالحة المنبوذين والهندوس قد كتب لها الفشل ، وسيحكم الزمن وحده فيما إذا كانت أبواب المعابد ستفتح على مصراعيها أم لا ، وفيما إذا كان مجرد حق دخول المعابد سيقنع المنبوذين ويثنيهم عن ترك الديانة الهندوسية أم لا .

الدكتور أمبدكار :

لقد اشتهر الدكتور أمبدكار بأنه أول زعيم ذى مكانة بين المنبوذين ، استطاع أن يعلن أن لامندوحة لهم من ترك الديانة الهندوسية واختيار دين آخر يكفل لهم الحرية والاخاء والمساواة ، وقد ذاع صيته ـ بهذه المناسبة ـ حتى تجاوز حدود الهند الى مصر وأوربا وأمريكا ، وحتى لقد أصدرت مجلة تبشيرية شهرية عدداً خاصا ، على غلافه صورة للدكتور أمبدكار ، ولقبته « لنكولن الهند » أى محرر الهند ؛ واشتمل هذا العدد على ترجمة لحياته ، وتفنن بمدحه ، باسلوب بارع .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على أننا قد سمعنا الكثير على الدكتور أمبدكار ، فقال قائلون : إنه يتلاعب بصوالح المنبوذين فيساوم عليها بين أصحاب الديانات المختلفة ، ولا يصرح تصريحا حاسما بالدين الذى اختاره لهم ، بل يسلك فى ذلك سلوك الوسطاء المحترفين .

ومن الشواهد التى رويت لنا على ذلك : أنه عند ما ذهب فى سياحته الى الجنوب لعقد مؤتمر للمنبوذين ، أضافه وجماعته موظف مسلم كبير ، ثم ذهب به فى سيارته الى مقر المؤتمر ، وهو يعلم أنه سيعلن إسلامه فيه ، فاذا بامبدكار يفاجئه بالاعتذار من إعلان اختياره دين الاسلام ، ويعلل ذلك بأنه يخشى إفلات المنبوذين من يده ، إذا بادرهم بهذا الاعلان قبل أن تنضج الفكرة عندهم .

وحدث أن ذهب الدكتور أمبدكار الى المؤتمر العام لمبشرى السيخ ، حيث رفعوا من شأنه ، وتوطدت علاقته بهم ، وخطب فى مؤتمرهم ، فقال عن ديانتهم : إنها ديانة لا طباقات فيها ؛ عندئذ كتب إليه نيرانج خطابا ألحق به بعض مقطوعات من الجرائد مما كتبه السيخ ، مثبتا أن ديانتهم لم تنج من نظام الطبقات ، شأنها فى ذلك شان الديانة الهندوسية سواء بسواء .

وزاد الأستاذ نيرانج على ذلك ، فدلل للدكتور أمبدكار على أن السيخ أنفسهم ليسوا إلا هندوسا ، وأن نظام النبذ منتشر بينهم ؛ ولكنه لم يحظ برد على خطابه .

وقد قرر لنا الأستاذ نيرانج أن الدكتور أمبدكار عقد عهدا سريا مع زعيم هندوسى ، هو الدكتور منجى ، على ألا يتحول المنبوذون إلا الى ديانة السيخ ، إذا أصر الهندوس على حرمانهم من الحقوق السياسية التى نالوها بالمنحة الطائفية .

وقد اعترض المستر غاندى وغيره من زعماء الهندوس على هذه الاتفاقية ، فى حين قام زعيم من المنبوذين هو « م . ك . راجا » فنشر على الملأ المكاتبات السرية الخاصة بهذا الموضوع ، وهنا انكشفت سياسة الدكتور أمبدكار ، ويقال إن شانه قد قل فى نظر الجمهور وخاصة المنبوذين . هذا وإن نشاطه قد تضاءل فى الأيام الأخيرة ، ويعلل بعضهم ذلك بالحرب الانتخابية التى أخذت على الجميع نشاطهم فى إبانها .

الحركة الانتخابية وأثرها :

لقد أثرت المعركة الانتخابية فى الحركة أيما تأثير ، ونلخص ذلك فيما يلى :

١ — رشح كثير من زعماء المنبوذين أنفسهم للانتخابات الاقليمية ، ولذلك وجب عليهم أن يقفوا أوقاتهم وجهودهم ، ونشاطهم لها .

٢ — صعوبة قانون الانتخاب الخاص بممثلى الطبقات المنبوذة ، ذلك بأن المنبوذين وحدهم يرشحون عدداً منهم عن الدائرة الواحدة (٤ أو ٥) ، وبعد ذلك تدور الانتخابات العامة لانتخاب واحد فقط من هؤلاء ، وفى هذه الانتخابات يحق للهندوس ، بمقدار ما يحق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للمنبوذين ، أن يعطوا أصواتهم . ونتيجة ذلك أن المرشح المنبوذ — إذا لم يفز بالتزكية — يظل محتاجا الى تاييد الهندوس ، وهم لن ينتخبوا مرشحا يعلمون عنه أنه من أنصار الخروج على الديانة الهندوسية ، لهذه الأسباب تقاعس كثير من زعماء المنبوذين عن حركة تغيير الدين ، ولا يساهم فيها الآن إلا من لا تهمهم عضوية البرلمان . وعلى ذلك يمكن أن يقال إن المعركة الانتخابية قد أضرت — ولو الى حين — بالحركة التى يرمى بها المنبوذون الى تغيير دينهم .

على أن معركة الانتخابات قد أسفرت عن نجاح كثير من زعماء المنبوذين الذين كانوا فى نشاط جم فى حركة تغيير الدين ، كما أسفرت عن فشل البعض الآخر .

ولما كانت مدة النيابة خمس سنوات ، وكانت الكراسى البرلمانية موزعة توزيعا طائفيا ، فان أولئك الذين نجحوا ، يحتمل كثيراً أن ينصرفوا عن حركة تغيير الدين ، لئلا تسقط عنهم عضوية البرلمان التى يعلقون عليها أهمية كبرى .

أما أولئك الذين لم ينجحوا فى الانتخابات ، فقد كتب عليهم — وفقا لتقاليد بلادهم — أن يندفعوا فى حركة تغيير الدين ، إذ خلا لهم الميدان بخروج منافسين لهم الى دوائر البرلمان ، وبذلك كسبت الحركة وخسرت فى وقت واحد !

(يتبع)

مركز تحقيقات کامپیوتری علوم اسلامی

الى حضرات المشتركين

بمناسبة انتهاء السنة الثامنة للمجلة ترجو إدارة المجلة حضرات المشتركين معاونتها على ضبط حساباتها بأداء بدلات اشتراكهم الى حضرات وكلائها ، وتأمل أن يجد وكلاؤها منهم مثل ما وجدوه فى السنين الماضية من عناية ووفاء .

وقد نشرنا أسماء حضرات الوكلاء فى الصفحة الثالثة من الغلاف .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كتب قيمة

فؤاد الأول :

وضع حضرات الأساتذة الأجلاء: عبد العزيز الأزهرى افندى، وعلى عبدالله سرحان افندى، ومحمد مجاهد افندى ، تاريخا مطولا لملك مصر العظيم فؤاد الأول يقع فى نحو ٤٥٠ صفحة ، وإنه لعمل عظيم القيمة ، فان من يعلم أن جميع ما حصلته مصر من النظم الدستورية ، وكل ما دخلت فيه من التطورات السياسية ، تم فى عهد هذا العاهل الكبير ، يدرك أن الكتاب الحاوى لتاريخه يشتمل على تاريخ جميع هـذه التطورات الاجتماعية . ومما زاد هـذا التاريخ قيمة أن حضرات واضعيه لم يضنوا بالتوسع فى إيراد تواريخ هذه الشئون الهامة . فجاء كتابهم تاريخا حيا لوطنهم ، فى عهد يعتبر بعثا حقيقيا لمصر الحرة المستقلة .

أعدل الموازين فى تبيان حقوق الوارثين :

إن مسالة الوراثة من المسائل التى تهم الناس كافة ، ويهم أكثر الناس أن يكونوا على علم بها لما تتصل بحياة أسرهم اتصالا وثيقا ، وأنى لهم هذا العلم إذا راموا استمداده من الكتب الفقهية ، فتجدهم يضطرون أن يسألوا أهل العلم عنها ، وقد يتفق أنهم لايصادفون بها خبيرا . فانتدب فضيلتا الاستاذين الجليلين الشيخ محمد حسين النجار والشيخ أبو زيد شلبى المدرسين بمعهد أسيوط الدينى بسد هـذه الحاجة العلمية ، فوضعا فيها رسالة فى نحو ٢٨ صفحة جملا فيها القواعد الفقهية الواردة فى الوراثة فى أطر ، والتطبيقات خارجها، فجاءت رسالة حاوية لجميع حالات الوراثة يجد حاجته منها كل مستطلع بدون تكلف . ولو عمد العلماء الى كل مسائل الفقه فوضعوا لها أمثال هذه الجداول ، لأصبح العلم على طرف الثمام من طالبيه . فرحى لهذين العالمين العاملين مرحى !

السمير الواعظ — علم . أدب . أخلاق . تاريخ . وعظ . اجتماع . قصص

هذا كتاب يقع فى ٢٨٥ صفحة لفضيلة الأستاذ النابه الشيخ محمد محمد يوسف إمام مسجد الريدانية دقهلية . كتب فى مقدمته ما يأتى :

« وبعد فإنى أتقدم الى القارئ الكريم بذلك السفر الجامع لشتات ما تفرق فى بطون الكتب ، والذى سيرى منه موردا عذبا ، وأنيسا له فى وحدته ، وسميرا واعظا فى غفلته ، ورفيقا مواسيا فى غربته .

« بذلت فى عمله زهرة الشباب ، وجمعت فيه ما لذ وطاب ، وسهرت فيه طوال الليالى ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وراجعت من أجله أمهات كتب الأدب والدين والأخلاق، حتى برز والحمد لله الى عالم الوجود طرفة نفيسة وكتابا قيما».

وقد وفى الاستاذ بما ذكر، فله الشكر على ما صنع.

جمال الدين الأفغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق:

هو أحفل كتاب بتاريخ حياة هذا الفيلسوف الاسلامى الجليل. وضعه الاستاذ الفاضل الشيخ محمد سلام مدكور الطالب بكلية الشريعة. فقد جمع فيه كل ما كتب فى جمال الدين من البحوث والتحليلات، واستوعب كل ما حدث له من الحوادث، وكل ما عمله فى حياته الفلسفية والسياسية، فلم يدع لمن يريد التوسع فى معرفة سيرة هذا الرجل النابغة حاجة الى المزيد.

فنرجو لهذا الكتاب الرواج العظيم.

إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى.

إن لهذا الكتاب من الشهرة المستفيضة ما يتفق وسمو موضوعه، وحسن اسلوبه، وسطوع أدلته، ولا غرو فهو تأليف مَن أجمع أهل العلم على تسميته بحجة الاسلام، وهو لقب لمن يتأمل فيه عظيم. ولقد رثت مؤلفات، وأخلقت أساليب، وابتذلت عبارات، وخاصة فى نظر العقول المتمردة فى العصر الحديث، ولكن هذا الكتاب لا يزال فى جدته الأولى حجة دامغة لسمو التعاليم الاسلامية، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، معتقدات وعبادات ومعاملات.

كان هذا الكتاب لا تزال تتولاه المطابع الأهلية بالطبع، فكان العصريون لا يقبلون عليه، ولكن لجنة نشر الثقافة الاسلامية تولت طبعه على الطراز الشائق الحديث، مضافا اليه تخريج الحافظ العراقى، فجاء رائعا فى موضوعه، جميلا فى طبعه، معجبا فى وضعه.

تم طبع سبعة أجزاء منه، والهمة مبذولة فى طبع الباقى. تخابر فى الحصول عليه (لجنة نشر الثقافة الاسلامية) بشارع الناصرية رقم ١٣ بالقاهرة.

تاريخ الفن المصرى القديم:

اشتهرت مجلة الهلال باصدار ملاحق تنتخبها من عيون الموضوعات العلمية والفنية. وقد أصدرت أخيرا منها ملحقا بالعنوان المتقدم، تأليف الأستاذ النابه محرم كمال الأمين المساعد بالمتحف المصرى. وقد تصفحناه فوجدناه يأتى على تاريخ الفن المصرى تفصيلا، محلى بالصور البديعة. فهذا الكتاب فى نفسه يعتبر قطعة علمية فنية لا يجوز أن تخلو منه مكتبة مصرية.

فنشكر مجلة الهلال على هذه الخدم المتوالية للعلم، ونرجو لها المزيد.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عيد ميلاد جلالة الملك المعظم

فاروق الأول

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام يحتفل به فى الأزهر

احتفلت الأمة المصرية على بكرة أبيها يوم ١١ فبراير الراهن بعيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، احتفالا يستوقف النظر من أشراق الوجوه ، وافترار الثغور ، وشمول السرور ، فكان يوما مشهودا من أيام الأعياد الملكية ، تجلت فيه المملكة المصرية وعلى رأسها القاهرة فى حلة بديعة من الزينات ، تحتفبها الرايات والشارات ، والأهلون يتدافعون فى الشوارع تدافع السيل ، تعبيرا عما يخالج قلوبهم من الحبور بدخول ملكهم المحبوب فى السنة العشرين من حياته الطويلة الحافلة بجلائل الأعمال إن شاء الله .

وقد قام رجال الأزهر بواجبهم من الاحتفال بهذا العيد الكريم ، تحت رئاسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى ، فاحتشد فيه بعد صلاة العشاء أعلام العلماء والطلاب ، وكبار موظفى المعاهد ، وحضر الاحتفال حضرة صاحب السعادة محمد كامل باشا البندارى . وما وافت الساعة الثامنة حتى نهض حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام فألقى خطبة جمعت فأوعت من مناقب حضرة صاحب الجلالة الفاروق ، فانتظمها عقدا من كرائم الألفاظ ، وعقائل المعانى ، على أسلوبه الشائق من الاعجاز فى الايجاز ، وشفعها كعادته بكلمة فى الحالة العامة كشف بها من نفسية الاجتماع الراهن ما استكن بها من الداء الدوى ، ووصف من علاجه الشافى ما يصفه النطاسى الراشد من صميم العلم الالهى ، فكان لهذه الخطابة الرائعة من الوقع فى نفوس السامعين ما لاسبيل الى وصفه ، فجزى الله الأستاذ الامام عن العلم وأهله ، ما يجزى به أولياءه الصالحين ، وأئمة دينه العاملين .

وقد ختم الاحتفال بقصيدة عصماء أنشأها وأنشدها الشاعر المطبوع ، صاحب الفضيلة الشيخ محمد الاسمر ، انتظمت من شمائل الفاروق ، ومآثره على العلم والعلماء ، ومصر والمصريين . فى ألفاظ موفقة ، وصياغة مؤنقة ، ما يعتبر من حسنات الأدب العصرى .

حبا الله حضرة صاحب الجلالة عمرا طويلا يحقق فيه لمصر وأهلها ، وللاسلام وذويه ، ما هو له أهل من اليمن والاقبال ، والسؤدد والجلال ، بفضل الله وكرمه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فكل شيء من شأنه أن يجعل العامة أو يجعل النشء غير مستمسكين بدينهم ، يقاومه الأزهر بكل ما يستطيع من قوة .

أما الآراء العلمية ، فى حدود العلم وفى دائرته ، فإنها تدرس فى المعاهد الكبرى ، دون أن يخطر للأزهر ببال أن يقاومها ، أو يكون حجرة عثرة فى سبيلها .

مسئولية الأزهر فى الحياة الاجتماعية :

وأما الحياة الاجتماعية ، فالله تعالى يقول : « قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون » .

هذا هو الذى يدخل فيه الأزهر ، فهو يقاوم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ويقاوم الذين يقولون على الله بغير علم ، والفواحش ليست من الكثرة بحيث إذا انعدمت من أمة ضاع هناؤها وترفها وسعادتها ، وفى المباحات من الكثرة ما يجعل الحياة سعيدة مشرقة ، بل من المباحات ما يجعل الحياة سعيدة مترفة ناعمة ، فالدائرة التى يقاومها الأزهر لا يمكن أن تجعل الأمة عديمة الهناءة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

واجب الأزهريين :

إن للناس فيكم ، أيها الأزهريون ، آمالا فى مصر وفى غير مصر ، والحياة الاسلامية تنتعش فى هذا الوقت فى الأمة المصرية وغيرها ، وهذا الانتعاش يحتاج الى عناية ورقابة وتدبر وتبصر .

إن الذى يجب عليكم هو أن تفهموا دينكم حق الفهم ، وأن تعرضوه على الناس عرضا صحيحا ، وأن لا تبقوا فيه تلك الاضافات التى أضيفت إليه وكرهت بعض الناس فيه .

جردوا دينكم من كل ما غشيه ، وخذوه من الينابيع الصحيحة ، خذوه من الكتاب والسنة وآراء السلف الصالح من الأئمة ، واتركوا بعد ذلك ما جد وما عرض ، فاذا فعلتم ذلك اهتديتم واهتدى الناس بكم ، وحققتم أمل أمتكم والعالم الاسلامى فيكم . وإنى أسأل الله سبحانه وتعالى لنا السعادة جميعا ، كما أسأله أن يطيل حياة صاحب الجلالة الملك المحبوب فاروق الأول ، وأن يجعله دائما وأبدا عونا للدين ، وعونا للاسلام والمسلمين ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

خطب للمساجد أحسن من تلك الخطب المطبوعة التى كانت تتلى دائما على الناس ولا تغـير ، وأعلن عن ذلك ، فجاءنا خمسمائة خطبة لم نستطع أن ننتقى منها واحدة نقول إنها صالحة ، أما الآن فقد وجد فى الأزهر خطباء ووعاظ ومرشدون ، يمكنهم أن يرتجلوا الخطب ، وأن يكتبوها ، وأن يؤلفوا طائفة منها أحسن بكثير من تلك الخطب القديمة ، ويتضح من ذلك بلا شك ، أن النفع بالأزهر الحديث أوفى بكثير من النفع بالأزهر القديم .

أثر الرعاية الملـكية :

هذا الذى قلته لـكم من المقارنة ، أقصد به شيئا واحـدا ، هو أن رعاية صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد ، ورعاية صاحب الجـلالة الملك المحبوب فاروق الأول ، للأزهر ، هى التى أوصلت الأزهر الى ما نحن عليه اليوم .

الأزهر والحياة العامة :

هناك شىء ينبغى أن أذكره ، وهو أن الناس فى مصر يخشون خطر الأزهر على الحياة العـامة ، فهم يقولون إن الأزهر إذا قوى واشتدت عزيمته ، يدخل فى الحياة الاجتماعية فيكدر هذه الحياة ، إذ يحظر حرية الفكر ، ويقف حجر عثرة فى طريق الأفـكار العلمية الحرة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يحرم الناس ملاذهم وشهواتهم ، والحياة لا تحتمل ولا تطاق إذا سيطر الأزهر عليها بسلطان الدين .

احترام الأزهر لحرية الفـكر :

هذا شىء يقوله الناس ، أحببت أن أذكره لـكم . أما الحياة الفكرية فلا أظن بحال أن الأزهر خطر عليها ، لأن الأزهر يساير أسلافه من العلماء الأجلاء ، ومن الأئمة الذين كان عندهم من سعة الصدر ما احتمل هذه المذاهب المتعددة التى نقرؤها فى كتب الـكلام ، وفى كتب الفقه ، والتى ننقدها ونختار منها ما هو صالح ، ونترك ما ليس بصالح .

والاسلام بطبيعته دين تسامح ، ومبادئه لم تعترف بالاكراه : « لا إكراه فى الدين قـد تبين الرشد من الغى » ، « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

وقـد حمى الاسلام أديانا تخالفه ، وحمى علماء الاسلام مذاهب غير صحيحة ، واجتهدوا فى أن يردوا عليها بالدليل ، وبقيت هذه المذاهب حية عائشة فى كتبنا التى نقرؤها فى الأزهر ، فليس الأزهر من المعاهد التى تكره حرية الرأى والآراء العلمية ، لـكن الأزهر يكره شيئا واحدا ، هو تعمد الاستهزاء بالدين ، وتعمد الاستهزاء بالأنبياء ، وتعمد الاستهزاء بأئمة المسلمين .

يكره هـذا ، ويكره أيضا أن يشكك العامة فى دينهم ، وأن يشكك النشء فى عقائدهم ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

استقرت في البلاد كانها شأن من الشئون القومية ، والتي يطالب الأزهر الحديث الآن بإزالتها ، فالأزهر مكبل بآثار الماضي ، وهو يعاني في سبيل إزالة تلك الآثار ما يعاني ، ولا أظن أن هذه الأشياء المنكرة كانت تستطيع أن توجد في هذا العهد الحديث .

لقد اتصل الأزهر الحديث بالناس بالوعظ والارشاد ، وعلى صفحات الجرائد ، ليفهمهم دينهم ، فاستفادت الأمة منه ، واستفاد العالم الاسلامي كذلك . أما الأزهر القديم فكان قابعا بين الجدران ، لا أثر له في الخارج ، ولا يعرفه الناس إلا بطريق السماع ، كأنه تاريخ من التواريخ .

اتصال الأزهر بالحياة العملية :

هذا شأن من شئون الأزهر . والشأن الثاني هو أن الأزهر الحديث لامس الحياة العملية ولم يكن للأزهر القديم شأن فيها .

لقد كاد الأزهر يحتضر منذ عشر سنوات . ففي سنة ١٩٢٨ أرادت وزارة الأوقاف أن تنشيء مدرسة للوعظ والارشاد ، ووضعت في ميزانيتها مبلغا من المال لانشاء هذه المدرسة ، وفي ذلك التاريخ كانت هناك مدرسة للقضاء ، وكانت هناك مدارس للغة العربيـة ، فلو أن مدرسة الوعظ والارشاد أنشئت في وزارة الأوقاف لكان علماء الأزهر الآن بين جدران الأزهر كأنهم من الآثار القـديمة التي يجيء السائحون للنظر اليها ولا صلة لهم بالحياة العامة في بلادهم .

لكن الأزهر الحديث استطاع أن يتصل بالعالم ، وأن ينفرد بشئون القضاء والوعظ والارشاد ، واستطاع أيضا أن يشارك في شئون أخرى .

نظم الدراسة في الماضي والحاضر :

يمكنني أيضا أن أقارن بين الحياة العلمية في الأزهر الآن وفيما مضى . فقد كان أكثر العلماء يطرقون الاحتمالات المتعددة في عبارات الكتب ، وكان هذا هو كل شيء اشتهروا به في العلم ، وما كان يوجد منهم من يستطيع أن يحاضر في موضوع علمي ، ولا أن يلخص مسألة من المسائل بعبارة يمكن أن تفهم ، وما كانوا يعنون بالموضوعات العلمية من جهة الأدلة ومقارنة المذاهب ونقدها ، بل كانوا يعنون بالألفاظ ، فلم تكن الدراسة شهية مثمرة .

لكن الأزهر الحـديث احتفظ من تلك الطرق بما يجب أن يحتفظ به دائما ، وأضاف إلى ذلك أنه استطاع أن يحصل العلم تحصيلا حقيقيا ، وأن يتصل بالبيئات العلمية الأخرى ويجاريها . ولا شك عندي في أنه من هذه الناحية يفضل الأزهر القديم .

منذ ثلاثين سنة كنت مفتشا في وزارة الأوقاف ، وقد فكرنا في ذلك الوقت في إيجاد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

احتفال حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام

بعيد جلوس حضرة صاحب الجلالة الملك

وقال فضيلته فى خطبته بهذا الاحتفال بعد البسملة :

يسر الأزهر دائما فى المناسبات السعيدة الخاصة بمليك البلاد ، حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، أن يقدم ولاءه وإجلاله وإخلاصه لمليك مصر المحبوب ، لما يعلمه الأزهر عن جلالته من العطف عليه ، والرعاية التامة الدائمة لأموره وشئونه .

وإنى فى هذه الليلة ، أرفع باسمكم جميعا خالص الولاء ، وخالص التحية والاجلال ، إلى صاحب الجلالة الملك المحبوب فاروق الأول ، داعيا الله سبحانه وتعالى ، أن يعزه بالدين ، ويعز الدين به ، وأن يطيل حياته فى خدمة الاسلام والمسلمين ، وفى خدمة الوطن العزيز .

لقد ورث صاحب الجلالة الملك فاروق الأول عن المغفور له والده ، العطف والحدب على الأزهر ، وإذا رجعتم الى الماضى وجدتم أن ما استفاده الأزهر من عناية المغفور له الملك فؤاد ، وما استفاده من عناية شبله صاحب الجلالة الملك المحبوب فاروق الاول ، وجدتم أن ما استفاده من هذه العناية لا يقدر قدره إلا من عرف التاريخ معرفة صحيحة . لذلك أريد أن أرجع بكم قليلا الى الوراء ، وأريد أن أقارن بين الأزهر الآن ، وبينه فى الماضى من جهات مختلفة .

وسيتبين لكم من هذه المقارنة أن الوهم القائم بأذهان الناس الآن ، وهو أن الأزهر فى الماضى كان خيرا من الأزهر فى الحاضر ، هو وهم باطل ، وأن الأزهر الحديث ، خير من الأزهر القديم .

الأزهر فى ماضيه وحاضره :

وأبدأ بالكلام فى هذا من ناحية قد يكون غريبا أن تكون هى الأولى فى المقارنة، وأعنى ناحية التدين ، فمن الناس من يقولون : إن الأزهر القديم كان متمسكا بدينه أكثر من الأزهر الجديد ، وأنا أقول لهؤلاء : لا ، فالأزهر الحديث متمسك بدينه أكثر من الأزهر القديم .

كل المفاسد الموجودة الآن ليس للأزهر الحديث شأن فيها ، إلا أنه يطلب إزالتها ، فقد نظم البغاء وليس للأزهر الحديث أثر فيه ، وأبيح الخمر فى البلاد وليس للأزهر الحديث شأن فيها ، ووجدت البدع فى الموالد والأسواق والقبور وليس للأزهر دخل فى وجودها .

كل هذا وجد فى عهد الأزهر القديم ، ولم يرفع صوته طالبا إزالة هذه المنكرات التى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عليه أن يجاهد بماله ، فإن لم يستطع لا هذا ولا ذاك كان عليه أن يجاهد فى بيان أحكام الدين الاسلامى للأمة ، والقواعد التى وضعها علماؤنا للجهاد عند اعتداء أحد على قطعة من أرض المسلمين .

ويغلب على ظنى أن كلا منكم يحفظ القرآن ، وخاصة سورة التوبة وسورة الأنفال ، فكرروا هاتين السورتين ، واعلموا أنه « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلاً وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » .

إن الأمم لا تحيا إلا إذا ماتت ، والقرآن هو الذى يقرر ذلك ، وليس موت الأمة أن تبيد حتى لا يبقى أحد منها ، ولكن أن تجاهد فيفنى منها من يفنى ، والذين يبقون بعد حصد السيوف هم الناجحون فى الحياة ، وهم الذين يصلحون للبقاء . وأنتم تعلمون أن فى الأمة عددا وفيرا لا يعرفون واجباتهم عند النوازل ، فعليكم أن تعرفوا هؤلاء بهذه الواجبات ، وأن تدعوهم الى الصبر والطمأنينة والسكينة وقت الشدة ، فان الأمة لا تنال مجدها ولا تنتصر إلا إذا كان الصبر فى مجموع أفرادها ، والسكينة عند حلول المصائب شيمة أبنائها .

واعلموا أن كل خدمة تؤدى فى أثناء النكبات هى جهاد فى سبيل الله ، فالزارع الذى يتقن زرعه ويقدم القوت الى المجاهدين مجاهد ، والذى ينقل القوت والماء اليهم مجاهد ، والذى يرشد الناس الى واجباتهم وقت المحنة مجاهد ، وكل هذه الواجبات التى تخرج عن دائرة القتال ، أنتم يا علماء الأزهر وطلبته ، مسئولون عنها أمام الله وأمام الوطن ، فتذكروا هذا ولا تفرطوا فيه ، ولا تكونوا كبعض أسلافكم : يقرءون البخارى فى المساجد وينتظرون النصر

كان ذلك فى بلد من بلاد المسلمين تابعة لروسيا ، غزاها جيش ، وأراد أهلها الدفاع عن وطنهم وأنفسهم ، فقال لهم العلماء : لا تفعلوا ، ودعونا نقرأ لكم البخارى فينهزم الأعداء ، ثم جعلوا يقرءونه وينفثون فى ناحية العدو المهاجم ، فلم يغن عنهم ذلك ، ودخل العدو عليهم من كل باب !

لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يعتمد إلا على القوة ، التى قال الله تعالى فيها : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون » .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل السلم سائدا ، وأن يقينا شر عوادى الزمن ، وأن يباعد بيننا وبين الحرب ، وأن يعيد عليكم هذا اليوم المبارك فى العام المقبل وأنتم آمنون فى أوطانكم ، مطمئنون الى دينكم ، وأن يجعل هذا العام عام سعادة على الاسلام والمسلمين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال حفظه الله فى أولاهما بعد البسملة :

فى الدفاع عن الوطن إذا نشبت الحرب :

كان المقدر عندى فى هذه الليلة أن أكتفى بحضرات الخطباء من علماء الأزهر فلم أحضر شيئا أقوله لكم فى هذا الحفل المبارك ، لكنى رأيت واجبا على ، وفاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووفاء لكم ، أن أقول كلمة فى هذه الليلة المباركة ، وقد سنحت لى فرصة أردت اغتنامها ، كى أسمعكم صوت أمير البيان ، صاحب العطوفة الأمير شكيب أرسلان — وهو ضيفكم الليلة — لكن هذه الفرصة أفلتت من يدى ، فقد اعتذر من عدم تلبية طلبي .

أما موضوع الليلة ، وهو ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنتم فى غنى عن أن تسمعوا فيه شيئا ، فقد قرأتم سيرته مرات متعددة ، وهو غنى عن أن أقول فيه ، ولله در البوصيرى حيث يقول :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم

لكن الرسول كما تعلمون هو أمين الله على وحيه ، وهو سيد العلماء ، وسيد الساسة الحكماء ، وأكبر قائد فى الجهاد من قواد الاسلام ، وأنتم تعلمون أنه كان يجاهد بنفسه ، وقد صادفته أوقات عصيبة فى غزوات أصيب فيها ، وناضل عنه أصحابه ، وفر الكثيرون منهم ، وبقى هو ثابتا صابرا مصابرا محتسبا فى سبيل الله .

والعالم يموج الآن بأخبار الحرب ، ومعدات الهلاك ، وفى هذا الوقت يعتز أصحاب وسائل الدمار بقوتهم ، وتضعف نفوس الأمم الضعيفة أمام تلك الأمم التى أعدت نفسها طول أيامها للجهاد وللقوة . وقد تكون مصر يوما من الأيام معرضة لنكبة الحرب ، ومصر لا شأن لها قط فى هذه المطامع التى تتنازع نفوس الأمم ، لكن وضعها الذى قدر لها ، هو الذى جعلها فى مكان لا تأمن فيه إذا نشبت الحرب بين أمم لا شأن لها بها ، لا فى الدين ، ولا فى اللغة ، ولا فى الجنس .

هذا الوضع الذى أراده الله لهذه البلاد قد يكون سببا يؤدى الى تدخلها فى الحرب ، فاذا دخلت مصر الحرب فلا تظنوا أيها الاخوان من العلماء ، وأيها الأبناء من الطلبة ، أن واجب الجند فى جبهة القتال أكبر من واجبكم أنتم ، بل إن على العلماء وعلى الطلبة فى هذه الحالة أكبر واجب دينى وطنى اجتماعى . فالذين يستطيعون منكم أن يكونوا فى صف القتال يقضى عليهم واجبهم الدينى بأن يكونوا فى صف القتال ، أما الذين لا يستطيعون ذلك فواجبهم نحو أهلهم وعشيرتهم وأمتهم يقضى عليهم بأن يكونوا أمناء فى أداء النصح لله ولرسوله .

فاذا اعتدى على مصر ، صار واجبا شرعيا على كل واحد من المسلمين أن يدفع عنها هذا الاعتداء ، فالذى يستطيع أن يجاهد بنفسه يجب أن يجاهد بنفسه ، فان لم يستطع ذلك فواجب

جزوب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

خطبتان

لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام

فى الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم وعيد جلوس حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

حفل الأزهر بالعلماء الأعلام ، وكبار الموظفين ، والأعيان ، والطلاب ، دفعتين فى أسبوع واحد من شهر ربيع الأول الماضي كان من أيمن أسابيع هذا العام وأكثرها عظمة وجلالا : أولاهما احتفاء بليلة ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم فى مساء اليوم الحادى عشر منه ، وثانيتهما فى مساء اليوم الخامس عشر منه احتفالا بعيد جلوس حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول على أريكة المملكة المصرية . وقد رأس الاحتفالين حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، وألقى فيهما خطبتين طنانتين حيا فى أولاهما روح خاتم المرسلين بما هى أهله ، وذكر من مهام رسول الله وخصوصياته ما يستحيل اجتماعه فى فرد واحد .

ثم استطرد فضيلته الى ذكر ما يتردد على الألسنة اليوم من أمر الحرب ، وبين وصايا الاسلام فيما يجب على كل فرد من الاستعداد لها ، والتهيؤ للقيام بها على الوجه الذى يضمن الفوز ، وييسر الغلب ، فقرر فضيلته أن كل عمل أيا كان نوعه يقوم به عامل وتفضى نتيجته إلى تقوية الجماعة وسد حاجاتها فى إبان نشوب الحرب يعتبر فى الاسلام جهادا فى سبيل الله يؤجر عليه القائم أجر المجاهدين ، واستشهد فضيلته على قوله هذا بآيات من الذكر الحكيم .

ومن أجلّ ما يؤثر فى هذه الخطبة ، وهو من العبارات النابغة ذات الدلالات العالية التى يكثر ورودها فى خطب فضيلته ويحفظها الناس عنه ، قوله : « إن الأمم لا تحيا إلا إذا ماتت »

وألم فضيلة الأستاذ الامام فى خطبته الثانية بعيد جلوس جلالة الملك ، ونوه من شمائله الكريمة ، ومآثره الجليلة ، بما يجب أن ينوه به فى هذا اليوم الميمون ، يوم تبوؤ جلالته عرش المملكة المصرية .

ثم استطرد فضيلته الى ذكر الأزهر وما وصل اليه من الرقى حسا ومعنى بفضل المغفور له والده العظيم ، وفضل جلالته ، حتى أصبح يقطع طريقه الى الكمال وثبا .

ولقد أبدع الأستاذ الامام فى الخطبتين ما شاء له الابداع ، فجاءنا خير ما يمكن أن يؤثر عن الأزهر المعمور فى هذه الظروف ، وسيكون لصداها فى أربعة أرجاء المعمور ما كان لصدى جميع خطب فضيلته ، حياة للنفوس ، وغذاء للارواح ، وبعث للهمم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر

في كل شهر عربي

الجزء الأول	المحرم سنة ١٣٥٨	المجلد العاشر

مدير ادارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدي

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الادارة

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراكات عن سنة

	ملیم
داخل القطر	٢٠٠
لطلبة الجامعة الأزهرية خاصة ...	١٠٠
خارج القطر	٣٠٠

ثمن الجزء الواحد ٢٠ مليما داخل القطر و ٣٠ خارجه

(مطبعة الأزهر — ١٩٣٩)

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أوسع من أفق البلاد ، ويشعر بفطرته السليمة الطاهرة ، أن أعمال الخير يجب أن تكون عامة شاملة ، وعاطفة البر ينبغى أن تكون حدودها حدود الإنسانية عامة ، لا الوطن ولا الجنس خاصة

واتساع الآفاق فى الخير والتعاون والتعاضد فى البر نظرية من نظريات الإسلام منبثة فى تعاليمه جميعها ، وفى قواعده السامية التى ترمى الى أن يكون الفرد للجماعة لا لنفسه ، وأن يكون خيره للناس لا لشخصه .

وأنتم أيها السادة العلماء وأيها الأبناء من الطلبة ، حراس قواعد الإسلام ، والأمناء على شرح ما فيه من نظم وأحكام ، ورسل الدعوة إليه ، والترغيب فيه ، والألسن الصادقة فى شرحه وبيان جماله ، وأنتم الأساة فى مداواة أمراض النفوس وأدواء القلوب ، وأنتم الذين يجب قبل كل شيء أن تتحقق فيكم أخلاق النبوة ، وتتحقق فيكم تعاليم الكتاب ، وقد تعلمون ما يجرى فى العالم من أحداث جسام ، وعلمتم من قبل ما جرى فيه من خطوب جسام .

فتشوا عن الأسباب ، وابحثوا عن العلل ، وتحروا وجوه الصواب تجدوها لا تعدو حب الغنائم والأسلاب ، وحب الاستمتاع بثمرات كد الناس وكدحهم ، وحب الأمر والنهى فيهم .

وتجدوها خلف دريئة من المبادىء ، لم تحب إلا لأنها موصلة الى غاية فيها متاع ، ولم يدافع عنها إلا لأن فى زوالها خطرا على أشخاص ممن يدافعون عنها .

على هذه الأسس المادية قامت الحياة العامة واستقرت نظمها بين الأمم والشعوب ، وعلى هذا جرى الأفراد فى تعاملهم واتبعوا تلك السنن .

حياة مادية لا أثر للروح فيها ، أبعدت عن الله وباعدت عن أوامر الله . حياة إن ظن فيها الحمق خيرا وسعادة فقد اعترف العقلاء بأنها شر وشقاء . حياة رفهت عن الأجسام ووفرت حظوظها وشهواتها ، لكنها سلبتها أعز الأشياء : سلبتها الطمأنينة ، وسلبتها الهناء بالرضا ، وسلبتها لذة الصلة بالله ، ولذة الاعتماد عليه ، وسلبتها السلوى بالقضاء والقدر . وعقيدة القضاء والقدر هى السلوى الوحيدة للجمهور من بنى الانسان .

الحياة المادية ليس فى استطاعتها أن تسع الناس جميعهم ، لكن الحياة الروحية السعيدة تقدر على جمعهم .

انظروا الى ما يعده الانسان لفناء الانسان ، ويفتن فيه من الوسائل المدمرة المهلكة الخبيثة فى الأرض وفى البحر وفى الهواء . تلك الوسائل التى لا تذر الطفل الرضيع ولا الأم المرضع ولا تدع الشيخ الفانى ولا العالم الناسك ، بل تعم هؤلاء ، وتشمل العجزة والمقعدين واليتامى والمساكين . وتأتى على من له رأى ومن لا رأى له .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هل أعد هذا كله فى تأييد حق وهدم باطل ، ونصر مظلوم ورد ظالم ، وفى سبيل الفضيلة والخلق والعلم والدين ؟ أم أعد لسلب الضعفاء ما بأيديهم ، ولإذلال من لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، ولإشباع البطون والاستمتاع باللذات ؟

ما هذا كله إلا وحشية الإنسان قبل أن تهذبه الشرائع ، وتلين قسوته تجارب العلماء والحكماء ، لكنها وحشية فيها طلاء من مدنية كاذبة غرارة تحمل فى طياتها أسباب الفناء ، وتهوى بالإنسان الى دركات الشقاء ، لاتعتمد على خلق ولا تركن الى دين .

مدنية سلبت الهناءة النفسية ، ولم تقدر أن تحل محلها هناءة مادية ، تخرج الناس الى مذاهب جعلت الإنسان قطيعا ضالا يتردى فى المهالك ، حيث لا وازع ولا رادع ، وحملته يشعر بآلام الحياة وقساوتها ، ويشعر بشقاء لا يجد منه مخلصا .

على حملة الأديان أن يسعوا الى رد الطمأنينة النفسية الى الناس ، والى إيجاد السعادة النفسية عند الجماهير بردهم الى الله ، وتوجيه قلوبهم الى الله ، وبتحقير هذه الحياة المادية والإشادة بذكر الآخرة وما فيها من نعيم يعوض مافات ، لا يدركه المترفون وإنما يحصله المؤمنون المخلصون . وقد فعل المؤمنون هذا من قبل وكانوا حكماء فيه مخلصين ، وكانوا فلاسفة مرشدين جزاهم الله خير ما يجازى به مؤمن أسعد الناس بعمله ، وهداهم بإرشاده .

يجب أن يفعل هذا ، وأن يذكر أهل الثراء بحقوق الفقراء التى أوجبها الله ليخرجوا عن شىء مما آتاهم الله يرفه عن هذه الطبقات الفقيرة بعض الترفيه .

ومن ظلم الانسان للانسان أن يبيت شخص طاوى البطن يعصبها من الجوع ، عارى الجسد يتحمل الزمهرير ، ويبيت شخص متخما بأنواع الطعام وأنواع الشراب على فراش وثير ، وفى دفء هنىء .

عودوا أيها الناس الى ما فرضه الله من الحق فى أموال الأغنياء ، والى ما حبب فيه من الصدقات ، ونظموا هذه الحقوق وتوسعوا فيها ، ثم احبوا الفقراء والمحتاجين واليتامى بما يخفف آلامهم ويزيل أحزانهم .

أيها السادة : أسأل الله أن يسبغ على مولانا جلالة الملك صحة كاملة ، وعافية شاملة ، ويديم عمره ، ويطيل أجله فى طاعة الله وفى سبيل الوطن والدين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فاتحة السنة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جزيل نعمائه ، حمدا يرشحنا للمزيد من حبائه ، ويؤهلنا للجم من آلائه . والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ، وصفوة أصفيائه ، محمد وعلى آله وصحبه وأوليائه .

وبعد: فقد أتمت مجلة الأزهر تسع حجج من حياتها ، ودخلت بهذا العدد فى عاشرتها ، متجردة لخدمة الاسلام وأمته ، مشمرة فى الذياد عن حوضه والدفاع عن حقيقته ، بكل ما أوتينا وأوتى محرروها من حول وقوة ، فإن كنا قد أحسنا فبفضل الله وتوفيقه ، وإن كنا قد قصرنا فليس ذلك عن عمد ، والله فى عون العبد والأخذ بيده ما أخلص النية ، وطهر الطوية ، وتحرى سبل الاتقان ، وتلمس طريق الاحسان ، وهذا ما جعلناه نصب أعيننا ، وغاية وجهتنا « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين » .

لقد عرفنا منذ أن عالجنا الكلام فى الاسلام ، أن أشد ما يعترض طريقه ، ويثبط من توثباته ، شبهات صبغها المتسرعون بصبغة العلم ، وأشاعوها بين المتعلمين فى ثنايا أصوله ، وأطواء نظرياته ، وتلقفها الناس عنهم تقليدا ، وقد نقشوا فى روعهم أن هذه الشبهات تدحض تعاليم الدين ، وتزعزع من آساسه ، وأنها حين صاولته فى بلاد المدنية الحديثة ، تصدى لها عدد من الاعلام المقدمين ، ليفلوا من شباتها ، ويقفوا من مجهاتها ، فلم يستطيعوا الى ذلك سبيلا ، وانتهى أمرهم بالاستسلام لها ، فلم تبق من الدين هنالك ولم تذر .

هذه الشبهات تبذر بذورها اليوم لدينا ، وتتعهد بالعناية لتنمو بين ظهرانينا ، وتفعل بنا ما فعلته بسوانا ، توهما من الذين يدبرون هذه الفتنة أن التجرد من العقائد شرط للنهوض الأدبى ، والاستقلال الفكرى .

هذا ضلال بعيد منهم ، فليس فى الاسلام أصل يعطل النهوض الأدبى ، أو يصد عن التحرر الفكرى ، بل الاسلام نفسه أقوى عامل عرفته البشرية للاستنهاض والتجديد ، وقد دل على ذلك بالعمل ، فأخرج أمة من العدم ، وأمتعها بكل الوسائل التى جعلتها فى مقدمة الأمم .

فمجلة الأزهر تبذل جهدها لتصيد هذه الشبهات المدسوسة على العلم وتحليلها ، وتبيين وجوه القوة والضعف منها ، والتدليل على أنها لا تعدو على الاسلام ، ولا تمس جوهره ، ولكنها تصدقه وتؤيده ، وتجعل منه الدين العالمى الذى لا محيد عنه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والى جانب هذا تنشر مقالات ممتعة فى التفسير والسنة، يقوم بهما عالمان عظيمان من أعلام الأزهر، وبحوثا أخرى فى الفلسفة والأدب والتاريخ والعلم يكتبها رجال إخصائيون فى هذه المواضيع.

ومما يميز هذه المجلة أنها تعنى بنشر طائفة من الفتاوى على المذاهب الأربعة إجابة على استفتاءات تقدم اليها. وقد تداركت الادارة العامة ما كان أصاب هذا الباب من الضعف فأصبح كفيلا بإيتاء حاجات الناس من هذه الناحية التى تهمهم كثيرا.

ومتى تكلمنا عن مجلة الأزهر وجب علينا أن نذكر ما لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق من الأيادى الخالدة فى رفع منار الاسلام، وإعزاز كلمته، بما يحييه من سنن السلف الصالح، ويجدده من آثارهم. وقد أصبحت أعماله الجليلة فى هذه الناحية مَثَلا عليا للنابتة يترسمون خطواته لتحقيقها، ويأتمون بجلالته لتأييدها.

ولا نستطيع أن ننسى ما لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر من عناية بهذه المجلة شجعتنا على المضى فى عملنا بهمة لا يعروها ملال، وعزيمة لا يتحيفها كلال، شأن القائد الحكيم يبث فى معاونيه روح النشاط بقوله وعمله.

فالله أسأل أن يوفقنا فيما تصدينا له حتى ننال الموعود به من تأييده، وأن يلهمنا الصواب حتى نستحق المزيد من توفيقه وتسديده؟

مدير مجلة الأزهر

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الدرس الثانى

الذى ألقاه حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ
محمد مصطفى المراغى فى مسجد البوصيرى بالاسكندرية
فى حضرة صاحب الجلالة الملك

« يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه إليه تحشرون » :

الاستجابة : هى الاجابة ، ومنه : فلم يستجبه عند ذاك مجيب . أو هى الاجابة بعناية وقوة ، فتكون السين والتاء للمبالغة ، والأصل فيها أنها التحرى والتهيؤ للجواب ، وعبر بها عما سبق ، لأن التحرى للاجابة قل أن ينفك عن الاجابة بعناية .

والحول بين الشىء والشىء : الحجز بينهما . والدعاء : الطلب مع البعث والتحريض . وما به الحياة هو العلم بالله ، والعلم بسننه فى الخلق ، وبأحكامه الشرعية ، والتزين بالحكمة والفضيلة والأعمال الصالحة التى تكمل بها الفطرة الانسانية ، وتسعد بها فى الآخرة ، فهو يشمل جميع ما فى القرآن الكريم من حكم وأحكام وعقائد وأخلاق وآداب ، ويشمل ما فيه من نظام الحرب والسلم وقواعد الاجتماع ، ويعم كل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى القولى والعملى . كل ذلك يحيى من عمل به حياة طيبة ، يعزه فى الدنيا ويسعده برغد من العيش ، ويعلى قدره ، ويرفع ذكره ، ويجعله فى الآخرة مع الذين أنعم الله عليهم فى جنات تجرى من تحتها الأنهار .

بعد أن طلب الله إجابة دعائه ودعاء الرسول ، نبه الى أمرين عظيمى القدر يبعث التنبه لهما الى الانقياد والطاعة والاقبال عليها بالجد والعزم : (أحدهما) أن الله سبحانه قريب من العبد مطلع على مكنونات صدره ، يعلم منه ما قد يخفى عليه « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » . و (الثانى) أن العباد يحشرون اليه وحده ، وبيده الجزاء على الأعمال « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

فقوله : « يحول بين المرء وقلبه » نظير قوله « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » ، وقوله : « فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » . والغرض منه الحث على الاخلاص وتصفية القلوب . ويمكن أن يراد به أن الانسان عرضة لتغير الأحوال ، من أمن الى خوف ، ومن ذكر الى نسيان ، وما أشبه ذلك مما يشوش عليه قلبه ، ويقلق نفسه ، ويفوت عليه الطاعة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولما كانت هذه الأسباب صادرة عن الله جل شأنه صح أن ينسب الحول اليها ، وأن ينسب اليه . فالآية لا تدل على أن الانسان مجبور فى عمله ، وحاشا لله أن يكلف عاجزا غير مستطيع ، يحول بينه وبين الايمان أو الطاعة ، ولو كان الله يفعل ذلك لكان القرآن حجة للمشركين على النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن حجة له عليهم .

وطاعة الرسول واجبة فى حياته وبعد مماته ، فيما علم أنه دعا اليه دعوة عامة : من السنن العملية المبينة للكتاب ، ومن السنن القولية القطعية فى الرواية والدلالة . أما غير ذلك مما هو محل الاجتهاد فعلى كل مجتهد أن يعمل بما صح عنده وبما ترجح عنده . أما العادات من اللباس والطعام والشراب والنوم وما أشبه ذلك فلم يعده أحد من السلف من أمور الدين . وكما يجب أن نهتدى بالهدى النبوى ، ينبغى أن نهتدى بهدى الخلفاء الراشدين والصحابة وعلماء الأمة فى اجتهادهم وأدبهم ، مع مراعاة أصول الدين العامة ومصالح المسلمين ، لكن ذلك لا يسمى دينا إلا إذا كان ثابتا فى كتاب أو سنة .

« واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب » :

الفتن فى اللغة : إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته ، واستعمل فى إدخال الانسان النار فى الآخرة ، ومنه : « ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون » أى ذوقوا عذابكم . وتطلق الفتنة على ما يحصل العذاب بسببه نحو قوله تعالى : « ألا فى الفتنة سقطوا » . وتطلق على الابتلاء والاختبار ، ومنه : « وفتنّاك فتونا » . وتستعمل الفتنة والبلاء فيما يُدفع اليه الانسان من شدة ، ومنه قوله تعالى : « واحذرهم أن يَفتنوك » أى يوقعوك فى بلاء وشدة بسبب صرفهم إياك عن الوحى . و « فتنتم أنفسكم » أوقعتموها فى بلية وعذاب . وعلى ذلك قوله فى الآية : « واتقوا فتنة » أى بلاء وعذابا .

والمعنى : احذروا ابتلاء واختبارا من الله سبحانه يبتليكم به فلا يخص المذنب الذى ركب المعصية واقترف الذنب بل يعم غيره .

من المعاصى ما هو خفى بين العبد وربه يحاسبه عليه وليس للعباد أن يبحثوا عنه ، وقد نهى الله سبحانه عن التجسس بقوله : « ولا تجسسوا » . ومنها ما يظهر ويفشو ، وهو على أنواع : بدعة فى العقيدة والرأى ، وبدعة فى الأعمال ، وفرقة عن الجماعة لمحض الهوى لا لدليل من كتاب وسنة . وأشد هذه الأنواع الفتن الملية والقومية التى تقع بين الأمم عند التنازع على المصالح العامة من السيادة والملك ، وعند التنازع فى السياسة على الحكم ، وقد تحصل تبعا لذلك فرقة فى الدين والشريعة حيث يتخذ الدين وسيلة للفوز والغلب . وقد طالب الله سبحانه المؤمنين أن يحذروا هذه المعاصى الظاهرة ، وبخاصة ما كان عاما منها ، وما يوجد الفرقة بين الأمة ، ويهدم وحدة الجماعة سواء أكانت الوحدة فى العقيدة أو العمل ، أو فى السياسة وقواعد

olhbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الاجتماع ، لأن الفرقة فى ذلك كله تضيع الجهود ، وتذهب القوة ، وتطمع الأعداء فى المسلمين حتى ينتهى أمرهم الى الضعف والوهن ، وينتهى أمرهم بتسلط الأعداء عليهم .

على كل فرد وعلى الجماعة الحذر من هـذه الفتن ، طالبهم الله بهذا وبقطع دابرها وعدم تركها تبيض وتفرخ وتعشش ، ومن أجل هذا أوجب الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وشدد فى ذلك فى مواضع كثيرة من كتابه . من ذلك : « ولتكن منكم أمة يَدعُون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهَوْن عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » ، فقد جعل الأمر بالمعروف فرضا إذا تركه المسلمون أثموا جميعهم ، وركبهم الحرج . وقد علق الله سبحانه الفلاح على ذلك وقال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وقال : « لُعِنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عَصَوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهَون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » . فقد استحق هؤلاء اللعنة لأنهم تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وقال : « فلما نَسُوا ما ذُكروا به أنجينا الذين ينهَون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بَئِيس بما كانوا يفسقون » وقال : « الذين إنْ مكنّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة وأمَروا بالمعروف ونَهوْا عن المنكر » .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وظيفة الأنبياء وخلفائهم ، ووظيفة ولاة الأمور جميعهم ، وإذا تعطل فشت الضلالة ، وشاعت البدعة ، وسرى الفساد ، واسترسل الناس فى الشهوات ، وقلت مراقبة الخالق ، واستولت على النفوس مداهنة الخلْق . ومن واجب الحكومات الضرب على أيدى المفسدين ، وسن القوانين الصارمة ، وخلق حياة اجتماعية للروح فيها نصيب ولله نصيب . وما انحطت أمة الى الدرك الأسفل إلا بتهاون الجماعة وتهاون أصحاب السلطان فى تقويم الأفراد والجماعات .

ولن يبسط سلطان ولن ترفرف سعادة وعزة ومجد حيث يعلو سلطان الشهوة ويسود سلطان الشيطان .

وعقاب الأمم على الذنوب العامة والمعاصى الظاهرة لازم فى الدنيا ، وهو أثر من آثارها الطبيعية كما هو مشاهد ومعروف فى التاريخ ، وعقابه فى الآخرة شديد يعاقب من يعصى أمره ، ويركب رأسه ، ويطيع شيطانه ، ويخالف نظام الله فى خلقه ، وسنن الكون ، وهدى الاجتماع .

وقد بدأت الفتن السياسية أيام على ومعاوية ولبست ثوبا دينيا أوجد فى الأمة فرقا ، ثم تبعتها فتن أخرى أضاعت مجد الاسلام وعزه . ولا علاج إلا باتباع القرآن والرد الى الله ورسوله ، ومحاولة التوحد فى جميع الشئون الاسلامية . وهذا ما ندعو اليه ، ونطلب من الله تحقيقه . وفى الحديث الشريف : « ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » . وقيل : يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : « نعم ، بتهاونهم وسكوتهم على معاصى الله » .

وقد قال الله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مُترَفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »

« واذكروا إذ أنتم قليل مستضعَفون فى الأرض تخافون أن يتخطّفكم الناس فآواكم وأيّدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » :

بعد أن طلب الله سبحانه طاعة الله وطاعة رسوله ، وبيّن أن حياة العباد فى هذه الطاعة ، وطلب اتقاء الفتن ، وعدم التفرق الذى يذهب ريح القوة ويورث الذلة والضعف ، ذكّرهم بأنهم كانوا قلة مستضعفة فى الأرض ، يناهم الناس بالمكروه ويفتنونهم عن دينهم ، لا يهابهم أحد ، ولا يدفعون عن أنفسهم إذا تخطفهم الناس ، وذكرهم بأنه أعزهم بالاسلام وجعلهم فى منعة ، وجعل لهم قوة هى الحصن الذى يركنون اليه عند الشدائد ، ونصرهم على الأعداء ، وفتح عليهم بلادا وممالك درّت الخير ، فصاروا فى عيش رغيد ، وفى أمن بعد الخوف ، وعز بعد الذل ، ومن شأن هذا كله أن يقوموا بشكر الله ، ويقيموا حدوده ، وينقادوا لأمره بالطاعة .

هذا التذكير كأنه دليل على صحة الطلب ، وعلى وجوب الطاعة ، لأنهم لم ينالوا كل هذا الخير إلا بالطاعة والوحدة وعدم الفرقة . وعن قتادة : كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلا ، وأشقاه عيشا ، وأجوعه بطنا ، وأعراه جلودا ، وأبينه ضلالا ، من عاش منهم عاش شقيا ، ومن مات ردى فى النار ، يؤكلون ولا يأكلون ، والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منهم منزلا ، حتى جاء الله بالاسلام فمكن به فى البلاد ، ووسع به فى الرزق ، وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس . فبالاسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا الله على نعمه ، فانه منعم يحب الشكر ، وأهل الشكر فى مزيد من الله تبارك وتعالى .

« يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » :

معنى الخون : النقص ، كما أن معنى الوفاء التمام ، ومنه تخوّنه إذا تنقصه ، ثم استعمل فى ضد الأمانة والوفاء ، لأنك إذا خنت الرجل فى شىء فقد أدخلت عليه النقصان فيه .

والمعنى : لا تعطلوا فرائض الله وما جاء به رسوله ، ولا تضيعوا الأمانات فيما بينكم وأنتم على علم بأن ما تعملونه خيانة ، أى لا تفعلوا ذلك عن عمد . أما الخطأ والنسيان فهذا مما اغتفره الله لعباده . وكما تكون الخيانة بترك الطاعة ، تكون بعدم بيان الأحكام . وخيانة الأمانة تكون بين الرعية والراعى ، وبين الأفراد بعضهم مع بعض . والأمانة من الصفات الدينية

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

التى قام عليها بناء المجتمع ، وأسس عليها العمران والمدنية ، ولا صلاح لأمة ولا بقاء لدولة إلا بها ، وعليها مدار الثقة فى جميع المعاملات . ومن الأمانة إقامة العدل بين الناس ، وأن يقوم كل فرد بما هو موكول اليه بجد واجتهاد وإخلاص . ولا إيمان لمن لاعهد له ، ولا دين لمن لا عهد له ، وآية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان ، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم .

ومن الخيانة إفشاء سر الدولة ، وإخراجه للأعداء ، سواء فى ذلك السلم والحرب ، والاستعانة على المسلمين بغيرهم . ومن الخيانة أكل أموال الناس بالباطل ، وعدم التحرى فى إنفاق أموال الدولة فى المرافق العامة . ومن الخيانة عدم تولية الأكفاء ، وعدم النصح لأولياء الأمور . كل ذلك خيانة ، والله يطلب أن يكون المسلم ناصحا أمينا ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر . ومن الخيانة إهمال الدفاع عن البلاد . ومن الخيانة أن لا يُعدّ كل مسلم نفسه ليكون جنديا يدافع عن دينه وعن وطنه .

وقد روى المفسرون فى سبب نزول هذه الآية : أن بعض الناس سمع من النبى صلى الله عليه وسلم أشياء فألقاها الى المشركين . ورووا أيضا أنه لما علم النبى صلى الله عليه وسلم بخروج أبى سفيان عزم على الذهاب اليه ، فكتب رجل من المنافقين الى أبى سفيان يعلمه الخبر ويحذره . ورووا أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم لما حاصر بنى قريظة طلبوا اليه أن يتركهم يذهبون الى الشام كما فعل مع بنى النضير، فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد ، فذهب إليهم أبو لبابة وأشار الى حلقه ، يعنى أن حكم سعد هو الذبح ، وشعر أبو لبابة أنه خان الله ورسوله فتاب ، ولذلك قصة طويلة . وقد كان لأبى لبابة عندهم أموال وأولاد .

يصح أن يكون هذا أو غيره سبب نزول الآية ، لكن الآية عامة تشمل كل خيانة لله ورسوله .

« واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنةٌ وأن الله عنده أجر عظيم » :

الأموال محبوبة للنفس ركز فى طبيعة الانسان الحرص عليها ، فهى الوقاية ، وهى العدة عند الشدة ، بها الحياة ، وبها الاستمتاع بما تنازع اليه النفس وتتقاضاه الطبيعة من اللذات والشهوات ، وبها يدرك العز ، وينال الفخر والجاه .

والأولاد عزيزة على النفس يرى الانسان فيها صورتها ويحتفظ به ، كما يحتفظ بنفسه أو أشد ، ويدرك أن فى بقائها بقاءه . وقد جبل الانسان بل الحيوان على الحرص عليها ، والضن بها ، والدفاع عنها ، وقد يضيع الحيوان حياته دفاعا عن حياة ولده . المال والولد كلاهما فتنة ، وقد يكون سببا من أسباب عدم الطاعة ، ومن أسباب الخيانة ، فلا يتحرى العبد مورد الرزق والكسب ، ولا يقوم بحق الله فى المال ليوفر لنفسه لذته ، ويدخر لأولاده بعد موته

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

مايقيم أودهم ، ويسهل عليهم العيش ويقيهم الفاقة وذل السؤال . من أجل ذلك نبه الله سبحانه الى أن ما ادخره لعباده من الأجر عظيم ، فـلا يليق بالعاقل أن يتركه ويفتن بالعاجل ، فليس مما يرضاه العقل أن يُترك نعيم مقيم ، وعز دائم ، وجنات تجرى من تحتها الأنهار ، ورضوان الله من أجل متاع قليل فى هذه الحياة الفانية .

« يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعلْ لـكم فُرقانا ، ويكـفرْ عنكم سيئاتِـكم ، ويغفرْ لـكم ، والله ذو الفضل العظيم » :

الفرقان : الفارق بين الحق والباطل ، فيشمل كل ما خص الله به عباده المؤمنين من المعرفة والهداية ، وشرح الصدر ، والأخلاق الفاضلة ، من الشجاعة والصبر والـكرم والحلم ، والنصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وعدم موالاة الأعداء ، وترك الغل والحقد والحسد وكل الأخلاق الذميمة . ويشمل أيضا إعلاء كلمة الله ، والظهور على الأعداء ، والثواب فى الدنيا والآخرة . بتقوى الله يحصل هذا كله ، ويستر الله السيئات ويمحوها فلا يؤاخذ عليها ، ويغفر الذنوب ، ويضاعف الأجر ، فهو ذو الفضل العظيم .

ومعنى الآية : أن العمل على مقتضى الدين والشرع وسنن الله فى الخلق ونظام الاجتماع يورث ملـكة العـلم والحـكمة ، وبذلك يفرق الانسان بين الحـق والباطل ، ويميز بين النافع والضار ، وإذ ذاك يرزقه الله النصر على الأعداء بما يعز به المؤمن ، ويكبت به العدو .

والتقوى تشمل اتقاء الذنوب ، واتقاء الأسباب الدنيوية المانعة من الـكمال والسعادة حسبما ترشد اليه السنن الـكونية ، وذلك يتوقف على عـلم بسنن الله فى الانسان منفردا ومجتمعا ، وعلى معرفة ما ينبغى أن يفعل ، وينبغى أن يترك .

توّجه النداء فى هذه الآية الى المؤمنين ، وقد طلب الله منهم فى آيات قبلها تقوى الله ، وإصلاح ذات البين ، وهى رابطة الاسلام ، وإصلاحها يكون بالوفاق والتعاون ، والمواساة ، وترك الأثرة . ووصف الله المؤمنين بأنهم إذا ذكر الله وجلت قـلوبهم ، أى شعرت بالخشية والخوف من الله ، وبأنه إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا : أى سعة فى العرفان ، وقوة فى طمأنينة النفس ، كما فعل ابراهيم حيث طلب الاطمئنان بعد أن كان مؤمنا ، وبأنهم متوكلون على الله يفوضون أمرهم اليه وحده بعد الأخذ بالأسباب ، ويفوضون اليه الأمر ليهديهم الى الأسباب فيما لا يعلمون له أسبابا ، وبأنهم يقيمون الصلاة ، وينفقون مما رزقهم الله ، كل هذا تضمنه قوله سبحانه : « فاتقوا الله وأصلحوا ذاتَ بَيْـنِـكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين . إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبُهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وطلب منهم أيضا الثبات فى القتال ، وحرم عليهم الفرار ، وقال : « ومن يولهم يومئذ دُبره إلا متحرّفاً لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » . ومعناه أنه لا يجوز أن يولى المسلم ظهره للأعداء إلا إذا رأى الانتقال الى مكان آخر هو أصلح للقتال ، أو رأى أن ينضم الى فئة أخرى من المؤمنين .

وطلب اليهم ترك النزاع وقال : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » .

وطلب اليهم التمسك بالعهد والسلم ، وإعداد القوة للدفاع عن الدين والوطن ، كما طلب نبذ العهد عند الخيانة : « وإمّا تخافنّ من قوم خيانة فانْبِذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » . « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوفَّ اليكم وأنتم لا تظلمون . وإن جنحوا للسَّلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » .

هذا بعض ما تضمنته هذه السورة الكريمة من العظات والبر والأحكام والحكم ، نسأل الله الهداية ، ونستلهمه الرشد ، إنه نعم المولى ونعم النصير ؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السيرة المحمدية

تحت ضـوء العلم والفلسـفة

مقـــــدمة

[illegible] اليوم فاتحة العام الهجرى الحافل بالذكريات الخالدة عن الدعوة الإسلامية فى دورها الخاسم ، نبدأ فى نشر دراسات متتابعة فى حياة خاتم المرسلين محمد صـلى الله عليه وسلم على أسلوب جديد تحت ضوء العلم والفلسفة .

كانت هذه أمنيتى منذ سنين ، ولـكنى كنت أرجىء تحقيقها ، لا إيثارا لغيرها عليها ، ولـكن لما كنت أشعر به من المشقة العظيمة فى توفيتها حقها من الناحيتين العلمية والفلسفية على ما ينبغى أن تكون عليه فى بيئة أصبحت مطامعها العلمية لا تقف عند حد . فالناس اليوم وخاصة متعلميهم لا يقنعهم سرد الحوادث التاريخية دون معرفة عللها الأولية ، سواء أكانت من طبيعة البيئة ، أم من مقتضيات الاجتماع ، أم من مستلزمات العاطفة الدينية التى جبلت عليها النفوس البشرية . ولا يكفيهم سرد أطـوار النبوة وحالاتها دون معرفة ماهية النبوة فى ذاتها ، وهل هى حاجة من حاجات الروح الانسانية كما يقول الدينيون ، أم هى مجرد ظواهر اجتماعية ، تولدها ضرورات الاجتماع ، وتستدعيها أمانى النفوس ، مثلها كمثل جميع الظواهر التى تتولد فى أدوار التطورات الأدبية للامم ثم تزول وتحل محلها ظواهر أخرى أكثر مناسبة ، وأوثق صلة بضروب الثقافات التى تتعاقب على الجماعات فى مراحل حياتها العقلية ؟

والميـل الى تأييد أحد هـذين التيارين الفكريين يستدعى إقامة الأدلة القاطعة عليه ، ولا يمكن أن يؤخذ كقضية مسلمة ، وخاصة فى هذا الدور من تنازع المذاهب الفلسفية .

ثم إن الـكلام عن الوحى وأساليبه ، والاتصالات الروحانية بالمـلأ الأعلى ، وإمـكان استمداد العلم عن العالم العلوى مباشرة بواسطة الملك ، خلافا للسنة المعروفة بين البشر ، كل هذا لا يتأتى للعقل الراهن أن يسلمه بغـير أدلة تناسب خطورته الاعتقادية ، فالتزام كتابة السيرة النبوية تحت ضوء العلم والفلسفة يوجب إيراد هـذه الأدلة ، ويوجب أن تـكون من القوة ، وصحة الدلالة بحيث تصلح أن تثلج عليها الصدور ، وتطمئن اليها العقول ، لا أن تـكون مسلمات تحكمية فى صورة أدلة علمية .

لا أنـكر أن هذا كله من أشق الأعمال الـكتابية ، وأن المتكلف له بسبيل فتح طرائق جديدة للتدليل على أمور روحية يعتبرها أكثر الناس أجنبية عن المحاولات العلمية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وليست تنحصر صعوبة هذا البحث فى هـذه الناحية الروحية ، ولـكنها تمتد الى نواح أخرى علمية باحتة يصعب تعليلها بالأسباب المادية على مقتضى الدستـور العلمى ، وسنضطر الى تلمس علل لها من عالم ما فوق الطبيعة ، وهذا موضوع نزاع سيكون بيننا وبين العلم الاجتماعى نفسه ، لأنه لا يعـترف بذلك العالم العلوى ، ويهون عليه أن يتلمس للحوادث عللا واهية أو يتركها بدون تعليل تحاشيا من نسبتها الى علل غير طبيعية . مثال ذلك قيام محمد صلى الله عليه وسلم وحده بدعوة أمة برمتها الى ترك دين توارثته عن أسلافها أجيالا كثيرة ، والأخذ بدين مناقض له فى جملته وتفصيله ، ونجاحه فيما تصدى له نجاحا محـيرا للعقل لم يسبق له شبيه فى تاريخ النفسية الانسانية . فالباحث العلمى يجد نفسه إزاء هذا الحادث الجلل مضطرا لأن يتلمس له العلل الطبيعية ، فيدعى أن الأمة العربية قبيل البعثة المحمدية كانت تتطلب دينا جديدا ، وتتطلع الى تأليف كتلة اجتماعية تجتمع فيها كلمتها ، وتتوحد وجهتها ، وتتعين بها غايتها ، فلما ظهر محمد ودعا الى الدين الجديد والاجتماع عليه ، تسارع العرب الى تلبية ندائه ، فقام الاسلام وقامت جماعته ، وتم لها ماتم من الفتوحات الضخمة ، والمدنية الفخمة ، ثم اعترى هذه الوحدة التراخى ، وانتهى حال المسلمين الى ما انتهى اليه اليوم !

يدعى الباحث العلمى هـذه الدعوى تخلصا من ورطات الحيرة ، متعمدا فى هذه السبيل الاستناد الى علل باطلة ، يعـلم هو قبل غيره عراقتها فى البطلان . فان الأمة العربية لم تـكن قبيل البعثة المحمدية تتطلب دينا جديدا ، وكيف يعقل ذلك وقد رفضت دعوة النبى رفضا باتا وعدته كاذبا ، وعجبت من جرأته على الزراية بآلهتها ، واعتبرت التوحيد فرية لم يقـل بها أحد غيره ، فقالوا كما ذكره الله عنهم : « وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الـكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشىء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتـكم إنّ هـذا لشىء يراد . ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إنْ هـذا إلا اختلاق » . فأمة تقول مثل هذا القول ، وتنابذ الداعى الى الدين الحق ، وتتقصده بالقتل حتى يختفى ويخرج من بلده فى جنح الظلام ، ويعتصم الى غار تفاديا من الطلب الذى أرسل وراءه ، كل هذا منها لا يدل على أنها كانت تتلمس دينا جـديدا أصلح من دينها الأول . وإنى أسأل القائلين بهـذا القول : أى أمة فى الأرض من أهل القرون الماضية طلبت أن تتبدل دينا جديدا بدينها الذى ورثته عن آبائها ، وسعت الى ذلك سـعيه ، فتم لها ما أرادت أو كادت ؟ ليس فى تاريخ البشر كله ما يدل على هـذا . وفى الأرض اليوم أمم لو انتقد الباحث أديانها لعجب كيف يسيغ قوم لهم عقول أن يدينوا بها فى عصر بلغ فيه العلم الى حد التحدث فى الصعود الى القمر ، ولم يكفهم المنظار الفلـكى ولا آلة تحليل الأشعة المنعكسة منه لمعرفة تركيبه المادى ؟

أما دعواهم بأن القبائل العربية كانت تتهيأ لجمع شتيتها ، والقيام على هيئة أمة قبل بعثة النبى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

صلى الله عليه وسلم ، فهى دعوى لا دليل لهم عليها ، بل لا أثر يؤثر عنها ، وإن أمة تدب فيها هـذه الروح ولا تؤثر عنها كلمة فيها أو بيت من الشعر أو أية حركة تنم عليها ، لأمر يوجب الدهش ، لا سيما وقد نقل الرواة من أخبارها كل صغيرة وكبيرة ، بل اختلقوا عليها ما شاؤا أن يختلقوه ، فلو كان لديها ميل للاجتماع لما خفى أمره ، ولكانت له شواهد كثيرة تشير اليه . وما حفز أصحاب التعليل الى هـذه الاختلاقات إلا حيرتهم فى تعليل حـدوث انقلاب خطير كالذى حـدث على يدى النبى صلى الله عليه وسـلم طفرة ، بدون أسباب مادية مهدت له آمادا طويلة .

ومما نسوقه من قبيل الاطراف فى هذا الباب أن الأستاذ مونتيه ، المدرس بجامعة جنيف ومترجم القرآن الكريم ، قدم لترجمته بمقدمة قال فيها : إن هذا الكتاب يحوى كثيرا من الأصول القيمة ، والتعاليم الصالحة ، وعبارته فى أعلى درجات البلاغة ، فلا يعقل أن يكون محمد والحالة هذه أميا ، لأن الأمى لا يستطيع بحال من الأحوال أن يأتى بمثل هذا العمل الأدبى الضخم !

فانظر كيف يتعسف الأستاذ مونتيه فى حكمه ، وينسب الكذب لأعظم رجل أنجبته الأسرة الآدمية ، ويعزو الغفلة لأمة برمتها ، لمجرد أن الكتاب الذى هو بسبيل الكلام عليه لا يمكن صدوره من أمى ! ذلك لرسوخه فى عقيدته من أن العلم والحكمة لا مصدر لهما إلا العقل البشرى ، وأنهما لا يمكن أن يأتيا من طريق الروح ، لأن الروح عنده لا وجـود لها ، والعالم الروحانى خيال بحت . ثم هو لا يريد أن يدع أمر صدور هذا الكتاب من رجل أمى أعجوبة خارقة للعادة ، يجب أن تتلمس أسبابها الحقيقية ، فرمى القول على عواهنه وعلله على النحو الذى رأيت !

وأرانى من ناحية مضطرا الآن أقول : إن الكثيرين ممن تناولوا منا السيرة المحمدية بالكتابة جعلوا معتمدهم الأساليب الخطابية ، والأفانين البيانية ، ولم يعنوا أقل عناية بحاجة العقول القوية المجبولة على التشكك والتثبت ، فأسرفوا فى إهمال الناحية الاقناعية ، وتهافتوا على الناحية التسليمية ، فجرهم هذا الموقف الى قبول كل ما وضعه الخراصون من المبالغات التى ضاهأوا بها ماورد من أمثالها عن الأمم المختلفة ، معاصين بذلك كل ماورد فى الكتاب من وجوب مجانبة الغلو فى القول ، وضرورة التثبت فى النقل ، والتمحيص فى الرواية ، فجاءت السيرة المحمدية زاخرة بالأقاصيص الخرافية ، والروايات الموضوعة ، والأشعار المصنوعة . فان تكن هذه الكتب المؤلفة فى السيرة المحمدية قد راجت لدى العامة ومن يجرى مجراهم ، فقد أهملها الخاصة ، وكان يجب أن تكون أول ما تتجه اليه عقولهم ، وتهوى اليه أفئدتهم . وقد تناول التأليف فى السيرة فى العهد الأخير رجال من أهل الثقافة الحـديثة ، فوفوا بحاجات فى نفوس الناس ، وبقيت حاجات أخرى لا تزال غـير موفاة ، بل بقيت نواح لفتت العلوم الراهنة الأنظار اليها ، ولم يطرقها قلم كاتب الى اليوم ، ولا يجوز أن تكون سيرة النبى صلى الله عليه وسلم على هذا

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

النحو من النقص ، وخاصة فى هذا العهد الذى بلغت الشكوك فيه أبعد مدى يمكن أن تصل اليه ، ووصل الاستخفاف فيه بأمر النبوات الى حد لم يبلغه حتى فى أظلم عهود الجاهلية .

لقد أصبح القول الفصل اليوم للعلم ، العلم الذى اتفق قادة الفكر الانسانى على تسميته بهذا الاسم ، وهو جملة المقررات اليقينية على الوجود وكائناته مما سُرِّيت عليه أصول الدستور العلمى ، فكل قول لا يحصل على تأييد هذا العلم أو على القليل لا يماشى أسلوبه ، ويترسم حدوده ، لا ينال من العقلية العصرية المكانة التى يراد أن تكون له . وقد رفض هذا العلم كل ما عرض عليه من أساطير الأولين حتى العقائد التى بادت فى سبيل الدفاع عنها أمم برمتها ، وهذا العلم اليوم واقف لنا بالمرصاد ، ليفعل بعقائدنا مثل مافعل بعقائد الذين سبقونا اليه ، والأمم الاسلامية اليوم محفوزة اليه بحكم التربية العصرية ، فوجب على القادرين منا على حمايته من الخطر العلمى أن يعملوا على شاكلتهم فى هذه السبيل .

***

ربما يخيل لمن يطلع على شرطنا إيراد السيرة النبوية على أصول الدستور العلمى ، أن جانب الاعجاز فيها سيكابد نقصا عظيما ، إن لم يغفل إغفالا تاما ، وإغفال هذا الجانب منها يجعلها أمرا طبيعيا ، فتفقد النبوة صفتها المميزة ، وتصبح سيرة النبى كسيرة أحد عظماء الرجال ، وليكن من الممكن إثبات أنه أعظمهم ، فتكون النتيجة سلبية من الناحية الدينية .

نقول : لا ، فاننا إن سرنا على شرط العلم فى إثبات الحوادث ، وعزوها الى عللها القريبة ، فإنه سيتألف من جملتها أمر جلل يقف العلم نفسه أمامه حائرا ، لا يستطيع تعليل صدوره عن فرد واحد ، وسيكون مضطرا بأن يعترف بأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان عبقريا من طراز خاص فاق به جميع العباقرة ، وهذا كسب عظيم للقائلين بنبوته ، لأن العبقرية فى العلم لا تعنى ما تعنيه فى عرف العامة . هى فى العلم ما يُلقَى فى روع العبقرى من علم أو عمل بدون جهد منه ، فيجىء فذا لاسابقة له ، يتخذ مثالا لغيره ولا يمكن تقليده . فالعبقرية بهذا المعنى العلمى تقرِّب معنى النبوة الى العقل ، وتسوغها فى العلم ، كما سنفصل ذلك تفصيلا فى الأعداد المقبلة .

إن ما تم على يد محمد صلى الله عليه وسلم أمور لا يسلم بها العقل ، لولا أنها حوادث لا يمكن نكرانها ، ولا الغض من جلالتها بوجه من الوجوه . فقد تم على يده : (١) توحيد الأمة العربية بعد أن كانت قبائل لا تجمعها جامعة ، ولا تعطفها على عناصرها عاطفة . (٢) قضاؤه فى أمة برمتها على وثنية كانت متوارثة فيها منذ آماد طويلة . (٣) وإحلاله محلها دينا ينافى ما كانت تدين به من كل وجه . (٤) وإحداثه إصلاحا اجتماعيا قلب طبيعتها من جاهلية مظلمة ، وإباحة متحكمة ، وغفلة متغلبة ، الى إنسانية متلألئة ، وفضيلة متوثبة ، ويقظة لا تدع فرصة الى الأغراض الشريفة ، والمقاصد النبيلة إلا انتهزتها ، حتى وصلت الى زعامة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

البشرية فى سنين معدودة . (٥) وتأسيسه دستورا حكيما وحملها على اتباعه ، فتأدت الى أكمل ما تتوق إليه جماعة من ترابط بين أجزائها ، وتكافل بين آحادها ، وتضافر بين جميع قواها المعنوية ، للوصول الى غاية ما يمكن الوصول إليه من مكانة بين الأمم . (٦) ووضعه آساس أمة عالمية لا يكون فيها للفروق القومية واللغوية واللونية أثر ، تقوم على دين واحد هو الدين الفطرى الأول ، وعلى شريعة واحدة تبنى على أصول الحق الطبيعى والعدل المطلق ، وتنشد غرضا واحدا هو الوصول الى أقصى ما قدر للانسان من كمال صورى ومعنوى معا .

هذه الأعمال كل واحدة منها ترفع مقيم صرحها الى درجة ممتازة من العبقرية تخلد له اسما خالدا بين أسماء عظماء النوع البشرى ، فما ظنك لو تمت كلها على يد رجل واحد ؟

وليس هذا كل ما فى هذا الموضوع ، فإن العبقريات التى تم لها توحيد الأمم أو إيتاؤها بدين جديد أو بدستور الخ ، إنما سلكت طريق السنة التدريجية للانتقالات الاجتماعية ، فأوجدت ما أوجدته من التجديد بواسطة أنقاض من الحالات السابقة ، لا تقوى على البقاء إلا زمنا محدودا ، ريثما تتهيأ الأسباب للامة الى الدخول فى دور انتقال جديد تمر به الى حالة أرقى من التى كانت فيها ، ولكن الرسالة المحمدية لم تسلك طريق تلك السنة الطبيعية ، ولم تستخدم أنقاض الحالات السابقة لبناء الحالات التى أوجدتها ، ولكنها جاءت بالمثل العليا التى ليس وراءها مذهب ، وأقامت صروحها فى بيئات طهرتها أولا من جميع البقايا الأثرية ، فجاءت أبنيتها قائمة على أسس لا تتزعزع ، حافظة لجدتها وروائها ما بقى الدهر .

مثال ذلك : يحدثنا التاريخ عن عبقريات وحدت بين قبائل كثيرة فجعلتها أمة ، ولكنها لم تجعلها أمة مثالية خالصة من جميع عيوب الجماعات البشرية ، فإنك تصادف فيها طبقات ذوات امتيازات مختلفة ، وطوائف متوزعة مرافق الأمة على قاعدة استبدادية تحكمية ، وتجد عامتها همـلا رعاعا لا حق لهم فى الوجود إلا بقدر الخدم التى يؤدونها للخاصة ، فهم مستعبدون ومحرومون من أكثر الحقوق التى يتمتع بها من فوقهم من منتحلى حق الوصاية عليهم ، فالأمة المؤلفة على هذه الشاكلة تسمى فى العرف أمة ، ولكنها فى حاجة الى تطورات متعاقبة ليخلص فيها الاجتماع من آفاته المنذرة بالفتن الداخلية .

أين هذا من المجتمع الذى دعا اليه الاسلام خالصا من جميع هذه العيوب ، وقائما على أكمل الأصول العمرانية ، فهو مجتمع متجانس التركيب ليس فيه طوائف مختارة ، ولا طبقات ممتازة ، ولا حوائل تمنع أى عقل عال ، أو فكر ناضج ، أو نظر ثاقب من إظهار نشاطه ، وإبراز مكنوناته لخدمة الجماعة ، ووصوله بجهوده الخاصة الى أرفع مكانة ؟ فكم تولى مناصب الحكم ، وزعامة الدين ، ورياسة العلم ، وقيادة الجند ، وتدبير الثروة العامة ، رجال من أجناس مختلفة ، وألوان متباينة ، وطبقات شتى ، لم يمنع أحدا منهم أصله أو جنسه أو لونه أو فقره

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عن الوصول الى المرتبة التي عينتها له مواهبه . هذا هو المجتمع المثالى الذى دعا اليه محمد صلى الله عليه وسلم وأوجده بالفعل .

وقل مثل ذلك فى الدين الذى أتى به ، والدستور الذى أسسه ، والتمدن الذى أقامه ، والاصلاح الذى بثه ، والمجتمع الذى ألفه ، فقد جاء فى كل هذه الشئون بالمثل العليا نفسها ، لا بحالات ساذجة أو متوسطة تحتاج لأن ترقى وتتطور على مدى الأزمان ، كما سنبين ذلك بالأدلة المحسوسة عند كلامنا عليها فى هذه السيرة . فهذه الأعمال منفردة أو مجتمعة لا يستطيع العلم أن يسلم بامكان وجودها فى عهد من العهود السابقة ، ولا بامكان اجتماع عبقرياتها جميعا فى رجل واحد . فهذا العجز من العلم يكفينا فى إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عند كلامنا عن حقيقة النبوة والوحى ، وأدلة ذلك من العلم نفسه ، إن شاء الله ؟

محمد فريد وجدى

الحلم عند القدرة

قال حكيم : الكريم أوسع ما يكون مغفرة ، إذا ضاقت بالمسيء المعذرة . قال شاعر فى هذا المعنى :

إذا اعتذر المسيء اليك يوما ... من التقصير عذرفتى مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه ... فإن العفو شيمة كل حر

وقال غيره وقد أبدى وجها صحيحا لقبول المعذرة ، وهو الوجه الذى يتناساه كثير من الناس ويعجزون عن الانتصاف من خصومهم ، فيسجلون على أنفسهم القصور والتقصير معا ، قال :

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... إن بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره ... وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقال أديب : ما أذنب من اعتذر ، ولا أساء من استغفر .

وقال محمد بن شيرذاذ : الأصاغر يهفون ، والأكابر يعفون .

وكتب بعضهم الى رئيس يعتذر اليه :

اغتفر زلتى لتحرز فضلى ... واعف عنى ولا يفوتك اجرى
لا تكلنى الى التوسل بالعذ ... ر لعلى أن لا أقوم بعذرى

وقال حكيم : إياك وما يسبق الى القلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره ، فما كل من أسمعته نكرا ، يطيق أن توسعه منك عذرا .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

جلالة الملك يفتتح معهد أسيوط

ويفتتح مؤسسات حكومية أخرى هناك

كان يوم الثلاثاء الرابع من شهر ذى الحجة موعدا لافتتاح « معهد فؤاد الأول الدينى بأسيوط» رسميا ، فرأى حضرة صاحب الجلالة الملك رعاية للعلم وأهله ، وإكبارا للدين وأعلامه ، أن يشرف حفلة الافتتاح بشخصه ، فامتطى جلالته فى منتصف الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم متن طائرة حربية تحرسها إحدى عشرة طائرة أخرى ، فوصل الى منقباد ، وهى على بعد اثنى عشر كيلو مترا من أسيوط ، قبيل الساعة العاشرة . فكان فى استقبال جلالته رئيس أركان حرب الجيش وضباط حامية أسيوط . وبعد زيارة جلالته للمطار وثكنات الجيش قصد أسيوط فوصلها بعد الساعة العاشرة ، ببضع دقائق . فكان فى استقباله فيها صاحب المجد النبيل عباس حليم ، وأصحاب المقام الرفيع والدولة والمعالى والسعادة محمد طاهر باشا ورئيس الوزراء والوزراء وكبار رجال السراى ووكلاء الوزارات ومدير السكك الحديدية ومدير أسيوط وشيوخ المديرية ونوابها وكبار الضباط والأعيان فيها . وبعد أن افتتح جلالته محطتها شرف دار الاسعاف الجديدة وافتتحها . ثم قصد جلالته معهد فؤاد الأول فكان فى استقبال جلالته حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر ، وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الفحام وكيل الأزهر ، وأصحاب الفضيلة شيوخ الكليات وأعضاء مجلس الأزهر الأعلى والمفتشون وفى طليعتهم سعادة الأستاذ الكبير خالد حسنين بك ، فتقدم جلالة الملك بين صفين من الطلبة فى مدخل المعهد فاستقبلوه هاتفين داعين . ثم تفضل فتصدر السرادق الفخم الذى أعدته مشيخة الأزهر فى متنزه المعهد .

عند ذاك نهض حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام وألقى بين يدى جلالته خطبة عالية الكعب فى البلاغة ، سامية القدر فى البيان ، أوجزت داء المسلمين ودواءهم فى أسطر معدودة ، وبعبارات متخيرة خلابة ، ونظم مؤثر رائع . قال حفظه الله :

مولاى صاحب الجلالة :

لهذا المعهد المبارك قصة فيها عبرة ، فقد حدثنا الرواة أن والدكم العظيم صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول زار مدينة أسيوط وشاهد ماشاهد من قصورها الفخمة ومعاهدها الضخمة ، ولم ير بينها دارا لتعليم علوم الدين الاسلامى تناسب جلال المدينة وسكان عاصمة الصعيد ، وتليق بما يدرس فيها من علوم القرآن الكريم وآثار السلف من المسلمين ، فلم ترض نفسه الكريمة إلا بأن يكون لهذه المدينة مبنى للعلوم الدينية يطاول بشامخ أركانه ماراق جلالته من عمائرها العالية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومعاهدها العظيمة ، ويتمايل فى جلاله الى ماتتناوله تلك الدراسات الدينية العالية ، فأمر بأن تشاد هذه الدار ، وصدع أولو الشأن بأمره ، وقام هـذا المعهد الرفيع العماد الذى تشرفونه اليوم يا صاحب الجلالة بالزيارة الـكريمة ، وتفتتحونه رسميا للدرس والبحث .

مولاى :

كان فى حياة والدكم العظيم عبرة للناس عامة ، وللعلماء والملوك خاصة . فقد كان ، وهو ملك عظيم يدبر الملك ويسوس الدولة ، ويقف بنفسه على جلائل الأمور ودقائقها ، يعنى بالدراسة والبحث فى كل ما تتجدد به الحياة العلمية من آثار المؤلفين وآراء المصلحين ، ويعنى بإنهاض العلم وترفيه حياة العلماء . وكان شديد الايمان بالله ، قوى التوكل عليه ، عظيم الصبر على ما كان يضطلع به من أعباء جسام ، حريصا على تقاليد الاسلام وعلى مكارم الأخلاق . ذلك الى نفاذ بصيرته ورجحان عقله وصحة رأيه . وانطباع نفسه العلية على خلال الخير ، هو السر فى حرصه على إقامة دور العلم ، وحرصه على إصلاح نظم التعليم وإعلاء شأن علماء الدين ، ورفعهم الى مراتبهم اللائقة بهم . وهو السر فى إنشاء هذا المعهد ، وما فكر فى إنشائه قبله من كليات الأزهر ودور كتبه ومعاهده وغيرها من دور العلم التى يخطئها العد ، والتى هى حسنات ستوضع فى ميزانه عند الله يوم القيامة ، يوم توزن الأعمال وتوفى كل نفس ما عملت ، وسترفعه عند ربه بفضله ورحمته الى منازل من رضى الله عنهم ورضوا عنه إن شاء الله .

حسبى هـذا الآن ، غير أن حسنة من حسنات المغفور له والدكم العظيم لا يجوز لى أن أمضى فى القول دون الاشارة اليها والاشادة بذكرها : تلك هى تنشئته ولده العظيم صاحب الجلالة الملك المحبوب فاروقا الأول — أعزه الله ورفع ذكره — على ذلك المثال الرفيع من الثقافة الدينية والمدنية ...

مولاى :

ورثت عن والدك عزمه ومضاءه ، وإيمانه بالله ووفاءه ، وورثت عنه خلال الخير ومقومات البر ، وورثت عرش مصر التى تفديك بالنفوس ، وتقيك بـكل عزيز . وشعبها الشجاع الخير له فيك آمال كبار أن تنهض به الى الحق والعدل ، والى العلم والدين ، والى الخلق والعمل ، والى العزة والمجد . ولك من قوة الشباب ومن واضح الرأى ومضاء العـزم ، ومما تبادله شعبك الأمين من صادق الولاء والحب ، ماهو كفيل بحسن التوجيه الى السداد ، والتوفيق الى مواطن الرقى ، بفضل من الله وعون منه .

مولاى :

فى شباب أمتك حياة متوثبة متطلعة الى المجد ، نزاعة الى المعالى ، ولـكن هذه الحياة تشبه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حياة نهر فياض لم توضع له السدود، ولم تشق منه الجداول، ولم تحكم بعدُ طرق استثماره، فهو فى حاجة الى هذا كله، وفى حاجة الى الرفق والحزم، وأنت خير من يرجى لهذا، أعانك الله وسدد خطاك، وأسعد بك رعيتك !

مولاى :

فُتنت بعض شعوب الشرق بمظاهر الغرب ونظمه، وأسرفت فى انتهاج كثير من أساليب الحياة فيه، واستعارت الرث الخلق من ثيابه مع قليل من جديده، ولفقت من زيها الأول ومن هذه الرقاع المستعارة لباسا مشوها لا هو شرقى ولا هو غربى، وأصبحت حياتها الاجتماعية أيضا ملفقة لا هى دينية ولا هى غير دينية، وكلما هبت الريح طارت رقعة من هذا الزى، والناس فى هم مقعد مقيم من ضم هذه الرقاع بعضها الى بعض.

ألم يأن لهذا البلد الطيب أن تجتمع فيه قوى الخير فتنسج للحياة المصرية ثوبا تؤخذ خيوطه من مقومات الشعب ومزاجه ودينه وتاريخه وتقاليده الصحيحة، ثم يخاط هذا الثوب على قده ليستطيع السير فيه والنهوض بأعباء الحياة المريرة الثقيلة فى هذا العصر المادى المليء بجموح الشهوات ؟

شيء من عناية مولانا الملك الكريم وعزمه، وشيء من حب الرعية للوطن، وشيء من الحكمة والخوف من الله، وشيء من الإيثار وطرح الأنانية، كل أولئك كفيل بالخير موصل الى السعادة إذا خلصت النيات واتجهت القلوب الى الله، واعترف الناس بالمصير فى الآخرة وما أعد الله فيها من عذاب أليم للأشرار، ونعيم مقيم للأخيار.

مولاى :

نحتفل اليوم بدار للعلم والدين بناها والدك العظيم، وهناك معهدان جديران بالذكر أنشئا فى عهدك الزاهر، وأقيما بأمرك الكريم : أحدهما فى شبين الكوم عاصمة مديرية المنوفية، والثانى فى عاصمة مديرية قنا، وهما الآن عامران بذكر الله، مليئان بالدرس والبحث، تشرق منهما شموس الهداية والعلم والدين. وإنى لأرجو أن يكون يوم الاحتفال بافتتاحهما على يد جلالتك الطاهرة قريبا، بفضل الله وعونه.

مولاى :

كان الله لك وأعانك ووفقك، وكان معك فى سرك وعلنك، وفتح لك باب الخير، ويسر لك طريق الرشد، إنه نعم المولى ونعم النصير !

والآن أرجو أن يسمح مولانا — أدام الله توفيقه — فيتفضل بزيارة معهد فؤاد الأول الدينى العلمى، ويفتتحه على بركة الله، وباسم الله، وعون الله.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بعد أن أتم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام إلقاء خطبته ، تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فتفقد المعهد ، ودخل الى حجرات الطلبة واستمع لبعض المدرسين ، وأنصت لتحية طالبين من طلبة المعهد ، وأصغى جـلالته الى مناقشة فضيلة الأستاذ الامام لبعض الطـلاب فى قواعد اللغة .

وبعد زيارة جلالته لحجرات التدريس ، تفضل بتفقد قاعة المحاضرات والسينما ، والمعامل العلمية ، ومساكن الطلاب .

ثم تلطف جلالته فزار حجرة شيخ المعهد ، فألقى فضيلته بين يديه هذه الـكلمة :

مولاى صاحب الجلالة :

تفضلتم فى هذه الرحلة الميمونة ، بافتتاح المعهد العظيم « معهد فؤاد الأول » فأضفتم بذلك الى مبراتـكم المتوالية ، وحسناتكم المترادفة ، حسنة كبرى ، يتوارث ذكرها الأبناء عن الآباء ، ونسجلها على صفحات قلوبنا المفعمة بالحب والاخلاص .

ياصاحب الجلالة :

قد رفعتم بتشريفكم هذا شأن العلم والعلماء ، وأذكيتم عوامل النشاط فى أساتذة المعهد وطلابه ، ليصلوا الى الحلية العلمية التى ترضى جلالتكم ، والتى حرصتم على أن تتحلى بها رعيتكم ، المتفانية فى حبكم ، الصادقة فى التعلق بسدتكم ، المخلصة فى التمسك بعرشكم المفدى .

ياصاحب الجلالة :

يكون لنا الشرف السامى ، إذا تفضلتم جـلالتكم ، فتقبلتم منى ومن أساتذة المعهد وموظفيه ، وطلابه — شعائر الإخلاص والولاء ، وجميل الشكران والثناء .

نسأل الله تعالى أن يحفظ ذاتكم الـكريمة ، وأن يحرسكم بعين عنايته وعظيم رعايته ، وأن يشرح صدركم ببلوغ أمانيكم فى شأن أمتكم السعيدة ، وبلادكم العزيزة ، إنه سميع مجيب الدعاء !

وإنى بهذه المناسبة الـكريمة ، أتقدم الى حضرة صاحب الجـلالة مولاى الملك المعظم ، ملتمسا من جلالته أن يتفضل بالتوقيع بامضائه الـكريم ، على سجل الزيارة والاحتفال ، ليتم لنا بذلك الشرف الأسمى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

سبق الكلام على الجملة الأولى ، أما قوله تعالى : « الله الصمد » فهو مبتدأ وخبر . وقيل : الصمد نعت والخبر ما بعده . وليس بشيء . والصمد فى تفسيره عبارات كثيرة : قال ابن الأنبارى : لا خلاف بين أهل اللغة أنه السيد الذى ليس فوقه أحد ، وهو من يصمد اليه الناس فى حوائجهم وأمورهم . وقال الزجاج : هو الذى ينتهى اليه السؤدد ويقصده كل شىء ، وأنشد :

لقد بكر الناعى بخير بنى أسد ... بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وكذلك قول الآخر :

علوته بحسام ثم قلت له ... خذها خزيت فأنت السيد الصمد

وهو تهكم من ذلك القائل .

ويقول ابن عباس : إنه السيد الذى كمل فى سؤدده ، والشريف الذى كمل فى شرفه ، والعظيم الذى كمل فى عظمته ، والحكيم الذى كمل فى حكمته . وعن أبى هريرة أنه المستغنى عن كل أحد ، المحتاج اليه كل أحد وعن ابن جبير : هو الكامل فى صفاته وأفعاله . وعن الربيع : هو الذى لا تعتريه الآفات . وعن مقاتل بن حيان : هو الذى لا عيب فيه . وعن قتادة : هو الباقى بعد خلقه . ونحوه قول معمر : هو الدائم . وقال مرة الهمدانى : هو الذى لا يبلى ولا يفنى . وعنه أيضا : هو الذى يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه . وعن الحسن البصرى ومجاهد وغيرهما أنه : الذى لا جوف له . وعن ابن مسعود : الصمد : الذى ليس له أحشاء . وهو رواية عن ابن عباس .

وليس يخفى عليك أن أكثر هذه التفاسير منظور فيها لما جاء فى القرآن من وصف الله تعالى بالصمد ، وإلا فهو فى لغة العرب لا يفسر بهذه الأوصاف التى لا تنطبق إلا على الله عز وجل كما عرفته من الشعر السابق .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والخلاصة : أن المختار من تلك الأقوال التى ذكرناها والتى لم نذكرها أنه السيد الذى يصمد اليه الخلق ، وهو بمعنى المفعول : أى المصمود اليه ، يقال : صمده وصمد اليه : أى قصده والتجأ اليه . وإطلاق الصمد بمعنى السيد عليه تعالى مما لا خلاف فيه ، وإن كان فى السيد نفسه خلاف ، والصحيح إطلاقه عليه عز وجل .

هذا وقصد المخلوقات إياه تعالى بالحوائج أعم من القصد الارادى ، والقصد الطبيعى ، وهو القصد بحسب الاستعداد الأصلى الثابت لجميع الماهيات ، إذ هى كلها متوجهة اليه تعالى فى طلب كمالاتها منه عز وجل .

وتعريف «الصمد» دون «أحد» فى الجملة السابقة ، قيل لعلمهم بصمديته تعالى دون أحديته . والأولى أن يقال : إن التعريف لإفادة الحصر ، كقولك : زيد الرجل . ولا حاجة اليه فى الجملة السابقة ، فان مفهوم أحد يقتضى التنزه عن أنحاء التركيب والتعدد مطلقا ، الى آخر مابيناه سابقا ، مع أنهم لا يعرفون أحديته تعالى ولا يعترفون بها ، فلا محل للتعريف .

ولك أن تقول : إن أحدا فى غير النفى والعدد لا يطلق على غيره تعالى فلم يحتج الى تعريفه ، بخلاف الصمد فانه جاء فى كلامهم إطلاقه على غيره عز وجل ، أى كما فى البيتين السابقين .

وتكرار الاسم الجليل دون الإتيان بالضمير ، قيل : للإشعار بأن من لم يتصف بالصمدية لم يستحق الألوهية ، وذلك على ماصرح به الدوانى مأخوذ من إفادة تعريف الجزأين الحصر ، فإذا قلت : السلطان العادل ، أشعر بأن من لم يتصف بالعدل لم يستحق السلطنة . وإذا كانت الصمدية لازمة للألوهية لم يستحق الألوهية من لم يتصف بها . ولم يكتف بمسند واحد بأن يقال : الله الأحد الصمد ، للتنبيه على أن كلا من الوصفين مستقل فى تعيين الذات والاختصاص بها .

وترك العاطف فى الجملة المذكورة لأنها كالدليل على ما قبلها ، فإن من كان غنيا لذاته محتاجا اليه جميع ماسواه ، لا يكون إلا واحدا ، وما سواه لا يكون إلا ممكنا محتاجا اليه .

والقرآن له عناية بالغة بذكر الأدلة فى باب التوحيد تلويحا وتصريحا كما لا يخفى على المتأمل البصير .

وبهذه المناسبة نقول : إن قول ذلك الفيلسوف الذى نقلته مجلة الأزهر فى عددها الثامن من السنة الماضية : « إن أدلة القرآن على توحيد الله تعالى إجمالية» غير صحيح ، وكأنه اغتر بما يراه فى كتب المتكلمين من العبارات الطويلة والأسئلة والأجوبة ، الى آخر ماتعرفه من كلامهم . ولو تبصر قليلا لعرف أن طريقة القرآن أصح وأوضح وأقرب من تلك الطرق كلها ، وهى نافعة للخاصة والعامة ، بخلاف طريقة المتكلمين والمتفلسفين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والقرآن يبين فى وضوح أن كل شىء آية من آياته ، ودليل على وجوده وعظيم صفاته . وكان بودى أن أبسط الكلام على مافى القرآن من البراهين والآيات التى لم يصل إليها هؤلاء الفلاسفة والمتكلمون ، ويعلم الله أن كل ما عندهم من حق فهو جزء مما دل عليه القرآن فى غير موضع .

وإن شئت فانظر الى الاستدلال البديع الذى فى نهاية الايجاز والاعجاز فى قوله تعالى : « أم خُلقوا من غير شىء أم هم الخالقون » وقوله : « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » .

وقد أذكرنى هذا ماقاله بعض فلاسفة المتكلمين ، وأظنه ابن سينا : « كنت أشتهى أن يرى أرسطو ذلك الدليل البديع على البعث فى قوله : « قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

أما الاستدلال على قدرته وحكمته فى القرآن الشريف فأكثر من أن يحصى ، وأكثر من أن يستقصى ، فى مثل قوله « فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » ، ويقول : « فى أى صورة ماشاء ركبك » « ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين » « أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت » ، ويقول : « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون . ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين » الى آخر تلك الآيات التى اختتمها بقوله « ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره » . وقد قال بعض الفلاسفة : « يكفينى فى الاستدلال على الله وجود الأنثى بجانب الذكر » . ويقول تعالى « أأنتم أشد خلقا أم السماء ، بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعا لكم ولأنعامكم » . ويقول : « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء ، أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه ، أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » . ويقول مخبرا عن الانسان مستلفتا نظره الى تلك الآيات البينات : « ألم يك نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى » . ويقول : « أمّنْ خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون » الى آخر الآيات التى جاءت فى تلك السورة .

ومن عجيب تصرف القرآن فى الاستدلال على الله ما يسلكه فى كثير من السور من تلك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الطريقة البديعة ، فيقسم بأشياء تستلفت الأنظار ، وتستهوى الأفكار ، لدى من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فيقول : « فلا أقسم بالخنّس ، الجوار الكنّس ، والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس » . ويقول : « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاّها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سوّاها » ويقول : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون » .

ولعله لايغيب عنك ما ذكره فى الاستدلال على البعث ، وهو استدلال على وجوده تعالى وقدرته ورحمته : « ياأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقرُّ فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وأنه على كل شىء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور » . ويقول : « وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون » ويقول : « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » .

ولتعلم أن من عادة القرآن التفنن فى ذكر الآيات ، علما منه بما جبلت عليه النفوس من الجهل والغلظة ، كما قال فى حق الانسان : « إنه كان ظلوما جهولا » ، ويقول : « قتل الانسان ما أكفره . من أى شىء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره . ثم السبيل يسّره . ثم أماته فأقبره . ثم إذا شاء أنشره ، كلا لما يقض ما أمره . فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم » . ويقول : « إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله فأنى تؤفكون . فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون . وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، وجناتٍ من أعناب ، والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ، إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » . الى آخر ما جاء فى القرآن الشريف من ذلك وهو كثير « فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون » .

جراب(٤) مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وما أجدرنا أن يقول كل منا كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور بصري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي وغمي » ! فقل لي بأبيك أين هذا من تلك العبارات المظلمات التي تراها مختلطة بتلك الشبهات وهاتيك التشكيكات من التهافت وتهافت التهافت مما يثير الأوهام ويفسد الأحلام ؟ ! « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ » ؟

يوسف الدجوي
عضو جماعة كبار العلماء

أحسن ما قيل في وصف الجنود

اليوم وحكومتنا تعمل جاهدة لا يجاد جيش يصلح للذياد عن البلاد ، وحمايتها ممن يقصدها بسوء ، يشوقنا أن نقرأ ما جادت قرائح شعرائنا القدماء في وصف جيوشهم ، لنعيد بذلك الى الأذهان صفحة من تاريخ مجدنا السابق ، راجين أن نسترده بجهودنا في العصر الراهن .

قال ابن عبد ربه صاحب العقد :

وجيش كظهر اليم ينفحه الصبا ... يعب عبابا من قنا وقنابل
فينزل أولاه وليس بنازل ... ويرحل أخراه وليس براحل

وقال أبو الفرج الببغا :

فإذا الجياد الى الجياد عوابسا ... شعثا ولولا بأسه لم تنقد
في جحفل كالسيل أو كالليل أو ... كالقطر طافح قطر بحر مزبد
متوقد الجنبات تعتنق القنا ... فيه اعتناق تواصل وتودد
متعنجر بضيا الصوارم مبرق ... تحت العجاج وبالصواهل مرعد
رد الظلام على الضحى واسترجع ال ... إصباح من ليل الغبار الأربد
وكأنما نقشت حوافر خيله ... للناظرين أهلة في الجلمد
وكأن طرف الشمس مطروف وقد ... جعل الغبار لها مكان الإثمد

وقال غيره :

خميس إذا أخفى سنا الشمس نطقه ... أضاء وأبداه الحديد المسرد
تواجهه هوج الرياح فينثني ... وتحمله الأرض الوقور فيرعد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

الربا

عن جابر رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : هم سواء » . رواه مسلم وغيره .

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور : (١) بيان أقسام الربا وتعريف كل قسم . (٢) حكم ربا النسيئة ودليله وحكمة مشروعيته . (٣) حكم ربا الفضل ودليله . (٤) تفصيل الأشياء التى تصح فيها المبادلة والتى لا تصح فى المذاهب . (٥) هل يجوز لكاتب مسلم أن ينكر الأحاديث المتفق على صحتها بدون أن يفهم معناها فهما صحيحا ثم يدعى أنها من وضع اليهود والمجوس ؟

(١) إن موضوع الربا قد كتب فيه كثير من علماء المسلمين ، وأبانوا ما قاله فيه أئمتهم بيانا وافيا ، ولعلى قد وفيته بعض حقه فى الجزء الثانى من كتابى (الفقه على المذاهب الأربعة) . ومع هذا كله فقد قرأت فى الجزء التاسع من مجلة الأزهر مقالا لأحد (الأندونسيين) ذهب فيه الى حل ربا الفضل والنسيئة إذا لم تكن أضعافا مضاعفة . ومن الأسف أنه فهم الأحاديث فهما معكوسا ثم حكم بأنها موضوعة ، فبعثنى ذلك الى أن أجعل مقالى هذا فى موضوع الربا . والى القراء البيان :

(١) قسم جمهور الفقهاء الربا الى قسمين : ربا الفضل ، وربا النسيئة . فأما ربا الفضل فهو زيادة أحد البدلين المتجانسين بدون أن تقابل هذه الزيادة بعوض ، مع التقابض . مثال ذلك : أن يبيع شخص أردبا من القمح بأردب وكيلة من القمح المماثل لقمحه ويقبض كل واحد من البائع والمشترى ما يخصه بدون تأجيل ما . ومثل ذلك ما إذا اشترى شخص عشرة مثاقيل من الذهب المصوغ بذهب مصوغ مثله ، قدره اثنا عشر مثقالا . فاذا أجل البائع القبض كان من ربا النسيئة الآتى بيانه . ويسمى الشافعية مثل هذا بربا اليد .

وأما ربا النسيئة فهو زيادة أحد البدلين سواء أكانا متحدى الجنس أم لا ، بدون أن تقابل هذه الزيادة بعوض سوى تأخير الدفع . ولذا سمى ربا النسيئة ، فان النسيئة معناها التأخير . مثال ما اختلف فيه الثمن والمبيع : أن يشترى أردبا من القمح بجنيهين على أن يدفعهما له

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جنيهين ونصفا إذا أجل له دفع الثمن مدة معلومة . ومثال ما اتحد فيه الثمن والمبيع : أن يشترى منه أردبا على أن يدفعه له أردبا ونصف أردب بعد مدة معينة . ومثل ذلك ما إذا أقرضه عشرين جنيها على أن يأخذها منه ثلاثة وعشرين بعد مدة . فالزيادة التى زادت على ثمن القمح ربا محرم لأنها لم تقابل بعوض مالى . ولا يصح أن يقال : إن العوض هو تأخير الدفع ، لأن تأخير الدفع ليس بعوض فى نظر الشريعة الاسلامية المبنية على إغاثة المكروب وتوثيق صلات المودة بين أفراد المجتمع . فذلك هو حد ربا الفضل وربا النسيئة . وقد يقال : إن الشافعية يشترطون فى عقد البيع وغيره من العقود أن يكون بإيجاب وقبول لفظا ، سواء كان ذلك اللفظ صريحا فى البيع أو كان كناية ، فلا يتحقق عقد الربا إلا بلفظ من الألفاظ الدالة على البيع : كأن يصرح البائع بلفظ البيع ونحوه ، والمشترى بلفظ يدل على القبول ، فيقول مثلا : بعتك هذا الأردب من القمح بمائة وخمسين قرشا على أن آخذها بعد ستة أشهر مائتين ، فيقول له : قبلت أو اشتريت أو نحو ذلك . ومثله ما إذا قال الآخذ : أقرضنى عشرين جنيها على أن أدفعها لك خمسة وعشرين بعد حول ، فيقول له المعطى : قبلت . فهذا مثال الصريح . وأما الكناية فكأن يقول له : أعطيتك هذا بذاك ، فانه ينعقد بها البيع وإن لم يصرح بالالفظ الدال على البيع أو الشراء أو القرض .

ومما لا ريب فيه أن معظم الذين يتعاملون الآن مع المصارف المالية وغيرها لا يصرحون بلفظ الايجاب والقبول ، بل هم يكتفون بالتعاطى وبالامضاء بدون نطق . وعلى هذا فلا تحقق ماهية الربا أصلا عند الشافعية . وهذا حسن ، ولكن الشافعية الذين صرحوا بذلك قالوا فى كتبهم أيضا : إن المعاملة على هذا النحو أشد إثما من أكل الربا الصريح ، فقد ذكروا أن مثل هذا النوع من المعاملة من باب أكل أموال الناس بالباطل . فالمسألة شكلية . والشافعية مع غيرهم فى فساد هذا النوع من المعاملة .

(٢) حكم ربا النسيئة ودليله وحكمة مشروعيته : فأما حكمه فقد عرفت أنه من الجرائم المحرمة ، ولم يقل أحد من المسلمين بحله ، بل هو من أكبر الكبائر التى جزاؤها الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة . وأما دليل تحريمه فهو الكتاب والسنة والاجماع . فأما الكتاب فقد حرمه الله فى غير موضع من القرآن الكريم ، وحذر الناس من شره تحذيرا شديدا ، وأخافهم مما يترتب عليه من سوء المصير ، قال تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم » . « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » . فكل مؤمن له قلب يخشى ربه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويخاف عقابه ويرجو رحمته ، يقدر ما اشتملت عليه هذه الآية من الزجر الشديد والوعيد الذى تقشعر منه جلود المؤمنين . وكفى بذلك زجرا ووعيدا . وأما السنة الصحيحة فيكفى منها الحديث الذى معنا ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم قد لعن آكل الربا وهو صاحب المال الذى يسلفه بفائدة ، ولعن موكله وهو المدين الذى يستدين بفائدة يعطيها لصاحب رأس المال فيوكله إياها ، بل لعن الكاتب والشاهد لأنهما أعانا على ما نهى الله عنه . وفى ذلك من الوعيد ما لا يخفى . وعلى ذلك فقد أجمع أئمة المسلمين وأولو الرأى على ذلك التحريم ، ولم يشذ منهم أحد .

ثم إن الآية الكريمة قد صرحت ببيان معنى ربا النسيئة المحرم ، فقد قال تعالى : « فإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » وهذا نص صريح على أن الذى يستحقه صاحب الدين إنما هو رأس المال بدون زيادة ما ، وكل زيادة عليه ظلم . ولم تترك الآية الكريمة المدين المماطل إذا كان قادرا على سداد دينه ، بل حذرته من ذلك ووصفته بالظلم كما وصفت آكل الربا . فاذا حاول المدين القادر عدم السداد أو حاول سداد بعض الدين وأكل بعضه استحق عقوبة آكل الربا فى الدنيا والآخرة . ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « مطل الغنى ظلم » . وقال : « لىّ الواجد يُحل عرضه وعقوبته » . ومعنى لى الواجد : مطل الغنى الذى يجد ما يسد به دينه ، فمتى كان قادرا على سداد رأس المال فانه يجب عليه أن يفعل ، وإلا استوى فى الظلم مع آكل الربا . وهذا المعنى مجمع عليه من أئمة الدين . فربا النسيئة محرم عندهم قليلا كان أو كثيرا ، ولكن طغيان الشهوات على الناس دفعهم الى التورط فى الربا وهم لا يشعرون ، فأفضى ذلك ببعض المتعلمين الى تلمس باب ينفذون منه الى جواز حل الربا اليسير ، فمع تسليم جميع الباحثين بتحريم ربا النسيئة بالنص فان بعضهم يقول إن القليل منه لا يحرم دينا . واستدلوا لذلك بقوله تعالى فى سورة آل عمران : « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » فان هذه الآية تفيد أن المحرم إنما هو الربا المضاعف ، فاذا كان غير مضاعف فانه يكون حلالا . ولكن فهم هذه الآية على هذا الوجه خطأ صريح ، وذلك لأنها بيان لحالة خاصة كانوا عليها قبل التحريم ، وفيها معنى التوبيخ والزجر . فقد ورد أن صاحب الدين كان يقول للمدين الذى حل أجل دينه : إما أن تقضى حقى أو تربى وأزيد فى الأجل ، فيرضى المدين بالزيادة التى يفرضها عليه فى نظير تأخير الدين ، وبذلك يضاعف الربا . وهذه حالة من أسوأ حالات الربا المحرم . ولهذا زجر الله المؤمنين عن هذه الحالة زجرا شديدا ، فقد قال بعد ذلك : « واتقوا الله لعلكم تفلحون . واتقوا النار التى أعدت للكافرين » . وفى ذلك تسوية للمؤمنين المرابين بالكافرين فى دخول النار . ولذا كان أبو حنيفة رضى الله عنه يقول : هذه أخوف آية فى القرآن ، حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه من اجتناب ما حرمه .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وبهذا تعلم أن الآية الأولى بيان لحكم الربا وأنه لا يحل أكله قليلا كان أو كثيرا ، وآية آل عمران حكاية لحالة خاصة كانوا عليها . ولو كان الغرض منها تقييد الحكم كما فهمه بعض الباحثين لجاز أن يؤكل منه ما كان أقل من الأضعاف ولو زاد على رأس المال . ولنفرض أن أقل الجمع ثلاثة ، فعلى هذا الرأى المضحك المبكى يجوز للمرابين أن يأخذوا فوائد مضاعفة ثلاث مرات إلا قليلا . وهل هذا كلام يقوله باحث بعد قوله تعالى : « فإن تبتم فلكم رءوس أموالكم » ، وبعد إجماع أصحاب رسول الله ومن نقل عنهم الدين من مجتهدى هذه الأمة على أن قليل ربا النسيئة حرام ككثيره بلا خلاف ، فضلا عما فى ذلك من إرهاق المدين إرهاقا حرمته الشرائع الوضعية نفسها ؟

ومن الأسف أن الكاتب الأندونوسى لم يكفه الحكم بوضع الأحاديث المتفق على صحتها وقال إنها من وضع اليهود والمجوس، وهو غافل عن فهمها تمام الغفلة كما ستعرفه ، بل تجاوزها الى تفسير كتاب الله تعالى بما يشتهى فقال : « إن المحرم هو الربا المضاعف أضعافا » ، فكأن الله تعالى يداعب مرابى العرب ويشجعهم على الربا الذى يستنزف أموال الناس بشرط أن لا يصل الى الأضعاف المضاعفة ! وأغرب من هذا أن يستدل على ذلك بأن الربا المقيد بالأضعاف هو المراد من الحكم لأن القاعدة عند علماء الأصول أن المطلق يحمل على المقيد ويقيد بقيده ، فآية البقرة التى ورد فيها تحريم الربا مطلقا يجب تقييدها بآية آل عمران فلا يحرم الربا إلا إذا كان أضعافا مضاعفة .

وإنى أختصر الكلام فى هذا الموضوع تسهيلا لحضرات القراء فأقول له : على فرض أن ها هنا « مطلق ومقيد » فإن الذين يقولون بحمل المطلق على المقيد هم السادة الشافعية ، وهؤلاء قد أجمعوا على أن عقد ربا النسيئة حرام ، وأنه كبيرة من الكبائر سواء كان بفائدة كبيرة أو يسيرة . أما الحنفية فانهم يقولون : لا يصح حمل المطلق على المقيد ، بل يجب العمل بالمطلق وبالمقيد متى كان ممكنا كما فى هذا المقام ، فان الله سبحانه قد حرم الربا فى آية البقرة تحريما مطلقا سواء كان قليلا أو كثيرا ، أما فى آية آل عمران فقد نص على تحريم الربا المضاعف ، فتحصل من هذا تحريم الربا بجميع أحواله . وفى ذلك من الزجر الشديد ما لا يخفى .

على أنك قد عرفت أن آية آل عمران إنما هى بيان لحالة واقعة كان عليها العرب فى الجاهلية ، فلم يقصد منها التقييد مطلقا ، ولذا لم يفهم منها أحد من أئمة الشافعية الذين قالوا بالتقييد سوى هذا المعنى . ولكن يظهر أن حضرة الكاتب الأندونوسى مشبع بضرورة استعمال الربا لأن الظرف المحيط به يقضى عليه بذلك . وإذا كان كذلك فان المسألة تخرج من باب الجرأة على كتاب الله وأحاديث رسوله الصحيحة ، ومحاولة تطبيق نصوص الدين بالباطل ، الى باب آخر وهو أن الضرورة الملحة قد قضت بهذا النوع من المعاملة الفاسدة ، وحينئذ يمكنه أن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يجد له مخرجا . أما إذا لم تكن ضرورة تتوقف عليها حياة الأمم كما تتوقف حياة الأفراد على سد رمقهم بما لايحل ، فمن المحال أن يوجد نص فى الدين يبيح أكل ربا النسيئة قليلا كان أو كثيرا .

أما حكمة تحريم ربا النسيئة فيمكن أن يسأل عنها أرباب الأملاك الذين أضاعوا ثروتهم وأصبحوا عالة على المجتمع الانسانى هم وذرياتهم ، فانهم مثل قائم لمن تحدثه نفسه بالتورط فى هذا النوع الفاسد من المعاملة . على أن الدين الاسلامى كغيره من الأديان الإلهية قد فرض على النوع الانسانى أن يعين بعضه بعضا عند الحاجة ، ونهى عن إرهاق المضطرين وانتهاز فرصة احتياجهم للقضاء عليهم . فلذا شرع القرض للمحتاج بدون فائدة ، ووعد الذين يغيثون المضطرين وينقذونهم من بلوائهم وعدا كريما وأجرا عظيما . فاذا فقد هذا المعنى من أنفس الناس وأصبحوا ماديين من جميع جهاتهم ، كان فى ذلك القضاء على عوامل الرفق والرحمة بالإنسان ، وإماتة روح التعاون والتناصر فى هذه الحياة الدنيا ، وذلك شر وبيل . فالانسان من حيث هو إنسان له قلب يدرك به معنى الحاجة والاضطرار ، يجب عليه أن يكون ذا عاطفة كريمة تأبى عليه أن يستغل فرصة احتياج أخيه فيوقعه فى شرك الربا فيقضى على ما بقى فيه من حياة مادية . على أن فى الربا فتح أبواب الشهوات الكمالية لضعاف الارادة والعقول ، فتدفعهم شهواتهم الى الدخول فى باب الربا ليحصلوا على أكبر قسط ممكن من اللذات التى تأكل ما بأيديهم من رءوس أموالهم كما تأكل النار الحطب ، فلا يفيقون إلا بعد أن يلتهم الربا كل ما بأيديهم وهم لاهون .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قد يقال : إن الربا اليسير لايقضى على الثروة ، ولذا حرمت الشرائع الوضعية نفسها فى بعض الأقطار الزيادة المرهقة ، وأوقفت المرابين عند حد معقول لا يقضى على الثروة ، فما بال الأديان قد حرمت كثيره وقليله ؟

والجواب عن ذلك يمكن معرفته لمن وقف على حقيقة هذا النوع من المعاملة ، فإننا شاهدنا معظم الذين يتعاملون بهذه المعاملة قد أفضت بهم الفوائد اليسيرة الى ضياع كل مايمتلكون ، وذلك لأن اليسير من الربا يتضاعف بمرور الزمن ، فهم يستسهلون الفائدة فى أول الأمر فتتضاعف بمرور الزمن وتتضاعف فائدتها ، وهلم جرا ، فلا ينتبهون إلا وهم مثقلون بالدين وفوائده ، عاجزون عن السداد ، وعند ذلك تضيع أملاكهم وهم لا يشعرون . وهاهنا نسائل الذين تعاملوا بالربا اليسير الذى أباحته لهم القوانين الوضعية : لماذا فقدوا ثروتهم بديون الربا؟ ولماذا عجزوا عن سداد ديونهم وأصبحوا بؤساء لا ينتفع بهم المجتمع ؟ على أنك قد عرفت أن الأديان الإلهية تحتم على الناس أن يعين بعضهم بعضا ، وأن يتعففوا عن إرهاق المضطرين فلا يأخذوا على إغاثتهم ربا سواء كان قليلا أو كثيرا .

ومع هذا كله فإن الشريعة الاسلامية فرضت على كل فرد من المسلمين أن يعمل فى هذه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحياة الدنيا ، فكل عاطل لا عمل له مذموم فى نظر الإسلام ؛ وحتمت على الناس أن ينفقوا بقدر ما يتاح لهم ، فلا يبذروا ولا يقتروا ، قال تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » ، وقال : « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين » . فلو أن المسلمين اتبعوا هذه القواعد وعملوا بها بدقة لما احتاجوا يوما من الأيام الى الربا ، بل كان لكل واحد منهم وفر من ماله يستعمله فى مهنته التى أتيحت له . ولكنهم من الأسف الشديد فتحوا على أنفسهم باب الشهوات على مصراعيه ، فزينت لهم الحصول على الأموال التى يسدون بها هذه الشهوات ، وكثير منهم تزين له شهواته الحصول على المال من أى باب ، فيقدمون على الربا والميسر وغير ذلك من الموبقات بدون مبالاة ، فتكون النتيجة الإفلاس العاجل والعذاب الآجل . فمن أجل هذا كله حرم الله الربا على الناس كى لا يخرجوا عن دائرة الأعمال المشروعة ويستكينوا الى مايذهب بأموالهم ويصرفهم عن هذه الأعمال التى بها قوام النوع الانسانى وحياته حياة سعيدة .

(٣) وأما ربا الفضل فقد بينا تعريفه فيما مضى ، وهو مبادلة عين بعين مع زيادة يأخذها أحد المتبادلين بدون تأجيل . ولا يخفى أن هذا النوع من المعاملة قليل الوقوع فى زماننا ، فليس له كبير الأثر فى المعاملات ، إذ ليس من مقاصد العقلاء أن يستبدل أحد سلعة بأخرى إلا إذا كان فى إحدى السلعتين معنى يحتاج إليه ، وفى هذه الحالة يمكن تقويم إحدى السلعتين بالثمن المناسب لها ، فيبيع أحدهما سلعته للآخر بذلك الثمن ، ويشترى منه سلعته كذلك بدون غبن ، أما أن يأخذ أحدهما سلعة جيدة ويعطى الآخر سلعة رديئة ، فذلك غبن لا يرضى به أحد من خلق الله ، لأنه يدل دلالة واضحة على نقص فى تصرف المغبون ، وحرام على الناس أن يتغابنوا . ولا أدرى كيف فهم الكاتب الأندونوسى معنى ربا الفضل فحصر همه فيه وأساء فهم الأحاديث الصحيحة الى أبعد مدى ؟ !

ولنوضح للقراء معنى ربا الفضل المحرم مرة أخرى فنقول : إن الشريعة الإسلامية قد نصت على تحريم ذلك الربا فى ستة أعيان ، وهى : الذهب ، والفضة ، والبر « القمح » ، والشعير ، والتمر ، والملح . فهذه الأصناف الستة قد اتفق المسلمون جميعا على تحريم الربا فيها عند اتحاد الجنس ، فلا يحل لأحد أن يبيع ذهبا بذهب مثله مع زيادة ، ولا فضة بفضة كذلك ، ولا قمحا بقمح ، ولا شعيرا بشعير ، ولا تمرا بتمر ، ولا ملحا بملح . أما غير هذه الستة كالحديد والنحاس والخشب والقماش وغير ذلك من سائر أصناف التجارة فقد اختلفوا فيها ، فقال بعض المجتهدين : إنه يجوز التبادل فيها مطلقا لأن النص قد قصر المنع على هذه الأصناف الستة . وبعضهم قاس على هذه الأشياء غيرها . فالحنفية والحنابلة قالوا : إن كل شىء يباع بالكيل أو الوزن لا يجوز استبداله بمثله مع زيادة فى أحد البدلين سواء كان من هذه الأصناف

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

المذكورة فى الحديث أولا . والشافعية قالوا: يقاس على هذه الأصناف كل طعام سواء كان برا أو شعيرا أو فاكهة أو خضرا أو غير ذلك . والمالكية قاسوا جميع الأقوات على ما ذكر فى الحديث ، فكل ما يؤكل يعطى هذا الحكم كالذرة والأرز ونحو ذلك . ورجح بعض العلماء هذا الرأى ، لأن غرض الشارع إنما هو الضرب على أيدى العابثين بأقوات الناس .

وعلى كل حال فليس فى منع ربا الفضل ما يتخيله الكاتب من وقوف التجارة أو تعطيل حركة المعاملة ، فإن الذى يقول ذلك لم يفهم معنى ربا الفضل ، ولم يدر ما هو واقع فى الأمم الآن من الربا ، إذ كل معاملات المصارف والمرابين الآن إنما هى فى ربا النسيئة . ولذا نقل بعضهم عن ابن عباس أنه قال بحله ، ولكن المحققين قالوا : إن ابن عباس رجع عن هذا القول . ومن ها هنا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الربا فى النسيئة » فإن الغرض منه لفت النظر الى المهم من أنواع الربا ، كما سنوضحه لك بعد .

وإذ قد عرفت أن ربا الفضل هو مبادلة عين بعين مثلها ، تعلم أنه إذا اختلفت العين كان بيعا لا ربا ، كما إذا باع قمحا بشعير ، أو باع تمرا بقمح ، أو باع ذهبا بفضة وهكذا . وهذا المعنى لا نزاع فيه بين العلماء .

ولكن اسمع لما يقوله حضرة الكاتب الأندونسى : إنه نقل عن سبل السلام ونيل الأوطار ما نصه : « إن العلماء قد أجمعوا على جواز المعاملة بالأشياء الستة المذكورة بالتفاضل وبالأجل دينا إذا اختلف الجنس كالذهب بالفضة والتمر بالملح الخ » ثم قال : لماذا أجمعوا عليه والأحاديث نصت على خلافه ؟ ثم ذكر ستة أحاديث صحيحة كلها صريحة صراحة لا تخفى على أحد تنص على ما أجمعوا عليه وليس فيها شبهة ما تجعل لأقل الناس فهما ، العذر فى ذلك . وإليك البيان :

١ — « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل ، ولا تشفوا بعضها على بعض ، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلا بمثل ، ولا تشفوا بعضها على بعض ، ولا تبيعوا منهما غائبا بناجز » رواه البخارى ومسلم وأحمد . وتشفوا بضم التاء وكسر الشين معناه تزيدوا . فهذا الحديث صريح لا لبس فيه . وهو يدل على تحريم مبادلة عين بمثلها مع زيادة فى أحد البدلين . فحرام على الناس أن يستبدل أحدهم من الآخر قطعة ذهب بقطعة ذهب مع زيادة فى أحدها . ومثل الذهب الفضة كما يحرم أن يبيع ذهبا حاضرا بفضة غائبة كما هو الحال فى الصرف ، فإنه لا يحل أن يصرف الشخص جنيها بفضة على أن يأخذها بعد مدة . فكيف يخالف هذا الحديث ما أجمع عليه أئمة الدين ؟ إن هذا لشىء عجيب !

٢ — وقال فى رواية البخارى وأحمد : « لا تبيعوا الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح إلا مثلا بمثل ، يدا بيد ، فمن زاد واستزاد فقد أربى ، والآخذ والمعطى فيه سواء » . وهذا الحديث كالحديث السابق فى تأييد

جراب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إجماع العلماء ، لأنه نهى عن مبادلة أحد المثلين بالآخر مع زيادة فى أحد البدلين أو تأجيل . ولا أظن أحدا من خلق الله يفهم منه سوى ذلك . ولولا أنه كتب فى مجلة الأزهر ما سمحت لنفسى بتجشم الرد .

٣ — وقال فى رواية البخارى ومسلم وأحمد أيضا : « الذهب بالورق ربا إلا هاءِ وهاءِ ، والشعير بالشعير ربا إلاهاء وهاء ، والتمر بالتمر ربا إلاهاء وهاء » . وهذا الحديث نص على ضرورة التقابض عند مبادلة النوعين المختلفين كالذهب والفضة ولو بزيادة ، ونص على مبادلة الأنواع المتحدة عند التساوى مع التقابض كمبادلة أردب من الشعير بمثله . ومعنى هاء بالكسر : هات ، يعنى إذا باع أحد نوعا من هذه الأنواع بنوع مثله فانه يجب أن يقول كل من البائع والمشترى للآخر : هاء . وهذا كناية عن التقابض فى المجلس .

٤ — وقال فى رواية مسلم والنسائى وأحمد وابن ماجه : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد ، فإذا اختلفت هذه الأشياء فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » . وهذا الحديث أكثر صراحة من الأحاديث التى تقدمت ، لأنه اشتمل على نهى صريح عن ربا الفضل ، وأبان الأشياء التى لاتجوز مبادلة بعضها ببعض مع اتحاد الجنس . ومتى اختلف الجنس جازت المبادلة مع التقابض .

ومثل ذلك ما نقله بعد ذلك من رواية مسلم وابن ماجه ، وبعد أن نقل هذه الأحاديث قال ما نصه : « فما معنى هذا الإجماع أيهما أحق أن يتبع : الإجماع أو الأحاديث المذكورة ؟ من من العلماء يستطيع أن يجيب ؟ عجبا والله لماذا أجمع هؤلاء العلماء على ذلك وقالوا فى الوقت نفسه بصحة هذه الأحاديث المنافية له ؟ ولماذا لم يردوا تلك الأحاديث وهى مناقضة للأحاديث الأخرى الصحيحة الموافقة للعقل كحديث أسامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما الربا فى النسيئة » رواه البخارى ومسلم .

أما أنا فقد أسفت لمثل هذا الإدراك وتلك الجرأة أسفا شديدا ، بل أقسم أننى حزنت ، لأنه يسرنى أن تكون الأقطار الإسلامية الناهضة عامرة بالعلماء المفكرين والمؤلفين الذين يستطيعون فهم الأمور فهما صحيحا فلا تطيش أقلامهم هذا الطيش . وإننى أرجو أن تكون ترجمة هذا المقال قد اختلت فصورت الحقائق معكوسة . أما أننى أتصور أن يوجد رجل فى مركز اجتماعى يكتب فى مسألة دينية مشهورة ثم يخلط فيها الى هذا الحد فذلك ما يحزننى ! والله يهدى المسلمين الى سواء السبيل .

للكلام بقية

عبد الرحمن الجزيرى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للدين والدنيا معا

حضرة صاحب الجلالة الملك يعيد عهد السلف الصالح

منذ أن تولى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول الملك ، اتجهت ميوله الكريمة الى إحياء سنن السلف الصالح واحدة بعد أخرى ، فبدأ باعطاء صلاة الجمعة ما كان لها فى سالف العهد من المظاهر الجليلة ، ثم أتبعها باقامة الدروس الدينية فى الأسابيع الأربعة من شهر رمضان ، وكلف حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، وهو فارس هذه الحلبة غير مدافع ، أن يلقى هذه الدروس فى حضرة جلالته . فكان لها أثر كبير فى لفت الناس الى أسرار الاسلام ، وسمو أصوله ، وفعل بليغ فى إيقاظ العاطفة الدينية فى قلوب النابتة المثقفة ، مما رأينا ثمراته ماثلة أمام أعيننا تبشرنا بعود دولة الفضائل الاسلامية التى أحدثت فى العالم أكبر الانقلابات الأدبية ، والانتقالات الاجتماعية لخير المجموعة البشرية .

واليوم نرى جلالة الملك يخطو فى تحقيق هذه السنن الكريمة خطوة واسعة ، فيعيد سنة كان يُظن أن عهدها قد انقضى ، وأنها مما لا يمكن إعادته لبعد العهد بزواله ، ولعدم تفكير أحد فى إحيائه ، ألا وهى الصلاة بالناس فى مسجد حافل بالمصلين من كل طبقة . أنا لست أستطيع تقدير مبلغ تأثير هذا الحادث الجلل فى الرأى العام العالمى ، ولكنى أعلم أنه سيكون عظيما الى حد أنه سيكون سببا للفت نظره الى دراسة تركيب الاسلام تحت ضوء المقررات الاجتماعية . ولا نشك فى أن هذه الدراسة ستؤدى به الى فهم كثير من الأصول الاسلامية التى كانت سببا فى تطور الأمة التى أخذت بها ، واطراد تقدمها حتى وصلت الى زعامة الانسانية فى جميع باحات النشاط العقلى والروحى والسياسى ، فى مدة لا تكفى عادة للايصال اليها . وسيكون من ثمرات هذه الدراسة الوقوف على كثير مما اختص به الاسلام من عوامل البعث والانهاض للجماعات ، وفواعل التضام والترابط بين آحاد الأمة وطبقاتها ، دون أن تصادف من التقاليد والأوضاع ما يثبط من حركاتها الى الغايات البعيدة ، تلك التقاليد والأوضاع التى قضت بالجمود والوقوف على أمم كثيرة . وليس فى وسع أحد أن يتصور وسيلة لتنبيه العالم كله الى هذه الدراسة الخطيرة أوقع فى النفس ، وأفعل فى الهمم ، مما وفق جلالة الملك فاروق لعمله فى الآونة الأخيرة .

إن الاسلام حافل بالأصول التى تعتبر بحق عوامل مؤدية للحياة الفاضلة ، فاذا تنبه العالم لدراستها تحت ضوء العلم اليوم كان ذلك فاتحة انتشار له لا يقف عند حد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

منصب الخلافة والديموقراطية

دحض شبهات على سلطة الأمة فى الاسلام

أثارت الجرائد الغربية مسألة الخلافة وزعمت وشك إعادة إقامتها ، ونحن لا يعنينا هـذا الأمر من الناحية الاخبارية ، ولـكن يعنينا دحض مايحيط به الغربيون هـذا المنصب من المعلومات الخاطئة ، وقد خاضوا فيها اليوم ، وأقل ما فيها أنها تنافى الديموقراطية التى يفخر المسلمون بأن دينهم أول ما أقام صرحها فى العالم ، فنقول :

تولدت فى أوروبا بحكم الأوضاع الموروثة سلطتان : إحداها روحية ، والأخرى دنيوية ، نشأتا متفقتين متكافلتين ، وكانت مهمة الأولى تنحصر فى القيام على الدين والعمل على نشره ، وتتويج الملوك واستنزال البركات عليهم . ولـكن لم يمر على هذا الوضع زمان حتى انتحلت هذه السلطة لنفسها ، اعتمادا على مشايعة الناس لها ، حقوقا لم تزل تزيد فيها حتى أصبحت معها قيِّمة على السلطة الدنيوية ، بحيث لا تستطيع هـذه أن تبرم أمرا أو تحله دون استشارتها ، مما دعا الـكثيرين من الملوك الى مقاومة هذا التدخل بالقوة المسلحة ، ولـكن تلك السلطة الروحية كانت قد استعدت لهذه الطوارىء ، فاتخذت لها جيوشا وأساطيل خاصة بها لتقاوم القوة بمثلها .

فـكان من أثر هذا التدخل الـكنسى فى أعمال الدولة أن تحزب كثير من الملوك مع دعاة البروتستانتية حين نشوئها فى القرن الخامس عشر ، وتمكنوا من رفع يد السلطة الروحية عنهم بعد حروب لم يشهد تاريخ البشرية أشد هولا منها . ومن ذلك العهد ما فتئت السلطة الدنيوية التى بقيت موالية للـكنيسة تنازعها استقلالها ، حتى تم لها الغلب نهائيا بحـدوث الوحدة الايطالية سنة ١٨٧٠ ودخول جنودها ظافرة الى المملـكة البابوية .

مثل هـذه المشكلة الاجتماعية الخطيرة لم تحـدث فى العالم الاسلامى ، وليس فى طبيعته ما يسمح بحدوثها ، فالاسـلام لم يجعل لولاية الأمة سلطتين ، ولم يـكل أمر الجماعة لطائفة من الطوائف ، بل ترك السلطة كلها للأمة تهبها للرجل الذى تراه صالحا لحـكومتها ، وأمرها أن تحوطه برقابتها ومشورتها ، وأن تعطى لحـكومتها الشكل الذى تجده أصلح لجمع كلمتها ، والقيام على مصلحتها . وهذا الوضع أرقى وضع وصل اليه البشر فى أمر السلطة الاجتماعية ، شأن الاسلام فى كل الشئون الانسانية : يقرر المُثل العليا ويكلف الأمة تحقيقها بجهودها الذاتية .

وعليه فالمسلمون لم يعرفوا تنازع السلطتين الروحية والدنيوية ، وقد أوتوا أصولا مراعى فيها المزج بينهما ، تفاديا من تنازعهما ، بحيث لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى ، وقد عاش المسلمون أكثر من ثلاثة عشر قرنا لم تنشأ فيهم مسألة قيام سلطة روحية إزاء سلطة دنيوية ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا يخشى عليهم ، وقد انتهوا الى هذا العهد ، أن ينتحلوا شيئا من ذلك . فالقائم بالأمر فى نظرهم يمثل النزعتين الانسانيتين ، ومكلف بأن يقوم على حاجاتهما بما تستدعيه من علم وعمل .

أما الفرق بين الخلافة والبابوية ، فبعيد جدا الى حد أنهما لا يلتقيان أبدا فى نقطة .

فالبابا ينتخبه الكرادلة وعددهم سبعون ، والكاردينالية أرفع الرتب الكهنوتية بعد رتبة البابوية . وأمير المؤمنين يعتبر رجلا عاديا تنتخبه الأمة ، وهى التى تهبه السلطة ، ولها أن تستردها منه وأن تمنحها غيره ، إذا رأت أن مصلحتها تقضى عليها بذلك .

والبابا بيده النقض والإبرام ، والغفران والحرمان ، وأمير المؤمنين ليس بيده شىء من ذلك .

والبابا من اختصاصه تفسير الكتاب ، ووضع حدود للتفكير فيه والاستنباط منه ، وليس لأمير المؤمنين شىء من ذلك يتجاوز به ما لأى رجل من المسلمين . فكل مسلم له حق التفسير والتفكير والاستنباط . وآية ذلك أن كل ما وضع للمسلمين من التفاسير والشروح ، والنظم العبادية ، والأصول المستنبطة من الكتاب ، والمذاهب الفقهية ، كلها من عمل الأفراد ، وقد رضيها أمراء المؤمنين كما رضيها الناس ، وعملوا بها فى عباداتهم ، وحكموا بها فى محاكمهم . وهذه الحقوق الشعبية العامة التى لا تحلم بمثلها أرقى أمة فى الأرض من الناحية الدينية ، قد نشأت فى الاسلام من الجرى على سننه ، والقيام على أصوله .

على أن الجمع بين السلطتين الروحية والدنيوية لم يصبح مستنكرا فى أوروبا بعد قيام البروتستانتية ، التى تخلصت من ربقة الكنيسة الرومانية بعد حروب طاحنة ساحقة . وقد ثبت فى العهد الأخير أنه لا ينافى قيام الأمة على الديموقراطية الكاملة . والمثل الذى نقدمه للدلالة على ما نقول اجتماع تينك السلطتين فى ملك الانجليز ، فهو يعتبر الرئيس الروحى والدنيوى معا للشعب الانجلوساكسونى ، وهذا ما خول انجلترة منذ عدة قرون أن تعد حامية للبروتستانتية فى العالم كله .

الذى يحدونا الى إيراد هذه التفصيلات كلها ، أن جمهرة كتاب أوروبا يرون فى إمارة المؤمنين منصبا يشبه البابوية ، وليس هذا من الحق فى شىء كما رأيت ، فديموقراطية المسلمين لم تمس بسوء فى أى عهد من عهود الخلافة الاسلامية ، حتى فى العهد القريب جدا من النبوة . فأبو بكر تولى أمر الأمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم بالانتخاب المباشر ، فبايعه المسلمون يدا بيد ، وهذا فى العرف السياسى معناه أن الأمة منحته السلطة ليباشر بها مهمة القيام بشئون الدولة فى ناحيتيها الروحية والدنيوية على الأسلوب الاسلامى ، والدستور القرآنى .

فكان إذا أعضلت عنده مسألة ، سأل عنها أولى العلم فى مجلس عام ، وأمضاها على ما يستقر عليه اجتهادهم . ولم يتخذ له بطانة يكل اليها البت فى الأمور ، ولا بت هو فيما لم يرد فيه نص

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

صريح دون أن يعرضه على الكافة ، معطيا الحق للأفراد على السواء فى إبداء الرأى ، غير متقيد بقوم معينين ، أو بطائفة بعينها .

وقد تجلى المبدأ الديموقراطى إزاء الخلافة على عهد عمر الفاروق كل التجلى ، فلم تبق منه جهة خافية يمكن أن يتقحم منها خصم لاتهام الاسلام بالعدوان على سلطة الأمة . فقد روى أن عمر رضى الله عنه رأى أن الناس قد أخذوا يتبارون فى زيادة مهور النساء ، فأراد أن يضع لها حدا لا تتجاوزه ، وهو ما مُهرت به بنات النبى صلى الله عليه وسلم ، فدعا الناس لاجتماع عام وخطبهم فى هذا الشأن ، وطلب اليهم رأيهم ، فقامت امرأة وقالت : أوحىٌ بعد رسول الله ؟ قال الله تعالى : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » ، وقوله قنطارا يدل على إباحة التوسع فى المهور ، فكيف تضعون لها الآن حدا ؟

فأدرك عمر وجاهة اعتراضها ، ورجع عن رأيه الى رأيها ، وترك الأمر على حاله .

فهذه إن دلت دلالة قاطعة على مهمة أمير المؤمنين من الوجهة التقنينية ، فهى تدل أيضا على أوسع شكل للديموقراطية ليس وراءه مذهب .

وأدل منها على ذلك ما روى من أن عمر رأى رجلا وامرأة على فاحشة ، فلم يدر أيحل له الاكتفاء برؤيته فى إقامة الحد ، أم تجب إقامة الدعوى العمومية عليهما ، والسير فيها على مقتضى الأصول المرعية ؟ فجمع الناس وكاشفهم بما هو بصدده ، وطلب إليهم آراءهم ، فقام إليه على ابن أبى طالب رضى الله عنه وقال له : الحكم أن يأتى أمير المؤمنين على ما يقوله بأربعة شهداء ، وإلا اعتبر قاذفا وأقيم عليه الحد .

لا جرم إن هذه الدرجة الرفيعة من الديموقراطية يجب أن تسجل فى تاريخها ، ليعلم أئمتها أن قد سبقهم المسلمون الى أرقى ما تؤدى إليه من احترام الأوضاع القانونية ، ومراعاة الضمانات القضائية فى تطبيق العقوبات البدنية .

وتاريخ المسلمين حافل بأخبار دعاوى أقامها الأفراد على الخلفاء وصدور أحكام المحاكم عليهم ، وخضوعهم لأحكامها ، ولا نظن أنه توجد ديموقراطية فى العالم تبلغ هذا الحد . ولقد قلنا فى موطن آخر ونكرره هنا : إن لفت الأنظار الى دراسة أصول الاسلام تحت ضوء العلم اليوم قد يكون فاتحة انتشار له لايقف عند حد ، فتاريخ تكوّن الأمة الاسلامية فى القرن الأول حافل بالحوادث التى تتجلى فيها حقائق هذا الدين ، وتتبين مُثله العليا فى كل ناحية من نواحى النشوء الاجتماعى ، والتطور الأدبى ، مما لو درس دراسة علمية لظهر أنه أكبر الآيات الالهية فى هذا العالم . وهو ماسنبذل جهدنا للقيام به هنا إن شاء الله .

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الكناية والمجاز في كتاب الله

كتبنا فيما مضى تحت هـذا العنوان بيان آيات من القرآن الكريم ، ولما كنا عازمين على الاستمرار في الكتابة تحت هـذا العنوان حتى نعرض لكل ما نرى فيه حاجة الى مثل ما بينا ، فقد أردنا أن نكتب اليوم لبيان تلك الآية الشريفة :

يقول الله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّى ألقى الشيطانُ في أمنيّـتِه فينسخُ الله ما يُلقي الشيطانُ ، ثم يُحكم اللهُ آياته ، والله عليم حكيم » .

يذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية وجهين :

أحدهما : أن رسول الله كان يهيئ في نفسه شئونا أخروية فيخطر الشيطان بنفسه خواطر دنيوية ، ويسوقون للاستشهاد على ذلك حديث « إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله سبعين مرة » فنزلت الآية تعزية للرسول ، ويكون معناها على هـذا : إنه ما من نبي ولا رسول إلا كان إذا اتجه بنفسه الى شئون الآخرة أراح الشيطان الى نفسه خواطر الدنيا .

وثاني الوجهين : أن الرسول كان قد تمنى ألا ينزل عليه من الوحي ما ينفر قومه من تحقير معبوداتهم ، وتسفيه أحلامهم ، ثم كان أول ما نزل بعـد تردد هذه الأمنية بنفس الرسول سورة « والنجم اذا هوى » فلما بلغ في قراءتها « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » أجرى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى . فنزل جبريل فأخبره الخبر ، فاغتم لذلك ، فنزلت « وما أرسلنا من قبلك من رسول » الآية ، ويكون معناها على هذا : ما من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألا يكون من الوحي ما ينفر منه قومه ألقى الشيطان في أمنيته : أي أجـرى الشيطان على لسانه كلاما من تأليف الشيطان كالذي أجـراه على لسان الرسول من قوله : تلك الغرانيق الخ . هذا ما يقوله المفسرون في سبب نزولها ، وفي تفسيرها .

وإنا قبل أن نناقشهم فيما يمس صميم الدين وأصوله من جراء هـذا التأويل ، نناقشهم في أمور دون ذلك .

وأول ما نناقشهم فيه من هـذا هو أن ذلك التأويل يقتضي أن كل نبي قد تمنى ألا يكون فيما يوحى اليه من ربه ما ينفر قومه ، كما يقتضي أن كل نبي أجـرى الشيطان على لسانه غير ما أنزل اليه من الله ، فهل يمكن لأحـد من الناس أن يثبت ذلك إثباتا صحيحا أو قريبا من الصحيح ؟ إنا موقنون أن لا جواب لذلك سوى النفي البات .

وثاني ما نناقشهم فيه : أنه بناء على هذا التأويل فان النسبة تنقطع كل الانقطاع بين الآية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وبين ما سبقها من آيات ، إذ الآيات السابقة كلها عزاء للرسول صلى الله عليه وسلم بذكر ما كان من تكذيب الأمم السابقة لرسلهم ، وكما ترى ليس بين أن كل رسول قد سلط عليه الشيطان ، وملك عليه لسانه فأجرى به ما شاء لا ماشاء الله ، وبين تكذيب الأمم لرسلهم مناسبة مّا .

وثالث ذلك : أنه إذا كانت أمنية رسولنا الكريم هى ألا يكون فى الوحى ما ينفر قومه لا يكون إجراء « تلك الغرانيق العلا » على لسان الرسول من قبيل الإلقاء فى الأمنية ، بل هو تيسير لسبيلها ، ومحاولة لتحقيقها .

أما ما نريد أن نناقشهم فيه مما يمس صميم الدين ويهدم أسسه وأصوله .

فأول ذلك : أنا نعلم أن أساس الرسالة هو دعوة الناس الى توحيد الله بالإعظام والتقديس والرجاء ، وإفراده بالعبادة والدعاء ، فلا مناص والأمر كذلك عن حجاجهم فى معبوداتهم ، وبناء الأدلة والبراهين على بطلان عبادة غير الله ، ليخلصوا دينهم لله ، فلو جاز أن يكون مثل هذا متمنى نبى أو رسول لكان معناه أننا نجيز على الأنبياء أن يجاملوا فى دينهم ويلاينوا فى رسالتهم ، وذلك الذى طالما عبناه على عادىّ الناس فضلا عن الرسل والأنبياء .

وثانى ذلك : ما يستلزمه حديث الغرانيق من أن يكون للشياطين من السلطان المادى ما يصل فى قوته وهيمنته الى حد أن يملكوا على الأنبياء ألسنتهم ، فيجروا عليها الكفر الصراح ، والشرك الهادم . واللازم البيّن لذلك أن يكون ما يملكون على الناس من غير الرسل والأنبياء أكبر من هذا وأفظع ، وذلك ما ينكره الدين وينكره الواقع ، فانه ليس للشياطين من صلة بالناس إلا أن يوسوسوا لهم بالكفر والفسوق والعصيان ، وحتى هذا أيضا ترى الله قد استثنى منه عباده المخلصين ، وليس من ريب فى أن الأنبياء والرسل هم صفوة المخلصين .

وثالث ذلك : مايستلزمه حديث الغرانيق من اقتلاع الثقة من النفوس بكل ماجاء به رسول الله من أصول وأحكام ، فما من أصل ولا حكم إلا ويجيز مجيز أن يكون مما أجراه الشيطان على لسان النبى إن كان قولا ، وعلى جوارحه إن كان فعلا .

من هذا يتبين للقارئ أنه يجب وجوبا لامراء فيه أن يسلك فى تفسير الآية الكريمة وجه غير هذا الوجه ، وسبيل غير هذا السبيل . وإليكم ذلك :

إننا نعلم أنه ليس للرسل والأنبياء من غاية فى هذه الحياة يحاولون تحقيقها ، ولا من أمل منها يتحملون من أجله أهول المشاق وأعظمها ، إلا شىء واحد هو : أن يستجيب لهم قومهم ويؤمنوا برسالتهم . فتلك مهمتهم فى هذه الحياة ، وأمنيتهم التى لا يرجون سواها ، ولا يمكن أن يخطر ببالهم غيرها . ونعلم الى ذلك أيضا أنه ما من أمة دعيت على لسان رسول الى خير ورشاد ، وإصلاح ونظام ، إلا صدهم الشيطان ووسوس إليهم ، وزين لهم الشر والكفر ، وقبح فى نظرهم الخير والايمان ، وأثار حول أدلة الرسول وإرشاداته شبهات وشكوكا مختلفة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الألوان والاتجاهات ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . وهذا الصد وتلك الوسوسة هو إلقاء الشيطان فى أمانى الرسـل ، فانه بالصد والوسوسة وإثارة الشبه والشكوك كأنما يلقى الأشواك والصخور فى طريق الأنبياء الى غاياتهم التى هى استجابة قومهم لهم ، وإيمانهم بهم . فيكون معنى الآية على هذا : إنه ما من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى إيمان قومه واستجابتهم للخير والرشاد ، صدهم الشيطان عن الايمان ، وعاق الرسل عن أمانيهم بما يثير من شبه وشكوك حول آيات الرسل وحججهم ، وحول ماجاءوا به من أصول وأحكام ، ثم ما هو إلا قليل حتى تنطفئ شقشقة الباطل ، وينقشع دخان الشـكوك والشبه التى أوحت بهـا الشياطين الى نفوس المدعوين ، ثم يبدو الحق محكم البنيان ، راسخ الأركان ، باسق الفروع .

هذا هو التأويل الصحيح ، والمعنى الحق الذى يجب أن تحمل عليه الآية .

أما أولا : فلأننا نتحامى به باطلا لا يدانيه باطل ، وفسادا لا يساويه فساد ، ألا وهو مجاملة الأنبياء فى دينهم ، وهيمنة الشيطان على ألسنتهم .

وأما ثانيا : فلأن الآيات السابقة قد ذكر فيها تـكذيب الأمم الماضية لأنبيائهم مما يدل على أنهم جميعا قد عاقهم الشيطان عن غاياتهم بما زين للقوم ، وأوحى إليهم من شبهات . وبذلك ترى بين الآية وبين الآيات السابقة صلة تامة واضحة .

وثالثا : ما تراه من العدول عن سلوك سبيل الحقيقة فيما أسنده الى الشيطان ، إذ لم يقل بدل « ألقى الشيطان فى أمنيته » : عاق الشيطان أمانيهم بالوسوسة الى قومهم . بل سلك سبيل المجاز فـكان ما ترى من إيجاز هو أكثر شمولا وفائدة مما فى أسلوب الحقيقة من تفصيل ، ثم هو الى ذلك الإيجاز قـد أبرز وساوس الشيطـان وما يوحى من شبهات فى صـورة الأشواك والصخور تلقى فى الطريق المعبد فتقف بالسائرين عن مواصلة السير الى غاياتهم : ذلك أن الإلقاء من خصائص الماديات ، فلما أسند الإلقاء الى الشيطان والشيطان لا يكون منه إلا الوسوسة والتخييل ، كان ذلك مصورا الوساوس الى السامعين بالأشواك والصخور والسدود ، مما يزيد فى نفور الناس من الشياطين ويضاعف الحذر منهم .

وهنا يقف بى بين مواكب الجـلال والجمال مايتجلى من روائع القرآن ، ويلتمع فى ثنايا الأسلوب من دقائق تختلب القلوب ، وتملك النفوس . فإنه تعالى لما أراد تعزية رسوله بما قص عليه من تفصيل ما كان للأنبياء والرسـل مع أقوامهم ، وكان مهما أطال بذكر رسل وأنبياء فإنه يبقى احتمال أن يكون هناك رسل وأنبياء لم تذكر أسماؤهم تكون قد تحققت لهم أمانيهم واستجابت لهم أممهم دون أن يعوقهم الشيطان عن سرعـة تحققها فلا تتم التعزية مع هـذا الاحتمال ، لمـا كان كذلك تراه قد أجمل التسلية فى أسلوب شامل، مستقص فى الأفراد ، ومستقص فى الأزمان ، حتى إذا أفلت واحد من عموم الأفراد فى قوله « من رسول ولا نبى » لا يفلت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من عموم فى الأزمان قوله « من قبلك » لأن «من» الأولى فى الآية لاستقصاء الأزمان ، والثانية لاستقصاء الأفراد ، وبذلك لايبقى هذا الاحتمال ، فتتم تسلية الرسول حين يعلم أنه لم يشذ عما بينه وبين قومه نبى من الأنبياء . وتراه ثانيا لم يذكر مفعول « تمنى » فلم يقل : إلا إذا تمنى هداية قومه ، لأن المفعول مشعر دائمـا بأنه قيد فى فعله وأن الفعل متعلق به هو دون غيره مما يصلح أن يتعلق به ذلك الفعل ؛ فذِكرُه مفهم لا محالة أنه للاحتياط عما عداه من المفعولات ، فلو ذكر مفعول « تمنى » الذى هو هـداية القوم ، لأشعر أن للرسل متمنيات غير هـداية قومهم . وعلى هذا يكون إنمـا ترك للإيذان بانحصار تمنيهم فى ذلك المطلب العالى وتلك الغاية النبيلة ، وفى ذلك من التنويه بشأن الأنبياء ما فيه .

وكذلك الشأن فى قوله : « ألقى الشيطان فى أمنيته » إذ لم يذكر المتعلق ، فلم يقل : ألقى الشيطان فى أمنيته العوائق من شبهات ووساوس ، لأن ذكر المفعول وهو — كما قلنا — قيد فى فعله ، يفهم أنه للاحتياط عن مفعول آخر ، وهذا يشعر بصحة تعلقه بذلك الآخر ، فيفيد أن الشيطان يصح أن يأتى غير الشر الذى هو الشبهات والوساوس ؛ وعليه فيكون عدم ذكر المتعلق للإيذان بانحصار ما تلقيه الشياطين فى الشر ، وأنه لا يكون عن طريقهم خير ، فمجرد ذكر الالقاء مسندا إليهم مفهم نوع ما يلقون الى النـاس ، وفى ذلك من تقبيح أمر الشيطان ما فيه .

والى هنا أستميح القارئ عـذرا فى أن شغلت بروائع القرآن عما أنا بصدده . والآن سأعود ثانية الى موضوعنا الأصلى فأقول :

إنى بعد أن اهتديت فى تأويل الآية الى ذلك المعنى راجعت تفسير الإمام الألوسى فوجدته بحمد الله قد أغفل حديث الغرانيق إغفالا ، فلم يعرض له من قرب ولا من بعد ، غير أنه فسر قوله تعالى « تمنى » بقرأ ، وفسر ما يلقيه الشيطان بمـا يشبه المغالطات ، ولـكنى على أى حال قد سرنى كثيرا سلوك الأستاذ الألوسى هذا المسلك المشعر بأنه يرى بطلان حديث الغرانيق ، والمشعر بوجوب صيانة القرآن الـكريم عن الترهات والأباطيل ، وما يخـدش قدس الرسل والأنبياء . ولقـد أيد لدىّ ما اهتديت إليه من تأويل فى الآية ما أخبرنى به أحـد شيوخنا الأجلاء أن الأستاذ الشيخ عبد العزيز الدباغ رحمه الله قد أول الآية بنحو ما أولت به أو قريبا منه ، نسأل الله تعالى التوفيق والهداية الى الرشاد ؟

حامد محيسن
وكيل كلية اللغة العربية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التجديد فى الاسلام

« إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »
حديث نبوى شريف

(١) ما أصول التجديد فى الاسلام ؟ (٢) ما حكمة التجديد فى الدين ؟
(٣) ما عوائق التجديد ، وما علاجها ؟ (٤) المستقبل للاسـلام .

١ — ما أصول التجديد فى الاسلام ؟

(١) من أصول الشريعة الاسلامية الغراء ، وقـواعدها العامة ، التجديد فى الدين ، والدعوة اليه ، والترغيب فيه ، وسنّ الأمور الحسنة ، وتحريم سن الأمور السيئة ، وأن من سن سنة حسنة كان له مثل أجر كل من يعمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها الى يوم القيامة ، ومن دعا الى هدى كان له مثل أجور متابعيه ، أو الى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه .

(٢) ولا أدل على هذا من قول النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .

وقد اتفق الحفاظ على أن هذا حديث صحيح ؛ وقال الامام الزبيدى المرتضى ، فى شرح الإحياء : إن هذا الحديث استنبط العلماء منه التجديد . وقال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه عقيب ذكره لهذا الحديث : نظرت فى سنة مائة فاذا المجدد فيها رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عمر بن عبد العزيز ؛ ونظرت فى رأس المائة الثانية فاذا مجـدد الدين فيها رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الامام الشافعى رضى الله عنه . وسنوفى البحث حقه فى حديث التجديد هذا إن شاء الله تعالى .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « من سن فى الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده ، كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة فعمل بها بعده ، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من أوزارهم شىء » (١)

وقـوله صلى الله عليه وسـلم : « من دعا الى هـدى كان له من الأجر مثل أجـور من

(١) صحيح مسلم وشروحه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تبعه ، لاينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » (١) .

(٣) فمن هـذه الأحاديث الشريفة وأمثالها يتبين أن التجـديد فى الدين ، وفى التشريع ، وفى غيره — والاسلام دين ودولة — ليس بغريب عن الاسلام ، وليس هو من مبتكرات هذا العصر ، وإنما هو من أصول الشريعة وقواعدها ، أتت به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ، قبل أن يعرف العالم ما هو التجديد ؛ ويتبين أن الاسلام ليس بدين جمود كما افترى بعضهم ، وليس فيه سبب من أسباب تأخر الأفراد أوالأمم ، ولا عامل من عوامل الانحطاط ؛ ولـكنه دين النهضة والتقـدم والرقى ، والتجديد الصحيح النافع ، والسير الدائم الى الأمام ، الى المثل الأعلى ، الى ذرا المجد والرفعة والخير والسعادة للمجتمع الانسانى كله ، لا الاسلامى فحسب . وأى نظام فيه صلاح ونفع للوجود ، وأى جديد فيه خير للعالم ، وأى حسن فى الـكون ، لم يدع اليه الاسلام ويحث عليه ؟

وكفى دليلا على هذا ماذكرناه من الأحاديث النبوية الشريفة ، فهى صريحة فى التجديد ، والترغيب فيه ، بسن كل شىء حسن ، وبتحريم كل شىء سيىء . وما ظنك بالآثار التى يحدثها هذا التجديد فى الأخلاق ، والعمران ، والأمم ؟

فتجديد الاسلام إذاً مبنى على قواعد منظمة ، هى قواعد المثل العليا ، قواعـد الفضيلة التـامة ، والأخـلاق الـكاملة ، والخير المطلق ، والعمل النافع لإصلاح المجتمع ، والنهوض به الى أسمى درجات الـكمال ، وجلب السعادة لبنيه فى الدنيا والآخرة .

(٤) ولم تـكن السنة النبوية وحـدها هى التى حملت لواء التجديد ودعت اليه ، بل إن القرآن الـكريم نفسه جاء مجـددا مصلحا ، فنسجت السنة على منواله ، وسارت على منهاجه ، فـكان كتاب الله تعالى منبع التجديد ، والمصدر الأول للإصلاح . ومما يدل على هذا أنه نسخ ما قبله من الشرائع ، وغيّر من النظم القديمة ما غيّر ، وبدّل من أحوال الجـاهلية وعاداتها ما بدّل ، وسن من التجديد الحسن الصالح لـكل زمان ومكان ما يطول شرحه .

من ذلك : أنه حد عدد الزوجات ، وقرر حقوق المرأة ، وغيّر كثيرا من عادات الجاهلية فى زواجهم وطلاقهم ، وأتى بنظام عادل للإرث يخالف النظام الجاهلى ؛ فقد كانوا فى الجاهلية لا يورّثون النساء ، ولا الصغار من أبناء الميت ، وإنما يورثون من يلاقى العدو ، ويقاتل فى الحروب ؛ فشرع الاسـلام توريث المرأة ، وإعطاء كل ذى حق حقه فى الميراث ، وكان ذلك شديدا على النفوس ، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لما نزلت الفرائض التى فرض الله فيها للولد الذكر ، والأنثى ، والأبوين ، كرهها الناس أو بعضهم ، وقالوا : تعطى

(١) صحيح مسلم وشروحه .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

المرأة الربع والثمن ، وتعطى الابنة النصف ، ويعطى الغـلام الصغير ، وليس من هؤلاء أحد يقاتل القـوم ، ولا يحوز الغنيمة ؟ … وسأل بعضهم النبي صـلى الله عليه وسـلم فقالوا : يارسول الله : أنعطى الجارية نصف ما ترك أبوها ، وليست تركب الفرس ، ولا تقاتل القوم ، ونعطى الصبى الميراث ، وليس يغنى شيئا ؟ !

ومن أجل هذا أكد القرآن الـكريم إعطاء المرأة نصيبها ، وكرر ذلك فى أكثر من موضع ، كما أكد إعطاء كل وارث نصيبه على ما هو مفصل فى آياته البينات (١) . وليس فى الامـكان أن نذكر هنا جميـع تجديد القرآن وإصلاحه ؛ ومن أراد الاطـلاع على ذلك فعليه بتفسير الآيات القانونية المعبر عنها بآيات الأحـكام ، كالتفسيرات الأحمـدية فى الآيات الشرعية لملاجيـون ، وكتفسير آيات الأحـكام : للجصاص ، وابن العربى ، وعلى بن محمـد الطبرى ، وأبى بكر الرازى ، والقرطبى ، وبالتفاسـير المعتبرة : كتفسير الطبرى والنيسابورى ، وكتب أسباب النزول ، وغير ذلك ، فانه يجد فيها ما يشفى ويكفى .

(٥) ولقد حمل راية التجديد فى الدين علماء الأمة وأئمتها فى كل عصر ، على ما سنفصله بحول الله وقـوته بعد ، فتعهدوا شجرة الشريعة المطهرة ، وغـذوها بتجديدهم باجتهادهم فزاد نمو تلك الشجرة ، وتضاعف ازدهارها وثمراتها والانتفاع بهـا ، وأصبح المستظلون بظلها ، المنتفعون بثمارها فى بقاع الأرض ، يزيدون عن أربعمائة مليون من المسلمين ، ولو سار الخلف منا فى التجديد ، والعمل لخدمة الشريعة على منوال السلف ، لبلغنا من سمو المـكانة ، وعزة السلطان ، مالم تبلغه أمة من الأمم .

٢ — ما حـكمة التجديد فى الدين ؟

(١) مما لاريب فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولا نبى بعده بنص الـكتاب والسنة . ومـما لا شك فيه أن حوادث الأيام -- كما هو مشاهـد ، وكما قال العلماء — تتجدد ، وهى خارجة عن الإحصاء والتعـداد ؛ ومعرفة الدين وأحـكام الشريعة لازمة الى يوم التناد ، وظواهر النصوص لا تفى ببيانها ، ولا بد من طـريق واف بشأنها ، ولا طريق لذلك سوى التجديد باستنباط الأحكام التى تسد حاجات الناس فى التشريع ، وتوافق كل عصر ؛ لهذا اقتضت حـكمة الله تعالى ، وقد وعد بحفظ كتابه وشريعته ، أن يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها دينها ، كما أخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) إن الشريعة الاسلامية عامة لـكافة الأمم ، وهى مستمرة لا تنسخ ، ولا يعقـل استمرارها إلا إذا كان يتغير الـكثير من أحـكامها الاجتهادية بتغير العصور والأزمان والأحوال ، وقد أشرنا الى ذلك من قبل ، ولا يكون هـذا التغيير إلا بالتجديد باستنباط

(١) تفسير الطبرى ، والنيسابورى ، وكتاب فجر الاسلام .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأحكام الشرعية من الأصول الأربعة : الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس ؛ ومن أجل هـذا يرسل الله المجـددين على رأس كل قرن لاحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها ، ولتبقى للشريعة جدتها ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان ؛ وهل تخـدم شريعة الله بأفضل من هذا ؟

(٣) ومن القواعد المقررة شرعا أن الأحكام تتغير بتغير الأزمان ، نص على هذا العلماء فى كثير من الكتب المعتبرة ، ومنها مجلة الأحكام العدلية ، فقد جاء فى مادتها التاسعة والثلاثين ما نصه : « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » . وعلق عليها حيدر افندى وزير العدلية السابق فى الدولة العثمانية ، وهو من أعـلام علماء الاسلام فى هـذا الزمان ، وأبو حنيفة هذا الأوان ، وكان مدرس المجلة بمدرسة الحقوق ، فقال : إن الأحكام التى تتغير بتغير الأزمان هى المستندة على العرف والعادة ، لأنه بتغير الأزمان تتغير احتياجات الناس ؛ وبناء على هذا التغير يتبدل أيضا العرف والعادة ، وبتغير العرف والعادة تتغير الأحكام حسبما أوضحنا آنفا ، بخلاف الأحكام المستندة على الأدلة الشرعية التى لم تبن على العرف والعادة فانها لا تتغير .

مثال ذلك : جـزاء القاتل العمد القتل ؛ فهذا الحـكم الشرعى الذى لم يستند على العرف والعادة لا يتغير بتغير الأزمان ؛ أما الذى يتغير بتغير الأزمان من الأحكام ، فانما هى المبنية على العرف والعادة . وإليك الأمثلة :

كان عند الفقهاء المتقدمين أنه إذا اشترى أحد دارا ، اكتفى برؤية بعض غرفها ، وعند المتأخرين لابد من رؤية كل غرفة منها على حدتها ؛ وهذا الاختلاف ليس مستندا الى دليل ، بل هو ناشئ عن اختلاف العـرف والعادة فى أمر الانشاء والبناء ؛ وذلك أن العادة قديما فى إنشاء الدور وبنائها أن تكون جميع غرفها متساوية ، وعلى طراز واحد ؛ وبناء على هذا كانت رؤية بعض الغـرف تغنى عن رؤية سائرها . وأما فى هـذا العصر فقد جـرت العادة بأن الدار الواحـدة تكون غرفها مختلفة فى الشكل والحجم والنظام ، لذلك لزم عند البيع رؤية كل منها على الانفراد ؛ وفى الحقيقة اللازم فى هـذه المسألة وأمثالها حصول علم كاف بالمبيع عند المشترى ؛ ومن ثم لم يكن الاختلاف الواقع فى مثل هذه المسألة المذكورة تغييرا للقاعدة الشرعية ؛ وإنما تغير الحـكم فيها بتغير أحوال الزمان فقط .

وكذا تزكية الشهود سرا وعلنا ، ولزوم الضمان غاصب مال اليتيم ومال الوقف : مبنيان على هذه القاعدة ، وقد رأى الامام الاعظم أبو حنيفة رضى الله عنه عدم لزوم تزكية الشهود فى دعوى المال ، مالم يطعن الخصم فيهم ، وسبب ذلك صلاح الناس فى زمانه ، أما الصاحبان : أبو يوسف ، ومحمد ، وقد شهدا زمنا غير زمنه تفشت فيه الأخلاق الفاسدة ، فرأيا لزوم تزكية الشهود سرا وعلنا ، والمجـلة قد أخذت بقولهما ، وأوجبت تزكية الشهود ، ولا تزال المجـلة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هى القانون المدنى لكثير من البلاد الاسلامية . وكذا من القواعد أن لا يجتمع أجر وضمان ، إلا أن المتأخرين من الفقهاء لما وجدوا أن الناس فى عصرهم لا يبالون باغتصاب مال اليتيم والأوقاف ، والتعدى عليها كلما سنحت لهم فرصة ، أوجبوا ضمان منافع المال المغصوب العائد للوقف واليتيم قطعا للأطماع اهـ

فقد تبين من هذا كيف تتغير الأحكام بتغير الأزمان ، وكيف استنبط الامام أبو حنيفة والصاحبان والفقهاء المتأخرون الأحكام المناسبة للزمان والمكان .

٣ — ما عوائق التجديد وما علاجها ؟

من العوامل التى تقف حجر عثرة فى سبيل التجديد ، وتعوق ظهور المجددين ، الجبن وعدم الإنصاف ، والجرح ، والحسد ، وما الى ذلك .

(١) فأما الجبن ، فقد قال الامام العز بن جماعة : إحالة أهل زماننا وجود المجددين والمجتهدين ، يصدر عن جبن ، وإلا فكثيرا ما يكون القائلون لذلك من المجددين والمجتهدين ، وما المانع من فضل الله ، واختصاص بعض الفيض والوهب والعطاء ببعض أهل الصفوة ؟

(٢) وأما عدم الانصاف ، فهل رأيت مجددا أنصف من نظرائه ومعاصريه ، أو شجع وقدر ، أوهم يعلنون عليه حرب التحامل والانتقاص من قدره والوقوف فى سبيله ، مع أنه فى الحقيقة ، كما قال بعض الفضلاء ، لا يوجد لأهل العلم حلية كالانصاف ، والاعتراف بالفضل لذويه ، وبما عليه الانسان ؟ ولذا ينبغى ألا يتهجم الانسان على ذوى الفضل بغير حق ، وألا يسمع قول أعدائهم فيهم ، وإن كانوا من الفضلاء ، إلا ببرهان واضح . ولله درّ القائل :

وما عبر الانسان عن فضل نفسه	بمثل اعتقاد الفضل فى كل فاضل
وليس من الانصاف أن يدفع الفتى	يد النقص عنه بانتقاص الأفاضل

(٣) وأما الجرح ، فقد قال الامامان : ابن عبد البر ، وابن السبكى صاحب جمع الجوامع : من ثبتت إمامته وعدالته ، وكثر مادحوه ومزكوه ، وندر جارحه ، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه والتحامل عليه : من جهل ، أو اعتماد على نقل لا يوثق به ، أو هوى ، أو تعصب ، أو منافسة دنيوية ، كما يحصل بين النظراء ، أو غير ذلك . فلا يقبل جرحه ، ويعمل بالعدالة فيه ، وإلا لو فتح باب تقديم الجرح على التعديل ، وأخذ بتقديم الجرح على إطلاقه لما سلم أحد من الأئمة ، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون ، وهلك فيه هالكون ، فكلام النظير فى النظير ، والعلماء بعضهم فى بعض ، مردود ، ولا يلتفت الى جرح إلا أن يصححه الجارح ببينة عادلة على طريق الشهادات .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٤) وأما الحسد ، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « دب اليكم داء الأمم قبلكم : الحسد ، والبغضاء » .

وأما سببه : فمن المقرر فى علم النفس أن الناس لا يرتاحون عادة للتفوق عليهم ، وإن كان النبوغ آتيا من بينهم ، لذلك ذهب عظماء المفكرين والعلماء ، والمصلحين ، والمكتشفين ضحية غضب قومهم فى غالب الأحيان ، كما قال العلامة جوستاف لوبون . وإنى أدع الكلام عنه للامام الحافظ الجلال السيوطى ليحدثنا عما أصابه حينما صرح بأنه مجدد القرن التاسع الهجرى ، وها هو يخاطب من شدد عليه النكير من الحساد ، ممن حماتهم المعاصرة ، وعدم الانصاف ، وما الى ذلك ، على الخصام واللداد ، فيقول :

« إنك من إنكار التجديد والاجتهاد على مكان ، وتزعم أنه فى حيز الاحالة وعدم الامكان ، وهذا كلام من خلا عن العلم صدره والفؤاد ، ومن بينه وبينه ألف واد ، فان نصوص العلماء بالتجديد وبفريضة الاجتهاد فى كل عصر طافحة ، وبتأثيم أهل العصر إذا قصروا فى القيام به لائحة . فان قلت : إن أحدا لن يناله ، فقد نسبت كل من فى الأرض الى المعصية لا محاله ، والأمة منزهة عن ذلك ، للحديث الصحيح : « إن الله عصم هذه الأمة من أن تجتمع على ضلالة » . ثم أين أنت من قول سيد المرسلين ، وخاتم النبيين : « إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » ؟

« وفسر العلماء هذا المبعوث برجل يقوم بالتجديد بالاجتهاد ، ويحيى ما خفى دثوره بين العباد ، فان آمنت بأن النبى صلى الله عليه وسلم لا يخلف خبره ، وأنه لابد لكل قرن من مجدد يعمره ، فقد لزمتك الحجة ، وسكنت منك هذه الضجة ، وعرفت خصوصية هذه الأمة الشريفة حيث لم تفرط فى هذا الواجب ، ولا حجبها عنه حاجب ، بخلاف غيرها من الأمم فانهم قصروا فيه حتى انقرض منهم المجددون ، وخلا زمانهم عن إمام به يقتدون ويهتدون .

« ثم إذا اعترفت بوجود التجديد والاجتهاد فيما مضى ، وأنكرته الآن وقلت : إنه قد انقضى ، فمالك إلا جواب أبى الحسن الشاذلى إذ قيل له : هنا قوم بكرامات الأولياء السابقين مترفون ، وينكرونها لمن هو موجود ولا ينصفون ، فقال : إنما هم إسرائيلية ، فإن ، إسرائيل صدقوا بنبوة موسى ومن تقدم من الأنبياء قبل أوانهم ، وكذبوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لكونه موجودا فى زمانهم » اه .

مذا شىء مما رد به السيوطى على حاسديه . وقال الشهاب ابن حجر :

ا صرح الجلال السيوطى بأنه مجدد القرن التاسع ، قام عليه معاصروه ورموه عن قوس

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

واحد ، وهـذا من قبيل الغض منه والطعن عليه ، مع اعتقاد أقطاب العلماء ، زيد جلالته ، وفرط سعة اطلاعه ، ورسوخ قدمه ، وتمكنه فى العلوم الشرعية وآلاتها .

ولا يمكن ، كما قال أحـد الأفاضل ، إرضاء جميع الناس ، والتخلص من لومهم وذمهم بحال من الأحوال ، لاختلاف عقـولهم ، وتضارب آرائهم ، واختـلاف تصوراتهم ؛ فإنك إن أرضيت زيدا فى أمر أسخطت عمرا فيه ، وإن وافقت هـذا خالفت ذاك ؛ فما على العاقل إلا أن يجهد نفسه فى إتمام واجباته على وجه الـكمال ، من غير أن يبالى بقيل وقال ، وإلا فلا يتهيأ له الأقدام على عمل من الأعمال . ولله در القائل :

ولقد طلبت رضا البرية جاهدا ... فاذا رضاهم غاية لا تدرك

والقائل :

فرضا البعض فيه للبعض سخط ... ورضا الـكل غاية لا تنـال

والقائل :

ومن فى الناس يرضى كل نفس ... وبين هوى النفوس مدى بعيد

٤ — المستقبل للاسـلام :

يمتاز الاسلام بأنه دين ودولة ، وبأنه يحمل معه عوامل التجديد والاصلاح ، والصلاحية لـكل زمان ومكان ، وبأنه يضمن لذويه العاملين بتعاليمه الرفعة والعـزة وسعادة الدنيا والآخرة ؛ ودين هـذا شأنه لا ريب فى أن المستقبل له ، وسيدخل الناس فيه أفواجا بحول الله وقوته .

السيد عفيفى

أحسن ما قيل فى فضيلة الصبر

قال الله تعالى : « إن الله مع الصابرين » وقال : « وبشر الصابرين » .

ومما ينسب لعلى رضى الله عنه :

إنى رأيت وفى الأيام تجـربة ... للصـبر عاقبـة محـمودة الأثر
وقل من جد فى أمر يحاوله ... واستصحب الصـبر إلا فاز بالظفر

وقال أبو اسحاق الصابى : حظ الطالبين من الدرك ، بحسب ما استصحبوه من الصبر .

وقال شاعر :

ما أحسن الصبر فى مواطـنه ... والصبر فى كل موطن حسن
حسبك من حسنه عواقبه ... عواقب الصبر ما لها ثمن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هل توصف الطبيعة باللؤم والتضليل

حضرة الأستاذ :

سلاماً وإجلالا ، وبعد فنرجو مكارمك أن لا تضن على شبيبة تؤمل الخير فيك أن تخرجها من الشبهات التى أثارتها قصيدة (نشيد الخلود) ، المنشورة فى جريدة كثيرة الانتشار ، لأحد أساطين الشعر العربى . فقد جاء منها قوله :

ويح الطبيعة كيف تمزج برها ... باللؤم تسخر منك كالمجان
تتلقف الفضلات ثم تدسها ... لك فى الطعام شهية الألوان

وقال ينحى باللوم على الطبيعة :

تركتك أعزل بين مشتجر الأذى ... فتخطفتك طوارق الحدثان
ترد المياه وكل سائل قطرة ... سيل من الحشرات والحيوان
خفيت عليك ورفهت عنك الجوى ... فنأيت عن حتف لحتف دان
إن ضللتك وأوبقتك فإنها ... طبعت على التمويه والعدوان
فسل الحياة الى م يصرع بعضها ... بعضاً فجنى عليه وجان
تبنى وتهدم ما بنته ملولة ... تتبدل البنيان بالبنيان
لله كم للجهل عندك من يد ... أزرت بكل يد من العرفان
عبرت بك الأوهام تؤنس عندها ... برد اليقين ونعمة الرضوان
فشفيت بعض أحاح نفسك بالذى ... نفض الخيال عليك من ألوان
تلك السعادة فى الحياة وإن تكن ... عبث الوليد وضحكة الأزمان
ولقد وثبت من الخمول فلم تذق ... فى العلم غير مرارة الخذلان
وعبرت تهلع من مصيرك فى غد ... أن يستبد به « الزوال الثانى »
تنفض منتثر الهباء ممزقا ... بين العناصر طامس العنوان

الى أن قال :

حمل الغواة عليك فى نزغاتهم ... فضللت بين الحس والوجدان
إنى كفرت بما يقول غويهم ... ورضيت بالتوحيد والايمان
الوحى أصدق والخليقة آية ... لله تنطق عنه بالبرهان

يقول حضرة الشاعر : الويل للطبيعة فانها تهينك إذ تحلل لك المواد البرازية والقاذورات

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فى بطن الأرض ، وتخرجها لك فاكهة وخضرا لتا كلها . وقد قذفت بك الى الحياة بغير سلاح ، فتخطفتك المعاطب . ورمتك بالميكروبات فى المياه لتسلبك وجودك وأنت تتخيل بتناولها بأنك ترفه عن نفسك . ولقد طبعت الطبيعة على التضليل والتعدى فصارت لك قدوة فى المكر والاحتيال . فاسأل الحياة لأى غرض يهلك بعضها بعضا ؟

ثم قال : إن الجهل أفضل من العلم ، فانه يؤاتيك برد الايمان ونعمة الرضى بما أنت فيه ، إذ يوهمك أن العوالم كلها خلقت لك فيشفى بعض ظمأ نفسك بما يجلبه لك من أنواع الخيال . فهذه هى سعادة الحياة وإن كانت فى حقيقتها من ألاعيب الصبيان وأضاحيك الأزمان !

أما العلم فقد أثبت لك أن عالمك ذرة فى جملة الكواكب المتكدسة ، فارتددت على عقبك منزجرا مرتعداً من روعة الملكوت .

هنالك أطرقت مخلوع الفؤاد يائساً من مصيرك الشخصى ، إذ تموت فتنحل أجزاء جسمك ويذهب كل منها الى عنصره ليس له وجود مستقل .

ثم قال : هذه هجمة من الغواة عليك فضلات بين العلم المحسوس وبين خيال الوجدان ، أما أنا فقد كفرت بما يقول هؤلاء الغواة ورضيت بالتوحيد والإيمان ، ملتجئا الى ما أوحاه الله فى كتبه .

فيأيها الأستاذ : هل يصح وصف الطبيعة باللؤم ؟ وهل هى تضلله لتوبقه وهو أعزل ، وتسقيه السم الزعاف وهو يتوهم أنها ترفه عنه ؟

وهل الحياة تبنى وتهدم على غير هدى ، كأنها نشوى لا تعى ما تفعل ؟

وهل الجهل هو الذى يوهم الإنسان أنه سلطان الخليقة ، والعلم يزيل عنه هذا الوهم ويثبت له أنه لا شىء فى هذا الوجود العظيم ؟

وهل الوحى عدو للعلم ؟ سعيد رفقى

جوابنا على هذه المسائل :

لا يصح وصف العلم باللؤم ولا بالتضليل ، وهو عتاد الانسان فى هذه الحياة ، والكاشف له مساتير الوجود ، والمبتكر له من الوسائل ما يستطيع معه أن يغالب المبيدات التى تحدق به من كل مكان .

والحياة طُبعت على البناء والتقويم ، فان تَهدِم فلأجل أن تبنى ما هو أكمل وأقوم ، وهذا الأثر منها ظاهر لا يحتاج لبيان ، فهل الأرض يوم انفصلت عن جرم الشمس كتلة ملتهبة ، ثم بردت قشرتها جرداء موحشة ، كانت على ما هى عليه اليوم عامرة بالأحياء ؟ وهل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الانسان وهو يهيم على وجهه كبعض الهامجات ، لا ينال العيش إلا تبلغا ، ولا البقاء إلا لياذا فى الكهوف والغيران ، كان على ما هو عليه اليوم من العلم والمدنية ، والخصب وتوفر الوسائل الحيوية ؟ فهل هذه الأعمال المحيرة للعقل تصدر عن قوة نشوى ، لا يحدث منها غير الهذيان والعربدة ؟

وليس الجهل بخير من العلم . فإذا كان العلم قد كشف للانسان أن أرضه ذرة فى الفضاء ، وأنه هو يكاد يكون بجسمه لا شىء فيها ، فإنه قد أثبت له أنه بروحه وعقله عالم كبير ، عظيم الحول والطول ، متصل بعالم الروح اتصال الجزء بكله ، والفرع بأصله ، وأنه بانتمائه الى هذا الأصل سلطان على العالم المادى بحق ، وقد كشف عن سلطته عليه بما أحيا من مواته ، وأقام من عمرانه ، وسخر من نواميسه ، واستخدم من فواعله . فإن شئت أن تعرف مدى سلطانه عليه فجل فيما لا يسكنه من بقاعه ، فهل تصادف غير موامٍ موحشة ، ومعامٍ قاحلة ، وفيافٍ ماحلة ؟

وكيف يسوغ لإنسان أن يدعى أن الوحى عدو للعلم ، وهو يدعو إليه ، ويشيد به ، ويقرر بأنه سبيل الايمان ، ووسيلة الفهم والاذعان ؟ ألم يجىء فى الوحى الأخير قوله تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ » وقوله : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » وقوله : « إن فى ذلك لآيات للعالمين » وقوله : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير » .

أما القول بأن الطبيعة تتلقف الفضلات والأقذار ، وتجعل منها لك طعاما شهيا ، قاصدة بذلك إهانتك والسخر منك ، فقول ليس عليه عبقة من العلم . فإن ما تعتبره أنت فضلات وأقذارا ، لايفترق فى تركيبه الكيمائى عن أى شىء تعتبره أنت نفسك أطهر ما فى الكون . والعفونة التى لا تستطيع أن تقرب منها ، من سوء وقعها على حاسة شمك ، لا تفترق فى طهارة عناصرها عن الطيب الذى يستهويك عرفه فتضمخ به رأسك ، وتمسح به وجهك . فإن كانت حاسة الشم وحدها هى التى تفرق لك بين ما هو طيب وما هو قذر ، فقد حكمت على نفسك غير حكيم ، وأوقعتها فى خطأ عظيم . فان خلاصة جذور نبات الفاليريانا لايفترق فى ريحه عن ريح المادة الفضلية ، وهو علاج جليل القدر ومن الطهر بمكان مكين . فإن كان الانسان أسير حواسه واعتباراته ، فان العلم الحق لا يتقيد بشىء من ذلك ، فهو يعتبر الشىء من حيث هو فى حقيقته لا من حيث تأثيره فى الحواس البشرية ، ولا من حيث قيمته من الأمور الاعتبارية والرجل الحكيم مع احترامه للأمور الاعتبارية الخاصة بنوعه وعرفه ، يجب أن يكون من سلامة الادراك بحيث لا يسرى تلك الاعتبارات على الوجود فى إطلاقه . فلا يجوز له ، وهو مكبل فى القيود الاعتبارية والعرفية ، أن ينخدع بها فيقول إن الطبيعة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مشعوذة لئيمة ، تتاقف المواد البرازية ، وتحولها الى ثمرات شهية ، وتضطرني الى أكلها ، مريدة بذلك إهانتي والسخر مني ، ولكن يجب عليه أن يعرف الى أي مدى هو مخدوع بأموره الاعتبارية وبعرفه ، حتى يخيل اليه أنه يعود فيأكل القذر الذي خرج من بطنه !

على أن الطبيعة عند ما آتت الانسان ثمراتها الشهية ، لم تكن قد كونتها له من مواده الفضلية ، ولكنه هو الذي وضع بيده تلك الفضلات حيث تسبح جذور النباتات لتتغذى بها ، وكان يستطيع أن يضع بدلها مواد نباتية مما يغطي سطح الأرض ولا فائدة له عنده ، فإن عد تحليل الأرض المواد الفضلية وإعادتها اليه ثمرات شهية ، جناية عليه ، فهو الذي فعل ذلك بنفسه ، فلا يأخذن الطبيعة بذنبه .

أما أن الطبيعة قد تركت الانسان أعزل بين ملتطم العوادي ، ودست له المكاريب الفتاكة في المياه لتهلكه الخ الخ ، فكلام ليس فيه مسكة من العدل ، ولا ظل من التحقيق ، فإنها قد نحلت الانسان من قوة العقل ، ونور البصيرة ما استطاع معه أن يتغلب به على جميع تلك العوادي ، ما ظهر منها وما بطن ، نخضعت لسلطانه ، وما برح يستثمر تلك القوة ليصل الى حيث لا يبلغه وهمه من الغلب والسلطان على ما يحيط به . فمن لا يريد أن يرى هذا الأمر الجلل ، فليندب حظه ما شاء فليس ذلك بضائر أحداً غيره .

أما قول الشاعر : إن الموت سينقض عليك ، فيفض وجودك ، وينثر عناصرك في الأرض فتصبح طامس العنوان : أي فانيا ليس لك وجود ، فقول لو صح على الجثمان المادي فلا يصح على الروح ، وهي ما بها الانسان إنسان . وقد أثبت علم القرن العشرين بأنها ستبقى بعد فناء هذا الجثمان ، في عالم أرفع من هذا العالم ، أثبته بأدلة لا يمكن دحضها على أسلوبه الذي لا عوج فيه ، فاذا أنكر ذلك منكر لا يريد أن يتابع العلم في تطوره ، مشايعة للنظريات العتيقة البائدة ، فان عار ذلك لا يلحق بالعلم ولكن يلحق بالمقصرين فيه . وقد أتينا في هذه المجلة على كثير من ثمرات بحوث العلماء في هذا الباب ، وسنتبعها بأمثالها في كل فرصة .

فان كان الشاعر يعني بالغواة هؤلاء فقد أصاب ، ولكنه أطلق القول حتى عم كل رجال العلم ، كما يؤخذ من لجوئه الى الوحي مباشرة ، توهما منه بأن ما يقوله هو رأي العلم نفسه ، لا رأي طائفة من شذاذه ، وهو خطأ عظيم كان يجب أن لا يقع فيه ، فانه بجعله الوحي مناقضا لمقررات العلم ، قد سجل عليه أنه لا يصلح أن يجتمع هو والعلم في رأس ، وأنه لا يلجأ اليه إلا المستكينون الذين يهون عليهم أن يتركوا العلم لأهله ، مكتفين بما يعده العلم وهما مقضيا عليه بالزوال . ولكنه كان يجب عليه أن يقول :

حمل الغواة عليك في نزغاتهم والغي لا يخفى على يقظان
فالجأ الى العلم الصحيح فانه يحميك من إفك ومن بطلان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأكى الفتوح تجاربا حتى غدا للوحى ردأ دامغ البرهان

لو كان قال هذا لكان ممثلا للواقع ، فان العلم بتجاربه وفتوحاته العظيمة قد أقام الأدلة المحسوسة على خلود الروح ، وعلى وجود العالم الروحانى ، وقضى قضاء نهائيا على المتلاعبين بقصوره ، الذين جعلوا من ذلك القصور حججا لالحادهم ، ومتى صح فى عقل أن يكون القصور حجة على نفى شىء أو إثباته ؟ ولو انتظروا به فلعله يفتح عليه ما يزيل عنه القصور كما فتح عليه من قبل ، ولكنهم لا يصبرون ولا يعترفون بقصوره !

فان كان يوجد من تحدثه نفسه بأنه ذو عقل جبار كما يقولون ، وأن الجبروت لا يكون إلا بالتمرد على الحقائق الخالدة ، التى تضافرت الحجج المحسوسة على وجودها ، فان جبروته هذا يعتبر ضعفا يرثى له منه ، وحسبه ما وصفه به الشاعر من أنه يعيش مطرقا منخلع الفؤاد من الهلع .

وعلى ذكر العقول الجبارة التى أكثر من ذكرها كتاب العربية اليوم ، نقول إن المعايير التى يزنون بها هذه العقول ليست لها قيمة حقيقية ، فهم يحسبون الجرأة على إنكار ما اتفق الحكماء على إثباته ، والاقدام على هدم ما تواضعوا على بنائه ، دون مبالاة ولا اكتراث ، ولا الرجوع الى علم أو هدى أو كتاب منير ، هى المعايير التى تقدر بها قوة العقول . والحقيقة أن قوة العقول تقدر بما تستكشفه من المجاهيل ، وما تستخرجه من المساتير ، وما تصل إليه مما خفى على الأكثرين ، فان كان الذين يدعوهم الناس بجبارى العقول على شىء من هذه الصفة ، وجب أن يبينوا للناس بالأدلة أن ما هم عليه عريق فى البطلان ، وأنهم قائمون منه على عقائد موروثة لا أصل لها فى العلم ، ولا أساس فى المنطق . فان وقفوا هذا الموقف أمام ما اتفق الناس على الاذعان له ، وأثبتوا لهم بما ألقوه عليهم من النور صحة اتهومهم به اليه ، ولم يخشوا فى الحق لومة لائم ، أمكن اعتبارهم من جبارى العقول ، ولكن اكتفاءهم بتكذيب ما عليه الناس ، والاستهزاء به ، وهم يعجزون عن إقامة أى دليل على ما يذهبون اليه ، فلا ينيلهم شرف هذا اللقب العظيم .

وإننا لنأسف أن أكثر من يطلقون عليهم هذا اللقب الضخم فى الشرق هم من هذا القبيل الأخير . وما دام يستطيع أى مفلس أن يحصل على مثل هذا اللقب بانكار العقائد ، والحط من قيمة التقاليد ، فلا عجب أن يكون فى الشرق من جبابرة العقول بقدر ما يكون فيها من المفلسين المستهزئين ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

مكبر الصوت

فى المساجد الكبيرة

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الأسئلة الآتية :

ما قولكم فى نصب الآلة المكبرة للصوت فى المساجد وقت صلاة الجمعة والعيدين ليتمكن المصلون من سماع الخطبة وتتبع قراءة الإمام أثناء الصلاة ، هل يجوز اتخاذ هذه الآلة شرعا للغرض المذكور أو لا يجوز ؟

محمد حكمة الله خان

رئيس جمعية سيرات . جهانس الهند



الجواب :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم . وبعد : فإن اتخاذ هذه الآلة (مكبر الصوت) فى المسجد الكبير من المستحسن شرعا ، لأنه يحقق الغرض المقصود من الخطبة ، وهو الاتعاظ والتعلم . وكذلك يعين المأمومين على العلم بأفعال الإمام فى الصلاة . والله أعلم ؟

معنى حديث

وجاء أيضا :

رجل يقول : إنى ذو حظ وافر ، إذ أن ذنوبى لا تكتب علىّ ، وذنوبى المتقدمة والمتأخرة مغفورة ، لأنى قد واجهت الظالمين بكلمة حق ، وعرضت نفسى للهلاك . ويستدل لرأيه بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » كما فى الجامع الصغير للسيوطى . فهل فى هذا الحديث أو فى غيره ما يوافق رأى هذا الرجل فى غفران ذنوبه المتقدمة والمتأخرة ؟ وإذا كان هناك ما يوافقه فهل يصح له أن يرتكب الجرائم ولا يبالى اعتمادا على غفران ذنوبه كما يقول ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الجواب :

الحديث المذكور فى الاستفتاء روى من طرق عدة نبينها فيما يلى :

(١) « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » : عزاه بهذا اللفظ الجلال السيوطى الى الإمام أحمد فى مسنده ، وابن ماجه والطبرانى فى الكبير ، والبيهقى فى الكبير عن أبى أمامة ، وعزاه أيضا الى أحمد فى مسنده ، والنسائى والبيهقى عن طارق بن شهاب ، والى ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى ، وقال المناوى : إنه صحيح الإسناد . وخرجه النسائى جوابا عمن قال : أى الجهاد أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « كلمة حق عند سلطان جائر » .

(٢) وأخرجه الترمذى بلفظ « إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » .

(٣) وخرجه ابن ماجه بلفظ « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » .

(٤) وفى رواية لابن ماجه أيضا بلفظ « كلمة حق عند ذى سلطان جائر » .

وهذه طرق متعددة يقوى بعضها بعضا فى معنى الحديث وصحته ، والحديث الشريف يرشدنا الى أن من جهر بالحق ولم يخش فى سبيله لومة لائم ولا بطش جبار يكون عند الله فى درجة تسامى درجة المجاهدين .

وليس فى الحديث ما يؤخذ منه أن كلمة الحق عند السلطان الجائر تكفر لقائلها جميع سيئاته ما تقدم منها وما تأخر ، ولا أنها تبيح له أن يرتكب ما شاء من الجرائم اعتمادا على ما يظنه من هذه المغفرة الشاملة العامة ، بل النصوص الشرعية قائمة كلها على تحريم الجرائم وعدم إباحتها لكائن من كان . والله أعلم ؟

فى الرضاع

وجاء أيضا :

لى ابنة رضعت من إحدى النساء رضعات لا تزيد عن ثلاث أو أربع ، وقد كبرت البنت وخطبها شاب ليتزوج بها ، وهو شقيق المرأة التى أرضعت البنت ، أى أنه يكون شبه خال . فهل يجوز له التزوج بها أو لا يجوز ؟ وعلى أى مذهب يكون عقد الزواج ؟ وهل يجوز فى جميع المذاهب أو فى مذهب بعضهم ؟

الجواب :

يجوز عند الشافعية والحنابلة أن يتزوج الشاب المذكور هذه البنت ، لأن المحرم من الرضاع فى المذهبين ما كان خمس رضعات متفرقات فأكثر ، وإذا أريد العقد عليهما فينبغى أن يراعى فيه شروط عقد الزواج فى مذهب الشافعية أو الحنابلة . والله أعلم ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى الطلاق

وجاء أيضا :

شخص تما حلف يمينا بالطلاق ، وكان نص اليمين هكذا : « علىّ الطلاق بالثلاثة بأننى لن أدخل المنزل الفلانى طيلة حياتى » مع العلم بأن اليمين لم يقع لغاية الآن ، وأن هذا المنزل غير المنزل الذى يقطن فيه ، وأن هذا الشخص لا يمكنه الاستغناء بأى حال من الأحوال عن دخول المنزل الذى حلف اليمين بخصوصه . فما العمل فى تحليل هذا اليمين ؟ وهل يعتبر بائنا لا يمكن حله ، أو يعتبر طلاقا واحدا ؟ وما العمل فى تحليله فى كلتا الحالتين ليمكنه دخول المنزل ؟

الجواب :

هذه اليمين فى معنى الطلاق المعلق الذى يقصد به الحمل على ترك المحلوف عليه ، فكأنه قال: إن دخلت المنزل الفلانى فامرأتى تكون طالقا ثلاثا ، يقصد بذلك منع نفسه من دخول المنزل .

ويرى الامام على رضى الله عنه وطاوس وشريح وداود وأصحابه عدم وقوع الطلاق فى مثل هـذه الصورة ولو حصل المحلوف عليه . ووافقهم على ذلك كثير من فقهاء الأمصار . وقد صدر مرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ باختيار هذا المذهب للعمل به فى المحاكم الشرعية .

وعلى هذا لا يقع الطلاق فى هذه الحادثة ولو دخل الحالف المنزل . والله أعلم ؟

***

وجاء أيضا :

رجل قال لزوجته الغائبة عن المجلس : « فلانة طالقة بالثلاث ، طالقة بالثلاث ، طالقة بالثلاث » بموجب وثيقة رسمية على يد أحد مأذونى الشرع وموقع عليها بامضائه وشهادة اثنين . فهل تحل له بعد ذلك على أى مذهب من المذاهب الأربعة أو لا تحل ؟ وقد أنكر الزوج ذلك على زوجته وعاشرها بعد ذلك .

الجواب :

يرى كثير من فقهاء الأمصار أن قول الرجل لزوجته : « أنت طالق ثلاثا » يقع به طلقة واحـدة . وقد اختير هـذا المذهب للعمل به فى المحاكم الشرعية بمقتضى القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ . وإعادته اللفظ « أنت طالق ثلاثا » مرتين عقب المرة الأولى يعتبر تأكيدا للمرة الأولى فلا يقع به طلاق آخر غير الطلقة الأولى الرجعية .

أما معاشرته إياها بعد ذلك الطلاق فهى غير جائزة إلا بمراجعتها إذا كانت عدتها باقية ، أو بعقد جديد إذا كانت عدتها قد انتهت .

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وجاء أيضا :

وقعت مشاحنة بيني وبين زوجتي قلت لها أثناءها : « أنت طالق بالثلاث ، ومحـرمة علىّ زى أمى وأختى » وهو الطلاق الثانى ، وأريد إرجاعها الى عصمتى . فهل يحل لى ذلك على مذهب الامام الشافعى أو لا يحل ؟

الجواب :

قول الرجل لزوجته : « أنت طالق بالثلاث » صريح فى الطلاق الثلاث على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ، فيقع فيه الطلاق ثلاثا ، ولا تحل الزوجة لزوجها حتى تنكح زوجا غيره . ولا تأثير لقوله بعد ذلك : « أنت محرمة علىّ زى أمى وأختى » لأن هذا القول يعتبر لغوا بعد وقوع الطلاق الثلاث . والله أعلم .

***

وجاء أيضا :

رجل قال : « علىّ الطـلاق بالثلاثة ما أنا إلا معزول من إخوتى ولا أقعد معهم فى عيشة واحدة » ثم قال : « علىّ الطلاق بالثلاثة إنى عدو لإخوتى وهم أعداء لى » وكان حال صدور هذا منه فى غضب لا يعى معه ما يقول ، وغرضه من القول الأول مجرد حمل نفسه على أن ينفصل من إخوته وأن يترك معاشرتهم ، ومن الثانى مجرد حمل نفسه على الاستمرار فى ترك معاشرتهم وأنه لا يعود إليهم ، شأن كل عدو مع عدوه ، وهو الى الآن لم ينفصل من إخوته ، ويريد البقـاء معهم والاستمرار فى معاشرتهم ، كما أنه لم يدخـل بزوجته التى حلف منها . فهل يقع الطلاق بهاتين الصيغتين أو لا يقع ؟

الجواب :

هذه الصيغة من قبيل الطلاق غير المنجز الذى يقصد به الحمـل على فعل المحلوف عليـه . ويرى الامام على وطاوس وشريح وداود وأصحابه عـدم وقوع الطلاق بمثل هـذه الصيغة ولو حصل المحلوف عليه ، ووافقهم على ذلك كثير من فقهاء المذاهب . وقد اختير هذا المذهب للعمل به فى المحاكم الشرعية ، وقد صدر بذلك مرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩

وعلى هذا لا يقع الطلاق فى هـذه الحادثة ولو لم ينفصل الحالف من إخوته ، ولو استمر فى معاشرتهم . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى
محمد عبد اللطيف الفحام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قادة الفكر فى تاريخ الاسلام

توطئة وتمهيد

هذه فصول من البحث لم أقصد بها الى التاريخ ، ولا حاولت أن أمسك لها براعة المؤرخ الذى يسجل ما يشهد فى مسرح الحياة ، ويكتب ما يروى عن الغابرين ، وهى ليست من التاريخ ببعيد ، بل هى منه فى الصميم ، ولم أقصد بها الى ترجمة بعض الشخصيات العظيمة فى تاريخ الاسلام وإن كانت حول هـذه الترجمة تدور ، وليس من همها أن تسجل يوم ولادة زيد ، ولا عام وفاة عمرو ، وليس من همها أن تحدثك عن البطولة والأبطال فى ساحة الوغى والنضال ، وليس من همها أن تفتح بين يدى القارئ صفحة من قصص الوقائع وسرد الأحاديث ، فتلك سبيل ميسرة للسالكين ، ومنهج معبد للعابرين ، وطريق مألوف للباحثين من القدماء والمحدثين ، وفى الأخير ، هو وجه من الدراسة تكفلت به كتب التاريخ التى لا يبلغها العد ، يعثر عليه من أراده فى غير إجهاد ومعاناة أينما وقعت يده على أحدها ، ويستشفه بصره حيثما حل فى صفحاتها .

وإنما قصدت بها الى ناحية خاصة فى سجل التاريخ الاسلامى ، هى أضوأ نواحيه وأجدرها بالعناية الدارسة والتأمل الباحث ، تلك هى ناحية تأريخ الفكر الاسلامى على ضوء ترجمة أشهر رجاله وقادته من علماء الملة ومفكريها ، والوقوف عند آرائهم ونظرياتهم فى شتى الفنون ومختلف العلوم وفنون المعارف ، وما أفاده الاسلام من تلك النظريات ، وما كسبته الانسانية من ورائها ، لنكشف بها عن آيات الجلال الفكرى فى حياة الاسلام المباركة ، وآية التاريخ فى الاعتبار بتقلباته ، والإفادة من أحداثه ، وسر العبرة فى التأسى ، وطريق التأسى التحليل والتعليل ، ورد النتائج الى مقدماتها ، وربط الأسباب بمسبباتها ، فذلك أبلغ فى تصوير البواعث النفسية لتكوين التاريخ الفكرى على ضوء الظواهر الاجتماعية .

والتاريخ الاسلامى أحفل التواريخ بمواطن العبر ، والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون الى بعث ماضيهم واستثارة دفائن تاريخهم الذى يضم بين جنباته ثروة فكرية لا تفنى ، وكنوزا علمية لا تنفد ، لا يقتضيهم بعثها سوى عزيمة صارمة ، وصبر على لأواء البحث وجهاد التفكير .

وتاريخ الفكر الاسلامى واسع المدى ، مترامى الأرجاء ، متعدد المناحى ، عميق الغور ، لأنه تاريخ التشريع وتعرف أطواره واتجاه مذاهب الفقهاء فى فهمه وتدوينه ، وتاريخ الفلسفة الاسلامية ومنشؤها وصلتها بالفلسفات القديمة والحديثة ، وتاريخ العلوم العربية على اختلاف فنونها ، وليس يكفى فى القيام بحق هذا التاريخ وبسطه كتابة فصول محدودة الغاية ، فما تبلغ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من بدايته أول سطورها حتى تكون قد أنافت على ذروة نهايتها ، ولم تقض من لبنات الباحث أدناها ، وإذا لم يكن فى طوق البحث أن يعتمد على التفصيل فقد يكون فى الإجمال بعض الغناء لأنه لا يخلو من تنبيه الى مشارف الآراء ومعاقد الأفكار ، وهذا وإن لم ينقع غلة الصادى فيه مقنع للشادى ، وحسبك أن تقف على باب الصحراء لتهدى السابلة الى فجاجها ، وهم مع إدمان السير واصلون الى النهاية آمنين .

وسأحاول فى هذه الفصول أن أتحدث عن قيادة الفكر فى تاريخ الاسلام فى إجمال لا يحجب وراءه معنى يقتضيه البحث ، جاعلا أشهر شخصيات قادة الفكر موضوع هذا الحديث ، موجها عناية البحث الى مناحيهم الفكرية وآثارهم العلمية ، عارضا ذلك فى شىء من التحليل بقدر مايصل اليه جهدى على ضوء ما ثبت عنهم من النقل فى مصادره الوثيقة الصادقة ، غير متعرض لشىء من حياتهم إلا بقدر ما يتصل بأفكارهم ، ومن ثم كانت هذه الفصول ترجمة علمية لمن نوفق لعرض حياته الفكرية فى مرآتها .

يحاول أنصار مذهب النشوء والترقى أن يقيموا دعائم نظريتهم على أساس افتراض « التطور » الطبيعى لتكوين الإنسان المادى فى حيز الكائنات الأولية ، بعيدا أشد البعد عن عوالم الحيوانية ، بله العقل والتفكير ، ثم الى السذاجة الفكرية المطلقة منذ أول عهده بالحياة بشرا سويا الى أحقاب متطاولة وأعصر متعاقبة ، تدرج فى مدارجها ، وترقى فى مراقيها من حالة الحيوانية الوحشية الى حالة الإنسانية العاقلة المفكرة ، فالتفكير فى نظرهم لم يولد مع الإنسان ، وإنما هو شىء اكتسبه اكتسابا من طريق « التطور » فى طبيعته وتكوينه المادى بمرور الأحقاب . وهذا مذهب قد تولت الأبحاث الحديثة فيما وراء المادة مناضلته بسلاحه العلمى ، وهو نفسه يقرر أن البقاء للاصلح ، وسواء أكان الإنسان خلق مفكرا كما تثبته حياته الدينية فى أطوارها المختلفة ، واستشعاره قوة غيبية تسيطر عليه وعلى جميع ما يشهد من كائنات ، يصورها فى كل ما يتخيل فيه القوة القاهرة تبعا لتأثراته الفكرية وبعده عن الهداية الإلهية ، وكما تقرره الكتب السماوية ، وكما تشهد به الأبحاث الروحية الحديثة ، أم خلق عريا عن التفكير إطلاقا كما يزعمه الماديون من أتباع النشوئيين ، فإن التاريخ أثبت للإنسان منذ أقدم العصور تفكيرا يسمو على مضائق المادة فى مواطن متعددة من الكرة الأرضية ، وأجناس مختلفة ، فقد عرف التاريخ منذ آلاف السنين حضارة قدامى المصريين العلمية ، وعرف أنها ثمرة من ثمرات حياتهم الفكرية التى تركت آثارها الناطقة لتدل على مكانتها ، وقبل ذلك بعصور سحيقة عرف التاريخ مدنية الصينيين ومن جاورهم من الأجناس الآرية ، وعرف فلسفتهم وصناعاتهم الدقيقة ، وعرف أنها صدى لما وصلوا إليه من التفكير الناضج والعقل الكامل ، ثم عرف عن الآشوريين والفينيقيين والبابليين والحورابيين حياتهم فكرية خصبة تراءت فى تلك القوانين والشرائع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التى سجلتها آثارهم ، وعرف الى جانبها شيئا عن حياة المعينيين فى جنوب الجزيرة العربية ، وعن خلفائهم السبئيين ونهضتهم التجارية والصناعية وآثارهم الهندسية ، وعرف غيرهم كثيرا من الأمم التى بلغت فى الحضارة والحياة الفكرية مبلغا أعدها لأن تضع فى بناء المجتمع البشرى لبنة من تاريخها ، ولا يزال فى غيب التاريخ كثير من الأمم المتقادمة والأجيال البائدة ممن طواهم الزمن فى ضميره ، وأسدل عليهم حجابا كثيفا من الجهالة والنسيان .

وإذا اقترب الزمن بالحياة عرفت من نفسها ما كانت تجهل ، فقيّدته غضا طريا ، وسجلته ناضرا نديا ، فأدركه التاريخ جديدا زكيا ، وتنقل به فى مراحل الحياة صورة لجيل من الناس وهو فى حقيقته مرآة للمجتمع الانسانى المتحدر مع الزمن فى أجيال لا يأخذها الإحصاء .

هذه الحضارة الاغريقية والفلسفة اليونانية التى وضعها التاريخ تحت هذه العنونة الخاصة ، وتناقلها الناس على أنها صورة للفكر اليونانى ، ليست إلا سلسلة من الحلقات المتصلة من مجموع حضارات الأمم التى سبقت اليونان فى الوجود المادى والوجود الفكرى ، أظهرها فلاسفة اليونان فى صورة من عقليتهم وتفكيرهم ، ومن بعدهم أخذها وارثوهم من الرومان والفرس أولا ، ومن العرب ثانيا ، فاتسمت بسمتهم ، وتسمت باسمهم ، فقد حدثنا التاريخ عن رحلة فيثاغورث الى المدارس المصرية القديمة ، وحدثنا عن رحلات أفلاطون أسيرا ومفكرا الى بلاد كان للفكر فيها حظ عظيم حتى عاد منها الى وطنه فيلسوفا ومعلما ، وحدثنا عن تلك الحروب الهائلة التى قاد جيوشها الشاب الفيلسوف الاسكندر المقدونى ، يكتنف حفافيه علماء أمته وفلاسفتها ، وتخطى بها المعمور من الأرض ، وجاس معها خلال أقطار تتوطنها أجناس من الناس مختلفة الألسنة والألوان والأخلاق والتفكير ، فمزجت شعوبها مزجا ووحّد تفكيرها وزاوج بين عناصرها ، وحدثنا عن تجاذب الأفكار بين العلماء والفلاسفة تجاذبا قرب اتجاهها ، وحدثنا عن تآخى كثير من الحضارات تحت راية واحدة .

وهكذا يجد من يدرس تاريخ الفكر الانسانى صورة مجملة على ما بها من غموض ، فإنها تعطى أن التفكير ثمرة الانسانية فى أجناسها المختلفة ، وليس وقفا على أمة من الأمم أو جنس من الأجناس ، وإنما تمتاز فيه أمة على أمة بما تضفيه على الحياة الفكرية من طابع بيئتها وحياتها الاجتماعية ، وبما تصبها فيه من أسلوب خاص يطبعها بطابع عقلية تلك الأمة ، وبما تضيفه اليها من صور الفكر الموضعية ، وبما تمدها به من الشواهد العملية مما يقربها الى نواميس الوجود ، وبما ينفى عنها التحريف والتضليل ، ويصفيها من الخرافات والأباطيل .

وقد أخذت تلك الصورة تتضح فى ظل العقل اليونانى حتى اكتملت قوية باهرة فى عهد عقول الفلسفة الثلاثة : سقراط الحكيم ، وأفلاطون العظيم ، وتلميذه أرسطو الذى أكسب الفلسفة شخصية علمية تمثلت فى مؤلفاته ومؤلفات أستاذه أفلاطون ، ومؤلفات تلاميذها ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن تفلسف بعدهم ، وقد أضفى أرسطو على الفلسفة من طابع شخصيته وبيئته وحياته الاجتماعية وخصائص أمته ما جعلها خصيصة به وبها ، وصبها فى أسلوب منطقى ابتدعه لها ابتداعا ، وأمدها بكثير من الشواهد العملية والتجارب الواقعية ، وقربها الى سنن الوجود ، وصفاها من خيالات أستاذه أفلاطون المثالية ، ورد نظرياتها الى الواقع فى كثير من جوانبها .

بقى الفكر الانسانى عيالا على فلاسفة اليونان فى نظرياتهم التى أسسوا عليها أكثر فنون الفلسفة ، وفى مكان القيادة منهم أرسطو الذى كان بحق كما لقبه تلاميذ عقله من فلاسفة العرب « المعلم الأول » . وإذا كان لسقراط الفضل الأول فى توجيه العقل الانسانى الى السمو بنفسه عن مضائق المادة وهتك حجبها والنفاذ الى ماوراء سجفها من عوالم روحانية سامية ، فإن أرسطو هو صاحب الطريقة الانشائية فى ترتيب الموجودات ترتيبا علميا يعتمد على قوانين ثابتة منتزعة من طبائعها وخصائصها ، وهو الذى كشف عن الصلة بين عالم المادة وعالم الروح وربط بينهما بقابلية الانفعال لتأثير روح أزلى قاهر محيط بكل موجود إحاطة رعاية وتدبير .

عندئذ كان الفكر الانسانى قد وصل من طريق الفلسفة الى القمة ، ولكنه لم يستطع أن يثبت فى عليائه ، بل انحدر من طريق البيئة الاجتماعية الى حضيض الوثنية ، فان أولئك الحكماء الذين ارتقوا به الى الذروة هم أنفسهم — إذا استثنينا سقراط الذى قدم حياته قربانا فدى به عقله وروحانيته — الذين انحدروا به الى الحضيض مسايرة للدهماء ، ففى الوقت الذى كان يقرر فيه أرسطو ومن قبله أستاذه أفلاطون نظرياتهم الالهية كانت الوثنية الحمقاء تجرفهم أمامها فى غمار الدهماء من عامة الشعب وخاصته ، وكانت معابد أثينا ومحافلها تعج بتماثيل آلهتهم وأصنامهم التى كانوا لها عاكفين ، وقد كان لخيال شعرائهم وروائيهم من أحاديث تلك الآلهة فى تخاصمها وتصالحها مادة خصبة أكسبت آدابهم لونا من التصوير الخرافى يدفعك الى الابتسام والسخرية دفعا لا اختيار لك فيه ، ولا شك أن هذه كبوة من كبوات الفكر التى أظلمته فلم يستطع معها أن ينهض وحده ، وبقى مغلولا بغلها حتى افتكته الديانات السماوية ، وكشفت عنه حجاب الضلالة وهدته الى أقوم طريق .

كان طبيعيا بعد إذ وصل الفكر الانسانى الى هذا الطور الفلسفى أن يتحرك فى سمت جديد ليبدأ طورا جديدا فى بيئة جديدة ، فانتقل بتراثه الفلسفى الى الرومان وارثى ثورة اليونان العلمية ، وهؤلاء الرومان لم تكن لهم العقلية الفلسفية المعقدة التى كانت عند اليونان ، وإنما كانت لهم عقلية اجتماعية اتخذها الفكر مراحا لجولاته ، وقنع فى ظلها من الفلسفة بالشرح والتلخيص والاستنباط ، واتجه الى تنظيم الجماعة تنظيما قانونيا ، كان من أثره إخراج الفقه الرومانى الذى اعتبرته الأمم دستورا تستمد منه شرائعها الوضعية ، وهنا يظهر فيصل ما بين التفكير الفلسفى والتفكير الاجتماعى ، لأن الفكر فى الأول يكون قائدا ذا سلطان لا يحد ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفى الثانى يكون قائدا مقيدا بالبيئة الاجتماعية التى يشرع لها ، وفى هـذا ما يكشف لنا عن أخطاء الشرائع الوضعية ، ولا سيما التى لم تتأثر بشىء من الشرائع السماوية ، فى تكييفها للجماعة البشرية ، وتقسيمها الى طبقات بينها من التفاوت ما بين العجماوات وأرق طبقات الانسان .

وقد عنيت الشرائع الالهية أشد العناية بتصحيح خطأ الفكر الاجتماعى فى التشريع ، كما عنيت بتصحيح خطئه الفلسفى فى العقائد ، وكان النضال بينهما على أشده ، فلم يقف عند حد الصراع الفكرى ، بل اتخذ فى كثير من الأحوال شكل التناحر المادىّ ، وقد أنبأنا التاريخ أن المسيحية لم تستقر فى روما إلا بعد أن صليت بنار الخصومة الوثنية ، وجرت دماء شهدائها دفاعا عن عقيدتها الدينية ، ولم يقف الفكر الفلسفى أمام هذا الانتصار الذى أحرزته الفكرة الدينية عاجزا مستسلما ، ولكنه واثبها فى ميدان آخر ، فذهب مع أنصاره المشردين الى مدرسة الاسكندرية حيث وجد هناك كنفا موطأ ، وجناحا مخفوضا ، وامتزج رجال الفكر من الفلاسفة برجال الدين من الكهنة ، وتآخت الفلسفة مع الدين على ما بينهما من فوارق طبيعية وكسبية ، واستخدم رجال الدين أساليب الفلسفة المعماة فى تصوير بعض العقائد الدينية ، وحاول الفلاسفة تطبيق نظرياتهم الفلسفية على قواعد الدين ، وقام على هذا الأساس مذهب الأفلاطونية الحديثة مزيجا من الفلسفة وعقائد الدين ، وانتهى به الصراع المحتدم بين المذهبين الى التسليم والاستسلام من الجانبين ، وركن العالم الى هدنة على دخن كانت سببا فى الاضطراب الاجتماعى الذى ساد الأمم فى ذلك الحين ، وتطلعت النفوس الى منقذ ينقذها ، وكره الفكر الانسانى الجمود الذى أصابه فى ظل المهادنة البليدة ، واشرأب الى أفق جديد يسطع منه أكمل نورا ، وأوضح حجة ، وأعمق أثرا ، وأعم نفعا ، وأصدق قيلا ، وأخلد قبيلا ، فكان ذلك الأفق هو الاسلام ، وفيه بدأ الفكر الانسانى طورا جديدا بلغ به نهاية عظمته ، وتبوأ عرش الخلود فى ظل القرآن الكريم .

كان الفكر قبل الإسلام فلسفيا فى كنف الفلسفة ، وتشريعيا فى كنف الفقه والتشريع ، وسياسيا فى بيئة السياسة ، واجتماعيا فى ظل الاجتماع ، وكانت له فى مرحلة من أولئك عثرة ترجف منها قوائمه ، فلما جاء الإسلام احتضنه ، وأعظم شأنه ، ونشر لواءه ، وأعلى كلمته ، وجعله المهيمن على منافذ الحياة كلها ، والإسلام دين تشريع وفلسفة واجتماع وأخلاق ، يسمو بالفرد والجماعة من طريق تكميل خصائصهما الطبيعية ، وتوجيه رغائبهما وجهة الخير والإصلاح ، فكان مجال الفكر فيه أرحب ساحة ، وأوسع مدى ، وأحكم غاية ، وأسد طريقا ، وأقرب غرضا ، وأحمد عاقبة ، وأجمع لمناحى الوجود ، فهو فى ظل الإسلام سياسى تشريعى ، واجتماعى خلقى ، وفلسفى علمى ، لا تطغى به ناحية على ناحية ، غير أن حيوية الإسلام القاهرة جعلت من روحه قوة مسيطرة على الفكر تسدده فى سيره ، فأخذته بالتربية المتدرجة بعد أن أحاطته علما بسمو حقيقته .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكان طبيعيا أن تكون أول جولاته فى مضمار التشريع وتنظيم الجماعة الإسلامية تنظيما اجتماعيا وسياسيا ، فإنها كانت أول أمرها أحوج ما تكون الى هذا التنظيم ، ثم اتجه الى ساحة العلوم والفنون فأحكم أمرها ، ومنها أخذ سمته الى الفلسفة حتى استولى فيها على الأمد ، وذا هو يعمل الآن فى تحقيق ما ابتدع من نظريات وما رتب من حقائق ، وإبرازها فى صورة عملية حية ولكن فى أفق آخر جديد .

وسأحاول أن أصور مراحله الإسلامية فى أشخاص قادته فى تاريخ الاسلام ، غير متقيد بترتيب زمنى ، ولكن بقدر ما يتسع له جهدى ويسعفنى به الاطلاع ، عسى أن يبعث ذلك فى نفوس المسلمين عامة وشباب الإسلام خاصة ، روحا من الحمية تدفعهم الى النهوض الفكرى حتى يكون لهم من العز والسؤدد ما كان لأسلافهم الأولين ؟

صادق ابراهيم عرجون

شجعان العصر الاول

قيل لم يكن فى الجاهلية ولا فى الاسلام أشجع من خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ولشجاعته سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيف الله . ذلك أنه لم ينهزم فى معركة قط ، ومات على فراشه. يقال : إنه سمع عند موته يقول « ما فى جسدى موضع إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو جرح بسهم ، وها أنا أموت على فراشى كما يموت العير ، فلا نامت أعين الجبناء ! »

ومن شجعان العصر الأول : البراء بن مالك ، روى عنه أنه نازل مائة مبارز وقتلهم .

وكتب عمر بن الخطاب الى ولاته يحذرهم أن يسندوا رياسة عسكر الى البراء بن مالك ، فانه يحملهم ما تدعوه اليه شجاعته فيهلكهم . وكان هذا من الفاروق رحمة منه بالمؤمنين .

ومن شجعان الصحابة : طلحة بن عبيد الله ، وحارثة بن حذيفة ، والزبير بن العوام ، والمقداد ابن الأسود .

يروى أن عمرو بن العاص طلب الى عمر بن الخطاب أن يمده ، وهو بصدد فتح مصر ، بثلاثة آلاف ، فأرسل اليه بالزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وحارثة بن حذيفة ، عاداً كلا منهم بألف .

ومن الشجعان : الأشتر النخعى ، واسمه مالك بن الحويرث ، وهو الذى قيل فيه إن حياته هدمت أهل الشام ، وموته هدم أهل العراق .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المسيحية فى الاسلام

وعدنا أن نأتى على ملحق لمقال حضرة الفاضل تادرس مسيحه أفندى ، فننجز وعدنا اليوم وننشره هنا مع التعقيب عليه . قال حضرته :

سيدى العزيز : إلحاقا برسالتى السابقة أرفع لعزتكم كلمتى هذه إتماما للفائدة فيما يختص بردكم على كتاب المسيحية فى الاسلام ، فأقول : تتهموننا بأننا قد أخذنا عقيدتنا التى تشبه عقيدة الوثنيين السابقين من طريق الوراثة ، وأنه يجب علينا أن نرفضها الخ ، فنقول :

إننا ياسيدى لم نفتر على الله الكذب ، ولم نقل شيئا يخالف ما أنزله الله فى كتبه المقدسة ، لذلك لا يمكن أن نرفض عقيدتنا المثبوتة فى كتب الله ، لأننا سمعنا عن أمم كانت قبلنا تقول وتعتقد بمثل ما نقول ونعتقد ، وإلا فإنى أدعوك بأن تكذب القرآن فى أن عيسى المسيح قد ولد من عذراء اسمها مريم ، لأن ذلك يشابه ما اعتقده الهنود البراهمة من قبل .

هذا ويطول بنا المقام إذا أردنا أن نورد لكم المقارنات الكثيرة بين أكثر عقائد الاسلام وعقائد الوثنيين أيضا كالرمى بالجمار والطواف والاعتمار مما كان من عادات الوثنية العربية ، ومن تلقين الميت قبل دفنه وتقديس القرآن وعدم السماح بلمسه أو تفسيره إلا من فئة خاصة ، كما كان عند الهنود القدماء كتاب يقدسونه بذات الطريقة ، بل نقول لكم ما قاله الأستاذ غلاب مدرس الفلسفة بكلية أصول الدين ردا على ما قاله المستشرقون من أن أكثر العقائد الاسلامية مأخوذ من الوثنيات القديمة فقال : « إن هذا لايقلل من شأن الأديان السماوية المنزلة ولا يغض من كرامتها »

هذا فضلا عن أننا نستطيع أن نقول بأن العقل البشرى حتى فى زمن سذاجته لم يكن متروكا مهملا بل كان الله يقوده ويلهمه ، بما سيأتى به كتب الله المنزلة ، لذا فليس ببعيد على الوثنيين القدماء من مصريين وبرهميين وغيرهم أن يكون الله قد ألهمهم الى ذلك التثليث الاعتبارى للذات الواحدة الجوهر ، ولا نقول إنها بداهة عقلية بدليل اتفاقهم جميعا على هذا التثليث ، وهى ظاهرة غريبة تدل على أن عناية الله مع الجميع تتولاهم فى أعمق جاهليتهم بالهداية والارشاد ، وإلا فما معنى الاتفاق على التثليث ولم يقل بعضهم بتربيع أو تخميس .

« أما من جهة التقليد الأعمى الذى لا يستند على نصوص من الكتب المعتبرة بأنها منزلة فلا نظن أننا موضع التهمة به ، ولكننا نسأل بتواضع حضرة الأستاذ رئيس تحرير مجلة الأزهر فنقول : على أى نص من القرآن تستندون فى إثبات الحقيقة المحمدية أو النور المحمدى الذى منه اشتق نور الأنبياء ولم يصرح القرآن بأكثر من أنه أمر نبيكم بقوله : « قل إنما أنا بشر

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مثلكم يوحى الى»؟ أما من جهة التقليد والأخذ عن الآباء بغير نظر والجمود على المعتقدات الموروثة فلا نظن أنه قد قام فى المسيحيين من رماهم بالجمود العام الشامل والأخذ عن السلف على الطريقة العمياء حتى فيما يخالف نصوص الكتاب المنزل كما قام الامام محمد عبده الذى وصف المسلمين بهذا الجمود حيث قال: « ولو أن أحدا أخذ مسلما من شاطىء الاطلنطيق وآخر من تحت جدار الصين لوجد كلمة واحدة تخرج من أفواههما وهى: « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » فكلهم أعداء لكل مخالف لما هم عليه وإن نطق به الكتاب واجتمعت عليه الآثار » .

تادرس مسيحه بأخطاب

حاشية:

تقولون عزتكم: إن لفظة (روح) قليلة جدا على الخالق لأنها مما خطر على بالك والله بخلاف ذلك، أو ليست لفظة (ذات) على هذا القياس قليلة أيضا لأنها مما يخطر على البال ؟ إذن فليس لله ذات فيكون غير موجود لأن الذات هى خاصية الوجود وكل ماليس بذات هو غير موجود، فكيف لا يكون لله روح كما جاء بالانجيل الشريف (الله روح) والروح هو خاصية الحياة كما أن الذات هى خاصية الوجود. ألم يقل البيضاوى: الروح القدس هو اسم الله الأعظم الذى كان يلازم عيسى ويحيي به الموتى ؟

ملاحظاتنا على هذه الشبهات:

نكرر القول هنا بأننا لم نثر هذا الجدل الدينى الذى نعتقد أن لا فائدة ترجى من ورائه، ولكن الذى أثاره هو أحد رجال الكنيسة المسيحية بكتاب ألفه بقصد التدليل على أن القرآن يؤيد القول بألوهية عيسى عليه السلام.

يقول حضرة الكاتب: « إننا لم نقل شيئا يخالف ما أنزله الله فى كتبه المقدسة التوراة والانجيل » الخ.

نقول: أما قوله إنه لم يدن فى عقيدة التثليث إلا وفاقا لما ورد عنها فى التوراة والإنجيل، فهو غير صحيح. فأما التوراة فهى تدعو لإله واحد، لا ولد له ولا والد، وقد أخذ بها الإسرائيليون وكلهم موحدون متشددون فى توحيدهم.

وأما الأناجيل فلا يوجد فيها ما يدل على ألوهية عيسى ولا ألوهية الروح القدس.

ونحن لم نقل بوجوب رفض هذه العقيدة لأن أمما قديمة وثنية كانت تقول بها، ولكن مع مخالفتها للكتب السماوية السابقة ليست بمعقولة، ولا يمكن الدفاع عنها بحجة أو بشبه أما ماهو معقول وليس فيه ما ينافى توحيد الله وتنزيهه فلا حرج من القول به، ولو قال الوثنيين. والأصول الاعتقادية التى يشترك فيها الكتابيون والوثنيون كثيرة جدا.

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يقول حضرة تادرس افندى : « ويطول بنا المقام إذ أردنا أن نورد لكم المقارنات الكثيرة بين أكثر (عقائد) الإسلام وعقائد الوثنيين كالرمى بالجمار الخ » .

ونحن نقول : إن كل ماذكره ليس من باب (العقائد) ، ولكن من باب العبادات ، ولا يضير المسلمين ولا المسيحيين أن يتفقوا فى بعض عباداتهم والوثنيين ، ففى جميع الأديان حتى أعرقها فى الوثنية صوم وصلاة وركوع وسجود وحج واعتمار ، وإنما يضيرهم أن ينزلوا الى حضيض الوثنيين فى تناول ذات الخالق بالتحليل والتركيب ، وأن يشركوا به ، أو يدَّعوا البنوة له .

وأما ماذكره تادرس افندى من عدم السماح بلمس القرآن أو تفسيره إلا لطائفة خاصة الخ فنحن نأسف لورود مثل هذا على لسان رجل عاشر المسلمين طول حياته ، وعرف كثيرا مما هم عليه . ألم ير القرآن متداولا بين أيدى الناس كافة كباراً وصغاراً حتى أطفال المدارس الالزامية ، ومعروضا فى المكتبات يقتنيه من شاء من الناس دون أن يسأل عن مذهبه .

كل مافى هذه المسألة أن بعض العلماء فسر قوله تعالى : « إنه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون » ، بأن المراد بالمطهرين أى الأطهار من الأحداث الجسدية ، فحرموا أن يمسه غير متطهر ، وقال البعض الآخر : المراد بالمطهرين الملائكة المجردين من الكدورات الجثمانية ، بدليل قوله تعالى (فى كتاب مكنون) وهو اللوح المحفوظ فى العالم العلوى .

أما قوله : « عدم السماح بتفسير القرآن إلا لطائفة خاصة » فهذا عجيب كسابقه لأنه لا أثر له فى العالم الاسلامى ، وقد تناول الكتاب الكريم بالتفسير العرب والترك والفرس والديلم والسودان والحبشان الخ الخ .

أما ما أورده حضرة الكاتب من أن المستشرقين قالوا بأن أكثر العقائد الاسلامية مأخوذة من الوثنيات القديمة ، فلو كان فى العالم من قال هذا القول فقد دل على جهله المطبق بالاسلام ، فان هذا الدين الذى قال للوثنيين : « أنتم وما تعبدون من دون الله حَصَب جهنم » ، ونصب العقل فيصلا بين الحق والباطل ، ودعا الى العلم وجعل منزلة أهله فوق منزلة الشهداء ، هذا الدين لا يعقل أن يأخذ عقائده من الوثنيات القديمة ، وهل هذه الوثنيات غير إشراك بالله ، وتشبيه له بخلقه ، ورفع بعض الناس الى مرتبة الألوهية ، والطاعة المطلقة لرؤساء الأديان ، والتقليد الأعمى للآباء والأجداد ، والأخذ بكل ما يقال بدون تمحيص ولا تدليل ، فأين هذا كله من الاسلام فى سمو عقائده ، وخلوص توحيده ، واعتماده على العقل والعلم فى جميع تعاليمه ، واعتضاده بالدليل فى كل أموره ؟ وإذا كان هذا يقال فى الاسلام وهو ألد أعداء الوثنية ، فماذا يقال فى غيره مما لا يحكم العقل ، ولا يعتمد على المنطق ، ولا يأبه للدليل ، ولا يقف من تخيلات أهله عند حد ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يقول حضرة الكاتب : إن اتفاق الأقدمين من الهنود وغيرهم على التثليث قد يكون من عناية الله بهم إذ هداهم اليه ، وإلا فلم لم يقل بعضهم بتربيع أو تخميس الخ .

ونحن نقول : إن مايدلى به حضرة الكاتب ينم عن نقص فى البحث ، فإن من الأمم من قال بالهين فقط أرموزد وأهريمان ، ومنهم من قال بأكثر من ثلاثة حتى بلغوا بهم كاليونانيين والرومانيين والعرب وغيرهم ، عشرات . فالتعديد كما ترى ليس بمقصور على التثليث .

أما قوله : « على أى نص تستندون فى إثبات الحقيقة المحمدية ، والنور المحمدى الخ »

فنرد عليه بأن هذا ليس من (عقائد) المسلمين ، ولا له أصل فى الكتاب ولا فى السنة الصحيحة ، وإنما هو من مبالغات بعض الغلاة ، وليس يلزم الاسلام منه شىء . وهؤلاء الغلاة يصادفون فى كل مجال حتى فى العلم والفلسفة وفى الالحاد أيضا . وقد جاء الاسلام لابطاله والتعفية على أثره ، فقال الله تعالى : « يأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق » ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إياكم والغلو فى الدين فانما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين » .

وليس فى الاسلام قدْمة ولا أولية لأحد من المرسلين ، فالكل فى نظره مربوبون له ، من أول آدم الى موسى وعيسى ومحمد ، وقد أمر المسلمون أن يؤمنوا بهم بغير تفرقة بينهم .

وقال حضرة الكاتب : « أما التقليد والأخذ عن الآباء بغير نظر والجمود على المعتقدات الموروثة فلم يرم بها أحد المسيحيين ، كما رمى بها الامام الشيخ محمد عبده المسلمين الخ » .

فنقول : ليس الخطر فى أن يتصف الآحاد والجهال بالتقليد والجمود ، ولكن الخطر فى أن يتصف بهذا الوصف القائمون على العقائد ، والمؤتمنون على الحقائق . فقول الامام الشيخ محمد عبده مشهد من أروع المشاهد امتاز به هذا الدين ، ودل على مبلغ ماخصه الله به من الحفظ والرعاية باعتبار أنه الدين الخالد . ذلك أن أركان التقليد والجمود على الموروثات فى جميع الملل هم رجال الدين ، وإنهم ليعتبرون ذلك مفخرة لهم ، ولم يذكر تاريخهم أنه ارتفع لهم صوت فى عهد من عهودهم باتهام أممهم بتقليد الآباء والجمود على ما ورثوه عنهم ، بل يؤثر عنهم أنهم تشددوا فى دعوتهم اليهما ، والعض بالنواجذ عليهما .

ولكن التقليد فى الاسلام بغير نظر ولا تقدير لايجوز ، فالمسلم مطالب بأن يُعمل فكره ، ويجهد عقله فى تمحيص ما يقدم اليه من عقائد وأصول ، وما يكون قد نشأ عليه من عادات وتقاليد ، ليقر ما يتفق والعقل والمنطق ، ويبطل مالا يتفق وإياهما ، لأنه مسئول عن عمله ، وموكول الى نفسه « كل نفس بما كسبت رهينة » .

أليس من الظواهر التى توجب الإعجاب بهذا الدين أن إماما من المسلمين يقوم بعد مضى نحو

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أربعة عشر قرنا على وجوده فيدعوهم الى عدم تقليد الآباء باسم هذا الدين نفسه ، مستشهدا لهم بآية من آيات كتابه ، ألا يدل هذا على أن هذا الدين يبقى ما بقى الدهر ينبوع حياة للشعوب ، ومشرق نور وهداية للقلوب ؟

ملاحظاتنا على ما جاء فى الحاشية :

يقول تدرس أفندى مسيحه : « إذا كانت لفظة (روح) كما تقولون قليلة جدا على الخالق أفليست تجرى هذا المجرى لفظة (ذات) الخ ؟ »

نقول : ليس فى إطلاق أسماء وصفات كريمة على الله من حرج ، ولكن الحرج فى عدم استشعار التنزيه فى إطلاقها عليه ، تفاديا من الوقوع فى فتنة التشبيه التى طمت فى الديانات كلها ما خلا الاسلام ، وأدت الى ضروب شتى من الضلالات التى تناقض العقل والعلم معا .

وإنما كان لا بد من أصل التنزيه فى الكلام عن الخالق لسبب لا يختلف فيه عاقلان ، ذلك أن الانسان كائن محدود فى كون محدود ، فهو لا يفكر ولا يتعقل إلا فى دائرة هذه الحدود ، والله مطلق لا يحصره شيء ، والمحدود إذا حاول إدراك المطلق وقع فى التحديد لا محالة ، فيكون كل ما يسمّى به الخالق أو يدركه عليه من الصفات ، موصوما بتلك الحدود .

هذا هو الفرق الجوهرى بين المسلم وغيره من ناحية العقيدة بالخالق جل وعز ، فهو إن أطلق عليه كلمة (ذات) ، والذات لغة هى ما يصلح لأن يعلم ويخبر عنه ، سرَى عليها قاعدة التنزيه فلم يعتبرها من نوع الذوات المعروفة ، واكتفى أن يقول إنها تعنى الموجود الأزلى الأبدى الواجب الوجود الذى لا يحد بحد ولا يدرك بعقل .

ولا يستطيع أن يطلق عليه لفظ (روح) بالمعنى المحدود المعروف له الذى ينتزعه من المحسوسات والمعقولات ، لأن الله خالق الروح ، وخالق الشيء يكون أرفع منه بما لا يقدر .

أما البيضاوى فلم يقل إن روح القدس فى قوله تعالى : « وأيدناه بروح القدس » اسم الله الأعظم ، بل قال إنه جبريل . ثم قال : وقيل إن روح القدس اسم الله الأعظم . ولا يخفى أنه أسند هذا القول لغيره ولم يرضه ، بدليل إيثاره للتفسير الأول الذى عليه جميع المفسرين .

والمسلم إن اضطر أن يقول إن روح القدس اسم الله تعالى ، لم يفهمه على ما يدل عليه لفظه ، لأنه يعتبر ذلك تشبيها له بخلقه ، فيقدر له مضافا ويقول : إن معناه (خالق روح القدس) .

فالتنزيه كما ترى سياج لا يمكن تخطيه يحول بين العقل البشرى وبين الخلط والخبط فى الكلام عن العزة الالهية ، فيحتمى به من الوقوع فى الضلالات البعيدة التى تخيلها الناس قديما وحديثا ، وأوقعتهم فى الخلافات الشنيعة ، وجعلت من أديانهم ميتولوجيات لا تحتمل النقد ، ولا تثبت على التمحيص ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المدرسة الاشعرية

تمهيد :

كانت لفظة المتكلمين فى عصرها الأول تشمل جميع من يشتغلون بالنظر لا فرق فيهم بين صفاتى ومعتزلى وجبرى ، بل إن المعتزلة قد أخذت تقوى وتتغلب على ما عداها من الفرق حتى كادت تحتكر لفظة « المتكلمين » محتجة بأن الكلام هو النظر العقلى . وبما أن المعتزلة وحدهم هم الذين يحكمون العقل فهم الجديرون باسم المتكلمين دون غيرهم من المتقيدين بعوامل أخرى خارجة عن العقل . وقد تم لهم ما أرادوا من إحراز النصر على الفرق الأخرى بفضل ما ترجم الى اللغة العربية من منتجات الأجانب التى أيدتهم فى أكثر ما ذهبوا إليه . وظل هذا شأنهم حتى أعلن أبو الحسن الأشعرى مذهبه الذى كان شبه ثورة قوية فى تاريخ الحركة العقلية العربية ، وكاد يقضى على كل الفرق التى حادت عن الشريعة النقية ، وقهرها على الانزواء والخفوت . وإليك هذه الحركة فى شىء من التفصيل :

أبو الحسن الأشعرى — حياته :

ولد أبو الحسن بالبصرة فى سنة ٢٦٠ هـ — ٨٧٣ م من أسرة يمنية نبيلة معروفة بالشرف والاستقامة منذ عهد بعيد ، إذ كان جده أبو موسى الأشعرى من الصحابة الأجلاء ، وقد فتح أصبهان وجزءا عظيما من بلاد فارس .

شب أبو الحسن فى بغداد حاضرة الملك والعلم ، وكعبة الشباب المتعطش الى الثقافة فى تلك العصور ، ثم أخذ يتلقى دروسه العقلية على الجبائى ، وكان رفيقا لابنه أبى هاشم اللذين كانا رئيسى فرقتين من فرق المعتزلة ، فكان من الطبيعى أن ينشأ فتانا معتزليا ، وهذا هو الذى حدث : فاعتنق آراء أستاذه ، وظل يؤمن بها ويناضل عنها فى حماس حتى بلغ الأربعين من عمره . وكان أستاذه ينيبه عنه كثيرا فى المحاورات العلنية حتى حاز بين معاصريه شهرة فائقة .

وفى هذه الآونة لا يدرى إلا الله ما الذى كان يدور بخلده ويحول مجرى تفكيره بطريقة غامضة خفية ، إذ لم يلبث الناس أن شاهدوا عليه تغييرا فجائيا حيث اعتكف فى منزله بضعة أيام لا يرى أحدا ، ثم خرج على أثر ذلك فصعد المنبر فى وسط جموع حاشدة من الناس وطلب إليهم أن يصغوا إليه ، فلما فعلوا نزع عباءته ومزقها ثم قال : إنى كما خرجت من هذه العباءة أعلن براءتى من كل أخطائى السابقة ، وأصرح بأن جميع آرائى الماضية باطلة .

ومنذ ذلك الحين أخذ يصنف المؤلفات المسهبة يحمل فيها على المعتزلة والاعتزال ، ويناقش

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

آراءه القديمة وآراء أستاذه فى شيء من العنف . ولقد كان له مع هذا الأستاذ محاورات جدية فى المجامع العامة كان من آثارها أن انضم إليه جمهور كبير من التلاميذ والمريدين . وأخيرا توفى فى سنة ٣٢٤ هـ — ٩٣٥ م تاركا وراءه تلك المدرسة القوية التى سحقت فرق المعتزلة ، وجذبت الحركة العقلية فى ذلك العصر نحو دائرة الكتاب والسنة ، وظلت تناضل الفلاسفة مناضلة شديدة ، ثم أنجبت فخر الأمة الإسلامية منذ القرن الخامس وهو الإمام الغزالى الذى رأينا فيما بعد ذلك العصر ردوده القيمة على الفلاسفة .

غير أن خصوم أبى الحسن الأشعرى كالحنفية والحنبلية والماتريدية قد طعنوا فى إخلاصه ، فبينما كان المحايدون الأبرياء معجبين به الى حد الافتنان ، كان خصومه يعلنون أن الذى حمله على سلوك هـذا الطريق الجديد ليس هو الإخلاص للشريعة ، وإنما هو الأغراض الشخصية والرغبة فى لفت الأنظار إليه ، واجتماع كثير من التلاميذ حوله ، وفوزه بمكانة سامية فى عصره ، لأنه لوظل معتزليا لما استطاع أن يتفوق على أساتذته ورفاقه زعماء الفرقتين : الجبائية والبهشمية ، فحول تيار حياته الى الجهة التى يستطيع أن يظهر فيها . وقد قطعوا فى هذا الاتهام شوطا بعيدا ، فنسبوا إليه كتباً سرية زعموا أنه خالف فيها آراءه العلنية ، ولكن لم يعثر أحد على شيء من هذه الكتب .

منتجاته :

يروى المؤرخون أن منتجات أبى الحسن الأشعرى قد بلغت نحو مائتى مؤلف ، ولكنها فقدت إلا القليل منها . وقد حدثنا الأستاذ « كريمير » أنه قد اطلع من هـذه المؤلفات على كتاب « اللمع » وأنه كتاب قيم على الرغم من أنه ألف للتلاميذ ، لا للبحوث المسهبة . أما ابن عساكر فيصف لنا كتاب « الإبانة » الذى هو — فيما يظهر — أهم بكثير من كتاب « اللمع » . وقد ذكر ابن عساكر لنا شيئا من نصوص هذا الكتاب ، ولكن « البارون كارادى فو » يرى أن ماذكره ابن عساكر من هذا الكتاب هو أقل أجزائه أهمية ، إذ أنه لم يعرض فيما استأنس به لتلك المعركة العقلية التى حمى وطيسها فى هـذا الكتاب القيم بين الأشعرى والنظام . ويعتقد البارون أن نسخة مخطوطة كاملة من هذا الكتاب فى المكتبة الفتحية فى القسطنطينية .

لم يكد هـذا الامام يعلن أن مهمته هى قبل كل شيء هدم جميع فرق المعتزلة حتى تلقى رسائل الأسئلة من مختلف أنحاء البلاد الاسلامية كخراسان وجرجان ودمشق يستفسر فيها أصحابها عن حلول بعض المشاكل الاسلامية ، فأخذ يجيب عليها بعلم غزير وأسلوب فياض . غير أن أكثر نتائج هذا المجهود العظيم قد فقد . ولولا مؤلفات ابن عساكر والشهرستانى ، والأساتذين المستشرقين : « ميرين » و« اسبيتا » لجهل العالم الحديث جانبا هاما من جوانب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفكير الاسلامى ، أو لأساء فهمه على الأقل ، لأن التلاميذ — وهم المعتمد إذا فقدت كتب الأستاذ — ليس لهم إلا كتب قليلة يروى الأستاذ « كارادى فو » أنه اطلع على بعض مخطوطات منها فى مكتبتى باريس وبرلين للباقلانى وإمام الحرمين .

مذهبه :

يمتاز مذهب الأشعرى عن مذهب المعتزلة بميزات هامة ، منها أن الأول يتجه نحو الشريعة ويجعلها غايته المقصودة ، على حين يتلاعب الثانى بألفاظها ، ويتلهى بتأويل عباراتها الى ما يؤيده فى غرضه ويحقق له هواه . ومنها أن الأول مؤسس على إخضاع العقل للسمعيات على عكس ما يرى الثانى من منح العقل أقصى آواج الحرية فى التفكير . ومنها كذلك أن الأول خاضع للمبادئ الأخلاقية التى نص عليها الاسلام ، على حين يكل الثانى الأمر الى حكم العقل فى تحديد هذه المبادئ وفى الاذعان لها . ومنها أن الأول كان يريد أن يؤسس حديثه على قديم السلف الصالح من أعلام الأمة الاسلامية ؛ أما الثانى فكان يود التخلص من هذا السلف والتحرر نهائيا من كل قديم . ولذلك حين ألف الجبائى تفسيره للقرآن لم يراع فيه الأسلوب العربى الصحيح ، ولم يأبه لأى مأثور من مأثورات السلف ، حتى قال فيه أبو الحسن ما معناه : إنه ألف تفسيرا للقرآن ، هو فى معناه معارض متعارض مع الوحى الالهى ، أما ألفاظه فهى بلغة قرية جباء البعيدة كل البعد عن لغة القرآن المقدسة ، وهو لم يشر فيه الى أى أثر من آثار السلف ، وإنما اعتمد فيه على وحيه الخاص وعلى وحى الشيطان .

ولا ريب أن هذه العبارات توضح تماما الفروق الجوهرية بين المذهبين ، لا فى الموضوع فحسب ، بل وفى الشكل أيضا .

أما المشاكل التى كانت قائمة بين المدرستين فأهمها ما يأتى :

(١) إثبات صفات الله أو نفيها . (٢) حرية الفرد أو جبره ، والى أى حد تلك الحرية أو ذلك الجبر . (٣) إمكان رؤية الله فى الآخرة أو استحالتها . (٤) وجوب فعل الصلاح أو الأصلح أو اللطف على البارى أو عدم وجوبها . (٥) معرفة الحسن والقبح بالعقل أو بالشرع . (٦) استيجاب الطاعة للثواب والمعصية للعقاب . (٧) الحكم على فاعل الكبيرة الذى لم يتب منها . (٨) تركيب الأجسام من أجزاء لا تتجزأ ، أو من أجزاء قابلة للتجزؤ قبولا غير متناه ، وفيها الخلاف حول الجوهر والعرض .

هذه أهم نقط الخلاف بين الأشعرية الأولى وخصومها من أهل الاعتزال . وإليك رأى أبى الحسن فى المشكلة الأولى ، وهى مشكلة إثبات الصفات أو نفيها ، قال أبو الحسن : « البارى تعالى عالم بعلم ، قادر بقدرة ، حى بحياة ، مريد بإرادة ، متكلم بكلام ، سميع بسمع ، بصير ببصر » . وله فى البقاء اختلاف رأى ، قال : « وهذه صفات أزلية قائمة بذاته ، لا يقال : هى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هو ولا غيره ، ولا لاهو ولا غيره . والدليل على أنه متكلم بكلام قديم ومريد بارادة قديمة »
قال : « قام الدليل على أنه تعالى ملك ، والملك من له الأمر والنهى ، فهو آمر وناه ، فلا يخلو إما أن يكون آمرا بأمر قديم أو بأمر محدث ، فان كان محدثا فلا يخلو إما أن يحدثه فى ذاته أو فى محل ، أو لا فى محل ، فيستحيل أن يحدثه فى ذاته ، لأنه يؤدى الى أن يكون محلا للحوادث ، وذلك محال . ويستحيل أن يكون فى محل ، لأنه يوجب أن يكون المحل به موصوفا ، ويستحيل أن يحدثه لا فى محل ، لأن ذلك غير معقول . فتعين أنه قديم قائم به ، صفة له ، وكذلك التقسيم فى الارادة والسمع والبصر » ، قال : « وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات : المستحيل ، والجائز ، والواجب ، والموجود ، والمعدوم . وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده من الجائزات . وإرادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الصفات . وكلامه واحد ، هو : أمر ونهى ، وخبر واستخبار ، ووعد ووعيد . وهذه الوجوه ترجع الى اعتبارات فى كلامه ، لا إلى عدد فى نفس الكلام والعبارات ، إذ الألفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الأنبياء عليهم السلام دلالات على الكلام الأزلى ، والدلالة مخلوقة محدثة ، والمدلول قديم أزلى . والفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو ، كالفرق بين الذكر والمذكور . فالذكر محدث والمذكور قديم » .

أما رأيه فى المشكلة الثانية وهى حرية الفرد والى أى حد ، فهو يتلخص فيما يلى : قال : « والعبد قادر على أفعال العباد ، إذ الانسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشة ، وبين حركات الاختيار والارادة . والتفرقة راجعة الى أن الحركات الاختيارية حاصلة بحيث إن القدرة تكون متوقفة على اختيار القادر ، ولهذا فالمكتسب هو المقدور بالقدرة الحادثة ، والحاصل تحت القدرة الحادثة » . ويحدثنا الشهرستانى أن أبا الحسن يرى أنه : « لا تأثير للقدرة الحادثة فى الإحداث ، لأن جهة الحدوث قضية واحدة لا تختلف بالنسبة الى الجوهر والعرض . فلو أثرت فى قضية الحدوث ، لأثرت فى قضية حدوث كل محدث حتى تصلح لإحداث الألوان والطعوم والروائح ، وتصلح لإحداث الجواهر والأجسام ، فيؤدى الى تجويز وقوع السماء على الأرض بالقدرة الحادثة ، غير أن الله تعالى أجرى سنته بأن يخلق عقب القدرة الحادثة أو تحتها ومعها الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد له ، وسمى هذا الفعل كسبا ، فيكون خلقا من الله تعالى إبداعا واحداثا ، وكسبا من العبد مجعولا تحت قدرته » .

أما مشكلة إمكان رؤية الله واستحالتها فى الآخرة ، فهاك ما أثر عنه فيها :

« إن كل موجود يصح أن يرى ، فإن المصحح للرؤية إنما هو الوجود ، والبارى تعالى موجود فيصح أن يرى ، وقد ورد فى السمع أن المؤمنين يرونه فى الآخرة ، قال تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » الى غير ذلك من الآيات والأخبار . ولا يجوز أن تتعلق به الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع أو على سبيل الانطباع ، فإن

(١٠ جـ) وب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ذلك مستحيل . وله قولان فى ماهية الرؤية : أحدها أنه علم مخصوص ، ويعنى بالمخصوص أنه يتعلق بالوجود دون العدم ؛ والثانى أنه إدراك وراء العلم لا يقتضى تأثيرا فى المدرك ولا تأثرا عنه » .

وقال فى نقطة وجوب الصلاح على الله أو عدمه مانصه : « لا يجب على الله تعالى شىء ما بالعقل : لا الصلاح ولا الأصلح ، ولا اللطف ، وكل ما يقتضيه العقل من الحكمة الموجبة فيقتضى نقيضه من وجه آخر . وأصل التكاليف لم يكن واجبا على الله تعالى ، إذ لم يرجع اليه نفع ، ولا اندفع به عنه ضرر ، وهو قادر على مجازاة العبيد ثوابا وعقابا ، وقادر على الافضال عليهم ابتداء تكرما وتفضلا ، والثواب والتفضل والنعيم واللطف كله منه فضل ، والعقاب والعذاب كله عدل ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . وانبعاث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة » .

وقال أيضا فى مشكلة الحسن والقبح : « والعقل ليس يوجب شيئا ، ولا يقتضى تحسينا وتقبيحا ، فمعرفة الله تعالى بالعقل تحصل ، وبالسمع تجب ، قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » . وكذلك شكر المنعم وإثابة المطيع وعقاب العاصى يجب بالسمع دون العقل » .

وقال فى نقطة استيجاب الطاعة والمعصية للثواب والعقاب : « وهو المالك فى خلقه يفعل ما يشاء ويحكم مايريد فلو أدخل الخلائق بأجمعهم الجنة لم يكن حيفا ، ولو أدخلهم النار لم يكن جورا ، إذ الظلم هو التصرف فيما لا يملكه المتصرف ، أو وضع الشىء فى غير موضعه ، وهو المالك المطلق ، فلا يتصور منه ظلم ولا ينسب اليه جور » . وقال فى الحكم على فاعل الكبيرة مانصه : « الايمان هو التصديق بالقلب ، وأما القول باللسان والعمل على الأركان ففروعه ، فمن صدق بالقلب أى أقر بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى بالقلب ، صح إيمانه حتى لو مات فى الحال لكان مؤمنا ناجيا ، ولا يخرج من الايمان إلا بانكار شىء من ذلك . وصاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا من غير توبة يكون حكمه الى الله تعالى : إما أن يغفر له برحمته ، وإما أن يشفع فيه النبى صلى الله عليه وسلم إذ قال : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » ، وإما أن يعذبه بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة برحمته ، ولا يجوز أن يخلد فى النار مع الكفار ، لما ورد به السمع من إخراج من كان فى قلبه ذرة من الايمان » .

أما نظرية الجوهر الفرد ، فقد استعارها المتكلمون من « ديموكريت » الذى وصل إليهم مذهبه عن طريق مؤلفات أرسطو ، غير أن ديموكريت كان يرى أن هذه الجواهر الفردة أو الذرات أزلية لا خالق لها ، وأبدية لا تدثر . فأخذوا منه أصل النظرية ، وأنكروا عليه قوله

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بأزليتها وأبديتها ، مستدلين على بطلان رأيه بما احتج به عليه خصومه من فلاسفة الإغريق : كاستحالة قبول الأزلى للأعراض الحائلة والصور الزائلة على نحو ما هو مشاهد من تشكل تلك الجواهر الفردة بصور أخرى بعد تركبها ، وغير ذلك من البراهين التى ليس هنا محل الإفاضة فيها .

قال الأشعرية إذاً ، بوجود الجزء الذى لا يتجزأ ، وجزموا بحدوثه بعد العدم عن خالق أزلى ليس جسما ولا هو فى جسم . وعندهم أن هذه الذرات لا تتجزأ ، لأنها لا كم لها ، وأن الأجسام توجد وتنعدم باجتماع وتفرق هذه الذرات ، وأن البارى لم يكف عن خلقها ، بل لا يزال يخلق منها كلما عنّ له أن يفعل . وهذا الاجتماع وذلك التفرق مسببان عندهم عن الحركة الناشئة من تحريك البارى لها . وهم يقولون كما قال ديموكريت بالفراغ الذى لا تستطيع الذرات التحرك بدونه .

وكما أن الأجسام مؤلفة من الجواهر الفردة ، كذلك الزمان مؤلف من لحظات فردة غير قابلة للقسمة يفصل بينها خلاء من الزمن كالخلاء الموجود فى المكان .

وعندهم أن الجواهر محل للأعراض ، وأن العرض لا يدوم لحظتين أو جوهرين فردين من جواهر الزمن ، وأن البارى لكى يديمه يجدده فى كل لحظة . وليس هذا التعاقب خاصا بالأمور الايجابية لا يتعداها الى ما يظهر فى الخارج سلبيا كأن يتصور مثلا أن السكون هو انعدام عرض الحركة ، أو الجهل انعدام عرض العلم ، أو الموت انعدام عرض الحياة ، كلا ، فان السكون والجهل والموت أعراض إيجابية يخلقها البارى ، لتعقب أعراض الحركة والعلم والحياة .

ومن أهم ما يلفت نظر الباحث فى فلسفة المتكلمين هو إنكارهم البات لضرورة الأسباب والمسببات ، وجزمهم بأن البارى يفعل ما يشاء بمحض اختياره ، إن بسبب وإن مباشرة دون أن يتميز الأول عن الثانى بأية ميزة . ويترتب على هذه النظرية شيئان : أولهما هدم القانون الطبيعى من أساسه ، وثانيهما إمكان أن يتحقق فى الخارج كل ما يخطر بخيلاتنا من الممكنات الذهنية كإمكان أن تكون النار مثلا مبردة والثلج محرقا . وقد سخر الفلاسفة من هذه النظرية سخرية لاذعة ظهرت آثارها فى ذلك الأسلوب القاسى الذى حمل به إخوان الصفاء على المتكلمين ، ورموهم بالجهل المطبق فى علم الطبيعة ، وسلقوهم بألسنة حداد ، لأنهم فى نظرهم كانوا يتعرضون لما لا يحسنون ، ويهرفون بما لا يعرفون . وليس إخوان الصفاء وحدهم هم الذين هاجموا المتكلمين فى هذه النقطة ، بل ابن رشد أيضا قد وجه اليهم من سهام النقد أحدّها وأقساها ؟

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاراء العالمية فى الاسلام والمسلمين

الاسلام فى العالم ، الحركة السياسية ومكانة أوربا وفرنسا

نشر المسيو أرتور بيللوجران (Arthur Pellegrin) العضو بالمجلس الاستشارى الكبير فى تونس ، كتاب أسماه (الاسلام فى العالم) أتى فيه على آرائه فى الاسلام وما يؤدى اليه ، وحالات المسلمين الاجتماعية والأدبية والسياسية ، ونريد أن ننقل بعض هذه الآراء هنا للتعقيب عليها بما نراه مناسبا لها تأييدا أو تفنيدا ، لأن الكتاب الأجانب لجهلهم اللغة العربية وحقيقة الاسلام ونفسية المسلمين ، كثيرا مايخطئون فى أحكامهم عليهم . فمن الآراء التى أبداها المسيو أرتور بيللوجران فى كتابه المذكور قوله .

« من العدل أن نقول بأن الفتح الفرنسى قد أفاد فى اتساع نطاق الديانة المحمدية فى أفريقية (يريد تونس) ومراكش والجزائر ، أكثر مما فعل على منع تقدمها . وبفضل السلام والسكينة التى نشرها فى تلك الأقطار زاد تبادل الآراء بزيادة المعاوضات التجارية ، وسهولة انتقالات الناس » .

ثم شرع المسيو أرتور يعلل حركة انتشار الاسلام فى أفريقا فقال :

« إن العامل النفسانى (البسيكولوجى) الهام فى انتشار الاسلام ، هو أن هذا الدين يعتبر لدى الرجل الأفريقى مخالفا لديانة الرجل الأبيض المستولى على بلاده ، وهى المسيحية . وقد شوهد أن القبائل الشديدة التهيج هى التى ترحب أكثر من سواها بالعقائد الاسلامية ، على حين أن الجماعات ذوات الطبيعة الهادئة السلمية تبقى كثيرة التشبث بدياناتها الوثنية » .

وقد تناول الأستاذ جورج جوبو أحد أعضاء المجمع العلمى الفرنسى هذا الكتاب بالتحليل فى جريدة (التاريخ الاستعمارى) فقال :

« إن المسيو أرتور بيللوجران يضع أمام أعيننا الوجوه المختلفة لمسألة هى غاية فى التعقد والدقة . فيرينا من ناحية ثقافة اسلامية تقوم على ربط اجتماعية قديمة جدا امتزجت بالعواطف الدينية ، وهذه الثقافة لا ينبعث منها إلا نور ضئيل . ويرينا من ناحية أخرى ثقافة أوربية يعتبرها المسلمون كافرة . ولما كان المسلم يعتبر الأشياء الأرضية ثانوية ووقتية تراه لا يرتاح الى ما يسميه المسيو أرتور بيللوجران بالمذهب البشرى ولا الى مظهره النهائى وهو تطلب القدرة للحصول على الأغراض الأرضية .

« ولكن فى الوقت نفسه تولدت فى عقول عدد من المسلمين رغبة ملحة فى الأخذ ببعض

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عناصر الثقافة الغربية كالعلوم المقررة والمعارف السياسية ، لا باعتبار أن هـذه الثقافة غاية ولـكن باعتبار أنها وسيلة وأداة . « فقد ظن هؤلاء المسلمون ، كما يقول المسيو أرتور بيللوجران ، أن لهذه الأداة خاصة ذاتية ، وكما نجحت فى أيدى الأوربيين فقد وجب أن يتوقع لها مثل هذا النجاح فى الشرق » . ولـكنهم سرعان ما علموا أنهم كانوا واهمين . فإن الاسلام عند ما آنس إن هـذه الحوافظ الروحية والاجتماعية قـد تحللت على أثر ما حدث من التسامح بين الثقافتين تنبه للخطر وشمر واستعد للمقاومة » .

« ولا يغيب عن الأذهان أن إيطاليا منحت مسلمى طرابلس وبرقة فى سنة ١٩١٩ قانونا يعتبر مثلا يضرب فى حب الحرية ، مقتضاه اعتبارهم إيطاليين مواطنين فى داخل بلادهم ، وسمح لهم بشروط معينة أن ينتقلوا من هـذه الحالة الى أرقى منها ، فيصبحون مواطنين فى عاصمة المملـكة دون أن يتنازلوا عن قوانينهم الشخصية الخاصة ومسألة الوراثة . ولـكن لم يلبث هذا القانون أن ألغى بسبب مجافاة المسلمين له . ففيم يهمهم هذا البرلمان المحلى الذى يسمح لهم هذا القانون بدخوله ؟ إن عرب الخيام كعرب القصور ، كما يقول المسيو ارتور بيللوجران ، لا يعرفون لهم سلطة غير التى تـكون لرؤسائهم السياسيين والدينيين . وهؤلاء فى حاجة لأن يشعروا بوجود إرادة قوية تزعهم عن الوقوع فى منافساتهم الموروثة عن أسلافهم . يضاف الى هذا أن رؤساء القبائل وأئمة الزوايا يعارضون ، حرصا على فائدتهم الشخصية ، قيام أى نظام ديموقراطى لديهم لأنه يلاشى الامتيازات التى يتمتعون بها . ولما كان الشعب لا يرى الأشياء إلا من خلال رؤسائه ، كان من المحتم أن يصادف هذا القانون حقد جميع المسلمين الليبيين عليه .

وقد حدثت هذه الظاهرة عينها فى تونس ، فان سياسة التسامح فى منح التونسيين حقوق الوطنية الفرنسية التى أقرتها فرنسا حيالهم ، رفضها الدستوريون باعتبار أنها تخالف الاسلام ، وتهيىء الوسائل لتنصير المسلمين . وبالغوا حتى فى عـدم جواز دفن جثث من يقبلها منهم فى مقابرهم ، فاضطرت الادارة الفرنسية لأن تنشىء لهم مقابر خاصة .

« ولم تَـعْـدُ الجزائر هذه السيرة عينها فان العلماء هنالك وإن كانوا من أنصار هذا التطور السياسى لإخوانهم فى الدين ، ويؤيدون الذين يرجون للجزائريين الدخول فى الوطنية الفرنسية ، فان المرابطين وهيأة الدينيين يرجون كما يقول المسيو ارتور بيللوجران أن يحتفظوا بالقانون الاسلامى كاملا ، ولا يأبهوا بالحقوق السياسية التى يكتسبونها بهـذه الوسيلة بل يعتبرونها أحابيل أعدت لهم لإبعاد المسلمين عن تقاليدهم الدينية »

***

(مجلة الأزهر) إن المسائل التى يعالجها المسيو ارتور بيللوجران والمسيو جورج جويو سياسية محضة لأنها تتعلق بالاستعمار وحقوق الأمم ، ولـكنهما أقحما فيها الاسلام إقحاما لا نرى له

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مبررا . فلو كانت الشعوب التى استولى الفرنسيون على بلادها ليست مسلمة لوجد ما يجده الآن منها . ونحن إذا تكلمنا عما أبديناه من الآراء فانما نفعل ذلك بعد حذف الناحية السياسية منها .

ذكر المسيو بيللوجران أن الاحتلال الفرنسى قد أفاد فى اتساع نطاق الديانة الاسلامية فى تونس والجزائر ومراكش ، ولا ندرى كيف تجاهل أن الاسلام ينتشر بهذه القوة نفسها حيث لايوجد الفرنسيون من القارة الافريقية ، ومن سائر القارات العالمية . ذلك لأن للاسلام قوة انتشار ذاتية لا تقف به عند حد . فهو دائم الحركة كالسيل الأتى لا يصده عن بلوغ مداه شيء . فليس الفضل فى انتشاره لأى ضرب من ضروب الاستعمار الأوربى .

ويقول إن المسلم يعتبر الأشياء الأرضية ثانوية وقتية فلا يرتاح للمذهب البشرى الذى مؤداه تطلب القدرة للحصول على الأغراض الأرضية .

وهذا القول فيه نظر فان المسلم وإن كان يعتبر الأشياء الأرضية ثانوية بجانب الأغراض العلوية ، فلا يعنى ذلك أنه محمول على احتقارها وعدم الاشتغال بها . ولا إخال المسيو أرتور بيللوجران إلا عارفا بأن المسلمين الأولين بجانب كلفهم بالأمور العلوية ، عنوا بالأمور الأرضية عناية أوجبت لهم زعامة العالم فى سنين معدودة . وهم لم يعنوا بذلك من ناحية حربية فحسب ، ولكن من جميع النواحى التى يستدعيها العمران البشرى ، من علم وصناعة وفنون ، حتى أصبحوا أئمتها دون سواهم . فاذا كانت توجد جماعات إسلامية اليوم لاتهب للامور الأرضية مثل عناية أسلافهم ، فلا يكون لذلك معنى غير أنهم ليسوا على الطريق السوى من دينهم .

ويقول المسيو أرتور بيللوجران أن طائفة من المسلمين لما أخذت بالثقافة الغربية ، ورأى الاسلام أن الحوافظ الروحية والاجتماعية لأهله قد تحللت بسببها ، تنبه للخطر واستعد للمقاومة . ونحن نعجب من تظاهر المسيو أرتور بأنه لايفهم السبب فى ذلك . السبب أن الثقافة الغربية تعطى هؤلاء الأقوام بلغة غير لغتهم ، ويدس لهم فيها ما يوهن من قوميتهم ، ويشكك فى عقيدتهم ، ويحلل من حوافظهم الأدبية . فلذلك يهيب بهم الاسلام الى حظيرته ضنا بهم على التحلل والتلاشى . وبقاؤهم وحدة اجتماعية متميزة متأخرة فى معارفها ، خير لها من الفناء فى وحدات أخرى باسم الثقافة والمدنية .

هذه ميزة عظيمة للديانة الاسلامية فانها بما تحيط به أهلها من الحوافظ ، لاتسمح بأن تعدو عليهم المحللات الأجنبية من أى نوع كانت . ويرجى لكل الجماعات الاسلامية بفضل هذه الحوافظ أن تسترد وجودها الاجتماعى ومجدها التالد ، وتعود الى ما كانت عليه جماعات فتية قوية تشاطر الأمم الحياة الراقية ، وتأخذ حظها من تكميل المدنية .

محمد فريد وجدى

ضيق المجال فى هذا العدد لم يمكننا من إعطاء هذا الباب حقه من الاستيعاب .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نظام الوقف فى الاسلام

وآثاره المترتبة عليه

ذكرنا فى مقالنا السابق طرفا مما يدخل فى حدود الناظر من تصرفات .

فنذكر اليوم أن العلماء قد وضعوا لذلك ضابطا كليا ، فنقل صاحب البحر أن الضابط الكلى لما يجوز للناظر من التصرفات أن يعمل كل ما فيه فائدة للوقف ومنفعة للموقوف عليهم مع ملاحظة شرط الواقف إن كان معتبرا شرعا . وتحت هذا الضابط الكلى تندرج أجزاء كثيرة يأتى الكلام عنها تبعا لذكر مناسباتها ، وقد أتينا على حالات كثيرة يملكها الناظر وتقع فى اختصاصه فى المقال السابق ، فليس بنا من حاجة الى ترديدها مرة أخرى .

أما ما لا يجوز للناظر من التصرفات فقد نوعه العلماء على أنواع كثيرة ، وفى حالات كثيرة ، من ذلك أنه لا يجوز له أن يخرج أحدا من الموقوف عليهم ولا أن يدخل معهم أحدا ، ولا أن يخصص واحداً منهم بالغلة ، ولا أن يستبدل عقارات الوقف ، ولا أن يفضل بعض الموقوف عليهم على بعض إن كانوا محصورين إلا إذا شرط الواقف له ذلك فى كتاب وقفه ، فلو كانوا غير محصورين جاز التفضيل . ومثال ذلك أن الواقف لو جعل وقفه على فقراء قرابته وفقراء الجيزة مثلا ثم من بعدهم للمساكين ، كان للأمر وجهان : فإن كانت أفراد كل من النوعين محصورة قسمت الغلة كلها على عدد رءوسهم بدون تفاضل ، ولا يملك ناظر الوقف فى هذه الحالة نوعا من التفاضل ضرورة أن الوقف عليهم فى هذه الحالة بمنزلة الوصية والوصية تنفذ حسبما نص عليه الموصى للموصى له ، وإن كانت أفراد كل من النوعين غير محصورة قسمت الغلة نصفين لكل نوع نصفها ، فما خص كل نوع جاز للناظر فيه أن يفضل بعض الأفراد على بعض ، كما جاز له أن يعطى البعض ويحرم البعض الآخر لأن المقصود من الوقف القربة الى الله ، والقربة تتحقق باعطاء البعض كالصدقة سواء بسواء ، أما إذا كانت أفراد أحد النوعين محصورة دون أفراد النوع الآخر قسمت الغلة بين الفريقين على أن يجعل للفريق المحصور أسهم بعدد أفراده ، وأن يجعل للفريق غير المحصور سهم واحد . فمثلا لو كان عدد أفراد الفريق الأول تسعة قسمت غلة الوقف على عشرة ووزعت تسعة أسهم على عدد أفراده وكان لناظر الوقف حق التفضيل فى السهم الذى خص الفريق الذى لا ينحصر ، لأن ما ينحصر قد حدده الواقف فى كتاب وقفه ، أما ما لا ينحصر فقد أطلقه الواقف من الحصر ابتغاء القربة والتصدق ، فكان للناظر أن يملك هذا الحق فيمن لا ينحصر من الأفراد الموقوف عليهم ، وألا يملك الحق فى المنحصر كما هو ظاهر .

ولا يجوز للناظر أن يرهن عقار الوقف بسبب دين على جهته أو على المستحقين له أو عليه ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لأن ذلك الرهن يؤدى الى بطلان جهة الوقف عند العجز عن الوفاء بالدين وبيع الرهن لسداده ، وكم كان هذا التصرف ولايزال سببا من الأسباب المباشرة لإلغاء أعيان كثيرة موقوفة عجز المستحقون أو ناظر عين الوقف المرهونة عن الوفاء بما عليها من الديون ، فقضت المحاكم المختلطة ببيعها وبنقض الوقف ، وضاعت على المستحقين حقوقهم ، وفقد منها وجه البر والاحسان من هذا التصرف البغيض . ولذلك أطبق علماء الفروع على أن الوقف لاينعقد فى عين مستغرقة بديون الدائنين ، ومنع العلامة صاحب الفتاوى المهدية انعقاد الوقف لعين عليها جزء من الدين وفيها احتمال أن هـذا الدين لا يوفى إلا بعد طول وقت ومشقة ، فالأوقاف المرهونة معرضة أبداً الى ضياع العين . من أجل ذلك منع الناظر من هذا التصرف المتعلق بها .

وليس له أن يودع مال الوقف عند غير عياله ، ولا أن يقرضه إلا إذا كان ذلك أحرز له وأحفظ من إمساكه عنده ، فإن أودعه عند غير أمين فضاع فعليه الضمان ، وكذلك إن أقرضه فضاع بموت المستقرض مفلسا ، ما لم يكن الإقراض بأمر القاضى ، فان كان بأمره فلا ضمان على المتولى .

وليس له أن يؤجر الوقف لنفسه ضرورة أن الشخص لا يكون مؤجرا ومستأجراً فى آن واحد . ونقل صاحب العناية أن عينا موقوفة على وقفها ناظران ففى هذه الحالة لا يجوز لأحد الناظرين أن يستأجر العين الموقوفة من الناظر الآخر على رأى أبى حنيفة ومحمد ، إذ لا يجوز انفراد أحد الناظرين عن الآخر بالتصرف ، ولا يمكن أن ينفرد أحدهما بشىء دون الآخر . فالتصرف من أحدهما تصرف من الآخر كما هو ظاهر .

وليس له أن يعمل فى عمارة الوقف ما يعمله النجار أو البناء فى مقابل أجر ، إذ لا يمكن أن يكون أجيرا ومستأجراً فى شخص واحد . وروى العلامة الميدانى لو أذنه القاضى كان مستحقا للأجر . وعلل روايته بأن القاضى فى هـذه الحالة يعتبر مستأجراً والناظر يعتـبر أجـيراً .

وليس له أن يزيد فى عمارة الوقف عن الحالة التى كان عليها عند ضبط الاشهاد إلا إذا نص عليـه الواقف أو رضى المستحقون بتلك الزيادة ، ولا أن يزيد فى مرتبات أرباب الشعائر وأصحاب الوظائف المعينة لهم من قبل الواقف أو من قبل القاضى .

وليس له أن يزرع فى أرض الوقف أو يبنى فيها أو يغرس لنفسه أشجاراً ، كما ليس له أن يبيع أنقاض الوقف أو شجره أوما يحيط به من ملحقاته إلا باذن من القاضى . وليس للقاضى أن يأذن إلا فى أحـوال مخصوصة كشفنا عنها فى بحوثنا السابقة . وسنعود الى بقية البحث فى الأعداد المقبلة ، إن شاء الله ؟

عباس طه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كلام الملك ملك الكلام

إن التجديدات العظيمة الشأن التي يقوم بها حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، في علاقته بالأمة في الناحيتين الدينية والدنيوية ، تعتبر بحق تمشيا نحو العهد الذهبي للدولة الاسلامية أيام زعامتها العالمية .

من هذه التجديدات الجليلة الشأن ، البعيدة الشأو ، ما يتفضل به جلالته من التحدث الى الأمة في أيام أعيادها الدينية ، وذكرياتها التاريخية ، مما لا نستطيع ، مهما بالغنا ، أن نصور حسن وقعه في قلوب الناس ، وما يحدثه فيهم من النزوع الصادق الى العمل بنصائح جلالته وإرشاداته القيمة .

وإن ما أبداه جلالته من ذكر ما حباه الله من الارادة القوية ، والتصميم الصارم ، في تنفيذ ما يعتقد أنه نافع للامة بعد إطالة الروية فيه ، وتقليبه على جميع وجوهه ومحتملاته ، والاستماع الى آراء رجال دولته ، وأركان مملكته ، لتصريح من جلالته خطير الشأن تقابله الأمة بالشكر والدعاء ، وتود لو كان كل مسئول عن عمل يأتسي بجلالته في دائرة عمله ، فيكون للامة من وراء ذلك مجموع من القوى العاملة تبلغ بها أرفع مكانة في سنين معدودة .

ثم إن ما أسداه جلالته من العطف على الشبيبة المصرية ، وما أسند اليها من عهدة العمل لإعلاء كلمة الوطن ، وما بينه من النواحي التي تبذل فيه نشاطها ، لما لا يزول أثره من أذهان الشبان ، وسيكون له من الثمرات ما لا سبيل الى تحديده بحد .

وإننا لنحقق رغبات جميع قرائنا في تدوين الحديث الكريم الذي تفضل به جلالته في مستهل هذا العام الهجري ، جعله الله فاتحة إقبال ويمن على جلالته ، وجميع المسلمين . وإليك الخطاب الملكي الكريم :

شعبي العزيز :

أحببت ونحن نستقبل العام الهجري الجديد ، أن أهنئكم والعالم الاسلامي بهذا العيد السعيد ، مبتهلا الى الله أن يجعله عام خير وسلام وإقبال على الجميع ، وأن يقرنه بتوفيق الجد ، وبلوغ القصد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إن هـذا اليوم الذى يتمثل فيه أمامنا حادث الهجرة العظيم ، بما فيه من العظمة البالغة والمعانى السامية ، وبما كان له من الأثر الخالد فى بث روح الفضيلة والإخاء ، والمغامرة فى سبيل الحق ، ليستحق منا تمجيده بالعمل الصالح ، والتوجيه النافع لخير الانسانية .

وإنى ليطيب لى أن أشير الى ما سيتم باذن الله وجميل رعايته ، فى مستهل هذا العام المبارك ، من عقد أواصر المصاهرة ، بين الأسرتين الـكريمتين فى إيران ومصر ، مما يزيد فى إحكام روابط الإخاء والمودة بين الشعبين ، فوق ما يربطهما من الصلات الأدبية والثقافية منذ القدم .

شعبى العزيز :

لم أتحدث إليكم قبل اليوم عن نفسى ، وكنت أعد ذلك من سبق الحوادث ، ولـكن هذه الفرصة قد أتاحت لى أن أتحدث اليكم قليلا فى ذلك ، فتزدادوا معرفة بى ، وركونا الىّ .

إن سر النجاح هو الثقة والايمان ، ومن لاثقة به ولا إيمان له لا رجاء فيه . فعلى الذين وثقوا بى أن يعتمدوا علىّ ، إذ فى ذلك كل الخير لهم .

إننى مع إعجابى العظيم بوالدى — طيب الله ثراه ، وتغمده برحمته — قـد أكون خالفته فى بعض طباعه ، ولـكننى أؤكد أننى قد احتفظت بأبرز هذه الطباع : فأنا مثله لا يستطيع أن يؤثر فىّ أحـد ، إذا تبينت صواب أمر واعتقدت — بعد تقليب وجوه الرأى — أنه فى صالح شعبى أفرادا وجماعات .

وإن ثقتى بنفسى ، وتوكلى على الله ، هو الذى يلهمنى تصريف الأمور ، ويوجهنى الوجهة التى أختارها .

بيد أن هـذا لا يمنع أن أستمع لآراء ذوى الخبرة من الرجال ، شأن كل إنسان يتحرى وجوه الصواب .

إننى أومن — ومَرُّ الايام يؤيد إيمانى — أن شباب مصر المتوثبة للمجد ، سيكتبون صحيفة خالدة فى تاريخ الوطن ، وفى استطاعتهم أن يصنعوا من هذا الوطن العزيز ، مصر العظيمة المتحدة التى هى آمالنا وأحلامنا جميعا ، وعلى الشباب وحده تحقيق هذا الحلم .

ولـكن انتبهوا ، فالطريقة التى تتبعونها لا تحقق أملنا هذا ، ولابد من العمل المتواصل ، فى جو يسوده الهدوء ، والإفادة من الرءوس الناضجة ، واحترام النظام .

وليـكن هدفـكم : سـعادة المجتمع ، ومصر القوية ، القوية فى نفسها ، وفى أبنائها ، والمستعدة لإعلاء كلمتها ، وفرض احترامها على من يعبث بعزتها .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

شعبي المحبوب :

كم كنت أحب أنكم بعد أن سمعتم هذه الكلمات تذكرونها ، ليرجع إليها كل منكم بين الوقت والآخر ، حتى لا تأتى عليها يد النسيان !

ونصيحتى التى أسديها الى كل مصرى ، مخلص لوطنه ومليكه : أن يكون ذا ثقة بالله ، وبنفسه ، وبمليكه .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟



جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

خطبة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام

فى الجامع الأزهر احتفالا بفاتحة العام الهجرى

احتفلت مشيخة الأزهر الجليلة بفاتحة السنة الهجرية الجديدة ، فاحتشد فى الجامع ألوف مؤلفة من أعلام العلماء والوجهاء وكبار الموظفين والطلبة ، وكلهم أنظار شاخصة الى المنضدة التى عليها الميكروفون ، ترقبا لسماع كلمة من كلمات حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر ، من التى عودهم سماعها فى أيام الاسلام المعدودة . فما وافت الساعة الثامنة حتى نهض فضيلته تحوطه السكينة والوقار ، وألقى الخطبة التى يراها القراء عقب هذه الأسطر . فكانت كلماتها تنفذ من الأسماع الى القلوب فتمدها بما تتطلع اليه من بصيرة فى الدين ، ونزوع الى العمل ، وتوفر على الفضيلة ، مما أوقر فى نفوس سامعيه أن العالم الاسلامى لو رزق خطباء كثيرين من هذا الطراز ، الجامع بين التالد والطريف من روائع العلم والحكمة ، والقديم والجديد من عوامل التأثير فى النفوس ، لقضوا على ما يُنقض ظهورهم من البدع ، ويثقل خطاهم من التقاليد الضارة ، ولتم تجردهم للدين الحق بأسرع مما يقدره لهم أرجى المتفائلين . وإنا ننشرها هنا لتخلد مع الكلمات الخالدة للكرام الخالدين .

قال حفظه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم . السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، وصلوات الله عليك وعلى إخوانك الأنبياء ، وآلك الأصفياء ، وصحبك الأتقياء ، ومتبعيك الأوفياء .

أى سيدى محمد بن عبد الله : ليس أتباعك فحسب هم المدينين لك بالهدى والرشد ، والعلم والنور ، والحرية العقلية ، والحرية الاجتماعية ؛ وليس أتباعك فحسب هم الذين قبسوا من نارك واستضاءوا بنورك ، فلقد جاء الغيث من سحبك فتلقاه أقوام تطهروا به ، وبردوا غلة الظمأ ، وسلك الله بعضه ينابيع فى الأرض ، تفجرت عند أقوام انتفعوا بها ولم يعلموا أنها من غيثك وأنها من سحبك . فكم لك من يد على من أحبك ومن لم يحبك ، على من عرفك وعلى من لم يعرفك ، وكم لك من نعمة ، وكم لك من فضل .

قد علم الله طيب عنصرك ، ونقاء جوهرك ، وصفاء سريرتك ، ومضاء عزيمتك ، وقوة إرادتك ، وشدة أمانتك ، وطول أناتك وصبرك ، وبعدك عن الدنيا ، وقربك منه ، وشدة اتصالك به ، فاختارك أمينا على وحيه ، مؤديا لرسالته ، فصبرت وصابرت ، واحتملت وجاهدت ، وكان الله لك معينا ، وكان الله لك نصيرا ، وكان الله لك هاديا ومرشدا .

ولقد تولاك الله إذ وجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى ؛ وشرح

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

صدرك ، ورفع ذكرك ، وأعلى قدرك . ولقد ثبتك فى مواضع تزل فيها الأقدام وتحار فيها الأفهام ، فصمدت أمام الباطل رافعا راية الحق ، واعتصمت بحبل الله فى مواطن تزيغ فيها الأبصار ، وكان الله مولاك ، وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير .

لقد وصفك الله فى كتابه — وذلك حسبك — بأنك على خلق عظيم ، وقلت وأنت أصدق قائل من الخلق : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » فماذا نقول فيك بعد هذا ؟

ولقد كان من حسن الأدب أن نكف عن القول ، وأن نردد قول الله فيك ، لكننا نحبك وقد امتزج حبك بدمائنا ، وخالط قلوبنا ، فلنا العذر ، والله عليم ، والله غفور رحيم .

سيدى رسول الله : كل جانب من جوانبك مشرق مضىء ، وكل ناحية من نواحيك بعيدة المدى مترامية الأطراف ، بعيدة الغور ؛ وليس من السهل على القائل أن يقول ، فكل حديث مع هذا الجلال حقير ، لكننا محبون ، يقبل منا ماتقدم ، والله هو المطلع على السرائر .

سيدى إمام الأنبياء : نبا بك الموطن ، ولم يطق الباطل صبرا على ما أنت عليه من الشدة فى الحق ، وأدار أهلك الرأى فيك فلم يقنعوا إلا بالخلاص منك ، وإهراق ذلك الدم الزكى ، ونقض ذلك الهيكل المقدس ، وإطفاء ذلك النور . لكن لك عقلا راجحا ، ورأيا واضحا ، وفراسة تصل بها الى أعماق القلوب ، وخفيات الضمائر ، ولك صديق كريم عند ذى العرش مكين ، لايكلك الى نفسك ، ولا يخلى بينك وبين الأعداء ؛ ولك رب عزيز رحيم ، اختارك لوحيه ، واصطفاك لرسالته ، وأراد أن تكون خاتم الأنبياء ، وأن يكون هدى العالم على يدك ، فكانت الهجرة ، وبها وقى الله عبده وحبيبه وصفيه وخليله ، وبها انساح الإسلام فى الأرض ، يحيى مواتها ويخرج نباتها ، ويورق أشجارها ، ويطلع ثمارها ؛ وبها بلغت الإنسانية آخر طور من أطوارها ، وبرئ الإنسان من معبودات كثيرة الى معبود واحد ، ومن أرباب متعددة الى رب واحد ، يناجيه فى كل صلاة : إياك نعبد وإياك نستعين . خرجت عن وطنك ، ورحلت عن أماكن محببة إليك ، فيها تراث عزيز ، وفيها ذكريات الصبا والكهولة ، وفيها عشيرة وأحباب ، وفيها مثوى الآباء .

فارقت هذا لأن الحق أحق بك ، وأحب إليك من أولئك . ولقد كنت فيهم لولا ما جئتهم به من دين ودعوتهم إليه من حق ، حبيبا الى نفوسهم ، لا حقاً بقلوبهم ، يفدونك بالآباء والأمهات ، وبالطارف والتليد ، لصفات ميزتك عن لداتك ، وخصصت بها من بين أهلك . لكن الله أحب إليك من الآباء والعشيرة ، ومن الأهل ، ومن الولد ، بل ما كنت ترى فى الوجود غيره ، ولا يقع نظرك إلا عليه ، ولا تفكر إلا فيه ، صلوات الله وسلامه عليك .

أى رسول الله : تركت فينا كتاب الله واعظا ، وتركت فينا سنتك إماما ودليلا . لكننا أعرضنا فلم نتعظ ، وعمينا فلم نهتد ، واتخذنا غيرك مرشدا ، واتخذنا الهوى دليلا ، وخلنا غيرك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أهدى وأقوم ، وأعلم وأسلم ، تخبطنا فى الفتنة ، وأوضعنا فى الغواية ، وضللنا الطريق القويم وهو أمام الأعين .

ألا نفحة من نفحاتك الطاهرة ، ونسمة تهب من جانبك ، تروح عن قلوب المكروبين ، وتغيث الملهوفين ، فتحيي ميت القلوب ، وتعيد شباب الدين ومجد الأولين .

رب إن الهدى هداك ، وآيات من الله تهدى بها من تشاء

وإذا حلت الهداية قلبا نشطت فى حلولها الأعضاء

هذه أمتك تنتسب اليك بالقول وأنت لا ترضاها إلا عاملة مخلصة ، وتقرأ كتابك لا يجاوز حناجرها ، ولا يصل الى قلبها ، وأنت لا ترضاها إلا متحققة به ناصحة .

تركتها أمة واحدة فتفرقت ، وتركتها جسما واحدا فتمزقت ، وتركتها عزيزة فذلت ، وقوية فضعفت ، شعبتها الأهواء ، وتعددت فيها الأدواء ، متخاذلة عن الحق ، قوية فى الباطل ، يكيد بعضها لبعض ، ويخذل بعضها بعضا ، ولو أنك اليوم بيننا لنكرتنا ، ولو أنك اليوم بيننا لما عرفتنا :

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائهم

ولقد كان المسلمون قلة مستضعفة فى الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس فآواهم الله وأمدهم بنصره ، ومكن لهم فى الأرض واستخلفهم فيها ، وصاروا ملوكا وساسة للامم ، وولاة وأمراء ، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، فرفعوا رايته عالية ، وباعوا أنفسهم فى سبيله ، فعز بهم وعزوا به ، ثم تبدل الحال فأصبحوا كثرة لا غناء فيها ، سلب الله من أعدائهم الرعب منهم ، وسكن قلوبهم الفرق والخوف من أعدائهم . كل هذا والاسلام هو الاسلام ، لكنه لا يعمل إلا فى يدى بطل ، ولا يصلح إلا إذا كان فى يد شجاع مؤمن به .

لا يصلح أمر هذه الأمة فى آخرتها إلا بما صلح به أولها : رجوع الى الله وهديه ، وتحكيم كتابه عند الاختلاف . وإنى يا مولاى الرسول الكريم ، مؤمن بالله ومؤمن بك ، ومؤمن بأن حوادث الزمان أكبر مؤدب وأعظم مرشد ، وأهدى ناصح ، وبأن أمواج البغى ستنكسر على الصخور التى وضعتها للنجاة ، وبأن العالم سيلجأ اليك طالبا إنقاذه مرة أخرى ، وإخراجه من الغى والضلال ، الى الهدى والرشاد ، وبأنك ستمد يدك اليه مستعينا بالله ، والله المستعان .

وإنى أغتنم هذه الليلة المباركة فأسأل الله جلت قدرته وعظمت نعمته ، لحضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق الاول ، رعاية دائمة ، وعناية شاملة ، وتوفيقا الى الخير والسعادة ، كما أسأله للمسلمين عامة ولهذا البلد خاصة ، هديا ورشادا ، وعونا وإسعادا ، والله سميع الدعاء !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول

يصلى الجمعة بمسجد محمد على بعد ترميمه

وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام يقوم بالخطبة فيه

أتمت وزارة الأوقاف ترميم مسجد المغفور له محمد على باشا موجد مصر الحديثة بالقلعة ، فصحت عزيمة حضرة صاحب الجلالة الملك على تأدية صلاة الجمعة فيه فى الخامس من المحرم لسنة ١٣٥٨ . وحضر الصلاة مع جلالته أركان الدولة وكبار العلماء والموظفين العسكريين والمدنيين ، فكانت صلاة جامعة فى أعظم مساجد العاصمة . ولما أذن المؤذن نهض حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى وألقى خطبة الجمعة ، وصل بها ما انفصم من عرا الخطب المنبرية المغلغلة لعهد القوة الاجتماعية والاستقلال الصحيح ، فذكر الأمة بمجدها التالد ، وعظمتها التاريخية ، ونبهها الى أن ذلك لا ينال إلا بعلم وعمل ، وإيمان وإخلاص ، وجد ومثابرة ، وأخذ بالأهب للذياد عن الحوزة ، والدفاع عن البيضة ، فحرك من القلوب ، واستنهض من العزائم ، وبعث من الهمم ما الأمة فى أشد الحاجة إليه فى العهد الراهن ، فكان لهذه الخطبة البالغة فى مسجد موجد مصر الحديثة ، وبحضرة أنجب ملك رأته هذه البلاد ، وعلى لسان أكبر أئمة المسلمين فى هذا العصر ، أعمق تأثير فى النفوس وأفعاله . وإنا لنحرص على تسجيل هذه الخطبة الكريمة ، راجين أن تكون دستورا لكل سالك الى الحق ، متوفر على خدمة الوطن .

قال أيده الله :

الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ذى الطول ، لا إله إلا هو إليه المصير .

وأشهد أن لا إله إلا الله تفرد بالربوبية ، وكتب على نفسه الرحمة ، وأكمل الدين وأتم النعمة ، ونصب للهداية أعلاما ، وبعث خاتم النبيين محمداً صلى الله عليه وسلم هاديا وإماما . صلى الله عليه وعلى آله المصطفين الأخيار ، وصحبه المجاهدين الأبرار .

عباد الله : لقد ضل من طرح العمل ، وتلهى بالبطالة والأمل ، واهتدى من عرف أن الحياة جهاد ، يفوز فيه من له عدة وعتاد ، ومن كان قلبه عامراً بالإيمان ، مليئا بالعرفان ، لا يداخله اليأس من روح الله ، ولا تثنيه الصعاب والعقبات ، عن السعى لبلوغ أقصى الرغبات وأعلى الدرجات ، متجها الى الله بقلب سليم مع إخلاص النيات وصدق العزمات . قال الله تبارك وتعالى :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ، وإنا له كاتبون » « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم » « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهـو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجـرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

فعماد النجاة ، ومناط السعادة ، وطريق الجنة : الايمان بالله والعمل الصالح .

ألا وإن من أحق الأعمال الصالحة بالرعاية ، وأولاها بالعناية ، إعداد العدة ، وأخذ الأهبة ، لاتقاء الأحداث ، وملاقاة الأخطار .

فـلا شرف لأمة لا اعتزاز لها بقوة ، ولا اعتزاز لأمة لا تعـرف لها منعة ، وفى قلوب الرجال خير الحصون ، وفى العدة خير معوان على تجنب الضعة والهون .

ولنا ماض عزيز كريم ، وتاريخ حافل بالمجـد والشرف العميم ، وفى اقتداء الأبناء بالآباء فى الخير عرفان بالجميل ، ووصل للشرف الحديث بالشرف القديم .

أفلح من ثابر على نشر العلم ، وعلى إحياء الأخلاق الفاضلة ، والشيم العالية ، وأغاث الملهوفين وفرج عن المكروبين ، وأعان الضعفاء ، ورفه عن البؤساء ، ووحد الجهود ووثق الإخاء ، وأزال الشحناء والبغضاء من نفوس العباد ، وضرب على أيدى السفهاء ، وعمل على وقاية المجتمع مما يهدده من الأخطار فى دينه أو عرضه ، وفى جسمه أو عقله أو ماله . ومن واجب الأفراد والجماعات والهيئات والحكومات أن تعنى بهذا وأن تخلص النية فيه لله ، فإن الله لا يقبـل عملا خاليا من الإخلاص « إن المنافقين فى الدرك الأسـفل من النار ولن تجـد لهم نصيرا ، إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين ، وسـوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما » .

الحياة فى الدين والدنيا فى حاجة الى الجد والعزم ، والى السعى والحزم ، والى الحق والعدل ، والى الصدق واليقين ، والى محاسبة النفس ومراقبة الله ، والى علم نافع ، وخلق قويم ، وصبر على المكروه والبلوى ، وطرح للهوى وملازمة للتقوى . وقد قيل :

لا كنز أنفع من عـلم ، ولا مال أربح من حلم ، ولا شرف أعز من التقـوى ، ولا كرم أوفى من ترك الهـوى ، ولا حسنة أعلى من الصبر ، ولا سيئة أخزى من الكبر ، ولا دواء أنجع من الرفق ، ولا حياة أطيب من الصحة ، ولا معيشة أهنأ من العفة .

ألا من سبيل الى عزمة صادقة ، ونية خالصة ، وقلوب متوحدة ، وحياة جادة ، واعتماد على الله ، وتفكير فى الحاضر والمآل ، يقرب الآمال ويسعد الحال ، ويعز البلاد وترفرف به السعادة على العباد !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ألا وإن الله عليم حسيب ، ومطلع رقيب ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، أعد لكل واحد كتابا ، وسيطلب عما قدمه جوابا ، ويحاسبه عليه حسابا .

« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » .

« ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا »

« يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

أيها المؤمنون :

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا قبل أن توزنوا ، ولتنظر كل نفس ما قدمت لغدها من خير في سبيل إعلاء مجد بلادها ، وإعزاز دينها ، ورفع شأن وطنها .

« إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون » .

روى البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه « قيل يا رسول الله : أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مؤمن مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله . قالوا : ثم من ؟ قال : مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره . »

وعنه صلى الله عليه وسلم « لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السيرة المحمدية

تحت ضوء العلم والفلسفة

— ٢ —

ماهى النبوة وماهى الرسالة ، والأدلة العلمية على إمكان الوحى

النبوة مرتبة روحية يستأهل بها صاحبها أن يتلقى العلم عن الله بدون وساطة العقل والحواس على ضروب شتى : إما إلقاء فى الروع ، أو بتوسط ملك يتمثل فى صورة بشرية ، أوفى أثناء النوم على حالة رؤيا ، أو غير ذلك من الحالات الروحية التى لايدركها غير نبى ، ويسمى هذا الأسلوب التعليمى المخالف للسنن العادية وحيا .

هذه النبوة قد تكون قاصرة على صاحبها ويسمى نبيا ، وقد تكون مقترنة بتكاليف تقويم أود جماعة من الناس ، فيسمى هذا التكليف رسالة ، ويُدْعى صاحبها رسولا ، وقد سجل تاريخ البشر أسماء عدد كبير من الأنبياء ، ومثله من المرسلين فى جميع أدوار الانسانية .

وقد أجمع هؤلاء الأنبياء والمرسلون على أنهم يتلقون معارفهم من طريق الوحى ، وأنهم إنما يُدْلون الى الناس بما أمروا أن يدلوا به اليهم ، وأوصوا بالثبات عليه ، والاستمرار فيه وإن غضب الناس منهم ، وتألبوا على اضطهادهم . وقد أوذى وقتـل منهم عدد كبير ، وبُلوا قبل قتلهم بجميع ضروب المثبطات ، فلم يزدادوا إلا إقداما ومضيا .

الأدلة المنطقية على صحة النبوة وإمـكان الوحى كثيرة ، ولـكن العقلية العصرية يصعب عليها أن تقتنع بها ، فان الفلسفة المادية قد أثارت شبهات جمـة على النبوات ، ونفت وجود العالم الروحانى ، وادعت أن كل مايقال فيه ، ويسند اليه ، من أوهام الأقدمين وأساطيرهم ، وقد تسربت هـذه الفلسفة الى عقول الناس من مصادر عدة ، لذلك وجب على من يعالج مسألة النبوة والوحى ، أن يعدل عن الاستناد على الأدلة المنطقية الى الأدلة العلمية ، بشرط أن تكون مبنية على أمور يقينية سُرِّى على بحثها الأسلوب العلمى . وهذه محاولة عنيفة تستدعى كثيرا من الجهد يبذل فى سـبيل جمعها وترتيبها ، وتهيئتها للدفاع عن النبوة من طريق مباشر يوفر للأدلة كل قوتها الإقناعية ، وهيبتها الأدبية .

ونحن وقد انتدبنا لخوض غمار هذه المسألة ، نرى أن نتوجه الى تحقيقها من ثلاث نواح :

(أولاها) هل فى الوجود المحسوس ما يدل على حدوث معرفة لبعض الـكائنات ، نفثا فى الروع من غير طريق الحواس ، ومستقلة عن المحاولات العقلية ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(ثانيتها) هل توجد حوادث إنسانية يقرها العلم نفسه ، تثبت وجود اتصال باطنى بين النفس وبين عالم أرقى منها ؟

(ثالثها) هل يمكن أن يعترف العلم بوجود عالم روحانى فوق عالم المادة ، يُسوِّغ اعتبار النبوة والوحى أمرا ممكنا ؟

فلنعالج هذه المسائل الثلاث على الأسلوب العلمى فنقول :

١ — هل فى الوجود ما يدل على حدوث معرفة من غير طريق العقل والحواس ؟

الجواب : نعم ، إلهام الحيوانات ، والعبقرية .

فأما إلهام الحيوانات ، فقد شهد المتأملون فى حياة الحيوانات من لدن أقدم عهود العلم أن للحيوانات ، وخاصة الحقيرة الساذجة منها ، أعمالا فى تطلب أغذيتها ، وبناء أكنتها ، واحتضان بويضاتها ، وتربية صغارها ، تقصر إدراكاتها القاصرة عن الاهتداء إليها لو تركت وشأنها . وإنا عارضون على قرائنا بعضا منها :

الفراش متى وصل الى الطور الثالث من حياته يضع بيضه على هيئة دوائر على الأوراق الخضراء . هذا البيض لا يفقس إلا فى الفصل التالى ، فيخرج ما فيه على هيئة ديدان صغيرة فى الوقت الذى تكون فيه أمّاتها (أى أمهاتها) قد ماتت ، أى أنها لا تراها . فمن الذى علم إناث الفراش أن صغارها متى خرجت احتاجت الى التغذى بالنباتات الخضراء ؟ ومن الذى هداها الى وضع بيضها على تلك النباتات ولم تلق بها فى أى مكان آخر ؟ هل هدتها الى ذلك أمهاتها ؟ لا ، لأنها لم ترها فى حياتها . هل هديت إليها بعقولها ؟ هذا مما لا يتصوره عقل لأن إدراكاتها قاصرة . ولو أخذت بويضاتها وأفقستها فى بقاع ليس فيها فراش ، لخرجت تلك الديدان وعاشت عيشها الذى يعيشه نوعها ، حتى إذا تطورت وصارت فراشا عملت العمل عينه الذى يعمله جميع إناث الفراش فى كل بقاع الأرض ، مسوقة إليه بدوافع قاهرة لا تتكلفها . فلم يبق إلا القول بأنها ألهمت هذه الأعمال من القدرة العليا التى أبدعتها .

والحشرات المسماة (نيكروفور) تموت بعد أن تبيض مباشرة أى أنها لم تر لها ذرية قط . ولكنها قبل أن تبيض تعنى كل العناية بوضع جثث حيوانية ، تضعها بجانب البيض لتكون غذاء لصغارها متى خرجت . فمن الذى أدرى هذه الحشرات أن فى بيضها صغارا ، وأن تلك الصغار ستخرج فى حاجة الى الغذاء ، وأن ما تحتاج إليه هى تلك الجثث الحيوانية ؟

ومن أعجب المشاهدات العلمية أن الحيوانات المسماة (بومبيل) من أكالة الحشائش ، ولكن صغارها تولد من أكالة الحيوانات الى أمد محدود . فترى الأمات تعمد الى وضع بيضها على أجساد الحيوانات ، حتى إذا خرجت وجدت ما تغتذى به . فمن الذى أدراها أن صغارها ستخرج من أكالة الحيوانات ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والحيوانات المسماة أوديتير و (سفكس) تخرج صغارها من بويضاتها محتاجة الى التغذى بأجساد حيوانات (حية) . فترى أماتها تعمد الى اصطياد حيوانات لا تقتلها ، ولكن تضربها فى مجمع أعصابها بحيث تمنعها الحركة ، وتركمها بعضها على بعض على تلك الحالة من العجز ، فإذا خرج صغارها وجدت أمامها غذاءها الضرورى لها .

ومن المحيرات للفكر ما ذكره الأستاذ (ميلن إدوار) المدرس فى جامعة (السوربون) بفرنسا فقد قال : إن الحيوانات المسماة (إكسيكاوب) تعيش منفردة وتموت بعد أن تبيض إناثها مباشرة ، تخرج صغارها على حالة ديدان لا أرجل لها ، ولا تستطيع حماية نفسها من أية عادية ولا الحصول على غذائها ، ومع ذلك فحياتها تقتضى أن تعيش مدة سنة فى مسكن مقفل وفى هدوء تام وإلا هلكت .

فترى الأم متى حان وقت بيضها تعمد الى قطعة من الخشب فتحفر فيها سردابا طويلا ، فإذا أتمته أخذت فى جلب ذخيرة اليه تكفى صغيرا واحدا مدة سنة . تلك الذخيرة هى طلع الأزهار وبعض الأوراق السكرية ، فتحشوها فى قاع السرداب ثم تضع عليه بيضة واحدة ، ثم تأتى بنشارة الخشب وتكون منها عجينة تجعلها سقفا على تلك البيضة ، ثم تأتى بذخيرة أخرى فتضعها فوق ذلك السقف ، ثم تضع بيضة أخرى ، وهلم جرا حتى يفرغ بيضها ، ثم تترك الكل وتموت . فمن علم هذه الحشرة الضعيفة الساذجة هذه الصناعة المحيرة للعقل ؟ ومن أفهمها وهى تموت بعد أن تبيض مباشرة أن صغارها فى حاجة الى البقاء سنة فى حالة ضعف وعجز ؟ ومن الذى غرس فى قلبها هذه العناية بنوعها حتى كلفتها كل هذه المشقة فى وضع بويضاتها ؟

هذه الإلهامات دليل محسوس على أن قيم الوجود يؤتى الكائنات علما بما يقيمها ويصلحها من غير طريق الحواس التى لا تستطيع أن تكتسبه بها ، وإذا صح هذا فى عالم الحيوان فهو أولى بأن يصح فى عالم الانسان ، حيث اتصالاته بالأفق الأعلى تكون أقوى ، واستعداده للقبول منها أكبر .

ولكن الماديين لما شعروا بالخطر الذى يتهدد مذهبهم من هذه الناحية تألبوا على القول بأن هذا الإلهام عادة موروثة ، أى أن الجماعات الأولى من الحيوانات اكتشفت وسائل حياتها فأورثتها أخلافها ، فصارت فيها غريزة . ولكن كيف اهتدت تلك الكائنات الساذجة الى هذه الوسائل ولم تمهد قبل أن تجدها ؟ وكيف اتفق أن جميع جماعاتها فى مختلف القارات الأرضية تهتدى الى وسائل من نوع واحد وليس بينها اتصال ؟ وكيف يعقل أن تورثها لأخلافها وقد ثبت أن الوراثة للصفات والعادات غير ممكنة ، كما قرر ذلك أخص تلاميذ داروين الأستاذ (وسمن) وتبعه أكثر الداروينيين ؟

وقد قرر علماء الطبيعة أن هذه المعارف الفطرية لدى الكائنات الحية ، هى إلهامات إلهية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لاشك فيها . قال الأستاذ (بواراك) مدرس الفلسفة فى كلية (كوندرسيه) بفرنسا ورئيس المجمع العلمى فى ديجون فى كتابه الفلسفة صفحة ١٥٨ :

« إن الغريزة عند داروِن وهربرت سبنسر أصلها عادة موروثة ، بمعنى أن الحيوان حصل بالتعلم على كل ما يعمله ، وعلمه إذا كان واحدا عند جميع أفراد النوع الواحد ، فذلك فى رأيهم لأن احتياجات وأعضاء هذه الحيوانات متشابهة . إن تفسيرا كهذا يكون نقصه واضحا إذا قوبل بالغرائز المحدودة والكثيرة التركب لدى أكثر الحشرات . فلا التجربة ولا الذكاء الشخصى يستطيع أن يُعلم الحيوان المسمى (اموفيل) الصناعة الجراحية التى تسمح له بشل حركات الديدان الخضراء بدون أن يقتلها ليجعل منها غذاء لصغاره متى خرجت من بويضاتها »

وقال الأستاذ (ميلن ادوار) المدرس بجامعة السوربون :

« إن التخيل بأن غرائز النمل مثل أسمى مدركات القوة العقلية للانسان ، ليست إلا نتيجة عمل الفواعل الطبيعية أو الكيمائية التى بها يتم تجمد الماء واحتراق الفحم وسقوط الأحجار ، إن هذه الافتراضات الباطلة ، بل هذه الأضاليل العقلية التى يسترونها باسم العلم الحسى قد دحضها العلم الصحيح دحضا ، والطبيعى لا يستطيع أن يعقلها أبدا » .

يرى القارئ مما مر أن العلم الطبيعى نفسه يعترف بحدوث إرشاد وتعليم من جانب القدرة الالهية للعالم الحيوانى الذى يعجز عن تدبير نفسه والشعور بما يصلحه من المحاولات الضرورية له ، فانكار حدوث هذا الارشاد للنوع الانسانى ، وجماعاته فى أثناء تكونها فى حاجة ماسة اليه ، تحكم لا مسوغ له .

على أن هذا ليس بالاعتراف الوحيد للعلم بحدوث الهداية والارشاد من غير طريق الحواس أو العقل العادى ، فان له اعترافا آخر لا يقل عن هذا خطورة ، وهو فى هذه الدفعة خاص بالنوع الانسانى ، وذلك من ناحية ما اصطلح على تسميته بالعبقرية .

فما هى العبقرية ؟

شوهد فى تاريخ البشرية حدوث تجديدات عقلية أو فنية فى أرفع درجات السمو ولا يمكن تقليدها ، يؤكد الذين ظهرت على أيديهم أنها أتتهم عفوا بدون إجالة نظر فيها ، ولا أقل محاولة منهم لإحداثها بل لم تكن تخطر لهم على بال . وهى تظهر شذوذا وبدون تمهيد . وقد تمر أجيال دون أن يظهر فى أى بقعة من الأرض عبقرى واحد . وأصحاب العبقرية فى مجموع تاريخ النوع الانسانى يعدون على الأصابع . وقد اعتبرها الفلاسفة الأقدمون حالا علوية لا شأن للعقل فيها . فقد قال أفلاطون :

« العبقرية حال إلهية مولدة للإلهامات العلوية » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وليس المعاصرون لنا بأقل من الأقدمين إكبارا للعبقرية ، وجنوحا الى نسبتها الى الذات الإلهية . فقد قال فولتير وهو الفيلسوف النقادة الكبير :

« من شروط العبقرية أن يكون فيها ابتكار ، فهذه الخاصة الابتكار هى التى تعتبر منحة إلهية » يريد أن لا عمل للعقل فيها كما ستراه هنا .

وقال العبقرى المشهور فيكتور هوجو :

« لندع ما هو من عمل المخ للمخ ، ولنشهد بأن عمل العبقرية نفحة فوق القدرة الانسانية ، تستخدم فى بروزها للعيان الانسان نفسه » .

هذا رأى الفلاسفة والعباقرة أنفسهم ، والعلم الطبيعى يؤيدهم فيما ذهبوا اليه ، ويقرر بأن العبقرية منحة من الطبيعة نفسها لا تحصلها دراسة ، ولا يوجدها تفكير . جاء فى دائرة معارف القرن التاسع عشر :

« إن الالهام العبقرى لا يأتى من طريق التحريض ولا بالإرادة ، ولا باطالة الروية » .
وجاء فيها : « إن كل ابتكار فى يصحبه عنصر (موهوب) من الطبيعة نفسها . وهذا العنصر لا يستطيع الانسان أن يوجده بجهوده الذاتية » .

وقال الفيلسوف الكبير (تين) : « Taine »

« العبقرية هبة لا تستطيع أن توجدها أية دراسة ولا أية مثابرة ، فإذا عدمت هذه الهبة استحال العاملون الى مقلدين وعملة » الى أن قال : « فإن تحط هذا العامل الخفى بالأسماء الجميلة فتسمه وحيا أو تدّعه عبقرية كنت محسنا ومصيبا فيما تفعل » .

وقال الفيلسوف الألمانى (هيجل) فى كتابه (علم الجمال) :

« أعمال العبقرية تحدث بذاتها من طريق الالهام المفاجئ ، فالعمل العبقرى لا يتحصل عليه بالتعلم ولا يقبل التوريث ، فهو هبة من العبقرية وكفى » .

وقال الأستاذ الكبير الدكتور (بييرجانيه) المدرس بجامعة السوربون :

« العبقرية قبل كل شىء إلهامات ، وأعنى بذلك حالات عقلية لا يستطيع الحس الباطنى ولا الذات نفسها أن تدعى أنها تملكها ، فهى تحدث على غير علم منا بها ، ولا تستطيع إرادتنا أن توجدها » .

هذا ويشهد العلم بأن العبقرية أمر خارق للعادة . جاء فى دائرة المعارف الانجليزية الكبرى (بريتانيكا) فى الطبعة الأخيرة لسنة ١٩٢٩ قولها :

« العبقرية شىء خارق للعادة على وجه الاطلاق ، وأرقى حتى من القوة العلمية الفائقة » .
الى أن قالت : « وهى موهبة فذة لا تقبل التفسير محصورة فى كلمة العبقرية » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقرر العلم أيضا أنها مما لا يمكن تعليله بالقوانين الأدبية المعروفة ، فقالت دائرة معارف لاروس للقرن العشرين : « إن جميع النظريات تخيب وتفشل إن أريد فهم حقيقة العبقرية » . وقالت : « العبقرية لا يمكن أن تعلل بقوانين » .

وأثبت العلم أيضا أن العبقرية غير إرادية ، جاء فى المعجم العصرى للغة والعلم المطبوع بنيويورك قول الأستاذ (هازات) :

« تختلف الألمعية عن العبقرية كما تختلف المقدرة الارادية عن المقدرة غير الارادية » .

ونص العلم كذلك على أن الإنسان يملك الألمعية ولكنه لا يستطيع أن يملك العبقرية ، فهى التى تملكه وتسخره فيما تريد إظهاره بوساطته ، جاء فى المعجم العلمى المتقدم ذكره بقلم الأستاذ (لوويل) :

« الرجل الألمعى يكون مالكا للألمعية كما يملك الكثير من الأدوات ويستخدمها فى تأدية ما يريد صنعه ، ولها حد تقف عنده ، ولكن الرجل العبقرى يكون مملوكا للعبقرية ، وهى تحوله الى كتاب أو الى حياة على ما يشاء هواها » .

نقول : إن مذهب العلم فى العبقرية ، وحيرته فى تعليلها ، وتصريحه بأنها خارقة للعادة ، وأنها مما لا يعلل بالنظريات ، ولا يمكن التحصل عليها بالدراسة ولا بالتفكير ، وأنها تملك صاحبها وتسخره لأغراضها ، كل هذا يعتبر اعترافا صريحا بأن أرقى مظهر للإبداع الأدبى والمادى يعطاه الإنسان من غير طريق العقل ومنافذ الحواس الجثمانية ، ولا يمكن الحصول عليه بالوسائل العلمية والعملية المعروفة .

ويجب أن يضاف الى هـذا ما شاهده العلم نفسه من الخوارق للعادة فى المجالات العقلية والنفسية ، فان ذلك يساعدنا على تذليل العقبات التى تقف فى سبيل التدليل على وجود مرتبة النبوة ، وتقرب الى عقولنا إمكان الوحى .

للاستاذ العلامة البسيكولوجى الانجليزى (ميرس) (Myers) مدرس علم النفس بجامعة كامبردج كتاب كبير أسماه (الشخصية الانسانية) (Human Personality) ، ترجم الى الفرنسية وغيرها ، نقتطف منه بعض ما أورده ، فان فيه مايدل على وجود خصائص نفسية عند بعض الناس تكشف عن حقائق خطيرة ، لا يجوز لمن يعالج مسألة النبوة والوحى جهلها .

قال الأستاذ (ميرس) : « كان المستر بيدلر خاصة تكاد تلتحق بالمعجزات ، فانه كان يعين على البديهة العوامل التى إذا ضرب بعضها فى بعض أنتجت عددا مؤلفا من سبعة أو ثمانية أرقام . فاذا سئل مثلا : ما هما العددان اللذان إذا ضرب أحدهما فى الآخر أنتج العدد ١٧٨٦١ ؟ أجابك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على الفور بأنهما ٣٣٧ و ٥٣ ، وهو يقول إنه لا يدرى على أية حال يأتى بهذا الجواب ، فكانت الاجابة عنده كأنها غريزة طبيعية »

وقال الأستاذ ميرس : « كان للمستر (فان دوتيكا) وهو فى السادسة من عمره خاصة فى الحساب العقلى ممتازة زالت بعد سنتين ، ولم يكن يدرى على أى أسلوب تسير فى نفسه هذه الأعمال الحسابية » .

وقال : « كان (بوكستود) يحل مسائله وهو يتكلم حرا فيما يريد الكلام فيه ، مما هو خارج عن الحساب الذى ألقى اليه »

ونقل عن العالم البسيكولوجى والشاعر الكبير (سوللى برودوم) الفرنسى أنه قال : « حدث لى فى بعض الأحايين أنى كنت أجد فجأة برهان نظرية هندسية ألقيت الى منذ سنة وذلك بدون أن أعيرها أقل التفات »

وقال نقلا عن العلامة الرياضى المشهور (أراغو) : « اعتدت أنى بدل أن أجهد نفسى فى فهم مسألة فى الجلسة التى ألقيت الى فيها ، كنت أسلم موقتا بأنها صحيحة ، فاذا جاء اليوم التالى دهشت من فهمى كل الفهم ما كان قد ظهر لى معضلا فى اليوم السابق »

وقال نقلا عن الفيلسوف الكبير (كوندياك) : « إنه كان غالبا يجد أن عملا لم يتم بالأمس قد تم اليوم فى عقله بدون جهد منه » .

وقال : « إن المسيو رينه الشاعر ذكر للدكتور (شابانيكس) بأنه ينام غالبا وهو يعمل قطعة من الشعر لم تتم فيستيقظ فيجدها تامة » .

وقال راويا ما قاله الموسيقى (فنسان دندى) المشهور عن نفسه : « بأنه يرى غالبا وهو فى حالة اليقظة التامة خاطرا سريعا لموضوع موسيقى ، فيحاول بجهد عظيم من العقل أن يضبطه ، كما يفعل الانسان إذا أراد أن يتذكر مناما »

قال الأستاذ ميرس : « وقد كتب الشاعر المشهور (موسيه) الفرنسى عن نفسه يقول : « أنا لا أعمل شيئا ، ولكن أسمع ما يلقى الىّ فأنقله ، فكان إنسانا مجهولا يناجينى فى أذنى » .

ونقل ميرس أيضا عن الوزير الشاعر الكبير (لامارتين) قوله : « لست أنا الذى يفكر ، ولكن هى أفكارى التى تفكر لى » . يريد أنه لادخل لعقله الواعى فى الشعر الذى يعمله .

قال : « وكان (سانت سانس) مثل سقراط يسمع ما تلقيه الروح الملازمة له اليه »

قال : « وقد ذكر المسيو (دوكوريل) وهو القصصى الفرنسى المشهور الى الأستاذ (بينيه) بأن أشخاص أقاصيصه بعد أن تظهر فى عقله بعد جهد منه عظيم ، تصير مستقلة عنه فتتكلم ضد إرادته ، وعلى الرغم من التفاته اليها ، وتتوالى أمامه عند ذلك أدوار قصته بدون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جهد يبذله ولا حركة إرادة ، ولا يكون عليه إلا كتابة أقوال تلك الشخصيات وجمع ما يرى . وإذا حدث أن انقطع عن النظر الى تلك الشخصيات لسبب كعمل آخر أو نوم ، استيقظ فوجد روايته تامة في عقله [illegible] وكان إذا تشاغل عن النظر الى الرواية التي تمثل أمامه سمع بأذنيه [illegible] .

ونقل الأستاذ (ميرس) ما كتبه القصصي الانجليزى المشهور (وردستورث) فى كتابه (النائحة أو تطور عقل شاعر) قال :

« أشعر بضباب باطنى يتحول الى إعصار ، فاشهد أن قوة بالغة الحد تخترع القطعة وتميل بها هكذا وهكذا الى كل جهة . هذه القوة الهائلة تنبع من صميم روحي على هيئة البخار الكثيف الذى يغطى السائح المنفرد فجأة . فأشعر إذ ذاك بأنى هلكت ، فأقف ولا أستطيع أن آتى بأقل جهد يخلصنى مما أنا فيه » .

هذه مشاهدات محسوسة وأقوال مأثورة عن كبار العلماء والمؤلفين ، ساقها الأستاذ الكبير (هـ . و . ميرس) لإثبات وجود عقل باطنى فى الانسان له اتصالات روحانية فى عالم فوق هذا العالم ، لا يشعر به الانسان العادى ، ولكن يشعر به بعض ذوى الاستعداد لذلك الشعور [illegible] كبار العلماء وأجلاء الفنانين ، وأنا لا أريد أن أثبت بما أنقله أن النبوة [illegible] وهى من نوع الحوادث التي سردناها هنا ، ولكننا سقنا ما سقناه للتدليل على أمرين عظيمين :

(أولهما) وجود الهداية والتعليم بدون وساطة العقل العادى والحواس كما تدل عليه حياة الحيوان بجماعاتها وتفصيلاتها ، والعبقرية بما آتت الناس من الابتكارات التى لم يهد اليها عقل ، ولم يحم حولها فكر ، على حال خارقة للعادة .

(ثانيهما) وجود اتصالات روحانية باطنية تمد الانسان بعلم ، وتسعفه بهداية ، من غير طريق العقل العادى ، ولا من منافذ الحواس الخمس ، تقريبا للوحى من عقول الناس ، فقد اشتد شكهم فيه الى حد أن كذبوا بالنبوات وهى أعظم عوامل الانتقالات الفكرية والاجتماعية للنوع الانسانى ، وقد ابتنت عليها أكبر الأحداث التى غيرت مجرى الشئون العالمية فى جميع الأدوار الانقلابية . وليس مما يعقل أو يناسب كرامة النوع البشرى أن تكون هذه العوامل العلوية البعيدة الأثر فى حياته ، قد قامت على أكاذيب متعمدة ، أو أوهام فكرية .

ومن العبث المحض أن يثبت الباحث الطبيعى إلهاما تبعثه القدرة الالهية فى أحقر الحشرات ، وينفيه عن النوع البشرى ، وهو فى أشد الحاجة اليه فى أول عهده بالحياة الاجتماعية ، وفى أثناء تطوراته فى أدوار تلك الحياة المتعاقبة .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وإننى أظن بأنى بما أثبته هنا قد قربت للعقول حدوث الوحى لمن صرحوا للناس بانهم أنبياء أو مرسلون ، وحققت الحوادث صدقهم فيما دعوا اليه وحذروا منه .

وليس هذا كل ما نستطيع أن نقدمه للعقلية العصرية من المقررات العلمية المقربة للوحى من العقول ، فان لدنيا مقررات علمية أخرى نرجو أن ندلى بها فى العدد المقبل إن شاء الله ؟

محمد فريد وجدى

حفظ اللسان من الخطل

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « تكلم بخير وإلا فاسكت »

وقال حكيم كلام الرجل بيان فضله ، وترجمان عقله ، فاقصره على الجميل ، واقتصر منه على القليل ، وإياك وما يسخط سلطانك ، ويوحش إخوانك ، فمن أسخط سلطانه تعرض للمنية ، ومن أوحش إخوانه تبرأ من الحرية .

وقال شاعر :

يدل على جهل الفتى فضل نطقه ... ونطق أخى العقل الرصين قليل
وإن لسان المرء مالم يكن له ... حصاة على عوراته لذليل

قال حكيم :

رب كلمة جلبت مقدورا ، وخربت دورا ، وعمرت قبورا .

وقال شاعر :

احفظ لسانك واحتفظ من شره ... إن اللسان هو العدو الكاشح
وزن الكلام إذا نطقت بمجلس ... فبه يلوح لك الصواب اللائح

وقال غيره :

احفظ لسانك أن تقول فتبتلى ... إن البلاء موكل بالمنطق

وقال آخر :

وزن الكلام إذا نطقت فانما ... يبدى الرجال من الستور المنطق

وقال آخر :

احفظ لسانك أيها الانسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه ... كانت تخاف لسانه الأقران

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد » :

سبق لك فى تفسير الصمد آراء كثيرة ، ومنها أنه هو الذى لا جوف له ، ومنها أنه الذى لا يخرج منه شىء ، ومنها أنه الذى لم يلد ولم يولد ، فعلى هـذا يـكون قوله : « لم يلد ولم يولد » لازما لـكونه صمدا ، أو تفسيرا له . وعلى كل حال فمعلوم أن الولادة تقتضى انفصال مادة منه سبحانه ، وذلك يقتضى التركيب المنافى للصمدية والأحدية الحقيقية ، على ما سبق بيانه ، لأن الولد من جنس أبيه ، والأحد لا يجانسه أحد .

أما نفى المولودية عنه تعالى فواضح جدا ، لاقتضائها أنه مادى منفصل عن غيره ، ولا شك أن هذا يقتضى التركيب ، والتجزى ، وسبق العدم ، والمجانسة المستحيلة على واجب الوجود .

وقدم نفى الولادة على نفى المولودية ، لأن فريقا كبيرا من البشر توهموا أن له ولدا . وكأنه سبحانه يريد أن يسوى بينهما فيقول : إن نفى الوالدية ونفى المولودية متساويان لدى العقل الصحيح ، واستحالتهما عليه أظهر من الشمس وأوضح من الحس .

ولا يمـكننا أن نعقل ما يقوله المسيحيون فى هذا المقام من أن هناك ثلاثة هى : الأب ، والابن ، وروح القدس ، وهى جواهر ثلاثة يستقل كل واحد منها عن أخويه ، ومع ذلك فهى إله واحد ، كما يقول قائلهم فى المسيح عليه السلام :

فهو الإله ابن الإله وروحه   فثلاثة هى واحـد لم تقسم

ولا ندرى كيف تـكون الثلاثة واحدا والواحـد ثلاثا ! وإن قلنا تبعا لما تفيده بعض عباراتهم : إن الابن وروح القدس صفتان للأب وهما عبارة عن العلم والحياة ، عجزنا عن فهم كون الصفة إلها ، ولم يمكننا أن نفهم الاستقلال الذى يزعمونه . ومع هذا وأضعافه وأضعاف أضعافه يقولون : كل ذلك مما يجب الإيمان به ولو كان فوق طور العقل . وليت شعرى كيف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يؤمن الإنسان بما يعتقد استحالته ، والديانات يصح أن تجيء بما لا يفهم العقل كنهه وحقيقته أو يجهل تفصيله ، ولكنها لا تجيء بما تحيله العقول وتعتقد عدم إمكانه ! « فإن كنت ترى فيها شيئا من المحارات ، فلست ترى فيها شيئا من المحالات » . وليس الأمر عندهم قاصرا على هذا ، فكم لهم من أشياء غير معقولة ولا مقبولة ، مثل قولهم : « إن المسيح أطعم يوما الحواريين خبزا وسقاهم خمرا ثم قال لهم : أكلتم لحمي وشربتم دمي فاتحدتم معي وأنا متحد مع الأب » . والى الآن يعمل القسيس مثل هذا العمل ويسميه « العشاء الرباني ! » . والقوم يعتقدون أنه دم المسيح ولحمه .

وإن شئت فانظر الى رنات أخرى لا تقل غرابة عما سمعت ، وذلك مثل قولهم : « إن الله غضب على آدم وذريته من أجل ثمرة أخذها من الشجرة أشد الغضب ، وإنه يلحق بهم كل هوان وعذاب فى الآخرة من أجل تلك الثمرة التى تناولها من الشجرة ، ثم سعى إليه أو الى ابنه الساعون من اليهود بالقتل (وهى جريمة فوق الأكل من الشجرة مليون مرة) غفر لهم ما تقدم من ذنبهم ورضى عنهم » . وليت شعرى كيف ذهب عند القتل ما يجب للإله من القوة القاهرة والجبروت والبطش الشديد ؟ ! هذا لعمرى من منطق المجانين الذين لا يفقهون ما يقولون !

ومما يذكر فى هذا المقام أن بعض المسلمين قال لبعض القسوس : إن بعض الناس أخبرنى أن رئيس الملائكة قد مات ، فقال له القسيس : إن ذلك كذب لأن الملائكة خالدون لا يموتون ، فقال له المسلم : وكيف وأنت تقول الآن فى وعظك : إن الإله قد مات على خشبة الصليب ، فكيف يموت الإله وتخلد الملائكة ؟ ! فبهت القسيس ولم يحر جوابا .

ولا نزال نقول : إذا كان الإله يقتل على خشبة الصليب فلمن تكون القوة والجبروت ؟ ومن هو ذلك القاهر فوق عباده الذى بيده أرواح اليهود وغير اليهود ، ومن يحيي ويميت ، ومن يجيب المضطر إذا دعاه ، ومن ينشئ السحاب الثقال ، وتندك من هيبته الجبال كما اندك جبل موسى عند تجليه تعالى له كما فى التوراة التى بين أيديهم ؟ ! فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

ولله در القائل :

عجبا للمسيح بين النصارى ... والى الله والداً نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا ... إنهم بعد قتله صلبوه
فلئن كان ما يقولون حقا ... فسلوهم فأين كان أبوه
فاذا كان راضيا بأذاهم ... فاشكروهم لأجل ما صنعوه
وإذا كان ساخطا غير راض ... فاعبدوهم لأنهم غلبوه

ثم نقول : إذا حلت ذات الإله فى المسيح أفلا تكون معها الصفات ؟ وهل يمكن أن تفارق الصفات الذات الموصوفة بها ؟ وإذاً فما معنى أقنوم العلم وأقنوم الحياة ؟ وما معنى حلول

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مستقلين ؟ وليت شعرى لماذا خصوا العلم والحياة ؟ أليست الصفات كلها يجب أن تكون مع موصوفها ، أم الملازم له المنتقل الى المسيح إنما هو العلم والحياة فقط ، وأما بقية الصفات فلم تنتقل اليه ؟ ولا أدرى كيف بقيت بعد انتقال الذات والعلم والحياة ؟ وهل قامت بنفسها فتكون صفات بلا موصوف ، أو قامت بذات أخرى غير الذات المقدسة ؟ وما أدرى كيف تسيغ عقولهم أن الصفة تقوم بنفسها كالجواهر مع فرضها صفة ؟ (هذا خلف !) فالصفة صفة والجوهر جوهر لدى كل إنسان عنده مسكة من العقل .

ولعمر العقل والرشد إننا لو لم نبصرهم باعيننا ونسمعهم بآذاننا لم نصدق أن من العقلاء من يعتقد تلك العقيدة التى يردها الأطفال ، ولا يساعدها إلا الخيال أو الخبال ! ولو تجرد المبشرون من التعصب وتبرءوا من التقليد الذى صار حجابا على عقولهم ، لخجلوا غاية الخجل من معتقدهم الذى لا يكاد يتصور ، فضلا عن أن يصدق به أو يقام عليه البرهان . وكثيرا ما رده أطفال المسلمين فى مدارسهم عند ما رأوه يناقض الفطرة وينافى الضرورة . وقد أخبرنى بعض أصحابى أن بنته كانت ببعض المدارس الأمريكانية فقيل لها : إن الإله يسوع المسيح قد أخذه اليهود وصلبوه وألبسوه تاجا من الشوك وصاروا يبصقون فى وجهه ، الى آخره الى آخره ، فقالت عند ما سمعت ذلك على البديهة : إن إلهنا يميت الناس ، وإلهكم تقتله اليهود ويبصقون فى وجهه ! ولله در البوصيرى حيث يقول فى لاميته :

جاء المسيح من الإله رسولا | فابى أقل العالمين عقولا
أسمعتم أن الإله لحاجة | يتناول المشروب والمأكولا
وينام من تعب ويدعو ربه | ويروم من حر الهجير مقيلا
ويمسه الألم الذى لم يستطع | صرفا له عنه ولا تحويلا
ياليت شعرى حين مات بزعمهم | من كان بالتدبير عنه كفيلا
زعموا الإله فدى العبيد بنفسه | وأراه كان القاتل المقتولا
أيجوز قول منزه لإلهه | سبحان قاتل نفسه فأقولا
أو جل من جعل اليهود بزعمكم | شوك القتاد لرأسه إكليلا
ومضى لحبل صليبه مستسلما | للموت مكتوف اليدين ذليلا
ضل النصارى فى المسيح وأقسموا | لا يهتدون الى الرشاد سبيلا
جعلوا الثلاثة واحدا ولو اهتدوا | لم يجعلوا العدد الكثير قليلا
وإذا أراد الله فتنة معشر | وأضلهم رأوا القبيح جميلا

ولوشئنا لأطلنا ، فليعلم المبشرون ذلك ، وليكفوا عن إرسال الرسائل إلينا . وإذا نظرت فيها لم تجد إلا السفاهة والجهالة . وكنا نود أن ينصفوا من أنفسهم ، وينظروا بعقولهم الى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مايقولون ، ولايغشوا الناس بتلك الترهات وهاتيك الخرافات . وعار والله على أبناء القرن العشرين الذين يزعمون حرية التفكير أن يعتنقوا دينا وضعه رهبان الكنائس ، كي يستعبدوا به البشر ، ويذلوا به النفوس لسلطانهم الذى امتد الى الجنة والنار ، حتى صاروا يبيعونهما لمن شاءوا بما شاءوا (ولا غرو فبيدهم غفران الذنوب وزمام القلوب) ! « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو ، سبحانه عما يشركون » .

ولا بأس أن نذكر هنا ما جاء فى بعض المجلات ، وهذه عبارة المجلة : « قبل الحرب الكبرى كان موسولينى يعد كتابا عن « جون هوس » المفكر البوهيمى المعروف الذى أحرقه رجال الكنيسة عقابا له على ما أذاع من آراء اعتبرت إذ ذاك إلحادا وخروجا على الدين ، فقال فى مقدمته : « وإننى لأرجو وأنا أتقدم بهذا الكتاب الى جمهور القارئين أن أثير فى نفوسهم كل عواطف الكراهية والاحتقار للاستبداد والمستبدين ... »

ويقول اللورد هدلى : « عجبا للاوربيين يبحثون عن أحسن المآكل والمشارب والملابس والمساكن ولا يبحثون عن أحسن الأديان » ! وكم للإسلام من شهادات عالية من كبار فلاسفة أوربا وأمريكا . ونلفت نظر إخواننا المسيحيين الى ما كتبه « جوستاف لوبون » الفرنسى ، ودرابر الأمريكى ، وتوماس كرليل الانكليزى ، وغيرهم . وفى اعتقادى أنهم لو قرءوا ذلك بإمعان ، أو قارنوا بين الاسلام والنصرانية بتبصر وإنصاف ، لاعتنقوا الاسلام فرحين مستبشرين ، ولأصبح الدين كله لله ، ولأمسى الناس كلهم عبيد الله لاعبيد المسيح ولا خلفائه الكاذبين من الأحبار والرهبان .

نقول هذا نصيحة لإخواننا فى الانسانية ، وإخلاصا لهم ، وحبا لسعادتهم فى الدنيا والآخرة ، وليعلموا أنهم مسئولون ومحاسبون ، وأن العالم لم يخلق سدى ولم يترك هملا « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم . ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه ، إنه لا يفلح الكافرون » « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

أسأل الله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلا وأن يرزقنا اجتنابه ، حتى نكون من عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ؟

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

الربا

— ٢ —

« لَعن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آ كلَ الربا ، وموكلَه ، وكاتبه ، وشاهديه ، وقال : هم سواء » :

موضوع مقالنا هذا هو تكملة الكلام فى الربا ، ويشتمل على :

(١) بيان حكمة تحريم ربا الفضل . (٢) بيان كل نوع من الأنواع التى ذكرت فى حديث « لا تبيعوا الذهب بالذهب والفضة بالفضة الخ إلا مثلا بمثل يدا بيد » وبيان ما يحل وما لا يحل من هذه الأنواع . (٣) بيان خطأ منكرى الأحاديث الصحيحة وهم جاهلون بمعانيها . والى القراء البيان :

(١) قد ذكرنا فى مقالنا السابق معنى ربا الفضل ، وقلنا : إن النبى صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التبادل فى ستة أنواع ، وهى : الذهب ، الفضة ، القمح ، الشعير ، التمر ، الملح . فلا يجوز لأحد أن يستبدل نوعا من هذه الأنواع بمثله مع زيادة يأخذها أحد المتبادلين .

أما حكمة تحريم هذا النوع من المعاملة فقد ذكرها صاحب أعلام الموقعين ، فقال : إن تحريمه من باب سد الذرائع كما صرح به فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فإنى أخاف عليكم الرما » . والرما : هو الربا . فهذا الحديث صريح فى بيان حكمة تحريم ربا الفضل ، وهى الخوف من أن يجر الى ربا النسيئة ، ويوقع الناس فيه وهم غافلون . وذلك لأنك قد عرفت مما ذكرناه لك فى المقال السابق أن ربا الفضل ليس له كبير الأثر فى العالم ، لأنه عبارة عن مبادلة عين بعين ، وهذه المبادلة لا يخلو حالها : إما أن تكون لمعنى زائد فى أحد البدلين ، كأن يبيعه جنيها مضروبا فى الزمن الماضى بجنيه مثله مضروب فى هذا الزمن ، حبا فى اقتناء الأثر القديم ، أو يبيعه قطعة من الذهب بمثلها فى الوزن بزيادة يأخذها البائع أو المشترى ، لما فى إحدى القطعتين من نقش طبيعى ، أما النقش الصناعى فسيأتى أنه يجوز أخذ الزيادة عليه عند بعض الأئمة . وإما أن يكون أحد البدلين مساويا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للآخر من جميع الوجوه ، كأن يبيعه جنيها مصريا بجنيه مصري مثله في الوزن والقيمة والصناعة والزمن مع زيادة يدفعها البائع أو المشتري ، وهـذه الحالة لا تصدر إلا من رجل غير أهل للتصرف . ولا يخفى أن هذا النوع من المعاملة نادر الوقوع بين الناس في الحالتين ، بل قد لا تدعو اليه ضرورة ما إلا عنـد الغواة المولعين بالخيال ، وهؤلاء لا يقام لهم وزن . فلذا حرمت الشريعة الاسلامية هذا النوع من المعاملة كي لا يكون للمحتالين سبيل الى سلب أموال ضعاف العقول بالباطل من جهة ، وسداً لباب أخذ زيادة من أحـد المتبايعين بدون مقابل . وذلك لأن بعض الغواة قد تزين له شهوته ملك سلعة من السلع ويأبى مالكها أن يبيعها ، فيضطر الآخر الى استبدالها بمثلها مع تاجيل دفع البدل في نظير زيادة خمسة جنيهات مثلا ، وذلك هو ربا النسيئة بعينه ، لأنه قـد أجل قبض البدل في نظير الزيادة . ومن هذا يتضح أن ربا الفضل قد جر الى ربا النسيئة .

ومع هذا فقد نص الحديث على أن القمح والشعير ، من الأصناف التي يقع فيها ربا الفضل ، فإذا أبيح للناس أن يستبدلوا القمح بالقمح مع زيادة كأن يستبدل كيلة من القمح بكيلة ونصف من قمح مثله ، فإن ذلك يجر الى احتكار الصنف وقلته في الأسواق ، لأن كل واحد يطمع في الزيادة فيدخر ما بيده ، وفي ذلك من الضرر على العامة ما لا يخفى . ومع هـذا كله فإنك قد عرفت أن ذلك من باب الاحتياط . فالتشريع هاهنا مقصور على ما عساه أن يقع ، سواء كان قليلا أو كثيرا . ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الربا في النسيئة » . ومعنى هذا ظاهر ، وهو أن الربا الذي قد يكثر وقوعه بين الناس وتترتب عليه الآثار الضارة التي ذكرناها ، هو ربا النسيئة . قال صاحب أعلام الموقعين في بيان معنى هذا الحديث ما نصه : « إن مثل هـذا يراد به حصر الكمال ، بمعنى أن الربا الكامل إنما هو في النسيئة ، كما قال تعالى : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون » الى قوله : « أولئك هم المؤمنون حقا » ، وكقول ابن مسعود : « إنما العالم الذي يخشى الله » . وهذا وجيه لأن الحصر للكمال معروف في اللغة .

وبذلك تعلم أن الكاتب الأندنوسي لم يفهم معنى ربا الفضل أصلا ، ولم يفهم معنى حديث : « إنما الربا في النسيئة » ولا الغرض منه مطلقا ، لأنه على فرض أن الحصر في هـذا الحديث حقيقي ، وأن ربا الفضل جائز ، فماذا يترتب عليه من الفائدة ؟ ومن هم الذين يحتاجون الى ربا الفضل ؟ وما هي المعاملات التي تتوقف عليه ؟ ألا يخجل من قوله : لماذا لم يرد العلماء الأحاديث المناقضة لحديث إنما الربا في النسيئة مع موافقته للعقل دونها ؟ ! اللهم فقه المسلمين في دينهم ، وعلمهم الأدب فيما يقولون ويكتبون ، إنك سميع الدعاء !

(٢) أما الكلام في الأنواع التي تصح مبادلة بعضها ببعض مع زيادة ، والتي لا تصح ، فاليك بيانه :

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

قد عرفت أن الحديث الصحيح نهى عن المبادلة مع زيادة فى الأنواع الستة ، وأن بعض المجتهدين قصر النهى عليها ، فيجوز التبادل فى غيرها من السلع بزيادة وغير زيادة ، وبعضهم قاس على هذه الأنواع غيرها ، فلنبين للقراء معنى النهى فى كل نوع من هذه الأنوع ، ثم نذكر لهم ما لا تصح فيه المبادلة مع زيادة وما تصح :

فأول هذه الأنواع : الذهب والفضة . وجمهور الأئمة على أنه لا يصح لشخص أن يستبدل قطعة من الذهب أو الفضة بمثلها إلا إذا تساوت القطعتان فى القيمة والوزن ، بدون زيادة ما ، وبشرط أن يقبض كل من المتبادلين مايخصه فى المجلس ، لا فرق فى ذلك بين أن تكون القطعتان مضروبتين كالجنيه والريال ونحوهما من العملة المأخوذة من الذهب والفضة كما ذكرنا ، أو تكونا مصوغتين كالأسورة والخلخال والقرط (الحلق) والقلادة (الكردان) ونحو ذلك ، أو تكون إحداهما مصوغة والأخرى غير مصوغة . ومعنى هذا أن الصياغة لا قيمة لها فى المبادلة . ولكن بعض المجتهدين يرى أن الصياغة المباحة ينبغى أن يكون لها قيمة ، فإذا صنع الصائغ قلادة من ذهب زنتها عشرون جنيها ، فإنه يصح شراؤها بخمسة وعشرين جنيها مثلا ، وتجعل الزيادة فى نظير الصياغة ، إذ ليس من المعقول أن يبيعها بزنتها فقط بدون أن يكون لصناعته قيمة .

نعم إذا كانت الصياغة محرمة فى نظر الشريعة الإسلامية : كصياغة التماثيل المحرمة ، وآلات اللهو ، فإنها لا يكون لها قيمة فى نظر الشريعة . وعلى هذا فلا يحل شراء مصوغ محرم مطلقا فضلا عن شرائه بزيادة ما ، فان فعل الحرام لا ثمن له .

ومثل الصياغة المحرمة النقش الطبيعى ، فإذا وجد شخص قطعة من الحلى عليها نقوش طبيعية وأراد استبدالها بقطعة مثلها لا نقش عليها ، فإنه لا يجوز أن يدفع زيادة فى مقابل ذلك النقش الطبيعى . وقد يقال : إن النقش الطبيعى قد تكون له قيمة أغلى من النقش الصناعى كما هو الحال فى الآثار . والجواب : أن عشاق النقوش الطبيعية يمكنهم تقويم كل من السلعتين بالثمن المناسب وشراؤها على أن يكون الثمن فضة إذا كانت العين ذهبا ، وبالعكس . على أن الحنابلة يقولون : إن الأوراق المالية ليست معتبرة من النقدين : الذهب والفضة . وهذا الرأى حسن ، وفيه سعة على الناس ، لأن الصناع الذين يبذلون مجهودا فى صنع الحلى لا ينبغى أن يحرموا من أجورهم على عملهم ، وليس من العدل والإنصاف أن يقال لهم : إن مجهودكم قد ذهب أدراج الرياح . قال فى أعلام الموقعين : « فالمصوغ والحلية إن كانت صياغته محرمة حرم بيعه بجنسه وبغير جنسه ، وأما إن كانت الصياغة مباحة كخاتم الفضة وحلية النساء وما أبيع من حلية السلاح وغيرها ، فالعاقل لا يبيع هذه بوزنها من جنسها ، فإنه سفه وإضاعة للصنعة ، والشارع أحكم من أن يلزم الأمة بذلك ، فالشريعة لا تأتى به ، ولا تأتى بالمنع من

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بيع ذلك وشرائه لحاجة الناس إليه الخ » . وهـذا هو الذى ينبغى التعويل عليه فى زماننا ، إذ ليس من قواعد الدين تحريم صناعة الصياغة ، أو النهى عن استعمال المصوغ ، فالصائغ قد احترف بحرفة تقرها الشريعة ، والصياغة عمل دقيق قد يستلزم مجهودا عظيما ، فمن العدل والحق أن لا يقال للصائغ : قد ضاعت عليك صناعتك ولا قيمة لها ؛ ومن الحرج أن يقال له : يجب أن تبيعها بغير جنسها من القمح أو الشعير ، لأن هـذا قد يتعذر ، فالحلية المصوغة صارت بالصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع لا من جنس الأثمان ، فليس فيها مبادلة ثمن بثمن ، وإنما فيها مبادلة سلعة بثمن . ذلك هو الذى ينبغى التعويل عليه .

بقى ها هنا شىء آخر ، وهو أن يقال : قد فهمنا مما تقـدم تحريم ربا الفضل وتحريم ربا النسيئة فى الذهب والفضة ، ولـكن نحن فى زمن مادى غلبت فيه المـادة على الأثرياء الذين يمتلـكون المـال ، ولم نجد منهم أحدا تسمح نفسه بإخراج زكاة ماله ، أو ترضى أن تقرض العامل المضطر بدون فائدة ، فماذا يصنع العمال الذين لا يجدون قوتهم ولا يملـكون رأس مال يستعملونه فى بيع أو شراء ؟

والجواب عن هذا : أن فى المذاهب لأمثال هؤلاء سعة ، فقد اتفق الشافعية والحنابلة على أن القروش المأخوذة من معادن غـير الذهب والفضة : كالنيكل ، والبرنز ، والنحاس ، ويسمونها فلوسا ، لا يقع فيها الربا . وعلى هذا يجوز للشخص أن يشترى مائة قرش من العملة المصرية الصاغ بمائتين وخمسين قرشا من القروش التعريفة مثلا ، يدفعها بعد شهر أو أكثر أو أقل . وفى هذا سعة للباعة والعمال الذين لا يجدون من يقرضهم إلا بمثل هذا . على أن المالـكية يقولون : إن النقود المتخذة من النحاس أو النيكل أو البرنز كعروض التجارة تماما ، فيجوز شراؤها بالذهب والفضة مع زيادة أو نقص الى أجـل ، فلو فرض واحتاج عامل من العمال الى عشرة جنيهات ولم يجـد من يقرضه إياها إلا بفائدة ، فله أن يشترى من شـخص قروشا صاغا (ألف قرش) ويدفعها له أحـد عشر جنيها أو أكثر إن وجد الجنيه ، فان لم يوجد يقوم مقامه (ورق البنكنوت) . ولا يخفى ما فى ذلك من السعة . والحنفية يوافقون على شراء القروش الصاغ بقروش من التعريفة أكثر منها لأجل ، إلا أنهم يشترطون أن يقبض القروش الصاغ فى المجلس .

وحاصل ذلك : أن الأئمة الأربعـة اتفقوا على أن النيكل والبرنز والنحاس لا يدخل فيها الربا ، فتباع وتشترى كما يباع غيرها من السلع . فمن ابتلى من المسلمين بالحاجة الى القرض بفائدة فليكن فى هذه الأصناف . ومن هذا تعلم أن النحاس والحديد والرصاص ونحوها من المعادن لا يدخلها ربا أصلا .

الثالث والرابع من الأنواع الواردة فى الحديث : القمح والشعير ، فلا يحل لشخص أن

oldbookz@gmail.com
أرشيف مجلات قديمة
https://t.me/megallat

أردبا من القمح بأردب وكيلة من قمح مثله ، وإنما يحل فقط أن يستبدل أردبا بأردب بدون زيادة ولا نقص ، بشرط أن يقبض كل منهما حقه فى المجلس . أما غير القمح والشعير كالذرة والأرز والفول والحمص والترمس والدخن المعروف وحب البرسيم والحلبة والجلبان والبسلة وغير ذلك من أصناف الحبوب التى تباع بالكيل ، فقد اختلف فيها الأئمة المجتهدون ، فنهم من قال : إنها لا يقع فيها الربا أصلا ، فيصح بيعها بجنسها وبغير جنسها من الأصناف المذكورة ، مع زيادة وتأجيل القبض . وقد عرفت أن هذا رأى لبعض أئمة الحنابلة والظاهرية . أما المذاهب الأربعة المعروفة فقد اتفقوا على أن جميع الأصناف المذكورة يدخلها ربا الفضل ، فلا يجوز استبدال جنس منها ببعضه مع زيادة ما ، إلا البرسيم ، فقد قال الشافعية والمالكية : إنه لا يدخله ربا الفضل ، وذلك لأن علة التحريم فى ربا الفضل عند الشافعية هى كونه طعاما للآدمى غالبا ، وحب البرسيم ليس طعاما للآدمى ، وعلة التحريم عند المالكية هى كونه صالحا للقوت والادخار ، والبرسيم ليس كذلك . فهذه الأشياء لا يصح بيع جنس منها ببعضه إلا مثلا بمثل بدون زيادة ولا تأجيل ، ويصح أن يستبدل جنسا منها بجنس آخر مع زيادة ، بشرط التقابض فى المجلس ، وذلك كأن يستبدل أردبا من القمح بأردبين مع الشعير ، أو أردب ونصف من الفول بذلك الشرط ، إلا عند المالكية ، فإنهم يقولون : إن الشعير والقمح جنس واحد ، فلا يصح أن يستبدل أردبا من القمح بأردب وكيلة من الشعير لأن منفعتهما واحدة عندهم . ولكن الظاهر يؤيد الأئمة المخالفين . على أن بعض المالكية يوافق الأئمة الذين قالوا إنهما جنسان مختلفان . ثم إن المالكية قالوا : إن الحلبة لا يدخلها ربا الفضل أصلا سواء كانت يابسة أو خضراء ، بل قال بعضهم : لا يدخلها ربا النسيئة أيضا لأنها من باب الأدوية لا من باب الأطعمة . وقد اتفقوا على أن الدقيق المأخوذ من كل جنس من هذه الأجناس هو كغلته ، فلا يصح استبدال أردب من الدقيق المأخوذ من القمح بأردب وكيلة من دقيق مأخوذ من القمح ، ولا عبرة باختلاف النوع فى الجودة والرداءة . ويجوز استبدال الدقيق المأخوذ من القمح بدقيق مأخوذ من الشعير مع زيادة ، بشرط التقابض فى المجلس .

وهل يصح استبدال الدقيق بالحب المأخوذ منه : كأن يستبدل أردبا مطحونا بأردب غير مطحون ؟

والجواب : أن بعض الأئمة يقولون : إنه يصح لأن الطحن لا يخرج الشىء عن جنسه ؛ وبعضهم يقول : إنه لا يصح لأن المماثلة فى الدقيق متعذرة . والأمر فى ذلك سهل . ويصح بيع الدقيق والحنطة بالخبز ، فإذا أعطى شخص أردبا من القمح لأحد الخبازين على أن يأخذ منه مائة وخمسين أقة من الخبز ، فإنه يصح ، وذلك لأن الخبز أصبح جنسا مغايرا للقمح ، ولا يشترط فيه القبض فى المجلس ، بل يصح أن يأخذ منه كل يوم (أقة) أو (أقتين) .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الخامس من الأنواع الواردة فى الحديث : التمر . فالتمر من الأصناف التى يدخلها الربا بنص الحديث ، فلا يصح استبداله بجنسه إلا مثلا بمثل يدا بيد . ثم إن تمر النخيل جميعه جنس واحد وإن تعددت أصنافه ، لا فرق فى ذلك بين جيده ورديئه ، فالتمر المعروف بالسمان أو الزغلول أو الاسيوطى أو الواحى أو المغربى كلها واحد ، فلا يجوز استبدال بعضها ببعض إلا مثلا بمثل ، فإذا أراد شخص أن يستبدل عشرة أرطال من التمر الزغلول بأحد عشر رطلا من التمر المغربى فانه لا يجوز . وكذلك إذا أراد أن يستبدل عشرة أرطال منه بعشرة من الآخر يدفعها بعد مدة فانه لا يجوز ، بل لا بد فى استبدال التمر من المماثلة والقبض فى المجلس . ومثل التمر الزبيب فانه جنس واحد ، لا فرق بين الزبيب البناتى وغيره ، فلا يصح أن يستبدل (أقة) من الزبيب البناتى بأقتين من الزبيب المرزوقى أو أكثر أو أقل ، بل لا بد من أن يستبدل مثلا بمثل ، وأن يقبض كل منهما ما يخصه . على أن الحنفية يقولون إن التقابض فيما يؤكل ليس معناه الاستلام بالفعل ، بل معناه أن يعين كل منهما البدل بحيث يقول : أعطنى رطلين مثلا من هذا التمر وخذ بدلهما رطلين من هذا التمر . وهذا التعيين يكفى وإن لم يستلم كل منهما ما يخصه .

أما غير التمر من الفواكه ، فان كان يباع بالعد كالمنجو والبرتقال والبطيخ والحرش والشمام فانه لا يدخله ربا الفضل عند الحنفية ، فيجوز أن يستبدل البطيخة الواحدة باثنين وهكذا ، سواء قبض أو لم يقبض . أما الفواكه التى تباع بالوزن كالموز والبرقوق فانها يدخلها ربا الفضل ، ويعتبر كل جنس منها على حدة ، فلا يصح أن يستبدل أقة من الموز الجيد مثلا بأقتين من غيره . وبديهى أن هذا مما لا حاجة اليه فى المعاملة ، إذ من الممكن تقويم كل صنف بالسعر المناسب له . على أن المالكية يقولون : إن الفواكه الرطبة جميعها لا يدخلها ربا الفضل مثل الخضر كالمشمش والموز والخوخ والتفاح والبطيخ والقثاء والليمون والجزر والكرفس والنارنج وغير ذلك من الفواكه والخضر التى لا يمكن ادخارها ، فيصح أن يستبدل كل جنس منها ببعضه وبجنس آخر بزيادة ونقص ومماثلة . ولكنهم يشترطون التقابض فى المجلس ، فلا يصح أن يستبدل خمس بطيخات بعشر منها يأخذها بعد شهر ، لأنه فى هذه الحالة يكون من ربا النسيئة .

أما الملح فلعل الناس لا يحتاجون الى أن يستبدلوا بعضه ببعض مثلا بمثل يدا بيد . نعم قد يتصور احتياج الناس اليه فى الأسفار ونحوها ، وفى هذه الحالة لا يضن به أحد على صاحبه ، ومع ذلك فهو من الأصناف التى لا يجوز استبدال بعضها ببعض إلا مثلا بمثل يدا بيد .

فهذا بيان موجز لربا الفضل فى الأصناف الواردة فى الحديث ، ذكرناها لما فيها من فوائد نافعة . ومع هذا فقد عرفت أن بعض الأئمة يقول : إن ماعدا هذه الأصناف المذكورة فى الحديث لا يدخله ربا الفضل .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أما الذهب والفضة فقد عرفت أن الاتفاق فيما عداهما من حديد ونحاس ورصاص وغير ذلك عام، فلا ربا فى شىء منها .

وأما الحبوب فربا الفضل مقصور على القمح والشعير، وما عداهما من ذرة وأرز ودخن وبرسيم وحلبة وغير ذلك من أنواع الحبوب لا يدخلها ربا الفضل على هذا القول .

وأما الفاكهة فربا الفضل لا يدخل فى شىء منها سوى التمر، وما عداه فانه يجوز استبدال بعضه ببعض مع زيادة ونقص الى أجل، لأنها غير محل للربا على هذا القول .

وأما الملح فقد عرفت مافيه . وهذا رأى لبعض مجتهدى الحنابلة، ويجوز العمل به بلا كلام . فمن كانت له حاجة الى استبدال شىء من غير هذه الأشياء المذكورة فى الحديث فله أن يفعل ويقلد هذا الرأى . وقد عرفت أن الحاجة لا تكاد تضطر أحدا الى استبدال جنس من الأجناس المذكورة فى الحديث بشىء من جنسه، وإذا وجدت فيمكن تقويم السلعتين وشراء كل منهما بالثمن .

هذا وسنتكلم فى مقالنا الآتى على السلم، وهو نوع من أنواع المعاملة الضرورية، إن شاء الله

(٣) وبعد : فهل لأخينا الأندنوسى أن يرجع الى ما كتبناه وغيره، فيفهم معنى ربا الفضل جيدا، ويعلم معنى ربا النسيئة، ويعرف ما قاله أئمة المسلمين فى هذا الموضوع والغرض من التحريم، قبل أن يقف موقف الحكم الجرىء على أحاديث رسول الله الصحيحة ويقول : إنها من وضع اليهود والمجوس ! على أنه من الأسف قد فهم هذه النظرية فهما معكوسا أيضا، لأننا إن فرضنا أن أحاديث الربا موضوعة، فلا يعقل أن تكون من وضع اليهود مطلقا، لأنهم هم الذين امتازوا بالربا، ولا سوق لهم يجدون فيه فريستهم إلا سوق المسلمين الذين يحرضهم أمثال أخينا الأندنوسى، فكيف يعقل أن ينهى اليهود المسلمين عن الربا فتبور تجارتهم فيه ويقف دولابها ؟ ! إن المعقول أن يضعوا لهم ما يرغبهم فى الربا كى يقدموا عليه . ألا يرى ذلك الكاتب وأمثاله أن يتئدوا فيما يقولون ويكتبون !

إن الدين الاسلامى قد امتاز بحرية الرأى، وقد قيض الله له من أولى العلم والرأى من أبان للناس قضاياه وقواعده، وكلها مبنية على جلب المصلحة ودرء المفسدة، وقد أخذت أحكامه من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، ولا ريب فى أن السنة الصحيحة ركن من أركان الاجتهاد بنص القرآن، قال تعالى : « لتبين للناس » فبيان الرسول لابد منه، وقد أباح للعلماء من بعده أن يبينوا للناس . ومن حسن الحظ أن المسلمين قد بالغوا فى نقد الحديث ونقد رجاله، فلم يتركوا شيئا يتعلق برجال الحديث إلا قالوه صريحا، فوصفوا رواة الأحاديث الموضوعة بالكذب والتدليس، وضعفوا بعضها لما وجدوا فى بعض رواتها، ولم يعملوا إلا بالأحاديث الصحيحة المطابقة للعقل . ومع هذا فإن الأئمة قد يسلمون بالحديث الصحيح ويختلفون فى فهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

معناه فيعمل كل منهم بما يراه . وهذا مما تقره قواعد الدين وترضاه ، لأن الدين الاسلامى دين اجتهاد وإدراك ، فإذا وجد حديث صحيح ، وكان معناه مخالفا لقواعد الدين العامة ، فإنه يجب إرجاعه اليها إن أمكن ، وإلا حكم بعدم صحته مهما كان راويه ، لأن من شروط الصحيح أن يكون مطابقا لقواعد الدين العامة ، وهى مطابقة للعقل ، فما كان مخالفا لذلك فإنه لا يكون صحيحا فى الواقع . وظاهر أن الأحاديث التى معنا مطابقة لقواعد الدين والعقل ، فلا يجوز لكاتب أن يقول إنها غير صحيحة ، وهو جاهل بها تمام الجهل . والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ؟

عبد الرحمن الجزيرى

احتفظ بسرك لنفسك

قال عمرو بن العاص : ما وضعت سرى عند أحد وأفشاه فلمته ، لأنى كنت أضيق صدرا منه حين استودعته إياه .

أخذ شاعر هذا المعنى فنظمه وأجاد فقال :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذى يستودع السر أضيق
إذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق

وقال معاوية بن أبى سفيان : الحازم من كتم سره عن صديقه مخافة أن تنتقل صداقته فيذيع سره .

وقال شاعر :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديـ ـق فكان أعلم بالمضرة

وكان يقال : الكاتم سره بين إحدى فضيلتين : الظفر بحاجته ، أو السلامة من شر إذاعته .

وقيل : أصبر الناس من صبر على كتمان سره ، فلم يبده لصديقه .

وقيل أيضا : كتمانك سرك يعقبك السلامة ، وإفشاؤه يعقبك الندامة ، والصبر على كتمان السر ، أيسر من الندامة على إفشائه .

وقال شاعر :

تبوح بسرك ضيقا به وتحسب كل أخ يكتم
وكتمانك السر ممن تخاف ومن لا تخافهم أحزم
إذا ذاع سرك من مخبر فأنت إذا لمته ألوم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأحل الله البيع وحرم الربا

يقول الاستاذ « شارل جيد » العالم الاقتصادى الشهير : « إن تحريم الربا كان من الضروريات فى العصور الغابرة ، وإن إباحته فى هـذا العصر من الضروريات أيضاً ، لأن الدين فيما مضى كان للاستهلاك ، وأما الآن فهو للانتاج » هل هذا صحيح ؟

لقد قال الأستاذ الافرنسى « شارل جيد » أعظم علماء العصر الحاضر فى علم الاقتصاد السياسى فى الطبعة العاشرة فى كتابه المسمى « الاقتصاد السياسى » المطبوع باللغة الافرنسية سنة ١٩٣١ صفحة (٢٥٨) من الجزء الثانى عن مشروعية الربا ما معناه :

« إن موسى ، وأرسطو و . . . . قد حرموا الربا ، وإن جميع الأديان أيضاً قد حكمت بعدم مشروعيته ، فإن الكنيسة قد حرمته بصراحة فى القانون المدنى والقانون الكنسى « Droit Canonique » وإن الشريعة المحمدية قد اتبعت الطريق نفسه ، فقد جاء فى القرآن الكريم : « وأحل الله البيع وحرم الربا » حتى إن المسلم الحقيقى فى وقتنا الحاضر (ويقول ذلك متعجبا) لا يأخذ فائدة على دراهمه المودعة فى البنوك حتى ولو كان أصحاب البنوك ممن يدينون بالنصرانية » ! !

ثم قال : « لقد أوضحنا فى الجزء الأول بأن الدَّين منذ بدأت الخليقة الى وقت قريب لم يكن له أى صفة من صفات الانتاج ، بل إن الدَّين كان لا يستعمل إلا للاستهلاك ، وهكذا فإن الأقدمين ورجال الدين والرهبان لم يكونوا مخدوعين كما يخيل إلينا حينما حرّموا الربا ، بل إن تحريمهم له برهان قاطع على إحاطتهم بأحوال بلادهم الاقتصادية

« وإذا ما بحثنا عن الدواعى التى حملتهم على تحريم الربا ألفينا أن المدين كان فى جميع العصور الغابرة حتى فى روما ، وفى أوربا إبان القرون الوسطى ، من عداد الفقراء المعوزين ومن عامة الشعب ، على أن الدائن كان من طبقة الأغنياء ومن اليهود الممولين ، والباعث على ذلك الدين فى الحالات كلها هو شراء الأقوات والدروع والرماح وما الى ذلك من الأمور التى تعلم أنها غير منتجة اقتصاديا بل إنها للاستهلاك المحض » .

ثم قال : « ومن البدهى إذا حل أجل الدين ألفيت أن المدين لا يستطيع أن يدفع للدائن لا الفائدة فحسب ، بل إنه لا يقوى على دفع المال نفسه ، ولذلك يجب عليه أن يدفع قيمة ذلك من حريته وجسمه وتعبه . فقد جاء فى القانون الرومانى المسمى : قانون الألواح الاثنى عشر : « إن المدين إذا عجز عن دفع ديونه يحكم عليه بالرّق إن كان حراً ، ويحكم عليه بالحبس أو بالقتل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إن كان رقيقا . وعلى ذلك فإن الربا يتراءى لنا كأنه وسيلة للاستثمار ولإفلاس المدينين ، وإن هذين الأمرين يكفيان لتحريمه تحريما باتا » . ثم قال : « وبعد سنة ١٧٨٧ نرى أن الاقتصاديين قد أجمعوا على مشروعيته ، وكانوا بذلك محقين ومتبعين جادة الصواب ، فإذا بحثنا عن سبب ذلك ألفينا أن الأمور قد تغيرت فى هذا العصر » .

(١) « ليس الفقراء والمعوزون وعامة الشعب هم الذين يستدينون من الأغنياء والأشراف فى أيامنا هذه ، بل الأمر على عكس ذلك ، فان الأغنياء وكبار التجار والشركات ذات الصيت البعيد ، وأصحاب البنوك والحكومات العظمى ، وملاك مناجم الذهب ، هم الذين يستدينون فى أغلب الأحوال من عامة الشعب ، من الأفراد البسيطين من العمال العاديين : أى بالإيجاز « من المذخور الشعبى » فإنهم يأخذون من الصريرة ما وفره الفرد من قوته ومسكنه وملبسه ، وإذا صح ماقلته فإن الذى سيثير حناننا وشفقتنا الآن ليس هو حالة المدين ، بل الذى سيثيرها هو حال الدائن . وهكذا فليس ما يجب أن يحافظ عليه الرأى العام والقانون هو المدين الضعيف المجرد عن السلاح من شراهة الدائن كما كان عليه الأمر فى العصور الغابرة ، بل بالعكس يجب على القانون والرأى العام أن يحافظ على حقوق الدائنين الجهلاء من استثمار كبار المدينين المموِّلين لهم . ولنا فى التاريخ المالى فى عصرنا هذا أمثلة وافرة مما توجب الأسف العميق .

(٢) ثم قال : « ومن جهة أخرى إن المقصد الأصلى من عقد الدين قد تغير ، فسوف لايستدان لشراء الأقوات ، وماتقوم به مادة الحياة ، ولكن يستدان فى هذا العصر طلبا للإثراء والإنتاج ، وأصبح بعد أن كان المتوخى من الدين الاستهلاك أصبح المراد منه الإنتاج بالمعنى الاقتصادى » . ثم قال : « لقد ذكرنا فى الجزء الأول أن المنتج « L'entepreneur » هو العامل الأساسى فى الانتاج ، فهو الذى يستأجر رءوس الأموال ، ويدفع الفائدة من الأرباح . فإن أسعار الحاجيات التى ينتجها تساوى قيمة المواد الأولية وأجرة العمال واستهلاك الأدوات ، وأجرته وأجرة بناء معمله . وكذلك فائدة رأس ماله وفائدة رءوس الأموال المستدانة من الآخرين ، فيكون من الحمق والجنون أن نعفى هذا « المنتج » من دفع الفائدة وندعى أن ذلك هو من باب المواساة للبشرية ، لأن ذلك الإعفاء يزيد ربحه ربحاً جديداً بدون مبرر » .

هذا ما قاله الأستاذ « شارل جيد » وحكم بموجبه بأن الربا هو من الضروريات فى هذا العصر : عصر النهضة التجارية ، والصناعة . وإننى سوف أسعى لأن أردّ عليه لا بالنصوص الدينية والشرعية من الكتاب والسنة ، بل بردود اقتصادية دامغة ، وذلك لأنه قد آمن بالنصوص الدينية وبمشروعيتها ، ولكنه رأى أنها لا تصلح لوقتنا هذا فقط . فاذا ما أثبتّ بقاء ما اعترف بأنه كان فى الزمان الغابر باعثا على تحريم الربا ، وبرهنت على عدم ضرورة الربا

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فى هذا العصر ، ودللتُ على أن إباحته هى المسببة للأزمات الحاضرة ، أكون قد حكمت بأن ديننا الاسلامى يصلح لكل زمان ومكان . لذلك أقول :

(١) لقد قسم الأستاذ « شارل جيد » الدَّين كما رأينا الى قسمين : دين للاستهلاك ، ودين للانتاج ، وأثبت بحجج دامغة عقم الأول وضرره ، وعلى الأخص فى العصور القديمة ، ثم أثبت منفعة الثانى فى عصرنا هذا ، وحكم بعد ذلك بمشروعية الربا فى القسمين دون أن يلاحظ التقسيم عند الحكم ، فأقول : إنه قد أثبت بذلك جزء الدعوى وترك الجزء الآخر دون إثبات ، فهل من الصواب والرشاد أن يفتح باب الربا على مصراعيه بمجرد ادعائه أن دَين الانتاج مفيد ؟ كلا ثم كلا ، بل يجب إن كان ما زعمه صحيحاً أن يباح دين الانتاج دون سواه ، ويحرم دين الاستهلاك ، لأنه لم يدلل على عدم مشروعيته الآن ، ولأنه لم يبرهن أن هذا النوع غير مستعمل فى وقتنا هذا .

(٢) لنسلم جدلا أن ما زعمه الأستاذ « شارل جيد » صحيح : أى أن دين الانتاج مفيد ، ثم هب بعد ذلك أن حكومة من حكومات العالم حللت دين الانتاج ، وحرمت كل دين معد للاستهلاك أخذاً برأيه ، فانى أرى بل أجزم أن هذا التشريع غير قابل للتطبيق ، لأنه لا يمكن التحقق قبل الدين من أن المدين سوف يُعد حتما هذه الدراهم للانتاج دون غيره ، وباب الاحتيال كما تعلم فى هذا الأمر واسع ، وإذا علمنا أن الخير والشر كله فى هذا العالم نسبى حتى إن الأكل إذا أكثر منه الانسان قد يودى بحياته ، أرى أنه وإن سلم بصحة ادعائه يجب الحكم بل الجزم بعدم مشروعية الربا ، لأننا لم نستطع الوصول الى الفائدة المزعومة من إباحته ، ويكون على ذلك أضراره أكثر من فوائده .

(٣) إن الأزمات الاقتصادية فى عصرنا الحاضر هى أزمات من زيادة الانتاج لا من نقصه « Suprodu Atiou » فكم من مرة أحرقت الحكومات ما زاد عما يستهلكه العالم من البن ، وأتلفت القطن كى لا ترخص أسعارها ، وكذلك اليابان قد اكتسحت العالم بمنتجاتها ، وكل الحكومات تشتكى قلة الأسواق لتصريف البضائع المتكدسة ، فهل وجدوا من دواء لهذا المرض العضال غير شن الحروب طلباً للمستعمرات والأسواق ؟

لا ورب الكعبة ! فانى أرى وايم الحق فى تحريم الربا والرجوع الى أوامر الله عز وجل فى جميع كتبه المنزلة الدواء الشافى لهذه الأزمات ، فهاك التجار والمنتجين يشتغل كل واحد منهم بعشرة أضعاف رأس ماله وينتج أكثر مما يطلبه زبائنه منه ، وهو يشتكى فى آخر الأمر من الأزمة ، ومن قلة البيع ، ويقول إن أرباحى لا تكفى لدفع الفوائد التى علىّ ، وتراه وكان به مسا من الجنون يركض ويستدين ويختلس ويغش ، وكل ذلك خوفا من تقصيره عن دفع الديون وفائدتها ، وخوفا من العار الفاضح المسمى عند التجار بالافلاس ، فقد قال تعالى فى محكم كتابه :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » . ألا ترى معى أيها القارئ الكريم أنه لو اشتغل برأس ماله فقط وربح ما يسد عوزه ، وأنتج ما يطلب منه دون أن يتعب نفسه على غير جدوى سعيا وراء الطمع ، لو كان فعل ذلك لما كان هناك أى سبب لإصابته بهذه العوارض .

(٤) إن أكثر أموال العالم فى وقتنا هذا هى إما ثمن لأسهم أو لسندات مالية . فالأسهم هى عبارة عن الأموال التى يدفعها الأغنياء عادة لتأسيس الشركات العظيمة ، وهى شرعية بكل معنى الكلمة ، لأن الربح فيها حاصل من طريق الانتاج والعمل . وأما السندات فهى ما تستدينه الشركات العظيمة من الأموال عند نجاحها من الأفراد العاديين لتوسيع أعمالها ، وتعطيهم فائدة ٣٪ أو ٤٪ فى السنة على ذلك ، وتأخذ الشركة بقية أرباح أموال هذه السندات ، فترى أن السهم يربح ٢٥٪ أو ٥٠٪ وأن السند لا يأخذ إلا ٣٪ أو ٤٪ حتى إنه قيل بأن شركة فى القطر المصرى يربح كل مليم من رأس مالها (١٣) مليما فى كل سنة . فهل تعلم ما هو نصيب المليم الواحد الذى استدانته الشركة ؟ هو ٣/١٠٠ من المليم فى السنة .

ومما هو معلوم أن المؤسسين للشركات هم أكابر الأغنياء ، وتكون الأسهم موزعة عليهم بكميات وافرة للحصول على الانتخاب والتصويت والكفالة والإدارة الخ . وأما السندات فهى موزعة بكثرة على الطبقات الوسطى والفقيرة ، فهل من الصواب والرشاد أن يربح جنيه واحد جنيها أو خمسة جنيهات فى السنة مع أن الجنيه الآخر فى نفس الشركة يربح أربعة أو ثلاثة قروش ؟ لا وايم الحق ! فاننى أرى فى تحريم الربا نشرا للعدالة والفضيلة .

ليوقن علماء الاقتصاد السياسى بأن تحريم الربا سوف لا يؤثر على المؤسسات الاقتصادية قط ، بل إن الشركات سوف تجبر عوضا عن الاستدانة بفائدة معينة إذا لزمها المال وتكللت أعمالها بالنجاح الى تكبير رأس مالها وإصدار أسهم أخرى لها من الأرباح ما للأسهم الأولى ، ويتساوى بذلك فى الربح كل الحاملين لهذه القراطيس المالية ؟

فخر الدين الصاحب

خير البر عاجله

قال شاعر فى هذا المعنى :

جود الكرام إذا ما كان عن عدة وقد تأخر لم يسلم من الكدر
إن السحائب لا تجدى بوارقها نفعا إذا هى لم تمطر على الأثر
وماطل الوعد مذموم وإن سمحت يداه من بعد طول المطل بالبدر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام كما يراه الاوربيون

بسط الاسلام فى مبدأ شبابه سلطانه على قارتى آسيا وأفريقا وجزء عظيم من قارة أوربا من الناحيتين : النظرية والعملية ، ثم اخترق صليل صولته أسماع الشعوب التى لم تدن به ، ودوى فى رءوسها صوت جلاله القوى ، فكان من الطبيعى أن يروع الساسة ، ويبلبل أفكار العلماء والباحثين من خصومه فى تلك الشعوب التى لم تكن تطمئن على مصيرها بازاء هذا التيار الجارف ، وكان من الطبيعى أيضا أن يدفع الغيظ المتعصبين من أولئك العلماء كما دفعت غريزة حب الاستطلاع المخلصين منهم الى الاشتغال بنصوص هذا الدين ودراستها للوقوف على مافيها من فكر وآراء نظرية ، وطقوس وتقاليد عملية . وقد كان ذلك بالفعل ، فنظر أولئك وهؤلاء فى نصوص القرآن والحديث والسيرة النبوية نظرة ادعوا أنها نظرة نقد حر ، وتمحيص برىء ، وأنهم لم يتخذوا خلالها كنبراس هاد إلا الحقيقة وحدها ، وإن كان ذلك لا يتفق مع الواقع إلا فى بعض الأحوال ، بل إننا نستطيع أن نجزم — استنادا الى مابين أيدينا من مؤلفات أولئك العلماء — بأن الدراسة الجدية لنصوص الاسلام وتعاليمه ، والبحث الدقيق النزيه فى أسراره ومزاياه ، لم يبدآ إلا منذ القرن التاسع عشر حين انتشرت الثقافة الشرقية فى أوربا وأخذ المستشرقون يجدون فى فتح مغالق الشرق وكشف مافيه من كنوز بعد حملة (نابليون) التى فاقت أهميتها العلمية أهميتها السياسية .

أما قبل ذلك العهد ، فقد كانت مؤلفات الغربيين عن الاسلام مدعاة للسخرية والاستهزاء أكثر منها مبعثا للجدل والنقاش ، لأن أكثرها كان مفعما بالجهل المطبق ، والسطحية والتعصب ، وهذه الأمور من شأنها أن تسقط القيمة العلمية التى هى الدعامة المتينة لجميع المؤلفات على اختلاف أنواعها ، وتباين موضوعاتها وغاياتها . ونحن حين نقرر هذا لا نتجنى على أولئك المؤلفين ، ولكننا نذكر حقيقة واقعة مؤيدة بالنصوص التى فى كتبهم وفى كتب الباحثين المحدثين الأكثر نزاهة وعلما من بين الأوربيين أنفسهم . وإليك شيئا من هذه الحقائق :

(١) قال الأستاذ « دير منجم » : « حينما اشتعلت الحرب بين الاسلام والمسيحية ودامت عدة قرون ، اشتد النفور بين الفريقين ، وأساء كل منهما فهم الآخر . ولكن يجب الاعتراف بأن إساءة الفهم كانت من جانب الغربيين أكثر مما كانت من جانب الشرقيين . وفى الواقع أنه على أثر تلك المعارك العقلية العنيفة التى أرهق فيها الجدليون البيزانتيون الاسلام بمساوئ واحتقارات دون أن يتعبوا أنفسهم فى دراسته ، هب الكتاب والشعراء المرتزقة من الغربيين وأخذوا يهاجمون العرب ، فلم تكن مهاجماتهم إياهم إلا انهما باطلة ، بل متناقضة » (١)

---

(١) انظر صفحة ١٣٥ من كتاب « حياة محمد » لاميل دير منجم طبعة باريس سنة ١٩٢٩

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٢) قال الأستاذ « كارادى فو » : « إن محمدا ظل وقتا طويلا معروفا فى الغرب معرفة سيئة ، فلم توجد خرافة ولا فظاظة إلا نسبوها اليه » (٢) .

ولما كنا قد اعتزمنا أن نقصر عنايتنا فى هذه البحوث على الكتب التى تستحق أن يطلق عليها اسم الكتب العلمية ، مثبتين ما احتوته من حقائق معلية لشأن الاسلام ، هادمين ما اشتملت عليه من أباطيل وأخطاء زل فيها المؤلفون عن جهل طفيف ، أو شطط فى الفهم ، أو ابتعاد عن المنطق السليم ، مبرهنين على رأينا بأنصع الأدلة وأسطع البراهين . ولما كانت هذه الخطة التى اعتزمناها تستتبع الإغضاء عن الأكثرية الغالبة من المؤلفات التى كتبت قبل القرن التاسع عشر ، فقد آثرنا أن نكتفى فى جانب هذه المؤلفات القديمة بإشارة عاجلة الى كل واحد منها . واليك هذه الاشارات :

(ا) تحدثنا قصيدة « رولان » وهى أهم منتجات العصور الوسطى الغربية على الاطلاق ، أن فرسان شارلمانى قد أسقطوا الأصنام الاسلامية ، وأن العرب يعبدون ثالوثا مؤلفا من : محمد و « أبولون » و « تيرفاجان » .

ولا أحسب أن التاريخ قد عرف سخفا أحط من هذا السخف ، أو ضلالا أسقط من هذا الضلال ، وأنا لا أستطيع أن أعزو هذه الأضلولة الوضيعة الى الجهل وحده بل الى سوء النية أيضا ، لأن انحصار غاية الاسلام المثلى فى التوحيد ، وإلحاح القرآن على إثبات انفراد الله بالعبادة الحقة ، ومحاربة الوثنية ، وإزالة النبى إياها من فوق جدران الكعبة ، كل ذلك يوضح رأى الاسلام فى التوحيد ، بل إن كلمة الاسلام التى لا يثبت إلا بها ، وهى كلمة (لا إله إلا الله) هى نفسها حملة قاسية على الأوثان والوثنية .

أما الثالوث الذى زعم مؤلف القصيدة أن المسلمين يعبدونه ، فهو لا يخرج عن كونه من باب « رمتنى بدائها وانسلت » لأن المسلمين موحدون توحيدا خالصا نقيا لا يعرف المواربة ولا الهوادة ، ولا التعبيرات المبهمة ذوات المعانى المختلفة والمرامى المتباينة ، وإنما غيرهم هو الذى يرمى بمثل هذه التهمة .

على أنى لست أدرى كيف يعد مؤلف هذه القصيدة الثالوث مغمزا يطعن به على الإسلام مع أنه ارتضاه فى المسيحية ولم يعترض عليه ، ولكن أنصار هذا المؤلف المتعصب قد أجابوا عنه بأن ثالوث المسيحية يرجع الى واحد ، فى حين أن ثالوث غيرهم مؤلف من كائنات متعددة . وهنا يهوى المدافع فى ظلام الجمل الغامضة المعقدة التى خلا منها التوحيد الإسلامى خلوا تاما .

(ب) يشاهد القارئ فى قصيدة « أورشليم » وصفا دقيقا لتمثال زعم مؤلفها أنه صنع

(٢) انظر صفحة ٢٠ من كتاب « المحمدية » للبارون كارادى فو طبعة باريس سنة ١٨٩٧

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للنبي من الذهب والفضة الخالصين ، وأن قاعدته هى تمثال فيل أصعد فوقه كأنه يمثل النبي وهو راكب .

وقد وصلت الجرأة على الحق والتجنى على التاريخ بهذا الشاعر الى حد أسقطه من صفوف المؤرخين الذين يسجلون الحوادث على حقيقتها إسقاطا تاما ، لأن أولئك الغربيين المحدثين أنفسهم اقتنعوا بعد الدرس والبحث أن مهمة الإسلام الأولى كانت القضاء على الوثنية ومحو آثارها ، والحكم بالإعدام على جميع مايمت إليها بصلة من قريب أو من بعيد ، بل إن المحدثين يأخذون على المسلمين مغالاتهم فى هذا التشديد ويقولون : إن المدنية الحاضرة تتطلب منهم الأخذ بنصيب من الحفر والتصوير . وقد رد المسلمون على هذه الملاحظة بردود مختلفة ليس هذا المجال موضع ذكرها ، ولكن الذى لا ريب فيه هو أن دعوى هذا الشاعر القديم سخيفة لا يؤيدها الحق ، ولا يعززها المنطق ، ولا يسندها التاريخ .

(ج) هناك رواية سخيفة ألفت بعد الانتهاء من الحروب الصليبية زعم فيها مؤلفها أن الاسلام يبيح زواج المرأة الواحدة من عدة رجال معا . وليست هذه الأكذوبة الساقطة فى حاجة الى الرد ، لأن سنا أنها تهوى بها عن أدنى درجات الجدل والنقاش .

هذا نموذج من المؤلفات القديمة التى تناولت الإسلام بالطعن والتجريح المؤسسين على المعلومات الخاطئة أو على الأهواء والأغراض (١) . ولم نشأ أن نفيض فى سرد هذه الآراء الباطلة ، أو أن نذكر عددا من الكتب أكثر مما ذكرنا ، لأننا ألفينا العلماء المحدثين قد أنزلوها المنزلة الجديرة بها من الإغفال والإهمال ، فرأينا أن مهاجمتها غير مجدية . ولهذا آثرنا أن نتخطاها الى الكتب الجدية التى يصح أن يطلق عليها اسم الكتب العلمية ، ليكون البحث قيما مفيدا .

ليست العصور الوسطى وحدها هى المشتملة على هذه المؤلفات الخاطئة ، بل إن عصرى الانتقال والنهضة ، والقرنين : السابع عشر والثامن عشر ، قد احتوت من هذه الأخطاء العلمية والتاريخية على مقدار غير يسير . فكما سقط كتاب القرون الوسطى وشعراؤها فى الأخطاء المرعبة التى أنبأناك طرفا منها آنفا ، كذلك هوى كثير من علماء هذه القرون الأربعة الأخيرة . فمثلا : « باسكال » و « مالبرانش » فى القرن السابع عشر ، و « مونتسكيو » و « فولتير » فى القرن الثامن عشر ، و «رينان» فى القرن التاسع عشر ، و «كازانوفا» و « ديرمنجم » فى القرن العشرين ، كل هؤلاء قد اقترفوا أخطاء جسيمة نحو الإسلام ، وهووا فى مخالفات جدية للعلم

(١) اكتفينا من كتب القرون الوسطى بما تقدم . ومن أراد الاستزادة فعليه بالقوائم التى وردت فى كتب المحدثين حاوية أسماء تلك المؤلفات القديمة الخاطئة كالقائمة التى أوردها العالم الكبير الكونت دى كاسترى فى كتابه « الاسلام » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والتاريخ ، كما أن لهم ولغيرهم من المؤلفين الآخرين أمثال كارادي‌فو ، وديزيريه بلانشيه ، وكليمان هوار وأضرابهم ، عن الإسلام آراء قيمة جديرة بالاحترام .

وسنعرض لأهم كتب أولئك العلماء فى شىء من البسط فى الفصول المقبلة ، ولكننا نكتفى اليوم بأن نشير الى أن « فولتير » فى هجومه على الإسلام كان قد أراد فيما يظهر أن يتخذه رمزا لجميع الديانات ، لأنه كان يطعن عليها كلها من غير استثناء . ولكنه لما خشى اضطهاد الكنيسة والحكومة ، اتخذ نبي المسلمين ستارا يحتمى وراءه لمهاجمة جميع مؤسسى الأديان . وقد وصل فى النفاق الى حد أن أهدى هذا الكتاب الى البابا ، لينال رضاه ، أو ليتقى غضبه على أقل تقدير .

ومما اعتمد عليه العلماء فى الحكم بأن الاسلام فى كتاب « فولتير » صورة رمزية ، هو أن آراءه فى كتبه الأخرى عن الإسلام تختلف عن رأيه فى هذا الكتاب ، وأن طريقته فى كتابته كلها كانت دائما تشتمل على هذا النوع من المداورة والمراوغة . اللهم إلا أن يكون « فولتير » قد قصد بهذه الصورة الضالة التى صور بها نبى المسلمين فى روايته أن يرضى البابا ، وضحى فى سبيل ذلك بالنزاهة والحق والكرامة ، ولكنه لم يفز منه بهذا الرضى المنشود ، فخسر الصفقة وثمنها .

أما « رينان » فقد تناول الاسلام فى كثير من مؤلفاته بالقدح ، ولاسيما فى كتابه « الاسلام والعلم » الذى طعن فيه على العرب والاسلام طعونا دفعت المغفور له السيد جمال الدين الأفغانى الى الرد عليه بما أفحمه وألزمه الحجة والاعتراف بضعف كثير من المصادر التى استقى منها معلوماته . وسنمر فى الكلمات الآتية بهذا كله فى شىء من التفصيل ، معقبين على الباطل منه بما يدحضه دحضا تاما ، مثبتين الحق مع الثناء على نزاهة أصحابه ورجاحة عقلياتهم ، ولكننا رأينا أن نبدأ هذه الفصول بذكر الآراء الصحيحة التى هى الى جانب الاسلام والحق ، فإذا انتهينا منها ، مررنا بالآراء الأخرى المخالفة مرور الناقد بالحجة والبرهان ، لا بتأثير العاطفة ، أو بدافع التعصب والهوى .

أما اليوم فسنكتفى بأن نختم هذه الكلمة ببعض عبارات موجزة قيمة شهد فيها أصحابها للنبى صلى الله عليه وسلم بشىء مما كان عليه من العظمة والجلال . وهاك هذه العبارات :

(١) قال الأستاذ « كازا نوفا » : « إن كل تاريخ النبى العربى يدل على أن خاتمه عملى جدى محمود . إنه حتى حين اعترف الجميع بسلطانه المطلق عرف كيف يستمع آراء الغير ويعترف بهفواته ويصلحها . إن محمدا وأصحابه قد أوضحوا بعناية تامة الفرق بين آرائه الخاصة وإدراكاته للحياة الواقعية من جهة ، وبين تعاليم السماء من جهة أخرى . وقد ظلت هذه الفروق خالدة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى الاسلام الذى لا يخلط بين القران والسنة ، بل إنه فى السنة نفسها يفرق بين ماله صفة الموحى به ، وما هو شخصى لمحمد (١) » .

(٢) قال الأستاذ « كارادى فو » : « إن محمدا أتم طفولته فى الهدوء ، ولما بلغ سن الشباب اشتهر باسم الشاب الذكى الوديع المحمود ..... وقد عاش هادئا فى سلام حتى بلغ الأربعين من عمره ، وكان بشوشا تقيا لطيف المعاشرة (٢) » .

(٣) وقال أيضا : « إن محمدا كان هو النبى والملهم والمؤسس ، ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العليا ، ومع ذلك فلم ينظر الى نفسه كرجل من عنصر آخر ، أو من طبقة أخرى غير طبقات بقية المسلمين . إن شعور المساواة والاخاء الذى أسسه بين أعضاء الجمعية الاسلامية كان يطبق تطبيقا عمليا حتى على النبى نفسه » (٣)

(٤) قال « ديزيريه بلانشيه » : « إن النبى محمدا يعد من أبرز وأشهر رجال التاريخ ، فقد قام بثلاثة أعمال عظيمة دفعة واحدة ، وهى : أنه أحيا شعبا ، وأنشأ أمبراطورية ، وأسس دينا » (٤)

(٥) قال « لامارتين » : « إن محمدا أقل من إله ، وأعظم من إنسان عادى ، : أى إنه نبى » .

(٦) قال الاستاذ على (٥) أمير الدين : « صريح ذلك الراعى ، قوى العزم ، نقى القلب ، طاهر النفس ، دعاه قومه بالأمين ، وحقا إنه لأمين . أحبه جده وأوصى بذلك الصبى الجميل خيرا ، فهو خير ثمرة لخير شجرة نبتت بين ربوع قريش ، وقريش هذه من أعظم قبائل العرب فى ذلك الحين » .

(٧) قال الاستاذ « جارسان دى تاسى » : « إن محمدا ولد فى حضن الوثنية ، ولكنه منذ نعومة أظفاره أظهر بعبقرية هائلة انزعاجا عظيما من الرذيلة ، وحبا حادا للفضيلة ، وإخلاصا ونية حسنة غير عاديين الى درجة أن أطلق عليه مواطنوه فى ذلك العهد اسم الأمين » (٦)

دكتور محمد غلاب
مدرس الفلسفة بكلية أصول الدين

(١) انظر صفحة ٥ من الجزء الاول من كتاب « محمد ونهاية العالم » للاستاذ كزانوفا . وليعلم القارىء أن هذا الكتاب كما اشتمل على آراء صحيحة ، احتوى على أخرى فاسدة سنعرض لنقدها فيما بعد . (٢) انظر صفحتى ٢٢ و ٢٣ من كتاب « المحمدية » للاستاذ كارادى فو . (٣) انظر صفحة ٦٣ من الكتاب المذكور (٤) انظر كتاب « دراسات فى التاريخ الدينى » . (٥) هو شاب استرالى اعتنق الاسلام وقد ألف كتابا قيما عن الدين الاسلامى وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم (٦) انظر صفحة ٦ من مقدمة كتاب « الاسلام » لجارسان دى تاسى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى بلاغة القرآن

رأى جـديد فى بعض مناحيها

يطيب لنفسى أن أنعمد مادبة الله كلما استطعت الى ذلك سبيلا ، فألتهم من طعامها الشائق ، وأحتسى من شرابهـا الرائق ، ما أعتقد أن فيه غذاء لروحى الساغبة وريا ، وما أكاد أنفتل عنها حتى أحس برغبة جامحة فى العودة ، فأعاود الـكرة ابتغاء الافترار وإزالة العطاش ، ولـكن هيهات ، فـكلما ازددت منها ازددت شوقا اليها ، وحرصا عليها :

إذا ازددت منها زاد وجدى بقربها   فـكيف احتراسى من هوى متجدد

هيهات هيهـات أن تقنع روحى من مأدبة الله ، وطعامها شفاء للنفس ، وشرابها طهور للحس ، وغشيانها جلاء للقلب وصقـال للضمير . كيف أقنع من القرآن مأدبة الله ، كما سماه رسول الله فـكانت تسمية فذة بارعة ، أصاب بها عليه السلام شواكل المراد ، وطبق مفاصل السداد ، بإيجاز وإعجاز لم نر لهما ضريبا إلا فى القرآن الـكريم . والقرآن كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، وفضله على سائر الـكلام « معروف غير مجهول ، وظـاهر غير خفى ، يشهد بذلك عجز المتعاطين ، ووهن المتـكلفين ، وتحير الـكاذبين ؛ وهو المبلغ الذى لا يمل ، الجـديد الذى لا يخلق ، والحق الصادع ، والنور الساطع ، والمـاحى لظـلم الضلال ، ولسان الصدق النافى للـكذب ، ونذير قدمته الرحمـة قبل الهـلاك ، وناعى الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة المخلدة ، ومفتاح الخير ، ودليل الجنة ؛ إن أوجز كان كافيا ، وإن أكثر كان مذكرا ، وإن أومأ كان مقنعا ، وإن أطـال كان مفهما ، وإن أمر فناصحا ، وإن حكم فعادلا ، وإن أخبر فصادقا ، وإن بين فشافيا ؛ سهل على الفهم ، صعب على المتعاطى ، قريب المأخذ ، بعيد المرام » لا تستشفه النظرة الأولى ، وقد تـكون الثانية مبعث توهيم . وإذا ما هجس التوهيم فى نفس لا يقر لها قرار أو تـكون على بينة من أمره ، فتبحث وتنقب ما وسعها البحث والتنقيب ، وترهف الذهن وتحد الخاطر ، ولاتزال تدير الرأى ، وتجيل عيون الفرض لتعلم سر توهمها ، ولا سيما إذا كان هذا التوهيم فى كتاب أحكمت آياته وأعجزت ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وكثيرا ما نظرت فى آيات منه فتوهمت ، فبحثت فأسفر البحث عن حقائق تجعل القلب خاشعا متصدعا من خشية الله ، مؤمنا إيمانا قويا صادقا لم تشبه شائبة من شوائب التقليد بأنه معجز حقا ، تتعاقب عليه الأيام وتتعاور الأفهام فما تزيده الأيام إلا جـدة ونضارة ، وتنحسر عنه العقول ظـالعة حسيرة وما تنفد كلماته ، ولا تفرغ أسرار بلاغتها « قل لو كان البحر مدادا لـكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من تلك الآيات التى نظرت فيها فتوهمت ، قوله تعـالى : « فقلنا يا آدم إن هـذا عدولك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » فلقد خيل الى أنه لوقيل : « لا تجوع ولا تظما ، ولا تضحى ولا تعرى » لـكان ذلك جاريا على ما تقتضيه البلاغة من الملاءمة بين الأشباه والنظائر ، ولـكنها لم تجىء كذلك فلا بد لهذا من سر بل من أسرار ، لأن الـكلمة فى القرآن ليست كما تكون فى غيره « بل السمو فيها على الـكلام أنها تحمل معنى ، وتومىء الى معنى ، وتستتبع معنى ، وهذا ما ليس فى طاقة البشرية ، وهو الدليل على أنه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت » فما سر مجيئها هكذا ؟

نظرت فى كتب التفسير التى بين يدى ، وهى الـكشاف والطبرى والنسفى والجـلالين والبحر المحيط ، فما ألفيت كتابا منها حاول أن يكشف عن سر نظم الآية ، بيد أنى وجدت فيما كتبه الصاوى على الجلالين كلاما ليس له ضحى ، فهو يقول : « قابل بين الجوع والعرى ، والظمأ والضحو ؛ وإن كان الجوع يقابل بالعطش ، والعرى يقابل بالضحو ، لأن الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر ، والظمأ حر الباطن والضحو حر الظاهر ، فنفى عن ساكن الجنة ذل الظاهر والباطن ، وحر الظاهر والباطن » . ووجدت ابن المنير يقول فى كتاب الانتصاف : « والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها ، ولو قرن كلا بشكله لتوهم أن المعدودات نعمة واحدة . على أن فى الآية سرا زائدا على ذلك وهو قصد تناسب الفواصل ، ولو قرن الظما بالجوع لانتثرسلك رءوس الآى ، وأحسن به منتظما » . وهذا الـكلام ليس له نصيب كبير من الوجاهة والرجاحة ، ولذلك لم ترتح اليه نفسى ولم تقنع به ، وإنما قنعت برأى حلو جميل انساب فى أعطافها ، ودب فى ثناياها دبيب الـكرى فى المفاصل ، ففرحت به وآثرته ، وصارت به حفية ، وله وامقة ، ولنشره تائقة ؛ ويتخلص هذا الرأى فى أنه لو جاء النظم هـكذا : وأنك لا تجوع فيها ولا تظمأ ، لوجب أن يقال : وأنك لا تعرى فيها ولا تضحى ؛ ولو كان ذلك كذلك لفسد المعنى ، لأن التضحى هو البروز للشمس بغير سترة كما فى اللسان وغـيره ؛ وإذا كان التضحى هو البروز للشمس بغير سترة كان معناه العرى ، فيصير معنى الـكلام : « وأنك لا تعرى فيها ولا تعرى » ، وهو فساد بين ؛ ولما كان هذا الفساد فى النظم مرجعه ضم الأشباه والنظائر ، فرقها وجاء بها على هذا النسق البديع : « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » ، وضم سبحانه لنفى الجوع نفى العرى لتطمئن النفس بسد الجـوع وستر العورة اللذين تدعو اليهما ضرورة الحياة ونحيزة الانسانية . ولما كان الجوع مقـدما على العطش كتقديم الأكل على الشراب ، كان من مقتضى البلاغـة أن يتأخر ذكر الظمأ عن الجوع ، وأن يتقـدم على التضحى لأنه مهم يجب أن يتقدم الوعد بنفيه كما تقدم الوعد بنفى الجوع ، وأن يتأخر ذكر التضحى كما تأخر ذكر العرى عن الجوع ، لأن التضحى من جنس العرى والظما من جنس الجوع .

ولعلك إذا بلغت هذا الموضع من مقالى تسائلنى فيما بينك وبين نفسك ، أو فيما بينك وبين غيرك ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وتقول : إذا كان الأمر كما بينت، وكان سر التفريق بين الأجناس كما جلوت ، فلم ذكر التضحي وهو عرى كما أثبت ، وقد أغنى عنه ذكر العرى ؟ ولعـلى أبلغ الغاية من إقناعك ومرضاتك ، أو لعلى أوفر عليك مؤنة السؤال أو التساؤل إذا قلت لك : فى ذكر التضحى فائدة كبيرة ، وهى وصف الجنة بأنها لا شمس فيها « لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا » فإن التضحى عرى مخصوص مشروط بالبروز للشمس وقت الضحى ، ولذلك سمى تضحيا ، وسميت الشمس ضحى لظهورها فى ذلك الوقت ، والانتقال من الأعم الى الأخص بلاغة ، لاختصاص الأخص بما لا يوجد فى الأعم كما يقولون .

وفى القرآن الـكريم آية أخرى تشبه هذه الآية فى التوهيم كل المشابهة ، وهى قوله تعالى : « مثل الفريقين كالأعمى والأصم ، والسميع والبصير ، هل يستويان مثـلا ؟ أفلا تذكرون » خيل الى أن هذه الآية قد أتت على غير طريق البلاغة ، فان طريق البلاغة أن يقال : « كالأعمى والبصير ، والأصم والسميع » لتلتئم الألفاظ وتأتلف بمعانيها ، وليكون فى كل جملة من الجملتين طباق لفظى . وأخيرا تبين لى أن مجيئها على النظم الذى توهمته وزينه لى الطباق المزدوج : يفسد المعنى الذى جاءت الآية لتقريره . وبيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى قال : « مثل الفريقين » فاقتضى ذكر الفريقين تفسيرهما ، فقال : « كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع » ليكون المشبه به قسمين ، والمشبه وفق عدد الفريقين ؛ أحد القسمين مبتلى والآخر معافى ، للتضاد بين القسمين حتى يصح السؤال عن التسوية بينهما مع تضادهما . ولو قيل : « كالأعمى والبصير » لـكانت هذه الجملة فريقين ، ثم يعود فيقول : « والأصم والسميع » فيكون فى الجملة الأخرى فريقان آخران ، فيكون قد فسر الفريقين بأربعة ، وهذا فساد واضح ، فلذلك عدل الملاءمة فى ظاهر الـكلام الى ما هو أهم منها ، وهو تصحيح المعنى المراد . ولقد أذكرتنى هـذه الآية والتى قبلها — والشىء بالشىء يذكر ، والحديث شجون — بقصة طريفة جرت بين سيف الدولة والمتنبى ، توهم فيها سيف الدولة عدم المناسبة بين أبيات ، فـكشف له المتنبى عن المناسـبة وأبان له سرها : روى البكرى أن المتنبى وقف ينشد سيف الدولة قصيدته التى مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الـكرام المـكارم

حتى وصل الى قوله :

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

فأنـكر عليه سـيف الدولة تطبيق عجز البيتين على صدريهما ، وقال له : ينبغى أن تطبق عجز الأول على الثانى ، وعجز الثانى على الأول . ثم قال له : وأنت فى هـذا مثل امرىء القيس فى قوله :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كأني لم أركب جوادا للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال

ووجه الكلام في البيتين على ما قاله أهل العلم بالشعر: أن يكون عجز الأول على الثاني والثاني على الأول ليستقيم الكلام، فيكون ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالكر، وسبء الخمر مع تبطن الكاعب. فقال له المتنبي: أدام الله عز مولانا، إن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا، ومولانا يعرف أن البزاز لا يعرف الثوب مثل معرفة الحائك، لأن البزاز يعرف جملته، والحائك يعرف جملته وتفصيله، لأنه أخرجه من الغزلية الى الثوبية. وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد، وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء؛ وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه، ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا، وعينه من أن تكون باكية قلت: ووجهك وضاح لأجمع بين الأضداد في المعنى. فأعجب سيف الدولة ووصله بخمسمائة دينار. قال أبو الفتح بن جني — فيما نقله الواحدي: وليس الملك والشجاعة في شيء من صناعة الشعر، ولا يمكن أن يكون في ملاءمة العجز الصدر مثل هذين البيتين، لأن قوله: كأنك في جفن الردى، هو معنى قوله: وقفت، فلا معدل لهذا العجز عن هذا الصدر، لأن النائم إذا أطبق جفنه أحاط بما تحته، فكأن الموت قد أظله من كل مكان كما يحدق الجفن بما يتضمن من جميع جهاتها، فهذا هو حقيقة الموت. وقوله: تمر بك الأبطال، هو النهاية في التطابق لمكان الذي تكلم فيه الأبطال فتكلح وتعبس، وهذا كلام رائق معجب يدل على حصافة وتفطن، وبصر بدقائق المعاني ومنازع الكلام ؟

السيد أحمد صقر

لا تكلمك العباءة

روى أن معاوية بن أبي سفيان نظر يوما الى النجار بن أوس العدوي ولم يكن قد خبره، وكان خطيبا مفوها وعالما بالأنساب، فاذدرته عينه، وكان في ناحية من مجلسه وعليه عباءة. فأوهم تنحيه معاوية أنه من العامة، فأدرك النجار ذلك في وجه معاوية، فقال له: يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك ولكن يكلمك من فيها، وكمال الرجل آدابه، لا ثيابه. وأنشد:

إني وإن كنت أثوابي ملفقة ليست بخز ولا من نسج كتان
فإن في المجد هماتي وفي لغتي فصاحة ولساني غير لحان

فأكبره معاوية ورفع منزلته.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قادة الفكر فى تاريخ الاسلام

— ٢ —

عمر بن الخطاب

ألمعنا فى مقالنا السابق الذى جعلناه تمهيدا لأحاديثنا عن « قادة الفكر فى تاريخ الاسلام » الى أطوار الفكر الانسانى التى مرّ بها فى مراحل من الحياة لم يجد فيها سلطانا غير سلطانه ، فاندفع مغامرا فى خضم الوجود ، يطفو مرة سابحا ، ويغوص أحيانا راسبا ، فاذا عصفت به عواصف التقاليد الاجتماعية ، وغلبته أوضاع الأمم الساذجة على طبيعته ، وتلاعبت به أمواج الحياة ، هوى الى حضيض الجماعة فى حمأة أساطيرها يستوحيها الخرافات والأباطيل ، يجرى وراءها حينا من الدهر حتى يعود الى حقيقته من السمو فيأخذ فى اتجاه من النظر العلمى يشرف به على نظام الحياة وسير الوجود ، وإذا صفت له الآفاق وضعفت أمامه العقد الاجتماعية التى تربط بين الجماعات الساذجة ، مرّ على سيسائه فى تفكير مرتب وحقائق سامية ، ونظريات فلسفية تكشف عن وجه الكون ، وتعمل عملها الطبيعى فى ترقية الجماعة ، ووضعها فى وضع جديد لتستقبل به حياة جديدة ، وهكذا ظل الفكر الانسانى دائم الاضطراب يعدو هنا وهناك فى غير استواء غرض مرموق أو هدف مقصود .

فلما جاء الله تعالى بالاسلام هداية للانسانية ، وتقويما لتفكيرها ، وتسكينا لاضطرابها ، استقبل الفكر طورا جديدا من أطواره ، أخرجه من فوضى جامحة جاهلة الى حرية مهذبة فاضلة ، وأخذ بعنانه الى مسالك عبّدها ، ووقف منه موقف المرشد الناصح ، والقائد القوى الأمين ، يسدده ويهديه ، وكان طبيعيا أن يبدأ الفكر الانسانى حياته الجديدة فى ظل الاسلام فطريا بريئا من شوائب التعقيد الفلسفى والتقنين العلمى ، وقد انطبعت الحياة الفكرية الاسلامية بهذا الطابع الفطرى فى مدى القرنين الأولين لمجىء الاسلام تقريبا ، وهى مرحلة من تاريخه جديرة بالتسجيل ، لأنها تمثل الفكر الانسانى وليدا فى مهد الاسلام ، عنه يتلقى الحكمة ، ومنه يتفهم أسرار الوجود . والعجيب المدهش حقا أن هذا الفكر الفطرى استطاع أن يضع للحياة الاسلامية الزاخرة أسس حضارة خاصة قامت عليها ، وتميزت فى التاريخ بها ، واستطاع أن يقيم دعائم المدنية الاسلامية على قواعد الايمان بالوحدة الانسانية التى لا تعرف هذه العروق الوطنية ولا الفواصل العنصرية ، وهو أول من همس فى أذن الانسانية جمعاء بهذا المبدأ السامى : « الناس سواسية كأسنان المشط ، لافضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى » فأيقظ فيها روح الثورة للتخلص من الاستعباد الاجتماعى والفكرى ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من وضع أساس تحقيق غاية الاجتماع الانسانى وسعادته بربط الانسانية المؤمنة برباط الأخوة المتعاطفة ، ففى القرآن الحكيم « إنما المؤمنون إخوة » وفى الحديث الشريف « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » مما لم يستطع الفكر الانسانى أن يقرره فى ظل الفلسفة قبل أن يأخذ الاسلام بزمامه ، وقد استطاع المسلمون الأولون أن يحققوا هذا الحلم الجميل للانسانية يوم أن كان الفكر إسلاميا خالصا قبل أن تتقاذفه أعاصير الفلسفات النظرية وتتجه به فى تيارات انحرفت عن ناموس الاسلام قليلا أو كثيرا ولكنها لم تفارقه ، وهذا الاتجاه كان بدء مرحلة أخرى للفكر الاسلامى كان فيها فكرا إسلاميا فلسفيا ، وعندئذ تجلت عظمة الروح الاسلامى ، وظهرت حيوية الشريعة الغراء فى قيادتها لهذا الفكر المعقد ، وسيطرتها عليه سيطرة كانت تلاحقه أينما توجه فى أودية البحث العلمى .

ومما يستوقف نظر الباحث فى تاريخ الفكر الاسلامى أن خصيصة هذا الفكر فى مرحلته الأولى الفطرية ، أنه كان فكرا عمليا ، لا يقف عند حدود تقرير النظريات تقريرا علميا فحسب ، بل كان أسرع الى تكييف الشخصيات الاسلامية تكييفا ماديا بما يقرره من الحقائق ، وكانت تلك الشخصيات أطوع لعوامل التكييف العملى حتى أصبحت مثلا عاليا لمظاهر التطبيق الواقعى لمقررات الفكر ، ومنشأ ذلك فى رأينا تحرير الفكر من ربقة الأوضاع الاجتماعية التى كان يخضع لها فى ماضيه ، وتجاوب صوته مع صوت العاطفة فى آفاق النفس الانسانية بما أصله الاسلام فى شرائعه الحكيمة التى اعتمدت على قاعدتى الرحمة والعدل ، والرحمة صدى العاطفة القلبية ، والعدل صدى الفكر المنطقى المستقيم ، فلم تعد مجالات الفكر فى الاسلام تلك النظريات الفلسفية الجافة ، ولا تلك الخيالات الواهنة ، ولكنها أصبحت حقائق تنبع من معين القلب الخفاق ترفده روافد العقل الرزين ، وبذلك امتاز الاسلام باعتباره شريعة عامة خالدة ، فهو إذ يخاطب الفكر بمنطق القصاص العادل فيقرر قانون الجزاء المحكم استصلاحا للمجتمع « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » يلتفت الى القلب فيخاطبه بمنطق العاطفة ، إثارة لشعور الأخوة ، وتهذيبا للنفوس « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » .

على هذا الأساس قام بناء الفكر الاسلامى ، وظهرت معالمه شامخة فى شخصيات أخذت شرائع الاسلام مشافهة فى آيات بينات من فم النبوة ، اندفعت الى قلوبهم اندفاع الغيث فى أخصب الأودية ، وكونت جيلا من الأمة كان أسوة لمن بعده من قادة الفكر فى تاريخ الاسلام . ولا يتسع المقام للحديث عن جمهرة الذين أعدتهم طبيعتهم للتميز عن جيلهم فقادوا الفكر الاسلامى فى هذه المرحلة ، ولكنا نجرى الحديث عمن نختاره مجرى المثل المضروب للتأسى والاعتبار .

وليس من شك فى أن أبرع شخصية قادت الفكر الاسلامى فى مشرق شمسه شخصية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« عمر بن الخطاب » ثانى خلفاء المسلمين وأول أمراء المؤمنين ، فإن سيرته قائدا من قادة الفكر فى تاريخ الاسلام كالشمس فى الكواكب ، إذا طلعت فليس لكوكب منها فى الأفق مكان . ونحن إذا تحدثنا عن سيرته فى قادة الفكر فلسنا نطمع فى أن نحدد شخصيته تحديدا يرسم له صورة تحيط بأطراف حياته ، ولكنا نحاول أن نلم بصورة منها تكون مثلا لتعرف ألوان العظمة الفكرية حيث لا مدارس نظامية ولا جامعات علمية ، وإنما هى الفطرة الطاهرة الزكية إذا تكشفت لها طبيعة الحياة عن جانب من جوانبها المضيئة التقطته التقاط المرآة الصقيلة للصور النيرة ليس دونها حجاب .

تقول أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها : « من رأى ابن الخطاب علم أنه خلق غنى للاسلام ، كان والله أحوذيا نسيج وحده ، قد أعد للأمور أقرانها » . وهذا كلام من أحكم القول وأسده ، وأصدق الرأى وأرشده ، لأن الناظر فى سيرة « ابن الخطاب » يرى أن الله تعالى خلقه ليكون أحد زعماء الدنيا الذين يسوسونها ، وأعده قائدا من قادة الفكر الذين يرسمون للانسانية طريق سعادتها ، فالتاريخ يروى أنه كان فى جاهليته سفير قريش فى حربها وسلمها ، وصاحب كلمتها فى منافراتها ، ولسانها الناطق فى مفاخراتها ، وقريش سيدة العرب ، وحاملة لواء الزعامة فى قبائلها ، فهى إذا وسدت أعظم أمورها فى جاهليتها لابن الخطاب فذلك لأنها وزنته بأرجح رجالاتها أحلاما فرجح بهم ، فرمت العرب عن قوسه فى منافراتها ، ورضيت بيانه لمفاخراتها ، وعقله لسفارتها ، وهذه أمور ثلاثة مما تواضع عليه العرب تمثل أوضح جوانب الفكر فى حياتهم الاجتماعية ، فهى أحوج ما يكون الى بصر نافذ ، وعقل قوى ناضج ، وعلم بمصادر الأمور ومواردها ، ولم تكن قريش — وهى ما هى فى مكانها من العزة والسؤدد — لترضى عمر سفيرها والمنافح عنها وهى تعلم أن فى رجالاتها أبرع منه حكمة وسداد رأى ، وفصاحة منطق ، ونصاعة بيان وسياسة تدبير ، فهو لم يتبوأ منها هذه المنزلة لتميزه بشرف جاهلى ، أو لسعة فى ثراء مالى ، بل لنبل نفسى وذكاء فطرى ، ظهرت عليه مخايله وهو فى إهاب الشباب وسن الفتوة ، فهو يحدثنا عن نفسه أنه ولد قبل الفجار الأعظم بأربع سنين ، وهذا الفجار يوم من أيام العرب ووقائعها ، أدركه النبى صلى الله عليه وسلم يافعا ، وكان ينبل فيه على عمومته ، ويحدثنا أيضا أنه أسلم وعمره ست وعشرون سنة ، فإذا نظمنا الحوادث فى سلكها رأينا أن قريشا قد وضعت فى يده معاقد ثقتها ، وجعلته مدره شرفها ، والذائد عن مناقبها ، والناشر لمفاخرها ، فى مطلع شبابه وفجر فتوته ، وفيها من صناديد مشيختها الذين عركوا الدهر ، وحنكتهم الأيام ، وساستهم التجارب ، عدد عديد .

جاء الاسلام ولفتى الخطاب هذا الشرف الخطير فى الجاهلية ، فكان — كما حدث عن نفسه — من أشد الناس على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين الذين انزووا بدينهم فى دار الأرقم بن أبى الأرقم يعبدون الله سرا وفرارا من أمثال « ابن الخطاب » الذين كانوا يلقون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

منهم أشد التنكيل ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتشوق الى إسلام « عمر » ليعز الله به الإسلام وأهله ، لما يعلم من قوة نفسه وشجاعته ومكانته فى قريش ، وكثيرا ما كان يسمعه أصحابه يقول : « اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب ! » وقد استجاب الله دعوة نبيه ، وصدق كلمته ، وأسرع فى تحقيق ما تشوق إليه ، فأسلم « عمر » وكان إسلامه عزا للمسلمين وفتحا للاسلام ، حتى كان عبد الله بن مسعود يقول فيما أخرجه البخارى : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر . وقد صدق ابن مسعود ، فابن الخطاب هو الذى أخرج المسلمين من مخبئهم ، وأعلن كلمة الإسلام مدوية فى أرجاء مكة ، حتى تجاوبت بها آفاق أنديتهم ، ووجمت لها قريش ، واكتأبت باسلام « عمر » كآبة لم تر مثلها ، لأنها تعرف فيه الشخصية القوية القاهرة .

يحدثنا أنس بن مالك — فيما تضافرت بروايته السير — قال : خرج عمر متقلدا سيفه فلقيه رجل من بنى زهرة فقال : أين تعمد ياعمر ؟ قال : أريد أن أقتل محمدا ، قال : وكيف تأمن من بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمدا ؟ فقال له عمر : ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذى كنت عليه ، قال : أفلا أدلك على العجب ياعمر ! إن أختك وختنك قد صبوا وتركا دينك الذى أنت عليه ، فمشى عمر ذا أمر — أى يلوم نفسه على ما فاته — حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له : خباب بن الأرت ، فلما سمع خباب حس عمر توارى فى البيت ، فدخل عليهما فقال : ما هذه الهينمة التى سمعتها عندكم ؟ وكانوا يقرءون « طه » فقالا : ما عدا حديثا تحدثناه بيننا ، قال : فلعلكما قد صبوتما ، فقال له ختنه : ياعمر ! أرأيت إن كان الحق فى غير دينك ؟ فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديدا ، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها ، فنفحها نفحة بيده وفى وجهها ، فقالت وهى غضبى : ياعمر إن كان الحق فى غير دينك أتشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فلما يئس عمر قال : أعطونى هذا الكتاب الذى عندكم لأقرأه — وكان عمر يقرأ الكتاب — فقالت أخته : إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون ، فقم فاغتسل وتوضأ ! فقام فتوضأ ، ثم أخذ الكتاب فقرأ « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » حتى انتهى الى قوله : « إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » فقال عمر : دلونى على محمد ، فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال : أبشر ياعمر ، فانى أرجو أن تكون دعوة رسول الله لك ليلة الخميس « اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل بن هشام » ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدار التى فى أصل الصفا ، فانطلق عمر حتى أتى الدار ، وعلى الباب حمزة وطلحة وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخاف القوم منه ، فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة : نعم فهذا عمر ، فان يرد الله بعمر خيرا يسلم ويتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا . ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى داخل البيت يوحى إليه ، قال عمر فى إحدى الروايات : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بمجامع ثيابى ثم نترنى نترة فما تمالكت أن وقعت على ركبتى ، ثم قال :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما أنت بمنته ياعمر ؟ قال : قلت : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، قال : فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد ، قال عمر : فقلت يارسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟ قال : بلى ، والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم ! قال : قلت : ففيم الاختفاء ؟ والذى بعثك بالحق لنخرجن ! فأخرجناه فى صفين ، حمزة فى أحدهما ، وأنا فى الآخر ، له كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد ، فنظرت الى قريش والى حمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها ، فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم « الفاروق » يومئذ .

هذا أول موقف إسلامى لابن الخطاب ، يمثل حالة من حالات انتقال النفوس من حضيض الحمية الجاهلية الى بهاء الايمان وسكينته ، ثم الى رسوخه وقوته ، كان عزة للاسلام والمسلمين ، وخزيا للشرك والمشركين . وللفكر فى تحليله مجالات تكشف عن مواطن العظمة فى نفس « عمر » وتبين لنا مطالع آيات العزة التى كسبها المسلمون باسلام « عمر » . ونحن نجيل القلم قليلا حول هذا الموقف لنجلو ما فيه من عبرة نرجو خيرها ونفعها لحاضر المسلمين :

أبت على ابن الخطاب نفسه العظيمة أن يرى البلد الحرام الذى جعله الله منذ القدم أمنا وسلاما للناس ، يضطرب بأعظم حادث يحاول به أحد بنى هاشم تغيير وجه التاريخ بدعوته الى دين جديد لا يعرفه العرب ، بل يهدم كيانهم الاجتماعى ، ويهدر شرفهم الجاهلى ، يسفه أحلامهم ، ويحقر آلهتهم ، ويزرى بتقاليدهم ، ويفرق كلمتهم ، ويشتت جماعاتهم ، ويصدع قلوبهم بالشناءة فيما بينهم ، فاخترط سيفه ومشى فى عزيمة الأبطال لا يثنيه شىء ، ليفتك بصاحب هذا الدين الذى زلزل على العرب حياتهم ، ولكنه صدم بصخرة فى بيته ، فإذا أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد قد اعتنقا هذا الدين الجديد ، وآمنا بمحمد بن عبد الله ، وتحدث الناس بهذا الايمان ، وهو لا يعلم من علمه شيئا ، فثارت نفسه فوق ثورتها ، واضطرمت نيران الحمية فى رأسه ، وذهب لا يلوى على أحد تاركا محمدا وأصحابه حتى يبلو خبر بيته ، فدخل على أخته وختنه وصاحب لهما لم يقو على لقاء « عمر » فانزوى فى كن من البيت يرعد رهبة أن يبطش به « عمر » وإذا بهم يقرءون شيئا من القرآن فى سورة (طه) لم يتبينه « عمر » فسألهما عما سمع منهما ، فعرضا اليه لعله يقنع ، فأبى ولج فى إبائه ، وصارحهما بما بلغه من اتباعهما لمحمد فى دينه ، فأبى الإيمان إلا أن يتفجر منهما صريحا قويا ، فهم بهما تنكيلا ، فلم يفل ذلك من عزيمتهما ، بل زادها الإعنات إيمانا ويقينا ، وهنا تطفر الى الوجود معجزة الايمان وسحر اليقين !

فهذا « عمر » فى اكتمال فتوته وقوة شبابه وبطشه ، وعظم منزلته فى قومه ، خرج من بيته يغلى مرجل غيظه على هذه الدعوة الجديدة وأصحابها فتغافصه فى أقرب قرباه ، وبين يديه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى عشيرته وهو لا يدرى بها ، وإذا به من غير تمهيد يهدأ ويمعن فى الهدوء ، ويذهب من نفسه ذلك الغضب الحانق الثائر ، ويبدل به اطمئنانا ورضا ، فيطلب الى أخته التى ضربها فأدماها وإلى ختنه الذى وطئه أشد الوطء ، أن يقرآه أو يسمعاه شيئا مما فى صحيفتهما ، فيأبيا عليه إلا أن يتطهر لأنه رجس وكتابهما طاهر مطهر لا يمسه إلا المطهرون ، فيطيع راضيا مختارا ، بل راغبا مشوقا ، ثم يقرأ فيما يقرأ « إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » فتغمره موجة من نور الايمان ، ويسأل : أين محمد ؟ ! فيثبت ذلك الخائف المنزوى فى ستر البيت ليبشر « عمر » وقد رأى نفحة الايمان مست قلبه ، بأنه يرجو أن تكون دعوة النبى صلى الله عليه وسلم بعزة الاسلام له لا لأبى جهل ، ويعلمه بمكان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيأخذ «عمر» إليه طريقه ، وإذا بفتى الفتيان حمزة بن عبد المطلب — وكان قد سبقه الى الاسلام بثلاثة أيام — آخذ بالباب يحمى المؤمنين ، ويسمع الناس حسّ « عمر » فتزيغ منهم الأبصار هلعا ، وتنخلع من بين جنوبهم الأفئدة فرقا ، ويشتد خفق قلوبهم جزعا أن يمسهم « عمر » بسوء ، ولكنهم لم يلبثوا أن يسمعوا صوت الإيمان يدوى على لسان « عمر » فيكبروا تكبير الفرح والسرور بإسلام « عمر » ، وقد سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن يعز الاسلام بعمر بن الخطاب .

هنا يعجز أبرع الأقلام عن تصوير شخصية « عمر » فى تلك اللحظات التى تخللت خروجه من بيته متقلدا سيفه ظمآن الى الدماء يريد قتل « محمد » وجثوه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنا أصدق الإيمان ، محبا للنبى صلى الله عليه وسلم أشد الحب ، حتى فاضت نفسه بهذا الحب العظيم فقال : فما فى الأرض نسمة أحب الى من نسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لم يرض « عمر » فى فتوته ، ورسوخ يقينه ، واعتداده بنفسه ، وقوة إيمانه ، أن يعبد ربه متخفيا ، والشرك يمشى فى طرقات مكة تياها جهير الصوت ، فاستأذن النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن استمد من روحه قوة اليقين بتلك المسألة التى يقول فيها « عمر » : ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟ فى أن يخرج معلنا دعوته فى وجه قريش وصناديدها ، فيجيبه النبى صلى الله عليه وسلم الى ما طلب ، ويخرج يحيط به أصحابه فى صفين على أحدهما « عمر » وعلى الآخر حمزة معلنين كلمة الحق جهيرة مدوية ، فتؤخذ بهذا المنظر الباهر قريش ، وتذهل عن نفسها وكأنما أصابتها قارعة ، أو نزلت عليها صاعقة ، لأن « عمر » بن الخطاب ذلك الفتى الذى كانت تدخره لأخطر أحداثها ، والذى تعرف له شجاعته وصلابته ، قد أصبح عليها لا لها ، ترك دينها ، وآمن مع هؤلاء المؤمنين بمحمد ودعوته ، وأعلن هذه الدعوة بعد استسرارها ، وجهر بها بعد خفوتها ، وصلى محمد فى الكعبة بعد أن حيل بينه وبينها ، ورد المؤمنون على الكافرين بعض كيدهم ، لاشتداد ساعدهم بهذا البطل الجديد الذى انضم الى صفوفهم .

حروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بدأ الاسلام منذ اليوم حياة جديدة ، هى حياة الجهاد بين الحق والباطل ، والصراع بين الهدى والضلال ، فكان ذلك أعز موقف للاسلام وأول نصر فى تاريخه ، حتى قال صهيب وهو أحد السابقين : لما أسلم عمر ظهر الاسلام ودعى اليه علانية ، وجلسنا حول البيت حلقا ، وطفنا بالبيت ، وانتصفنا ممن أغلظ علينا ، ورددنا بعض ما يأتى به . وقد تحدث عمر عن ذلك ـ فيما أخبرتنا به السير ـ قال : كان الرجل إذا أسلم تعلق به الرجال فيضربونه ويضربهم فجئت الى خالى فأعلمته إسلامى فدخل البيت ، وذهبت الى رجل من كبراء قريش فأعلمته فدخل البيت ، فقلت فى نفسى : ما هذا بشىء ؟ الناس يضربون وأنا لا يضربنى أحد ، فقال رجل : أتحب أن يعلم باسلامك ؟ فقلت : نعم ، قال : فاذا جلس الناس فى الحجر فأت فلانا فقل له : قد صبوت فإنه قلما يكتم سرا ، فجئته فقلت : تعلم أنى قد صبوت ، فنادى بأعلى صوته أن ابن الخطاب قد صبا ، فما زالوا يضربونى وأضربهم ، فقال خالى : ياقوم إنى أجرت ابن أختى فلا يمسه أحد ، فانكشفوا عنى ، فكنت لا أشاء أن أرى أحدا من المسلمين يضرب إلا رأيته ، فقلت : الناس يضربون ولا أضرب ، فلما جلس الناس فى الحجر أتيت خالى فقلت : تسمع ؟ قال : ما أسمع ؟ قلت : جوارك مردود عليك ، قال : لا تفعل ، فأبيت ، قال : فما شئت ، فما زلت أضرب وأضرب حتى أظهر الله الاسلام .

وبحق ما سماه النبى صلى الله عليه وسلم « الفاروق » ، فقد فرق الله به بين الحق والباطل ، وأظهر به الدين ، وثبت اليقين ؟

صادق ابراهيم عرجون

فضيلة الاقتصاد

قال الله تعالى فى كتابه الكريم : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » فنهى سبحانه عن التقتير كما نهى عن التبذير ، ثم بين سبحانه وتعالى سبيل الاقتصاد فقال : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » ثم ذم المسرفين كما ذم الباخلين فقال تعالى : « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا » ولا إخال أنه يوجد أبلغ من هذا فى ذم التبذير .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما عال من اقتصد » أى ما افتقر من اقتصد .

وقال أمير المؤمنين عمر : « إن الله يحب القصد والتقدير ، ويكره السرف والتبذير »

وقال معاوية بن أبى سفيان : « حسن التقدير نصف الكسب وهو قوام المعيشة » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

سمو ولى عهد الدولة الإيرانية

يزور الجامع الأزهر وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام

في الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء قصد حضرة صاحب السمو الأمبراطوري الأمير محمد رضا بهلوى الجامع الأزهر ، فاستقبله هنالك حضرات أصحاب الفضيلة الأستاذ الامام ومفتي الدولة المصرية ، وشيوخ الكليات ، وأصحاب السعادة وكلاء وزارات المال والعدل والأوقاف ، وخالد حسنين بك كبير مفتشي العلوم الحديثة ، ومحافظ مصر بالنيابة ، ومدير المساجد .

وكان يرافق صاحب السمو الأمير صاحب المقام الرفيع شريف صبرى باشا ، وسعادة محمد طاهر باشا ، ومحمد يسن بك .

فبدأ سمو الأمير بزيارة المباني الأثرية في داخل الأزهر ، وكان سعادة خالد حسنين بك يترجم لسموه بالفرنسية ما يقوله صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر . ثم زار القبة الجوهرية ومكتبة الأزهر ، واطلع على بعض كتبها الخطية ، ثم زار قبة المدرسة الطبرسية وهي التي بها ضريح الأمير طبرس وزير الملك الناصر قلاوون ، وقد أنشئت سنة ٦٨٠ هجرية . ثم زار قبة الاقبغاوية وشاهد مصاحفها الأثرية وغيرها .

ثم انتقل سمو الأمير من المسجد الى الادارة العامة ، لزيارة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام زيارة خاصة في مكتبه حيث تناول بعض المرطبات ، وكان يصحبه رفعة شريف صبرى باشا .

وقبل انتهاء الزيارة نهض حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام وألقى كلمة من كلماته القيمة قام بترجمتها رفعة شريف صبرى باشا .

وكانت جماهير الناس والطلبة محتشدة في ميدان الأزهر تهتف لسمو الأمير ، فدعا فضيلة الأستاذ الامام سمو الأمير للاطلال على الميدان ليرى مبلغ احتفاء أبناء الأزهر به ، فلبى الدعوة وأومأ بيده محييا جموعهم الغفيرة .

ثم غادر سمو الأمير إدارة الأزهر مودعا كما استقبل بأكبر مظاهر الإجلال ، في وسط هتاف يشق عنان السماء ، من طلبة الأزهر وجموع الشعب الزاخرة في حي الأزهر .

ولا بدلنا هنا من نشر كلمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام ، فانها فوق ما احتوت من عبارات التحية والاحتفاء بالزائر العظيم ، اشتملت على نبذة تاريخية جليلة القدر في مبلغ ما عمله الايرانيون في مجال العلوم الاسلامية ، وما خلفوه من ثمرات عقولهم فيها .

قال حفظه الله :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حضرة صاحب السمو الامبراطورى :

إن من دواعى الغبطة والسرور أن أرحب بسموكم باسم الأزهر الشريف ، أقدم جامعة فى العالم ، وأكبر معهد إسلامى .

يرحب الأزهر بسموكم لما اشتهرتم به وعرف عنكم من الثقافة العالية ، والآداب الكاملة ، والأخلاق الفاضلة ، والشخصية المحبوبة ، ولأنكم ولى عهد مملكة من كبريات الممالك الاسلامية وأعرقها فى الحضارة والمدنية ، ولأن لبلادكم الخالدة فى المجد ذكرا مجددا كل يوم فى الدراسات الأزهرية ، فما من علم من العلوم الاسلامية إلا ولرجال بلادكم فيه أثر مشكور وعمل محمود .

ولا يزال علماء الأزهر وطلابه يذكرون لهؤلاء الرجال فضلهم كلما اقتبسوا من آرائهم القيمة ما يضىء لهم السبل فى البحوث العلمية .

فصلتنا ببلادكم ياصاحب السمو ليست حديثة العهد ، وإنما هى صلة قديمة يعرفها علماء الاسلام منذ فجر الاسلام ، ولكن الله سبحانه أراد أن يحكم الروابط بين البلدين ، ويزيد فى وثاقة الصلة بين الشعبين ، فكانت هذه الرابطة الكريمة — رابطة المصاهرة السعيدة ، التى شرفتم ياصاحب السمو بلادنا من أجلها — خير ما توثق به أواصر المحبة ، وتتم به دواعى الألفة والمودة .

ياصاحب السمو الامبراطورى :

فى الوقت الذى تنبه فيه المسلمون الى ضرورة إحكام الروابط والصلات بين الشعوب الاسلامية ، نبتت هذه الفكرة السامية : فكرة المصاهرة الميمونة إن شاء الله ، فتوثقت بها الصلات بين أمتين عظيمتين من أمم الاسلام ، وقربت الوصول الى وحدة إسلامية لا مناص من رجوع المسلمين اليها .

وإذا كان القرآن هو إمام الجميع ، وكان بيت الله فى البلد الأمين هو قبلة الجميع ، وجب أن يكون المسلمون فى جميع الأمم إخوة فى دين الله ، لا يفرق بينهم تعدد المذاهب واختلاف الآراء . على أن نفسى تحدثنى بأنه كلما زاد العرفان وقوى الايمان ، وخلصت النيات لله سبحانه ، ضاقت مسافة الخلف فى الرأى ، ورجع المسلمون الى القرآن يستهدونه ويتلقون عنه عقائدهم وشرائعهم ، وإذ ذاك يلمس المسلمون السعادة كاملة ، ويستمتعون بلذة الأخوة فى الله وفى دين الله .

وإنى يا صاحب السمو الامبراطورى : أشكر لكم تكرمكم بزيارة الأزهر الشريف ، وتفضلكم بزيارة هذه الدار المعدة لادارته . ولقد يطيب لسموكم أن تعلموا أن هذه الدار واحدة من دور عظيمة فكر فى بنائها المغفور له الملك فؤاد الأول رحمه الله ، وسيتم بناؤها بفضل الله فى عهد حضرة صاحب الجلالة صهركم العظيم مليكنا المحبوب فاروق الأول ، أعزه الله بنصره ، وأيده بروح من عنده !

وإنى لأرجو لسموكم إقامة طيبة فى بلاد مصر العزيزة ، وسعادة دائمة فى ظل والدكم العظيم صاحب الجلالة الامبراطورية الشاهنشاه ، أدامه الله ، وأيد ملكه ، وأعز به بلاده !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما جنته الدارونية على الانسانية

مبدأ التناحر بين الأفراد والجماعات

ظهرت الدارونية فى سنة ١٨٥٩ حاملة اسم مؤسسها شارل دارون المؤرخ الطبيعى الانجليزى ، قائمة على نواميس أربعة لتعليل وجود الأنواع الحية على سطح الأرض سواء أكانت نباتية أم حيوانية ، من أول الأحياء ذات الخلية الواحدة الى الانسان نفسه ، وهذه النواميس هى : ناموس التناحر بين الأحياء ، وناموس الانتخاب الطبيعى ، وناموس المطابقة ، وناموس الوراثة ، فالأول مؤداه أن بين الأحياء من نوع واحد أو أنواع مختلفة كفاحا على وسائل الحياة ، يهلك فيه الضعفاء ويبقى الأقوياء ، ثم يستمر الكفاح بين الأقوياء فيبقى المتفوقون فى القوة وهلم جرا ، فتكون نتيجة ذلك بقاء الأصلح للبقاء ، وهذا مؤداه أن الطبيعة تعمل على استصفاء الأكمل ، كأنها تنتخب من كائناتها ما كان أصبر على الكفاح ، وأجمع لوسائل البقاء ، وقد اعتبر هذا العمل الدائم ناموسا طبيعيا أطلق عليه اسم ناموس الانتخاب الطبيعى ، تفرقة بينه وبين ناموس الانتخاب الصناعى ، وهو ما يفعله الانسان من اختيار أحسن البذور للاستنبات ، أو أكمل آحاد الحيوانات للاستيلاد ، للحصول على آحاد جيدة فى أنواعها .

أما ناموس المطابقة فمعناه أن للبيئة وانقلاباتها ، ولنوع الأغذية وطرق الوصول اليها ، دخلا كبيرا فى أحدث الاختلافات بين الأنواع .

وأما ناموس الوراثة فمؤداه أن الصفات الجديدة التى يكتسبها الأفراد تحت تأثير الكفاح ، يورثها كل جيل لأخلافه ، فتبقى ثابتة فيهم مع قبولها للارتقاء ، ولما تبلغ حدا بعيدا فى طائفة من طوائف أحد الأنواع تصبح تلك الطائفة مباينة لجميعها ، فتعتبر نوعا مستقلا عنها . وعلى هذا النحو تكثرت الأنواع وباين بعضها بعضاً ، وبعدت شقة الخلاف بينها حتى يصعب على من يراها أن يحسبها كلها متولدة من نوع واحد ، من شدة ما باينت وجوه الخلاف بينها وبين أصولها فى الشكل والحجم والغرائز . فمن الذى يستطيع أن يتخيل أن الانسان والبرغوث والثعبان والفيل والنقاعيات والطيور والسلاحف والميكروبات ، كلها نشأت من خلية أو خلايا معدودة ، وإنما نوّعها تنازع البقاء ، وبقاء الأصلح ، واكتساب الصفات الجديدة ، وناموس المطابقة والوراثة ؟ يعد هذا من المحالات العقلية ، ولكنه فى نظر الداروניين من المرجحات العلمية .

لما نشر دارون مذهبه هذا قابله العلماء والناس بعاصفة من الانتقادات ، ولكنه صمد لها ودحضها كلها ، فصبأ اليه جمهور العلماء فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، وامتدت أصوله على العلوم الأخرى حتى الآداب والشرائع . ولكن ماعتم الناس أن أفاقوا من اغترارهم به

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسبب ظهور اكتشافات جديدة فى العلوم ، فبات العلماء يعتقدون أن مثله كمثل غيره من التعليلات التى سبقته ، ثم قضى عليه نهائيا باكتشاف العلامة الهولاندى (دوفريس) للتطورات الفجائية فى عالم الأحياء ، فبطل سحره الذى كان آخذا بأكظام العقول ، وأصبح الناس تحت ضوء هذا الاكتشاف الجديد يعتبرون مسألة تنوع الأنواع سرا من أسرار الخليقة ، لا يحل إلا تبعا لحل مسألة الوجود برمتها .

قلنا : إن النقد العلمى أسقط مذهب دارون قبل أن يسقطه تجريبيا مذهب دوفريس ، مكتشف التطورات الفجائية التى رأى فيها بالتجربة أن نوعا جديدا قد يتولد مفاجأة من نوع موجود ، حاصلا على جميع مقوماته وغرائزه ، بحيث يخيل للناظر اليه أنه نشأ نشوءا تدريجيا فى آماد طويلة جدا ، فما هى تلك الانتقادات العلمية ؟

أولها : ما ثبت من أن التناحر الذى تخيله دارون ، لا وجود له بين آحاد النوع الواحد ، ولكنه موجود بين الأنواع المتباينة . فقد ثبت أن بين أفراد النوع الواحد تعاونا وترافدا عظيمين يمكنانه من البقاء والاستمرار . فسقط بذلك ناموس الانتخاب الطبيعى الذى يعلل به دارون نشوء الأنواع الجديدة فى الآماد الطويلة ، وجاءت تجارب (دوفريس) فى نشوء الأنواع مفاجأة مجهزة على هذه النظرية .

ونبغ الأستاذ الألمانى (وِسْمَن) « Weismann » تلميذ دارون فأثبت بالمشاهدات أن الصفات التى يكتسبها الآحاد لا تنتقل الى أخلافها بالوراثة ، وتبعه جمهور الدارونيين حتى قال العلامة البيولوجى الكبير لودانتك أحد أساتذة جامعة السوربون فى كتابه (أزمة مذهب التطور) : إن أكثر الدارونيين أصبحوا وسمنيين .

وجاء أخيرا الأستاذ (دوفريس) مثبتا بالتجربة أن الأنواع التى تتولد مفاجأة تكون حاصلة على جميع مقومات النوع الجديد وغرائزه (بدون كسب) . فأجهزت هذه التجربة على مسألة اكتساب الصفات الجديدة وتوريثها إجهازا لا هوادة فيه .

فأصبح مذهب دارون والحالة هذه ليس له إلا قيمة تاريخية ، ولكن لأجل أن يتعدى هذا الاعتبار حيز أهل العلم الى حيز الدهماء ، يجب أن يمر وقت طويل ، لأن هؤلاء متى نشبت فيهم عقيدة صعب تخليصهم منها ، فلا يزال فريق كبير من الكتاب ومن الذين يتحككون فى العلم والعلماء ، يعتقدون أنه لا يزال لمذهب دارون السلطان الذى كان له على العقول ، وأفظع ما بقى لهم منه ، وأشده ضررا بالمجموع الانسانى ، اعتقادهم الراسخ فى أن الحياة لا تقوم إلا على الكفاح بين الأفراد والجماعات ، وهى عقيدة أفسدت قلوب كثير من الشعوب ، وجعلتها تعتقد أن لا حق إلا مع القوة ، وأن الحرب لابد منها لحل المشكلات ، وفض الخلافات ، وأن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التبسط فى الأرض ، وتدويخ الأمم ، حق للأقوياء على الضعفاء ، بل إنه لا يمكن أن تترقى الأفراد ، وأن تزدهر الصناعات والمدنيات ، إلا بتغلب القوى على الضعيف وإبادته وأخذ ما بيده !

نعم : ليست هذه المزاعم من بنات المذهب الداروني ، فقد كانت موجودة منذ وجدت الجماعات الأولى على سطح الأرض ، ولكن جاء المذهب الداروني فجعل لها مستندا علميا . قال الأستاذ (هربرت سبنسر) فى المجلد الثالث من كتابه أصول الاجتماع :

« إن ذيوع مبدأ الكفاح لأجل البقاء فى جميع العالم الحيوانى ، كان وسيلة ضرورية لتطوره . فإننا نرى أن تزاحم أفراد النوع الواحد على مواد الحياة ، وبقاء الأصلح منها ، قد ساعد على إيجاد الطبقات الراقية منها . ونرى أيضا أن الحروب المستمرة بين الأنواع هى السبب الرئيسى فى نمائها وفى نظامها أيضا . فبدون التناحر العام لا يمكن أن يحدث تطور للخصائص الفعالة . فمن ناحية الحيوانات المفترسة رأينا أن موت بعض آحادها جوعا ، ومن ناحية أخرى الحيوانات التى تصلح لأن تكون فرائس لغيرها ألفينا أن موتها بواسطة الاجتياح ، قد أبادا الآحاد والأنواع الأقل كمالا فى التسلح » .

هذا فى عالم الحيوان ، أما فى عالم الانسان فإن التناحر على قول الداروبيين هو الوسيلة الوحيدة لنمائها وترقيها ، وحصولها على جميع مقومات الحياة والمدنية ، فقد قال سبنسر فى كتابه المتقدم ذكره صفحة ٣٢٧ :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

« يجب علينا أن نعترف بأن التناحر لأجل البقاء بين الجماعات البشرية كان الأداة فى ترقيها وتطورها . فلا تحوّل الطوائف الصغيرة الى طائفة واحدة كبيرة ، ولا انتظام الجماعات المتآلفة وتضاعفها ، ولا ازدياد عوامل الوجود فى حالة أوسع وأرقى ، كل ذلك لم يكن ممكنا بدون الحروب التى حصلت بين قبيلة وقبيلة ثم بين أمة وأمة . ذلك أن مصدر التعاون الاجتماعى هو العمل المركب الناتج من الحاجة الى الهجوم والدفاع . فمن هذا الضرب من التعاون نتجت جميع ضروبه الأخرى . مما لا مشاحة فيه أنه من المحال تبرير الفظاعات التى تتسبب من جراء هذا التناحر العام الذى ابتدأ منذ عشرة آلاف سنة بين الجماعات الصغيرة ، وانتهى الى المعارك الكبرى بين الأمم العظيمة ، ولكن يجب الاعتراف بأنه لولا هذه الفظاعات كانت الأرض لا تزال مسكونة بأناسى من صنف ضعيف لا مطمع له إلا البحث عن موئل يلجأ اليه فى الكهوف والمغار ، والقناعة بالأغذية الغليظة . فالتناحر بين الجماعات لأجل البقاء كان شرطا ضروريا لترقى تلك الجماعات . ونحن نعترف بأننا مدينون للتناحر بقيام الأمم العظيمة ، وبترقى أدواتها فى الحياة » .

وقد تأثر الفيلسوف الكبير (إرنست رينان) الفرنسى بهذه الآراء فقال فى كتابه : (الاصلاح العقلى والأدبى) (La Réforme intellectuelle et morale) :

« إذا لم يكن الحمق والإهمال والكسل وعدم التبصر دافعة بالممالك الى الحروب لكان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من الصعب أن يتخيل الانسان الى أى دركة من الانحطاط يسقط النوع البشرى . فالحرب والحالة هذه عاملة من عوامل الترقى ، وهى السوط الذى يلهب الأمة ويمنعها النوم ، ويضطر الحالة الراكدة المخلدة الى الجمود للخروج من جمودها . فالانسان لايسنده فى الحياة إلا الجهد الجاهد والكفاح . فاليوم الذى تصبح فيه البشرية أشبه بدولة رومانية رائعة فى بحبوحة السلام ، وليس لها أعداء يتربصون بها الدوائر من الخارج ، فذلك يكون اليوم الذى فيه تتعرض فيه أخلاقها وعقولها الى أشد الأخطار » .

هذا رأى الفيلسوف إرنست رينان ، وليس هو الوحيد فى هذا المذهب ، فيكون الساعون لنشر السلام العام عاملين فى نظرهم على هدم العوامل التى ترقى البشرية . بخ بخ !

على أن الدارونية قد تحطمت أصولها ، وخرت على نفسها ، بظهور مذهب دوفريس الذى سبق ذكره ، وهى إذا أظهرت الحرص على مبدأ التناحر فذلك لأنه الأصل الأصيل فيها . ولكن تسرية الأصول الى هذا الحد يكون فيه القضاء عليها ، فإن جمهرة علماء النفس والاجتماع قد حقروا من شأن هذا الأصل حتى جعلوه طابعا للغباوة لايمحى أثره فى قسمات الدارونيين .

قال الأستاذ الاجتماعى الكبير (نوفيكو) فى كتابه (نقد الدارونية فى ناحيتها الاجتماعية) (La critique du darwinisme social) :

« أدرك الناس الطريق الملتوى الذى سلكه الدارونيون لترويج سفسطتهم هذه (يريد مبدأ التناحر) . فانهم لم يستطيعوا أن يؤكدوا أن القتل الجملى هو السبب المباشر للترقى . فان فى مساء يوم معركة ، عندما يكون مائة ألف رجل مجدلين على الأرض ، بعضهم قتيل وبعضهم فى سكرات الموت ، يكون من الصعب الزعم بأن هذه المجازر وهذه الآلام يمكن أن تثمر التقدم للانسانية . لذلك لا يتجرأ أى داروني أن يؤيد أية قضية مضادة للعقل الى هذا الحد . ولكنهم يزعمون أن التهيؤ لارتكاب هذه الوحشيات ، هو الذى يبعث على الترقى ، باعتبار أن الشعب الأحسن استعدادا للحرب هو الذى ينال الغلب فيها . وقد علمت أن التهيؤ للحرب يستدعى أعمالا متتابعة تشحذ العقلية البشرية ، ومن هنا استنتجوا أن التناحر الجملى يؤدى الى التقدم فى المدنية . وهذا القول مما يكاد لا يشعر الانسان بضرورة دحضه لوضوح ضعفه . فأولا القضية الرئيسية باقية كما هى ، وهى : أن كل شىء يتبع ما سيفعله الغالب بعد انتصاره . فإذا أحدث أحسن النظم ، فان الترقى يكون ثمرة هذه النظم لا ثمرة الحرب . وثانيا توجد هناك قضية أكثر تحتيما فى هذا الموضوع ، وهى : إذا كان مبلغ الجهود العقلية التى بذلت للاستعداد للمعركة ، بذلت لتحسين حال الناس مباشرة ، كان الترقى الانسانى سار بخطوات أسرع .

الى أن قال :

« إن التناحر الفردى والجملى هادم للبناء الاجتماعى ، لأنه يقف سير الظواهر الاجتماعية ،

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ويضطرها لأن تعـود الى متابعة سـيرها بعد الحرب . وأن تطبيق الوسائل البيولوجية على الجماعات البشرية فضلا عن أنه لا يسرع بها الى الترقى ، يحط من درجة النوع البشرى فى سلم الـكائنات الأرضية . هذا أمر واضح لأن الترقى البشرى يتأتى من إصلاح النظم الاجتماعية ، وهذا الاصلاح يقف مدة حصول تلك المجازر على الأقل . ولم تصدر القرارات الخاصة بالعمل وحماية الطفولة فى ساحات القتال ، ولـكن داخل قاعات البرلمانات . ولست أفيض فى ذكر الحروب التى جرت حوادث السوء على النظم المقررة لدى الغالب والمغلوب معا . وسـيادة الروح العسكرية تفضى غالبا الى قيام حكومة استبدادية . وقد شوهدت ممالك كانت حرة ، بمعنى أنه كانت فيها ضمانات كافية للافراد ، أصبحت بعـد الحرب مستعبدة ، أى ليس فيها ضمانات كافية للأفراد » .

هذا رأى عالم اجتماعى من أكبر أعلام هذا العلم فى الغرب اليوم ، ويوافقه جمهور الاجتماعيين ، ولـكن المبادئ مهما كانت بعيدة عن التثبت العلمى تجد لها دائما أنصارا لدى الأمم التى تلائم تلك المبادئ هواها واستعدادها الفطرى ، فتتخذ هذه المقررات مسوغا لها للظهور بمظهر الأمة الحربية التى ترى فى الحرب سعادتها ومثلها الأعلى .

وقـد شهد الناس ما حدث من أمر الحرب العظمى ، فانها بعد أن أبادت ملايين من خيرة شبان الأمم ، وأتت على ثروات لا تقدر بقيمة ، عادت بشر لا حد له على البشرية ، فقد أيقظت فى نفوس الجماعات التى تناحرت ميلا للثأر . فما كادت تضع الحرب أوزارها حتى عاد الاستعداد للحرب سيرته الأولى بل أشد ، وسفلت الآداب الاجتماعية ، وطغت الطبيعة الحيوانية الى حد أن رجال الحرب أصبحوا يتحدثون لا فى سحق الجيـوش فى ميادين الوغى فحسب ، ولـكن فى تحطيم المدن ، وتسميم سكانها بالغازات المهلكة ! فاذا كان فى العالم من يرى أن ما تأدى إليه الناس فى العشرين السنة التى تلت الحرب هو من الترقى الذى يجب أن تتطلبه الانسانية ، فذلك الانسان يكون فذا ، ولا يجد من يوافقه إلا الأفذاذ من أمثاله !

والذى دعا قدماء الهنديين والصينيين والمصريين والآشوريين والفرس الى التأمل فى الوجود والتدبر فى كائناته ، ودراسة النفس والعقل ، وبناء أصول الحـكمة وإقامة صرح العلم ، ورفع عَـلَم العمران ، ليست هى حالة التناحر التى يتغنى بها الداروينيون ، ولـكنها حالة السلام التى كانت ضاربة أطنابها فى تلك الأقطار ، وكانت تأتى الحروب فتفسد من تلك الأعمال الجليلة وتعطلها حينا ، ثم تزدهر متى عاد السلام .

ربما يقول الداروينيون : إن ما تذكره من توفر تلك الأمم على الأعمال المدنية والعمرانية ، كان بسبب ما انتابها من حـوادث التناحر ، فأيقظت من عقولها ، ولطفت من نفوسها ، ودفعت بها الى باحات الابداع .

حروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فنرد عليهم بأنه لو كان الأمر كما يقولون لكانت تلك الثمرات العقلية الجنية مطبوعة بطابع حربي أو عليها عبقة منها ، أو متجهة الى ناحيتها ، والواقع أن الانسان اتجه بتلك الثمرات الى نواح تدابر مبدأ التناحر من كل وجه ، فقرر أصول الفضائل النفسية ، والآداب الخلقية ، وأشاد بالتواضع ، وندد بالكبرياء ، ونوه بالقناعة ، وشنع على الطمع ، وعظم من شأن العطف على الضعفاء ، والعفو عن الجناة ، ومقابلة الاساءة بالصفح ، وهذه أكثر مايدل على شرف محتد الانسان ، وعراقته في السمو عن الحيوانية ، فهل كانت هذه الثمرات من توليدات مبدأ التناحر وهي لا تدعو الى شيء مما يناسبها من إيثار السيطرة والغشمرة والكبرياء والخيلاء ؟

ربما قال الداروينيون : إن هذه الثمرات التي تصفونها بالسمو والكرامة ، هي التي حطت مستوى القوة عند كثير من الجماعات السابقة ، وجعلتها فرائس لغيرها من الأمم التي تقول بما يناقضها ، وهي التي تحط الى اليوم من أقدار الأمم التي تعول عليها أو تتخذها مُثلا عليا .

نقول : إذا كنتم تصدرون في مذهبكم عن العلم ، فقفوا في المجال العلمي ، ولا تتسللوا منه الى مجالات الخيال . إنكم تعلمون أن الأمم من أقدم عهودها اشتغلت بتوليد هذه الثمرات التي نصفها بالعراقة في السمو عن الحيوانية ، وهي التي دعت الناس الى الترامي في أحضان الأديان التي تأمر بها ، وتحض عليها . فكيف تنبت في بيئة أول ما أحست به فيها الحاجة الى التناحر ؟ وكيف تغلبت على سائر الأصول الداعية الى الكبرياء والغطرسة والعنف ، وسادت حتى جعلت من ليس من أهلها يتظاهر بأنه من أخص أهلها لينال الحظوة من الناس ؟

لو فكر الداروينيون في هذه المسألة لأدركوا أن الطبيعة البشرية العالية وإن التاثت بالصفات الحيوانية أحقابا طويلة مضطرة ، فانها عادت فتغلبت على النواميس الفولاذية المحيطة بها ، وأنشأت لنفسها جوا ملائما لشعورها الصميم ، وحقيقتها العلوية ، فغلّبت مبادئ العدل والمساواة والتواضع والايثار ، على الصفات الحيوانية من الضراوة والبطش والأثرة والغلب . وإذا كانت المبادئ الداروينية قد عجزت في خلال ثمانين سنة أن تقنع الأمم بصحة مذهبها في هذه الناحية ، فهي ستكون أعجز بعد اليوم ، وقد اتضح للناس كافة بكل دليل ، أن الحرب شر مستطير ، وأنها لو وقعت لأبادت خضراء الأمم ، وحطمت ما أقامه السلام من صروح العلم والمدنية .

وإني أوكد للقراء أن دارون وأركان حزبه لو كانوا عاشوا حتى رأوا الحرب العامة وماجرته على الانسانية من شرور ونوازل ، لغيروا من رأيهم ، ولانضموا الى شيعة السلام العام . ولو كانوا بقوا الى عهدنا هذا ورأوا أن الأمم تتبارى في الاستعداد لإهلاك الناس بوساطة الغازات الخانقة والمحرقة ، لقالوا إن الحرب أصبحت جريمة ، وأصبح من يفكر في إيقاد نارها مجرما ؟

محمد فريد وجدي

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشافعي رضى الله عنه

واضع علم أصول الفقه

الشافعي هو : محمد بن إدريس القرشي من جهة الأب ، الأزدى من جهة الأم ، يلتقى مع النبي صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف . ولد فى بلاد الشام بغزة أو عسقلان سنة ١٥٠ ﻫ ولما مات أبوه حملته أمه الى مكة وهو ابن سنتين .

نشأ رضى الله عنه فقيرا حتى إنه قال عن نفسه :

« كنت يتيما فى حجر أمي ولم يكن لها مال ، وكان المعلم يرضى من أمى أن أخلفه إذا نام ، فلما جمعت القرآن دخلت المسجد أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة ، وكانت دارنا فى شعب الخيف ، فكنت أكتب فى العظم فاذا كثر طرحته فى جرة عظيمة » الى أن قال : « خرجت من مكة فلزمت هذيلا فى البادية أتعلم كلامها وآخذ اللغة ، وكانت أفصح العرب » . ولا شك أن إقامة الشافعي بالبادية هذبت لسانه ، ومعرفته باللغة والشعر أعانته على فهم معانى القرآن والسنة ، وطبعت أسلوبه بطابع الرصانة ، وأوصلته الى الذوق السليم ، حتى لقد قرأ عليه رجل فلحن فقال له الشافعي : أضرستني ! وحكى عن مصعب الزبيرى قوله :

« كان أبي والشافعي يتناشدان ، فأتى الشافعي على شعر هذيل حفظا وقال : لا يعلم بهذا أحد من أهل الحديث فانهم لا يحتملون هذا » معجم الأدباء ص ٣٨٠

وقد روى أن الأصمعي أخذ عنه شعر الهذليين وشعر الشنفرى ، ولما انقادت له اللغة والشعر اتجه الى مكة وأخذ عن شيبان بن عيينة ومسلم بن خالد الزنجى الحديث والفقه وحفظ الموطأ ، ثم رحل الى مالك فى المدينة وسمع منه الموطأ وأخذ عنه فقهه ، ولازمه الى أن مات مالك سنة ١٧٩ ﻫ

عقب هـذا توجه الشافعي الى اليمن لأنه كان نهما بطبعه فى العلم يلتمس كل ما يجده من فنونه . وقد ذكر من ترجموا له أنه اشتغل بالفراسة حين ذهب الى اليمن ، وعالج الفلك والطب .

قدم الشافعي بغداد وأقام بها سنتين ، ثم قفل راجعا الى مكة ، ثم قدم بغداد ثانية سنة ١٩٨ﻫ وأقام بها أشهرا ، ثم خرج منها الى مصر سنة ١٩٩ ﻫ وظل بها الى أن مات سنة ٢٠٤ ﻫ

وأثناء إقامة الشافعي بالعراق اتصل بمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وأخـذ عنه فقه العراقيين ، وهنا قال ابن حجر :

« انتهت رياسة الفقه بالمدينة الى مالك بن أنس ، ثم رحل إليه الشافعي ولازمه وأخذ عنه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وانتهت رياسة الفقه بالعراق الى أبى حنيفة فأخذ الشافعى عن صاحبه محمد بن الحسن . وعلى ذلك اجتمع للشافعى علم أهل الرأى ، وعلم أهل الحديث ، فتصرف فى ذلك حتى أصل الأصول وقعد القواعد ، وأذعن له الموافق والمخالف ، واشتهر أمره وعلا ذكره ، وارتفع قدره حتى صار منه ما صار » توالى التأسيس ص ٥٤

وأما صفات الشافعى العقلية واللسانية ، فأجمع المؤرخون على حسن بيانه وقوة عارضته ، وقدرته الفائقة على الجدل ، ومهارته الممتازة فى الاستنباط ، وأن ثقافة الشافعى فى اللغة والأدب واسعة شاملة .

ولعل اتصال الشافعى بأصحاب أبى حنيفة والاستفادة من كتب محمد ، ثم علمه بطريقة أهل العراق ، جعله يرى طريقتهم لا يحسن الأخذ بها كما لا يحسن تركها . فالقياس عندهم منهاج صحيح ولكنه فى نظره ليس على إطلاقه بل لا بد أن يتأخر عن الأحاديث الصحيحة ، ثم عندهم طريقة التفريع وتوليد المسائل الكثيرة من أصولها ، وعندهم الجدل والاستدلال بالعدل والمصلحة وإلحاق الشبيه بالشبيه ، وما بين الإسناد من فروق ثم من موافقات . فرأى الشافعى أن يضيف كل هذه الثروة العراقية الى ثروته الحجازية من اللغة والأدب أولا ، ومن الاستنباط أخيرا ، فهاتان الناحيتان قد استفاد منهما الشافعى وألف بينهما شخصيته ، فأخرج مذهبا جديدا دعا إليه فى العراق سنة ١٩٥ هـ وتبعه عليه من أصحابه البغداديين أمثال أبى على الحسين بن على الكرابيسى وهو من مشاهير أهل العراق ، ومثل أبى ثور الكلبى وكأبى على الزعفرانى . ثم رأى رضى الله عنه أن يرحل الى مصر فوصل إليها وأقام بها أربع سنوات ، أملى فيها كثيرا من كتبه .

مسلك الشافعى فى الاجتهاد :

قال : « الأصل قرآن وسنة ، فإن لم يكن فقياس عليهما ، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله وصح الاسناد منه فهو سنة ، والاجماع أكبر من الخبر المفرد والحديث على ظاهره ، وإذا احتمل معانى فما أشبه منها ظاهره أولاها به ، وإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسنادا أولاها ، وليس المنقطع بشىء ماعدا منقطع ابن المسيب ، ولايقاس أصل على أصل ، ولا يقال للأصل لِمَ وكيف ، وإنما يقال للفرع لِمَ ؟ فاذا صح قياسه على الأصل صح وقامت به الحجة » وقال أيضا :

« إذا حدّث ثقة عن ثقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن هناك حديث يخالفه عمل به ، فإذا كانت هناك أحاديث مختلفة نظر هل فيها ناسخ ومنسوخ ؟ فإن لم يكن هناك ناسخ ومنسوخ نظر فى أوثق الروايات وأمعنها فى الصحة فعمل بها ، فإن تكافأت عرضها على أصول القرآن والسنة الثابتة وعمل بما كان من الأحاديث أقرب الى ذلك ، وإذا ثبت الحديث عن رسول الله لايترك هذا الحديث لأى قياس ولا لأى رأى ولا لأى أثر يروى عن صاحبه كائنا من كان ، ولا لأى ... كائنا من كان » ضحى الإسلام الجزء ٢

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

موقف الشافعي من القياس :

وقف الشافعي من القياس موقفا وسطا : لم يتشدد فيه تشدد مالك ، ولم يتوسع فيه توسع أبي حنيفة ، فهو يقول :

« إن جهة العلم الكتاب والسنة والاجماع والآثار ثم القياس عليها ، ولا يقيس إلا من جمع الآلة التي له القياس بها ، وهي العلم بأحكام كتاب الله عز وجل فرضه وأدبه ، وناسخه ومنسوخه ، وعامه وخاصه . ولا يجوز لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف ، وإجماع الناس واختلافهم ، ولسان العرب . ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل ، وحتى يفرق بين المشتبه . ولا يعمل بالقول به دون التثبت . ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه ، لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة ، ويزداد به تثبتا فيما اعتقد من الصواب ، وعليه في ذلك بلوغ غاية جهده والانصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك » (رسالة الشافعي في الأصول ص ٧٠) . ومن هنا ترى الشافعي يهاجم مالكا في قوله بالمصالح المرسلة ، ويهاجم الحنفية في قولهم بالاستحسان .

من هذه الآراء العلمية التي أوردها الشافعي ، استطاع تحديد موقفه بقواعد فقهية لم يسبق أن فكر فيها مشرع . ولا يخفى كما سبق أن بينّا أن رحلته الى المدينة واليمن ومكة والعراق ومصر كان لها أثرها المحسوس في ثقافته في الحديث ، وأنه بالرغم من هذه الثقافة لم يتعصب لأهل بلد من هذه البلدان . ولهذا كان المحدثون أميل بطبعهم الى الشافعي ، لأنه توسع في استعمال الحديث والاستدلال به أكثر مما فعل مالك وأبو حنيفة ، وحدّ من الرأي والقياس وضيق سلطتهما كذلك . وكان من أنصاره أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وغيرهما من كبار المحدثين .

ونظرا لأن الشافعي قرّب وجهة النظر بين المدرستين : مدرسة الحجاز ، ومدرسة العراق ، وانتخابه ما رأى الحق في كلتيهما ، فقد عدل بعض فقهاء العراق عن مذهب أبي حنيفة الى مذهبه الجديد .

وقال فخر الدين الرازي ص ٢٤٣ :

« إن الناس كانوا قبل الشافعي فريقين : أصحاب الحديث ، وأصحاب الرأي . أما أصحاب الحديث فكانوا عاجزين عن المناظرة والمجادلة ، عاجزين عن تزييف طريق أصحاب الرأي ، فما كان يحصل بسببهم قوة في الدين ونصرة الكتاب والسنة . وأما أصحاب الرأي فكان سعيهم وجهدهم مصروفا الى تقرير ما استنبطوه برأيهم ورتبوه بفكرهم . فجاء الشافعي ، وكان عارفا بأصول الفقه وشرائط الاستدلال ، وكان قويا في المناظرة والمجادلة ، فرجع عن قول أصحاب الرأي أكثر أنصارهم وأتباعهم » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال فى موضع آخر : « اعلم أن نسبة الشافعى الى أصول الفقه كنسبة ارسطاليس الى علم المنطق ، وكنسبة الخليل ابن أحمد الى علم العروض ، وذلك لأن الناس كانوا قبل أرسطو يستدلون ويعترضون بمجرد طباعهم السليمة ، لكن ما كان عندهم قانون مخلص فى كيفية ترتيب الحدود والبراهين . فلا جرم كانت كلماتهم مشوشة ومضطربة ، فان مجرد الطبع إذا لم يستعن بالقانون الكلى قلما أفلح . فلما رأى ارسطاليس ذلك اعتزل عن الناس مدة من الزمن واستخرج علم المنطق ، ووضع للخلق بسببه قانونا كليا يرجع إليه فى معرفة ترتيب الحدود والبراهين . وكذلك الشعراء كانوا قبل الخليل بن احمد ينظمون أشعاراً ، وكان اعتمادهم على مجرد الطبع ، فاستخرج الخليل علم العروض ، فكان ذلك قانونا كليا فى معرفة مصالح الشعر ومفاسده ، فكذلك هاهنا الناس كانوا قبل الامام الشافعى رضى الله عنه يتكلمون فى مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلى مرجوع إليه فى معرفة دلائل الشريعة ، وفى كيفية معارضاتها وترجيحاتها ، فاستنبط الشافعى رحمه الله علم أصول الفقه ، ووضع للخلق قانونا كليا يرجع إليه فى معرفة مراتب أدلة الشرع . فثبت أن نسبة الشافعى الى علم الشرع كنسبة ارسطو الى علم العقل . واعلم فوق ذلك أن الشافعى صنف كتاب الرسالة ببغداد ، ولما رجع الى مصر أعاد تصنيف كتاب الرسالة ، وفى كل واحد منهما علم كثير . والناس وإن أطنبوا بعد ذلك فى علم أصول الفقه إلا أن كلهم عيال الشافعى فيه ، لأنه هو الذى فتح هذا الباب ، والسبق لمن سبق » الرازى ص ١٠٠ وما بعدها .

كتاب الأم :

كتاب وضعه الشافعى ، وهو مجموع أمال أملاها فى حلقته ، كتبها عنه تلاميذه وأدخلوا عليها تعليقات من عندهم . والكتاب فصيح العبارة ، حسن الأداء ، محكم الوضع ، عليه مسحة من كلام البادية وفصاحتها . وفى الكتاب تتجلى براعة الجدل المنطقى . والكتاب مبوب على أبواب الفقه كما فعل مالك فى الموطأ ، وقد أمليت هذه الأبواب فى مصر . والكتاب يعطينا صورة وضاءة قوية لمناحى الشافعى فى الاجتهاد ، وعلى مذهبه الجديد .

لماذا وضع الشافعى علم أصول الفقه ؟

أهل الحديث كانوا يعيبون أهل الرأى بأنهم يأخذون فى دينهم بالظن . فأصحاب أبى حنيفة يقدمون القياس على خبر الواحد ، وهم يقبلون الحديث المرسل الذى أسنده التابعى أو تابع التابعى الى النبى صلى الله عليه وسلم من غير أن يذكر الصحابى الذى روى الحديث ، ثم لا يقبلون الحديث الصحيح إذا كان مخالفا للقياس ، ولا يقبلونه فى الواقعة التى تعم فيها البلوى ـ الرازى ص ٣٥٠ و ٣٥١

لما ذهب الشافعى الى العراق أول مرة استرعى نظره تحامل أهل الرأى على أستاذه مالك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وعلى مذهبه ، وكان أهل الرأى أقوى سندا وأعظم جاها بما لهم من المكانة عند الخلفاء ، و بتوليهم شئون القضاء . ذلك الى أنهم أوسع حيلة فى الجدل من أهل الحديث وأنفذ بيانا . ويمثل حال الفريقين ماروى عن إمامى أهل الرأى وأهل الحديث : أبى حنيفة ، ومالك .

لهذا كان طبيعيا أن يجادل الشافعى عن أستاذه وعن مذهبه ، وقد رويت لنا نماذج من دفاع الشافعى عن مالك ومذهبه .

وقد روى أبو عبد الله الصغانى يحدث عن يحيى بن أكثم قال : « كنا عند محمد بن الحسن فى المناظرة ، وكان الشافعى رجلا قرشى العقل والفهم صافى الذهن سريع الاصابة ، ولو كان أكثر سماع الحديث لاستغنت أمة محمد به عن غيره من العلماء » ابن حجر ص ٥٩

وعن محمد بن الحكم قال : « سمعت الشافعى يقول : قال لى محمد بن الحسن : صاحبنا أعلم من صاحبكم (يعنى أبا حنيفة ومالكا) وما كان على صاحبكم أن يتكلم وما كان لصاحبنا أن يسكت . قال : فغضبت وقلت : نشدتك الله من كان أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك أو أبو حنيفة ؟ قال : مالك ولكن صاحبنا أقيس ، فقلت : نعم ومالك أعلم بكتاب الله تعالى وناسخه ومنسوخه وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى حنيفة ، فمن كان أعلم بكتاب الله وسنة رسوله كان أولى بالكلام » الانتقاء ص ٢٤ .

كان هذا الحجاج عن مذهب مالك فى قدوم الشافعى الى العراق أول مرة . وأقام الشافعى فى العراق زمنا غير قصير ، ودرس فيه كتب محمد بن الحسن وغيره من أهل الرأى فيما درس فى العراق ، ولازم محمد بن الحسن ورد على بعض أقواله وآرائه مناصرا لأهل الحديث .

لما عاد الشافعى الى بغداد فى سنة ١٩٥ هـ — ٨١٠ — ٨١١ م ليقيم فيها سنتين ، اشتغل بالتدريس والتأليف . روى البغدادى فى كتاب تاريخ بغداد :

عن أبى الفضل الزجاج يقول : لما قدم الشافعى الى بغداد ، وكان فى الجامع إما نيف وأربعون حلقة أو خمسون حلقة ، فلما دخل بغداد ما زال يقعد فى حلقة حلقة ويقول لهم : قال الله وقال الرسول ، وهم يقولون : قال أصحابنا ، حتى ما بقى فى المسجد حلقة غيره (ص ٦٨ و ٦٩) واختلف الى دروس الشافعى جماعة من كبار أهل الرأى كأحمد بن حنبل وأبى ثور فانتقلوا عن مذهب أهل الرأى الى مذهبه . ويروى عن أحمد بن حنبل أنه قال : « ما أحد من أصحاب الحديث حمل محبرة إلا وللشافعى عليه منة » فقلنا : يا أبا محمد كيف ذلك ؟ قال « إن أصحاب الرأى كانوا يهزءون بأصحاب الحديث حتى علمهم الشافعى وأقام الحجة عليهم » الانتقاء ص ٧٦

وفى أثناء إقامة الشافعى فى بغداد صنف كتاب الحجة . وقد روى ابن حجر عن البويطى أن الشافعى قال : اجتمع علىّ أصحاب الحديث فسألونى أن أضع على كتاب أبى حنيفة ، فقلت :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لأعرف قولهم حتى أنظر فى كتبهم ، فكتبت الى محمد بن الحسن ، فنظرت فيها سنة حتى حفظتها ، ثم وضعت الكتاب البغدادى ، يعنى الحجة — ص ٧٦

يظهر من ذلك أن مذهب الشافعى القديم الذى وضعه فى بغداد كان فى جل أمره ردا على مذهب أهل الرأى ، وكان قريبا الى مذهب أهل الحديث .

ولما انتهى الشافعى الى مصر وضع مذهبه الجديد ، وأخذ نفسه بتأليف الكتب ردا على مالك ، وكان يقول : مالك بشر يخطئ ، فدعاه ذلك الى تصنيف الكتاب فى اختلافه معه ، وكان يقول : استخرت الله تعالى فى ذلك — ابن حجر ص ٧٦

وسئل أحمد بن حنبل : ماترى فى كتب الشافعى التى عند العراقيين : أهى أحب إليك أم التى بمصر ؟ قال : عليك بالكتب التى وضعها بمصر ، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها ثم رجع الى مصر فأحكم تلك ، كما يرويه الذهبى فى تاريخه الكبير (يراجع هامش الانتقاء ص ٧٧) .

مذهب الشافعى الجديد :

كان اتجاه المذاهب الفقهية قبل الشافعى الى جمع المسائل وترتيبها وردها الى أدلتها التفصيلية عند ما تكون دلائلها نصوصا .

وأهل الحديث لكثرة اعتمادهم على النص كانوا أكثر تعرضا لذكر الدلائل من أهل الرأى ، فلما جاء الشافعى بمذهبه الجديد كان قد درس المذهبين ولاحظ مافيهما من نقص بدا له أن يكمله ، وذلك يشعرنا باتجاه الشافعى فى الفقه اتجاها جديدا هو اتجاه العقل العلمى الذى لا يعنى كثيرا بالجزئيات والفروع . يدل على ذلك ما قاله احمد بن حنبل رضى الله عنه . ومما يدل على أن اتجاه الشافعى لم يكن الى تمحيص الفروع ، ما نقله ابن عبد البر فى الانتقاء قال : قال الشافعى لنا : أما أنتم فأعلم بالحديث والرجال منى ، فإذا كان الحديث صحيحا فأعلمونى أن يكون كوفيا أو بصريا أو شاميا أذهب اليه إذا كان صحيحا — ص ٧٥

فالشافعى فى أبحاثه العلمية يعنى قبل كل شىء بضبط الاستدلالات التفصيلية باصول يجمعها ، وذلك هو النظر الفلسفى . وهو من هذه الناحية يتبع مذهب الفيلسوف ابن سينا فى الاستدلال والبحث الفقهى ، حيث يقول ابن سينا فى كتابه الشفاء :

« أنا لا أشتغل بالنظر فى الجزئيات لكونها لا تتناهى وأحوالها لا تثبت ، وليس علمنا بها من حيث هى جزئية تفيدنا كمالا حكميا أو تبلغنا غاية حكمية ، بل الذى يهمنا هو النظر فى الكليات » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وضع الشافعى لعلم أصول الفقه :

قال الرازى :

« اتفق الناس على أن أول من صنف فى هذا العلم أى علم أصول الفقه ، الشافعى ، فهو الذى رتب أبوابه ، وميز بعض أقسامه من بعض ، وشرح مراتبها فى القوة والضعف » .

ويقول بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ سنة ١٣٩٢ م فى كتابه فى أصول الفقه المسمى بالبحر المحيط :

« الشافعى أول من صنف فى أصول الفقه ، صنف فيه كتاب الرسالة ، وكتاب أحكام القرآن واختلاف الحديث وإبطال الاستحسان ، وكتاب جماع العلم ، وكتاب القياس الذى ذكر فيه تضليل المعتزلة ورجوعه عن قبول رسالتهم » .

ويقول ابن خلدون فى مقدمته :

« كان أول من كتب فيه أى علم أصول الفقه الشافعى رضى الله عنه ، أملى فيه رسالته المشهورة ، تكلم فيها فى الأوامر والنواهى ، والبيان والخبر ، والنسخ ، وحكم العلة المنصوصة من القياس » .

عبد الحميد سامى بيومى

اياكم والبخل

قال الله تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير » سيطوقون ما بخلوا به : أى سيلزمون بأداء حقه لزوم الطوق فى الأعناق ، أى أنهم لن يفلتوا من المحاسبة عليه .

وسأل النبى صلى الله عليه وسلم بعض الأنصار فقال : من سيدكم ؟ فقالوا : الجد بن قيس على بخل فيه . فقال رسول الله : « وأى داء أدوأ من البخل ! »

وقد حد أديب البخل فقال : « هو منع المسترفد مع القدرة على رفده »

وكان الامام أبو حنيفة لا يرى قبول شهادة البخيل ويقول : بخله يحمله على أن يأخذ فوق حقه مخافة أن يغبن ، فمن هذه حاله لا يكون مأمونا .

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى :

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى ... بخيلا له فى العالمين خليل
وإنى رأيت البخل يزرى بأهله ... فأكرمت نفسى أن يقال بخيل

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

منطق الدين

محاولة وضع أداة علمية لمعرفة الدين الحق

للمعقولات أداة يقال لها المنطق، تعصم الفكر عن الخطأ، وهو مؤسس على القوانين العقلية؛ وللمعلومات أداة أيضا يقال لها المنطق العلمى، تحمى الباحث فيها من الانخداع بالظواهر، والخلط بين ما هو علم يقينى، وما هو رأى مرجح، وما هو افتراض مؤقت، وتدله على ما يجب الجرى عليه فى جمع المشاهدات وترتيبها، والتأمل فيها وتمحيصها؛ كل ذلك ليأمن العقل بالأول من الخبط على غير هدى، والتادى الى أوهام يظنها معقولات وليست بها؛ ويتقى الباحث بالثانى رفع الأمور الظنية، الى مرتبة العلوم اليقينية، فيقع بسبب ذلك فيما كان عليه السابقون من اعتبار الآراء والافتراضات معارف مقررة وهى ليست منها، ويكون وجودها معطلا له عن الوصول الى الحقائق الثابتة.

وضع المنطق أرسطو فى القرن الرابع قبل المسيح، وأكمله من جاء بعده من كبار الفلاسفة، ووضع الثانى العلامة (بيكون) الانجليزى فى القرن السابع عشر، وأنا أرى أن الدين يجب أن يكون له منطق يحفظ من يريد الاهتداء الى صحيحه من الخلط بينه وبين فاسده، وفيما وصل اليه العلم العصرى والفلسفة الحديثة من المعلومات المحققة، والنظرات الصادقة، ينبوع لا ينضب لبناء أصول هذا المنطق. وإذا كان عهد يُعتبر أكثر عهود العقلية الانسانية صلاحية لهذا العمل الدينى الخطير، فهو هذا العهد الذى نعيش فيه، وذلك لعدة وجوه:

(أولها) أن العلم قد وصل الى حد بلغ فيه سن الرشد، لا من ناحية أنه انتهى الى حدود ما يمكن معرفته، ولكن من ناحية أنه أدرك أنه يستحيل أن يعين ما يمكن معرفته من المجهولات، وما لا يمكن معرفته منها، وأن أفق المعرفة انفرج أمامه الى ما لا حد له، وأصبح من كثرة ما منى بالمفاجآت، يتوقع أن يباغت بشىء منها يقلب جميع مقرراته رأسا على عقب، حتى قال العلامة الكبير هنرى بوانكاريه أحد أعضاء المجمع العلمى الفرنسى فى كتابه (العلم والافتراض) « La Science et l'hypothèse »:

« لما تروى العلماء قليلا (فى العهد الأخير)، لاحظوا مكان الافتراض من العلوم، ورأوا أن الرياضى نفسه لا يستطيع الاستغناء عنه، وأن التجربة لا تستغنى عنه كذلك. حينذاك سأل بعضهم بعضا: هل هذه الصروح العلمية على شىء من المتانة والرسوخ، وتحققوا أن نفحة واحدة تكفى لجعل عاليها سافلها ».

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
pdfbooks@gmail.com

(ثانيها) إفاقة العقلية العلمية من غرورها القديم ، وهذه الإفاقة ثمرة الرشد الذى بلغه العلم ، وبيناه فى الوجه السابق ، فقد كانت الخيلاء العلمية قد انتهت فى القرنين الثامن والتاسع عشر الى حد لا يطاق ، حتى ظنوا بأنفسهم ما لا يصح أن يظنه عاقل بنفسه ، وترفعـوا فى سبيل ذلك عن قبول أى قول يخالف ما كانوا عليه . حتى إنه لما حلل العلامة (لافوازييه) الهواء الى أوكسيجين وأزوت فى القرن الثامن عشر ، وأعلن ذلك للعلماء ، كذبوه أشنع تكذيب وعارضوه بأن الهواء من العناصر الاربعة ، وأنه لا يعقل أن يكون مركبا . فأخذ يلفت نظرهم الى أنه إنما يحدثهم عن تجربة علمية يمكن شهودها عمليا ، لا عن رأى يقبل الأخذ والرد . فـلم يرفعوا باكتشافه رأسا خمسا وعشرين سنة ، ثم قبلوه كارهين وكادوا لا يفعلون .

ولما اكتشف العلامة باستور أن الحى لايمكن أن يتولد تولدا ذاتيا ، وكانت هذه عقيدة راسخة عند العلماء ، قابلوا اكتشافه بالازدراء والسخرية . فقال لهم : إنى لا أدعوكم الى مسألة فلسفية ، ولـكن الى تجربة علمية ، فلم يقيموا لـكلامه وزنا ، غرورا بما كانوا عليه ، فظل ينافح عن اكتشافه عشرين سنة حتى قبلوه مضطرين .

(ثالثها) بلوغ الدراسات الدينية ممن وقفوا أنفسهم لهذه الناحية التاريخية من النفسية البشرية ، الى حـد النضج ، فعرفت أصول الأديان ، وظهر تسلسل بعضها من بعض ، وعرف أن أصلها جميعا التوحيد الخالص لا التعدد فى الآلهة ، قرر ذلك كبار المستشرقين وعلى رأسهم الأستاذ الألمانى الـكبير (ماكس موللر) . ودُرست الـكتب السماوية دراسات تحليلية ، وضُبطت سنو تدوينها ، وعُرف ضياع أصول أكثرها ، وضياع تراجمها أيضا التى أخذت عنها النسخ الموجودة الآن ، واكتشفت أمكنة التحريف من بعضها ، وحللت شخصيات رجالاتها ، وحُررت أقوالهم وآراؤهم ، وعُلم مبلغ تأثير كل منها فيما عليه أصحاب تلك الأديان الآن . فأصبح من يريد التبحر فى هذه الموضوعات ، حيال ذخر جليل القدر من مؤلفات توصله الى ما يريد كشفه منها ساعة طلبه ، لا يبذل فيه جهدا ، ولا يكد له عقلا .

(رابعها) إكباب العلماء والفلاسفة وقادة الأفـكار منذ تسعين سـنة ، عقب ظهور حوادث خارقة للعادة ، على دراسة النفس الانسانيـة على أسلوب عملى تجريبى ، من ناحيتى التنويم المغناطيسى والوساطة بين العالمين . وقد أفضت هذه الدراسات العملية الى تجارب حاسمة تثبت وجود روح فى الجسم الانسانى مستقلة عنه ، يمـكن إخراجها منه بواسـطة التنويم العميق ، فتتجسد على صورته تجسدا خفيفا مستعيرة جسدا من مادته ، يمكن تعيين وزنها ، بما نقص من جسم المنوَّم ، وتظهر حاصلة على عقليته ونفسيته ، وكل مميزاته ظهورا يلمس ويصور ، وتصدر منها أفعال مادية لا تدع فى النفس شبهة . ثبت كل هذا ثبوتا علميا ، ولا عبرة بمن يجهله ممن لا يعنيهم أمره .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذه الثمرات العلمية التى تقررت على مقتضى الدستور العلمى الصارم ، قد أتت على جميع شبهات الماديين ، وقضت على مذهبهم قضاء لا أمل فى قيامه بعدها . نخلصت بذلك العقول من المآزق التى كانت دفعتها فيها الفلسفة المادية ، واتجهت الى آفاق جديدة من الدراسات العالمية متبعة أصول الدستور العلمى ، لا سابحة فى جو الخيال الذى لا يؤمن معه الشطط ، ولا يرجى به الوصول الى الحقيقة الطبيعية . هذا حدث جلل خص الله به أهل القرن العشرين الذى طغت فيه الفلسفة المادية طغيانا كادت معه تلحق الانسان بالحيوان الأعجم .

(خامسها) كل هـذه الفتوحات العلمية نبهت فى القلوب العاطفةَ الدينية ، وأيقظت مطالبها الروحية ، وفتحت للعقول آفاقا عليا تاقت معها الى البحث عن نظام دينى يتفق ومقررات العلوم ، ويصلح لأن يرقى بالروح فى عالمها خالصة من وساوس الأساطير القديمة ، حرة من قيود التقاليد الميتولوجية البائدة . وقد دفعت هذه النزعة الشريفة رجالا من أكبر مفكرى العالم فى أواخر القرن التاسع عشر ، الى وضع دين علمى سموه الدين الطبيعى ، جعلوا أساسه الاعتقاد بالله وبخلود الروح ، وتعاليمه الآداب العالية ، والأخلاق الصالحة ، والسيرة القويمة ، مما يشير اليه العلم بجملته وتفصيله . هـذه الديانة التى قام بها أكبر فلاسفة العصر من أمثال جول سمون وكارو ، لقيت إقبالا عظيما من كبار العقول ، وأصبح أشياعها لا يحصون كثرة وإن كان لا يشعر بهم أحد .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

هذه الحالة العلمية والنفسية الراهنة ، تسمح لمثلى أن يستفيد منها فى وضع منطق دينى ، مستمد مما تقرر من ثمرات المعارف الممحصة ، بحيث لا يخرج فى أصـل من أصوله عما ثبت بالبرهان القاطع من بحوث العلماء ، وما عرف من اتجاهات النفسيات الصافية . وإنى أعتقد أن الروح العصرية قد نضجت لظهور مثل هـذا العمل العلمى ، فإن المقررات التى يجب أن يستمد منها مادته ليست مما يتغير بتغير الأزمان ، ولست أبالغ إن قلت إنها أصبحت بدهيات علمية تـكاد تـكون فى مستوى المعلومات الضرورية للانسان .

الآن يسوغ لنا أن نبدأ فيما نحن بسبيله من بناء هذا المنطق الخاص فنقول :

الأصل الأول :

الناس كلهم إخـوان متساوون فى الحقوق ، لا يتفاضلون بأجناسهم ولغاتهم وبيئاتهم وألوانهم ، ولـكن بمزاياهم الأدبيـة ، وقواهم العقلية ، وقـد خلقوا ليترافدوا على تذليل مصاعب الحياة ويتحابوا ، لا ليتناكروا ويتناحروا .

تفصيل هذا الاجمال :

[illegible] المحسوس أن النـاس جميعا نشأوا من أبوين اثنين ، فألفوا فى [illegible]

oldbookz@gmail.com
هروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

واحدة ، قامت من الأرض على بقعة واحدة ، فلما كثروا وضاقت بهم بيئتهم ، نزحت طوائف منهم الى بقاع جديدة ، ثم تكاثروا وتفرقوا ، وتكاثروا وتفرقوا ، وفى كل مرة يزداد بعدهم عن بيئتهم الأولى ، حتى ملأوا الأرض على رحبها . هذا هو السبب الطبيعى فى وجود القبائل والشعوب والأمم وتفرقها فى الأرض .

ولما كانت حياة الإنسان فى أول أمره ساذجة ، لم يضطر من اللغة إلا لما يدل على حاجاته الضرورية ، وكلما اضطر لشىء وأوجده بما مُنحه من قوة العقل ، أطلق عليه اسما جديدا . وبما أن هذا التوسع فى إطلاق الأسماء نشأ وجماعاته متفرقة فى الأرض ، جاءت هذه الأسماء متخالفة ، وكان هذا سبب تخالف لغات البشر فى بقاع المعمور .

أما اختلاف الألوان ، فنشأ من تفاوت درجات الحرارة والرطوبة فى الأصقاع الأرضية ، فمن سكن البقاع التى تقرب من القطبين ، جاءت ألوانهم ناصعة البياض لضعف تأثير الأشعة الشمسية فى تلوين بشرتهم ، وكلما بعدوا عنهما واقتربوا من خط الاستواء ، اشتد فعل الشمس على خلايا أجسادهم فبعدت عن البياض الناصع يسيرا يسيرا ، حتى انتهت فى المناطق المحرقة الى السواد الفاحم ، وكان هذا مصدر اختلاف الألوان فى النوع الإنسانى . ولو كان له مصدر غير هذا لوجدت فى المناطق المختلفة ، ألوان متخالفة لأهلها الأصليين ، وهذا لا وجود له ألبتة .

هذه هى الأسباب الطبيعية للفوارق الرئيسية بين طوائف الأسرة الآدمية .

ولسنا نشك فى أنه كان للبيئات المختلفة ، ومالقيته الجماعات فى رحلاتها الشاسعة ، ولاختلافات الجواء وانقلاباتها الكثيرة ، ولما اضطرت اليه من ضروب الجهود ، ولما دُفعت الى التعويل عليه من المواد الغذائية ، والتواء طرق الوصول اليها ، قلنا : لسنا نشك فى أنه كان لكل ذلك تأثير فى إحداث الاختلافات فى أشكال جماجمها ، وصفات وجوهها ، وقابلياتها للتعقل والترقى ، مما لا يجوز نكرانه أو تجاهل تأثيره .

هؤلاء الأقوام رغما عن تباعد بيئاتهم ، وتباين أجناسهم وألوانهم ولغاتهم ، يعتبرون إخوانا بحكم النسب الطبيعى الذى لا خلاف فيه . وهم وإن اختلفوا فى بعض التفاصيل الصورية إلا أن لجميعهم نفوسا وعقولا وميولا متشابهة فى أصلها ، وإن تنوعت بسبب العوامل التى احتوشتها . ولكن هذه الاختلافات لم تَعْدُ على فطرتهم الانسانية ، ولا تصلح أن تكون سببا لحرمانهم من الحقوق الطبيعية . فلا يوجد شعب فى الأرض يشذ عن الألفة والانضمام للجماعة ، لو آنس فى القائمين بهذه الدعوة روح الانصاف والرحمة وشرف النفس ، ورأى أن نصيبه من العمل لمصلحة المجموع يحمل اليه كاملا موفورا . ولكنه يشذ وينفر ويفضل الموت على الحياة دفاعا عن حوزته ، لورأى أن قواه تستغل كما يستغل قوى الحيوان ، ولا يناله من وراء كده ما يقيم أوده ، ويصلح من شأنه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فأساس الفرقة والتناحر، الظلم والأثرة والغشمرة . وما دام الأقوياء المتعلمون يتصفون بها ، ويعامل بعضهم بعضا على موجبها ، فلا يزالون يتناحرون حتى تسفك آخر قطرة من دم الجاهلية فيهم . وهذا لا يمنع أن المثل الأعلى الذى قرره العلم هو أن جميع الناس إخوان ، وأنه يجدر بهم أن يتعارفوا ويتعاونوا ، لا أن يتناكروا ويتناحروا . أما مسألة : هل هذا ممكن أو غير ممكن فى هذه الحياة ، فلا تقدح فى أصالة هذا الأصل ، ولا فى كونه المثل الأعلى .

نعم لا تقدح فى أنها المثل الأعلى للحياة الاجتماعيـة ، لأنها إن كانت غير ممكنة فى عصر الانسانية الراهن فذلك بسبب ما لا يزال موجودا فى النفسية البشرية من أدران الجاهليـة ، وبقايا الصفات الحيوانية ، من الأثرة والعدوان على الغير وحب الذات وخمود العاطفة ، وقد أجمع علماء الأخلاق أن هذه كلها أدواء نفسية يمـكن معالجتها وزوالها ، ولو بعد آماد طويلة تمضى فى التطورات الأدبية . وما كان من هذا النوع من الصفات فسواء أبقى ملازما للبشرية أم زايلها ، فلا يقدح وجوده فى وجود المثل الأعلى لحياة اجتماعية أفضل مما هى عليه .

على أن فى العالم الانسانى أفرادا كثيرين حصلوا على درجة ممتازة من السمو الخلقى يقومون على هذا المثل الأعلى ، وهم لو وُكل اليهم تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض ، لما جروا إلا على هذه الشاكلة . وما جاز على هؤلاء الأفراد الكثيرين يجوز على غيرهم من بقية الناس ، ولو بعد آماد طويلة ، إن قدر للانسانية أن تصل الى الدرجة التى تتصورها من السمو الأدبى . وليس من شروط صحة المثل العليا أن تكون ممكنة فى عهد من العهود المنحطة للانسانية ، ولـكن يكفى أن تكون معقولة لديها ، ومبنية على أصول تقوم عليها الحياة على أكمل وجه .

تطبيق هـذا الأصل على الاسلام :

قبل أن ننتقل الى الأصل الثانى من المنطق الدينى ، يحسن بنا أن ننبه الى أن هذا الأصل الأول ينطبق على أول أساس وضعه الاسلام ليقيم عليه صرح الدين العام ، الذى أعلن أنه دين البشرية كافة ، فقد قال تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » . أنزلت هذه الآية إيذانا للناس كافة بأنهم إخوان أبوهم جميعا واحد وأمهم واحدة ، وأنهم وإن تفرقوا فى البلاد ، واختلفوا فى الأجناس واللغات والألوان ، فان تلك الخـلافات لا تزيل عنهم صفة الأخوة بل توجب عليهم أن يتعارفوا ، والتعارف يدعو الى التعاون والترافد ، والى التكاتف والتساند على تذليل عقبات الحياة .

ولما كان شر ما خلفه تباعد البيئات ، وانقطاع الصلات ، وتباين اللغات ، وهماً استولى على نفوس كل جماعة بأنهم خير ممن سواهم ، وأنهم أحق برغد العيش ، والسيطرة على الخلق من كل من عداهم ، صرح الحق بأن هذا الوهم لا يجوز أن يقام له وزن ، وأن المعيار الصحيح

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للتفاضل هو تقوى الله ، والقيام بمحابه ، والابتعاد عن مكارهه . فلا الأبيض بأفضل من الأسود ، ولا العربي بأمثل من الأعجمى ، إلا بعمل طيب ، وبتقوى باعثة على الصلاح . وللنبى صلى الله عليه وسلم تفصيل لهذا الإجمال ، فقد قال : « ليس لأبيض على أسود ، ولا لعربى على أعجمى فضل إلا بتقوى أو بعمل صالح ، كلكم من آدم وآدم من تراب » .

وروى أن أباذر الغفارى وهو من كبار رجالات الاسلام ، قاول عبدا أسود فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فاحتد عليه وقال له : يا ابن السوداء ! فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ونظر الى أبى ذر وقال له : « إنك امرؤ فيه جاهلية ، ليس لا بن البيضاء على ابن السوداء فضل » الى آخر الحديث السابق .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم لا يفرق فى الحقوق والمعاملات بين أبيض وأسود ، ولا بين عربى وأعجمى ، ولا بين حر ومولى ، فقد روى أنه ولى بلالا المدينة وفيها كبار الصحابة ، وأصله مملوك اشتراه أبو بكر وأعتقه .

وولى صلى الله عليه وسلم باذان الفارسى على اليمن ، ولما مات ولى ابنه مكانه .

وكان لسلمان الفارسى وصهيب الرومى وغيرهما حظ كغيرهم فى التقلب فى المهام الاجتماعية .

عامل المسلمون جميع الشعوب التى دخلت فى دينهم معاملة الاخوان بدون التفات الى لغاتهم وأجناسهم وألوانهم ، وعاملوا من عاهدهم أو خضع لحكمهم بأدق أصول العدل ، فساووهم بأنفسهم أمام المحاكم ، وراعوا فى معاشرتهم ما راعوه مع أبناء ملتهم من حقوق الجوار . وقد أمر الاسلام بمراعاة حقوق هذه الأخوة الانسانية العامة حتى فى الحرب ، فأمر أن لا تحرق دور المحاربين ، ولا تباد زروعهم ، ولا تعطل مرافقهم ، وأن لا يجهز على جريحهم ، ولا يعتدى على أسيرهم ، بل أن يكرم ويحسن إليه . وبالغ فى وجوب مراعاة هذه العواطف النبيلة ، حتى أمر أن لا يمس خدم جيوشهم بسوء ، وأن لا يقتل الشيوخ والزمنى ورجال الدين ، وأن لا يصادروا فى حريتهم الدينية . وهذا شىء لم تعرفه الانسانية حتى فى العصر الراهن .

فالاسلام فى كل محاولاته قد رمى الى تأليف أمة عالمية ، تمثل فيها جميع الأجناس والأقوام والألوان تقربا من المثل الأعلى . وهذا أول ما حدث من نوعه فى الأرض .

فى المقالات التالية ندرس جميع أصول منطق الدين تباعا إن شاء الله ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

فى الميراث

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الأسئلة الآتية :

توفى رجل عن أخت شقيقة ، وأولاد عم شقيق لوالد المتوفى ذكور وإناث . فمن يرث ومن لا يرث ، وما نصيب كل ؟

الجواب :

الذى يرث من المذكورين : الأخت الشقيقة ، وأولاد العم الذكور . ولا شىء لأولاد العم الإناث لأنهن من ذوى الأرحام .

وأما توزيع التركة بين الوارثين : فللأخت الشقيقة : النصف ، ولأولاد العم الذكور : الباقى وهو النصف ، يقسم بينهم بالتساوى . والله أعلم

***

وجاء أيضا :

مات الميت عن أمه ، وأخته لأمه ، وأخته لأبيه ، وعمه الشقيق ، وعمتيه الشقيقتين . فمن يرث ومن لا يرث ، وما نصيب كل ؟

الجواب :

الذى يرث من هؤلاء هم : الأم ، والأخت لأم ، والأخت لأب ، والعم الشقيق . أما العمتان فلا ترثان .

ونصيب الأم فى هذه المسألة : السدس ، ونصيب الأخت لأم : السدس كذلك ، ونصيب الأخت لأب : النصف ، والباقى للعم الشقيق . والله أعلم

***

وجاء أيضا :

اثنان أولاد عم ، أحدهما خلف بنتين وولدا ، وإحدى البنتين توفيت عن ولد ، ثم توفى الولد عن جدة لأبيه : أى أم أبيه ، وخال ، وخالتين ، وعمين ، وعمة ، وابن عم الجد . فما الحكم ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الجواب :

هذا السؤال يتضمن سؤالين : الأول : لمن تؤول تركة امرأة توفيت عن ولدها ؟ الثانى : لمن تؤول تركة رجل توفى عن جدة لأبيه وخال وخالتين وعمين وعمة وابن عم الجد ؟

والجواب : أن التركة فى السؤال الأول تؤول الى ولد المرأة ، إذ لم يتبين فى السؤال وجود ورثة آخرين غيره .

وفى السؤال الثانى تؤول التركة للجدة والعمين لا غير ، فتعطى الجدة السدس ، ويعطى العمان الباقى بالتساوى بينهما ، فيكون لكل منهما نصف الباقى . ولا شىء للخال والخالتين والعمة لأنهم من ذوى الأرحام ، وذوو الأرحام لا يرثون مع وجود عصبة الميت . وكذلك لا شىء لابن عم الجد لأنه أبعد من العمين فيحجب بهما . والله أعلم

***

وجاء أيضا :

امرأة توفيت وتركت زوجا ، وأختا شقيقة ، وأختا لأب ، وإخوة لأم وهم خمسة ذكور . فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ، وما نصيب كل ؟

الجواب :

جميع المذكورين فى السؤال يرثون ، فللزوج النصف ، وللاخت الشقيقة النصف أيضا ، وللأخت للأب السدس ، وللأخوة للأم الثلث .

وبما أن مجموع الأنصباء قد زاد على الواحد الصحيح ، وجب تقسيم التركة تقسيما تناسبيا . وبمقتضى قواعد التقسيم التناسبى تكون التركة تسعة أجزاء : ثلاثة منها للزوج ، وثلاثة للأخت الشقيقة ، وجزء واحد للأخت للأب ، وجزءان اثنان للأخوة للام يقسمان بينهم بالسوية . والله أعلم

***

وجاء أيضا :

مات الميت عن ثلاث زوجات ، وخمسة أولاد ذكور ، وثمانى بنات . فما نصيب كل وارث على حدة ؟

الجواب :

نصيب الزوجات الثلاث : الثمن « ثلاثة قراريط » لكل واحدة منهن قيراط ، والباقى يقسم بين أولاد المتوفى الذكور الخمسة والاناث الثمان ، للذكر منهم مثل حظ الانثيين ، فيخص الواحد من الذكور قيراطان وثمانية أسهم من القيراط ، ويخص الواحدة من الإناث قيراط واحد وأربعة أسهم من القيراط . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التضييق على المبشرين

جاء فى جريدة (الكريستيانسم) التى تصدر فى باريز ما يأتى :

« نشرت جريدة البعثة الانجيلية لدى المسلمين فى موضوع العالم الاسلامى ما نصه :

« تعلن جريدة (البيونييه) أنه قد قدم الى مجلس الشيوخ المصرى مشروع قانون يفضى الى تثبيط كبير من نشاط هذه البعثة إذا قبل هذا المشروع . فسينتج عنه أن دعوة البعثة يجب أن لا تذاع بين الشبان الذين تقل سنهم عن ست عشرة سنة ما دام القصد تحويلهم عن دينهم . ومخالفة هذا القانون تجر الى الغرامة أو الحبس . نعم إن المشروع لم يصبح قانونا بعد ، ولكن الإسلام من العزة والمناعة بحيث يستطيع صد الدعوة عن الشبيبة ، ومنعها من الاستفادة من مواعظ الانجيل . فلاجرم أن هذا الموقف يشغل بال الكنيسة التبشيرية ويقلقها كثيرا جدا » .

(مجلة الأزهر) : إننا لا نرى موجبا لاهتمام المبشرين بالمسلمين ، فإن لهم دينا شهد له من درسه من الأجانب عنه بأنه أقوم الأديان كلها ، وشهدوا بأن الناحية الخلقية منه قائمة على أسمى ما عُرف عن الناموس الأدبى العام ، والمسلمون من الناحية الاعتقادية يؤمنون بجميع الأنبياء والمرسلين لا يفرقون بين أحد منهم . فإذا كان يراد منهم بعد ذلك أن يؤمنوا ببنوة المسيح فذلك من المحالات التى لا يصح أن تطوف برءوس المشتغلين بالأمور الدينية ، وقد ثبتت هذه الاستحالة بفشل المبشرين فى بلاد المسلمين فشلا لا يدع محلا لأقل أمل .

وعلى فرض أن هذه المحاولات غير مستحيلة ، وأن لديهم حقيقة يمكن التدليل عليها ، فما الذى يزعجهم من قصر التبشير على من جاوز السادسة عشرة من عمره ، وهم يعلمون أن ما قبل هذه السن دور طفولة لا يهتم فيها صاحبها بغير اللعب والتلهى ؟ ولست أحب أن أفهم من قلقهم هـذا أنهم يعرفون أن دعوتهم تصادف من ناضجى القوة العقلية مقاومة عنيفة ، ولا يمكن ترويجها إلا عند من هم فى سن الطفولة .

مارمديوك يترجم القرآن ويسلم

جاء فى جريدة المانشستر جوارديان تحت عنوان (داخل فى الاسـلام) نقدا لكتاب وضع فى تاريخ حياة (مارمديوك بكتهول) وهو أحد مترجمى القرآن الى الانجليزية . قالت :

« اعتنق مارمديوك الاسلام . وهو شاب كان مدرسا باحدى مدارس حيدر آباد ثم استخدم فى القصر . وكان يقضى معظم وقته بين زيارة الشرق الأدنى والاطلاع على الآداب فى مقاهاا .

وكان سبب قلقه قلة موارده المالية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

«وهو يختلف كل الاختلاف عن ولفرد بلانت ، لأن هذا اكتفى بالاطلاع على مزايا الاسلام ولكن بكتهول دخل فيه فملا ، وكان يجد فيه عزاءه فى وحدته . وكان يضع نفسه فى خدمة الخلافة والامبراطورية التركية . وكان يعتقد أن الحكومة البريطانية أضاعت فرصة جعل تركيا حليفة لها . وربما كان فى هذا شيء من الحقيقة » .

***

(مجلة الأزهر) : ليس بعجيب على من يفهم القرآن ويترجمه أن يدخل فيه ، ولكن العجيب أن يفهمه إنسان ويترجمه ثم ينقلب عليه ويضع منه ، كما فعل (سيل) صاحب الترجمة المشهورة .

لا جرم أن للوراثة الدينية تأثيرا مثل تأثير السحر بل أشد ، فان من يكون نال قسطا من العلوم الاجتماعية والنفسية ، وأخذ بحظ من الفاسفة ، يستحيل عليه أن يشهد آيات القرآن البالغة ذروة الاعجاز فى جميع هذه المواطن ، ثم ينقلب عليه . إن فى هذا أدل دليل على أن من يجرؤ على مثل هذا العمل تكون ثقافته واقفة عند حد ، والوراثة الدينية آخذة منه بالكظم .

الخطأ فى معنى الخلافة

أتت جريدة جلاسنجو سيتيز الانجليزية بتاريخ الخلافة منذ وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ثم قالت :

« والانسان يعجب من اهتمام العالم الاسلامى بها ولن يكون لها من السلطة ما يذكر عنها فى أغلب تاريخها . ولكن النظريين يعتقدون أنها ضرورية للدفاع عن الدين ، ولسياسة الدولة ، ومعنى هذا أن الخليفة يجب أن يكون له من القوة ما يجعله ذا نفوذ فى العالم ، فيكون جديرا بما يحيط بمركزه من العظمة بصفته وكيلا لله فى الأرض .

الى أن قالت الجريدة :

« ولقد استمرت الخلافة قائمة فى أوقات لم يكن للخليفة فيها سلطة ما ، فلما كان الخليفة تحت إشراف السلاطين كان هؤلاء يستمدون سلطتهم من يديه وإن كانت فى يدهم فعلا ، ويؤمنون بقيمة هذا ! وكان الولاة يطلبون من الخليفة الاعتراف بسلطتهم ، وهذا يدل على أن فى الخلافة شيئا غير القوة التى للرجل التى يشغلها . فهى محوطة بالقداسة عند كثير من المسلمين . فلا عجب إذا شعر المسلمون بالحيرة وهم بغير خليفة ، وإذا أبوا أن يدعوها تزول ، فالخليفة رمز للوحدة الاسلامية » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(مجلة الأزهر) : لايعنينا من نشر هذه الكلمة ماذكره كاتبها من اهتمام العالم الاسلامى بالخلافة ، ورأى النظريين فى نفعها ، ولكن يعنينا ماذكرته من أن الخليفة يعتبر وكيلا لله فى الأرض . هذا بعيد عن روح الاسلام ، وعن معنى الخلافة الاسلامية ، فان المسلمين لا يعترفون بوجود وكيل لله فى الأرض يحل ويبرم ، ويحلل ويحرم ، ولا ينظرون الى الخليفة إلا نظرهم لكل فرد من أفراد المسلمين حتى جوزوا خلعه إن ثبت خروجه عن حدود الدستور الاسلامى ، وهو القرآن . فسلطة الأمة لم يعترها وهن فى نظر المسلمين ، حتى فى أشد أيام ضعفهم . ولكن كتاب الفرنجة يأخذون علم الاسلام عن الأحوال التى يشاهدونها فى أهله . فهم إن تكلموا عن قيمة المرأة فى الاسلام عند زوجها وفى المجتمع ، نظروا الى ما هى عليه لدى أحقر طبقات الشعوب الاسلامية ، وقرروا أنها أسيرة مستعبدة ، ومجردة عن جميع الحقوق الانسانية. وإن تكلموا عن دين المسلمين نظروا الى مساجدهم وما فيها من بدع ، والى المسلمين وما يعملونه فى موالد أوليائهم ، من الذكر وقوفا وبالصنوج والدفوف والطبول ، وقرروا أن كل ذلك من صميم الاسلام . فان قلت لهم : إنه مما يحرمه الدين ، قالوا لو كان كذلك لأبطله أئمة الدين على الأقل من المساجد ، أما وهم يقرونه فى كل بلد إسلامى فهو منه !

هذه حجة كتاب الفرنجة ، وهى من المسكتات عند الأكثرين !

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الاسلام فى أفريقا السوداء

جاء تحت هذا العنوان فى جريدة (لا فرانس اكستريور إى كولونيال) أى فرنسا الخارجية والاستعمارية :

« إن انتشار الإسلام فى أفريقا السوداء تقلق من عدة نواح بال الكثيرين ممن يعنيهم مركز فرنسا الأدبى فى ممتلكاتها السوداء . وبدون أن يُعبأ بمعرفة هل ديانة محمد تحمل للكائنات البشرية نظاما اجتماعيا ، وقانونا أدبيا ، يفوقان ما تحمله الوثنية وما يحيط بها أو يشتق منها من النحل المختلفة ؟ فالواقع أن كثيرين من الناس يكافحون انتشار الإسلام فى مستعمراتنا السوداء ، معتبرين أنهم إذا عجزوا عن القيام بعمل حاسم ضد تقلب الرجل البدوى أوجبه للاطلاع فى الناحية الدينية ، فإن الحد الطبيعى ضد انتشار الإسلام فى مستعمراتنا يجب أن يكون نهر النيجر .

« ولكن تيار الاسلام لم يقتصر على غمر النيجر والسودان فحسب ، ولكنه ينساح اليوم الى نواحى بحيرة تشاد . ولا ندرى الى أية درجة يشعرون أو لا يشعرون جماعة الهاووس بهذا النجاح بنيجريا وهم أولئك الدعاة العجيبون .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« وإننا نرى أنه مما يفيد فى هذا الباب نقل الرأى الآتى للاب فريدريك دوبيلينيه ، القس الملحق بالجيش الفرنسى بجهة تشاد ، وقد نشر هذا الرأى فى مجلة المعلومات الاستعمارية لشعبة أفريقا الفرنسية ، قال :

« أنا لست أول قسيس دخل الى تشاد (١٩٣٥) فحسب ، ولكنى لا أزال القسيس الوحيد فيها . والحالة الراهنة هنا يمكن أن تدوم طويلا لأن الاتفاق بين المسيو لافال والسنيور موسولينى لا يزال باقيا بدون تصديق . والدعوة الدينية لا يمكن أن تعدل حدودها ما دامت الحدود السياسية غير معينة .

« والتصميم الواجب اتباعه هو أن يجعل مجرى نهر (شارى) خطا دفاعيا تؤسس فيه سلسلة مراكز تبشيرية تقوم سدا ضد التسرب الاسلامى الآتى من الشمال .

« الرجل الأسود يشعر بانحطاط ديانته الوثنية ، وروحه المتأصل فيها حب التدين متعطشة لعقيدة أرقى من عقيدته . وهو لا يقبل الاسلام إلا لأنه لا يعرف ما هو أفضل منه ، ولأن الفقهاء ، وهم المنفردون بادارة المدارس دون سواهم ، يقيدون أسماء التلامذة لحساب محمد .

« ومما تجب معرفته أيضا أن الموجة الاسلامية التى تنتهى الى هنا ، قد فقدت كثيرا من اندفاعها . فقد نصرتُ مسلما أمه عربية ، ويوجد بين الذين أعدهم للتنصير مسلمون من أهل فزان ، وهم من أكثر المسلمين تعلقا بالسنوسية . وعليه فهناك أمل عظيم فى النجاح حيال المسلمين » .

***

(مجلة الأزهر) : لا عبرة بما يتوقعه الأب فريدريك دوبيلينيه من نجاح التبشير عند المسلمين ، فقد مضى قرنان بُلى المسلمون فيها بالدعاة من كل نحلة ، فلم يزدادوا إلا حبا فى دينهم ، وقد فشل التبشير حتى فى البقاع التى أهلها جاهلون ، بل فشل حتى لدى الأمم الوثنية فى أفريقيا وآسيا ، وفاز الاسلام فيها بعشرات الملايين بشهادة أولئك الدعاة أنفسهم ، ولكننا ننقل مثل هذه الأقوال لنثبت للمسلمين أنهم جد مقصرين حيال دينهم القويم . فانهم لا يفكرون فى أمر نشره كما يفكر أصحاب الأديان الأخرى ، مكتفين بما يقوم به المسترزقة من أصحاب الطرق الذين يجوبون تلك الأصقاع البعيدة ، ولكنهم لا ينشرون من الاسلام هناك إلا تعاليم مشوبة بكثير من الخرافات التى ليست منه .

نعم : إن الأزهر يقوم بعمل مشكور من هذه الناحية ، ولكن وسائله المالية لا تمكنه من عمل جدى يستلزمه هذا الأمر الجلل ، فهو بحاجة الى مال كثير يقوم به الأفراد . فإن تمويل جماعات التبشير فى البلاد الغربية يحصل من تبرعات الغيورين على دينهم ، ولا دخل للحكومة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فيه . وقد عهدنا محسنى المسلمين يتبرعون لكل شيء إلا للدعوة الاسلامية ، لأنهم لم يألفوا هذا الضرب من العمل الصالح ، ولكن حفظ دينهم ونشره فى هذا العصر يستدعى أن يجعلوا من أموالهم نصيبا للقيام بهذه المهمة الخطيرة ، وخير مستودع لهذه التبرعات خزانة الأزهر لتضمه الى الاعتماد المالى الخاص فى ميزانيتها بالدعوة والارشاد . فاذا آنس الأزهر اتجاه النفوس لأداء هذا الواجب عرف كيف ينفقه فى وجوهه المنتجة ، لا بارسال علماء الى الجهات النائية فحسب ، ولكن بتعليم اللغات الأفريقية والآسيوية لمن يعدهم للدعوة هنالك ، فلا يمضى وقت طويل حتى يكون لنا أداة صالحة للعمل من هذه الناحية ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

برنارد شو والاسلام

حدثت ضجة حول قصة ألفها الكاتب الفيلسوف الارلندى برناردشو تدرس فى كلية الآداب ، قيل إن فيها طعنا فى الاسلام ، فعجبنا من ذلك لعلمنا أن لبرنارد شو شهادة قيمة فى الاسلام ، حتى إنه يرى أن أدواء أوروبا لا تشفى إلا إذا تولتها مبادئ محمدية ، وقال : إنه لن يمضى قرن من الزمان حتى يرى الانجليز أن الاسلام جدير بالاتباع ، وأن أوروبا قد بدأت تعرف ماهية الاسلام ، ولن يمر عليها قرنان حتى تصبح من أهله . فرأينا أن نستحضر نسخة من هذه الرواية ، فألفينا أن برناردشو يبسط فيها تاريخ جان دارك محررة فرنسا من الانجليز فى القرن الخامس عشر ، ويأتى بحديث تخيله قد دار بين أشخاص عن جان دارك ، أبدى فيه كل منهم رأيه عنها ، فقرر بعضهم أنه من الخطر التساهل فى أمرها ، حتى لا تجرؤ فتيات غيرها أن يدعين مثل دعواها ؛ كما يكون من الخطر أن يدعى رجال أنهم مثل محمد . وهذا الفريق يشبه الوحى الذى نزل عليها بالوحى الذى نزل على محمد ، واستطرد الى التحامل على رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم . ولكن فريقا آخر دافع عن وجهة نظر أخرى وقرر أن المسلمين من الناحية الخلقية لا يفترقون عن المسيحيين ، وبرهن على ذلك بما شاهده بنفسه حينما سافر الى فلسطين لأداء فريضة الحج .

والمعروف فى وضع الروايات أن واحداً من أشخاص الرواية لا يمكن أن يعتبر معبرا عن رأى مؤلفها إلا إذا كانت هناك قرينة تدل على ذلك ، ولا قرينة هنا عليه ، بدليل أن المؤلف أقام فريقا آخر يناقض هذا الفريق ويدلى على ذلك بحجة عيانية ، وهذا يدل على أنه إنما ينقل آراء فريقين مختلفين . وقد كذب برناردشو نفسه ما اتهم به فى جريدة النيوز كرونكل وقال إن خصومه لم يفهموا روايته ، وقد نقلت هذا التكذيب جريدة المقطم .

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نظام الوقف فى الاسلام

وآثاره المترتبة عليه

مما لا مراء فيه أن الموقوف عليه لا بد أن يكون معروفا معينا بالتسمية أو الصفات المميزة للموصوف وقت إنشاء الوقف ، من أجل ذلك نحب أن نعرض لهذا النوع من التسمية أو التعيين بالوصف حتى تتسق البحوث فى الوقف على وتيرة واحدة ، وتجرى على سنن مستساغ ، فإذا ذكر الواقف فى إشهاد وقفه الموقوف عليه ، وهو لا بد منه فى إشهاد الوقف وإلا وقع إشهاد الوقف باطلا ، فإما أن يذكره باسمه أو بوصفه : فإن كان مذكوراً باسمه الذى لا ينفك عنه وبقى ملازما له حتى يوم ظهور غلة الوقف ، كان الوقف صحيحا ، وكان على الناظر أن يعتبر استحقاقه مستندا الى سبب شرعى صحيح . أما إذا سمى الواقف الموقوف عليه فى إشهاد وقفه وتبين بعد أن هـذا الموقوف عليه لم يكن موجودا وقت صدور إشهاد الوقف ، وإن سمى بهذا الاسم الذى عناه الواقف فى إشهاده ، وقع الوقف فى هذه الحالة غير صحيح .

وتوضيح ذلك : أن الواقف حين وقف على شخص معين باسمه فقد قصد إيصال غلة الوقف عليه ، وهو لا يكون يومئذ إلا موجودا ، فلو وقف على ميت وقد سماه فى إشهاد وقفه وهو يجهل صفته ، وقع الوقف باطلا قطعا ، حتى وإن وجد هذا الاسم المعنى للواقف علما على الموقوف عليه ، وفى هذه الحالة يذهب نصيبه الى الفقراء لأنهم أصل المشروعية الوقف . ويشبه هذه الحالة حالة ما إذا وقف الواقف على موقوف عليه بوصفه العنوانى . وهنا يفصل العلامة صاحب كتاب أنفع الوسائل فيقول : « إن كان هذا الوصف مما لا يزول كالعمى والخرس ، فالعبرة باستحقاق الموصوف وقت ظهور الغلة أو وقت إنشاء الوقف ، وإن كان مما يزول كالصغر والفقر فمناط الاستحقاق يوم ظهور غلة الوقف وصيرورتها صالحة للاستثمار » . وقد تعقب العلامة ابن عابدين هـذا الـكلام على إطلاقه فقال : « هل إذا قال الواقف فى إشهاد وقفه : وقفت هذه الضيعة على ولدى فلان الذى سأسميه بهذا الاسم ، ولا يزال حملا مستكنا . ثم مات الواقف فى أثناء الحمل وأتت أمه للمدة الشرعية وسمته بالاسم الذى اختاره له الواقف سواء كان الواقف أباً له أم غير أب ، فما الذى يمنع الناظر من اعتباره فى هذه الحالة مستحقا إذا جاءت التسمية متمشية مع تسمية الواقف ؟ » وهو تعقيب متجه وإن كان للخروج منه مندوحة . وبدهى أن نوايا الواقفين الخير المطلق لبنى الانسان ، فليس من الرخصة المفترضة فى مثل هذا النظام النبيل فى سماويته وحكم مشروعيته أن يضيق فى مرامى هؤلاء الواقفين .

وجملة القول : أن الواقف إذا وقف على أسماء أو صفات للموقوف عليهم وكانوا غير موجودين أو كانت صفاتهم مما يزول كالفقر أو العته الخفيف ، وقع الوقف غير صحيح . ويتفرع على ذلك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن الواقف لو وقف عينا على أولاده العمى أو البكم فـلا ينعقد لهم استحقاق إلا منذ ظهور غلة الوقف .

لـكن حقق العلامة صاحب البحر أن الواقف إذا وقف على فقراء ، انعقد الوقف صحيحا حتى ولو وجد هذا الوصف بعد إنشاء كتاب الوقف لا وقته فحسب .

لـكن حقق غير واحد من علماء الفروع أن حبس الواقف للعـين على أصحاب الأوصاف الزائلة أو الدائمة غـير مطرد بطلانه ، فقد ضربوا مثلا فيما إذا وقف الواقف على بناته الثيبات أو الأبكار ففى كل من الحالتين ينعقد الوقف لمجرد ظهور الغلة ، على حين أن الثيوبة مما لا تزول عادة ، والبكورة مما لا تدوم عادة .

وغنى عن البيان أن علماء الفروع لم يغفلوا شأن استحقاق الحمل ، فقد نصوا على أن كل من ولد بعد ظهور غلة الوقف ووجودها مقومة صالحة للاستثمار لأقل من ستة أشهر ، يدخل فى عداد المستحقين ، لتحقق وجوده فى بطن أمه وقت خروج تلك الغلة ، لأنهم اعتبروا وقت خروجها مناطا للاستحقاق ، فهو يشارك المستحقين فى هذه الغلة ما دام ظهورها معتبرا مناط استحقاقه حتى لو مات قبل توزيع تلك الغلة كان نصيبه موروثا .

أما إذا ولد الحمـل لستة أشهر فأكثر من وقت خروج غلة الوقف ، فلا يشارك الموقوف عليهم فى هذه الغلة ، إلا إذا تبين أن وطء أمه كان حراما شرعا أو غير ممكن عادة من وقت خروج غلة الوقف الى حين الولادة : كأن تكون أمه مبانة أو متوفى عنها زوجها وقد جاءت بالولد لستة أشهر فأكثر من وقت ظهور غـلة الوقف ، ولأقل من سنتين من وقت الطلاق أو الوفاة . وهذا واجب الاتباع بناء على حكم الشارع فى هذه الحالة .

ولو كان الوطء حلالا وقت خروج الغلة : كأن تكون زوجة أو معتدة من طلاق رجعى ثم جاء الولد لستة أشهر فأكثر من وقت ظهور غلة الوقف فلا يشارك الولد فى هـذه الحـالة المستحقين فى تلك الغلة ، لعدم تحقق وجوده وقت ظهورها . وهذا هو الظاهر من كلام صاحب تنقيح الحميدية .

ولهذا البحث تفريعات وتعقيبات تحتاج الى عدد آخر ، فالى الغد القريب ؟

عباس طه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة المحمدية

تحت ضوء العلم والفلسفة

الشكوك فى إمكان الوحى وعلاجها بالفتوحات العلمية الحديثة

الشك من الصفات العقلية التى نشأت فى الانسان مع العقل نفسه ، وهو ككل صفاته الأدبية نشأ ساذجا ، ثم تطور بتطور الانسان فى النظر والتفكير . ولما ولدت الفلسفة أصبح أساسا للبحث فيها ، ولكنه لم يكتسب كل قوته إلا على عهد الفلسفة اليونانية ، حيث تكاثرت المعقولات ، وتداخلت مناهج البحث فيها ، فكان ذلك داعيا لعلَم من أعلامها وهو أرسطو أن يضع أداة للتدليل وهو المنطق .

ولكن صفة الشك لم تبلغ أوج سلطانها إلا على يد (رُنيه ديكارت) الفيلسوف الفرنسى ، فقد جعله أساس مذهبه ، واعتبر بذلك مجددا فى أسلوب البحث عن الحقيقة فى القرن السابع عشر .

فى أثناء هذه التطورات العقلية تولدت فى النفس الانسانية نزعة جديدة أساسها زيادة التثبت ، بوضع المعقولات على قرار مكين من الأدلة المحسوسة ، وما دفع بالنفس الى هذا الموقف الخشن إلا ما ظهر للباحثين فى العلوم من أن كثيرا من المسلمات المنطقية تحكمات فرضها على المعقول الجهل بالكون ونواميسه ، وعمدوا الى وضع منطق دعوه بالعلمى ، جعلوا أساسه أن كل معقول لا يؤيده شاهد من الوجود المحسوس لا يجوز وضعه فى المدركات اليقينية . فان كان مما يقتضيه العمل العلمى فلا بأس من تسميته افتراضا علميا ليمثُل بجانب افتراضات أخرى ، حتى إذا حظى بشهادة محسوسة رفع الى درجة المسلمات العلمية . وضع هذه القاعدة (فرنسوا بيكون) الفيلسوف الانجليزى المتوفى سنة (١٧٢٦) وهو صاحب الدستور العلمى الذى يعتبر سدا منيعا فى وجه الأهواء والأوهام التى قد تتسرب الى العلوم اليقينية فتفسد كيانها وتلحقها بالأساطير .

ولقد غلا حفظة هذا الدستور كما غلا جميع حفظة النظم ، فجعلوا من الدرجة التى وصل اليها العلم فى القرن التاسع عشر نهايةً لا محل وراءها لجديد ، وحملهم الغلو فى تقديس ما وصلوا اليه الى اعتبار ظنيات أعلامهم أصولا يقينية . فلما ظهر مذهب لامارك فى تسلسل الأنواع الحية ، وتألق نجمه فى أوائل القرن التاسع عشر ، اعتبره علماء ذلك العهد الكلمة النهائية للعلم لكشف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

سر أكبر مسألة بيولوجية ، وصاروا يستجهلون كل من يجرؤ على التشكيك فيه . فلما ظهر مذهب داروين بعده بنحو ستين سنة ، افتتن به العلماء ودخلوا فيه وتركوا مذهب لامارك من أجله ، وغلوا فيه غلوا عظيما حتى عـدوا كل من لا يقول به غبيا . ولـكن لم تمض عليه ثلاثون سنة حتى تبين لـكثير من كبار العلماء وَهْنُ أصـوله الأولية ، فتسللوا منه وعاد كثير منهم الى مذهب لامارك ، ومنـذ عشرين سنة تركوا المذهبين وتمسكوا بمذهب (دوفريس) العالم الهولاندى ، وهو يشايع إيمان الالهيين ، فانه أثبت بالتجربة أن الأنواع تنشأ طفرة متولدة من أنواع قديمة ، حاصلةً على جميع مقوماتها بدون تطور تدريجى فى آماد طويلة ، ولا بسبب تأثير البيئة فيها . وفى الوقت نفسه أدركوا أن العلم الذى وصفوا أصوله باليقينيات قرنين متواليين لا تقوم كثير من أصوله إلا على افتراضات حتى فى العلوم الرياضية . ارجع الى ما كتبناه فى مقالات كثيرة فى هذا الموضوع ، وما ألممنا به فى مقالة (منطق الدين) فى العدد السابق .

هذه التطورات المتتابعة فى المقررات العلمية أثرت أعمق تأثير فى عقلية المشتغلين بالعلوم الـكونية ، وأورثتهم أدبا عاليا حيال الوجـود المحسوس ، وما عسى أن يكون فى ثناياه من القوى المجهولة . فبعد أن كانوا يتعصبون لأصوله المقررة عندهم تعصبا يأباه العلم نفسه حتى عارضوا أصحاب المـكتشفات الحـديثة معارضة عنيفة انتصارا لتلك المقـررات ، أصبحوا يرحبون بالمجددين فى العلم ، بل يرجون أن يكثر عديدهم ليستطيعوا سد الثلم التى أحـدثتها الانقلابات المتوالية فيـه ، حتى لم يأنفوا عنـد ما حدثت حادثة خارقة للعادة فى أمريكا (١) أن يحققوها ، وأن يعلنوا صحتها وصحة أمثالها ، وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا بوجود شىء فى الـكون غـير المادة وقوتها ، ويرمون من يقول غـير هذا بالبله أو بالوقوع تحت تأثير العقائد الموروثة .

إن موقف العلم والذين يعبون من منهله كان قبل الخمسين السنة الأخيرة موقف خصومة لـكل معقول لا يمت الى المادة بسبب . فـكانت مسألة الوحى من المسائل التى يدحضها العلم بكل شدة ، ويعدها من أبعد المحالات العلمية ، ثقة منه أن ليس وراء المادة عالم أرقى منها ، بل ليست الروح البشرية التى تعتبر آية الخلق ، إلا مظهرا من مظاهر المادة .

وقد تغير موقف جمهور كبير من أعلام العلماء اليوم حيال مسألة الروح الانسانية وعلاقتها بعالم عـلوى وراء الحس ، واستـمدادها منه قوة وسلطانا لا تحصل عليهما فى عالم المادة مهما توسعت فى علاقتها به . وكان الباعث لهؤلاء العلماء على تغيير آرائهم ، إكبابهم منذ نحو تسعين سنة على البحث فى النفس الانسانية من طريق التنويم المغناطيسى والذهول الذى يقع فيه بعض الناس فيصيرون به أداة لحدوث ظواهر خارقة للعادة ليس لهم فيها أقل تأثير .

(١) حادثة ظهور أمور روحانية محققة فى منزل بمدينة هيدسفيل .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فالتنويم المغناطيسي الذي كشفه الدكتور مسمر الألماني (١٧٣٣ — ١٨١٥)، واعترف بوجوده علميا بعد جهاد مائة سنة للحصول على هـذا الاعتراف، قد أثبت أن للانسان عقلا باطنيا أرقى من عقـله العادي كثيرا، وأنه وهو في تلك الحالة يرى ويسمع من بعـد شاسع ما يحدث وما يقال، ويقرأ من وراء حجب، ويخبر عما سيحدث، مما لا توجد في عالم الحس أقل علامـة لحدوثه. شاهد هـذه الأحوال ملايين من الناس حتى أصبحت أمرا لا يمكن المراء فيه.

ولـكن علماء كثيرين لم يقفوا عند هذا الحد، فلم يكتفوا بالدرجة الأولى أو الثانية لهذا التنويم بل تجاوزوها الى حدود بعيدة منه، فشاهدوا أن العقل الباطن يزداد سموا عما شوهد عليه في درجات النوم الأولى، ولا يستمر خاضعا لارادة المنوِّم. وبالتوغل في درجات التنويم توصل المجربون الى درجة تخرج فيها روح الوسيط من جسده، وتمثُل الى جانبه غير مرئية، بينما يكون الجسد في حالة موت حقيقي لولا علاقة خفية بينه وبين الروح. وقد توصل هؤلاء العلماء الى تحقيق أمور روحانية ـ والمنوَّم في تلك الحالة ـ أثبتت لهم أن الروح مستقلة عن الجسد كل الاستقلال، وأنها لا تنحل بانحلاله، وتتصل وهي متجردة عن المادة بالأرواح التي سبقتها الى ذلك العالم.

وقـد علم من هـذا أن الروح، عندما يعتري صاحبها نوم طبيعي أو صناعي، تتصل في عالمها الروحاني بأمثالها من الأرواح، ولما تستيقظ لا تذكر شيئا من ذلك لعـدم تدخل المخ الجثماني في هذا الاتصال.

أما حالة الذهول التي يقع فيها بعض الناس، فيصحبها حدوث ظواهر روحانية تعتبر من الخوارق التي لم يـكن ليحلم بحدوثها العلماء، استعصت على كل تعليل مستند الى عوامـل مادية، وقد استحضر لشهودها أكبر مشعوذي الأرض، فشهدوا بأنها ليست من الشعوذة في شيء، ولـكنها حوادث روحانية، لا أثر فيها للمهارة اليدوية.

إني بالمامي هنا بهذا الفتح العلمي لا أقصد الدعوة له بالذات، ولـكني أقصد منه أن جمهورا كبيرا من أكبر علماء الأرض أصبحوا يعتقدون بوجود عالم روحاني، وبوجود اتصال وثيق بينه وبين الروح الانسانية، وأن ذلك يظهر بوضوح في حالة النوم المغناطيسي وحالة الذهول الذي يقع فيه بعض النـاس بسبب مرض أو بسبب استعداد عصبي فيهم. ولو كانت هـذه التأكيدات من هؤلاء العلماء كلامية فلسفية، لما سمحت لنفسي بالاستناد اليها في بحث أخذت على نفسي أن أعتمد فيه على العلوم اليقينية. نعم إن هذا الفتح العلمي لم يعم جميع علماء الأرض ولم يصبح فرعا من العلم الرسمي، ولـكن الجم الغفير الذي بحثه منهم واعترفوا به في مدى تسعين سنة، وفي كل أمة متمدنة، ينفث في عضد المادية، ويطأمن من كبريائها، ويشكك المشايعين لها.

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

على أن من لم يقل به من العلماء لم يتسن له فحصه . وليس فيمن وفق لفحصه واحد أعلن احتقاره له أو استند الى علم فى دحضه . قال العلامة الطبيعى الكبير مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعى كدارون فى كتابه : (الآيات والمذهب الروحانى فى العصر الراهن) : « أنا على اتصال بتاريخ هذه البحوث وكل ما يكتب فيها ، وقد زججت بنفسى فيها منذ عشرين سنة فلم يتفق مرة واحدة أن رأيت رجلا بحثها بحثا جديا واقتنع بصحة الظواهر الروحية ، ثم عاد ففقد ثقته بها وأعلن أنها مبنية على الخداع والتدليس » .

ونحن لأجل إحاطة هذه البحوث بالاحترام الواجب لها فى نظر القارئين ، ننقل لهم فذلكة من تاريخ اشتغال العلماء بدراسة المساتير النفسية على أسلوب العلم الحديث فنقول :

تاريخ تأسيس جمعية المباحث النفسية فى انجلترة سنة ١٨٨٢ .

جاء فى كتاب الشخصية الانسانية « The Human Personality » للعلامة الاستاذ (هـ . و . ميرس) « H. W. Myers » مدرس البسيكولوجيا فى جامعة كامبردج ما يأتى :

« حوالى سنة ١٨٧٣ حيث كان المذهب المادى قد أوغل فى البلاد حتى وصل الينا ، وبلغ أوج سطوته على العقول ، اجتمع ثلة من الزملاء فى كمبردج وأجمعوا رأيا على أن هذه المسائل العويصة المتنازع فيها ، (يريد المباحث الروحية) ، تستحق التفاتا وجهدا جديا أكثر مما عولجت بهما الى ذلك الحين . وكنت أرى أنا أن محاولة جديدة بهذا الاسم لم تعمل الى ذلك الوقت للبت فى هل نحن أهل أو غير أهل للالمام بشىء يتعلق بالعالم غير المرئى ؟ وكنت مقتنعا بأنه لو أمكن معرفة شىء من ذلك العالم على أسلوب يمكن العلم أن يقبله ويحفظه ، فلا يكون ذلك بالتنقيب فى الأساطير القديمة ، ولا بوسيلة التأمل فيما بعد الطبيعة ، ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة ، وبتطبيقنا على الظواهر التى تحدث فينا أساليب المباحث المضبوطة نفسها ، فإنها منزهة عن الهوى ، ومتروى فيها ، أقصد بها تلك الأساليب التى نحن مدينون لها بمعارفنا عن العالم المرئى المحسوس .

« فالمباحث التى يجب علينا عملها لا يمكن أن تقتصر على تحليل ساذج للاسانيد التاريخية ، أو التى صدرت عن هذا الوحى أو ذاك مما حدث فى الزمان الماضى ، ولكن يجب أن تؤسس قبل كل شىء — ككل بحث علمى بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة — على تجارب يمكننا تكرارها اليوم ، مؤملين أن تزيد عليها غدا ، فلا يمكن أن تكون إلا مباحث مؤسسة على هذه القضية وهى : « إذا كان يوجد عالم روحانى ، وكان هذا العالم الروحانى موجودا فى أى عهد كان ، وكان قابلا لأن يظهر ويستكشف ، فيجب أن يكون كذلك فى أيامنا هذه » .

« فمن هذه الوجهة وبالجرى على هذه الاعتبارات العامة ، واجهت الجمعية التى أنا عضو منها هذه المسألة » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ثم أخذ الاستاذ ميرس يسرد التجارب التى عملها وعملها غيره مما لا سبيل الى نشره هنا ، ثم قال :

« ماهى الأدلة التى تحملنى على الاعتقاد بأن كل هـذا ليس بصحيح ؟ هذا سؤال يجب أن يضعه كل إنسان نصب عينه إذا توصل الى التحقق ، بغير طريق التأمل ، من الجهل المطلق الذى هو عليه بماهية الوجود الحقيقية .

« إنى أعترف فى كل حال بأن معارفى فيما هو مرجح أو غير مرجح فى الوجود لم تظهر لى كافية لرفض مشاهدات يظهرلى بحق أنها حقيقية ، وأنها مع ذلك ليست مناقضة لمشاهدات وأصول عامة أكثر منها تأسسا . ومهما كان مجال المشاهدات العلمية واسـعا فانه — حتى باعتراف ممثلى العلم الرسمى — ليس إلا نظرة عجلى فى العالم المجهول وغـير المتناهى للنواميس الطبيعية » انتهى .

هـذا هو تاريخ تكوُّن جمعية المباحث النفسية بلوندرة سنة ١٨٨٢ ، من أقطاب العـلم فى انجلترة ، ولا تزال باقية للآن ، وقد جمعت من التجارب النفسية ما وقع فى نحو أربعـة وخمسين مجلدا ، وهو ذخر علمى لم يوجد له مثيل قط فى أى عهد من عهود العقلية الانسانية . فاذا أراد قراؤنا أن يدركوا مقام هذه الجمعية فى نظر رجال العلم ، فليقرءوا ما كتبه عنها الاستاذ الـكبير وليم جمس فى كتابه إرادة الاعتقاد « La Volonté de Croire » ، وهو مدرس علم النفس بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة ، قال فى الصفحة ٣١٣ :

« إن جمعية المباحث النفسية التى يمتد عملها فى انجلترة وأمريكا ، قد سمحت بأن يتلاقى العالمان العلمى والروحانى فى مجال واحد . وإنى أعتبر أن هـذه الجمعيـة مهما كانت وظيفتها محدودة سيكون لها نصيب كبير فى ترتيب المعارف الانسانية . فلهذا أستحسن أن أفضى الى القارئ بنتائج أعمالها بايجاز فأقول :

« إذا صدقنا الجرائد وأوهام الصالونات ، خيل الينا أن الضعف العقلى وسرعة التصديق هما الرباط المعنوى الجامع بين أعضاء هـذه الجمعية ، وأن حب العجائب هو الأصل المحرك لها . والواقع أنه يكفى أن نلقى نظرة واحدة على أعضائها لدحض هذه التهمة . فان رئيس هذه الجمعية هو الأستاذ سد جويك « Sidgwick » المعروف بأنه أشد الناس شكيمة فى النقد ، وأعصاهم قيادا فى الشك بجميع البـلاد الانجليزية . ووكيـلاها المستر ارثر بلفور والأستاذ ج . ب . لنجلى ، سكرتير المجمع العلمى . ويمـكن التنويه من أعضائها العاملين بالأستاذ ريشيه الفيزيولوجى الفرنسى الخطير . وتشمل قائمة أعضائها رجالا آخرين كفاياتهم العلمية أشهر من نار على علم . فاذا طلب الىَّ أن أعين جريدة علمية تكون مصادر أغلاطها منتقاة بأدق أساليب التمحيص ، فانى أنوه بمحاضر جمعيـة المباحث النفسية . فان الفصول الفيزيولوجية التى تنشرها الجـرائد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الخاصة بهذا العلم ، لا تبلغ فى دقة النقد مبلغ دقة هذه المحاضر المذكورة ، حتى أن صرامة الأساليب الكشافة التى طبقت منذ عدة سنين على شهادات بعض الوسطاء ، كانت بحيث توجد اختلاف الآراء فى باطن الجمعية نفسها » انتهى .

وقبل أن تتألف هذه الجمعية حمل الرأى العام المجمع العلمى الانجليزى على تأليف لجنة لفحص الظواهر النفسية وتمحيصها ، فندبت ثلاثا وثلاثين علما من أعلامها للقيام بهذه المهمة العلمية . فبذلوا فى تحقيق هذا الموضوع ثمانية عشر شهراً ، ثم حرروا تقريراً إجماعيا وقع فى ٥١٤ صفحة ، وطبع فى أكثر اللغات الحية . جاء فى آخره ما نصه :

« عقدت هذه اللجنة اجتماعاتها فى البيوت الخاصة بالأعضاء لأجل نفى كل احتمال فى إعداد آلات لاحداث هذه الظواهر أو أية وسيلة من أى نوع كانت .

« وقد تحاشت اللجنة أن تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهنة ، أو الذين يأخذون أجرا على عملهم هذا ، لأن واسطتنا كان أحد أعضاء اللجنة ، وهو شخص جليل الاعتبار فى الهيئة الاجتماعية ، وحاصل على صفة النزاهة المطلقة ، وليس له من غرض مالى يرمى اليه ، ولا أية مصلحة فى غش اللجنة .

« كل تجربة من التجارب التى عملناها بما أمكن لمجموع عقولنا أن تتخيله من التحوطات ، عملت بصبر وأناة . وقد دبرت هذه التجارب فى أحوال كثيرة الاختلاف ، واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لأجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا ، وإبعاد كل احتمال لتزوير أوتوهم .

« وقد اكتفت اللجنة فى تقريرها بذكر المشاهدات التى كانت مدركة بالحواس وحقيقتها مستندة الى الدليل القاطع .

« وقد بدأ نحو أربعة أخماس أعضاء اللجنة تجاربهم وهم فى أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر ، وكانوا مقتنعين أشد اقتناع بأنها كانت إما نتيجة التدليس أو التوهم ، أو أنها تحدث بحركة غير اعتيادية للعضلات ، ولم يتنازل هؤلاء الأعضاء المنكرون للغاية عن افتراضاتهم هذه إلا بعد ظهور المشاهدات بوضوح لا تمكن مقاومته فى شروط تنفى كل فرض من الفروض السابقة ، وبعد تجارب وامتحانات مدققة مكررة ، اقتنعوا مضطرين بأن هذه المشاهدات التى حدثت فى خلال هذا البحث الطويل هى مشاهدات حقة لا غبار عليها الخ » .

هـذا ما ورد فى ذيل ذلك التقرير الضخم ولسنا فى حاجة لأن نقول إن هذا أكبر حدث سجل فى تاريخ العلم . ومن العبث المحض أن يتوهم متوهم أن الحقيقة تضيع أو أن التدليس يروج بين يدى ثلاثة وثلاثين رجلا من أعلام العلم المتمرسين على النظر والتمحيص وتمييز الغث من السمين فى كل ضروب البحوث البشرية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولقد كان لهذا التقرير أثر عالمى عام ، فهب ألوف من العلماء والفهماء فى جميع ممالك الأرض لبحث هذه الخوارق ، وألفوا لها مئات من الجمعيات ، ونشروا مثلها من المجلات ، ووضعوا فيها ألوفا من الكتب ، ولا تزال هذه المؤسسات قائمة الى اليوم ، والاهتمام بها يزداد على نسبة كثرة ما يعمل فيها من التجارب والبحوث ، وقد أقيمت لها خمس مؤتمرات عالمية فى لوندرة وباريس وغيرهما ، أصدرت تقارير ضافية ترجمت الى اللغات الحية .

هذا ولو أردنا أن ننقل شهادات أعضاء المجامع العلمية ، ورؤساء الجامعات ومدرسيها ، والفلاسفة والصحفيين والمحامين ، وجميع من لخصوها من كبار العقول ، لاقتضى ذلك منا مجلدا ضخما ، ولكننا نكتفى بما تقدم فان فيه بلاغا للمنكرين .

غرضنا من الالمام بهذه المسألة :

لسنا نقصد بما نشرناه فى هذا الموضوع أن ندعو اليه ، ولكننا نقصد منه أن نثبت للذين غرتهم الفلسفة المادية فوقفوا عند حدودها فيما يقررون ، والذين يظنون أنه ليس فى الوجود شىء فوق ما يعرفون ، أنهم مخدوعون ، فاذا لم نظفر إلا بتشكيكهم ، وتشكيك من يتأثرون بكتاباتهم فيما هم جامدون عليه ، فهذا كسب لنا عظيم .

على أننا نرجو أن يحملهم هذا الشك على ترك خيلائهم بالقليل من المعرفة التى حصلوها ، وعلى التأسى بأقطاب العلم المعاصرين فى التواضع وفى الامتناع عن نفى مالم يحيطوا بعلمه . وإن لهم فى مثل العلامة الكبير السير وليم كروكس أسوة حسنة ، فان هذا الرجل الفذ حصل على كل ما يمكن الحصول عليه من ألقاب الشرف العلمية ، وتولى رئاسة المجمع العلمى البريطانى ، وقد قال فى خطبة له فيه ، كما ورد فى مجموعة خطبه صفحة ٨ :

« من بين جميع الصفات التى عاونتنى فى مباحثى النفسية ، وذللت لى طرق اكتشافاتى الطبيعية ، وكانت تلك الاكتشافات أحيانا غير منتظرة ، اعتقادى الراسخ الصحيح بجهلى . وأكثر الذين يدرسون الطبيعة يستحيل أمرهم عاجلا أو آجلا الى إهمالهم الكلى لجانب عظيم من رأس مالهم العلمى المزعوم .

الى أن قال : « ولست بآسف من الحدود التى تضعها أمامنا الجهالة الانسانية ، بل إنى اعتبرها منشطا منقذا . إنى أعتقد بأنى لست أنا وليس أحد سواى أهلا لأن نحكم بأن شيئا بعينه ليس بموجود فى الكون (تأمل) » .

كذلك لهم أسوة بمثل الأستاذ الكبير (شارل ريشيه) عضو المجمع العلمى ومدرس الفيزيولوجيا فى جامعة الطب الفرنسية ، فقد قال فى مقدمة كتبها لكتاب (الظواهر النفسية) تأليف الدكتور (ماكسويل) النائب العام فى بوردو من فرنسا : قال :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« يجب على الانسان مع احترامه العظيم للعلم العصرى أن يعتقد بقوة أن هذا العلم العصرى مهما بلغ من الصحة فهو لا يزال ناقصا نقصا هائلا .

ثم قال : « لماذا لا نصرح بصوت جهورى بأن هذا العلم الذى نفخر به الى هذا الحد ، ليس فى حقيقته إلا إدراكا لظواهر الأشياء ، وأما حقائقها فتفلت منا ولا تقع تحت حواسنا ، وأن الطبيعة الحقيقية للنواميس التى تقود المادة الحية أو الجامدة تتعالى عن أن تلم بها عقولنا ؟

الى أن قال : « فالأولى بالعالم الصحيح أن يكون متواضعا وجريئا فى آن واحد ، متواضعا لأن علومنا ضئيلة ، وجريئا لأن مجال العوالم المجهولة مفتوح أمامه » .

نتيجة ما تقدم :

يرى قراؤنا مما قدمناه أن العلماء المنصرفين لدراسة الكون والكونيات ، قد ظهر لهم عقب حدوث اكتشافات خطيرة لم تكن تخطر لهم ببال ، أن حدود العلم لا تزال بعيدة عنهم ، وأن كل ما حصلوه منه لا يعدو العلاقات الموجودة بين بعض ما يقع تحت حسهم من الموجودات . أما كنه تلك الموجودات وحقيقة النواميس التى تدبرها ، فلا يزال أمرها مجهولا . وقد تجلى لهم أن من الحماقة وضع حد للممكنات ، والتكذيب بما لم يحيطوا بعلمه من المجهولات .

ثم يرى قراؤنا أيضا أن طائفة من أماثل هؤلاء العلماء ، قد وفقوا منذ تسعين سنة ، عقب ظهور حوادث محققة تدل على وجود عالم وراء العالم المحسوس ، الى التنقيب عن حقيقة ذلك العالم ، جارين على أسلوبهم العلمى من المشاهدة والتجربة ، فوقفوا على أمور لم يكن يدور فى خلد أحد أن أقطاب العلم المادى يعودون فيثبتون وجودها وقد سبق لهم نفيها ، والتشنيع على القائلين بها من الشئون الروحانية .

ولسنا نريد أن نثبت إمكان الوحى بالاستناد الى اكتشافات هؤلاء العلماء فى عالم ما وراء الطبيعة ، فقد أثبتنا وجوده بالحس من الغرائز التى طبعت عليها الحيوانات ، ومن حوادث العبقريات ، ولكننا نستأنس بها فى بحثنا هذا ، إدلالا على أن الانسانية قد اجتازت دور الافتتان بالماديات ، وبدأت تدخل الى عهد من الحياة تتفق فيها فتوحات الروح من طريق النبوة ، وفتوحات العقل من طريق العلم ، فتستقيم على الجادة التى توصلها الى كمالها المرجو لها ، خالصة من الشبهات الرائنة على الصدور ، والشكوك المحيرة للعقول ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة الاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلنا بك أيها القارئ الكريم من سورة الإخلاص الى قوله : « ولم يكن له كفوا أحد » . ونقول اليوم فى الكلام على هذه الآية الشريفة : إنه تعالى لما بين أنه المصمود اليه فى قضاء الحوائج ، ونفى الوسايط من البين بقوله : « لم يلد ولم يولد » على ما بيناه ، ختم السورة بأنه ليس هناك شيء من الموجودات مساو له فى شيء من صفات الجلال والعظمة .

وبيان ذلك : أن وجوده تعالى من مقتضيات حقيقته ، فانه واجب لذاته لا بشيء خارج عنه ، لأن حقيقته غير قابلة للعدم ، وأما صفاته فلا مناسبة بينها وبين صفات المخلوقين ولا اشتراك بينهما إلا فى الأسماء . وانظر الى علمه مثلا تجده لا يتصور فيه مساواة أصلا ، لأنه ليس بضرورى ولا استدلالى ، فليس مستفادا من الحس ولا من الروية بترتيب المقدمات والنظر فى شرائط الانتاج ، ولا من مخبر أو معلم ، ويستحيل عليه أن يكون فى معرض الغلط أو الزوال ، الى آخر ما يرشدك اليه العقل السليم والفهم المستقيم ، بخلاف علوم المحدثات فانها ليست كذلك فى كل ذلك ، وهو بعد ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء . وأما القدرة التى أبدعت السموات والأرضين فأمرها أوضح من الشمس وأجلى من الحس ، وكذا بقية صفاته جل وعز ، من الرحمة ، والجود ، والعدل ، والفضل ، والاحسان ، والحكمة التى أتقن بها جميع العوالم العلوية والسفلية ، وقد بهرت الناظرين فيها والمتتبعين لخوافيها : « ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلبْ اليك البصر خاسئا وهو حسير » الى آخر صفاته التى لا تحد ، ولا يأتى عليها العد ، فسبحان من لا تتناهى كمالاته العليا ، وأسماؤه الحسنى .

هـذا وأما تقديم الخبر وما يتعلق به من الجار والمجرور ، فلكون هذا الكلام سيق لنفى المكافأة عن ذات الله ، فتقديم ما يفيد ذلك المقصود المسوق له الكلام أولى . والكفء : المثيل والنظير . قال عطاء فى تفسير الآية : لم يكن له مثيل ولا عديل . وقال مجاهد : لم يكن له

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

صاحبة . وكأنه تعالى يقول : لم يكن أحد كفؤا له فيصاهره ، ردا على من حكى الله عنهم أنهم قالوا : ولد الله ، وأن الملائكة بنات الله ، وأن المسيح ابن الله . فكأنها دليل لقوله : « لم يلد » ولكننا لا نخصصها بهذا وإن كان ما قاله مجاهد داخلا فى ذلك دخولا أوليا .

والخلاصة : أن هذه السورة الشريفة يستفاد منها تلك المطالب العالية المبينة لكمال الله وعظمة شأنه ؛ فقوله : « قل هو الله أحد » يدل على أنه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ؛ وقوله : « الله الصمد » يدل على أنه كريم رحيم ، لأنه لا يصمد اليه فى جميع الحوائج إلا إذا كان محسنا غاية الاحسان ، جوادا لاحد لجوده ؛ وقوله : « لم يلد ولم يولد » يدل على أنه الغنى على الإطلاق ، وأنه منزه عن التغيرات ، ويلزم ذلك أنه لا يبخل بشيء أصلا ، ولا يمكن أن يكون جوده لأجل جر نفع أو دفع ضر ، بل بمحض الإحسان وإلا لم يكن الغنى المطلق ؛ وقوله : « ولم يكن له كفوا أحد » إشارة إلى نفى ما لا يجوز عليه من الصفات ، وما يستحيل فى حقه من المشاركات .

وإجمال القول : أنه نفى عن ذاته أنواع الكثرة بقوله « أحد » ، ونفى النقص والبخل والعجز بلفظ « الصمد » ، ونفى العلية والمعلولية بقوله : « لم يلد ولم يولد » ، ونفى الأضداد والأنداد بقوله : « ولم يكن له كفوا أحد » .

ثم نقول بعد ذلك : إنها أبطلت مذهب الثنوية القائلين بالنور والظلمة ، كما أبطلت مذهب الصابئين فى الأفلاك والكواكب التى يعبدونها ويعتقدون أنها المؤثرة فى هذا العالم . وليس يخفى عليك أن كونه صمدا يبطل مذهب من أثبت خالقا سوى الله ، لأنه لو وجد خالق آخر لما كان مصمودا اليه فى جميع الحاجات ، على ما تقدم فى تفسير الصمد . وقوله : « لم يلد ولم يولد » يبطل مذهب بعض اليهود فى عزير ، والنصارى فى المسيح ، والمشركين فى أن الملائكة بنات الله . وقوله تعالى : « ولم يكن له كفوا أحد » يبطل مذهب الذين جعلوا مع الله آلهة أخرى . فسبحان من أودع فى كلامه ما يدهش الأنظار ، ويملأ الأفكار من عظمة الواحد القهار .

واعلم أن للقرآن عناية كبرى ببيان عظمة الله وتوحيده ، وإن كان معنيا بالترغيب والترهيب وغيرهما من المقامات التى أفاض فيها القرآن ، إلا أنه يمزج ذلك كله ببيان العظمة والجلال ، وكأن ذلك هو العنصر السارى فى كل شيء ، والأس الذى يبنى عليه كل شيء ، فإن من امتلأ قلبه بعظمة الله لم يفرط فى شيء من أوامر الله . ولنعلم أن القرآن يرى أن كل شيء آية يجب التفكر فيها ، وحقا هى آية ، فإن كل شيء يوصل الى الله تعالى . « ومن البدهى أن كل صنعة تدل على صانعها وما هو عليه من علم وحكمة » ولا شك أن كل ما فى الوجود أثر من آثاره ، وفائض من أشعة أنواره ، فالوجود كله مرآة يتجلى فيها جمال مبدعه الذى يبهر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العقول ويملأ النفوس . فإن شئت فاقرأ فى كتاب الكائنات التى خلقها الله بديع صفاته وعظيم آياته ، فليست تخلو صحيفة من صحائفه ولا ذرة من ذراته إلا وفيها آية من آياته ، ودليل ساطع على وحدانية ذاته :

ورق الغصون لدى الرياض صحائف مشحونة بأدلة التوحيد

بل كل شيء فى الوجود فيه تلك الأدلة على مبدعه الحكيم وصانعه القديم .

ومن عجيب أمر القرآن فوق ذلك ، أنه كثيرا ماينبه على أمور مستقبلة تحقق وقوعها بعد ، مثل قوله تعالى : « ويخلق ما لا تعلمون » ، وقد خلق ما نشاهده من المخترعات التى هى آيات بينات على ما أودعه رب الأرض والسموات من الأسرار فى جميع الكائنات .

ولنذكر لك بعض تلك الإشارات التى بينتها العلوم الحديثة والاكتشافات الجديدة فكانت آية من آيات القرآن ، ومعجزة لسيد ولد عدنان ، فمنها ما اكتشفوه من أن فى كل نبات ذكراً وأنثى ، فلنحمل عليه قوله تعالى : « ومن كل شيء خلقنا زوجين » ولنجعله فى تفسيره ؛ ومن ذلك ما اكتشفوه من أن الرياح تلقح الأشجار ، فلنجعله فى تفسير قوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » ؛ ومن ذلك ما ذكرناه فى كتابنا « رسائل السلام » من أن المفسرين ذكروا فى قوله : « وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » ما ينبو عنه الذوق السليم والفهم المستقيم من أن المراد بالفلك المشحون هو سفينة نوح عليه السلام ، وأن المراد بذريتهم آباؤهم الذين كانوا فى السفينة ، وأن المراد بمثله فى قوله « وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » هو الإبل ، وقلنا : إنه سبحانه وتعالى أشار بتلك الآيات وما يماثلها الى ما سيوجد من تلك المحدثات والمخترعات ، فنبه سبحانه وتعالى الى أنه سيخلق فى المستقبل ما لم يخطر لنا على بال ، علما منه تعالى بما سيوجد من بواخر تمخر عباب الماء ، ومناطيد تخترق الهواء ، وتذهب سابحة فى جو السماء ، وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى تلك البواخر بأشكالها الأنيقة كما فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى حين قام يضحك من النوم فقيل له : ما يضحكك يا رسول الله ؟ فقال ما معناه : « عرضت عليّ طائفة من أمتى يركبون ثبج البحر على الأسرة كأنهم ملوك » .

ولماذا لا نفهم من قوله : « وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » أن ذلك المثل إنما هو تلك المناطيد التى تسبح فى الهواء كما يسبح الفلك المشحون فى الماء ، ويكون الضمير فى قوله « لهم » عائدا على الذرية باقية على معناها الظاهر منها ، غير معدول بها الى ما يذكره المفسرون من تلك التأويلات البعيدة . أو ليس هذا أولى من جعل مثل الفلك المشحون هو تلك الإبل التى من عادة القرآن أن يعبر عنها بلفظها ؟ وسيأتى التنبيه عليها فى السورة نفسها فى قوله : «أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فهم لها مالكون ، وذللناها لهم فنها رَكوبهم ومنها يأكلون » . أليس شبه مراكب الهواء بمراكب الماء طيرانا فى ذلك الغاز السهل ، وجولانا فى ذلك السيال النهل ، أتم من شبه الابل بالسفن ، مع أنه لا داعى الى العدول عن ذكرها بأسمائها ، ولا لصرف الذرية عن معناها الظاهر منها ، ويكون ذلك آية من آيات القرآن المستقبلة ؟ اللهم إن ذلك سديد ، وليس ببعيد .

وعندى أن العقل يوجب أن يكون فى القرآن متشابهات تحت طى أستارها رموز وكنوز ، ولا تزال يتجلى منها الشىء بعد الشىء على ممر الأعصار وكر الليل والنهار ، ولا يتم اتضاحها إلا بالدخول فى عالم الآخرة ومشاهدة ما سيكون فيه .

ولا يسهل علينا أن نلقى القلم قبل أن نلفت نظر القارئ الى أن النبى صلى الله عليه وسلم أشار الى كثير مما سيحدث بعده ، وهى من معجزاته الباقية التى تتجدد شيئا فشيئا الى يوم القيامة . وقد جاء عنه فى هذا الباب شىء كثير أفرده العلماء بالتآليف ، ومن ذلك ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من أن الساعة لا تقوم حتى يكلم الرجل سوطه . ولماذا لا نطبق هذا على المذياع « الراديو » الذى أصبح يكلم الناس فى كل مكان حتى فى السيارات والطرق ؟

ولنقف هنا اليوم منتظرين الفرص التى تمكننا من اقتحام تلك الموضوعات التى تبين عظمة القرآن ، وفضل سيد الأكوان ، صلى الله عليه وسلم ؟

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مجذوبونا ومجذوبوهم

لنا مجاذيب يرمون الناس بالحجارة ، فاذا رموا بها صاحوا وأعولوا وأغروا الصغار بالتمادى فى معاكستهم . وكان لآبائنا مجاذيب ولكن يظهر أنهم كانوا من نوع يناسب آدابهم . فمن مجاذيبهم عليان وبهلول وغيرهما . قال الحسن بن سهل بن منصور : رأيت الصبيان يرمون عليان بالحجارة فأدماه حجر منهم فقال :

حسبى الله توكلت عليه … مَن نواصى الخلق طراً فى يديه
ليس للهارب فى مهربه … أبدا من راحة إلا اليه
رب رام لى بأحجار الأذى … لم أجد بدا من العطف عليه

فقال له رجل : تعطف عليهم وهم يرمونك بالحجارة ؟ فقال له : اسكت لعل الله يطلع على غمى ووجعى وشدتى فيفرّح هؤلاء ، ويهب بعضا لبعض .

اللهم إن هذه غاية فى نكران الذات .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

السلم

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، وهم يسلفون فى الثمار السنة والسنتين ، فقال : « من أسلف فى شيء فليسلف فى كيل معلوم ، ووزن معلوم ، الى أجل معلوم » رواه الخمسة .

يتعلق بشرح هذا الحديث مباحث : (١) بيان معنى السلم ، وهل هو مرادف للسلف ؟ (٢) بيان شروط السلم (٣) حكمة إباحة هذا النوع من المعاملة مع أنه قد يضر المحتاجين أكثر مما يضرهم الربا (٤) هل السلم موافق للقياس أو هو على خلاف القياس ؟

(١) السلف والسلم بمعنى واحد فى اللغة ، فقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن السلم بالسلف فى الحديث الذى معنا ، فقال : « من أسلف فى شيء فليسلف فى كيل معلوم الخ » . على أن السلف قد يطلق على القرض بدون منفعة . فاذا أسلف شخص آخر عشرين جنيها مثلا الى أجل بدون أن يأخذ منه سلعة ينتفع بها ، فانه يقال لذلك : سلف ، ولا يقال له سلم . وظاهر أن المراد بالسلف فى الحديث إنما هو السلم ، لأنه قال : من أراد أن يسلف فى شيء فليسلف فى كيل معلوم . وهذا بيان لشروط البدل الآتى بيانها . وقد عرفت أن القرض لا بدل له وإنما يرد المقترض رأس المال بدون زيادة .

أما معنى السلم فى اصطلاح الفقهاء : فهو عقد على شيء اجتمعت فيه ثلاثة أمور : (أحدها) أن يكون ذلك الشيء من الأشياء التى يصح بيعها ، فلا يجوز السلم فى الخمر والخنزير ونحوها . (ثانيها) أن يكون ذلك الشيء وهو المبيع موصوفا بما يرفع عنه الجهالة التى تؤدى الى النزاع . (ثالثها) أن يكون ذلك المبيع مؤجلا . فهاهنا أربعة أمور : أحدها : المشترى الذى يملك النقدين من ذهب أو فضة ونحوها ، ويسمى هذا (مسلما) أو مسلفا أو رب السلم . ثانيها : بائع السلعة المؤجلة ، ويقال له مسلم اليه . ثالثها : السلعة المبيعة كالسمن والزبد والقمح ، ويقال له مسلَم فيه . رابعها : الثمن الذى يدفعه المسلِم ، ويقال له رأس مال السلم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وبهذا يتضح لك أن السلم هو عقد بيع لا بد فيه من بائع ، ومشتر ، وسلعة تباع ، وثمن لهذه السلعة ، إلا أنه يفارق البيع فى أن السلعة فى البيع تكون حاضرة بخلاف السلم ، فان السلعة فيه تكون مؤجلة بحيث لو لم تكن السلعة مؤجلة فانه لا يسمى سلما بل يكون بيعا إذا استكمل شرائط البيع . وقد خالف فى ذلك الشافعية وقالوا : لا يشترط فى المسلم فيه (المبيع) أن يكون مؤجلا بل يصح أن يكون حالا . فالمدار عندهم فى تحقق السلم هو أن يبيع شخص لآخر سلعة موصوفة وصفا يرفع عنها الجهالة بلفظ سلم ، كان يقول له : أسلمت اليك عشرين جنيها مصريا فى عشرين أردبا من الذرة الصفراء أو الشامى أو نحو ذلك على أن أقبضها فى زمن كذا . فاذا كان المبيع حاضرا وقال له : أسلمت اليك عشرين جنيها مصريا فى عشرين أردبا من الذرة الحاضرة ، فانه ينعقد سلما عندهم . ولا بد من أن تشتمل الصيغة على لفظ السلم عند الشافعية على المعتمد ، بخلاف غيرهم من الأئمة فانهم يشترطون تأجيل المسلم فيه (المبيع) ، ولا يشترطون أن تكون الصيغة بلفظ السلم ، بل تصح بلفظ البيع والشراء وغير ذلك من الألفاظ التى ينعقد بها البيع . أما الذين اشترطوا تأجيل السلعة فقد اختلفوا فى أقل الأجل ، فقال المالكية : أقل الأجل أن يزيد على خمسة عشر يوما ولو بلحظات . وقال الحنابلة والحنفية : إن أقل الأجل فى السلم هو شهر كامل .

هذا والسلم معروف عند العامة (بالتسليف) على القطن أو القمح أو المسلى أو غير ذلك من السلع ، بمعنى أن صاحب السلعة يبيعها بثمن معين ويأخذ ثمنها على أن يسلمها فى وقت معين . وهذا غير السلف المعروف فى المصارف المالية ، فانه من باب رهن العين ، وهو جائز إذا لم يكن فيه فوائد ربوية . فالفرق بين السلم والسلف المعروف فى المصارف أن السلم لا يلزم أن تكون العين موجودة عند بيعها ، ويلزم أن يقبض البائع ثمنها حالا . أما السلف المعروف فى المصارف فان العين تكون موجودة وتودع فى مخزن البنك ويسلف عليها مايتفقان عليه ، وهذا هو الرهن .

(٢) أما شروط السلم فهى شروط البيع مع زيادة يسيرة اقتضاها تأجيل المبيع ، وهى ضبط المبيع ضبطا تاما يرفع النزاع عند تسليم السلعة . فمن الشروط المشتركة بين البيع والسلم أن يكون العقد واقعا بين عاقلين ، فإذا وقع من مجنون أو صغير غير مميز فإنه لا ينعقد رأسا . أما الصبى المميز الذى يعرف معنى البيع والشراء وما يترتب عليهما من فوائد ومضار ، فان بيعه أو سلمه ينعقد موقوفا على إجازة الولى أو الوصى ، فإذا أقره فإنه ينفذ وإلا فلا . ولم يخالف فى ذلك إلا الشافعية ، فانهم قالوا : إن البيع لا ينعقد إلا إذا وقع من بالغ ، أما الصبى فإن بيعه لا ينعقد ولو كان مميزا ، ومثله الأعمى ولو كان بالغا عاقلا ، لأنه يكون عرضة للغبن لسبب عدم رؤية السلعة. وظاهر أن السلم مثل البيع فى ذلك بلا فرق .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومنها : أن يكون العاقد مختارا ، فلا ينعقد بيع المكره ولا شراؤه .

ومنها : أن يكون المبيع أو المسلم فيه طاهرا ، فلا يصح أن يكون النجس بحسب ذاته كالخنزير أو الذى عرضت له نجاسة يتعذر إزالتها ، مبيعا ولا ثمنا . ولايخفى أن هذا من محاسن الشريعة ، لأن قواعدها دائما تشتمل على ما فيه مصلحة النوع الانسانى ، فإن قواعدها تشتمل على تحريم ما يضر الانسان فى بدنه أو فى كرامته وخلقه ، ولم تحظر على الناس إلا الخبائث الضارة القذرة ، فأباحت لهم الطيبات وحرمت عليهم الخبائث . وعلى هذا يكون تحريم بيع النجس وشرائه إنما هو لفائدة المجتمع . على أن بعض المجتهدين الذين أدركوا أغراض الشريعة الاسلامية وعرفوا ما تقصده من فائدة الناس ، أباحوا بيع الأشياء النجسة التى يمكن الانتفاع بها فى غير الأكل ، وفى غير الأماكن التى ينبغى أن تكون دائما نظيفة ، بشرط أن لا يترتب على استعمالها ضرر أو أذى . ومنها الدهن المتنجس ، والعذرة المخلوطة بالتراب (السباخ) و (الزبل) النجس الذى ينتفع به ، فإن كل ذلك يصح بيعه وشراؤه عند الحنفية . إنما الذى لا يصح بيعه بالإجماع ، هو : الميتة ، والخنزير ، والخمر ، والدم . على أن الأئمة قالوا : إذا كانت هذه الأشياء مملوكة لشخص غير مسلم ويبيحها له دينه فإن له أن يبيعها لأهل ذلك الدين خاصة ، بحيث لو باعها لمسلم فإن بيعه يكون باطلا .

ومنها : أن يكون المبيع (أو المسلم فيه) مقدورا على تسليمه ، فلو باع شخص لآخر سلعة لا يقدر على تسليمها فإن بيعه لا ينعقد ، وعليه أن يرد ثمنها إذا كان قد قبضه . ولا يشترط فى السلم أن يكون المبيع مملوكا عند قبض الثمن ، بل يجوز أن يبيع عينا سيملكها فيما بعد ، بشرط أن يكون قادرا على أن يملكها فى الوقت المحدد لدفعها ، كالقطن والذرة ، والقمح ، والسمن ، والعسل ونحو ذلك من الأشياء التى توجد فى أزمنة معينة من السنة . ولهذا قيل : إن السلم على خلاف القياس كما سنبينه بعد . وذلك لأنه يشترط فى المبيع أن يكون مملوكا للبائع وقت البيع ، فإذا لم يكن مملوكا فإن البيع لا يصح ، والسلم ليس كذلك ، فإن المبيع فيه مؤجل غير مملوك للبائع وقت العقد . فمقتضى هذا الشرط أنه لا يصح ، ولكن الشارع قال إنه صحيح .

ومنها : أن يكون المبيع معلوما والثمن معلوما علما يرفع النزاع بين المتعاقدين ، فاذا باع شخص لآخر حيوانا أو غلة أو فاكهة أو غير ذلك بدون أن يبينها بيانا وافيا ، أو يراها المشترى بنفسه أو بمن يثق به ، فان البيع يقع باطلا ، لأنه اشترى شيئا مجهولا قد يفضى الى النزاع والخصام . ومن ذلك ما إذا قال شخص لآخر : اشتر ناقتى بالثمن الذى يحكم به فلان ، أو اشتر شاة من قطيع الغنم التى أملكها .

ومنها : أن لا يكون العقد مؤقتا كأن يقول له : بعتك هذا البعير بكذا لمدة سنة ، فان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا البيع يكون باطلا . ومنها غير ذلك من الشروط التى ذكرناها موضحة فى الجزء الثانى من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة .

وحاصل ما ذكر فى باب السلم من الشروط التى لم تذكر قبـل : هى بيان جنس المسلم فيه (المبيع) ، وبيان رأس المال ، وبيان نوع المبيع ، وبيان صفته وقدره ، بالكيل فى الأشياء التى تباع كيلا ، والوزن فيما يباع بالوزن ، والعد فيما يباع بالعد . مثال ذلك أن يقول شخص لآخر : أسلمت إليك جنيهين مصريين فى أردب من القمح البعلى أو المسقى الجيد أو المتوسط على أن أستلمه فى وقت كذا . فهذا هو عقد السلم فى أردب من القمح ، لأنه قد اشتمل على بيان جنس المبيع وهو القمح ، وقدره وهو أردب ، ونوعه وهو كونه بعليا أو مسقيا ، ووصفه وهو كونه رديئا أوجيدا أومتوسطا ، وبيان رأس المال وهو الجنيهان الخ . على أن الشافعية لا يشترطون ذكر الوصف بل يقولون : المدار فى ذلك على ضبط المبيـع بأى عبارة كانت . وعلى هذا القياس فيما يباع بالعد أو الوزن كالبطيخ والعجوة ونحوهما .

ويشترط أن يكون رأس المال وهو الثمن حالا ، فلا يجوز تأجيله باتفاق المذاهب ، وإن اختلفت آراؤهم فى بعض أمور لايترتب عليها كبير فائدة فى موضوع القبض . فالحنفية يقولون : يشترط أن يكون رأس مال السلم وهو الثمن مقبوضا فى مجلس التعاقد ، سواء كان ذهبا أو فضة ، أو كان سلعة معينة أو غير ذلك من العملة . والمالكية يقولون : إذا تأخر قبض الثمن عن المجلس ، فإن كان ذلك بشرط ، بطل العقـد ، وإن لم يكن بشرط فبعضهم يقـول بجوازه وبعضهم يقول ببطلانه . وعلى كل حال فلا يصح السلم إلا إذا قبض البائع الثمن فى مجلس العقد عند جمهور الأئمة .

ويشترط أيضا أن يكون الصنف المبيع فى السلم موجودا فى الأسواق ، بمعنى أن يكون كثير التداول كالحبوب والفواكه والزبد والسمن والقماش المعتاد ونحو ذلك ، فان لم يكن كثير الوجود كالجواهر النفيسة التى لا وجود لها فى الأسواق فإنه لا يصح شراؤها سلما ، لأن المشترى قد يدفع ثمنها والبائع قد لا يستطيع الحصول عليها ، فيقع بينهما النزاع والشريعة الاسلامية دائما تحث الناس على المودة والإخاء ، والتمسك بـكل ما يزيد الروابط ، ويقوى وسائل التعاون والتناصر .

هذا ويصح السلم فى كل شىء يباع بالـكيل أو الوزن أو العد ، أو يباع بالذراع كالقماش والبسط والحصر . أما الحيوان فانه يصح السلم فيه عند الأئمـة الثلاثة ما عـدا الحنفية فانهم يقولون : لا يصح السلم فى الحيوان مطلقا ، فاذا باع شخص لآخر خروفا صفته كذا ونوعه كذا وسنه كذا بثمن يقبضه حالا على أن يدفع الخروف بعـد ذلك بشهرين مثلا عنـد حلول عيد الأضحى ، فانه جائز عنـد الأئمة الثلاثة خـلافا للحنفية . على أن الحنفية يقولون بصحة السلم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى السمك استثناء من الحيوان ، ثم إن كان السمك طريا وكان لا ينقطع عادة كسمك نهر النيل ونحوه فانه يصح السلم فيه فى كل الأوقات ، وإن كان ينقطع فى بعض الأزمنة كالسمك الموجود فى البحيرات التى يمنع منها الصيد فى أوقات معينة فانه لا يصح تعيين مدة القبض فى هذه المدة . ومثله السمك الجاف المملح (البكلاه) . ولا من التعيين بالوزن أو العد ، وتعين الصنف بما هو متعارف بين الناس .

(٣) أما حكمة تشريع السلم وإباحته فهى ظاهرة ، لأن الناس قد يحتاجون الى المال الذى يستعينون به على العمل فى مزارعهم وتربية ما يملكونه من حيوانات أو نحو ذلك فلا يجدونه ، فيقف دولاب عملهم ، وتتعطل مزارعهم ، ويحرمون من نتاجها ونتائج حيواناتهم ، وفى ذلك ضرر شديد يلحق الناس ، والشريعة الاسلامية إنما هى شريعة رحمة وعطف ، فليس من أغراضها سد باب العمل فى وجوه الناس ، وليس من عاداتها أن تغلق الأبواب فى وجوه المحتاجين فتمنعهم من قضاء حاجاتهم بحجة أن ذلك يتنافى مع قواعدها العامة ، بل هى فى الواقع لم تشرع شيئا إلا وهو مطابق لمصلحة المجتمع الانسانى ، وموافق لما تقره الفطرة السليمة والعقول الصحيحة . فإنها ما حرمت الربا إلا خوفا على المحتاجين من قسوة المرابين ومطامعهم التى قد خربت بيوتا عامرة ، فضلا عما فى الربا من قسوة تنافى الرحمة الانسانية التى أودعها الله تعالى فى قلب الإنسان من حيث هو إنسان كامل ، وهى بذلك لم تسد باب المعاملة التى فيها ربح مشروع ، بشرط أن لا يترتب على ذلك غبن فاحش أو إرهاق للمحتاجين . والسلم هو بيع وشراء ، غاية ما هناك أن السلعة المبيعة لا تكون موجودة وقت البيع ، فهى مؤجلة كتأجيل الثمن وتعجيل السلعة ، فإذا باع شخص مثلا لآخر ثوبا من القماش بجنيه وأجل قبض الجنيه شهرين أو ثلاثة أو أكثر أو أقل ، فإنه جائز بلا خلاف . والسلم هو عكس ذلك ، فإنه كما عرفت دفع الثمن وتأجيل الثوب ، فإذا اشترى ثوبا بجنيه وأعطى التاجر الجنيه على أن يحضر له الثوب بعد شهر مثلا ، فإنه جائز متى كان الثوب معينا . فأى فرق بين الحالتين ؟

قد يقول بعض الناس : إن السلم بالصورة المتبعة فى البلاد الاسلامية قد يكون أشد ضررا وأعظم أذى للفقراء الذين يضطرون الى المال الذى يسد حاجاتهم الضرورية ، فيذهبون الى أرباب الأموال ويبيعونهم السلعة التى تساوى عشرة بخمسة ، وذلك شر من الربا ، فإن فوائده لا تصل الى العشر .

والجواب عن ذلك : هو أن الشريعة الاسلامية قد حرمت الربا لما فيه من أخذ مال بدون عوض ، وحرمت كل ما يترتب عليه ضرر وإجحاف بالأفراد أو الجماعات ، فهذا النوع من المعاملة ، وهو السلم ، إذا تحقق فيه ضرر أحد المتعاقدين حال التعاقد ، فإنه يكون حراما مثل الربا بلا فرق . أما إذا كان التعامل به كالتعامل بغيره يحتمل أن ينتفع به البائع والمشترى ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بصرف النظر عن العوارض الأخرى التي قد يترتب عليها خسارة أحد الفريقين ، فانه يكون جائزا بلا كلام . مثلا : إذا اشترى شخص من آخر قنطارا من السمن بسعر الرطل ثلاثة قروش على أن يستلمه منه فى وقت يساوى الرطل فيه أربعة قروش أو نحوها ، فان ذلك يكون بيعا مقبولا ، فان البائع قد استلم الثمن وعمل فيه بما يسد حاجته ، وبما قد ينمى محصوله ، فيتضاعف بذلك ربحه ، والمشترى قد ربح ربحا معقولا ينتفع به أيضا ، فتتبادل المنفعة بين الناس كتبادل السلع المبيعة بلا فرق . أما إذا استغل المشترى حاجة البائع المضطر فاشترى منه الرطل بقرشين أو أقل فانه يكون قد غبنه غبنا فاحشا يترتب عليه من الآثام ما يترتب على الربا بدون فرق .

(٤) ومن هذا تعلم أن السلم إنما وافقت الشريعة الاسلامية عليه لما فيه من تبادل المنافع بين الناس كالبيع بلافرق ما ، إلا أن البيع قد يكون الثمن فيه حالا ومؤجلا ، والسلم يجب أن يكون الثمن فيه حالا والسلعة مؤجلة . وقد عرفت أن بعض الأئمة يقول : إن السلعة فى السلم لا يجب تأجيلها ، وعلى كل حال فمن قال : إن السلم على خلاف القياس ، فقد فهم أنه داخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تبع ماليس عندك » والسلعة التى لا يملكها الشخص الآن قد لايقدر على ملكها عند حلول الأجل ، فلهذا كان السلم على خلاف القياس . ولكن قد يجاب عن ذلك بأن السلم يشترط فيه أن يكون المبيع موصوفا معينا مقدورا على تسليمه غالباً ، فلا يجوز السلم فى غير ذلك ، فاذا وجد عارض يمنع من القدرة على تسليمه فذلك لاينافى صحته ، كالبيع بثمن مؤجل الى أجل معلوم فانه قد يعرض للشخص مانع يمنعه من الدفع عند حلول الأجل . فهل هذا الفرض يبطل البيع أو يحرمه ؟ كلا ، فإذا كان الشخص على ثقة من قدرته على تسليم العين عند الأجل المحدود ، لم يكن فرق بين تأجيل الثمن وتأجيل العين المشتراة ، فلم يدخل السلم تحت هذا الحديث ، لأن المراد به النهى عن بيع ما ليس مقدورا للانسان : كان يبيع جوهرة نفيسة غير موجودة فى الأسواق أو نحو ذلك . وهذا المعنى لازم لأن الأحاديث التى وردت فى إباحة السلم صحيحة متفق عليها . وحديث : « لاتبع ما ليس عندك » يمكن حمله عليها بدون حاجة الى استثناء . ومما لاريب فيه أن تأويله على هذا الوجه ظاهر لا تعسف فيه .

عبد الرحمن الجزيرى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أى شهر مولد النبى

أىْ شهر ربيع الأول ! بماذا طالعت الانسانية قبل أربعة عشر قرنا وأحد عشر عاما ؟ وماذا حملت الى الناس بين جوانح ذلك المولود اليتيم، الذى ألقيته بين أحضان والدته آمنة بنت خويلد وأسمته محمدا ؟

من الذى كان يستطيع أن يتخيل أن هذا الطفل الذى لم يعبأ بميلاده غير أمه فى كسر دارها ، سيكون شغل العالم كله بعد سنين معدودة ، وسيبقى ذكره خالدا خلود الانسانية ، وتعاليمه حية مع حياتها الأبدية ؟

إن محمدا صلى الله عليه وسلم أعظم آية من آيات الله فى الخلق ، يزداد وقعها فى قلوب الناس ، ويشتد تأثيرها فى عقولهم ، كلما ارتقت المعارف الانسانية ، وأدرك الناس مبلغ قوى الفرد ، إزاء الطبيعة والمجتمع ، وغاية ما تستطيع أن تحدثه قواه المحدودة فيهما .

نعم إن محمدا كان رسولا يعمل بوحى من الله ، ويعتمد فى محاولاته على تأييده ، وقد وعده الحق بالنصر والعاقبة المحمودة ، فمن اعتقد هذه العقيدة لم يعجب أن يبلغ محمد ما بلغه فى ظلال هذه الرعاية الإلهية ، ولكن الذى يعجب من أمره ، ولا يكاد يصدق ما يراه من آثاره بعينه ، أولئك الذين لا يعتقدون برسالته ويعدونه عبقريا ، بل أولئك الذين يظنونه كاذبا فيما ادعاه من وحى الله اليه واتصاله به .

نعم هؤلاء هم الذين يحق لهم أن يعجبوا ، وأن يحاروا فى تعيين المكان الذى يضعون فيه محمدا من المراتب الانسانية المحضة .

يشهد تاريخ الانقلابات الاجتماعية أن جميع الرجال الذين قاموا بالأحداث الخطيرة فى الأمم ، رجال ولدوا فى جماعات محكمة الروابط ، مستحصدة العرى ، فدفعوا بها الى ضروب من الحركات الجريئة ، عدوا معها — مع صرف النظر عن المظالم التى ارتكبوها — من رجالات التاريخ . فبختنصر البابلى ، وقيروش الفارسى ، والاسكندر المقدونى ، وجنكيز خان المغولى وغيرهم ، كل هؤلاء كانوا عياهل فى أقوامهم ، وقد ولدوا فى شعوب متماسكة الآحاد ، لا يعوزها غير التوجيه الى الغايات البعيدة مصحوبة بحنكة فى القيادة .

ولا نستثنى من هذا الحكم الرسالات الدينية نفسها ، فإن موسى الذى أرسل الى بنى اسرائيل فى مصر ، استُقبل منهم كمنقذ ، ولم يَبذل فى استمالتهم الى تعاليمه جهدا كبيرا ، واضطر أن يقف فى التيه ، ولم يزحف بنو اسرائيل الى فلسطين إلا بعد وفاته . وعيسى عليه السلام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نشأ فى أمة مستكملة شرائط الاجتماع ، ومع ذلك لم تثمر تعاليمه الثمرة التى تَطَلبها أتباعه إلا بعد أن اختمرت فى مدى نحو أربعة قرون .

ولكن محمدا الذى كان أكبر آيات الله فى الخلق وُلد فى أمة كانت لا تزال على الحالة القبيلية ، فلم يجد معينا له حتى من القبيلة التى هو منها ، ودُفع لأن يلتمس المعونة على أداء مهمته من جماعة ينشئها إنشاء ، فتم له ذلك فى بنى الأوس وبنى الخزرج سكان يثرب .

إن كانت هذه عجيبة ، فكل ماحدث بعدها عجائب ، تلا بعضها بعضا ، اتسعت لها الأيام القليلة اتساعا محيرا للعقل ، حتى تم له فى ثلاث وعشرين سنة ما لا يعقل أن يتم إلا فى قرون عديدة !

لما آنس صلى الله عليه وسلم خذلان القبائل كلها له ، كما تبين له ذلك من عرض نفسه عليها فى مواسم الحج ، شرع يبتنى أمة جديدة ، نعم أمة جديدة !

أمة فى بيئة لم تقم فيها أمة ، وليس فيها مقومات الأمم ؟

نعم وأمة عالمية ، على ما يشاؤه المثل الأعلى ، لا تقوم على وحدة الجنس ، ولا وحدة اللغة ، ولا الحاجات الجسدانية الملحة ، ولكن على مايصلح أن تجتمع عليه البشرية كافة ، من الأصول الأدبية العالية ، والمبادئ الانسانية الخالدة .

فإن تعجب فأعجب منه أن يتم تأليف هذه الأمة ، فيصبح فيها الصناديد من قريش وخزاعة ، واللهاميم من تميم وأسد وهوازن ، هم والفرس والديلم والروم والسود والحبشان ، ومن لا يعرف له ضِئْضِئ من جاليات الجماعات المختلفة ، فى مستوى واحد من الحقوق والواجبات الاجتماعية .

أوَ تقوم مثل هذه الأمة فى مثل تلك البيئة ، وقد عجز الفلاسفة والقادة فى العصور الأخيرة عن تأليف أمة عالمية ، وهى مما لا يمترى رجلان فى أنها المثل الأعلى للاجتماع ؟

إن تعجب فأعجب منه أنها قامت فى تلك البيئة الجدبة ، وأنتجت من الثمرات ما لم تنتجه أمة فى الأرض من أول عهد البشر الى اليوم ، وفى مدى لا يذكر الى جانب أعمار الأمم .

ولا تنس أن تسجل الى جانب هذا أن محمدا غيَّر ديانة القبائل العربية قاطبة ، وأبدلها منها دينا لا نسبة بينه وبين وثنيتها ، والدين أعلق الأشياء بالنفوس ، وأقواها سلطانا على القلوب . وحوّل أخلاقها من جفوة البداوة ، وعُنجُهية الجاهلية ، الى لطافة الحضارة ، ورقة المدنية . وقلب مبادئها من تأليه الأقوياء ، وتسخير الضعفاء ، والتقلب مع الأهواء ، الى العمل بمبدأ المساواة ، وتقرير الحق لصاحبه بصرف النظر عن جميع الاعتبارات ، والثبات على إقامة الأصول مها اعتورت المكلف باقامتها ، المصانعات ، وتجاذبته المسولات .

لعلك تقول : وصل الى كل ذلك بفضل الحديد والنار . . .

فهل قيل لك : إنه أرسل بالجيوش الجرارة تَقْدُمه حيث سار ، أو بالجلاوزة تلقى كل من

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يعصيه فى النار ؟ ألم يبلغك أنه بعث وليس له قوة ولا ناصر ، حتى اضطر أن يدعو الى دينه سرا ، فلما أعلن الدعوة عودى وأوذى ، واضطر من آمنوا به الى الهجرة الى الحبشة دفعتين ، ثم اضطر هو نفسه - وقد تحالف قومه على قتله - أن يهاجر الى المدينة فى جنح الظلام ، وأنه لما أشرق الصبح وهو فى الطريق اضطر أن يختبئ هو وصاحبه فى غار ؟

لو كان الأمر كما تقول قد استقر له بالاجبار ، فهل سمعت أن أخلاقا تفرض على قوم فرضا ، تدوم بعد وفاة فارضها، وتؤتى ثمراتها ناضجة يانعة ، وتمتد ثم تمتد حتى تجعل لأهلها ملكا لم ينبغ لأمة فى هذه الأرض ؟

إنى أشفق على الذين يدعون أن ما عمله محمد أثر من آثار العبقرية ، ويؤلمنى أن الذى يلفظ كلمة العبقرية يجهل معناها العلمى ، فيظن أنها تعنى درجة رفيعة من الذكاء . والحقيقة أن العبقرية إلهام يتنزل على صاحبه لا يعرف مصدره ، فيندفع لعمل من الأعمال ، فيجىء مثلا أعلى لا يمكن تقليده . فان كان محمد عبقريا ، فهل يعقل أن يكون مع عبقريته كاذبا يدعى للناس أنه رسول قد أوحى اليه من عند الله ولم يوح اليه ، وهو نفسه يقول : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، أو قال أوحى الىّ ولم يوح اليه شىء ؟ »

بقى أنه كان ذكيا بالغ الذكاء ولم يكن رسولا ، فلو سلمنا أنه مع ذكائه هذا كان من عدم الاعتداد بالذات فى درجة ينكر معها صفاته العالية ويقول : « إنما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ » مساويا نفسه ببقية الخلق ، كل ذلك توسلا الى إنقاذ قومه من شرور الجاهلية التى كانوا عليها ، فهل غاب عنه مع هذا الذكاء الفذ أنه لو كان جاءهم من الناحية البشرية لما صادفه من المقاومات العنيفة ، والمصادمات الشاقة ، شىء مما أثارته دعواه النبوة ؟

لعلك تقول : إن حبه لأن يرفع الى مقاوم المرسلين ، و يحشر فى زمرة الرجال العلويين ، هو الذى دفعه الى سلوك هذه السبيل . فهل عهد فى تاريخ البشر أن رجلا يبلغ من فساد القلب الى حيث يجرؤ على مثل هذه الدعوى ، يصدقه الله فى كل ما ادعاه من الظهور على أعداء دينه ، ومن النجاح فى دعوته حتى يتأهل أتباعه لخلافة الله فى الأرض ؟ ألم يقل : « من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة ، فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع ، فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ؟ » أى فليمد بحبل الى سقف بيته وليشنق به نفسه . أولم يقل أيضا : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » ؟ أو لم يقل أيضا : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » ؟ أو لم يقل أيضا : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ، إن الله قوى عزيز » ؟

قلت : إنى أشفق على الذين يدعون أن أعمال محمد صلى الله عليه وسلم تفسر بالعبقرية ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أو بدرجة راقية من الألمعية! كيف لا أشفق عليهم وهم يضطرون أن يفترضوا أن أعظم عباقرة العالم، أو أذكى أذكيائهم، وهو محمد، كان كاذبا مفتريا؟ فما الذى يمنعهم بعد ذلك أن يقرروا بأن جميع الأنبياء كذبة مفترون، فتكون أكبر الانقلابات الأدبية والاجتماعية حدثت على أيدى كذبة مفترين، وتكون مجموعة البشرية مدينة بعقائدها وآدابها لكذبة مفترين؟

إنهم يضطرون الى هذا الحل اضطرارا لأنهم لا يعرفون النبوة، فلا يسلمون بوجود رتبة روحية تصل الانسان بعالم أرقى من عالم الطبيعة.

ولكن أيستدعى الجهل بشىء عدم التسليم بوجوده، أم يقتضى الإحفاء فى البحث عنه، والتحسس منه، فى كل المظان التى يتوقع أن تؤديهم اليه؟

فى العالم اليوم أقطاب من العلماء يدعون أن الوحى حق، ولهم على ذلك أدلة قاطعة محسوسة، فهل بحث المكذبون فى هذه الأدلة وأثبتوا للناس بعلم أنها معلولة؟

ألم يبلغهم أن الناس كانوا يجهلون وجود العناصر الكيماوية ويتشددون فى نكرانها، عند ما تصدى بعضهم لإثباتها عمليا، وأنهم كانوا لا يعرفون الميكروبات وبالغوا فى جحدها حين اكتشفها المكتشفون، وأنهم هزءوا بمن بشروهم بوجود قوة فى الكون تسمى الكهرباء، وبامكان نقل المسافرين على خطوط حديدية بدل العربات، وبامكان عمل حنفيات فى البيوت تؤتى أهلها بالماء من مواسير تدفن فى الشوارع. و و و.. مما لو شئت لملأت منه مجلدا ضخما؟

إن أمثال الذين كانوا يكذبون بامكان نقل الناس على قضبان حديدية بواسطة الآلة البخارية، وهو ما يسمونه الآن بالوابور، وبامكان عمل حنفيات فى البيوت تمدهم بالمياه وتغنيهم عن السقائين، وكان هؤلاء من العلماء الأقاذيميين، هم الذين يكذبون اليوم بامكان الوحى، ويجحدون النبوات، حتى فى الوقت الذى يهيب بهم علماء طبيعيون أن هلموا إلينا فقد فُتح علينا من طريق البحوث التجريبية ما يثبت النبوات بدليل محسوس، ويذكّرونهم بمواقف أسلافهم من الفتوحات العلمية، والمستكشفات الفنية، مهيبين بهم الى عدم اتباع مثالهم فيُعتبرون معطلين.

مما يسر المسلمين أن جميع العلماء الذين تجردوا لبحث المسائل النفسية منذ تسعين سنة، وانتهوا بالأدلة المحسوسة الى التسليم بوجود روح فى الجسد الانسانى مستقلة عنه وتبقى بعد انحلاله فى عالم الروح، قد اعترفوا الآن بأن من ادعوا النبوة من أمثال موسى وعيسى ومحمد كانوا صادقين فيما يقولون، وزادوا على تأكيدهم هذا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أكبرهم شأنا، وأعظمهم اتصالا بالملأ الأعلى، وأن دينه أرقى الأديان على الاطلاق. أليس هذا مصداقا لقوله تعالى: «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق، أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد»؟.

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قادة الفكر فى تاريخ الاسلام

عمر بن الخطاب

(٢)

أصبح أحلاس الـكفر من صناديد قريش وقد أخذوا مجالسهم فى حفافى البيت الحرام ، ونظر بعضهم الى بعض نظرات أبلغ فى التعبير عن خلجات أفئدتهم حيال هذا الحدث الجديد الذى أقض مضاجعهم وأدار رءوسهم ، من زلاقة ألسنة أبينائهم ، وكأنما يسأل كل واحـد منهم صاحبه ـ وهو فى دخيلة أمره يسائل نفسه التى بين جنبيه ـ فى كثير من الدهش والحيرة المضطربة يستوحى ما عنده فى استكشاف خبر مكة ودعوة « ابن عبد المطلب » ، وإذا بهم يصعقون من هول ما يسمعون ، فشخصت أبصارهم ، وأسرعت بهم أنفاسهم ، وأحسوا بقلوبهم تثب من صدورهم ، وأن الأرض تميد بهم ، وأن السماء آذنتهم بصوت الحق يدوّى بكلمة الله فى آفاق البلد الأمين ، وإذا بدار « الأرقم » فى أسفل الصفا تمشى إليهم شامخة قوية جهيرة الصوت ، وعهدهم بها هادئة وادعة تهمس الى نفسها همسا ، يأخذها الفرَق من سطوة العتو الفاجر، فتتجمع فى بعضها لتستمد من تجمعها حيوية الايمان فى ظل العزلة المستضعفة .

مَهْ ! مَهْ ! تسمع ؟ أسمع ؟ نعم ، نعم . هذا « محمد » فى أرقائنا وضعفائنا يخرج من تلك الدار التى انطوت على أتباعه ، وانطووا على أنفسهم فى جوفها فلم نسمع لهم ركزا ، ساعيا الى «بنية» ابراهيم واسماعيل ليعلن ، ونحن نسمع ونبصر ، دعوته التى تريد أن تجعل من هؤلاء العبيد سادة ، ومن الضعفاء أقوياء ، ومن الأذلة أعزة ، لا كانت حياتنا إن نحن تركنا محمـدا فى جموعه يصل الى هذا البيت الذى جعله الله مناط العزة القرشية فى قبائل العرب !

مَهْ ! لا يعجلنكم الغضب عن الجد فى التفكير وأخذ الحذر ، فبالأمس من ثلاثة أيام صبأ الى محمد عمه « حمزة » ونحن نعـلم من هو « حمزة » فى فتوته وحميته ، أعز فتى فى قريش وأشدها شكيمة ، وقد شهد من كان معنا فى مجلسنا هـذا غداة عاد « حمزة » من متصيده وقد حدثته « فاختة » مولاة عبـد الله بن جدعان بما صنع أبو الحـكم سيد بنى مخزوم بابن أخيه ، فـلم يرض عن نفسه إلا بعد أن علاه بقوسه فشجه شجة أسال بها دمه ، ونحن وفينا بنو مخزوم ننظر فـلم نستطع أن نرد على أبى عمارة صاعه ، أفتعدون « حمزة » فى الضعفاء ؟ كلا ، ولـكن فينا أقرانه وأترابه من عبد شمس ومخزوم ، صه ! انظروا واحذروا ، أهؤلاء أرقاؤنا وضعفاء الأمس يكتنفون صاحبهم ؟ أم أولئك قـوم من سادات العرب وغطارفتها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

استجابوا الدعوة «محمد» فى غفلة منا؟ هذا أزبز المراجل نسمعه من صدورهم، فمن أين لهم هذه الحيوية الصائلة، والقوة الجائلة، يهجمون بها علينا ونحن سادة الوادى؟! كذبتك نفسك ياقريش، وخدعتك أوهامك، فقد وقع ماكنا نخافه! هذا فتى بنى عدى وبطلها، وسفير قريش ومنطيقها «عمر بن الخطاب» تهدر شقاشقه، قائدا أصحاب «محمد» الى جانب «حمزة» يريدون البيت ونحن فى ظله قعود، فويل لقريش إن لم تأخذ على يد «محمد» وتئد دعوته فى مهدها قبل استفحال أمرها، وقد جذبت إليها أرجى فتيان قريش للنضال عن دينها!

سقط فى يد قريش، وأحاطت بها الحيرة من كل جانب بعد أن رأت فى صفوف أصحاب «محمد» روح القوة والتضحية تسرى إليهم فى إهاب «ابن الخطاب» وهم كانوا أوثق به حمية لدينهم من أنفسهم، وأعلم بما تنطوى عليه نفسه من الشجاعة ورجاحة الرأى، وقوة المخاصمة فى سبيل ما يعتقد. ألم يكن أشدهم على «محمد» قبل أن تتفتح لدعوته شعاب قلبه؟ فما يمنعه أن يكون على مثل ذلك أو أعظم فى سبيل عقيدته الجديدة، وقد ملأ الايمان بها حواسه ومشاعره؟

فكروا، وقدروا، فليس الأمر أمر الأرقاء والضعفاء الذين كانوا يتهامسون بدعوتهم فى دار الأرقم، بل هو أمر السر الذى اشتمل عليه «محمد» فسرى فيمن تبعه سريان الحياة فى الأجسام، حتى انتزع فتيان قريش وشجعانها من بين أحضانها واحدا فواحدا، وحتى دخلت دعوته فى بيوتاتها فغنمت من رجالاتها من لا صبر على تركهم ينضوون تحت لوائه، أليس قد استظل بظله واستجاب لدعوته عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وغيرهم ممن لا يقل شرفا فينا عنهم؟ أداروا رأيهم فيما بينهم وانتهوا الى أخذ هذه العصابة بالشدة القاسية، فليعذب هذا الحبشى بلال الذى كان أسرع الناس فألقى بقلبه بين يدى «محمد» غير عابئ بما عليه من سلطان، ولينكل بعامر بن فهيرة، ولتشتد الوطأة على آل ياسر، وليضيق الخناق على «زنيرة» وليصنع بفلان وفلان ما يردهم الى بدء أمرهم، ولكن أنى لهم أن يصلوا الى معقل الايمان من أرواح المؤمنين؟ فلتعذب الأجسام، ولينكل بها، فما شىء من ذلك براد مؤمنا عن إيمانه، فان الايمان إذا خالطت بشاشته القلوب تعلق بشغافها.

روى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى ذر الغفارى: «كان أول من أظهر الاسلام سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبى طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم فى الشمس، وإن بلالا هانت عليه نفسه فى الله عز وجل، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول: أحد، أحد».

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اشتدت وطأة العتو على الضعفاء من المؤمنين ، وأصاب سواهم من الأذى شيء كثير ، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة « لأن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » فهاجر إليها جمهرة من السابقين ، فيهم عثمان بن عفان ومعه زوجه « رقية » بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعفر ابن أبى طالب وعثمان بن مظعون ، وعزم على الهجرة أبو بكر الصديق رضى الله عنه فرده ابن الدغنة سيد القارة مجيرا له من قريش ، وكان الصديق رجلا بكاء بالقرآن ، فخشيت منه قريش على شبابها ونسائها أن يجتذبهم الى حظيرة قدس الاسلام ، فكلموا ابن الدغنه فى شأن جواره حتى رده عليه الصديق ورضى بجوار رب العالمين .

وهكذا ضاقت مكة على المسلمين أشرافا ومستضعفين ، واشتد بهم البلاء حتى هدى الله الى الاسلام « عمر بن الخطاب » فعز به النبى صلى الله عليه وسلم ، واشتد به ساعد الاسلام وظهرت كلمته ، وقويت نفوس المسلمين ، وصعقت لإسلامه قريش وبطل تدبيرها ، وأيقنت أنها أمام قوة جديدة وشخصيات لا تستطيع أن تصل إليها بمثل ما وصلت به الى أولئكم الذين ألجأتهم الى الهجرة مستخفين تحت جنح الظلام كما دخلوا فى الاسلام ، أليست هى أمام « حمزة ابن عبد المطلب » الذى أسلم وقوسه التى شج بها أبا جهل فى يده يتحدى جبروت قريش ؟ أو ليست هى أمام « ابن الخطاب » الذى لم يرضه أن يظهر على ملأ قريش إسلامه حتى أخرج النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى مظاهرة تعلن كلمة الله مدوية فى الآفاق ، وذهب الى رأس الكفر أبى جهل فقرع عليه بابه فى مثل صاعقة السماء ليخبره أنه أسلم ، فلم يسع أبا جهل فى عتوه وجبروته إلا أن يغلق بابه دونه حيلة العاجز المكبوت ! !

رأت قريش أن المسلمين ، وإن قلّ عددهم ، قد أصبحوا قوة خطيرة بمن انضموا إليهم من فتيانها ورجالاتها ، وأنهم باسلام « ابن الخطاب » تظاهروا بدعوتهم بعد استسرارها ، وأن « محمدا » أخذ يتصل بقبائل العرب ممن جاوروا مكة يفشى فيهم دعوته ، فتنادت الى دار ندوتها لتقرر عملا حاسما يقف دون تيار هذا الانقلاب التاريخى الذى لم تشهد جزيرة العرب له مثيلا ، فماذا هم فاعلون ؟ لقد عذبوا أصحاب « محمد » ونكلوا بهم أشد التنكيل ، وآذوا « محمدا » أشد الايذاء ، وأمعنوا فى فنون الشر ، وتفننوا فى طرق الايلام ، فلم يفل ذلك من عزيمة « محمد » ولا نال من عقيدة أصحابه ، بل لقد ازدادوا بهذا العذاب وذلك التنكيل قوة إيمان وصدق عقيدة ، فلم يبق أمام قريش إلا أن تقف فى وجه بنى هاشم وقفة دموية يتحاكمون فيها الى السيف أو تستكين بنو هاشم وتسلم إليهم « أمينها » ، وقهقهت شياطين الجن سخرية من شياطين الانس :

تقفون والفلك المحرك دائر وتقدرون فتضحك الأقدار

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وكان الله تعالى قد أمد رسوله بقلوب أنصاره من فتيان يثرب وساداتها فى حرم مكة وغفلة قريش ، فوعدوه النصر والتأييد إن هو قدم الى بلدهم ، وأشار على أصحابه بالهجرة الى أولئك الغر الميامين ، فتسللوا لواذا يكنفهم الليل ، وتكنهم الكهوف والمغاور ، وأبت على « ابن الخطاب » شجاعته أن تكون هجرته مستخفية ، وكما عالن قريشا بإسلامه وتحداها بإيمانه ، فلا بد له أن ينذرها بهجرته ، فواعد صاحبه « عياش بن أبى ربيعة » واخترط سيفه وطاف بالبيت مودعا ، وصاح بجبابرة قريش وهم فى ظل الكعبة يتجاذبون أطراف الحديث فيما يشغلهم من هذا الحدث العظيم : ألا إنى مهاجر ، فمن أراد حتفه فليلقنى وراء هذا الوادى ! فما طرفت منهم عين تنظر اليه . روى ابن إسحاق أن أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم ، ثم قدم بلال ، وسعد ، وعمار ابن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب فى عشرين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

استقر المقام بالفاروق فى المدينة يرتقب وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أذن الله لرسوله بالهجرة فهاجر إليها ، وبدأت حياة الجهاد والنضال والتشريع والاستقرار وتكوين المجتمع الاسلامى بشخصيته المعنوية التى صورها القرآن الكريم ، ومن يومئذ بدأ فى حياة « عمر بن الخطاب » طور جديد هو صورة من أروع صور البطولة الاسلامية ، ومنها نتبين شخصية الفاروق الفكرية ، وأنها كانت متساوقة مع طبيعته الحازمة ، وأنها تمثل روح التشريع الاسلامى أصدق تمثيل ، وبهذا كان « ابن الخطاب » زعيم قادة الفكر فى تاريخ الاسلام .

وتصويرنا لبطولة « عمر » وشجاعته فى الحق ، وصراحته ، وحزمه وعزمه وشدته ، قصدنا به الى أن نتبين طبيعته الخلقية لنتعرف على ضوئها شخصيته الفكرية لما نعتقد من وثيق الصلة بينهما ، فان مثل « عمر » لم تكن شخصيته الفكرية نتيجة دراسة فنية ، وإنما هى صورة لفطرته مشربة بروح التعاليم الاسلامية . لقد اتخذه النبى صلى الله عليه وسلم وزيرا الى جانب أبى بكر ، يستشيره ويقدمه على سائر أصحابه ، حتى قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه فيما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما يرثى « عمر » وهو على سرير موته : « ما خلفت أحدا أحب الى أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وأيم الله إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك ، وذلك أنى كنت أكثر أن أسمع رسول الله يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، كنت لأظن ليجعلنك الله معهما » .

وقد كانت الحوادث مرآة لعقلية « عمر » الفذة ، وصورة لسداد رأيه ورجاحة فكره وعبقريته الملهمة ، وهذا ماحدثنا به النبى صلى الله عليه وسلم عن شخصية « عمر » الفكرية فقال فيما رواه البخارى ومسلم : « إنه قد كان فيمن مضى قبلكم من الأمم ناس محدَّثون ، وإنه إن كان فى أمتى منهم أحد فانه عمر بن الخطاب » . وأول موقف إسلامى نتمثل به سياسة « عمر » الحازمة التى لا تعرف اللين والهوادة ، وتفكيره الملهم ، ورأيه المسدد ، موقفه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى غزوة بدر ، ومذهبه فى أسراها ، فلقد كانت هذه الغزوة المباركة أول فتح للاسلام ، أيد الله فيها نبيه بالنصر المؤزر ، ومكنه من أعدائه ، فكان رأى « عمر » أن يجعل هؤلاء الأسرى أنشودة لسطوة الاسلام وسلطانه ، وأن يشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ، وهو يحدثنا عن هذا الموقف حديثا يصور لنا روحه وفطرته وسياسته :

روى الامام مسلم عنه أنه قال : « لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون ، وأسر سبعون ، استشار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليا ، فقال أبو بكر : يا نبى الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان ، وإنى أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكنى أرى أن تمكننى من فلان — قريب لعمر — فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان ـ أخيه ـ فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين . فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، ولم يهو ماقلت ، فأخذ منهم الفداء ، فلما كان من الغد غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان ، فقلت : يا رسول الله أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد تباكيت ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ابك للذى عرض على أصحابك من الفداء ، لقد عرض علىّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة — لشجرة قريبة — فأنزل الله تعالى : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يُثْخِنَ فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

وهذه القصة تصور لنا جانبا مهما من حياة « عمر » الفكرية ، ظهرت آثاره فيما بعد فى سياسته وفهمه للتشريع الاسلامى ، فهى توضح لنا الى جانب مكانته من النبى صلى الله عليه وسلم أن الرحمة على أهل الباطل لا تعرف سبيلا الى قلبه ، وأن مظهر القوة للأمة يجب أن يشعر به أعداؤها . وإذا تأملنا فيما ذكره سببا لرأيه من قوله : حتى يعلم الله أنه ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين ، تبينا روحه القوية فى معاملة أعداء دين الله . ومن ألطاف الله بهذه الأمة الكريمة أن جعل وزيرى نبيها أبا بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، فأبو بكر صاحب سياسة الرفق والرحمة بالأمة ، وعمر صاحب سياسة الحزم والصراحة ، ولكل منهما جانب تطلبه الحياة ، ولذلك ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم شبه أبا بكر بخليل الله ابراهيم ، وشبه عمر بنبى الله نوح . وقد سدد الله « عمر » فى سياسته على ما فيها من شدة ، وفيه يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه »

صادق ابراهيم عرجون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بيننا وبين المستشرقين

مستقبل اللغة العربية فى أيدينا

هذا موضوع لا أقصد منه أن أرد المستشرقين عن رأيهم ، فهم أجانب عن العربية لا يبالون بقيت العربيـة سليمة أم تحيفتها صروف الزمن ، ولـكنى أحاول أن أكشف الحقيقة لقوم من أبناء الضاد يطمئنون لـكلام المستشرقين اطمئنانا لا يحترمون فيه عقولهم ، ولا ينصفون به لغتهم ، بل إنهم ليعتبرون كلامهم فى ذلك حقيقة علمـية ثابتة ، لا تقبل الرد ، ولا يعتريها النقص ، كأن هؤلاء المستشرقين من المعصومين المنزهين ، فهم فوق الهوى وفوق الغلط ، وكأنهم لما صار لهم الذراع الرحب والباع الطويل فى العلوم الـكونية والعمرانية ، أصبحوا يفهمون من أمر لغتنا ونحوها وصرفها ومقوماتها وآدابها فوق ما نفهم ، وصار قولهم فيها وحكمهم عليها هو الحـكم النافذ الذى لا ينقض ولا يبرم ، وإن تجـرد من الدليل وتعطل من البرهان !

ورأى المستشرقين فى العربية رأى خاطئ لا يستقيم ، فهم يتنبأون لها بالسقوط ، ويتوقعون لها الموت ، لأنها ـ كما يقولون ـ لغة جامدة هامدة ، لا تساير التطور ، ولا تجرى مع الزمن فى نهوضه ، ولا تتسع مادتها للأوضاع التى تجد كل يوم ، سواء فى العلوم والفنون ، أم فى مناحى الحياة المـادية . . . وهم يحتجون لذلك بأن اللغة كائن حى يدركه من أطوار النماء ما يدرك كل كائن آخر ، يقولون : وقد أخـذت العربية حظها من الحياة ، ونالت نصيبها من الشباب والفتوة والنفوذ فى الصدر الأول من حكم العباسيين ، ولـكنها ابتدأت تنحدر ، وستظل فى انحدارها لأن اللغات الغربية تجرفها بما لها من القوة والسلطـان ، ولا شك أن الـكلمة اليوم للغرب فى العلوم والاختراعات ، وفى القوة والبطش ، والاستعباد والاستعمار ، ولا شك أن الغرب حريص على نشر لغاته ، يسندها بالجاه والمـال ، ويحرص على تمـكينها فى الألسن وإذاعتها بين النـاس ، وليس من المعقول أن تناهض العربية — وهى العزلاء العجفاء فى وهمهم — تلك اللغات القوية المؤيدة ، ولا طاقة لها أن تقف فى عرض هذا التيار الجارف الذى يهدم كيانها ويقضى على حياتها !

وهـذا كلام كان يصح فى العقل ، لو كانت العربية فى مهمتها قاصرة على صلة التخاطب بين الناس فحسب ، ولـكنها لغة تؤدى رسالة دين عام خالد ، يمحق القرون ، ويهتك الحوائل ، وتحمل تعاليم شريعة قويمة ، تمد فى أسبابها الى القلوب ، وتسمو بها الى النفوس ، ولها كتاب فصيح معجز ، يخلدها على الدهر ، ويثبتها على المحن ، ويعينها على مدافعة الأحداث والنوازل ،

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ومن ثم تنزلت هذه اللغة الكريمة عند أهلها منزلة العقيدة، وجرت فى نفوسهم مجرى الفطرة، فاليوم الذى تنعدم فيه من ألسنتهم، هو اليوم الذى تخرج فيه العقيدة من قلوبهم، وتنعكس الفطرة فى طباعهم، وهيهات هيهات!

وكأنى بهم يقولون اعتراضا على هذا الكلام: إن القرآن لا يقدر على تخليد لغته كما لم يقدر الانجيل على تخليد لغته القديمة، وكما لم تقدر التوراة على حفظ لغتها، وهما كتابان إلهيان دانت بهما أمم وشعوب كالتى دانت بالقرآن، وامتد نفوذهما فى كثير من الأقطار كما امتد نفوذه واتسع. وهذا فى الواقع تنظير لم تتم وجوهه، وقياس ولكن مع الفارق كما يقول المناطقة، ذلك لأن القرآن كتاب ممـيز فى رسالته وفى أسلوبه، أما فى رسالته فهى كما نعلم رسالة عامة جاءت للناس جميعا، فيستوى فى معناها الأبيض والأسود، والأحمر والأصفر. ثم هى رسالة خالدة تعتد بنفسها فى كل عصر وجيل، فلن تنسخها شريعة بعد، ولن تأتى من ورائها رسالة قط. ثم لا ننسى بعد هذا أن القرآن لا يقف فى هذه الرسالة عند الحد الدينى، ولا تقتصر تعاليمه على أحكام العبادة، ولكنه يحمل فى أطوائه كثيرا من فلسفة الحياة، وقواعد العمران، ونظريات الأخلاق ونظم الاجتماع، وهو فى كل هذا نافع للناس فى كل عصر ومصر، ينالون منه حظهم ومبتغاهم، ويجدون فيه هاديهم ومرشدهم، مهما تطور الزمن، وتغيرت أوضاع المجتمع، ومهما ابتدع الانسان من نظريات وقوانين، ووضع من نظام وتشريع، ومن هذه الناحية كان القرآن موردا ومعينا لكل باحث فى الشئون الانسانية وإن بعد دينه، واختلفت نحلته، وعلى هذا الاعتبار سيظل كتاب العالم الخالد، لن يزول حتى يتأذن الله لهذا الكون بالفناء.

وأما فى أسلوبه: فقد جاء على نمط بديع لا يطاول، انقطع عن تحديه فحول البيان، وعجز عن إدراكه قروم الفصاحة، ولا جرم أن القرآن بأسلوبه هذا قد خلق العربية خلقا جديدا، ونحا بها نحو الكمال طفرة، فجمعها فى لغة واحدة وكانت من قبل لهجات تتوزعها ألسنة القبائل، وأنشأ لها ما أثر عن العرب من الثقافة الأدبية والعلوم اللسانية، ذلك لأنه اقتضى — كما يقول الرافعى رحمه الله — ما أحدثه العلماء من تتبع اللغات وتدوينها ورواية شواهدها والتحمل لها، فكان صنيعهم صلة بين اللغة وبين العلوم التى أفرغت عليها من بعد، ومعلوم أن لغة لا تحيا ولا تموت إلا بحسب اتصالها بمادة العلم الذى به حياة أهلها وموتهم، وهى لا يلبسها العلم إلا إذا كانت قشيبة محكمة لا تضيق عن ألواحه وفروعه، ولا يخلقها الاستعمال، وإنما شباب هذه الحياة اللغوية أن تكون اللغة لينة شديدة كما يكون كمال الانسان بقوة الخلق والخلق، وهذا وجه لو لم يقم القرآن عليه العربية لما استقامت أبدا، ولا وقعت على طريقه، ولا تلاقى فيه آخرها بأولها ... نقول: وتلك ميزة لا يلتقى فيها مع القرآن كتاب آخر، ومن الواضح

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى العقل أن هذا الـكتاب الذى جاء معجزة فى لغته ، وخلقها هذا الخلق المبين ، وأنشأ لها هذه الثقافة الواسعة الضافية ، وكان لها مادة مواتية فى كل ما دون علماؤها ، قمين وزعيم بأن يؤكد أواخيها على الزمن ، ويثبت دعائمها على المحن ، ويقف بها فى وجه تلك اللغات المزاحمة بما له من السطوة الروحية على النفوس ، والسلطة النافذة على القلوب .

هذا كلام لا نقوله فرضاً ، ولا نقرره وهما ، ولـكنه كلام أقرته الحوادث فى الماضى ، وشهد به التاريخ من قبل ، فقد سقطت الدولة العباسية بسقوط بغداد على يد التتار ، وورث ملك العرب العظيم شعوب أجنبية ، أخـذت لغاتهم تدافع العربية وتحـد من نفوذها ، ففرض الأتراك العثمانيون لغتهم رسميا فى الدواوين ، وجعلوها لسان الحواضر والأمصار ، وكادت الفارسية والـكردية تحلان محل العربية فى أعالى الجزيرة وشرق العراق ، وأيد المماليك العامية فى مصر فدونت بها بعض الـكتب ، ولا أكتمك أن كل هذه الأحداث كانت طعنات دامية فى إهاب العربية الشريف ، ولـكنها لا ريب قد فشلت فى النيل منها ، وعجزت فى القضاء عليها ، وبقيت تلك اللغة الـكريمة بفضل القرآن ، يحفظها فى أسلوبه المعجز ، وفى تعاليمه القويمة ، وفى رسالته الخالدة ، فلو كان شأنه شأن التوراة والإنجيل لما عاشت العربية الى اليوم ، ولما صبرت على كل هذه الأغيار تلك القرون الطويلة بعد سقوط بغداد وقد انفض عنها الجاه والسلطان !

على أن العربية لو كانت تحيا فى ألفاظ معدودة ، وتعيش فى أوضاع محدودة ، وتجرى على نهج عقيم منقطع ، لـكنا عند رأى هؤلاء المستشرقين ومن يشايعهم ، فرأينا فيها التخلف والضعف ، وقدرنا لها الفناء ، أو على الأكثر : البقاء فى الدائرة التى قد يحفظها فيها القرآن ، وهى دائرة محدودة قاصرة ، لا تفى بالغرض ، ولا تتسع لـكل ما يجد ، لـكنها لغة وافية كافية ، لها من المقومات ما يهيىء لها الرقى المطلوب ، والنهوض المرغوب ، ويصلها بالعلم والفن صلة وثيقة مستقلة استقلالا إن لم يكن كاملا فهو أقرب الى الـكمال منه فى أية لغة أخرى . ولقد وقع هذا وتحقق فى تاريخ تلك اللغة الـكريمة ، فإن العرب لما رغبوا فى النقل والترجمة عن الفارسية واليونانية والسريانية أيام العباسيين ، لم تخذلهم العربية فى ذلك ، ولم يضق صدرها بما جلبوا من المعارف الأجنبية والأوضاع الأعجمية ، بل طاوعتهم الى حد بعيد ، حتى لقد استطاع القوم أن يقرروا حدود العلوم المترجمة ، وأن يؤدوا مصطلحاتها بألفاظ عربية خالصة فى غير صعوبة ولا لبس ، فقالوا فى المنطق : موضوع ومحمول ، وقياس واستنتاج ، ومقـدمة ونتيجة ، وتصور وتصديق ، وكلى وجزئى ، وقضية مسورة وقضية مهملة ، كما قالوا فى الفلسفة : موجود ومعدوم ، وعرض وجوهر ، وكسر وانكسار ، وأثر وتأثر ، وماهية وهوية ، ومقتض ومانع ، وكذلك صنعوا فى كل العلوم التى نقلوها كالـكيمياء والطب والهندسة ، والفلك والنبات والحيوان ، مع أن علماء الغرب لما نقلوا هـذه العلوم الى لغاتهم أخذوا ألفاظ الحدود والمصطلحات كما هى فى اللغات المنقولة عنها ، على ما يعرفه علماء اللغات ، ويقف على حقيقته المطلعون .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إن الاستعارة تجرى فى كل اللغات ، وليست هناك لغة ما قد تجردت عن الاقتباس من غيرها مهما كان خطرها ، ومهما كانت ثروتها ، ولست أقول : إن العربية قد شذت فى هذه الناحية فتنزهت عن الأخذ ، وتحررت من الحاجة ، فإن القرآن الكريم الذى نزل بلسان عربى مبين ، قد جاء فيه السندس والإستبرق والأباريق والزنجبيل وغيرها من الألفاظ التى استعربت وجرت مجرى الأصيل فى اللسان العربى ، ولكن أستطيع أن أقول : إنها أقل اللغات استعارة ، وأدونها اقتباسا ، ذلك لأن القدماء رضى الله عنهم قد رأوا أن التغالى فى الاستعارة ، والتهافت على الاقتباس ، ربما يفقد اللغة شخصيتها ، أو على الأقل قد يخرجها عن شخصيتها كما وقع لكثير من اللغات التى اندفعت فى ذلك الطريق ، فتحرجوا من الاستطراد فى ذلك ، وكل ما أخذوه من اللغات الأخرى ألفاظ معدودة جمعها السيوطى أوجمع أكثرها المزهر ، وربما كان فى حُرّ العربية ما يغنى عن بعضها ويفيد معناه ، وإنما استطاع أسلافنا أن يترفعوا كل هذا الترفع ، وأن يلتزموا القناعة الى هذا الحد ، لأنهم وجدوا فى مقومات العربية ما يغنيهم ويكفيهم ، فكانوا يستعملون النقل (١) ويستخدمون القياس ، ويبادرون الى الاشتقاق ، وكثيرا ما عمدوا الى التضمين والمجاز ، وبذلك ارتفعت اللغة ، فنمت مادتها ، وربت مفرداتها وتكونت عباراتها ، ووفت بحاجة القوم فى كل غرض من أغراض الكلام والعلم ، وفى كل ناحية من مناحى الحياة والعيش

هذا كلام أحسبه من المعلوم المشهور ، ولعل من المعلوم أيضا أن هذه المقومات التى قامت بها العربية من قبل لم يفرضها القوم على رغم اللغة ، ولم يتكلف وضعها العلماء لحاجة طارئة حتى نقول إنها مقومات قد تتبدل بتبدل الزمن ، وإنها إن أغنت وأفادت بالأمس فربما لا تفيد ولا تغنى اليوم ، بل إنها طبيعة العربية وفطرتها التى فطرت عليها ، وقواعدها الثابتة التى هى منها فى كل طور من أطوارها مكان الروح من الجسد ، وستظل هذه المقومات فى كل زمن ، وعلى كل حال : القوة العاملة فى نماء العربية ، تشد أزرها ، وتبسط نفوذها ، وتدفعها الى مجاراة الزمن ، وتكفل لها الصلة الوثيقة بالعلم والحياة ، وتتيح لها تقبل الأوضاع المخترعة ، والمعانى الحديثة ، وتغنيها عن الاستعارة والاقتباس ، وهى خاصة لا تطاول العربية فيها لغة أخرى . وفى المنصفين من المستشرقين من أعلن هذه الحقيقة صراحة فى غير مواربة ، ونطق بها شهادة حققت الفضل كما يقول المثل (٢) . وأنا أكتب هذا وبين يدى فصل كتبه الدكتور جرمانوس المستشرق المجرى فى شأن إصلاح العربية يقول فيه :

---

(١) هو عبارة عن نقل الكلمة من معناها الى معنى آخر ، كنقلهم كلمة الادب من معناها الاخلاقى الى معناها الثقافى ، والشرط أن تكون هناك علاقة

(٢) إشارة الى قولهم : الفضل ما شهدت به الاعداء .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« إن الاشتقاق مصدر ثروة كبيرة للغة العربية لا مثيل له فى غيرها من اللغات الأجنبية التى كثيرا ما تضطر الى الاقتباس من غيرها للدلالة على معان حديثة ، وهى تدخل تلك الألفاظ فى معجم لغتها ، فيجب أن ننتفع بهذه الميزة الفريدة التى تمتاز بها العربية ، وأن نلجأ اليها كلما أردنا التعبير عن معانى الاختراعات الجديدة ، فنشتق ألفاظا من كلمات معروفة فى اللغة للدلالة على تلك المعانى ! (١) »

وقد أيد الدكتور الباحث كلامه بالأمثلة والشواهد ، وما أريد أن أعقب على هذا الكلام بتعليق أو شرح ، وحسبنا أن نقدمه لأولئك الذين يرمون العربية بالعجز والقصور ، وهم فى الواقع العاجزون عن إدراك أسرارها ، المتعصبون عليها . وعند هذا الحد فلنقف اليوم ، وقد بقى فى الموضوع بقية موعدنا بها المقال الآتى إن شاء الله ؟

محمد فهمى عبد اللطيف

كيف يترضى الكبراء

جرى بين الحسين بن على وبين أخيه محمد بن الحنفية رضى الله عنهما كلام وافترقا متغاضبين . فلما وصل محمد الى داره كتب الى الحسين ما نصه :

من محمد بن على الى أخيه الحسين بن على ، أما بعد : فإن لك شرفا لا أبلغه ، وفضلا لا أدركه ، فإن أمى امرأة من بنى حنيفة ، وأمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان ملء الأرض نساء مثل أمى ما وفين بأمك . فإذا قرأت رقعتى هذه ، فالبس رداءك ونعليك وسر الىّ لترضينى ، وإياك أن أسبقك الى هذا الفضل الذى أنت أولى به منى ، والسلام .

فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء اليه وترضاه .

ومن جميل ما قيل فى قبول العذر .

أقل ذا الود عثرته وقفه على سنن الطريق المستقيمه
ولا تسرع بمعتبة اليه فقد يهفو ونيته سليمه

---

(١) مجلة الهلال العدد الخامس لسنة ١٩٣٤

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

نكاح المتعة — الصلاة بالأحذية ودخول المساجد بها
الاستجمار بالورق الخشن

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الازهر الاسئلة الآتية :

(الأول) ماحكم نكاح المتعة الآن مع العلم بأنه كان مباحا فى أول الاسلام ؟

(الثانى) ماحكم الصلاة بالأحذية ودخول المساجد بها ؟

(الثالث) ماحكم الاستجمار بالورق الخشن ؟

الجواب عن الأول :

إن نكاح المتعة هو أن يتزوج الرجل المرأة الى أجل ينتهى بانتهائه عقد الزواج .

وقد روى الثقات من المحدثين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فى نكاح المتعة فى بعض غزواته . وروى الثقات من المحدثين أيضا أنه عليه الصلاة والسلام حرم نكاح المتعة آخر الأمر تحريما باتا الى يوم القيامة .

ويرجع الأمر فى إباحتها الى أسباب وعوامل لم توجد إلا فى بدء الاسلام :

(ا) ذلك أن العرب فى أول الاسلام كانوا قوما حديثى عهد بجاهلية لم يألفوا فيها الخضوع للتكاليف التى تحدّ من حرياتهم ، وتقيدهم فى معاملاتهم ، وتلزمهم أنواعا من العبادات لا عهد لهم بها من قبل . فالانتقال بهم من الفوضى والإباحية المطلقة الى النظام والتزام الأحكام ، لا بد فيه من التدرج فى التشريع باتخاذ أحكام وقتية تدعو اليها مصلحة الانتقال من دور الى دور ، وعلى ذلك تكون إباحة المتعة فى وقت الضرورة من باب التدرج فى تحريم الزنا .

(ب) أذن الله للنبى ومن معه فى الجهاد لتأمين الدعوة الى الاسلام ، ولدفع عدوان المشركين الذين فتنوا المؤمنين وصدوا عن سبيل الله ، فاستحالت حياة المسلمين بعد هذا الاذن الى حياة كلها جهاد وكفاح . ومعلوم أن معظم المسلمين كانوا من المهاجرين الذين تركوا بلادهم وأموالهم وأولادهم ونساءهم وخرجوا يلتمسون الدين الجديد ، ويقتبسون من النور الإلهى الذى أفاض الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، فكانوا فقراء لا يملكون أهبة النكاح ، وكانوا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كما قلنا فى جهاد مستمر وكفاح دائم ، وليس معهم نساؤهم ، ولم يألفوا بعدُ طول الصبر عنهن ، حتى هم بعضهم أن يختصى ، فنهاهم الرسول الأكرم عن ذلك . فمن هنا اقتضت الحكمة — مراعاة لهذه الحالة الاستثنائية — أن تباح المتعة لهم فى أسفارهم للغزو ، وعند ضروراتهم القصوى .

فلما استتب الأمر للدين الاسلامى فى جزيرة العرب ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، واجتمع شمل الرجال بأولادهم ونسائهم ، لم تعد هناك حاجة لهذا التشريع الوقتى الاستثنائى .

هنالك أحكم الله الدين ، ونهى عن المتعة على لسان نبيه الكريم ، وحرمها تحريما باتا الى يوم القيامة .

على هذا انعقد إجماع من يعتد به من أئمة الدين وفقهاء الأمصار .

وهاك طائفة من الأحاديث الصحيحة التى استند إليها العلماء فى إجماعهم على تحريم المتعة :

روى مسلم وغيره من حديث سبرة بن معبد الجهنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يأيها الناس : إنى كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء ، وإن الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شىء فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا » .

وروى مسلم أيضا عن سلمة بن الأكوع قال : « رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أوطاس فى المتعة ثلاثا ثم نهى عن ذلك » .

وأخرج ابن ماجه عن ابن عمر باسناد صحيح : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لنا فى المتعة ثلاثا ثم حرمها ، والله لا أعلم أحدا تمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة » .

وروى مسلم وأحمد رضى الله عنهما عن سبرة الجهنى : « أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة قال : فأقمنا بها خمسة عشر فأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى متعة النساء » وذكر الحديث ، الى أن قال : « فلم أخرج حتى حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

الجواب عن الثانى :

إن الصلاة بالأحذية جائزة ولا بأس بها متى كانت الأحذية طاهرة . وقد جاءت فى ذلك أحاديث صحيحة مذكورة فى صحيحى البخارى ومسلم وغيرهما ، فكل مصل تأكد أن نعله طاهرة ، سواء أكانت طهارتها بالحك أم بغيره ، فلا جناح عليه أن يصلى بها .

وأما دخول المساجد بالأحذية فإن العرف العام يعتبره الآن امتهانا للمساجد وانتهاكا لحرمتها ، وقد أمرنا بتعظيم المساجد وصيانتها عن الامتهان ، قال تعالى : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » قال العلماء : المراد من رفعها تعظيم شأنها ، وتوفير حرمتها ، وصيانتها عن الأنجاس والأقذار .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
ofdbookz@gmail.com

وأخرج ابن أبي شيبة عن الشعبي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى قبلة المسجد نخامة فقام إليها وحكها بيده الشريفة ثم دعا بخلوق فلطخ مكانها » .

وعن أنس بن مالك مرفوعا : «التفل فى المسجد خطيئة» . وعن زيد بن أسلم قال : « كان المسجد يرش ويقم فى عهد رسول الله » . وأخرج ابن أبي شيبة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتتبع غبار المسجد بجريدة » . وأخرج ابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ، وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ، وضعوا على أبوابها المطاهر » . الى غير ذلك من الأحاديث والآثار التى تفيد حرص الشريعة على صيانة المساجد وتنزيهها عما يلوثها أو يمتهن حرمتها ، ولو كان طاهرا .

وإذ قد جرى عرف الناس الآن بأن دخول المساجد بالأحذية ، ولو كانت طاهرة ، يعد امتهانا لها ، فضلا عما يترتب عليه من تساهل العامة الذين يغلب على نعالهم تلوثها بالنجاسة ، ومن المعلوم شرعا أن العرف معتبر فى مثل هذا — يكون دخول المساجد بالأحذية حراما .

الجواب عن الثالث :

إن الاستجمار جائز بالورق الخشن إذا كان الورق طاهرا مزيلا لعين النجاسة . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

أحسن ما قيل فى الرأى

قال شاعر :

وذى يقظات مستمر مريرها … إذا الدهر لاقاها اضمحلت نوائبه
بصير بأعقاب الأمور كأنما … يخاطبه من كل أمر عواقبه
وأين يفر الحزم منه وإنما … مرائى الأمور المشكلات تجاربه

وقال أبو عبادة البحترى فى سليمان بن عبد الله :

يريك بالظن ما فاق اليقين به … إذا تلبس دون الظن إيقان
كأن آراءه والحزم يتبعها … تريه كل خفى وهو إعلان
ما غاب عن عينه فالقلب يكلأه … وإن تنم عينه فالقلب يقظان

وقال شاعر غيره :

ذهب الصواب برأيه فكأنما … آراؤه خلقت من التأييد
وإذا دجا خطب تبلج رأيه … صبحا من التوفيق والتسديد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام كما يراه الاوربيون

— ٢ —

أسلفنا فى المقال السابق أن الأوربيين قد اختلفوا فى فهمهم للاسلام وحكمهم عليه اختلافات شتى ، وأن القدماء منهم قد أسسوا آراءهم فيه على الجهل أو على التعصب وسوء النية ، وأن المحدثين كانوا أحسن حالا من القدماء ، فدرسوا وبحثوا ثم بنوا أحكامهم على هذا الدرس وذلك البحث . وقلنا إن آراء أولئك المحدثين — على ما فيها من حيطة ودقة — لم تخل من مآخذ وهفوات . وقد أتينا فى الكلمة الأولى من هذه السلسلة بأمثلة من سخافات أفكار القدماء ، واستقامة آراء المحدثين ، ووعدنا القراء بأننا سنغضى عن الأولى ، لخفة قيمتها فى ميزان العلم الصحيح ، وسنعنى بالثانية عناية الباحث بمواجهة آراء العلماء ، لايضاح غامضها ، والاشادة بما فيها من حق وخير ، وإزهاق ما فيها من باطل وشر ، بأسطع الأدلة وأنصع البراهين . وقد اخترنا أن نبدأ هذه البحوث بعرض آراء الأستاذ « البارون كارادى فو » وهو من كبار المستشرقين الفرنسيين الذين سطعت أسماؤهم فى أوائل هذا القرن :

تلألأ نجم هذا الأستاذ بين المستشرقين بسبب مؤلفاته فى الفلسفة الاسلامية التى كانت ولا تزال ذات شأن عظيم فى البيئات العلمية والتى نذكر أهمها فيما يلى :

(١) « مفكرو الاسلام » ، وهو كتاب ضخم فى خمسة مجلدات تناول فيه مؤلفه الحركة العقلية الاسلامية فى بسط وإسهاب (٢) « ابن سينا » . (٣) « الغزالى » ، وهما كتابان عظيمان درس فيهما المؤلف حياة هذين المفكرين الجليلين وفلسفتيهما دراسة دقيقة قيمة ، بعد أن ألم بعصريهما إلماما وافيا بالغرض المراد . (٤) « المحمدية » وقد عرض فيه لكثير من الفرق الاسلامية عرضا جديرا بالعناية والاحترام .

وهذا عدا بحوثه التى كتبها عن عظماء الاسلام فى دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية ، والكتب العربية التى ترجمها الى الفرنسية ، مثل كتاب « التنبيه والاشراف » للمسعودى وغير ذلك .

وإليك أهم آراء هذا المستشرق بعد أن نشير الى دعوى « رينان » الباطلة التى ستكون آراء الاستاذ « كارادى فو » بمثابة دحض لها :

الاسلام والفلسفة :

شاع بين الأوربيين فى القرن الماضى فكرة خطرة على الحقيقة والتاريخ ، مؤداها

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن الاسلام كان حربا ضروسا على حرية الفكر ، وأنه كبت جميع الحركات العلمية ، وحارب العلم والفلسفة ، وحظر على معتنقيه التأمل والنظر ، وأن العرب مدينون بالمناصر الأولى من أفكارهم للاغريق ، إذ أنه لم يظهر لديهم قبل عصر الترجمة شيء من التفكير .

وكان « إرنست رينان » أبرز دعاة هذه الفكرة الخاطئة ، فأفسح لها أمكنة واسعة فى عدة كتب من مؤلفاته ، وأفرد لها سفرا خاصا عنوانه : « الاسلام والعلم » ، فانتشرت بسبب هذه الدعاية فى جميع الأوساط الأوربية المثقفة على ما بها من عداء للحق وافتيات على التاريخ . وقد نشرت هذه الفكرة فى مصر بدون رد عليها منذ نحو ستة عشر عاما ، فكان ذلك مثارا الجدل شغل الصحف أكثر من ثلاثة أسابيع . وها نحن أولاء اليوم نعود إليها ، ولكن الفرق بيننا وبين غيرنا هو أننا سندحضها بأدلة علمية قاطعة ، مستقاة من أصدق النظريات الفلسفية العصرية المتمشية مع المنطق المستقيم . وهاك دحض هذه الفكرة الخاطئة .

نحب أن نبدأ هدم هذه الفكرة بذكر رأى « البارون كارادى فو » باعتباره باحثا فنيا خصص نفسه للفلسفة الاسلامية ودرسها دراسة عميقة تسمح له بأن يرى منها ما لم يره الأستاذ « رينان » ، وتبيح له أن يحكم عليها الحكم الذى له قيمته فى نظر الباحثين .

على أن لهذا الأستاذ أيضا هفوات لانقره عليها ، وسنلفت اليها نظر القارئ ، مشيرين الى مخالفتها للحقيقة . قال الأستاذ « كارادى فو » : « ليس القرآن كتابا فلسفيا ، وليس محمد فيلسوفا بالمعنى الفنى لهذه الكلمة ، ولكنه ، كنبى ، التقى أثناء تأديته مهمته ببعض المشاكل الفلسفية فمنحها حلولا إلهامية ، مصوغة فى أسلوب أدبى ، ومجموعة هذه الحلول هى التى كونت العقيدة الاسلامية ، وهى التى صارت فيما بعد نقطا محددة فى النظر الفلسفى عند العرب . وإذاً ، فلم تكن المشكلة العامة عند العرب هى البحث عن الحقيقة مادام أن هذه الحقيقة قد قدمت اليهم فى عدة من هذه النقط الجوهرية ، وإنما كانت هى التدليل بالبراهين التحليلية العقلية على هذه الحقيقة التى بسطت بطريقة إلهامية ، واستبدال الصورة الأدبية التى صيغت فيها بصورة تتفق مع مناهج الفلسفة القديمة ، وذلك هو ما يمكن أن يطلق عليه اسم : المشكلة المذهبية .

نعم إن بعض العقول قد أضاعت الغاية المرادة من هذه المشكلة وأخذت تعنى بالفلسفة أكثر من عنايتها بالعقيدة التى كان ينبغى أن لا تكون الفلسفة إلا منهجا لها . بل إن هذه العقول قد استخدمت الفلسفة فى تشويه العقيدة ، ولكن هذه الحركات لم تكن إلا الخطوة الثانية فى تاريخ الفكر العربى ؛ أما الخطوة الأولى فهى حركة البحوث المذهبية .

وإذاً ، فمن المهم أن نعرض هنا المباحث العقيدية التى عنها صدرت هذه الحركة ونمت . وهذا هو الذى سنفعله حين نبسط إلهيات القرآن .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إن معرفة محمد الالهامية المباشرة لربه هى قبل كل شىء معرفة لإله واحد قادر . إن فكرة الوحدة الالهية المتعارضة مع عقيدة التعدد العربية قد استولت على النبى أثناء اعتكافه فى غار حراء ، أما فكرة القدرة الإلهية ، فقد أخذت تعظم فى نفسه بمقدار ما كانت مقاومة العرب الجاحدين تتجسم ثم تنهزم أمام دعوته » .

لسنا ندرى ماذا يقصد الأستاذ « كارادى فو » بهذه العبارة . فاذا أراد بها أن فؤاد النبى كان يزيد قوة وثباتا بقـدر ما يرى من انهزام خصومه وتقهقرهم أمام دعوته فنحن نقره على ذلك . أما إذا كان يريد أن يقول : إن إلهـام الوحدانية سبق إلهام القـدرة الى نفس النبى ، وإن عقيدة القدرة لم تستول على نفسه إلا بعد أن جرب أثرها فى انهزام خصومه فذلك خطأ ، لأن الفطرة السليمة لا تتمثل إلها واحدا عاجزا البتة ، بل بالعكس إن أثر القدرة أظهر فى الشعور الانسانى العادى من أثر الوحدانية ، إذ أن الأولى تدرك بالاحساس ، بينما تدرك الثانية بالتفكير . وقد اتفق الفلاسفة الإلهيون على أن القدرة هى أثبت دعائم الوحدانية ، وأن أصح أدلة الثانية هو ما أقيم على أساس الأولى ، فقال أفلاطون : إنه لو لم يكن واحـدا ، لحد الشريك سلطته التى لا يثبت الكمال الذى هو أول شروط الألوهية إلا بأن تـكون لاحد لها .

والآن لنعد الى النصوص التى كنا بصددها . قال البارون بعد ما تقدم :

« إن وحدة الإله قـد أكدت بدون برهان فى نصوص القرآن كما هى فى صيغة العقيدة الاسلامية : لا إله إلا الله » .

ولا أحب أن أعلق على هذه الجملة بأكثر من أن ألفت نظر هذا الأستاذ المستشرق ، الذى لا بد أن يكون قد قرأ القرآن مرارا ، الى أنه ما كان يليق به أن يغفل عن مثل قول القرآن : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » . تلك الآية التى هى قضية شرطية بارعة يمكن أن تبقى على حالها ، أو أن تحول للتفنن فى الرد ، الى قضية حملية كما كان مناطقة الأغريق يفعلون . وفى كلتا الحالتين تنتج الجزم بالوحدانية ، لانتفاء الفساد الذى ينتج من التعدد بثبوت أدق أنواع النظـام .

تابع « البارون كارادى فو » بحوثه عن القرآن فقال : « إن هـذا الإله الواحد هو إله التوراة وإله إبراهيم وهو الذى ظهر (لموسى) من خلال الهيش الملتهب « وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى . فلما أتاها نودى ياموسى إنى أنا ربك ، فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إننى أنا الله لا إله إلا أنا » . (١)

« إن محمدا حين أعلن أن الإله لا يلد أدان بضربة واحدة عقيدة الثالوث المسيحية وبعض

(١) انظر سورة طه من آية ٨ الى آية ١٤ .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عقائد شعبية أخرى مختلفة كالعقيدة التى كانت تقول بأن « إدراس » هو ابن الإله ، أو التى كانت تحاول أن ترى فى الملائكة بنات للإله » ،

ولعل « البارون » يقصد بـ « إدراس » هذا : « العزير » . « وقالت اليهود عزير بن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون » (١)

ثم قال البارون : «قرر محمد إذاً ، أن الإله كائن واحد مخالف للعالم مخالفة مطلقة » .

لا يخفى على من له دراية بالفلسفة أن أسمى نظريات الفلاسفة التى قرروها فى الالهيات هى مخالفة الإله الكاملة لكل من عداه بحيث لا يماثله أى موجود أدنى مماثلة ، وأن كل الفلاسفة الذين لهم مذاهب محترمة فيما وراء الطبيعة قد اتفقوا على أن المماثلة بين الإله وغيره منعدمة ، وأن ما فى بنى الانسان من سمو وإدراك ليس إلا أشعة بسيطة من فيضه على البشر ، ليستطيعوا الاتصال به لا أكثر . ثم قال الأستاذ :

« إن المواضع التى تتعلق بالقدرة الالهية كثيرة العدد فى القرآن ، وهى أكثر إسهابا من المواضع المتعلقة بالوحدانية . وقيمة هذه الآيات تظهر فيما تحتوى عليه من ثناء . إن الإله عند المسلمين كما هو عند اليهود يستدل على وجوده بقدرته ، وإن هذه القدرة نفسها واضحة ، وهى تظهر بثلاث كيفيات : الأولى فى الطبيعة ، والثانية فى التاريخ العام ، والثالثة فى المعجزات ، وهذه المظاهر الثلاثة توراتية »(٢)

وهاك هذه الكيفيات الثلاث :

(١) مظهر القدرة الالهية فى الطبيعة .

« إن الإله الذى يراه محمد فى الطبيعة هو ذلك الخالق ، ذلك الحاكم للعالم الذى كان حسبه أن يقول فى سفر التكوين : ليكن النور فكان ، والذى أمامه ـ كما قالت المزامير ـ : هربت البحار ، وقفزت الجبال ، والذى تسبح بحمده السماوات والأرض والشمس والكواكب والضباب » .

هذه هى عبارة المزامير ، والآن استمع ما قاله القرآن : « ألم تر أن الله يسبح له من فى السماوات والأرض والطير صافات ، كل قد علم صلاته وتسبيحه ، والله عليم بما يفعلون » (٣) « إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (٤)

(١) سورة التوبة . (٢) توراتية نسبة الى التوراة . (٣) سورة النور آية ٤١ .
(٤) سورة البقرة آية ١٥٩ .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٢) مظهر القـدرة فى التاريخ :

قال الأستاذ « كارادى فو » : « إن برهان قدرة الإله عن طريق تاريخ الشعب العبرى مذكور بوفرة فى التوراة التى يصلصل فيها صدى صوت الإله بدون انقطاع قائلا : أنا الذى أخرجت آباءكم من أرض مصر وفتحت البحر أمامهم وأرشدتهم بالسحاب » . والقرآن يتخذ هذا البرهان نفسه ، ولـكنه لايمنحه من القوة والفصاحة المقدار الذى منحه البراهين السابقة » (أى براهين ظهور القدرة الالهية فى الطبيعة) ، الى أن يقول : « من الممكن أن يلاحظ أن القرآن قد اختار للاستدلال على الإله أروع ما فى الطبيعة وأرهب ما فى التاريخ » .

كتب الأستاذ « كارادىفو » قبل هـذه الجملة الأخـيرة وبعدهـا عبارات لا تتفق مع العقيدة الاسلامية . ونحن — وإن كنا لا نفرض على العلماء المستشرقين الايمان بالاسلام فرضا — نرى أن هذه العبارات من الناحية العلمية البحتة غير مسلمة ، بل هى ضعيفة ، لأنها مؤسسة على الفـروض والتخمينات أو على الاستنباط الخاطىء ، ولـكننا آثرنا أن نتخطاها الآن ، لنعود إليها حين نعرض لآراء القسم الثانى من المستشرقين ، وهى الآراء التى اصطدمت مع القرآن لسبب من الأسباب التى ذكرناها فى الـكلمة السابقة .

(٣) مظهر القدرة فى المعجزات :

نحن نعلم أن أهم معجزات النبى هى معجزة القرآن ، ولا نكلف الأستاذ « كارادى فو » الايمان بهذه العقيدة ، ولـكننا نكتفى منه فى هذا المقام بتلك الملاحظة القيمة التى سجلها فى العبارة الآتية : « إن القرآن قـد أبان جيدا الشروط التى يجب أن تصير البرهان المؤسس على المعجزة منتجا ، إذ اشترط وجود الاستعداد القلبى لتصديق المعجزة عند الذين يشاهدونها فقال : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل إنما الآيات عند الله ومايشعركم أنهـا إذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيـانهم يعمهون . ولو أنزلنـا إليهم الملائـكة وكلمهم المـوتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولـكن أكثرهم يجهلون (١) .

من هذا البحث الوجيز الذى قدمه إلينا الأستاذ « كارادىفو » عن القرآن ، ومن النصوص القرآنية التى أشرنا إليها آنفا يتبين جليا أن القرآن الى هنـا قـد عرض لخمس مشاكل هى من أعوص النظريات الفلسفية وأعظمها خطرا وهى : (١) الألوهية . (٢) نظرية الوحـدانية . (٣) نظرية القـدرة . (٤) نظرية التنزه عن الإنسال . (٥) نظرية مخالفة واجب الوجـود

(١) سورة الانعام آية ١٠٩ وما بعدها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لكل من عداه من الموجودات . وليس هذا هو كل ما عرض له القرآن من المسائل الفلسفية بل هناك نظريات أخرى سنشير الى عرضه لها فى الفصول الآتية . ولا أحسب بعد ذلك أن كتابا يعرض لهذه المشاكل الفلسفية المعقدة ويكلف معتنقيه بالنظر فيها يصح أن يتهم بأنه اضطهد الفكر وحارب النظر ، ولكنه الجهل أو الغرض هو الذى يحيد بصاحبه دائما عن الصراط المستقيم . « يتبع »

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

(مجلة الأزهر) إن مانقله الأستاذ الجليل الدكتور غلاب عن كارادى فو يشعر بأن هذا المؤلف متشبع بقول خصوم الاسلام إنه منقول عن اليهودية ، وهذا باطل كل البطلان ، فان فى القرآن من مناقضة اليهودية مالا يوجد فى كتاب غيره . والعقيدة بالله لم تبتكرها التوراة ولكنها كانت شائعة بين البشر حتى قبل ميلاد ابراهيم ، والكلام فى الألوهية قديم ، ولكن العبرة بالتنزيه التى تحاط بها هذه العقيدة حتى لا يقع صاحبها فى التشبيه الذى لا يفترق عن الوثنية فى شىء ، وهى من مميزات الاسلام دون سواه . والتوراة من هذه الناحية خالية من التنزيه ، فقد نصت على أن الله نزل الى الأرض ، وأمسك به يعقوب ، ولم يدعه يفلت منه حتى لقبه باسرائيل . ونصت على أنه ندم على خلق آدم ، وأنه بكى الخ . ولكن القرآن أتى من هذه الناحية بالتنزيه المطلق الذى لم يسبقه اليه كتاب . فقال : « ليس كمثله شىء » « لا تدركه الأبصار » .

أما قول المسيو كارادى فو إن القرآن أتى بالتوحيد ولم يقم عليه دليلا ، فهذا دليل على أنه لم يقرأ القرآن قراءة تدبر . ألم ير قوله تعالى : « وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق » ، وهذا أقوى برهان على الوحدانية يمكن أن يتصوره العقل البشرى ؟

أما قوله إن الاسلام اضطهد الفكر وحارب النظر ، فلا أدرى من أين استدل كارادى فو عليه ؟ هل قال الاسلام لأحد (اعتقد وأنت أعمى) ، كما اتهم به الأوربيون كنيستهم ؟ لو كان ما قاله كارادى فو صحيحا لأقام الاسلام سلطة تراقب الاختلافات المذهبية ، ولعملت ما عملته محاكم التفتيش فى أوربا ، ولما كان للمسلمين غير مذهب واحد ، ولما أخذ المسلمون العلم الطبيعى والفلسفة عن الأجانب ، ولما برعوا فيها حتى بزوا أهلها ، ولما نقلوا جميع الآراء الفلسفية ، والنظريات العلمية الى لغتهم ، واشتغلوا بها علنا فى مدارسهم ، وفيها كثير مما يناقض ظاهر ألفاظ الكتاب حتى اضطروا لتأويلها جريا على أصول الاسلام نفسه . ألم يبلغ المسيو كارادى فو أن المسلمين هم الذين بذلوا جهود الجبابرة فى استخراج الكتب العلمية وترجمتها بعد أن قضت الأديان الأخرى بكفر من ينظر فيها ؟ فهل يُتهم الدين الذى يسمح لأهله بكل هذا بأنه يضطهد الفكر ويحارب النظر ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التجديد فى الاسلام

— ٢ —

(١) ما حديث التجديد، وماذا قال العلماء فيه؟ (٢ ما معنى) التجديد فى الدين؟ (٣) لماذا يكون التجديد على رأس كل مائة سنة؟ (٤) ماذا قال بعض العلماء فى تفسير حديث التجديد؟

١ — ما حديث التجديد، وما أقوال العلماء فيه؟

١ — « إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها دينها ».

هذا هو حديث التجديد فى الدين، وقد اتفق الحفاظ من المتقدمين والمتأخرين، على أنه حديث صحيح، رواه كل راو معتبر، وكل حبر حافظ للأحاديث والآثار، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم. وممن نص على صحته من المتقدمين: الحاكم فى المستدرك، والبيهقى فى المدخل؛ ومن المتأخرين: الحافظ العراقى، والحافظ ابن حجر. وقال الزبيدى فى شرحه للإحياء: إن هذا الحديث هو الذى استنبط منه العلماء التجديد.

٢ — وقال العلامة المحدث الدهلوى: « إن تفسير هذا الحديث فى حديث آخر، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين » اهـ، فإن الناس لما اختلفوا فى الدين، وأفسدوا فى الأرض، قرع ذلك باب جود الحق، فبعث محمداً صلى الله عليه وسلم، وأراد بذلك إقامة الملة العوجاء؛ ثم لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم، صارت تلك العناية بعينها متوجهة الى حفظ علمه ورشده فيما بينهم، فأورثت فيهم إلهامات وتقريبات، فنى حظيرة القدس داعية لإقامة الهداية فيهم، مالم تقم الساعة، فوجب لذلك أن يكون فيهم لا محالة أمة قائمة بأمر الله تعالى، وأن لا يجتمعوا على الضلالة بأسرهم، وأن يحفظ القرآن فيهم، وأوجب اختلاف استعدادهم أن يلحق بما عندهم مع ذلك شيء من التغير، فانتظرت العناية لناس مستعدين قضى لهم بالتنويه، فأورثت فى قلوبهم الرغبة فى العلم، ونفى تحريف الغالين. وهو إشارة الى التشدد والتعمق، وانتحال المبطلين: وهو إشارة الى خلط ملة بأخرى، وتأويل الجاهلين. وهو إشارة الى التهاون، وترك المأمور به بتأويل ضعيف ».

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٢ — ما معنى التجديد فى الدين ؟

(ا) لم يترك الله تعالى شريعته تندرس وتنطمس وتذهب كلما طال عليها الزمن ، أو كلما ابتعدت عن الصدر الأول ، بكر العصور ، ومر الدهور ، بل حاطها بعوامل البقاء والاستمرار والدوام والصلاحية لكل زمان ومكان الى ما شاء الله ؛ من هذه العوامل أنه تعالى يقيض لها من العلماء الأعلام من يجددونها على رأس كل مائة سنة .

(ب) ظاهر كلام العلماء أن المراد بالتجديد هو استنباط الأحكام المناسبة للزمان والمكان من نصوص القرآن الكريم ، وإشاراته ، واقتضاءاته ، ودلالاته ، ومن أدلة الشرع الأخرى ، والقيام بأعباء الحوادث والنوازل ، ورد المتشابهات الى المحكمات ، وإحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة ، والأمر بمقتضاها ، وما خفى من العلوم الظاهرة والباطنة ، وتأييد الدين وتعضيده وتشييد أركانه ، ونشر أحكامه بمزيد الإتقان والإحكام ، ودفع المكاره عن الناس ، ونصر الحق وأهله ، وعمل ما فيه نفع الأمة : كالتدريس ، والوعظ والإرشاد ، وتقويم الأخلاق ، ونشر الفضائل ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ونصر السنة ، وقمع البدعة ، الى غير ذلك مما يجعل كلمة الله هى العليا ، وشريعته هى المعول عليها ، والمعمول بها دون غيرها .

٣ — لماذا يكون التجديد على رأس كل مائة سنة ؟

(ا) صرح العلماء بأن التجديد إنما يكون على رأس كل مائة سنة لكونه مظنة انخرام علماء المائة غالبا ، واندراس السنن ، وظهور البدع والمدعين ، فيحتاج حينئذ الى تجديد الدين ، فيأتى الله من الخلف ، بعوض من السلف ، وبهذا تبقى للشريعة جدتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

(ب) وصرحوا أيضا بأن البعث على رأس القرن : أى أوله ، ليس قيدا ، بل ذكره للغالب ، وللاقتداء بالحديث الشريف ، ولدفع توهم خلو أول القرن الثانى عن المجدد ، فإذا أفرغت المائة الأولى — مثلا — كان فى أول المائة التالية من يجدد أمر الدين ، وإنما كان البعث على رأس القرن ليس قيدا ، لأن عمر بن عبد العزيز كان أول المجددين ، بإجماع العلماء ، ومع ذلك لم يوجد فى أول القرن ، فقد ولد فى سنة ٦٢ هـ وتوفى فى سنة ١٠١ هـ .

(ج) كما صرحوا بأنه قد يكون فى أثناء المائة من هو موصوف بالتجديد ؛ بل قد يكون أفضل من المبعوث على رأس القرن ، وكذا قيل بتعدد المجددين ، المقيمين للحجج على تعضيد الدين ، كما سيأتى من ذلك إن شاء الله تعالى فى مقال آخر ما يشفى ويكفى .

(د) واختلفوا فى رأس المائة المذكور فى الحديث الشريف ؛ فقال العلامة المناوى : يحتمل أن يكون من المولد النبوى ، أو البعثة ، أو الهجرة ، أو الوفاة . وصرح الامام ابن السبكى وغيره : بأن المراد اعتبار القرن من الهجرة النبوية الشريفة . وقال الامام الجلال السيوطى :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المراد ما يؤرخ بها فى مدة المائة ، ورجح بعض العلماء أن رأس المائة يعتبر من البعثة النبوية الشريفة لأن منها ابتدأ هذا الدين القويم ، ولكل وجهة هو موليها .

(هـ) والسنة والعام مترادفان ، وقيل بينهما عموم مطلق ، لأن العام من اول المحرم الى آخر ذى الحجة ، والسنة من أى يوم فى أى شهر الى أن يأتى مثله ؛ فكل عام سنة ، ولا عكس .

٤ — ماذا قال بعض العلماء فى تفسير حديث التجديد ؟

قال بعض العلماء بمناسبة حديث : « إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » . قال هذا البعض بمناسبة هذا الحديث : بدئت بعمر ، وختمت بعمر ؛ يريد بدئت بعمر بن عبد العزيز ، مجدد القرن الأول ، وختمت بشيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقينى ، مجتهد عصره ، وعالم المائة الثامنة الهجرية ومجددها ؛ فانه كان له ترجيحات فى مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه خلاف مارجحه النووى ، وله اختيارات خارجة عن المذهب كإفتائه بجواز إخراج النقود فى الزكاة ، وله تصانيف فى الفقه ، والتفسير ، والحديث ، منها : حواشى الروضة ، وشرح البخارى ، وشرح الترمذى ، وحواشى الكشاف ؛ وكان أحق الناس فى أهل زمانه بالتجديد وقد توفى فى سنة ٨٠٥ خمس وثمانمائة — على رأس القرن .

ولكن القول بأنها بدئت بعمر ، وختمت بعمر ، لا يلائم منطوق هذا الحديث الشريف فان منطوقه يؤذن بالتجديد فى كل عصر ، ويفيد تناوب دول المجددين فى كل قرن أبد الآبدين الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . فلا يصح هذا القول إلا إذا حمل على أنه لايوجد بعد عمر البلقينى مثله ، وأن المجددين الخلف ، لا يصلون الى درجة السلف مثلا . ولا شك فى أن مرتبة التجديد كمرتبة الاجتهاد متفاوتة ؛ فقد ذهب جماعة من العلماء الى أن الامام شمس الدين الرملى المصرى ، الشهير (بالشافعى الصغير) ، مجدد القرن العاشر ، ووقع الاتفاق على المبالغة فى مدحه ، وأنه محيى السنة ، وعمدة الفقهاء فى الآفاق ، وفيه يقول الشهاب الخفاجى ، وهو أحد الذين أخذوا عنه :

فضائله عدّ الرّمال فمن يُطقْ ليحوىَ معشار الذى فيه من فضل
فقل لغَبىّ رام إحصاء فضله تَربت استرح من جهد عدك للرّمل

وعلى الجملة : فمنطوق هذا الحديث الشريف يفيد التجديد فى كل عصر ، ويدل على أن المجددين دول ، وأنهم يتناوبون التجديد فى كل زمان الى أن يأتى أمر الله . والقول بأنها بدئت بعمر وختمت بعمر يتنافى مع منطوق هذا الحديث ، ولا يتلاقى معه إلا إذا حمل على ما ذكرناه ؟

السيد عفيفى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عمر بن عبد العزيز

— ١ —

نسبه ومولده :

بينما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتفقد حال رعيته ذات ليلة ومعه أسلم ، إذ أعيا فاتكا على جدار دار ، فسمع جارية تقول لابنتها : قومى فامذقى اللبن بالماء ، فأبت فقالت لها : يا أمتاه أما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ؟ فقالت : وما كان من عزمته يابنية ؟ قالت : إنه أمر مناديه فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء . فقالت لها : يابنتاه قومى فامذقى اللبن بالماء فإنك بموضع لا يراك فيه عمر ولا منادى عمر . فقالت الصبية لأمها : يا أمتاه والله ما كنت لأطيعه فى الملا ، وأعصيه فى الخلا ! وعمر يسمع كل ذلك ، فقال : يا أسلم علّم الباب واعرف الموضع . ثم مضى فى عسسه ، فلما أصبح قال عمر : يا أسلم امض الى ذلك الموضع فانظر مَن القائلة ومن المقول لها ؟ وهل لها من بعل ؟ فذهب أسلم الى ذلك الموضع فاذا الجارية أيم لا بعل لها ، وإذا تيك أمها ، وليس لها رجل . فأخبر عمر بذلك ، فدعا أولاده الثلاثة : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وعاصم ، وقال لهم : هل منكم من يحتاج الى امرأة أزوجه ؟ فقال الأولان : إننا متزوجان ولا حاجة لنا بذلك ، وقال عاصم : يا أبتاه لا زوجة لى فزوجنى . فبعث الى الجارية فزوجها من ابنه عاصم ، فولدت بنتا سميت أم عاصم ، ولما ترعرعت وأراد عبد العزيز ابن مروان أن يتخير لنطفته تمسكا بقول النبى صلى الله عليه وسلم : «تخيروا لنطفكم فان العرق دساس» . فقال لقيمه : اجمع لى أربعمائة دينار من طيب مالى فانى أريد الزواج من أهل بيت لهم صلاح وتقوى . فذهب الى أم عاصم وبنى بها ، فأتت بعمر بن عبد العزيز سنة ٦٣ هجرية .

طلبه للعلم :

إن غصنا كعمر بن عبد العزيز قد نبت من شجرة مباركة طيبة تتصل من قرب بالفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لخليق بأن تتوق نفسه الى العلم وهو غلام ، فبعث به أبوه الى المدينة ليتأدب بها على عبيد الله بن عبد الله ، فى رقابة صالح بن كيسان ، فألزمه المثابرة على العمل والصلاة ، فأبطأ يوما عن الصلاة ، فقال له : ما حبسك عنها ؟ قال : كانت مرجلتى تسكن شعرى ، فأنبه على ذلك ، وكتب الى أبيه ، فبعث اليه رسولا لم يكلمه حتى حلق شعره .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فأكب على الدرس والتحصيل حتى جمع القرآن وهو غلام صغير، وتعلم من العلم طيبه ونفيسه، واصطحب خيار الناس فسمى نجيب بنى أمية.

لما أسندت اليه الخلافة :

لم يفت عمر بن عبد العزيز أن يتأسى بقول الله تعالى: « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » فجمع العلماء، وسألهم الموعظة، وأنصت اليها وعمل بها، منهم محمد بن كعب، وسالم بن عبد الله، ورجاء بن حيوة، وقال لهم: إنى ابتليت بالخلافة فأشيروا علىّ، فقال له سالم: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن إفطارك منها الموت. وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا، وأوسطهم عندك أخا، وأصغرهم عندك ولدا، فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك. وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت.

ولقد وصف له العدل محمد بن كعب بعد سؤاله عنه فقال: ياعمر سألت عن أمر حسن، كن لصغير المسلمين أبا، ولكبيرهم ابنا، وللمثل منهم أخا، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم، وعلى قدر أجسامهم، ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا، فتتعدى، فتكون عند الله من العادين، ولا تصحب من الأصحاب من خطرك عنده على قدر قضاء حاجته، فاذا انقطعت حاجته انقطعت أسباب مودته، واصحب من الأصحاب ذا العلى فى الخيرة، والأناة فى الحق، يعنك على نفسك، ويكفك مؤنته.

ولايته :

ولما علم الوليد بن عبد الملك عن عمر بن عبد العزيز أنه عالم ورع تقى شديد فى الحق، ولا تأخذه فيه لومة لائم، عينه واليا على المدينة، فجعل من فقهائها مجلسا للشورى والمصالحات، وحثهم على نصرة الحق والدين، وأن يكونوا له عونا وألا يكتموا عليه سرا، حتى لا يأخذ الناس بغير جرم. وصار يحكم بين الناس بكتاب الله وسنة رسوله، ويعمل على إعزاز الضعفاء وإعانة الفقراء، ولا ينفذ للخليفة أمرا إلا ما كان فيه طاعة الله ورسوله، ولا يحب أن يأخذ بالشدة ولا يؤخذ بها، فأبطأ ذات يوم عن الخروج لعمله فقال الوليد لحاجبه: ويلك ما بال عمر لم يخرج الى عمله حتى الآن! فقال الحاجب: زعم أن له اليك ثلاث حوائج، فاستحضره وقال له: مابالك قد تأخرت؟ فقال عمر: إنك استعملت من كان قبلى وأنا أحب ألا تأخذنى بعمل أهل الظلم والجور والعدوان. فقال له الوليد: إعمل بالحق وإن لم ترفع إلينا [illegible] واحدا.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جرأته فى الحق :

نشأ عمر بن عبد العزيز على الشجاعة وقول الحق ، لا تأخذه فيه لومة لائم ، ولم يبال فيه بكبير أو عظيم ، فعارض الخلفاء فى أعمالهم ، وجابههم بالحق ، وتألب على ما كانوا يفعلون ، فدخل يوما على سليمان بن عبد الملك وعنده أيوب ابنه وهو يومئذ ولى عهده ، وقد عقد له من بعده ، فجاءه إنسان يطلب ميراثا لبعض نساء الخلفاء ، فقال سليمان : ما إخال النساء يرثن فى العقار شيئا . فقال عمر بن عبد العزيز : سبحان الله وأين كتاب الله ؟ فقال : ياغلام اذهب فأتنى بسجل عبد الملك بن مروان الذى كتب فيه ذلك . فقال له عمر : لكأنك أرسلت الى المصحف . قال أيوب : والله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين ثم لايشعر أن يفارقه رأسه ، فرد عليه عمر : إذا أفضى الأمر اليك والى مثلك فما يدخل على أولئك أشد مما خشيت أن يصيبهم من هذا ؟ فقال سليمان لأيوب : مه ألأبى حفص تقول ذلك ؟ ! فقال عمر : والله لئن جهل علينا يا أمير المؤمنين ما حلمنا عنه !

ولم تكن هذه أول حادثة جابه فيها العظماء بالحق ونصر كتاب الله وسنة رسوله على مذاهب أهل البدع والتحريف الذين كانوا يركبون الشطط فيها ، تاركين الكتاب والسنة وراءهم ظهريا ، بل وقف حياته كلها على قول الحق والحكم بين الناس بالقسطاس المستقيم ، وصد نزغات الحكام وتذكيرهم بعيوبهم ، خرج مع سليمان بن عبد الملك سنة فلما أشرفا على عقبة عسفان نظر سليمان الى عسكره فأعجبه ما رأى من حجره وأبنيته ، فقال : كيف ترى ما هاهنا يا عمر ؟ قال : أرى دنيا يأكل بعضها بعضا أنت المسئول عنها والمأخوذ بها .

ولما راوده الوليد بن عبد الملك على خلع سليمان قال له : يا أمير المؤمنين إنا بايعنا لكما فى عقدة واحدة فكيف نخلعه ونتركك .

ورجل هذه صفاته وتلك خصاله لجدير بالتقدير والاعجاب .

محمد مصطفى شادى

البلاغة فى الاستجداء

كتب أبو العيناء المشهور بالأدب والأجوبة المسكتة فى القرن الثالث الى أبى الوليد يستجديه :

« مسنا وأهلنا الضر ، وبضاعتنا الود والشكر ، فان لم تعطنا فلسنا ممن يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون »

وأبو العيناء سئل عنه محمد بن مكرم فقال : من زعم أن عبد الحميد اكتب من أبى العيناء إذا أحسن بكرم ، أو شرع فى طمع فقد ظلم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نصـــائح

وضع حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود أبو العيون شيخ علماء الاسكندرية نصائح قيمة فى الأدب النفسى والدينى والاجتماعى نشرها على طلبة معهده ، رأينا أن نسجلها لفضيلته شاكرين جهاده الكريم فى تكوين نفسية طلبته على هذه الصورة الحكيمة ليتخرجوا علماء نافعين لأنفسهم وأمتهم ، وهى :

أقدم من أعماق قلبى هذه النصائح الغالية لأبنائى طلبة المعهد مؤملا أن يحفظوها وأن يحرصوا عليها ، وأن يأخذوا نفوسهم بها ، فان فعلوا — وذلك ظننا فيهم — أفلحوا وكانوا من المهتدين إن شاء الله تعالى .

أى بنى :

١ — ليكن شعارك دائما : حب الله ، وحب المليك ، وحب الوطن .

٢ — التزم طاعة الله تعالى ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم طاعة الأستاذ ، وخذ عنه العلم مستنصحا مسترشدا ، واعلم أن جحود الأستاذ والتجهم له والعبث بين يديه أنكى أثرا وأشأم عاقبة من عقوق الابن لأبيه ، وأخلق بمن كان ذلك شأنه ، أن ينقطع عن ربه ويفشل فى طلب العلم الذى هاجر فى سبيله ، وترك الأهل والأعزة والراحة من أجله .

٣ — لا تقصر نفسك على تحصيل دروس المنهاج الذى تدرسه ، بل تزود ما استطعت من علوم الحياة والاجتماع ، وتضلع من الثقافة بكل جديد نافع ، لتكون عضوا عاملا فى المجتمع الذى تعيش فيه ، ولتؤدى رسالتك على صورة مثالية كاملة .

٤ — ليكن حرصك على طلب العلم الذى أنت بسبيله شديدا وقويا ، وليكن حرصك على العمل بما تعلم أشد وأقوى ، فان العلم بلا عمل ، كالشجر بلا ثمر .

٥ — لا تجعل طلب العلم وسيلة للمادة وحطام الدنيا ، فإن ذلك تحقير للعلم ، وازدراء بأفضل مكتسب ، وأعز مقتنى ، بل اطلب العلم للعلم ، واطلبه لأنه لذة للعقل ، ومتعة للنفس وذخيرة للحياة المعنوية ، وثق بأن المادة تأتى بعد ذلك طواعية واختيارا ، وثق بأن الدنيا تطلبك وتستمتع بها حلالا طيبا بغير كدادة ولا صغار .

٦ — اعرف لنفسك منزلتها فى الوجود كطالب علم ودين ، وثق بأنها فوق منزلة

oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الكبراء والحكام فصنها بزينة العلم ، وجمال الأدب ، ووقار الدين ، واسم بها عن منازل المغمورين المنحمقين .

٧ — أغنى الغنى القناعة ، وأفقر الفقر الطمع ، ولكن القناعة فى طلب المجد خمود فى النفس ، وجمود فى القريحة ، والطمع فيه والمغامرة من أحله كمال لها ، وفضيلة محمودة .

٨ — حزماء الرجال وأكياسهم يمثلون لأنفسهم مخايل الكمال وسمات الفضيلة لرياضة نفوسهم عليها والأخذ بأسبابها ، فخذ لنفسك مثالا من عظماء الأيام وأبطال التاريخ واجعل أعمالهم قدوة لك تترسمها فى كل ما تعتزمه من عمل جليل .

٩ — عود نفسك الايثار ، ومواساة العفاة والمعوزين ، فإنك إن أنقذت عانيا هالكا فذلك خير لك من الدنيا بحذافيرها .

١٠ — بلغنا أنه كان من سلفنا الصالح من يؤثر العزلة ويلتزم خويصة نفسه وبلغنا أن الكبراء والحكام كانوا يتفقدونه ويلتمسون لقاءه فلا يكادون يظفرون بذلك .

هذه الحالة كانت فضيلة فى زمانهم ، لأن الدين كان سائدا بين الأقوام ، وكان سلطانه يملأ القلوب رهبة وجلالا ، أما وقد أصبح الدين غريبا فى بلاده فالعزلة جحود ومأثمة ، وصار الجهاد فى سبيله والنفاح عن شعائره واجبا حتميا فى عنق كل عالم ومتعلم فى حكمة ورفق .

١١ — اعلموا أنكم فى مدينة كبيرة يقطنها كثير من الأجانب وعلية القوم ، فاحرصوا الحرص كله على مظاهر الكمال والاحتشام فى كل مكان : فى الدرس ، وفى الطريق ، وفى كل مجتمع عام ، ولا يرى الناس فيكم ما يشين طالب العلم ويتنافى مع خلق رجل الدين .

١٢ — لا تهمل صحتك ، وحافظ على جسمك من الترهل والخمود ، وأعطه قسطه من الملاج والرياضة البدنية ، فان العقل السليم ، فى الجسم السليم ؟ شيخ علماء الاسكندريه

محمود أبو العيون

كم نجا الادب صاحبه

نقم طلحة بن جعفر بن المتوكل المنعوت بالموفق على هرون ابن عبد الملك . فأمر باحضاره إليه ، فلما وقف بين يديه ، أنشده من شعره على البديهة :

يا بنى هاشم بن عبد مناف ... لكم حادثُ العلى والقديمُ
ليس عندى وإن تغيرت إلا ... طاعة محضة وقلب سليم
وانتظار الرضا فان رضى السا ... دات عز وعتبهم تقويم

فأعجب ببديهته وعفا عنه وأمر له بجائزة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

منطق الدين

محاولة وضع أداة علمية لمعرفة الدين الحق

الدين غريزة عقلية

نشرنا فى العدد الماضى المقدمة والأصل الأول لهذا المنطق الدينى واليوم نورد الأصل الثانى منه :

الأصل الثانى :

الدين غريزة عقلية موهوبة لا مكتسبة :

لم ير المنقبون فى أساطير الأمم أمة مجردة من الدين ، إذا فُهم الدين بمعناه الساذج المتناهى فى البساطة ، ولكن إذا فُهم بتوابعه من عبادات وكهنة وهيا كل ، فربما انخدع الباحث بعدم وجود تلك التوابع فظن أن بعض الجماعات تعيش بغير دين . وقد خطأ كبار العلماء هؤلاء الباحثين فى اعتمادهم على الظواهر ، وقرروا عدم وجود مجتمع يخلو من الدين على أية حالة من الحالات ، حتى الجماعات اللاتى كانت عائشة فى عصر الحجر . ومن هؤلاء العلماء الأستاذ روسكوف من جامعة فينا ، وماكس مولر من ألمانيا ، وهربرت سبنسر وتيلر من انجلترة ، وغيرهم ، وقد فندوا جميعهم قول المنكرين بالحجج الدامغة .

على أنه مما لا خلاف فيه أن الجماعات البشرية الأولية كافة قد أطبقت على القول بوجود قوة شاملة فوق العالم المادى هى مصدر كل خلق وابداع ، تمد كل كائن بالقوى والوسائل الضرورية له لحفظ شخصه ونوعه . ويمكن استمداد الحول منها بالتوجه إليها واحداث أمور خارقة للعادة . وقد سماها بعض هذه الجماعات (مانا) وبعضها (وا كان) وغيرهم (وشورنجا) و (أورندا) الخ على حسب اختلاف اللغات ولكن معناها عند الكافة واحد .

قال العلامة (ماكس مولر) الألمانى فى كتابه (أصل الدين وتطوره) :
(Origine et développement de la religion) :

« المانا فى اعتقاد البولينيزيين ترينا كيف ظهرت ، عند أحط الأجناس البشرية على صورة مبهمة وغامضة ، فكرة اللانهاية وغير المرئى ، أو كما سميناه فيما بعد بالالهى . وقد كتب المستر (كودرنجتون) وهو مبعوث مجرب ولاهوتى مفكر ، كتب من نورفولك (الولايات المتحدة) فى سنة ١٨٧٧ يقول :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« إن ديانة الميلانيزيين (بالاقيانوسية) تتألف من الاعتقاد بأن وراء هذا العالم قدرة فوق الطبيعة غير مرئية ، وعبادتهم لها تنحصر فى اتخاذ الوسائل للاستمداد منها لمصلحتهم .

وقال العلامة (ج . ن . ب هويت) (Hewitt) عند كلامه عن هذه القدرة عند الايروكيين وهم هنود أمريكا الساكنون فى الجنوب الشرق من بحيرتى أرييه وأونتاريو الآن .

قال فى مقالته : (أوروندا وتعريف الدين) المنشورة فى مجلة (الانتروبولجيست) الأمريكية ، والأوروندا هى إلمانا فى لغة الايروكيين ، قال :

« هى قدرة خفية يتصورها الانسان المتوحش ملازمة لكل الأجسام المكونة للبيئة التى يعيش فيها . . . فهى ملازمة للصخور وللمياه وللأعشاب والأشجار وللحيوانات وللناس وللرياح وللزوابع ، الخ .

« ويعتبر العقل الساذج للانسان هذه القدرة السبب المولد لجميع الظواهر الطبيعية ، ولكل مظاهر النشاط التى تحدث حوله » .

نقول : إن الذى قرره العلماء أن القول بوجود هذه القدرة العليا عام لدى الجماعات الأولية كافة . قال العلامة (س . دوفيسم) فى كتابه تاريخ الروحية التجريبية . (Histoire du Spiritualisme Expérimental)

« إن ما تجب معرفته والتنبه له هو أن هذه العقيدة تكاد تكون عامة بين جميع الجماعات الأولية ، والأرجح أنها تعمها جميعا دون استثناء ، حتى لدى الذين لا يعقل أن يكون قد حدث بينهم وبين غيرهم اتصال » .

ولكن الذى أوقع العلماء فى الحيرة ، وجود هذه العقيدة على الدرجة العليا من التنزيه عند الشعوب الأولية ، وهى درجة لا تسمح بها عقولهم القاصرة التى لا ترتفع كثيرا عن العقلية الحيوانية . قال الأستاذ مارسل هابرت من أساتذة جامعة بروكسل الحرة فى كتابه (الإلهى) (Le Divin) صفحة ٢٥٥

« إن فى تصور المتوحشين وجود قدرة روحية عامة وغير متحيزة ما يوجب لنا شيئا من الارتباك العقلى والحيرة . ومع هذا فقد ثبت ثبوتا قاطعا أن الجماعات الساذجة تقول بهذه العقيدة وتعيش فيها . ويجب علينا أن نلاحظ هنا أن هذه العقيدة الآن يصاحبها عقيدة فى وجود الأرواح البشرية » .

نقول : ولكن الأمر الذى حير العلماء وأدهشهم أكثر من هذا هو أن عقيدة المتوحشين هذه هى القول العلمى الذى هُدى اليه العلماء فى الزمان الأخير . قال الأستاذ (فان جنيب) فى مجلة (ميركور دوفرانس) صفحة ٤٩٣ من مجلد سنة ١٩٢٤ :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« قد نبهت منذ زمان طويل ، عند ذكر خرافات وأساطير استراليا ، كيف أن عقيدة المانا التى هى أساس كل ديانة عند المتوحشين ، لا تفترق إلا من ناحية درجتها عن الأصل العلمى الراهن المسمى بالقوة الوجودية العامة » .

نقول إن هذا من الخطورة بمكان عظيم ، فإن فى ثبوت انتهاء العلم فى تحسسه من عالم الوجود ، الى قول لا يفترق عما كانت تقول به الجماعات الساذجة من المتوحشين ، ولا تزال تدين به جماعاتهم الى اليوم ، الى جانب ما كدسته من خيالاتها فى خلال العصور ، يعتبر بحق أمرا جالا يوجب التفكير .

قال العلامة (س . دوفيسم) فى كتابه (تاريخ الروحية التجريبية) الذى تقدم ذكره فى صفحة ١٦٦ عند المامه بهذه العقيدة :

« بناء على ما تقدم نقول أنه مما يوجب الفخار العظيم أن نسجل أن العلم الحديث قد وصل الى ما يقرب من عقيدة المانا التى نشأ عليها النوع الانسانى » انتهى .

أدلة الغريزية العقلية فى هذه العقيدة الأولية :

مما لا يمكن التسليم به ، أن تتواضع جميع الجماعات الأولية منذ نشوئها ، على القول بعقيدة تعتبر اليوم غاية ما وصل اليه العلم من تعليل الوجود .

نعم إنها عقيدة ساذجة ولكنها سذاجة تنزبه لا سذاجة جهالة ، وهى لا تفترق عن عقيدة أرقى فيلسوف فى القدرة العليا التى أوجدت الوجود ، فالفيلسوف يرى أن تلك القدرة مصدر كل خلق وابداع ، وأنها علة كل حركة وسكون فى عالم الكون والفساد . فان زاد على الأولين فيها قال : أنها أزلية أبدية ، لا تتأتى معرفة كنهها بالحواس ولا بالعقل ، تحيط بكل شىء ، يصدر منها كل كائن وينتهى اليها . ولا يخفى أن هذه كلها محسنات لفظية اقتضاها التبسط فى التحقيق ، ولكن كل ما يمكن أن يقال من هذا القبيل لا يزيد على عقيدة الأولين شيئا . فهم إن كانوا لا يذكرون الأزلية والأبدية ، والشمول والاحاطة ، والبداية والنهاية ، فلأنهم لم يشعروا فى أنفسهم باعتراك الشكوك ، ونزاع الشبهات ، فلم يضطروا لإحاطة عقيدتهم بالتحوطات الكلامية ضدها .

والقول بأن هذه العقيدة غريزية فى العقل لا ينافى العلم الرسمى فى شىء ، فانه يعد من مميزات الغريزة أنها تكون عامة فى النوع ، ولا يتحصل عليها من طريق التفكير . وهذا ينطبق على ما نحن بصدده من هذه العقيدة .

فأما كونها عامة ، فقد أثبتناه لك من طريق العلم نفسه ، فقد قرر كما رأيت هنا ، أنها موجودة

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

حتى لدى الجماعات التي لا يعقل حدوث اتصال بينها فى حين من الأحيان ، وأنها وجدت فى كل زمان الى أبعد ما وصل اليه علم الانسان .

وأما كونها لم يتحصل عليها من طريق التفكير ، فما لا يمكن التمارى فيه ، فان الافكار ، وبخاصة الساذجة منها ، إذا اتجهت لتعليل الوجود ، فلا يتصور أن تقع على معقول واحد يعتبر غاية فى السمو والتنزيه ، يفخر العلم نفسه بأنه انتهى اليه فى عهده الأخير .

وأية غرابة فى كون هذه العقيدة غريزية فى النوع الانسانى ، وقد قذف به الى هذه الأرض حاصلا على غرائز عقلية كثيرة لولاها لهلك بعد وجوده بأيام معدودة ؟

ألم يمتع الانسان بحظ كبير من الأصول العقلية التى أصبحت فيما بعد أساسا لعلم المنطق ، كعلمه بعدم اجتماع النقيضين ، وبأن الشىء الواحد لا يوجد فى مكانين الخ ، ولو كنا وجدنا فى عهد الانسان الأول لرأينا أنه قد نشأ متحليا بغرائز عقلية أخرى ضرورية لحياته مما لا يمكنه تحصيلها بجهوده الذاتية إلا بعد أمد بعيد .

على أن من لم يشأ أن يقول بغريزية تلك العقيدة ، وجب عليه أن يدعى بأنها ثمرة تأمل الانسان فى الوجود وهو خالى القلب من جميع الصور الذهنية ، لأن التحليل العلمى أثبت أن هذه العقيدة سبقت جميع الخيالات الوثنية ، والخزعبلات الميتولوجية . وهذه الثمرة التأملية فى عمومها وبساطتها وتجردها من الخزعبلات الفكرية ، تقتضى أن يكون العقل بحكم تكوينه الطبيعى مضطرا للوصول اليها ؛ والفرق بين الحالتين يكاد لا يذكر ، فسواء أفطر الانسان على أن يدين بهذه العقيدة بحكم الغريزة العقلية ، أم تأدى عقله اليها لأول تأمله فى الوجود ، وقبل تلوثه بأية صورة ذهنية ميتولوجية ، فان الأمر يرجع فى كلتا الحالتين الى الفطرة الانسانية . وكل مابين الرأيين من الفرق ينحصر فى أن هذه العقيدة لم يجدها الانسان مطبوعة فى نفسه بدون تأمل ، وإنما وصل اليها بعد أن تطلب علة الوجود فى أول عهده بالحياة فوجدها بدون كلفة .

تطبيق هذا الأصل على الاسلام :

إن من الآيات التى يجب أن تبهر الألباب فى هذا الدين ، أنه سبق العلم فى هذه الناحية بنحو ثلاثة عشر قرنا . ففى الوقت الذى كان يتلو النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا (أى حائدا عن العقائد الباطلة) ، فطرةَ الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، كان الناس لا يعرفون من أسرار الفطرة الدينية شيئا ، ولا يتخيلون أن يجىء بها وحى من السماء قبل أن يهتدى اليها العلم بنحو ثلاثة عشر قرنا .

إن هذه الآية صريحة فى أن الدين الحق فطرة فى النفس تهتدى اليه بدون كلفة ، ككل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما هو فطرى فيها ، وإنه عام فى جميع أفراد النوع البشرى . ومن العجيب أن هـذا التصريح مذيل بقوله تعالى : « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، وهو حق ، فانه لا يعلم هذا الاكتشاف إلا أفراد ممن وقفوا أنفسهم لتلقف فتوحات العلم .

والذى يقرأ قوله تعالى عن الدين الفطرى على بساطته : « ذلك الدين القيم » ، ويكون مطلعا على ما انتهى اليه العقل العلمى فى العهد الأخير ، يجزم بأن إدراكا بشريا لا يستطيع أن يصدر هذا الحكم قبل وجود دواعيه بنحو ثلاثة عشر قرنا . فان أى عالم يعتد برأيه اليوم لا يستطيع أن يحمّل عقله غير مؤدى هذا الدين الفطرى ، الذى اكتشف أنه كان دين الجماعات الأولية من عهدها الأقدم الى اليوم .

لا جرم أن هذا الأمر من أعظم المعجزات العلمية فى القرآن الكريم ، وآيتها محكمة لا تقبل التأويل ، وقد زادها النبى صلى الله عليه وسلم إيضاحا فقال : « كل مولود يولد على الفطرة (أى على الديانة الحقة) ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » أى يحوّلون فطرته عن صراطها ، بتلقين المولود تعليمات مما تواضعوا عليه وليس من الديانة الصحيحة فى شىء .

وقد بنى الله على هذه الحقيقة أن الناس كانوا فى أول أمرهم أمة واحدة على هـذه الديانة الفطرية ثم اختلفوا ، فقال : « وما كان الناس إلا أمة واحدة ، فاختلفوا » . وبين فى آية أخرى سبب الخلاف فقال : « كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » . ومعناها كان الناس أمة واحـدة متفقين على الدين الفطرى (كما ثبت علميا) ، فاختلفوا ، فبعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه ، فحدث بينهم اختلاف فى الكتاب نفسه ، وما اختلف فيه إلا الذين أعطوه بغيا بينهم ، أى حسدا أو ظلما ، فعكسوا الأمر فأصبح ما أنزل لإزالة الخلاف سببا فى استحكامه ، فهدى الله المسلمين للحق بانزال القرآن اليهم ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

لو كشف هذا الأمر على هـذا النحو للذين اكتشفوا الديانة الانسانية العامة ، التى كانت تدين بها البشرية فى أيام سذاجتها الأولى ، خالصة من الخزعبلات التى انشأتها الأفكار البشرية فيما بعد وقد ستها ، متابعة لأوهامها وأهوائها ، لدهش أولئك العلماء ، ولكان دهشهم حافزا لهم على التنقيب فى مكنونات القرآن فى مجالات أخرى . ولا نشك فى أن هذا سيكون ، ونرجو أن يكون قريبا ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كنز الفاطميين المفقود

لعلك أيها القارىء لا تذهب بخيالك بعيداً إذا سمعت كنزا ، وتعلق أمام مخيلتك بريق الفضة اللامعة والذهب المتوهج ، وإنما الكنز الذى أقدم أمامك عنه فكرة فى هذه العجالة هو ديوان الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمى بانى القاهرة ومشيّد مسجدها العظيم الأزهر المعمور . وديوان الأمير تميم هو كما قدّمت اليك كنز حافل بالشعر الغزير ، والنظم المؤثر البليغ ، والقوافى الرقيقة ، والمعانى الأخاذة ، والحكم الجذابة ، والأخيلة الرائعة ، والصور الجميلة التى يتجلى فيها الفن والابتكار ، وتبدو الطبيعة من خلالها فى قالب يملك على القارىء لبه وتفكيره وتصوره . ديوان الأمير تميم يكشف صحيفة مجهولة من سجل التاريخ الأدبى بوجه عام ، والحياة الفاطمية بوجه خاص . ومن حقنا أن نقول إن الأمير تميما سيطلعنا على وجوه كثيرة من الحقائق ، ويعطى المؤرخ حياة جديدة فى آراء هذا العصر ومذاهبه وأفكاره ، وإن كان استخلاصها من الشعر يبدو صعبا فى أول الأمر ، خصوصا عند من يجهل تاريخ الفاطميين ومذهبهم . ولكنك على كل حال سترى صورة واضحة للدعوة الفاطمية وتفسيرها الصحيح .

وفى هذا الديوان مافى غيره من الدواوين من مدح وغزل ، ووصف وتشبيب ، وفيه زهد ونصح ورد على بعض الآراء . ولمصر خاصة أعظم نصيب من هذا الديوان ، فهو يطلعنا على كثير من أعيادها ومواسمها ، ويتحدث عن بعض مواطن القاهرة وأديرتها وبركتها ، ومتنزهاتها وحدائقها الغناء ، وقصورها الشامخة الباذخة ، فهو شاعر مصرى ، وللأدب المصرى فيه حياة جديرة بأن يتناولها بالبحث والتنقيب من يهمه تناول الأدب المصرى وتعرّف شخصيته الممتازة الواضحة . إنك لترى الإمارة فى ديوان تميم وقد تجلت فى عزة نفسه واعتداده بمقداره ومكانته من أبيه وأخيه الملكين ، ففيه ترى كيف يتكلم الأمراء إذا أرادوا صياغة الشعر وصناعته .

ولتميم شخصية تبدو لك فى كثير من نواحى قصائده ، فهو خفيف الروح ، رقيق الجانب ، جميل اللفظ ، وهو فوق ذلك كله صريح الى أبعد حد فى الصراحة والوضوح . وقد ترى أحيانا فى معانيه عُمقا وبُعدا ، وقد تلمس الفكاهة المصرية ولا سِيّما فى غزله الشجى الرقيق ، وقد يحلق بهذا الغزل فى أفق سام من المعانى السحرية فى عبارة تقع من السامع موقع رنين المِزهر ، ويريك فيها ابتسامة الأزهار ونضارة الأغصان .

على أنى إذا وصفت تميما وبلغت به هذه القمة من السمو فإنى لا أبرّئه من التكلف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والاعتساف أحيانا . فإنه كان فى بعض أوقاته يتعمد القصائد ويرسل فيها الغريب من اللغة ومن الوصف . ولعل ما حمله على ذلك هو الادلال بعلمه والتنويه بمكانته من اللغة والدراية بغريبها ، ولعله كان يريد أن يقول لقرائه : لا تغرنكم منى ركة ألفاظى وسهولة أسلوبى فإنى أستطيع أن أخاطبكم بما لا تعلمون ، وأتلو عليكم لا تدركون .

عند ما تقرأ قصيدة فى الصحراء ترى نفسك قد انتقلت من مصر الى مترامى البيداء من جزيرة العرب ، وأنك تسمع أصحاب المعلقات يجولون بك بين الرسوم الدارسة ، والمهامه الخاوية ، ويصفون لك ظباءها وأطلاءها ، وسباعها وأوعالها . وإنما عمد تميم الى هذا اللون من الكلام قصداً الى أن يعرف له اللغويون والعلماء قدرا . كما أنه قد يسخف بالشعر أحيانا فيرسله فى أبسط الوجوه وأقل الغايات ، فإذا أراد أن يستعير كتابا من صديق ، أو يرسل إليه بعض الأزهار استخدم الشعر ليترجم عن غرضه وإن كان غرضه هينا يسيراً . وهو فى هذا كبعض الأندلسيين الذين انتشرت بين ربوعهم لغة الشعر والنظم ، فأصبحوا يتحدثون عن جميع مطالبهم ، وما ربهم وعن أصغر حاجاتهم وأيسر أمورهم بلسان الشعر ، حتى كاد النثر عندهم يصبح أمراً ثانويا . ففى هذا النوع يقل افتنانه ويتوسط بيانه ، ولكنك تلمس فيه عبقرية الفنان ، وسحر الشاعر ، وقلم المصور عندما تحفظه نوازع الشوق ، وقوارع الآلام ، أودوافع العتاب ، فأسمعك شعره السهل الممتع ، وتلمس روحه الجياشة بأبدع المعانى وأحدث التصورات .

استطعنا أن نصل الى هـذا الديوان بعد جهد غير يسير وعناء قلّ أن يحتمل ، فلقد كان شعر تميم جوهرا مكنونا فى قصر الفاطميين ، وحمل فيما حمل من خزانات الكتب الى جبال اليمـن بعد ضعف دولتهم ونزوح كبار من رجالاتهم فراراً من سطوة الأيوبيين الذين كانوا يحسبون لها ألف حساب ، وقـد استطاع هذا الديوان أن ينجو من الإحراق الذى أصاب خزانة الفاطميين . وبقى فى جبال اليمن معتصما بمكانها البعيد عن تناول العصف والعدوان الى أن رافق البقية من الفاطميين الى بلاد الهند منذ خمسمائة سنة ، وكانت أجزاؤه مشتتة بين النسخ الخطية التى اختلفت فيها الروايات الى أن يسر الله لنا التطواف بين المراكز الفاطمية من بلاد الهنـد ، واستطعنا أن نعثر على نسخ مختلفة ، فاستخلصنا من جملتها هـذا الديوان الوحيـد ، وهو خلاصة من سبع نسخ مختلفة قـديمة وحديثة ، لنقدمه فى أعظم مناسبة هى العيد الألفى للأزهر والقاهرة . فالشاعر من صميم الأسرة التى شيدت أقـدم جامعة فى العالم وأعظم مدينة فى الشرق . ونحن إذ نقدم هذا الشعر إنما نقدم صورة من إخلاصنا وآية من حبنا لمصر ، ونرد إليها كنزا من كنوزها ، وحق الأمانة أن ترد لأهلها . وقبل أن نقدم هذا الديوان نقدم الى قراء مجلة الأزهر طائفة كبيرة من مختلف أبوابه آملين أن نجد الفرصة لإتمام بقية كتابه :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فمما قال فى الزهد :

أفنيت دهـــرك تتـقى فيـه الحـوادث والمصائب
ولو اتّقيتَ معاصىَ الـــرّحمن فيما أنت راكب
لأمنتَ من نار الجحيم وفى الحياة من النـوائب
إن لم تراقب مَن له حـكـم عليك فمَن تُراقِب

ومما قال فى رثاء أبيه المعز لدين الله :

كيف لا نعدم الجسوم القـلوبا وترى نضرة الوجوه شحوبا
من يعزّى الجياد أم من يسلّى مجلس الملك والسريرَ الكئيبا
فقدوا بعدك القـلوب اللوانى شقّها واجب فشقّـوا الجيوبا
واُمعزّاهُ واُمعزّاهُ حتى يغتـدى الدمـع بالدماء خضيبا
فليذق غـيرىَ الحياةَ فإنّى لا أرى للحياة بعـدك طيبا

ومما قال فى وقت عمل الشمسية لبيت الله الحرام :

يا حبّذا دهـرك الزلال إذا أمرّ دهـرٌ وعصرُك الشنب
وحبّذا الشمسة التى نصبت يقصر عنها المـدح والخطب
قايست العيـد وهى حلّته وأخمت اليـومَ وهو منتصب
ينهب ياقـوتها العيونَ فما يكمل إلا من حيث ينتهب
دائرة أحـدقتْ بغـرّتها أهـلّةٌ لا تجنّها السُّحب
كأنما رصّعت مناقبك الغـــرّ عليها وأفـرغ الحسب
حق على الشمس طـول نقبتها منها وذات الحياء تنتقب
وقـد أراها ولا مـدام بها فـكيف قالوا لدرّها الحبب
نظمـتها للهـدى ولبّتـه وإن سخطن الـكواعبُ العربُ
فى كبد المسجد الحـرام بها شوق وللبيت نحـوها طـرب
ولا تمنّى بأهـله زمن إلا بما تشتهى وترتغب

الأمير يفتخر على بنى العباس :

أقرّوا لنا ياآل عباس بالعـلى فلستم لها ياآل عباس أكسبا
سبقنا كم للدّين والهجرة التى تأخّر عنها جـدّكم وتحجبا
وكنتم بنى عمّ النبى محمّد وكنّا بنيه وهـو كان لنا أبا
وليس بنو أعمامه فى دنوّهم كمثل بنيـه خطّة وتنسّبا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

ولو لم نكن إلا بنى العمّ مثلكم | لكنتم لنا وهدا وكنا لكم ربا
وما يستوى العبّان هذا مقرّب | محبّ وهذا بَعْدَ بُعدٍ تقرّبا
نبا جدّكم عن نصره يوم بعثه | وجدّ علىّ جدّنا عنه مانبا

ومما قال فى الوصف :

مضمورة تفعل بالبيداء | فعل قراح الماء بالصهباء
قطعته مشيّع الحوباء | بعزمة صارمة صمّاء
قطع نجوم الليل للظلماء | حتى إذا قلت دنا التنائى
أصبح قدامى ما ورائى | والشمس قدحلّت ذرى الجوزاء
تذيب حرًّا هامة الحرباء | وتقدح النار من المعزاء
حتى ترى العين لدى الرمضاء | جوائما موتى على الأطلاء
والضبّ لا يبدو من الدأماء | خوفا من الأنواء والاحماء
أسير فى ديمومة جرداء | ليستْ بمشتاة ولا شجراء
حتى وصلتُ الصبحَ بالمشاء | لا مستدلا بسوى ذكاء الخ

وقال فى الغزل :

إن يحجبوا وصلها فما حجبوا | عينىّ سرى طيفها وذكراها
بعيدة الدار وهى دانية | منى على بُعدها ومناها
فى ناظر القلب شخص مرءاها | وفى صميم الفؤاد مثواها
أعارت الراح لون وجنتها | وطبع ألحاظها ومعناها
فالخمر لو لم تكن كمقلتها | فى الطبع ما أسكرت نداماها
سقتنى الراح وهى خداها | بأكؤس اللحظ وهى عيناها
تخالها الشمس فى تلألؤها | لا بل تخال الشموس إياها
ولست أرضى من الأمور بما | لا أجد المكرمات ترضاها
من اصطفانى بوده فله | عندى ما كالجبال صغراها الخ

وقال فى المدح :

سعى وطال النجوم مبتديا | بهمة يستقل مسعاها
نفس كأن السماء مسكنها | وهمة كالزمان أدناها
لم يسع الدهر حين حل به | صغرى علاه فكيف كبراها
لو أمه من عفاته أحد | يقول هب لى علاك أعطاها

ليس بناس لوعده وإذا جاد بنعماه فهو ينساها
فمن يطعه يفز بطاعته ومن عصاه فقد عصى الله
مجدك يستغرق الثناء ولو كان الورى ألسناً وأفواها

ومن أحسن ما قيل فيه قول ابن رشيق :

أصح وأقوى ما سمعناه فى الندى من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث يرويها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم

محمد حسن الأعظمى
المتخصص بالدراسة الفاطمية

بين العفو والمؤاخذة

لا مشاحة فى أن العفو من شيم الكرام ، والمتخلق به جدير بأن يعتبر من كبار القلوب ، ولكن إذا كان العفو يرفع من قدر صاحبه فهل يفيد المعفو عنه أدبا يردعه عن معاودة جرمه ؟

يرى الحكماء أنه يفيد الفطر الطيبة ، ويزيد الجبلات السيئة سوءا فقالوا : العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم .

وقالوا : جنب كرامتك اللئام فانك إن أحسنت اليهم لم يشكروا ، وإن أساؤا لم يستغفروا .

وقالوا : اللئام الى رَهبُوت ، أحوج منهم الى رَحمُوت .

وقال أبو الطيب المتنبى :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وينسب الى الامام على كرم الله وجهه ، ونحن لا نرجح ذلك ، ونثبته هنا باعتبار أنه قيل وهو حسن فى هذا الباب :

لئن كنت محتاجا الى الحلم إننى الى الجهل فى بعض الأحايين أحوج
ولى فرس للخير بالخير ملجم ولى فرس للشر بالشر مسرج
فمن شاء تقويمى فإنى مقوَّم ومن شاء تعويجى فانى معوج
وما كنت أرضى الجهل جدا ولا أبا ولكننى أرضى به حين أحرج
فإن قال بعض الناس فيه سماجة لقد صدقوا والذل بالحر أسمج

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الجامعة والعقيدة

الحياة العقلية والأزهر

تحت العنوان الأول كتب الأستاذ السوادى فى جريدة البلاغ (٩ صفر سنة ١٣٥٨ ـ ٣٠ مارس سنة ١٩٣٩) ، وناقش فى كتابته السؤال الآتى : هل الجامعة مطالبة بحماية العقيدة والدفاع عنها ؟ ، وعلل جوابه السلبي الذى سماه صريحا بقوله : « الجامعات لا يدخل ضمن اختصاصها حماية العقائد والدفاع عنها ، بل تقوم على أساس واحد إذا انهار انهارت معه حكمة وجودها ، ووجب حتما إغلاقها أو جعلها مدارس عالية تخرج موظفين أو مدرسين أو فنيين . وهـذا الأساس هو (حرية الرأى) » . ثم اعترض على الأزهر فى تدخله فى حادث كتاب جان دارك باسم الغيرة الدينية بينما يدرس المذهب الأبيقورى فى كلية من كلياته .

وتحت العنوان الثانى كتب الأستاذ توفيق الحـكيم ردا على ما وصل الى سمعه عن طريق الاشاعة الصحفية من أن الامام المراغى وجه نظر وزارة المعارف لما ورد فى مؤلف الأستاذ «يوميات نائب فى الأقاليم» ، من عبارات تمس كرامة طائفة من طوائف الأمة المحترمة ، وهى هيئة القضاة الشرعيين . وقد ذكر ضمن ما كتبه : « وقد آن الأوان لنواجه الأمر فى صراحة فيما يتعلق بتدخله — شيخ الأزهر — المتكرر فى شئون الدولة الفكرية ، وأن نتدبر الخطر الذى يهدد (حرية الـكتابة) ، وحركة التأليف ، ونهضة العلوم ، إذا سُيطر على الحياة العقلية فى هذا البلد العصرى بمثل هذه الروح . فالمعروف عن ظـلام القرون الوسطى أن الـكنيسة كانت هى التى تتحكم فى عقول المفـكرين مما أدى الى شل حركة العلوم والفنون .. فلا شك عندى أن مستقبل مصر كله متوقف على ضمان (حرية العقول) والأفـكار الحرة الضرورية لـكل نهضة حقيقية » .

إن الذى يقرأ ما كتبه الأستاذ السوادى ، ثم ما كتبه الأستاذ توفيق الحـكيم ، ويقرأ أيضا ما كتبه غيرهما ممن يدعون لأنفسهم زعامة الأدب أو النهضة الفكرية ، يجد كل ما كتب — ويكتب — يدور حول فكرة واحدة : حرية الرأى . وما يفهم من حرية الرأى حسبما يوحى به إليهم خيالهم ، أوحسبما يفرضونه هم من أنفسهم ، هوكما يفهم من كلمة « الديمقراطية » فى الشعوب الشرقية ، أو من كلمة « التجديد » أو من كلمة « الجامعيين » أو « البحث الجامعى » فى مصر .

فتجاوز العادات ، وتجاوز قواعد الأمة الخلقية أوحرمات الغير ، وإلزام القارئ باعتقاد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما ينشر من آرائهم — وإن عبرت عن خيال سقيم ، أو غرور نفسى ، يدفع بهم فى كثير من الأحيان الى التغاضى عن الواقع — حرية فى الرأى ، حرية فى التفكير ، حرية فى الكتابة والتأليف ، الى غير ذلك من الألفاظ الجوفاء التى لم تحدد معانيها بعد تحديدا واضحا لشدة ماطغى عليها من طابع الدعاية والاعلان .

كما أن طلب الانصاف فى الكتابة ، ورعاية حرمة الجماعة وما يسيطر فيها من قانون خلقى أو معتقدات دينية ، أو طلب منح القارىء الفرصة لمناقشة مايكتب وعدم الحجر عليه فى استعماله حقه من «حرية الرأى» ، ينعت فى عرفهم بالتدخل فى شئون البحث الحر ، البحث الجامعى ، ويوصف بأن فيه « هدرا لحرية العقول والأفكار الحرة الضرورية لكل نهضة حقيقية » .

الأستاذ السوادى ، كالأستاذ توفيق الحكيم وغيرهما من « دعاة حرية الرأى » ، كما تدور فكرة كل منهما حول هذا «الحق المقدس ـ والمهضوم فى مصر» للانسانية ، يسلك فى إقناع الشعب أو إقناع الجزء الذى يعرف القراءة منه مسلكا يظن ـ فى نظرهم ـ أنه مسلم الإيمان به من القارىء ، وهو : الغرب ونهضته وحوادث ثوراته . فأوربا قد فصلت سلطة الكنيسة عن الدولة ، فيجب أن تفصل « سلطة » الأزهر عن حكومة مصر المدنية ، وفى كمبردج وأكسفورد تناقش العقيدة ، فلماذا يتدخل الأزهر المحافظ فى حرية البحث الجامعى إذا ماتعرض للعقيدة ؟

الأمر يدور بين شيئين : إما استمرار الأزهر فى سلطته مع الرضا بتأخر نهضة الأمة « الحقيقية » ، وإما كبح جماحه كى تثمر هذه النهضة الفتية ؛ إما تدخله فى الشئون الجامعية وبالأخص فى أساس الجامعة وهو حرية الرأى مع الرضى بتحويلها الى مدارس عليا تخرج موظفين ، وإما صده الى حد معلوم كى تؤدى الجامعة رسالتها من خدمة العلم والانسانية . هذا هو منطق « دعاة التجديد » وإن اختلفوا فى التعبير .

ولكن من الذى قارن من غير هؤلاء مهمة الأزهر فى حياته المجيدة التى كلها فخر للشرق الاسلامى بسلطان الكنيسة فى القرون الوسطى ؟ ومن الذى حدثنا أن جامعة كمبردج أو أكسفورد تضع أمام طلابها للنقاش وأمام بحثها العلمى كتابا أو كتبا تطعن فى المسيح من مؤلف شرقى أو غربى ؟

إن الأزهر لايطلب سلطان الكنيسة فى القرون الوسطى ، ولم يطلبه يوما ما ، وإنما يؤدى مهمته الروحية ، فوق مهمته العلمية ، وهى المحافظة على الأمة وعلى شبابها المثقفين ، ليس فقط فى منعه من التهجم على دينها بل فى ضمان التدين به . وشيخ الأزهر ، الامام المراغى ، لا يحد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من حرية البحث الجامعى إذا ماحاول أن ينزع الأمة ـ وبالأخص شبابها ـ من تحكم فئة تدعى لنفسها من الألقاب الثقافية ماتشاء ، مستغلة جهل الشعب ، وعدم سمو المستوى العلمى فيه .

إن العقيدة هى الأساس الأول فى نهضات الأمم ، لأنها كفيلة بتعويد الشعب الطاعة لقيادته الصالحة . وكما أن الكفاية ركن جوهرى فى إنتاج قيادة الشعب ، كذلك طاعته المبنية على العاطفة الدينية ، لا على التشريع الوضعى ، شرط أولى لضمان هذا الانتاج . وإن من يحاول إفساد العاطفة الدينية فى شبيبة لم تلقن من مبادىء الدين شيئا — كشباب الجامعة — بالتشكيك فى معتقدات الأمة باسم البحث الجامعى ، لم يحاول فحسب أن يبنى نهضة الأمة على غير أساس ، بل هو يحاول أيضا أن يضع نقاش البحث الجامعى على غير أصل . وهل ذلك هو العمل لنهضة الأمة والحرص على إنتاج البحث الجامعى ؟

حددوا الألفاظ أولا قبل استخدامها ، وضعوا المقارنة فى نهضات الأمم على أسس صحيحة وتخلوا قبل كل شىء عن عقيدة « وجوب تقليد الغرب » ، تصدقكم الأمة ، أو من يعرف القراءة فيها ، أنكم نقاد باحثون بغية الانتاج ، وأنكم أحرار فى الرأى لم تصلوا الى نتائج بحثكم عن تعصب لمبدأ وتشيع لفكرة . أما التلاعب بالألفاظ فشأن المغرر المعلن عن نفسه ، وأما الايمان أولا بوجوب تقليد الغرب ، فى خيره وشره . ثم الزام القارىء بنتائج ما يسمى «البحث» المبنى على هذا الايمان ، فذلك هو هدم حرية التفكير والتحكم الذى هو أقرب الى تحكم الكنيسة فى القرون الوسطى .

وأما أنت أيها الأستاذ السوادى فكنت أود لك أن لا تتبع فى مذهب أبيقور ما يشيع على لسان « الموظف » أو « المدرس » أو « الفنان » بل ما يحب أن يدرسه « الباحث الجامعى » ويحققه .

محمد البهى

دكتوراه فى الفلسة وعلم النفس

المعروف معروف

قال ابن عباس رضى الله عنه : لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره ، فانه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه .

وقيل لعبد الله بن طاهر وكان جوادا : أنفق وأمسك بعض الامساك . فقال : إن سِمَن الكيس ، ونبل الذكر لا يجتمعان .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من رياض السيرة :

الزواج الاول للرسول

كيف نشأت فكرته ، وتمت غايته ؟

كان لنساء مكة فى الجاهلية عيد يجتمعن فيه فى الكعبة ، وبيناهنّ مجتمعات فيه يوما ، ينعمن بفرحة العيد ، ويرفلن فى أثواب الابتهاج والمسرة ، ويمرحن فى بحبوحة الصفو والأنس ، إذ طلع عليهن فجأة رجل يهودى ، وصاح بأعلى صوته قائلا : يانساء مكة ، إنه يوشك أن يظهر فيكن نبي ، فأيتكن استطاعت أن تكون زوجا له فلتفعل .

اخذ النسوة عند سماع هذا القول ، واستنكرت آذانهن وقوع هذا الخبر المفاجئ ، وارتسم على وجوههن كثير من علامات الدهش والاستغراب ، وأخذ بعضهن ينظر الى بعض نظرات الاستنباء والاستطلاع ، ولما لم يجدن لهن مخلصا مما أوقعهن فيه ذلك اليهودى، من الحيرة والارتباك ، لم يكن منهن إلا أن أخذن يرمينه بالحصباء ، ويقبحنه ، ويغلظن له القول .

ولكن امرأة واحدة كانت بين هذا الجمع الحاشد لم تبد حراكا ، ولم تتغير سمات وقارها ولم تقع فيما وقع فيه النسوة ، وهى وإن ظلت ساكتة على قول ذلك اليهودى ، إلا أنه لم يمرّ عندها مرور اللغو من الكلام ، بل أخذت تفكر فيه ، وتتدبر أسراره ومراميه ، وأخذت تيارات تفكيرها تزخر وتصطخب ، وبحار آمالها تتسع وتمتد ، وجعلت من ذلك الوقت ترقب الحوادث عن كثب ، وتتبع ما يقع فى صمت وهدوء وكتمان .

***

نشأ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم معروفا بين قومه وعشيرته بصدق الحديث ، وعظم الأمانة ، وكرم الأخلاق ، وكمال المروءة ، وبالغ الوفاء ، ومشهودا له بالصراحة فى القول ، والشجاعة فى الحق ، والبعد عن المداراة والمماراة ، ولاشتهاره بينهم بهذه الفضائل السامية ، واتصافه بتلك الخلال الكريمة ، صارت قريش تدعوه باسم «الأمين» وتتحاكم اليه — على صغر سنه — فيما شجر بينهم من خلاف ونزاع .

***

كانت خديجة بنت خويلد صاحبة تجارة ، وذات مال ويسار ، وكانت تبعث رجالا من قومها يتجرون فى مالها ، ويصيبون منه منافع ، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما بلغها ، وعلمت ماكان بينه وبين عمه أبى طالب من محاورة بشأن حثه على الذهاب الى خديجة ومحادثتها فى أن يخرج فى مال لها تاجرا — بعثت اليه ، فعرضت عليه الخروج الى الشام فى تجارة لها ، وأن تعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، فقبل النبى صلى الله عليه وسلم هذا العرض ، وفرح به ، وكذلك فرح به عمه أبو طالب ، وقال له : إن هذا الرزق ساقه الله اليك ثم خرج النبى الى الشام ، وخرج معه ميسرة غلام خديجة .

***

رجع محمد الى مكة بعد فراغه من تجارة الشام ، وأخبر ميسرة خديجة بما رآه من أحواله ، وبما شاهده فيه من حسن التدبير ، ورجاحة العقل ، وجم النشاط ، وقوة الصبر والاحتمال ، وطهارة الذمة ، وشرف النفس ، وحدثها بما سمعه من قول الراهب عنه ، وكان قد لقيه راهب فى الشام ، وذكر لميسرة أنه سيكون لمحمد شأن أى شأن .

وهنا رجعت خديجة بالذاكرة الى ما كان قاله ذلك اليهودى الذى خرج على النسوة يوم اجتماعهن فى العيد ، ورجع اليها ذلك الأثر العظيم الذى تركه كلامه فى نفسها ، فازداد فرحها ، وتضاعف سرورها ، وقويت آمالها ، وجعلت تنظر الى المستقبل بعين المتفائل المستبشر ، ولتطمئن خديجة على ما فى نفسها ، وتثق من تحقق رجائها ، وتعرف رأى أهل الذكر فيما علمته ، وفيما أخبرها به ميسرة ، ذهبت الى ابن عمها ورقة بن نوفل — وكان قد تتبع الكتب ، وسمع من أهل التوراة والانجيل — وذكرت له أمر محمد ، فقال لها : إن كان هذا حقا يا خديجة ، إن محمدا لنبى هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى منتظر ، هذا زمانه .

جاء كلام ورقة لخديجة ناطقا بما وقر فى نفسها ، صريحا فى تحديد المعانى التى ساورتها لأول وهلة عند ما رنت فى أذنها صيحة ذلك اليهودى ، فهز ذلك منها المشاعر ، وفتح لها باب الأمل على مصراعيه .

***

أمام هذه الحوادث البارزة ، والآيات الناطقة ، ومع ما أراده الله تعالى لخديجة من الكرامة والخير ، فكرت كثيرا فى أمر الاقتران بمحمد ، وأخذت تتلمس له الأسباب ، وتتنهز له الفرص ، ولم يكن الباعث لها عليه فى الواقع فكرة التزوج وحسب ، كما تفكر فى ذلك المرأة العادية ، كلا ، فقد كانت امرأة عاقلة حازمة شريفة ، وكانت من أعرق نساء قريش نسبا ، وأكثرهن مالا ، وأحسنهن جمالا ، وكانت تدعى بينهم بالطاهرة ، كما كانت تدعى سيدة نساء قريش ، وما كان بين عشيرتها من يتأخر عن طلب يدها ، فمن غير المعقول والحالة هذه أن يدفعها الى الزواج مجرد الرغبة فى الزوج ، وحب الاقتران برجل ، وإنما دفعها اليه تلك السيرة الطاهرة

oldbookz@gmail.com مجلات قديمة
https://t.me/megallat

والأخلاق النادرة ، والآيات الباهرة ، والمستقبل المملوء بالفضائل والعظائم ، وهذا كله قد اجتمع له صلى الله عليه وسلم .

ولكن ماذا تصنع خديجة ؟ وكيف السبيل الى مفاتحة محمد فى هذا الأمر الخطير — وهى مهما اشتدت عندها الرغبة ، وكثرت لديها الدواعى — امرأة لها حياء المرأة الشريفة وإباؤها ووقارها ، ولها فخر حسبها ، وعراقة نسبها ، ووفرة مالها ؟ وهل يليق بمن كان فى مكانتها شرفا وجاها أن تقدم على هذا الأمر — مهما كان اقتناعها به — دون أن تتخذ له من المناسبات والملابسات ما يكفل لها جلالها ، ويحفظ عليها احتشامها ؟

ومع دقة هذا الموقف ووعورة مسلكه على المرأة النبيلة ، لم تعدم خديجة من الوسائل ما تجد فيه منفذا الى رغبتها ، وطريقا الى طلبتها ، فبعثت الى نفيسة بنت منية — وهى يومئذ من أعز صويحباتها ، وأمينة سرها — وأرسلتها الى محمد ، لتتحدث معه فى أمر الزواج ، فذهبت اليه ، وكان حديثها معه فيه كياسة ولباقة ، وفيه مهارة وبراعة ، فتكلمت معه أولا فى شأن الزواج عامة ، ثم تدرجت منه الى الحديث عن زواجه بخديجة خاصة ، وتلك سياسة رشيدة فى أساليب الحديث ، لها نتيجتها ، ولها أثرها فى استطلاع الرأى ، وفى معرفة المخبوء فى النفس ؛ وتروى نفيسة هذه القصة فتقول : فقلت له يامحمد : مايمنعك أن تتزوج ؟ فقال : ما بيدى ما أتزوج به ، قلت : فإن كفيت ذلك ، ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة ، ألا تجيب ؟ قال : فمن هى ؟ قلت : خديجة ، قال : وكيف لى بذلك ؟ قلت : بلى ، وأنا أفعل .

***

بعد هذه الخطوة المباركة التى تمت بسفارة نفيسة بين خديجة ومحمد ، التقت رغبتهما فى الزواج وامتزجت عواطفهما وميولها ، وأحس كل منهما أن ما يتمناه أخذ يدنو منه ويقترب ، فما كادت خديجة تعلم من نفيسة رغبة محمد فيها ، وما كادت تراه بعد ذلك حينما حضر اليها للتحدث فى أمر التجارة ، حتى قالت : يا ابن عم ، إنى رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ولم تقتصر خديجة على هذا ، بل أرادت أن تبين له فى جلاء وصراحة سبب رغبتها فيه ، وسر حرصها على التزوج منه ، فأخذت بيده ، ثم قالت : بأبى أنت وأمى ، والله ما أفعل هذا لشىء ، ولكنى أرجو أن تكون أنت النبى الذى سيبعث ، فإن تكنه ، فاعرف حقى ومنزلتى ، وادع الإله الذى سيبعثك لى ، فكان جوابه لها صلى الله عليه وسلم ، جواب الصادق الكريم والوفى الأمين ، فقال لها : والله لئن كنته ، لقد اصطنعت عندى مالا أضيعه أبدا ، وإن يكن غيرى ، فإن الإله الذى تصنعين هذا من أجله ، لا يضيعك أبدا .

***

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كان طبيعيا بعد أن انقضى شأن الخطبة أن يأتى بعده شأن عقد الزواج ، فخرج محمد صلى الله عليه وسلم فى عمومته من بنى هاشم ، ورؤساء مضر ، وبينهم عماه أبو طالب وحمزة ، فأتوا دار خديجة ، وفيها عمومتها وذووها ، وبينهم عمها عمرو بن أسد ، وابن عمها ورقة بن نوفل ، فقام أبو طالب وقال : الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل ، وجعل لنا بلدا حراما ، وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله بن أخى ، مَنْ لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه برا وفضلا ، وكرما وعقلا ، ومجدا ونبلا ، وإن كان فى المال قَلّ ، فان المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق فعلىّ . . . . فلما أتم أبو طالب خطبته ، تكلم بعده ورقة بن نوفل ، فقال : الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت ، وفضلنا على ماعددت ، فنحن سادة العرب وقادتها ، وأنتم أهل ذلك كله ، لاتنكر العشيرة فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ، وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم ، فاشهدوا علىّ يامعشر قريش أنى قد زوجت خديجة بنت خويلد محمد بن عبد الله ، وذكر المهر ، ثم سكت .

فقال أبو طالب ، قد أحببت أن يشركك عمها ، فقال عمها : اشهدوا علىّ يامعاشر قريش أنى قد زوجت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد ، وشهد على ذلك صناديد قريش .

* * *

أصبح محمد وخديجة بعد إتمام العقد عروسين ، ولا بد أن يكون السرور قد ملأ قلوبهما والفرح قد أفعم نفوسهما ، وخصوصاً بعد زواج اشتدت الرغبة فيه ، وقوى الحرص عليه من جانب كل من العروسين ، وكان وصولهما إليه أمنية مرقوبة ، وبغية محبوبة .

وحقاً كان ذلك ، فقد ابتهج العروسان وذووهما لهذا القران ابتهاجاً عظيما ، وأخذت مظاهره تبدو فى ألوان مختلفة ، وصور منوعة .

فأما محمد ، فقد أولم وليمة عامة دعا إليها الناس ، وهى أول وليمة له صلى الله عليه وسلم ، وكذلك صنعت خديجة وليمة عظيمة أطعمت فيها الأقارب والأباعد .

وأما أبوطالب ، فقد فرح فرحا شديدا ، وجعل يحمد الله على نعمائه ، ويشكر له جزيل فضله .

* * *

قضت خديجة مع النبى صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة ، لم يتزوج عليها أحدا ، ولم يشركها فيه غيرها ، وانفردت به هذه المدة الطويلة التى صانها الله فيها عن مواطن الغيرة ، ومتاعب الضرائر ، فدل ذلك على عظيم قدرها عنده ، ومزيد فضلها ، وعلى صادق الوفاء ، وأكيد الولاء بينهما ، ولقد كانت رضى الله عنها خير مؤازر له ومعين قبل البعثة وبعد البعثة ، فساعدته بمالها ، وكانت أول من أجاب الى الاسلام ، ودعا إليه ، وأعان على ثبوته بالنفس والمال ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكان صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيئا يحزنه ، من ردّ عليه ، وتكذيب له ، إلا فرّج الله عنه بخديجة ، فكان إذا رجع إليها تثبتّه ، وتخفف عنه ، وتهون عليه أمر الناس ، وتسهل عليه أذاهم ، وأنهم إن قالوا فيه ما لا يليق ، فهم يعلمون أنه برىء منه ، وإنما يقولونه حسدا .

لما جاءه الوحى ، وذهب إليها ، وأخبرها الخبر ، وقال لها : لقد خشيت على نفسى قالت له : كلا ، والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

فأى زوجة تصنع مع زوجها من ضروب المعاونة والمواساة والتشجيع ما صنعته خديجة رضى الله عنها مع محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وأى زوجة تبذل من الوفاء والإخلاص والأمانة والمروءة وحسن العشرة ما بذلته تلك الزوجة الوفية الكاملة لزوجها الوفى الكامل ؟ .

نستطيع أن نؤكد أن التاريخ على اتساع مداه ، ووفرة أخباره ، لم يحدثنا عن رابطة زوجية متينة ، كتلك الرابطة الزوجية التى كانت بين محمد وخديجة .

ولذلك لما ماتت رضى الله عنها ، حزن عليها النبى حزنا شديدا ، وسمى العام الذى ماتت فيه هى وأبو طالب عام الحزن ، وكان كثير الذكر لها ، والثناء عليها ، حتى روى عن عائشة أنها قالت : ما غِرت على أحد ما غِرت على خديجة ، وقالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكاد يخرج من البيت ، حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها ؛ فذكرها يوما من الأيام ، فأخذتنى الغيرة ، فقلت : هل كانت إلا عجوزا ، قد أبدلك الله خيرا منها ، فغضب ، ثم قال : لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها ، آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذّبنى الناس ، وواستنى بما لها إذ حرمنى الناس ، ورزقت منها الولد ، وحرمته من غيرها ، قالت عائشة : فقلت فى نفسى لا أذكرها بعدها أبدا .

***

هذا عرض وجيز لتاريخ ذلك الزواج النبوى الأول ، نطالع به حضرات القراء الكرام بمناسبة إقبال العام الهجرى الجديد ، راجين أن يكون لما جاء فيه من خلق فاضل ، وسيرة حميدة ، وأدب رفيع ، وتعاون قوى ، وتضامن بين الزوجين أحسن قدوة للمسلمين ، وأبلغ عظة فى نفوسهم ، فيستقبلوا عامهم الجديد بقلوب عامرة بالخير ، وهمم صادقة فى الأخذ بمبادىء الرسول الكريم ، واتباع سننه القويمة ، والله الموفق ؟

فكرى يس
المدرس بكلية الشريعة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الدفاع عن القرآن الكريم

باب آخر من أبواب الاتفاق

حرق سيدنا عثمان المصاحف :

ذكر أبو بكر الانبارى فى كتاب الردعن سويد بن غفلة قال : سمعت على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول : يامعشر الناس اتقوا الله ، وإياكم والغلو فى عثمان ، وقولكم : حراق المصاحف فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وعن عمرو بن سعيد قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لوكنت الوالى وقت عثمان لفعلت فى المصاحف مثل الذى فعل عثمان . اه

وروى ابن أبى داود معنى هذا فى كتابه قال :

حدثنا عبد الله حدثنا يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود ، وحدثنا محمد بن أبان الجعفى سمعه من علقمة بن مرثد قال : لما خرج المختار كنا هذا الحى من حضرموت أول من تسرع اليه ، فأتانا سويد بن غفلة الجعفى فقال : إن لكم على حقا وإن لكم جوارا — أو إن لكم قرابة — والله لا أحدثكم اليوم إلا شيئا سمعته من المختار . أقبلت من مكة وإنى لأسير إذ غمزنى غامز من خلفى ، فاذا المختار ، فقال لى يا شيخ ما بقى فى قلبك من حب ذلك الرجل — يعنى عليا — ؟ قلت إنى أشهد الله أنى أحبه بسمعى وقلبى وبصرى ولسانى . قال : ولكنى أشهد الله أنى أبغضه بقلبى وسمعى وبصرى ولسانى . قال : قلت : أبيت والله إلا تثبيطا عن آل محمد وترثيثا فى إحراق المصاحف (أو قال حراق ، هو أحدهما يشك أبو داود) فقال سويد : والله لا أحدثكم إلا شيئا سمعته من على بن أبى طالب رضى الله عنه ، سمعته يقول : « يأيها الناس لا تغلوا فى عثمان ، ولا تقولوا له إلا خيرا — أو قولوا له خيرا — والمصاحف وإحراق المصاحف ، فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملأ منا جميعا . فقال : ما تقولون فى هذه القراءة ، فقد بلغنى أن بعضهم يقول : إن قراءتى خير من قراءتك — وهذا يكاد يكون كفرا ؟ — قلنا : فما الرأى قال : نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف ، قلنا : فنعم ما رأيت — قال فقيل أى الناس أفصح ، وأى الناس أقرأ ؟ قالوا أفصح الناس سعيد بن العاص ، وأقرأهم زيد بن ثابت . فقال : ليكتب أحدهما ويملى الآخر . ففعلا . وجمع الناس على مصحف . قال : قال على : « والله لو وليت لفعلت مثل الذى فعل » (ومن طريق آخر) عن سويد بن غفلة يقول : سمعت عليا يقول : « رحم الله عثمان . لو وليته لفعلت ما فعل فى المصاحف » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حدثنا أبو الربيع قال أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن بكيرا حدثه أن ناسا كانوا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية ، فاذا قال فانى أكفر بهذا ، ففشا ذلك فى الناس ، واختلفوا فى القرآن ، فكلم عثمان بن عفان فى ذلك ، فأمر بجمع المصاحف وأحرقها ، ثم بثها فى الأجناد — يعنى الذى كتب — اه

فهذا يدل صراحة على أن روايات ابن أبى داود فيما يخص إحراق المصاحف موافقة تمام الموافقة لما رواه أهل السنة فى ذلك .

ومما اتفق فيه ابن أبى داود وكتب السنة . روايات عن سيدنا حذيفة نذكر هنا بعضها مع العلم بأنها فى صحيح البخارى ومسلم قال :

حدثنا عبد الله قال حدثنا بشار قال حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا ابراهيم بن سعد عن الزهرى عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام فى فرج أرمينية (قال أبو بكر يعنى الفرج الثغر) واذربيجان مع أهل العراق ، فرأى حذيفة اختلافهم فى القرآن ، فقال يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى ، فأرسل الى حفصة : أن أرسلى الىّ بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت حفصة الى عثمان بالصحف ، فأرسل عثمان الى زيد بن ثابت ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن الزبير أن انسخوا الصحف فى المصاحف ، وقال للرهط القرشيين الثلاثة ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه نزل بلسانهم حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف ، بعث عثمان الى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف التى نسخوا وأمر بسوى ذلك فى صحيفة أو مصحف أن يحرق ، (وقال غيره يخرق) . ثم قال بعد أسطر تخص رواية زيد بن ثابت : قال الزهرى : واختلفوا يومئذ فى التابوت والتابوه ، فرفع اختلافهم الى عثمان فقال : اكتبوه التابوت فإنه بلسان قريش — وروى هذه الرواية نفسها عن أنس . غير أن فيها اختلافا يسيرا . فى قول سيدنا عثمان رضى الله عنه إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش ففى هذه الرواية : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى عربية من عربيات القرآن فاكتبوه الخ — وفى آخرها زيادة : فذاك زمان حرقت المصاحف فى العراق بالنار — اه ثم ذكر العلامة ابن أبى داود فى هذا الموضع روايات كثيرة لا تخرج عما تقدم فى المعنى — ونحن لا نرى نقلها جميعا هنا فإن ذلك كثير لا تحتمله مقالات وضعناها للرد .

ومما اتفق فيه ابن أبى داود وكتب السنة خبر قول الله عز وجل : « من المؤمنين رجال صدقوا » الآية قال : أخبرنا القاضى أبو الفضل الأرموى قراءة عليه وأنا أسمع : حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة المعدل قال أخبرنا أبو عمرو عثمان بن محمد المعروف بابن الآدمى . قال حدثنا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى قال حدثنا أبو سلمة بن شبيب ومحمد بن يحيي قالاحدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال : لما كتبت المصاحف فقدت آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتها عند خزيمة بن ثابت الأنصارى « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه — الى قوله تبديلا ». وكان خزيمة يدعى ذا الشهادتين ، أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين . قال الزهرى : وقتل مع على رضى الله عنه يوم صفين — ثم ذكر رواية أخرى عن زيد بن ثابت لا تخرج عما تقدم فى المعنى — وترجم بعد ذلك لآية أخرى فقال :

وقال حدثنا عبد الله قال حدثنا محمد بن يحيي قال حدثنا هارون بن معروف حدثنا محمد ابن سلمة قال أخـبرنا ابن اسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير قال : أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم — الى قوله رب العرش العظيم ». أتى عمرفقال : من معك على هذا ؟ — قال : لا أدرى والله ، إلا أنى أشهد أنى سمعتهما ؟ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيتهما وحفظتهما. فقال عمر : وأنا أشهد لسمعتهمامن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لوكانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة فانظروا سورة من القرآن فالحقوهما فيها . فألحقتهما فى آخر براءة . وبسنده عن أبى العالية عن أبىّ بن كعب : أنهم جمعوا القرآن من مصحف أبى فكان رجال يكتبون يمـلى عليهم أبى بن كعب فلما انتهوا الى الآية التى فى سورة براءة : (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) ، أثبتوا أن هذه الآية آخر ما أنزل الله تعالى . من القرآن . فقال أبى بن كعب : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنى بعد هذا آيتين: « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزعليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم — الى آخر السورة ». قال :فهذا آخر ما نزل من القرآن . قال : فختم الأمر بما فتح الله به بلا إله إلا الله . يقول الله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » . وبسنده عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام فى الناس فقال : من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأتنا به ، وكانوا يكتبون ذلك فى الصحف والألواح والعسب ، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان فقتل وهو يجمع ذلك ، فقام عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال : من كان عنـده من كتاب الله شيء فليأتنا به وكان لا يقبل من ذلك شيئا حتى يشهد عليه شهيدان ، فجاء خزيمة بن ثابت فقال : إنى قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما . قال : وماهما : قال تلقيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم — الى آخر السورة » . قال عثمان : وأنا أشهد أنهما من عند

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الله فاين ترى أن تجعلهما ؟ قال : أختم بهما آخر ما نزل من القرآن . اه ما رواه ابن أبي داود — وقد تقدمت هذه الروايات معظمها بالنص وهو المروى عن سيدنا زيد بن ثابت ، وبعضها بألفاظ أخرى — وهى التى نقلناها عن البخارى ومسلم والترمذى فى موضوع جمع القرآن. فابن أبي داود فى هذه الروايات موافق تمام الموافقة للبخادي ومسلم والترمذي .

وأرى هنا أن أنقل رواية (مسلم) فى قران سورة الأنفال بسورة التوبة ، ثم أنقل رواية ابن أبي داود فى هذا الباب فستجدونها هي بالنص :

فى مسلم ما نصه : ومن سورة التوبة ، حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيي ابن سعيد ، ومحمد بن جعفر ، وابن أبي عدى ، وسهل بن يوسف قالوا : حدثنا عوف بن أبي جميلة حدثنا يزيد الفارسى حدثنا ابن عباس قال : قلت لعثمان بن عفان ما حملكم أن عمدتم الى الأنفال وهى من المثانى والى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتموها فى السبع الطوال، ما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتى عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا . وإذا نزلت عليه الآية فيقول ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزلت بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، فوضعتها فى السبع الطوال . اه ما رواه مسلم .

وقال ابن أبي داود :

حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيي بن سعيد ، ومحمد بن جعفر ، وابن أبي عدى ، وسهل ابن يوسف قالوا حدثنا عوف بن أبي جميلة حدثنا يزيد الفارسى حدثنا ابن عباس قال : قلت لعثمان الخ وساق الرواية بنصها .

وأريد أن أنهى الكلام الى هنا على الموافقات ، فانها كثيرة فى كتاب ابن أبي داود — مثل حكم السفر بالمصاحف الى أرض الكفار ، وتعليق المصاحف ، والمصحف يجعل فى المقدمة واستبدال الصحف بالمصحف ، وبيع المصحف وشراؤه ، والاحتساب فى كتابة المصاحف ، وتناول الأجر على كتابتها وغير ذلك ، مما يوافق كتب السنة وأحكام الفقه الاسلامى مما لو شغلنا به وبمقارناته لطال الكلام ، ولخرجنا قليلا عن أصل موضوعه ، وإنما المهم هو بيان المخالفات ، أو ما يظن أنه منها ، وبيان الشبه فى ذلك والرد عليها — وهذا ماسنشتغل به الآن وسنقدم بين يدى ذلك الأسس التى سنبنى ردنا عليها — وعلى الله الاعتماد ؟

محمد حسين

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

نظام الوقف فى الاسلام

وآثاره المترتبة عليه

مما تواضع عليه علماء الفروع — أن العقار هو الأرض سواء أكان عليها بناء أم لا فيدخل فى وقف العقار بطريق التبع من غير تنصيص عليه كل ما يدخل فى بيعه وإجارته وهذا هو الضابط الشامل والذى وضعه الفقهاء لإلحاق مالم ينص عليه بما نص عليه فى حكم الوقف .

نقل صاحب الفتاوى الهندية أن الواقف إذا وقف أرضا مملوكة له دخل ما فيها من البناء والشجر بجميع أنواعه إذا كان الشجر من نوع يمكث فى الأرض لأكثر من عام بحيث إنه يصبح موقوفا تبعا لوقف ذلك العقار وإن لم ينص عليه الواقف فى إشهاده وعلى الجملة فان الواقف إذا وقف ضيعته لحق بها فى الوقف ما كان متصلا ببقائها واستثمارها وسببا من أسباب نمائها وتأبدها كرحى الماء والدواليب والآلات البخارية التى توصل إليها الماء — ويتفرع على ذلك الاتجاه تفريع آخر وهو أنه لا يلحق بالأرض الموقوفة ما بها من زرع وقت وقفها وهو ما لا يمكث فى الأرض لأكثر من سنة كالقمح والشعير والقطن سواء كان ذلك الموجود قيميا أم غير قيمى . ويدخل فى ذلك الثمر الموجود على الشجر وقت الوقف سواء أكان مما يؤكل كالعنب والبرقوق أو لا يؤكل كالورد والياسمين بل يبقى كل ذلك ملكا للواقف دون الحاق بالأرض الموقوفة .

وحكم الثمار على أحد رأيين حكم المواشى والمحاريث والنوارج وما إليها من المنقولات المستعملة فى الزراعة وليست متصلة بالأرض اتصال ثبات وقرار — لكن نقل العلامة صاحب البدائع وصاحب الاسعاف أن الواقف إذا ذكر هذه الأشياء فى إشهاد وقفه — وقع وقفها عند الصاحبين صحيحا فعند أبى يوسف لأن المواشى والمحاريث والنوارج وما إليها تابعة للأرض فى إنماء ثروتها واستنبات غلتها وإعدادها للتداول بين الناس واستثمارها والانتفاع بها . وقد يصح من الأحكام تبعا ما لا يصح قصدا وهذا أولى وجوه التبعية لما تقدم وعند محمد رضى الله عنه لأن مذهبه يجيز وقف المنقول استقلالا فأولى أن يجيزه تبعا للعقار إذا كان من مقوماته وسببا أوليا فى إصلاحه وإعداده للاستغلال والانتفاع اه .

فاذا تقادم العهد بها وأصبحت غير صالحة لتداولها فيما أعدت له بيعت واشترى بثمنها ما يسد كفاية العين الموقوفة على نمط سابقتها فإن لم يكن ثمنها كافيا للوفاء بأعدادها كملت من غلة الوقف بحيث تصبح قادرة على أداء مهمتها حتى ولو لم يشترط الواقف ذلك لتحقق ضرورة وجودها كجزء غير منفصل عنها واستثنى العلماء من ذلك نوعا آخر وهو ما إذا جعلت الأرض

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مقبرة فلا يدخل فيها الشجر والبناء ولا موضعهما بل يكون ذلك ملكا للواقف ولورثته من بعده ذلك لأن موضع الشجر والبناء يوم الوقف كان مشغولا بهما فلا يمكن وقف تلك الأرض المشغولة ضرورة أنها غير صالحة لوقفها والوقف إنما يقع صحيحا إذا تحققت شرائط صحته .

غير أن العلماء بعد ذلك حكوا عن أبى حنيفة أنه منع الوقف فى المنقول سواء كان الوقف له استقلالا أو تابعا للعقار فى بعض صوره السابقة وسواء جرى العرف بوقفه أم لا وحجة أبى حنيفة فى المنع أن الشرط فى الوقف أن يكون الموقوف متأبد البقاء والمنقول لا تأبد فيه وذلك يجرى منه مجرى القياس فبالقياس أخذ أبو حنيفة ونحى الصاحبان نحو وقوع الوقف وجوازه وصحته فى المنقول تبعا واستقلالا فأما تبعا فقد مر عن أبى يوسف ومحمد رضى الله عنهما تجويزه تبعا للارض الموقوفة فى المواشى والمحاريث والنوارج وما اليها .

وإما استقلالا فلو ورد النص بوقوعه فى السلاح والكراع فقد وقف خالد بن الوليد رضى الله عنه دروعا له فى سبيل الله وحبس طلحة رضى الله عنه سلاحه وكراعه فى سبيل الله وحين علم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أجازه إجازة مطلقة . فسند الصاحبين فى ذلك التجويز النص والنص مما يترك به القياس كما لا يخفى على المطلعين .

وإذا وقف الواقف كتباً على طلبة العلم وعين لها مكانا خاصاً وضعها فيه فلكل طالب علم أن ينتفع بها فقيرا كان أو غنياً ، لكن إذا شرط الواقف ألا تخرج كتبه من ذلك المكان صح شرطه واتبع . أما إذا سكت فقد تردد بعضهم فى جواز النقل . فنقل العلامة صاحب كتاب أنفع الوسائل عدم جواز النقل . ونقل الزيلعى جوازها . وفصل صاحب ملتقى الأبحر فقال إذا أمن النقل جاز وإلا منع فان شرط واقف الكتب ألا تعار كتبه إلا بتذكرة صح شرطه واتبع ، وحكى صاحب الدر المختار لو شرط الواقف ألا تخرج كتبه إلا برهن وقع شرطه باطلا إذا أريد بالرهن مدلوله الشرعى لأنها فى يد المستعير أمانة والرهن بالأمانات باطل .

أما إذا قدم المستعير رهناً على قصد أن يكون ضامناً للكتب المستعارة كأن تكون معدومة النظير أو ثمينة القيمة أو مشرفة على العفاء فلا خطر فيه لأنه يكون رهناً لغويا لا شرعياً ، فاذا جهل قصد الواقف فى اشتراط الرهن حمل على الرهن اللغوى لا على الرهن الفقهى

وجملة القول أن شروط الواقفين قد تكون فى بعض الأحايين منافية لمصلحة الوقف أو لمصلحة المستحقين أو لا تكون منافية ، ومن هذه الناحية كغيرها جعل الاشراف للولاية القضائية ، فللقاضى تحديد مرامى الواقف وتبيين أغراضه بل له أن يلغى بعض الشروط التى قد يشرطها الواقف منافية لما بدا فى عصر من العصور أن إلغاءه أجدى على الوقف من إبقائه ؟

عباس طه

المحامى الشرعى

أرشيف مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاراء العالمية عن الاسلام والمسلمين

المسلمون أصبحوا مثلا أعلى للوحدة الدينية

يحسن أن نورد هنا ملخص ما ورد لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر من جناب القس (كرستيان أنطون ا . جوب) من غراندوقية لوكسمبورغ المستقلة ، وهى تحد شرقا بألمانيا وغربا بفرنسا ، فان فى هذا الكتاب وما أرفقه به من مقال نشره باللغة الألمانية نتفا تدخل فى باب الآراء العالمية .

فما ورد فى كتابه قوله :

يؤسفنى ما وصل اليه الموقف السياسى العالمى فى الوقت الحاضر ، وهو مطابق لما تنبأت به حينما أخبرتكم عما أبذله من الجهود فى سبيل السلام ، وفى سبيل دوام الصداقة بين أمتينا على الخصوص ، وبين الشعوب الشرقية والشعوب الغربية على العموم .

« وإنى مرسل لكم مع هذا مقالا باللغة الألمانية بينت فيه للمسيحيين المثل الأعلى الذى ضربتموه لهم جميعا ، فانكم تخدمون الإله القوى القدير نفسه الذى أخدمه أنا ، فنحن أمامه إخوان ، ولا شك فى أنه سيبارك ما بيننا من حب واحترام .

« وإن شعب النيل يسير تحت إمرة ملككم الشاب الصالح الى الرشاد ، ضاربا المثل الأعلى لكل الشعوب الاسلامية فى الاستقلال والعظمة .

« لقد درست الحروب الصليبية دراسة دقيقة فأعجبت بأبطال الاسلام ، وإن قلبى ليحزن حينما يرى اختلافا بين أمتينا . لقد عشت عامين من سنى شبابى بين ظهرانى عرب اليمن فجعلنى هذا من أخلص أصدقاء العالم العربى ، كما أن قضائى شتائين فى القاهرة قوّى فى نفسى هذه العاطفة نحو مسلمى مصر وملكها الذى أدعو الله أن يبقى حكمه السعيد طويلا »

***

أما ما ورد فى مقالته الألمانية فقد بدأها بالنعى على حركة الانقسام فى جماعات المسيحيين وعقبها بقوله :

« أما الاسلام فليس هذا حاله اليوم . فحركة الاتحاد فيه التى منشأها القاهرة تتقدم بخطوات واسعة »

ثم قال :

إن حركة الاتحاد داخل البلاد المسيحية أمكنها أيضاً أن تعمل مثل هذه الخطوات

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الواسعة ، ولكن المثل الأعلى للتضحية من تسليم الفرد حياته وماله لجماعته الدينية العليا بدون اعتراف بالذات ، متقدم فى الاسلام أكثر مما هو عندنا . وهذا الفضل ينسب إلى الجامعة التى تعتمد على نفسها ، جامعة الأزهر التى يوشك أن تتم لها ألف سنة ، وشيخها صاحب الفضيلة والرفعة الشيخ محمد مصطفى المراغى هو الحامل الرئيسى لشعلة هذه الحركة . وانه فى سفره الأخير للحج إلى مكة تقدم للملك ابن سعود ، ذلك العاهل الموحد لخريطة البلاد العربية ، طالباً اليه الاعتراف بالملك فؤاد الأول كحامل للواء الخلافة الدنيوية .

فصرح لفضيلته هذا السياسى المحنك ، والقائد الحربى ابن سعود وهو يضحك قائلا : نحن أولى بهذه المهمة . قال هذا وهو يعلم أن الملك فؤادا الأول وهو سياسى محنك مثله سيرفض الاضطلاع بهذه المهمة قطعاً . ولكن الشيخ المراغى يعمل على أن تأتى من الخارج بعثات إلى جامعته ليجهزها بكل سلاح إسلامى ، حتى إذا ما عادت إلى أوطانها أمكنها أن تؤسس بيئات تشبه الأزهر .

إلى أن قال :

لقد جرب الاسلام كما جربت المسيحية قبله ، فى عهود ازدهاره المختلفة فى تاريخه ، عاقبة التفرق الدينى والزندقة ، وتعاليم الفرق الدينية الخاطئة ، وجرب انقسام أمبراطوريته إلى دويلات ، فأفضت هذه الحال غالباً إلى صيرورة هذه الدويلات ، التى كان الخلاف المذهبى سبب تفرقها ، واقعة فى الشرك والتأليه الباطل ، على ما آلت اليه الحال فى بيزانس (اسم القسطنطينية) إذا صارت مستعبدة للدخلاء الاجانب ، ولما جلبوه اليها من لغة وعبادة ، ولما ارتكبوه من قتل طال عهده ، وإحراق أمتد أجله .

وقال :

« إن السيد المسيح أشوق ما يكون الى حركة اتحاد تقوم فى المسيحية ، ولكنها تبدو لأبنائه مما يصعب تحقيقه ، على نقيض ما عليه الحال عند المسلمين . لماذا ؟ الجواب فى غاية البساطة وهو : لأن نير المسيح يثقل حمله لدى الأغنياء الممولين ، فانهم لا يريدون أن يصادفوا حواجز شهواتهم التى يرغبون إشباعها فى هذا العالم ، على حين أن المسلمين يحسنون معاملة السائل حتى المجنون . فلو جعلنا هذا محلا للمقارنة لوجدنا أن الاسلام أقرب كثيرا الى الأصول المسيحية من أكثر المسيحيين .

***

(مجلة الأزهر) أجاب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام جناب القس بما يناسب المقام ، وسلم الىّ المقالة التى نشرها بالألمانية لأقتطف ما يحسن نشره منها تحت عنوان الآراء العالمية . فلما قرأتها وعلمت ما قاله فى شأن الخلافة رأيت أن أتحقق من صحة ما جاء فيها فسألت فضيلته

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عنه . فتفضل بإجابتى قائلا لك أن تصرح عن لسانى بأنى ما فاتحت جلالة الملك ابن سعود فى أمر الخلافة ، ولم يكلفنى المغفور له الملك فؤاد بمفاتحة أحد فى ذلك ، ولم أقم فى سبيل إعادتها بأى عمل ، وكنت ممحضا سفرى الى الحجاز لأعمال خيرية أخرى لاصلة لها بالخلافة . وقد حدثنى جلالة الملك ابن سعود فى شأن الخلافة حديثا لا أسمح بنشره ، ولكنه يخالف كل المخالفة ما جاء فى مقال جناب القس كرستيان .

فاكتفيت من فضيلته بهذا ، ولا مشاحة فى أن جناب القس كرستيان اعتمد فيما ذكره على الاشاعات التى راجت أيام شخوص فضيلته الى مكة والناس بمسألة الخلافة على أشد ما يكونون بها اهتماما ، وأكثر ظنونا وأوهاما .

أما ما ذكره من مسألة العمل على توحيد المسلمين فقد كان هذا ديدن أئمة المسلمين فى كل عصر ، قياما بما يفرضه عليهم الدين ، لا بقصد تأليب المسلمين على الأمم ولكن بقصد إقامتهم على ما يجب أن تكون عليه أمة من وحدة الوجهة والغاية ، ومن التكافل على إنتاج أعظم ما يمكن من الخير للعالم الانسانى . وفضيلة الأستاذ الإمام أعرف الناس بما تتطلبه الحياة العالمية الراهنة من حسن الزمالة بين المسلمين وجميع الأمم على السواء ، فهو إن عمل لتوحيد المسلمين فى مقدمة العاملين ، فإنما يقصد هذه الغاية الشريفة . ولفضيلته كلام جليل القدر فى هذا الموضوع أفضى به على صورة خطابة ألقيت فى مؤتمر الأديان الذى انعقد بلوندن فى سنة ١٩٣٦ فى وجوب العمل على تحسين العلاقات بين الشعوب المختلفة لإيجاد زمالة عامة بين جميع البشر فى هذه الحياة . وقد نالت هذه الخطابة إعجاب علماء الملل المختلفة من أعضاء المؤتمر ، وهنأوا فضيلته عليها ، وهذا الفخر يشاطره فيه كل مسلم على سطح الأرض .

شدة تمسك المسلمين بدينهم

سمحت الحكومة الفرنسية بمنح الجزائريين الحقوق المدنية الفرنسية على شريطة أن يخضعوا فيما يتعلق بالأحوال الشخصية للقانون الفرنسى ، وهو كما لا يخفى لا يبيح تعدد الزوجات ولا يذهب مذهب الشريعة الاسلامية فى التوريث الخ ، فآثر المسلمون هنالك أن يحرموا من هذه المنحة على أن يجروا على غير السنة القرآنية فى أحوالهم الشخصية .

فكتب المسيو (بييرميل) فى جريدة (الديبيش) الفرنسية يقول أن المسيو (موريس أجام) كتب فى هذه الجريدة عن هذه المسألة وذكر أن اليهود وإن كان بين كتابهم وبين القوانين الأوربية خلاف ، فانهم آثروا أن يخضعوا لتلك القوانين على أن يبقوا متمسكين بشريعتهم الدينية ، والذين يعملون بدينهم منهم ظلوا فيما عدا الأحوال الشخصية على ما كانوا عليه من تقديس السبت وتحريم لحم الخنزير واجراء الختان الخ .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال المسيو بيير ميل عقب هذا :

« ولكن الموطن الذى أعرب فيه المسيو موريس أجام عن حقيقة لاتقبل الجدل ، هو ماقاله من إن الأمر إذا تعلق بالقرآن تغير من هذه الناحية كل التغير . فذكر أن المؤرخين المتحلين بصفة النزاهة يدهشون كل الدهش عندما يتأملون فى العمل الذى قام به محمد . فما أجل العبقرية التى تحلى بها هذا النبي وأمكنته من النجاح فى فرض هــذا الترابط الدينى والتشريعى على المؤمنين به ، وهم يقدرون بمئات الملايين بحيث لم يستطع أى مسلم حتى فى هذا العصر أن يحطمه .

« فالقرآن قانون مدنى وكتاب دينى فى آن واحد . وقد أوجد لمتبعيه عقلية تميزهم أساسيا عن بقية النوع الانسانى . وهــو خلافا للمسيحية والبوذية لا يضع حــدا بين ما هو روحى وما هو زمنى فمزج أحدهما بالآخر » انتهى .

نقول يخيل لمن يقرأ هذا الكلام إن الكاتب يمدح الاسلام ، وليس ذلك بصحيح . فان قوله إن الاسلام أوجــد للمسلمين عقلية تميزهم عن بقية النوع الانسانى يشعر بأنهم جامدون على ما هم عليه لا يبغون عنه حولا .

ولكن ما قوله فى أن الذى يعتبره عيبا هو مظهر من مظاهر مناعتهم الاجتماعية ، التى تحميهم من الفناء فى أجساد الملل الأخرى .

يستغرب المستعمرون من رفض المسلمين منحة تجعلهم واياهم من ناحية الحقوق المدنية فى مستوى واحد ، ويعتبرون هذا الرفض منهم أثرا من آثار عقلية لا تتفق وعقلية بقية البشر . ولو أنصف أولئك المستعمرون ووضعوا أنفسهم موضع أولئك المسلمين ، وتخيلوا أن قوماً من مستعمرى بلادهم تنزلوا أن يعتبروهم واياهم فى مستوى واحد من الحقوق الوطنية ، أ كانوا يقبلون ذلك أم يعتبرونه صرفا لهم عن حقوقهم الطبيعية فى بلادهم ؟

إن المسلمين فى بلادهم المستعمرة يعتبرون أنفسهم أصحاب تلك البلاد الشرعيين ، فان كانوا فقدوا سلطانهم فيها بسبب ضعفهم أو جهلهم ، فهم يتربصون أن يستعيدوا حقوقهم عليهـا ، ويصبحوا أصحابهـا الحقيقيين ، فكل عرض يعرضه عليهم المستعمرون وخاصة إذا كان يقابله تنازل منهم عن نظم يدينون بالخضوع لها يعتبرونه ويقابلونه بالرفض ، وهذا موقف يشرفهم كل التشريف ، وإذا كان يعزى لدينهم فهــذا يدل على أن دينهم ينفث فيهم من روح المناعة والعزة ما لا تستطيع أسلحة الاستعمار الجهنمية كسر شوكته .

وإن الترابط الآلى الذى يقول فيه المسيو موريس أجام أنه غــير قابل للتحطيم ، لم يمسك المسلمين جامدين حيال أية غاية من غايات المجد والعلم والحكمة ، ولكن أوجد لهم سيادة العالم كله . ولا أظن كاتب جريدة الدبيش يجهل ذلك .

* * *

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الجامعة الاسلامية

والقومية الشرقية

جاء فى جريدة (الاكسيون فرانسيز) الفرنسية وهى اللسان الرسمى للحزب الملكى مامؤداه.

« إن فكرة الجامعة الاسلامية قديمة قدم الاسلام نفسه . ومصدرها الشعور الذى يربط جميع أتباع النبي بالوحدة الدينية ، على نحو ما كانت عليه الحال أيام محمد وأصحابه الأولين ضد عدم اكتراث المشركين بالدعوة الاسلامية ومجافاتهم لها .

« ولكن هذه الفكرة لم تظهر فى السياسة الأوربية إلا من سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٩٠٠ فى الوقت الذى ظهرت فيه فكرة وجوب إنهاض المسلمين بعد قهقرى استمرت خمسة قرون سببتها المنازعات الداخلية ، واختلافات الطوائف المذهبية . وكانت تتوالى فى هذه الآونة حملات الغرب على الشرق مما أوقر فى نفوس المسلمين المتنورين أن بلادهم على وشك الوقوع بين براثن المستعمرين . فحدث رد فعل لهذه الحركة فى البلاد العربية من ناحيتى الوهابية والسنوسية اللتين تركزت حولهما قوى المقاومة ضد الاستعمار ، حتى نبغ رجل ذومقدرة خلابة عظيمة ، ونشاط فياض ، (يريد جمال الدين الأفغانى) ، نصبه سلطان فذ الذكاء ، متقد المطامع لخدمة قضية الاسلام ، والعمل على جمع كلمة جميع المسلمين أولا ، ثم دفعهم بعد ذلك ضد المدنية الغربية .

« فجمال الدين يعتبر بحق محيي فكرة الجامعة الاسلامية ، جعله السلطان عبد الحميد على رأس دعاته الكثيرين ، ولكنه إذا كان فشل فى محاولاته فذلك لضعف الجانب الذى كان يعتصم به — وهو الأمبراطورية العثمانية — التى أضعفتها الأحكام الجائرة والاضطرابات مدة قرون متوالية الخ » .

نقول : الذى يدهشنا أن يسيء الأوربيون فهم نهضة المسلمين الى حد أن لايجعلوها موجهة الى الاستعمار ومايلاقون منه من ويلات ، ولكن الى المدنية الغربية نفسها ، غير مبالين بتكذيب الحوادث إياهم . وغرضهم من ذلك أن يشوهوا حركاتهم فى نظر الشعوب الأوربية ليحملوهم على زيادة الكلب على اخضاعهم وإذلالهم . لأنهم لوقالوا أنهم اضطروا الى توحيد كلمتهم ، وتقويم صفوفهم ، للذياد عن بيضة بلادهم ، لأحس الضمير البشرى بالعطف عليهم ، والعذر لهم ، باعتبار أن الدفاع عن الحوزة غريزة طبيعية فى كل نفس حتى الحيوانية .

وهذا التجنى فضلا عن كونه عيبا عظيما لايليق بالمنصفين ، فانه يفضى الى توسيع شقة الخلاف بين الغربيين والشرقيين ، وقد حدث ذلك وأثمر أسوأ الثمرات على الجانبين . ومن العجيب أنهم لا يزالون يجرون على هذه السنة من التجنى والتجرم وسوء الظن .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لم يكن المسلمون بأعداء المدنية فى أى عهد من عهودهم ، بل هم الذين أعادوا بناءها بعد أن قد تزعزعت قواعدها ، وتآكلت وطائدها ، وهم اليوم يتدافعون بالمناكب لينهلوا من حياضها ، ويعبوا من ينبوعها ، فلو كانوا يتحفزون لتحطيمها لما ربوا نابتتهم عليها ، ولما غلوا فى ذلك حتى بزوا أهلها فى الاعتداد بها .

***

رواية جان دارك وبرنارد شو

رأيت وأنا أعرض الآراء العالمية فى الشهر الماضى عن الإسلام والمسلمين ، لأعقب على مايجب التعقيب عليه منها فى مجلة الأزهر ، أن ضجة قامت ضد الكاتب الارلندى المشهور (برناردشو) بسبب قصة جان دارك التى قيل أنها اشتملت على طعن فى الاسلام . فعجبت من ذلك لأنى أعرف أن هذا الكاتب من المعجبين بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالدين الذى جاء به ، وله فى ذلك أقوال طنانة تناقلتها المجلات الاسلامية فى جميع بلاد المسلمين ، فاستحضرت نسخة منها فرأيت أن الطعن الذى هاج النفوس ضد مؤلفها محصور فى الناحية التى أراد بها الكاتب تصوير رأى الكنيسة فى القرون الوسطى فى جان دارك ، بلسان « بيير كوشون » أسقف بوفيز ، فاستطرد هذا الشخص الخيالى الى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وسبه على أسلوب ذلك العصر . ولكن مؤلف القصة تخيل شخصا دعاه (اللورد وارك) اعترض الاسقف ورد عليه وأثنى على المسلمين بقدر ما يسمح به فى تلك الأيام .

لما وقفت على هذا كتبت ما ينبغى أن يكتب فى هذا الشأن ، لا تسويغا لتدريس مثل هذه القصة ، ولكن تبريئا لبرنارد شو من تهمة الطعن ، وضعا للحق فى نصابه ، وحرصا على مودة كاتب عالمى يرجى منه أن يقف موقفا محمودا فى دفع المطاعن عن الاسلام .

وقد جاء فى عدد ١٤ مارس من جريدة النيوز كرونكل الانجليزية ما يؤيد رأينا هذا نقتطف منه ما يأتى :

« أخبرت النيوز كرونيكل أمس المستر شو بالقرار الذى اتخذه الطلبة المصريون حيال كتابه . فعقل الغضب لسانه عن الكلام وهو أفصح رجال العهد الحديث . ولما هدأت سورة غضبه قال :

« إن ما كتب ليس رأيى أنا ولكنه رأى الكنيسة فى القرون الوسطى . .

« ولماذا لم يقرأوا رأى الشريف الانجليزى (وهو أحد أشخاص القصة) ، الذى كان من المحاربين ضد الجيوش الاسلامية ، وهو اللورد وارك فانه اعترض الاسقف الطاعن وتحداه ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« وكيف غاب عنهم أن الذى طعن ليس أنا ولكن أسقف مذهب غير مذهبى ، رجل عاش فى القرن الخامس عشر وليس فى وقتنا هذا » الخ .

وبعد فإن ما كتبته لا يعنى أنى أرى الاستمرار على تدريس هذه القصة فى بلاد تدين بالاسلام ، فان فى الأدب الانجليزى معينا لا ينضب من الاقاصيص البرئية ، بل فى مؤلفات برنارد شو نفسه ما هو أولى من هذه القصة بالعناية . وأنى لم أخالف رأى مشيخة الأزهر الجليلة فى وجوب إبعاد هذه القصة وأمثالها من معاهد العلم المصرية ، فكل أمة تحترم نفسها تعمل على هذه الشاكلة .

ومهما قيل فى أن هذا الأسلوب فى تصوير الآراء العتيقة سائغ لدى الأوربيين ، فانه يعتبر نابيا عن ذوقنا ، مستهجنا فى عرفنا .

وإذا كان هذا ما يقال فى كتاب برنارد شو ، فماذا عسى أن يقال فى محادثات لاندور ، وفيها فصل ، وإن لم يكن مقررا للتدريس ، فانه يشتمل على أمور لا أقول يجب أن لا توضع بين أيدى طلبة مسلمين ولكنى أقول يجب ألا توضع بين أيدى طلبة على الاطلاق ، لأنها خيالات مبنية على أكاذيب صريحة ، ومصوغة فى قالب استهزائى بعيد عن روح الأدب الصحيح . ولقد أحسنت الجامعة المصرية صنعا فى إلغاء تدريس هذين الكتابين ؟

محمد فريد وجدى

« التهذيب فى الفقه »

جرى صاحب الفضيلة الأستاذ النابه الشيخ احمد كامل الخضرى المدرس بكلية الشريعة على سنة نعتبرها أمنية محبى العلم الدينى فى هذا العصر ، تلك هى وضع مادة الفقه التى عليه تدريسها فى وضع جديد ، وترتيب جميل ، وتقريبه من الأذهان بحيث لا يلتوى فهمه على أحد ، فجنى طلبته منه ثمرتين أولاها سرعة فهمهم للمقرر عليهم ، وثانيتهما اكتساب ملكة التعبير عن الفقه بلهجة أهل العصر الحاضر .

وقد تم طبع الجزء الثالث من كتاب التهذيب ، وهو مقرر السنة الرابعة فجاء كالذين تقدماه كفاية واتقانا وحسن ترتيب .

فحبذا لو شجعت إدارة الأزهر أمثال فضيلة الأستاذ الخضرى من المؤلفين المجددين ، وذلك بتقرير كتبهم للتدريس بعد النظر فى كفايتها ، فهذا يبث فى روع المدرسين روح العمل ويكون لنا من ورائه ذخر علمى عظيم .

الاشتراكات المقسطة

حضرات المشتركين من دفعوا ربع قيمة الاشتراك فنلفت نظرهم إلى دفع قسط جديد

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة المحمدية

تحت ضوء العلم والفلسفة

— ٤ —

حظ الأمم من النبوة قديما وحديثا

يحيط بتاريخ النبوات كثير من الغموض ، فإن من اشتهر منهم فى التاريخ العام ، وعُرفت سيرهم ، وضُبطت تواريخهم ، عدد لا يذكر بجانب من لم تُعرف أسماؤهم ، ولم تصلنا أخبارهم . وقد دلت العلوم الاجتماعية على أن الجماعات البشرية فى جميع أدوار وجودها صدرت فى حياتها الدينية عن تعاليم مقررة أفضى بها إليها رجال منها ، أطلقت عليهم ألقابا مختلفة من كهنة وبطارقة وموابذة ومعلمين ، بل وآلهة وأنصاف آلهة ظاهرين بأجساد بشرية الخ ، ولكن بسبب الظلمات المخيمة على تواريخ تلك الأمم لم تعرف أسماء أكثرهم ، ولم يمكن نقد ما أتوا به من التعاليم ، وتقدير قدرها من الناحية الفلسفية ، وتمييز من يصح أن يحشر منهم فى زمرة الأنبياء ، لسلامة تعاليمهم من ضلالات الوثنية ، ومن يتعين الزج بهم فى قبيل الدجاجلة والمشعوذين ، وطلاب السلطان والمال باستغلال جهل الجاهلين .

ليس هذا موطن تحقيق تاريخى لتمييز الأنبياء الصادقين من الأنبياء الكذبة ، ولكننا نلفت نظر القارئين الى حقيقة ذات دلالة بعيدة المدى فى فهم مرمى العاطفة الدينية ، وهى أن العالم كله متمدنه ومتوحشه ملتف حول النبوة فى جميع مظاهرها ، لا تشذ منه جماعة فى أى عهد من عهود التاريخ ، فأينما أجلت بصرك شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا الى القرن العشرين ، وفيما قبل التاريخ ، فلا تصادف غير أمم وشعوب وقبائل معولة فى توفية أخص حاجاتها الروحية على النبوة . فهل هذا التعلق الشديد بالنبوة أثر من آثار السذاجة الانسانية الأولى توارثتها الأجيال فأصبحت حاجة نفسية لا بد من توفيتها على حال من الأحوال ؟

يقول الماديون : نعم ، ويقول الاعتقاديون : لا . فأى الفريقين أهدى سبيلا ، وأقوم قيلا ؟

الماديون بحكم أصولهم مضطرون لإنكار النبوة واعتبارها شعوذة وتدليسا وخداعا ، والحسبان الملتفين حولها سذجا مخدوعين ، وغفلا مأفونين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا تعليل قليل الكلفة ، سائغ فى نظر الذين لا يهمهم تحقيق الأمور ، ولكن الذى أوتى نعمة التثبت يصعب عليه أن يتحلل من النظر فى أمر جلل كأمر النبوة بكلمة يلفظها لا يعرف مبلغها من الصحة .

كل الأنبياء مشعوذون مزورون ، وجميع الخلق سذج مأفونون ! لو صح هذا لكان أفظع طعن يمكن توجيهه الى الجبلة الانسانية ، والى الطبيعة التى كونتها فى رأيهم على هذه الشاكلة . فان كائنا تستوعب حياته نفسية من هذا الطراز ، ويتسلط عليه وهم بهذا القدر من الخطر ، ويستمر مئات الألوف من السنين فى هذا الضلال العقلى ، يعتبر وجوده شؤما على الأرض التى يعيش عليها ، و يعد أفضل منه الحيوان الأعجم بما لا يقدر .

هنا يمكن أن يقول لنا واحد من أنصار هذا الرأى : رويدك قليلا ! أليست القبائل والجماعات قد تناحرت ولا تزال تتناحر لنصرة صنم من الأصنام ، أو لتأييد وهم من الأوهام ، فهل الأصنام والأوهام مما يجب أن يتعصب له الى هذا الحد ؟ وهل تاريخ الحروب الدينية إلا سلسلة من هذه الاندفاعات الجنونية ، وراء الأوهام النفسية ؟ فان شئت أن تنظم الدرارى مدحا فى تقديس هذه النفسية البشرية ، فافعل ، ولكن لا تنتظر أن يخفف النقد العلمى من شدته لأى اعتبار من الاعتبارات .

فأجيبه بقولى : لقد قربت لى البعيد ، وكفيتنى مؤنة سرد الأسانيد الدالة على سمو النفسية الانسانية ، واسترخاصها حياتها الأرضية فى سبيل غرض لا يمت الى المتع الجسدية بسبب . إنك نظرت الى السبب المباشر للتناحر ، فوجدته ماثلا فى نصرة صنم من الأصنام ، أو وهم من الأوهام ، ولكنك لم ترتفع عن هذا الحضيض لتشرف على الدوافع الحقيقية الباعثة على تأييد الأصنام أو الأوهام . إنك لو فعلت لرأيت أن الباعث هو بعيد الشأو ، عالى القدر ، سام السمو كله ، وهو اختراق الحجب الأرضية ، الوصول الى عالم الروح المحض ، والخير البحت .

لا يعيب هذا الاندفاع الانسانى أن يكون باعثه المباشر صنم أو وهم ، فقد يكون منشؤهما جهلا أو سذاجة ، وهما عرضان يزولان وتحل محلهما عقائد صحيحة ، وقد تعود فتتحرف تلك العقائد الصحيحة ، وهلم جرا ، ولكن الباعث الذى يهيب بالانسانية الى الجهاد فى سبيل الروح دائب على العمل ، لا يمل ولا ينى فى دور من الأدوار .

يجب أن يجرد هذا الباعث الروحانى من كل مايلابسه من عقائد باطلة ، وضلالات عارضة ليمكن رؤيته على حقيقته ، وتقدير طبيعته ، ومعرفة مدى تأثيره فى ترقية النوع البشرى وتحريره من بهيميته .

أ... رأيت فى خلال تاريخ النوع البشرى أن هذا الباعث العالى حمله على تقييد ...

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وتهذيب أخلاقه ، فعد العدل فضيلة ، والظلم رذيلة ، واعتبر البذل محمدة ، والامساك مذمة ، وعد التواضع مكرمة ، والتكبر مأثمة ، وحسب المساواة مفخرة ، والتميز معرة ؟

فان قلت : كل هذا أوجبه على قول الداروفيين ما غرس فى طبيعة الانسان من غريزة الاجتماع ، فهى التى دفعته قهرا للتخلق بما يحفظ وجود الجماعة من الأخلاق الفاضلة ، فتخلق بها قهرا ، وبالإدمان عليها ، كما تقتضيه حاجة الاجتماع ، انطبعت فى ضميره ، فاذا نظر إليها المتأمل السطحى ظنها صفات فطرية علوية ، وما هى فى حقيقتها إلا ضرورات اجتماعية اقتضتها الطبيعة الأرضية ولا أثر للروح فيها .

نقول : كل هذا الكلام معلول ، فان الاجتماع ليس بحاجة من الأخلاق إلا للقدر الذى عليه النمل والنحل والذئاب والفيران ، وهذه الأنواع كلها ولدت مفطورة على ما يحفظ وجودها الشخصى والنوعى بدون كسب ، فكان يكفى الانسان أن يولد مفطورا على مثلها ويقف منها حيث وقفت ، أما وهو لم يقف منها عند حد مايستدعيه الاجتماع ، فتراه يزيدها كل يوم تهذيبا ، عاملا على إنشاء جو أدبى حوله يباين به مادية الطبيعة ، حتى إنه ليحاول أن يخرج نوعه من سلطانها ليعيش فى ظلال آدابه وأخلاقه ومدنيته ، بمعزل عن خشونتها وصرامتها ، فان هذا كله لايستدعيه قيام الاجتماع ، ولا هو بحاجة اليه . ألست ترى ألوفا مؤلفة من الجماعات قائمة فى الأرض على أخلاق السباع والذئاب والدَّبَبَة ؟ فأى عامل دفع الانسان لما وراء حاجة الاجتماع ، فدرس الأصول حتى قتلها خبرا ، وسرى فى سرائر المبادىء حتى لم يدع حنوا من إحنائها يمكن أن تنزوى فيه حقيقة حتى مد مسباره اليها ، وسلط عليها من تدبره نورا كشافا فأدركها ، ولم يأل فى إضافة مايجده من أسرار العدل والانصاف ، وخفايا الآداب والأخلاق ، الى ماسبق له تسجيله منها ، حتى أصبح لديه كنز منها اتخذه مثلا أعلى لا يزال يحن اليه ، ويود أن يصيبه تطور أدبى جديد فيضطره الى التعويل عليه .

ماهذا الحنين من الانسان إلى المثل الأعلى من الاجتماع ، وفيه تقييد للحرية ، وتحديد للحقوق ، وتكاليف على الأقوياء ، وواجبات على الممتازين ، وحقوق للضعفاء ؟

ما هو العامل النفسانى السامى الذى يجعل الانسان يتمنى أن لو أصبح الناس كلهم متساوين فى الحقوق والواجبات ، فى مجتمع لا أثر فيه للاعتبارات والامتيازات ، بل ماهو ذلك العامل السماوى الذى يحبب بعض النفوس فى الايثار ، فينزلون لإخوانهم عما يملكون ، وليس فى القانون ولا فى حاجات الاجتماع مايدعو اليه ؟

إن قلت : إن كل هذا دعا إليه التوسع فى توفية حاجات الاجتماع ، قلت لك : فان كثيرا من الناس فكروا فى الزهد حتى كان أحدهم يكتفى من الغذاء ببضع تمرات أو تينات ، ومن اللباس بعباءة يجمع حافتيها بخلال ، وآخرين آثروا اعتزال الجماعة ضنا بأنفسهم على موبقات

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاجتماع ، وغيرهم شغلوا أنفسهم بالعبادة حتى قد لا تصادف الواحد منهم إلا راكعا أو ساجدا ، فهل كان هذا كله من توليدات غريزة الاجتماع التي يقول بها الداروتيون وهي لا تمت إلى الاجتماع بأدنى سبب ، بل تنافيه في نظر الكثيرين من العلماء ؟

تأييد الفطرة الانسانية لتعاليم الأنبياء :

ماذا حمل الأنبياء للأمم من التعاليم ، وأي شيء أفادوه المجتمعات المختلفة في خلال العصور ؟ إن بضاعة الأنبياء معروفة في كل زمان ومكان ، وهي تلطيف خشونة الطبيعة البشرية ، وقهر ميولها البهيمية ، وإدخالها في حدود الاعتدال ، وتوجيه الشخصية الانسانية وجهة الخير ، والسمو والصلاح ، وذلك بلفت نظر الناس إلى أن للكون صانعاً قديرا حكيما ، وأن لهم روحا قدّر لها الخلود في حياة بعد هذه الحياة ، وأن العدوان الذي يرتكبه الانسان في حياته الأرضية ، ضد الآداب والحقوق الخاصة والعامة ، يحاسب عليه في تلك الحياة ، وقد دان الناس كلهم لهذه العقائد حتى لم يصادف قديماً ولا حديثاً أمة بغير دين ، فعلام يدل هذا العموم والشمول ، حتى والانسانية في أحط الأدوار ؟

ألا تدل على أنها مطبوعة على الانعطاف اليها ؟ وهل في الدين إلا واجبات وتكاليف وإيثارات وتضحيات ؟ فلو كان الانسان طينا محضا لما هوى الى هذه التعاليم ، وللفظها كما يلفظ كل ما لا يشعر بميل فطري اليه .

وقد بلغ نحو ألف وخمسمائة مليون نفس اليوم من المدنية شأوا لم تكن تحلم به الجماعات التي سبقتها في الوجود ، ومع هذا فهي لا تزال تدين بنبوة أربعة أو خمسة رجال مضى على أقربهم عهدا نحو أربعة عشر قرنا ، ولم يستطع أنبه الماديين ، رغما عما كتبوا في صرف الناس عن هذه النبوات ، أن يحولوا عنهم غير عدد محصور من القارئين . مع أن في تعاليم بعض هؤلاء الأنبياء ما يكرّه الى النفوس الحياة الأرضية ، ويَعُد المتع الجسدية رجسا من الأرجاس ، فإن فيهم ، وليس من أقلهم أتباعا ، من يقول إن جميع المطالب البدنية أقذار لا تليق بكرامة الانسان ، وأن ليس ينجيه منها إلا الفناء في الله . وفيهم من يقول ، ولا يقل عن سابقه في عدد الأشياع : من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ، ومن سرقك رداءك فأعطه قميصك .

فما السر في بقاء هذه الأديان الى اليوم سائدة على الأمم المتمدنة رغما عما أصيب به أكثرها من التحريف والتصحيف والتأويل ؟ السر غلبة عاطفة علوية على الفطرة البشرية الأرضية ، فهي تدين بهذه الأديان على ما فيها لأنها تتنسم من خلال تعاليمها عَرف الوحي السماوي الذي تولاها في طفولتها ، وقومها في شبيبتها ، وعزّاها في شيخوختها ، ولا يزال ينفحها في سويداء فؤادها بما يربّها ويكملها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العوامل النفسية الخفية فى حياة النبوات :

يشتد الكتاب الماديون فى ضرورة إبعاد فكرة النبوات من العقلية الانسانية ، بحجة منافاتها للعلم من ناحية ، وعدم حاجة الاجتماع اليها من ناحية أخرى . ويغفلون عن أن العلم اليوم قد أثبت النبوات بأدلة لا تقبل النقض ، وماحيلتنا فيمن جمدوا على ماهم عليه ، ولم يبالوا بما جد فى العلم من الفتوحات التى أقامت ألوفا من العلماء وأقعدتهم فى أربعة أرجاء المعمور ، ولا تزال تفعل فى النفسية الفلسفية الأفاعيل ؟

وأما زعمهم بعدم حاجة الاجتماع الى النبوات فينم عن جهل عظيم بطبائع الاجتماع ، فإن المجتمع كالجسم الحى ينفى بقواه الذاتية كل ما ليس به حاجة إليه . أما وهو لم ينف التعلق بالنبوات رغما عن جميع الصوارف التى تستخدم لصرفه عنها ، فذلك يدل على أنه لايزال به حاجة إليها . فيجب على كل باحث فى أطوار الانسان أن يدرك سر تمسكه بها رغما عن جميع الشبهات التى أثيرت حولها . وإذا شئت أن نفضى إليك بما انتهى إليه علمنا فى هذا الشأن فاليك :

لا جدال فى أن العلوم والفنون قد آتت الانسان بكل ما هو فى حاجة إليه من مقومات الحياة ، وهى دائبة على إيتائه منها بما لا يدع له معها حاجة الى المزيد ، ولكنها قد عجزت الى اليوم عن إيتائه بأعز مطلوب لديه ، وهو (العزاء) الذى لا بد منه حيال ما ينتابه من صروف الأيام ، وكوارث الحدثان فى الأهل والنفس والمال .

ماذا يغنى الانسان أن يحاط من طُرَف الصنائع ، وتُحَف الفنون ، وبدائع المخترعات بما يجعل حياته طيبة هنيئة ، وبما يحببه فى استبقائها واستدامتها ، ويزيده تشبثا فيها ، وولوعا بها ، وهو لا يلبث أن يصاب له عزيز عليه بمرض فيعجز عن علاجه نطس الأطباء ، ثم يختطفه الموت من جانبه فلا تقوى قوى العالم كله على تخليصه من أنيابه ! فإذا شيعه الى مثواه فى الأرض ، وعاد يبكيه ويندبه أياما وشهورا ، وبدأ يعاود حياته العادية فى وسط هذا النعيم المدنى العظيم ، بوغت بكارثة أخرى من هذا النوع فى عضو آخر من أعضاء أسرته ، أو أصيب هو بمرض خطير يفقده لذة العيش ، ويجعله حيا كميت ، لا يستطيع حراكا ولا همسا ، ويتراءى له الموت كاشرا عن أنيابه بين لحظة وأخرى ، ويدخل إليه الأساة ويخرجون فلا يستطيعون إسعافه بما يعيده الى حالته الأولى أو ما يقاربها ، وقد يكون فى عنفوان شبابه ، ورَيِّق صباه !

هبه قد عمر حتى بلغ من السن عتيا ، فما الذى يعزيه عن شبابه الذى تصوحت زهرته ، وأخلقت ديباجته ، وعن قواه التى خارت حتى أصبح لا يستطيع النهوض ، وطالعه وجه الموت شاحبا مزعجا فى كل لحظة من وجوده المتعب المثقل بالهموم ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إن هذا العزاء للانسان حاجة لا تعدلها حاجة عنده ، وقد حاول أن يجدها فى كل ماتسمح له به العلوم والصناعة فعجزت ، وعمد الى صرف عقله عنها بالصهباء والمزاهر والدفوف ففشلت ، بل زادته إيغالا فى الهموم !

هذه الحاجة الماسة الى العزاء وجدها الانسان فى تعاليم النبوات ، فهى التى تتولاه وهو أشد ما يكون احتياجا الى كلمة طيبة توجه اليه ، وأمل — ولو ضعيفا — يعتمد عليه ، فاضطر أن يبقى على هذه التعاليم ، متربصا بالعلم أن يفتح عليه بما يؤيدها ، وقد ظهرت بوادر هذا الفتح بما اتفق له من بحوث تجريبية فى عالم الروح ، فاكتسبت بذلك تعاليم النبوة سلطانا جديدا على العقول ، وكلما تقدمت تلك البحوث ازدادت مرتبة النبوة إشراقا ، مصداقا لقوله تعالى : « لأغلبن أنا ورسلى ، إن الله قوى عزيز »

محمد فريد وجدى

كيف كان مجاذيبهم

يحفظ تاريخ الأدب العربى أخبارا لبعض المجاذيب فى زمان ازدهار الدولة الاسلامية ، منهم بهلول وعليان وسعدون وسمنون وشقران وغيرهم وقد عزيت اليهم أشعار ، وأقوال ، ونحن وإن كنا نشك فى صحة نسبتها اليهم إلا أننا نوردها على سبيل الفكاهة .

من ذلك من رواه عيسى بن على قال : رأيت سعدونا والصبيان يرمونه بالحجارة فصرفتهم عنه . فقال لى بعض الصبيان : أنه يزعم أنه يرى ربه . فقلت له ما تسمع مقالة الصبيان . فقال يا أخى مذ عرفت الله مافقدته ثم قال :

زعم الناس أننى مجنون كيف أسلو ولى فؤاد مصون
علق القلب بالبكا فى الدياجى وهو بالله مغرم محزون

وقال اسماعيل بن عطاء مررت بسعدون فلم أسلم عليه فنظر الى وقال :

ياذا الذى ترك السلام تعمدا ليس السلام بضائر من سلما
إن السلام تحية مبرورة ليست تحمل قائليها مغرما

ومن شعر سعدون أيضا :

لئن أمسيت فى ثوبى عديم لقد بليا على حر كريم
فلا يحزنك ان أبصرت حالا مغيرة عن الحال القديم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة الاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » :

رأينا بعد تفسير هذه السورة الشريفة بما يسرّه الله تعالى أن نجيب داعى المقام وننتهز هذه الفرصة فنذكر للقارئ الكريم بعض ما جاء عن فلاسفة أوربا مما يناسب ما نحن فيه ، علما بأن كثيرا من أبناء هذا العصر يتأثرون بذلك فضل تأثر . وعلى كل حال فقد قالوا قديما : « والفضل ما شهدت به الأعداء » :

ذكرنا لك فى بعض ما كتبناه أن العقيدة بالله فطرية ضرورية ، لا يلهيك عنها إلا الغفلات المتراكمة ، أو الجهل الذى يفوق جهل الحيوان ، فان الحمار مثلا إذا ضرب التفت ليعرف الضارب ، لأنه لا يتصور أن هناك ضربا بلا ضارب أو أثرا بلا مؤثر . فمن رأى هذا الوجود وما اشتمل عليه من حكم وأسرار وآيات تدهش الأنظار وتحير الأفكار ، ثم لم ينتقل منها الى الإحساس بعظمة الواحد القهار المتكبر الجبار ، فهو أجهل من ذلك الحمار ، بل أحط رتبة من الأحجار التى تسبح خالق الليل والنهار : « وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » فسبحانه من إله عظيم ، ورب حكيم .

وبالجملة فمن يتأمل فى هذا العالم وما هو عليه من الوضع المنظم والترتيب المحكم الذى وضعه البارئ الحكيم لكيفية التوالد وتكاثر الأجناس مع تباينها ، وتشابه أفراد الأنواع مع مزيد كثرتها ، وتضامن جميع المخلوقات علويها وسفليها وصغيرها وكبيرها مع مافيها من الحكم المدهشات ، وترتيب أنواع الكائنات ، وارتباط العلل بالمعلولات ، وضرورة خدمة بعضها لبعض وما أودع فيها من القوى المختلفة والأسباب المتباينة ، وما تشاهده كل وقت من إخراج الحى من الميت والميت من الحى ــ من نظر فى ذلك كله علم أن جميع الكائنات معجزات إلهية تفوق المدارك البشرية ، وتنطق بعظمة الله الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير « إنّ فى خلق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » « أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت » « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » « وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون » « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » الى آخر ما جاء فى القرآن وقام عليه البرهان . ولندع ذلك فهو معلوم للقارئين أو لجميع المؤمنين .

ولنتل عليك من كلام الفلاسفة الأوربيين فى تعظيم الله وبيان كبريائه فنقول :

قال الفيلسوف باسكال : « إذا أردنا أن نقرب لك امر الخالق عز وجل فتصور كرة لا نهاية لها مركزها فى كل مكان ومحيطها ليس له مكان » . وهنا يحسن أن تقرأ قوله تعالى : « وهو الله فى السموات وفى الأرض » . « فأينما تولوا فثم وجه الله » . « وهو معكم أينما كنتم » « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » . وقال الفيلسوف اليونانى أبيكتيت : « العقيدة بالله باستحضار عظمته يجب أن تكون مستمرة كاستمرار التنفس » . وقال شوتا نريان : « لم يتجرأ على نكران الله غير الانسان » . وقال ش . جوتييه : « الله هو الكائن الذى لا يدرك ولا يوصف ومع هذا فهو ضرورى » ويقول : « إن ضمائرنا قد شهدت لنا بوجود الله قبل أن تكشفه لنا عقولنا » . وقال لامارتين : « إن ضميرا خاليا من الله كالمحكمة الخالية من القاضى » . أقول : وأكثر المحاكم الآن خالية من ذلك القاضى . وقد أذكرنى هذا قول القائل

عندى ضمير لست أرضى بيعه ... بجميع ما فى الأرض من أموال
وهنا ضمائر لو أردت شراءها ... لأخذت أغلاها بربع ريال

وقال بيلوتان : « الله هو الحياة العامة فهى الأصل والمرجع لكل حياة »

وبعد : فيحسن أن نورد براهين أشهر الفلاسفة من القدماء والمحدثين على وجود الخالق عز وجل فنقول :

قال المسيو بوستيت فى كتابه المسمى « التذكرة » فى تاريخ البرهان على وجود الخالق :

« اعتقاد الأفراد والنوع الانسانى بأسره فى الخالق اعتقاد اضطرارى قد نشأ قبل حدوث البراهين الدالة على وجوده ، ومهما صعد الانسان بذاكرته فى تاريخ طفولته فلا يستطيع أن يجد الساعة التى [illegible] فيها عقيدته بالخالق ، تلك العقيدة التى نشأت صامتة وصار لها أكبر الآثار فى حياته ، فقد حدثت هذه العقيدة فى أنفسنا ككل المدركات الرئيسية على غير علم منا ، [illegible]

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحالة الأولى يرينا التاريخ الناس حاملين عقيدة فطرية على وجـود قدرة خالقة وحافظة للعالم وحاكمة بين الناس بالعـدل تـكافئ على الحسنة والسيئة سواء فى هـذه الدنيا أو فى الحياة المستقبلة » . وقد قرأنا بحثا كتبه الفيلسوف الـكبير « مومنيه » يثبت بهوجود الخالق ، قال :

« إن افترضنا بطريقة تعلو عن متناول العقل أن الـكون خلق بلا فاعل مريد مختار ، وأن الاتفاقات المتكررة توصلت الى تكوين رجل ، فهل يعقل أن الاتفاقات أو المصادفات تكوّن كائنا آخر مماثلا له تماما فى الشكل الظاهرى ومباينا له فى التركيب الداخلى وهو المرأة ، لأجل عمارة الأرض بالناس وإدامة النسل فيها » ثم قال : « أليس يدل هذا وحده على أن فى الوجود خالقا مريدا مختـارا أبدع الـكائنات ونوّع بينها ، وغرز فى كل نوع غرائز ، ومتعه بمواهب يقوم بها أمره ويرتقى عليها نوعه » ؟

أقول : أشار القرآن الى ذلك بما يعلو تلك البراهين المنطقية والأساليب الجدلية ، فذكر ذلك البرهان فى قالب يستهوى المدارك والأرواح معا ، فهو أملك للوجدان من كل برهان ، وبيّن أنها آية تسترعى الأنظار ، وتستهوى العقول والأفـكار ، فقال : « ومن آياته أن خلق لـكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . ولا تنس أن للقرآن فى الاستدلال على وجود الله تعالى ما يفوق كل دليل ، وله فى ذلك سبيل هو أوضح من كل سبيل ، مثل قوله تعالى : « أم خلقوا من غـير شىء أم هم الخالقون » وكقوله « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » الى غير ذلك مما لا يخفى عليك . وقد قلنا : إن القرآن ينطوى على شىء كثير مما يعمل فى النفوس أكثر مما تعمل البراهين المنطقية والمحاولات الجدلية .

ويحسن بنا وقد تصدينا للنقل عن الفلاسفة أن نذكر لك هنا المحادثة التى حادث بها سقراط أرستوديم بخصوص الألوهية ، وذلك أنه علم أن أرستوديم هذا ينكر الألوهية إنـكارا باتا وقد غلا فى ذلك ، فقال له :

قل لى يا أرستوديم : أيوجد رجال تعجب بهم لمهارتهم وجمال صنائعهم ؟

أرستوديم : نعم

سـقراط : أخبرنى عن أسمائهم

أرستوديم : أعجب فى الشعر الروائى « بهومير » وفى صناعة التماثيل ببوليكتيت ، وفى التصوير بزوكسيس

سـقراط : أى الصناع فى نظرك أولى بالإعجاب : الذى يصور صورا بلا عقل ولا حراك ، أم الذى يبدع كائنات ذات عقل وحياة ؟

أرستوديم : وحق « جوبتير » يريد الزهرة ـ أن أولاهما بالاعجاب هو الذى يبدع الـكائنات المتمتعة بعقل وحياة إذا لم تكن هذه الـكائنات من نتائج الاتفاق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

سقراط : ولكن أى الكائنات أولى أن تعتبرها من نتائج الاتفاق أو من نتائج الادراك : التى غايتها ظاهرة ، أم التى منافعها مشكوك فيها ؟

أرستوديم : من العدل أن أقول : إن الكائنات ذات النفع هى أولى بأن تنسب الى عمل الإدراك

سقراط : ألا ترى أن الذى فطر الناس قد أعطاهم ما لديهم من الأعضاء لغايات ومقاصد خاصة ، فأعطاهم الأعين للنظر ، والآذان للسمع ؟ وماذا كانت تجدينا الروائح إن لم تكن لنا أنوف ؟ وهل كنا نشعر بمرارة المر وحلاوة الحلو إن لم تكن لنا ألسنة تميز بين هذه الطعوم ؟ ثم ألا ترى من دلائل التبصر والحيطة أن تكون الأعين لرقتها وسهولة تأثيرها قد متعت بالأجفان التى تقفل وتفتح بالارادة وتنسدل على العينين وقت النعاس ، وقد حليت أطرافها بأشبه شىء بالغربال من الرمش ليحميها شر الرياح ، وأن الحواجب قد وضعت لتمنع تساقط العرق إليها ، وأن الآذان خلقت قابلة لتمييز جميع الأصوات بدون أن تمتلىء قط — الى أن قال : كل هذه الأعمال تدل على تبصر واحتياط ، الى أى شىء تعزوها : للاتفاق أم للادراك ؟

أرستوديم : لا وحق « جوبتير » يريد الزهرة — هذه الأعمال إذا نظر إليها الانسان تدل على أن قد صنعها صانع يحب الكائنات الحية .

سقراط : وماذا تقول فى الميل المودع فى النفوس للتناسل ، وفى الحنان المخلوق فى قلوب الأمهات للهيمنة على فلذات أكبادهن ، وفى الخوف الموجود فى تلك الكائنات من العطب ؟

أرستوديم : لاشك أن كل هذا يدل على أنه اختراع كائن قرر خلق الحيوان على ما تقتضيه الحكمة .

سقراط : أتعقل أنك قد تحليت بعقل وإدراك وأنت كما تعلم لا تقارن بشىء من الوجود وأن هذه المخلوقات كلها المتمتعة بادراك مثلك لا تحتاج لعقل يرتب علاقاتها ويقيم أمرها على قاعدة النظام ؟

أرستوديم : أنا أنكر ذلك وحق « جوبتير » ، فانى لا أرى ذلك الصانع كما أرى الصناع من الناس .

سقراط : إنك لا ترى كذلك روحك التى تتسلط على أعضائك ، فهل تستطيع أن تقول إن جميع أفعالك صادرة بلا عقل ولا إدراك ولكن بالاتفاق ؟ !

كانت نتيجة هذه المجادلة اعتراف أرستوديم بوجود الصانع .

ولنقف هنا اليوم وموعدنا العدد الآتى إن شاء الله ؟

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

الرهن

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرهن يركب بنفقته إذا كان مرهونا، ولبن الدر يشرب بنفقته إذا كان مرهونا، وعلى الذى يركب ويشرب النفقة» وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهودى طعاما ورهنه درعه» رواهما البخارى.

يتعلق بشرح هذين الحديثين أمور: (١) بيان معنى الرهن (٢) شروطه (٣) حكم الانتفاع بالمرهون سواء كان أرضا أو دارا للسكنى أو حيوانا أو غير ذلك (٤) لماذا رهن النبى صلى الله عليه وسلم درعه عند اليهودى مع أن المسلمين كانوا يومئذ كثيرين وهو كان سيدهم بدون منازع؟

(١) يطلق الرهن فى اللغة على الثبوت والدوام، ومن ذلك قولهم: نعمة راهنة بمعنى دائمة وثابتة، كما يطلق على الحبس، ومنه قوله تعالى: «كل نفس بما كسبت رهينة» أى رهن وحبس بكسبها بحيث لا ينفك عنها عند الله تعالى سواء كان خيرا أو شرا. والمراد المبالغة فكأن النفس هى عين الرهن، وقد يطلق على نفس العين المرهونة، فاذا وضع شخص عينا عند شخص آخر لتنوب مناب ما أخذه منه من مال أو غيره فانه يقال لتلك العين رهن، مثلا إذا اقترض شخص من آخر مائة جنيه ووضع عنده دارا لتنوب مناب الجنيهات فانه يقال لهذه الدار رهن. وكذا إذا أخذ منه ناقة ووضع عنده ثورا لينوب مناب ناقته، فانه يقال لهذا الثور رهن. وأما معنى الرهن فى الشرع فهو: «جعل عين لها قيمة مالية فى نظر الشرع وثيقة بدين بحيث يمكن أخذ ذلك الدين أو أخذ بعضه من تلك العين». وهذه العبارة معناها ظاهر معروف عند الناس، وإن كان فى بعض ألفاظها خفاء يفهمه طلبة العلم، وذلك لأن الغرض منها أن يستدين شخص من آخر دينا ويجعل له فى نظير ذلك الدين عقارا من أرض أو نحوها، أو حيوانا محبوسا تحت يده حتى يقضيه دينه، ذلك هو المعنى المراد، فمعنى قولهم: وثيقة: شىء متوثق به، مأخوذ من وثق كظرف إذا صار وثيقا محكما، وذلك لأن الدين أصبح بحبس هذه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العين محكما لا يسع المدين إلا سداده أو تضيع عليه هذه العين كلها أو بعضها بحسب ذلك الدين . هذا وقد اصطلح الفقهاء على تسمية مالك العين (راهن) ، وتسمية صاحب الدين الذى يأخذ الرهن فى نظير دينه (مرتهن) ، ومن هذا تعلم أن العين المرهونة قد تسمى رهنا وصاحبها الذى رهنها يسمى راهنا ، وصاحب الدين يسمى مرتهنا .

(٢) أما شروط صحة الرهن ، فمنها العقل ، فلا يصح أن يكون أحد المتعاقدين (الراهن أو المرتهن) مجنونا ، وهذا الشرط متفق عليه طبعاً ، ولا بد منه فى جميع العقود . ومنها البلوغ ، فلا يصح أن يكون أحدهما صبيا غير مميز ، لأنه فى حكم المجنون باتفاق أيضاً . أما الصبى المميز فانه يصح أن يكون راهنا أو مرتهنا لأنه يعرف معنى المعاملة ويدرك ما يترتب عليها من منافع ومضار ، ومع هذا فان عقده لا ينفذ إلا إذا أقره الولى ، وفى ذلك من الحيطة ما لا يجعل بين عقد وليه وعقده فرقا مادام المرجع فى النهاية للولى ، ولذا اتفق الأئمة على هذا ما عدا الشافعية ، فانهم هم الذين قالوا : إن رهن الصبى لا يصح ولو كان مميزا ولو أذنه وليه . وعلى كل حال فالخلاف فى هذه المسألة هين . ومنها أن لا تكون العين المرهونة غير معينة بحدودها ، فلا يصح رهن المشاع سواء كان عقارا أو عروض تجارة ، أو حيوانا ، أو غير ذلك ، وهذا الشرط انفرد به الحنفية ، وخالفهم غيرهم ، فقالوا إنه يصح رهن المشاع . مثلا إذا كان لشخص دين على آخر ، فله أن يرهن له بدينه جزءا من داره المملوكة له مقابل ذلك الدين سواء كان شريكا له فى هذه الدار أو لا ، فاذا ملك شخصان دارا فان لأحدهما أن يرهن نصيبه المشاع لشريكه كما إذا كان يملكها وحده ، وكذا إذا كان يملك شخص تجارة من قمح أو عسل أو نحو ذلك ، فان له أن يرهن جزءاً مشاعا منها ، مثلا إذا كان لشخص محل تجارة (دكان) به بضاعة من قماش أو غيره ، فله أن يرهن بعض هذه البضاعة كنصفها أو ثلثها مشاعا ، ومثل ذلك ما إذا كان يملك جملا أو حمارا ، فان له أن يرهن بعضه مشاعا ، وقد عرفت أن هذا الحكم لم يخالف فيه سوى الحنفية ، فانهم قالوا أنه يجب أن يكون المرهون متميزا ، فلا يصح رهن المشاع سواء كان يحتمل القسمة أو لا ، وسواء رهنه لأجنبى أو لشريكه ، فلو كان لشخص دين على آخر ، وكان شريكا له فى داره أو فى أرض زراعية ، فانه لا يصح له رهن نصيبه لشريكه إلا بعد القسمة وفرز نصيب كل منهما ، ومنها أن تكون العين التى يراد رهنها موجودة وقت العقد ، فلا يصح رهن الثمرة التى لم توجد ، فاذا رهن شخص ثمر حديقته قبل وجوده فانه لا يصح لأن مالكه لا يقدر على تسليمه وقت العقد ، وهذا متفق عليه بين ثلاثة من الأئمة ، وخالف المالكية ، فقالوا إن رهن غير الموجود فعلا جائز ، وإن كان لا يجوز بيعه ، على أنهم اختلفوا فى ذلك ، فقال بعضهم إذا كان المرهون معدوماً وقت العقد بالكلية فانه لا يجوز رهنه ، وذلك كثمر الحديقة قبل بروزه (طرحه) ، أما إذا برز ولو كان صغيرا فانه يجوز رهنه

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وبعضهم قال يجوز رهن المعدوم بالكلية . فلو رهن شخص ثمر حديقته سنين كثيرة ، فان الرهن يصح ، وكذلك إذا رهن ولد الناقة وهو فى بطنها فانه يصح . ومحل هذا الخلاف عندهم ماإذا علق الرهن على عقد آخر من عقود البيع أو القرض . مثلا أن يقول شخص لآخر بعتك هذه الناقة بثمن كذا الى أجل كذا بشرط أن ترهن لى ثمر حديقتك سنتين أو أكثر أو أقل أو يقول له أقرضتك عشرين جنيها بشرط أن ترهن لى ما تنتجه غنمك سنة أو سنتين ، فهذا الرهن هو المختلف فى صحته عند المالكية . أما إذارهن ثمرالحديقة ، أو ولد الناقة التى فى بطنها بدون أن يعلقه على شىء آخر فانه يجوز بلا خلاف عندهم . فاذا رهن ثمر الحديقة قبل أن يظهر صلاحه فانه يصح ، وينتظرحتى ينضج ، ثم يأخذه إن لم يرد له دين الرهن .

وقد يقول بعض الناس : ما حكم بيع ثمار الحدائق والنخيل قبل بروزه (طرحه) ، فإن هذا الحكم كثير الوقوع بين الناس ، وقد اعتاد المسلمون أن يتبعوا فى معاملاتهم القوانين الوضعية بدون نظر الى ما نقله أئمة الدين من القواعد والأحكام ، وفى ذلك من الجراءة على هجر قواعد الاسلام ما لا يخفى؟ والجواب : أنه يجب على المسلمين أن يستمسكوا فى جميع معاملاتهم بقواعد دينهم ، ويصرفوا أنظارهم عن القوانين الوضعية التى قد تضرهم أكثر مما تنفعهم . أما حكم بيع الثمار قبل أن يظهر صلاحها أو قبل (طرحها) فاليك بيانه :

اتفق أئمة المذاهب على أنه لا يصح بيع الثمارقبل أن تبرز ويظهر صلاحها ، وظهور الصلاح يكون بأمور قد فصلها علماء المذاهب . منها اللون وهو علامة لصلاح البلح والعناب ، ومنها الطعم كحلاوة القصب وحموضة الرمان ، ومنها النضج ويظهر فى البطيخ والتين فتى نضج فإنه يظهرصلاحه ، ومنها الاشتداد كالقمح والشعير ، فتى قوى حبه واشتد فقد ظهرصلاحه . ومنها الطول والامتلاء كالملوخية والفصولياء واللوبياء . ومنها انشقاق الغلاف كالقطن والجوز . فهذه الأوصاف علامة ظهور الصلاح عند الشافعية . وقد وافقهم المالكية فى كثير منها فقالوا إن ظهور صلاح البلح والعناب باصفراره أو احمراره ، ويلحق به القاوون والحرش والعجور (العبد اللاوى) والدميرى (الشهد) ، وبعضهم يقول إن هذه الأنواع لايلزم فيها الاصفرار بالفعل بل يكفى أن تقرب من الاصفرار ، والأمر فى ذلك سهل ، أما البطيخ فظهور صلاحه يكون بتلون لبه بالأحمرار أو الاصفرار ، وعلى هذا فلا يصح بيع البطيخ الذى لونه أبيض إلا إذا كان ذلك اللون طبيعيا له فلا ينا فى حلاوته . وبالجملة فظهور صلاح الفاكهة عند المالكية مداره على إمكان الانتفاع بها ، ولو بعد قطعها بزمن كالموز فإنه يصح بيعه وهو أخضر لم يستو لأنه يمكن وضعه فى تبن أو نخالة أو نحو ذلك فيستوى ، وما ذكروه من تفاصيل العلامات الدالة على ظهور الصلاح فانما يقصدون منها ذلك . مثلا القمح والحبوب فإنهم يقولون إن ظهور صلاحه بيبسه وانقطاع سقيه بالماء بحيث لوسقى بالماء لاينتفع به ، وهذا معنى إمكان الانتفاع به

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لأنه فى هذه الحالة يكون (فريكا) إذا كان قمحا ، ويكون حبا ينتفع به إذا كان غير قمح .
أما الحنفية فإنهم يقولون إن ظهور صلاح الثمرة هو أن يؤمن عليها من العاهات والفساد ، فمتى اجتازت الثمرة الأدوار التى تكون فيها عرضة للفساد بسبب الآفات الجوية وغيرها فقد ظهر صلاحها وصح بيعها منفردة عن غيرها ، أما إذا لم يظهر صلاحها بهذه الحالة فإنه لا يصح بيعها منفردة مطلقا . والحنابلة يقولون ظهور الصلاح فى الثمر هو أن ينضج ويطيب أكله ، وفى الحب هو أن يشتد أو يبيض ، وإذا اشترى ثمرة لم يتوفر فيها هذان الشرطان فانه لا يصح شراؤها إلا إذا اشترط قطعها فى الحال .

ومن هذا تعلم أن أئمة المذاهب قد أجمعوا على أنه لا يصح بيع الثمار والفواكه قبل أن تبرز على أشجارها ويظهر صلاحها بحيث يمكن الانتفاع بها . ومن الأسف أن هذا الحكم مهمل تمام الاهمال فاننا نرى أرباب الأملاك يبيعون ثمار حدائقهم ونخيلهم قبل بروزها ولا يبالون بأحكام شريعتهم مع أنها مطابقة للعقل وموافقة للمصلحة من جميع جهاتها ، إذ من الواضح الجلى أن الشجر قد لا يثمر أو قد تتسلط عليه آفة تعدم ثمره قبل أن يشتد وفى ذلك من الضرر على المشترى ما لا يخفى . أما المالك فانه مكلف عقلا وشرعا بأن يبيع سلعة ينتفع بها المشترى ، فليس من قواعد التعامل بين الناس أن يبيع المالك شيئا معدوما أو يبيع شيئا محتمل الوجود والعدم . ولا يقال إن البائع لم يجبر المشترى على الشراء فهو الذى قذف بنفسه فى هذا المضيق ، لأنا نقول إن الشريعة الاسلامية فرضت على البائع أن يتعفف عن التغرير والاجحاف ، فاذا وجد شخص مجازف يريد أن يشترى منه ما لا يحل له بيعه فانه يجب عليه ألا يوافقه على هذا ، وبذلك تتوثق صلات المودة بين الناس ، وتزيد وسائل الثقة بينهم .

(٣) أما حكم الانتفاع بالمرهون فينبغى أن يكون محل عناية ونظر دقيقين . وذلك لأن علاقته بالربا ظاهرة ، فان الذى يقرض شخصا مقدارا من النقدين بفائدة كالذى يرهن عقارا أو نحوه فى نظير مبلغ ثم ينتفع بهذا العقار ، لأن الانتفاع بالعقار هو الفائدة التى يأخذها رب المال على قرض المال . ولهذا منع الشافعية الانتفاع بالمرهون بتاتا ، فليس للراهن أن ينتفع عندهم بالمرهون على أى وجه . وفائدة الرهن فى هذه الحالة هى توثيق الدين وضمانه بحيث إذا لم يؤده الراهن فى الموعد المحدد فانه يجبر على سداده . أما بعض الأئمة فانهم رأوا أن الانتفاع بالرهن يمكن أن يفارق الفوائد الربوية ، فيصح الانتفاع بالمرهون متى أمكن أن يفارق عقد الربا ، وذلك بأن يرهن له العين ويأذن له فى الانتفاع بها بشرط أن لا يذكر ذلك فى عقد الرهن . ومتى أذنه بالانتفاع فانه لا يصح له الرجوع بعد ذلك . وهذا هو رأى أكثر الحنفية ، وقالوا إن لذلك نظيرا ، وهو ما إذا اقترض من شخص قرضا ثم أهدى له هدية ، فانها إذا لم تكن مشروطة فى العقد كانت جائزة . أما إذا اشترطها فى العقد فانها تكون مكروهة فقط . وأظن أن فى هذا الرأى سعة ، لأن الناس يصعب عليهم أن يتركوا أموالهم بدون استثمار خصوصا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى هذا الزمن الذى غلبت فيه المادة ، وقد تقف مصلحة الشخص المالية إذا لم يرهن جزءا من ملكه يسد به حاجته الضرورية . فرأى جمهور الحنفية فى ذلك مناسب لهذا الزمان بدون نزاع .
أما المالكية فانهم أجازوا الانتفاع بثمرة المرهون ونتاجه بثلاثة شروط :

(أحدها) أن يكون الدين بسبب البيع لا بسبب القرض . مثال ذلك أن يبيع شخص لآخر دارا أو أرضا زراعية أو عروض تجارة أو نحو ذلك بثمن مؤجل فيرهن له فى نظير ذلك الدين عينا لها فائدة فإن لصاحب الدين وهو المرتهن فى هذه الحالة أن ينتفع بفائدة هذه العين المرهونة . (ثانيها) أن يشترط المرتهن (صاحب الدين) أن تكون منفعة العين المرهونة له ، فان تطوع له بها الراهن فإنه لا يصح . (ثالثها) أن تكون مدة المنفعة التى يشترطها معينة . وغرض المالكية من ذلك إنما هو الفرار من الربا ، وذلك لأنه إذا أقرضه مائة جنيه مثلا ، ورهن لهبها فدانا وانتفع بغلته ، كان ذلك فائدة ربوية لأن الفائدة فى هذه الحالة تكون فى نظير القرض . أما إذا باع لهفدانا بمائة جنيه مؤجلة فقد أصبحت المائة جنيه دين بيع لا قرضا . فإذا رهن منه دارا فى نظيرذلك الدين وانتفع به فإنه يكون جائزا لأن المنفعة ليست مقابلة للقرض ، وإنما هى مقابلة لدين البيع . وقد وافق الحنابلة المالكية على هذا الحكم ، فقالوا إن كان سبب دين الرهن قرضا فانه لا يصح الانتفاع بالمرهون ، وإلا فإنه يصح .

هذا وقد أجاز الأئمة الانتفاع بالحيوان المرهون من لبن وركوب ونحو ذلك فى نظير أكله كما هو منصوص عليه فى الحديث الذى معنا .

(٤) أما كون الرهن جائزا فذلك مما لا خلاف فيه ، فقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع. فقد عرفت فى الحديث الثانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد رهن درعه عند اليهودى . ومما لا ريب فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قادرا على الحصول على كل ما يمكنه من زخارف الحياة الدنيا وزينتها ، وكان قادرا أن يختص بكل ما فيه مظاهر الملك وأبهة السلطان ، ولكنه رسول الله حقا ، فقد عرف الدنيا حق معرفتها ، وقدر ما يترتب على شهواتها وملاذها حق قدره ، فرفض من نعيمها الزائل وشهواتها المغرية ما لا فائدة فيه للمجتمع الإنسانى . ولهذا كانت تأتيه الأموال أكواما فيوزعها على مستحقيها بدون أن يأخذ منها كثيرا أو قليلا . ولقد روت زوجه السيدة عائشة رضى الله عنها أنهم كانوا يمكثون الشهر والشهرين بدون أن يوقدوا فى بيتهم نارا ، وكانوا يعيشون على الماء والتمر ، فلا عجب أن يرهن رسول الله درعه عند اليهودى لغرضين : أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم قد انصرف عن مظاهر هذه الحياة الدنيا وزخارفها مع أنه هو الذى كانت تهتز لذكره عروش القياصرة ، وكانت تجبى إليه الأموال أكداسا مكدسة . ثانيهما للاشارة الى ما عليه الدين الاسلامى من سماحة وتساهل مع أهل ذمته من الكتابيين ، فإنه لا يفرق فى المعاملة بينهم وبين غيرهم حتى فى الأمور الشخصية التى يصح أن تكون مقصورة على المقربين من المسلمين ، ولكنه عليه الصلاة والسلام أراد أن يكون قدوة للناس فى قوله وفعله . فعليه الصلاة وعليه السلام ؟

عبد الرحمن الجزيرى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ذكرى
ميلاد الرسول الأكبر
صلى الله عليه وسلم

جعلت الذكرى رمزاً على الأحداث الجسام، ودليلا على التطور فى حياة الأفراد أو الجماعات أو الأمم، أو العالم بأجمعه: كحادث الطوفان الذى عم ماؤه الأرض. وما هذه الحوادث الخطيرة فى التاريخ إلا بمنزلة البوتقة للذهب، فهى تعجم عود الفرد، أو الجماعة، أو الأمة، أو العالم، ليتبين غثه من ثمينه، وخيره من شره، ونفعه من ضره، وعند ذلك تجرى سنة الله فى الوجود، فيقضى على الفساد، ويبقى النافع «فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض». وما حادث الطوفان، ومناداة نوح لابنه، وطلب الشفاعة له من الله تعالى وجواب الله تعالى له إلا تمحيصاً لهذا العالم، وتصفية له من عناصر الفساد التى يضطرب بها نظامه، ويتقوض بنيانه. ولعمرى لتلك هى المذاهب الحديثة القائلة ببقاء الأصلح، وفناء غيره من مادة هذا الوجود الذى خلقه الله غاية فى الكمال والابداع.

«فتبارك الله أحسن الخالقين»

ونحن إذا تمثلنا من نريد إحياء ذكرى مولده فى هذا اليوم، تواردت علينا آثاره وفضائله على النوع البشرى، آخذة بعضها بحجز بعض. فقد كان بين الناس سادة وكبراء، وعبيد وضعفاء، ومقلدون وزعماء، وكان هذا التفاوت سائدا فى كل شىء من مظاهر الانسانية حتى فى العقيدة نفسها، فقد حرم الانسان من استعمال عقله، والسير فى العقيدة على مقتضى فطرته، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بكتاب ينطق بالحق، ويهدم هذه التقاليد المنافية لطبيعة الكون، والمعطلة لمواهب البشر. قال تعالى «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير». فلم يجعل الاسلام فارقا بين الناس عند الله إلا بالتقوى التى هى القسطاس المستقيم بين المرء وربه، وبينه وبين غيره من بنى نوعه. فمن اتقى الله حق تقواه، راقب حدوده واتبع أوامره، واجتنب منهياته، فسلمت الناس من شره، ومن موبقات جوارحه، فحفظ لسانه عن نهش الأعراض، والسعى بين الناس بالنميمة والافساد، والتقول عليهم مالم يقولوه، وحفظ أذنه من سماع المنكر، وغض بصره عن النظر إلى المحرم، وبالجملة فالمتقى من استعمل مواهبه وحواسه فيما

oldbookz@gmail.com
مجروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

خلقت لأجله من الأعمال ، والأقوال النافعة التي تجعل النوع الانساني يفيض بالسعادة ، ويهنأ بالعيش الرغد . وبذلك يفضل الشخص على غيره ، ويحظى بالرفعة عند الله الذي امتحنه بالشهوات ، وزخرف الحياة ومتاعها ، فكان أداة صالحة في البيئة التي مكن له فيها ، وينبوعا يفيض الخير على من بجواره .

ولئن تأملنا أصول القوانين الحديثة ، وما يفتخر به المشرعون ، لوجدنا أسسها ضاربة بقدم ثابتة فى شرعة محمد صلى الله عليه وسلم . فمذاهب المسئولية الشخصية ، وما تفرع منها من أحكام ، وما تطبق عليها من حوادث ، قد جمعها القرآن الكريم فى آيات محكمة قليلة العدد كبيرة الفائدة قال تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » ، وقال : « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل » ، وقال : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت ، وهم لا يظلمون » الى كثير من آى الذكر الحكيم التى بينت حدود المسئولية الشخصية فى غير خفاء ، وأوضحتها فى غير لبس ولا إبهام .

دعا الاسلام الى حرية العقل والتفكير فى ظواهر الكون ، وعناصر هذا الوجود رغبة فى استخراج خواصه ، وتسخيرها فى تدعيم أسس الحضارة الصحيحة التى تحفظ للحياة سعادتها ، وللنفوس طمأنينتها ، قال تعالى : « الله الذى خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الانسان لظلوم كفار » . ولكن الانسان لظلمه وطمعه فى إشباع غريزة التغلب والانتصار وإذلال الضعفاء بقوته ، واخضاعهم لسلطانه ، ما لبث أن عرف بعض أسرار الكون وخواصه ، حتى جعل منها المهلكات والفواجع ، فقد صير البر والبحر والهواء مبعث شرور ، وينبوع فناء ، فى أبشع حالة تشيب الولدان وتذهل كل مرضعة عما أرضعت من شدة هولها وعظيم أثرها .

ولو نظر العقلاء الى أمهات الفضائل ، وجماع المكارم ، من مروءة وشجاعة ، ورباطة جأش لوجدوا صاحب هذه الذكرى قد جمعها فى أقواله وأفعاله : فقد حبب الفضيلة ودعا اليها ، وحث على مكارم الأخلاق واشتهر بها قبل أن يأتيه الوحى ، أو يرسل الى الناس كافة ، حتى عرف بين أهل مكة بالأمين : لأمن الناس منه فى مالهم ، وأعراضهم ، ودمائهم . وإن شئت الدليل القاطع على ذلك فاتل قوله تعالى لنبيه : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

ولقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم حسن الخلق حينما سأله رجل عنه بقوله تعالى : « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » ، وأى أخلاق تسمو بالانسانية وتعلو بها من أن يطالب المرء غيره بما سهل عليه فى المعاملة بدون تكلف ولا إرهاق ، ويأمر غيره بالمعروف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الذى يجلب الخير ويدفع الشر ، ولا يخوض مع الجاهلين فى لغوهم وثرثرتهم ، دون وصول الى حق . وقد روى عن عكرمة أنه قال لما نزلت هذه الآية : قال صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا ؟ قال يا محمد إن ربك يقول : هو أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك . ثم هو بعد ذلك كله لم يترك أمته دون أن يضع لها أسس التشريع فى معاملاتها حتى لقد روى عنه : « الدين المعاملة » . وقد بين لها العقوبات التى يجازى بها كل من تعدى على غيره فى نفسه أو ماله أو عرضه — وبالجملة : فقد نزل عليه القرآن الذى وصفه الله تعالى بقوله : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، وقال تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء ». وقد بين مجملات آى الذكر الحكيم بسننه القويمة . وروى عنه أنه قال : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنتى » . وقد جاء بجوار هذين الأصلين فى التشريع أصلان آخران ، أولهما : إجماع خواص علماء المسلمين من بعده على رأى فى مسألة لم يسبق الفصل فيها عن طريق الكتاب أو السنة ، وثانيهما : ثبوت الحكم فى مسألة سبق الفصل فى نظيراتها عن طريق الكتاب أو السنة ، أو الاجماع . وقد اصطلح على تسمية هذا الأصل بالقياس .

وهذان الأصلان هما عماد نمو التشريع ، وصيرورته صالحا للحكم فيما يجد فى هذا العالم من حوادث ، وما يطرأ عليه من تغيير ، تبعا لما يقتضيه نظام الرقى والعمران ، وما تدعو اليه الحضارة والتقدم . وبهذه الأصول التشريعية صلحت الشريعة لكل زمان ومكان .

وقد كانت له مواقع حربية كثيرة ، وغزوات مشهورة وعاها التاريخ ، وحفظ صورها نماذج يهتدى بها القائدون ويقتدى بها المجاهدون ، كغزوة بدر وأحد وغيرهما من الغزوات التى دلت على الشجاعة فى أرقى درجاتها ، والاقدام فى أسمى معانيه — فعزيمة محمد صلى الله عليه وسلم صلبة قوية فى حال انتصاره وهزيمته ويسره وعسره . فاقدامه يوم انتصاره ببدر لا يفوق إقدامه يوم هزيمته بأحد : ففى كلا الحالين كان مجاهدا باسلا يوجه جميع حواسه الى غرضه الأسمى ومقصده الأشرف من التفانى فى سبيل دعوته ، وحراسة رسالته التى بها السعادة لمن تمسك بها ، وأخلص بقلبه لها ، وكانت أعماله الظاهرة صورة صادقة لما تنطوى عليه نفسه دون نفاق أو خداع أو مماراة .

ولقد كان لنفس محمد صلى الله عليه وسلم ، وما طبعت عليه من أخلاق عالية وصفات طيبة ، أثر فى أصحابه الذين وصفهم بقوله : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » . فلو قلبنا صفحات تاريخ هؤلاء الأصحاب لوجدنا كل واحد منهم يجمع صفات لو انتظمت لأمة لسمت بها وسيرتها على الصراط المستقيم ، والمنهج القويم . فخلفاؤه الراشدون ما وهنت عزائمهم ، ولا ضعفت قواهم بعد موته . فأبو بكر رضى الله عنه حينما وكل إليه أمر الأمة الاسلامية

oldbookz@gmail.com
أرشيف المجلات قديمة
https://t.me/megallat

وكانت حديثة العهد بالاسلام ، ارتد بعض قبائل العرب ، ومنعوا الزكاة ، وأرادوا الايمان ببعض أحكام الكتاب دون بعض ، فما لبث أن قال : «والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليها » وجرد لذلك جنودا مخلصين رخصت نفوسهم فى سبيل حماية أسس الدين الذى ائتمنهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم واستطاع أبو بكر أن يحمل العرب على العمل بقواعد هذا الدين كما تركها النبي صلى الله عليه وسلم بدون تغيير ولا تبديل .

ولم يكن حرص عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم بأقل من حرص أبى بكر . فالكل يعمل لله ، وفى سبيل الله ، لايبغى من وراء عمله إلا ابتغاء رضوان الله ، والفوز بجنة عرضها السموات والأرض ، ولم يستأثروا بشىء مما أفاء الله عليهم من هذه الأموال والنفائس ، بل جعلوا كل همهم العمل على نصرة الدين وحمايته ، فمكن لهم فى الأرض: « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

عبد الله مصطفى المراغى

وكيل قسم المساجد

المزاح المرذول

إذا مزح الانسان فليكن مزاحه هينا لينا لا يؤلم نفس الذى يوجه إليه ، ولا يستدعى منه ردا جارحا ، كما هى العادة .

وقد قال الحكماء : المزاح يضع قدر الشريف ، ويذهب هيبة الجليل .

وقال شاعر :

إياك إياك المزاح فإنه يطمع فيك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ويورث أبعد العز صاحبه ذلا

وقيل : أوكد أسباب القطيعة المزاح .

وقال أبو جعفر الطبرى :

لى صاحب ليس يخلو لسانه من جراح
يجيد تمزيق عرضى على سبيل المزاح

نقول : ليس يستسهل لذع الناس بلسانه على سبيل المزاح إلا رجل هانت عليه نفسه ، لأنه يتعرض بما يفعل إلى أن يسب ويسترذل .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام كما يراه الاوربيون

— ٣ —

تتمة البحث فى إلهية القرآن :

عرضنا فى الكلمة السالفة لتلك الفكرة الخاطئة التى أذاعها « رينان » عن الاسلام ، والتى مؤداها أنه حارب العلم واضطهد الفلسفة ، وأبنا أنها بعيدة عن الحقيقة ، وذكرنا فى معرض الرد عليها طرفا من آراء الأستاذ « كارادى فو » التى أثبت فيها أن القرآن عرض لعدد عظيم من كبريات المشاكل الفلسفية ، وسردنا منها مشاكل : الألوهية والوحدانية والقدرة والتنزه عن الانسان ومخالفة الحوادث . واليوم نتابع بحثنا فيما بقى من هذه المشاكل الفلسفية التى ألم بها القرآن ، ثم قال كلمته الحاسمة فى حلولها المختلفة قبل ترجمة الفلسفة الاغريقية الى العربية . وهاك أهم ما بقى من هذه المشاكل : قال الأستاذ كارادى فو : « إن علم الله يظهر فى القرآن كشرط أساسى لقدرته ، أو كناحية من نواحيها ، وهو وارد فى ذلك الكتاب بطريقة أكيدة بحيث لا يقل فى ثبوته عن القدرة نفسها ، « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين (١) »

« إن القرآن يؤكد فى وضوح روحانية الإله (٢) التى يلاحظ صلتها الوثيقة بالوحدانية والقدرة والعلم والجلال . إن الله عنده هو الذى يحيط بكل شىء ، ولا يمكن أن يحاط به ، وهو المنزه عن كل ما يلحق الأبدان ، وهو أسمى من طبيعة الانسان ، ومن طبائع جميع الكائنات الأخرى ، وهو أرفع من كل ما عداه رفعة تجعل حتى رؤيته مستحيلة « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير »

« من هذه النقطة ، وهى نقطة الجلال الإلهى ، نشأت بين المسلمين مشكلة كبرى احتدم حولها الجدل فى عصورهم الفكرية الأولى ، كما احتدم بين المسيحيين من قبل ، وهى مشكلة إمكان رؤية الإله فى حالة الغيبوبة أو فى مقام الشهود

« من الملاحظ أن الفوز بهذه الرؤية فيما يرى القرآن أمر شديد العسر . ففى السور التى تحوى القصص التوراتية يرى القارىء هذا العسر جليا ، إذ يشاهد أن آدم لم ير الله حين كلمه ،

---

(١) سورة الانعام آية ٥٩ (٢) معنى هذه الجملة ان الألوهية فى الاسلام ليست مشوبة بشوائب المادة كما فى بعض الديانات الاخرى .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وأن نوحا لم يفز بهذه الرؤية بعد نجاته من الطوفان ، وأن إبراهيم — مع أنه خليل الله — لم ير إلا ملائكته ، وأن موسى حين طلب أن يراه أجابه بقوله : « لن ترانى ، ولكن انظر إلى الجبل ، فان استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال : سبحانك تبت إليك » (١) ، وهذا معناه أنه ندم على هذه الجرأة . وأن محمدا نفسه — وهو خاتم النبيين — لم ير إلا الروح الأمين : الملك جبرائيل ، وأن الأوصاف القرآنية للجنة تنص على أن المختارين يستمتعون بمرأى مساكن جميلة ، وحدائق ومخلوقات من الجنسين ، ولكنها لم تنص على أنهم يستمتعون بمرأى الإله . أما فى حالة الحكم بينهم ، فهم سيحشرون فى حضرة الإله ، ولكن بدون أن يفهم أحد الكيفية التى سيكون بها هذا الحضور ، أو الطريقة التى سينحقق عليها .

« نعم إن فى القرآن آيات غريبة فى بابها ، إذ يقول بعضها : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم » (٢) والبعض الآخر يقول : «الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولولم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شىء عليم (٣) » وإذا فتشنا فى كتب التفسير ألفيناها لا ترى فى هذه الآيات إلا تشبيها وتمثيلا » انتهى

لا ريب أن الأستاذ كارادى فو لم يفهم هذه الآيات على حقيقتها ، فتوهم أن الذى يسعى بين أيدى المؤمنين وبأيمانهم فى الآخرة إنما هو الله نفسه ، لأن القرآن أطلق على هذا الساعى اسم النور . وقال فى آية أخرى : الله نور . ولعل الرجل معذور فى هذا الفهم ، لأنه أجنبى مهما كانت درايته باللغة فانه قاصر عن فهم أسرارها ، ولا سيما أسرار القرآن ، ولكن الذى نأخذه عليه هنا هو أنه اتخذ هذا الفهم الملتوى أساسا لنقد تخبط فيه تخبطا لا يليق بالعلماء . وقد نفند هذا النقد حين نعرض لقسم الآراء الباطلة من منتجات المستشرقين .

أثبت الأستاذ « كارادىفو » بعد هذه النقطة أن القرآن عرض لمشاكل أزلية البارى وثباته وبدء الخلق ومصير العالم فى الحياة الأخرى ، فقال فى الأولى : إن أزلية الإله مثبتة فى القرآن ، وإن لم يكن قد ألح عليها كثيرا . وقال فى الثانية : إن ثبات الإله يتجاوب فى القرآن مع أزليته وأبديته وعلمه ، أوهو نتيجة لها ، وهذا الثبات الإلهى يتضح على الأخص فى إدارته للكون : « سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا (٤) » .

غير أن الثبات الإلهى الوارد فى القرآن يتعلق بالنواميس التاريخية والأخلاقية . أما عن الثبات الميتافيزيكى فلم يتساءل كيف يمكن التوفيق بينه وبين إيجابية الإله وتأثيره فى الكون ؟

(١) سورة الاعراف . (٢) سورة الحديد . (٣) سورة النور (٤) سورة الفتح .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولست أدرى كيف يعتبر الأستاذ « كارادىفو » القول بثبات الإله مع القول بإيجابيته فى القرآن أمرا غريبا ، مع أن أرسطو — وهو الذى أسرهم بفلسفته — قرر أن الإله ثابت وأنه هو المحرك الأول لجميع المتحركات ، مع أن الاجماع منعقد على أن التغير دليل الحدوث ، والتحرك دليل التأثر بالمحرك ، والثبات لا يتعارض مع الايجابية ، وأن الفرق جلى بين من يفقد الحركة لعجزه عنها ، وبين من يتجرد منها لتنزهه عنها . وقال فى المشكلة الثالثة : إن فكرة بدء الخلق ليست محددة فى القرآن تحديدا تاما ، لأن نصوصه كنصوص التوراة لم ترفض وجود « الكاؤس » (١) الذى صنع منه العالم .

وقال فى المشكلة الرابعة : إن الانسان ليدهش من العبارات الغير المحددة الواردة فى القرآن فيما يختص بأبدية الجزاء أو انتهائه : « فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ، إن ربك فعال لما يريد . وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ، عطاء غير مجذوذ » (٢)

ويعلق الأستاذ كارادى فو على هاتين الآيتين بما يفيد أن فكرة أبدية الجزاء لم تؤخذ صراحة من القرآن ، وإنما هو يلمح الى الأبدية ولكنه لا يصرح بها ، وأن المتكلمين هم الذين قالوا بالأبدية بعد تأثرهم بالفلسفة الاغريقية .

ولست أدرى مم استنتج الأستاذ كارادى فو هذا الحكم ؟ إن كان قد استنتجه من التعليق على دوام السموات والأرض ، فإن القرآن لا يريد السموات والأرض الموجودة الآن ، وإنما يريد تلك التى عناها بقوله : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » (٣) وهذه خالدة شبيهة بالعالم الآخر الذى خلقت فيه ، وإن كان قد استنتجه من التقييد بالمشيئة الالهية ، فإن هذا التقييد لا يفيد إلا إمكان الزوال إذا تعلقت المشيئة به . والأستاذ بصفته عالما يعرف أن كل ما عدا الله فى نظر الإسلام ممكن . فنص القرآن على إمكان الزوال فى هاتين الآيتين لا يفيد ضرورة تحقق هذا الزوال ، بل بالعكس هو يفيد تحقق الدوام وإمكان الزوال .

الأخلاق الفلسفية :

بعد أن انتهى الأستاذ « كارادى فو » من بسط إلهية القرآن ، عرض لما فيه من أخلاق فلسفية ، فكانت إبانته إياها بمثابة رد قاطع على أولئك المتفيهقين والجاهلين الذين زعموا أن القرآن ليس فيه إلا نوع من الأخلاق العملية الساذجة المألوفة عند الشرقيين من الأمر بالصدق والأمانة ، والنهى عن الكذب والخيانة ، وما شاكل ذلك ، فأثبت لهم أنه قد احتوى بين آياته على أخلاق فلسفية هى فى أسمى درجات النظر . قال :

(١) الكاؤس هو العنصر الذى خلقت منه المخلوقات ، وهو الماء عند فريق من الفلاسفة ، والهواء عند فريق ثان ، والنار عند فريق ثالث ، وشىء غير محدود عند فريق رابع ، والسماء عندفريق خامس .

(٢) سورة هود . (٣) سورة ابراهيم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« إن علم الله وحكمته وقدرته ليست مقصورة فى القرآن على زمن إيجاد الكائنات ، بل هى تحوطها فى مستقبلها الغابر ، لأن هذه الكائنات لها عند الله غاية معينة قصد اليها من إيجاد المجموعة الكونية . وقد أبان هذه الغاية بكل بساطة فى قوله : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (١)

« وفوق ذلك فان الباحث يلاحظ فى القرآن أن كل جزء من أجزاء الطبيعة قد صنع لصلاح المجموع وللوصول الى الغاية القصوى منه ، ولا ريب أن هذه هى عينها نظرية التفاؤل المستنبطة من الادراك الأولى للإله ، وهو أنه عالم ، قادر ، خير ، كل ما يفعله هو بقدر ، وهو للصالح العام : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين . وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » (٢)

« لاريب أن من لديه دراية بالفلسفة يلاحظ أن من أجل النظريات التى سمت بأرسطو الى الأوج هى نظرية الجزء للمجموع التى أعلن فيها أنه ما دام أن الكل هو فى مجموعه خير ، فلا أهمية للجزء ، وما دامت الغاية خيرا فلا يؤبه الى الشرور الجزئية العارضة فى الوسائل ، وذلك كالمطر فانه ضرورى للصالح العام ، فإذا أفسد حبوب فقير ، أو خرب بيت عجوز ، فإن هذا لا يخرجه عن صلاحيته ، ولا ينقله من مرتبة الخير الى دركة الشر ، فإذا ألفينا هذه النظرية فى القرآن كان ذلك برهانا على أنه واجه أعوص النظريات الأخلاقية كما واجه أدق المشاكل الفلسفية » .

عرض الأستاذ « كارادى‌فو » بعد هذه النظرية لنظرية القضاء والقدر فى القرآن ، فقال ما مجمله : « إن القرآن قد ألح كثيرا على ذكر القدر ، ولكن على الرغم من هذا إذا فحص الباحث بعقل هادئ وبدون تحيز ، فقرات هذا الكتاب المتعلقة بالقدر ، تبين له أنها ليست جبرية الى الحد الذى ظنه كثير من الناس ، وأنها على الرغم مما تحتويه من إرعاب من القدر ليست متعارضة مع العدالة أقل تعارض . وهاك مجمل الأفكار التى تحتويها تلك الآيات فيما أرى : إن الإله يعلم كل شىء قبل وقوعه ، وبالتالى هو يعلم كل السيئات وما يتبعها من عقوبات ، والحسنات وما تستتبعه من مكافآت ، لأن كل شىء قد كتب قبلا فى كتاب محفوظ فى السماء . ولا يعنينا أن يكون لهذا الكتاب وجود حقيقى أو هو رمز لعلم الله بكل شىء ، وإنما المهم هنا أن هذا التعبير يعادل من الجهة الفلسفية تأكيدا حقيقيا لسابقية علم الله بكل ما سيكون : « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك

(١) سورة الذاريات . (٢) سورة الحجر .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على الله يسير » . (١) وليس معنى هذا أن المصيبة تصيب أحدا ظلما ، فانها إما أن تصيبه عدلا وإما أن تصيبه فى سبيل صالح المجموعة ، وهو يعوض عنها جزاء فى الحياة الأخرى . وليس معناه كذلك أن القدر السابق يلغى الحرية الفردية ، كلا ، وإنما معناه أن الإله لا يجهل شيئا مما سيكون ، وأن للفرد الاختيار بين الطريقين . ولهذا لن يستند فى جزائه الى ما هو مكتوب فى الكتاب السابق ، وإنما يستند فيه الى الكتاب الذى سجلت فيه أعماله . وفى هذا برهان على أن الجزاء منوط بالعمل الفعلى ، لا بالتقدير قبل الوقوع . والى هذا يشير القرآن بقوله : « إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ، وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين » . (٢) لأن الكتاب المذكور فى الآية الأولى لم يخرج عن كونه منهج الكون الذى قدر الإله فيه سيره كله . أما الكتاب الثانى فهو سجل قيد فيه ما عمله كل فرد بدقة : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٣)

« غير أن المرعب فى هذا الموضوع هو تلك الآيات الأخرى التى تقول مثلا : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » (٤) « فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء » (٥)

« فنحن إذا نظرنا الى هذه الآيات على حدة ، أى منفصلة عن الآيات الأخرى التى تقيدها ألفينا أنها ترمى الى أن الله قد أجبر كلا على ما فعل ، ولكننا إذا نظرنا إليها كما يجب على ضوء الآيات الأخرى ، تحققنا أنها لا تلغى الاختيار الفردى ، وأنه لم يكتب فى الضالين إلا من سيغلقون قلوبهم باختيارهم عن سماع الهدى . واليك هذه الآيات :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » (٦) . « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين » (٧) .

« لاشك أن ما تحتويه هاتان الآيتان الأخيرتان عظيم الأهمية ، لأنه تصريح بأن الفريق الذى عين فى كتاب القدر للجحيم ليس مؤلفا من أشخاص عاديين سيؤخذون على غرة حتى يعترض بالظلم أو الاكراه ، وإنما هو مؤلف من أشخاص سيصمون آذانهم عن سماع الهدى ، ويغمضون أعينهم عن مشاهدته ، ويحولون قلوبهم عن تعقله ، وكل ذلك بإرادتهم الحرة واختيارهم البعيد عن كل تأثير ، إذ ليس بين المقدر عليهم وبين سلوكهم العملى أية صلة واقعية تجذبهم قسر إرادتهم الى ما قدر عليهم » .

---

(١) سورة الحديد . (٢) سورة يس . (٣) سورة الزلزلة . (٤) سورة السجدة .
(٥) سورة فاطر . (٦) سورة الاعراف . (٧) سورة ابراهيم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذا هو مجمل آراء الأستاذ « كارادى فو » فى المشاكل التى عرض لها القرآن ودار حولها الجدل فى البيئات العربية قبل ترجمة الفلسفة الاغريقية ، والتى تحمل بين ثناياها أقطع الردود على فكرة « أرنست ريناان » التى أسلفناها فى الكلمة السابقة . وينبغى أن نعيد هنا ما أسلفناه من أن لهذا الأستاذ آراء لا تتفق مع روح الاسلام سنعرض للرد عليها فيما بعد . واليوم نضيف الى ذلك أنه أحيانا يعبر عن الآيات القرآنية بقوله : قال محمد ، وأحيانا أخرى بقوله : إن محمدا لا يرى كذا ويقصد القرآن . ونحن قد ضربنا صفحا عن هذه الهفوات ، لأنها لا تعنينا فى البحوث العلمية ، ولأنه ليس فى ملكنا أن نجعل هذا الأستاذ المستشرق مسلما بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، فاكتفينا منه بما أثبته من شهادات قيمة للقرآن فيما نحن بصدده من احتوائه على النظريات الفلسفية الهامة وحلولها القويمة ؟

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

انتهاز الفرص للاحسان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فتح عليه باب من الخير فلينتهزه فانه لا يدرى متى يغلق عنه »

وقال شاعر :

ليس فى كل ساعة وأوان　　تتهيا صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها　　حذراً من تعذر الامكان
واغتنمها إذا قدرت عليها　　حذرا من تغير الأزمان
أحزم الناس من إذا أحسن الدهـ　　ـر تلقى الاحسان بالأحسان

وقال ابن النقيب الكنانى :

الحمد أينع ما اجتناه المجتنى　　والمجد أرفع ما ابتناه المبتنى
فاذا وليت وكان أمرك نافذا　　فاذخر صنيعا فى الولاية وابتن
من قبل أن يسعى لها فتفوته　　ويقول عند فواته يا ليتنى

وقال ابن هندو :

إذا هبت رياحك فاغتنمها　　فما تدرى السكون متى يكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها　　فما تدرى السكون متى يكون

oldbookz@gmail.com
أرشيف مجلات قديمة
https://t.me/megallat

التجديد فى الاسلام

— ٣ —

« إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »

حديث نبوى شريف

(١) من هو المبعوث ، أو المجدد لهذه الأمة أمر دينها ؟ .
(٢) بماذا يعرف أن العالم بلغ رتبة التجديد ؟ (٣) ادعاء كل قوم فى إمامهم أنه هو المقصود بحديث التجديد .
(٤) آراء علماء المذاهب فى التجديد والمجددين .

١ — من هو المبعوث ، أو المجدد .

١ — فسر العلماء ، المبعوث أو المجدد : بعالم تقى مشهور ، يقوم بالتجديد بالاجتهاد ، ويحيى ماخفى دثوره بين العباد ، له قوة استنباط الحقائق والدقائق ، النظريات — من أصول الشرع — من قلب حاضر ، وفؤاد يقظان ، له ملكة رد المتشابهات إلى المحكمات ، وعنده قدرة على إحياء ما اندرس من أحكام الشريعة ، وذهب من معالم السنن ؛ وعلى الدفاع عن الاسلام ، ونشره ، ونشر أحكامه ، وثقافته ومعارفه ، وأخلاقه وفضائله ، وعمل كل مافيه رفع شأنه ، وبسط نفوذه وسلطانه ؛ وأن يكون بالغاً فى العلوم الدينية متقنا ، حتى يتأتى أن يكون مجدداً ، وغير ذلك مما ألمعنا اليه من قبل .

٢ — وإنما كان المبعوث على رأس القرن مجددا ، لأنه مجتهد ، وشأن المجتهد التجديد وهل التجديد إلا ثمرة من ثمرات الاجتهاد ، وغاية من غاياته ؟ وعلى ذلك لا يكون المجدد إلا مجتهدا مطلقاً ، أو مقيداً . وقد بينا أنواع المجتهدين فيما سلف .

٣ — ولكن بعض العلماء يرى : أنه يجوز أن يكون المجدد من المجتهدين ، أو المقلدين بناء على أن المراد بالتجديد نشر الأحكام ، بمزيد الإتقان والإحكام ، والذب عن السنة ، وليس هذا مقصورا على المجتهدين ؛ وقد سبقت الاشارة إلى أن المجددين درجات ، وأن مرتبة التجديد متفاوتة ، كرتبة الاجتهاد .

٢ — بماذا يعرّف أن العالم بلغ رتبة التجديد ؟

تضمنت أقوال العلماء أنه يعرف أن العالم بلغ رتبة التجديد : بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء ، بقرائن أحواله ، والانتفاع بعلمه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويُعْرِف العالمُ أنه بلغ رتبة التجديد من نفسه ، بأن يعلم أنه أتقن آلاته كل الاتقان ، وأنه يجد له ملكة وقدرة على الاستنباط ، واستخراج الأحكام الخفية من الأدلة البعيدة ؛ وقيل يعرف العالم بأنه بلغ هذه الرتبة باخباره عن نفسه ؛ والظاهر قبول قول العالم فى الاخبار عن نفسه بأنه وصل الى حدّ التجديد والاجتهاد — إذا كان عدلا — لأن عدالته تمنعه من أن يكذب ، ولا نظر الى اتهامه بكونه يدعى لنفسه رتبة عالية ؛ ويكتفى فى معرفة عدالته بقول عدلين ؛ وقيل يُعْرَف أنه بلغ رتبة التجديد بالشهرة ، بأن ظهر اسمه فى البلد ، وشاع ذكره فى ألسن الناس ؛ وقيل غير ذلك ، مما سنستوفيه فى بحث آخر إن شاء الله تعالى .

٣ — ادّعاء كلّ قوم فى إمامهم أنه المقصود بحديث التجديد :

١ — ادّعى كل قوم فى إمامهم أنه المراد بحديث التجديد ، ونشط كل لتأييد مُدعاه ولبيان المجددين من علماء مذهبه ، معرضا عن ذكر المجددين من علماء المذاهب الأخرى ، كأن الدين الذى يجدد انحصر فى مذهبه هو دون سواه ، وكأن المذاهب الأخرى لا يلتفت إليها ، ولا يعول عليها ، ولا يذكر مجددُوها وأئمتها ؛ وفى هذا من التعصب المذهبى ، ومن بخس علماء المذاهب الأخرى حقهم ما فيه ، وما لا يجمل صدوره من العلماء ؛ وقد قلنا من قبل إن التعصب المذهبىّ من عوائق التجديد وآفاته .

٢ — وسأعرض فى بحوثى هذه — بحول الله وقوته — وجهة نظر المذاهب فى التجديد والمجددين — مع التعليق عليها — عرض من لا يعرف المحاباة ، ولا التعصب لمذهب ، ولا يبغى سوى نشر الحقيقة بين الناس ، وخدمة العلم والتاريخ ؛ ومن لا يكتب إلا لشريعة الله تعالى — جميع مذاهبها — فكلها تنبع من منابع الشرع ، وتأخذ من أصول الدين .

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم

٤ — آراء علماء المذاهب فى التجديد والمجددين :

١ — يظهر من كلام العلماء من الشافعية : أن المجدد على رأس المائة الأولى : عمر بن عبد العزيز ، وعلى رأس المائة الثانية : الامام الشافعى رضى الله عنه ؛ وعلى رأس المائة الثالثة : أحمد بن عمر بن سريج ؛ وعلى رأس المائة الرابعة : القاضى أبو بكر الباقلانى ؛ وعلى رأس المائة الخامسة : الإمام الغزالى ؛ وعلى رأس المائة السادسة : الإمام الفخر الرازى ؛ ويوازيه الرافعى ؛ وعلى رأس المائة السابعة : ابن دقيق العيد ؛ وعلى رأس المائة الثامنة : السراج البلقينى ؛ وعلى رأس المائة التاسعة : الإمام الجلال السيوطى ، وشيخ الاسلام زكريا الأنصارى ؛ وعلى رأس المائة العاشرة : شمس الدين الرملى . وفى البحوث الآتية أستوعب أشهر المشهورين من المجددين من جميع المذاهب الى وقتنا الحاضر ، إذا وفق الله وأعان .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٢ — وقال الامام ابن السبكى : صاحب جمع الجوامع ، وهو من أئمة الشافعية : عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » وفى لفظ آخر : « يبعث الله لهذه الأمة ، فى رأس كل مائة سنة ، رجلا من أهل بيتى يجدد لهم أمر دينهم » (١) ذكره الامام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه ، وقال عقيبة : نظرت فى سنة مائة ، فاذا هو رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم . عمر بن عبد العزيز ؛ ونظرت فى رأس المائة الثانية فاذا هو رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم : محمد بن إدريس الشافعى ؛ وهذا ثابت عن الامام أحمد — سقى الله عهده — ومن كلامه : إذا سئلت عن مسألة لا أعلم فيها خبرا ، قلت فيها بقول الشافعى ، لأنه عالم قريش ، وذكر الحديث وتأوله عليه .

٣ — ثم قال ابن السبكى : ولأجل مافى هذه الرواية الثانية من الزيادة لا أستطيع أن أتكلم فى المئين بعد المائة الثانية ، فانه لم يذكر فيها أحد من أهل النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : وهنا دقيقة ننبهك عليها فنقول : لما لم نجد بعد المائة الثانية من أهل البيت من هو بهذه المثابة ، ووجدنا جميع من قيل إنه المبعوث فى رأس كل مائة سنة — ممن تمذهب بمذهب الإمام الشافعى وانقاد له — علمنا أنه الإمام المبعوث ، الذى استقر أمر الناس على قوله ؛ وبعث بعده فى رأس كل مائة من يقرر مذهبه ؛ وبهذا تعين عندى — أى عند ابن السبكى — تقديم ابن سريج فى الثالثة على الأشعرى ، فان أبا الحسن الأشعرى — وإن كان أيضاً شافعى المذهب — إلا أنه رجل متكلم ، كان قيامه للذب عن أصول العقائد — دون فروعها — وكان ابن سريج رجلا فقيها ، وقيامه للذب عن فروع هذا المذهب الذى ذكرنا أن الحال استقر عليه ، فكان ابن سريج أولى بهذه المرتبة ، ولا سيما ووفاة الأشعرى تأخرت عن رأس القرن إلى بعد العشرين — أى أن من مات على رأس القرن ، فهو المجدد ، ومن تأخر فلا .

٤ — وقد صح أن هذا الحديث ذكر فى مجلس أبى العباس بن سريج ، فقام شيخ من أهل العلم وقال : أبشر أيها القاضى ، فان الله تعالى بعث على رأس المائة الأولى : عمر بن عبد العزيز وعلى الثانية : الامام الشافعى ؛ وبعثك على رأس الثلاثمائة ، ثم أنشأ :

اثنان قد مضيا فبورك فيهما ... عمر الخليفة ثم حلف السودد
الشافعىّ الألمعىّ محمدٌ ... إرث النبوة وابن عمّ محمد
أرجو أبا العباس أنك ثالث ... من بعدهم سقيا لتربة أحمد

قال : فصاح أبو العباس بن سريج ، وبكى ، وقال : لقد نعى الىّ نفسى ، وروى أنه مات فى تلك السنة .

(١) يؤخذ من هذه الرواية أن المجدد يكون من اهل البيت ، وسنفصل هذا فى بحث آخر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٥ — ثم قال ابن السبكى : وقال آخرون : إنما المبعوث على رأس المائة الثالثة : أبو الحسن الأشعرى ، لأنه القائم بأصل الدين ، المناضل عن عقيدة الموحدين ، السيف المسلول على المعتزلة المارقين ، المغبر فى أوجه المبتدعة المخالفين ، وعندى — أى عند ابن السبكى — أنه لا يبعد أن يكون كل منهما مبعوثا ، هذا فى فروع الدين ، وهذا فى أصوله ، وكلاهما شافعى المذهب ، والأرجح إذا كان الأمر محصورا فى واحد أن يكون هو : ابن سريج .

٦ — وأما المائة الرابعة : فقد قيل : إن الشيخ أبا حامد الاسفراييني هو المبعوث فيها ؛ وقيل : بل الأستاذ سهل بن أبى سهل الصعلوكى ، وكلاهما من أئمة الشافعية ، وعظماء الراسخين .

٧ — قال الحاكم : لما رويت أنا هذه الرواية — يعنى حكاية ابن سريج والأبيات — كتبوها — يعنى أهل مجلسه ، وكان ممن كتبها شيخ أديب فقيه ، فلما كان فى المجلس الثانى ، قال بعض الحاضرين : إن هذا الشيخ قد زاد فى تلك الأبيات ذكر أبى الطيب : سهل ، وجعله المجدد على رأس الأربعمائة ، فقال من قصيدة :

والرابع المشهور سهل محمد أضحى عظيما عند كل موحد
لازال فيما بيننا خير الورى للمذهب المختار خير مجدد

وقد كان سهل ممن لا يدفع عن هذا المقام بوجه من الوجوه ، لمشاركته للشيخ أبى حامد فى الفقه ، وقرب الوفاة ؛ ثم قال الحاكم : فلما سمعت هذه الأبيات المزيدة ، سكت ولم أنطق ، وغمنى ذلك ، الى أن قدر الله وفاته فى تلك السنة .

٨ — والخامس : الغزالى ؛ والسادس : الامام الفخر الرازى ، ويحتمل أن يكون الامام الرافعى ، إلا أن وفاته تأخرت الى بعد العشرين والستمائة ، كما تأخرت وفاة الأشعرى . ومن العجب موت ابن سريج سنة ست وثلاثمائة ؛ والاختلاف فيه وفى الأشعرى ؛ وموت الأشعرى بعد العشرين والثلاثمائة ؛ وكذلك موت الامام الفخر الرازى سنة ست وستمائة ؛ والنظر فيه وفى الرافعى ، وتأخرت وفاته هكذا — أى الى بعد العشرين — فقد توفى سنة ٦٢٣ هـ والسابع : الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ؛ وهؤلاء لا يحسن من أحد أن يخالف فيهم . ولم يذكر ابن السبكى أحدا من المجددين بعد هذا ؛ لأنه توفى فى سنة ٧٧١ هـ .

٩ — ولاحظ العلامة محمد بن الحسن الحجوى على ابن السبكى فقال :

إن ابن السبكى تردّد فيمن يعدّه من المجددين فى المائة الثالثة ، هل هو الامام الأشعرى ، أو ابن سُرَيج ؛ ثم أدّاه التعصب المذهبى الى أن قال : إن الأشعرى — وإن كان أيضا شافعىّ المذهب — إلا أنه رجل متكلم ، كان قيامه للذب عن أصول العقائد — دون فروعها — وكان ابن سُرَيج فقيها يذبّ عن الفروع ؛ فكان أولى بهذه المرتبة . . . فتأمّل قوله : وإن كان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

شافعيا — كان الدّين الذي يجدّد هو مذهب الامام الشافعى ، رضى الله عنه ، فحسب ، وما سواه لا عبرة به — مع أن الامام الشافعى رضى الله عنه ، يحترم المذاهب ، ويعظم أربابها ، ويجلّ العلماء ، وهو القائل : « الناس عيال أبى حنيفة فى الفقه » وذكر بعض المتكلمين على المنهاج للإمام النووى : إن الإمام الشافعى صلى الصبح عند قبر الإمام أبى حنيفة ، ولم يقنت ، فقيل له : لمَ لمْ تقنتْ ؟ فقال : تأدبا مع صاحب هذا القبر — ثم قال العلامة الحجوى : وتأمل ما أدّى إليه التعصب من تقديم الفروع على الأصول ، على عكس المعقول والمنقول ؛ على أننا لا نسلم عدم معرفة الأشعرى للفروع ؛ ففى المنح البادية ، عن عبد الله بن محمد بن طاهر الصوفى ، قال : رأيت أبا الحسن الأشعرى ، وقد أبْهَتَ المعتزلة فى المناظرة ، فقال له بعض الحاضرين : قد عرفنا تبحّرك فى الكلام ، فإنا نسألك عن مسألة فى الفقه ؟ :

ما تقول فى الصلاة بغير فاتحة الكتاب ؟

فقال : حدثنا زكرياء بن يحيى ، قال السراج : حدثنا عبد الجبار ، حدثنا سفيان ، حدثنى الزهرى ، عن محمود بن الربيع ، عن عبادة بن الصامت مرفوعا : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » أخرجه أحمد ، والشيخان ، وأصحاب السُّنن . وحدثنا زكرياء ، حدثنا بندار ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن جعفر بن ميمون ، حدثنى أبو عثمان ، عن أبى هريرة ، قال أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن أنادى فى المدينة : إنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ؛ قال : فسكت السائل ؛ فهذا يدل على مقام أبى الحسن الأشعرى فى الحديث والفقه ، وعلى أنه لم يكن بالمقلد البحت ، وأنه إمام فى أصول الدين ، وبحر لا ساحل له فى الفروع ، وجزاه الله عن الاسلام خير الجزاء ، فلقد ذب عن الدين ، ونصر سنة سيد المرسلين ، وكان شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين ، — باعتراف ابن السبكى نفسه — ولقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال له : أنصر المذاهب المروية عنى فإنها الحق ، فصدع بما أمره به الرسول ، حتى قال الثقات من العلماء : أعاد الله تعالى هذا الدين بعد ما ذهب أكثره : أعاده بأحمد بن حنبل ، وأبى الحسن الأشعرى ، وأبى نعيم الاستراباذى ؛ وسنفصل سيرة الإمام الأشعرى ، حينما نذكر حياة المجدّدين فى الاسلام ، إن شاء الله تعالى ؟

السيد عفيفى

من محاسن الارتجال

ما روى أن المأمون أمر محمد بن حازم أن يرتجل بيتين فقال :

أنت سماء ويدى أرضها والأرض قد تأمل غيث السماء

فازرع يدا عندى محمودة تحصد بها منى حسن الثناء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

جاء من بعض حضرات الجاويين الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الأسئلة الآتية :

(الأول) ما قولكم فى أهل قرية بلغوا أربعين ممن تجب عليهم الجمعة ولا يحسن قراءة الفاتحة منهم إلا واحد ، فهل تجب عليهم الجمعة ؟ وهل يعيدونها ظهرا ؟

(الثانى) إذا لم يبلغ أهل القرية أربعين فهل تجب عليهم الجمعة ؟ وهل إذا أقاموها يعيدونها ظهرا ؟

(الثالث) إذا كان أهل الجمعة فى القرية فاسقين أولا يعرفون شروط الجمعة أو عليهم صلاة فائتة ، فهل تجب عليهم الجمعة ؟ وهل يعيدونها ظهرا ؟

(الرابع) هل يصح أداء خطبة الجمعة بغير العربية إذا كان السامعون لا يحسنون العربية ؟

(الخامس) ما حكمة جعل صلاة الجمعة ركعتين وخطبتها خطبتين ؟

(السادس) هل يجوز لوكيل ولى النكاح أن يوكل غيره بغير إذن الولى أو بإذنه ؟

وهم يرجون أن تكون الاجابة على مذهب الشافعى مع بيان المذاهب الأخرى .

الجواب

عن الأول : مذهب الشافعى رحمه الله أن قراءة الفاتحة للقادر عليها فرض فى كل ركعة من ركعات الصلاة ، جمعة كانت أو غيرها ، ولا تصح الصلاة بدونها .

أما الذى لا يحسن قراءة الفاتحة ويحسن غيرها من القرآن فإنه يجب عليه أن يقرأ فى كل ركعة سبع آيات بدل الفاتحة .

فإن كان لا يحسن شيئا من القرآن وجب عليه أن يأتى بذكر بمقدار الفاتحة فى كل ركعة ، ولا تسقط الصلاة عنه بحال ، جمعة كانت أو غيرها .

وعلى هذا فأهل هذه القرية تجب عليهم صلاة الجمعة ، كما يجب عليهم غيرها من سائر الصلوات سواء أكان فيهم من يحسن قراءة الفاتحة أم لا ، فإذا أدوا صلاة الجمعة مستوفية باقى شروطها صحت منهم ولا يعيدونها ظهرا .

عن الثانى : المعول عليه عند الشافعية أنه إذا قل عدد أهل القرية عن أربعين رجلا ممن تنعقد بهم الجمعة فلا جمعة عليهم ، ولا تصح منهم إذا صلوها ، بل الواجب عليهم فى هذه الحالة صلاة الظهر ليس غير ، وكذلك عند الحنابلة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أما المالكية فيكفى عندهم اثنا عشر غير الامام .

وأما الحنفية فيكفى عندهم لاقامة الجمعة ثلاثة سوى الامام على مختار المذهب ، وعلى هذا إذا أقام الجمعة عدد من أهل هذه القرية على مذهب من المذهبين السابقين صحت جمعتهم ولا يعيدونها ظهرا .

عن الثالث : إذا كان فى القرية العدد الذى تنعقد به الجمعة طبقا للبيان السابق، فان الجمعة تكون واجبة عليهم ، وكونهم فاسقين أو عليهم صلاة فائتة ، لايمنع وجوب الجمعة عليهم ، أما إذا كانوا لا يعرفون شيئا من شروط الجمعة فانه يجب عليهم أن يتعلموا مايعتبر شرعا لصحة صلاتهم ، فاذا لم يتعلموا كانوا آثمين ، لأنه يجب على كل مسلم أن يتعلم ما يحتاج إليه فى صحة عباداته ومعاملاته . وكل جمعة أديت على وجهها الشرعى من غير إخلال بشىء مما يلزم لصحتها شرعا فلا تعاد ظهرا .

عن الرابع : أصح القولين فى مذهب الشافعية أنه يشترط فى خطبة الجمعة أن تكون باللغة العربية ، فاذا لم يوجد فى أهل القرية من يحسن العربية وجب أن يتعلمها أحدهم وإلا كانوا جميعا آثمين ، ولا تنعقد منهم جمعة ، وعليهم أن يصلوا الظهر إلى أن يوجد فيهم من يحسن اللغة العربية ، وإلى هذا ذهب المالكية . وللشافعية قول آخر وهو أنه يجوز فى الخطبة أن تؤدى بغير العربية ، وإلى ذلك ذهب الحنفية .

ونحن نميل إلى هذا الرأى ، لأن المقصود من الخطبة الوعظ وهو حاصل بكل اللغات . وعند الحنابلة إذا عجز عن اللغة العربية صح أن يخطب بغيرها ، على أن يأتى الخطيب بدل القرآن المفروض فى الخطبة بذكر من عنده .

عن الخامس : لما كانت صلاة الجمعة فرض عين على جميع المكلفين من المسلمين ، وكانت الجماعة شرطا لصحتها من المكلفين وغيرهم ، وذلك مما يدعو إلى احتشاد الجمع الكثير فى المسجد وفيه نوع من الحرج ، لذلك خفف الله عنهم ورفق بهم فجعل صلاة الجمعة ركعتين فقط ، وكذلك جعل الخطبة خطبتين رفقا بالامام وترويحا على السامعين .

عن السادس : ليس للوكيل فى النكاح أن يوكل غيره إلا باذن موكله، سواء أكان الموكل أحد الزوجين أم ولى أحدهما ، والله أعلم

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قادة الفكر فى تاريخ الاسلام

— ٤ —

عمر بن الخطاب

إباء العروبة ، وعز مضر ، وسؤدد قريش ، وفتوة الشباب ، وشجاعة الأبطال ، ونبل ما عرف الناس من أخلاق ، فى كمل رجولة ، وصدق عزيمة ، وإرادة حازمة ، وصراحة صارمة ، عناصره من النحائز والأخلاق أخصب ما تكون حيوية ، وأكمل ما تكون فى خصائص الانسانية ، التأمت ثم امتزجت بروح الاسلام القاهرة ، وآدابه الباهرة ، وتعاليمه السامية ، وشرائعه الفاضلة ، فكان منها متسقة شخصية « فاروق الاسلام عمر بن الخطاب » تلك الشخصية الاسلامية التى تمثلت عبقريتها الفذة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أخذت بزمام الأمة تسوسها ، وتسلك بها مسالك المجد والسلطان يقدمها الفتح الميمون ، ويحدو بها العدل المبين ، فقال فيما يرويه البخارى : « أريت فى المنام أنى أنزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين والله يغفر له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا ، فلم أر عبقريا يفرى فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن » . وهذه العبقرية هى التى غذتها النبوة بفضل ما آتاها الله من علم وحكمة ، وتمثلت فى إحدى مرائى الوحى النبوى ، وتحدث بها النبى صلى الله عليه وسلم الى أمته لتعرف لها حقها ، وتقدرها من العظمة والجلال قدرها ، فقال فيما حدث به البخارى : « بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى إنى لأرى الرى يخرج فى أظفارى ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب ، قالوا : فما أولته يارسول الله ؟ قال : العلم » وهى العبقرية الفكرية التى يتحدث عبد الله بن عمر عن منبعها من عقل الفاروق وألمعيته فيقول : ما سمعت عمر لشئ قط يقول : إنى لأظنه كذا إلا كان كما يظن .

ولقد كان أعرف مظاهر عبقرية عمر الاسلامية عنفه فى الحق وللحق ، حتى هابه المؤمنون توقيرا للحق فى إهابه ، وتفزعت قلوب الكافرين فرقا من سطوة الحق على يديه ، روى الطبرى فى تاريخه أن نفرا من المسلمين كلموا عبد الرحمن بن عوف فقالوا : كلم عمر بن الخطاب فانه قد أخشانا حتى والله ما نستطيع أن نديم اليه أبصارنا ، فذكر ذلك عبد الرحمن بن عوف لعمر ، فقال: أو قد قالوا ذلك ؟ فوالله لقد لنت لهم حتى تخوفت الله فى ذلك ، ولقد اشتددت عليهم حتى خشيت الله فى ذلك ، وأيم الله لأنا أشد منهم فرقا منهم منى ! وروى ابن الجوزى أن رجلا من قريش لقى عمر بن الخطاب فقال : لن لنا فقد ملأت قلوبنا مهابة ، فقال : أفى ذلك ظلم ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال : لا ، قال : فزادنى الله فى صدوركم مهابة . وكان عبد الله بن عباس يحدث قال : مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فلا أستطيع أن أسأله هيبة .

ونستطيع على ضوء هذه الخليقة فى عمر أن نستبين ناحية خفية فى جوانب النفس الانسانية ، وهى الفيصل بين الأعمال التى تصدر عن الانسان فى تكلف يشق به صاحبه ليخفيه إمعانا فى التضليل والايهام أنه صادر عن طبيعة صادقة ، وبين الأعمال التى تصدر عن الانسان فطرية لا أثر فيها للتصنع والتعمل فصاحبها حفى بها ولو كانت قاسية مريرة ، لأنها صورة من نفسه ، فالرجل الذى يتكلف من الأعمال مالا يتجاوب صداه مع فطرته حرى أن لا يلحق بغاية ولا ينتهى إلى غرض ، وإنما يدور حول نفسه كالرحى فتسمع له عجيجا دون أن ترى أثرا ، ولو جرى لغايته شوطا لكان من الحتم أن يقصر فى الثانى أو الثالث ، فلا يقبض من سعيه إلا على قبضة من الريح .

أما الطبيعة التى تسوق صاحبها على طيتها فأعمالها صدى لصوتها يتردد فى آفاق من الحياة ملائمة أشد الملاءمة لعناصر الطبيعة التى أرسلت بصوتها على أثيرها ليبلغ مداه ويستقر فى نهايته دون أن يعوقه شىء يحجز بينه وبين تلك النهاية ، وشواهد القبيل الأول من التاريخ القديم والحديث كثيرة فيمن اغتصبوا أعنة الأمم فترات من الزمن ، وحملوا لواء زعامتها فدوى لهم صوت الطبل فى أرجاء الحياة ، ثم عادت بهم فطرتهم إلى طبيعتها فارتجفت أيديهم ، وانفلتت منهم الأعنة وسقطت الألوية ، وأبرم عليهم التاريخ حكمه فى سجل صفحاتهم ، واتخذ منهم مثلا مضروبا للعظة والاعتبار .

أما الذين تساوقت أعمالهم مع طبائعهم فقادوا أممهم إلى سؤدد المجد ونبالة الغاية وعز الحياة ، فهم فى سجل التاريخ العام قليل ، وللتاريخ الاسلامى أوفر حظ من هذه القلة الصالحة ، وقد جعل الله تعالى « فاروق الاسلام » المثل الأعلى لهذا النوع من العبقريات المؤتلفة مع طبائعها فيما يصدر عنها من أعمال وأفكار تأخذ فى سمت واحد لا يتكاءدها شىء ، ولا يحول دون غايتها شىء ، فلقد وقف عمر فى وجه الدعوة الاسلامية أول أمرها قويا عنيفا ، ثم ألقى الله تعالى فى قلبه الهداية فأسلم إسلاما قويا عنيفا ، وأحب الاسلام ونصره نصرا قويا عنيفا ، وقد تجلت هذه القوة الرهيبة ، وذلك العنف الصادق فى مواقف تاريخية لم يكن لغير الفاروق أن يقفها أو يسمع له فيها صوت ، حتى لكان عمر نفسه يعجب من جرأته ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم والوحى ينزل عليه ، روى مسلم فى صحيحه عن عبد الله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفى عبد الله بن أبى ، دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه ، فلما وقف يريد الصلاة عليه تحولت حتى قمت فى صدره ، فقلت : يارسول الله على عبد الله بن أبى تصلى ، وهو القائل يوم كذا كذا

oldbookz@gmail.com
أرشيف مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ويوم كذا كذا ؟ أعدد أيامه ورسول الله يتبسم ، حتى إذا أكثرت عليه قال : أخر عنى ياعمر ، إنى خيرت فاخترت ، وقد قيل لى : «استغفر لهم أو لاتستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » لو أعلم أنى لو زدت على السبعين غفر لهم لزدت ، قال : ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه ، فعجبا لى وجراءتى على رسول الله ، والله ورسوله أعلم ، قال : فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل .

وفى هذه القصة يتمثل جانب من صراحة عمر وشدته فى الحق وتأييد الله له وتقرير مذهبه فى خذلان أعداء الله والتنكيل بهم ، وأنه إنما كان يصدر فى مواقفه عن عقيدة راسخة وطبيعة صادقة ، وقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الخليقة فى عمر فندبه يوم أحد من بين أصحابه للرد على أبى سفيان ، روى البخارى وأصحاب المغازى : أنه لما كان يوم أحد جاء أبو سفيان بن حرب ، فقال : أفيكم محمد ؟ فقال رسول الله : لا تجيبوه ، ثم قال : أفيكم محمد ؟ فلم يجيبوه ، ثم قال الثالثة : أفيكم محمد ؟ فلم يجيبوه ، فقال : أفيكم ابن أبى قحافة ؟ فلم يجيبوه ، قالها ثلاثا ، ثم قال : أفيكم ابن الخطاب ؟ قالها ثلاثا فلم يجيبوه ، فقال : أما هؤلاء فقد كفيتموهم ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت ياعدو الله ! ها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وأنا أحياء ، ولك منا يوم سوء ! فقال : يوم بيوم بدر والحرب سجال ، ثم قال : اُعْلُ هُبَلْ ، فقال رسول الله لعمر بن الخطاب : قل : الله أعلى وأجل ، فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله : قل : الله مولانا ولا مولى لكم .

قال الامام ابن الجوزى : واعلم أن السر فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر أن يخاطب أبا سفيان دون غيره من الصحابة من خمسة أوجه ، أحدها : أن عمر هو الذى ابتدأ بالرد على أبى سفيان بقوله : هذا رسول الله وهذا أبو بكر وأنا أحياء ، فلما رأى رسول الله من غليان قلب عمر فى نصرة الحق ما أوجب الكلام بعد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجاب أبو سفيان ، أحب أن يتمم شفاء صدر عمر بتوليته الجواب . والثانى أن أبا سفيان لما قال : أعل هبل ، انتدب عمر دون غيره شاكيا من هذا القول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحب ترويح قلبه بتوليته الجواب . الثالث أن عمر هو الذى غار على كتمان التوحيد فأظهره يوم إسلامه ، وسمى لذلك الفاروق ، فأحب أن يلى هذا القول لأنه من تمام ذلك النصر. الرابع أن عمر كان أكثر الصحابة مهابة وأشدهم صولة فأحب أن يكون هو المناضل لأجل ما خص به من ذلك . الخامس أن عمر كان يحب مقاومة الأعداء ، ويلتذ بما يناله فى الله من الأذى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وموقف عمر حيال معاهدة الحديبية يمثل أعنف ثورة نفسية صادرة عن عقيدة راسخة لا تزعزعها العواصف ، حتى إذا تكشفت لها خفايا الأقدار وعلم من أمرها ما لم يكن يعلم ، طابت نفسه واستكان لأمر الله ورضى بما رضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء فى رواية البخارى : فقال عمر بن الخطاب : فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : ألست نبى الله حقا ؟ قال : بلى ، قال : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا إذاً ؟ قال : إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى ، قلت : أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : فانك آتيه وتطوف به ، قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقا ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا إذاً ؟ قال : أيها الرجل ! إنه رسول الله وليس يعصى ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه ، فوالله إنه على الحق ! قلت : أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا ، فقال : فانك آتيه فتطوف به .

قال الحذاق من الراسخين فى العلم : لم يكن سؤال عمر رضى الله عنه وكلامه فى مساءلة النبى صلى الله عليه وسلم والصديق الأكبر شكا بل طلبا لكشف ما خفى عليه ، وحثا على إذلال الكفار وظهور الاسلام ، كما عرف فى خلقه وقوته فى نصرة الدين وإذلال المبطلين ، وأما جواب أبى بكر لعمر رضى الله عنهما بمثل جواب النبى صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضل الصديق وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته فى ذلك على غيره . ومما يلفت نظر الباحث هذا الهدوء البالغ أقصى غايات الكمال فى موقف النبى صلى الله عليه وسلم وأجوبته لعمر ينبهه فى رفق وسكينة على أن سنن الله مع أنبيائه ورسله لا تخضع لومضات العقول البشرية ، وأن الله بالغ أمره ومحقق وعده لرسله . وقد أنزل الله على رسوله لما قفل بعد إبرام الصلح سورة الفتح بشرى وتسلية للمؤمنين ، فلما سمعها عمر اغتبط واستبشر ، وقال للنبى صلى الله عليه وسلم : أو فتح هو ؟ فقال : إى والذى نفسى بيده إنه لفتح .

إن الدعوة الاسلامية — باعتبارها دعوة الى نظام اجتماعى جديد يقلب النظم الاجتماعية الفاسدة التى توارثها الناس وألفوها ، ولا سيما الأمة العربية التى ظهرت الدعوة بين أحضانها — فى أمس الحاجة الى هذا النوع من الشخصيات القوية التى لا تعرف المداورة فى الحق ، ولا المداهنة فى الدين ، ولا تبالى بهذه العنجهيات الوراثية التى تريد الدين والنظم والقوانين على أن تكون مطية كبريائها لاستعباد البشرية والتعالى عليها ، وقد تألف الاسلام قوما من أصحاب تلك العنجهيات يوم أن كان الاسلام قليلا ، وكان عمر ينظر الى هؤلاء نظرة المتربص حتى يكفكف من غربهم ويفل من حدهم ويعيدهم الى مكانهم من الحياة ، فلما أعز الله

حروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
djdhookz@gmail.com

تعالى الاسلام أرادوها ميراثا لهم فأبى عليهم « فاروق الاسلام » إلا أن يكونوا كا حاد الناس رضوا أم غضبوا ، فوضع بذلك شرعة عملية وطد بها دعائم الحياة الاجتماعية الجديدة التى أقامها الاسلام على قاعدة المساواة المطلقة بين المؤمنين ، وقد حدثنا ثقات المؤرخين أن عيينة بن حصن والأقرع بن حابس قدما على أبى بكر فى خلافته فقالا : ياخليفة رسول الله إن عندنا أرضا سبخة ليس فيها كلا ولا منفعة ، فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نحرثها أو نزرعها ولعل الله أن ينفع بها بعد اليوم ، فقال أبو بكر لمن حوله : ما ترونه فيما قالا ؟ قالوا : إن كانت أرضا سبخة لاينتفع بها فنرى أن تقطعها لعـل الله أن ينفع بها بعد اليوم ، فأقطعهما إياها وكتب لهما بذلك كتابا وأشهد عمر وليس فى القوم ، فانطلقا الى عمر يشهدانه فوجداه قائما يهنأ بعيرا له ، فقالا : إن أبا بكر يشهدك على مافى هذا الـكتاب ، فنقرؤه عليك أو تقرأ ؟ قال : أنا على الحال التى تريانى ، فان شئتما فاقرآ ، وإن شئتما فانتظرا حتى أفرغ فأقرأ عليكما ، قالا : لا ، بل نقرأ ، فقرآه ، فلما سمع مافى الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل فيه فمحاه ، فتذمرا وقالا مقالة سيئة ، فقال لهما عمر : إن رسول الله كان يتألفكما والاسلام يومئذ قليل ، وإن الله عز وجل قد أعز الاسلام ، اذهبا فاجهدا جهدكما ، لارعى الله عليكما إن رعيتما ! ! فذهبا الى أبى بكر وهما يتذمران ، فقالا : والله ماندرى من الخليفة أنت أم عمر ؟ ! قال أبو بكر : بل هو لو كان شاء ، فجاء عمر وهو مغضب حتى وقف على أبى بكر فقال : أخبرنى عن هذه الأرض التى أقطعتها هذين ؟ أرض هى لك خاصة أم بين المسلمين عامة ؟ قال : بل هى للمسلمين عامة ، قال : فما حملك أن تخص بها هـذين دون جماعة المسلمين ؟ قال أبو بكر : استشرت هؤلاء الذين حولى فاشاروا علىّ بذلك ، قال : فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك أفـكل المسلمين أوسعتهم مشورة ورضى ؟ قال أبو بكر : قد كنت قلت لك : إنك أقوى على هذا منى ، لـكنك غلبتنى .

ونحب أن نقف قليلا الى جانب هـذه القصة العظيمة لنستخرج منها بعض العبر البارعة التى اشتملت عليها ، ففيها (أولا) : أن عمر واجه عيينة والأقرع — وهو يعلم مكانتهما من زعامة تميم — بما نهنه عجـرفتهما وطـامن حميتهما الأعرابية فى صراحة قاسية ، وأفهمهما فى غير مواربة أن الاسلام لا يعرف هذا التعاظم الجاهلى الأجوف ، وتحداهما فى تقريع قارس أن يجهدا جهدهما ، لأن الاسلام تألفهما أيام قلته ، وقد أعزه الله فلا حاجة به إلا الى قـلوب عمرها الإيمان واليقين .

وفيها (ثانيا) : أن عمر لم يقف عند صنيعه بالرجلين وتحديه لهما ، بل ذهب مغضبا الى أبى بـكر ، وهو خليفة المسلمين وإمامهم ، يأخذ عليه فى صراحة قاسية أنه أقطع هذين الرجلين أرضا هى للمسلمين عامة ، ولم يقبل اعتذاره بأنه استشار من حضره من عظماء المؤمنين ، ولم يكن من الصديق وهو العدل الرضا المهدى الراشد إلا أن يقر عمر على نظريته فى عبارة مفعمة بالاخلاص والصدق فيقول له : قد كنت قلت لك إنك أقوى على هذا منى ولـكنك غلبتنى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفيها (ثالثا) : تصوير واضح لنوع الحكم الاسلامى ومجافاته للاستبداد المطلق ، وبنائه على قاعدة الشورى العامة ، لأن الخليفة الأول ، وهو من هو ، لم يستبد برأيه ، بل أشرك معه بعض ذوى الرأى ، ولكن عمر لم ير ذلك كافيا ، لأن كل مسلم له حق إبداء الرأى فى مصالح الأمة العامة ، وأن الشورى يجب أن تتسع لعامة المسلمين ورضاهم ، ولا سيما فيما يختص بمالية الدولة ومصادر إيرادها ، فهل سمع المتشدقون من دعاة الاستبداد الملثم والديمقراطيات الزائفة ، أن شريعة من الشرائع أو زعيما من زعماء الديمقراطية استطاع أن يبلغ بها من الكمال ما بلغه بها دستور الاسلام وقادته الأولون ؟

إن فى الاسلام ضمانا لسعادة الانسانية وسلامها ، وإن فى سيرة الراشدين من خلفاء الاسلام نبراسا لهداية الانسانية الى وشائج الاخاء والعدل والمساواة ، وهى أنجع دواء لأمراضها العصبية ، فهل آن للذين أغمضوا أعينهم على القذى ، وصموا آذانهم عن صوت الأخوة المنبعث من ضمير الاسلام ، أن يدرسوا دستور هذا الدين القيم ، وأن يجيلوا النظر فى سيرة عظمائه وقادة الفكر فى تاريخه باخلاص وصدق نية ؟ !

صادق ابراهيم عرجون

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

لا تزهد فى معروف

قال ابن عباس رضى الله عنه : لايزهدنك فى المعروف كفر من كفره ، فانه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه .

وقال الشاعر :

يد المعروف غنم حيث كانت ... تحملها شكور أو كفور
ففى شكر الشكور لها جزاء ... وعند الله ما جحد الكفور

وقال وهو من أحسن مايقال فى الايثار :

أبيت خميص البطن غرثان طاويا ... وأوثر بالزاد الرفيق على نفسى
وأمنحه فرشى وأفترش الثرى ... وأجعل قر الليل من دونه لبسى
حذار مخازاة الأحاديث فى غد ... إذا ضمنى وحدى الى صدره رمسى

وقال آخر فى إكرام الضيف :

يسترسل الضيف أنسا فى منازلنا ... فليس يعلم خلق أينا الضيف
والسيف إن قسته يوما بنا شبها ... لم تدر من عزمنا من ذا هو السيف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الامام البخارى

وكتابه الجامع الصحيح

الحركة العلمية فى العصر العباسى الأول :

خطت الأمة الاسلامية فى هـذا العصر ، خطوة جديدة فى حياتها العقلية ، وحركتها العلمية ، وكان هـذا نتيجة لازمة لقيامها على السنة الاسلامية التى تقتضى دوام طلب العـلم والحـكمة ، والأخذ بكل نافع من الفنـون والصناعات ، ولو من طريق الاقتباس من الأمم المختلفة ، وقد اتفق للمسلمين بعد دور فتوحاتهم الأولى ، أن احتكوا بشعوب كانت على شيء كبير من العلم والمدنية ، فأخذوها عنها وزادوا عليها بجهودهم الخاصة .

فى هـذا العصر ظهر ما نسميه بالتقدم ، ومظهره القبـول والهضم لـكل ما تستحسنه الطبيعة البشرية النزاعة للـكمال مما ينسجم وحاجاتها .

وبالتقدم تسكن النفس الى الأصلح وتطمئن اليه بكل ما فيها من قوى العقـل والعاطفة والإرادة .

والقوانين العامة لمراحل العقل البشرى فى الرقى واحدة وإن اختلفت الجزئيات ، فإذا ما اتحدت الأسباب ، وتوحدت الخطوات ، لا بد من اتحاد النتائج . فالحضارة اليونانيـة ، لم تـكن إلا أسلوبا من أساليب التقـدم ، نشأ فى الزمن الغابر من احتـكاك الاغريق بغيرهم من الشعوب . فقد اتصلوا بمدائن آسيا ، واتصل روادهم وفلاسفتهم بمصر ، وتم لهم من هذه الاتصالات اتخاذ أمور واستخلاص قـواعد للسير ، ومحاكاة نظم رأوا أنها أصلح لحياتهم . وكان من قبولهم وهضمهم لما يناسب حاجاتهم ، سواء أكان من ابتكارهم أم من ابتكار غيرهم ، ماتكونت منه حضارتهم . ولم تكن حضارة الرومان لذلك إلا أسلوبا من أساليب التقدم ، تهيأ لهم عند احتـكاكهم بالاغريق وبغيرهم من الشعوب ، ثم تقبلوه وهضموه لما رأوا الخـير فى قبوله وهضمه .

وقد دخلت النهضة العلمية للمسلمين فى طورين ، أولها دينى بحت استوعب عهد بنى أمية ، والثانى علمى عملى بدأ من أول الدولة العباسية فى القرن الثـانى ، وكلاهما بباعث من الاسلام نفسه ، فرأينا العـلوم فى العهد العباسى والفلسفة تترجم من اليونانية والفارسية والهندية ، وتعرض بجانبها الديانات من يهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها . وتحولت الدعوة الدينية فى العصر الأموى من لفت الى الـكون وآثاره الى عـلم الـكلام فى العصر العباسى ، وتأثر تفسير القرآن وتفسير الحديث والتشريع بالأثر الفلسفى المؤسس على المنطق .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال الذهبي : في سنة ١٤٣ هـ شرع علماء الاسلام في هذا العصر ، في تدوين الحديث والفقه والتفسير . فصنف ابن جريج بمكة ، ومالك الموطأ بالمدينة ، والأوزاعي بالشام ، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ، ومَعمر باليمن ، وسفيان الثوري بالكوفة . وصنف ابن اسحاق المغازي ، وصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأى ، ثم بعد يسير صنف هشيم والليث بن سعد وابن لهيعه ، ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب . وكثر تدوين العلم وتبويبه ، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس . وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة (يراجع ص ١٠١ من تاريخ الخلفاء للسيوطي) .

وفي الموطأ أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن انظر ما كان من حديث رسول الله أو سنته فاكتبه ، فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء . وأوصاه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر .

وأخرج أبو نعيم في تاريخ اصبهان عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب الى أهل الآفاق : انظروا الى حديث رسول الله فاجمعوه .

وكانت الأمة الاسلامية ، عقب نداء الخليفة عمر بن عبد العزيز ، قد مرت بطور المسائل الجزئية المبعثرة ، فكان لزاما أن يسلمها ذلك إلى الطور الآخر : طور التنظيم وتدوين العلوم وتمييزها ، كما سبق أن شرحه الذهبي ، ودونه السيوطي في تاريخ الخلفاء . وكان أهم مظهر للحديث في العصر العباسي مظهر التدوين ، حتى إذا كان القرن الثالث نشطت حركة الجمع والنقد ، فقد ألف البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ الجامع الصحيح ، وألف مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ صحيحه ، وفيه ألفت سنن ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ هـ وسنن أبي داود المتوفى سنة ٢٧٥ هـ وجامع الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ هـ وسنن النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ وهي التي تسمى الكتب الستة ، والتي عدت أصح كتب الحديث . ويلحق بهذه الكتب مسند أحمد المتوفى سنة ٢٤١ هـ والمحدثون يضعون صحيح البخاري ومسلم في الدرجة الأولى .

البخاري :

هو محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردذبه (بردذبه كلمة فارسية معناها الزراع) . كانت أجداده فرساً على دين المجوس ، وأول من أسلم من أجداده المغيرة ، أسلم على يد اليمان الجعفي والى بخارى ، فكان ولاؤه له ، وتنقل الولاء في أولاده ، فلذلك يقال في البخاري إنه محمد بن اسماعيل أبو عبد الله الجُعْفي .

اتفق مؤرخو التاريخ الاسلامي أن البخاري ولد بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة ١٩٤ هـ وأنه توفي يوم السبت عند صلاة العشاء ، ودفن ليلة عيد الفطر سنة

oldbookz@gmail.com
أرشيف مجلات قديمة
https://t.me/megallat

٢٥٦ هـ وله من العمر اثنتان وستون سنة إلا ثلاثة عشر يوما ، ودفن بخرتنك ، قرية على فرسخين من سمرقند .

كان والد البخارى محدثا ، مات وهو صغير ، وترك له مالا جليلا ، فنشأ فى حجر أمه ، وأسلم إلى الكتاب ، فلما بلغ عشر سنين بدأ فى حفظ الحديث فى كتب ابن المبارك ووكيع ، وهما محدثان مشهوران .

وقد روى كتاب طبقات الشافعية ، وكتاب الخطيب البغدادى ، أن البخارى كان يحفظ فى صباه سبعين ألف حديث وأكثر ، ولا يجىء بحديث عن الصحابة والتابعين إلا ويعرف مولد أكثرهم ، ووفاتهم ومساكنهم . وكان البخارى يقول عن نفسه — كما هو مذكور فى تاريخ أبى الفدا : ألهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتاب ابن عشر سنين ، فلما بلغت ثمانى عشرة سنة ، صنفت قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ، وصنفت كتاب التاريخ ، عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خطا البخارى فى جمع الحديث خطوة جديدة ، فمالك بن أنس يجمع أحاديث الحجاز وخاصة اهل المدينة ، وابن جريج أحاديث الحجازيين وخاصة أهل مكة ، ولكن البخارى وسع هذه الدائرة ، وسن سنة لمن بعده من المحدثين فى الإمعان فى الرحلة لطلب العلم ، وبعبارة أخرى لطلب الحديث ، فبعد أن سمع حديث بلده ذهب إلى بلخ وسمع محدثيها ، ورحل إلى مرو ونيسابور والرى وبغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة ومصر ودمشق وقيسارية وعسقلان وحمص ، فهو بهذا وضع له خطة أن يجمع ما تفرق من الحديث فى الأمصار ، وأقام فى هذه الرحلات نحو ستة عشر عاما ، لقى فيها عناء شديدا لا يتحمله إلا الصابرون ، وأخيرا عاد إلى موطنه ، ومات سنة ٢٥٦ هـ

كما أنه خطا بالحديث خطوة أخرى ، فى جده فى التمييز بين الحديث الصحيح وغيره ، وقد كانت الكتب قبله لا يعنى فيها بهذا الموضوع عنايته ، فكان المحدث يجمع ما وصل اليه ، تاركا البحث عن رواته ومقدار الثقة به الى القارئين أو السامعين ، حتى الموطأ نقده كثير من المحدثين من هذه الناحية .

وهذا العمل — أعنى تعرف صحيح الحديث من ضعيفه — كان يحتاج البدء فيه الى عناء لا يقدر ، فهو يحتاج الى معرفة واسعة بتاريخ رجال الحديث ، وتاريخ حياتهم ووفاتهم ، ليعرف هل التقى الراوى بمن روى عنه أولا ، ويحتاج الى معرفة دقيقة برجال الحديث من زمن البخارى الى زمن الصحابى ، ما مقدار صدقهم والثقة بهم وحفظهم ، ومن منهم صادق أمين ومن منهم مستور الحال ، ومن منهم كاذب ومن منهم صادق « تقبل دعوته ولا تقبل روايته » ، كما يحتاج الى مقارنة الأحاديث التى ترويها الأمصار المختلفة ، وما بينها من فروق وموافقات

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وما فيها من علل ، كما يحتاج الى معرفة مذاهب الرجال ، من خارجي ومعتزلي ومرجيء وشيعي الى غير ذلك ، ليتبين منها مقدار ما قد يحمله مذهبه على القول بحديث غير صحيح ، أو تأويل له غير راجح ، وهي مهمة في غاية العسر والمشقة ، لأن كثيرا منها يتصل بالنيات والضمائر وخفايا السرائر ، فكم من باطن لا يتفق والظاهر ، وكم من متصنع تقوى وصلاحا وقد اتخذ ذلك سلاحا ، وهكذا . (ضحى الاسلام الجزء الثاني) .

كتابه الجامع الصحيح :

أراد البخاري في كتابه أن يقتصر على جمع الأحاديث الصحيحة ، والحديث الصحيح في اصطلاح المحدثين : هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده — من الراوي الى النبي صلى الله عليه وسلم — ويكون كل راو من رواته عدلا ضابطا ، وقد أنفق البخاري في جمع كتابه هذا ستة عشر عاما ، وسماه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد جمع فيه ، على ما ذكره ابن حجر ، (٧٣٩٧) حديثا ، وهذا العدد تدخل فيه الأحاديث المكررة ، ولا تدخل فيه المعلقات والمتابعات والموقوفات والمقطوعات . فإذا أضيفت اليه التعليقات والمتابعات بلغت (٩٠٨٢) حديثا غير الموقوف والمقطوع . وإذا حذف المكرر واقتصر على عد الأحاديث الموصولة السند غير المكررة ، كانت (٢٧٦٢) حديثا .

وقد جاء في الجزء الأول من مقدمة فتح الباري ، أن البخاري اشترط في جمعه للأحاديث التي يصححها شروطا تسمى « شروط البخاري » ، كما اشترط مسلم شروطا تخالف بعض الشيء شروط البخاري ، ويسمونها شروط مسلم ، فكلاهما اشترط في الحديث أن يكون إسناده متصلا ، وأن يكون كل راو من رواته مسلما صادقا غير مدلس ولا مختلط ، متصفا بصفات العدالة ، ضابطا متحفظا ، سليم الذهن قليل الوهم ، سليم الاعتقاد . وكان البخاري يرى أن المحدث إذا كان من أساطين المحدثين ، وهم المكثرون من جمع الحديث وروايته كالزهري ونافع ، فإن أصحابه الذين يروون عنه درجات تختلف في مقدار الصلة به ، وفي الحفظ والإتقان ، فالدرجة الأولى من كان يزامله في السفر ويلازمه في الحضر ، والدرجة الثانية من لم يلازمه إلا مدة قصيرة ، وكلا النوعين عُرف بالتثبت ، ويلي ذلك درجات ، فالبخاري يشترط في الرواة أن يكونوا من الدرجة الأولى عادة ، وقد يروى عن رجال الدرجة الثانية ، ولكنه في الغالب يرويه تعليقا على حديث ، ويسمى ذلك أيضا شرطا من شروط البخاري ، ومسلم يقبل رجال الدرجة الثانية كما يقبل الأولى ، ولا يقتصر في الدرجة الثانية على التعليق ، وأما غير المكثرين فاكتفى فيهم عند البخاري ومسلم بشرط الثقة والعدالة وقلة الخطأ .

أما السبب الجوهري في اتباع البخاري لشروط قيد بها الأحاديث التي جمعها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترجع الى أن أحاديث العهد الأموي أكثر من أحاديث عهد الخلفاء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الراشدين ، وأحاديث العصر العباسى أكثر من أحاديث العهد الأموى ، هـذا من جهة ، ومن جهة أخرى أدخل اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من أهل الديانات الأخرى فى الأحاديث أشياء كثيرة من دياناتهم وأخبارهم ، فلثت الأحاديث بما فى التوراة وحواشيها ، وبعض أخبار النصرانية وتعاليم الشعوبية ، كالأحاديث التى تدل على فضل الفرس والروم (انظر جولد زيهير ودائرة المعارف الاسلامية فى مادة حديث) فكان هذا الخلط فى الأحاديث من أقوى الأسباب فى هجرة البخارى الى الأمصار المختلفة ، لتنقية الأحاديث ونقدها ، وتمييز الجيد والزائف منها .

وفى الحق أن ثقات المحدثين بذلوا من الجهد فى التمحيص مالا يوصف ، واجتهدوا فى وضع رواة الحديث من التابعين ومن بعدهم فى موازين دقيقة بقدر الامكان ، مع شرح تاريخهم ، ووضعوا فى ذلك قواعد للجرح والتعديل .

أما القواعد فنوعان : نوع يستند فيه على الرواية وصحتها ، والرجال ومقدار الثقة بهم ، ويسمى هـذا النوع بالنقد الخارجى ، ونوع يعتمد فيه على الحديث نفسه ، هل معناه يصح أو لا يصح ؟ وما هى أوجه الصحة وعدم الصحة ؟ الى غير ذلك من أسباب الدفاع والاتهام ، ويسمى هذا النوع بالنقد الداخلى .

ولقد جرت هذه القواعد المحدثين الى تقسيم الحديث باعتبار ذلك الى حديث صحيح وحسن وضعيف ، والى مرسل ومنقطع ، والى شاذ وغريب ، وغير ذلك .

وقد اشتهر فى هذا الباب يحيى بن سعيد القطان المتوفى سنة ١٨٩هـ ، وعبد الرحمن بن مهدى المتوفى سنة ١٩٨ هـ ثم يحيى بن معين المتوفى سنة ٢٣٣ هـ وأحمد بن حنبل سنة ٢٤١ هـ ، ومحمد بن سعد فى طبقاته سنة ٢٣٠ هـ .

وبالرجوع الى كتاب الجامع الصحيح نرى أن البخارى كان مع قدرته الفائقة فى الحديث فقيها ، ويعده السبكى شافعيا فى كتابه طبقات الشافعية ، والظاهر أن البخارى كان مجتهدا مستقلا وله استنباطات تفرد بها ، وآراء توافق أحيانا مذهب أبى حنيفة ، وأحيانا مذهب الشافعى وأحيانا تخالفهما ، وأحيانا يختار مذهب ابن عباس ، وأحيانا مذهب مجاهد وعطاء .

هذه الناحية الفقهية كان لها أثر كبير فى كتابه الجامع الصحيح ، فقد رتبه ترتيبا فقهيا كما فعل مالك فى الموطأ ، فبعد أن بدأ ببدء الوحى ، وثناه بكتاب الايمان والعلم ، ذكر كتاب الطهارة ثم كتاب الصلاة ثم كتاب الزكاة ، واختلفت فى النسخ فى الصوم والحج أيهما قبل الآخر ؟ ثم كتاب البيوع ، حتى إذا انتهى من المعاملات ذكر المرافعات ، فقال : كتاب الشهادات وكتاب الصلح ، ثم كتاب الوصية والوقف ، ثم أعقب ذلك بكتاب الجهاد ، وطفر بعد ذلك الى أبواب غير فقهية ، فذكر الكلام فى بدء الخلق والجنة والنار وتراجم الأنبياء ، ثم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مناقب قريش وفضائل الصحابة والمهاجرين والأنصار ، ثم ذكر السيرة النبوية والمغازى وما اليها ، ثم كتاب التفسير ، ثم عاد الى الفقه من نكاح وطلاق ، ثم كتاب الأطعمة والأشربة ، ثم خرج من ذلك الى كتاب الطب ثم كتاب الأدب والبر والصلة والاستئذان ، ثم كتاب النذور والكفارة ثم الحدود والاكراه ، ثم كتاب تعبير الرؤيا ، ثم كتاب الفتن وكتاب الأحكام ، وذكر فيه الأمراء والقضاة ، ثم ختم ذلك كله بكتاب التوحيد .

وقسم البخارى كل كتاب من هذه الكتب الى أبواب ، وعدة الكتب ٩٧ كتابا فيها ٣٤٥٠ بابا ، والمؤلف وهو البخارى لم يكن قد وضع كتابه فى صيغته النهائية ، فبعض الناسخين ضم بابا لم يذكر فيه حديثا الى حديث لم يذكر له بابا .

قال الحافظ أبو اسحق ابراهيم بن أحمد المستملى : « انتسخت كتاب البخارى من أصله الذى كان عند صاحبه (أى صاحب البخارى) محمد بن يوسف الفِرَبْرِى ، فرأيت فيه أشياء لم تتم وأشياء مبيضة ، منها تراجم لم يثبت بعدها شيئا ، ومنها أحاديث لم يترجم لها ، فأضفنا بعض ذلك الى بعض » (يراجع كتاب هدى السارى لابن حجر ج ١ ص ٥) .

وأيا ما كان فقد عُدّ كتاب الجامع الصحيح أصح كتب الحديث ، ولم ينازع أحد فى أفضليته وعدّه أصح كتب الحديث .

وللبخارى مصنفات غير الصحيح ، كالأدب المفرد ورفع اليدين فى الصلاة والقراءة خلف الإمام ، وله التاريخ الكبير والأوسط والصغير ، وله كتاب الضعفاء والجامع الكبير والمسند الكبير ، وكتاب أسماء الصحابة وكتاب الوجدان وكتاب المبسوط وغير ذلك .

وكان العصر العباسى الأول أكثر عصور الاسلام نشاطا فى التشريع ، وأكثر عددا من الفقهاء والمجتهدين ، وكان للمجتهد فى ذلك العصر الحرية فى استنتاج الأحكام من الكتاب والسنة ، وكما كثر الفقهاء والمشترعون وكثر اجتهادهم ، كثرت المسائل القانونية وأحكام الجزئيات كثرة لا يقاس بها ، ففرعت الفروع وفرضت الفروض ووضع لها الأحكام ، وكانت نتيجة هذه الاستنتاجات والأحكام والفروض وما يتبعها ، جمع الأحاديث الصحيحة التى كانت أساسا تفرع عنه التفسير والفقه وتاريخ السيرة وتاريخ الفتوح والطبقات ، ولما جاء البخارى ونزل ميدان هذه الحياة الفقهية فى هذا العصر الذى كان نسيجا من ألوان الزمان ، كان صاحب الاشعاع القوى ، يوقظ النفس ويحيى الروح ، حتى إذا طالعت كتابه الصحيح أضاء لك ما بين جوانبك ، ورأيت كل شىء حولك صافيا بينا .

والبخارى من أصحاب النفوس والعقول التى لها قوة تنفذ الى ما وراء الحجب ، وتستمد منه ما يستخرج العجب ، فاحساسه القوى بمكانة الرسول عليه الصلاة والسلام كان إهابه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموصول بعروق جسمه ، المنسوج من لحمه ودمه ، وهذا الاحساس بمكانة الرسول عليه الصلاة والسلام كان الذهب المودع فى خزانة قلبه .

وقد رزق البخارى خصلتين بارزتين مكنتاه من أن يقرب من غرضه :

(١) حافظة قوية لاقطة ، وخاصة فيما يتعلق بالحديث ، وقد بالغ الرواة فى كثرة ما كان يحفظه عن ظهر قلبه من أحاديث بسندها ، وكان يستعين على حفظه بالتقييد وكثرة الفكر ، وقد رووا عنه أنه ورد مرة الى بغداد ، فعمد أهل الحديث الى مائة حديث قلبوا متونها وأسانيدها ، ووضعوا عشرة أنفس ، فأورد واحد بعد الآخر الأحاديث المذكورة ، والبخارى يقول فى كل حديث منها : لا أعرفه ، فلما فرغوا قال : أما الحديث الأول فهو كذا ، ورده الى حقيقته ، وأما الثانى فهو كذا ، حتى ذكرها عن آخرها على حقيقتها . ومن اهتمامه الشديد بالحديث ذكر عنه أنه كان يقوم فى الليل مرارا يأخذ القداحة فيورى نارا ويسرج ، ثم يخرج أحاديث فيعلّم عليها ثم يضع رأسه .

(٢) مهارته فى تعرف الرجال ونقدهم ، وفى ذلك وضع كتابه التاريخ لتمييز الرجال ، ورووا عنه أنه قال « قل اسم فى التاريخ إلا وله عندى قصة » (ينظر الخطيب البغدادى) فأمام هذا التفكير النادر المثال ، وأمام هذه الشخصية القائمة بنفسها ، نرى أننا حيال حكيم ومصور لطبيعة النفوس ، وعالم بالنبات والبيولوجيا وبالتشريح ، وطبائع الأحياء وفلسفة الأديان ، فى كل علم من هذه العلوم كان لبحثه أثر ولرأيه قيمة ، وفى جمعه للأحاديث اعتبار ومكانة قلما يعتلى الى شرفتها متسلق ، فما من خاطرة جالت فى عقل محدث قبله إلا كان لها مجال فى عقله ، وكان له فيها رأى العارف المختبر إن لم يكن فيها رأى المصيب المعصوم .

له نظرة التأمل والاستبانة ، أو ما شئت بعد هذا من رأى نافذ فى الأخلاق والعقائد المتفشية فى أيام عظمة الخلافة العباسية ، والاجتماع وسرائر النفس ، فهو يفهم ما حوله عند الرحيل من قطر إلى قطر ، ويشعر بما يصادفه من رجال ومناع وسماع قصص وروايات رواة ، كأنه لا محيد له عن الفهم والشعور والاستمراء ، ثم يتحفز بعد ذلك لعمل له أوقاته ومحاولاته ، شأن الفيلسوف الحصيف فى جمع الأحاديث ، ثم يلتقى بالحديث الصحيح عن الرسول عليه الصلاة والسلام وبسنده بعد طول الجهد والجهاد فى سبيله ، كأنه يتنفس أو يؤدى وظيفة من وظائف حياته له بأدائها غبطة وارتياح ، لا كأنه ينهض بعبء أو يعالج مشقة مفروضة عليه .

وندرك من هذه المعالجة النفسية أن طبيعة تفكير البخارى التى واجه بها تلك الآفاق الواسعة من العلوم والمعارف التى رواها عن خاتم المرسلين وإمام المتقين محمد صلوات الله وسلامه عليه ، هى طبيعة واحدة على تعدد الموضوعات التى قام بحملها مدى ستة عشر عاما ، رغم نحافة جسمه (الذى ليس بالطويل ولا بالقصير) ورغم زهده المتواصل وقلة أكله حتى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الـكفاف ، هى طبيعة المتذوق لهذا الجهد المتصل ، طبيعة الصابر لهذا التذوق ، والذى منه يستمتع بتكوين عقيدته ودينه وعواطفه ومعارفه ، كما يستمتع الفنان بتكوين تمثاله .

والرجل كان جيد التفـكير إلى أبعـد الحدود ، فهو الدارس للأحيـاء وظواهر الطبيعة فى كل شىء ، قوى الذاكرة ، له الفراسة الطبيعية للحكم على الصحة والسقم فى تمييز الحديث .

ولما كان فكر البخارى موزعا بين جمع الحديث ، وجمع حقائق الحديث الصحيح ، دفعه هذا إلى الاستجلاء بحرص وحـذر على الدرس والمواصلة بالحب واليقين ، كالباحث المـدقق يتعلم ليتفقه كيف تعيش الطبيعة فى خلائقها .

فالبخـارى فى جمع أحاديث الرسول عليـه الصلاة والسلام ، كان سبيله لا مجرد اللذة فى هذا الجمع ، وإنما الشعور بما يعمله فى هـذا الوجود لأداء رسالة مكلف بتنفيذها أو يهلك دون الغاية ، والحياة عنده عبارة عن تفكير يعقبه عمل ، وعمل يعقبه تفكير .

فالمتصوف والمتطرف ، وعاشق المثل الأعلى ، وطـالب الواقـع القريب ، والمحـدث الفيلسوف ، والفنان والحـكيم ، كلهم يجـد فى صحيح البخارى نعيما ، ويلمس فيه عظمة ، ويستريح فيه إلى جانب عمله المختص فيه ، ويأخذ منه بنصيب .

فهـذه ألمعية متعددة الجوانب ، يذكر صاحبها مع خلود الزمان ، وخلود عقائد بنى الانسان ؟

عبد الحميد سامى بيومى

البصيرة تغنى عن البصر

أحسن ما قيل فى دفع التعيير بالعمى قول بشار بن برد :

وعيرنى الأعـداء والعيب فيهم ... وليس بعار أن يقال ضرير
إذا أبصر المرء المروءة والتـقى ... فان عمى العينين ليس يضير
رأيت العمى أجرا وذخرا وعصمة ... وإنى الى تلك الثلاث فقـير

ولعبد الله بن عباس رضى الله عنه :

إن يأخـذ الله من عينى نورهما ... ففى فـؤادى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل ... وفى فمى صارم بالقـول مشهور

وفوق هذا كله بلاغة وحكمة قوله تعالى : « فانها لا تعمى الأبصار ولـكن تعمى القلوب التى فى الصدور »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رأى الشريعة الاسلامية فى الخمر

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

فتوى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية .

صدرت هذه الفتوى بناء على استفتاء مقدم من إحدى الهيئات تضمن هذه الأسئلة الأربعة :

١ — ما حكم الخمر ؟

٢ — ما هو حد شارب الخمر ؟

٣ — الى أى حد يجوز لغير المسلمين الاتجار فيها وبيعها للمسلمين على رءوس الأشهاد ؟

٤ — ما هو حد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ وما القول فى مسلم ساءه الاستهتار بالدين إذ رأى الحانات تفتح أمام المساجد فدعا المسلمين الى العمل على إغلاقها وقصر بيعها على أهل الذمة فى أحيائهم ؟

وقد أجاب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية على ذلك بما يأتى :

الجواب :

اطلعنا على هذا السؤال ونفيد بما يأتى :

عن المسألة الأولى : إن حكم الخمر فى الشريعة الاسلامية هو الحرمة ، وذلك ثابت بالكتاب والسنة . أما الكتاب فقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون »

وأما السنة فقوله عليه الصلاة والسلام : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » رواه أبو داود والامام أحمد . وروى عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه » رواه أبو داود ، إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الواردة فى تحريم الخمر . قال ابن قدامة فى المغنى « وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم تحريم الخمر بأخبار تبلغ بمجموعها رتبة التواتر » .

هذا ، والخمر : كل مسكر خامر العقل وستره . فاسم الخمر يتناول كل شراب مسكر سواء أكان من العنب أم من غيره ، وهذا ماعليه جمهور الفقهاء وأهل الحديث جميعا . ويدل على

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ذلك ما جاء فى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « خطب عمر رضى الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه قد نزل تحريم الخمر وهى من خمسة أشياء : العنب ، والتمر والحنطة ، والشعير ، والعسل ، والخمر ماخامر العقل » ، وما رواه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كنت أسقى أبا عبيدة وطلحة وأبى بن كعب من فضيخ زهو وتمر ، فجاءهم آت فقال : إن الخمر قد حرمت ، فقال أبو طلحة : قم يا أنس فهرقها فهرقتها » والفضيخ بوزن عظيم : اسم للبسر إذا شدخ ونبذ . والزهو بفتح الزاى وسكون الهاء بعدها واو : هو البسر الذى يحمر أو يصفر قبل أن يترطب .

وبعد أن أورد فضيلة المفتى أحاديث كثيرة وأسانيد تثبت أن كل مسكر حرام قال :

ولولا خشية الاطالة لذكرنا هـذه النصوص ، ومن شاء الاطلاع عليها فليرجع إلى كتب الحديث ، أو باب الأشربة وحد الشراب من الجزء الرابع من فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، فقد ذكر رحمه الله كثيرا من هذه الأحاديث .

ومما ذكرنا كله يتبين جليا أن الحق أن كل مسكر حرام ، قليله وكثيره فى ذلك سواء . ومن هذا كانت الفتوى فى مذهب أبى حنيفة على رأى محمد القائل بذلك .

عن المسألة الثانية : إن حد شارب الخمر هو الجلد ، ولـكن الفقهاء اختلفوا فى مقداره ، فذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أنه ثمانون جلدة ، وذهب الامام الشافعى إلى أنه أربعون جلدة ، وعن الامام أحمد روايتان . قال ابن قدامة فى المغنى مانصه (الفصل الثالث) فى قدر الحـد وفيه روايتان ، إحداهما أنه ثمانون ، وبهذا قال مالك والثورى وأبو حنيفة ومن تبعهم لاجماع الصحابة ، فانه روى أن عمر استشار النـاس فى حد الخمر فقال عبد الرحمن بن عوف : اجعله كأخف الحدود ثمانين ، فضرب عمر ثمانين ، وكتب به إلى خالد وأبى عبيدة بالشام .

وروى أن عليا قال فى المشورة : إنه إذا سكر هـذى ، وإذا هذى افترى ، فحدوه حد المفترى . روى ذلك الجوزجانى والدارقطنى وغيرهم . والرواية الثانية أن الحد أربعون ، وهو اختيار أبى بكر (من الحنابلة) ومذهب الشافعى ، لأن عليا جلد الوليد بن عقبة أربعين ثم قال : « جلد النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ، وأبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين ، وكل سنة ، وهذا أحب إلى » رواه مسلم .

وعن أنس قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسـلم برجل قد شرب الخمر فضربه بالنعال نحواً من أربعين ، ثم أتى به أبو بكر فصنع مثل ذلك ، ثم أتى به عمر فاستشار الناس فى الحدود ، فقال ابن عوف : أقل الحدود ثمانون ، فضربه عمر (متفق عليه) ، وفعل النبى صلى الله عليه وسلم حجة لايجوز تركه بفعل غيره ، ولا ينعقد الاجماع على ماخالف فعل النبى وأبى بكر وعلى رضى الله عنهم فتحمل الزيادة من عمر على أنها تعزير يجوز فعلها إذا رآه الامام .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
alabbookz@gmail.com

والظاهر لنا وجاهة القول بأن الحد أربعون ، وللامام أن يعزر مع إقامة الحد بما يراه أصلح . هذا ، ومن يقيم الحد إنما هو الامام أو من ولاه الامام ذلك .

عن المسألة الثالثة : لا يجوز تمكين غير المسلمين من بيع الخمور ظاهرا فى أمصار المسلمين ، لأن إظهار بيع الخمر إظهار للفسق ، فيمنعون من ذلك ، نعم لهم أن يبيعوا الخمر بعضهم لبعض سرا .

وعلى الجملة لا يجوز الاتجار بالخمر فى أمصار المسلمين على رءوس الاشهاد ، كما يؤخذ هذا من البدائع صفحة ١١٣ من الجزء السابع ، ومن فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية فى باب الأشربة من الجزء الرابع .

عن المسألة الرابعة : إن من أوجب الواجبات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وذلك ثابت بالكتاب الكريم والسنة ، قال الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . ومعنى التعاون على البر والتقوى الحث عليهما ، وتسهيل طرق الخير ، وسد سبل الشر والعدوان بحسب الامكان .

وقد روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » . وروى الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه » . الى غير ذلك من الآيات والأحاديث المتظافرة على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وقد فصل العلماء شروط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبينوا حدود ذلك . وأحسن من كتب فى هذا الموضوع على ما رأينا هو حجة الاسلام الغزالى فى الجزء الثانى من كتاب إحياء العلوم ، فقد أطال رحمه الله تعالى القول فى ذلك ، وشرح هذا الموضوع شرحا وافيا ، والذى يهمنا فى الاجابة عن هذا السؤال هو ماذكره من أنه : إذا كانت المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وإمساكه العود والخمر فإبطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن مالم يؤد الى معصية أفحش منها أو مثلها ، وذلك يثبت للآحاد والرعية .

فهذا صريح فى أن النهى عن المنكر إنما يكون إذا لم يترتب على هذا النهى منكر أعظم من هذا المنكر ، ومفسدة أشد من مفسدة فعل المنكر ، وهذا هو الذى ينبغى ألا يكون فيه خلاف . وقد قال المحقق ابن القيم فى أعلام الموقعين من الجزء الثالث فى مبحث تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد بعد كلام مانصه :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« فانكار المنكر أربع درجات : « الأولى » أن يزول ويخلفه ضده . « الثانية » أن يقل وإن لم يزل بجملته . « الثالثة » أن يخلفه ما هو مثله . « الرابعة » أن يخلفه ما هو شر منه . فالدرجتان الأوليان مشروعتان ، والثالثة موضع اجتهاد ، والرابعة محرمة »

وحينئذ لا يجوز الأمر بالمعروف ولا النهى عن المنكر إذا ترتب على ذلك مفسدة أشد وشر أعظم من ترك المعروف وفعل المنكر .

ومن هذا يعلم أنه إذا كان المسلم الذى ساءه الاستهتار بالدين إذ رأى الحانات تفتح أمام المساجد الى آخره ، دعا المسلمين الى العمل على إغلاق هذه الحانات بطريقة لا يترتب عليها شر أعظم ولا فتنة أكبر : بأن دعاهم الى مطالبة أولى الأمر بمنع فتح هذه الحانات والاتجار بالخمر ، ومنع سائر المنكرات التى فشت فى الأمة فأماتت القلوب وأفسدت على العقول إدراكها ، فأصبح كثير من الناس يستحسنون القبيح ويستقبحون الحسن ، وفقدت منهم قوة التمييز بين الخير والشر والنافع والضار والحسن والقبيح — كان هذا المسلم ومن يقوم معه قد أدوا ماهو واجب على حسب استطاعتهم .

أما إذا قاموا بأنفسهم بإزالة هذا المنكر وتغييره بأيديهم ، وكان هذا مما يترتب عليه فتنة وشر بالأمة أعظم من الاتجار بالخمر ، فذلك مما لا يجوز فعله ، بل هو محظور لما يترتب عليه من المفاسد والمضار كما قدمنا .

هذا وقد ذهب أبو حنيفة رحمه الله الى أن تغيير المنكر باليد إنما هو على الأمراء والحكام ، والتغيير باللسان على العلماء ، والتغيير بالقلب على العوام ، ذهابا منه الى أن التغيير باليد يعتمد القدرة ، وأنه لا قدرة لغير الأمراء والحكام . ولكن حديث « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده الخ » نص كما قال العلامة البركوى فى كون الواجب على هذا الترتيب على كل شخص ، وهو قول أكثر العلماء ، وهو المختار للفتوى : غير أن الأمر مقيد كما قلنا سابقا بما إذا لم يترتب على ذلك شر أعظم ومفسدة أكبر .

وخلاصة القول : أن الشريعة الاسلامية ، كما قال المحقق ابن القيم ، مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها . فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة . فإذا أمرت بشىء فإنما تأمر به لما فيه من المصلحة الراجحة ، وإذا نهت عنه فإنما تنهى عنه لما فيه من المفسدة الراجحة .

فعلى المسلم حينئذ أن يتبع قواعد دينه ، فيكون حكيما فى دعوته الى الله ، وفى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر .

هذا ما ظهر لنا ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

منطق الدين

محاولة وضع أداة علمية لتمييز الدين الحق

الأصل الثالث :

الغرض من الدين ، وما يجب أن يقوم عليه من أصول :

لاقى العلم من رجال الدين فى أوربا طوال عهد القرون الوسطى ، وهى تزيد عن ألف سنة ، عنتا لم يسبق له مثيل فى الشدة بين طائفتين ، فى جميع تاريخ النوع البشرى . فقد أسست محكمة خاصة لمحاكمة رجال العلم والفكر على ما يرتكبونه مما يعده رجال الدين مخالفا لآراء الكنيسة ، وكان إذا ثبت على أحدهم شىء من ذلك استتيب ، وأخذت عليه المواثيق بأن لا يعود اليه ، فإن عاد قبض عليه وألقى حيا فى النار . فأهلك على هذه الصورة فى مدى القرون الوسطى رجال من ذوى الألمعية العالية ، ومن العباقرة المجددين ، من نيف عددهم على ثلاثمائة ألف نسمة . ولكن هذه العقوبة على فظاعتها لم تردع طلاب النور ، بل زادت عددهم ، فكانوا يظهرون كالكواكب الساطعة فى تلك السماء المكفهرة ، وكلما خبا واحد منها حل محله غيره ، غير حاسب لسوء المنقلب حسابا . واستمرت الحال على ذلك حتى ضعف سلطان رجال الدين ، لنشوء الشقاق العظيم بينهم ، بظهور البروتستانتية ، وصبوء ممالك برمتها اليها . والبروتستانتية اضطرت لاجتذاب النفوس اليها ، أن تطلق الحرية للعقول ، فخرج العلم منتصرا ، ولكنه من فداحة مالحقه من اضطهاد رجال الدين ، جعل أول ما فكر فيه إسقاطهم وإسقاط ما يقدسونه من العقائد ، فلم يدعوا ثغرة توصلهم الى هذه الغاية إلا اقتحموها ، وأذاعوا ذلك بين الناس ، فانتشر الالحاد بين جميع الطبقات ، وما زال ينتشر حتى اعتبر التمسك بالدين دليلا على الجهل .

ونحن لأجل أن نعطى القارئ مثلا مما كان يهاجم به الدين فى ظلال حرية الفكر ، ننقل له طرفا من أقوال العلماء : جاء فى دائرة معارف القرن التاسع عشر الفرنسية تحت كلمة (دين) ما يأتى :

« إن قلنا : إن الذوق الانسانى يقتضى اعتقاد الأشياء التى يمكن تعقلها ، يقولون : لا ، لا ، ثم يحاولون إذلال هذا العقل الانسانى الذى يدعى لنفسه حق التمييز بين الخير والشر ، وبين العدل والظلم ، حتى إذا تم تعمية عين العقل ، وتغشية باصرة البصيرة ، الى حد أن تعتبر المعجزات أمورا عادية ، وأن تتوهم الأبيض أسود ، وأن تعد الرذيلة فضيلة ، يعود الدين فيهيب بالناس الى الطاعة . فإن سألتهم نطيع من ؟ أنطيع عقولنا ، أم واجباتنا الطبيعية ، أم إحساساتنا القلبية ؟ أنطيع القوانين الحقة المفيدة للانسانية ، والتى تنتج من تلك الأصول المتقدمة نفسها ؟ أجابوك : لا ، ولكن أطع وأنت أعمى . الخ الخ »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال العالم فوربراخ وقد نقلته عنه دائرة المعارف السابقة : « إن الفضيلة الدينية وخاصة الفضيلة العليا ، أى فضيلة القديسين ، هى أن تنبذ الحياة المدنية والسياسية ، وأن تطرح سائر الأعمال والأشياء الدنيوية ، باعتبار أنها لهو باطل ، لأجل أن تستطيع بدون ترويح لنفسك ، وبقلب منكسر ، أن تذبل فى انتظار الجنة ، وأن تقتل جميع عواطفك وميولك الطبيعية ، وتميت نفسك وتذللها » .

يرى القراء مما مر أن هؤلاء العلماء خلطوا بين الأديان وبين ماعلقه عليها زعماؤها من تعليقات وشروح وتأويلات ، ولسنا نشك فى أنهم لو جردوا كتبها من هذه التوسعات ، واكتفوا بما فيها من نصوص الوحى لأمكن اتقاء أكثر هذه الانتقادات . وقد اتبع كثير منهم هذه النزعة من الاعتدال ففصلوا بين ماهو وحى وما هو شرح أو تأويل ، ولكنهم فى النهاية أظهروا اليأس من خنوع قادتها للفصل بينها ، لما رأوا من تشددهم فى الدفاع عنها . من هؤلاء الاستاذ (بنجامان كونستان) فانه بعد أن أفاض فى كتابه (الدين وينبوعه وأشكاله وترقيه) ، فى إيراد العلل التى نهكت الجماعات البشرية من جراء المعتقدات الباطلة ، رأى وجوب تجريد الأديان منها ، ولكنه عاد فأظهر يأسه من قبول رؤسائها لهذا التجريد فقال : « بهذه الطريقة تخلص الأديان من أوهامها ، ولكننا لانخال ذلك يتحقق ، لاعتقادنا أنها لا تتنازل عن عقيدة من عقائدها . ولما كانت هذه العقائد تناقض العلم وتعارضه ، فيكون من المقرر الثابت امحاء الأديان وزوالها »

ولم يغفل الأستاذ بنجامان كونستان هذا تعليل زوال تلك الأديان فقال :

« إن كل قاعدة مهما كانت نافعة فى عهد فلا بد أن تكون محتوية على جرثومة تعطل الرقى فى عهد مستقبل . لأن تلك القاعدة تأخذ بطول المكث شكلا عديم الحراك يأبى على العقل البشرى مسايرته فى مكتشفاته التى ترقيه كل يوم وتهذبه . إذا حدث ذلك انفصلت العاطفة الدينية عن تلك القاعدة المتحجرة ، وتطلبت سواها من القواعد التى لاتجرحها ولا تحرجها ، ولا تزال تضطرب حتى تصادفها »

العاطفة الدينية غريزة طبيعية لا تقبل الزوال

بعد أن اشتد العلم فى أوربا ضد رجال الدين حتى تصدى للدين نفسه كراهة لهم ، عقب ذلك عهد سكينة واعتدال ، فنظر أقطابه فى الدين نظرة تثبت وتحقيق ، فظهر لهم أنه يقوم من النفسية الانسانية على غريزة طبيعية لا يمكن إزالتها ، ولا تعفية أثرها . قال الفيلسوف الكبير (إرنست رينان) فى كتابه تاريخ الأديان :

« من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شىء نحبه ، وكل شىء نعده من متع الحياة ونعيمها ؛ ومن الممكن أيضا أن تبطل حرية استعمال القوة العقلية ، والعلم ، والفنون ؛ ولكن يستحيل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن ينمحى الدين أو يتلاشى ، بل سيبقى أبد الآباد حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى الذى يود أن يحصر الفكر الانسانى فى المضايق الدنيئة للحياة الأرضية » .

وقال العلامة (هنرى بيرانجيه) فى المجلد الرابع والعشرين من مجلة المجلات الفرنسية ، وهو الآن مدير لجنة الشئون الخارجية فى مجلس الشيوخ الفرنسى :

« إذا كان النقد التاريخى قد هدم كل الأشكال الثابتة غير القابلة للتغير فى الأديان ، فإنه لم يستطع أن يعدو على الغريزة الدينية ، بل قد شهد باستمرارها وشيوعها فى كل دور من أدوار التاريخ ، وإن كل تلك الآلهة المختلفة والمتعاقبة تشهد بأن الانسان مفطور على الاعتقاد بالله رغم أنفه . ففى كل جهة وكل زمان قد شوهد احتياج الانسان الى الدعاء والعبادة والتضحية فى أخس الأديان الوثنية كما فى أرقى المذاهب الروحية . هذه هى الشرارة النفسية التى استخلصها من رماد العصور الماضية تاريخ المقارنة بين الأديان ، فمن المستحيل عليه أن يطفئها ، ولكنه سينقلها الى المستقبل » .

وقال الفيلسوف الألمانى (جيبزلر) فى كتابه (تاريخ المعتقدات) :

« الدين خالد مثل خلود الاحساس الذى ينتجه ، ولكن علوم الدين مثل سائر العلوم يجب أن تكون قابلة للرقى على قدر الرقى العقلى ، وذلك مثل العلاقة الموجودة بين الحقوق وعلم التشريع ، فالحقوق لا تتغير ولكن علم التشريع يجب أن يتغير ويتهذب على الدوام » .

وقال الفيلسوف المشهور (أجوست سباتييه) فى كتابه (فلسفة الأديان) :

« لماذا أنا متدين ؟ إنى لم أحرك شفتى بهذا السؤال مرة إلا رأيتنى محفوزا للاجابة عليه بهذا الجواب ، وهو : أنا متدين لأنى لا أستطيع خلاف ذلك ، فالدين لازم معنوى من لوازم ذاتى يقولون لى : ذلك أثر من آثار الوراثة أو التربية أو المزاج . فأقول لهم : قد اعترضت على نفسى كثيرا بهذا الاعتراض عينه ، ولكنى وجدته يقهقر المسألة ولا يحلها . وإن ضرورة التدين أشاهدها بأكثر قوة فى الحياة الاجتماعية البشرية ، فهى ليست أقل تشبثا منى بأهداب الدين . الى أن قال : فالدين إذن باق وغير قابل للزوال ، وهو فضلا عن عدم نضوب ينبوعه بتمادى الزمن ، نرى ذلك الينبوع يزداد اتساعا وعمقا تحت المؤثر المزدوج من الفكر الفلسفى ، والتجارب الحيوية المؤلمة » .

نقول : يتضح من هذا أن الرأى العلمى فى الدين قد تم نضجه ، فبعد أن بدأ العلم حياته ، بسبب السخيمة التى كان يشعر بها فى نفسه ضد رجال الدين ، مناوئا للدين ، عاد بعد أن عجز عن هدم الدين عقب كل مابذله من جهد وعنف ، يثبت بالدليل المحسوس أن الدين لا يمكن هدمه لأنه غريزة طبيعية فى النفس البشرية . ولكنه مع هذا يرى أن كل ماحمله الدين من الشروح والتأويلات والأفكار البشرية زائل لا محالة . فلو اتفق وجود دين خال من خليط الآراء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

البشرية ، ومزيج التأويلات الكلامية ، ولم يحتو إلا على أصول أولية ، ومبادىء بدهية ، فإن ذلك الدين يكون هو الحق ويتعين الأخذ به ، قال الفيلسوف الألمانى (كَنت المشهور) :

« الديانة الحقة الوحيدة هى التى لا تحتوى إلا على قوانين ، أعنى قواعد صالحة للجرى عليها ، نشعر من ذاتنا بضرورتها المطلقة ، وتكون مجردة عن الأساطير والتعاليم الكهنوتية » .

***

الى هنا انتهى علم العلماء الراسخين ، وفهم الفلاسفة المتثبتين ، وهى نهاية لا محيص عنها ، وهى نفسها الصفة المميزة للديانة الحقة التى يقرها العلم والفلسفة ، والتى ستكون — إن كانت موجودة — ديانة العالم أجمع يوم يتجرد من وساوسه ، ويتخلص من أوهامه ، ويلقى عن عاتقه آصار الموروثات الاعتقادية ، وأوزار الشروح الكهنوتية ، والتأويلات الكلامية .

كل الذى نأخذه على العلم والفلسفة فى هذا الموطن هو أنهما تسرعا فقررا عدم وجود هذه الديانة لدى طائفة من المتدينين فى العالم ، وأن كل ما يوجد منها لا يصلح أن يكون دينا للبشرية الراقية . قال العلامة (هنرى بيرانجيه) المتقدم ذكره فى ذلك الموطن نفسه :

« إن حل المسألة الدينية هى أهم ما يشغل العالم المتمدن اليوم ، لأن مستقبل الأمم المتمدنة يتوقف على حلها . ثم قال :

« إننا لنرجو أن يتحقق هذا الحل ، لا سيما وقد تألفت الديانة القلبية ومحصت بواسطة بعض كبار الفلاسفة الفرنسيين . فإن (جان جاك روسو) و (لامرتين) و (لامُنّيه) و (ميشليه) و (كينيه) كانوا من كبار المبشرين بهذه الديانة (الجديدة) . وقريب منا (إرنست رينان) و (جيو) و (شوريه) و (ساباتييه) قد أعطوها قوة عظيمة » انتهى .

فإن سأل سائل : ما هى أصول هذه الديانة الجديدة ؟ أجبناه بما ذكره عنها الفيلسوف الفرنسى المشهور (كارو) فى كتابه : (البحوث الأدبية على العصر الراهن) فقد قال : « هى الاعتقاد بوجود إله مختار خلق الكائنات واعتنى بها ، وهو متميز عن عالم الكون والفساد وعن النوع الانسانى ، ووجود روح فى جسم الانسان متصفة بالادراك والحرية ، ومحبوسة فى هذا الجسم المادى أمدا لتبتلى فيه ، هذه الروح يمكنها بارادتها أن تطهر هذا الجسم وتنقيه إذا عرجت به نحو السماء ، كما يمكنها أن تسفله بإخلادها الى المادة العمياء ؛ والاعتقاد برفعة العقل على العواطف ، ووضع الحرية الخلقية التى هى ينبوع وأصل كل الحريات تحت سيطرة الاعتدال ، وإعطاء الأخلاق الفاضلة اسمها الحقيق وهو التخليص التدريجى للنفس من علائق الجسم ، والتهيؤ لساعات الموت بالزهادة ؛ وأخيرا الاعتراف بقانون الترقى ، ولكن بدون فصل رقى الانسان فى مدارج السعادة المادية ، من العواطف الفاضلة التى هى وحدها تبرر تلك السعادة » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال العلامة الكبير (جول سيمون) الفرنسى فى كتابه (الديانة الطبيعية) :

« كل أصول مذهبنا هذا واضحة لا رموز فيها . أما أصوله فهى الاعتقاد بوجود إله قادر على كل شيء لا يغيره شيء ، خلق العوالم وحكمها بقوانين ونواميس عامة ، ووجود حياة أخرى تؤدى كل وعود هذه الحياة ، وتجزى الظالم بالجزاء الأوفى » انتهى

نقول : لو كان هؤلاء العلماء أجادوا البحث فى الديانات القائمة اليوم لوجدوا طلبتهم فى إحداها مما لم تتناولها أيدى التحريف ، ولكن يجوز أن الذى صدهم عن مثل هذا التعمق فى البحث أنهم لم يصادفوا لها مظهرا ماديا من أحوال الشعوب التى تدين بها فلم يريدوا أن يتعبوا أنفسهم فى تلمسها من كتبها .

تطبيق هذا الأصل على الاسلام :

هل تتوافر الشروط التى يتطلبها العلم والفلسفة للدين الحق ، على الاسلام ، فيكون هو الدين الذى يصدق عليه أنه الدين العام للبشرية ؟

إنها تتوافر فيه ويزيد عليها إيذان من الله للناس كافة بأنه الدين العام الخالد . فلننظر الآن فى هذه الشروط وفى وجوه انطباقها على الاسلام :

يكتفى العلم والفلسفة حيال الديانة الحقة بأن يتوافر فيها شرطان اثنان : (أولهما) أن لا يكون فيها غير قوانين أى قواعد صالحة للجرى عليها تشعر النفوس بضرورتها المطلقة ؛ و (ثانيهما) أن تكون خالية من الأساطير الخرافية والتعاليم الكهنوتية .

والشرط الأول مجمل يحتاج لتفصيل ، فان القوانين أى القواعد الصالحة التى تشعر النفوس بضرورتها المطلقة تشمل ما هو خاص بالاعتقادات وما هو خاص بالمعاملات والعبادات ، وما هو متعلق بالمحللات والمحرمات ، إذ لا يعقل أن يخلو دين منها .

فهل كل ما فى الاسلام مما هو خاص بهذه الأمور يعتبر قوانين صالحة لأن يجرى الناس عليها ، بل يشعرون بضرورتها المطلقة ؟ لننظر فى ذلك :

ما هو خاص بالاعتقادات فى ديانة القرآن :

أول ما طالب القرآن الناس به من هذا الأمر الجلل : (الاسلام) ، ومعناه لغة : الاستسلام ، والمراد به شرعا : الانقياد الى إرادة الله ، وعدم التعصب للموروثات والتقاليد والعادات والأهواء والأوهام ، للتذرع بها الى مقاومة إرادة الله .

ولكن أين هى إرادة الله ، وكيف نميزها من إرادة المدعين ؟

إرادة الله ممثلة فى الطبيعة ، وفيما أنزله مصدقا ومهيمنا عليها من شريعة . فكل شريعة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تنافى الطبيعة ومافيها من العنصر العقلى ، لا تكون شريعة لله ، فان الله أجل من أن ينقض قوله فعله .

من هذا الأصل أصبح لدينا أداة مميزة ، للتفرقة بين ما هو إلهى من الشرائع وما هو مفترى على الله . فماذا دعا اليه القرآن تحت هذا الضوء القوى من التمحيص ؟

دعا الى إقامة الدين ، الدين الذى ينطبق عليه هذا الشرط ، فدعا الى دين الفطرة « فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون » . وقد بينا لك فى فصل سابق أن الانسان مفطور على الاعتقاد بصانع قدير حكيم ، وبوجود حياة وراء هذه الحياة ، وعلى إكبار الفضيلة ، واحتقار الرذيلة ، وعلى حب الخير وكراهة الشر الخ . وقد اهتدى كبار علماء أوربا الذين قاموا بوضع الدين الطبيعى الى هذه الأصول كما رأيت . وهذا أدل دليل على أنها فطرية أى طبيعية ، وأن النفس تشعر بضرورتها المطابقة حفظا لوجودها .

ولكن الاعتقاد بالله واليوم الآخر ، وبضرورة الأخلاق الخ ، قد جر الناس الى الاختلاف فيها ، والتناحر عليها ، فأيهما على حق وأيهما على باطل ؟

الخطب سهل ، وهو النظر أيها يوافق الطبيعة ، وهى عمل الله ، وأيها يخالفه ؛ والأداة الطبيعية للتمييز هو العقل ، فالذى يوافقه يكون هو الحق .

العقل لا يسلم أن يكون خالق الكون مما يمكن إدراكه بالحواس ، ولا معرفة كنهه بالفكر ، ويرى أنه يجب أن لا يشبهه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أن لا يحاط به علما : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » .

ويرى هذا العقل وجوب الوقوف من جميع المعتقدات عند هذه الحدود الطبيعية ، وأن لا يصار فيها الى ما تستحسنه الأهواء ، أو تصوره الأوهام ؛ وأن لا يعول فيه على التقليد ، ولا على الوراثة ، لأن هذه كلها تفضى الى الأخذ بما لم ينزل به الله سلطانا ، وتكون عرضة للاختلاف والتنابذ بين الناس ، كما هو مشاهد محسوس بين عقائد البشر ، ومراد الله أن يجمعوا على كلمة واحدة لا يتطاول إليها النقد ولا التجريح ، ولا تخالف ما وضعه الله من أداة لتمييز الحق من الباطل .

وقل مثل هذا فى كل ما يختص بسائر المعتقدات ، وهذا هو الذى قرره الاسلام ، فقد دعا الى الله ، وأقام على وجوده الدليل ، فقال : « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ؟ »

ثم أمر أن يرجع الى حكم العقل فى كل ما يندرج فى باب الاعتقادات ، وأن يقام عليه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الدليل ، وأن يتجنب فيه التقليد للآباء ، والتعويل على الأهواء ، والأخذ بالظنون ، فقال تعالى : « لعلكم تعقلون » « إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ، « إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون » ، « ولا تقف ماليس لك به علم » « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » ، « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » ، وقال تعالى فى الكافرين : « إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون » أى يكذبون

ما هو خاص بالمعاملات :

إن ما وضعه الاسلام من الأصول للمعتقدات يسرى على المعاملات أيضا . فقد جعل أساسها العدل الطبيعي المطلق ، لا العدل الانسانى المقيد ، والفرق بينهما أن الأول لا يعتد باختلاف الأجناس والألوان واللغات والأديان والأحوال فالكل فى نظره سواء ، والعدوان فى نظره عدوان بصرف النظر عمن ارتكبه وعمن ارتكب ضده ، وجزاؤه لا يتغير بتغير الأشخاص . وأما الثانى فيفرق بين الناس اعتبارا لكل هذه الفروق .

وقد أمر الاسلام الانسان بالعدل حتى فى مواطن القتال فقال تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » أى ولا تحملنكم كراهتكم لقوم على أن لا تعدلوا فيهم . وقال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »

وأمر فوق ذلك أن لا يجهز على جريح ، ولا يتعقب مهزوم ، ولا يقتل خدمة المحاربين ، ولا يعتدى على الشيوخ ورجال الدين والنساء والأطفال والعبيد ، وأن لا تخرب بلادهم ، ولا تحرق ثمارهم ، وأن يحسن الى أسراهم ، بل أمر أن لا يُسَبوا ، فقد سب قوم قتلى وقعة بدر فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وقال للسابين : « لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شىء مما تقولون ، وتؤذون الأحياء ، ألا إن البذاء لؤم »

إن دينا يأمر أهله بمعاملة أعدائهم على هذا النحو لجدير أن يعتبر مثلا أعلى فى المعاملات ، وأن تتسارع الأمم الى الدخول فيه .

ليس فى الاسلام جزئية من جزئيات المعاملات إلا وأحيطت بمثل هذه التعاليم العالية القدر ، الجديرة بالاكبار والاجلال ، وليس يتسع لنا هذا الفصل لنأتى على تفصيل لهذا الاجمال ، وحسبك أن تعرف ما وصى أهله به فى حالة الحرب لتدرك مبلغ ما وصاهم به فى الأحوال العادية ، فى جميع ضروب المعاملات ، من المساواة والانصاف ، وتجاهل جميع الاعتبارات فى نصرة الحق على القوة ، وتحرى العدل الطبيعي المطلق فى كل حال .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megalla
oldbookz@gmail.com

ما هو خاص بالعبادات :

فى كل الأديان عبادات ، وهى أعمال قصد منها تهيئة الانسان للاتصال بمبدعه فى أحوال خاصة من الركوع والسجود ، أو الامساك عن الطعام ، أو الحج إلى أماكن مقدسة الخ ، وحتى هذه العبادات فى الاسلام تجدها مدبرة تدبيرا بحيث تلائم الطبيعة ولا تشذ عن دائرة الأمور المعقولة . وقد قرر لها الاسلام دستورا عاما يتألف من أصول رئيسية لا بد من مراعاتها فيها ، وهى :

(١) التكليف بقدر الاستطاعة : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها »

(٢) فرضت العبادة لاصلاح الانسان لا لتسخيره ولا إعناته : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » ، « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »

(٣) الضرورات تبيح المحظورات : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه »

(٤) يجب الاعتداد فى العبادات بحالة الانسان من الضعف والقوة ، ومن الصحة والمرض ؛ وبواجباته نحو نفسه وأسرته ومعاشريه ومجتمعه . يفصل لك هذا الاجمال كله ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن عبد الله بن عمرو بن العاص يبالغ فى العبادة . فقال له : ألم أُخبَر أنك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ قال : بلى يا رسول الله وإنى لأطيق ذلك . فقال له : كلا ، بل قم ونم ، وصم وأفطر ، فان لبدنك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ، ولزَوْرك عليك حقا (أى ولزائريك) . الحديث .

(٥) العبادة الروحية والعقلية خير من سائر العبادات . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « درهم من عمل القلب خير من مثل جبل أحد من عمل الجوارح » . وقال : « فكر ساعة خير من عبادة سنة » . وقال : « ما تقرب أحد إلى الله بشىء أفضل من طلب العلم » . وقيل له يوما : ليس فينا يارسول الله من يشبهك فى العبادة غير فلان ، فانه منقطع لها لا يزاول عملا سواها . فقال لهم : فمن يمونه ؟ قالوا : يارسول الله كلنا نمونه . فقال لهم صلى الله عليه وسلم : « كلكم أفضل منه » الحديث .

(٦) كل الأعمال التى يقصد بها الانسان غاية شريفة لنفسه أو لأسرته أو لمجتمعه أو لبنى نوعه ، أو لأى كائن من الكائنات ، يعتبر فى الاسلام من أجل العبادات : كبدء صاحب السلام ، وقضاء حاجة لمضطر ، وتنفيس كربة لمكروب ، وكاماطة أذى عن طريق ، وصلة رحم ، وإسعاف ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حيوان ، وسقى نبات صديان ، الخ الخ ، قال عليه الصلاة والسلام : « إن المرء ليؤجر فى كل شىء حتى فى اللقمة يرفعها الى فى امرأته » .



هذه العبادات كلها أعمال شخصية واجتماعية تعتبر من أخص ما تقتضيه الحياة المدنية ، وقد رأيت أن الاسلام يرفع قيمتها على العبادات البدنية ، ويحض عليها بكل ضروب المغريات الثوابيــة فى الدنيا والآخرة . ومن أعجب ما تقــدمه من الأمثلة على ذلك ما رتبه على تنظيف الاسنان بالسواك ، والاستحمام يوم الجمعة ، من أجل المــكافآت .

أمثال هذه العبادات يستحيل أن تصادف اعتراضا من أحد من المفكرين ، ولا أن تثير شكا فى كونها من أجل العبادات المستوجبة لأرقى الدرجات ، إن أريد بها وجه الله ، فى نظر أناسى قيل لهم إن الفضيلة هى أن تنبذ الحياة المدنية والسياسية ، وأن تذبل فى انتظار الجنة ، كما رأيت ذلك فى مقدمة هذا الفصل .

خلو الاسلام من الآراء الـكهنوتية :

من الشروط التى يرى العلم والفلسفة وجوب توافرها فى الدين الحق ، خلوه من الأساطير والتعاليم الـكهنوتية . وهل شرع الاسلام إلا لتحقيق هذا الغرض نفسه أى لتخليص البشر من سلطان الأساطير القديمة ، والتعاليم التى سنتها طوائف نحلت نفسها حق الوساطة بين الله وخلقه ، فأثقلوا عواتق الشعوب بتكاليف لا تقصد بها إلا تذليلهم لعبادتهم ، وتسخيرهم لخدمتهم ؟ لذلك لم يدع الاسلام وجها من وجوه التأثير فى إسقاط مكانات الأساطير ، ومكانات المسيطرين ، إلا أتى به لاسقاط دولتها ودولتهم ، قال الله تعالى فى الأساطير : « إن يتبعون إلا الظن وماتهوى الأنفس » ، وقال : « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ، إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » . وقال فى إسقاط المسيطرين على الأديان : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » . وليس بعد هذا استفظاع للاستسلام لمدعى الوساطة بين الله والناس . ومما يحسن إيراده فى هذا الموطن أن عدى بن حاتم ، وكان من أهل الـكتاب ، قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ما كنا نعبدهم يارسول الله . قال : أو لم يكونوا يحلون لـكم ويحرمون ؟ قال : بلى . قال النبى صلى الله عليهم : فذاك . أى هو ذاك . ومعناه أن التسليم لهم بحق التحليل والتحريم يعتبر عبادة لهم ، فان ذلك من حق الله وحده .

وقال تعالى : « إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العـذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتَّبعوا لو أن لنا كرة (أى رجعة الى الدنيا) فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار » . وقال تعالى : « وقالوا (أى يوم الحساب) ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والعنهم لعنا كبيرا » . وقال تعالى : « قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار ، كلما دخلت أمة لعنت أختها ، حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم : ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار . قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون » . أى أن لكل من المقلَّدين والمقلدين عذابا ضعفا . ولا مشاحة فى أنه يستحيل أن يؤتى بأبلغ من هذا الزجر فى إسقاط الذين يعطون أنفسهم حق السيطرة على أرواح الشعوب ، وفى ردع الذين يأخذون ما يلقونه اليهم باعتبار أنه واجب الاتباع .

وقد نهى الاسلام عن تقليد أى إنسان كائنا من كان ، إلا بعد محاكمة أقواله الى العقل ، فقال تعالى : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون ؟ » وفى آية أخرى : « قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » .

وقد نبه جميع أئمة المسلمين الى خطر التقليد ، وأهابوا بالناس الى استعمال عقولهم فى كل ما يلقى إليهم . فقال الامام أبو حنيفة : « حرام على من لم يعرف دليلى أن يفتى بكلامى » ، وقال : « هذا رأى أبى حنيفة ، وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب » .

وكان الامام مالك إذا استنبط حكما قال : « انظروا فيه فانه دين ، وما من أحد إلا مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا صاحب هذه الروضة » (يعنى النبى صلى الله عليه وسلم) .

وقال الامام الشافعى لتلميذ له : « يا أبا إسحق لا تقلدنى فى كل ما أقول وانظر فى ذلك لنفسك فانه دين » .

وقال الامام احمد بن حنبل : « انظروا فى أمر دينكم فان التقليد لغير المعصوم مذموم وفيه عمى للبصيرة » .

وقد أجمع المسلمون على ذلك فى كل زمان ومكان حتى يومنا هذا .

* * *

وبعد : فقد ثبت من كل ما مر أن الدين الذى يتطلبه العلم والفلسفة هو الاسلام ، فقد توافر فيه شرطاهما ، إذ ليس فيه كما رأيت إلا قوانين تشعر النفس بضرورتها المطلقة ، وهو مجرد عن الأساطير والتعاليم الكهنوتية ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فرعون

أصل اللفظ ومعناه — أصل الفراعنة — فراعنة الأنبياء
فرعون إبراهيم — فرعون يوسف — فرعون موسى .

١ — أصل اللفظ ومعناه :

قال المسعودى : إنه لا يعرف لفرعون تفسير بالعربية . وقال الراغب : فرعون اسم أعجمى ، وقد اعتبرت عرامته (شدته وتجبره وصعوبة خلقه) فقيل : تفرعن فلان ، إذا تعاطى فعل فرعون . وجاء فى اللسان والقاموس : الفرعنة : الكبر والتجبر ، والدهاء والنكر ، وكل عات فرعون ، والعتاة الفراعنة ، وهو ذو فرعنة : أى دهاء وتكبر . ويقال : فِرعَون على وزن فِعلَون ، وفرعون (بضم الفاء وفتح العين) وفرعون (بضمهما) وهى لغة نادرة .

وهو ممنوع من الصرف فى قول بعضهم ، لأنه لا سمى له ، كإبليس فيمن أخذه من أبلس ، قال ابن سيده : وعندى أن فرعون هذا العلم أعجمى ، ولذلك لم يصرف .

وهو اسم لكل من ملك القبط ومصر فى الزمن القديم ، وقيل : هو لقب لمن ملك العمالقة ، ككسرى لملك الفرس ، وقيصر لملك الروم ، وخاقان لملك الترك ، وتبع لملك اليمن ، والنجاشى لملك الحبشة . وقيل : إنه اسم ذلك الملك بعينه ، وهو صاحب موسى عليه السلام .

والإطلاق الأول هو الأظهر ، لأنه يتفق وما جرى عليه العرف بين المؤرخين قديما وحديثا من تسمية العصر التاريخى الذى يبتدئ بظهور « مينا » وينتهى بانتهاء الأسرة الحادية والثلاثين بعهد الفراعنة ، وتاريخ الفراعنة ، ومن عدم إطلاقهم ذلك على أى عصر من العصور التاريخية الأخرى ، ولأن الواقع يؤيد أن الدول التى ملكت مصر بعد أيام الفراعنة كانت من سلالات أخرى غير السلالة الفرعونية ، وكانت لهم فى الحكم والملك والحضارة صبغة وطابع تخالف صبغة الفراعنة وطابعهم .

٢ — أصل الفراعنة :

هناك آراء كثيرة فى نسب الفراعنة ، وأرجح الآراء الحديثة الرأى ، الذى أخذ به معظم المؤرخين الحديثين ، وهو رأى الأستاذ « برستد » معلم التاريخ المصرى القديم ، وتاريخ المشرق بجامعة شيكاغو ، وذلك أن المصريين الأولين الذين كانوا يقطنون مصر قبل أجداد « مينا » قوم من سكان أفريقيا المعروفين باللوبيين ، أما أجداد « مينا » فقد ثبت أنهم قوم ساميو الجنس ، قدموا إلى مصر من آسيا ، وينسبون إلى سام بن نوح عليه السلام ، ويدل على ذلك أن ماوصل الينا من لغتهم يغلب فيه العنصر السامى على غيره ، وقد امتزج العنصران

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الافريقى والأسيوى ، واندمجت الولايات الصغيرة تدريجيا ، حتى تكونت منها مملكتا الشمال والجنوب ، ولما ظهر مينا تمكن من ضم المملكتين ، وكون منهما مملكة مصرية عظيمة ، كان هو أول الفراعنة الذين جلسوا على عرشها . ثم تتابعت الأسرات والملوك إلى أن انقرضت دولة الفراعنة سنة ٣٤٠ قبل الميلاد ، بعد أن حكموا وادى النيل نحو ٤٠٠٠ سنة

٣ — فراعنة الأنبياء :

ذكر ابن الجوزى أن فراعنة الأنبياء ثلاثة : فرعون الخليل ، وفرعون يوسف ، وفرعون موسى ، وهو فرعون هرون .

وذكر بعض المؤرخين أن سليمان بن داود عليهما السلام تزوج بنت أحد فراعنة الأسرة الحادية والعشرين ، وأتى بها إلى مدينة داود . ولعله لم يعد فى فراعنة الأنبياء ، لأن الأمر لم يزد بينه وبين سليمان على حصول تلك المصاهرة ، بخلاف ما كان بين ابراهيم ويوسف وموسى وهرون وبين فراعنتهم من حوادث سجلها التاريخ ، وعنيت بها الكتب المنزلة .

ونحن متحدثون هنا عن فراعنة الأنبياء بما استطعنا أن نصل اليه بشأنهم ، بعد البحث والاستقصاء ، وبعد الرجوع إلى أهل الذكر فى هذا الموضوع الغامض الدقيق .

٤ — فرعون إبراهيم :

يغلب على ظن الجمهور من المشتغلين بتاريخ مصر القديم بحثا وتأليفا ، أن ذهاب إبراهيم عليه السلام إلى مصر كان زمن أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة ، ويحكى بعضهم إجماع العلماء على ذلك ، ولكنهم جميعا لم يستطيعوا الى الآن إقامة الدليل الكافى على تعيين الملك الذى جاء ابراهيم إلى مصر فى عهده .

فذهب بعضهم الى أنه « أسرتش الأول » ثانى ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وهو الذى أشركه معه أبوه « أمنمحعت الأول » فى الحكم ، بقصد تدريبه على إدارة شئون البلاد ، ومن أشهر آثاره مسلة عين شمس ، وقد بقى فى الحكم من سنة ١٩٨٠ الى سنة ١٩٣٥ قبل الميلاد . وذهب آخرون الى أنه « أمنمحعت الثالث » سادس ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وهو صاحب أعمال عظيمة ، وآثار فخمة ، واستمر فى الملك من سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٠١ قبل الميلاد .

والكتب العربية تدعو فرعون ابراهيم « سنان » ، وتذكر له نسبا يصل الى نوح عليه السلام ، وسنتحدث عن قصته مع ابراهيم حين الكلام على ابراهيم إن شاء الله تعالى .

٥ — فرعون يوسف :

يرجح المؤرخون أن قدوم سيدنا يوسف عليه السلام الى مصر ، وحدوث ما حدث له ، [illegible] الأسرة السادسة عشرة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويذكر بعض المؤرخين المعاصرين أنه لم يبق شك فى أن يوسف الصديق عليه السلام قد دخل مصر فى عهد الأسرة السادسة عشرة .

أما ملوك هـذه الأسرة ، فهم من قوم فاتحين ، أغاروا على مصر حوالى سنة ١٦٥٧ قبل الميلاد ، وهم الذين يدعون باليونانية « هيكسوس » أى الملوك الرعاة ، ويسمون فى الـكتب العربية بالعمالقة .

ولم يعرف من ملوك هذه الأسرة الذين يبلغ عددهم اثنين وثلاثين إلا ملك واحد ، يسمى باللغة المصرية القديمة « إبابى » ، والعرب يدعونه « الريان بن الوليد » ، والمؤرخ مانيتون يدعوه « أبوفيس » ، وهو الذى وفدت فى أيامه السيارة التى باعت يوسف بن يعقوب الى «فوتى فارع» المذكور فى التوراة « فوطيفار » — عزيز مصر .

وقد انتهى أمر يوسف مع هذا الفرعون الى أن جعله أمينا على خزائن الأرض .

٦ — فرعون موسى :

تحدث القرآن عن فرعون موسى أكثر مما تحدث عن غيره من فراعنة الأنبياء ، فذكر قصته فى غير موضع منه ، وعرض لها فى كثير من آياته وسوره ، ولعل السر فى هذا — والله أعلم — هو تبيان ما وقع على بنى إسرائيل فى ذلك العهد من ظلم واضطهاد ، وما أصابهم من بطش وعنف ، وما قاموا به من نضال وكفاح ، وتذكير الناس بفضل الله على عباده ، ورحمته بخلقه ، وتفصيل جهود الأنبياء وما بذلوه من عناء ومشقة فى سبيل تبليغ دعوتهم ، وإيراد هذه المعانى وما يشبهها فى أساليب مختلفة ، وعبارات منوعة ، ليكون ذلك أعمل فى النفوس ، وأملك للقلوب ، وأبلغ فى التأثير .

أدرك موسى عليه السلام عهدى ملـكين من ملوك الأسرة التاسعة عشرة يقال للأول منهما « فرعون الاضطهاد » لأنه اضطهد بنى إسرائيل ، وقسا فى معاملتهم ، وشدد الوطأة عليهم ، ويقال للثانى « فرعون الخروج » لأن بنى إسرائيل خرجوا من مصر فى عهده .

فأما فرعون الاضطهاد ، فهو رمسيس الثانى ، المعروف برمسيس الأكبر ، وقد ولد موسى فى زمنه ، وتربى فى بيته ، بعد أن التقطه آل فرعون من نهر النيل الذى كان قد ألقى فيه بالهام من الله تعالى لأمه ، وكانت قـد وضعته فى سفط من البردى ، لأن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أنه يقى من التماسيح وغيرها من الحيوانات الضارة .

وقـد شيد رمسيس كثيرا من المبانى فى جميع أنحاء البلاد ، ونقش عليها أخبار حروبه وانتصاراته ، فأكسبه ذلك شهرة فائقة فى التاريخ ، جعلت كثيرا من الناس يزعمون أنه أعظم ملوك مصر ، وبلغ من إعجاب خلفه به أن عشرة منهم سموا أنفسهم باسمه على التوالى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكان قد بلغه ما هو مشهور فى بنى اسرائيل يومئذ من أنه سيخرج منهم غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه ، كما كان يخشى أن ينضم بنو إسرائيل الى اعدائه ويمالئونهم عليه إن حدث حرب ؛ خصوصا أنهم صاروا عددا عظيما ، ونموا وتكاثروا ، فاضطهدهم ، وزاد فى تعذيبهم ، وسخرهم فى تشييد المبانى ، واستخدمهم فى أخس الصنائع ، وأدنأ الحرف ، وأمر بذبح أبنائهم ، وطرحهم فى البحر ، واستحياء نسائهم « إن فرعون علا فى الأرض ، وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ، ويستحيى نساءهم ، إنه كان من المفسدين » واستمر فى معاملتهم على هذا المنوال الى أن مات بعد أن حكم ٦٧ سنة .

ومما يعرف عنه أنه كان جميلا وضيئا ، وقد تزوج بكثيرات ولدن له نحو المائتين من الأولاد . وقد دفن فى مقبرة ببيبان الملوك ، ثم نقل الى الأقصر ، لأسباب غير معلومة ، ثم نقل الى متحف بولاق .

وأما فرعون الخروج ، فهو « منفتاح الأول » الابن الثالث عشر لرمسيس الأكبر ، وقد أشركه معه أبوه فى الحكم قبل وفاته ، وأخذ ولاية العهد وهو مسن ، وقد عاصر موسى وهو يتربى فى بيت أبيه .

وكان منفتاح مولعا بتشييد المبانى كأبيه ، وكان يمحو أسماء الملوك من الآثار التى شيدوها وينقش اسمه مكانها ، وقد فعل ذلك بكثير من آثار أبيه نفسه ، ولولعه بتشييد المبانى ، ظل مع بنى إسرائيل على الاضطهاد الذى بدأه أبوه ، ثم أرسل الله إليه موسى وهرون لدعوته الى عبادة الله ، وأظهرا له معجزاته ، فأبى ، فخرج موسى بقومه بنى إسرائيل من مصر ، بعد استئذان منفتاح فى ذلك ، ولكن بعد خروجهم بقليل ندم فرعون على خروجهم ، فجمع فرسانه وجنوده ، وجدّ فى اللحاق بهم ، ليعيدهم الى الذل والعبودية ، فأمر الله موسى أن يضرب البحر ، فضربه فانفلق ، وعبره هو وقومه حتى انتهوا الى الشاطىء الثانى ، فأتبعهم فرعون وجنوده ، فغرقوا فى الجزء الشمالى من البحر الأحمر ، وغشيهم من اليم ما غشيهم ، وأضل فرعون قومه وما هدى ، وقد أظهر الله تعالى بدن منفتاح على وجه الماء بعد الغرق ، ليصدق بنو إسرائيل أنه قد مات .

وقد بنى منفتاح لنفسه قبرا فى بيبان الملوك ، ولكنه لم يدفن فيه ، ووجدت جثته مع غيرها من الجثث فى قبر أمنتحتب الثانى بالأقصر .

ولقد جاء إظهار بدنه ، والعثور على جثته ، ووجودها الآن بالمتحف المصرى ، متفقا كل الاتفاق مع ما أخبر به القرآن الكريم فى قوله : « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية »

ذكرى بسيم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حاول شبهات ضد الاسلام

فى كتاب (مختصر تاريخ العالم)

يوجد كتاب باللغة الانجليزية ، متداول فى مصر وغيرها ، اسمه : (مختصر تاريخ العالم) ، (A short history of the World) لمؤلف يدعى هـ . ج . ويلز ، أتى فيه بنتف من تاريخ الأمم ورجالاتها ، ألم فيه بذكر لمعة من تاريخ الأمة العربية ، صدرها بفصل فى النبى صلى الله عليه وسلم ، قال فيه :

« إنه تزوج بعدد من الزوجات فى شيخوخته . وإذا قيست حياته على العموم بالمقاييس الحديثة ، كانت حياة لا تأخذ بالأبصار . ويظهر أنه كان مركبا من كثير من الغرور والطمع والمكر وخداع النفس ، كما كان مخلصا فى شدة عاطفته الدينية . وقد أملى كتابا من الأوامر والقصص اسمه القرآن ، قال إنه أوحى اليه من عند الله ، إذا نظر فيه من الناحية الأدبية أو الفلسفية كان غير جدير بنسبته إلى الله » .

هذا ما قاله المستر ويلز ، وهو لغو كنا نستطيع أن نمر به مر الكرام ، لأن فى الأرض ألوفا من الكتب تحيط النبى صلى الله عليه وسلم بمثل هذا السقط من الكلام ، وفيما نكتبه كل يوم دحض موجه لها جملة ، لولا أن هذا الكتاب وقع لبعض نجباء طلبة كلية الشريعة ، فرفعوه لحضرة صاحب الفضيلة شيخها الموقر ، وطلبوا اليه أن يعمل على دفع هذه الفرى حفظا لكرامة الاسلام . فكان حقا علينا ، وقد انتشر هذا اللغو بين أيدى الطلبة وغيرهم ، أن نخصه برد حاسم ، فنقول :

هل تعديد الزوجات يقدح فى النبوة ؟

يكثر خصوم الاسلام من ذكر تعديد النبى صلى الله عليه وسلم للزوجات ، ويعتبرونه دليلا على توفره على الشهوات . وقد صرح كثير منهم بأن من كان هذا شأنه لا يصلح أن يكون نبيا . ولو تأملوا لرأوا أنه تزوج أكثر هذه الزوجات لأغراض اجتماعية ، إما لإيواء ذات رحم ، أو لإحداث صلة من الصهارة تفيده فيما هو بصدده من تمكين ربط المجتمع الاسلامى الحديث ، أو لإبطال عادة جاهلية من طريق عملى مؤثر الخ .

على أننا لو جردنا زواجه من جميع هذه الأغراض الجليلة ، فإن تعدد الزوجات فى بيئة كان يربى فيها عدد الإناث على عدد الذكور ، إرباء يجر الى تعطيل عدد من النساء من الزواج ، لا يعتبر عملا شائنا . وقد كانت بلاد العرب ممنوة بالغارات والحروب ، حتى كان يكاد لا ينتهى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الرجال فيها الى عهد من السلام إلا ليستعدوا فيه لغارات أو حروب جديدة . ولا شك فى أن هذه الحالة ، التى دامت قرونا ، تكون قد جعلت عدد النساء فيها أكثر من عدد الرجال ، وهى نتيجة طبيعية لا مفر منها . (راجع كتاب علم الاجتماع للعلامة سبنسر)

على أن المؤلف يدين بالمسيحية ، ويعتد بالتوراة ، وهى تشهد بأن من كبار الأنبياء من عدّد الزوجات حتى بلغ بعضهم بهن مائة زوجة ، فلم لم يشهّر بهم المستر ويلز كما شهّر بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ؟

الغرض من هذا التشهير ظاهر ، ولكن المعول على شهادة الحوادث ، فهل شهدت بأن محمدا كان مشغولا بشهواته ، كما يؤثر عن الملوك الشهوانيين فى التاريخ ؟ التاريخ لا يحابى أحداً ، وقد اعترف بأن محمدا كان يشغل ساعات طويلة من ليله متهجدا ، وكان يطيل فى ركوعه وسجوده الى مايوازى قراءة خمسين آية من القرآن وأكثر ، وكان يستيقظ مبكرا فيصلى بالناس ، وكان ينظر فى شئونهم ومنازعاتهم معظم يومه ؛ أثر عنه كل هذا ولم يؤثر عنه ما عُرف من سيرة الشهوانيين من إهمال الشئون العامة ، وتمضية الليل فى الشرب والغناء ، وسط سرب من النساء . أين هذا من بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كانت فى حقيقتها محاريب للنسك والعبادات ، لا مسرحا للشهوات ؟ إن شئت دليلا على ذلك فاتل قوله تعالى : « يانساء النبى لستن كأحد من النساء ، إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا . وقرن فى بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة ، وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ، إن الله كان لطيفا خبيرا » . فهل هذه بيوت رجل شهوانى ؟ وإن لم تكن البيوت التى يقر نساؤها فيها مشتغلات بالصلاة والزكاة والطاعة ، وتاليات آيات الله والحكمة ، إن لم تكن هذا البيوت بيوت نبى فبيوت أى صنف من الناس تكون ؟

خل هذا جانبا :

خل هذا جانبا ، فالملاحاة فيه لا تساوى قيمة المداد الذى تكتب به ، وهات قول المستر ويلز : إذا قيست حياة محمد بالمقاييس الحديثة كانت حياة لا تأخذ بالابصار ! الخ

لا مشاحة أنه يريد بهذا القول أن حياته كانت ساذجة ، أى حياة فرد من سواد الناس ، ليس فيها ما يأخذ بالابصار ، كما فى حياة الأفذاذ من الرجال إذا قدرت بالمعايير الحديثة ؛ أى أنه لم يكن بالخطيب المفوّه ، ولا بالشاعر الفحل ، ولا بالكاتب المبدع ، ولا بالمشترع المحيط بالأصول ، وكل مافيه أنه كان ذا نفسية مؤلفة من خليط من صفات غير شريفة ، كالغرور وخداع النفس ، ولكنه مع ذلك كان مخلصا فى شدة عاطفته الـ...

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نقول: أما أن حياة محمد الشخصية قبل النبوة، كانت لاتستلفت الأنظار، فصحيح، لأنه عاش أربعين سنة فلم يشتهر بشيء أكثر من أنه كان قويم السيرة أمينا، وهذا من أقوى أدلة المسلمين على نبوته؛ فان رجلا يقضي زهرة الشبيبة، وهي عهد التوثب لبلوغ المجد، والتطلع لتحقيق المطامع، ساكنا وادعا، حتى إذا شارف سن الكهولة، هب بهمة لاتعرف الملل لجمع البشرية كلها على كلمة جامعة، مضحيا في سبيلها بنفسه وماله وصفاء باله، واجدا من جرائها من الاضطهاد وضروب الأذى مالا قبل لأحد على احتماله، في مدة لاتقل عن ثلاث وعشرين سنة، ثم يضطر بعدها لتمضية بقية حياته في جلاد وجهاد لتحقيق مايرمي اليه؛ قلنا: إن رجلا يكون على هذه الشاكلة، لايعقل أن يكون قد صدر في التحول الذي حدث في سيرته، عن هوى في نفسه، أوخبث في طويته؛ ولكن عن أمر جلل، لا يكون أقل من النبوة، لأن ماحققه من الأمور العظيمة في كهولته وشيخوخته، لا يمكن أن يعقل تحققه في مثل تلك المدة اليسيرة على يد رجل ملتاث بأقذاء الغرور والطمع والمكر وخداع النفس، وهي الصفات التي وصفه بها المستر ويلز مؤرخنا مذ اليوم.

ولو كان نشأ محمد على حال تلفت الأنظار من المواهب: خطيبا مصقعا، أو شاعرا مفلقا، أو عالما محققا، لكان المستر ويلز أول من يشك في نبوته، ويرفع عقيرته قائلا: لاجرم أن رجلا يسترعي الأنظار منذ نشأته، فيقرع الأسماع بسحره، ويستهوي النفوس بشعره، لجدير بأن يمتلىء قلبه غرورا، وصدره مطامع، وخليق به أن يستخدم كل وسيلة من المكر والخداع والتزوير ليصل الى التسلط على قومه. فما أعجب حال المستر ويلز وهو يدعي أن محمدا كان مجرداً من كل مايلفت النظر اليه، أن يسرد أعماله، إن كان مؤرخا جديرا بهذا اللقب، من تأليف أمة، ووضع ديانة، وسن قانون، وتحطيم وثنية، ووضع أسس اجتماعية، تصلح لايصال أمته الى خلافة الله في الأرض في سنين معدودة!

إيه مستر ويلز! أين تَثَبُّت المؤرخ الناقد؟ أين تدقيق الاجتماعي الممحص؟ أين تحقيق البسيكلوجي المطلع؟ إن نسبة كل هذه الشئون الجسام، التي حققها محمد صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة، وعجز عن تحقيق واحد منها في مثل درجة الكمال التي هي عليه في الدين الاسلامي أكبر عباقرة الأرض، الى بضع حالات نفسية خبيثة كالتي وصفت بها محمدا جزافا، لايعتبر عملا تاريخيا يوجب الاحترام، ولكنه يعتبر ثمرة لتعصب ديني ذميم، أو لجهل فاضح، لا يصح أن يدرج في صلب التاريخ.

لعل المستر ويلز يتخيل محمدا رجلا دفعته وساوسه في سن الكهولة، أن يقوم بتأسيس دين ليعد في زمرة القديسين، فألف مجموعا من عقائد خرافية، وآداب سطحية، وقام بنشرها بين ظهراني قومه، فاتبعه رجال منهم، فنهض بهم لمقارعة خصومه، وتمكن بعد عدة معارك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من إجبارهم على مشايعته! وغاب عنه ، والهوى يعمى ويصم ، أن الدين الذى أتى به محمد كله مُثُل عليا لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وأن هذا الدين نفسه قد أودع فيه كل مايصلح لتطوير المجتمع الذى يقـوم عليه ، ولم يزل به حتى يوصله لزعامة الأرض فى سنين معدودة . أما رأى أنه قد قامت به أمم وسقطت أمم ، وبعثت به علوم كانت دفنت فأزهرت وزيد عليها زيادات لاتزال محل إعجاب العلماء الى اليوم ، وتغيرت جغرافية العالم تغيرا لم تكابده فى عهد من العهود ، وانتعشت بما أدخل إليها من العناصر المحيية حتى صارت أما للمدنية الحديثة ، إلا ما التاثت به من قشور وبدع ؟ فإذا كان المستر ويلز يورد الى ذهنه كل ماتم على يد المسلمين بسبب الاسلام لخجل أن يصف مثير كل تلك الحركة التى لم تشهد الأمم لها شبيها ، بما وصفه به من الصفات الذميمة ، ولركز بحثه فى هذه النفسية السامية كل السمو ، وهى نفسية محمد التى حملت أعباء الوحى السماوى ، وكانت واسطة فى إيصال كل هذا الخير الى سكان الأرض .

كتاب محمد فى نظـر المستر ويلز :

يقـول المستر ويلز : « وقد أملى محمد كتابا من الأوامر والقصص اسمه القرآن ، زاعما أنه أوحى به اليه من عند الله ، وإذا نظرنا الى هـذا القرآن ، من الناحية الأدبية والفلسفية كان غير جدير بنسبته الى الا له ! »

لا جرم أن هذا أمر يؤسف له ، ويدل إما على تعمد الاستخفاف ، وهو لا يصدر إلا عن تعصب ذميم ، أو على جهل ، وهو لا يغفر لمؤلف فى التاريخ ، والتاريخ فى عرف أهـل العصر الحاضر يقتضى درس العلل الأولية للحوادث الـكبرى وآثارها المترتبة عليها ، وما أدت اليه من الانقلابات فى خلال القرون ؛ ويستدعى تحليل نفسيات الشعوب وقابلياتها ، ونفسيات قاداتها ، ومكانة تعاليمهم من الأصول المقررة ، والحقائق الثابتة .

فأول ما كان يجب على المستر ويلز ، أن يدرس ما كان عليه العرب من الأحوال الاجتماعية ، وما طرأ عليهم بسبب هذا الدين ، وأن يدقق فى معرفة الغايات التى قام عليها هـذا الاجتماع ، وما يحتمل أن تتأدى اليه الجماعة بالاتجاه اليها ، مع عدم إغفال عوامل التطور المودعة فى هذه التعاليم ، وما عسى أن توصل اليه ، وقيمة ما فيه من الآداب والوصايا من علم البسيكولوجيا ، وما يتوقع أن تفضى اليه بالسير عليها ، ومبلغ ما انتهى اليه حالها فعلا ؛ كل هذا أغفله المستر ويلز ، ولذلك لم يتبين له من أمر القرآن إلا ما تلقاه فى المدرسة الأولية التى أمضى أول سنى حياته فيها ، وهو أنه كتاب لا قيمة له ، وضعه رجل عربى لتقوم عليه قبائل بدوية ؛ ولـكن هذا الضرب من التسرع فى إصدار الأحكام ليس من الآداب العلمية فى شىء .

إذا كان القرآن متى نـظر اليه من الناحية الأدبية والفلسفية ، يظهر أنه غير جدير بنسبته الى الله ، فلا يوجد كتاب فى العالم يستحق هذه النسبة . بل لو أنصف المستر ويلز لقال : ما

مجموعة مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbooka@gmail.com

الانسان ليستطيع أن يدرك الفـوارق البينة المحسوسة بين الكلام الإلهى فى روعته وسموه وروحانيته ، وبين الكلام البشرى فى نسبيته وماديته ، إلا بعد نزول القرآن .

نعم ، لأن الأناجيل كتب وضعها رجال معروفون فى سيرة عيسى عليه السلام ، والتوراة كتاب ضاع نصه العبرى وبقيت منه نسخ ، وقد قرر النقد التاريخى أن الذى وضعه كتّاب متعددون فى أزمنة مختلفة . فليس فى الأرض غير القرآن حفظ النص الذى أذاعه من أنزل اليه ، باعتبار أنه الوحى الأخير للعالم بأسره .

يدعى المستر ويلز أن القرآن من الناحية الأدبية والفلسفية غير جدير بنسبته الى الله ، وإنما يصح هذا لو كانت آدابه وفلسفته تنم عن قصور لا تتنزه عنه البشرية ، وقصر نظر ملازم لها ، وخاصة فى عهد نزوله ، وفى بيئة لاعهد لها بعلم ولا فلسفة ؛ فما قولك وآداب القرآن وفلسفته قد بلغتا النهايات القصوى التى لا مذهب بعدها لسمو ولا لإطلاق ؟

ماذا عسى أن يتخيل أرفع الناس خيالا من السمو الأدبى فوق قوله تعالى : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد » ، وقوله : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » وقوله : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

فأنت ترى أن الإسلام يُعنى كل العناية بقلب الانسان ، ويوجه اليه كل اهتمامه ، حتى لم يجد القلب فى كل تاريخ البشرية من عُنى به هذه العناية ، وهذه النزعة هى لب أرفع مذهب إصلاحى اليوم . وقد تابع الاسلام طريقته فى هذا الأمر الجلل حتى علق النجاة فى اليوم الآخر على سلامة القلب ، فقال تعالى : « يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم » ، ومدح بسلامته أنبياءه فقال : « وإن من شيعته لإبراهيم ، إذ جاء ربه بقلب سليم » .

وهل يستطيع متحد أن يأتى فى باب العدل بما هو فى درجة قوله تعالى :

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » . ولكن أى عدل ؟ العدل المطلق الذى لا محاباة فيه للذات ، أو لأحب الناس اليها ، قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط (أى بالعدل) ، شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » .

ولو شئت استيعاب كل أمهات الآداب التى وردت فى القرآن ، وأريد منها نهاياتها البعيدة ، التى لم يصل لإدراكها الانسان إلا بعد أن بلغ من التطور الأدبى والعلمى الى الحد الذى وصل اليه فى هذه القرون الأخيرة ، لاستدعى ذلك منى سفرا كبيرا ؛ بَلْهَ الأصول الأولية التى تعتبر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

آساسا لآخر طور من أطوار الفلسفة ، وبها تم للعقل البشرى إدراك الوجود والحياة على الوجه الذى يحسب تتويجا لجهود جبارة ، بذلها العلم فى اماد طويلة ، كقوله تعالى : « ولن تجد لسنة الله تبديلا » ، وقوله : « إنا كل شىء خلقناه بقدر » ، وقوله : « فماذا بعد الحق إلا الضلال » وقوله : « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس » وقوله : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » وقوله : « ولا تتبع الهوى فيضلك » ، وقوله : « ولا تقف ما ليس لك به علم » ، وقوله فى لا نهائية العلم : « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر (أى من مداد) ، ما نفدت كلمات الله » ، وقوله : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » ، وقوله : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ، وقوله : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وقوله : « قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » ، وقوله : « ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » ، وقوله : « يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم » ، وقوله : « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد » وقوله فى بر الأبوين : « فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما » ، وقوله : « وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إلى ، ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » ، وقوله : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » ، وقوله : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم (أى من أهل الملل الأخرى) ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين » الخ مما يملأ ما بين دفتى كتاب ضخم .

فاذا كانت هذه الأصول التى جاءت منثورة فى القرآن ، وكان كل منها مظهراً لعبقرية أدبية أو فلسفية أو علمية قام لها الناس وقعدوا ، وهللوا فى إبان ظهورها وكبروا ، ليست فى رأى المستر ويلز ذات شأن يذكر ، فليس يوجد فى الكون كله شىء يذكر . وإذا كانت هذه الأصول ، وكلها فتوحات علمية وصل اليها الناس بعد أن كدت عقولهم بحثا وتنقيبا ، لا يصلح أن ينسب الكتاب الذى جاء بها جملةً الى الله ، فأى كتاب يصح بعد ذلك أن ينسب إليه ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشعوبية وأثرها فى الادب العربى

بزغت أقمار الاسلام ساطعة فى أرجاء الجزيرة فبددت منها سجوف الجهالة ، وهتكت حجب الضلالة ، ومزقت شمل الهمجية ، وأشعت شموسه مرسلةً أشعتها الذهبية على ما جاور الجزيرة من أقطار ، فغدت مبعث الحضارة ومنبع المدنية ، ومهد العلم ومباءة العرفان ، وكان طبعيا أن يمر بأوهام العرب طيف الإدلال ، وتتمثل فى نفوسهم هواجس الاعتزاز ، وتتملك وجوههم حرارة النعرة ، وتتسلط على قلوبهم كبرياء الأنفة . والقارىء يعرف سلمان الفارسى وصهيبا الرومى وبلالا الحبشى ، وثلاثتهم من أجلاء الصحابة ، وكل منهم ينتسب الى أمة عظيمة لها ماضيها الحافل بشتى العبر ، وكل منهم له مكانة عظمى ومنزلة سامية فى تشييد أركان الاسلام ، والإعلاء من كلمته ، والعمل على رفعته ، وما كان لهم من اعتزاز إلا بالاسلام . وكيف يعتز الفارسى بفارسيته ، والرومى بروميته ، والحبشى بحبشيته ، وهم بين قوم عظيمى الفخر بعربيتهم ، شديدى الأنفة على غيرهم ؟ !

بالرغم من أن الدين الاسلامى قضى على هذه العصبية الجنسية الشائنة ، ولم يقم وزنا لغير المكانة الدينية ، فقد ظهرت النعرة العربية بمظاهر شتى ، واقتضت أن تنشأ أمامها مايقابلها من النعرات الجنسية المختلفة ، ولكنها لم تتجاوز مجال الأدب ، وبقى جثمان المجتمع الاسلامى سليما من التحلل بسبب التعصب للجنس .

ومن عنده إلمام بطبائع البشر وما لصق بها من غيرة متوقدة ، آمن معى بأن الشعوبية مظهر كان لابد من وجوده فى شكله الذى كان عليه أو فى شكل أشد وأعظم . والشعوبية : اسم لهذا الفريق من الناس الذين ذهبوا الى تحقير شأن العرب وتصغير أمرهم ، ورأوا أن لا فضل لهم على غيرهم ، ومنهم من سوّاهم بسواهم من الأمم والشعوب ، وهؤلاء يعتبرون من معتدليهم ، وحجتهم أقوى من حجة متطرفيهم .

منشأ تلك الشعوبية المتطرفة فيما يحدثنا التاريخ ، أن زياد بن أبيه لما استلحقه معاوية بأبى سفيان ، علم أن العرب لا تقر له بذلك مع علمهم بنسبه ، فأثار ذلك مكامن الغيظ من نفسه ، وألهب نيران الحقد فى قلبه ، وأوغر من صدره فسيحا ، وأوجع من فؤاده سليما ، وصار يتلمس الطريق الى تنقيص العرب والتهوين من شأنهم ، والحط من مكانهم ، فألف كتاب المثالب وأودعه ما شاء أن يودع من عيوب العرب ونقائصها ؛ وأنت تعرف زيادا فى بلاغة قوله وذلاقة لسانه ، وأنه إذا قال أبدع ، وإذا قرص أوجع ، وإذا ابتدع بدعة لم يعدم الأنصار والشيعة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الذين يلفون لفه ، وينتهجون نهجه . لذلك ثناه الهيثم بن عدى ، وكان فى قومه دعيا ، فأراد أن يعر أهل الشرف ، ويلصق بهم الشرور ، وينحلهم الافك والبهتان ، تشفيا منهم وإشباعا لنهم الحنق والحقد اللذين أقضا مضجعه ، وأسهرا عينيه ، وآلما نفسه . وقد كان أبو عبيدة معمر ابن المثنى يهودى الأصل ، أسلم جده على يدى بعض آل أبى بكر ، فانتمى إلى ولاء تيم ، فنزع هذا المنزع ، وسار تلك السيرة مجددا فيها وزائدا عليها . وقد أدلى ابن غرسية دلوه فى الدلاء فأنشأ رسالته الفصيحة فى تفضيل العجم على العـرب ، وقد تكفل بنقضها والرد عليها بعض علماء الأندلس فى عدة رسائل سنذكر لك طرفا منها عند المناسبة فى موضع آخر . ثم نشأ غيلان الشعوبى الوراق ، وكان متزندقا ، فعمل لطاهر بن الحسين كتابا خارجا عن آداب الاسـلام ، بدأ فيه بمثالب بنى هاشم ثم بطون قريش ، ثم سائر العرب ، وألصق بهم كل نقيصة ، وأجازه طاهر عليه بثلاثين ألفا . وكان هشام بن عبد الملك قـد أمر النضر بن شميـل وخالد بن سلمة المخزومى فوضعا كتابا فى مثالب العـرب ومناقبها ، وليس لقريش فى هذا الـكتاب ذكر ، وذلك أنه قال لهما ولمن لف لفهما : « دعوا قريشا بما لها وما عليها » .

ذلك إلماع مجمل الى أطوار الشعوبية التى مرت بها ، وها أنت ذا تراها حلبة تسابق فيها بعض ذوى اللسن والبيـان ، كل يجلى عن غرضه ، وينافح عن معتقده ، ويلصق بصاحبه ما واتته به عبارات الهجر والإقذاع ، ويظهره ماحلاً من كل فضل عاريا عن كل خير ، مقفرا من كل جميل ، من ذلك ماروى عن بديع الزمان الهمذانى أنه قال : كنت عند الصاحب كافى الـكفاة أبى القاسم اسماعيل بن عباد يوما وقـد دخل عليه شاعر من شعراء العجم فأنشده قصيدة يفضل فيها قومه على العرب ويذمهم ، وهى :

غنينا بالطبول عن الطلول ... وعن عَنْس عُـذافرة ذَمول
فلست بتارك إيوان كسرى ... لتوضح أو لحـومل فالدخـول
وضب بالفـلا ساع وذئب ... بها يعـوى وليث وسط غيل
يسلون السيوف لرأس ضب ... حراشا بالغـــداة وبالأصيل
إذا ذبحوا فذلك يوم عيـــد ... وإن نحروا فـفى عرس جليل
أما لو لم يـكن للفرس إلا ... نجار الصاحب القرم النبيـل
لـكان لهم بذلك خـير فخر ... وجيلهمُ بذلك خـــير جيل

فلما وصل الى هـذا الموضع من إنشاده أمر الصاحب : وكان من أصل فارسى ولـكنه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كان يكره هذه النعرة الجنسية المخالفة للاسلام ، بديع الزمان الهمذانى ، وكان من أصل فارسى مثله ، أن يرد عليه ، فالتفت للشاعر وقال :

أراك على شفا خطر مهول ... بما أودعت لفظك من فضول
تريد على مكارمهم (١) دليلا ... متى احتاج النهار الى دليل ؟

الى أن قال :

فخرتَ بملء ماضغتيك هُجْراً ... على قحطان والبيت الأصيل
وتفخر أن مأكولا ولبسا ... وذلك فخر ربات الحجول
ففاخرهن فى خد أسيل ... وفرع فى مفارقها رسيل
وأمجد من أبيك إذا تزيا ... عراة كالليوث على الخيول

ثم صرف الصاحب بن عباد ذلك الشاعر جاعلا جائزته جوازه .

أحمد ابراهيم موسى البارودى

(١) فى الاصل (مكارمنا) ولا يصح ذلك لان الهمذانى نفسه كان فارسيا .

ما قيل فى الزهد

قال حكيم : ليس الزاهد فى الدنيا من زهد فيها وقد أعرضت عنه ، ولم تمكنه من متاعها ، وضاقت عليه مع اتساعها ، وهو مضطر الى ذلك ، لظهور عسرته ، ونفود يسرته ، وإنما الزاهد فى الدنيا من أقبلت عليه ، وحشدت فوائدها اليه ، وحسنت له فى ذاتها ، وأمكنته من لذاتها ، فأعرض عنها ، وزهد فيها .

ومن أحسن ما قيل فيها شعرا قول ابن عبد ربه صاحب العقد .

إلا إنما الدنيا غضارة أيكة ... إذا اخضر منها جانب جف جانب
هى الدار ما الآمال إلا فجائع ... عليها وما اللذات إلا مصائب
فكم سخنت بالأمس عين قريرة ... وقرت عيون دمعها الآن ساكب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة ... على ذاهب منها فإنك ذاهب

نقول : وليس الغرض من الزهد فى الدنيا أن يترك الانسان الجد والعمل ، ويلتحق بأهل الكسل ، فان المرء خلق ليفيد وينفع ، فان قنع بأن يعيش غير مفيد فانما قنع بالدون ، ورضى بالهون . وإنما الغرض من الزهد أن يمرس الانسان نفسه على احتقار لذاتها وهى ممكنة له ، ليحصل من وراء ذلك قوة روحية ترفعه الى المكانات العلى .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

معرض الآراء العالمية فى الاسلام والمسلمين

الصحراء والاسلام

نشر المسيو (دنيه بوتييه) فى جريدة (لاكروا) أى الصليب التبشيرية مقارنة بين البدوى المسلم والأوربى منبها على أسباب فشل الجماعات التبشيرية . قال :

« البدوى رجل يعيش فى الشظف والخشونة ، ولا يحاول أن يمتع نفسه بأشياء لافائدة فيها . وهو لوجوده فى بيئة مناوئة له ، يعرف كيف يكتفى من الغذاء بقبضة من التمر أو قليل من الكسكسى وجرعة من الماء الأجاج . والعناية التى يتقاضاها منه قطيعه الصغير لا تشغله وقتا يذكر . وهو لأجل أن يُعمل تصوره لا يجد أمامه غير المظهر الفخم للطبيعة ، وهو مظهر ثابت ويتجدد على توالى الأيام والليالى . فاذا كان وقت القيلولة حيث يشتد قيظ الظهيرة ، والشمس ضائعة وسط لهب يأخذ بالأبصار ، والأشياء القليلة الموجودة حوله كأنها ذائبة فى لألاء تفوق قوته البصرية ، والسكون شامل فيما حوله ، فى هذه الحالة التى يسمع البدوى فيها دقات فؤاده ، بأى شىء يشتغل فكره إن لم يكن فى مبدءه وفى ديانته ، وهما الموضوعان اللذان يعطفه لسانه نحوهما على الدوام ؟

« أراد البدوى أن يكون حاصلا على هذا الوصف أو لم يرد ، فهو رجل تأمل وتدبر بضرورة الحال .

« يؤدى البدوى كل يوم خمس صلوات يكرر فيها الركوع والسجود أمام مولاه . ويؤدى فى كل سنة صوما لا يحسب صومنا إذا قوبل به شيئا مذكورا . فاذا يقول أكثرنا نسكا وتقوى إذا فرض عليهم أن لا يأكلوا شيئا ، وخاصة أن لا يشربوا جرعة ماء ، من لدن الفجر الأول الى المساء ، فى إقليم شمسه تحرق الأجسام ، ورياحه تجفف الرطوبات .

« إن لهجة البدوى نفسها تنم عن اشتغال باله بالأمور المتعلقة بما فوق الطبيعة . فهو ليس عنده مستقبل ، فكل ما يختص به متوقف على إرادة الله وإذا أراد الاعراب عن فكرة تقتضى تعيين زمان معين ، عين لها زمانا لا هو بالحاضر ولا هو بالماضى فقال : إن شاء الله .

« وهو عادة لا يقول : سأفعل ذلك غدا ، ولكنه يقول : أفعله إن شاء الله .

« فما أعظم الفارق بين المسلم وبيننا ! المسلم يعيش فى الدقيقة التى هو فيها ، أما نحن فلا يكون لوجودنا معنى إن لم تكن لنا نوايا نرجو تحقيقها !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« وهناك عبارة أخرى تتردد على شفاه المسلمين كثيرا وهي : بسم الله . فلا تصادف مؤمنا يشرع في أي عمل كان دون أن ينطق بهذه الكلمة الدالة على الصلاح .

« سكان المدن منهم يقسون على عجل الأسلوب الديني ، ولكن اليك ما قاله لي رجل من قبيلة وادي السياح ، وقد كنت اتخذته دليلا في رحلتي . قال :

« أنا سعيد بعودي الى البلد ، لأني لما كنت بالصحراء كنت لا أرى الله إلا كما يرى الأعمى موقد النار ، بتأثير الحرارة التي تنبعث منه »

« وكان هذا العربي رجلا من عامة الناس لا يحفظ من القرآن إلا الآيات التي يحتاج إليها في تأدية الصلاة .

« ليس من غرضي أن أمدح الاسلام فان سهولة الأخلاق فيه ، وغلوه في بث الاعتماد على الله في القلوب ، كثيرا ما يفضي الى المذهب الجبري ويؤثر تأثيراً سيئاً في العقول الساذجة ، ولكن أليست البيئة التي يعيش فيها البدوي هي السبب في إكسابه روحا دينية .

« إن تحويل البدو الى مدنيين يؤدي الى تجريدهم من إيمانهم الفطري دون أن نعوضهم منه دينا آخر ، وهذا التقصير له سببان أولهما أن الحكام لا يعنون به ، وثانيهما قلة عدد الدعاة ، ولو كثر عددهم لما تقدمت الكاثوليكية عن موقفها الحالي ، لأن الاسلام يحمل في جوهره ، بالاستقلال عن روحه الحربي الذي يدفعه الى الجهاد ، مناعة تجعل كل دعوة تبذل ضده عادمة الجدوى . وهذا ما أحسن بيانه الكاردينال (لافيجري) فيما بذله من النصح لأتباعه المتدينين إذ قال : « كونوا مثالا حيا لعقائدكم مائة سنة ، ثم اشرعوا في دعوة الناس للتمسك بها بعد ذلك » .



(مجلة الأزهر) مضت على الدعوة المنظمة التي يقوم بها دعاة المسيحية في بلاد المسلمين نحو قرن ، وقد أنفقوا في هذه السبيل مئات الملايين من الجنيهات ، ولم يحصلوا من ورائها على طائل . ولكنهم لم يقلعوا عنها ، لا بسبب أنهم يرجون أن يصادفهم الحظ فتثمر دعوتهم في المسلمين ، ولكن هنالك اعتمادات مالية خاصة موقوفة على بلدان معينة لا بد من إنفاقها فيها سواء أجدت مساعيهم أم لم تجد .

أنا لا أدري والله أية حال يرجى أن يكون عليها أهل بداوة ، أفضل مما عليه البداة المسلمون . لقد وصفتهم جريدة الصليب بأنهم متحلون بروح دينية قوية ، وأن ألسنتهم لا تفتر عن ذكر الله ، وقلوبهم لا تني في تمجيده ، وأنهم صلاب في عقائدهم حتى لا يستطيع أن يستهويهم دعاة يلوحون لهم بالمتع الجسدية ، والمسولات المادية ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إذا كانت بعض البيئات من جشوبة الطبيعة ، وممحولة التربة ، بحيث لا تمكن الحياة فيها إلا فى حالة بدوية ، أيفضل أن يكون أهلها على الطريقة التى عليها بداة المسلمين ، أم على الطريقة التى عليها بداة الوثنية ، أو أية ملة من الملل المعروفة الذين لا يعرفون الله ولا يشتغلون بغير السكر والفسق والاباحة وسفك الدماء وارتكاب المنكرات ، التى يترفع عن مثلها الحيوان الأعجم ؟

فى جميع قارات الأرض إلا أوربا بداة غير مسلمين ينقل عنهم من المنكرات والفظاعات ما تقشعر الأبدان من سماعها ، أفليس من مصلحة النوع الانسانى أن يكون جميع أهل البداوة مسلمين ، على مثال بدو بلاد الجزائر التى روت جريدة الصليب عنهم ما رأيت ؟

تدعى جريدة الصليب أن فى الاسلام روحا حربية تدفع دائما الى الجهاد ، ولا ندرى من أين استقت هذا العلم ؟ أمن قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع ، وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلات وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

أم من قوله تعالى : « فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، وإن أرادوا أن يخدعوك فان حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ؟ .

لقد أكثر الأوربيون من اتهام الاسلام بالاغراء على الغزو ، وقد شهد مؤرخوهم أن الشعوب لم تر فاتحين كالمسلمين فى عطفهم على المقهورين ، ورحمتهم بالمستضعفين ، وإن البلاد التى افتتحوها حيي مواتها ، وازدهرت مدنيتها ، ودخل أهلها فى دينهم بدون دعوة منظمة ، كالتى صحبت الجيوش الأوربية فى العالم الجديد حتى أبادوا فيها أمما برمتها ؟

ألا ينظرون الى ما أحياه الاسلام من العلم ، وما أقامه من المدنية ، وما بثه فى عقول مئات الملايين من الحكمة ، ليكفوا عن دعايتهم السيئة ضده ؟ ألا إن اليوم الذى يزول فيه الاسلام من الأرض يزول كل خير فيه . وهيهات : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره » .

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نظام الوقف فى الاسلام

وآثاره المترتبة عليه

تحدثنا فيما سبق عن الاستحقاق وآثاره وأسبابه ، ونعرض الآن بقدر لمسألة اختلف عليها العلماء جد اختلاف ، وهى أن يقف الواقف على نفسه ابتداء أو على غيره ابتداء ثم من بعده أو من بعد غيره يقفه على جهة بر لا تنقطع .

فلو جعل الواقف لنفسه عينا ابتداء ثم من بعده جعلها لجهة سماها فى إشهاد وقفه أو فعل بغيره مافعله بنفسه ، وقع الوقف صحيحا عند الامام أبى يوسف ، وغير صحيح عند الإمام محمد . واحتج محمد للبطلان بحجج منها أن تمليك الانسان ماتحت يده لنفسه لا ينجو من تعسف كالصدقة المنجزة ، فقد منع العلماء اتفاقا أن يتصدق الانسان بمال على نفسه وهو مملوك له ، فكيف يباح بعد هذا المنع اتفاقا فى مادة الصدقة المنجزة أن يقف الواقف مايملكه على نفسه ابتداء ؟ أليس هو فى هذه الحالة قد قطع سبيل الانتفاع على الفقراء ، وأحال لنفسه ما للفقراء والمحرومين فيه نصيب .

أما أبو يوسف رضى الله عنه فقد أجاز وقف الواقف على نفسه ابتداء ثم منع ما استدل به محمد من أن وقف الواقف على نفسه ابتداء معناه تمليك مايملكه إلى نفسه وأنه كالصدقة المنجزة ، لأن إحالة الوقف إلى الله عند أبى يوسف معناها انتقال الملكية من الله إليه فى كل غلة الوقف أو بعضها ، ولأن وقف الواقف بعض غلة العين الموقوفة أو كلها ابتداء على نفسه ليس معناه تمليك النفس ماكانت تملكه الذى هو عبارة عن تحصيل الحاصل ، بل معناه استعارة غلة الوقف على أية صورة من صورها من الله للواقف ، وهذا لاتعسف فيه بل هو واقع وجائز ، فقد نقل العلامة ابن الهمام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل من صدقته الموقوفة على المسلمين ، والأكل منها فى جانب النبى صلى الله عليه وسلم أمارة جوازها ، بل قد ثبت بعد ذلك أن عمر رضى الله عنه وقف عينا ثم أكل منها طيلة حياته ، وثبت أن كثيرا من أئمة المسلمين وسراتهم انتفعوا من أموالهم الموقوفة واعتبروها مستغلا يجرى عليهم منه بر غير قليل ، وقد اتفق العلماء على أن الواقف إذا وقف سقاية أو وقف أرضا وأقام فيها مقبرة أو أقام عليها مستشفى أو معهدا ثم أراد الانتفاع بكل هذه المؤسسات فليس بممتنع عليه شرعا إذا اشترط لنفسه أن يشرب من هذه السقاية أويتعلم فى ذلك المعهد أو يدفن فى تلك المقبرة أو يتطبب بذلك المستشفى ، لأن الوقف فى معناه ومدلوله التقرب الى الله

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فاشتراط الواقف حبس الموقوف على نفسه كله أو بعضه لا ينفى معنى هـذه القربة بل يزيدها توثقا عند الواقف ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نفقة الرجل على نفسه صدقة » . وأية صدقة أبلغ فى النفس أثرا وأرفع فى الناس ذكرا من صدقة يأكل منها منشؤها ويسد بها مرافقه فى ذات نفسه .

وقد فرع علماء الفروع على مذهب أبى يوسف رضى الله عنه تفاريع كثيرة ، فنقل صاحب الاسعاف : لو وقف الواقف عينا مؤبدة على جهة من جهات الخير ثم شرط لنفسه فى إشهاد وقفه أن ينفق من هذه الغلة عليه وعلى خدمه وحشمه وأولاده مدة حياته ثم انحازت اليه الغلة ووضع يده عليها لأنه هو الذى يقوم بتنفيذ شروطه ثم مات بعد تحصيل هذه الغلة فى بيته ، فالقول المفتى به أن هذه الغلة تصير بموته مما يورث عنه ، فتصبح حقا للورثة تلقوه عن مورثهم باعتباره مالكا لهذه الغلة لا واقفا ، لأنه حين وضع يده على غلة العام أو العامين أو الأكثر منهما ، فقد نفذ ما شرطه ، فكان ملكا له داخلا فى حيازته يتصرف فيه تصرف المالك ، فليس فى ميراثه عنه نبو عن الجادة الواضحة ، وخروج عما التزمه فى كتاب وقفه .

ولهـذا البحث فروع يجب استيفاؤها والكشف عنها فى صورة تحقق رغبات القارئين والباحثين ، فالى عدد تال إن شاء الله ؟

عباس طه

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

استدراك

فى التعليق الذى ذيلنا به مقالة الأستاذ الدكتور غلاب فى العدد السابق وجهنا النقد الى المسيو كارادى‌فو وحقه أن يوجه الى إرنست رينان ، فليصحح الاسم .

وجاء فى العدد السابق أيضا ص ١٧٩ س ٤

خويلد والصواب : وهب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حكم الشريعة الاسلاميه

فى تنظيم النسل

من الآراء المقررة عند المسلمين أن الشريعة الاسلامية يتسع صدرها لكل جديد من الانقلابات الاجتماعية ؛ وأنها مرنة الى حد أنها تساير كل تطور تدخل فيه الأمم سواء أكانت محفوزة اليه بالعوامل الطبيعية أم بتغير وجهات النظر تحت تأثير تقدم العلوم والفلسفة ؛ وأن أئمتنا الأولين قد استنبطوا أحكامها من الوحى الالهى وهم على أكمل ما يكونون من استقلال الرأى ، وحرية البحث ؛ وأن الأصول القرآنية التى أسسوا نظرهم عليها تسمح بالجولان فى كل نواحى الممكنات ، بل تدعوهم الى الجولان فيها لتقرير ما يصلح لكل الانقلابات الاجتماعية ، والتطورات الفكرية ؛ وأنه لا توجد أصول تشريعية وضعية تبلغ مبلغ الأصول القرآنية فى دفع صاغة النظم الى الاحتياط لجميع الطوارىء ؛ وأن المشترع العصرى لو اتخذ هذه الأصول مرجعا له لتمكن من وضع نظم لجميع ضروب المعاملات الفردية والدولية تبز جميع ما هو موجود منها الى اليوم .

هذه آراء اسلامية مقررة عند المسلمين تقرر العقائد الأولية ، ولكن ربما كان يضطر الذى يريد التدليل عليها ، فى مضطرب هذه الخلافات المذهبية ، الى كتاب ضخم يثقل على الناس أن يقرأوه ، فماذا كنت قائلا لو تسنى ذلك كله فى رسالة لا تزيد عن أربعين صفحة صغيرة مطبوعة بأحرف كبيرة ، وفى موضوع جديد لم تكن له دعوة إلا منذ عشر سنين ، ألا وهو مشروع تنظيم النسل .

هنا قد يدهش الكثير من القراء ويقولون : وهل بلغ جولان مشترعى المسلمين فى صميم الشئون الانسانية الى هذا الحد ؟ وهل يروى عنهم فيه كلام يستسيغه باحثو هذا الزمان الأخير ؟

لست أستطيع أن أبلغ بك من الاقتناع بالجواب ما تبلغه بقراءة هذه الرسالة ، فهى جديرة بالقراء لاعتبارات كثيرة أهمها وأعظمها عائدة ، التدليل على صحة آراء المسلمين المقررة فى شمول شريعتهم لكل الشئون الانسانية والاجتماعية ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

إن صاحب هذا التوفيق هو حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ العلامة الشيخ محمود شلتوت المفتش بالأزهر والمعاهد الدينية ، فقد سلك فى وضع هذه المسألة وترتيب نواحى البحث فيها ، وإيراد الآراء المختلفة عليها ، مسلك العلماء المعاصرين ، فلم يدع للقارىء حاجة الى بيان غامض ، أو كشف مستور ، أو إيضاح مبهم ، إلا أتى به مصاصة سائغة فى عبارات تعتبر غاية فى البراعة والوضوح .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإنى إكبارا للآثار التى أتوقعها من وراء نشر هذا العمل الفخم، للاعتبارات التى ذكرتها فى مقدمة هذا الكلام أعرض على القراء عنوانات فصوله وهى : مسألة تحديد النسل قديماً وحديثاً، من له حق الولد ؟ الرأى الأول . الرأى الثانى . الرأى الثالث . الرأى الرابع . حكم إسقاط الحمل . الفقهاء يعترفون بحياة مادة التلقيح . الفقهاء وحق الأمة فى النسل . الشريعة وحق الأمة فى النسل . الشريعة وكثرة النسل . الشريعة لا تعجبها الكثرة الهزيلة . الشريعة تطلب كثرة قوية . سبيل الكثرة القوية . واجب الأغنياء والحكومة فى مساعدة الفقراء . مسئولية الحكومة شرعا عن حوادث الفقراء . خاتمة .

من طرائف هذه الرسالة ما كتبه فضيلة المؤلف تحت عنوان : (الشريعة لا تعجبها الكثرة الهزيلة) .وانا لنتحف القارىء بأطروفة منها قال الاستاذ :

« وإذا التقت الشريعة والطب فى هذه الناحية، فهما يلتقيان مرة أخرى فى ناحية وجوب دفع الضرر الذى يلحق الزوجة أو الأمومة من جراء إطلاق الحرية فى تحصيل النسل وكثرته، فكما أن الطب لا يقر حملا فيه إضرار بالمرأة أو بالنسل، وتوافقه الشريعة فى هذا، فالشريعة أيضاً لا تعجبها كثرة هزيلة، ولا تقيم لارتفاع نسبتها فى التعداد وزنا، ولا يتخذ منها النبى الكريم مبعثاً للمباهاة بها، بل بالعكس مقت الشريعة هذه الكثرة وتحقرها؛ يشير الى هذا ما صح فى دلائل النبوة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الآكلة الى قصعتها فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا، بل أنتم كثيرون، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قال قائل : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » يشير الحديث الى أن الكثرة التى تملكها عوامل الضعف كثرة لا خير فيها . وكما تكون عوامل الضعف من الجانب الخِلقى، فهى تكون فى الجانب الخُلقى . والوهن كما يبعثه الجبن والبخل يبعثه ضعف البدن، فلا خير فى أمة ذبلت أبناؤها، كما لا خير فى أمة حرمت فضيلة الشجاعة وحرمت فضيلة البذل والسخاء .

« إن الشريعة فى الوقت الذى حثت فيه على كثرة النسل إنماء للامة وتكوينا لقوتها، قضت بصيانة هذه الكثرة من الضعف، ومن أن تكون غثاء كغثاء السيل » .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة المحمـــدية

تحت ضوء العلم والفلسفة

نصيب العالم من رسالة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم

لو كانت الحركة التى أحدثها الاسلام انحصرت فى بيئتها التى نشأت فيها ، لما ساغ لنا أن نذكر نصيب العالم منها ، ولـكنها كما يعلم الناس كافة ، ما عتَّمت بعد انتقال النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، أن اجتازت حدود البلاد العربية شمالا وشرقا وغربا وجنوبا ، متخطية جميع الحـوائل التى وضعت أمامها ، وكانت سببا مباشرا لتغيير خريطة العالم فى مدة لا تزيد عن ثمانين سنة .

لو كانت هذه الحركة ذات صبغة استعمارية باحتة ، لانحسرت بعد بلوغ شوطها الأقصى ، تاركة وراءها أحاديث الفظائع التى ارتـكبت لتدويخ الأمم ، ولسلبها ما بأيديها من المال والعتاد ، كـكل حركة من هذا النوع حدثت فى خلال العصور ؛ ولـكن هـذه الحركة لم تسكن حتى بعد وصول الفتوحات التى اقتضتها الى نهايتها التى قدرت لها ، بل حتى بعد طروء الضعف والفتور على بنية الدولة الاسلامية التى تمثلها ، ويجب أن أقول : حتى بعـد أن ضاع استقلال أكثر الممالك الاسلامية ، واشتد كـلَب الدعاة على أهلها فى جميع البلاد الشرقية . وهذا يدل دلالة لا تقبل النقض على أن قوامها عنصر أدبى له وقع عظيم فى النفوس ، لبقائه مؤديا مهمته فى أثناء دور الفتور الذى أصاب جماعته ، وقـد شوهد أنه اشتد وازداد سلطانا على العقول ، عندما بلغ هذا الفتور أقصى درجاته فى القرن الأخير .

هذا موضوع دراسة علمية لا يجوز إغفالها ، بل هو موطن القصد الرئيسى من الرسالة المحمدية ، إذا لم تكشف حقيقته ، وبقيت تحت حجب الاغفال ، استحالت السيرة المحمدية الى مثل سير رجال التاريخ العاديين ، وبقى معنى الاسـلام الذى استوعب كل حياة النبى صلى الله عليه وسـلم ووجوده ، مجهولا حتى عند أهـله الأقربين . ونحن لأجل إدراك هذا القصد مضطرون للرجوع الى ما كان يفهمه من الاسلام رجاله الأولون ، والجماعات التى كانت تتسارع الى الدخول فيه من أهل الملل الأخرى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأمر الذى كان يفهمه المسلمون الأولون من أمر هذا الدين ، أنه ليس بدين جديد ، ولكنه الدين الأول الذى أوحاه الله الى جميع رسله فى خلال القرون ، وأفسده القادة بالزيادة فيه والنقص منه ، وتناولِه بالشروح الطويلة ، وإخراجِه عن حقيقته بالتأويلات الخيالية ، ليتم لهم ما كانوا يرمون إليه من التسلط على الناس ، وتسخيرهم لمصالحهم الخاصة . ولم يكن فى الأرض دين سلمت أصوله من هذا التحريف ، فخنع كل قبيل لما عليه الكافة ، غير متوقعين أن يكون لهم مخرج منه ، فصبروا على ما هم عليه مستسلمين .

اتفق أنه عند ما نشأ الاسلام كان بجزيرة العرب يهود ونصارى ، نزحوا إليها هربا من اضطهاد الفرس والرومانيين ، فأخذوا ، ولاسيما اليهود ، يقدحون فى الاسلام ويحرضون المشركين على مقاومته ، ويشدون أزرهم على ذلك ، ويثيرون الشبهات عليه . فكان ينزل فى الرد عليهم قرآن يدحض ما يفترون ، ويبين وَهْنَ ما إليه يستندون . استمروا على ذلك حتى بعد أن أسلم جم غفير من أعليائهم . فاجتمع من شبهاتهم والرد عليها شيء كثير من الحوار ، تجلت فيه الأصول التى يقوم عليها الاسلام ، والمبادئ التى شرع لبثها فى القلوب ، ويحمل على احترامها العقول ، ويبين ما عليه خصومه من مجافاة المنطق ، ومخالفة الواقع ، والتعويل على الوساوس ، والجمود على الأضاليل . وهذا كله يعتبر أكمل أسلوب للدعاية الى الحق فى أمم أحيطت بالأباطيل ، حتى كادت تختنق فيها فطرتهم الانسانية ، فتخلط بين ما هو حسن وماهو قبيح ، وبين ما هو ممكن وما هو مستحيل .

ما تبين للأمم من هذا الحوار :

تبين لها من هذا الحوار هذه الأصول :

(١) شرع الدين لتربية الانسان وتكميله ، لا لتسخيره وتذليله .

(٢) دين الله واحد لا يتعدد ، وإنما تعددت الأديان بسبب ما أدخله عليها زعماؤها من آرائهم ، وما حمّلوها من تأويلاتهم .

(٣) خُلق العالم الانسانى كله من أب وأم ، فجميع أفراده إخوان ، وقد انقسموا بسبب كثرتهم الى شعوب وقبائل ، فيجب أن يتعارفوا ويتآلفوا ، لا أن يتناكروا ويتناحروا .

(٤) قوام الدين العقل ، ومادته العلم ، وميزانه الدليل ، العقل المطلق من أسر الأوهام التقليدية ، والعلم القائم على الأعلام الوجودية ، والدليل الخالص من مؤثرات الأهواء النفسية .

(٥) التكاليف الدينية ، مقيسة على الاستطاعة البشرية ، وللعاجز عن أدائها المعذرة .

(٦) لا وساطة بين الله وعبده ، ولا سلطان لطائفة تنتحل لنفسها هذه الوساطة ، وليس أحد بملزم أن يتبع رأى غيره ، فهو حر لا يتقيد إلا بما تتقيد به الكافة أمام الشريعة العادلة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٧) التقليد غير جائز لأنه كما يكون فى حق يكون فى باطل ، وفى الاتباع غنى عنه ، ولا اتباع إلا بعد النظر فى أدلة المتبوع ، ومحاكمة أقواله الى المنطق والعلم .

(٨) الدين لا يحرّم على الانسان إلا مايضره ، ولا ينهاه إلا عما يفسده ، ولا يعاقبه على الخطأ والنسيان ، ولكن على العمد والإصرار .

(٩) كل إنسان مسئول عن نفسه ، وعن أعماله ، ومطالب بالدفاع عن ذاته ، لا يغنيه فى ذلك لجوؤه الى ملك مقرب ، ولا انتسابه الى نبى مرسل ، أو ولى حميم .

(١٠) لا فضلَ لنفس على نفس ، ولا سلطانَ لضمير على ضمير ، ولا مزية لأمة على أمة ، فالكل سواء أمام الله ، وإنما التمايز بتقوى الله وطاعته .

(١١) المنح الإلهية سواء أكانت مادية أم روحية حق للكافة على السواء ، تعطى للمستحق لها بلا تمييز بين الأجناس والألوان واللغات .

(١٢) المثل الأعلى للاجتماع أن يكون الناس أمة واحدة ، يدينون بدين واحد ، هو دين البشرية الأول الذى نزل على أسلافهم ، ولكن بعد تجريده من زيادات المتزيدين ، وأهواء المتحكمين ، وأضاليل المؤولين ، وأن يكونوا أمة عالمية خاضعة لأحكام العقل ، ومتمشية مع فتوحات العلم ، وماضية قدُما فى تحقيق المُثُل العليا من العدل والانصاف والمساواة والحرية والاستقلال ، والتطهر من بقايا الوحشية والصفات الحيوانية .

الفرق بين الاسلام والأديان الأخرى فى معنى الدين :

هذه بعض الأصول والمبادئ الاسلامية التى يجد الباحث فيها عشرات من الآيات القرآنية تدل عليها نصا ، وقد دونتها كتب الشريعة الاسلامية بين دفاتها ، ونبه اليها الأئمة ، وبنوا عليها استنباطهم للأحكام ، ووضْعَهم للنظم الاجتماعية . وأنت ترى أنها جملة وتفصيلا مخالفة لما كانت عليه الأمم كافة . فقد كانت الجماعات لا تفكر فى وحدة الدين ، ولا فى صحته أو تحريفه ، فان ذلك كان موكولا للقائمين به ممن نصبوا أنفسهم مهيمنين عليه . وكان الناس يعتقدون ، كما أوهمهم بذلك قادتهم ، أن الدين لا يُتناول بالعقل ، ولا يتحكم فيه بالنظر ، فانما هو إيمان تقليدى لا يجوز أن يتردد عقل فى قبوله . وكل علم يدفع بصاحبه لتحقيق الاعتقاد وتصحيحه ، وكل فلسفة تستدعى إثارة الشكوك فى النفوس ، كانت تعتبر ملعونة يستحق المشتغل بها أن يرمى فى النار حيا ليموت على أفظع حالة . أما التكاليف الدينية فكانت فى نظرهم من حق المهيمنين على الدين ، وعندهم أنه لا يلحظ فيها تربية الانسان ولا تكميله ، وإنما محض العبودية للخالق ، وكلما كانت أشق على النفس ، وأدعى للإعياء واللغوب ، كانت أفضل .

أما الوساطة بين الله وعباده ، فكانت فى نظرهم ضرورية ، لأن رؤساءهم أوهموهم أن ذلك من

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وضع الخالق نفسه ، وأنهم وكلاؤه فى أرضه ، ما يحلونه فى الأرض يحل فى السماء ، وما يعقدونه فى الأرض يعقد فى السماء . والطاعة لهـؤلاء الوسطاء واجبة ، وتقليدهم أمر لابد منه بدون نظر ولا نقد ، ولا تـَطلب دليل ، فذلك كفر !

أما المسئولية الشخصية فـلم يكونوا يقولون بها ، لأن القائمين على الدين هم الذين يجيبون عنهم فى الآخرة ، وهم الذين يتولون عند الله الشفاعة لهم .

أما تفاضل النفوس فـكان من الأمور المقررة عندهم ، فالذين ينتسبون الى الطوائف الممتازة من القادة والزعماء والوسطاء ، مفضلون على من سواهم ، ويجب أن يعفوا من جميع التـكاليف الاقتصادية والقانونية ، والخدم الاجتماعية .

أما المثل الأعلى للاجتماع فـكان فى نظرهم ماهم عليه ، وإن كانوا أسرى للتقاليد ، وعُبادا للخيالات ، وصرعى للاباطيـل ، يساقون سوق الأنعام الى حيث لا يعلمون ، أو الى حيث يعلمون ولا يريدون .

هذه الأصول التى تولى نشرها القرآن ، ويصلح كل منها أن يكون ثمرة لثورة اجتماعية ، اجتمعت بين دفتى كتاب ، فتألفت منها روح إلهية قامت بها أمة ، ثم سرت فى أربعة أرجاء المعمور لايصدها شيء ، لأنها مطلب الفطرة البشرية ، وسَكَـن النفس الانسانية ، ومنفسم العواطف القلبية ، فلا عجب أن تبقى حية قوية حتى بعد أن أصاب جماعتها الوهن ، وبَرِّح بها الفتور ، فهى حظ العالم كله لاحظ أمة واحدة منه .

وإذا شوهد أن هذه الروح تزداد على مدى الأيام فتاء وقوة ، فلأن كل ترق للانسانية يظهرها ، ويجلى حقيقتها ، ويتولى إذاعتها ، فهى مما لا يعقل أن يضعف أو يزول بتمادى الأيام ، وكر الأعوام .

تعليل سرعة انتشار الاسلام :

إن السرعة التى انتشر بها الاسلام فى بيئات لا تعرف العربية ، وبدون دعوة منظمة ، قد حيرت مؤرخى العالم الغربى ، وهو حدث فى حد ذاته يوجب الحيرة ، لم يدون التاريخ له نظيرا فى حياة العالم كله . فالدين الموسوى لم يجاوز فى انتشاره أسرة إسرائيل ، ولا يزال فى الحدود التى كان عليها من لدن وجوده . والدين المسيحى بقى نحو ثلاثة قرون محصوراً فى طوائف مبعثرة ، لم تقم لها دولة ، الى أن تولى الامبراطورية الرومانية كونستانتين الأول ، وكانت أمه قد ربته على الديانة المسيحية ، فحمل قومه على النصرانية ، وأمر بتحطيم الهياكل والمعابد الوثنية ، واعتبر النصرانية الديانة الرسمية للامبراطورية الرومانية (٢٧٤ — ٣٣٧) . من ذلك الحين قام النصارى بارسال بعثات تبشيرية منظمة للبلاد القصية ، استعمل فيها الاجبار أحيانا . ولما

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اكتشفت أمريكا فى القرن الخامس عشر ، وجدت تلك البعثات مجالا فسيحا لدعوتها ، وخالفت فيها سماحة المسيحية مخالفة صارخة ، وقد دون مؤرخوهم كل ذلك تفصيلا مما لا موجب لنشره .

ولكن الاسلام الذى يحرم مثل هذا الاجبار فى نصوص صريحة من كتابه : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ، « وجادلهم بالتى هى أحسن » ، ولم تكن له قط إدارة دعاية منظمة ، قد سرى الى أقصى ما يمكن أن تسرى اليه دعوة ، وبلغ عدد أتباعه فى نحو قرن واحد أكثر من مائة مليون نسمة ، ثم استمر تياره فى السرعة حتى بلغ الى ماهو عليه الآن ، مقاوما كل الدعايات السيئة التى تحاط بها سمعته ، ومتغلبا على جميع العقبات التى توضع فى طريقه ، مستمرا على ما هو عليه ، واثقا بقوته الذاتية ، ومحدثا نفسه بأن سيكون ديانة العالم كله فى يوم من الأيام : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون »

هذه الظواهر الغريبة لا يمكن تعليلها إلا بما ذكرناه ، من أن هذا الدين قد حمل الى الناس روحا إلهيا ، فيه من قوة السريان ، وعظم السلطان ، ما لجميع الحقائق الخالدة .

اعتبر ذلك فى الأمم التى كانت تخالف العرب فى لغتها ، ومنها ما كان لها السلطان عليهم كالأمة الفارسية التى كان قد خضع لها العرب آمادا طويلة فى العراق واليمن . فان هذه الأمة العريقة فى السؤدد والمدنية بعد هزيمتها فى وقعة القادسية تحت قيادة سعد بن أبى وقاص ، بدل أن تشتغل بدس الدسائس ، وتدبير المكائد ، وإشعال نار الفتنة فى كل مكان ، لاجلاء العرب عن بلادها إرضاء لأنفتها القومية ، أخذت تشتغل بالدخول فى الاسلام ، ونشره فى ربوعها ، وتعلم لغة المغير عليها وحذقها ، والتبحر فى علوم القرآن وفروعها ، فلم يمض عليها سنون معدودة ، حتى كان أقطاب الاسلام من رجالها ، وكانوا قد توزعوا ضروب البحوث النقلية والعقلية واللغوية ، حتى سأل السائلون : ماذا كان يحدث لو لم يتول الفرس والديلم والأجانب عن العربية هذه العلوم الاسلامية ؟

سبب تهافت الأمم على الدخول فى الاسلام :

لست أريد التوسع فى تفصيل هذا الاجمال ، فهو معروف مقرر بين أهل العلم ، ولكنى ألفت نظرهم لهذه الظاهرة النفسية المدهشة ، التى تدل دلالة قاطعة على أن هؤلاء الأقوام تلقفوا مبادئ هذا الدين لما آنسوا فيها أنها منزلة للانسانية عامة ، لا لأمة خاصة ، وأن كتابها لم يذكر فى مخاطباته أمة باسمها القومى قط ، فلم يقل مرة واحدة : يأيها العرب ، ولكنه قال عشرات المرات : يأيها الناس ، ويأيها المؤمنون . ولما رأوا أيضا أن فى الاسلام غذاء أرواحهم ، وشفاء قلوبهم ، وسكن عقولهم ، ومطمأن نفوسهم . وإنى لا أظن أنه يمكن سياقة برهان أقوى من هذه الظواهر ، على أن أصول هذا الدين ومبادئه كانت ولا تزال حاجة الجماعات الانسانية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومما أعود فألفت النظر إليه ما ذكرته فى صدر هذه المقالة ، من أن أصول الاسلام ومبادئه لا تزال فيها قوة الاستمرار حتى بعد ضعف أهله ، وذبول دولته . وهذه أكثر تحييرا للعقل من سابقتها ، فان الناس قد اعتادوا أن يفتتنوا بدين القـوى ومذهبه وعاداته ، حتى أهوائه وأوهامه ووساوسه وفسوقه ، بل بلاهاته وجنونياته ، واتفقوا على أن يتحولوا عن الضعيف وكل ما يتصل به من عقائد وعادات وتقاليـد ، وأن يشنعوا عليها ، ويتشاءموا منها ، وأن يتوقعوا كل سوء من الأخذ بها .

ولست أحيل القارئ من ذلك الى أمر مستور ، فقد ثبت ثبوتا قاطعا حتى بشهادة دعاة الملل الأخرى ، أن دعاية الاسلام تنجح حيث تخيب جميع الدعايات الأخرى . فلو لاحظت أن البعثات التبشيرية تدعو الى أديان الأمم القوية ، ذات المدنيات الفاتنة ، وقد حُكِّمت فى أموال طائلة ، تبذلها تألفا للناس وجذبا لمودتهم ، ولها دور فخمة يسكنها رجالها ، يؤوون فيها من يظهر الميل اليهم ، ويمدونه بالمأكل والمشرب والملبس ، ويختصونه بالحماية بين أهله ومعشره ؛ بينما لا توجد بعثة رسمية للاسلام ، اللهم إلا نفرا من التجار ، أو أفرادا من متسولة الدراويش ، يعيشون عالة على من يدعونهم ، ومع ذلك يتسارع الناس الى الدخول فى ملتهم ، مفتونين بما يسمعونه منهم من أصول الاسلام ومبادئه . وهذه الحال كما تشاهد فى أفريقا ، تشاهد فى آسيا والاقيانوسية ، وكل مكان لا يـكاف فيه الانتقال من دين الى دين تأثيرا سيئا على الحـالة الاقتصادية أو الاجتماعية كما هى عليه فى أوربا وأمريكا . فهذه الظاهرة ذات دلالة قوية جدا على أن أصول الاسلام ومبادئه قـد جلبت للانسانية خـيرا لم يجلبه دين قبله ، ولا أى نظام اجتماعى آخر . فان الأقوام التى تسكن بلاد العرب وسورية وبلاد الفرس وبلاد ما وراء النهر الى الصين ، كلها خرجت من وثنية منحطة ذات أصول جاهلية ، الى دين هو أرقى ما يمـكن أن يتصوره العقـل ، نالوا بسببه مزايا اجتماعية وأدبية لا تحصى . فبعد أن كانت القبائل العربية لا تعرف الوحدة ، ولا تدين لغير القوة ، وكانت الحروب بينها دائمة التسعر ، تآخت فى دين الله ، وسادها النظام ، ورحل كثير منها الى الممالك التى فتحها الاسلام ، وساهمت فى بناء مجد المسلمين ، ورفع أعلام مدنيتهم الفاضلة .

أما الفرس فقد أعاد لهم الاسلام دولتهم وثقافتهم ووحدتهم ، فقد كانوا انتهوا فى أواخر عهدهم الى مثل العهد الإقطاعى الذى أهلك أوربا قرونا طويلة ، فـكان دخولهم فى الاسلام سببا فى رجوع وحدتهم اليهم ، وزوال أسباب التناحر من بينهم . وعادوا الى أكمل مما كانوا عليه أيام مدنيتهم ، وكثر فيهم نبوغ الأئمة الدينيين ، والمؤلفين العلميين ، والـكتاب والشعراء المبرزين .

أما الأمم التى وصل اليها الاسلام فى شمال بلاد الفرس وشرقها الى الصين ، فقد أخر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
qldbookz@gmail.com

الاسلام من غيابة الخمول العقلى ، وصار يدون تاريخ الأدب من رجالاتها أسماء لايزال يعترف العالم بفضلهم على العلوم والفنون والصنائع الى اليوم .

ولا أحدثك عن الأمم التى كانت لا تذكر فى تاريخ البشر ، إلا فى باب المستعمرات للأمم القوية فى الاسلام كأمم شمال أفريقا ، فقد تألفت فيها دول ، وقامت فيها مدنيات ، وسجلت لها اسما فى ديوان الجماعات التى ساهمت فى بناء المدنية .

أما مصر التى كان قد أحالها الاستعمار الرومانى الى جثة مصبرة ، كما عبر بذلك عنها الأستاذ جول لالوم ، فى مقدمة الفهرست الذى وضعه للقرآن الكريم ، فقد تنبهت من رقادها الطويل ، ونفضت عنها غبار خمولها المزمن ، وعادت أفضل مما كانت عليه فى عهد فراعنتها ، حتى كان من مؤسساتها مابقى الى اليوم قبلة أنظار مئات الملايين من البشر ، يقتبسون منه الدين واللغة ، وهو الأزهر المعمور .

ماذا أفاد الاسلام اهل أوربا من الناحية الأدبية ؟

يخيل الىّ ، وقد انتهيت الى هذا الحد ، أنك تريد أن تسألنى : وماذا أفاد ظهور الاسلام أهل أوربا من الناحية الأدبية ؟ فأجيبك :

ظهر الاسلام فى القرن السابع للميلاد فى وقت كانت فيه أوربا فى ظلام حالك بشهادة المؤرخين الأوربيين ، فكان رجال الدين هنالك مستولين على السلطة الدنيوية فوق سلطتهم الروحية ، وقد حملهم تطرفهم فى حماية العقول من الشبهات الدينية التى تثيرها العلوم فى الصدور على إعلان أنها عدوة الدين ، فقاطعها الناس طائعين ومكرهين ، فنضبت ينابيعها ، وتصوحت أزاهيرها وأقوت مغانيها ، ولم يبق منها إلا ما تمس اليه الحاجة الساذجة .

وكان إذا سولت لإنسان نفسه أن يعيد النظر فيها ، أو أن يبنى رأيا على أصولها ، زج به فى أعماق السجون ، وعُذب واستتيب ، فان أناب أطلق سراحه ، وإن أصر ألقى حيا فى النار !

ظهر الاسلام وأوربا من أدناها وأقصاها على هذه الحال ، فقفز بعض رجاله الى أسبانيا فامتلكوها ، وكانت على مثال غيرها من الاستبداد فى الحكم ، والتضييق فى الدين ، فمضى المسلمون على سجيتهم فى تأسيس المدارس بها ، ونشر العلوم ، وبناء المستشفيات ، وإقامة المراصد ، وفتْح جامعاتهم لمن يقصدها من الطلاب ، غير ناظرين الى أجناسهم ولا أديانهم ولا ألوانهم ، فتنور كثير من أهل الأقطار الأوربية فى مواد العلوم ، وقدم اليها طلاب آخرون من بقية الممالك . وكان المسلمون قد امتلكوا أيضا جزيرة صقلية (سيسيليا) فى جنوب ايطاليا ، فجروا هنالك أيضا على عادتهم من نشر العلم ، وتشييد دوره ، فدخل اليها طلاب كثيرون من سكان تلك البقاع . فكان ذلك سببا مباشرا فى انتشار علوم المسلمين وآدابهم فى أوربا ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

واندست معها أساليبهم فى التمحيص ، وأصولهم فى التدقيق ، فتنبهت هنالك عقول ، وفكرت فى مصيرها نفوس ، وأدركت حالتها قلوب ، فكان ذلك ، على قول الأوربيين ، سببا فى نهضة أوربا الحديثة .

فهل يمكن أن يثبت لنا إنسان ، بأن دينا من الأديان ، أو نظاما من النظم ، عم خيره الأرض ، ونالت كل أمة منه نصيبا مثل ما عمها من الاسلام ، إما مباشرة وإما بواسطة ؟

هذا ولم يتم الاسلام جولته العالمية بعد ، ولا تزال أمم فى الأرض لم تبلغها منه دعوة ، وأمم قد ضُللت فيه تضليلا بعيدا ، ولكنه بما أودع من قوة وحق ، سيتغلب على هذه العقبات كلها حتى يسود العالم كله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

ربما استغرب باحث أن لا تؤثر أصول الاسلام على سموها هذا فى العالم المتمدن ، كما أثرت فيما عداه ، والواقع أن العالم المتمدن الذى استعصى على الاسلام ، هو أعصى ما يكون على العلم نفسه ، الذى كان ثمرة من ثمرات رجاله ، فلا يزال الناس فيه يعيشون على الضد بما يوصى به قانون الصحة ، وما يتطلبه ناموس الاخلاق ، وما يتقاضاهم إياه علم الاجتماع ، وتصيبهم على ذلك المثلات فلا يرعوون ؛ فهل يصح أن يقال اعتمادا على هذا : إنهم سيستمرون على معاصاة الحقائق ؟ اللهم لا ، فلا بد لهم من متاب ، يوم يحدث تطور أدبى جديد ، فيتغلب العقل على الهوى ، ومتى حدث ذلك ظهرت أصول الاسلام هنالك على أكمل ماهى عليه فى أية بقعة من بقاع الأرض ، وتم له الأمر « ولتعلمن نبأه بعد حين » .

وأنا لا أقول هذا لأن الاسلام دينى ودين قومى ، ولكن لأن الأصول التى يقوم عليها ، والمبادئ التى يدعو اليها ، هى النواميس الالهية الخالدة التى اكتشفها الناس فى خلال العصور المتتابعة ، ودلت عليها العلوم اليقينية فى أدوار متوالية من الثورات الفكرية ، والانتقالات الأدبية .

إن دينا يدعو الى المثل الأعلى من الاجتماع ، وهو أن يتعارف الناس قاطبة ، ويعيشوا إخوانا متكافلين ، لا أعداء متناحرين ؛ والى نصب العقل ميزانا لتمييز الحسن من القبيح ، والحق من الباطل ؛ والى إدمان النظر والفكر ، وإعمال الروية والبصيرة فى اكتناه المجاهيل ، وتمحيص المعالم ، والبعد عن الظنون والأوهام ، واجتناب الخيالات والوساوس ، والاستماع الى كل قول واتباع أحسنه ، وتصيد الحكمة حيث كانت ، والاحسان فى كل شىء ، وتطلب العلم من معادنه ، وعدم الوقوف منه عند حد ، وعدم التقيد بأحوال الأمم السابقة ، والسير قُدُما الى الغايات البعيدة ، والنهايات القاصية ، والتخلق بأخلاق الله فى سموها وإطلاقها ، والاتصاف بالمحامد والابتعاد عن السفاسف ، ومجانبة الظلم والانظلام ، والعدل المطلق حتى حيال الأعداء الألداء ، والدءوب على إصلاح العالم ، وعدم الافساد فيه الخ ، مما لا يمكن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إحصاؤه ، وقد قامت الفلسفة بتفصيله فى الزمان الأخير ؛ قلت : إن ديننا يدعو الى كل هذه الأصول على إطلاقها ، وفى غاية سموها ، لا يعقل أن يقف من انتشاره عند حد ، ولا أن يحال بينه وبين القلوب بصد ، ولله الأمر من قبل ومن بعد : « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا ، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ، فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ، ويهديهم إليه صراطا مستقيما » ، « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون . قل آمنا بالله وما أنزل علينا ، وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

محمد فريد وجدى

الكبر يؤدى الى الوضاعة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لم يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » .

وكان يقال : من جهل قدر نفسه فهو بقدر غيره أجهل ، ومن أنف من عمل نفسه اضطر الى عمل غيره .

وقال شاعر :

رأيت الفتى يزداد نقصا وذلة — اذا كان منسوبا الى العجب والكبر
ومن ظن أن العجب من كبر همة — فانى رأيت العجب من صغر القدر

وقال معاوية بن أبى سفيان : إن التواضع مع البخل والجهل ، أزين بالرجل من الكبر مع البذل والعقل . فيالها حسنة غطت على سيئتين كبيرتين ، ويالها من سيئة غطت على حسنتين عظيمتين .

وقال حكيم : من أصاب حظا من جاه فأصاره الى كبر وترفع ، أعلم الناس أنه دون تلك المنزلة ؛ ومن أقام على حاله أعلمهم أن تلك المنزلة دونه ، وأنها دون مايستحق .

وقال بعض المتهوسين بالكبر ، وإنما نورده تفكهة :

أتيه على جن البلاد وإنسها — ولو لم أجد خلقا لتهت على نفسى
أتيه فما أدرى من التيه من أنا — سوى مايقول الناس فىّ وفى جنسى
فان زعموا أنى من الإنس مثلهم — فمالى عيب غير أنى من الانس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة الاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » :

ذكرنا لك فى مقالنا السابق كلام سقراط مع أرستوديم فى البرهنة على وجـوده تعالى ، واليوم نذكر لك شيئا من براهين غـيره من الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين لما فى ذلك من الفوائد لأولئك الذين قلدوا سفهاء أوربا بلا عقل ولا روية ، فنقول :

قال أفلاطون : « من البدهى أن كل حادث له سبب أحدثه لولاه لبقى فى العدم ولم يخرج الى الوجـود ، ولا يعقل حدوث شىء بلا سبب (لأنه لا يعقل إيجاده نفسه) ومن المعـلوم بالضرورة أن العالم حادث ، لأنك تشاهد وجـود الأشياء بعد عدمها ، ولأنك تعلم أن هذا العالم ممكن وكل ممكن يجوز عليه الوجود والعدم ، فلا يتأتى إلا بمرجح يرجح وجوده على عدمه ، وهذا بدهى فى الممكن ، لأنه لو لم يكن كذلك لـكان واجبا والواجب لا يسبقه عدم ، ولا يجوز أن يطرأ عليه عدم ، فإذاً يجب أن تكون هذه الموجودات البديعة لها سبب هو أكمل الأسباب كلها » .

براهين أرسطو واضع المنطق ويلقب بالمعلم الأول :

قال : « إنا وجدنا المتحركات تتحرك ، ولا بد لـكل متحرك من محرك ، ولا يجوز أن يذهب الى غير النهاية لامتناع التسلسل ، فلا بد أن يستند الى محرك غير متحرك ، ولا يجوز أن يكون فيه معنى ما بالقوة ، فانه لوكان كذلك لاحتاج الى شىء يخرجه من القوة الى الفعل ، فالفعل إذاً سابق على ما بالقوة ، وكل جائز وجوده ففى طبيعته معنى ما بالقوة وهو الإمكان والجواز ، فيحتاج الى واجب به يجب حتى يظهر الى الوجود ، فـكل متحرك يحتاج الى محرك لا محالة ، لأن جائز الوجود ليس له فى نفسه إلا الامكان والقابلية »

وقال فى إثبات الوحدانية : « محرك العالم واحد لأن العالم واحد ، ولو كان كثيراً لحمل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على واجب الوجود ما حمل على غيره بالتواطؤ ، فيشملها جنسا وينفصل أحدهما عن الآخر نوعا ، فتتركب ذاته من جنس وفصل ، فتسبق أجزاء المركب على المركب سبقا بالذات ، فـلا يكون واجبا بذاته ».

ثم قال : « إن واجب الوجود لا يتغير ، لأن انتقاله عن حالته يكون الى الشر لا الى الخير ، لأن كل رتبة هى دون رتبته ، وكل شىء يناله هو دون نفسه الـكاملة » .

ولنقتصر من براهين الفلاسفة الأقدمين على هذا ، ولنذكر لك من براهين فلاسفة أوربا المحدثين ما تيسر ، لما فى ذلك من الفائدة التى تعود على كثير من القراء ، إن شاء الله ، فنقول :

قال الفيلسوف الشهير الصيت ديكارت الفرنسى :

« إنى مع شعورى بنقص ذاتى أحس فى الوقت ذاته بوجوب وجود ذات كاملة ، وأرانى مضطرا للاعتقاد بأن هـذا الشعور قد غرسته فى ذاتى تلك الذات الـكاملة المتحلية بجميع صفات الـكمال ، وهى : الله » .

ثم قال (وهو وجه آخر من وجوه الاستدلال) : « إنى لم أخلق ذاتى بنفسى ، وإلا فقد كنت أعطيها سائر صفات الـكمال التى أدركها . إذاً أنا مخلوق بذات أخرى ، وتلك الذات يجب أن تـكون حائزة جميع صفات الـكمال ، وإلا اضطررت أن أطبق عليها التعليل الذى طبقته على نفسى » .

ثم قال : « إن عندى شعوراً بوجود ذات كاملة لا يفترق فى الوضوح عن شعورى بأن مجموع زوايا المثلث تساوى زاويتين قائمتين . إذاً فالله موجود » .

ولا بأس أن نقول لك : إن ديكارت كان ممعنا فى الشك فى كل شىء ، وما كان يريد بذلك الشك إلا التوصل للحقيقة ناصعة خالصة من كل تقليد ، فهو أشبه شىء بالرأى الذى يذكر عندنا فى كتب الـكلام من أن أول واجب هو الشك . فاعرف ذلك ، وإياك وتقليد بعض الجاهلين الملحدين !

ومما يناسب موضوعنا الذى نحن فيه قوله : « إن فى هذه الشكوك كلها شيئاً لا يتناوله الشك أبدا وهو « أنا » ، وقد كنت مقتنعا بأنى لست بموجود ، ولـكنى فى الواقع كنت موجودا ، إذ استطعت أن أعتقد أو على الأقـل أن أتفـكر فى شىء ، فاذاً أنا موجود ، ولا يوجد شىء يمكنه أن يقنعنى بأنى لست بموجود مادمت أتفـكر . فقولى : أنا موجود إذاً ، هو حقيقة ثابتة لاشك فيها ، كلما قلتها أو تصورتها فى ذهنى » .

هنا تمـكن ديـكارت ، أن يحل نفسه من قيود الشك ، فخرج بعقيدة صريحة واضحة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا تقبل الجدال ، وهى أنه موجود ، ومنها تمكن من اكتشاف حقيقة أخرى جليلة القدر وهى أنه يوجد ذات متصفة بجميع صفات الكمال .

قال : « إن هذه الحقيقة لازم من لوازم فطرتى ، وقد ولدت حاملا أماناتها فى ثنايا ضميرى ، لأنه كيف يعقل أن أدرك أنى شاك وأنى راغب ؟ أى أنه ينقصنى شىء ، ولم أكن بالغا نهاية الكمال إذا لم يكن مغروزا فى طبيعتى إدراك وجود ذات أكمل من ذاتى » .

ثم قال : « إن لفظة « الله » إن لفظت بها فإنما أعنى بها هيولى لا نهاية لها ، أزلية دائمة مستقلة عالمة بكل شىء وقادرة على كل شىء ، وأنى أنا وجميع العوالم الموجودة مخلوقة لها ، وهذه معارف جمة كلما تأملت فيها بدقة ازددت اعتقادا بأنى لم أستنبط الشعور بوجود الله من ذاتى وحدها ، وعليه فيجب أن أستنتج من ذلك أن لله وجودا مستقلا ، وأن شعورى بوجود هيولى غير متناهية لا يمكن أن يكون أصله من ذاتى أنا ذلك الكائن المتناهى ، بل غرست فى ذاتى تلك العقيدة من قبل هيولى غير متناهية فى الحقيقة » .

براهين فنيلون :

وهو من كبار فلاسفة القرن السابع عشر ، قال : « لست موجودا من ذاتى ، وكل شىء من هذه العوالم كذلك ، لأنه يجب للموجود من ذاته أن يكون أزليا ثابتا ، فانه يكون حاصلا من ذاته على علة وجوده ، ولا يكون محتاجا لشىء من الخارج عنه ، فكل ما يمكن أن يأتيه من الخارج لا يعقل أن يتحد به ولا أن يكمله ، لأن الحادث المتغير لا يمكن أن يتحد مع الموجود بذاته الذى لا يقبل التغير ، فان الفرق بين هاتين الطبيعتين يجب أن يكون لا نهاية له ، إذاً فلا يمكنهما أن يؤلفا مجموعا حقيقيا ، إذاً فالموجود بذاته لا يمكن أن يزاد شىء على حقيقته ، ولا على رحمته ، ولا على كماله ، فهو فى ذاته كل ما يمكن أن يكون ، ولا يجوز عليه أن يكون أقل مما هو عليه . فالوجود على هذه الصفة هو أرقى درجات الوجود » .

برهان بوسويت :

هـو من كبار فلاسفة القـرن السابع عشر ، قال : « ليس علينا إلا أن ننظر الى أنفسنا لنتحقق أننا صادرون من أصل رفيع ، نرى أنفسنا أهلا لأن نفهم الأشياء وندرك الموجودات ، وأننا قد نجهل بعضها فنشك فيها ، أو نرى الأحوط ألا نحكم عليها بحكم حتى نصل منها الى حقيقة ما ، وما ذلك إلا لأننا نعتقد أن بنفوسنا نقصا يمنعها الوصول الى الحقيقة المطلقة ، وإذا كان فى الوجود عقل ناقص يشك ويتردد ويجهل وهو مع ذلك موجود ، فمن باب أولى يكون موجودا فيه عقل كامل ليس عقلنا منه إلا قطرة من بحر أو شعاعا من شمس ، لأنه مما لا يعقل أن نكون نحن وحدنا المتمتعين بعقل وإدراك ، ويكون الوجود العظيم كله خاليا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

منهما ، إذ يقال إنه إذا كان الوجود كله مكونا من مواد صماء عمياء لاعقل لها ولا إدراك ، فمن أين نشأ للانسان هذا العقل والادراك ؟ « وفاقد الشيء لا يعطيه كما هو معلوم » إذاً فلا بد أن يكون فى الوجود عقل مطلق وإدراك لا حد له »

برهان ليبنتز :

وهو من أشهر فلاسفة الألمان :

قال فى بعض كتبه : « الله هو العلة الأولى لوجود الأشياء ، لأن كل ما هو محدود ومتناه كـكل شيء تقع عليه أنظارنا وتتأثر له مشاعرنا ، هو من الممكنات ، أى ليس بضرورى الوجود ، فقد يوجد وقد لا يوجد ، وليس فى أحدها شيء يوجب له الوجود بذاته ، والزمان والمكان والمادة المتحدة فيما بينها أن تستطيع أن تقبل حركات وصورا من نوع أخر غير النوع الحالى ، إذاً يجب البحث عن الأولية لوجود العالم الذى هو مجموع هذه الكائنات الممكنة . يجب البحث عنها فى الهيولى التى تحمل معها علة وجودها ، فهى الواجبة الوجود والأزلية . يجب أن تكون هذه العلة عاقلة ، لأن الكون الموجود لما كان ممكنا ، أى قد يكون ولا يكون ، ومن الامكان حدوث دنياوات أخرى من نوعه ، فيلزم من ذلك أن تكون علة الوجود محيطة بعلاقات أجزائه قبل أن تتمكن من إحداث دنيا جديدة ، ويكون تحديد تلك الدنيا على حال مناسب للمجموع فمل إرادة واختيار ، ولا شيء يجعل تلك الارادة فعالة إلا القدرة التى لهذه العلة الحكيمة . يجب أن تكون غير محدودة ولا متناهية من كل وجه ، وكاملة كمالا مطلقا من حيث القدرة والحكمة . ولما كان الوجود كله مرتبطا بعضه ببعض ومفرغا فى قالب واحد ، فلا سبيل لفرض وجود علة ثانية معها » .

هذا بعض ما قاله أولئك الفلاسفة . وما أجدرنا فى هذا المقام أن نقول :

جلالك يا قدوس ليس له حد ... كذاك صفات القدس ليس لها عد
تعاليت عن وصف الخليقة كلها ... ومن وصف علياك الطهارة والمجد
قضاؤك محتوم وأمرك نافذ ... وما شئت من شيء فليس له ردّ
لك المثل الأعلى وكل معبّد ... كفاه اعتزازاً أن يقال هو العبد

ولنكتف اليوم بهذا المقدار مخافة السآمة . وقد نقلنا من تلك الشهادات للدين الاسلامى شيئا كثيرا فى كتابنا (الجواب المنيف) علما بأن الالحاد قد طم سيله ، وعم ويله ، وظن أربابه أنهم وصلوا من العلم الى ما لم يصل إليه الأولون « ويحسبون أنهم على شيء ، ألا إنهم هم الكاذبون » ! وقد بين الله حقيقتهم ومبلغهم من الانسانية فقال وهو أصدق القائلين : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » « وإن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تدعهم الى الهدى لا يسمعوا ، وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » . غـير أن هنا كلاماً مهماً لـكاتبة أمريكية عن الاسلام يحسن أن نذكره لحضرات القراء فى هذه الفرصة :

نشرت مجلة بوستن التى تصـدر بأمريكا مقالا طويلا لـكاتبة أمريكية بعنوان « لا دين أعلى من الحـق » استهلته بوصف جامع وثناء عاطر على النبى صلى الله عليه وسلم ، وما أحدثته رسالته فى العالم ، وما كان لبعثته من أثر فى أخلاق الأمم وتطور العقائد من الحضيض الى الأوج ، الى غير ذلك من الاصلاح الاجتماعى الذى لا حد له ، ثم أهابت بالناس جميعا ألا يغفلوا عن تعاليمه ، وأن يوجهوا كل همتهم إليها ، ففيها الخير العميم ، وفيها المنافع الـكثيرة . فمن قولها فى هذا المقـال :

« إن مقاييس الإصلاحات الانسانية هو الخير الذى يمكن أن يصل الى نوع الانسان عن طريق ذلك الإصلاح ، وتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم قاموس محيط لأرقى مزايا الاصلاحات وأعمها نفعا للبشرية .

« فمن تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم : أن كل عمل طيب صدقة ، وابتسامتك فى وجه أخيك صدقة ، وتوجيه النصيحة إليه بمثابة هدية غالية ، وهداية الحائر الى الطريق يعد إحسانا ، ورفع الحجر والشوك ونحوهما من الطريق كى لا يتعثر فيهما السارى فى الظلام صدقة وبر عظيم .

« أطعموا الجائعين ، واسقوا العطاش ، وعودوا المرضى ، وحرروا الأسارى ، وأعتقوا العبيد ، وساعدوا كل إنسان .

« هذه من أقوال محمد ونصيحته . وكذلك قوله : أسعدوا القلب الحزين ، وأنقذوا المـكروبين ، وخلصوا الغريم من عبء الدين الثقيل ، لأن من أخرج المـكروب من ضيقه يفرج الله عنه فى يوم القيامة الذى يحقق الله فيه العدل ، وينجز وعده بالجزاء .

« وفى ذلك اليوم تمر على الانسان ذكريات دنياه ليقـدم عنها الحساب ، فبشرى للذين يعاونون إخـوانهم فى أوقات ضيقهم ، ويرفعونهم من كبواتهم ، أولئك يساعدهم الله يوم الفزع الأكبر .

« تلك وصايا محمد وعظاته البالغة التى تدفعنا لنحمل نور الفرح الى القـلوب التى تراكمت عليها ظلمات الهموم ، ونور الهداية الى النفوس التى أغرقتها ظلمات المعاصى .

« إن محمدا يبين لنا أن أحب مخلوق الى الله هو الذى يصدر منه الخير لمخلوقاته ، لأن جميع الناس سواء عند الله ، أفضلهم من سما بالفضل فيهم ، وتعاليم محمد لا تعتبر الانسان كاملا عند الله بمحض ألفاظه وكلمـاته ، فالـكمال فى الاسلام قائم على الصدق الذى يبدو فى ثلاثة مظاهر من الحياة الانسانية : الصدق فى القول ، والطهارة فى النية ، وظهور الايمان فى الحياة العملية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« قل الصدق إذا نطقت ، أد الشهادة على وجهها ولو على نفسك ، أنجز إذا وعدت ، أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك . خالف نفسك فى هواها إذا مالت الى شىء يغضب الله ، لا تحمل فى قلبك غلا ولا حقداً لأحد ، واغسل يديك من أدران الأذى والاعتداء . وهذا الدين يحرم على أهله أن يفشى المسلم عيوب غيره ، أو ينقل بين الأصدقاء حديثا يفرق بينهم ، أو أن يتتبع المرء عورات أخيه ويخفى محاسنه ومزاياه .

« وهنالك حقيقة عظمى يكاد الاسلام يمتاز بها : وهى أن الانسان ينبغى أن يعيش من كسب يده : من التجارة ، أو الصناعة ، وغيرهما ؛ وأن الله جلت قدرته يبارك للمجتهدين فى أرزاقهم ، ويعطيهم ثواب العبّاد ، ويمنحهم أجر الذين جاهدوا فى نصرة الدين .

« نصح محمد لرجل سائل أن يجمع الحطب من الجبال والغابات ويبيعها لكى لا يقع تحت ذل المنة عليه من الناس .

« وينصح محمد بأسمى فضائل الأخلاق ، ويدعو الى أن تصل من قطعك ، وتحسن الى من أساء اليك ، وأن لا تتكلم إلا بخير ، وإذا سكت فليكن صمتك تفكيرا فى الله ومصنوعاته .

« أما تعليم العلم وتعلمه : فان العلم مدين كثيرا لمحمد الذى يعلم أتباعه أن ساعة من الليل فى مذاكرة العلوم أفضل من قضاء الليل كله فى العبادة ، ويعتبر الاسلام أن من اجتهد فى العلم وأصاب الصواب كان له أجران عند الله : أجر نجاحه ، وأجر اجتهاده ، وأن من أخطأ فله أجر اجتهاده . فأى تشجيع على التعليم أسمى من هذا ؟

« إن محمدا يعتبر اقتناء العلوم جهادا ، والتكلم بها ذكرا ، والبحث عنها قنوتا ، وتعليمها تصدقا وإحسانا ، لأن العلم هو المنقذ من الحيرة ، والنور الكاشف للظلمة ، وهو صلة الأرض بالسماء ، وطريق الانسان الى الله . العلم هو صديقنا فى صحراء الحياة المجدبة ، وأنيسنا فى وحشتها ، ومساعدنا عند فقد الأصدقاء ، ومرشدنا الى السعادة ؛ وهو الذى ينقذنا من البؤس ، ويكسبنا زينة مع الفقر ، سلاحنا ضد أعدائنا . ولطالما رفع العلم الخاملين وسما بهم الى معاشرة الملوك .

« تلك هى أقوال الاسلام وتعاليم محمد نقلنا خلاصة منها فى هذه الأقوال الموجزة المجملة غاية الاجمال .

ولقد نشر أصحاب محمد لواء العلم فى كل مكان ، ويظن بعض من يجهل الحق أو يتجاهله أن الاسلام كان دين غزو وفتح . هو قول بلغ أقصى غايات البعد عن الحق المبين .

« حقا إن المسلمين فتحوا ممالك وشادوا أمبراطوريات ، ولكنهم لم يحملوا سيوفا فقط ، بل حملوا عدلا ، ونشروا علما وفنا تجلى فى عبقرية المجتهدين الذين نشطوا بين القرن الثامن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والرابع عشر نشاطا لم يعرف التاريخ مثله ، شيدوا مدارس وجامعات فى مصر وبغداد وقرطبة فى غرب أسبانيا ، وما ازدهرت الحضارة فى الدنيا كما ازدهرت فى ظل أتباع محمد .

«إن المسيحيين فى أوربا لاينكرون ما اقتبسوه من الأندلس من العلوم والفنون التى كانت حياتهم بعيدة كل البعد عنها ، فتعلموا الفلك والرياضيات من المسلمين الذين كانوا يترجمون ثم يحققون ، فتبدو شخصيتهم العلمية والفنية وعليها من الاسلام طابع واضح يشهد بالفضل لتربية محمد صلى الله عليه وسلم التى أثرت فى الدنيا كلها »

هذه أقوال سيدة منصفة تحب الحق وتجهر به ، وإنا نتمنى أن يرشد الله أبناءنا المتعلمين أن يبحثوا عن الحقيقة التى جهلوها حتى يعرفوا أسرار دينهم التى غفلوا عنها ، حتى يعود اليهم مجدهم الذى كانوا فيه عند ما كانوا مسلمين حقا .

أسأل الله أن يعرفنا مزايا الاسلام وعظمة نبى الاسلام بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء

البذىء لا يكون كريما

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « شر الناس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم » .

وقال على كرم الله وجهه : ما استبّ رجلان إلا غلب ألأمهما .

وقال الأحنف بن قيس : ألا أخبركم بأدوأ الداء ؟ الخلق الدنى ، واللسان البذى .

وقال أديب : اللئيم بعد المناجَنة ، والوقاحة جُنة ، فوجهه صُلَّب ، ولسانه خلَّب .

وقال حكيم : الفاقة خير من الصفاقة .

وقال غيره : الوقاحة فى الرجل تدل على لؤم نجره (أى أصله) ، وخساسة قدره ، وقلة خيره ، وكثرة شره .

وقال شاعر يهجو واحدا من الأوقاح :

لك عرض مثلم من قوارير ... ر ووجه ململم من حديد

وقال شاعر وقد أجاد :

كل من لم يكن عنصره طيبا ... لم يخرج الطيب من فيه
كل امرىء يشبهه فعله ... ويرشح الكوز بما فيه
أصل الفتى يخفى ولكنه ... من فعله يظهر خافيه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

استواء سفينة نوح على الجودى

وكيف عبر القرآن عن الطوفان

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدى ، قال : حدثنا المحاربى عن عثمان بن مطر عن عبد العزيز ابن عبد الغفور عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فى أول يوم من رجب ركب نوح السفينة فصام هو وجميع من معه ، وجرت بهم السفينة ستة أشهر ، فانتهى ذلك الى المحرم ، فأرست السفينة على الجودى يوم عاشوراء ، فصام نوح وأمر جميع من معه من الوحش والدواب فصاموا شكراً لله تعالى » . أخرجه ابن جرير .

وروى أحمد عن أبى هريرة : « أن يوم عاشوراء هو اليوم الذى استوت فيه السفينة على الجودى ، فصامه نوح شكرا » .

يتعلق بشرح هذا مباحث : (١) بيان الطوفان وهل عم جميع الأرض أو لا . (٢) بيان أن الله تعالى كان يعذب الأمم الماضية باهلاكهم الى بعثة سيدنا محمد . (٣) كيف أهلك الله الأطفال والصبيان الذين لم يكلفوا . (٤) بيان معنى قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعى ماءك » الآية .

الغرض الأول من هذا المقال هو بيان بعض المعانى التى أعجزت أساطين الفصاحة والبلاغة فى آية « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين » . فان هذه الآية الكريمة قد حوت من أسرار البلاغة والفصاحة ما خضعت له أعناق ملوك الفصاحة والبلاغة ، واستيقنوا أنهم عاجزون عن معارضة القرآن الكريم ، كما سنبينه قريبا . وإنما ذكرنا هذا الحديث لأن موضوع مقالنا فى مجلة الأزهر هو الكلام فى السنة ، فلنشرح أولا بعض المعانى التى أشرنا اليها فى الحديث إجمالا ، ثم نتكلم فى الآية الكريمة بقدر المستطاع :

(١) الطوفان ، وله فى اللغة معان ، منها الماء الكثير الذى يغشى كل شىء وهو المراد هنا ، فان الله سبحانه أراد أن يهلك قوم نوح باغراقهم جميعا إلا من آمن ، كما قال تعالى : « مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا » . وقد عبر الله سبحانه عن الطوفان بعبارات مختلفة فى كتابه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الكريم ، منها قوله تعالى فى سورة القمر : « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودُسُر ، تجرى بأعيننا جزاءً لمن كان كُفر » . فهذه الآية الكريمة تبين لنا معنى الطوفان ، وتصور لنا كثرة الماء أحسن تصوير ، لأن معنى « منهمر » : منصب فى كثرة وتتابع ، فلم ينقطع مدة أربعين يوما ، كما روى فى صحيح الأخبار . ومعنى قوله : « وفجرنا الأرض عيونا » : وجعلنا الأرض كعيون الماء المتفجرة . والمتفجرة : السائلة ، يقال تفجر الماء وانفجر إذا سال . فحاصل معنى هذا أن الأرض نبعت منها المياه السائلة ، والسحب قد انصب منها الماء الكثير المتتابع ، فالتقى الماءان على حالة قدرها الله القوى القدير ، ليهلك الكافرين الطاغين الذين كذبوا بآيات الله وعصوا رسولهم ، واستهانوا بالدلائل القاطعة التى تدل على أن خالق الكون ومدبره إله واحد عليم قدير .

أما كون الطوفان قد عم الأرض كلها أو لا ، فلم يبينه القرآن الكريم ، لأنه لا يتعلق به غرض فى الموضوع الذى سيقت من أجله الآيات ، فان الغرض الظاهر منها إنما هو التذكير بعظمة الاله الخالق ، وبيان بطشه بالكافرين الضالين ؛ ولكن العلماء قد اختلفوا فى أمره ، فمنهم من قال : إنه قد عم الأرض ؛ ويؤيد هذا ما ذكره بعض علماء طبقات الأرض من أنه وجد فى أعالى الجبال عظام حيوانات لا تعيش إلا فى الماء كالأسماك . وإذا كان الماء قد غطى الجبال فلا بد أن يكون قد عم الأرض جميعها ، إذ ليس من المعقول أن يغطى الماء الجبال وتبقى سهول الأرض خالية منه . ولعل هذا هو الظاهر من القرآن ، لأن آياته فيه عامة . وبعضهم يقول : إن الطوفان لم يعم الأرض كلها . وعلى كل حال فما لا ريب فيه أن سكان الأرض يومئذ كانوا منحصرين فى قوم نوح ، إذ ليس من المعقول أن يعذب الله من لم يرسل له رسولا بالهلاك . وعلى هذا تكون فائدة عموم الطوفان إنذار الأمم التى تأتى بعد نوح وتعمر الأرض فى جميع جهاتها ، فكأن الله تعالى يقول لهم : إنه قادر على إهلاكهم بما أهلك به قوم نوح من قبلهم .

(٢) ولقد كان من سنن الله سبحانه مع الأمم السابقة على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يرسل إليهم الرسل المؤيدين بالمعجزات الواضحة والبراهين القاطعة ، ليأمروهم بعبادة الله وحده ، وينهوهم عن عبادة الأوثان ، فلم يزدهم ذلك إلا ضلالا وعنادا ، وإصرارا على استمساكهم بأوثانهم ، ومحاربة خالقهم واضطهاد رسله ، فيجزيهم الله على ذلك بالهلاك فى الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر .

أما إهلاكهم فى الدنيا فقد كان متنوعا ، فمنهم من أهلكه الله بالغرق ، ومنهم من أهلكه بالمسخ والخسف ، ومنهم من أهلكه بالصواعق والرياح ، الى غير ذلك من المهلكات المدمرات الواردة فى كثير من آى القرآن الحكيم . فمن ذلك ما بينه الله تعالى فى قوله : « فكلا أخذنا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

ومعنى الحاصب : الريح العاصف التى فيها حصباء ، وقد أهلك بها قوم لوط . والصيحة معروفة ، وقد أهلك بها مدين وثمود . وخسف الأرض بقارون . وأهلك بالغرق قوم نوح ، وفرعون .

أما بعد رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد رفع الله عن الناس الذين يكفرون به هذا النوع من العذاب ، وهو استئصال المكذبين وقطع دابرهم أجمعين ، وإن كانت النذر الإلهية لم تنقطع ، فان الله سبحانه لم يزل يذكر الناس ببطشه وسلطانه ، ويحذرهم بأنواع من العذاب ليتدبروا عاقبة طغيانهم فيكفوا عن الظلم والفساد ، قال تعالى : «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » . فهذا وعد من الله تعالى لنبيه بأنه لا يعذب أحداً من أمته (وهو رسول الى الناس جميعا) بذلك النوع من العذاب ، ولذا قال تعالى : « ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى » . ومعنى ذلك أن الله تعالى يقول لنبيه : لولا ما وعدناك به من أننا لا نعذب أمتك عذاب الاستئصال الذى عذبنا به الأمم التى من قبلك لكان ذلك العذاب أمرا لازما . أما قوله : « وأجل مسمى » فهو عطف على قوله : « كلمة سبقت » .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(٣) أما كون الله تعالى قد أغرق الأطفال الذين لم يكلفهم بدون ذنب ، فقد اختلفت فيه آراء العلماء ، فمنهم من قال : إن الله تعالى قد أعقم النساء فى زمن نوح مدة أربعين سنة فلم يوجد بينهم طفل غير مكلف عند الغرق . ولكن هذا القول لم يدل عليه دليل صحيح . ومنهم من قال : إن الله تعالى قد علم بأن هؤلاء الصغار سيكونون مثل آبائهم إذا كبروا ، وقد صرح بذلك سيدنا نوح ، فقد حكى الله عنه أنه قال : « رب إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا » وأقره الله على ذلك ، فلو علم الله أن أحدا من هؤلاء الصغار سيكون مؤمنا لهيأ له وسائل النجاة . ومنهم من قال : إن هؤلاء الأطفال قد ماتوا لانقضاء آجالهم كما يموت غيرهم ، فان الموت لا يترك الصغير رحمة به ، بل معظم الموتى من الأطفال ، فليس فى الموت تعذيب خاص بفريق دون فريق لأنه عام ، وقد يكون من مصلحة الطفل أن يموت فى هذه الحالة لينجو من فساد أبويه وكفرهم وطغيانهم . بل قد ورد فى بعض الأحاديث أن المؤمنين الذين يعيشون فى البيئات الفاسدة يمسهم العذاب الذى يلحق المفسدين فى الدنيا ، وأجرهم على الله فى الآخرة . وهذا الرأى قد أقره كثير من محققى المفسرين ، وهو الظاهر ، لأن هذا الخلاف فى الواقع مبنى على الظاهر المعروف لنا ، ولكن عند التأمل نرى أن كل كائن فى هذه الحياة له أجل معلوم ، وقد جرت سنة الله فى خلقه أن يجعل للموت أسبابا متنوعة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بعضها ظاهر وبعضها خفى . فنهاية أجل الانسان هى الموت باتفاق الناس . أما كون الميت لو فعل كذا لم يمت أو لو ابتعد عن المهلكات لنجا ، فهذا صحيح ، ولكنه لم يبتعد فأصابته فمات ، فغير المكافين من قوم نوح قد انتهت آجالهم فماتوا بالغرق ، ولا فرق بينه وبين غيره من الحميات القاتلة (والميكروبات) المميتة .

فان قال قائل : لولا كفران آبائهم وإغراقهم بالطوفان لما ماتوا ، فذلك صحيح ، ولكن آباءهم كفروا فأغرقوا هم وأبناؤهم عظة وعبرة لمن يأتى من بعدهم ، فدل ذلك على أن آجالهم قد انتهت بلا نزاع .

(٤) أما ما اشتملت عليه هذه الآية من البلاغة والفصاحة فأمره معروف مشهور ، فقد روى أن فحول البلاغة من كفار قريش أرادوا أن يعارضوا القرآن بالإتيان بمثله ، فأخذوا يتريضون ولا يأكلون إلا ما يعتقدونه نافعا فى صفاء الأذهان وذكاء العقول ، فعكفوا على أكل لباب البر ولحوم الضأن وشرب سلاف الخمر مدة أربعين يوما . فنزلت هذه الآية ، فلما سمعوها قالوا : إن هذا الكلام لا يشبه كلام المخلوقين ، وأيقنوا بعجزهم عن الإتيان بمثله فتفرقوا . وروى أن ابن المقفع (وكان من مشاهير البلغاء والكتاب) أراد أن يعارض القرآن قبل إسلامه ، فسمع هذه الآية فرجع ومحا ما عمله من ذلك ، وقال : أشهد أن هذا لا يعارض أبدا ، وما هو من كلام البشر ! على أن هذه الآية وإن بلغت أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة فالقرآن الكريم كله قد بلغ المرتبة التى يعجز البشر عن الاتيان بمثلها ، وإن كان بعضه أبلغ من بعض كما هو مقرر فى علوم البلاغة .

وإليك بعض ما اشتملت عليه هذه الآية من دقائق البلاغة التى لا تخطر على قلب بشر مهما كان بليغا فصيحا :

إن الغرض من هذه الآية أمران : (أحدهما) التعبير عن قدرة الإله القاهر الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وإذا أراد أمرا فانما يقول له كن فيكون . (ثانيهما) إشعار النوع الانسانى بهذه القدرة ، وتخويف الطاغين من بطشه وسلطانه كى يؤمنوا به ويتبعوا أوامره التى جاءتهم بها الرسل المؤيدون بالمعجزات . فكأنه يقول للناس : انظروا الى هذه الآيات الكونية وفكروا فيها لتكون لكم منها عظة وعبرة ؛ وانظروا كيف أطاعت الأرض والماء والسحب أمرى وأنتم تخالفون مع أنكم ممتازون بالعقل الذى يدرك ، ومعرضون لآلام العقوبة دونها . وقد عبر سبحانه عن هذا فى الآية الكريمة بما لا يستطيع إنسان أن يأتى بمثله مهما أوتى من بلاغة وحسن بيان كما ذكرنا .

أما تفصيل بعض ما اشتملت عليه هذه الآية من المعانى ، فهو أنه سبحانه عبر أولا بالفعل المبنى للمجهول فقال : « وقيل يا أرض » وقال : « وقيل بعدا للقوم الظالمين » ولم يقل : قال

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الله مثلا ، أو قال القادر ، أو قال الخالق ، أو نحو ذلك . والسر فى هـذا عدم تحديد الفاعل ليذهب العقل فى تقديره كل مذهب . فكأنه يقول : إن فاعل ذلك لا يمكن للعقول البشرية أن تحده بالعبارة أو تصوره بصورة خاصة ، فهو الإله ، وهو القدير ، وهو القـوى ، وهو القاهر ، وهو ذوالسلطان الذى لا حد له ، الى غـير ذلك من العبارات التى تدل على العظمة المتناهية والقدرة القاهرة .

ثم قال : « يأرض » . ومعروف أن النداء بيا ، كما يكون للعاقل يكون لغير العاقل . أما النداء بلفظ يأيتها أو يأيها فانما يكون للعاقل لما فيه من التنبيه ، وهاهنا إنما ينادي اللهُ غيرَ العاقل ، فكأنه يقول : إن الذى أناديه وآمره لا يعقل ومع ذلك فقد فهم ندائى وصدع بأمرى ، ومن ذا الذى يستطيع أن ينادى غير العاقل فيسمع ويجيب ؟ من ذا الذى يستطيع أن يأمر الماء الطاغى بالنقصان فيمتثل الأمر ؟ من ذا الذى ينادى السحب التى تنصب منها المياه بالكف فتكف ؟ لا شك أن ذلك مختص بالإله القادر وحده ، وأن هؤلاء الطاغين الذين مكث فيهم نوح ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم الى توحيد الله فلم يجيبوا ، أحقر من الجماد ، وأهون عند الله من السحب والماء .

ثم قال : « ابلعى ماءك » . وهذه العبارة تشتمل على شيئين : أحدهما الأمر بالبلع . وثانيهما إضافة الماء الى الأرض . فالله سبحانه قال للارض ابلعى ولم يقل : ارتشفى أو امتصى مثلا . والسر فى ذلك أن البلع هو ازدراد الماء دفعة ، أما الامتصاص والارتشاف فهو تناول الماء تدريجا . فالله سبحانه أمر الأرض أن تبلع الماء دفعة واحدة إظهارا لما يجب أن يكون عليه حال المأمور فى امتثال أمر الخالق العظيم ، فهو سبحانه إذا أمر أمرا لا يصح للمأمور به أن يهمل فى تنفيذه أو يتئد فى إجابته . وإذا كانت الأرض وهى جماد قد أسرعت فى تنفيذ أمر الخالق العظيم ، فما كان أجـدر بالانسان العاقل الذى يدرك دلائل عظمة الخالق بالبراهين العقلية أن يبادر بامتثال الأمر وتنفيذه ؟

وأما إضافة الماء الى الأرض ، فلان الله لو قال للارض ابلعى الماء أو ماءنا الذى خلقناه ، لـكان معناه أمر الأرض ببلع جميع ما عليها من الماء دفعة واحـدة ، وفى ذلك ذهاب لجميع مياه الأرض اللازمة لحياة الانسان والحيوان والنبات ، وذلك ينافى إرادة الله سبحانه فى تعمير الأرض على الوجه الذى أراده . فمن أجل ذلك أمرها الله سبحانه ببلع القدر الذى زاد على الحاجة وهـو الذى أهلك به قوم نوح وجعله عبرة لمن يأتى بعدهم . فلذا أضاف الماء الى الأرض ، وأمرها أن تبلع الماء الذى تفجر منها . فالغرض من إضافة الماء الى الأرض هو أن تبلع الأرض الماء الذى تفجر منها ولم يكن فيها من قبل ، بدليل قوله تعالى « وياسماء أقلعى » . فالماءان اللذان نشأ منهما الطوفان هما المقصودان بأمر الله تعالى . أما الماء الذى كان على الأرض من قبل فلم تبلعه الأرض ، وفى ذلك من الحيطة فى الأمر وتنفيذه على الوجه النافع ما يدهش

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العقول ويحير الألباب . أما ما فهمه بعضهم من أن الأمر عام وقد جف مياه الأرض جميعه ثم خلقه الله مرة أخرى ، فهو تكلف لا معنى له ، فضلا عن خلوه عن مراعاة الدقة فى الأمر .

أما قوله تعالى : « ويا سماء أقلعى » : فمعناه أن الله سبحانه بعد أن نادى الأرض وأمرها بأن تفعل ما هو من شأنها وهو بلع الماء الذى يضر بالعمران ، أمر السماء بأن تكف عن إمداد الأرض بالماء . وكان أمره تعالى للسماء كأمره للأرض معبرا عن تمام قدرته وعظمة سلطانه ، فقال لها : « أقلعى » ومعنى القلع نزع الشىء من أساسه بحيث لا تبقى له باقية . فالغرض من الأمر ها هنا أن تكف السحب عن إنزال المطر مرة واحدة بحيث لا يبقى له أثر . وما قيل فى نداء الأرض يقال فى نداء السماء ، فالقادر القاهر هو الذى أمر ما لا يعقل بالكف عن إرسال الماء فعقل أمره وامتثل ونفذه بدون تردد .

بعد ذلك قال تعالى : « وقضى الأمر » : ولا ريب أن هذا نتيجة طبيعية لما ذكرناه أولا من أن الآمر هو القادر الذى لا حد لقدرته ، فإذا أمر أمرا وأراد إنفاذه فلا بد أن ينفذ ، وإذا قضى شيئا فإنما يقول له كن فيكون ؟

عبد الرحمن الجزيرى



فضيلة التواضع

قال عروة بن الزبير : التواضع من مصايد الشرف . يريد أن الانسان يصطاد بها الشرف ، أى أنها مجلبة للشرف لا للذلة .

وقال حكيم : التواضع فى الشرف أشرف من الشرف .

كان النبى صلى الله عليه وسلم مع علو منصبه ، وسمو مكانته يجيب دعوة العبد والحر والأمة والمسكين (أى يجيب دعوتهم للطعام) ويقول : لو دُعيت الى كراع لأجبت . وكان يخصف النعل ويحلب الشاة ويركب الحمار ردفا ، ويرقع الثوب ويطحن مع الخادم إذا أعيت ، ويأكل معها ، ويحمل بضاعته من السوق ، ويسلم مبتدئا ، ويصافح الغنى والفقير ، ويخالط أصحابه ويحادثهم ويمازحهم ، ويلاعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ، وما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال لبيك .

وقال البراء بن عازب : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب صدره ، وكان ينقل اللبن على عاتقه (أى الأحجار) مع أصحابه عند بناء مسجده بالمدينة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

صلاة الجمعة بتبليغ الاذاعة

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الأسئلة الآتية :

نسكن فى عزبة فى الريف ليس فيها حاكم سياسى ولا آخر شرعى ، ومذهبنا حنفى فلا تجوز لنا صلاة الجمعة جماعة فى القرية .

وعندنا (راديو) يذيع كل يوم جمعة الأذان والخطبة والصلاة ، فهل يجوز لنا الصلاة وقت الإذاعة مؤتمين بالامام الذى نسمع صوته وحركاته بجلاء ووضوح ما دامت الاذاعة أمامنا لجهة القبلة ؟

الجواب :

يشترط لصحة الاقتداء عند الحنفية ألا يكون بين المأموم والامام فاصل كبير كطريق واسع .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وحيث إن بين الامام فى الصورة المسئول عنها وبين المأمومين مسافة واسعة لا يصح معها اقتداؤهم بذلك الامام ، فلا تصح جمعتهم ، لأن من شرط صحتها أن تكون فى جماعة . والله أعلم ؟

حكم الالبسة

وجاء أيضا :

هل لبس النبى صلى الله عليه وسلم الألبسة على وجه العبادة ، أو على وجه العادة التى قصد منها ستر العورة ، ودفع أذى الحر والبرد ؟

حافظ ملا محمد زاده
كركوك — العراق

الجواب :

كان النبى صلى الله عليه وسلم يلبس قبل البعثة ما اعتاد قومه لبسه ، ولما شرفه الله تعالى بالرسالة لم ينقل أنه غيّر من لباسه شيئا ، والشريعة المطهرة التى جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أوجبت على الناس جميعا ستر عوراتهم ، ولم تلزمهم زيا معينا فيما يسترون به العورة ، ولا فيما يتقون به الحر والبرد ، ولا فيما يتجملون به من ثياب الزينة ، ولكن مع هذا حرمت على الرجال لبس الحرير ، كما حرمت التشبه بالكفار فى زيهم الخاص الذى له صبغة دينية عندهم .

ومن هذا يتبين أن اللبس على عمومه ليس من العبادات ، وإنما هو من العادات التى تصطلح كل أمة على اختيار نوع منها . والله أعلم ؟

الانفحة والجبن

وجاء أيضا :

كان الناس فى القديم يستعملون فى عمل الجبن بأنواعه الإنفحة الطاهرة من صغار الضأن والمعز والبقر ، فلما ظهرت وشاعت فى بلادنا المادة المجلوبة من الممالك الأجنبية التى يقال لها فى ألسنة العامة « مايئه بينير » (خميرة جبنه) ، تركوا استعمال الإنفحة المذكورة إلا النادر من المتورعين ، وأكثروا من استعمال المادة المجلوبة لأنهم على مايقولون وجدوها أسهل وأكثر وجودا وأرخص قيمة ، ولم يصادفنى الى الآن فى الكتب الفقهية التى بأيدينا رأى العلماء فى هذه المادة المجلوبة : أهى طاهرة أم لا ؟ وقد كنت فى مجلس يجرى البحث عن الجبن ، فقال بعض الحاضرين : إن غير المسلمين يستعملون فى عمل الجبن إنفحة الخنازير قطعا وجزما ، فأشكل الأمر ، وتمكنت شبهة قوية فى طهارة المادة المجلوبة من الأجانب ، لأن عمالها غير مسلمين ، ويأكلون الخنازير ، فيحتمل احتمالا قويا أن يوجد فيها شىء من إنفحة الخنازير ، والناس هنا يأكلون الجبن أكثر من سائر الأغذية ، والأسواق مملوءة به ، ويعمله المسلم وغير المسلم ، وكذا يبيع ويشترى كل منهما ، والتمييز بين جبن وجبن متعذر لأن أثر النجاسة لا يظهر فيه ، فما الحكم ؟

عبد الحميد بن محمد
عضو المجلس العلمى فى أسكوب سابقاً
بيوجوسلافيا

الجواب :

الأصل أن طعام أهل الكتاب حلال للمسلمين ، لقوله تعالى : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم »

وعليه فكل ماورد من بلادهم من الأطعمة يحل للمسلم تناوله مالم يقم دليل قاطع لاشبهة فيه على أن هذا الطعام نجس أو اختلط بما ينجسه أو يحرمه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وعلى هذا فالجبن المصنوع بالإنفحة المسئول عنها حلال تناوله إلا إذا علم يقينا أن الإنفحة التى صنع بها الجبن مأخوذة من خنزير أو من حيوان غير مذكى . والله أعلم .

خدمة الزوجة لزوجها

وجاء أيضا :

هل المرأة ليست مكلفة شرعا بالقيام بخدمة زوجها ورعاية أطفالها ، وتقديم الخدمة اللازمة لسلامتهم ؟ وإن كان ذلك فهل وردت آية أو حديث ينص على هـذا ؟ مع التفضل بايراد هذا النص .

الجواب :

مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة أنه لا يجب على المرأة أن تخدم زوجها ولا أولادها ، لأن عقد الزواج لم يتناول شيئا من هذا .

أما المالكية فيرون فى هذه المسألة تفصيلا يتلخص فيما يأتى :

أولا — إذا كانت الزوجة من ذوات القدر والشرف اللاتى جرت العادة بأنهن لا يتولين الخدمة بأنفسهن فى بيوتهن ، فانه يجب على الزوج أن يجعل لها خادماً أو أكثر بحسب مايليق بها متى كان قادرا على ذلك .

ثانياً — إذا كان الزوج من الأغنياء الذين لا يليق بهم عادة أن تقوم زوجاتهم بخدمة المنزل ، وجب عليه أن يجعل لها خادما أو أكثر ، ولو كانت هى فقيرة ليس من شأنها أن يكون لها خادم .

ثالثاً — إذا كان الزوج فقيرا لايتيسر له أن يجعل لزوجه خادما ، فلا يجب عليه استحضار خادم لها ولو كانت شريفة ، ويجب عليها حينئذ القيام بالخدمة بحسب ماجرت به العادة .

رابعاً — إذا كان الزوج موسرا ويستطيع أن يجعل لزوجه خادما ولكن لم تجر العادة بأن يكون لمثله ومثل زوجته خادم ، فعليها أن تخدم بنفسها بحسب العادة . وحيثما تجب عليها الخدمة كما فى الحالتين الثالثة والرابعة ، فانما الواجب عليها خدمة نفسها وزوجها لا غير ، أما أولاده وضيوفه فلا تجب عليها خدمتهم . والله أعلم ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى الميراث

وجاء أيضا :

مات الميت وترك أما وإخوة لأم وعما ، كما ترك تركة قدرها أحد عشر قيراطا باعها الميت لعمه فى مرض الموت ، فطعن باقى الورثة مطالبين بفسخ عقد البيع ، فحكمت المحكمة أولاً بفسخ عقد البيع ، ثانيا بتوزيع التركة على الورثة باستحقاقهم الشرعى ، إلا أن المحكمة بعد هـذا فصلت تقسيم التركة وهى الأحد عشر قيراطا ، فجعلت للأم الثلث وقدره ٣ قراريط و١٦ سهما كما خصصت للإخوة لأم الثلث ، وللمدعى عليه وهو العم الثلث .

وبما أن الحـكم الشرعى يتعارض مع حكم المحكمة فى نصيب الأم والعم ، رأينا الالتجاء إليكم لمعرفة الحـكم الصحيح ، والسلام عليكم ورحمة الله .

الجواب :

حيث تبين من السؤال أن المتوفى ترك أما وإخوة لأم وعما لاغـير ، فالتركة تقسم بينهم بالـكيفية الآتية :

للام سدس التركة بنص قـوله تعالى : « فإن كان له إخوة فلأمه السدس » ، وللإخوة للام — اثنين أو أكثر — الثلث بنص قوله تعالى : « فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث » إذ معنى الآية : فان كان إخوته لأمه أكثر من واحد فلهم الثلث يشتركون فيه ، الذكر والأنثى منهم فى ذلك سواء .

وللعم الباقى وهو النصف بطريق التعصيب ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر » . والله أعلم ؟

فى الرضاع

وجاء أيضا :

ولد رضع من جدته أيام رضاعته رضاعا كثيرا ، فهل جوّز أبو حنيفة أن يتزوج هـذا الشاب من بنت عمه التى أصبحت بنت أخيه رضاعا ؟

الجواب :

لا يجوز على جميع المذاهب أن يتزوج هذا الرجل بهذه البنت ، لأنها بنت أخيه من الرضاع ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السيد محمد اقبال شاعر الهند

ولمعة من تاريخ اللغة الأردية

ليس فى الناس من يجهل أن الهنود كانوا أسبق الناس إلى الشعر ، والشعر لا يجمل إلا إذا امتزج بالتصوف والحكمة ، وكلاها وليدة الهند أيضا . وأقوى دليل على ذلك قول العرب : « الحكمة هندية » . والتصوف فى اعتقادي وليد الفلسفة ، وبعبارة أوضح : التصوف هو فلسفة الأديان والعقائد . وإنى لا أريد أن أفيض فى هذا الموضوع الآن .

كان قبل الاسلام فى الهند شعراء وفلاسفة ينظمون الأشعار باللغات الهندية القديمة ، وقد بقيت آثارها الى الآن ، ويحفظ هذه الأشعار كثير من الهنود ، ولكنها غير مدوّنة فى دواوين . وقد دخل الاسلام الهند فى القرن الأول الهجرى على يد محمد بن قاسم بأمر الوليد ابن عبد الملك الأموى ، فانه زحف أولاً على بلاد السند ، وجهزه ابن عمه الحجاج بستة آلاف مقاتل ، فحاصر محمد ثغر الديبل ومكانه الآن كراتشي ، واستولى عليه ، ثم واصل الفتح حتى بلغ نهر السند وقتل داهر ملك السند وهزم أتباعه ، وآثرت زوجة داهر وأتباعها إحراق انفسهم على الوقوع فى أيدى المسلمين . وزحف المسلمون من السند على بلوجستان وحاصروا ملتان فى جنوب بلاد البنجاب . ومن ذلك الوقت تأثرت اللغة السندية باللغة العربية . وكتابتها الى اليوم بالعربية . وهذا أول أثر للغة العربية فى اللغات الهندية .

وبعد ذلك حكم المسلمون الهند ، واستمرت دولتهم حوالى خمسمائة سنة ، وآثارها تُظهر الى الآن عظمة هؤلاء الملوك ، وذلك أنه فى سنة ١٥٠٥ م . فرّ «بابر» أحد زعماء المغول من سلالة تيمورلنك من موطنه الأصلى الى سمرقند فنزل بها وكثر أتباعه ، فدانت له بعد ذلك بلاد أفغانستان ، ثم جاوزها الى حدود الهند ، فطالب بملك البنجاب متخذا له ذريعة هى أحد أجداده (وهو تيمورلنك) الذى كان قد فتحها منذ مائة وسبع سنين . وما لبث أن والى انتصاراته فى أراضى البنجاب حتى جاوزها الى ما وراءها ، وكانت بلاد الهند وقتئذ منقسمة على نفسها ، على استعداد لأن ترحب بأى فاتح يكفل لها الهدوء والسلام ولو كان هذا الفاتح أجنبيا لا يمتّ اليها بصلة . وظل بابر ردحا من الزمن كان النصر فيه تارة الى جانبه وأخرى الى جانب أعدائه من الوطنيين حتى جاء عام ١٥٢٥ م وفيها وقف وجها بوجه مع سلطان دلهى ، أشد ملوك الهند مراسا . وكان ذلك أمام قرية « بانيبت » التى تبعد عشرة أميال عن دلهى ، فانتصر بابر بالرغم من قلة جنده الذى لم يزد على ٢٥ ألفا ، بينما بلغ جيش سلطان دلهى مائة ألف مزوّدين بعدد عظيم من الفيلة لا يقل عن ألف . وبانتصار بابر على سلطان دلهى دانت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

له بلاد الهند الشمالية ، وأطلق على نفسه لقب أمبراطور الهندوستان . وبموت بابر (١٥٣٠) وقف تيار الفتوحات المغولية فى الهند زهاء ربع قرن ، ولم يستعد المغول نشاطهم فى الفتح والغزو إلا بعد أن تولى حفيده الأعظم أكبر جلال الدين عرش الامبراطورية . وكان أكبر خان أعظم ملوك المغول فى الهند ، وتملك كل الهند ، وكان عهده عهد ثقافة ورخاء ، وبقيت أمبراطوريتهم الى أن دخل الانكليز فى الهند . وتأثرت اللغة الهندوستانية فى عصر أكبر خصوصا ، وفى عصر ملوك المغول الآخرين عموما ، باللغة الفارسية والتركية ، وتلوّنت بلون جديد ، وانتشرت انتشارا عظيما .

اللغة الهندوستانية أو الأردية :

اللغة الهندوستانية فرع راق من اللغة الهندية الآرية ، وقد تكلم بها أهل الهند فى القرن الرابع الهجرى فى وسط الهند كلغة مستقلة ، وبقيت على هذه الحالة حتى اختارها المسلمون فى القرن السادس لغة واحدة لهم . ولما انتشرت فى « دهلى » وجوارها ، دخلت فيها ألفاظ جديدة ، وتغيرت نوعاما . وفى القرن نفسه صارت بعد إصلاحها لغة الثقافة . وفى القرن الثامن اختارها الملك أمير خسرُو لغة للحكومة . ومن هذا القرن بدءوا استعمالها فى النظم والنثر . فمن القرن الثامن الى القرن الثانى عشر الهجرى دونت فيها علوم كثيرة وآداب جمة . وأما الشعراء فنظموا بها أشعارهم من القرن السابع . وفى القرن التاسع استعملها الشعراء الفحول مثل كبيرنانك ، وداوسورداس ، ونندداس ، وكَوسوانى ، وتلسى داس ، وكانت تسمى إذ ذاك الهندوستانية ، وبعد ذلك دخلت فيها الألفاظ العربية والفارسية والتركية فى كثرة هائلة حتى ظهرت بلباس جديد واسم جديد فى سنة (١٦١٨) م حين شرع الملك شاه جهان الخامس من أسرة المغول تعمير « لال قلعة » (القلعة الحمراء) التى تم بناؤها بعد عشرين سنة . ويقال : إن جيشه وخدامه كانوا فوق العدّ والحدّ ، وهم من جميع الأقوام والبلاد ، وسكنوا فى معسكر عظيم كان يسمى (أردو) ، ومعناه بالتركية الجيش . وكان فى جوار هذا الجيش سوق يسمى « أردوبازار » (سوق العسكر) ، فكل هؤلاء من الهنود والفرس والأتراك والعرب تنافسوا فى إدخال لغاتهم فى هذه اللغة ، فامتزجت فيها ألفاظ منتخبة من العربية والفارسية والهندية الآرية والتركية ، وصارت زبدة اللغات الشرقية ، فيها لطافة الفارسية ، وبلاغة العربية ، وعمق الهندية ، وحماسة التركية ، حتى صارت لغة جديدة ، وسميت « أردو » ، لأنها تجددت فى السوق المذكور ، وبقى هذا الاسم الى قرننا العشرين . ولكن منذ سنة فقط بعد استقلال الهنود استقلالهم الداخلى وتشكيل الوزارات الهندية سميت مرة ثانية « اللغة الهندوستانية » لأنها قُررت لغة للحكومة . والألفاظ العربية فيها تقارب نصفها ، والفارسية تقارب ربعها ، والباقى من الهندية الآرية والتركية ، ودخل فيها شىء من الانكليزية منذ دخول الانكليز

مجلات قديمة https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى الهند . ولهذه اللغة كتب مدونة فى النحو والصرف والقواعد والبلاغة . ومن أكبر محاسنها أننا نستطيع أن ندخل فيها ألفاظا من أية لغة على هيئتها . وهى الآن أكثر انتشارا من اللغة العربية والفارسية والتركية ، لأن عدد الذين يتكلمون بها يبلغ ثلثمائة مليون فى الهند ، ويفهمها أكثر من أربعمائة مليون . وهى تدرس تقريبا فى كل العالم ، وعـدد حروف هجائها واحد وخمسون حرفا .

المقارنة بين الأشعار الهندية والعربية :

افتخر الفرس على سائر العالم بستين ألف بيت نظمها الفردوسى فى شاهنامته ، ولكنهم تجاهلوا أنه ألفت فى الهند دواوين بهذا الحجم فى الأفكار فقط . ونظم مهرة الفن مثل آنيس ودبير وتعشق وغيرهم مئات من المراثى ، وفى كل مرثية خمسمائة وستمائة مسدس ، وكل مسدس ثلاثة أبيات . وألفت كتب متعددة فى نقد أشعارهم من الشرقيين والمستشرقين . ونحن لا نجد لهم نظيرا فى غيرهم . وعلماء الفنون الحربية متحيرون كيف قدر هؤلاء على نظم نكات غامضة من فنون الحرب بعبارة بديعة طريفة مع أنهم لم يخرجوا من منازلهم .

ومن أهم موضوعات اللغة الهندوستانية ، الأوصاف الجميلة ، والفلسفة والتصوف ، والتخيل والمراثى ، والغزل والقصة ، والمدح ، وغيرها . وبعض شعرائها الماهرين جمعوا دواوين على ألسنة النساء وفى أفكارهن ، ولا يمكن أن يعرف القارئ أنها للرجال . وممن يذكر من هؤلاء الشعراء من المتأخرين « سودا ، غالب ، ذوق ، مير ، آنيس ، دبير ، آتش ، مومن ، ظفر ، تعشق ، داغ ، نفيس ، أكبر ، حالى ، اقبال » وغيرهم . ومن المعاصرين « آرزو ، حسرت ، سيماب جليل (أستاذ نظام حيـدر اباد) أمجد ، ظفرعلى ، سالك ، صفى ، جوش ، أثر ، عزيز ، وحشت ، محشر ، جگر ، » وغيرهم .

وأهم سبب لانتشار الشعر فى الهند هو المشاعرة : أى المكاثرة بالشعر ، وهى أكبر دعاية لنشر هذه اللغة أيضا . فمنذ بدئها الى يومنا هذا يحتفل الشعراء بالمشاعرة ويشكلون لأجلها الأحزاب ، ويسمونها « بزم » حتى لا تجد قرية إلا وبها هذه الجماعات ، ينافس بعضها بعضا فى الشهرة والتقدم ، وتقدم الجوائز القيمة للسبق فى مبارياتها ، فتجد الاعلانات المتنوعة فى أكثر الجرائد الهندية لهذه المشاعرات الطريفة كاعلانات الرياضة والألعاب فى الجرائد المصرية . والهنود يشتركون فيها أكثر مما يشترك إخواننا المصريون فى الألعاب والرياضة البدنية . وطريق مبارياتها أن شاعرا منهم مشهورا يقدم شطراً لبيت مع شروط ، وينشره فى الاعلانات والجرائد ، ويرسله أيضا الى الشعراء المعروفين بتحديد ميقات الاحتفال ، فكل من يريد الاشتراك فى هـذه المباراة من كل نواحى الهنـد ينظم أشعارا حسب ذوقه وطبعه مراعيا الشروط ، ويحضر يوم المشاعرة ، ويسمع الناس نظمه بصوته الجذاب ، ولهجته الخلابة ، والذى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا يستطيع الحضور لأمر ما يرسل نظمه الى سكرتير الجماعة ليسمعه أحد الحاضرين باسم الشاعر، حتى مثل إقبال وغالب وذوق وآنيس : أولئك الشعراء العظام، كانوا يشتركون فى هذه الحفلات ويسمعون الحاضرين أشعارهم، وكنت أشترك بنفسى فيها، وما كنت أقوم منها طول الليل إلا قرب طلوع الشمس، وكنت أعدها أحب الليالى الىّ. وهذه الجماعات أنواع، فبعضها للأطفال، وبعضها للشبان، وبعضها للشيوخ، وبعضها للنساء. وإذا نظرت الى كثرة الشعر والشعراء فى الهند اعتقدت أن أرض الهند كلها شعر، فالأطفال من سن الثامنة ينظمون القصائد، ولذ انتشر فى الهند مجلات وجرائد خاصة لنشر نتائج المطارحة، وتجد أكبر عدد للشعراء فى العالم فى الهند، وتؤلف فيها كل يوم دواوين متعددة فى المواضيع الطريفة المتنوعة. ومعظم سلاطين الهند وحكمائها وزعمائها شعراء، ولهم دواوين، ورئيسهم فى هذا الفن نظام حيدر اباد ملك الدكن والبرارى، ويسمى سلطان العلوم، وله دواوين الشعر كما لأبنائه دواوين. وهذا الفن خاص بالهنود.

وسبب آخر لانتشار الشعر فى الهند: هو أنه لا توجد فى اللغة الهندوستانية لغة عامية كسائر اللغات، بل لغة التخاطب والكتابة فى الهند واحدة، والهنود يتكلمون بها حسب قواعدها، وتختلف باختلاف الشعوب عمقا وسذاجة. فظهر من هذا أن للشعر مكانة خاصة فى أرض الهند.

ومكانة السيد إقبال بين هؤلاء الشعراء العظام، كمكانة الشمس بين النجوم المتلألئة، أو كمقام الملك بين أمراء بلاده. فاذا قرأت شعره تأثرت به تأثرا عظيما كأنك ألهمت شيئا كنت تجهله وهو كان بين يدى خيالك، فان الشاعر لا يأتى بشيء مستحيل بل يأتى بشيء ممكن ولكن يعسر على غيره الاتيان به، واذا لم يكن الشعر هكذا فليس بشعر، بل هو نظم قد رتب الناظم ألفاظاً ظريفة على طريق بديع وسماها شعراً. وإنى شخصيا لا أطرب لأشعار الشعراء المعروفين طربى من أشعار السيد إقبال، فكلما تلوتها شعرت كأنى أقرأ شيئا جديدا، لأننى أجد فيها روحا وقوة لا أجدها فى أشعار غيره، وكلكم تعرفون أن روح الشعر تزول بعد الترجمة من لغة الى لغة إلا إذا كان الشاعر رسول فلسفة أو حكمة أو شيء جديد غير معروف قبله، فانكم حينئذ لتشعرون شيئا جديدا من الروح الجديدة فى أشعار هذا الشاعر بعد زوال أكثرها

وإنى أحاول الآن أن أعرض على حضراتكم صورة إجمالية لألمعية إقبال التى اتخذ شعره منبرا لها وترجمانا عنها فى هذه القصيدة، عنوانها « طلوع إسلام » ثم أقدم اليكم بعد ذلك أبياتا مختلفة أتقدم بها كأنموذج من شعره، وسأترجمها اليكم الآن نثرا. وها هى قصيدة « طلوع إسلام » :

« العين التى تعودت أن تنظر الى عظيم من الأشياء لا تهتم بصغيرها، والعين المتطلعة الى الفرسان والغزاة لا تهتم بالنظر الى ما يكون فى الركاب من زينة.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

«أنر أيها المسلم فى ضمير « زهرة لاله » سراج الرجاء والأمل ، واجعل كل ذرة فى بستان العالم شهيدة البحث والاكتشاف .

« أنت يد قدرة الله أيها المسلم وأنت لسانها . فهيا اخلق يقين الهمة ولا تعش أسير الأوهام .

« إن الدنيا تفنى ولكنك أعظم خلودا من الدنيا ، لك مجد الأزل ، ولك نعيم الأبد أيضا ، وأنت الرسالة الأخيرة لله ، لذلك أنت موصول الدوام .

« اقرأ مرة أخرى فى سيرتك الأولى ، دروس الصدق والعدل والشجاعة ، لأنك أنت المنشود لتسود العالم مرة ثانية .

« فهذه هى مقاصد الفطرة الأولى ورمز الاسلام الحقيقى أن تملك العالم بالأخوة وتحكمه بالمحبة .

يجب أن تفنى فى دينك وملتك بعد أن تكسر أصنام اللون والدم حتى لا يبقى فى العالم تورانى ولا إيرانى ولا أفغانى .

« ما الذى محا استبداد قيصر وشدة كسرى ؟ أكانت هنالك قوة فى العالم كانت تحارب الجبابرة سوى قوة على ، وفقر أبى ذر ، وصدق سلمان ؟

« عندما ينبعث فى هذه الشرارة الترابية روح اليقين ، فانها تطير الى سماء المجد بجناح جبريل الأمين .

« لا تفيد السيوف ولا التدابير إذا سيطرت العبودية والاستكانة ، ولكن إذا وجد اليقين فهناك تتحطم السلاسل والأغلال .

« هل يستطيع أحد أن يقيس مبلغ قوة ساعد المسلم ؟ إن نظرة المؤمن تبدل الأقدار .

« إن الولاية والحكومة واكتشاف علوم الكائنات ليست إلا تفسيرا لنكتة من نكات الايمان .

« ولكن من العسير أن يخلق فى النفوس إيمان ابراهيم ، فان عوامل الحرص والخوف مستترة فى الصدور لتخلق الصور والتماثيل .

« إن امتياز السيد والعبد هلاك الانسانية ، فاحذروا أيها الجبابرة الأقوياء لأن فطرة العالم تتبدل وتتغير ولا تبقى الحياة على الحال .

« إن حقائق الأشياء واحدة متساوية ، فالذى خلق من تراب كالذى خلق من نور ، ولو شققنا قلب الذرة لتقطر منها دم الشمس .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« إن سيوف الأبطال فى جهاد الحياة هى اليقين المحكم والعمل المستمر . إن الذين ارتفعوا من أسلافكم كالنسور والعقبان ، لم يكن لهم ريش ولا جناح ، والذين طلعوا نجوما فى السماء قد غرقوا أولا فى دم الشفق ، والذين كانوا يسبحون فى هدوء البحر دفنوا فى قاعه السحيق . وأما الذين كانوا يصارعون لطمات الأمواج فقد خرجوا الى الدنيا بعد أن صاروا يواقيت .

« الذين كانوا يفتخرون بكيمياء الذهب صاروا غبارا فى ممر الطريق . والذين كانوا يضعون جباههم على التراب هم الذين صاروا يصنعون الكيمياء .

« إن المؤمن يعيش حيا كالشمس يغرب فى جهة ليشرق فى جهة أخرى ، فهو دائم الإشراق والحياة ، لا يغيب .

« أنت أيها المؤمن سر « كن فيكون » فاظهر على العيون وكن عارفا لأسرار حقيقتك وترجمانا لقدرة ربك .

« واستغرق فى ذاتك فهذا هو سر الحياة ، وصر خالداً بعد أن تخرج من حلقة الصباح والمساء .

« الى اليوم لا يزال الانسان شرَّ فريسة لصيد الحكام ، وإنها لقيامة كبرى أن يبقى الانسان فريسة الانسان .

« ولم يخلق هذا الهيكل الترابى فى أول فطرته من تراب الجحيم ولا من تبر الرضوان ، ولكن الحياة تخلق بالعمل ، كذلك الجحيم وكذلك الجنة » .

الفقر والعلم فى تصوف إقبال :

« معجزات الفقر هى التاج والعرش والجنود ، والفقر هو أمير الأمراء والفقر هو ملك الملوك .

« ومقصود العلم نزاهة العقل والفهم ، ومقصود الفقر عفة القلب والنظر .

« العلم فقيه وحكيم ، والفقر مسيح وكليم ، والعلم طالب الطريق ، والفقر عارف الطريق ، والفقر مقام النظر ، والعلم مقام الخبر . السكر بالفقر ثواب ، ولكن السكر فى العلم ذنب وعذاب . لو كان قلبك فى هذا التراب حيا ومستيقظا لكسر نظرك زجاج الشمس والقمر »

محمد حسن الأعظمى الهندى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قادة الفكر فى تاريخ الاسلام

— ٥ —

عمر بن الخطاب

تحتاج الأمم الناشئة فى مبتدأ نهوضها الى نوع من الشخصيات المثالية البارعة فى تكييف المبادىء الجديدة ، والنظريات التى ترتكز عليها دعائم تكوينها الاجتماعى ، تكييفا عمليا يخرج بالأمة سراعا من طور المعارف النظرية الى طور التمثيل العملى الذى يصور للأمة مثلها العليا حية متحركة ناطقة ، ليكون ذلك أسرع فى توجيهها توجيها صادقا الى تحقيق تعاليمها ، وفرض شخصيتها على الحياة بمالها من أفكار وأخلاق وآداب وتشريع ، فرضا يكتب لها صك السيادة والسلطان فى خلافة الله تعالى على عباده ، وقيادة الانسانية فى لاحب من الهداية ينتهى بما تتأدى اليه من إصلاح وعز وسعادة .

والأمة الاسلامية فى نشأتها الأولى أصدق صورة للمجتمع الذى يدلف الى الحياة وفى يده تشريع إلهى يرسم له طرائق أكمل هداية عرفها البشر من قبل ومن بعد ؛ وشريعتها أصدق صورة للتشريع العملى الذى يطبع المتشرعين به طابعا عمليا يدفعهم الى تحقيق غاياته ومراميه فى أنفسهم ، ليكونوا مثلا مضروبا ، وشاهد صدق على ما تستطيع الأمة أن تبلغه من السمو الفكرى ، والنبل الخلقى ، والرقى الاجتماعى ، فى ظل دينها الذى هو دنياها فى تشريعه وسياسته ، وآخرتها فى تهذيبه وآدابه ؛ وهذا منتهى ما تطمح اليه أمة يقدر لها الخلود .

وإذا كانت الشريعة الاسلامية — لما أودع الله فيها من عناصر الخلود والحيوية الروحية والمرانة التشريعية بما يتفق مع روح الأعصار المتعاقبة ، ويساير ما يتجدد من أوضاع عامة فى بيئات الأمصار المختلفة — زعيمة أن تجعل من الأمة الاسلامية وحدة اجتماعية قوية تتخطى حواجز الفوارق العنصرية والاختلافات الجنسية ، فان هذه الزعامة فى حاجة الى شخصيات مثالية تكون رموزا حية لتحقيق التكييف العملى ، والانطباع بطابع تعاليم هذه الشريعة الطاهرة ، وصنع المثل العليا للقوى الانسانية ، وتصوير الطاقة البشرية فى طور الكمال الفكرى .

وقد كان فجر الاسلام مظهرا عاما لهذه الشخصيات المكيفة بآداب الشريعة وتعاليمها ، لأن جدة الايمان صادفت قلوبا أبكارا ، ولأن تنجيم الشريعة وفقا للأحداث والنوازل ، ويسر العقيدة الاسلامية وما يتبعها من تهذيب ، وتآخيها مع الفطرة السليمة ، وانطواء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التشريع الاجتماعي على ما فيه مصلحة العباد وسعادتهم ـ جعل الامتثال أيسر على النفوس الفاضلة التي اتخذت الشريعة نبراسا لها في جميع شئونها ، ومقياسا تقيس به أعمالها .

ومن هذه الشخصيات من ارتفع عن حيزه الخاص الى سدة القيادة الفكرية للأمة ، فجعل من شخصه أول مرقاة في سلم التطبيق العملي لنظريات الشريعة وتعاليمها ، قصدا الى تحقيق الأسوة الحسنة . وليس من شك في أن « عمر بن الخطاب » كان أعلى مثل لشخصيات قادة الفكر في تاريخ الاسلام من جهة التطبيق العملي في صرامة أتعبت من جاء بعده من أبطال الاسلام وقادة الفكر ، وبقيت حياته كالشمس يقع الناس تحت أشعتها ولا ينالون موضعها ؛ وهذه الصرامة التطبيقية هي موطن التفرد في عظمة « عمر » ، وهي التي وطأت للاسلام في عهده مكانا من الحياة لم يشهده التاريخ لدين من الأديان ولا لدولة من الدول .

والاسلام باعتباره عنوان أمة ودستور دولة ، لا يكفي في تحقيق أغراضه من الوجهة العملية تقرير النظريات والوقوف في سفحها ، لأن الاسلام شريعة ودولة ، فهو باعتباره شريعة محفوظ بكفالة الله تعالى في نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، وهو باعتباره دولة لا يستوى سلطانه على عرش الحياة إلا إذا سيطرت نظرياته على أعمال أمته سيطرة عملية في غير خداع ، واتخذت من نفوس القادة وشخصياتهم مثلا تطبيقية لتحقيقها .

وقد جعل الله « عمر بن الخطاب » غاية الغايات في هذا التطبيق العملي الصارم ؛ وكانت هذه الصرامة صدى لطبيعة « فاروق الاسلام » القوية العنيفة ، فهو منذ ألبسه الله بالاسلام رداء الحق اشرأبت نفسه الى الكمال صريحا عنيفا ، فلما ولاه الله أمر المسلمين وجعله ثاني الراشدين ، تجلت للناس عبقريته الملهمة الصارمة في عدالة لم يعرفها البشر قبل مجيء الاسلام وخلافة عمر . وهل عرفت الانسانية في تاريخها الدولي وحياتها الاجتماعية قبل خلافة عمر أن ملكا أو رئيس دولة في أية صورة من صور الحكم يمتد ملكه ، وتخفق بنوده على أرقى من عرف من ممالك الأرض ، ثم يرى نفسه أنه « عبد » لرعيته يحوطها ويرعاها رعاية العبد للسيد الكريم ؟

روى أن الأحنف بن قيس قدم على عمر بن الخطاب في وفد من العراق ، فصادفه في يوم صائف شديد الحر وهو محتجز بعباءة يهنأ بعيرا من إبل الصدقة ، فقال : يا أحنف ضع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير ، فانه لمن إبل الصدقة ، فيه حق لليتيم والمسكين والأرملة . فقال رجل من القوم : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ! فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك هذا ؟ ! قال عمر : « وأى عبد أعبد مني ومن الأحنف ؟ إنه من ولى أمر المسلمين فهو عبد المسلمين ، يجب عليه لهم مثل ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة » ! فلينظر المتشدقون بالديموقراطية الزائفة كيف تكون الديموقراطية الحقة على يد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أعظم حاكم لأعظم دولة ، فهو لا يغنيه فى أداء واجبه لرعيته أن يقوم فى حاجات أفرادها ومواساتهم ، بل يتتبع الجربى من إبل الصدقة يداويها بنفسه ، لأن فيها حقا لليتيم والمسكين والأرملة ؛ وهو إنما يصنع ذلك تقديرا لمكانه من الأمة ، وليكون مثلا صالحا لمن يتولى من أمور المسلمين شيئا . وانظر الى لطيف إشارته باشراك الأحنف ، وهو رئيس الوفد ، دون غيره من عامة المؤمنين ، حتى يفهم المسلمون أن عظماءهم ورؤساءهم ليسوا إلا أفرادا منهم ، بل هم أثقل كاهلا بواجبات رياستهم ؛ وفى ذلك من عوامل التكوين الخلقى والتربية الاجتماعية ما يسمو على هذه النظريات الجوفاء التى لا تتعدى صفحات الكتب إلا الى الآذان وليس لها الى القلوب سبيل .

وكان رضى الله عنه يقول : إذا كنت فى منزلة تسعنى وتعجز عن الناس فوالله ما تلك لى بمنزلة حتى أكون أسوة للناس ! وهذا أساس للتربية الوطنية الاسلامية يضعه « ابن الخطاب » ويدعمه بأعماله الخالدة ، ثم يطبقه على عماله وولاة أمور المسلمين تحت يده . ويقول فى بعض خطبه : « ألا ؛ إنى والله ماأرسل عمالى اليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلتهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلىّ ، فوالذى نفسى بيده إذن لأقصنه . فوثب عمرو بن العاص فقال : ياأمير المؤمنين أفرأيت إن كان رجل من المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته إنك لمقصه منه ؟ قال : إى والذى نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه ، إنى لأقص منه ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم » . وماكان عمر بالذى يقول قولا لايتبعه الفعل ، فاذا قال لأمرائه : إنه سيقص من أحدهم لأحد أفراد الأمة نفذ ذلك وتحرى أن يكون فى ملأ من الناس ليشعر المسلمون أنهم سواسية فى الحقوق والواجبات ، وأنه لاسلطان لأمير على أحد من الرعية إلا بمقدار ماخوله الله تعالى من إقامة الحدود . قال أنس بن مالك : كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال : هذا مقام العائذ بك ؟ قال : ومالك ؟ قال : أجرى عمرو بن العاص الخيل بمصر فأقبلت فرس لى ، فلما تراءاها الناس قام محمد بن عمرو فقال : فرسى ورب الكعبة ، فلما دنا منى عرفته ، فقلت : فرسى ورب الكعبة ، فقام يضربنى بالسوط ويقول : خذها خذها وأنا ابن الأكرمين . قال أنس : فوالله مازاد عمر على أن قال للمصرى : اجلس ، ثم كتب الى عمرو : إذا جاءك كتابى فأقبل وأقبل معك بابنك محمد . قال : فلما وصل الكتاب الى عمرو دعا ابنه فقال له : أحدثت حدثا ؟ أجنيت جناية ؟ قال : لا ، قال : فما بال عمر يكتب فيك ؟ فقدما على عمر . قال أنس : فوالله إنا لعند عمر بمنى إذ نحن بعمرو ، وقد أقبل فى إزار ورداء فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه خلفه ؟ فاذا هو خلف أبيه ، فقال : أين المصرى ؟ فقال : هأنذا ، قال : دونك الدرة ، اضرب ابن الأكرمين ، يكررها ثلاثا ، قال : فضربه حتى أثخنه ، ثم قال :

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

أجلها على صلعة عمرو ، فوالله ماضربك إلا بفضل سلطانه ! فقال المصرى : يا أمير المؤمنين لقد ضربت من ضربنى ، فقال عمر : أما والله لو ضربته ماحلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه ! ثم التفت الى عمرو وقال كلمته الخالدة : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ؟

أجل : لقد ولدت الانسانية ميلادا جديدا يوم هتف عمر بن الخطاب فى رعيته بهذا الدستور الذى ضمن لها عز الحياة فى ظل الاسلام لو استمسك الناس بصريح الاسلام : فَرْد من عمار الشعب يقص له خليفة المسلمين من ابن أميره ، ثم يخلى بينه وبين الأمير نفسه ، وهو من هو فى قادة المسلمين وعظمائهم ، ثم ينفخ فى نفير الحياة يبشر الأحياء ببعث جديد : الناس أحرار منذ ولدتهم أمهاتهم ! فهل تذوق المصريون فى ظل الرومان والفرس ومن تقدمهم من ملوك وفراعنة جعلوا أنفسهم آلهة وشعوبهم عبيدا ، شيئا من هذه الحرية قبل أن يضع الفاروق لهم هذا الدستور الذى هو أقل حق لهم فى الحياة ؟ وهل عرفت شعوب الأرض فى هذا العصر الذى يتشدق بفضله المتشدقون هذا النوع من الحرية ؟

وقد آتت هذه التربية الفاضلة أكلها ، وأينعت ثمرتها ، وأنبتت رجالا من المسلمين أبوا أن يستكينوا لسيطرة الأمراء ، وردّوها فى صرامة كانت أحب الى عمر من جميع ما أفاء الله عليه . روى جرير بن عبد الله البجلى : « أن رجلا كان مع أبى موسى الأشعرى وكان ذا صوت ونكاية فى العدو ، فغنموا مغنما ، فأعطاه أبو موسى بعض سهمه ، فأبى أن يقبله إلا جميعا ، فجلده أبو موسى عشرين سوطا ، وحلقه ، فجمع الرجل شعره ثم ترحل الى عمر بن الخطاب حتى قدم عليه ، قال جرير : وأنا أقرب الناس من عمر ، فأدخل الرجل يده فاستخرج شعره ثم ضرب به صدر عمر بن الخطاب ، فقال : أما والله لولا ! ! قال عمر : صدق لولا النار ، فقال : يا أمير المؤمنين إنى كنت ذا صوت ونكاية فى العدو ، وأخبره بأمره ، وقال : ضربنى أبو موسى عشرين سوطا وحلق رأسى وهو يرى أن لا يقتص منه ، فقال عمر : « لأن يكون الناس كلهم على صرامة هذا أحب الىّ من جميع ما أفاء الله علىّ » . فكتب عمر الى أبى موسى : « سلام عليكم . أما بعد فإن فلانا أخبرنى بكذا وكذا ، فإن كنت فعلت ذلك فى ملأ من الناس فعزمت عليك لما قعدت له فى ملا من الناس حتى يقتص منك ، وإن كنت فعلت ذلك فى خلاء فاقعد له فى خلاء من الناس حتى يقتص منك » . فقدم الرجل ، فقال له الناس : اعف عنه ، فقال : لا ، والله لا أدعه لأحد من الناس ! فلما قعد أبو موسى ليقتص منه رفع الرجل رأسه الى السماء ثم قال : اللهم قد عفوت عنه ! »

هنا يجب أن تسكب الأقلام عبراتها ، وتريق ماء بلاغتها ، باحثة عن موطن العظمة الاسلامية فى عهد « عمر بن الخطاب » ، فهو يرى أن يكون الناس كلهم على هذه الصرامة التى

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وقف بها أحد أفراد رعيته فى وجهه يستدفع ظلما أذل نفسه ، أحب اليه من جميع ما أفاء الله عليه ، لأن عمر يعلم أن تربية الأمة على الشجاعة والرجولة ، وبعث العزة والإباء فى أنفس بنيها ، أضمن لخلودها ، وأخصب لحياتها .

وكان من سنن عمر السياسية أن لا يأخذ بالتهمة ولا يعمل بالظنة ، بل كان يجمع بين الشاكى والمشكو فيه ، ليحق الحق ، ويجعل من حوادث الأفراد زاجرا للمجموع . روى الطبرى فى تاريخه فقال : لما تم فتح « بيروذ » من الأهواز ، جمع أبو موسى السبى والأموال وغدا على ستين غلاما من أبناء الدهاقين تنقاهم وعزلهم ، وابعث بالفتح الى عمر ، وقد سأله ضبة بن محصن العنزى أن يجعله فى وفده الى عمر ، فأبى عليه أبو موسى ، فغضب وذهب الى عمر يشكو إليه أبا موسى ، وكان أبو موسى قد كتب بقصته الى أمير المؤمنين ، فلما قدم الكتاب والوفد والفتح على عمر ، قدم ضبة وأتى عمر ، فحجبه ثلاثا ، وفى الرابع دخل عليه ، فقال له عمر : ماذا نقمت من أميرك ؟ قال : تنقى ستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه ؛ وله جارية تدعى « عقيلة » تغدّى جفنة وتعشى جفنة ، وليس منا رجل يقدر على ذلك ؛ وله قفيزان ، وله خاتمان ؛ وفوض الى زياد بن أبى سفيان ، وكان زياد يلى أمور البصرة ؛ وأجاز الحطيئة بألف . فكتب عمر كل ما قال ، فبعث الى أبى موسى ، فلما قدم حجبه أياما ، ثم دعا به ودعا ضبة بن محصن ، ودفع إليه الكتاب فقال : اقرأ ما كتبت ، فقرأ : أخذ ستين غلاما لنفسه . فقال أبو موسى : دللت عليهم وكان لهم فداء ففديتهم فأخذته فقسمته بين المسلمين . فقال ضبة : ما كذب ولا كذبت . وقال : له قفيزان . فقال أبو موسى : قفيز لأهلى أقوتهم وقفيز للمسلمين فى أيديهم يأخذون به أرزاقهم . فقال ضبة : والله ما كذب ولا كذبت . فلما ذكر « عقيلة » سكت أبو موسى ولم يعتذر ، وعلم أن ضبة قد صدقه . قال : وزياد يلى أمور الناس ولا يعرف هذا ما يلى . قال أبو موسى : وجدت له نبلا ورأيا فأسندت إليه عملى . قال : وأجاز الحطيئة بألف . قال : سددت فمه بمالى أن يشتمنى . فقال عمر : قد فعلت ما فعلت ، وإذا قدمت فأرسل الىّ زيادا وعقيلة ، ففعل ، فقدمت عقيلة قبل زياد ، وقدم زياد فقام بالباب ، فخرج عمر وزياد بالباب قائم وعليه ثياب بيض كتان ، فقال له عمر : ما هذه الثياب ؟ فأخبره ، فقال : كم أثمانها ؟ فأخبره بشىء يسير وصدقه ، فقال له : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان ، قال : ماصنعت فى أول عطاء خرج لك ؟ قال : اشتريت والدتى فأعتقتها ، واشتريت فى الثانى ربيبى عبيد فأعتقته ، فقال : وفقت . وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن فوجده فقيها ، فرده وأمر أمراء الأجناد أن يأخذوا برأيه ، وحبس ضبة بالمدينة ، ثم قام فى الناس فقال : ألا إن ضبة العنزى غضب على أبى موسى فى الحق أن أصابه ، وفارقه مراغما أن فاته أمر من أمر الدنيا ، فصدق عليه وكذب ، فأفسد كذبه صدقه ، فإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى الى النار .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولقد كان « الفاروق » من أعلم الناس وأعرفهم بالطبيعة العربية ، وما ركب الله فيها من شماس وجموح يدفعها إليه ما نشأت عليه من تشبع بالحرية الفردية ، واعتزاز بالشخصية ، وفراغ فى الوقت ، وتقلل من أسباب العيش تبعا لحياة البداوة التى كانوا يحيونها ، فرمى بهم الأمم عن قوس الاسلام ، وشغلهم بالغزو والجهاد والفتح ، وكأنه الى هذا المعنى قصد بقوله : « إنما مثل العرب مثل جمل أنِف اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده ، فأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق » . وهو الى ذلك كان حفيا بهم ، حريصا عليهم ، فاذا شيع عماله وأمراء ولاياته قال لهم فيما يوصيهم : « ولا تجلدوا العرب فتذلوها ، ولا تجمروها فتفتنوها ، ولا تغفلوا عنها فتحرموها » وإذا حضره الموت كتب فى وصيته الى الخليفة من بعده « وأوصى الخليفة من بعدى بالعرب فانهم مادة الاسلام » .

ولم تغفل عبقرية «عمر» المرأة المسلمة ، بل عنيت بها أشد العناية ، وتطلعت الى تشريع سماوى يحفظ عليها كرامتها ويصون حياتها من حومان الريب والظنون ؛ روى البخارى عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب : « وافقت ربى فى ثلاث ، ووافقنى ربى فى ثلاث : قلت : يارسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ؟ فنزلت « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وقلت يارسول الله : إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن بأن يحتجبن . فنزلت آية الحجاب ؛ وبلغنى معاتبة النبى صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فاستقريت أمهات المؤمنين واحدة بعد واحدة ، وأقول : والله لئن انتهيتن وإلا ليبدلن الله رسوله خيرا منكن ، فأتيت على بعض نسائه (هى أم المؤمنين زينب بنت جحش كما جاء مصرحا به فى بعض الروايات) فقالت : ياعمر أما فى رسول الله مايعظ نساءه حتى تكون أنت تعظهن ؟ ! فأنزل الله عز وجل « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن » . وهذا الحديث يدلنا على أن « عمر ابن الخطاب » كان أول عقل إسلامى ، بل أول عقل إنسانى فكر فى المرأة ، وتنبه الى مكانها من الحياة الاجتماعية ، وأدرك بفطرته الطاهرة أن نبل المرأة فى صيانتها بعيدة عن خائنة الأعين ، حتى قال فيهن : « لو أطاع فيكن ما رأتكن عين » وليتأمل القارىء قول « عمر » لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر » فهو بهذا يتوجه الى صاحب الشريعة فى شأن نسائه الطاهرات وهو يعلم أنهن أعف امرأة ولدت حواء ، ولكنه يعلم الى جانب ذلك ما يسود البيئة العربية الجاهلية من فوضى اجتماعية لا تليق بكرامة المرأة المسلمة ، ويعلم مافى طبيعة المرأة من لين الأنوثة ، وما فى طبيعة عامة الرجال من جموح الغرائز ، ويعلم ما فى الاختلاط بين النساء والرجال من بواعث الفساد والإفساد ، والاسلام كله نبل ومكارم ، فلا يليق بالمسلمة فى ظله إلا أن تكون أصلح مثل للفضيلة والعفاف ؛ وأمهات المؤمنات القدوة الفاضلة للمؤمنات ، فليكنّ المثل الأعلى ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وليكن التشريع بديا فى شأنهن ، حتى إذا علم الناس أن أشرف من مشين على الأرض أمرهن الله بالحجاب ، وأبى عليهن الاختلاط ، كان ذلك أسرع الى قلوب المؤمنات بالرضى والقبول .

وإذا كنا قد أدرنا البحث فى عبقرية عمر على مظهر الصرامة للحق ، فليس ذلك لأن تلك الصرامة كانت ترجح جانب العطف والرحمة فى شخصيته ، بل لأن عمر عرف أفضل مظهر الحاكم الذى يحكم أمة ناشئة ، ويسوس دولة مترامية الأطراف ، فتحلى به ؛ وهو الى ذلك كان أعطف الناس على الضعفاء ، وأبرهم بالمساكين ، وأرحمهم باليتامى ، وألينهم فيما ينبغى . قال الشعبى : لما سمع الناس قول عمر ورأوا عمله ، ذكروا أبا بكر والنبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : كان النبى صلى الله عليه وسلم أعلم بأبى بكر ، وكان أبو بكر أعلم بعمر ، فجرى أبو بكر وعمر مجرى واحدا ، وكانوا يخافون من لين هذا ومن شدة هذا ، فكان أبو بكر مع لينه أقواهم فيما لانوا عنه وألينهم فيما ينبغى ، وكان عمر ألينهم فيما ينبغى وأقواهم على أمرهم . وروى الأوزاعى : أن عمر بن الخطاب خرج فى سواد الليل فرآه طلحة ، فذهب عمر فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر ، فلما أصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت فاذا عجوز عمياء مقعدة ، فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدنى منه كذا وكذا ، يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى ! فقال طلحة : ثكلتك أمك طلحة ! أعثرات عمر تتبع ؟ ! وأحاديثه فى هذا الوادى لا تستقصيها الأسفار ، غير أنا نذكر حادثة هى أعظم ما عرف الناس فى باب الرحمة والعطف القلبى ، وكأنها دستور أئمة الهدى وعلماء الأمة : روى ابن الجوزى : أن رجلا كان ذا بأس ، وكان يوفد الى عمر لبأسه ، وكان من أهل الشام ، وأن عمر فقده فسأل عنه ، فقيل له : تتابع فى هذا الشراب ، فدعا كاتبه ، فقال : اكتب : « من عمر بن الخطاب الى فلان . سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو ، غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ذى الطول ، لا إله إلا هو اليه المصير » فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرؤها ويقول : غافر الذنب : قد وعدنى ربى أن يغفرلى ، وقابل التوب شديد العقاب : قد حذرنى الله عز وجل عقابه ، ذى الطول لا إله إلا هو اليه المصير ، فلم يزل يرددها على نفسه ، ثم بكى ونزع فأحسن النزع . فلما بلغ عمر خبره قال : هكذا فاصنعوا ، إذا رأيتم أخاكم زل زلة فسددوه ووفقوه ، وادعوا الله أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه .

أما بعد : فان الفكر الانسانى ليس حبيسا على فنون الفلسفة ونظرياتها ، بل ربما كانت الفلسفة أضيق مجالات الفكر ، وإن كانت من أشرفها وأعمقها ؛ وجولات الفكر الاجتماعية التى يقوم عليها نظام الأمم فى حكمها وسياستها وأخلاقها وقوانين معاملاتها ، من أهم جوانبه واعودها على الانسانية بالنفع ، وقد كانت هذه المناحى مجلى عبقرية « عمر بن الخطاب » وفى طريقها قاد « الفاروق » الفكر الاسلامى حتى بلغ به ذروة الخلود ؟

صادق ابراهيم عرجون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التجديد فى الاسلام

— ٤ —

« إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »

حديث نبوى شريف

(١) هل يتعدد المبعوثون ، أو المجددون لهذه الأمة أمر دينها ؟

(٢) من هم المجددون فى الاسـلام من القرن الأول الهجرى الى الوقت الحاضر ؟

المجددون فى القرن الأول : عمر بن عبد العزيز ، محمد الباقر ، القاسم بن محمد ، سالم بن عبد الله ، الحسن ، ابن سيرين ، ابن كثير ، الزهرى . . .

١ — هل يتعدد المبعوثون ، أو المجددون ؟

للعلماء أقوال كثيرة فى المبعوث على رأس القرن : هل يكون واحدا أو متعددا ؟ فقال الحافظ ابن كثير : قد ادعى كل قوم فى إمامهم أنه هو المراد بهذا الحديث ، والظاهر أنه يعم حملة العلم من كل طائفة ، وكل صنف من أصناف العلماء ، من محدثين وفقهاء ، ونحاة ، ولغويين ، وغيرهم .

وقال الحافظ ابن حجر : نبه بعض الأئمة على أنه لايلزم أن يكون فى رأس كل قرن مجدد واحد فقط ، بل الأمر فيه كما ذكره النووى فى حديث : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم خـلاف من خالفهم حتى يأتى أمر الله » من أنه يجوز أن تـكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ، مابين شجاع ، وبصير بالحرب ، وفقيه ، ومحدث ، ومفسر ، وقائم بالمعروف والنهى عن المنكر ، وزاهد ، وعابد ؛ ولا يلزم اجتماعهم ببلد واحد ، ويجوز اجتماعهم فى قطر واحد ، وتفرقهم فى الأقطار ، ويجوز أن يـكونوا فى بعض البلدان دون البعض الآخر ، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولا ، الى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد ، فاذا انقرضوا أتى أمر الله ؛ وهذا متجه ، فان اجتماع الصفات المحتاج الى تجديدها لاتنحصر فى نوع من الخير ، ولا يلزم أن جميع خصال الخير تنحصر فى شخص واحد ، إلا أن يدعى ذلك فى عمر بن عبد العزيز ، فانه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخـير وتقدمه فيها ، وأما من بعـده : فالامام الشافعى وإن اتصف بالصفات ... الفضائل الجمة ، لـكنه لم يكن القائم بالأمر ، ولا بشأن الجهاد ، والحـكم بين الناس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالعدل ؛ فعلى هـذا كل من اتصف بشيء من ذلك عنـد رأس المائة ، فهو المراد ، تعدد أم لا .

وقال الحافظ الجـلال السيوطى : روى أبو داود والحاكم عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » قال بعض شراح هذا الحديث : ذهب بعض العلماء الى أنه لايلزم أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلا واحدا ، بل قد يكون واحـدا وقد يـكون أكثر ، فان انتفاع الأمة بالفقهاء وإن كان عاما فى أمور الدين ، فانتفاعها بغيرهم أيضا كثير : مثل أولى الأمر ، وأصحاب الحديث ، والقراء ، والوعاظ ، والزهاد ، وأصحاب الطبقات ، وغير ذلك ، ينتفع بكل فى فن لاينتفع بالآخر فيه ، فاذا حمل تأويل الحديث على هذا الوجه كان أولى وأشبه بالحـكمة .

وقال الحـافظ الذهبى : إن كلمة « مَن » فى حـديث التجديد للجمع لا للمفرد ، فنقول مثـلا : على رأس الثلاثمائة ابن سريج فى الفقه ، والأشعرى فى أصـول الدين ، والنسائى فى الحديث ؛ وعلى الستمائة : الامام الفخر الرازى فى الـكلام ، والحافظ عبد الغنى فى الحديث ، ونحو ذلك .

وقال الحافظ ابن الأثير : قد تكلموا فى تأويل هذا الحديث ، وكل أشار الى القائم الذى هو من مذهبه ، وحملوا الحديث عليه ، والأولى العموم ، فان « من » تقع على الواحـد والجمع ، ولا تختص بالفقهاء ، فان انتفاع الأمة يكون أيضا بأولى الأمر ، وأصحاب الحديث ، والقراء ، والوعاظ ، وأنواع العلماء العاملين ؛ لـكن ينبغى أن يـكون المبعوث مشارا اليه فى كل فن من هذه الفنون .

٢ — من هم المجددون من القرن الأول الى الآن ؟

فى القرن الأول :

يرى الحافظ ابن الأثير أن مجددى الاسلام فى المائة الأولى الهجرية هم : من أولى الأمر : عمر بن عبد العزيز ؛ ومن الفقهاء : محمد الباقر ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، والحسن ، وابن سيرين ، وغيرهم من طبقتهم ؛ ومن القراء : ابن كثير ؛ ومن المحدثين : الزهرى ، وهكذا .

(١) فمن هو عمر بن عبد العزيز ؟

هو الخليفة العالم ، والامام المجتهد ، الورع ، الزاهد ، المتواضع ، البعيد عن الزهو والـكبرياء ، النزيه العفيف ، المصلح ، المجدد ، جماع مكارم الأخلاق ، الذى ملأ طباق الأرض عدلا ، والذى أجمع المسلمون على أنه المبعوث على رأس المائة الأولى ليجدد للامة أمر دينها ، مصداقا لحـديث التجديد ، والذى أجمع العلماء قاطبة على أنه من أئمة العـدل ، وأحد الخلفاء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الراشدين ، والأئمة المهديين ، الذين عـدهم سفيان الثورى فقال : الخلفاء خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعمر بن عبد العزيز ، والذى فضله مالك بن زياد على نفسه فى الزهد فقال : يقولون : مالك زاهد ، مالك زاهد ، أى زهد عندى ؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أتته الدنيا فاغرة فاها فأعرض عنها وتركها ، وسأل امرأته يوما أن تقرضه درهما يشترى به عنبا فلم يجد عندها ، فقالت له : أنت أمير المؤمنين ولا تقدر على هذا ؟ فقال لها : هـذا الحرمان أيسر من معالجة الأغلال غدا فى جهنم .

ولم يكن زهد عمر من النوع المعروف ، من لزوم الرجل كسر الحائط ، وهو غريق فى لعابه ، عار عن بعض ثيابه ، جامد الفكر ، لا يتعدى إبصاره موضع قـدميه ، فهذا الى البله والعته أقرب ، ولـكنه كانت الدنيا عنده فى كفة ، والآخرة فى كفة ، يزن من هذه لهذه ، ويزرع فى دنياه ما يجـزى بخيره فى آخرته . ومن فضائل عمر أنه كان دائما يجالس العلماء ، ويطلب عظاتهم ، حتى إنه قال يوما لعالم : عظنى ، فقال له عليك بقول الشاعر :

تجـرد من الدنيا فانك إنما خرجت الى الدنيا وأنت مجـرد

من أين اكتسب عمر هذه المكارم ؟

والناس يتساءلون : ممن اكتسب عمر هذه الفضائل ، حتى صار مثلا أعلى فى نبل الأخلاق وسموها ، مع أنه نشأ فى بيت الترف ، والأخـلاق إنما تكتسب من البيئة التى يعيش فيها الانسان ؟ ومن حقق النظر وجد أن عمر أرسله والده الى المدينة صغيرا ، فربى فيها بين علمائها وصلحائها ، فاكتسب منهم حسن الخلق ، ومحبة الأمة ، والعفة فى أموالها ، والرأفـة بها ، والوفاء لها ؛ وحسْبه أن يكون من شيوخه بها أنس بن مالك ، وسعيد بن المسيب ، وعروة ابن الزبير ، وغيرهم ؛ أضف الى هـذا صفاته الموروثة عن جدّه الفاروق عمر بن الخطاب ؛ فإن عمر بن عبد العزيز أمّه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ؛ وكان يقال لعمر بن عبد العزيز : أشجّ بنى مروان ، فقد ضربته دابة فى جبهته وهو غلام ، فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول : « إن كنت أشجّ بنى مروان إنك لسعيد » . قال ذلك لأن جـده عمر الفاروق كان يقول : « من ولدى رجل بوجهه شجـة يملأ الأرض عدلا » . ومن المأثور : « الناقص والأشج أعدلا بنى مروان » أى أنهما العادلان ولا عدل فى غيرهما .

كيف ولى عمر الخلافة ؟

كان سليمان بن عبد الملك من خيار خلفاء الأمويين ، وكان يؤثر دينه وأمته على نفسه ، فإنه لما مرض وأحس بدنو أجله كتب عهدا يستخلف فيه عمر بن عبد العزيز من بعده ؛ ولقد آثره على أولاده وعلى أقاربه ، وفيهم من يصلح للخـلافة ، والقوّاد العظام الذين أبلوا البلاء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحسن فى الحروب ؛ ومنهم داود ابنه ، ومسلمة بن عبد الملك ؛ ولكنه رأى أن حقوق أبنائه وأقربائه أقل عنده من حقوق المسلمين التى جعلها الله فى عنقه ؛ ولذلك اختار للخلافة صفوة أهل زمانه ، وسلمها لخير أهل عصره وهو عمر بن عبد العزيز ؛ ولما علم عمر باستخلافه استاء من ذلك استياء عظيما ، واسترجع ؛ ولما سلموا عليه بالخلافة وهو بالمسجد ، عُقر ولم يستطع النهوض ، فأخذوا بيده وأصعدوه المنبر ، فجلس طويلا لا يتكلم ، وبعد أن تمت بيعته ألقى الخطبة الآتية :

« أيها الناس : إنه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ألا وإنى لست بقاضٍ ولكنى منفذ ، ولست بمبتدع ، ولكنى متّبع ، ولست بخير من أحدكم ولكنى أثقلكم حملا ، وإن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم ، ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

ولقد ولّى على الولايات من هو أصلح لها ، فانتظمت الأمور واستقامت الأحوال ، ولقد كان عمر لا تأخذه فى الحق لومة لائم ، فقد دخلت عليه أشراف بنى أمية يسألون لهم عملا ، فأبى ، وقال : أنتم عندى وأقصى رجل من المسلمين فى هذا الأمر سواء ! فهل رأيت عدلا كهذا ؟

وانظر كيف كان عمر يعامل عماله ، فقد كتب إليه الجراح بن عبد الله يقول : « إن أهل خراسان ساءت أخلاقهم ، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن فى ذلك ، فعل ، ورأيه الموفق . فكتب إليه عمر : « أما بعد ، فقد بلغنى كتابك تذكر به أن أهل خراسان قد ساءت أخلاقهم ، وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط ، فقد كذبت ، بل يصلحهم العدل والحق ، فابسط ذلك فيهم ، والسلام »

ماذا كانت حال عمر قبل الخلافة وبعدها ؟

كان عمر قبل أن يلى الخلافة شديد التنعم ، فلما وليها خرج عما كان فيه من النعيم والمأكل والملبس والمتاع حتى النساء ، وصار فى غاية التقشف والزهد ؛ وكان دخله أربعين ألف دينار ، فردّ ذلك كله الى بيت المال ، وخصص لنفقة يومه درهمين ، ثم صار يلبس القميص الغليظ ولم يتعد الواحد ، فكان إذا غسلوه يمكث حتى يجف ، ويأكل الغليظ من الطعام ، ورد جميع المظالم لبيت المال ، حتى إنه رد ما كان لزوجته (وهى فاطمة بنت عمه عبد الملك بن مروان) ، وردّ فص خاتم كان فى يده قال أعطانيه الوليد بغير حق ، وقد قالت زوجته : إنه يكون فى الفراش فيذكر الشىء من أمر الآخرة ، فينتفض كما ينتفض العصفور فى الماء ويجلس ويبكى ، وهى تقول : « ياليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ! »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما ذا عمل عمر من التجديد والاصلاح ؟

لعمر بن عبد العزيز من التجديد والاصلاح ما سجله التاريخ وهو كثير ، منه :

(١) أنه أول من عمل على جمع السنة النبوية وتدوينها ، فكان فى ذلك حفظها ؛ وهذا عمل مبتكر نافع ، كعمل أبى بكر الصديق فى جمعه القرآن الكريم .

(٢) أنه ردّ المظالم لأهلها ، وأبطل المغارم والضرائب الكثيرة التى استحدثت قبل عهده .

(٣) أنه نهى عن تنفيذ حكم بقتل ، أو قطع ، إلا بعد أن يعرض عليه ويراجعه ، وقد كانت الدماء قبله تراق على حسب هوى الأمراء من غير حساب .

(٤) أنه كتب الى ملوك السند يدعوهم الى الاسلام ـ وقد كانت سيرته بلغتهم — فأسلموا وتسموا بأسماء العرب .

(٥) أنه أول من أنشأ فى البلاد الاسلامية دورا للضيافة من الخلفاء ، وأول من فرض لأبناء السبيل ، فقد كتب الى سليمان بن أبى السرى : أن اعمل خانات ، فمن مر بك من المسلمين فأقروه يوما وليلة ، وتعهدوا دوابهم ، ومن كانت به علة فأقروه يومين وليلتين ، وإن كان منقطعا فأبلغه بلده .

(٦) أنه جمع كلمة الأمة بإبطال سب على بن أبى طالب على المنابر ، وقد كان بنو أمية يفعلونه ، فتركه عمر وكتب الى الأمصار بتركه ، ووضع مكان ذلك قول الله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » . فهو أول من قالها عقيب خطبة الجمعة ، واستمر الخطباء على قراءتها على المنابر للآن ، وبذلك رفع الشر ووضع مكانه الخير ، وسن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة .

(٧) أنه كان يشترى البلاد من أعدائه بأسراهم ، كما اشترى ملطية من الرومان بمائة ألف أسير كانت لديه منهم ، وصارت من مدن الاسلام المهمة .

(٨) أنه سن السنة الحسنة بإبطاله ما كان يعمل من الاحتفالات (الزفات) عند تولى الخليفة ، فانه لما تمت له البيعة ، أتى بمراكب الخلافة كالعادة ، من البرازين ، والخيل والبغال فقال لهم : ماهذا ؟ فقالوا : مراكب الخلافة . فقال : دابتى أوفق لى ، وركبها ؛ فصرفت تلك الدواب وأبطلت عادة (الزفات) ؛ ودعوه للجلوس فى بيت الخلافة ومحل الحكم فأبى ، وقال : فى منزلى الكفاية .

(٩) أنه وسع على الموظفين فى مرتباتهم قطعا للرشوة ، ولاستقامة العمال ، فكان يعطى العامل بحسب عمله : من مائة دينار ، الى مائتين ، الى ثلاثمائة ، فاذا كان الدينار نصف جنيه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مثلا ، فيكون عمر كان يعطى عماله مرتبات لا تقل عما يعطى الآن لكبار الموظفين فى مصر وغيرها .

(١٠) أنه أعاد سيرة الخلفاء الراشدين الذين كانوا بعيدين عن كبرياء الملوك وجبروتهم ، والذين كانوا ينظرون الى أمتهم نظر الأب البار ، ويعدلون بينهم فى الحقوق ، ويعفون عن أموال الرعية ، ولا يعرفون غير العدل والحرية والإخاء والمساواة ؛ والدنيا عندهم أهون من أن يهتم بجمعها ، وكان يتقشف فى ملبسه كجده عمر بن الخطاب .

شيء من أقوال العلماء فى عمر :

قال أنس بن مالك : ماصليت وراء إمام قط أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من عمر ابن عبد العزيز . وقال مجاهد : أتينا عمر نعلمه ، فما برحنا حتى تعلمنا منه . وقال ميمون ابن مهران : كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلاميذ ، وهو معلم العلماء . وقال الامام أحمد ابن حنبل : ليس أحد من التابعين قوله حجة إلا عمر بن عبد العزيز . هذه قطرة من بحر مما قاله العلماء فى عمر بن عبد العزيز ، وليس هنا الآن محل استيعاب كل ما قيل فيه .

شيء من كلمات عمر :

قال : من صحبنا فليصحبنا بخمس ، وإلا فلا يقربنا : يرفع الينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ولا يغتابن أحدا ، ولا يتعرضن لما لا يعنيه ، ويدلنا من الخير على مالانهتدى اليه . وقال : إن كانت الناس لايصلحها الحق فلا أصلحهم الله . وقيل له : هؤلاء بنوك — وكانوا اثنى عشر — ألا توصى لهم بشيء فانهم فقراء ؟ فقال : إن وليّ الله الذى لا إله إلا هو ، وهو يتولى الصالحين ، والله لا أعطيهم حق أحد ، وهم بين رجلين : إما صالح فالله يتولى الصالحين ، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه .

ولادته ووفاته :

ولد عمر بحلوان بمصر حينما كان والده واليا عليها ، واختلف فى تاريخ ميلاده ، فقيل إنه ولد سنة ٥٩ أو ٦٠ أو ٦١ أو ٦٢ ، وتوفى سنة ١٠١ هجرية . ومن أسباب وفاته أن بنى أمية تألبوا عليه لكراهتهم له لأنه ضيق عليهم الخناق ولم يتركهم يستغلون ضعف الضعفاء ، فدسوا له السم فى الطعام أو الشراب بواسطة مولاه ، وأعطوه على ذلك ألف دينار ، فلما مرض وأخبر بأنه مسموم ، استدعى مولاه ، فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : ألف دينار ، فقال : هاتها ، فأحضرها ووضعها عمر فى بيت المال ، وقال لمولاه : اذهب فلا يراك أحد .

ولما احتضر صرف منْ حوله ، فخرجوا ، وجلس على الباب مسلمة بن عمه ، وفاطمة زوجته ، فسمعاه يقول : أهلا بهذه الوجوه ، ليست وجوه إنس ولا جان ، ثم قرأ : « تلك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » ثم انخفض الصوت ، فدخلوا ، فاذا به قضى نحبه ، رضى الله عنه .

(ب) ومن هو محمد الباقر ؟

هو ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب . لقب بالباقر لأنه تبقر فى العلم أى توسع فيه ، وهو أحد الأئمة الاثنى عشر فى اعتقاد الإمامية ، أو الامام الخامس من أئمة الشيعة الامامية ، ولد بالمدينة سنة ٥٧ ، وكان عمره يوم قتل جده الحسين ثلاث سنين ، وتوفى سنة ١١٤ ، روى عن أبيه ، وابن عمر ، وغيرهم ، وكان عالما كبيرا ، سيد بنى هاشم فى زمانه .

(ج) ومن هو القاسم بن محمد ؟

هو القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ربته عمته عائشة أم المؤمنين ، وروى عنها وعن جماعة من الصحابة ؛ وروى عنه جماعة من كبار التابعين . كان أفضل أهل زمانه ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، ومن سادات التابعين . قال يحيى بن سعيد : ما أدركنا أحدا نفضله على القاسم بن محمد . وقال مالك : كان القاسم من فقهاء هذه الأمة . وقال ابن عيينة : كان القاسم أعلم أهل زمانه . وقال عمر بن عبد العزيز : لو كان لى من الأمر شىء لاستخلفت القاسم . توفى سنة ١٠٦ هـ

(د) ومن هو سالم بن عبد الله ؟

هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ، من سادات التابعين ، وأحد فقهاء المدينة ، روى عن أبيه وغيره ، وروى عنه الزهرى ونافع وغيرهما ؛ دخل سليمان بن عبد الملك الكعبة فرأى سالما ، فقال له . سلنى حوائجك ، فقال : والله لا سألت فى بيت الله غير الله ! وقال مالك : لم يكن أحد فى زمان سالم أشبه منه بمن مضى من الصالحين فى الزهد والفضل ، وكان على سمت أبيه وعدم رفاهيته . توفى سنة ١٠٦ أو ١٠٨ هـ

(هـ) ومن هو الحسن ؟

هو الحسن البصرى ، من سادات التابعين وكبرائهم ، جمع كل فن : من علم وفصاحة وزهد وورع وعبادة . قال ابن سعد : كان الحسن كبير العلم ، رفيعا ، ثقة ، حجة ، مأمونا ، ناسكا فصيحا جميلا ، وسيما ؛ وهو أحد الصادعين بالحق الذين لا يخشون فى الله لومة لائم . وكان أبوه مولى زيد بن ثابت ، وأمه « خيرة » مولاة « أم سلمة » زوجة النبى صلى الله عليه وسلم ، وربما غابت أمه فيبكى ، فتعطيه أم سلمة رضى الله عنها ثديها ؛ ويرون أن حكمة الحسن وفصاحته من بركة ذلك . قال أبو عمرو بن علاء : ما رأيت أفصح من الحسن ومن الحجاج بن يوسف ، فقيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن . ولما ولى ابن هبيرة العراق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

استدعى الحسن وابن سيرين والشعبى وقال لهم : إن يزيد بن عبد الملك خليفة الله وقد ولانى ما ترون ، فما ترون ؟ فقال ابن سيرين والشعبى قولا فيه تَقِيّة (١) فقال ابن هبيرة : ما تقول ياحسن ؟ فقال : يا ابن هبيرة خف الله فى يزيد ، ولا تخف يزيد فى الله ، إن الله يمنعك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، وأوشك أن يبعث إليك ملكا ، فيزيلك عن سريرك ، ويخرجك من سعة قصره ، الى ضيق قبره ، ثم لاينجيك إلا عملك ! يا ابن هبيرة : إن تعص الله فانما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده ، فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله ، ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ! ولد الحسن بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ، وتوفى بالبصرة سنة ١١٠ ﻫ

(و) ومن هو ابن سيرين ؟

هو محمد بن سيرين ، مولى أنس بن مالك ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ؛ روى عن مولاه أنس ، وعن أبى هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وغيرهم ؛ كان فقيها إماما غزير العلم ، ثقة ثبتا علامة فى تعبير الرؤيا ، رأسا فى الورع ؛ قال مورق العجلى : ما رأيت أحدا أفقه فى ورعه ، ولا أورع فى فقهه من ابن سيرين . توفى سنة ١١٠ بعد الحسن بمائة يوم .

(ز) ومن هو ابن كثير ؟

هو عبد الله بن كثير ، أحد القراء السبعة ، وقاضى الجماعة بمكة ، ومن الطبقة الثانية من التابعين ، وكان فصيحا بليغا مفوها ؛ أبيض اللحية طويلا جسيما ، أسمر أشهل العينين ، وكان كثير السكينة والوقار ، ويخضب بالحناء . وكان مولى عمرو بن علقمة الكنانى ، ولد بمكة سنة ٤٥ ﻫ ولقى بها عبد الله بن الزبير ، وأنس بن مالك ، وغيرهم ؛ قال ابن مجاهد : لم يزل عبد الله ابن كثير هو الإمام المجتمع عليه بمكة حتى مات سنة ١٢٠ ﻫ

(ح) ومن هو الزهرى ؟

هو محمد بن مسلم ، المعروف بابن شهاب الزهرى ، ولد سنة ٥٠ ﻫ وحدث عن عبد الله ابن عمر ، وأنس بن مالك ، وسعيد بن المسيب ، وغيرهم . قال عمر بن عبد العزيز : لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية من الزهرى . وقال مالك : بقى ابن شهاب وما له فى الدنيا نظير . وقال الليث بن سعد : ما رأيت عالما قط أجمع من الزهرى ، يحدث فى الترغيب ، فتقول لا يحسن غيره ، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة فكذلك . توفى سنة ١٢٤ ﻫ

السيد عفيفى

(١) التقية : قول فيه صيانة وستر عن الاذى .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

معترك المذاهب الفلسفية

ما هو الضمير الأدبي وهل هو غريزي أم لا

الضمير الأدبي شعور باطنى فى الانسان يشهد على ما يفعله هو أو يفعله غيره إن كان خيرا أو شرا ، وهو الذى عبر عنه فى القرآن الكريم بالقلب ، والضمير والقلب لغة بمعنى واحد . قال الله تعالى : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد » وقال : « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » أى تفسد بغلبة الأهواء عليها فيستوى عندها الحسن والقبيح ، والخير والشر .

وبناء على هذا فوظيفة الضمير هى ما يحسه كل إنسان فى نفسه عند ما يشرع فى قول أو عمل من الحكم على ماهو شارع فيه ، إن كان خيرا موافقا للقانون الأدبى ، والعرف الإنسانى ، أم مخالفا لهما . والمشاهد أن هذا الحكم لا يتجاوز حد الشهادة ، فليس فيه صفة الالزام . فقد يشهد عليه ضميره بأن ما ينتوى عمله شر فيأتيه ، وأن نقيضه خير فيمتنع عنه ، مصرا على الاساءة . فالضمير الأدبى والحالة هذه فى حاجة الى قوة تنفيذ تكبح الانسان عن عصيان ضميره ، وهى لا توجد إلا فى النفوس العالية التى يقوم فيها مجرد الشعور بخسة الاساءة مقام الوازع المادى ، فلا يصدر عنها إلا ما يشهد بحسنه ضميرها الأدبى .

ما هو الضمير الأدبى وكيف نشأ فى الانسان ؟

انقسم علماء النفس فى كنهه ، وفى كيفية نشوئه فى الانسان الى ثلاثة مذاهب :

(أولها) أنه شعور غريزى فى النفس البشرية ، أى موهوب وليس بمكتسب .

(ثانيها) أنه وجه من وجوه العقل .

(ثالثها) أنه ثمرة التجربة والتمرس بشئون الحياة .

١ — مؤدى المذهب الأول أن الحكم الأدبى الذى يشعر به كل إنسان فى صميم نفسه ، آمرا إياه بالمعروف ، وناهيا له عن المنكر ، ومشيرا عليه بما يجب أن يفعله ، هو صوت حاسة غريزية فى النفس ، نشأت ملازمة لها بالفطرة ، مثلها كمثل مامنحناه من خاصة التفرقة بين الطعوم المختلفة ، والتمييز بين الخير والشر . وكما تلازم حواسنا الجثمانية دوافع تدفعنا لإيثار الحلو النافع على المر الضار ، كذلك تلازم الضمير الانسانى عوامل تسوقنا لتفضيل الأفعال الطيبة على الأفعال السيئة .

بناء على هذا المذهب يكون حكم الانسان على ما هو خير وما هو شر ليس متنزلا عن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تعقل سابق ، أو عن تجربة متقدمة ، بل عن شعور اضطراري طبيعي موجود في النوع البشري من أول وجوده .

يعزى هذا الرأي الى الفيلسوف الانجليزي شيفتسبوري المتوفى سنة (١٧١٣) .

٢ — مؤدى مذهب العقليين أن الضمير الانساني نفحة من نفحات العقل . فان الانسان متى عقل أن فعلا من الأفعال سيء الأثر على فاعله وعلى مجتمعه ، سقطت منزلته في نفسه وكرهه ؛ وأن فعلا آخر حسن الأثر في نفسه وفي جماعته التي ينتمي اليها ، ارتفعت قيمته في نظره وأحبه ، فيتألف من مجموع هذه المدركات شعور قوي في نفسه يعبر عنه بالضمير الأدبي.

وبناء على هذا فيكون الضمير الأدبي في الانسان مجموع أحكام عقلية مستفادة من الشئون الحيوية .

٣ — أما مذهب الذين يقولون بأن الضمير الانساني ثمرة التجربة والتمرس بأمور الحياة ، فان له ثلاثة أشكال :

(أولها) أن الضمير الأدبي ثمرة التربية والعرف .

(ثانيها) أنه نتيجة تشارك الأفكار والتعود .

(ثالثها) أنه أثر من آثار ناموسي التطور والوراثة .

مؤدى الشكل الأول : أن الضمير الانساني يميز الخير من الشر على مقتضى مالُقنه من أبويه ، ومن المجتمع الذي يعيش فيه . ودليل القائلين بهذا الرأي من أمثال الفيلسوف الانجليزي هوبز وهلفتيوس ، أن الخيور والشرور كثيرا ما تختلف عند الأمم . فلو كانت صادرة عن غريزة طبيعية ، أو عن حكم عقلي ثابت ، لما اختلفت الى هذا الحد .

ومؤدى الشكل الثاني : أن الضمير نتيجة تشارك الأفكار والتعود ، والعامل الرئيسي فيه هي قيمة النفع العائد على الانسان من أعماله ، وتأثيرها في تحسين أحواله .

وقد فسر القائلون بهذه النظرية ، وعلى رأسهم الفيلسوف الانجليزي ستوارميل ، كيف ينشأ الضمير الأدبي في الأفراد ، فقالوا : لا يخلو أي مجتمع من قوة وازعة تسهر على الأمن العام ، وعلى الفصل بين المتنازعين ، وعلى الهيمنة على حفظ كيان الجماعة ، فهي لا تني في النهي عن الرذائل ، وعن الأمر بالفضائل ، ولا تألو جهدا في معاقبة المجرمين ومكافأة المحسنين . ولا تنس ما تصادفه الرذيلة من ذم الناس وتشنيعهم ، والقدح في أهلها وتحقيرهم ، وما تجده الفضيلة من ثناء الناس وتقديرهم ، ومدح أهلها وتبجيلهم . كل هذه المؤثرات ولّدت في قلوب الناس إكبارا للفضيلة ، واحتقارا للرذيلة ، أصبح بالتمرس به طبيعة ثانية في النفوس البشرية يتوهمها الخياليون متنزلة من العالم العلوي ، وما هي إلا ثمرة ماذكرناه هنا من العوامل .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أما مؤدى الشكل الثالث فهو أن الضمير الانسانى ثمرة من ثمرات ناموسى التطور والوراثة ، فعند هؤلاء العلماء وعلى رأسهم دارون وبوخنر وهلسكى أن العالم وما فيه من النواميس قائم على نظام آلى محض ، وكل ما فيه خاضع لهذا النظام لا يشذ عنه ، فجميع الكائنات البسيطة والمركبة ، حتى الحياة والقوة العاقلة ، من صنعها ، وقد صدرت لا عن تدبير وقصد سابقين عليها ، ولكن عن الاتفاق المحض ، وإنما جاءت محكمة ومتناسبة ، لأنها نشأت عن قوى منتظمة لا يتسرب اليها أقل اختلال ، وما كانت كذلك فلا يعقل أن يصدر منه إلا كائنات منتظمة .

والضمير الأدبى لا يشذ عن هذه القاعدة ، فليس هو بشىء قائم بنفسه ، ولا بمتنزل من عالم أرفع من هذا العالم ، ولكنه من متولداته كالروح والعقل وما نشأ منهما من العلم والحكمة والعبقرية .

والضمير الأدبى فى نظرهم بدأ تولده فى الحيوان ، فان الحاجة الحيوية حتمت عليه القيام على نظام خاص فى معيشته ، وأورث هذا النظام أخلافه ، وكلما ترقوا فيه وصار فيهم صفات راسخة ، أورثوه ذراريهم ، حتى نشأ الانسان فكان حاصلا على ما ورثه من آبائه الحيوانيين . وبما أنه أوتى حظا من انتظام الجمجمة وتناسب الأعضاء ، تابع طريقه فى الارتقاء تحت عوامل النواميس ، فوصل الى معقولات أولية ، وأصول أدبية اضطرارية لا اختيارية ، وأورثها أخلافه ، وما زال يترقى ويورثهم صفاته المكتسبة ، حتى تكون لهم ضمير أدبى ظنه الفلاسفة هبة سماوية ، وهو فى الواقع من إملاء الحاجات عليه فى آماد لا تحصى ، فنظروا اليه فى حالته الراقية ، ولم ينظروا اليه أيام كان لا يفترق عن ضمائر القردة وما دونهم من العجماوات .

تحليل هذه المذاهب والنظر فى أدلتها :

قبل أن نكتب كلمة واحدة فيما نحن بصدده يجب علينا أن ندحض شبهات أصحاب نظرية التطور والآلية الوجودية ، فان هذا المذهب وإن خدع بسهولته بعض العقول ، فانه قد تبين لأهل العلم فساده بأدلة لا تقبل النقض ، ولزم أشياعه السكوت .

يسهل على الباحث السطحى أن يشبه العالم وما فيه من القوى بأداة مولدة للكائنات على سبيل الاتفاق والخبط ، وتحليتها بكل ما هى فى حاجة اليه تحت تأثير الضرورة القاهرة ، ولكنه يصعب بل يستحيل عليه أن يعقل ذلك أو يقيم عليه شبه دليل ، لابتناء جميع عناصره على افتراضات .

لقد كفانا العلماء مؤنة دحض هذا المذهب ، ونقلنا مقالات ضافية من بحوثهم فى أعداد سابقة من هذه المجلة . وقد ذكرنا فيها أن الاتجاه العلمى تحول الى ناحية مذهب العلامة دوفريس الهولاندى ، الذى أثبت عمليا فى العهد الحديث ظهور الأنواع الحية الجديدة ، حاصلة مقوماتها وغرائزها ، طفرةً ، فسقط بذلك قولهم بضرورة التطور فى الآماد الطويلة

oldbookz@gmail.com
أرشيف مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وبنشوء الغرائز بالتعود ، وتوريثها للأخلاف ، وبزوال هذين الأصلين ما ذا بقى من نظرية التطور التدريجى ، ومن معنى الانتخاب الطبيعى ، ومن رأيهم فى نشوء الغرائز ، وفى وراثة الصفات المكتسبة ؟

اللهم لم يبق شيء أصلا .

وبثبوت حدوث الغرائز المحيرة للعقل للحيوانات الحقيرة ، هبةً بدون كسب ، يسهل تصور أن يمنح الانسان ضميرا أدبيا هبة من مبدعه بدون كسب ، لأنه من ضرورياته فى درجة حواسه الخمس .

لاجرم أنه يصعب جدا على الانسان أن يعتقد بأن الصانع جل شانه يلهم الحشرات الدنيا بوسائل يستحيل عليها تحصيلها لحفظ ذواتها وأنواعها ، ولا يودع فى قلب الانسان غريزة أدبية يميز بها الحسن من القبيح ، والخير من الشر ؛ فالفلاسفة الذين قالوا بهذا الرأى هم فى نظرنا على حق ؛ ولكن هل لدينا من دليل على ذلك نكافح به فى سبيل تثبيت هذه العقيدة فى النفس ؟

نعم ، وهو دليل محسوس لايترك ريبة فى النفس . ولا طريق اليه إلا بعد إيراد المناقشات التى تثور عادة حول هذا الموضوع :

مناقشات فلسفية حول الضمير الأدبى للانسان :

تنحصر شبهات الماديين على فطرية الضمير الأدبى للانسان فى ثلاثة أمور :

(أولها) أن ليس للجماعات المنحطة ضمير أدبى على الاطلاق .

(ثانيها) أن الضمير الادبى فى الجماعات التى اجتازت أدوار الاجتماع الأولى يوجد مناسبا لحالتها الأدبية ، وهو يخالف فى كل منها ما عليه فى غيرها . فما تعده جماعة واجبا تعده الأخرى جرما ، وما تعده الأولى حسنا تعده الثانية قبيحا . فهو يتطور فى كل منها على حسب تغير الزمان والمكان والاختبار .

(ثالثها) أن الضمير الأدبى متناقض عند الأمم المتمدنة .

ونحن نناقش كل شبهة من هذه الشبهات بغية الوصول الى حقيقة ثابتة يثلج الصدر عليها فنقول :

١ — إن عدم وجود الضمير الأدبى عند الجماعات المنحطة التى لا تمتاز كثيرا عن الحيوانات العجم ، لايدل على أنه ليس موجودا فيها بالقوة ، كما لايدل عدم وجود الفلسفة لديها أنها ليست موجودة لديها بالقوة . وإذا كان لا يجرؤ على القول الأخير إنسان يعتد بعقله ، فكان يجب أن لا يجرؤ أحد على القول الأول . وإلا فهل كان يريد أن يكون الرجل الذى لا يفترق عن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المجاهل إلا فى التلفظ ببضع عشرات من الـكلمات الساذجة ، ومضطر لأن ينقل عنها ماتصنعه من بيوتها التى تأوى اليها ، ووسائلها التى تستخدمها للحصول على فرائسها الخ الخ ، وهو مع ذلك مهدد فى كل آونة من وجوده بغارات الوحوش ، وعاديات الطبيعة ، هل كان يريد المعترض أن يكون لمثل هذا الرجل ضمير أدبى كالذى عند من أمن على نفسه وذويه ، وبلغ غاية بعيدة من العلم والوسائل الحيوية ، وماذا يفيده ذلك الضمير لو كان له وهو فى تلك الحالة المزعجة ، والحياة المضطربة ؟

ولـكن قد يكون لهذه الشبهة وزن إن ثبت عن هذا الرجل أنه لبث على حاله الأول مجردا من الضمير الأدبى بعد أن أمن شر العوادى عليه وعلى أهله ومجتمعه ، وبعد أن وصل الى حالة من الرخاء والنظام الاجتماعى تسمح له بالانتفاع بما أودع فى جبلته من المواهب الأدبية ، والصفات العلوية ، وهذا لم يحدث قط .

٢ — أما مايشاهد من الخلافات بين الأمم فى الضمير الأدبى لـكل منها ، على حسب تباينها فى البيئات ، وتخالفها فى شئون الحياة ، فهذا أمر طبيعى لا يمكن أن يحدث سواه . فمن الذى قال إن الانسان خلق حاصلا على جميع ماهو فى حاجة اليه من علم وأدب وصناعة وفن ؟ أما رأيت أن كل هذه الشئون الضرورية لوجوده قد نشأت فيه نشوءا تدريجيا ، واختلفت فى كل منها عما هى عليه فى غيرها على حسب اختلافات بيئاتها ، وتباينات أحوالها ؟ فهل يسوغ لمن يرى الشعوب على هذه الحالة من الخلافات العلمية والأدبية والصناعية والفنية أن يقول إنها مجردة من الأصول الجبلية التى تولدها ؟

وهل عند ما قال الاجتماعيون إن الانسان مدنى بطبعه ، أرادوا بذلك أن توجد الجماعات الساذجة على أرقى الأصول الاجتماعية ، من درجة التى تشاهد لدى أرقى الأمم الاوربية ؟

وهل قدح فى هذا الأصل العلمى وجود جماعات أولية على مثل ما عليه الحيوانات العجم من الفرقة والتشتت ، بحيث ظنهم كثير من العلماء من أنواع القردة المرتقية ؟

٣ — أما ما يشاهد من الخـلافات فى الضمير الأدبى لدى الأمم المتمدنة ، فـلا يقدح فى وجوده فطريا فى النفس البشرية ، كما لا يقدح اختلافها فى أصول الاجتماع ، وأصول الحـكم ، واختلافها فى المذاهب الفلسفية ، والـمثـل العليا الفنية . فإذا كان لا تؤثر هـذه الخلافات السياسية والاجتماعية والفلسفية والفنية فى أن الإنسان مفطور على الاجتماع ، وعلى إقامـة حكومة ، وعلى النظر فى الـكون ، وعلى العاطفة الفنية ، فـكذلك لا تؤثر خلافاتها فى الضمير الأدبى فى أن الإنسان مجبول عليه من أصل الخلقة .

على أن هذه الخلافات الضميرية بين الأمم لا تعدو الأمور العرضية ، أما الأصول الرئيسية [illegible] خلاف ألبتة . فلا خلاف فى وجوب إقامة العدل بين الناس قطعا لذرائع الانتقامات

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بينهم ، وفى إسعاف المرضى بالعلاج ، وتدارك الطفولة بالتربية ، واليتم بالكفالة ، والعجز بالايواء ، والملهوف بالاغاثة .

وإذا كان الضمير الأدبى وهماً من الأوهام ، فلماذا افتخر الناس قديما وحديثا بأعمال البر ، وتظاهر بها من ليس من أهلها ، وتبارى فيها أولو الجاه والثروة حتى بلغ ما دفعه بعضهم زيادة عن مائة مليون من الجنيهات ، كما يروى عن المثرين الامريكيين كارنجى وروكفلر وغيرهم ؟

ولماذا لم تقض المدنية ، والضلاعة فى العلوم والفلسفة ، على الضمير الادبى كما قضت على أوهام إنسانية كثيرة ، بل زادتها تشبثا بالنفوس ، وتسلطا على القلوب ؟

لقد قام فى العالم الإنسانى فى العهد الأخير غلاة من الاشتراكيين ، ارتأوا أن أصحاب العاهات أسباب وهن فى المجتمعات ، فيجب إبادتهم وإبادة من يجد منهم ، حتى لا يكونوا عبئا ثقيلا عليه . هذا رأى من الوجهة العلمية البحتة صحيح ، ولكنه من الوجهة الانسانية التى يتحكم فيها الضمير الأدبى لا يمكن إساغته ، ولذلك عدت الانسانية هذا القول هراء محضا ، وأزرت بقائليه واعتبرتهم غير جديرين بالاحترام ، فصمتوا فى وسط سخط العالم وسخريته .

وإليك ما هو أعظم دلالة على سلطان الضمير الأدبى من هذا : ذلك أن من الأمراض ما هو عضال لا يرجى له شفاء ، ويكون صاحبه عرضة لآلام مبرحة لا تحتمل ، يضطر معها للتسكين بالمخدرات ، فارتأى بعض الأطباء إراحة هؤلاء المرضى الميئوس منهم بالقضاء عليهم . فلم يرتح الضمير الانسانى الى هذا الحل وعارض فيه جمهور الأطباء وإن كان الداعى إليه إراحة المرضى أنفسهم .

وقد ازداد الضمير الانسانى سموا حتى امتد على عالم الحيوانات ، فأصبح الناس لا يطيقون أن يروا حوذيا يحمل عربته فوق ما تطيقه البهيمة التى تجرها ، فوضعوا لذلك عقوبات رادعة ، وعينوا رجالا يراقبون الحيوانات العاملة حتى إذا رأوا فى دابة جرحا ، أو آنسوا فى مشيتها ظلعا ، أو فى جسمها نحولا ، قادوها الى المستشفى الخاص بالحيوانات وعملوا على معالجتها .

ومما هو ذو دلالة عظيمة فى هذا الباب أن الأمم المتمدنة قررت منع تشريح الحيوانات وهى حية ، لرؤية أعضائها الصدرية والبطنية وهى تعمل ، إشباعا للشهوة العلمية . وقد كان هذا التشريح سببا للوقوف على معلومات تفصيلية فى الدورة الدموية والهضم وعمل العصارات المختلفة ، ولكن الضمير البشرى رأى أن يستغنى عن هذه المعلومات التفصيلية ، إذ لم يطق أن يسمح بحدوث مثل هذه القسوة ، وحمل الحكومات على تحريم هذا النوع من البحث العلمى .

لو كانت اختصت بهذه الصفات النفسية العالية أمة دون أمة ، لقلنا إنها من باب التأنق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى التظرف المدنى ، ولـكنا نراها عامة فى النـوع البشرى ، وإنما زادتها المدنية والثقافة العلمية قوة .

ولعلنا نطرف القراء بما يسرهم إذا ذكرنا لهم أن الاسلام سبق العالم كله فى رفع مستوى الضمير الانسانى ، وإكبار شأنه ، والعمل على إبلاغه السمو الذى هو أهل له .

فأما مادعا اليه من العطف على الضعفاء ، والرحمة بالمرضى ، والحدب على اليتامى ، والرفق بالأسرى ، فلا سبيل الى حصره ، وقد تجلت آياته فى القرآن كله . ولـكن الذى ننبه اليه أن الاسلام سبق المدنية الأوروبية فى تسرية مهمة الضمير البشرى على العالم الحيوانى أيضا ، بأكثر من ألف سنة . فقال صلى الله عليه وسلم : « لو غفر لـكم ما تأتون الى البهائم لغفر لـكم كثير » وقال : « إن الله يرحم عبده المؤمن برحمته العصفور » وقال : « لعن الله من مثـل بالحيوان » والمراد بالتمثيل به بتر أعضائه وقتله على هذه الصورة ، واللعن من أشد العقوبات الالهية . وقال « اركبوا هـذه الدواب سالمة ، واتدعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسى لأحاديثكم فى الطرق والأسواق ، فرب مركوبة خير من راكبها » الحديث . وقال : « دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها ، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ، حتى ماتت » .

وقد زاد الاسلام سموا على كل ما رأيته من سمو الضمير الانسانى فى العالم المتمدن ، فنهى حتى عن لعن الحيوان ، كما اعتاد الناس أن يفعلوه عند ما يستعصى عليهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تلعن إنسانا ولا دابة فترجع اللعنة إليك » . وكان صـلى الله عليه وسلم على سفر فى بعض أصحابه ، فلعن واحد منهم راحلته ، فكره رسول الله ذلك ومنعه من ركوبها عقابا له .

كلمـة ختـامية :

إذا كان شأن الضمير الأدبى من الحياة الانسانية هو ما رأيت ، فمن الذى يجرؤ أن يدعى أنه مادى بحت ، وأنه لا صلة له بعالم أرفع من العالم الأرضى .

وكيف يمكن أن يدعى أنه لا أصل له غير الحـاجة الحيوية ، وأنت ترى أنه قد تعدى فى تطوره منطقـة تلك الحاجات الى مناطق أرفع منها ، لا تدعو إليها حاجة الاجتماع ، وأنه أصبح واحدا فى جميع فلسفات العلم المتمدن ، حتى فلسفة الملاحدة ؟

إذا لم يـكن للانسان وراء الشعور بحاجاته المـادية ، عاطفة أرقى منها لها حاجات من نوعها تتطلب توفيتها ، فكيف يعقل أن يتعدى هذا الشعور المـادى طوره ، فيصل الى آفاق أعلى مما لم يخلق له ، آفاق يعدها المـاديون الذين ينكرون الضمير الفطرى ضارة به ، ومعطلة لتطوره ، كإيثار الفقر على الغنى ، والزهد فى متع الدنيا ، والعزوف عن الشهرة وبعد الصيت ، والعزلة لبلوغ الدرجات الروحية العالية ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يعز على أصحاب الفلسفة المادية أن يعترفوا للانسان بضمير فطرى هربا من عزوه الى أصل روحانى فوق المادة ، وهم لا يعترفون بوجود سواها ، كأن الكون لا يجوز أن يكون فيه إلا ما تحس به حواسهم القاصرة . وقد أنكروا فى هذه السبيل القدرة المدبرة للكون ، والروح الانسانية ، وكل ماسوى التراب والصخور ، وإنى لا أشك فى أنهم يستطيعون أن يبنوا الكون بما فيه من العجائب ، والعقلية البشرية بما احتوته من البدائع ، ببضعة ألفاظ اخترعوها وسموها نواميس طبيعية . فهذه الفلسفة قد طعنت حتى لا تجد فيها مكانا لطعن ، ومزقت حتى لا تستطيع أن تصادف منها ما تمزقه ، ومن العجيب أنها مع هذا المَحْق كله لا تزال تميس مختالة فى بعض الرءوس !

محمد فريد وجدى

الاستعطاء بالالزام

دخل دعبل الخزاعى الشاعر على بعض الأمراء فقال : أصلح الله الأمير ، لا أقول كما قال صاحب معن :

بأى الخلتين عليك أثنى ... فانى عند منصرفى مسول
أبا الحسنى وليس لها ضياء ... علىّ فمن يصدق ما أقول
أم الأخرى ولست لها بأهل ... وأنت لكل مكرمة فعول

ولكنى أقول :

ماذا أقول إذا أتيت معاشرى ... صفراً يدى من عند أروع مجزل
إن قلت أعطانى كذبت وإن أقل ... ضن الأمير بماله لم يجمل
ولأنت أعلم بالمكارم والعلى ... من أن أقول فعلت مالم تفعل
فاختر لنفسك ما أقول فاننى ... لا بد مخبرهم وإن لم أسأل

وكتب حبيب الطائى الى احمد بن أبى دواد :

اعلم وأنت المرء غير معلم ... وافهم جعلت فداك غير مفهم
أن اصطناع العرف مالم توله ... مستكملا كالثوب مالم يعلم
والشكر مالم يستثر بصنيعة ... كالخط تقرؤه وليس بمعجم
ويفوتنى فى القول إكثار وقد ... أسرجت فى كرم الفعال فألجم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام كما يراه الاوربيون

— ٤ —

أسلفنا فى الفصل الأول من هـذه السلسلة أن الباحثين المحـدثين من الغربيين هم أكثر نزاهة وأعظم انعطافا الى الحقيقة من القـدماء ، وقررنا أن من يحيد منهم عن جادة الصواب فانما يهوى فى هذا الخطأ قسر إرادته بدافع الجهل أو السطحية ، لا بالتعصب وسوء النية كما كان القدماء يفعلون . وبرهنا على هـذه الدعوى برأى « البارون كارادى فو » الذى بسط فى إسهاب إلهيات القرآن ، وأثبت أن هذا الـكتاب قـد عرض لأعوص مشاكل الفلسفة : كالألوهية والوحدانية ، والقـدرة ، وتنزه الإله عن الإنسال ، ومخالفته لـكل من عداه ، وعلمه بكل شىء ، وعنايته الشاملة ، وكماله التام . وكمشاكل القضاء والقدر ، والحياة الأخرى والخلود فى النعيم والجحيم ، وما شاكل ذلك مما استأنسنا به فى ردنا على نظرية « رينان » الخاطئة التى أشرنا اليها فى الـكلمة الثانية من هذه الـكلمات .

والآن نتابع هذه الفكرة فنقرر أن بحوث الغربيين عن الاسلام فى تقدم يوشك أن يكون مطردا نحو الاهتداء الى الرشاد ، وفهم هذا الدين على حقيقته بفضل دراستهم العميقة لأصوله ومنابعه الجوهرية . ومن آيات ذلك أن الأستاذ « إميل ديرمانجيم » — وهو الذى أخذ عنه الدكتور هيكل باشا كتاب « حياة محمد » — يلاحظ « أن التسرع فى الأحكام قد حال زمنا طويلا دون دراسة علمية حقة لأصـول الاسلام ، وأن مجهودا جديا قد قام به فى القرن التـاسع عشر : « كوسان دى بيرسيفال » و « موير » و « موى » و « مرجيليوت » و « نولديك » و « أسيرينجير » و « اسنوك هورجرونج » و « دوزى » . وأحدث من هذا المجهود الذى قام به « كايتانى » و « لامانس » و « ماسينيون » و « مونتيه » و « كازانوفا » و « بيل » و « هوار » و « هوداس » و « مارسيه » و « أرنولد » و « جريم » و « جولد يزيهير » و « جود فروادي‌موبنين » . ويلاحظ كذلك أن بعض هؤلاء الاختصاصيين قد هووا مع الأسف فى الافراط فى النقد ، فـكانت كتبهم — وهى لاتعتبر فى الحقيقة إلا طلائع للبحث — معاول للهدم ، وأنه هو شخصيا قد عول على أن يسلك طريقا وسطا بين الافراط والتفريط ، فيتتبع الرواية الى الحد الذى لا يتعارض فيه مع النقد الحر ، أى لا يسلم بالمعقول وغير المعقول كالمسعودى مثلا ، ولا يغالى فى الهدم كما فعل بعض المستشرقين الذين عرضوا لدراسة الاسلام .

وقد سلك هـذه السبيل فوفق الى كثير من الحقائق ، وإن كان له هـو الآخر هفوات سنعرض لها فى حينها ، ولـكننا نكتفى اليـوم بأن نسجل هنا بعض أحاسن آرائه فى النبى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

صلى الله عليه وسلم وفى القرآن . وتلك الآراء التى أدلى بها هذا الكاتب الممتاز يتعلق بعضها بمحمد صلى الله عليه وسلم إنسانا ، وبعضها به حكيما ، وبعضها به نبيا . واليك هذه الآراء :

محمد إنسانا :

نريد الآن أن نشير الى رأى الاستاذ « دير مانجيم » فى أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم الشخصية ، لا لأننا فى حاجة الى التدليل برأى كاتب أوربى على سمو هذه الأخلاق النبوية الى أقصى ما تسمح به الطاقة البشرية ، ولكن لنبين أن الباحث المحايد الدقيق إذا بذل أدنى عناية فى البحث انكشف له من الحقائق ما يبهر اللب بسطوعه ولمعانه . وهاك موجزا فى هذه الآراء :

« إن محمدا قد أبدى فى أغلب حياته اعتدالا لافتاً للنظر ، فقد برهن - فى انتصاره النهائى - على عظمة نفسية قل أن يوجد لها مثال فى التاريخ ، إذ أمر جنوده أن يعفوا الضعفاء والمسنين والأطفال والنساء ، وحظر عليهم أن يهدموا البيوت ، أو أن يسلبوا الثمار ، أو أن يقطعوا الأشجار المثمرة ، وأمرهم أن لا يجردوا السيوف إلا فى حالة الضرورة القاهرة ، بل قد رأيناه يؤنب بعض قواده ويصلح أخطاءهم إصلاحا ماديا ، ويقول لهم : إن نفساً واحدة خير من أكثر الفتوح ثراء .

« إن الغنائم الحربية كانت فى ذلك العهد النتيجة العادية لكل جهاد ، بل يمكن أن يقال : إنها كانت — مع التجارة وتربية الحيوانات — هى الصناعة الوطنية العربية ، فأعلن محمد إباحتها لأتباعه نتيجة لضعفهم ، ولكنه حددها بقواعد دقيقة ، فخصص الجزء الأكبر منها للصدقات ولحاجات الجيش . إنه قد حظر فى قسمة الأسارى إبعاد الأطفال عن أمهاتهم . إنه لم يكن يستطيع أن يغير أخلاق شعبه تغييرا تاما ، ولكنه نجح فى أن يقومه فى نقط كثيرة . إنه هو شخصيا لم يكن إلا رجلا أميا خلوا من الثقافة تقريبا كجميع بنى جلدته فى عصره ، ولكنه كان يعلم أن الإله رحيم رحمة لاحد لها ، فأجهد نفسه فى أن يعلو على الطبيعة البشرية ، وأن يقهر فى نفسه الميول الانتقامية ، وهو فى هذا يقول : « كاد الحليم أن يكون نبيا » بل يمكن أن تكون آلامه التى كان يعانيها ناشئة عن أنه لم يلحق الكمال الذى كان يبغيه . إن إخلاصه لايمكن أن يكون فى العصر الحاضر موضع شك ، فان حياته كلها تشهد أنه كان يؤمن برسالته إيمانا عميقا ، وأنه تقبلها — لابدون بطولة — كحمل يجب عليه أن يحتمل أثقل أوزانه . إن قوة عبقريته الانشائية واتساعها وذكاءه العظيم ونظره الصائب الى الحقائق ، وسيادته لنفسه وقوة إرادته وحكمته واستعداده للعمل وحياته الواقعية ، كل ذلك يمنعنا من أن نعتبر هذا الملهم المضاء البصيرة مصروعا أو معتوها ذا خيالات زائفة ، مادام قد ثبت أن الزيف فى مبدأ رسالته مستحيل القبول . فكيف يتصور أن ينقلب كاذبا فجأة ذلك الذى كان

حروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نجاحه يظهر له كبرهان ساطع على تأييد الإله لدعواه؟ وكيف يمكن أن يجرؤ على تشويه رسالته في الوقت الذي كان يرى فيه أنها مقدسة مؤيدة من الإله؟ (١) ».

محمد حكيما :

قال : « إن محمدا كان رجلا مؤمنا بالعالم الروحاني . إنه ذلك الانسان الذي للأشياء الخفية عنده أهمية تفوق أهمية الظواهر الحسية ، والذي عنده تتقدم اللامرئيات على المرئيات ، والذي يرى أن النظام الروحاني هو النظام الأساسي ، بل إنه هو النظام الوحيد الذي يوجد حقا . إنه قبض على الحقيقة العميقة ثم صدع بين بني الانسان باكتشافه . إن هذا القلب الخلو من كل كذب ، ومن كل ثقافة مزيفة ، ومن كل غرور ، قد استحوذ دفعة واحدة على الصخرة المتينة . (٢) وإذ كان حقيقيا (٣) بالمعنى الكامل لهذه الكلمة : « Réaliste » فقد كان نجاحه في الحياة العملية حين وكلت إليه أعمال العالم الخارجي أتم وأكمل ، لأن المرئي هو (مينا) الساعة التي عليها يرتسم اللامرئي ، ولأنه هو جذر النبتة الحقيقية ، إذ ما هو أدنى ، صورة لما هو أعلى (٤) ».

محمد نبيا :

بعد أن لخصنا لك شيئا من آراء هذا الكاتب عن النبي صلى الله عليه وسلم كإنسان ثم عنه كحكيم ، وجب علينا أن نجمل لك آراءه عنه كنبي ، ولكن بعد أن نشير الى آرائه في النبوة وآثارها في الإنسانية بوجه عام :

« إن النداءات الداخلية هي لتاريخ الإنسانية أشبه الأشياء بمفاصل الجسم البشري التي تسمح له بأن يتحرك ويؤدي مهمته في الحياة ، فمن وقت الى آخر ترن دعوة ، وتسمع صرخة في الليل ، وينادي صوت في السكون ، فيهب إذ ذاك رجل قافزا من نومه ويسير دون أن يدري الى أين يتجه بالضبط كابراهيم وإلياس ، ثم يستمر في سيره بلا راحة ولا فتور ، ويظل يتكلم حتى يوقظ الآخرين من نومهم الثقيل . وبهذا يتكون سلام الانسانية في سلسلة من الأفعال الحرة . . . وهكذا نهض محمد ليدعو بني جنسه الى دين واحد هو دين الإله الواحد ،

---

(١) انظر صفحات ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٧ و ١٩٨ من كتاب « حياة محمد » لمؤلفه « دير مانجيم » .

(٢) هذا تصوير لحالة من يهتدي الى خير ما يعتمد عليه ، وفيه تشبيه بالغريق الذي يعثر في وسط الخضم على صخرة متينة يتشبث بها فينجو من الغرق . (٣) انقسمت المذاهب الفلسفية بازاء ما وراء المحسات الى ثلاثة أقسام : الاول مذهب الحقيقية ، وهو الذي يرى أن للكليات وجودا ذاتيا حقيقيا سبق وجود المحسات وبه قال أفلاطون . والثاني مذهب الاسمية ، وهو الذي يرى أن المفاهيم ليست إلا أسماء اعتبارية ، مسمياتها المحسات ، وبه آمن السوفسطائيون ومن نحا نحوهم . والثالث مذهب المفهومية ، وهو الذي يرى أن للمفاهيم وجودا ذهنيا انتزع من المحسات ، وبه قال ارسطو . والاستاذ « دير مانجيم » يرى أن نبي المسلمين من أنصار المذهب الاول ، وهو أسماها جميعها . (٤) انظر صفحتي ٨٠ و ٨١ من كتاب « حياة محمد » لدير مانجيم

oldbookz@gmail.com
مروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وليوقظ جزءا من آسيا وأفريقيا ، وليحرر من عبودية الجامدين كل الذين يفهمون رسالته الحقيقية ، ولكى يجدد بلاد فارس التى كان النعاس يشملها ، ولينعش المسيحية الشرقية التى شوهتها المجادلات الخيالية من الحماس ومن الاعتقاد العارى عن الوحدة . . . إن الأنبياء يفرضون أنفسهم على العالم كالقوى الطبيعية العظمى الخيرة القاسية : كالشمس والمطر وكعواصف الشتاء التى تصيب الأرض العربية لتكسوها بالخضرة فى بضعة أيام ، فبثمارهم ينبغى أن يحكم عليهم . إن أفضل براهين رسالاتهم هى تلك العقول المطمئنة والقلوب المفعمة بالسكينة ، والارادات القوية ، والأوجال المستحيلة الى هدوء ، والأمراض الأخلاقية التى أبرءوا الانسانية منها ، والصلوات التى تصعد الى السماء النقية .

« إنهم قد هوجموا بالكبرياء العالمية ، وهم بدون معتمد وبدون قوى مادية ، ومع ذلك فقد حملوا وحدهم سر أعلى أنواع الحرية الذى يمكن أن يلخص فى هذه العبارة : لأن تعصى الناس خير لك من أن تعصى الإله الذى أمامه وحده يجب أن يسجد الجميع متساوين .

« إن محمدا كان يجهل كل ما ليس علما مطلقا ، وكان أميا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، وليس معناها — فيما أرى — العامية أو الخلو من التأدب ، وإنما الأمى هو بالأحرى الرجل النقى الذى جمع بين الطبيعة وما فوق الطبيعة . والبرىء من الأحكام العقلية والقلبية المتسرعة ، ومع ذلك فقد نهض لكى يدعو العلماء الى أن يفهموا ما يقولون ، وليقوم الطرق الملتوية التى يضل فيها من يزعمون أنهم حكماء . إن الناس حالة سماعهم خطبه الملهمة ، وكناياته الملتئمة مع عصره قد أحسوا بجاذبية تصلهم بالسر الخفى الذى يحوطهم ، وخضعوا للإله فرأوا كيف يستطيعون أن يهدوا وجودهم المؤقت . وهكذا وجدوا فيه مثالا حيا لا يستطيع الفلاسفة ولا رجال الحكومات أن يقدموه .

« إن محمدا قد جاء فى عصر يعتبر أحد عصور التاريخ المظلمة ، إذ أن جميع المدنيات من حدود الجول إلى أقاصى الهند كانت منهارة أومضطربة ... إن دعوة محمد قد أوجدت فى جزيرة العرب تقدما غير قابل للاعتراض ، سواء أكان ذلك فى دائرة الأسرة ، أم فى دائرة الجماعة ، أم فى الناحية الصحية ، فإن حظ المرأة قد تحسن ، وإن الفحش والزواج المؤقت والمعاشرة الحرة قد حظرت ، وقد حرم أيضا إكراه الاماء على اتخاذ الفحش وسيلة لثراء مواليهن كما كان متبعا فى ذلك العهد « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا » .

« إنه قد أباح الرق ، ولكنه نظمه وضيق حدوده ، وجعل العتق عملا خيرا ، بل كفارة عن بعض المعاصى ...

« إن أبا ذر دعا بلالا يوما بابن الأمة ، فقال له النبى : إنك لاتزال تشعر بشعور الجاهلية الأولى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

«إن الإلهيين والأخلاقيين والفقهاء والمتنسكين قد وجدوا فيما بعد فى دعوة محمد الأسس الأولية لمعارفهم ، فاسترشد بها كل منهم فى طريقه الخاص مع حفظ المبدأ الجوهرى ، وهو أن الإله هو المحور الرئيسى فى كل شىء . لقد اعتمدت المذاهب المختلفة فى تأسيس آرائها المتناقضة على أحاديث حقيقية أو مزيفة عزيت الى النبى ، بل إن المشكلات الميتا فيزيكية العظمى التى لم يكن محمد يحب أن يلح عليها قد عولجت فيما بعد استنادا على تلك الأحاديث نفسها . ففيما يتعلق بحرية الفرد مثلا نجد أن الجبرية وخصومهم القدرية قد فتشوا عن أدلتهم فى الكتاب والسنة ، وهذه المسألة قد بسطت بعد ذلك أمام المدرسيين المسيحيين كالقديس توماس ، وعند بعض المحدثين كبوسويه والجانسينيين ، والموليبنيين ، بنفس العبارة التى بسطت بها عند العرب ، وحلت بنفس الحلول التى وضعوها لها . وفى الواقع أن القرآن يلح على بيان القدرة والعلم الالهيين الكاملين ويعلن أن كل شىء آت من الاله ، ولكنه يصرح أيضا بأن الشر وليد الارادة الانسانية الفاسدة . وعلى الجملة : يستطيع الباحث أن يجد فى القرآن نصوصا لحرية الفرد أو عليها . وهاتان النقطتان هما طرفا السلسلة التى لم يعثر العقل البشرى بعد على حلقاتها الوسطى . فاذا كان المسلمون — وعلى الأخص فى عصور التدهور — قد أبدوا انعطافا نحو الجبرية الشرقية ، فانه ليس فى الاسلام ما يضطرهم الى هذه الجبرية ، على عكس ما كان « ليبنيتز » يعتقد مسايرة للرأى العام ، إذ حين سأل أحد الأعراب محمدا عما إذا كان يكتفى فى حفظ ناقته بالتوكل على الله ، أجابه قائلا : « اعقلها وتوكل » . وحينما قيل له : إنه مادام أن كل شىء معلوم لله مقدما ، فان العمل عبث ، قال : كلا ! « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » . وهذا معناه : «ساعد نفسك تساعدك السماء » . وقال كذلك : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا (١) » . وهذا هو الحل الذى ارتضته الأخلاق فشهد لها بالحكمة (٢) » .

القـرآن :

لننظر الآن فى رأى هذا الكاتب فى القرآن وإعجازه بعد أن ذكرنا لك رأيه عن النبى ، قال:

« إن كل نبى يجب أن يأتى ببرهان من طبيعة خاصة يكون آية على صدق رسالته . وهذا البرهان يسمى بالمعجزة ، وهو يختلف عما يأتى به الأولياء ، ويسمى كرامة . . . والقرآن هو معجزة محمد الوحيدة (٣) ، فإن جماله الأدبى الفائق وقوته النورانية لا يزالان الى اليوم لغزا لم يحل ، وهما يضعان من يتلونه — ولو كانوا أقل الناس تقوى — فى حالة خاصة من الحماس .

(١) يظهر أن هذه الحكمة هى للامام على كرم الله وجهه لا للنبى صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه ديرمانجيم . (٢) انظر صفحة ٢٧١ وما بعدها من «حياة محمد» لدير مانجيم . (٣) نحن نعلم أن القرآن هو المعجزة الاساسية ، لا الوحيدة للنبى صلى الله عليه وسلم ، ولكننا كثيرا ما نصادف عند المستشرقين هذا الجزم بان نبى المسلمين اعترف هو نفسه بانه ليس له معجزة أخرى غير القرآن . ولست أدرى أين عثروا على هذا الاعتراف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لقد تحدى محمد الأناسي والجن أن يأتوا بمثله . وهذا هو برهان رسالته بالمعنى الكامل ، ولم يكن الأمر فى القرآن يتعلق بقيمة أدبية استثنائية ، فإن محمدا كان يحتقر الشعراء ، ودفع عن نفسه أن يكون واحدا منهم ، ولكن الأمر يتعلق بشىء آخر غير هذه القيمة ، وهو الفرق بين وحى الإله وإلهام الشياطين (١) » .

« يتبع »

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

(١) انظر صفحتى ٢٧٧ و٧٦٢

فى الحرب وما إليها

كثر الكلام فى الحرب فى هذه الآونة ، فيحسن أن نورد للقراء بعض ما جاء فى القرآن الكريم ، وما قاله قادة المسلمين فى ذلك :

قال الله تعالى : « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » يريد أن يكونوا متصافين بنظام تام لا عوج فيه ، ومتساندين فى أشخاصهم ووحداتهم كأنهم بنيان مرصوص لا يستطيع العدو أن يخترق صفوفهم .

وقال النعمان بن مقرن الصحابى لرجاله فى وقعة من وقائعه : إنى هاز لكم الراية ، فليصلح كل رجل منكم من شأنه ، وليشد على نفسه وفرسه ؛ ثم إنى هاز لكم الثانية ، فلينظر كل رجل منكم موقع سهمه ، وموضع عدوه ، ومطار فرصه ؛ ثم إنى هاز لكم الثالثة وحامل فاحملوا على اسم الله .

فى النعمان بن مقرن هذا يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا تكاملت الخيل ، وتطاع الصحابة التقدم عليها ، لأقلدن أعنتها رجلا يكون غذاء لأول أسنة يلقاها .

وقال على رضى الله عنه : انتهزوا الفرصة فانها تمر مر السحاب ، ولا تطلبوا أثرا بعد عين .

وقد كره قواد المسلمين التصايح فى الحرب وعدوه فشلا ، فكان جنودهم يقاتلون سكوتا . لذلك قال عتبة بن ربيعة من صناديد المشركين لأصحابه يوم بدر لما رأى عسكر المسلمين : أما ترونهم خرسا لا يتكلمون ، يتلمظون تلمظ الحيات ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى ذكرى المولد النبوى

الخطبة التى ألقاها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أحمد العدوى فى احتفال الأزهر بذكرى المولد النبوى ، وقد فاتنا أن ننشرها فى حينها فنتدارك ذلك بنشرها فى هذا العدد لنفاستها وروعة بيانها ، قال فضيلته :

نحمد الله حمد الشاكرين ، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد إمام المتقين وسيد المصلحين .

وبعد : فاذا احتفل الأزهر فى هذه الليلة بذكرى المولد النبوى ، فإنما يحتفل بذكرى مصلح غيّر وجه الأرض ، وحوّل مجرى التاريخ ، وسعدت به الملايين من البشر ، وظهر به فضل الله على خلقه : « لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفى ضلال مبين » .

إذا احتفل الأزهر بهذه الذكرى فإنما يحتفل بميلاد ميمون على الخلق ، وعهد مبارك . ونظرة واحدة فيما كان عليه البشر قبل ميلاد الرسول الأعظم ترينا مقدار الاصلاح المحمدى .

فقد كانوا فى ظلام حالك ، وجاهلية عمياء . فمن عقائد باطلة ، الى أخلاق فاسدة ، الى صلات مفككة ، الى فوضى فى الاجتماع والسياسة مروعة .

ومن عبادة للاصنام ، الى إنكار للبعث ، الى وأد للبنات خشية العار ، الى قتل للأولاد مخافة الفقر ، الى إضرام لنار الحرب لأوهى الأسباب .

دع ولوعهم بالخمر ، وكلفهم بالميسر ، وهتكهم للأعراض ، وتقطيعهم للأرحام ، وإساءتهم الى الجار ، وظلمهم لليتيم .

فكانت مهمة سيدنا محمد بن عبد الله شاقة : أخذ يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم بالعلم النافع ، ويدعوهم للعمل الصالح والخلق الطيب ، وينشر فيهم العقيدة الصحيحة .

يعلمهم التوحيد ، ويريهم ضلال ما كانوا عليه من عبادة الأصنام ، وأن التوحيد هو قضية المنطق ومقتضى العقل : « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لايسأل عما يفعل وهم يسألون . أم اتخذوا من دونه آلهة ، قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معى وذكر من قبلى ، بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون . وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون . وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، سبحانه ، بل عباد مكرمون . لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشية مشفقون . ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزى الظالمين » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون . وإن تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم ، سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون . إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين . ألهم أرجل يمشون بها ؟ أم لهم أيد يبطشون بها ؟ أم لهم أعين يبصرون بها ؟ أم لهم آذان يسمعون بها ؟ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون . إن وليي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون . وإن تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا ، وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » .

أراهم أن الإيمان بالبعث والجزاء أصل أتت به كل الشرائع ، ولا غنى للناس عن هذه العقيدة ، حتى يعدّوا لذلك اليوم عدته ، فيصلحوا أعمالهم وأخلاقهم : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » « واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون » .

وأقام لهم الدليل على أن عملية البعث ماثلة بين أيديهم تتكرر أمامهم كل يوم ، والبعث فوق ذلك مقتضى الحكمة والعدل الإلهى ، فإن الحكمة فى أن يكون للناس حياة وراء هذه الحياة ينتصف فيها المظلوم من الظالم ، والضعيف من القوى : « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، إن الذى أحياها لمحيي الموتى ، إنه على كل شيء قدير » ، « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » .

وأراهم بعد ذلك أن العمل الصالح والخلق الطيب لا غنى عنه بعد الايمان بالله : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » . والقرآن الكريم مملوء بالدعوة الى الخلق والعمل الصالح ، ففيه أدب المؤمن مع ربه ، وأدبه مع رسوله ، وأدبه مع آبائه وقرابته ، وأدبه مع المسلمين ، وأدبه فى دخول البيوت والمنازل ، وأدبه فى الدعوة الى الله ، وفيه غير ذلك من الآداب .

ألهذا الإصلاح فى العقيدة والعبادة والخلق قامت قريش وقعدت ؟ ولنشر ذلك العلم والعرفان حاربت رسول ربها وبأنعم الله كفرت ؟ ومن جراء ذلك العمل الذى قام به محمد وأصحاب محمد أخذت تؤلب عليه وعلى حزب الحق ! ولكن الله لم يدعه للهموم تستولى عليه ، ولليأس يتسرب الى قلبه ، بل أراه أن أولئك العقبات التى تعترض الداعى لا غنى له عنها ، وهاتيك الشدائد التى تنزل بالمصلح شنشنة قد عرفت عن المفسدين لا يستطيع المصلح أن يفرّ منها مادامت مهمته أن يحول بين النفوس وشهواتها ، والقلوب وأهوائها ، ليرسم لها طريقا غير الطريق ، ويخلق الناس خلقاً جديداً ، وينشئهم نشأة صالحة . لذلك أمره الله أن يعتصم بالصبر ، ويأخذ بالعفو ، لأن العاقبة للتقوى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . وإمّا ينزغنّك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم . إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذاهم مبصرون » . « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كُذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين . وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض أو سُلما فى السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين . إنما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون » .

مازالت قريش تعنت الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وتؤذى أصحابه ، وتذيقهم العذاب ألوانا ، ولا سيما الضعفاء منهم ، والله يأمره بالصبر ، ويدعوه الى الصفح ؛ حتى بلغ الإعنات غايته ، فحاربوا أصحاب محمد فى الأرزاق وقاطعوهم فى وسائل الحياة ، ودبروا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه مؤامرة ليقتلوه ، وكان تدبير الله فوق تدبيرهم : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليُثبتوك ، أو يقتلوك ، أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين »

أذن الله له فى ليلة المؤامرة بالهجرة إلى المدينة المنورة ، فنجا من مؤامرتهم ، ووجد فيها الأنصار الذين آزروه وأيدوه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، وهناك أخذ ينشر دعوته ، ويتمتع بحريته فى الدعوة الى الله كاملة .

غير أن فريقاً من أهل الكتاب دخل عليه الشرك فى العقيدة كما دخل على مشركى العرب فى مكة ، وكان فيهم من يتغالى فى رسول الله عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام حتى أخرجه من صف البشر ، وفيهم من تغالى فى العزير وقال إنه ابن الله ، فكان من الخير أن تصحح هذه العقيدة « قل يأهل الكتاب تعالَوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذَ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . « يأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ؛ إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبرْ فسيحشرهم اليه جميعا » .

أخذ الرسول صلوات الله عليه وسلامه يؤاخى بين المهاجرين والأنصار ، ويؤلف بين الأوس والخزرج ، وقد طحنتهم الحروب ومكثوا ماينيف على المائة سنة متناحرين ، فكان حظه فى ذلك النصر والظفر : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » . نعم هى آية من أكبر آيات الله لذلك النبى الأمى العربى : أن يجمع الله به

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

القلوب المختلفة ، ويستل منها السخائم ، ويطهرها من الاحقاد والضغائن : « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ، إنه عزيز حكيم » . ولا عجب فقد أرسل بكتاب أنزله خالق النفوس ، العليم بأمراضها ، الخبير بوسائل علاجها : « يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

مكث صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة تسع سنين وتسعة أشهر يبلغهم فيها التشريع الدينى فى العبادات ، كالصوم والحج ، والتشريع المالى كالزكاة ، ويضع لهم نظام الحكومة على أساس الشورى ، وتشريعه فى الحرب والسلم ، وأن الحرب لم يكن غرضا من أغراض الشرع بل هو ضرورة اجتماعية غايتها دفع العدوان عن العقيدة والنفس والمال .

وهناك وضع أصولا للمعاملات عادلة ، ونظما للبيوت حكيمة ، وقواعد للمواريث رحيمة . وناهيك بما أعطاه للبنت : جعل لها الحق المالى فى الميراث ، وكذلك فى البيع والشراء والوصية والهبة ، وما الى ذلك ، بعد أن كانت تورث ولا ترث ، وتملك ولا تملك ، وتباع وتشترى كالسوائم . ووضع نظاما للعقوبات هو فى نظر بعض الناس قسوة ، ولكنه فى واقع الأمر رحمة وحكمة .

وفى كل يوم تقوم الأدلة على أن المدنية الحاضرة فشلت أمام مشاكل الحياة حتى فى أعرق بلاد العالم مدنية ، فلم تعد صالحة لعلاج الجرائم وأمراض الاجتماع وأهواء النفوس ، وكلما تقدمت المدنية شوطاً سبقتها الجرائم أشواطاً .

وفى الحق أن الناس لايصلحون إلا إذا اعتصموا بكتاب ربهم وهدى رسولهم ، وتمسكوا بسنة الراشدين من خلفائهم ، وأنه لا غنى للناس عن الوازع الدينى والإصلاح المحمدى ، فقد سعدت به الأمة أيام أن أخذته بقوة ، وتلقفته بحرارة . سعدت بذلك الإصلاح حينما اعتبرته كلا لا يقبل التجزئة ، ودينا لله لا يحتمل التفريق . فالصوم والصلاة والزكاة والحج دين الله ، ونظامه العادل الذى وضعه فى المعاملات دين الله ، وأصله الذى رضيه للحكومة الإسلامية وهو الشورى دين الله ، وعقوبته التى رضيها مؤدبة لعباده وهو الرحيم بهم دين الله .

والأمل فى الله كبير أن يوفق الأزهر للقيام بهذه الدعوة العادلة لينشرها فى البلاد النائية كما نشرها خاتم النبيين بالحكمة والموعظة الحسنة ، مسلحاً بسلاح العلم واللغة بعد الثقة بالله ، مستنجزاً وعد الله لجنده بالنصر ولحزبه بالغلب : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون » فى ظل حضرة صاحب الجلالة مليكنا المحبوب الملك فاروق الأول ، أبقاه الله ناصراً للدين معزاً للحق ؟

محمد أحمد العدوى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من سوانح المولد الشريف

الإسلام ، فى الحرب والسلام

أعد ذكر سَلع والعقيق وما ضما … فإنى أشم المندل الرطب من ثمما
عِهاد أناخ المجد فيها ركابه … وأرسى الهدى فيها معاقله الشُمّا
بِنا من هواها صبوة عامرية … جرت نفَسا يحيى ، وخالطت العظما
اذا ما ذكرناها ، ففاح أريجها … ذكرنا العلاء المحض ، والشرف الضخما
مرابع عدنان ، وآطام يعرب … ومدرجة الاسلام ، مفخرها الأسمى
حبا بينها طفلا ، وأشرف يافعا … وأدرك موفور الجلالة فاعتمّا
وأشرق فى أفق البسيطة طالعا … على المعتدى غرما ، وللمجتدى غنما
رمى بجلال الحق أعداء نوره … فكم قاد مستعصى العنان ، وكم أصمى
سلوا الشرق هل أكدى سلوا الغرب هل أسا … سلوا بأياديه الأعاريب والعجما
سلوا موقدى الأضغان حربا مبيرة … ألم ينصر الاسلام فى العالم السِّلما ؟
ملكنا فأسجحنا ، فلما تملكوا … غدا العدل فى أقطار ساستهم وهما
سيوفَ رجالى ، أين مالت أكفهم … ألا نجدة !! سيل المخاوف قد طما
عزيز على الاسلام أن يَصفَر الحمى … وقد قام فى الدنيا قيامتها العظمى

***

بنى الأزهر الموفى على قمة العلا … دعا الصارخُ العريان ، فاستشعروا العزما
دعوا المجد تسديه الأيادى ، فانما … أخو المجد من يحوى مجادته رغما
دعيتم : حماة الدين ، فاحموا ذماره … وإلا فقد خان الحقيقة من سمى

***

خذوا شرعة الاصلاح عن نهج دينكم … فما جاوز الحسنى ، ولا أخطأ المرمى
وجِدّوا ، فقد جد الزمان ، وإنما … ينال الأمانى ، من تشمر واهتما

***

أصبتم بشيخ الدين نهجا مسددا … يؤم بكم فى طرقه خيرُ من أمّا
فسيروا على اسم الله تحت لوائه … جنودا ، الى العلياء ، واطلبوا النجما
وفى عرش فاروق عماد وعصمة … رعى الله فاروقا ، أبر الورى حكما

عبد الجواد رمضان
المدرس بكلية اللغة العربية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أطروفة أدبية

أين الزوجة ؟ !

أَخلقَ المهاة ، وَخلق النمر وقلب الذئاب ووجه القمر ؟
وعرس تجر الى بعلها مآتم تبقى بقاء العمر
فيخلع فيها رداء الشباب ويلبس فيها رداء الكبر
أرى الغانيات كثيرا ولا أرى بينهن ذوات الخفر
وماذا يفيد جمال الزهور إذا لم تفح بأريج الزهر
إذا لم تكن للغوانى قلوب حسان فلا كان حسن الصور
ولا كان يوما بياض الجبين ولا كان يوما سواد الشعر
وكم خاطبٍ غادةً حسنها يسر وآدابها لا تسر
فنقب على من سقاها الحياء لتجنى منها شهى الثمر
وإياك إياك زور الجمال فبعض الجمال سراب يغر
وبعض النساء شبيه السباع وبعض الرجال شبيه الحمر
وكم للكواعب من مقلة تهز قلوب ضعاف النظر
وليس بها غير حق الخداع وليس بها غير زور الحور
وكم من وجوه علاها الطلاء فضاعت ، وأعيت حديد البصر
وما الزهر من عمل العاملين كزهر بأعلى الروابى نضر
ولا صبغة الله سبحانه كصبغة عبد له مفتقر

***

خبرتك يا عصر هذا الجمال طويلا وعندى عنك الخبر
فما أنت إلا غريب الدهور وما أنت إلا عجيب العصر
أتيت وكلك شر لنا وتأتى العصور بخير وشر
فهل فيك من أمل يرتجى وهل فيك من زوجة تنتظر ؟ !

محمد الاسمر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حماية الاداب على الشواطىء

لقد ضج حماة الآداب العامة ، وحفظة الكرامة الاجتماعية ، من تهاون بعض المترددات على الشواطىء فى الصون الذى يجب أن يراعى فى مجال مكشوف للأنظار يغشاه البار والفاجر من جميع الطبقات . وقد حملت الصحافة التى يعنيها الاصلاح الاجتماعى حملات صادقة على المقصرين فى وضع حد لهذه العدوانات على الآداب العامة ، وقد حاولت الادارة بقدر ماسمحت لها به الأحوال أن تضع نظاما للشواطىء يقطع شأفة هـذه الشكايات ، ويكفل حفظ كرامة السيدات ، ولا تزال جادة فيه .

فإن كان يجب علينا أن ننوه بهمة رجال كان لهم القـدح المعلى فى استنجاز وضع هـذا النظام ، فإننا نذكر منهم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود أبو العيون ، فإنه منذ توليه مشيخة المعهد الاسكندرى الدينى لم ين فى الدءوب وراء تحقيق هذه الأمنية ، فأكثر من مقابلة صاحبي السعادة الهمامين محافظ الاسكندرية ورئيس المجلس البلدى ، واشتغل معهما فيما يجب أن يكون عليه ذلك النظام ، وما يتخذ من الوسائل لتنفيذه . وإننا ننشر ما كتبه فضيلته لسعادة محافظ الاسكندرية من الآراء لتحقيق هذا المشروع العظيم ، ومنه يرى القارىء أنه ملم بالصعوبات التى تعترض ماهو بصدده فى مدينة تغص بالأجانب كالاسكندرية ، فلم يفرط حتى يجعل الأمر غير قابل للتنفيذ ، ولم يفرّط حتى يتركه حبرا على ورق .

وإنا لننشر هنا آخر كتاب له الى سعادة محافظ الاسكندرية ، وفيه أصول النظام الذى كلف باقتراحه ، فاليك :

حضرة صاحب السعادة الأجل محافظ الاسكندرية :

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد : فانى بمناسبة حلول موسم الصيف وارتياد المصطافين مصايف الثغر ، أتقدم باقتراحات لصيانة الآداب فى الحمامات وشواطئها ، ولست أزعم أن هذه المقترحات كفيلة بتحقيق الغرض المنشود ، أو بحسم الداء ، ولـكن بقدر ما استطعت بعـد البحث مع ذوى الاختصاص جمعت تلك المقترحات ، وأرجو أن تنال توفيقا وتحقيقا لما يرتجيه كل حريص على الأخلاق وسمعة البلاد ، والمقترحات هى :

١ — تخصيص حمامات للسيدات مجانا فى المناطق القريبة ، كالشاطبى والابراهيمية وجليمونوبلو ، أو تخصيص زمن للسيـدات صباحا كما هو متبع فى بعض المصايف الأخرى مع وضع رقابة على هذه الحمامات لوقايتها من عبث الشبان ، بواسطة البوليس ، وذلك لإيجاد فرصة للأسر الحريصة على صيانة كرامتها ، وشرف آدابها من اختلاط الجنسين وعبث المستهترين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٢ — يلزم إيجاد نقطة دائمة من البوليس فى كل بلاجات الثغر التسعة المعروفة ، بشرط أن تكون النقطة البوليسية ثابتة لا تنتقل من مكانها ، وربما يكفى فى كل بلاج كونستبل واحد ومعه جنديان لمعاونته .

٣ — تعديل لائحة الآداب الخاصة بالشواطىء بما يمنع أى منظر مخالف للآداب العامة سواء فى الماء أو على الشاطىء ، ويترك هذا التقدير لرجل بوليس الآداب الذى لابد أن ينتقى ممن عرفوا بشرف السيرة وحسن السمعة .

٤ — ينص فى اللائحة على أن يخول للبوليس سلطة إزالة أى كبينة استحمام أهلية تحدث فيها أمور مغايرة للآداب ، ويكون ذلك عقب إنذار يوجه الى ساكن الكبينة ، وتكون الإزالة على نفقة صاحبها .

٥ — تقفل الشواطىء جميعها ، وتخلى الكبائن من جميع ساكنيها وقت الغروب مباشرة .

٦ — لابد لضمان الحالات المقترحة من بوليس نسائى مختلط ، ولا بد أيضا من التعاون الوثيق بين بوليس آداب البلدية ، وبوليس آداب المدينة .

ذلك ما رأيناه حتى الآن ، نقدمه لسعادتكم تنفيذا لرغبتكم من تقديم المقترحات للبحث فيها والعمل بما فيه المصلحة ، ولسنا نطمع فى أن هذه المقترحات تحسم الداء كما قلنا ، ولكننا نأمل فى تلطيفه ، وتخفيف وقعه على النفوس الكريمة .

وختاما نشكر لسعادتكم اهتمامكم بالأمر ، وغيرتكم المعروفة ، وسلام الله عليك وتحيته من المخلص ؟

محمود أبو العيون

شيخ علماء الاسكندرية

لا بؤس ولا تباؤس

قال بعض الظرفاء : كل ما اشتهت نفسك ، والبس مايلبسه أبناء جنسك .

وقد اعتذر رجل ليس فى قدرته لباس حسن فقال :

ياهذه كم يكون اللوم والفند لا تنكرى رجلا أثوابه قدد
إن يمس منفردا فالسيف منفرد والليث منفرد والبدر منفرد
أو كنت أنكرت طمريه وقد خلقا فالبحر من فوقه الأقذاء والزبد
إن كان صرف الليالى در بزعته فبين طمريه منه ضيغم لبد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التشريع الاسلامى

وما رسمه للحياة من مُثُل عُليا

جاء الإسلام والناس فى جهالة عمياء، وضلالة شاملة، وتنكب عن طريق الحق، وتشبث بأهداب الباطل، واتباع لحماقة الهوى، وابتعاد عن هداية العقل.

فمن تأليه للأصنام، وعبادة للأوثان، وتعظيم للأنصاب، واتخاذ للطواغيت — الى استقسام بالقداح، واعتقاد فى الكهانة، والعرافة، وزجر الطير والعيافة.

ومن تقديس للموروثات والتقاليد، وثقة فى الخرافات والأوهام، وانحطاط فى النظر والفكر، وتعويل على الأقاصيص والأساطير — إلى عصبية قبلية، ونعرة جنسية، وتفاضل بالأحساب، وتفاخر بالأنساب.

ومن فَهْم للأخلاق الفاضلة على غير وجهها، وإسراف فى سوء تقديرها، وإباحية مطلقة، وتبذير لا حدّ له — إلى أكل الميتة، وإتيان الفواحش، وقطع الأرحام، وإساءة الجوار، وقسوة فى الانتقام، وإفراط فى الأخذ بالثأر، واعتداء القوى على الضعيف، وشنّ الغارات لأقل حدَث، وأتفه سبب.

نقول: جاء الإسلام وحالُ الناس على ما وصفنا من طغيان الجهالة، وشيوع الضلالة، وانتشار المنكرات، فلم تقتصر مبادئه السامية، وقوانينه الوافية، على أن تقرر من النظم، وتسنّ من الأحكام ما ينتشلهم من مهاوى الرذيلة، ويقضى على سوء أثرها، وما يخرجهم من ظلمات الجهل، ويبدد سحبه الكثيفة، بل رسم من محكم التعاليم، وأنشأ من أقوم المناهج، وأهدى السبُل، ما هو أعلى مَثَل فى كل فكرة نادى بها، وكل دعوة دعا إليها، وما هو أكبر شاهد له على أنه خير دين تعبّد الله به عباده، واختتم به شرائعه الأولى، وجعله دستورا كاملا متسعا لشئون الناس جميعا، وشاملا لكافة حاجاتهم، وصالحا لكل زمان ومكان.

***

اتجهت التعاليم الإسلامية فى تشريعها ثلاثة اتجاهات رئيسية:

الاتجاه الأول: العقائد، فأسسها الإسلام على أوطد دعائم، وأعلى مُثُل فى التوحيد الخالص، والألوهية الحقة التى لا يشوبها شىء من الشرك، ولا يخالطها أى نوع من التعدد، أ... لشعر بالتعدد.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

انظر إلى القرآن الكريم، تجده يقرر فى كثير من آياته ونصوصه وحدة الألوهية، ويبطل التعدد، ويهدم الشرك من أساسه، قال تعالى: « فاعلم أنه لا إله إلا الله »، وقال: « وما من إله إلا إله واحد »، وقال: « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ».

ثم انظر إليه فى آيات أخرى تجده يقرر شمول الألوهية وعمومها وإحاطتها، ويبين أنه تعالى ليس إله قبيلة من القبائل، ولا إله أمة من الأمم، ولا إله عنصر من العناصر، ولا إله معنى من المعانى، كالإنس والجن والملائكة، وكالخير والشر والجمال، بل هو إله كل شىء، ورب كل موجود، وأن جميع ما فى الكون من أسرار ومظاهر، وكل ما يحتويه من معالم ورسوم مملوك له تعالى، وصادر عنه، ومسخر بأمره، وأنه قادر على كل شىء، وأنه قد أحاط بكل شىء علما، قال تعالى: « الله ربكم ورب آبائكم الأولين » وقال: « لله ما فى السموات وما فى الأرض » وقال: « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر، والنجومُ مسخراتٌ بأمره » وقال: « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه »، وقال: « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون »، وقال: « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما فى البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة فى ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ».

وهكذا حيثما تتبعنا آيات القرآن الكريم، نجد أنها قد اهتمت بأمر العقيدة اهتماما عظيما، وركزتها فى التوحيد الصرف، ووصف الله تعالى بكل كمال، وتنزيهه عن كل نقص؛ كما أنها قد اهتمت أيضا بما وراء هذه الحياة من حياة أخرى، وبما يكون فيها من مسئولية، وبما يلقاه الإنسان فيها من ثواب أو عقاب جزاء على ما قدمت يداه فى دار الدنيا من أعمال، قال تعالى: « يومئذ يصدر الناس أشتاتا، ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ».

* * *

الاتجاه الثانى: محاسن الآداب، ومكارم الأخلاق؛ فقد عنى الاسلام بها عناية فائقة، وحث عليها حثا شديدا، وطلب الى المسلمين أن يتخلقوا بأنبلها، ويأخذوا بأفضلها، ويخالقوا الناس بأحسنها وأجملها، وأن يكونوا جميعا أمثلة حية، وصورا ناطقة للعدل والإحسان، والوفاء بالعهد، والصبر فى الشدائد، والعفو عند المقدرة، والشعور بالواجب، وعزة النفس، وعلوّ الهمة، وطهارة الضمير، وما الى ذلك من الخصال الجليلة، والخلال الكريمة، قال تعالى: « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى»، وقال: « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا »، وقال: « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال : « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » وقال : « ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

فهذا النمط العالى من التهذيب الكامل ، والأدب السامى ، والخلق الرفيع ، هو الذى دعا إليه الاسلام ، ورغب فيه ، وحرصت عليه تعاليمه ، وأخبر نبيّه صلى الله عليه وسلم أنه ما جاء إلا لإتمامه وإكماله ، فقال : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

* * *

الاتجاه الثالث : الأعمال المتعلقة بأفعال المكلفين ، فقد شرع الاسلام منها ما هو خير مظهر من مظاهر الانقياد لله تعالى ، والاخلاص له ، والاقرار بنعمه والشكر عليها ، وما هو أبلغ تعبير عما يكنه العبد فى نفسه من عاطفة الإجلال والتعظيم لخالقه ، كما شرع ما يعتبر — بآثاره ونتائجه — أرقى نظام ، وأكفل وسيلة لمساعدة الفقراء والمعوزين ، والترفيه عنهم ، وللمساهمة فى مصالح المسلمين العامة ، والقيام بأعباء ما تتطلبه حالة الجماعة ، وذلك كفريضتى الصلاة والزكاة ، وما إليهما من بقية ما شرعه الاسلام من أحكام وأعمال كثيرة ، تختلف فى صورتها وأدائها باختلاف الغرض المقصود منها ، والحكمة الداعية الى تشريعها ، وآيات القرآن الكريم فى هذا الصدد كثيرة مشهورة ، لاتحتاج الى إيرادها وذكرها .

* * *

من مجموع هذه الاتجاهات الثلاثة التى ألمعنا إليها فى وجازة وتلخيص ، تتجلى دقة التشريع الاسلامى ، وتظهر متانة أصوله ، وقوة تعاليمه ، ويتبين فى وضوح أنه فى كل ناحية من هذه النواحى الأساسية ، قد أتى بأرقى النظم ، ورسم أعلى المثل ، ووضع خير الأسس وأتمها ، موافقة لطبيعة العمران ، وروح الاجتماع .

ولا غرو فى ذلك ، فهو يرافق الانسان فى جميع أطواره ، ويتعهده فى كل أحواله بالتربية والتهذيب ، ويعلمه فى كل مرحلة من مراحل حياته كيف ينظم شئونه ، ويدبر أموره . فعلاقة المرء بربه يضع لها أقوى الروابط ، وأوثق العرا ، وحياته البيتية وما يتعلق بها من زيجة ونظام أسرة ، وتربية أولاد ، يؤسسها على ما يكفل لها السعادة ، ويضمن لها الطمأنينة والراحة ، ويجعل جوها نقيا صافيا ، لا يلوح فيه شىء من قتامة الظنون ، وكدورة الريب والشكوك .

ووسائل الكسب والحصول على المال ، يبين له طرقها المشروعة ، وأبوابها التى لا ضرر فيها ولا ضرار ، ومواردها التى لا غبن فيها ولا اعتداء .

وصلاته الاجتماعية العامة والخاصة يبنيها على أمتن القواعد ، وأعظمها ثباتا واستقرارا ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويقيمها على ضمان الحقوق المتبادلة ، ورعاية المصالح المشتركة ، والتزام الحريات المقررة ، وينوطها بروح المساواة العادلة التى لا استبداد فيها ولا استذلال ، والتى لا فضل فيها لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعمل بارشادات الاسلام .

وهكذا لم يدع هذا التشريع الوافى الكامل صغيرة ولا كبيرة من شئون الأفراد والجماعات إلا وقد أنشأ لها من النظم ، وشرع لها من الأحكام ، ما هو خير كفيل بسعادة الناس وهناءتهم فى الدنيا والآخرة .

وبعد : فهذا إجمال نرجو أن نوفق الى تفصيله فى مقالات تالية ، إن شاء الله تعالى ؟

فكرى ياسين
المدرس فى كلية الشريعة

الوقاحة لؤم

قال أديب : الوقاحة فى الرجل تدل على لؤم نجره ، وخساسة قدره ، وقلة خيره ، وكثرة شره
وقال شاعر :

صلابة الوجه لم تغلب على أحد   إلا تكامل فيه الشر واجتمعا

وقال غيره :

من لم يكن عنصره طيبا   لم يخرج الطيب من فيه
كل امرئ يشبهه فعله   ويرشح الكوز بما فيه
أصل الفتى يخفى ولكنه   من فعله يظهر خافيه

وقد ليم بعض الوقحاء على الوقاحة فقال : الوجه ذو الوقاحة يفيء على صاحبه الانفال (أى العطايا) ، ويفتح له الأقفال ، ويلقطه الارطاب ، ويلقمه ما استطاب . ثم أنشد :

إذا رزق الفتى وجها وقاحا   تقلب فى الأمور كما يشاء

هذا صحيح ولكن فى الأمم التى يكثر فى رجالتها الانحرافات الخلقية ، فتراهم إذا آنسوا من واحد منهم وقاحة بادروا الى إكرامه ، وبالغوا فى الاحتفال به ، خشية منهم أن ينبرى لهم فيكشف عن مساوئهم ، ولو كانوا على الجادة القويمة لما خشوا له بأسا ولألقموه حجرا .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاراء العالمية فى الاسلام والمسلمين

الصراع بين الجنسين فى البلاد العربية

فتنة المدنية الغربية تمتد الى أقصى بلاد المغاربة :

نشرت جريدة (لير نوفيل) الفرنسية فى عددها الصادر فى ٢٦ مايو الماضى تحت عنوان « النساء المسلمات فى طرفى ممتلكاتنا بافريقيا الشرقية » ما تعريبه :

« كان شمال أفريقا الى الفتح الاسلامى يشاطر الغرب مدنيته بواسطة اللاتينية . فإن (تيرينس) المؤلف الهزلى الكبير كان أفريقيا . وقد ولد الامبراطور الرومانى (سبتيميم سيفير) بمدينة سبتياجرا من ليبيا . وكان القديسان أجوستان وسبريان من بربر تونس أو الجزائر . ولم تنقطع صلة شمال أفريقا بالغرب إلا من عهد أن صار إسلاميا .

واليوم بعد وجودنا مائة سنة فى الجزائر وستين فى تونس تظهر فيهما باكورة نهضة ترمى الى التشبه بالغرب ، ذات صبغة فرنسية . فان نخبة السيدات المسلمات يتكلمن الفرنسية الى جانب العربية ، ويختلطن بطلبتنا وأطبائنا ومحامينا وصحافيينا . أما سياستهن حتى مع ما هى عليه من مناقضتها للسياسة الفرنسية ـ وهذا فى الظاهر دون الباطن وقد تأيد ذلك فى الحوادث الأخيرة ـ فانهن يستعملن لنشرها أساليب الدعاية الغربية . والأمر على هذه الوتيرة فى مصر وفى سورية .

« أما فى مراكش فيمكن مشاهدة عقلية المرأة المسلمة على حقيقتها لأنها حديثة العهد بالاستعمار الفرنسى ، إذ لم يمض عليه أكثر من عشرين سنة .

« إن بعض الأوربيات من المعلمات والطبيبات والممرضات ومن زوجات الموظفين والضباط متى تعلمن اللغة العربية أمكنهن إحكام أواصر المودة بينهن وبين بعض النساء المراكشيات . وقد شهدن بأن الهوة بينهن لا تزال بعيدة القاع جدا .

« فلم يشاهدن عندهن حبا للاطلاع دالا على الذكاء إلا نادرا . فيقل تسآلهن عن عاداتنا وبلادنا أو دياناتنا . وتعليل هذا الاغفال ليس بالأمر الصعب : ذلك أن الاسلام مادام أرفع عندهن من جميع الأديان ، وفيه غناء فى كل شىء ، فلا داعى لمعرفة شىء بعد ذلك . وهن لا يغبطن النساء الأوربيات على حريتهن ، فهذه الحرية فى نظرهن من نصيب نساء الشوارع والمومسات والخادمات الملحقات بخدمة الأوربيين .

« إن الاقتناع بسمو الاسلام الذى يجعل الناس لا يهتمون بالاطلاع على أية مدنية ليست باسلامية ، لم يستدع أن يدفع النساء المسلمات للتعمق فى دراسة دينهن ، فان أكثرهن ...

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جاهلات به كل الجهل ، اللهم إلا بعض النسوة المحترمات الطاعنات فى السن ، وهن على جانب عظيم من التقوى والاحسان ، والذى ينقص العالم الاسلامى إزاء هذه الحالة هو أن تؤسس جمعيات دينية نسوية على نحو ماأسس منها فى البلاد المسيحية ، وكان لها الأثر الجليل فى نهضة النساء الأدبية وتربيتهن . ولكن لأجل إمكان قيام هذه الجمعيات يجب أن ينتشر هنا نصيب من إدراك ما يجب أن تمنحه المرأة من الحرية ، على مثال مابدأ يحدث فى مصر بعد أن تأخرت فى هذا المضمار ثمانمائة عام .

« فلننتقل الآن الى الطرف الآخر من ممتلكاتنا الافريقية وهى تونس ، فاننا نجد أن المنظر قد تغير . فان البنات الشابات اللاتى تخرجن فى مدارسنا قد أسسن مجلة تدعى (ليلى) ، وهو حدث يعتبر فظيعا فى مراكش . وقد قبلن أن يساعدهن فى تحريرها بعض الرجال . ومن هنا نشأ فيها بين الجنسين حوار روعى فيه الأدب والوقار . فمن الموضوعات التى يؤيدها الرجال أنه إذا وجب على المرأة التونسية أن تتطور فلا يجوز أن يكون ذلك على المثال الغربى ، ولكن على المثال الشرقى المصرى . فلا يجوز أن يستقبل النساء الرجال فى الصالونات ، ويجب أن يربين تربية خلقية ودينية باللغة العربية ، وعلى أدق مايستطاع . ولا ينبغى أن ينظر الى الآداب المدنية من الموقف نفسه التى تقفه منها المجتمعات المسيحية . ولا يحسن بالمرأة المسلمة أن تستعمل المساحيق البيضاء ولا الحمراء ، ويجب أن يرسم المجتمع الاسلامى نفسه المراحل التى يجب أن تقطعها المرأة فى التطور الذى ترمى اليه . وكل تدخل أجنبى فيه يولد فى النفوس عدم الثقة به . ومهمة المرأة هى أن تنتج للمجتمع أطفالا يشبون جنودا صالحين لتحقيق استقلال الوطن .

« ولكن يظهر أن هذه الأوانس والسيدات لا يعرن هذه الوصايا كبير عناية ، ويقلن يجب الجرى على الأسلوب الغربى فى الزى ، لأن هذا الزى وحده هو الذى يسمح بالتغلب على المقاومات الاجتماعية التى تجعل حياة النساء مما لا يطاق . وتراهن يحللن بدقة غريبة مؤلفات ستندهال ، وأندريه جيد ، وجيرودو ، ولا يخفين ثورتهن على الزواج بالوسطاء ، ويعتبرنه ضربا من الاتجار بالرقيق الأبيض . وتجد الشبان يوافقونهن فى هذا المذهب .

« ولكن أمراً آخر قد اتفق عليه الرجال والنساء ، ومن العجيب أن هذا الاتفاق بين الجنسين يكاد يكون موجودا فى مراكش أيضا ولكن بأقل حدة ، هذا الأمر هو إسقاط الحجاب ! فقد كتب كاتب ، لا كاتبة ، يقول : الحجاب يساعد المرأة على ارتكاب جميع الانحرافات الخلقية بالسماح لهن بالاختفاء عن الانظار . الى أن قالت الجريدة :

« لقد أوجز المسيور . مونتاج المذهبين المتعارضين فى المجلة (ليلى) ، فأشار الى أنهما يشهدان بوجود أزمة اجتماعية وأدبية مؤثرة : فالمرأة التونسية المسلمة تزداد كل يوم انجذابا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نحو الغـرب ، ومواطنها من الجنس الآخر يريد أن يقفها باسم الواجب الوطني . الأمر واقف هنالك عند هـذا الحد . فهل يمكن وجود معاهدة سلام بين الجنسين المتناضلين في المجتمع الاسلامي ؟ هذا ممكن لومنح الشبان التونسيون للنساء ، ولو على مضض منهم ، مثل التحرير الذي تنعم به أخواتهن في مصر . ولـكن هذا يفضي الى تكليفهن بتحمل نصيبهن من المـكافحات السياسية التي ظلت التونسيات بعيدات عنها الى اليوم » .

(مجلة الأزهر) : إن هذا الصراع الذي يراه القراء حاصلا في تونس بين الجنسين موجود في كل بلد من بلاد المسلمين على درجات متفاوتة ، وهو أمر طبيعي ، فإن الجماعات الاسلامية التي طال عليها الأمد في الفتور ، تتطلع اليوم لتباري الأمم الغربية في عزة الوجود ، ومناعة الحوزة ، واكتمال أسباب الترقيات المعنوية والصورية ، وليس يعقل أن جماعة تتحفز للانتقال من حال الى حال تهمل أمر المرأة وهي نصف عدد آحادها . فلا بد من تعليمها وإعدادها للاشتراك العملي في حركة النهوض التي هي بسبيلها . والتعليم كما يُشعر صاحبه بواجباته ، يشعره بحقوقه . وحقوق المرأة مهضومة في الشرق كله ، وخاصة في الطبقتين الوسطى والدنيا . فـلا بدع أن كان أول ماشعرت به المرأة بعد تعلمها أن تطالب بحقوقها ، وماهيَـهْ ؟ هي أن تطلق من كل قيد على مثال المرأة الغربية ، وأن تقتدي بها في كل عاداتها وتقاليدها . ولـكن الشرقي وخاصة المسلم الذي لم يعتد أن تكون شريكته على هذه الشاكلة ، لا يقبل أن يمنحها هذا القدر من الحرية ، فيقع النزاع بينهما ، ولا تعدم المرأة أن تجـد أنصارا من بعض الرجال ، فتقوى حجتها ، وتشتد خصومتها ، فيضطر مجادلوها الى التراجع إزاء هـذه الحملات العنيفة ، فتزداد تشبثا بآرائها ، وفي هذه الأدوار يصبأ رجال كثيرون الى مذهبها ، إما تسليما بالأمر الواقع ، تفاديا من اتساع الخرق على الراقع ، وإما اقتناعا بحجتها ، وافتتانا بمظاهر الحياة الغربية .

على هذا النحو نالت قضية المرأة في الشرق فَلجا سريعا حاسما لم تنله المرأة الغربية في قرون كثيرة . فلو كان ماعليه المرأة الغربية خيراً كله أو نصفه ، لهنأنا أنفسنا على هذه الثمرة الجنية ، ولـكنه ليس كذلك لا فيما يختص بالرجال ولا فيما يتعلق بالنساء أنفسهن ، ولـكن من يسمع ؟

إن كل ما نالته المرأة الغربيـة أنها أصبحت مستقلة كالرجل ، فصارت لا تُعتبر النصف المـكمل له ، ولـكن القِـرن المناظر له . وهذا من الناحية الخيالية الشعرية حسن ، وعند بعضهم أكثر من حسن ، ولـكنه في الواقع خسران كبير على المرأة يجعلها أسيرة للرجل رضيت بذلك أم سخطت .

إن حركات الاجتماع كلها سائرة على نظام آلي لا يتخلف ، وليس للخيرة قدرة على تحـويله مرضاة لعاطفة ، أو تحقيقا لمصلحة . فكما لا يستطيع المصريون ، حكاما ومحكومين ، أن يزيدوا في ثمن قنطار القطن قرشا واحدا ، كذلك لا يستطيعون أن يرفعوا قدر أي طبقة من الأمة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أو خفضها بإرادتهم ، فهل لو استقلت المرأة عن الرجل فأصبحت مناظرته المزاحم له ، لا نصفه المكمل له ، تستطيع أن تساويه فى مجال المزاحمات الحيوية ، فتعيش بجانبه على قدم المساواة ؟

هذا محال ، لأن محصول قوى المرأة لا يزيد عن ثلثى محصول قوى الرجل ، فكيف يتأتى أن تكون وإياه فى مستوى واحد ؟ وكيف يستطاع أن لا تقع تحت سلطانه ؟ تحت سلطانه لا من الناحية الزوجية ، وهى تقتضى من الاحترام لها والعطف عليها ما تحتمه الديانة والمدنية للزوجة ، ولكن تحت سلطانه من الناحية الاقتصادية ، وهى محكومة بقوانين فولاذية لا تعرف العطف ولا المرحمة .

المرأة لا تنكر قصورها من هذه الناحية ، ولكنها تتخيل أنها تتدارك هذا النقص بأنها ضرورية للرجل ، وأنها الحافظة للنوع . وهى مخدوعة فى هذا التخيل ، فان ما أحدثه فوزها بالاستقلال طوح بالكثير من بنات جنسها الى الاباحة ، فلم يعد الرجال يشعرون بضرورة الحياة الزوجية ، وأما أنها حافظة للنوع ، فهى أحوج لحياة الأمومة منه ، أما هو فقلما تهمه حياة الأبوة

وقد ظهر خطر استقلال المرأة فى أوربا على أشنع حالة ، فقد انتشرت العزوبة هنالك انتشارا مروعا ، وزاد عدد العاملات زيادة فاحشة ، حتى صرن سببا مباشرا لتعطل الرجال عن العمل ، وقلت أجورهن الى حد لا يكفى لحياتهن إلا بتدارك نقصه من طريق آخر ، سيء الأثر على بنية الاجتماع .

إن حل مسألة المرأة ، وإحلالها محلها الطبيعى فى الشرق ، أصبح متعذرا ، لأن موجة التمرد النسوى التى ثارت فى أوربا لم تبلغ نهاية مداها بعد ، وهى فى أثناء طغيانها لا بد محدثة تأثيرا فى بلاد الشرق ، وهيهات أن ينجح النصحاء بوجوب اتقاء مظان الزلل المسبب عنها ، مادمنا لا نزال فى مفتتح العمل ، فالمخدوعون عندنا من الرجال والنساء لا يزالون بعيدين عن تنور مواطن الداء الدوى فى تلك الحركة العالمية ، فانهم ما برحوا يعتقدون أنها متمشية نحو المثل الأعلى ، وهى فى الحقيقة تسير الى حل نظام الزوجية ، وقد اعترف بذلك أقطاب العلم الاجتماعى مما لا سبيل الى نكرانه . فالعزوبة تزداد انتشارا ، والطلاق أصبح يسمح به لأبسط الأسباب ، والمخادنة صارت ديدن الكافة ، وهى تعدد الزوجات مجرداً من كل الضمانات القانونية للنساء ، خلافا للتعدد فى الاسلام ، فان فيه كل الضمانات التى تقضى بها العدالة . والتبرج النسوى أضحى تظرفا ينظر اليه الرجال بعين الرضا ، بل يحملون زوجاتهم عليه حملا ، وقد تبع هذه الحالة عادات وتقاليد ليس وراءها إلا مصير واحد : وهى الاباحة بما تحمله فى ثناياها من آفات الاجتماع ، وأدواء الأمم . فهل تتخلف سنة الله فيحترم الوجود كل هذه الانحرافات الخلقية لمجرد أن الشهوات النفسية أصبحت تحتمها ؟ « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به » ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نظام الوقف فى الاسلام

وآثاره المترتبة عليه

نحاول اليوم أن نعرض لمسألة كانت ولا تزال فى نظام الوقف بمنزلة القطب من الرحى ، وهى أن يقف الواقف على نسله وذريته وعقبه وأولاد الظهور والبطون والآل والجنس وأهل بيته وقرابته وأرحامه وأنسابه . فمما تواضع عليه علماء الفروع : أن الواقف لو قال : وقفت هذه الضيعة على ذريتى أو على نسلى وقع الوقف صحيحا ، ويدخل فى صيغة وقفه ولده وولد ولده وإن سفل ، الذكور والإناث منهم وأولاد البنين وأولاد البنات فى ذلك الشمول سواء .

ولو قال : وقفت على عقبى صح الوقف ، ودخل فيه كل من ينتسب اليه بالذات أو بالواسطة . فالصورة الأولى أولاده لصلبه ذكورا كانوا أم إناثا ؛ ومن ينتسب اليه بواسطه أبيه كالذكور والإناث من أولاد بنيه وإن سفلوا على الصورة الثانية . وفى هذه الحالة لا يدخل أولاد بناته وإن سفلوا ، إلا أن يكون آباؤهم من أولاد البنين . وكذلك أولاد الظهور فى هذه الحالة . أما أولاد البطون فهم الذكور والإناث من أولاد البنات وإن سفلوا .

نقل صاحب البحر صورة غريبة من صور الوقف فقال ملخصا : لو قال الواقف وقفت هذه الأرض على أعمامى وعلى أهل بيتى ومن بعدهم للمساكين ، صح هذا الوقف لاستحقاق أعمامه فى وجهى الانشاء جميعا ، إما بأنفسهم أو بآبائهم ، لأنهم من أهل بيته اتفاقا ، وفى هذه الحالة تقسم غلة الوقف على عدد أعمامه وبقية أهل بيته ، فما أصاب الأعمام أخذوه ، وما أصاب بقية أهل بيته يسقط عنهم ، لأنهم يستحقون فى حالة ولا يستحقون فى حالة أخرى ، فكان هذا الشك باعثا على الحرمان ، ضرورة أن الاستحقاق لا يثبت بالشك ، وفى هذه الحالة يصرف ماخصهم الى المساكين .

ونقل العلامة ابن عابدين : لو قال الواقف : وقفت أرضى على أقربائى أو ذوى قرابتى أو أرحامى أو أنسابى ومن بعد هؤلاء جميعا للمساكين ، وقع الوقف صحيحا ، وشمل كل من يداخله فى النسب بواسطة أمه أو أبيه الى أقصى أب للواقف أدرك الاسلام ، ما عدا أبوى الواقف وأولاده لصلبه ، ضرورة أنهم لا يسمون أقرباء اتفاقا بين العلماء ، لأن الله قد وضع لهم أسماء تميزهم عمن عداهم . فالأب أب والأم أم والابن ابن والحفيد حفيد ، وكذلك من علا من جهة أبويه أو سفل من جهة أولاده عند أبى يوسف وأبى حنيفة . وقد خالفهما محمد فى هذه الحالة فقال باستحقاقهم حيث اعتبرهم من أقارب الواقف . وذهب ابن عابدين الى أن هذا الرأى هو

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ظاهر الرواية . ويدخل فى الوقف على تلك الحالات السابقة المحارم وغيرهم ، قربت درجة قرابتهم من الواقف أم بعدت ، فالكل فى ذلك سواء عند الصاحبين .

لكن الامام أبا حنيفة رضى الله عنه اعتبر الأحرمية الأقرب منها فالأقرب مقياسا لدرجة الاستحقاق . ونقل العلامة ابن عابدين أن رأى الامام هو الصحيح وعليه الفتوى .

وقد فرع علماء الفروع على الخلاف السابق فى المحرمية بين الصاحبين والامام الأعظم أن الواقف لو وقف عينا على ذوى قرابته وكان له عمان وخالان كان الوقف كله للعمين على رأى أبى حنيفة لأقربيتهما من الواقف عن الخالين .

ولو كان للواقف عم واحد وخالان كان للعم النصف ، وكان للخالين مجتمعين النصف الباقى بالسوية بينهما ، لأن العبرة عند أبى حنيفة فى الاستحقاق بالأقربية فى المحارم ، فمن كان أقرب الى الواقف كان أدخل فى الاستحقاق ممن هو أبعد منه .

وإنما أعطى العم وحده نصف الموقوف وقسم الباقى بين الخالين بالسوية ، لأن الامام لا يعتمد فى المحارم على أقل من اثنين ، ولما كان العم قريب المحرمية بالواقف عن الخالين نزل الخالان منزلة العم الواحد فى الاستحقاق ، فالواحد عنده يستحق النصف والباقى لمن يليه فى القرب .

وعند الصاحبين يقسم الريع على عدد الرءوس فى الحالين ، لأنهما لا يعتبران الأقرب فالأقرب ، ولا يشترطان الجمع .

والذين يرون رأى أبى حنيفة يستدلون على صحة ما ذهب اليه بصورة أخرى ، وهى لو قال الواقف : وقفت أرضى هذه على محارمى الأقرب منهم فالأقرب ، ففى هذه الحالة تشمل القرابة أولاده من صلبه ، ويكون الأقرب مقدما على من دونه فى القرابة ، وإنشاء الواقفين أبدا محمول على ما يستسيغه العرف وتقضى به التعاليم الدينية ، والأقربية بلا مراء قد اعتبرها القرآن مقياسا فى آية المواريث .

وإن كان فى هذه الحالة لا يعتبر الفقهاء القرب المعتبر فى الارث ، ولا بحسب العصوبة ، وإنما يعتبر القريب فى باب الوقف أقرب الناس الى الواقف رحما .

فلو وقف الواقف على أقرب الناس اليه ثم على المساكين وله ولد وأبوان ، فالغلة للولد ولو كان أنثى ، لأنه أقرب اليه ممن عداه . فمدار الأقربية عند علماء الوقف الأقربية فى الرحم لا الأقربية المعتبرة فى باب الارث ولا فى باب العصوبة ، والأب والأم متساويان فى القرب ، فيكون لكل منهما نصف الغلة فيما لو وقف على أقرب الناس اليه ، وهما أقرب من الاخوة والجد ، والجد لأب أقرب من الاخوة على قول من يجعله بمنزلة الأب ، والاخوة أقرب منه على قول آخر .

ولهذا البحث تفاريع كثيرة نعود اليها فى الأعداد المقبلة ، إن شاء الله ؟

عباس طه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مؤلفات جديدة

العرب والاسلام فى العصر الحديث :

هذا عنوان عدد ممتاز أصدرته دار الهلال لمجلتها، وهو أثر يعتبر مثلا أعلى لما تستطيعه الألمعية الصحفية، والابداع المطبعى. أول ما يستوقف نظر القارىء منه غلاف مذهب أنيق محلى بنقوش عربية جميلة، فاذا كشف عما بين دفتيه تجلت له مجموعة من مقالات وصور وخرائط على غير مثال سابق يتجلى لك منها كل ما تريد معرفته عن العالمين الاسلامى والعربى فى العصر الراهن. وهذه أول مجموعة اشترك فى وضعها ملوك المسلمين وعلماؤهم وأدباؤهم، فتجد فى مقدمتها كلمة جليلة القدر، عظيمة الأثر، لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول، تليها كلمات لحضرات أصحاب الجلالة ملوك الحجاز والعراق وشرق الأردن، ويأتى بعدها بحث شائق ممتع لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ المراغى فى حاجة الأمم بعضها الى بعض، وعناية الاسلام بنشر مبدأ الأخوة الانسانية، وقد وفى فضيلته الاحسان كله على عادته فى كل ما يكتب.

ثم تتوالى أمامك البحوث والصور عن مسلمى الأرض قاطبة حتى لا تبقى لك الى المزيد. فجهلا وأكرم بهذه المجموعة الكريمة، وشكرا للاستاذين الكبيرين صاحبى دار الهلال.

التحقيق التام فى علم الكلام :

علم الكلام من العلوم الاسلامية الجليلة القدر، لأن موضوعه البحث فى الالهيات والنبوات والوحى والقرآن، وهذه البحوث كلها تقتضى الكلام عن الدليل وجهات قوته وضعفه، ومذاهب العلماء فى النظر الصحيح والفاسد، ومعنى الوجود، وآراء الحكماء فى الوجود الواجب، وحجج إثبات الصانع، وتحقيق مسألة الصفات ومذاهب العلماء فيها، والتنزيه ومرماه، وأفعال الله وأفعال العباد، وآراء أهل السنة والمعتزلة، والحاجة الى بعثة الرسل، وأقسام المعجزة، وإثبات النبوة، وصفات الرسل. وكلها مباحث شائقة طريفة. وقد لخص كل ذلك وصاغه صياغة قيمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الحسينى الظواهرى المدرس بكلية أصول الدين، وقد خدم فضيلته العلم بهذا الأثر الجليل خدمة تذكر له وتشكر.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حرية الفكر فى الاسـلام

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام

تفضل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر على مجلة المصور بحديث يتناول حرية الفكر، وتبرج النساء، وصلة الأزهريين بالحياة العامة، والعيد الألفى للازهر، فرأينا أن نسجله لفضيلته فى مجلة الأزهر، فان هذا الحديث على إيجازه قد اشتمل من آراء الأستاذ الامام الناضجة، وكلماته النابغة، ما لم نجد بدا من ضمه الى نظائره من آثار فضيلته فى هذه المجلة . وسيجد القراء فى هذا الحديث الطريف مثل ما وجدوه فى جميع أحاديث الأستاذ الامام من بعد النظر، ودقة الملاحظة، وإصابة المرمى، ونبالة القصد. وقد احتوت هذه القطعة على إيجازها من ذلك كله حصة وافرة .

سأله مندوب مجلة المصور قائلا :

يقول بعض الناس لمناسبة الضجة التى قامت حـول رواية « برنارد شو » أن الأزهريين يناهضون حرية الفكر، فما رأى فضيلتكم فى ذلك ؟

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فأجاب فضيلته بقوله :

ينبغى أن يعرف أن الايمان لا ينال بالاكراه، وفى القرآن الكريم : «لا إكراه فى الدين» وفى آية أخرى : «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» . وقد أرشد القرآن الكريم الى التدبر فى مصنوعات الله والتفكير فيها، وأنصف المخالفين فقال لهم: «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» . وقد انقسم المسلمون الى فرق متعددة فى العقائد والفقه، وقد جمعت آراء الفرق كلها بادلتها وجرى عليها النقد العلمى، والأزهر يدرس طائفة صالحة من هذه الكتب وفيها أيضا مذاهب فلاسفة اليونان وغـيرهم من الأقدمين، وبعض هـذه المذاهب يخالف أصول الاسلام، وقد اشتملت كتب التفسير أيضا على ذكر المذاهب المناقضة للقرآن الكريم وأصول الاسلام، وتكفلت بالرد عليها ومن هذا يعرف أن سلف الأمة كانوا يتناولون هذه المذاهب ويعنون بالرد عليها . وإن الأزهر يجرى على سننهم . وفى الأزهر اليوم تدرس المذاهب الفلسفية الجديدة والقديمة، والمذاهب الخلقية، ويعنى العلماء بالرد عليها، وإذا كان هذا هو شأن العلماء فى الماضى، وشأن العلماء فى الحاضر، فكيف يقال إن الأزهر يناهض حرية الرأى وحرية الفكر ؟ غير أنه ينبغى أن يعرف أيضا أنه كما أن بعض الناس يؤمن تقليدا، كذلك بعض الناس يلحد تقليدا، أو يلحد تظرفا . فقد شاع فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بين طبقة من المتعلمين التظرف بالالحاد ، والزراية على الأديان وأهلها ، لا عن تفكير وتعمق فى البحث بل عن تقليد للغربيين . ويظهر أن المثل القديم « أظرف من زنديق » هو الذى أغرى هؤلاء بالزندقة ، ليكونوا ظرفاء . وهناك أيضا نوع من أنواع الالحاد هو الاستخفاف بالدين ، سببه أشباع الشهوات ، لأن التقيد بالدين وإظهار الاعتقاد به قد يكون مانعا من الاسترسال فى الشهوات ، وأصحاب هـذا النوع لا يفقهون ادلة ولا يفقهون عقيدة ، وإنما يظهرون الفلسفة الجاهلة إشباعا للشهوة .

الحلال بين والحرام بين :

ولحرية التفكير والرأى مناطق لا يجوز أن تتعداها ، محافظة على كيان الأمة وعلى أخلاقها ، فان الجمهور الجاهل والنشء المتعلم يجب أن يحاط بسياج الدين وتقديسه ، وإلا تفلت من كل فضيلة ، وذهب وراء الشهوات ، وارتكب أنواع الجرائم والموبقات ، وكل شخص يحاول أن يمس عقيـدة هؤلاء أو يشيع بينهم الزراية بالأديان ، ويشيع المبادىء التى من شأنها تقويض أركان الاسلام ، شخص مجرم لا شفقة فى قلبه ولا رحمة ، ولذلك يجب ألا يكون فى المجلات أو الجرائد شىء من هـذا . لـكن العلماء المخلصين فى البحث إخلاصاً حقيقياً للعلم لهم الحق فى شرح المذاهب على الطريق العلمى بالأسلوب الذى يتحاشى الزراية والمطاعن .

وإذا كان فى تلك الآراء ما يخالف أصلا من أصول الاسلام ، وجب على علماء الإسلام أن يقوموا بواجبهم وهو بيان ما فى تلك المذاهب من فساد وما عليها من نقد .

ولا أظن أن الشـكوى من الأزهر يجىء أكثرها من جهة مناهضة الآراء العلمية ، بل يجىء أكثرها من الآراء فى مسائل الاجتماع ، ومن رأيى أن المسائل الاجتماعية التى للدين رأى واضح قاطع فيها لا يجوز السكوت عليها ، فاذا ذهب كاتب مثلا الى تحبيذ الحياة الخليعة ، والى وجوب إعطاء الحرية فيها ، لم يكن هذا رأيا يستحق الاحترام فى بلد إسلامى . فتبرج النساء مثلا وسفورهن مع الخلاعة والمراقص وشرب الخمر والبغاء وما أشبه ذلك مما نص فيه الاسلام نصا صريحا ، لا يجوز أن يـكون محل بحث ، ولا أن يسكت عنه ، وليس الحديث فيه مناهضة لحرية الرأى ، بل هو مناهضة للشرور والآثام المقوضة للعمران .

ثم سأله :

وماذا ترون فضيلتـكم فى المناقشة التى دارت فى مجلس النواب حول تهتك النساء والفتيات ! ؟

فأجاب فضيلته بقوله :

...ت مسئولية هذا الفساد واقعة على جهة واحدة بل يجب أن توزع ، فهناك أرباب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأسر ، وهناك المدارس ، وهناك العلماء ، وهناك الحكومة ، كل أولئك يتحمل كل واحد منهم بعض الوزر فى هذا ، ومتى استهان الناس بدينهم وأمور الخلق ، وجر هذا الى فساد النظام الاجتماعى ، وجب على الحكومة وقادة الأمة أن تتدارك هذا وأن تقاومه بالحزم ، وليست الأمور التى يشكو الناس منها خفية فى الدين ، حتى يقال أن العلماء قصروا فى بيان أحكامها .

ومن الدين ماهو ضرورى يتساوى فيه العالم والجاهل ، كحرمة الزنا وحرمة الربا وحرمة القتل وحرمة الاضرار بالناس وحرمة الخمر ووجوب الصلاة ووجوب الصيام ، كل ذلك يعرفه الناس على اختلاف طبقاتهم ، ولا فرق فيه بين العالم والجاهل . ومن الكلمات المعروفة يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .

وأول واجب على الحكومة التى تعترف بالدين أن تحافظ على الدين وعلى مظاهره .

ثم سأله :

ماهى الجهود التى يبذلها الأزهر الجديد لتوثيق صلة الأزهريين بالحياة العامة ؟ وما الذى تحقق الى الآن من وسائل التجديد ؟ وما الذى تعتزمونه فضيلتكم مستقبلا فى هذا الشأن ؟

فأجاب فضيلته :

هذا السؤال يحتاج الجواب عليه الى حديث طويل جدا ، وكل ما أستطيع قوله الآن . إن خطط الدراسة فى الأزهر ومناهجه جعلت الأزهرى الحديث أكثر صلة بالناس وبالمتعلمين على الطريق المدنى من الأزهرى القديم . وقد اتصل الأزهر بالأمة عن طريق الوعظ والارشاد إتصالا لا بأس به ، ومن المنتظر أن تجنى الأمة ثمار هذا الاتصال وثمار التعليم الجديد . وكل شىء فى هذه الحياة لا تجنى ثمراته فورا .

والأزهريون الآن يشاركون الكتاب على صفحات الجرائد والمجلات ، ويقومون بالوعظ على المنابر فى الجمعيات والأعياد ، وغير ذلك على نحو يدرك من عاش فى مصر منذ أربعين سنة أنه منهج جديد قيم مفيد ، وأنه يفوق القديم بما لا يمكن التعبير عن قدره .

ثم سأله أخيرا :

المعروف أن الجامع الأزهر بدىء فى بنائه عام ٣٥٩ هجرية وتم بناؤه عام ٣٦١ هجرية ، فأى ميعاد من هذين نويتم اعتباره عيداً ألفيا للأزهر ؟ وماذا أعددتم لهذا العيد ؟

والى القراء إجابة الأستاذ الأكبر :

أرجح أن الأزهر يعد احتفاله بعيده فى التاريخ الذى يحتفل فيه بعيد القاهرة ، ولم نعد لذلك شيئا له قيمته حتى الآن ، وأرجوا أن تتم مبانى الأزهر ومبانى المكتبة وما يلزم ذلك من المرافق العامة قبل حلول الميعاد » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة المحمدية

تحت ضوء العلم والفلسفة

قلنا فى فصل مضى إن النبوة مرتبة روحية يستأهل بها صاحبها أن يتلقى العلم عن الله بدون وساطة العقل والحواس على ضروب شتى ، ويسمى هذا التلقى وحيا ؛ وقلنا إن الوحى رغما عما يثيره ضده الماديون مشاهد محسوس فى العالم الحيوانى لا يستطاع تجاهله ، ولا قيمة لما علل به أولئك الماديون هذا الوحى الحيوانى ، كما أثبتنا ذلك بكل حجة . ثم ألممنا بما كشفه العلم من التنويم المغناطيسى ، وما تجلى فيه من وجود شخصية باطنية للانسان أرقى من شخصيته العادية ، ليس للانسان بها أقل علم ، وما ثبت من وجود أفراد من كبار الرجال شهدوا أنهم كثيرا ما هدوا الى حلول نظرياتهم العويصة فجأة بدون إحالة نظر ، أو أنهم يسمعون بآذانهم ما يجب أن يكتبوه ، أو يرون بأعينهم ما يجب أن يؤلفوه الخ . ثم ختمنا ذلك بقولنا :

« هذه مشاهدات محسوسة وأقوال مأثورة عن كبار العلماء والمؤلفين ، ساقها الأستاذ الكبير (ه . و . ميرس) لإثبات وجود عقل باطنى فى الانسان له اتصالات روحانية فى عالم فوق هذا العالم ، وأنا لا أريد أن أثبت بما أنقله أن النبوة عبقرية ، أو هى من نوع الحوادث التى سردناها هنا ، ولكننا سقنا ماسقناه للتدليل على أمرين عظيمين : أولهما وجود الهداية والتعليم بدون وساطة العقل العادى والحواس ، وثانيهما وجود اتصالات روحانية باطنية تمد الانسان بعلم ، وتسعفه بهداية من غير طريق العقل العادى ، ولا من منافذ الحواس الخمس الخ »

واليوم أعالج موضوعا آخر أخص من كل ما تقدم وهو نبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فأدرس أولا الأدوار التى سبقت عنده الوحى ، ثم أتبعها بأدلة صدقه ، متوخيا فى ذلك الأسلوب الذى تعهدت بالجرى عليه ، وهو الأسلوب المتفق عليه فى الزمان الأخير فى تحقيق مسائل العلم .

كيف بدأ محمد معيشته كفرد فى القبيلة التى أنجبته :

ولد محمد فى سنة ٥٧١ للميلاد فى أشرف قبيلة عربية وهى قريش ، ومن أكرم أسرة فيها وهى أسرة بنى هاشم . فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم . وأمه آمنة بنت وهب وهى قرشية أيضا .

توفى والده عبد الله ومحمد جنين فى بطن أمه لشهرين مضيا من الحمل به . وولد فى حجر عمه

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
dabookz@gmail.com

أبى طالب، وأسماه جده عبد المطلب محمداً . فلما بلغت سنه الرابعة أو أكثر توفيت والدته ، فكفله جده عبد المطلب وكان سيد قريش ، ولم يلبث أن توفى ، فكفل محمدا عمه أبو طالب وعمره ثمان سنين .

ولما بلغت سنه إثنتى عشرة سنة بدا لعمه سفر الى الشام للتجارة فاستصحبه معه .

ولما بلغت سنه العشرين حضر مع قومه حرب الفجار ضد بنى قيس .

وكان كسب محمد منذ ألقى على عاتقه أن يمون نفسه ، من رعاية الغنم لأصحابها على قراريط يأخذها .

ولما بلغت سنه الخامسة والعشرين دعته سيدة ذات مال تدعى خديجة بنت خويلد ليسافر الى الشام فى تجارة لها ، وكانت تستأجر الرجال لهذا الغرض ، فسافر محمد بن عبد الله الى ذلك الإقليم مع غلام لها اسمه ميسرة ، فباع واشترى وأربحها ربحا عظيما ، فوجدت فيه الرجل القوى الأمين ، فخطبته لنفسها فتزوجها، وكانت تناهز الأربعين ، اشتهرت بالعقل والتصون . فصار محمد يعمل فى مالها حتى دعى الرسالة .

واتفق وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره أن حدث سيل جارف انصدعت منه جدران الكعبة ، وكانت وهنت من حريق كان أصابها قبل ذلك ، فرأت قريش أن تهدمها وتعيد بناءها ، فكان أشرافهم وكبراؤهم يحملون الحجارة على اكتافهم تبركا بالعمل لإقامتها ، وكان منهم العباس بن عبد المطلب وابن أخيه محمد بن عبد الله .

ولما جاء وقت وضع الحجر الأسود مكانه تنافس أشراف قريش فى وضعه ، واختلفوا حتى كادت تشب بينهم حرب من أجله . فأشار عليهم أمية بن المغيرة المخزومى أن يحكموا رجلا منهم يرضون حكومته . فقالوا نكل أمر الحكم لأول داخل علينا . فكان ذلك الأول محمداً ، فأخبروه الخبر، فبسط رداءه ووضع فيه الحجر ، وقال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، فرفعوه على هذا النحو حتى انتهوا الى موضعه ، فأخذه هو ووضعه فيه .

نفسية محمد قبل النبوة وبعدها :

لم يشتهر محمد بن عبد الله قبل مبعثه ، ماعدا الاستقامة الخلقية ، بشىء من المميزات اللسانية والثقافية ، فلم يكن بالشاعر الذى يرنن أوتار القلوب ، ولا بالخطيب الذى يختلب أهواء النفوس ، ولا بالعالم الذى يستهوى شهوات العقول ، ولا بالفارس الذى يلجأ اليه فى حماية الحوزة إذا جد الجد فى حرب زبون . ولم يعرف بشىء مما كان العرب يعولون عليه فى منازعاتهم ومكاثراتهم ومماتناتهم ومنافراتهم ، فلم يعين مرة ، بعد تشاور ، قاضيا فى نزاع ، ولا فيصلا فى خلاف ، ولا مرجعا فى مجهول ، ولا حكما فى منافرة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لقد كان لدى العرب رجال يلوذون بهم فى المهام التى تطرأ عليهم مناسبة لحياتهم القبيلية . فكان لديهم قافة يتتبعون بهم أثر الجناة ، ونسابون يصعدون بالمرء الى أرومته الأولى ، ومتطببة يلتمسون عندهم العلاج ، ورواة يرجعون اليهم فى الشعر والكلام البليغ ، ومحكمون يعوذون بهم فى المنازعات ، وكهان يعتقدون فيهم الاتصال بالروحانيات ، فكانوا يسألونهم عن الغيوب ، ولم يكن محمد فى شىء من هذه الخطط كلها ، فعاش بين قومه لا يلفت لأحدهم نظرا ، ولا يستهوى بمظهره العادى لبا .

اشتغل فى طفولته راعيا فلم يمتز عن زملائه فى شىء غير استقامة سيرته ، وكرم شمائله ، وبعده عن السفاسف . فلما كبر اشتغل بالتجارة فكان كأوسط أهلها لم يبز أمثاله فى شىء غير أمانته فى الأداء ، وعدالته فى المعاوضة .

كل إنسان كتب له النبوغ فى عمل من الأعمال يظهر عليه ميل اليه فى طفولته ، فمن قدّر له أن يكون شاعراً أو كاتباً أو خطيباً أو حكيما أو قائداً نمّت فطرته عليه فبدرت منه ، وهو طفل ، مايدل على ما سينبغ فيه ، ولم يظهر على محمد بن عبد الله ما يدل على ما سيؤول اليه غير ميل كان فيه الى السكينة والتفكير ، وكلما تقدمت به السن إزدادت حاجته اليهما حتى تأدى به ذلك الى تمضية أيام بلياليها فى غار بقرب مكة يقال له حراء ، فكان يمضى فيه تارة ثلاثة أيام وتارة سبعة وتارة تسعة وتارة شهرا ، يمكث فيه وحده متفكرا متدبرا .

هذه هى الصفة التى ميزت محمد بن عبد الله عن غيره من أهل جيله ، وهى صفة لا يجوز أن تغفل أو أن يمر بها مرا ، لأنها مظهر ما استتر فى سويداء نفسيته من النزوع الى أفق الروح ، والاتصال بعالم الملأ الأعلى ، وما لازمت هذه الصفة نفساً بشرية إلا وجهتها هذا التوجيه الروحى على قدر ما فيها من قوة . ولقد كانت هذه الصفة مستوعبة شعور محمد استيعابا لا يدع لغيرها مكانا فيه ، بدليل لجوئه الى غار موحش أياما وليالى متوالية يمضيها فى التفكير وتلمس المخرج من الحيرة . من أى ضرب كانت هذه الحيرة ؟ من الضرب الذى يشغل بال الكملة من أصحاب القلوب ، والبررة من أولى العزم : تخليص النفس من ظلمات المادة وتخليص الغير منها .

ونحن إذا كنا نجهل محامد محمد قبل النبوة لقلة إكتراث الناس له ، وعدم أبههم به ، فاننا نستطيع أن نعرفها بما عرف عنه بعد النبوة والتفاف الناس حوله ، ونقلهم عنه كل شاردة وواردة من أعماله وأخلاقه . والحكم على ما كان عليه إنسان من أحوال وآداب فى أول أدواره ، بما عرف عنه منها بعد وصوله الى قمة المجد ، وبلوغه غاية مرامه ، يكاد لا يعدو الحق ، فان المعهود عادة أن الانسان قد يطغيه النجاح ، ويفسد قلبه الفلج ، فيصبح جبارا عنيداً بعد أن كان وادعا متواضعا ، ولا عكس . فكل ما دوّن عن محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد شمائل وآداب كانت لا شك له وهو فى ميعة الصبا وعدم استكمال سن النمو

oldbookz@gmail.com جروب مجلات قديمة https://t.me/megallat

وقد دُوِّن من شمائله أنه كان وادعا متواضعا ، هينا لينا ، يلقى أصحابه هاشا باشا ، لا يترفع عليهم ، بل يؤثرهم على نفسه ، ولا يسمح لهم بتعظيمه وتقبيل يده ، وقد عاش طول حياته متقشفا مخشوشنا ، لم يشبع من خبز الشعير الذى كان يفضله على غيره . وقد بقى متصفا بهذه الفضائل حتى اختاره الله لجواره .

قال الحسن بن على رضى الله عنه : سألت هند بن أبى هالة ، وكان وصافا ، فقلت صف لى منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، طويل السَّكْت ، لا يتكلم فى غير حاجة ، يفتتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى ، ويتكلم بجوامع الكلم ، كلامه فصل لا فضول فيه ولا تقصير ، ليس بالجافى ولا المهين ، يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم منها شيئا غير أنه لم يكن يذم ذَوَاقا (أى طعم شىء) ولا يمدحه ، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها ، فإذا تُعُدِّى الحق لم يقم لغضبه شىء ، (أى لم يقم لدفع غضبه شىء) حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غض طرفه ، جل ضحكه التبسم ، يفتر عن مثل حب الغمام » .

إن هذه النفس الحائرة الثائرة التى لم تجد فى العالم المحسوس ما تعول عليه ، وتركن إليه ، فأخذت تلتمس بلال غلتها ، وسكن جيشانها ، فى عزلة الكهوف ، وظلمة المغاور ، وهى محرومة من ملاذ المطاعم والمشارب ، ومتع المكاسب والمآرب ، لهى نفس لم تطبع على غرار هذه النفوس العادية ، ولا تشغلها من المطامع والمطامح ما يشغلها فى محاولاتها اليومية . وإلا فماذا كان ينقص محمدا بعد أن بلغ مبلغ الرجال ، وأصبح له زوجة وأطفال ، وعمل شريف يتكسب منه ، حتى يؤثر على لذات الحياة البيتية ، ومتع المحاولات الاجتماعية فى سن استكمال القوة ، واستتمام الفتوة ، حياةَ الانقطاع عن الناس ، وتجنب معاملتهم فى الفترات التى تسمح له بها أعماله المادية ؟ أكان يتطلع من وراء هذا التزهد لزيادة موارده المادية ، وتحقيق مطامعه الاجتماعية ؟ إن تحقيق هذين المطلبين لا يكون إلا فى الأسواق العامة ، حيث يكتظ الباعة والشارون ، وفى المجامع والأندية حيث يجتمع العقلاء ويتشاورون ، لا بكسر غار على رأس جبل لا يرقى إليه الطير .

لم تكن البيئة العربية بالبيئة التى تحفل بالمسائل الروحية وتعظم مدعى تمثيلها بين الناس ، فلم يكن فيهم متبتلة ولا متزهدة يعظمهم الناس ويتلمسون بدعائهم البركات ، ولا عباد إنقطعوا للعبادة فى الصوامع على نحو ما كان عليه أهل الكتاب ، وكل ما كان لديهم من هذا القبيل كهان يدعون الاتصال بالجان ، وما كان لهم من كبير شأن عند العرب حتى يطمع امرؤ فى أن

يعد من زمرتهم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هنا يحار الفيلسوف فى تعليل لجوء محمد بن عبد الله ، وقد مهد له طريق الحياة ، الى غار يمضى فيه أياما كثيرة ، فى بيئة مادية محضة ، ليس فيها ما يغرى بالانقطاع للعبادة ولا بالتفرغ للتفكير .

ماذا كان يريد محمد بن عبد الله من وراء هـذه العزلة الشاقة ، والعناء الكبير ؟ لا تجد الفلسفة إلا جوابا واحدا ، وهو أنه كان نافرا مما عليه قومه من الضلال البعيد ، كارها أن يشاطرهم هذه الحياة الحيوانية ، فلم ير إلا أن يلجأ للتفكير طلبا للهداية الى سواء السبيل . مطلب بعيد ، ولكن القلوب الكبيرة تلهم أنها مستقر أسرارا خطيرة ، ومستودع أنوار يرتد عنها الطرف وهو حسير ، فتلجأ الى ذاتها تستثير قواها الكامنة ، وتستجيش مساتيرها الثاوية فى سويداء معناها الصميم .

هذه كانت بداية كل نابغة كبير ، وكل مصلح عظيم .

ولكن فيلسوفنا لا يكاد ينتهى الى هذه الحقيقة ويفرح بها حتى يعترضه أمر خطير : وهو أن محمدا لم يخرج من غاره نابغة كبيرا ، ولا مصلحا عظيما ، ولكنه خرج خائفا ترتعد فرائصه ، فلجأ الى داره وهو يقول لأهله : زملونى زملونى ، أى دثرونى دثرونى ، فقد كان يشعر ببرد شديد من هول ما ظهر له من الشأن المهول .

هنا يعترف الفيلسوف بالعجز عن فهم ماحدث لمحمد ، ويترك مكانه للبسيكولوجى الخبير . فيتساءل هذا : ما الذى أصاب محمدا حتى اعتراه هذا الذعر الشديد ؟ فيعلم أنه لما خرج من الغار خائفا أتى أهله فقال لهم : ظهر لى شخص وقال لى : أبشر يامحمد أنا جبريل وأنت رسول الى هذه الأمة ، ثم قال لى اقرأ . فقلت له ما أنا بقارئ ، (أى إنى أمى لا أعرف القراءة) ، وكنت نائما على نمط (وهو نوع من البسط) فغطنى به (أى غمه به بأن جعله على فمه وأنفه) حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال اقرأ . فقلت ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى ثانية ثم أرسلنى ، ثم قال اقرأ . فقلت ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى ، وقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم » فقرأتها وانصرف عنى وقد استقر ذلك فى قلبى .

ثم يعلم ذلك البسيكولوجى أن ذلك الشخص لم يظهر لمحمد ثانية إلا بعد أربعين يوما وقد يئس من عوده . فبينما هو يمشى يوما إذ سمع صوتا من السماء فرفع اليه بصره ، فاذا هو الشخص الذى جاءه بالغار جالس بين السماء والأرض . فرجع الى أهله وهو يرتعد رعبا وقال لهم : (دثرونى دثرونى) أى أدفئونى . فأنزل الله عليه : « يأأيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر » الى آخر السورة . فصدع بأمر ربه وقام بعد أن هدأ روعه يدعو الى الاسلام سرا ثم أُمر باعلان الدعوة فأعلنها ، وما زال جاداً فيها هو بسبيله حتى دانت له الأمة العربية قاطبة ولم تدن لأحد قبله .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولكن البسيكولوجي لا يعتد بهذا الفاج كله ، ولا يهمه أمره ، والذي يعنيه هو أن يتحقق ذلك الشخص الذي كان يظهر لمحمد ويكلمه أهو صورة ذهنية أم حقيقة لها وجود في الخارج ؟ لأنه يعلم أن ضروبا من الأمراض العصبية وخصوصا الهستيريا تظهر المريض بها أشباحا لا حقيقة لها .

نعم أن الصور الهستيرية لا نتيجة لها غير إزعاج المريض وإقلاق راحته ، والتأدي به الى الجنون أو ما يشبهه ، ولكن الصورة التي كانت تظهر لمحمد كانت تهديه للخير ، وتقيمه على الصراط ، وتمده بما يجب أن يقوله لأمته ليهديها الى سواء السبيل ، وقد تم لها ما أرادت .

يرى البسيكولوجي هذا الفرق كله ولكنه لا ييأس من تعليله ، فيذهب فكره الى الشبح الروحاني الذي كان يظهر لسقراط ، ولا يرحل الى أشباح أخرى ظهرت ولا تزال تظهر للكثيرين ، لأن شبح سقراط مجمع على صحته بشهادة جميع تلاميذ هذا الفيلسوف ومنهم أفلاطون واكسينوفون . والمعروف عن شبح سقراط أنه كان يظهر له ويفضى اليه بما يجب أن يقوله أو يعمله ، وكثيرا ما أفضى اليه بأمور مستقبلة وأخبر بها تلاميذه ووقعت . وسقراط هذا يعتبر إمام الفلسفة اليونانية ، وقد رفعه بعض المؤرخين الى درجة النبوة لنبله وفضله واستقامته .

وفيما نحن بسبيله من أمر محمد صلى الله عليه وسلم لا يلبث البسيكولوجي أن يعتقد بملك محمد أكثر من اعتقاده بالشبح الروحاني لسقراط (أولا) لانتفاء افتراض الهستيريا في خاتم النبيين كما تقدم ، (ثانيا) لثبوت تحقق أمور غيبية كثيرة أفضى بها الملك الى محمد مثل قوله تعالى : « أم يقولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولون الدبر » ، وقوله : « لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون » ، وقوله : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » ، وقوله : « من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء (أي سقف بيته) ثم ليقطع ، فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ؟ » . وأجل من ذلك كله قوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

متى آنس صاحبنا البسيكولوجي كل هذا قرر أن ملك محمد صلى الله عليه وسلم كان أكثر ثبوتا من الشبح الروحاني لسقراط ، وأجل أثرا منه ، ولكنه لا يزال يشك في كنهه هل كان له وجود خارجي أم هو صورة ذهنية لمحمد أوجدها عقله الباطني ؟ لذلك تراه يعمل على استيعاب جميع مراتب الوحي في أثناء نزول القرآن :

(فأولها) الرؤيا الصادقة في النوم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

و (ثانيها) ما كان يلقيه الملك فى صدره من غير أن يراه .

و (ثالثها) خطاب الملك له عند ما كان يتمثل له بشراً سويا .

و (رابعها) رؤيته جبريل فى صورته الروحانية فيأخذ عنه .

و (خامسها) ما كان يلقى اليه بصوت مثل صلصلة الجرس ، وكان هـذا النوع أشده عليه فإن جبينه صلى الله عليه وسلم كان يتفصد فى أثنائه عرقا فى اليوم الشديد الـبرد . وإذا اتفق حصوله وهو راكب بركت ناقته على الأرض ، وحدث مرة أن نزل عليه الوحى على هذا الضرب وفخذه فوق فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليها حتى كادت ترضها . وقد شوهد أنه كان إذا أوحى اليه على هذا النوع أصابته رعدة وكرب ، وتربّد وجهه ، وغمضت عيناه ، وربما غط كغطيط البَكر (أى الفتىّ من الأبل) .

كل هذا لايحمل البسيكولوجى العصرى على القول باستقلال جبريل عن شخصية محمد الباطنة ولا يزال يجـد نفسه متأثرا بالشبهة التى مؤداها أن نبوته يمكن تعليلها بالأعراض الهستيرية . فيرى نفسه مضطرا لأن يتأمل فيما كان يتأثر به من الأعراض عند نزول الوحى عليه ، فيجد ما يأتى :

(١) أن محمدا لم تكن تظهر عليه أعراض عند نزول الوحى عليه إلا عندما كان يلقى اليه بصوت يشبه صلصلة الجرس .

(٢) أن الهذيان الهستيرى لايحدث إلا مصحوبا بأعراض ثقيلة من التخبط والاضطراب والصياح والعويل ، وهو مالم يحصل قط لمحمد حتى فى أثقل حالات الوحى عليه .

(٣) أن ما ينسب للهستيريا من الهذيان يحدث فى أثناء النوبة ، فاذا أفاق المريض لم يذكر شيئا مما قاله . وهذا على عكس حالة محمد فقد كان لا ينطق فى أثناء الوحى بشىء حتى يتم ، فيعيد كل ما ألقى اليه ويأمر بتدوينه . وقد كان ، حرصا منه على استظهار ما كان يلقى اليه ، يعيده بلسانه أو يحرك به شفتيه ، فنهاه الحق عن ذلك بقوله تعالى : «ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يقضى اليك وحيه ، وقل ربى زدنى علما » ، وقوله : « لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرءانه ، فاذا قرأناه فاتبع قرءانه ، ثم إن علينا بيانه » أى إن علينا جمعه فى صدرك فلا تخش أن يفلت منك ، فاذا قرأه عليك الملك فأنصت إليه وتتبع قراءته .

(٤) أن مواضيع الهذيانات الهستيرية ، لا تخرج عادة عن تصورات وهمية تناسب الأعصاب المتهيجة المريضة ، كتخيل المريض رؤية روح شرير يتوعده بالأذى ، أو يتقصده بالفتنة أو يقلقه بالاستهزاء والتحقير ، ولم يشاهد هذيان هستيرى قط موضوعه أثر فضيلة ، أو الدلالة على مصلحة ، وأنت خبير بأن موضوع الوحى الذى ...

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

صلى الله عليه وسلم كان أكبر شأنا من كل ما اشتغل به العالم الانسانى وهو إذاعة الدين الأول الذى أوحاه الله الى المرسلين الأولين ، خالصا من جميع الأوهام البشرية التى ألصقها به قادة الأمم بغيا بينهم ، وعدوانا على الحقيقة ، وكان ذلك بقصد إصلاح عام للأديان والمعتقدات. ندب الحق للقيام بهذه المهمة محمدا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل . هذا عدا عما استتبع هذا الاصلاح العام من دعوة الأمم للتعارف والتآخى ، والافضاء اليهم بالأصول الأولية للشريعة العادلة ، والأخلاق الفاضلة ، والمدنية الكاملة ، مما يتفق الناس قاطبة على صحته ، ولا يجدون فى أنفسهم حرجا من ناحيته . وقد أثرت هذه الدعوة فسرت بين الأمم سريان البرق ، ومهدت الطريق لأصحابها للحصول على زعامة الأرض ، ولا تزال تبهر العلماء بآياتها ، وتسحر الألباب ببيناتها ، وتفتح القلوب بأدلتها ، حتى قرر أهل البصر أن مآل الناس قاطبة الى حظيرتها . فاذا كان هذا كله أثر هذيانات هستيرية ، ونوب مرضية ، فماذا أبقيت بعد هذا للوحى السماوى ، والفيض الإلهى ، والإشراقات العلوية ، والإتصالات الروحانية .

هنا لا يتمالك البسيكولوجى نفسه فيخر ساجدا لله وهو يقول :

اللهم ما أقوى سلطانك ، وأسطع برهانك ، أمى فى أقصى بيئة عن العمران ، وأبعد مكان عن معترك العقول ، ومضطرب النظريات والمبادئ ، وبين ظهرانى أقوام لم يألفوا النظام ، ولم يأنسوا بالوحدة ، مضطرين الى ذلك بفواعل الطبيعة المحيطة بهم ، وعوامل الحياة القاهرة لهم ، ينتدب أن يكون رسولا للناس كافة فيدعوهم للكلمة الجامعة بينهم ، والطريقة اللائمة لشعثهم ، ملوحا لهم بالأصول الحكيمة لتحقيق هذا المطلب الذى لم يطف بخيال فيلسوف ولا مصلح قبله ، مدللا على إمكانه بالأدلة القاطعة ، والأمثال الساطعة ، وضاربا لهم المثل العملى بالقيام بتأليف أمة عالمية ليس فيها ظل من نعرة القومية ، ولا عصبية الجنسية ، ولا مانع من الاختلافات اللغوية واللونية ، وبتوزيع العدالة وجميع الحقوق المدنية بين الكافة بالسوية ؛ أمة خالصة من جميع علل الاجتماع ، كالطوائف المتفاوتة الحقوق ، والطبقات المتنافرة الاختصاصات ، والشخصيات المتوارثة الألقاب ؛ أمة كل ما فيها حق للكافة على السواء ، والكافة وحدة لا تقبل الانفصام ، يسودها قانون أصوله الحقوق الطبيعية ، ومبادئه المبادئ الأولية الخالدة التى لا يعتريها تبدل ، ولا يتحيفها انخرام ؛ أمة رأس مالها المعرفة ، وأصل دينها العقل ، وسلاحها العلم ، ووجهتها الحكمة ، وغايتها المثل الأعلى فى الحياة .

أمى فى أقصى بيئة عن العمران ، وأبعد مكان عن معترك العقول ، وعن مضطرب النظريات والمبادئ ، يأتى بكل ما ذكرت على وجه لا مجال للشك فيه ، وبنصوص صريحة لا تحتمل الصرف ولا التأويل ، لا يعقل أن يكون كل هذا من عنده ، ولا بد أن يكون قد تلقاه من عالم علوى لا من هذا العالم الأرضى . لأن هذه التعاليم التى أتى بها محمد خاصة بالأفراد والجماعات

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

والنظم والدستور ، أرقى من أية فلسفة نقلت لنا عن الأقدمين ، وأرقى من مجموعها متضافرة متساندة ، وكثير من أصولها سبقت زمانها الطبيعي بعدة قرون ، وبعضها بعد أن وُلدت مسبوقة بعدة قرون لا تزال لدى أهلها حلما من الأحلام ، ومن العجيب أن موحى هذه التعاليم يقرر أنها قد سبقت أوانها ، وأنها ستوجد من طريق النظر بعد زمان طويل ، فيُعرف فضل الكتاب الذى أتى بها فقال : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ، وقال : « ولتعلمن نبأه بعد حين » .

أى دليل على الوحى أقوى من هذا الدليل .

محمد فريد وجدى

كلمات فى المدائح الخلقية

مدح أعرابى رجلا فقال : كان والله تعبا فى المكارم ، غير ضال فى طرقها ، ولا متشاغل بغيرها عنها .

وقال آخر : فلان لو وجد الكرم فى يد غيره لعلم أنه ضالة له .

ومدح بدوى رجلا فقال : كان والله صحيح النسب ، محكم الأدب ، من أى أقطاره أتيته انثنى إليك بكرم فعال ، وحسن مقال .

ومدح غيره رجلا فقال : كأن الألسن والقلوب ريضت له فلا تنعقد إلا على وده ، ولا تنطق إلا بثنائه وحمده .

وقال بليغ : فلان من شجر لا يختلف ثمره ، ومن ماء لا يأتلف كدره .

وسأل الوزير يحيى بن خالد البرمكى عن ابنه الفضل ، فقال له المسؤل وكان بليغا : تركته وماء الحياء يتحدر من أسارير وجهه ، وسيول الجود سائلة من فروج أنامله ، ولآلئ العلم منثرة من مسارب منطقه .

ومن هذا الباب ما مدح به ابراهيم بن الصابى الوزير المهلبى فقال :

له يد برعت جودا بنائلها ومنطق دره فى الطرس منتثر
فخاتم كامن فى بطن راحته وفى أناملها سحبان مستتر

وقال مروان بن أبى حفصة يمدح آل معن :

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم ولو أحسنوا فى النائبات وأجملوا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

سورة الاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » :

رأينا أن نوفى هـذه الفرصة الثمينة حقها ، فنكثر من البراهين الدالة عليه تعالى بقـدر ما نستطيع ، علما بأن العقائد قد اعتورتها الشكوك ، والنفوس قد لعبت بها الأوهام . وقد أكثرنا بنوع خاص من أقوال فلاسفة أوربا ، لما فى ذلك من التأثير البالغ فى نفوس شبابنا الذين أصبحوا يتهمون أئمة المسلمين ويقدسون أساتذة الأوربيين ؛ ولله فى خلقه شئون . ومما نقصده أيضا من نقل تلك الآراء والأفكار أن نعرف القارئ أن الطرق الموصلة الى الله تعالى لا تنحصر . وقد قالوا قديما : إن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق . وقد وصل الأمر من الوضوح عند بعض أرباب الوجدان من المسلمين أن سمع قائلا يقول : إن الفخر الرازى أقام على وجود الله ألف دليل ، فقال : « ومتى غاب حتى يستدل عليه » ؟

ولنسق لك بعض تلك البراهين ، ولعلها أليق ببعض الاستعدادات ، فنقول :

قال « نيوتن » الأنجليزى ، وهو أكبر علماء الفلك فى عصره ، ومكتشف قانون الجاذبية العامة ، وقـد سأله الناس من كل مكان أن يؤتيهم بدليل على وجود الخالق يكون فى درجة المحسوسات ، فأجابهم قائلا : « لا تشكوا فى الخالق ، فإنه مما لا يعقل أن تكون الضرورة وحدها هى القائدة للوجود والمنظمة له ، لأن ضرورة عمياء متجانسة فى كل مكان وفى كل زمان لا يتصور أن يصدر منها هذا التنوع فى الكائنات ، ولا هـذا الوجود كله بما فيه من ترتيب أجزائه وتناسبها مع تغيرات الأزمنة والأمكنة ، بل إن كل هـذا لا يعقل أن يصدر إلا من كائن . أوّلىّ له حكمة تامة وإرادة نافذه » .

أقول : أكثر نيوتن من كلمة الضرورة ، لأن الملحدين يذكرونها كثيرا كلما أحرجوا . وإنى ولا أخفى عليك وقد حاولت كثيرا أن أفهم ذلك فلم أستطع . وليت شعرى ما هى الضرورة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التى توجد وتخلق ، وترتب وتضع الأشياء فى مواضعها ؟ وما حقيقتها ، وما صفاتها التى أتت بهذا الابداع المدهش ؟ وإذا كانت الضرورة تفعل ذلك كله ، فما بالنا فى هذا الضيق وهذه المصائب ؟ فهل اعتراها الوهن أم أدركتها الشيخوخة ؟ ثم تبين لى أن للأوهام والخيالات مدركات لا يتأتى للعقول أن تدركها ، لأنها لا تدرك إلا بواسطة وهم فاسد أو خيال كاسد ، ولذلك يقول الله : « أولئك كالأنعام بل هم أضل » . والأنعام لها قوة الوهم لا قوة التفكير .

ولنرجع الى كلام نيوتن . قال بعد ما سبق : « من المحقق أن الحركات الحالية للكواكب لا يمكن أن تنشأ من مجرد فعل الجاذبة العامة ، لأن هذه القوة تدفع الكواكب نحو الشمس ، فيجب لأجل أن تدور هذه الكواكب حول الشمس أن توجد يد إلهية تدفعها على الخط المماس لمداراتها » ثم قال : « ومن الجلى الواضح أنه لا يوجد سبب طبيعى استطاع أن يوجه جميع الكواكب وتوابعها للدوران فى وجهة واحدة على مستوى واحد بدون حدوث أى تغير يذكر . فالنظر لهذا الترتيب يدل على وجود حكمة سيطرت عليه . ثم إنه لا يوجد سبب طبيعى استطاع أن يعطى هذه الكواكب وتوابعها هذه الدرجات من السرعة المتناسبة تناسبا دقيقا مع مسافاتها المختلفة بالنسبة للشمس . ولمراكز الحركة ، تلك الدرجات الضرورية لأن تتحرك هذه الأجرام على مدارات ذات مركز واحد مشترك بين جميعها ، فلأجل تكوين هذا النظام مع جميع حركاته يجب وجود سبب عرف هذه المواد . وقارن بين كميات المادة الموجودة فى الأجرام السماوية المختلفة وأدرك ما يجب أن يصدر منها من القوة الجاذبة ، وقدر المسافات المختلفة بين الكواكب والشمس وتوابعها ، وبين جوبتير « المشترى » . والأرض ، وقرر السرعة التى يمكن أن تدور بها هذه الكواكب وتوابعها حول أجسام تصلح أن تكون مراكزها . إذن فمقارنة هذه الأشياء والتوفيق بينها وجعلها نظاما يشمل كل هذه الاختلافات بين أجزائه . كل هذا يشهد بوجوب وجود « سبب » لا أعمى ولا حادث بالاتفاق « كما يزعم الملحدون الجاهلون » على علم راسخ بعلم الميكانيكا والهندسة » ثم قال :

« ليس هذا كل ما فى المسألة ، فإن الله ضرورى لإدارة هذه الاجرام بعضها على بعض ، وهو الأمر الذى لا يمكن أن يكون من مجرد قوة الجاذبة أو لتحديد وجهة هذه الدورات كما يرى ذلك فى الشمس وتوابعها ، بينما ذوات الأذناب تدور فى كل وجهة على السواء . ثم قال: « وغير هذا : أنظر تكوّن الأجرام السماوية كيف أن الذرات المبعثرة استطاعت أن تنقسم الى قسمين : القسم المضىء منها انحاز الى جهة لتكوين الأجرام المضيئة بذاتها كالشمس والنجوم ، والقسم المعتم يجتمع فى جهة أخرى لتكوين الأجرام المعتمة كالكواكب وتوابعها . كل هذا لا يعقل حصوله إلا بفعل عقل لا حد له » . أليس هذا موافقا لما نقوله من أن معلومات الله لا تتناهى وكمالاته لاتتناهى ثم قال : « أنظر كيف كونت أجسام الحيوانات بهذه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الصناعة البديعة ، ولأى المقاصد وضعت أجزاؤها المختلفة ؟ هل يعقل أن تصنع العين الباصرة بدون علم بأصول الابصار ونواميه ، والاذن بدون إلمام بقانون الصوت ؟ كيف يحدث أن حركات الحيوانات تتجدد بارادتها ؟ ومن أين جاء هذا الالهام الفطرى فى نفوس الحيوانات » الى أن قال : « وهذه الكائنات كلها فى قيامها على أبدع الأشكال وأكملها ، ألا تدل على وجود إله منزه عن الجسمانية حىّ حكيم ، يرى حقيقة كل شىء ويدركه أكمل إدراك ؟ ! » .

قد أطلنا فى هذا البرهان ، ولعل فى ذلك التطويل فائدة لكثير من القراء . وقد كان عمدة « نيوتن » فى استدلاله بيان الأشياء التى لايمكن تعليلها بغير فعل القادر الحكيم .

وأقول : إن نظر علمائنا فى هذا الموضوع أبعد غورا من غيرهم ، فإنهم إذا ظفروا بعلل الأشياء وأسبابها جعلوا ذلك من براهين حكمة الحكيم ودلائل وجوده ، فإن هذه العلل ليس لها وجود من نفسها ، لأن دلائل الامكان فيها واضحة ، وكل ماليس بواجب الوجود فلا بد له من واجب الوجود .

ثم نقول : ما الذى متعها بتلك الخصائص التى جعلتها عللا وأسبابا ؟ فقد كان يجوز أن تكون بصفات أخرى وقوى أخرى ، فانها قابلة لذلك كله بمقتضى إمكانها وتغيرها الذى نشاهده ، فكان وجودها بعد عدم وتمتيعها بتلك القوى المخصوصة من أكبر الأدلة وأعظم البراهين .

وليت شعرى لماذا عدد الله العناصر المختلفة حتى جعلها تزيد على السبعين أو الثمانين ، ثم جعل لكل منها خصائص لا توجد فى غيره ، بل قد تكون متضادة ، كالأكسوجين ، والأزوت ، والكربون . فمن ذا أوجدها كلها ومتعها بهذه الخصائص حتى تتعاون على هذا النظام البديع ؟ وليت شعرى ما الذى أوقفها عند هذا الحد فلم تنقص عنه ولم تزد عليه ، غير مشيئة الله الذى علم كل شىء ودبر كل شىء فسبحان من أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .

والحق أقول : إنى لم أر فى هذا الوجود على سعة أكنافه وتباعد أطرافه وكثرة تنوعاته وتشعب مبدعاته ، أجن من أولئك الملحدين « الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » . ويكفينا ماقال الله فيهم : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها » . ولا يصح أن يذكروا فى عداد العلماء ، فإن الله يقول : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » : فكل من لم يشهد بذلك فليس من أولى العلم . وقد قال سبنسر « وهو من أكابر علماء الانجليز » ليس الغرض من علم الطبيعة معرفة تلك الظواهر التى عرفها أبناء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المدارس ، وإنما الغرض من علم الطبيعة أن نقف على ذلك الجسر الذى ننظر منه الى ما وراء الطبيعة . وقال « باكون » وهو من أشهر مشاهير علماء الطبيعة « من أخذ علم الطبيعة بأطراف الشفاه كان ملحدا ، ومن شربه عبا أوصله الى الخالق » .

براهين كلارك ، وهو من أشهر فلاسفة الانجليز . قال :

« لابد لنا من فرض أن شيئا وجد من الأزل بدليل وجود الأشياء الآن ، وهذا الفرض حقيقة لاشك فيها لأن كل موجود من هذه الممكنات يجب أن يكون هناك سبب أوجده أى أصل قام عليه وجوده ، وهذه الأشياء إما موجودة بذاتها فهى إذن قديمة أزلية ، وهو ما لا سبيل اليه لما نرى فيها من دلائل التغير والحدوث الدالة على أنه ليس لها شىء واجب لذاتها ؛ وإما أن تكون موجودة بموجد تقدم عليها فيكون هو القديم الأزلى » ثم قال كلارك ما ملخصه .

« لا يمكن أن يكون هذا الوجود المادى مستقلا بنفسه ولا أبديا إلا إذا كان هو واجب الوجود بذاته ، ولكن مما لا شك فيه أن الوجود المنظور ليس هو واجب الوجود ، لأنه سواء أتأملت فى شكله الظاهرى مع قابلية أجزائه لحركاتها المختلفة ، أم اعتبرت مادته التى هو مكون منها بدون التفات الى شكلها الذى هى ظاهرة به الآن ، فلا أرى فيها إلا آثار إرادة واختيار ، فمجموعها فى جملته وكل واحد من أجزائها فى موضعه وحركته ومادته وشكله . وبالجملة كل ما فيه متعلق بغيره غير مستقل وغير معقول أن يكون موجودا بذاته وإنى أصرح بأن الوجود لأجل أن يكون صالحا يجب أن تكون أجزاؤه على الترتيب الذى هو عليه اليوم . ومما أعده هذيانا القول بأن ذلك الترتيب وجد بضرورة طبيعية ، وهى الضرورة التى يستند عليها الملحدون ويدافعون عنها » . وقد سبق لك أن ذلك لا معنى له إلا فى رءوس المجانين .

براهين لوك ، وهو من كبار فلاسفة الانجليز ، قال :

« إنا نعلم ببداهة العقل أن العدم لا ينتج مطلقا كائنا حقيقيا . ومن هنا يظهر لنا بوضوح جلى و بأسلوب رياضى أنه لا بد من أن يكون قد وجد شىء فى الوجود من الأزل ، لأن كل ماله بداية يجب أن يكون ناتجا من شىء تقدمه . ومما لا ريب فيه أن كل كائن يكتسب وجوده من وجود غيره يستمد منه كل ما هو متمتع به من الخصائص والصفات . إذن فالينبوع الأزلى الذى تستمد منه جميع الكائنات يجب أن يكون هو أصل جميع قواها ووجودها ، فهو إذن قادر على كل شىء ، وغير ذلك فان الانسان يرى فى نفسه قوة على العلم ، فيجب أن يكون الأصل الأزلى الذى نتج منه الانسان عالما ، لأنه لا يعقل أن ذلك الأصل يكون مجردا عن العلم وتنتج منه كائنات عاقلة . ومما يناقض البداهة أن المادة المجردة من الحس تمتع نفسها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بعقل لم يكن لها من قبل ، فيجب بالبداهة أن يكون أصل الكون عاقلا — بل لا حد لعقله وهو الله تعالى :

ولنقف هنا اليوم ، ولننشد قول أمية بن الصلت ذلك البدوى الذى لم تشغله المدنية وزخرفها عن أن يرجع الى قلبه ويستمع من حديث لبه حيث يقول :

هاج للقلب من هواه ادّكار ... وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات ... وعيون مياههن غزار
ونجوم تلوح فى جنح ليل ... مشرقات فى كل يوم تدار
وشموس مضيئة للبرايا ... فى نهار وفى الدجا أقمار
ورياح تهب من كل فج ... وبروق وراءها أمطار
إن شان الاله شأن كبير ... جل ربا وجلت الآثار
والذى قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

التفرغ لتقرير العدالة

دخل عمر بن الخطاب على أبى بكر رضى الله عنهما أيام خلافته فسلم فلم يرد عليه . فقال لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون خليفة رسول الله قد وجد على . فكلم عبد الرحمن أبا بكر فى ذلك . فقال له : إنه أتانى . وبين يدى خصمان قد فرغت لهما سمعى وبصرى وقلبى وعلمت أن الله سائلى عنهما ، وعما قالا ، وعما قلت .

وقال حكيم إسلامى : حق على من ملكه الله على بلاده ، وحكمه فى عباده ، أن يكون لنفسه مالكا ، وللهوى تاركا ، وللغيظ كاظما ، وللظلم هاضما ، وللعدل فى حالتى الرضا والغضب مظهرا ، وللحق فى السر والعلانية مؤثرا . وإذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته ، والقلوب محبته وأشرق بنور عدله زمانه ، وكثر على عدوه أنصاره وأعوانه .

وقد أحسن من قال :

لا تقدح الظنة فى حكمه ... شيمته عدل وانصاف
يمضى إذا لم تلفه شبهة ... وفى اعتراض الشك وقاف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السُّنَّة

الطوفان وما يتعلق به

ذكرنا فى مقالنا السابق نص حديث ابن جرير فى الطوفان، وبينا بعض المعانى التى اشتملت عليها آية «وقيل يا أرض ابلعى ماءك الخ»، وقد بقى الكلام فى أمور: (١) ملخص ما اشتملت عليه الآية الكريمة من المعانى الدقيقة. (٢) هل أمر الله للأرض والسماء حقيقة أو مجاز، وبيان كل منهما (٣) بيان أن القرآن الكريم محفوظ من الأقاصيص الباطلة، فكان ينبغى للمفسرين أن يطرحوها جانبا (٤) بيان ما جاء فى آخر الحديث من أن نوحا أمر الحيوانات التى كانت معه بالصيام فصامت.

(١) قد ذكرنا فى مقالنا السابق أن الله سبحانه أراد أن يعبر بهذه الآية عن عظم قدرته الذى لا حد له، ويبين أن أمره فى خلقه نافذ، فإذا أراد شيئا فلا مرد له، وأنه لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء عظيما كان أو صغيرا، وأن عظائم الأمور تستوى بالنسبة لقدرته القاهرة مع صغائرها. فأشار الى هذا كله بهذه الآية الصريحة التى ليس فيها تعقيد ولا إبهام ولا تكلف ولا غرابة، ولا إطالة ولا حشو، ولا تنافر بين ألفاظها وحروفها؛ بل عذوبة ألفاظها وسهولة معانيها ودقة إشاراتها وجمال بيانها تصل الى عقول ذوى العلم والفكر بدون عناء، بل لا بد لكل من يسمع هذه الآية من أن يفهم منها معنى سهلا ومحصلا يفى بالغرض وإن لم يدرك جميع ما فيها من كل هذه المعانى التى عجز العلماء المفكرون عن استقصائها الى الآن فلو اجتمع البلغاء جميعا فى صعيد واحد وقيل لهم: عبروا عن هذه المعانى التى تفهم من هذه الآية قبل أن يطلعوا عليها ويسمعوها لكتبوا فى ذلك صحفا كثيرة، ومع ذلك لم تصل عقولهم الى عشر معشار ما حوته من معان تعجز عن مراعاتها العقول البشرية مهما أوتيت من صفاء وزكاء. فسبحان الله العليم القدير؟

وقد بينا تفصيل بعض المعانى التى احتوت عليها هذه الآية الكريمة فى مقالنا السابق ونريد أن نلخصها للقراء الآن لننتقل منها الى الكلام فى الحقيقة والمجاز وغيرهما من علوم البلاغة.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وحاصل ذلك : أن الله سبحانه أراد أن يبين المعانى التى أشرنا الى بعضها فى مقالنا السابق بهذه الآية الموجزة التى تسيل عبارتها رقة ، ويزهو حسن بيانها على جميع عبارات البشر مهما كانت فصيحة بليغة ، فبين لنا منها أمورا .

(أولا) أمر الأرض أن تكف عن إسالة الماء الذى تفجر منها وسال على ظهرها فأغرق جميع من عليها وترد القدر الضار الى بطنها ، فاستجابت وفعلت ما أمرها الله به بدون إبطاء .

(ثانيا) أمر السماء أن تكف عن إنزال الماء الكثير الذى ينصب منها على الأرض ، فاستجابت ونفذت ما أمرها به .

(ثالثا) أمر الماء الذى نزل من السماء ونبع من الأرض أن يغيض وينقص الى الحد الذى ينفع الناس ففعل .

(رابعا) أن يظهر للنوع الانسانى أنه سبحانه لن يترك الرسل ولن يهمل أمرهم وإن طال الأمد فقال : « وقضى الأمر » ، وهو إنجاز ما وعد الله به نوحا من إغراق قومه ، فقضى ذلك الأمر . وذلك شأنه سبحانه مع رسله السابقين الذين كانوا يلاقون من أممهم ما يلاقون من اضطهاد وتعذيب ، كما قال تعالى : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا » ومعنى ذلك أن الله يمهل الظالمين الطاغين ولا يستعجل عقوبتهم كى لا يكون لهم حجة فيظن الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيما أوعدهم به الرسل من العذاب . وعند ذلك ينفذ الله سبحانه ما طلبه الرسل من العقوبات التى يستحقها المجرمون الطاغون . فهذا هو مجمل المعانى التى اشتملت عليها الآية الكريمة .

ولكن هل أمر الله للارض والسماء والماء بهذا من باب الحقيقة أو من باب المجاز ؟ جمهور المفسرين والعلماء على أن ذلك من باب المجاز لا من باب الحقيقة ، وأن الواقع ونفس الأمر هو أن فاعل ذلك كله هو الله وحده بدون واسطة سبب من الأسباب ، وأنه سبحانه إذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون . وذهب فريق من محقق العلماء الى أن هذه الأوامر كلها من باب الحقيقة لا من باب المجاز .

مع العلم بأنهم متفقون على أن الألفاظ المستعملة فى غير ما وضعت له فى الآية مجاز بدون نزاع .

وإليك بيان كل مذهب من المذهبين : فأما الذين يقولون إن أمر الله للسماء والأرض حقيقة فيمكنهم أن يبينوه بأن الله سبحانه قد خلق فى هذه الأجرام قوى عاقلة تدرك به أمر الله تعالى ونهيه كما يدرك الانسان على خلاف العادة المعروفة لنا من أن الجمادات لا تدرك ولا تفهم . وهؤلاء قد يؤيدون رأيهم بأن الكلام إنما هو فى بيان آثار قدرة الله عز وجل ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأنه سبحانه لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، وأن الطاغين المتمردين على خالقهم أقل شأنا من الجمادات التى تطيع خالقها . ومما لا ريب فيه أن هذا المعنى يستفاد من الحقيقة بلا حاجة الى المجاز . فالله تعالى يقول : إننى خلقت الادراك فى الجماد وأمرته فنفذ الأمر بدون تردد ، وخلقت العقل فى الانسان وأرسلت له الرسل المؤيدين بالمعجزات الظاهرة فكفر وتمرد وعصى فبعدا للقوم الظالمين وهذا القول يحتمل ثلاثة أوجه :

(أحدها) هو أن يقال : إن الله تعالى خلق فيهما الأدراك بدون أسبابه المعروفة لنا من العقل والحواس الظاهرة والباطنة . وذلك هو رأى جمهور المتكلمين الذين يقولون إن الربط بين الأسباب والمسببات عادى لا عقلى ، فيجوز أن يوجد المسبب بدون سبب ، أو يوجد السبب ولا يوجد المسبب مع عدم المانع من وجوده . وحينئذ فلا مانع من أن يوجد الادراك فى الجماد مع عدم وجود الحواس والعقل .

(ثانيهما) أن الله تعالى خلق الأسباب والمسببات وجعل الربط بينهما ضروريا بحيث إذا وجد السبب ولم يوجد المسبب ظاهرا فانه لا بد أن يكون السبب موجودا فى الواقع . فاذا رأى الانسان مسببا بدون سبب فذلك لقصوره عن إدراك السبب . وعلى هذا فيمكن أن يقال إن الله سبحانه خلق فى الأرض والسحب التى لا تدرك وسائل الادراك ووسائل التنفيذ ، وأمرها فأطاعت ونفذت وإن كنا لا نعرف كيف خلق الله فيها تلك الوسائل التى لا توجد عادة إلا فى الانسان أو الحيوان ، كما لا نعرف كيف خلق الله فى الانسان العقل الذى يدرك الكليات ، والحواس التى تدرك الأمور الجزئية ، بل تكفى معرفة أنه ممكن فى ذاته بلا نزاع وقدرة الله صالحة لإيجاد كل ممكن وإعدامه باتفاق . ولكن أصحاب الرأى يقولون إن الربط بين الأسباب والمسببات عادى يصح أن يتخلف ، وأصحاب الرأى الثانى يقولون إن الربط بينهما عقلى لا يتخلف كما هو سنة الله التى لا تبديل لها ، وعلى كل حال فان هذين الرأيين متفقان على النتيجة ، وهو أن خطاب السحاب والأرض الوارد فى الآية الكريمة من باب الحقيقة لا من باب المجاز .

(ثالثها) أن يقال إن السنة الصحيحة قد جاء فيها أن لله ملائكة موكلة بالسحاب وملائكة موكلة بما فى الأرض من جبال وبحار وغير ذلك ، وسواء كانت هذه الملائكة أرواحا مجردة عن المادة كما هو رأى بعض فلاسفة الاسلام (وهو الصحيح المعقول) أو لم تكن كذلك ، فقد وصفها الله سبحانه بالقوة والعلم . وعلى هذا فيمكن أن يكون الخطاب للملائكة المتعلقة بها . وإذا كان الانسان لا يدرك إلا بالعقل المتعلق به تعلقا معنويا فكذلك هذه الأجرام لا تدرك إلا بالملك أو الروح المعنوية المتعلقة بها . فكما أن الله تعالى يأمر الانسان وهو الحيوان [illegible] العقل المدرك فكذلك يأمر هذه الأجرام باعتبار الملائكة المتعلقة

الجزوب مجلات قديمة oldbookz@gmail.com
https://t.me/megallat

تدرك وتنفذ الأمر . وكل ما يمكن أن يقال من الفـرق بين الحالتين . هو أن الأمر الصادر الى الانسان هو الذى ينفذه بما أودعه الله فيه من الحواس والقوى ، بخلاف السحب والأرض فان الذى يفهم وينفذ هو الملك المتعلق بها . وهذا لا يخرج الـكلام عن الحقيقة الى المجاز . غايته أن يقال : إن فيـه حذف مضاف كقوله تعالى : « واسئل القرية التى كنا فيها » يعنى واسأل أهل القرية . ومعروف أن حذف المضاف لا يخرج الـكلام من الحقيقة الى المجـاز . فنداء الله للسحب نداء للملائكة المـكلفين بها ونداؤه للأرض نداء للملائكة المـكلفين بما عليها كملائكة البحار . على أن الفلاسفة قـد أثبتوا للأفلاك نفوسا مجردة عن المـادة . أما كون هذه النفوس للافلاك الكلية أو لها وللجزئية فهو خارج عن موضوعنا الآن . وقد بينا بعضه فى مجـلة الأزهر فى الجـزء الرابع سنة ١٣٥٦ . وبذلك يتضح أن نداء الله للأرض والسحب ونحوهما حقيقى . وإذا أمكنت الحقيقة فلا يصح العدول عنها الى المجاز . ويؤيد ذلك أن الله تعالى قد صرح بخطاب الأرض والسماء وأمرهما صريحا فى غير هذا المقام فقال تعالى فى سورة فصلت « ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض إئتيا طـوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » . وكذلك قد صرح الله تعالى بأن الجماد ينطق ويتكلم فقال فى هـذه السورة : « حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء » . وقد اتفقوا على أن النطق فى الآية الثانية حقيقى لا مجاز فيه . وقالوا إن معناه أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذى قدر على انطاق كل حيوان . فالذى قدر على خلق الادراك فى الانسان ، والقـدرة على النطق لا يعجزه أن يخلق هذا الادراك فى الجوارح التى لا تنطق عادة .

ومن هذا البيان يتضح أن إرادة الحقيقة من هـذه الآية الـكريمة ممكنة ، وأنها أبلغ من المجاز ، لأنها تدل على عظم قدرة الإله عز وجل على وجه لا تحيط به العقول ، وهو المقصود من السياق . هـذا هو بيان رأى القائلين بأن الـكلام فى هذه الآية من باب الحقيقة لا من باب المجـاز .

أما القائلون إنه من باب المجاز فإليك بيان رأيهم :

قالوا : إن خلق الإدراك فى الجماد خـلاف الظاهر المعروف للمخاطبين بالآية الـكريمة ، والمجاز فى هـذا المقام أبلغ من الحقيقة لما فيه من تصوير أثر القدرة فى صورة لا تحيط بها العقول ولا تدركها الأفهام . فهو سبحانه يقول لعباده من ذا الذى يستطيع ويقدر على أن يخلق هذه الأجرام ويخلق ما يصدر عنها من أفعال غيرى ؟ فضلا عما فيه من دقائق التشبيه والتصوير المعجز للبشر . وبيان المجاز فى هذه الآية هو أن فيها أمورا ثلاثة : (أحدها) الفعل المراد تحصيله . (ثانيها) المأمور بذلك الفعل ، وهو المراد منه أن يوقع الفعل . (ثالثها) إيجاد ذلك الفعل

oldbookz@gmail.com
أرشيف مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وتحصيله . فأما الفعل المراد تحصيله فهو بلع الأرض للماء وإقلاع السحب عن إنزاله . وأما المأمور المراد منه تحصيل هذا الفعل فهو الأرض والسماء . وأما إيجاد الفعل وتكوينه فهو ظاهر بعد ذلك ، لأنه عبارة عن تحصيل الفاعل للفعل . فالتشبيه ها هنا ذا يكون فى المأمور الذى وقع منه الفعل ، فيقال : شبه المأمور أو شبه المراد منه إيجاد الفعل وهو الأرض والسماء بعاقل قادر على تحصيل كل ما يطلب منه ، مطيع لا يتأخر لحظة عن تنفيذ الأمر ، وحذف المشبه به وهو ذلك العاقل وأشير إليه بشىء من لوازمه وهو الندا بيا والأمر الصادر إليه الذى لا يصدر إلا للعاقل . والعلاقة بين المشبه والمشبه به ظاهرة ، وهى أن المأمور الحقيقى يقع منه الفعل ويتعلق به حقيقة . أما المأمور مجازا وهو المشبه فإنه لا يقع منه الفعل حقيقة ، وإنما يسند إليه ويتعلق به ظاهرا . والقرينة على هـذا التشبيه هى أن الذى يؤمر وينادى حقيقة إنما هو العاقل . هذا هو بيان الاستعارة فى المأمور الذى طلب منه إيجاد الفعل وبقى الكلام فى نفس ذلك الإيجاد ، فإن الإيجاد وهو تأثير الفاعل الذى يترتب عليه الفعل لا يقع حقيقة من الأرض والسماء ، فإيجاد بلع الماء لا يقع من الأرض طبعا . وكذا إيجاد الاقلاع عن إنزال الماء لايقع من السماء ، وحينئذ فلابد من تشبيه إيجاد الله وتكوينه لما أراده من إمساك الماء النازل من السماء وتجفيف الماء الواقع على الأرض بنفس الأمر الصادر منه تعالى إليهما وهو : ابلعى وأقلعى .

وحاصل هذا أنه سبحانه أمر الأرض ببلع ماعليها من الماء فقال : «يا أرض ابلعى ماءك» وأمر السماء بالاقلاع والكف عن إنزال الماء فقال « ويا سماء أقلعى » . وهذا يقتضى ظاهره أن الأرض هى التى أوجدت البلع وكونته ، وأن السماء هى التى أوجـدت الاقلاع وكونته . ولكن الواقع غير ذلك ، فإن الذى وقع منه الإيجاد هو الله تعالى ، ولكنه أمر السماء والأرض ظاهرا ، فيكون الكلام من باب الاستعارة التبعية لما فيه من تشبيه إيجاد الله وتكوينه بأمره الذى صدر منه ، واستعارة صيغة الأمر للإيجاد على الوجه المبين فى علم البيان .

وبقى الكلام هاهنا ذا فى قوله تعالى : ابلعى ، وأقلعى . فأما ابلعى فمعناه الحقيقى هو أن يزدرد الانسان الطعام (بأكله سريعا) وهو معروف ، يقال : فلان بلع اللقمة أو قطعة اللحم إذا ازدردها . وهذا هو المشهور فى اللغة . أما استعمال البلع فى الماء كأن يقال : بلع الانسان الماء إذا شربه ، فالتحقيق أنه مجاز لا حقيقـة . وعلى كل حال فالمأمور هنا وهى الأرض لا يقال لها ابلعى الماء حقيقة باتفاق ، وإنما يقال لها : انشقى أو جفى . وقد عرفت أن الغرض من الكلام إنما هو تصوير آثار قدرته تعالى فى صورة نافذة بدون إمهال ، وهذا يقتضى أن يعبر عنه بعبارة تفيد سرعة التنفيذ فقال : ابلعى . وعلى هذا يكون فى أمر الأرض

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالبلع استعارة . وتلخيصها أنه شبه الأرض بانسان يزدرد الطعام وحذف المشبه به وأشار اليه بشيء من لوازمه وهو البلع على طريق الاستعارة بالكناية . أو يقال : شبه الماء بالغذاء بجامع أن كلا منهما يترتب عليه الحياة : فكما أن فى الغذاء حياة الانسان ، كذلك فى الماء حياة الزرع والنبات ، وحذف المشبه به وهو الغذاء وأشار اليه بشيء من لوازمه وهو البلع وعلى كل حال فالمفسرون قد جاءوا بكل ما يحتمل من هذه الاصطلاحات الفنية ، فليرجع اليها من أراد الاستزادة .

وأما أمر السماء بقوله « أقلعى » ففيه استعارة أيضا ، وذلك لأن الاقلاع عن الشيء هو الكف عنه بالاختيار . ومعلوم أن السماء لم يصدر منها هذا الفعل ، وإنما الذى حصل هو احتباس المطر النازل منها فى الظاهر فشبه هذا الاحتباس المحكم السريع بالاقلاع عن الفعل بالاختيار بجامع السرعة بينهما . أو يقال شبهت السماء بانسان عاقل يصدر عنه الفعل بالاختيار وحذف المشبه به وأشير له ببعض لوازمه وهو الاقلاع عن الفعل ، لأنه من لوازم العقلاء !

« يتبع »

عبد الرحمن الجزيري

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

من تواضع العظماء

روى أنه لما ولى أبو بكر رضى الله عنه الخلافة قال وهو على المنبر : « إنى وُلِّيتكم ، ولست بخيركم » فلما بلغ كلامه الحسن البصرى قال : بلى ، ولكن المؤمن يهضم نفسه .

وسئل بعض التابعين . هل رأيت أبا بكر ؟

قال : نعم رأيت ملكا فى زى مسكين .

وقال شاعر ولعله يقصد أبا بكر :

إذا أردت شريف الناس كلهم ... فانظر الى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى حسنت فى الناس قالته ... وذاك يصلح للدنيا وللدين

وقال غيره متحديا له فى هذا المعنى :

إن السعيد الذى تمت سيادته ... فتى يفر من الدنيا الى الدين
يصد بالطرف منه عن زخارفها ... فيغتدى ملكا فى زى مسكين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التجديد فى الاسلام

— ٥ —

« إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها »
حديث نبوى شريف

المجـددون فى الاسـلام

فى القرن الثانى الهجرى

الأئمة الأربعة . المأمون . اللؤلؤى . أشهب . على الرضا . الحضرمى . ابن معين . السكرخى .

١ — تمهيد :

فى البحث الماضى بينا جمهرة المجددين فى القرن الأول الهجرى ، وفى هذا البحث نبين جمهرة المجددين فى القرن الثانى .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

يرى الحافظ ابن الأثير أن المجددين للدين فى المائة الثانية الهجرية ، هم ، من أولى الأمر : المأمون . ومن الفقهاء : الامام الشافعى ، واللؤلؤى من أصحاب أبى حنيفة ، وأشهب من أصحاب مالك ؛ ومن الامامية : على بن موسى الرضا . ومن القراء : الحضرمى . ومن المحدثين : ابن معين . ومن الزهاد : السكرخى .

٢ — مكانة الأئمة الأربعة :

الظاهر أن المجـددين للدين فى القرن الثانى ، الذين بلغوا فى التجديد السماء التى ما طاولتها سماء ، والذين حفظوا للشريعة جدتها ، وجعلوها غنية المجتمع الانسانى ، هم : الامام أبو حنيفة والامام مالك ، والامام الشافعى ، والامام أحمد بن حنبل ؛ فهؤلاء الأئمة الأربعة ، رضى الله عنهم ، هم الذين قدرهم الجمهور حق قـدرهم ، واعترف لهم بالزعامة والامامة فى العلم والدين ، ولم يبق لغـيرهم من الفقهاء المتقدمين ذكر إلا بقدر ما ينقل لهم من الأقوال فى أثناء كتب الخلاف على كثرة عددهم ، وعظم شأنهم ، وهم النباريس لمن أتى بعدهم ، ومع ذلك فان أسماءهم طويت ، ولم يعتبر واحد منهم متبوعا لجمهور يسير على أثره ، ويقلده فى مجموع آرائه ؛ ولقد فتح تاريخ الأبد صفحة الخلود لهؤلاء الأئمة الأربعة ، وسجل لهم فيها أنهم هم الذين باجتهادهم استنبطوا الفقه الاسلامى من أصـول الشرع ، ونشروا المعارف الفقهية فى العالم ، وملأوا

كتب ومجلات قديمة
https://t.me/megallat
blthbookz@gmail.com

الأرض ثقافة إسلامية ، ونظما وتجديدا ، وقد ترسم الجمهور خطاهم ، وعمل بمقتضى مذاهبهم ، حتى إنه ليجعل نصوصها كأنها مقدسة لا يجوز له أن يتعداها ، ولقد انقاد لهم أكثر من أربعمائة مليون من المسلمين فى العالم ، واستمعوا لأقوالهم ، ودانوا الله بمعتقدهم ، وساروا على أثرهم ، وعبدوا الله ركعا وسجودا منذ نحو ثلاثة عشر قرنا بتلقينهم ، وجعلوهم حجة بينهم وبين الله تعالى ؛ وكل يوم تطلع الشمس وتغرب ، ويموت أناس ويحيا آخرون ، وتنقرض دول ، وتنشأ دول ، وتحدث أحداث وتنقضى ، وتوجد مذاهب وتنقرض ؛ أما مذاهب هؤلاء الأئمة الأربعة فباقية خالدة لا تنصرم ، وأقوالهم متبعة لا تتغير ، وقد كتبت كتبهم ، وانتشرت فى الأرض مذاهبهم ، وأنشئت المدارس والمعاهد لتلقينها ، فدرسها الشيوخ والشبان ، واستظهروها ، وصيروها إماما لهم ، واتخذوها قانونا يعملون بمقتضاه فى حياتهم العامة والخاصة ، وأجروها فى مجالس الأمراء والحكام ، وحكموا بها فى الأموال ، والدماء ، والأعراض . هذا شيء من مكانة هؤلاء الأئمة عند الأمة .

٣ — ماذا أحدث الأئمة الأربعة من تجديد فى الاسلام ؟

أما تجديد الأئمة الأربعة فى الدين ، فماثل فى مذهب كل إمام منهم فى الفقه الاسلامى ، الذى استنبطوه من أصول الشرع : الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس ولقد صار هذا الفقه هو النظام المتبع الذى يسير عليه المسلمون ، ويعملون بمقتضاه فيما بينهم وبين أنفسهم ، وفيما بينهم وبين الله تعالى ، وفيما بينهم وبين الناس ، مبينا ما للانسان من حقوق ، وما عليه من واجبات ، حتى قال أحد أفاضل الكتاب : إن الباحثين من العلماء المنصفين — حتى من غير المسلمين — يعترفون للفقه الاسلامى بأنه البحر الذى لا ساحل له ، وأنه قسطاس العدل ، وأنه مجموعة انطوت على ما يسد حاجة الناس فى التشريع ، وأن فيه كل حاجات البشر : فى عقودهم ، وتوثيقاتهم ، ومعاملاتهم ، ومنازعاتهم ، وأقضيتهم ، ونظمهم ؛ وأنه لا يوجد معنى من معانى الأحكام المنشود فيها العدل إلا وفيه قول يوافق حاجة من حاجات البشر فى التشريع ؛ ولكننا معشر المسلمين كأننا زاهدون فى تراثنا هذا ، وكأننا جاهلون قيمة هذه التركة التى تحت أيدينا ، فلم نحسن القيام على هذا الفقه ، ولم نبرهن على أننا أهل للاستفادة منه ؛ ولو كان هذا الكنز الثمين مما ورثه الأوربيون عن أسلافهم لكانوا أبرّ به منّا ، ولبادرت حكوماتهم الى استنباط قوانينها ونظمها منه ، بل ولكان له الآن عندهم دائرة معارف منظمة تنظيما عجيبا ، بحيث لا يخطر ببال أحد معنى من معانى العدل والتشريع إلا كان من السهل الرجوع إليه فى طرفة عين فى هذه الدائرة ، فيقف منها على جميع المذاهب فى ذلك المعنى ، وعلى بدائع الأحكام ، وغريب الأقوال ، ونوادر الفتيا ، فيخرج الانسان من ذلك البحث الشامل وقد أحاط بعصارة علم العلماء فيه مدة نحو أربعة عشر قرنا . أما الباحث منا الآن عن مسألة فى هذا الفقه فإنه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يضطر الى أن يراجع عشرات المجلدات ليصل الى بعض النتيجة التى كان يصل إليها فى ربع ساعة ، وبمراجعة كتاب واحد لو فكرنا فى تأليف دائرة معارف للفقه — جميع مذاهبه — على مثال : كاربنتيه ، ودلوز ، والباندكت فى القانون . وكما قصرنا فى تنظيم هذا الفقه فإننا انصرفنا عنه الى القوانين الأجنبية ، وأين هـذه القوانين من هذا الفقه الذى أنس به المسلمون ، ومازج أرواحهم مدة نحو أربعة عشر قرنا ، وفيه مرآة مشاعرهم ، وعلاج أمراضهم الاجتماعية ، تلك الأمراض التى وضعت لمداواتها أحكام هذا الفقه وهى مستنبطة من شرع الله تعالى الذى يذعن له كل مسلم ، ويرضى به المحكوم له ، والمحكوم عليه .

فالفقه الاسلامى نظام عام للمجتمع البشرى ، لا الاسلامى فحسب ، تام الأحكام ، لم يترك منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وهو الدستور ، والقانون الأساسى لدول الاسلام ، والأمة الاسلامية جمعاء ، وإن انتظام أمر دول الاسلام فى الصدر الأول ، وبلوغها غاية لم تدرك بعدها فى العدل والنظام ؛ لدليل واضح على ما كان عليه الفقه من الانتظام ، وصراحة النصوص ، وصيانة الحقوق ، ونزاهة القائمين بتنفيذ أوامره ، ودليل على ما كان لهذه الدول من التمسك بحبله المتين ، وما دخلت الأمم الكثيرة فى الاسلام أفواجا أفواجا ، واتسعت دائرة الاسلام ، فانتشرت الأمة الاسلامية ، مادة جناحيها من نهر الغانج فى الهند شرقا ، الى افريقية ، ثم الى أواسط أوربا ، فى زمن قليل إلا باحترام الحقوق ، والعمل بقواعد الفقه الاسلامى ، والتسوية بين جميع أجناس البشر الذين كانوا فى حضانة الأمة الاسلامية .

وهذه التواريخ العربية وغيرها لم ينتقد واحد منها نظام العرب الذى كانوا عليه ، بل مدحوه بما لم يمدحوا به سواه ، واقتبسوا منه ، واختارته الأمم على ما كان لها من النظم ، فانصرفت عنها اليه ؛ فالأمة الاسلامية تحيا بالفقه ، لأنه لا رابطة ولا جامعة تجمعها سوى رابطة هذا الفقه وعقائد الاسلام ، ولا تتعصب لأى جنسية لأنه لا جنسية عند المسلمين سوى الاسلام . ويجب على كل أمة إسلامية أرادت سن قانون أو دستور أن تراعى هـذا المبدأ حفظا لهذه الرابطة وللجامعة الاسلامية . إن جامعة اللغة دائرتها ضيقة لأنها لا تشمل سوى الناطقين بالضاد مثلا ، أما جامعة الفقه فدائرتها واسعة جدا لأنها تشمل جميع المسلمين فى العالم بقطع النظر عن جنسياتهم ولغاتهم وألوانهم . لما نهضت أوربا نهضتها المعروفة للرقى العصرى كان أول حجر وضعته فى أساس مدنيتها الزاهرة هو العدل ، وسن القوانين بالتسوية فى الحقوق ، إذ لا يعقل أن ترتقى أمة وحقوقها مهضومة ، وأفرادها مظلومون ، وكل الباحثين المنصفين يعلمون أن بعض قوانين أوربا مقتبس من الفقه الاسلامى : كقانون نابليون الأول ، وغيره من ملوك أوربا ؛ فالفقه الاسلامى أصل التمدين العصرى الحديث ، والفضل كل الفضل فى احترام الحقوق ، وصيانتها ، وتشييد منارها ، للاسلام وللفقه الاسلامى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن معجزات هذا الفقه أنه تم نظامه فى مدة نحو عشر سنين ، فلم ينتقل النبى صلى الله عليه وسلم الى الدار الآخرة حتى تركه تام الأصول ؛ ولم يمض على الأمة الاسلامية قرن ونصف حتى ألفت تآليف مهمة فى فروعه ، وبسط أحكامه ، وتطبيق أصوله على فروعه ؛ وهذا لم يكن للامم قبل الأمة الاسلامية ؛ فهذه أمة الرومان التى يتبجح بعض أهل التاريخ بقوانينها ، ويعدونها أصل التمدين الحديث ، لم ينضج فقهها ، ولا جمع نظامها ، إلا على عهد القيصر « جوستنيان » سنة ٥٦٥ ميلادية أى قبل الهجرة النبوية بسبع وخمسين سنة ، بعد أن مضى ثلاثة عشر قرنا من حياة الرومان ؛ ذلك مايدلك على مكانة الفقه الاسلامى ، وأنه بوحى من عند الله (١) .

ولم يوجد شرع مزج المصالح الدينية بالدنيوية ، وبين قانون الاجتماع البشرى ، والعدالة التامة بوجه يعم جميع المصالح الاجتماعية كالشرع الاسلامى ، ولذلك كان الخليفة الأعظم عندنا معشر المسلمين رئيسا دينيا ودنيويا معا ، فهو جامع وظيفتين عظيمتين ؛ ولذا عرفوا الإمامة العظمى بأنها رياسة عامة فى الدين والدنيا توجب للمتصف بها أن يطاع ؛ أما القوانين الوضعية فلا تعلق لها بأمر العبادة ، ولا بالآداب النفسية ، وآداب المعاملة ، وإنما هى ضبط لمعاملة الأفراد والأمم بتبادل المصالح ؛ وأيضا فالفقه الاسلامى هو بأمر إلهى ، والعمل به طاعة لله سبحانه وتعالى ، والعامل به له أمل الثواب فى الدنيا والآخرة ، وعدم العمل به معصية متوعد عليه بالعقاب الأخروى ، زيادة عما تقرر فيه من العقوبات الدنيوية .

فالفقه الاسلامى أمس بالنظام من بقية الشرائع ، والقوانين التى هى من وضع البشر . وفضلا عن ذلك فهو مؤسس على روح العدل والمساواة واحترام الحقوق العامة والخاصة ، والنظام المهم ، وتقرير الملك لذويه ، واحترام النواميس الطبيعية ؛ وقد اعتبر درء المفاسد ، فقدمه على جلب المصالح ، وسدّ الذرائع ، والمصالح المرسلة ، ولا ضرر ولا ضرار ، وتقديم الأهم على المهم ، وبنيت أحكامه على الاعتدال ، لا إفراط ولا تفريط ، واعتبر العرف والعادة وإن المسائل المبنية عليهما تتبدل بتبدل العصور ، وأن الأحكام تتغير بتغير الأزمان ، وذلك على الوجه الذى شرحناه فى العدد الأول من هذه السنة ، وكما قال عمر بن عبد العزيز . تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور ، وكما قال زياد بن أبيه لأهل البصرة فى خطبته المشهورة قد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فالفقه الاسلامى صالح لكل زمان ومكان ، ولكل أمة ، ولهذا كان لاينسخ ، وكانت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الأمم الى يوم القيامة .

(١) أثبتنا بالدليل النقلى والعقلى فى مقال نشر بهذه المجلة فى المجلد الثامن أن القانون الرومانى اقتبس من الفقه الاسلامى .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

٥ — ربما سأل البعض فقال : إذا كان الفقه الاسلامى كما ذكر فهل يمكن صوغ قوانين منه كالقوانين الوضعية الحديثة ؟ وإنى ادع الجواب على هذا السؤال لثقة من المتثبتين فى الشريعة الاسلامية ، وفى القوانين الحديثة ، وهو الدكتور عبد الرزاق بك السنهورى عميد كلية الحقوق السابق بالجامعة المصرية ، فانه قال مايتضمن : قسم الفقهاء الفقه الى أبواب للعبادات ، وأبواب للمعاملات ، وبذلك فرقوا بين المسائل الدينية ، وبين القانون بمعناه الحديث ، لذلك نقتصر — نحن المشتغلين بالقانون — من الفقه على أبواب المعاملات ، فهذه هى الدائرة القانونية ، ولنسم أبواب الفقه الخاصة بالمعاملات مثلا : « بالقانون الاسلامى » ولندخل ضمن هذا القانون، بجوار هذا الجزء من الفقه ، علم أصول الفقه : وهو يبين لنا مصادر القانون ، وكيفية استنباط الأحكام من هذه المصادر ، ولندخل أيضا فى القانون الاسلامى جزءا من الكلام ، وهو المتعلق بمباحث الامامة ، فان هذا هو أساس القانون العام ولنقسم القانون الاسلامى بهذا التحديد تقسيما حديثاً : الى قانون خاص ؛ والى قانون عام ؛ وأساس تقسيم القانون الحديث هو التفريق بين القانون الخاص والقانون العام ؛ فالقانون الخاص يشمل القواعد التى تضبط علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، فأبواب المعاملات ، والأحوال الشخصية تدخل فى القانون الخاص ؛ والقانون العام : يشمل القواعد التى تسرى على السلطات العامة ، وعلاقة هذه السلطات بالأفراد ، وإذا أردنا أن نحدد فى كل قسم فروعه ، سهل علينا دون كبير مشقة أن نجد فى القانون الاسلامى الخاص : قانونا مدنيا ، وقانون مرافعات ، وأساساً لقانون تجارى ؛ وأن نجد فى القانون الاسلامى العام : قانونا دستوريا ، وقانونا إداريا وقانونا جنائيا ، وأصولا لقانون دولى عام ، ولقانون دولى خاص ؛ والشريعة الاسلامية إذا صادفت من يعنى بأمرها تستطيع أن تجارى القانون الحديث دون تقصير ، بل وتفوق عليه .

٦ — فأما عن وجود القوانين التى ذكرها الدكتور السنهورى فى الشريعة الاسلامية ، فهذا محس ملموس لا ينكره إلا من ينكر الأمور الراهنة ، والموجودات الملموسة ؛ وما مثل الفقه الاسلامى إلا كمثل الذهب يصاغ منه جميع الحلى الثمينة على الشكل الذى يهواه الانسان ؛ فلو صيغت من الشريعة الاسلامية قوانين على نظام القوانين الحديثة لكانت القوانين التى تصاغ من الشريعة أفضل من هذه القوانين الحديثة ، ولرجحت عليها وفاقتها .

وأما عن صوغ القانون الدولى من هذه الشريعة على وجه أخص ، فقد قرر كثير من أقطاب العلماء الباحثين — مسلمين وغير مسلمين — ومنهم ، نيس ، وريفى ، وهولتزندورف أنه يوجد فى الفقه الاسلامى أعمال وأوضاع تتعلق بما يسمى فى هذه الأيام بالقانون الدولى ؛ كما يوجد فيه قواعد السلم وقواعد الحرب ، وجميع القواعد التى تتعلق بدار الاسلام ، ودار الحرب ، ولم يقتصر على الفتح والغنيمة ، بل تجاوز ذلك الى فرض الضرائب ، وجزية

oldbookz@gmail.com مجلات قديمة
https://t.me/megallat

المواد المحرمة فى التجارة ، ونظائر هـذا ، مما لا يختلف إلا اسمه عما يستعمله الناس فى هذه الأيام .

وعلى الجملة : فالفقه الاسلامى من مفاخر الزمان ، ومعجزات الدهور ، وحسبه أنه قرر المؤاخاة العامة ، والمساواة بين أفراد الأمة ، وأعطى الحرية المطلقة لكل إنسان فى حدود الشرع ، وحفه بالحماية حيثما كان هو وأمواله وأهله ؛ وهذا من العوامل التى جعلت الاسلام يمتد امتداده العظيم ناشرا ظله على آسيا وإفريقية وأوربا ؛ فهل نعمل لهذا الفقه ونوجد منه هذه القوانين ليتبين للناس أن الشريعة الاسلامية تفوق القوانين الحديثة إذا صادفت من يعنى بأمرها ؟ . وهل :

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا ؟

٧ — وهناك سؤال طالما ردده البعض فقال : النبى صلى الله عليه وسلم جاء بشرع واحد فمن أين هذه المذاهب الأربعة ، واختلافها يحدث بين الأمة ما لا تحمد عقباه ؛ وهناك فريق آخر يفضل بعض هذه المذاهب على بعض تفضيلا يؤدى الى تنقيص المفضل عليه ، وربما أدى ذلك الى الخصام بين الجهال ، والسفهاء ، وصغار العقول . وهذان الفريقان على غير الحق .

فأما الاختلاف فى الآراء وفى المذاهب فهذا من الغرائز والطبائع البشرية ولا يمكن أن تتفق آراء الناس ومذاهبهم فى كل شىء ؛ ومع ذلك فكل المجتهدين على هدى من الله ، وكلهم على حق ، وهم مأجورون غير مأزورين ، واختلافهم لا يستوجب ذما ولا قدحا ، وإنما يستدعى المدح والثناء ، لأن اختلاف المذاهب توسع فى الشريعة الاسلامية انفردت به عن الشرائع التى جاءت قبلها . فكأن كل مذهب شريعة ، وكأن المذاهب على اختلافها شرائع متعددة ، فجاءت هذه الشريعة كأنها عدة شرائع بعث بها النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك توسعة زائدة لها ، وفخامة عظيمة لقدر النبى صلى الله عليه وسلم وخصوصية له على سائر الانبياء ، إذ لم يبعث كل منهم إلا بحكم واحد فى الأمر الواحد ، وبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى الأمر الواحد بأحكام منوعة حتى لا يضيق الأمر على أهلها بالتزام شىء واحد ، وحتى يثاب كل عامل بمذهب صحيح ، وحتى يحكم بكل حكم منها ، وينفذ ، ويصوب قائله ، ويؤجر عليه ، ويهدى به . على أن اختلافهم لم يقع إلا فى فروع الشريعة دون أن يمس أصولها .

وقد وقع الاختلاف فى الفروع بين الصحابة — وهم خير الأمة — فما خاصم أحد منهم أحدا ، ولا عادى أحد أحدا ، والترجيح فى المذاهب بالنظر الى الأفضل من حيث قوة الدليل ، والقرب من الاحتياط والورع ونحو ذلك فى مسائل معدودة لا من حيث مجموع المذهب ، وأما بالنظر الى التصويب فكل صواب وحق لا شبهة فيه ؛ ومن هذا يظهر خطأ من لا يرى اختلاف المذاهب ، ومن يفضل بعضها على بعض . وأخرج بن سعد ، والبيهقى : أن عمر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ابن عبد العزيز قال : ما سرنى أن أصحاب محمد لم يختلفوا ، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة . وروى الخطيب أن هرون الرشيد قال للامام مالك : يا أبا عبد الله : نكتب هذه الكتب ونفرقها فى آفاق الاسلام لنحمل عليها الأمة ؛ فقال الامام مالك : يا أمير المؤمنين : إن اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الأمة ، كل يتبع ما صح عنده ، وكل على هدى ، وكل يريد الله تعالى . وروى أبو نعيم أن الامام مالكا قال : شاورنى هرون الرشيد فى أن يعلق الموطأ على الكعبة ويحمل الناس على ما فيه ، فقال له مالك : لا تفعل ، فان أصحاب محمد اختلفوا فى الفروع ، وتفرقوا فى البلدان ، وكل مصيب . فقال : وفقك الله يا أبا عبد الله . وروى ابن سعد : إن المنصور قال للامام مالك : إنى عزمت على أن آمر بكتبك فتنسخ ، ثم أبعث بها الى كل مصر من أمصار المسلمين منها بنسخة ، وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره ، فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا ؛ فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ، ودانوا به من اختلاف الناس ، فدع الناس ، وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم . . . فهذا الفقه الاسلامى أثر من آثار تجديد الأئمة الأربعة فى الدين ؛ وهذا تمهيد ومقدمة لدراسة حياتهم التى تأتى بعد إن شاء الله تعالى ؟

عبد الحليم عفيفى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الوجوه مرايا القلوب

قال أرسطو أمير الفلسفة : وجهك مرآة قلبك ، فانه يظهر على الوجوه ما تضمر القلوب .

وقد أولع الشعراء بنظم هذا المعنى فقال بعضهم :

إن العيون لتبدى فى نواظرها ... مافى القلوب من البغضاء والاحن

وقال غيره :

تريك أعينهم مافى صدورهم ... إن الصدور يؤدى سرها النظر

وقال آخر :

عيناك قد دلتا عينى منك على ... أشياء لولاهما ماكنت أدريها
تظل فى نفسك البغضاء كامنة ... والقلب يضمرها والعين تبديها
والعين تعرف من عينى محدثها ... إن كان من حزبها أو من أعاديها

وقال زهير بن أبى سلمى :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قادة الفكر فى تاريخ الاسلام

— ٦ —

على بن أبى طالب

يكتنف التاريخ الاسلامى غموض كثيف فى كثير من نواحيه ، وهذا الغموض قد يشتد أحيانا فيقف بالباحث فى جانب من الحيرة والاضطراب حتى لا يدرى باى مذهب يستمسك ، وعلى أى رأى يعتمد ، وبأية قصة يأخذ ، لتضارب الروايات واختلاف المذاهب فى تكييف الأحداث العظمى التى كان لها أثر عظيم فى توجيه تاريخ الأمة الاسلامية وجهته التى صار اليها .

وقد كان للعصر الأول أوفى حظ من هذا الغموض المعوق للدراسة التاريخية المثمرة ، فاننا إذا استثنينا حياة النبى صلى الله عليه وسلم وسيرته النيرة بعد البعثة ، لا نكاد نعثر على صورة واضحة تمام الوضوح لحادث تاريخى ، ولا تكاد تسلم لنا سيرة رجل من رجالات الاسلام خالية عن شوائب الغلو أو التفريط ، ولعل ذلك راجع فى أغلب أمره الى تلك الفتن القاصمة التى أسرعت الى الأمة الاسلامية وهى فى مهدها لم يشتد ساعدها ففرقتها شيعا وأحزابا والفرقة داء الأمم الوبيل ، وجهدت كل طائفة أن تؤيد مذهبها ، فلم يبال من لا يرجو لله وقارا أكان الصدق فى يده أم كان من الكاذبين ، واختلط الحق بالباطل وراج الزيف بين الناس ، وعميت عليهم الحجة فلم يفصلوا بين رأى يعتمد على العقل والمنطق ، وآخر يتكأ على الهوى ويتسشح بالأباطيل ، وجاء الذين دونوا التاريخ فكان أرفعهم درجة فى الاحسان من يجمع الروايات المختلفة ، ووراءه مذاهب تحدو بها العصبية المذهبية فلا تثبت إلا ما وافق هواها .

ولكننا الآن أمام أنظار ناقدة وعقول فاحصة لا تستطيب من البحث إلا ما كان آخذا بسبيل من التحقيق العلمى ، فلا يتدافع مع رواية صادقة ، ولا يتراجع أمام امتحان الفكر السديد ، وحسب التاريخ الاسلامى حوادثه الصادقة ، فهى مليئة بالعبرة البالغة ، وسيرة رجاله فى غنية عن غلو الأساطير المقتحمة على حياتهم إقحاما أسدل عليها حجابا من الشك الصفيق .

لم يكد رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتفع الى الرفيق الأعلى حتى مشت سعالى الفتنة ، ودب التنازع واضطربت أرشية الألفة والترابط بين الأمة ، وأصبحت عباديد من أجل الخلافة وإذا كان هذا الشقاق لم تتسع له شقة ، ولم يتفاقم له شر ببركة الصديق الأكبر ، وشدة إخلاص الأنصار لله ولرسوله ، وحزم الفاروق ، وحداثة العهد بالوحى وجلال النبوة ، فانه كان بلا ريب النواة الأولى لما جاس خلال الحياة الاسلامية من حزبية وتشيع تعددت مذاهبه وتكاثرت نحله بعد أن تضاءلت فى النفوس أسباب الألفة ، واندفعت الى الاسلام أحداث

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ممن نـكأ لهم الاسلام جرح عنجهية أسلافهم ، فانطووا له على مستكنة من الضغينة ، وتربصوا به الدوائر ، حتى افترصوا أول نهزة سنحت ، فأوضعوا خلال صفوف الايمان يبغونها الفتنة ، وتلاقت أغراضهم مع أغراض طوائف أخرى من طغام اليهود وأعلاج الفـرس ، وكادوا للاسلام كيدا عن طريق الرأى ، لأنهم كانوا أعجز من أن يشهروا فى وجهه السيف ، لأن عهد الفاروق جعل من المسلمين قـوة لا تضارع ، فلم يبق أمام المؤتمرين على الحق إلا تفريق هذه القوى عن طريق التظاهر بالغـيرة المصطنعة الـكاذبة على آل بيت النبى صـلى الله عليه وسلم والتشيع لهم ؛ وكان طبيعيا أن تقف فى وجههم جماعة أخرى ترد عليهم وتدحض آراءهم ، وثالثة تضلل الطائفتين ، ورابعة تقف فى سفح الأكمة فـلا هى شرقية ولا غربية ، وتحتج لهـذا التوقف وتبرره ، وخامسة وسادسة وهلم جرا ، مما اكتظت به أسفار التاريخ وأخطأه الاحصاء.

وهكذا أصبحت الأمة التى جعل الله خصيصتها من بين الأمم الوحدة الايمانية ، والأخوة الاسلامية فى هـذه الصورة الملفقة من الآراء المزيفة والمذاهب المزورة بالـكذب العلمى والأباطيل المختلقة ، فإن كثيرا من هـذه الطوائف لم تبال فى سبيل تأييد نحلتها أن تكذب على الله ورسوله ، فتحرف من آيات الله بباطل التأويل ما شاء لها هواها ، وتقوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ، وتعزو الى أئمة الهدى من الصحابة وآل البيت ما لا يتفق مع ما ضمّـن الله قلوبهم من التقوى والارشاد .

ولو لا أن الله تعالى وعد بحفظ هذا الدين القويم فجعل من الأمة طائفة لا تزال على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، تحقيقا لقوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنـهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » ، لو لا ذلك لـكانت هـذه العواصف القاصفة قـد طوحت بتراث الاسلام وقوضت معالمه ، ولـكن الله تعالى أبرّ بدينه وأمة نبيه صلوات الله عليه فلم يتركها لجوائح الفتن تعصف بها بل جعل لها منها من يدفع عنها غوائل الجموح الفـكرى ، وينفى عن دينها كذب الـكاذبين وانتحال المبطلين وغلو الغالين حتى استقامت فئاتها على الحق من غير إفراط ولا تفريط .

وقد كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه هدف هـذه الطوائف والشيع ، له أو عليه ، فشيعة غالية ، غلت فيه حتى كفرت به وأبت عليه أن يكون إنسانا ، وقالت فيه بقول النصارى فى عيسى بن مريم ، وشيعة غلت فى إنسانيته وجادت بأضاحيك أشبه بأسمار العجائز وأحاديث المعرورين . فالرعد عندها صوته ، والبرق ابتسامته ؟ وشيعة اعتدلت فى كثير من أمرها ولـكنها تعصبت فى مسائل فأخطأها التوفيق ، وفيما بين هؤلاء وهؤلاء طوائف حسبما وضعت كل طائفة لنفسها من قواعـد وأصول ، ووراء ذلك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ناقمة ساخطة ، فعثمانية ناصبة ، وخارجية مارقة ، وواقفية حائرة ، وجماعية آسفة تحاول التوفيق فيخذلها التعصب المذهبي البليد .

ومما يحز فى قلب المسلم الصادق الإيمان ما نشهده فى حاضرا لمسلمين من آثار هذه الخلافات الطائفية التى باعدت بين أمم الاسلام فى حياتها الدينية والسياسية والاجتماعية حتى تقسمها ذؤبان الاستعباد ، وأصبح المسلمون فى كثرتهم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « غثاء كغثاء السيل » وهم اليوم أحوج ما يكونون الى وحدة الايمان وأخوة الاسلام ، طارحين وراء ظهورهم كل ما يباعد بين قلوبهم ، عاملين على ما يجمع حول راية القرآن الكريم أفئدتهم ، وليس ذلك بعسير على قادة المسلمين ومفكريهم إذا أخلصوا لله ولرسوله نياتهم ، لأننا لا نعلم من مسائل الدين الأصولية مسألة تقف دون تفاهم طوائف المسلمين ، وأكثر الخلافات يرجع الى دواع قديمة اجتماعية وسياسية ذهب بها التاريخ ، وهى الآن نظريات لا يقيم لها الواقع وزنا ، ولقد خطا الأزهر معهد الاسلام الأعظم خطوة جليلة فى سبيل التقارب بين عواطف المسلمين ، فهل يستمع إخواننا المسلمون فى أرجاء الأرض الى هذه الدعوة المباركة ويسائلون أنفسهم فيم يدابر الشيعى أخاه السنى ؟ وفيم الآن يختلف الأباضى مع الشيعى والسنى ؟ إنهم إن فكروا تفاهموا ، وإن تفاهموا تجمعوا ، وإن تجمعوا توحدوا ، وعلى هذه الوحدة قام مجد الاسلام .

هذه كلمة انساق اليها القلم تمهيدا لما أردت أن أكتبه فى أحاديث قادة الفكر عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوان الله عليه باعتباره من أعظم قادة الفكر فى تاريخ الاسلام فلقد كان من حق البحث أن أقرأ قبل أن أكتب ، وماذا أقرأ وأنا بصدد الحديث عن شخصية إذا شئت كانت من أوضح الشخصيات الاسلامية ، وإذا شاء تاريخ الفرق كانت من أغمضها ؟ فلا بد إذاً من تعرف شىء مما يقوله الكاتبون فى سيرته كرم الله وجهه ، وما أكثر من كتب فى سيرته ، وما أشد اختلاف ما كتب ، ولقد قرأت عجبا ، وعذرت الشادين من شباب المسلمين إذا شبوا على هذا التباعد الفكرى ، فذلك غذاء أفكارهم ، وعذلت القادة لأنهم تركوا — مختارين أو غير مختارين — سيرة عظمائهم نهب الروايات الواهية المضللة فى كتب مطبوعة مقروءة تتحدث عن شخصية واحدة ، ولكنها تختلف فى تصويرها أشد الاختلاف حتى كأنها شخصيات متناكرة ، فرأيتنى إزاء ذلك كله مضطرا الى أن أتنكب سبيل الخوض فى معمعان هذه الاختلافات محاولا رسم صورة مجملة لشخصية أمير المؤمنين كرم الله وجهه تتمثل فيها بعض جوانب عبقريته الفكرية على سنتنا فيما كتبنا عن فاروق الاسلام .

كان أبو طالب رجلا نبيلا فى قومه ، وورث مكانة أبيه عبد المطلب فى شرفه وسيادته على قريش أرجح القبائل فى ميزان الشرف العربى ، وهو صنو عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آثره أبوه بكفالة ابن أخيه وأوصاه بحفظه وحياطته ، فضمه اليه بعد وفاة جده

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقام بما عهد اليه فى شانه أحسن القيام وأفضله ، روى محمد بن سعد فى الطبقات « لما توفى عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يكون معه ، وصب به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها قط » وفى رعاية هذا الحب الأبوى شب النبى صلوات الله عليه بين أبناء عمه ، وهو يرى مايلاقيه عمه فى سبيل تربية أبنائه وإعاشتهم ، وكان عمه من أكثر قريش ولدا وأقلهم مالا ، وفى نحو الثلاثين من عمر النبى صلى الله عليه وسلم ولد لأبى طالب على فتلقته الحياة العربيـة بشظفها حتى شارف العام السادس ، وكانت قد نزلت بقريش أزمة وقحط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعميه حمزة والعباس : ألا نحمل ثقل أبى طالب فى هـذا المحل ؟ فجاءوا اليه وسألوه أن يدفع اليهم ولده ليكفوه أمرهم ، فقال : دعوا لى عقيلا وخذوا من شئتم ، وكان شديد الحب لعقيل ، فأخذ العباس طالبا ، وأخذ حمزة جعفرا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ، وقال : قد اخترت من اختاره الله لى عليكم عليا .

ومن هنا تبدأ حياة فتى قريش وبطل العرب فى اتجاه جديد ، يختلف كل الاختلاف عن حياة أمثاله من صبيان العرب وأنداده من فتيانهم ، فانه انتقل من بيت كان للوثنية فيه صوت دوى ، وأثر قوى ، الى بيت أقام الله صرحه على دعائم التوحيد ، وشاد دعائمه من الاخلاص واليقين ، والصبيان أشد الناس حساسية ، وأطبعهم على التقليد والمحاكاة ، وإذا كان على كرم الله وجهه قد ارتضع الشجاعة وكرم النحيزة ، ومخايل النبل عن أبيه سيد قريش فى سنيه الأولى ، فانه درج أيام شبابه وفتوته فى مدارج الوحى ومهبط التشريع حيث أتاح الله له أفاويق النبوة ينهل منها ما شاء له استعداده وفطرته من خير وبر ، وإيمان ويقـين ، وعلم وحـكمة ، فى ظل أصفى الخليقة سريرة ، وأنقاهم علانية ، يلقى من رعايته وحبه وعطفه مالم يلقه وليد فى كنف أعطف والد ، حتى كان موضع سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولجأ أمره ، وعيبة علمه ، وهو يصف ذلك فيقول : « يضمنى الى صدره ، ويكنفنى الى فراشه ويمسنى جسده ، ويشمنى عرقه ، وكان يمضغ الشىء ثم يلقمنيه » .

نهد على كرم الله وجهه مسلما ، وترعرع على الإيمان ، وشب طاهر العقيدة ، لم يعبد من دون الله شـيئا منذ نيطت عليه التمائم ، ولم يتفتح عقله وإحساسه للحياة إلا ونور النبوة قد أخـذ بمشاعره وهداية الوحى ملأت قلبه ، وجلال الاسلام أيقظ روحه ، وتعاليم الشريعة وآدابها كانت نبراسا له يضىء حوالك الظلمات أمامه ، وتفتح أبواب الحـكمة لعقله ؛ روى أنه دخل على النبى صـلى الله عليه وسـلم بعيد البعثة فوجده هو والسيدة خديجة أم المؤمنين يصليان ، فقال : ما هذا يامحمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا دين الله الذى بعث به رسله فأدعوك الى الله ، وأن تكفر باللات والعزى . فقال على رضى الله عنه : هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم ، فلست بقاض أمرا حتى أحدث أبا طالب . فقال النبى صلى الله عليه وسلم

oldbookz@gmail.com
جرايم ومجلات قديمة
https://t.me/megallat

إن لم تسلم فاكتم ، خشية أن يفشى أمره قبل أن يستعلنه ، فمكث على ليلته يفكر فى شأنه وشأن هذا الدين الجديد الذى جاء به ابن عمه الصادق الأمين ، ولكن هداية الله كانت ترعاه ، فلم يكد يسفر عليه الصبح حتى أسرع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معلنا إيمانه بدعوته وقبوله لرسالته .

ناهز على العاشرة من عمره يوم شرف الله عز وجل محمدا بالبعثة الى الناس كافة فقابله قومه وعشيرته أعنت مقابلة ، ولا سيما بعد أن أعلن صلى الله عليه دعوته ، وعلى رضوان الله عليه يشهد هذا النضال الذى سبق فيه اللسان السنان ، فصقل الله بذلك رجولته ، ونشأه على بطولة الاسلام ، فكان واحدها غير مدافع ، وفارسها غير منازع ، حتى فتح الله لنبيه صلى الله عليه وسلم باب الهجرة الى المدينة ، فخرج متخفيا وأمر أخاه وابن عمه فتى قريش أن يبيت على مضجعه تلك الليلة ، فبات فيه وتغشى بردا حضرميا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فيه ، واجتمع فتيان قريش بالباب يرصدون عليا وهم يظنونه محمدا

روح الوفاء والبطولة ملأت قلب فتى الفتيان على فأنامته على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخطر المواقف وأحرج الأوقات فداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد عهد إليه النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤدى عنه ودائعه ووصاياه ثم يلحق به الى المدينة حيث يبدأ الاسلام حياته الجديدة ؟

صادق ابراهيم عرجون

أسباب السؤدد

قال حكيم : أسباب السؤدد سبعة : العقل والحلم والصيانة والصدق والعلم والسخاء وأداء الأمانة ، وأضاف غيره اليها الصبر والتواضع والعفاف فتكون عشرة .

وقال رجل للأحنف بن قيس وكان سيد بنى حنيفة وهو الذى قيل فيه : إذا غضب الأحنف غضب له مائة ألف سيف لايسألونه فيم غضب . قال له رجل يوما : بم سودك قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ، ولا بأصبحهم وجها ، ولا بأحسنهم خلقا ؟ قال : بخلاف ما فيك يا ابن أخى . قال الرجل وما ذاك ؟ قال الأحنف : بتركى من أمرك ما لا يعنينى ، كما عناك من أمرى ما لا يعنيك .

وقال عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى لبنيه يوما : كلكم يترشح لهذا الأمر ولن يصلح له إلا من كان له سيف مسلول ، ومال مبذول ، ولسان معسول ، وعدل تطمئن اليه القلوب ، وأمن تستقر به فى مضاجعها الجنوب .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام كما يراه الاوربيون

— ٥ —

أسلفنا فى الفصول السابقة من هذه البحوث آراء بعض علماء أوربا المحدثين فى الاسلام وبنيه وكتابه ، وأشرنا الى ما لاحظناه فى مؤلفاتهم من مآخذ وهفوات ، وأبنا أنها ضئيلة الى جانب ما أثبتوه فى تلك المؤلفات للاسلام من فضائل وخيرات ، وقررنا أن السبب فى هذه الهفوات هو الجهل ببعض أسرار الاسلام ، أو النشوء بين أحضان دين آخر .

أما اليوم فإننا سنحاول الكتابة عن نوع آخر من العلماء الغربيين الذين تناولوا الاسلام ، وهم العلماء الذين لا تعتبر أخطاؤهم فيما كتبوه هفوات كهفوات الذين أسلفنا الحديث عنهم ، وإنما تعتبر سقطات ضخمة ليس من السهل أن نتسامح فيها أو أن يمر بها التاريخ مغضيا .

وأول هؤلاء العلماء الذين وقع اختيارنا عليهم لنحاسبهم هنا على ما فرطوا فى جنب الحقيقة حسابا عسيرا ، سداه المنطق ، ولحمته النزاهة والهدوء هو الأستاذ : « بول كازانوفا » الذى كان حين ألف رسالته التى نحن بصددها أستاذا للغة العربية وآدابها فى « الكليج دى فرانس » ثم انتدب بعد ذلك للتدريس فى الجامعة المصرية .

عنوان هذه الرسالة : « محمد ونهاية العالم » وغاية مؤلفها منها — فيما يظهر — هى محاولة إثبات أن القرآن قد أضيف إليه بعد وفاة النبى ما دعت إليه الحاجة فى نظرى أبى بكر وعمر مثل الآيات التى صرحت بأن الساعة من الأمور التى استأثر الله بعلمها بعد أن لم يتحقق ما أخبر به النبى من أنها ستقوم عند ما تنتهى مهمته ، وقد يكون ذلك فى حياته أو على أثر موته مباشرة .

عرض هذا الأستاذ لتلك المسألة ، فبحثها البحث الذى هيأته له بيئته ودراسته ، وانتهى منها الى النتيجة التى شاءها له منطقه ، والتى سنقفك عليها وعلى مناقشتها بعد قليل .

أما السبب الذى حدانا الى مناقشة هذا البحث الآن فهو أنه يعتبر أول بحث من نوعه تعرض لصحة القرآن أو تبديله وإضافة شىء إليه ، وأنه لهذا كان حدثا خطيرا أثار ثائرة كثير من العلماء الباحثين فحمل فريقا منهم على متابعته ، ودفع فريقا آخر الى مهاجمته ، وسوف يبقى مثار جدل عنيف ما لم تقم الأدلة على بطلانه . ولا ريب أن هذه الأدلة إذا لم يسطع نورها من حصون الاسلام فعليها العفاء ، لأنه من غير الممكن أن يتيسر للمستشرقين الذين يخالفون « كازانوفا » فى هذا الرأى الخاطئ مثل ما يتيسر للمسلمين المثقفين من البراهين على بطلانه

oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

لهذه الأهمية العظيمة التي يمثلها هذا البحث ، رأيت من الواجب على أن أغامر فى مناقشته ، فإن لم أتمكن من صد تياره ، فإنى على الأقل أساهم فى نقاش بحث كتبه عالم شهير عن الاسلام ، وأثيرت حوله زوبعة من الجدل ولا تزال تثار وستظل ما شاء الله لها أن تظل ولن تخمد إلا بالأدلة القاطعة التى تقام على بطلانها من جانب باحثى المسلمين . وقد عبرت هنا بكلمة : أغامر ، لأنى أعلم أن بعض القراء سيسخطون على هذا البحث ويقولون : مالنا ولاثارة مثل هذه المناقشات ؟ أفما كان يجمل بنا أن نكتب فيما هو أنفع من ذلك وأن نترك أمثال هذا البحث تجنبا لإيقاظ الفتن ، وبعداً عن تجرىء الناس على قداسة الاسلام ؟ ولكنى أجيب هؤلاء مقدما بأننا لو سمعنا نصائحهم لكان مثلنا كمثل النعامة التى تخفى وجهها ظانة أن الصياد لا يراها ما دامت لا تراه ، فتكون النتيجة أن نذهب ضحية هذا الحمق . وإذاً ، فيجب علينا أن لا نجبن أمام هذه المثالب التى وجهها خصوم الاسلام إليه ، وأن لا نتزوى فى أركان الخمول ، راجين أن نعود الى الظهور بعد مرور العاصفة ، فتكون النتيجة أن تجتاحنا وتهدم علينا الأسوار التى إنزوينا فى أركانها ولم ندفع عنها غوائل العدوان .

على أنى أعود الى أولئك الذين عساهم يعترضون علىّ فأرميهم علنا بالتجافى عن روح الاسلام ونص القرءان الذى يقول : « تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » . ويقول : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » ، والذى قدم لنا أرفع المثل للجدل المنطقى المؤسس على الحجة القاطعة ، وليس هذا فحسب ، بل إن حياة النبى العملية كانت كلها نموذجا من نماذج الشجاعة والجهاد والاقدام والنضح عن العقيدة ولم يؤثر عنه مرة واحدة فى حياته أنه قال : « طأطىء رأسك للعاصفة تمر » بل أثر عنه أنه قال : « لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى لا أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

وبناء على كل ما تقدم يجب علينا أن نواجه هذه الفكرة بكل ما أوتينا من قوة ومعرفة .

غير أننا آثرنا قبل أن نبسط هذا البحث أن نترجم لك شيئا من العبارات التى صدر بها هذا الأستاذ رسالته والتى تحمل كثيرا من معانى الاجلال لنبى المسلمين ، لنسجلها على كاتبها قبل أن نخوض فى أخطائه العلمية ومناقشتها . وهاك هذه العبارات : قال : « قبل الدخول الى أعماق المسألة أحرص على أن أعلن أننى أطرح بادىء ذى بدء كل نظرية تميل الى الارتياب فى إخلاص محمد ... إن كل تاريخ هذا النبى يبرهن على أن خلقه واقعى جدى محمود ... ينبغى الوفاق على أن النبى كان رجلا ذا ذكاء عظيم فان الكيفية التى استطاع بها أن يحرز الغنى والاعتبار بعد أن كان معدما يتيما ، مقدرا له منذ الطفولة أن يقذف به بين أحضان المتربة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والبأساء (١) وإن نضوج عقله وحكمته اللذين برهن عليهما عند ظهور أول أوحائه ، وإن الفن الذى عرف كيف يجمع به قبائل العرب رغم انقساماتهم التى دامت عدة قرون وكيف يميز به ما ينبغى أن يبقى من دساتيرهم ، وما ينبغى أن يلغى منها ، وإن إبداع أسلوبه الذى لا نظير له ، بل الذى لم يستطع أى عربى أن يدرك ما اشتمل عليه من أفكار ، كل ذلك يدل على أنه كان لديه فكرة واضحة عن الحقيقة . وأن الحلم والخيال لم يكونا ميزتى عبقريته ، ولكن ميزتى هذه العبقرية كانتا الذوق وموهبة حسن الاتجاه فى الفهم والعمل .

« أية فائدة كانت تعود عليه فى مبدأ مهمته من أن يقدم الخيالات المحضة الى الناس فى صورة حقائق وإلهيات ؟ هل يمكن أن يفترض أن الطمع فى أن يحكم مكة والجنس العربى والعالم أجمع قد استولى عليه فى ذلك العصر المتأخر (٢) من حياته ، وأنه لكى يحقق هذا المشروع الهائل فكر فى أن يكون رئيسا دينيا ، وبهذه الطريقة يصبح قويا كل القوة ؟ ولكن هذا لا يمكن أن يتفق مع ميله العادى الى العزلة ومع تلك الظاهرة الغير القابلة للاعتراض ، وهى أنه ظل الى عهد البدء بمهمته بعيدا عن الحياة السياسية ولا مع تلك العقلية العربيـة الساخرة المرتابة الأجنبية — ولو فى ذلك العصر على الأقل — عن النظر التنسكى . فلو كان الطمع هو وحده الذى دفعه لوجد فى نفسه من سداد الرأى ما يحمله على أن يسلك طريقا آخر أقرب وأكثر مباشرة للحصول على التأثير الذى كان مولده وثروته (٣) قد صيراه جد مشروع ، بل كيف كان يتشدد كل ذلك الزمن فى أن يفرض على المكيين تلك المعتقدات التى كانت تظهر لهم مضحكة ، والتى — مع بعدها عن أن تحقق له السلطان — كانت تتضافر على نزع اعتباره من نفوسهم ؟ . إنه لم يقتنع بأنه يجب عليه أن يبحث عن أعوان خارج مكة وضدها إلا فى الوقت المتأخر ، وبعد أن يئس من أسباب انتصاره . إن طريقته فى العمل هى طريقة رجل ملهم مقتنع بأن جميع الناس مثله سيعترفون بالهية أصول الكلام الذى سمعه والذى هو يردده بكل بساطة وبدون أن يسأل نفسه لحظة واحدة هل لو وفق بين كلامه وبين عقلية معاصريه يمكن أن يكون حظه فى إقناعهم أعظم من حظه الحاضر ؟ . غير أنه حين أصبح فى المدينة على رأس جيش هجر الاقتصار على الحماس الأول ، إذ من الواضح أنه لو ظل منحصرا فى ذلك التحمس البحت بكل بساطة لسارع حزبه الى الانحلال ، ولما رأى ألبتة انتصار مذهبه ، فبعد أن كان

---

(١) خلط المستشرقون بين الفقر ونبل المولد لدى النبى صلى الله عليه وسلم فارتاب بعض جهلائهم بتاريخ أسرة عبد المطلب الماجدة فى رفعة عنصر النبى وتبعهم الدكتور طه حسين فى هذه الفكرة السخيفة فى كتابه « الادب الجاهلى » وسنناقش هذا الرأى اليوم بعد انتهائنا من ترجمة هذا النص (٢) يقصد بكلمة العصر المتأخر الوقت الذى بدأ فيه النبى بالصدع برسالته ، وهو زمن بلوغه سن الاربعين . (٣) يقصد الثروة التى أحرزها النبى من تجارته أولا ، ومن زواجه بالسيدة خديجة ثانيا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نبيا على نهج أسلافه من الاسرائيليين ، صار رئيسا دينيا وعسكريا . وإذ ذاك بسط مزاياه الرئيسية كقائد ومنظم .

« كان محمد يرى الغاية ويتبعها بفطرته كسياسي مستنير ، وبالهامه كنبي مخلص (١) » .

الآن وبعد أن انتهينا من هذا النص الذي أثنى فيه المؤلف على النبي صلى الله عليه وسلم وسجل فيه عبقريته وإخلاصه ومقدرته السياسية وقبل أن نبدأ في عرض آراء هذا الأستاذ الخاطئة ومناقشتها كما وعدنا القارىء يجب علينا أن نقف هنيهة عند مناقشة الفكرة التي أشرنا اليها في الهامش رقم ١ — من هـذا المقال ، وهي : « كيف يمكن التوفيق بين البؤس المادي الذي نشأ فيه النبي وبين القول برفعة أسرته ؟ » .

لم يستطع المستشرقون أن يحلوا هـذه المشكلة ، فتخبطوا فيها تخبط العشواء ، فذهب « كازانوفا » الى أن القول برفعة مولد النبي هو في الأغلب خرافة ، ولو كان حقا لهيأ له مولده مركزا عظيما قبـل أن يغتني ، ولـكن المأثور من سننه لم يحدثنا عن شيء من ذلك . وقد اعتنق «كاتياني الايتالي» في كتابه : «تاريخ الاسلام (٢)» وكذلك «جويج» و « فوليرس » هذه الفكرة الخاطئة وأيدوها في مؤلفاتهم بأدلة هي نسيج من الفروض والأوهام .

غير أن أسخف أفكار هؤلاء الأساتذة جميعا هي فكرة « الأب لا مانس » التي تزعم أن محمدا هو طفل فقـير مجهول المولد تبنته أسرة عبد المطلب . ومن العجيب أن هـذا الأستاذ المضحك قد اتخـذ دليلا على هـذه الفكرة التي هي عار على صاحبها وحـده قول القرءان : « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى » .

كنا نحب أن نسهب في إظهار سخف هذا الرأي وضآلته في ميزان العلم بسبب ما احتوى عليه من مخالفة أوليات المنطق ، بل أوليات التعقل الساذج ، ولـكننا فضلنا الايجاز ، لأنه غير جدير بالاسهاب ، إذ لو كان صحيحا لفضل العرب المتكبرون المتعجرفون أن ينمحوا الى آخر طفل من أولادهم على أن يحنوا رؤوسهم لرجل شريد مجهول المولد ، ولما أجاب زعماؤهم كسرى حين سألهم عن نسبه بانه خيرهم حسبا ونسبا ، ولما ارتضى زعماء القبائل تحـكيمه بينهم حين اختلفوا على وضع الحجر الأسود ، ولما بايعه أبو طالب الجبار على مناصرته رغم أنه لم يعتنق دينه . ولما تردد زعماء مـكة في الاقدام على قتله حين ضايقهم بالدعوة الى الاسلام كما فعلوا رهبة من أسرته ، ولما شج حمزة رأس أبي جهل حين جرؤ على شتمه ، ولمنعت العنجهية المغالية أسر : خديجة ، وأبي بكر وعمر وعثمان من مصاهرته ، ولرأينا أفانين الهجاء وضروب السب والاقذاع تتجه الى مولده وأسرته كما كانت العادة المألوفة عند العرب ، ولما استطاع أن يجابه

(١) انظر صفحة ٦ وما بعدها من كتاب « محمد ونهاية العالم » لـكازانوفا . (٢) هـو كتاب ضخم في تسعة مجلدات .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عظماء العرب بذكر أجداده فى بيئة كان نصف موهبتها ينحصر فى حفظ الأنساب . وأخيرا لو كان كذلك لما رأينا له أخوالا من أسرة بنى النجار بالمدينة ، وهى فرع من قبيلة قريش المتكبرة التى يستحيل عليها أن تزوج ابنتها آمنة من رجل وضيع ! ! .

هـذا ، ولا نريد أن نستمر فى سرد الأدلة الناصعة على بطلان ذلك الرأى ، لأنه لا يبعد على هذا القسيس أن يزعم أن كل هذه منتحلات وضعها المسلمون ، ليموهوا بها على العقول كما تعود كثير من المستشرقـين أن يتهموهم إلا أننا نحب أن نذكر لك هنا على سبيل الاستئناس رأى الأستاذ « كارادى فو » فى هذه الفـكرة السخيفة . قال :

« إن الأب لامانس الذى يلتقط بكل سرور جميع الاشارات البسيطة التى من شأنها أن تحط من مقادير عظماء رجال الاسلام الأولين قد ظن أنه يستطيع أن يرتاب فى منشأ محمد ، فأخذ الآيات المذكورة فى السورة الثالثة والتسعين من القرآن : ألم يجدك يتيما الى آخره على ظاهرها ، فاتخـذ من محمد طفلا يتيما نشأ من مولد مظلم تبنته أسرة عبد المطلب ، ثم استغله بنو هاشم فيما بعد كسلعة للاتجار .. ونحن يظهر لنا أ كثر بساطة أن نرى فى هـذه السورة دعوة الى الاتعاظ ... فـكأنها تقول : كل نفس بطبيعتها فقيرة شبيهة بيتيم آواه الإله ثم أغناه(١) .

لا يفوتنا قبل مغادرة هذا المجال أن نشير هنا الى أن الدكتور طه حسين قد سرق هذا الرأى من المستشرقين فاتهم المسلمين بأنهم رتبوا شرف مولد النبى كما شاءت لهم أهواؤهم حين رأوا مصلحة الاسـلام فى القول بنبل مولده فقال : فى كتاب « فى الأدب الجاهلى » ما نصه : « فلأمر ما اقتنع الناس بأن النبى يجب أن يـكون صفوة بنى هاشم ، وأن يكون بنو هاشم صفوة بنى عبد مناف ، وأن يكون بنو عبد مناف صفوة بنى قصى ، وأن يكون قصى صفوة قريش ، وقريش صفوة مضر ، ومضر صفوة عدنان ، وعدنان صفوة العرب » .

وأنت ترى من هـذه العبارات أن كاتبها يريد أن يقول : إن المسلمين قد اقتنعوا بأن أسرة نبيهم يجب أن تـكون فوق الأسر ، وهى لم تـكن فى الحقيقة كذلك فرفعوها .

وبما أنه رأى مسروق — فضلا عن أنه سخيف — فقد آثرنا أن يكون نقاشنا مع أحد أصحابه الحقيقيين . وقد أسلفنا ردنا على « لامانس » فى شىء من الايجاز الجدير به ، لتجافيه عن روح المنطق .

هذا ، وسنعرض فى الفصل الآتى آراء « كازانوفا » فى فكرة تبديل القرءان ، وسنناقشه فيها الحساب !

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

(١) أنظر صفحتى ١٢٩ و ١٣٠ من الجزء الثالث من كتاب « مفكرو الاسلام » للاستاذ « كارادى فو »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التشريع الاسلامى

وجريانه على الاعتدال فى التكليف

كل من يلقى نظرة فاحصة على الشريعة الاسلامية ، وعلى تعاليمها الراقية الحكيمة ، ويوازن بينها وبين ما تقدمها من شرائع ، ويقيس ما جاء فيها من تكاليف بما جاء فى غيرها — يجد أنها قد جرت فى تشريعها على وضع حكيم ، وسنن مستقيم من الطريق الوسط الأعدل الواقع تحت كسب العبد واستطاعته ، والداخل فى دائرة طاقته وقدرته ، فلا مشقة توقعه فى الحرج ، ولا إرهاق يجاب إليه العنت ، ولا تهاون يخليه من المسئولية ، ولا إباحة تلقى له الحبل على الغارب .

وذلك لأنها شريعة قامت على السداد والحكمة ، فجمعت بين السهولة فى التكاليف ، والرفق فى التشريع ، والاعتدال فى الأحكام ، وبين الحزم فى كل ما يجب أن يؤخذ به الانسان من أوامر ونواه ، ومثوبة وعقوبة ، وزواجر وحدود ، فلا أثر فيها مطلقا للافراط أو التفريط فى أى اتجاه من الاتجاهات التى لا تتفق وما وصلت إليه الانسانية من درجة الانتقال والتطور عند ما اقتضت حكمة الله تعالى أن يتعبد الناس بالشرع الاسلامى .

فهى إذاً — كما يقول الأصوليون — شريعة جارية على موازنة دقيقة تقتضى فى جميع المكلفين غاية الاعتدال ، فاذا وجد فى المكلف شىء من الانحراف ، أو مظنة الانحراف عن الطريق الوسط الى أحد الطرفين ، جاء التشريع مانعا وراداً له عن ذلك الى الوسط الأعدل على وجه يحصل به الاعتدال ، وينتفى معه الميل .

ويظهر ذلك واضحا إذا نظرنا الى خطابات القرآن الكريم للناس حين بدء التكليف ، فانه عرفهم فى كثير من آياته بالنعم التى أنعمها الله عليهم ، وبالطيبات التى أحلها لهم ، وبالمصالح التى أوجدها من أجلهم ، وبالمنافع والمرافق التى تتوقف عليها حياتهم ، ويقوم بها عيشهم ، ووعدهم بالنعيم المقيم إن أطاعوا وآمنوا ، وبالعذاب الأليم إن ظلوا على كفرهم ، وسدروا فى غوايتهم فلما لم يزحزحهم ذلك عن موقفهم ، ولم يكفكف من حدتهم ، ولم يلين من جوانبهم ، وقابلوا الإرشاد بالعناد ، والاحسان بالكفران ، واليقين بالشك ، سلك معهم القرآن سبيل نصب الأدلة ، وإقامة الحجج والبراهين ، فلما لم يرعووا بشىء من هذا ، وانصرفوا عنه ، ومالوا الى التعلق بالدنيا والاستماتة فيها ، والتهالك عليها ، لم يتركهم القرءان وشأنهم ، ولم يضن عليهم ببيان حقيقة الدنيا ، ومدى ما فيها من متاع ، ومقدار ما لها من دوام وبقاء ، بل أخذ يهيب بهم الى الرشد ، ويرجعهم الى الاعتدال ، ويصرفهم عن الميل والانحراف ، ويضرب لهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأمثال المبينة لحقيقة الدنيا ، والمنبئة بزوالها وفنائها ، فقال تعالى : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرا » وقال : « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ، وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » وقال : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .



هذا هو موقف القرءان الكريم من الناس في مخاطباته إياهم أول الدعوة الى الايمان ، وعند بدء التكليف ، وهو موقف ينطوي على منتهى العناية بمصالح العباد ، ويدل على غاية الانصاف في معاملتهم ، وأخذهم بما فيه كل الرفق بهم ، والتسامح معهم ، والتيسير لهم ، والتفادي بهم عن مزالق الحرج ، وأعباء المشقة ، حتى لا ينقطعوا عن العمل أثناء الطريق ، ويبغضوا العبادة ، ويعيوا بالتكاليف ، وحتى لا يقعوا في شيء من التقصير بتزاحم الأعمال ، وتكاثر المطالب ، فجاءت تعاليمه سمحة سهلة حافظة على الخلق حبهم لها ، ورغبتهم فيها ، قال تعالى : « واعلمو أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ، ولكن الله حبب إليكم الايمان ، وزينه في قلوبكم ، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم » .

وفي الحق إن هذا الموقف ليس بغريب على دين قصد فيه مباشرة الى مصالح العباد في العاجل والآجل معا ، ولا على تشريع هو من وضع الله الخالق لكل شيء ، المحيط بجميع الشئون ، العالم بأن الناس — مهما كانت قوتهم ، وكان استعدادهم — يضعفون أمام التكاليف ، وينوءون بحملها ، قال تعالى : « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » وقال : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ويتم نعمته عليكم » وقال : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .



كما كان موقف الشريعة الاسلامية من الناس في بدء التكليف معنيا بدعوتهم الى التوسط والاعتدال ، كذلك كان موقفها منهم بعد إيمانهم ودخولهم في الدين ، فلقد حرصت على أخذهم بهما في كل شيء حرصا شديدا ، ونبهتهم إليهما في كثير من نصوصها ، واهتمت في مواردها بتجنب الانحراف ، والبعد عن الميل والتحرز من أن يختل ميزان الاع

oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فى أفعال العبد ، فيقع فيما قد يجره الى الشدة والعنت ، أو فيما قد يستهويه الى الاندفاع فى تيار الاهمال والتهاون .

ومن الأمثلة الواضحة فى هذا الصدد أنه لما ورد على لسان القرآن الكريم ذم الدنيا ، وتحقير متاعها ، وتسفيه الراغبين فيها ، وتحميق المتطلعين الى زهراتها ، همّ جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتبتلوا ويتركوا النساء وينصرفوا عن اللذة والدنيا ، وينقطعوا الى عبادة الله ، فلم يكن من الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلا أن رد عليهم ذلك ، ونهاهم عنه ، وحذرهم عاقبته ، وقال : من رغب عن سنتى فليس منى ، ولم يقف معهم عند هذا الحد بل أقرهم على جمع الدنيا ، والتمتع بالحلال منها ، ودعا لأناس منهم بكثرة المال والولد ، كما وقع ذلك لأنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان له بستان يؤتى ثمرته فى العام مرتين ، ولم يمت إلا وله من ولده وولد ولده مائة وعشرون ولدا .

وفى هذا المعنى يقول القرءان : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ويقول : « يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » ويقول : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

فأنت ترى من مجموع هذا أن الشريعة المباركة لم تطالب بالزهد فى الدنيا ، ولم تأمر بتركها والتصون عن مفاتنها وزخارفها ، والتحاشى من حبائلها ومغرياتها إلا عند ظهور الحرص الشديد عليها ، والرغبة القوية فيها ، ووجود ما يقتضى الميل عن الاعتدال فى طلبها ، ولم ترغب فيها وتدع الى الأخذ بالنصيب الصالح منها إلا عند مخالفة التوسط فى الاعتداد بها ، وعند الاسراف فى إهمال شأنها ، والغلو فى العزوف عنها .

* * *

لم يقتصر الاسلام فى تقرير مبدأ التوسط والاعتدال فى التكليف على التشريعات العامة المرتبطة بحفظ كيان الجماعة ، والمتصلة بتوطيد نظام العمران ، بل لقد عمم ذلك حتى فى الشئون الفردية التى لا علاقة لها بالغير ، والتى ربما تعد من الأعمال الشخصية البحتة ، وذلك كالعبادة ، فإنه دعا إليهما فيها بقدر ما يدخل تحت الناموس العام ، والطاقة المعتادة ، ففى حديث الحولاء بنت تويت ، حين قالت له عائشة رضى الله عنها : هذه الحولاء بنت تويت ، زعموا أنها لا تنام الليل ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لا تنام الليل ! خذوا من العمل ما تطيقون ، فوالله لا يسام الله حتى تسأموا » .

وفى حديث أنس ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ، وحبل ممدود بين ساريتين ، فقال : ما هذا؟ قالوا : حبل لزينب تصلى ، فإذا كسلت أو فترت أمسكت به ، فقال : حلّوه ، ليصلّ أحدكم نشاطه ، فإذا كسل أو فتر قعد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفى حديث معاذ حين قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أفتان أنت يامعاذ ؟ » وذلك حين أطال بالناس الصلاة ، وقال : « إن منكم منفرين ، فأيكم ما صلى بالناس ، فليتجوز ، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة » .

***

هذه كلها شواهد ناطقة بجريان التشريع الاسلامى على الاعتدال فى التكليف ، وبسريان هذا الروح السامى فى جميع تعاليمه وأحكامه ، وهو ما يتفق كل الاتفاق وقول الله تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « بعثت بالحنيفية السمحة » .

ولعل أحسن ما يناسب أن نختم به هذا الفصل ، وأجمع ما يمكن أن يقال فى هذا المقام هو ما ذكره الشاطبى فى موافقاته عند الكلام على هذا الموضوع ، قال :

« فاذا نظرت فى كلية شرعية ، فتأملها تجدها حاملة على التوسط ، فان رأيت ميلا إلى جهة طرف من الأطراف ، فذلك فى مقابلة واقع أو متوقع فى الطرف الآخر ، فطرف التشديد وعامة ما يكون فى التخويف والترهيب والزجر ، يؤتى به فى مقابلة من غلب عليه الانحلال فى الدين ، وطرف التخفيف وعامة ما يكون فى الترجية والترغيب والترخيص ، يؤتى به فى مقابلة من غلب عليه الحرج فى التشديد ، فاذا لم يكن هذا ولا ذاك ، رأيت التوسط لائحا ومسلك الاعتدال واضحا ، وهو الأصل الذى يرجع اليه ، والمعقل الذى يلجأ اليه » ؟

فكرى ياسين
المدرس فى كلية الشريعة

علامات اللؤم

قال حكيم : أربعة من علامات اللؤم : إفشاء السر ، واعتقاد الغدر ، وغيبة الأحرار ، وإساءة الجوار .

روى أن رجلا سأل آخر أن يصف له نفسه فتلكأ وامتنع . فأقسم عليه أن يفعل ، فقال : حسود كنود ، لجوج حقود . فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال : لقد انتحل الشر بحذافيره ، ومرق من خلال الخير بأسره ، وتأنق فى ذم نفسه ، وتجرد فى الدلالة على لؤم طبعه ، وأفرط فى إقامة الحجة على كفره .

ولعل أبو تمام يقصد رجلا مثل هذا بما يقول :

مساو لو قسمن على الغوانى لما أمهرن إلا بالطلاق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أذان الجمعة

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى ملخصه وهو :

تأسس بالمنشاة مركز جرجا مسجد لإقامة شعائر الدين ، فكان يؤذن فيه يوم الجمعة عند جلوس الخطيب على المنبر عند باب المسجد ، ولكن أحد العلماء رأى أن يكون هذا الأذان أمام المنبر ، فحصلت مشادة بينه وبين الذين يريدون التأذين على باب المسجد كادت تؤدى الى الفتنة لولا أن حضرت قوة من نقطة البوليس . فنرجو أن تفتونا فى أى المكانين يوافق السنة ولكم الشكر ؟

حسن محمد نايب

من العلماء بالمنشاة

الجواب :

١ — كان أذان الجمعة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم أذانا واحداً حين يجلس للخطبة وقد دلت بعض الروايات الصحيحة على أن هذا الأذان لم يكن داخل المسجد ، وأنه لما كثر المسلمون بالمدينة وتباعدت ديارهم عن المسجد زاد عثمان رضى الله عنه أذانا آخر وجعله عند دخول الوقت على دار بسوق المدينة يقال لها « الزوراء » للإعلام بدخول وقت الصلاة ، وأبقى الأذان الذى كان فى عهده صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه بعد جلوس الخطيب .

وقد أقرت الصحابة رضوان الله عليهم تصرف عثمان رضى الله عنه نظرا لأنه :

(أولا) فيه المحافظة على ما كان فى عهده صلى الله عليه وسلم من الأذان الذى يكون حين يجلس الخطيب للخطبة .

(ثانيا) إن النداء الذى استحدثه عثمان رضى الله عنه يحقق الغرض المقصود من الأذان وهو الاعلام بدخول الوقت على أتم وجه .

وعلى ذلك رأى الجمهور من الفقهاء أنه يسن للجمعة أذانان : أحدهما عند دخول الوقت ، والثانى عند جلوس الخطيب على المنبر .

وقد ذكر كثير من العلماء أن العمل استمر على هذا الى عهد هشام بن عبد الملك حيث نقل أذان الزوراء الى المنارة فوق المسجد وجعل الاذان الآخر داخل المسجد أمام المنبر . ويؤيد هذا مانقله ابن القاسم عن مالك رضى الله عنه أنه قال : « ليس الأذان بين يدى المنبر من الأمر القديم » أى ليس من السنة النبوية ولا من عمل السلف الصالح ، وعلى ذلك جرى أكثر الفقهاء من المالكية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٢ — ويرى ابن عبد البر من كبار متقدمى المالكية أن أذان الجمعة يكون أمام المنبر حين يجلس الخطيب ، وادعى أن السنة هكذا وقال : « إن من زعم أن هشام بن عبد الملك هو الذى نقل الأذان الثانى الى داخل المسجد فقد اشتبه عليه الأمر لأن هشاما لم يفعل أكثر من نقل الأذان الأول من الزوراء الى المنارة . أما الأذان الذى يفعل الآن أمام المنبر فهو فى مكانه الذى كان فيه على عهده صلى الله عليه وسلم »

أما الشافعية فقد جاء فى مجموع النووى ما يفيد أنهم اختلفوا فى أذان الجمعة ، وأن المحاملى نقل عن الشافعى أنه قال : « أحب أن يكون للجمعة أذان واحد عند المنبر » ومن رواية المحاملى هذه فهم أكثر الفقهاء من الشافعية أن أذان الجمعة يكون داخل المسجد .

٣ — ومن هذا يتبين أن العلماء مختلفون فى أذان الجمعة من جهة مكانه ، ومن جهة تعدده ووحدته . فمنهم من يرى أنه يكون خارج المسجد ، ويخالفهم فى ذلك آخرون ، ومنهم من يرى أنه يكون أذانا واحدا لا متعددا ، ويخالفهم فى ذلك آخرون .

فأما تعدد الأذان أو وحدته يوم الجمعة فقد عمل المسلمون بكل منهما وتوارث كل قطر من الأقطار الاسلامية ما صح عنده . فالمغاربة كما حكى عنهم بعض العلماء يؤذنون للجمعة أذانا واحدا اتباعا لما كان فى عهده صلى الله عليه وسلم ، والمصريون يؤذنون فيها أذانين اتباعا لعمل عثمان الذى أقره عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

وأما مكان الأذان فقبل الكلام فيه يحسن بنا أن نذكر المبادئ الآتية :

(أولا) إن للأذان غرضا يقصد منه وحكمة من أجلها شرع ، وهذه الحكمة هى إعلام الناس بدخول الوقت ودعوتهم الى الصلاة ، كما قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » ، وقال جل شأنه : « وإذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا » فجعل الله الأذان نداء ودعوة للصلاة .

(ثانيا) إن الأذان وإن كان فى ألفاظه وكيفية أدائه من الأمور التعبدية التى يقتصر فيها على الوارد ، فليس هو فى مكانه من الأمور التعبدية ، بل هو أمر معقول المعنى يقصد منه غاية معينة فى مصلحة الدعوة الى الصلاة ، فكل مكان يحقق هذه الغاية بأوسع معانيها يكون أفضل من غيره .

(ثالثا) إن صلاة الجمعة حكمها حكم سائر الصلوات فى أن يتقدمها أذان يعلم الناس بدخول وقتها ويدعوهم الى ذكر الله فيها .

المبادئ نقول : إذا اقتصر يوم الجمعة على أذان واحد كما هو العمل عند ا...

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فإنه ينبغى أن يكون هذا الأذان خارج المسجد، وعلى مكان مرتفع حتى يكون فى ذلك أوسع نطاق لإسماع الناس ودعوتهم الى الصلاة .

وإذا جعل للجمعة أذانان كما هو العمل عند أكثر الناس بمصر فإن الأذان الأول ينبغى أن يكون للاعلام بدخول الوقت ولدعاء الناس الى الصلاة ، فلا بد أن يكون على مكان مرتفع ليحقق هذا الغرض أتم تحقيق وأوفاه .

أما الأذان الثانى الذى يكون عند جلوس الخطيب على المنبر فيكون الغرض منه كما قال الحافظ ابن حجر وغيره من العلماء — الاعلام بصعود الخطيب على المنبر ليستعد الناس للاستماع والانصات فيتركوا الصلاة والكلام . وحينئذ ينبغى أن يكون هذا الأذان فى المكان الذى يحقق له الغرض المقصود منه . وواضح أن فعله خارج المسجد لا يفى بهذه الحاجة لاسيما فى المساجد الكبيرة واسعة الأرجاء . فيحسن أن يكون داخل المسجد ليكون أدنى الى تحقيق الغرض منه .

وبعد : فان اللجنة تأسف أشد الأسف لما يحصل بين المسلمين من الخلافات الشديدة والمنازعات التى تؤدى الى البغضاء والتشاحن على أمر شأنه عند المتقدمين وعلماء السلف مارأيت من خلاف ، وتدعوا اللجنة المسلمين جميعا الى أن يتخذوا من اجتماعهم لعبادة الله سبيلا للوحدة والتضامن والمحبة ، وأن يطرحوا وراء ظهورهم التفرق والمنازعة والخلاف فى دين الله باسم السنة والبدعة ، فللسنة حدود يعرفها العلماء ، وللبدعة حدود يعرفها العلماء ، والكل واضح بين لا لبس فيه ولا اشتباه . وليقدر هؤلاء وأولئك أن السنة فى الدعوة الى الحق إنما تكون للحكمة والموعظة الحسنة .

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

علامة من تمت سيادته

قال المرار بن المنقذ العدوى :

يا حبذا حين تمسى الريح باردة   وادى الأضاء وفتيان بها هضم
مخدمون كرام فى مجالسهم   وفى الرجال إذا صاحبتهم خدم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عمر بن عبد العزيز

— ٢ —

خلافته :

تولى الخلافة فى يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين هجرية ، بعهد من سليمان بن عبد الملك اليه دون علم منه ، قيل فى سبب العهد اليه : إن سليمان خرج ليصلى بالناس الجمعة ، فلم يرجع حتى ألم به مرض خفيف ، فلما ثقل عليه كتب كتاب عهده الى ابنه أيوب ، وكان دون الحلم ، فسأله رجاء بن حيوة : ماذا تصنع يا أمير المؤمنين ، إنه مما يحفظ الله به الخليفة فى قبره أن يستخلف الرجل الصالح . فقال سليمان : هذا كتاب أستخير الله فيه يا رجاء ، ما الذى تراه فى داود بن سليمان ؟ فقال له : هو غائب بالقسطنطينية ولا ندرى أحى هو أم ميت . ثم سكت قليلا وقال : وما رأيك فى عمر بن عبد العزيز ؟ فقال له : أعلمه والله رجلا فاضلا خيارا مسلما .

فأقره سليمان على ذلك ، ولكنه خشى أن تقوم فتنة من ولد عبد الملك ، فشرطها ليزيد ابن عبد الملك من بعد عمر ، وأن يكونوا عونا لعمر فى خلافته ، فكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز ، إنى وليته الخلافة بعدى ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم »

البيعة الأولى لعمر :

ولما ختم سليمان الكتاب أرسل الى كعب بن جابر رئيس شرطته وأمره أن يجمع أهل بيته ، فلما جمعهم قال سليمان لرجاء بن حيوة : إذهب بكتابى هذا فألقه اليهم وأخبرهم بأنه كتابى ، ومرهم فليبايعوا من وليت ، فصدع رجاء بالأمر ، فبايعوا من سماه فى كتابه ، ولم يكن عمر يعلم من أمر البيعة شيئا أكثر من علمه بأن أهل بيت سليمان بايعوا رجلا فى كتاب سليمان فخاف أن يكون الأمر قد أسند اليه ، فناشد رجاء أن يصارحه الأمر ليستعفى قبل أن تأتى حال لا يقدر عليها ، واهتم هشام بن عبد الملك مخافة أن يكون الأمر قد تعداه ، فسأل رجاء ألا يكتم عليه سرا حتى يتدارك ما عساه أن يكون من خروج الخلافة من بنى عبد الملك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
dabookz@gmail.com

موقف رجاء :

كان رجاء موضع سر سليمان بن عبد الملك ، فأبى إلا أن يكتم الأمر عليهما ، ولا يخبر أحدا منهما بحرف من الكتاب وإن أغضبهما ذلك ، ثم عاد الى سليمان فاذا هو يعالج سكرات الموت ، فلزمه حتى فاضت روحه ، وبينما هو كذلك بعثت زوجته برسول لتتعرف الخبر ، فقال له رجاء : إنه نائم ومغطى . فأخبرها بذلك فاطمأنت .

البيعة الثانية :

عندئذ أغلق رجاء الباب على سليمان وأجلس على وصيده من يثق به ، وأوصاه ألا يبرح حتى يأتيه ، ولا يدخل أحدا على الخليفة . ثم خرج الى مسجد دابق ، وفض الكتاب بعد أن أخذ البيعة لمن فيه وفى حضرة أهل بيت سليمان ، فاذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز . فقال الناس : أين عمر؟ وقد كان فى مؤخرة المسجد ، فتقدم اليهم فسلموا عليه بالخلافة إلا هشام بن عبد الملك فإنه قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » حين صار هذا الأمر الى عمر بن عبد العزيز على ولد عبد الملك . وامتنع عن مبايعته ، فهدده رجاء بضرب عنقه إن هو تمادى فى غيه ، فبايعه .

وأخذ رجاء بضبعى عمر وأجلسه على المنبر وعمر يقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » حين صار هذا الأمر الىّ لكراهتى له . ثم خرجوا جميعا من المسجد لدفن سليمان ، فصلى عليه عمر وما إن شيعوا جثته حتى أقبلت مراكب الخلافة من خيل وبغال وبراذين يقود كل واحد منها سائس . فقال عمر : إن فى بغلتى وفسطاطى ما يغنينى عن مراكب الخلافة ومنزلها . فقال له مولاه : يا أمير المؤمنين كأنك مهتم . فقال لمثل هذا الأمر الذى نزل بى إهتممت ، إنه ليس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحد فى مشارق الأرض ولا فى مغاربها إلا له قبلى حق يحق على أداؤه إليه غير كاتب الىّ فيه وطالبه منى .

أول خطبة لعمر :

سار معه من كان مشيعا لجثة الخليفة الراحل حتى وصلوا المسجد فدخلوه ، وصعد عمر المنبر وقال : « أيها الناس ! إنى قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأى كان منى فيه ، ولا طلب له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإنى خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى ، فاختاروا لأنفسكم » . فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك . فلما رأى الأصوات قد هدأت ، ورضى به الناس جميعا ، حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه ثم قال : « أوصيكم بتقوى الله فإنها خلف من كل شىء ، وليس من تقوى الله خاف ، واعملوا لآخرتكم فإن من عمل لآخرته كفاه الله عز وجل أمر دنياه ، وأصلحوا سرائركم يصلح الله علانيتكم ، وأكثروا من ذكر الموت ، وأحسنوا الاستعداد له قبل أن ينزل بكم ، فإنه هادم اللذات ، وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربها ولا فى نبيها ولا فى كتابها ، وإنما اختلفت فى الدينار والدرهم ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإنى والله لا أعطى أحدا باطلا ، ولا أمنع أحدا حقا ، ومن أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصا الله فلا طاعة له . أطيعونى ما أطعت الله ، فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم ، ومن أصابته مظلمة من عامله فلا إذن له علىّ ، ومن لا فلا أرينه . وإنى والله إن منعت نفسى وأهل بيتى هذا المال وضننت به عليكم إنى إذا لضنين . ولا أن أنعش سنة أو أعمل بحق ما أحببت أن أعيش فواقا . ولو أن كل بدعة يميتها الله على يدىّ ، وكل سنة يحييها الله على يدىّ ، ببضعة من لحمى حتى يأتى ذلك على آخر نفس منى لكان فى الله يسيرا » .

ثم نزل فأمر بالستور فهتكت ، والثياب التى كانت تبسط للخلفاء فحملت ، وبيع جميعها ، وأدخل أثمانها فى بيت مال المسلمين .

ردّه المظالم :

بدأ بنفسه أولا ليكون أوقع فى النفس ، وليقتدى به غيره ، فخرج مما كان فى يده من القطائع كالمكيدس ، وجبل الورس باليمن ، وفدك ، وقطائع أخرى باليمامة ، وجعلها لبيت المال ، إلا عينا بالسويداء كان قد استنبطها بعطائه فلم يردها ، وكانت غلتها فى العام تقدر بعشرة آلاف دينار .

وجعل لا يدع شيئا مما كان فى يد سليمان أو فى يد أهل بيته من المظالم إلا رده مظلمة مظلمة فاختصم اليه جماعة من الأعراب مع قوم من بنى مروان فى أرض كانت مواتا فأحياها العرب ، فأخذها الوليد بن عبد الملك وأعطاها لبعض أهله . فقال عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البلاد بلاد الله ، والعباد عباد الله ، من أحيا أرضا ميتة فهى له » ثم ردها على الأعراب . وذهب اليه رجل ذمى من أهل حمص فقال ياأمير المؤمنين : أسألك كتاب الله . قال : وما ذاك ؟ قال الذمى : إن العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبنى أرضى — والعباس يومئذ حاضر — فقال له : ياعباس ما تقول ؟ قال : أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لى سجلا بها . فقال عمر : ما تقول ياذمى ؟ قال : ياأمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل . فقال عمر : كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك ، أردد عليه ياعباس ضيعته . فردها .

تعففه عن مال زوجته :

لم يكن عمر ممن يحب نفسه ويتبع هواه ، بل كان يضحى بالكثير من ماله فى سبيل اسعاد شعبه ورفاهيته ، ويبذل ماوسعه فى تنظيم بيت المال وتنمية موارده ، فباع ما كان من كماليات للخليفة الراحل ووضع أثمانها فى ذلك البيت ، وفاوض امرأته فاطمة بنت عبد الملك

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

— وكان أبوها قد أعطاها من المال والجواهر مالا يقدر بثمن — فى أن ترد ماعندها من مال وحلى الى بيت المال ، أو تلحق بأهلها إن هى خالفت رأيه . فقالت له : ياأمير المؤمنين إنى أختارك على هذا المال وعلى أضعافه لو كان لى ، فأمر بوضعه فى بيت المال فلما مات عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة : إن شئت رددت مالك عليك ؟ فقالت : لا أشاؤه ، فلقد طبت عنه نفسا فى حياة عمر ، فلا يصح أن أرجع فيه بعد موته .

أول ما تنكر له عمر :

خالف عمر ما كان من عادات السابقين قبله ، فخرج يوما فى جنازة فأتى له ببرد كان يلقى للخلفاء ليقعدوا عليه إذاهم خرجوا الى ذلك ، فأتى له فوكزه برجله ، ثم قعد على الأرض ، فعجب الناس لفعلته وأيقنوا أنه سيكون خير رجل تولى قيادتهم . فأقبل عليه رجل ووقف بين يديه ، وقال : ياأمير المؤمنين إشتدت بى الحاجة ، وانتهت بى الفاقة ، والله يسألك عن مقامى هذا بين يديك . وكان فى يده قضيب قد إتكأ عليه ، فاستعاده فأعاد ، وبكى حتى جرت دموعه على القضيب . فسأله عمر : ماعيالك ؟ قال : خمسة : أنا وزوجتى وثلاثة أولاد ففرض له عشرة دنانير وأمر بمنحه خمسمائة دينار : مائتين من ماله ، وثلاثمائة من مال الله ، يتبلغ بها حتى يخرج عطاؤه .

الولد سر أبيه :

حرص عمر على ألا يطوق عنقه بشبر من أرض أو درهم من مال المسلمين ، فجاءه أهله وأقطعوه قطيما من أرض ومال ، فهم بردها للمسلمين . فقال له مزاحم : خذه لأولادك . فذرفت عيناه بالدموع ، وقال : أكلهم الى الله . فلم يقنع مزاحم بذلك فذهب الى ابنه عبد الملك وأخبره بما كان من عزمة أمير المؤمنين ، فقال له : بئس وزير الدين أنت يا مزاحم ! ووثب الى أبيه وكان قد تبوأ مقيله فاستأذن ، فقال له البواب : ألا ترحمونه ليس له من الليل والنهار إلا هذه الوقعة فسمع عمر صوته فأذن له بالدخول ، وقال ما الذى جاء بك الى هنا يا عبد الملك ؟ فقال له : إن مزاحما أخبرنى بكذا وكذا وليس هـذا من الدين فى شىء . ففرح به عمر لتمسكه بدينه ثم قام لساعته وجمع الناس وأمر برد ما قطعه له أهله ؟

محمد مصطفى شاى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المسلمون يطالبون بابطال المنكرات الدينية

سيدى المحترم رئيس تحرير مجلة الأزهر الغراء :

تحية وسلاما « وبعد » فنتقدم إليكم صورة موجزة للعرائض التى رفعت موقعة من عدة آلاف من السيوطيين من كبار الموظفين وصغارهم ومن الأعيان ومن التجار والصناع والأهالى الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح والى حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء والى حضرة صاحب الفضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر . فنرجو التفضل بنشرها خدمة للغرض الشريف الذى تسعى اليه هذه العرائض . ومع أجزل شكرى أقدم أوفر احترامى ؟

عنهم
محمد محمد محرم
المدرس بمعهد فؤاد الأول بأسيوط

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قرارات

تداول المصلون فى مساجد مدينة أسيوط فى أمر الأرجاس الشائعة فى البلاد ثم أصدروا القرارات الآتية :

(أولا) استنكار استمرار انتشار البغاء الرسمى والخمر الرسمى والقمار الرسمى فى مصر البلد الاسلامى الذى يملك عليه الفاروق الصالح مليكنا المسلم الموهوب الموفق المحبوب .

(ثانيا) مطالبة الحكومة بالغاء المنكرات العلنية ومكافحة المنكرات السرية وإصدار القوانين المحرمة لتبرج النساء الفاحش .

(ثالثا) مطالبة الحكومة بجمع البغايا فى الحال فى ملجأ يؤدين فيه بعض الأعمال النافعة .

(رابعا) مطالبة وزارة المعارف بتنشئة أولادنا وبناتنا بالمدارس على اختلاف درجاتها تنشئة دينية صالحة وذلك بالاكثار من دروس الدين .

(خامسا) مطالبة الحكومة باستنباط القوانين المصرية من الشريعة الاسلامية السمحة التى تحوى كل الفضائل السامية .

(سادسا) رفع عرائض الى ساحة حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح المفدى والى حضرة صاحب المقام الرفيع والى حضرة صاحب الفضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر لالتماس تحقيق هذه المطالب .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

القومية فى التشريع

لكل أمة أحوال طبيعية واقتصادية تغاير بها غيرها من الأمم الأخرى ، كما أن حالتها النفسية والعقلية والخلقية تختلف كذلك عما لبقية الأمم .

والحالة النفسية هى فى الواقع نتيجة تكييف للأحوال الجغرافية ، والاقتصادية . فالبلاد الشمالية لها طابع نفسى مخصوص كونته الجواء الباردة وما تستلزمه من تنمية قوة الجرأة وحب الاستكشاف الناشئ عن تغير موضع الإقامة طلبا للرزق ، وتوقيا لحوادث الطبيعة . كما أن للبلاد الجنوبية — ومنها الأمم الشرقية — طابعا نفسيا خاصا خلقته جودة التربة الأرضيه وهو طابع الأنسة بالموطن والرغبة فى عدم النزوح عنه .

وعن صفة الجرأة والميل الى الاغتراب تتولد صفات أخرى ، مثل الاعتماد على النفس والاعتداد بها ، ومقاومة مشاق الحياة والتحمل للمسئولية ، كما تنشأ صفات أخرى عن الميل فى الإقامة بالموطن ، مثل التواكل والرغبة فى تكليف الغير بالقيام بالأمر وتحميله مسئولية القيادة .

ومن هنا نفهم رغبة الشرقى فى الوظيفة ، وشدة ارتباطه بالمكان الذى يحل فيه ويجد به متعة نفسه التى يقوم بها لأجله غيره ، كما نفهم رغبة الشمالى فى الهجرة ولذته فى المجاذفة . من هنا نفهم لماذا تترك الأمم الشرقية التصرف فى سياستها للدخيل فيها ، ولماذا تتحول البلاد الشمالية الى دويلات صغيرة تود الاستقلال وتموت دفاعا عنه .

لهذا التباين فى الطابع النفسى يجب أن يكون هناك اختلاف كبير فى القانون الخلقى لكل من الطابعين . فالقانون الخلقى للطابع الجنوبى فى حاجة الى الحض على العمل ، والرفع من شأن الاعتماد على النفس ، والخفض من شأن التواكل والكسل ، لأنه كلما مالت الناس الى الراحة بسبب عوامل طبيعية زاد واجب الأخلاق فى إبعادهم عنها ، وتعين على القانون التشديد فى العقوبة على الأعمال المبنية عليها . فالسرقة والتسول مثلا من الأعمال التى يساعد عليها الميل الطبيعى الى الراحة ، ووقوعهما فى البلاد الجنوبية لذلك مطرد .

هذا على العموم بالنسبة لما هو شمالى أو جنوبى ، بغض النظر عن أن كل بلد فى المنطقة الشمالية الباردة ، أو فى المنطقة الجنوبية الحارة ، أو المتوسطة ، لها مميزات أخرى غير المميزات الجوية لا بد من مراعاتها فى التشريع أيضا .

فالعادات المألوفة للشعب ، والخلق الموروث فيه ، لا بد أن يحظى بنصيب من نظر المقنن . لأن القانون الذى يغفل هذه الناحية يغفل فى الواقع أحد الجزأين المكونين لنفسية الشعب ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إذ نفسية الشعب عبارة عن الآثار المطبوعة فى عقل كل فرد من أفراده بوساطة العالم الخارجى . وهذا العالم الخارجى إما أنه الطبيعة الجغرافية للشعب ، أو بيئته العقلية التى تتمثل فى عاداته وقانونه الخلقى والدينى .

ولهـذا فالقانون الذى لم يُبن على « نفسية الشعب » إما أن يلقى معارضة فى تنفيذه ، أو يؤدى الى نتيجة سلبية . فالطبيعة الجغرافية ما دامت على حالها ، والعادات والأخلاق ما دامت لم تتغير ، فلا بد أن يوضع القانون ملائما لها . وخطوة الإصلاح حينئذ تكون بالبدء فى تنظيم طبيعة البلد والتغيير من عادات الشعب ووضعه أمام قانون خلقى آخر ، ثم يتبع ذلك تعديل القانون حسب نسبة التغيير والتطور فى هذه العوامل .

فالقانون المصرى مثلا الذى يقضى بتجنيد العرب والبدو تجنيدا نظاميا ، لم يلاحظ فى وضعه عادة هؤلاء وما جبلوا عليه من اعتبار عدم خضوعهم للتجنيد ميزة خاصة بهم حتى صار موضع الفخر فيهم . فقبل الإقدام على سن هذا القانون يجب على المشترع بوساطة الدعاية والتعليم أن يهيئهم لقبوله بتفهيمهم أن من الرجولة ، التى هى طبعا من مواضع فخرهم ، الاستعداد للدفاع ورد مقاومة العدو ، ثم تفهيمهم مع ذلك أنهم ليسوا أفرادا فحسب يعيشون موزعين فى نقط متعددة ، وإنما هم ينتسبون الى أمة ، وأن هذه الأمة فى حاجة إليهم ، والى دفاع منظم موحد من كل أبنائها . بعد هـذه المحاولة من الإقناع يستطيع التشريع المصرى أن يخرج قانون التجنيد الإجبارى شاملا للعرب والبدو .

كذلك إذا أريد تجنيد الأزهريين ، لا شك أن القانون يلقى معارضة نفسية شديدة ، لأن الصفة الروحية التى للـكنيسة قـد غلبت على الاسلام أيام ضعفه ومحنته ، وعلى علمائه إبان استسلامهم ، وعودت هؤلاء على أن الشرف فى عدم مساواتهم ببقية طبقات الأمة فى القيام بخـدمة الجندية ، وعلى أن الـكرامة فى احتفاظهم « بوظيفتهم المقدسة » وهى أشبه بوظيفة « النيابة عن الرب » فى العادات المسيحية التى تتنافى و « النزول » الى مرتبة الشعب .

فاذا أراد المشترع المصرى أن يتجنب هـذه المعارضة ويتيقن بنتيجة إيجابية لمثل هـذا القانون بين الأزهريين ، فليعمد أولا الى نوع من الدعاية الاصلاحيـة ، ولـكنه نوع آخر يخالف ما يجب استعماله عند البدو والعرب للغاية نفسها . على المشترع أو المصلح أن يذكرهم بمبدأ الجهاد فى الاسـلام ، وبمن قام به فى زمنه الأول ، يجب عليه أن يذكرهم بأن الاسلام ليس مبدأ روحيا كنسيا ، وإنما هو فـكرة معنوية تقوم على العزة والسلطان فى ظل العدل وتحت راية الأخلاق الـكريمة . فاذا ما انتشرت هذه الذكرى بينهم فأكبر ظنى أنهم أنفسهم سيبدأون بحمل الهيئة التشريعية على جعل هذا القانون شاملا لهم كبقية الطوائف الأخرى .

وكما على المشترع أن يغير أولا من عادات البلد بالدعاية والتربية نحو ناحية الاصلاح والرقى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قبل أن يضع قانونه — الذى مهمته فى الواقع الاحتفاظ فقط بحالة فى الشعب مرغوب فيها ، وليس التغيير والتبديل لأن الكفيل بذلك هو التربية وحدها — كذلك عليه أن يتناول الحالة الخلقية السائدة فى البلد بالتعديل مبدئيا بوساطة الدعاية أيضا ، ثم يبنى قانون الأخلاق الجديد على أساس هذا التعديل .

فمثلا من المذاهب الخلقية الشائعة فى مصر ، المذاهب الصوفية . فهذه المذاهب وإن تعددت ترجع فى الفتور الذى أصاب المسلمين الى فكرة واحدة ، الى الفكرة السلبية التى تقوم على الزهد فى الحياة الحاضرة تلبية لداعى عدم الرغبة فى العمل ، وإجابة لما تتطلبه طبيعة البلدان الشرقية من الميل الى الفراغ والكسل والاستسلام ، وعدم الشعور بالمسئولية ، ومحبة الاستيطان فى موضع واحد . ومنشأ هذه الفكرة هى البلدان القديمة لتطور الفكر الانسانى بلدان الهند وما جاورها من البلاد الشرقية الحارة ، فطبيعة هذه البلاد الجغرافية هى التى أملت على ساكنيها هذه الفكرة ، وقربتها من نفوسهم ، حتى صارت عقيدة ثابتة . ومن ثم انتشرت بالتدريج فى الأقاليم الأخرى ، ووجدت من يعتنقها قلة وكثرة حسبما يكون الميل الطبيعى للفرد ، وحسبما تكون طبيعة الاقليم . والمذاهب الفلسفية القديمة — الشرقية — لم تكن سوى صدى لفكرة العزلة عن العالم والزهد فى الدنيا والتخلص من الجسم والرغبة فى الفناء فى ذات الإله الخالق ، والمسيحية ، ومن بعدها الأفلاطونية الحديثة ، تمثل جانبا عظيما من تلك المذاهب الصوفية الفلسفية .

فاذا فاجأ المشترع المصرى فرق الصوفية بمصر ، التى لا اعداد لها ، بتحريم القيام بشعائر فرقهم ، وبمنعهم من نشر هذه الفكرة بين الطبقات الفقيرة التى هى أحوج الطبقات الى السعى فى طلب الرزق بالعمل والجد فيه ، لم يجد إلا احتجاجا إجماعيا من رؤساء الصوفية وأتباعهم فاذا هو بدأ بقلب هذه الفكرة الخلقية وهذه النزعة الفلسفية باذاعة الفكرة الاسلامية القائمة على الدعوة لله وحده ، والتى تنادى بالعمل فى الحياة الدنيا ، وبنشر مبدأ الاسلام الخلقى الذى ينص على ربط الجزاء بالعمل ، ويبغض فى السؤال والتواكل ، ويعترف بمنزلة الجسم كمنزلة الروح . فكما أن هذه تحتاج فى تأدية رسالتها من الصفاء والمحبة للغير الى عدم الافتتان بالمادة ، كذلك قرينها وهو الجسم يحتاج فى قيامه بمهمته من معاونة الروح الى الاحتفاظ بقوته ومنعته عن طريق السعى والعمل فى الدنيا . إذا تمكنت هذه الفكرة الاسلامية من نفوس الأفراد ومن نفسية الأمة ، كان للمشترع حينئذ أن يقنن بما يحفظ هذه الحال ، بما يحفظ بقاء هذه الفكرة ويضمن شيوعها .

بهذا يكون التشريع أضمن نجاحا وثباتا ، ويكون للقانون حرمته التى لا يصح أن تكون حرمة هيبة فحسب . بل قبل كل شىء حرمة تقديس واحترام .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكما تجب مراعاة الطبيعة الجغرافية وعادات الأمة وأخلاقها فى وضع القوانين ، كذلك يجب عدم معارضتها للقواعد الدينية الصحيحة ، وإلا نشأت فى الشعب ملكة الاستخفاف ، إما بالدين ، أو بالقانون الوضعى ، لأن كلا منهما يكون حينئذ سالكا اتجاها مضادا لاتجاه الآخر ، ومستلزما طبعا لأعمال هى على النقيض مما يستلزمه الآخر . فاذا حرم الدين شرب الخمر مثلا وأباحه القانون الوضعى ، فالشعب إما أن لايتناوله لأنه حر فى تصرفه ، وإما أن يشربه ، فالدين يكون عنده حينئذ عديم الحرمة غير مستحق التقدير . وبما أن القانون الوضعى مصحوب دائما بالسلطة الزمنية فهو ضامن رجحان كفته ، ويومئذ ينعدم فى الشعب مالا يمكن أن يعوضه القانون بحال من الأحوال ، وهى الناحية الدينيـة البحتة (العاطفة الدينية كما يقـول علماء النفس) التى من أخص مظاهرها طاعة الشعب المطلقة المصحوبة بالرضى النفسى منه ، وإقامة العـدل من الحاكم بالأمر فى الرعيـة عن عقيدة مصحوبة بخشية الهيبة . وحكومة لا تعتمد على هاتين القاعدتين حكومة لا تنجو من خطر الانقلابات الاجتماعية .

لذلك ينادى مونتيسكى (Montesquieu) وإن لم ير وجوب اشتقاق القانون الوضعى من الدين — فى كتابه « روح القوانين » بلزوم تعاونهما « فالشريعة (١) — يقول مونتيسكى — والقانون الوضعى يجب أن يكمل كل منهما الآخر لأن بغيتهما تهذيب الانسان ، فاذا عجز أحدهما عن الوصول الى هذه الغاية وجب أن يعاونه الآخر . فالدين اليابانى مثلا لايعرف قواعد للتصديق ولا جنة ولا نارا (فهيبته محدودة) ، ولهـذا نجد القوانين اليابانية فى غاية الشدة وتنفذ بكل دقة ... » .

وعدم أخذ مونتيسكى بمبدأ اشتقاق القانون الوضعى من الدين ، وإن أوجب تعاونهما ، راجع الى أنه يرى أن الدين قواعد خلقية تقصد الى تهذيب الفرد وحده دون القدرة على تهذيب الجماعة . « فالقـوانين الدينية ترمى (٢) الى كمال الفرد الذى يقـوم بأدائها ويمتثل لها ، بينما القوانين الوضعية تقصد الى الخيور الخلقية للفرد باعتبار أنه إنسان على العموم . وإذا فمهما كانت المعانى المشتقة من الدين محترمة فانها لا تصح أن تجعـل أساسا للقوانين المدنية ، لأن هذه مشتقة من أصل آخر وهو الصالح العام » .

واستشهد على رأيه هـذا بمقارنة بعض مسائل تشريعية اختلف حكمها على عهـد القانون الرومانى فى أيام الجمهورية والمملـكة الرومانية ، ثم على عهد الـكنيسة فى الأمبراطورية البابوية فالتشريع الرومانى راعى مثلا فى تنظيم الأسرة المحافظة على أخلاق النساء عموما . فلما جاءت الـكنيسة لاحظت فى تشريعها للاسرة قداسة الزواج أكثر من العفة الخلقية . فقد كان يحكم

(١) صفحة ١١٩ من الفصل الرابع عشر من الـكتاب الرابع والعشرين من القسم العاشر طبعة ليبتسيج سنة ١٨٤٣ (٢) صفحة ١٤ ، ١٥ من الفصل التاسع من الـكتاب السادس والعشرين من القسم التاسع .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى عهد القانون الرومانى على الزوج — مثل زوجته — إذا أعاد زوجته الى عصمته بعد الحكم عليها لارتكابها جريمة خلقية فى مدة الزواج الأول باعتبار شركته لها فى الفسق حينئذ. ولكن لما جاء عهد الكنيسة شرع القيصر جوستنيان (Justinian) إباحة رجعتها إذا مكثت فى الدير مدة التوبة وهى سنتان .

كذلك إذا ذهب الزوج الى الحرب ولم تسمع عنه زوجته خبرا ، جاز لها بعد مضى الغيبة القانونية وهى أربع سنوات بناء على قانون قسطنطين (Constantin) — أن تكتب الى قائد الساحة فى الحرب خطاب الطلاق ثم تتزوج غيره . فاذا قدر ورجع الزوج الأول لم يكن له حق فى اتهامها بالخيانة الزوجية . ولكن بعد ما تولى القيصر البابوى جوستنيان عدل ذلك ومنعها من الزواج مهما طال وقت الغيبة حتى تتحقق وفاته بإذن قائد الساحة نفسه .

فهذا رأى مونتيسكى — يريد إذا أن يستنتج أن القانون الوضعى ، وهو القانون الرومانى هنا ، قصد الى المصلحة العامة وهى المحافظة على العفة والتقليل من الجرائم الخلقية عندما أباح الزواج ثانية ، بينما قانون الكنيسة قد رمى الى منفعة فردية وهى رابطة الزوجين رابطة أبدية ربما تنشأ عن أبديتها هذه أخطار خلقية اجتماعية .

ومع أن الناحية السياسية المدنية تغلب على مونتيسكى فهو لا يضمر عداء للدين اذا قال بعدم اتخاذه أساسا للتشريع الوضعى ، ونادى بالمحافظة على الفرق بين الشريعة والقانون ، لأنه يرى فى هذه المحافظة نفسها ضمانا كبيرا للمصلحة العامة ، « إذ القانون (١) الوضعى خاضع للتغيير الذى يتبع إرادة الانسان ، بينما عدم قابلية التحويل من ألزم صفات القانون الدينى لأن الأول يقصد الى « الحق » والثانى الى « الأحق » . والحسن يمكن أن يتمثل فى أشياء كثيرة بينما الأحسن لا يوجد إلا فى شىء واحد . كما أن القانون الوضعى فى دول عدة عبارة عن إرادة وقتية للحاكم ، ولو كانت القوانين الدينية بهذه الصفة لما كان هناك شىء ثابت للجماعة الانسانية ، مع أن الضرورة تقضى بذلك ، وهو ما يجده المرء فى الدين » .

مونتيسكى جعل فى الواقع أساس بحثه هذا فى تعرف الصلة بين القانون الوضعى والشريعة ، الذى يطلب له الاعتبار العام ويرغب فى تعميمه وتطبيقه كذلك على الأديان الأخرى ، ما رآه فحسب فى المسيحية من المعنى الفردى الروحى ، وبناء عليه قال بوجوب تعاون القانون والشريعة دون أن يكون أحدهما أصلا للآخر ، وبعبارة أخرى دون أن يتخذ الدين أساسا للتقنين الوضعى .

وسواء أ كان مثل هذا البحث — لأنه خرج من جزئية واحدة ، وهى دين بعينه ، ومع

(١) الصحيفة ٤ ، ٥ من الفصل التاسع من الكتاب السادس والعشرين من القسم التاسع .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ذلك يطلب صاحبه لنتائجه الاعتبار المطلق — موافقا لقواعد البحث العلمى الصحيح أم لا ، فالذى لا شك فيه — وهو بغيتنا من هذا المقال — أن المقنن يجب عليه اعتبار الدين على أى وجه فى تقنينه .

وإذاً معنى القومية فى التشريع عدم إغفال هذه النواحى (الطبيعة الجغرافية ، العادات ، الأخلاق ، الدين) ووجوب مطابقته لأسس الحياة الطبيعية والعقلية للشعب . ولا تعارض بين ما يوجهه الدين ، إذا قلنا بوجوب مراعاته فى التقنين الوضعى ، من نداء بأخوة عامة فى الانسانية ، وبين ما تتطلبه القومية فى التشريع من اعتبار أحوال الأمة ومصالحها وحدها ، لأن النداء بالأخوة العامة فى الانسانية معنى خلقى زائد عما يقتضيه التشريع الوضعى ، وأشبه شىء بمسألة السلام العام التى يمكن تأديتها مع حفظ كل أمة لمصالحها الخاصة بها .

أما التقليد فى القوانين فليس من التشريع القومى فى شىء ، الذى يترقب من ورائه نتيجة إيجابية ذات صبغة إصلاحيـة . لأن القانون يكون حيث يطلب صيانة حالة من حالات الأمة مرغوب فى بقائها والاستمرار عليها ، والقانون المقلد فيه لا يؤدى هـذه الوظيفة فى الشعب المقـلد لأنه وضع لحالة أخرى فى شعب آخـر ، فهو لا يعبر عن نفسية الثانى تعبيره عنها فى بيئته الأولى .

الفقه الاسلامى والتشريع القومى :

وأوضح مثل تاريخى لتأييد هـذه النظرية الاختلاف فى مذاهب الفقه الاسلامى بعضها تجاه بعض ، وأوضح منه الاختلاف الحاصل عند إمام واحد تبعا لاختلاف البيئة والمكان . وقد أمر الاسلام بمراعاتها لأنه مبنى على اليسر لا على الارهاق ، ولذلك اختلفت بعض الفروع فى المذاهب الفقهية ، ففقه أهل العراق فى المسائل الاقتصادية يختلف اختلافا كبيرا عن فقه أهل المدينة فى المسائل عينها ، وفقه الامام الشافعى وهو ببغداد غـيره وهو بمصر . كذلك البيئة المصرية كانت تتطلب من الأحكام الفقهية الجزئية غير ما كانت عليه فى بغداد ، وحملت الشافعى على أن يكون له رأيان : القديم والحديث .

واختلاف الفقه الاسلامى تبعا لاختلاف مقومات البيئة نفسها لا يقدح فى « عمومية » مبادئ التشريع الاسلامى وصلاحيتها لـكل زمان ومكان . لأن الأحكام الفقهية هى فى الواقع أحكام فرعية لمسائل اقتضتها الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

كما أن تطبيق القومية على الفقه الاسلامى ، أى جعل اختلاف المذاهب الفقهية دليلا على ربط التشريع بالطبيعـة الجغرافية والبيئة العقلية الخاصة ، لا يتعارض مع دعوى أن أحكام الاسلام معتبرة بالنسبة لـكل الشعوب الاسلامية وأن دعوته عامة للجميع لا فرق بين عربى وعجمى . لأن الاسلام باعتبار قضاياه الخلقية كالحث على العدل وطاعة الوالدين والرفق بهما ،

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

والمحافظة على العزة والسلطان للمؤمنين ، والحث على العمل والسعى لطلب الرزق وطلب التعاون والاتحاد . . . ، وباعتبار مبادئه التشريعية العامة ، كالزكاة ، والحج ، والقصاص والدية ، والنفقات ، والبيوع ، والجهاد فى سبيل الله . . . من المسائل الاجتماعية ، دين عام . والدعوة به معتبرة نحو كل إنسان وكل أمة . وهو بهذا الاعتبار غير الفقه الاسلامى الذى هو عبارة عن أحكام فرعية خضعت — وتخضع — للبيئة الزمنية والمكانية بترخيص منه دفعا للحرج ، وترجع فى تفريعها الى أصول الاسلام التشريعية التى لها عمومية الاعتبار .

فالفقه الاسلامى ليس نفس قواعد الاسلام الخلقية الدينية ، وليس نفس مبادئه التشريعية الكلية وإن كان يمت اليهما — إلى القواعد الخلقية والمبادئ التشريعية — بصلة المرجع والاشتقاق . وإذاً الدين الاسلامى (باعتبار الطابع الخلقى والطابع التشريعى العام) دين عالمى روحى (universal) والفقه الاسلامى محلى (local) وأيضا غير روحى ، لأنه يتعلق بتنظيم الحياة الظاهرة فحسب وليس له على النفس الفردية مباشرة من سبيل خلقى إلا بقدر ما تؤديه أحكامه كمواد قانونية ، من نتائج خلقية فى مجموع الأمة . فمثلا الغرض من إلزام الولد الموسر بالنفقة على والده العاجز عن الكسب تنظيم العلاقة بين الاثنين ودفع فاقة الجوع عن الوالد ، لأن من النظم العامة للدولة المحافظة على أرواح الافراد ، ولذلك كان لها التدخل فى خصوصياتهم لمصلحة بعضهم بعضا ، فاذا لم تلزم الولد فى هذه الحالة كانت هى المكلفة بالنفقة على الوالد . والقاضى وقت حكمه بالنفقة على الولد لم يلاحظ فى الواقع إلزامه مباشرة باحترام والده الذى — أى الاحترام — هو معنى خلقى من أخص موجباته مساعدة الولد لوالده دون احتياج الى تدخل السلطة القضائية . ولكن ذلك الاحترام سيصبح لسلطة القانون وسطوته عادة خلقية فى الشعب.

وجوب اعتماد الشرق فى تشريعه الوضعى على الفقه الاسلامى :

وإذا كانت القومية هى عماد التشريع ومن الشرائط الأولية فى تحقيق غايته من ناحية ، والتقليد فى نقل القوانين من دواعى الاضطراب الداخلى وسيادة الارتباك فى سياسة البلد الانشائية من ناحية أخرى ، وجب على كل أمة أن تؤسس تشريعها على ما لها من حالات طبيعية وما نشأت فيه من عادات ، وآمنت به من مبادئ دينية ، وارتضته لنفسها من قضايا خلقية .

فاذا قيل للقائم بأمر التشريع فى مصر : إن الفقه الاسلامى هو الفقه القومى المصرى ، أو هو أقرب أنواع الفقه الى ما يصح أن نسميه أو نكونه باسم الفقه القومى ، ولهذا يجب الاعتماد عليه فى سن القوانين ، لم يكن فى هذا القول مغالاة ولا « رجعية » . وإذا قيل له أيضا : إن القوانين الغربية لم تكن من عوامل مدنية أوربا الحاضرة إلا لبنائها على أسس البيئات القومية ، وأن بينها من الاختلاف والتفاوت بقدر ما تتميز به تلك البيئات بعضها عن بعض من خصائص ، وأنها لذلك لا تنتج إذا هى طبقت فى بلاد الشرق إلا أضرارا اجتماعية

مجلات قديمة https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واقتصادية وخلقية خطيرة ، لم يكن فى هذا القول أيضا جفاء للمدنية الأوربية وإغماط من حقها .

كيف يطبق قانون مساعدة العاطلين مثلا الذى ينفذ فى بعض بلدان أوربا على العاطلين فى مصر أو فى الشرق ، والشرقى على العموم ميال بحكم الطبيعة الى الكسل والقناعة التى هى ضرب من الاذعان للذلة ؟ . حقا يمكن تطبيقه إذا أصبح السعى الى العمل من عادة الأفراد وغدا حقيقة خلقية يفخر بها الشعب . ولكن والحال على ما هو عليه من رغبة فى العطلة ومودة للفراغ وإن كان فى ظل الفاقة والجوع ، فالتقليد فيه تشجيع لما تقتضيه الطبيعة من الكسل ، وليس حدًّا لها كما يتطلبه المبدأ العام للتشريع وهو رعاية المصلحة وتقويم الطبائع الفاسدة .

وفوق ما للفقه الاسلامى من هذه الميزة ، وهى قربه على الأقل لما يصح أن يسمى تشريعا مصريا ، إن لم يكن هو نفسه ، فإن مراعاته للعاطفة الدينية مما يزيد فى تقديس الشعب للتشريع المصرى الحديث لو اعتمد عليه ، ومما يجعله أميل الى طاعته والانقياد له أكثر من مخالفته إياه .

فالفائدة من بناء التقنين الوضعى المصرى على الفقه الاسلامى ، أو بعبارة أخرى التعديل فى الفقه الاسلامى على حسب مقتضيات الحالة الطبيعية والعقلية فى الوقت الخاص ، مزدوجة ، أو على الأقل تتجنب بوساطته الأضرار الناشئة عن التقليد فى التشريع أو عن معارضة القانون الوضعى للفقه الدينى ؟

محمد البهى

دكتوراه فى الفلسفة وعلم النفس

ذم أكل الدنيا بالدين

قال شاعر يذم أهل الرياء فى عصره :

قد لبس الصوف لترك الصفا ... مشايخ العصر لشرب العصير
الرقص والتناهد من شأنهم ... شر طويل تحت ذيل قصير

وقال آخر :

أظهروا للناس نسكا ... وعلى المنقوش داروا
وله صاموا وصلوا ... وله حجوا وزاروا
إن يكن فوق الثريا ... ولهم ريش لطاروا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الدفاع عن القرآن

الأسس الثمانية التي جملناها قواعد لبناء ردودنا على الروايات الآحادية

القاعدة الأولى : اعتراف ابن أبي داود فى كتاب المصاحف بأن المروى آحادا ليس قرآنا .
القاعدة الثانية : آراء الأصوليين فى المتواتر والآحاد .
القاعدة الثالثة : آراء علماء التفسير .
القاعدة الرابعة : خلو المروى آحادا من البلاغة والاعجاز .
القاعدة الخامسة : نسخ العرض الأخير لما تقدمه .
القاعدة السادسة : إجماع الصحابة على مصحف سيدنا عثمان .
القاعدة السابعة : ترتيب سور القرآن وآياته بتوقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
القاعدة الثامنة : حكم الشريعة الاسلامية فيمن غير كلمة من القرآن أو بدل حرفا مكان حرف .

القاعدة الأولى — اعتراف ابن أبي داود :

تقدم الكلام على اعتراف ابن أبي داود فى كتاب المصاحف بأن المروى آحاد ليس قرآنا ، وقد اعترف بذلك فى موضعين :

فالموضع الأول فى باب مصحف أبي بن كعب رضى الله عنه ، إذ ورد فيه ما نصه : « قال عبد الله بن أبي داود : لا نرى أن نقرأ القرآن إلا لمصحف عثمان الذى اجتمع عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فان قرأ إنسان بخلافه فى الصلاة أمرته بالاعادة » اه . والموضع الثانى — اعترف فيه اعترافا ضمنيا ، فى أول باب اختلاف مصاحف الصحابة حيث ورد فيه ما نصه :

« قال أبو بكر بن أبي داود إنما قلنا مصحف فلان لما خالف مصحفنا هذا من الخط أو الزيادة أو النقصان — أخذته عن أبي رحمه الله هكذا فعل فى كتاب التنزيل » فقوله : لما خالف مصحفنا هذا ، يريد به المصحف الامام — ولذلك أضاف المصحف المخالف الى صاحبه ، فيقول مصحف عمر بن الخطاب ، مصحف عبد الله بن مسعود وهكذا ، فهذا القول من ابن أبي داود يدل على أن الزيادة أو النقصان ، أو المخالفة فى الخط والرسم ، الواردة فى المصاحف المضافة ليست قرآنا ، لمخالفتها الاجماع الذى انعقد على المصحف الامام — هذان الاعترافان يهدمان ما زعمه الدكتور جفرى — كما قلنا غير مرة — من أن كتاب المصاحف دليل على تطور القرآن .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

القاعدة الثانية — آراء الأصوليين فى المتواتر والآحاد :

نريد الآن أن نبين ما هو القرآن — ثم نبين أن شرطه التواتر وأن المروى آحادا ليس قرآنا ، مع بيان درجته من أنه خبر أو مذهب : وقد اخترنا ثلاثة مصادر من أمهات الكتب فى أصول الفقه .

أحدها : وهو من أصول الشافعية : كتاب الاحكام فى أصول الأحكام للآمدى .

وثانيها : وهو من أصول المالكية : مختصر المنتهى لابن الحاجب .

وثالثها : وهو من أصول الحنفية : التقرير والتحبير ، شرح التحرير لابن أمير الحاج والكمال بن الهمام .

قال العلامة الآمدى فى كتابه الأحكام ص ٢٨٨ :

أما حقيقة الكتاب فقد قيل فيه : هو ما نقل الينا بين دفتى المصحف بالأحرف السبعة المشهورة نقلا متواترا — وفيه نظر فانه لا معنى للكتاب سوى القرآن المنزل علينا على لسان جبريل ، وذلك مما لا يخرج عن حقيقته بتقدير عدم نقله إلينا متواترا بل ولا بعدم نقله الينا بالكلية ، بل غايته جهلنا بوجود القرآن بتقدير عدم نقله الينا ، وعدم علمنا بكونه قرآنا بتقدير عدم تواتره — وعلمنا بوجوده غير مأخوذ فى حقيقته فلا يمكن أخذه فى تحديده — والأقرب فى ذلك أن يقال : الكتاب هو القرآن المنزل فقولنا : القرآن احتراز عن سائر الكتب المنزلة من التوراة والانجيل وغيرها .

« وقولنا : المنزل احتراز عن كلام النفس فانه ليس بكتاب ، بل الكتاب هو الكلام المعبر عن الكلام النفسانى ، ولذلك لم نقل هو الكلام القديم ، ولم نقل هو المعجز ، لأن المعجز أعم من الكتاب ، ولم نقل هو الكلام المعجز ، لأنه يخرج منه الآية ، وبعض الآية مع أنها من الكتاب وإن لم تكن معجزة » اه .

وقال العلامة ابن الحاجب فى مختصره فى تعريف القرآن : « الكتاب (القرآن) وهو الكلام المنزل للاعجاز بسورة منه ، وقولهم : ما نقل بين دفتى المصحف تواترا حد للشىء بما يتوقف عليه ، لأن وجود المصحف ونقله فرع تصور القرآن »

وقال العلامة ابن أمير الحاج فى شرحه المسمى . التقرير والتحبير ، على تحرير الكمال ابن الهمام ص ٢١٣ — من الجزء الثانى ما نصه : « وهو — أى القرآن اللفظ العربى المنزل للتدبر والتذكر المتواتر — فاللفظ شامل للقرآن وغيره من الكتب السماوية وغيرها مخرج للكلام النفسى القائم بذاته تعالى ، والعربى مخرج لما سواه من الكتب السماوية ، والمنزل أى على لسان جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم للتدبر والتذكر أى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للتفكر فيه فيعرف ما يدبر أى ما يتبع ظاهره من التلاوات الصحيحة والمعانى المستنبطة ويتعظ به ذووا العقول السليمة — (ثم قال بعد كلام) والمتواتر مخرج لما كان هكذا غير متواتر كقراءة ابن مسعود رضى الله عنه (فاقطعوا أيمانهما) وأبى (فعـدة من أيام أخر متتابعات) وبعض الأحاديث الإلهية التى أسندها النبى صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى على لسان جبريل كالحديث الحسن الذى أخرجه أحمد وغيره أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال: أى البـلاد شر قال: لا أدرى حتى أسأل فسأل جبريل عن ذلك فقـال لا أدرى حتى أسأل ربى فانطلق فلبث ما شاء الله ثم جاء فقال: إنى سألت ربى عن ذلك فقال: شر البـلاد الأسواق » اهـ.

فهذه النصوص صريحة أن المروى آحادا كقراءة ابن مسـعود، وقراءة أبى وغيرهما لا ينطبق عليه تعريف القرآن، فهو ليس بقرآن، ومع كونه ليس قرآنا اتفاقا، فهل هو حجة يحتج به فى الأحكام الشرعية — ويكون حكمه حكم الحديث فى الاسـتدلال أو حكم مذهب الصحابى أم لا — واليك كلام الأصوليين فى ذلك.

قال الآمدى فى كتابه المذكور:

« اتفقوا على أن ما نقل إلينا من القرآن نقلا متواترا، وعلمنا أنه من القرآن أنه حجة. واختلفوا فيما نقل إلينا منه آحادا كمصحف ابن مسعود وغيره أنه هل يكون حجة أم لا، فنفاه الشافعى، وأثبته أبو حنيفة وبنى عليه وجـوب التتابع فى صوم اليمـين بما نقله ابن مسعود فى مصحفه من قوله: « فصيام ثلاثة أيام متتابعات ».

والمختار إنما هو مذهب الشافعى — وحجته أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مكلفا بالقاء ما أنزل إليه من القـرآن على طـائفة تقوم الحجة القاطعة بقولهم، ومن تقوم الحجة القاطعة بقولهم لا يتصور عليهم التوافق على عدم نقل ما سمعوه منه. فالراوى له إذا كان واحدا ان ذكره على أنه قرآن فهو خطأ وإن لم يذكره على أنه قرآن فقد تردد بين أن يكون خبرا عن النبى صلى الله عليه وسلم، وبين أن يكون مذهبا له فلا يكون حجة — وهذا بخلاف خبر الواحد عن النبى عليه الصلاة والسلام. وعلى هذا منع من وجوب التتابع فى صوم اليمين على أحد قولين:

« فإن قيل: قولـكم ان النبى عليه الصلاة والسلام كان يجب عليه إلقاء القرآن على عدد تقوم الحجة القاطعة لقولهم، لا نسلم ذلك، وكيف يمكن دعواه مع أن حفاظ القرآن فى زمانه عليه الصلاة والسلام لم يبلغوا عدد التواتر لقلتهم، وإنما جمعه إنما كان بطريق تلقى آحاد آياته من الآحاد. ولذلك اختلفت مذاهب الصحابة ولو كان قد ألقاه الى جماعة تقوم الحجة بقولهم، لما كان كذلك، ولهذا أيضا اختلفوا فى البسملة أنها من القرآن. وأنـكر ابن مسعود كون الفاتحة والمعوذتين من القرآن. سلمنا وجوب ذلك على النبى عليه السلام، وأنه سمعه منه جمع

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تقوم الحجة بقولهم ولكن إنما يمتنع السكوت عن نقله على الكل لعصمتهم عن الخطأ ولا يمتنع ذلك بالنسبة الى بعضهم — وإذا كان ابن مسعود من جملتهم وقد روى ما رواه فلم يقع الاتفاق من الكل على الخطأ بالسكوت — وعند ذلك يتعين حمل روايته لذلك فى مصحفه على أنه من القرآن لأن الظاهر من حاله الصدق ، ولم يوجد ما يعارضه ، غايته أنه غير مجمع على العمل به لعدم تواتره وإن لم يصرح بكونه قرآنا ، أمكن أن يكون من القرآن وأمكن أن لا يكون لكونه خبرا عن النبى عليه الصلاة والسلام ، وأمكن أن يكون لكونه مذهبا له كما ذكرتموه ، وهو حجة بتقدير كونه قرآنا ، وبتقدير كونه خبرا عن النبى عليه الصلاة والسلام وهما احتمالان وإنما لا يكون حجة بتقدير كونه مذهبا له ، وهو احتمال واحد ، ولا يخفى أن وقوع احتمال من احتمالين أغلب من وقوع احتمال واحد بعينه . سلمنا أنه ليس بقرآن وأنه متردد بين الخبر وبين كونه مذهبا له ، إلا أن احتمال كونه خبرا راجح لأن روايته له موهم بالاحتجاج به ، ولو كان مذهبا له لصرح به نفيا للتلبيس على السامع المعتقد كونه حجة مع الاختلاف فى مذهب الصحابى هل هو حجة أم لا .

« والجواب : أما وجوب إلقاء القرءان على عدد تقوم الحجة القاطعة بقولهم فذلك مما لم يخالف فيه أحد من المسلمين ، لأن القرآن هو المعجزة الدالة على صدقه عليه الصلاة والسلام قطعا ، ومع عدم بلوغه الى من لم يشاهده بخبر التواتر لا يكون حجة قاطعة بالنسبة إليه ، فلا يكون حجة عليه فى تصديق النبى عليه الصلاة والسلام ، ولا يلزم من عدم بلوغ حفاظ القرآن فى زمن النبى عليه الصلاة والسلام عدد التواتر ، أن يكون الحفاظ لآحاد آياته كذلك . وأما التوقف فى جمع آيات القرآن على إخبار الآحاد فلم يكن فى كونها قرآنا ، بل فى تقديمها وتأخيرها بالنسبة الى غيرها ، وفى طولها وقصرها ، وأما ما اختلفت به المصاحف ، فما كان من الآحاد فليس من القرآن ، وما كان متواترا فهو منه . وأما الاختلاف فى التسمية إنما كان فى وضعها فى أول كل سورة ، لا فى كونها من القرآن .

« وأما إنكار ابن مسعود ، فلم يكن لانزال هذه السور على النبى عليه الصلاة والسلام ، بل لإجرائها مجرى القرآن فى حكمه . قولهم إذا رواه ابن مسعود لم يتفق الكل على الخطأ — قلنا وإن كان كذلك إلا أن سكوت من سكت ، وإن لم يكن ممتنعا إلا أنه حرام لوجوب نقله عنه ، وعند ذلك فلو قلنا أن ما نقله ابن مسعود قرآن لزم ارتكاب من عداه من الصحابة للحرام بالسكوت ، ولو قلنا أنه ليس بقرآن لم يلزم منه ذلك لا بالنسبة الى الراوى ، ولا بالنسبة الى من عداه من الساكتين ، وبتقدير ارتكاب ابن مسعود للحرام مع كونه واحدا ، أولى من ارتكاب الجماعة له ، وعلى هذا فقد بطل قولهم بظهور صدقه فيما نقله من غير معارض ، وتعين تردد نقله بين الخبر والمذهب — قولهم : حمله على الخبر راجح — لا نسلم ذلك .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« قولهم : لو كان مذهبا لصرح به ، نفيا للتلبيس — قلنا أجمع المسلمون على أن كل خبر لم يصرح بكونه خبرا عن النبي عليه الصلاة والسلام ليس بحجة ، وما نحن فيه كذلك ، ولا يخفى أن الحمل على المذهب ، مع أنه مختلف فى الاحتجاج به أولى من حمله على الخبر الذى ما صرح فيه بالجزية ، مع أنه ليس بحجة بالاتفاق — كيف وفيه موافقة النفى الأصلى ، وبراءة الذمة من التتابع بخلاف مقابله ، فكان أولى » ا هـ .

وقال العلامة ابن الحاجب فى مختصره ما نصه :

« ما نقل آحادا فليس بقرآن ، للقطع بأن العادة تقتضى بالتواتر فى تفاصيل مثله وقوة الشبهة فى بسم الله الرحمن الرحيم منعت من التكفير من الجانبين والقطع أنها لم تتواتر فى أوائل السور قرآنا فليست بقرآن فيها قطعا كغيرها وتواترت بعض آية فى العمل ، فلا مخالف قولهم مكتوبة فى المصاحف بخط المصحف ، وقول ابن عباس رضى الله عنهما : سرق الشيطان من الناس آية لا يفيد ، لأن القاطع يقابله . قولهم : لا يشترط التواتر فى المحل بعد ثبوت مثله ضعيف يستلزم جواز سقوط كثير من القرآن المقرر ، وجواز إثبات ما ليس بقرآن منه ، مثل (ويل يومئذ للمكذبين) و (فبأى آلاء ربكما تكذبان) لا يقال : يجوز ولكن اتفق تواتر ذلك ، لأنا نقول : لو قطع النظر عن ذلك الأصل لم يقطع بانتفاء السقوط ، ونحن نقطع بأنه لا يجوز ، والدليل ناهض ولأنه يلزم جواز ذلك فى المستقبل وهو باطل » اهـ .

ولما تعرض ابن الحاجب هنا لمسألة التسمية ، وكان كلامه فيها مختصرا مجملا ، رأيت أن أنقل هنا ماذكره العلامة الآمدى فيها ، فان كلامه فيها واضح جلى يعتبر كالشرح لابن الحاجب قال الآمدى :

« اتفقوا على أن التسمية آية من القرآن فى صورة النمل ، وإنما اختلفوا فى كونها آية من القرآن فى أول كل سورة ، فنقل عن الشافعى فى ذلك قولان — لكن من الأصحاب من حمل القولين على أنها من القرآن فى أول كل سورة كتبت مع القرآن بخط القرآن أم لا — ومنهم من حمل القولين على أنها هل هى آية برأسها فى أول كل سورة ، أو هى مع أول آية من كل سورة آية — وهو الأصح . وذهب القاضى أبو بكر وجماعة من الأصوليين الى أنها ليست آية من القرآن فى غير سورة النمل . وقضى بتخطئة من قال بأنها آية من القرآن فى غير سورة النمل — لكن من غير تكفير له لعدم ورود النص القاطع بانكار ذلك .

والحجة لمذهب الشافعى من ثلاثة أوجه :

« الأول — أنها أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أول كل سورة . ولذلك نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف ختم

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

سورة وابتداء سورة أخرى حتى ينزل عليه جبريل ببسم الله الرحمن الرحيم . وذلك يدل على أنها من القرآن حيث أنزلت .

« الثانى : أنها كانت تكتب بخط القرآن فى أول كل سورة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنه لم ينكر أحد من الصحابة على من كتبها بخط القرآن فى أول كل سورة ، مع تخشنهم فى الدين وتحرزهم فى صيانة القرآن عما ليس منه ، حتى أنهم أنكروا على من أثبت أوائل السورة والتعشير والتنقيط ، وذلك كله يغلب على الظن أنها حيث كتبت مع القرآن بخط القرآن أنها منه .

« الثالث : ماروى عن ابن عباس أنه قال : سرق الشيطان آية من القرآن — لما أن ترك بعضهم قراءة التسمية فى أول السورة ولم ينكر عليه منكر ، فدل على كونها من القرآن فى أول كل سورة .

« فان قيل : لو كانت التسمية آية من القرآن فى أول كل سورة ، لم يخل إما أن يشترط القطع فى إثباتها ، أولا يشترط . فان كان الأول فما ذكرتموه من الوجوه الدالة غير قطعية بل ظنية ، فلا تصلح للاثبات ، وأيضا فانه كان يجب على النبى صلى الله عليه وسلم أن يبين كونها من القرآن حيث كتبت معه بيانا شافيا شائعا قاطعا للشك ، كما فعل فى سائر الآيات ، وإن كان الثانى ، فليثبت التتابع فى صوم اليمين ، بما نقله ابن مسعود فى مصحفه ، « قلنا : الاختلاف فيما نحن فيه لم يقع فى إثبات كون التسمية من القرآن فى الجملة حتى يشترط القطع فى طريق إثباتها ، وإنما وقع فى وضعها آية فى أوائل السور ، والقطع غير مشترط فيه ، ولهذا وقع الخلاف فى ذلك من غير تكفير من أحد الخصمين للآخر ، كما وقع الخلاف فى عد الآيات ومقاديرها . قولهم : كان يجب على النبى عليه الصلاة والسلام بيان ذلك بيانا قاطعا للشك . قلنا : ولو لم تكن من القران لتبين ذلك أيضا بيانا قاطعا للشك ، كما فعل ذلك فى التعوذ ، بل أولى من حيث إن التسمية مكتوبة بخط القرآن فى أول كل سورة ومنزلة على النبى عليه الصلاة والسلام مع أول كل سورة كما سبق بيانه . وذلك مما يوهم أنها من القرآن مع علم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وقدرته على البيان ، بخلاف التعوذ ، فان قيل كل ما هو من القرآن فهو منحصر يمكن بيانه بخلاف ما ليس من القرآن فانه غير منحصر فلا يمكن بيان أنه ليس من القرآن ، فلهذا قيل بوجوب بيان ما هو من القرآن دون ما ليس من القرآن . قلنا : نحن لم نوجب بيان كل ما ليس من القرآن أنه ليس من القرآن ، بل إنما أوجبنا بيان ما يسبق الى الأفهام أنه من القرآن بتقدير أن لا يكون منه كما فى التسمية ، ولا يخفى أنه منحصر ، بل هو أقل من بيان ما هو من القرآن ، وعلى هذا فلا يلزم من وضع كون التسمية آية مع أول كل سورة بالاجتهاد والظن ، وقد ثبت كونها آية من القرآن فى سورة النمل قطعا أن يقال مثله

جروب مجلات قديمة https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى ثبوت قراءة ابن مسعود فى التتابع مع أنها لم يثبت كونها من القرآن قطعا ولا ظنا ـ اه .

وفى التقرير والتحبير ما نصه :

ثم إنما ذهب الى نفى قرآنيتها — يريد التسمية — فى غير سجدة النمل ، من ذهب كمالك لعدم تواتر كونها فى الأوائل — أى أوائل السور قرآنا ، وكتابتها بخط المصحف فى أوائل السور لشهرة الاستنان بالافتتاح بها فى الشرع لقوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع ، رواه ابن حبان وحسنه ابن الصلاح — والآخر المثبت لقرآنيتها فى الأوائل يقول : إجماع الصحابة على كتابتها بخط المصحف فى الأوائل مع أمرهم بتجريد المصاحف عما سوى القرآن ، حتى لم يثبتوا آمين ، فقد قال ابن مسعود : جردوا القرآن ولا تخلطوه بشىء يعنى فى كتابته . وروى ابن أبى شيبة عنه : جردوا القرآن لا تلحقوا به ماليس منه دليل على كونها من القرآن فى هذه الحال — والاستنان لها فى أوائل السور لا يسوغ الاجماع على كتابتها بخط المصحف فيها ، لتحقق الاستنان فى الاستعاذة ولم تكتب فى المصحف — ثم قال بعد ذلك بقليل :

والشافعية على أنها آيات فى السور أى آية كاملة من كل سورة على الأصح عندهم ، فيما عدا الفاتحة وبراءة فإنها آية كاملة من أول الفاتحة بلا خلاف ، وليست آية من براءة بلا خلاف وترك نصف القراء لها — أى ابن عامر ، ونافع ، وأبى عمرو فى أوائل السور مطلقا ، وحمزة فى غير الفاتحة ، تواتر أنه صلى الله عليه وسلم تركها فى أوائل السور ، لأن كلا من القراءات السبع متواتر — وتواتر قراءتها فى أوائل السور عنه صلى الله عليه وسلم بقراءة الآخرين لا يستلزم أن التسمية منها ، لجواز كون قراءتها فيها تبركا — اه .

حسن حسين

موافقة اللسان القلب

يجب أن يوافق اللسان القلب والاصرار المخالف بينهما منافقا . وقد ذم إعرابى قوما فقال : قلوبهم أمر من الدفلى ، وألسنتهم من العسل أحلى .

وقال شاعر :

إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا ولكن حسن القول خالفه الفعل

وقال ابن جبير :

الناس شبه ظروف حشوها صبر وفوق أفواهها شىء من العسل
تحلو لذائقها حتى إذا انكشفت له تبين ما تحويه من زغل

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

المساواة الصحيحة والمساواة الزائفة

هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون

لا مشاحة فى أن الديموقراطية تكابد فى هذا العصر أزمة خطيرة، لا من ناحية أنها تقوم على أصول فاسدة، كما يقوله خصومها، ولكن من جراء غلو بعض الشعوب فى تطبيقها، وسوء فهم الأصول التى تقوم عليها.

أول دعامة تقوم عليها الديموقراطية المساواة بين الأفراد، وقد قام الخطباء من لدن الثورة الفرنسية الى اليوم بالإشادة بهذا المبدأ، والمبالغة فيه، الى حد أن أوهموا الدهماء أنها مساواة مطلقة من كل قيد، وأن لكل فرد الحق فى كل مزايا الاجتماع حتى ولاية الأحكام، وقيادة الجماهير. متغافلين فى ذلك عن الحقوق المشروعة للنخبة الممتازة من الجماعة، وكانت ثمرة هذا التطرف نشوء الشيوعية وما دونها من المذاهب الغالية. وقد اعتبر بعض النقاد أن ذلك من عيوب الديموقراطية وشرعوا فى إسقاطها وإحلال نظام آخر من الحكم محلها، مع أنها تبرأ من إطلاق المساواة الى حد توليد هذه الأمراض الاجتماعية العضالة.

فكيف يمكن تبرئة الديموقراطية من هذه التهم وإخراجها من المأزق الذى دفعت اليه وهى كما يشهد العقل والعلم خير ما أتيح للناس من نظام يقوم بين الناس على أساس طبيعى حكيم؟

لا يمكن ذلك إلا بالاستعانة بالفلسفة والعلم وهما معول الديموقراطية فى إثبات صحتها.

فأما الفلسفة فلا تسمح باعتبار مبدأ المساواة على إطلاقه. فاذا كان لا بد منها فى توزيع الحقوق والعدالة، فليس ولاية الأمور العامة من هذه الحقوق ولا من العدالة، فهى تقتضى من العلم والاطلاع والاختبار ما لا يوجد إلا فى أفراد معدودين، ولا يتفق قط أن يوجد فى جميع آحاد أمة تقدر بالملايين.

ولو نظرنا الى العلم رأينا أنه قوة محافظة لا تدعو الى التسوية المطلقة بين الكافة، ولكن الى التفرقة الدقيقة بين طبقات الناس لتضع كلا فى المكان الذى تزدهر مواهبه فيه.

وإذا اعتبرنا الرجل الذى كانت كتاباته عوامل باعثة على تقرير حقوق الأفراد، وتأييد مبدأ المساواة، وهو (جان جاك روسو) الفيلسوف الفرنسى المشهور (١٧١٢–١٧٧٨)، حتى قيل إنه موقد نار الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية بكتاباته القيمة، فهل كان هو نفسه من دعاة المساواة المطلقة المؤدية الى هضم حق الكفايات الممتازة، والمواهب الفذة، التى يفتح عليها ما لا يفتح على الجماهير مجتمعين؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال جان جاك روسو فى الفصل الثانى من كتابه العقد الاجتماعى :

« إن الارادة العامة تعتبر مستقيمة دائما وتميل الى المصلحة العامة : ولكن لا يلزم من ذلك أن تكون مشاورات الشعوب مؤدية الى السداد . فالانسان يريد الخير لنفسه ولكنه قد لا يراه فيخطئه . ومن المحال رشو الشعوب ولكن من الممكن خدعها » .

وقال فى موطن آخر من ذلك الفصل :

« الشعب بحافز من ذاته يتطلب الخير ، ولكنه قد لا يهتدى بذاته اليه . فإرادته كما ترى صحيحة ، ولكن الحكم الذى يقودها قد لا يكون على شىء من الهدى .

« فهو يجب أن يُرَى الأمور على ما هى عليه ، وأحيانا على ما يجب أن تظهر به اليه ، وأن يُدَل على الصراط المستقيم الذى يبحث عنه ، وحمايته من تسويل الارادت التى تحتوشه لتفتنه ، ويجب أن تقرَّب الى عينيه الأمكنة والأزمنة ، والمقابلة له بين حوادث المنافع الحاضرة المحسوسة ، وبين خطر الويلات البعيدة المحجوبة عنه .

« فالآحاد قد يرون الخير الذى يهملونه ، والجمهور يريد الخير الذى لا يراه . فكلاهما فى حاجة الى الهداة » .

هذا رأى واضع كتاب العقد الاجتماعى الذى يعتبر موقد كبريات الثورات الاجتماعية ، التى هبت للمطالبة بحقوق الشعوب وبالمساواة ، ولننتقل الى الثورة الفرنسية نفسها لنرى هل ترى رأى المطلقين فى المساواة ؟ فنجد فى المادة السادسة من إعلان حقوق الانسان وهو الكتاب المقدس لتلك الثورة ما يأتى :

« كل الوطنيين متساوون فى الأهلية لجميع الخطط الاجتماعية على حسب استعداداتهم ، وبدون أى تمييز بينهم إلا ما يكون من ناحية خصائصهم ومواهبهم » .

وفى هذا دليل على أن الثورة الفرنسية التى يرجع دعاة الاطلاق إليها تفرق بين الناس بمواهبهم وخصائصهم ، أى بصفاتهم الأدبية ، أى بعقولهم وقلوبهم ، وهل يراد أكثر من هذا من ثورة قامت تطالب بالمساواة بين الناس ؟

فتلك المساواة التى أهرقت الشعوب دماءها للحصول عليها هى المساواة فى الحقوق الطبيعية التى لكل فرد أن يتمتع بها ، فلا يصح أن يسمح لعظيم من العظماء ما لا يسمح به لأفقر وأجهل رجل من الهيئة الاجتماعية . مثال ذلك إذا حرم شعب على آحاده السير من جهة اليسار ، وجب عليه أن يؤاخذ المخالفين لذلك على حد سوى ، سواء أكانوا من السراة أم من الدهماء . وإذا قتل فرد نفسا وجب أن يقتص لها من قاتلها ، وإن كان من أعظم العظماء . هذا معنى المساواة ، ولكن هل يؤدى هذا المعنى الى وجوب اعتبار أى نابغة من النبغاء ، وأى جاهل من الجهلاء على حد سُوى فيما يتعلق باسناد بعض المهام الاجتماعية الى واحد منهما .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا يقول بهذا إنسان له عقل وشعور . وإذا كان الأمر كذلك فمن أين نشأ للعامة وخطبائهم ، من الذين يتملقونهم لاجتلاب أصواتهم ، سوء الظن بالطبقات العالية ، حتى إنه ليوجد فى البلاد الديموقراطية حقد مختزن فى قلوب العامة عليهم ؟

نشأ ذلك من أن الطبقة العالية من الحاكمين قبل عهد الديموقراطية كانت طبقة فاسدة التكوين ، مؤلفة من أفراد قذفت بهم وراثة الألقاب الى مكانات الرفعة دون أية ميزة عقلية ولا علمية كانت لهم . فلما نادى الخطباء الشعبيون لتسقط الارسطوقراطية ، لتسقط الطبقة العالية ، شايعهم الدهماء مقتنعين ، وأقبلوا يحطمونها باطشين . ولو كانوا قالوا : لتسقط الاريسطوقراطية الزائفة ، لتسقط الطبقة العالية المزوَّرة ، لكانوا أقرب الى الحق مما خاضوا فيه .

لست بما أكتب أريد التدليل على أن الاريسطوقراطية خير من الديموقراطية فى قيادة الشعوب ، ولكنى أريد أن أبرهن على أن الديمقراطية الحقة لا تعنى بمبدأ المساواة ، تجاهل المزايا الطبيعية والأدبية للافراد فتزنهم جميعا بمعيار واحد ، ولكنها بابطالها الحقوق المكتسبة بالوراثة تمكّن أصحاب المواهب العالية ، والمزايا الجليلة من شغل مكاناتهم من قيادة الهيئة الاجتماعية ، من غير أن يصادفوا موانع تمنعهم من بلوغ هذه الغاية استنادا الى نسب رفيع ، أو حق موروث . فهذا هو الذى كان يتطلبه جميع المصلحين ، وهذا نفسه الذى دعت اليه الثوارث الانجليزية من لدن القرن الثالث عشر والثورة الفرنسية التى حدثت سنة ١٧٨٩ وكانت مثالا لجميع ما تلاها من الثورات الاجتماعية فى سبيل تحرير الشعوب ، وهذا هو الذى قرره الاسلام قبل حدوث هذه الثورات بقرون كثيرة . فانه مع تأسيسه مبدأ المساواة فى الحقوق الطبيعية بين الأقوياء والضعفاء ، ومحوه نظام الطبقات القائم على الوراثة ، وتطهيره المجال من جميع النعرات الجاهلية ، قرر أن حق القيادة يوكل للأفضلين جريا على قوله تعالى : « هل يستوى الأعمى والبصير » « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وقد جرى النبي صلى الله عليه وسلم فى إصلاحه الاجتماعى على هذا المبدأ القرآنى فأسند الأمور الى أهل الكفايات والسابقات الحسنة ، غير مكترث الى نسب رفيع أو وضيع ، أو شرف تليد أو طريف ، فولى الأمور العامة الموالى والعبيد ، والصالحين من أى جنس كانوا ، لا فرق بين عربى وفارسى وروى وغيرهم . وهو لم يرد بذلك تطبيق مبدأ المساواة على إطلاقه ، فان ذلك غير معقول ، ولكنه أراد منه تطبيقه على وجهه الصحيح . أى أنه لم يكن يقصد هدم الاوضاع الطبيعية التى يقوم عليها كل اجتماع ، وهو وجود طبقات متفاوتة فى الكفايات العقلية والأدبية والمالية ، ولكنه قصد حل الطبقات التى أوجدتها عوامل غير طبيعية ، قامت على الاغتصاب والوراثة والعصبية ، وإيجاد غيرها تقتضيها طبيعة الاجتماع الصحيح ، وتستدعيها المساواة الحقة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهذا ما قصدته الثورات الاجتماعية التى حدثت بعد الاسلام بقرون كثيرة وكانت من ثمراتها الديموقراطية .

فالمجتمعات البائدة لم تكن معلولة لأن فيها طبقات متفاوتة ، ولكنها كانت كذلك لأن الطبقات فيها كانت مغتصبة ووراثية ، وخالية من الروح التى تقتضيها وهى السمو والنبوغ والمواهب الفطرية . فكل الذى أحدثه الاسلام وأحدثته الثورات التى هبت بعده هى إسقاط السراة الزائفين ، وإحلال سراة حقيقيين مكانهم ، تقوم مكانتهم على الفضائل الصحيحة ، والمواهب الكريمة ، لكى يتولى أقوياء العقول ، وكبار القلوب ، وكرام النفوس ، مهمة قيادة الجماعة بدل أولئك الأشباح الذين رفعتهم الى تلك المكانات غفلة الشعوب ، وغلبة الصفات الساقطة عليها .

فاذا كانت قد حدثت مذاهب متطرفة كالشيوعية والفوضوية ، استندت الى مبدأ المساواة المطلقة ، فليس ذلك عاب الديموقراطية فإنها بريئة من إطلاق مبدأ المساواة ، بل تنافيه من كل وجه إلا فى الحقوق الطبيعية كما رأيت .

وإذا تمكن خصوم الديموقراطية من إسقاطها بالصاق أمثال هذه التهم بها ، فلا يمكن أن يقوم على انقاضها إلا مذاهب إستبدادية لا تستند الى مبدأ المساواة لا مطلقا ولا مقيدا ، ولكن تستند الى القوة .

فإن قيل إن الديموقراطية مسؤولة عن وجود هذه المذاهب ، لأنها لاستنادها الى مبدأ حرية الرأى قد سمحت بأن تدعو الى نفسها ، وبأن يصبأ جماهير من السذج ومن يراد تسخيرهم إليها . فلو كانت أخذتهم بالحزم ، وعاملتهم بما هم أهله من الشدة لأمكنها القضاء على مذاهبهم قبل أن تنتشر وتصبح شؤما على من تنشأ بين ظهرانيهم .

نقول : إذا سمحت الديموقراطية لنفسها بأن تسلك هذه السبيل فى كبت كل صاحب مذهب ، لبطلت أن تكون ديموقراطية ، فإن من صفاتها إحترام جميع الآراء والمذاهب ، ما دامت لا تثور على النظام العام بالقوة . ولو سمح للديموقراطية أن تعامل خصومها بالشدة ، لا نقلبت الى أداة استبدادية ، وخسرت جميع المزايا التى يقوم عليها جمالها ، وفقدت كل الدعائم التى يستند إليها وجودها .

فإن قيل : إذا كان الأمر كما تذكر فما الذى يضمن وجودها ؟

نقول الذى يضمن وجودها هو الضمير البشرى ، فإن الجماعة أو طائفة كبيرة منها إن افتتنت بدعوة تناقضها فى دور من أدوارها ، وجرت عليها شوطا بعيدا ، فلا تلبث ، بعد

جووب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن تذوق وبال أمرها ، أن تعود الى حضن الديموقراطية ، وتكون هذه المرة أشد حرصا عليها ، وكلفا بها ، مما كانت عليه أول مرة .

على هذا النحو تحمى الديموقراطية وجودها ، وهو الأسلوب نفسه التى تحمى به الحقائق وجودها وخلودها ؟

محمد فريد وجدي

ما هو العقل وأين هو

قال حكيم : العقل غريزة لا يقدر أحد أن يصفها فى نفسه ولا فى غيره ، ولا يعرف إلا بالأقوال والأفعال الدالة عليه .

وقال العتبي واسمه عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان : العقل عقلان : عقل تفرد الله بصنعه وهو الأصل ، وعقل يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع ، فاذا اجتمعا قوى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار فى الظلمة البصر .

وينسب الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب :

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس ونور العين ممنوع

وقد مال حكماء الاسلام الى أن العقل فى القلب وقد استندوا فى ذلك الى قوله تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « العقل فى القلب به يفرق بين الحق والباطل »

وهذا حق لا مرية فيه ، فالمراد بالقلب حقيقة الانسان لا العضو المعروف والعقل مظهر من مظاهره . والدليل على أن المراد بالقلب حقيقة الانسان قوله تعالى : « إن فى ذلك لآية لمن كان له قلب » أى لمن كانت حقيقته الانسانية متيقظة ، لا لمن كان له العضو المعروف بالقلب ، فانه عام بين الناس جميعا ولكن الذين يدركون آيات الله قليلون . وكذلك قال الله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها »

وقال بعض الحكماء : أربعة تحتاج الى أربع : الحسب الى الأدب ، والسرور الى الأمن ، والقرابة الى المودة ، والعقل الى التجربة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

معرض الاراء العالمية

محمد وشرلمان

﴿ انتشار الاسلام بسرعة محيرة للعقل — شهادة مؤرخ كبير ﴾

جاء فى جريدة (الريبوبليك) الفرنسية تحت العنوان المتقدم مايأتى :

« كان لكل من النبى العظيم والأمبراطور العظيم فى خلال عهود التاريخ دور حاسم . فكل منهما يمثل مدنية خاصة . ولقد كتبت حياة كل منهما فصلين تاريخيين نقشا على سور الأجيال بأحرف متخالفة كل التخالف .

« لماذا اختار المؤرخ البلجيكى المأسوف عليه (هنرى بيرين) أن يكون هذا الاسمان عنوانا للكتاب الذى قدّر أن يكون تتويجا لأعماله فى سنيه الأخيرة ؟ اختارها للدلالة على العلاقات الوثيقة التى توجد بين فتوحات الاسلام ، وبين قيام عهد القرون الوسطى فى الغرب .

« وقد حداه أيضا الى ذلك كلفه بأن يضع الدور الذى بقيت صورته مبهمة فى مخاخنا ، فى موضع يساعد على إظهارها وإيضاحها ، وذلك الدور يبدأ من سنة (٦٣٢) وهى السنة التى توفى فيها محمد الى القرن التاسع . فقد أطال المؤلف البحث فيه وتابعه فى مدى الحرب العظمى ، وكان من أسراها ، وخلص من ذلك الى نتائج سيتولاها المؤرخون بالمناقشة والتمحيص .

« أهم هذه النتائج هى أن غارات القبائل المتبربرة على الدولة الرومانية لم تغير من تركيبها الاقتصادى والروحى شيئا ، وما بقى من تلك المدنية كان معتمدا على صلته بالبحر الأبيض المتوسط . فاقتصر التغير الذى حدث على انتقال المركز المخصب من روما الى القسطنطينية .

« ولكن كل ما تم من التحولات الذريعة بأوربا كان بفعل الاسلام . فانه قد أحدث انقلابا حقيقيا فصل به الشرق عن الغرب نهائيا ، ووضع نهاية لجامعة المدنية التى كان رباطها البحر المتوسط .

« فانتقل بذلك محور الحياة الغربية هزيعا الى الشمال لأول مرة فى التاريخ ، فأدى ذلك الى ظهور أسرة الكارولنجيين فى الأقطار الجرمانية . وعليه فلولا ظهور محمد لما أمكن ظهور شرلمان (١) .

---

(١) شرلمان هو ملك الفرنكيين اسلاف الفرنسيين ، ولد سنة (٧٤٢) وخلف أباه سنة (٧٦٨) . شرع فى فتوحات موفقة إلا فى احتكاكه بعرب أسبانيا ، فقد دحروه دحورا شنيعا وقتلوا قائده . من أعماله العظيمة أنه أعاد فى شخصه عهد الباطرة الرومانيين وأعلنه البابا فى سنة ٨٠٠ أمبراطوراً للملكة الرومانية الغربية بعد أن كانت انقرضت بسبب هجوم المتوحشين عليها من كل جانب ، وبسبب ما كان أصابها من الترف ، ولكن بموت شارلمان انقسمت ممالكه وتميزت الدول على النحو الذى هى عليه اليوم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« هذه الفتوحات العربيـة التى كان مجالها أوروبا وآسيا معا ، يعتبرها المؤرخ البلجيكى (هنرى بيرين) لا مثيل لها فى تاريخ البشر . ولا يمكن لانسان أن يقابل سرعة تتابعها بنجاح إلا بما تم فى عهود الدول المغولية على أيدى أتيلا وبعده بزمان جنكيزخان أو تيمورلنك . ولـكن هذه الفتوحات الأخيرة كانت مؤقتة بقدر ما كانت الفتوحات الاسلامية ثابتة وراسخة. ولا يزال للاسلام أتباع فى كل جهة استولى عليها الخلفاء الأولون . إن انتشار الاسلام بهذه السرعة المحيرة للعقل تعتبر آية حقيقية إذا قوبلت بالبطء الذى تمشت عليه المسيحية .

« لا يدهش أحد أن يكون من آثار انتشار الاسلام ظهور الاسرة الامبراطورية الرومانية القـديمة ، ولـكن المرء يتساءل متعجبا كيف لم يفن العرب فى سكان الممالك التى فتحوها كما فنى الجرمانيون فى سكان الممالك التى قهروها ولم يكونوا أكثر منهم عددا ؟

« لم يفن العرب فى سواهم لأنه كانت لهم ديانة جديدة يمكن مواجهة المسيحية بها ، ديانة لم تضطهد سواها ولـكنها نفت أتباعها من جامعتها باعتبار أنهم غير مؤمنين ، وأحلت أصولها الشرعية محل الأصول القانونية الرومانية .

« فالدولة بدخولها فى المسيحية تتغير روحا ، ولـكنها باسلامها تتغير جسما وروحا » .

(مجلة الأزهر) كل يوم يمر على الاسـلام يظهر فيه للعالم من أمره عجبا جـديدا . فهذا العلامة (هنرى بيرين) المؤرخ البلجيكى الـكبير يحـدثنا أنه لولا فتوحات العرب فى حوض البحر الأبيض المتوسط فى عهد الخلفاء الأمويين ، لما أمكن قيام شرلمان ، ولما تم له من الفتوح ما استأهل به أن يتوج أمبراطورا رومانيا سنة (٨٠٠) ، بعد أن كانت تلك الأمبراطورية قد انقرضت . فعمل على جمع إشلائها المبعثرة بحروب موفقة ، وحلاها بكل ما تحتاج اليه من نظم وقوانين ، وأصبح فذا من أفذاذ تاريخ القرون الوسطى . ولما توفى لم يوجد فى أولاده من يخلفه بمثل الـكفاية والحنكة اللتين كان متصفا بهما ، فتجزأ ملـكه بين أولاده وكان ذلك بدء نشوء الدول الأوربية الموجودة ، وهو انتقال ذريع فى حالة أوروبا غيرتها من حال الى حال ، وأوجدت فيها عوامل جديدة للانقلابات والتطورات الاجتماعية والجغرافية . فاذا كنا فى كثير مما كتبناه ذكرنا أن الاسـلام كان سببا فى تغيير خريطة العالم شرقا وغربا ، وأنه أزال دولا وأوجد دولا ، ومخض العالم مخضا نفى عنه كثيرا من أسباب الجمود والركود ، فانما نعنى أمثال هذه الأحداث الخطيرة .

يعجب المسيو هنرى بيرين من أن الفتوحات الاسلامية تمت بسرعة محيرة للعقل ، ولو كان يعلم ما فى الاسلام من روح علوية ، وعوامل ليست من نوع العوامل المعروفة ، لما تعجب من ذلك ، ولاعتبره وجها من وجوه غلبة الحق على الباطل ، فان ما كان يربط المسلمين الأولين بعضهم ببعض ، ويدبر حركاتهم للفتح والغلب ، ليست المطامع المادية ، والشهوات النفسية ، ولـكن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

القيام بما عهده الحق اليهم من إعلاء كلمة الله فى العالم، وتأسيس دولة تقوم فيه بواجب العدل، وتدفع بالانسانية الى باحات الترقيات الصورية والمعنوية، قياما بخلافة الله فى الأرض. وهذا الشعور العالى يدفع بالنفس الى الاستهانة بالاخطار، والاستخفاف بالمعاطب، فاذا وجد ألف من الناس استشعروا هذا المبدأ السامى، أغنوا عن ألوف مؤلفة ممن ليس لهم من البواعث على المقاومة إلا ما اعتاد الناس أن يكونوا عليه حيال النوازل. هذا هو السر فى أن بضع عشرات من ألوف كانوا يهزمون مئات الألوف ويستولون على بلادهم التى كانت قبل ظهور الاسلام أمنع من الجبال الرواسخ. أضرب لك أمثلة بسوريا ومصر والفرس. فقد تقابل فى سوريا بضع ألوف من جيوش المسلمين بمئات الألوف من جيوش الرومان المدربة أعظم تدريب، والمسلحة تسليحا يفوق تسلح المسلمين كثيرا. ومع كل هذا لم يثبتوا أمام المسلمين فى وقعة واحدة فجلوا عن الشام وفيها مكان حججهم.

أما مصر فتوجه إليها عمرو بن العاص بثمانية آلاف، ثم أمده أمير المؤمنين الفاروق بأربعة آلاف أخرى، فهزموا جيوشا رومانية تفوقهم عددا وعدة، ولم تغن كثرتهم عنهم شيئا.

وأما الفرس فأمرها أغرب من هاتين، فإن سعد بن أبى وقاص تقصدها بنحو ثلاثين ألفا مبتعدا عن قواعده مئات الكيلومترات، فلم يفت هذا فى عضد المسلمين شيئا، وكانت خاتمة المعركة أن استولى المسلمون على فارس كلها، ولم تلبث أن انقلبت إسلامية ورفعت من شأن الاسلام مالم توفق الى مثله أمة أخرى.

فالمدار فى كل هذا على الروح التى تبعث على الاقدام، فإذا كانت من نوع الروح العادية التى تدفع البعض الى شن الغارة، والبعض الآخر الى الدفاع عن الحوزة، توازنت الكفتان وكان الرجحان للعدد والعدة. ولكن إذا كانت الروح الباعثة من طراز هذه الروح العلوية لم يقف فى وجهها شيء، لأنها تنشئ من الضعف قوة، ومن القلة كثرة، وليس بعد هذه الأمثلة من دليل، وإلا فقد كان العرب عربا قبل الاسلام، فما بالهم قبلوا تحمل نير الفرس فى العراق واليمن، ونير الرومان فى شمال بلاد العرب، ولم يحدثوا أنفسهم بالقاء هذين النيرين عن عواتقهم، وقد لبثوا يحملونهما أجيالا كثيرة؟

ويعجب العلامة (هنرى بيرين) كيف لم يفن العرب على قلة عددهم فى الأمم التى دوخوها، كما فنى الرومانيون فى الأمم التى تسلطوا عليها، وهذا موطن ظاهرة بسيكولوجية دقيقة جدا، ذلك أن النفوس التى يفنى بعضها فى بعض بسبب القلة والكثرة، هى النفوس المتشابهة فى الوجهات والمقاصد، ولكن الجماعات التى تكون صادرة عن تعاليم عالية، ومبادئ سامية، ومقتنعة بها كل الاقتناع حتى أصبحت حالا لها، لا يمكن بحال من الأحوال أن تفنى فى غيرها ولو لم يبق إلا رجل واحد منها. وهذا دليل من طريق اللزوم على أن تعاليم الاسلام تطبع

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

شخصية الآخذ بها بطابع لا يزول أثره ، يحميه شر الاندماج فى أمم أحط منه نفسا ، وهو ما حفظ المسلمين الى اليوم وحدتهم الدينية ، وصبغتهم الاجتماعية ، رغما عن إهمالهم العمل بالتعاليم التى يقدسونها .

من أروع الأمثلة على ذلك أمم إسلامية ساذجة وقعت تحت الاستعمار الأوربى أكثر من قرن من الزمان ، فبالغ المستعمرون فى بث لغاتهم فيها ، ونشر عاداتهم بينها ، حتى كادوا ينسونها لغتها وتقاليدها ، ومنعوها أداء فريضة الحج سنين كثيرة ، فلم يزدها ذلك كله إلا تقديسا لتعاليمها . يمكن أن يقال هنا إن هذا من الجمود على القديم ، والحق إنه من إدراك السمو الذى بين تعاليم كتابها وما ترى عليه المغير على بلادها . والمبادئ والأصول تتنازع الوجود كالأحياء سواء بسواء ، ثم لا يبقى منها إلا الأصلح للبقاء ، والأقوى على تحمل اللأواء .

ويعجب المؤرخ البلجيكى الكبير من بقاء الفتوح الاسلامية ودوامها ، على حين أن جميع الفتوحات التى حصلت قبله وبعده لم تبق إلا مدة بقاء من قاموا بها . ولكن إذا علم السبب بطل العجب . ذلك أن الفتوح الاسلامية لم تعمل لتخليد اسم مستبد غاشم ، ولا للتوصل بها الى سلب الأمم مدخوراتها من مال وحطام ، ولكنها عملت لمقصد سام وهو تطهير الأرض من المظالم التى رانت عليها ، والمفاسد التى ذاعت فيها ، وإيقاظ الشعوب من طريق الفتوح الى ما هى فيه من جمود يلحقها بالعجماوات ، وركود جعل كل ترق مستحيلا عليها . ولم يصحب هذه الفتوح جيوش الدعاة يخرجون الناس من أديانهم بالقوة ، بل تركوا على ما هم عليه ، واحترمت معابدهم وكهنتهم وتقاليدهم ، ولم يكلفوا من الإتاوات إلا ببعض ما كانوا يقومون به لحكوماتهم الوطنية ، وعوملوا بالعدل المطلق ، حتى إذا شجر بينهم وبين المتغلبين عليهم نزاع ، أو ثار خلاف ، وجدوا فى القضاء الاسلامى حكما عدلا ، فاقتص لهم فى الدماء ، وسوى بينهم فى الحقوق .

أين هذه الحالة مما كان يحدث فى الفتوحات غير الاسلامية ، من احتقار المغلوبين ، واستباحة أموالهم وأعراضهم ، وتسخير نسائهم ورجالهم ، ومعاملتهم بما لا تعامل به الحيوانات العجم من القسوة والعذاب المهين ؟

لا جرم أن الشعوب التى تقع تحت أيدى الفاتحين المسلمين تأنس للحياة تحت ظلهم ، وترتاح للعيش فى جوارهم ، وتكره أن تعود حتى الى سلطان حكوماتهم الوطنية ، لأنها لم تكن على شيء من النظام الديموقراطى الذى يدعو اليه الاسلام ، ولكنها كانت على أخشن ما يمكن تصوره من النظام الأوتوقراطى الذى يسمح للعدد القليل من الأقوياء المتغلبين بتسخير جماهير الضعفاء لتوفير لذاتهم ، والكدح لزيادة ثرواتهم ، ولا بأس أن يموت هؤلاء الضعفاء جوعا وعريا وحرمانا ، فانهم فى رأيهم إنما خلقوا لخدمة الأقوياء لا لأنفسهم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على هذه السنة كانت تقوم الحـكومات الوطنية ، وعليها كانت تسير الدول الفاتحة قبل ظهور الاسلام ، حتى إن أمما برمتها زالت بسبب فتح الأوربيين لأمريكا الجنوبية . فلا عجب بعد هذا البيان أن تثبت الفتوحات الاسلامية ، وتستمر خلال قرون تتطور فيها حتى تصبح بلادا إسلامية محضة . فقد شوهد أن الاسـلام لم يستقر فى بقعة من الأرض إلا انتشر فيها بلا إجبار ، وتغلبت لغته على لغة أهل تلك البقعة حتى نسختها .

إن حدوث هذا التحول السلمى كله أدلة قاطعة على أن أسلوب المسلمين فى معاملة المقهورين حبب اليهم التحول الى دينهم يسيرا يسيرا . وهذا مالم يحدث قط فى العالم الانسانى فى أية بقعة من بقاع الأرض . فقد شوهد أن الأمم المقهورة إما أنها تمـكنت من الافلات من براثن المتغلبين ، وإما أنها فنيت برمتها فى أجسادهم .

ومن أغرب الظواهر الانسانيـة وأدعاها للدهش ، وهو مالم يحدث فى غـير الاسلام ، انتقال بعض الأمم المقهورة بسرعة الى حظيرة الاسـلام ، وتحولها الى صفوف المدافعين عنه بسيوفهم وأقلامهم ، حتى صاروا من أكبر حفظته ، وأعظم حفدته .

فهذه الممالك المفتتحة لم يـكفها أن تبقى مستنيمة الى سلطان الاسلام فقامت تذود عن بيضته ، وتحامى عن حقيقته .

ولو فطن العلامة هنرى بيرين الى هذه الخصوصية للفتوحات الاسلامية لجاءها فى مقدمة ما استنزل عجب قرائه منه . وهو يدل على أن عاملا أدبيا يلازم الاسلام ويحل معه حيثما حل ، وهو عامل يصح أن يكون موضوع دراسـة عميقة ، تؤدى حتما الى معرفة كنه هذا الدين ، والعوامل المبثوثة فيه لايقاظ الآخذين به والمتصلين بهم ، فإن قصر الأوربيون فى تلمسه ، فلا يعز على المسلمين أن يقوموا بهذا الواجب وهم أولى به من سواهم ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نظام الوقف فى الاسلام

وآثاره المترتبة عليه

اتفق الفقهاء على أن دعوى الوقف تثبت باقرار المدعى عليه بأركان الدعوى ، أو بنكوله عن اليمين إذا أنكر من حالة ما إذا طلب المدعى تحليفه على أن مافى يده ليس وقفا . وهذا يتعين المصير اليه إذا كان المدعى عليه هو الواقف ثم عرض له من الأسباب مايجعله يجحد هذا الوقف . فمن طرق الاثبات فى هذه الحالة أن يعترف بها الواقف أو ينكل إذا طلب ذو صفة الى القاضى تحليفه على أن هذه العين ليست موقوفة . فما تواضع عليه علماء الفروع أن الاقرار من الحجج الشرعية التى يعتبرها القضاء فى الطبيعة دليلا على صحة المدعى . وهذا مسلم الثبوت فالأقوال من دلالتها فى المرتبة الثانية بعد الأفعال من الدلالة على إثبات المدعى إذا كان الاقرار خالصا من القرائن التى تجعله حيلة يحتال بها المقر على طمس معالم الحقيقة أو النبو بها عن جادتها الواضحة . وهو حجة قاصرة على المقر لا تتعداه الى غيره إلا إذا صادقه المقر له . والاقرار الصحيح ينفذ فى كل ماله إذا أقر به ، فاذا رجع المقر عن إقراره كان الرجوع غير صحيح ، وتعين المصير الى العمل بإقراره دون الرجوع عنه . وهذه مبادىء عامة تشمل الاقرار بالوقف وغيره ، لأن لها صلة بطرق الاثبات للمدعى إطلاقا .

لكن العلماء فيما نقل العلامة صاحب الفتاوى المهدية قد استثنوا حالة واحدة وهى الاقرار بالوقف ، فقالوا : ليس بلازم من صحة الاقرار بالموقوف بتصديق المقر له إن كان الموقوف المقر به معينا ، فان صادق المقر له المقر فيما أقر به ، دخل فى حكمه وإلا بان كذبه فى إقراره بالموقوف انحاز نصيبه الى المساكين . فاذا رجع المقر له الى تصديق المقر صح هذا الرجوع وعاد اليه نصيبه وإن لم يقر به الواقف أو الناظر مرة أخرى ، لأن العبرة بالاقرار الأول ، وهو صريح الشمول والدلالة .

ويتضح هذا التحقيق فى صورة ما إذا أقر شخص لرجلين بأن هذه العين التى فى يده وقف عليهما ، ومن بعدهما على المساكين ، فصدقه أحد الرجلين وكذبه الآخر ، ففى هذه الصورة تصرف حصة الجاحد فى الغلة للمساكين ، فلو عدل عن تكذيبه عادت اليه حصته وإن لم يتكرر من المقر إقرار ثان لما أسلفنا .

لكن نقل العلامة ابن عابدين فى رسائله أن هذه الحالة فى الوقف تختلف جد اختلاف عن الاقرار والعدول عنه من المقر له فى الملكية . فلو أقر شخص لآخر بأرض غير موقوفة

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فكذبه المقر له فى إقراره ثم عاد فصادقه عليها فلا تصير ملكا للمقر له إلا إذا أقر المقر بها مرة أخرى .

قال العلامة ابن عابدين : والفرق بين الإقرارين أن الأرض المقر بوقفيتها لا تصير ملكا لأحد بتكذيب المقر له ضرورة أنها تنحاز الى جهة المساكين أو أنها تصير المقر له عند عدوله عن التكذيب الأول مستحقا ، بخلاف الملكية فإنها تنحاز الى جهة المقر له عند تصديق الثانى ، والفرق بين الحالتين جلى لا يحتاج الى عناء فى التقدير .

فلو أقر شخص بوقفية عين فإما أن تكون فى يده أولا ، فإن كانت فى يده فإما أن يعين وقفه أولا وإما أن يعين مستحقين فى الوقف أولا . فإذا أقر شخص بوقفية أرض فى يده ولم يعين واقفا ولا مستحقين حين الاقرار ، صح إقراره وتصير وقفا على الفقراء ، لأن الأوقاف تكون فى يد القوام عادة ، فلو لم يصح الاقرار ممن هى فى أيديهم لبطلت أوقاف كثيرة . ولا يمكن فى هذه الحالة أن يجعل الواقف هو المقر لهذه العين إلا إذا أقام البينة أمام القاضى بأن هذه العين كانت فى حيازته وقت الوقف . وحينئذ تندفع الخصومة القائمة ويثبت للقاضى أنه هو الواقف وتثبت تبعا وقفية تلك العين ، وتكون للمقر فى هذه الحالة الولاية عليها فلا يتطرق إليه عزل إلا بأسباب موجبة له .

ونقل العلامة الخصاف أن المقر لو عين مستحقين فى إقراره ولم يسم واقفا وليس له من ينازعه فى هذا الاستحقاق ، وقع هذا التعيين صحيحا ، وصرف الريع الى الجهة التى عينها فى إقراره ، وإن عين نفسه وولده وذريته ، إلا إذا ادعى قوم أنهم هم الموقوف عليهم دون غيرهم فصدقهم المقر لا يعتبر تصديقه إلا فى حق نفسه ، فيصرف ما يخصه من الريع إليهم ، ويبطل بحوثه على ما هو مبسوط فى البحر .

قال صاحب كتاب أنفع الوسائل ومثل هذه الحالة المتقدمة حالة أخرى وهى ما لو أقر المقر بالوقف ثم سكت فذكر جهة من الجهات على سبيل التعيين فإنه يقبل منه ذلك التعيين استحسانا لأنه وقد أصبح الموقوف فى يده كان مصدقا فيما يقر به متعلقا بالعين الموقوفة . أما قياسا فلا يقبل منه قوله الأخير ، وبالتالى تلك الجهة التى عينها ، لأنه بإقراره الأول صار الموقوف للمساكين لعدم تعيين مستحق فلا يملك إبطاله بعد ذلك ، فمتى ذكر جهة من الجهات فلا يصح له أن يزيد عليها أو ينقص منها إلا إذا كان الاعتراف الثانى متصلا بالإقرار الأول .

وموعدنا بالكشف من بقية البحث الأعداد القادمة . فالى اللقاء ؟

عباس طه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لحضرات المشتركين

اضطررنا حرصا على النظام أن نمسك هذا العدد عمن لم يصلنا منهم القسط الثانى من الاشتراك حتى نعرف رأيهم .

اختلاف أبى حنيفة وابن أبى ليلى :

أول من ألف فى الخلافات الفقهية أبو حنيفة النعمان ، فقد وضع كتاب (اختلاف الصحابة) ثم ألف تلميذه أبو يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هـ كتاب (اختلاف أبى حنيفة وابن أبى ليلى) وهو الذى نقرظه اليوم . ومن يعلم مكانة أبى يوسف من الفقه يدرك قيمة الفوائد الجليلة التى يمكن جنيها من كتاب يضعه فى خلافيات إمامين جليلين .

عنيت بنشر هذا الكتاب لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدكن ، وعنى بتصحيحه والتعليق عليه الاستاذ أبو الوفا الافغانى المدرس بالمدرسة النظامية بالهند ، وأشرف على طبعه الأستاذ الشيخ رضوان محمد رضوان ، فنشكرهما ونشكر لجنة إحياء المعارف على ابراز هذا المؤلف النفيس راجين أن يعم النفع به .

مباحث عربية :

الأستاذ بشر فارس شاب تيمه التعلم فرحل فى طلبه الى باريس ونال فيها الدكتوراه فى الآداب ، ثم شخص الى برلين ليطلع على مناهج أهلها فى البحث والكتابة والتحليل ، ثم انتقل الى لوندره يستكمل فيها ما عسى أن يكون فى تينك العاصمتين . وقد آب الآن الى مصر ينشر فيها ما ادخره فى عواصم المدنية من العلم العالى والأدب الصميم . فكانت أول باكورة له كتابه الممتع (مباحث عربية) وإنه لممتع حقا بما سلكه مؤلفه من طرق التمحيص ، ومناهج التحقيق ، صدره بالكلام عن مسلمى فنلنده ثم والى بعده البحوث فى مكارم الأخلاق ، والمروءة ، والتفرد والتماسك عند العرب ، والبناء الاجتماعى عندهم فى الجاهلية ، وتاريخ لفظة الشرف ، واصطلاحات الموسيقى والفلسفة ، ومصطلحات مختلفة من بعض المخطوطات العربية الخ .

الكتاب الذى نحن بصدده يعتبر أطروفة فنية من جميع نواحيه ، فهو مزيج من أدب وعلم ولغة وفلسفة ، جم الفوائد الى حد أنه يشبه أن يكون كتابا تعليميا ولكن ليس فيه جفاف الأساليب التعليمية ، ومن النجاح العظيم أن يؤلف مؤلف كتابا غزير المادة العلمية وجذابا الى حد يشبه معه قصة ظريفة . يوجد بمكتبة المعارف بمصر .

الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة :

هذا مؤلف ممتع وضعه الإمام بدر الدين الزركشى وعنى بتصحيحه ووضع مقدمته وتعاليقه وفهارسه الأستاذ سعيد الافغانى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

موضوع هذا الكتاب يعرف من عنوانه، وهو ما استدركته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها على الصحابة فى فهم بعض الأحاديث النبوية، وفى عملهم بالسنة، وفيهم أبو بكر وعمر وعلى وابن عمر وابن عباس، وقد قدروا استدرا كاتها قدرها، فهو كتاب كما قال ناشره يتجلى فيه ذكاء المرأة وفطنتها ومواهبها ودقة نقدها.

الكتاب يقع فى نحو ٢٢٥ صفحة وهو مطبوع طبعا جيدا على ورق صقيل فنشكر لحضرة ناشره حسن عمله ونرجو له مزيدا.

لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم؟

هذا بحث عويص، متشعب النواحى، لا يستطيع أن يخوض غماره إلا الأفذاذ المطلعون على ماجريات الحوادث، وشؤون الأمم، ممن حصلوا على مذخور عظيم من علم الاجتماع. وليس يشك أحد فى أن الكاتب الكبير والزعيم الجليل الأمير شكيب أرسلان ممن يوثق بمعارفهم وملاحظاتهم فى خوض هذا البحث الخطير.

بحث فيه واضعه الفاضل العلل التى طرأت على المسلمين، وبين كيفية تسربها اليهم، ودرس أحوال الأمم الغربية وبين مواطن قوتها، وجهات عظمتها، وسرد فى ذلك حوادث، وأتى على بيانات، فأصبح لدى القارىء بذلك مرجع جليل القدر فى داء المسلمين ودوائهم إن لم يكن صوابا كله، ففيه حصة صالحة منه، والخلاف يرجع الى تباين المذاهب فى تشخيص العلل وهذا الموضوع قل أن يتفق فيه باحثان.

وقد عنيت بطبعه مكتبة عيسى البابى الحلبى فأهدت العربية منه سفرا جليل القدر، عظيم الفائدة، فنشكر لها هذه الخدمة.

الطليعة

ليس فى مصر والشرق من يجهل مكانة الأستاذ ابراهيم الدباغ من الشعر والنقد والفكاهة فهو شاعر لا تخلو له قصيدة من كلمة نابغة أو نادرة طريفة أو نكتة ظريفة، وهذه ميزة قلما توجد فى شعر على النحو الذى هى عليه فى شعر الدباغ من النزاهة والبعد عن الاسفاف، وقوة التأثير.

تفضل حضرته فأهدانى مجموعة من شعره بين سنتى ١٩٢٦ و١٩٣٨ فرأيت فيها المعجب المطرب من الشعر الفحل والأدب الصميم. وعند تصفحه كان أول ما وقع عليه بصرى قوله:

لى ضمير به شقيت فيامن ... يشتريه يريحنى من ضميرى
يرغب الأصغرون منى صغارا ... وهو يأبى الامكان الكبير

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كلمتان لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام

أولاها كلمة رفيعة القدر ، بعيدة مدى النظر فى الشئون العالمية ، والعوامل الاجتماعية ، نشرت لفضيلته فى العدد الممتاز الذى أصدرته دار الهلال لمجلتها الشهرية تحت عنوان (العرب والاسلام فى العهد الحديث) . ولست فى حاجة لأن أطنب فى تقريظ هذه الكلمة الجامعة ، فقد عبرت عن الحقيقة الاسلامية أصدق تعبير ، وكشفت عن أبعد أصول هذا الدين أثرا فى جمع القلوب عليه ، ولفت الأنظار اليه ، فلا شىء أوقع فى نفوس العالمين اليوم ممن يدعو الى الأخوة الانسانية العامة ، فإن جاءت معبرة عن كتاب أمة يبلغ عددها خمس سكان الكرة الأرضية ، فإن الغيورين على ارتقاء النوع البشرى يزدادون إيمانا بتغلب عوامل الخير على عوامل الشر فى الحياة البشرية .

والكلمة الثانية ما أجاب به فضيلته جماعة اتحاد المتخصصين وقد قابله وفد منهم تحت رياسة فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون للإعراب لفضيلة الاستاذ الامام عما يشعرون نحوه من الاخلاص والتقدير . وإننا لنأتى بالكلمتين المذكورتين هنا جمعا لشتات كل ما يكتبه فضيلة الأستاذ الامام ، وهو لا يكتب إلا فيما يصلح المسلمين ، ويعلى قدر الدين .

كلمة فضيلته الأولى فى العدد الممتاز للهلال :

الاسلام والإخاء الانسانى

اليوم وقد نشأ الشعور بحاجة الأمم بعضها الى بعض ، ونشأ الشعور بوجوب جعل الحياة العامة فى البشرية كلها بمأمن من الغوائل ، ونشأت الحاجة الى تحقيق مطالب اقتصادية ومدنية وعلمية وروحية لا تستقل بها أمة ، بل تحتاج الى مشاركة عامة — أخذت فكرة الزمالة تتسع وتمتد لتشمل النوع الانسانى كله ، ففكرة الزمالة ليست نظرية فلسفية ، بل هى حاجة طبيعية تولدت فى النوع البشرى منذ دور الطفولة ، ومنذ أدرك أن ارتباط الأفراد بعضهم ببعض يساعد على قطع مفاوز الحياة بأمان ، ويعود عليه بالخير .

ومع شعور الانسان بالحاجة الى الزمالة ، ومع أن العقل يقتضيها ، فقد كانت عوامل التفرق دائما ملازمة لهذا الشعور ، لأن الانسان لا يسيره العقل وحده ، ولكن تسيره أيضا غرائز حيوانية ركبت فيه ، ومن هذه الغرائز حب الأثرة ، والغيرة والخوف والشك ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد أضيف الى ذلك اختلاف الأديان والمذاهب ، فوجد عامل آخر للتفرق ، حتى إنه عند ما يلوح للباحث أن الاخاء الانسانى المنشود تدافعه كل تلك النوازع فى الانسان ، يبدو له أنه مطلب لا ينال فى هذه الحياة ، إذ يهوله ما يحتكم فيها من شرور تصرفها جائر شرس لا قلب له ولا وجدان .

ولا أعتقد أن التقدم العلمى والفلسفى بقادر على التغلب على هذه العوامل وإزالة آثارها ، فقد شاهدنا أن الحروب تزيد هولا ووحشية كلما ازداد تقدم العلم ، وأنه أمضى أسلحتها ، بل فى الحق أنى لا أعتقد أنه سيجىء اليوم الذى تتحقق فيه المثل العليا للبشرية ، لأنه وإن أمكن بعامل من العوامل أن تخبو جذوة تلك النار المنبعثة من قوى الطبيعة فى الانسان ، فانه لا يمكن أن تنطفئ تلك النار . ولكن هذه العقيدة لا يصح أن تقفنا عن البحث عن الوسائل الملطفة لتلك الغرائز ، والكابحة لجماحها ، بل من الخير أن نبحث عن تلك الوسائل ، والمتدين حين يعالج هذه المشكلة يجب أن يذكر أن الأديان كلها قد اعتمدت فى الانسان على أصل راسخ من غريزة التدين ، ودفعته الى الثقة بأن العالم مجموعة متناسقة تسودها قوة مدبرة حكيمة عادلة ، ترقب النيات وتحكم الضمائر ، وأن هذه الحياة صائرة الى غاية من المسئولية والمجازاة . ففى التدين من هذا التأليه والخضوع ومراقبة الإله وتوقع محاكمته ، عوامل ليست أقل خطرا ولا أضعف أثرا فى دفع الانسان الى الخير والبر ، من تلك العوامل الأخرى الداعية الى الشرور ، والدافعة الى الحرب والحرص ، وإفساد شأن الجماعة الانسانية .

وليس من شك فى أن اعتقاد حياة أخرى أطول مدى من هذه الحياة ، واعتقاد أنها خير خالص يصل اليه الانسان بالعمل الصالح ، أو شر محض يكون نتيجة حتمية لأعمال الشر ، يجعل قلب الانسان مطمئنا راضياً إذا ساء حظه فى الحياة الدنيا ، ويغير نظره الى هذه الحياة تغييراً تاما . ثم اعتقاد أن الخير والشر ينزلان بمقدار بعد وزنهما بميزان عادل هو ميزان القادر الحكيم ، يحفز الانسان الى الاكثار من عمل الخير ، ويبعده عن عمل الشر .

يجب أن يكون المهيمن على عمل الانسان من داخل الانسان ، وهو خوف الله . وقد يقول علماء الأخلاق إنهم إذا وصلوا الى جعل الانسان يحب الخير لذاته ، ويكره الشر لذاته ، ونبهوا الضمير الانسانى بواسطة التهذيب والتربية أغنى ذلك عن التدين ، ولكن أنى لهم ذلك ، وكيف يستطاع تهذيب الدهماء ، ومن تلهيهم من أول أدوار الحياة الحاجة الى القوت ؟ فالرجوع الى غريزة التدين أسهل ، وهذا الشعور الدينى إذا عمق وصاح أقوى ، أو على الأقل ليس أضعف ، من الخوف والطمع والمنافسة المثيرة للحروب . وهذا الشعور يرفع الانسان الى ما فوق الاعتزاز باللون والدم والحياة والطبقة والثروة . وهو صالح لأن يغالب الحقد والحسد والأنانية ، وفيه من تطمين النفس ما يقلل بطرها بالغنى ، ويهون عليها الفقر ، ويخفف ثورتها عليه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهذا الشعور يكرم النفس الانسانية ، ويحدوها الى المعرفة والحكمة ، ويكره اليها الجهل والحمق . كل تلك الآثار قد ثبت تحقيق التدين لها فعلا ، لولا طوارئ أخرى ، ومن هنا تقوى طاعية المتدين فى قبول تلك الغاية المرجوة من الأخوة الانسانية مهما عز ذلك أو بعد ، ولكن بقدر ما تحتمل ذلك طبيعة الانسان .

وقد عنى الاسلام بفكرة الأخوة الانسانية ، فقد نبه القرآن الكريم الى وحدة الأبوين الموجبة للتعاون والتعارف والتناصر ، والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتخاذل ، ولم يقم وزنا لشرف المولد وكرم الجنس ، ووضع معيارا للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل ، هو تقوى الله ؛ وفى القرآن الكريم : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وطلب القرآن الكريم الى المسلمين إحسان معاشرة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا فى حالة العدوان ؛ وفى القرآن الكريم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم ، أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وقد عمل الرسول الأكرم محمد صلوات الله عليه ، وخلفاؤه من بعده ، على وفق هذه المبادئ السامية ، حتى أبيح الإصهار الى أهل الكتاب مع ترك الحرية للزوجة وعدم منعها من شعائر دينها .

كلمة فضيلته الثانية لاتحاد علماء التخصص :

واجب العلماء فى الحياة العامة

يسرنى أن يكون لعلماء الأزهر عناية بالأحوال العامة ، فقد كان الأزهر لا يفكر فيها فيما مضى ، وكنت دائما أؤمل أن يتجه اليها ، وأن يعالج فى كياسة ورفق النقص الطارئ عليها .

وإنى لأشعر اليوم بغبطة عظيمة لأنكم قد أرضيتم باتجاهكم هذا رغبة الأزهر ، وهو اتجاه مشكور طالما تمنى الأزهر تحقيقه .

ولا شك أن بلدا إسلاميا مثل مصر ، فيه أقدم جامعة إسلامية أدت ما عليها وصمدت للحوادث عشرة قرون ، حمت فيها الدين الاسلامى وعلوم اللغة العربية ، حتى أصبحت مصر زعيمة العالم الاسلامى والشرق فى الدين والآداب والعلوم العربية والثقافية الدينية — مثل هذا البلد ، ومثل هذا المعهد العظيم ، عليهما الآن أن يفكرا ، ويفكرا طويلا ، فى الاحتفاظ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بهذه الزعامة ، وفى تغـذيتها ، وعليهما أن يوجـدا الثقافة التى تلائم روح الشرق وتستهدى بهدى الاسلام .

ولعل اتحادكم هـذا يكون نواة لقيام فكرة عامة بين المسلمين ، هى تشاور جميع الأمم الاسلامية والشرقية فى شئونها العامة التى لا تتوقف فقط على توحيد الثقافة ، بل تمتد فتشمل البحث فى أمراض المسلمين ، والعلل التى أدت بهم الى ما يشكون منه الآن من ضعف وتفكك ووهن ، فى حين كان الواجب أن يكونوا فى طليعة الأمم الشرقية بما كفله لهم دينهم من سعادة ، وما ضمنه لهم من أسباب الرقى .

وأظن أن خير علاج للحالة الراهنة فى مصر وغير مصر ، هو بحث العلل الاجتماعية بحثا خاليا من التعصب ، بعيدا عن فكرة التقليد العمياء ، وألا نرتكن فى هذا على تقاليد نستمدها من السياسة الشرقية الماضية .

لقد فكرت من قبل طويلا فى إيجاد روابط تربط الأمم الاسلامية فى شئونها المتعددة ، وقد سرت فى طريق ذلك خطوات ، ولكنى أعتقد أنى ما زلت فى منتصف الطريق فضلا عن نهايتها ، غير أن يقظة علماء المسلمين ، وشعورهم بآمالهم وآلامهم ، مما يجعل من السهل تحقيق هذه الرغبات ، ويبشر بالخير العظيم ، إن شاء الله .

ومع ذلك فليس عندى من الوسائل التى تضمن النجاح فى هذه الأحوال إلا شىء واحد : هو أنى أحب الاسلام والمسلمين ، وأحب أيضا أن يكون هذا هو شعوركم فى كل أعمالكم لخير الاسلام وأهله لنضمن النجاح .

ثم كرر فضيلته شكر أعضاء الاتحاد على فكرتهم النبيلة ، وعلى زيارتهم له ، ورجا الله أن يحقق آمال المسلمين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة المحمدية

تحت ضوء العلم والفلسفة

مهمة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم

نشرنا فى الأعداد السابقة بحوثا فى ماهية الوحى وفى إمكانه ، بل وجوده بالفعل فى عالم الطبيعة مشاهدا محسوسا ، وفى أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان واحدا من الذين شرفهم الله بوحيه ورسالته بعد عيسى عليه السلام بنحو ستة قرون ، واليوم نبحث فى ماهية المهمة التى كلف بها محمد صلى الله عليه وسلم .

المعروف من الاسلام بنصوص محكمة لا تقبل التأويل ، أن رسالة محمد عامة للناس كافة ؛ وأنه أرسل بالدين الأول الذى أنزله الله الى المرسلين قاطبة ، خالصا مما شابَهُ به المحرفون ، وما ألحقه به الشارحون والمؤولون ؛

وأن هذا الدين هو ما تدعو اليه الفطرة الانسانية ، ويمكن أن يتفق عليه البشر كلهم ، فتصبح دياناتهم واحدة ، وجماعتهم واحدة ، لا طفرة ، ولكن بعد أدوار من التطور تحفزهم الى هذا الموقف حفزا طبيعيا ، تحت تأثير العلم والحكمة ، والمَثُلات العالمية المربية ؛

وأن الاسلام مجموع من أصول ومبادئ هى المثل العليا التى تتطلبها النفس البشرية ، وتترامى عليها بمجرد إدراكها ، متى خلصت من سطوة الأوهام الوراثية ، وتملصت من سلطة الوساوس التقليدية ؛

وأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم المرسلين ، به انتهى دور النبوة ، وانقضى عهد الوحى ؛

وأنه قد عُهِد بعده الى العلم والعقل أن يقوما على حراسة هذا الذخر الإلهى من عبث العابثين ، وعنت المتنطعين ، وأن يعملا على إزالة العراقيل دون انتشاره ، ويمهدا السبيل لإبلاغه غاية سلطانه .

هذه أمور خطيرة أعلنها الاسلام وعمل على تحقيقها ، ولم تكن تدور بخلد أحد من العالمين حتى أئمة الفلسفة أنفسهم ، إذ لم يكن يبحث أحد فى إمكان وجود رسالة عامة للبشر كافة ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولم يكن يعرف إنسان أن الله أوحى لجميع المرسلين دينا واحدا ، ولا أن التخالف فى الأديان إنما حدث بسبب تحريف قادتها لما أنزل اليهم منها . ولم يكن يتخيل مصلح أن هذه الأديان المتخالفة كلها يمكن توحيدها بارجاعها الى أصلها الأول ، فيصبح بذلك للأمم قاطبة دين واحد ؛ ولا أن هـذه الأمم ذات القوميات المتباينة ، والمصالح المتعاكسة يمكن أن تتوحد ويكون لها وجهة مشتركة ، باعتبار أن توحدها أوفى بمصالحها ، وأدعى لزيادة رفاهتها .

ولم يـكن فى الأرض من يتصور المثل العليـا فى الأصول ، ولا أن فى الفطرة البشرية عوامل تحفز النفوس اليها تحت تأثير المثلات العالمية ، والتفاعلات الاجتماعية .

ولم يبحث أهل الأديان قبل الاسلام فى مدى سطوة الأوهام الوراثية بالعقول ، وتأثير الوساوس التقليدية فى القلوب .

كل هذا لم يكن يتردد فى العقلية الدينية قبل ظهور الاسلام ، ولم يـكن أقطاب الفلسفة يهتمون بذلك من الوجهة الدينية ، فقد كان رجال الدين منتبذين ناحية لا يسمحون لأحـد أن يغشاهم فيها إلا لتأدية العبادة لهم ، ولما أقاموه من التماثيل والنصب حولهم ، أما التفاهم معهم على أصل ، أو مجادلتهم فيه ، فان ذلك كان جزاؤه الاحراق بالنار ، أو على القليل كارثة لا ينتعش منها أبدا وإن تاب .

ولما كانت كل هذه الشئون ، لو جاءت بها نصوص كتابية صريحة ، تكشف عن أكبر تطور دينى عرفه البشر منـذ وجـد الى اليوم ، وتدخل المسألة الدينية فى صميم الظواهر الاجتماعية التى تماشى المنطق العلمى ، وتساير ناموس التطور الطبيعى ، ويكون انتهاء العالم اليها ضربة لازب ، فان التدليل على قيام الاسلام عليها بالنصوص الكتابية الصريحة لامن طريق التأويل ، يحول الأنظار الى الاسلام تحويلا لا يأتى من أى طريق آخر ، ويعتبر أقوى دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأن عقـلا بشريا قبل نحـو ألف وثلاثمائة سنة ، وفى بيئة لا تنجب مثل هذه المبادئ ، لايقوى على تصور كل هذه الشئون العظيمة ، وينجح فى إقناع جمهور كبير بصحتها ، ثم يحمله على التكيف بها والعمل لسيادتها ، باذلا حياته فى سبيلها ، بحيث يؤدى ذلك الى قبول أمم عظيمة لها ، ودعوتهم العالم كله اليها .

بناء على هذه الاعتبارات يصبح مما لا يقبل الجـدل أن مهمة محمد صلى الله عليه وسلم هى أن يحمل للبشرية كلها دينا عاما ، قائما على أصول طبيعية لا يتأتى هدمها ، بل لا يمكن الشك فى أصالتها ، وفى اتجاه كل المحاولات العلمية والفلسفية الى الحمل عليها ، مصداقا لوعده تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟ » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تنازع أصحاب الأديان لقب الدين العام :

إن قوله تعالى فى القرآن : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وقوله : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسولَ الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما » لا يدع محلا للشك فى أن الاسلام أنزل ليكون دينا عاما للبشرية كافة ، وقد قام محمد صلى الله عليه وسلم بابلاغ قادة الأمم ذلك بكتب أرسلها إليهم يحملها رسل من قبله .

ولكن رجال الديانة الاسرائيلية والنصرانية ينازعون الاسلام هـذا الحق ويدعون أن دينيهم سبقا الاسلام الى هذه المهمة العليا ، فلننظر ألَهم حق فى هذه الدعوى ، أم هى مجرد غيرة متطرفة منهم على دينيهم ، حملتهم على أن يضعوهما حيث لا تقوى أصولها على تبوئتهما هذه المكانة ، وتمكينهما فيها ؟

فأما الاسرائيلية فلا نص فيها على أنها هى الديانة العامة التى شرعها الله للناس كافة ، وكل ما فيها أن رجالا من أحبارها استفادوا مما جاء فى القرآن عن الاسلام ، فأرادوا أن توصف بهذا الوصف ديانتهم ، فنحلوها من المهام ما لم تساعدهم على فهمهم هذا آية واحدة من كتابهم ، على حين أنه حافل بما يدل على أنها ديانة أسرة بشرية واحدة ، هى بنو اسرائيل دون سواهم ، وكل ما جاء فيها خاص بها وبمصالحها وبقوميتها وتقاليدها ، دون نظر لاعتبار آخر ، حتى إنه ليست لليهود دعوة الى دينهم ، بل إنهم يكرهون أن يصبأ اليه من ليس من أسرتهم . فمن تقاليدهم أنهم إذا تقدم اليهم راغب فى ملتهم ، تلطفوا فى رده ببيان ما فى ديانتهم من التكاليف التى تشق عليه وما ينتظره فيها من الواجبات التى لا يستطيع الاضطلاع بها . فإن أصر بعد تكرار رده على هذه الصورة قبلوا منه أن يتخلق بأخلاق اليهود ، ويتأدب بآداب شريعتهم ، دون أن يكلف غير ذلك (راجع كتاب (le Judaisme) لحاخام باريس المطبوع سنة ١٩٣١) .

كل ما يستندون اليه من نص فى هـذا الشأن ، ما ورد فى كتابهم من أن بنى إسرائيل سيكونون محكمين للأمم ، ومربين للشعوب القوية ، وأنه (قبيل قيام الساعة) سيتفق العالم كله على عبادة الله اتباعا لديانة بنى إسرائيل ، إذ يكونون قد عقدوا مع الخالق عهدا جديدا ، فيضطر الناس الى القيام عليه .

نقول : إن هذا القول وحده يكفى فى الاعتراف بأن الديانة اليهودية بحالتها الراهنة ليست بديانة عامة ، ولكنها ستكون كذلك ، كما يقولون ، فى مستقبل بعيد جدا قبيل يوم الدين . فلا موجب لملاحاة أشياعها فى أمر يعترفون بأنه لم يوجد بعد .

وأما الديانة المسيحية فان أهلها يعتبرونها الديانة الأخيرة العامة ، مستندين فى ذلك الى اشتمالها على البُشرى بخلاص العالم من اللعنة التى أصابتهم بسبب عصيان أبيهم آدم لله ، وأكله

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من الشجرة التى حرمت عليه فى الجنة . فانهم يقولون إن الله غضب على آدم لعصيانه أمره ، ولعنه وقذف به الى جهنم ، وورث هذه اللعنة جميع ذريته ، وسيقوا بعد وفاتهم الى النار ، الى أن أراد الله أن يعفو عنهم ، فأرسل ابنه الوحيد يسوع الى الأرض ، فحملت به مريم جنينا ، ثم ولدته طفلا ، فتربى ونشأ وأخذ يعلم الناس ويعظهم وينعى على الكهنة والفريسيين من اليهود تنطعهم فى الدين وأخذهم بقشوره ، وغفلتهم عما أودع فى آيات الكتاب من الأسرار ؛ فحقدوا عليه ، ووشوا به ، فقبضت عليه الحكومة وصلبته . وكان فى صلبه كما يقول المسيحيون فدية للناس كافة من اللعنة التى كانوا يرزحون تحتها . وبعد ثلاثة أيام من دفنه قام من بين الأموات ، وقابل بعض حواريه وأوصاهم ووعظهم ، ثم صعد الى السماء ، وأخذ مكانه عن يمين الرب . وقبيل يوم القيامة ينزل الى الأرض ويدين أعداءه ، وبذلك يتم وعد الله ، وتنتهى هذه الحياة الجسدانية ، ويخلد الذين آمنوا ببنوته لله ، وافتدائه الخلق بنفسه ، فى الملأ الأعلى على مثل حال الملائكة ، ويخلد الذين لم يؤمنوا بذلك فى النار .

وقد نقل مؤلفو الأناجيل كل ما قاله عيسى عليه السلام ، وما وصى بالقيام عليه من الأصول ، وهى تنحصر فى الاستسلام المطلق ، وحب الغير ولو كان عدوا لدودا ، والصفح عن المسيئين ، وعدم مقابلة الشر بالشر ، والتخلص من علائق الدنيا ، وانتظار الموت فى سكينة وهدوء .

هذه الديانة لا تصلح أن تكون ديانة عامة للبشر لثلاثة أسباب :

(أولها) ابتناؤها على عقيدة لا يمكن أن يقام عليها دليل ، فان لم تؤخذ بالتسليم فلا يكون لها سلطان ما على الضمير الانسانى ، والتسليم غير ممكن فى عصر كثرت فيه الشكوك ، وأصبح أهله لا يدينون حتى للدليل العقلى إن لم يعززه شاهد من العالم المحسوس . فكيف يتأتى تعميم هذه العقيدة بين الناس وهى فاقدة أهم أركان التدليل ؟

(ثانيها) قيامها على مبدأ الزهد والتخلص من علائق الدنيا ؛ والحياة الاجتماعية تأبى ذلك ، ولا أدل عليه من أن الأمم الآخذة بهذا الدين تقوم على المبالغة فى الاستكثار من المال ، وفى التورط فى علائق الدنيا خلافا لما يوصيهم به ؛

(ثالثها) إبطالها أهم أركان التشريع ، وهو منع الاعتداء بالقوة ، والضرب على أيدى الجناة لكف أذاهم عن الناس ، وإصلاحا لنفوسهم . فاذا أخذ الناس بمبدأ العفو المطلق ، على قاعدة : من سرقك رداءك فأعطه قميصك ، ومن ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ، استشرى الشر فى الأرض ، وطم العدوان فيها ، وذل الخيرون للشريرين ، وتمادوا فى استذلالهم حتى منعوهم حق الحياة ، وليس هذا من الاصلاح المنشود لهذا العالم فى شىء .

أقول هذا ولا أنكر مبلغ السمو الذى تنطوى عليه هذه الأصول من تجريد النفس من جميع العلائق الجسدانية ، ولكنه سمو قد يسمح به لأفراد يعيشون فى ظل جماعات قوية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تستطيع أن تحمى الفضيلة وأهلها من عـدوان العادين ، وعبث العابثين ؛ أما أن يصبح هذا التجريد دينا للكافة فلا يعقل بوجه من الوجوه .

هل يصلح الدين الاسلامى أن يكون هو الدين العام ؟

بقيت الكلمة الآن للاسلام ، فهل يصلح أن يكون هو الدين العام ؟

أما أنه قدأوحى الاسلام الى محمد صلى الله عليه وسلم على هذا الوصف، فقدثبت ذلك من النصين القرآنيين اللذين أتينا بهما فى مقدمة هذا البحث ، وهو لأجل أن يقيم هـذا التطور الدينى الجلل على المسلمات العلمية ، قدم لذلك مقدمات بدهية :

(أولها) أن الله لم يخـل أية أمة فى الأرض من الهداية بواسطة رسول ، فقال تعـالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » وقال : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » .

(ثانيها) أن الأمم كانت تقابل هذه الهداية بالاستعصاء ، إلا أفراداً قليلين كانوا يتبعون الرسل متحملين ما ينالهم بسبب صبوئهم عن دين آبائهم من العنت والاضطهاد العظيم ، قال الله تعالى : « ولقـد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين . وما يأتيهم من رسـول إلا كانوا به يستهزئون » .

(ثالثها) أن الأمم التى كانت تأخذ بالأديان ، كانت تعمد الى تحريفها لتتفق وما هى عليه من وثنيتها ، وكان لزعمائها مصلحة فى ذلك التحريف وهى استغلال جهالات تلك الأمم لحفظ مكاناتهم ، وامتداد سلطانهم ، قال تعالى : « أفتطمعون أن يؤمنوا لـكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ؟ » وقـوله : « وما اختلف فيه (أى فى الـكتاب) إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم » .

(رابعها) أن الدين الذى كان يبعث الله به رسله تترى الى الأمم ،كان يناسب الميول التى فطرهم عليها ، ليكون أخذهم به قائما على الغريزة الأدبية التى متعت بها نفوسهم ، وكان هذا الدين واحدا لجميع الخلق لوحدة تلك الغريزة فيهم ، ومواده توحيد الله وتنزيهه ، والاستسلام لارادته ، والاحسان فى العمل ، قال الله تعالى : «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرةَ الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولـكن أكثر الناس لا يعلمون . منيبين اليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » ، وقال تعالى : « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ؟ » . والدليل على وحدة هذا الدين المنزل لجميع الأمم قوله تعالى : « شرع لـكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب . فلذلك فادع (أى فلوحدة الدين فادع) واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لاحجة بيننا وبينكم (أى لا محاجة ولا خصومة) ، الله يجمع بيننا واليه المصير » .

(خامسها) أن هذا الدين الحق الفطرى الذى أرسله الله الى الأمم كافة بلسان رسله ، قد أعاد الله إنزاله الى محمد صلى الله عليه وسلم ، رفعا للخلاف الذريع بين الأديان مع وحدة أصلها ، وأمر رسوله بأن يقوم بدعوة الناس إليه كافة ، باعتبار أنه دين البشرية كلها لا دين أمة واحدة منها ، فقال تعالى : « إن الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك فقل أسلمت وجهىَ لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدَوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد » .

(سادسها) دين البشرية وحدة لا تتجزأ تشمل الايمان بجميع من أرسلهم الله من رسل ، وما أنزله إليهم من كتب ، جملةً ، لأن التفصيل لا سبيل إليه ، قال الله تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فانما هم فى شقاق ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . صبغةَ الله ومَن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » . وقال تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء » .

ومما هو ذو دلالة قاطعة فى أن الاسلام أنزل ليكون دين الانسانية عامة ، لا دين أمة خاصة ، ما شرطه الله على الداخل فيه من وجوب الايمان بجميع الرسل الذين أرسلوا الى الأمم وبجميع الكتب المنزلة إجمالا ، فإن كفر بواحد من أولئك أو من تلك الكتب ، اعتبر كافرا وإن آمن بالقرآن ومحمد ، قال الله تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » .

فالاسلام هو الايمان بدين الانسانية كلها وعدم التفرق فيه ، تحقيقا للوحدة الدينية ، وهى أساس كل خير يرجى للجماعات البشرية ، قال الله تعالى : « إن الدين عندالله الاسلام (وقد علمت ماهو) ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب . فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين (يريد بالأميين العرب) أأسلمتم ، فان أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فانما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد »

هذا أكبر تطور حدث فى العالم يمكن تسجيله للعقلية الدينية ، وهو ما لا يمكن حدوثه من عقل بشرى بدون إرشاد سماوى ، لأن الحالة العالمية فى عهد نزوله لم تكن توحى به ، ولم تكن البيئة العربية مما تحفز اليه . فجهد أعظم عبقرى يسند اليه إصلاح تلك البيئة ، كان ينحصر فى أن يوجد للأمة العربية دينا يجمع شتاتها ، ويوفق وجهاتها ، ويحملها على أن تتحول الى أمة ، بدل أن تبقى على حالة قبائل متناحرة .

هذا كان جهد أكبر عبقرى يتكلف إحداث عمل جالى يسجله له التاريخ فى تلك البيئة . أما عدم الوقوف عند حاجة تلك البيئة الجزئية ، والاشتغال بحاجة العالم كله ، وما تقتضيه من عرض أصول الأديان التى بها يدين الناس ، ومحاولة بيان الفاسد منها ، وإصلاح ما يقبل الاصلاح منها ، والعمل على تمهيد الطريق لتوحيدها باحالة أصولها الى حقائقها ، والافاضة فى بيان ماهية الدين ، وعلاقة الانسان به ، وفى توزع الأمم فى الأرض ، وحاجتها الى وحدة عامة ، الخ الخ

كل هذا لا توحى به البيئة التى نشأ فيها محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا أرقى عقلية فى أرقى أمة من أمم الأرض على عهده .

إن الصبغة العامة فى الديانة الاسلامية واضحة الى حد أن آية واحدة من الكتاب لم توجه الى العرب خاصة ، وكل مافيه موجه الى الناس كافة ، أو الى المؤمنين ، بحيث أن تالى القرآن الكريم من أية ملة كان لايشعر بأن هذا الكتاب نزل بين ظهرانى أمة غير أمته . وهذه ميزة يجب أن تلحظ فى التدليل على عمومية الدين الاسلامى .

الأصول التى قررها الاسلام لتحقيق هذا التطور العالمى :

لم يكتف الاسلام بتوحيد الدين من الوجهة النظرية ، ولكنه عمل على تحقيق هذا التطور العظيم بتأليف أمة عالمية غير قومية ، كان فيها لذوى الألوان المختلفة ، واللغات المتباينة ، والأجناس المتباعدة ، حقوق واحدة ، تحت اسم جامع مشترك تفنى فيه جميع الأسماء الخاصة ، وهو (الأمة الاسلامية) .

فما هى الأصول التى قررها الاسلام لتحقيق هذا التطور العالمى ؟

(أولها) وجوب الرجوع الى العقل فى الأخذ بأية عقيدة دينية .

(ثانيها) طلب الدليل على كل ما يتطلب التصديق .

(ثالثها) الاستماع الى كل قول واتباع أحسنه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(رابعها) تصيد الحكمة من كل مظانها حتى ولو جاءت عن المشركين .

(خامسها) طلب العلم من المهد الى اللحد ، وبذل كل جهد للوصول الى لبابه .

(سادسها) النظر فى السموات والأرض ، وفى جميع مايقع تحت سلطان المشاعر والتأمل فيها .

(سابعها) السياحة فى الأرض لدراسة أحوال الأمم ، ومعرفة علل تقدمها وتأخرها ، أو هلاكها وبقائها .

(ثامنها) عدم الاعتداد بالعقائد الموروثة ، ومحاكمتها الى العلم والعقل وتطلب الدليل عليها .

(تاسعها) الامتناع عن التقليد وتطلب الاقتناع الشخصى .

(عاشرها) استشعار المسئولية الشخصية ، والاعتقاد بأن الانسان لايغنى عنه أحد شيئا .

هـذه أصول لو أخذت بها أمة لحدث فى عقليتها ونفسيتها ووجودها الاجتماعى تطور سريع لا يقف دون إبلاغها أرفع مستوى تتوق إليه فى حياتها الأرضية .

ولو أخـذت به الأمم قاطبة لتقاربت وتفاهمت وتعاطفت ، وانتهت الى الوحدة التامة ، كما حـدث للامة الاسلامية وهى مؤلفة من عشرات من القوميات ، وكما يحدث لمن يقبل الاسلام دينا له ، إذ يجد نفسه كأنه من المسلمين جسدا وروحا ، وينسى أنه من نابتة بيئة أجنبية . فالاسلام رسول الوحدة الانسانية ، والممهد لأكبر تطور روحى وعقلى واجتماعى سيحدث فى العالم البشرى .

نعم إن هـذا التطور العام لا يمكن حدوثه إلا بعد أدوار كثيرة من الانقلابات الأدبية والعلمية والاجتماعية ، ولـكنه سيحدث لا محالة ، وليس بكثير أن تمضى عليـه بضع مئات من السنين بعد وصوله الى حالته الراهنة ، وقد أنبأنا الله بذلك فى قوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

ولـكن مما يجب علينا بيانه هنا أن هذا التطور سيكون لمصلحة الاسلام لا محالة ، لأنه كفل لنفسه هذه المـكانة بما أحاط جوهره به من العوامل التى تجعله الغاية التى ليس وراءها غاية .

فهو يدعو الى توحيد الله وتنزيهه ، ويحول دون الخيالات أن تتناوله على أية حالة ، وهى التى فرقت الأمم شـيعا ، وألبست الأوهام حلة الدين « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » .

ويدعو الى الوحدة الاجتماعية والوحدة الدينية ، ولـكنه لايلزم الأمم فى التمشى اليهما أن تتوخى أسلوبا مقررا ، تاركا لناموس الترقى الحرية فى تـكييف جهودها على ما تستدعيه حالات الانتقال فى خلال المقتضيات المختلفة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويمنح العقل سلطانه كله ، لا يحمّله إصرا إلا ما يزيد فى نضوجه من علم ونظر ، ويبارك فى قواه من تثبت وتحقيق .

ويطلق الميول الجسدية حريتها ، ولكن فى دائرة الاعتدال التى ترسمها الحكمة المستمدة من العلم الصحيح ، لا من التحكم وإرادة التسخير .

ويأمر بالتوسع فى العلم ، والتبحر فيه ، العلم الذى يحصله الواقع المحسوس ، لا الذى يقيم صرحه الخيال ، وتمده الأوهام والظنون .

ويأمر بمراعاة الأحوال، وتقدير الظروف ، ومعالجة الأمور بالحكمة لابالخرق ، وبالتشاور لا بالاستبداد بالرأى .

ولا يحرم على أهله إلا الخبائث ما ظهر منها وما بطن ، سواء أكانت فى مأكل ومشرب ، أم فى قول وعمل ، محلالهم الطيبات فى حدود الاعتدال والتوسط .

ويحث على دوام الترقى ، وتطلب الأحسن من كل شىء ، وتوخى الأمثل من كل رغيبة .

ويحض على التخلق بأخلاق الله ، وهى ما يرى ظاهرا يبهر الأنظار فى كتاب الكون المبسوط للكافة ، يرون فيه آثار حكمته وعدله ، ورحمته وإحسانه ، وتدبيره وإتقانه .

إن دينا يكون قد أُحيط بكل هذه العوامل ، وكُفى المحللات بما رأيته من الحوافظ ، جدير بأن يبقى على الدهر ، وإن انحرف عنه أهله ، ويدوم دوام السموات والأرض ، وإن التوى على بعض أصحاب الأغراض فهمه ، حتى إذا استعدت النفوس الى إيثار الوحدة الاجتماعية والوحدة الدينية ، وجدت الاسلام أمامها يدعوها الى حظيرته ، فأقبلت عليه إقبال الهيم على المورد العِد ، فقبلته دينا لها إن طوعا وإن كرها ! والى هذا يشير الحق فى قوله تعالى : « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها (١) واليه يرجعون . قل آمنا بالله وما أنزل علينا ، وما أنزل على ابراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

محمد فريد وجدى

(١) المراد بقوله تعالى : « كرها » فيما يظهر : إكراه الحوادث العالمية الناس على قبول الاسلام كمنقذ لهم من الشرور

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

تتمات لتفسير سورة الاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرنا لك شيئا من كلام الفلاسفة الأقدمين والمحدثين فى الاستدلال على وجود الله تعالى وقد رأينا أن نضرب معهم بسهم فى ذلك الموضوع الرفيع بأسلوب بديع ، وقد وجدت من نفسى سائقا قويا لإعمال القريحة فى ذلك واستخدام القلم فيما هنالك ، علما بأن ذلك مطاب الأرواح وهو المقصد الأسمى من بعثة الرسل عليهم السلام . وأى سورة أحق بهذا من سورة الاخلاص التى تعدل ثلث القرآن بنص الحديث الشريف . ولو كتبنا أسفارا فى بيان صمديته تعالى أو أحديته عز وجل لم نبلغ إلا أقل القليل من دلائل قدرته وآيات عظمته « سبحانك لا نحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » وبالجملة فقد جاءنى هذا الالهام القوى الذى لا يمكننى أن أخالف سلطانه ، أو أدع بيانه ، وهو فيما أعتقد أجل ما ينفع القراء ويبتهج به أهل الذكاء ، فأقول متوخيا طريقة القرآن من وضوح البيان واستثارة الوجدان ، وبالله التوفيق :

(١) إن نسبة الالحاد الى علم الطبيعة إفتراء على علم الطبيعة ، فإنه لا علاقة له باوائل الأشياء ولا أواخرها ، وليس فى قدرته أن يعرف من أين جاءت ولا الى أين تذهب ، ولا ذلك من أبحاثه وإنه لينطق بعجزه عما وراء الطبيعة ، ولكنه يقدس بأسراره البديعة ، ذلك الفاعل المستتر بكنهه ، الظاهر بآثاره ، الذى دق عن رؤية الأبصار وجل عن أن يقع تحت الحس ، ولكنه معروف للعقول مرئى للبصائر ، فهو كالروح وجودها بدهى فى الفطر ولكنها مجهولة عند إرادة التكاييف والتحديد ، لأنها تعلو عن ذلك بمقتضى طبعها بُعْدَ النورانيات عن الظلمانيات ، فتنكرها عوالمك السفلية الكثيفة التى لا تعرف غير المحدود .

(٢) ينطق بوجوده تعالى وعظمته وسعة علمه وباهر ألوهيته ما أودعه فى الأشياء من الحكم التى اقتضت أن يوجد لك كبدا تفرز الصفراء ، وغددا تفرز الريق ، ومجرى للطعام ، ومجرى للنفس ، ومصفاة فى الأنف للهواء ، وسدادات تفتح من جانب واحد بغاية الاحكام فى الأذين والبطين والشرايين والأوردة . وانظر كيف جعل لك منفذا للفضلات وبجانب قناة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

البول قناة أخرى للمنى بعد عمل حوض للبول يجتمع فيه وكليتين تفرزانه من الدم، ثم جعل لك أنثى، وهيأها لما يراد منها تخلق فيها رحما وثديا الخ.

وانظر الى حكمة : الأصابع والأظافر واليدين والرجلين والمفاصل وطبقات العين وخلق اللسان فى الفم الى غير ذلك مما يبهرك إن كنت ذا وجدان صحيح.

(٣) من المقرر أن فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف تعطينا المادة الجامدة الميتة الحياة والعلم والادراك؟ وهل لتلك العناصر المادية كالكبريت والفسفور والأكسوجين والادروجين والذهب والذئبق الى غير ذلك من عناصر المادة خبر من ذلك أو أثارة من حياة أو علم أو إدراك وهل إذا اجتمعت الجمادات كونت حياة وإذا انضمت الجهالات كونت علما عاليا وإدراكا ساميا. هل كان يمكن للمادة الجاهلة التى تجتمع كيفما اتفق أن تكون معدة وإمعاء ورئتين وكليتين، وأن تخلق فى المعدة ما تحتاج اليه من العصارة المعدية وبجانبها العصارة البنكرياسية، ثم تخلق جهازا للتناسل وتعلم أن ذلك وحده غير كاف فتخلق خلقا آخر من جنس الخلق الأول وتخلق فيه جهازا للتناسل يخالف الجهاز الأول ليكون الأول فاعلا والثانى قابلا ثم تخلق فيه محلا للجنين وتدبر له كيفية غذائه مادام فى الرحم وتخرج له ثديا يغذيه بعد خروجه وتهيئ له لبنا يجرى فيه يناسب حاله وضعفه فى طفولته ويجعل الرجل مجردا عن ذلك وقد ألقى على كل منهما الشهوة الشديدة الى الآخر لينساقا الى ما خلقا له وليحفظ النوع من الفناء والدثور.

بل نقول : هل علمت المادة الصماء العمياء أن الكلبة ستلد أجراء كثيرة، فجعلت لها أثداء كثيرة وحلمات عديدة رحمة بأولادها التى ستكون بعد، وهل علمت أن العقاب سيتغذى باللحم فكونت فى البيضة التى يتخلق منها مناقر يقطع بها اللحم كما علمت أن بعض الطيور تأكل النبات وأن بعضها يحتاج الى حويصلة فلم تكون ذلك فى بيضتها.

٤ — إن أعمال الله تعالى لا تتناهى ولا تدخل تحت حصر مما ينبئ عن الاختيار والإرادة فان الأعمال الطبيعية يجب أن تكون متشابهة بل متحدة. فان الطبيعة لا تعمل إلا عملا واحدا ووجود الأعمال المتنوعة من خصائص الاختيار والارادة وليس الاختلاف الذى نشاهده ولا يدخل تحت حصر قاصرا على الأنواع المتباينة بل أفراد النوع الواحد لا تكاد تدخل تحت الحصر مباينة واختلافا «يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم» وإن شئت فانظر الى الأشجار المتجاورة التى تضرب عروقها فى بقعة واحدة وفروعها فى هواء واحد، بل انظر الى أوراق الشجرة الواحدة تجدها لا توافق ورقة منها ورقة أخرى، فإن حاولت أن ترجع ذلك الى أسباب ومقتضيات فقل لى من الذى نوع تلك الأسباب وخالف بين تلك المقتضيات الخ.

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٥ — وإن شئت فانظر الى تعاضد العوالم وخدمة بعضها بعضا وتوجيهها كلها لغاية واحدة مما لا يتصور مثله المادة العاجزة التى ليس لها خبر عما يجاورها فضلا عن البعيد عنها فانظر الى خدمة العالم العلوى للعالم السفلى .

٦ — والى وضع الأرض وغيرها من العوالم العلوية على الأبعاد المناسبة حتى ينتفع بعضها ببعض ، وحتى لا تختل حركة الجاذبية العامة ، ولو جعلت الأرض قريبة من الشمس جدا لاحترق كل ما عليها بحرارة الشمس ، ولو جعلها بعيدة عنها جدا لم يعش عليها نبات ولا حيوان « فسبحان العليم الحكيم » ومن المدهش كون أوضاعها على نسبة تحفظ بها قوانين الجاذبية فى الجميع بالنسبة لما على يمين الكوكب وما على شماله وما فوقه وما تحته الى آخر ما يحير الحاسبين ويدهش الناظرين .

(٧) وإن شئت فانظر الى الأرواح والجن وأفاعيلها التى خرقت كل نواميس المادة وتلك الخوارق يعرفها المسلمون فى أوليائهم بالكرامات وأنبيائهم بالمعجزات ، وقد اعترف بها الآن فلاسفة الأوربيين وأساتذتهم بواسطة استحضار الأرواح والتنويم المغناطيسى الذى أتى بما لا يمكن تعليله بالعلل المادية كما هو معروف الى آخر ما لا يتسع له هذا المقام .

٨ — وإنى لأعجب كيف تنسب هذه القدرة الباهرة التى أوجدت هذا الملك العظيم الذى لا يحيط به محيط فى اتساعه وكثرة أنواعه من هواء وماء وأرض وسماء ونجوم وأقمار . ورياض وأزهار وجبال وبحار . الخ . عجبت كيف تسيغ العقول ذلك أم كيف تسيغ أن تنسب الى المادة الجاهلة تلك العلاقات المنظمة التى بين الأشياء والترتيب الغريب المسيطر عليها والحكم السامية المودعة فيها التى اقتضت أن يكون « الأزت » فى الهواء على نسبة ٩٩ فى المائة « والأكسوجين » فى الهواء على نسبة ٢١ فى المائة ، حتى يتأتى أن يتنفسه الانسان والحيوان وتصلح به الأشياء . تلك الحكم التى أوجدت فيك المخ والمخيخ والرئتين وصورت لك فكين وأوجدت بينهما لسانا وعلى طرفيهما أسنانا ولم تكتنف بذلك حتى أوجدت لك غددا فى ذلك المحل تفرز الريق الى آخر مالا يسعنا إلا أن نلمع اليه لا أن نأتى عليه .

(٩) عجبت كيف لايدهشه هذا الابداع وكثرة الأنواع . بل اختلاف الصور والأشكال فى النوع الواحد ، وانظر الى ذرة المكروب من نوع الحيوان الى أن تصل الى ماطوله عشرات الأمتار كما فى حيوانات البحر والى ماله حويصلة ومعدة ومعدتان وثلاثة والى آكلة النبات وآكلة اللحوم ، والى ماله عيون تزيد على عشرات المئات الى آخر مابينه علماء الحيوان .

ثم انظر الى النبات كيف تزيد أنواعه على مائتى ألف نوع الخ الخ : ثم انظر الى سعة العوالم العلوية وانتظامها وسرعة حركاتها وما قرره فيها المكتشفون فيا ليت شعرى ما الذى عرف هذه الاختلافات وتلك التنوعات وهذه النظامات وهذا الابداع وذلك الاختراع .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(١٠) أم كيف أوجدته المادة التى لا تستطيع أن توجد نفسها . وألفت نظرك الى هذا الغذاء الذى نأكله كل يوم ولا ندرى بشهادة علماء الطبيعة أنفسهم كيف يكون العين والمخ والمخيخ الى آخر أجزاء البدن أم كيف يكون العلف والتبن عينا فى رأس الحصان ودما فى جسمه ولحما فى عظمه وربما سمعت شهادة فلاسفة أوربا فى ذلك . فليت شعرى أى قدرة عملت هذه ، وأى علم نظمه ، وأى سر أودع فيه ، وأى كيفية تم بها .

١١ — فان كان لا يدهشك أصل وجود الأشياء من العدم فليدهشك ما فيها من الأسرار وتنوعاتها وكيفية تأثيرها التى لا نعلمها ولا نحس منها إلا بقدرة تعلو عن العقول . ولست أدرى أى سر أودع فى بزرة التوت حتى أوجدت تلك الشجرة الضخمة ونوعت أوراقها وثمارها دون شجرة الفول الذى هو أكبر من بزرة التوت بأضعاف كثيرة ، وأى سر أودع فى المعدة حتى صيرت تلك الأشياء الجامدة الغليظة الميتة دما حيا يجرى فى مجاريه المختلفة الى القلب ثم يرجع الى أطراف البدن ست عشرة مرة فى الدقيقة ، ولئن عرفنا تركيب الأشياء فلا ندرى كيف تألفت ولا كيف أثرت . ولا كيف تظهر عنها نتائجها . أفلا تدهشك تلك الأسرار فتستدل بها على قادر عظيم لا ندرى ما هى الأسرار التى أودعها ونوعها ولا نعلم كيف يفعل فكما تنزه فى ذاته أن تدركه العقول كذلك تنزه فى فعله عن أن نعلم كيف يكون ، فهل أودعت الأشياء هذه الأسرار فى أنفسها « وكيف ذلك » ؟ وهل نوعتها الى تلك الأنواع التى لا يحيط بها محيط وباينت بينها وخصصت كلا بكل الخ الخ ؟ وليت شعرى كيف ذلك وهى الصماء البكماء بل الجماد الميت .

١٢ — بل نقول . كيف نعقل وجود المادة ، هل ترى أيدك الله أنها وجدت من غير شىء وأودعت تلك الأسرار المتنوعة التى تخرج عن نطاق العد بل التى لا نهاية لها من غير شىء . اللهم إن ذلك كله باطل بالبداهة ولا يتجرعه ولا يكاد يسيغه إلا مجنون فسد عقله أو بطلت إنسانيته . وضاعت فطرته التى فطر الله الناس عليها . أم نقول إن ذلك كله قد وجد بأصله وأسراره وحكمه ونظامه بالصدفة كما يقول أولئك المجانين .

وأنت لا تجيز إذا رأيت قصرا مشيدا مشتملا على ترتيب عجيب ونظام غريب كل شىء فيه لغرض من الأغراض وسر من الأسرار أن يكون قد وجد بالصدفة . بل لا تجيز أن يوجد أقل شىء بالصدفة . بل نرجع بك الى أصل وجود الأشياء من العدم فان كنت تجيز الصدفة فى ذلك كله ويهضم ذلك عقلك فقد سقطت مكالمتك . وبعد : فتبا لمن عمى عن رؤية شمسه تعالى المشرقة على جميع الموجودات وباهر آياته التى ملأت الأرضين والسموات ثم ينسب ذلك لعلم الطبيعة زورا وبهتانا وقد قال باكون وهو من أساطين علم الطبيعة من أخذ علم الطبيعة رشفا بأطراف الشفاه ألحد ومن شربه عبا أوصله الى الخالق . وقال الفيلسوف الكبير

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« سبنسر الانجليزى » ليس الغرض من علم الطبيعة معرفة تلك الظواهر التى يعرفها تلاميذ المدارس بل الغرض أن يوقفنا على ذلك الجسر الذى نستشرف منه ما وراء الطبيعة وما أجدرنا فى هذا المقام أن ننشر قول القائل :

يا من تفلسف كى يؤيد كفره مع أنه لم يدركنه وجوده
خسرت بسوق الفضل صفقة جاهل تخذ العلوم ذريعة لجحوده

أو نقول ما قال غيره :

ومن البلوى التى ليس لها فى الناس كنه
أن من يعرف شيئا يدعى أكثر منه

ولنقف هنا اليوم وموعدنا العدد الآتى إن شاء الله ؟

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء

شىء من الزهد

مر محمد بن واسع الصوفى على قوم فسأل عنهم ، فقيل له : هؤلاء الزهاد . قال : وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها ؟

نقول : لعله نظر الى قول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لسليمان بن عبد الملك وقد أعجبه سلطانه وسأله كيف ترى ما نحن فيه ؟ فقال له عمر : سرور لولا أنه غرور ، وحرم لولا أنه عدم ، وملك لولا أنه هلك ، وحياة لولا أنها موت ، ونعيم لولا أنه عذاب أليم .

وقال لقمان لابنه : يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا .

وقال الفضيل بن عياض : لو عرضت على الدنيا بحذافيرها حلالا لا أحاسب عليها فى الآخرة ، لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه .

وقال : جعل الخير كله فى بيت ، وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا .

نقول : الزهد فى الدنيا حال يعترى بعض النفوس العالية ، وهم فى زهدهم يخدمون المجتمع من ناحية بقدر ما يخدمه الأغنياء بأموالهم ، وذوو السلطان بسلطانهم . ولم يحرم الدين شيئا من الدنيا يناله الانسان حلالا طيبا ، يلتمسه من وجوهه المشروعة ، ويضعه فى مواضعه الصالحة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

الطوفان وما يتعلق به

موضوع كلامنا فى شرح حديث الطوفان الذى رواه ابن جرير مرفوعا ، وقد ذكرنا نصه وبينا بعض ما يتعلق به فى العددين السابقين من مجلة الأزهر ، ونريد الآن أن نتكلم فى المطالب التى أشرنا إليها فيما مضى ، وهى : (١) بيان معنى قوله تعالى (وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين) (٢) بيان أن القرآن الكريم محفوظ من القصص الباطل ، فكان ينبغى للمفسرين ألا يذكروه . (٣) بيان ما جاء فى آخر الحديث من أن نوحا أمر الحيوانات التى كانت معه بالصيام فصامت . وإليك بيانها على هذا الترتيب :

(١) يقال لغة غاض الماء يغيض غيضا إذا قل ونقص ، ويقال غاض الله الماء وأغاضه ، فإذا بنى الفعل للمفعول يقال غيض الماء ، ومعناه غاضه الله أو أغاضه ، فمعنى قولنا فى مقالنا السابق أمر الله الماء أن يغيض فغاض ، معناه أن الله فعل به ذلك لأنه لا سبيل هنا الى جعل الماء فاعلا كما قيل أن الأرض فاعل ابتلاع الماء وأن السماء فاعل الإقلاع عن إنزاله ، وذلك لأن الماء هنا مفعول قام مقام الفاعل فلا يتصور أن يكون فاعلا . من المعلوم أن إسناد الفعل المبنى للمفعول الى ذلك المفعول حقيقة ، لا مجاز ، فهو كإسناده الى الفاعل ، ولكن قد يقال لماذا بنى الفعل للمجهول هنا فقال وغيض الماء ولم يقل أغاض الله الماء . والجواب أن الفعل إذا كان منحصرا فى الفاعل بحيث يستحيل صدوره عن غيره بنى الفعل للمفعول للدلالة على شيئين : أحدهما دلالة الفعل المبنى للمجهول على فاعل مقدر وهذه الدلالة حقيقية . ثانيهما دلالته على تخصيص ذلك الفعل بفاعل معين لا يمكن صدور ذلك الفعل إلا عنه ، وهذه كناية عن تخصيص الفعل بفاعله . ولا يخفى أن الفعل صفة والفاعل موصوف فهو كناية عن تخصيص الصفة بموصوفها وإن شئت قلت إن بناء الفعل للمفعول وحذف فاعله المعلوم المعين لازم للعلم بذلك الفاعل فذكر اللازم وهو حذف الفاعل وبناء فعله للمجهول وأراد الملزوم وهو العلم بذلك الفاعل فكأنه يقول إن الفاعل معلوم معين لا حاجة لذكره ، ومن هذا تعلم أن حذف الفاعل هنا وبناء الفعل للمجهول يدل على معنى عظيم وهو أن فاعل هذا الأمر هو وحده القدير على فعله فلا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

سبيل الى تقدير غيره ألبتة ، ومن ذا الذى يقدر على إيجاد ذلك الفعل الهائل سوى الله الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

وكذلك الحال فى قوله تعالى (وقضى الأمر) فإن المراد هنا ما وعد الله به نوحا من إغراق الكافرين من قومه وإبادتهم جميعا ، ومعنى قضى أنجز ، فهو يقول وأنجز الله ما وعد به نوحا من إغراق قومه وإبادتهم ، فبنى الفعل للمفعول للدلالة على أن الفاعل مختص بذلك الفعل وحده على الوجه الذى بيناه . ومثل قوله تعالى (وغيض الماء وقضى الأمر) قوله (وقيل بعدا) فإن المعنى قال الله ونحوه مما قدرناه أولا ، فبنى الفعل للمفعول وحذف الفاعل ليدل على أنه مختص به وحده فإنه يستحيل أن يقول أحد ذلك وينفذ قوله .

أما قوله تعالى (واستوت على الجودى) فان معنى استوت هنا استقرت كما يقال فلان استوى على السرير إذا استقر عليه ، والجودى اسم لجبل بالجزيرة متصل بجبال أرمينية فى نواحى ديار بكر . ويأتى فيه الخلاف الذى ذكرناه أولا من كون استواء السفينة حقيقى لا مجازى . فان الفعل مبنى للفاعل لا للمفعول . وعلى هذا فيمكن أن يقال إن الله قد أودع فى السفينة قوة الادراك المودعة فى الانسان وأمرها بالاستواء على هذا الجبل فاستوت فتكون نسبة الاستواء اليها حقيقة لا مجازا . أما الذين يقولون إن فاعل الاستواء هو الله على أى حال فانهم يقولون إنما لم يذكر الفاعل لأنه هو وحده المختص بذلك ، وذلك كناية عن تخصيص الصفة وهى الاستواء بموصوفها وهو الله تعالى كما قيل فى بناء الفعل للمفعول لأن الفاعل إذا كان متيقنا دلت عليه القرائن القطعية يصح حذفه مع بقاء الفعل على حاله كما هو الحال فى بناء الفعل للمفعول بلا فرق . ومعنى قوله تعالى (وقيل بعدا للقوم الظالمين) قال الله ليهلك القوم الظالمين هلاكا لأن معنى البعد هنا الهلاك .

هذا بعض ما يتعلق بهذه الآية من علم البيان ، أما ما يتعلق بها من علمى المعانى والبديع فأمره طويل يستغرق بيانه مفصلا زمنا طويلا قد تضيع معه الفرصة على قراء المجلة الذين يريدون الوقوف على أسرار الدين وحكمه من نواح أخرى ، فلذا رأينا الآن الاقتصار على هذا القدر ليعلم المسلمون أن القرآن الكريم صادر من لدن حكيم خبير فلا تستطيع يد المحرفين أن تمتد اليه — ولا يستطيع أعداء الدين الاسلامى أن ينالوا منه نيلا أو يكيدوا له كيدا فهو محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كما قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

(٢) مما لا شك فيه أنه لا ينبغى لعاقل يدرك معانى القرآن الدقيقة ويفهم ترتيبها وأحكامها ويؤمن بأنه صادر من لدن حكيم خبير أنزله ليتحدى به فحول البلاغة وأذكياء العالم أن يحمل للقصص المكذوب بالبداهة علاقة بتفسير هذه الآيات الحكيمة . فمن الأخبار

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المكذوبة بداهة ما أخرجه أبو الشيخ عن ابن عباس من أنه قال إن أهل السفينة لحقهم من الفأر أذى خصوصا أنه كان يقرض حبال السفينة فعطس الأسد فخرج من منخريه سنوران (قطان) ذكر وأنثى فأكلا الفأر إلا ما أراد الله تعالى أن يبقى منه . وهذا الخبر مكذوب بالبداهة . وذلك لأن سفينة نوح عليه السلام كانت مصنوعة على أحسن نظام وأتقنه . فان الله تعالى قد أخبر بأنها مصنوعة بوحى من الله تعالى وبإرشاده سبحانه كما قال : « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا » والأعين هم الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ليعلموا نوحا كيف يصنع السفينة ، وليس من المعقول أن يصنعوا سفينة تغالب أمواج الطوفان الهائلة التى قال الله عنها « وهى تجرى بهم فى موج كالجبال » وتكون أقل شأنا من البواخر العظيمة التى نراها الآن فلا ريب فى أن هذا الخبر مكذوب من هذه الناحية ، وأيضا فانه لامعنى لقولهم إن الهر قد خلق من عطاس الأسد فى هذا الوقت لأن جميع أنواع الحيوانات مخلوقة قبل هذا . ولو سلم هذا لكان الهر غير موجود فى عهد آدم ومن بعده . وهذا باطل بالبداهة وليت شعرى كيف يتصور وجود الفأر وحمله فى السفينة مع كونه غير محتاج اليه بل هو ضار بالنوع الانسانى ولا يتصور وجود الهر .

ومن ذلك ما أخرجه أبو الشيخ أيضا أن أهل السفينة تأذوا بفضلات الطعام من بول وغائط ونحوهما ، فعطس الفيل فخرج من منخريه خنزيران ذكر وأنثى ، فأكلا أذى أهل السفينة ولا ريب فى أن راوى هذا قد غفل عن أن السفينة لم يكن فيها محل خاص لقضاء الحاجة وذلك جهل عظيم بمعنى الآية لأن السفينة التى تصنع بالوحى ولا يكون فيها محل لقضاء حاجة الانسان تكون ناقصة نقصا معيبا . بل لا تكون صالحة لمغالبة أمواج الطوفان ، ويظهر أن رواة هذه الأخبار قد اعتمدوا على ماذكر فى قصص الكتابيين بدون أن يتدبروا معناه وبدون أن يدركوا تقدم الصناعة ، بل رأوا السفن التى كانت فى زمانهم فحملوها عليها وصدقوا هذه الأخبار . ومن ذلك ما روى من أن إبليس تعلق بذنب الحمار فجعل نوح يجذبه وجعل إبليس يجذبه فقال نوح أدخل شيطان فدخل الحمار ودخل إبليس معه ، فلما سارت السفينة جلس إبليس فى ذنبها وأخذ يتغنى فقال له نوح ويلك من أذن لك قال أنت . قال متى . قال إذ قلت للحمار أدخل شيطان فدخلت باذن منك . وهذا أيضا مما لا معنى له لأن ابليس لا يعنيه أن يكون فى السفينة أو يكون فى الماء ، فاننا إذا فرضناه ماديا فاننا نجزم بأن له قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ، وأن له قدرة على الوسوسة فى أى ناحية من النواحى وفى أى وقت من الأوقات ولا يملك نوح عليه السلام ولا غيره من الأنبياء الحيلولة بينه وبين أحد ، ولو أمكنه ذلك لمنعه من الوسوسة لقومه والوقوف فى سبيل دعوته فهذا كلام لا يمكن أن يتفق مع بلاغة القرآن وإحكامه وإتقانه . ومن ذلك ما رواه اسحق بن بشر عن زيد بن ثابت أن نوحا استعصت عليه ماعزة فدفعها فى ذنبها فانكسر ذنبها وبدت عورتها مكشوفة بخلاف النعجة فانها امتثلت ودخلت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فمسح نوح على ذنبها فستر عورتها ولعل هـذا مضحك فان الماعزة حيوان هادئ لا يمكنه أن يستعصى بل يمكن حملها بسهولة ، وعلى فرض أنها استعصت فانها غير مكلفة حتى تعاقب بهذه العقوبة وعلى فرض أنها مكلفة فما ذنب من يأتى بعدها من هذا النوع حتى يعاقب بعقوبة غيره إن هذا لشيء عجيب . ونسبته الى زيد بن ثابت وهو من مشاهير المدققين فى رواية الأخبار وقد كان حجة فى جمع القرآن الكريم من المضحكات المبكيات .

وأمثال هذا كثير ، ولكن يظهر أن الذين نقلوه فى تفسير هذه الآيات التى خضعت لها أعناق فحول الأذكياء قد وضعوا ثقتهم العمياء فى الرواية بدون نظر الى ما تدل عليه فى الخارج وبدون تقدير لما يترتب عليها من أثر سيء قد يشوه جلال القرآن الكريم وعظمته ، ومن حسن الحظ أن بعض المفسرين المشهورين قد نبه على ذلك فإن الأستاذ الألوسى قد نقل كثيرا من هـذه الآثار ثم قال إنها تفضى الى العجب . وإنها لا يعـول عليها فى شيء . أما أنا فأعتقـد أن ذكرها فى التفاسير ضار لأن بعض المفكرين الذين لم يطلعوا على أصول الدين قد يذهب بهم الوهم الى أن الدين الاسلامى مبنى على هـذه السخافات . مع كونه بريئا من كل ما لا ينطبق على العقول السليمة . ومشتملها على كل ما تدل عليـه الأدلة الصحيحة والبراهين القاطعة . ومن المستغرب أن تذكر أمثال هذه الآثار فى تفسير الطبرى مثلا بدون تنبيه على وضعها مع كونه عمدة لكثير من المفسرين : وعلى كل حال فالذى ينبغى ذكره هو ما اقتصرت عليه آيات الكتاب المبين ، ولا يليق أن تفسر بغير ما يناسب النظريات الكونية والاجتماعية . فاذا سنحت للمفسر ضرورة تدعو لبيان قصة أو ذكر حادثة ، فعليه أن يرجع فيها الى نفس الكتاب والسنة الصحيحة وإلا فالخير كل الخير فى عدم ذكرها .

(٣) أما كون نوح قد أمر الحيوانات الموجودة بالسفينة أن تصوم بعد نجاتهم فصامت فليس ببعيد ، لأننا قد رأينا فى زماننا أن كثيرا من الحيوانات مستعدة للتعليم والادراك ، وأن بعضها قد يستخدم فى مهام الأمور فينجزها على وجه كامل وسواء كان هـذا الادراك من طريق الحس والمشاهدة أو من طريق قوة باطنة فان إدراك تكليفها بالصيام ممكن ، غايته أن يقال إن التكليف بالعبادة عادة إنما يكون لمن يدرك بفطرته كالانسان والجن . أما البهائم فلا معنى لتكليفها بالصيام . ولكن يجاب عن ذلك بأن الغرض هاهنا ذا إنما هـو إظهار الخضوع لله تعالى شكرا لما أولاهم من نعمة النجاة ، ومن المبالغة فى شكره أن تعلنه الحيوانات التى لا تعقل متى أمكن إدراكها . وقد عرفت أن إدراكها ممكن لأنه قد شوهد فعلا فى بعض الحيوانات المعلمة ، فلا مانع من أن تصوم الحيوانات غير المعلمة بطريق الالهام معجزة لنوح عليه السلام .

وقـد دلتنا بعض الحوادث فى زماننا على أن بعض الحيوانات قد صام فعلا ، فمن ذلك أن سمكة كانت فى حوض مع رفيقة لها فلما ماتت رفيقتها صامت عن الطعام بتاتا . وأن ثعبانا عظما

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى بعض حدائق الحيوانات قد أضرب عن تناول الطعام وكانوا يغذونه (بالحقن الصناعية) وغير ذلك كثير ، هذا وقد بقى أن يقال ظاهر الآية يفيد العموم ، وأن نوحا قد حمل فى سفينته اثنين من كل نوع ذكرا وأنثى ، ولكن الظاهر المعقول أنه حمل من ذلك ما يحتاج اليه الانسان بعد نجاة السفينة ، فالمراد بالعموم فى الآية هذا المعنى وهو حمل كل ما يحتاج اليه النوع الانسانى فلم يحمل نوح الفأر والحشرات ونحو ذلك مما لا حاجة اليه ، ولا يقال أنه حملها بأمر الله تعالى لاستبقاء نوعها لأن الطوفان لم يكن عاما لجميع الجبال ، وعلى فرض أنه عام فان هلاكها لا يترتب عليه عدم إعادة خلقها ، لأن الإله الذى خلقها أولا من موادها قادر على إعادة خلقها فى أى وقت وهو الخلاق العظيم .

عبد الرحمن الجزيرى

سقطات الادباء

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

دخل جرير الشاعر المشهور على عبد الملك بن مروان بعد ما منعه من الدخول عليه كراهة فيه ، فأنشده :

أتصحو أم فؤادك غير صاح   عشية هم قومك بالرواح

فقال له عبد الملك : بل فؤادك ، فحصر جرير وخرج خائبا .

وخاصم رجل خالد بن صفوان وكان قد كف بصره ، فترافعا الى بلال بن أبى بردة ، وكان أميرا للكوفة وقاضيها ، فقضى على خالد . فلما خرج وجلس الى ناحية مر به مركب ، فسأل عن صاحبه فقالوا له : هذا مركب بلال ، فقام خالد وهو يقول :

سحابة صيف عن قليل تَقَشَّع .

فسمعه بلال ، فقال له : والله لاتقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد ، ثم أمر به فضرب مائتى سوط ، وأمر بحبسه . فقال له خالد : علام تفعل بى هذا ولم أجن جناية ؟

فأجابه بلال يخبرك بذلك باب مصمت ، وأقياد ثقال ، وقَيِّم يقال له حفص .

فلما نكب بلال وأحضر أمام عامل هشام فى قيوده كان خالد جالسا عنده ، فقال له : الحمد لله الذى أذل سلطانك ، وهد أركانك . فقال له بلال : ياخالد إنما استطلت على بثلاث : الأمير عليك مقبل وعنى معرض ، وأنت طليق وأنا عان ، وأنت فى وطنك وأنا غريب ! فأفحمه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قادة الفكر فى تاريخ الاسلام

— ٧ —

على بن أبى طالب

أتينا فى كلمة عابرة بصورة مجملة من حياة أمير المؤمنين « علىّ » رضى الله عنه فى مبتدأ أمره وعهد صباه حتى شب عن الطوق بين أحضان الاسلام فى حجر النبوة ، فكان فى تربيته نسيج وحده ، وفريد عصره ، تجمع فيه من الخصال والسوابق مالم يكن لغيره ، يقول ابن عباس : « لقد سبق لعلى رضى الله عنه سوابق لو أن سابقة منها قسمت على الناس لوسعتهم خيرا . . كانت له خصال ضوارس قواطع بِسِطَة فى العشيرة ، وصهر بالرسول ، وعلم بالتنزيل ، وفقه فى التأويل ، وصبر عند النزال ومقاومة الأبطال ، وكان ألد إذا أعضل ذا رأى إذا أشكل » ويروى البيهقى فى المحاسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند أم سلمة بنت أبى أمية إذ أقبل علىّ عليه السلام يريد الدخول على النبى صلى الله عليه وسلم ، فنقر نقرا خفيفا فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم نقره ، فقال : يا أم سلمة قومى فافتحى الباب ، فقالت : يا رسول الله من هذا الذى يبلغ خطره أن أستقبله بمحاسنى ومعاصمى ؟ فقال : يا أم سلمة إن طاعتى طاعة الله جل وعز ، قال « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » قومى يا أم سلمة فإن بالباب رجلا ليس بالخرق ولا النزق ولا بالعجل فى أمره يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يا أم سلمة إنه إن تفتحى الباب له فلن يدخل حتى يخفى عليه الوطء ، فلم يدخل حتى غابت عنه وخفى عليه الوطء ، فلما لم يحس لها حركة دفع الباب ودخل فسلم على النبى عليه الصلاة والسلام فرد عليه السلام وقال : يا أم سلمة هل تعرفين هذا ؟ ! قالت نعم ، هذا على بن أبى طالب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم هذا علىّ سيط لحمه بلحمى ودمه بدمى ، وهو منى بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبى بعدى ، يا أم سلمة هذا علىّ سيد مبجل مؤمل المسلمين وأمير المؤمنين وموضع سرى وعلمى وبابى الذى يؤوى اليه ، وهو الوصى على أهل بيتى وعلى الأخيار من أمتى ، وهو أخى فى الدنيا والآخرة وهو معى فى السناء الأعلى » .

هذه خصائص من الفضائل وفواضل من المزايا لم تكن لأحد من المسلمين ، تفرّد بها أبو حسن كرم الله وجهه فجعلت منه شخصية إسلامية صريحة تدور مع الحق حيث دار ، لا تعرف المخاتلة ولا المداهنة فى نسج السياسة وحوك الدهاء ، وهو يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث الى قريش فى شأنه فقال : « والله ليبعثن الله عليكم رجلا منكم قد امتحن الله قلبه للايمان يضرب رقابكم على الدنيا ، فقال أبو بكر أنا هو يا رسول الله ، قال :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا ، فقال عمر : أنا هـو يا رسول الله ، قال : لا ، ولـكنه خاصف النعل ، وأنا أخصف نعل رسول الله صلى الله عليـه وسلم » وامتحان الله قلب المؤمن للإيمان تخليص له من عوارض الدنيا ، وتفريغ من شواغل الحيل والمواربات ، وإفعامه بالحـكمة والتسامى عن غرور الأباطيل ، وهذا ما كان أظهر صفات أبى تراب كرم الله وجهه فى حياته منذ عقد له الزمن لواء الرجولة ، ووضع فى يده زمام بطولة الاسلام .

كانت الهجرة الى المدينة فتح الفتوح على الاسلام والمسلمين ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكد يستقر بأصحابه من المهاجرين بين أنصاره من اليثربيين حتى لحق به على فى أهل بيته ، وهنا تبدأ حياة الاسلام تستقبل من التاريخ وجها جديدا تشرق من جبينه شمس العزة والنخوة والبطولة ، فالمسلمون المستضعفون فى مكة يقفون فى وجـه قريش مناضلين بالسيف لحماية دعـوتهم ، والدفاع عن حوزتهم ، وتستعر الحرب فى بدر وتتجلى بطولة على رضى الله عنه فى صولاته عاليا بها هامات صناديد قريش ، وتقـول الرواية إن نصف قتلى بدر — وكانوا سبعين — إنما سالت نفوسهم على شفرات سيفه ، وفى غزوة أحد امتحن الله المسلمين فطارت أنفس الـكثرة شعاعا وتفرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يثبت معه إلا نفر فدوه بأنفسهم ، وكان بطل الاسلام على فارسهم ، فـلم يزل يصول حتى فرج عن نبى الله وتحاجز الناس ، وعادت الى المؤمنين قلوبهم ، وفى غزوة الخندق اشتد على الناس الحصار ، وملوا الانتظار فاقتحم قرم العرب « عمرو بن ود » الخندق يطالب الى المسلمين المبارزة ، وعلى يومئذ شاب ، وعمرو بن ود هو من هو فى أبطال العرب وشجعانهم ، فبرز إليه على وصارعه حتى صرعه فتنفس المسلمون الصعداء ، وفى هذا تقول أخت عمرو ترثيه :

لو كان قاتل عمرو غـير قاتله بكيته أبدا ما دمت فى الأبد
لـكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البـلد

وقد فتح الله على يديه حصون خيبر ، وفى هذه الغزوة المظفرة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن يهدى الله بك رجلا واحـدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم » ولم يعرف التاريخ أنه تخلف عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى « تبوك » فقد خلفه زمنها رسول الله على المدينة وقال له : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعـدى » والحديث عن شجاعته لا ينتهى الى غاية ، وهو كما يقول فى نفسه : « والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه » .

ظل أبو الحسن كرم الله وجهه يحمى راية الجهاد بين يدى النبى صلى الله عليه وسـلم حتى أتم الله على المسلمين نعمته وأكمل لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، وقلتهم كثرة وعزة ، واختار نبيه الى الرفيق الأعلى ، فاجتمع الناس بعد محنة عاصفة على بيعة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وتخلف عنها على ونفر من الهاشميين لأنهم كانوا يرون أن عليا أحق بامامة المسلمين لسابقته فى الاسلام وقرابته وصهره من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه كرم الله وجهه لما رأى إجماع الناس على بيعة الصديق الأكبر بعث اليه أن أقبل الينا فأقبل أبو بكر حتى دخل عليه بيته وعنده النفر من بنى هاشم ، فحمد الله على وأثنى عليه ثم قال : «أما بعد ، يا أبا بكر ، فانه لم يمنعنا أن نبايعك إنكار لفضيلتك ولا نفاسة عليك ، ولكنا كنا نرى أن لنا فى هذا الأمر حقا ، وموعدك غدا فى المسجد الجامع إن شاء الله » هذا مذهب جماعة من السلف ، روى عن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر أنه قال : « كان إياس بن معاوية لى صديقا فدخلنا على عبد الرحمن بن القاسم بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وعنده جماعة من قريش يتذاكرون السلف ففضل قوم أبا بكر ، وقوم عمر، وآخرون عليا رضى الله عنهم أجمعين ، فقال إياس : إن عليا رحمه الله كان يرى أنه أحق الناس بالأمر ، فلما بايع الناس أبا بكر ورأى أنهم قد اجتمعوا عليه وأن ذلك قد أصلح العامة اشترى صلاح العامة بنقض رأى الخاصة — يعنى بنى هاشم — ثم ولى عمر ففعل مثل ذلك به وبعثمان رضى الله عنه ، فلما قتل عثمان رحمه الله واختلف الناس وفسدت الخاصة والعامة وجد أعوانا فقام بالحق ودعا اليه » .

وذهب جماعة آخرون الى أن علياً لم يتعتع فى بيعة أبى بكر ورأى أن تقديم النبى صلى الله عليه وسلم له فى الصلاة وهو يرى مكان الهاشميين عامة وعلى خاصة مرجح لتقديم الصديق بالامامة الكبرى ، وهم يسندون مذهبهم بما يروون عن على كرم الله وجهه أنه لما فرغ من قتال أهل الجمل دخل عليه عبد الله بن الكواء وقيس بن عبادة اليشكرى فقالا : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرك هذا الذى سرت ، يضرب الناس بعضهم رقاب بعض أرأيا رأيته حين تفرقت الأمة واختلفت الدعوة ، فان كان رأيا رأيته أجبناك فى رأيك ، وإن كان عهد عهده اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت الموثوق به المأمون فيما حدثت عنه ؟ فقال : « والله لئن كنت أول من صدق به لا أكون أول من كذب عليه ، أما أن يكون عندى عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فلا ، والله لو كان عندى ما تركت أخاتيم وعدى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة ولكنه مرض ليالى وأياما ، فأتاه بلال ليؤذنه بالصلاة فيقول إيت أبا بكر وهو يرى مكانى فلما قبض صلى الله عليه وسلم نظرنا فى الأمر فاذا الصلاة علم الاسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ، فولينا أمورنا أبا بكر ، فأقام بين أظهرنا الكلمة واحدة والدين جامع لا يختلف منا اثنان ولا يشهد منا أحد على أحد بالشرك ، وكنت آخذ إذا أعطانى وأغزو إذا أغزانى وأضرب الحدود بين يديه بسيفى وسوطى على كراهة منه لها — الخلافة — وود أبو بكر لو أن واحدا منا يكفيه ، فلما حضرت أبا بكر رحمه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الله الوفاة ظننت أنه لا يعدل عنى لقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسابقتى وفضلى. فظن أبو بكر أن عمر أقوى منى عليها، ولو كانت اثرة لآثر بها ولده فولى عمر على كراهة كثير من أصحابه فكنت فيمن رضى لا فيمن كره، فوالله ماخرج عمر من الدنيا حتى رضى به من كان كرهه، فأقام عمر رحمه الله بين أظهرنا الكلمة واحدة والأمر واحد، لا يختلف عليه منا اثنان فكنت آخذ إذا أعطانى وأغزو إذا أغزانى وأضرب الحدود بين يديه بسوطى وسيفى أتبع أثره اتباع الفصيل أمه، لا يعدل عن سبيل صاحبيه ولا يحيد عن سنتهما، فلما حضرت عمر الوفاة ظننت أنه لا يعدل عنى لقرابتى وسابقتى وفضلى، فظن عمر أنه إن استخلف خليفة وعمل بخطيئة لحقته فى قبره فأخرج منها ولده وأهل بيته وجعلها شورى فى ستة رهط منهم عبد الرحمن بن عوف، فقال: هل لكم أن أدع لكم نصيبى على أن أختار لله ولرسوله قلنا نعم فأخذ ميثاقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه وأخذنا ميثاقه على أن يختار لله ولرسوله فوقع اختياره على عثمان رضى الله عنه، فنظرت فاذا طاعتى قد سبقت بيعتى، وإذا ميثاقى قد أخذ لغيرى فاتبعت عثمان وأديت اليه حقه على أثرة منه وتقصير عن سنة صاحبيه، فلما قتل عثمان رضى الله عنه نظرت فكنت أحق بها من جميع الناس.

وهذا الحديث عندنا أرفع رتب أحاديث التاريخ فى هذا المأذق، فان فيه ضروبا من الآيات الدالة على صفاء طوية أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وتجافيهم عن التنازع لأمر من الدنيا وهذا أدنى الى سيرهم الطاهرة وتربيتهم النبيلة، ففيه «أولا» أن بيعة أبى بكر لم تكن فلتة كما يزعم مؤرخو الشيعة ومن أخذ عنهم، بل كانت قائمة على أساس الشورى المطلقة وأنها تمت باختيار المسلمين، وهم الذين ولوه أمر الأمة، وأن الصديق كان لها كارها ولكنه رضى واحتمل نزولا على إرادة الأمة، وفيه «ثانيا» أن عليا رضى الله عنه لم يختلج فى نفسه بالنسبة لأبى بكر ما اختلج فيها بالنسبة لعمر من ظنه أحقيته بالخلافة منه لسابقته وقرابته لأن أبابكر قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لامامة الدين فى أهم أركانه، فرضيه المسلمون للدنيا أخذا باشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه «ثالثا» أن عليا كرم الله وجهه كان أصح الناس عقيدة فى إخلاص أبى بكر وعمر ونصحهما لله وللرسول، فهو يحتج لأبى بكر فى توليته عمر بأبرع حجة فيقول: «ولو كانت أثرة لآثر بها ولده»، ويحتج لعمر فى جعل الأمر شورى بين ستة رهط بأنه «ظن أنه إن استخلف خليفة فعمل بخطيئة لحقته فى قبره فأخرج منها ولده وأهل بيته».

بايع على لأبى بكر طواعية فأخلص له النصيحة، ووازره أصدق موازرة حتى عهد بها الصديق الى الفاروق فكان أبو تراب كرم الله وجهه وزير صدق لابن الخطاب ومستشارا أمينا رضى عنه وعن خلافته، ومدحه وأثنى على أيامه فقال: «لله جلاد فلان — يعنى عمر —

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فقد قوم الأود وداوى العمد ، خلف الفتنة ، وأقام السنة ، ذهب نقى الثوب ، قليل العيب ، أصاب خيرها ، وسبق شرها ، أدى الى الله طاعته ، واتقاه بحقه ، رحل وتركهم فى طرق متشعبة لا يهتدى فيها الضال ، ولا يستيقن المهتدى » .

وكان عمر رضى الله عنه يعرف لعلىّ كرم الله وجهه قدره فى علمه وفضله وقرابته ، وكان يقول : « لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو حسن » ويقول : « لا يفتين أحد بالمسجد وعلىّ حاضر » ولما دخل علىّ على عمر فى طعنته التى مات فيها قال له عمر : « أعن ملأ منكم ورضى كان هذا ؟ » فقال علىّ : « ما كان عن ملأ منا ولا رضى ، ولوددنا أن الله زاد من أعمارنا فى عمرك » ولما وضع عمر الأمر فى يد رجال الشورى قالوا له قل فينا يا أمير المؤمنين مقالة نستدل فيها برأيك ونقتدى به ، فذكرهم جميعا حتى جاء الى علىّ رحمه الله فقال : « وما يمنعنى منك يا علىّ إلا حرصك عليها وإنك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم ، ولعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك وقرابتك وشرفك من رسول الله ، وما آتاك الله من العلم والفقه والدين فيستخلفونك ، فان وليت هذا الأمر فاتق الله يا علىّ فيه ، ولا تحمل أحدا من بنى هاشم على رقاب الناس »

انتهت الشورى الى بيعة عثمان رضى الله عنه ، فسلم علىّ واتبع وأخلص إيثارا لصالح الأمة وفرارا من الفرقة ، وفى ذلك يقول : « لقد علمتم أنى أحق بها من غيرى ، ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علىّ خاصة التماسا لأجر ذلك وفضله ، وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه » وقد حدثت بعد ذلك أحداث أنكر الناس فيها على عثمان رضى الله عنه ، فاجتمعوا الى علىّ كرم الله وجهه وسألوه مخاطبة عثمان واستعتابه لهم فدخل عليه فقال : « إن الناس ورائى وقد استسفرونى بينك وبينهم ووالله ما أدرى ما أقول لك ؟ ما أعرف شيئا تجهله ، ولا أدلك على شىء لا تعرفه ، إنك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك الى شىء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشىء فنبلغكه ، وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله كما صحبنا ، وما ابن أبى قحافة ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك ، وأنت أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيجة رحم منهما ، وقد نلت من صهره ما لم ينالا ، فالله الله فى نفسك ، فإنك والله ماتبصر من عمى ولا تعلم من جهل ، وإن الطرق لواضحة ، وإن أعلام الدين لقائمة ، وإنى أنشدك الله ألا تكون إمام هذه الأمة المقتول ؟ فانه كان يقال : يقتل فى هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة ، ويلبس أمورها عليها ويثبت الفتن عليها فلا يبصرون الحق من الباطل ، يموجون فيها موجا ، ويمرجون فيها مرجا ، فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وتقضى العمر ؟ ! »

صادق ابراهيم عرجون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التجديد في الاسلام

— ٦ —

« إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها »
حديث نبوى شريف

المجـــــددون فى الاسلام

فى القرن الثانى الهجرى

الأئمة المجتهدون الأربعة : المأمون ، علىّ الرِّضا ، اللؤلؤى ، أشهب ، الحضرمى ، ابن معين ، الـكرخىّ .

١ — لماذا ندرس المجددين ؟

للامم الراقية ولع شديد ، وعناية كبيرة بدراسة مجدديها وزعمائها وعظمائها ؛ وقدلا تكتفى فى دراسة أحدهم بوضع مؤلف واحد ، بل قد تضع فى حياته المؤلفات مابين موجزة ومطولة ، وما كانت هـذه الدراسة من باب اللهو واللعب والتسلية ، ولـكنها من باب الجد والنفع والفائدة الـكبرى ، ومن ضروب التربية والتعليم التى لها من الأثر العظيم فى حياة الامم والشعوب ، وفى توجيه الأفراد خصوصا الناشئين مالها ؛ فدراسة المجددين والزعماء والعظماء من النواحى الخصبة التى يجب الاتجاه إليها ، والعناية بها ، بل هى من أنفع ما يدرس وأفضله ؛ ولقد نوه بالمجددين كثير من المؤلفين ، فقال العلامة الدكتور جوستاف لوبون : « يرجع الفضل فى الرقى الذى وصلت اليه العلوم والفنون والصناعات وجميع فروع الحضارة الى طائفة المجددين ، وإنا لمدينون لهذا الرهط بكل رقى وفضل ؛ إن مقدرة الأمة كلها تجتمع فى هذه الطائفة من الرجال الممتازين ، حتى إننا إذا أخرجناهم من كل جيل سقط مستوى الأمة العقلى سقوطا كبيرا . ومع كون المجموع منتفعا بهذا الفضل وهذا الرقى ، فان الناس لا يرتاحون عادة للتفوق عليهم ، وإن كان النبوغ آتيا من بينهم ؛ لهذا ذهب كبار العلماء ، وعظماء المفكرين ، ومن اليهم ضحية غضب قومهم فى غالب الأحيان ؛ وما درى القوم أن غرس الأجيال السالفة ، وثمرة ماضيها ، إنما تنمو فى بستان هذه العقول النابغة ، التى هى قطوفها الدانية ، أولئك المجددون هم مجـد الأمم ، وكل فرد من أفرادها يفتخر بهم ، ويعتز بشأنهم ، لأنهم لا يوجدون اتفاقا ، ولـكنهم ثمرة الماضى الطويل ، فيهم تمثل عظمة عصرهم ، ومكانة أمتهم ، وكل من يساعد على نشر علومهم ، وانبثاق أزهارهم ، فانما يساعد على انتشار الرقى الذى تستفيد منه الانسانية » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن هذا يتبين الأثر الكبير الذى تتركه دراسة المجددين بصفة كونهم مثلا عليا فى نفوس دارسيهم خصوصا فى نفوس الناشئين ؛ ولا عجب بعد ذلك إذا رأينا الطموح آخذا على نفوس الدارسين كل مأخذ ، لأنهم يرون أمامهم مثلا عليا يحثون السير للوصول اليها مهما كلفهم هذا من جهود وجهاد ؛ وقد فرغ العلماء من دراسة قيمة المثل العليا ، وتأثيرها فى النفوس ، وفائدتها فى حياة الدارسين والقارئين ، حتى إنها أصبحت الآن فى عداد البدهيات ؛ لذلك نقتصر فى هذا الموضوع على هذه الكلمة الموجزة ، وننتقل الى دراسة المجددين فى القرن الثانى الهجرى ؛ ونقصر هذا المقال على دراسة المأمون .

٢ — من هو المأمون ؟

هو عبد الله المأمون ، بن هارون الرشيد ، سابع الخلفاء العباسيين ، مجدد الاسلام من أولى الأمر فى القرن الثانى الهجرى كما قال الحافظ ابن الأثير ؛ عالم بنى العباس ، وحكيمهم ، ومن أحلمهم ، وأعدلهم ، وأسخاهم يدا ، وأسمحهم نفسا ، وأفضلهم مروءة وسؤددا ، وأنبلهم أخلاقا ، وأجلهم حزما وعزما ، ورأيا ودهاء وحسن سياسة ، وهيبة وشجاعة ، وعلو همة ؛ بل كان يفضل الناس بعقله وكماله ، ويسود عليهم بأدبه وحسن مجاملته ، وكثرة فضائله ، حتى قال يحيي بن أكثم : يا أمير المؤمنين ، إن ذكرنا السخاء فأنت فوق حاتم فى جوده ، وإن ذكرنا صدق الحديث كنت أبا ذر فى لهجته ، وإن ذكرنا الوفاء كنت أوفى من السموءل ، أو ذكرنا الإيثار كنت فوق كعب بن مامة فى إيثاره على نفسه . وقال الرشيد : فى المأمون حزم المنصور ونسك المهدى ، وعزة الهادى .

علمه وذكاؤه :

تواترت الأنباء أن المأمون كان آية فى الذكاء ، وسرعة الخاطر ، وشدة الحفظ ، كما كان واسع الاطلاع ، محيطا بكل فن ، غاية فى كل علم ؛ قال يحيي بن أكثم ، يا أمير المؤمنين : إن خضنا فى الطب كنت جالينوس فى معرفته ، أو فى النجوم والفلك كنت هرمس فى حسابه ، أو فى الفقه كنت على بن أبى طالب فى علمه .

وقال الأنماطى : تغدينا يوما مع المأمون ، فوضع على المائدة أكثر من ثلاثمائة نوع من أنواع الطعام ؛ وكلما وضع نوع يقول : هذا نافع لكذا ، ضار لكذا ، فمن كان منكم صاحب دم فليجتنب هذا ، ومن كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا ، حتى أتى على فوائد جميع أنواع الأطعمة ومضارها بالنسبة لأصحاب الأمزجة على اختلاف أنواعها . وعلى الجملة فقد كان المأمون يحفظ القرآن الكريم كله ، كما كان يحفظ كثيرا من الحديث الشريف ، وقد برع فى اللغة والأدب ، والفقه ، والأخبار ، والفلسفة وعلم الفلك والنجوم ، وعقائد الأديان وآدابها ، وغير ذلك .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
olbookz@gmail.com

ومما يدل على ذكائه وإحاطته بالفقه والمواريث إحاطة تامة ، أن امرأة شكت اليه فقالت : يا أمير المؤمنين ، مات أخي ، فخلف ستمائة دينار ، فحكم لى القاضى بدينار واحد . فقال لها المأمون : هذا نصيبك . قالت : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟! فقال : الرجل خلف بنتين ، ووالدة ، وزوجة ، واثنى عشر أخا . قالت : نعم . قال : فللبنتين الثلثان : أربعمائة . وللوالدة السدس : مائة . وللزوجة الثمن : خمسة وسبعون . ولكل أخ ديناران ؛ ولك دينار واحد . وكان شعار المأمون فى طلب العلم والاشتغال به كلمته الذهبية : « لا نزهة فى الدنيا ألذ من النظر فى عقول الرجال » .

عدله ونزاهته :

من غرائز المأمون حبه العدل ، وأخذه الحق للضعيف من القوى ، وعدم المحاباة ؛ ولا أدل على هذا من أنه جلس يوما للمظالم ، فكان آخر من تقدم اليه وقد هم بالقيام امرأة عليها ثياب رثة ، فوقفت بين يديه وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمى فى حاجتك ، فأنشدته شعرا ضمنته شكواها ، فأمرها باحضار خصمها يوم انعقاد مجلس الحكم . فلما كان يوم الأحد ، انعقد المجلس ، فكان أول من تقدم اليه تلك المرأة ، فقال لها : أين الخصم ؟ فقالت : الواقف على شمالك ، وأومأت الى ابنه العباس ، فأجلسه معها مجلس الخصوم ، فأخذا يترافعان ، وكان كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها بعض الحاضرين : إنك بين يدى أمير المؤمنين تكلمين ابنه فاخفضى من صوتك ، فقال المأمون : دعها فان الحق أنطقها وأخرسه ؛ ثم بعد سماع شكايتها قضى لها وعاقب ابنه العباس .

وقال يحيى بن أكثم : كنت أمشى يوما مع المأمون فى بستان موسى ، فى ميدان البستان والشمس علىّ وهو فى الظل ، فلما رجعنا قال لى : كن الآن أنت فى الظل ، فأبيت عليه ذلك . فقال : أول العدل أن يعدل الملك فى بطانته ، ثم الذين يلونهم حتى يبلغ الى الطبقة السفلى .

رفقه وتواضعه وأدبه العالى :

كان فى المأمون من الأدب العالى ، والتواضع الجم ، وحسن المعاشرة والحلم ، والتغاضى والرفق بالناس خصوصا ببطانته وخدمه ما تصوره الوقائع الآتية :

قال يحيى بن أكثم : بت ليلة عند المأمون ، فعطشت فى جوف الليل ، فقمت لأشرب ماء فرآنى المأمون فقال : مالك لا تنام يايحيى ؟ قلت : يا أمير المؤمنين أنا والله عطشان ، قال : ارجع الى موضعك ؛ فقام الى البرادة وجاءنى بكوز ماء ، وقام على رأسى فقال : اشرب يايحيى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، هلا وصيف أو وصيفة ؟ فقال : إنهم نيام . قلت : فأنا أقوم للشرب . فقال لى : لؤم بالرجل أن يستخدم ضيفه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال يحيى أيضا : مارأيت أكرم من المأمون ، بت عنده ليلة فعطش وقد نمنا ، فكره أن يصيح بالغلمان ، فأنتبه — وكنت منتبها — فرأيته قد قام يمشى قليلا قليلا إلى البرادة وبينه وبينها بعيد حتى شرب ورجع . . وأخذه سعال ، فأخذ يسد فاه بكم قميصه حتى لا أستيقظ . وقال ابن صالح : كنا نتحدث عند المأمون حتى ذهب من الليل ما ذهب ، فطفئ السراج ، ونام القيم الذى كان يصلح السراج ، فدعاه فلم يجبه ـ وكان نائما ـ فقلت : يا أمير المؤمنين أصلحه أنا ، فقال لا ، وقام هو فأصلحه ؛ ثم استيقظ الخادم فظننت أنه يعاقبه لأنه كان يناديه وهو نائم فلا يجيبه . قال : فتعجبت أنا من هـذا . وسمعت المأمون يقول : ربنا أكون فى المتوضأ فيشتمونى ، أو يفترون على ، ولا يدرون أنى أسمع ، فأعفو عنهم .

وقال محمد بن البواب : كان المأمون يحلم حتى يغيظنا فى بعض الأحيان من حلمه . جلس يوما على دجلة من بغداد ونحن قيام بين يديه ، فمر ملاح وهو يقول بأعلى صوته : أتظنون أن هذا المأمون ينبل فى عينى . قال : فوالله ما زاد على أن تبسم ، وقال لنا : ما الحيلة عندكم حتى أنبل فى عين هذا الرجل الجليل ! ! ؟

بصره بالشعر ومهارته فى نقده :

قال ابن أبى حفصة الشاعر لعمارة بن عقيل : أعلمت أن أمير المؤمنين لا يبصر الشعر ؟ فقلت : من يكون أعلم منه ؟ والله إنا لننشد أول البيت فيسبق الى آخره من غير أن يكون سمعه . فقال ابن أبى حفصة : إنى أنشدته بيتا أجدت فيه ، فلم أره تحرك له ، وهـذا هو البيت فاسمعه :

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

فقال له عمارة : ما زدت على أن جعلت أمير المؤمنين عجوزا فى محرابها ، وفى يدها سبحة فمن يقوم بأمر الدنيا إذا كان مشغولا عنها ، وهو المطوق لها ، ألا قلت كما قال جرير لعبد العزيز بن الوليد :

فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغل

محافظته على الدين ومعاقبته من يمسه :

ومما يدل على محافظة المأمون على الدين ، ومهارته فى نقد الشعر أيضا ما قصه محمد بن على قال : كنا مع أمير المؤمنين المأمون بدمشق ، فغنى علوية بقول الشاعر :

برئت من الاسلام إن كان ذا الذى أتاكِ به الواشون عنى كما قالوا
ولكنهم لما رأوك سَريعة الىّ تواصَوا بالنميمة واحتالوا

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فقال المأمون : ياعلوية ، لمن هـذا الشعر ؟ فقـال : للقاضى . قال : أى قاض ويحك ؟ قال : قاضى دمشق . فقال : يا أبا إسحق ، اعزله . قال : قد عزلته . قال : فيحضر الساعة . قال : فأحضر شيخ مخضوب قصير . فقال له المأمون : من تكون ؟ قال : فلان بن فلان . قال : تقول الشعر ؟ قال : قدكنت أقوله . فقال : ياعلوية أنشده الشعر ، فأنشده . فقال : هذا الشعر لك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ونساؤه طوالق ، وكل ما يملك فى سبيل الله ، إن كان قال الشعر منذ ثلاثين سنة إلا فى زهد أو معاتبة صديق ! فقال : يا أبا إسحق : اعزله فما كنت لأولى رقاب المسلمين من يبدأ فى هزله بالبراءة من الاسلام . ثم قال : يا علوية ، لا تقل برئت من الاسلام ، ولـكن قل :

حرمت مناى منك إن كان ذا الذى أتاك به الواشون عنى كما قالوا

فانظر الى المأمون كيف يحافظ على الدين ، ويعـاقب قاضيا بالعزل ، لأنه لم يحسن التعبير فى كلمة قالها تتعلق بالدين ، ويقـول : ما كنت لأولى رقاب المسلمين من يبدأ فى هزله بالبراءة من الاسلام .

تجديده :

يطول بنا القول إذا ذكرنا كل ما قام به المأمون من تجديد ، ولـكننا نذكر شيئا منه على سبيل المثال : فمن تجديد المأمون أنه أول من اهتم بقياس درجة من دوائر نصف النهار توصلا لتقرير مساحة الأرض ؛ وهو عمل خطير لم يتيسر للأوربيين إلا بعـد زهـاء تسعمائة سنة . ومنه أنه أول من أسس دار كتب عامة فى الاسلام ، وسماها : « بيت الحـكمة » . ومنه أنه أول من أسس مجمعا علميا للعلوم وسماه دار العـلم . ومنه أنه نقل كتب الأوائل الى اللغـة العربية ، وصحح أغلاطها .

كلماته :

للمأمون من درر الـكلمات ، وبدائع الحـكم ما يجدر حفظه والتمثل به ؛ من ذلك قوله :

(١) الناس ثلاثة : غـذاء لا بد منه ، ودواء يحتاج إليه فى حال المرض ، وداء مكروه على كل حال . (٢) وقـوله : أعيت الحيلة فى الأمر إذا أقبل أن يدبر ، وإذا أدبر أن يقبل . (٣) وقوله : ما فتق علىّ فى الخلافة فتق ، إلا وجدت سببه جور العمال . (٤) وقوله : لو عرف الناس حبى للعفو ، لتقربوا الىّ بالذنوب . (٥) وقوله : غلبة الحجة ، أحب الىّ من غلبة القدرة ، لأن غلبة القدرة تزول بزوالها ؛ وغلبة الحجة لا يزيلها شىء . (٦) وقوله : معاوية بعمره ، وعبد الملك بن مروان بحجاجه ، وأنا بنفسى . (٧) وقـوله : لا نزهة فى الدنيا ألذ من النظر فى عقول الرجال . (٨) وقوله : لؤم بالرجل أن يستخدم ضيفه . (٩) وقوله : الناس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على طبقات ثلاث : ظالم ، ومظلوم ، ولا ظالم ولا مظلوم ؛ فأما الظالم فليس يتوقع إلا عفونا وإمساكنا ، وأما المظلوم فليس يتوقع أن ينصف إلا بنا ، ومن كان لا ظالما ولا مظلوما فبيته يسعه .

رقى الدولة فى عهده :

ولقد بلغت الدولة فى عهده شأوا بعيدا من العمران والعرفان ، فقد وسع نطاقها بفتوحات جديدة ، وقوى ثغورها ، وحصنها ، وشيد قلاعها ، وأحكمها وأنشأ لها السفن فى البحار ، ونشط أهل الصناعة والزراعة والتجارة وأجرى العدل بين الجميع ، فرتعوا فى بحبوحة الهناء .

تاريخه العلمى :

ولقد صرف المأمون همته فى رفع منار العلوم والمعارف ، واستكمال النهضة العلمية التى أحياها المنصور ، ومن أتى بعده ، فاستحضر لذلك العلماء المبرزين ومعظمهم أجانب ، وأسبغ عليهم نعمه ، وطلب إليهم أن يترجموا له علوم لغاتهم الى اللغة العربية ، ويعلموها للأمة ؛ فانتشرت العلوم والمعارف بين أبناء البلاد ، وجدوا فى تعلمها ، فما عتم أن قام منهم علماء وحكماء ، تفننوا فى تأليف الكتب وإبداع المؤلفات .

والخلاصة : أن المأمون من أكبر الخلفاء ، إن لم نقل أكبرهم ؛ وله فى عظم سلطة الأمة فضل لا يمحوه كر الأعصار ، وفى إيجاد العلوم والمعارف بينها صنيعة تنقل كاهلها ما تعاقبت الأزمان .

توفى المأمون فى سنة ٢١٨ هـ تبكيه أختان : السياسة والكياسة ؛ وتوأمان : العلم والتقى؟

السيد عفيفى

بلاغات العرب

قيل إن أعرابية اعترضت المنصور بطريق مكة بعد موت السفاح فقالت له :

« يا أمير المؤمنين قد أحسن الله اليك فى الحالتين ، وأعظم عليك النعم فى المنزلتين : سلبك خليفة الله ، وأفادك خلافة الله ، فاحتسب عند الله ما سلبك ، واشكر له ما منحك » .

ووقف أعرابى على قوم يسألهم فقال :

« يا أرباب الوجوه الصباح ، والعقول الصحاح ، والصدور الفساح ، والألسن الفصاح ، والمكارم الرباح ، هل فيكم من يسمع كلامى ، فيعذرنى من مقامى » ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام كما يراه الاوربيون

— ٦ —

أسلفنا لك فى الكلمة السابقة أننا سنعرض فى الفصول الآتية لآراء العلماء الغربيين الذين خلطوا عن الاسلام آراء حسنة بأخرى سيئة ، وقلنا لك : إننا اخترنا آراء الأستاذ « كازانوفا » لتكون مبدأ لهذا القسم ، لأن كاتبها رجل معروف فى الأوساط العلمية الراقية فى أوربا من جهة ، ولأن لنا به صلة خاصة من جهة أخرى . وقد أنبأناك بأننا اعتزمنا بسط هذه الآراء ومناقشتها دون رهبة ولا تهيب ، لأننا نعلم أنه لا يتهيب مجابهة الخصوم إلا مبطل أو ضعيف ، وقد سجلنا أن الذين يريدون من المسلمين إغلاق هذه الأبواب وتجنب تلك المجادلات لا يتفقون وروح الاسلام فى شىء ، لأنهم يصورونه فى صورة هيكل من زجاج رقيق يتحطم أثر قذفه بأول حجر يلقيه عليه خصم جاهل أو متعصب . وبما أننا لسنا من أولئك الضعفاء من ناحية ، ولا من الذين ينزلون بالاسلام الى دركة الضعف والارتجاف من مجابهة الخصوم من ناحية أخرى ، فقد صممنا على أن نعرض تلك الآراء الخاطئة على بساط البحث ثم نقيم الحجة على بطلانها ، لنشهد الباحثين المحدثين على أن الاسلام دين منطق وبرهان ، لا دين تعصب أحمق ، ولا ضيق صدر وانفعال . ولما كان لهذا الأستاذ آراء صدر بها كتابه تشهد باخلاص النبى ، وسمو نفسه ، ورفعة عقليته ، فقد صدرنا بها حديثنا عنه فى الكلمة السابقة ، ثم وعدنا بعرض آرائه الأخرى التى قصد إليها من رسالته والتعليق عليها فى كلمة اليوم . وها نحن أولاء نوفى بوعدنا فيما يلى :

إن الغاية الرئيسية التى قصد إليها « كازانوفا » من كتابه « محمد ونهاية العالم » هى إثبات أن الاسلام ، وعلى رأسه القرآن ، قد حدثت فيه بعد وفاة النبى تبديلات جوهرية قام بها خلفاؤه لأغراض فى نفوسهم ، وقد حاول التدليل على صحة هذه الفكرة بأدلة ضعيفة أجهد نفسه فى تقويتها وتدعيمها بكل ما أوتى من علم ومقدرة على الجدل . وهاك موجزا من عبارته التى بسط بها غايته وبراهينه ، حتى تتيسر لك متابعة نقاشها وإبطالها ، لأن محاولة إبطال الدعوى قبل بسطها وإيضاحها ضرب من العماية كما يقول الامام الغزالى .

قال كازانوفا : « إنى أؤكد أن مذهب محمد الحقيقى إن لم يكن قد زيف ، فهو على الأقل ستر بأكبر العنايات ، وإن الأسباب البسيطة التى سأشرحها فيما بعد هى التى حملت أبا بكر أولا ، ثم عثمان من بعده ، على أن يمدا أيديهما الى النص المقدس بالتغيير ، وهذا التغيير قد حدث بمهارة بلغت حدا جعل الحصول على القرآن الأصلى يشبه أن يكون مستحيلا » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذه هى النظرية التى أراد إثباتها فى هذه الرسالة . ومن براهينه على صحتها ما يأتى :

(١) « إذا سلمنا بأن القرآن الحالى كله حقيقى ، فاننا نلاحظ أنه لا يوجد فيه أى تصريح عن الآراء السياسية ، ولا يشتمل على أية قاعدة تطبق على السلطة الدنيـوية . ومن ذلك تتبع النتيجة الأولى التى تسود التاريخ العربى سـيادة تامة ، وهى أنه نشأ (على أثر موت النبى) حزبان متعارضان أعلن أحدهما أن الامام أو السلطان قد عينه النبى ، وقد وضع هذا الحزب للامامة قواعد متينة ثابتة . وصرح الحزب الثانى أن هذه المسألة ليست مما يكترث له الدين وأنها لهذا يجب أن تعالج بحلول دنيوية محضة . والحزب الأول من هذين الحزبين هو حزب الشيعة الذى كان دائما حزب المعارضة بالمعنى الـكامل ، والذى ضم بين دفتيه المتضايقين والثائرين والخياليين والعصاميين ، والذى اشتهر بعقائد ميتا فيزيكية وتنسكية يعتبر أكثرها أجنبيا عن العقلية العربية الخالصة ، والذى لم يستطع أن يـكون حكومات ثابتة إلا بين الفرس والمغاربة ، والذى لم ينتصر إلا نادرا ، والذى كان العرب يعتبرون أنصاره دائمـا خارجين على الاسلام .

غير أن هذا الحزب مع ذلك قد بقى ، وسر بقائه هو أنه أجاب على هذا السؤال الآتى الذى لا بد من الاجابة عليه ، وهو : لمـاذا نرى القرآن — وهو الذى لم يقتصر على تحديد العقيدة ، بل حدد الأخلاق والحقوق وقوانين الأسرة — لم يعن أية عناية بهذا العنصر الذى ليس أقل جوهرية للمجتمع مما عنى به ، وهو : النظام السياسى ؟ .

وعند سكوت القرآن كوحى إلهى عن هـذه المسألة ، لمـاذا أهمل النبى معالجتها بطريقة شخصية ؟ ولمـاذا لم يعمل على تثبيت انتقال السلطة التى كان هو مدينا بها لنبوته والتى لم يكن أحد بعده يستطيع عقليا أن يتلقاها إلا عنه وحـده ؟ لأن محمدا إذا كان إماما للعرب لم يكن كذلك لأنه كان قرشيا من أسرة كذا أو كذا ، وإنمـا كان إماما ، لأنه نبى . ولهذا يجب أن يكون الاعتراف بخليفته تابعا لهذا النظام عينه . وبمـا أن النبوة لا تتجدد بعده ، فعلى الأقل كان ينبغى أن يكون تعيين الخليفة ناشئا من مصدر نبوى .

على هـذا السؤال أجاب الشيعة بجواب هو أصل مذهبهم ، وهو أن النبى لم يهمل هذه المسألة ، بل عنى بها كل العناية وعين الامام الذى يخلفه » .

يشير الأستاذ « كازانوفا » بجواب الشيعة هـذا الى رأيهم الذى نقله ابن خلدون عنهم فى مقدمته فى مسألة الامامة ، والذى جاء فيه ما يلى :

« ومذهبهم جميعا متفقين على أن الامامة ليست من المصالح العامة التى تفوض الى نظر ... يجب عليه تعيـين الامام لهم ويكون معصوما من الـكبائر والصغائر ، وأن عليا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رضى الله عنه هو الذى عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم ، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة » (١) . قال كازانوفا بعد ذلك :

« على عكس إجابة الشيعة على هذا السؤال ، أجاب ابن خلدون (وهو فى هذا الجواب يمثل اراء إجماع المسلمين) فقال :

« وشبهة الامامية فى ذلك إنما هى كون الامامة من أركان الدين كما يزعمون ، وليس كذلك وإنما هى من المصالح العامة المفوضة الى نظر الخلق ، ولو كانت من أركان الدين ، لكان شأنها شأن الصلاة ، ولكان يستخلف فيها كما استخلف أبا بكر فى الصلاة ، ولكان يشتهر كما اشتهر أمر الصلاة ، واحتجاج الصحابة على خلافة أبى بكر بقياسها على الصلاة فى قولهم : ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا دليل على أن الوصية لم تقع ، ويدل ذلك أيضا على أن أمر الامامة والعهد بها لم يكن مهما كما هو اليوم » . (٢)

بعد أن أشار الأستاذ « كازا نوفا » الى إجابة الشيعة على هذا السؤال ، وذكر نص إجابة ابن خلدون عليه ، علق على ذلك بقوله :

« بقى علينا نحن الذين لسنا مسلمين والذين بناء على هـذا لنا الحـق فى أن ننظر الى محمد كرجل عبقرى عادى أن نوضح لماذا أهمل العناية بمسألة لها هذه الأهمية الكبرى ، فنعلن أن السبب فى إهمال أمر الخـلافة بسيط ، وهو أن محمدا لم يفـكر فى أنه سيموت وسيترك خلفاء من بعده ، بل اعتقد أن نهاية العالم قريبة ، وأنه هو سيشاهدها ، وهذه العقيدة بقرب نهاية العالم مسيحية محضة ، ومحمد كان يقول عن نفسه : إنه هو نبى آخر الزمان الذى أعلن المسيح أنه سيجىء ليتمم رسالته .

وهـذه الفـكرة كما كانت عند محمد ، كانت عنـد المسلمين الأولين ، وإذا كان المسلمون المتأخرون لم يحتملوا أن يستسيغوا غلطة كهذه من نبيهم ، فانهم لم يقلوا عن أسـلافهم فى الاحتفاظ فى هذا الشأن بكلام له اضطروا الى أن يلووا معانيه .

هذا هو البرهان الأول الذى ساقه « كازا نوفا » ليؤيد به زعمه أن النبى كان يعتقد بفناء العالم قبل موته ، وأن القرآن قد احتوى هذه العقيـدة ، وأن الصحابة قد تنبهوا الى هـذه الورطة فمدوا أيديهم الى القرآن بالتغيير . ويتلخص هـذا البرهان فى أن النبى لما كان مؤمنا تمام الايمان بأن العالم لن يستمر بعد وفاته ، وأن الساعة ستقوم قبل موته ، فقد أضرب تمام الاضراب عن تعيين من يخلفه على أمر المسلمين ، لأنه لن يكون بعده — فيما يعتقد — خلافة

(١) انظر صفحتى ١٧٠ و ١٧١ من مقدمـة ابن خلدون . (٢) انظر صفحتى ١٨٤ و ١٨٥ من المقدمة المذكورة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا خلافاء ، ولا مسلمون ولا كفار ، وأن النبي لم يختر أبا بكر إلا ليخلفه فى الصلاة أثناء مرضه ، وأن الصحابة لما رأوا أن الشمس تشرق وتغرب ، والعالم كما هو ، والساعة لم تقم ، أدركوا أنه لا بد لهم من تلافى هـذا الأمر ، وإلا لتهدم صرح الاسلام ، فبادروا الى توطيد الحالة السياسية ، وبايعوا أبا بكر مبررين بيعته باختيار النبى إياه إماما فى الصلاة . ولما سئلوا كيف أن القرآن والنبى قد أهملا الرياسة السياسية ؟ أجابوا بأنهما قد أهملاها لصغر شأنها عن شأن إمامة الصلاة التى اهتم بها النبى وعين لها أبا بكر ، ولما كان التعيين للا على يقتضى بالأولوية التعيين للأدنى ، فقد صح أن يكون أبو بكر إماما سياسيا كما كان إماما دينيا .

ونحن نعلن أن هـذه الفكرة باطلة من أساسها ، وأن ما تقدم أو ما سيجىء من براهينها أوهى منها . وبما أننا لم نقدم من هذه البراهين إلا برهاناً واحداً ، فيجب أن نقصر مناقشتنا اليوم عليه إلى أن نسرد البراهين الأخرى فنناقش كلا منها على حدة . وهاك مناقشة برهان اليوم :

أسس « كازانوفا » هـذا البرهان على أساس خيالى ، وهو أن النبى لم يعن بأمر الامامة السياسية ، فهل يساعد المنطق أو أسلوب البحث الحديث هذا الأستاذ على أن يجزم بأنه ليس هناك سبب حمل النبى على إهمال أمر الامامة السياسية إلا عقيدته بفناء العالم قبل وفاته ؟ وهل مجرد الفرض الخيالى يـكفى فى نظر العلم الصحيح لأن يكون دليلا ؟ ثم ألا يعلم هذا الأستاذ أنه يحتمل أن يكون هناك سبب آخر منع النبى من تعيين الامام السياسى غير عقيدته بفناء العالم ، وأن من أوليات قواعد أرسطو وفرفريوس المنطقية قولها : « ما تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال » .

على أننا نؤكد للاستاذ وأنصاره أن هناك سبباً آخر غير عقيدة فناء العالم هو وحده الذى منع النبى عن هذا التعيين ، وأن هـذا السبب ليس فى درجة الاحتمال ، بل فى درجة اليقين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى تؤيده الشواهـد الناطقة ، والحوادث الجلية ، والتاريخ الصحيح ، والذى لا يستطيع أى واحد من أنصار « كازانوفا » أن يجادل فيه ، ذلك السبب هو أن النبى أعلن منذ الساعة الأولى لبعثته الى اللحظة الأخيرة من حياته أنه رسول دينى ، وأن مهمته العليا فى هـذه الحياة هى إرشاد الناس الى التوحيد والاستقامة ، أما الرياسة السياسية والقيادة الحربية فهما ضرورتان من ضرورات الحياة احتملهما النبى احتمالا ، لأنه لم يـكن له منهما مفر وإذاً ، فهو لم يكن طاغية أو ديكتاتورا أو ملكا مطلقا حتى يعين ولى العهد من بعـده ويفرضه على الأمة فرضا ، كما كان ذلك متبعا فى الدول الأخرى ، وكما حدث فى الاسلام فيما بعد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لهذا تصرف النبي فى الأمر الديني الذي يملكه ، بل الذى هو مهمته الأساسية التى جاء من أجلها وترك الامامة السياسية لمن يعنيهم أمر دنياهم من بعده .

على أنى لا أدرى كيف يتفق فرض الامام على الأمة مع مبدأ الشورى الذى أمر القرآن به النبي أمراً صريحا فقال : « وشاورهم فى الأمر » « وأمرهم شورى بينهم » فلم يسعه إلا الخضوع والطاعة لهذا الأمر ، وقد ظهر ذلك جليا يوم الخروج الى غزوة (أحد) حين رأى النبي عدم الخروج ، ورأى أصحابه الخروج ، فأذعن للكثرة راضيا مغتبطا وتركهم يخرجون بل خرج على رأسهم كأن الخروج كان رأيه الشخصى . وليست هذه الحادثة هى الوحيدة التى ظهر النبي فيها بأجلى المظاهر الدستورية ، بل هناك عشرات الحوادث من هذا النوع يعرفها من له إلمام بالسيرة النبوية .

قد يعترض أنصار (كازانوفا) على هذا الاهمال بأن النبي عنى بما هو أقل شأنا فى مصالح الأمة من الخلافة ، مثل سياسة الأسرة ، فلم يكن من الطبيعى أن يعنى بالأقل ويهمل الأعظم . ولكننا نجيبهم على هذا الاعتراض المضحك بأن عناية القرآن والنبي بالأسرة تنحصر فى وضع القواعد المؤدية الى نظامها وسعادتها ، وهذه العناية لم تحرم منها سياسة الدولة فى القرآن أو فى السنة ، بل كان لها منها فيهما حظ عظيم ، إذ عنى القرآن وعنيت السنة بوضع قواعد : الشورى ، والعدالة ، والاعتدال ، والعفة ، والبشاشة ، ولين الجانب ، وكرم الخلق ، للملوك والحكام (وشاورهم فى الأمر) . (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) . (فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) . (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) . (وإنك لعلى خلق عظيم) .

كذلك عنيت السنة بإيضاح أن مسئولية الحاكم مضاعفة ولو كانت رعيته من الحيوانات (كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته) . (دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض) .

وإذاً ، فقد وضع القرآن والسنة دستور الدولة ، ولكنهما لم يعينا الملك ولا نظام الحكم الذى يجب أن تسير عليه الأمة ، بل تركا هذا التعيين لمن يهمهم الأمر من رجالاتها المسئولين ، فكأنهما أعلنا أن الأمة حرة فى اختيار النظام الذى يروقها والملك الذى تريده على شرط ألا تكون الأهواء ولا الأغراض الخاصة ، ولا المصالح الشخصية هى التى حملت الزعماء على اختيار نظام بعينه ، أو هى التى تدفع الملوك الى التكالب على الحكم أو تحول بينهم وبين تحقيق العدالة والعفة والتضحية بالمنافع الشخصية فى سبيل المنفعة العامة ، فاذا رأى المسلمون أن هذه الشروط تتحقق فى أى نظام من أنظمة الحكم ، فليس عليهم أى إثم دينى فى أن يأخذوا به ، لأن الاسلام لا يجيز القسر والاضطهاد إلا فى الأحوال التى لا مفر فيها

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

منهما ، مثل حالات الفتن ، وفساد الأنظمة الاجتماعية ، وغيبة الأمن ، وسيادة الفزع ، وهذه مبادئ لا تحط من قـدر الاسلام ، بل على العكس هى تشرفه وترفع من شانه فى نظر عقلاء الساسة والاجتماعيين .

وبناء على هـذا كله ، فان الذى منع النبى عن تعيين الامام هو روحه الدستورى المشبع بمبدأ الشورى ، واحترامه للعدل ، ويقينه بأن مهمته الأساسية دينية ، وعلمه بأن الأزمان متغيرة والظروف حائلة ، وأنه لهـذا يجب أن يترك أمر الناس الدنيوى فى أيديهم بعد أن يوضح مسئولياتهم ، وأن ينذرهم بأن تصرفاتهم محسوبة عليهم ، وليست عقيدة فناء العالم قبل موته هى التى منعته كما تخيل الأستاذ كازانوفا .

الى هنا لم نزد على أننا أبطلنا سببية عقيدة فناء العالم لاهمال تعيين الامام السياسى ، وأثبتنا أن السبب هو شيء آخر غير هذه العقيدة . أما وجود هذه العقيدة نفسها عند النبى فسنبرهن على بطلانه بالأدلة القاطعة فى الكلمة الآتية ، فاذا فرغنا من إبطال هذا الدليل الأول لكازانوفا عرضنا لما أتى به بعد ذلك من أدلة ، فبسطناه وناقشناه ، حتى إذا انتهينا منه قذفنا به الى الدركة الجديرة به وبأمثاله من الآراء الباطلة .

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ماقيل فى الاستبداد بالرأى

علم الناس قاطبة أن الاستشارة فى المهام أجـدى على الانسان ، وأعود عليه بالفلج ، من الاستبداد بالرأى ، ولكن طائفة فضلوا عليها الاستبداد لاعتبارات خاصة . منهم القائد الأموى المشهور المهلب بن أبى صفرة ، فقد قال : « لو لم يكن فى الاستبداد بالرأى إلا صون السر وتوفير العقل لوجب التمسك به » .

وقال عبد الملك بن صالح : « ما استشرت أحدا قط إلا تكبر على وتصاغرت له ، ودخلته العزة ، ودخلتنى الذلة ، فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون ، مهيب فى الصدور ، وإنك متى استشرت تضعضع شأنك ، ورجفت أركانك ، فإياك والمشورة وإن ضاقت عليك المذاهب ، واشتبهت لديك المسالك ، وأنشد :

وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه ... ولا كل مؤت نصحه بلبيب

[illegible] : لا تنهض مثل هذه الشبهات حجة لنقض ما أجمع عليه البشر من ضرورة المشا[illegible]

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

جاء من بعض حضرات العلماء الجاويين الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى وطلبوا أن تكون الاجابة على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه :

(أولا) هل يكفى فى نية الصلاة استحضار أركان الصلاة على سبيل الاجمال ومقارنتها لأى جزء من تكبيرة الاحرام ، أو لا بد من استحضار أعمال الصلاة كلها تفصيلا ومقارنتها لجميع تكبيرة الاحرام ؟

(ثانيا) مشرك باع ولده الحر لمسلم أو غيره ، فهل يصح هذا البيع ؟ وهل يصير هذا الولد ملكا للمشترى ؟ وإذا لم يصح البيع فما حكم عقده ؟ وهل يجب استرداد الثمن ، وما هى أسباب الرق بالضبط ؟

الجواب

عن الأول : النية فى الصلاة فرض ، ولا تصح الصلاة إلا بها ، قال الشافعى : وإذا أحرم نوى صلاته فى حال التكبير لا بعده ولا قبله ، ومعنى ذلك أنه لابد أن تكون النية مقارنة لتكبيرة الاحرام . فلو خلت تكبيرة الاحرام من النية لم تنعقد الصلاة .

ومعلوم أن النية هى القصد ، ولا بد من مقصود معلوم يستحضره الناوى أثناء التكبير فلا بد إذاً من استحضار المنوى ومقارنته لتكبيرة الاحرام .

وقد اختار إمام الحرمين والغزالى أنه تكفى المقارنة العرفية العامية بحيث يعد مستحضر الصلاة غير غافل عنها اقتداء بالأولين فى تسامحهم فى ذلك .

وهذا الذى اختاراه هو المختار عند النووى فى مجموعه ، وعليه عمل الناس الآن .

وعلى هذا يكفى فى نية الصلاة استحضار أركانها على سبيل الاجمال ومقارنتها بأى جزء من أجزاء تكبيرة الاحرام .

عن الثانى : الاسترقاق ظاهرة اجتماعية نشأت منذ ابتدأ الاجتماع الانسانى ، وترجع هذه الظاهرة الى تغلب القوى على الضعيف وتسلطه عليه واستخدامه إياه .

وقد كان الرق شائعا قبل الاسلام فى جزيرة العرب ، فكان الناس يتخطفون الغلمان

مكتب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والفتيات من بين أهليهم ، ويذهبون بهم الى الأسواق حيث يوجد النخاسون وسماسرة الرقيق ، وكذلك كان شائعا قبل الاسلام فى أمتى الفرس والرومان على نحو ما كان فى جزيرة العرب أو أشد .

وكانت معاملة الأرقاء فى هـذه الأمم تختلف فى القسوة واللين تبعا لاختلاف دياناتها وتقاليدها ، إلا أن هـذه المعاملة على العموم كانت قاسية جدا ، يظهر فيها سلطان القوى على الضعيف بأجلى معانيه ، بل إن الديانة الهندية القديمة المؤسسة على تمايز الطبقات البشرية كانت تعتبر الأرقاء من الطبقة الدنيا التى تلزمها الخسة لذاتها ، ولا يمكن أن ترقى يوما ما الى ذروة الطهارة الانسانية .

جاء الاسلام ، وسوى بين الناس جميعا ، وأعلن ألا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، ولكنه وجد نظام الاسترقاق قائما بين الأمم ومعتبرا فيها من النظم الاجتماعية المتغلغلة فى صميم الحياة إذ ذاك ، فلم ير من الحكمة فى التشريع أن يلغى هذا النظام إلغاء تاما ، بل عمد الى تقرير المبادىء الآتية التى تخفف من آثار الرق وتنظيم العلاقة بين المالك والمملوك لا على أساس القوة والضعف كما كان فى الأمم السابقة بل على أساس المحبة والأخوة وتبادل المنافع والتعاون فى شئون الحياة ، ولا نبالغ إذا قلنا إن مبادىء الاسلام التى شرعها فى الاسترقاق تعتبر بمثابة إلغاء الرقيق ، واليك بعضا من هذه المبادىء :

(أولا) ضيق الاسلام فى أسباب الرق حتى حصرها فى سبب واحد هو محاربة المشركين للاسلام وصدهم الناس عن سبيل الله ، فاذن للمسلمين الذين يدافعون عن دينهم ويردون عنه عادية المشركين أن يضربوا الرق على من يقع فى أيديهم من أسرى هؤلاء المشركين المحاربين .

(ثانيا) لم يجعل هذا الاسترقاق ضربة لازب ولا نتيجة حتمية لمحاربة المشركين والظفر بهم ، بل جعل ذلك من قبيل نظم السياسة الحربية ، فخير الامام فى أن يلجأ الى الاسترقاق إذا رآه وسيلة من وسائل الاعزاز لدين الله وكسر شوكة المعتدين ، وفى أن يمن على الأسرى فيطلق سراحهم بفداء أو من غير فداء .

(ثالثا) إذا رأى الامام أن فى الاسترقاق وسيلة حربية لاعزاز الدين ودفع اعتداء المعتدين فلجأ اليه فإن الاسلام لم يترك الحبل على الغارب ولا ترك الرقيق لمشيئة مالكه ورحمته يحمله من عناء الأعمال ماشاء كما كان زمن الجاهلية ، ولا جعل حظيرة الرق حظيرة أبدية لا يتسنى للرقيق الخروج منها بحال ، بل عنى بأمر الرقيق وأوصى المسلمين به خيرا قال الله تعالى : « وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم » وقال صلى الله عليه وسلم : « إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس » وقال صلى الله

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عليه وسلم : « من كانت له جارية فعلمها فأحسن تعليمها ثم تزوجها كان له أجران » ثم رغب فى العتق ودعا الى تحرير الرقاب وجعل لمن أعتق رقبة ثوابا عند الله يعدل ثواب كثير من الطاعات بل أوجب الاسلام ببعض المعاصى تحرير رقبة كمن قتل نفسا خطأ أو أفسد صيامه عامدا أو حنث فى يمينه التى عقد عليها قلبه .

وآيات القرآن العظيم وأقوال الرسول الكريم فى الرفق بالرقيق والاحسان اليه فى المعاملة كثيرة مشهورة .

من هذا يتبين أن ليس للرق فى الاسلام إلا سبب واحد هو ما أسلفنا الاشارة اليه من محاربة المشركين واعتدائهم على المسلمين ، وأن الاستيلاء على المشركين بأى وسيلة كانت زمن السلم ومن غير محاربة وخطف الأولاد من أهليهم كما كان يعمل فى الماضى ، كل ذلك لايترتب عليه أن يكون المستولى عليهم أرقاء ولا يسوغ التصرف فيهم بحال .

وأن بيع الرجل ولده يكون بيعا باطلا يجب منعه ويجب رد الثمن للمشترى ورد الولد الى أبيه ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام



قصيدة الكرم

حاتم طيء يضرب به المثل فى الكرم ، وقد أوجز مذهبه فى شعر له فقال :

أماوى قد طال التجنب والهجر ... وقد عذرتنا فى طلابكم العذر
أماوى إن المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أماوى إنى لا أقول لسائل ... إذا جاء يوما حل فى مالى النذر
أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
أماوى إن يصبح صداى بقفرة ... من الأرض لا مال لدى ولا خمر
ترى أن ما أنفقت لم يك ضرنى ... وأن يدى مما بخلت به صفر
أماوى إن المال مال بذلته ... فأوله شكر وآخره ذكر
وقد يعلم الأقوام لو أن حاتما ... أراد ثراء المال كان له وفر
فانى وجدى رب واحد أمة ... أخذت فلا قتل عليه ولا أسر
ولا أظلم ابن العم إن كان إخوتى ... شهودا وقد أودى باخوته الدهر
غنينا زمانا بالتقصد والغنى ... وكل سقانا وهو كاسبنا الدهر
فما زادنا مأوى على ذى قرابة ... غنانا ولا أزرى بأحلامنا الفقر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نظرة فى عالم الاحياء الدقيقة

يكشف العلم حينا بعد حين ، عن ناحية خفية من نواحى الحياة ، تتجلى فيها القدرة الإلهية بأوضح بيان ، وتتبين عظمة هذا الكون الشاسع بأروع نظام ، مما لا يجد معه العقل البشرى إلا أن يسجد لله العلى القادر ، مبدع هذه الكائنات .

فهذه الأرض التى ندب عليها ، وهذا الهواء الذى نتنفسه ، بل هذا الماء العذب الذى نشربه سائغا مريئا ، وذاك الطعام الذى نتناوله شهيا هنيئا ، كل ذلك يحوى أنواعا من كائنات حية لا ترى بالعين المجردة ، تعيش وتتكاثر ، وتؤدى مهمتها فى الحياة شأنها فى ذلك شأن الانسان والحيوان والنبات . وإنك إذا علمت أن بعض تلك الأحياء يبلغ حجمها ميكرون واحد أى ١ على ١٠٠٠ من المليمتر ، لأدركت هذا الحجم الضئيل المتناهى فى الصغر . ولقد تزدرى تلك الكائنات ، فتقول : هل لهذه التوافه شأن ما فى الحياة ؟ فلا جدال فى أن سيأخذ منك العجب كل مأخذ ، إذا ما علمت أن تلك الأحياء الدنيئة تلعب دورا عظيم الأثر ، جليل الخطر فى هذا الكون ، وأن تلك الضآلة فى الحجم ، لم تمنعها من أن تؤدى مهمتها بنشاط عجيب ، وأن تقوم بأعمال عجز الانسان عن القيام بها ؛ وقبل أن أتبسط فى شرح ماهية تلك الأعمال أحب أن أسرد طرفا من تاريخ حياة البكتريا — المعروفة باسم الميكروبات — وهى أهم تلك الأحياء شأنا وأعظمها أثرا .

تضح أبسط أنواع الحياة فى البكتريا ، فجسمها لا يزيد عن كونه خلية واحدة ، تحتوى على مادة لزجة ضرورية للحياة ، وتحاط بجدار غشائى رقيق ؛ ولبعض أنواعها أهداب رفيعة جدا تتحرك بواسطتها فى السائل الذى تعيش فيه ، بيد أن البعض الآخر يتحرك بالتواء جسمه كالثعابين ، وإن الأمر الذى يذهل الفكر ، فيقف أمامه مشدوها متعجبا ، هو تلك السرعة الفائقة التى تتكاثر بها البكتريا ؛ فإن الميكروب وهو عبارة عن خلية واحدة ، ينقسم الى خليتين ، وكل منهما ينقسم بدوره الى اثنين وهكذا ، ويسمى هذا التكاثر بالانقسام البسيط ويحصل فى الظروف الملائمة مرة كل ٢٠ — ٣٠ دقيقة ، وإذا استمر هذا الانقسام بدون توقف مدة يوم فقط ، تكون عدد ضخم جدا من هذه الكائنات يملأ الأرض جميعا وتعذرت حينئذ سبل الحياة ، ولكى نقرب الى فكرك هذا العدد ، نذكر على سبيل المثال بكتريا الكوليرا ، فانه لو تكاثر فرد واحد فقط منها فى الظروف الملائمة بالانقسام ، لبلغ عدد الأفراد التى تنتج فى ٢٤ ساعة ما يقرب من : (١ كترليون و٦٠٠ ترليون) فرد أو ما يبلغ زنته نصف مليون رطل ، فبالله عليك إذا كان هذا هو ماينتج من تكاثر فرد واحد ، فا ...

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إذاً بما ينتج من تكاثر تلك الأفراد جميعا ! ؛ ولكن الله سبحانه وتعالى جلت قدرته ، وسمت حكمته ، أوجد عوامل طبيعية تقف حائلا فى وجه هذا التكاثر الذريع ، منها تناقص المواد الغذائية ، كما أن هناك تزاحما وصراعا بين أنواع البكتريا المختلفة ، ومع هذا فإن عددها عظيم لا يستهان به ، ويكفيك أن تعلم أنه فى الجرام الواحد من التربة يوجد ٦ — ١٠ ملايين من هذه الكائنات ، لتدرك أهمية هذه الأحياء فى الوجود .

قلنا إن تلك الخليـة الضئيلة التى تبلغ من الحجم ١ على ١٠٠٠ من الملليمتر هى كائن حى تتجلى فيها ظواهر الحياة ؛ إذاً فلا غرابة فى أن نجدها تسعى فى الحصول على غذاء يقوم بأودها ؛ وهى إما أن تسلك فى ذلك طريقا مباشرا بأن تتطفل على أجسام الكائنات الحية ، أو تتغذى على أجسام كائنات ميتة وبذا تكون رمية . وهى تأكل الفوسفور والبوتاسيوم والكبريت والحديد والكالسيوم والمغنسيوم ، وأما عنصرا الأزوت والكربون فهما من مقومات حياتها ، وتحصل على الأزوت من البروتين ، ولهذا نجد اللحوم معرضة دائما لغارات البكتريا ، وتحصل على الكربون من المواد العضوية ، ويمكن لعدد قليل أن يمتص ثانى أكسيد الكربون الجوى . وحياة هذه الميكروبات بدون الماء مستحيلة ، إذ أن الخلية البكتيرية تحتوى على ٧٥ — ٩٨ ٪ من الماء .

وهذه الكائنات تتنفس أيضا . فتأخذ الأكسجين اللازم لها من الهواء الجوى ، وأما الأنواع التى تعيش فى بيئات خالية من الهواء فتتحصل على المجهود اللازم لها من تحايل المواد العضوية .

وقد يتبادر الى الذهن أن الميكروبات — وهى متناهية فى الصغر — سريعة الفناء سهلة الهلاك ، ولكن الواقع الملموس عكس هذا : فالله سبحانه وتعالى قد حبا تلك المخلوقات بمناعة غريبـة وقدرة على المقاومة فريدة فى بابها ، مما لو توفرت للانسان لعاش مئات السنين سليما هانئ البال . فالانسان منا لو منع عن الغـذاء أو الماء مـدة من الزمن ، لهلك وقضى وكذا الحال فى الحيوان والنبات ، وأما فى الميكروبات ، فانها لا تهلع ولا تجزع ، بل تحزم أمرها على المقاومة والمجالدة ، فتحيط نفسها بغشاء سميك يقيها المؤثرات الخارجيـة ، وتبقى كذلك فى حالة سكون وكمون منتظرة بصبر غريب أن ترجع اليها ظروف الحياة الملائمـة . ولقد بلغ من مقاومتها العجيبة . أنها تستطيع الحياة بدون غذاء عدة سنين ، بل إنها لتحيا فى الهواء السائل أى فى درجة ١٩٠ تحت الصفر ، وتقاوم الافرازات السامة الى حد بعيـد وتعرف فى هذا الوقت بالجرثومة .

سبحانك ربى ! يشعر الانسان بألم بسيط ، فاذا به يكاد يقضى فرقا ، وهـذه كائنات دنيئة لا تبصرها العين ، ولا يكاد يدركها الفكر ، تتعرض لبرد يقضقض الأعضاء ، ويجمـد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الريق فى المـآق ، وتجـد الحر اللافح والعدو المهاجم ؛ فتصمد أمامهـا جميعا بثبات وجلد ، ما أحوج بنى الانسان الى جزء منه !

هناك عدة تأثيرات طبيعية تحدثها البكتريا ، منها إنتاج اللون ، والألوان الشائعة هى اللون الأبيض والأصفر والأحمر والأرجوانى ، وهذا الأخير يشاهد كثيرا فى البرك والمياه الراكدة . وبعض أنواع الميكروبات يتسبب عن نموه نقط حمراء مشابهة جدا لنقط الدم ، تظهر فجأة على الخبز واللحوم . ومن طريف المقال ، أن هذه الظاهرة الطبيعية كان لها شأن كبير لدى رجال الـكنيسة فى العصور الوسطى ، فلقد كان الرجل منهم يترك خبزه سالما نظيفا ، ويصبح فاذا بتلك البقع الدموية تغمره ، فيبهت ويتملـكه العجب ، ويقدح زناد الفكر عمن سبب هـذه الدماء فلا يجـد حلا إلا أن يذهب ويصيح بين الناس بأن دم المسيح قد حل فى ذلك الخـبز المقدس . وهكذا ساعدت الميـكروبات — دون قصد منها أو علم — على رواج تلك العقائد الخرافية وتمـكينها من نفوس القوم .

وهناك من الميكروبات ماله خاصية الاضاءة ، فلقد شوهدت فى كثير من الأحيان اضواء مختلفة فى ماء البحر وعلى أنواع من السمك ، ثبت أنها أنواع من البـكتريا المضيئة المعروفة علميا باسم Phosphores cent ، وقد أمكن فعلا تربية هذه الميكروبات فى بيئات صناعية ، وأمكن أن يشاهد الضوء بوضوح ، وقد اقترح بعض الباحثين استعمال هذه المزارع المضيئة فى عمل مصابيح خاصة تستعمل فى المناجم لمنع خطر الانفجار ، ولا يزال هذا الاقتراح رهن التجربة .

نعود بعد هـذا الى الـكلام على أهمية الميكروبات فى الطبيعة ؛ فحياة النبات — وبالتالى حياة الانسان والحيوان — تتـوقف على وجود هـذه الـكائنات فى التربة ، ذلك أنها تقوم بتحضير الغذاء الصالح للنبات ، فهى تحـول المـادة العضوية التى لا يستطيع النبات أن ينتفع بها ، الى مادة معدنية صالحة لغذاء النبات ؛ ومن المعلوم أن عنصر الأزوت هو أهم العناصر التى يحتاج اليها النبات على الاطلاق ، وأنه لا يستطيع امتصاصه إلا على حالة أملاح ، فنجد أن البـكتريا تقوم بتجهيز هذا الأزوت من المواد المعقدة التركيب ليتمكن النبات من استعماله وهناك أنواع أخرى من الميكروبات لها القدرة على امتصاص الأزوت الجوى ، فباتحاده مع مركبات الـكربون اللازوتيـة ، يتكون مركب البروتين الذى يتحلل بعـد موت البكتريا ، فتتكون منه الأزوتات اللازمة للنبات ، أى أن البـكتريا نفسها تعد مصدرا آخر للازوت .

فيتضح لنا من هذا أن خصب الأراضى قاطبة يتوقف على وجود هذه الأحياء ، وأنه إذا كانت النباتات الخضراء هى أساس الحياة ، لأنها تكون المـادة العضوية من مواد غير عضوية فإن تلك الأحياء تقوم بعكس هـذه العملية ، أى تحول المواد العضوية الى أخرى معـدنية ... النباتات .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن أنواع البكتريا ، النوع المسمى بالبكتريا العقدية ، وله القدرة على امتصاص أزوت الجو وهى تصيب جذور نباتات العائلة البقولية وتتكاثر فيها وتحدث فيها انتفاخات كثيرة تبرز الى الخارج ، وتكون ما يعرف بالعقد ؛ وتتغذى هذه البكتريا على النشويات الموجودة بالنبات وبعد موتها يمتص النبات البقولى أجسامها ، وبذلك يحصل على الأزوت اللازم له من الهواء الجوى عن طريق البكتريا . والنباتات البقولية تفيد الأرض التى تزرع فيها بعد أن تتحلل بقايا جذورها لأنها تزيد كمية الأزوت فى التربة .

علاوة على تلك الخدمة الجليلة التى تؤديها الأحياء للنبات فإنها تقوم بعملية هامة فى الطبيعة ألا وهى عملية الاختمار ، وإنك لتشاهد هذه العملية فى أبسط مظاهرها إذا ما تركت قليلا من اللبن معرضا للجو مدة من الزمن ، فإنك ترى أن طعم اللبن قد تغير وصار أقرب الى الحموضة وارتفعت درجة حرارته ، وهذا ناشئ عن فعل الميكروبات فى اللبن وتكاثرها فيه وتكوينها لحمض يسمى حمض اللبنين ، فإذا تركت هذا اللبن مدة أكبر ، لتجبن وجد نتيجة ترسيب أملاح الكالسيوم الموجودة به بواسطة الحمض المذكور .

وعلى ذلك ففى جميع العمليات الاختمارية ، يستعان بالبكتريا لإتمامها ففى عمل اللبن الزبادى وفى عمل الخل وغيره ، لا بد من وجود أنواع معينة من الميكروبات للقيام بتلك العملية . ومن المعلوم أن الجلود تحتاج لبكتريا خاصة لاتمام عملية دبغها .

تلك هى النواحى النافعة فى حياة البكتريا . وأنها لمنافع جليلة الشأن عظيمة الأهمية . أوجزناها إيجازا خشية الملل والاطاله ، وبقى أن نذكر كلمة صغيرة عن الأنواع الضارة وهى التى تسبب هلاك الانسان والحيوان .

قلنا آنفا ان البكتريا وجراثيمها منتشرة بكثرة فى الهواء والماء وعالقة بالأسطح المعرضة للهواء الجوى ، وعلى ذلك فالكائنات عامة معرضة لهجمات هذه الميكروبات ، وهى كثيرا ما تسبب أمراضا خطيرة للانسان وتصيبه عن طريق الجلد أو القناة الهضمية أو الجهاز التنفسى ، فإذا دخلت الميكروبات عن طريق جرح أو ثلم فى الجلد فانها تتكاثر بسرعة وتسبب التهابات موضعية وتفرز موادا سامة تسرى فى الدم وتسبب تسمم الجسم ، الأمر الذى قد يفضى الى الموت . لهذا كان من أوجب الواجب المسارعة بتعقيم الجروح التى تحدث فى الجلد بمادة مطهرة مثل صبغة اليود . وتصيب الجهاز الهضمى أنواع مختلفة من الجراثيم ، من أخطرها بكتريا التيفود والكوليرا وينقلها الذباب من الأطعمة الملوثة . أما الجهاز التنفسى ، فهو أكثر الأعضاء تعرضا للميكروبات ، وتصيبه أنواع قتالة من جراثيم السل والالتهاب الرئوى .

حقا ، إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين ، فهذا قل من كثر ، وغيض من فيض من عوالم شأنها فى الحياة جليل عظيم ، وأمرها عجيب غريب ، خلقها الله سبحانه وتعالى رحمة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

للناس والكائنات عامة ، ثم جعلها نقمة منه يصيب بها من يشاء ، ففيها خير كثير ونفع عميم ، وفيها شر مستطير وعذاب أليم .

سبحانك اللهم ولا قوة إلا بك ، هذه آياتك فى الكون بينات ، ناطقة بقدرتك شاهدة بعظمتك ، مبينة لرحمتك ، مظهرة لعذابك ، يمر عليها الناس صباح مساء ولكن أكثر الناس عن آيات ربهم غافلون معرضون ! « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

رضوان محمد رضوان
بكالوريوس فى العلوم الزراعية

شورى الكهول والشبان

اختلف الناس فى أى القبيلين أولى بأن يستشاروا : الكهول أم الشبان . فآثر بعضهم الأولين ومال بعضهم الى الآخرين . فمن حجج أصحاب المذهب الأول قول حكيم : عليكم بمشورة من حلب ضرع دهره ، ومرت عليه صروف خيره وشره ، وبلغ من العمر أشده . لذلك كان العرب يقتدون بآراء الشيوخ ، ويعتمدون فى تصريف النوازل عليهم ، لما يكثر فيهم من أصالة الرأى ، وإصابة الحدس ، وصحة النظر ، مع مامنحوا من حسن الاختبار ، وسمت الوقار .

ومن حجج أصحاب المذهب الثانى أن للشبان من توقد الفطنة ونشاط النفس ، وقوة المنة ، مايقصر عن مثل ما هم عليه الشيوخ .

والحقيقة أن الصواب مع أهل المذهب الأول ، فان الأمور لا تؤخذ بالعنف ، ولا تعالج بالقوة ، والنوازل لا تدفع بالشدة ، ولا تتحامى بالمكافحة ، ولكن الانسان الى عقل بصير بسنن الحياة ، وفواعل الوجود ، ونظر ثاقب بأسباب الحوادث وعواقبها ، وحنكة صحيحة بوجوه الاحتماء من العوادى أو تسهيل وقعها ، أحوج منه الى اعتداد بالنفس يخفى عليه وجوه الوصول الى الصواب ، واعتماد على الحول يورطه للصدمات حتى تخور قواه من شدة وقعها . وهذا العقل وتلك الحنكة ثمرة لممارسة الأحداث ومعالجتها ، وهى من حظ أصحاب الأسنان المتقدمة ، لا الشبان الذين ليس لهم بتكاليف الحياة خبرة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بين النقد والادب

تدرج الطبيعة بالانسانية فى مدارج الرقى والكمال ، وتنهج بها مناهج السمو والتطور ، فتحرص على النافع وتختار الأصلح ، وتجدد دائما ، فتنقل الناس من حال الى حال ، وتخرج بهم من وضع الى وضع ، وما أداتها فى هذا إلا الشخصيات العظيمة ، والنفوس الكبيرة ، والارادات القوية الوثابة ، التى تحمل فى أطوائها عظمة الطبيعة نفسها ، فإذا هى فى أعمالها وحياتها ومواهبها برامج سامية للجنس ، وشرائع عالية للنوع ، وعوامل ناهضة بدهماء الناس من ظلمة الخمول ، وحمأة الانحطاط ، ومثل رفيعة تثير بروعتها فى النفوس أعمق الخواطر ، وتلهمها الانشاء والخلق والإبداع !

وما الأدب فى وضعه الشامل ، ومادته المتصلة بكل شىء ، إلا دنيا حافلة ، وإنسانية كاملة ، فهو — كما يقول مكسيم جوركى — مرآة الحياة تنعكس على زجاجته المصقولة ، فى هدأة الحزن أو ثورة الغضب ، سائر مشاكل الحياة وشعابها المترامية ، وخيوطها المشتبكة ، ومناحيها المتنائية ؛ كما تنعكس كذلك على أديمه الشفاف كافة رغباتنا وشهواتنا ومشاعرنا وآمالنا ، وبالاختصار هو كل ما يحيا به العالم وسائر ما يعتمل وينبض فى قلوب البشر .

فدنيا الأدب هى دنيا الناس تامة كاملة ، يصورها لنا الأسلوب المهذب ، ويرسمها التعبير الفنى الجميل ، وإن النهج الذى تسلكه الطبيعة فى دنيا الناس للسمو بالانسانية ، والترقى بالعالم هو هو بعينه النهج الذى يحتذيه النقد فى دنيا الأدب لخدمته وصقله وتهذيبه واختيار الأصلح منه ... كما تفعل الطبيعة تماما فى دنيا الناس المادية المحسوسة ، وما النقد إلا رسالة من رسالات الطبيعة وعمل من أعمالها ، فمن المعقول أن يحتذيها فى مهمته ، وأن يكون على غرارها فى وضعه ، فهو — على ما يجب أن يكون — إرادة قوية تكشف وتوضح ، وتختار وتميز ، وتنفى وتثبت ، وتزجر وترشد ، قد تبتر الضعيف ، وقد تحابى القوى ، وما قصدها فى ذلك الى البطش والانتقام ، ولا إلى المداهنة والمحاباة ، ولكنها تقصد الى صقل الخواطر وتهذيب المشاعر ، وتطهير الأفكار ، من مظاهر البساطة الأولى التى تكون للماس إذ يخرج من أحافير الأرض ، فما تزال تتعهدها بذلك حتى تقيمها على الوجه الصحيح النافع ، فإذا هى سمو بالانسانية ، وصلة بالحياة ، ومادة للخلود ، ومبعث الروعة والجلال على مدى الدهر وطول الأيام .

والأدب والنقد يرميان الى غاية واحدة ، ويتعاونان فى مهمة متفقة ، فالأدب — كما يقول الرافعى — يقدر لهذا العالم قيمته الانسانية باضافة الصور الفكرية الجميلة اليه ، ومحاولة إظهار

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

النظام المجهول فى متناقضات النفس البشرية ، والارتفاع بهذه النفس عن الواقع المنحط المجتمع من غشاوة الفطرة ، وصولة الغريزة ، وغرارة الطبع الحيوانى ، والنقد من وراء الأدب فى هذا كله يصحح له هـذا « التقدير » من جميع جهاته ، ويسدده على طريقه القويم ، ويدله على الصور الرائعة التى يصح أن تكون مثلا أعلى لما نطلبه من جمال الحياة وجمال العواطف ، ومن ثم كان النقد — كما يقول شوقى — حارس الأدب ، ومكمل الكتاب والكتب ؛ ومن ثم أيضا كان النقد أساسا لكل نهوض أدبى مثمر ، فاذا مارأيت أدبا مهذبا يغمر أصحابه بالحياة ويؤدى لهم غذاء العواطف والعقول ، ويملأ نفوسهم باليقظة والحكمة والاحساس ، ويرفعهم عاليا الى الكمال الانسانى ، ثم رحت تتلمس السبب فى ذلك فلن تجده إلا النقد ، ثم النقـد ، ولا شىء غير النقد .

قال لى أديب كنت أبسط له هذا الرأى : ولكنك تعلم ياصاحبى أن أهل الفن قوم خلقهم الله أحرار المواهب ، فهم يطلبون حرية الفكر ، وذلك عندهم كل شىء ، ولعلك تذكر فى ذلك قول ملتون الخالد : « أعطنى حرية القول ، وحرية الفكر ، وحرية الضمير ، ولا تعطنى شيئا غير ذلك » . والنقد إنما هو ضرب من ضروب الحجر على هـذه الحرية ، وحبسها عن التحليق فى سماء الفن وجو الحياة الفسيح ، ولا شك أن الفنان إذا ما فقـد حريته فقد فقد عبقريته ، وتلاشت شخصيته . ثم أنت تعلم أن حياة الفن إعجاب وتقدير ، وأن الفنان فى حاجة كبيرة الى العطف والثناء والمدد والبخور ، ولكن النقد كثيرا ما يرهق أعصاب الفنانين — وهى الدقيقة المرهفة — بصلف الأستاذية أو عنت الحزازة ، وعبث الفضول ، وكثيرا ما هوى فنانون صرعى هـذا الطغيان ، أوقل هذا اللؤم ، وكثيرا ما أحجم كرام فضلاء عن الظهور فى الميدان ضنا بأعراضهم أن ترتع فيها الألسنة الضارية . وهـذا ما يجعلنى أعتقد أن النقد عداوة للأدب ، وتهجم على كرامة الفن ، وأنه طاغية مستبد ، يهدم ويثبط ، ويندفع فى جبروته واستبداده لا يلوى على شىء ولا يحفل بشىء ولا يفيد فى شىء . . . وهذا ما جعلنى أيضا أرتاح لصنيع ألمانيا يوم حرمت النقد الأدبى ، ووقفت به عند عرض الموضوعات وبسطها دون التعليق عليها أو إبداء أى رأى فيها ؛ ولقد كان وزير الدعاية الألمانية على حق إذ يقول فى بيانه الذى أصدره فى ذلك الصدد : إن الفن لا يفقد شيئا إذا ما بعـد أولئك النقدة الأغرار من الميدان ، إذ العظمة الزائفة تسقط من غير أن يسقطها النقد ، أما أصحاب العظمة الحقيقية فيجب أن يسمح لهم بحرية الابتكار ، والاحتفاظ بكرامتهم الفنية ، ويجب أن تصان العبقرية الصحيحة من كل ما يؤذيها ويمهد لسقوطها ...

ولقد يبدو هذا الكلام طريفا لبعض الناس ، وأذكر أنى سمعت صداه فى ندوة أدبية ، وقرأت كلاما بمعناه فى إحدى الصحف ، ولكنه فى الواقع أفن من الرأى لا يصح فى عقل ، ولا يستقيم فى منطق ، فان النقد ليس مصادمة لحرية الفنان فى شىء ولكنه تقويم لهذه الحرية ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وتمهيد السبيل لها الى الأوج ، وتنزيه لها من العبث ، وإذا كان له أن يقف بالفنان عند حدود ، أو يلزمه بقيود ، فليست هى إلا الحدود الفنية ، والقيود التى هى معالمه ودعائم كيانه ، فاذا ما أباح لنفسه أن يتعداها وأن يستهين بها ، هان فنه ، وسقط شأنه ، كتلك القيود التى يود أن يتملص منها بعض الناس ، من تفريط فى حق اللغة ، وعدم العناية بالأسلوب والاستهانة بأوضاع العرف والأخلاق ، والتقاليد والدين !

ثم كيف يعقل أن يكون النقد عدوا للادب وهما صنوان يجمعهما الفن الى أصل واحد ؟ فإذا ما نظر النقد الى الأدب وهو ينصح له أو يسخر منه ، أو ينكر عليه ، فهو فى هذا يمثل الطبيعة تحاول أن تذهب بالزبد ليبقى ما ينفع الناس ، والطبيب ليس بمتجبر ولا بمستبد إذا ما بتر العضو الفاسد لينجو المريض ، والصائغ لا يقصد الشر إذا ما تناول حجر الماس بالبتر والصقل ليظهر جوهره . فالنقد إذا ماوضع الحق فى نصابه ، ودافع عن الفن فى نسقه الأعلى ، فإنما هو يؤدى رسالته التى ائتمن عليها ، وإن من انقلاب الأوضاع والاستهانة بالحقائق أن نحسب التهذيب عداوة ، والتطهير هدما وتثبيطا ، وإذا كان بعض الأدباء لايفيدون فى النقد تقويما وإرشادا فإنما هو التفريط منهم فى الانتفاع بالرشد والاصاخة الى النصيحة ، وماهم إلا كالمريض يصف الطبيب له الدواء ويقدر عليه الغذاء ويقرر له ما يأتى وما يدع ، ولكنه يستهين بهذا كله ، وما يزال حتى ينوء بعلته .

على أننا إذ نقول النقد ، فإنما نعنى ذلك الفن الجميل بقواعده المقررة ، وأصوله المحررة ، وغايته الشريفة ، وهو شىء أسمى من أن يتناول بالغرور والتفيهق والحقد والحسد ؛ ولقد صدق شوقى إذ يقول : « من نقد على غضب أسخط الحق ، ومن نقد على حقد احترق وإن ظن أنه حرق ، ومن نقد على حسد لم يخف بغيه على أحد ، ومن نقد على حب حابى وجمح به التشيع ، وإنما النقد فن كريم ، وهو آلة إنشاء ، وعدة بناء ، وليس كما يزعمه الزاعمون معول هدم ولا أداة تحطيم » .

ثم إننا إذ نقول الناقد فلسنا نريده من أولئك المزورين الأدعياء الذين ليس لهم أداة النقد ، ولا عندهم وسائله ، ولكنا نعنيه من أولئك الذين لهم قدرة الحكم ، وفيهم قوة الصواب ، وعندهم وسائل الترجيح ، وغايتهم الانصاف ، وشأنهم خدمة الفن ، فإذا لم يكن الناقد من هؤلاء عرض نفسه للزراية والسخرية ، وتدلى بعقله وفنه الى أسفل .

فالنقد كما ترى مجلى العبقريات ، ودعائم النبوغ ، وظل التاليف ، وعضد الفن ، يذعن له الأدباء فى ارتياح واطمئنان ، ويرمقونه بالاجلال والاكبار ، ويصيخون لكلمته بالوعى والانتفاع ؟

محمد فهمى عبد اللطيف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى مؤتمر الاديان العالمى

الخطبة التى ألقاها فيه صاحب الفضيلة الأستاذ

الشيخ محمد عبد الله دراز

عضو بعثة فؤاد الأول الأزهرية فى جامعة السوربون

(موافقة المؤتمر بالإجماع على اقتراحين جليلين لممثل الأزهر)

يعقد فى عواصم أوربا فى دورات متعاقبة مؤتمر يدعى (مؤتمر الأديان العالمى) وقد دعى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى لحضوره فاعتذر وأرسل اليه بخطبة له قوبلت بما تستحقه من الحفاوة والاكبار ، وكان لها صدى بعيد فى الجرائد والمجلات العالمية .

وقد دعى الأزهر فى دورة المؤتمر التى انعقدت فى هذه السنة بباريز فى جامعة السوربون فندب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام فضيلة الشيخ محمد عبد الله دراز عضو بعثة فؤاد الأول الأزهرية ليلقى كلمة الأزهر فى ذلك المؤتمر . فألقاها بالفرنسية ، فكان إعجاب المؤتمرين بها عظيما حتى قال عنها السير فرنسيس رئيس المؤتمر : إن كلمة الأزهر هذه هى الكلمة الرئيسية !

وقد وافق المؤتمرون بالإجماع على اقتراحين قدمهما الأستاذ دراز يراهما القراء فى الخطبة .

وإن مجلة الأزهر لتفخر بأن تنشر لأحد نجباء أبنائه كلمة جليلة القدر كانت أول ما سمع الاوربيون من أمثالها عن الاسلام ، فنهنئه بهذا الفوز العظيم ، ونرجو أن يكثر الله من أمثاله فى علماء الدين .

واليك ترجمة الخطبة :

باسم الأزهر ، ذلك البيت العتيق الذى هو أقدم الجامعات الدينية العلمية المعروفة فى العالم ، وأكبر المفاخر الأدبية للقطر المصرى ولمدينة القاهرة ، والمركز الذى تلتف حوله قلوب مئات الملايين من البشر ، يعدونه رمزا خالدا لحضارتهم ، ومنبعا دائم الفيضان لثقافتهم الروحية .

بل باسم الاسلام ، ذلك الدين الخاتم الذى أخرج للناس يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال

oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

كانت عليهم ، ويمحو ما بينهم من فوارق الأنساب والأجناس ، واللغات والألوان ، ليجعل منهم أمة واحدة على قدم سواء ، لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالعمل الصالح ؛

بل باسم الانسانية التى اجتمعتم اليوم للتشاور فى الوسائل الفعالة لتخفيف آلامها ، وإنقاذها من الهاوية ، التى أشرفت على التردى فيها ؛

باسم الأزهر والاسلام والانسانية ، أرحب بقدومكم ، وأحيي فيكم ذلك الشعور النبيل الذى أوحى اليكم فكرة هذا المؤتمر ، وأتمنى لكم النجاح والتوفيق ، فيما ترسمونه من الخطط لتأييد السلام العام .

***

ياحضرات السيدات وياحضرات السادة :

إن نظرة واحدة نلقيها على العالم اليوم ، لتكفى لإدراك مايسود بين شعوبه من روح العداوة والشحناء ، وما ينبعث فى أقطاره من زفرات الشكوى والأنين .

فمن أين جاءت هذه النزعة الشريرة التى تنذر بأسوأ العواقب ؟

أليس منشؤها هو تحكم المادية وازدياد نفوذها فى تسيير مجرى الأمور العالمية ؟

وإذا كان الأمر كذلك أفلا يكون العلاج الوحيد هو أن نعود الى الروح فنعيد اليها سلطانها الذى أهملناه فى هذا العصر إهمالا كبيرا ؟ ثم ما هى تلك القوة التى تستطيع أن تضطلع بهذا العبء الشاق إن لم تكن هى قوة الدين ؟

غير أننا إذا رجعنا الى الأديان نلتمس منها المعونة ، هالنا مانراه من اختلافها اختلافا طالما كان من أسباب الخصومات والحروب ، بدل أن يساعد على حسن التفاهم والتقريب بين القلوب ، فهل نستطيع أن نجد من وراء هذا الاختلاف وحدة مشتركة فى المبادئ والمطامح تصلح أن تكون محوراً لتقرير السلام بين معتنقيها ، وتسهيل تعاونهم على الخير المشترك للجميع ؟ هذه هى النقطة الأساسية التى تدور عليها أعمال المؤتمر ، وهذا هو الاشكال الذى يحاول المؤتمر أن يجد له حلا .

أما أنا فأميل الى أن يكون هذا الحل على أساس الفصل فى الأديان بين ناحيتها الاجتماعية وبين نواحيها الأخرى ، وأعتقد أن افتراق الأديان فى عقائدها وشعائرها وكثير من تعاليمها لا يمنع التقاءها من الوجهة الخلقية عند قاعدة واحدة هى أساس التعاون المطلوب ؛ وذلك أنها كلها تأمر بالعدل والاحسان ، وتنهى عن الظلم والعدوان ، وكلها تسوى فى هذه المعاملة الدنيوية بين أتباعها وبين أعدائها .

***

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اسمحوا لى إذاً أن أستعرض الديانات التى هى أكثر انتشاراً فى العالم اليوم ، أعنى الديانة الهندية « البرهمية » والديانة البوذية ، والديانة اليهودية ، والديانة المسيحية ، والاسلام ؛ لكى أبين بإيجاز ما فى كل واحدة منها من روح التسامح والرحمة الانسانية :

أما الديانة الهندية فان التاريخ يحدثنا أنها لم يقع منها اضطهاد قط للفلسفة الالحادية التى نشأت بين ظهرانيها ، حتى إن الفيلسوفين « كابيلا » و « كانادا » وغيرهما أمكنهم أن يزعموا أن كتابهم المقدس « الفيدا » ليس كافيا للخلاص ، بل أمكنهم أن ينكروا وجود الإله ، ألبتة ، ومع ذلك لم يمسهم من رجال الدين أذى ولا إحراج ، بل إن الديانة البوذية التى هى فيما يظهر وليدة تلك الفلسفات الالحادية استطاعت أن تنشر نظرياتها العدمية بملء حريتها وبقيت على ذلك اثنى عشر قرنا دون أن يقاومها أحد من البراهمة بالعنف . نعم إنها آل أمرها الى أن طردت من الهند وهاجرت نحو الشمال ونحو الشرق ، حتى زعم بعض المؤرخين أنها ألجئت الى ذلك بتأثير التعصب الدينى البرهمى ، لكنهم فى الحقيقة ليس عندهم دليل إيجابى يؤيد هذا الرأى .

والديانة البوذية بدورها ما اعتدت قط على أحد من مخالفيها . على أن مبادئها نفسها تضطرها اضطراراً الى الاحتمال وتوسيع الصدر لكل خلاف ، فإن من جرد نفسه من تأثير اللذة والألم ، وجعل منتهى همه إنكار الذات والوصول الى الفناء والعدم ، لا يمكن أن يجد غضاضة فى أى مذهب يخالفه مهما كان متطرفا . هكذا نجد مشكلة السلام العالمى محلولة بطبيعتها فى الديانة البوذية بحيث لا محل لوضع السؤال فيها .

ولعل الديانة التى تليها مباشرة فى هذا المعنى هى « الديانة المسيحية » إذ أنها لا تتصل بالأحوال الزمنية إلا اتصالا ضعيفا ؛ ولذلك نرى فيها طابع التواضع والسلام ، بل قد يقال طابع الخضوع والاستسلام ، أوضح من أن يحتاج الى بيان ؛ فشعارها ليس فقط « أحب جارك كما تحب نفسك » بل « أحب عدوك وصلِّ لمن يضطهدك » أو بعبارة أخرى « من ضربك على الخد الأيمن فامدد له الخد الأيسر » ، وهنا تحسن الاشارة الى أن المسيحيين فى العصور الأولى كانوا يتحرزون تحرزا شديدا من الانخراط فى سلك الجندية ؛ وأن من دخلها منهم مضطرا كان يجب ألا يسفك دم أحد ؛ وإلا لكان جزاؤه الطرد من حظيرة الدين .

غير أن الناظر فى تاريخ اليهودية والاسلام قد يجد فيهما شذوذا عن القاعدة ، وقد يتسرع فى الحكم بعدم انطوائهما على روح الرفق والتسامح ؛ ذلك أن موسى ومحمدا عليهما السلام لم يكونا مؤسسى دين فحسب ؛ بل كان كل منهما جامع شتات أمة ومؤسس دولة : كلاهما كان مشرّعا وحاكما ، وكلاهما قاد الجيوش لفتح بلاد الأعداء ؛ ويضيف الاسلام الى ذلك أنه توسع فى هذه الفتوح فأنشأ أمبراطورية من أعظم الأمبراطوريات فى أسرع زمن عرفه التاريخ .

ولكن الخطأ كل الخطأ ، بل الظلم كل الظلم للحقيقة ، أن توصم هذه الفتوحات النبوية

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

بوصمة البغى والعدوان ؛ فليس هناك مثال واحد يدل على أن اليهودية أو الاسلام أباحا البدء بالاعتداء على الطوائف الأخرى سواء أكان ذلك لمقاصد دينية أم لأغراض سياسية ؛ بل الواقع على العكس من ذلك أنهما احتملا الاضطهاد أمداً طويلا قبل أن يأذنا لأتباعهما باتخاذ القوة للدفاع عن حياتهم وعن حريتهم فى اعتناق الحق والدعاء اليه ؛ وهذا الدفع المشروع ما زال حقا مقررا لا يجادل فيه عاقل : « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق » .

يكفى فى شأن اليهودية أنها رفعت قيمة الحياة الانسانية الى درجة لم تصل اليها أشد النظريات العصرية تحمسا فى الدفاع عن حق الفرد .

ينقل لنا القرآن عن التوراة أن قتل النفس بغير حق لايقاس فى نظرها بقتل أمة بل بقتل الانسانية جمعاء ، وحياته بحياتها : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » .



وأما الاسلام فمن السهل الرجوع الى كتابه والى حياة نبيه ، فكتابه لا يزال غضا طريا محفوظا فى نصه وحرفيته كما تركه صاحبه ؛ وحياة نبيه قد سجلها التاريخ بتفاصيلها بأتم عناية وضبط . وإن نظرة واحدة فى هذين المصدرين لكافية فى معرفة موقف الاسلام نظريا وعمليا من قضية السلام العالمى .

نعم إن الاسلام قد خاض كل ميادين الحياة وتدخل فى جميع جزئياتها ، ولكنه على رغم ذلك بقى محتفظا بسموه الروحى حتى فى أشد الشئون ارتباطا بالمادة ، وهكذا كان وجه بداعته أنه استطاع أن يوفق بين المطالب الروحية والمطالب الزمنية للانسان ، بنسبة عادلة مستقيمة .

لا يتسع نطاق هذه المحاضرة للإتيان على ما فى القرآن وتاريخ نبيه من براهين على سماحة الاسلام وسعيه للوحدة والائتلاف بأوسع ما فى حدود الامكان ؛ فلنكتف بالاشارة الى شىء من ذلك . أما من الوجهة النظرية فقد سعى الاسلام لتأسيس هذه الوحدة على دعامتين :

أولاً : من طريق توحيد الغاية ، وذلك بدعوة الناس جميعا الى عبادة إله واحد .

وثانيا : من طريق التوفيق بين وسائل هذه الغاية ، وذلك ببيان أن الشرائع السماوية ترجع كلها الى أصل واحد ، ودعوة معاصريه من أهل الأديان السابقة الى تكوين أسرة روحية واحدة تؤمن بجميع الكتب وجميع الأنبياء بدون تفريق بين أحد منهم : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء » « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . ونرى القرآن فى أثناء هـذه الدعوة يعنى دائما بربط الاسلام بالأديان التى سبقته منذ عهد نوح : « شرع لـكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليـك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ، ويصور نبى الاسلام بصورة المأمور باتباع هدى من قبله : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » ، ويقول إنه لم يجىء بجديد يهدم القديم وإنما جاء مجددا لما اندرس منه ، مبينا لما خفى ، مصححا لما حرف : « قد جاءكم رسولنا يبين لـكم كثيرا مما كنتم تخفون من الـكتاب » ، وبالجملة ليعيد الدين الى نقاوته الأولى .

بل إن اسم الاسلام نفسه « فى اصطلاح القرآن » اسم مشترك يضعه القـرآن على لسان أكثر الأنبياء المتقدمين ، يقول فى شأن إبراهيم : « إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين » ، وفى شأن يعقوب : « إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون » ، وفى شأن التوراة وأنبياء بنى إسرائيل: « يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا » . وهو حين يقول بصيغة الحصر : « إن الدين عند الله الاسلام » لا يمكن أن يعنى إلا هـذا المعنى المشترك بين الأديان المنزلة ، وإلا لـكان هادما للأساس الذى أراد أن يقيم عليه بناء هذه الوحدة .

غير أن هاهنا نقطة يجب التنبيه اليها : وهى أن القرآن حين دعا الى هذه الوحدة لم يجعلها غاية يطلب الوصول اليها من كل طريق ، وشراءها بـكل ثمن ، بل نظر اليها كمثل عال وأمل عزيز ينبغى الاقتراب منه بقدر الطاقة ، واعترف فى أكثر من موضع بأن هذا الأمل متعذر التحقيق : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك » .

هذه النظرة لها نتائجها الطبيعية فى مسلك الاسلام بإزاء مخالفيه ، فهى التى جعلته يواجه الحقيقة الواقعة بالاحتمال والتسامح ؛

وهى التى حددت مهمة الرسول بأنها ليست هى إكراه الناس على الايمان وإنما هى التعليم والانذار ثم تفويض الأمر فى عقائدهم الى الله الذى سيتولى الحـكم بينهم فى يوم الفصل « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ » « لا إكراه فى الدين » « فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » « ما على الرسول إلا البـلاغ » « فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولـكم أعمالـكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصـير » « لـكم دينكم ولى دين » « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ليجزى قوما بما كانوا يكسبون ». ومن المهم أن نلاحظ أن هذا الموقف لا يخص علاقة المسلمين بأهل الكتاب، فان أكثر هذه النصوص مكية فى شأن الوثنيين أنفسهم. وقد صرح القرآن بأن هذه هى حدود مهمة الرسول بإزاء الطوائف كلها، وذلك فى تلك الآية المدنية الجامعة: « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا، وإن تولوا فانما عليك البلاغ، والله بصير بالعباد ».

وأما من الوجهة العملية، فالاسلام « أولا » : قد حظر البدء بمناوشة مخالفيه أو بمضايقتهم فى الحياة المادية ما داموا مسالمين له، وأمر فى هذه الحال بحسن جوارهم ليس بطريقة سلبية فحسب بل بالبر إليهم، والعدل بينهم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين ». ولقد كان من أول الأعمال التى قام بها النبى بعد الهجرة الى المدينة محالفته لليهود ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، وبذلك أنشأ فى المدينة أمة واحدة من عناصر ثلاثة مختلفة فى الجنس والدين، يستوى قحطانيهم وعدنانيهم وإسرائيليهم كما يستوى مسلمهم ومشركهم ويهوديهم، فى حقوق الولاء وحسن الجوار والتناصر على دفع المغيرين. كما كان من أواخر أعماله مصالحته لنصارى نجران، وإقرارهم على دينهم فى قلب الوطن العربى الاسلامى.

ثانيا : فى الحال التى تستحكم فيها العداوة وتكون الظروف مهددة باحتمال وقوع حرب، وضع الاسلام وسائل كافية لاتقائها فى الوقت نفسه الذى يكون فيه المسلمون أشد قوة ؛ وأوصى بقبول كل شروط يعرضها المخالفون مادامت تؤدى لحقن الدماء وصيانة الحرمات وحسن العلاقات بين الجانبين. ومن الأمثلة الواضحة فى هذا الموقف السلمى النبيل تلك المعاهدة التى وقعها الرسول بنفسه مع قريش فى عام الحديبية. هذا والمعاهدات الاسلامية ليست حبراً على ورق، بل هى عقود دينية يوجب الاسلام تنفيذها بدقة وأمانة حتى مع الوثنيين : « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم إن الله يحب المتقين ». ولقد كان فريق من أهل الكتاب يوفون بعهودهم الى أهل ملتهم ولكنهم لا يرون الوفاء واجبا بعهودهم مع المسلمين « يقولون ليس علينا فى الأميين سبيل » فجاء القرآن ناعيا عليهم هذا التفريق، مبينا أن الوفاء بالعهد واجب إنسانى عام : « بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ».

ثالثا : فى الحال التى تصبح فيها الحرب أمرا واقعا، وضع الاسلام قواعد عملية كثيرة تخفف من أهوالها وتحدد بانصاف ما يقتضيه الموقف الدفاعى البحت، فنهى عن قتل المرأة فى بيتها والراهب فى متعبده، والفلاح فى مزرعته ؛ وبالجملة حصر القتال فى ميدان الحرب لا يتعداه : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم »، وفى هذا الميدان نفسه نهى عن التشفى بالتمثيل والتعذيب : « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ».

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رابعا : فى الحال التى تنجلى فيها المعركة عن ظفر المسلمين ، ضرب الاسلام أمثلة عالية فى الكرم والصفح عن الماضى وعدم الاستمرار فى تتبع الفارين الذين يطلبون الأمان ويلقون كلمة السلام : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا » . ومن أروع الأمثلة فى ذلك موقف الرسول يوم فتح مكة مع قريش الذين ناصبوه الحرب والعداء أكثر من عشرين سنة ، إذ قال لهم بعد أن ظفر بهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » وأطلق سراح أكثر من ستة آلاف أسير .

***

أما أن محمدا عليه السلام نفسه كان مطبوعا بفطرته على التسامح وحب السلام ، وأنه كان داعية توفيق لا تفريق ، فذلك ما تدل عليه كل حياته حتى قبل النبوة . ولأضرب لذلك مثالين اثنين فقط : (أحدهما) حادث الحجر الأسود حين اختلفت القبائل فيمن يكون له شرف وضعه فى مكانه من الكعبة وحكموا محمدا « الأمين » بينهم ، فلم يتحيز فى حكمه لجانب قبيلته هو ، بل حكم أن يوضع الحجر فى رداء ، وأن تأخذ كل قبيلة بطرف لتساهم كلها فى هذا الشرف ، وهكذا كان به حقن دمائهم والتأليف بين قلوبهم . (الثانى) اشتراكه حين كان له من العمر خمس وعشرون سنة فى حلف الفضول ، وهو شبه مؤتمر صغير تحالفت فيه قريش على نصر المظلوم وحفظ الأمن العام .

إن إثارة هذه الذكرى فى يومنا هذا وفى مكاننا هذا لها موقع خاص فى نفسى ؛ وإنى لا أستطيع أن أدفع عن خيالى هذه المقارنة بين الماضى والحاضر . ويلوح لى أننا الآن إنما نطبع على غرار ذلك الماضى البعيد ، وإنما نترسم الخطوات الأولى للنبى العربى الكريم .

***

إن فكرة الاجتماع والائتلاف نفسها يرى عليها فى الاسلام مسحة من طابع القدسية ، فخير يوم عند المسلمين اسمه يوم « الجمعة » أى يوم الاجتماع ، وخير مكان عندهم اسمه « الجامع » .

إن المحبة المتبادلة بين المؤمنين هى إحدى النعم العظمى التى يمتن الله عليهم بتحقيقها بالفعل : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » . وإن المحبة المتبادلة بين الناس أجمعين هى إحدى الأمانى الغالية التى فتح القرآن بابها أمام المسلمين : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ، والله قدير ، والله غفور رحيم » .

إن اسم « السلام » نفسه واسم « الاسلام » يرجعان فى اللغة العربية الى أصل واحد ؛ وإن احب التحيات الى المسلمين هى الدعاء بالسلام .

***

وبعد : فاننا نستطيع أن نخلص من هذا البيان الى النتائج الآتية :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(أولا) أن الأديان كلها ، بدلا من أن تكون سبب نزاع وخصام فى شئون هذه الحياة ، هى على الضد من ذلك تنادى بالائتلاف والوئام .

(ثانيا) أن السبب الحقيقى لهـذه الخصومات هو بالعكس تعمد الانحراف عن الدين ، وأن كل طائفة تثير نار الحرب باسم الدين كاذبة فى دعواها الانتساب الى دينها .

(ثالثا) أن العلاج الوحيد للآلام الانسانية الحاضرة هو أن يعنى رجال كل دين عناية خاصة بالجانب الخلقى العام منه ، فينمّوا فى أتباعهم عاطفة الأخوة الانسانية باسم الدين نفسه.

إن هـذا التقارب والتعاون فى الحياة العملية إن تم على وجهه سيكون خطوة أولية فى سبيل التفاهم فى الحقائق الدينيـة نفسها ؛ ويرجى من وراء ذلك تقليل فوارقها النظـرية وتسهيل الوصول الى الحقيقة بالبحث الحر ، فى جو ودى نزيه .

***

وفى الختام أحب أن أعرض على هيئة المؤتمر اقتراحين عمليين أرجو أن يؤخذ الرأى عليهما :

الأول : أن تنشر خـلاصة قرارات المؤتمر على رجال الدين فى كل أمة ، وأن يرجى منهم المساهمة فى علاج الأزمات الراهنة بتحريض أتباعهم على اقتفاء هذه المثل العليا .

الثـانى : أن يطلب باسم المؤتمر الى مختلف الحـكومات أن تنصف الشعوب المظلومة التى تحت نفوذها .

إننا إن فعلنا ذلك نكون قد قمنا بنصيبنا من الواجب الدينى والانسانى لخير الجميع ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشعوبية وأثرها فى الادب العربى

— ٢ —

كان بديع الزمان الهمذانى على الرغم من نسبته عربى الأصل ، وإن كان فارسى النشأة ، يدل على ذلك قوله من رسالة بعث بها الى أبى العباس الفضل بن أحمد الاسفرائينى « إنى عبد الشيخ واسمى أحمد ، وهمذان المولد ، وتغلب المورد ، ومضر المحتد » .

ومهما يكن فى الشعوبية من طعن أو مدح ، فهى عامل ذو خطر من العوامل التى غذت الأدب حينا بلبانها .

ولا يعنينى من هذه المقالات التى قمت بنشرها تحت هذا العنوان إلا أن أجلى للقارئ هذه الناحية من الأدب ، وأبسط له ما قيل فيها دون أن يكون همى التعصب للعرب ضد العجم أو للعجم على العرب .

ولا يفوتنى أن أكون حكما — إن استطعت — بين هذين الفريقين المسرفين فى التعصب ، المتغالبين فى الذود عن حياضهما ؛ فكل قول قيل فى هذا الباب لم يخل من مبالغة وإغراق ممقوتين .

وقد كان بشار بن برد — وهو رأس الشعراء المحدثين — من أكثر الشعراء طعنا وتعصبا على العرب ، فقد قال يتبرأ من ولائهم :

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم ... مولى العريب فخذ بفضلك فافخر
مولاك أكرم من تميم كلها ... أهل الفعال ومن قريش المشعر
فارجع الى مولاك غير مدافع ... سبحان مولاك الأجل الأكبر

وله شعر كثير فى هذا الباب كله قدح وطعن فى العرب ، من ذلك ما يروى فى كتب الأدب من أن أعرابيا دخل على مجزأة بن ثور السدوسى وبشار عنده وعليه بزة الشعراء ، فقال الأعرابى : من الرجل ؟ فقالوا : شاعر ، فقال : أمولى هو أم عربى ؟ فقالوا بل مولى ، فقال الأعرابى : ما للموالى والشعر ؟ فغضب بشار وسكت هنيهة ثم قال : أتأذن لى يا أبا ثور ؟ قال : قل ما شئت يا أبا معاذ ، فأنشد بشار :

خليلى لا أنام على اقتسار ... ولا آبى على مولى وجار
سأخبر فاخر الأعراب عنى ... وعنه حين تأذن بالفخار
أحين كسيت بعد العرى خزا ... ونادمت الكرام على العقار

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تفاخر يا ابن راعية وراع بنى الأحرار ! حسبك من خسار
وكنت إذا ظمئت الى قراح شركت الكلب فى ولغ الأطار
تريد بخط كسر الموالى وينسيك المكارم صيد فار
وتغدو للقنافذ تدريها ولم تعقل بدراج الديار
وتتشح الشمال اللابسيها وترعى الضأن بالبلد القفار
مقامك بيننا دنس علينا فليتك غائب فى حر نار
وفخرك بين خنزير وكلب على مثلى من الحدث الكبار

فقال مجزأة للاعرابى : قبحك الله فأنت كسبت هذا الشر لنفسك ولأ مثالك .

ولئن كان هذا قد حدث من بشار بن برد وهو من شعراء العباسيين ، وأنت تعرف ما كان للموالى فى هذه الدولة من جاه وسلطان ، فقد كان مايدانيه فى صدر الاسلام من شاعر عربى رغم ما جاء به الدين الحنيف من تسوية بين الشعوب ، وعدم اعتداد بالفوارق الجنسية ، فقد روى أنه لما احتضر عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم صهيبا على المهاجرين والأنصار فصلى بالناس وقال له : استخلف ، فقال : ما إخالنى ممن استخلف ، فذكر له الستة من أهل حراء فكلهم طعن عليه ثم قال : لو أدركت سالما مولى أبى حذيفة حيا لما شككت فيه . فقال فى ذلك شاعر العرب :

هذا صهيب أمّ كل مهاجر وعلا جميع قبائل الأنصار
لم يرض منهم واحدا لصلاتنا وهم الهداة وقادة الأخيار
هذا ولو كان المترم سالم حيا لنال خلافة الأمصار
ما زال هذى العجم تحيا دوننا إن العريب لفى عمى وخسار

وفيما عدا هذا قد أخصبت الشعوبية قرائح كثير من الشعراء فقالوا مدفوعين بهذا الدافع ما واتتهم به قرائحهم ، ومن هؤلاء الحسن بن هانئ القائل على مذهب الشعوبية :

وجاورت قوما ليس بينى وبينهم أواصر إلا دعوة وبطون
إذا ما دعا باسمى العريف أجبته إلى دعوة مما علىّ يهون
لأزد عمان ابن المهلب بزوة إذا افتخر الأقوام ثم تلين
وبكر يرى أن النبوة أنزلت على مسمع فى البطن وهو جنين
وقالت تميم : لا نرى أن واحدا كأحنفنا حتى المهات يكون
فلا لمت قيسا بعدها فى قتيبة إذا افتخروا ، إن الحديث شجون

ولقد أساء بنوأمية إلى الموالى واشتطوا فى الغلظة عليهم والجفاء ، وأظ[illegible]

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ضروب السخرية وألوان الاحتقار ؛ وآية ذلك أن الخاطب ما كان ليخطب امرأة من الموالى الى أبيها ولا الى أخيها وإنما يخطبها الى مواليها ، فان رضى زوج وإلا فلا ، فإن زوج الأب والأخ بغير رأى مواليه فسخ النكاح . وليس هذا بالعجيب المستغرب ، ولا بالبعيد المستنكر من بنى أمية .

وقد دعا معاوية بن أبى سفيان الأحنف بن قيس وسمرة بن جندب فقال : إنى رأيت هذه الحمراء قد كثرت ، وكأنى أنظر الى وثبة منهم على العرب والسلطان ، فقد رأيت أن أقتل شطرا وأدع شطرا لإقامة السوق وعمارة الطريق فما ترون ؟ فقال الأحنف : أرى أن نفسى لا تطيب لقتل أخى لأمى وخالى ومولاى ، وقد شاركناهم وشاركونا فى النسب ، فظننت أنى قد قتلت عنهم ، وأطرق . فقال سمرة بن جندب : اجعلها الى يا أمير المؤمنين ، فأنا أتولى ذلك منهم ، وأبلغ منه . فقال معاوية قوموا حتى أنظر فى هذا الأمر ، قال الأحنف : فقمنا عنه وأنا خائف ، وأتيت أهلى حزينا ، فلما كان بالغداة ، أرسل الىّ ، فعلمت أنه أخذ برأيى وترك رأى سمرة .

فانظر كيف كانت المصلحة الجنسية تختلج فى نفس معاوية ، وتدفع به لعمل شديد الوقع فى النفوس خشية أن يصبح الجنس العربى مسودا بعد أن كان سائدا . ولا بد هنا من التنويه بشجاعة الأحنف وانتصاح معاوية ، فكلا العملين يستحق الاعجاب .

وقال أبو عبيدة : مر عبد الله بن الأهتم بقوم من الموالى وهم يتذاكرون النحو ، فقال : لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده . قال أبو عبيدة : ليته سمع لحن صفوان وخاقان ومؤمل ابن خاقان .

وكان عقيل المرى من أشد الناس حمية فى العرب ، وكان ساكنا فى البادية ، وكان يصهر اليه الخلفاء ، فقال لعبد الملك بن مروان وقد خطب اليه ابنته الجرباء : جنبنى هجناء ولدك ! !

ومن تلك المثل تقف على مبلغ تعصب بنى أمية ضد العجم ، وإغراقهم فى التمسك بهذه النعرة العربية والتغنى بمآثرها ، والإطراء على محامدها ؟

أحمد ابراهيم موسى البارودى
تخصص البلاغة والأدب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

دفاع عن القرآن الكريم

متابعة آراء الأصوليين

أوردنا فى المقال السابق طائفة من آراء الأصوليين فى موضوع المتواتر والآحاد ، ولم تتسع صفحات المجلة الغراء لاستيفائها ، فنورد فى هذا العدد بقية آرائهم فى الموضوع :

قال ابن الحاجب فى مختصره :

العمل بالشاذ غير جائز ، مثل (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) ، واحتج به أبو حنيفة رحمه الله ـ لنا ـ ليس بقرآن ، ولا خبر يصح العمل به ـ قالوا يتعين أحدهما فيجب . قلنا : يجوز أن يكون مذهبا ، وإن سلم فالخبر المقطوع بخطئه لا يعمل به ، ونقله قرآنا خطأ اه

وقال صاحب التقرير والتحبير :

القراءة الشاذة حجة ظنية ، خلافا للشافعى ، لنا : منقول عدل عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قالوا : متيقن الخطأ ، قلنا : فى قرآنيته لا خبريته مطلقا ، وانتفاء الأخص ، يعنى القرآنية ، لاينفى الأعم يعنى الخبرية مطلقا ـ فـكما لأخبار الآحاد فى الحكم لأنها منها ومنعهم الحصر فى كونه قرآنا أو خبرا ورد بيانا فظن قرآنا فالحق به ، وعلى التقديرين يجب العمل به يتجوز ذكر الصحابى ذلك مع التلاوة مذهبا للقارئ بناء على دليل اعتقده كاعتقاد حمل المطلق على المقيد بالتتابع فى كفارة الظهار ، فذكره فى معرض البيان بعيد جداً لأن نظم مذهبه مع القرآن إيهام أن من القرآن ما ليس منه ـ ثم قال : فلا ، وإن لم يكن قرآنا يقرأ فأقل حالاته أن يكون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن القرآن لا يأتى به غيره اه

تواتر القراءات السبع :

قال ابن الحاجب :

القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبيل الأداء كالمد والامالة وتخفيف الهمز ونحوها . لنا : لو لم تكن لكان بعض القرآن غير متواتر كملك ومالك ونحوها وتخصص أحدهما تحكم باطل لاستوائهما .

وقال صاحب التقرير والتحبير :

قراءة السبعة ما كان منها من قبيل الأداء بأن كان هيئة للفظ يتحقق بدونها ولا تختلف خطوط المصاحف به كالحركات والادغام فى المثلين أو المتقاربين ، وهو إدراج الأول منهما ساكنا فى الثانى ، والاشمام ، والروم ، والتفخيم ، والامالة ، والقصر ، وتخفيف

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الهمزة ؛ وأضدادها : من الفك وعـدم الاشمام ، وعـدم الروم ، والترقيق ، وعدم الامالة والمد ، وتخفيف الهمز — لا يجب تواترها . وخلاف ما كان من قبيل الأداء مما اختلف بالحروف ، (كملك) المنسوب قراءته الى من عدا الكسائى وعاصما (ومالك) المنسوب قراءته إليهما ، ويسمى بقبيل جوهر اللفظ متواتر . ثم قال :

وقد نظر العلامة الشيرازى فى كون ما من قبيل الأداء كالحركات لا يجب تواتره بخلاف ما كان منه ، لأن الحركات وما معها أيضا قرآن .

لنا فى أن ما من قبيل الأداء ، أنه قرآن فوجب تواتره ، ضرورة أن جميع القرآن متواتر إجماعا لكون العادة قاضية به . قال المخالف :

هذه القراءات آحاد ، لأنها منسوبة الى سبعة نفر ، والتواتر لا يحصل بهذا العدد فيما اتفقوا عليه فضلا عما اختلفوا فيه . أجيب بأن نسبة القراءات السبع إليهم لاختصاصهم بالتصدى للاشتغال بها واشتهارهم بذلك ، لا لأنهم النقلة لها خاصة ، بمعنى أن روايتهم مقصورة عليهم ، بل عـدد التواتر موجود معهم فى كل طبقة ، الى أن ينتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم اهـ .

نتائج هذه القاعدة :

(١) القرآن المنزل من الله بواسطة جبريل عليه السلام ، على النبى صلى الله عليه وسلم .
(٢) القرآن الكريم متواتر إجماعا .
(٣) القراءات السبع ، فيما يخص المادة ، متواترة إجماعا .
(٤) القراءات السبع ، فيما يخص الهيئة متواترة عند الحنفية والشافعية والحنابلة .
(٥) القراءات الشاذة ليست قرآنا إجماعا .
(٦) المروى آحادا ، كمصحف ابن مسعود وغيره مما ليس فى المصحف الامام ، ليس قرآنا إجماعا .
(٧) المروى آحادا متردد بين أن يكون خبرا (حديثا) أو مذهبا للصحابى .
(٨) المروى آحادا ليس حجة فى الأحكام الشرعية ، عند الأئمة إلا الحنفية فى بعضها .
(٩) التسمية فى النمل قرآن إجماعا .
(١٠) التسمية فى أوائل السور قرآن عند الشافعية ، آية مستقلة ، أو هى مع أول آية ، آية .

القاعدة الثانية : آراء المفسرين والمحدثين :

يعتبر علماء التفسير والحديث من أصحاب الشأن فى موضوع كتابنا هذا ، فانه يتعلق بالقرآن الكريم ، وعلماء التفسير من هذه الناحية هم المختصون ، ولما كانت السنة تبين القرآن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لقوله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس » كان علماء الحديث من المختصين أيضا . لذلك رأينا أن نستند على آراء أهل العلمين لما لهم من الاختصاص .

وقد رجعنا الى كتب الحديث وشروحها ، وكتب التفسير ومقدماتها ، فوجدناها بحمد الله مملوءة بالحجج القاطعة ، والبراهين الدامغة .

ولما كان نقل جميع ما ذكروه فى الموضوع - يفضى بنا الى الاطالة ، وكان العلامة أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصارى القرطبى ، جمع فى مقدمة تفسيره : « الجامع لأحكام القرآن » فصلا حسنا فى هذا المعنى ، نقل فيه خلاصة آراء شراح الحديث والمفسرين ، كما نقل شيئا من كتاب (الرد على من خالف مصحف عثمان لأبى بكر الانبارى) رأينا الاقتصار على ما جمعه .

ولما كان أظهر شىء فى ذلك هذا الحديث المشهور « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه » رأينا أن نصدر به المبحث كما فعل القرطبى رحمه الله :

روى مسلم عن أبى بن كعب « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بنى غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف ، فقال : اسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين ، فقال اسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : اسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا » . وروى الترمذى عنه قال « لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال : يا جبريل . إنى بعثت الى أمة أمية منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذى لا يقرأ كتابا قط ، فقال لى : يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف » قال : هذا حديث حسن صحيح . وثبت فى الأمهات : البخارى ومسلم والموطأ وأبى داود والنسائى وغيرها من المصنفات والمسندات : قصة عمر مع هشام بن حكيم . وسيأتى بكماله فى آخر الباب مبينا إن شاء الله تعالى .

وقد اختلف العلماء فى المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا ، ذكرها أبو حاتم ابن حبان البستى ، نذكر منها فى هذا الكتاب خمسة أقوال :

الأول ، وهو الذى عليه أكثر أهل العلم كسفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب والطبرى والطحاوى وغيرهم : أن المراد سبعة أوجه من المعانى المتقاربة بألفاظ مختلفة : نحو أقبل ، وتعال ، وهلم . قال الطحاوى : وأبين ما ذكر فى ذلك حديث أبى بكرة قال : جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأ على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، فقال : اقرأ على حرفين ، فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ الى سبعة أحرف ، فقال : اقرأ فكل شاف كاف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب أو آيةعذاب بآية رحمة ، على نحو : هلم وتعال وأقبل واذهب وأسرع وعجل .

وروى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب : أنه كان يقرأ (للذين آمنوا انظرونا) : للذين آمنوا أمهلونا ، للذين آمنوا أخرونا ، للذين آمنوا ارقبونا . وبهذا الاسناد عن أبي كان يقرأ (كلما أضاء لهم مشوا فيه) : مروا فيه ، سعوا فيه . وفي البخاري ومسلم قال الزهري : إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ليس يختلف في حلال ولا حرام .

قال الطحاوي : إنما كانت السعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم ، فلما كان يشق على كل ذي لغة أن يتحول الى غيرها من اللغات ، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة ، فوسع له في اختلاف الألفاظ إذ كان المعنى متفقا ، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغتهم الى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدروا لذلك على تحفظ ألفاظهم ، فلم يسعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها . قال ابن عبد البر : فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كان في وقت خاص لضرورة دعت الى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف ، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد .

روى أبو داود عن أبي قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبي إني أقرأت القرآن فقيل لي على حرف أوحرفين ، فقال الملك الذي معي قل على حرفين ، فقيل لي على حرفين أو ثلاثة ، فقال الملك الذي معي قل على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ، ثم قال ليس منها إلا شاف كاف إن قلت سميعا عليما ، عزيزا حكيما ، ما لم تخلط آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب . وأسند ثابت بن قاسم نحو هذا الحديث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر من كلام ابن مسعود نحوه . قال القاضي ابن الطيب : وإذا ثبتت هذه الرواية — يريد حديث أبي — حمل على أن هذا كان مطلقا ثم نسخ ، فلا يجوز للناس أن يبدلوا أسماء الله تعالى في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه .

القول الثاني : قال قوم : هي سبع لغات في القرآن على لغات العرب كلها يمنها ونزارها ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجهل شيئا منها ، وكان قد أوتي جوامع الكلم ؛ وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن . قال الخطابي : على أن في القرآن ما قد قرئ بسبعة أوجه ، وهو قوله : (وعبد الطاغوت) ، وقوله (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) وذكر وجوها كأنه يذهب الى أن بعضه أنزل على سبعة أحرف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا كله . والى هذا القول أى أن القرآن أنزل على سبعة أحرف على سبع لغات ، ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام واختاره ابن عطية . قال أبو عبيد : وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظا فيها من بعض ، وذكر حديث ابن شهاب ، عن أنس أن عثمان قال لهم حين أمرهم أن يكتبوا المصاحف : ما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش فإنه نزل بلغتهم . ذكره البخارى وذكر حديث ابن عباس قال : نزل القرآن بلغة الكعبين : كعب قريش وكعب خزاعة . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لأن الدار واحدة . قال أبو عبيد : يعنى أن خزاعة جيران قريش فأخذوا بلغتهم .

قال القاضى ابن الطيب رضى الله عنه : معنى قول عثمان : فإنه نزل بلسان قريش ، يريد معظمه وأكثره ، ولم تقم دلالة قاطعة على أن القرآن بأسره منزل بلغة قريش فقط ، إذ فيه كلمات وحروف وهى خلاف لغة قريش ؛ وقد قال الله تعالى : « إنا جعلناه قرآنا عربيا » ولم يقل قرشيا ، وهذا يدل على أنه منزل بجميع لسان العرب ، وليس لأحد أن يقول : إنه أراد قريشا من العرب دون غيرها ، كما أنه ليس له أن يقول : أراد لغة عدنان دون قحطان ، أو ربيعة دون مضر ، لأن اسم العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولا واحدا .

وقال ابن عبد البر : قول من قال إن القرآن نزل بلغة قريش معناه عندى : الأغلب والله أعلم ، لأن غير لغة قريش موجود فى صحيح القراءات من تحقيق الهمزات ونحوها ، وقريش لا تهمز .

وقال ابن عطية : معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » أى فيه عبارة سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن ، فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ، ومرة بعبارة هذيل ، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز فى اللفظ ، ألا ترى أن «فطر» معناه عند غير قريش ابتدأ ؟ فجاءت فى القرآن فلم تتجه لابن عباس حتى اختصم اليه أعرابيان فى بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها .

قال ابن عباس : ففهمت حينئذ موقع قوله تعالى : « فاطر السموات والأرض » . وقال أيضا : ما كنت أدرى معنى قوله تعالى : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » حتى سمعت بنت ذى يزن تقول لزوجها : تعال أفاتحك : أى أحاكمك . وكذلك قال عمر بن الخطاب وكان لا يفهم معنى قوله تعالى : « أو يأخذهم على تخوف » أى على تنقص لهم . وكذلك اتفق لقطبة ابن مالك إذ سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الصلاة : (والنخل باسقات) ذكره مسلم فى باب القراءات فى صلاة الفجر ، الى غير ذلك من الأمثلة .

القول الثالث : أن هذه اللغات السبع إنما تكون فى مضر ، قاله قوم ، واحتجوا بقول عثمان : نزل القرآن بلغة مضر ، وقالوا جائز أن يكون منها لقريش ، ومنها لكنانة ، ومنها منها لهذيل ، ومنها لتميم ، ومنها لضبة ، ومنها لقيس . قالوا : فهذه قبائل

oldbookz@gmail.com
أرشيف مجلات قديمة
https://t.me/megallat

تستوعب سبع لغات على هذه المراتب . وقد كان ابن مسعود يحب أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مضر . وأنكر آخرون أن تكون كلها فى مضر ، وقالوا : فى مضر شواذ لا يجوز أن يقرأ القرآن بها : مثل كشكشة قيس ، وتمتمة تميم ؛ فأما كشكشة قيس فانهم يجعلون كاف المؤنث شينا فيقولون فى (جعل ربك تحتك سريا) : جعل ربش تحتش سريا . وأما تمتمة تميم فيقولون فى الناس : النات ، وفى أكياس : أكيات . قالوا : وهذه لغات يرغب عن القرآن بها ، ولا يحفظ عن السلف فيها شىء .

وقال آخرون : أما إبدال الهمزة عينا وإبدال حروف الحلق بعضها من بعض ، فمشهور عن الفصحاء ، وقد قرأ به الجلة ، واحتجوا بقراءة ابن مسعود ، « ليسجننه عتى حين » ذكرها أبو داود ؛ وبقول ذى الرمة :

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولونك إلا عنّها غير طائل

القول الرابع : ما حكاه صاحب الدلائل عن بعض العلماء وحكى نحوه القاضى ابن الطيب قال : تدبرت وجوه الاختلاف فى القراءة فوجدتها سبعا ، منها ماتتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته ، مثل « هن أطهرُ لكم » وأطهرَ ، « ويضيقُ صدرى » ويضيقَ ؛ ومنها مالا تتغير صورته ويتغير معناه بالاعراب ، مثل « ربَّنا باعدَ بين أسفارنا » وباعدْ . ومنها ماتبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف ، مثل قوله : « ننشزها » وننشرها؛ ومنها ما تتغير صورته ويبقى معناه : « كالعهن المنفوش » وكالصوف المنفوش . ومنها ما تتغير صورته ومعناه ، مثل « وطلح منضود » وطلع منضود ؛ ومنها بالتقديم والتأخير كقوله : « وجاءت سكرة الموت بالحق » وجاءت سكرة الحق بالموت . ومنها بالزيادة والنقصان مثل قوله : « تسع وتسعون نعجة أنثى » ؛ وقوله : « وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين » . وقوله : « فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم » .

القول الخامس : أن المراد بالأحرف السبعة معانى كتاب الله تعالى ، وهى أمر ونهى ووعد ووعيد وقصص ومجادلة وأمثال . قال ابن عطية : وهذا ضعيف ، لأن هذا لا يسمى أحرفا ؛ وأيضا فالإجماع على أن التوسعة لم تقع فى تحليل حلال ولا فى تغيير شىء من المعانى . وذكر القاضى ابن الطيب فى هذا المعنى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ولكن ليست هذه هى التى أجاز لهم القراءة بها ، وإنما الحرف فى هذه بمعنى الجهة والطريقة . ومنه قوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف » . كذلك معنى هذا الحديث على سبع طرائق من تحليل وتحريم وغير ذلك . وقد قيل : إن المراد بقوله عليه السلام : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » القراءات السبع التى قرأ بها القراء السبعة ، لأنها كلها صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا ليس بشىء لظهور بطلانه على ما يأتى ؟

حسنه صبح

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

البدع فى الاسلام

لايوجد تعليم أدبى واجتماعى فى الأرض يجافى بروحه وحرفيته البدع الدينية ، والخزعبلات الاعتقادية ، والتقاليد الخرافية ، بقدر ما هو عليه من ذلك كله دين الاسلام . ناهيك بدين كان من أوليات ما شرع من أجله تخليص الانسان من الآصار الوهمية التى أنقضت ظهره ، والوساوس الجاهلية التى ضللت عقله ، والجهالات الوراثية التى أفسدت قلبه ، حتى يكون من التنزه منها على مثل ما كان يوم ولدته أمه ، أى على الفطرة التى فطره الله عليها . هذه هى الحالة التى شرع الاسلام ليؤدى الانسان اليها ، وقد صرح له بأنها هى الدين القيم ، وكل ما عداه مما لم يثبت علميا ، ولم يتقرر عقليا ، فأضاليل مضللين ، وأباطيل مبطلين ، لا يصح له أن يرفع بها رأسا ، أو يقيم لها وزنا .

هذا هو الغرض الأول من الاسلام ، ومن أجل هذا استحق المسلمون أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس ، ولهذا السبب جعلوا شهداء على سائر الأمم فى غلوهم وتقصيرهم ، فقال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وقال : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

لم يلبث الاسلام لصحة أصوله ، وسمو آدابه ، ونصوع حجته ، واستقامة محجته ، من الانتشار بين عشرات من الأمم ، أخذت به طواعية بدون إجبار ، وجرت منه على سنن ظهرت عليها آثارها فى سنين معدودة ، حتى آلت اليها خلافة الأرض ، وزعامة العلم ، وقيادة الأرواح .

ولكن الشعوب التى أخذت بالاسلام هى كسائر الشعوب سوادها الأعظم جاهلون أميون تأنس نفوسهم للبدع ، وتسلس مقادتهم للمضللين ، فانتشرت فيهم تقاليد وعادات ليست من الدين فى شىء بل مما يجافيه الدين ، وينافيه صريح الكتاب ، وصحيح السنة . فاضطر حماة الدين حيال ذلك أن يضعوا المؤلفات الكثيرة دحضا لهذه البدع الفاشية ، وزجرا عن هذه الضلالات الذائعة ، ولكن الأمية المستحكمة كانت تحول دون الاطلاع على هذه الزواجر ، فكان أثرها فيهم ضعيفا ، واكتسبت تلك البدع بسبب الاستمرار قوة ، واختلطت بالدين فى نظر الدهماء حتى صارت لديهم كأنها جزء منه ، وأصبح لها من المرتزقة دعاة يؤيدونها ، ويؤولون صريح الآيات لإثباتها ، وزادوا جرأة فوضعوا فيها مؤلفات تبررها .

حدث هذا كله فى دور فتور الدولة الاسلامية ، واشتعال نيران الفتن فى أجزائها ، ..... امل التحلل فى جثمانها ، فلم تأبه لهذا التدهور المريع فى نفسية بنيها ، فتركتهم

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وشأنهم . فلما تنبه المسلمون لاسترداد مكانتهم الاجتماعية ، رأى عقلاؤهم أن ذلك ضرب من المحال ما دام عامة المسلمين على ما هم عليه من الأخذ فى دينهم بالأباطيل ، وفى عقليتهم بالأضاليل ، وفى عاداتهم بالبدع ، فكيف تؤثر روح الاسلام الصحيح فى شعوب استناموا الى أصول ترجع بهم القهقرى ، واستراحوا الى مبادئ تمنعهم الأخذ بما فيه نهوضهم وصلاح شئونهم ؟

والموجب للأسف أن هذه البدع التى يدين لها جميع العامة ، قد طغت على كل شىء حتى على الحكومات ورجال العلم ، فترى أكثر حكومات الشعوب الاسلامية تشاطر تلك الشعوب رسميا فى بدعها التى ليست من الدين ، وتحتفل بما يحتفلون به وعلى النحو الذى يجرون عليه . وإنك لتشاهد ذلك فيما تسمح به من اقتناء الأفراد مساحات واسعة من الأرض لإقامة مدافن خاصة لهم فيها ، وتصرح لهم ببناء مساكن عليها وتحليتها بكل وسائل البقاء فيها من ماء وكهرباء وغاز ، حتى أصبحت مساحة المقابر تكاد تساوى مساحات العواصم ، مما ليس له وجود فى أية مملكة من ممالك العالم ، وهنالك يرتكب من ضروب البدع باسم الاسلام ما الاسلام منه براء .

ومن مشايعة الحكومات للبدع العامية سماحها بإقامة المآتم ، وسد الطرقات فى وجوه المارة بما ينصب من سرادقات ، وهى تقتضى حفر الأراضى المرصوفة بالماكادام أو الأسفلت لإقامة السوارى الخشبية عليها التى تحملها وتحمل المصابيح التى تمد على طول الشوارع المؤدية للدار الى مسافات بعيدة ؛ وفى تلك السرادقات ترتكب من البدع فى حق تلاوة القرآن ما يعتبر دينيا من أشد الآثام .

وقد علق هوى هذه السرادقات بالأذهان الى حد أن أصبحت عبئا ثقيلا على عاتق الناس ، ولكنهم يأتونها إما عملا بالسنة كما يكتبون ذلك فى المناعى ، والسنة من ذلك براء ، وإما صيانة لمكانة المتوفى أو أهله بين الناس . وقد اجتمع كثير من أعلام العلماء ، وقرروا حرمة الجلوس للتعزية ونشروها فى الجرائد . ولكنهم مع ذلك يأتونها على روس الأشهاد كأنهم ليسوا مكلفين بها قبل سواهم من الدهماء .

وأعجب ما شهدناه من هوى هذه السرادقات ، أن رجلا ماتت والدته فأخذ يستندى لإخراجها ، وإقامة سرادق لها ، أكف أهل السخاء ، وكنا نحن فيمن رآهم أهلا لبذل المعونة له . ولما مضى على وفاة والدته أربعون يوما ، وكانت فى حياتها تبيع قطعا من الحلوى بجانب جدار ، أسرع الرجل وإخوته ، وما فيهم من يكسب ما يزيد عن قوته اليومى ، الى إقامة سرادق امتد بضعة عشر مترا سادين به الحارة الضيقة التى كانت تصل بين شارعين آهلين بالمارة ، احتفالا بمرور الأربعين على وفاتها . فلما بلغنى الخبر عجبت غاية العجب وقلت لمن أطرفنى به : ما أولى هذه الأم بقول عبد للشاعر عبيد بن الأبرص :

لأعلمنك بعد الموت تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ليس هذا كل ما تؤاخذ عليه الحكومات ويؤاخذ عليه العلماء ، فان هنالك من منكرات المساجد والموالد ما لا يصح أن يصبر عليه .

فأما المساجد فقد أقيمت فيها القباب ، وأوقدت فيها السرج ، وأدخل اليها القبور ، ورفعت عليها المقاصير ، ووضعت على شواهدها العمائم ، وسمح للناس أن يطوَّفوا بها ، وأن يضرعوا اليها ، وأن يقبلوا الأرض أمامها ، وسمح لهم أيضا أن يقيموا لها الاحتفالات السنوية تحت اسم المواليد ، وأن يجتمع الناس حول تلك المساجد ذكورا وإناثا فى حالة تهتك لاترضى بها رجولة أمة تعرف كرامتها . وأغضى الطرف عن الفئام التى تتحلق وتأخذ فيما تسميه الذكر ، فيتمايل الذاكرون يمينا وشمالا حول واحد منهم ينشدهم بعض الأشعار الغرامية ، أو يضرب لهم على الصنوج النحاسية (الساجات) ، أو ينفخ لهم فى صفارة ، وغير ذلك مما لا يمكن حصره .

فهذا المظهر من طغيان البدع الذى أدى الى اعتراف الحكومات الاسلامية بها ، ومشاركة العامة فيها ، وسكوت العلماء عنها ، هو موطن الخطر على سمعة الاسلام ، وسقوط منزلته فى نظر الباحثين والناقدين . فإنهم يقولون : إن الاسلام لو كان على ما يقوله أفذاذ المصلحين الذين نبتوا فى جماعاته ، خالصا من هذه البدع والخزعبلات ، لما استطاعت الحكومات أن تشايع الدهماء فيها ، ولما سمح العلماء لأنفسهم بأن يسكتوا عنها . لذلك نرى فى جميع الكتابات الأجنبية التى نقرؤها التعبير بالاسلاميات على كل ما يعمله المسلمون فى بلادهم مما يتصل بالدين ، حتى أصبح يتعذر على أى إنسان أن يقول لأجنبى : إن ما تذكره من الأعمال المنسوبة للمسلمين ليست من الدين ، لأنك تسمعه يصيح بك على الفور : إذا كان ما تقوله حقا فكيف تشايعهم فيه الحكومات ، ويسكت عنه العلماء ؟

كلمة حق بعد الذى مر :

لقد مرت على المسلمين حقب من الفتور ، سنة الله فى خلقه بعد كل دور من أدوار الانقلابات التى تدخل فيها الأمم ، قضت على أهله بالاستنامة للبدع ، والأخذ بها تقليدا للشعوب التى احتكوا بها فى حياتهم الاجتماعية ، وتطاولت عليهم الآماد فيها حتى أصبحت من تقاليدهم ، وابتنت عليها عاداتهم ومعاملاتهم ، وأصبح يستحيل سلخهم منها طفرة بدون تعريض وشائج ترابطهم الاجتماعى للخطر ، والقضاء على وجودهم الاقتصادى بالتزعزع ، بل وعلى عاطفتهم الدينية بالضعف .

إن الناظر من بعيد الذى يستعرض هذه البدع ، ويرى كل ما فيها من الشناعات المنافية للعقل والدين ، والسخافات المجافية للكرامة والوقار ، يدركه ما يدرك كل غائر على كيان أمته من التحلل ، وكل حريص على شرفها من التدهور ، ولا يتمالك نفسه أن يصيح بالحكومات [illegible]ية وبالعلماء صيحات حماسية يتناثر منها الشرر ، ثم يعود فيعجب من أن نداءه لم يصادف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مجيبا ، مع أن أولى الحل والعقد يرون كلهم مثل رأيه ، ويرجون القضاء على جميع البدع مثل رجائه .

يعجب ولكنه لو كلف أن يعمل لاضطر أن يتئد كما يتئدون ، ولحسب لكل خطوة حسابها كما يحسبون .

إن أمرا فى ثلاثة أسطر تصدره الحكومة يكفى لمنع أى سرادق يقام لمأتم فى طول البلاد وعرضها ، ولا تجد من يعترضها فى ذلك ، بل تصادف من التأييد والتحبيذ ما يملأ قلبها غبطة وسرورا . ولكن عُدَّ معى كم بيتا تقضى عليه هذه الأسطر الثلاثة بالخراب من بيوت الفراشين والخيمية والطهاة وصناع المقاعد من النجارين والمنجدين ، وعمال الأبسطة وباعة البن والقارئين ؟

قس على ذلك إبطال الموالد ، وزيارة المقابر ، وتشييد المدافن الخ مما لا يحصى كثرة ، ولكله تأثير بقدره فى الحالة الاقتصادية مما لا قبل لحكومة على الإقدام عليه طفرة بغير تدريج .

فمعالجة هذه البدع والحالة هذه يجب أن تُستمد لها معونة الزمن الطويل ، فإن ما حدث واستقر ودخل فى صميم العادات ، وابتنت عليه مهن وصناعات ومناجر يحتاج فى إزالته الى مثل الزمان الذى نشأ واستولى على الأهواء فيه .

فإذا قلت : فكيف تسنى لرسول هذه الأمة صلى الله عليه وسلم أن يقضى على الوثنية وما يتعلق بها من بدع وطامات ، وعلى الجاهلية وما تقوم عليه من سخافات وشناعات ، طفرة بدون تدريج فى نحو عشر سنين ؟ قلنا : هذا موطن الاعجاز الذى نستدل به على نبوة خاتم النبين . وهذا عمل لم يقم له شبيه فى الأرض من يوم خلقها الله الى هذا الحين . وقد لجأ صلى الله عليه وسلم الى بناء أمة جديدة ، وأنجحه الله فيها ، مناقضة لجميع النواميس المعروفه عند البشر .

أما نحن وإن كنا نستهدى بهديه ، ونسترشد بسنته ، إلا أننا لا نملك مثل ما كان يواتى به من المدد الإلهى المعجز لتقوم الحجة على رسالته .

فالذى علينا اليوم نشر التعليم بين جميع الطبقات ، وإبطال ما يمكن إبطاله من بدع المساجد والموالد والمآتم دون التعرض لما يبتنى عليه تصدع فى النفوس ، أو فى البناء الاقتصادى ، مع الميل بالتعليم الى جانب التكريه فى البدع ، والتشنيع على المنكرات ، فتنشأ أجيال متعاقبة تنفى عن نفسها خبث هذه الطامات تدريجا ، فلا تحدث صدمة لا فى العاطفة الدينية ولا فى البنية الاجتماعية ، ونصبح بفضل الله كما يريده الاسلام منا أمة هادية مهدية ، مثالا يحتذيه الناس أجمعون ، كما كان آباؤنا الأولون ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

معرض الاراء العالمية

فى الاسلام والمسلمين

مراكش تحتفظ بالتقاليد القديمة

جاء فى جريدة (الكرونيك) التى تصدر بالفرنسية فى دمشق ما يأتى :

« إن خلق المراكشى فى المحافظة على التقاليد يتبين فى العناية التى يبذلها لحفظ عادات الأسلاف فيما يتعلق على الأخص بملابس النساء .

« يعرف الناس أن الباشا التازى بفاس كان قد حظر على النساء المسلمات أن يخرجن لابسات الجلابية وهى من أزياء الرجال ، وأمرهن أن يحافظن على لبس الإزار التقليدى . وقد أخذ كثير من باشوات المدن الأخرى بهذه النصيحة فى المملكة الشريفية بقصد مكافحة المودة الجديدة التى تقلب العادات القديمة رأسا على عقب . من هنا يسهل تصور الانتقادات العنيفة التى تلقى بها الرأى العام الاسلامى ما حدث من عبد الخالق توريس زعيم حزب الاصلاح بتطوان الذى شوهد يتنقل حديثا فى أشهر شوارع المدينة ، مستصحبا امرأته فى زى أوربى سافرة الوجه . وكانت نتيجة هذه الجرأة من زعيم حزب الاصلاح أن تقدمت اليه استقالات كثيرة من الحزب ، يعلن فيها أصحابها أنه لا ترجى فائدة من حزب مراكشى يقضى بالاستسلام لجميع المودات التى تأتى من الخارج »

(مجلة الأزهر) : منى الذين يزجون بأنفسهم لقيادة أدوار النهوض فى الجماعات الاسلامية بداء العناية بالقشور ، فتراهم قبل أن يُعدوا مجتمعاتهم الرجلية لآداب أرفع مما هم متصفون به ، ومبادئ أقوم مما هم عليه ، ويمهدون البيئة لقبول انتقالات جديدة بافتراض أنها شروط ضرورية للنهوض ، يعمدون الى الظهور بالنهايات والدعوة اليها ، فيبادرون الى إخراج نسائهم حاسرات الوجوه ، عاريات السواعد والسيقان ، على النحو الذى كان يأنف الشرق أن يسمح به لطفلة عمرها سنتان . ويغفل هؤلاء الزعماء الزائفون أن المرأة الغربية لم تنته الى هذا التعرى إلا بعد أدوار كثيرة أمضتها فى السفور ، لا طفرة على ما عليه الحال فى الشرق . من هنا يتبادر الى أذهان الناس أن الغرض من الجعجعة التى يقوم بها طلاب النهوض ، ليست إلا ستارا على مذهب إباحى ينشرونه على الرغم من الغيرة الفطرية فى الرجال ، والنخوة القومية العزيزة عليهم

فإذا كان هؤلاء الدعاة حكماء لجعلوا ديدنهم إصلاح النفوس ، وتقويم الأخلاق ، ومكافحة الخمر والقمار والفسق ، وهى أمهات جميع الرذائل ، والماحقة لكل ضروب الفضائل . فاذا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

استدعى الحال بعد ذلك أن تدخل الأزياء النسوية فى أدوار من الانتقالات ، جاءت مناسبة لما عليه المجتمع من أخلاق ، وما تمرس به من آداب ، وكان ما يحدث مناسبا لما تتطلبه مصلحته الاجتماعية ، ومراعى فيه أصوله ومبادئه .

المتنطعون فى الدين :

كتب المسيو ميشل رينو بجريدة (لا فرانس ميليتير) الباريزية تحت هذا العنوان : كيف قابل الكولونيل بيلاندو الحاكم على قسم من صحراء مراكش فيها بلدة الموزاب موطن المتشددين فى الدين من مسلمى المغرب ، ثم قال :

« يعرف الناس هنا حياة الموزابيين العجيبة ، أتباع محمد ، وهم على ما يرجح من سلالة القرطاجيين القدماء . فقد أجمعوا أمرهم لأجل أن يقيموا طريقة القرآن ، ويترسموا تعاليمه على ما يفهمونها ، أن يهجروا السهول الساحلية الثرية منذ ألف سنة ، وكانوا يعيشون فيها سعداء ، والإصعاد الى هضبة جرداء كالكف ، فحفروا فيها الآبار العميقة ، وأنشاوا فيها من مواد مختلفة جمعوها من هنا وهنا ، سبع مدائن ، واستنبتوا فى هذه الأرض الصخرية حدائق من النخيل وهو ما يعتبر من عجائب موزاب .

« ولكن تلك الناحية لا تكفى لصغرها إقاتة ما فيها من السكان ، فاضطر عدد منهم للمهاجرة الى إقليمى الجزائر وقونسطنطين ليشتغلوا فيها بدالين وجزارين وتجارا للجوخ . وهم على جانب عظيم من الذكاء ، ويعتبرهم الكافة أمثلة فى الأمانة وفى حسن تصريفهم للأعمال .

« وقد حظرت الحكومة أن يحضروا معهم الى موطنهم الجديد نساءهم أو بناتهم أو أخواتهم ، ولا سبيل الى الاستثناء فى هذا الحظر ، لأنهم كثيرا ما سكنت جاليتهم مدينة الجزائر أو غيرها من المدن الساحلية والسهلية الفخمة ، وصرحوا بأنهم لن يعودوا الى معيشتهم الخشنة فى موطنهم الصغير ، ولكنهم على الرغم من هذا التأكيد عادوا كلهم اليه بعد أن بلغوا مناهم من الثراء »

« قلت : إن الموزابيين قوم أذكياء ، ونجاحهم فى التجارة يثبت ذلك ، ومع هذا تراهم ضحايا لعوائدهم الخاصة . فقد اتفق أنه عند وصولى الى موزاب كان الكولونيل بيلاندو فى حالة جدال عنيف معهم . أتدرى على أى شىء ؟ لأن السلطة العسكرية تريد أن تمد أسلاك النور الى تلك البقعة ، فلما عرض هذا القرار على رجال الدين والحكام عندهم رفضوه بالإجماع . فدهش الكولونيل بيلاندو من هذا الرفض ، ولما سألهم عن السبب أجابوه : نحن لا نريد الكهرباء فى دورنا لأن العمال الأوربيين أو الوطنيين الذين يكلفون إصلاح الأسلاك الممتدة على رءوس الساريات يمكنهم أن يلقوا بأنظارهم الى سطوح منازلنا ، وقد لا تخلو فى ساعات الحر من النهار أن يكون نساؤنا وبناتنا يمرحن هناك .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« روى الكولونيل موضوع هذا النزاع وهو يضحك ، ولكنه أمل أن يقنع محكوميه بالمزايا التى تجنيها مدينتهم من هذا التجديد .

« ثم قال لى : ولقد اشتد عجبى حينما رأيت أن عددا من المعارضين كانوا ممن تاجروا فى مدينتى الجزائر وقونسطنطين ، مدة سنين ، وأدركوا كنه مزايا الضوء الكهربائى فى محلاتهم التجارية » .

وختم الكاتب مقاله بتشبيه أهالى موزاب المغربية بطائفة البوريتان المسيحية .

(مجلة الأزهر) : إن الطائفة المسيحية التى شبه المسيو ميشيل رينو بها أهالى الموزاب ، نشأت فى انجلترة فى القرن السادس عشر حيث كانت قراءة الكتب المقدسة هى الشغل الشاغل الانجليز ، ومذهب هذه الطائفة هو العمل بأصول المسيحية بدون تأويل ، وهى تنحصر فى الزهادة والتقشف وعدم الدفاع عن النفس ومقابلة الشر بالخير ، والتشدد فى ذلك الى آخر حدود التشدد .

لسنا نوجه الكلام الى موريتان المسيحيين ، ولكنا نوجهه الى أهل موزاب المغربيين ، فنقول : إنهم إذا كانوا قد تخيلوا أن ما فعلوه بأنفسهم هو الاسلام الصحيح فقد خدعوا أنفسهم من حيث لا يعلمون . فالاسلام الصحيح يدعو أهله لأن يحيوا حياة صحيحة فاضلة ، لا بالتقشف والشظف ، ولا بحرمان النفس من مزايا الصنائع النافعة والفنون ، ولا بالهرب من مزدحم المجتمعات للعيش حيث لا تقع الأنظار ، ولا تحوم الظنون .

الاسلام لم يحرم على أهله متعة من متع الحياة ما دامت لا تفسد القلب ، ولا تلهى عن الحق ، ولا تدفع بالانسان الى رذيلة . وهم مأمورون أن يعيشوا فى مزدحم الجماعات ، ومضطرب الشئون ليظهروا الحق الذى وكل اليهم الدفاع عنه ونشره ، وإسقاط الباطل وتخليص العالم من شره . فللمسلمين مهمة عالمية لا يكمل إسلامهم إلا بتأديتها ، والاضطلاع بأعبائها .

فكل من هرب من مزدحم الأمم بحجة أنه هارب بدينه ، فمثله كمثل الهارب من ساحة الوغى ، فضلا عن أن ذلك يعتبر من أحط درجات حب الذات ، ومن أشد ضروب الاعتراف بالضعف .

فإذا لم يحصل الانسان من كفاحه للمنكرات ، ومكاوحته للآثام ، قوة نفسية يستقيم بها على الطريق رغما عن كل ما يحتوشه من عوامل الاغراء والتسويل ، فلا يكون قد جنى من حياته ما بُعث به اليها ليجنيه من صحة الرجولة ، وقوة الارادة ، وعزوف النفس عن الدنايا ، وترفعها عن السفاسف .

وإذا كان الاسلام مما يصح أن يهرب به أهله الى مجاهل الأرض ليستطيعوا أن يقيموه

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فمن الذى كلف إذن أن يقوم على نشره فى الأرض ، ويتحمل ضروب المجاهدات على هداية الناس إليه ؟

إن مذهبا كهذا ينافى أصول هذا الدين ويجافيها الى حد أن الآخذ به يكاد لا يعتبر من أهله لولا أنه يعترف بصحته .

والذى رأيناه بأعيننا أن الاسلام قد لقى من أمثال هذه الطائفة ممن زعموا أنهم صوفية وليسوا منهم فى شىء ، أشد مما لقيه من أعدائه ، فقد فهموه على غير حقيقته ، وصرفوه الى غير وجهه ، ووقفوا به وليس من شأنه الوقوف ، وجمدوا حيث هم وليس من صفاته الجمود .

فى الاسلام من قوة التوثب والتطور ما ليس فى أى مذهب من مذاهب الاصلاح الاجتماعية ، فقد أثبت ذلك من دفع ذويه فى أدوار الانتقالات وثبا ، وغيرهم لا يقطعها إلا حبوا ، وأحيانا بعد فترات طويلة من الوقوف ، فيكون من أعجب العجائب أن يقف مجتمع إسلامى أجيالا حيث هو . والله لو كان هذا المجتمع مسلما حقا لما أمكنه هذا الوقوف !؟

الرأى الاسلامى ومشروع واردا

الفكرة تخالف التقاليد الاسلامية

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جاء فى جريدة بريطانيا العظمى والشرق تحت هذا العنوان ما ملخصه :

منذ منحت الأقاليم استقلالها الذاتى ، كان لآراء مستر غاندى عن التعليم ، تأثير ظاهر فى نظامه فى سبعة الأقاليم التى اشتركت فى المؤتمر .

ويقوم المشروع على أصلين : الأول أن يكون التعليم عن طريق العمل الانشائى ؛ والثانى أن يصيب التلميذ شيئا من الكسب المادى أثناء تعليمه .

وقد عينت جماعة المسلمين بالهند لجنة لفحصه يرأسها بيريور فاعترضت عليه . ثم ختمت الجريدة هذا الموضوع بقولها :

والنقد الصحيح لمشروع واردا هو مخالفته للافكار الاسلامية ، فما دام يجب أن يعيش المسلم الى جانب الهندى فى بلاد واحدة ، فلا سبيل الى نجاح نظام التعليم إلا إذا كان أساسه التسامح والاحترام المتبادل .

والمشروع كما جاء فى التقرير يحاول فرض الأفكار الهندية البحتة ، ولا يستبعد فقط تعليم الديانات التى تعتنقها الطوائف الهندية ، بل يحل محلها أفكار مستر غاندى الفلسفية .

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

متى تسقط دعوى المدعى بالحق الشرعى

الخلاف على ذلك بين علماء الفقه الاسلامى

أسلفنا لقراء المجلة سلسلة من البحوث تتلاقى كلها مجتمعة فى نظام الوقف فى الاسـلام ، واليوم نعرض لبيان المدة الطويلة التى لا تسمع بعدها الدعوى إذا ادعاها مدع فى مجلس القضاء ، وأقوال الفقهاء فى مدى تلك المـدة وتعرضهم لتفصيلات لا يجـد الباحث فى نظام الوقف الاسلامى عنها غناء :

فما لا مشاحة فيـه أن خلافا نشب بين الفقهاء على تحديد المـدة التى تسقط بعدها دعوى المدعى ، فقد روى العـلامة ابن عابدين فى رسائله أن المدعى إذا ترك دعواه مدة طويلة من الزمن دون أن يدعيها فى مجلس القضاء ثم جاء الى المجلس بعد مضى هذه المدة وادعاها وأنكرها المدعى عليه ، فإن كان الحق المدنى إرثا أو وقفا منع القاضى من سماع الدعوى بأحـدهما إذا مضى على المدعى دون أن يدعيها فى مجلس القضاء ثلاث وثلاثون سنة ، وإن كان المدعى شيئا آخر غيرهما منع القاضى من سماع الدعوى به إذا مضى عليها خمس عشرة سنة . وروى صاحب البحر أن بعض الفقهاء قدر لسماع الدعوى بارث مدة خمس عشرة سنة .

ومن الجلى أن تلك الحيطة تتخذ فى مصالح الناس والابقاء عليها سليمة قطعاً لـكل شك يتطرق الى حكم القاضى فى صحته وبقائه نافذا محترماً .

من أجل ذلك كفلت قوانين المحاكم الشرعية فى مختلف أزمنتها التنصيص على هذه المدة حتى لائحة سنة ١٩٣١ وهى اللائحة التى يجرى عمل المحاكم الشرعية عليها ، فقد نصت المـادة ٣٧٥ على ما يأتى : « القضاة ممنوعون من سماع الدعوى التى مضى عليها خمس عشرة سنة مع تمكن المدعى من رفعها وعدم العـذر الشرعى له فى عدم إقامتها إلا فى الارث والوقف فإنه لا يمنع من سماعها إلا بعد ثلاث وثلاثين سنة مع التمكن وعدم العذر الشرعى ، وهذا كله مع الانكار للحق فى تلك المدة اه » .

وبدهى أن القضاء يجرى على تلك المـادة فى سائر مناحيه ، وأن عموم تلك المـادة يشمل دعوى الاستحقاق فى الوقف لأول وهلة ، لـكن كثيرا من حضرات القضاة فى دوائرهم جرى على أن دعوى الاستحقاق فى الوقف كدعوى الملك تسقط بمضى خمس عشرة سنة على المدعى دون أن يدعيها فى مجلس القضاء طيلة هـذه المدة ، وليست ملحقة بدعوى الوقف ذاته حتى لا [illegible] بمضى ثلاث وثلاثين سنة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بقى أن يتضح بجلاء مبدأ تلك المدة المضروبة لسماع الدعوى فى الارث وفى الوقف من جهة وفى غيرهما من جهة أخرى : فقد تواضع علماء الفقه الاسلامى وعلماء القانون المدنى على أن المدة تبتدىء من وقت ثبوت حق مطالبة المدعى وظهور واضع اليد على العين بمظهر المالك لها مقترنا ذلك المظهر بعدم قيام مانع شرعى يحول دون المدعى من إقامة دعواه كأن يكون أحد المتداعيين غائبا مسافة يتعذر على أحدهما معها مقاضاة الآخر ، أو يكون أحدهما مجنونا أو صبيا لاولى له ولا وصى ، أو يكون الوقف شاغرا من النظر ، أو يكون المدعى عليه حاكما ذا شوكة مرهوب الجانب سريع الانتقام من خصومه ، وما الى ذلك من الأعذار القاهرة التى تحول دون دعوى المدعى فى خلال الأمد المضروب . وعلى كل حال فقد أفتى غير واحد من علماء الفروع بأن تقدير ذلك يفوض الى فطنة القاضى وقياسه .

وعلى الجملة فالأجل المضروب لسماع دعوى المدعى فى الوقف وفى الارث وفى غيرهما وسقوط الدعوى بمضى تلك المدة مسائل مما كشفت عنها عظات الماضى فاستبصر بها القضاء فى الحاضر ومنحها من تقديره أفضل قسط .

وقد فرع العلماء على تلك العوائق بفروع منها :

(١) أن المرأة لو مات عنها زوجها أو طلقها بعد أربعين سنة من وقت النكاح مثلا فلها حق المطالبة بمؤخر صداقها المؤجل الى أحد الأجلين لأن حق المطالبة إنما يثبت بعد الموت أو الطلاق فتبتدئ المدة الطويلة منهما ، وأن المستحق فى الوقف إذا كان لا يستحق إلا بعد وفاة أبيه مثلا فان المدة المانعة من سماع دعواه تبتدئ من تاريخ انتقال الاستحقاق اليه ولا تحتسب عليه المدة التى ترك أبوه فيها الدعوى ، ولا يعتبر المانع من سماع دعوى أبيه مانعا من سماع دعواه لأن الحق ينتقل اليه من الواقف مباشرة طبق شرط الوقف ولا ينتقل اليه من قبل أبيه ، بخلاف الارث فان ما يمنع سماع دعوى المورث يمنع سماع دعوى الوارث شرعا .

(٢) أنه إذا لم يظهر واضع اليد على العين بمظهر المالك لها كأن وضع يده مقراً بالاجارة أو الاعارة ، لا تسقط الدعوى عليه ولو طالت المدة ما طالت ، كما إذا أقر صريحا بالحق للمدعى ، لكن إن جحد الاقرار بذلك وأراد المدعى أن يبرهن على إقراره تسمع دعواه وتقبل بينته ما لم يترك الدعوى من وقت الاقرار بالمدة الطويلة المسقطة لسماعها .

هذا وللبحث تفاصيل لا يتسع لها هذا المقال . فالى الغد القريب لاستيفاء الكلام عنه فى أعداد تالية .

عباس طه
المحامى الشرعى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نشيد الازهر فى الحرب

قد سار الأزهر ، فاحتفلى يامصر ، وسيرى للمجد
كم قاد رجالك من قبل ومضى بالعز وبالسعد
يختـال بألوية النصر

أبطال الدنيا والدين أبطال ، عاشوا أحرارا
يقصيهم عن ورد الهون أسلاف ، عاشوا أطهارا
وأناروا الدنيا بالفكر

الأزهر تحويه الحرب فتخال العالم يرتج
أسد فى وثبتهم غلب فالهارب ليس له فج
ينجيه من الموت المر

اسمع أغنيتى : عطار واصدر كالجل الصوال
إخوانك من حولك داروا فاضرب فى صدر الأبطال
وامنعهم من دمك العطرى

ضحيت لذا الوادى بدمى وسموت بوجهى لله !!!
أقضى بهما حق الذمم ومقام العبد الأواه
لا تقربنى ، سيفى سحرى

فاروق لقد عز الوطن يوم اخترناك لنا ملكا
نفديك وإن عز الثمن وننال بجسماك الفلكا
فلتحي للشرق ومصر

عبد الجواد رمضان
المدرس بكلية اللغة العربية

الدين والعقل — برهان القرآن

صرف حضرة الاستاذ احمد حافظ هداية حياته فى وضع فهرست للقرآن الكريم يفوق جميع ما وضع منها حتى الآن ترتيبا وتوفية بالحاجة . وقد جاء فيه بالآيات الشريفة بنصها ، وأطلع عليه جمهورا من العلماء قبل طبعه فشهدوا له بالكفاية وسمحوا له بنشر تقاريظهم . فنشكر لحضرة المؤلف همته ، ونرجو لعمله إقبالا . وعنوانه بشارع المبدولى رقم ٣٤

أرجأنا مضطرين نقد وتقريظ ما لدينا من المؤلفات الى العدد القادم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة المحمدية

تحت ضوء العلم والفلسفة

أدوار الدعوة الاسلامية وما لقى أهلها فى سبيلها

ليس فى الشئون الاجتماعية ما هو أشد على المصلحين من تغيير عادة من عادات أمة برمتها ، فضلا عن تغيير عقيدة من عقائدها ، فما ظنك بتغيير كل ما يخالف الحق والعدل من عاداتها ، والعقلَ والحكمةَ من عقائدها فى سنين معدودة ؟ هـذا ما لا سبيل اليه فى نظر جميع الذين عالجوا الشئون الاجتماعية ، ودخلوا فى مضايقها ، وهو الذى قام به محمد بن عبد الله خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ، واعتبر بحق أدل آية على صحة رسالته . آية تتحطم حيالها كل ما يمكن أن يدلى به من الشبهات وهى راسخة رسوخ الجبال ، وتضمحل دونها ضروب الخلابات الكلامية وتتبخر فى الهواء ، وهى ماثلة أمام الأعين مثول الشمس فى رائعة النهار .

يقول شوبنهور الألمانى مؤسس المذهب التشاؤمى : « يخيل للجاهل أن كل حادث تعليله ميسور ولا تتراءى له وجوه الإعضال فيه » ، ويخيل للجاهل فيما نحن بصدده أن تعليل نجاح النبي فى الانقلاب الذى أحدثه فى الأمة العربية أمر ميسور ، ويحوم فكره حول الشبهات التى يتلقفها عن أعداء هذا الدين ، فيعزوه الى البيان الساحر الذى أذيعت به الدعوة الاسلامية ، ويغيب عنه أن سحر البيان أعجز من أن يهدم ما بنته الاجيال فى متطاول الأحقاب والقرون ؛ أو الى الإجبار والاكراه ، ويتناسى أنهما لا يكونان إلا بالقوى المسلحة ، وأين هى ممن لا ناصر له ولا معين ؟ فان قيل : كان له الناصرون والمعينون . قلنا : هذا وجه الحيرة ! فكيف حصل على عـدد عديد منهم بحيث تغلبوا على أمة بأسرها ؟ ثم نسأل : وكيف بقوا أقوياء مخلصين بعد ممات زعيمهم ولم يتفرقوا شذر بذر، كما هى السنة فى كل أمر لا يقوم على أساس من الحق ركين ؟

أشد ما ترامى الى هؤلاء القشريين من خصوم الاسلام ، أن العرب كانوا فى دور نهوض ، فلما أهاب بهم محمد الى العمل أجابوه منقادين ؛ ويغبّى هؤلاء المضللون عن أنه لو كان لأهل الجاهلية ميل الى الاجتماع والنهوض لما استنكروا ما جاءهم به النبي من النور المبين ، ولالتفوا حوله متساندين متكاتفين . ألم يبلغك أنه حين دعا النبي قريشا للدين وهى أرقى قبائل العرب إدراكا وبصرا بأعقاب الأمور ، ثار ثائرها ، وجن جنونها ، وطفقت تعارض الدعوة بكل وسيلة

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

تطوف بخيال الجاهليين : الاستهزاء ، الايذاء ، الاضطهاد ، المقاطعة ، حتى اضطر النفر الذين قبلوها للهجرة الى الحبشة مرتين ، واضطر من بقى للالتجاء الى شعبهم فى الجبل يتقون فيه مباغتة إخوانهم الأقربين ؟ وبعد أن بقيت الحال على هذه الوتيرة ثلاث عشرة سنة اضطر المسلمون للهرب من وجه المشركين الى المدينة ، وتبعهم النبى صلى الله عليه وسلم خفية ، وقد اضطر فى الطريق أن يلجأ الى غار يغص بالهوام والحشرات ، حتى استبعد متعقبوه أن يكون قد لجأ هو وصاحبه اليه ، لأن دخوله فوق مقدور الآدميين !

ثم ألم يبلغهم أن خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم بعد أن استقر فى المدينة ، وكان قد هدى الله أهلها للاسلام ، تتبعه فيها المشركون شانين عليه حروبا طاحنة ، قاصدين اصطلام المؤمنين ، والفراغ من أمر هذا الدين ؟

فهل يعقل أن قبائل تميل الى التوحد والنهوض ، تناهض دعوة مثل الدعوة الاسلامية أساسها توحيد القلوب ، وتطهير العقول ، وترقية النفوس ، وجلب المصالح ، ودرء المفاسد ، والعيش على أكمل وأجمل ما يكون ؟

وهل لم يبلغ الخصوم أن قريشا ، وهى القبيلة التى كان يرجى أن تكون قد شعرت قبل غيرها بعوامل التوحد والنهوض ، قد بقيت محاربة للدعوة الاسلامية ، تؤلب عليها العرب وتجمع لها الجموع ، وتقصد بهم قاعدتها بيثرب لتبيد خضراءهم فيها ، حتى شارف صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم أن يدعى الى الرفيق الأعلى ، ولولا أنه رأى وجوب فتح مكة عنوة لبقيت جرثومة الكفر فيها تثير على خلفائه الحروب ، وتنفر منهم القلوب ؟

فاذا كانت فى بلاد العرب قبل مجىء النبى صلى الله عليه وسلم فكرة عن التوحد والنهوض ، أكانت تتخطى صميم العرب من قريش وخزاعة وتميم وهوازن الخ وتأوى الى قلوب أهل يثرب من قبيلتى الأوس والخزرج ، ولم يكونوا فى مكانة تسمح لهم بأن يحدثوا أنفسهم بحركة من هذا القبيل ؟

وإذا كانت هذه الفكرة قد جالت فى رءوس بعض مفكريهم ، فماذا قالوا فيها من شعر نظيم ، أو نثر حكيم ؟ أكانت حركة بكماء لا تنبس بكلمة تدل على وجودها ، وقد تكلموا فى كل شىء حتى فى الفسوق والفجور ، ونقل عنهم فى حرص شديد ، ومبالغا فيه الى أقصى الحدود ، أفلا كانت تترامى من أحد خطبائهم أو شعرائهم كلمة فى هذا الموضوع الخطير ؟

لقد حرص نقلة اللغة ممن عاشروا أهلها فى البداوة على نقل كل كلمة من كلماتهم ، حتى الدالة على الهنات ، وأطنبوا فى ذكر بلاغة قائلها ، وتوسعوا فى سرد نسبه ، وتعداد مناقبه ؛ أفلم يعثروا على اسم شاعر دعاهم للوحدة أو خطيب أهاب بهم للنهوض وهى دعوة يملأ صداها المعمور ؟

الحق الذى لا مرية فيه أن بلاد العرب لم تقم فيها دعوة ترمى الى توحيد قبائلها ، وإصلاح

oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

نفسيتها ، وتقويم ديانتها ؛ ولو كان لترامت إلينا أخبارها مكبرة مضخمة ، لأن هذه الحركة الاصلاحية لا يمكن أن تكون خفية ، فهي شعور تولده في الجماعات الحاجة ، وتهيئه العوامل ، تضطرب له أعصابها ، وتنفعل به أعضاؤها ، وتنشأ تحت تأثيره أخلاق جديدة ، ومرام بعيدة ، تدرك تطوراتها الشعوب البعيدة عنها ، فما ظنك بالقريبة منها ؟

أما وقد ثبت ذلك بكل دليل ، فان مصداقه من القرآن الكريم قول الله تعالى في كتابه : « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا (أي حين نادينا موسى) ، ولكنْ رحمةً من ربك ، لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » .

كيف انتشر الاسلام في بيئة الجاهلية ؟

لو تصدى أحدنا أن يتخيل ما يمكن أن يعمله رسول أُمر أن يقوم بدعوة جديدة في وسط هذه البيئة الأمية المتشددة في جاهليتها ، لما وجد لذلك طريقا معقولا ، إلا ماسلكه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أن يدعو أولا أهل بيته ، فآمنت به امرأته خديجة بنت خويلد ، وابن عمه علي بن أبي طالب ، وكان في كفالته لضيق ذات يد والده ، وكان إذ ذاك قد ناهز سن الحلم ، وزيد بن حارثة بن شرحبيل ، وكان مولاه اشتراه ثم أعتقه وتبناه ، وأم أيمن حاضنته .

ثم رأى صلى الله عليه وسلم أن يدعو سرا من يعرف فيهم رجاحة العقل ، وسلامة الفطرة ، والنزوع الى الحق ، فشافه بالدعوة أبا بكر بن أبي قحافة ، وكان صديقا له ، فأسرع الى تصديقه ، لما يعلم فيه من الصدق والأمانة والاخلاص . وكان أبو بكر من عظماء قريش ورجالاتها المعدودين مالا وجاها وسخاء ، وكان محببا الى الناس مبجلا فيهم ، لذلك اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم وزيرا له ، يستشيره في جميع مالم ينزل فيه وحي .

فقام أبو بكر من ناحيته بدعوة من يثق بنضوج عقله ، وصحة منطقه ، فلبى دعوته رجال : منهم عثمان بن عفان ، وكان شابا لا يجاوز العشرين . فلما ترامى الى عمه الحكم بن عفان خبر إسلامه ، قبض عليه وأوثقه كتافا ، وآلى على نفسه أن لا يحله حتى يرجع الى دين آبائه ، فتحمل عثمان هذا الاضطهاد بصبر وثبات . فلما رأى عمه تفانيه فيما هو فيه ، أطلقه .

ومنهم الزبير بن العوام وأمه صفية بنت عبد المطلب ، فلما بلغ عمه خبر خروجه عن دين آبائه كان يعذبه بأن يغمره في الدخان المتصاعد من الحريق ، فلم يزده ذلك إلا تشبثا بما هو فيه على أنه لم يتجاوز سن الحلم .

ومنهم عبد عمرو بن عوف بن عبد عوف (وقد غير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه فجعله عبد الرحمن بدل عبد عمرو) .

ومنهم سعد بن أبي وقاص ، وكانت أمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية ، فلما علمت بصبوئه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عن دين آبائه قالت له : بلغنى أنك قد صبأت ، فوالله لا يظلنى سقف من الحر والبرد ، وإن الطعام والشراب علىّ حرام حتى تكفر بمحمد ! فلم يثنه ذلك عن عزمه واستمر على ما هو عليه .

ومنهم طلحة بن عبيد الله ، وكان يسمع من أهل الكتاب أن نبيا سيرسل فى آخر الزمان ، فلما سمع دعوة أبى بكر بادر الى الاسلام .

وممن سبقوا الى الاسلام مسوقين اليه بدافع وجدانى ، صهيب ، وكان عبدا روميا ؛ وعمار ابن ياسر وأبوه وأمه سمية ، وعبدالله بن مسعود ، وكان راعيا للغنم ، فلما سمع بمبعث رسول الله اتبعه ولازمه ، فكان يمشى أمامه ، ويستره إذا اغتسل ، ويوقظه إذا نام ، ويلبسه نعليه إذا قام ؛ وأبوذر الغفارى ، وكان من أهل البداوة ، فصيح اللسان حلو الحديث ؛ وسعيد بن زيد العدوى وزوجه فاطمة بنت الخطاب أخت عمر ؛ وأم الفضل لبابة بنت الحارث زوج العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وأبو سلمة بن عبد الله بن عمة رسول الله وزوجه أم سلمة ؛ وعثمان بن مظعون الجمحى وأخواه قدامة وعبد الله بن أبى الأرقم ؛ والأرقم ؛ وخالد بن سعيد بن العاص ، فغضب عليه أبوه ومنعه الغذاء ، فأوى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسلم بعده أخوه عمرو ابن سعيد .

حدث كل هذا والنبى مختف فى دار الأرقم بن أبى الأرقم يدعو الى دينه سرا . ثم أمره الله بالجهر بالدعوة فى قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » ، فصعد على جبل يقال له الصفا وطفق ينادى : يابنى فهر ، يابنى عدى ، لبطون قريش ، فكان الرجل إذا لم يستطع الخروج بنفسه ، أرسل من يأتى له بالخبر ؛ فلما اجتمع الناس قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقىّ ؟ » قالوا : نعم ما علمنا عليك كذبا . قال : « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد »

فلم يرفع أحد بما قاله رأسا ، ولم يقم له وزنا ، وأغلظ بعضهم له القول ، ثم تولوا عنه مدبرين .

عند ذلك أنزل الله عليه قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين (وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس) ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون » فاستدعاهم رسول الله وقال لهم : « إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله اليكم خاصة ، والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا ، وإنها لجنة أبدا ، أو لنار أبدا » !

فكلمه القوم كلاما لينا إلا عمه أبا لهب فإنه أغلظ له القول ، وصاح بالناس أن خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب ، فإن أسلمتموه إذن ذللتم ، وإن منعتموه قتلتم . فأجابه عمه

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الثانى أبو طالب قائلا : والله لتمنعنه ما بقينا ! وقد بر بيمينه . وكان الجهر بالدعوة فى السنة الثالثة من النبوة .

عهد الاضطهاد وما لقى منه النبي والمسلمون :

لما أُمر صلى الله عليه وسلم باعلان الدعوة ، أخذ يغشى مجالس قومه ويدعوهم للاسلام ، ويبالغ لهم فى إظهار حجته ، ووجاهة محجته ، ويكثر لهم من الأدلة عن عوج طريقتهم ، وبطلان ديانتهم . فكانوا يقابلونه بالسَخَر والاستهزاء ، كأن يقولوا : هذا ابن أبى كبشة يكلم من السماء ، وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء ، ولا يتجاوزون هذا الحد . ولكن لما أخذت الآيات تترى عليه فى تسفيه أحلامهم ، وتحقير آلهتهم ، وتضليل آبائهم ، تغير موقفهم حياله ، وانتقلوا من مجرد الاستهزاء الى ضروب من الايذاء ، وصنوف من الاضطهاد لا تطاق .

دخل عليهم النبي يوما المسجد الحرام فوجدهم يسجدون للأصنام ، فنهاهم عن ذلك ، وأنبهم على خروجهم على دين أبيهم ابراهيم . فأجابوه : إننا إنما نسجد لها لتقربنا الى الله . فبيّن لهم بان ذلك هو الشرك الذى لا يقبله الله منهم ، ونعى عليهم استرسالهم فيما هم فيه ، فأجمعوا على مخالفته ومنابذته ، كما يحكى الله ذلك فى قوله تعالى : « وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلها واحدا ؟ إن هذا لشىء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد . ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ، إن هذا إلا اختلاق . أأنزل عليه الذكر من بيننا ، بل هم فى شك من ذكرى ، بل لما يذوقوا عذاب . أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب . أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما ، فليرتقوا فى الأسباب . جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب . كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد . وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب . إنْ كل إلا كذب الرسل فحق عقاب . وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فَوَاق » .

وكان ما أجمع عليه المشركون معاكسة النبي صلى الله عليه وسلم بكل وسيلة ، ومحاربة دينه بكل حيلة . فصاروا يتحككون بالمسلمين ويحاولون حملهم على الرجوع الى دينهم بعد أن صاروا مسلمين . وكان أكثر الناس سعيا فى هذه السبيل أبو جهل وهو من أشراف قريش ، فكان إذا سمع بإسلام رجل نابه الذكر جليل القدر ، لامه وهدده قائلا : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ، ولنغلبن رأيك ، ولنضعن شرفك . وإن ترامى إليه إسلام تاجر ، قال له : لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك . وإن كان الذى أسلم مستضعفا أهانه وضربه .

وقد تفنن المشركون فى ضروب التعذيب حتى لم يدعوا وجها من وجوهه إلا أخذوا به حتى الايلام بالنار . فقد عذبوا بها عمار بن ياسر ، وعذبوا بها أيضا أباه وأخاه وأمه . فمات ياسر من أثر النار . وأخذ أبو جهل امرأته فعذبها ثم طعنها برمح فقتلها .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقيل فى تفصيل هـذا التعذيب إن أبا جهل كان يلبس عمارا درعا من الحديد فى اليوم الصائف .

وممن عذب فى الله خباب بن الأرت ، وكان يحدّث عن نفسه فقال : لقد رأيتنى يوما وقد أوقدت لى نار ووضعوها على ظهرى فما أطفأها الاودَكه ، أى دهنه .

وكان قد أسلم غير خباب عبيد كثيرون ، فكان مواليهم يذيقونهم عذاب الهون ، رجاء أن يصبأوا عن الاسلام فما كانوا يفعلون . وكان أبو بكر اذا مر بعبد يعذب فى الله ، اشتراه وأعتقه ، منهم بلال مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحمامة أم بلال وبنتها ، وزُنَيرة .

فكان مولى بلال يخرجه إذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه يوما وليلة ، فيطرحه على ظهره فى الرمضاء : أى الرمل إذا اشتدت حرارته ، ثم يأمر بالصخرة الثقيلة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعود الى عبادة اللات والعزى !

أما زُنيرة وأخت عامر بن فهيرة ، فكانتا لعمر بن الخطاب قبل أن يسلم ، فمر به أبو بكر وهو يعذبهما بالضرب فاشتراهما منه وأعتقهما . أما عامر بن فهيرة فكان يعذَّب حتى يخر مغشيا عليه ، فاشتراه أبو بكر كذلك وأعتقه .

وكان أبو فكيهة عبداً لصفوان بن أمية ، فأخرجه فى يوم شديد الحر مقيداً الى الرمضاء ، ووضع على بطنه حجرا حتى خرج لسانه وعم صفوان حاضر ، فكان يقول لابن أخيه : زده عذابا حتى يأتى محمد فيخلصه بسحره . فاشتراه أبو بكر وأعتقه .

وأم عنبس كانت أمة لبنى زهرة ، وكان الأسود بن عبد يغوث قد تولى تعذيبها بأشد ما يستطيع قلب صلد أن يفعله ، فصادفه أبو بكر فاشتراها وأعتقها . واشترى كذلك ابنتها لطيفة وكانت تُسام أشد العذاب ، وأعتقها . واشترى لبينة جارية المؤمل بن حبيب ، وكانت تلاقى من سيدها أفظع ما يلقاه ضعيف من قوى .

وممن أوذى فى الله أبو بكر نفسه ، حتى أنه نوى أن يفر بدينه من وطنه ، فقصد الحبشة وسار حتى أتى برك الغماد ، وهو موضع يبعد عن مكة بخمس ليال ، فلقيه سيد قبيلة القارة ابن الدُغُنة فسأله عن وجهته ؟ فقال : أريد أن أسيح فى الأرض وأعبد الله . فقال : مثلك لا ينبغى أن يخرج ، فأنا لك جار ، ارجع واعبد ربك ؛ وصحبه ابن الدغنة حتى أتى قريشا وقال لهم : مثل أبى بكر لا يصح أن يخرج . فقبلت قريش جوار ابن الدغنة ، وشرطوا على أبى بكر أن لا يعلن صلاته ولا قراءته . فقبل منهم ذلك ، ولكنه ابتنى لنفسه مسجدا فى فناء داره ، فكان يجلس فيه ويقرأ القرآن ، وكانت تجتمع عليه نساء المشركين وأبناؤهم معجبين به وبتقواه . نخشى المشركو

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يفتنهم مايرونه فيه ، فارسلوا لابن الدغنة يشكونه اليه ، فحضر وقابل أبا بكر وقال له : إما أن تقتصر على ما اتفقنا عليه وإما أن ترجع الىَّ ذمتى . فقال أبو بكر : إنى أرد عليك جوارك ، وأرضى بجوار الله ! فتقصده المشركون وألحقوا به من ضروب الاضطهاد مالا يصبر عليه إلا مثله

لجوء قريش الى المسالمة بعد يأسهم من تأثير الاضطهاد :

لما رأى المشركون أن ما صبوه على المسلمين من ضروب الأذى والاضطهاد لم يزدهم إلا تمسكا بدينهم ، وتعلقا بنبيهم ، اجتمع قادتهم وتشاوروا فيما يعملون . فأشار عليهم عتبة بن ربيعة العبشمى وكان سيدا مطاعا ، بأن يذهب الى محمد فيعرض عليه أمورا لعله يقبلها ويقلع عماهو ماض فيه . فقبلوا رأيه . فذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم فصادفه يصلى ؛ فلما أتم صلاته فاتحه الحديث وقال له : « ياابن أخى إنك منا حيث قد علمت ، من خيارنا حسبا ونسبا ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت أحلامهم ، وعبت آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها »

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « قل يا أبا الوليد أسمع » .

فقال له الوليد : « يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ؛ وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ؛ وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ؛ وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيٌّ من الجن لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوَى » .

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد فرغت يا أبا الوليد » ؟

قال نعم .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : فاسمع منى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيراً ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه ، وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون . قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد ، فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين . الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون . قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ، ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها ، فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى دخان ، فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم . فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله ، قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ، فانا بما أرسلتم به كافرون »

لما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا الحد ، أمسك عتبة بفيه وناشده الرحم أن يكف عن قراءته .

فلما رجع عتبة الى قريش قال لهم : والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط . والله ما هو بالشعر ، ولا بالكهانة ، ولا بالسحر . يامعشر قريش أطيعونى فاجعلوها لى ، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه . فوالله ليكونن لكلامه الذى سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فعزه عزكم !

فقالوا له : لقد سحرك محمد !

فقال لهم : هذا رأيى ، وتركهم وشأنهم .

يتجلى من سفارة عتبة بن ربيعة الى النبي صلى الله عليه وسلم أمر ذو دلالة قوية فيما نحن بصدده : ذلك أنه فى كل ما قدمه من المغريات لخاتم المرسلين كان همه مصروفا الى شيء واحد وهو المحافظة على الحالة التى كانت قريش عليها ، فلو كانت هنالك حركة تطور لظهرت جلية فى كلامه ، بل لجعلها محور حواره ، ولما عاد الى قومه لم ينصحهم باتباعه ، بل لم يتبعه هو نفسه ، وكل ما أشار عليهم به أن يتركوه وشأنه ، فإما أن يكفيهم الناس أمره فيطمئنوا على عاداتهم ووثنياتهم ونظامهم الاجتماعى ، وإما أن تكثر أنصاره ويسود فيستفيدوا من علو شأنه باعتبار أنهم قومه وأقرباؤه ، وليس هذا شأن الجماعات التى نشأت فيها عوامل النهوض والتطور . وليتهم رضوا بهذه الحالة من الحياد التى دعاهم اليها عتبة ، ولكنهم رأوها مما لا تطاق حيال دعوة يوشك أن تثمر ثمراتها فتنقلهم مما جمدوا عليه آمادا طويلة ، ولا يبغون عنه حولا .

إن الذين يريدون الغض من تأثير الاسلام فى الأمة العربية لتقليل شأن الرسالة المحمدية ، يبذلون جهدا عظيما فى تمويه هذا التعليل ، ويفتتن بهم بعض المسلمين بقصد تمجيد الأمة العربية ، ولكن لا أولئك ولا هؤلاء يستطيعون أن يأتوا على ما يقولون بسلطان بين ، لا سيما وأن أدوار المشادة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين لم تقف عند هذا الحد ، كما ستراه فى المقالات التالية مما لا يدع مقالا لقائل ، إن شاء الله ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

تتمة تفسير سورة الاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

أسمعناك فى مقالنا السابق من دلائل الإلهية وآيات الربوبية ما ينشرح به الصدر ، ويتضح به الأمر ، على نهج ما تفنن فيه كبار الفلاسفة قديما وحديثا ، سالكين فى ذلك طريقة القرآن من الوضوح والبيان ؛ وسنسمعك اليوم ما يزيد به إيمانك ، ويتم به إيقانك ، إن شاء الله . ولا غرو فهو أجل المطالب وأعظم الرغائب ، فأقول وبالله التوفيق :

إن رقيق الوجدان كلما لمس شيئا أو نظر الى شيء أحس بوجود الله عز وجل ، وكأن شيئا يضرب على أوتار قلبه الحساسة فتشاهد روحه من وراء ستر ذلك المنظور أو الملموس فاعله الذى أثر فيه ، ومبدعه الذى تجلى بين خوافيه ، لأن الروح الانسانية لا تعقل أثرا بلا مؤثر ، ولا نظاما بلا منظم ، ولا حكمة بلا حكيم ، ولا سراً بلا عليم ، بل وجود الله عز وجل عند الانسان الذى لم تفسد إنسانيته من أول ما غرس فيه ، فهو أوضح بدهياته ، وأول أولياته ، متى أحس بروحه أحس به ، لأنه لا يعقل وجوده بنفسه ، فهو مقترن بوجوده ، والاحساس به ملازم للإحساس بنفسه ، ولا يمكن أن ينطفىء ذلك منه وإن كان يغفل عنه « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » « أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون » « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب »

إحساس بين أعماق القلوب وطوايا النفوس ، أقرب اليها من الاحساس بأجسامها لأنها أجنبية عنها يجوز ألا تحس بوجودها كما لا يحس الأجنبي بالأجنبي ، وأما وجودها فلا يمكن أن تغفل عنه ، ومع وجودها وجوده ، وفى أعماقها فيضه وجوده ، وفى أحداقها النظر اليه ، ومركوز فى طبيعتها التعويل عليه حتى من الكافرين « وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما » « وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه »

وسر ذلك أن طينتها معجونة بمعرفته واللجأ اليه ، والإحساس به مفاض عليها من نوره

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بحيث يجعلها تذهل عن نفسها ولا تذهل عنه ، لحياتها فى الحقيقة بأنسه ، وفرحها ليس إلا بنور قدسه ، فلا يمكن أن يفارقها إحساسه ، أو يزاولها إيناسه ، ولكن الناس نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فبقهره وعظمة قدرته أذهلهم عنه وأبعدهم منه ، فسبحان من يحول بين المرء وقلبه ، ويضع الحجاب بينه وبين ربه ، وهو أقرب اليه من حبل الوريد . غاية الأمر أن الأوهام البشرية والخيالات الجسمانية التى لا تعرف غير المحسوسات ، ولا تتصور غير المكيفات ، ولا تعقل غير المحدودات ، ولا تفهم غير المتشكلات المحصورات ، أرادت أن تعرفه على نحو ما عرفت به مألوفاتها ، وهى لا تعرف إلا ما كان محددا مقيدا ، وهو يعلو عن التحديد والتقييد ، فأرادت أن تحصره وهو لا ينحصر ، وأن تكيفه وهو لا يتكيف ، وأن تقيده وهو لا يتقيد ، وأن تنهيه وهو لايتناهى ، فنفر منها وبعد عنها ، فلم تقع عليه ولم تصل اليه ، ونادى منادى العزة : إنك أيتها العوالم السفلية قاصرة عن درك علاه ، أو بلوغ سناه ، أو معرفة مداه ، فليس فيك صلاحية لذلك ، ولا خلقت قابلة لما هنالك ، فلك حد مرسوم ، ومقام معلوم ، فكما أن العين لا تدرك الهواء وهى واقفة مع رقتها على ماحد لها من درجتها ، كذلك الخيال لا يرتفع عن درجة المحسوسات ، ولا يعلو الى أفق الروحانيات ، ومحال عليه أن يعرف رب الأرض والسموات ، الذى جل عن الكيفيات ، وعلا عن القياس وتنزه عن إدراك الحواس .

ولكن فيك أيها الانسان عالما يعرف التنزيه ، ولا يقف عند التشبيه ، فيمكنه أن يستلمع شعاع تلك الأنوار ، ويرى عظمة سرادقات الملك القهار ، ويلمح بوارق تلك الحضرات ، ويكتحل بجمال تلك الإشراقات . وأما أنت أيتها العوالم السفلية فليس مقرك إلا عالم التحديد ، وليس لك من هذا المقام إلا صفة العجز والتقليد ، فقلدى الروح فيما توحيه اليك وتلقيه عليك ، فهى التى تعرف وتعترف ، وتسجد وتقترب ، فليعرف كل عالم من عوالمك قدره ، ولا يتجاوز طوره ، فان طلبت أن تعرف عوالمك السفلية فقد طلبت أن تحدده ، والمحدود لا يكون إلها للاشياء ، بل يكون له مالها ، وعليه ما عليها ، وما هى إلا نزعة عباد الأصنام وأسراء الأوهام .

ولعمرى لو رجعت الى نفسك ، ولم تتقيد بمألوفات حسك ، لوجدتها أول البديهيات ، وأوضح الواضحات ، لا تحس بوجودك إلا أحسست بوجوده ، غير أنك لا تعرف التحديد ولا تقع عليه بالتكييف ، والإله يجب أن يكون كذلك ، وإلا لم يكن إلها كما قلنا ، بل أقرب لك الأمر بأن روحك وهى التى أمدتك بكل شىء ، وأفاضت عليك كل شىء ، ولست شيئا إلا بها بل ما أنت إلا هى ، ومع ذلك لا تعرفها ولا تحيط بها لمزيد لطافتها ، وخروجها عن عالم التقييد والتكييف : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

فـ[illegible] تطمع فى إدراك اللطيف القدوس الذى فوق كل شىء وما يماثله شىء ? جل أن [illegible]

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الملائكة أو تماثله الروح « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » ، بل أنزل بك الى ما هو أقرب من هذا ، فإنه لا يمكنك أن تعرف عالم الجن فانك لا تستطيع أن تعرفه ، بل لديك من الماديات التى بين يدك وتحت أمرك وتصرفك مالم تصل اليه ولم تعرف كنهه ، مثل الكهرباء والسر المودع فى المغناطيس ، الى غيرذلك من أسرار الطبيعة التىأودعها الله فى المادة ولم يعرفوا إلا ظواهرها لا حقائقها ، بل لم يعرفوا حتى الآن ما هى المادة وما حقيقتها ، الى آخر ما قرره العلماء من مواقف العقول التى خروا لها ساجدين ، وظلوا أمامها مبهوتين ، مع كونها من العالم الكثيف لا من العالم اللطيف ،ومن الماديات لا من الروحانيات ، فما أجدرنى أن أنشد قول الغزالى :

قل لمن يفهم عنى ما أقول ... قصّر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه ... قصرت والله أعناق الفحول

هذا ، وما تدركه القلوب وتشاهده البصائر أكبر من كل ما يقال ، ومن ذاق نور الوجود الحق بوجدانه وأدرك الأمر من أصله فهو غنى عن البيان ، ومن وصل الى حد العيان فلا حاجة به الى البرهان . وعلى كل حال فنطاق التعبير قصير مهما بالغ صاحبه ، فارجع الى نفسك تجد الأمر أوضح من الشمس وأبين من الحس ، وإذا عرفت الأمر من نفسك وجدت كل شىء بعد ذلك أكثف من ذلك الوجدان ، ولا معنى لأن تطلب شيئا تجده فى نفسك وتحس به فى أعماق قلبك ، ومن كان فى أصل الشجرة فلا معنى لأن يستدل بأوراقها عليها ، بل يعرف أوراقها وغصونها وثمارها وخواصها التى هى ظلها ومستمدة منها ، ولا قوام لها إلا بها ، مما يشاهده عيانا ووجدانا من أصل تلك الشجرة التى يحس بها مغروسة فى نفسه وبين أعماق قلبه ، وإذا كان الشىء أقرب الأشياء إليك وأخذت تبحث عنه من بعيد ، كان ذلك سببا فى عدم وصولك إليه لا فى عثورك عليه .

ولا بأس أن نذكرك بما قلناه فى بعض ما كتبناه : إن الحمار إذا ضربه ضارب ، التفت لينظر الضارب ، لأنه لا يجوّز أن يوجد ضرب بلا ضارب . فمن أنكر وجود الله وهو يشاهد آثار صنعته ومظاهر قدرته وبدائع حكمته ، فهو أجهل من الحمار ، الذى لا ينكر المؤثر مع وجود الآثار . وقد قال لى يوما بعض أذيال الماديين : بماذا تردون على الطبيعيين الذين لايقولون بشىء وراء المادة ؟ فقلت له : إن الرجل العامى المسلم يمكنه أن يفحم أساطين الماديين ، فضلا عن العلماء والفلاسفة من الموحدين ، فإن ما يشاهده ذلك العامى من حوادث الجن التى يعرفها حق المعرفة ، وقد شاهدها مرارا ، تخرق كل نواميس المادة التى يقدسها الماديون ولا يثبتون شيئا وراءها .

وقد جاء فى أحد أعداد المجلة الطبية الباريسية هذه العبارة : « ليست الفكرة الواحدة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إلا اتحادا يشبه اتحاد حمض « الفوسفوريك » والتفكر نفسه ناتج من الفسفور الذى هو فى تركيب المخ . فرد عليها العلامة الشهير « كاميل فلامريون » قائلا : من أخبركم بذلك يا حضرات المحررين ؟ إن الناس يتوهمون أن معلميكم يعلمونكم هذه الهذيانات مع أن الأمر بخلاف ذلك ، لأن هذه الادعاءات ليست أمام النظر العلمى إلا هباء منثورا . على أنى لا أدرى أى الأمرين يستحق أن يتعجب منه أكثر : أمن هذه الجسارة الصادرة من هؤلاء الممثلين العجيبيين للعلم ، أم من سخافة ادعاءاتهم ؟! إن نيوتن كان يقول : « يظهر لى » وديكرت كان يقول : إنى أستنزل حلمكم فى هذه الفروض . ولكن هؤلاء يقولون : نحن نثبت ، نحن ننكر ، هذا موجود ، هذا غير موجود ، العلم قد حكم ، العلم قد أقر ، العلم أدحض ، مع أنه ليس فيما يقولون ظل من البرهان العلمى . الى أن قال : إنكم تتجاسرون أن تعزوا للعلم هذا العبء الثقيل ، ولئن سمعكم العلم أيها السادة لقد حق له أن يضحك استهزاء من غروركم ! الى آخر ما قال .

ولنختم كلمتنا هذه بقول الله عز وجل : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » . فانظر لنفسك وأشفق عليها ، فان الأمر والله جلل « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها » . ولنقل من كل قلوبنا :

اللهم يا من ليس فى السماء من قطرات ، ولا فى الأرض من حبات ، ولا فى هبوب الريح من ولجات ، ولا فى قلوب الخلق من خطرات ، ولا فى أعضائهم من حركات ، ولا فى أعينهم من لحظات ، إلا وهى لك شاهدات ، وعليك دالات ، وبربوبيتك معترفات ، وفى قدرتك متحيرات . فأسألك يا ألله بالقدرة التى تحير بها من فى الأرض والسموات ، أن تملأ قلوبنا يقينا ، وأن ترزقنا حبك وحب من أحبك ، وحب ما يقربنا الى حبك ، وأن لا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين بمنك وكرمك ؟

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السُّنَّة

الوحى

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علىّ فيَفصمُ عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول . قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيَفصمُ عنه وإن جبينه لَيتفصّد عرقا » . رواه البخارى :

رأينا من الحسن أن نقصر كتابتنا فى مجلة الأزهر على شرح أحاديث البخارى الهامة فى كل باب من أبوابه ، لينتفع به طلاب العلم وغيرهم من قراء المجلة ، ورأينا أن نبدأ بهذا الحديث من أحاديث الوحى ، والله المستعان :

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور : (١) معنى الوحى وبيان أقسامه (٢) كيف يتمثل الملك فى صورة رجل ؟ وهل الملك مادى أو مجرد عن المادة ؟ (٣) شرح باقى ألفاظ الحديث .

(١) يطلق الوحى فى اللغة على عدة معان ، منها الرسالة ، فيقال : أوحى اليه وحيا بمعنى أرسل اليه برسالة . ويطلق أيضا على الإلهام وعلى الكلام الخفى ، فيقال : أوحى اليه : بعثه وألهمه .

وأما الوحى فى اصطلاح الشرعيين فيطلق على أمور أيضا ، أحدها : أن يلهم الله رسله ما يشاء من أحكام وغيرها ، بمعنى أن يلقنهم إياها على وجه لا يحتمل الخطأ .

ثانيها : الرؤيا فى المنام ، فاذا أمر الرسول فى نومه بأمر من قِبل الله عز وجل ، أو نهى عن أمر أو أخبر بخبر ، فانه يكون وحيا صادقا لا شك فيه . ومن ذلك ما رآه إبراهيم فى نومه من ذبح ولده إسماعيل ، وما روى من أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى رؤيا جاءت كفلق الصبح . ويعلل الفلاسفة ذلك بأن الروح الانسانية التى تدرك وتدبر الانسان مجردة عن المواد الحيوانية ، فهى أمر معنوى ، ومتعلقة بالانسان تعلقا معنويا لتدبره وتتصرف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى أموره ، ومن شأن المجرد الاطلاع على الأمور الغيبية ، ولكن اشتغال الروح حال اليقظة بتدبير البدن يحول بينها وبين الاطلاع على الغيب ، فاذا نام الانسان وانصرفت عن تدبيره ، واتصلت بالملأ الأعلى كما هو شأنها : فاذا كانت صافية غير ملوثة بالشهوات الفاسدة كان إدراكها للغيب كاملا ، وكانت الصور التى تدركها هى بعينها التى ستقع بدون تغيير ما ، كما هو الحال فى الأنبياء والرسل وأتباعهم الصالحين ، أما إذا كانت الروح ملوثة بالشهوات الفاسدة واللذات المحرمة ، فان صفاءها يتغير بهذه الشهوات ، ويكون مثلها كمثل المرآة التى يعلوها الصدأ فلا تنطبع فيها الصور على وجه صحيح ، كما هو الحال فى غير الأنبياء والصالحين . وهذا تعليل حسن معقول ، وقد أقره صاحب الفتوحات المكية فى مبحث الرؤيا ، وأبان فيها الفرق بين الرؤيا بهذا المعنى ، والرؤيا بمعنى طرد الصور المخزونة فى الدماغ ، وهى التى تدرك بالحواس فى حال اليقظة وإذا نام الانسان تمثلت له فى صورة مختلفة . فالرؤيا تارة تكون متعلقة بأمر قد وقع قبل النوم وبقيت صورته فى الدماغ ، وتارة تكون متعلقة بأمر لم يقع أصلا .

ثالثها : أن يكلم الله الرسل من وراء حجاب ، كما وقع لموسى صلوات الله عليه . وقد اتفق علماء التوحيد على أن الله سبحانه منزه عن المكان والجهة ، وعلى أنه تعالى منزه عن الكلام اللفظى المشتمل على الحروف والأصوات ، وعلى أنه تعالى لا تدركه الأبصار . فإذا كان المراد بتكليم موسى أن الله كلمه بكلام مؤلف من حروف وألفاظ تنقضى بمجرد النطق بها ، فلا نزاع فى أن معنى هذا أن الله خلق له الكلام وخلق فيه إدراك معناه . وإذا كان المراد أنه خلق فيه قوة لإدراك كلامه القديم ، فذلك مما لا فائدة له ولا معنى له فى هذا المقام ، لأن المقام مقام تكليف برسالة تبلغ للناس ، وكلام الله القديم على تسليم أنه صفة حقيقية قائمة بذاته منزه عن الحروف والأصوات ، ولا ضرورة لتكليف موسى بالاطلاع عليه فى هذه الحالة . فلا بد من الرجوع الى المعنى الأول وهو أن الله خلق له الكلام وأفهمه إياه بالوسائل التى أرادها سبحانه .

رابعها : أن يرسل الله تعالى ملكا الى أنبيائه ليبلغهم ما يشاء ، وهذا هو الغالب كما صرحت به الأحاديث الصحيحة الأخرى .

(٢) وإليك بيان ما قيل فى معنى الملائكة : اتفق المسلمون وغيرهم من أهل الكتاب على أن لله ملائكة ، ولكنهم اختلفوا فى بيان معنى الملك ، وجمهور علماء الكلام والحديث يقولون إن الملائكة مخلوقة من مادة . أما فلاسفة الاسلام فانهم يقولون إنها مجردة عن المادة ، وسواء أكانت مادية أم مجردة عن المادة ، فقد اتفقوا على أن لها قدرة على التشكل فى صور مختلفة . وقد عرفها المتكلمون والمحدثون بأنها أجسام هوائية لطيفة تقدر على التشكل بأشكال

oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

مختلفة . وبعضهم عرفها بأنها أجسام نورانية تقدر على التشكل . ولعلهم يريدون أنها مخلوقة من مادة الهواء ولكن قد جملهم الله فجعلهم كالنور . أما فلاسفة الاسلام فإنهم يقولون إنها مجردة عن المادة كالروح الانسانية ، ولكنهم يقولون إن الله تعالى يلبس كل ملك الصورة التى يريدها ، ومن ذلك قوله تعالى : « جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة » .

وبيان ذلك : أن الفلاسفة يقولون إن العالم منه ماهو مجرد عن المادة ، ومنه ماهو مادى ، وليس من المعقول إنكار المجردات عن المادة مع كون الانسان نفسه مشتملا على كثير من الأمور المعنوية الوجودية المجردة عن المادة . وكيف تنكر المجردات مع كون الالفاظ التى ينطق بها الانسان لها معان ثابتة وهى مجردة عن المادة ، وكذلك الحب والغضب والفرح ونحو ذلك من الأمور التى يترتب عليها آثار ظاهرة مع كونها أمورا معنوية صرفة لا يمكن لأحد أن يعرف حقيقتها . وإذا ثبت أن بين الممكنات المحسة أمورا معنوية لا يمكن لأحد أن يدرك ماهيتها ولا يحكم عليها بالتحيز فى المكان ونحوه مما تستلزمه المادة ، فلا معنى للحكم بأن كل شىء مادى . ولهذا ذهب بعض فلاسفة الاسلام (ومنهم الامام الغزالى) فقالوا : إن الروح الانسانية مجردة عن المادة ، وإنها متعلقة بالبدن تعلقا معنويا كتعلق العاشق بمعشوقه ، فكما أن علاقة العشق أمر معنوى لا يمكن لأحد أن يدرك حقيقتها فكذلك الروح الانسانية التى بها الإدراك الكلى مجردة عن المادة ، ومثلها الملائكة . وهو الظاهر المعقول الذى يؤيده ظاهر القرآن الكريم ، فقد قال تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » ، وهذه الإجابة تدل دلالة واضحة على أن الروح ليست مادية ، لأنها لو كانت كذلك لأوحى الله الى نبيه معناها المادى خصوصا فى مقام التحدى ، لأنهم كانوا يريدون أن يتحدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا السؤال ، ولذا قال بعد هذا : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . فهو سبحانه خاطب السائلين من أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين بانهم عاجزون عن إدراك حقيقة الروح وغيرها من الأمور المعنوية التى خلقها الله تعالى ، بل هم عاجزون عن إدراك حقائق الأمور المادية كذلك ، لأن الانسان عاجز عن العلم بحقائق الأمور البسيطة التى يعجز عن تحليلها ، وكل ما يستطيع هو معرفة أجزاء المركبات من عناصر مختلفة ، حتى إذا انتهى الى أجزائها التى لا يمكن تحليلها وقف عند هذا الحد من العلم . وقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن لا يجعل للنوع الانسانى حاجة الى معرفة حقائق الأشياء ، بل جعل حاجته الى خواصها ومزاياها . فالانسان من حيث هو إنسان ليس فى استعداده إدراك حقيقة المجردات مطلقا ، وليس فى استعداده إدراك حقيقة الأجزاء التى ينتهى اليها تحليل المركبات المادية ، وكل ما يمكن أن يعلمه الانسان إنما هو خصائص هذه المركبات ومزاياها التى ينتفع بها النوع الانسانى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن هذا تعلم أن العالم الممكن منه ما هو مادى ومنه ما هو مجرد عن المادة ، والملائكة من المجردات ، ولها قدرة على التشكل بأشكال مختلفة . هذا هو رأى فلاسفة الاسلام .

أما المتكلمون والمحدثون فقد أنكروا المجردات عن المادة بتاتا وقالوا : إن المنزه عن المادة وعلائقها هو الله وحده ، ومع ذلك فقد قالوا إن الملائكة مع كونهم ماديين مخلوقين من الهواء فإن لهم قدرة على التشكل بأشكال مختلفة .

ولكن الفلاسفة الذين يقولون إن الملائكة مجردون عن المادة ، يقولون إن تعريف الملائكة بأنهم أجسام هوائية لطيفة يرد عليه أمران :

(أحدهما) أن الجسم اللطيف لا يقدر على الأفعال الشاقة ، بل هو يتلاشى بأقل قوة وبأدنى سبب يصل اليه من الخارج ، وهذا لا يتفق مع ما ورد من أن الملائكة لها قوة وبطش لا حد لهما بالنسبة لجميع الأجسام المخلوقة . والجواب : أن القوة والبطش وشدة البأس لا تتنافى مع الدقة واللطافة ، لأن الله تعالى قادر على أن يمنح اللطيف قوة عظيمة لا يوجد عشر معشارها فى الأجسام الضخمة . وذلك مشاهد محس فى كثير من الأجسام ، فإن الانسان الرقيق القوام قد يأتى بأفعال شاقة عظيمة يعجز عن القيام بها ذوو الأجسام الضخمة ، فانه قادر على أن يفتل الحديد ويكسر الحجر ويتسلط بقوته على صاحب الجسم الضخم ، بل نرى كثيرا من الحيوانات الرقيقة القوام لها قوة تفتك بكثير من الحيوانات الضخمة . وهذا هو الأسد الصغير يمكنه أن يفتك بالجمل الغليظ ، وبالحمار الضخم وغيرهما من الحيوانات . فالقوة لا تتبع الأجسام ولكنها فى الواقع مستندة الى إرادة الإله القادر الذى يفعل ما يشاء . وهذا الجواب حسن .

(ثانيهما) أن يقال : ما فائدة تشكل الملائكة بأجسام قابلة للتأثر بما يتأثر به الجسم الانسانى مع كون الوحى لا يستلزم هذا التشكل كما عرفت مما ذكرناه لك فى معنى الوحى ؟ وقد يجاب عن هذا بأن تشكل الملك بشكل الانسان لكون طبيعة الانسان لا تأنس عادة إلا الى نوعه . فالرسل صلوات الله عليهم وإن كانوا قد يتصلون بربهم بدون واسطة ملك يتمثل فى صورة الانسان ، ولكن مجىء الوحى فى صورة إنسان يستلزم زيادة أنس واطمئنان للرسول ؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم : إن أحسن الأحوال عنده هى الحالة التى كان يأتيه الوحى فيها فى صورة دحية الكلبى ، وهى صورة رجل جميل من أصحابه . وذلك لأن طبيعة الانسان مهما كان حاله من القرب بربه أكثر ميلا وأشد اطمئنانا الى تلقى الأوامر الالهية من إنسان مثله . على أن سنة الله فى خلقه قد اقتضت أن تكون أوامره ونواهيه بواسطة رسل من النوع الانسانى غالبا ليقطع على المنكرين حجتهم ، ويسد عليهم باب العناد فى طلبهم الاتصال بالإله مباشرة ، فكأنه سبحانه يقول لهم : إن هذا الرسول مع كونه من المقربين الىّ بشر مثلكم ، ولا يمكن أن أرسل اليه ملكا على الهيئة التى خلقته عليها ، لأن الانسان من حيث

oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

هـو إنسان عاجـز عن إدراك حقيقة الملك ، وعاجز عن التفاهم معه ، كما لا يمـكن لبشر أن يتصل بى اتصالا مباشرا وهـو على حالته المادية التى تحول بينه وبين المنزه عن جميع المواد وتحجبه عن إدراكه ؛ وبذلك يرد عليهم طلبهم الذى طلبوه عنادا . ولهـذا قال تعالى : « ولو جعلناه ملـكا لجعلناه رجلا و لَلَبَسنا عليهم ما يلبِسون » . وذلك لأن المشركين اقترحوا أن يرسل الله مع محمد ملـكا يبلغهم ، أو يأتيهم ملك بدون محمد ليبلغهم رسالة ربهم ، فرد الله عليهم ذلك بقوله « ولو جعلناه ملـكا » الخ .

هـذا هو اعتقاد علماء المسلمين وفلاسفتهم ، وهو لا ينافى القول بأن الأرواح مجردة عن المادة ، لأن المسلمين الذين يقولون بتجردها عن المادة يقولون إنه لا مانع من أن هذا المجرد يتعلق بمادة ذات صورة من الصور المألوفة للرسول .

أما الفلاسفة الذين ينكرون تعلق المجردات القائمة بنفسها بمادة تتشكل فيها بأشكال مختلفة فان قواعـدهم لا تأبى أن تكون الملائـكة أرواحا مجردة عن المادة ، ولـكنهم ينكرون نزول الوحى فى صورة إنسان أو غيرها من الصور . وهذا الانـكار ليس مبنيا على استحالة عقلية ، بل كل ما قالوه فى هذا المقام أن تشكل الملك فى صورة إنسان أو فى صورة شىء له طنين كطنين الجـرس ، يرفع الثقة بالوحى لجواز أن يكون الملك نحلة تطن أو يكون إنسانا آخـر غير ملك . ولـكن هـذا الـكلام صادر عن غفلة بمقام الرسول ، وجهل بالشرط الأساسى الذى تنبنى عليه الرسالة ، وهو أن الرسول معصوم عن الخطأ فى فهم جميع ما يأتيه من عند الله ، فمحال أن يشكل على الرسول أمر الملك ، ومحال أن يأتيه رجل آخر فى صورة دحية أو غيره ويبلغه عن ربه كذبا . ومن هـذا يتضح أن الملك سواء كان مجردا عن المادة أو كان ماديا فانه لا يأتى الرسول غالبا فى صورته الحقيقية ، وقـد عرفت أنه لا مانع من أن يلبس صورة بشر أو غـيرها من الصور التى يريدها الله تعـالى . والظاهر المعقول يؤيد فلاسفة الاسـلام القائلين إن الملائـكة مجردون عن المادة والله تعالى يلبسهم الصور التى يريدها .

أما الذين ينكرون وجود الملائـكة رأسا فهم مارقون من الدين الاسلامى وغيره من الأديان التى لها كتاب ، وذلك يدل على أنهم قريبون من الماديين الذين ينكرون الإله وينكرون كل معنى من المعانى الغيبية ، فهم قوم لا يؤمنون بالغيب ، وبذلك يهدمون قواعد الأديان : من وجود إله ، ووجود يوم القيامة ، وغير ذلك . وهذا جهل وسخافة ، فإن كثيرا من الأمور المادية التى لم تكن مألوفة فى زمن من الأزمان وكان الإخبار بوجودها يكاد يكون مستحيلا عند أمثال هؤلاء ، قـد أصبحت أمورا عادية يدركها الصغير والـكبير ، كاللاسلـكى ، فإننا قبل وجوده ما كنا نـكاد نصدق بأن شخصا يتـكلم وراء البحار بكلمة فنسمعها بمجرد أن ينطق بها ، وغير ذلك من الأمور التى جاء بها العلم ، فهى تدل على أن الله تعالى قد أودع فى هذا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العالم من الأسرار والحكم ما لا يحصيه إلا هو ، سبحانه وتعالى ، كما قال : « ويخلق ما لا تعلمون » .

(٣) أما شرح باقى ألفاظ الحديث فإن معنى قوله : « كيف يأتيك الوحى » يحتمل أن يكون المراد به السؤال عن معنى الوحى الذى بيناه آنفا ، فكأن السائل يقول له : ما معنى الوحى ؟ وقد عرفت أنه يطلق على الإلهام ، وعلى الرؤيا الصالحة ، وعلى تكليم الله الرسل من وراء حجاب ، وعلى ما يجىء به الملك من أوامر ونواه وغيرها الى الرسل . ويحتمل أن يكون المراد به السؤال عن صفة حامل الوحى نفسه وهو جبريل ، فكأنه يقول : ما صفة الملك الذى يأتيك بالوحى ؟ ويحتمل أن يكون المراد به السؤال عن الأمرين معا . وقد تضمنت إجابة النبى صلى الله عليه وسلم بيان الأمرين ، فقد بيّن له صفة الملك الذى يأتيه بأمر الله ونهيه وخبره ، واقتصر عليه لأنه هو الغالب الذى نزل به القرآن ، أما بقية أحوال الوحى من رؤيا وتكليم الله بلا واسطة فإنه قليل .

ومعنى صلصلة الجرس : صوت الجرس . والحكمة فى ذلك واضحة ، وهو تنبيه الرسول الى ما سيلقى عليه من قول الله عز وجل . وقد يوضح معنى هذا : الأجراس (الكهربائية) الموجودة فى زماننا . ولا خفاء عندى فى جوازها ، أما النهى عن استعمالها فهو مختص بما له نغم يستعمل فى الملاهى وإثارة الشهوات . ولا أدرى كيف ينهى عن استعمال الأجراس المفيدة للتنبيه المترتب عليه كثير من المنافع الهامة المشروعة مع كون قواعد الدين الاسلامى مبنية على جلب المصالح دائما ، ومع كون النبى صلى الله عليه وسلم قد صرح بأن الوحى نفسه كان يأتيه على هذه الحالة ؟

وقوله صلى الله عليه وسلم : « وهو أشده علىّ » : يفيد أنه كان يجد صعوبة فى تلقى الوحى على أى حال ، ولكن هذا الحال أشد عليه من غيرها . وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس خشية من الله عز وجل ، وأشدهم خوفا منه تعالى ، وأعلمهم بقدرته وبطشه بالكافرين ، فكان عند مجىء الوحى تتمثل له عظمة الإله القادر القاهر ، فيشتد خوفه من الله ، ويتأثر لمعانى القرآن على الوجه الأكمل ، خصوصا أنه كان حذرا على قومه من أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم التى قبلهم من الهلاك والدمار فيضطرب فؤاده ، ولكن الله يثبته بقدرته فيحفظ ما يلقى عليه . على أن الظاهر أنه فى هذه الحالة كان يأتيه الملك (جبريل) وهو على حالته الروحية ، وقد جرت العادة أن النوع الانسانى تغلب عليه البشرية حال اليقظة فيجد صعوبة فى التفاهم مع الروحى .

وقول عائشة : « فيفصم عنه » معناه : ينفصل عنه ويفارقه . وقولها : « ليتفصد عرقا » معناه : يسيل عرقا كثيرا كالدم الذى يسيل بسبب الفصد ؟

عبد الرحمن الجزيرى

oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

قادة الفكر فى تاريخ الاسلام

— ٨ —

على بن أبى طالب

لم تلق شخصية من شخصيات التاريخ الاسـلامى من المحن والابتلاء فى حياتها العملية الاجتماعية مثل مالقيته شخصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقد خرجت من هذا الامتحان المرير أنبل ما تكون علما وفقها ، ورجولة ، وشجاعة فى الحق ، واستمساكا بالدين والتقى ، وإعراضا عن زخرف الحياة وزبرجها ، ولو شاءها لزويت بين يديه وكان له منها أوفر حظ وأوفى نصيب .

كانت فتنة المروانيين فى أواخر عهد عثمان رضى الله عنه فتنة هوجاء ، عميت مسالـكها وغامت آفاقها ، فلم يعرف لها التاريخ صدرا ولا وردا ، وكانت الى ذلك أعظم البلايا التى أصابت كيان المجتمع الاسـلامى الفتى فعصفت بدعائمه القوية ، وفصمت وشائجه ، وعبثت برجالات الأمة فساطتهم سوط القدر حتى عاد أسفلهم أعلاهم وأعلاهم أسفلهم، فلم يسلم من شرها عظيم ، ولا نجا من هولها حقير ، خاض لها قوم سراب الأمانى خوضا ، ومرجوا فى خلالها مرجا ، أخذت بخلاقيم القادة من عظماء المؤمنين ، ودفعت بهم الى صدر القناة تنزف من صدورهم دماء الأسى والحسرة ، فلا يكادون يجدون سميعالصوت التبرى يخرج من أعماق أفئدتهم حتى يغشاهم صائح التهمة ينعق بهم ، وفى غمار هذه القواصم تزاحف الرعاء والغوغاء من أطراف الأرض الى عش الاسـلام يفتكون بالحرمات فتك الذئاب الجائعة بالحملان الضالة ، حتى تجمعوا حول دار الخلافة وفيها ثالث الراشـدين أمير المؤمنين ذو النورين عثمان بن عفان ، من لا تجهل سابقته ولا يجحد فضله ، فحاصروه ومنعوه الطعام والشراب ، فحاججهم وناشدهم الله والقربى وحاكمهم الى الحق والدين ، فلم يزدهم ذلك إلا إمعانا انتهى بقاصمة الظهر وفاقرة الاسلام ، وقتل الخليفة صابرا محتسبا ، والدين لا يزال غضا ، ومعالم النبوة قائمة ، ومنازل الوحى آهلة عامرة بالجلة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم !

إننا إذا نظرنا للأمر نظرة تاريخيـة صافية من كدورات العصبية العمياء لنستخرج منه العبرة الزاجرة والأسوة الصالحة ، ووضعنا الأمور فى أوضاعها ، ورددنا النتائج الى مقدماتها لنتعرف الحقيقة فى ذاتها ، تجلى لنا موقف علىّ كرم الله وجهه فى هـذه الفتنة الجائحة نقيا خالصا من شوائب الهوى ، وتجلى لنا الى جانب ذلك نفاذ بصيرته ، وصلابته فى الحق ، وعرفانه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بطبائع المجتمع الذى عاش فيه ، ولكنه لم يصدر فى جميع أعماله إلا عن وازع الدين وخشية الله ، وهذا مصداق فراسة عمر بن الخطاب يوم كلم رهط الشورى فكان من قوله لعلىّ عليه السلام : « « أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء » !

لقد كان علىّ رضى الله عنه رأس المسلمين ، ترمقه الأنظار وتهفو اليه القلوب ، فاذا جد الجد وحزبت الناس شدائد الأحداث تطلعوا اليه وصغوا الى رأيه ، فكان من الطبعى أن تجعله الأمة قطب الرحى فى هذه الأزمة الآزمة ، يدور حوله من كان صغوه اليه فى طمأنينة ورضا ، ويطيف به الآخرون يحصون عليه أنفاسه ويرقبون حركاته وسكناته ، فرقا من سطوته أن تبطش بأهوائهم ، ومن هنا كانت مغاليق التاريخ فى ذلك العهد ، وكانت ثائرات التهم الباطلة حول الأكابر من رجالات الاسلام ، وكان هذا التناقض الذى نراه فى كتب التاريخ . وكان أكبر معوان على استشراء الفساد تلك العناصر الجديدة التى دخلت فى تأليف المجتمع الاسلامى من غوغاء الأمم وذؤبان العرب ممن لم تخالط بشاشة الايمان قلوبهم ، وهم الذين تولوا كبر الفتنة وسفكوا الدم الحرام ، وفتحوا على الأمة أبوابا من الشر والبلاء لا تستطيع لها سدا .

إن التاريخ ليحمل فى ثناياه شواهد الصدق على أن عليا كرم الله وجهه لم يأل جهدا فى النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وقد بذل نفسه وفلذة كبده فى سبيل الذود عن حوزة الاسلام وخلافته فى شخص عثمان رضى الله عنه ، ولكن شيطان الفتنة الذى تقمص مروان بن الحكم كان يفسد عليه كل تدبير ورأى يعصم الأمة من التردى الى هاوية الفرقة والاختلاف .

يقول الواقدى : « لما أجلب الناس على عثمان وكثرت القالة ، خرج ناس من مصر فى ألفين عليهم أبو حرب الغافقى ، وخرج ناس من الكوفة فى ألفين منهم زيد بن صوحان العبدى ومالك الأشتر النخعى ، وخرج ناس من أهل البصرة عليهم حرقوص بن زهير السعدى ، وأظهروا جميعا أنهم يريدون الحج ، فلما كانوا من المدينة على ثلاث تقدم أهل البصرة فنزلوا ذا خشب ، وكان هواهم فى طلحة ؛ وتقدم أهل الكوفة فنزلوا الأعوص ، وكان هواهم فى الزبير ؛ وجاء أهل مصر فنزلوا المروة ، وكان هواهم فى علىّ ؛ ودخل ناس منهم الى المدينة يخبرون ما فى قلوب الناس لعثمان ، فلقوا جماعة من المهاجرين والأنصار ، ولقوا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنما نريد الحج ونستعفى من عمالنا ، ثم لقى جماعة من المصريين عليا وهو متقلد سيفه عند أحجار الزيت فسلموا عليه وعرضوا عليه أمرهم ، فصاح بهم وطردهم وقال : « لقد علم الصالحون أن جيش ذى المروة وذى خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ! » فانصرفوا عنه ، وأتى البصريون طلحة فقال لهم مثل ذلك ، وأتى الكوفيون الزبير فقال لهم مثل ذلك ، فتفرقوا وخرجوا عن المدينة الى أصحابهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أهل المدينة منهم واطمأنوا الى رجوعهم ، لم يشعروا إلا والتكبير فى نواحى المدينة وقد نزلوها ، وأحاطوا بعثمان ، ونادى مناديهم : يا أهل المدينة من كف يده عن الحرب فهو آمن . فحصروه فى منزله ، إلا أنهم لم يمنعوا الناس من كلامه ولقائه ، فجاءهم جماعة من رؤساء المهاجرين وسألوهم ما شأنهم ؟ فقالوا : لا حاجة لنا فى هذا الرجل ، ليعتزلنا لنولى غيره ، لم يزيدوهم على ذلك »

هذه الرواية تدلنا على أن هؤلاء الذين قدموا الى المدينة من الأمصار الثلاثة الكبرى متظاهرين بالحج ، كانوا على اتفاق وتدبير سابق للثورة على خلافة عثمان رضى الله عنه ؛ وتدلنا الرواية أيضا على أن رءوس الصحابة وفى طليعتهم على كرم الله وجهه لم يكونوا على شيء من علم ما دبر هؤلاء وائتمروا به ، وأنهم إذ علموا غضبوا أشد الغضب ولم يرضوا عن مسلكهم ، وزبرهم على رضى الله عنه ولم يشعرهم بمسكة من هوادة فى أمرهم ، وروى فى شأنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم أشد ما ينفر الناس عنهم وعن الاحتطاب فى حبلهم ، وأن الثائرين لما لم يجدوا من المهاجرين نصيرا دبروا أمرهم وبيتوا المدينة بعد أن خدعوا الناس برجوعهم ، وحصروا الخليفة فى منزله ، فلما سألهم رؤساء المهاجرين عن شأنهم لم يزيدوا على أن طلبوا عزل عثمان رضى الله عنه ليولوا غيره .

لو أن باحثا تقصى أسماء هؤلاء الثائرين وتتبع سيرتهم لأعياه أن يجد فيهم رجلا هذبه الدين وأدبته صحبة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولوجد كثرتهم أعرابية جافية لم يجاوز الايمان حناجرهم ، طمعوا فى السلطان لأنهم ألفوا عطفا ولينا ودعة ودنيا عريضة تفتح أبوابها لمن يغترف حتى أصبح أمر الأمة الى الغوغاء يولون الخليفة ويعزلونه وفقا لأهوائهم ، وليس للقادة ورؤساء المهاجرين من الأمر شيء ، فلم يبق إلا أخذ الأهبة والتشمير لإصلاح ذات البين والعمل على توقير الخلافة وتعرف أسباب الثورة والاحتكام الى الدين ، لئلا يستفحل الخطب ، ويطمع فى الأمر من ليس له بأهل ، ومن ثم ظهر القادة فى الميدان ليردوا شماس الثائرين ، ويكبحوا جماحهم ، ويرجعوا الأمور الى مشارعها ، فمشى على الى عثمان رضى الله عنهما بالنصيحة الصادقة ، فاستمع اليه عثمان وأنصف من نفسه ، ولكن شياطين الفتنة من أمثال مروان وابن أبى سرح من فتيان أمية الطامعين أبوا إلا أن يسعروا لظاها ، ولم يبالوا أن يكون ضحيتها عثمان رضى الله عنه .

روى أبو جعفر الطبرى فى تاريخه ما ملخصه : إن القوم لما نزلوا ذاخشب يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عما يكرهون ، وعلم عثمان ذلك ، جاء الى منزل على رضى الله عنه فدخل وقال : يا ابن عم : **إن قرابتى قريبة ولى عليك حق ، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبحى ولك عند الناس قدر ، وهم يسمعون منك ، وأحب أن تركب إليهم فتردهم عنى ، فان فى دخولهم**

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على وهنا لامرئ وجرأة على ! فقال عليه السلام : على أى شىء أردهم ؟ قال : على أن أصير الى ما أشرت إليه ورأيته لى ، فقال على رضى الله عنه : إنى قد كلمتك مرة بعد أخرى فكل ذلك تخرج وتقول وتعد ثم ترجع ، وهذا من فعل مروان ومعاوية وابن عامر وعبد الله ابن سعد ، فانك أطعتهم وعصيتنى . قال عثمان رضى الله عنه : فانى أعصيهم وأطيعك . فأمر على الناس أن يركبوا معه فركب ثلاثون رجلا من المهاجرين والأنصار حتى كلموا الناس ورجعوهم بأصحابهم الى بلادهم ، وأشار علىّ على عثمان أن يكلم الناس ليسكنوا الى ما يعدهم به من النزوع وقال له : إن البلاد قد تمخضت عليك ولا آمن أنه يجىء ركب من جهة أخرى فتقول لى : يا على اركب اليهم ، فان لم أفعل رأيتنى قطعت رحمك واستخففت بحقك . فخطب عثمان خطبة وعد فيها الناس النصفة ، وقال : « والله لأعطينكم الرضا ، ولأ نحين مروان وذويه ، ولا أحتجب عنكم » فرق له الناس وبكوا . قال أبو جعفر : فلما نزل وجد مروان وسعدا ونفرا من بنى أمية فى منزله قعودا لم يكونوا شهدوا الخطبة ولكنهم بلغتهم ، فلما جلس قال مروان : يا أمير المؤمنين أأتكلم أم أسكت ؟ فقالت نائلة ابنة الفرافصة امرأة عثمان : لا بل تسكت فأنتم والله قاتلوه وميتمو أطفاله ! إنه قد قال مقالة لا ينبغى له أن ينزع عنها . فشتمها مروان وعاد الى مساءلة عثمان رضى الله عنه ، ولامه على ما كان منه فى خطبته للناس ، وخوفه اجتماع الناس حول بابه ، فقال له عثمان : فاخرج أنت الى الناس وكلمهم فانى أستحى أن أكلمهم وأردهم ، فخرج مروان الى الناس وقد ركب بعضهم بعضا فقال لهم : ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم جئتم لنهب ، شاهت الوجوه ! أتريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ؟ اعزبوا عنا والله إن رمتمونا لنمرنّ عليكم ما حلا ، ولنحلن بكم ما لا يسركم ، ولا تحمدوا غب رأيكم ، ارجعوا الى منازلكم فانا والله غير مغلوبين على ما فى أيدينا ! فرجع الناس خائبين ، وأتى بعضهم عليا كرم الله وجهه فأخبره الخبر ، فأقبل على رضى الله عنه على عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهرى فقال : أحضرت خطبة عثمان ؟ قال : نعم ، قال : أحضرت مقالة مروان للناس ؟ قال : نعم ، فقال : « أى عباد الله ! يالله للمسلمين ! إنى إن قعدت فى بيتى قال تركتنى وخذلتنى ، وإن تكلمت فبلغت له ما يريد جاء مروان ويلعب به حتى قد صار سيقة له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ! » وقام مغضبا من فوره حتى دخل على عثمان فقال له : « أما يرضى مروان منك إلا أن يحرفك عن دينك وعقلك ، فأنت معه كجمل الظعينة يقاد حيث يسار به ، والله ما مروان بذى رأى فى دينه ولا عقله ، وإنى لأراه يوردك ثم لا يصدرك ، وما أنا عائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك ، أفسدت شرفك وغلبت على رأيك » !

هذا موقف علىّ رضوان الله عليه فى النصح لعثمان وتسديده ، يحمل فى طياته أصدق الإخلاص وأصفى الوفاء ، فلما أيس من استصلاح بطانته أو صرفه عن الانقياد اليها قعد فى بيته أسفا حزينا ، وعاد الناس على بدئهم ، واشتدوا على عثمان حتى منعوه الماء ، فبلغ عليا فغضب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من ذلك غضبا شديدا ولم يزل حتى أدخل عليه الماء ، ثم أرسل ابنه الحسن فى طليعة أبناء المهاجرين والأنصار ليكونوا فى حماية الخليفة والذب عنه ؛ ولأمر ما أبى عثمان رضى الله عنه مقام هؤلاء ببابه فأقسم عليهم أن يرجعوا الى منازلهم . قال الطبرى : « لما اشتد على عثمان الحصار أشرف على الناس فقال : « يأهل المدينة أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة بعدى ! » ثم لزم الدار وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم أن يرجعوا ، فرجعوا إلا الحسن بن علىّ ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وأشباها لهم » .

ويقول الواقدى : « واستقتل نفر من أهل المدينة مع عثمان منهم سعد بن أبى وقاص ، والحسن بن على ، وزيد بن ثابت ، وأبو هريرة ، فأرسل اليهم عثمان : عزمت عليكم أن تنصرفوا ، فانصرفوا » . والطبرى يروى أن الحسن بن على لم ينصرف مع من انصرف ، فقد قال له عثمان : « إن أباك الآن لفى أمر عظيم من أجلك ، فاخرج عليه ، أقسمت عليك لما خرجت » فلم يفعل ووقف محاميا عنه ، وخرج مروان بسيفه يجالد الناس فهاجوا وماجوا ، وانتهى الأمر بما بدأت به أعظم مأساة عرفها التاريخ الاسلامى ، وقتل أمير المؤمنين عثمان رضوان الله عليه مظلوما بأيدى الرعاع والسفلة ، وتدبير بطانة السوء .

وقد أجمل علىّ كرم الله وجهه موقفه وموقف الناس من هذه الفتنة فقال : « لو أمرت به لكنت قاتلا ، أو نهيت عنه لكنت ناصرا ، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه ، ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير منى ، وأنا جامع لكم أمره استأثر فأساء الأثرة ، وجزعتم فأسأتم الجزع ، ولله حكم واقع فى المستأثر والجازع » !

صادق ابراهيم عرجون

ذكاء العميان

عرف الناس فى كل زمان أن العمى يكونون سريعى الحفظ ، دقيقى الحس ، وكثير منهم وصل الى درجات عالية من الذكاء ، وما ذلك إلا لاعتمادهم على حافظتهم وذاكرتهم وشعورهم بعد ضياع بصرهم ، فصقلت هذه الحواس صقلا لا يحدثه غير مثل هذه الحاجة الماسة .

من هؤلاء قتادة بن دعامة فقد روى أنه كان يقول لقائده تجنب بى الحلَق التى فيها الخطأ فإنه ما وصل الى سمعى شىء فأداه الى قلبى إلا حفظته ولم أنسه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التجديد فى الاسلام

— ٧ —

« إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها »
حديث نبوى شريف

المجـــددون فى الاسلام

فى القرن الثانى الهجرى

الأئمة الأربعة : المأمون ، اللؤلؤى ، أشهب ، الحضرمى ، ابن معين .

ذكرنا من قبل ما قاله الحافظ ابن الأثير من أن المجددين للدين فى المائة الثانية الهجرية هم : من أولى الأمر : المأمون ، ومن الفقهاء : الامام الشافعى ، واللؤلؤى من أصحاب أبى حنيفة ، وأشهب من أصحاب مالك ، ومن القراء الحضرمى ، ومن المحدثين : ابن معين . وفى هـذا العدد نتكلم على هؤلاء ، ما عدا المأمون ، فقد سبق الكلام على شىء من صفاته وأحواله ، وما عدا الامام الشافعى ، فسيأتى الكلام عليه مع الأئمة الأربعة ، إن شاء الله تعالى .

١ — اللؤلؤى :

فمن هو اللؤلؤى ؟ هو الحسن بن زياد اللؤلؤى ، الكوفى ، تلميذ الامام الأعظم أبى حنيفة ، وأحد أصحابه الذين انتشر بهم مذهبه ، ويعتبر الحسن بن زياد مجتهدا مطلقا منتسبا الى أبى حنيفة ، كأبى يوسف ، ومحمد بن الحسن ؛ ونسبتهم الى الامام الأعظم كنسبة الشافعى الى مالك ، أو ابن حنبل الى الشافعى : أى أن نسبتهم اليه كنسبة المتعلّم للمعلّم ، ولم تكن كنسبة المقلّد لمقلّده .

طلب الحسن بن زياد العلم وجدّ فيه ، حتى صار من كبار الأئمة ، ولعل هذا مما جعل هارون الرشيد يختاره ليحضر فى كل أسبوع يوما عند ابنه «المأمون» ليعلّمه الفقه والحديث ؛ فأما الفقه فحسبه أن يقول فيه يحيى بن آدم : ما رأيت أفقه من الحسن بن زياد . وأما الحديث فقد حدّث هو عن نفسه فى تعلّمه فقال : سمعت من ابن جريج ، وكتبت عنه اثنى عشر ألف حديث ، كلها يحتاج اليها الفقهاء . وهذا القدر من الأحاديث يزيد عن الأحاديث التى فى صحيح البخارى وصحيح مسلم . فانظر الى الحسن بن زياد فى إحاطته باثنى عشر ألف حديث خاصة بالأحكام ، فما ظنك بما يعرفه من الأحاديث الأخرى ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تقديره وعدّه حجة عصره :

قدر أفاضل العلماء وخيارهم الحسن بن زياد ، فقال نصير بن يحيى : قلت لخلف بن أيوب : من الحجة اليوم ؟ فقال : الحسن بن زياد ، فأعدت السؤال عليه ثلاثا ، فقال : الحسن هو الحجة . وسأل رجل خلف بن أيوب عن مسألة ، فقال : لا أدرى ، فقال الرجل : دلنى على من يعرف ، فقال : الحسن بن زياد بالكوفة ، فقال : إنه بعيد ، فقال خلف : من همّه الدين فالكوفة اليه قريبة . وروى عن ابن صالح أنه قال : كنا عند أبى يوسف ، إذ أقبل الحسن ابن زياد ، فقال أبو يوسف : سلوا الحسن قبل أن يسأل ، وإلا لم تقدروا عليه .

أمانته على العلم والفتوى :

مما يدل على أمانة الحسن بن زياد على العلم ، أنه استفتى يوما فى مسألة ، وبعد أن أفتى ظهر له أنه أخطأ ، ولم يظفر بالمستفتى ، فاستأجر مناديا ينادى فى الأماكن والطرق : ألا إن الحسن ابن زياد استفتى فى مسألة كذا فأخطأ ، فمن كان أفتاه الحسن فليرجع اليه ! فمكث أياما لا يفتى حتى عاد اليه السائل ، فأعلمه بخطئه ، ورده الى الحق .

موازنة بين الحسن وأبى يوسف ومحمد :

سئل بعض العلماء عن أصحاب الامام أبى حنيفة : أبى يوسف ، ومحمد ، والحسن بن زياد ، فقال : الحسن بن زياد أحسن الناس سؤالا ، ولم يكن جوابه على قدر سؤاله ؛ ومحمد بن الحسن أحسن الناس جوابا ، ولم يكن سؤاله على قدر جوابه ؛ وأبو يوسف : أحسن الناس سؤالا وجوابا .

صفاته وأخلاقه واتباعه السُّنة :

كان الحسن بن زياد آية فى النباهة والفطنة واليقظة ، والمثابرة على العلم وطلبه ، كما كان آية فى مكارم الأخلاق ، فقال أحمد بن عبد الحميد الحارثى : ما رأيت أحسن خلقا ، ولا أقرب مأخذا ، ولا أسهل حالا وجانبا ، من الحسن بن زياد ، وقد كان يكسو مماليكه كما كان يكسو نفسه .

كيف كان الحسن يقضى يومه ؟

كان الحسن بن زياد يقضى يومه فى العلم والفتوى ، وعبادة الله تعالى ، وخدمة الناس . قال نصر بن يحيى : قسم الحسن وقته أقساما : فكان يجلس صدر النهار فيدرس ويخوض فى فى مسائل الفقه الى قبيل الزوال ، ثم يدخل منزله فيقضى حوائجه الى وقت الظهر ؛ ثم يخرج لصلاته ، ويجلس للواقعات والفتاوى الى العصر ، وبعد أن يصليه يجلس فيناظر من بين يديه فى الأصول الى غروب الشمس ؛ وبعد أن يصلى المغرب يدخل منزله ، ثم يخرج فيتذاكر فى المسائل المغلقة الى العشاء ؛ فاذا صلاها جلس لمسائل الوصايا ونحوها الى ثلث الليل ؛ فلا يفتر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عن النظر فى العلم . وكان له جارية إذا اشتغل بالطعام تقرأ له على المائدة حتى يفرغ وقد حدث الحسن عن الوقت الذى كان يقضيه فى العلم فقال : مكثت أربعين سنة لا أبيت إلا والسراج بين يدى .

مؤلفاته :

ألف الحسن بن زياد عدة كتب ، منها : كتاب أدب القاضى ، وكتاب النفقات ، وكتاب الوصايا ، وكتاب الفرائض ، وكتاب الخراج . توفى سنة (٢٠٤) هـ

٢ — أشهب :

هو أشهب بن عبد العزيز المصرى ، تلميذ الامام مالك رضى الله عنه ، وصاحبه ، وأحد الأئمة المصريين المجتهدين ، الذين حملوا لواء مذهب مالك ، وقاموا بنشره ، وعنهم تسرب الى إفريقية والأندلس ، وقد انتهت اليه الرياسة بمصر بعد ابن القاسم .

كان أشهب إماما مجتهدا ، ولكنهم اختلفوا فيه وفى ابن القاسم ، هل كانا مجتهدين مطلقين ، أو مجتهدين مقيدين ؟ والظاهر أنهما مجتهدان مطلقان منتسبان الى الامام مالك رضى الله عنه . وقال الشاطبى : لايلزم المجتهد أن يكون مجتهدا فى كل علم يتعلق بالاجتهاد ، وإن أشهب ، وابن القاسم ، ومحمد بن الحسن ، وأبا يوسف ، والمزنى ، والبويطى اتبعت أقوالهم ، وعمل على وفقها مع مخالفتهم لأئمتهم وهم مقلدون لهم فى أصول مذهبهم ، واجتهادهم مبنى على مقدمات مقلد فيها ، فاذاً لا ضرر على الاجتهاد مع التقليد فى بعض القواعد المتعلقة بالمسألة المجتهد فيها .

أطرى الأئمة أشهب ، وشهدوا له بالفقه ، والورع ، والصدق . فقال الشافعى رضى الله عنه : ما رأيت أفقه من أشهب ، وما ناظرت أحدا من المصريين مثله . ولم يدرك الشافعى من أصحاب مالك بمصر سوى أشهب ، وابن عبد الحكم . وقال القضاعى : كان لأشهب رياسة بمصر ، وكان أنظر أصحاب مالك . وذكر ابن يونس أن أشهب أحد فقهاء مصر ، وذو رأيها . وقال ابن عبد البر : كان أشهب فقيها حسن الرأى . وقال ابن القيم : مكانة أشهب من العلم والأمانة غير مجهولة . ووصفوا أخلاقه فقالوا : ما كان أصدق أشهب ، وأورعه فى سماعه ، وأوثقه فيما رواه عن مالك ، وأخوفه من الله تعالى !

ولأشهب من المؤلفات : كتاب فى الفقه رواه عنه الكثيرون .

موازنة بين أصحاب مالك : ابن وهب ، وابن القاسم ، وأشهب :

من علماء مصر فى القرن الثانى الهجرى الذين أعلوا شأنها ، ورفعوا قدرها ، وكانوا عماد مذهب مالك بمصر ، وعنهم تسرب الى إفريقية والأندلس : ابن وهب ، وابن القاسم ، وأشهب . فهؤلاء بلغوا درجة الاجتهاد مع الانتساب للامام مالك رضى الله عنه . وقد سئل مالك عن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ابن وهب وابن القاسم فقال : ابن وهب عالم ، وابن القاسم فقيه . وسئل ابن وهب : عمن نأخذ الفقه ؟ فقال : إن أردت فقه مالك فعليك بابن القاسم ، فانه انفرد به وشغلنا بغيره . وسئل الامام الشافعى عن أشهب فقال : إنه ما رأى أفقه منه ، ولا ناظر أحدا مثله من المصريين . وقال محمد بن عبد الله بن الحكم : أشهب أفقه من ابن القاسم مائة مرة . فأنكر عليه ذلك ابن كنانة ، وقال : إنما قاله لأن أشهب شيخه ومعلمه . فقال ابن عبد البر : ابن القاسم شيخه ، وأشهب شيخه : أى شيخ محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وهو أعلم بهما لكثرة مجالسته لهما ، وأخذه عنهما . وسئل سحنون : أيهما أفقه ؟ فقال : كانا كفرسى رهان ، وربما وفق هذا وخذل هذا ، وربما خذل هذا ووفق هذا . فانظر الى العلم فى مصر فى القرن الثانى الهجرى ، والى علمائها ، وشهادة مالك والشافعى لهم ، وانظر الى العلم فيها اليوم فى القرن الرابع عشر ، وقارن بين الماضى والحاضر واحكم . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

وقد ولد أشهب بمصر سنة ١٤٠ أو ١٥٠ هـ وتوفى سنة ٢٠٤ بعد وفاة الشافعى بأيام .

٣ — الحضرمى :

هو يعقوب بن إسحاق الحضرمى البصرى ، أحد القراء العشرة ، إمام أهل البصرة .

بلغ الحضرمى من العلم والجاه والأخلاق ما قصَّه معاصروه . فقال أبو القاسم الهزلى : لم ير فى زمن يعقوب الحضرمى مثله ، كان عالما بالقرآن واختلافه ، والعربية ووجوهها ، فاضلا ، تقيا ، ورعا ، زاهدا ؛ وبلغ من جاهه بالبصرة أنه كان يحبس ويطلق ، وقال أبو حامد السجستانى : يعقوب أعلم من رأيت بحروف القرآن واختلافه ، وعلله ومذاهبه ، ومذاهب النحو . وقال الدانى : ائتم بيعقوب فى اختياره عامة البصريين بعد أبى عمرو ، فهم أو أكثرهم على مذهبه . وسئل أحمد بن حنبل عنه : فقال : صدوق . وقال ابن المنادى : كان يعقوب أقرأ أهل زمانه ، وكان لا يلحن .

وقال ابن المنادى : كان أبو يعقوب وجده من أعلم أهل زمانهما بالقرآن والنحو . وقال أبو حاتم : يعقوب بن إسحاق من أهل بيت العلم بالقرآن والعربية وكلام العرب والرواية والفقه ، وكان أقرأ القراء .

هل تجوز الصلاة بقراءة الحضرمى ؟

طالما ردد بعض الناس هذا السؤال ، وإنى أدع الجواب عنه للإمام ابن الجزرى قال : **لا فرق بين قراءة يعقوب ، وقراءة غيره من القراء السبعة عند أئمة الدين المحققين ، وهو من الحق الذى لا محيد عنه ، ومن أعجب العجب ، أو من أكبر الخطأ جعل قراءة يعقوب من**

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشاذ الذى لا تجوز القراءة به ولا الصلاة ، فلا يقول هذا إلا من لا يعوّل على قوله ، ولا يلتفت الى اختياره . توفى الحضرمى سنة ٢٠٥ هـ

٤ — ابن معين :

هو يحيي بن معين ، العالم الحافظ أحد أئمة الحديث ، الثبت الثقة المتقن ، صاحب الجرح والتعديل ورئيسه ، فمن جرحه سقط الى الحضيض ولم تقم له قائمة ، ومن عدله ارتفع الى السماء ، وكان ممن يوثق بقوله ، المظهر كذب الكذابين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى يقول فيه الإمام أحمد بن حنبل : كل حديث لا يعرفه يحيي بن معين ، فليس هو بحديث .

نشأته وحياته :

كان والد يحيي كاتبا لعبد الله بن مالك ، أو كان على خراج الرّى ، فمات وترك لابنه يحيي ألف ألف درهم ، وخمسين ألف درهم ، فأنفق كل هذا على الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه . وقال على بن المدينى : لا نعلم أحدا كتب من الحديث ما كتب يحيي بن معين . وسئل يحيي ابن معين : كم كتبت من الحديث ؟ فقال : كتبت بيدى هذه ستمائة ألف حديث . وقد عاش حياته الطويلة المباركة وقد أربت على سبعين سنة فى خدمة السنة النبوية المطهرة ، وترك من الكتب أكثر من مائة قمطر مملوءة كتبا معظمها فى الحديث الشريف .

انتهى العلم الى يحيي بن معين فى عصره . فقال على بن المدينى : انتهى العلم بالبصرة الى يحيي بن أبى كثير وقتادة ، وعلم الكوفة الى أبى إسحاق والأعمش ، وانتهى علم الحجاز الى ابن شهاب وعمرو بن دينار ، وصار علم هؤلاء الستة الى اثنى عشر رجلا ، منهم بالبصرة : سعيد بن أبى عروبة ، وشعبة ، ومعمر ، وحماد بن سلمة ، وأبو عوانة ؛ ومن أهل الكوفة : سفيان الثورى ، وسفيان بن عيينة ؛ ومن أهل الحجاز : الى مالك بن أنس ؛ ومن أهل الشام الى الأوزاعى ؛ وانتهى علم هؤلاء الى محمد بن إسحاق ، وهشام ، ويحيي بن سعيد ، ووكيع ، وابن المبارك ، وابن مهدى ، وابن آدم ؛ وصار علم هؤلاء جميعا الى يحيي بن معين ، فهو منتهى المعارف ، ومجمع العلم فى زمانه .

أخذ عن يحيي بن معين كبار العلماء والأئمة : كالبخارى ، ومسلم ، وأبى داود ، وأحمد ابن حنبل ، ومحمد بن سعد ، وغيرهم من الحفاظ .

أخلاقه ونقده الرجال :

كان يحيي بن معين فى نقده الرجال يزن بالقسطاس المستقيم ، ولا يؤثر فيه أى عامل من العوامل التى تؤثر فى الناس ، وكان يسير فى نقده بالحكمة ، ومنتهى مكارم الأخلاق ، وقد حدث عن ذلك فقال : ما رأيت على رجل خطأ إلا سترته ، وأحببت أن أزين أمره ، وما

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

استقبلت رجلا فى وجهه بأمر يكرهه ، ولكن أبين له خطأه فيما بينى وبينه ، فإن قبل ذلك وإلا تركته . وقال ابن الرومى : ما سمعت أحدا يقول الحق فى المشايخ غير يحيى بن معين ، أما غيره فكان يتحامل بالقول . وقال الامام أحمد بن حنبل : هاهنا رجل خلقه الله لهذا الشأن ، يظهر كذب الكذابين — يعنى يحيى بن معين .

ولد يحيى بن معين سنة ١٥٨ ﻫ بالقرب من بغداد ، ومات بالمدينة سنة ٢٣٣ ﻫ وعمره ٧٥ أو ٧٧ سنة إلا أياماً ، وصلى عليه والى المدينة ، ثم صلى عليه مرارا ، وحملوه على سرير النبى صلى الله عليه وسلم ، ودفن بالبقيع .

السيد عفيفى

مساعدة ذوى الحاجات

يروى أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ذكرت يوما قول لبيد الصحابى وهو أحد أصحاب المعلقات :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم   وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

وقالت لله أبوه ما كان أشعره لقد صدق . قالوا وكيف يا أم المؤمنين ؟ فقالت : كان أحدهم إذا علم من أخيه خلة سدها من حيث لا يعلم ثم ذهب أولئك وجاء قوم كان أحدهم إذا علم من أخيه خلة سدها من حيث يعلم . ثم جاء من بعدهم قوم إذا علم أحدهم من أخيه خلة أحب أن يسأله ، فاذا سأله أعطاه . ثم جاء من بعدهم قوم إذا علم أحدهم من أخيه خلة أحب أن يسأله فان سأله منعه ، ثم بعد ذلك يفضحه ، فيقول جاء فلان يسألنى فلم أعطه .

مما يناسب هذا قول شاعر فى بخيل :

لا يغرنْك اللباس   ليس فى الأثواب ناس
هم وإن نالوا الثريا   بخلاء وخساس
كل من يدعى رئيساً   هو فى الخسة راس
كم يد تصلح للقطع   فتفدى وتباس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام كما يراه الاوربيون

— ٧ —

أسلفنا فى الـكلمة السابقة بعض مزاعم الأستاذ « كازانوفا » عن القرآن وقلنا إنه ادعى أن النبى كان يعتقد أنه سيشهد قيام الساعة قبل وفاته ، وأنه لهـذا لم يعين الامام الذى يخلفه ، وأن أصحابه لما رأوا أن الساعة لم تقم قبل وفاته مدوا أيديهم الى القرآن بالتبديل ، لينجوا من تلك الورطة . وقـد رددنا على فـكرة تغاضى النبى عن تعيين الامام بأن السبب فيه هو إيمانه بأن رسالته دينية قبل كل شىء ، وتشبعه بروح العدالة والشورى ، ووعدنا القارىء بأننا سنناقش شيئا من براهين هذا المستشرق على هـذه الدعوى السخيفة . واليك بعض هذه المناقشة :

ذكر « كازانوفا » كثيرا من البراهين على دعواه . ولما كنا لا نستطيع أن نستوعب هنا كل هذه البراهين ، لأن بعضها ينبو عن المنطق ، والبعض الآخر يعتمد على روايات أسطورية وأخبار خرافية وردت فى كتب المسعودى والمقريزى والطبرى وما شا كل ذلك ، فقد صممنا على أن ننتقى من هذه البراهين أقواها فى نظر الباحثين ، ليـكون هدمها آية واضحة على أن دعوى هذا الرجل واهيـة الدعائم والأركان . وأقوى هذه البراهين عند العلماء هو فى نظرنا ما اعتمد على القرآن أو على حديث ثبتت صحته .

غير أنه ينبغى لنا قبل الخوض مع هذا المستشرق فى مناقشة براهينه أن نسجل عليه أنه لم يفهم روح القرآن ، بل لم يفهم روح اللغة العربيـة فى أغلب الأحيان . وفوق ذلك فانه كثيرا ما يهجر النزاهة الى الأغراض والأهواء ، فيستخدم لغايته صدر جملة لو أنه أتمها لألفى القارىء فى عجزها ردا مفحما على فـكرته . وهاتان الملاحظتان تدفعاننا الى الاحتياط من خطة هذا المستشرق فى البحث ، وتحملاننا على النظر الى نتائج بحوثه بعين الحذر المرتاب .

ومهما يـكن من الأمر ، فاننا سنتعقب أهم براهينه على هـذه الدعوى ، لنثبت بطلانها أو ضآلتها فى ميزان البحوث العلمية .

قرر « كازانوفا » بديا أن القرآن أشار فى عدة مواضع الى الساعة : أى الى نهاية العالم والبعث والحـكم الأخـير ، ولـكنه لم يحدد لذلك زمنا معينا : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجلّيها لوقتها إلا هو ، ثقُلَتْ فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ، يسألونك كأنك حفِىٌّ عنها ، قل إنما علمها عند الله ولـكن أكثر الناس لا يعلمون »(١)

---

(١) سورة الاعراف .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومع ذلك فان فى القرآن آيات عديدة تتحدث فى وضوح عن قرب الساعة : « اقتربت الساعة وانشق القمر (١) » ، « أتى أمر الله فلا تستعجلوه (٢) » . ولكن هذه الآيات لا تشتمل على شىء من التحديد ، بل كل ما يمكن أن يستخلص منها هو شعور بأنه يجب أن ننتظر هذه الساعة فى كل لحظة .

على أنه إذا كان القرآن قد اقتصر على إثبات قرب الساعة ولم يتعرض لتعيين وقتها ، فان السنة تربط أضيق الربط وأحكمه بين بعثة النبى وقيام الساعة ، فمن ذلك مثلا ما روى عن ابن عباس بمناسبة حديثه عن آية « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » قال : إن الله أوحى أولا آية « اقتربت الساعة » فقلق الكفار ، ولكنهم لما رأوا أن الساعة لم تقم عادوا الى اطمئنانهم ، فنزل قوله : « اقترب للناس حسابهم » فرجع اليهم قلقهم ثم جحودهم ، فأنزل قوله تعالى : « أتى أمر الله » فرفع الكفار رءوسهم ، فنزل قوله : « فلا تستعجلوه » ، وبهذه المناسبة قال النبى : « بينى وبين الساعة كما بين هاتين » وأشار الى ما بين سبابته ووسطاه (٣) .

هذا الحديث هو عماد أول البراهين التى سنناقشها اليوم . وهو فى نظر كازانوفا من الأهمية بموضع عظيم ، بل قد اعتبره أحد المستندات الأساسية لرسالته ، لأنه فى رأيه تصريح بأن بعثة النبى مرتبطة ارتباطا مباشرا بقيام الساعة ، وهو يؤيد هذا الرأى بتلك العبارة المضحكة : « إن تمثيل شيئين بأصبع اليد تعبير مألوف فى لغتنا الفرنسية يثبت بين هذين الشيئين علاقة ضيقة يمكن أن يعبر عنها بعدم قابلية الانفصال ، إذ أن هذا التعبير صورة منتزعة من أعماق الانسانية ، ومعناه واحد فى جميع لغات العالم . وإذاً فمن المحتمل إن لم يكن من المؤكد أن محمدا أراد بهذا التعبير أن يقول : إن مجيئى والساعة غير قابلين للانفصال (٤) .

ومما ضاعف أهمية هذا الحديث فى نظر « كازانوفا » هو أن إجماع المسلمين منعقد على صحته ، بل إن كثيرا من علمائهم استخلصوا منه فروضا وعمليات حسابية أثبتوها فى كتبهم . فمن ذلك مثلا أن الطبرى — فيما يرويه ابن خلدون والمقريزى — أجرى فى مشكلة الساعة العملية الحسابية الآتية :

حيث إن القرآن قال : « وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » (٥) ، وإن النبى قال : « إن وجودكم بالنسبة الى وجود من سبقوكم كما بين العصر وغروب الشمس » ، وقال أيضا : « إننى بعثت فى زمن كنت فيه أنا والساعة كهاتين » وأشار الى سبابته ووسطاه ، وقال كذلك : « إن بقاء هذا العالم هو أسبوع من العالم الآخر الذى يومه ألف سنة » .

ولما كان ما بين العصر وغروب الشمس جزءا من أربعة عشر جزءا من اليوم ، ولما

(١) سورة القمر (٢) سورة النحل (٣) انظر صفحة ١٦ من كتاب « محمد ونهاية العالم » لكازانوفا .
(٤) انظر صفحة ١٧ من نفس المصدر . (٥) سورة الحج .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كانت الوسطى تزيد على السبابة بجزء من أربعة عشر جزءا من الأصبع ، ولما كان عمر الدنيا سبعة آلاف سنة ، فقد وجب أن يكون ما بين النبي والساعة جزءا من أربعة عشر جزءا من عمر الدنيا وهو خمسمائة سنة .

غير أن السهيلى الذى عاش الى ما بعد سنة خمسمائة وثلاثين للهجرة قد اقتنع بأن حساب الطبرى غير صحيح ، وقرر أن هذا الحديث لا يفيد إلا قرب الساعة .

هذا هو موجز ذلك البرهان الذى ساقه الأستاذ « كازانوفا » فى طليعة براهينه على دعواه الغريبة . ولكى نكون منطقيين فى نقاشنا ينبغى لنا أن نلفت نظره بديا الى أن استدلاله على جزم النبي العربى بعدم قابلية انفصال بعثته من الساعة بما يراد من هذا التعبير فى لغة كازانوفا الفرنسية ضرب من الهراء المخجل الذى لا يليق بصغار المتعلمين فضلا عن العلماء والباحثين ، إذ من الذى لا يخجل من أن ينسب اليه التاريخ أنه فسر عبارة فى لغة شرقية سامية بما يراد بمثلها فى لغة غربية لاتينية ؟ ومن الذى يجرؤ على الادعاء بأن روحى اللغتين متماثلتان أو متقاربتان ؟ وما يدرى كازانوفا أن هذه العبارة عامة منتزعة من الانسانية كما يزعم ؟ أفلا يمكن أن يكون معناها فى اللغة الفرنسية عدم قابلية الانفصال ، وأن تكون فى اللغة العربية مجرد تصوير للقرب أو محض تشبيه يفيد القرب وقصر المسافة التى تفصل بين بعثة النبي والساعة ؟ الحق أن موقف هذا المستشرق بإزاء هذه العبارة ضعيف مزر لا يليق بالباحثين الذين يحترمون أنفسهم .

على أننا إذا أغضينا عن هذه السقطة وغفرنا له فهمه اتصال البعثة المحمدية بالساعة مباشرة وعاملناه معاملة من فهم مجرد القرب بينهما ثم نظرنا الى اعتراضه على هذا القرب ، ألفيناه فى نظر علماء الفلك ضعيفا واهيا ، وألفينا قول النبي مؤيدا بأحدث آراء العلماء المعاصرين ، لأن إجماع أولئك العلماء منعقد الآن على أن ما بقى من عمر الدنيا الى جانب ما مضى منها يشبه حقا ما تزيد به الوسطى عن السبابة ، وأن هذه الثلاثة عشر قرنا التى فصلت بعثة نبى المسلمين عن العصر الحاضر لا تكاد تعتبر إلا جزءا ضئيلا من عمر الكون لا يتعارض مع الإخبار باقتراب نهايته قبل مرورها ، لأن العمدة فى تقدير هذا الاضطراب إنما هو نسبة ما بقى الى ما مضى . وأكثر من ذلك أن أحد كبار علماء الفلك الغربيين قرر منذ أعوام فى محاضرة عامة أنه إذا أريد أن يقاس ما بقى من عمر الكواكب أو من عمر الكون بما مضى من السنين وجب أن يقدر ما مضى بعدد كمية من طوابع البريد ، صف بعضها فوق بعض من سطح الأرض الى قمة جبال الهملايا ، وأن يقدر ما بقى منها بكمية تساوى ارتفاع إحدى المنارات البحرية . ونحن نحسب أن الأستاذ « كازانوفا » يوافقنا على أن ما بين الوسطى والسبابة من فرق لا يقل عما بين المنارة وجبال الهملايا من هذا الفرق ، كما أنه يوافقنا على أن آلاف السنين الى

oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الملايين تعتبر ضئيلة الى حد أن تصح الاشارة اليها بأصبعي اليد ، كما أننا نحسب أنه لا يخالفنا فى أن نسبة الثانية الى الدقيقة هى بعينها نسبة المليون الى الستين مليونا من السنين أو من القرون ، وأنه ما دامت موازنة نبي المسلمين كانت تتعلق بنسبة ما بقى من عمر الدنيا الى ما مضى منه فانه ليس له أن يعترض اعتراضا علميا على هذا الحديث الذى يصرح بقرب الساعة . وليس أدل على ما نقول من وصف هذا النبي أمته بأنها فى وسط ما مضى من الخلائق كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود . فاذا استطاع كازانوفا أن يحصى شعر ثور ، وأن يجعل ملايين المسلمين جميعا وحدة واحدة من عدد شعر هذا الثور ، ويجعل الأمم السابقة بقدر ما بقى من الشعر مضروبا فى عدد ملايين المسلمين ، أمكنه أن يصل الى إحصاء عددى يتكافأ مع الاحصاء الزمنى الذى أخبر نبي المسلمين عنه بأن ما بقى منه الى جانب ما مضى يشبه ما تزيد به الوسطى على السبابة .

أما تلك العملية الحسابية التى أجراها الطبرى فهى سخيفة مضحكة ليس الاسلام مسئولا عنها ولا مؤاخذا بها ، لأن الاسلام مسئول عما ورد فى كتابه وما ثبتت صحته من أحاديث نبيه ، وليس مسئولا عن آراء كل من هب ودب من معتنقيه وأنصاره . أما قول القرآن : « وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » فهو تشبيه أريد به أنه يتم فى اليوم الواحد بالقدرة الالهية ما لا يتم من أفعال العباد فى ألف سنة من سنى دنياهم . وأما الحديث الآخر الذى استغله الطبرى فى عمليته الحسابية وهو قول النبى : « إن ما بقى من عمر الدنيا كما بين العصر وغروب الشمس » فهو — إذا صح — تشبيه بديع يشبه تشبيه السبابة بالوسطى الذى ورد فى الحديث الأول ، وهو كسالفه لا يتعارض مع الآراء العصرية فى تقدير أعمار الأفلاك .

استشهد كازانوفا على دعواه هذه ببرهان ثان ورد كسالفه فى السنة فيما يزعم ، وهو أن النبى كان يعتقد أن المسيخ الدجال الذى لا شك فى شهوده نهاية العالم كان معاصرا له . وآية ذلك أنه أشار الى ابن سعيد اليهودى بقوله : « هـذا هو المسيخ الدجال » وأن تميما الدارى حدث النبى أنه كان مسافرا فوق البحر مع عدد من بنى عمه فألقت بهم عاصفة على إحدى الجزائر فرأوا فيها حيوانا هائلا مغطى بشعر طويل فسألوه عن شخصيته ، فأجابهم الحيوان بأنه الجساسة التى ستظهر فى آخر الزمان ، ثم قالت لهم : احذروا سيد القصر ، فنظروا فرأوا رجلا مكبلا بسلاسل من حديد مربوطة فى عمود من حديد ، ومن أوصافه كذا وكذا ، ثم حدثهم فأنبأهم بأنه المسيخ الدجال ، وأنبأهم بوقوع عدد من الملاحم ، ثم أعلن أنه لن يدخل مدينة النبى .

بعد أن ذكر الاستاذ كازانوفا هاتين الروايتين علق عليهما بقوله : « من هذا يتضح أن محمدا كان يعتقد أنه سيشهد نهاية العالم » .

لا ريب أن هـذا البرهان هو أضعف من سالفه ، لأنه يعتمد على روايتين ، أما أولاهما وهى إطلاق النبى اسم المسيخ الدجال على ابن سعيد الاسرائيلى ، فإذا صحت فإن ما فيها لا يخرج

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عن كونه ذما لهذا الاسرائيلي وإهانة له من النبي باطلاق اسم المسيخ الدجال عليه ، كما يقال : هذا شيطان ، وهذا وحش ، وهلم جرًّا . ولا يعقل أن يكون هذا الإطلاق حقيقيا على ظاهره حتى يستند الأستاذ كازانوفا إليه فى إثبات نظرية علمية ، أللهم إلا أن يكون هـذا الأستاذ كالغريق الذى يتعلق بالقش أملا فى أن ينجو من الغرق .

أما الرواية الثانية فقـد نقلها كازانوفا عن مروج الذهب للمسعودي ، وإذاً فهى ضمن ما أشرنا إليه فى أول هـذه الـكلمة من الروايات الخرافية التى صرحنا بأننا لن نقيم لها وزنا لسقوط قيمتها فى نظر البحث الصحيح الذى يعتمد على اليقينيات .

هـذا ، وسنعود الى مناقشة بقية براهين كازانوفا التى تصلح للمناقشة ، وموعدنا المقال المقبل م؟

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين



علامات العي

ترى المتكلم إذا كل لسانه يقول عند مقاطع كلامه للمخاطب : استمع الى ، واسمـع منى ، وافهم عنى . ومنهم من يقول فى خلل كلامه : أما قولى كذا فأعنى به كذا . وهو لا يريد التفسير ولـكنه يعيـد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأول ، فبيانه أبدا يقصر عن إيضاح إشكاله ، وإن أتى بأنواع الـكلام وأشكاله .

وذم بعض البلغاء عييا فقال : قلبه ميت الفطنة ، ولسانه بادى الـكنة ، ولفظه ظاهر الهجنة ، شديد التعاون (يريد بالتعاون العيوب السابقة من قوله : اسمع منى الخ) ، بيّن التهافت ، إذا عضته ولدغته المساجلة والمساورة تثاءب للعطاس ، وتثاقل للنعاس ، وتشاغل بمسح اللحية ومس الجبهة ، وقرع السن ، وفتل الأصابع ، فعجزه ظاهر وعيه حاضر .

نقول : لا يعيب العيي عيه لأنه يعجز عن إصلاحه ، ولـكن الذى يعاب أن يعلم من نفسه القصور عن مقامات الفصحاء ، ومحالات البلغاء ، ويدفع بنفسه اليها مزاحما المتكلمين ، مشوشا نظام المجتمعين . فهذا هو الذى يسخر منه ، ويزرى به .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عمر بن عبد العزيز

— ٣ —

اقتداؤه بالقرآن فى أعماله :

كان يجيد القرآن لفظا ومعنى ، ويحكم به فى كل تصرفاته ، علما منه بأن من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، ولأنه سنام الكتب السماوية ، والدستور الإلهى الذى لا تغيره الأهواء والأزمان . فدخل ابنه عبد الملك يوما عليه وهو فى قائلته فأيقظه وقال له : ما يؤمنك أن تؤتى فى منامك وقد رفعت اليك مظالم لم تقض حق الله فيها ؟ فقال له أبوه : يا بنى إن نفسى مطيتى إن لم أرفق بها لم تبلغنى . إنى لو أتعبت نفسى وأعوانى ، لم يك ذلك إلا قليلا حتى أسقط ويسقطوا ، وإنى لأحتسب فى نومتى من الأجر مثل الذى أحتسب فى يقظتى . إن الله جل ثناؤه لم ينزل القرآن جملة ، بل أنزله الآية والآيتين حتى استكن الإيمان فى قلوب ذويه . يا بنى : إن مما أنا فيه أمراً هو أهم الى من أهل بيتك ، هم أهل العدة والعدد ، وقِبلهم ما قِبلهم ، فلو جمعت ذلك فى يوم واحد خشيت انتشاره على ، ولكنى أنصف الرجل أو الاثنين فيبلغ ذلك مَن وراءهما فيكون أنجع ، فان يرد الله تمام هذا الأمر أتمه ، وان تكن الأخرى فحسب عبد أن يعلم الله أنه يحب أن ينصف رعيته !

روايته الحديث :

أخذ عمر من كل ناحية بطرف : لحفظ القرآن ، وتعلم السياسة والعلم ، وأسند الحديث عن جماعة من الصحابة ، وعن جماعة من كبار التابعين ، إلا أنه كان مشغولا عن الرواية ، فقل حديثه ، فروى عن أنس بن مالك ، وابن عمر ، وابن جعفر ، وابن أبى سلمة ، والسائب ، وابن سلام ، وابن الصامت ، والدارى . وأرسل الحديث عن شعبة ، وعائشة ، وأم هانئ ، وخولة ، والمسيب ، وابن قارظ ، وأبى بكر بن عبد الرحمن ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وسلمة بن عبد الرحمن ، وعروة ، وعبيد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وعامر ابن سعد بن أبى وقاص ، وأبى بردة ، والربيع بن سبرة ، وعراك بن مالك ، وأبيه ، والزهرى ، ومحمد بن كعب ، وأبى حازم ، وغير هؤلاء .

ولنذكر طائفة من أحاديثه ليستدل بها على من سمع منه وروى عنه :

روايته عن أنس :

حدثنا الحارث بن محمد العبرى عن إسماعيل بن أبى حكيم عن عمر بن عبد العزيز عن أنس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ابن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول : « لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم عدوا من غيركم تدعونه فلا يستجيب لـكم » .

روايته عن عبد الله بن جعفـر :

حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أسماء بنت عميس قالت : علمني رسول الله صلى الله عليه وسـلم دعوة الـكرب قال : « إذا نزل بكِ كرب فقولى : الله ، الله ربى لا أشرك به شيئا » .

روايته عن عمر بن أبي سلمة المخزومى :

حدثنا ابراهيم بن أبي يحيي عن اسماعيل بن أبي حكيم ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عمر ابن أبي سلمة المخزومى : « أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فى ثوب واحد متشحا به وقـد خالف بين طرفيه » . وهـذا غريب من حديث عمر بن عبد العزيز تفرد به الحسن عن عبد الـكريم .

وقد أرسل الحديث عن جماعة من القدماء ، منهم عبادة بن الصامت ، قال : حدثنا ابراهيم ابن يحيي عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبادة بن الصامت : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل رمضان قال : « اللهم سلمنى لرمضان ، وسلم لى رمضان ، وتسلمه منى مقبلا » .

روايته عن أبيه :

قال حدثنا المغيرة بن أبي السعدى ، قال حدثنا الحسن بن أبي الحسن عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبيه عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا خشى أحدكم نسيان القرآن فليقل : اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى ، وارحمنى بترك ما لا يعنينى ، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى ، وألزم قلبي حفظ كتابك كما علمتنى ، ونور به بصرى ، واشرح به صدرى ، واجعلنى أتلوه كما يرضيك عنى ، وافتح به قلبي ، وأطلق به لسانى » .

وقصارى القول : أنه روى أحاديث عمن ذكرتهم قبلا وعن غيرهم ، ولـكن لما كان هذا المقام مقام إيجاز لا إطناب اكتفينا بما ذكر من الأحاديث ، وما بقى منها فليرجع إليه فى مواضعه .

تركه سب علىّ على المنابر :

نشأت العداوة والبغضاء بين الأمويين وعلى بن أبي طالب لاعتقادهم أنه كان سببا فى قتل عثمان ، فـكالوا له السباب والمطاعن فى منتدياتهم ومجتمعاتهم بل وعلى منابرهم أيام الجمع ، وتبعهم فى ذلك ذويهم ، حتى استخلف عمر بن عبد العزيز فحرم عليهم ما كانوا يفعلون ، واستبدل

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

سبابه على المنابر بقوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان » الآية ، فاتخذها الخطباء في نهاية الخطبة الثانية الى وقتنا هذا ، وتوعد بالعقاب من ينال عليا بمكروه ، وأكرم مولاه «زريقا» حينما وفد عليه ، وقد كان يحفظ القرآن والفرائض ، فقال له : يا أمير المؤمنين إني رجل من أهل المدينة ، وقد حفظت القرآن والفرائض ، وليس لى ديوان . فأجابه عمر : من أى الناس أنت ؟ قال : رجل من موالى بنى هاشم . فقال له : مولى من ؟ قال له : رجل من المسلمين . فقال له عمر : اليك أسأل ، وصاح به : أتكتمنى من أنت ؟ فقال سرا — مخافة أن يسمعه أحد من بنى أمية : أنا مولى على بن أبى طالب رضى الله عنه . فبكى عمر حتى جرت دموعه على الأرض ، ثم قال : وأنا مولى على ، أتكاتمنى ولاء على ؟ حدثنى سعيد بن المسيب عن سعد بن أبى وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » ثم قال : يامزاحم كم تعطى أمثاله ؟ قال : مائة درهم أو مائتين . فقال عمر : أعطه خمسين ديناراً لولايته لعلى ابن أبى طالب ، وزده عشرة أخرى ، ومره أن يلحق ببلده فسيأتيه مثل ما يأتى نظراءه .

تحول جسمه بعد الخلافة :

كرس عمر حياته على توخى العدل بين الرعية ، رادًّا ما اختلف فيه من الأحكام الى كتاب الله وسنة رسوله ، متأسيا بقوله تعالى : « فإن تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » وألا يترك عاملا من عماله يعبث بنظام من ولى عليهم . كل ذلك كان شاغلا له عن راحته وزوجته وجواريه ، فخيرهن بين البقاء فى المنزل أو الطلاق ، فبكين بكاء شديدا . وتغيرت حالته بعد أن كان شابا غليظا ممتلئ الجسم حتى رثى له محمد بن كعب القرظى حينما دخل عليه يوما من الأيام وجعل ينظر اليه نظر تعجب ، فقال له عمر : ما أعجبك يا ابن كعب ؟ قال : لما حال من لونك ، ونفى من شعرك ، ونحل من جسمك . فقال له : كيف لو رأيتنى فى قبرى بعد ثلاثة أيام حين تقع حدقتى على وجنتى ، ويسيل منخرى وفمى صديدا ودودا ، كنت لى أشد نكرة ! يا ابن كعب أعد على حديثا حدثتنيه عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال : قال ابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لكل شىء شرفا ، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة ، وإنما تجالسون بالأمانة ، ولا تصلوا خلف النائم والمحدث ، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم فى صلاتكم ، ولا تستروا الجدر بالثياب ، ومن نظر فى كتاب أخيه من غير إذنه فكأنما ينظر فى النار ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله عز وجل أوثق منه بما فى يده » .

والفضل ماشهدت به الأعداء :

لما كانت وقعة صفين بين على ومعاوية وطلب معاوية تحكيم كتاب الله ، اختلف أصحاب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عليّ أيقبلون التحكيم لأنهم يحاربون لإعلاء كلمة الله ، أم لا يقبلون لأنها خدعة حربية لجأ اليها معاوية وصحبه لما أحسوا بالهزيمة ؟ وبعد جدال وتردد قبل عليّ التحكيم ، واختار معاوية عمرو بن العاص كما اختار أصحاب علي أبا موسى الأشعرى ليحكما بينهما . إذ ذاك ظهر قوم من أتباع علي ونفروا من التحكيم لاعتقادهم خطأه . هؤلاء هم الخوارج : تفرقوا شيعا وأحزابا ، وتمذهب كل واحد منهم بمذهب خاص مستمرئين نهش أعراض من كانوا لهم بالأمس إخوانا ، واستمروا على حالتهم هذه يناوئون من لا يعمل على . طريقتهم من الخلفاء والأمراء ، الى أن استخلف عمر بن عبد العزيز فشهدوا فيه نهاية النسك والتواضع ، وأنه قد صرف عمال من كان قبله من بنى أمية ، واستعمل أصلح من قدر على اختياره ، فسلك عماله طريقته ، فأقبلوا عليه وقالوا له : لقد حقنت منا دماءك وعرضك لعدلك وحسن سيرتك . ثم فاوضوه أن ينهج طريقتهم فأبى .

محمد مصطفى شادى

فضل البيان

قال حكيم : فضل الانسان على الحيوان بالبيان ، فاذا نطق ولم يفصح عاد بهيما .

وقيل : ما لعيي مروءة ، ولا لمنقوص البيان بهاء ، ولوحك يافوخه فى عنان السماء .

وقالوا : العى داء دواؤه الخرس .

وروى : أنه تكلم رجل فى حضرة معاوية بن أبى سفيان وكان ذا عى ، فقال عمرو ابن العاص وكان حاضرا : سكوت الألكن نعمة . وقال معاوية : وكلام الأحمق نقمة .

وقالوا : البيان بصر والعى عمى ، والبيان من نتاج العلم ، والعى من نتاج الجهل .

ويحكى أن رجلا وكان داهية جريئا قام الى محمد بن الزيات وزير المعتصم فقال له : إنى مظلومك !

فقال الوزير : هذا الكلام يحتاج الى شهود وبينة ، وأشياء غير ذلك . فقال الرجل : أصلحك الله : الشهود هم البينة ، والبينة هم الشهود ، وأشياء غير ذلك حصر وعى وزيادة هى نقص فى القيام بحجتك أيها الوزير !

فضحك ابن الزيات منه وكشف ظلامته .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الفائدة والربا

بين النظريتين الغربية والاسلامية

تقـوم السياسات المالية فى العالم الآن على أساس الفائدة والبنوك ، فما من عملية مالية تتم بين طرفين إلا وللفائدة أثر بـين فيها .

والفائدة هى النتيجة الضرورية لنظام الملـكية الخاصة والمبادلة الحرة ، وهى ثمن استعمال رأس المال ، سواء أكان ذلك فى الاستهلاك أم فى الإنتاج ، ووسيلة ذلك الإقراض .

ويرجع سبب الاقتراض الى توزيع الجهود البشرية ، فأنت يمكنك استثمار المال فى ناحية من نواحى النشاط الاقتصادى حيث تؤهلك ميزاتك الخاصة وتدريبك لهذا العمل .

ومن الجناية أن تعطل رءوس الأموال بكنزها فى خزائن حديد كما كان يفعل الأقدمون ، إذ أن كل قرش يحجز فى تلك الخـزانة يسحب من السوق ، فتقل وسائل المبـادلة ، وبذلك تتأثر القوة الشرائية فى المجتمع ، مما يسبب فقر الأمة . وهـذا هو سبب مهاجمة النظريات الاشتراكية والشيوعية للرأسمالية . ذلك أن النقود وهى وسيلة المبادلة ، تصدرها الحـكومات والبنوك المركزية بقدر محدود يتفق وحاجة البلد الاقتصادية محافظة على القوة الشرائية فيه ، لأنها لو زادت أو نقصت عن حاجة الأمة اختلت تلك القوة الشرائية ، وتغيرت الأسـعار ، وارتبك المنتجون والوسطاء والمستهلـكون جميعا .

ويتكون رأس المال من مال موروث أو مدخـر ، وهو فى كلتا الحالتين يود صاحبه أن يستثمره ، وقد يكون صاحب رأس المال غير كفء للعمل ، أو أن رأس المال ذاته يكون زائدا عن حاجته فيقرضه لمن يتطلبه نظير فائدة . وبذلك يكون الإقراض إما للاستهلاك وقد أصبح نادرا مثله كالقروض التى تعقدها الحـكومات للحروب ، وإما للإنتاج وتقوم الصناعات الـكبيرة والمشروعات الجديدة معتمدة على هذا النوع من القروض لتغطى حاجتها المتزايدة للمال ، حتى إنه قد تأسست بنوك وبيوت مالية خاصة لتنظيم مسألة الإقراض والتسليف ، كالبنوك التى أنشئت خصيصا لتموين المصانع الـكبيرة فى ألمانيا ، أو لإنشاء صناعات جديدة فيها ، وكبنك التسليف الزراعى فى مصر .

وإن المحال التجارية والمؤسسات المالية والمصانع والبنوك بدورها تشغل جزءاً من رأس مالها وتستثمره تارة بهيئة قروض ، وطورا فى شراء سندات أو أوراق مالية أخرى ، ويدخلون فى حساب أرباحهم فائدة رأس المال ، ولا يحتفظون برصيد كبير عاطل فى خزائن محلاتهم ، بل هم يتعاملون دائما مع البنوك ، ومن طبيعة عملها التعامل بالمال فى نواحى الاستثمار المختلفة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويرجع تاريخ الفائدة الى العصور الأولى ، فقد شغف الاسرائيليون من قبل موسى بجمع المال والاشتغال به ، واتبعوا طرقا مغرية لسحبه من ذويه ، فابتدعوا نظامى الفائدة والرهن ، وانتشروا بين الناس ، وأسسوا « بنوكا للتسليف تحت رهونات » ، وأنزل إليهم كتاب من ربهم ينهاهم عن الربا ، فعصوا أمر ربهم ، واستباحوا لأنفسهم ذلك الجشع المادى ، ودفعهم التقصى الذى يشعرون به من تفرقهم وتشتتهم الى الاحتماء وراء المال والتقوى به ، وتفننوا فى نظام الفائدة فجعلوها مركبة تتضاعف بطول مدة القرض ، حتى إذا ما عجز المدين عن الدفع نزعوا ملكيته ونقلوا الى أنفسهم كل ثروته .

وكانت النتيجة أن تجمعت الأموال فى أيدى نفر قليل أصبحوا أصحاب رءوس الأموال ، وتكونت منهم طبقة غنية عاطلة تحترف الإقراض ، وتعرف بالخبرة أنها تحصل دائما على فائدة لنقودهم التى يقرضونها يعتبرونها — فى عرفهم — فائدة مكتسبة .

وكان أن جاء دور الانقلاب الصناعى فى أوربا ، واستخدمت الآلات بدل الانسان ، وأتى ذلك بالانتاج الكبير ، وعاد بالربح الوفير على أصحاب الصناعات والمتاجر الكبيرة ، فأثرت طوائف عدة ، وزاد الإقبال على الادخار ، واستعملت كميات هائلة من رءوس الأموال فى وسائل الإنتاج ، واحتاج رجال الأعمال الأغنياء أنفسهم الى الافتراض — وهذا هو الإقراض للإنتاج — نظير فائدة يحددها عرض رءوس الأموال سواء المدخرة أم الموروثة ، وطلب المنتجين لها ، وأصبحت لها نسبة مئوية ، وأصبح من السهل على رب العمل الحصول على المال اللازم لصناعته بفائدة صغيرة ، بينما العامل الذى لا يقترض إلا لغرض الاستهلاك — للحصول على حاجاته الضرورية — لا ينال ما يحتاج إليه إلا بعد أن يقبل فائدة مضاعفة ، ويرهن منقولاته وأملاكه ، وبذلك تتهدد تلك الطبقة بالفقر والاعدام .

وزاد نفوذ الرأسماليين وتحكمهم فى رقاب العمال والطبقات الفقيرة ، واتخذ نظام الرق شكل رق العمل ، وانتهى الأمر بتبرم العمال ، وظهور اتحادات العمل ، ونظريات الاشتراكية والشيوعية ، والاشتراكية الوطنية وغيرها ، ترمى للتخلص من نير رب العمل ، وتحسين حالة العمال والطبقات الفقيرة ، بتقليل ساعات العمل ، وزيادة الأجور واقتسام الأرباح ، بل والقضاء على الملكية الخاصة ، وعلى الطبقة الغنية العاطلة ، وعلى الدخل الناشىء من الفائدة والإيجار ، وإباحة الدخل الناشىء من كسب العمل .

أسباب الفائدة :

اتفقت الشرائع على تحريم الفائدة والربا ، على لسان موسى وعيسى ، وجاء النبى العربى صلى الله عليه وسلم يقول : « وأحل الله البيع وحرم الربا » : ذلك أن الأموال كانت تقرض لأغراض الاستهلاك فقط ، أى لحالات شخصية غير منتجة ، وكان الفقير هو الذى يقترض من الغنى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المرابى الذى ينتهز فرصة حاجة المدين الى المال ويملى شروطه القاسية ، حتى إنه فى عهد الرومان كان يرهن المدين شخصه ، فإذا ما حل ميعاد الوفاء ولم يمكنه لفقره أن يدفع لا المبلغ ولا فوائده يدفع بجسمه وعمله بأن يصبح ملكا للدائن . وإن فى قصة « شيلوك » المرابى الذى حكمت له المحكمة أن يقتطع رطلا من لحم المدين وفاء لشروط سداد دينه لدليلا على قسوة الدائنين وتحكمهم ، وأن المدين الذى يقبل هذه الشروط كان يقبلها تحت إرغام الحاجة الماسة التى تسلب قواه العاقلة فيخضع لشروط الدائن ، ولذلك أقام الدين من نفسه قيما عليه ليحفظ له أمواله واعتباره ، ويمنعه من الوقوع بين براثن الدائنين .

ولكن تقسيم العمل والانقلاب الصناعى وقيام الصناعات الكبيرة ، كل أولئك قلب الأوضاع وجعل الإقراض للإنتاج هو الظاهرة الأكثر شيوعا . ولذلك يذهب الاقتصاديون لتبرير الفائدة الى سببين : قانونى ، واقتصادى .

السبب القانونى :

أن رأس المال هو أحد عوامل الإنتاج الثلاثة ، وهى الأرض ، والعمل ، ورأس المال . فكما أن الأرض تستحق نظير استعمالها إيجارا ، والعمل أجرا ، فكذلك يأخذ رأس المال فائدة . وإن مثل امتلاكك منزلا تنتقل اليك ملكيته إما عن طريق الميراث أو الشراء : مثل رأس المال الذى تكون قد ورثته عن آبائك أو قد ادخرته فى حداثتك ، فهو ملكية خاصة لا تعطيها لأحد إلا فى نظير مقابل ، مثلما يأخذ المالك إيجارا نظير تأجير منزله أو أرضه .

وقد يقال إن رأس المال شىء زائد عن حاجة صاحبه ، أو إن صاحبه عاجز عن العمل والتصرف فى ماله فلا يستحق عنه فائدة . ولكن كما يقول الأستاذ « جيد » فى كتابه (مبادىء الاقتصاد السياسى) : أيفرض علىّ أن أدع غيرى يحتل بيتى فقط لأنه قدر علىّ أن أكون غائبا عنه ؟ أو أن أسمح لغيرى أن يأكل طعامى لأنى لست جائعا الآن ؟ ثم إنه إذا كان إيجار المنزل أو الأرض يعتبر قانونيا فكيف لا يكون إيجار رأس المال كذلك ما دام يمكن استعمال رأس المال فى شراء منزل أو أرض ؟ بل إن رأس المال نفسه شكل دائم من الثروة له شخصية قائمة عن المنزل الذى قد يتهدم ، أو الأرض التى قد تبور .

السبب الاقتصادى :

تنشأ الفائدة نتيجة الموازنة بين الحاضر والمستقبل ، والتفاضل بين المنفعة الحاضرة والمنفعة المستقبلة . فالمقرض يؤخر التمتع بوسائله الحاضرة فى سبيل أن يضمن حصوله على قسط ثابت فى مستقبل حياته ، أو هو يضحى منفعة حاضرة بمنفعة مستقبلة .

فالمائة جنيه فى هذه السنة قيمتها تساوى بعد سنة بالنسبة للدائن مائة جنيه وخمسة جنيهات ، وعلى ذلك يستحق المقرض خمسة جنيهات هى فائدة قرضه .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أو أن المائة جنيه قيمتها تساوى بعد سنة بالنسبة للدائن ٩٥ جنيها ، فهو يخصم خمسة جنيهات من المبلغ المقرض فى تاريخ عقد القرض حتى لا يضار اقتصاديا .

ولكن هذه الأسباب قررها الاقتصاديون تبريرا للحالة الناجمة عن النظام الاقتصادى ، وهذا النظام بوضعه الحالى فاسد من أساسه ، لأنه لم يمنع تصادم الفئات وجشع الأفراد وافتقار بعض البلاد نتيجة لنظام توزيع الثروة ، مما سبب المنازعات والشحناء الدائمة بين رب العمل والعامل ، أو الحكومات بعضها وبعض ، بسبب المادة التى تجمعت لدى أفراد وشحت من لدن آخرين . وإن التوتر الحالى فى الحالة الدولية يرجع سببه لسوء توزيع المادة الأولية التى توفرت لدى الرأسماليين .

ولقد حرم الله الربا لما يؤدى اليه من النتائج السابقة التى تهدد المجتمع بالانهيار ، وليرفع من شأن الانسان ، فلا يعيش على التحايل لجمع المال وكنزه ، وبذلك تتكون الطبقة العاطلة من الأمة ، تبقى حارسة على مال معطل ، أو تستخدمه فى إذلال فئات أخرى . ولا يخفى ما يتركه ذلك من الأثر النفسانى السيء ، من تفشى الحسد والبغضاء بين الطبقات المختلفة . وهذا ما يسعى الاسلام للقضاء عليه ، لأنه وهو « دين عام خالد » يفرض مجتمعا غير المجتمع الذى نعيش فيه : مجتمعا مثاليا تسود فيه المحبة والإخاء بين جميع المسلمين ، فالمسلم أخو المسلم ، ولا يتم إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، لذلك لم يفرق بين الاقراض للاستهلاك أو الاقراض للإنتاج . بل إن من توفرت لديه كميات من المال من تجارة أو صناعة أو ميراث أو غنائم وأصبح فى غنى عنه فلا ضير أن يقرضه لإخوانه الذين يحتاجون اليه سواء لغرض إشباع حاجتهم ، أو للعمل فى الانتاج ، ولا يتطلب منهم فائدة ، إلا أنه فى الحالة الاخيرة يمكنه كما سنبين بعد أن يشترك فى الانتاج وينال أرباحا ، وهذا أسمى أنواع التعاون . أليس من مبادىء التعاون الاشتراك فى رأس المال دون انتظار نصيب فى فوائده ؟

كذلك يفرض الاسلام فى المحيط الاسلامى تعاونا بين جميع أفراده ، فهم وحدات تدأب على العمل فى تعاون بينهم لإتمام العمل الربانى الذى خلق الانسان من أجله ، حيث قال تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة »

ولكن مبادىء الاسلام أصبحت عافية الآثار ، إذ قد أهملها ذووها وأخذوا عن الغرب قوانينهم الوضعية ، واعتنقوا مبادئهم الاقتصادية . ولذلك اختلط على أفراد المسلمين التوفيق بين مجاراة الغربيين والتمسك بأهداب دينهم ، خصوصا أن حكوماتهم قد رتبت معاملاتها الاقتصادية على تلك النظم الغربية ، فأسست البنوك ، وأقامت الشركات والبيوت المالية الحديثة . فترى المسلم يودع أمواله فى البنك إلا أنه للوازع الدينى يأبى أن يأخذ عنها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فوائد . وفى ذلك يقول جيد : إن البنكير المسيحى أو اليهودى يستفيد من ذلك كثيرا ، لأنه يشغل ويستثمر تلك الأموال ثم هو يأخذ الفائدة لحسابه .

إلا أن المسلم الذى يفعل ذلك يرتكب خطأ كبيرا من الوجهتين القومية والدينية :

فمن وجهة الاقتصاد القومى : إن مجرد إيداع المال فى البنك يزيد ثروة الأجانب ويقوى نفوذهم ، وكان المفروض أن تطرد رءوس الأموال المصرية رءوس الأموال الأجنبية وتحل محلها فى الصناعة والتجارة والترقى بالزراعة ، خصوصا فى مصر البلد الناشىء نشأة اقتصادية ناهضة ، فبدلا من تعطيل رءوس الأموال يجب المجازفة بها بتأسيس شركات كبيرة لاستثمار الموارد الطبيعية فى مصر ، أو الاشتراك فى رأس مال الشركات الموجودة بشراء أسهمها .

أما من الوجهة الدينية فيكون مثله مثل الرجل يؤجر لليونانى دكانا فى منزله ويحرم على نفسه الخمر ، بينما هو قد ساعد على انتشارها بين سكان الحى . فهو بالمثل إذا لم يأخذ الفائدة من البنك عن أمواله المودعة فيه فانه يعطيه فرصة تشغيلها ومضاعفة أرباحه .

ثم إن ذلك لم يخرج عن كونه كنزاً ، وفى ذلك يقول تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »

هذه هى نظرية الاسلام فى تحريم الكنز والاشتغال بجمع المال « ويل لكل همزة لمزة ، الذى جمع مالا وعدّده ، يحسب أن ماله أخلده » . ولكن لا يظنن من ذلك أنه يدعو الى الإنفاق والإسراف والتبذير فتضيع الثروة الفردية ولا تتجمع لدى الأفراد رءوس الأموال اللازمة للصناعة والانتاج الكبير ، كلا ! بل إنه يحض على إنفاقها فى سبيل الله : أى فى التداول والانتاج والقيام بالعمل الربانى الذى كلف به الانسان يوم حمل الأمانة الكبرى ، وهى تكملة نقص الأرض وزينتها وزخرفها باستخراج ما أودع فى بطنها فى المناجم والمحاجر وصناعته وتنظيمه وتنسيق الزراعة .

بل هو لهذا الغرض يدعو الى الادخار والاقتصاد ، قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وقال : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » وقال : « ولا تبسطها كل البسط » وقال صلى الله عليه وسلم : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا » .

والادخار الذى يدعو له الاسلام ادخار لغرضين : إما للقيام بمشروع جديد ، أو للاشتراك فى مشروع قديم . ويكون ذلك فى عصرنا الحالى بقيام جماعة من المسلمين بتأسيس شركة والاشتراك فى رأس مالها وطرح أسهمها فى السوق ليكتتب الجمهور فيها ، أو بشراء أسهم شركة قائمة كشركة الغزل ، وبذلك يشتركون فى رأس مالها ، لأن السهم جزء من رأس المال

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يعود على صاحبه بربح ناشىء من كسب التجارة أو الصناعة ، فهو حلال بيّن ، ولا عبرة إذا كانت الشركة تشغل جزءا من رأس مالها بفوائد ، فان هذا ليس الغرض من قيامها ، وحكمه حكم الحرير فى لباس يغلب فى نسجه القطن .

إنما إذا كانوا هم أصحاب الشركة أو المشروع فلا يصدرون سندات ، وإذا كانوا من جمهور المساهمين أو المموالين فلا يشترون سندات ، لأن السند يمثل دينا على الشركة ويستحق صاحبه فائدة سنوية سواء ربحت الشركة أم خسرت ، وبذلك يدخل فى الفئة الغنية العاطلة التى تشتغل بالمال ، والتى يحاربها الاسلام ، وتحاربها الاشتراكية الحديثة .

وإذا كانت الحكومات الاسلامية قد سارت على سنن القوانين الاقتصادية الوضعية ، فأنشأت بنوكا مركزية وصناديق للتوفير تشغل أموالها وتعطى عنها فوائد ، وبنوكا للتسليف وتأخذ هى الفائدة ، واضطرتها الظروف السياسية الى الاستدانة وعقد القروض مع الحكومات والبيوت المالية الأجنبية نظير فائدة تدفعها سنويا — فإنه يتعين على كل مسلم حريص على اتباع تعاليم دينه أن يتحاشى هذه المعاملات ، وأن يؤلف ذوو السعة جمعيات من بينهم للإقراض ، إما لغرض الاستهلاك فى الحالات الضرورية ، أو للإنتاج لتشجيع الصناعة والزراعة القومية والنهوض بها بدون فائدة . ولا ضير من الرهن حتى إذا لم يف المدين بدينه يبيع الشىء المرهون ويرد للمدين باقى قيمته فى لين ورفق ، إذ مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . ويخرجون الزكاة ويتصدقون ، حتى تخف وطأة الحاجة على العمال والفقراء ، قال الله تعالى : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

ابراهيم زكى

خريج كلية التجارة العليا

عدل عمر الفاروق

كان عمر بن الخطاب يأمر عماله أن يوافوه فى موسم الحج ، فاذا اجتمعوا قام خطيبا وقال : أيها الناس : إنى لم أستعمل عمالى عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أعراضكم ولا من أموالكم شيئا ، إنما استعملتهم ليحجزوا بينكم ، ويردوا عليكم فيئكم ، فأيكم كانت له عندى مظلمة فليقم .

نقول : إن هذه الوسيلة التى ابتكرها عمر وتفرد بها من بين جميع قادة الأمم ، هى أفعل فى تقويم أخلاق الولاة من كل الأوامر المشددة التى تصدر اليهم ، فضلا عن أنها تشف عن ديمقراطية تحفظ على الشعب كرامته وتصون له عزته .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

النبوغ بين الذكر والنسيان

الخليل بن أحمد

ذكر الناس سيبويه ونسوا أستاذه، وتمثلوا بذكاء إياس وتركوا الخليل، ولهجوا بالأصمعي وأهملوا صاحب العين .

ذلك هو الخليل بن أحمد، نابغة العرب، وصاحب الفضل الأعظم على لغة الضاد والناطقين بها جميعا .

عصر الخليل :

شهدت المدة التي قضاها الخليل من سنة ١٠٠ الى ١٧٤ ﻫ انقلابا هائلا فى حياة العرب الاجتماعية والعلمية واللغوية والأدبية، ذلك بأن الخلفاء من بنى أمية قد ركنوا الى الترف والإسراف، واستمرءوا الدعة والخمول، وانشقوا على أنفسهم، فدب الضعف فى دولتهم، وطمع فيهم خصومهم، وائتمر بهم بنو عمومتهم من العباسيين والعلويين، واستعانوا عليهم بغير العرب من العجم، حتى دكوا عروشهم، وأطاحوا برءوسهم، وأعمل السفاح والمنصور السيف فى أهل بيتهما حتى كان من شناعة ذلك ما سطره التاريخ . قام بنو العباس إذن على سواعد الفرس، فقربوا العجم وأبعدوا العرب لتعصبهم لبنى أمية، وخوفهم من بنى على، وأوصى المنصور أبا مسلم وصيته المشهورة : « إن استطعت ألا تدع فى خراسان لسانا عربيا فافعل » . فنشأ عن ذلك انقلاب فى الفكر وفى اللغة . فقد تعلم العجم لسان العرب، واستخدمهم الخلفاء فى الدولة، فأدخلوا أفكارهم وعلومهم وفلسفتهم، وتغيرت حال اللغة فى التصور والتفكير والخيال والأسلوب، واستفاد العرب من كل ذلك وتعلموه وفهموه ووضعوا فيه الأسفار، وابتكروا من عندهم فنونا وعلوما، فكانت نهضة كبرى أورثتنا حضارة اليوم .

غير أن ما تقدم قد صحبه سيئات، منها أن العجمة انتشرت، وفشا اللحن، وتبلبلت الألسنة، وضعفت السليقة، فقام الغيورون ينضحون عن العربية، يصححون أصولها، ويضعون قواعدها، ويبتكرون ضوابطها، وينشرون فيها السلامة حتى نحوا عنها شرا كثيرا . وقد أم القوم فى ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدى .

نشأة الخليل :

نشأ الخليل نشأة عربية، فتعلم القرآن والحديث، وأخذ اللغة والأدب عن أبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفى، وتلقى فن الإيقاع وغيره على أئمة تلك الفنون . ورحل الى البادية غير

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مرة ، فشافه الأعراب والبلغاء ، وجمع من شعرهم ولغتهم ما لم يجتمع لأحد قبله ، ولم يكن همه من الرحلة الى البادية البحث عن الشعر واللغة وضبط الألفاظ ومعرفة اللهجات ليس غير ، وإنما حشد حشده لوضع أصول النحو وفروعه ومسائله حتى جعل من ذلك علما قائما مضبوطا نقله عنه أئمة هذا الفن ، كما سيأتى ذكره بعد .

اختراع الخليل :

الشعر كتاب العرب ، وضعوا فيه تاريخهم وعلومهم ومفاخرهم وعاداتهم وأخلاقهم ، فكان طبيعيا أن يهتم الخليل به أكثر من غيره ، فنظر إليه نظرة البحث فى ماضيه وحاضره ومستقبله فوجد أن العرب جرت فى ذلك على نظام لم يشذ عنه أحد منهم ، وجرى الخلف على ما صنع السلف بالطبع والسليقة ، ولكن الحال الآن قد تغيرت ، فالموالى قد تعاطوا الشعر وقرضوه ، والعرب قد ضعفت فيهم السليقة ، والألسنة تبلبلت واللحن فشا ، وقد انزلق بعضهم الى غير المقاييس العربية ، ولو اطرد الأمر على هذا لعمت الفوضى ، واضطرب حال الشعر ، وكانت الكارثة على أثمن ما خلف العرب . فطن الخليل الى هذا فهاله ، فأخذ يجمع شعر العرب من كل فج ، ورتبه ترتيبا عجيبا ، وجعله طوائف ، وأرجع كل طائفة الى أصل ، ووضع لكل أصل تفعيلات متزنة يعرف بها ، ويتميز من أصحابه من أجلها ، وانتهت أصوله الى خمسة عشر أصلا سماها بحورا ، وجعل لكل بحر اسما يناسبه ، واستخفى بعمله عن الصحب والولد ، مخافة أن يظنوا به الظنون . وقد رآه مرة أحد أولاده يقطع بيتا من الشعر فظنه مجنونا وأخبر الناس بذلك ، فلامه الخليل على عمله وقال :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى ... أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى ... وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

فلما اطمأن الخليل الى عمله ، ووثق من جلية أمره ، أخرجه الى الناس فبهرهم ، واستولى عليهم ما يشبه الذهول ، وخضع الجميع أمام نبوغ الخليل وتفوقه . ولو كان فى عصرنا هذا لأقاموا له التماثيل .

أمنت لغة القرآن إذن من الاضطراب ، وأصبح الشعر فى حصن لا يتطرق إليه فساد ولا يعتوره خلل ، وصار الشاعر آمنا يؤوى الى ركن ركين ، يقيس به قوله ، ويقدر به عمله ، وأصبح الناطقون بالضاد عيالاً فى ذلك على الخليل ، سواء منهم الشاعر والناثر ، والفقيه والمحدث والمفسر ، والعالم والطالب ، ولا يدرى إلا الله ماذا كانت الحال اليوم فى شعر العرب لولم يصنع الخليل ما صنع .

هذا الرجل الذى أتى بعالم يأت به أحد قبله ، وكانت حياته خيرا وبركة على لغة العرب ، وكان فى وقته ملء فم الدنيا وسمعها ، أين ذكره الآن ؟ هل تعرفه الجامعة ؟ هل تعرفه و

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المعارف ؟ والغريب فى أمر هذا الرجل أن الناس يرجعون اليه فى كل يوم ألف مرة ، ولكن أحدا لم يذكره مرة !

ولم يكن اختراع الخليل مقصورا على ضوابط الشعر وأوزانه ، وإنما ابتكر طريقة تدوين المعاجم ، وهو صاحب الشكل المستعمل الآن .

قال حمزة بن الحسن الأصبهانى : إن دولة الاسلام لم تخرج أبدع للعلوم التى لم يكن لها عند العرب أصول من الخليل ، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذى لا عن حكيم أخذه ، ولا على مثال تقدمه احتذاه ، وإنما اخترعه ، فلو كانت أيامه قديمة ، ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الأمم لصنعته مالم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه علم العروض ، ومن وضعه كتاب العين الذى يحصر لغة أمة ... الخ .

نبوغ الخليل :

النبوغ : التفوق . وسأقف منه على كلمات ، فقد اتسعت أرجاؤه وإن قل وجوده فى الناس ، والنبوغ قد يكون فى فكرة ، وقد يكون فى إدراك ، وقد يكون فى فن ، وقد يكون فى علم ، وقد يكون فى غير ذلك . وللنبوغ مزايا وضحايا ، فهو الذى أضاء العالم ، ووهب للناس النور والمعرفة ، ونقلهم مما كانوا فيه الى الأفق الذى نرى الآن . غير أنه يخرج على المعهود والمألوف ، ويطمس كثيرين من العلماء البارزين ، ويقضى على شهرة المشهرين منهم . ولهذا كان أكثر الناس عداوة للنبوغ ، وأشدهم حقدا على النابغ ، العلماء وأنصاف العلماء ، يحاربونه ويقللون من شأنه . ولكن أنى للذرة أن تطاول الجبل ، وللذبالة أن تباهى الغزالة ! ومن شأن النابغة أن يفكر فى كل شيء حوله ، وأن يفكر فيما ليس حوله ، وأن ينصت الى صوت الطبيعة ، فقد تكون منه لغة يتفاهم بها مع نفسه ، ويزداد هذا التفاهم حتى يخرج من العدم وجودا ، وقد يرسل النابغة فكره الى عالم آخر فيواتيه الالهام فيدله على مالم يبدعه أحد قبله . والخليل قد فكر فواتاه الالهام ، وأنصت الى صوت الجماد فكانت منه لغة تفاهم بها مع نفسه ، وازداد هذا التفاهم حتى أوجد مالم يوجده أحد قبله . قالوا إن الخليل قد مر برجل يضرب بمقرعة على طست ، فخلق من هذه الرنات علم العروض ، وهذا هو النبوغ . فالخليل نابغة لأنه فكر ، ولأنه أدرك ، ولأنه خلق مالم يخلق من قبل .

الخليل اللغوى :

كان الخليل إماما فى اللغة ، أخذها عن ابن العلاء وأضرابه ، وشافه الأعراب فى البادية ، فأحاط من ذلك بما لم يحط به أحد ، فأراد أن يحفظ للعرب لغتهم ، فابتكر طريقة المعاجم ، ووضع كتاب العين ، وقد أكمله بعده تلاميذه النضر بن شميل وغيره ، وقد احتذى مثاله

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كل من جاء بعده من اللغويين ، وقد بدأه بحرف العين فسماه بهذا الاسم . غير أن النضر وزملاءه لم يتمكنوا من إتمام الكتاب كما رسم الخليل ، فغيروا وبدلوا ، فجاء فيه بعض اضطراب لا يقع الخليل فى مثله .

الخليل النحوى :

إذا استثنينا جملا قصيرة وضعها أبو الأسود وغيره ، وجدنا أن الخليل هو الذى أبدع النحو ، أو على الأقل هو الذى أوجده علما قائما مضبوطا ، فقد استخرج مسائله وفرّع على أصوله ، ووضع ضوابطه ، وخف اليه العلماء فأخذوه عنه ، ولقن سيبويه ما وضع منه كتابه الذى صار مرجعا وإماما لكل من كتب فى هذا الفن بعد . وقد بلغ من شأن هذا الكتاب أنه كان إذا أطلق لفظ الكتاب لا ينصرف الذهن إلا اليه . قال الجاحظ : أردت الخروج الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ففكرت فى شىء أهديه اليه فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه . وكان الخليل يحب سيبويه ويقرّبه ، ويقول عند قدومه : مرحبا بزائر لا يمل ! قال أبو عمرو المخزومى : ما سمعت الخليل يقولها لأحد إلا لسيبويه .

الخليل العالم :

يكفى أن نقول فى ذلك : إن الخليل كان يعلم ما يعلمه أهل زمانه ، ويعلم ما ليس يعلمونه ويعلمهم إياه ، وقد ألف كتبا فى كثير من العلوم والفنون .

الخليل الزاهد :

كان الخليل عالى النفس بعيد الهمة ، أبيا ، يرى الحياة فى العلم ، وإبداع ما ينفع الناس ، غير مهتم بمال ولا منصب ، فكان تلاميذه يكسبون بعلمه الأموال الطائلة وهو مقيم فى كوخ من أكواخ البصرة يعمل ويفكر ويخرج الى الناس ما يبهرهم ، وكان يقول : « إنى لأغلق علىّ بابى فما يجاوزه همى » . وكثيرا ما كان ينشد قول الأخطل :

وإذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الأعمال

وقد علم بحاله سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة فأجرى له راتبا ، وكان واليا على فارس والأهواز ، وكتب اليه يستدعى حضوره ، فأحس الخليل أنه إنما يريد أن يستخدمه بماله ، فكتب اليه :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة وفى غنى غير أنى لست ذا مال
شحا بنفسى أنى لا أرى أحدا يموت هزلا ولا يبقى على حال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر فى النفس لا فى المال نعرفه ومثل ذاك الغنى فى النفس لا المال

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فقطع عنه سليمان الراتب ، فقال الخليل :

إن الذى شق فمى ضامن   للرزق حتى يتوفانى

فبلغ ذلك سليمان فكتب اليه يعتذر وأضعف راتبه .

وفاة الخليل :

قالوا : إن الخليل دخل المسجد وهو يفكر فى اختراع نوع من الحساب تذهب به الجارية الى البياع فلا يظلمها ، فصدمته سارية الجامع ، فكانت هذه الصدمة سبب وفاته ، رحمه الله ، وذكر العلماء به ؟

محمد ناصف

حرفة الادب

اشتهر قول الأدباء : أدركته حُرْفة الأدب . والحرفة : الحرمان ، يريدون بذلك أن كل أديب لا بد من أن تدركه هذه الحرفة فتنعكس آماله ، وتسوء حاله . حتى روى أن أبا عبيدة ابن معمر بن المثنى قال : قال لى أبى : إذا كتبت كتابا فالحن فيه ، فان الصواب حرفة ، والخطأ نجح . أخذه بعض الشعراء فنظمه فى قوله :

إن كنت يوما كاتبا رقعة   تبغى بها نجح وصول الطلب
إياك أن تعرب ألفاظها   فتكتسى حرفة أهل الأدب

ومن أدلة القائلين بهذا الرأى ماحدث لعبد الله بن المعتز : فانه لما خلع المقتدر بالله العباسى بويع عبد الله بن المعتز بالخلافة ، وهو واضع علم البديع ، ومكانته فى الأدب لا تطاول . فلقبوه المرتضى . وكانت الفتن قائمة على ساق وقدم فلم يلبث فى الخلافة غير يومين ، فألحت عليه الاضطرابات فاضطر للهرب بحياته من وجه الذين يتقصدونه بالموت . ولم يلبث أن انكشف أمره وقتله حزب خصمه فى تلك الدار . فقال فيه ابن بسام :

لله درك من ميت بمضيعة   ناهيك فى العلم والآداب والحسب
مافيه لولا ولا ليت فتنقصه   وإنما أدركته حرفة الأدب

وقال أبو إسحاق الصابى :

قد كنت أعجب من مالى وكثرته   وكيف تغفل عنى حرفة الأدب
حتى انثنت وهى كالغضبى تلاحظنى   شزرا فلم تبق لى شيئا من النشب

أما نحن فنرد كل هذا ، ودليلنا ما كان للادب من دولة فى شباب الدولة الاسلامية ، وماله من دولة اليوم ، حيث يبوّئ المجيدين من أهله أعلى المراتب .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نظرة فى عالم الاسماك

أطروفة علمية عن عالم البحار

إن هذا النهر العذب الفرات ، الهادىء الجنبات ، وذاك البحر الملح الأجاج ، المتلاطم الأمواج ، يضمان بين طياتهما عالما غريبا مملوءاً بكل مدهش وعجيب ، ذلكم هو عالم الأسماك . وكلما تقدم العلم أبان عن ظواهر غامضة ونواح غريبة فى حياة تلك الكائنات يقف العقل أمامها عاجزا مشدوها ، لا يجد لها تفسيرا أو يدرك لها تعليلا . فما كم حديث الأسماك المهاجرة : تلك التى تترك موطنها وتهاجر فى سياحة شاقة طويلة ، معرضة لأشد الأخطار دون أن تتردد أو تهن ، حديث فيه طلاوة وغرابة ، وفيه عظة وعبرة .

وجد علماء الحيوان من المشاهدات العديدة أن ثعابين السمك لا تتناسل أصلا فى الأنهار التى تعيش فيها ، ومع ذلك فان عددها لا ينقص سنة عن أخرى ؛ فلما أن وضع تاريخها موضع البحث والتجربة ، طالعتهم قصة من أغرب القصص التى لا يكاد يصدقها العقل ، تبين أن ثعابين السمك حينما يتم نموها فى السنة الخامسة أو السادسة ، تتهيأ لمغادرة النهر والرحلة الى المحيط ابتغاء التزاوج ، فتتحين وقت الخريف وتترك النهر فى جماعات هائلة متجهة الى مصبه ، ثم تنتظر ليلة مدلهمة الظلام حالكة السواد عاصفة الجو ، فتنزل الى البحر وقت اضطرابه ، وتعوم فيه بنشاط عجيب ؛ تبتدئ بذلك رحلتها الطويلة ، فتمر من بوغاز جبل طارق الى المحيط الأطلنطى ، وتعبره الى جزائر برمودة شمال بحر السرجاس ، التى تبعد عن شواطئ الولايات المتحدة الامريكية بنحو ألف كيلو متر . وقد اصطيدت حيوانات مختلفة فى مناطق متعددة أثناء تلك السياحة ، فوجد أن الغدد التناسلية تكون أقرب الى البلوغ والنضج كلما اقتربت من بحر السرجاس ، مما يدل على نموها طول فترة السياحة .

تقطع إذاً آلاف الكيلومترات لكى تصل الى جزائر البرمود بسرعة تتراوح بين ٢٠ — ٣٠ كيلو مترا فى اليوم ، فاذا ما وصلت الى مكانها المنشود تبيض الأنثى كمية هائلة من البيض قد تزيد على المليون ، ثم تفرغ الذكور حيواناتها المنوية فى الماء ، وبهذه الطريقة يتم إخصاب البيض .

يبقى البيض مدة فى الماء ثم يفقس وتخرج منه يرقات صغيرة تبدأ سياحتها راجعة فى نفس الطريق الذى سلكه الآباء من قبل ، وتتغذى فى طريقها بالحيوانات المائية الدقيقة . أما مصير الآباء بعد وضع البيض فأمره مجهول تماما ، إلا أن الرأى السائد فى الدوائر العلمية أنها تموت بعد أن تؤدى مهمتها فى الحياة ، كما هى العادة عند بعض الحيوانات . وعند ما تعبر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ثعابين السمك الأمريكية النامة النمو بسياحتها من الأنهار الى المحيط ، فإن نسلها لا يرجع إلا الى الأنهار الأمريكية التى تربى فيها الأبوان ، فلا يوجد ثعبان السمك الأمريكى فى أنهار أوربا ولا فى أنهار أفريقية ، وكذلك الشأن مع الثعبان الافريقى والأوربى ، كل يسلك سبيلا مرسوما لا يحيد عنه قيد أنملة ، هو السبيل الذى سلكه أبواه من قبل .

فقل لى بربك : أى قدرة خفية قاهرة تسيطر على تلك المجاهاوات فتسيرها فى طريق لا تحيد محيصا عن سلوكه ، لا يختلف فى ذلك الابن عن الأب عن الجد ؟ ثم كيف يدرك الأبناء أنها فى غربة عن الوطن ، فلا يهدأ لها بال ، ولا تستقر على حال حتى تهاجر من مقرها وهى لا تضل سبيلها فى تلك البحار الخضمة المتلاطمة الأمواج ؟

إنها قدرة الله العلى القادر (وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليما قديرا) !!!

رضوان محمد رضوان

بكالوريوس فى العلوم الزراعية

من أخبار أهل الفصاحة

قال الجاحظ : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحاها رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تخير اللفظ ، والمحبة مقرونة بالايجاز .

فى المثل : أخطب من قس بن ساعدة الايادى .

وقد عرف الناس أن لاياد وتميم شرفا ليس لقبيلة من العرب ، فأما إياد فلأن النبى صلى الله عليه وسلم روى كلام قس وموعظته بعكاظ . وأما تميم فلأنه صلى الله عليه وسلم سأل عمرو بن الأيهم عن الزبرقان بن بدر ، فأجابه بكلام مدحه فيه بما عنده ، فلم يرض الزبرقان باقتصاره على ما قاله ، ورأى أنه غض منه ، وأنها عثرة لا تقال . فعاد عمرو بن الأيهم فذمه لرسول الله فى المجلس نفسه ، وكان صادقا فيما ذكره أولا من محاسنه ، وصادقا فيما ذكره ثانية من مساوئه . فعجب صلى الله عليه وسلم من سرعة بديهته ، وطلاوة عبارته ، وقال : إن من البيان لسحرا .

قال قيس بن عاصم يمدح قوما بالخطابة :

خطباء حين يقول قائلهم بيض الوجوه مصاقع لسن

وقال آخر :

وإنى من قوم كرام أعزة لأقدامهم صيغت رءوس المنابر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

دفاع عن القرآن الكريم

هل هذه القراءات السبع هي الأحرف السبعة

فصل : قال كثير من علمائنا كالداودى وابن أبى صفرة وغيرهما : هذه القراءات السبع التى تنسب لهؤلاء القراء السبعة ، ليست هى الأحرف السبعة التى اتسعت الصحابة فى القراءة بها ، وإنما هى راجعة الى حرف واحد من تلك السبعة ، وهو الذى جمع عليه عثمان المصحف . ذكره ابن النحاس وغيره . وهذه القراءات المشهورة هى اختيارات أولئك الأئمة القراء . وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى ، فالتزمه طريقة ورواه وأقرأ به واشتهر عنه ، وعرف به ونسب اليه ، فقيل : حرف نافع ، وحرف ابن كثير . ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره بل سوغه وجوزه . وكل واحد من هؤلاء السبعة روى عنه اختياران أو أكثر ، وكل صحيح . وقد أجمع المسلمون فى هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة مما رووه ورأوه من القراءات وكتبوا فى ذلك مصنفات ، فاستمر الاجماع على الصواب ، وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب . وعلى هذا الأئمة المتقدمون والفضلاء المحققون ، كالقاضى أبى بكر بن الطيب ، والطبرى وغيرهما . قال ابن عطية : ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة وبها يصلى لأنها ثبتت بالاجماع ، وأما شاذ القراءات فلا يصلى به لأنه لم يجمع الناس عليه . أما أن المروى منه عن الصحابة رضى الله عنهم وعن علماء التابعين فلا نعتقد فيه إلا أنهم رووه . وأما ما يؤثر عن أبى السماك ومن قارنه فلا يوثق به . قال غيره : أما شاذ القراءة عن المصاحف المتواترة فليست بقرآن ، ولا يعمل بها على أنها منه ، وأحسن محاملها أنها بيان تأويل مذهب من نسبت اليه كقراءة ابن مسعود : « فصيام ثلاثة أيام متتابعات » فأما لو صرح الراوى بسماعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختلف العلماء فى العمل بذلك على قولين : النفى والإثبات . ووجه النفى أن الراوى لم يروه فى معرض الخبر بل فى معرض القرآن ، ولم يثبت فلا يثبت . والوجه الثانى أنه وإن لم يثبت كونه قرآنا فقد ثبت كونه سنة . وذلك يوجب العمل كسائر أخبار الآحاد .

فصل فى ذكر معنى حديث عمر وهشام — قال ابن عطية : أباح الله تعالى لنبيه عليه السلام هذه الحروف السبعة وعارضه بها جبريل عليه السلام فى عرضاته على الوجه الذى فيه الاعجاز وجودة الوصف ، ولم تقع الاباحة فى قوله عليه السلام : « فاقرءوا ما تيسر منه » بأن يكون كل واحد من الصحابة اذا أراد أن يبدل اللفظ من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه . ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن ، وكان معرضا أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذى نزل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من عند الله . وإنما وقعت الاباحة فى الحروف السبعة للنبى صلى الله عليه وسلم ليوسع بها على أمنه ، فأقرأ مرة لأبى بما عارضه به جبريل ، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضا . وعلى هذا تجىء قراءة عمر بن الخطاب لسورة الفرقان ، وقراءة هشام بن حكيم لها . وإلا فكيف يستقيم أن يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى كل قراءة منهما ، وقد اختلفتا : « هكذا أقرأنى جبريل » ؟ هل ذلك إلا أنه أقرأه مرة بهذه ومرة بهذه ؟ وعلى هذا يحمل قول أنس حين قرأ : إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأصوب قيلا . فقيل له : إنما نقرأ : وأقوم قيلا . فقال أنس : وأصوب قيلا وأقوم قيلا وأهيأ ، واحد . فانما معنى هذا أنها مروية عن النبى صلى الله عليه وسلم . وإلا فلو كان هذا لأحد من الناس أن يضعه لبطل معنى قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . روى البخارى ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها ، فكدت أن أعجل عليه ، ثم أمهلته حتى انصرف ، ثم لببته بردائه ، فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله : إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله : اقرأ ، فقرأ القراءة التى سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت : ثم قال لى : اقرأ ، فقرأت ، فقال : هكذا أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه .

قلت : وفى معنى حديث عمر هذا ، ما رواه مسلم عن أبى بن كعب قال : كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى ، فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فأمرهما النبى صلى الله عليه وسلم فقرءا ، فحسن النبى صلى الله عليه وسلم شأنهما ، فسقط فى نفسى من التكذيب ولا إذ كنت فى الجاهلية ! فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ما قد غشينى ضرب فى صدرى ففضت عرقا ، وكأنى أنظر الى الله تعالى فرقا ، فقال : يا أبى أرسل الىّ أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت اليه أن هوّن على أمتى ، فرد الى الثانية أن أقرأه على حرفين ، فرددت اليه أن هون على أمتى ، فرد الى الثانية أن أقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها ، فقلت : اللهم اغفر لأمتى ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب الى فيه الخلق كلهم حتى ابراهيم عليه السلام .

قول أبى رضى الله عنه «فسقط فى نفسى» معناه : اعترتنى حيرة ودهشة : أى أصابته نزغة من الشيطان ليشوش عليه حاله ، ويكدر عليه وقته ، فانه عظم عليه من اختلاف القراءات ما ليس عظيما فى نفسه ، وإلا فأى شىء يلزم من المحال والتكذيب من اختلاف القراءات ، ولم يلزم ذلك والحمد لله فى النسخ الذى هو أعظم ، فكيف بالقراءة ؟ ولما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ما [illegible] من ذلك الخاطر نبهه بأن ضربه فى صدره ، فأعقب ذلك بأن انشرح صدره

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وتنور باطنه ، حتى آل به الكشف والشرح الى حالة المعاينة . ولما ظهر له قبح ذلك الخاطر خاف من الله تعالى وفاض بالعرق استحياء من الله تعالى ، فكان هذا الخاطر من قبيل ما قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم حين سألوه : إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال : « وقد وجدتموه ؟ » قالوا : نعم ، قال : « ذلك صريح الايمان » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة ، وسيأتى الكلام عليه فى سورة الأعراف إن شاء الله تعالى .

الرد على من خالف مصحف عثمان :

لا خلاف بين الأمة ، ولا بين الأئمة أهل السنة ، أن القرآن اسم لكلام الله تعالى الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم معجزة له ، فمن ادعى زيادة عليه أو نقصا منه فقد أبطل آية رسوله عليه السلام ، لأنه إذ ذاك يصير القرآن مقدورا عليه حين شيب بالباطل ، ولما قدر عليه لم يكن حجة ولا آية ، وخرج عن أن يكون معجزا .

قال الإمام أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الانبارى ما ملخصه : ولم يزل أهل الفضل والعقل يعرفون من شرف القرآن وعلو منزلته ، ما يوجبه الحق والانصاف والديانة ، وينفون عنه قول المبطلين ، وتمويه الملحدين وتحريف الزائفين ، حتى نبع فى زماننا هذا زائغ زاغ عن الملة ، وهجم على الأمة بما يحاول به إبطال الشريعة التى لا يزال الله يؤيدها ، ويثبت أسها ، وينمى فرعها ، ويحرسها من معايب أولى الحيف والجور ، ومكايد أهل العداوة والكفر ، فزعم :

(١) أن المصحف الذى جمعه عثمان رضى الله عنه — باتفاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على تصويبه فيما فعل — لا يشتمل على جميع القرآن ، إذ كان قد سقط منه خمسمائة حرف ، قد قرأت بعضها وسأقرأ بقيتها ، فمنها : « والعصر ونوائب الدهر » فقد سقط من القرآن على جماعة المسلمين « ونوائب الدهر » ، ومنها : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها » ، فادعى هذا الانسان أنه سقط على أهل الاسلام من القرآن : « وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها » ، وذكر مما يدعى حروفا كثيرة .

(٢) وادعى أن عثمان والصحابة رضى الله عنهم زادوا فى القرآن ما ليس فيه ، فقرأ فى صلاة الفرض والناس يسمعون : « الله الواحد الصمد » فأسقط من القرآن « قل هو » وغيّر لفظ « أحد » وادعى أن هذا هو الصواب والذى عليه الناس هو الباطل والمحال ، وقرأ فى صلاة الفرض : « قل للذين كفروا لا أعبد ما تعبدون » وطعن على قراءة المسلمين .

(٣) وادعى أن المصحف الذى فى أيدينا اشتمل على تصحيف حروف مفسدة مغيرة منها : « إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » فادعى أن الحكمة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والعزة لا يشاكلان المغفرة ، وأن الصواب : « وإن تغفر لهم فانك أنت الغفور الرحيم » . وترامى به الغى فى هذا وأشكاله حتى إن المسلمين يصحفون : « وكان عند الله وجيها » والصواب الذى لم يغير عنده : « وكان عبد الله وجيها » ، وحتى قرأ فى صلاة مفترضة على ما أخبرنا به جماعة سمعوه وشهدوه : « لا تحرك به لسانك إن علينا جمعه وقراءته ، فاذا قرأناه فاتبع قراءته ، ثم إن علينا نبأ به » ، وحكى لنا آخرون عن آخرين أنهم سمعوه يقرأ : « ولقد نصركم الله ببدر بسيف علىّ وأنتم أذلة » ، وروى هؤلاء أيضا لنا عنه قال : « وهذا صراط علىّ مستقيم » ، وأخبرونا أنه أدخل فى آية من القرآن ما لا يضاهى فصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يدخل فى لسان قومه الذين قال الله عز وجل فيهم : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » فقرأ : « أليس قلت للناس » فى موضع « أأنت قلت للناس » . وهذا لا يعرف فى نحو المعربين ، ولا يحمل على مذاهب النحويين ، لأن العرب لم تقل : ليس قمت ، فأما لست قمت ، بالتاء فشاذ قبيح لأن ليس لا تجحد الفعل الماضى ، ولم يوجد مثل هذا إلا فى قولهم : أليس قد خلق الله مثلهم ؟ وهو لغة شاذة لا يحمل كتاب الله عليها .

(٤) وادعى أن عثمان رضى الله عنه لما أسند جمع القرآن الى زيد بن ثابت لم يصب ، لأن عبد الله ابن مسعود وأبىّ بن كعب كانا أولى بذلك من زيد لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « اقرأ أمتى أبى بن كعب » ولقوله عليه السلام « من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ بقراءة ابن أم عبد » ، وقال هذا القائل : لى أن أخالف مصحف عثمان كما خالفه أبو عمرو بن العلاء ، فقرأ « إن هذين » ، و « فأصدق وأكون » ، و « بشر عبادى الذين » بفتح الياء ، « فما آتانى الله » بفتح الياء ، والذى فى المصحف « إن هذان » بالألف ، « فأصدق وأكن » بغير واو ، « فبشر عباد » ، « فما آتان الله » بغير ياءين ، فى الموضعين ، وكما خالف ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى مصحف عثمان فقرءوا « وكذلك ننجى المؤمنين » باثبات نونين ، يفتح الثانية بعضهم ويسكنها بعضهم . وفى المصحف نون واحدة ، وكما خالف حمزة المصحف فقرأ « أتمدونى بمال » بنون واحدة ووقف على الياء ، وفى المصحف نونان ولا ياء بعدها ، وكما خالف حمزة أيضا المصحف فقرأ « ألا إن ثمودا كفروا ربهم » بغير تنوين ، وإثبات الألف يوجب التنوين ، وكل هذا الذى شنع به على القراء ما يلزمهم به خلاف للمصحف .

قال أبو بكر : وذكر هذا الانسان أن أبىّ بن كعب هو الذى قرأ « كأن لم تغن بالأمس وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها » وذلك باطل ، لأن عبد الله بن كثير قرأ على مجاهد ، ومجاهد قرأ على ابن عباس ، وابن عباس قرأ القرآن على أبى بن كعب « حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات » ، وفى رواية : وقرأ أبى القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا الاسناد متصل بالرسول عليه السلام نقله أهل العدالة والصيانة . وإذا صح عن رسول الله

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

صلى الله عليه وسلم أمر لم يؤخذ بحديث يخالفه . وقال يحيى بن المبارك اليزيدى : قرأت القرآن على أبى عمرو بن العلاء ، وقرأ أبو عمرو على مجاهد وقرأ مجاهد على ابن عباس ، وقرأ ابن عباس على أبىّ بن كعب ، وقرأ أبىّ على النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس فيها « وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها » فمن جحد أن هذه الزيادة أنزلها الله تعالى على نبيه عليه السلام فليس بكافر ولا آثم . حدثنى أبىّ نبأنا نصر بن داود الصاغانى نبأنا أبو عبيد قال : ما يروى من الحروف التى تخالف المصحف الذى عليه الاجماع من الحروف التى يعرف أسانيدها الخاصة دون العامة فيما نقلوا فيه عن أبىّ : « وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها » .

وعن ابن عباس « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج » ، ومما يحكون عن عمر بن الخطاب أنه قرأ : « غير المغضوب عليهم وغير الضالين » مع نظائر لهذه الحروف كثيرة ، لم ينقلها أهل العلم على أن الصلاة بها تحل ، ولا على أنها معارض بها مصحف عثمان ، لأنها حروف لو جحدها جاحد أنها من القرآن لم يكن كافرا ، والقرآن الذى جمعه عثمان بموافقة الصحابة له لو أنكر بعضه منكر كان كافرا ، حكمه حكم المرتد يستتاب ، فان تاب وإلا ضربت عنقه . وقال أبو عبيد : لم يزل صنيع عثمان رضى الله عنه فى جمعه القرآن يعتد له بأنه من مناقبه العظام ، وقد طعن عليه فى بعض أهل الزيغ فانكشف عواره ، ووضحت فضائحه ، وقال أبو عبيد : وقد حدثت عن يزيد بن زريع عن عمران بن جرير عن أبى مجلز قال : طعن قوم على عثمان رحمه الله بحمقهم جمع القرآن ثم قرءوا ما نسخ ، قال أبو عبيد : يذهب أبو مجلز الى أن عثمان أسقط الذى أسقط بعلم كما أثبت الذى أثبت بعلم . قال أبو بكر : وفى قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » دلالة على كفر هذا الانسان ، لأن الله عز وجل قد حفظ القرآن من التغيير والتبديل ، والزيادة والنقصان ، فاذا قرأ قارئ : « تبت يدى أبى لهب وقد تب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، ومريته حمالة الحطب ، فى جيدها حبل من ليف » فقد كذب على الله جل وعلا ، وقوله ما لم يقل ، وبدل كتابه وحرفه ، وحاول ما قد حفظه منه ومنع من اختلاطه به ، وفى هذا الذى أتاه توطئة الطريق لأهل الالحاد ، ليدخلوا فى القرآن ما يحلون به عرا الاسلام ، وينسبونه الى قوم كهؤلاء القوم الذين أحال هذا بالأباطيل عليهم ، وفيه إبطال الاجماع الذى به يحرس الاسلام ، وبثباته تقام الصلوات ، وتؤدى الزكوات ، وتتحرى المتعبدات .

وفى قول الله تعالى : « الر كتاب أحكمت آياته » دلالة على بدعة هذا الانسان وخروجه الى الكفر ، لأن معنى « أحكمت آياته » منع الخلق من القدرة على أن يزيدوا فيها ، أو ينقصوا منها ، أو يعارضوها بمثلها ، وقد رأينا هذا الانسان زاد فيها « وكفى الله المؤمنين القتال بعلىّ وكان الله قويا عزيزا » ، فقال فى القرآن هجرا ، وذكر عليا فى مكان لو سمعه يذكره فيه لأمضى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عليه الحد ، وحكم عليه بالقتل ، وأسقط من كلام الله : « قل هو » وغير « أحد » فقرأ : الله الواحد الصمد ، وإسقاط ما أسقطه نفى له وكفر ، ومن كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله وأبطل معنى الآية ، لأن أهل التفسير قالوا : نزلت الآية جوابا لأهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : صف لنا ربك : أمن ذهب أم من نحاس أم من صفر ؟ فقال الله جل وعز ردا عليهم : « قل هو الله أحد » ففى « هو » دلالة على موضع الرد ومكان الجواب ، فاذا سقط بطل معنى الآية ، ووضح الافتراء على الله عز وجل ، والتكذيب لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ويقال لهـذا الانسان ومن ينتحل أصرته : أخبرونا عن القرآن الذى نقرؤه ولا نعرف نحن ولا من كان قبلنا من أسلافنا سواه : هل هو مشتمل على جميع القرآن من أوله الى آخره صحيح الألفاظ والمعانى عار من الفساد والخلل ، أو هو واقع على بعض القرآن والبعض الآخر غائب عنا كما غاب عن أسلافنا والمتقدمين من أهل ملتنا ؟ وإن أجابوا بأن القرآن الذى معنا مشتمل على جميع القرآن لا يسقط منه شىء ، صحيح اللفظ والمعانى ، سليمها من كل زلل وخلل ، فقد قضوا على أنفسهم بالـكفر حين زادوا فيه « فليس له اليوم هاهنا حميم ، وليس له شراب إلا من غسلين ، من عين تجرى من تحت الجحيم » فأى زيادة فى القـرآن أوضح من هـذه ؟ وكيف يخلط القرآن وقـد حرسه الله منها ومنع كل مفتر ومبطل من أن يلحق به مثلها ، وإذا تؤملت وبحث عن معناها وجـدت فاسدة غير صحيحة ، لا تشا كل كلام البارىء تعالى ولا تختلط به ، ولا توافق معناه ؟ وذلك أن بعدها « لا يأكله إلا الخـاطئون » .

فـكيف يؤكل الشراب والذى أتى به قبلها « فليس له اليوم ها هنا حميم ، وليس له شراب إلا من غسلين ، من عين تجرى من تحت الجحيم ، لا يأكله إلا الخاطئون » ؟ فهذا متناقض يفسد بعضه بعضا ، لأن الشراب لا يؤكل ، ولا تقول العرب : أكلت الماء ، لـكنهم يقولون : شربته وذقته وطعمته . ومعناه فيما أنزل الله تبارك وتعالى على الصحة فى القرآن الذى من خالف حرفا منه كفر : « ولا طعام إلا من غسلين » لا يأكل الغسلين إلا الخاطئون ، أو لا يأكل الطعام إلا الخاطئون . والغسلين : ما يخرج من أفواههم من الشحم وما يتعلق به من الصديد وغيره ، فهذا طعام يؤكل عند البلية والنقمة ، والشراب محال أن يؤكل ، فإن ادعى هـذا الانسان أن هذا الباطل الذى زاده من قوله « من عين تجرى من تحت الجحيم » ليس بعدها « لا يأكله إلا الخاطئون » ونفى هذه الآية من القرآن لنصح له زيادته ، فقد كفر لما جحد آية من القرآن . وحسبك بهذا كله ردا لقوله ، وخزيا لمقاله . وما يؤثر عن الصحابة والتابعين أنهم قرءوا بكذا وكذا إنما ذلك على جهة البيان والتفسير لا أن ذلك قرءان يتلى ؟

حسن حسين

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشعوبية وأثرها فى الادب العربى

— ٣ —

حدث ابن أبى ليلى قال : قال لى عيسى بن موسى وكان متدينا شديد العصبية : من كان فقيه البصرة ؟ قلت : الحسن بن أبى الحسن ، قال : ثم من ؟ قلت : محمد بن سيرين ، قال : فما هما ؟ قلت : موليان ، قال : فمن كان فقيه مكة ؟ قلت : عطاء ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وسليمان ابن يسار ، قال : فما هؤلاء ؟ قلت : من الموالى ، قال : فمن فقهاء المدينة ؟ قلت : زيد بن أسلم ومحمد بن المنكدر ، ونافع بن أبى نجيح ، قال : فما هؤلاء ؟ قلت : موالٍ ، فتغير لونه ، ثم قال : فمن أفقه أهل قباء ؟ قلت : ربيعة الرأى ، وابن أبى الزناد ، قال : فما كانا ؟ قلت : من الموالى ، فاربد وجهه ، ثم قال : فمن كان فقيه اليمن ؟ قلت : طاوس وابنه وابن منبه ، قال : فما هؤلاء ؟ قلت : من الموالى ، فانتفخت أوداجه فانتصب قاعدا ، ثم قال : فمن كان فقيه خراسان ؟ قلت : عطاء بن عبد الله الخراسانى ، قال : فما كان عطاء ؟ قلت : مولى ، فازداد وجهه تربدا ، واسود اسوداداً حتى خفته ، ثم قال : فمن كان فقيه الشام ؟ قلت : مكحول ، قال : فما كان مكحول هذا ؟ قلت : مولى ، فتنفس الصعداء ، ثم قال : فمن كان فقيه الكوفة ؟ قال : فوالله لولا خوفه لقلت : الحكم بن عتيبة ، وعمار بن أبى سليمان ، ولكن رأيت فيه الشر فقلت : ابراهيم والشعبى ، قال : فما كانا ؟ قلت : عربيان ، قال : الله أكبر ، وسكن جأشه !

وهذه المحاورة قد أثبتها صاحب العقد الفريد فنقلناها عنه محافظين على نصها ؛ فان كانت صحيحة — ولا بعد فى ذلك — فليس فيها غريب ، فهى تدل من قريب على أن العصبية الجنسية قد بلغت ببعضهم هذا المبلغ الذى رأيته ، ولم يمنعها عن الطغيان ويقفها عن الغلو ما اشتهروا به من ورع عن الدنايا ، وتعفف عن المسف من القول والمخزى من الفعال ! فهذا هو عيسى بن موسى فى صلاحه وتقواه ، وعفته وزهده ، ويقينه بأن الفضل بيد الله يختص به من يشاء ، وأن الحكمة تحت تصرفه يعطيها لمن يشاء ، وأن التلميذ قد يفوق أستاذه ويبذه فى الميدان ، وأن الناس كلهم لآدم لا فرق بين عجميهم وعربيهم إلا بسلامة الفطن ، ورجاحة العقول ، وثقوب الأفكار ونضوج الآراء ، فأى غريب فى أن يكون قادة الأمة الموفقون ، وزعماؤها المظفرون ، وفقهاؤها المجتهدون ، من أجناس مختلفة ؟ وأى مسوغ لهذا الحقد الدفين ، والحسد الأصيل الذى رأيناه وتراه على محيا ابن موسى ، فيتجهم تارة ، ويربد تارة أخرى ، وتنتفخ أوداجه من الغيظ طورا ، ويتنفس الصعداء طورا آخر ، لا لشئ سوى أن فقهاء كل بلد مما ذكره كانوا من الموالى لا من العرب ؟ وليس هناك من باعث فيما نعتقد إلا تعصبه لقومه ، وليس هذا من مذهب الاسلام فى شىء . أما درى أن تفاضل الناس فيما بينهم ليس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بكونهم عربا ولا عجما ، ولكنه بأفعالهم وأخلاقهم وشرف أنفسهم وبعد هممهم ؟ ورحم الله عامر بن الطفيل ، فانه يقول فى هذا المعنى :

وإنى وإن كنت ابن سيد عامر　　وفارسها المشهور فى كل مركب
فما سودتنى عامر عن وراثة　　أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى　　أذاها وأرمى من رماها بمنكب

وقال آخر :

إنا وإن كرمت أوائلنا　　لسنا على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا　　تبنى ، ونفعل مثل مافعلوا

وقال آخر :

نفس عصام سودت عصاما　　وعلمته الكر والإقداما
وجعلته ملكا هماما

وقال آخر :

مالى عقلى وهمتى حسبى　　ماأنا مولى ولا أنا عربى
إن انتمى منتم الى أحد　　فاننى منتم إلى أدبى

وقد تكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فأعجب عبد الملك ماسمع ، فقال : ابن من أنت يا غلام ؟ قال : ابن نفسى يا أمير المؤمنين التى نلت بها هذا المقعد منك ! قال : صدقت !

الى غير ذلك من الشواهد التى ترد على ابن موسى اعتقاده . وفى العرب متعصبون لا يستطاع حصرهم ، فنهم عدا ماقدمنا : الحجاج بن يوسف الثقفى ، وأنت خبير بمقداره ، وما كان عليه من نعرة وكبرياء .

فقد ذكر الجاحظ فى كتاب (الموالى والعرب) أن الحجاج لما خرج عليه ابن الأشعث وعبد الله بن الجارود ، ولقى مالقى من قراء أهل العراق ، وكان أكثر من قاتله وخلعه وخرج عليه : الفقهاء والمقاتلة والموالى من أهل البصرة ، فلما علم أنهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم ، أحب أن يسقط ديوانهم ، ويفرق جماعتهم ، حتى لا يتألفوا ولا يتعاقدوا ، فأقبل على الموالى وقال : أنتم علوج وعجم ، وقراؤكم أولى بكم . ففرقهم وفض جمعهم كيف أحب ، وصيرهم كيف شاء ، ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التى وجهه اليها ، وكان الذى تولى ذلك منهم رجلا من بنى أسد بن عجل ابن لجيم يقال له حراش بن جابر ، فقال شاعرهم :

وأنت من نقش العجلى راحته　　وفر شيخك حتى عاد بالحكم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يريد الحكم بن أيوب التيمي عامل الحجاج على البصرة ، وقد كان قاضيهم رجلا من الموالي يقال له نوح بن دراج . وقال شاعرهم :

إن القيامة فيما أحسب اقتربت — إذ كان قاضيكم نوح بن دراج
لو كان حيًّا له الحجاج ما بقيت — صحيحة كفه من نقش حجاج

وقال آخر :

جارية لم تدر ما سوق الإبل — أخرجها الحجاج من كن وظل
لو كان عمرو شاهدا وابن جبل — ما نقشت كفاك من غير جدل

فتلك حال أخرى لا تقل عن سابقتها خطرا فى بابها . وهكذا يكشف لنا هذا البحث عن كل مدهش وغريب ؟

أحمد ابراهيم موسى البارودي
تخصص البلاغة والأدب



بديهة واعظ بليغ

جلس نحوى الى جانب منبر واعظ يستمع اليه ، فلحن ، فقال له النحوى : أخطأت يالحنة !

فقال الواعظ بديها :

« أيها المعرب فى أقواله ، اللاحن فى أفعاله ، مالى أراك تائها منكرا ؟ أكل ذلك لأنك رفعت ونصبت ، وخفضت وجزمت ؟ هلا (رفعت) الى الله يديك فى جميع الحاجات ، و(نصبت) بين عينيك ذكر الممات ، و (خفضت) نفسك عن الشهوات ، و (جزمتها) عن اتباع المحرمات ؟

« أو ماعلمت أنه يقال يوم القيامة : ألا كنت فصيحا معربا ؟ وإنما يقال لك : لم كنت عاصيا مذنبا ؟ فلو كان الأمر كما زعمت ، والخطب كما حكمت ، لكان هرون أحق بالرسالة من موسى ، إذ قال الله تعالى إخبارا عنه : «وأخى هرون هو أفصح منى لسانا » ، فجعل الرسالة فى موسى لفصاحة تبيانه لا لفصاحة لسانه ، فالفصاحة فصاحة الجنان لا فصاحة اللسان ، ثم أنشد :

مجازف فى الفعال ذو زلل — حتى إذا جاء قوله وزنه
قال وقد أعجبته لفظته — تيها وعجبا : أخطأت يالحنه
فقلت : أخطأ الذى يقوم غدا — ولا يرى فى كتابه حسنه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الثقافة الاسلامية

وأثرها فى حركة إحياء العلوم فى أوربا وفى النهضة الحديثة

الثقافة الاسلامية أثر من آثار العقيدة الاسلامية . فالقرآن الكريم رفع مستوى العقل الى درجة يستطيع فيها النظر فى الكائنات بحرية واستقلال ، ووجهه للبحث فى الوجود والتأمل فى عوالمه ، وحث الانسان على التعلم والتجديد وكشف المساتير .

والثقافة الاسلامية قبل أن تنتقل الى أوربا بفعل الفتوح الحربية تركزت فى بلاد الشرق تركزا قويا حتى لا يزال أثره بارزا فيه الى اليوم . فالثقافة العربية لم تقف فى الشرق عند حدود بلاد العرب والشام وما جاورها من البلدان ، وإنما تجاوزتها الى الهند والصين على يد التجار من العرب المهاجرين من الفرس والغازين من الترك والمغول . فالعرب نقلوا فى رحلاتهم التجارية طائفة كبيرة من المعارف الى تلك البلاد ، حتى إن دخول الشرق الأدنى والشرق الأوسط والهند وجزء من الشرق الأقصى ، أدى الى ثورة عظيمة فى الأدب والثقافة .

والرقى الفجائى الذى طرأ على اللغة العربية وأحالها الى لغة مكتوبة مهذبة ، من أعجب الأمور إذا تذكرنا أن وقت ظهور الاسلام لم يكن للعرب أدب لغة ، وأن الخط كان قليلا ، وأن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز ، وأنه لم يكن هناك معجم عربى يضم بين جناحيه الألفاظ المتداولة ، شأن معاجم اللغة . ولم يكن هناك كتاب يفصح عن قواعد النحو والصرف .

وبالرغم من أن الفتوح الأولى للقوات الاسلامية فى الهند لم تذهب بهم بعيدا داخل البلاد الأجنبية فإن الأتراك فى القرن العاشر استطاعوا أن يتوغلوا بالاسلام الى مسافات بعيدة داخل الهند ، الى أن كان القرن الثالث عشر فرأينا أن أول ملك تبوأ عرش دلهى كان ملكا مسلما . وكان الهنود قبل الاسلام وثنيين ، وكانت آدابهم خليطا من الهندوكية والبوذية . ولما نزح أتراك أواسط آسيا الى الهند ونشروا الاسلام كان هؤلاء الأتراك يتكلمون التركية بينما كانت ثقافتهم فارسية ، وهى تلك الثقافة الحديثة التى ظهرت فجأة فى بلاط سمينندس فى بخارى .

فعلى هذا القياس يكون الاسلام قد أدخل فى الهند لغتين : العربية لغة الدين ، والفارسية لغة الشعر ، إلا أن العلاقة الوثيقة بين اللغة الفارسية واللهجات السائدة فى الهند الشمالية هى السبب فى أن مسلمى الهند قد اختاروا الفارسية واسطة لآدابهم دون العربية

oldbookz@gmail.com
مجروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

والتركية . واستمر الحال كذلك حتى القرن الخامس عشر إذ لم تصل اللغة الأردية وهى خليط من الهندية والفارسية إلا فى ذلك القرن .

ولم يك مسلمو الهند قادرين على تذوق السمو الذى امتازت به العربية بالسرعة التى كانت عند غيرهم من الفرس ، إلا أن الاسلام صبغ العدد العظيم من الهنود بصبغة العقيدة الاسلامية . وكان من أثر الثقافة الاسلامية عند الهنود أن تهافتت الأذهان الى تدوين تاريخهم ، وكان نتيجة ذلك أن دونت أخبار جميع ملوك دلهى ابتداء من القرن الثالث عشر ، بعد أن كان التاريخ يعتبر أمرا ماديا فى نظر المفكرين والفلاسفة . وهذا هو السبب فى أن التاريخ الهندى القديم قد جمع بصعوبة عظيمة ، وكان الاعتماد فى جمعه على ما عثر عليه من السكة والتماثيل دون أن يكون هناك مخلفات كتابية . يقول السير دنسون روس مدير مدرسة اللغات الشرقية بلندن : « الأثر الذى تركته اللغة العربية والثقافة الاسلامية فى عقول مسلمى الهند والفرس والأتراك كان أجل شأنا وأعظم خطرا من الأثر الذى تركته اللاتينية فى عقول الأدباء من أهل أوربا فى القرون الوسطى » الى أن يقول : « ومع أن اللاتينية كانت الواسطة للكتابات الدينية والعلمية لم يكن لها ميزة كبيرة فى الثقافة حيث كان يوجد فى أوربا قبل حركة إحياء العلوم لغات كثيرة اصطبغت بصبغة البيئة التى وجدت فيها ، ولم يكن الأمر كذلك فى اللغة العربية ، فان العربيـة قد أمدت المستنيرين فى أواسط أوربا بثقافة جديدة من كل الوجوه ، وفتحت أذهانهم الى علوم حديثة لم يألفوها من قبل » .

وإذا اتجهنا بعد الهند صوب فارس نجد أنه بالقضاء على الديانات القديمة ، وبحلول العربية محل اللغات القديمة فى المسائل الأدبيـة ، ثم باستبدال الثقافة الاسلامية بكل ما يرجع فى أصله الى الثقافة الآرية ، كل هذا يدفعنا الى القول بأن العربية قد أمدت بلاد فارس بخزائن جديدة من العلم ، أو قل : أمدت الفرس ببعث قومى جديد مع ثقافة حديثة .

ومما يدعو الى الدهش أن الاغريق وقد حكموا الفرس نحو قرنين لم يتركوا فيها أى أثر أدبى ، كما أنهم لم يتركوا شيئا من هذا فى الهند . كذلك لم يترك فتح الفرس لمصر أى أثر فى تلك البلاد ، ولكن دخول هـذه البـلاد تحت نفوذ المسلمين جعلهم يستسلمون طوعا لحكمهم ولدينهم ثم لثقافتهم .

ولما كان العرب قد ساهموا فى كل شأن من شئون المدنية ، فلم يمض قرنان على فتحهم حتى كان أكثر البلاد المفتوحة على دينهم . وإن نظرت الى اللغة رأيتهم هيئوا لغتهم لكل جديد ووسعوها — وهى البدوية الأصل والمنشأ — حتى زاحمت الفارسية فى فارس ، والرومانية فى الشام ، والقبطية فى مصر ، وسارت مع الدين جنبا لجنب ، كلما سار الدين وظفر سارت اللغة وظفرت . وإن نظرت الى النظم والتشريع ، وقف الفقهاء فى كل قطر يوسعون مذاهبهم حسب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحاجة وحسب الاقليم الذين حلوه ، وخلقوا من ذلك قوانين لا تزال الى اليوم محل إعجاب المشترعين . وإن التفت الى العلم رأيت أنهم فى كل فرع من فروع العلم أخذوا بحظ وافر ، لم يمنعهم دينهم أن يأخذوا عن وثنيي اليونان فلسفتهم ، ولا عن النساطرة طبهم ، ولا عن اليهود أخبار أنبيائهم وعلمائهم ، وأبلوا فى العلم بلاء لا يقل عن بلائهم فى الحرب ، ثم خلقوا من كل ذلك ثروة علمية تداولوها بالنقد والشرح ، وضموا اليها ما أوحته نظرات دينهم من العلوم الاسلامية والمذاهب الدينية . من هنا نعلم أنه من العبث أن يحاول كاتب فى التاريخ الحط من شأن العامل الدينى فى التطور الاجتماعى ، وأن يقتصر على العوامل الطبيعية وحدها .

ومن أجل هذا كانت الثقافة الاسلامية نتيجة العقيدة الاسلامية . فان هى اتجهت الى الاستعانة بالفلسفة اليونانية والثقافة الفارسية والهندية ، فلأن الدين حملها على ذلك ، وطلب منها أن تتزود من العلم حيث كان ولو فى الصين ، وأن تأخذ الحكمة ولو من المشركين .

وقد بذر الاسلام فى نفوس أصحابه بذورا تأصلت فيهم ، فكانوا إذا اقتبسوا من الفلسفة اليونانية أو أية ثقافة أخرى لم يكونوا مقلدين تقليدا صرفا ، إنما كانوا دائما يعملون العقل فيما نقلوا ، ويعملون العقيدة الدينية فيما قرءوا . فاذا نظرنا الى كتب الفارابى وابن سينا وابن رشد رأيناهم لم يقفوا موقف التلميذ فحسب ، بل نقدوا وزادوا ، ووفقوا بين الفلسفة والدين ، وأمدوا كل شيء أخذوه من عندهم ، فكان لثقافتهم طابع خاص وشارة تعرف بها ، حتى المنطق اليونانى الذى دانت له كل الأمم زاد الغزالى فى بعض كتبه فصولا عن القرآن ، وابن تيمية وابن حزم ، وغيرهما نقدوا منطق اليونان وعدوه منطق شكل لا منطق مادة .

فدعوى أن المسلمين فى ثقافتهم كانوا حفظة للثقافة اليونانية أكثر منهم مبتكرين لثقافة خاصة ، دعوى أملاها عدم الدراسة للثقافة الاسلامية دراسة وافية .

لذلك لما انتقل الاسلام الى أوربا بدأت الدنيا تتقلقل كأنما مر بقدمه على مركزها فضغطها فحركها ، وكانت خطواته تخط فى الأرض بينما معانيه تخط فى التاريخ ، وظل الاسلام ماضيا فى طريقه لا ينحرف ، وممتزما لا يتحول . فقد اتصل الأوربيون بالمسلمين فى الأندلس اتصالا وثيقا ، واتخذ علماؤهم فلاسفة المسلمين أساتذة يتعلمون منهم ويدرسون عليهم ، ونشطت حركة واسعة النطاق لنقل أهم المؤلفات العربية الى اللغة اللاتينية ، وهى لغة الأدباء والعلماء فى القرون الوسطى ، حتى إن كثيرا من مؤلفات ابن رشد المترجمة الى اللاتينية لا نجد أصلها بالعربية . وكان من أشهر من قام بهذه الحركة : « ريموند » الذى كان مطرانا لطليطلة من سنة ١١٣٠ الى سنة ١١٥٠ ، فقد أسس جمعية لنقل أهم الكتب الفلسفية والعلمية العربية الى اللغة اللاتينية ، حتى بلغ ما ترجموه عن العربية ثلاثمائة كتاب كما أحصاها الدكتور لكلارك فى كتابه تاريخ الطب العربى . وكان أكثر ما ترجم كتب الرازى وأبى القاسم الزهراوى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وابن رشد وابن سينا والفارابى ، وكان من أثر هذه الجمعية أن رأينا منطق أرسطو المترجم من العربية الى اللاتينية يقرأ فى باريس بعد ثلاثين سنة من عمل هذه الجمعية ، وأمر لويس الحادى عشر عند ما نظم برامج التعليم سنة ١٤٧٣ بإدخال فلسفة ابن رشد ضمن مناهج التدريس .

ولقد ظلت هذه الكتب المترجمة تدرس فى جامعات أوربا مدى خمسة قرون ، وظلت فلسفة ابن رشد تدرس فى جامعات فرنسا وإيطاليا وعلى الأخص بادوا وبولونيا ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادى .

قال المؤرخ خورخ ملر فى كتابه فلسفة التاريخ :

« إن مدارس العرب فى أسبانيا كانت هى مصادر العلوم ، وكان الطلاب الأوربيون يهرعون إليها من كل قطر يتلقون فيها العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفة الميتافيزيقية ، وأصبح جنوب إيطاليا منذ احتله العرب واسطة لنقل الثقافة الى أوربا » .

وكان ممن تزود بعلوم العرب جربرت الراهب الفرنسى ، فبعد أن درس علم اللاهوت فى أورياق مسقط رأسه توجه الى قرطبة فدرس فيها الرياضيات والفلك ثلاث سنين ثم رجع الى قومه ينشر فيهم ما تزوده من العلوم ، فرموه بالكفر والسحر ، ولكنه ارتقى الى سدة البابوية سنة ٩٩٩ م باسم سلفستر الثانى . كذلك تخرج على علماء قرطبة شانجة ملك ليون واستوريا .

وأوصى الراهب روجر بيكون فى كتبه بدراسة اللغة العربية وقال « إن الله يؤتى الحكمة من يشاء ، ولم يشأ أن يؤتيها اللاتين ، وإنما أتاها العرب » .

وذكر جيبون فى الفصل الثانى والخمسين من كتابه تاريخ اضمحلال الدولة الرومانية وسكونها : « إن مدرسة سالرنو التى نشرت الطب فى إيطاليا كانت من صنع العرب وغرس أيديهم » .

وقال المؤرخ ولز الانجليزى فى كتابه ملخص التاريخ ، وهو من أمهات الكتب التى تدرس فى الجامعات الأوربية اليوم :

« جاءنا علم اليونان عن طريق العرب لا عن طريق اللاتين . فليونارد بيز وأرمان دفيلنوف وريمون لول وهرمان الدلماسى وميخائيل سكوت ويوحنا الأشبيلى وسان توما وألبير لجراند والفونس العاشر أمير قشتالة لم يكونوا غير تلاميذ للعرب أو نقلة عنهم » .

وقال رينان الفيلسوف :

« إن ألبير لجراند مدين بعلمه كله لابن سينا ، وسان توما مدين بفلسفته لابن رشد » .

ويقول بترارك شاعر ايطاليا العظيم وهو من شعراء القرن الرابع عشر : « أبعد ديموستين يستطيع سيشرون أن يكون خطيبا ؟ وهل بعد هوميروس يستطيع فرجيل أن يكون شاعرا ؟ وهل بعد العرب يستطيع جيل من الناس أن يخط بقلمه على القرطاس ؟ » .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وقال البارون دى فو مترجم كل ما كتبه الامام الغزالى :

« إن الميراث العلمى الذى تركه اليونان لم يحسن الرومان القيام به . أما العرب فقد حفظوه وأتقنوه ، فهم لم يكونوا حفظة وخزنة للعلوم فحسب ، ولكنهم توفروا على ترقيتها وتطبيقها باذلين الجهد فى تحسينها وإنمائها حتى سلموها للعصور الحديثة .

وقال الدكتور سارطون فى إحدى خطبه العامة بالجامعة الأمريكية ببيروت :

« إن بعض الأوربيين يحاولون أن ينتقصوا من قدر العرب العلمى فى القرون الوسطى ، وذلك بقولهم : إن العرب لم يكونوا غير نقلة للعلوم ، وهذا خطأ . وإذا افترضنا أن العرب لم يكونوا غير نقلة ، أليس فى عملهم هذا خدمة كبيرة للعالم ؟ فلولا نقلهم لما تقدمت العلوم تقدمها الحاضر ، ولكننا حتى الآن فى القرون الوسطى » .

الحق أن فضل العرب بثقافتهم الاسلامية على المدنية الحديثة كان من ناحية حفظهم لثقافة غيرهم من الأمم ، ومن ناحية ما أنشأوا وابتكروا وبثوا من روح فى الثقافات القديمة . وقد بدأ علماء أوربا يبحثون نواحى تأثير الثقافات الاسلامية فى الثقافة الأوربية ، وكان من آخر ما أظهروا فى هذا الباب كتاب « ما خلفه الاسلام » Legacy of Islam تناولوا فيه أثر الثقافة الاسلامية فى الجغرافيا والتجارة ، وفى القانون والاجتماع ، وفى الفن والعمارة ، وفى الأدب وفى التصوف ، وفى الفلسفة واللاهوت ، وفى العلم والطب ، وفى الهيئة والرياضيات .

والمتتبع لدراسة المدنيات وتاريخ قوميات الشعوب يرى أن تاريخ المدنيات عبارة عن حلقات يسلم بعضها الى بعض ، ويستفيد لاحقها بما وصل اليه سابقها . وكانت المدنية الاسلامية فى الذروة أيام كانت أوربا تظلها سحابة سوداء من عماية الجهل فى القرون الوسطى . ولم يكن يضارع بغداد وقرطبة مدينة أخرى فى العالم فى مدنيتهما وثقافتهما ونظمها الادارية والحربية .

فلو لم يكن فى الوجود مدينة بغداد وقرطبة ما كانت حركة إحياء العلوم فى أوروبا ، ولما كانت النهضة الأوربية الحديثة تبلغ ما بلغت الآن لو لم ترتكز على المدنية الاسلامية والثقافة الاسلامية المنبثة من ضوء بغداد وقرطبة .

ولزيادة الايضاح ننظر فى أسس المدنية الحديثة ونبين علاقة هذه الأسس بالمدنية الاسلامية :

لقد بنيت النهضة الحديثة فى الثقافة على أساسين : وهما الشك والتجربة ، وكانت الثقافة فى القرون الوسطى تعتمد كل الاعتماد على آراء اليونان ، وتقدس آراء أفلاطون وأرسطو كل التقديس . وكانوا يعتمدون كل الاعتماد على القياس المنطقى وحده يؤيدون به المذاهب والآراء . والقياس المنطقى وحده وسيلة عقيمة لأنه يجعلك تسلم بالمقدمات تسليما أعمى ، وتعنى فيه بالشكل ، [illegible] النهضة الحديثة تشك فى هذه المقدمات العامة وتمتحنها وتجرى التجارب عليها ، ولا

oldbookz@gmail.com
لاجئوب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

بشيء حتى تدل التجارب على صحته ، وكان هـذا دعامة النهضة الحديثة . والحقيقة أن طريقة المنهج العلمى فى البحث الحديث لم تكن بعيدة عن أذهان المسلمين .

فالتاريخ يحـدثنا أن النـظام ألـف فى نقد آراء أرسطو ، وأن تلميذه الجاحظ فى كتاب الحيوان يستطلع ما قاله أرسطو فى الحيوان ثم لا يمنحه شيئا من العناية بل ينقده نقدا جريئا ، ويقول : « قـد جربنا قول أرسطو فلم نجده صحيحا » ويقول : « إن قوله هـذا غريب » الى أن يقول : « وهو قول لا يجيزه العقل » . والجاحظ بهذا الانتقاد يجعل عقله الفيصل على أرسطو على حين أن فلاسفة القرون الوسطى جعلوا أرسطو حكما على العقل . والبيرونى المتوفى سنة ٤٤٠ هـ سنة ١٠٤٨ م والذى قال عنه المستشرق الألمانى سخاو « إنه أكبر عقلية عرفها التاريخ فى كل عصوره » كان يحـكم عقله فى الرياضيات ، ويقارن بين نظريات اليونان ونظريات الهند ، حتى لقد ترجم كتابه الآثار الباقية الى الانجليزية ، وطبع عام ١٨٧٩ فى لندن ، وترجم أيضا كتابه تاريخ الهند وطبع فى لندن عام ١٨٨٧ م .

ويقف الغزالى فى كتابه المنقـذ من الضلال الموقف الذى وقفه بعـد ديكارت فيقول : « إنه رأى صبيان النصارى ينشأون على النصرانية ، وصبيان اليهود على اليهودية ، وصبيان المسلمين على الاسلام ، وإنه لم يقنع بهذا الدين التقليدى التلقينى ، وطلب أن يعلم حقائق الأمور وأن يبنى دينه على يقين ، وقال : إنه بدأ بالشك فى كل ذلك حتى يقوم البرهان على صحته ، ولم يسمح لنفسه باعتقاد حتى يتأكد من صحته »

وابن خلدون الذى كان وقوف الغرب على تراثه منذ منتصف القرن التاسع عشر اكتشافا علميا حقا ، حيث ظفر الغرب بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التى لم يطرقها البحث الغربي إلا بعد ابن خلدون بعصور طويلة . أجل اكتشف النقد الغربى لدهشه وإعجابه فى تراث ابن خلدون كثيرا مما ردده مكيافلى بعده بقرن ، وما ردده منستكيو وآدم سميث واوجست كونت بعده بقرون أيضا . وكان المعتقد أن البحث الغربى أول من اهتدى الى فلسفة التاريخ ومبادىء الاجتماع وأصول الاقتصاد السياسى ، فاذا بابن خلدون يسبقه بعصور ويغزو فى مقدمته هذه الميادين ، ويعرض كثيرا من نواحيها ونظرياتها بقوة وبراعة ، حتى لقد اعتبر المستشرق النمسوى الكبير البارون فون كريمر فى رسالته الشهيرة بالألمانية (ابن خلدون وتاريخه لحضارة الدول الاسلامية) ابن خلدون مؤرخا للحضارة ، لأنه أول من خصص فصولا ضافية للتحدث عن النظم السياسية وأنواع الحـكم والخطط العامة كالقضاء والشرطة والادارة وتطورها فى الدول الاسلامية ، ثم عن العلوم والفنون والآداب . وابن خلدون لا يعالج هذه المسائل مستقلة أو لذاتها ، وإنما يعالجها كصور من العمران ، ومراحل الحضارة مقياس لمراحل العمران .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وعلى الجملة فهذه الأسس التى بنيت عليها النهضة الأوربية الحديثة فى أوربا ، من تحرير العقل من قيود الأوهام ، ومن عبادة العظماء أمثال أرسطو ، ومن وضع القوانين بعد الملاحظة والتجربة ، وبعد الشك فيما اتخذه القدماء من علماء القرون الوسطى فى أوربا قضايا مسلمة ، كل هذه الأسس كانت موجودة كقواعد عامة فى الثقافة الاسلامية فى عصورها الزاهية ، وكانت مظهرا من مظاهر الاختراع العقلى للمسلمين ، وكانت من عوامل بناء المدنية الاسلامية التى بنيت عليها المدنية الحديثة من بعض وجوهها ؟

عبد الحميد سامى بيومى

كيف يعاقب السفهاء

قال حكيم : أعقل الناس من لم يتجاوز الصمت فى عقوبة السفيه .

وقال غيره : السكوت عن السفيه جواب ، والاعراض عنه عقاب .

وقال بعض الشعراء :

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت
فان جاوبته فرجت عنه ... وإن خليته كمدا يموت

وقال غيره :

لاترجعن الى السفيه حكاية ... إلا جواب تحية حياكها
فتى تحركه تحرك جيفة ... تزداد نتنا ما أردت حراكها

وقال أديب : إذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جوابا ، وأوجعته عذابا .

وقال غيره : ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة : حليم من أحمق ، وبر من فاجر ، وشريف من دنىء .

وقال شاعر حكيم :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا ... أصبت حليما أو أصابك جاهل
فأصبحت إما نال عرضك جاهل ... سفيه وإما نلت ما لا تحاول

نقول : وقد فات هؤلاء العلاج الفعال للسفاهة ، وهو استشعار الرحمة بأهلها فى حالة الامتناع عن إجابتهم ، لا استبطان نية تعذيبهم ، ففى الحالة الأولى تنفث روحك فى نفوسهم . . فى الحالة الثانية يزيدهم قصدك السىء بهم مضيا وتمردا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com
مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

الانسان والرزق

كثير ممن يرون أن الله سبحانه وتعالى قَتَّر عليهم فى الرزق يغفلون عن نعمه الكثيرة التى أسبغها عليهم بواسع فضله ، ولو فطنوا لها لعلموا أنهم عاجزون العجز كله عن شكر بعضها . ففى هذه الأبيات تخاطب هؤلاء :

أمسِك الدمعةَ فى آماقِها ... ودع الأمرَ الى خالقهِ
هذه الدنيا تُجبْ آفاقها ... واترك الرزق الى رازقه
إن يشأ أعطى ، وإن شاء أبى

وهو فى الحالين رب عادل ... سخّر الشمس لنا والقمرا
لطفُه ضافى النواحى شامل ... بسط الرزق لنا أو قَدَرا
كم حباك الفضلَ ، بلْهَ الذهبا

خلق الأرض وما فيها لكا ... خالقٌ قام إليها فدحاها
ثم سوّاك عليها مَلِكا ... مستبداً فى دجاها وضحاها
تصرع الليثَ بها والثعلبا

ليس يجدى الليثَ ناباهُ ولا ... ذلك الثعلبُ يغنيه دهاؤه
أكلا الاثنان فيما أكلا ... لضعيفٍ هذه الدنيا غذاؤه ! !
سالبٌ حكّم فيما سلبا

ولك اليابسُ ، والماء ، وما ... دبّ من مكمنه ، أو سبحا
فاشكر الله على ما أنعما ... واتّبعْ من سبله ما أوضحا
لا أرى من ضلّ فيها أو كبا

وإذا أبصرت شيخا مُعدِما ... أو فقيراً طاويا أحشاءه
فاذكر الله وقل ما أحكما ... ليس يُحصى عبدُه آلاءه
ذاك فضلٌ سره قد حجبا

محمد الأسمر

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ملاحظات

حضرة الأستاذ مدير مجلة الأزهر .

قرأت فى جريدة الديلى تلغراف التى صدرت فى يوم السبت ٢٦ أغسطس ١٩٣٩ كلمة تحت عنوان (Danzig is not the issue) بقلم J.B. Firth رأيت فيها إشارة الى الاسلام فى أيام ظهوره ، كلمة لم أحب أن تمر من غير أن ألفت اليها القراء وأعلق عليها تعليقا موجزا فى مجلة الأزهر :

يقول هـذا الـكاتب : « إن الدكتاتورية تستعمل فى إرضاء مطامعها الروح الحربية التى لا تطاق ، كما استعملها الاسلام فى أيامه الأولى » . ولو أن هذا الـكاتب قبل أن يكتب مقالته أجهد نفسه قليلا واختلس من وقته ساعة ، وقرأ بعضا من الـكتب التى كتبت حول « كيف ظهر الاسلام » لعلم أن الاسـلام لم يكن يوما ما من أنار الحرب إيثارا لها ، ولم يكن طموحا أن يعلو بالعسف والعدوان ، ولم تكن القوة سلاحا له يدعو بها . وهذه مبادئه وتعاليمه تتحدى كل مدع ، وهذا هو التاريخ يكذب كل مفتر . وما سبب حروبه إلا القبائل والأمم المجاورة : حرمت على أهله أن يدعوا الى الله بالحسنى ، وأن يقنعوا بالبرهان ، وعادتهم وجمت له الجموع وحاربتهم ، فـكان مقضيا على الاسـلام لحفظ كيانه وإبقاء على المسلمين أن يدفع عن نفسه العدوان ، وأن يستعمل السلاح ليدفع به الغارة ، وليبقى فى بيته آمنا مطمئنا .

ولا أعلم أن هناك مبدأ خلقيا أو نظرية فلسفية أو دينا من الأديان يحرم الدفاع عن النفس ويجعـله من الهنات التى يهمز بها ويلمز . وكم من ملايين من الأنفس البريئة قتلت تحت اسم المسيحية .

أنا لا أسأل هذا الـكاتب شططا ، ولا أ كلفه مؤنة البحث والتنقيب وراء الحقائق ، بل ما أرجـوه منه أن يستق معلوماته من مصادر معتمدة موثوق بها ، وهناك علماء لا أقـول « شرقيون » ، فربما لا يؤمن الـكاتب بهم ، بل مستشرقون أوضحوا الأمر جليا ، وبينوا أن الاسلام كثيرا ما كان مضطرا الى الحروب ليدفع بها عن نفسه العدوان .

وأخيرا ، فانى لا أسأل الـكاتب أن يكيل عبارات الثناء للاسلام ، فالاسلام عن كل ذلك فى غنى ، وكفى بتعاليمه شاهدا ومزكيا له . ولـكنى أسأله أن يكون منصفا فى خصومته وألا يبيح لعاطفته أن تغلب عقله ، فان خصومة كهذه تفقد قيمتها الأدبية ؟

محمود حب الله

عضو بعثة فؤاد الأول الأزهرية بلندن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حضرة الأستاذ مدير مجلة الازهر .

نشرت مجلتكم فى عددها السابع نقلا عن جريدة « الكرونيك » الفرنسية (التى تصدر فى دمشق) : أن زعيم المغاربة المحبوب عبد الخالق الطريس طاف فى أشهر شوارع المدينة مستصحبا معه زوجته بزى أوربى ، سافرة الوجه ، عارية الرأس ، دون أن يساوره خجل من بنى قومه الأباة (الذين ينبذون كل المظاهر المخالفة لدينهم الحنيف وقوميتهم النبيلة) .

وإنا نصحح لكم ما أرجفت به جريدة الكرونيك حرصا على الحقيقة فنقول : إن عبد الخالق الطريس ما كان من الزعماء المزيفين ، فالجميع يعرف تضحياته ، وإخلاصه فى الذود عن إحياء لغة القرآن ، وإعلاء شأن الاسلام فى بلاد المغرب ، والبرهان على هذا هو التفاف الأمة المغربية حول ظل حركته الوريف . وهو من أشد الناس تحمسا للقومية المغربية التى تصون المرأة المغربية من تيار المدنية الزائفة ، وأن حزب الاصلاح الوطنى ما أنشئ إلا لإنهاض الشعب ، ومحاربة كل من حاول أن ينتهك حرمة المرأة فى هذا السبيل .

وأصدق دليل على صحة ما نقول : هو ما حدث فى المؤتمر العربى للدفاع عن قضية فلسطين فانه لما استدعى اليه ممثلى البلاد المغربية — وفى مقدمتها المغرب الأقصى ، انتخب الرجل القدير والزعيم المخلص : عبد الخالق الطريس لتمثيله فى المؤتمر ، والشاهد عندنا أنه مثل بلاده بلباس قومه الصميم .

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » . فأيدوا الحق « إن الباطل كان زهوقا » . وانصروا دعاة الاصلاح وزعماء الاسلام : « ينصركم الله ويثبت أقدامكم »

محمد الرحمانى

عضو البعثة المغربية

(مجلة الأزهر) إننا اغتبطنا كل الاغتباط بما ثبت من براءة ما نسبته جريدة الكرونيك الى الزعيم المغربى عبد الخالق الطريس ، وننشر هذه التبرئة شاكرين لمرسليها الينا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

معرض الآراء العالمية فى الاسلام والمسلمين

الاسلام فى بلاد الصومال التابعة لفرنسا

جاء فى نشرة الأخبار الدولية الصادرة فى ٤ أغسطس سنة ١٩٣٩ :

« إن الدناكل وهم سكان الشاطئ الفرنسى لبلاد الصومال ، الذين يقيمون فى منطقة تقع بين مصوع شمالا وبين جوليت كاراب جنوبا ، قد دخلوا فى الديانة الاسلامية ، مثلهم كمثل أهل الصومال البريطانى والصومال الايطالى .

« كانت هذه الأصقاع يسكنها أولا السود الذين يدعون بنتوس ثم قبائل الجالاس ، فكابدت عدة غارات صومالية جاءتها من ناحية الشاطئ الأفريقى لخليج عدن ، نخلفت الديانةُ الاسلامية الديانةَ المسيحية هنالك من لدن القرن الثانى عشر ، فاستقرت على الأخص فى المرافئ التى كان أهلها المشتغلون بالتجارة يحتفظون منذ قرون بعلاقات مادية مع المراكز الاسلامية فى بلاد العرب . أما القبائل الداخلية التى كانت شديدة التعلق بعقائدها الساذجة وعاداتها الوحشية فلم تقبل الدعوة الاسلامية إلا بعد أن أدمجت فيه أصولها التقليدية .

«فأهالى البلاد كلهم اليوم مسلمون سنيون إلا عددا من الهنود . أما البورهيون فهم شيعة ، ولكن حتى لدى المتشددين فى عقائدهم لا يشاهد أثر للتعصب . ودرجة غشيان المساجد لديهم فى درجة متوسطة . والصوماليون لا يفرقون بين مساجد الفرق المختلفة ، ولكن العرب لا يصلون إلا فى مساجدهم ، لأن القرآن الذى يتلى فى مساجد الصوماليين لا يتجرد من أثر العجمة الملازمة للسانهم ، وهم يريدونه قرآنا عربيا صحيحا .

الى أن قالت النشرة :

« القوانين القرآنية المعمول بها فى القبائل هى التى طبقت على العادات السائدة لديهم . وهى القاعدة التى يخضع لها الكافة هنالك . فاذا تعارضت آية قرآنية وعادة مقررة فى قانون الزواج أو إحياء ذكر الموتى ، آثروا اتباع العادة على الخضوع للقرآن !

« ولا تزال عادة تعظيم الأولياء معمولا بها هنالك . فانه فى أوقات مختلفة من السنة يزور أهل المدن والبدو قبور الصالحين الذين امتازوا فى حياتهم بمراعاة الفضائل . وهؤلاء البدو أنانيون جدا ، وليس لهم شغف بالعقائد كأهل المدن . ومع هذا فمتى جاء المساء اجتمع الزائرون جميعا وصلوا فى حظيرة مبنية بالأحجار الجافة ومتجهة نحو الكعبة .

« أما الطرق الصوفية المحترمة لديهم فأربع : القادرية ، والأحمدية ، والصالحية ، والرفاعية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وتجد خيرة العلماء هنالك منتسبين للطريقة القادرية . أما الصالحية فهى طريقة أهل البادية ، ولها تأثير عليهم فى تأليف جماعات تشتغل بالشئون الزراعية .

« ويكثر المرابطون فى القبائل ، وهم من أحسن المروجين للسياسة الفرنسية . ولكنهم قليلون فى المدن ، منهم اثنان يتمتعان بشهرة عظيمة : الشيخ عمر الأزهرى فى جيبوتى ، والشيخ محمد تراب فى تادجورا .

« الأول صومالى من جنس أتيوبى لجأ الى جيبوتى منذ الاحتلال الإيطالى للحبشة ، والثانى من الدناكل .

« أما الوهابية فلم تصل الى مستعمرتنا على الرغم من قربها من البلاد المقدسة . وقد حاول شبان من العرب منذ عدة سنين إدخالها بالتفافهم حول رجل ضرير قدم من اليمن الى جيبوتى ، ولكن أئمة الدين كافحوا هذه الطريقة كفاحا شديدا حتى صدوها ، واضطر داعيتها الضرير للعودة الى بلاد العرب .

« الاسلام فى الصومال قد طبق على التقاليد الصومالية ، والعادات الأهلية ، ولذلك ترى مسلميهم يمارسون الاحتفال (بالسار ؟) وهو نوع من العبادة يصحبها رقص وذهول ، وباليوم الأول من السنة . وهم يعتقدون باستمرار الحياة المادية بعد الموت ، وبالسلطان السحرى لرئيس القبيلة وللعلماء من طريق الوراثة . أما من ناحية تمسكهم بعوائدهم فهم يقولون بجواز تزوج أخت الزوجة ، وبحلية التزوج بالاختطاف ، وبثمن الدم ، وبحرمان المرأة من الميراث ووضعها خارج دائرة القانون » .

(مجلة الأزهر) : إن ما ترويه نشرة الأخبار الدولية عن أهل الشواطئ الصومالية من إيثار عاداتهم وتقاليدهم على أحكام الشريعة السماوية ، ليس خاصا بهم ، ولا بالمسلمين وحدهم ، ولكنه داء عم جميع الجماعات البشرية فى جميع الأجيال قديما وحديثا ، إما من طريق المعاصاة الصريحة ، وإما من طريق التأويل . فهل يرى الناقد لأحوال الأمم متمدنها ومتوحشها فى جميع البقاع الأرضية غير هذه الظاهرة النفسية المدهشة ؟

لو كانت هذه المعاصاة مقصورة على الشرائع السماوية ، بحجة قيام شبهات علمية ضد بعض أصولها ، كما يصرحون بذلك ويضعون فيه البحوث المستفيضة ، لعذرناهم ، ولكن هذه المعاصاة تمتد على أصول العلوم اليقينية نفسها التى لا يتأتى أن يتمارى فيها رجلان على الكرة الأرضية ، كاباحة الخمر والقمار والزنا وغير ذلك مما أصبح ضحاياه وويلاته عبرة لمن كان له نظر ، وذكرى لمن كان له قلب .

فالدناكل والحبشان والنيام نيام وأمثالهم ، يعذرون فى إيثارهم عاداتهم على الشرائع السماوية ، لجهالتهم وبعدهم عن مساقط الأنوار العلمية ، فما عذر الجماعات المتمدنة التى بلغت من العلم شأوا بعيدا فى معاصاة الأصول التى اعتبرتها معارف يقينية ، بل حقائق خالدة !؟

(جروب) مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حرّم على الأمم المتمدنة المشروبات الكحولية، والمقامرة، والزنا، ثم انظر تجد عدد المجرمين والمنتحرين والمجانين قد نزل الى أقل من نصف ما كان عليه، وبقى النصف الآخر موزعا على آثام أخرى تنص الشرائع الالهية على ضرورة إزالتها وحماية الناس من شرورها.

إنى لأخجل أن أوجه ملاما الى الدناكل ومن يجرى مجراهم، إذا كنا نحن والأمم العظيمة المتمدنة نرتكب هذا الشطط نفسه، ونحن من العلم والفلسفة ومنطق الحوادث فى ثروة ليس لتلك الجماعات الساذجة ذَرْوٌ منها. فإذا كان ولا بد فدرهم الى هؤلاء وقنطار إلينا.

فان سألتنى بعد هذا: وما الدواء لهذه الحالة من إيثار الباطل على الحق، والميل إلى سفاسف الأعمال دون معاليها، والإصرار على ذلك إلى حدود الجهل المطبق، والجمود المطلق؟

قلنا: لادواء لهذا الداء العقام الا القوارع والمثلات، ولا شىء غير القوارع والمثلات! فلو كان الانسان يؤمن بما يقوله العلم نفسه: أن كل ما يفعله الناس من حسن أو قبيح، من خير أو شر، يعود عليهم أثره كنتيجة لمقدمة، لبذلوا جهدا جهيدا فى تحرى الاحسان فى كل شىء، ولكنهم يشكون فى هذا الأصل، ويظنون أنهم يستطيعون أن يركبوا أهواءهم ثم يفلتون بحسن احتيالهم من نتائجها. وهيهات! «وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا».

محافظون لا متنطعون

نقلنا فى العدد الماضى ما نشره المسيو ميشيل رينو بجريدة (لا فرانس ميليتير) نقلا عن الكولونيل بيلاندو الحاكم على قسم من صحراء مراكش عن تشدد أهل موزاب (وصحتها ميزاب) فى الدين، وعن إبائهم إدخال التيار الكهربائى الى قراهم، فزارنا عالم جليل من علمائهم هاجر الى مصر منذ ست عشرة سنة، وأفضى الينا بالأسباب الحقيقية لامتناع أهل ميزاب عن إيصال التيار الكهربائى الى بلادهم فقال:

«إن أهل وادى ميزاب أثارة من الدولة الرستمية التى حكمت المغرب من سنة ١٤٠ الى ٢٩٦ هجرية، وهى دولة عربية بربرية فارسية، وقد كانت مثلا يضرب فى عدالة الحكم، وصيانة الأمن، والعمل على الاصلاح والتعمير. فلما انقرضت تجمع بقاياها فى بعض الوديان، وكان وادى ميزاب الذى يبعد عن البحر ٦٣٠ كيلو مترا مباءة لقسم منهم، وهو الذى يتناولهم بالذكر كاتب لافرانس ميليتير اليوم. وما كان لهجرة هذه البقايا من الدولة الرستمية إلا غرض واحد وهو صيانة دينهم وقوميتهم من الفتن التى كانت افتكت من عقـالها على عهد الدولة الفاطمية بالمغرب.

«على أن مهاجرة ميزاب لم يريدوا بهجرتهم أن يقبعوا فى دورهم كسالى خملين، ولكنهم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

طفقوا يفلحون الأرض ويستثمرونها ، ويزاولون التجارة بالأسفار البعيدة ، ويمارسون العلم والحكمة على مذهب خارجة بن زيد التابعي الجليل ، وقد نبغ فيهم أئمة يشار اليهم بالبنان ، منهم محمد يوسف أُطْفَيِّشْ المفسر الكبير فى العهد الحديث ، وقد توفى سنة ١٣٣٢ هجرية .

« وهم ليسوا يجهلون مزايا الفتوحات العلمية ، والمكتشفات الصناعية ، ولا ممن يرون أن الاستفادة منها إثم يعاقب عليه ، كما يتوهم كل من يقرأ ما نشره عنهم المسيو ميشيل رينو ، ولكن بشرط أن يجيئهم على أيديهم وتحت رقابتهم ، حتى لا يكون ذلك وسيلة لمن يريد التدخل فى شئونهم تحت هذا الستار من الاصلاح والتعمير . فرفضهم على الكولونيل بيلاندو إدخال التيار الكهربائى الى قراهم كان غرضهم منه قطع ذرائع التدخلات التى يجر اليها هذا العمل المدنى البرىء ، لا أنهم يرون فى الاستصباح بالكهربائية بدعة لا يجوز العمل بها ، أو عملا لا فائدة منه يمكن الاستغناء عنه . ولكنهم آثروا أن يعيشوا بعيدين عن زخرف المدنية ماداموا لا يُمَكَّنون من حماية جماعتهم مما تجر اليه من ضروب الافراطات والتفريطات فى آدابهم وأخلاقهم ودينهم ، كما حدث فى جميع الممالك الاسلامية » .

هذا ما حدثنى به ذلك العلامة الجليل ، وهو حديث يبرئ أهل ميزاب من وصمة التنطع فى الدين ، وينقلهم الى طائفة المحافظين .

ونحن نشكره ونرجو لقومه أن يعملوا جادِّين على تحلية جماعتهم بجميع الوسائل الصناعية ، والمستكشفات العلمية ، وأن يتدارسوا الى جانب علم الدين ، العلوم الحديثة التى أصبحت لامعدى عنها فى هذا العصر ، وأكسبت أهلها من قوى التسلط والاستيلاء ما لا سبيل الى دفعه إلا بها . ولسنا ممن يقول بأنه مع وجود تلك العلوم والوسائل الحيوية لا يستطاع صد تيار الفتن ، ولكنا نقول : إن الشعب الذى يصبر على حرمان نفسه منها يستطيع بقوة الإرادة أن يحمى نفسه شرور المدنية إذا صدقت عزيمته فى ذلك ، ولأهل وادى ميزاب وغيره من الوديان من مزية العزلة ، وشدة الشكيمة ، ما يجعلهم قادرين على ذلك . ودليلنا على ذلك أن كثيرا منهم ينزحون الى المدن الحافلة بضروب الفتن والمسولات فلا يتأثرون بها ويعودون الى بلادهم أطهارا من جراثيمها .

أقول هذا وألح عليهم فى قبوله ، فإن ثباتهم فيما هم فيه مع تجردهم من جميع وسائل المناعة المادية ، قد لايطول أمده ، فإن زحف المدنية عليهم متواصل من جميع الجهات ، وقد لاينقضى جيل حتى تتصل بهم فيضطرون الى قبولها كرها ، وفى وسعهم أن يجعلوا أنفسهم بحيث لو اتصلت بهم المدنية لم تجد فى وسائلها ما تفتنهم به .

فإلى أهل ميزاب تحيتنا مشفوعة بهذه النصيحة ، راجين الله لهم كرامة الدارين ، وشرف الحسنيين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com



هل هناك ضرورة لاقامة مؤتمرات المسيح الملك

جاء فى جريدة (لا كروا) أى الصليب التى تصدر فى باريس تحت العنوان المتقدم ما يأتى :

« كتبت إلينا (الى جريدة لا كروا) السكرتارية العامة لمؤتمر المسيح الملك نابليو بابيا تقول :

« قد يظن أن مسألة : (هل هناك ضرورة لاقامة مؤتمرات للمسيح الملك ؟) لا موجب لها ، ونرى أنه تجب الاجابة عليها .

« ماذا يراد من عبارة المسيح الملك ؟

« يراد بها أن المسيح ملك السماء والأرض ، ولكن هل العالم يعترف له بهذا الملك ؟

« معنى المسيح الملك أنه يجب أن يحكم ، وأن تعترف به ملكا جميع الممالك وجميع الشعوب ، لأنه يجب عليها له الطاعة والخضوع ، فقد قال هو : « اذهبوا وعلموا جميع الأمم وعمدوها وأدخلوها فى حظيرتى حتى لا يكون فى الأرض إلا راع واحد وقطيع واحد » .

« ولقد ولد المسيح منذ ألف وتسعمائة وتسع وثلاثين سنة ، فالى أى حد فى مدى هذا الزمن نفذ أمر المسيح ؟

« يبلغ عدد سكان الأرض اليوم نحو ألفى مليون نسمة ، منهم مليون وأربعمائة ألف وثنيون ومسلمون ، ولا يعترف بالمسيح منهم إلا ستمائة مليون أى نحو ثلث سكان الأرض أجمعين ، ولا تنس أن مايقرب من نصف المسيحيين خوارج ومبتدعة منقسمين الى فرق شتى . فلا يوجد من الكاثوليك إلا ثلاثمائة وثمانون مليونا أى خمس مجموع البشر أى ١٩ فى المائة . ولكن لا يعتبرون عاملين بالكثلكة إلا نحو نصف هذا العدد . وسكان المدن الكبرى يعتبرون نصف وثنيين ، فلا يؤدى شعائر الدين منهم إلا نحو ٥٠ فى المئة . وهذه الوثنية الجديدة تنتشر بوقاحة ، والخروج من المسيحية والمادية المنحطة ينموان بدون انقطاع . وفى ممالك مختلفة تنشر دعاية مباشرة للاستكثار من عدد المرتدين . ففى مدينة (غراتز) (١) وحدها ، أعلن ثلاثون ألفا من أهلها خروجهم عن المسيحية . وعدد المواليد الذين لا يعمدهم آباؤهم يزداد يوما بعد يوم . وطوائف بروتستانية تنشر دعوة نشطة لمذهبها فى البلاد الكاثوليكية . والاسلام . . . (٢) ينتشر بسرعة توجب القلق .

« ولنضف الى هذا ، المذهب البلشفى ونشره الدعوة الالحادية الشنيعة . فما أجرأه على رفع رأسه عاليا وعلى محاولته فتح الأرض بأسرها ، وإنزال الإله من عرشه ، واستئصال شأفة الدين فى كل بلد يحله ! إن قوى الجحيم لم تهاجم قط مملكة الله على هذا النحو .

(١) بلدة نمساوية (٢) وصف الاسلام بالمبيد أو المهلك فلم نرد أن نثبت هذا الوصف الوقح !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« فلا يرميننا أحد بوصمة التشاؤم فإننا إنما نعتمد على الأرقام والحوادث التى لا يمكن النزاع فيها . وأى فائدة ترجى من كتمان الحق أو إنكار ما لا يجهله أحد؟ فيجب علينا أن ننظر الى الحقيقة مواجهة ، لأن الحقيقة وحدها هى التى سوف تنجدنا .

« إننا نعلم أن المسيح كان وسيكون دائما موضعا للنزاع ، ونعلم أن أبواب الجحيم لن توصد أبدا ، وستهاجم مملكة الله بدون انقطاع .

« ونحن نعترف بأن فى الكنيسة الكاثوليكية خيرا وجمالا عظيمين ، وفيها عناصر إنشائية ومقوية ، كوحدة الاعتقاد والطاعة للبابوية ، مما لا تكثر أشباهه فى تاريخ الكنيسة ، ويوجد حب صادق للأب المقدس ، وتقوى وورع ، وميل للتضحية ، ونشاط قوى للبذل ، وروح ترابط اجتماعى . ونرى الناس يصلون كثيرا ويضحون كثيرا ، وفيهم نزوع للمتاب . وتوجد كتابات كثيرة وكلام كثير فى وجوب الاتحاد والنظام ، ونشاط لم ير مثله للكنيسة فى سائر المجالات .

« نحن نعترف بوجود ذلك كله ونسر به ، ولكننا لا نستطيع أن نخفى الأخطار التى تزداد تفاقما يوما بعد يوم مهددة المسيحية كلها ، كما لا نستطيع إخفاء الخسائر التى تكبدناها .

« فقد تألب أعداء مملكة الله عليها ، واتفقوا فى جميع البلدان على محاربتها . فالاشتراكية والشيوعية ، والماسونية ، والحرية الفكرية ، لا تعرف فيما بينها حدودا ، وليس لأشياع هذه المذاهب إلا فكرة واحدة تحييها ، وغرض واحد يجمع بينها ، وهو : الكفاح ضد مملكة الله .

« أما نحن الكاثوليك فلسنا بمتحدين فيما بيننا اتحادا وثيقا . نعم إننا منظمون تنظيما كنسيا ، ولكن العقول والقلوب يلوح أنها غير متفقة على ما ينبغى ، فهى تختلف باختلاف الأجناس واللغات . وقد أضعف الغلو فى القومية الديانة الكاثوليكية . .

« فيجب على جميع الكاثوليك أن يتفقوا يدا واحدة ، ويتعارفوا ويتحابوا ، ويتشاوروا فيما ينبغى عمله للدفاع ضد هجمات الظلام ، وفى زيادة احترام الكنيسة الخ الخ » .

(مجلة الأزهر) لا تحتاج هذه الى تعليق .

لدينا مؤلفات عديدة لم نستطع نقدها فى هذا العدد ، ونرجو أن ننظر فيها فى العدد المقبل إن شاء الله .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أحدث أبحاث الوراثة

تخيروا لنطفكم فان العرق دساس

معجزة علمية

ألّف رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ضوء الوحى الإلهى أمة فاضلة استأهلت خلافة الله فى الأرض ، ولم ين وهو يقيم صرحها يفضى الى آحادها من أسرار الحياة ما يجعل أخلافهم يبنون على آساسهم ، فلم يدع أصلا يبنى من وجودهم أو يكمل أخلاقهم إلا بثه فى روعهم ، ونقشه فى عقولهم . ومن أروع ما وقفنا عليه من وصاياه ما يتعلق بفعل ناموس الوراثة فى تكوين الشخصية الانسانية : ألا وهو قوله صلى الله عليه وسلم : «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » ، فقد كشف بهذا الحديث عن حقيقة علمية خطيرة ظلت فى طى النسيان أمدا طويلا من الدهر ، حتى آن لها أخيرا أن تكتشف وتعرف منذ أعوام قلائل .

لما كان التناسل هو الواسطة فى تجدد الأجناس جيلا بعد جيل ، إذ أنه إذا ما اتحدت نطفة بخلية تناسلية أنثوية ، تكوّن من اتحادها كائن حى ينمو ويكبر ويخرج للحياة فردا مستقلا ، هذا الكائن الحى يستمد كل صفاته من أبيه وأمه كما سيتبين فيما بعد ؛ لهذا كان من أوجب الواجب العناية باختيار الزوجة الصالحة والزوج الصالح ، ذلك أن امرأة السوء أو رجل الشر لن يؤذى نفسه فحسب ، بل إنه جناية كبرى على خلفه من بعده ، أولئك الذين يرثون شروره وآثامه ، ويتطبعون بطباعه وينسجون على منواله ، وهؤلاء بدورهم ينقلون منكراتهم وخبائثهم الى الأحفاد وأحفاد الأحفاد ، سلسلة متصلة غير منقطعة ، وهكذا دواليك تستمر تلك الشجرة تروى بالماء الخبيث ، فتعطى ثمرا حنظلا مرّا . هذا ما يعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « فإن العرق دساس » .

ولا يحسبن القارىء أنى أتكلم جزافا ، أو ألقى القول على عواهنه ، فهذه النتيجة مستمدة من أحدث الأبحاث الوراثية ، وهى التى تظهر بجلاء معجزة النبى الكريم ، وهاك بيانها :

لاحظ كثير من العلماء المشتغلين بدراسة أسرار الوراثة فى الانسان ، أن بعض الأسر تكثر فيها نسبة المجرمين بشكل يلفت النظر ويوجب التأمل ، فتوفروا على دراسة تاريخ تلك الأسر دراسة مستفيضة ، وخرجوا بحقيقة هامة ، ألا وهى أن الصفات الإجرامية والشذوذ العقلى كلها صفات وراثية تنتقل من الآباء الى الأبناء الى الأحفاد . ولكى تحكم بنفسك أعرض

oldbookz@gmail.com
مجروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

القارئ الكريم على صحة تلك النتيجة ، نذكر لك فيما يلي تاريخ إحدى تلك الأسر ، وهى أسرة شخص أمريكى يدعى « جول » :

افتتن ذلك الرجل بامرأة من البغايا ، فتزوج بها ، وأخلف أولادا نزعت نفوسهم الى الشر ، وسرت تلك الدماء الملوثة فى الأبناء والأحفاد ، فجاء النسل كله عريقا فى الإجرام ، فأحصى العلامة «دوجديل» أفراد تلك الأسرة فى مدينة نيويورك ، فعثر على ١٢٦٠ فردا بهذا الترتيب :

١١٨ شخصا من اللصوص
١٧٠ « من المتشردين
١٢٩ « عالة على غيرهم
١٨١ « من المدمنين على الخمور
٨٦ « يديرون بيوتا سيئة السمعة
١٩٨ « يشتغلون بالحرف الدنيئة (وقد تعلموها داخل السجن)
٣٧٨ امرأة من البغايا

ولقد حسبت الخسائر المالية التى تكبدتها حكومة نيويورك من جراء إفساد تلك الأسرة فوجدت ٠٠٠ ر ٢٥٠ ر ١ دولارا

فهذا رجل جرى وراء شهواته واتبع نزعات الشيطان ، فوقع فى مغبة عمله وسوء فعله ، وتردى فى هوة عميقة لا قرار لها ، وجنى على المجتمع الانسانى شر جناية ، فقد أخرج له فئة من الأشرار المجرمين يعيثون فى الأرض فسادا ، دون وازع من ضمير أو رادع من عقاب ، فقل لى بربك : أليست هذه الحقيقة الواقعة مصداقا لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « إياكم وخضراء الدمن . قالوا : وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء ».

سبحانك ربى ! لقد أرسلت رسولك بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ، فهاهى ذى كلماته الحكيمات باقيات على الدهر غرة ناصعة فى جبينه ، ونبراسا ينير لنا السبل ، ويهدينا الصراط المستقيم ، ودرة ساطعة نتاقى منها العلم والحكمة والخلق الى يوم الدين .

وقد يتملكك العجب وتأخذك الدهشة اذا ما علمت أن العلماء بذلوا الجهود الجبارة فى سبيل إصلاح نسل تلك الأسرة وإرجاعه الى الطريق القويم ففشلوا فى ذلك فشلا ذريعا ، فلقد كانوا يأخذون الطفل الرضيع من مهده ويعهدون بتربيته الى إحدى الأسر الشريفة لينشأ محبا للأخلاق الحميدة مطيعا للقانون ، ولكن :

إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما يكاد الطفل من هؤلاء يشب ويترعرع حتى تظهر عليه سيماء الشر ، وإذا به يحطم كل القيود التى تثنيه عن إدراك بغيته ، وينطلق هائما فى ساحة الجريمة .

من هذه التجارب يتضح لنا أن طبيعة البيئة ليست هى العامل الأساسى فى تكوين المجرم والشرير ، ولو أننا لا نستطيع أن نهمل تأثير البيئة ، إلا أنه يلزمنا معرفة أن الوراثة هى التى تلعب الدور الأول والأكبر فى تكييف الشخص وتوجيهه الوجهة التى سيسير على ضوئها فى الحياة ، فالمجرم الوراثى يشعر ويعتقد اعتقادا جازما بأن حياته الإجرامية إن هى إلا حياة عادية لا شائبة فيها ، بل إنه ليجد اللذة والسرور عند اقترافه لموبقاته ، فمثل هذا الشخص لا يمكن إرجاعه عن طبيعته لأن حب الجريمة قد سرى فيه مسرى الدم . وأما الشخص الذى دفعته البيئة دفعا الى سلوك سبيل الشر ، فيمكن إصلاحه بنقله الى بيئة طيبة ، وتعهده بالتربية الصحيحة والخلق القويم .

قلنا : إن ضعف العقل وشذوذه والميل الى الإجرام ، كلها صفات وراثية تنتقل من جيل الى جيل ، كذلك الصفات الممتازة كالذكاء والمقدرة العقلية الفائقة ، يرثها الأبناء عن الآباء ، فلقد درس العلماء تاريخ إحدى الأسر الشهيرة فى أمريكا وأحصوا أفرادها سنة ١٩٠٠ فوجدوا منهم ١٩٢٤ شخصا يملأون مراكزهم فى الحياة الاجتماعية ، فقد كان من رجالها :

١	وكيلا للجمهورية الأمريكية	٦٠	طبيبا
٣	أعضاء لمجلس الشيوخ	٣٠	قاضيا
١٣	عمداء كليات الجامعة	٦٠	محاميا
٦٠	أستاذا فى الجامعة	١٠٠	حاكم
٦٠	من مشاهير الكتاب		

وغير هؤلاء عدد غفير من كبار رجال الدين ، ومن رؤساء المعاهد العلمية ، وأعضاء فى المؤتمرات الدولية ، الى غير ذلك من المراكز الممتازة .

إزاء كل هذه الحقائق ابتدأ العلماء يتعمقون فى دراسة أسرار الوراثة فى الانسان ، يبغون من ذلك استكمال تقدم النوع الانسانى فى مجال الرقى العقلى حتى يزداد بذلك إنتاجه ، نتيجة لزيادة قواه المفكرة . كذلك يرمى العلماء الى تركيز الأخلاق القويمة فى الانسان ، والقضاء على الصفات الوراثية الخاصة بالإجرام والجنون وضعف الشعور بالمسئولية ، وكذا الاحتفاظ بصحة الانسان بالقضاء على الصفات الوراثية التى تجاب لحامليها الاستعداد للإصابة بالأمراض . وكل هذه أبحاث حديثة شيقة ومفيدة ، وسنتكلم عليها بالتفصيل فى أعداد قادمة ، إن شاء الله

رضوان محمد رضوان
بكالوريوس فى العلوم الزراعية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المحاماة قديما وحديثا

فى عدد من أعداد هذه المجلة من بعض سنيها الماضية عرضنا للكلام لماما عن المحاماة قديما وحديثا ، وكيف تطورت اليوم حتى بلغت مستواها الذى بلغته ، وألمعنا فى ذلك البحث الى أن حق الدفاع قديم فى البشر . فهى ضرورة من ضرورات الاجتماع تدعو اليها نواميس هذا الوجود وتفرضها قضايا العمران بما فطر عليه الانسان من حب الغلبة والنصر .

ففى قصة موسى حين طلب الى الله سبحانه أن يرسل معه أخاه هارون الى قوم فرعون الذين كذبوه إذ قال : « وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فارسله معى ردءا يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون » ، وإذ قال الله له : « سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما ، بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون » ، وفى قوله سبحانه : « وكان الانسان أكثر شيء جدلا » ـ آية الآيات على أن الدفاع فى البشرية قديم وجد منذ تمخضت الأقدار عن الخليقة ووطئت بقدمها تلك الرقعة السوداء . وألمعنا أيضا الى أن الدفاع فى الخصومات كان فى زمن موسى عليه السلام طليقا من كل قيد إلا من البساطة الساذجة .

فقد كان لليهود فى زمنه عليه السلام رجال يشتغلون أمام القضاء فيما يشبه نظام المحاماة اليوم . فمن أظهر مظاهر اشتغالهم بها حل المشكلات التى تظهر بين الأفراد من المسائل القانونية . ويروى الأستاذ جلاد بك أنهم كانوا فى عملهم هذا غير مأجورين ، لأنهم اختصوا بجعالة فى بيت المال يتقاضونها كتشجيع لهم على الاستمرار فى مهمتهم الانسانية الجليلة ، وكانوا يعتبرون كأنهم من رجال القضاء ، حتى إن القضاة لم يكونوا ينتخبون إلا من بين أفرادهم ، لأنهم مارسوا فنون الكلام وأساليب الدفاع عن أممهم ، وعرفوا كوامن العلل فى نفوس الأهلين ، فليس فى طبقة أخرى من يفضلهم فى فنون التقاضى ، لذلك أملت عليهم المصلحة ووضع الأشياء فى مواضعها أن تنتخب القضاة من بين المحامين وحدهم .

ولم يكن اليهود فى زمن موسى هم المستأثرين بتلك الخواص فحسب ، بل شاعت تلك الظاهرة أيضا فى الكلدانيين والمصريين والفرس وأهل بابل . فقد كان بين هؤلاء الأمم رجال اشتهروا بالعلم والذكاء ، يرجع الناس اليهم فى المشورة ، ويستعينون بهم فى خصوماتهم ، مما يشبه نظام المحاماة اليوم ، حتى إن هؤلاء الأفذاذ كانوا يجتمعون فيما يشبه الأندية العامة أو الخاصة فتأتى اليهم الناس تستشيرهم وتصدر عن رأيهم .

وقد ظل الأمر كذلك حتى اخترع المصريون فن الكتابة على ما يروى لنا المرحوم أحمد فتحى زغلول باشا ، فحظروا من ذلك العهد على المشتغلين بالقانون ألا يترافعوا إلا بالكتابة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وسر ذلك الحظر أنهم خشوا أن يخلب المترافع ألباب القضاة بانبساط لسانه واتساع بيانه وحدة جنانه وعذوبة منطقه .

وتطور هـذا الفن تطورا مطردا ، وكان أقدم الناس به عهدا المصريون والفرس والكلدانيون كما أسلفنا ، والمصريون فى الطليعة . وقد ظل هذا الفن يدرج فى حجور متواضعة حتى انتقل فجأة الى اليونانيين . فليس من بلد نبغ فيه العدد العديد من الفلاسفة والحكماء والمشترعين والخطباء والكتاب والعلماء مما بلغه فى بلاد اليونان .

ويروى العلامة أحمد فتحى زغلول باشا أن المستبصرين فى ذلك العهد قد أعجبوا إيما إعجاب بما بلغه النضوج العقلى فى بلاد اليونان . وقد توارث هـذا الإعجاب علماء القانون والفكر فى كل عصر وجيل حتى العصور التى شق الفرنسيون فيها الى التشريع لهم طريقا ، وإن كانوا مسبوقين فى نظرياتهم العامة بالفقه الاسلامى الذى يقرر فى نظرياته العامة أهدى قواعد الوجود وأرسخها قدما فى الفقه بشقيه ، وفى الفلسفة وفى القانون ، وفى كل ماله أوثق الصلات بخير البشرية وإسعادها .

لكن مما لا سبيل الى الجدل فيه أن تلك الشرائع كانت على قسط وفير من الكمال والعدل ، حتى إن حكومة الجمهورية الرومانية فى ذلك العهد ، ولها يومئذ سعة سلطانها وقديم مجدها وباذخ عزها ، قد أرسلت الى بلاد اليونان بعوثا ليقتبسوا عنها تلك الشرائع لتستنير بأصولها فى تشريعاتها المختلفة وتنظيم روابطها المتنوعة .

ولقد كانت الفصاحة مهملة عند الأمم فعنى بها اليونان وتدارسوها فى مدارسهم ، ووضعوا لها أصولا وقعدوا لها قواعد ، حتى صارت فنا من فنونهم القومية ، وجزءا غير منفصل من حياتهم الثقافية .

وهنا يروى الأستاذ جلاد وصاحب العزة عبد الفتاح السيد بك المستشار بمحكمة النقض أن أول أمة أدخل على صناعة المحاماة فيها فن البلاغة هى الأمة اليونانية .

ومن ذلك العهد نبتت فكرة شائعة بين السكان ، وهى أن يستعين أرباب القضايا بأحد هؤلاء الخطباء فى المرافعة أمام القضاء فى آثينا ذاتها وفى بعض البلاد الأخرى ليؤيدوا حججهم فى وجهة نظرهم وسبل اتجاههم . وقد بدأ هؤلاء الخطباء بالقاء الخطب بأنفسهم نائبين عن أصحاب القضايا . ولهؤلاء العلماء خطب مشهورة كانوا يلقونها بأنفسهم أمام منصة القضاء .

ومن الرجال الأفذاذ الذين خدموا القانون والقضاء بل خدموا قضية العدالة والانتصاف ، الأستاذ (استين) ، فقد خصص نفسه للدفاع عن المتهمين ظلما ، حتى إنه كان يكتب دفاعه الى بعض هؤلاء المتهمين إذا تبين رقة حاله وتبلبل باله ، ليقرأه ذلك المتهم على القضاة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن هؤلاء الرجال الأستاذان (دراكون) و (سيلون) اللذان وضعا القوانين لتنظيم حرفة الدفاع وتثبيت قواعده على سنن يكفل أن يأخذ العدل مجراه ، فاشترطا فى المحامى الذى يمارس حرفة المحاماة ويلقبونه يومئذ بالخطيب : أن يكون حرا ، وأن لا يكون مرذولا فاقد الشرف مثلوم العرض ، وأن لا يكون مأخوذا عليه عصيان والديه أو القعود عن تلبية داعى الوطن أو قبول وظيفة عمومية أو الاتجار بتجارة تخالف الآداب وتشين الاعتبار ، وكذلك من شاهده الناس فى أماكن الفحش والفجور ، ومن عاش عيشة التأنق والتبذل فبدد ما ورثه عن آبائه ، ومن كان أمينا على أموال الدولة فى عرفهم يومئذ .

كذلك منعت النساء من المحاماة لما ينبغى لذلك النوع من التوافر على الحشمة والدعة والوقار ، ولما تقرر فى قواعد الفلسفة القديمة أن المرأة وهى كثيرة الاضطراب فى الآراء سريعة السير مع الأهواء ، لا تعدل الرجل فى عقله وسلامة إدراكه وقوة استنتاجه .

وقد كانت حظيرة المحاماة التى تشبه نقابة المحامين اليوم ، معدودة من الأماكن المقدسة التى لا يجرى فى فنائها ولا أرجائها هجر ولا لغو ، لأنهم كانوا يرون فيها يومئذ أداة الانقاذ وكشف الحقيقة واسترداد الحقوق الضائعة ، وفى دوائر القضاء إنصاف المظلوم ، وإغاثة الملهوف وتشييد صروح العدالة على قواعد من الأدلة والبراهين التى أدلى بها المحامون ، فهم والقضاة سواسية فى تلك التجلة وذلك الاحترام . فاذا حان وقت إقامة المنصة ونصب ميزان العدل ، رش المكان بالماء المطهر رمزاً الى أنه مكان فوق مستوى الأمكنة العادية ، فلا يجرى فيه إلا ما له صلة بمصلحة الجمهور ، مما سنعود اليه بمزيد بسط ، وبيان فى أعداد تالية . فالى الغد القريب ؟

عباس طه

تصحيح

	ص	س		
وقع فى العدد السادس	٤٧١	٢١	خطأ هذا صوابه : إن فى ذلك لذكرى	

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام

يتحدث عن واجب الشعب والعلماء وأبناء الأزهر فى الأحوال الحاضرة

قابل مندوب «الأهرام» حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر، وسأله عما إذا كان هناك ماينصح به لحضرات علماء الأزهر وطلبة معاهده ليسترشدوا به فى تأدية واجبهم فى الظروف الحاضرة، فقال فضيلته :

« هناك نواح كثيرة للظروف المحيطة بنا الآن، ولكن أهم شيء فى نظرى أن تسير الحياة فى هدوء ونظام وأمن، وأن يعاون الشعب الحكومة فيما هى بسبيله من حياطة الوطن والذود عن حياضه والدفاع عنه، وأن يقوم بين الشعب تعاون وثيق وشعور رحمة وعطف، وأن يكون الجمهور غير شاعر بمضض الحياة وعدم القدرة على سد العوز ودفع ألم الجوع، وهذا يقتضى من الجمهور اقتصادا، ومن التجار قناعة .

« فأنا أطلب الى حضرات العلماء وأبناء الأزهر جميعهم فى المدن والقرى، أن يراعوا هذا، وأن يكونوا رسل رحمة، قوامين بما هو واجب عليهم من النصح .

« وأسأل الله أن يقى هذه البلاد شر عوادى الزمان، وأن ينقذ العالم مما هو فيه من شرور، ويرده الى الفضيلة عن طريق هداية الوحى ونور النبوة » .

هذه كلمة من كلمات حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام، نضيفها الى مثيلاتها من كلماته الموجزة ذات الدلالات العالية . وهى تنحصر فى مطالبة الشعب بمعاونة الحكومة فيما ترمى اليه من إعداد الوطن للدفاع عن كيانه، من طريق تنظيم وجوهه، وتوفير معداته، وهذا التعاون الرئيسى يقتضى تعاون أفراد الشعب فيما بينهم حتى تكون الأمة كالجسد الحى فى ترابط أعضائه، وتكافل أجزائه .

ولما كان هذا المثل الأعلى من التضام والترافد يقتضى شعورا من الآحاد بالواجب يمده بالوجود، أهاب فضيلة الأستاذ الامام بهذه العاطفة فى النفوس لما يبتنى على التقصير من مضض الحياة، وأشار الى أن مصابرة هذه الأحوال تقتضى من المستهلكين اقتصادا، ومن التجار قُنعانا .

وفى هذا الموطن يهيب الأستاذ بحضرات العلماء وأبناء الأزهر أن يجعلوا من أنفسهم رسل رحمة بين الناس، وأن يقوموا بما هو واجب عليهم من النصح .

فعلى الذين يقرءون هذه الكلمة القيمة أن يكرروها فإنها نعم البرنامج الأدبى لهم فى هذه الآونة الشديدة، حمى الله كنانته من كل شر، وألهمنا ما ألهم آباءنا من قبل، من روح الاستبسال فى الدفاع عن الوطن، وحقيقة الصبر فى مواقف الجد .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة المحمدية
تحت ضوء العلم والفلسفة

عزم المشركين على الجد فى وقف الدعوة الاسلامية

لم يترك الجاهليون وجها من وجوه الإيذاء والإيلام إلا عاملوا به النبى صلى الله عليه وسلم ومن آمنوا معه ، فلما عجزوا عن فتنتهم عن دينهم ، أجمعوا على معاملتهم بأقصى ضروب الشدة ، حتى يفرغوا من أمرهم ، ولكنهم قبل أن يقدموا على هذا الأمر رأوا أن ينذروا عشيرة النبى صلى الله عليه وسلم ليتخلوا عن حمايته ، فاذا أبوا أعلنوهم الحرب وعاملوهم معاملة الأعداء . فمشى جماعة منهم الى أبى طالب بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له :

«يا أبا طالب ! إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وإنا قد طلبنا اليك أن تنهى ابن أخيك عنا فلم تنهه ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، فان لم تكفه عنا نازلناه وإياك ، حتى يهلك أحد الفريقين » !

فلما سمع أبو طالب ما قالوه عظم عليه مخالفة قومه وعداوتهم ، ولكنه لم يطب نفسا بخذلان ابن أخيه ، وتعريضه لوحشيتهم ، فرأى أن يكلمه فى هذا الأمر فقال له :

« يا ابن أخى ! إن قومك جاءونى فقالوا لى كيت وكيت ، فأبق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق » .

فأجابه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله :

« ياعم : والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أنزل عن هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته » ! ثم بكى وقام . فلما ولى ناداه أبو طالب ، فأقبل اليه فقال له : « اذهب يا ابن أخى وقل ما أحببت والله لا أسلمك اليهم » !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فلما رأت قريش أن مسعاهم لم يفلح اعتزموا أن يسلكوا لتحقيق غرضهم طريق الشدة ؛ ودعا أبو طالب بنى هاشم وبنى المطلب الى حماية محمد صلى الله عليه وسلم ، فأجابوه الى ذلك إلا عمه أبا لهب .

فتوالى الاضطهاد بشدة على المسلمين وعلى النبى صلى الله عليه وسلم . فمما روى من إيذائهم له ما حدث به عبد الله بن مسعود قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهو يصلى ، وقد نحر بعض الناس جزورا وبقى فرثه وكرشه . فقال أبو جهل : ألا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد ؟ فقام عقبة بن أبى معيط ، وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ، فتضاحكوا وجعل بعضهم يميل الى بعض . قال ابن مسعود : نخفنا أن نلقيه عن ظهره ، حتى جاءت فاطمة ابنته بعد أن ذهب اليها إنسان وأخبرها الخبر ، واستمر النبى ساجدا حتى ألقته عنه .

وروى البخارى عن عروة بن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : أخبرنى بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : بينا رسول الله يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكبه ولوى ثوبه فى عنقه نخنقه خنقا شديدا ، فأقبل أبو بكر وأخذ بمنكبيه ودفع عنه .

وروى أنهم اجتمعوا مرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجذبوا رأسه الشريف ولحيته حتى سقط أكثر شعره ، فقام أبو بكر دونه وهو يبكى ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟

ولما بدا له صلى الله عليه وسلم أن يدعو أهل الطائف ، وهى قرية بقرب مكة ، شخص اليها فقابله أهلها بأقبح رد ، وتولاه سفلتهم بالرجم وهو راجع حتى أدموا رجله بحجر .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن أمر باعلان الدعوة لا ينى فى دعوة القبائل فى مواسم الحج ، فكان يتتبعهم بمنى والموقف يسأل عنهم وعن منازلهم ، ويأتى إليهم فى أسواق الموسم وهى عكاظ ومجنة وذو المجاز . وكانت العرب إذا حجت تقيم بعكاظ شهر شوال ، ثم تنتقل الى سوق مجنة وتقيم به عشرين يوما ، ثم تزايله الى سوق ذى المجاز فتقيم به أيام الحج ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يقصدهم فى هذه الأسواق ويعرض نفسه عليهم طالبا إليهم أن يحموه حتى يبلغ رسالة ربه ، فكان يلازمه رجل من المشركين يصد الناس عنه مدعيا لهم أن به جنة ، فيعرض الناس عنه ، ولا يقيمون لما يقوله وزنا ؛ استمر على ذلك نحو عشر سنين .

هجرة بعض المسلمين الى الحبشة :

إن ما كان يلحق النبى صلى الله عليه وسلم من الأذى والاضطهاد كان يلحق مثله الذين آمنوا به ، حتى أن أبا بكر وهو سيد كبير من ساداتهم ضرب مرة حتى اختلط وجهه ، فلما طفح

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الكيل ، ولم يبق فى قوس الصبر منزع ، رأى بعضهم أن يهاجر الى الحبشة ، فارين الى الله بدينهم ، وتاركين لأموالهم وعشائرهم . فاتفق عشرة رجال وخمس نسوة على الشخوص الى الحبشة ، منهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ، وأبو سلمة وأم سلمة ، وأخوه لأمه أبو سبرة وزوجه أم كلثوم ، وعامر بن ربيعة وزوجه ليلى ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وزوجه سهلة بنت سهل ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، ومصعب ابن عمير ، وسهل ابن البيضاء ، والزبير بن العوام ، وأ كثرهم من أشراف قريش تحت قيادة عثمان بن مظعون ، ولكن لم يطب لهم المقام هنالك لأن الأحباش كانوا على النصرانية وذوى عصبية دينية لا تعرف التسامح ، فنبت بهم الديار ، فلم يلبثوا إلا ثلاثة أشهر ثم عادوا أدراجهم ، ولما رجعوا لم يتمكن من دخول مكة إلا من وجد له مجيرا ، فدخل أبو سلمة فى جوار خاله أبى طالب ، ودخل عثمان بن مظعون فى جوار الوليد بن المغيرة ، ثم رأى أن يرد عليه جواره عند ما بلغه ما صنعه من اضطهاد المسلمين وما لا يزال يصنعه معهم .

إسلام حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب :

كان من أ كبر العوامل فى إسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ما شعر به من الامتعاض الشديد من إيذاء المشركين لابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم . فقد قيل إن مولاة لعبد الله بن جدعان كانت فى دارها ، فرأت بعينها وسمعت بأذنها أن أبا جهل وهو أبو الحكم بن هشام ، لقى رسول الله فشتمه ورماه بالتراب ووطئ برجله عاتقه ، ثم انصرف الى نادى قومه . فلم تلبث الأمة التى كانت قد تأثرت بما فعله أبو جهل أن مر بها حمزة عائدا من قنصه متوشحا بسيفه ، فقالت له الفتاة : يا أبا عمارة : لو رأيت ما فعل بابن أخيك الساعة أبو الحكم بن هشام ، تعنى أبا جهل ، وحكت له ما رأت . فقال لها حمزة : أنت رأيت هذا الذى تقولينه ؟ قالت : نعم .

فاستشاط حمزة غضبا وقصد المسجد فصادف أبا جهل جالسا ، فأقبل اليه ورفع قوسه وضرب بها رأسه فشجه قائلا له : أتشتم محمدا وأنا على دينه ؟ ! فقام رجال من بنى مخزوم ينصرون أبا جهل ، وقالوا لحمزة : ما نراك إلا قد صبأت الى دين محمد .

فصمد لهم حمزة ولم يبال بتألبهم عليه ، فتركوه . ولما كان اليوم التالى ذهب الى رسول الله وأسلم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه ، لأنه كان أعز فتى فى قريش ، وأشدهم شكيمة على من يناوئه ، فخفف المشركون أذاهم عن رسول الله ، متحامين بطش حمزة ؛ وكان ذلك فى السنة السادسة من النبوة ، وقيل بل الخامسة منها .

أما عمر بن الخطاب فقد حدث عن سبب إسلامه فقال ما مؤداه : كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقينى ذات يوم رجل من قريش ، وقال يا ابن الخطاب

oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

تزعم أنك هذا ، أى أنك الصلب القوى فى دينك ، وقد دخل هذا الأمر فى بيتك (أى الاسلام) ؟ فتملأت غضبا ثم قصدتُ دار أختى زوجة سعيد بن زيد وقابلتها بما تكره على أن تركت دين آبائها وصبأت الى دين محمد ، ثم نظرتُ فاذا صحيفة فى ناحية من البيت فأخذتها ، فإذا فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، سبح لله ما فى السموات والأرض » ، فتلوتها حتى بلغت قوله تعالى : «آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » . الى قوله تعالى : « إن كنتم مؤمنين » فعظمت فى قلبى وصممت على الاسلام ، وقلت لهم : دلونى على مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت اليه فى دار الأرقم وكان مختفيا فيها بمن معه ، وطرقت الباب فلم يجسر أحد أن يفتح لى ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : افتحوا له إن يشأ الله به خيرا يهده ، فأدخلونى بين رجلين آخذين بعضدىّ . فقال لهم النبى أرسلوه ، أى اتركوه ، فجلست بين يديه ، فقال لى : ما جاء بك يا ابن الخطاب ، فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة . فقلت : يارسول الله جئت لأومن بالله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . !

قال عمر : وكان الرجل إذا أسلم استخفى ، فقلت : يا رسول الله والذى بعثك بالحق نبيا لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالايمان . قال عمر : وأحببت أن يصيبنى ما أصاب من أسلم من الضرر والإهانة .

روى عبد الله بن عمر قال : لما أسلم أبى قال : أى قرشى أنقل للحديث ؟ فقيل له : جميل ابن حبيب ، فغدا عليه وغدوت أتبع أثره وأنا غلام أعقل ما أرى ، حتى لقيه فقال له : أعلمت يا جميل أنى أسلمت ؟ فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه ، واتبعه عمر ، واتبعت أبى حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ألا إن ابن الخطاب قد صبأ ! فأخذ الناس يضربونه ويضربهم حتى قال خالى ما هذا ؟ قالوا ابن الخطاب ، فقام على الحجر وأشار بكمه ألا إنى أجرت ابن أختى ، فانكشف الناس عنه . وخاله هذا هو أبو جهل وهو فى الحقيقة عمه وإنما دعى خاله مجازا .

وروى البخارى عن ابن عمر قال : بينا عمر فى الدار خائفا إذ جاء العاص بن وائل السهمى أبو عمرو بن العاص ، وعليه حلة حبرة ، وقميص مكفوف بحرير ، فقال له : ما بالك ؟ قال : زعم قومك أنهم سيقتلوننى لأنى أسلمت . قال : لا سبيل إليك . فخرج العاص فلقى الناس قد سال بهم الوادى . فقال أين تريدون ؟ قالوا ابن الخطاب الذى قد صبأ . قال لا سبيل إليه ، فكر الناس وانصرفوا .

ثم رأى عمر أن يرد على العاص بن وائل جواره . قال : فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الاسلام .

إن إخلاص عمر فى إسلامه يستحق أن ينوه به ، فإنه بعد أن آمن وكان من أشد الناس

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم ، لم ير ما يكفِّر عنه سالف عدائه للحق إلا أن يعرض نفسه لضروب الإيذاء التي تعرض لها إخوانه الذين سبقوه الى الاسلام ، فأعلن إيمانه لينال من الاضطهاد مثل ما لقوه . وقد لقى منه الشيء الكثير .

مقاطعة المشركين للمسلمين :

لما رأى قادة الجاهلية أن جميع ضروب الاضطهاد لم تفت فى عضد المسلمين ، ولم تحل جماعتهم ، عمدوا الى سلاح من أشد الأسلحة على الأقليات العائشة مع أكثرية ساحقة ، وهو سلاح المقاطعة . فاجتمع صناديدهم وقرروا بعد التشاور أن يتفقوا كتابةً على أن يقاطعوا بنى هاشم وبنى المطلب ، فلا يصاهرونهم ، ولا يبايعونهم ، ولا يرحمونهم حتى يسلموا اليهم رسول الله يقتلونه . وأخذت كل جماعة نسخة من هذا العقد وعلقوا واحدة منها على جدار الكعبة . وكان ذلك سنة سبع من النبوة .

فلم يسع بنى هاشم وبنى المطلب إلا أن يجتمعوا تحت إمرة أبى طالب بن عبد المطلب ويلجأوا معه إلى شعب بالجبل متحصنين فيه ، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم من أسلم من غير بنى هاشم وبنى المطلب أن يهاجروا إلى الحبشة حتى لا يهلكوا جوعا . وبقى من دخل الشعب منهم فى حالة يرثى لها من الجوع والعطش ، وكادوا يهلكون جميعا لولا أن الله سخر لهم رجلين كانا يعطفان عليهم ، ويأتيانهم بشىء من الطعام خفية ، أحدهما هشام بن عمرو العامرى ، كان من أشد الناس معارضة فى إبرام عقد المقاطعة ، وقد أسلم بعد ، فكان يأتيهم بما يقدر عليه من الأغذية ، فأدخل عليهم فى ليلة واحدة ثلاثة أحمال من الأطعمة ، فبلغ قريشا ما صنع فكلموه فى ذلك ، فوعدهم بالاقلاع عن هذا الفعل ، ولكنه لم يف بوعده ، وعاود إمداد المقاطَعين بالأغذية ، وبلغ قريشا أيضا فأغلظت له القول وهمت بقتله .

وثانيهما حكيم بن حزام ، لقيه أبوجهل يوما وقد حمل غلامه قمحا الى من بالشعب ، فكلمه فى ذلك وشنع عليه ، فأخذ حكيم لحى بعير فضربه به فشجه ، وتدخل بينهما أبو البخترى فلم يتطور التنابذ الى ماهو أشد منه .

ولكن ماذا عسى أن تكون قيمة هذه المساعدات الفردية بازاء حاجة عشرات من الأنفس ؟ فلقد لقوا من الشدة ما لا يصبر عليه إلا الكرام .

وقد روى أنهم جاعوا حتى أكلوا الخبط (ورق الشجر) . وكان بعضهم يحضر الحج ويحاول أن يشترى شيئا فلا يستطيع من الرقيب الذى يوكل به حتى يرجع للشعب .

لبث بنو هاشم وبنو المطلب على هذه الحال سنتين وقيل ثلاث سنين ، وهو الأرجح ، حتى بلغ بهم الجهد ، فاتفق خمسة من رجالات قريش ليلا على أن يعملوا فى غدهم على نقض عهد المقاطعة ، هشام بن عمرو العامرى ، وهو أشدهم رغبة فى ذلك ومحاولة له ، وزهير بن أبى أمية

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمطعم بن عدى النوفلى ، وأبو البخترى بن هشام الأسدى ، وزمعة بن الأسود الأسدى .

فلما كان الغد جاء زهير الى المسجد وعليه حلة ، فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس وقال : يأهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبيعون ولا يبتاعون ؟ والله لا أقعد حتى تشق هـذه الصحيفة ! يريد صحيفة العقد المعلقـة بالـكعبة ، فعارض فى ذلك أبوجهل ، فرد عليه زمعة بن الأسود ، وعاونه أبو البخترى بن هشام الأسدى ، وانضم اليهما المطعم بن عدى ، وقام الى الصحيفة ومزقها .

فلما بلغ بنى هاشم والمطلب ما حدث خرجوا من الشِـعب .

هجرة المسلمين الثانية الى الحبشة :

قلنا إن النبى صلى الله عليه وسلم حين أوى هو وعشيرته الأقربون الى الشعب ، أمر من أسلم من الناس أن يهاجروا الى الحبشة ، فاجتمع نحو ثلاثة وثمانين رجلا منهم ، وثمانى عشرة امرأة وخرجوا مهاجرين اليها ، منهم جعفر بن أبى طالب وزوجه أسماء بنت عميس ، والمقداد بن الأسود ، وعبد الله بن مسعود ، وعبيد الله بن جحش وامرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وانضم اليهم الذين أسلموا باليمن وهم أبو موسى الأشعرى وبنو عمه .

فلما رأت قريش ذلك أرسلت فى أثرهم عمرو بن العاص (قبل أن يسلم) وعمارة بن الوليد بهدايا الى النجاشى ليسلم المسلمين لقريش ، فأبى عليهما ذلك ، وقد بقى هؤلاء المسلمون بالحبشة حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فعادوا اليه بها .

محاولة الاستعانة ببنى ثقيف بالطائف :

لما آنس النبى صلى الله عليه وسلم أن قريشا قد تضافرت على معاكسته بكل وسيلة ، رأى أن يلجأ الى بنى ثقيف بالطائف ، وهى بلدة فى الجنوب الشرقى من مكة ، طالبا اليهم حمايته حتى يؤدى رسالة ربه ، فقابل رؤساءها وكلمهم فى هذا الشأن ، فأخشنوا له فى الرد ، وأرسلوا غلمانهم ليقطعوا عليه الطريق وهو قافل الى مكة ، فلما أقبل عليهم قابلوه بوابل من الحجارة حتى أدموا عقبه ، ولولا أن زيد بن حارثة كان يذودهم عنه للحقه منهم أذى كبير .

ولما قرب من مكة لم يستطع أن يدخلها لما علمه كفار قريش من ذهابه الى الطائف واستنصاره عليهم بأهلها . فأرسل صلى الله عليه وسلم الى المطعم بن عدى بن نوفل يخبره أنه يريد أن يدخل مكة فى جواره . فأجابه الى ذلك وحمل هو وبنوه أسلحتهم ، واستعدوا للقتال من يعترضهم ، وذهبوا الى رسول الله واستقبلوه خارج مكة وقدموا معه حتى بلغوا به المسجد.

عند ذلك سأل المشركون المطعم بن عدى قائلين : أمجير أنت أم تابع ؟ فقال : بل مجير . قالوا : إذا لا تخفر ذمتك .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفاة خديجة رضي الله عنها :

بعد خروج بنى هاشم وبنى المطلب من الشعب بقليل توفيت خديجة بنت خويلد ، وهى تستحق صحيفة خالدة فى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فليس لامرأة فى الاسلام من الفضل ما يعدل فضلها ، فقد كتب لها أن تكون لخاتم المرسلين زوجة ، فتولته وهو فى ميعة صباه بالعطف والرعاية ، حتى بلغ الثالثة والخمسين من عمره المبارك ، فلم تدع وجها من وجوه العناية به ، والاخلاص له ، إلا قامت به على أكمل وجه .

شاطرته الحياة وهو فى ريعان الشبيبة ، فكفته بمالها الكدّ المضنى ، فسهلت له التجرد للتفكير والتأمل ، وهما بابا الاهتداء الى الحق ، وطريقا التهيؤ للنبوة التى كتبها الله له ، وسوغت له الانقطاع عن العمل الدنيوى الأيام والليالى التى كان يقضيها فى غار حراء ، ولم تقف عقبة فى سبيله لقطع هذه المرحلة من حياته الاعتزالية .

ولما انبثق له النور الالهى ، وشافهه الملك بالوحى ، وأدركه ما أدركه من الهلع ، كانت أول من تولته بالتهدئة ، وحاطته من حنانها بما خفف عليه احتمال تلك المفاجأة .

ولما أدرك أن ما جاءه هو الوحى ، وأنه بعث بالدين الحق ، كانت هى أول من آمن به ، وفى إيمانها سكن لقلبه ، إذ لو كانت كأكثر النساء جامدة على عقائدها الوراثية ، لكانت بموقفها المخالف منه ، وهو بين روعة الوحى ولوعة الشعور بعظم التبعة ، أشد عليه من أكفر الناس به .

فلما شدد عليه قومه النكير ، وتقصدوه بالأذى والاضطهاد ، كانت هى أكبر المشجعين له على المضى فى أمره ، ولو أدركها الذعر ، وحاولت صرفه عن شأنه ، لسببت له من العنت ما لا يوصف بوصف .

كانت خديجة رضى الله عنها ذات مال ، ولذوات المال إدلال ، وملال من اضطراب الأحوال ، وخديجة كانت تعلم أن مضى زوجها فيما هو فيه ، مع عمله فى تجارتها ، يوجب لها الكساد ، فلم يُرْو أنها فاتحته مرة فى الاقلاع عما هو بسبيله ، محافظة على مكانتها المالية ، وهذا أندر ما يكون فى أصحاب الهيل والهيلمان .

وتبعته الى الشعب تاركة ثروتها بين يدى الجاهليين ، وصبرت معه صبر الأكرمين ، ثم أدركتها الوفاة بعد خروجها ، فكان حزن النبي عليها عظيما ، ناهيك أنه ما نسيها طول حياته ، فحيا الله أم المؤمنين فى عليين ، وآجرها أجر السابقين المقربين !

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

تفسير سورة الاخلاص

« تكميل »

بسم الله الرحمن الرحيم

رأينا بمناسبة نشاط المبشرين فى هذه الأيام ببلادنا المصرية ، أن نناقشهم مناقشة منطقية فى معتقداتهم أولا ، ثم ندخل معهم فيما شاءوا من الأبحاث بعد ذلك ، ولم نر أنسب لذلك من تفسير سورة الاخلاص ، إذ هى سورة التوحيد التى ترد عليهم ردا صريحا يؤيده العقل والمنطق ، مبينة أنه تعالى « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » . أما المسيحيون فيقولون : إن ابن الله نزل جنينا الى بطن امرأة آدمية ، وجرت عليه الأحداث البشرية والكوارث الدنيوية ، ثم صلب أخيرا .

ولندع محاورتهم اليوم فى هذا وهو من البداهة بمكان ، ولكن نرد عليهم بما جاء فى الإنجيل نفسه من النصوص الصريحة التى تنطق بإنسانية المسيح ، حتى يعلموا أنهم خالفوا المعقول والمنقول ، فنقول وبالله التوفيق :

قد أوجبتم الأبوة الإلهية للمسيح لكونه لا أب له من البشر ، فلم لم توجبوها لآدم مع أنه ليس له أب ولا أم كما يصرح به التوراة والإنجيل ؟ أليس من الواضح عند ذوى العقول أنه لما لم يلزم من عدم الأب والأم البشريين لآدم عليه السلام أن يكون ابنا لله تعالى ، لزم بالأولى ألا يكون عيسى ابنا لله تعالى لعدم الأب فقط ؟ أليس هذا مصادمة للقياس الأولوى عند كل عاقل ؟

ولندع هذا الآن ولننقل : ألم يبلغكم - وهو فى إنجيل لوقا - أنه قال : « إنه لم يُقبل أحد من الأنبياء فى وطنه فكيف يقبلوننى » ؟ فصرح بأنه من الأنبياء عليهم السلام . وفى إنجيل متى :

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن رجلا أقبل على المسيح وقال له : أيها المعلم الصالح : أى خير أعمل لأنال الحياة الدائمة ؟ فقال المسيح : « لم قلت لى صالحا ؟ إنما الصالح هو الله وحده » . وإذا كان لم يرض أن يلقب صالحا فهل يسيغ المنطق أنه يرضى أن يلقب إلها مع تصريحه بأنه غيره ؟ وفى الإنجيل أيضا : أن اليهود لما أرادت القبض عليه رفع بصره الى السماء وقال : « قددنا الوقت يا إلهى فشرفنى اليك واجعل لى سبيلا » . وفى إنجيل لوقا أنه حين ما أحيا الميت بمدينة « نائم » عند ما رحم أمه لشدة حزنها عليه فقالوا : إن هـذا لنبى عظيم . وهو تصريح بنبوته لا يقبل الجدال . وفى إنجيل يوحنا : أن عيسى قال لليهود : « لست أقدر أن أفعل من ذاتى شيئا لـكننى أحكم بما أسمع لأنى لست أنفذ إرادتى بل إرادة الذى بعثنى » . فهل ترى أصرح من ذلك فى الاعتراف بأنه عبد مربوب قد بعث من قبل سـيده ؟ وفى إنجيل يوحنا : أنه أعلن صوته فى الهيكل وقال لليهود : « إننى لم آت من ذاتى ، ولـكن بعثنى الحق وأنتم تجهلونه ، وأنا أعـلم أنى منه وقد بعثنى » . فها هو ذا قد جعل نفسه وموضعه معلومين عند اليهود ، وقال إنه لم يأت من نفسه ولـكن الله بعثه ، فما زاد فى دعواه شيئا على ما ادعاه غيره من الأنبياء عليهم السـلام . وفى إنجيل يوحنا : أنه قال لليهود : « إن كنتم بنى ابراهيم فاقفوا أثره ولا تريدوا قتلى ، وما قلت لـكم إلا الحق الذى سمعته من الله » . قالوا : لسنا أولاد زنا إنما نحن أبناء الله ، فقال : « لو كنتم أبناء الله لحفظتمونى لأنى رسول منه خرجت مقبلا ولم أقبل من ذاتى ولـكن هـو بعثنى لـكـنكم لا تقبلون وصيتى وتعجزون عن سماع كلامى ، إنما أنتم أبناء الشيطان وتريدون إتمام شهواته » . وفى إنجيل يوحنا : « أنه كان يمشى فى ديوان سليمان فأحاطت به اليهود وقالوا له : الى متى تخفى أمرك ؟ إن كنت المسيح الذى ننتظره فأعلمنا بذلك » . ولم يقولوا : إن كنت الله ، لأنهم لم يعلموا من دعواه ذلك . ولا اختلاف عند اليهود أن الذى انتظروه هو إنسان نبى وليس بإله كما تزعمون . وفى إنجيل يوحنا : « أن اليهود قالوا لـكبير من أحبارهم (نقودِ مشى) : « اكشف الـكتاب تر أنه لا يجىء من الجليل نبى » . فما قالت اليهود ذلك إلا وقد أنزل لهم نفسه منزلة نبى فقط ، ولو علمت منه ادعاءه الألوهية لشنعوا عليه وهاجوا عليه العامة تقبيحا له وتحريضا على قتله . وفى إنجيل يوحنا الاصحاح ٨ العدد ٤٠ « ولـكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله » . فاعترف بأنه إنسان يسمع من الله ، ولم يقل إنه هو الله . ورسالة تيموثاوس الأولى الاصحاح الثانى العدد ٥ : « لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح » . وفى إنجيل يوحنا أيضا : « لو كنتم تحبوننى لـكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى الى الآب لأن أبى أعظم منى » . وفى انجيل متى : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم وقال إيلى إيلى لم شبقتنى ؟ أى

oldbookz@gmail.com
أرشيف مجلات قديمة
https://t.me/megallat

إلهى إلهى لما تركتنى » . وفى صحيفة ٥٠ أيضا « صرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح ». وفى انجيل لوقا ما نصه : « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه فى يدك أستودع روحى ».

وكثير من هـذا فى الأناجيل يطول ذكره . ولو تتبعنا كل ما جاء فى ذلك لطال المقال واتسع المجال . ولست تشك فى أن هذه النصوص تنفى ألوهية المسيح رأسا وتقتلع جذور تلك العقيدة اقتلاعا ، فإنه لا ريب أنك إن سمحت نفسك بالانقياد الى الحق وخلعت لباس الهوى أيها المسيحى المنصف ، علمت أن ذلك من أول البدهيات وأوضح الواضحات .

ويمكننا بعد هذا أن نناقشكم معشر النصارى فى عقيدة الصلب أيضا مستندين الى النقل من كتبكم ، محتكمين الى ما يقضى به الدليل الواضح والمنطق الصحيح ، فنقول :

جاء فى إنجيل لوقا : « أن عيسى عليه السلام صعد إلى جبل الجليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا ، فبينما هو يصلى إذ تغير منظره عما كان عليه ، وابيضت ثيابه فصارت تلمع كالبرق ، وإذا بموسى بن عمران وإليا قد ظهرا له وجاءت سحابة فأظلتهم ، فوقع النوم على الذين معه » . فأى مانع يمنع من أن يكون ذلك قد وقع فى اليوم الذى طلبته فيه اليهود ، ولـكن اختلفتم فى نقلها كما اختلفتم فى نقل غـيرها ؟ وظهور الأنبياء عليهم السلام وتظليل السحابة ووقوع النوم على التلاميذ ، يكون حينئذ دليلا واضحا على الرفع إلى السماء وعدم الصلب ، وإلا فلا معنى لظهور هذه الآيات . وثانيها ما فى إنجيل متى : « أن المصلوب قد استسقى اليهود فأعطوه خلا ممزوجا بمر فذاقه ولم يشربه ، فنادى إلهى إلهى لم خذلتنى » ؟ مع أن الأناجيل كلها مصرحة بأنه عليه السلام كان يطوى أربعين يوما وأربعين ليلة ويقول للتلاميذ : إن لى طعاما لستم تعرفونه . ومن يصبر على العطش والجوع أربعين يوما وأربعين ليلة ، لا يظهر الحاجة للماء بسبب عطش يوم واحـد . وقد جاء فى التوراة أن الله خلق جميع ما للحية فى عصا موسى عليه السلام ، وذلك أعظم من إلقاء شبه إنسان على إنسان آخر . وإنى أعجب لمن يصدق أن الله قلب العصا حية تسعى ، وجعل النار بردا وسلاما على إبراهيم ، الى غير ذلك من خوارق العادات التى كانت للأنبياء ، كما فى التوراة والانجيل كتقلب الماء خمرا مثـلا ، كيف لا يصدق أن الله ألقى شبه عيسى على غيره بعد أن رفعه الى السماء ؟ ! ولا شك أن الالتباس الذى وقع لليهود عند أخـذه حتى دلهم عليه أحـد تلاميذه وقال لهم : الرجل الذى أقبله فامسكوه ، وقال له رئيس الـكهنة : أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا : هل أنت المسيح ؟ لا شك أن هذا الالتباس العظيم مع تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاثين سنة فى المحاورات العظيمة والمجادلات العنيفة كلها تدل على وقوع الشبه قطعا ، خصوصا أن فى الانجيل أنه أخذ فى حندس من الليل مظلم من بستان ، فشوهت صورته ، وغيرت محاسنه ، بالضرب والسحب وأنواع النـكال . ومثل هـذه الحالة توجب الالتباس قطعا ، فمن أين لـكم أو لليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والحق الذى لا مرية فيه هو أن الأمر على ما قال الله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ، وماقتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزا حكيما » . وفى الانجيل أيضا أن يسوع عليه السلام كان مع تلاميذه بالبستان فجاء اليهود فى صلبه فخرج إليهم عليه السلام وقال لهم : من تريدون ؟ قالوا : يسوع ، وقد خفى شخصه عنهم ، ففعل ذلك مرتين ، الى آخر ما لا نطيل به . ولنقف هنا اليوم وموعدنا العدد الآتى إن شاء الله ؟

يوسف الدجوى

عضو جماعة كبار العلماء

فضل الادب على صاحبه

قال أكثم بن صيفى حكيم العرب : الرجل بلا أدب شخص بغير آلة ، وجسد بلا روح .

وقال الأحنف بن قيس سيد بنى حنيفة ، ومن أخص أشياع على بن أبى طالب : لكل شىء ذؤابة وذؤابة الشرف الأدب .

وقال أعرابى لولده : عليك بالأدب فانه يرفع العبد المملوك حتى يجلسه فى مجالس الملوك .

وقال أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لبنيه : تأدبوا ، فان كنتم ملوكا برزتم ، وإن كنتم أوساطا فقتم ، وإن أعوزكم المعاش عشتم . استفيدوا من الأدب ولو كلمة واحدة .

وقال أعرابى : تعلموا الأدب فانه زيادة فى الفضل ، ودليل على العقل ، وصاحب فى الغربة ، وأنيس فى الوحدة ، وجمال فى المحافل ، وسبب الى درك الحاجة .

وقال أمير المؤمنين المأمون : والله لأن أموت طالبا للأدب ، خير من أن أموت قانعا بالجهل .

وقال الخليل بن أحمد : من لم يكتسب بالأدب مالا ، اكتسب به جمالا .

وقال الشعبى : الأدب للفقير مال ، وللغنى جمال ، وللحكيم كمال .

وقال شاعر وأحسن :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

شجاعة المسلمين الاولين

فى قتال الأعداء

عن أنس رضى الله عنه قال : « غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلتَ المشركين ، لئن اللهُ أشهدنى قتال المشركين ليرينّ اللهُ ما أصنع ! فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون ، قال : اللهم إنى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء ، يعنى أصحابه ، وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء ، يعنى المشركين . ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : يا سعد بن معاذ : الجنةَ ورب النضر ! إنى أجد ريحها من دون أحد . قال سعد : فما استطعت يارسول الله ماصنع . قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ؛ ووجدناه قد قتل ، وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه . قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه : « من المؤمنين رجال صدَقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قَضى نَحْبَه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » . رواه البخارى .

يتعلق بهذا الحديث أمور : (١) معناه . (٢) حب التضحية وآثاره فى المسلمين الأولين . (٣) بيان أن التمسك بالسنن الطبيعية التى سنها الله تعالى أمر لازم لا بد منه .

(١) معنى الحديث : هو أن أنس بن النضر عم أنس بن مالك راوى هذا الحديث ، لم يشهد قتال بدر ، وهو أول قتال وقع للنبى صلى الله عليه وسلم مع مشركى مكة ورءوسهم ، فكان أنس بن النضر يعد ذلك خسارة عظيمة أصابته فى حياته ، وكان يتمنى أن يهيئ الله له فرصة أخرى تمكنه من الجهاد فى سبيل الله ليستعيض بها عما فاته من حضور قتال بدر . وقد عبر عن هذا المعنى بقوله : « يا رسول الله : غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع » . وهذه العبارة تنطوى على معنيين عظيمين : أحدهما : أن هذا الرجل العظيم قطع على نفسه عهدا لله ولرسوله أن يقوم بجهاد المشركين بكل مايستطيع من بأس وقوة عند أول فرصة يشهد فيها قتال المشركين . ثانيهما : أنه وقف فى عهده عند الحد الذى يستطيع أن يفعله بدون غرور أو تهور . ومع هذا فان عبارته تدل على عزم ثابت وإرادة جازمة لا تردد فيها ، فهو يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا التقيتُ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالمشركين فى ميدان القتال فلا بد من أن أفعل كل ما فى وسعى من التنكيل بهم ، والقيام بما يجب على من نصرة الله ورسوله .

وقد استجاب الله له أمنيته ، فأشهده معركة أحد بعد ذلك ، ولكن من سوء الحظ أن المسلمين فى هذه المعركة قد انهزموا بعد أن انتصروا فى أول أمرهم ، لمخالفتهم أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كما سنبينه بعد . فلما رآهم أنس بن النضر وهم منهزمون لم تنثن عزيمته ، ولم ينكث بعهده الذى قطعه لرسول الله ، فعزم على منازلة الأعداء ، والنيل منهم بكل ما يستطيع من حول وطول ، وهو موقن بأنه صائر الى الفناء لا محالة ، وأنه سيلاقى حتفه بلا ريب ، ولكنه لم يبال بكل هذا ما دام فيه بر بعهده ومرضاة لربه ، ووفاء لأمته ونصرة لعقيدته ، بل قد تبدل فى نظره الحال فرأى فى إقدامه على الموت سعادة خالدة ، ولذة محسة ، ولذا قال لسعد بن معاذ وهو فى هزيمته : « ياسعد : الجنة ، إنى أجد ريحها من دون أحد » ، وأقسم له على ذلك برب النضر ، ويريد بالنضر أباه ، أو ابنه ، لأنه كان له ولد اسمه النضر . وهذه العبارة التى قالها أنس بن النضر لسعد بن معاذ تدل على إيمان أنس الجازم بأن الموت فى سبيل الله يفضى لا محالة الى رضوان الله عز وجل ، والتمتع بنعيم الجنة الخالد الذى لا يفنى ، كما وعد الله به الشهداء الذين يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويُقتلون . على أن بعض الناظرين يقول : إن صدق إيمان أنس قد ذهب به الى الاحساس بنعيم الجنة فعلا ، فصار يشم رائحة نعيم الجنة حقيقة حال جهاده . وعلى كل حال فان هذا الرجل العظيم كان أحسن قدوة للمسلمين فى التضحية ، وبذل النفس فى سبيل الله ، والوفاء بالعهد ؛ بل هو مثل كامل لقوة اليقين ، والصبر على المكاره ، والجزم بأن نعيم الحياة الدنيا زائل مهما طال أمده ، فالمؤمن حقا هو الذى يعمل للحياة الباقية الدائمة ، والنعيم الخالد الذى لا يفنى .

ذلك هو اعتقاد أنس بن النضر رضى الله عنه ، وتلك حالته النفسية التى دفعته الى أن يخاطر بنفسه لينال من الأعداء بقدر ما يستطيع كى يفى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعهده ، وليس هو وحده الذى كانت تتجلى فيه هذه الروح العظيمة ، روح الاخلاص والتضحية ، بل كان معظم أصحاب الرسول على هذا الحال ، فكانوا لا يبالون بمفارقة الحياة ولذاتها ، بل كان كثير منهم يحتقرها ويهجرها عمدا ، وكان كثير منهم يتمنى الموت فى سبيل الله كى يظفر بما تشتاق اليه نفسه من مرضاة الله عز وجل ، والاستمتاع بالنعيم الخالد الذى لا تشوبه متاعب الحياة الدنيا وآلامها ، وكانوا يقولون : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » وها نحن أولاء قد بعنا أنفسنا لله تعالى بهذا الثمن الغالى ولم نقبضه بعد ، فمتى تهيئ لنا الفرص الاستمتاع بقبضه ؟ وهذه العقيدة الجليلة هى التى كانت تدفعهم الى منازلة الأعداء الأقوياء بدون مبالاة ، فكانوا لا يتهيبون عدوا ولا يخشون فناء ، ومن أجل ذلك كتب الله لهم الفوز على أعدائهم من المشركين وغيرهم من الأمم التى كانت أكثر منهم عددا ، وأقوى سلطانا ، بل كانوا لا يحسبون الى جانبها شيئا ما ، وذلك جزاء العاملين المخلصين

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ومن لطيف ما نقل عن أنس بن النضر فى هـذا الحديث قوله : « اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعنى أصحابه ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ، يعنى المشركين » فإن هذه العبارة تدل على أن هذا الرجل العظيم ضابط لعاطفته ، حافظ لسانه فى كل مايقول ويفعل ، فلم يروعه هول الموقف ، ولم تستفزه هزيمة أصحابه الى الخروج عن التؤدة والبر ، فاعتذر الى الله تعالى عن هزيمة أصحابه المؤمنين لمخالفتهم أمر رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، والخروج عن السنن الالهية التى أمر الله باتباعها ؛ وبرئ الى الله من صنيع المشركين واستمساكهم بالباطل ، وطغيانهم على الحق الواضح الذى فيه سعادتهم وسعادة المجتمع الانسانى ، فقال فى هذا الموقف الحرج الدقيق : اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعنى أصحابه من المسلمين الذين انهزموا فى وقت كان يمكنهم أن ينتصروا فيه نصرا مبينا لو لم يخالفوا أمر الرسول ؛ وأبرأ إليك مما فعل هؤلاء ، يعنى المشركين الذين يحاربون الله ورسوله ومن والاهما من المؤمنين .

فانظر الى هـذا الأدب الجم ، وهذه المكارم العالية ، والغيرة على حقوق الصحبة فى الله حتى عند شذوذ الأصحاب وخروجهم عما هم مكلفون به من الثبات للأعداء والصبر على مقارعة الأهوال ، فإن هذا الرجل العظيم يعتذر الى الله عنهم فيما أتوه من مخالفة . وانظر الى عبارته التى قالها لأعدائه فى أحرج المواقف وأدقها ، فلم يسب ولم يقذف ، ولـكنه تبرأ منهم الى الله عز وجل خالقهم لإمعانهم فى محاربة الحق الذى هو فى الواقع سعادة لهم وللمجتمع الانسانى ، فقال : وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ، يعنى المشركين . ثم هجم على أعدائه وهو يضرب فيهم ذات اليمين وذات الشمال ، وسعد بن معاذ ينظر اليه ويعجب من تنكيله بالمشركين المنصورين ، حتى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فما استطعتُ يارسول الله أن أحصى ماصنع أنس بالمشركين .

وقد يقال : إن عمل أنس هذا مخاطرة قد لا يقرها الدين الاسلامى ، لأن الله تعالى قال : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلـكة » . والجواب أن معنى قوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلـكة » : لا تهملوا وسائل الدفاع عن دينـكم ووطنكم ، ولا تضنوا بالانفاق فى سبيل الله فيتمكن منكم العدو ويهلـكـكم بالتسلط عليـكم ماديا وأدبيا . ويؤيد هـذا المعنى قوله تعالى فى صدر هذه الآية : «وأنفقوا فى سبيل الله ولاتلقوا بأيديكم الى التهلـكة » فإن الشح وعدم الانفاق على كل ما يلزم لقتال الأعداء موجب للتهلـكة لا محالة . ولذا فرض الدين الاسلامى على المسلمين الاستعداد لقتال الأعـداء بكل الوسائل الممكـنة ، قال تعالى : « وأعـدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

ومن هذا تعلم أن عمل أنس رضى الله عنه وأمثاله لا يتسبب عنه تهلـكة الأمم ، بل حياتها ، لأن العدو الذى يرى رجلا واحـدا يضرب فيه ذات اليمين وذات اليسار وقت هزيمة قومه ، لابد أن يشعر بوجل وخوف مما عساه أن يكون فى القوم كثير من أمثال هـذا ، وذلك هو

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الواقع ، لأن المشركين كانوا يعلمون أن انتصارهم هذا مؤقت ، وأن المؤمنين لا بد أن تعود إليهم شجاعتهم ، ولا بد أن يرتبوا صفوفهم بعد هذا ، ثم يصمدون لهم ، ولهذا وقفوا عند هـذا الحد ولم يستطيعوا أن يتقدموا الى ديار القوم . ثم كانت للمسلمين الغلبة التامة عليهم بعد ذلك ، فأبادوا الشرك من شبه جزيرة العـرب جميعها ، وأصبحوا من أقوى الأمم بطشا ، وأعظمهم شأنا .

(٢) مما لا شك فيه أن قلوب المسلمين فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت تنطوى على الغيرة الشديدة على دينهم وكرامتهم ، فكانوا لا يدخرون وسعا فى الذود عن الواجب وتأييد الحق مهما كلفهم ذلك من التضحية فى الأموال والأنفس ، بل كانت الضحايا التى يبـذلونها فى ذلك السبيل لا تؤثر فى أنفسهم أدنى أثر ، فلم تهن لهم عزيمة فى أى موقف من المواقف ، ولم تضعف لهم إرادة ، ولم تفتر لهم قوة ؛ بل كانوا يستعذبون الموت وبذل الأموال فى سبيل الله . وذلك كان من أجل أمانيهم وأكبر لذاتهم . ولهذا لم تزلزلهم الـكوارث ، ولم تفزعهم العواصف ، فنصروا دين الله القويم المشتمل على الأمر بالمعروف والعدل والاحسان وصـلة الأرحام ، والنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ؛ وحاربوا لاعلاء كلمته فأعلى الله قدرهم ، ودانت لهم رقاب أعدائهم ، وخضعت لشوكتهم الجبابرة ، وأصبحوا سادة أهل الدنيا ، ولهم فى الآخرة أحسن الجزاء .

ذلك كان شأن المسلمين الأولين ، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول : « والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ، ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل » . رواه البخارى . ومعنى هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يتمنى أمرين : أحدهما : أن يذهب مقاتلا مع كل جماعة سواء كانوا قليلين أو كثيرين ، لأن السرية من الجيش أكبر عددها أربعمائة . ثانيهما : أن يقتل فى سبيل الله شهيدا ثم يحيا بعد هـذا ويقاتل فى سبيل الله فيقتل شهيدا ، ثم يحيا فيقتل الخ . ولا يمنعه عن الذهاب مع كل جيش إلا ضرورة تخلفه مع قوم من أصحابه لا يستطيعون الغزو ولا تطيب أنفسهم بمفارقته ، وليس عنـده من معدات الحرب يومئـذ ما يكفى لحملهم وتجهيزهم ، فكان لا يخرج إلا فى المواقع الكبيرة التى تستلزم خروجه .

ذلك كان شأن المسلمين الأولين فى مقارعة الأهوال ومصارعة المبطلين ، وما زالوا على هذه الحال حتى مكن الله لهم من عدوهم فبددوا شمله ، وقضوا عليه ، وأصبحت كلمة الله هى العليا .

ولقد كان الله عليما بما تكنه قلوبهم من الشجاعة ، وحب التضحية فى سبيل الحق ، ففرض عليهم يومئذ أن يقوم الواحد منهم بإزاء عشرة من المقاتلين المشركين ، بحيث لا يجوز لهم أن

oldbookz@gmail.com
مجلات قديمة
https://t.me/megallat

ينهزم إلا إذا زاد العدد على ذلك ، قال تعالى : « يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين » .

ومعنى هذا أن الله تعالى العليم بأحوال خلقه وما يناسب كل حالة بحسب اختلاف الظروف والأحوال ، شرع لكل حالة ما يناسبها . فالمسلمون فى أول أمرهم كان عددهم قليلا لا يكاد يذكر بجانب أعدائهم الكثيرين الذين يصدون عن سبيل الله بكل ما لديهم من حول وقوة ، فكان المناسب لهذه الحالة أن يكون لدى المسلمين من القوة المعنوية ما يضاعف العزيمة والثبات ، وتحصيل جميع الوسائل الممكنة التى تجعل الواحد منهم مقام عشرة من أعدائهم . ولما كان هذا شاقا فى العادة ويكاد يكون غير ممكن ، هوّن الله عليهم الأمر فقال لهم : إن الكافرين قوم لايفقهون ، لأنهم لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يدركون معنى الفضائل الإنسانية ، فجدير بالمؤمنين ألا يخافوا بأسهم ، وأن يسوقوهم أمامهم كما تساق الحيوانات التى لا تعقل ، ومع هذا فقد وعدهم الله بأنهم إن امتثلوا وأطاعوا الله ورسوله فإنه ينصرهم على أعدائهم . ويؤخذ ذلك من قوله تعالى : (يغلبوا مائتين) فإن معنى هذا : إذا ثبت الواحد منهم لعشرة فان الله ينصره عليهم ، ويغلبهم .

هذا هو الذى كان يناسب المسلمين فى أول أمرهم ، وقد تلقوا ذلك الأمر بالطاعة وبذل أقصى ما يستطيعون بذله من تنفيذه ، فكان الله تعالى دائما معهم ينصرهم على أعدائهم كلما اشتبكوا معهم فى قتال ، فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم ، وفرض عليهم أن يثبت الواحد منهم لاثنين من أعدائهم فقط ، فقال لهم : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا » . ومعنى هذا أنكم وأنتم فى قلة كنتم أقوى منكم وأنتم فى كثرة ، لأنكم فى الحالة الأولى كنتم تعتمدون على القوة المعنوية وحدها فلا تهابون خصمكم مهما كان كثير العدد . أما فى الحالة الثانية فقد أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، فلهذا تغير تعلق علم الله بتغير أحوالكم ، وتعلق بحالة الضعف العارضة لكم ، فشرع لكم ما يناسبكم . على أنكم على أى حال تمتازون بميزة لن تفارقكم أبدا ، وهى الإيمان بالله ورسوله ، فلم تكونوا كغيركم مهما كان عددكم ، فليكن الواحد منكم كاثنين من الكافرين .

هذا كان حال المسلمين الأولين الذى مرنوا عليه ، فأصبح لازما لهم لايفارقهم فى معركة من المعارك ، ولا ينفك عنهم فى شأن من الشئون الحربية ، فأصبح حب التضحية ملكة لهم . وكان من آثار ذلك أن هزموا جميع أعدائهم ، وأصبحوا سادة الدنيا .

(٣) من يقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى حروبهم مع المشركين والظالمين ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا يسعه إلا أن يجزم بأن الله تعالى كان يؤيدهم بجنود خارجة عن قوتهم ، كما وقع فى معركة بدر وفى معركة الأحزاب وغيرها ، وذلك لأن المسلمين يومئذ لم تكن لديهم القوة الكافية لمقاومة أعدائهم الذين يريدون القضاء عليهم بكل الوسائل . ومع هذا فان الله سبحانه أمر المسلمين بالتمسك بكل وسائل القوة الممكنة ، ليكونوا مثالا لمن يأتى بعدهم من المؤمنين ، لأن الله سبحانه وتعالى قد أقام هذا العالم على نظام دقيق محكم ، فجعل لكل شىء سببا لا يخرقه إلا عند الضرورة الملحة ، كما هو الحال فى معجزات المرسلين . أما ما وراء ذلك فان الله تعالى قد أمر عباده المؤمنين بأن يحتاطوا لجميع الطوارىء ، وأن يعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوة .

وقد ضرب الله تعالى للامم الإسلامية مثلا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معركة أحد التى قتل فيها أنس بن النضر المذكور معنا فى الحديث . وملخص الحادثة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قاد الجيش يومئذ بنفسه وقسمه الى قسمين : قسم يحمى ظهور المحاربين المسلمين فلا يبرحون مكانهم ، وقسم يهاجم المشركين ويقاتلهم . وأمر القسم الأول بألا يترك موقفه حتى ولو انهزم المسلمون . فانتصر المسلمون على المشركين بالقسم المحارب ، وفر المشركون أمامهم ، فلما رآهم القسم الذى وقف ليحمى ظهور إخوانه المسلمين قد انهزموا ، ورأى إخوانه المسلمين منتصرين ، تغلب عليه حب المشاركة فى اقتسام الغنائم ، وترك موقفه الذى يحمى ظهور إخوانه ، فكر عليهم المشركون المنهزمون من وراء ظهورهم ، وأخذوا يضربونهم ، فانهزموا وفروا ، ولم يؤيدهم الله تعالى فى هذه الحالة ، لأنهم خالفوا أمر الله تعالى ، وخالفوا السنن الطبيعية التى ينبغى الاستمساك بها دائما . فكان ذلك درسا قاسيا لهم ولمن يأتى بعدهم من المسلمين الذين أهملوا سنن الله تعالى واستمسكوا بما لا يقره الدين ؟

عبد الرحمن الجزيرى

ماقيل فى انتهاز الفرص

قال سالم الأنبارى :

تمتع من الدنيا بساعتك التى ظفرت بها ما لم تعقك العوائق
فما يومك الماضى عليك بعائد ولا يومك الآتى به أنت واثق

ولكن هذا الأمر الذى يسوغ فى نظر سالم الأنبارى ، لا يسوغ فى نظر أبى الطيب المتنبى حيث يقول :

أشد الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

وأى سرور لم يشبه هذا اليقين ، الصحيح ان الدنيا دار جد وعمل ، لا دار لهو ...

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قادة الفكر فى تاريخ الاسلام

— ٩ —

على بن أبى طالب

ثاب الناس الى عقولهم بعد تلك النوبة الجنونية التى عصفت بهم فأضلت أحلامهم ، وأدركوا مغبة الفتنة وسقط فى أيديهم ، وأصبحوا وقد زلزل الجزع أفئدتهم ، وتلفتوا فاذا نظام الأمة قد انفرط ، وعقدها قد انحل ، وإذا أمرها صار الى الفوضى ، ولم يبق للقادة محيص من الأخذ بزمام الرأى لئلا يقبض عليه الثائرون من أوشاب الناس الذين تجمعوا من أطراف البلاد وأشعلوا نار الفتنة حتى انتهت الى شر غاية وأشأم نهاية .

أسرع بالناس الخوف مما صار اليه أمرهم الى التشاور ، فلم يجدوا فى الأمة كلها من يستقيم فى كفة ميزان مع ربيب النبوة ورضيع الاسلام وحضين الوحى « أبى الحسن » رضى الله عنه ، فأجمعوا على بيعته ، فأبى عليهم ، ورد الأمر لأهل الشورى وأهل بدر ، وهؤلاء هم قادة الأمة ورءوسها المفكرة الذين يبرمون أمر الامامة الكبرى والخلافة العظمى ؛ ولم يكن امتناعه كرم الله وجهه من قبول البيعة إلا لتقديره للأخطار التى يستهدف لها مستقبل الأمة فى ثنايا هذه الأعاصير ، ولكنهم أكثروا عليه وخاشنوه ، وكان أشدهم عليه صفيه « الأشتر النخعى » ، فلم تصادف شدتهم منه إلا صلابة وإباء ، وقال لهم : « دعونى والتمسوا غيرى ، فإنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول ، وإن الآفاق قد أغامت ، والمحجة قد تنكرت ، واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، ولم أصغ الى قول القائل وعتب العاتب ، وإن تركتمونى فأنا كأحدكم ، ولعلى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزيراً خير لكم منى أميرا » .

أبى الناس عليه إلا قبول البيعة ، وألجأوه إلجاء وصفه بقوله : « وبسطتم يدى فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، ثم تداككتم علىّ تداك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتى انقطعت النعل وسقطت الرداء ، ووطئ الضعيف ، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياى أن ابتهج بها الصغير ، وهدج اليها الكبير ، وتحامل نحوها العليل ، وحسرت اليها الكعاب » . قبلها وهو يعلم ما تحمل فى طياتها من فتن مبيدة ، وعظائم مبيرة ، فتنبأ بها ، وشمر لها على مضض ينفثه فى قوله : « ذمتى بما أقول رهينة ، وأنا به زعيم . إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات ، حجزته التقوى عن تقحم الشبهات . ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم صلى الله عليه وآله . والذى بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ، ولتغربلن غربلة ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولتساطن سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم ، وأعلاكم أسفلكم ، وليسبقن سابقون كانوا قصروا ، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا ، والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم ! ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها ، فتقحمت بهم فى النار ؛ ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة . حق وباطل ، ولكل أهل ، فلئن أمر الباطل لقديما فعل ، ولئن قل الحق فلربما ولعل ، ولقلما أدبر شيء فأقبل »

بركان من الفتن انفجر على الأمة الاسلامية ، على عهد خلافة أمير المؤمنين كرم الله وجهه ، فهذا معاوية وأهل الشام قد شقوا عصا الطاعة ، وامتشقوا السيف فى وجه الخلافة العلوية زاعمين أنهم يطلبون دم عثمان رضى الله عنه .

وهذه عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تزور عن أمير المؤمنين لطبيعة ما يكون بين الأحماء ، وعن يمينها الزبير بن العوام ، وعن يسارها طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما ، وبين أيديهم جميعا شباب من أبناء المهاجرين والأنصار ، يحف بهم أخلاط من الأعراب الذين يندفعون وراء كل ناعق ، كثرة لا يحصيها العد ، خرجوا يؤلبون الناس لحرب على وأصحابه ؛ وهؤلاء أهل العراق جند أمير المؤمنين وخاصته لأمر ما تخاذلوا عنه وعن الجهاد فى ظل رايته ، طوائف اعتصمت بالباطل فاجتمعت عليه ، وطائفة تبعثرت حول الحق مذعورة خائرة ، ضاق بها أمير المؤمنين ذرعا ، ورماهم بقارس القول وقاصمة الظهر ، فلم يرعووا عن حالهم حتى برم بهم ، وأعلن لهم عن ذات نفسه ، فخطبهم يوما قائلا : « أحمد الله على ماقضى من أمر ، وقدر من فعل ، وعلى ابتلائى بكم أيتها الفرقة التى إذا أمرت لم تطع ، وإذا دعوت لم تجب ، إن أمهلتم خضتم ، وإن حوربتم خرتم ، وإن اجتمع الناس على إمامكم طعنتم ، وإن أجبتم الى مشاقة نكصتم ، لا أبا لغيركم ما تنتظرون بنصركم ربكم والجهاد على حقكم ، الموت أو الذل لكم ، فوالله لئن جاء يومى — وليأتينى — ليفرقن بينى وبينكم ، وأنا لكم قال ، وبكم غير كثير ، لله أنتم ! أما دين يجمعكم ، ولا حمية تشحذكم ؟ أوليس عجيبا أن معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء ، وأنا أدعوكم وأنتم تريكة الاسلام وبقية الناس الى المعونة وطائفة من العطاء فتتفرقون عنى وتختلفون على ؟ إنه لا يخرج اليكم من أمرى رضا فترضونه ، ولا سخط فتجتمعون عليه ، وإن أحب ما أنا لاق الى الموت ، قد دارستكم الكتاب وفاتحتكم الحجاج ، وعرفتكم ما أنكرتم ، وسوغتكم ما مججتم ، لو كان الأعمى يلحظ أو النائم يستيقظ ؟ »

ومن وراء ذلك كله الخوارج ، وهم أشد الطوائف مراسا وحبا للموت ، خرجوا يعيثون فى الأرض فسادا ، يحاجون ويحتجون ، فكأنما الدنيا بأهلها وزخرفها ومطامعها فى كفة ، وأمير المؤمنين فى صراحته وزهادته وتقواه وخاصة أهله وأصحابه فى كفة ، حق

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

مسلوب ، وباطل منصور ، ويأس قاتم ، وجند متخاذلون ، وعدو متكاثر ، وحروب يشيب لهولها الوليد ، ومع ذلك كله فقد كانت كفته راجحة فى حروبه لما رزقه الله من الصبر والحكمة ، وقد نفس عن صدره مرة فقال : « فنظرت فإذا ليس لى معين إلا أهل بيتى ، فضننت بهم عن الموت ، وأغضيت على القذى ، وشربت على الشجى ، وصبرت على أخذ الكظم ، وعلى أمر من طعم العلقم » .

كتب إليه أخوه عقيل بن أبى طالب كتابا يصف فيه ما ترامى إليه من حال الناس معه وتفرقهم عنه ، ويعرض عليه نفسه وولده وأهل بيته ، فرد عليه أمير المؤمنين بكتاب هو نفثة من الألم الممض يقول فيه : « ودع عنك قريشا وخلهم وتركاضهم فى الضلال ، وتجوالهم فى الشقاق ، ألا وإن العرب قد أجمعت على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهلوا حقه ، وجحدوا فضله ، وبادروه العدواة ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليه كل الجهد ، وجروا إليه جيش الأحزاب ، اللهم فاجز قريشا عنى الجوازى ، فقد قطعت رحمى ، وتظاهرت على ، ودفعتنى عن حقى ، وسلبتنى سلطان ابن أمى ، وسلمت ذلك الى من ليس مثلى فى قرابتى من الرسول وسابقتى فى الاسلام ، إلا أن يدعى مدع ما لا أعرفه ، ولا أظن الله يعرفه ، والحمد لله على كل حال » !

فى هذه الكلمات ما يلفت نظر الباحث الى بعض المهمات فى قضايا التاريخ الاسلامى ، فهى أولا صريحة فى أن العرب وفى طليعتها قريش لم تكن لتنطوى على الولاء والاخلاص لآل البيت عامة ، وعلى وأبنائه من فاطمة خاصة ، وقد نستطيع أن نجد تعليل ذلك فى الطبيعة العربية العيوفة عن التبعية والانقياد ، المجبولة على اعتبار الثأر أول شعائرها ، ولقد كانت تضطرب قريش فى جاهليتها بهذا المعنى بين بيتين من بيوتاتها ، فلما نفذ الله قضاءه بالنبوة فى خيرها نفخ الشيطان فى أسحار العبشميين فاستكبروا أن يستجيبوا لله ولرسوله الهاشمى ، حتى دارت الدائرة ، وظفر الله نبيه وحكمه فى رقابهم ، فمن عليهم بفضله ، فكانوا من الطلقاء يوم الفتح الأكبر ؛ وهذه واحدة ؛ والثانية : أن دماء غطارفتهم إنما سالت على ظبا سيفى على وحمزة البطلين الهاشميين ، وقد أخذوا من حمزة رضى الله عنه ما شفى بعض غلتهم ، وظل على كرم الله وجهه سيدا مبجلا فى الاسلام لم يتمكنوا منه بشىء ، فلما جاءت الخلافة بعد النبوة ، وليس لها من حصانة الدين وقداسته ما للنبوة ، اهتبلوها فرصة ، وكاد بعض من تبرجت له الدنيا كيده لعلى وآله ؛ وهذا ما يكشف عنه كلمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لابن عباس فى حوارها : « لقد حسدكم قومكم أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة » .

وهى ثانيا تصور لنا نظرة الهاشميين للحكومة فى الاسلام ، فهى عندهم سلطان ورائى لا يصح أن يذهب لغيرهم ، وهذه نظرية دار عليها موقف الهاشميين فى جميع أدوار التاريخ ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والاسلام لا يعرف الوراثة فى الحكم بتة ، وإنما ينظر الى صالح الأمة . وإذا كان قد ورد : « الأئمة من قريش » فهذا مقيد بصلاحيتهم لهذا الأمر ، فإذا اجتمعت الصلاحية والقرشية كانت نهاية ما يقصد الشارع من الحكومة الاسلامية . ونحن نلمح من كلام أمير المؤمنين هـذا المعنى ، لأنه أضاف خصائصه وسوابقه الى قرابته .

ولقد كان على كرم الله وجهه من أنفذ الناس بصيرة ، وأعلمهم بمصادر الأمور ومواردها ، استشاره عمر بن الخطاب فى خلافته أن يشخص لقتال الفرس بنفسه فقال له : « إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة ، وهو دين الله الذى أظهره ، وجنده الذى أعده وأمده ، حتى بلغ ما بلغ ، وطلع حيثما طلع ، ونحن على موعود من الله ، والله منجز وعده ، وناصر جنده ، ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه ، فاذا انقطع تفرق الخرز وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا ، والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسـلام ، عزيزون بالاجتماع ، فكن قطبا واستدر الرحى بالعرب ، واصلهم دونك نار الحرب ، فانك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك . إن الأعاجم إن ينظروا اليك غدا يقولوا : هذا أصل العرب فاذا اقتطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أشد لـكلبهم عليك وطمعهم فيك »

فانظر الى قوله : ومكان القيم بالأمر الخ ، والى قوله : فكن قطبا واستدر الرحى بالعرب الخ ، والى قوله : إن الأعاجم إن ينظروا اليك غدا الخ ، تجد نوعا من السياسة الحـكيمة الصادقة ، فى غير مخادعة ولا مجانبة للحق ، وهذه هى دعائم سياسته فى حروبه وخلافته سنفصلها ونبين وجهها وما كان لها من أثر فى توجيه الأمة توجيها عادلا لو أخذت به لاستقامت على الجادة ؟

صادق ابراهيم عرجون

مذهب التشاؤم لدى الادباء

قال ابن الرومى :

أيست من دهرى ومن أهله فليس فيهم أحـد يرتضى
إن رمت مـدحا لم أجـد أهله أو رمت هجوا لم أجد عرضا

وقال هو نفسه :

قيل لى لم ذممت كل البرايا وهجوت الأنام هجوا قبيحا
قلت هب أننى كذبت عليهم فأرونى من يستحق المـديحا

ونحن نفهم إياه : هم الذين مدحهم وبالغ فى الاشادة بهم . . .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التجديد فى الاسلام

— ٨ —

« إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »

حديث نبوى شريف

المجـــــددون فى الاسـلام

فى القرن الثانى الهجرى

الامام أبو حنيفة ، الامام مالك ، الامام الشافعى ، الامام احمد بن حنبل

تمهيد — هل الشريعة الاسلامية أرستقراطية أو ديمقراطية ؟

ادعى بعض الباحثين أن الشريعة الاسـلامية أرستقراطية ، واستـدل على دعواه هذه بوجود أحـكام فيها للرق والأرقاء . ومن حقق النظر فى هذه الدعوى وجدها غير صحيحة ، وما استدلوا به لا يصح ولا يصلح دليلا عليها . فان الشريعة الغراء ناطقة ، ونصوصها صريحة بأنها ديمقراطية بأتم معانى الديمقراطية وأوفاها . فان كانوا يريدون من الديمقراطية أنها هى : الحرية ، والإخاء ، والمساواة ، والعدالة ، فالشريعة الاسلامية لم تترك مطمعا لمستزيد فى هذه الأشياء الأربعة ، بل هى المثل الأعلى فى كل ذلك .

فأما الحرية فى الاسـلام ، فلـكل إنسان أن يفعل مايشاء ، ويقول مايريد ، فى حدود الشريعة ، بحيث لا يحدث عن هـذه الحرية المطلقة أى ضرر ، إذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام . ولقد نوه بالحرية الاسلامية الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقـال لوالى مصر عمرو بن العاص : ياعمرو ! متى استعبدتم النـاس ، وقـد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ !

وأما الإخاء الاسلامى ، فهو الذى تنشد مثله الانسانية ولا تجد ، وحسبك الإخاء الذى عقـده النبى صلى الله عليه وسـلم بين المهاجرين والأنصار عقب الهجرة النبوية ، فلقد بلغ بالمتآخين حدا لم تعرف الانسانية مثله ، وكان الأنصارى يؤثر أخاه المهاجر على نفسه ، ولو كان به خصاصة . وحسبك الإخاء الذى أوجده الاسـلام بين قبائل العرب ؛ فبتآخيهم الاسـلامى وجهوا قوتهم المتحدة الى أعـدائهم ، فنالوا فى زمن قليل ما لم تنله أمة قبلهم فى مثل الزمن الذى ارتفع فيه قدرهم . ولقد تجاوز الإخاء الاسلامى حواجز الجنسيات ، وحدود الممالك ، فصار المسلم أخا لأخيه المسـلم بمجرد كونهما مسلمين ، مهما بعدت بينهما الديار ، واختلفت اللغات ، والألوان والجنسيات ، بل تجاوز هذا الإخاء نظام الرقيق ، فمنع الاسلام استرقاق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من يدخل فى هـذا الإخاء ، ثم فتح الباب على مصراعيه للتقرب الى الله تعالى بعتق الرقيق وتحريره ، واختلط رقيق الأسرة بها حتى كاد يكون واحدا منها . وقد آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين الأرقاء وساداتهم فقال : « إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، ولو شاء لجعلكم تحت أيديهم » .

ولما كان الاسلام دينا عاما للمجتمع الانسانى ، لا الاسلامى فحسب ، فقد عنى العناية كلها بالإخاء الانسانى العام ، وألمع الى هـذا شيخ الاسلام ، الأستاذ الامام المراغى ، شيخ الأزهر الشريف ، فقال : « عنى الاسلام بالأخوة الانسانية ، فقد نبه القرآن الكريم الى وحدة الأبوين الموجبة للتعاون والتعارف والتناصر ، والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتخاذل ، ولم يقم وزنا لشرف المولد وكرم الجنس ، ووضع معياراً للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل : هو تقوى الله ، قال الله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وطلب القرآن الكريم الى المسلمين إحسان معاشرة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب ، إلا فى حالة العدوان ، قال الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم ، أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » . وقد عمل الرسول الأكرم محمد صلوات الله عليه ، وخلفاؤه من بعده ، على وفق هذه المبادىء السامية حتى أبيح الإصهار الى أهل الكتاب مع ترك الحرية للزوجة ، وعدم منعها من تأدية شعائر دينها » . ومن هذا يظهر أن الاسلام بلغ بالإخاء الانسانى العام نهاية الكمال .

وأما العدالة والمساواة ، فالشريعة الاسلامية منبعهما ومجمعهما ، وكم فيها من نصوص آمرة بهما ، ناهية عن العمل بضدهما : خطب النبى صلى الله عليه وسلم ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد ، فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإنى والذى نفسى بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ! ولقد غرس الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم الفضائل والمكارم فى نفوس المسلمين ، ومنها العدالة والمساواة ، فكان لها من الأثر فى نفوسهم خصوصا فى نفوس الصحابة ما تراه فيما يأتى :

١ — فى قول الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « العالم حديقة سياجها الشريعة ، والشريعة سلطان يجب لها الطاعة ، والطاعة سياسة يقوم بها الملك ، والملك راع يعضده الجيش ، والجيش أعوان يكفلهم المال ، والمال رزق تجمعه الرعية ، والرعية سواد يستعبدهم العدل ، والعدل أساس قوام العالم »

٢ — وفى قوله لما ضربه ابن ملجم ، فانه جمع أبناءه وقال لهم : « يا بنى عبد المطلب : لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا ، تقولون : قتل أمير المؤمنين ، ألا لا تقتلن بى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قائلى ، انظروا إذا أنا مت من ضربته هـذه فاضربوه ضربة بضربة ، ولا يمثل بالرجل ، فانى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إياكم والمثلة ولو بالـكلب العقور » .

٣ — وما تراه فى قول أنس بن مالك : « بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قاعد ، إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال : يا أمير المؤمنين ، هـذا مقام العائذ بك ! فقـال عمر : ما شأنك ؟ قال : سابقت على فرس ابناً لعمرو بن العـاص ، أمـير مصر ، فجعل يقنعنى بسوطه ويقول : أنا ابن الأكرمين ، أنا ابن الأكرمين ، فبلغ ذلك عمراً أباه ، فخشى أن آتيك ، فحبسنى فى السجن فانفلت منه وأتيتك . فكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص : إذا أتاك كتابى هذا ، فاشهد الموسم أنت وولدك فلان ؛ وقال المصرى : أقم حتى يأتيك ، فقدم عمرو فشهد الحج ، فلما قضى عمر الحج ، وهو قاعد مع الناس ، وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه ، قام المصرى ، فرمى عمرُ رضى الله عنه اليـه بالدرة . قال أنس : ولقد ضربه ونحن نشتهى أن يضربه ، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين ! قال المصرى : يا أمير المؤمنين : قد استوفيت واشتفيت . قال : ضعها على صلعة عمرو ! فقال المصرى : يا أمير المؤمنين ، قد ضربت الذى ضربنى . قال : أما والله لو فعلت لما منعك أحد حتى تـكون أنت الذى تنزع ! ثم قال عمر بن الخطاب : يا عمرو ! متى استعبدتم الناس وقـد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ ! فجعل عمرو بن العاص يعتذر عن هذا » .

٤ — وفيما رواه الثقات : من أنه جاءت عمر بن الخطاب برود من اليمن ، ففـرقها على المسلمين ، فحصل نصيب كل رجل من المسلمين برد واحد ، ثم حصل نصيب عمر كنصيب واحد من المسلمين ، ففصله عمر ثم لبسه ، وصعد المنـبر ، فأمر الناس بالجهاد ، فقـام اليه رجل من المسلمين وقال : لا سمعا ولا طاعة ! قال عمر : لم ذلك ؟ قال : لأنك استأثرت علينا . قال عمر : بأى شىء استأثرت ؟ قال : إن الأبراد اليمنية لما فرقتها حصل لـكل واحد من المسلمين برد منهـا ، وكذلك حصل لك ، والبرد الواحد لا يكفيك ثوبا ، ونراك قد فصلته قميصا تاما ، وأنت رجل طويل ، فلو أنك لم تكن قد أخذت أكثر منه لما جاءك منه قميص ! فالتفت عمر الى ابنه وقال : ياعبد الله أجبه . فقام عبد الله بن عمر وقال : إن أمير المؤمنين عمر لما أراد تفصيل برده لم يكفه ، فناولته من بردى ما تممه به . فقال الرجل : أما الآن فالسمع والطاعة .

فانظر الى روح الديموقراطية فى الاسلام فى هذا الذى ذكرناه ، تر الشريعة الاسلامية لم تشرع إلا للعدل المطلق ، والمساواة التامة ، وقد كفل الشرع الاسلامى العدل والنصفة لـكل من نزل على حكمه مسلما كان أو غير مسلم .

أما ما قيل من إن الشريعة الاسلامية أرستقراطية بدليل أحـكام الرِّق والأرقاء فيها ، فخير ما نرد به على هذا ما يأتى :

١ — ما قاله الأستاذ رئيس تحرير هذه المجلة فى كتابه : دائرة المعارف للقرن العشرين ،

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فانه قال ما يتضمن : « جاءت الشريعة فقررت مبدأ المساواة بقوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فجعل التمايز بالمزايا لا بالاعتزاء الى الأمور الخارجة ؛ وقال عليه الصلاة والسلام : « لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح » . وإذا كان الاسلام قد أقر الرقيق على ما كان عليه ، إلا أنه قصره على أسرى الحروب المشروعة ، وعلقه على إرادة أمير المؤمنين ، وحاط الأرقاء بكل أنواع الرعاية والحماية ، حتى قرر القصاص للعبد من الحر . وإنما أقر الاسلام الرّق — فى بعض الحالات — لأن حالة العرب إذ ذاك كانت تستدعى هذا الشكل من الحياة الاجتماعية . وقد جرى المسلمون على مبدأ المساواة فى حكومتهم حتى خرجوا بها الى باحات الديمقراطية المحضة ؛ ويعرف ذلك من قصة جبلة بن الأيهم — ملك غسان — حين لطم أعرابيا ، فأمر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بأن يقتص منه الأعرابي بلطمة مثلها ، فقال جبلة : أتساوى بين الملوك والصعاليك ؟ فأجابه عمر بأنه لا ميزة لأحد على أحد أمام الشرع الالهى . فهرب جبلة ، ولحق بالقسطنطينية ، وعاد الى دينه الأول . ويروى فى الخبر أن أبا ذرّ كان يجادل رجلا أسود بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فحمى عليه فقال له : يا ابن السوداء ! فسمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « طف الصاع ، طف الصاع ! ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بعمل صالح » . وقد أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحكام والأعمال الى ذوى الكفايات غير مراع أسود ولا أبيض ، ولا قرشيا ولا باهليا » .

٢ — وما قالته لجنة الفتاوى التى يرأسها العلامة الأستاذ وكيل الأزهر الشيخ الفحام ، فقد جاء فى بعض فتاويها : « جاء الاسلام فسوى بين الناس جميعا ، وأعلن أن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، ولكنه وجد نظام الاسترقاق قائما بين الأمم ، ومعتبرا فيها من النظم الاجتماعية المتغلغلة فى صميم الحياة إذ ذاك ، فلم ير من الحكمة فى التشريع أن يلغى هذا النظام إلغاء تاما ، بل عمد إلى تقرير المبادئ الآتية التى تخفف من آثار الرق ، وتنظيم العلاقة بين المالك والمملوك ، لا على أساس القوة والضعف ، كما كان فى الأمم السابقة ، بل على أساس المحبة والأخوة ، وتبادل المنافع والتعاون فى شئون الحياة ، ولا نبالغ إذا قلنا : إن مبادئ الاسلام التى شرعها فى الاسترقاق تعتبر بمثابة إلغاء الرقيق ، واليك بعضا من هذه المبادئ :

« أولا — ضيق الاسلام فى أسباب الرق حتى حصرها فى سبب واحد : هو محاربة المشركين للاسلام ، وصدهم عن سبيل الله ، فأذن للمسلمين الذين يدافعون عن دينهم ، ويردون عنه عادية المشركين ، أن يضربوا الرق على من يقع فى أيديهم من أسرى هؤلاء المشركين المحاربين .

« ثانيا — لم يجعل هذا الاسترقاق ضربة لازب ، ولا نتيجة حتمية لمحاربة المشركين والظفر بهم ، بل جعل ذلك من قبيل النظم السياسية الحربية ، فخيّر الامام فى أن ...

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الى الاسترقاق إذا رآه وسيلة من وسائل الإعزاز لدين الله وكسر شوكة المعتدين ، وفى أن يمن على الأسرى فيطلق سراحهم بفداء ، أو بغير فداء .

« ثالثا — إذا رأى الامام أن فى الاسترقاق وسيلة حربية لإعزاز الدين ، ودفع اعتداء المعتدين ، فلجأ اليه ، فإن الاسلام لم يترك الحبل على الغارب ، ولا ترك الرقيق لمشيئة مالكه ورحمته يحمله من عناء الأعمال ما شاء ، كما كان فى زمن الجاهلية ، ولا جعل الرق أبديا لا يتسنى للرقيق الخروج منه بحال ، بل عنى بأمر الرقيق ، وأوصى المسلمين به خيرا ، قال الله تعالى : « وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى واليتامى والمساكين ، والجار ذى القربى ، والجار الجنب والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وماملكت أيمانكم » . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وبلبسه مما يلبس » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من كانت له جارية فعلمها فأحسن تعليمها ثم تزوجها كان له أجران » . ثم رغب فى العتق ، ودعا الى تحرير الرقاب ، وجعل لمن أعتق رقبة ثوابا عند الله يعدل ثواب كثير من الطاعات ، بل أوجب الاسلام ببعض المعاصى تحرير رقبة : كمن قتل نفسا خطأ ، أو أفسد صيامه عامدا ، أو حنث فى يمينه التى عقد قلبه عليها . وآيات القرآن العظيم ، وأقوال الرسول الكريم فى الرفق بالرقيق ، والاحسان اليه فى المعاملة كثيرة مشهورة .

« من هذا يتبين أن ليس للرق فى الاسلام إلا سبب واحد ، هو ما أسلفنا الاشارة إليه : من محاربة المشركين ، واعتدائهم على المسلمين . إن الاستيلاء على المشركين بأى وسيلة كانت زمن السلم ، ومن غير محاربة ، وخطف الأولاد من أهليهم كما كانوا يعملون فى الماضى ، كل ذلك لا يترتب عليه أن يكون المتولى عليهم أرقاء ، ولا يسوغ التصرف فيهم بحال . فبيع الرجل ولده يكون بيعا باطلا يجب منعه ، ويجب رد الثمن المشترى ، ورد الولد الى أبيه » .

٣ — وما قاله العلامة محمد بن الحسن الحجوى : من أن الزعم بأن الشريعة الاسلامية أرستقراطية ، بدليل أحكام الأرقاء فيها ، زعم غير صحيح ، بل هى ديمقراطية حقة ، بمعنى أنها بنيت على مبدأ العدل والمساواة فى الحقوق بين طبقات الناس . قال عليه الصلاة والسلام : « كلكم من آدم ، وآدم من تراب » . ومن الأدلة على أنها ديمقراطية بناؤها على الشورى ، ونبذ الاستبداد ، والحرية الشخصية (الدكتاتورية) ، ودليل بنائها على المساواة فى الأحكام أن خطاباتها عامة للذكر والأنثى ، وأن كل خطاب فيها ، وأمر ونهى ، متناول للرسول صلى الله عليه وسلم فمن دونه .

من هذا يتبين أن الشريعة الاسلامية ليست أرستقراطية ، ولا دكتاتورية ، وإنما هى ديمقراطية . وقد انفردت فى ديمقراطيتها عن الأشباه ، وتنزهت عن النظائر .

السيد عفيفى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من عجائب الكون

النباتات آكلة اللحوم

أينما توجه بصرك فى هـذا الـكون الشاسع ، يطالعك آيات بينات فيها هـدى وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

تأمل هذا النبت الصغير الذى تمر به فتحسبه جامدا وهو على أنشط ما يكون من الحركة والنمو ، فجذيراته الشعرية الدقيقة تنتقى الغذاء الصالح من الأرض وتوزعه على مختلف الأعضاء ، وأوراقه الخضراء الزاهية تستمد الطاقة من أشعة الشمس وتكون منها المـواد السكرية اللازمة لها فى الحياة ، كل عضو من أعضائه قد خصص لعمل هيئ له ، فأداه حق أدائه .

وقد تتملـكك الدهشة ويأخذك العجب حين تعلم أن ذلك النبت الضعيف لا يقتصر فى غذائه على مادة واحـدة أو مادتين أو ثلاث ، بل لا بد له من عشر كاملة (١) لا تنقص واحـدة ، فهو لا ينمو بحالته الطبيعية إذا لم يجد كل تلك المـواد ، فيعتريه الهزال والضعف ، وينتابه الموت . ولقد شاءت حكمة ربك أن تكون الأرض العادية غنية بأغلب تلك العناصر الغذائية ، فيجد النبات فيها ما يقوم حياته ، ويحفظ كيانه .

غـير أن بعض الأراضى لا تتوافر فيها كل تلك العناصر فينقصها عنصر أو عنصران ، وعلى الأخص عنصر الأزوت ، وهو أهم مادة ضرورية لنمو النبات ، إذ أنه يكون المواد الحية فى جسمه ، فـكان حتما مقضيا على النباتات التى تعيش فى مثـل تلك الأراضى أن تبحث لها عن مصدر جديد للأزوت . وهنا تتجلى القدرة الالهية بأوضح بيان ، فلقد هيأ الله سبحانه وتعالى تلك الـكائنات الضعيفة بتحورات خاصة فى أعضائها جعلتها ملائمة لاقتناص الحشرات وصغار الحيوان والتغذى عليها ، وبذا تستمد من لحومها عنصر الأزوت .

من كان يخطـر بباله أن نباتا يأكل اللحم ويمتص الدم ؟ إنه أمر بعيد عن التصديق ، ولـكنها الحقيقة الواقعة والمشاهدة الملموسة . فهنالك فى جـزر المـلايو نبات النبنتس Nepenthes قد تحورت كل ورقة من أوراقه على شكل جرة ذات غطاء ، ليتحكم النبات فى فتحه وإغلاقه حسبما يريد . وإنك إذا شاهدت هذا النبات رأيت رحيقا حلو الطعم ، ذكى الرائحة ، يسيل على جوانب الجـرة فيغرى الحشرات بطعمه ، ويجذبها برائحته ، حتى إذا ما استجابت

(١) هـذه المواد هى : الـكربون . الاكسيجين . الايدروجين . الازوت . الـكبريت . الفسفور . الـكالسيوم . الحديد . المغنسيوم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إحداها لداعي الإغراء ، وأقدمت على التهامه بلذة ونهم ، لا تمكث طويلا فى تلك المتعة حتى يروعها قفل الباب وإحكام الرتاج ، فيحدثها القلب بما هنالك فتحاول الفكاك والخلاص والعودة من الغنيمة بالإياب ، ولكن أنى يكون لها ذلك ؟ لقد وقع القدر وحم القضاء . لم تدخل المصيدة إلا طائعة مختارة ، ولكنها لن تخرج منها إلا أشلاء متناثرة يذروها الريح ويعبث بها الهواء . وتجد النبات فى تلك الأثناء مشغولا بفريسته يفرز عليها العصارات لهضمها وامتصاصها ، حتى إذا ما استخلص بغيته منها فتح الباب ، واستعد لاستقبال القادم الجديد ، وهكذا دواليك .

وهناك نبات الدروزيرا (Drosera) ذو الأوراق الضخمة التى تنتشر عليها الزوائد الحساسة . ويفرز النبات مادة رحيقية لزجة تغمر سطح الأوراق وتجذب الحشرات ، فاذا ما سقطت إحداها على ورقة من تلك الأوراق التصقت بالمادة الرحيقية حالما تلامسها ، فتذهل الحشرة ، ويأخذ الرعب منها كل مأخذ ، فتضرب بجناحيها على غير هدى محاولة التخلص من تلك الورطة ، ولكن عبثا تحاول الفرار ، فكلما تحركت يمينا أو يسارا اشتبكت بزوائد أخرى من تلك الزوائد الحساسة ، وبذا تصبح داخل شبكة محكمة لا سبيل الى الخلاص منها ، ويكون خروجها ضربا من المحال . وعندئذ يفرز النبات مادة الببسين لهضم الحشرة وإذابة جسمها ، ثم يمتص المواد المذابة ، وحينئذ تعتدل الزوائد وتعود الورقة الى شكلها الطبيعى ، وتتهيأ لاقتناص فريسة أخرى .

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وهذا نبات الديونيا (Dioneae) يحتال على اقتناص الحشرات بحيلة غريبة بسيطة ، فتجد أن الورقة تحتوى على مصراعين يتحركان على العرق الأوسط حركة مفصلية ، وتنتشر على السطح العلوى لكل منهما زوائد شوكية حادة ، فما إن تقف الحشرة التى يوقعها سوء حظها على ورقة من تلك الأوراق ، حتى يقفل المصراعان فجأة وبسرعة زائدة ، وسرعان ما تنغرز الأشواك الدقيقة فى جسم الحشرة فتمزقها شر ممزق ، وبذا تبدأ عملية الهضم والامتصاص ، ثم ينفتح المصراعان وتنفرج الورقة استعدادا لكل قادم .

***

تواترت الأخبار فى السنين الأخيرة بنبأ العثور على نوع من الأشجار يفترس الانسان ويتغذى بلحمه ؛ فقد روى العلامه الدكتور كارل ليش أحد مشاهير الرواد النمسويين ، ومن أقطاب العلماء : أنه قد اتفق له أثناء رحلته فى ارتياد مجاهل جزيرة مدغشقر أن رأى منظرا أخذ بلبه وملك عليه حواسه : ذلك أنه شاهد جماعة من الزنوج يدفعون فتاة عارية نحو شجرة هائلة تشبه شجر الأناناس ، ذات أوراق ضخمة وأشواك حادة ، ويسيل منها رحيق مسكر ، ولقد أصاب تلك الضحية الجريئة رعب وذهول ، رعب الموت ، وذهول الجنون ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لحاولت المقاومة ، ولكن هل تجدى المقاومة مع أمثال أولئك الوحوش ؟ لقد دفعوها قسرا ، وأسنة حرابهم تمزق من لحمها وتسيل من دمائها ، حتى قاربت الشجرة فصاحوا فيها صيحة جنون مرعبة لتشرب الرحيق ، وما كانت لتتوانى عن شربه وهى مسلوبة الإرادة مهيضة الجناح ، وسرعان ما انتابها الإغماء وتلقفتها الشجرة بأوراقها الضخمة فغابت فى طياتها ، وإن هى إلا لحظة حتى سال دم الفتاة غزيرا مع رحيق الشجرة ، وأقبل الزنوج عليه يشربونه بشراهة وغلظة .

أيد تلك المشاهدات الكابتن هرست الانجليزى الذى قام على رأس بعثة علمية لاكتشاف مجاهل جزيرة مدغشقر ، فلقد وصف ما شاهده وقال : إن الشجرة تظل مطبقة الأوراق خمسة أيام أو ستة ، تنفرج بعدها عن أشلاء وهيا كل عظيمة تذروها الرياح .

أقول : إن هذه المشاهدات سواء أ كانت حقيقة واقعة أم محض خيال ، لا تخالف العلم ولا تعارض العقل ، فلقد رأينا كيف أن النبات يفترس الحيوان فى احتياجه الى الأزوت ، ولا يميز النبات بين حيوان أو إنسان إن استطاع الى هذا الأخير سبيلا . وأغلب الظن أن الشجرة المذكورة فى جزيرة مدغشقر تعتمد فى غذائها على الحيوانات التى تلجأ اليها لتشرب من رحيقها اللذيذ الطعم ، أو لتقضى ليلها بين أوراقها الضخمة ، أو لتهجع اليها فرارا من شدة القيظ أو هربا من عدو . ولقد عرف الأهالى فيها تلك الخاصية العجيبة التى لم تهضمها عقولهم ، فقدسوها ، وأخذوا يقدمون لها القرابين من بنى الانسان ، ويشربون من رحيقها المسكر المختلط بدم الضحايا ، وهم يعتقدون أنه شراب إلهى قدمته اليهم الآلهة تقبلا منها وكرما .

تلك كلمة موجزة عن نوع غريب من أنواع النباتات ، شابه فى معيشته الأنواع الضارية من الحيوان ، فسبحانه وتعالى خلق فسوى ، وقدر فهدى ؟

رضوان محمد رضوان

بكالوريوس فى العلوم الزراعية

ما قيل فى وصف الاجادة فى القول

قال أديب فى وصف كاتب بليغ : فلان إذا أنشأ انتثرت زهرات الآداب من عذوبة لسانه ، وإذا أنشد حرك ذا الوقار طربا بإحسانه .

وقال حسان بن ثابت الصحابى فى هذا المعنى :

إذا قال لم يترك مقالا لقائل ... بملتقطات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدع ... لذى إربة فى القول جدا ولا هزلا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشعوبية وأثرها فى الأدب العربى

— ٤ —

لئن طال النزاع ، واحتـدم الخصام ، واستمر الجلاد بين مناصرى الشعوبية ومناوئيها فى الاسـلام ، دين الوحدة والألفة والوئام ، لا دين الفرقة والتنابذ والخصام — فما كان ذلك بالبدع العجيب ، والمستحدث الغريب ، الذى لم تألفه الأجيال التى سبق بها الزمن ، ولم تدرج عليه ، من صرخة وضعها الى أتـه نزعها ، وإنما تراجع الأيام صفحة من تاريخها القديم الذى ملئ بالمفاخرة ، وفاض بالعصبية بين العرب والأعجام ، فى تلك الفترة التى كان فيها العجم يقبضون على زمام الحضارة ، ويتربعون على أريكة الجبروت والسلطان ، بينما العرب فى صحرائهم يهيمون بين وهج الشمس ولظاها ، يسترحمون الغيث ، ويستعطفون الكلأ ، لا ملك يجمعهم ، ولا وحدة تؤلفهم ، ولا قانون يعصمهم ؛ فى ذلك الزمن السحيق الذى بلغ فيـه ملك الفرس مبلغا لا يبارى ، لم يقف النعمان بن المنذر أخرس اللسان ، ضعيف الجنان ، أمام مقالة كسرى التى أتت على العرب من أصول مكارمهم ، ولم تدع مفخرة من مفاخرهم إلا أبادتها وأهلكتها ، بل تلطف فى الرد مفندا كل ما جاء به كسرى حتى أكبره وأعظمه ، وكساه من كسوته ، فرجع الى موضعه من الجزيرة متوجا بتيجان الشرف ، مكللا بأكاليل النصر ؛ ذلك موقف مشهود وقفه النعمان من كسرى وتناقلتـه كتب التاريخ . فلا لوم علينا إذا أتحفنا القارئ الكريم بهاتين المقالتين غير منقوصتين ، لما فيهما من متاع أدبى يثلج الأفئـدة ويشرح الصدور ، ولما أخذناه على أنفسنا من توخى هذه الناحية دون سواها :

حدث ابن القطامى عن الكلبى قال : « قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم ما ذكروا ، فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم ، ولم يستثن فارس ولا غيرها ، فقال كسرى ، وأخذته عـزة الملك : يا نعمان : لقد فكرت فى أمر العـرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت فى حال من يقدم على من وفود الأمم ، فوجدت الروم لها حظ فى اجتماع ألفتها ، وعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بنيانها ، وأن لها دينا يبين حلالها وحرامها ، ويرد سفيهها ، ويقوم جاهلها ؛ ورأيت الهند نحوا من ذلك فى حكمتها وطبها ، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعاتها ، وطيب أشجارها ودقيق حسابها ، وكثرة عددها ؛ وكذلك الصين فى اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها وفروسيتها وهمتها فى آلة الحرب ، وصناعة الحديد ، وأن لها ملكا يجمعها ؛ والترك والخزر ، على ما بهم من سوء الحال فى المعاش ، وقلة الثمار والحصون ، وما هـو رأس عمارة الدنيا من المساكن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والملابس ، لهم ملوك تضم قواصيهم ، وتدبر أمرهم ، ولم أر للعرب شيئا من خصال الخير فى أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوة ، ومع أن مما يدل على مهانتها وذلها وصغر همتها محلتهم التى هم بها مع الوحوش النافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ، ولهوها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل التى يعافها كثير من السباع ، لثقلها وسوء طعمها ، وخوف دائها ؛ وإنْ قرى أحدهم ضيفا عدها مكرمة ، وإن أطعم أكلة عدها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا هذه التنوخية التى أسس جدى اجتماعها ، وشد مملكتها ، ومنعها من عدوها ، فجرى لها ذلك الى يومنا هذا ؛ وإن لها مع ذلك آثارا ولبوسا وقرى وحصونا وأمورا تشبه بعض أمور الناس — يعنى اليمن — ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقلة ، والفاقة والبؤس ، حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس .

فما إن سمع النعمان ذلك حتى غلت فى قلبه مراجل العزة والنخوة العربية ، فاندفع قائلا : أصلح الله الملك ! حق لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ، ويعظم حظها ، وتعلو درجتها ؛ إلا أن عندى جوابا فى كل ما نطق به الملك فى غير رد عليه ، ولا تكذيب له ، فان أمننى من غضبه نطقت به .

قال كسرى : قل فأنت آمن .

قال النعمان : أما أمتك أيها الملك فليست تنازع فى الفضل لموضعها الذى هى به ، من عقولها ، وأحلامها ، وبسطة محلها ، وبحبوحة عزها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك ، وولايتك . وأما الأمم التى ذكرت فأى أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها .

قال كسرى : بماذا ؟ قال النعمان : بعزها ومنعتها ، وحسن وجوهها ، وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها ، وشدة عقولها ، وأنفتها ووفائها :

فأما عزها ومنعتها : فانها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادهم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر ، إذ غيرها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين ، وجزائر البحار ؛

وأما حسن وجوهها وألوانها : فقد يعرف فضلهم فى ذلك على غيرهم ، من الهند المنحرفة ، والصين المنحفة ، والترك المشوهة ، والروم المقشرة ؛

وأما أنسابها وأحسابها : فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها ، حتى إن أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه دِنْياً ، فلا ينسبه ولا يعرفه ، وليس أحد من العرب إلا يسمى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

آباءه أبا فأبا ؛ أحاطوا بذلك أحسابهم ، وحفظوا به أنسابهم ، فلا يدخل رجل فى غير قومه ، ولا ينتسب الى غير نسبه ، ولا يدعى الى غير أبيه ؛

وأما سخاؤها : فإن أدناهم رجلا الذى تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه فى حموله ، وشبعه وريه ، فيطرقه الطارق الذى يكتفى بالفلذة ، ويجتزئ بالشربة ، فيعقرها له ، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدوثة ، وطيب الذكر ؛

وأما حكمة ألسنتهم : فإن الله تعالى أعطاهم فى أشعارهم ، ورونق كلامهم وحسنه ، ووزنه وقوافيه ، مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال ، وإبلاغهم فى الصفات ما ليس لشىء من ألسنة الأجناس ؛ ثم خيلهم أفضل الخيل ، ونساؤهم أعف النساء ، ولباسهم أفضل اللباس ، ومعادنهم الذهب والفضة ، وحجارة جبالهم الجزع ؛ ومطاياهم التى لا يبلغ على مثلها سفن ، ولا يقطع بمثلها بلد قفر ؛

وأما دينها وشريعتها : فانهم متمسكون به ، وإن لهم أشهرا حرما ، وبلدا محرما ، وبيتا محجوجا ، ينسكون فيه مناسكهم ، ويذبحون فيه ذبائحهم ، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثأره ، وإدراك رغمه منه ، فيحجزه كرمه ، ويمنعه دينه عن تناوله بأذى !

وأما وفاؤها : فان أحدهم يلحظ اللحظة ويومئ الإيماء فهى وَلْث وعقدة (١) لا يحلها إلا خروج نفسه ؛ وإن أحدهم ليبلغه أن رجلا استجار به ، وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب ، فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التى أصابته أو تفنى قبيلته ، لما أخفر من جواره ؛

وأما قولك أيها الملك : يئدون أولادهم ، فانما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفة من العار وغيرة من الأزواج ؛

وأما قولك : إن أفضل طعامهم لحوم الابل على ما وصفت منها : فما تركوا ما دونها إلا احتقارا له ، فعمدوا الى أجلها وأفضلها ، فكانت مراكبهم وطعامهم ، مع أنها أكثر البهائم شحوما ، وأطيبها لحوما ، وأرقها ألبانا ، وأقلها غائلة ، وأحلاها مضغة ، وأنه لا شىء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه ؛

وأما تحاربهم ، وأكل بعضهم بعضا ، وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم : فانما يفعل ذلك من يفعله من الأمم ، إذا أنست من نفسها ضعفا ، وتخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف ، وأنه إنما يكون فى المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون إليهم أمورهم ، وينقادون لهم بأزمتهم ؛

وأما العرب : فان ذلك كثير فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين ، مع أنفتهم من أداء الخراج ، والوطف بالعسف ؛

(١) الولث : العهد غير المؤكد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأما اليمن التى وصفها الملك : فلما أتى جدّ الملك اليها الذى أتاه عند غلبة الحبش له على ملك متسق وأمر مجتمع ، فأتاه مسلوبا طريدا مستصرخا ، قد تقاصر عن إيوائه ، وصغر فى عينه ما شيد من بنائه ، ولولا ما وتر به من يليه من العرب لمال الى مجال ، ولو جد من يجيد الطعان ويغضب للاحرار ، من غلبة العبيد الأشرار .

قال : فعجب كسرى لما أجابه النعمان به وقال : إنك لأهل لموضعك من الرياسة فى أهل إقليمك ، ولما هو أفضل ! ثم كساه من كسوته ، وسرحه الى موضعه من الجزيرة » .

تلك محاورة تدل فى غير التواء على مبلغ ما للعصبية الجنسية من سلطان على النفوس ، مما يجعلنا نؤمن بأن الشعوبية وإن ولدت فى أحضان الاسلام فهى تستمد من معين لا ينضب ، وجد منذ وجد الانسان ؟

أحمد ابراهيم موسى البارودى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

من مدائح البلغاء

مدح خالد بن صفوان رجلا ببراعة المنطق فقال : كان والله جزل الألفاظ ، غزير مقال اللسان ، فصيح ماخذ البيان ، رقيق حواشى الكلام ، بليل الريق ، قليل الحركات ، ساكن الاشارات .

ومدح أعرابى رجلا فقال : فلان أخذ بزمام الكلام فقاده أسهل مقاد ، وساقه أجمل مساق ، فاسترجع به القلوب الجامحة ، واستصرف به الأبصار الطامحة .

ووصف ابن المقفع بليغا فقال : ما زالت ينابيع حكمه تترقرق فى مغابن الآذان حتى أعشبت بها القلوب عقولا (المغبن ، الابط ، وهو يريد بمغابن الآذان أحناءها) .

وقد ألم بهذا المعنى أبو الطيب المتنبى فقال :

نطق إذ ما القول حط لثامه   أعطى بمنطقه القلوب عقولا

يريد أبو الطيب من إعطائه القلوب عقولا ، أنه ينطق بالحكمة فيخلع عن القلوب غواشيها ويبصرها بالحق فتدركه وتتبعه . وهو وصف جميل للقدرة على صرف القلوب الى وجهة الحق .

أما الغاية التى ليس وراءها مطمح فى وصف البيان ، فقوله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرا » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاسلام كما يراه الاوربيون

— ٨ —

أشرنا فى الكلمات السالفة الى ماحسبه « كازانوفا » براهين حاول أن يدلل بها على صحة دعواه ، وذلك كبراهين إغضاء النبى صلى الله عليه وسلم عن تعيين الامام السياسى ، وقوله : « بينى وبين الساعة كهاتين » ، ودعوته أحد معاصريه بالمسيخ الدجال ، وغير ذلك مما توهم هذا المستشرق أنه يثبت اعتقاد النبى بقيام الساعة قبل موته ، وأبنّا ما فى هذه البراهين من ضعف وتخاذل ، وأثبتنا أنها لا تستطيع أن تثبت لحظة واحدة أمام المنطق المستقيم . واليوم نريد أن نعرض لما بقى من هذه البراهين الهزيلة فننزلها المنزلة التى تستحقها من الهوان كما فعلنا بسوالفها :

يعتبر هذا البرهان الرابع أهم براهين « كازانوفا » وأخطرها فى نظره ونظر أشياعه ، لأنه حاول فيه أن يثبت أن فى القرآن ، كما فى السنة ، آثارا تشهد بأن الصلة بين بعثة النبى وبين الساعة متينة وثيقة ، وأن موت النبى سيكون ضمن الموت العام الذى هو نتيجة مباشرة للطامة الكبرى ، وهى قيام الساعة . وإليك كيف يسوق هذه الحجة :

أشار القرآن فى كثير من آياته الى نهاية العالم والموت العام فقال :

« و نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون (١) » « ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين (٢) » « كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة (٣) » « كل نفس ذائقة الموت ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون (٤) » . « كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون (٥) » .

مما لا ريب فيه أنه لا يمكن تطبيق الآيتين الأولى والثانية إلا على الفريق الأخير من الناس ، وهم المعاصرون لقيام الساعة ، أما الآيات الثلاث الباقيات فقد أتى بها لإثبات تعميم الموت وحلوله بكل حى ، ماضيا كان أو حاضرا ، ولكن ينبغى أن نعرف أن جميع الآيات التى تعرضت لفناء العالم أو لعمومية الموت ربطت بينهما وبين البعث ربطا محكما ، أى أن هذه الآيات أعلنت أن البعث لا بد أن يتلو الموت العام مباشرة . فلندرس الآن الآيات المتعلقة بموت النبى على ضوء هذه القاعدة :

---

(١) سورة الزمر . (٢) سورة النمل . (٣) سورة آل عمران . (٤) سورة الانبياء .

(٥) سورة العنكبوت .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال القرآن : « إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون (١) » « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفإن مِتَّ فهم الخالدون ؟ كل نفس ذائقة الموت ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون (٢) » .

فاذا نظرنا الى هذه الآيات ، ألفينا انها تصل البعث بموت محمد ، كما وصلت الآيات السابقة البعث بالموت العام وفناء العالم .

على أن أحقية اثنتين من هذه الآيات مشكوك فيها ، إذ لم تثبت نسبتهما الى النطق النبوى ، بل إن أبا بكر كان هو الوحيد الذى نطق بهما على أثر موت النبي فأقره المسلمون عليهما ، وهما قول القرآن : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » ، وقوله : « إنك ميت وإنهم ميتون » ، أفليس لنا الحق فى أن نظن أن الآية الثانية على الأقل قد صنعها أبو بكر من أساسها بعد موت النبي ؟

ومهما يكن من شيء ، فان هاتين الآيتين ، حقيقتين كانتا أم مصنوعتين ، إذا فهمتا كما أراد أبو بكر أن يوجههما ، تنصان على أن النبي يجب ألا يشهد الساعة ، ومع ذلك فيمكن أن نفهم الآية الأولى على أنها خطابية تريد أن تقرر القاعدة المنطقية فى ذاتها ، أى تريد أن تتساءل نظريا قائلة : أفإن مات فرضا أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ وفى هذه الحالة لا تقرر أنه سيموت قبل نهاية العالم ، ويمكن أن نفهم الآية الثانية على أن الاختصام عند الله تابع مباشرة لموت النبي ومعاصريه . وفى هذه الحالة يكون شهوده الساعة أمراً محققا .

أما إذا فهمتا فهما حراً غير مقيد ألبتة ، لا بتوجيه أبى بكر ولا بتوجيهنا الذى أسلفناه آنفا ، بل أخذتا على ظاهرهما ، فانهما لا تثبتان ضرورة أن محمداً يجب أن يموت قبل قيام الساعة ، فاذا أضفنا الى غيبة ضرورة موت النبي قبل قيام الساعة نصوصا قرآنية أخرى تفيد إمكان بقائه حيا الى يوم الساعة ، ونصوصا أخرى محتوية على وعود تختلف تحجبا وانكشافا صدرت من الله الى نبيه بأنه سيشهد الساعة ، أقول : إذا أضفنا هذه النصوص الى ما تقدم ، فقد وجب أن تكون دعوانا صحيحة . وأهم هذه النصوص هى النصوص التى تقول مخاطبة النبي : « وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون (٣) » « وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب (٤) » « فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون (٥) » .

فاذا اعترض بأن هذه النصوص ليست مشتملة على وعود صريحة بشهود النبي الساعة ، وإنما هى مشتملة على الامكان فحسب ، قلت : نعم ، هذا حق ، ولكنه ينتهى بنا الى الاقرار

(١) سورة الزمر . (٢) سورة الانبياء (٣) سورة يونس . (٤) سورة الرعد . (٥) سورة المؤمن .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

بأن الإله غير متأكد من الغاية ولم يستطع أن يحدد مصير نبيه . وأحسب أنه لا شيء يظهر لنا أكثر سخفا وبعدا عن التعقل من القول بأن هذا الإله — وهو سيد الأقدار — لم يستطع أن يصمم على أن يحدد مسألة بسيطة الى هذه الدرجة ، أو أنه يجهل ما إذا كان النبي سيموت أو سيعيش الى نهاية العالم ، فى حين أنه يقول : إنه يعلم بالساعة علما يقينيا ، ولكنه لا يريد أن ينبئ الناس بهذا العلم . وبناء على ذلك ، أفليس من المعقول أن نقرر أن هذه الآيات قد مدت اليها يد التبديل ، وأنها كانت قبل التبديل مثلا : سنريك بعض الذى نعدهم ، أى أنها كانت نصا صريحا فى شهود النبى الساعة ، ثم لما رأى أصحابه أن الساعة لم تقم وضعوا صورة الشك فى هذه الآيات موضع صورة اليقين ، وجعلوها : وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك ؟

غير أن هذا التحوير الذى أوقعوه فى الآيات السالفة لم يكن من السهل عليهم إجراؤه فى بعض الآيات الأخرى ، لتأليفها كلا متماسكا أوله بآخره تماسكا محكما الى حد أنه لو وضعت فيه صورة التردد لا نقلب هذا الكل المنسجم مشوها مضحكا .

لهذا أبقوا تلك الآيات الأخرى على حالها ولم يحدثوا فيها أى تغيير ، فجاءت شاهدة على أن محمدا كان يعتقد بقاءه الى شهود الساعة من جهة ، وعلى أن الآيات الأخرى وقع فيها تبديل من جهة ثانية . وإليك تلك الآيات التى لم يمكن التبديل فيها :

« وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ، إن ربك هو الخلاق العليم . ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم . لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ، ولا تحزن عليهم ، واخفض جناحك للمؤمنين . وقل إنى أنا النذير المبين ، كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين . فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون . فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر ، فسوف يعلمون . ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون . فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (١) » .

لا ريب فى أن اليقين هنا هو الساعة ، والمفسرون يوافقون على ذلك ، وإذاً فالقرآن صريح فى أن الساعة ستأتى النبى وسيشاهدها هو شخصيا ، ولذلك هو يأمره بأن يعبد ربه حتى تأتيه هذه الساعة . ومما يؤيد ذلك أن الفعل العربى الذى عبرت به الآية الخامسه والثمانون فى جانب الساعة ، وهو فعل أتى ، هو نفسه الفعل الذى عبرت به الآية الخامسة والتسعون فى جانب اليقين ، فقالت الأولى : إن الساعة آتية ، وقالت الثانية : حتى يأتيك اليقين .

ومن هذه الآيات التى لم يقع فيها التبديل ، وهى تنص على أن النبى سيشهد الساعة ، قول القرآن : « فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب » .

(١) سورة الحجر .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب ، يوم يسمعون الصيحة بالحق ، ذلك يوم الخروج » . « يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير (١) » .

أما استنتاجنا الخاص بعد كل ذلك فهو يتلخص فى أن القسم الأول من القرآن كان بكل بساطة إنباء صريحا بنهاية العالم وقرب الساعة : « عم يتساءلون . عن النبأ العظيم . الذى هم فيه مختلفون . كلا ، سيعلمون . ثم كلا سيعلمون (٢) » . وأن القسم الثانى منه عنى بأن يضعها موضع الأمر المجهول : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض ، لا تأتيكم إلا بغتة (٣) » . وأن القسم الثالث الذى كان النبى أثناءه مشغولا بالتشريع والقيادة الحربية ، قد أهمل مسألة الساعة إهمالا تاما ، وكانت الأقسام الثلاثة متمايزا بعضها عن بعض فى وضوح ، فمزجها أصحاب النبى ببعضها لغايات فى نفوسهم ، وأن كل الآيات التى نصت على شهود النبى الساعة وأمكن تبديلها قد بدلت ، وما لم يمكن تبديله قد وجهوه التوجيه الذى أرادوه .

هذا هو موجز أهم براهين « كازانوفا » على هـذه الدعوى بعد الذى قدمناه ، فلنلخص أولا نقطه ثم نناقشها واحدة بعد الأخرى : (١) زعمه أن صـلة البعث بموت النبى كصلته بالموت العام . (٢) ارتيابه فى آيتى : « إنك ميت » و « أفإن مات أو قتل » . (٣) زعمه أن المقصود بقول القرآن « بعض الذى نعدهم » هو الساعة . (٤) ادعاؤه أن هذه الآيات كان نصها أولا : سنريك بعض الذى نعدهم ، ثم قلبت الى صورة التشكيك فأصبحت : فاما نرينك الخ . وقد علل لهذا الزعم بأن الله أعظم من أن يجهل المصير فيتحدث بلسان الشك . (٥) زعمه أنه وردت فى القرآن آيات صريحة فى وجوب شهود النبى الساعة كقول القرآن مثلا : « واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب » الخ . (٦) زعمه أن كلمة « اليقين » المذكورة فى القرآن معناها الساعة ، وبهذا يكون قوله : « حتى يأتيك اليقين » معناه : حتى تأتيك الساعة .

هذا هو موجز نقط أهم براهينه ، فلننظر الآن الى أى حد هى متفقة مع التعقل :

(١) ادعى الأستاذ « كازانوفا » أن البعث ورد فى القرآن متصلا بموت النبى اتصاله بالموت العام . وغايته من هذا هى محاولة إثبات أن البعث سيبدأ بعد وفاة النبى مباشرة . فاذا نظرنا الى الآيتين اللتين ساقهما فى موت النبى لم نجد فيهما ألبتة مايؤيد دعواه أقل تأييد ، وذلك لأن الآية الأولى وهى : « إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنـكم يوم القيامة عند ربـكم تختصمون » معناها : إنك فان قابل للموت ، وهم كذلك فانون قابلون له ، وإنـكم ستموتون جميعا ، كل بأجله ، ثم إنـكم سوف تبعثون وتختصمون أمام ذى الجلال والاكرام . والآية نص صريح ببعد زمن الاختصام عن زمن الموت بدليل التعبير بثم . ولو أن الأستاذ كازانوفا كان يفهم الفرق بين حروف العطف فى اللغـة العربية لما جرؤ على أن يزعم هذا الزعم ، ولـكن

(١) سورة ق . (٢) سورة النبأ . (٣) سورة الاعراف .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

هذا ذنب الجهل لحاه الله ! وفوق ذلك ، فقد وضعت الآية يوم القيامة كظرف للاختصام ، ولما كان الاختصام معطوفا على الموت بحرف ثم ، وبالتالى بعيدا عنه ، فقد وجب أن يكون ظرف الحدث المتأخر متأخرا عن ظرف الحدث المتقدم بالمسافة التى تسمح بها ثم . وفى هذا برهان قاطع على أن البعث ليس متصلا بموت النبى اتصالا مباشرا كما زعم هذا المستشرق .

أما الآية الثانية وهى : « أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » فلا شأن لها بنهاية العالم ولا باتصال موت النبى بالبعث أو بانفصاله عنه ، و إنما هى وردت لتأنيب المقاتلين الذين تزعزعت نفوسهم حين أذاع أبو سفيان أن النبى قد قتل ، ولا أدرى ما هى الصلة التى تخيلها « كازانوفا » فى هذه الآية بين موت النبى ونهاية العالم إلا أن يكون من الحالمين !

(٢) على أنى لا أدرى كيف يستشهد بهاتين الآيتين على هذه الصلة ، وهو قد أعلن ارتيابه فيهما وعزا وضعهما الى أبى بكر ، وهنا تقودنا المناسبة الى مناقشة النقطة الثانية ، وهى أن أبا بكر هو الذى صنع هاتين الآيتين ، فنقول لهذا الأستاذ : ألم تعترف أنت شخصيا فى مقدمة كتابك بأن النبى كان أعظم أهل عصره إخلاصا ، وأطهرهم نفسا ، وأقواهم عبقرية ؟ ثم ألم تشهد بأنه هو الذى أطلق على أبى بكر اسم الصديق ؟ ثم أفلا يكون إطلاقه اسم الصديق على رجل جدير بالتضليل برهانا إما على الغباوة أو على النفاق ؟ وأنت أثبت له العبقرية والاخلاص وطهر النفس ؟ هذا خلف يا أستاذ !

وفوق ذلك ، فهل شارك كل أجلاء الصحابة أبا بكر فى هذا التزييف ، أو كانوا جميعا من الغفلة بحيث تنطلى عليهم هذه الحيلة ، ونحن نعلم أنه كانت بينهم عقليات تلتهب ذكاء وعبقرية ؟ ثم ألم يكن للاسلام خصوم طالما سمعوا من النبى أنه سيشهد الساعة ثم ألفوه قد فارق الحياة ولم تقم الساعة ؟ فهل تظن أن هؤلاء الخصوم كانوا يقابلون هذه الفرصة القاتلة صامتين دون أن يشنوا الغارة على الاسلام والمسلمين ؟

أضف الى هذا أنه إن كان أبو بكر قد وضع هاتين الآيتين ، فمن الذى وضع الآيات والأحاديث الكثيرة التى تنص على أن الساعة سر قد استأثر الله بعلمه ، وأن موت النبى سيكون حادثا بسيطا ضمن حوادث الكون العام كما كان موت من سبقوه من الأنبياء ، وأن الحياة ستظل من بعده زمنا لا يعلم مداه إلا الله ، وأن الساعة سيكون لها علامات ، وأن الذين سيشهدونها هم أقل الناس إيمانا ؟ وهل وضع أبو بكر أيضا كل هذا دون أن يتنبه اليه أحد ؟ اللهم اشهد أن المنطق ليس له فى هذه الدعوى عين ولا أثر !

(٣) أما زعمه أن « بعض الذى نعدهم » معناه الساعة ، فهو زعم سخيف ، لأن المقصود بهذا البعض هو مصارع المكابرين يوم غزوة بدر وماهددوا به من عذاب (١) ، وليس المراد هنا الساعة كما توهم الأستاذ كازانوفا . وإذاً فقد سقط هذا الزعم أيضا .

(١) راجع الكشاف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٤) أما ادعاؤه أن هذه الآيات نفسها كانت أول الأمر : سنريك بعض الذى نعـدهم ثم غيرت فجعلت : وإما نرينك الى آخره ، فهو تخرص ليس لدى صاحبه عليه من دليل إلا أن الله أعظم من أن يجهل المصير فيعبر بعبارة الارتياب . ولو أن هذا المستشرق كان قد فهم روح القرآن لما هوى فى تفكيره الى هذا الحد ، لأن هذه عبارات تشكيك لا شك ، والفرق بين الحالتين عظيم ، ولـكن هـذه أيضا سقطة الجهـل والسطحية والتسرع ! أما حكمة استعمال هذا التشكيك ، فهى استئثار الله بعلم يوم وفاة النبى ، وهل هو سيجىء قبل مصارع أولئك المعاندين أو سيتأخر عنها ؟ وهو فى كلتا الحالتين يبشر نبيه قائلا : كن على يقين أنى سأريك مصارعهم إذا أبقيتك الى ذلك اليوم ، وإذا توفيتك قبله فسأريك فى الآخرة ما سأصنع بهم فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب .

على أنى لا أفهم أيضا كيف استساغ كازانوفا استئثار الله بعـلم الساعة وإخفاءه إياها عن الناس جميعا ، ولم يستسغ إخفاءه عنهم مصير أولئك المعاندين ، وهل ستكون مصارعهم على مشهد من النبى أو سيتوفى قبل وقوعها فيرى مصيرهم الأخروى الذى هو أدهى وأمر ؟

(٥) أما ادعاؤه أن آية « واستمع يوم ينادى المناد من مـكان قريب » تدل على شهود النبى الساعة ، وأن المنادى سينادى يوم فناء العالم ، فهو ضرب من السخف المزرى ، لأن المنادى المذكور فى هذه الآية هو الذى سينادى يوم الحشر لا يوم فناء العالم ، بدليل ما أتى بعد هذه الآية من قول القرآن : « ذلك يوم الخروج . يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ، ذلك حشر علينا يسير » . ولـكن يظهر أن الأستاذ كازانوفا لا يعرف كيف يفرق بين يوم فناء العالم ، وهو آخر أيام الدنيا ، وبين يوم البعث ، وهو أجنبى عن الأول أجنبية لا تخفى على ذى عقل .

أما شهود النبى يوم الحشر واستماعه نداء المنادى فهما أمران لا ينكرهما المسلمون ، بل يجب ألا ينازع فيهما أحد ، وإلا لـكان جاحدا شهود النبى الحساب الذى لا يمكن أن يتخلف عنه أى إنسان كائنا من كان عظمة أو ضعة .

(٦) أما ادعاؤه أن كلمة « اليقين » الواردة فى القرآن معناها الساعة ، واستدلاله على ذلك باستعمال مادة الإتيان فى القرآن فى جانب الساعة حينا ، وفى جانب اليقين حينا آخر ، فهو أمر جدير بالاشفاق على هذا الأستاذ أكثر مما هو جدير بالنقد ، لأن اليقين معناه الموت ، وليس معناه الساعة ، ولا يصح أن يكون غير ذلك ، إذ أن اليقين الوحيد الذى يجب أن يمر بكل حى إنما هو الموت لا الساعة ، لأن الساعة لا تقوم إلا على معاصريها ، وبهـذا لا يكون الأمر بالعبادة عاما ، بل يكون خاصا مقصورا على أولئك المعاصرين .

أما استشهاده بمادة أتى ، فحسبى أن أقول له بازائه : إنه يقال فى اللغة الفرنسية : أتت الـكارثة وأتى « كازانوفا » ، فهل يصح لنا بناء على هذا أن نقول : إن كازانوفا هـو الـكارثة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بدليل صحة إسناد فعل أتى إليه وإلى الكارثة كما كان اليقين فى القرآن معناه الساعة بدليل صحة إسناد فعل أتى إلى اليقين وإلى الساعة ؟

أما بعد مناقشة هذه النقط الواردة فى براهين كازانوفا ، فاننا نحب أن نسأله سؤالا لا تتعذر الاجابة عليه حتى على عقلية السوقة والأميين ، وهو : إذا كان النبى يعتقد قيام الساعة قبل وفاته ، فلماذا نظر إلى الحياة الاجتماعية هذه النظرة التى تدل على إيمانه ببقائها زمنا طويلا ، فأتى لها بهذا الدستور الفخم ، وذلك التشريع القيم الذى تناول به جميع أفرع الحياة الشخصية والمعاملات الاجتماعية ، من زواج وطلاق ، وعدة ونفقة ورضاع وتوريث ووصية وهبة وبيع وقرض ومشاركة ، فهل كل ذلك قد شرع لمعاصرى النبى فقط ؟ وإذا كان ذلك كذلك ، فهل يوصف بالحكمة والعبقرية اللتين وصفت أنت بهما النبى من يتعب نفسه من أجل التشريع لهذا الزمن الضئيل ؟ ثم حدثنى بربك : كم وقع من المواريث فى تلك الأعوام التى مرت بعد تشريع الميراث الاسلامى وقبل موت النبى ؟ ولماذا لم يترك النبى قومه يتعاملون ويتوارثون حسب تشريعاتهم القديمة ما دامت الساعة ستقوم عليهم قبل انتقاله من بينهم ؟

هذا كلام له خبىء معناه ليست لنا عقول

هذا ، ونأمل أن نكون قد وفقنا للرد على أهم النقط الأساسية فى هذا الكتاب السخيف الذى أحدث رنينا هائلا فى البيئات العلمية فى أوربا ، لأنه كان الأول من نوعه ، ولأنه لم ينبر الى الآن أحد من المسلمين للرد عليه بحجج قيمة ؟

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

من أرتج عليه الكلام فأبدع

أراد خالد بن عبد الله القسرى أن يخطب يوما فأرتج عليه ، فقال للناس :

« إن هذا الكلام يجىء أحيانا ، وربما كوبر فأبى ، وعولج فنبا ، والتأنى لمجيئه خير من التعاطى لأبيه ، وتركه عند تنكره ، أفضل من طلبه عند تعذره ، وقد يختلط من الجرىء جنانه ، وينقطع من الذرب لسانه ، وسأعود فأقول » .

نقول : لعل هذه العبارة على وجازتها خير من الخطبة التى كان يريد أن يدلى بها . ولو كان كل من أرتج عليه أتى فى اعتذاره بمثل هذا الابداع الخطابى لتمنينا أن يرتج على كل من يتصدى للقول رجاء سماع مثل هذا الاعتذار .

(أرشيف) مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الامام فخر الدين الرازى

وتفسير القرآن الكريم

تفسير القرآن الكريم فى عصور الاسلام المختلفة :

نزل القرآن الكريم وفيه آيات تحتاج لتفصيل ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يبينها للناس من تلقاء نفسه أو إجابة على سائليه عنها ، ووقف الأمر عند هذا الحد .

ولما توفى النبى صلى الله عليه وسلم ، كان كبار الصحابة يتولون تفسير القرآن ، وخاصة على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب ، وشرحوا فى كثير من الأحيان أسباب نزول الآية وفيمن نزلت .

ولما جاء التابعون قرروا كل ما ذكره الصحابة من الشرح ، وكان من التابعين أنفسهم من فسر بعض آيات القرآن أو ذكر سببا لنزولها ، إما اجتهادا أو سماعا ، وجاءت الطبقة التى تليهم وروت عنهم ما قالوا .

وفى عصر التابعين تضخم تفسير القرآن بالاسرائيليات والنصرانيات لكثرة من دخل منهم فى الاسلام حاملين معهم ما تلقوه من قصص الأنبياء ومن أنباء عالم الغيب ، ومن أشهرهم وهب بن منبه وعبد الله بن سلام وابن جريج ، فكانوا يروونها عن التوراة والانجيل وشروحها وحواشيها . فلم ير المسلمون بأسا من أن يرووها شرحا لآيات القرآن ، فكانت منبعا من منابع التضخم .

هذه التفسيرات لم تتخذ فى أول أمرها شكلا منظما ، بأن تذكر آيات القرآن مرتبة كترتيب المصحف ثم تتبع تفسيرها ، ذلك أن الحديث كان المادة التى تشمل جميع المعارف الدينية تقريبا ، فهو يشمل التفسير ، ويشمل التشريع ، ويشمل التاريخ ؛ وكانت كلها ممتزجة بعضها ببعض تمام الامتزاج . ثم أخذ المؤلفون فى آخر العصر الأموى وأول العصر العباسى يجمعون الأحاديث المتشابهة المتعلقة بموضوع واحد ويفصلونها عن غيرها ويرتبون أبوابها ، كما فعل مالك فى الموطأ ، فقد جمع أحاديث الأحكام ورتبها ، وكما فعل محمد بن اسحاق ، فقد جرّد الأحاديث المتعلقة بالسيرة وزاد عليها من أشعار قيلت ، وأخبار رويت ، وكوّن من ذلك السيرة النبوية ، وبذلك كان التفسير فرعا من فروع الحديث .

وجاءت الخطوة الثانية ، بأن اختص كل جماعة بتفسير عالم مصرهم ، فعنى المكيون برواية ما ورد من التفسير عن ابن عباس المكى ، كمجاهد وعِكْرمة وسعيد بن جبير ، وعنى التابعون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من الكوفيين برواية ما ورد عن ابن مسعود الكوفى ، كعلقمة بن قيس والأسود بن يزيد ، وابراهيم النخعى والشعبى ، وهكذا .

وكانت الخطوة الثالثة انفصال التفسير من الحديث وعده علما قائما بنفسه .

ويتضح جليا أن تفسير القرآن كان فى كل عصر من العصور متأثراً بالحركة العلمية فيه ، وصورة منعكسة لما فى العصر من آراء ونظريات علمية ومذاهب دينية .

فلو تتبعنا عن الصحابة والتابعين ما صدر من تفسير ، وجدنا أنهم كانوا يقتصرون فى تفسير الآية على توضيح المعنى اللغوى الذى فهموه من الآية بأخصر لفظ ، ولا نجد أثرا للاستنباط العلمى لحكم فقهى ، ولا انتصارا لمذهب دينى .

وعلى الجملة انقسمت كتب التفاسير فى أواخر العصر الأموى الى نوعين ، فمن العلماء من غلب عليه منهج المحدثين فاقتصر على ذكر المنقول ، ومنهم من غلب عليه منهج العقليين فشرح باجتهاده .

ولما دونت علوم اللغة والنحو والفقه ، وأثيرت مسائل الكلام ، وبحثت فى العصر العباسى ، أثرت فى علم التفسير أثرا كبيرا . فالنحويون أخذوا القرآن الكريم مادة من موادهم للتدليل على صحة قواعدهم ، فأعربوا القرآن إعرابا أعان على التفسير ، واللغويون وضعوا الكتب فى غريب القرآن كما فعل أبو عبيدة ، وعنى الفقهاء بآيات الأحكام يستنبطونها منه ، وألفوا فى ذلك الكتب . فكتاب أحكام القرآن (على مذهب مالك) ، وكتاب أحكام القرآن لأبى بكر الرازى (على مذهب أهل العراق) ، وكتاب أحكام القرآن للامام الشافعى ، وأحكام القرآن لداود بن على الظاهرى (الفهرست ص ٣٨)

وجاء المتكلمون ، وهم أظهر عنصر عقلى فى هذه الحركة العلمية ، وكانوا لا يميلون كثيرا الى المنقول ، وكانت لهم مذاهب فى التوحيد وصفات الله ، وأفعال العباد ، فتعرضوا لتأويل القرآن بهذه العقلية وهذه العقيدة . إلا أن هذه الطريقة التى سار على نهجها علماء الكلام لم ترض الذين يعتمدون فى التفسير على العقل ، ولم ترض فى الوقت نفسه أهل السنة ، فكان النزاع بين الطريقتين . فهاجمهم ابن قتيبة فى التفسير كما هاجمهم فى الحديث (انظر تأويل مختلف الحديث ص ٨٠) . وقد أدى النزاع الى أن المتكلمين قابلوا المعترضين على أسلوبهم فى التفسير بمثل هجومهم .

ويحدثنا الجاحظ فى كتابه الحيوان فى مواضع متفرقة مهاجمة اليهود والنصارى والملحدين آيات فى القرآن والاعتراض عليها من ناحية العقل ، ورد المعتزلة عليهم على طريقتهم . كما نرى فى كتابه ردودا واعتراضات وتشنيعات على بعض أقوال المفسرين الذين اكتفوا فى قولهم بالاعتماد على المنقول ولو خالف المعقول .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهذا النوع من التأويل هو الذى نما بعد، فكان منه تفسير الكشاف للزمخشرى، والفخر الرازى فى كتابه مفاتيح الغيب، المشتهر بالتفسير الكبير.

هذا تمهيد نجعله بين كلامنا عن إمام المفسرين فخر الدين الرازى.

ترجمة فخر الدين الرازى:

قال ابن خلكان: «هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على، التيمى، البكرى، الطبرستانى، الرازى المولد، الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعى». وفى إخبار العلماء بأخبار الحكماء «ولد بمدينة الرى سنة أربع وأربعين وخمسمائة. وقيل: ثلاث وأربعين، ونشأ فى بيت علم وأدب، فوالده الامام ضياء الدين عمر، خطيب الرى، كان على جانب عظيم من العلم، برع فى علم الأصول والمذهب، وأخذ عنه الكثيرون».

درس الرازى من العلوم والفنون ماعرف فى عصره، واشتغل فى مبدأ أمره بالفقه والأصول والتفسير على والده ضياء الدين صاحب محى السنة أبى محمد البغوى، ثم قصد الكمال السمعانى واختلف اليه مدة، ثم عاد الى الرى فألم بالطب، ونبغ فى الأدب، ونظم الشعر بالعربية والفارسية ووعظ بهما. وكان من أهل الدين والتصوف. ولما كانت نفس الرازى تواقة الى الاستزادة من العلم والمعرفة، دفعته الى طلب العلوم العقلية، ودراسة مذاهب المتكلمين والفلاسفة، فتردد على مجلس مجد الدين الجيلى وقرأ عليه علم الكلام والحكمة.

وفى أخبار الحكماء: أنه وقف على تصانيف أبى على بن سينا والفارابى واستمد من ذلك علما كثيرا. وفى وفيات الأعيان: أنه فاق أهل زمانه فى علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل. بدأ الرازى حياته العلمية فقيرا، فلما انتشر ذكره قصده الناس وهرعوا ليقتبسوا من علمه الغزير، فأثرى من هذا الباب. ويقص علينا صاحب شذرات الذهب: أن الرازى مات عن مال كثير. وجاء فى كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للامام الرازى، طبع لجنة الترجمة والتأليف والنشر: أن الامام كان ذا هيبة وجلال، عبل البدن، كبير اللحية، يتعاظم على الملوك فى عصر كان سلطان الملوك فيه عظيما، يسير وحوله إذا ركب نحو ثلاثمائة طالب، وكانوا أكثر الناس إجلالا له وتعظيما، فاذا جلس للتدريس أطاف به كبار تلاميذه: أمثال زين الدين الكشى والقطب المصرى وشهاب الدين النيسابورى، ثم يليهم بقية التلاميذ. فاذا سأل أحد شيئا أجابه كبار التلاميذ، فان استعصى الأمر، أجابه الامام نفسه. أما منطق الشيخ وقوة عارضته فى الجدل فقد وصفهما شرف الدين بن عنين:

ماتت به بدع تمادى عمرها ... دهرا، وكان ظلامها لا ينجلى
وعلا به الاسلام أرفع هضبة ... ورسا سواه فى الحضيض الأسفل
غلط امرؤ بأبى علىّ قاسه ... هيهات قصّر عن مداه أبو على

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لو أن رسطاليس يسمع لفظة   من لفظه لعرته هزة أفكل
ويحار بطليموس لو لاقاه من   برهانه فى كل شكل مشكل
ولو انهم جمعوا لديه تيقنوا   أن الفضيلة لم تكن للأول

حين نضجت مواهبه العلمية ، ترك الرى وذهب الى خوارزم ، وهناك ظهرت كفايته المنطقية فى جدال المعتزلة حتى عاد الكثيرون منهم الى مذهب أهل السنة والجماعة . وفى تلك الفترة أخرج الرازى كثيرا من الأسفار والرسائل فى علم الكلام والعقائد ، يناقش عقائد المخالفين ، ويتعرض لها فى أسلوب منطقى رائع ، بل نراه عارض الأئمة المتقدمين كالأشعرى وابن فورك والقاضى أبى بكر وإمام الحرمين فى بعض ما كانوا يعتقدون . إلا أن كثرة المجادلات الدينية استفزت مخالفيه ، فأخرج من خوارزم ، فقصد ما وراء النهر ، فحدث له هناك ما حدث له فى خوارزم ، فعاد الى الرى . وفى شذرات الذهب : أنه توجه الى شهاب الدين الغورى سلطان غزنة فحصلت له منه أموال طائلة ، ثم اتصل بالسلطان خوارزم شاه محمود ابن تكش وحظى عنده بالمقام السامى ، وتزوج وزيره علاء الملك بابنة فخر الدين . استقر الامام بخراسان ثم سار الى مدينة هراة ، وهنالك لقب الرازى بشيخ الاسلام ، وحضر مجلسه أرباب المذاهب والمقالات يسألونه وهو يجيب ، وكانت بينه وبين الكرامية أحاديث جدلية عنيفة يتهمهم بالالحاد ويتهمونه .

وفى الحادى والعشرين من المحرم سنة ست وستمائة ، أملى على تلميذه ابراهيم بن أبى بكر الاصفهانى وصيته التى تعتبر الغاية القصوى للمؤمنين الصادقين جاء فيها :

« اعلموا أنى كنت رجلا محبا للعلم ، فكنت أكتب فى كل شىء شيئا لا أقف على كمية ولا كيفية سواء كان حقا أو باطلا أو غثا أو سمينا ، إلا أن الذى نظرته فى الكتب المعتبرة لى : أن هذا العالم المحسوس تحت تدبير منزه عن مماثلة المتحيزات والأعراض ، وموصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة ؛ ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن الكريم ، لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ، ويمنع من التعمق فى إيراد المعارضات والمناقضات ، وما ذاك إلا العلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل فى تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية ، ولهذا أقول : كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته ، وبراءته عن الشركاء فى القدم ، والأزلية والتدبير والفاعلية ، فذاك هو الذى أقول به ، وألقى الله تعالى به ؛ وأما ما انتهى الأمر فيه الى الدقة والغموض ، فكل ما ورد فى القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المتبعين للمعنى الواحد ، فهو كما هو ؛ والذى لم يكن كذلك أقول : يا إله العالمين إنى أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ، فكل ما مر به قلمى أو خطر ببالى

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فأستشهد وأقول : إن علمت منى أنى ما سعيت إلا فى تقـديس اعتقدت أنه الحق وتصورت أنه الصـدق ، فلتكن رحمتك مع قصدى لا مع حاصلى ، فذاك جهد المقل ، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع فى زلة ، فأغثنى وارحمنى ، واستر زلتى ، وامح حوبتى ، يامن لا يزيد ملـكه عرفان العارفين ، ولا ينقص ملكه بخطأ المجرمين ؛ وأقول : دينى متابعة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وكتابى القرآن العظيم ، وتعويلى فى طلب الدين عليهما » .

وفى آخر الوصية يوصى أولاده وتلاميذه أن يبالغوا فى إخفاء موته ولا يخبروا به أحدا . وفى يوم الاثنين أول شوال من تلك السنة ، يوم عيد الفطر ، أسلم الروح بمدينة هراة ، ودفن آخر النهار فى الجبل المصاقب لقرية مزداخان . ويروى القفطى أنه توفى فى ذى الحجـة سنة ست وستمائة — ١٢٠٩ م .

موقف الامام الرازى من التصوف الاسلامى :

ضمّن الرازى رسالته فى الفرق على صغر حجمها أغلب الفرق الاسلامية ، وكثيرا من فرق اليهود والمجوس والنصارى ، وأفرد فصلا خاصا لأحـوال الفلاسفة ، وذكر فرق الصوفية ، وهو الوحيد كما قال هو نفسه الذى عد الصوفية فرقة ، حيث لم يهتم المؤلفون بتمييز مذهب الصوفية باعتباره مذهب فرقة مستقلة . هـذا النقص لاحظه الامام فخر الدين الرازى ، لأن الصوفية تمتاز بشىء فى الأصول تختلف فيه عن بقية الفرق الاسلامية . فأهل السنة والجماعة يرون أن الطريق لمعرفة الله هـو السمع ، وفرقة المعتزلة وبعض الفرق الأخرى ترى أن ذلك الطريق هو العقل ، أما الصوفية فترى أن الطريق لمعرفة الله هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية للوصول الى مرتبة الـكشف .

ولم يذكر من مؤرخى حياة الفخر الرازى هذه الرسالة فيما ذكروه من مصنفات الرازى سوى صاحب طبقات الأطباء ، وصاحب شذرات الذهب ، باسم الملل والنحل ، وذكرت فى أخبار الحكماء باسم : الرياض المونقة فى الملل والنحل . وذكرت فى كتاب كشف الظنون ، وذكرها بروكلمـان بعنوان كتاب اعتقاد المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازى .

الذى يهمنا من هذه الرسالة ما أفرده الامام الرازى خاصا بالصوفية ننقله فيما يلى معتمدين على نسخة مكتبة تيمور باشا وعلى نسخة مكتبة برلين :

« اعلم أن أكثر من حصر فرق الأمة لم يذكر الصوفية ، وذلك خطأ ، لأن حاصل قول الصوفية أن الطريق الى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية ، وهذا طريق حسن ، وهم فرق :

« الأولى : أصحاب العادات ، وهم قـوم منتهى أمرهم وغايته تزيين الظاهر كلبس الخرقة وتسوية السجادة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« الثانية : أصحاب العبادات ، وهم قوم يشتغلون بالزهد والعبادة مع ترك سائر الأشغال .

« الثالثة : أصحاب الحقيقة ، وهم قـوم إذا فرغوا من أداء الفرائض لم يشتغلوا بنوافل العبادات ، بل بالفكر وتجريد النفس عن العلائق الجسمانية ، وهم يجتهدون أن لا يخلو سرهم وبالهم عن ذكر الله ، وهؤلاء خير فرق الآدميين .

« الرابعة : النورية ، وهم طائفة يقولون : إن الحجاب حجابان : نورى و نارى ، أماالنورى فالاشتغال باكتساب الصفات المحمودة ، كالتوكل والشوق والتسليم والمراقبة والأنس والوحدة والحالة ؛ وأما النارى فالاشتغال بالشهوة والغضب والحرص والأمل ، لأن هذه صفات نارية ، كما أن إبليس لما كان ناريا فلا جرم وقع فى الحسد .

« الخامسة : الحلولية ، وهم طائفة من هؤلاء القوم الذين ذكرناهم يرون فى أنفسهم أحوالا عجيبة ، وليس لهم من العلوم العقلية نصيب وافر ، فيتوهمون أنه قـد حصل لهم الحلول أو الاتحاد ، فيدعون دعاوى عظيمة . وأول من أظهر هذه المقالة فى الاسلام الروافض ، فانهم ادعوا الحلول فى حق أئمتهم .

« السادسة : المباحية ، وهو قوم يحفظون طامات لا أصل لها ، وتلبيسات فى الحقيقة ، وهم يدعون محبة الله تعالى ، وليس لهم نصيب فى شيء من الحقائق ، بل يخالفون الشريعة ويقولون : إن الحبيب رفع عنا التكليف . وهؤلاء شر الطوائف ، وهم على الحقيقة على دين مزدك .

وقد نظم فخر الدين الرازى أشعارا تغلب عليها النزعة الصوفية كقوله :

نهاية إقـدام العقول عقـال ... وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيـانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال ، فزالوا ، والجبال جبال

وله أشعار فى هذا المعنى كثيرة يبدو فيها فى صورة المتصوف ، وقد زهد الحياة جميعها ، وعرف فناءها ، واستيقن انحلالها ، وتسامى إلى ما وراء هذه الحياة الدنيا من مثل عليا .

وقال فى كتابه الذى صنفه فى أقسام الذات : « ولقـد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلا ، ولا تروى غليلا ، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن ، اقرأ فى التنزيه : « والله الغنى وأنتم الفقراء » وقوله تعالى : « ليس كمثله شيء » و « قل هو الله أحد » ، واقرأ فى الاثبات : « الرحمن على العرش استوى » « يخافون ربهم من فوقهم » و « إليـه يصعد الكلم الطيب » ، واقرأ فى أن الكل من الله قوله : « قل كل من عند الله » . ثم أقول

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأقول من صميم القلب من داخل الروح : إنى مقر بأن كل ما هو الأكمل الأفضل الأعظم الأجل ، فهو لك ، وكل ما هو عيب ونقص فانت منزه عنه » .

موقف الرازى من تفسير القرآن الكريم :

فى وصية الامام الرازى التى أملاها على تلميذه ابراهيم الأصفهانى : أن العقل الانسانى يضمحل أمام عظمة الله تعالى ، ولا سبيل الى معرفة القرآن الكريم والوقوف على تفسيره إلا عن طريق الالهام والكشف الصوفى .

فالامام الرازى ، رغم ما كان ينتابه من حالة تصوفيه وإلهام من الله ، كان يستخدم فطرته القوية التكوين بجانب تفكيره التحليلى فى شرح الآيات البينات ، ويستعرض أسباب نزولها استعراضا هادئا ، ويفحص جزئياتها من جميع وجوهها ، مستندا فى تأييد رأيه على السنة ، وأقوال الأئمة والسلف الصالح ، ثم يعزز كل ذلك برأى صحيح وقياس مستقيم .

العقل يخذلنا فى تأمل عظمة الكون وضخامة مظاهره ، ولا يسعفنا فى تفهم دقائقه وصغائره ، ويصرح العلماء اليوم أن العلوم المضبوطة مثل الفلك والكيمياء والطبيعيات تعجز قوى العقل إذا تغلغل فيها .

ولقد عبر عن هذه الحالة العلامة « أرنست ماخ » بقوله : « عندما نوفق الى فهم ظاهرة من الظواهر الطبيعية ، فغاية ما نعمله هو أننا نلحق شيئا غير مألوف ولا مفهوم بشىء مألوف غير مفهوم » .

ويقول هنرى بوانكاريه وهو من أساطين العلوم الرياضية :

« لو كان للانسان عينان لهما قوة الميكرسكوب لما أمكنه استكشاف قوانين الطبيعة ، لأن هذه القوانين تتعالى أن تخضع للفحص البالغ منتهى الدقة » .

والقوانين الطبيعية الآن ليست فى نظر العلماء سوى احتمالات . ولقد كانت الفلسفة سابقة للعلم فى ذلك . فقد وضع الفيلسوف كانت فى نقد العقل حدا لسلطان العقل فى كل شىء ، وفى مذاهب نخت وشوبنهاور وشلبخ : العقل جانب جزئى من جوانب الحياة . ويمثل هذه الفلسفة أقوى تمثيل فى العصر الحديث برجسون ، فليس العقل عنده هو المهيمن على الوجود الانسانى ، والمعلومات الهامة مصدرها عنده الوجدان لا العقل .

وهكذا يظهر لنا أن العلوم الصحيحة والفلسفة وعلم النفس قد اضطرت جميعها الى ترك فكرة أن كل شىء فى الدنيا يمكن أن يفسر تفسيرا عقليا .

ولما كانت الأديان قائمة على قوة اليقين والاعتقاد ، وأن طبيعة الدين الاسلامى وكتاب الله سبحانه وتعالى تقوم على الاعتقاد بالوحدانية مع اكتساب تأييد العقل ، نرى أن الامام

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الرازى يعتمد الاعتماد كله فى هـذا الشأن فى تفسيره القرآن الـكريم على الالهام ، لأنه يخرج النفس من نطاق المادة الى عالم الروح والصفاء .

أطلّ الرازى من شرفة عقله الـكبير على خضم الحياة ، فلم يجرفه التيار ، بل ظل واقفا على الشاطئ يتأمل من تدافع أوجـه الحياة وتجاذبها ، ومن تجافيها وتنافرها ، فاستنتج أن العقل ضعيف فى فهم كنه الحياة ، ودفعه هذا الاستنتاج الى الرد على الماديين بهذا الـكلام .

لا زال الفلـكيون يقولون : إن العالم عبارة عن قانون الأجرام السماوية . ويقـول الـكيماويون : إن العالم هو الجوهر الفرد . ويقـول فلاسفة الطبيعة : إن الـكون عبارة عن سنن من القوة والطاقة . فهم مصيبون ولـكن بنسبة ما ، والى حد محدود . فإذا ما سألت هؤلاء : لماذا خصت المادة بسنن الجذب والدفع؟ ولماذا يكون لحركات الأجرام السماوية وتجاذب ماديتها يد فى نظام العالم؟ ولماذا تتكون المادة من جواهر فردة؟ ما وجد هؤلاء من جواب أروح عليهم وأخرج بهم من هذا الضيق العقلى إلا القول بأنها كذلك سبقت فى إرادة الله .

بجانب نظريات النقد التى وضعها الرازى ، وبجانب النظر العلمى الذى امتاز به هذا الامام الاسلامى ، نراه يتساءل : فى أى ناحية من التجارب يكون هذا العالم ؟ أجاب بأن هذا العالم ما هو إلا عالم الالهام والوحى الباطن ، وأن الحياة الباطنية تثبت تفوقها على الحياة الظاهرية .

على هذا الأساس قامت فلسفة الامام الرازى فى تفسيره لـكلام الله ، حيث شرح الله صدره ويسر أمره .؟

عبد الحميد سامى بيومى

وصف فطاحل الكتاب

قال ابن المقفع : الملوك أحوج الى الـكتاب من الـكتاب الى الملوك .

وقال شاعر :

قوم إذا أخذوا الأقلام عن غضب ... ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا ... ما لا ينال بحـد المشرفيات

نقول : اغتر بعض الـكتاب بمثل هذا الـكلام تخيل إليهم أن منازلة أعاديهم تكون بقذفهم بحمم من هجر القول ، وساقط السباب ، وما دروا أن هذا السلاح يرتد إليهم فيرديهم ، فإنه متى اشتهر أن كاتبا يتذرع لقمع خصومه بهذه الوسيلة الخسيسة ، اعتبر هجاء مفحشا ، وسقطت الثقة به الى الحضيض ، وعد كلامه هراء يمده به طبع دنىء ، ونفس شريرة . وإنما يحمد قراع الخصوم بالـكتابة إن كانت تفنيدا لمذاهبهم بعلم ، أو نقدا لآرائهم بحكمة ، مع استشعار الرحمة بهم ، والحدب عليهم ، وجذبهم الى ناحيته بالتى هى أحسن .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رمضان شهر الصيام

نحن اليوم فى مستهل رمضان ، وهو الشهر الذى أُمرنا أن نقوم فيه بفريضة الصيام ، وهى أحد أركان الاسلام الخمسة .

والصيام ، كما يدل عليه اسمه وكما فهمه الذين فرض عليهم : رياضة دينية ، لا متعة بدنية ، وهى ككل العبادات الاسلامية ، قصد بها رفع الانسان عن حضيض الحيوانية ، الى المستوى الذى يليق بمواهبه الأدبية . فكل ما يبطل هذه الثمرة المرجوة منه ، أو ينقص منها ، يعتبر عملا معاكسا للمرامى التى قصدت من إيجابه .

ونحن إذا رجعنا الى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه ، تحققنا أنهم كانوا يعتبرون رمضان شهر إمساك عن الفضول من جميع الضروب ، ومهلة تَطَهر وتنزه عن جميع الكدور الجسدية والنفسية .

لعل قائلا يقول : ما للدين وأمر التغذى ، وهو وضع طبيعى ، القصد منه إمداد البدن بما يحتاج اليه من المواد التى تدثر فيه بسبب الجهود التى يبذلها فى المحاولات المختلفة ؟

نقول : إن حكمة تدخل الاسلام فى أمر التغذى ، أن الجسم والروح مترابطان فى هذه الحياة ، والروح جوهر كريم لا تكدره الأعراض ، ولكنه مودع فى هذا الغلاف المادى ، وهو الجثمان ، لا يسمح له أن يتصل بالوجود إلا من خلال الحواس التى جعلت فيه ، ولا أن يدرك منه ما يدركه إلا بواسطة المادة المخية ، التى جعلت أداة للإدراك . ولما كان هذا الجثمان مخلوقا من التراب فهو عرضة لكل ما يعتور الأجساد المادية من الآثار ، وأشد ما يصيبها منها ما ينصبّ عليها من ناحية الغذاء . لذلك كانت حاجة الانسان ماسة الى تعهد جسده بالمطهرات والمزكيات ، وليس منها ما هو أفعل فيه من الصيام ، وتدبير ما يحتاج اليه من الطعام .

نعم الصيام ، أما سمعت أنه قد تقرر علميا أن الأجساد البشرية متى لم يراع فى تغذيتها الاعتدال ، وتخيّر ما يناسبها من المواد ، فسدت أعضاؤها ، واستدت أوعيتها ، وتصلبت شرايينها ، وتضخمت أجهزتها ، باكتسائها بالمواد الشحمية ، وشحن دمها بالمواد الأجنبية عن البنية ، وترسبت على جدران خلاياها ، وسببت لها أعراضا ثقيلة من الألم ، والإعياء ، والترهل ، وضعف الذاكرة ، وضلال المشاعر ، وعدم الاحتمال ؛ وتعدت هذه المواطن المادية الى الصفات الأدبية فضيقت الخلق ، وولدت الضجر ، وسببت المالنخوليا والحمق ، وأغرقت فأحدثت اليأس ، وقد تسوق الى الانتحار ؟

رأى العلماء أن الانسان متى وصل الى هذه الحالة أو بعضها ، كان أحوج ما يكون اليه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الامساك عن الطعام أياما متوالية ، بل أسابيع ، لتزايل أعضاءه هذه المواد الدخيلة . لأنه إذا لم يعامل علله هذه بالامساك عن الطعام ، كان ما يتناوله من الطعام مدعاة لبقاء تلك المواد فيه ، فلا يشفى مما يشعر به ، ولو تعاطى كل عقاقير العالم ، بل هى تزيده خبالا على ماالديه من الخبال (١)

نعم إن السواد الأعظم لا يصلون الى هـذه الدركة من الانحطاط البـدنى ، ولـكنهم لا يخلون قط من الأمراض والأعراض التى تسببها لهم الأغذية ، فهم فى حاجة ماسة الى الصيام وتدبير الغذاء .

وقد شرع الاسلام هذا الصيام لهذا الغرض ، فهو رياضة جسدية ، يقصد بها تطهيره من المتخلفات الغذائية ، التى رانت على أعضائه الباطنة ، فسببت لها أعراضا ثقيلة يشعر بها ولا يعرف لها علة ، وتقوم حجابا بين روحه وما أُعدت له من الإشراقات العلوية ، وهذا أكبر حرمان تمنى به الحياة الانسانية ، التى خلقت لتحقق موعود الله من الترقيات الصورية والمعنوية .

الصيام فى الاسلام وإن لم يـكن إمساكا مطلقا عن الطعام أياما متوالية ، كما ينصح به العلم فى الأحوال الثقيلة ، فإنه يهيئ للبنية فترة طويلة من خلاء المعدة ، تتمكن فيها حركة الحياة من تصريف جزء من المتخلفات الضارة للأغذية ، وبتوالى هذا الامساك ثلاثين يوما متوالية ، يتخلص الجثمان من جزء عظيم من تلك المتخلفات فيشعر بحياة جديدة .

هذا بشرط أن لا يُعـَقب هذا الامساك الطويل عن الطعام كل يوم بأكلتين ضخمتين يفتنّ فى تنويع ألوانها ، ما يشاؤه له النهم الذى اعتاده فى حياته العادية ، فيصبح الصيام عليه شرا وبيلا ، ولا يجنى منه ما يرجى أن يجنيه من الفوائد المادية والمعنوية .

نعم إن الناس اعتادوا متى جاعوا أن يتشهوا ضروب الأطعمة ، من العجينيات والحلوى والبقول والمتبلات والمخللات ، وأن يندفعوا فى التهامها متى غربت الشمس التهام من لا يحسب لتبعات الأغذية حسابا ، حتى إذا انتهوا من الأكل أدركهم من الثقل ، وتراخى الأعضاء ، وخمود العـقل ما يدرك المفرطين ، وكان يجب أن يدركهم نقيض هـذه الأحوال ، من نشاط الجسم والعقل ، وانبساط النفس . وبالإدمان على هـذه الحالة ثلاثين يوما متوالية يخرج الصائمون وهم فى حاجة الى اللجوء الى المستشفيات ، وكثير منهم يصاب بأمراض عضالة لم يكونوا يشعرون بها من قبل .

ونحن لأجل أن نبين للقارئ ما يجره النهم ، والجهل بدستور التغذى على الصحة ، وما يجلبه من الويلات على الحياة ، نبين فى اختصار ما لا يسع إنسانا جهله من فلسفة التغذى فنقول :

المواد المائعة والجامدة التى يتناولها الانسان فى غذائه ، لا تخرج فى تركيبها عن كونها إما

(١) الخبال لغة : الفساد يكون فى الافعال والابدان والعقول . وهو أيضا : النقصان والهلاك والسم القاتل .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مركبة من ثلاثة عناصر : (الأوكسيجين والايدروجين والكربون) ، وإما من أربعة عناصر : (الأوكسيجين والايدروجين والكربون والأزوت) .

الطائفة الأولى من هذه الأغذية : تدعى المواد الاحتراقية ، ومهمتها أن تحترق فى خلايا الجسم فتؤتيه بالحرارة الغريزية وبالقوة الضرورية ، وهى كالمواد الدهنية والسكرية والنشا ومح البيض .

والطائفة الثانية من الأغذية : تدعى المواد الأزوتية أو الزلالية أو البروتينية ، وفائدتها إيتاء الجسم بخلايا جديدة بدل الخلايا التى تدثر منه بالجهود اليومية ، وهى مثل زلال البيض والجبن واللبن والفول والعدس وما اليها .

إذا علم الانسان ذلك ، وجب عليه أن يعلم بجانبه أن البنية الانسانية تحتاج الى مقدار (معين) من كل منها لا الى أكثر منه ، وأن كل زيادة عن الحد المقرر يلقى بها الانسان الى معدته تستحيل الى مادة سمية تتسرب الى الدم فتسمم الأعضاء وتفسدها .

هنا يصطدم علم التغذى وعقيدة العامة اصطداما مروعا ، يصرع فيه عدد لا يحصى من الناس كل يوم . ذلك أنهم يزعمون أن التغذى ما دام يؤتى الجسم بالمواد الضرورية له ، ويولد له القوة ، فالاكثار منه يزيد فى تلك القوة ؛ على حين أن العلم يقرر أن كل زيادة عن الحاجة فى التغذى تضعف الجسم وتوقعه فى شر عظيم .

ولكن للعلم هنا فى موضوع هذه الزيادة تفصيل : ذلك أنها لو كانت من المواد الثلاثية العناصر ، لم تحدث تسمما ولكنها تحدث تشحما ، فيتضخم الجثمان ، وتكتسى أعضاؤه الباطنة بطبقات كثيفة من الدهن فلا تكاد تؤدى وظائفها إلا ببذل جهد كبير . وهذا الجهد يشعر به صاحبها فيتعب من أقل حركة ، ويعتريه البُهْر ، وخفقان القلب ، وضيق النفس ، ولا يعود الى راحة نسبية إلا بعد مرور وقت يمضيه فى الهدوء .

وأشد ما يصيب هذه الأعضاء يقع على القلب ، وهو أشرف عضو فى الانسان ، دائم الحركة لو وقف بطلت بوقوفه الحياة ؛ فتخيلْ عضوا هذه مكانته ، يضطر للحركة فى أغلفة متراكبة من الشحم أحاطت به من جميع الجهات ، فتراه يجاهد مجاهدة المستبسل ليؤدى وظيفته بكل مشقة ، وصاحبه غافل عن هذا الأمر الجلل ينظر الى بدانته فيفرح بها ، ويسجل بالفخر كل رطل يزيد على وزنه ، ويتجاهل أنه تحت إصر هذه البدانة أصبح عاجزا : لا يستطيع أن يقاوم عاديا ، ولا أن يرفع ثقلا ، ولا أن يصعد سلما عاليا ، ولا أن يسرع الخطى فى مهم ؛ فمثل هذه الحالة يجب أن تعتبر عجزا ، وهى فى الرجال أقبح منها فى النساء ، فمن بلى بها فليبادر بالتخلص منها بالصيام الصحيح ، والاقلال من المواد الثلاثية العناصر .

أما الزيادة من المواد الرباعية العناصر ، فهو يؤدى الى التسمم لا محالة ، لأن الزائد من هذه المواد يستحيل الى بولينا ، وهذه البولينا إذا أضيفت إليها ذرة واحدة من الأوكسيجين

جروب المجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

استحالت الى حمض بوليك ، وهو سم قاتل لا يجوز أن يبقى فى الدم بحال . وهو يخرج بالمعالجة الحكيمة ، بشرط أن يقطع عن البنية المدد الوارد اليها من الخارج ، وذلك يكون بالاقتصار على ما هو ضرورى لها من تلك المواد .

وقد بحث العلماء فى المقدار الواجب تعاطيه منها ، فقدر أولا بنحو ١٥٠ غراما كل يوم ، ثم تبين أن هـذا القدر كبير ، فأسقط الى ١٠٠ غرام ، ثم الى ٨٠ ، ثم رئى أخيرا أنه يكفى أن تكون ٢٥ غراما . وممن عنى بهذا التقدير من كبار العلماء الدكتور هند هيد الدانمركى ، وقـد سلك فيه طريق التجربة ، فكان يختار رجالا من الذين يعملون بأجسادهم أعمالا عنيفة ، ويكيل لهم الأطعمة ويزنها بحيث لا يجاوز مقدار ما يستخرج منها من المواد الرباعية العناصر ٢٠ أو ٢٥ غراما ، فرأى أن هذا القدر قد كفاهم ، واستدل على ذلك ، بعد تجربة عام كامل ، بجودة صحتهم ، وقـدرتهم على الاستمرار على العمل بدون كلل ، وانتهى من تجاربه بالنتائج الآتية :

(أولا) أن المادة الزلالية الموجودة فى الأغذية النباتية أفضل من المادة الزلالية الموجودة فى الأغذية الحيوانية .

(ثانيا) أن الأغذية التى تقل فيها المادة الزلالية تزيد فى قدرة الجسم على احتمال المشاق .

(ثالثا) أن عـدد الوفيات بأمراض الكبد والكليتين والأمعاء يبلغ بين سكان المدن نحو أربعة أضعاف ما يبلغه بين الفلاحين الذين معظم طعامهم من الخبز والبطاطس والمـواد الدهنية .

وقال : إن العرب الذين يكتفون فى طعامهم بالخبز والتمر فيهم من صلابة العود ، وشدة الصبر على التعب ما يدهش الأوربيين . وإن جراية جنود السخ من الهنود ، وهم من أشد جنود الدنيا ، لا يجاوز فى اليوم كأسين من اللبن و ٢٥ أوقية من الخبز (أى نحو نصف أقـة) ، وأوقيتين من الزبد (وهما يساويان نحو ٢٥ درهما) ، وأربع أواق من الفاصولياء (أى نحو ٥٠ درهما) وخمس أواق ونصف من البطاطس (أى نحو ٦٢ درهما) ، وهم لا يأكلون اللحم إلا مرتين أو ثلاثا فى الشهر .

وقد امتحن علماء آخرون النتائج التى وصل اليها العالم الدانمركى ، نخص بالذكر منهم الأستاذ تشتندن الانجليزى ، وأجرى هذه التجارب على نفسه وعلى غيره فاقتنع بصحة ما ذهب اليه الدكتور هند هيد .

هذا رأى العلم فى مقادير الأغذية الضرورية للانسان العادى .

وقد ذكرنا البدانة وضررها ، وعزوناها الى الاكثار من تعاطى المواد الثلاثية العناصر ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ونستدرك هنا على ذلك بقولنا : إن من الناس من يفرط فى الأكل الى حد التخم ، وهو نحيل الجسم . وقال الدكتور جاستون دورفيل فى كتابه صناعة إطالة الحياة :

« إن جميع المفرطين فى الأكل ليسوا ممتلئين شحما ، فمنهم من يكونون على العكس نحاف الأجسام ، ولكن القسمان يستويان فى الهلاك بسرعة ، وإن جهل كل منهما ما يؤديه اليه سم الأغذية من سوء المصير .

ثم قال :

« من الناس من يفرط فى الأكل ولا يصيبه أذى ، بل تظهر عليه دلائل الصحة الكاملة ، فترى وجهه موردا ، ومحياه مشرقا ، فيعيش السنين الطوال لا يشتكى أقل وجع ، ثم لا يلبث أن تسمع بأنه قد مات وهو فى عنفوان القوة ، فتدهش لذلك ولا موجب للدهش ، فإن هذا الأكول لم يكن فى جسده مراقب عتيد يعاقبه على كل إفراط وتفريط ، فتمادى فى شأنه فتراكمت عليه السموم فقتلته ولا كرامة »

وبعد :

فنحن اليوم نؤدى فريضة الصيام ، وقد جعله الله وسيلة لتزكية أجسامنا وعقولنا وقلوبنا من طريق الامساك عن الأطعمة التى تهلكنا على النحو الذى بينته فى هذه العجالة . فان احتال محتال على الابقاء على العادة السيئة التى تسربت الى المسلمين ، فقلبت شهر الرياضة والنزاهة الى شهر نهم وقصف (١) ، فزعم أننا أمرنا بالامساك عن الطعام ساعات معينة ولم نؤمر بما يعدو ذلك من الاقلال منه . . . . قلنا له : إن الاعتدال فى الطعام ، وتحرى القدر الضرورى منه لحفظ الحياة ، وعدم تعدى ذلك الحد الى الاسراف ، أمر مأمور به فى الاسلام فى الشهور العادية ، فوجوبه فى شهر العبادة ألزم . ألم يقل الله تعالى : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ؟

أولم يقل النبى صلى الله عليه وسلم : « حسب أحدكم من الطعام لقيمات يقمن صلبه » ؟ أولم يقل أيضا : « ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » ؟ أفكان الله ورسوله يأمراننا بالاعتدال فى الطعام فى الأيام العادية ، ويبيحان لنا الاسراف فيه فى شهر النسك والعبادة ؟

فلننتهز هذه الفرصة السانحة لنا فى هذا الشهر الكريم ونقفو أثر النبى صلى الله عليه وسلم ، وأثر أصحابه ، لنصل الى بعض ما وصلوا اليه من كرامة الحياة ، وعزة الوجود ، وشرف البقاء ، والله ولى المحسنين ؟

محمد فريد وجدى

(١) القصف : اللهو واللعب والتوسع فى الطعام والشراب .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العدة

هل التشريع الاسلامى مأخوذ من التشريع الرومانى ؟

مما لا ريب فيه أن الزواج ضرورة من ضرورات الحياة كضرورة القوت والماء لبقاء النوع الانسانى ، فقد قضت حكمته جل وعلا ، أن يقسم النوع الانسانى الى جنسين : الذكر والأنثى ، وكذلك أن يقسم النوع الحيوانى بله النباتات . ولكن مهما طال أمد هذا الاقتران فإن هذه الروابط تضمحل وتتلاشى فى بعض الأحيان بصورة طبيعية « كالموت » ، أوقد تتطور الحياة وتتنافر الأمزجة والعادات فتقع الفرقة « كالطلاق » .

إذن منذ أن بدأت الخليقة فالزواج والطلاق يتكرران على كر الأيام . ولقد أدرك الانسان الأول ، والأقوام الابتدائية ، أن تفكك عرا الزواج فى لحظة واحدة ، واسترداد كل من الزوجين حرية كاملة غير منقوصة ، مخالف كل المخالفة لعواطف الانسان وطبيعته وجبلته ، وبذلك يمكننا أن نحكم بأن العدة كانت منذ بدء الخليقة معروفة عند الجميع .

ويمكن تعريف العدة لغة : « الاحصاء » ، وشرعا : « تربص يلزم المرأة عند زوال النكاح أو شبهه » . وهى تسمى عند الرومانيين "Le temps lugendi" Le temps de pleurer أى « مدة البكاء » ، وعند الافرنسيين "delai de viduité" « أى مدة الاستبراء » .

وبعد هذه المقدمة القصيرة سأحصر بحثى فى تطور العـدة خلال القرون الغابرة ، ولذا سأطرق الأمور الآتية : (١) العدة فى التشريع الرومانى . (٢) العدة فى القرون الوسطى . (٣) العدة بعد الثورة الافرنسية وقبل سنة ١٩٢٢ (٤) العدة فى فرانسا بعد سنة ١٩٢٢ (٥) العدة فى التشريع الاسلامى . (٦) الخاتمة .

(١) العدة فى التشريع الرومانى :

إن التشريع الذى سنه « أوغست » كان يحبذ كثيرا زواج المرأة بعد تلاشى زواجها الأول ، ولا يوجـد فى ذلك الحين إلا مانع واحـد يحول دون زواج المرأة التى مات عنها زوجها : وهو أن تنتظر مدة عشرة أشهر بعد موت زوجها ، وكانوا يطلقون على هذه المدة كما قلت : مدة البكاء " Le temps de pleurer " وكانت هذه المدة لا تشمل بطبيعة الحال المرأة المطلقة ، فالمرأة بعد طلاقها عند الرومانيين يمكنها أن تتزوج عقب طلاقها مباشرة .

(٢) العدة فى القرون الوسطى :

أما فى القرون الوسطى فقد كان السائد فى أوربا فى هذه المدة القانون الـكنسى ، وهو

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يسمح بعقد عقود متتابعة دون تحديد ، ولكن الكنيسة كانت لا تنظر الى ذلك بعين الرضا لأنه يشف على عدم العفاف ، لكن المذهب المسمى كاثارس "Cathares" (١) الذى انتشر فى فرنسا فى القرن الحادى عشر ـ وأشياعه معتبرون كملحدين ـ ذهب الى أن كلا من المرأة والرجل الذى يتزوج بعد موت أحد الزوجين يرتكب جريمة الزنا أو جريمة « جمع المرأة بين زوجين أو الرجل بين زوجتين » .

ولقد حملهم على القول بهذا الرأى ما كانوا يعتقدونه من خلود النفس وعدم انتهاء الروابط الزوجية بعد الموت . فالتشريع الكنسى منذ نهاية الحكم فى الأمبراطورية الرومانية Bas Empire رفع مدة العدة الى اثنى عشر شهرا ، مع أنه من المقرر فى ذلك الزمن أن أقصى مدة الحمل كانت عشرة أشهر ، وأصبحت العدة منذ ذلك الوقت تشمل المرأة المطلقة وتشمل المرأة التى مات عنها زوجها . ويمكن تعليل ذلك بأنهم كانوا لا يودون تشجيع المرأة على الزواج عقب انتهاء زواجها الأول ، حتى إن جستنيان سن فى سنة ٥٣٦ م قانونا قرر به صحة الشرط الذى يوصى به رجل فى وصيته الى امرأة مطلقة مات عنها زوجها على شريطة أن لا تتزوج قط ، مع أن هذا الشرط قبل هذا التاريخ كان يعد باطلا ولا يعمل به .

(٣) العدة بعد الثورة الافرنسية وقبل سنة ١٩٢٢ :

إن المادة (٢٢٨) من القانون المدنى الافرنسى Code Civil تمنع المرأة عن عقد زواج جديد قبل مضى عشرة أشهر على موت الزوج الأول .

والمادة (٢٩٦) تقرر المنع نفسه ، والمدة على المرأة المطلقة . ويمكن أن يلحق بذلك بطريق القياس — لاتحاد العلة — حالة فسخ النكاح ، والنكاح المسمى عندهم « بالنكاح الموهوم » Mariage putatif .

أما الداعى لهذا المنع فهو ليس من نوع الحزن الجبرى Deuil obligatoire وإلا كان يجب أن يحال بين الرجل وبين زواجه قبل مضى عشرة أشهر عن موت زوجته أو طلاقها ، ولوجب أن تشمل العدة والحالة هذه الجنسين . ولكن الداعى لذلك هو تجنب اختلاط الأنساب "La Confusion de part" . فاذا تم الزواج دون أن تراعى المرأة مدة العدة فان الحاكم الافرنسى لا يحكم ببطلان العقد ، لأن الضرر الناجم عن ذلك كما قال مسيو « بلانيول » قد وقع ولا يمكن تلافيه أو إصلاحه ، فلا فائدة من بطلان العقد .

وإنما اختير مدة عشرة أشهر لأنه من المقرر فى القانون الافرنسى أن أقصى مدة الحمل هى عشرة أشهر ، فى بحر هذه المدة يعلم بصورة يقينية هل المرأة حامل أولا .

---

(١) [illegible] المدنى تاليف العلامة الافرنسى الشهير « بلانيول » الجزء الاول ص (٣٦٥)

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

أما مبدأ العشرة الأشهر فهى فى الطلاق بعـد تسجيل حكم الطلاق . فاذاً يجب على المرأة الافرنسية أن تتربص طوال مدة المحاكمة ، لأن الطلاق عنـدهم لا يكون إلا بواسطة حـكم المحـكمة ، وهو يتطلب مدة طويلة : عدة سنين على الأقل ، ثم بعد صدور الحـكم يجب أن تنتظر تسجيل الحـكم ، وبعد تسجيله عليها أن تنتظر عشرة أشهر .

(٤) العدة فى فرنسا بعد سنة ١٩٢٢ :

إن الحـكومة الافرنسية أدركت أن هذه المدة مجحفة ولا تتفق مع الحـكمة التى شرعت العدة لأجلها وهى عدم اختلاط الأنساب . ولما رأت أيضاً أن هذه المدة لا تتمشى مع سياستها التى ترمى الى تشجيع النكاح وإكثار النسل ، الذى تحتال على إكثاره جميع الدول بشتى الوسائل والقوانين ، لأنها تخيلت أن الحـق للقوة ، وأن القوة هى للـكثرة ، ولهذا كله رأت عليها لزاماً أن تخفض هـذه المدة : فجعلت مدة العشرة الأشهر فى حالة الطـلاق تبتدئ من يوم حـكم الحاكم للزوجة - أى قبل الطلاق - بمغادرة منزل زوجها . وبذلك تنتهى عدتها يوم نطق المحـكمة للطلاق ، لأن المحاكمة تستغرق كما قلت وقتاً طويلا ، وكذلك القانون الصادر فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩٢٢ جعل عدة المرأة الحامل التى مات عنها زوجها تنتهى « كما فى الشريعة الاسلامية » بوضع الحمل .

وكذلك أعطى هذا القانون حقاً لرئيس المحـكمة فى تقصير هذه المدة إذا ثبت له أن الزوج لم يقطن مع المرأة منذ (٣٠٠) يوم .

(٥) العدة فى الشريعة الاسلامية :

إن الحـكمة الموجبة للعـدة فى الشريعة الاسلامية هى كما فى القانون المدنى الافرنسى : عـدم اختلاط الأنساب ، ومعرفة استبراء الرحم . ولـكن ليس المعتبر عندنا فى تقدير مدتها مدة الحمـل - كما فى التشاريع السابقة - بل المعتبر عندنا فيها هـو الحيض لاستحالة اجتماع حمل وحيض . ولذلك يمـكننا أن نحـكم أن الشريعة الاسلامية لا تمنع زواج المرأة بعد انتهاء زواجها الأول ، على عكس أكثر الشرائع السابقة . والدليـل على ذلك تحديدها مدة قصيرة ومعقولة جداً ، ومتفقة كل الاتفاق مع الحـكمة الموضوعة لها .

(ا) فعدة الحرة المدخول بها التى تحيض ، للطلاق أو الفسخ أو الرفع : ثلاثة قروء أو حيض لقوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » .

(ب) وعدة التى لا تحيض لـكبر أو صغر أو بلغت بالسن ولم تحض : هى ثلاثة أشهر ، لقوله تعالى فى محكم كتابه : « واللائى يئسن من المحيض من نسائـكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر ، واللائى لم يحضن » .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

(ج) وعدة الحرة للموت فى نكاح صحيح : أربعة أشهر وعشرة أيام ، لقوله تعالى : « يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » . وفى هذا دلالة على أن الأصل فى العدة الحيض ، وأن الشهور بدل عنها ، حيث جعل الأشهر عدة بشرط عدم الحيض ، على حد قوله : « فلم تجدوا ماء فتيمموا » . أما عدة الأمة فحيضتان ، وفى الموت وعدم الحيض فنصف ما للحرة (لأن الرق منصِّف) .

(د) وعدة الحامل وضع الحمل مطلقا ، حتى وإن كان الموضوع سقطا استبان بعض خلقه ، لقوله تعالى : « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » ، ولقول عمر رضى الله عنه : « لو وضعت وزوجها على سريره لانقضت عدتها وحل لها أن تتزوج » .

(هـ) وعدة من طلقت فى مرض موت رجعيا : كعدة الزوجة ، وأما إن كان طلاقها بائنا فانها تعتد بأبعد الأجلين . أما فى حالة الطلاق قبل الدخول فلا عدة أصلا ، لقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا » .

(و) وعدة الذمية أو الكتابية إذا طلقها أو مات عنها ذمى إذا اعتقدوا عدم وجوب الاعتداد وأراد أن يتزوجها مسلم فعدتها حيضة واحدة تستبرىء بها .

(٦) الخاتمة : لقد رأينا كيف تطورت مدة العدة ، وكيف تغيرت الحكمة الموجبة لها منذ آلاف السنين . ويمكننى أن أستنتج من هذا البحث وهذا التحليل أن التشريع الرومانى والتشريع الافرنسى هما من صنع الانسان ووضعه ، فالحاكم أو القاضى أو المجالس النيابية ومجالس الشيوخ يسنون القوانين التى تتطلبها الحالة الاجتماعية حسب مبادىء وعادات قد تتطور مع تطور الأجيال . أما التشريع الاسلامى فهو من صنيع الخالق عز وجل ، نزل مرة واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان مثلا أعلى للتشريع Droit naturel لا تعتوره الأيدى ، ويصلح لكل زمان ومكان . وفى هذا البحث دليل قاطع ورد مفحم وحجة دامغة على من يدعى أن التشريع الاسلامى منقول ومأخوذ عن الرومانيين ، لأنه اتضح لك جليا من هذا المثال كالشمس فى رائعة النهار أن القانون الافرنسى بعد تعديله وتشذيبه وتنقيحه فى خلال هذه العصور ، لم يصل بعد الى مستوى شريعتنا ، كمسألة عدة الحامل والطلاق قبل الدخول وغيرهما ، إلا منذ سبع عشرة سنة .

فهل من الصواب والرشاد أن يقال : إن العدة عندنا منقولة عن التشريع الرومانى ، مع أن الحكمة التى حملت على العدة عندهم هى حزن المرأة على الرجل فى حالة الموت ، مع أنها عندنا هى تجنب اختلاط الأنساب واستبراء الرحم ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أم هل من الصواب والرشاد أن يدس ذلك على شريعتنا، والعـدة واجبة عنـدنا فى حالة الطلاق وحالة الموت، مع أنها عندهم لا تجب إلا فى حالة الموت فقط ؟!

أو هل يصح أن يقال : إن العدة عندنا منقولة عن التشريع الرومانى مع أن مدتها عندهم كانت عشرة أشهر ثم حولت فى نهاية الأمبراطورية الرومانية الى اثنى عشر شهرا، مع أن مدتها عندنا تتراوح بين ثلاثة أشهر وأربعة أشهر وعشرة أيام ؟

هل يقبل المنطق والعقل السليم أن يقال : إن العدة عندنا منقولة عن الرومانيين مع أنهم كانوا يقدرونها بأقصى مدة الحمل - وهذا يوافق التشريع الافرنسى الى يومنا هذا - مع أن شريعتنا نهجت منهجا آخر وهو طريق الحيض فى التعرف عن استبراء الرحم ؟

أم هل يجوز أن يقال ذلك مع أنهم يوجبون العدة بالموت أو بالطلاق بعد العقد مباشرة مع أننا لا نوجبها إلا بعد الدخول ؟

وقصارى القول يمكننى أن أقول : إن التشريع الرومانى والتشريع الافرنسى بعد مضى آلاف السنين وتحويلهما وتطورهما وتحويرهما فى خلال هذه العصور، وبذل مجهود آلاف المشرعين وجهابذتهم وأساطينهم فى كل عصر من عصور التاريخ، لم يصلا بعد قط الى المثل الأعلى الى شريعتنا التى نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى مشكلة العدة . فكيف يجوز أن يقال : إنه نقلها عنهم ؟

وما مسألة العدة إلا واحدة من ألف سنطرق منها ما يوفقنا الله اليه، والله ولى التوفيق؟

فخر الدين الصاحب
كلية الشريعة

كلمات فى ماهية البلاغة

قال على بن عيسى الرمانى : أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وكثر إعجازه، وتساوت صدوره وأعجازه .

وقال غيره : البلاغة إيصال المعنى الى القلب، فى أحسن صورة من اللفظ .

وقيل لبعض البلغاء : من البليغ ؟ فقـال : الذى إذا قال أسرع، وإذا أسرع أبدع، وإذا أبدع حرك كل نفس بما أودع .

هذا تقرير أئمة البلاغة، فما بال قوم يتخيلونها فى الاكثار من الغريب، وفى الاطالة المملة لغير سبب مقبول ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عمر بن عبد العزيز

— ٤ —

مناظرته غيلان الدمشقى وشوذب الخارجيين وإفحامه لهما :

كان عمر فصيح اللسان ، قوى البيان ، واسع الاطلاع ، يفحم خصمه بالدليل والبرهان ، يدفع حجته بأقوى منها ، كل ذلك كان سببا فى تغلبه على مناظريه .

فبعث ذات يوم غيلانُ الدمشقى بكتاب الى عمر يقول فيه : « أبصرت يا عمر وما كدت ، ونظرت وما كدت ، اعلم يا عمر أنك أدركت من الاسلام خلقا باليا ، ورسما عافيا ، فياميتا بين الأموات ، لا ترى أثرا فتتبع ، ولا تسمع صوتا فتنتفع ، طغى على السنة ، وظهرت البدعة ، أخيف العالم فلا يتكلم ، ولا يعطى الجاهل فيسأل ، وربما نجت الأمة بالامام ، وربما هلكت بالامام ، فانظر أى الامامين أنت فالله يقول : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا » ، فهذا إمام هدى هو ومن اتبعه شريكان ، وأما الآخر فقال تعالى : « وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون » ، ولن تجد داعيا يقول : تعالوا الى النار ، إذ لا يتبعه أحد ، وإنما الدعاة الى النار هم الذين يدعون الى معاصى الله . وكفى ببيانى هذا بيانا ، وبالعمى عنه عمى » .

فناقشه عمر حتى كشف عن شبهته وأزال غمته ، وقطع حجته ، فاعترف بالحق قائلا : يا أمير المؤمنين : لقد كنت ضالا فهديتنى ، وأعمى فبصرتنى ، وجاهلا فعلمتنى ، والله لا أتكلم شيئا فى هذا الأمر ! ولكنه عاد بعد موت عمر وأمعن فى دعايته الأولى ، وبالغ فيها حتى ولى هشام فقتله .

ودخل عليه شوذب الخارجى هو وآخر فقال لهما عمر : أخبرانى ما الذى أخرجكم عن حكمى هذا وما نقمتم ؟

فتكلم الأسود منهما فقال : « إنا والله ما نقمنا عليك فى سيرتك وتحريك العدل والاحسان الى من وليت ، ولكن بيننا وبينك أمر إن أعطيتناه فنحن منك وأنت منا ، وإن منعتناه فلست منا ولسنا منك » . فقال عمر : وما هو ؟ قال : « رأيناك خالفت أهل بيتك وسميتها مظالم ، وسلكت غير طريقهم ، فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وابرأ منهم ، فهذا الذى يجمع بيننا وبينك أو يفرق » .

فقال له عمر : إنى قد علمت أو ظننت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا ومتاعها ، ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها ، وإنى أسائلكم عن أمر فبالله أصدقانى فيه

جزوب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مبلغ علمكما . قالا : نعم . قال : أخبرانى عن أبى بكر وعمر : أليس من أسلافكما ، ومن تتوليان ، وتشهدان لهما بالنجاة ؟ قالا : نعم . قال : فهل علمتما أن أبا بكر حين قبض رسـول الله صلى الله عليه وسلم فارتدت العرب ، قاتلهم فسفك دماءهم ، وأخذ الأموال وسبى الذرارى ؟ قالا : نعم . قال : فهل علمتم أن عمر قام بعد أبى بكر فرد تلك السبايا الى عشائرها ؟ قالا : نعم . قال : فهل برئ عمر من أبى بكر أو تبرءون أنتم من أحد منهما ؟ قالا : لا . ثم استطرد عمر يذكر لهم الواقعة تلو الواقعة الى أن قال لهما : لقـد قال فرعون : أنا ربكم الأعلى ، وتكبر وطغى فى الأرض ، فهل لعنتموه أنتما ومن اتبعكما ؟ فقالا : لا . فقال لهما : كيف تستحلون لعن أهل بيتى ، ولم تستحلوا لعن من ادعى الألوهية وعاث فى الأرض فسادا ؟ عندئذ قال له الأسود : ما سمعت كاليوم أحدا أبين حجة ، ولا أقرب مأخذا منك ، أما أنا فأشهد بأنك على الحق ، وإنى برىء ممن برئ منك . ثم قال عمر لصاحبه : يا أخا بنى شيبان ماتقول أنت ؟ قال : ما أحسن ما قلت ووصفت ، غير أنى لا أفتات على الناس بأمر حتى ألقاهم بما ذكرت وأنظر حجتهم . قال عمر : أنت وذاك . فأقام الحبشى مع عمر وأمر له بالعطاء ، فلم يلبث أن مات ، ولحق الشيبانى بأصحابه حتى قتل معهم بعد وفاة عمر .

ما قيـل له من المواعظ :

لم يكن عمر بالمتكبر القاسى ، ولا بالشديد الجبار ، بل كان لين الجانب فى كل أموره ، يعامل الناس برفق وهوادة ، إلا ما كان منها متعلقا بحق لله أو لآدمى ، فكان يقتص ويثأر فى حدود كتاب الله ، وسنة رسوله ، متوخيا العدل فى أحكامه ، معتقدا أن الخلافة ابتلاء من الله لا مناص منـه ، إلا بالسير فى الناس على نهج الشريعة الغراء ، وبسيرة الخلفاء الراشدين ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فبعث بكتاب الى أهل العلم والزهد والورع ، يسألهم موافاته بالموعظة الحسنة ، وبكتب عمر وقضائه فى أهل القبلة وأهل العهد ، فكتب اليه الحسن البصرى :

« أما بعد : فاعلم يا أمير المؤمنين أن الدنيا دار ظعن ، وليست بدار إقامة ، ولها فى كل حين صرعة ، وليست صرعة كصرعة ، هى تهين من أكرمها ، وتذل من أعزها ، وتصرع من آثرها ، ولها فى كل حين قتلى ، فهى كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه ، فالزاد فيها تركها ، والغنى فيها فقرها ، فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه ، يصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء ، يحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا ، فان أهل الفضائل كان منطقهم فيها بالصواب ، ومشيهم بالتواضع ، ومطعمهم الطيب من الرزق ، مغمضى أبصارهم عن المحارم ، تخوفهم فى البر ، كخوفهم فى البحر ، ودعاؤهم فى السراء ، كدعائهم فى الضراء ؛ فاحذر هذه الدنيا الصارعة ، الخاذلة القاتلة ، التى قد تزينت بخدعها ، وفتنت بغرورها ، وخدعت بآمالها ، فالعيون اليها ناظرة ، والقلوب عليها والهة ، والنفوس لها عاشقة ، وهى لأزواجها كلهم قاتلة ، فـلا الباق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالماضى معتبر ، ولا الآخر لما رأى من أثرها على الأول مزدجر ، ولا العارف بالله المصدق له حين أخبره عنها مدكر ، قد أبت القلوب لها إلا حبا ، وأبت النفوس لها إلا عشقا ، ومن عشق شيئا لم يلهم غيره ولم يفعل سواه ، مات فى طلبه ، وكان آثر الأشياء عنده .

« احذرها يا أمير المؤمنين فان أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وعيشها نكد ، وصفوها كدر ، وأنت منها على خطر ، فلو كان الخالق تبارك وتعالى ، لم يخبر عنها بخبر ، ولم يضرب لها مثلا ، ولم يأمر فيها بزهد ، لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ، ونبهت الغافل ، فكيف وقد جاء عن الله منها زاجر ، وفيها واعظ ، فما لها عنده قدر ولا وزن من الصغر ، فلهى عنده أصغر من حصاة فى الحصى ، ومن نواة فى النوى ، ولو كانت عنده تزن جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء ، ولو كان لك عمر نوح وملك سليمان ، ويقين ابراهيم ، وحكمة لقمان ، فان أمامك هول الموت ، ومن ورائه داران ، إن أخطأتك هذه صرت الى الأخرى » . فبكى عمر بكاء شديدا .

وكتب اليه طاوس :

« سلام عليك يا أمير المؤمنين ، وبعد : فان الله عز وجل أنزل كتابا وأحل فيه حلالا وحرم فيه حراما ، وضرب فيه أمثالا ، وجعل بعضه محكما ، وبعضه متشابها ، فأحل حلال الله ، وحرم حرام الله ، وتفكر فى أمثال الله ، واعمل بمحكمه ، وآمن بمتشابهه » . فأعجب عمر بهذا الكتاب .

وكتب له سالم بن عبد الله :

« سلام عليك يا أمير المؤمنين . أما بعد : فإن الله خلق الدنيا لما أراد ، وجعل لها مدة قصيرة ، كأن بين أولها وآخرها ساعة من نهار ، ثم قضى عليها وعلى أهلها بالفناء . يا عمر : قد وليت أمرا عظيما ، فإن استطعت ألا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل ، وإن استطعت أن تجىء يوم القيامة لا يتبعنك أحد بمظلمة ، ويجىء من قبلك وهم غابطون لك فافعل ، وشدد العقوبة على عمالك ، وازجرهم زجرا عن أخذ الأموال ، وسفك الدماء إلا بحقها ، المال المال ياعمر ! الدم الدم ياعمر ! واعلم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمل فى غير زمانك ، وبغير رجالك ، وليت فى زمن تعلم بعد ماعمل ، وأنا أرجو إن عملت على النحو الذى عمل به عمر بعد ما بلوت من الظلم أن تكون أفضل منه عند الله ، وقل كما قال العبد الصالح : « وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب » .

وكتب اليه محمد بن كعب : « يا أمير المؤمنين : ثلاث من كن فيه استكمل الايمان :

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

من إذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل ، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له » .

وكتب اليه أبو حازم : « يا عمر : اتق أن تلقى محمدا عليه السلام وأنت بتبليغ الرسالة له مصدق ، وهو عليك لسوء الخلافة فى أمته شهيد » .

وقال له القاسم بن مخيمر : « إن من ولى على الناس سلطانا فاحتجب عن فاقتهم وحاجتهم ، احتجب الله عن فاقته وحاجته يوم يلقاه » .

وقال له ابن الأهثم : « إن الله خلق الخلق غنيا عن طاعتهم ، آمنا لمعصيتهم أن تنقصه ، فالناس يومئذ فى الحالات والمنازعات مختلفون ، فالعرب منهم بشر تلك الحال (أهل الوبر والشعر والحجر) لايتلون كتاب الله ولا يصلون جماعة ، ميتهم فى النار ، وحيهم أعمى بشر حال ، ولما أراد الله أن ينشر فيهم حكمته ، بعث فيهم رسولا من أنفسهم « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » فبلغ رسالته ، ونصح لأمته ، وجاهد فى الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين » .

ثم ذكر له ما كان من أمر الخلفاء الراشدين وما قاسوه أيام حكمهم وتحريهم العدل والرشد الى أن قال له : « وأنت يا عمر بنى الدنيا غذتك بأطايبها وألقمتك ثديها ، تطلبها من مظانها ، تمادى فيها وترضى لها ، حتى إذا ما أفضت إليك بأركانها من غير طلب منك لها رفضتها ، ورميت بها حيث رمى الله بها ، فامض رحمك الله ولا تلتفت ، فالحمد لله الذى فرج بك كربنا ، ونفس بك غمنا ، فإنه لا يذل مع الحق حقير ، ولا يكبر مع الباطل عزيز ، وأنت يا عمر من أولاد الملوك ، وأبناء الدنيا ، ولدوا فى النعيم وغذوا به ، لا يعرفون غيره » .

عندئذ بكى عمر حتى غشى عليه .

ثم وعظه خالد بن صفوان وزياد وسالم مولى محمد بن كعب ورجال آخرون بما لا يشذ عن مواعظ السابقين .

ما قاله عمر من المواعظ :

كان عمر يأمر الناس بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويذكرهم بأيام الله ، ويحذرهم عقابه ، ويرشدهم الى ما فيه صلاح حالهم فى الدين والدنيا والآخرة ، فقال لهم :

« إن الدنيا ليست بدار قرار ، دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها منها الظعن ، فكم عامر موثق عما قليل يخرب ، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضر بكم من النقلة ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، إنما الدنيا كفىء ظلال قلص فذهب ، بينا ابن آدم فى الدنيا منافس ، وبها قرير العين إذ دعاه الله بقدره ، ورماه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بيوم حتفه ، فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، إنها تسر قليلا وتحزن طويلا » .

وقال فى موضع آخر : « أيها الناس ! من أحسن منكم فليحمد الله ، ومن أساء منكم فليستغفر الله ، فإنه لابد لأقوام أن يعملوا أعمالا وضعها الله فى رقابهم ، وكتبها عليهم » .

وقال : « أيها الناس ! من ألم بذنب فليستغفر الله وليتب ، فإن عاد فليستغفر وليتب ، فإن عاد فليستغفر وليتب ، فإنما هى خطايا مطوقة فى أعناق الرجال ، وإن الهلاك كل الهلاك الإصرار عليها ، وإن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم » .

وقال لأبى الجودى : « يا أبا الجودى : اغتنم الدمعة تسيلها على خدك لله ، لقد نغص الموت على أهل الدنيا ما هم فيه من نضارة وبهجة ، فبيناهم كذلك وعلى ذلك إذ أتاهم حاد من الموت فاخترمهم مما هم فيه ، فالويل والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت ويذكره فى الرخاء ، فيقدم لنفسه خيرا يجده بعد ما يفارق الدنيا وأهلها » .

وقال : « أيها الناس : إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به إنكم لحمقى (١) ، وإن كنتم تكذبون به إنكم لهلكى ، إنما خلقتم للأبد ، ولكنكم من دار الى دار تنقلون ، إنكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص ، ومن شرابكم شرق ، لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها ، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه » . ثم غلبه البكاء فسكت .

وقال : « من وعظ أخاه بنصيحة له فى دينه ، ونظر له فى صلاح دنياه ، فقد أحسن صلته ، وأدى حقه ، فاتقوا الله فانها نصيحة لكم فى دينكم فاقبلوها ، وعظة منجية لكم من العواقب فالزموها ، فالرزق مقسوم ، فلن يعدو المرء ما قسم له ، فأجملوا فى الطلب فان فى القنوع سعة وبلغة وكفا عن كلفة ، لا يحل الموت فى أعناقكم ، وجهنم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى كأن لم يكن ، وكل ما هو آت قريب ، أو ما رأيتم حالات لميت وجهه مفقود ، وذكره منسى ، وبابه مهجور ، كأن لم يخالط إخوان الحفاظ ، ولم يعمر الديار ، واتقوا يوما لا يخفى فيه مثقال ذرة فى الموازين » . وله غير هذا من المواعظ كثير .

ما كتبه الى عماله :

كتب الى بعضهم : « أما بعد : فكأن العباد قد عادوا الى الله ، ثم ينبئهم بما عملوا ، ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، فانه لا معقب لحكمه ، ولا منازع لأمره ، وإنى أوصيك بتقوى الله ، وأحثك على الشكر ، فيما اصطنع عندك من نعمه وآتاك من كرامته ، فإن نعمه يمدها شكره ، ويقطعها كفره ، وأكثر من ذكر الموت الذى لا تدرى

(١) معنى هذا الكلام : « إن كنتم تصدقون به مع تماديكم فيما أنتم عليه من التقصير إنكم لحمقى »

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

متى يغشاك فـلا مناص ولا فوت ، وأكثر من ذكر يوم القيامة وشدته ، فإن ذلك يدعوك الى الزهادة فيما رغبت فيه ، والرغبة فيما زهدت فيه ، ثم كن مما أوتيت من الدنيا على وجل ، فان من لا يحذر ذلك ، ولا ينجو منه ، توشك الصرعة أن تدركه فى الغفلة ، وأكثر النظر فى عملك فى دنياك بالذى أمرت به ثم اقتصر عليه ، فان فيـه لعمرى شغلا عن دنياك ، ولن تدرك العلم حتى تؤثره على الجهل ، ولا الحق حتى تذر الباطل ، نسأل الله لنا ولك حسن معونته ، وأن يدفع عنا وعنك بأحسن دفاعه برحمته » .

وكتب الى أمير الجزيرة .

« أما بعد : فإن ناسا من الناس قد التمسوا بعمل الآخرة الدنيا ، وإنما مصيرهم ومرجعهم الى الله بعد الموت ، وقد بلغنى أن ناسا من القصاص قد أحدثوا الصـلاة على أمرائهم عِـدْل ما يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا جاءك كتابى هذا فمر القصاص فليجعلوا صلاتهم على النبى صلى الله عليه وسلم خاصة ، وليكن دعاؤهم للمؤمنين والمسلمين عامة ، وليدَعوا ما سوى ذلك ، والسلام » .

ما كتبه بعض عماله اليه :

« يا أمير المؤمنين إنى بأرض قد كثرت فيها النعم حتى لقد أشفقت على من قبلى من أهلها ضعف الشكر » .

فكتب اليه عمر : إنى قد كنت أراك أعلم بالله ، إن الله لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمه ، لو كنت لا تعرف ذلك إلا فى كتاب الله المنزل فقد قال الله تعالى « ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » ، وقال تعالى : « وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ، حتى إذا جاءوهـا وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليـكم طبتم فادخلوها خالدين . وقالوا الحمـد لله الذى صدقنا وعـده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين » . وأى نعمة أفضل من دخول الجنة ؟

محمد مصطفى شادى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاشتراكية الغربية والتعاونية الاسلامية

التعاونية الاسلامية هى النظام الطبيعى لاقتصاد وسياسة الأمم

الاشتراكية الغربية :

يرجع تاريخ نهضة حرية الرأى وتطور الأفكار فى أوربا الى الثورة الفرنسية ، والانقلاب الصناعى ، فالأولى نشرت آراء الفلاسفة والكتاب فى المساواة والحرية والإخاء ، والثانى جمع شتات الفئات العاملة فى رباط واحد مما يجعلهم أقرب الى التضامن والاتحاد .

والانقلاب الصناعى نتيجة الاختراعات والحروب النابوليونية وما أدت اليه من نشر مبادئ الثورة الفرنسية ، وإيقاظ شعور الأمم ، وقيام الصناعة فى انجلترا بلا منافس لها ، واكتشاف الدنيا الجديدة ، واستعمار الأقطار الواسعة ، وفتح الأسواق لتصريف المنتجات ، وبالإجمال نهضة الصناعة فى كل أوربا ؛ وتجمع الثروة الناشئة عن ذلك فى أيدى نفر قليل هم أرباب العمل وأصحاب رءوس الأموال ، الذين بهرهم ذلك المال فتطلبوا من عمالهم كثرة الإنتاج بدوام العمل نظير أجر زهيد لزيادة الربح ؛ ومبدأ تقسيم العمل وأثره فى تكييف حالة العمال الذين أصبحوا كالآلة يؤدون نوعا واحدا من العمل ويكررونه ، مما يجعل الملل والسأم يتسرب الى نفوسهم ، فيصيب ذهنهم بالبلادة وقلة المعلومات ، وأصبحوا فى خطر التهديد بالطرد من المصنع ، والواحد منهم لا يحسن إلا جزءا واحدا من العمل ؛ وزيادة بطش رجال الأعمال وما خلفته العصور الوسطى فى الزراعة من أنواع الاستبداد والعبودية ، فالمالك يقيم بعيدا عن أرضه وله وكلاء يجمعون له المال من الفلاحين والمستأجرين ، سواء بيع المحصول أم كسد ، فهم مكلفون بدفع الأقساط والضرائب حتى ولو أدى ذلك الى بيع بهائمهم وأثاث منازلهم ؛ والسخرة من جانب الحكومة ، فالفلاحون والعمال مطالبون بالقيام بالمشروعات العامة التى تعود بالفائدة على الأغنياء وأصحاب رءوس الأموال ، يقومون بها بلا مقابل ، بل بالسياط تلهب ظهورهم .

كل هذه الظواهر جعلت الفئات العاملة تشعر بالضغط الواقع عليها ، وتتطلع فى خشية ووجل الى مستقبلهم المظلم ، ومستقبل أولادهم وأزواجهم المحفوف بالمخاطر ؛ ويطرد بهم البحث الى سوء نظام توزيع الثروة بين الفئات والطبقات المختلفة ، مما أوجد هذا التفاوت الكبير بين الطبقات الغنية الناعمة فى رغد العيش ، والمتمتعة بالسلطة والجاه والنفوذ والجبرية ، وطبقات العمال والفلاحين الفقيرة المستعبدة المستضعفة المستغلة . فرأى مفكروهم تغيير نظام [illegible] أساسه ، ووضعوا أسس الاشتراكية على فكرة أن هناك أناسا [illegible]

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عن اللازم لهم لإشباع حاجاتهم ، وهؤلاء هم الأغنياء ، وأناسا وهم السواد الأعظم لا يجدون ما يكفون به حاجاتهم الضرورية ، وهم الفقراء ؛ وهؤلاء قد استقر فى عقولهم أن الثروة قد اغتصبها الأغنياء فيجب أن تسترد منهم ، إما بإبطال الملكية ، ويمنح أصحاب هذه الملكيات تعويضا بشرط أن يكون فى شكل سلع تنفد بالاستعمال ، ولا يبقى لدى هؤلاء الذين كانوا بالأمس أغنياء وسيلة للعيش غير العمل كباقى أفراد المجتمع ، إذ الاشتراكية لا تعترف بالدخل إلا إذا كان آتيا من أجر العمل ، وهؤلاء هم المتطرفون .

وإما بإبطالها بالتدريج ، مع السماح ببقاء الملكيات الصغيرة فى حوزة أصحابها ، وخصوصا الأراضى الزراعية ، إذ لا تجر تلك الملكيات الى عدم المساواة ، لأن دخلها صغير يكفى حاجة أصحابها المعيشية فقط ، وهؤلاء هم المعتدلون .

ويكون هذا التدريج بالكيفية الآتية :

١ — بفرض ضرائب تصاعدية على الدخل ورأس المال والميراث .

٢ — بتحديد قانون الميراث ومنع الوصية .

٣ — باستيلاء الدولة على كل أرض تصبح منبع ثروة كأراضى المناجم .

وتتفق المذاهب الاشتراكية على أنه يجب أن تنتقل ملكية وسائل الإنتاج من أصحابها الحاليين الى ملكية وإدارة الدولة ، فالأرض والمصانع والورش وسكك الحديد والآلات ووسائل النقل والمبادلة والتعليم والتدريب يجب أن تكون ملكية عامة .

ولكن ليس معنى هذا أن يختفى كل تملك ، لا ، فيمكن الانسان أن يملك أثاثه وكتبه وأدوات منزله ، ويدخر نقوده ، ويملك منزله ويورثه ، إلا أنه لا يسمح بملكية المساكن إذا أجرت ، لأن هذا يعنى عدم المساواة ، وإيجاد طبقة ممتازة ، ولذلك فانه لا يسمح بعقود الايجار ولا بدفع إيجار أو فائدة .

وتستمر المبادلة فى الدولة الاشتراكية ، إذ المبادلة وسيلة إنتاج ، ويكون هناك مخازن وحوانيت لعرض وبيع السلع ، إلا أن الوسطاء وأصحاب المحال يكونون رجال أعمال تحت إشراف ورقابة الدولة ، فهى التى تحدد لهم الأسعار ومقدار الربح الذى يحصلون عليه ، والباقى يعطونه للدولة .

ويضعون نظاما للأجور فى شكل تعويض للعمال الذين يقومون بصنع سلع لا يستهلكونها ، فيسلم لكل واحد منهم نصيب من السلع المستهلكة والخدمات ، إما فى شكل سلع أو فى شكل نقود .

ويكون توزيع الأجور بين طوائف العمال المختلفة تبعا للمبادئ الثلاثة الآتية :

١ — إما تبعا للحاجة : فذلك الذى يشتغل بعقله يحتاج الى أدوات معيشية أكثر من

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ذلك الذى يشتغل بيده وجسمه . هـذا والدولة الاشتراكية لا تلتفت للفروق التى تنشأ بين النـاس نتيجة الحاجة والتمتع المتسبب عن العادة والتعود ، فيكون البعض أكثر حساسية ، والبعض أكثر خشونة ، يرجع الى أن الأول درج فى النعيم بينما تربى الآخر بين أحضان المسغبة .

٢ — وإما تبعـا للتضحية : أى يكون الدفع بنسبة النصب الذى يلقاه العامل فى تأدية عمله ، وفى حالة ما تتساوى وطأة العمل وكرهه ، يوزع عليهم الأجـر بنسبة وقت (ساعات وأيام) العمل .

٣ — وإما تبعا للكفاية : فـكل عامل يعوض تبعا لما يضيفه على الدخل الاجتماعى ، فالذكى القوى يحصل على أكثر من الغبى الضعيف ، ولـكن ذلك يكون مناقضا لمبدأ الحاجة حيث يحتاج الضعيف الى الأكثر والقوى الى الأقل .

هذا ويرى الاشتراكيون أن يكون التغيير السابق فى الأمور الاقتصادية فقط أو فى أية ناحية من نواحى المجتمع ، ناتجة من معاملات اقتصادية ، إلا أنهم يشترطون لتنفيذ برنامجهم أن تقوم حكومة منظمة ديمقراطية ، ويرتاح (رود برتس) الى نظام الحكومة الملكية ، وإن كان (كونت) الفيلسوف العظيم الذى وضع نظاما مثاليا للدولة الاشتراكية ، يرى أن يكون على رأس الدولة حاكم أوتوقراطى .

هذه هى مبادئ الاشتراكية الغربية ، وهى ، كما هو ظاهر ، لا تحتمل النقد فى كثير من مواطنها لأنها تبدو خيالية أكثر منها عملية ، قد أوحاها الحنق المتزايد ضد الطبقات الغنية .

فالقضاء على الملـكية الخصوصية وجعلها ملـكية عامة ، يحمل الدولة عبئـا ثقيلا ، لأنه سيجعلها هى المنتج والصانع والزارع ، وهذا يعرقل كثيرا من نشاطها السياسى ويحشرها فى المعاملات الاقتصادية المعقدة ، ثم إن دافع المصلحة الذاتية ينعـدم من بين الأفراد الذين سيصبحون عمالا وموظفين فى الدولة ينالون أجورهم ، ولا يهمهم اطراد الرقى والتقـدم ، خصوصا أن من طبيعة العمل أنه متعب ومكروه ، يود الانسان أن لا يؤديه ما لم يكن وراءه رقيب أو دافع . ثم إن ذلك يقضى على المنافسة التى تعمل على تحسين الانتاج . ولندع الأستاذ توسيج مدرس الاقتصاد فى أمريكا يناقشهم حيث يقول :

« كيف يكون تملك المساكن وتوريثها ؟ وكيف تنتقل الملـكيات بقيمة الى الدولة عندما يريد الأفراد السير فى طريق الاشتراكية ؟ وكيف تؤجر من الدولة كمالك عام ؟ وما هو المدى الذى يسمح به فى بيع وتأجير وشراء سلع المستهلـكين كأثاث وسيارة ؟ ثم إنه لضمان تقدم الإنتاج لابد أن يسود النظام وإطاعة الأوامر والتنظيم ، وهذا يقتضى وجود قادة وزعماء ، فمن يختارهم ؟ وعلى أى أساس ؟ وكيف يتقاضون أجورهم ؟ ثم هل سيتوفر عدد من المخترعين والهيئة العملية المحضة التى لا تعطى إلا أجر العمل ؟ »

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ثم إن الواقع أن الدول الاشتراكية لم تتبع تلك المبادئ بتمامها ، إذ أنه فى ألمانيا لم تختف الطبقة المتوسطة ، ولا الملكيات الصغيرة المنتشرة فى طول البلاد وعرضها ، ولذلك لم يسعهم إلا الاعتراف بها وتركها فى أيدى أصحابها . ثم إن عدد الأغنياء آخذ فى النمو كما أن عدد المؤسسات الكبيرة يزداد باستمرار ، فيتوقع أن يرجع هذا النظام بالدولة الى النظام الرأس مالى ، إذ الدولة تصبح هى صاحبة رءوس الأموال تتكدس فى خزائنها ، إذ أبطلوا أن يكون ذلك بواسطة الأفراد ، ولكن باحتجاز الدولة لجزء من ثروة المجتمع للمنشئات الجديدة ، ويصير بذلك جميع الأفراد عمالا لديها ، فينتهى بها الأمر الى إذلالهم وتقييد حرياتهم . وما هذه الدولة إلا مجموعة من الزعماء والقادة هيأتهم الظروف للوصول الى مراكز الحكم ، منهم من يعمل مخلصا للوطن ، ولكنهم يسكنون القصور ويقيمون الحفلات والزينات ، ويعيشون فى أبهة الملوك ، وهكذا تتكون منهم طبقة مترفة ممتازة ، عن بقية أفراد المجتمع الكادحة العاملة ، وتمر الأيام وترجع الى التفرقة وعدم المساواة بين الأفراد فى توزيع الثروة ، ثم يقوم فريق يدعو الى نظريات جديدة أو يبحث عن هدى يرسل فى الكون اطمئنانا وسلاما ، وهو لا شك واجده فى التعاونية الاسلامية كما سنبين ذلك هنا .

التعاونية الاسلامية :

التعاونية الاسلامية تحرم الدخل الناشئ من الربا ، ولا تبيح إيجاد طبقة غنية عاطلة تتجر بالمال فقط ، وقد فصلنا ذلك فى مقالنا المنشور فى العدد الماضى ، ولكنها تبيح الملكية والتوريث ، وفى مقابل ذلك فرضت الزكاة ، وهى ضرائب تجبى على أنواع مختلفة من الأغنياء . ثم إن المالك محاط بسياج من القيود والحدود ، فلا يطغى ولا يتجبر ، إذ هو مسئول عمن فى رعايته « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ، فهو مسئول عمن يشتغل فى ماله يفلح أرضه أو ينتج فى مصانعه يخشى أن يصيبهم عنت فيسأله الله ويؤاخذه القانون ، وهو مسئول عن تعليمهم وتوفية حاجاتهم وترقية مستواهم ، وتوفير وسائل الصحة لديهم . وقد أمر الأغنياء بالصدقة : « لينفق ذو سعة من سعته » . ثم إن هذه الملكية لم تدع مطلقا للتفرقة بين الأغنياء ، فكل المسلمين سواء أمام القانون .

وهذه المساواة لا تجعل للملكية آثارها الممقوتة ، فلا الغنى يبغى ويتجبر ، ولا الفقير يثور ويتبرم ، خصوصا أن التعاونية الاسلامية قد ولدت نظام الوقف الخيرى ، وهو عبارة عن نقل جزء من ملكية الأفراد تزيد عن حاجاتهم الى إدارة الدولة لتنفق من ريعه على الفقراء والمعوزين ، أو لاصلاح مرافق الدولة ليعود ذلك بالخير على الجميع .

والتعاونية الاسلامية لم تغفل فى الأمور الاقتصادية رعاية الطبقات الفقيرة العاملة ، ولذلك فهى تحرم على الأغنياء الاحتكار فى أى صورة كان سواء أكان فى شكل معادن أو منتجات

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

و محاصيل ، وتحرم إتلافها لترتفع أسعارها ، كما تفعل أمريكا فى القطن ، وكما تفعل البرازيل فى البن إذ تقذف بكميات هائلة منه فى قاع البحر . ويحرم الاسلام أيضا حجز المنتجات وتكديسها فى المصانع أو المحلات لمجرد الرغبة الجشعة فى رفع أثمانها ، أو المحافظة على مستواها لصالح أصحاب رءوس الأموال ، بينما تعانى الكثرة الساحقة من الأمة الحاجة والفاقة . ولا معنى كذلك لكنز سبائك الذهب فى أسواق الصياغة وفى خزائن الأغنياء ، بينما تشح الأموال لدى جمهور المستهلكين ، وتحتاج الحكومة الى المال فتقترض من الحكومات الأجنبية بفوائد باهظة .

ما ضر المنتجين لو باعوا كل ما أنتجوه بأسعار معتدلة ليقبل الناس جميعا على شرائها وإشباع حاجاتهم منها ؟ وإن من المذاهب الحديثة فى الاقتصاد من يقول بكثرة الربح عن طريق تخفيض الثمن وكثرة المبيعات ، وهذا ما تحض عليه التعاونية الاسلامية لتتلاشى المنازعات والخصومات القائمة بين الطبقات الفقيرة والغنية ، وهى التى جعلت المسيح عيسى بن مريم يغضب للفقراء ، ويقول كما ورد فى الإصحاح العاشر من إنجيل مرقص : « لأن يلج الجمل من سم الخياط لأيسر من أن يدخل غنى ملكوت السموات » ، والتى جعلت النبى الكريم يقول : « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين » . ألم تؤد هذه المنازعات الى ظهور الحركات الثورية فى أوربا والنظريات المتطرفة فيها ؟

والتعاونية الاسلامية تقوم على المبادئ الآتية :

١ — تفرض قيام حكومة رشيدة عادلة على أساس الشورى .

٢ — يقوم الحكم على أساس التعاون بين الجميع ، فكل واحد فى الدولة دولة فى نفسه .

٣ — تفرض الدولة العمل على كل فرد قادر سواء فى ذلك الغنى والفقير ، فهى تأبى التقاعد والتكاسل والتواكل .

٤ — الجميع متساوون فى الحقوق والمعاملات أمام القانون .

٥ — تحرم الربا والفائدة وتجمع الأموال العاطلة فى أيدى الأغنياء وتأمر باستثمارها فى نواحى الإنتاج المختلفة .

٦ — تحرم الاحتكار فى أشكاله كلها طلبا لرفاهية جميع الأفراد .

يتضح لنا مما تقدم أن الاشتراكية الغربية لم تكن موفقة ، لأنه يعوزها الطريقة العملية لتعيش وتزدهر ، بينما التعاونية الاسلامية عاشت وازدهرت ، وأقامت دولة فى سنين معدودة انتهت اليها زعامة الأرض ؟

ابراهيم زكى
خريج كلية التجارة العليا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

معرض الآراء العالمية

فى الإسلام والمسلمين

القـــرآن

جاء تحت هذا العنوان بجريدة البوبولير الفرنسية بقلم المسيو (بول تينو) ما يأتى :

« من بين جميع الحركات الاجتماعية الكبيرة التى حدثت أو تنبهت بعد الحرب ، ما يثير العالم الاسلامى منها الآن يستحق عناية خاصة . ولكن الذى يذكر الاسلام لا بد له من أن يذكر القرآن . فما هو القرآن الذى هو فى آن واحد دستور للحكم وكتاب للدين ؟

« عرّفه مستشرق عظيم بقوله : « هو وحى أنزل على العرب ، بلغة عربية ، بواسطة نبى عربى » . مؤدى هذا التعريف أن الذى يبدو للانسان لأول وهلة فى القرآن ، هو أنه قبل كل شىء كتاب ديانة عربية .

« لا مشاحة فى أن صدور إحدى الديانات العظيمة من صحراء جزيرة العرب يعتبر آية حقيقية . ولكن هذه الآية يمكن أن تعلل طبيعيا بالوضع الجغرافى لشبه الجزيرة العربية التى كانت إحدى الطرق الكبيرة للتجارة العالمية .

« ومن ناحية أخرى كانت حياة البدو الرحل فى تلك البيئة القاحلة حياة ساذجة من ناحية الأحوال المادية ، ولكنها كانت مهذبة إذا رجعنا الى ما نعرفه عنهم فى عالم الأدب .

« هذا التناقض يمكن تفسيره أيضا إذا اعتبرت قيمة تأثير التبادل التجارى فى نفسيات الجماعات . والمعروف أن البدويين كانت لهم علاقات ثابتة وودية بالبيزانطيين (أى أهل القسطنطينية) والسوريين والفرس وعدد عديد من النصارى واليهود . من هنا يستنتج أن نظرية الوحدة الإلهية لم تكن مجهولة عند العرب . فلهذا السبب صادفت ديانة محمد أرضا مناسبة لنموها افتتحتها ببساطة عقائدها ، وبمسايرة أوامرها للشئون الانسانية .

« فى هذه الناحية من الأرض انتشر القرآن فى أول ظهوره .

« إن العلم اللاهوتى المستمد من القرآن (يريد علم الكلام) موجز الى الحد الأقصى ، وهو ينحصر فيما يلى : « أن الله قد أوحى الدين لعدد كبير من الأنبياء فى عهود متعاقبة ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أكبرهم شأنا ابراهيم وموسى وعيسى . ولكن اليهود والنصارى قد حرفوا التوراة والانجيل ، فأرسل الله محمدا لاعادة الدين الحق . والله وحده هو الحاكم المطلق لا معقب لحكمه . والانسان مسئول عن أعماله وسيعاقب أو يثاب عليها . وعلى المسلم أن يقوم بخمس عبادات : الايمان بالله ، والصلاة اليومية ، والصيام السنوى ، والزكاة المشروعة ، والحج الى مكة .

« أما تعاليم القرآن الواضحة كل الوضوح ، فتهب هذه العقائد الجديدة روحا من البساطة هى من أشهر صفات هذه الديانة .

« وأما أصول القرآن الأدبية فهى كثيرة وذات مرام هى غاية فى السمو . فلا نذكر على سبيل المثال إلا بعضا منها وهى : حب الناس ، والاحسان اليهم ، واحترام النفس ، وإنجاز الوعد ، والتسامح الدينى إزاء اليهود والنصارى .

« وفى مقابل هذا يقرر القرآن « الحرب المقدسة » ضد الوثنيين ، ويقرر الاسترقاق وتعديد الزوجات .

« ولا ننسى أن القرآن أصلح حال المرأة فى الحياة الاجتماعية إصلاحا عظيما .

« وقد استفاد النبى نفسه بتوسع من مبدأ تعديد الزوجات . فقد كان له ، بامتياز خاص ، عشر زوجات بينما القرآن لم يسمح إلا بأربع فقط .

« ولمناسبة ذكر مبدأ تعدد الزوجات الذى أخذ يقل العمل به تدريجيا ، يجب علينا أن ننبه أن فى الزواج على سنة الاسلام شرطا محكما جدا وهو مجهول على وجه عام ، يسمح لممثل الزوجة أن يطلب من الزوج تعهدا بعدم اتخاذ زوجة غيرها . فاذا لم يوف الزوج بهذا الشرط تحللت الزوجة من العقد الذى بينها وبينه وأصبحت حرة من علاقات الزوجية » .

ثم أخذ الكاتب يفصل قواعد الاسلام من الصلاة والصيام والزكاة والحج ، ثم قال :

« هذه هى الواجبات التى يفرضها القرآن ، ذلك الكتاب السامى الذى يدبر حياة ومحاولات مئات الملايين من الناس ، والذى يعتبر بهذا الوصف واحدا من الكتب السائدة على العالم . أما سلطانه على النفوس فعظيم جدا ، ويحسن الالمام بالأصول التى يدعو اليها ليمكن فهم رد الفعل الذى يسببه ، وموقف الاسلام حيال المسائل الراهنة » .

***

(مجلة الأزهر) : هذا ما كتبه المسيو (بول تيتو) فى جريدة البوبولير الفرنسية ، وهو يعتبر معتدلا فى الجملة ، ولكنه لا يخلو من خطأ فى التقدير .

ذلك أنه يقول : إن ظهور دين من صحراء جزيرة العرب يعتبر آية حقيقية ، فلو كان اقتصر على هذا لصادف قوله الحق من جميع الوجوه ، فان جزيرة العرب التى كانت تسكنها قبائل فى حالة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تناحر ، ومغمورة فى أمية مظلمة حتى صارت الأمية علما عليها ، وفى جاهلية لا حدود لها ، وسعت جميع صورها بأخص معانيها ، وأشنع مميزاتها ، مثل هـذه البيئة لا تسمح بصدور دين منها لا يمكن تعليله بالعلل الطبيعية ؛ ولـكن بسبب أن الـكاتب كأكثر الذين يكتبون فى الشئون الاجتماعية مادى لا يعتقد بوحى سماوى ، ولا بعـالم فوق هـذا العالم ، أسرع يلتمس عللا طبيعية يفسر بها صدور هذا الدين من جزيرة تسود فيها جهالة لا تسمح بصدور مثله ، فـكان غير موفق فى تلمس تلك العلل . ونحن نلمسك عدم التوفيق الذى صاحبه حتى تعجب كيف يستند الى مثل هذه الأعاليل الواهنة رجل يتقى مأثور القول :

إن قوله فى مقدمة تعليله إن موقع بلاد العرب الجغرافى جعلها واحدة من الطرق التجارية العظيمة ، من الأخطاء التى لا تغتفر فى عصر أصبح فيه العلم الجغرافى والطرق التجارية تدرس بتوسع فى المدارس الثانوية ، ولا تحتاج فى تفهمها لألمعية ممتازة . فالطريق الوحيدة التى كانت ولا تزال تصلح لنقل السلع هى التى تخترق العراق ، والعراق فى أقصى الشمال الشرقى من بلاد العرب ، وكان واقعا تحت نير الفرس ، وأهله هم الذين كانوا يترددون على فارس وسورية والقسطنطينية يبيعون ويشترون ، ولم يكن بينهم وبين أهل الحجاز الذين ظهر بين ظهرانيهم الاسلام علاقة مباشرة ، لما يفصل بين الأقليمين من الصحارى البعيـدة الأكناف . والـكاتب يعرف أن الاسلام ظهر فى الحجاز .

نعم كان للحجازيين علاقات تجارية بسورية ، فـكانوا يترددون عليهم لبيع ماينتج فى بلادهم من الصموغ والأعطار وغيرها ، ويستبضعون منها المنسوجات والأطعمة ، ولـكن ماذا عسى أن تجلبه لهم هـذه الرحلات التجارية من المعلومات ، أكثر مما تجلبه رحلات الأميين الى مختلف الأقطار ؟ لو كانت تجلب شيئا لأخذ العراقيون عن الفرس دياناتهم المجوسية ، ولأخذ الحجازيون عن السوريين ملتهم المسيحية ، أو عن الفلسطينيين نحلتهم اليهودية ، ولم يبقوا على وثنيتهم العربية طوال القرون .

ولـكن فيم هـذا التـكلف كله لتصيد أسباب النقل ، ألم يـكن فى بلاد العرب نفسها نصارى ويهود مجاورين للقبائل العربية ، حتى أن بعضها كبنى تغلب كانت تنصرت وبقيت على نصرانيتها حتى ظهر الاسلام ، وقـد تهوّد كثير من أهل اليمن محاكاة لليهود الذين كانوا بين أظهرهم ؟

فلا محل والحالة هذه لتلمس أسباب اتصال العرب بغيرهم من الأمم ذوات الأديان .

ومن الغـريب أن المسيو (بول تيتو) يرتكب هـذا التكلف كله لتعليل انتقال التوحيد الى العرب ، والتوحيد كان معروفا فى بلاد العرب من أقدم العهود لأنه دين أبيهم ابراهيم ، وكان فى بلاد العرب رجال كثيرون على دين ابراهيم أجيالا متعاقبة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولـكن ألا يوجد شىء فى القـرآن غير التوحيد يقتضى أن يتلمس له المسيو بول تيتو طرقا للانتقال الى العرب ؟

إن فى القـرآن مبدأ التنزيه وهو لم يكن معروفا عند ملة من الملل قبل ظهور الاسلام ، والتنزيه كما لا يخفى هو نفى جميع الصفات البشرية ، والأعراض الجثمانية عن الخالق عز وجل ، بل نفى جميع ما يجول فى الخيال عنه سبحانه وتعالى ، والاعتراف بالعجز المطلق عن الالمام بشىء يتعلق بذاته . وقد وضع المسلمون قاعدة لذلك فقالوا : « كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك » . ولم يكن فى الأرض دين يمكن نقل هذا التجديد العظيم فى موقف العقل عنه . فالديانة الاسرائيلية تقول : إن الله خلق الانسان على صورته ، والاسلامية تقول : « ليس كمثله شىء » ؛ وفى تلك مايستدل منه على جثمانيته ، فقد جاء فيها أنه بكى تأثرا من بعض الأحوال البشرية حتى رمدت عيناه . والديانة المسيحية تذهب الى تَرَكُّب ذات الخالق من ثلاثة أقانيم ، والاسلامية تنفى ذلك بكل قوة وتعد القول به أمرا إدا ، « تـكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر له الجبال هدا » .

فاتصال العرب بتلك الممالك التى ذكرها المسيو (بول تيتو) لم تكن دياناتها لتعلم العرب هذا التنزيه الذى لم تصل اليه الفلسفة إلا بعد الاسلام ، وهو فى الاسلام على حال من السمو بحيث لا يعقل أن تكون فوقه درجة .

وإذا كان هـذا حال التوحيد الذى يدعى المسيو (بول تيتو) أن العرب نقلوه عن الأمم التى كانوا يتجرون معها ، فما ظنك بكل ما فى الاسلام من أصول العدل الطبيعى ، والمساواة المطلقة ، والآداب العالية ، والأسلوب السامى فى تزكية النفس ، وترقية المجتمع ، والدعوة القوية لطلب العلم والحـكمة ، والتوصية الصريحة بوجوب فك العقل من أغلاله ، وإعطائه كامل سلطانه ، والاستهداء به فى تمييز السليم من السقيم ، والحسن من القبيح ، والخير من الشر من المذاهب والآراء والتعاليم ، ومعاملة الناس بالإنصاف حتى فى مواطن القتال ، وتقرير مبدأ الشورى فى الحـكم ، والاعتراف بسلطة الأمة المطلقة ولم تكن معروفة فى الأرض ، حتى أن النبى صـلى الله عليه وسلم لم يعين من يخلفه ، فترك للأمة حق انتخاب من يتولى أمرها ، وهـذا يعتبر نهاية النهايات فى هـذا الباب . ولما حضرت الخليفة الأول الوفاة ، لم يعين من يخلفه إلا بعد أن استأذن الناس فى ذلك فأذنوا له . ولما يئس المسلمون من شفاء عمر بن الخطاب طلبوا إليه أن ينتخب لهم من يخلفه ، كما فعل أبو بكر ، فأبى ولـكنه حصر اختياره فى ستة رجال وأشار عليهم أن ينتخبوا أحدهم . وهذه نهايات لا تصل اليها الأمم إلا بعد أدوار شتى من الانقلابات .

كل هذا اقتبسه المسلمون الأولون من القرآن ، ولا يزال هذا القرآن يرينا من مكنوناته

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عجبا ، فهل كل هـذا نقله العرب من الفرس والرومانيين والسوريين والهنود الذين كانوا من دينهم فى أمر مريج ، من تنازع السلطات ، وتنافس الطبقات ، وحيرة العامة بين المتنافسين حين كانوا يساقون الى المجازر على غير بصيرة منهم ، لا لنصرة مبدأ ولـكن للايقاع بزعيم يرى الثائر عليه أنه أحق بالسيطرة منه .

نناشد المسيو (بول تيتو) العلمَ أن يقول لنا : ماذا يرى فى الممالك التى ذكرها من الحـكمة العالية ، يحسن أن ينقله النبى عنهم ليستطيع أن يؤلف منه دينا كالاسلام يدبر أمر مئات الملايين من البشر ، وقد كانوا هم أنفسهم غرقى الى الأذقان فيما نعلم من المجادلات اللاهوتية ، والمظالم الحـكومية ، والفوضى الخلقية ؟ وإن من يقرأ القرآن حق قراءته يرى أنه قد ألم بذكر تلك الأمم ، فأوسعها لوما وتقريعا على ما فرطت فى جنب عقولها ، وما استرسلت فى الخنوع لأهواء قادتها ، وما انقادت لاستهواء مضلليها ، ولم يستثن من ذلك اليهود والنصارى ، بل كان أكثر تشهيره بهم ، فـكيف يعقل أن ينتقدهم ويدحض أصولهم ثم ينقل دينه عنهم ؟

***

يقول المسيو (بول تيتو) : إن الاسلام أقر الاسترقاق وتمدد الزوجات ، وإن النبى صلى الله عليه وسلم ميز نفسه فى عـدد الزوجات عن المسلمين بعد نزول آية تحديدهن بأربع . والاكتفاء بهذا الاجمال ظلم للاسلام .

نعم أقر الاسلام الاسترقاق ولـكن بعد أن ألغى جميع مصادره وحصره فى مصدر واحد وهو الحرب المشروعة . والأسر فى الحروب قائم الى اليوم .

ولـكن أما كان يجدر بالمسيو (بول تيتو) أن يذكر أن الاسلام كان أول من ألغى النخاسة فى الأرض ، أى قبل أن تلغيها المدنية بأكثر من اثنى عشر قرنا .

فان قال ولـكن الاسلام أقر ما كان قد حدث بسببها ، فلم يفعل كما فعلت انجلترة وفرنسا وجميع الأمم من تحرير الأرقاء جميعا حين انتدبت لإلغاء النخاسة من الأرض سنة (١٨٣٤)

نقول : إن الاسلام لم يفعل ما فعلته الدول فى العهد الأخير تفاديا من اختلال عظيم فى الحالة الاجتماعية اذ ذاك ، فان أولئك المحررين كانوا يبقون بلا عمل ولا مأوى بعد أن تنحل أواصر الولاية بينهم وبين ساداتهم . ألم يعـلم بأن انجلترة تبرعت بسبعة ملايين جنيه وفرنسا بثلاثة ملايين لتنفيذ هذا المشروع ، فـكيف كان يمكن الحصول ولو على جزء من مائة من مثل هذا المبلغ فى ذلك العهد من الاجتماع ولما يستوف مقوماته الاقتصادية ؟

ولـكن الأمر الذى يهم فى هـذا الموضوع هو أن الاسلام ألغى الاسترقاق الآتى من طريق النخاسة ، واعتبر مرتكب هذه المهنة مفسدا فى الأرض يستحق أشد العقوبات البدنية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وبعد أن حصر الاسلام الاسترقاق فى الحروب المشروعة وكل الى الحكومة القائمة بالأمر أن تتصرف فى أسرى الحروب ، إما بقبول الفدية عنهم ، أو بالمن عليهم بالحرية . وقد اتفقت الأمم اليوم على المن على أسرى الحروب بالحرية ، بعد أن تضع الحرب أوزارها ، ولامانع يمنع الحكومة الاسلامية من سلوك هذه الجادة وقد وكل الاسلام الأمر إليها فى ذلك .

على هذا الأسلوب يكون الاسلام بأحكامه القيمة قد مهد السبيل للوصول الى إبطال الاسترقاق قبل أن يفكر فى ذلك سواه باثنى عشر قرنا .

أما إقرار الاسلام لمبدأ تعدد الزوجات فلم يكن القصد منه مواتاة ميول الرجال فى الاستهتار فى الشهوات ، ولكن قصد به حماية المرأة من عسف الرجال .

ذلك أن المشاهد الى اليوم أن كثيرا من الرجال ، حتى فى المجتمعات التى بلغت شأوا بعيدا فى المدنية ، لايكتفون بزوجة واحدة ، فتراهم يتخذون الخدينات فيعايشونهن معايشة الزوجات ، ولكن دون أن يكون لهن أدنى حق شرعى على من احتازهن حين يبدو لهم الاستغناء عنهن ، فتخرج المرأة من هذا الارتباط الأثيم فاقدة كرامتها ، ومجردة من كل شىء يضمن حياتها ، وقد تكون قد أصابتها عاهة ، أو اعتراها الكبر ، فتنضم الى كتائب التعسات .

فهذه الحالة لا ترضى أية نفس كريمة ، لا سيما وكثير من هؤلاء الخدينات يكن قد رزقن بعدة بنين ، فيخرجن بهم ، ويعشن معهم فى الحرمان المطاق ، وإذا كانت هذه الحالة لا ترضى النفوس الكريمة فهى لا ترضى الدين الذى شرعه الله رحمة للعالمين .

وما دام لا توجد وسيلة لحمل الرجال على الاكتفاء بواحدة ، ولا على عدم اتخاذ الخدينات ، فالاسلام رأى ، صيانة لحقوق النساء ، أن يقر مبدأ تعدد الزوجات ، ويحرم الفسق واتخاذ الخدينات تحريما لا هوادة فيه ، ويعاقب عليهما بأشد العقوبات .

وما دام عدد لا يحصى من النساء يرضين أن يكن خدينات مجردات من الحقوق ، فيسرهن أن يرفعن الى درجة الزوجات الشرعيات ، ولا عيب على مجتمع أن يكون مسموحا فيه تعديد الزوجات ، ما دام هو لم ير من العيب أن يكون مسموحا فيه اتخاذ الخدينات .

ولكنا نرى العكس ، نرى أن المجتمعات العصرية تستنكر كل الاستنكار تعديد الزوجات ولا تستنكر اتخاذ الخدينات . وأنت إن كلفت نفسك تحليل هذين الشعورين المتناقضين رأيت أن السبب فى التقزز من مبدأ تعديد الزوجات ، وعدم التقزز من مبدأ اتخاذ الخدينات ، أن الزوجية تقتضى من الحقوق ما لا يقتضيه احتياز النسوة غير الشرعيات . والرجال هم الذين يعملون القوانين فلا يريدون أن يثقلوا كواهلهم بالتكاليف مع عدم وضع حد للشهوات .

ولكن العدل يأبى ذلك ، فإما أن يكتفى الرجال بزوجة واحدة مع عدم العدوان على أعراض النساء ، وإما أن يقبلوا مبدأ تعديد الزوجات ؛ أما التوسع فى إشباع الشهوات مع عدم التقيد إزاء ذلك بالحقوق التى تترتب عليها ، فلا .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لست بما أقرره استحسن شيوع مبدأ تعدد الزوجات ، وخاصة بدون قيد ولا شرط كما هى الحال الآن ، وأصرح بوجوب بذل عناية عظيمة لحصر مضاره ، ولكنى أعارض كل المعارضة فى حذفه مع إقرار مبدأ آخر أشد منه على الأخلاق ضررا ، وأقبح فى تشويه رونق المدنية أثرا ، ألا وهو إباحة الفسق ، فاذا عددتَ من سيئات تعدد الزوجات ما يقع فيه كثير من النسوة فى البؤس ، وما يلحق بأولادهن من الشقاء ، وما يصيب الأسر من التصدع والانهيار ، عددنا لك من شرور إباحة الفسق واتخاذ الخدينات ، ما تقشعر له الأبدان من شيوع الفحشاء ، واندساسها بقوة التعود بين الغرائز الشريفة للانسانية ، وتغلبها عليها بسلطان الشهوات ، وسوقها لها الى الوجهة البهيمية التى تنافى السمو الأدبى المقدر للانسان أن يبلغه . ولو وقفت الحال عند هذا الحد لرضى به الذين لا يؤمنون بالسمو المقدر لهذا النوع ، ولكنها تسوق النفوس لتعيش فى جو من الدنايا لم تخلق لتعيش فيه ، فيعتريها كرب الاختناق ، فتضطرب لتخلص منه ، وما اضطرابها إلا ما تراه من التدافع والتناحر وعدم الاستقرار ، ودوام توقع الانهيار العام .

إن قيل : فلم تعلق هذا الشر المستطير على رذيلة واحدة مغفلا سائر الرذائل المنتشرة بين الناس ؟

قلنا : لأن تلك الرذائل غير مباحة ، ومترتب عليها عقوبات مختلفة فى القوانين ، وجميع قوى الحكومات عاملة على مكافحتها أنى وجدت ، ولكن رذيلة الفسق مباحة إن حدثت عن تراض من الطرفين ، والتراضى عليها من أيسر الأمور ، ولا تنس أن الفسق يجر الى ارتكاب جميع الرذائل من الكذب والخداع والتغرير والكيد والسرقة حتى القتل نفسه . وقد ثبت أن الشهوة الجنسية أشد الشهوات تحكما فى النفسية الانسانية ، فتركها بدون قمع ، تدفع صاحبها للعبث بالأعراض ، لا يجعل لما تجره من المفاسد حدا تقف عنده .

وإنى لأعجب كيف يشكو الناس من انتشار العزوبة وما تجر اليه من الأمراض الاجتماعية العضالة ، ويغفلون عن سببها الرئيسى وهو إباحة الفسق ، وتيسير سبيله الى حد بعيد ؟

وكيف يغفلون عن أن تحريم الفسق ، وسد الطريق على أهله ، يحفزهم الى الزواج ، ويكفهم عن جميع الشرور التى تدعوهم إليه الاباحة الحيوانية ؟

دعانا الى هذا الإسهاب ، التدليل على أن ما ينال الجماعات من الشرور بسبب إباحة الفسق ، يفوق أضعافا مضاعفة ما ينالها منها بسبب إباحة تعدد الزواج .

فإن صدقت نوايا المصلحين فى البحث عن المخرج من هذه الورطات ، سهل عليهم أن يجدوه فيما يحفظ للدين سلطانه ، وللانسانية كرامتها ، والله ولى المؤمنين ؟

محمد فريد وجدى

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

المحاماة قديما وحديثا

ألمعنا فى البحث السابق الى أن حق الدفاع فى الخصومة قديم فى البشر ، وأنه متوارث بين الناس من أول عهد الخليقة حتى تطورت البشرية تطورا حفز بالدفاع عن النفس وعن الغير الى مستوى تختلف قوة وضعفا باختلاف طرائقه ، وبما وصل إليه البشر من النضوج العقلى فى تكييف طرائق الدفاع والنبوبه عن مزالق الضلال ومراتع البغى .

واليوم نحاول فى إيجاز أن نعرض لما كان عليه المحامون فى عهد الأمبراطورية الرومانية وفى عهد اليونان ، وأن نساير القارئ حتى نبلغ به عصرنا الذى نعيش فيه :

كان خطباء المحامين فى العهد اليونانى يعتقدون أن عملهم منحصر فى خدمة العدالة والكشف عن الحقيقة فى ثوبها القشيب ، ولكن هذه العقيدة لم تكن حليفة الواقع ، فقد كان بعضهم يستخدم للفوز على خصمه حيلا تضلل القضاء وتزهق روح العدالة ، فاستشعر أولياء الكلمة فى اليونان ذلك الخطر الذى يحيط بالعدالة ويكتنفها من أطنابها ، فأصدروا قانونا حظر على المحامين أن لا يتخذوا المقدمات الأخاذة وسيلة فى دفاعهم الى الظفر بقلوب القضاة ، وأن يمتنعوا عن كل شىء يكون من شأنه استجلاب الرفق بالمتهمين ، أو استثارة مكامن الغضب ضد خصمائهم ، كما حظروا على القضاة أن لا ينظروا الى المتهم نظرة تأثير حين يحاول استعطافهم واستثارة كوامن الرحمة فى نفوسهم ، حتى لقد احتاطت السلطة التنفيذية فأمرت بأن يصيح صائح عند افتتاح كل جلسة بتذكير المحامين بتلك النصوص التى اشتمل عليها قانونهم الجديد ، ولفت نظرهم الى ما يترتب على تلك المخالفات من فوادح الجزاءات ، حتى تبقى تلك النصوص ماثلة فى قلوبهم ، وحتى لا يستخدم أحدهم الوسائل غير المشروعة للفوز فى خصومة باطلة . وكان من أثر إصدار هذا القانون فتور عزائم الخطباء فى المحامين وانحطاط فن الخطابة بينهم .

وقد استمر المهيمنون على الدولة اليونانية والأمبراطورية الرومانية يتعقبون سير المحامين فى خصوماتهم ويتجسسون مواطن الضعف حين يرون أن العدالة تكاد تنتقص من أطرافها ، حتى لقد تبينوا أن بعض المحامين يطيل فى دفاعه إطالة قد تكون فى كثير من الأحايين سببا فى إملال القضاة ونسيان نقط الدفاع والغفلة عن مناص الاتهام ، فصدر قانون يحدد زمن كل محام ، وجعلت مدته الكبرى ثلاث ساعات ، واتخذت فى قاعة الجلسة ساعات مائية لملاحظة ذلك .

وقد صدرت تعليمات من السلطة التنفيذية فيما يشبه المنشورات الدورية ، حدت من فضول ـهم عن جادة الاعتدال ، ووقفتهم حيث تصان كرامة القضاء .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وكان جزاء من ارتكب مخالفة لتلك التعليمات التغريم .

أدرك الرومانيون أن العدالة كيان الأمم وعنوان مجدها وسبيل عظمتها ، وأن القضاء أهم أركان العمران فى الأمم ، فاختار (رومولوس) وهو أول ملوك الرومان على ما رواه العلامة أحمد فتحى زغلول باشا عددا من الأشراف وألف منهم مجلس الأعيان وجعل الباقين من أمثالهم فى العلم والاختبار قواما على مصالح الطبقة الثانية فى الأمة .

فانقسم الناس الى فريقين : فريق المتبرعين ومنهم أعضاء المجلس ، وفريق التابعين ، وقد أرادوا بالتابع من نسميه نحن المحامين فى ذلك العصر وكيل المكتب ، وكان التابع يحترم متبوعه كما يحترم الولد أباه والعبد سيده والعتيق معتقه .

وقد حددت واجبات كل فريق من الفريقين فلا تطغى إحداهما على الأخرى ، ولم تقتصر نسبة المتبوع الى تابعه على ماعليه الآن نسبة المحامى الى موكله ، بل كانت أوسع مجالا وأكثرهما ، فكان يجب على المتبوع أن يعين تابعه فى جميع أموره ، ويستخدم فى مساعدته ما أتيح له من العزة والجاه ، وما لديه من العلم والمال ، وهو الذى يرشده فى معاملاته عند الحاجة ويقوم بالدفاع عنه أمام القضاء إذا نابته نائبة أو نزلت به كارثة كان من أثرها توجيه المسئولية اليه .

ولقد بالغت تلك التقاليد يومئذ فى العلاقة بين المحامى ووكيله ، فذهبت أوضاع ذلك العصر الى أن الوكيل مقدم على أقرباء المحامى ، فاذا ما تقاضى الوكيل مع أحد أقرباء المحامى ، كان على المحامى أن يحضر عن وكيله وإن أدت مرافعته الى مخالفة أقربائه والخروج عليهم .

ولقد روى العلامة فتحى زغلول باشا أن محافظة المحامى على مصلحة وكيله فى عهد الامبراطورية الرومانية لم يكن وصفا تقاليديا فحسب ، بل كان تشريعا نافذا من السلطة التنفيذية ، وكان مخالفه يستهدف للعقاب ، مما سنحاول عند الفرص المواتية أن نوفيه حقه من البحث والتحليل ، إن شاء الله .

عباس طه

تصحيح

وقعت فى العدد السابق أخطاء هذا صوابها :

صفحة	سطر	
٦٢١	١٨	أنه لا يقال
٦٣٤	١٧	صحراء الجزائر
٦٣٥	٢	مذهب جابر بن زيد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

علم الاقتصاد المصريين :

هذا اسم أحفل كتاب أنتجته قريحة مصرية فى علم الاقتصاد ، لم يدع لراغب فى التبحر فى هذا العلم بحثا مما يتعلق به من قريب أو بعيد إلا أتى به محكما مفصلا لا يحتاج بعده الى مزيد .

يقع هذا الكتاب الجليل فى نحو ٥٤٠ صفحة اشتملت على اللباب المحض من العلم ، لذلك وسعت من المباحث والنظريات والتطبيقات والشروح والتعليقات ما لا تسعه أضعافها ، فى عبارة سرية شائقة ، وبيان طلى جذاب ، وعرض مرتب متماسك تتطلع النفس الى استيعابه .

صدور مثل هذا الكتاب فى أوربا وأمريكا يعتبر حدثا ثقافيا خطيرا ، يتولاه العلماء الاخصائيون بالنقد والتقريظ ، ولا نشك فى أنه بالغ لدينا هذه المنزلة ، وإن قل المقدرون للفضل ، والمكبرون للجهود . وإنا مهما بالغنا فى الإشادة بذكره ، فلن نستطيع أن نوفيه حقه ، فنكتفى بما ذكرناه اليوم ، راجين أن نعود اليه بعد حين .

فنشكر لحضرة مؤلفه العلامة الجليل الاستاذ الدكتور محمد فهمى لهيطه المدرس بكلية التجارة ما أبرزه لأمته من عمل ضخم ، راجين له دوام التوفيق ، لإتحاف أمته بالكثير من أمثاله .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بلبان فى الأندلس :

هذه قصة طريفة ، بليغة العبارة ، حسنة الأسلوب ، جمة الحوادث المؤثرة ، وضعها حضرة الأستاذ الألمعى أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلوانى ، وكيل فرع بنك التسليف الزراعى ، فى نحو مائتى صفحة ، وطبعها طبعا متقنا ، على ورق ممتاز ، ومرماه منها إعطاء صورة صحيحة لما كانت عليه الحالة الاجتماعية فى إسبانيا قبل أن يفتحها المسلمون ، ثم ما آلت اليه بعد فتحهم لها من أزدهار المدنية ، وسيادة الحق ، وعموم العدل . وقد افْتَنَّ المؤلف اللبق ، ليصل الى هذه النتيجة ، فى تصوير الحوادث ، وتلوين الوقائع ، وتهيئة المناسبات ، ليعطى القارىء صورة حية ذات شخصية أدبية لما هو بصدده ، فأنجح إنجاحا باهرا .

الحق أن هذا الكتاب قطعة فنية جديرة بالاعجاب .

الدين والعقل — برهان القرآن :

هذا كتاب ضخم حصر فيه مؤلفه الأستاذ احمد حافظ هداية جميع مقاصد القرآن الكريم ، فأتى بطائفة من الآيات على كل مقصد ، واجتهد فى بيان مطابقتها لما هُدى الناس اليه من المنطق والعلم الكونى وسنن الوجود المقررة ، فجاء كتابا فريدا فى موضوعه يستحق أن يجد مكانه بين المؤلفات عند كل مسلم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حضرة صاحب الجلالة الملك

يهنئ شعبه والشعوب الاسلامية كافة بشهر الصيام

شعبى العزيز :

أبعث إليك والى إخواننا المسلمين فى العالم الاسلامى بتحيتى ، وأهنئكم جميعا بشهر رمضان المبارك الذى كتب علينا صيامه ، لما فى الصوم من تهذيب النفوس ، وتطهير القلوب ، وجمال الصبر ، وبث الرحمة والخير .

لقد أقبل شهر رمضان هـذا العام ، والعالم يعانى محنة قاسية ، وتعركه حوادث دامية ، فاتجهوا الى الله تعالى لعل الله يكشف عن عباده الضر ، وادعوه مخلصين أن ينصر قضية الحق التى نؤيدها بقلوبنا ، حتى يخرج الناس من ظلمات الخوف ، وتتغلب روح العدل والحرية اللذين لابد منهما لكل سلام دائم .

شعبى العزيز :

إن بلادنا العزيزة تجتاز دورا دقيقا فى جو عالمى مفعم بالأخطار ، وإن الحالة لتستوجب تضافر القلوب والسواعد حتى نكون على تمام الاستعداد ، ولا سبيل الى ذلك بغير الوحدة الوطنية . فاتحاد الأمة وتعاونها أكبر عون لها على مواجهة المستقبل ، وإنكم لتشهدون المثل العليا تضربها بلاد العالم فى الاستعداد للذود عن حياضها ، وكيف يؤدى أبناؤها واجبهم فى غير ما جلبة ولا ضوضاء ، وكيف يؤيدون حكوماتهم فى غير ما تردد ولا إبطاء ، وكيف يضحون بكل مصلحة فى سبيل مصلحة البلاد العليا .

ومن حسن التوفيق أن يكون على رأس حكومتى فى هذا الوقت العصيب ، رجل ننزله من نفسنا منزلة الرضا والتقدير ، لصدق وطنيته ، ولسابق بلائه فى خدمة البلاد والعرش .

ومن دواعى غبطتى أن أرى الحكومة شاعرة بواجباتها ، ناهضة بتبعاتها ، فاعملوا معها تجمعكم فكرة واحدة ، وعاطفة واحدة ، لغاية واحدة ، هى مجد الوطن لا مجد الأشخاص .

شعبى العزيز :

هذه حاجات الساعة ومقتضياتها الملحة ، وإنها لتفرض علينا أن نحتفظ باتحادنا وهدوئنا لنكون أقوياء ، فإن قوة الأمة أقوى ضمان لها ، وليكن لنا من دروس الحوادث عظة وعبرة . فالسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من وعظ بنفسه .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذه الكلمة السامية التى تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول بتوجيهها الى شعبه وسائر الشعوب الاسلامية بواسطة الأمواج الأثيرية ، فتلقتها بأسماعها وقلوبها ، وكان تأثيرها فيها أبلغ تأثير ، وأنفذه الى أعماق النفوس .

لقد اشتمل هذا الحديث الملكى السامى من عناصر استنهاض الهمم ، واستجاشة العزائم ، واستثارة الحفائظ ، على أبلغ ما يمكن أن يقال فى هذا المجال . وإذا أضيف الى التأثير الذى تحدثه ألفاظها الجزلة ، ومبانيها المحكمة ، ومعانيها السَّرية ، التأثير الذى يكسبها إياه سمو مصدرها ، عرف المدى الذى بلغه هذا الحديث الكريم من الفعل فى نفوس المسلمين ، والوقع الذى وقعه من أفئدتهم .

وإذا كان تأثير الموعظة الحسنة يكون مناسبا لدرجة الايمان الذى تصدر عنه ، فان قلب حضرة صاحب الجلالة الملك عامر بأرفع درجات الايمان ، فلا جرم أن يكون للحديث الذى يصدر عنه خاصة التغلب على الأهواء ، والاستيلاء على النزعات .

وما أجمل ما ختم به جلالته كلمته السنية من الدعوة الى تصافى القلوب ، وتآلف النفوس ، وهذه الدعوة يهيب بها المصلحون فى كل حين ، ولكنها من جلالة الملك أفعل فى العقول ، وأوقع فى الصدور . أعاد الله على جلالته هذا الشهر الكريم مدى عمر طويل ، حافل بعظائم الأمور ، وجلائل الشئون .



تفضل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر فنشر كلمة فى الأهرام ، يهنىء بها العالم الاسلامى بشهر الصيام ، فجاءت من أجمع كلمات فضيلته لأصول الاصلاح ووسائله ، وأفعلها فى ألباب الناس وأفئدتهم ، وقد جاءت فى أثناء فقراتها فقرة لا أتصدى لتقريظها ، ولو فعلت لما وجدت من العبارات ما يفى بحقها ، ألا وهى قول فضيلته : « وأرى واجبا علىَّ تنبيه المسلمين الى أمور جديرة بالنظر والتنبه ، منها وجوب السعى الى الوحدة الاسلامية ليتم بينها التعاون والتناصر ، ولتكون أمة محترمة عزيزة الجناب ، صلبة القناة ، وينبغى أن تكون الوحدة شاملة للثقافة والمذاهب والآراء الخ » فهذه الحقيقة التى تولدت فى عقلية فضيلة الأستاذ الامام ، وتهيأت له الفرصة لابرازها ، هى علاج حاسم لما يتفق فى الشكوى منه أربعمائة مليون مسلم لا تغرب عنهم الشمس ، فعلى كل من يغار من هذه الشعوب على حياته أن يقف جهده على تحقيقها وكفى .

وإنا نقدم لقرائنا نص ما كتبه فضيلة الأستاذ الامام فى الصفحة التالية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رمضان بين عامين

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى
شيخ الجامع الأزهر

دار الفلك دورته ، وأعاد رمضان سيرته ، فللأمة المحمدية منى أصدق الاخلاص ، وأخلص التهانى ، وعظيم الرجاء فى أن يكون تجدد الشهور والسنين حاملا معه أحسن البشائر ، محققا لأعز الأمانى ، مجددا شباب الاسلام ومجده ، معيدا سيرته الأولى ، معينا على القرب الى الله ، ومعينا على رضا رسول الله ، حافزا همم المسلمين على التمسك بالحق ، والاستظلال براية القرآن ، وعلى الجهاد فى سبيل الحق ، وفى سبيل الله ، وفى سبيل إحياء الأخلاق الفاضلة ، والتشدد فى التمسك بها ، وفى سبيل إعانة المظلومين على الظالمين ، ورد طغيان المتجبرين .

قدم رمضان هذا العام والأمم فى شغل شاغل ، وهم مقعد مقيم . ذلك أن الحرب وإن كانت لم تعد بقعة خاصة فى أوربا ، إلا أن اشتباك مصالح العالم ، ووسائل المواصلات ، وإذاعة الأخبار ، جعلت جميع البقاع بقعة ، وجميع الأمم أمة ، وأى حادث عظيم فى جهة ما ، يتردد صداه فى جميع أرجاء الكون .

اتقدت نار الحرب بين ألمانيا وبولونيا ، وذهبت الأخيرة طعمة نارها فى بضعة أسابيع ، وهى أمة ذات عدد وعدة ، وشجاعة متوارثة معروفة ، ولها تاريخ فى الكفاح والجلاد مشهور ، لكن مخترعات العلوم وأدوات التدمير الحديثة لا ترحم شيخا ، ولا تشفق على طفل ، ولا ترعى حرمة ناسك ، ولا وقار عالم ، ولا تبالى شجاعة الشجعان . ولا تزال الحرب ناشبة بين دول عظيمة شديدة المراس ، قوية الشكيمة ، أعدت للحرب عدتها ، وافتنت فى وسائل الدمار والهلاك ، ولهذه الدول علاقات متشعبة فى جميع أطراف العالم ، والأفكار تتبادل والآراء تتجاذب ، ولا يدرى إلا الله ما الذى تتمخض عنه الأيام ، ويجد من الأحداث ، وهل تندلع نار الحرب فيصلى بها من ليس من جناتها ، وتلتهم البعيد والقريب ، أو تبقى حيث هى الآن ؟

وليس من شأنى أن أعرض للسياسة وأدلى برأى فيها ، فلا أنا من رجالها ، ولا أنا ممن يحسن تناولها على الوجه الدقيق لإبداء رأى نافع .

غير أن رجال الدين يجب عليهم أن لا ينسوا عبر الماضى والاتعاظ بالحاضر ، ويجب عليهم أن ينبهوا الى مواطن الداء وما يرجى من الدواء ، وقد قص الله فى كتابه العزيز أخبار الماضين وسير الغابرين ، وما أصابهم من سخط الله وعذابه ، فلم يترك قوم نوح ولا قوم هود ولا قوم صالح ، وذكر قصة موسى وغيره من إخوانه الأنبياء . والقرآن الكريم ليس كتاب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

سير وتاريخ ، بل هو كتاب هداية ، ولم يسق تلك القصص إلا للعبرة والعظة ، ليقارن الناس بين الماضي والحاضر ، وليحذروا الشرور والآثام ، ويبتعدوا عن غضب الرحمن .

وإن ما يحمله العالم الآن من الالحاد والتمرد على الكتب المنزلة ، وعلى الله وعلى أنبيائه ، والتمرد على ما قرره الحكماء والصالحون من الأخلاق الفاضلة ، والسير الحميدة ، وشق عصا الطاعة على المبادئ التي ارتكزت عند الناس وصلح حال البشر عليها ـ أشد هولا ، وأوخم عاقبة ، وأشد فتكا للانسانية ، من كل ما ارتكبته الأمم السابقة من قبل ، فليس عجيبا أن ينال العالم الآن من الخوف ، وسلب الطمأنينة ، ومن الشرور ، ما هو حاصل فيه . وقد سلب الله هناءة النفس من البشر ، وهناءة الطمأنينة الى القضاء والقدر ، بعد إلحادهم وطغيانهم ، واندفاعهم فى الشهوات ، وتقديسهم عبادة المادة ، وجعلهم هذه المدنية الفاسدة الحديثة بما فيها من شرور أصناما يقدمون لها الضحايا من الأنفس والأموال .

هذه عبر الماضي وعظات الحاضر ، وهذا كتاب الله حى ناطق شاهد عدل وصدق .

وإنى أناشد المسلمين أن يتدبروا ، وأن يفتحوا كتاب الله ويفهموا ما فيه ، فإنه دواء لأدواء البشرية ، وإنه علاج للأرواح وشفاء للصدور .

وأرى واجبا علىّ تنبيه المسلمين الى أمور جديرة بالنظر والتنبه ، منها وجوب السعى الى الوحدة الاسلامية ليتم بينها التعاون والتناصر ، ولتكون أمة محترمة عزيزة الجناب صلبة القناة . وينبغى أن تكون الوحدة شاملة للثقافة والمذاهب والآراء ، لتزول تلك الفوارق التى قطعت أواصر النسب ، وحبال المودة الاسلامية ، وكانت سببا للضعف الذى استغل واتخذ أداة تفريق وهدم . ومنها السعى للاستزادة من العلوم على اختلاف أنواعها ، أريد العلوم الحقيقية لا تلك التى كلها خيالات وضلال ومذاهب هادمة ، وأريد مع هذا كله تدبر كتاب الله وسير النبى الأكرم وصحابته .

وبعد : فإن الصوم رياضة ومران على ترك العادات وما تألفه النفس من الترف والنعيم ، ومنبه الى ارتباط النفس بالله ، وبالعالم العلوى البرىء من الشرور والآثام ، ومن حق المسلم فيه أن يحقق لأخيه المسلم معنى الأخوة من الرحمة والرفق .

وإنى أطلب الى المسلمين جميعا أن يذكروا دائما فى جميع عباداتهم فى شهر رمضان ، الالتجاء الى الله سبحانه ، والضراعة اليه : أن يعيد السلام الى العالم ، ويحفظهم جميعا من شر الطغيان ، ويقيهم من عوادى الزمان ، ويجعل أوطانهم فى أمن ، ويبعدهم من شرور المذاهب الضالة المضلة المبعدة عن الله ، ويحفظ عليهم نعمة الايمان والاسلام ، ونعمة الهداية بالقرآن .

وأسأل الله سبحانه أن يهدينا جميعا سواء السبيل ، وينير لنا الطريق ، إنه ولى الانعام .

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة المحمدية

تحت ضوء العلم والفلسفة

نظرة فى مناهضة المشركين للدعوة الاسلامية

وما تنم عنه من العوامل

إن ما لقيه النبي صلى الله عليه وسلم فى سبيل الدعوة الاسلامية ، وما لقيه أصحابه بسبب قبولهم لها يدل على أمور لا يجوز لكاتب السيرة المحمدية أن يغفلها ، وخاصة فى هـذا العصر الذى ساورت أهله الشبهات فيه ، ليس على صحة الرسالة المحمدية فحسب ، ولكن على صحة جميع الرسالات ، فقـد اشتدت وطأة المذهب المادى عليهم حتى أنكروا المحسوسات ، فإن لم يستطيعوا إنكارها أولوها تأويلات شتى ، وذهبوا يتلمسون لها عللا طبيعية ، للتوصل الى إثبات أنها أمور إنسانية بحتة ، لا أثر لعالم الروح فيها ، إذ ليس لهذا العالم وجود حقيقى فى نظرهم . ولكنهم على الرغم من موقفهم هـذا لا يمكنهم أن يتخلصوا من الاعتراف بخمسة أمور وهى :

(أولا) شدة مقاومة الجاهليين للدعوة الاسلامية ، دلت دلالة قاطعة على فساد ما زعمه خصوم هذا الدين من أن العرب كانوا وقت البعثة المحمدية وقبلها بقليل فى دور نهوض اجتماعى وأدبى ودينى .

(ثانيها) تصلب الذين دخلوا فى الاسلام حديثا فى التمسك بعقيدتهم الى حـد صبرهم على الاضطهادات العنيفة ، والاستشهاد فى سبيلها .

(ثالثها) حدوث انقلاب لا نظير له فى النفسية العربية بسبب الاسلام نفسه ، إذ أيقظ فيها العاطفة الدينية بكل ما هى عليه من تجرد وسمو وعظمة .

(رابعها) انتصار الدعوة الاسلامية على أمة برمتها فى حياة صاحبها حادث لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشر .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(خامسها) تحقق كل ما أنبأ به صاحب الدعوة من الحوادث الجسام التى قلبت خريطة العالم ، يدل على اتصاله بالعالم الروحانى الذى يصرف العالم المادى ويدبره ، وهو من أقوى الأدلة على نبوته .

ونحن نعالج كل هذه الأمور لإثبات صحتها ، وبذلك نقضى على أمهات الشبهات التى يكثر من ترديدها خصوم الاسلام للإدلال على أنه دين بشرى :

الأمر الأول :

١ — إن شدة مقاومة الجاهليين للدعوة الاسلامية دلت دلالة قاطعة على فساد ما زعمه خصوم الاسلام من أن العرب كانوا قبل البعثة المحمدية فى دور نهوض :

لا أتخيل أن من كانت عنده مسكة من المنطق يجسر ، مهما بلغت به الخصومة لمذهب ، أن يدعى أن نجاح الدعوة الاسلامية فى بلاد العرب كان سببها أن هؤلاء كانوا فى دور نهوض اجتماعى وأدبى . ألا يرى أن النبى صلى الله عليه وسلم لبث بين ظهرانى قريش ، وهى أنجب القبائل العربية ، ثلاث عشرة سنة يدعوها الى عقائد تشهد بصحتها أوليات العقل فلم ترفع بدعوته رأسا ، اللهم إلا أفرادا من أهل قرابته ، وآخرين من ذوى العقول الممتازة الذين لا يخلو من أمثالهم أى مجتمع ، مهما كان متغلغلا فى الجاهلية ، وقد كانوا من القلة بحيث خضعوا لجميع ضروب الاضطهادات ، فلما لم يجدوا منها مخرجا عمدوا الى المهاجرة الى الحبشة ، والهجرة الى مثلها فى تعصبها لمسيحيتها ، وإسفافها فى جاهليتها ، ليس بالأمر الهين .

فلو كان لدى القرشيين نزوع الى النهوض لوجدت هذه الدعوة إقبالا منهم ، فإن لم يكن إقبالا فتسامحا يهيئ النفوس للتطور الجديد المنتظر . ولكن الذى رأيناه أن ما قوبلت به هذه الدعوة من النفور والاستيحاش، يقتلع فكرة النهوض من جذورها ويرمى بها الى مكان سحيق . ألم تر أنهم « عجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون ساحر كذاب » ؟ مم عجبوا ؟ ألم يسمعوا قط أن الله أرسل فى جميع العصور الى الأمم منذرين حذروهم مما تورطوا فيه من الآثام ، فأى عجيب فى أن يرسل الله اليهم منذرا منهم ؟ لا جرم أن التعجب من هذا الأمر يدل على أنهم كانوا مطمئنين الى حالتهم الى حد أنهم ما كانوا ينتظرون أن يسمعوا من جراء التمادى فيها نذيرا ، ومن جسر على ذلك منهم اعتبروه ساحرا كذابا !

وقد تمادوا فى وثنيتهم ، وجمدوا عليها الى حد أنهم حسبوا أن الاعتقاد بالتوحيد أمر يوجب الدهش ، ألم يقولوا : « أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشىء عجاب » ؟ فأى عجب فى التوحيد يمكن أن يشتد حتى يصير عجابا ؟ وهل هذه عقلية شعب فى حالة تطور أو على وشك التطور ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وما كفاهم أن يقتصروا على التعجب من التوحيد ، ولكنهم تآمروا على المقاومة ، وتحالفوا على نصرة الوثنية : « وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد » أى أن كبراءهم انطلقوا قائلين : امشوا أيها الناس واثبتوا على آلهتكم إن هذا لأمر هائل يراد بكم .

والأدل من ذلك على أنهم كانوا مجردين من بواعث النهوض ودواعيه الأولية ، قولهم كما حكاه الكتاب الكريم عنهم : « ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق » ، يريد بالملة الآخرة الديانة التى كان عليها آباؤهم . وهذا يسجل عليهم أنهم كانوا شديدى المحافظة على تقاليدهم لا يبغون عنها حولا ، حتى إن كل ما جد من الأمور لا يقيمون له وزنا ما دام لم يرد اليهم من طريق ديانة آبائهم .

ويجرى هذا المجرى فى الدلالة على تجردهم من جميع الحوافز للنهوض قولهم كما حكاه القرآن الكريم عنهم : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » وقولهم : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » . وسجل عليهم الذكر الحكيم هذه الحال فقال : « إنهم ألفوا آباءهم ضالين ، فهم على آثارهم يهرعون »

الأمر الثانى :

٢ — رسوخ المسلمين فى عقائدهم الى حد صبرهم على الاضطهاد ، والاستشهاد فى سبيلها .

إن من يتأمل فى مدى الصبر الذى تحلى به المسلمون الأولون إزاء ضروب الاضطهادات الوحشية التى شنها عليهم المشركون ، فى مدى ثمن قرن ، يدهش من روح الاحتمال التى سهلت على أهلها مكابدة كل هذه المكاره .

إن تاريخ العالم حافل بصنوف الاضطهادات التى عومل بها المبتدعة والمخالفون ، وهى ، سواء أكان مثارها خلافات دينية أم سياسية ، تكشف لنا مبلغ ما تستطيع العقيدة أن تمد صاحبها به من الصبر والثبات ، حتى تصل به الى أقصى حدود البطولة ، ولكننا فى كل ما رأيناه لم نشهده فى طبقة العبدان والاماء ، كما شهدناه إبان الدعوة الاسلامية . فقد أتينا فى المقالين اللذين نشرا فى العددين الثامن والتاسع أن عددا لا يستهان به من الأرقاء ، ذكورا وإناثا ، دخلوا فى الاسلام ، فحمل ذلك ساداتهم على تعذيبهم بالحديد والنار ، فلم يرجع منهم واحد أو واحدة الى ملتها ، فكان أبو بكر رضى الله عنه يشترى ما يعثر عليه منهم ويعتقه ، فيلتحق بالنبى صلى الله عليه وسلم . ومنهم من صار من رجالات الاسلام حتى وصل الى درجة عالية كبلال ، وكان مملوكا حبشيا ، صادفه الصديق يعذب بالنار لاسلامه ، فاشتراه وأعتقه ، ووجدت مواهبه الروحية والعقلية مجالا رحبا فى الديموقراطية الاسلامية الكريمة فوصل الى دست الامارة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهذه الحالة من الاستهانة بالحياة فى سبيل العقيدة فى أمة كالأمة العربية التى لا يحفظ عنها تاريخها كبير عناية بالدين ، تعتبر ظاهرة عجيبة ، ويزيدها قيمة أنها وقعت فى شعب غير متطور فى الناحية الدينية كغيره من الشعوب الكبيرة ، فلم يسمع فى تاريخ العرب كله أن قبيلتين اقتتلتا لنصر وثن على وثن ، أو لتأييد فهم جديد لأمر من أمور الدين .

الأمر الثالث :

٣ — حدوث انقلاب لا نظير له فى النفسية العربية بسبب الاسلام وحده ، إذ أيقظ فيها العاطفة الدينية :

هذه علة للأمر السابق ، فلولا أن الاسلام أيقظ العاطفة الدينية فى نفس الأمة العربية ، لما كان يعقل أن يتعصب له ناس فيقيمونه فى وسط ملة معادية له ذات كثرة ونخوة جاهلية ، ويقفون به وقفة بطولة راضين بأن ينالهم أشد ضروب الايذاء فى سبيله .

نعم إن النفوس البشرية لا تتجرد من العاطفة الدينية ، وكان للعرب الجاهليين قسط منها ، بدليل ما ورد من أخبار أصنامهم وأساطيرهم ، ولكن هذه العاطفة عندهم كانت ضعيفة الى حد بعيد جدا . ناهيك بأنه لم يكن ببلاد العرب كلها رجال رسميون للقيام بالخدمة الدينية ، كما كان موجودا ولا يزال موجودا فى كل أمة ، حتى أحط القبائل الافريقية والاسترالية . ليس هذا لأن العرب كان لهم رأى فيما يجب أن يقوم عليه الدين من الحرية ، فحذفوا طبقة رجال الدين ليخلوا السبيل لهذه الحرية ، إذ لو كان الأمر كذلك لما أجمعت عليه جميع قبائلهم ولم يكن بينها ترابط من أية ناحية كانت ، ولكنا عثرنا فى تاريخهم على العهد الذى كانت فيه هذه الطبقة قبل أن تحذف ، ولكنا توصلنا الى معرفة الأسباب التى حملتهم على هذا الأمر الفذ الذى ليس عليه جماعة من الجماعات الانسانية . ولما لم يكن شىء من ذلك فالعلة فى عدم وجود هذه الطبقة فى الأمة العربية واضح كل الوضوح ، وتؤيده جميع الدلائل ، وهو ضعف العاطفة الدينية لديها .

ومما يصح أن يتخذ دليلا محسوسا على هذا الضعف فى العاطفة الدينية ، عدم وجود كتاب مقدس لدى عرب الجاهلية ، يجمع بين دفتيه ما كانت تدين به من العقائد ، وتتوجه اليه من المقاصد الأدبية والروحية ، بل عدم وجود صحف أو نقوش تجمع هذه العقائد ، ولا يوجد أمة على سطح الأرض أو قبيلة ، مهما انحطت ، تتجرد من هذا كله . فبعث هذه العاطفة القوية فى قلوب أمة هى من أعصى أمم الأرض قيادا ، وأشدها عنادا ، يعتبر من الأمور التى لا يعقل حدوثها فى سنين معدودة ، فأى عقل لا يحار عندما يلقى بنظرة على الأمة العربية قبل البعثة المحمدية فلا يجد فيها غير حروب تشب نيرانها ، وغارات يثور عجاجها ؛ وعندما يتسمع لما ينبعث من أصوات أهلها ، فلا يطرق أذنه إلا تصايح الأقران يناهد بعضهم بعضا ، وقعقعة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اللجم فى أفواه الجياد تجول فى ميادين القتال ، وصليل السيوف مصلتة فى أيدى فرسان يصاول بعضهم بعضا ، ونبآت ترتفع بالتهديد والوعيد ، والتمادى فى المشارّة والانتقام ، وتفاخر بالآباء ، وتكاثر بالضحايا والويلات ؟ فإذا ألقى عليها بنظرة بعد البعثة وجد فيها سلاما ضاربا سرادقه فوق الكافة ، وأخوّة محقت ما كان من آثار الجاهلية ، فأصبح فيها الناس ينعمون بنعمة المحبة والتكافل للنهوض بأعباء الحياة ؛ وإذا ألقى بسمعه تواردت اليه أصوات التالين والذاكرين ، والمستغفرين بالأسحار والمسبحين ، وتكبيرات المصلين والطائفين ، والمتوسمين فى ملكوت الله والمتأملين ؛ قلنا : أى عقل لا يحار إذا شهد هذا الانقلاب الذريع وتدبره ، وخاصة إذا أراد تعليله فرأى أن العلل الطبيعية لا تجازف فى محاولته ؟

هذا المنظر وحده يشهد برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، ويؤيد أن هذا الدين روح من أمر الله أنزلها على العرب ، كما أنزلها على غيرهم من الأمم ، فقامت تنفذ ما أراد الله أن يتم على يديها من الأحداث العالمية الخطيرة .

فإن قلتُ بعد هذا إن هذا انقلاب لا نظير له فى تاريخ البشرية فلا أعتبر مبالغا ، فقد أحفيت فى مطالعة تواريخ الجماعات ، وخاصة إبان الدعوات الدينية ، فلم أعثر على مثال مما أنا بصدده .

الأمر الرابع :

٤ — غلبة الدعوة الاسلامية على أمة برمتها فى حياة صاحبها حادث لم يعهده الناس فى تاريخ وجودهم :

إن تغلب الدعوة الاسلامية ، بعد كل هذه الاضطهادات الشنيعة ، والمقاومات العنيفة ، على أمة برمتها ، تغلبا (إقناعيا) بدون إجبار ، يعتبر أمرا خارقا للعادة ، وليس له شبيه فى تاريخ أية أمة من الأمم ، ولا أية دعوة من الدعوات الدينية أو السياسية .

هنا يعترض علينا بعضهم فيقولون : كيف تقول لم يكن فيه إجبار ، أنسيت تلك الحروب الطاحنة بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وبينه وبين القبائل فى مدى عشر سنين ؟ فلولا الاجبار لكان المسلمون فى جزيرة العرب قلة لا تبلغ نصف عشر مجموع أهلها .

نقول : أو نسيت أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وحيدا ، فأول من لباه زوجته ، ثم أفراد من أسرته ، ثم بعض معارفه ، وكلهم لم يبلغوا أن يحموا أنفسهم ، فسيموا الخسف ، وعوملوا بالعسف ، حتى اضطروا للهرب بدينهم الى بلاد ليس بينها وبينهم صلة ، تخيلوها أرحم بهم من قومهم ، ثم اضطر النبى نفسه الى الهجرة مستترا ؟

إن قلتَ لم أنس ذلك كله ، قلنا : فهل بلغك أن النبى صلى الله عليه وسلم هاجر الى قوم لبوا دعوته سرا فى بعض أيام الحج ، وعاهدوه على أن يحموا دعوته ضد الأبيض والأسود ولو فنوا على بكرة أبيهم فى هذه السبيل ؟

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إن قلتَ بلغنى ذلك ، سألتك فأين الاكراه بعد هذا ؟ إن كل دعوة فى الأرض متى تحصلت من طريق الاقناع على أنصار يكفون لحمايتها وإذاعتها ، أمنت أن تتهم أنها انتشرت بالاكراه وإن سلكت طريق الاكراه فى حمل بعض الجماعات على مشايعتها . فقد يكون فى بقاء تلك الجماعات مشاقةً لها خطر على كيانها ، فيكون من حقها الاستيثاق لوجودها . أرأيت إن كانت حكومة ملكية تقوم بإزائها جماعة ترمى الى قلبها جمهورية ، وقامت هذه الحكومة تأمينا لسلامتها باجبار خصومها على الخضوع لها ، أيقال فى هذه الحالة إن هذه الحكومة بقيت ملكية بالاجبار ؟ أم يقال إنها عملت ما يجب على كل حكومة أن تعمله فى مثل هذه الحال ؟

إذ لم يكن هذا سائغا فلا يعقل أن تقوم جماعة منتظمة فى الأرض ، لأن الخلافات الدينية والسياسية لا يمكن ملاشاتها ، فيكون من الحق الطبيعى للكثرة التى تتولى الأمر أن تعمل ما يحفظ كيانها فى حدود العدل ، والحرية الشخصية .

وهذا ما فعله الاسلام فإنه بعد أن حصل من طريق الاقناع على جماعة تؤيده ، ودافع عن نفسه بها ضد الغارات التى تواترت عليه من خصومه ، رأى أن وجوده سالما ، وأداءه للرسالة التى شرع من أجلها لا يمكن أن يكون إلا بعد تطهير بيئة الاسلام من الوثنية التى لا تفتأ تهدد بالانتقاض عليه فى كل وقت ترجِّى فيه أن تتغلب عليه . وقد حدث ذلك بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم إذ ارتدت قبائل العرب ، وندت كما تند الإبل غفل عنها قائدها ، فأعاد أبو بكر رضى الله عنه الأمر الى نصابه ، وأجبر هذه العناصر الجاهلية على لزوم الطاعة .

والمعترض حين يفترض أن الأمة العربية برمتها خضعت لدعوة فرد واحد من طريق الاكراه يسجل عليها الذل والاستكانة الى حد لم يشاهد له شبيه فى تاريخ الجماعات الانسانية قاطبة .

فاذا حاول تخفيف هذا الحكم القاسى ، وقال إنه لولا الاكراه لما بلغ عدد الذين دانوا للاسلام نصف عشر الأمة العربية ، فانه لا يستفيد من هذه المحاولة كبير شىء ، ويتخلف من قوله أمر واحد يوجب الدهش ويسأل عن سببه ، وهو استطاعة نصف العشر التغلب على التسعة الأعشار والنصف ، فاذا صح هذا القول كان معناه أن الاسلام روح إلهية تقلب كيان الآخذ به وتنفث فيه قوة لا تمكن مغالبتها ، حتى أن الأمة لو أخذ به منها نصف عشرها استطاع أن يتغلب على مجموعها . وهذه النتيجة لا يحب أن يصير اليها المعترض ، وهى حقيقة ثابتة أيدتها الحوادث ، فماذا تبلغ قوة قبيلتى الأوس والخزرج إزاء قريش ، بله سائر القبائل العربية ؟ وقد رأيت أنهما تغلبتا على جميع القبائل بفضل الروح التى بثها فيها الاسلام لا بفضل شىء آخر ، فقد كانتا فى الجاهلية ليستا على شىء من التفوق ، ولم يعهد عنهما أعمال بطولة نادرة ، والمعروف عنهما أنهما كانتا فيما بينهما فى حروب مستمرة وهما ولدا عم .

لا جرم أن غلبة الدعوة الاسلامية على أمة برمتها فى حياة صاحبها حادث لم يعهد له نظير

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فى العالم أجمع ، فى كل أدواره التاريخية . فلو كانت هذه الدعوة قوبلت فى أول ظهورها باستحسان أو بفتور لا يتعدى حد القول والايماء ، لهان على المعترض تعليل غلبتها على جميع الدعوات . ولكنها قوبلت بعاصفة هوجاء من الاعتراضات ، لم تلبث أن استحالت الى اضطهادات قاسية توقعها نفوس عاتية ، ثم لم تلبث هذه الاضطهادات أن تطورت الى حروب طاحنة ، فمثل هذه الدعوة التى تقابل هذه المقابلة ، لا يعقل أن تستسيغها النفوس إلا بعد أدوار كثيرة من التطورات العقلية والنفسية ، أما حصولها بالسرعة التى حصلت بها وفى حياة صاحبها فتعتبر معجزة يقل لها أن تسمى معجزة .

ثم لو نظرت فرأيت أنها بقيت بعد موت صاحبها ، ونمت نموا عظيما ، وتفرعت شجرتها الى كل اتجاه ، وأثمرت ثمرات لفتت بها نظر العالم اليها ، ولم تزل تثمر حتى شهد بخصبها جميع أهل الأرض ، كل هذا يدل على أن هذه الدعوة روح إلهية من نوع الأرواح التى يرسلها الحق لإحداث الانقلابات الكبيرة فى الأرض ، ولكنها فى هذه المرة دعيت لإحداث أكبر حدث عرفه البشر تغير له وجه الأرض ، ولما تَفْرُغ من مهمتها بعد .

الأمر الخامس :

٥ — تحقق كل ما أنبأ به صاحب الدعوة من الحوادث الجسام قبل حدوثها ، يدل على اتصاله بالعالم العلوى ، وهذا من أقوى الأدلة على نبوته :

من أعجب ما لازم الدعوة الاسلامية من علامات النبوة ، والمسلمون واقعون تحت كلاكل الاضطهادات الغاشمة ، وبعضهم كان هاربا بدينه عَبْرَ البحر ، والبعض الآخر لا يكاد يخرج من بيته مخافة أن يتخطف ، تأكيدات الحق جل وعز بأن الله سينصر أهلها على أعدائهم ، ويجعل كلمتهم العليا وكلمة الجاهليين السفلى . فلا مشاحة فى أن هذه التأكيدات تعتبر من أعلام النبوة .

ومما هو مدهش محير للعقل ، ولا يقبل التعليل إلا بالنبوة ، مجىء بعض هذه التأكيدات على حالة يخيل للمتأمل فيها عند نزولها أنه مبالغ فيها ، ذلك مثل تبشير المؤمنين بأنهم سيخوَّلون خلافة الله فى الأرض ، نزلت هذه الآية حين كانوا بعد هجرتهم يبيتون ويصبحون فى سلاحهم قائلين : هل يأتى علينا حين من الدهر نؤدى فيه شعائرنا آمنين فى سربنا ، مطمئنين على وجودنا ؟ وهو قوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

وقد تحقق مؤدى هذه الآية ، فآلت الى الأمة الاسلامية خلافة الله فى الأرض . والمراد بالخلافة كما هى فى الآية الكريمة زعامة العالم ، لا الخلافة فى الحكم ، بدليل قوله تعالى فى تلك الآية : « كما استخلف الذين من قبلهم » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومما ينتظم فى هذا الباب من التنبؤات الدالة على الانقلابات الجسيمة المقدرة للبلاد العربية قوله تعالى : « أم يقولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » . لما نزلت هذه الآية لم يكن حدث بين المسلمين والمشركين قتال ، إذ كان نزولها أول وجودهم بالمدينة ، فقال عمر رضى الله عنه لما سمعها : « لم أعلم ما هو ، فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول : سيهزم الجمع » . وقد اعتبر مفسرو القرآن الكريم هذه الآية من أعلام النبوة ، وإنها لكذلك ، فقد كان عدد المسلمين فى هذه الموقعة الكبيرة لا يبلغ ثلث عدد الجيش المغير ، ولكنه هزم شر هزيمة بعد ما هلك من قادته من لا يمكن تعويضهم .

ومما ينسلك فى هذا السلك قوله تعالى : « يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين »

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم قد تطوع بعض أصحابه لحراسته من الجاهليين ، فلما نزلت هذه الآية أخرج رأسه من حجرته وقال لحراسه : انصرفوا أيها الناس فقد عصمنى الله من الناس . وهذه من أقوى دلائل النبوة كسابقتها . وإلا فمن يستطيع أن يؤكد أن رجلا يتصدى لأمة برمتها ، يطعن فى دياناتها ، ويحقر من آلهتها ، ويسلم بنفسه منها ، على كثرة ما كان يُتقصد بالأذى ، حتى أجمعوا أخيرا على محاصرته فى بيته ، واشتراك جميع القبائل فى قتله . وقد قُصد بالقتل بعد ما هاجر الى المدينة ، وخاض غمرات الحروب بنفسه ، فسلمه الله من جميع أعدائه .

ومما يتفق وهذا الموضوع قوله تعالى : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

وقد تحقق هذا الوعد وانتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على جميع أعدائه أعداء الله وأنفسهم ، وانتشر الاسلام وعم نوره الأرض كما قال تعالى : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » وهذه الآية الأخيرة أيضا من أدل دلائل النبوة ، وفى القرآن من هذا كثير .

ومما يعتبر غاية فى تحدى أعداء الاسلام قول الله تعالى : « من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة ، فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع ، (أى فليمدد بحبل الى سقف بيته ثم ليختنق ، فإن قَطع بمعنى اختنق) ، فلينظر ، هل يذهبن كيده ما يغيظ » ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التفسير

تفسير سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

رأينا بعد تفسير سورة الإخلاص أن نشرع فى تفسير « والشمس وضحاها » لتكون هذه الآيات الكونية التى ذكرت فيها كالدليل لما ذكر فى سورة الإخلاص من كونه أحدا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، مع بيان ما اشتملت عليه من الفوائد الجليلة ، من طلب تزكية النفوس ، والتحذير من سلوك طريق المكذبين لرسلهم « كثمود » ، الى آخر ما سنقف عليه إن شاء الله تعالى . ولنقدم قبل ذلك مقدمة ينتفع بها القارئ ويخضع لها السامع فنقول :

اعلم أن القرآن هو البحر المحيط الذى يتشعب منه علوم الأولين والآخرين ، إلا أن سر القرآن الأصفى ومقصده الأسمى ، هو دعوة العباد إلى الجبار الأعلى ، رب الآخرة والأولى ، خالق السموات العلى والأرضين السفلى ، وما بينهما وما تحت الثرى . وإذا نظرت بنور البصيرة التى لم تتراكم عليها الظلمات ولا أفسدتها الآفات ، لم تر فى الوجود غير الله وأفعاله ، التى تقرأ فيها حكمة باهرة ، وقدرة قاهرة ، ورحمة ليس لها غاية ، وأسرارا ليس لها نهاية .

وقد أكثر القرآن من لفت نظرك إلى تلك الآيات التى امتلأت بها الأرضون والسموات ، وقد تفنن فيها القرآن تفننا يستولى على العقول ويأخذ بمجامع القلوب ، فتارة يأمرك بالنظر فيها على سبيل الإجمال فيقول : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » ، ويقول : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، لآيات لقوم يعقلون » . وليس يخفى عليك أن الآية الكريمة تشير إلى أن من لم يتفكر فى ذلك فليس من قوم يعقلون . وتارة يلفت الأنظار بالثناء على المتفكرين فيها ، فيجعلهم من أولى الألباب الذين أثمر لهم ذلك التفكير ذكر الله فى جميع أحوالهم ، فيقول : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فى خلق السموات والأرض » . وتارة يلفت الأنظار اليها بالإقسام بها فيقول : « والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها » الى آخره . وتارة يبين بها ما لله تعالى من عظمة ورحمة وكرم وعناية بخلقه ، وفى الوقت نفسه هى دلائل واضحات وآيات بينات تقسر القلوب على الالتجاء اليه ، والتوكل عليه ، والغرق فى توحيده وتمجيده .

ولا بأس أن نتلو عليك بعض ما جاء فى ذلك حتى تعرف الفرق بين تلك الأدلة المظلمة التى تعرفها فى كتب الفلاسفة والمتكلمين من المتقدمين والمتأخرين ، حتى تقول بلسان حالك ومقالك : هذا كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . فانظر إن شئت الى مثل قوله : « الذى جعل لكم الأرض فراشا ، والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » وقوله : « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء » وقوله : « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور » .

واعلم أن القرآن من عادته زيادة التقرير والتكرير ، علما بما عليه الانسان من الجهل العميق والحجاب الغليظ « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » فتراه يكرر ما تقدم بأسلوب آخر مع زيادة بيان وتوسع فى البرهان فيقول : « إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله فأنى تؤفكون . فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون . وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، وجنات من أعناب ، والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره إذا أثمر وينعه ، إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » الى أن قال : « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه ، وهو على كل شىء وكيل » . ثم يقول فى السورة نفسها : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات » الخ الخ . ويقول : « إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمسَ والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين » . ويقول : « وهو الذى يرسل الرياح » الخ . ويقول : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » الى أن قال : « إن فى اختلاف الليل النهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون » . ويقول : « قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمّن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون . فذلكم الله ربكم

جَرّوب مجلات قديمة https://t.me/megallat
dabookz@gmail.com

الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون » . ولما كانت هذه الدلائل واضحات يتعجب معها من كفر الكافرين وجحود الجاحدين ، أزال ذلك ببيان سره الراجع الى تقديره الذى لا يغالب فقال : « كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » .

ولنرجع الى ذكر آيات التوحيد ودلائله فنقول : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ، يغشى الليل النهار ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ». « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون » « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » ويقول : « خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون » . الى أن قال : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون » الى أن قال : « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ، إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون » ويقول : « وإن لكم فى الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » . ويقول : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب» . « قال فمن ربكما ياموسى . قال : ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » الى أن قال فى وصفه تعالى : « الذى جعل لكم الأرض مهدا ، وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم ، إن فى ذلك لآيات لأولى النهى » . ويقول : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ، إن الله لطيف خبير » . ويقول : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين » . ويقول : « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ، وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا » . ويقول : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها » الى أن قال : « ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك » . ويقول : « أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون » . ويقول : « خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ، وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ، يخلقكم فى بطون أمهاتكم

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » . « وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته ، وهو الولى الحميد » . « إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون » . « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » . « وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون » . « والأرض وضعها للأنام . فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام . والحب ذو العصف والريحان . فبأى آلاء ربكما تكذبان » . ويقول : « قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلا ما تشكرون » . « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا ، وجعل الشمس سراجا » . « أيحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى » .

وقد ذكر فى سورة الروم عدة آيات واضحة فقال : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيي الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون . ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون . ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا » . ثم قال : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن فى ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله » . « ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا » . « ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره » . « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض ، بل لا يوقنون » الخ الخ .

ولنقتصر على هذا وهو قليل من كثير . وقد قال بعض فلاسفة أوربا : يكفينى من آيات الله أنه خلق الأنثى بجانب الذكر ، ومتعها بخصائص ليست فيه ليتم ما أراد منها . « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم » . فقارن بين أسلوب القرآن وأسلوب اليونان . عظم والله البرهان ، وامتلأ الوجدان ، ووصل الى حد العيان ، وليس بعد العيان بيان .

وقد رأينا أن من المناسب جدا لهذا المقام أن نذكر لك شيئا مما قاله الإخصائيون عن سعة العالم لنعرف بذلك شيئا من عظمة الله تعالى وتقول ما قاله صلى الله عليه وسلم : « سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

ولنسمعك بعض ما قال أساطين علم الطبيعة بأوربا فى ذلك الموضوع حتى تعرف أن الملحدين ببلادنا كذبوا على علم الطبيعة الذى لم يأخذوا منه إلا قشورا ، فتشدقوا بها وكانوا قوما بورا . ولنبدأ بقول باكون : « من أخذ علم الطبيعة رشفا بالشفاه كان ملحدا ، ومن شربه عبا أوصله الى الخالق » . وقول سبنسر : « ليس الغرض من علم الطبيعة أن نعرف تلك الظواهر التى يعرفها تلاميذ المدارس ، بل الغرض الأسمى أن نقف على ذلك الجسر الذى نستشرف منه

مجلات قديمة https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ما وراء الطبيعة » . ولقد صدق ، فالأرض مملوءة بالآيات ، فانظر تر الأرض يابسة فما أسرع أن تكسى جلابيب سندسية ، وتفرش أنماطا ملونة زبرجدية ، ثم تمدكم بما تأكلون وتعطيكم ما به تتداوون ، ثم هي مهاد لكم عليها تنامون ، وجمال لكم في رياضها تتنزهون ، وغذاء منها تأكلون ، ودواء به تستشفون ، وجعل السماء قبة صافية ذات جلابيب زرقاء مرصعة بالدراري الحسان ، والهواء بينهما يحمل الأضواء ويزجى السحاب ، « فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد » « فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » .

ولعمر الحق إن هذا النظام البديع ليدل على قدرة باهرة أوجدته ، وحكمة أبدعته وسوته أحسن تسوية .

أما سعة العوالم فنقربها اليك ببيان سير النور وما يقطعه من المسافات بالنسبة الى الكواكب المختلفة ، فنقول : إن النور يسير فى الثانية الواحدة ١٨٦ ألف ميل ، فاضربه فى الدقيقة ثم فى الساعة ثم فى السنة الى آخر ما ستسمع ، فهذا النور الذى عرفت سيره السريع يصل الينا من الشمس فى ٨ دقائق و ١٨ ثانية ، ولو أن أسرع قطار جرى من الأرض الى الشمس ليلا ونهارا لم يتمكن من وصوله اليها فى أقل من ثلاثمائة وخمسين سنة ، فماذا تقول إن قلنا لك : إن الشعرى العبور لا يصل ضوؤها الينا إلا فى ٩ سنين نورية ، والنسر الطائر لا يصل ضوؤه الينا إلا فى ١٤ سنة نورية ، والنسر الواقع فى ٣٠ سنة ، والعيوق فى ٣٢ سنة ، والسماك الرامح فى ٥٠ سنة ، الى أن تصل الى خمسمائة سنة وألف سنة ، وأكثر من ذلك على ما بينوه . ولذلك يذهب بعضهم الى أن العوالم لانهاية لها ، وإن كان علماؤنا لايقولون بذلك بناء على أدلتهم العقلية التى تراها فى كتب التوحيد الفلسفية . ومجموع الذى علمه نوع الانسان إلى الآن ٢٢٤ مليونا من النجوم على ما يقولون .

ولتعلم أن من النجوم ما هو أضوأ من شمسنا بكثير ، حتى قالوا إن الشعرى تفوقها بخمسين مرة ، وبنات نعش تفوقها بنحو ثلاثمائة مرة ، والسماكين يفوقانها بنحو ستمائة مرة ، وإنما يظهر نور هذه النجوم لنا ضئيلا لشدة بعدها عنا ، وقد عرفت ما يقطعه النور فى الثانية الواحدة فماذا عسى أن يكون ما يقطعه النور بسيره السريع فى تلك المدد المتطاولة التى يحتاج اليها فى وصوله الينا ؟ فسبحان الكبير المتعال الذى تقصر العقول عن درك كماله ، وتخضع السموات ومن فيهن لعظمة جلاله ؟

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة

الايمان والاسلام

عن أبي هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى العمل أفضل ؟ فقال : إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » . رواه البخارى .

يتعلق بشرح هـذا الحديث أمور ، أحـدها : معنى الايمـان والاسلام وبيان اختلاف آراء العلماء فى معناهما . ثانيها : شرح معنى قوله : الجهاد فى سبيل الله . ثالثها : شرح قوله : حج مبرور .

(١) اختلف العلماء فى معنى الايمـان والاسلام اختلافا كثيرا ، وسبب ذلك يرجع الى ما فهمته كل طائفة من ظواهر الأحاديث الصحيحة ، فان بعضها يدل على أن الأعمال البدنية من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد وغـير ذلك داخلة فى معنى الايمـان ، وبعضها يدل على اتحاد الاسلام والايمـان ، وبعضها يدل على تغايرهما ، وبعضها يدل على أن الايمان هو التصديق فقط بدون ذكر للأعمال ، الى غير ذلك مما سنبينه لك هنا .

فعلى الذين يريدون الوقوف على معنى الايمان والاسلام أن يفرقوا قبل كل شيء بين المعنى اللغوى ، والمعنى الشرعى الذى يوافق اصطلاح كل طائفة من الطوائف الآتى ذكرها . فمعنى الايمـان فى اللغة التصديق مطلقا ، سواء كان بالله ورسله أو بغـير ذلك . فمن صدق بالله كان مؤمنا فى اللغة كمن صدق بإله آخر أو بآلهة متعددة كما هو الحال فى المشركين الذين يعبدون الأصنام . أما معناه فى الاصطلاح فاليك بيانه على الترتيب الآتى :

الأول : اصطلاح جمهور المتكلمين الأشاعرة ، قالوا : الإيمان : هو التصديق بالقلب . فمن صدق بقلبه بأن الله إله واحد ، وأن محمدا عبده ورسوله الى الناس أجمعين ، كان مؤمنا لا يخلد فى النار يوم القيامة . وقد اتفق معظمهم على أن من صدق بالله ورسوله ثم أدركه الموت قبل أن ينطق بلسانه أو يعمل بجوارحه ، فإنه يـكون مؤمنا بينه وبين الله تعالى . وحجتهم فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فقد روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : « أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » الخ .

فهذا يدل على أن الذى يؤمن بالله ورسوله لا بد أن يخرج من النار وإن كان قد يعذب على ما كسبه من عمل سيء . ولا سبيل الى جعل الإيمان فى الحديث بمعنى العمل الزائد على التصديق كما هو رأى لبعض الأئمة ، لأن الحديث صريح فى أن المراد بالإيمان هو المتعلق بالقلب ، وهو التصديق فحسب .

ولا منافاة بين هذا الحديث وبين ما أخرجه البخارى عن أنس وهو : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير » . وفى بعض الروايات « وزن ذرة من إيمان » بدل وزن ذرة من خير .

وذلك لأن حديث أبى سعيد الخدرى الذى يحتج به الأشاعرة معناه أن التصديق كاف فى الخروج من النار بدون أى عمل ، وحديث أنس معناه أن التصديق (مهما كان وصفه) مع قول لا إله إلا الله يكفيان فى الخروج من النار . وهو كذلك ، فانه إذا صح أن يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ، وإن لم يقل لا إله إلا الله ، صح أن يخرج منها من آمن وقال لا إله إلا الله من باب أولى ، فلا تنافى بين الحديثين .

هذا حكم من آمن بالله ولم يتمكن من النطق بالشهادتين ثم مات . أما من آمن بقلبه وعاش مدة يستطيع أن ينطق فيها بالشهادتين وعلم بوجوب النطق بهما ، فحكمه عند جمهور الأشاعرة كحكم الأول فى كونه غير مخلد فى النار ، لأن المدار فى ذلك على الايمان بالله ورسوله . وقد أورد على هذين الوجهين أن فرعون موسى مؤمن ، لأنه أقر بلسانه ولا بد أن يكون فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فى هذه الحالة مع أن المسلمين مجمعون على أنه ليس بمؤمن . نعم قال صاحب الفتوحات المكية : إن فرعون مؤمن بهذا القول . ولكن رأى صاحب الفتوحات هذا لا يخرق الإجماع . والواقع أن سياق الآية لا يؤيد صاحب الفتوحات وأنصاره ، وذلك لأن الله سبحانه لو علم منه الايمان حقا لرد عليه ردا جميلا ، ولكنه رد عليه بما يفيد أن إيمانه فى هذا الوقت لا يجديه نفعا . وكيف يصنع بقوله تعالى : « آلآن وقد عصيت قبلُ وكنت من المفسدين » ؟ فهذا يدل على أن إيمانه لم يكن فى الوقت الذى ينفع فيه الايمان ، كما قال تعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدَهم الموتُ قال إنى تبت الآن » . والرأى السديد فى بيان هذا الوقت هو أن يتأكد الانسان من موته ولم يبق له أى أمل فى الحياة . وقد ورد أن فرعون قال ذلك حين ألجمه الغرق وأصبح هالكا لا محالة . على أن صاحب الفتوحات المكية

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قرر أنه سيعذب بما كسبت يداه ، ولكنه لا يخلد فى النار الى ما لا نهاية . وهذا مذهبه فى فرعون وغيره من الكافرين . فالواقع أنه لم يأت بجديد فى مسألة فرعون ، وذلك لأنه يرى أن الخلود والتأبيد الواردين فى القرآن معناهما طول المدة . وقد وافقه على هذا الرأى ابن تيمية وابن القيم ، واستدل ابن القيم على ذلك بأدلة كثيرة فى كتابه : حادى الأرواح ، فمن أراد أن يعرفها فليرجع اليه .

ومن هذا تعلم أن جمهور الأشاعرة الذين قرروا هذا لم يقولوا إن مرتكب الجرائم التى نهى الله عنها لا يعذب عليها إذا مات ولم يتب ، ولكنهم يقولون إنه سيعذب على ما كسبت يداه ، ولله أن يعفو عنه إذا شاء ذلك ، وما كان لأحد أن يقدم على جريمة من الجرائم وهو يعتقد أنه على خطر عظيم ، وأنه لا يدرى هل تغفر له هذه الجريمة ويكون داخلا فيمن يصح أن يشاء الله لهم من المغفرة أو لا . فليس فى هذا الرأى تساهل فى الحث على أداء الواجبات الدينية والخلقية التى كلفنا الله بها .

هذا وظاهر الأحاديث التى تقدمت يقتضى أن التصديق يزيد وينقص ، وهو كذلك ، ولكن التصديق يطلق على الاعتقاد الجازم الحاصل عن دليل يقينى لا شبهة فيه ، وهذا لا يحتمل الزيادة والنقص ، ويطلق على التصديق الحاصل بالتقليد ، ولا شبهة فى أن مثل هذا التصديق قابل للزيادة والنقص ، فان الواقع المحس هو أن المصدقين متفاوتون فى استمساكهم باعتقادهم وإن تساووا فى اتصافهم به ، فترى اثنين من العقلاء يعتقدان عقيدة واحدة سرت اليهم من آبائهم أو من البيئة التى نشأوا فيها ولكن يمكن تشكيك أحدهما دون الآخر ، ويرجع ذلك الى قوة اعتقاد أحدهما دون الآخر ، فدل ذلك على أن التصديق لا يلزم أن يكون على حالة واحدة ، فاعتقاد القلب الجازم الذى لا يرتكز الى دليل يقينى ، قابل للقوة والضعف . وهذا هو رأى كثير من السلف ، منهم الامام مالك والشافعى وأحمد بن حنبل ، ولهم على ذلك أدلة ، منها حديث أبى سعيد الخدرى وحديث أنس المذكورين ، ومنها قوله تعالى : « فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا » . أما الامام أبو حنيفة فقد نقل عنه أنه قال : الايمان لا يزيد ولا ينقص ، وإن كان قد يتفاوت بأمور زائدة عليه خارجة عنه ، فقد تكون أسباب الايمان أكثر جلاء عند بعض الأفراد دون بعض ، فاذا ظهر السبب بنسبة واحدة كان التصديق متساويا عند الجميع ، مثال ذلك الحكم بحدوث العالم ، فانه بعد معرفة أدلته ودفع الشبه الواردة عليها يصبح كالحكم بأن الواحد نصف الاثنين . والأمر فى ذلك هين ، فان الحنفية يسلمون بأن الايمان يقوى ويضعف لا بحسب ذاته ، بل بحسب الأدلة الخارجة عن ماهيته . ولكن هذا تكلف لا حاجة اليه ، فان الظاهر يؤيد جمهور الفقهاء والمحدثين الذين لا يشترطون فى الايمان أن يكون بمعنى التصديق الجازم الحاصل عن دليل يقينى لا يحتمل التشكيك . هذا هو اصطلاح جمهور المتكلمين الأشعريين .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الرأى الثانى : للمعتزلة ، وهؤلاء قالوا : إذا تعدى الايمان بالباء كما إذا قيل : آمن به ، فان معناه يكون منحصرا فى التصديق الجازم . أما إذا ورد الايمان بدون تعدية بالباء فان معناه يكون شاملا للاعتقاد والأعمال والاقرار باللسان ، وهل أعمال الجوارح والاقرار باللسان داخلان فى ماهية الايمان الشرعى أو هما شرطان فى صحته ؟ الظاهر أنهم يقولون إنهما جزء من حقيقة الايمان ، وإن كان بعض شراح الحديث نقل أنهم يقولون إنهما شرط لصحته .

وعلى كل حال فان المعتزلة يقولون لا يتحقق الايمان إلا إذا اشتمل على ثلاثة أمور : التصديق بالقلب ، والاقرار باللسان ، والأعمال التى كلفنا الشارع بها . فاذا ترك شيئا من ذلك لم يكن مؤمنا . وهل الأعمال التكليفية تشمل المندوبات أو هى مقصورة على الواجبات ؟ خلاف فيما بينهم . والمحققون منهم على أن المندوبات لا تدخل فى الايمان . وعلى كل حال فهم مجمعون على أن مرتكب الكبيرة لا يقال له مؤمن ، ويخلد فى النار إذا مات وهو مصر عليها ، وهو قول لا يلتقى مع كثير من نصوص الكتاب والسنة ، وكيف يتفق ذلك مع قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وقوله : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » ، فهل من العدل أن يعمل الانسان صالحا فى كل أدوار حياته ثم إذا ارتكب كبيرة مرة واحدة ومات حبط كل عمله ؟ إن هذا فاسد لا شك فيه . نعم يحبط الأعمال كلها الردة عن الدين ، فاذا ظل عاملا طول حياته ثم ارتد عن دينه ومات حبط عمله بنص القرآن . ومن الغريب أن واصل بن عطاء زعيم المعتزلة يقول : إن ترك المندوب يهدم الإيمان ، فمن فعل مكروها يخلد فى نار جهنم . ومعنى هذا أن معظم المسلمين يخلدون فى نار جهنم ، فإن المندوبات لا حد لها ، فإذا فرض وترك الانسان مندوبا ولم يفعل ما يكفره ثم مات يخلد فى النار . وهل يقول بهذا عاقل ؟

الرأى الثالث : للخوارج ، وهؤلاء على رأى واصل بن عطاء فى هذا الموضوع ، فانهم يقولون : إن الإيمان بالله معناه المعرفة بالله وبكل ما وضعه الله عليها دليلا عقليا أو نقليا من الكتاب والسنة ، ويتناول طاعة الله تعالى فى جميع ما أمر به من فعل وترك صغيرا كان أو كبيرا ، فمن ترك خصلة من هذه الخصال فإنه يكون من الكافرين . وقد عرفت أن هذا رأى فاسد لا يعبأ الله به .

الرأى الرابع : للمرجئة ، وهؤلاء كانوا مع المعتزلة على طرفى نقيض ، فالمعتزلة أفرطوا ، والمرجئة فرطوا وقالوا إن كل الذنوب كبيرة كانت أو صغيرة لا قيمة لها بعد الايمان ، فمن آمن بالله ورسوله فقد نجا ولو كان زانيا سارقا قاتلا . وهذا فساد فى الدين لا حد له . ولعله

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قد سرى الى هؤلاء من أن عقيدة الإيمان بالمخلِّص تكفى فى النجاة . ولئن صح هذا كانت التكاليف الشرعية عبثا ، وكانت الأوامر الالهية التى وردت فى كتاب الله وسنة رسوله لعبا .

والرأى السديد الذى يقتضيه صريح الدين ويؤيده العقل : هو أن الناس مجزيون بأعمالهم من خير وشر ، فمن عمل صالحا وهو مؤمن كان له على الله أن يدخله جنات النعيم ، ومن عمل سوءا وهو مؤمن فإنه يجزى عليه بالعذاب بقدر هذا العمل ، والمؤمنون بالله ورسوله لا يخلدون فى نار جهنم وإن كانوا يعذبون بحسب أعمالهم كما ذكرنا ، والكتاب والسنة يؤيدان ذلك فى كثير من المواضع ، أبرزها قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

هذا أهم ما قيل فى الإيمان ، ولا يخفى أن الحديث الذى معنا يدل على أن الإيمان غير أعمال الجوارح ، لأن السائل سأل عن العمل مطلقا سواء كان عمل القلب أو عمل الجوارح ، فأجابه الرسول صلوات الله عليه : أفضل الأعمال عمل القلب وهو الإيمان ، فأطلق الإيمان على عمل القلب .

أما الجهاد والحج فهما من الأعمال الظاهرة . وهو دليل لمن يقول : إن الأعمال خارجة عن حقيقة الإيمان .

أما الاسلام فمعناه لغة : التسليم وترك الاعتراض فيما لا يلائم . أما فى الشرع فانه قد ورد على ثلاثة أوجه ، أحدها : أنه مرادف للإيمان ، ثانيها : أنه مغاير للإيمان ، ثالثها : أنه جزء من الإيمان داخل فيه .

مثال الأول قوله تعالى : « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » . ومعنى الآية : فأخرجنا آل لوط المؤمنين من القرية التى كان يسكنها قومه فلم نجد فيها غيرهم ، إذ لم يكن بين قوم لوط مؤمن سوى آل لوط إلا امرأته ، فسماهم الله أولا مؤمنين ، وسماهم ثانيا مسلمين ، فدل ذلك على أن الايمان والاسلام متفقان فى المعنى .

ومثال الثانى قوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » فان معنى أسلمنا : أظهرنا الاسلام والخضوع وقلوبنا غير مصدقة ، فالاسلام هنا مغاير للايمان .

ومثال الثالث : ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له : أى الأعمال أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : الاسلام ، فقيل له : أى الاسلام أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : الايمان . فدل ذلك على أن الايمان داخل فى الاسلام وجزء منه .

(٢) وأما الجهاد فى سبيل الله فهو فريضة من أهم الفرائض الدينية ، والعناية به ينبغى أن تكون فوق كل عناية ، وذلك لأنه يتوقف عليه عز الأمة وصيانة دينها وكرامتها . ولقد كان المسلمون الأولون لا يحرصون على شىء فى الحياة الدنيا إلا على العزة والكرامة والمحافظة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على دينهم بجميع الوسائل المشروعة ، وأولها الجهاد فى سبيل الله ، ومقاومة المغيرين الذين يريدون أن يستذلوهم ويسلبوهم مجدهم وكرامتهم ويعبثوا بأخلاقهم ودينهم . وإن لنا فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن حذا حذوهم من المؤمنين حقا أكبر العظات وأجل العبر . ولعلنا نوفق الى أن نكتب للمسلمين المتفرقين الذين طغت عليهم الشهوات الفاسدة من ذلك شيئا إن شاء الله .

(٣) وأما الحج المبرور : فهو من أجل وسائل التهذيب ، وأعظم قواعد الاسلام المبنية على ضرورة التعارف والاتحاد والتناصر والتواد . ففى الحج خضوع لله عز وجل ، وذكر لعظمته التى لا تحدها العقول ، وفيه منافع للناس من تعارف وتواد ، وفيه ذكر لليوم الآخر . وسنعود الى الكلام عليه بعد لضيق المقام الآن ، والله الموفق المعين ؟

عبد الرحمن الجزيرى

فضيلة الحياء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لكل شىء خلقا وخلق هذا الدين الحياء » .

قال علماء الأخلاق فى تحديد الحياء : إنه التوقى من فعل المساوئ خوف الذم . وهذا ما عناه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله لأبىٍّ : عليك بالحياء والأنفة ، فإنك إن استحييت من الغضاضة تجنبت الخساسة .

قال حكيم : من المروءة أن لا تعمل شيئا فى السر يستحيا منه فى العلانية .

وقال عمر بن بحر الجاحظ : الحياء لباس سابغ ، وحجاب واق ، وستر من العيب ، وأخو العفاف ، وحليف الدين ، ورقيب من العصمة ، وعين كالئة تذود عن الفحشاء ، وتنهى عن ارتكاب الأرجاس ، وسبب الى كل جميل .

وقال حكيم : لا ترض قول امرئ حتى ترضى فعله ، ولا ترض فعله حتى ترضى عقله ، ولا ترض عقله حتى ترض حياءه ، فان ابن آدم مجبول على أشياء من كرم ولؤم ، فاذا قوى الحياء قوى الكرم ، واذا ضعف الحياء قوى اللؤم .

وقال غيره : لا يزال الوجه كريما ما دام حياؤه ، ولم يرق باللجاجة ماؤه .

وقال شاعر :

ورب قبيحة ما حال بينى ... وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن ... إذا ذهب الحياء فلا دواء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من هو الولى ؟

يتساءل كثير من الناس عن حقيقة الولى ومميزاته ، ويحارون فى معرفة ذلك حين يرون أو يسمعون أن بعض الأشخاص يلزم بيته ، فلا يخرج لصلاة ، ولا يؤدى عبادة ، ومع ذلك يجد من يعتقد فيه الولاية ، ويتبرك به ، ويستشفى بزيارته ، ويستنبئه عن المغيبات وما يجرى به القدر من الوقائع والحوادث ، ثم يتأول عدم صلاته بأن له أحوالا خاصة تسقط عنه الفرائض ، أو يزعم أنه يصلى عند البيت الحرام ثم يعود من غير أن يشعر به أحد .

ولقد يكثر الجدل عندنا فى مثل هذه المسائل ، ويشتد النزاع عليها ، ثم لا يصل المتنازعون الى نتيجة حاسمة ، أو غاية واضحة ، تقضى على أسباب النزاع ، وتزيل ما شجر من خلاف ؛ ولو أنهم إذ يتنازعون يرجعون الى قول الله ورسوله ، ويرضون به حكما ، لخلصوا أنفسهم من الحيرة ، واهتدوا بعد الضلال ، وظهر لهم الحق واضحا لا لبس فيه ولا إبهام : « فإن تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » .

وها نحن الآن نقرر المسألة التى نحن بصددها مستندين فيما نقرر الى ما نطق به الكتاب العزيز ، وما ورد عن الصادق المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، وما روى عن بعض الصوفية ، ليعلم هؤلاء الأدعياء حظهم من الدين ، وإلى أى حد جنوا على صلتهم بأسلافهم ، وابتعدوا عن هديهم وطريقهم ، فنقول وبالله التوفيق :

قال الله تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم » . فمن هذه الآيات ، نتبين أن الولى هو الذى جمع الى الايمان الكامل التقوى الدائمة المتصلة ، ومن هنا قالوا : إنما سمى الولى وليا ، لأن الله قد تولاه بالمعونة والنصر ، والتأييد والحفظ ، أو لأنه قد والى بين طاعات الله ، وواصل بين أعمال البر والخير ، فلم يفعل من المعاصى والشرور ما يقطع تلك الحلقات المتصلة المتوالية . وإذا كانت الولاية الحقة تعتمد أمرين : الايمان الكامل ، والتقوى الدائمة ، فقد تكفل القرآن الكريم ببيانهما وشرحهما فى غير آية ، اقرأ قوله تعالى : « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » . وقوله جل شأنه : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » . واتل إن شئت « إن المتقين فى جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم ، إنهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » الى غير ذلك من الآيات ، وهى كثيرة ، وكلها ناطقة بأن الإيمان لا يتم ، والتقوى لا تتحقق — وهما حقيقة الولاية — إلا باقامة الفرائض ، والمحافظة على الشعائر ، والسبق الى الخيرات ، والتزام الحدود .

ويحدثنا البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الىّ عبدى بشىء أحب الى مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » . فالحديث يبين أن أولياء الله هم الذين يتقربون اليه بما فرض من فرائض ، وشرع من واجبات ، ثم يرقون من ذلك الى الاستزادة من فعل النوافل والمندوبات ، لتصفو نفوسهم ، وتستنير قلوبهم ، فمن كان كذلك قربه الله اليه ، وأدناه من حضرته ، ورقاه الى درجة الاحسان ، فعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه ، فيمتلىء قلبه بمعرفة الله ومحبته ، وتعظيمه وإجلاله ومهابته ، والأنس به والشوق اليه ، ومتى امتلأ القلب بذلك ، محا عنه كل ماسواه ، ولم يبق للعبد شىء من نفسه وهواه ، فلا إرادة له إلا ما يريده منه مولاه ، وحينئذ لا ينطق إلا بذكره ، ولا يتحرك إلا بأمره ، فإن نطق نطق بالله ، وإن سمع سمع بالله ، وإن نظر نظر به ، وإن بطش بطش به ، فلا تنبعث الجوارح إلا بالطاعة ، ولا يصدر عنها إلا ما يرضى الله . والحديث يبين بعد أن من نتائج تلك المحبة أن العبد إذا سأل الله شيئا أعطاه إياه ، وإذا استعاذ به من شىء أعاذه منه ، وإن دعا أجابه ، لمنزلته منه ، وكرامته عليه .

وفى مسند الامام أحمد من حديث عمر رضى الله عنه : « إن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله تعالى ، قالوا : يارسول الله من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى منابر من نور ، ولا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، ثم تلا هذه الآية « ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون » . والحديث يصف لنا الأولياء ببعض مميزاتهم وأوصافهم ، وأنهم يتحابون فى الله ، ويجتمعون على طاعة الله ، من غير أن تكون بينهم أرحام أو أنساب تربطهم ، ومن غير أن تكون لهم أغراض دنيوية تجمعهم .

وروى البزار من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رجل : يارسول الله من أولياء الله ؟ قال : « الذين إذا رُءوا ذُكر الله » أى أن لهم من حسن السمت فى الطاعة وآثار الصلاح

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومظاهر التقـوى ، وعلامات الخضوع والإخبات والانابة ، ما يذكر الناس بربهم ، ويحملهم على التأسي بهم ، والاقتداء بأفعالهم .

فهذا بعض مما نطق به القرآن ، وجاءت به الأحاديث فى بيان الأولياء ، وشرح مميزاتهم وخصائصهم ، فمن تحقق بها وكمل بها نفسه ، فقد صار فى زمرتهم ، وليس بلازم أن يخرق الله له العادات ، أو يظهر على يديه من الـكرامات ما هو غير معهود ومألوف (كالمشى فى الهواء ، والمشى على الماء ، والإخبار بالمغيبات) مما يرى بعض العامة أنه ضرورى للولاية . وحسبه كرامة عناية الله به ، ورعايته له ، ومحبته إياه ، ووقايته من الفتن والشهوات ، وحفظـه من المعاصى والمنكرات ، حسبه أن الله وليه وناصره ، ومعينه ومسدده ، وأنه سميـع لدعائه ، مجيب لندائه ، محارب من يعاديه ويؤذيه ، موال من يحبه ويواليه .

فأين مما ذكرنا أولئك الذين يدعون الولاية ويحترفون بها ؟ هل يعرف الدين أن الولاية حرفة وباب رزق يدر على الولى الأموال الطائلة من الجهلة والبسطاء ؟ وهـل تتفق الولاية مع هذا الجشع والاحتيال على الدهماء ؟ ولماذا لا تنفح النفحات ولا تمنح البركات إلا بالنقود يبذلها السفهاء ؟ وهل تبقى ولاية لمن يسأل الناس ويتكففهم بعد قول إمام الأنبياء وسيد الأولياء وصفوة الأتقياء صلوات الله وسلامه عليه : « لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس فى وجهه مزعة من لحم » ؟

لـكن القوم — عافاهم الله — يدعون أن لهم أحوالا تغاير أحوال الشريعة ، وأن الشريعة شىء والحقيقـة شىء آخـر ، فعملهم خاضع للحقيقة وإن أنـكرته الشريعة ، لذلك يبيحون لأنفسهم أن يسألوا غير الله ، ويحتالوا على جمع المال بشتى الوسائل والأساليب ، فيجلس أحدهم فى بيته فيأتيه الأغرار للاستشفاء وقضاء الحاجات وتفريج الـكربات ، وتزويج الأيامى وتوظيف العاطلين الى آخره ، وليس عليهم بعـد ذلك من حرج إذا تركوا الصلاة والصوم ، وهجروا شعائر الدين ، واختلطوا بالنساء ، ما داموا قد تحللوا من قيود الشرع وصارت لهم أحكام خاصة بهم . ومن العجيب أن هذه الدعوى الفاسدة لا تزال تجد عقولا تصدقها وتخدع بها ، ولا تزال تجد من يروج لها من العامة وأشباه المتعلمين ، وهى تتصل الى حـد كبير بما أدخل على طرق المتصوفة فى زماننا من الأحداث والبدع المنافية للدين .

فقد كان الغرض الأسمى من التصوف عند السلف الصالح ، هو رياضة النفوس وتهذيبها ، ومعالجة أمراض القلوب وإصلاحها ، والأخـذ بعزائم الأمور ، والزهادة فى متاع الغرور ، كل ذلك على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ، كما يعلم ذلك من تتبع أحوالهم ، ودرس تراجمهم ، واطلع على مؤلفاتهم ، وقرأ ما لهم من الحـكم الجليلة والمواعظ المفيدة ، ورأى أنهم كانوا على علم

oldbookz@gmail.com
جراب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

بالدين أضافوا اليه الاخلاص فى العمل به ، والسير على منهجه ، فكان لهم بذلك أثر طيب فى تهذيب النفوس وإرشادها ، وهدايتها من ضلالها ، وكانت لهم جولات صادقة فى الدعوة الى الله ، ومجتمعات حافلة للتذكير والإرشاد ، أنجبت كبار الوعاظ والزهاد .

أما اليوم فقد أصبحت الطرق — إلا ما عصم ربك — وسائل لكسب العيش ، وفرض الضرائب والأتاوات ، وأسندت شئونها لكثير ممن يجهل الضروريات من دينه ، ولا يعرف السنة من البدعة ، ولا يدرى متى تصح العبادة ومتى تبطل ، ولا يستطيع أن يعالج قلبه من مرض العجب والحسد وحب الشهرة والصيت . فلا الشريعة درسها ، ولا الحقيقة عرفها . أصبح التصدى لإرشاد الناس بدعوى التصوف ميسورا لكل أمى جاهل ، لا يعرف صفات ربه ، ولا سيرة نبيه ، فيبتدعون فى الأذكار ما تمليه أهواؤهم ، وتحسنه شهواتهم ، ولا تسل عن تحريف فى أسماء الله وتمايل ورقص ، وصفير وضرب بالدف ، وغير ذلك من كل ما يخالف الآداب ، ويبرأ منه سلفهم الأولون . وليس من شك فى أنه كان لهذا أثره السيء فى قلب الأوضاع وانعكاس الأفهام ، وظهور بعض من رجال الطرق بمظهر الولاية الزائفة ، والصلاح المصطنع الذى لا يرتكز على أساس من الدين ، ولا يمت بسبب الى صفات المتقين .

قال العلامة الألوسى فى تفسيره نقلا عن بعض المحققين ما يأتى :

«الشريعة ثلاثة أجزاء : علم ، وعمل ، وإخلاص ، فالم تتحقق هذه الأجزاء لم تتحقق الشريعة ، وإذا تحققت الشريعة حصل رضا الحق سبحانه وتعالى ، وهو فوق جميع السعادات الدنيوية والأخروية « ورضوان من الله أكبر » . فالشريعة متكفلة بجميع السعادات ، ولم يبق مطلب وراء الشريعة ، فالطريقة والحقيقة اللتان امتاز بهما الصوفية كلتاهما خادمتان للشريعة فى تكميل الجزء الثالث الذى هو الاخلاص ، فالمقصود منهما تكميل الشريعة لا أمر آخر وراء ذلك » . ثم نقل عنه أيضا ما يأتى : « فتقرر أن طريق الوصول الى درجات القرب الإلهى منحصر فى طريق الشريعة التى دعا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصار مأمورا بها فى آية « قل هذه سبيلى أدعو الى الله ، على بصيرة أنا ومن اتبعنى » . وآية « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » تدل على ذلك أيضا ، وكل طريق سوى هذا الطريق ضلال ومنحرف عن المطلوب الحقيقى ، وكل طريقة ردتها الشريعة فهى زندقة ، وشاهد ذلك آية « وأن هذا صراطى مستقيما » وآية « فماذا بعد الحق إلا الضلال » وآية « ومن يبتغ غير الاسلام دينا » وحديث « خط لنا النبى صلى الله عليه وسلم » الخبر (١) ، وحديث « كل بدعة ضلالة » .

(١) يشير الى ما رواه الامام أحمد من حديث ابن مسعود قال : « خط النبى صلى الله عليه وسلم خطا بيده ، ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما ، وخط عن يمينه وشماله ، ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال سيد الطائفة الجنيد رضى الله عنه : الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام . وقال أيضا : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ، لا يقتدى به فى هذا العلم ، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة . وقال أبو الحسين الثورى : من رأيته يدعى مع الله حالا تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقربه ، ومن رأيته يدعى مع الله حالة لا يشهد لها حفظ ظاهره فاتهمه على دينه .

والنتيجة إذاً أنه لا يجوز لأحد أن يعتقد الولاية فى شخص لا توافق أعماله ما جاءت به الشريعة ، على نحو ما فصلناه . أما دعوى الصلاة فى مكة ، فهى دعوى لا يقام لها وزن ولا يلتفت اليها ، كما أن الدراويش والمجاذيب لا تثبت لهم الولاية من أجل (دروشتهم وانجذابهم) إذا كانوا فى ذهول حقيقى قد أثر على عقولهم ، فأصبحوا لا يدركون ما حولهم ، ولا يستطيعون تأدية واجبهم ، فكيف لو كان ذهولا ادعائيا ، كما هو الغالب الكثير ؟! ولكنهم اصطنعوه للتمويه على الناس ثقة منهم بأن هذا هو السبيل الذى به تعتقد ولايتهم ، لما وقر فى نفوس العامة من أن هذا المظهر من دلائل الولاية وعلامات البركة ، كأن الولاية وقف على كل أبله (عبيط) يلقى الكلام جزافا ، وينطق بالألغاز والعبارات التى لا يفهم لها معنى ، ولا يدرك لها مغزى ، ويلبس المرقعات ، ويمشى فى الأسواق حافى القدمين مكشوف الرأس عارى الجسم . اللهم إن الحق أبلج ، والطريق واضح ، والسبيل نير ، ولكن أكثر الناس يجهلون ، فهل آن لهم أن يسلكوا الطريق المستقيم ، وأن يعتمدوا فى آرائهم وأعمالهم على ما نزل به الذكر الحكيم ، وأن يستمدوا معلوماتهم من هدى الرسول الكريم ؟ « يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

رزقنا الله محبته ومحبة أوليائه ، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب ؟

احمد قطب
الواعظ بالقاهرة

العفو من شيم الكرام

كان المأمون ممن أوتى العفو طبعا لا تكلفا ، حتى إنه قال : « إنى لأستملى العفو حتى أخاف أن لا أوجر عليه ؛ ولو علم الناس قدر محبتى للعفو لتقربوا الى بالذنوب » . وما أحسن ما قيل فى العفو شعرا :

وجهل رددناه بفضل حلومنا ولو أننا شئنا رددناه بالجهل
رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة وعدنا على أهل السفاهة بالفضل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاخلاق والتصوف عند الغزالى

تمهيد :

كانت الأخلاق قبل الغزالى تستمد عناصرها من ثلاثة منابع مختلفة : الأول الكتاب والسنة وآثار السلف من صحابة وتابعين ومن والاهم من أتقياء المسلمين .

الثاني : الحكم والأمثال الشعبية من عربية وفارسية .

الثالث : مذاهب فلاسفة الاغريق التى ترجمها العرب وشرحوها وعلقوا عليها ، وانتصر كل فريق منهم لبعضها وألف فيه وبرهن على صحته كما فعل إخوان الصفاء وابن مسكويه وابن سينا . فلما جاء الغزالى ودرس كل هذه المنابع دراسة عميقة لم يسعه إلا أن يكون منها مزيجا صالحا يؤسس عليه مذهبه . غير أنه اعتبر الكتاب والسنة جوهرين أساسيين ، فاعتنق كل مالاءمهما ، ونبذ فى غير تردد كل ما كان معهما على خلاف . وإذاً فهو لم يتخذ لمذهبه أساساً حقيقياً من أخلاق الاغريق أو من الأخلاق الشعبية ، وإنما اتخذ من هذين العنصرين ناصرا لمذهبه ومعينا على إيضاحه ونشره .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

نصيب الأخلاق من النظر عنده :

ليس علم الأخلاق عند الغزالى وحدة فلسفية لها أساس معين اتبع فيه واضعه نظرية خاصة من نظريات ما وراء الطبيعة كما هو الشأن عند جميع الفلاسفة الأخلاقيين . ولهذا لم يحاول معالجة المشاكل الأخلاقية من ناحية النظر العقلى البحت ، بل وصل الى تكوين بعض القواعد النظرية عن طريق استقراء جزئياتها العملية الوارد عليها النص فى الكتاب والسنة ، فبدل أن صرح الفلاسفة النظريون بأن الحكم المسموع القول فى مقاييس الخير والشر هو العقل أو هو الضمير أو البصيرة ، ثم وضعوا الخير والشر ومقاييسهما النظرية نصب أعينهم وأخذوا يطبقون كل ما يشاهدونه من جزئيات خارجية على هذه المقاييس ، صرح الغزالى بأن الحكم الاوحد فى الخير والشر والحسن والقبح ليس هو العقل ولا الضمير ولا البصيرة ، وإنما هو الشرع . ولما لم يكن الشرع قد وضع قواعد عامة فقد اضطر الغزالى الى أن يرجع الى الجزئيات الخارجية . فاذا سئل مثلا عن الخير فى ذاته لم يجب سائله إلا بعد أن يستوضحه عن الجزئيات التى يتكون منها هذا الخير ، فاذا أجابه محادثه بقوله مثلا : إنه يتكون من الصدق والأمانة والعدالة والحياء والاحسان ، طلب اليه أن ينظره الى أن يرى حكم الكتاب والسنة فى هذه الجزئيات ، ثم أخذ بعد ذلك يستعرض ما ورد فى الشرع بازائها ، حتى إذا استأكد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من أنه حث على التخلق بها ، ونهى عن أضدادها ، أعلن أن الكلية المؤلفة من هذه الجزئيات ومما يماثلها فى أمر الشرع بها هى الخير حقا .

وعند الغزالى أن الأخلاق ليست مقصودة لذاتها ، وإنما الغاية منها هى تطهير النفس من الأدران وجعلها صالحة للتصوف . ومن أجل هذا عنى عناية فائقة بألصق الأخلاق بالتنسك ، فسمى الخمول فضيلة ، وأثنى كثيرا على الإخلاص والصبر والاحتمال ، وهاجم الرياء والكبر والتكبر والعجب فى شيء من العنف ، وساق على قبحها من الآيات والأحاديث والآثار ما يصورها فى أبشع الصور وأفظعها . ولكن ليس معنى هذا كله أن الغزالى قعد عن وضع القواعد الأخلاقيه ، كلا ، بل إنه تصرف فى هذه النظريات تصرف الرجل العالم المثقف الذى له آراء خاصة وأفكار شخصية .

وفوق ذلك فإنه كان من أدق علماء النفس العالميين وأعمقهم فى اكتشاف خفايا النفوس ودقائق الفروق القائمة بين الأفعال والتى لا يقوى على إدراكها إلا كل ذى بصيرة نفاذة ، وقد أهلته هذه الدقة الى أن يكون أقدر أهل عصره كافة على تعيين الفوارق الأخلاقية الدقيقة وتنظيمها ، كما جعلت أكثر ملاحظاته الأخلاقية بحوثا دقيقة عميقة عن بسائط الفوارق ، وهذا هو السر فى شعور الباحثين بتعذر تلخيصها عليهم ، وفى اكتفائهم بذكر أمثلة قيمة منها .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تعريف الخلق وإمكان تغييره :

يعتبر التعريف النظرى الذى وضعه أبو حامد للخلق إفشاء من جانبه لذلك السر الذى كان دائما يحرص على كتمانه ، وهو تأثره بالاغريق ، وإن لم يكن هذا التعريف هو الوحيد الذى سبق به قامه فى البوح بهذا السر ، كما سنشير الى ذلك فى شيء من الإيجاز . وإليك هذا التعريف :

« الخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية ، فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا ، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا » (١)

وعنده أن الخلق أو هذه الهيئة الراسخة فى النفس قد تكتسب من البيئة فتحسن بعد سوء ، وتسوء بعد حسن . ولذلك خطأ الذين قالوا بعدم إمكان تغير الأخلاق ، ورماهم بالقعود عن محاولة سلوك سبل الخير ، وهاجم رأيهم مهاجمة عنيفة ، وبرهن على صحة ما ذهب اليه بأنه ما دام أن طباع الحيوانات تتغير ، فطباع الانسان أحرى بذلك ، وأنه لو كان تغير الأخلاق مستحيلا لما كان للوعظ والإرشاد أية قيمة . وهو فى هذا يقول :

(١) انظر صفحة ٤٦ من الجزء الثالث من كتاب « إحياء علوم الدين » طبعة الحلبى .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه ، استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق ، فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته ، فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها ، فان الطباع لا تتغير ، واستدل فيه بأمرين : أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر ، فالخلقة الظاهرة لايقدر على تغييرها ، فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلا ، ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرا ، ولا القبيح يقدر على تحسين صورته ، فكذلك القبح الباطن يجرى هذا المجرى ؛ والثانى أنهم قالوا : حسن الخلق بقمع الشهوة والغضب ، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الآدمى ، فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة ، فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة ، وذلك محال وجوده ، فنقول : لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ، ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسنوا أخلاقكم . وكيف ينكر هذا فى حق الآدمى ، وتغيير خلق البهائم ممكن ، إذ ينقل البازى من الاستيحاش إلى الأنس ، والكلب من شره الأكل الى التأدب والامساك والتخلية ، والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد ، وكل ذلك تغيير للأخلاق (١) » .

وعنده أن الأصل فى الفطرة الانسانية هو الخير ، أما الشر فهو عروض التشوه لهذه الفطرة السليمة . ولهذا يمكن إزالة هذا التشوه وإرجاع الفطرة الى سلامتها الأولى وجمالها الطبيعى . وهو فى هذا يقول : « وإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل اليه والى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لوردت اليه والتزمت المواظبة عليه ؟ بل ميل النفس الى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهى الميل الى أكل الطين ، فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة . فأما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته ، فهو كالميل الى الطعام والشراب ، فانه مقتضى طبع القلب ، لأنه أمر ربانى ، وميله الى مقتضيات الشهوة غريب عن ذاته ، وعارض عن طبعه (٢) » .

وهو يرى أن أولئك الذين حادوا عن الفطرة ويراد إعادتهم الى الخير وترويضهم عليه ينقسمون الى أربعة أقسام :

القسم الأول : الانسان الغفل الذى يأتى المحظور وهو لايعرفه ، ويسمى جاهلا ، وصلاحه سهل .

القسم الثانى : الذى عرف الحسن من القبيح ، ولكنه قد تعود القبيح ، ويسمى فى نظر الغزالى جاهلا وضالا . أما نحن فلا نرى معنى لتسميته جاهلا إلا إذا وافقنا على رأى سقراط

(١) انظر صفحة ٤٨ من نفس المصدر . (٢) انظر صفحة ٥١ من الجزء المذكور .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

القائل بأن العلم يستلزم الفضيلة ، والجهل يستلزم الرذيلة ، لأن العلم والفضيلة ، أو الجهل والرذيلة كالماء والثلج ، حقيقتهما واحدة ، وصورتاهما مختلفتان . ولا ريب أن هذا هو أحد آثار الفلسفة الأغريقية على أبى حامد ، ولكننا نميل الى تسمية هذا القسم ضالا فقط .

القسم الثالث : الذى يرى الشر خيرا ، والحسن قبحا ، ويسمى : جاهلا وضالا وفاسقا . ولا يرجى صلاحه فى نظر الغزالى إلا على الندرة .

القسم الرابع : من يفعل الشر ويتباهى به ويفخر ، وهو أصعب الأشخاص فى الرياضة ، ويسمى جاهلا وضالا وفاسقا وشريرا .

الارادة عنده :

يسمى أبو حامد الارادة بالنية ، ويعرفها بأنها هى المنبعثة عن المعرفة والباعثة للقدرة ، وهو يجعلها أساسا للعمل ويرفعها عليه ويعتبرها خيرا منه كما اعتبرها الحديث النبوى ، فقال : « إنما الأعمال بالنيات » و « نية المرء خير من عمله » . والارادة فى رأيه تضعف وتقوى بالرياضة والتمرين ، فكما أن فى إمكان الفرد أن يضعف إرادته بالاهمال ، يستطيع كذلك أن يقويها بالعناية . وإليك ما يقوله فى هذا الشأن :

« وإذا حصل أصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه ، فان المواظبة على مقتضى صفات القلب تجرى مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفات ، فالمائل الى طلب العلم أو طلب الرياسة لا يكون ميله فى الابتداء إلا ضعيفا ، فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والأعمال المطلوبة لذلك ، تأكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع ؛ وإن خالف مقتضى ميله ، ضعف ميله وانكسر ، وربما زال ، بل الذى ينظر الى وجه حسن مثلا فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا لو تبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة ، والمخالطة والمحاورة ، تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ؛ ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله ، لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ، ويكون ذلك دفعا فى وجهه حتى يضعف ، لأن بين الجوارح والقلب علاقة حتى إنه ليتأثر كل واحد منهما بالآخر ، إلا أن القلب هو الأصل المتبوع ، فكأنه هو الأمير والراعى ، والجوارح كالخدم والرعايا والأتباع (١) »

التصوف عنده :

كان الغزالى شديد الميل الى القراءة ، واسع الاطلاع ، غزير الثقافة ، لم يدع مذهبا فى عصره إلا عرفه ، ولا رأيا إلا ألم به . ولهذا استطاع أن يهضم نظريات الفلاسفة هضما يمكنه من

(١) انظر صفحة ٣١٤ من الجزء الرابع من « إحياء علوم الدين » .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بسطها ومناضلتها ، واستطاع أن يتغلغل الى علم الكلام فيعرف ما فيه من نفع وضر ، وما ينتج من الاشتغال به من خير وشر ، وأن يصدر بعد ذلك حكمه الفاصل الذى قسمه الى قسمين ، وحدد لكل قسم منهما أهله الذين يجوز لهم الاشتغال به ، واستطاع كذلك أن يكوّن للأمة العربية فى الأخلاق والتربية وعلم النفس تراثا صالحا منظورا إليه من علماء أوروبا فى العصر الحديث بعين الاحترام والإجلال .

بهذا العلم الواسع ، وبذلك النشاط النادر اللذين أوصلا الغزالى الى معرفة كل ما فى عصره ، استطاع أن يدرس منتجات الصوفية دراسة عميقة دقيقة كما هو شأنه فى كل ما درس ، فأحاط بمخلفات : المحاسبى والمزنى والشافعى وحرملة والجنيد والحلاج وأبى طالب المكى ، والقشيرى والبسطامى وغير هؤلاء ، إحاطة مكنته من معرفة مذاهبهم المختلفة ، وآرائهم المتباينة ، ثم أخذ يفكر فى هذه الآراء طويلا حتى انتهى به تفكيره الى أن المعرفة البصيرية التى لا تجىء عن طريق الحواس ممكنة بدليلين ، الاول : أن الأنبياء عرفوا من طريق غير طريق الحواس ، وشاهد ذلك معجزاتهم الباهرة . والدليل الثانى : أن العالم قسمان : مرئى وغير مرئى ، وليس من الطبيعى أن يكون للمرئى أدوات يعرف بها دون الغير المرئى ، فإذا كانت أدوات المرئى هى الحواس ، فأدوات الغير المرئى هى البصيرة ، وعلى ذلك ثبتت المعرفة البصيرية ، وإذا ثبت إمكان هذه المعرفة ، وجب الاشتغال بالبحث عن وسيلتها التى ليست شيئا آخر إلا التصوف العملى الذى لا يكاد المرء يبدأ فيه بإخلاص حتى يشاهد طلائع نتائجه ، ثم يظل يرقى من درجة الى ما فوقها حتى يفوز بما شاء الله له به ، وهو يصف هذا فيقول :

« ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات ، حتى إنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال الى درجات يضيق عنها نطاق النطق (١) » .

غير أنه يلاحظ أن هذين الدليلين اللذين ساقهما أبو حامد لا يقنعان إلا المؤمنين بالأنبياء وبالعالم « اللامرئى » . ولعله كان يريد مناقشة المسلمين الذين آمنوا بالوحى من ناحية ، وأنكروا الكشف من ناحية أخرى ، وهو لذلك يقول : « وبالجملة : فمن لم يرزق منه شيئا بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الاسم . وكرامات الأولياء هى على التحقيق بدايات الأنبياء . وكان ذلك أول حال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل الى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد ، حتى قالت العرب : إن محمدا عشق ربه (٢) » .

ومهما يكن من الأمر ، فقد اقتنع الغزالى بوجود المعرفة « اللاحسية » ولكنه أيقن بأنها مستحيلة بدون التصوف العملى الذى يبدأ بقطع علائق الحياة الدنيا وهجر الأموال والمناصب

(١) انظر صفحة ٢٨ من كتاب المنقذ من الضلال للغزالى (٢) انظر صفحة ٢٩ من المنقذ .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والشهرة والجاه واعتزال المجتمع كما أشرنا الى ذلك آنفا ، فجعل هـذا اليقين يعذبه ويشقيه ويصرفه عن كل ما حوله ، ويفزه من جميع مظاهر الحياة زهاء ستة أشهر . وبعـد هذه المدة اعتزل العالم وخلص لربه يناجيه ويصافيه ، ففتح له ـ كما يقول ـ الباب ، وزال من أمامه الحجاب ، فانغمس فى الغيبوبة وانسكب عليه الالهام وفاز بالمعرفة . وهو فى هذا يقول :

« وآثرت العزلة أيضا حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر ، وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال ، وضروريات المعيشة تغير فى وجـه المراد ، وتشوش صفوة الخلوة ، وكان لا يصفو الحال إلا فى أوقات متفرقة ، لـكن مع ذلك لا أقطع الطمع منها فتدفعنى عنها العوائق وأعود إليها ، ودمت على ذلك مقدار عشر سنين ، وانـكشف لى فى أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها (١) » .

غير أن هـذه المعرفة — فى رأيه — معرفة عجيبة لا يمكن التعبير عنها بلغة هذا العالم ، فإذا حاول من أوتيها التعبير عنها وقع فى الخطأ ، وإذا تمادى هوى فى الضلال ، لأنه لا يلبث أن ينطق بألفاظ توهم الحلول أو وحدة الوجود أو غير ذلك من المذاهب الضالة . وإذاً فمن الخير للمتصوف ألا يزيد على قوله : عرفت ولا أدرى ماذا عرفت . وإليك نصيحته فى هذا المقام :

« ولا يحاول المعبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه . وعلى الجملة : ينتهى الأمر الى قرب يكاد تتخيل منه طائفة الحلول ، وطائفة الاتحاد ، وطائفة الوصول ، وكل ذلك خطأ . وقد بينا وجه الخطأ فيه فى كتاب « المقصد الأقصى » بل الذى لابسته تلك الحالة لا ينبغى أن يزيد على أن يقول :

وكان ما كان مما لست أذكره   فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر(٢) »

رأينا من كل ما تقدم أن أبا حامد يؤمن بالمعرفة البصيرية ، ويرى أن وسيلتها هى التصوف ، ويؤمن كذلك بأن حالة المتصوفين تشبه حالة الأنبياء قبل الرسالة ، ويعتقد أن الانسان قد يصل الى الـكمال الأخـلاقى إذا فصم عرا الصلات بينه وبين المـادة ، ورأينا كذلك أنه يسخر من المرتابين الذين لا يؤمنون إلا بالحواس ومعارفها الظاهرة ، ولاحظنا أيضا أنه لا يقر الحلولية ولا الوحدية اللتين فهمتا من تعبيرات بعض من سبقوه من الصوفية ، وأنه عد هذه التعبيرات منهم خطأ أوقعهم فى التهمة ، وأوقع الجماهير فى سوء الفهم .

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

(١) انظر صفحة ٢٩ من نفس الـكتاب . (٢) انظر صفحة ٢٨ من الـكتاب المذكور

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

حياة رجالات الإسلام

على بن أبى طالب

— ١٠ —

مرت حياة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى طورين عظيمين ، اختلفت مظاهرهما اختلافا كبيرا ، قد يجد الباحث فى أول وهلة شيئا من العناء فى سبيل توحيد أحداثهما التاريخية حتى تتألف منها شخصية تاريخية واحدة ، لما يخاله الناظر فى الحوادث من المفارقات التى تستتر أسبابها وعللها وراء حجاب من مسابقة الوقائع وتتابعها ، حتى إذا سبر غورها وحللها الى مناشئها ، وردها الى مصادرها ، تضامت والتأمت صورة واحدة تعبر عن طبيعة واحدة بألوان تختلف باختلاف البيئة الاجتماعية وأطوارها ، ولم تكن ثمة بيئة اجتماعية أسرع تطورا ، وأرمى بالحوادث من البيئة التى عاش فيها أبو حسن كرم الله وجهه .

وقد كان لهذه البيئة الأثر الفعال فى تكوينه ، فهو ربيب النبوة وحضين الوحى ، لا يرى ولا يسمع إلا الحق والصدق ، ولا يعرف إلا الصراحة والاخلاص ورعاية العهد ، يقسو ويغضب لله ، ويرحم ويرضى لله ، لا يجد النكر والمداورة الى نفسه سبيلا ، لا يداهن ولا يخادع ، شديد التجافى عن الدنيا وزخارفها ، كيف لا وقد ضمه النبى صلى الله عليه وسلم الى كنفه قبل أن يشب عن الطوق ، يربيه ويرعاه ويحنو عليه ، ويأخذه بأدب الوحى غضا طريا ، حتى كان منه سابق الأمة الى الهدى والحق ، وفارسها المظفّر فى ميادين الجهاد ، لم تنكس له راية ، ولم يسقط له لواء ، ظل طوال مرحلته الأولى يتنقل من نصر الى نصر مؤيدا من روح الله ، مجمعا على حبه وموالاته ، لم تهمل كلمته ، ولم يهدر رأيه ، عظيم معظم ، فخم مفخم ، سيد مبجل ، حبر الأمة وعيلمها فى حلبات الفكر وفنون العلم والمعارف ، وقاضيها الأعدل إذا حزبتها الأمور وغامت عليها الحقائق ، وفيصلها الملهم إذا تعقدت أمامها المعضلات ، وحكيمها إذا ادلهمت بوائق الأعاصير ، وخطيبها الذى لا يتملق بغباره اللسن المقاويل ، ووزير نبيها صلى الله عليه وسلم ، وأمير كتائبها ، صاحب القول الفصل والصوت المسموع .

هكذا كان فى طوره الأول من حياته منذ مس قلبه برد الحنان المحمدى وهو فى مهده ، الى أن ولى الخلافة فى جو من الأحداث بسطناه فى مقالاتنا السابقة بقدر ما اتسع له الزمن ووصل اليه جهد البحث .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أما الطور الثانى فهو الذى يبدأ بولايته الخلافة ، وإن شئنا الجنوح الى التدقيق رأينا هذا الطور يبدأ بولاية عثمان رضى الله عنه للخلافة ، فقد تكشفت بها طوايا قوم اتخذوا الاسلام رداء يسترون وراءه جاهلية حمقاء ، لا يكنون لعلى وآل بيته رضا ومحبة ، وكأنهم فى توائبهم عليهم كانوا يتربصون بهم الفرص ، وقد حال حزم الصديق وصرامة الفاروق فى خلافتهما دون ظهور أية شائبة لتلك الأحقاد الموروثة ، فلما تولى عثمان رضى الله عنه ، وكان دمث الأخلاق ، حييا ، لين العريكة سمح الطبيعة ، قريب الرضا ، بعيد الغضب ، وصولا لرحمه ، بارا بقومه ، ساس الأمة بطبيعته هذه ، ولم ينظر الى هؤلاء النفر من شباب أمية وجفاة الأعراب نظر حزم وصرامة حتى باعدوا بين الخليفة والأمة ، ووقعت الطامة ، وتبوأ على كرم الله وجهه أريكة الخلافة الاسلامية ، ولم يبايعه معاوية رحمه الله ومن ورائه أهل الشام ، ونقض بيعته طلحة والزبير رحمهما الله ، وأخرجا أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها تؤلب الناس عليه ، وانخذل عنه الخوارج ، وكانوا من أقوى أصحابه شكيمة فأصبحوا شوكة فى جسم إمامته ، كل هؤلاء ناصبوه كرم الله وجهه العداء وعالنوه الحرب ، وهو فى جند متخاذلين ، يدعوهم فلا يجيبون ، ويأمرهم فلا يطيعون ، حتى انتهى الى غدرة الخوارج به ، وما استقر له السلام يوما واحدا .

فكيف تم هذا وعلىّ هو من وصفنا فى عبقريته وفضله وعلمه وفقهه وشجاعته وبطولته ، ولم يكن فى منافسيه من يجرى فى شوطه ؟ هل كان ذلك لأن عليا رضى الله عنه لم يكن داهيا فى السياسة كمعاوية وعمرو رحمهما الله كما يزعم بعض من لم يسبر غور الرجال ولم يتعرف سياسة الدين والشريعة ومقاصدها ؟

يتولى الامام أبو عثمان الجاحظ الاجابة عن هذا التساؤل ، ونحن نلخص كلامه ، قال : « وربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتميز ، وهو من العامة ويظن أنه من الخاصة ، يزعم أن معاوية كان أبعد غورا وأصح فكرا وأجود روية وأبعد غاية وأدق مسلكا ، وليس الأمر كذلك ، وسأومى اليك بجملة تعرف بها موضع غلطه ، والمكان الذى دخل عليه الخطأ من قبله :

« كان علىّ عليه السلام لا يستعمل فى حربه إلا ما وافق الكتاب والسنة ، ويقول فى حربه : لا تبدءوهم حتى يبدءوكم ، ولا تتبعوا مدبرا ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تفتحوا بابا مغلقا . وسيرته فى الرؤساء كسيرته فى الحاشية والحشود والاتباع والسفلة وأصحاب الحروب ، إن قدروا على البيات بيتوا ، وإن قدروا على رضخ الجميع بالجندل وهم نيام فعلوا ، وإن أمكن ذلك فى طرفة عين لم يؤخروه الى ساعة ، وإن كان الحرق أعجل من الغرق لم يقتصروا على الغرق ، ولم يؤخروا الحرق الى وقت الغرق ، وإن أمكن الهدم لم يتكلفوا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولم يدعوا أن ينصبوا المجانيق والعرادات والنقب والترنيب والدبابات والكمين ، ولم يدعوا دس السموم ولا التضريب بين الناس بالكذب ، وطرح الكتب فى عساكرهم بالسعايات ، وتوهيم الأمور ، وإيحاش بعض من بعض وقتلهم بكل آلة وحيلة ، وكيف وقع القتل ، وكيف دارت بهم الحال ، فمن اقتصر من التدبير على ما فى الكتاب والسنة كان قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير وما لا يتناهى من المكايد .... فعلىّ عليه السلام كان ملجما بالورع عن جميع القول إلا ما هو لله عز وجل نصا ، وممنوع اليدين من كل بطش إلا ماهو لله رضا ، ولا يرى الرضا إلا فيما يرضاه الله ويحبه ، ولا يرى الرضا إلا فيما دل عليه الكتاب والسنة دون ما يعول عليه أصحاب الدهاء والمكر والمكايد والآراء » .

وحسبنا هذا القدر من كلام الجاحظ ، فقد أطال أبو عثمان النفس حتى لم يبق لأحد مقالا .

ومن البدائه أن عليا كرم الله وجهه لم تكن لتخفى عليه تلك القالة ، ولم يكن ليخفى عليه أمر نفسه ، فدافع بكلمة واحدة أقام صرح الحجة فقال : « لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب »

وهذه السياسة الشرعية التى كان أمير المؤمنين يتقيلها فى رعيته لم يتركها عملية فحسب ، ولكنه كان يحب أن يشعر بها الأمة لتتربى فيها العزة والنخوة وكرامة النفس والاعتداد بالشخصية ، فقد خطب الناس يوما فقال :

« أما بعد : فقد جعل الله سبحانه لى عليكم حقا بولاية أمركم ، ولكم علىّ من الحق مثل الذى لى عليكم ، والحق أوسع الأشياء فى التواصف ، وأضيقها فى التناصف ، لا يجرى لأحد إلا جرى عليه ، ولا يجرى عليه إلا جرى له ، ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض ، فجعلها تتكافأ فى وجوهها ، ويوجب بعضها بعضا ، ولا يستوجب بعضها إلا ببعض ، وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالى على الرعية وحق الرعية على الوالى ، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل ، فجعلها نظاما لألفتهم وعزا لدينهم ، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية : فإذا أدت الرعية الى الوالى حقه وأدى الوالى إليها حقها عز الحق بينهم ، وقامت مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدل ، وجرت أذلالها السنن ، فصلح بذلك الزمان ، وطمع فى بقاء الدولة ، ويئست مطامع الأعداء ، واذا غلبت الرعية واليها ، أو أجحف الوالى برعيته ، اختلفت هنالك الكلمة ، وظهرت معالم الجور ، وكثر الأدغال فى الدين ، وتركت محاج السنن ، فعمل الهوى وعطلت الأحكام ، وكثرت علل النفوس ، فلايستوحش لعظيم حق عطل ، ولا لعظيم باطل فعل ، فهنالك تذل الأبرار وتعز الأشرار ، وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد ، فعليكم بالتناصح فى ذلك وحسن التعاون عليه ، فليس أحد وإن اشتد على رضا الله حرصه وطال فى العمل اجتهاده ، ببالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له ، ولكن من واجب حقوق الله سبحانه على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحق بينهم ، وليس امرؤ وإن عظمت فى الحق

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

منزلته وتقدمت فى الدين فضيلته بفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه ، ولا امرؤ وإن صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه » .

هذه كلمة من أروع كلمات أمير المؤمنين رضوان الله عليه ، وهى من طراز كلمة الصديق الأكبر رضى الله عنه فى أول خطبة خطبها بعد ولايته فقال : « أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم الخ » ، ومن طراز كلمة الفاروق رضى الله عنه : « متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » . لكن كلمة أبى تراب مفصلة ؛ وهذه الكلمات من أولئك العبقريين هى أساس دستور الحرية الفاضلة أو الديموقراطية العادلة ، كما يقول التعبير الحديث ، التى قام عليها نظام الدولة الاسلامية فى القرآن الكريم ، وفى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وسنته .

فليتأمل القارئ فى قوله كرم الله وجهه : « ولكم على من الحق مثل الذى لى عليكم » فانه تحديد للعلاقة بين الرعية والراعى ، وتوطيد لحق الأمة ونظام العدالة العامة ، وهذا الذى رتبه نفس أمير المؤمنين فى ثنايا كلامه حيث يقول : « فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية » .

أما مقامه كرم الله وجهه فى البلاغة والأدب فناهيك به ، مقام تجمعت له عناصر لم تتوافر لغيره من الناس : فمن من دوحة قريش أفصح العرب ، وغصن هاشمى ، وتربية نبوية ، ونشأة إسلامية ، وشباب حرب وجلاد ، ونضال وجهاد ، لحماية الدعوة وتبليغ الرسالة ، ورجولة أحداث عواصف ، وكهولة إمارة محسودة ، وأعداء متضافرون على باطلهم ، وأنصار كحميل السيل ، كثرة جوفاء متخاذلون على حقهم ، وفتن تمسى وتصبح كقطع الليل ، تذر الحليم سفيها والعقول حيرى . تلك هى بعض مقومات البلاغة العلوية التى تفرد بها أمير المؤمنين ، فكانت نفحة من العلم الالهى ، وعبقة من البيان النبوى ، وإعجازاً لقادة الأدب العربى ، من القرآن الحكيم منبعها ، ومن الفصاحة المحمدية مشرعها ، زويت لغة العرب فى نصاعة ألفاظها وجزالة أسلوبها ، وتجمعت له الأفكار على تباين مراميها اجتماع الغيث فى أخصب الأودية ، ففاضت على لسانه علما وحكمة وزجرا ووعيدا ، ووعدا وترغيبا ونصحا وتزهيدا ، حتى كان فى ذلك كله — كما قال الرضى — مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ، ومنه ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب ، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ .

وإذا أضفنا الى ذلك أنه هو واضع علم العربية ، وعلى قواعده أسس أبو الأسود الدؤلى علم النحو ، علمنا أن على بن أبى طالب كان واحدا من أفذاذ قادة الفكر الاسلامى فى جميع فنون الاسلام وعلومه ، والذى كتبناه عنه إشارات تفتح الباب للباحثين ، وترشد شباب الاسلام الى مواطن العظمة فى رجالاته . ولننقل الكلام الى غيره من قادة الفكر فى تاريخ الاسلام ؟

صادق ابراهيم عرجون

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أبو حيان التوحيدى وفلسفته

اجتمعت فى بلاد الاسلام فى القرن الرابع الهجرى عوامل لحضارات مختلفة ، من فارسية ورومية وهندية ، نشأت منها آثار سياسية ودينية واجتماعية ، فكثر فى هذا العصر المترفون ، وشاعت فيه فنون الخلاعة والمجون ، ونوافل الشهوات ، ولم يكن للعلم منهج واحد فى ذلك العصر ولكنه كانت له مناهج كثيرة ، منها منهج أهل السنة ، ومنهج الفرق الاسلامية ، ومنهج العلوم الكونية من يونانية وفارسية وهندية وغيرها .

فالقرن الرابع الهجرى عصر أثمر فيه الخطأ كما أثمر فيه التوفيق ، كما كان عصر الثقافة العامة ، حيث كثرت فيه المشاركة فى مسائل البحث والمطابقة .

والظاهر أن علم النجوم والرياضيات كان أروج العلوم الكونية وأكثرها طلابا ، لشيوع الحضارة اليونانية التى كان أهلها يؤلهون الكواكب وينسبون اليها التأثير فى الأرض .

وعلى الجملة كان القرن الرابع ، وهو العصر الذى ظهر فيه التوحيدى ، فيه التشيع بدرجاته ، والاعتزال بطوائفه ، والسنة باختلاف أقوال المجتهدين فيها ، والفلسفة بمذاهبها ، والعلوم الكونية بشعابها ، حيث تولد من كل ذلك كثرة الآراء وتعدد وجهات النظر ، فكان الإحساس بالعقيدة الدينية يحرك بواعث الغيرة عليها ، ويزعج النفوس الى المناضحة عنها .

ترجمة حياة أبو حيان التوحيدى :

هو على بن محمد بن العباس ، أبو حيان التوحيدى ، اختلف المؤرخون بين نسبته الى شيراز أو واسط ، ومهما يكن من خلاف فانه فارسى الأصل ، وأنه عاش فى القرن الرابع ، وشهد صدر القرن الخامس ؛ وجاء فى تاريخ شيراز أنه توفى سنة ٤١٤ هجرية . وكما اختلف المؤرخون فى أصله اختلفوا فى نسبته ، فقال ابن قاضى شهبة : إن أباه كان يبيع نوعا من التمر العراقى فى بغداد يقال له : التوحيد ، وعليه اعتمد الزبيدى صاحب التاج . وقال ابن حجر : يحتمل أن يكون قد نسب الى التوحيد الذى هو الدين ، فان المعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد . ولعل رأى ابن حجر هو الأرجح ، لأن أبا حيان كان يرى صحة أصول المعتزلة .

لم يقتصر أبو حيان فى تلقى علومه ومعارفه على شيوخ بغداد ، بل ذهب الى البصرة . وهنا يقول ابن السبكى : تفقه أبو حيان على القاضى أبى حامد المروروزى ، وسمع الحديث من أبى بكر الشاشى وأبى سعيد السيرافى وجعفر الخلدى . وكان أبو حيان فيما نقل ياقوت

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

متفننا فى جميع العلوم ، درس ما عرف فى عصره من الفلسفة والمنطق والأدب والطبيعيات والإلهيات والتصوف وعلوم الكلام ، وكان صوفى السمت والهيئة ، جاحظيا ، يسلك فى تصانيفه مسلك الجاحظ .

ظهرت فى القرن الرابع خصومات كانت تشتد وتقوى ، نراها ممثلة فى الآثار العلمية لذلك العهد . ومن هذه الآثار مجادلات ورسائل تبين لنا طريقة الكتاب فى شرح حقائق الحياة ، وكان دفاع أولئك الكتاب يفيض حيوية وقوة ، ويحتوى على مباحث قيمة من النواحى النفسية والاجتماعية والأدبية التى تمتاز بها الأمم والشعوب . ويظهر أنهم كانوا يميلون الى إمتاع النفس بالصراحة المطعمة بما تمليه عليهم عقولهم وحواسهم جميعا . ومن أهم الجوانب التى تمثل الحياة العقلية فى ذلك العصر خصومة الهمذانى والخوارزمى ، وخصومة التوحيدى والصاحب ابن عباد . فالهمذانى كان يريد من الخصومة الشهرة والاستعلاء على غريمه فى ميدان الجدل والنقاش ، أما التوحيدى فكان يرغب فى مال ابن عباد ، ولما ضاق عنه صدر هذا ، كتب التوحيدى كتاب « مثالب الوزيرين » كشف به نوايا ابن العميد وابن عباد ، ثم عاد اليهما بالتجريح مرة أخرى فى كتابه الامتاع والمؤانسة بأسلوب شديد .

حدثنا التوحيدى فى كتابه مثالب الوزيرين (انظر ياقوت ص ٣٩٦ ج ٥) أنه لما قدم على الصاحب قدم اليه نجاح بن سلمة ناظر خزانة كتبه ثلاثين مجلدة من رسائله وقال : يقول لك مولانا الشيخ : انسخ هذا فانه قد طلب منه بخراسان . فارتاع التوحيدى وخاف على بصره من نسخ تلك الرسائل الطوال ، ثم تضجر وتبرم وأشار الى أنه توجه من العراق الى باب الصاحب ليتخلص من شؤم حرفة الوراقة التى لم تكن كاسدة ببغداد . ولما وصل ذلك الى الصاحب حقد عليه ، وكان رجلا لا يقبل أن يعصى له أمر ، أو يراجع فى قول ، فكان ذلك من أسباب إهمال التوحيدى عند الصاحب ، فرحل عنه ، وكان يقول : « وما ذنبى أن ذكرت عنه ما جرعنيه من مرارة الخيبة بعد الأمل ، وحملنى عليه من الاخفاق بعد الطمع ، مع الخدمة الطويلة والوعد المتصل ، والظن الحسن ، حتى كأنى خصصت بخساسته وحدى ، أو وجب أن أعامل بها دون غيرى » !

ولما ضاقت الدنيا أمام التوحيدى أتى على كتبه حرقا ، وقد أبان علة ذلك فى رسالة طويلة كتبها الى القاضى أبى سهل على بن محمد تنطق بالألم ، وتصور حياة البؤس والشقاء لمن رزقه الله دقة الحس وقوة الإدراك ، فنراه يصور بلواه للناس أصدق تصوير حين يقول :

« جاورتهم عشرين سنة فما صح لى من أحدهم وداد ، ولا ظهر لى من إنسان منهم حفاظ ، ولقد اضطررت بينهم بعد العشرة والمعرفة فى أوقات كثيرة الى أكل الخضر فى الصحراء ، والى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة ، والى بيع الدين والمروءة ، والى تعاطى الرياء

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالسمعة والنفاق ، وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويطرح فى قلب صاحبه الألم ، وأحوال الزمان بادية لعينك ، بارزة بين مسائك وصباحك ، وليس ما قلت بخاف عليك مع معرفتك وفطنتك ، وشدة تتبعك وتفرغك ، وما كان يجب أن ترتاب فى صواب ما فعلته وأتيته ، بما قدمته ووصفته ، وبما أمسكت عنه وطويته ، إما هربا من التطويل ، وإما خوفا من القال والقيل » .

ترك أبو حيان من آثاره الذهنية الكثير من المصنفات ، وقد وصفها فى مختلف العلوم والمعارف والآداب ، والتزم فى بسطها وإيضاحها طريقة التناظر والتجاور وأسلوب المحاضرة والمسامرة .

وإليك ما وقف عليه المؤرخون من مصنفاته :

(١) البصائر والمناظرات ، (٢) الامتاع والمؤانسة ، (٣) المقابسات ، (٤) الرد على ابن جنى فى شعر المتنبى ، (٥) الزلفة ، (٦) تقريظ الجاحظ ، (٧) مثالب الوزيرين أبى الفضل بن العميد والصاحب بن عباد ، (٨) الاشارات الإلهية ، (٩) رياض العارفين ، (١٠) الحج العقلى إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعى ، (١١) رسالة فى صلات الفقهاء فى المناظرة ، (١٢) فى أخبار الصوفية ، (١٣) فى الحنين الى الأوطان ، (١٤) فى الصديق والصداقة ، (١٥) فى ثمرات العلوم ، ثم الرسالة البغدادية .

وقد زعم مرجليوث المستشرق الانجليزى أن كتاب التذكرة التوحيدية وكتاب أخبار القدماء وذخائر الحكماء من ضمن مؤلفات التوحيدى .

كتاب المقابسات :

صورة حية لعقلية التوحيدى ، ونموذج شاخص لما كان عليه عصره من حياة الفكر والعقيدة ، يخيل للباحث أنه متاع قليل ، ولكنه فى الحقيقة مركز فى الكثير من العلم والفلسفة ، طبع الكتاب أولا فى الهند ، ثم طبع أخيرا فى مصر ، يحاكى الجاحظ فى أسلوبه الفلسفى والأدبى ، ويترك السجع ويقبل على الازدواج . وكتاب المقابسات مشحون بالموضوعات الكثيرة بحثا وراء الطبيعة ، وفى الطبيعة وفى العقل ، وفى الفرق بين العقل والعمل ، وفى القضاء بين السلب والإيجاب ، وفى أن النفس ليست قائمة بذاتها .

وبالرغم من أن كتاب المقابسات عبارة عن ١٠٦ مقابسة إلا أنه يدور حول هذه الموضوعات الستة الآتية :

(أولا) تطهير النفس وتجردها من الشوائب البدنية .

(ثانيا) الناموس الإلهى ووضعه بين الخلق .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(ثالثا) شرف الزمان والمكان .

(رابعا) الحركة والسكون وأيهما أقدم .

(خامسا) معرفة الله تعالى أضرورية أم استدلالية .

(سادسا) فى أننا نساق بالطبيعة الى الموت وبالعقل الى الحياة . تستهويك فى الكتاب الفكرة السانحة العابرة ، والنظرة الدقيقة الفاحصة ، تراه يتدرج فى بحثه من الطبيعى الى ماوراء الطبيعى ، ومن المحسوس الى المعقول ، ثم يعطيك البرهان الصحيح فى جدل مستقيم ، وتعبير فلسفى متزن ، أن الكون محدود بمقاييس ، وأن الإنسان محدود بهذه المقاييس ، جريا على سنة الطبيعة وانسجاما لقانونها الإلهى المطرد فى الكائنات . وكان شعار التوحيدى فى بحثه قوله :

« يجب على الفيلسوف أن يكون يقظ العقل ، وأن يصغى لكل رأى ، ولكن لا يكون مصدر الحكم إلا نفسه ، لا يخدع بالظواهر ، ولا يميل الى فرض فروض خاصة ، ليس تابعا لمذهب معين ، لا يخدم الأشخاص ولكن يحترم الحقائق ، غرضه الأسمى الوصول الى الحق ، فإن هو أضاف الى ذلك الجد فى السعى ، كان خليقا أن يخترق حجب الظواهر ، ويصل الى حقائق هذا العالم » . فالتوحيدى عالم قد حنكته السن ، وأيدته التجربة ، وأحكمته الأمور .

وكتاب المقابسات لايقرؤه من سئم المثل العليا ، وكذب بالأغراض الرفيعة ، وفترت فيه قوة العقيدة ، بل هو كتاب يستشعر فيه القارئ رؤية العقل ، وصفاء الإحساس ، وأن الكون مجال حياة وأسرار يولد فيه الانسان مخلوقا حيا عريق الأصول فى آباد لا نهاية لها . فالمقابسات وإن كانت مجموعة من الآراء والخواطر الفلسفية إلا أنها وحدة عامة يشيع فيها ما بين الفن والحياة من وشائج الصلة والقرابة . والتوحيدى فى كتابه المقابسات يحاول إثبات العلاقة بين الجواهر الروحانية وبين المواد الجسمانية عن طريق المعرفة ، فنراه يتعرض لجميع صور المعرفة من علم وأدب وفلسفة ودين ، يرسم لها مقاييس فى شريعة العقل ويحاول أن ينفذ الى صميم الأشياء ليستخلص الحقائق وينتزعها من أحضان المعارف الانسانية ، ويستوعب من مبادئ العلم ونظريات الفلاسفة القدماء من يونان وعرب ، كل ما تواضعوا عليه من حجج وأسانيد . كل هذا يجمعه التوحيدى ويبوبه فى كتابه المقابسات بطريقة جدلية تهذب التفكير وتستدعى التمحيص والاستقراء ، كل هذا رغبة فى الوصول الى ما بين الروح والجسد من تعارف .

والانسان منذ أبعد عصور التاريخ يحاول محاولة التوحيدى فى إيجاد تعليل يصح أن تقوم عليه شواهد العقل فى صلة الجسم بالروح . ففكرة التعليل هذه أخذت دورها عند الفرعون إخناتون ، وفى فكرة الانسان الكامل فى عقل سقراط ، وفى فكرة المنطق عند أرسطو ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفى فكرة الأسلوب والشك فى عقل ديكارت ، وفى فكرة المثاليات فى عقل اسبينوزا وكانت ، وفى فكرة التطور فى عقل دارون . والتوحيدى إزاء هذه القضية الروحانية أشبه بشيخ فى يده مصباح ينوء به وهناً وضعفا ، وعالم الروح بحر خضم ، والمصباح فى يد الشيخ غريق بين لجانه يلوح ويخفى .

شخصية التوحيدى :

هو رجل موهوب ، آمن بفكرة ، وأرصد خلاصة جهوده على تحقيقها ، ووطن النفس على السعى من أجلها بصرف النظر عما إذا كانت الظروف ستعاونه على تنفيذها فى يوم من الأيام أم ستخيب أمله وتغدر به وتخلف فى نفسه الحسرات .

والتوحيدى كان يفكر ويدرس ويضع الخطط وينظم برامج حياته . كان يتأمل فى أغراضه ويحددها ويعين اتجاهاتها ثم يتربص بالزمن ويسدد صفوة قواه كى ينقض عليه ويمتلكه ، ويطوعه لإرادته ، ويحوله الى خدمة مثله الأعلى ، فهو رجل يعلم ما يريد ، ثم يحدد فيما بينه وبين نفسه خلاصة ما يريد . فالتأهب الثقافى كان العامل الأول فى تكوين شخصية التوحيدى مضافا اليها إيمانه بالمثل الأعلى إيمانا صوفيا شبه دينى استغرق فكره ، واحتل عاطفته ، واستحوذ على مشاعره .

ومتى توافرت عناصر الايمان ، اقترن العمل وتنفيذه بإرادة جبارة . وهذه العناصر كانت متوفرة فى شخصية التوحيدى ، فإرادته لم تكن فى يوم من الأيام رخوة ، ولم تنشد المستحيل ، ولم تصطدم بصخرة الأمل الخيالى الباطل ، بل كانت إرادة حكيمة عرفت كيف توفق بين مطامعها وبين مقتضيات الواقع ، وما يمكن أن تسمح به ظروف الحياة العملية .

والتوحيدى كان يعيش فى عصر كل ما فيه يدفع الى المتعة واللذة ، والاستهتار ، وعدم الاكتراث . فلو أنه أطلق لغرائزه العنان واستسلم لهذه الدوافع التى يساق اليها الانسان بالضعف وبالرغبة المتأصلة فى الاستمتاع ، لانحط شعور الرجل بالكرامة ، وهبطت قواه المعنوية ، وعجز عن تأدية الواجبات التى يفرضها عليه المجتمع ، وتفرضها عليه قوانين التطور وطبيعة الحياة نفسها .

والتوحيدى كانت إرادته مظهرا لسريرته ، وعقيدته فى الحياة صورة لشخصيته . ويكفيه هذا من متاع الدنيا ؟

عبد الحميد سامى بيومى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

في عالم الأدب العربي

الشعوبية وأثرها في الأدب العربي

— ٥ —

كان العربى لا ينام على الضيم ، ولا يستشعر المذلة ، ولا يستسيغ الهزيمة ، ولا يرضى من الغنيمة بالإياب . كذلك كان حال النعمان بن المنذر بعد المناظرة التى جرت بينه وبين كسرى ، فقد بات مسهد الجفن ، قضيض المضجع ، موغر الصدر ، ملتاع الفؤاد ، إذ أنه ما كان يحسب أن كسرى ينظر الى العرب بهذا المنظار القاتم الذى وارى عنه فضائلهم ، وقضى عليهم بأنهم أخف الأمم وزنا ، وأهونها شأنا ، وأحطها مكانا .

فلما قدم الى بلاده أسلم رأسه الى التفكير ، فخرج من هذا المأزق بأوفق ما يخرج به زعماء الأمم المحنكون ، وقادتها الموفقون ، إذ بعث الى أكثم بن صيفى ، وحاجب بن زرارة ، والى الحارث بن ظالم ، وقيس بن مسعود ، والى خالد بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة ، وعامر ابن الطفيل ، وعمرو بن الشريد السلمى ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدى ، والحارث بن ظالم المرى ، وكلهم من حكماء العرب ، أو أبطالها المغاوير ، الذين لهم الباع الطويل فى اللسن ، وشدة المراس ، وقوة الحجاج ؛ فلما قدموا عليه فى الخورنق قال لهم : قد عرفتم هذه الأعاجم ، وقرب جوار العرب منها ، وقد سمعت من كسرى مقالات أخشى أن يكون لها غور ، ويكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولا كبعض طماطمته فى تأديتهم الخراج اليه كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله ؛ فاقتص عليهم مقالات كسرى وما رد عليه ؛ فقالوا : أيها الملك : وفقك الله ، ما أحسن ما رددت ، وأبلغ ما حججته به ! فمرنا بأمرك ، وادعنا الى ما شئت . قال : إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكت وعززت بمكانكم ، وما يتخوف من ناحيتكم ، وليس شىء أحب إلى مما سدد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزكم ؛ والرأى : أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط ، وتنطلقوا الى كسرى ، فإذا دخلتم عليه نطق كل منكم بما حضره ، ليعلم أن العرب على غير ما ظن ، أو حدثته نفسه ، ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه ، فانه ملك عظيم السلطان ، كثير الأعوان ، مترف معجب بنفسه ، ولا تنخزلوا له انخزال الخاضع الذليل ، وليكن أمر بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم ، وفضل منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صيفى لسنى حاله ، ثم تتابعوا على هذا الأمر من منازلكم التى وضعتكم بها ، فإنما دعانى الى التقدمة إليكم على بجميل كل رجل

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

منكم على التقدم قبل صاحبه . ثم دعا لهم بما فى خزائنه من طرائف حلل الملوك ، وألبس كل رجل منهم حلة وعممه بعمامة ، وختمه بياقوتة ، وأمر لكل رجل منهم بنجيبة مهرية ، وفرس نجيبة ، وكتب معهم كتابا جاء فيه : « أما بعد : فإن الملك ألقى الىّ من أمر العرب ما قد علم ، وأجبته بما قد فهم ، بما أحببت أن يكون منه على علم ، ولا يتلجلج فى نفسه أن أمة من الأمم التى احتجزت دونه بمملكتها ، وحمت ما يليها بفضل قوتها ، تبلغها فى شىء من الأمور التى يتعزز بها ذوو الحزم والقوة ، والتدبير والمكيدة ، وقد أوفدت أيها الملك رهطا من العرب لهم فضل فى أحسابهم وأنسابهم ، وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك ، وليغمض عن جفاء إن ظهر من منطقهم ، وليكرمنى بإكرامهم ، وتعجيل سراحهم ، وقد نسبتهم فى أسفل كتابى هذا الى عشائرهم » .

فخرج القوم فى أهبتهم ، حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا إليه كتاب النعمان ، فقرأه وأمر بإنزالهم الى أن يجلس لهم مجلسا يسمع منهم ، فلما أن كان بعد ذلك بأيام أمر مرازبته ووجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسى عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التى وصفهم النعمان بها فى كتابه ، وأقام الترجمان ليؤدى إليه كلامهم ، ثم أذن لهم فى الكلام ، فقام أكثم بن صيفى فقال :

« إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعا ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر لجاجة ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطىء ، آفة الرأى الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة ، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى ، من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من خافه البرىء ، خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته ، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل ، حسبك من شر سماعه ، الصمت حكم وقليل فاعله ، البلاغة الإيجاز ، من شدد نفر ، ومن تراخى تألف » .

فتعجب كسرى من أكثم ثم قال : ويحك يا أكثم ! ما أحكمك وأوثق كلامك ، لولا وضعك كلامك فى غير موضعه ! قال أكثم : الصدق ينبئ عنك لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكثم : ربّ قول أنفذ من صول .

ثم قام حاجب بن زرارة التميمى فقال : « ورى زندك ، وعلت يدك ، وهيب سلطانك ! إن العرب أمة قد غلظت أكبادها ، واستحصدت مرتها ، ومنعت درتها ، وهى لك وامقة ما تألفتها ، مسترسلة ما لاينتها ، سامعة ما سامحتها ، وهى العلقم مرارة ، وهى الصاب غضاضة ،

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والعسل حلاوة ، والماء الزلال سلاسة ، نحن وفودها اليك ، وألسنتها لديك ، ذمتنا محفوظة ، وأحسابنا ممنوعة ، وعشائرنا فينا سامعة مطيعة ، إن نؤب لك حامدين خيرا فلك بذلك عموم محمدتنا ، وإن نذم لم نخص بالذم دونها » .

قال كسرى : يا حاجب : ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها ! قال حاجب : بل زئير الأسد بصولتها ، قال كسرى : وذلك .

ثم قام الحارث بن عباد البكرى فقال : دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلو سنائها ، من طال رشاؤه كثر متحه ، ومن ذهب ماله قل منحه ، وهذا مقام سيوجف بما تنطق به الركب ، وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب ، ونحن جيرانك الأدنون ، وأعوانك المعينون ، خيولنا جمة ، وجيوشنا فخمة ، إن استنجدتنا فغير ربض ، وإن استطرقتنا فغير جهض ، وإن طلبتنا فغير غمض ، لا ننثنى لذعر ، ولا نتنكر لدهر ، رماحنا طوال ، وأعمارنا قصار » .

قال كسرى : أنفس عزيزة والله ضعيفة ! قال الحارث : أيها الملك : وأنى يكون لضعيف عزة ، أو لصغير مرة ؟ قال كسرى : لو قصر عمرك لم تستول على لسانك نفسك .

قال الحارث : أيها الملك : إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتيبة مغررا بنفسه على الموت فهى منية استقبلها ، وجنان استدبرها ، والعرب تعلم أنى أبعث الحرب قدما وأحبسها ، وهى تصرف بها ، حتى إذا جاشت نارها ، وسعرت لظاها ، وكشفت عن ساقها ، جعلت مقادها رمحى ، وبرقها سيفى ، ورعدها زئيرى ، ولم أقصر عن خوض ضحضاحها حتى أنغمس فى غمرات لججها ، وأكون فلكا لفرسانى الى بحبوحة كبشها ، فأستمطرها دما ، وأترك حماتها جزر السباع وكل نسر قشعم .

فقال كسرى لمن حضره من العرب : أكذلك هو ؟ قالوا : فعاله أنطق من لسانه .

قال كسرى : ما رأيت كاليوم وفدا أحشد ، ولا شهودا أوفد !

ثم قام عمرو بن الشريد السلمى ، ونطق بكلام لم يصادف هوى من نفس كسرى ، ولم يحز عنده إعجابا ، مما أحنقه عليه واضطره الى أن يقول له : ما كل ما يعرف المرء ينطق به ، اجلس !

ثم نهض خالد بن جعفر الكلابى ، فدعا لكسرى بالإسعاد والرشاد ، وعبر عما فى نفس النعمان من إخلاص وولاء لكسرى .

فقال له كسرى : نطقت بعقل ، وسمرت بفضل ، وعلوت بنبل .

ثم قام علقمة بن علاثة العامرى ، ونهج نهج أسلافه من ثناء على كسرى وإطراء ، وبيان ما للعرب من مزايا ومحامد ، فقال له كسرى : حسبك أبلغت وأحسنت !

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهكذا قام قيس بن مسعود الشيبانى ، وعامر بن الطفيل العامرى ، وعمرو بن معديكرب الزبيدى ، وكل منهم لم يقصر فى الميدان عن جياد تقدموه .

وأخيرا قام الحارث بن ظالم المرى فقال : « إن من آفة المنطق الكذب ، ومن لؤم الأخلاق الملق ، ومن خطل الرأى خفة الملك السلط ، فإن أعلمناك أن مواجهتنا لك عن ائتلاف ، وإيفادنا لك عن تصاف ، ما أنت لقبول ذلك منا بخليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ، ولكن الوفاء بالعهود ، وإحكام ولث العقود ، والأمر بيننا وبينك معتدل ، ما لم يأت من قبلك ميل أو زلل .

قال كسرى : من أنت ؟ قال : الحارث بن ظالم . قال : إن فى أسماء آبائك لدليلا على قلة وفائك ، وأن تكون أولى بالغدر ، وأقرب من الوزر .

قال الحارث : إن فى الحق مغضبة ، والسَّرْو التغافل ، ولن يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة ، فلتشبه أفعالك مجالسك . قال كسرى : هذا فتى القوم !

إلى هنا ينتهى حديث الوفد الذى بعث به النعمان الى كسرى ليعلن له أن العرب ليسوا فى المكانة التى وضعهم بها ، بل هم فى منزلة أسمى وأرفع ، ينطق بذلك بيانهم ، وتعبر حلومهم ؛ وقد شاهد القارىء الكريم تعليق كسرى على كل مقالة صدرت من صاحبها بين يديه .

وفى نهاية المجلس علق كسرى تعليقا عاما فقال : « قد فهمت ما نطق به خطباؤكم ، وتفنن فيه متكلموكم ، ولولا أنى أعلم أن الأدب لم يثقف أودكم ، ولم يحكم أمركم ، وأنه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة ، فنطقتم بما استولى على ألسنتكم ، وغلب على طباعكم ـ لم أجزلكم كثيرا مما تكلمتم به ، وإنى لأكره أن أجبه وفودى ، أو أحنق صدورهم ، والذى أحب من إصلاح مدبركم . وتألف شواذكم ، والإعذار الى الله فيما بينى وبينكم ، وقد قبلت ما كان فى منطقكم من صواب ، وصفحت عما كان فيه من خلل ، فانصرفوا الى ملككم فأحسنوا موازرته ، والتزموا طاعته ، واردعوا سفهاءكم ، وأقيموا أودهم ، وأحسنوا أدبهم ، فإن فى ذلك صلاح العامة » .

هـذا من كسرى نصح ممتع رائق ، ومنطق سديد راشد ، ومنهج فى النقد قويم محكم ، وأدب فى الخطاب والرد موثق الدعائم ثابت الأركان ، وكل أولئك يكشف لنا اللثام ، ويهتك الحجب عما بين الحضارة والبداوة من بون شاسع ، وفرق عظيم ، لا يزال ظاهر الأثر ما مرّ الملوان ، وتعاقب الجديدان ؟

احمد ابراهيم موسى البارودى
تخصص البلاغة والأدب

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

دفاع عن القرآن الكريم

القول فى إعجاز القرآن

وخلو القراءات الشاذة من الاعجاز

أوردنا فى المقالات السابقة أن القراءات الشاذة ليست قرآنا إجماعا ، والآن نريد أن نبحث الموضوع من ناحيــة البلاغة والاعجاز ، فهل القراءات الشاذة بليغة ، وهل تحتوى على سر الاعجاز ؟ فاذا ما أثبتنا خلوها من ذلك كنا قد لمسنا دليلا آخر قاطعا فى نفى قرآنيتها ، يضاف على ما تقدم من البراهين .

أما إذا كانت هذه الروايات ليس شأنها ما ذكر فلم يقع بهـا التحدى ، وجب أن يسـلم الدكتور وأمثاله بأنها ليست من القرآن إطلاقا ، وأن الشأن فيها لا يعدو ما ذكره علماء الأصول فيما تقدم من إحدى الحالات الثلاث السابقة ، وأنهم غير صادقين فيما رموا به علماء المسلمين من التقصير .

وهــذا المبحث فرضى جدلى تنزلى ، إذ قد ثبت مما تقدم بمـالا مجال للشك فيه أنهـا ليست قرآنا .

ماهو السر فى إعجاز القرآن ؟ وهل كان العرب يعلمون هذا السر ؟

لاجدال فى أن العرب كانوا يعلمون السر الذى به عجزوا عن معارضة القرآن ، وإلا لبطل معنى التحدى ، إذ ليس معنى التحدى أن تطالب إنسانا بأن يعارض كلاما من غير أن يـكون قد عرف الوصف الذى إذا أتى بكلام على هذا الوصف يكون قد أتى بمثله .

أما إذا وقع التحدى بالقرآن ولم يعلم المتحدى الوصف المخصوص فيه الذى يجب أن يكون من وصف كلام المعارضة ، ثم هو لم يعارض ، فليس من الإنصاف أن نصفه بالعجز .

وقد ضرب لذلك الامام عبــد القاهر الجرجانى فى كتابه دلائل الاعجاز مثلا حسنا فقال ما نصه : « لا يقوم فى عقل عاقل أن يقول لخصم له : قد أعجزك أن تفعل مثل فعلى ، وهو لا يشير له الى وصف يعلمه فى فعله ويراه قد وقع عليه . أفلا ترى أنه لو قال رجل لآخر : إنى قد أحدثت فى خاتم عملته صنعة أنت لا تستطيع مثلها ، لم تتجه له عليه حجة ، ولم يثبت به أنه قد أتى بمـا يعجزه إلا من بعد أن يريه الخاتم ويشير له الى ما زعم أنه أبدعه فيه من الصنعة ؟ لأنه لا يصح وصف الانسان بأنه قد عجز عن شىء حتى يريد ذلك الشىء ويقصد اليه ثم لايتأتى له ، وليس يتصور أن يقصد الى شىء لا يعلمه ، وأن تـكون منه إرادة لأمر لم يعلمه فى جملة ولا تفصيل » اهـ

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فهذا صريح من الامام بأن العجز بعد التحدى لا يثبت إلا إذا علم المتحدى الوصف الخاص فيما تحدى به .

لذلك صح قولنا فى صدر المبحث : لاجدال فى أن العرب كانوا يعلمون السر الذى به عجزوا عن معارضة القرآن . واذاً يقال : ما هو هذا السر ياترى ؟

لا يجوز أن نذهب الى ما ذهب اليه بعضهم من أن سر العجز عن الاتيان بمثل القرآن هو فى الكلم المفردة ، لأنه :

(أولا) أن هذه المفردات مقدور عليها للعرب ، فضلا عن أنها من أوضاعهم واصطلاحاتهم ، فلا يعجز عربى مطلقا عن أن يقول : موسى ، ابراهيم ، سنة ، نوم ، الله ، الحى ، القيوم ، الى غير ذلك ، وهذا بديهى .

و (ثانيا) أن الوصف الخاص فى كلام القرآن ، مع كونه يجب أن يكون معلوما لهم على ما سبق ، قد تجدد بالقرآن ، ضرورة أنه خاص به ، فلم يعرف قبل نزوله ، وحينئذ استحال أن يكون فى المفردات ، لسبق وضع المفردات ، ولأنه يلزم أن يكون فى حروف المفردات وهيئاتها أوصاف يجدها السامع لمفرد القرآن ، ويفقدها فى مفرد غيره . فبطل أن يكون السر فى الكلم المفردة .

ولا يجوز أن نذهب مذهب من يرى أن السر إنما هو فى معانى الكلم المفردة التى هى لها بوضع اللغة ، لاستحالة ذلك أيضا ، فان تقدير ذلك يؤدى الى أن يكون قد تجدد بنزول القرآن فى معنى (الطعام) و (كان) و (حلا) و (بنى إسرائيل) مثلا ، وصف لم يكن موجودا فى معانى هذه الكلمات قبل نزول القرآن ، وهو محال .

المقاطع والفواصل :

كذلك لا يجوز أن نذهب مذهب من يرى أن السر الذى كان سببا فى عجز العرب عن معارضة القرآن إنما هو فى المقاطع والفواصل ، على معنى أنهم كلفوا أن يأتوا بكلام له مقاطع وفواصل كالذى نراه فى القرآن . ذلك أيضا محال ، لأن الأمر إذ ذاك لا يعدو مراعاة الوزن ؛ والفواصل فى آى القرآن أشبه بالقوافى فى الشعر ، وكلنا يعلم بالضرورة اقتدارهم على القوافى ، فلو كان التحدى بأن يأتوا بفصول كلام يكون لها أواخر أشباه قوافى لما عجزوا عن ذلك مطلقا ، فبطل إذاً أن يكون السر فى الفواصل . على أن الأمر الذى بهر العرب من القرآن ، والروعة التى دخلت عليهم فأزعجتهم ، فوصفوا القرآن أجل وصف ، لا يمكن أن تكون تلك الروعة ، وهذا الجلال والإعظام لشىء راعهم من مواقع حركاته ، ومن ترتيب بينها وبين سكناته ، أو لفواصل فى آخر آياته ، بل لا بد وأن يكون هناك أمر أعلى من هذه الأمور كا

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

وسر رفيع لم يحم حوله أصحاب هذه الآراء المتقدمة . انظر الى قول الوليد بن المغيرة حين سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان » الآية : ما يقول هذا بشر . وانظر الى سيدنا عبد الله بن مسعود حين يقول فى وصف القرآن : « لا يتفه (١) ولا يتشان (٢) » ، وحين يقول : « إذا وقعت فى آل حم وقعت فى روضات دمثات أتأنق فيهن » أى أتتبع محاسنهن .

هل يمكن أن يكون هذا القول وأشباهه من أجل أوزان الكلمات ، وفواصل الآيات ، أم من أجل مادة الكلم المفردة ، أم معانيها الوضعية ؟ لا ، بل الذى بهر هؤلاء الفطاحل من القرآن شىء آخر أرفع مكانا من هذا وأعظم شأنا ، وهو الذى سنبينه فيما يأتى إن شاء الله تعالى بعد أن نفرغ من استعراض بقية الآراء ، ونأتى على نقضها وبطلانها .

وأرى أن من المناسب أن أختم هذا المقال بكلمة وجيزة للجاحظ فى وصف القرآن ، فقد يستأنس بها لما ذهبنا اليه من وجوه بطلان الآراء السالفة ، قال : « لو أن رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة لتبين له فى نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها أنه عاجز عن مثلها ، ولو تحدى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه » . اهـ

حسن حسين

من سقطات الأدباء

قال بشار بن برد ، وهو الذى نقل الشعر العربى من خشونة البداوة ، الى رقة الحضارة ، وهو من أهل القرن الثانى للهجرة : « لقد عشت فى زمان وأدركت أقواما لو اختلقت الدنيا ما تجملت إلا بهم ، وأنا الآن فى زمان ما أرى فيه عاقلا حصيفا ، ولا فاتكا ظريفا ، ولا ناسكا عفيفا ، ولا جوادا شريفا ، ولا خادما نظيفا ، ولا جليسا خفيفا ، ولا من يساوى على الخبرة رغيفا ، وأنشد :

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التى كنت أعرف

نقول : من أراد أن يدرك ما يجلبه الهرم أو اليأس من تضليل العقلية الانسانية ، اعتبر بما نقل عن بشار بن برد هنا ، فانه قد خُيل اليه وهو فى عنفوان الدولة الاسلامية ، وفى ريِّق شبيبتها ، وفى الكثرة الحافلة بالأئمة الأعلام ، وبالقادة العظام ، وبكل ما يشرف المجتمعات ويعلى من أقدارها ، أنه فى بيئة ليس فيها من يساوى رغيفا !

(١) تفه الشىء : قل وخس .

(٢) تشان الجلد يبس وتشنج . وهما مجازان ظاهران .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأسئلة والفتاوى

الاستشهاد للميت . الاستئجار للقراءة على الميت ، وثواب قراءة الأجير . قراءة الفاتحة فى تشييع الجنازة . ملازمة القبر سبعة أيام

جاء الى لجنة الفتوى بالأزهر من حضرة المفضال راج كلنتن رئيس المجلس الدينى بعاصمة كوتابارو كلنتن الأسئلة الآتى ملخصها :

(١) جرى العمل عندنا على أن يقول الامام بعد صلاته على الميت : ما تشهدون فيه ؟ فيجيب الحاضرون : « أهل خير » أو « أهل السعادة » . فهل هذا العمل مشروع ونافع للميت ؟ وهل ما صح فى البخارى ومسلم من أن الصحابة لما أثنوا بالخير على جنازة قال النبى صلى الله عليه وسلم : « وجبت » يعنى الجنة ، ولما أثنوا على أخرى بالشر قال النبى صلى الله عليه وسلم : « وجبت » يعنى النار ، هل هذا الحديث وما صح فى الباب من أحاديث أخر أدلة لمشروعية العمل المذكور أم لا ؟

(٢) وجرى العمل أيضا أن أهل الميت يدعون حفظة القرآن عند قبر الميت أول ليلة من دفنه فيقرءون ألوفا من سورة الاخلاص ومن التسبيح والصلاة على النبى والاستغفار للميت ، فهل هذا موافق للسنة ؟ وهل ينفع الميت كما زعموا أم لا ؟

(٣) وجرى العمل أيضا أثناء تشييع الجنازة أن يقول أحد المشيعين : « الفاتحة » ، فيقرأ الجميع الفاتحة وقوفا ، ثم يتكرر ذلك مرات ، فهل لذلك أصل فى السنة ؟ وهل قراءة الفاتحة بهذه الكيفية تنفع الميت ؟

(٤) وجرت العادة أيضا أن يستأجر أهل الميت قارئاً يلازم القبر سبعة أيام بلياليها أو أربعين يوما بلياليها يقرأ القرآن ويسبح ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويستغفر للميت ، فهل هذه الإجارة صحيحة ؟ وهل ثواب ما قرأ الأجير يصل الى الميت ؟ وهل هذا عمل موافق للسنة ؟ وهل ما رواه الامام أبو سعيد بن لب أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ألا يتفرقوا عن الميت سبعة أيام صحيح يستدل به على عمل الناس الآن ؟

الجواب :

عن السؤال الأول :

أن الاستشهاد على الكيفية الواردة فى السؤال لم يؤثر عن السلف الصالح ، لا فى عهد الرسول صلوات الله عليه ، ولا فى عهد الصحابة والتابعين ، فهو إذاً بدعة .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وشهادة الناس للميت بأنه من أهل الخير أو من أهل السعادة لا تعدو أن تكون إخبارا عما يعلمونه من حال الميت ، فإن كانوا صادقين في شهادتهم بالخير له كان ذلك دليلا لنا على أن الله تعالى سيقبل عمله ، ويتفضل عليه بدخول الجنة ؛ وهـذا الذى قلنا هو معنى الأحاديث الواردة فى هذا الباب التى تتضمن أن من أثنى عليه عدد من المسلمين وجبت له الجنة .

(٢) عن السؤال الثانى :

أن الذين يقرءون سورة الإخلاص أو أى سورة من القرآن عند القبر إذا اتفقوا مع أهل الميت على أن يكون لهم أجرة على ذلك ، أو جرى العرف بإعطاء مثلهم أجرا على قراءته ، فإن عملهم هذا يكون من قبيل الاستئجار على الطاعات ، وللعلماء فى ذلك خلاف ، والجمهور منهم على كراهته ، وعلى أن القراءة بالأجرة لا ثواب فيها للقارىء ولا للميت . أما إذا كانوا متبرعين بالقراءة دون أن يكون لهم على ذلك أجر ، لا شرطا ولا عرفا ، فإن الامام أحمد رضى الله عنه وأكثر المتأخرين من علماء الفقه يرجون أن تكون هذه القراءة مقبولة ، وأن ثوابها يصل الى الميت . ونقل عن الامام الشافعى رحمه الله أن قراءة القرآن لا يصل ثوابها للميت لأنها ليست من عمله والله تعالى يقول : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » . ويرى المتقدمون من علماء المالكية أن القراءة للميت مكروهة لا ثواب فيها له لأنها ليست من عمل السلف الصالح ، فقد كان عملهم التصدق والدعاء لا القراءة . وأما التبرع بالاستغفار للميت فإنه من الدعاء المطلوب شرعا وهو نافع للميت .

(٣) وعن السؤال الثالث :

أن طلب الفاتحة من المشيعين للجنازة ليس له أصل فى السنة ، وقراءة المشيعين الفاتحة للميت فيها الخلاف السابق .

(٤) وعن السؤال الرابع :

(١) أن الاستئجار لقراءة القرآن قد تقدم الكلام فيه ، وأن الجمهور يرون كراهته ، بل نص الحنفية على أن الإجارة على قراءة القرآن غير صحيحة ، وكذلك الإجارة على التسبيح والتهليل والتحميد والاستغفار للميت .

(٢) وأن قراءة الأجير لا ثواب فيها للقارئ ولا للميت كما هو رأى الجمهور من متقدمى العلماء .

(٣) وأن ملازمة قبر الميت سبعة أيام أو أربعين يوما لا أصل له فى السنة . وما رواه الامام أبو سعيد من أنهم كانوا يستحبون ألا يتفرقوا عن الميت سبعة أيام فلم نر تصحيحه فى الكتب المعتبرة ، بل الذى نعرفه أنهم كانوا لا يستحبون الاقامة على القبور ولا يستحبون المبيت فى المقابر . روى البخارى رضى الله عنه فى صحيحه أنه لما مات الحسن بن الحسن بن على

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رضى الله عنهم ضربت امرأته القبة على قبره سنة ثم رفعت ، فسمعوا صائحا يقول : ألا هل وجدوا ما فقدوا ! فأجابه آخر : بل يئسوا فانقلبوا ! قال الحافظ ابن حجر فى شرحه على البخارى نقلا عن ابن المنير : إنما ضربت الخيمة هناك لتأنس بالقرب من الميت تعليلا للنفس وتخييلا باستصحاب المألوف من الأنس ، ومكابرة للحس ، كما يتعلل بالوقوف على الأطلال البالية ، ومخاطبة المنازل الخالية ، فجاءتهم الموعظة على لسان الهاتفين بتقبيح ما صنعوا .

وقال النووى : وأما المبيت فى المقبرة فمكروه من غير ضرورة . نص عليه الشافعى ، واتفق عليه الأصحاب .

نعم وردت السنة الصحيحة بانتظار المشيعين بعد الدفن ساعة يستغفرون فيها للميت ويسألون له التثبيت : روى أبو داود عن عثمان رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف على قبره وقال : « استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت » . والله أعلم ؟

محمد عبد اللطيف الفحام
رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

التواضع مجلبة للشرف

قال عروة بن الزبير من كبار علماء التابعين : التواضع من مصايد الشرف ، وكل نعمة محسود عليها إلا التواضع .

وقال حكيم : التواضع فى الشرف ، أشرف من الشرف .

أما أخبار الكبار المتواضعين وخاصة من أهل هذه الملة فكثيرة ممتعة ، نذكر منها أن أبا هريرة لما استخلف على المدينة ، كان يذهب فيحتطب على ما كان عليه قبل الولاية ، ويأتى بالحزمة من الحطب على ظهره يشق بها السوق قائلا : جاء الأمير ، جاء الأمير ! ليعلم به الناس فينصرفوا إليه فى حوائجهم .

هذه غاية لم يسمع بها إلا عن صحابى ، ناهيك أنها أبانت عن نفسية ليس للمظاهر المادية سلطان عليها ، فاذا استطاع الانسان أن يحتفظ بمثل هذه النفسية نقية صافية على هذا النحو فلا تعجب إن انكشف له من أسرار الروح ما لا ينكشف لغيره من الرازحين تحت آصار الأمراض النفسانية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المواسم والاسواق

وآثارها فى نهضة الأمم الاقتصادية والعلمية

هذه وإن كانت فذلكة اقتصادية عن نشوء الحركة التجارية وتطورها ، فانها فى الوقت نفسه تكشف عن سنن الله فى ترقية البشر ، وعن الأصول التى يقوم عليها نظام التبادل الاقتصادى ، وتأثير ذلك فى تطور الأخلاق ، وتقريب عادات الأمم بعضها من بعض ، وفى هذا من النفع فى فهم حكمة الاسلام فى الحض على التجارة وعلى الأسفار لتعرف أحوال الأمم ما فيه . لذلك عنينا بإيراده ليكون فاتحة لبحوث اقتصادية مستفيضة ، ولا يوجد اليوم من يجهل مكان الاقتصاد من ترقية الشعوب وتوجيهها الى الغايات البعيدة ، فأقول :

لقد درج الانسان الأول فى متسع رحب من الأرض يهيم فيه سعيا وراء فريسة يقتنصها ، أو رجاء فاكهة دانية يقتطفها . ولما تكاثر نسله وسئموا تلك الحياة المشردة المهددة ، انتظموا قبائل تفاوتت مواقعها ، فكان منهم من استقروا على مقربة من مسيل ماء فزرعوا ، ومنهم من أقاموا فى منابت العشب ، أو ضربوا فى الفيافى ، فرعوا .

ولما كانت الزراعة أسهل وسيلة للحصول على ضروريات الحياة اللازمة للناس والبهم ، من طعام وفىء ومأوى ، أقبل عليها الناس ، واجتمعوا فى الوديان ، وعلى مجارى الماء وشواطىء الأنهار ، يفلحون الأرض حتى إذا آتت أكلها وزاد الناتج عن الحاجة ، بدءوا يستبدلون تلك الزيادة بما توفر لدى الرعاة من الحيوانات والثمرات التى ليس لديهم منها ، فحصلت بينهم مقايضة ، وكان اجتماعهم على مقربة من المزارع نواة الأسواق . وإننا لنشاهد مثل تلك الحالة الأولية فى أعالى السودان ، إذ ما زالت تعيش قبائل على الفطرة يعطون العاج ومنتجات الغابات نظير أسلحة قديمة يدرءون بها عوادى الحيوانات المفترسة ، أو بعض أنواع اللحوم والملبوسات الساذجة . وكانت تتم عملية المقايضة بنسب غير معروفة ، وغير دقيقة لانعدام المقياس الذى تقوم به المبادلات ، فكان الرجل يعطى شاة ليأخذ غلالا . ثم كثر النسل فى الجهات الزراعية ، لتوفر دواعى الهدوء والاطمئنان الى الرزق ، وحاجة رب الأسرة الى أبناء يساعدونه فى مباشرة زراعته ، وانتشر بذلك العمران فى تلك الجهات ، وقامت بها مدنيات ، وتقدمت الزراعة فى مساحات واسعة ، وأدخل عليها تحسينات ، وتنوعت المحاصيل ، ووجد الناس أنه من الأجدى لهم أن يخصصوا جهودهم فى زراعة أو صناعة ما امتاز به وطنهم ، واستبدال منتجات البلاد الأخرى ، وبذلك لم يعد الانسان ينتج لمحض سد حاجاته الشخصية ، وإنما بدأ يزرع وينتج أشياء بقصد أن يقايض بها أشياء أخرى تجود بها الطبيعة ، فى أماكن أخرى تهيأت فيها الأسباب الطبيعية والاقليمية لإنباتها وإنتاجها .

oldbookz@gmail.com
منتدى مكتبة كتب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

فاذا ماتم الحصاد حمل الفلاحون محصولهم الى القرى أو المدن المجاورة ، فوق ظهور الابل أو على متون الحمير والبغال ، لبيعه واستبدال غيره به ، واجتمعوا فى مكان قريب وسط المدينة ليتمكنوا من عرض ما حملوا ، وبذلك تكونت السوق المحلية بطريقة أولية وهى مجرد عرض سلع فى انتظار المشترى . وبدأت تتكون لدى أهل الريف فكرة عن حياة المدن ، واختلطوا بسكانها وعرفوا عاداتهم وعلومهم وفنونهم ، فتهذبت أخلاقهم ، وحببت اليهم معيشة المدن ، فنزح بعضهم اليها ، ونقل الآخرون تلك المظاهر الى عشائرهم .

وقد خرج النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو فى شبابه الى أسواق الشام ، فى تجارة للسيدة خديجة .

وأصبحت القوافل التى تحمل حاصلات الريف والبوادى فى ذهابها ، وبضائع ومنتجات المدن فى إيابها ، مورد رزق لكثير من البلاد التى تحط بها رحالها لتستريح من وعثاء السفر . وقد ذكر الله تعالى وهو يعدد نعمه على أهل مكة رحلتى الشتاء والصيف : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف » . وغدت تلك البلاد مراكز تجارية يلتقى فيها التجار من جميع الجهات فيتبادلون البضائع ويتعارفون ، واعتبر اجتماعهم سوقا محلية ، تفد اليها الناس من أطراف المدينة ، ومن القبائل الضاربة على مقربة منها ليتزودوا من سلعهم ، وبدءوا يتحدثون فى شئونهم ويروون أشعارهم ، ويتفاخرون ويمدحون ويهجون ، ممثلين مدنيات أقوامهم . فكان ذلك أصلا لنشأة الأسواق التى اشتهرت فى الحجاز : كسوق عكاظ ، وذى المجنة ، وغيرها .

واكتشف استعمال النقود فى تقدير قيم الأشياء المتبادلة ، فأدى ذلك الى تطور كبير فى الحياة الاقتصادية ، وأمكن تقويم السلع والملكيات والقيام بأعمال التسليف ، وبدأ الانسان يظهر كوحدة اجتماعية فى معترك الحياة فى مصر والعراق ووسط آسيا ، وارتقى مستوى معيشته وزاد إدراكه للأشياء ، وتهذبت لغته وأصبحت أكثر وضوحا ودقة .

وجرت السفن الشراعية تنقل حاصلات الشرق وبضائعه الى جنوب أوربا ، فظهرت فى المدن القريبة من الدولة الرومانية حركة تجارية كبيرة ، واشتهرت مدن فلورنسا وبيزا وجنوا وفينيسيا ، حيث كانت ترسو على موانئها السفن ، وتفرغ بها حمولتها ، لتوزيعها على أسواق أوربا ، فأثرت تلك المدن ، وبنت لها أساطيل تجارية تمخر عباب البحار ، والتقى فيها المسلمون بكنوزهم المادية والعلمية بالغربيين ، وكانوا مازالوا فى جهل القرون الوسطى ، فأخذوا عنهم ونهلوا من مواردهم ، وتقدمت لديهم الفنون الجميلة والرسم والنحت والهندسة والشعر والفلسفة ، وكان ذلك بدء النهضة الأوربية الحديثة .

إلا أنه كثيرا ما كان يضار المنتجون والبائعون من تعرض بضائعهم ومنتجاتهم لأخطار

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الطريق ، وللتلف من طول عرضها فى السوق لجهل المعروضة عليهم بها . وكان المستهلك نفسه يجد مشقة فى الحصول على حاجاته من تنقله بين العارضين ، وانتظاره مواسم المحاصيل . ولما كانت رغبة المنتج فى تصريف منتجاته لا تقل عن رغبة المستهلك فى الحصول على حاجاته ، وجدت طائفة الوسطاء والتجار ، ولهم من الخبرة والدراية والمران ما يجعلهم حلقة اتصال بين الطرفين ، فيشترون من المنتجين سلعهم وحاصلاتهم ويزيدون فى منافعها بوضعها فى متناول المستهلكين بالطرق التى يقتضيها فن البيع الذى يخلق الرغبة فى الشيء أو يهدى الى منافع الأشياء ، وبذلك لم يعد المنتجون فى حاجة الى الانتقال ببضائعهم الى الأسواق والانتظار ريثما يأتى المشترى ، وإنما تجمع حاصلاتهم ومنتجاتهم بالقرب من بيئة الانتاج فى أسواق مركزية ، ثم ينقلها تجار الجملة الى الأسواق المحلية ، ومن ثم توزع على تجار التجزئة لبيعها الى المستهلكين .

وارتقت وسائل الانتقال ، واستعملت عربات سريعة منظمة فى نقل البضائع ، وبذلك امتدت الأسواق الى أبعد من محيط المدينة الواحدة ، وأصبحت تعتمد فى تموينها على البلاد البعيدة ، وبذلك اتسع نطاقها واستقرت الأسواق المحلية داخل المدن ، ووجد لكل سلعة سوق على حدة .

تقدمت التجارة ، ونما عدد السكان فى العالم ، وتطورت الأفكار ، وجاء دور الانقلاب الصناعى فى أوربا بما أحدثه من ثورة هائلة فى وسائل النقل ، فاخترعت الآلة البخارية ، وانتشرت السكك الحديدية فى أنحاء العالم ، وأنشئت الجسور والأنفاق ، وتقدمت السكك الحديد نفسها فى ثقلها وقوتها ومقدرتها وسرعتها ، واخترعت السيارة تساعد وتنافس السكة الحديدية فى نقل الناس والبضائع ، وارتقت السفن البخارية فى الحجم والمتانة والسرعة ، وحفرت القنوات ، وأمكن لوسائل النقل البحرية أن تسير فى داخل مساحات أرضية ، فقضى ذلك كله على المسافات ، وربطت أجزاء العالم بعضها ببعض ، وأصبح فى مقدور البشر من جميع الأجناس واللغات أن يجتمعوا ويختلطوا ويتبادلوا ما تحمله سفنهم من المواد الخام والبضائع ، وقرب ذلك بين الأسواق ، وتعدت السوق المحلية الى أسواق خارجية ، وصار من السهل على المصانع والمستهلكين أن يعتمدوا على الخامات وموارد الاستهلاك من مصادر الانتاج البعيدة ، بل لقد أصبحت المعمورة كلها سوقا واحدة يتمتع كل قطر منها بخيرات الأقطار الأخرى عن طريق التجارة والمبادلة الحرة ، وبذلك تعدى الاتجار الخارجى المواد الكمالية الى المواد الضرورية .

غير أنه منذ أكثر من خمسين سنة كانت التجارة فى البهم واللحوم والسمك والفواكه والخضروات محدودة لتعرضها للتلف السريع ، فكانت تستهلك فى حدود دائرة لا يزيد محيطها على بضعة مئات الأميال من موطنها مع ضرورتها وشدة حاجة الشعوب البعيدة اليها ، ولكن العلم تغلب على بعض هذه الصعوبات وأمكن تمليح أنواع من هذه المأكولات ، فعاشت طويلا وأمكن تصديرها الى البلاد النائية .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وابتدأ من منتصف القرن الماضى استعمال طريقة حفظ اللحوم والخضر والفاكهة بوساطة تبريدها الى أقل من درجة الحرارة التى تتولد عندها ميكروبات التعفن ، ويرجع الفضل فى ذلك الى الاهتداء الى طريقة استخدام الثلج واكتشاف مادة الامونيا فى سنة ١٨٦٠ فأمكن إرسال أول شحنة من لحم العجول من أمريكا الى انجلترا فى سنة ١٨٧٧ وأول شحنة من لحم الضأن من استراليا الى انجلترا فى سنة ١٨٨٠ ، وشاع استعمال طريقة التبريد ، واستخدمت فى حفظ الخضر والفاكهة وعصيرها والجبن والمأكولات المعبأة كالمربيات ، ثم تقدمت الفنون وحدد التحقيق العلمى درجات الحرارة التى تتم عندها عملية التبريد والحفظ الخاصة بكل نوع من أنواع الطعام ذات الأسواق البعيدة .

وانتشرت الأسواق المحلية فى المدن الكبيرة والقرى حيث تنعقد يوما فى الأسبوع تنشط فيه حركة البيع والشراء ، وخصوصا فى أيام المواسم والأعياد لما جرى عليه الناس من تمجيد تلك الأيام والاحتفال بها والخروج فيها عن مألوف عاداتهم فى حياتهم اليومية مادية كانت أو معنوية ، فينفقون عن سعة ، ويقدمون على تجديد ملابسهم وأثاثهم ، ويوسعون على أنفسهم وعيالهم ، فيزداد الاقبال على طلب السلع المعروضة فى السوق ، ويكون أغلبها أشياء جرت العادة أو التقاليد بطلبها فى تلك المناسبات كالسمك والكعك والملابس والأقمشة فى العيد ، وصنوف المأكولات وأنواع البندق واللوز وغيره فى رمضان ، وبذلك يرتفع ثمنها لأن المعروض منها يكون أقل من الطلب عليها إلا إذا أغرى التجار كثرة ما يعود عليهم من الربح فيعقدون صفقات أكبر من المنتجين ، وقد تنتهى موجة الموسم أو تطرأ ظروف كحالة حرب أو كساد أو فتك أوبئة وأمراض أو فيضان أو زلزال ، فتضعف القوة الشرائية لدى جمهور المستهلكين ، ويعجز التجار عن تصريف سلعهم ، لذلك يلزم الى جانب ما يجب أن يتحلى به التاجر من صفات الدراية بنفسية وميول المستهلكين ومواسمهم وأعيادهم بالدقة والحذر ، أن يتبع طريقة التخزين ، وذلك بحفظ سلعه فى مستودعات التخزين ، سواء أكانت عامة تملكها شركات وتؤجرها للتجار أم فى مستودعات يملكها التجار أنفسهم ، ليضمنوا بذلك ثبات الأثمان ، فلا تتعرض للهبوط الذريع إبان الموسم لزيادة المعروض وقتئذ ، ولا للصعود الفاحش بعد أن ينتهى الموسم .

هذا وتخزين السلع وحفظها بعد تبريدها جعل كثيرا من أنواع الطعام غير خاضعة للنظام الموسمى ، وأمكن بذلك تموين البلاد الصناعية الغاصة بالسكان .

ولكن قد يستغل التجار جهل المستهلكين بالكمية المخزونة لديهم ، ويعمدون الى رفع الأثمان ، فدرءاً لهذا الضرر تقوم الحكومات بعمل الاحصاءات اللازمة لحصر مقادير السلع المخزونة ومقدار الانتاج منها ليأخذ المستهلكون حذرهم من جشع المتجرين .

ولسهولة الانتقالات ورخصها فى القرن الحالى أمكنه الحصول على المواد الخام من أبعد

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أنحاء العالم ، واستخدام العلم والفن فى تكييفها ، وخلق منافع كثيرة منها لم تكن فى الحسبان ، كالحرير الصناعى من الخشب وغيره ، وأصبح لزاما على المنتجين وتجار الجملة أن يقوموا تحت عبء المنافسة الحرة بحملات إعلانية واسعة النطاق يقدمون بها السلعة الجديدة الى العالم بأسره . وكان لتقدم فن الاعلان ، وتسهيل دفع أثمان المنتجات ، ومقدرة أرباب العمل الفنية والمالية ، أثر كبير فى تهيئة الرأى العام لقبول أنواع جديدة من السلع ، وتحوير العادات والتقاليد لتتفق وما تخرجه مصانعهم منها ، وبذلك تطورت عادات الشعوب ، وازدادت معلومات الجماهير ومعرفتهم ، وأحاطوا بكثير من أسرار الفنون والعلوم باطلاعهم على المعروضات النموذجية أو بقراءتهم ما ينشر فى الاعلانات فى كل مكان ، وارتفع مستوى المعيشة العالمى لأن حاجات كثيرة كانت تعتبر من الكماليات فى العصور الأولى لندرتها وارتفاع ثمنها وصعوبة الحصول عليها ، أصبحت الآن من الضروريات وفى مقدور جميع الناس الحصول عليها والاستمتاع بها ، بسبب انتشار وسائل النقل ورخصها ، واتباع نظم البيع الحديثة .

واقتضى التقدم فى جميع نواحى النشاط البشرى تنظيم الأسواق المحلية والعناية بها من جانب الحكومة بفرضها الرقابة عليها لمنع الغش والتلاعب بالأسعار ، وأدى اهتمام التجار بالاعلان والدعاية الى أن أصبح لكل سلعة شهرة عالمية ، خصوصا إذا كان الانتاج منها وفيرا والطلب عليها متزايدا كالقطن والحبوب والفواكه ، وأصبحت أسواقها أسواقا دولية ينطبق عليها التعريف الحديث للسوق ، فانه لم يعد يقصد بها مكان معين تباع فيه البضائع ، بل أصبحت تشمل الأقطار أو العالم بأجمعه ، وتطلق على جميع المتعاملين فى أية سلعة يكون نطاق المعاملات فيها واسعا ، ويكون المتعاملون أحرارا فى معاملاتهم وعلى اتصال دائم مهما اختلفت أماكنهم ، وذلك بوسائل الاتصالات الحديثة كالتلغراف والتليفون واللاسلكى . وعلى ذلك قد تحتوى المدينة التجارية على عدة أسواق بقدر ما يوجد بها من عروض التجارة ، أو قد تكون الدولة كلها سوقا واحدة إذا كان إنتاجها الكبير لا يتعدى نوعا واحدا من السلع .

ويجتمع كبار المتعاملين فى البورصات وقاعات المزادات العامة حيث تعقد الصفقات ، وتحدد الأسعار ، وتنشر على الملأ بسرعة بوساطة اللاسلكى والصحف السيارة ، وتعاق فى الحلقات والشون ، وبذلك تتجه أسعار السلع الواحدة نحو التساوى بسرعة وسهولة فى جميع جهات العالم ، وبذلك أيضا ازداد ترابط أجزاء العالم وأصبحت الكرة الأرضية وحدة لا تفرقها إلا الخصومات السياسية للاستيلاء على منابع الثروة والتسلط على موارد المادة الخام وضمان أسواق لتوزيع منتجاتها ، وكانت النتيجة أن اتبعت بعض الدول نظم الحماية والحصص الجمركية لتقييد الواردات ، رغبة منها فى زيادة صادراتها ، وحرصا منها على صناعتها الناشئة أو القائمة على المنافسة الخارجية ، ولكن الدول الأخرى بطبيعة الحال تقابل تلك السياسات بالمثل ، فحال ذلك كله دون رواج

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التجارة ، وحـرية المبادلة اللازمة لرخاء ورفاهية العالم ، بل أدى ذلك الى تـكديس البضائع فى المخازن لا تجد تصريفا ، فـكسدت الأسواق وتهدد المنتجون بقلة الأرباح ، فقللوا الانتاج وأغلقوا بعض مصانعهم ، وخفضوا الأجـور ، واستغنوا عن كثير من العمال ، فـكثرت البطالة ، وانخفضت القوة الشرائية ، وهبطت كنتيجة لذلك مقطوعية ما يبيعه التجار ، فاضطر التجار لإبطال ماسبق أن تعاقدوا عليه ، فتأثر المنتجون ، وافتقر المنتجون وهكذا ، وتستحكم الأزمة وتشل الحركة التجارية ، وتزداد وطأة هذه الحالة فى زمن الحرب حيث يقف دولاب العمل تماما .

إلا أن الحـرب تعتبر موسما مواتيا لمعامل السلاح والمـواد المفرقعة ، فتدب فيها الحياة وتفتح أبوابها للعمال ، وتشترى أنواعا من المـواد الخام ، وقـد تحصل عليها بسهولة لأن الحـكومات الموادة لها تعينها وتؤازرها ، فيثرى تجار السلاح ومنتجو مواده ، وتتسع رقعة أسواق السلاح والذخائر فى بعض البلاد المحايدة التى تورد أسلحة لـكل من الطرفين المتحاربين ، وتجرى الفلك فى حراسة الأساطيل محمـلة بمواد وآلات الهلاك والتدمير بعد أن كانت تسير فى حراسة الله بسم الله مجراها ومرساها ، وهى تحمل مواد ضرورية للحياة والتعمير ، وتنقل رسل المعرفة والنور ؟

ابراهيم زكى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ما قيل فى ضروب اللباس

من الناس من يتأنق فى لباسه الى حد الخروج بذلك عن مالوف الناس ، فيحدجونه بأبصارهم ، ويزدرونه فى قلوبهم ، قال الشاعر :

قل للذى يخرج عن شكله ليرتقى أسباب أوعار
كيف ترجو أن تنال العلا ولم تبال الدهر من عار
من فارق المعهود من زيه فذاك لا كاس ولا عار

وقد عرف قديما وحديثا أن ليس هناك تلازم بين اللباس والألمعية ، فرب متبذل فى لباسه ملأ طباق الأرض علما ، ومتأنق فيها كان حشو إهابه جهلا فاضحا . وهذا لايعنى أن كل ألمعى يجب أن يسف فى ملبسه ، فقد ورد فى الـكتاب الـكريم والسنة الشريفة وسيرة السلف الصالح حث على التجمل .

قال مكحول من أعـلام التابعين : من نظف ثوبه قل همه ، ومن طـاب ريحه زاد عقله ، ومن جمع بينهما ظهرت مروءته .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

مختارات عن كبار علماء أوربا

الدور الذى قام به آحاد من النوع البشرى
فى التطور العقلى للانسانية

رأينا استكمالا لضروب التحسين فى تحرير هـذه المجلة أن ننشئ فيها بابا نودعـه أحسن وأنفع ما نقف عليه من البحوث العـالية ، فى أهم الشئون الانسانية ، لـكبار العلماء ، وأجلاء الباحثين الغربيين ، مترجما عن لغاتهم الأصلية ، لا على سبيل الاستشهاد بها فى إثبات شىء أو نفيه ، ولـكن على سبيل عرض آراء جبابرة العقول فى أعوص المسائل التى يعنى بها العالم فى حياته الراهنة.

فنبدأ بتعريب مقال للعلامة الدكتور (أوجين أوستى) مدير أقاذيميا البحوث النفسية فى فرنسا . قال تحت العنوان المتقدم :

« يبعد جـدا أن يـكون الآحاد المؤلفون لمجتمع متمدن فى عصرنا الراهن على درجة واحدة من الناحية العقلية ، بل هم من شدة التخالف بحيث يصعب ترتيبهم ترتيبا مرضيا . فلن ننظر اليهم هنا إلا من ناحية التطور التى تهمنا وحدها .

« ولننبـه بادئ ذى بدء أنه يجب لأجـل التعمق فى درس مزاجهم البسيـكولوجى أن نميز فيهم :

(أولا) ما هو أصلى أو فطرى لديهم ، أى الذخر العقلى الذى وإن احتجب عندهم خلف الصفات المـكتسبة ، فهو الى حـد ما يعتبر القوة المؤثرة فى تحـديد وجهة أعمال الشخص وأفـكاره .

(ثانيا) ما يكونون قد أضافوه الى هـذا الذخر العقلى من آثار التربية والعلم ، وهى آثار تؤثر فى ذلك الذخر العقلى ، وتعطى هؤلاء الأفراد مظهرا يوهم أنهم متشابهون ، على حين أنهم يكونون متخالفين كل التخالف .

« فإذا لوحظت الـكائنات الانسانية من هذه الناحية ، رئيت على حال من الترتيب تـكون فيه جميع درجات التطور العقلى ممثلة . فإذا حـكم عليهم بعد تقدير الذخر العقلى الذى لـكل منهم فيمكن أن ينقسموا الى ثلاث نماذج تضم جميع آحادهم ضما جمليا .

« فالنموذج الأول يجمع جميع الـكائنات الانسانية ذوى الذخر العقلى المجاور للحالة الأولية ، وهؤلاء يعملون ويفكرون متأثرين بالميول الجسدانيـة الطبيعية ، فهم يكونون تحت تأثير اندفاعات طبيعية ، شعورهم العقلى مظلم رغما عما يكونون قد حصلوه من المعلومات . فالحياة

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالنسبة لهم ليست غير ظاهرة بيولوجية من درجة منحطة (١) . وهؤلاء لا يكون حظهم من الأخلاق إلا مظهرا مفروضا عليهم بسلطان القوانين الاجتماعية ، أو القواعد الدينية ، أو بتأثير عادات لا تناقض تربيتهم البيتية إلا مناقضة ضعيفة .

« هذه الطائفة هي في المجتمعات البشرية بكثرة لا يتوقعها الناظرون ، لأن أفرادها لا يجدون فرصة للظهور في المجتمعات إلا في الشئون الصغيرة للحياة الشخصية ، وهي لا تلفت النظر إلا قليلا . ولكن إذا طرأت أحوال تصلح لاظهارهم على ماهم عليه ، تحقق الناظرون من كثرة عددهم .

« هذه الطبقة ولّدت القتلة والسلابين في جميع الأجيال البشرية من أول رؤساء الشعوب الشرهين المولعين بالغارات والحروب ، الى الىماردة ومن دونهم من جميع الأقدار والأنواع ، الى القائمين بتعذيب الأجساد والعقول ، الى المتجسسين على أعمال الناس ومحاكمتهم على عقائدهم ، حتى ينتهي الأمر الى الطوائف المؤتلفة على النهب وسفك الدماء ، وفي أيامنا هذه تولد هذه الطبقة ، على حسب الأمكنة التي تضعهم فيها الظروف ، وعلى قدر معارفهم أو جهالاتهم ، الجماهير الصاخبة للوصوليين المجردين من الضمائر ، المستعبدين للرجال أمثالهم ، والقاهرين الذين لا يعنيهم إلا توفية شهواتهم وذواتهم . وتولد أيضا العدد الضخم من الحيوانات نصف الشاعرة التي تترامى على الافتراس والقتل متى لاحت لها أول فرصة .

« هذه هي الكائنات ذوات الميول الخشنة التي منحتهم العادات ، ومقتضيات الحياة الاجتماعية ، مظهرا يخفي تحته الاندفاعات البهيمية للأناسي الأولين في كل حيويتها وقوتها .

« وفي مكان متوسط بين هذه العقليات الأولية ، وبين العقليات التي يمكن أن تعتبر في نظر أهل عصرنا الراهن أنها بلغت منتهى الترقي ، يوجد نموذج إنساني يحوم حوله السواد الأعظم من كل أمة عصرية متمدنة ، جعلهم الترقي التدريجي الذي أنتجهم كائنات أقل تعلقا بمبدأ الأثرة من سابقيهم ، وأكثر انقيادا لواجبات التبادل التي تقتضيها الحياة الاجتماعية ، ولكنهم مع هذا غرقون في المادية ، لا تنصرف عقولهم الى ما هو خارج عن دائرة مطالبهم الحيوانية التي زادها الرقي المدني تركبا ، إما مباشرة أو بواسطة . فهم كائنات مادية يعتبرون الحياة مرعى خصيبا لهم ، فيوفقون جهودهم عليها ، ويوجهون نشاطهم الى الحصول على أحسن مكان منها . فالحياة الأرضية على أكمل ما تكون هي في نظرهم القطب الذي ينجذبون إليه مقهورين خلال أعمالهم الجزئية التي تشغلهم في وجودهم . وعمل هؤلاء في سبيل الانتفاع ينتج الرقي المادي العام ، ويسهل عيش الأفراد في أحسن الأحوال .

« أهل هذه الطائفة يُظهرون ارتياحا للأوضاع الأدبية الراهنة ، وللأمور العلوية التي

(١) قوله : ظاهرة بيولوجية ، أي حادث حيوي أحدثته النواميس الطبيعية فيما أحدثته من الظواهر . ا ه

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تؤتيهم بها دياناتهم أيا كانت إذا كانوا متدينين . وهم يعتقدون أن مبدأ سيادة القوة من الضرورات التي لا محيص عنها ، وهذا المبدأ فى نظرهم من النواميس الطبيعية التي يجب الخضوع لها . فهذه الطبقة تمثل الانسانية التي بلغت الى منتصف الشعور ، وأقلعت عن خشونة اندفاعاتها الجاهلية ، طبقة يعمل فيها قانون التطور باستمرار ، وتتولد فيها التوثبات التي تحدث فى كل جيل لدفع عدد أكبر من الناس نحو ذروة الترقى .

***

« مما لا مشاحة فيه أن أوج التطور العقلي فى عصرنا الراهن نسبي ، وهو أرفع مستوى وصل إليه البشر من السمو النفسي ، ولكنه ليس بالحد النهائي لترقى القوة الفكرية .

« يندر من يرتفع الى هذا المستوى ببذل الجهد الشخصى ممن يكون الذخر العقلى لديهم فى درجة منحطة . فكل إنسان يولد وله تركيب نفسانى فيزيولوجى يؤهله لاكتمال القوة الفكرية فيه ، فتأتى التربية وتأتى المعلومات فتحقق هذا التطور التام المستعد له ، وتدفع الذين لم يستعدوا له الى ما يقرب منه .

« وعلى خلاف هذا يكون أصحاب الذخر العقلي المتطور من ناحية الاستفادة من استعدادهم الفطرى بالتربية ، أو لعدم الاستفادة منه بتركهم جهالا . فقد شوهد بين جماهير الكائنات المتأخرة فى الهيئات الاجتماعية أشخاص تركيبهم العقلي من أرقى طبقة ، ولكن لم تسعفهم الأحوال بالتربية . هذا إذا لم يكن قد أصابتهم مؤثرات رجعية ؛ فتجدهم رغما عن نشوء أصحابهم فى بيئة لا تصلح لظهور قابلياتهم ، وقد تكون معاكسة لها أيضا ، يتميزون عن بقية المحيطين بهم من أهل طبقتهم بسمو أفكارهم ، وبتعطش عقولهم لفهم كل ما يؤثر عليهم ، وبشدة إحساسهم بالجمال ، وباعجابهم بالأفكار العالية ، وبعدالة أحكامهم ، وبمنطقهم واستقامة أعمالهم ، وهم فى توازنهم النفسانى الكامل يجمعون كل القوى القابلة للظهور ، مما نصادفها مطلقة من كل قيد عند الرجل المتطور الذى أسعفته الأحوال بالتعلم .

« تأتى على رأس جميع الطبقات الشرذمة القليلة لطبقة المتنورين الذين أسعدهم الحظ بالتعلم . فهؤلاء كائنات ذوو شعور واضح تتغلب عليهم الوظيفة الفكرية ، وقد اجتازوا منطقة العمل لمجرد المنفعة المادية ، وسلكوا كل طريق يمكن أن يؤديهم الى مدى أبعد فى باحات العلم والمعرفة . وهم إذا نظروا الى شىء قاموا بذلك بتثبت ونزاهة ، متبصرون فى إثباتهم ونفيهم ، لا يبصرون الأشياء من خلال حجب مضللة تفسد عليهم أحكامهم ، ولا يخضعون لرأى ما ولا لافتراض ما خضوعا مطلقا ، ولا يستبد بهم الاتباع وإن كان شرطا فى الوصول الى العلم . ولكمال إدراكهم تفاهة المعلومات البشرية ، لا يسمحون لأنفسهم بحق الحكم على أى مجهول

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اعتمادا على ذَرْوٍ لا قيمة له من المعلومات التى لديهم . فتجدهم يتألمون من ضيق المجال الذى سمح به لأفكارهم ، وهى متعطشة للإلمام بكل شىء فى الوجود .

« إن سمو الشعور الأدبى الذى لدى هؤلاء الرجال ، من ذوى التطور العالى الذين يمدون الانسانية بالمصابيح التى تتقدمها فى سيرها نحو الرقى غير المحدود ، ينتج من اتساع مدى الشعور العقلى . فان العقل يملى عليهم السيرة التى يتبعونها بدون أن يحتاجوا الى الايحاءات التى ترد من الخارج . ونظرا لأن وجودهم الشخصى لا يظهر لهم أنه مجرد مجموع أعمال ذات أغراض نفعية أملتها عليهم الأثرة ، ولأن النشاط العظيم الذى تتمتع به أفكارهم تقفهم بالتجربة على مبلغ القيمة النفسية للانسان ، فقد تأدوا تأديا ضروريا الى عاطفة احترام أنفسهم واحترام غيرهم ، وأخذوا يسيرون فى معاملاتهم على هذه الأصول : العدالة ، والحرية ، والتسامح ، والرحمة .

« وهم لاينظرون الى سواهم من الناس نظرهم الى أعداء أتت بهم المصادفات ، ولكن نظرهم الى زملاء مدفوعين فى حركة واحدة تحمل الانسانية جمعاء نحو غاية مجهولة . وهم على علمهم بأن هذا الدفع من الأمور التى لا تدخل تحت الاختيار البشرى ، تجدهم يحاولون تغيير تسلسل الأسباب الثانوية ، ليمكن أن تحوّل الأحوال الرديئة للحياة الى أحسن ما يمكن أن تكون عليه ، فتراهم يعيشون حياتهم ضحايا لصدق نظرهم الذى يريهم بوضوح تام أنها وهم باطل ، وضحايا لإحساسهم الحاد الذى تؤثر فيه على وجه الاستمرار الوحشيات المحيطة بهم .

« وهم مجردون من السلاح فى جماعات بشرية مقودة على الدوام بقانون وجوب الحرب لأجل الحياة ، لفقدهم غريزة الجرى وراء الفريسة .

« بفضل هؤلاء الأفراد المتطورين قد بلغت الانسانية دور الرشد . فإذا كانوا لايزالون قليلين إذا قوبلوا بعدد الدهماء ، فإنهم يزدادون عددا يوما بعد يوم بدون انقطاع ، وبسرعة آخذة فى الارتفاع ، وسيأتى على الناس عهد لا يمكن تخلفه ، تصبح فيه هذه الطائفة المنثورة الآن هنا وهناك السوادَ الأعظمَ من الناس . عند ذاك تنقشع عن الانسانية العوائد الخشنة التى تجعل حياة أكثر الأفراد توقيعات شتى للحن واحد : ألا وهو الألم .

« من ذروة الرقى النفسى هذا الى أحط الطبقات الجاهلة ، تأتى طبقات الشخصيات الحاصلة على درجات متباينة من التعلم ، ولكنها لم تبلغ منتهى التطور ، فى نظام يقوم على درجة قابلياتهم الفطرية ، وعلى مقدار تربيتهم العقلية .

« فهم أصحاب شعورات عقلية لم تبلغ كمالها ، ومدارك ذات مدى محدود ، وغير ناضجة فى بعض نواحيها ، وليس لها هذا التوازن ، ولا ذاك التلاؤم فى الوظائف النفسية التى تهب الفكرَ مداه ودقته ، ومنطقه غير المشتق ، وخلوصه التام من ربقة التقاليد الرجعية

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

« فإذا ألقينا مسبارنا هنا وهناك فى هذه البيئة من الاختمار العقلى ، نستطيع أن نقف على نموذجات من الخلاف الذريع الموجود بين الكائنات الانسانية وهى تحت تأثير العمل التطورى المتواصل .

« فقد يرينا هذا السَّبْر عالما مشهورا فى كل مجال من مجالات فرع من فروع العلم ، ولكنه جامد كل الجمود ، ومنكر لكل ما يدخل فى دائرة الافتراضات التى يختارها ، والآراء التى بناها لنفسه .

« ويرينا عالما آخر يتتبع أبحاثه على أسلوب لا غبار عليه ، ولكنه يدع أحكامه الأخرى وسيرته تحت سلطان عواطفه .

« ويرينا فيلسوفا يؤكد أو ينفى وجود الروح والخالق ، ويحكم على نظام الوجود بعبارات تولد الأباطيل ، وتهب الوجود لما ليس بموجود .

« ويرينا رجلا باطنيا ، والباطنية قرارة الخزعبلات التى تولد فى الانسانية من لدن عهد طفولتها ، يُدخل — وهو فى غفلة عن ضخامة ما يعمل — البيولوجيا الانسانية فى علم اللاهوت الذى يبتنيه ، ويضبط اللانهاية ، ويكسو المجهول المبحوث عنه رداء من ضيق آرائه .

« ويرينا رئيس حكومة يظن أن من المهارة أن يدفع شعبه الى اقتناص فريسة أدسم مما لديها ، وبمقدار من المكر والخديعة والأهبة أكثر مما اتخذه من سبقه ، فيورطه فى المذابح البشرية وهو يتوهم أن الانسانية كلها محصورة فى الحزب الذى يمثله وخاصة فى شخصه هو ، وهو يخدعه نفسه وخدعه الناس ، وبجهله الى أية وجهة يتجه البشر ، يعمل على إيجاد حركة تناقض حركة التقدم .

« ويرينا موظفا يصلح لكل وظيفة ، قد خدع الناس باعلامهم أنه خادم أمين للجماعة ، فأساء استعمال السلطان القليل الذى منحه ، فأصبح نمروذا صغيرا ضد الذين كان يجب عليه أن يخدمهم .

« ويرينا جميع الذين يتخيلون أن مهمة الحياة الجرى وراء الدرهم ، ويرتبون طبقات الناس على قدر ما يملكون من حطام الدنيا .

« ويرينا الغنى الفخور بغنيمته التى يحتفظ بها ، والفقير الذى يحسده على ما فى يده .

« ويرينا الغرقى فى أعمالهم الذين لا يبرحون كدحهم لجر المنافع ، إلا للاستمتاع باللذات المادية .

« ويرينا جميع الذين هم فى الواقع بطون تتطلب أن تَملأ ، أو أطفال يبحثون عن التسلية .

« كل هذا والمجموع المفطور على أن يعيش مجتمعا تتوالى أجياله ناظرة الى ما حولها من

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

خـلال جميع التقاليد والعادات التى نشأت فى ماض منحط ، مضافا اليها بتوسع وهم جـديد فى وجـود فيه العقل الراشد يميز بصعوبة عظيمة حقائقه النسبية ، من الوهم المطلق الذى يزيد هذه الحياة المنحطة حقارة على حقارتها . جماهير تموج فى كِسَف من الظلمة ، تتحرك فى طلب النور ، وهى متمادية فى أحلامها المؤلمة التى لا حد لها . طوائف من المتخلفين فى جميع مراحل السير نحو العقل المستنير أكثرهم فى غفلة عن التطور الضخم الذى يعمل فيهم وبهم لمصلحة سواهم .

« فى أسفل هذه الطبقات الخاضعة لناموس التطور ، يجد الباحث الطبقة الاجتماعية التى توصف بالمنحطة لأنها حرمت من التعليم .

« فهنالك تصادف الذخر الأدبى فى أولى درجاته ، لأن ما يضاف اليه من المعقولات المكتسبة لا يستطيع أن يحدث تغييرا يذكر فى الغرائز الفطرية . اللهم إلا ما يجىء من بعض الينابيع المهذَّبة من المدد الأدبى ، فانه يكون عاملا حقيقيا فى إحداث التطور .

« إن آحاد هذه الطبقة المندمجة فى كثرتها ، توزن أقدارهم عقليا على حسب الذخر الذى ورثوه عن آبائهم ، وأدبيا على حسب الاتجاه الذى يوحَى اليهم ، متى كان ذلك الذخر الموروث ليس من درجة عالية . فيوحد فيهم الجيد والردىء متى عرضت مظاهرهم على ما هم عليه بدون تصنع منهم .

« فتصادف فيهم قابليات قـد أهمـل أمرها ، وأفـكارا بقيت فى حالة جنينية لنقص فى تركيبنا الاجتماعى .

« من هذا المستودع للاختمار العقلى البطىء ، ينبغ الى ارتفاعات مختلفة ، وربما طفرة من الحضيض الى الذروة ، أفراد أسعدتهم الأحوال بدفعهم الى مجال التطور .

« هذه الـكتلة البشرية الجامدة فى ظلامها العقلى ، متروكة عرضة لـكل الإيحاءات التى ترد عليها وتؤثر فيها . وما ترثه عن أسلافها يحسِّن من حالتها فى جميع أدوارها ، وينقلها درجة عما كانت عليه فى ماضيها » .

محمد فريد وجدى

لا يضيع المعروف

يد المعروف غنم حيث كانت تحملها شكور أو كفور
ففى شكر الشكور لها جزاء وعند الله ما جحد الكفور

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحرية العلمية فى الاسلام

كيف طبقها ملوكه فى المشرق والأندلس

— ١ —

يرى المفكرون أن الحرية العلمية اعترض طريقها فى كل جيل أمران خطيران : الجهل ، والحكومة الظالمة . فالجهل يثور على العلم ويتخذه عدوا له ، وقد يطلب من الحكومة أن تعينه عليه وتثأر له منه ، لائذا بالدين مرة ، ومخوفا من الالحاد أخرى ؛ وقد تكون الحكومة ضعيفة فى حاجة الى معونة الجهل فتنصره ؛ وقد تكون جاهلة فتبالغ فى التنكيل بالعلم ؛ وقد تكون حكيمة فتعالج الأمر فى رفق وحكمة ، فتسترضى الجهل ولا تظلم العلم ؛ وكثيرا ما رأينا العوام يسوقون الحكومات فتبطش بالعلم بطشة كبرى كما سنبينه فى موضعه .

قد يضيف بعض الناس الى هذين الأمرين المعترضين طريق العلم وحريته ، أمرا آخر له شأن وخطر ، وهو الدين ، يشجعهم على ذلك استبداد الكنيسة فى القرون الوسطى بكل شىء ، ولكن الاسلام لم يقرر سلطة روحية . فدين هذا شأنه لا يعقل أن يشاق العلم ولا يضيق حريته ، ولكن يجرى معه جنبا الى جنب ، ويرى فيه ما يعزز قواعده ، ويثبت أركانه ، مما سنرى أثره بعد .

فلما مضى عهد الخلفاء الراشدين وجاء بنو أمية ، اشتغلوا بلغتهم ودينهم ، وقرأ بعضهم شيئا من الطب ، واستقدم خالد بن يزيد بن معاوية نفرا من مصر ترجموا له كتبا فى الكيمياء ، وانقضت دولتهم ولم يزيدوا على هذا شيئا . قال صاعد بن أحمد الأندلسى : « إن العرب فى صدر الاسلام لم تعن بشىء من العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها ، حاشى صناعة الطب ، فانها كانت موجودة عند أفراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس اليها . فهذه كانت حالة العرب فى الدولة الأموية » .

مضت هذه الدولة ولم تحدث فيها خلافات دينية ، غير أن الجعد بن درهم بذر بذور المحنة الشديدة التى كان لها أثرها وضحاياها فى الدولة العباسية ، وهى القول بخلق القرآن ، وأظهر فى ذلك مقالته ، فهاج الناس وغضب الخليفة ، وأرسله الى أمير العراق وأمره بقتله ، فحبسه ولم يقتله ، فبلغ هشاما فشدد فى قتله ، فقتل . وكان ابن درهم يقول : ما كلم الله موسى ، ولا اتخذ إبراهيم خليلا .

وأخذ مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية إخذ ابن درهم فى القول بخلق القرآن ، ولكن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تتابع الحوادث ، واستعار الحروب بين الأمويين والعباسيين ، وخوف العامة ، دفن هذه الفكرة مؤقتا حتى رفعت رأسها فى القرن الثالث كما سيجيء بعد .

نستعرض الآن حالة العلم فى عهد الدولة العباسية التى قامت على سواعد الفرس ، فنشط رجالهم لإمداد الأدب العربى بحاجاته ، فترجموا له عيون الكتب المؤلفة بلسانهم ، واستخدم الخلفاء المترجمين عن اليونانية والعبرية والسريانية ، فترجم يحيى بن البطريق المجسطى فى الفلك ، وجورجيس بن جبريل كتبا فى الطب ، وكان المنصور مع تضلعه فى الفقه كلفا بالنظر فى علوم الأوائل . فلما جاء الرشيد كان للحرية العلمية فى عهده شأن عظيم ، فأطلق البرامكة للناس عقولهم وأقلامهم ،غير أن حرية العلم ونقل الكتب الى اللغة العربية لم يصلا الى غايتهما إلا فى عهد المأمون

كان المأمون قد نظر فيما ترجم من علوم المتقدمين ، وصادف ذلك هوى فى نفسه ، وملكت الفلسفة عليه كل حواسه ، فكان يذكرها قائما وقاعدا .

قال ابن أبى أصيبعة : حكى ابن عدى أن المأمون قال : « رأيت فيما يرى النائم كأن رجلا على كرسى جالسا فى المجلس الذى أجلس فيه ، فتعاظمته وتهايبته وسألت عنه ، فقيل : هو أرسطوطاليس ، فقلت : أسأله عن شىء ، فسألته : ما الحسن ؟ فقال : ما استحسنته العقول . فقلت : ثم ماذا ؟ فقال : ما استحسنته الشريعة . فقلت : ثم ماذا ؟ فقال : ما استحسنه الجمهور . فقلت : ثم ماذا ؟ فقال : ثم لا ثم » . وهذا يرينا الى أى حد تمكنت الفلسفة والعلوم من نفس المأمون . وكان يقدم أرسطو وفلسفته على من عداه ، وأعد دارا للحكمة حشد فيها من التراجمة والعلماء جمعا كبيرا . وأرسل الى حاكم صقلية فى أن يرسل اليه مكتبة صقلية الشهيرة ، ففعل . كما أرسل الى ملك الروم يستأذنه فى أن يوفد اليه من يختار له من كتب اليونان وعلومهم ، فأجابه الى ذلك ، فأنفذ اليه جماعة من بينهم سالم وابن البطريق والحجاج بن مطر ويوحنا بن ماسويه ، فاختاروا من كتب اليونان جمهرة عظيمة حملوها الى بيت الحكمة ، ونقلوها الى العربية .

لم يكن أمر الترغيب فى النقل والترجمة قاصرا على دار الخلافة ، وإنما جرى الناس فى هذا على مذهب مليكهم ، فكان كثير منهم ينفق الآلاف من الدنانير فى الشهر على النقل الى العربية .

نشط الناس الى النظر والتفكير على الأسلوب المقتبس من تلك الكتب ، فنشأت لهم آراء ومذاهب خالفت ما عليه العامة ؛ وشجع على ظهورها إطلاق المأمون حرية العلم ، وفتح باب الجدال على مصراعيه ، فلم يتهيب الناس مما كانوا يتهيبون منه من قبل ، وأدلوا بما عندهم ولو كان ضد الخليفة نفسه ، وكان المأمون يقبل ذلك ولا ينكره ؛ ويرحب بالآراء وتضاربها حتى تظهر الحقيقة ناصعة .

قال ميور المستشرق فى الكلام عن المأمون : « إنه كان واسع الحرية الى درجة مدهشة ، وقد أباح للمسيحيين حرية المناقشة فى أى الدينيين أفضل : الاسلام أم المسيحية . وأحاط

oldbookz@gmail.com
مكتبة كتب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

المأمون نفسه بالعلماء من كل فئة ، وأباح لهم المناقشة فى حضرته فى مسائل كان البحث ممنوعا فيها من قبل : كعلاقة الانسان بالله ، وطبيعة الألوهية » . وقد وجد بعض مرضى النفوس الجو صالحا فنالوا من العرب وحطوا من شأنهم ، وهم قوم الخليفة ، فلم ينكر عليهم ، وأطلق للأقلام حريتها ، وقد جاء الشعوبية وغيرهم من ذلك بالشىء الكثير .

لم يكن المأمون يكتفى بهذا فحسب ، وإنما كان يشترك معهم ، وقد يخالفونه فيرحب بهذا الخلاف ، لا يهمه شىء إلا الوصول الى الحق . وكثيرا ما كانت مخالفة العلماء له مصحوبة بشىء لا يليق ، وكان يترامى إليه أشياء ، وكانت تحز فى نفسه كثيرا ، كما حصل من تفضيله عليا ، واتهامه بتنقص الخلفاء الراشدين ، فكان يألم من ذلك ويقول : « والله ما أستحل أن أتنقص الحجاج فكيف السلف الطيب ؟ »

قال يحيي بن أكثم : « لما دخل المأمون بغداد أمرنى أن أجمع له وجوه الفقهاء وأهل العلم من أهل بغداد ، فاخترت له من أعلامهم أربعين رجلا وأحضرتهم ، وجلس لهم المأمون فسأل عن مسائل وأفاض فى فنون الحديث والعلم ، فلما انقضى ذلك المجلس الذى جعلناه للنظر فى أمر الدين قال المأمون : يا أبا محمد قد شغل الناس أهواؤهم . . » ولم يسترح لما جرى ولكن ذلك لم يفت فى عضده ، بل صبر على ذلك ، ورأى أن مداومة البحث والنظر قد تقوم المعوج وتصلح ما فسد من الأمور .

الى هذا الحد بلغ هوى المأمون فى حماية الحرية الفكرية والعلمية مما لم يكن له مثيل إلا فى هذه العصور ، ولكنه لم يلبث أن أتى على جل ما بناه من صرح نخم لهذه الحرية ، فأصدر أمره ، وهو يحارب الروم ، الى نائبه ببغداد أن يستدعى علماء الدين بدون استثناء ويلقى عليهم هذا السؤال ، وهو من مباحث المعتزلة : القرآن مخلوق أم غير مخلوق ؟ وأمره أن يبطش بكل من يقول إنه غير مخلوق . فصدع نائبه إسحق بن ابراهيم بالأمر ، وضرب عددا لا يحصى من كبار العلماء .

فعجب المفكرون من هذا التناقض ، وزاد عجبهم أن يأمر بالتعذيب على القول بأمر ليس له أدنى علاقة باصلاح دين ولا دنيا ، فشاب بهذا العمل ما كان سيخلد له من الذكر فى إقامة صرح الحرية الفكرية والعقلية .

على أن هذه الحادثة لا يجوز أن تنسينا ما كان عليه المأمون من الخلال الكريمة ، وما خدم به العلم الكونى والفلسفة ، من ترجمة كتبها الى العربية ، الأمر الذى أثمر ثمراته فى الأجيال التالية لجيله ، وتولدت منه المدنية الاسلامية التى أصبحت مفخرة الانسانية الى اليوم ؟

محمد ناصف

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

معرض الآراء العالمية
في الإسلام والمسلمين

الجنرال تشيانج كاى شيك زعيم الصين
يشهد لمسلميها بالبسالة والوطنية

جاء فى جريدة شنغاى التى تصدر فيها باللغة الفرنسية ما تعريبه :

« رفع الجنرال تشيانج كاى شيك صوته عاليا فى الاجتماع السنوى لاتحاد الجمعيات الاسلامية الخاصة بالدفاع عن السلامة الوطنية ، فقال : إن المساعدة الاختيارية التى يقدمها خمسون مليونا من مسلمى الصين من الرجال والمال وتحت أشكال أخرى ، وقد انضموا جميعا الى الجبهة المتحدة المقاومة ضد العدوان اليابانى ، لما يوجب لهم المدح والثناء العظيم . كان عدد المجتمعين فى هذا الاجتماع نحو مائتين من المسلمين . وقد حضره عدد من كبار الرجال الرسميين . منهم الجنرال باى تشونج سى من هيئة أركان الحرب العامة ، وهو رئيس هذا الاتحاد ، والجنرال هونيج شنج وزير الحربية ، وتشين لى فو وزير المعارف .

« وقد أثنى الجنرال تشيانج كاى شيك رئيس جمهورية الصين على حب المسلمين للحق ، وعلى شجاعتهم فى الدفاع عما يعتقدونه حقا . وقد استشهد على صحة قوله بحوادث استخرجها من تاريخ الصين تدل على بطولة مسلمى الصين وإخلاصهم لوطنهم ، وضرب لذلك مثلا بالجنرال تشانج يوتشو الذى اشتهر بالبطولة فى أسرة مينج الملكية .

« ونوه بعد ذلك بالحرية العظيمة الممنوحة للأديان فى الصين حيث يوجد فيها بوذيون وتاويون ونصارى ومسلمون .

« وقد افتتحت الجلسة بعمل دينى مؤثر جدا وهو قيام الرئيس الاسلامى الصينى الامام بقراءة آيات من القرآن ، وعقبه بدعاء رجا فيه من الله أن يجعل النصر النهائى من نصيب الصين » .

(مجلة الازهر) : هذه شهادة رئيس أكبر حكومة فى الأرض يبلغ عدد أتباعها نحو خمسمائة مليون نسمة ، فالمسلمون أينما كانوا ، ومن أى جنس كانوا ، لا تزايلهم ما أكسبتهم أصولهم الصحيحة ، وهو حبهم للحق والدفاع عنه ، والاخلاص للبلاد التى يعيشون فيها ، ولولا أنهم

مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على هذه الأخلاق السامية لبادوا فى وسط تلك الكثرة الساحقة ، ولما بلغ عددهم عدد أمة عظيمة تؤلف مملكة قوية ، لا سيما ولم تكن الصين فى جميع عهودها على مثل ما هى عليه اليوم من التسامح الدينى ، والحرية الاعتقادية .

فى سبيل الأرواح الاسلامية :

كتب العلامة جورج جويو من المجمع العلمى الفرنسى مقالا فى جريدة (لا كروا) أى الصليب ، تحت هذا العنوان ، ما يلى :

« ظهر العالم الاسلامى فى خلال العصور إزاء العالم المسيحى ككتلة مندمجة لا يمكن النفوذ الى باطنها . وإن طلب نشرة يوليو التبشيرية أن يدعو الناس لقبول المسلمين الاعتراف بالمسيح ، يقتضى وجود ثقة مطلقة فى أنه فى مستقبل قريب أو بعيد سنصبح قلوب المسلمين مفتوحة للدعوة المسيحية ، وأنها ستدخلها لا محالة .

« وقد أوضح الأب شارل فى نشرته المدعوة (دوسيهات الأعمال التبشيرية) موقف الاسلام ومعارضته فى كل العصور للديانة المسيحية . وهذا القس الذى لا ينخدع للألفاظ ولا للآراء المقررة ، والذى يجدد بصدق بحوثه مواقع الدفاع عن المسيحية ، بيّن أن الاسلام بين جميع الأديان العظيمة العالمية قد وجد بعد المسيحية ، وأنه من بينها هو الدين الوحيد الذى يقدم نفسه للناس تحت عنوان أنه الكمال النهائى للمسيحية ، وأنه بعد أن اجتاز حدود القومية التى نشأ فيها ، قد ارتقى ليس فى كثرة عدد أتباعه فحسب ولكن بسريانه فى مناطق جديدة . وقد حدث فى مدى القرون الماضية كلها أن هذين الدينين المسيحى والاسلامى قد تصادما وتقاتلا دون أن يتصل أحدهما بالآخر اتصالا وثيقا . وهنا قال الأب شارل حرفيا : « إن هذين الدينين قد عاشا جنبا الى جنب فاقتتلا مستهترين ، ولكنهما ظلا متجاهلين » . ولم تظهر أول ترجمة للقرآن مصحوبة بمقدمة فى تفنيده إلا على عهد البابا (اينوسان) الحادى عشر أى فى آخر القرن السابع عشر .

« هذا من ناحية المسيحية ، وأما من ناحية الاسلام فانه بوقوعه فى خطأ من العلم بعقيدة التثليث كسا نفسه برداء العظمة باعتبار أنه دين التوحيد الخالص ، وتصدى لاتهام العقيدة فى المسيح ، على ما هى عليه فى الكنيسة ، بأنها تخل بعقيدة التوحيد وتجحدها . وهذا الاسلام الذى لا يعرف إلا القليل من المسيحية ، ويحكم عليها هذا الحكم السيء ، قد اعتبره مسيحيو القرن السابع والثامن بدعة مسيحية مشبعة بالروح الاريانية والنسطورية (١) . والمسيحيون الذين ينظرون الى الموضوع من قرب يرون لدى المسلمين الاولين اعتقادا فى

(١) الاريانية والنسطورية من المذاهب المسيحية الموحدة .

oldbookz@gmail.com
أرشيف مجلات قديمة
https://t.me/megallat

قدسية المسيح ، وعظمة العذراء ، وفى وجود الكون من العدم . وقد اعتمد الاسلام على كل ما حوته الأساطير القديمة فى علم الكون والعالم الروحانى . ولكن هذا الحشو الرث لا يجوز أن يحجب ما بقى من الآراء المسيحية فى الأفكار الاسلامية . أما تعدد الزوجات فقد اعتبر زمانا طويلا هوة سحيقة بين الاسلام والمسيحية ، وهى فى الواقع هوة لا يمكن اجتيازها .

« ولكن الأب شارل ينبه فى كتابه الذى نحن بصدده على : أن تعدد الزوجات ليس باجبارى فى الاسلام ، ولكنه كان عادة قديمة عند القبائل العربية ، وأنه قد زال الآن من ممالك إسلامية عديدة ، وأنه ليس بأصيل فى الاسلام .

« وعليه فلا نقول إن وطأة الخلاف بين المسيحية والاسلام تخف ببيان هذا العالم التبشيرى ، ولكن تقل الحوائل التى تقوم بينهما ارتفاعا وعرضا .

« إن هذه الدراسة النيرة للأب شارل توافق الوقت الذى اتجهت فيه عزيمة رجال التبشير على اجتذاب المسلمين الى العقيدة المسيحية ، وحتى فى الأوقات التى كان الناس فيها لا يعرفون جيدا ما هية الاسلام ، كانت الكنيسة ليست واقفة جامدة حيال الانتشار السريع للاسلام وازدياد طغيان موجته فى العالم ، وهذه الموجة كانت لأجل أن تنتشر تعتمد على القوة ، فكانت الحروب الصليبية ردا على هذه القوة باسم الحق .

« ولكن فى الوقت نفسه كانت تتهيأ حركة فى النفوس ابتدأت فى القرن الثالث عشر ، وهى حركة سان لويز الذى قام بالاغارة على تونس محاولا بذلك أن يقود الى المسيح روح السلطان (١) وحركة ريمون لول الداعية المسيحى أمام جموع المسلمين ، وقد كاد يستشهد وهو يقوم بواجبه . وها نحن بعد مرور سبعة قرون نرى أنفسنا حيال رسولين للمسيح الى المسلمين ، وهما الأب فوكولد ، والأب شارل أندريه بواسونييه » .

« وقد نصبت لوحة تذكارية لهذا المبشر كتب فى السطر الثانى منها « سفير المسيح الى أرض الاسلام » . ولما كانت سنة ١٩١٥ وخطب الأب داسونفيل فى مدينة ليل ينصح بوقف حركة التبشير ، ألمّ بذكر الأب فوكولد والخمسين مليونا من غير المؤمنين الواجب على فرنسا تنصيرهم ، وكان حاضرا فى جملة الذى يشملهم القعود عن التبشير شاب هو الذى يرجى فيه أن يكون نديدا لفوكولد ألا وهو بواسونييه . وهذا قد أعمل فكره فيما هو بصدده من هذا العمل الخطير ، وقدر الصعوبات التى تحول دونه حق قدرها ، ثم اعتزم أن يسير فى تحقيق أغراضه متوخيا الجرى على الحكمة التى قالها وهى : « لنعمل كأن النجاح لا يتعلق إلا بمجهوداتنا الانسانية وحدها ، وادع الله دعاء من يعتقد أن النجاح يستدعى إحداث آية » .

(١) لعله يريد روح سلطان تونس .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

« ولما أصبح الأب بواسونييه قسيسا جعل من أغراضه تحقيق ثلاثة أمور :

(أولاها) العمل على إزالة الأوهام والسخائم التي يوحيها منظر كل أجنبي الى قلوب المسلمين ، وهذا لا يكون إلا بأن يجعل الأجنبي من نفسه عربيا عائشا بين العرب .

(ثانيها) كسب احترامهم بتقمص روح القداسة باطنا وظاهرا .

(ثالثها) اجتذاب قلوبهم بالقيام بالأعمال الخيرية ، مع تجنب إثارة الخلافات الدينية .

«هذا هو البرنامج الذي سنه وجرى عليه الأب شارل أندريه بواسونييه في مؤسسته بتازيرت. ولما ألمت به المنية في فبراير من سنة ١٩٣٨ صارت تازيت كنقطة مضيئة تتراءى بسببها شجرة الإيمان المسيحي خفية للأرواح المسلمة مشيرة الى ثمرتها اليانعة وهي الاحسان الى الغير .

«ألا إن أرواحا كروح الأب فوكولد وروح الأب بواسونييه تمهد الى الاسلام طرقا بواسطتها تستطيع المسيحية أن تقترب منه . وما تلقيناه هذا الشهر من الرجاء المنشور في النشرة التبشيرية سينال من الله تعالى قبولا ، فتتوسع هذه الطرق التي تتيح للمسيح أن يتجه منها الى الاسلام اتجاه الظافر المنتصر » .

(مجلة الأزهر) : إن رجال الدين في أوربا وأمريكا يدعون الى تناسي الأحقاد الدينية ، وتأسيس زمالة إنسانية بين الناس أجمعين ، بصرف النظر عن عقائدهم ومذاهبهم ، وهم يقيمون لإذاعة هذا التسامح المؤتمرات في أكبر عواصمهم ، ولكنهم لا يفتأون يحاولون أن يفتنوا المسلمين عن دينهم ليصبأوا الى ملتهم . وقد سلكوا لتحقيق أغراضهم طرقا شتى يعرفها جميع القارئين ، وليس يجمل هنا سردها . واليوم يبشرنا المسيو (جورج جويو) أن القس بواسونييه ارتأى أن يسلك في اجتذاب المسلمين طريق الإحسان اليهم ، وقد فصل وجوه ذلك الاحسان . وإنا نشكره على دعوته الى وجوب تحول الدعاة عن طريقتهم الموجبة لسوء الظن والسخائم الى طريقته من المسالمة والمصانعة ، وإن كانت لا تؤدى الى فتنة المسلمين عن دينهم كما يريد .

ونحن نعجب من هؤلاء الدعاة يبذلون أموالا طائلة في سبيل الدعوة التي يقومون بها ، ويتذرعون لترويجها بكل ما تتخيله عقولهم من الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، إلا وسيلة واحدة ، وهي (الاقناع) . فمها بالغت في الدعوة لمذهب ، وتفننت في لفت النظر اليه ، وأشبعت في سبيله بطونا غرثى ، وكسوت أجسادا عريا ، وعالجت جسوما مرضى ، فلن تبلغ من المدعوين أكثر من الشكر على حسن صنيعك ، أما الانتقال اليه ، والتعويل في توفية حاجة العاطفة الدينية عليه ، فسبيله أمر آخر غير الاحسان المادي وهو الاقناع العقلي . وهذا الاقناع يغني عن كل الوسائل الأخرى كما ثبت ذلك عمليا . فقد ذكر الكاردينال الفرنسي المشهور (لافيجري) في تقاريره أن المسيحية والاسلامية تتنازعنا السلطان على عقول متوحشي أفريقا ، الأولى يمثلها رجال تساعدهم الحكومات ، وتحت أيديهم أموال طائلة ينفقونها

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اجتذابا لأهواء أولئك المتوحشين ، والثانية يمثلها دراويش فقراء يعيشون عالة على المدعوين ، أو تجار لا يبذلون درهما واحدا فى سبيلها ، فكانت النتيجة أن دخل فى الاسلام نحو ستين مليونا فى القرن الأخير ، ولم تثمر الدعوة المقابلة لها شيئا يذكر .

وقد انتشر الاسلام فى أول ظهوره بهذه الوسيلة نفسها ، فقبلته النفوس مطمئنة اليه ، لموافقته لما فطرت عليه من حب التعقل لما تدين له ، وإذا كان قد كتب لهذا الدين أن ينتشر بين الناس كافة ، فلن يكون ذلك إلا بهذه الوسيلة لا غيرها .

فإذا عمل الدعاة بما يقوله الأب بواسونيه فلبسوا لبوس العرب ، وتعلموا لغتهم ، وعاشوا بين ظهرانيهم ، وعاملوهم بالبر والاحسان ، فلا نشك فى أن هؤلاء الدعاة أنفسهم يصبأون الى الاسلام بعد أن يفهموه ، لأنه لا محيد لنفس بشرية عن سبيله إذا كانت تريد أن تستقيم على الجادة الصحيحة .

وقد قل أن تصادف من يذكر الاسلام ولا يذكر تعدد الزوجات ، والغرض من ذكره إشعار المخاطب بأنه بسبيل دين شهوانى يحلل التوسع فى اقتناء النسوة لزيادة الاستمتاع المادى . وقد ألممنا بهذا الموضوع فى العدد الماضى فى صفحتى ٧١٦ و ٧١٧ فليرجع اليه .

على أن فهم الحكمة فى إقرار الاسلام لمبدأ تعدد الزوجات وحصره سهل جدا ، ذلك أن النظم الاجتماعية التى قصرت الزواج على واحدة قد خابت كلها ، لأن الناس احتالوا على تعديد الزوجات باتخاذ الخدينات ، وقد كان ذلك شائعا فى أعظم عصور المسيحية ، ولا تزال هذه العادة معمولا بها فى جميع البلاد المتمدنة .

ولما كان مبدأ التعديد ناشبا فى بعض النفوس الى هذا الحد كما ترى ، رأى الاسلام أن لا يفلت من رعايته ملايين النسوة اللاتى يوقعهن الرجال فى حبائلهم ، فأبدل مبدأ السماح بتعديد الزوجات بمبدأ اتخاذ الخدينات (المتريسات) ، وغرضه من ذلك أن لا تحرم هؤلاء الملايين من النسوة والأولاد من حقوقهم المشروعة ، وأن لا ينتشر البغاء باسم القانون ويتغلغل فى النفوس .

فأى المذهبين أرقى علميا ، وأرحم اجتماعيا ، وأجمل أثرا أدبيا ؟

ليتخيل المسيو (جورج جويو) ما تؤول إليه حالة قبيلة يحرم فيها تعديد الزوجات ، ويباح فيها الفسق والمخادنة ، ألا يرى أن حالة المرأة فيها تسوء الى حد لا تمكن إطاقته ، وتتدهور فيها الأخلاق تدهورا لا قرار له ؟

الخلاصة : أن الاسلام قد نشأ يكتنفه المنطق والعلم ، وعاش وهما سلاحه طول حياته ، وسيعيش مصاحبا لهما فى جميع أدواره ، وما كان كذلك استحال أن يهجره ذووه إلا إذا هجروا العلم والمنطق ، وهذا محال أى محال ؟

محمد فريد وجدى

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نظام الوقف في الاسلام

نحاول اليوم أن نعرض للكلام عن الشهادة بالوقف وما يتعلق بها ، بعد أن عرضنا لأصل الوقف فى أنواعه المختلفة :

نقل صاحب البحر جواز الشهادة على الوقف من الرجال والنساء ، وجواز الشهادة على الشهادة بشرائطها المبينة فى بابها مما تدعو الضرورة الى صردها ، والشهادة احتسابا ، فلا يشترط عند علماء الوقف أن تقترن الدعوى بالشهادة ابتداء ، بل يجوز فى أثناء نظر الدعوى أن يتقدم شهود الى القاضى فيشهدوا بواقعة معينة يعود إثباتها بالمنفعة على جهة الوقف ، كما حدث فى عدة محاكم كلية . والقدر المتفق عليه بين العلماء لتجويز ذلك : أن الوقف عمل من أعمال البر قصد به الترفيه عن جماعة من الانسان ابتغاء أن يدفعوا عنها عوارض الفقر وذل الفاقة ، فكان من الترخص فى هذا السبيل تيسير الاثبات للعين الموقوفة بالقدر المصحح لهذا الاثبات ، حتى تكثر أنواع البر ، وتتلاقى النوايا الطيبة فى ملتقى واحد .

من أجل ذلك أجاز علماء الفروع للقاضى أن يسمع الدعوى مقترنه بالشهادة على معين أو غير معين من الوقف ، وإن كان صاحب كتاب أنفع الوسائل يرى أن الشهادة على غير معين لا تثبت إلا أصل الوقف إذا كانت حسبة ، أما إذا كانت الشهادة على معين فيشترط فيه لصحتها تقدم الدعوى مقترنة بذكر الشهادة لتكون صحيحة الأركان من الناحية القضائية . وليس تقدم الدعوى صحيحة على شهادة الحسبة ضروريا ، لأن الوقف عمل من أعمال البر ، ونوع من التعاون بين الأغنياء والفقراء .

وكما لا يشترط تقدم هذه الدعوى صحيحة فى الوقف ، أجاز الفقهاء الشهادة فيه بالتسامع . وقد عرف الفقهاء شهادة التسامع أن يشهد الشخص بما لم يعاينه بناء على إخبار جمع من الناس يؤمن تواطؤهم على الكذب أو شهادة عدلين عنده بذلك ، فالوقف إذا كان على جهة بر لا تنقطع تقبل فيه الشهادة بالتسامع ، فلو شهد جماعة مثلا بأن مكان كذا وقف على مسجد أو مدرسة أو ملجأ ، صحت شهادتهم ، وثبت كون المشهود عليه وقفا على الجهة التى سموها فى شهادتهم . لكنهم لو شهدوا فى حالة أخرى غير مماثلة لتلك الحالة ، كأن شهدوا على أن الواقف شرط فى وقفه ألا تصرف غلة الموقوف إلا الى ولده فلان دون فلان ، ففى هذه الحالة لا تسمع شهادة الحسبة .

ويشترط فى الشهادة بالتسامع فى الوقف تحديد الموقوف تحديدا تاما بحيث لا يلتبس بغيره إن لم يكن مشهورا متميزا بين الناس ، فان كان كذلك فشهرته تغنى عن تحديده ، ويكفى الاختصار منه بثلاثة حدود على الراجح ، كما يشترط أن لا يجر الشاهد بهذه الشهادة مغنما الى نفسه ، وأن

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا يدفع عنها مغرما ، وألا يكون موتورا ، وألا تعود شهادته ببعض المغانم الى ذوى قرباهم مما سوف يؤول اليهم استحقاقه فى العين المشهود عليها منهم . فلو شهد بأن الواقف وقف عليه أو على أولاده أو نسله أو من تجمعه به قرابة ، لم تصح الشهادة ، لأنها جرت مغنما للشاهد بالذات أو بالواسطة .

ومثل ذلك ما لو شهد بأن العين وقف على فقراء قرابته ، حتى لو كانوا أغنياء وقت الشهادة ، لاحتمال أن يعرض لهم الفقر مآلا ، غير أن العلماء قد استثنوا حالة أخرى قد تكون شبيهة بأهل قرابة الشاهد فى بعض الأحايين ، وهى أن يشهد الشاهد بوقف عين يستحق فيها جيرانه أو أحدهم ، لأن الجوار مما يتغير ، فقد يجاورك شخص ثم يبعد عنك يوما ما ، وهذا كاف فيه احتمال البعد ، وإلا فمن ذا الذى يسوى من الفقهاء بين جوار قد تتحول أحواله ويتغير مآله وبين قرابة لا تزول ولا تدول ؟ ولم يفرق بعض العلماء بين الجوار والقربى ، وطرد الباب على وتيرة واحدة ، واعتبر تغيير مكان الجوار وتنقل الجيران من مكان الى مكان ، عارضا من العوارض التى قد تطرأ وقد لا تطرأ ، والاعتبارات الشرعية لا يصح ابتناؤها على فروض مستقلة قد تقع وقد لا تقع ، إنما تقام على حالات راهنة تتخذ مقياسا لصلاحيتها أو عدم صلاحيتها .

ومما لا مشاحة فيه أن شهادة الحسبة معتبرة شرعا ، وأكثرها اعتبارا فى المسائل التى تعود على المجتمع بجدوى وفائدة . وقد أقام المشرع الاسلامى لشهادة الحسبة وزنا غير يسير ، فأدخلوا فى باب لائحة ترتيب المحاكم الشرعية لسنة ١٩٣١ نظام الحسبة بعد الأذن بالخصومة ، ونظموا الإذن بالخصومة تنظيما يكفل سماع شهادة الحسبة على وجه قضائى يرفع الدعوى المشهودة الى درجة القبول أمام القاضى .

وللبحث تفصيلات أخرى نعود اليها إن شاء الله فى المستقبل القريب !

عباس طه

لحضرات المشتركين

لما كان نظامنا المالى يقضى بعدم إرسال المجلة إلا لمن يدفع اشتراكها أو جزءا منه فنرجو حضرات القراء بأن يبادروا بالاكتتاب مذ اليوم .

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بحوثنا فى السنة المقبلة

١ — العوامل الأدبية التى استخدمها الاسلام لتطوير الشخصية الانسانية .

٢ — صحف مختارة عن أقطاب العلم العصرى .

اعتزمنا بعون الله وتوفيقه أن نفتتح السنة الحادية عشرة لمجلة الأزهر ببحثين جديدين مع مباحثنا الأخرى :

(أولهما) دراسة العوامل الأدبية التى استخدمها الاسلام لتطوير الشخصية الانسانية . وهذه الدراسة ضرورية للشعوب الاسلامية الراهنة التى تود أن تنهض بالمبادئ الاسلامية ، الى حيث بلغ أسلافها الأولون فى سنين معدودة .

معلوم بالضرورة أن الأمة العربية الى عهد نزول القرآن كانت لا تزال على الحالة القبيلية ، حتى ما كان مضطرا منها للاحتكاك بالأمم المنظمة بقى على تلك الحالة الى أن جاء الاسلام فأنقذه منها ، وجعل من العرب أمة ذات مبادئ مقررة ، وأصول محررة ، وغاية مرجوة ، ثم دفع بها الى مزدحم الجماعات البشرية لتبتلى بجميع ما يتصور من المحللات الاجتماعية ، فلم ينفصم تماسكها ، ولم ينحل ترابطها ، ولكنها صمدت للأحداث تغالبها حتى بلغت أرقى ما تبلغه أمة فى مجالى العلم والعمل ، وأرفع ما تتوج به جهود شعب من السؤدد والغلب .

هذه حادثه فذة فى تاريخ الانسانية ، تقتضى عوامل من ضرب عال جدا تستخدم لاحداثها ، فما هى هذه العوامل ، وكيف أثرت طفرة فى شعب كان مجردا منها ؟

هذا موضوع ثرى لدراسات متوالية فى صميم الآيات القرآنية ، ولباب العلوم الاجتماعية والنفسية .

(ثانيهما) الصحف المختارة وقد سبق الكلام عنها فلا نكرره هنا .

أسرار البلاغة — فى علم البيان :

أصدرت دار المنار فى هذه الأيام هذا الكتاب النفيس لمؤلفه الإمام « عبد القاهر الجرجانى » مطبوعا طبعا متقنا على ورق جيد صقيل . والكتاب ومؤلفه غنيان عن التعريف . وقد وضع فى وقت تحكمت فيه دولة الألفاظ واستبدت على المعانى . وهو خير ما كتب فى موضوعه عبارة وأسلوبا ، وإيضاحا للمسائل وبسطا للدلائل . وقد امتاز بإرجاع الاصطلاحات الفنية الى علم النفس وتأثير الكلام البليغ فى العقل والقلب . وقد عنى بتصحيحه علامتنا

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المعقول والمنقول المرحومان الشيخ « محمد عبده » والشيخ « محمد محمود الشنقيطى » ، وعلق حواشيه العلامة المرحوم « السيد محمد رشيد رضا » منشئ مجلة المنار .

ثمن النسخة ٢٥ قرشا .

سمو المعنى فى سمو الذات :

هـذا اسم كتاب فى سيرة الحسين بن على رضى الله عنهما ، وتاريخه كما يعلم القـراء جزء من حوادث جسام حدثت فى القرن الاسلامى الأول بسبب ولاية الحـكم ، المطلع عليها يشرف من قرب على الحالة النفسية والاجتماعية للمسلمين فى ذلك العهد ، والـكتاب الذى بين أيدينا يسرد تلك الحوادث ويحللها تحليلا دقيقا ، وفى الـكتاب بحوث بسيكولوجية ممتعة فى الاسلام والقرآن والشخصية والمبدأ والصراحة والبطولة الخ مكتوبة بلغة فصيحة وأسـلوب شائق ، فنشكر للمؤلف الفاضل الأستاذ الشيخ عبد الله العلايلى ، هديته ، ونرجو له التوفيق لابراز ما فى جعبته من المؤلفات ، وخاصة المعجم الجديد الذى وعد به .

الطبع والصنعة فى الشعر :

الأستاذ المفضال محمد الهيهاوى كاتب بليغ وله فى الأدب جـولات ممتعة ، وفى تاريخه اطلاع واسع ، أتحفنا اليوم بكتاب قيم جميل الطبع والوضع بعنوان (الطبع والصنعة فى الشعر) أتى فيه على كل ما يتصل بهذا البحث ، فجاء كتابه تحفة فنية جعلتها عباراته العالية ، أطروفة علمية تقرأ وتكرر .

خواطرى :

هـذا اسم كتيب صغير وضـعه حضرة الأستاذ المفضال الشيخ محمود حسين مرعى من الجامعة الأزهرية ، يشن به حربا شعواء على الرذائل ، ويبنى به صرحا عاليا للفضائل . إن لمحاربة الرذائل ضروبا شتى ، ولـكن الضرب الذى ابتكره الأستاذ محمود حسين مرعى يعتبر طريفا ، لأنه يكافح الرذائل على طريقة الشعر المنثور المتشبع بعاطفة ملتهبة ، تضطر القارئ لقراءته وإعادته ، ولإسماعه لغيره ، على حين أن الـكتب التى تعالج هذا الموضوع لا تستهوى القارئ ، ولا تشوقه .

لا جرم أن هذه القوة الفنية التى تفيض من نفسية مؤلفنا الشاب تبشرنا بأنه سيجلى حين يستكمل آلات العمل فى ميدان الاجادة ، فيـكون فى الرعيل الأول من بناة الأخـلاق القيمة فى المستقبل .

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الفهرس العام

السنة العاشرة (١٣٥٨ هـ) من مجلة الأزهر

الموضوع	بقلم	صفحة
(ا)		
أبو حيان التوحيدى	حضرة الأستاذ عبد الحميد سامى بيومى	٧٥٩
الأحياء الدقيقة — نظرة فى عالمها	« « رضوان محمد رضوان	٥٢٤
الأخلاق والتصوف عند الغزالى	« « الدكتور محمد غلاب	٧٤٩
الأزهر — كلمة الأزهر فى مؤتمر الأديان ...	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الله دراز	٥٣٢
الأستاذ الأكبر — كلمات لفضيلته فى :		
الاحتفال بالعام بالهجرى	... ...	٨٤
الاحتفال بالمولد النبوى	... ...	٢٤١
الاحتفال بافتتاح معهد أسيوط ...	... ...	١٨
الاسلام والاخاء الانسانى	... ...	٤٨١
الترحيب بسمو ولى عهد إيران ...	... ...	١٣٢
حرية الفكر فى الاسلام	... ...	٤٠١
الدروس الدينية — الدرس الثانى ...	... ...	٥
رمضان بين عامين	... ...	٧٢٣
عيد الميلاد الملكى	... ...	١
عيد الجلوس الملكى	... ...	٢٤١
ما يجب على الناس لو نشبت حرب ...	.. ..	٥٦١
مسجد محمد على	... ...	٨٧
واجب الشعب وأبناء الأزهر	... ...	٦٤١
واجب العلماء فى الحياة العامة	... ...	٤٨٣
الاسلام كما يراه الأوربيون	حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب	١١٥،١٩٦،٢٦٠، ٣٧٦،٤٣٦،٥٠٤،٥١٥، ٥٩٠،٦٧٥

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضوع	بقلم	صفحة
الاسلام والدكتاتورية ـ ملاحظات	فضيلة الأستاذ محمد حب الله	٦٣٠
الأسماك ـ نظرة فى عالمها	حضرة الأستاذ رضوان محمد رضوان	٦١٠
الاشتراكية فى الاسلام	« « إبراهيم زكى	٧٠٦
الأشعرية ـ المدرسة الأشعرية	« « الدكتور محمد غلاب	٧٠
أطروفة أدبية ـ قصيدة	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الأسمر	٣٨٧
إقبال ـ السير محمد إقبال شاعر الهند ...	حضرة الأستاذ محمد حسن الأعظمى	٣٤٧
الانسان والرزق	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الأسمر	٦٢٩
الايمان والاسلام	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى	٧٣٨
(ب)		
البخارى الامام وكتابه	حضرة الأستاذ عبد الحميد سامى بيومى	٢٧٩
البدع فى الاسلام	« « مدير المجلة	٥٥٠
(ت)		
التجديد فى الاسلام	فضيلة الاستاذ السيد عفيفى	٢٤٣، ٢٠٢، ٢٦٦، ٣٦٠، ٤٢٤، ٥٠٩، ٥٨٤، ٦٦٣
التشريع ــ القومية فى التشريع	« « الدكتور محمد البهى	٤٥٢
التشريع الاسلامى	« « الشيخ فكرى ياسين	٣٩٠، ٤٤١
تفسير سورة الاخلاص	« « يوسف الدجوى	٢٢، ٩٩، ١٦٩، ٢٤٧، ٣٣٠، ٤١٣، ٤٤٤، ٤٩٤، ٥٦٩، ٦٤٩
تفسير سورة الشمس	« « «	٧٣٣
(ث)		
الثقافة الاسلامية	حضرة الأستاذ عبد الحميد سامى بيومى	٦٢٢
(ج)		
الجامعة والعقيدة	فضيلة الأستاذ الدكتور محمد البهى	٢٢٠

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الموضوع	بقلم	صفحة
(ح)		
الحرية العامية فى الاسلام	حضرة الأستاذ محمد ناصف	٧٨٩
(خ)		
الخلافة والديمقراطية	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٣٦
الخليل بن أحمد	« « محمد ناصف	٦٠٥
(د)		
الدارونية — ما جنته على الانسانية	حضرة الأستاذ مدير المجلة	١٣٣
الدعوى — متى تسقط	فضيلة الأستاذ الشيخ عباس طه	٥٥٨
الدين والدنيا معا	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٣٥
(ر)		
الربا	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيري	٢٧ ، ١٠٣
الربا	« « « نخر الدين الصاحب	١١١
رمضان شهر الصيام	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٦٩٠
الرهن	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيري	٢٥١
(ز)		
الزواج الأول للرسول	فضيلة الأستاذ الشيخ فكرى ياسين	٢٢٣
(س)		
سفينة نوح واستواؤها على الجودى	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيري	٣٣٧
السلم	« « « « «	١٧٣
السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة		١٢
أدوار الدعوة الاسلامية		٥٦١
حظ الأمم من النبوة قديما وحديثا ...	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٢٤١
الشكوك فى إمكان الوحى وعلاجها ...		١٦١

oldbookz@gmail.com
جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat

الموضوع	بقلم	صفحة
عزم المشركين على وقف الدعوة الاسلامية		٦٤٢
النبوة والرسالة والأدلة على إمكان الوحى		٩٠
نبوة محمد بن عبد الله والأدوار التى تقدمتها والأدلة على صدقه	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٤٠٤
مهمة خاتم المرسلين		٤٨٥
نصيب العالم من رسالة خاتم المرسلين ...		٣٢١
فى مناهضة المشركين للدعوة الاسلامية		٧٢٥
(ش)		
الشافعى رضى الله عنه	حضرة الأستاذ عبد الحميد سامى بيومى	١٣٩
شبهات ضد الاسلام — حلول	« « مدير المجلة	٣٠٥
شجاعة المسلمين الأولين	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى	٦٥٣
الشعوبية وأثرها فى الأدب العربى	« « « احمد ابراهيم البارودى	٣١١، ٥٤١، ٦١٩، ٦٧١، ٧٦٤
الشواطئ — حماية الآداب عليها	« « « « محمود أبو العيون	٣٨٨
(ط)		
الطبيعة ـ هل توصف باللؤم والتضليل ...	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٥٠
الطوفان وما يتعلق به	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى	٤١٨، ٤٩٩
(ع)		
عبد الخالق الطريس	حضرة الأستاذ محمد الرحمانى	٦٣١
عجائب الكون	حضرة الأستاذ رضوان محمد رضوان	٦٦٨
العدة فى الاسلام	« « فخر الدين الصاحب	٦٩٥
عمر بن الخطاب	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	١٢٤، ١٨٣، ٢٧٣، ٣٥٣
عمر بن عبـد العزيز	« « « محمد مصطفى شادى	٢٠٥، ٤٤٨، ٦٩٥

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضوع	بقلم	صفحة
على بن أبى طالب	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	٣١، ٤٤٠، ٥٠٤، ٥٧٩، ٦٥٩، ٧٥٥
(ف)		
الفائدة والربا	حضرة الأستاذ ابراهيم زكى	٥٩٩
فاتحة السنة العاشرة	« « مدير المجلة	٣
الفخر الرازى	حضرة الأستاذ عبد الحميد سامى بيومى	٦٨٢
فرعون	فضيلة الأستاذ الشيخ فكرى ياسين	٣٠١
(ق)		
قادة الفكر فى تاريخ الاسلام - تمهيد ...	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	٥٩
القرءان - فى بلاغته	« « « أحمد صقر	١٢٠
القرءان الكريم - دفاع عنه	« « « حسن حسين	٢٢٨، ٤٠٦، ٤٤٦، ٥٤٤، ٦١٣، ٧٧١
(ك)		
الكناية والمجاز فى كتاب الله	فضيلة الأستاذ الشيخ حامد محيسن	٣٩
كنز الفاطميين المفقود	حضرة الأستاذ محمد حسن الأعظمى	٢١٥
(م)		
المحاماة قديما وحديثا	فضيلة الاستاذ الشيخ عباس طه	٦٣٨، ٧١٨
مختارات عن كبار علماء أوربا	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٧٨٣
المساواة الصحيحة والمساواة الزائفة	« « «	٤٦٧
المستشرقون — بيننا وبينهم	« « محمد فهمى عبد اللطيف	١٨٨
المسيحية فى الاسلام	« « مدير المجلة	٦٥
معترك المذاهب الفلسفية	« « «	٣٦٨
معرض الآراء العالمية فى الاسلام والمسلمين :		
الاسلام فى العالم	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٧٦

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضوع	بقلم	صفحة
الاسلام فى أفريقا السوداء		١٥٦
الاسلام فى بلاد الصومال		٦٣٢
برنارد شو والاسلام		١٥٨
تشيانج كاى شيك يشهد ببسالة المسلمين		٧٩٢
التضييق على المبشرين		١٥٤
الجامعة الاسلامية والقومية الشرقية		٢٣٨
الخطأ فى معنى الخلافة		١٥٥
شدة تمسك المسلمين بدينهم		٢٣٦
رواية جان دارك وبرنارد شو		٢٣٩
الرأى الاسلامى ومشروواردا	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٥٥٧
الصحراء والاسلام		٣١٤
الصراع بين الجنسين فى البلاد العربية ...		٣٩٤
القرءان		٧١١
مار مديوك يترجم القرءان ويسلم		١٥٤
محمد وشرلمان		٤٧٢
مراكش تحتفظ بالتقاليد القديمة		٥٥٤
المتنطعون فى الدين		٥٥٥،٦٣٤
المسلمون والوحدة الدينية		٢٣٤
منطق الدين		١٤٦،٢١٠،٢٩١
المنكرات — المطالبة بالغائها	فضيلة الأستاذ محمد محرم	٥٤٠
الملك :		
جلالة الملك يفتتح معهد أسيوط ...	» » »	١٨
جلالة الملك يصلى الجمعة فى مسجد محمد على	» » »	٨٧
جلالة الملك يهنئ الشعب والعالم الاسلامى بالعام الهجرى	» » »	٨١
جلالة الملك يهنئ الشعب والعالم الاسلامى بشهر الصوم	» » »	٧٢١

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضوع	قلم	صفحة
المواسم والأسواق وآثارها	حضرة الأستاذ إبراهيم زكى	٧٧٧
المولد النبوى :		
أى شهر مولد النبى	حضرة الأستاذ مدير المجلة	١٧٩
ذكرى ميلاد الرسول الأكبر	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله المراغى	٢٥٦
ذكرى المولد النبوى	« « « محمد احمد العدوى	٣٨٢
من سوانح المولد الشريف	« « « عبدالجواد رمضان	٣٨٦
(ن)		
نشيد الأزهر فى الحرب	فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالجواد رمضان	٥٦٠
نصائح	« « « محمود أبو العيون	٢٠٨
النقد والأدب	« « « محمد فهمى عبد اللطيف	٥٢٩
(و)		
الوحى	فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالرحمن الجزيرى	٥٧٣
الوراثة — من أبحاثها	حضرة الأستاذ رضوان محمد رضوان	٧٦٨
الوقف — نظامه فى الاسلام	فضيلة الأستاذ الشيخ عباس طه	٧٩ ، ١٥٩ ، ٢٣٢ ، ٣١٧ ، ٣٩٨ ، ٤٧٧ ، ٧٩٧
ولى عهد إيران فى الجامع الأزهر	... ...	١٣١
الولى — من هو	فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد قطب	٧٤٤

جروب مجلات قديمة
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com